T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 168/1

٤٦٧

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها المنتمي
الى الاله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
... عفي عنه

٤٤٤

سورة فاتحة الكتاب ٣	سورة البقرة ١	سورة آل عمران ٩٩	سورة النساء ١٣٨	سورة المائدة ١٧١	سورة الانعام ٢٠٧
سورة الاعراف ٢٣٩	سورة الانفال ٢٧٢	سورة التوبة ٢٨٥	سورة يونس ٣١٧	سورة هود ٣٣٨	سورة يوسف ٣٥٧
سورة الرعد ٣٨١	سورة ابراهيم ٣٩١	سورة الحجر ٣٩٨	سورة النحل ٤٠٦	سورة بني اسرائيل ٤٢٢	سورة الكهف ٤٤٧

ترجمة الحرالي ابو الحسن علي بن احمد الحرالي الاندلسي وحرالة قرية من اعمال
مرسية نشأ وولد بمراكش واخذ بالاندلس عن ابي الحسن بن خروف وغيره
ورحل الى المشرق واخذ عن ابي عبد الله القرطبي امام الحرم وغيره
وعن جماعة من المشايخ شرقا وغربا وهو امام ورع كان بقية السلف
وقدوة الخلف • واقام في تفسير الفاتحة نحوا من ستة اشهر يلقي
في التعليل قوانين تتنزل في علم التفسير منزلة اصول الفقه من الاحكام
حتى فتح الله تعالى عليه بركات ومواهب لا تحصى • وعلى احكام تلك
القوانين وضع كتابه مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل • وهو
ممن جمع العلم والعمل • وصنف في كثير من الفنون كالاصلين والمنطق
والطبيعيات والالهيات وكان يقرئ النجاة لابن سينا فينقضه عروة
عروة له كرامات عديدة وتوفي رحمه الله بحماه من بلاد الشام سنة ٦٣٧
وظاهر كلام الغبريني ان تفسير الشيخ الحرالي كامل وقال بعض انه لم يكمله
وهو تفسير حسن وعليه تبع البقاعي مناسباته وذكر ان الذي وقف
عليه من اول القرآن الى قوله في سورة آل عمران كلما دخل عليها زكريا
المحراب وجد عندها رزقا • هذه ملخص ما في نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
القاموس حرالة مشددة اللام بلدة بالمغرب وقبيلة بالبربر منه
علي بن احمد بن الحسن الحرالي ذو التصانيف المشهورة • توفي بحماة سنة ٦٣٧

ترجمة البقاعي ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن ابي بكر البقاعي
الشافعي برهان الدين ابو الحسن العلامة المحدث الحافظ ولد سنة تسع وثمانمائة
تقريبا واخذ القرآن عن ابن الجزري وغيره والحديث عن الحافظ ابن حجر
والفقه عن التقي ابن قاضي شهبة ولازم الاشياخ ومهر وبرع في الفنون
ودأب في الحديث ورحل وسمع من البرهان الحلبي والبرهان الواسطي
والتدمري والمجد البرماوي والبدر البوصيري وجمعهم في معجم الذي سماه
عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والاقران • وله تصانيف كثيرة حسنة
منها كتاب نظم الجواهر والدرر • في مناسبة الآي والسور • والنكت
على شرح الفية العراقي • والنكت على شرح العقائد • ومختصر كتاب الروح
لابن القيم سماه سر الروح • والقول المفيد في اصول التجويد • وكفاية القارئ
في رواية ابي عمرو • والاطلاع على حجة الوداع • وله ديوان شعر سماه اشعار
الواعي باشعار البقاعي • وشعره كثير والجيد منه وسط فمنه قوله
شعر • وبي ذو ركتني اهيف القد احور • محياه يهزو بالبدور الطوالع •
تعلم جفني من بدايع حسنه • فذهب خدي من دماء مدامعي •
وقوله شعر • ولما رأينا البدر القى شعاعه • على نيل مصر
والسفين بنا تجري • تخيلته نهرا بسير بسيرنا •
من الفضة البيضاء لجة البحر •
الى غير ذلك من شرح الفتيه
للسيوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل الكتاب متناسبا سوره وآياته، متشابها فواصله وغاياته، واشهد ان لا اله الا الله الذي عمت كلماته، وتمت كرماته، واشهد ان سيدنا محمدا
عبده الذي ختمت به نبواته، وكملت برسالته رسالاته، توالت عليه وعلى آله واصحابه وازواجه وذريته واحبابه صلواته، وتوترت تسليمه وبركاته، ما دامت حياته
وبقيت ذاته وصفاته، وبعد فهذا كتاب عجاب رفيع الجناب في فن ما رأيت من سبقني اليه، ولا عوّل ثاقب فكره عليه، اذكر فيه ان شاء الله مناسبات
ترتيب السور والآيات، اطلت فيه التدبر، وانعمت فيه التفكر لآيات الكتاب امتثالا لقوله تعالى ليدبروا آياته وليتذكر اولو الالباب
واستنانا بما اشار اليه امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه فيما اخرجه البخاري في الجهاد وغيره عن ابي جحيفة قال قلت
لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي الا ما في كتاب الله قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا اعلمه الا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن
وما في هذه الصحيفة الحديث، وتعرضا لنفحات ما اشار اليه ما اخرجه البخاري وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال بلغوا عني ولو آية، والبخاري وغيره ايضا عن ابي بكرة وغيره رضي الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم قال ليبلغ الشاهد
الغائب فرب مبلغ اوعى من سامع، ووقوفا على الباب الذي اطلع عليه حبر الامة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فيما
رواه الشيخان والطبراني وهذا لفظه انه رضي الله عنه كان في بيت خالته ميمونة رضي الله عنها فوضع للنبي صلى الله عليه وسلم طهورا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم من وضعه قيل ابن عباس رضي الله عنهما قال فضرب على منكبي وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
عند الامام ابي جعفر محمد بن جرير الطبري في مقدمة تفسيره والامام ابو بكر الانباري في مقدمة كتاب الوقف والابتداء انه قال رضي
عنه تفسير القرآن على اربعة وجوه تفسير يعلمه العلماء وتفسير تعرفه العرب وتفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير لا يعلمه الا الله
عز وجل فمن ادعى علمه فهو كاذب، وقال شيخ الاسلام محيي الدين النواوي في آخر كتاب الغسل من شرح المهذب ويحرم تفسيره
بغير علم والكلام في معانيه لمن ليس من اهله وهذا مجمع عليه، واما تفسير العلماء فجائز بالاجماع فائدة، والحمد لله الذي سماوي بحيث
كالرديف لتفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي، ولعل تسهيله كان ببركة مبشر من آثار النبوة رأيتها في صباي وانا في حد دابّائر
من سني في قريتنا من بلاد البقاع رأيت روح القدس جبريل المنزل لهذا الروح والمؤيد بروح القدس محمد النبي الامي المنزل عليه
هذا الروح صلى الله عليهما وسلم في صورتي شابين امردين في احسن صورة لابسين قميصين اخضرين في غاية الحسن متوجهين نحو المشرق
فابتدئ الله تعالى ببركتهما في تصنيفه بروح منه كما يشهد من طالعه وتدبره والله ولي التوفيق، وسميته نظم الدرر من تناسب
الآيات والسور، ويناسب ان يسمى فتح الرحمن في تناسب اجزاء القرآن، وانسب الاسماء له ترجمان القرآن، ومبدي مناسبات الفرقان، وعلم
المناسبات الاعم من مناسبات القرآن وغيره علم تعرف منه علل الترتيب وموضوعه اجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من
حيث الترتيب وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ماله بما وراءه وما امامه من الارتباط والتعلق الذي هو
كلحمة النسب فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب اجزائه وهو سر البلاغة لادائه الى تحقيق مطابقة المقال
لما اقتضاه الحال وتتوقف الاجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ويفيد ذلك معرفة المقصود
من جميع جملها فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو وطالعت
على ذلك كتاب العلامة ابي جعفر احمد بن ابراهيم ابن الزبير الثقفي العاصمي الاندلسي المعلم بالبرهان في ترتيب سور القرآن
وهو بيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط لا يتعرض فيه للآيات، وساذكر في اول كل سورة ما قاله فيها بلفظه
كما ستراه ان شاء الله تعالى، ثم ظفرت بكتاب للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الشافعي سماه البرهان في
علوم القرآن فرأيته ذكر فيه ما يعرف بمقدار كتابي هذا فقال في النوع الثاني منه وهو في المناسبة قد قل اعتناء المفسرين
بهذا النوع لدقته، وممن اكثر منه الامام فخر الدين وقال في تفسيره اكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط وقال
القاضي ابو بكر ابن العربي في سراج المريدين ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة

المباني علم عظيم لم يتعرض له الا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله عز وجل لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق باوصاف
البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه اليه، ونقل الزركشي عن سلطان العلماء الشيخ عز الدين ابن عبد السلام انه قال ما
حاصله المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام ان يقع في امر متحد اوله باخره فان وقع على اسباب مختلفة لم يقع
فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه الا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن احسنه فان
القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في احكام مختلفة شرعت لاسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض قال
الزركشي وقال بعض مشايخنا المحققين قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لانها على حسب الوقائع المتفرقة
وفصل الخطاب انها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا من تنبيه سوره كلها وآياته بالتوقيف كما انزل
جملة الى بيت العزة، ومن المعجز البين اسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية ان يبحث اول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها
او مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم انتهى، قلت والشيخ المشار اليه هو العارف ولي الدين
محمد بن احمد الملوي المنفلوطي الشافعي ذكر ذلك في كلام مفرد على قوله تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا في الارض، ونقل الامام شمس الدين محمود الاصفهاني في تفسير قوله تعالى آمن الرسول عن الامام الرازي انه قال ومن
تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم ان القرآن كما انه معجز بحسب فصاحة الفاظه وشرف معانيه فهو
ايضا بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا انه معجز بسبب اسلوبه ارادوا ذلك الا اني رأيت جمهور المفسرين معرضين
عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الاسرار وليس الامر في هذا الباب الا كما قيل، والنجم تستصغر الابصار صورته والذنب
للطرف لا للنجم في الصغر، انتهى، وانتفعت في هذا الكتاب كثيرا بتفسير على وجه كلي للامام الرباني ابي الحسن علي بن احمد بن الحسن التجيبي
الحرالي بمهملتين مفتوحتين ومهملة وتشديد اللام المغربي نزيل حماة من بلاد الشام سماه مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل وكتاب
العروة لهذا المفتاح يذكر فيه وجه انزال الاحرف السبعة وما يحصل به قراءتها، وكتاب التوشية والتوفية في فصول تتعلق بذلك
وقد ذكرت اكثر هذا الكتاب في تضاعيف كتابي هذا معزوا اليه في مواضع تليق به ثم بعد وصولي الى سورة الانفال ملكت جزءا
من تفسيره فيه من اوله الى ان الله اصطفى في آل عمران تراه فيه عديم النظير وقد ذكر فيه المناسبات وقد ذكرت ما اعجبني منها وعزوته اليه
يسر الله الاطلاع على بقيته بحوله وقوته، وبعد ان وصلت الى سورة الكهف ذكر لي ان تفسير ابن النقيب الحنفي وهو في نحو ستين
مجلدا يذكر فيه المناسبات وفي خزانة جامع الحاكم كثير منه، فطلبت منه جزءا فرأيت الامر كذلك بالنسبة الى الآيات لا جملها
والى القصص لا جميع آياتها، ومن نظر كتابي هذا مع غيره علم النسبة بينهما والله الموفق، وبهذا العلم يرسخ الايمان في القلب ويتمكن من
اللب وذلك انه يكشف ان للاعجاز طريقين احدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع اختها بالنظر الى الترتيب
والاول اقرب تناولا واسهل ذوقا فان كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه ويحصل له عند سماعه روعة بنشاط ورهبة مع انبساط
لا تحصل عند سماع غيره، وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الاعجاز ثم اذا عبر الفطن من ذلك الى تأمل ربط كل جملة بما تلته وما تلاها
خفي عليه وجه ذلك ورأى ان الجمل متباعدة الاغراض متنائية المقاصد فظن انها متنافرة فحصل له من القبض والكرب اضعاف
ما كان حصل له بالسماع من الهز والنشاط فربما شككه ذلك وزلزل ايمانه، وزحزح ايقانه، وربما وقف ذلك بكثير من اذكياء الخيار
عن الدخول في هذا الدين بعد ما صحت لديه دلائله وبرزت له من حجابها دقائقه وجلائله لحكمة اراد ها منزله واحكمها بجمله
ومفصله، فاذا استعان بالله وادام الطرق لباب الفرج بانعام التأمل واظهار العجز والوثوق بانه في الذروة من احكام الربط
كما كان في الذروة من حسن المعنى واللفظ لكونه كلام من جل عن شوائب النقص وحاز صفات الكمال ايمانا بالغيب وتصديقا للرب
قائلا ما قال الراسخون في العلم، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب، فانفتح له ذلك
الباب ولاحت له من ورائه بوارق تلك الاسرار رقص الفكر منه طربا، وشكر الله استغرابا وعجبا، وطاش لعظمة ذلك جنانا
فرسخ من غير مرية ايمانه، ورأى ان المقصود بالترتيب معان جليلة الوصف بديعة الوصف علية الامر عظيمة القدر سامية عن
معاني الكلام على انها منها اخذت فسبحان من انزله واحكمه، وفصله وغطاه وجلاه وبينه غاية البيان واخفاه وبذلك
ايضا يوقف على الحق من معاني آيات حار فيها المفسرون لتضييع هذا الباب من غير ارتياب منها قوله تعالى في سورة البقرة
ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت الآيتين، ومنها قوله تعالى في سورة النساء فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة مع قوله عقيبه وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات، وقوله تعالى في آخر هود فلا تك في مرية مما
يعبد هؤلاء الآية، وقوله تعالى في سبحان ويسألونك عن الروح الآية، وقوله تعالى في السجدة قل يتوفاكم ملك الموت
وقوله تعالى في يس انهم اليهم لا يرجعون الى غير ذلك مما ستراه ويتكشف لك غامض معناه ويتبين لك اسرار
القصص المكررات، وان كل سورة اعيدت فيها قصة فلمعنى ادعى في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير
المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الالفاظ بحسب تلك الاغراض وتغيرت النظوم في
بالتأخير والتقديم والايجاز والتطويل مع انه لا يخالف شيء من ذلك اصل المعنى الذي تكونت به القصة وعلى قدر غموض
تلك المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها، ولقد شفا في بعض فضلاء العجم وقد سألته عن شيء من ذلك فرآه مشكلا

ثم تردت له وجه مناسبته وسالته هل وضح له فقال يا سيدي كلامك هذا ينسابق الى الذهن فلا اظن ايها الناظر لكتابي هذا ان المناسبات كانت كذلك قبل الكشف لقناعها والرفع لستورها فرب اية اقمت في تاملها شهورا منها واذ غدوت من اهلك في ال عمران ومنها ويستفتونك في النسا قل الله يفتيكم فيهن يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ومن اراد تصديق ذلك فليتامل شيا من الايات قبل ان ينظر ما قلته ثم لينظره يظهر له مقدار ما تعبت وما حصل لي من فضل الله من العون سوا كان ظهر له وجه لذلك عند تامله اولا وكذا اذا راى ما ذكر غيري من مناسبات بعض الايات وبه ايضا يتضح انه لا وقف تام في كتاب الله ولا على اخر سورة قل اعوذ برب الناس بل هي متصلة مع كونها اخر القران بالفاتحة التي هي اوله كاتصالها بما قبلها بل اشد الا ان حمل بعضهم لتعلقه على اللفظ مطلقا ولو خفيا وفي الكافي على اللفظ بقيد الجلا ولا تنكشف هذه الاغراض ثم انكشاف الا لمن خاض غمرة هذا الكتاب وصار من اوله واخره واثنايه على ثقة وصواب وما يذكر الا اولوا الالباب وقد ذكر الزركشي غرايب وردت من مناسبات بعض الايات واذا تاملها عظم عنده ما في هذا البحر الزاخر من نفايس الجواهر وبدايع السرايز وقد ادرجت فيه مما ليس من بابه التيسير من غرايب التفسير مما لم اظفر به في كتاب مع انه كالمثل بيسير والله اسال ان يجعله موجبا لرضوانه والفوز الدايم في على اجنانه سورة فاتحة الكتاب بسم الله الغني الشهيد الذي لا يعزب شي عن علمه ولا يكون الا باذنه الرحمن الذي عمت رحمته الموجودات وطبع في مراى القلوب عظمته فتعالت تلك البيجات واجرى على الالسنة ذكره في العبادات والعادات الرحيم الذي تمت نعمته بتخصيص اهل ولايته بارضى العبادات قال شيخنا الامام المحقق ابو الفضل محمد بن العلامة القدوة ابي عبد الله محمد بن العلامة القدوة ابي القسم محمد المشدالي المغربي البجائي المالكي علامة الزمان سقى الله عهده سحايب الرضوان واسكنه اعلا الجنان الامر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الايات في جميع القران هو انك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج اليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر الى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات الى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع الى الاحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفا الغليل بدفع عنا الاستشراف الى الوقوف عليها فهذا هو الامر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع اجزا القران فاذا فعلته تبين لك ان شا الله تعالى وجه النظم مفصلا بين كل اية واية في كل سورة سورة والله الهادي انتهى وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي الى سورة سبا في السنة العاشرة من ابتدايي في عمل هذا الكتاب ان اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لان اسم كل شي تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال اجمالا على تفصيل ما فيه وذلك هو الذي انبا به ادم عليه السلام عند العرض على الملايكة عليهم السلام ومقصود كل سورة هاد الى تناسبها فاذكر المقصود من كل سورة واطبق بينه وبين اسمها وافسر كل بسملة بما يوافق مقصودا لسورة ولا اخرج عن معاني كلماتها فالفاتحة اسماوها ام الكتاب والاساس والمثاني والكنز والشافية والكافية والوافية والرقية والحمد والشكر والدعا والصلاة فمدار هذه الاسما كما ترى على امر خفي كاف لكل مراد وهو المراقبة التي ساقول انها مقصودها فكل شي لا يفتتح بها لا اعتداد به وهي ام كل خير واساس كل معروف ولا يعتد بها الا اذا ثنيت فكانت دايمة التكرار وهي كنز لكل شي وافية بكل مرام وافية من كل سو ورقية لكل مسلم وهي اثبات للحمد الذي هو الاحاطة بصفات الكمال وللشكر الذي هو تعظيم المنعم وهي عين الدعا فانه التوجه الى المدعو واعظم مجامعها الصلا اذا تقرر ذلك فالغرض الذي سيقت له الفاتحة هو اثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال واختصاصه بملك الدنيا والاخرة وباستحقاق العبادة والاستعانة بالسوال في المن بالزام صراط الفايزين والانقاذ من طريق الهالكين مختصا بذلك كله ومدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم لافراده بالعبادة فهو مقصود الفاتحة بالذات وغيره وسايل اليه فانه لابد في ذلك من اثبات احاطته تعالى بكل شي ولن يثبت حتى يعلم انه الخالق المختص بانه الخالق الملك المالك لان المقصود من ارسال الرسل وانزال الكتب نصب الشرايع والمقصود من نصب الشرايع جمع الخلق على الحق والمقصود من جمعهم تعريفهم بالملك وبما يرضيه وهو افراده بالعبادة وهو مقصود القران الذي انتظمته الفاتحة بالقصد الاول ولن يكون ذلك الا بما ذكر علما وعملا ولما كان المقصود من جمعهم على الله تعالى معرفته لاجل عبادته وكان التزام اسمه تعالى في كل حركة وسكون داعيا الى مراقبته وداعيا الى مخافته واعتقاد ان مصادر الامور وموارده ها منه وبه واليه شرعت التسمية اول كل شي فصدرت بها الفاتحة وقدم النثر الذي هو مزدرع المفاسد تعظيما للقران بالاشارة الى انه يتعين لتاليه ان يجتهد في تصفية سره وجمع متفرق امره لينال سوله ومراده مما اودعه من خزاين السعادة باعراضه عن العدو والحسود واقباله على الولي الودود ومن هنا تعرف مناسبة المعوذتين له بالفاتحة ولما افتتح التعوذ بالهمزة اشارة الى ابتدا الخلق وختم بالميم ايما الى المعاد جعلت البسملة كلها للمعاد لابتدايها بحرف شفوي وختامها كلماتها واخرها باخره اشارة الى ان الرجوع اليه في الدنيا معنى بتدبير الامور وان كان اكثر الخلق غافلا عنه وفي البرزخ حسا بالموت وفي الاخرة كذلك بالبعث كما اشار الى ذلك تكرير الميم الختم بها في اسمها بذكرها فيه مرتين اشارة الى المعادين الحسيين والله اعلم والمراد بالاسم الصفات العلى وقال الاستاذ ابو الحسن الحرالي في تفسيره في غريب الفاظ البسملة البا معناه اسم ما اظهره الله سبحانه من حكمة التسبيب الاسم ظهور ما غاب او غمض للقلوب بواسطة الاذان على صورة الافراد الله اسم ما تعنو اليه القلوب عند موقف العقول فتاله فيه اي تتحير فتتالهه اي تتعبد له وتلهو به اي تتغنى به عن كل شي الرحمن شامل الرحمة لما فيه ماثبتنا ولته الربوبية الرحيم خاص الرحمة بما ترضاه الالهية وقال في غريب معناها لما اظهر الله سبحانه حكمة التسبيب وارى

الخلق استفادة

الخلق استفادة بعض الاشيا من اشيا اخر متقدمة عليها كانها اسباب لها وقف بعض الناس عند اول سبب فلم ير ما قبله ومنهم من وقف عند سبب السبب الى ما عساه ينتهي اليه عقله فطوى الحق تعالى تلك الاسباب واظهر بالبسملة اي لتعقد يا الجار ان كل شي باسمه لا بسبب سواه وقال واستفتح ام القران بالبسملة لما كانت نسبتها من متلوا الصحف والكتب الماضية نسبة ام القران من القران الكتاب الجامع للصحف والكتب لموضع طيها الاسباب كما تضمنت ام القران سر ظهور الافعال بالاعانة من الحميد المجيد في اية اياك نعبد واياك نستعين هذا في ظاهر الخطاب الى ما وراء ذلك من باطنه فان لكل اية ظهرا وبطنا وليلتزمها الخلق في ابتدا اقوالهم وافعالهم هكذا قال واشد منه انه لما كانت نسبة البسملة من الفاتحة كنسبة الفاتحة من القران صدرت بها الفاتحة كما صدر القران بالفاتحة لانها لما افادت نسبة الامور كلها اليه سبحانه وحده افادت انه لا اله وحده وذلك هو اجمال تفصيل الفاتحة كما ان الفاتحة اجمال تفصيل القران من الاصول والفروع والمعارف واللطايف ولما كان اسم الجلالة علما وكان جامعا لجميع معاني الاسما الحسنى واية الرحمن من حيث انه كالعلم في انه لا يوصف به غيره ومن حيث انه ابلغ من الرحيم فاولي الابلغ بالابلغ وذلك موافق لترتيب الوجود الايجاد ثم النعم العامة ثم الخاصة بالعباد وذكر الوصفان ترغيبا وطويت النقمة في اتمام اختصاص الثاني لتمام الترغيب بالاشارة الى الترهيب والمراد بها هنا انه سبحانه يستحق الاتصاف بهما لذاته وذكرهما بعد تنبيها على وجوب ذلك للربوبية والملك وللدلالة على ان الرحمة غلبت الغضب وتنبيها الى ما ذكر من الترغيب الدلالة على ساير الصفات الحسنى لان من عمت رحمته امتنع ان يكون فيه شوب نقص وفي اخر سبحان لهذا المكان مزيد بيان وكونها تسعة عشر حرفا خطية وثمانية عشر لفظية اشارة الى انها دوافع للنقمة من النار التي اصحابها تسعة عشر وجوالب للرحمة بركعات الصلوات الخمس وركعة الوتر اللاتي هن اعظم العبادات الكبرى ولما كانت البسملة نوعا من الحمد ناسب كل المناسبة تعقيبها باسم الحمد الكلي الجامع لجميع افراده فكانه قيل احمده لانه الحمد المستحق لجميع المحامد وخصوا هذا النوع ثم من الحمد في افتتاح امورهم لما ذكر من استشعار الرغبة اليه والرهبة منه المودي الى لزوم طريق الهدى والله الموفق ولما اثبت بقوله الحمد لله انه المستحق لجميع المحامد لا لشي غير ذاته الحاوي لجميع الكمال لا لفت اشار الى انه يستحقه ايضا من حيث كونه ربا مالكا ثم منعما فقال رب واشار بقوله العالمين الى ابتدا الخلق تنبيها على الاستدلال بالمصنوع على الصانع وبالبدا على الاعادة كما ابتدا التوراة بذلك كذلك قال الحرالي والحمد المدح الكامل الذي يحيط بجميع الافعال والاوصاف على ان جميعها انما هو من الله سبحانه وانه كله مدح لا يتطرق اليه ذم فاذا اضمحل ازدواج المدح بالذم وعلم سريان المدح في الكل استحق عند ذلك ظهور اسم الحمد مكملا معرفا بكلمة ال وهي كلمة داله فيما اتصلت به على انتهايه وكماله انتهى ولما كانت مرتبة الربوبية لا تستجمع الصلاح الا بالرحمة اتبع ذلك بصفتي الرحمن الرحيم ترغيبا في لزوم حمده وهي تتضمن تثنية تفصيل ما اشتمل الحمد اصلا وسببا في تكريرها بين الصفتين في الانعام عنده فكلوا مما ذكر اسم الله عليه عن الامام حجة الاسلام الغزالي وانه لا مكرر في القران ولما كان الرب المنعوت بالرحمة قد لا يكون مالكا وكانت الربوبية لا تتم الا بالملك المفيد لتمام التصرف وكان المالك قد لا يكون ملكا ولا تتم ملكه الا بالملك المفيد للعزة المقرون بالهيبة المثمر للبطش والمنع المنتج لنفوذ الامر اتبع ذلك بقوله ملك يوم الدين ترهيبا من سطوات مجده قال الحرالي واليوم مقدار ما يتم فيه امر ظاهر ثم قال ويوم الدين في الظاهر هو يوم ظهور انفراد الحق بامضا المجازاة حيث تسقط دعوى المدعين وهو من اول يوم الحشر الى الخلود فالابد وهو في الحقيقة من اول يوم تقود الجزا عند مفارقة الذنب في باطن العامل الى اثر العمل الى اشد انتهايه في ظاهره لان الجزا لا يتاخر عن الذنب وانما يخفى لتوقعه في الباطن وتاخره عن معرفة ظهوره في الظاهر وكذلك يؤثر عنه عليه السلام ان العبد اذا اذنب نكتت في قلبه نكتة سودا وايضا فكل عقاب يقع في الدنيا على ايدي الخلق فانما هو جزا من الله وان كان اصحاب الغفلة ينسبونه مجالا للعوايد كما قالوا مس اباءنا السرا والضرا ويضيفونه للمعتدين عليهم بزعمهم فانما هو كما قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وكما ورد عنه عليه السلام الحمى من فيح جهنم وان شدة الحر والقر من نفسيها وهي سوط الجزا الذي اهل الدنيا باجمعهم مضروبون به ومتمثل الجهنم الذي اجمعهم واردوه من حيث لا يشعرون الحزم قال عليه السلام المرض سوط الله في الارض يودب الله به عباده وكذلك ما يصيبهم من عذاب النفس بنوع الغم والهم والقلق والحرص وغير ذلك وهو تعالى ملك ذلك كله وما لكه سوا ادعى فيه مدع اولم يدع فهو تعالى بمقتضى ذلك ملك يوم الدين وما لكه مطلقا في الدنيا والاخرة وفي الملك انهى الحق تعالى تشوف امره العلي لان به رجع الامر عودا على بدء الجزا العايد على اثار ما جبلوا عليه من الاوصاف وظهر عليهم من الافعال كما قال تعالى سيجزيهم وصفهم وجزا بما كانوا يعملون وبه تم انتها الشرف العلي وهو المجد الذي عبر عنه قوله تعالى مجدني عبدي انتهى ولما لم يكن فرق هنا في الدلالة على الملك بين قراءة ملك وقراءة مالك جات الرواية بهما وذلك لان المالك اذا اضيف الى اليوم افاد اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض فلا يكون لاحد معه امر ولا معنى للملك سوى هذا ولما لم يفد اضافته الى الناس هذا المعنى لم يكن خلاف في ملك الناس فلما استجمع الامر استحقاقا وتحببا وترغيبا وترهيبا كان من شان كل ذي لب الاقبال اليه وقصر الهمم عليه فقال عادلا عن اسلوب الغيبة الى الخطاب لهذا مقدما للوسيلة على طلب الحاجة لانه ادعى للاجابة اياك اي يا من هو

كله م

هذه الصفات صفاته نعبد ارشاداً لهم الى ذلك ومعنى نعبد كما قال الحرالي نبلغ الغاية في انحائنا لك واعقبه بقوله
تكرار الضمير حثاً على المبالغة في الاخلاص في طلب العون واياك نستعين اشارة الى ان عبادته لا تتهيأ الا بمعونته والى ان ملاك
الهداية بيده فانظر كيف ابتدأ سبحانه بالذات ثم دل عليه بالافعال ثم رقى الى الصفات ثم رجع الى الذات ايماء الى انه
الاول الآخر المحيط فلما حصل الوصول الى شعبة من علم الافعال والصفات علم الاستحقاق للافراد بالعبادة فعلم العجز عن
الوفاء بالحق فطلبت الاعانة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وابو داود في الصلاة والترمذي وابن ماجه في الدعاء والنسائي
وهذا اللفظ في التعوذ عن عائشة رضي الله عنها اعوذ بعفوك من عقوبتك وبرضاك من سخطك وبك منك ثم اتبعه فيما
زاد عن النسائي الاعتراف بالذنب في قوله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وفي اخر سورة اقرأ اشرح بديع لهذا
الحديث قال الحرالي وهذه الآيات اي هذه وما بعدها مما جاء كلام الله فيه جارياً على لسان خلقه فان القرآن كله كلام الله لكن منه
ما هو كلام الله عن نفسه ومنه ما هو كلام الله عما كان يجب ان ينطق به الخلق على اختلاف السنتهم واحوالهم وترقي درجاتهم
ورتب تفاضلهم مما لا يمكنهم البلوغ الى كنهه لقصورهم وعجزهم فتولى الله الوكيل على كل شيء الانباء عنهم بما كان يجب عليهم مما لا يبلغ اليه
وسع خلقه وجعل تلاوتهم لما انبأ به على السنتهم نازلاً لهم منزلة ان لو كان نطقاً ذلك النطق ظاهراً منهم لطفاً بهم واتماماً للنعمة عليهم
لانه تعالى لو وكلهم في ذلك الى انفسهم لم يأتوا بشيء تصلح به احوالهم في دينهم ودنياهم ولذلك لا يستطيعون شكر هذه النعمة الا ان يتولى
هو تعالى بما يلقنهم من كلامه ما يكون اداء لحق فضله عليهم بذلك واذا كانوا لا يستطيعون الانباء عليهم عن انفسهم بما يجب عليهم من حق ربهم
تكليف بما يكون ثناء عن تحميد الله وتمجيده فاذن لهم وصلة الا تلاوة كلامه العلي بحكم كان ذلك او بعجزهم وتلك هي صلاتهم المقسمة التي
عبر عنها فيما صح عنه عليه السلام من قوله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ثم تلا هذه السورة فجاءت الآيات الثلاث حمداً لله
تعالى نفسه فاذا تلاها العبد قبل الله منه تلاوة عبده كلامه وجعلها منه حمداً وثناء وتمجيداً وجاءت هذه الآية على لسان خلقه فكان
ظاهرها التزام عهد العبادة وهو مما يرجع الى العبد وعمادها طلب المعونة من الله سبحانه وهو مما يرجع الى الحق فكانت بينه وبين عبده
وتقدمت بينية تعالى الا ان المعونة متقدمة على العبادة وانفذ بها وهو مجاب فيما طلب من المعونة لمن كانت عليه مونة شيء فاستعان
الله تعالى فيها على مقتضى هذه الآية جاءته المعونة على مونته فلا يقع لمن اعتمد مقتضى هذه الآية عجز عن مرام ابداً وانما يقع العجز بحسب الحظ
من الله تعالى والجهل بمقتضى ما احكمت هذه الآية والغفلة عن النعمة بها وفي قوله نعبد بنون الاستتباع اشعار بان الصلاة بنيت على الاجتماع ه
انتهى وفي الآية ترقي الى اعتقاد العجز واستشعار الافتقار والاعتصام بحوله وقوته فاقتضى ذلك توجيه الرغبات اليه بالسؤال فقال
اهدنا الصراط المستقيم تلقيناً لاهل لطفه وتنبيهاً على محل السلوك الذي لا وصول بدونه والهدى قال الحرالي مرجع الضال الى ما
ضل عنه والصراط الطريق الخطر السلوك والآية من كلام الله على لسان العلية من خلقه وجاء مكملاً بكلمة ال لانه الصراط الذي لا يضل بهدي
لاحاطته ولشمول سرايته وفقاً لشمول معنى الحمد في الوجود كله وهو الذي تشتت الآراء وتفرقت العرب بالميل الى واحد من جانبيه وهو
الذي ينصب مثاله وعلى حذو معناه بين ظهراني جهنم يوم الجزاء للعيان وتحفه مثل تلك الآراء خطاطيف وكلاليب تجري احوال الناس فيهما على
في المعاد على حسب جرائمهم مع حفافيهما ابتداء في يوم العمل وهذا الصراط الاكمل هو المحيط المترتب على الضلال الذي يخرج عن حال من لا
وجهة له وهو ضلال يستلزم هدى محيطاً ومنه ووجدك ضالاً فهدى واما من هدى وجهة ما فضل في مرجعها فهو ضلال مذموم
لانه ضلال بعد هدى وهو يلون عن اعوجاج في الجبلة انتهى ثم اكد سبحانه الاخبار بان ذلك لن يكون الا باتباعه منهما بهذا اه
التاكيد الذي افاده الابدال على عظمة هذا الطريق فقال صراط الذين انعمت عليهم فاشار الى ان الاعتصام به في اتباع رسله
ولما كان سبحانه عام النعمة لكل موجود عدواً كان او ولياً وكان حذف المنعم به لارادة التعميم من باب تقليل اللفظ لتكثير المعنى فكان من المعلوم
ان محط السؤال بعض اهل النعمة وهم اهل الخصوصية لصفة الرحيمية تشوفت النفس الى معرفتهم فميزهم ببيان اضدادهم تحذيراً
منهم تعريفاً انهم قسمان قسم ارتد للشقاوة معانداً في اخلاله بالعمل فاستوجب الاخذ بالغضب وقسم لم يقصد المعاندة فضل من جهة اخلاله
بالعلم فصار الى العطب فقال تعالى محوفاً بعد الترجية ليكمل الايمان بالرجاء والخوف معرفاً بان النعمة عامة والمراد منها ما خص اهل الكرامة
غير المغضوب عليهم اي الذين تعاملهم معاملة الغضبان لمن وقع عليه غضبه وتعرفت غير لتكون صفة للذين باضافتها الى الضد
فكان مثل الحركة غير السكون ولما كان المقصود من غير النفي لان السياق له وانما عبر بها دون لا لدلالة الاستثناء دلالة على ثبات الكلام بالذي بدأ
على اخراج الملبس بالصفة وصوناً للكلام عن ايهام ان ما بعدها قبل دون لا للتنبيه على ان الصنفين من اهل النعمة وكان من المعلوم كونهما
احضر وارشق واولى بالنفي واحق واقوى تعقيد مع التاكيد ان المراد مجانبة كل واحد من الصنفين على حياله قال ولا الضالين
تعلم مقدار النعمة على القسم الاول وانه لا نجاة الا باتباعهم وان من حاد عن سبيلهم عامداً او مخطئاً شقي لتسمو الهمم عن مساواة القوم
وساعد الجد في اقتفاء آثارهم والاهتداء بمنارهم للفوز بحسن جوارهم في سيرهم وقرارهم قال الحرالي المغضوب عليهم الذين ظهرت منهم
المراغمة وتعمد المخالفة فيوجب ذلك الغضب من الاعلى والبغض من الادنى والضالين الذين وجهوا وجهة هدى اي نزاعها
من غير تعمد لذلك امين كلمة عزمة من الامن معنى لولها ان المدعو مامون منه ان يرد من دعاه لانه لا يعجزه شيء ولا يمنعه
وهي لا تصلح الا لله لان ما دونه لا ينفك عن عجز او منع انتهى وهو صوت سمي به الفعل الذي هو استجب وقد انعطف
المنتهى على المبتدأ بمراقبة القسم الاول بسم الله فجازوا ثمرة الرحمة وخالف هذان العصيان فكانوا من حزب الشيطان ه

فاخذتهم

تاخذهم النقمة وعلم ان نظم القرآن على ما هو عليه معجز ومن ثم اشترط في الفاتحة في الصلاة لكونها واجبة فيها الترتيب
فلو قدم فيها او اخر بطلت الصلاة وكذا لو ادرج فيها ما ليس منها للاخلال بالنظم قال الاصبهاني فان القرآن معجز
والركن الابين في الاعجاز يتعلق بالنظم والترتيب انتهى والحاصل انه لما وصفت تلك الصفات العلية لمخاطبها الحجب وكشفت
له بسمو مجدها وعلو جدها وشرف حمدها جلابيب الستر واشرقت به على رياض الكرم ونشرت له بلطائف عواطفها
بسط البر والنعم ثم اخترقت به مهامه العظمة والكبر وطوت في تسييرها له مفاوز الجبروت والعز واومضت له بوارق
النعم من ذلك الجناب الاشم وصل الى مقام الفناء عن الفاني وتمكن في رتبة شهود البقاء للباقي فبادر الخضوع له معرضاً
عن السوى حاكماً على الاغيار بما لها من العدم والتوى فقال اياك نعبد وفي تلك الحال تحقق العجز عن توفية ذلك المقام
ما له من الحق فقال واياك نستعين فكشف له الشهود في حضرات المعبود على طرق عديدة ومنازل سامية بعيدة ه
ورأى احوال الامم واودية مدلهمة وبحاراً مغرقة وانواراً هادية واخرى محرقة ورأى لكل اهلاً قد سلكوا انجاداً تارة حزناً
واخرى سهلاً وعلم ان لا نجاة الا بهدايته ولا عصمة بغير عنايته ولا سعادة الا برحمته ولا سلامة لغير اهل نعمته فلما اشرق
واستنار وعرف موانع الاسرار بالانذار كانه قيل له ماذا تطلب وفي اي مذهب تذهب فقال اهدنا الصراط
المستقيم ولما طلب اشرف طريق سال احسن رفيق فقال صراط الذين انعمت عليهم ولما كانت النعمة قد تخص الدنيوية
عينها فاستعاذ من اولئك الذين شاهدهم في التيه سائرين وعن القصد جائرين حائرين او جائرين فقال غير المغضوب
عليهم ولا الضالين وقد اشير في ام الكتاب كما قال العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي الى جميع النعم
فانها ترجع الى ايجاد وابقاء اولاً وايجاد وابقاء ثانياً في دار الفناء والبقاء اما الايجاد الاول فبقوله الحمد لله رب العالمين فان
الاخراج من العدم الى الوجود اعظم تربية واما الابقاء الاول فبقوله الرحمن الرحيم اي المنعم بجلائل النعم ودقائقها التي بها البقاء
واما الايجاد الثاني فبقوله مالك يوم الدين وهو ظاهر واما الابقاء الثاني فبقوله اياك نعبد الى آخرها فان منافع ذلك
تعود الى الآخرة ثم جاء التصدير بالحمد بعد الفاتحة في اربع سور اشير في كل سورة منها الى نعمة من هذه النعم على ترتيبها انتهى وسيأتي
في اول كل سورة من الاربع ما يتعلق بها من كلامه ان شاء الله تعالى وهذا يرجع الى اصل مدلول الحمد فان ما دونه يكمل بترتيب
ثنه ودعا على بلوغ الغاية ويلزم منه الاتساع والاحاطة والاستدارة فيلزم منها مطابقة الراس وقد يلزم الغاية الرضى فيلزمه
الشكر وسيأتي وينزل على الجزئيات في سورة النحل ان شاء الله تعالى ثم في اول سبأ تحقيق ما قاله الناس فيه وفي الفتنة بينه وبين
الشكر فقد بان سر الافتتاح بها من حيث تصدرها بالحمد جزئياً فكلها الذي كل امر ذي بال لم يبدأ به فهو اجذم وتعقيبه بمدح
المحمود بما ذكر من اسمائه الحسنى مع اشتمالها على جملة معاني القرآن من الحكم النظرية والاحكام العملية فهي ام القرآن لانها له
عنوان وهو كله لما تضمنته على قصرها بسط وتبيان قال الاستاذ ابو الحسن الحرالي في مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن
المنزل في اخر الباب التاسع منه ولننبه هذه الابواب بذكر القرآن ومحتواه على الكتب وجمعه وقرآنه وبيانه وتنزيله
وانزاله وحكيمه ومبينه ومجيده وكريمه وعظيمه ومرجعه الى آية السبع المثاني والقرآن العظيم ام القرآن لاحتوائها عليه فنذكر
جميع ذلك في الباب العاشر في محل ام القرآن من القرآن ودرجة تحوي القرآن على جميع الكتب والصحف
المتضمنة لجميع الآيات اعلم ان الله سبحانه جمع نبأه العظيم كله عن شأنه العظيم جمعاً في السبع المثاني ام القرآن وام الكتاب
وكنزها تحت عرشه ليظهرها في الختم عند تمام الخلق وظهور بادي الحمد بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه تعالى ختم بما به بدأ ولم يظهرها
قبل ذلك لان ظهورها يذهب وهل الخلق ويجوا اكفرهم ولا يتم نبأ القرآن الا مع كاتم بمشهود بيان الفعل ليتم الامر سمعاً
ومرأى وذلك بمن يكون من خلقه كل خلق ليبين به ما من امره كل امر ثم فيما بين بسط الامر المكنون وختم الخلق الكامل تدرج
بنشو الخلق وبدء الامر على حسب ذلك الامر صحفاً وصحفاً وكتاباً فكتاباً فالصحف لما يتبدل ربما والكتاب لما يثبت ويدوم
ابداً والالواح لما يعمم وثبت في التوراة احكام الله على عباده في الدنيا بالحدود والمصائب والضراء والسراء
وفي القرآن منها ما شاء الله مما يظهره الفقه من الحدود ومعارف الصوفية من مواخذ المصائب وفي الانجيل اصول
تلك الاحكام والاعلام بان المقصود بها البعث هي بل مما وراءها من امر الملكوت وفي الزبور تطويب الخلق وخلاصهم
عن انفسهم الى ربهم وفي القرآن منه ما شاء الله مما يظهره الموعظة الحسنة ثم انتهى الامر والخلق من جميع وجوهه
فصار قرآناً جامعاً لكل ستما النعمة مكملاً للدين اليوم اكملت لكم دينكم الاية بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وان الى ربك المنتهى ووجه فوت
ام القرآن للقرآن ان القرآن مقصود تنزله التفصيل والجوامع فيه نجوم مبثوثة غير منتظمة واحدة اثر واحدة والجوامع في ام القرآن منتظمة
واحدة بعد واحدة الى تمام السبع على وفاء لا مزيد فيه ولا نقص عنه اظهر تعالى سورة صورة تجليه من بدء الملك الى ختم الحمد وبدء العبد
سورة صورة تاديه من براءته من الضلال الى الهدى الى الصراط المستقيم ووجدك ضالاً فهدى وبما بينه وبينه قيام ذات الامر والخلق فكان
ذلك هو القرآن العظيم الجامع لما حواه القرآن المطلق الذكر بما فيه من ذلك تفصيلاً من مبينه وهو ما عوينت اي هي مسموعة ومن مجيده وهو
ما جرت احكامه من بين عاجل ما شهد واجل ما علم بعلم ما شهد فكان معلوماً بالتجربة المتيقنة بما تواتر من القصص الماضي وما شهد له
من الاثر الحاضر وما يجدد مع الاوقات من امثاله واشباهه ومن كريمه وهو ما ظهرت فيه افانين انعامه فيما دق وجل وخفي وبدا ومن حكيمه

وهو ما ظهر في الحكمة المشهودة مفاصيله وانتظام مكتوب خلقه على حسب تنزيل امره وما كان منه بتدريج وتقريب للافهام
وتأت من حال الى حال وحكم الى حكم كان تنزيلا وما اهوى به اهوا من علو الى سفل كان انزالا وهو انزال حيث لا وسايط وتنزيل حيث
الوسايط بيانه حيث الامام العامل به مظهر في افعاله واخلاقه كان خلقه القران وقرانه تلقين قرا تلاوته على حسب ما تتقاضاه
النوازل اخر اية انزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله قال صلى الله عليه وسلم في مضمون قوله تعالى ان علينا جمعه وقرانه اجعلوها
بين اية الربا والاية التي قبلها لانه ربما تقدم بيان الاية وتاخر في النظم قراتها على ما تقدم عليها اية يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
الاية متاخرة البيان متقدمة القران على اية لا تحل لك النساء من بعد فقد ينطابق قران الامر وتطور الخلق وقد لا ينطابق وانه
يتولى افاضتهما واما الجمع ففي قلبه نسبة جوامعه السبع في ام القران الى القران بمنزلة نسبة جمعه في قلبه لمحا واحدا الى ام القران وما امرنا
الا واحدة كلمح بالبصر فهو جمع في قلبه وقران على لسانه وبيان في اخلاقه وافعاله وجملة في صدره وتنزيل في تلاوته وقال الذين كفروا
لولا نزل عليه القران جملة واحدة قال الله تعالى كذلك اي كذلك انزلناه الى ما هو منك بمنزلة سما الدنيا من الكون انا انزلناه في ليلة مباركة
اي الى سما الدنيا ورتلناه ترتيلا على لسانه في امد ايام النبوة وقال في تفسيره القران باطن ظاهره محمد صلى الله عليه وسلم قالت عائشة
رضي الله عنها كان خلقه القران فمحمد صلى الله عليه وسلم صورة باطن سورة القران فالقران باطنه وهو ظاهره منزل به الروح الامين
على قلبك وقال في تفسير الفاتحة وكانت سورة الفاتحة اما للقران لان القران جميعه مفصل من مجملها فالايات الثلاث الاول شاملة
لكل معنى تضمنته الاسما الحسنى والصفات العلى فكل ما في القران من ذلك فهو مفصل من جوامعها والايات الثلاث الاخر من قوله اهدنا
شاملة لكل ما يحيط بامر الخلق في الوصول الى الله والتحيز الى رحمة الله والانقطاع دون ذلك فكل ما في القران منه فمن تفصيل
جوامع هذه وكل ما يكون وصلة بين ذلك مما ظاهره من الخلق ومبداه وقيامه من الحق فمفصل من اية اياك نعبد واياك نستعين انتهى
ومن انفع الامور في ذوق هذا المشروب استجلا الحديث القدسي الذي رواه مسلم في صحيحه واصحاب السنن الاربعة عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سال فاذا قال
العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال الله
مجدني عبدي وقال مرة فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال فاذا قال
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال وسورة البقرة مقصودها
اقامة الدليل على ان الكتاب هدى ليتبع في كل حال واعظم ما يهدي اليه الايمان بالغيب ومجمعه الايمان بالاخرة ومداره الايمان بالبعث الذي
اعربت عنه قصة البقرة ومدارها الايمان بالغيب فلذلك سميت بها السورة وكانت بذلك احق من قصة ابرهيم عليه السلام لانها في نوع
البشر ومما تقدم منها في قصة بني اسرائيل من الاحيا بعد الاماتة بالصعق وكذا اماثلها لان الاحيا في قصة البقرة عن سبب ضعيف
في الظاهر بمباشرة من كان من احاد الناس فهي ادل على القدرة ولا سيما وقد اتبعت بوصف القلوب والحجارة بتمام المهتدين بالكتاب
والضالين بوصفها بالقسوة الموجبة للشقوة ووصف الحجارة بالخشية الناشية في الجملة عن التقوى المانحة للهدى المتعدي نفعه الى
عباد الله وفيها اشارة الى ان هذا الكتاب فينا كما لو كان فينا خليفة من اولي العزم من الرسل يرشدنا في كل امر الى صواب المخرج منه فمن
اعرض خاب ومن تردد كاد ومن اجاب اتقى واجاد وسميت بالزهراوين لانها والتي بعدها طريقا الهداية والكفاية في الدنيا والاخرى ولاجابهما
اسفار الوجوه في يوم الجزا لمن امن بالغيب ولم يكن في شك مريب وحيل بينهم وبين ما يشتهون وبالسنام لانه ليس في الايمان بالغيب
بعد التوحيد الذي هو الاساس الذي يبنى عليه كل خير والنظر الذي هو نهاية السير والعالي على كل غير اعلى ولا اجمع من الايمان
بالاخرة ولان السنام اعلى ما في المطية الحاملة والكتاب الذي هي سورته هو اعلى ما في الحامل للامة وهو الشرع الذي اتاهم به
رسولهم صلى الله عليه وسلم بسم الله الذي نصب مع كونه باطنا دلايل الهدى حتى كان ظاهرا الرحمن الذي افاض رحمته على
ساير خلقه بعد الايجاد ببيان الطريق الرحيم الذي خص اهل وده بالتوفيق قال العلامة ابو الحسن الحرالي في كتاب العروة لمفتاح
الباب المقفل في معنى ما رواه عن ابن وهب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكتاب الاول
ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القران من سبعة ابواب على سبعة احرف زاجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه
وامثال فاحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا بما امرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بامثاله واعملوا بمحكمه وامنوا بمتشابهه
وقولوا امنا به كل من عند ربنا وهذا الحديث رواه ابو بكر بن ابي شيبة في مسنده وابو علي الموصلي ومن طريقه ابن حبان في صحيحه كلهم
من طريق ابن وهب عن حيوة عن عقيل بن خالد عن سلمة ابن ابي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن ابن مسعود رضي الله عنه
يذكره من غير ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقال العلامة الحافظ ابو شامة عبد الرحمن ابن اسماعيل الدمشقي الشافعي في كتابه
المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز بعد ان ساق هذا الحديث من رواية سلمة ابن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال ابو عمر بن عبد البر هذا الحديث عند اهل الحديث لم يثبت وابو سلمة لم يلق ابن مسعود وابنه سلمة
ليس ممن يحتج به وهذا الحديث مجمع على ضعفه من جهة اسناده وقد رده قوم من اهل النظر منهم احمد ابن ابي عمران فيما سمعه
الطحاوي منه ويرويه الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن ابي سلمة عن ابي سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا قال ابو شامة
وهكذا رواه البيهقي في كتاب المدخل وقال هذا مرسل جيد ابو سلمة لم يدرك ابن مسعود ثم رواه موصولا وقال ان صح

لمعنى تؤلد

فمعنى قوله سبعة احرف اي سبعة اوجه وليس المراد به ما ورد في الحديث الاخر من نزول القران على سبعة احرف ذلك المراد به اللغات
التي ابيحت القراة عليها وهذا المراد به الانواع التي نزل القران عليها والله اعلم انتهى قلت وعزاه شيخنا العلامة مقري زمانه شمس الدين محمد بن
محمد بن الجزري الدمشقي الشافعي في اوايل كتابه النشر في القراات العشر الى الطبراني من حديث عمر بن ابي سلمة المخزومي رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لابن مسعود رضي الله عنه ان الكتب كانت تنزل من السما من باب واحد وان القران انزل من سبعة ابواب على سبعة احرف حلال
وحرام ومحكم ومتشابه وضرب امثال وامر وزاجر فحلال وحرام فاحل حلاله وحرم حرامه واعمل بمحكمه وقف عند متشابهه واعتبر امثاله
فان كلا من عند الله وما يذكر الا اولوا الالباب ورواه الحافظ ابو بكر بن ابي داود في كتابه المصاحف من وجه اخر عن عبد الله قال ان القران
انزل على نبيكم صلى الله عليه وسلم من سبعة ابواب على سبعة احرف او حروف وان الكتاب قبلكم كان ينزل او نزل من باب واحد على حرف واحد
ورواه البيهقي في فضل القران من الشعب عن ابي هريرة رضي الله عنه بلفظ نزل القران على خمسة اوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال
قال الحرالي وفي حديث اخر من طريق ابن عمر رضي الله عنهما ان الكتب كانت تنزل من باب واحد وان هذا القران انزل من سبعة ابواب على سبعة
احرف وقال في معنى ذلك اعلم ان القران منزل عند انتهاء الخلق وكمال الامر بدا فكان المتخلق به جامعا لانتهاء كل خلق وكمال كل امر فلذلك هو صلى
الله عليه وسلم قثم الكون وهو الجامع الكامل ولذلك كان خاتما وكان كتابه خاتما وبدا المعاد من حد ظهوره انه هو يبدي ويعيد فاستوفى صلاح
هذه الجوامع الثلاث التي قد خلت في الاولين بداياتها وتمت عنده غاياتها لاتمم مكارم الاخلاق رواه احمد عن معاذ رضي الله عنه رفعه
وهي صلاح الدنيا والدين والمعاد التي جمعها في قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه اللهم اصلح لي ديني الذي
الذي هو عصمة امري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي اخرتي التي اليها معادي وفي كل صلاح انذار واحجام فتصير الثلاثة الجوامع
ستة مفصلات هي حروف القران الستة التي لن يبرح يترقى كامن ربه حرفا حرفا فلما استوفى الستة وهب ربه حرفا جامعا سابعا
لزوج الازواج له فتم انزاله على سبعة احرف فادني تلك الحروف هو حرفا صلاح الدنيا فلهما حرفان احدهما حرف الحرام الذي لا تصلح النفس
والبدن الا بالتطهير منه لبعده عن تقويمهما والثاني حرف الحلال الذي تصلح النفس والبدن عليه لموافقته تقويمهما واصل هذين الحرفين في التوراة
وتمامهما في القران ثم يلي هذين حرفا صلاح المعاد احدهما حرف الزجر والنهي الذي لا تصلح الاخرة الا بالتطهير منه لبعده عن حسناها والثاني
حرف الامر الذي تصلح الاخرة عليه لتقاضيه حسناها وفيه يتفسر ذلك حال الدنيا لانه باني على كثير من خلالها الموجب ايثار الاخرة لبقائها
وكليتها على الدنيا لفنايها وجزئيتها لكون خير الدنيا جزءا من مائة وشر الدنيا جزءا من سبعين ولا يوثر هذا الجزء الا الادنى لحضوره
على ذلك الكل الا نبي لغنايه الا من سفه نفسه وضعف ايمانه بتخلص المرء من حرف الحرام طهره وتخلصه من النهي طيبه واصل هذين الحرفين
في الانجيل وتمامهما في القران ثم يلي هذين حرفا صلاح الدين احدهما حرف المحكم الذي بان للعبد فيه خطاب ربه من جهة قلبه واخلاق
نفسه واعمال بدنه فيما بينه وبين ربه من غير التفات لغرض النفس في عاجل الدنيا ولا اجلها والثاني حرف المتشابه الذي لا يتبين
للعبد فيه خطاب ربه من جهة قصور عقله عن ادراكه فالحروف الخمسة
للاستعمال وهذا الحرف السادس للوقوف ليكون العبد يد وقف الله بعجزه على حرف كما كان اقدم الله على تلك الحروف ويتبع بعجزه
وايمانه عند هذا الحرف السادس انتهاء ما تقدم من طوقه وعلمه في تلك الحروف ابتدا واصل هذين الحرفين في الكتب المتقدمة
كلها وتمامهما في القران فهذه الحروف الستة يشترك فيها القران مع ساير الكتب ويزيد عليها تمامها وبركة جمعها ويختص القران
بالحرف السابع الجامع مبين المثل الاعلى ومظهر الممثول الاعظم حرف الحمد الخاص بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو حرف المثل وعن جمعه
وكمال جمعه لمحمد صلى الله عليه وسلم في قلبه وقرانه على لسانه وبيانه في ذاته ظهرت عليه خواص خلقه الكريم وخلقه العظيم والابتهال
الامر هيبة من الله لعبده بلا واسطة والستة تتنزل بتوسطات من استوا الطبع وصفا العقل بمثابة وحي النبي والهام الولي
ولما كان حرف الحمد هو سابعها الجامع افتتح الله تعالى به الفاتحة ام القران وام الكتاب وجمع فيها جوامع الحروف السبعة التي
بثها في القران كما جمع في القران ما بث في جميع الكتب المتقدمة كقبضة تقلت على مريد السفر فاتباع بها ذهبا فلذلك مثل القران
ثم نقل عليه الذهب فاتباع به جوهرا فذلك مثل ام القران فاذن كل الحروف التي انزل عليها القران موجودة في جوامع ام
القران فالاية الاولى تشتمل على حرف الحمد السابع والثانية تشتمل على حرفي الحلال والحرام اللذين اقامت الرحمانية بهما الدنيا يريد
والله اعلم ان الرحمانية وسعت على العباد الاستمتاع بالمخلوق من النعم والخيرات الموافقة لطباعهم وامزجتهم وقبول نفوسهم في
جميع حيثيات الاستمتاع فكان في ذلك رحمتان رحمة بالاباحة وهي ازالة حرج الحظر ورحمة بمنع لحاق حرج الاثم او بجعل المباح شهيا
للطبع واما الرحيمية فطهرتهم من مضار ابدانهم ودناءة نفوسهم ومحملة قلوبهم ففي ذلك رحمة واحدة وهي حمية المحبوب عن الضار من
المحبوب او يريد وهو والله اعلم اقرب ان الرحمانية اقامت بعمومها ما شملته الربوبية من افاضة النعم وازاحة النقم على وجه سعد
او ملتبس والرحيمية اقامت بخصوصها كما تقدم بما تقدم بما يرضاه الا لسبب ادرار النعم ودفع النقم على الوجه المسعد خاصة انتهى
والاية الثالثة تشتمل على امر الملك القيم على حرفي الامر والنهي اللذين بهما امرهما في الدين والرابعة تشتمل على حرفي الحكم في قوله اياك
نعبد والمتشابه في قوله اياك نستعين ولما كانت بناء خطاب محاضرة لم تردد مسيلتها في السورة فانفرد هذان الحرفان عن الدعا
فيهما وعادت مسيلة الاية الخامسة على حرف الحمد ومسيلة الاية السادسة على اية النعمة من حرفي الحلال والحرام ومسيلة الاية السابعة على
اية الملك من حرفي الامر والنهي فجمعت الفاتحة جوامع الحروف السبعة ولما ابتدئت الفاتحة ام القران بالسابع الجامع الموهوب ابتدى

القران بالحرف السادس المحجور عنه وهو حرف المتشابه لان عن اظهار العجز و محض الايمان كانت الهيبة والثنا بيده ويكون العبد بفتتح القران بالايمان بغيب متشابه فى قوله الم فيكون اتم انقيادا لما دونه ويبرا من الدعوى فى مستطاعه فى ساير الحروف ثم ولى السادس المفتتح به القران الخامس المحكم من وجه فى قوله تعالى ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون لان من عمل بما فى قلبه شعبة ايمان وعلم كانت له من المحكم ومن عمل لها ابصارا والجا و لم يدخل الايمان فى قلبه كانت له حرف امر وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيا وهذا انما وقع ترتيبه هكذا فى القران المتلو واما تنزيله فى ترتيب البيان فان اول ما نزل على النبى صلى الله عليه وسلم هو حرف الحكم وهو قوله تعالى اقرا باسم ربك الذى خلق الايات الخمس واول ما نزل الى الامة فى ترتيب البيان هو من حرف الزجر والنهى وهو قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد اعلمهم ما تخاف عاقبته فى الاخرة وان كانوا قد اتخذ واموده فى الدنيا باوثانهم وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا موده بينكم فى الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض الاية فابتدا تعالى تنزيل الامة باصلاح الامة المعاد الاهم لان عليه يصلح امر الدنيا من استقبل باخرته كفاه الله امر دنياه و بدا منهما له بحرف الزجر والنهى و هو المبدوبه فى الحديث ورد النبى صلى الله عليه وسلم لفظ الزجر بلفظ النهى لان المقصود بهما واحد وهو الردع عما يضر فى المعاد الا ان الردع على وجهين خطاب لمعرض ويسمى زجرا كما يسمى فى حق البهايم خطاب لمقبل على التفهم ويسمى نهيا لكان الزجر يزع الطبع والنهى يزع العقل انتهى وقد بان من هذا امر افتتاح البقرة بالحروف المقطعة ولما كان الذى ابتديت به السور من ذلك شطر حروف المعجم كان كانه قيل من زعم ان القران ليس كلام الله فليات بالشطر الاخر ويركب عليه كلاما يعارض به نقل الزركشى ذلك فى البرهان عن القاضى ابى بكر قال وقد علم ذلك بعض ارباب الحقايق وجمعها الزركشى فى قوله نص حكيم قاطع له سر وعن ابى بكر رضى الله عنه تعالى فى كل كتاب سر وسر الله فى القران اوايل السور وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى و لما كانت حروف المعجم تسعة وعشرين حرفا بالهمزة كان اخذ شطرها على التحرير متعذرا فقسمت خمسة عشر واربعة عشر واخذ الاقل من باب الانصاف وفرق فى تسع وعشرين سورة على عدد الحروف وتحدى به على هذا الوجه واهدى الامام شمس الدين ابن قيم الجوزية الدمشقى الحنبلى فى كتاب له كالتذكرة سماه بدايع الفوايد سرا غريبا فى ابتدا القران بقوله الم حاصله ان حروفه الثلاثة جمعت المخارج الثلاثة الحلق واللسان والشفتان على ترتيبها وذلك اشارة الى البداية التى هى بدء الخلق والنهاية التى هى المعاد والوسط الذى هو المعاش من التشريع بالاوامر والنواهى وفى ذلك تنبيه على ان هذا الكتاب الذى ركب من هذه الحروف التى لا تعد والمخارج الثلاثة التى بها تخاطب جميع الامم جامع لما يصلحهم من احوال بدء الخلق واعادته وما بين ذلك وكل سورة افتتحت بهذه الحروف ذكرت فيها الاحوال الثلاثة وقال الحرالى فى تفسيره الف اسم للقايم الاعلى المحيط ثم لكل مستخلف فى القيام كادم والكعبة ميم اسم للظاهر الاعلى الذى من اظهره ملك يوم الدين واسم للظاهر الكامل المولى جوامع الكلم محمد صلى الله عليه وسلم ثم لكل ظاهر دون ذلك كالسما والفلك والارض لام اسم لما بين باطن الالهية التى هى محار العقول وظاهر الملك الذى هو متجلى يوم الجزا من مقتضى الاسما الحسنى والصفات العلى التى هى تنزل ما بينهما كالطف ونحوه ثم للوصل الدنى كالملايكة وما يتولاه من امر الملكوت وهذه الالفاظ عند انجام معناها تسمى حروفا والحرف طرف الشى الذى لا يوجد منفردا وظرف القول الذى لا يفهم وحده واحق ما تسمى حروفا اذا نظر الى صورها و نوعها اجزا من الكلم ولم تفهم بها دلالة فتضاف الى مثلها خبرا او من كلمة مفهومة فتسمى عند ذلك حروفا وعند النطق بها هكذا الف لام ميم فينبغى ان يقال فيها اسما وان كانت غير معلومة الدلالة لحروف الف با تا فانما كلها اسما على ما تسميه الخليل وانما انما تسمى حروفا عند ما تكون اجزا كلمة محركة للابتدا او مسكنة للوقف والانتها واما حقيقتها فهى جوامع اصلا فى ذكر اول من كلام الله تعالى فنزلت الى الكلم العربية وترجمت لها ونظم منها هذا القران العربى المبين فهى فى الكتب العلوية الملكوتية المترتبة فى الجمع والتفصيل اية وكلم وذات كتاب فلما نزلت الى غاية مفصل القران ابقيت فى افتتاحه لتكون علما فلما نقل للتفصيل من ذلك الزمان للكتاب ولانها اتم واوجز فى الدلالة على الجمع من المفصل منها ولانها جامعة للوجود كله من ابطن فيه الى اظهره واظهر مقامه وما بينهما من الوصلة الواصلة وهى جامعة الدلالة على الكون المرئى بالعين والوحى المسموع ولاجل ما اقتضته من الجمع لم تنزل فى كتاب متقدم لان كتاب كل وقت مطابق لحال الكون فيه والكون كان بعد لم يكمل فكانت كتبه وصحفه بحسبه ولما كمل الكون فى وقت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان كتابه كلا جامعا فوجب ظهور هذه الجوامع فيه ليطابق الختم البدء لانهما طرفا كال وما بينهما تدرج اليه وقد كان وعد بانزالها فى بعض تلك الكتب فكان نزولها انجازا لذلك انتهى واما مناسبة ما بعد ذلك للفاتحة فهو انه لما اخبر سبحانه ان عباده المخلصين سالوا فى الفاتحة هداية الصراط المستقيم الذى هو غير طريق الهالكين ارشدهم فى اول التى تليها الى ان الهدى المسول انما هو فى هذا الكتاب وبين لهم صفات الفريقين الممنوحين بالهداية حثا على التخلق بها والممنوعين منها زجرا عن قربها فكان ذلك من اعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة لانها سبقت لنفى الريب عن هذا الكتاب ولانه هدى للمتقين ولوصف المتقين وما يجازون به وما فى الايات الثلاث ولوصف الكافرين الذين لا يومنون لما وقع من الختم على حواسهم والختم لحقا بهم ليعلم ان ما اتصف به المتقون هو الصراط المستقيم فيلزم وما اتصف به سواهم من عدا لهم هو طريق الهالكين فيترك وفى الوصف بالتقوى بعد ذكر المغضوب عليهم والضالين اشارة الى ان المقام مقام الخوف وان شيت قلت مقصود هذه السورة وصف الكتاب فقط وما عدا ذلك فتوابع ولوازم ولتثبت انه هدى الا باثبات انه حق معنى ونظما ولما كان المعنى اهم قدم الاستدلال عليه فاخبر من تمادى على الكفر بما يكون تكذيبهم به تصديقا له واتبع ذلك بذكر المنافقين اعلاما بان المنفى الايمان بالقلب وانه لا عبرة باللسان اذا تجرد عنه وساق ذلك على وجه يعلمون به انه الحق بما هتك من سرايرهم وكشف من ضمايرهم فلما تم ذلك وكان المقصود منه الدعا الى الله انتهزت تلك الفرصة بقوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما اسس لها من الترغيب بالترهيب ثم اتم الدليل على حقيقة نظمه بتقصيرهم عن مدى سهمه فرجع حاصل ذلك الى اثباته بعجزهم عن معارضته فى معناه بايجاد ما اخبر

بنفيه

بنفيه وفى نظمه بالاتيان بمثله فلما ثبت ذلك ثبت انه من عند الله فثبت تاهله لتعليم الشرايع فجاءها ضمن مجادلة اهل الكتاب بما يعلمون حقيقته بلا ارتياب من الدعا الى ما اخفوه من الدعايم الخمس التى بنى عليها الاسلام ولما كان معنى الم هذا كتاب من جنس حروفكم التى قد فقتم بها ساير الخلق فعجزتم عن الاتيان بسورة من مثله الا لانه كلام الله انتج ذلك كماله فاشير اليه باداة البعد ولام الكمال فى قوله ذلك الكتاب لعلو مقداره وجلالة اثاره وبعد رتبته عن نيل المطرودين ولما علم كماله اشار الى تعظيمه بالتصريح بما ينتجه ويستلزمه ذلك التعظيم فقال لا ريب فيه اى فى شى من معناه ولا نظمه فى نفس الامر عند من حقق النظر فالمنفى كونه متعلقا للريب ومظنة له ولم يقدم الظرف لانه كان يفيد الاختصاص فيفهم ان غيره من الكتب محل الريب قال الحرالى ذا اسم مدلوله المشار اليه واللام مدلولها عليها بعد ما الكتاب من الكتب وهو وصل الشى المنفصل بوصلة خفية من اصله كالخرز فى الجلد يقد منه والخياطة فى الثوب بشى من جنسه ليكون اقرب لصورة اتصاله الاول فسمى به ما الزم الناس من الاحكام وما اثبت بالرقوم من الكلام لا لنفى ما هو ممتنع مطلقا او فى وقت الريب التردد بين موقفى تهمة بحيث يمتنع من الطمانينة على كل واحد منهما انتهى واصله قلق النفس واضطرابها ومنه ريب الزمان لنوايبه المقلقة ولما كان ذلك يستلزم الهدى قال هدى اى وحض المستغين لا لا الا لله لا دواله والمتعب لا يرده شى فقال للمتقين اى الذين جبلوا فى اصل الخلقة على التقوى فاقهم ذلك ان غيرهم لا يهتدى به بل يرتاب وان كان ليس موضعا للريب قال الحرالى جمع المتقى وهو المتوقف عن الاقدام على كل امر لشعوره بتقصيره عن الاستبداد وعلمه بانه غير مستغن بنفسه فهو متق لموضعه وحسن فطرته ومتق لذا متوقف لاجل ذلك والتقوى اصل يتقدم الهدى وكل عبادة لانها فطرة توقف تستحق الهدى وكل خير وهى وصية الله لاهل الكتب انتهى ثم وصفهم بجامع الاعمال تعريفا لهم فقال الذين يومنون بالغيب اى الذى لا ناقع فى الايمان غيره وعبر بالمصدر للمبالغة ويقيمون الصلاة اى التى هى حضرة المراقبة وافضل اعمال البدن المحافظة عليها وحفظها فى ذاتها وجميع احوالها وقد ضمن يومن يقرا ويعترف كما يافى بيانه عنده ومنهم من يستمعون اليك فى يونس ولما ذكر وصلة الخلق بالخالق وكانت النفقة سمع انها من اعظم دعايم الدين صلة بين الخلايق اتبعها بها فقال معبرا بالجار زاهيا عن الاسراف ومنهيا بالتبعيض على طيب النفقة لان الله طيب لا يقبل الا طيبا واعوانا للورع وزاجرا عما فيه شبهة لان الرزق يشمل الحرام والحلال والمشتبه ومما رزقناهم ينفقون اى يمكناهم من الانتفاع به على عظمة جزايلنا وهوده وتمم ينفقون اى فى مرضاتنا مما يلزمهم من الزكاة والحج والغزو وغيرها ومما يتطوعون به من الصدقات وغيرها والمراد بصيغ الافعال هنا ايجادها حقا يقيما على الدوام قال ابو حيان وغيره فى قوله تعالى فى سورة الحج ان الذين كفروا ويصدون المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال او استقبال فيدل اذ ذاك على الاستمرار انتهى وهذا مما لا محيد عنه والا لم يشمل هذا فى هذه السورة المدنية من تخلق به قبل الهجرة وقوله تعالى فلم تقتلون انبيا الله من قبل قاطع فى ذلك وقال الحرالى يومنون من الايمان وهو مصدر امنه يومنه ايمانا اذا امن بنهمة على امر ليس عنده ان يكذب او يرتاب فيه والغيب ما غاب عن الحس ولم يكن عليه علم يهتدى به العقل فيحصل به العلم وصيغة يومنون ويقيمون تقتضى الدوام الى الختم وادامة العمل الى الختم تقتضى ظهوره عن فطرة او جبلة وانه ليس عن تحمل وسرايا وعند ذلك يكون علما على الجزا والصلاة الاقبال بالكلية على امر فتكون من الاعلى عطفا شاملا ومن الادنى وفا بانجا الذيل والاقبال بالكلية على التلقى وايمانهم بالغيب قبولهم من النبى صلى الله عليه وسلم ما يلقاه بالوحى من امر غايب الدنيا الذى هو غايب الاخرة وما فيها وامر غايب الملكوت وما فيه الى غيب الجبروت وما به حيث يكون علمهم على الغايب الذى يلقنه قلوبهم على سبيل اذانهم كعلمهم على ما تلقته انفسهم على سبيل اعينهم وساير حواسهم وداموا على علمهم ذلك على حكم ايمانهم الى الخاتمة ولما كانت الصلاة التزام عهد العبادة عينها على تقدم الشهادة متممة بجامع الذكر وانواع التحيات لله من القيام له تعالى والركوع له والسجود الذى هو اعلاها والسلام بالقول الذى هو ادنى التحيات كانت لذلك تعهد الايمان وتكرارا وكذلك من لم يدم الصلاة ضعف ايمانه وران عليه كفر فلا ايمان لمن لا صلاة له والتقوى وحى اصل والايمان له فالصلاة ثمرته والانفاق خلافه ولذلك البخل عزل عن خلافة الله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وهذا الامر تمامه هو الذى جعلت الخلافة لادم به الى ما وراء ذلك من كمال امر الله الذى اكمله بمحمد صلى الله عليه وسلم فالتقوى قلب باطن والانفاق وجه ظاهر والايمان فالصلاة وصلة بينهما ووجه ترتب الايمان بالغيب على التقوى ان المتقى لما كان متوقفا غير متمسك بامر كان اذا ارشد الى غيب لا يعلمه لم يدفعه بمقتضى ما تقدم له علمه ووجه ترتب الانفاق على الايمان بالغيب ان المدد غيب لان الانسان لما كان لا يطلع على جميع رزقه غيبا فاذا ايقن بالخلف جاد بالعطية فمتى امد بالارزاق تمت خلافته وعظم فيها سلطانه وانفتح له باب امداد برزق اعلى واكمل من الاول فاذا احسن الخلافة فيه بالانفاق منه ايضا انفتح له باب الى اعلى الى ان ينتهى الى حيث ليس وراءه مرمى وذلك هو الكمال المحمدى وان بخل فلم ينفق واستغنى بما عنده فلم ينفق كذب تقاصا له امر خلافته وانقطع عنه المدد من الاعلى فيمحق ما سمى الانفاق زكاة انتهى وفى اول الشورى كلام فى الايمان عن على رضى الله عنه نفيس ولما وصفهم بالايمان جملة اشار الى بعض تفصيله على وجه يدخل فيه اهل الكتاب دخولا اوليا فقال والذين يومنون اى يوجدون ويجددون هذا الوصف بعد سماعهم للدعوة ايجادا مستمرا بما انزل اليك اى من القران والسنة سوا كان قد وجد او سيوجد وما انزل من قبلك اى على الانبياء الماضين ولما كان الايمان بالغيب من الدين بمكان عظيم حدا بينه بالتقديم اظهارا للمزيد الاهتمام فقال وبالاخرة اى التى هى دار الجزاء ومحل التجلى وكشف الغطاء ونتيجة الامر قال الحرالى الاخرة معاد الامر بعد تمامه على اوليته انتهى ولما تقدم من الاهتمام عبر بالانتهاء والى بضمير الفصل فقال هم يوقنون لان ذلك ثابت الى كل خبر وزايد عن كل تصور والايقان كما قال الحرالى صفا العلم وسلامته من شوايب الريب ونحوه من يقن الماء وهو ما نزل من السما فاتحدر الى كهف جبل فلم يتغير من قراره ولا وارد انتهى فهو يقين بعد شك ولذا لا يوصف به الله والوصف بهذه الاوصاف كما ترى اشارة الى امهات الاعمال البدنية والمالية من الافعال والتروك فالايمان اساس الامر

في التكلم ح

مجهاح

الثوب ح

الامر الغايب ح

لثام ح

والصلاة مشارا بها الى التحلي بكل خير والتخلي عن كل شر لان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وكلاهما من اعمال البدن والنفقة عمل مالي تحصل به تلك حصر الفعل والترك الضابطين لجميع الاعمال كيفما تشعبت وصرح بالفعل واومى الى الترك لانها لا يتمهما الا التصريح تسهيلا على السالكين لان الفعل من حيث هو ولو كان صعبا ايسر على النفس من الكف عما تشتهي ثم وصفهم ايضا بالايمان بما انزل اليه والى من قبله من المقربين والتبكيت لمن سواهم مما سنراه في الايات الاتية ولما اخبر عن افعالهم الظاهرة والباطنة اخبر بثمرتها فقال **اولئك** اي الموصوفون بتلك الصفات الظاهرات ولما تضمن ما مضى ان ايمانهم كان عن اعظم استدلال فاثمر لهم التمسك باوثق العرى من الاعمال استحقوا الوصف بالاستعلاء الذي معناه التمكن فقال **على هدى** اي عظيم وزاد في تعظيمه بقوله **من ربهم** اي المحسن اليهم بتمكينهم منه ولزومهم له تمكين من علا على الشيء ولما لم يلازم الهدى الفلاح عطف عليه قوله مشيرا بالعاطف الى مزيد تمكنهم في كل من الوصفين **واولئك** اي العالو الرتبة **هم** اي خاصة **المفلحون** اي الكاملون في هذا الوصف الذين انفتحت لهم وجوه الظفر والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذا اخواته في الفاء والعين نحو فلج بالجيم وفلق وفلذ وفلى قال الحرالي وخرج الخطاب في هذه الايات مخرج المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم ومخرج احضار المؤمنين بموضع الاشارة وهي مكانة حضرة دون مكانة حضرة المخاطب انتهى ولو نهما للبعد اعلام بعلو مقامهم والفلاح الفوز والظفر بكل مراد وبقاء البقاء الدائم في الخير ولما اردف البيان لاوصاف المؤمنين التعريف باحوال الكافرين وكانوا قد انقسموا الى مصارحين ومنافقين وكان المنافقون قسمين جهالا من مشركي العرب وعلماء من كفار بني اسرائيل كان الانسب ليفرغ من قسم براسه على عجل البداءة اولا بالمصارحين لذكر ما اراد من امرهم في ايتين لان امرهم اهون وشانهم ايسر لقصدهم بما يرهبهم بالكلام او بالسيف على ان ذكرهم على وجه يعم جميع الاقسام فقال مخاطبا لاعظم المنعم عليهم على وجه التسلية والاعجاز في معرض الجواب لسؤال من كانه قال هذا حال الكتاب للمؤمنين فما حاله للكافرين **ان الذين كفروا** اي حكم بكفرهم دائما حكما نفذ ومضى فستروا ما اتيهم من الادلة على الوحدانية عن العقول التي هيئت لادراكه والفطر الاولى التي حصلت عن مانع يعوقها عن الانقياد له وداموا على ذلك بما دل عليه السياق بالتعبير عن اضدادهم بما يدل على تجديد الايمان على الدوام والتحاق بالختم والعذاب ولعله عبر بالماضي والموضع للوصف تنفيرا من مجرد ايقاع الكفر ولو للنعمة وليشمل المنافقين وغيرهم ولما دل هذا الحال على انهم علوا اضداد ما علاه المؤمنون من الانقياد وكان المعنى **سواء عليهم ءانذرتهم** اي انذارك في هذا الوقت بهذا الكتاب **ام لم تنذرهم** اي وعدم انذارك فيه وبعده وقد انسلخ عنها والهمزة معنى الاستفهام قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انتهى ولعله عبر بصورة الاستفهام وقد سلخ عن معناه افهاما لانهم توغلوا في الكفر توغل من وصل في الحمق الى انه لو شاهد الملك يستفهمك عنه ما امن ولما كان كانه قيل في اي شيء استوت حالتاهم فقيل في انهم **لا يؤمنون** وهي دليل على خصوص كونه هدى بالمتقين وعلى وقوع التكليف بالممتنع لغيره فانه سبحانه كلفهم بالايمان واراد منهم الكفران فصار ممتنعا لارادته عدم وقوعه والتكليف به جار على سنن الحكمة فان ارادة عدم ايمانهم لم تخرج ايمانهم عن حيز الممكن فبما ظهر لعدم العلم بما اراد الله من كل شخص عينه فهو على سنن الابتلاء ليظهر في عالم الشهادة المطيع من غيره لاقامة الحجة وباقي الصفات عند انتفاء ما تقدم مرتبة لهذا قال الحرالي تحصيل لجميع قوله سواء عليهم الى اخره وبقوله لا يؤمنون خبر تام عن سابقة امرهم ولاحقه كونهم تم بالكلامين الخبر عنهم خبرا واحدا ملتئما كتابا سابقا وكونا لاحقا انتهى وكل موضع ذكر فيه الكفر فانما عبر به اشارة الى ان الادلة الاصلية في الوضوح بحيث لا تخفى على احد ولا يجحدها الا من ستر مرآة عقله اما عنادا واما باهمال النظر السديد والركون الى نوع تقليد ولما كان من اعجب العجب كون شيء واحد يكون هدى لناس دون ناس علل ذلك بقوله **ختم الله** اي بجلاله **على قلوبهم** اي ختما مستعليا عليها فهي لا تعي حق الوعي لان الختم على الشيء يمنع الدخول اليه والخروج منه واكد المعنى باعادة الجار فقال **وعلى سمعهم** فهم لا يسمعون حق السمع وافرده لان التفاوت فيه نادر قال الحرالي وشركه في الختم مع القلب لان احدا لا يسمع الا ما عقل انتهى **وعلى ابصارهم غشاوة** فهم لا ينظرون بالتامل ولما سوى هنا بين الانذار وعدمه كانت البداءة بالقلوب انسب تسوية لهم بالبهائم ولما كان الاعمى قد يسمع او يبصر فيهتدي وكان السمع اضر لعمومه وخصوص البصر باحوال الضياء نفي السمع ثم البصر تسفيلا لهم عن حال البهائم بخلاف ما في الجاثية فانه لما اخبر فيها بالاضلال وكان الضال احوج شيء الى سماع الهادي بنفاه ولما كان الاصم اذا كان ذا سمع او بصرا مكنت هدايته وكان الفهم اشرف نفاهما على الترتيب ولما وصفهم بذلك اخبر بما لهم فقال **ولهم عذاب عظيم** قال الحرالي في قوله ولهم اعلام بعقوبة نداعي حالهم لذلك العذاب واستحقاقهم له وتنشؤ ذواتهم اليه حتى يشهد عيان المعرفة به وبهم انه لهم وكان عذابهم عظيما اخذا في عموم ذواتهم لكونهم لم تلتبس ابدانهم ولا نفوسهم ولا ارواحهم بما يصد عنهم شيئا من عذابها كما يكون للمنافقين من مذنبي مؤمني الامم حيث يتنكب العذاب عن وجوههم ومواضع وضوئهم ونحو ذلك انتهى وسياتي عند قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا ما يلتفت الى هنا قال الحرالي الكفر تغطية ما حقه الاظهار والانذار الاعلام بما يحذر والختم اخفاء خبر الشيء بجميع اطرافه عليه على وجه يتحفظ به والقلب مبدا كيان الشيء من غيب تؤامه فيكون تغير كونه بحسب تقلب قلبه في الانتهاء ويكون تطوره وتكامله بحسب مدده في الابتداء او النماء والقلب من الانسان بمنزلة السكان من السفينة بحسب تقلبه يتصرف سائره وبوضعه للتقلب والتقليب سمي قلبا ان للطيف معناه في ذلك كان اكثر قسمه صلى الله عليه وسلم بمقلب القلوب والغشاء غطاء مجلل لا يبدو معه من المغطى شيء والعذاب ايلام الاجهاد فيه والعظيم الاخذ في الجهات كلها انتهى وفي تعقيب ذكر المؤمنين بذكر المختوم على مداركهم المختوم بهلاكهم تعظيم للنعمة على

من استجاب له اذ قال اهدنا فهداه واعلام بان الهدى ليس الا بيده ليلحوا في الطلب ويبرأوا من ادعاء حول او قوة ولما افتتح سبحانه بالذين واطات قلوبهم السنتهم في الايمان وثنى بالمجاهرين من الكافرين الذين طابق اعلانهم اسرارهم في الكفران اتبعه ذكر المساترين الذين خالفت السنتهم قلوبهم في الاذعان وهم المنافقون وامرهم اشد لاشكال احوالهم والتباس اقوالهم وافعالهم فاضر الاعداء من يواليك في الصداقة فياخذك من المامن وما احسن ما ينسب الى الامام ابي سليمان الخطابي في المعنى

تحرز من الجهال جهدك انهم ... وان اظهروا انك المودة اعداء
وان كان فيهم من يسرك فعله ... فكل لعذب الطعم ادخله داء

ثم ثنى سبحانه باظهار اسرارهم وهتك استارهم في سياق شامل لقسميهم تتبع امورهم وهي مقاصدهم وضرب لهم الامثال وبسط لهم بعض البسط في المقال فقال تعالى **ومن الناس** اي لما ارسلنا رسولنا انقسم الناس قسمين مؤمن وكافر وانقسم الكافر قسمين فمنهم من جاهر وقال لا نؤمن ابدا ومنهم **من يقول** ولعله اظهر ولم يضمر لتفردهم عن المجاهرين ببعض الاحكام او لانه سبحانه لما ذكر طرفي الايمان والكفر واحوال المؤمنين واحوال الذين كفروا ذكر المنافقين المترددين بين الاتصاف بالطرفين بلفظ الناس لظهور معنى النوس فيهم لاضطرابهم بين الحالين لان النوس هو حركة الشيء اللطيف المعلق في الهواء كالخيط المعلق الذي ليس في طرفه الا يسير ما يثقله فلا يزال مضطربا بين جهتين ولم يظهر هذا المعنى في الفريقين لتحيزهم الى جهة واحدة قاله الحرالي وعرف للجنس او للعهد في الذين كفروا لانهم نوع منهم وسر الاظهار موضع الاضمار على هذا ما تقدم **امنا بالله** اي وحده بما له من الجلال والجمال مستحضرين لذلك ولما كانوا متهمين اكدوا باعادة الجار فقالوا **وباليوم الاخر** الذي جحده المجاهرون **وما هم بمؤمنين** اي بمتوغلين في الايمان كما ادعوه بذكر الاسم الاعظم واعادة الجار ولعله نفى الجراءة فقط لان منهم من كان من لا حين هذا القول غير جاحد بالكفر وامن بعد ذلك وحرف متعلق الايمان نفيا في السلب عنهم لما ذكروا وغيره وجمع هنا وافرد في يقوله تنبيها على عموم الكفر لهم كالاولين وقلة من يصح منهم بهذا القول اشارة الى غلظهم وسلخ غساوتهم في الكفر وقوتهم وفي ذكر قصصهم وتتبع احوالهم تنبيه على وجوب الاخلاص وحث على الاجتهاد في الطهارة من الادناس في سؤال الهداية الى الصراط المستقيم وتصنيف الناس اخر الفاتحة ثلاثة اصناف مهتدين ومعاندين وضالين مثل تصنيفهم اول البقرة بثلاثة متقين وكافرين مصارحين وهم المعاندون وضالين وهم المنافقون واجمالهم في الفاتحة وتفصيلهم هنا من بديع الاساليب وهو داب القران العظيم الاجمال ثم التفصيل وقد سمى ابن اسحق كثيرا من المنافقين في السيرة الشريفة في اوائل ما بعد الهجرة قال ابن هشام في تلخيص ذلك وكان ممن انضاف الى يهود ممن سمي لنا من المنافقين من الاوس والخزرج من الاوس زوي بن الحرث وبجاد بن عثمان بن عامر ونبتل بن الحرث وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل وكان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث اليه ثم ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذي قال انما محمد اذن وعباد بن حنيف اخو سهل وعمرو بن حذام وعبد الله بن نبتل وبحزج وهو ممن كان بنى مسجد الضرار وجارية بن عامر بن العطاف وابنه زيد وحزام بن خالد وهو الذي اخرج مسجد الضرار من داره ومربع بن قيظي وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عامد الى احد لا احل لك يا محمد ان كنت نبيا ان تمر في حائطي فابتدره المسلمون ليقتلوه فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا الاعمى اعمى القلب اعمى البصر واخوه اوس بن قيظي وهو الذي قال يوم الخندق ان بيوتنا عورة وحاطب بن امية بن رافع وكان شيخا جسيما قد عسا في الجاهلية وكان ابنه يزيد من خيار المسلمين قتل رضي الله عنه يوم احد فقال ابوه لمن بشره بالجنة غررتم والله هذا المسكين من نفسه وبشير بن ابيرق ابو طعمة وفيه نزلت وهو سارق الدرعين الذي انزل الله فيه ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم وقزمان حليف لهم اجاد يوم احد القتال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من اهل النار فجرح فبشر بالجنة فقال والله ما قاتلت الا حمية لقومي فلما اشتدت به الجراحة قطع رواهش يده فمات ومن الخزرج رافع بن وديعة وزيد بن عمرو وعمرو بن قيس وقيس بن عمرو بن سهل والجد بن قيس وهو الذي قال ائذن لي ولا تفتني وعبد الله بن ابي راس المنافقين واليه كانوا يجتمعون وهو القائل ليخرجن الاعز منها الاذل وفيه وفي وديعة العوفي ومالك بن ابي قوقل وسويد وداعس وهم من رهطه نزلت الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب الاية حكاية لما كانوا يدسونه الى بني النضير اذ حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فضعف والله وكذبوا وكان ممن تعوذ بالاسلام واظهره وهو منافق من احبار يهود من بني قينقاع سعد بن حنيف وزيد بن اللصيت وهو الذي قال في غزوة تبوك يزعم محمد انه ياتيه خبر السماء وهو لا يدري اين ناقته فاعلمه الله بقوله وبمكان الناقة ونعمان بن اوفى بن عمرو وعثمان بن اوفى ورافع بن حريملة وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين ورفاعة بن زيد بن التابوت وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ هبت تلك الريح وهو قافل من غزوة بني المصطلق لا تخافوا انما هبت لموت عظيم من عظماء المنافقين وسلسلة بن برهام وكنانة بن صوريا فكان هؤلاء من المنافقين ومن كان على نحوهم يحضرون المسجد فيستمعون احاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزئون بدينهم انتهى وفيه اختصار فانزل الله تعالى فيهم هذه الايات وابتدا قصتهم بالتنبيه على قلة عقولهم وخفة حلومهم من حيث ان محط حالهم انهم يخادعون من لا يجوز عليه الخداع وان الذي حملهم على ذلك انهم ليس لهم نوع شعور ولا شيء من ادراك بقوله تعالى جوابا لسؤال من كانه قال فما قصدهم باظهار الايمان والاختباء عن اغتشهم بغير ما هي منطوية به مع معرفتهم بقبح الكذب وشناعته وفظاعته وبشاعته **يخادعون الله** اي يبالغون في معاملته هذه المعاملة بابطان غير ما يظهرون مع ما له من الاحاطة بكل شيء والخداع اصله الاخفاء والمبالغة في اصلها المفاعلة لان الفعل متى غولب فيه

فاعله جا ابلغ واحكم منه اذ ازاد له وحلو والذين امنوا اى بعاملونهم المعاملة وامره تعالى باجرا الكلام احكام الاسلام عليهم
في الدنيا صورته صورة الخدع وكذا امتثال المومنين امره تعالى فيهم قال الحرالي وجا بصيغة المفاعلة لمكان احاطة علم الله بخداعهم ولم يقرا
غيره ولا ينبغي والخداع اظهار خير يتوسل به الى ابطان شر يوول اليه امر ذلك الخير المظهر انتهى وما يخادعون اى بما يفعلون به المومنين
الا انفسهم بعجز عقولهم بخيانتها تسمى نفوسا والنفس قال الحرالي ما به ينفس المرء على غيره استبدادا منه واكتفا بموجود نفاسته على
من سواه انتهى وقراءة الحذف هذه لا تنافي قراءة يخادعون لان المطلق لا يخالف المقيد بالمبالغة وعبر هنا بصيغة المفاعلة لشعورهم كما قال
الحرالي بغبار احوالهم في بعض الاوقات ومن بعض الاشخاص وبصيغة المجرد لعميهم عن فساد احوالهم في اكثر اوقاتهم وعميه عامتهم ولا يكون من
الله سبحانه الا بلفظ الخدع لانهم لا يعلمون ما يخفي الله عنهم من امره ولذلك جا في اية النسا يخادعون الله وهو خادعهم انتهى وما يشعرون
اى نوع شعور لافراط جهلهم بانهم لا يضرون غير انفسهم لان الله يعلم سرهم كما يعلم جهرهم وحذف متعلق الشعور للتعميم والشعور كما قال الحرالي
اول الاحساس بالعلم كانه مبدا اثباته قبل ان تكمل صورته وتتميز انتهى ثم بين سبحانه ان سبب الغفلة عن هذا الظاهر كون الادراك كهيئة
مريضة شغلها المرض عن ادراك ما ينفعها فهي لا تتخيل الا ما يوذيها كالمريض لا يميل بنفسه الا الى غير مصالحها فقال جوابا لمن كانه قال ما سبب
فعلهم هذا من الخداع في قلوبهم مرض اى من اصل الخلقة يوهن قوى الايمان فيها ويوجب ضعف افعالهم الاسلامية وخللها لان المرض كما قال
الحرالي ضعف في القوى يترتب عليه خلل في الافعال فزادهم الله اى بجميع ما له من صفات الجلال والاكرام لخادعهم بما يرون من عدم تاثيرها
مرضا اى سوا اعتقادهم بما يزيد من خداعهم والمافي قلوبهم بما يرون من خيبة مطلوبهم لما سد عليهم باب الفهم والسداد جملة والزيادة
قال الحرالي استحداث امور لم تكن في موجود الشي انتهى ولهم اى مع ضرر الغباوة في الدنيا الملحقة بالبهايم عذاب اليم في الاخرة اى شديد الالم
وهو الوجع اللازم قال الحرالي بما كانوا قال الحرالي من كان الشي وكان الشي كذا اذا ظهر وجوده وتمت صورته او ظهر ذلك الكذا من ذات
نفسه انتهى يكذبون اى يوقعون الكذب وهو الاخبار عن انفسهم بالايمان مع تلبسهم بالكفران والمعنى على قراءة التشديد يبالغون في
الكذب او ينسبون الصادق الى الكذب في ذلك استنع الكذب ولما اخبر تعالى عن بواطنهم اتبعه من الظاهر ما يدل عليه فبين انهم اذا
لفوا عن الفساد العام ادعوا الصلاح العام بقوله واذا قيل لهم وبناوه للمجهول اشارة الى عصيانهم لكل قايل كاينا من كان لا
تفسدوا في الارض اى بما ترى لكم من الاعمال الخبيثة والفساد انتقاض صورة الشي قاله الحرالي قالوا قاصرين فعلهم على الصلاح نافين
عنه كل فساد مباهتين غير مكترثين انما نحن مصلحون والاصلاح نافي خلل الشي قاله الحرالي ولما كان حالهم مبنيا على الخداع باظهار الخير
وابطان الشر وكانوا يرون افسادهم لما لهم من عكس الادراك اصلاحا فكانوا يناظرون عليه بانواع الشبه كان قولهم ربما غر من
سمعه من المومنين لان المومن غر كريم والكافر خب لئيم فقال تعالى محذرا من حالهم مثبتا لهم ما نفوه عن انفسهم من الفساد وقاصرا عليهم
الا انهم هم اى خاصة المفسدون اى الكاملون الافساد البالغون من العراقة فيه ما يجعل افساد غيرهم بالنسبة الى افسادهم
عدما لما في ذلك من خراب ذات البين واخذ المومن من المامن وقال الحرالي ولما كان حال الطمانينة بالايمان اصلاحا وجب ان يكون
اضطرابهم فيه افسادا لا سيما مع ظنهم ان كونهم مع هولا تارة ومع هولا تارة من الحكمة والاصلاح وهو عين الافساد لانه بالحقيقة
مخالفة هولا وهولا فقد افسدوا طرفي الايمان والكفر ولذلك قيل ما يصلح المنافق لانه لا حبيب مصاف ولا عدو مباين فلا يعتقد
منه على شي انتهى ولما كان هذا الوصف موجبا لعظيم الرهبة اتبعه ما يخففه بقوله ولكن لا يشعرون اى ليس لهم في غاية الجلافة
حتى لا شعور لهم يحسنون به التصرف فيما يحاولونه من الفساد الا انما ذلك عليه ما في الاية السابقة الدالة على ان المضارع للحال ولا
فيما يستقبل من الزمان لان لا لا تفارقه الا وهو بمعنى الاستقبال فلاجل ذلك لا يوثر افسادهم الا في ادنى انفسهم فلا تخافوهم فاني
كافيكموهم ولما بين حالهم اذا امروا بالصلاح العام بين انهم اذا دعوا الى الصلاح الخاص الذي هو اس كل اصلاح سموه سفها فقال
واذا قيل اى من اى قايل كان لهم امنوا اى ظاهرا وباطنا كما امن الناس اى الذين هم الناس لتظهر عليكم ثمرة ذلك من لزوم
الصلاح واجتناب الفساد والايمان المضاف الى الناس ادنى مراتب الايمان قال الحرالي وهو منهم لما صرح به في قوله وما هم بمومنين
قالوا انومن اى ذلك الايمان كما امن السفها اى الذين استخف رحمهم الى ما دخلوا فيه بعد ترك ما كان عليه اباوهم خفة نشات
من ضعف العقل ثم رد سبحانه قولهم حصرا للسفه فيهم فقال الا انهم هم السفها لا غيرهم لجمودهم على رايهم مع ان بطلانه اظهر
من الشمس ليس فيه لبس ولكن لا يعلمون اى ليس لهم علم اصلا لا بذلك ولا بغيره ولا يتصور لهم علم لان جهلهم مركب ولهو اسوا الجهل
والعلم قال الحرالي ما اخذ بعلامة وامارة نصبت اية عليه انتهى ولما كان الفساد يكفي في معرفته والصد عنه ادنى تامل والسفه
لا يكفي في ادراكه والنهي عنه الا رزانة العلم ختمت كل اية بما يناسب ذلك من الشعور والعلم ولما كان امر العام خبر الخاص قدم
عليه ولما بين نفاقهم وعلته وسببه عند دعا الداعي الى الحق بهذه الايات بين سيرتهم في اقوالهم في خداعهم دليلا على افسادهم
بقوله واذا لقوا واللقا اجتماع باقبال الذين امنوا اى حقا ظاهرا وباطنا وكن ايمانهم كما قال الحرالي نقل من افعالهم
لم يثبته الى ان يصير صفة لهم واما المومنون الذين صار ايمانهم صفة لهم فلا يكادون يلقونهم بمقتضاه لانهم لا يجدون معهم
مدخلا في قول ولا مواساة لان اللقا لابد فيه من اقبال ما من الملتقيين انتهى قالوا خداعا امنا معبرين بالجملة الفعلية
الماضية التي يكفي في افادتها ما سبقت له ادنى الحدوث واذا خلوا منتهين الى شياطينهم اى الذين هم روسهم من غير
ان يكون معهم مومن والشيطان هو الشديد البعد عن محل الخير كما قاله الحرالي قالوا انا معكم معبرين بالاسمية الدالة

على الثبات
موكدين

موكدين لها دالة على نشاطهم لهذا الاخبار لمزيد حبهم لما افاده ودفعا لما يتوهم من شك لهم من راى نفاقهم للمومنين ثم استانفوا في موضع
الجواب لمن قال ما بالكم تلبسون للمومنين انما نحن مستهزءون اى طالبون للهزء ثابتون عليه فيما نظهر من الايمان والهزء اظهار الجد واخفاء
الهزل فيه قاله الحرالي فاجيب من كانه قال بماذا جوزوا بقوله الله اى الملك الاعلى يستهزئ بهم اى يجازيهم على فعلهم بالاستدراج بان
يظهر لهم من امره المردي لهم ما لا يدركون وجهه فهو يجري عليهم في الدنيا احكام اهل الايمان ويذيقهم في الدارين اعلى هوان يجدد لهم ذلك
بحسب استهزايهم وذلك انكا من شي توطن النفس عليه فلذلك عبر بالفعلية دون الاسمية مع انها تفيد صحة التوبة لمن تاب دون
الاسمية ويمدهم من المد بما يلبس عليهم وقال الحرالي من المدد وهو مزيد متصل في الشي من جنسه في طغيانهم اى تجاوزهم الحد في العناد
وقال الحرالي افراط اعتدايهم حدود الاشيا ومقاديرها انتهى وهذا المد بالاملا لهم حال كونهم يعمهون اى يخبطون خبط الذي لا يبصر
له اصلا قال الحرالي من العمه وهو ابهام الامور التي فيها دلالات ينتفع بها عند فقد الحس فلا يبقى له سبب يرجعه عن طغيانه فلا ينفكون
حال العمه فلم يرجعوا عنه ثم ابدا امتزايدوا والطغيان انتهى فلما تقرر ذلك كله كانت فذلكته من غير توقف اوليك اى البعدا البعد
من الصواب الذين اشتروا اى الذين لجوا في هواهم فكلفوا انفسهم ضد ما فطرها الله عليه مع ما نصب من الادلة حتى اخذوا الضلالة
اى التي هي ابخ الاشيا بالهدى الذي هو خير الاشيا ومدار كل ذي شعور عليه فكانه لوضوح ما قام عليه من الادلة مع ما ركز منه في الفطر كان
في ايديهم فباعوه بها وسياتي في سورة يوسف عليه السلام بيان ان مادة شرى بتراكيبها الاثني عشر تدور على اللجاجة فما اى فتسبب عن فعلهم
هذا انه ما ربحت تجارتهم مع ادعايهم انهم ابصر الناس بها وما كانوا في نفس جبلاتهم مهتدين لانهم مع انهم لم يربحوا اضاعوا راس
المال لانه لم يبق في ايديهم غير الضلال الذي صاحبه في دون رتبة البهايم مع زعمهم انه لا مثل لهم في الهداية فلما علم ذلك كله وكانت
الامثال الصق بالبال واكشف للاحوال مثل حالهم في هذا ما لهم الذي باعوا بالضلالة بالامور المحسوسة لان للتمثيل بها شانا عظيما في ابصار
المعاني حتى الى الاذهان الجامدة وتقريرها فيها بقوله تعالى مثلهم اى في حالهم هذه التي طلبوا ان يعيشوا بها كمثل الذي استوقد نارا
اى طلب ان توقد له وهو هداه ليستضي بنورها واصلها من نار اذا نفر لتحركها واضطرابها فوقدت وانارت فلما اضاءت اى النار وافرد
الضمير باعتبار لفظ الذي فقال ما حوله واراد ان ينتفع بها في ابصار ما يريد وهو كناية عما حصل لهم من الامنة بما قالوه من كلمة الاسلام
من غير اعتقاد ذهب الله الذي له كمال العلم والقدرة وجمع الضمير نظرا الى المعنى لئلا يتوهم ان بعضهم انتفع دون بعض بعد ان افرده
تعليلا للنور وان كان قويا في اوله لانطفايه في اخره فقال بنورهم اى الذي نشا من تلك النار باطفايه لها ولا نور لهم سواه ولم
يقل بضوئهم لئلا يتوهم ان المذهوب به الزيادة فقط لان الضوء اعظم من مطلق النور هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا فذهب
نورهم وبقيت نارهم ليجتمع عليهم حرها مع حر الفقد لما نفعهم من النور وعبر بالاضاة اولا اشارة الى قوة الهم والحاق احزم لان حط
حالهم اكباطل والباطل له صولة ثم تضمحل عند من ثبت لها ليتبين الصادق من الكاذب وعبر بالذهاب به دون اذهابه ليدل نصا
ليدل على انه سبحانه ليس معهم وحقق ذلك بالتعبير عن صيرورتهم فقال وتركهم في ظلمات اى بالضلالة من قلوبهم وابصارهم وليلهم
اى ظلمات لا تنفذ فيها نظر فلذلك كانت نتيجته لا يبصرون اى لا ابصار لهم اصلا ولا بصيرة ولما فرغ من المثل لكشف المراد مطلقا تهم بما
في اذانهم من الثقل المانع من الانتفاع بالسماع وما في السنتهم من الخرس عن كلام الخير الناشي عن عدم الادراك الناشي عن عمى البصاير وفساد
الضماير والسراير وما على ابصارهم من الغشاوة المانعة من الاعتبار وعلى بصايرهم من الاغطية المنافية للادكار فقال صم اى عن السماع
النافع بكم عن النطق المفيد لان قلوبهم مختوم عليها فلا ينبعث منها خير ينفذ له الى الالسنة عمي في البصر والبصيرة عن البصاير المرشد
لما تقدم من الختم على مشاعرهم ولما كان في مقام اجابة الداعي الى الايمان قدم السمع لانه العمدة في ذلك وثنى بالقول لانه يمكن الاصم
الافصاح عن المراد وختم بالبصر لامكان الايمنة ابنه بالاشارة وكنا ما بائن في هذه السورة سر اختلاف الاسرار فهم اى فتسبب عن ذلك
انهم لا ولما كان المراد التعميم في كل رجوع لم يذكر المرجوع عنه فقال يرجعون اى عن طغيانهم وضلالهم الى الهدى الذي باعوه ولا الى حالهم
الذي كانوا عليه ولا ينتقلون عن حالهم هذا اصلا لانهم لمن هذا حاله ومن هذا حاله لا يقدر على مفارقة موضعه بتقدم ولا تاخر
او مثلهم في سماع القران الذي فيه المتشابه والوعيد والوعد كصيب اى اصحاب صيب اى مطر عظيم وقال الحرالي سحاب ممطر
دايم اتبعه تحقيقا لان المراد الحقيقة قوله من السما وهو كما قال الحرالي ما علا فوق الراس يعني هذا اصله والمراد هنا معروف
ومثل القران لهذا المتواترة نزوله وعلوه واحيايه القلوب كان الصيب يحيي الارض ثم اخبر عن حاله بقوله فيه ظلمات اى لكثافة السحاب
واسوداده ورعد اى صوت مرعب يرعد عند سماعه وبرق اى نور يبهت للمعانه وسرعته قاله الحرالي والظلمات مثل ما لم
يفهموه والرعد ما ينادي عليهم بالفضيحة والتهديد والبرق ما يلوح لهم معناه ويداخلهم راي في استحسانه ولما تم مثل القران استانف
الخبر عن حال الممثل بهم حقيقة فقال يجعلون اصابعهم اى بعضها ولو قدروا الكل لشدة خوفهم في اذانهم من الصواعق اى من اجل
قوتها لان هولها لا يكاد ان يفهم وقال الحرالي جمع صاعقة وهو الصوت الذي يميت سامعه او يكاد ثم علل هذا بقوله حذر الموت والله
اى والحال ان المحيط بكل شي قدرة وعلما محيط بالكافرين اى فلا يغنيهم من قدره حذر واظهر موضع الاضمار لاعراضهم عن القران وسترهم
لانواره ثم استانف الحديث عن بقية حالهم فقال يكاد البرق اى من قوة لمعه وشدة حركته واسراعه يخطف ابصارهم فهم يغتنمون لمعانه
لمعه وحقيقة في تراكيبه وزعمه ولما كان من المعلوم ان البرق ينقضي لمعانه تمزعه كانه قيل ماذا يصنعون عند ذلك فقال كلما وعبر بها دون اذا لانها
دالة على شدة حرصهم على الحياة والمشي عند الاضاة اضا لهم مشوا فيه مبادرين الى ذلك حراصا عليه لا يفترون عنه في وقت من اوقات الاضاة

مع انهم يغضون ابصارهم ولا بد ولها غاية المدحوقا عليها ووقوفا مع على الاسباب ووثوقا بها واعتمادا عليها وغفلة عن رب الارباب وهو مثل لما وجد وامن القران موافقا لارائهم وعطف باذا لتحقق حقوقه بعد خفوقه قوله واذا اظلم عليهم قاموا اي اول حين الاظلام لا يقدرون على التقدم خطوة واحدة اشارة الى انه ليست لهم هيبا يرسيون لها فيما لسلف البرق لابصارهم من الارض قبل الاظلام بل حال انقطاع اللمعان يقفون لعمى ابصارهم ووحشتهم وجبنهم وغيبتهم وشدة جزعهم وحيرتهم وهكذا حال هؤلاء لا يقيسون ما اشكل عليهم من القران على ما فهموه ولو شاء الله الذي له العظمة الباهرة مع شدة حرصهم وتناهي جزعهم ودل على مفعول شاء بقوله لذهب بسمعهم اي بقاصف الرعد ولم يغنهم سد اذانهم وابصارهم بخاطف البرق ولم ينفعهم غضهم لها ثم علل ذلك بقوله ان الله اي الذي له جميع صفات الكمال على كل شيء قدير اي شيء اي يصح ان يقع عليها المشيئة هذا المراد وان كان لشيء كما قال سيبويه يقع على كل ما اخذ عنه وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم والمعدوم والمحال وقول الاشاعرة ان المعدوم ليس بشيء بمعنى انه ليس بثابت في الاعيان قدير اعلاما بان قدرته لا تتقيد بالاسباب ولعله سبحانه قدم المثل الاول لانه كالجزء من الثاني او لانه مثل المنافقين جعلت مدة صباهم نومهم واذ يا دعقولهم استعدادا مع جعل الله اياهم على الفطرة القويمة وزمان بلوغهم بتمام العقل الغريزي اضاءة والثاني مثل المنافقين وهو ابلغ لان الضلال فيه اشنع واقطع فالصيب الذي انقادوا له ظاهرا والظلمات متشابهه والصواعق وعيده والبرق وعده كلما انذروا ابو عبيدة انقطعت قلوبهم خوفا يحسبون كل صيحة عليهم وكلما بشروا انقادوا رجاء واذا عرض المتشابه وقفوا تحيرا وجفاء وكل ذلك وقوفا مع الدنيا وانقطاعا اليها لا يعودون الى ما وراها اصلا بل هم كالانعام لا نظر لهم الى سوى الجزئيات والامور المشاهدات فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما والكلام الجامع النافع في ذلك ان يقال انه سبحانه شبه في الاول مثلهم بمثل المستوقد لا بالمستوقد وفي الثاني شبه مثلهم في خوفهم اللازم ورجائهم المنقطع باصحاب الصيب لا بمثلهم فتقديره الاول مثلهم في انهم سمعوا اولا الدعاء واوا الايات فاجابوا الداعي اما بالفعل كالمنافقين واما بالقوة في ايام الصبي لما عندهم من سلامة الفطرة وصحة النظر ثم تلددوا وارجعوا بقلوبهم عن ما قالوه بالسنتهم من كلمة التقوى نطقا او تقديرا الى ظلمات الكفر فلم ينفعهم سمع ولا بصر ولا عقل فصاروا مثل البهايم التي لا تطيع الراعي الا بالزجر البليغ مثلهم في هذا يشبه مثل المستوقد في انه لما اضاءت ناره واى ما حوله فلما ذهبت لم يبق له على تقدم ولا تاخر لانه لا ينفع في ذلك سمع ولا كلام فاذن استوى وجودهما وعدمهما فصار عادما للثلاثة فكان من هذه الجهة مساويا للاصم الابكم الاعمى فهو مثله لكونه لا يقدر على مراده الا ان قاده قايد حسي فهو حينيذ مثل البهايم التي لا تنقاد للمراد الا بقايد فاستوى المثلان وسيتضح ذلك عند قوله تعالى كمثل الذي ينعق ولذلك كانت النتيجة في كل منهما صم الى اخره واو بمعنى الواو ولعله عبر بها دونها لا يهام وان كان لكل من المثلين صالحا لكل من القسمين وان احتمال التفصيل غير بعيد لان الاول اظهر في الاول والثاني في الثاني وجعل الحرالي المثلين للمنافقين فقال ضرب لهم مثلين لما كان لهم حالان وللقران عليهم تنزيلان منه ما يرغبون فيه لما فيه من مصلحة دنياهم فضرب لهم المثل الاول وقدمه لانه سبب دخولهم مع الذين امنوا لما داوا من معاجلة عذاب الذين كفروا في الدنيا ومنه ما يرغبونه ولا يستطيعون سماعه لما يتضمنه من امور شاقة عليهم لاجلها الامر من حقا ولا يحملها الا من امن ولما يلزم منه من فضيحة حذرا عمهم فضرب له المثل الثاني فلن يخرج حالهم عند نزول نجوم القران عن مقتضى هذين المثلين انتهى وضرب الامثال المنبي الى الحد المنتهي الى الاحاطة بكل حد لا سيما في اصول الدين الكاشف لحقيقة التوحيد الموصل الى اليقين في الايمان بالغيب الحق لما لله تعالى من صفات الكمال النافع للمشكوك الحافظ في طريق السلوك مما اختص به القران من حيث كان منبيا الى الحمد ومفضيا به فكان حرف الحمد وذلك انه حرف عام محيط شامل لجميع الامور كما قيل بكل الشرايع في ساير الازمان فكان احق الرسل به من كانت رسالته عامة لجميع الخلق وكتابه شامل لجميع الامر وهو احمد ومحمد صلى الله عليه وسلم كما قال الامام ابو الحسن الحرالي في كتابه عروة المفتاح هذا الحرف لاحاطته انزل نثرا وساير الحروف استغاء لاختصاصها ووجه انزاله تفهيم ما غمض من المغيبات بضرب مثل من المشهودات ولما كان للامر تنزلات وللخلق تطورات كان الاظهر منهما مثلا لما هو دونه في الظهور وكلما اظهر لمنزل صار مثلا لما هو اخفى منه فكان لذلك امثالا لا عددا منها مثل العين بمنزل لظهوره ومنزلات تصير امثالا لما هو اخفى منها الى ان تنتهي الامثال الى غاية محسوس ومعلوم فتكون تلك الغاية مثلا اعلى كالسموات والارض بما حوت والعرش والكرسي فيما يعلم وله المثل الاعلى في السموات والارض الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم وذلك المثل الاعلى لاحاطته اسمه الحمد وله الحمد في السموات والارض واحمد اسماه وادناه الى الله تعالى بحيث لا يكون بينه وبين الله واسطة فلذلك ما استحق اكل الخلق واجمعه واكل الامر واجمعه الاختصاص بالحمد فكان اكل الامور سورة وكان اكل الخلق صورة محمد صلى الله عليه وسلم كان خلقه القران ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم ودون المثل الاعلى له الجامع الامثال العلية المفصلة منه ضرب لكم مثلا من انفسكم ولاحاطة امر الله وكماله في كل شيء يصح ان يضرب به مثلا ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وللمثل حكم من ممثوله ان كان حسنا حسن مثله وان كان سيا ساء مثله ولما كان اعلى الامثال الحمد كان اول الفاتحة الحمد ولما كان اخفى امر الخلق النفاق كان اول مثل في الترتيب مثل النفاق وهو ادنى مثل لما خفي من امر الخلق كما ان الحمد اعلى مثل لما غاب من امر الحق وبين الحدين امثال حسنة وسيئة مثل الحبة التي وعدا المتقول الا ببين مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها فمثله كمثل الكلب الاثيين وبحد رعلو المثل او دنوه او توسطه يتزايد للمومن الايمان وللعالم العلم وللعاقل الفهم ويضد ذلك لمن اتصف باضداد تلك الاوصاف فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ومعرفة امثال القران المعرفة

احاطة

احاطة ممثولا بها وعلم اياته المعلمة اختصاص معلوما لها هو حظ العقل واللب وحرفه من القران ولكل حرف اختصاص بحظ من تدرك الانسان واعمال القلوب والانفس والابدان فقوله القراءة والعمل بحرف منه التقي ومن جمع له قراءة جميع احرفه علما وعملا فقد اتم وفي وبذلك يكون القاري من القراء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم اعز من الكبريت الاحمر يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ثم قال فيما به تحصل قراءة هذا الحرف اعلم ان قراءة الاحرف الستة تماما وفاء بتحصل العباده لانها استفاء ثلاثة للتخلص والتخلي وثلاثة للعمل والتحلي لان ترك الحرام طهرة البدن وترك النهي طهرة النفس وترك التعرض للمتشابه طهرة القلب ولان تناول الحلال زكاة البدن وطاعة الامر زكاة النفس وتحقيق العبودية بمقتضى حرف المحكم نور القلب واما قراءة حرف الامثال فهو وفاء العبادة بالقلب جمعا ودواما وله الذين واصناف الذين هم على صلاتهم دايمون فالذي يحصل قراءة هذا الحرف انما هو خاص بالقلب لان اعمال الجوارح واحوال النفس قد استوفتها الاحرف الستة التفصيلية والذي يخص القلب بقراءة هذا الحرف هو المعرفة التامة المحيطة بان كل الخلق دقيقه وجليله خلق الله وحده لا شريك له في شيء منه وانه جميعه مثل لكلية امر الله القايم بكلية ذلك الخلق وان كلية ذلك الامر الذي هو ممثول لمثل الخلق هو مثل لله تعالى وله المثل الاعلى وان تفاصيل ذلك الخلق المحيطات امثال لعليا ما من تفاصيل ذلك الامر المحيطات بما وان تفاصيل الامر المحيطات امثال لاسماء الله تعالى الحسنى بما هي محيطة وبجمع هذا الحرف لمن صح انزاله الاعلى الخلق الجامع الادمي الذي هو صفوة الله وفطرته وعلى سيد الادميين محمد خاتم النبيين وهو خاصته وخاصة الله وعنه كمل الدين بالاحسان ومنها العلم بالايقان وشوهد في الوقت الحاضر ما بين حدي الازل الماضي والابد الغابر وعن تمام اليقين والاحسان تحقق الفنا لكل فان ويبقى وجه ربك محمد ذي الجلال والاكرام وكان هذا الحرف بما اسمه الحمد هو لكل شيء بدء وختاما انتهى ولما ثبت لهذا البيان عما للكافرين بقسميهم من الشقاوة مع تمام القدرة شمول العلم المستلزمات للوحدانية انتج قطعا افراده بالعبادة الموجبة للسعادة المضمنة لاياك نعبد فوصل بذلك مقبلا عليهم بعد الاعراض عنهم عند التقسيم ايذانا بانهم صاروا بما تقدم من ضرب الامثال وغيرها من حيز اهل الخطاب من غير واسطة تنشيطا لهم في عبادته وترغيبا وتحريكا الى رفع انفسهم باقبال الملك الاعظم عن الخضوع لمن دونه بل دونهم ولبشارة لمن اقبل عليه بل ان كان معرضا عليه بعيد وام الترقية فبرك مما اشار اليه حرف النداء والتعبير عن المنادي من نعت البعد بالسهو والغفلة والاعراض بالتقصية في العبادة والاضطراب والريبة يا ايها الناس قال الحرالي في تفسيره يا تنبيه من يكون بمسمع من المنبه ليقبل على الخطاب وهو تنبيه في ذات نفس المخاطب ويفهم توسط البعد بين يا الممدودة واي المقصورة اي اسم مبهم مدلوله اختصاص ما وقع عليه من مقتضى اسم شامل ها كلمة تدل لها تنبيه على امر مستقبل المنبه انتهى واكد سبحانه الكلام بالابهام والتنبيه والتوضيح تعظيم المقصود بالنداء تنبيها على ان ما ياتي بعده امور مهمة تحق لها ان تشهد الدنول والقيام على ساق الجد وقال الحرالي اعلم انه كما اشتمل على القران كله فاتحة الكتاب ككذلك ايضا جعل لكل سورة ترجمة جامعة تحتوي على جميع معاني ايها وخاتمة تليم وتنتظم بترجمتها ولذلك تترجم السورة على سور وسيقع التنبيه على ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى واعلم مع ذلك ان كل نبي ومنبا يقرا بالهمز من النبا وهو الخبر فانه شرع في دعوته وهو غير عالم بطية امره وخير قومه وان الله عز وجل جعل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا منبي من النبوة بغير الهمز ومعناه رفعة القدر والعلو فكما اعلاه الله به ان قدم له بين يدي دعوته علم طية امره ومكنون علمه تعالى في سر التقدير الذي لم يزل خبا في كل كتاب فاعلمه تعالى حال المدعوين الذين هم بصفة المومن مترددين بين الاستغراق في احوال انفسهم وبين مرجع الى ذكر ربهم على ثلاثة اضرب منهم من فطر على الايمان ولو بطبع عليه اي على قلبه فهو يجيب ولا بد ومنهم من طبع على الكفر فهو اب ولا بد ومنهم من ردد بين طرفي الايمان ظاهرا والكفر باطنا وان كلا ميسر لما خلق له فكان بذلك انشراح صدره في حال دعوته وزال به ضيق صدره الذي شارك به الانبياء بالهم علا بعد ذلك الى مستحق ربسط لعلية فكان اول ما اتى له كتابه ان عرفه معنى ما تضمنه الم ثم فصل من ذلك ثلاثة احوال المدعوين بهذا الكتاب وحينئذ شرع في تلقينه الدعوة العامة للناس فاتى بعد ذلك الدعوة العامة التي هي جامعة لكل دعوة في القران ولما تضمن صدرها من الوعيد في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجر خطاب ذلك على لسانه ولما فيها من السطوة وخطاب الملك والجزاء ومحمد صلى الله عليه وسلم رسول رحمة للعالمين فلم يتبع اجراؤها على لسانه لذلك وغيره من الرسل يعامله دعوة من قبل الله سبحانه بخير دعوته فهي جراة على السنتهم ولذلك كثرت مغاواة قومهم ومدعوهم لهم ولما اجرى الحق تعالى هذه الدعوة من قبله كان فيها بشرى بالعلية واظهار دينه لان الله سبحانه لا يغلب في خلقه ولما انتهى الى البشرى التي هي رحمة اجرى الكلام على مخاطبته عليه السلام بقوله وبشر ومع اجراء دعوة المرسلين على السنتهم علقت باسم الله بلفظ ان اعبدوا الله ونحوه فعز على اكثر النفوس الاجابة لفوت اسم الله عن ادراك العقول ومع تولي الله سبحانه لهذه الدعوة لسلطانه العلي اجراها باسم الربوبية وهو اسم الرب منالا على النفوس لانها تشاهد اياته بمعنى التربية والربابة ومع ذلك ايضا ذكر اسم الله في دعوة المرسلين غير متبع ولا موصوف بايات الالهية ولو ذكرها ترتب مثال عليها كالتمييز القمر ونحو ذلك وذكر تعالى الربوبية في هذه الدعوة متبعة باياتها الظاهرة التي لا تفوت العقل والحس ولا يمكن انكارها ووجه بعد النفوس عن الانقياد عند الدعوة باسم الله ان ايات الربوبية التي يسهل عليها الانقياد من جهتها التي يلين منها تنقاد للملوك واولي الاحسان لانها جبلت على حب من احسن اليها تنعى عند الدعوة باسم الله بمعزل عن الشعور باضافتها الى اسم الله ويجار العقل في المتوجه له بالعبادة وتضيق النفوس الغافلة ايات الربوبية الى ما تشاهده من اقرب الاسباب في العوايد

كالفصول التي سطت المواليد والاقوات بها في مقتضى حكمة الله سبحانه اولى اسباب هذه الاسباب كالنجوم ونحو ذلك فلا يلبسهم للمدعو حال
قوامه بعبادته لئلا يلتبس التوقف والآبا والنفي لغير الذي اراد الله بهذه الامة ذكر الربوبية منوطا بما ثمما انتهى ولما كانت العبادة الجملة
بشرك او غيره ساقطة والازديار من الصحيح والاستمرار عليها عبادة حب بيد حسن الامر بها خاطب العرب يقبل فقال اعبدوا ربكم
اي الذي لا رب لكم غيره عبادة هي بحيث يقبلها الغني ثم وصفه بما اشارت اليه صفة الرب من الاحسان تنبيها على وجوده ووجوب
العبادة له بوجوب شكر المنعم فقال الذي خلقكم قال الحرالي الذي اسم مبهم مدلوله ذات موصوف بوصف يعقب به وهي الصلاة اللازمة
له تقديرا استاج مايراد اظهاره بعد الامتزاج والتركيب صورة والذين من قبلكم القبل ما اذا عاد المتوجه الى مسد او جهته انبل عليه
انتهى ثم بين نتيجتها بقوله لعلكم تتقون اي لتكون حالكم بعبادته لانها كلها محاسن ولا حسن في غيرها حال من ترجى له التقوى وهي اجتناب
القبيح من خوف الله وسياتي في قوله لعلكم تشكرون ما ينفع هنا وقال الحرالي لعل كلمة ترجي لما تقدم سببه وبدا من ايات الربوبية بذكر الخلق
لانه في ذواتهم ووصل ذلك بخلق من قبلهم حتى لا يستند واخاتهم الى من قبلهم وترجى لهم التقوى لعبادتهم ربهم من حيث نظرهم الى خلقهم وتقدير
استاجهم لانهم اذا استند واخلقهم لربهم كان احرى ان يستندوا اليه ثمرة ذلك من صفاتهم واعمالهم فيتقون عن الاستغنا بانفسهم فيشا
لهم بذلك تقوى انتهى وما احسن الامر بالعبادة حال الاستدلال على استحقاقها بخلق الاولين والاخرين وما يعلم عقب اثبات قدرة الايجاد
المشيرة الى الترهيب من سطوته ولعله تبدع هذا الاستدلال على التفرد بالاستحقاق عقب احوال من قرر انهم في غاية الجمود بامور
مشاهدة يصل اليها كل عاقل باول وهلة من دحو الارض وما يعلم مما به قوام بقائهم من السكن والرزق في سياق منبه على النعمة محذر
من سلبها دال على الاله بعد الدلالة بالانفس من حيث ان كل احد يعرف ضرورة انه وجد بعد ان لم يكن فلا بد له من موجد غير الناس
لما بينا هذه من ان حال الكل كحاله بالدلالة بالافاق من حيث انها متغيرة فهي مفتقرة الى مغير هو الذي احد ثم البس متغير لانه ليس
بجسم ولا جسماني في سياق مذكر بالنعم الجسام الموجبة لحبة المنعم وترك المنازعة وحصول الانقياد فقال الذي جعل قال الحرالي
من الجعل وهو اظهار امر عن سبب وتصيير لكم الارض اي المحل الجامع لكل نبات كل نابت ظاهرا وباطنا كالظاهر كالمواليد وكل ما الما
اصله والباطن كالاحوال والاخلاق وكل ما اصله ما الماينه كالهدى والعلم ونحو ذلك ولتحقق دلالة اسمها على هذا المعنى جا وصفها
بذلك من لفظ اسمها فقيل ارض اريضة للكريمة المنبته واصل معناها ما سفل في مقابلة معنى السما الذي هو ما علا على سفل
الارض كانها لوح قلمه الذي يظهر فيها كتابه انتهى فراشا وهي بساط سقفها السما وهي مستقر الحيوان من الاحيا والاموات واصله
كما قال الحرالي بساط يضطجع عليه للراحة ونحو ذلك والسما بناء اي خيمة تحيط بصلاح موضع السكن وهو لعمري بناء جليل القدر محكم الامر
بهي المنظر عظيم الخبر ورتبت هذه النعم الدالة على الخالق الداعية الى شكره احكم ترتيب فقدم الانسان لانه اعرف بنفسه والنعمة عليه
ادعى الى الشكر وثنى بمن قبله لانه اعرف بنوعه وثلث بالارض لانها مسكنه الذي لا بد له منه وربع بالسما لانها سقفه وخمس بالما لانه
كالاثر والمنفعة الخارجة منها وما يخرج بسببه من الرزق كالنسل المتولد بينهما فقال وانزل قال الحرالي من الانزال وهو الاهوا
بالامر من علو الى سفل انتهى من السما اي بما تاريثا تقتضيه من تشباح الخلق ما اي جسما لطيفا يبرد غلة العطش به حياة كل نام قال
الحرالي وهو اول طاهر العين من اشباح الخلايق فاخرج من الاظهار وهو اظهار من حجاب وفي سوقه تنالغا تحقيق للتسبيب في الما انتهى
والى عجيب القلة في التمر وتنكير الرزق مع المشاهد لانهما بالغان في الكثرة الى حد لا يحص تحقيرا لهما في جنب قدرته اجلالا له فقال
به من الثمرات رزقا واخراج الاشيا في حجاب الاسباب اوفق بالتكليف بالايمان بالغيب لانه كما قيل لولا الاسباب لما ارتاب
المرتاب والثمر كما قال الحرالي مطعومات النجم والشجر وهي علها وعبر بمن لان ليس كل الثمرات رزقا لما يكون عليه وفيه من العصف
والقشر والنوى وليس ايضا من كل الثمر رزق لانه ما هو للمداواة ومنه سموم وغير ذلك وفي قوله لكم اشعار بان في الرزق تكملة
لك وانهم ومصيرا الى ان يعود بالحز منهم وقد وصف الرب في هذه الاية بموصولين فكر صلة الثاني بلفظ الجعل لان حال القوام
مرتب على حال الخلق ومصير منه فلا يشك ذو عقل في استحقاق الانقياد لمن تولى خلقه واقام تربيته ولا يشك ذو حس اذا تيقظ
من نوم او غفلة فوجد بساطا قد فرش له وخيمة قد ضربت عليه وعوج له طعام وشراب قدم له ان نفسه تنبعث بذا اتباع
لتعظيم من فعل ذلك بها ولشكر نعمته واكباره فلتنزيل هذه الدعوة الى هذا البيان الذي يضطر النفس الى الاذعان ويدخل العلم
بمقتضاها في مرتبة الضرورة والوجدان كانت هذه الدعوة دعوة عربية جارية على مقتضى احوال العرب لان العرب لا تعدو
بانفسها العلم الضروري وليس من شانها تكلف الافكار والتسبب الى تنالي العلوم النظرية الماخوذة من مقتضى الامارات
والادلة فعوملت بما جبلت عليه وتنزل لها لتكون نقلتها من فطرة الى فطرة ومن علم وجداني الى علم وجداني على تحفظ عليهما رتبة
الاعراب والبيان بان لا يتسبب لها الى دخول ريب في علومها لان كل علم مكتسب بتكلف التسبب له بايات وعلامات ودلايل
تتجد من الحس واوايل مجوم العقل يتعارض عليه الادلة ويعتاده الريب فحفظت هذه الدعوة العربية عن التكلف واجريت
على ما احكمه صدر السورة في قوله تعالى لا ريب فيه واعلم ان حال المخلوق في رزقه تحاذيه حاله في كونه فيعلم بالاعتبار والتناسب
الذي شانه ان يعلم من جملة المجهولات ان الما بزركون الانسان كما ان الما اصل رزقه ولذلك قال عليه السلام لمن ساله ممن
هو فقال نحن من ما ويعلم كذلك ايضا ان للارض والسما مدخلا في امتزاج الانسان رتب عليه مدخلهما في
كون رزقه وفي ذكر الارض معرفة احد للارض الى فقابيهما وكالها ولذلك قال عليه السلام من اغتصب شبرا من ارض طوقه

من سبع

من سبع ارضين وكذلك ذكر السما احد لها الى فقابتها وكالها وقدم الارض لان نظر النفوس الى ماتحتها اسبق لها من نظرها لها
الى ما علا عليها ثم قال ولوضوح ايات الربوبية تقلدها الاكثر وانما توقفوا في الرسالة وكذلك وصل ذكر الرسالة بالتهديد انتهى ولما
امر بعبادته وذكرهم سبحانه بما يعلمون انه فاعله وحده حسن النهي عن ان يشرك به ما لا اثر له في شي من ذلك جا السبب عن الامرين كليهما
فقال معبرا بالجلالة على ما مر الاليق بالتوبيخ على تاله الغير فلا تجعلوا لله اي مع احاطته بصفات الكمال ويجوز ان يكون مسببا عن التقوى
المترجاة فتكون لا نافية والفعل منصوب اندادا اي على حسب زعمكم انها تفعل ما تريدون قال الحرالي جمع ند وهو المقادم في صفة القيام
والدوام وعبر بالجعل لان بالجعل والمصير من حال الى حال ادنى منهما ناشين الغفلة على القلوب حتى لم تشهد في النعم والنقم الا الخلق من ملك
او ذي اثرة او من الى ذي يد عليها كان ولما شهدوا ذلك منهم تعلق بهم رجاوهم وخوفهم وعابهم دبهم على ذلك باية بهم فاشتد داعي رجايهم
لهم وسابق خوفهم منهم فتند للواليهم وخضعوا فصاروا بذلك عبيد الطاغوت وجعلوهم لله اندادا انتهى وما احسن قوله في تاليهم وتبعهم
على ما ازروا بانفسهم وانتم تعلمون اي والحال انكم ذو علم على ما تزعمون فانه يلوح الى ان من اشرك به مع قيام هذه الادلة لم يكن ممن يصح
منه العلم فكان في عداد البهايم وفيه كما قال الحرالي اعلام بظهور ايات ما يمنع جعل الند لما بينا هذه ان جميع الخلق ادنا لم واعلام مقامه
من السما وفي الارض ومن الما لمن جعل لله ندا انما حوته السما والارض واستمده من الما فقد خالف العلم الضروري الذي به تقلد الدليل
للربوبية في نفسه فان يحكم بذلك على غيره مما حاله كحاله احق في العلم انتهى وفي تعقيبها لما قبلها غاية التكبيت على من شرك هذا القادر
على كل شي وعبد ما لا يقدر على شي وهذه الاية من الحكم الذي اتفقت عليه الشرايع واجتمعت عليه الكتب وهو عمود الخشوع وعليه
مدار الذل والخضوع قال الامام ابو الحسن الحرالي في العروة وجه انزال هذا الحرف تحقيق انصاف العبد بما هو اللايق به في صدق
وجهته الى الحق بانقطاعه عن نفسه وبرايته منها والتجايه الى ربه استسلاما وجهده في خدمته اكبارا واستنادة اليه اتكالا وسكونا
له طمانينة بانها النفس المطمينة ارجعي الى ربك راضية مرضية وبتاكد التخلي العبد بمستحق اوصافه بقراة هذا الحرف والعمل به
بحسب برايته من التعرض لنظيره المتشابه لان اتباع المتشابه زيغ لقصور العقل والفهم عن نيله ووجوب الاقتصار على الايمان به من غير
موازنة بين ما خاطب الله به عباده للتعرف وبين ما جعله للعبد للاعتبار سبحان من لم يجعل سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته
وجامع منزل المحكم ما افتتح به التنزيل في قوله تعالى اقرا باسم ربك الايات وما تقدم في الترتيب في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الى
ما ينظر بذلك من ذكر عبادة القلب التي هي المعرفة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وتليكن اول ما تدعوهم اليه عبادة الله فاذا عرفوا
الله ومن ذكر عبادة النفس التي هي الاجمال في الصبر وحسن الجزا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ويدرون بالحسنة السيئة الذين هم
في صلاتهم خاشعون لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه الى ساير احوال العبد التي يحقق بها في حال الوجهة الى الرب وما تقدم من
حرفي الحلال والحرام لاصلاح الدنيا وحرفي الامر والنهي لاصلاح العقبى معاملة كتابة والعمل بهذا الحرف اغتباط بالرق وعبادة من
العتق فلذلك هو اول الاختصاص ومبدا الاصطفا وافراد موالاة الله وحده من غير شرك في نفس ولا غير ولذلك بدي بتنزيله
النبي العبد صلى الله عليه وسلم وهو ثمرة ما قبله واساس ما بعده وهو للعبد احوال محققة لا يشركه فيها ذو ريا ولا نفاق ويتركه
في الاربعة المتقدمة يعني النهي والامر والحلال والحرام لانها اعمال ظاهرة يتحلى بها المنافق وليس يمكنه مع نفاقه التحلي بالمعرفة
ولا بالخشوع ولا بالخضوع ولا بالشوق للقا ولا بالحزن في الابطا ولا بالمرض بالعقبا ولا بالحب لجاذب للبقا في طريق الفنا ولا بشي مما
شمله ايات الحكم المنزلة في القران واحاديث الواردة للبيان وانما يتصف بهذا الحرف عباد الرحمن وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الذين ليس للشيطان عليهم سلطان ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ولما كان حرف
المحكم مستحق العبد في حق الرب في فطرته التي فطر عليها كان ثابتا في كل ملة وفي كل شرعة فكانت اياته لذلك هن ام الكتاب المشتمل
على الاحرف الاربعة لتبدلها وتناسخها وتناسبها في الشرع والملل واختلافها على مذاهب الايمة في الملة الجامعة مع اتفاق الملل
في الحرف المحكم فهو امها وقيامها الثابت حال تبدلها وهو حرف الهدى الذي يهدي به الله من يشا وقراته الجملة به المهتدون من اهل
السنة والجماعة كما ان المتبعين لحرف المتشابه هم المتفرقون في الملل وهم اهل البدع والاهوا المشتغلون بما لا يعنيهم وبعد الحرف
المتشابه يضل الله من يشا فحرف المحكم للاجتماع والهدى وحرف المتشابه للافتراق والضلال والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
ثم قال اعلم ان قراة الاحرف الماضية الاربعة هو حظ العامة من الامة للعاملين لربهم على الجزا المقاصين له على المضاعفة وقراة
هذا الحرف تماما هو حظ المحققين بالعبودية المعتدين بالاحوال الصادقة المشفقين من وهم المعاملة لشعورهم ان العبد لسيده
مصروف فيما شا وكيف شا ليس له في نفسه حق ولا حكم ولا حجة له على سيده فيما اقامه فيه من صورة سعادة او شقاوة في اي صورة ما
شا ركبك على ان نبدل امثالكم وننشيكم فيما لا تعلمون والذي يحصل به قراة هذا الحرف اما من جهة القلب فالمعرفة بعبودية
الخلق الى الحق في خلق ورزق وتصريف فيما شا مما بينه وبين ربه ومما بينه وبين نفسه ومما بينه وبين امثاله من ساير العباد
لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ياخذ الا ما اعطاه سيده ولا يبقى الا ما وقاه سيده ولا يكشف
السو عنه الا هو فيسلم له معا ليد امره في ظاهره وباطنه وذلك هو الدين عند الله الذي لا يقبل سواه ان الدين عند الله
الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو دين النبي العبد وما يتحقق للعبد من ذلك عن اعتبار العقل وخلوص
اللب هي الملة الحنيفية ملة النبي الخليل هذا من جهة القلب واما من جهة حال النفس فجميع احوال العبد التي المعروف في الملك

انما انا عبد آكل مثل ما ياكل العبد وجماع ذلك واصله الذل انكسارا والزل عطفا والبراءة من الترفع والتخرج عن سابر التحلي والتحقق بالضعة
دونهم على وصف النفس بذلك ينتهي حسن التخلق مع الخلق وصدق التعبد للحق واما من جهة العمل فتصرف الجوارح في اسلامها لله قولا وفعلا
وبذلا ومسالمة للخلق لسانا ويدا وهو تمام الاسلام وشتيته لا يكتب احد في المسلمين حتى يسلم الناس من لسانه ويده وخص الهيئة من ذلك ما هو
اولى بهيئات العبيد كالذي ينبغي عليه هيئة الصلاة من الاطراق في القيام ووضع اليمين على الشمال عند الصدر وهيئة العبد المتادب
المنتظر لما لا يدري جبره من امر سيده وكهيئة الجلوس فيها الذي هو جلوس العبيد كذلك كان صلى الله عليه وسلم يجلس لطعامه ليستوي حال
تعبده في امر دنياه واخراه ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد ويؤثر جميع ما هو هيئة العبيد في تعبده ومطعمه ومشربه وملبسه
ومركبه وظعنه واقامته قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فبهذه الامور تحقق العبودية للقلب وذل النفس وانكسار الجوارح به
تحصل قراءة حرف المحكم والله الولي الحميد انتهى ولما ثبتت هذه الادلة توجب امتثال ما دعت اليه فلم يبق لمتعنت شبهة الا ان يقول لا
انفصل حتى اعلم ان هذا الكتاب الذي تقدم انه الهدى كلام الله قال مبينا انه من عنده نظما كما كان من عنده معنى محققا ما ختم به التي
قبلها من ان من توقف عما دعا اليه من التوحيد وغيره لا علم له بوجه واتى باداة الشك سبحانه مع علمه بحالهم تنبيها على انه من البعيد
جدا ان يجزم بشكهم بعد هذا البيان وان اي وان كنتم من ذوي البصائر الصافية والضمائر المنيرة علمتم خفية هذه المعاني وجلالة هذه
الاساليب وجزالة تلك التراكيب ان هذا كلامي فبادرتم الى امتثال ما امروا والانتهاء عما عنه زجروا وان كنتم في ريب اي شك محيط بكم من الكتاب
الذي تلت ومن اصدق مني قيلا انه لا ريب فيه واشار هنا ايضا الى عظمته وعظمة المنزل عليه بالنون التفاتا من الغيبة الى التكلم فقال
مما نزلنا قال الحرالي من التنزيل وهو التدريج للفهم بتفصيل وترجمة ونحو ذلك انتهى على عبدنا اي الخالص لنا الذي لم يتعبد لغيرنا
فلذلك استحق الاختصاص دون عظماء القريتين وغيرهم فادعيتم انه كلامنا نزل بامرنا وزعمتم ان عبدنا محمدا اتى به من عنده لتوهمكم
ان فيما سمعتم من الكلام شيئا مثله لاجل الاتيان به منجما او غير ذلك من احواله فأتوا اي على سبيل التحتم او غيره قال الحرالي الاتي بالامر
يكون عن مكنة وقوة بسورة اي نجم واحد قال الحرالي السورة تمام جملة من المسموع يحيط بمعنى تام بمنزلة احاطة السور بالمدينة
انتهى وتفصيل القرآن الى سور وآيات لان الشيء اذا كان جنسا وجعلت له انواع واشتملت انواعه على اصناف كان احسن واجل وانبل ولا
سيما اذا تلاحقت الاشيا بغرائب الانتظام وتجاوبت بحسن الالتئام وتعانقت الاشيا بالتشابه في تمام الاحكام وجمال الاحكام وذلك
ايضا انشط للقارئ واعظم عنده لما ياخذ منه مسمى بآيات معدودة او سور معلومة وغير ذلك من مثله اي من الكلام الذي تحكم ان
تدعوا انه مثل ما نزلنا كما قال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله فان عبدنا منكم ونشا بين اظهركم
تقولا يقدر على ان ياتي بما لا تقدرون على مثله الا بتاييد منا ولما كانوا يستقبحون الكذب قال وادعوا شهداءكم اي من تقدرون
على دعائه من الموجودين بحضرتكم في بلدكم او ما قاربها والشهيد كما قال الحرالي من يكثر الحضور لديه واستبصاره فيما حضره انتهى
من دون الله اي ليبطلوا بين الكلامين فيشهدوا بما يؤدي بهم اليه معرفتهم من المماثلة والمباينة فيزول الريب ويظهر الى الشهادة
الغيب او ليعينوكم على الاتيان بمثل الحفظة للقطعة المحيطة التي تريدون معارضتها قال الحرالي والدون منزلة القريب فالقريب من جهة
سفل وقد عقلت العرب ان اسم الله لا يطلق على ما نالته ادراك العقل وتكيف بالحس فقد تحققوا ان كل ما ادركته حواسهم ونالته
عقولهم دون الله انتهى وفي التعبير به توبيخ لهم بانهم لم يرضوا بشهادته سبحانه وحكمة الاتيان بمن التبعيضية في هذه السورة دون
بقية القرآن انه سبحانه لما فرض لهم فيها الريب الذي يلزم منه زعمهم ان يكونوا اطاقوا الاتيان على مثل او سمعوا ان احدا اطاقه على تقدير
اقتضى الحال الاتيان بما يفيد ان المطلوب منهم في التحدي قطعة من ذلك المثل الذي ادعوه حكيمة المعاني متلائمة المباني منتظم
اولها باخرها كسور المدينة في صحة الانتظام وحسن الالتئام والاحاطة بالمباني التي هي كالمعاني والتقاء الطرفين حتى صار بحيث
لا يدرى اوله من اخره سواء كانت القطعة الماتي بها آية او ما فوقها لان آيات القرآن كسورة يعرف من ابتدائها ختامها
ويهدي الى افتتاحها تمامها فالتحدي هنا منصرف الى الآية بالنظر الاول والى ما فوقها بالنظر الثاني والمراد بالسورة هنا معناها
اللغوي لانها من المثل المعروض وهو لا وجود له في الخارج حتى يكون لقطعه اصطلاح في الاسماء معروف ولان معرفة المعنى الاصطلاحي
كان مخصوصا بالمصدقين ولو اريد التحدي بسورة من القرآن لقيل فاتوا بمثل سورة منه ولما كان هذا هو المراد قصرهم في الدعاء
على من حضرهم من الشهداء وسياتي ان شاء الله تعالى في سورة يونس عليه السلام وبقية السور المذكور فيها هذا المعنى ما يتم به هذا
الكلام وفي قوله ان كنتم صادقين ايماء الى كونهم في دعوى الشك فيه قال الحرالي والصادق الذي يكون قول لسانه مطابقا لما
احتوى عليه قلبه مما له حقيقة ثابتة تجنبه وقال اتسعت آية تنزيل الوحي بآية انزال الرزق كما كان نزول ما نزل على الرسول
صلى الله عليه وسلم المخصص بذلك ينبغي اعتباره بمقابلة نزول الرزق لانهما رزقان احدهما ظاهر يعم الكافرين بنزوله والاخر
وهو الوحي رزق باطن يخص الخاصة بنزوله ويتعين لهم انهم انهم فطرة واكلهم ذاتا ولم يصلح ان يعم نزول الرزق الباطن كعموم
الظاهر ليبطل حكمة الاختصاص في الرزقين فان نازعهم ريب في الاختصاص يتعرضون انه عام فيحاولون معارضته وكما انهم يشهدون
بتمكينهم من الحس عند محاولته عمومه فكذلك يجب ان يشهدوا بعجزهم عن سورة من مثله تحقق اختصاص من نزل عليه به واجري ذكره
باسم العبودية اعلاما بوفائه بانحاء التذلل واظهار المزية انفراده بذلك دونهم وليظهر به سبب الاختصاص واستظهر النون
في نزلنا من يتنزل بالوحي من روح القدس والروح الامين ونحو ذلك لانها تقتضي الاستتباع واقتضت النون في لفظ عبدنا ما يظهره النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم لهم من الانقياد والاتباع وما اقتضاه خلقه العظيم من خفض الجناح حتى انه يوافق من وقع على وجه من الصواب من
امته صلى الله عليه وسلم وحتى انه يتصف باوصاف العبد في اكله كما قال آكل كما ياكل العبد انتهى والتحدي بسورة تشمل اي سورة كالكوثر
ومثلها في التحدي آية مستقلة تؤاديها وآيات كما قال الامام جلال الدين محمد ابن احمد المحلي في شرح جمع الجوامع وسبق الامام شمس الدين
محمد بن عبد الدايم البرماوي فنظمه في الفيته في الاصول ونقله في شرحها عن ظاهر كلام امام الحرمين في الشامل وعن كلام الفقهاء في
الصداق فيما لو اصدقها تعليم سورة تلقنها بعض آية وسبقهما العلامة سعد الدين مسعود ابن عمر التفتازاني وقال في تلويحه
على توضيح صدر الشريعة المعجز هو السورة او مقدارها هكذا ذكر الذين تكلموا في الاعجاز من الاصوليين وغيرهم ان التحدي وقع
بسورة من القرآن والصواب انه انما وقع بقطعة آية فما فوقها لان المراد بالسورة مفهومها اللغوي لا الاصطلاحي كما تقدم بيانه
والحاصل انه لما كان في آيات المثاني تقرير ذكر الامثال وكانوا قد استغربوا بعض امثال القرآن وجعلوها موضعا للشك من حيث
كانت موضعا لليقين فقالوا لو كان من عند الله لما ذكر فيه امثال هذه الامثال لانه اعظم من ان يذكرها دعاهم الى المعارضة في
هذه السورة المدنية بكل طريق يمكنهم واخبرهم بانهم عاجزون عنها وان عجزهم دائم تحقيقا لانهم في ذلك الحال معاندون لا شاكون
ولما كان سبحانه عالما بان الانفس الابية والانوف الشامخة الحمية التي قد لزمت شيئا قرنت عليه حرصا ولما خلفا يصعب عليها
انفكاكها عنه ويعسر خلاصها منه عبر عن هذا الاخبار بالعجز مهددا في سياق محلي الى الانصاف بالاعتراف او تفطر القلوب بالعجز
عن المطلوب بقوله فان لم تفعلوا فاتى باداة الشك تنفيسا لهم وتمكينا في نفس الامر بهم راسخا لا لهم ثم لم يتم ذلك التنفيس
حتى ضربهم ضربة فصمت ظهورهم وقطعت قلوبهم فقال لتكون الآية كافلة بصحة سبب النظم والمعنى اليه وكالا داعيا بهم العزة
ولن تفعلوا فالزمهم الجري بما حكم عليهم به من العجز فلم يكن لهم فعل الا المبادرة الى تصديقه بعد بالكف فكانوا كمن القم الحجر فلم يسعه
الا السكوت واستمر ذلك التصديق لهم ولامثالهم على وجه الدهر في كل عصر ينادي مناديه فتخضع له الرقاب ويصدح به
مؤذنه فتنكس الرؤوس والتعبير بالفعل الاعم بالاتيان ابلغ لان نفيه نفي للاخص وزيادة والفعل كما قال الحرالي ما ظهر عن داعية من
الموقع كان عن علم او غير علم لتدين كان او لغيره انتهى فقد ثبت ان هذا الكتاب الذي بين انه الهادي الى الصراط المستقيم اعظم
دليل على افراده بالعبادة واختصاصه بالمراقبة التي ارشدنا اليها بقوله اياك نعبد الآية بما ثبت فيه من ادلة التفرد بالالهية بما
ثبت من عجزهم عن معارضته وعجز جميع العرب الذين كانوا افصح الخلق وكذا جميع من ولد في بلادهم وانطبع بلسانهم من اليهود
والنصارى الذين لهم من الفصاحة والعلم ما هو مشهور فقد كان لليهود من بني اسرائيل الذين كانوا في المدينة الشريفة وخيبر
واليمن وغيرها ومن دخل في دينهم من العرب من الفصاحة والبلاغة والعلم ما لا يحتاج من طالع السيرة فيه الى موقف وكذا النصارى
من بني اسرائيل ومن دان دينهم من العرب وهم كثير كقوم المنذر بن ماء السماء ومن قارب الشام من عبد القيس وتنوخ وعاملة ولخم
كلهم فصحاء بلغاء وزاد كثير منهم على ذلك العلم وكان منهم الشعراء المبرزون ومع ذلك فلم يقدر احد منهم على طعن في هذا القرآن
ولا عارضه منهم انسان الا ما كان من مسيلمة والاسود العنسي مما افتضحوا به واكذبهم الله فيه وسارت بفضائحهم الركبان فكانوا بها
مثلا في ساير البلدان قال عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب الحجج في تثبيت خبر الواحد ان الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
اكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا واحكم ما كانت لغة واشد ما كانت عدة فدعا اقصاها وادناها الى توحيد الله
وتصديق رسالته فدعاهم الى حظهم بالحجة فلما قطع العذر وازال الشبهة وصار الذي يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية
دون الجهل والحيرة حملهم على حظهم بالسيف فنصب لهم الحرب ونصبوا له وقتل من عليتهم واعلامهم واعمامهم وبني اعمامهم
وقتلوا اعمامه وبني اعمامه وعلية اصحابه واعلام اهله وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن وغيره ويدعوهم صباح مساء الى ان يعارضوه ان
كان كاذبا بسورة واحدة او بآيات يسيرة فكلما ازداد تحديا لهم بها وتقريعا بعجزهم عنها تكشف من نقصهم ما كان مستورا وظهر منه
ما كان خفيا فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له انت تعرف من اخبار الامم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا قال فهاتوها
مفتريات فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا طبع فيه لتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي ويكابر
فيه ويزعم انه قد عارض وقابل وناقض فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واتساع لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة
شعرائهم وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراء اصحابه وخطباء امته لان سورة واحدة وآيات يسيرة كانت انقض لقوله وافسد لامره
وابلغ في تكذيبه واسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج من الاوطان وانفاق الحرائب وهذا من جليل التدبير الذي لا
يخفى على من هو دون قريش والعرب في الراي والعقل بطبقات ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار
الموجزة ولهم الاسجاع والمزدوج واللفظ المنثور ثم يتحدى به اقصاهم بعد ان ظهر عجز اداتهم فمحال اكرمك الله ان يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط
في الامر الظاهر والخطا المكشوف البين مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز وهم اشد الخلق انفة واكثره مفاخرة والكلام سيد
عملهم وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث على الحيلة في الامر الغامض فكيف بالظاهر وكما انه محال ان يطبقوا ثلاثا وعشرين سنة على الغلط
في الامر الجليل المنفعة فكذلك ايضا محال ان يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل اليه وهم يبذلون اكثر منه انتهى فثبت بهذا
عجزهم وخرس قطعا افصاحهم وذمرهم وطاطا ذلا كبرهم وعزهم وكيف يمكن المخلوق مع تمكنه في سمات النقص ودركات الافتقار والعجز
معارضة من اختص بصفات الكمال وتعالى عن الانداد والاشكال وقد اختلف الناس في سبب الاعجاز واحسن ما وقفت عليه من ذلك

ما نقله الامام بدر الدين الزركشي الشافعي في كتابه البرهان عن الامام ابي سليمن الخطابي قال واليه ذهب الاكثرون من علماء النظر ان وجه
الاعجاز فيه من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها وصغوا فيه الى حكم الذوق قال والتحقيق ان اجناس الكلام مختلفة ومراتبها في درجات
البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل ومنها الفصيح القريب السهل ومنها الجائز المطلق الرسل وهذه اقسام الكلام الفاضل
المحمود فالقسم الاول اعلاها والثاني اوسطه والثالث ادناه واقربه فحازت بلاغات القران من كل قسم من هذه الاقسام حصة
واخذت من كل نوع شعبة فانتظم لها بانتظام هذه الاوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة وهما على الانفراد في
نعوتهما كالمتضادين لان العذوبة نتاج السهولة والجزالة والمتانة يعالجان نوعا من الزعورة فكان اجتماع الامرين في نظمه مع نبو
كل واحد منهما عن الاخر فضيلة خص بها القران ليكون اية بينة لنبيه صلى الله عليه وسلم وانما تعذر على البشر الاتيان بمثله لامور منها
ان علمهم لا يحيط بجميع اسماء اللغة العربية واوضاعها التي هي ظروف المعاني ولا تدرك افهامهم جميع معاني الاشياء المحمولة على تلك الالفاظ
ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض فيتوصلون باختيار الافضل من الاحسن من وجوهها
الى ان ياتوا بكلام مثله وانما يقوم الكلام بهذه الاشياء الثلاثة لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم واذا تاملت القران وجدت هذه
الامور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الالفاظ افصح ولا اجزل ولا اعذب من الفاظه ولا ترى نظما احسن
تاليفا واشد تلاوما وتشاكلا من نظمه واما معانيه فكل ذي لب يشهد له بالتقدم في ابوابه والترقي الى اعلى درجاته وقد توجد هذه
الفضائل الثلاث على التفرق في انواع الكلام فاما ان توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد الا في كلام العليم القدير فخرج من هذا
ان القران انما صار معجزا لانه جاء بافصح الالفاظ في احسن نظوم التاليف مضمنا اصح المعاني من توحيد الله تعالى وتنزيهه له في صفاته
ودعا الى طاعته وبيان لطريق عبادته في تحليل وتحريم وحظر واباحة ومن وعظ وتقويم وامر بمعروف ونهي عن منكر وارشاد الى محاسن
الاخلاق وزجر عن مساويها واضعا كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء اولى منه ولا يتوهم في صورة العقل امر اليق به منه مودعا
اخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن مضى وعاند منهم منبئا عن الكوائن المستقبلة في الاعصار الاتية من الزمان جامعا
في ذلك بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك اوكد للزوم ما دعا اليه وانباء عن وجوب ما امر به ونهى عنه
ومعلوم ان الاتيان بمثل هذه الامور والجمع بين اشتاتها حتى تنتظم وتتسق امر تعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق
دونه وعجزوا عن معارضته بمثله او مناقضته في شكله ثم صار المعاندون له يقولون مرة انه شعر لما رأوه منظوما ومرة انه سحر لما
راوه معجوزا عنه غير مقدور عليه وقد كانوا يجدون له وقعا في القلوب وقرعا في النفوس يريبهم ويحيرهم فلم يتمالكوا ان يعترفوا
به نوعا من الاعتراف ولذلك قالوا ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وكانوا مرة بجهلهم يقولون اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى
عليه بكرة واصيلا مع علمهم ان صاحبه امي وليس بحضرته من يملي او يكتب في نحو ذلك من الامور التي اوجبها العناد والجهل انتهى واول
كلامه يميل الى ان الاعجاز بمجرد النظم من غير نظر الى المعنى واخره يميل الى انه بالنظر الى النظم والمعنى معا من الجهة التي ذكرها وهو الذي ينبغي ان يعتقد لكن
في التحدي بسورة واحدة واما باعتبار النظر الى البلاغة في النظم فقط نقله البغوي في سورة هود عن المبرد وقد رايناه مثله في كلام الجاحظ وقال الاستاذ
ابو الحسن الحرالي في مفتاح الباب المقفل الباب الاول في علو بيان القران على بيان الانسان اعلم ان بلاغة البيان تعلو على قدر علو المبين فعلو بيان الله على
بيان خلقه بقدر علو الله على خلقه فبيان كل مبين على قدر احاطة علمه فاذا ابان الانسان عن الكائن ابان بقدر ما يدرك منه وهو لا يحيط به علمه فلا
يصل الى غاية البلاغة فيه بيانه واذا انبأ عن الماضي فبقدر ما بقي من ناقص علمه به كائنا في ذكره لما لزم الانسان من نسيانه واذا اراد ان ينبئ عن الاتي لم
اعوزه البيان كله الا ما يقدره او يزوره فبيانه في الكائن ناقص وبيانه في الماضي انقص وبيانه في الاتي ساقط بل بيد الانسان بجراءته وبيان الله
سبحانه عن الكائن بالغ الى غاية ما احاط به علمه قل انما العلم عند الله وعن المنقطع كونه بحسب احاطته بالكائن وسبحانه من النسيان لا يضل ربي ولا
ينسى وعن الاتي بما هو الحق الواقع فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق والمبين الحق الذي لا يوهن بيانه ابهام نسبة النقص الى بيان
الانسان تهمه نفسه في البيان ويخاف ان ينسب الى العي فيقصد استغراء البيان ويضعف مفهوم بيانه ضعفا من مقصده ومفهوم بيان القران
اضعاف اضعاف اياته وقل ما ينقصه عن نظيره انتهى وقال الامام محمد بن عبد الرحمن المراكشي الاكمه في شرح نظمه لمصباح ابن مالك في المعاني
والبيان ما يصلح ان يكون متنا وجملة وما تقدم شرح له وتفصيل فان الجهة المعجزة في القران تعرف بالتفكر في علم البيان وهو كما اختاره جماعة
في تعريفه ما يحترز به عن الخطا في تادية المعنى وعن تعقيده وتعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال لان جهة اعجازه
ليست مفردات الفاظه والا لكانت قبل نزوله معجزة ولا مجرد تاليفها والا لكان كل تاليف معجزا ولا اعرابها والا لكان كل كلام معرب معجزا
ولا مجرد اسلوبه والا لكان الابتداء باسلوب الشعر معجزا والاسلوب الطريق ولكان هذيان مسيلمة معجزا ولان الاعجاز يوجد دونه اي الاسلوب
في نحو فلما استياسوا منه خلصوا نجيا فاصدع بما تومر ولا بالصرف عن معارضته لان تعجبهم كان من فصاحته ولان مسيلمة وابن المقفع والمعري
وغيرهم قد تعاطوها فلم ياتوا الا بما تمجه الاسماع وتنفر منه الطباع ويضحك منه في احوال تركيبه وبها اي بتلك الاحوال اعجز البلغاء واخرس
الفصحاء فعلى اعجازه دليل اجمالي وهو ان العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها احرى ودليل تفصيلي مقدمته التفكر في خواص تركيبه ونتيجته
العلم بانه تنزيل من المحيط بكل شيء علما انتهى وسياتي ان شاء الله تعالى في اواخر العنكبوت ما ينفع هنا واشار سبحانه في تحديه بهم بقوله اعجازا
وتخويلا لاهل العناد لا عنايته عن ان يقال فاتركوا عنادكم لئلا تخذلوا بالنار التي صفتها كذا **فاتقوا النار** هي كما قال الحرالي جوهر لطيف يفرطه
لشدة لطافته في تفريط المتجمد بالحر المفرط وفي تفريط المتميع بالبرد المفرط وقال غيره جسم لطيف مضي حار من شانه ان يحرق **التي وقودها**

اي الشي

اي الشيء الذي توقد وتتاجج به **الناس والحجارة** التي هي اعم من اصنامهم التي قربوا بها انفسهم في الدنيا الى انهم لم يقدروا على المعارضة واستمروا
على التكذيب كانوا معاندين ومن عاند استحق النار والى انهم اذا احرقوا فيها اوقد عليهم باصنامهم تعريفا بانها وان كانت في الدنيا لا تضرهم ولا تنفعهم
باعتبار ذواتها فهي في الاخرة تضرهم بلا نفع بشفاعة ولا غيرها وتعريف النار ووصلها الموصول لان اخبار القران بعد ثبوت انه من عند الله
معلومة مقطوع بها فهو من باب تنزيل الجاهل منزلة العالم تنبيها على ان ما جهله لا يجهله احد وقال الحرالي الحجارة ما تحجر اي اشتد تضام اجزائه
من الماء والتراب والعوا اي توقفوا عن هذه التفرقة بين الله ورسوله حيث تدعون الربوبية وتتوقفون في رسوله فالنار معلق للعذاب
باشد التفريق لالطف الاجزاء الذي هو معنى الحرق لمن فرق وقطع ما يجب وصله اي لما اتكم التقوى بداعي العلم فلا تفتكم التقوى
بسائق المرجع المخصوص المناسب هنا به لفعلكم فان لها نارا غذاؤها واشتعالها بما يكون كله انما هو تركيبا وهم الناس الملابسون لما رجحها
بالنوس واطرافه واحدا وهو الحجارة فهي تسع ما بين ذلك من باب الاولى وفيه اشعار بمنتها وقوتها وانها تحكم هذا الوسع لانضاف
تخلق بعين وليست كنار الدنيا التي عمدها او غذاؤها من ضعيف المولد وهو النبات ولا تفعل في الطرفين الا بواسطة وكان غذاؤها وقودها
النبات اذ كانت منعقدة منه كما قال الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وتقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وذلك على
حكم ما تحقق ان الغذاء للشيء مما منه اصل كونه وقال وقودها لان النار اشد فعلها في وقودها لان بتوسطه تفعل فيما سواه فاذا كان
وقودها مما كانت فيه اشد عملا لتقويها به عليه وبفهم اعتبارها بنار الدنيا ان افهم احماها اعمال الجزئين بها ومن كونهم فهم منها ما ه
مخلوق وهما معتمدون الا انها منطفية الظاهر في الدنيا فاتجة في يوم الجزاء ونال كل جزء منها بمقدار ما في كونه من جوهرها قلت
ويوبخ ان المعتدين كانوا اخوان الشياطين اي في ان الغالب عليهم العنصر الناري المقتضي للطيش الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين
تؤزهم ازا قال وفي ذكر الحجارة ايهام بعموم البعث والجزاء المحتوية السماء والارض وان كل شيء ليس الثقلين فقط يعمه القسمين الجنة والنار وكما
عم القسمين للخبيث والطيب وانما اقتصر في مبدأ اعقيدة الايمان على الايمان ببعث الثقلين وجزائهم تيسيرا واستفتاحا وما سوى ذلك
لمن زيادة الايمان وتكامله كما قال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ومن العلماء من وقف بايمانه على بعث الثقلين وجزائهم حتى ان منهم من نكر
جزاء سوائها وتكلف تاويل مثل قوله صلى الله عليه وسلم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء انتهى ولما تم ذلك وكان الناس عاما للكافر
وغيره كان كانه قيل هذه النار لمن فقيل **اعدت** اي هيئت واكملت قبل الان من استعمالها وبناه للمجهول لان المنكي اذا جهل فاعله كان انكا
للكافرين فبين انها موجودة مهيأة لهم ولكل من اتصف بوصفهم وهو ستر ما ظهر من ايات الله قال الحرالي وهي على الملك الديان
لهم بمنزلة سيف الملك من ملوك الدنيا انتهى ولما ذكر ما لهم ترهيبا اتبعه ما للمؤمنين ترغيبا فقال صارفا وجه الخطاب بالامر
الى نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم عاطفا على ما تقديره فانذرهم بذلك ولكنه طواه لان السياق للاستعطاف على لسان نبي الرحمة
وبشر والبشرى قال الحرالي اظهار غيب المسرة بالقول **الذين امنوا** اي صدقوا الرسل **وعملوا** قال الحرالي من العمل وهو فعل بني على علم او زعم
الصالحات من الاقوال والافعال قال الحرالي جمع صالحة وهو العمل المتحفظ به من مداخل الخلل فيه واذا كانت البشرى لهؤلاء فالمؤمنون
احق بما فوق البشرى وانما يبشر من يكون على خطر والمؤمن مطمئن فكيف بما فوق ذلك من رتبة الاحسان الى ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا بما له علم نفس ولا خطر على قلب بشر ولما ذكر المبشر اتبعه المبشر به فقال **ان لهم جنات** اي متعددة قال الحرالي لتعدد رتب افعالهم
التي تطابق الجزاء نوعها وتعددها كما قال عليه السلام للتي سالت عن ابنها انها جنان وان ابنك اصاب الفردوس الاعلى وفي التعبير بلهم
اشعار بان ذلك الذي لهم ينبغي لجانبه بذواتهم ليحصل به من كمال امرهم وصلاح حالهم نحو ما يحصل بكمال خلقهم ونموهم الجنات مبتهجات
للنفوس بجمع ملاذ جميع حواسها تجن المتصرف فيها اي تخفيه وتجن وارثها مزيد ادامها انتهى ثم وصفها بانها **تجري** قال الحرالي من الجري وهو
اسراع حركة الشيء ودوامها **من تحتها** اي من تحت غرفها والتحت ما دون المستوى **الانهار** جمع نهر وهو المجرى الواسع للماء انتهى فاسناد الجري اليها
مجاز والتعريف لما عهده السامع من الجنس ويحتمل ان يكون المعنى ان ارضها منبع الانهار فتحت كل شجرة وغرفة منبع نهر فهي لا تزال غضة
يانعة متصلة الزهور والثمرة كما يجلب اليه الماء وربما انقطع في وقت فاختل بعض امره قال الحرالي واذا تعرف حال العامل من وصف جزائهم
علم ان اعمالهم كانت مبنية على الاخلاص الذي هو حظ العاملين من التوليد الذي المائية انتهى ولما كانت الجنان معروفة بالثمار ساق وصفها
بذلك مساق ما لا شك فيه خلاف جري الانهار فقال **كلما** وهي كلمة تفهم تكرار الامر في عموم الاوقات **رزقوا منها من ثمرة رزقا** اي ثمرة كانت
رزقا قالوا لكونه على صورة ما في الدنيا **هذا** اي الجنس لاستحكام الشبه **الذي رزقنا من قبل** اي في الدنيا ولما كان الرازق معلوما ولم
يتعلق بمعرفة الاتي بالرزق غرض بناه للمجهول فقال تعالى عاطفا على ما تقديره لانا خلقناه على شكل ما كان ليكونوا به اغبط ولمزيته اعرف
وله اقبل واليه اميل موحدا للضمير اشارة الى انه لاستحكام الشبه كانه واحد **واتوا به** اي جيء لهم بهذا الجنس المرزوق لهم في الدارين
في الجنة من غير تطلب وتشوف حال كونه **متشابها** اي مطلق اللون والجنس ليظن انه متشابه في الطعم فيصير تفضله في ذلك بالذوق نعمة
اخرى والتشابه المراد هنا اشتراك في ظاهر الصورة والاتيان باداة التكرار على ان الشبه يزداد عظمة مرة في كل مرة فيعظم ازدياد العجب
وجعل الحرالي هذا خاصا بثمار الجنة فقال من قبل اعلام بان اشخاص ثمر الجنة واحادها لا تتمايز لانها على صورتها لا تتفاوت بالعلو والدنو
ولا بتراخي زمان عودها فهي تخلف لان قطعها ولا تتمايز صورة المقطوف من الخالف حتى يظن القاطف ان المخلف عين الاول بحال ثمر
الجنة كحال الماء الذي هو اصله وبسرعة الخلف من ثمر الجنة وانه متصل جريه الوجود قال عليه السلام في عنقود من ثمرها لو اخذته لاكلتم
منه ما بقيت الدنيا ويشعر ذلك عند اعتبار العمل به بان نياتهم في الاعمال صالحة ثابتة مرابطة حتى جزوا بها هذا الاتصال

غذاؤها

المفسد لماله

وقد روي نحو عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره

وكمال الصورة في الذوق ومنه سنة المؤمن خير من عمله والنواية متشابها بما اظهر عند وهم في يوم اتحاد الثمر وعرف باستتبهم من الغنا لانه لو تفاوت
تبعه الكراهة للادنى وتكلف الاشتغال للاعلى وذلك انما هو لائق بكبد الدنيا لا بنعيم الجنة وقد ذكر بعض العلما اطراد هذا التشابه في ثمر
الجنة وان اختلفت اصنافه وبضعفه مايلزم منه كمال الدلالة في المعنى والصورة في نحو قوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان وما يجري مجراه انتهى
ولما ذكر المسكن الذي هو محل اللذة واتبعه المطعم المقصود بالذات وكانت لذة الدار لا تكمل الا بالانس الجار لا سيما المستمتع به قال
ولهم فيها اي مع ذلك ازواج ولما كن على خلق واحد لا نقص فيه اشار اليه بتوحيد الصفة واكد ذلك بالتعبير بالتفعيل اعلاما
بانه عمل فيه عملا ما بالغ فيه بحيث لامطمع في الزيادة فقال مطهرة قال الحرالي والزوج ما لا يكمل المقصود من الشي الا معه على نحو من الاشتراك
والتعاون والتطهير تكرار اذهاب مجتنب بعد مجتنب عن الشي ولما ذكر تعالى الرزق المستثمر من اعمال الذين امنوا وصل به ذكر الازواج والتطهير
المستثمرة من حال نفوسهم من حسن اخلاقها وجمال صورتها الباطنة في الدنيا وكانت المراة زوج الرجل لما كان لا يستقل امره في النسل والكون
الا بها انتهى ولما كان خوف الزوال والانتقال الى ادنى منغصا فلا تدوم اللذة الا مع الاستقرار وكان هذا الوصف عاما في جميع الجنان العلي
وغيرها قال مقدما للجار اشارة الى انهم لا يكونون في جنة الا وهذه صفتها وان نعيمهم لا اخر له وهم فيها خالدون والخلود طول الاقامة
بالقرار وسياق الامتنان اغنى عن تقييده بالتابيد والدوام ولما ثبت بعجزهم عن المعارضة ان هذا الكلام كلامه سبحانه ثبت ان ما فيه
من الامثال اقواله فتهددهم في هذه السورة المدنية على العناد وتلاه بالاية التي اخبر فيها بان ثمار الدنيا وازواجها وان شابهت ما في
الجنة بالاسم وبعض الشكل تفقد بما فيه بالطعوم والطهارة وما لا يعلمه حق علمه الا الله تعالى فاضمحلت نسبتها اليها وكان في ختم الاية
بالخلود اشارة الى ان الامثال التي هي احسن كلام الناس وان شابهت امثاله سبحانه في الاسم ودوام الذكر فلا نسبة لها اليها لجهات
لا تخفى على المنصف فلم يبق الا طعنهم بانها لكونها بالاشيا الحقيرة لا تليق بكبريايه فبين حسنها ووجوب الاعتداد بها وانعام النظر فيها بالاناة
لعدم الاستحيا من ضربها لكونها حقا الى ان الاشيا كلها وان عظمت حقيرة بالنسبة الى جلاله وعظمته وكماله فلو ترك التمثيل بها
لذلك لانسد ذلك الباب الذي هو من اعجب العجاب فقال تعالى على طريق الاستنتاج من المقدمات المسلمات واكد سبحانه
دفعا لظن انه يترك لما لبسوا به الامثال التي هي اكشف شي للاشكال واجلى في جميع الاحوال وقال الحرالي لما كانت الدعوة تخرج مع
المتوقف فيها والابي لها الى تقريب الفهم بضرب الامثال وكانت هذه الدعوة جامعة الدعوات وصل بها هذه الاية الجامعة لاقامة
الحجة في ضرب الامثال وان ذلك من الحق سبحانه والله لا يستحيي من الحق وليتم ذكر ما تضمنه صدر السورة من الحروف التي انزل عليها القران
لينتظم بها الذي هو حرف المثل وبين تعالى ان مقدار الحكمة الشاهد للممثل في البعوضة وفيما هو اظهر للحس واحد في العلم وانما يجب
الالتفات للقدر لا للمقدار ولوقع المثل على ممثله قل او جل دنى او علا فتنزه تعالى عما يجرح للخلق عند ما بينا من بواطنهم وهمهم ان
يظهروا امرا يتوهمون فيه نقصا فيرجحهم ذلك عن اظهاره قولا او فعلا انتهى فقال تعالى ان الله اي المحيط بكل شي جلالا وعظمة وكمالا
لا يستحيي اي لا يفعل ما يفعله المستحيي من ترك ما يستحيي منه والحيا قال الحرالي انقباض النفس عن عادة انبساطها في ظاهر البدن لمواجهة ما تراه نقصا
حيث يتعذر عليها الفرار بالبدن ان كلمة مدلولها امر اجريت عليه حقيقة باطن من ذاته وعلمه يتصل بها ما يظهرها وسيبويه رحمه الله يراها اسما
وعامة النحاة لانبهام معناها عليهم يرونها حرفا يضرب من ضرب المثل وهو وقع المثل على الممثل لان اصل الضرب وقع شي على شي والمعنى ان يوجد
الضرب متجددا مستمرا وهذا لا يتاتى بان يقال من ضربه مثلا فانه يصدق بمثل واحد سابق او لاحق وتحقيقه ان المصدر لا يفهم الا كمال
الحقيقة من غير نظر الى زمان ولا غيره واما الفعل فانه يفهم ايقاع الحقيقة من غير نظر ايضا الى زمان ويفهمها مع النظر الى الزمان مع التجدد
والاستمرار ومع كمال الحقيقة وقبل كمالها عند الشروع فيها والى هذا القيد يشير قول الحرالي ان الحيا من ان يضرب المثل استحيا من وقعه في الاخير
الباطن والحيا من ضربه المثل استحيا من اظهاره بالقول فنفي الاصل الابلغ الذي ينفيه يكون نفي الضرب احق فليراجع هذا المعنى مع تكرار كلمة
ان فانها كثيرة الدور في القران جليلة قدر المعنى في مواقعها وانما يجري على ترك الالتفات الى موقع معناها ما يقوله النحاة في معنى التقريب
ان ان والفعل في معنى المصدر والواجب في الاعراب والبيان الافصاح عن ترتب معانيهما وعند هذا التجب ان يكون ان اسما والفعل صلتها مثل
من وما مثلا ما مثل امرا ظاهرا للحس ونحوه يعتبر به امر خفي يطابقه فيتفهم معناه باعتباره وما في نحو هذا الموقع لمعنى الاستغراق فهي هنا
لشمول الادنى والاعلى من الامثال انتهى ثم بين ذلك بقوله بعوضة وقال الحرالي ولما كان ضرب المثل متعلقا بمثل وممثل كان الضرب واقعا عليهما
فكان لذلك متعديا الى مفعولين مثلا ما وبعوضة والحيوان جنس معروف من ادنى الحيوان الطائر مقدارا وفيه استقلال وتمام خلقه بشعوره
معنى البعض الذي منه لفظه لان البعض يوجد فيه جميع اجزا الكل فهو بذلك كل فما فوقها اي من معنا يكون اظهر منها والفا تدل على ارتباط
ما اما تعقيب واتصال او تسبيب تفيد هنا اعلاما بان قرب ما يليه على الاتصال والتدريج الى ما يكون انتهى والمعنى ان ذلك ان اعتبر بالنسبة
اليه سبحانه كان هو وانتم وغيركم بمنزلة واحدة في الحقارة وان اعتبر بالنسبة اليكم كان الفريقان بمنزلة واحدة في انه خلق حقير ضعيف صغير
من تراب واما شرف بعضه على بعض فانما كان بتشريف الله له ولو شا لعكس الحال ثم ذكر شان قسمي المؤمنين والكافرين بقسمي كل منهم في قبول
امثاله فقال مؤكدا بالتقسيم لانتحال كل من القسمين حال المنكر لما وقع الاخر فاما قال الحرالي كانها مركبة من ان دالة على باطن ذات وما دالة
على ظاهر مبهم يوفى به للتقسيم انتهى الذين امنوا اي بما ذكرنا اول السورة علما فيعلمون علما نافعا انه اي ضرب المثل الحق كائنا من ربهم
اي المحسن اليهم بجميع انواع الاحسان وانه ما اراد بهم الا ترتيبهم بالاحسان يضربه على عوايد فضله فيقولون اذعانا وتسليما امنا به كل من عند ربنا
واما امثال غيره فان لم يكن فيها نوع من الباطل فلا بد فيها من ضرب من التشبيه تكون به غير جديرة باسم الحق ولا عريقة فيه قال الحرالي لما كان

الذين امنوا

الذين امنوا امن بادر فاجاب وكان ضرب المثل تاكيد دعوة وموعظة لمن حصل منه توقف حصل للذين امنوا استبصار بنور الايمان في ضرب المثل فصاروا
عالمين بموقع الحق فيه وكما استبصر فيه الذين امنوا استغلق معناه على الذين كفروا وجهلوه فاستفهموا عنه استفهام انكار ولو تعنا انتهى فلذا قال
واما الذين كفروا اي المجاهرون منهم والمساترون فيجهلون ذلك فيقولون اي قولا مستمرا اعتراضا واستهزا ماذا اي الذي اراد الله الذي هو
اجل جليل بهذا الحقير اي بضربه له مثلا اي على جهة المثلية استهزا او جهلا وعنادا وحقا فالاية من الاحتباك ذكر اولا العلم دليلا على حذف ضده
ثانيا وثانيا الاعتراض دليلا على حذف ضده اولا ثم وصل بذلك ذكر ثمرته عند الفريقين جوابا لسوال من سال منهم فقال يضل به كثيرا اي
منهم بان لا يفهمهم المراد منه فيظنون بذلك الظنون وقال الحرالي وكان اضلالا لهم لان من ضرب المثل ما يسبق لهم استهزاوه نحو الذباب
والعنكبوت الذي استهزوا وضرب المثل به تطرق لهم الى الجهالة فكان ذلك اضلالا لا وقدم الجواب بالاضلال لانه مستحق المستفهم والاضلال
التطريق للخروج عن الطريق الجادة المنجية انتهى ويهدي به كثيرا اي ببركة اعتقادهم الخير وتسليمهم له الامر فيهديهم ربهم بايمانهم فيفهمهم
المراد منه ويشرح صدورهم لما فيه من المعارف فيزيدهم به ايمانا او طمانينة وايقانا والمهديون كثير في الواقع قليل بالنسبة الى الضالين
ولما كان المقام للترهيب كما مضى في قوله فاتقوا النار اكتفى في المهتدين بما سبق من بشارتهم وقال في ذم القسم الاخر وتحذيره
وما يضل به الا قال الحرالي كانها مركبة من ان ولا مدلولها نفي حقيقة ذات عن حكم ما تبديها انتهى الفاسقين اي الخارجين عن العدل
والخير قال الحرالي الذين خرجوا عن احاطة الاستبصار وجهات تلقي الفطرة والعهد الموثق وحسن الرعاية لان الفسق خروج عن
محيط كالكمام للثمرة والجحر للفارة انتهى ثم بينهم بقوله الذين ينقضون من النقض وهو حل اجزا الشي بعضها عن بعض عهد الله ثم
اي الذي اخذ عليهم ما له من العظمة بما ركز فيهم من العقول ونصب لهم من العدل بل والعهد المتقدم في الامر قاله الحرالي ولما كان ثم
المراد عهدا خاصا وهو ارسال الرسل عليهم السلام اثبت الجار فقال من بعد ميثاقه اي بدلالة الكتب على السنة الرسل مع
تقريبه من الفطر وتسهيله للنظر والوثاق شدة الربط وقوة ما به يربط قاله الحرالي ويقطعون ما امر الله اي الملك الاعظم ولما
كان البيان بعد الاجمال اروع للنفس قال به ثم فسره بقوله ان يوصل اي من الخيرات قال الحرالي والقطع الابانة في الشي الواحد والوصل
مصيرا الكثرة مع المكثر شيئا واحدا كالذي يشاهد في اتصال الما ونحوه مع هو اعلام بانهم يقطعون متصل الفطرة ونحوها فيسقطون
عن مستواها وقد امر الله ان يوصل بمزيد علم يتصل لها حتى يصل نشوها الى تمام ما تنتهي اليه وكذلك حالهم في كل امر يجب ان يوصل فيما يؤثر
فيما يطلب فيه الامر الاكمل يضعه الانقص انتهى ويفسدون ولما نص الفعل ليكون اعم قال في الارض اي بالتنكب عن طريق الحق قال
الحرالي ولما كانت الارض موضوعة للنشو منها وفيها وموضع ظهور عامة الصور الوائية اللازمة الجسمية ومحل نشو صورة النفس
بالاعمال والاخلاق وكان الافساد نقض الصور كما قال تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب
الفساد كان تعلقهم فيما من نحو تعلقهم في وضع العقد السببي موضع ضده الاكل والتعصب بما شانه التكملة فكان افسادا لذلك انتهى
ولما كان كانه قيل ان فعل هولا لقبيح جدا فما حالهم قال اوليك اي الابعدون من الصواب هم الخاسرون اي الذين نقصوا الحسن ان عليهم ما
والخسارة النقص فيما شانه النما قاله الحرالي ومن المعلوم ان هذا نتيجة ما مضى من اوصافهم قال الحرالي ولما كان الخاسر من كان عنده راس
مال يرجى له النما والزيادة فنقصه عن سوته بنزوا كان امرهم في الاحوال الثلث المتعرفة حال من نقص ما شانه النما كانوا بذلك خاسرين
فلذلك اختتمت الاية بهذا واشير اليهم باداة البعد لوضعهم في ابعد المواضع عن محل الخير انتهى ولما دعا سبحانه الى التوحيد ودل عليه
وانذر من اعرض وبشر من اقبل وذكر حال الفريقين في قبول الادلة التي زبدتها الامثال وابيها وختم بتصوير الكافرين اقبح صورة
التفت الى تبكيت المدبر لعله يتصور واستمر سبحانه في دلايل التوحيد حتى قامت قيام الاعلام ونفذت نفوذ السهام حتى تخللت صميم
العظام لقد ظهر فلا يخفى على احد الا على اكمه لا يبصر القمرا في اسلوب يشير الى البعث مبينه على التخلص من الخسارة وما ابدع افتتاح ذلك
عقب الخاسرين بقوله على طريق التفات الغضب المستعطف التعجب كيف وقال الحرالي لما تقدمت الدعوة للناس فاجاب مبادر وتوقف
متوقف فضربت الامثال فاستدرك وامن وتمادى متماد على كفره صرف وجه الخطاب عن المواجهة من الحق تعالى واجرى على لسان
لوم وانكار في هذا الاستفهام لايضاح انقطاع العذر في التمادي على الكفر وجا بلفظ كيف لقصور نظرهم على الكيفيات المحسوسة
فان كيف كلمة مدلولها استفهام عن عموم الاحوال التي شانها ان تدرك بالحواس فكانه يقال لهم بمدرك اي حاسة تمادي بكم على
الكفر بالله على ما تقتضيه صيغة الفعل الدايم في تكفرون انتهى وقال بالله اي مع ظهور عظمته وعلوه والانكار الموجب لنفي المنكر كما في قوله
انطير بغير جناح بقيد انه كان ينبغي ان يكون الكفر في حيز الممتنع لما علا ببطلانه وصحة التوحيد من الادلة التي تفوت الحصر وانكار حاله
انكار لوجوده على طريق البرهان لانه اذا امتنع ان يوجد في حال من الاحوال امتنع وجوده مطلقا قال الحرالي واعلى هذا الخطاب فابعدوا
عن تيسيره بذكر اسم الله لما لم يكونوا من اهل قبول التنزل بدعوى اسم الربوبية حيث لم يكونوا ممن اجاب مبادرا ولا تايبا حيثما
تشعر به انه تحقيق ضرب الامثال ولما جرى هذا الخطاب بذكر اسم الله اعقب بذكر الافعال الالهية التي هي غايات من الموت
والاحيا المعروف للذين لا ينكر الكفار امرهما انتهى وكنتم اي والحال انكم كنتم تعلمون انكم امواتا بل مواتا ترابا ثم نطفا قال الحرالي من
الموت وهو حال خفا وغيب يضاف الى ظاهر عالم بتاخر عنه او يتقدمه تنعقد فيه خواص ذلك الظهور الظاهرة انتهى واطلاق
الموت على ما لم تحله حياة مجاز وسر التعبير به التنبيه على انه اكثر ما يكون الاعادة التي ينكرونها مثل الابدا فلا وجه اصلا لانكارها
مع الاعتراف بالابتدا الكيف والاعادة دونه فاحياكم فصرتم ذوي حس ونطق وعقل قال الحرالي وجا بالفا المشعرة بالتعقيب

لما لم يكن لهم معرفة بمهل الموت الذي قبل حياة الولادة والحياة تكامل في ذات ما دناه حياة النبات بالنمو والاهتزاز مع انفراسه الى حياة ما
يدب بحركته وحسه الى غاية حياة الانسان في تصرفه وتضريبه الى ما وراء ذلك من التكامل انتهى ثم يميتكم بعد مد الاعمار والتقليب في الاطوار فاما
انتم اجسادا كالفخار كأن لم تحل بها حياة ساعة قط وبدلتم بعد الانس بكم الوحشة وانسى تحببه التقرب منكم النفرة وتمثيل الموت بما تحمله ان
طلب الملك كأنه يحصل به من الروع ما يكاد يتلف وربما اتلف كان طلب ملك الملوك موجبا للموت قال الحرالي وهذه الاحوال الثلاث اي
الموت المعبر به عن العدم ثم الحياة ثم الموت معروفة لهم لا يمكنهم انكارها واذا صح منهم الاقرار بحياة موت لزمهم الاقرار بحياة موت
اخر لوجوب الحكم بصحة وجود ما قد سبق مثله كما قال تعالى او ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ولذلك من العلم
ان الموت والحياة من درجات متصاعدة فان واذا استوى في الموت الاول احياه فلا بد من استيفاء الموت الثاني احياء ايضا لانه لولا استقبال
الحياة لما كان موتا بل بطلانا وفقدا واضمحلالا لان حقيقة الموت حال غيب بين يدي ظهور والحياة نهاية ثابتة والموت منه اعقب قابل
لجنس الموت كله متنقص ونهاية والحياة ثابتة دائمة ولذلك ورد ما صح عنه صلى الله عليه وسلم في ان الموت يذبح اعلاما بانقضا جنسه
وثبات الحياة ولذلك قدم في الذكر واعقب بالحياة استغرقتهما كلمة ال في قوله خلق الموت والحياة وثبت الخطاب على افراد الحياة والكمال
كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في قوله نعيم الجنة لا اخر له فوجب بظاهر ما احسه الكفار وباطن ما اقتضاه هذا النحو من العلم دونه انتشار
حياة ثانية بعد ميتة الدنيا انتهى ولما كان على البعث والحشر من الادلة ما جعلهما كالمحسوسين عدهما في حيز المعلوم لهم كالاحيا الاول
والموت فقال ثم يحييكم فينشركم بعد طيكم ويبعثكم بعد حبسكم في البرزخ فتكونون كما كنتم اول مرة ذوي قدرة على الانتشار بتلك القدرة
التي ابتدأكم بها واماتكم وهذا لا ينبغي ان يكون لهم في البرزخ احساس بدون هذه الهيئة الكاملة ثم اليه ترجعون فيحشركم بعد طول
الوقوف للجزاء من الثواب والعقاب وفي هذا الكمال قال الحرالي اعلام بانهم ان لم يرجعوا الى الله سبحانه بداعي العلم في الدنيا فبعد مهل من
الاحيا الثاني يرجعون اليه قهرا حيث يبتدأ هدون انقطاع اسبابهم ممن تعلقوا به ويتبرأ منهم ما عبدوه من دون الله وانما جا هنا ثم
المهل بعيد البعث لما بقي لهم من الطمع في شركائهم حيث يدعونهم فلم يستجيبوا لهم فحينئذ يضطرهم انقطاع اسبابهم الى الرجوع الى الله
فيرجعون قهرا وسوقا فحينئذ يجزيهم بما كسبوا في دنياهم كما قال تعالى في خطاب بعد اهل الجزاء واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وهذا اخر خطاب الاقبال عليهم من دعوة الله لهم ولسان النكير عليهم ولذلك كانت اية واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله اخر اية انزلت في القران لانها نهاية ليس وراءه قول بهم اهل الجزاء والرجع عود الشيء عند انتهاء غايته الى مبدا لها
انتهى ولما اجمل سبحانه في اول هذه الاية اول امرهم واوسطه واخره على الوجه الذي تقدم انه منبه على ان الكفر ينبغي ان يكون من قبيل
الممتنع لما عليه من باهر الادلة شرع يفصله على وجه داع لهم الى جنابه بالامتنان بانواع الاحسان بامر اعلى في افادة المقصود مما قبله
على عادة القران في الترقي في الاماثل الى الاعلى فساق سبحانه ابتداء الخلق الذي هو من اعظم الادلة على وحدانيته مساق الانعام على عباده بما
فيه من منافعهم ليكون داعيا الى توحيده من وجهين كونه دالا على عظمة مؤثره وكمال قدرته وكونه احسانا الى عباده ولطفا بهم وقد جبلت
القلوب على حب من احسن اليها فقال هو قال الحرالي بقدرته وكونه احسانا وهي كلمة مدلولها العلي غيب الالهية القايم بكل شيء الذي لا
يظهر لشيء بذاته ابدا غيب وظاهره الاسما المظهرة من علو احاطة اسم الله الى تنزل اسم الملك فما بينهما من الاسما المظهرة ثم قال لما انتهى
الخطاب بذكر ارجاعهم الى الله وكان هذا خطابا خاصا مع المتمادي على كفره انتج عند اعراضه وادباره بهذا الختم تعديدا ذي به
بين اكنافهم وتسبيبا ينبسط لهم ومعد لهم كالموفي له في السبب الذي يراد ان يجذب به ما بان يتدارك لطف فيرجع عليه طوعا او يراد به
قسرا عند انتها مدى ادباره وانتظم بخاتمة الدعوة بحوم ابتدائها الا ان هذه على نهاية الانقطاع بين طرفيها وتلك على اظهر
الاتساق فابعد وانى هذه كل البعد باسناد الامر الى اسم هو الذي هو غيب اسم الله واسند اليه خلق ما خلق لهم في الارض الذي هو
اظهر شيء في الحس انتهى الذي خلق لكم دنيا ودينا لطفا بكم ما في الارض اي بعد ان سواهن سبعا قال الحرالي وقوله جميعا اعلام بان
حاجة الانسان لا تقوم بشيء دون شيء وانما تقوم بكلية ما في الارض حتى لو بطل منها شيء تداعى سايرها انتهى والاية دليل على ان الاصل في
الاشيا الاباحة فلا يمنع شيء الا بدليل ولما كانت السما اشرف من جهة العلو الذي لا يرام والجوهر البالغ في الاحكام والزينة البليغة
النظام المبنية على المصالح الجسام وكثرة المنافع والاعلام بغير في امرها بثم فقال ثم استوى الى السما اي علق ارادته ومشيئته بتسويتها
من غير ان في عدول ونظر الى غيرها وفخم امرها بالابهام ثم التفسير والافراد الصالح لجهة العلو ثنيتها على الشرف وللجنس الصالح للكثرة له
ولذلك اعاد الضمير جميعا فكأن خلق الارض وتهيئتها لما يراد منها قبل خلق السما ودحوها بعد خلق السما على ان ثم للتعظيم لا للترتيب
فلا اشكال وتقديم الارض هنا لانها ادل لشدة الملابسة والمباشرة وقال الحرالي اعلى الخطاب بذكر الاستوا الى السما الذي هو
موضع التخوف لهم لنزول المخوفات منه عليهم تقبيل لهم هذا المحل الذي تخافون منه هو استوى اليه وجرى لفظ الاستوا في الرتبة والمكانة
احق بمعناه من موقعه في المكان والشهادة وبالجملة فالاحق بمجرى الكلم وقوعها نبأ عن الاول الحق ثم وقوعها نبأ عما في امره وملكوته
ثم وقوعها نبأ عما في ملكه واشهاده فلذلك حقيقة اللفظ لا يصلح ان يختص بالمحسوسات البادية في الملك دون الخفايا التي من
ورائها من عالم الملكوت وما به ظهر الملك والملكوت من نبأ الله عن نفسه كمن الاستوا لو صح مستعمله عن نفسه احق حقيقة ثم النبأ به
عن الروح مثلا واستوائها على الجسم ثم على الراس مثلا واستوايه على الجثة فليس تستحق الظواهر حقايق الالفاظ على بواطنها بل كانت مثل
البواطن احق باستحقاق الالفاظ وبذلك يتبدى نم كثير من لبس الخطاب على المقتصرين بحقايق الالفاظ على محسوساتهم فسواهن الى
التسوية اعطا اجزا الشيء حظه لكمال صورة ذلك الشيء سبع سموات اعطى كل واحد منهن حظها واوحى في كل سما امرها انتهى وخلق

جميع

جميع ما فيهما لكم ثم لا نية من الاحتباك حذف اولا كون الاراضي سبعا للدلالة الثاني عليه وثانيا كون ما في السما لنا للدلالة الاول عليه وهو
من عزيز نفيس وقد جمعت فيه كتابا حسنا ذكرت فيه تعريفه وماخذه من اللغة وما حضرني من امثلته من الكتاب العزيز وكلام الفقها وغيرهم
الادراك لفن الاحتباك ولما كان الخلق على هذه الكيفية دالا بالبديهة على تمام قدرة لصانعه وكان العلم بان مبنى ذلك على العلم محتاجا الى
تامل عقبه في مقطع الاية بقوله وهو بكل شيء عليم اي فهو على كل شيء قدير ولما ذكر الحياة والموت المستلزمين نفيهما على القدرة على ما اتبعهما
به من البعث ثم دل على ذلك ايضا بخلق هذا الكون كله على هذا النظام البديع وختم ذلك بصفة العلم ذكر ابتدا خلق هذا النوع البشري فضلهم
المودع في صفة العلم ما ظهر به فقوله تعالى عطفا على قوله اعبدوا ربكم وبيانا لقوله رب العالمين اذ من ابتداه تعلم العودة لمن تدبر او يكون
عطفا على ما تقديره اذكر هذا لهم وذلك انه سبحانه لما خاطبهم بهذا الاستفهام الذي من معانيه الانكار ذاكرا الاسم الاعظم الذي هو اعلى
الاسما وابطنها غيبا والضمير الذي هو ابطن منه واتبعه بعض ما هم له منكرون او به جاهلون واشار بقوله لكم مسببة فيما هو ظاهر عندهم
ومخفوفة بما هو خفي عنهم كما نبه عليه في الاحتباك الى انه لم يخلق هذا النوع البشري للعنا بل للبقا بما ابان عن انه انما خلق جميع ما في هذا آلاكوانهم
الكون لاجلهم فالبعض رزق لهم والبعض اسباب له والبعض يخدم لابيهم وهم في صلبه وكلهم بهم في حفظ اعمالهم وسائر ارزاقهم ونفخ
ارواحهم وغير ذلك من تربيتهم واصلاحهم لم يكونوا اهلا لفهم هذا الخطاب حق فهمه تلقيا عن الله لعلوه سبحانه وعلو هذا
الخطاب بالاسما الباطنة وما نظم بها من المعاني اللايقة بها علوا وغيبا فاعلم سبحانه بعطف او على غير ظاهر انه معطوف على نحو اذكر
لهم ايها الرسول هذا لانه لا يفهمه حق فهمه غيرك سواك وثم الى الفهم عنك انزلت واذ اي واذكر ما اتفق اذ وحذف هذا المعطوف
عليه لاحتمال المامور بذكره الانكار والنسيان لابراد الرفق والبشارة على لسانه صلى الله عليه وسلم استعطافا لهم اليه وتحبيبا فيه
وفي حذفه ايضا والدلالة عليه بالعاطف حث على تدبر ما قبله تنبيها على جلالة مقداره ودقة اسراره ولما علمت الاشارة لكن لاهل
البصارة انتهى قصة ادم عليه السلام دليلا ظاهرا ومثالا بينا لخلاصة ما اريد بهذه الجمل مما نبه عليه بالعاطف من ان النوع الادمي
هو المقصود بالذات من هذا الموجود وانه لا يجوز في الحكمة ان يترك بعد موته من غير احيا يرد به الى دار لا يكون في شيء من امورها من
احد نوع من الخلل وتكون الحكمة فيما ظاهره حد الاختفا بها اصلا فيظهر الحمد اتم ظهور ولذلك ذكر تفضيل ادم عليه السلام بالعلم ثم
باسجاد الملايكة له ثم باسكانه الجنة ثم تلقي اسباب التوبة عند صدور الهفوة وقد روى البيهقي في اواخر الدلايل والحارث بن ابي
اسامة والحاكم في المستدرك عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال ان اكرم خليقة الله على الله ابو القاسم صلى الله
عليه وسلم قلت رحمك الله فاين الملايكة فنظر الي وضحك فقال يا ابن اخي وهل تدري ما الملايكة انما الملايكة خلق كخلق الارض وخلق السما خلق
وخلق السحاب وخلق الجبال وخلق الرياح وساير الخلايق التي لا تعصي الله شيئا وان اكرم الخلايق على الله ابو القاسم صلى الله عليه وسلم وقال
البيهقي انه ليس بموقوف بل حكمه الرفع وقال الحرالي لما جعل الله تعالى نور العقل هاديا الى ايات ما ظهر في الكون وكان في الخلق مهتد به
ومعرض عنه بعث الله النبيين مبشرين لمن اهتدى بنور العقل بمقتضى الايات المحسوسة وتلك هي الحنيفية والملة الابراهيمية
ومنذرين لمن اعرض عن ذلك وشغلته شهوات دنياه فترتب لذلك خطاب الالباب بين ما يخاطب به الاعلين المهتدين وبين ما يخاطب
به الادنين المعرضين وكذلك تفاوت الخطاب بمثل ما يخاطب به ايمة المهتدين والمومنون بهم فكان اعلى الخطاب ما يقبل على امام الايمة
وسيد السادات واحظى خلق الله عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم فكان اولى الخطاب بام ذلك الكتاب انبا لا على به وانبا له من الذكر
الاول كما قال عليه السلام اوتيت البقرة وال عمران من الذكر الاول وهو اول مكتوب حين كان الله ولا شيء معه وكتب في الذكر كل شيء
تخاطبه الله عز وجل بما في الذكر الاول وانزله قرانا ليكون اخر المنزل الخاتم هو اول الذكر السابق ليكون الاخر الاول في كتابه كما هو
في ذاته لمن كان الخطاب الاول من اعلى خطاب انه لمحمد صلى الله عليه وسلم استظهر به ما هو ادنى خطاب من ايات الدعوة تنبيها لمن له
اعرض عن الاستضاءة بنور العقل لما بين الطرفين من تناسب التقابل ثم عاد وجه الخطاب اليه صلى الله عليه وسلم بما هو اعلام بحال … له بغايب
الماضي عن كاين الوقت من امر ابتدا استفاوضة الحق ملايكته في خلق ادم ليكون ذلك ترغيبا للمبشرين في علو الرتب الى التكامل كما كانت
اية الدعوة تنبيها للمعرضين ليعودوا الى الاقبال وخصوص الانزال انما هو في الانبا بغيب الكون من ملكوته وغايب ايام الله لما …
ومنتظرا ايام الله الاتية فذلك الذي يخص المهتدين بنور العقل ليترقوا من حد الايمان الى رتبة اليقين وانما يرد التنبيه والتنزيل
بما في نور العقل هداية من اجل المعرضين فكان ما شمله التنزيل بذلك اربعة امورا احدها التنبيه على الايات بمقتضى اسما الله من اسمه
الملك الى اسمه الرحمن الرحيم الى اسمه رب العالمين الى اسمه العظيم الذي هو الله والثاني التنبيه على غايب المنتظر الذي الخلق صايرون
اليه ترغيبا وترهيبا والثالث الاعلام بما مضى من امر الله حمدا للقيم للحمد والانكماش في عبادة الله والرابع التبصير ببواطن كاين الوقت
الذي في ظاهره اعلامه فكان اول التنزيل في هذه السورة امر اول يوم من ذكر الله وهو كتب مقتضى العلم والقدر في قسمه تعالى
عباده بين مومن وكافر ومنافق ثم انزل الخطاب الى انه الدعوة من ورا حجاب الستر لسابق القدر ثم نبه الناس ونبههم على ايات
ربوبيته وحيا اوحاه الله منه اليهم ثم عطف على ذلك اعلاما لا بتدا المفاوضة في خلق ادم عطفا على ذلك الذي يعطيه افهام مورده
هذا الافصاح فكذلك قال تعالى واذ فان الواو حرف يجمع ما بعده مع شيء قبله افصاحا في اللفظ او ابهاما في المعنى وانما يقع
ذلك لمن يعلو خطابه ولا يرتاب في ابلاغه واذا اسم مبهم لما مضى من الامر والوقت قال من القول وهو ابدا صورة الكلم نظما له
بمنزلة ايتلاف الصور المحسوسة جمعا فالقول مشهود القلب بواسطة الاذن كما ان المحسوس مشهود القلب بواسطة العين وغير

ثم قال لما انبا الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بما في الذكر من التقدير الذي هو حسب الشرعة ومظهر به ما انزل من دعوة الخلق الى حكمه فانتظم
ذلك وبقي امر منتظم فتلى بعد ذلك انزال ذكر خلق معطوفا على ذكر خلق اعلى رتبة منه نسبته منه كنسبة الدعوة من جهة ذكر خلق ادم ظاهر حسب ما
عطف عليه وهو والله اعلم ذكر خلق محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو حسب خلق ادم فكانه تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم بامر خلقه له بدا وحي سر
ثم اعلن بما عطف عليه من ذكر خلق ادم وحي علن فيكون امر خلق محمد صلى الله عليه وسلم عند الخاصة كما كان خلق ادم عند العامة ايضا حاو كان
المفهوم اذ كر يا محمد اذ كان في خلقك كذا **واذ قال ربك** اي المحسن اليك برحمة العباد بك الذي حبا ك في اظهار خلق ادم **للملايكة** ما انزل
وتاويل الملبكة عند اهل العربية انه جمع ملاك مقلوب من مالك من الالك وهي الرسالة فتكون الميم زايدة ويكون وزنه معافلة ويكون
الملك من الملك وهو احكام ما منه التصوير ملكت العجين وجمعه املاك تكون فيه الميم اصلية فليكن اسم ملبكة جامعا للمعنيين محتويا من الاصلين
الاصلين فكثيرا ما يوجد ذلك في اسما الذوات الجامعة كلفظ انسان بما ظهر فيه من انه من الانس والنسيان معا وهو وضع الكلام على مقصد
انصح واعلى مما يختص به اللفظ معنى واحدا فللكلام رتبتان رتبة عامة ورتبة خاصة افصح واعلى كلما وكلاما انتهى وله جمع اخر يحذف الها
هذا اخف منه على اللسان كشهرته فكذلك جلوته في جميع القران لاحتمال هاية المبالغة قال الحرالي وفيه اي هذا الخطاب مع ذلك
استخلاص لبواطن اهل الفطانة من ان تعلق بواطنهم باحد من دونه حين ابدى لهم انفراده باظهار ربهم خلقا دون ملبكته الاكرمين
حتى لا تعلق قلوبهم بغيره من اهل الاصطفا فكيف بمن يكون في محل البعد والانفا توطية لقبح ما يقع من بعضهم من اتباع خطوات الشيطان وذلك
لان في كل اية معنى تنتظم به بما قبلها ومعنى تتهيا به للانتظام بما بعدها وبذلك كان انتظام الاي داخلا في معنى الاعجاز الذي لا ياتي الخلق به
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا **اني** ان حرف يفهم توكيدا من ذات نفس المؤكد وعلمه واليا اسم على يخص المضيف الى نفسه الذي يضيف
الاشيا اليه **جاعل في الارض** ولما كانت خلافة ادم عليه السلام كاملة في جميع الارض بنفسه وذريته وحد لذلك مع انه يصح ان
يراد به الجنس فقال **خليفة** الخليفة ذات قايم بما يقوم المستخلف على حسب رتبة ذلك الخليفة منه فهو خليفة الله في كونه ملكه وملكوته
وهم ايضا بعضهم خلفا بعض فهو خليفة بالمعنيين انتهى وجعل بجائزه هذا التذكير في سياق داع الى عبادته وقايد الى محبته حيث تممت
الى هذا النوع الادمي نعمه عليهم واحسانه اليهم قبل ايجادهم فذكرهم ما حاج به ملبكته عنهم وما شرف به اباهم ادم من العلم وامر الملبكة
المقربين بالسجود له ثم ما وقع لابليس معه ومما عيد ان من عبيده فتاب عليه ولم يتب على ابليس مع سبقه له بالعبادة بل اوجب طرده
وابعده بعد فقال تعالى حكاية على الملبكة جوابا لسوال من كانه قال ما قالوا حين اخبرهم سبحانه بذلك **قالوا** طالبين الاطلاع
على الحكمة في ايجاد من يقع منه شر **اتجعل فيها** اي الارض **من يفسد فيها** بانواع المعاصي بالقوة الشهوانية **ويسفك** من السفك
قال الحرالي وهو سكب بسطوة **الدما** اي يغير حقها بالقوة الغضبية لعدم عصمتهم وخلقهم جوفا لانهما تكون واصحاب شهوات
عليهما بانها تكون وكانهم لما راوا صورة ادم تفرسوا فيها ذلك او سالوا عن منافع اعضايه وما اودع فيها من القوى والمعاني فاخبرهم
تعالى بما تفرسوا منه ذلك والدم قال الحرالي رزق البدن الاقرب اليه المحوطة به **ونحن** اي والحال انا نحن وهذا الضمير كما قال
الحرالي اسم القايل المستتبع لمن هو في طوع امره لاجاالفه **نسبح** اي نوقع التسبيح اي التنزيه لك والابعاد عما لا يليق بك ملتبسين
في التسبيح **بحمدك** والحاصل انا نبريك عن صفات النقص حال اثباتنا لك صفات الكمال وحذف المفعول للتعميم وقال الحرالي
التسبيح تنزيه الحق تعالى عند بادية نقص في خلق او رتبة وحمد الله استوا امره علوا وسفلا ومحو الذم عنه والنقص منه وذلك
تسبيح ايضا في علو امر الله فما سبح بالحمد الا اهل الحمد من ادم ومحمد صلى الله عليه وسلم فغاية المسبح الحمد والحمد تسبيح لمن غاية وراء ذلك
الاستوا انتهى **ونقدس** اي نطهر كل شي يقدر عليه من نفوسنا وغيرها **لك** اي لا لغيرك او ضمنا بك او المعنى نوقع التقديس اي التطهير
لك بمعنى انك في الغاية من الطهارة والعلو في كل صفة قال الحرالي القدس طهارة دايمة لا يلحقها خبث ظاهر ولا رجس باطن واللام تعلق
للشي لاجله كان ما اضيف به انتهى ولما تضمن تفرسهم هذا نسبتهم انفسهم الى العلم المثمر للاحسان ونسبة الخليفة الى الجهل المنتج
للاساة اعلمنا سبحانه لنشكره انه حاج ملبكته عنا فبين لهم ان الامر على خلاف ما ظنوا بقوله استينافا **قال اني اعلم** اي من ذلك وغيره
ما لا تعلمون وقال الحرالي واعلم تعالى بما اجرى عليه خلقه من العنا بما ظهر والحكم على الاتي بما مضى حيث انبا عن ملبكته بانهم قضوا
على الخليفة في الارض بحال من تقدمهم في الارض من الجبلة الادلين من الجن الذين ابقى منهم عزازيل وغيرهم ليحقق ان امر الله جديد وانه
كل يوم هو في شان لا يقضي على الاتي وقت بحكم ما فيه ولا بما مضى قبله انتهى والاظهر ما ذكرته انهم انما قالوا ذلك تفرسا بحكم ما ظهر لهم من
صورته ونحو ذلك من علامتهم بانه يجمع فيه بين الشهوة والعقل ومن المعلوم ان الشهوة حاملة على العناد وعلم سبحانه ما خفي عنهم من انه
يوفق من اراد منهم للعمل بمقتضى العقل مع قيام منازع الشهوة والهوى فيتنامى غاية الكمال التي هي فوق درجة العامل بمقتضى العقل
من غير منازع له فيظهر تمام القدرة والله اعلم ولما اعلم سبحانه الملبكة ان الامر على خلاف ما ظنوا شرع في اقامة الدليل عليه فقال
عاطفا على قوله قال **وعلم** اي لاقامة الدليل على ذلك والتعليم تكرار العلم ليثبت لما في جبلة المعلم من النسيان **ادم** من الاديم
وهو جلدة الارض التي منها جمعه وحظ ما فيه من ادم الارض هو اسمه الذي انبا عنه لفظ ادم **الاسما** اي التي للاشيا **كلها** وهي جمع
اسم وهو ما يجمع اشتقاقين من السمة والسمو فهو بالنظر الى اللفظ وسم وبالنظر الى الحظ من ذات الشي سمو وذلك السمو هو مدلول
الاسم الذي هو الوسم الذي تراد به التسمية قاله الحرالي وقال في كتاب له في اصول الفقه الاسم يقال على لفظ التسمية ويقال
على حظ ونصيب من ذوات الاشيا وتلك هي المعروضة على الملبكة واسم التسمية يحاذي به المسمى معلومة من الشي المسمى الذي هو

الاسم المعروض وهو عند ادم علم وعند الملبكة ومن لا يعلم حقيقة الاسم المعروض توقيف ونبا انتهى ولما كان العرض على الملبكة بالغا
في المراد اشار الى تعظيمه بحرف التراخي فقال **ثم عرضهم** اي الاشيا قال الحرالي اظهرهم عن جانب وهو العرض والناحية **على الملبكة**
القايلين لذلك وقال الحرالي لما ذكر تعالى مراجعة الملبكة في خلق هذا الخليفة ذكر ابتداه لهم وجه حكمة علته بما اعلا هذا الخليفة من تعليمه
اياه حقايق جميع الذوات المشهودة لهم على احاطتهم بملكوت الله وملكه شهودا فارا هم احاطة علم ادم بما شهدوا صوره ولم يشهدوا
حقيقته مدلول تسميتها وعلمه حكمة ما بين تلك الاسما التي هي حظ من الذوات وبين تسميتها من النطق ليجتمع في علمه خلق كل
صورة وامره كلمة فيكمل علمه في قلبه على سبيل سمعه وبصره واستخلفه في علم ما له من الخلق والامر وذلك في بد اكونه فكيف بحكم حكمة الله
فيما يتناهى اليه كمال خلقه الى الخاتمة امره فيما انتهى اليه امر محمد صلى الله عليه وسلم مما هو مبهم في قوله تعالى له وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما فابدى الله عز وجل لهم بذلك وجه خلافة علمه وعمله في التسمية اعلا له عندهم وقد جبلهم الله عز وجل مذعنين
مطيعين فانقادوا للوقف لفضل ادم على جميع الخلق وبدى لهم علم ان الله يعلي من يشا بما يشا من خلافة امره وخلقه وتلك الاسما التي
هي حظوظ من صور الموجودات هي المعروضة التي شملها اسم الضمير في قوله تعالى ثم عرضهم واشار اليه هولا كما عرضهم واجرى على الجميع
ضميرهم لاشتمال تلك الكاينات على العاقلين وغيرهم وبالتحقيق فكل خلق ناطق حين يستنطقه الحق كما قال اليوم نختم على افواههم وتكلمنا
ايديهم وتشهد ارجلهم وانما العجمة والجمادية فيما بين الاضافة الى ما بين بعض الخلق وبعضهم انتهى وقال ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي
في كتاب الزينة ويقال ان الاسم ماخوذ من السمو وهو العلو والرفعة وانما جعل الاسم تنويها بالدلالة على معنى الاسم لان المعنى تحت
الاسم هذا قول النحويين والسمة تدل على صاحبها لانهما حرفان سين وميم فالسين من السنا والميم من المجد وهو لب الشي فكانه سمي
اسما لانه يضي لك عن لب الشي ويترجم عن مكنونه وليس شي الا وقد وسمه الله بسمة تدل على ما فيه من الجوهر فاحتوت الاسما
على جميع العلم بالاشيا فعلمها الله ادم وابرز فضيلته على الملبكة عليهم السلام انتهى **فقال** معجزا لهم **انبوني** اي اخبروني اخبارا
عظيما قاطعا **باسما هولا** اي الموجودات بتفرسكم فيها **ان كنتم صادقين** اي فيما تفرستموه في الخليفة وفي انسابه قال الحرالي هذه
الاسما المواطية للتسمية من السمة والاسما الاول هي الحظوظ من الذوات التي المتسم بها هو المسمى ومع ذلك فبين التسمية
والاسم مناسبة مجعول الحكمة بينهما بمقتضى امر العليم الحكيم انتهى **قالوا** متبرين من العلم **سبحانك** اي ننزهك تنزيها يجل
عن الوصف عن ... الا ينسب اليك نقصا في علم او صنع ونبرا اليك مما يلزم قولنا من ادعا العلم لسواك قال الحرالي وفي هذا
المعنى اظهار لفضلهم وانقيادهم واذعانهم توطية لما يتصل به من ابا ابليس انتهى والحاصل انه تفريح بتنزيه الله تعالى عن النقص
وتلويح بنسبته اليهم اعتذارا منهم عما وقعوا فيه ولذا قالوا **لا علم لنا** اي اصلا **الا ما علمتنا** فهو دليل على انه لا سبيل الى علم شي من
الاسما الا بتعليم الله قال الحرالي رد البدء الامر لمن له البدء ولذلك ورد في اثارة من علم من لم يختم علمه بالجهل لم يعلم وذلك الجهل
هو الكي اه من العلم الا ما علم الله انتهى ثم حضوه بما نفوه عن انفسهم فقالوا **انك انت** اي وحدك **العليم** اي العالم بكل المعلومات
الحكيم اي فلا يتطرق الى صنعك فساد بوجه فلا اعتراض اصلا قال الحرالي توكيد وتخليص واخلاص للعلم والحكمة لله وحده وذلك
من ارفع الاسلام لانه اسلام القلوب مما خلاها الحق به فان العلم نور القلوب الذي تحيى به كما ان الما رزق الابدان الذي تحيى به
والحكمة جعل تسبيب بين امرين بعد وبينهما تقاض من السابق واستنادا من اللاحق انتهى واصلها في اللغة المنع من الفساد ولا
يكون ذلك الا عن تمام العلم فلما قالوا ذلك واراد اشهادهم فضل ادم عليه السلام استانف في جواب من كانه قال ما قال لهم عند
ذلك قوله **قال** مظهر الفضيلة العلم الموجبة لشرف العلم **يا ادم انبيهم** اي ليزداد والبصيرة في ان العالم من علمه والسعيد
من اسعده ثم في اي صورة ركبه **باسمايهم** فانباهم بها قال الحرالي ولم يقل علمهم فكان ادم علما بالاسما وكانوا هم مخبرين بها لا معلمين
لانه لا يعلمها من ادم الامن خلقه محيط لخلق ادم ليكون من كل شي فاذا عرض عليه شي مما منه امن علمه عنده فكذلك اختصوا بالانبا
دون التعليم فلكل اسم شي عند ادم عليه السلام بما علمه الله واظهر له علامته في استبصاره الشي اسمان جامعان اسم يبصره من موجود
الشي واسم يذكره الابدا معنى ذلك الشي الى غاية حقيقته ولكل اسم جامع عنده وجوه متعددة تحاذي كل وجه منها بتسمية
تخصه وبحسب تلك الوجوه تكثرت عنده الالسنة وتكثرت الالسن الاعجمية فافصحها واعربها الاسم الجامع وذلك الاسم هو العربي
الذي به انزل خاتم الكتب على خاتم المرسلين وابتدا بما في تخاطبه اهل الجنة الطايفة الخاتمة احاطة البادية حم والكتاب المبين
انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وطابق الختم البدء احاطة لاحاطة انتهى وهذا كما كان ولده
محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم يكلم كل انسان بلغته من قبايل العرب ومن العجم بل ومن البهايم لهم فكان علمه لبعض اللغات
من غير مخالطة لاهلها ولا المام بلسانهم دليلا على علم ساير اللغات لانه لا معلم له الا العالم بكل شي **فلما انباهم** اي اخبرهم اخبارا
عظيما بالحذ بالالباب ولما كانت تفهم وجوب امر الامر في حين تفهم معنى الشرط والظرف قاله الحرالي **باسمايهم** على ما هي عليه
قال الحرالي في التفسير وكتاب له في اصول الفقه هذه التسميات لتلك الاسما التي هي موجودة من الذوات لان تلك لا ينالها
الا العلم وشهود البصيرة وقد جرى ذلك في وراثة في ولد ادم حتى كان رواية وابوه العجاج يرتجلان اللغة ارتجالا ويتعلمها منهم
من سواهم من العرب لان التسمية التي تنالها الانبيا للاسم الذي ينال العلم كالمثل له المحذي لصورة معناه للاذن المناسبة

ومواصلة بين مخصوص التسمية واسمها من الذوات فيعلم ما يحاذي الشي المفرد من منتظم الحروف كما يعلم الواصف ما يحاذي الشي وحاكيه من منتظم الكلم فيحاذيه ويحاكيه الواصف ويحاذيه ويسميه المسمى له بكلمة واحدة وكانه ليس لكل احد منه ان يوصف فكذلك ليس لكل واحد منه ان يسمي وسنه ما جرى من لسنة العامة من النبز والالقاب وقد كان يجب الاكتفا بما في هذه الاية من العلم بيدء امر المسميات عما وقع فيها من الاخلاف بين التوقيف والاصطلاح فقد تبين انها عن علم علمه الله ادم لا عن توقيف كما هو عند الملئكة من ادم ولا عن اصطلاح كما تقيل انتهى **قال** اي الله تعالى منبها مدخول النفي كما هو شان همزة التقرير **الم اقل لكم** فقال **اني اعلم** علما مستمرا لا نقضا له **غيب السموات والارض** فمن اردت تعليمه شيا من ذلك كان عالما به واما غيري فلا طريق له الى معرفة المستقبل الا الفراسة وقد تخطى قال الحرالي فوزهم حتى لا يكون لهم ثانية واعلم بذلك عباده من ولد ادم حتى يستنوا الحكم التسليم لله فيما يبديه من غير تعرض ولا اعتراض لنتم من امن ومنهم من كفر انتهى **واعلم ما تبدون** في كل حين **وما كنتم تكتمون** فيما مضى وفيما ياتي قال الحرالي وفي صيغة تكتمون من الدلالة على تمادي ذلك في كيانهم ما في صيغة تبدون من تمادي بادي ذلك منهم انتهى ولما اخبرنا سبحانه بهذه النعمة على ابينا ضم اليها الانعام بايجاد الملئكة له ونحن في ظهره فقال عاطفا على اذ الاولى وعدل عن الغيبة الى التكلم ثم الى كونه في مظهر العظمة اعلاما بانه امر فصل لا تخفى في المراجعة فيه وقال الحرالي لما انبا تعالى بامر مفاوضة الملئكة وما كان من ادعايهم وتسليمهم لامر الله ولمن علمه الله وهو ادم عليه السلام نظم بذلك نبا انقيادهم لادم فعلا كما انقادوا له علما تماما لكمال حالهم في التسليم علما وعملا فقال تعالى انتهى **واذ قلنا** اي على عظمتنا **للملائكة** اي الذين اكرمناهم بعزتنا **اسجدوا لادم** عبدنا اعترافا بفضله لتفضيلنا له قال الحرالي لجعله بابا اليه وكعبة يجلونه بجلاله تعالى ومحرابا وقبلة يكون سجودهم له سجودا لله تعالى تجاه ادم كسجود ادم لله تجاه الكعبة وظهر بذلك سوابا ابليس عن السجود حين خالفهم في طينته الكيان لان الملئكة خلقت من النور والنور طوع لا يجوده اين ولا تخصه جهة ولان الجان خلقت من نار وهي مما يجوده اين وتختصه جهة لا يرجع عنها الا بقهر ومن قلم ينزل عن رتبة قيامه في جبلته لما وقا الطين حيث لم يشعر باحاطة خلق ادم كما تلقته الملئكة انتهى فبادروا الامتثال **فسجدوا** اي كلهم له كما امرهم الله تعالى **الا ابليس** قال الحرالي من الابلاس وهو انقطاع سبب الرجا الذي يكون عنه الياس من حيث قطع ذلك السبب انتهى فكانه قيل ما فعل فقيل **ابى** من الاباء وهو امتناع عما حقه الاجابة فيه قاله الحرالي **واستكبر** عن السجود له من الاستكبار وهو استجلاب الكبر والكبر بطر الحق وغمص الناس وغمطهم وموجب ذلك استحقار الغير من وجه واستكبار النفس من ذلك الوجه قاله الحرالي **وكان** اي في اصل جبلته بما اتهمه الاستكبار من نسبتنا الى ترك الحكمة [illegible] جورا في امرنا بسجوده لادم وهو على زعمه خير منه **من** وهي كلمة تفهم اقتباس الشي مما جعل منه قاله الحرالي **الكافرين** اي الذين سبق علمنا بشقاوتهم لم يجد دلنا بذلك علم ما لم تكن تعلمه وفي الايات الثلاث يا ايها الناس اعبدوا ربكم وكيف تكفرون بالله واذ قال ربك للملئكة ايضا اشارة الى اختلاف الحال في الخطاب بوصف الربوبية مع الخلص ومع كونهم وفي الخطاب باوصاف الذات وذلك انه تعالى لما بين ان الضالين في حسن امثاله هم الخاسرون عجب بكفرهم اشارة الى شدة ظهوره وانتشار نوره في امثاله وجميع افواله وافعاله وان شهوده في كل اعتبار وضح من ضيا النهار لانه ما ثم الا ذاته وافعاله وصفاته وفي كل شي له اية تدل على انه واحد متجليا عليهم باسم الالهية في افعاله التي هم لها ناظرون ولها عارفون فقال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الى ان قال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الاية وادرج في ذلك امر البعث بقوله ثم اليه ترجعون تنبيها على مستاركته لبقية ما في الاية من الظهور لما تقدم من الاستدلال عليه باخراج الثمرات حين تعرف اليهم بوصف الربوبية الناظر الى العطف والامتنان والتربية والاحسان في ما هنا من افعاله الظاهرة واثاره الباهرة فقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم الى اخرها وختم هذه الاية بوصف العلم الشامل لما تقدم عامه من الدليل ضمن هذا التعجب اشارة الى الاستدلال على كمال الامتثال وتهديدا لمن يستمر على الكفران بعد هذا البيان بانه بمراي منه ومسمع في كل حال فلما نزع من خطابهم بالامور الظاهرة على قدر فهومهم ومبلغ علومهم رقى الخطاب الى رتبة نبيه عليه الصلاة والسلام لترقية البيان الى غيب معاولته لملئكته فقال واذ قال ربك للملئكة اني جاعل الاية فلكل مقام مقال ولكل مخاطب حد في الفهم وحال قال الاستاذ ابو الحسن الحرالي في المفتاح الباب السابع في اضافة الربوبية ونعت الالهية في القران اعلم ان الربوبية اقامة المربوب بما خلق له واريد له فرب كل شي مقيمه بحسب ما ابداه وجوده فرب المومن ربه ورباه للايمان ورب الكافر ربه ورباه للكفران ورب محمد ربه ورباه للحمد ادبني ربي فاحسن تاديبي ورب العالمين رب كل عالم لما خلق له اعطى كل شي خلقه ثم هدى فللربوبية بيان في كل رتبة بحسب ما اظهرته اية مربوبه من عرف نفسه عرف ربه سبح اسم ربك الاعلى فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك اعبدوا ربكم الذي خلقكم لهم اجرهم عند ربهم وقال في الباب الذي بعده تخطاب الاقبال على النبي صلى الله عليه وسلم اعظم افهام في القران الم تر الى ربك كيف مد الظل الاية وهو الذي جعل لكم الليل لباسا الاية تفاوت الخطابين بحسب تفاوت المخاطبين وكما تفتح لاهل التعرف رتب البيان بحسب اضافة اسم الرب فكذلك يتحقق لاهل الفهم وجوه احاطات البيان بحسب النعوت والتبيان في اسم الله غيبا في مستجلى الايات للمومن وغيبا للكامل الموقن وجمعا واحاطة عن بادي الدوام للمحقق الواحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احدا والمنتظر كيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم قل هو الله

احد والتفطن في رتب البيان الى موارد هذا النحو من الخطاب في القران من مفاتح الفهم وبوادي مزيد العلم انتهى وقد اوقع سبحانه ذكر ابتدا الخلق على ترتيب ايجاده له فقد روى مسلم في صحيحه في صفة الجنة والنار والتفسير والنسائي في التفسير من سننه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاث وخلق النور يوم الاربعا وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة من اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وقال المزي في الاطراف قال البخاري في التاريخ وقال بعضهم ابو هريرة عن كعب وهو اصح وما يقال من انه كان قبل ادم عليه السلام في الارض خلق يعصون فاس عليهم الملئكة عليهم السلام حال ادم عليه السلام كلام لا اصل له والذي يدل عليه حديث مسلم هذا كما ترى انه اول ساكني الارض والذي يلوح من اسمه في بديه بالهمزة التي هي اول الحروف وختمه بالميم التي هي احدها وختامها انه اول ساكنيها بنفسه كما انه ختمهم باولاده عليهم تقوم الساعة ورايت في ترجمة للتوراة وهو اولها خلق الله ذات السما وذات الارض وكانت الظلمة فقال الله ليكن النور فكان النور فاراد ان يفرق بين النور والحندس فسمى النور نهارا والحندس مسا ثم قال ليكن جلد وسط الما ويميز بين الما الاعلى والما الاسفل وفي نسخة ليكن سقف بين المياه ليفصل بين الما والما فكان كذلك فخلق الله سقفا وفصل به بين الما الذي تحت الجلد والما الذي فوق الجلد وسمى الله الجلد سما وقال الله لتجتمع المياه التي تحت السما الى مكان واحد ولتظهر اليابسة فكان كذلك فسمى الله اليابسة ارضا وسمى مجامع المياه بحورا وقال لتخرج الارض نبت عشب يزرع منه زرع لحب وشجرا ذات ثمار ثمر لجنسها يغرس منه غرس على الارض فانبعث الارض نبتا عشبا يزرع منه زرع لجوهره وشجر ذات ثمار لجوهرها فقال الله ليكن نيران في جلد السما ليضيا على الارض وليميزا بين النهار والليل وليكونا للايات وللازمان والعدد والايام والسنين فخلق الله نورين عظيمين المصباح الاكبر لسلطان النهار والمصباح الاصغر لسلطان الليل وخلق النجوم وكان المسا والصباح من اليوم الرابع فقال الله ليجئ الما حيوانا ذات انفس حية وليظهر الطير فوق الارض في جو السما فكان كذلك وكان تنانين عظيمة وكل نفس حية تدب في الما لاجناسها وكل طير ذات اجنحة لاصنافها وباركها وقال انموا واكثروا واملاوا مياه البحور وليكثر الطير على وجه الارض وقال الله لتخرج الارض انفسا حية لجنسها دواب وسباع الارض لاجناسها فكان كذلك وخلق الله سباع الارض لاجناسها والدواب لاصنافها وجميع هوام الارض لجواهرها فاراد الله ان يخلق خلقا يتسلط على حيتان البحور وطير السما وعلى الدواب وجميع السباع وعلى الحشرة التي تدب على الارض فخلق ادم بصورته ذكرا وانثى وبارك عليهما وقال لهما انميا واكثرا وتسلطا على حيتان البحور وطير السما والدواب وجميع السباع وقال هانذا قد اعطيتكما جميع العشب الذي يزرع على وجه الارض كلها وكل شجر ذات ثمار تغرس فيها ليكون لكم ماكلا ولجميع سباع البر وطير السما ولكل ما يدب على الارض فيه نفس حية فكان كذلك وكملت السما والارض وجميع ما فيهما في اليوم السادس ولم يكن ظهر على الارض شي من عشب الارض لان الله لم يكن اهبط المطر على وجه الارض بعد وذلك لان ادم لم يكن خلق بعد ليعمل في الارض وينبوع يظهر في فردوس عدن فيسقي جميع وجه الارض فخلق الله الرب ادم من تربة الارض ونفخ في وجهه نسمة الحياة فصار ادم ذا نفس حية وغرس الله الرب فردوسا بعدن من قبل واسكنه لادم وانبت الله كل شجرة حسنة المنظر شهية الماكل وشجرة الحياة وسط الفردوس وشجرة علم الخير والشر وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الفردوس وكان ينفصل من هناك ويفترق على اربعة اطراف اسم احدها سيحون الذي يحيط بجميع ارض الهند وتلك البلاد الكثيرة وذهب تلك الارض جيد جدا هنالك المها وحجر البلور واسم النهر الثاني جيحون الذي يحيط بجميع ارض الحبشة واسم النهر الثالث دجلة الذي يخرج قبالة الموصل والنهر الرابع الفرات فتقدم الرب الى ادم وقال له كل من جميع اشجار الفردوس فاما شجرة علم الخير والشر فلا تاكل منها لانك في اليوم الذي تاكل منها تموت موتا وقال الله لا يحسن ان يكون ادم وحده فنخلق له عونا مثله فجمع الرب من الارض جميع سباع البر وطير السما واقبل بها الى ادم ليرى ما يسميها وكل نفس حية سماها ادم فذلك اسمها فسمى الجميع فالقى الله على ادم سباتا فرقد فنزع ضلعا من اضلاعه واخلف له بدله لحما فخلق الله من الضلع الذي اخذ من ادم امراة فاقبل بها الى ادم فقال هذه الان التي قرنت الي وهي عظم من عظامي ولحم من لحمي فلتدع امراة لانها اخذت من الرجل ولذلك يدع الرجل اباه وامه ويلحق بامراته ويكونان كلاهما جسدا واحدا وكانا كلاهما عريانين ادم وامراته ولا يستحيان وكان الحية اعز دواب البر كلها فقالت الحية للمراة احق ان الله قال لكما لا تاكلا من جميع شجر الجنة فقالت المراة انا لناكل من كل ثمر الجنة فاما من ثمرة الشجرة التي في وسط الجنة فان الله قال لنا لا تاكلا منها ولا تقربا بها لكيلا تموتا قالت الحية لستما تموتان ولكن الله علم انكما ان تاكلا منها تتفتح اعينكما وتكونا كالالهة تعلمان الخير والشر فرات المراة الشجرة طيبة الماكل شهية في العين فاخذت من ثمرها فاكلت واعطت بعلها فاكل فانفتحت ابصارهما وعلما انهما عريانان فوصلا من ورق التين وصنعا مازر ثم ذكر ان الله تعالى سال عن ذلك فقال ادم المراة التي قرنتها معي هي التي اطعمتني من الشجرة فاكلت فقال الله الرب للمراة ما هذا الذي فعلت فقالت المراة ان الحية اغوتني فاطعمتني فقال للحية ملعونة تكونين من جميع الدواب ومن كل ماشية البر وعلى بطنك تمشين والتراب تاكلين كل ايام حياتك واغري العداوة بينك وبين المراة وبين ولدك وولدها ويكون هو يطا راسك وانت تلدغين عقبه وقال للمراة اكثر واجعل احبالك وبالوجع تلدين البنين والى بعلك تردين وهو يسلط عليك وقال لادم من اجل طاعتك امراتك واكلك الشجرة التي نهيتك عنها ملعونة الارض من اجلك بالشقا تاكل منها كل ايام حياتك احاجا وشوكا تنبت لك وتاكل عشب الارض وبعرق جبينك تاكل طعامك حتى تعود في الارض التي منها اخذت من اجل انك تراب والى التراب تعود ودعا ادم اسم امراته حوا من اجل انها كانت ام كل حي

وصنع الله الرب لادم وامراته سرابيل من الجلود والبسهما فارسله من جنة عدن ليحرث الارض التي منها اخذ فاخرجه الله ربنا واحاط
من مشرق عدن ملكا من الكروبيين بيده حربة يطوف بها ليحرث طريق شجرة الحياة ثم قال بعد ذلك فكان جميع حياة ادم تسعمائة وثلاثين سنة
ثم توفي عليه السلام هذا نص التوراة والكروب بوزن زبور بلغة العبرانيين الشخص الصغير فكان الكروبيين الملائكة المنسوبون الى مخالطة
الناس بالوحي اخذا من الكروبيين تثنية كروب وهما شخصان في قبة الزمان كان يسمع كلام الله من بينهما كما بين في قربها فان انكر منكر الاستشهاد
بالتوراة او بالانجيل وعمي عن ان الاحسن في باب المناظرة ان يرد على الانسان بما يعتقد تلوت عليه قول الله تعالى استشهادا على كذب اليهود
قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وقوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه في ايات من
امثال ذلك كثيرة وذكرته باستشهاد النبي صلى الله عليه وسلم بالتوراة في قصة الزاني كما سياتي ان شا الله تعالى في سورة المائدة مستوفى
وروى الشيخان عن ابي سعيد رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكون الارض يوم القيمة خبزة نزلا لاهل الجنة فاتى رجل من اليهود
فقال بارك الله عليك يا ابا القسم الا اخبرك بنزل اهل الجنة يوم القيمة قال بلى قال تكون الارض خبزة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فنظر
النبي صلى الله عليه وسلم الينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه وقريب من ذلك حديث الجساسة في اشباه هذا مما نصدقه كتابنا واما ما
لا نصدقه ولا نكذبه فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حدثوا عن بني اسرايل ولا حرج
ورواه مسلم والترمذي والنسائي عن ابي سعيد رضي الله عنه قال كان اهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل
الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم الاية فان
دلالة هذا السنة مثل ذلك اقرب من الدلالة على غيرها ولذا اخذ كثير من الصحابة رضي الله عنهم عن اهل الكتاب فان ثم احد من الشافعية
منع ايمتهم من قراءة شي من الكتب القديمة مستندا الى قول الامام ابي القسم الرافعي في شرحه وكتب التوراة والانجيل مما لا يحل الانتفاع به
لانهم بدلوا وغيروا وكذا قال غيره من الاصحاب قيل له هذا مخصوص بما علم تبديله بدليل ان كل من قال ذلك علل بالتبديل فدار الحكم
معه ونص الشافعي ظاهر في ذلك قال المزني عنه في مختصره في باب جامع السير وما كان من كتبهم اي الكفار فيه طب وما لا مكروه فيه بيع وما
كان فيه شرك ابطل وانتفع باوعيته وقال في الام في سير الواقدي في باب ترجمة كتب الاعاجم قال الشافعي وما وجد من كتبهم فهو
[illegible]
الله تعالى ولا يجوز الحمل على العموم لا سيما اذا لوحظ قول القاضي الحسين انه يجوز الاستنجا بهما لانه مبني على الوجه القايل بان الكل
مبدل وهو ضعيف او محمول على المبدل منهما لانه لا يخفى على احد ان مسلما فضلا عن عالم لا يقول انه يستنجى بنحو قوله في العشر الكلمات
التي صدرت بها الالواح قال الله جميع هذه الايات كلها انا الرب الهك الذي اصعدتك من ارض مصر من العبودية والرق لا
لا يكون لك الهة غيري لا تعملن شيا من الاصنام والتماثيل التي مما في السما فوق وفي الارض من تحت ومما في الما اسفل الارض لا تسجدن
لها ولا تعبدنها لاني انا الرب الهك اله غيور لا تقسم بالرب الهك كذبا لان الرب لا يزكي من حلف باسمه كذبا اكرم اباك وامك
ليطول عمرك في الارض التي يعطيكها الرب الهك لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد على صاحبك شهادة زور وقد اشبع الكلام في
المسيلة شيخنا حافظ عصره ابو الفضل ابن حجر في اخر شرحه للبخاري واخر ما حط عليه التفرقة بين من رسخ قدمه في العلوم الشرعية
فيجوز له النظر في ذلك فانه يستخرج منه ما ينتفع به المهتدون وبين غيره فلا يجوز له ذلك وايده بنظر الايمة فيهما قديما وحديثا
والرد على اهل الكتابين بما يستخرجونه منهما فلولا جواز ذلك ما اقدموا عليه والله الموفق وقد حررت المسيلة من فن الموضوع من
حاشيتي على شرح الالفية للشيخ زين الدين العراقي فراجعه ان شيت والله الهادي ثم صنفت في ذلك تصنيفا حسنا سميته
الاقوال القديمة في حكم النقل من الكتب القديمة تنبيه اعلم ان التوراة ثلاث نسخ مختلفة اللفظ متقاربة المعنى الا يسيرا احدها
تسمى توراة السبعين وهي التي اتفق عليها اثنان وسبعون حبرا من احبارهم وذلك ان بعض اليونان من ملوك مصر سال بعض ملوك
اليهود ببيت المقدس ان يرسل اليه عددا من حفاظ التوراة فارسل اليه اثنين وسبعين حبرا فاخلى كل اثنين منهم في بيت ووكل
بهم كتابا وتراجمة فكتبوا التوراة بلسان اليونان ثم قابل بين نسخهم الست والثلثين فكانت مختلفة اللفظ متحدة المعنى فعلم انهم
صدقوا ونصحوا وهذه النسخة ترجمت بعد بالسرياني ثم بالعربي وهي في ايدي النصارى والنسخة الثانية نسخة اليهود من الربانين

والعزابين

والعزابين والنسخة الثالثة نسخة السامرة وقد نبه على مثل ذلك الامام السمرقندي في الصحايف واستشهد بكثير من نصوص التوراة
على كثير من مسايل الدين وكذا الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد والقاضي عياض في كتاب الشفا وغيرهم ثم اعلم ان اكثر ما
ذكرته في كتابي هذا من نسخة وقعت الي بخط ادراسم مترجمها وعلى حواشي فصولها الاوقات التي تقرا فيها فالظاهر انها نسخة اليهود وهي قديمة جدا فكان
في الورقة الاولى منها محو في اطراف الاسطر فكملته من نسخة السبعين ثم قابلت نسختي كلها مع بعض اليهود الربانين على ترجمة سعيد الفيومي وهي عندهم
احسن التراجم وكان هو القاري فوجدت نسختي اقرب الى حقايق لفظ العبراني ومترجمها اقعد من سعيد في لغة العرب هذا وظاهر القران في قوله تعالى
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ان الامر بالسجود كان له قبل تمام خلقه وان السجود كان عقب النفخ وبه صرح البغوي في
تفسيره واجاب عن قوله تعالى في سورة الاعراف ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم باجوبة منها ان الخلق والتصوير لادم
وحده وذكره بضمير الجمع لانه ابو البشر فخلقه خلقهم وتصويره تصويرهم ومنها ان ثم بمعنى الواو وليست للترتيب انتهى والتصوير شق له
السمع والبصر والاصابع قاله بيان والتسوية بعد بل الخلق واتمامه وتكميله لنفخ الروح ويمكن ان يكون خلقناكم وما بعده بمعنى قدرنا ذلك
تقديرا قريبا من الاخراج من العدم وبذلك يتضح قوله في التوراة فخلق ادم بصورته ذكرا وانثى ثم ذكر بعد ذلك لان ادم لم يكن خلق بعد
ثم حكى خلقه وخلق زوجه منه فهذا الخلق بمعنى الايجاد وذلك بمعنى التقدير القريب منه والتهيية لقبول الايات الغايات والله اعلم
ومشى البيضاوي على ان الامر بالسجود كان بعد الانبا بالاسما ولم يذكر دليلا يصرف عن هذا الظاهر على ان المشي عليه اولى من جهة المعنى
لان سجود الملايكة عليهم السلام قبل يكون ايمانا بالغيب على ما عرف التكليف واما بعد اظهار فضيلة العلم فقد كشف الغطا وصار
وجه الفضل من باب عين اليقين واما الترتيب في الذكر هنا على هذا الوجه وهو جعل السجود بعد الانبا فهو لنكتة بديعة وهي انه
تعالى لما كان في بيان النعم التي اوجبت شكره باختصاصه بالعبادة لكونه منعما قبل ذلك وان نعمه على كل نفس في خاصتها بخلقهما وانا صنع
الوزن عليها ثم ذكر النعم الكلية تشحلم وهي نعمة لاقرب خلقه اذ ذاك اليه عن ابينا ادم عليه السلام قبل ايجاده اقتضى الاسلوب
الحكيم ان يوضح لهم الحجة في فضيلة هذه الخليقة بذكر ما اتاه من العلم فلما فرغ من محاجتهم بما اوجب اذعانهم ذكر بعده ايضا نعمة
السجود له لما كان تقديم اظهار فضيلة العلم الا محافظة على حسن السياق في ترتيب الدليل على اقوم منهاج واوضح سبيل ولما
فرغ من نعمة التفضيل في الصفات الذاتية بين النعمة بتشريف المسكن مع تخيير زوج من الجنس لكمال الانس وما يتبع ذلك فقال
تعالى وقال الحرالي لما اظهر الله سبحانه فضيلة ادم فيما امتاز به عند الملايكة من علمه وخلافته والاسجاد له واباء ابليس عنه اظهر
تعالى اثر ذلك ما يقابل من احوال ادم حال ما ظهر للملايكة مما فيه من حظ مخالفة يشارك بها اقراطا ما في الشيطان من الاباية
لاحاطة خلق ادم بان يكون كله علوا وسفلا وليظهر فضل ادم في حال مخالفته على ابليس في حال ابايته بما يبيد وعلى ادم من الرجوع له
بالتوبة كحال رجوع الملايكة بالتسليم فيظهر فيه الجمع بين الطرفين والفضل في الحالين حال علمه وحال توبته في مخالفته فجعل تعالى
اسكان الجنة توطية لاظهار ذلك من امره فقال تعالى وقلنا يا ادم اسكن من السكن وهو الهدو في الشي الذي في طيه اقلاق
ان في قوله انت اسم باطن الذات علما هي المشتركة في انا وانت وانت وان تفعل لذا والالف في انا اشارة ذات المتكلم وفي
مقابلهما التا اشارة لذات المخاطب ذكرا وانثى وزوجك الجنة فاجنب لادم ماينها من حسن استخراج امر معصيته ليكون
ذلك توطية لكمال باطنه باطلاعه على سر من اسرار ربه في علم الغيب بره ايمانا ولكمال ظاهره يكون ذلك توطية لفضيلة توبته
اسلاما ليس لتبيه التوبة اثر المعصية مخالفة لاصرار ابليس بعد ابايه وشهادة عليه بجهله في ادعايه وجعل له ذلك فما
هو متنزل عن رتبة علمه فلم تحققه فيه فينه حقيقة على خلافته وابرلت معصيته الى محل مطعمه الذي هو خصوص حال
المرء من جهة اجوفية خليفة لبيد ونقص لاجوف ويبدي ذلك اكتا العمد الذي يطعم ولا يطعم فكان ذلك من تفعله
لنبيها محمد ربه لا يقضي الله لمومن قضا الا كان خيرا له انتهى ولما كان السياق هنا لمجرد بيان النعم استقطا في الموالقدكان له
عطف الاكل بالواو في قوله وكلا منها كافيا في ذلك وكان التصريح بالرغد الذي هو من اجل النعم عظيم الموقع فقال رغدا
اي واسعا دايما طيبا هنيا حيث شيتما اي مكان شيتما بخلاف سياق الاعراف فانه اريد منه مع التذكير بالنعم التعريف به
بزيادة التمكين وانما لم يمنع من الاخراج تحذيرا للمتمكنين في الارض المتوسعين في المعايش من احلال السطوات وانزال المثلات
كما سياتي ان شا الله تعالى ثم المقصود من حكاية القصص في القران انما هو المعاني فلا يضر اختلاف اللفظ اذا ادى جميع المعنى
او بعضه ولم يكن هناك مناقضة فان القصة كانت حين وقوعها باوفى المعاني الواردة ثم ان الله تعالى يعبر لنا في كل سورة تذكر
القصة فيها بما يناسب ذلك المقام من الالفاظ عما يليق من المعاني ويترك ما لا يقتضيه ذلك المقام وسابين ما يطلعني الله
عليه من ذلك في مواضعه ان شا الله تعالى ولما اباح لهما سبحانه ذلك كله اتبعه بالنهي عن شجرة واحدة قال الحرالي واطلق له
الرغد اطلاقا وجعل النهي عطفا ولم يجعله استثنا ليكون ادم اعذر في النسيان لان الاستثنا ام في الخطاب من التخصيص
وقال ولا تقربا ولم يقل ولا تاكلا لحظا عن حماها ليكون ذلك اشد في النهي انتهى هذه ولما كان اسم الاشارة لا دلالة له على
حقيقة الذات افتقر الى بيان ذات المشار اليه فقال الشجرة اي فانكما ان قربتماها اي تناولتماها فتكونا اي بذلك من
الظالمين اي الواضعين الشي في غير موضعه كمن يمشي في الظلام وفي هذا النهي دليل على ان هذه السكنى لا تدوم لان المخلد لا
يناسب ان يعرض للحظر بان يحظر عليه شي ولا ان يومر ولا ينهى ولهذا دخل عليه الشيطان من جهة الخلد ولا داعي لبيان نوع الشجرة

لان السياق لبيان شوم المخالفة وبركة التوبة لا لتعيين المنهي عنه فليس بيانه حينئذ من الحكمة ثم بين انهما اسرعا المواقعة بعقوبة خلقهما على طباع الشهوة لما نهيا عنه فقال **فازلهما** قال الحرالي من الزلل وهو تزلق الشي الذي لا يستمسك على الشي الذي لا يستمسك فيه كتزلل الزلال عن الودق وهو ما يجتمع من الطل فيصير ماء على الاوراق والازهار واذا لهما من الزوال وهو التنحية عن المكان او المكانة وهو المعبر بنا حية منه **الشيطان** فهو مما اخذ من اصلين من الشطن وهو البعد الذي سمي الحبل الطويل ومن الشيط الذي هو الاسراع في الاحتراق والسمن فهو من المعنيين مشتق كلفظ انسان وملبكة **عنها** اي عن مواقعة الشجرة وعن كلمة تقتضي المجاوزة عن سبب ثابت كقولهم رمت عن القوس وتحقيقه فاصدر الشيطان زللهما اوزوالهما عنها **فاخرجهما** اي فتسبب عن ايقاعهما في الزلل انه نشأ عن تلك المواقعة انه اخرجهما **مما كانا فيه** من النعمة العظيمة التي تجل عن الوصف قال الحرالي في كلمة تقتضي وعاء مكان او مكانة ثم قال انبا الله عز وجل بما في خبء امره مما هو من وراء علم الملبكة بما اظهر من امر ادم عليه السلام وبما ورا ادم بما ابدى من حال الشيطان باستزلاله لادم حسن ظن من ادم بعباد الله مطلقا حين قاسمهما على النصيحة وفيه انتظام بوجه ما بتوقف الملبكة في امر خلق ادم لحذرت الملبكة الى الغاية لجا من ورا حذرها حمد اظهره الله من ادم وجا من ورا حسن ظن ادم ذنب اظهره الله من الشيطان على سبيل سكن الجنة من من فيهما على سكنها بما اظهر له بما فيهما من خبء الشجرة التي اطلع عليها ثم قال وحكمة ذلك اي بسبب هذا الذنب الشيطان بتسببه ان الله عز وجل يعطي عباده بواسطة وبلا واسطة ولا يبتليهم شرا الا بواسطة نفس كما وقع من الا با للشيطان فكانت خطيئته في ذات نفسه او بواسطة شيطان كما كانت مخالفة ادم فكانت خطيئته ليست من ذات نفسه وعارضة عليه من قبل عدو وتسبب له بادني مامنه من ذوجه التي هي ادنى خلقه لحق التوبة الذنب العارض لادم وانبت الاصرار الاباي النفسي للشيطان وذكر الحق تعالى الازلال منه باسمه الشيطان لا باسمه ابليس لما في معنى الشيطنة من البعد والسرعة التي تقبل التلافي ولما في معنى الابلاس من قطع الرجا فكان في ذلك بشرى اسعد ذلك ادم بالتوبة انتهى ولما بين انه عزمهما ثم فصرهما بين اهباط الغار والمغرور وبين انه اثم على المغرور دون الغار مع ماسبق له من لزوم العبادة وطول التردد في الخدمة وفي ذلك تخجيل للنعمة استعطافا الى الاخلاص في العبادة فقال عاطفا على ما يرشد اليه السياق من نحو فقال تنداركهما بالرحمة ولا تبغيا خطاهما بالعفو لكونه عارضا منهما بسبب خارج وابد نائلاف الغار لسبقه لعصيانه بالضلال والاضلال عن عمد فكان معصوبا عليه **وقلنا** اي له وللمغرور **اهبطوا** وفي ذلك لطف لذريته بالتنفير من الخطا والترهيب الشديد لمن جربوته والترغيب العظيم على تقدير الوقوع فيه في التوبة والهبوط قال الحرالي سعي في درك والدرك ما يكون نازلا عن مستوى فكانه امسك حقيقة اي ادم في حياطته تعالى وحفظه وتوفيقه لضراعته وبكايه وسوسما اودعه من امر توبته واهبط صورته ليظهر في ذلك فرق مابين هبوط ادم وهبوط ابليس لم على ما اظهر من ذلك سرعة عود ادم بتوبته وموتا الى محله من انسه المحمود وتوبته المالوف له من ربه وانظار ابليس في الارض مصرا منقطعا عن مثل معاد ادم بما نال ابليس من اللعنة التي هي مقابلة التوبة **بعضكم لبعض** البعض ما اقتطع من جملة وفيه ما في تلك الجملة **عدو** من العدا اي المجاوزة عن حكم المسالمة التي هي ادنى ما بين المستقلين من حق المعاونة انتهى فالمعنى فليجد كل واحد منكم عدوه باتباع الاوامر واجتناب النواهي قال الحرالي وفيه اشعار بما تمادى من عدو الشيطان على ذرية من ولد ادم حتى صاروا من حزبه وفيه ايضا بشرى لصالحي ولد ادم بما يسبونه من ذرية ابليس فليلحقون بهم بالايمان والاسلام والتوبة فيهتدون بعداوة من حيث عم بالعداوة فاعتدى في الخير مضادة عداوة على اهل الشر خيرا واعتدى ذو الشيطنة مضادة عدواه على اهل الخير شرا **ولكم في الارض مستقر** تكونون فيه وهو من القرار وهو كون الشي فيما له فيه ثبات وظهور وعليش موافق **ومتاع** تتمتعون به والمتاع هو الانتفاع بالمنتفع به وقتا منقطعا بعرف نقصه بما هو افضل منه بعني ففيه اشعار بانقطاع الامتاع بما في هذه الدنيا ونقص ما به الانتفاع عن محل ما كانا فيه من حيث ان لفظ المتاع اطلق في لسان العرب على الجيفة التي هي متاع المضطر واذا سباع الحيوان وكلا بما لذلك الدنيا هي جيفة سع بما اهل الاضطرار بالهبوط من الجنة وجعل ما حظ من الاخلاق له في الاخرة **الى حين** اي لا يتقدم ولا يتاخر وفي ابهام الحين اشعار باختلاف الاجال في ذرية الفريقين فمنهم الذي يناله الاجل صغيرا ومنهم الذي يناله كبيرا انتهى ولما تسبب عن هبوط ادم عليه السلام بالاهباط الذي هو كفارة له انه الهم الدعا بما رحم به عبر عن ذلك بقوله **فتلقى** اي فهبطوا فتلقى **ادم** بعد الهبوط والتلقي ما يتقبله القلب باطنا وحيا او كالوحي ابطن من التلقن الذي يتلقنه لفظا وعلما ظاهرا او كالظاهر قاله الحرالي **من ربه** اي المحسن اليه في كل حال **كلمات** اي ترضيه سبحانه بما الهمه التعبير بالتلقي وهي جمع كلمة وهي دعا دعا به او ثنا اثنى به عليه ويطلق الكلمة ايضا على امضا امر الله من غير تسبيب حكمة ولا ترتيب حكم قاله الحرالي ثم قال عطف الفا في هذه الاية اشعار بما استند اليه التلقي من تنبيه قلب ادم وتوفيقه بما اثبته له امساك حقيقته عند ربه وفيما صدمعناه دفع الكلمات وتلقيهما ادم في احدى القرائتين فكانه تلقى الكلمات بما في باطنه فتلقته الكلمات بما اقبلها عليه فكان مستحقا لها فكانت متلقية له بما جمعت القرائتان من المعنى **فتاب** من التوب وهو رجوع بظاهر باطنه الانابة وهو رجوع بعلم باطنه الاوبة وهو رجوع بتقوى قلب انتهى **عليه** لتذكره اياه بالكلمات مخلصا في نيته ثم علل بقوله **انه هو** اي خاصة **التواب** اي البليغ التوبة المكرر لها ولما كان قد جعل على نفسه المقدس ان يتفضل على المحسن قال **الرحيم** اي لمن احسن الرجوع اليه واهله لقربه قال الحرالي وكان المزاده بلفظه ادبا وادعا نالعفا مرحمة الله على عباده بما انبا عنه من قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وهذه توبة قلب وعمل لم يتفصل بخصوص حال القلب منها انما ينشو في التوبة النصوح التي تبري من الذنب بتحقيق توحيد القلب وتوجب كفرا الخطايا الظاهرة التي لا اصل لها في القلب من تحابب وعوي في

الافعال وشرك في امر الله فيقتضي باني باطنه ظهر فيه اسمه الرحيم الذي هو من الرحمة وهو اختصاص فضله بالمومن وبمقتضي ما ظهر عليه من الضراعة والاقرار ظهر فيه مقتضى اسمه التواب لجمعه توبته الامرين انتهى ولما اعلموا بالعداوة اللازمة كان كانه قيل فاوجه الخلاص منها فقيل اتباع شرعنا المشروع للتوبة والرحمة فانا **قلنا** كما تقدم **اهبطوا** ولما كان الهبوط الماضي يحتمل ان يكون من مكان من الجنة الى ادنى منه ولم يخرجوا منها فكرره هنا للتاكيد بتصوير الشوم المعصية وتبشيعها قال **منها** اي الجنة **جميعا** اي لا يتخلف منكم احد سواء كان ذلك في آن واحد او على التعاقب وعهدنا اليهم عند الهبوط الى دار التكليف انا نانيهم بالهدي ليعيدهم الى الجنة مرة اخرى واعدين من اتبع متوعدين من امتنع فقلنا **فاما ياتينكم** وقال الحرالي في مورد هذه الاية بغير عطف اشعار بان ظاهرها افتتاح لم يتقدمه ايجاب باطن كما تقدم في السابقة وتكرر الاهباطان من حيث ان الاول اهباط لمعنى التعاون في الدنيا والاعتداء فيها وذرء الذرية واعمال امر العداوة التي استحكمت بين الخلقين من ادم وابليس وهنا الاهباط الثاني اهباط عن مكانة الرتبة الامرية الدينية التي كانت خفية في امر ادم ظاهرة في امر ابليس وفي قوله جميعا اشعار بكثرة ذرء الخلقين وكثرة الاحداث في امر الدين بانه من الثقلين انتهى وخص في ابراز الضمير ناص الافراد من غير ايراد بمظهر العظمة اجادا عن الوهم فقال **مني هدى** اي بالكتب والرسل ولما كان الهدى الذي هو البيان لا يستلزم الاهتدا قال **فمن تبع** اي ادنى اتباع بما يعتد به ولذلك اكتفي في جزائه بنفي الخوف الذي قد يكون عن توبة من ضلال بخلاف ما في طه كما ياتي ان شا الله تعالى والتبع السعي اثر علم الهدى قاله الحرالي **هداي** اي المنقول او المعقول فامن وصدق بالايات فالثاني اعم من الاول لاندراج من ان يكون منقولا عن الرسل ومعقولا بالقياس على المنقول عنهم او بمحض العقل كما وقع لورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل واضرابهما المشار اليهم بالقليل في قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا قال العارف شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي في كتابه رشف النصايح الايمانية فالعقل حجة الله الباطنة والقران حجته الظاهرة قال الحرالي وجا هداي شايعا ليعم دفع الخوف والحزن من تمسك بجوامع من الحق الجامع وادناه من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فيما بينه وبين الحق وفيما بينه وبين الخلق انتهى ولما كان الخوف اشد لانه يزداد بمرور الزمان والحزن يخف قدمه فقال **فلا خوف عليهم** اي من شي آت فان الخوف اضطراب النفس من توقع فعل ضار قاله الحرالي **ولا هم يحزنون** اي على شي فات لانهم يحوزون من النار ويدخلون الجنة والحزن كما قال الحرالي توجع القلب لاجل نازح قد كان في الوصلة به روح والقرب منه راحة وجا في الحزن بلفظ هم لاستبطانه وما لفعل لانه باد من باطن تفكرهم في فايتهم وجا نفي الخوف منفولا عن تعليم لانه من تخوف باد عليهم من غيرهم انتهى ولما بشر المومنين الذين اتبعوا الهدى اتبعه انذار الكافرين الذين نابذوه بقوله **والذين كفروا** فلم يتبعوا الهدى قال الحرالي هذا من اسوا الكفر لانه كفر بالايات التي جعلها الله عز وجل علما على غيب عمده وهي جميع ما ادركه الحواس من السماء والارض وما بينهما كما قال تعالى ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة لان الحق تعالى اظهر الكون كتابة دالة على امره وجعل في العقل نورا يقرا به كتابه لمن لا نور له فيومن اصحاب النار لغوا ما تابع هدى بنور العقل وتنبيه الايمان واما صاحب نار وقال **وكذبوا باياتنا** لانه لما كان من الذين كفروا بحتات الخلق من تقبل الايمان بتنزيل الامر اختصت كلمة العذاب بالذين تاكد كفرهم بالايات المرتبة بتكذيبهم بالايات المنزلة فكفروا بما راوا فكانوا عميا وكذبوا بما سمعوا فكانوا صما انتهى والمعنى انهم جمعوا بالكفر والتكذيب بين انكار القلوب والالسنة **اوليك** اي البعدا البغضا **اصحاب النار** وبين اختصاصهم بالخلود بقوله **هم فيها خالدون** تغليظ الخوف الدايم لمانا في من انكالها والحزن الدايم على فوات الجنة فالاية من الاحتباك اثبت الخوف والحزن من الاول دال على وجودهما في الثاني ووجود النار في الثاني دال على انتفايها ووجود الجنة في الاول وفيها احتباك اخر لان اثبات اتباع الهدى في الاول دال على انتفايه في الثاني واثبات الكفر في الثاني دال على حذف الايمان من الاول وقد علم من ذلك مع قوله مستقر ومتاع الى حين انه لابد من رجوعهم الى تلك الدار وكيف تكون منازلهم فيها فكانه جواب سايل قال هل بعد هذا الهبوط من صعود قال الحرالي وقوله هم فيه اشعار باشتراب العذاب بواطنهم وبلاغه الى انفسهم بعذاب الهم والحزن والياس وغيره لك من احراق النار بواطنهم وفيه اشعار بكونهم فيها في الوقت الحاضر من حيث لا يشعرون الذي يشرب في انية الذهب انما يجرجر في بطنه نار جهنم والنار اقرب الى احدهم من شراك نعله فهم فيها خالدون وان لم يحسوا في الدنيا بحقيقتها كما ان المتقين في جنة في الدنيا وان لم يشهدوا عيانها فكل خالد فيما هو فيه في الدنيا غيبا وفي الاخرة عيانا وفي القبر عرضا لتروون الجحيم ثم لترونها عين اليقين النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وهنا انتهى خطاب القران المخصوص بدعوة العرب الذين هم راس اهل الدعوة المحمدية قال عليه الصلاة والسلام الناس كلهم تبع لقريش مومنهم لمومنهم وكافرهم لكافرهم انتهى يعني فهم المرادون بهذا بالقصد الاول وهو شامل لغيرهم ومراد به ذلك الغير بالقصد الثاني وهنا اخر الايات الخاصة بالنعم العامة لجميع بني ادم دالة على التوحيد من حيث انها حادثة فلها محدث وعلى النبوة من حيث انه صلى الله عليه وسلم اخبر عنها موافقا لما في التوراة والانجيل من غير تعلم وعلى المعاد من حيث ان من قدر على خلقها ابتدا قدر على اعادتها ذكره الاصفهاني في شرحه الامام وفي الاية اشارة الى الكتاب الذي هو هدى للمتقين المشتمل على الاحرف السبعة التي من اقبل على حرف منها حق الاقبال كفاه ومن استعمل عنها بالمتاع الادنى حسود نياه واخراه قال الاستاذ ابو الحسن الحرالي في التمهيد للشرط منال القراة لحروفه السبعة

وعلمها والعمل بها اعلم ان الله سبحانه خلق ادم بيده ونفخ فيه من روحه ورزقه نورا من نوره فلانه خلقه بيده كان في احسن تقويم خلقا ولانه نفخ فيه من روحه كان اكمل حياة قبضا وبسطا ولانه رزقه نورا من نوره كان اصفى عقلا واخلص لها وافصح نطقا واعرب بيانا جمعا وفصلا واطلعه على ما كتب من حروف مخلوقاته ادراكا وحسا وعقله ما قام من امره فهما وعلما ونبهه على ما اودعه من ذاته عرفانا ووجدا ثم جعل له فيما سخر له من خلقه متاعا واستاقا ناسه وردده من بين اقبال وادبار وقبول واعراض فمن شغل بالاستمتاع الادنى عن الاطلاع الاعلى كان سفيها ومن شغله الاطلاع الاعلى عن الاستمتاع الادنى كان حنيفا الذين كانت اعينهم في غطا عن ذكري ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولما كان متاع الخلق في الارض الى حين وشغل اكثرهم اكلهم وتمتعهم والهاهم املهم عن حظهم من الحنيفية بما اوتي العقل من التبليغ عن الله نظرا واعتبارا اصطفى الله سبحانه من الحنفا منبهين على النظر الذي اشتغل عنه المعرضون وانف منه واستكبر عنه المدبرون واكدوا تنبيههم بما اسمعوهم من نبا ما وراء اليوم الدنيا من امر الله في اليوم الاخر وما تمادى اليه ايام الله وذكروهم بما مضى من ايام الله وانزل الله سبحانه معهم كتبا يتلونها عليهم ويبينونها لهم علما وعملا وحالا وتفصيل ما جاؤا به وصدقه واستبشر به الحنيفيون وانذر به المدبرون والمعرضون فمنهم من امن ومنهم من كفر امن من نبهه للنظر والاعتبار والقى السمع وهو شهيد وكفر من اثر متاعه بالعاجلة التي تراها الاعين على وعد الله ووعيده في الاجلة التي انما يعيها القلب وتسمعها الاذن وكما شغل المدعوين الى الاسلام كفرهم ودنياهم كذلك شغل المولدين في الاسلام غفلتهم ودنياهم ولعبهم في صباهم ولهوهم في شبابهم وتكاثرهم في الاموال في اكتهالهم وتكاثرهم في الاولاد في شيخهم فاشترك المدعو الى الاسلام والمولد فيه الغافل في عدم الاقبال والقبول في ترك الاهتمام بالاجلة واقتصارهما على الاهتمام بالعاجلة وكلاهما جعل القران وراء ظهره المدعو لفظا وعلما والمولد الغافل علما وعملا فلم يسمعه المدعو ولم يفهم الغافل فجعله بالحقيقة وراء ظهره ومن جعل القران خلفه ساقه الى النار وانما جعله امامه من تلاه علما وحالا وعملا ومن جعل القران امامه قاده الى الجنة ولما قامت الحجة عليهم بقراءته اذا الرحا وزحا جرهم كانوا اشد من الكفار عذابا في النار اكثر منافقي امتي قراؤها ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فاذا لابد في قراءة القران من تجديد اقبال وتهيؤ للقبول وتحقيق تقوى لانه انما هو هدى للمتقين واجماع على الاهتمام وكما ان امور الدنيا لا تحصل لاهلها الا على قدر عزايمهم واهتمامهم فاحرى ان لا تحصل امر الاخرة الا باشد عزيمة واجمع اهتمام فلا يقرا القران من لم يقبل عليه بكليته ظاهره ويجمع اهتمامه له بكليته باطنه وكتبنا له في الالواح من كل شي موعظة وتفصيلا لكل شي فخذها بقوة يا يحيى خذ الكتاب بقوة فاستقم كما امرت ومن تاب معك فشرط منال قراءته اهتمام القلب بتفهمه واقبال الحس على استماعه وتدبره ولكل حرف شرط يخصه انتهى ولما اقام سبحانه دلايل التوحيد والنبوة والمعاد اولا وعقبها بذكر الانعامات العامة داعيا للناس عامة لا سيما بني اسمعيل العرب الذين هم قوم الداعي صلى الله عليه وسلم وكان الحق من دعي بعد الاقارب واولاه بالتقديم اهل العلم الذين هم كانوا على حق فزاغوا عنه ولا سيما ان كانت لهم قرابة لانهم جديرون بالمبادرة الى الاجابة بادنى بيان وايسر تذكير فان رجعوا اقتدى بهم الجاهل فسهل امره واخمد شره وان لم يرجعوا كان حدا لهم بيانا للجاهل مثلا لهم فكان جديرا بالرجوع والكف عن غيه والنزوع وعرفت من تمادي الكلام معهم الاحكام وبان الحلال والحرام فلذلك لما فرغ من دعوة العرب الجامعة لغيرهم باختصار وختم بان وعد في اتباع الهدى وتوعد شرع سبحانه يخص العلما من المنافقين بالتذكير وهم من كان اظهر الاسلام من اهل الكتاب على وجه استلزم عموم المصارحين منهم بالكفر اذ كانوا من اعظم من خص بالبيان ما اشار اليه من الهدى والبيان بما لديه اليقين وكان كتابهم المشتمل على الهدى من اعظم الكتب واشهرها واجمعها فقص عليهم ما سلف بلين الحديد وتخشع الجلاميد فقال تعالى مذكرا لهم بنعمه الخاصة بهم يا بني اسرائيل ويجوز ان يقول المناسبات من اول السورة على وجه اخر فيقال لما كان الكفار قسمين قسم محض كفره وقسم شابه بنفاق وخداع وكان الماحض قسمين قسم لا علم له من جهة كتاب سبق وهم مشركوا العرب وقسم له كتاب يعلم الحق منه ذكر تعالى قسم الماحض بما يعم قسميه العالم والجاهل فقال ان الذين كفروا سواء عليهم الى اخره ثم اتبعه قسم المنافق لانهم بسبب شدة الاختلاط بالمؤمنين واظهارهم انهم منهم لتكونوا من خداعهم على حذر فقال ومن الناس من يقول امنا الى اخره ولما فرغ من ذلك ومما استتبعه من الامر بالوحدانية واقامة دلايلها واقامة فضايلها ومن التعجب ممن كفر مع قيام الدلايل والتخويف من تلك الغوايل والاستعطاف بذكر النعم شرع في ذكر قسم من الماحض هو كالمنافق في انه يعرف الحق ويخفيه فالمنافق الف الكفر ثم انقطع عنه واظهر التلبس بالاسلام واستمر على الكفر باطنا وهذا القسم كان على الايمان بهذا النبي قبل دعوته فلما دعاهم محوا الايمان الذي كانوا متلبسين به واظهروا الكفر واستمرت حالهم على اظهار الكفر واخفا المعرفة التي هي مبدا الايمان فحالهم كما ترى اشبه شي بحال المنافقين ولهذا تراهم مقرونين بهم في كثير من القران واخرهم لطول قصصهم وما فيها من دلايل النبوة واعلام الرسالة بما ابدى مما اخفوه من دقايق علومهم فان مجادلة العالم ترسل في ميادين العلم افراس الافكار فتشرع في اقطار الاوطار حتى يصير كالاطيار وتاتي بما يبهر الاسرار ولقد نشر سبحانه في غضون مجادلتهم وغضون محاورتهم ومقاولتهم من الجمل الجامعة في شرايع الدين التي فيها بغية المهتدين ما اقام البرهان على انه هدى للعالمين هذا اجمال الامر وفي تفاصيله كما ترى من بدايع الوصف امور تجل عن الوصف تذاق بحسن التعليم وتشفي عن جاهلها بلطيف التكليم والله ولي التوفيق والهادي الى اقوم طريق وقال الحرالي ثم اقبل الخطاب على بني اسرائيل منتظما بابتدا خطاب العرب من قوله

يا ايها الناس

يا ايها الناس وكذلك انتظام القران انما ينتظم راس الخطاب فيه براس خطاب اخر يناسبه في جملة معناه وينتظم تفصيله بتفصيله فكان اوله واولى من خوطب بعد العرب الذين هم ختام بنو اسرائيل الذين هم ابتدا بما هم اول من انزل عليهم الكتاب الاول من التوراة التي انتجع الله بما كتبه تلو صحفه والواحه ثم قال لما انتظم اقبال الخطاب على العرب التي لم يتقدم لها هدى بما تقدمه من الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انتظم بخطاب العرب خطاب بني اسرائيل بما تقدم لها من هدى في وقتها انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور وبما عهد اليها من تضاعف الهدى بما تقدم لها في ارتقابه من كمال الهدى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبهذا القران فكان لذلك الاولى مبادرتهم اليه حتى يقتدي بهم العرب ليكونوا اول مومن لما عندهم من علمه السابق انتهى وابتدا سبحانه بتذكيرهم بما خصهم به عن النوع الادمي من النعم التي كانوا بها يتلقونها بالكفران وما عاملهم به من امهاله لهم على مر تكابهم ومعاملتهم بالعفو والاقالة مما يبين سعة رحمته وعظيم حلمه وابتدا امره اوامرهم بالايفا بالعهود التي من اعظمها متابعة هذا النبي الكريم والايمان بكتابه الذي نفى عنه الريب فقال يا بني اسرائيل اي الذي شرفته وشرفت بنيه من اجله اذكروا من الذكر بالكسر والضم بمعنى واحد يكونان باللسان وبالجنان وقال الكسائي هو بالكسر باللسان وبالضم بالقلب والذي بالقلب ضده النسيان والذي باللسان ضده الصمت نقله الاصبهاني وقال الحرالي من الذكر وهو استحضار ما سبقه النسيان نعمتي وهي انالة ما يخص ما يوافق نفسه وبدنه وعند المتفطن ما يوافق ما باطنه وظاهره مما بين قلبه وسوابه من اهله وختمه التي في ثمنا اشارة لباطن نازل متخيل فيهم بفسره صلته بمنزلة ذي وال مينا اشارة لذلك المعنى بالاشارة المتخيلة انتهى انعمت اي بها ودلت على شرفها باضافتها الى عليكم وتلك النعمة الشريفة هي الاتيان بالهدى من الكتب والرسل الذي استنقذتكم به من هوان الدنيا والاخرة واوفوا من الوفا وهو عمل لاحق بمقتضى تقدم علم سابق قاله الحرالي بعهدي اي الذي اخذته عليكم في التورية من الايمان بنبيكم ومن امركم باتباعه من بعدي والعهد هو التقدم في الشي خفية اختصاصا لمن يتقدم له فيه قاله الحرالي وقال الاصبهاني حفظ الشي ومراعاته حالا فحالا قال الخليل اصله الاحتفاظ بالشي واحداث العهد به اوف بعهدكم اي في جعلكم ممن لا خوف عليهم ولا حزن بسعة العيش والنصر على الاعدا كما ياتي عن نص التوراة في مظانه من هذا الكتاب واياي اي خاصة فارهبون اي ولا تزلوا جعلكم في مصير الكافرين بعد الضرب بانواع الهوان في الدنيا والرهب حذر النفس مما شانه الهرب لذي شوقه وخوطبوا بالرهبة لاستبطانها فيما يخص بخلاف العلم قاله الحرالي واطال سبحانه في محاجتهم جريا على قانون النظر في جدال العالم الجاحد وخطاب المنكر المعاند وفي قوله تعالى وامنوا بما انزلت اي اوجدت انزاله مصدقا لما معكم تعريض لذلك الكتاب لا ريب فيه وامروا كما قال الحرالي بتجديد الايمان بالقران لما فيه من انبا باسور من المغيبات التي لم تكن في كتابهم كتفاصيل امور الاخرة التي استوفاها القران لانه خاتم ليس وراءه كتاب ينتظر فيه بيان وقد ابقى لكل كتاب قبله بقية احيل فيها على ما بعده ليتنامى البيان الى غاية ما انزل به القران حين لم يعهد اليهم الا في اصله على الجملة وفي قوله ولا تكونوا اول كافر به معنى دنيوي في تنكيبهم وامر جليل في تعنيفهم وذلك انه ليس المراد من اول ظاهر معناه المتبادر فان العرب كثيرا ما تطلق الاول ولا تريد حقيقته بل المبالغة في السبق كما قال مقيس بن صبابة وقد قتل تخصيص الصحابة رضوان الله عليهم كان قتل اخاه خطا ورجع الى مكة مرتدا حللت به وتري وادركت ثوري وكنت الى الاوثان اول راجع هذا الى جانب الاثبات فاذا نفيت ناهيا فقلت لا تكن اول فاعل كذا فمعناه انك ان فعلت ذلك لم تكن صنعتك الا كذلك فهو خارج مخرج المبالغة بالذم بما هو صفة المنهي فلا مفهوم له وعبر به تنبيها على انهم لما تركوا اتباع هذا الكتاب كانوا لما عندهم من العلم بصحته في غاية اللجاجة فكان علمهم في كفرهم وان تاخر عن سابق متخصصا الى شي او يكون المعنى انه لم يمنعهم من الايمان به جهل بالنظر ولا عدم اطلاع على ما اتى به انبياؤهم من البشرى بل مجرد الحسد للعرب ان يكون منهم نبي المستلزم لحسد هذا النبي بعينه لان الحكم على الاعم يستلزم الحكم على الاخص بما هو من افراد الاعم فصارت رتبة كفرهم قبل رتبة كفر العرب الجاهلين به او الحاسدين له صلى الله عليه وسلم لخصوصه لا لعموم العرب فكان اهل الكتاب اول كافر به لا يمكن ان يعم كفرهم الا على هذا الوجه الذي هو ابلغ الوجوه فالمعنى لا تكفروا به فانه ان وقع منكم كفر به كان اول كفر لان رتبته اول رتب الكفر لوقوعه ممن سواكم فكنتم اول كافر فوقعتم في ابلغ وجوه الكفر لذا الفرد ولم يقل كافرين والله اعلم ولما نهاهم عن الكفر بالايات نهاهم عن الحامل عليه بقوله ولا تشتروا اي تتكلفوا او تحولوا ان تستبدلوا بآياتي اي التي تعلونها في الامر باتباع هذا النبي الكريم ثمنا قليلا وهو رياستهم وما ياخذونه من الملوك وغيرهم على حمل الشريعة والقلة ما قصر عن الكفاية قاله الحرالي واياي اي خاصة فاتقون اي اجعلوا لكم وقاية من انزال غضبي فالتقوى نتيجة الرهبة كما ان هذه الافعال نتيجة ما اتى به الرهبة ولا تلبسوا اللبس ابدال الشي في غير صورته ومنه اللباس لاخفائه الاعضا حتى لا تستبين هيئتها قاله الحرالي الحق اي مما تقرون به على ما هو عليه من التوراة والانجيل مما لا غرض لكم في تبديله بالباطل مما تحرفونه منهما والحق قال الحرالي ما يقرر ويثبت حتى يضمحل مقابله فكل ذو وجهين فانتهما حق واذهبهما باطل فذلك الحق والباطل امداء دائمه تصير بالاضافة الى طول امد وجه القرار انتهى ولما كان اللبس قد يفارق الكتمان كان يسيل يحصل عن شي فيبدله به ملتبسا بغيره او يكتمه وهو عالم به وتكتموا الحق اي الذي لا لبس فيه عمن لا يعلمه وانتم تعلمون اي تعلمون وجعله الحرالي على ظاهره فقال لما طالبهم تعالى بالوفا بالعهد نهاهم عن سوء العمل وما لبسوا به الامر عند اتباعهم من يليهم وعند من استرشدهم من العرب فلبسوا باتباعهم حق الايمان بموسى عليه السلام والتوديه بباطل

ما احرّفوه من كتابهم من اثبات الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران فكتموا الحق التام الجامع ولبسوا الحق الماضي المعهود بالباطل
الاعوج الادنى لان باطل الحق الكامل باطل معوّج معوق بحسب مقابله وعرفهم بان ذلك منهم كتما شهادة عليهم بعلمهم بذلك انهما ما
ثم اعقبه بالشهادة عليهم بالعلم تصريحا انتهى وفي هذه الاية اعظم زاجر لاهل الكتاب عما ظهروا به من العناد ومن لطف الله تعالى
زجر القاسي البعيد ونهي العاصي القلق الى ما دون ذلك من تنبيه الغافل وزيادة الكامل قال الامام ابو الحسن الحرالي في كتاب العروة
وجه انزال هذا الحرف يعني حرف النهي كف الخلق عما يهلكهم في اخراهم وعما يخرجهم عن السلامة في موتهم ويعيقهم عما رضوا به واطمانوا
اليه واثروه من دنياهم فهو متوجه للمطيعين بدنياه المعرض عن داعيه الى اجتناب ما هو عليه يسمى زجرا وهو متوجه للمتلفت المتشوّف
ببعض الخلل فيما هو عليه يسمى نهيا وهما يجتمعان في معنى واحد ومقصود واحد الا انه متفاوت ولذلك ردهما النبي صلى الله عليه
وسلم على المعنى الجامع في هذا الحديث يعني المذكور اول البقرة واولاهما بالمدينة في انزال الزجر لان النبي صلى الله عليه وسلم انما بعثه
الله حين انتهى الضلال المبين في الخلق ونظر الله سبحانه الى جميع اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب كما ورد في الحديث
الصحيح اسنادا ومتنا ولذلك كان اول منزل الرسالة سورة يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وهي اول نوازل
الامر كان لحاق الساعة اول نوازع الخلق ولذلك انتظم ذكرها في قوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين
غير يسير وللمزجور حالان اما ان ينفر عنه الوخدة توحشا كما قال تعالى كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة واما ان تدبر بعد فكره تكبرا كما قال
تعالى ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر وبما شارف ان يبصر فصرف قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكنها عقول كادها بارئها
ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها صرفوا عن ايات الحق السماوية على ظهورها عقوبة
على ذنب تكبرهم على الخلق مع الاحساس بظهور اية افتقارهم الارحام في وضوحها وكل قادعة لنوعي الكافرين النافرين والمدبرين من هذا
الحرف وتمام هذا المعنى يعني الناس المحاصرين عن الفواحش الظاهرة والباطنة الضارة في العقبى وان تضرروا بتركها في الدنيا نحو
قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم والزنا واتيان الحائض الى ما دون ذلك من النهي عما يعيد ونه في دنياهم كيسا نحو قوله
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يسخر قوم من قوم وما
لحق بهذا النمط الى ما دون ذلك على اتصال التفاوت عن سوء التاويل لطمعه عرض النفس نحو قوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام
لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا الى ما دون ذلك من النهي عما يقدح في الفضل وان كان من حكم العدل نحو قوله تعالى ولا ياتل اولوا
الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله الى تمام ما لا يحصل السلامة الا به من النهي عما زاد على الكفاف
والبلغة في الدنيا الذي به يصح العمل بالحكمة نحو قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا الى قوله ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ونحوه
قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه لان كل زائد على الكفاف فتنة وهذا هو اساس
ما به تتفاوت درجات العلم في الدنيا ودرجات الجنة في الاخرة ولا تضح الوجوه والحروف التي تعلم اي وهي سائر الحروف علما وعملا
وثباتا ونحو لاعتدا التخفيض الا بحسب الاحكام في قراءة هذا الحرف وجمعه وبيانه لانه ظهور فيما بعده من صلات حرف الامر وما قصر بحسن ترك
تزكي الامة الا التقصير في حرف النهي لان الملة الحنيفية مبنية على الاكتفاء باليسير من المامورات والمبالغة في الحمية من عموم ما لا يعنيها هي
من المنهيات لكثرة مداخل الافات منها على الخلق فيما بعد الموت ويصعب هذا الحرف على الخلق ما استغرق اوهامهم ان دنياهم
لا تصلح الا بالمثابرة على صنوف المنهيات لنظرهم لحدوثها في الدنيا وعماهم عن وبالها في الاخرى وما حوفظ على الرياضات والتاديبات
والتهذيبات الا لوقا الحمية منها والحمية اصل الدوا ومن لم يحتم عن المنهيات لم ينفعه تداويه بالمامورات كالذي يتداوى ولا يحتمي يخسر الدوا
ويتضاعف الدا هل انبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا جاؤوا بحسنات كالجبال
وكانوا يصومون ويصلون وياخذون وهنا من الليل لكن ذلك تداوٍ بغير حمية لما لم يحتموا من الدنيا التي نهوا عن زهرتها فكانوا اذا اذ
لاحت لهم وثبوا عليها فيصيبون منها الشهوات ويعملون المعصيات فلا تنفعهم المداواة لمن احتمى فقد قرا هذا الحرف وهو حسبه
فاقرؤوا امانيبر منه احب العبادات الى الله ترك الدنيا وحمية النفس من هوى جاهها ومالها فيما عند الجوع يوما واشبع يوما
ومن رغب عن سنتي فليس مني والقران حجة لمن عمل به يصار امامه يقوده الى الجنة وحجة على من لم يعمل به يصير خلفه يسوقه الى نار
الحمية التي في جب وادي جهنم التي تستعيذ جهنم منها والوادي والجب في كل يوم سبع مرات ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء
من عبادنا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ولا يزيد الظالمين الا خسارا اعوذ بعفوك من عقوبتك وبرضاك من سخطك وبك منك
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ثم قال فيما به يحصل قراءة حرف النهي اعلم ان الموفي بقراءة حرفي الحلال والحرام
المزيلين لاصلاح امر الدنيا وتحسين حال الجسم والنفس يحتمل له عادة بالخير يتيسر عليه قراءة حرفي صلاح الاخرة من الامر والنهي
ولما اقتضت الحكمة والعلم اختتامه امر الدنيا بقراءة حرفي صلاحهما تماما اقتضى الايمان بالغيب وتصديق الوعد والوعيد تجارة
اشتروا الغيب الموعود من عظيم خلاف الاخرى بما ملك العبد من مفقود متاع الدنيا لكل الحلال ما عدا الكفاف بالنسبة مخرج
للعبد ان انفقه ربحه وابقاه فقدم عليه وان استمتع به افناه فندم عليه فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع
الذين من قبلكم بخلاقهم لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ذلك مال رابح ذلك
مال رابح وكان حرف الحلال موسع ليحصل به الشكر وحرف النهي مضيق لمتسع حرف الحلال ليحصل به الصبر ليكون به الصبر

ليكون

ليكون به العبد شاكرا صابرا فالذي يحصل به قراءة حرف النهي اما من جهة القلب ورؤيا الفؤاد فنشا من البصيرة لموعود الجزاء به
حتى كانه ينظر اليه لتزاح النفس عنه وتنزاح من شره كما قال حارثة كاني انظر الى اهل الجنة في الجنة ينعمون والى اهل النار في النار يعذبون
فاشمل ذلك ما اخبر به عن نفسه في قوله وعزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها وحجرها وخصوصا من ايده بالمبشرات من الرؤيا
الصالحة والكشف الصادق ليدع الفاني للباقي على يقين ومشاهدة واما من جهة حال النفس فالصبر بجنبها عما تشتهيه طبعا مما
هو محلل لها شرعا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لما رئي لحاله اما ترضى ان تكون لهم الدنيا والاخرة واستعينوا بالصبر
وصبر النفس عن شهواتها وان كانت حلالا هو حقيقة تزكيتها وقتلها بالصنائع بما منها هو حياتها واطلاقها ترتع في شهواتها هو
تدسيتها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها والنفس مطية بقوتها افسادها وبضعفها استمساكها وحبسها عن ذلك شايع
في جهات وجوه الحلال كلها الا في شيئين في النسا بكلمة الله لا تفين من ذات نفس الرجال ولسن غيرا لهم هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وخلق منها زوجها ليسكن اليها واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا والثاني في الطيب لانه غذا الروح وتقوية الحواس
ونسمه من باطن الملكوت الى ظاهر الملك وما علاهما فالاستمتاع به واتباع النفس هواها فيه علامة تكذيب وعد الرحمن وتصديق
وعد الشيطان تزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا
هذا من جهة النفس واما من جهة العمل وتناول اليد فرفعهما عما زاد على الكفاف وتخليته لذوي الحاجة ليتخذوه معاشا وان يكون
التمول من غير القوام تجارة تعمل وضرب في الارض وادخار لوقت حاجة لا احتكاره وتضييقا اتخاذ اكثر من سنتين للمهنة والجمعة علامة
لضعف الايمان وخلاف السنة وانقطاع عن اثار النبوة وعدول عن سنة الخلفا وترك اشعار الصالحين وكذلك تصفية لباب الطعام
وقصد التحسين في الصورة دون المستحسن في العلم وايثار الطيب في المطعم غير الطيب في الورع وتكثير الادم وتلوين الاطعمة وكذلك اكثر
اتخاذ من مسكن واحد واكثر من مزدرع كاف ورفع البنا والاستشراف بالمباني امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من رد السلام على رجل
اتخذ قبة في المدينة حتى هدمها وسواها مع بيوت اهل المدينة وانما الدنيا للمؤمن سجن ان شعر به وضيق فيه على نفسه وان
لم يشعر بانها سجن ووسع فيها على نفسه طلب البقا فيها وليست بباقية والخيل ثلاثة اجر للمجاهد ووزر على المباهي وعفو للمستكفي
لها فيما يعينه من شانه والزيادة على الكفاف من النعم اشابه انقطاع عن اثار النبوة وتضييق على ذوي الحاجة وتمول لما وضع له
لاقامة المعاش وان يتخذ منه الكفاف قال صلى الله عليه وسلم لنا غنم مائة لا نريد ان نزيد فاذا ولد الراعي بهمة ذبحنا مكانها
شاة والطعام لا يتمول وكذلك ما اتخذ للقوام لا يحتكره الا خاطئ من احتكر طعاما اربعين يوما فقد بري من الله وبري الله منه
فالامتعة تجلب وتختزن ويستنمى فيها الدينار والدرهم فقد احتكره والطعام والقوام يجلب ولا يختزن فيستنمى فيه الدينار
والدرهم ومن اختزنه فيستنمى فيه الدينار والدرهم فقد احتكره وما منع فيه من مد العين فاحرى ان يمنع فيه مد اليد
لا تمدن عينيك الى ما متعنا به الايتين فبهذه الامور من ايمان القلب ورؤيا الفؤاد وصبر النفس وكف اليد عن الانبساط له
في التمول فيما به القوام يحصل قراءة حرف النهي والله ولي التاييد انتهى ولما نزع سبحانه من امر اهل الكتاب بالايمان بالله والنبي
والكتاب الذي هو من الهدى الى اليهم المشار الى ذلك كله بالابقا بالعهد عطف بقوله **واقيموا الصلاة** اي حافظوا
على العبادة المعهود بها في كل يوم بجميع شرايطها واركانها **واتوا الزكاة** اي المفروضة في كل حول لتجمعوا اوصاف المتقين
الممدوحين بهذا الكتاب الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون لتحسنوا بذلك فيما بينكم وبين الحق
وفيما بينكم وبين الخلق وهاتان العبادتان اما العبادة البدنية والمالية تخصا بالذكر لان من شانهما استجرار سائر العبادات
واستتباعها والزكاة قال الحرالي نما في ظاهر حس وفي باطن ذات نفس **واركعوا** من الركوع وهو توسط بين قيام وسجود يقع
في ظاهر القامة وفي حال من القلب يختص به الامة المتوسطة الجامعة للطرفين **مع** معناه الصحبة من الاعلى بالحياطة ومن الادنى
بحسن التبع ومن المماثل بحسن الصحبة انتهى وقوله **الراكعين** مع مصحوبه تاكيد لامر الصلاة وامر بالكون في هذا الدين مع الذين
اتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم فان صلاة اليهود لا ركوع فيها كما سياتي بيانه في سورة ال عمران ان شا الله تعالى وقال الحرالي والمنتقى
بذلك اي بما مضى خطاب انهام بتتمة عطف اقامة الصلاة التي هي تلو الايمان فكان خطاب الايهام فادحوا واسندوا وكونوا واعلنوا
بما كتمتم وبينوا ما لبستم واتصحوا من استصحبتم واتموا جمتكم لله بالصلاة وتعطفوا على الاتباع بعد تعليمهم بالزكاة وكملوا
صلاتكم بما به كمال الصلاة من الركوع العدل في الفعل بين حال قيام الصلاة وسجودها المظهر اية عظمة الله **مع الراكعين** الذين هم
العرب الذين وصفت اول صلاتهم على كمال انتهى ويجوز ان يكون المراد بالركوع الصلاة عبر عنها به لما ذكر من خصوص هذه له
الامة به فكانه قيل وصلوا مع المصلين جماعة لمزيد التوصية بالجماعة ولما امر علماءهم بما تركوا من معالي الاخلاق من الايمان
والشرائع بعد امرهم بذكر ما خصهم به من النعم ونهاهم عما ارتكبوا من سفساف الاخلاق من كفر النعم ونقض العهود وما يتبع ذلك
وكانوا يامرون غيرهم بما يزعمون انه تزكية وينهونه عما يدعون انه تردية انكر عليهم ترغيبا فيما ندبهم اليه وحضهم عليه
وتوبيخا على تركه بقوله **اتامرون** من الامر وهو الالزام بالحكم قاله الحرالي **الناس بالبر** وهو التوسع في افعال الخير **وتنسون** من
النسيان السهو الحادث بعد حصول العلم **انفسكم** اي تتركون حملها على ذلك ترك الناسي ولعله عبر به زيادة في التنفير عن هذا
الامر الفظيع الذي دل العقل دلالة بينة على خسته لان المقصود من امر الغير بالبر النصيحة او الشفقة وليس من العقل ان

ان يشفق الانسان على غيره او ينصح غيره وينسى نفسه والظاهر ان المراد به حكم التوراة كانوا يجعلون عوامهم عليه وهم يعلمون دون
العوام ان من حكم التوراة اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فقد نسوا انفسهم من الامر باساس البر الذي لا يصح معه شيء الا به وقال الحرالي
ولما كان فيهم من اشار على من استهداه بالهداية لاتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولم يهتد وانفسهم لما ارشد واليه غيرهم اعلى تمام
عليهم بذلك تنظما لما تقدم من نقض عهدهم ولبسهم وكتمهم بما ظهر من نقض عقولهم في ان يظهر طريق الهدى لغيره ولا يتبعه فاخرجهم
بذلك عن حد العقل الذي هو ادنى احوال المخاطبين وزاد في تبكيتهم بجملة حالية حاكية تلبسهم بالعلم والحكمة الناهية عما هم
عليه فقال **وانتم تتلون الكتاب** من التلاوة وهي تتبع قول قايل اول من جهة او لينة قاله الحرالي وهذه الجملة الحالية اعظم منبه
على ان من حكم التوراة اتباعه صلى الله عليه وسلم وتشير الى ان المعصية من العالم ابشع قال الحرالي فيه اشعار بان امر النبي صلى الله عليه
وسلم في سطور تلاوته ليس في خفي افهامه فكان في ذلك خروج عن حكم نور العقل انتهى ولما كان هذا الى كتابهم وهم به يامرون وعنه
معرضون سبب سبحانه عنه الانكار في قوله **افلا** اي اتتلونه فلا **تعقلون** اشارة الى ان ما هم عليه من هذا لا يفعله ذو مسكة له
والعقل ادراك حقايق ما نال الحس ظاهره قاله الحرالي سمي عقلا لانه يعقل عن التورط في الهلكة ولما انكر عليهم سبحانه اتباع الهوى
ارشدهم الى دوايه باعظم اخلاق النفس واجل اعمال البدن فقال عاطفا على ما مضى من الاوامر وقال الحرالي فكانهم انما حملهم على مخالفة
حكم العقل ما تعودت به انفسهم من الرياسة والتقدم فلما في ذلك من المشقة ان يصيروا اتباعا للعرب بعد ما كانوا يرون ان جميع من
الارض تبع لهم نسق خطابهم في ذلك الامر بالاستعانة بالصبر الذي يكره انفسهم على ان تصير تابعة بعد ان كانت متبوعة فقال
تعالى انتهى **واستعينوا** اي على اظهار الحق والانقياد له وهو معنى ما مضى من الاوامر والنواهي **بالصبر** اي على مخالفة الهوى والصبر
حبس النفس عن حاجتها وعادتها وعلى اصلاحها وتزكيتها وهو صنيا للقلوب تتجربه ما تخفيه عنها الجزع من الخروج عن العادة فيما نزع
اليه الانفس قاله الحرالي وهو عام في كل صبر الصوم وغيره **والصلاة** اي الموصلة الى المقام الاعلى وفيه التفاوت الى واياك نستعين واشارة
الى ان من لم تنهه صلاته عن ركوب الباطل والتمادي فيه وتامره بلزوم الحق والرجوع اليه فليس بمصل فكان المراد بالصبر تخليص النفس
من اشراك الهوى ونشرها على الاخلاص فمن صلى على هذه الصفة كان لا محالة من الناجين وفي بالصلاة لانها اسعد الى بعينهم عن اشترا
ثمن كانوا ياخذونه من اتباعهم في اللبس والكتمان وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك قاله الحرالي له
ويصح ان يراد بها الدعا لمن صبر عن الدنيا او على المكاره واتى صبره الى الصوم فما زال عنه كدورات حب الدنيا واصناف لما
ذلك الصلاة استنار قلبه بانواع المعارف فاذا ضم الى ذلك الدعا والالتجا الى الله تعالى بلغ نهاية البر ولما امروا بما ختمه
بالصلاة وكانت الصلاة صبرا لا حظ للنفس فيه لانها عبادة محضة حث على التغاول لعظمة سبحانه بتخصيصها بالضمير فقال
وانها لكبيرة اي ثقيلة جدا او الكبير ما جل قدره او مقداره في حس ظاهرا او في معنى باطن قاله الحرالي **الا على الخاشعين** اي
المخبتين الذين هم في غاية السهولة واللين والتواضع لربهم بحيث لا يكون عندهم شيء من كبر يسطون عن اتباعه الامر وما اعد عليها من
الاجر لذا قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة وغيرهم يمنعه ثقلها من فعلها وان فعلها فعلى غير رغبة قال الحرالي
وهوا الخشوع هدو الجوارح والخواطر فيما هو الاهم في الوقت وانبا تعالى بكبر قدر الصلاة عن ان يفيا ولا يحملها الا خاشع خرج عن
حظ نفسه والذل بنفسه ذل العبودية التي ختمت بها النبوة وفي اشارة كمال الصلاة اشعار بصلاة العصر التي هي صلاة النبي
الخاتم الذي زمانه وقت العصر وحالة العبودية وذلك مما يكبر على من قرن بنبوته وبملكه الملك الان يخشع ان يكبر على النفس وخص
الصلاة بالكبر دون الصبر لان الصبر صغار للنفس والصلاة وجهة للحق والله هو العلي الكبير انتهى **الذين يظنون** من الظن وهو
رجحان في اعتقاد مع بقاء منازع في مقابلة قاله الحرالي **انهم ملاقوا ربهم** اي المحسن اليهم وعبر بالظن عن العلم تهويلا للامر وتنبيها
على انه يكفي العاقل في الحث على ملازمة الطاعة ظن لقا الملك المطاع المرجو المخوف فكيف والامر متيقن لامرا فيه ولا ينظرون للريب
اليه ويجوزون براد ظن الموت في كل لحظة فانه اذا كان على ذكر من الانسان اوجب له السعادة ولما كانت هذه الجملة مشيرة
مع الترهيب لذوي الهمم العالية والانفة المحبة من الوقوع فيما يلم بعيب ويوقع في عتب الى الاستحيا من المحسن الذي ما قطع
احسانه ساعة من الدهر زاد في الترهيب بقوله **وانهم اليه** اي وحده **راجعون** والرجوع معاد الذاهب على مدارج
مذهبه وترقيه على معارج مهبطه قاله الحرالي وعبر بذلك وان كانوا لم يزالوا في قبضته لان اسمه الظاهر سبحانه يكون في
تلك الدار لانقطاع الاسباب في غاية الظهور لا يكون لاحد معه نوع ظهور اصلا لا لهذه الدار التي الغالب فيها معنى
اسمه الباطن الا عند اولي البصاير وفي الاية تبكيت لاهل الكتاب لانهم مع تحققهم للبعث يعملون عمل من لا يظنه فضلا
عن ان يعلمه وقال الحرالي ولما كان في الصلاة مناجاة لله تعالى على الغيب كانت انما تتيسر على من يظن القبول الذي يشعر
به اللقا لربه بعد موته وذلك حال من رجحت الاخرة على الدنيا في عمله وحاله فكان حاله وعمله حال الظان ابقا على احوال
من دون رتبة التيقن ومقصود اللقا ليس البعث لانهم هم من المومنين بالبعث ولكنه من معنى القبول بعد البعث وفيه
اشارة الى حال الموت ويوم البرزخ وهو الجزء الاول تعطف عليه المرجع الاخر بعد البعث انتهى ولما كان الغالب على اكثر الناس
الجمود ذكر النداء لهم مبالغة في التلطف بهم اثر الترجية والتخويف فقال **يا بني اسرايل** اي الذي اكرمته واكرمت
ذريته من بعده بانواع الكرامة **اذكروا نعمتي** وفخم امرها بقوله **التي انعمت عليكم** اي بانزال الكتب وارسال الرسل

وغير ذلك

تقدم

وكانت الحالة قدم

وغير ذلك **واني فضلتكم** والتفضيل الزيادة من حظوة جانب القرب والرفعة فيما يقبل الزيادة والنقصان منه قاله الحرالي
على العالمين وهو من كان بارزا الى الوجود في ذلك الزمان بالتخصيص بذلك دونهم ولا يدخل في ذلك من لم يكن برز الى الوجود في ذلك
الزمان كما يأتي تحقيقه عن الحرالي قريبا ومما يوجب القطع به قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ولما ذكرهم بتخصيصهم
بالكرامة ونهاهم عن المخالفة مع عظيم النعمة ابتع راشد والخشن حذرهم يوما لا يجزي احد فيه الا التقوى فقال وقال الحرالي لما
وعاهم الى الوفا بالعهد تنبيها لهمة من له فضل باطن يرجع الى باطن فضايل النفس فاجاب من وفق وتمادى على حاله من خذل شيء
الخطاب لهم بالتنبيه على النعمة الظاهرة لينبه لذلك من يخاف تغيير النعمة الظاهرة حين لم يخف السقوط عن رتبة الفضيلة
في الخطاب تذكيرهم بالنعمة والتفضيل الذي فضلهم به على العالمين وهم من ظهرت اعلام وجودهم في زمانهم وكذلك كل تفضيل يقع
في القران والسنة انما العام من شمله الوجود لا ما احاط به العلم بعد لان ذلك لم يبرز في الشهود علم وجوده وفيه اشعار
بانهم كما فضلوا هم على عالمي زمانهم فليس ذلك بمقصور عليهم بل كذلك يفضل الله العرب في زمان نبوتها على بني اسرايل وعلى
جميع الموجودين في زمانهم وحيث انتهى الخطاب الى تذكر ظاهر النعمة لعدا التذكير بباطن الفضيلة لم يبق وراء ذلك الا
التهديد بوعيد الاخرة عطفا على تهديد يقتضيه الافهام بتغيير ما بقي عليهم من النعمة في الدنيا فكان مفهوم الخطاب
فاحذروا ان تصيبكم مثل ما اصاب المواخذين في الدنيا انتهى **واتقوا** ولما كان المتقى انما هو الجزاء الواقع يوم القيمة حذفه
واقام اليوم مقامه تفخيما له وتنبيها على ان عقابه لا يدفع كما يدفع ما في غيره بانواع الحيل فقال **يوما** هو من العظمة بحيث

يكون م

لا تجزي اي تقضي وتغني فيه **نفس** اي نفس كانت **عن نفس** لذلك **شيئا** من الجزا قال الحرالي والنفس لكل امرء لزمته نفاسة
على غيره هؤلاء الذين لا يغني بعضهم عن بعض بخلاف من اثر غيره وذهبت نفاسته نفسه فانه يغني عن دونه في الشفاعة والاحسان
في الدنيا والاخرة وفيه اعلام بان صفة النفس مبدا التوبيق ونفاستها مبدا الخذلان اذ لة على المومنين وذل العبد بالظلم له
وذلة بالكسر لعباد الله بشرى بفوزه واعراضه عن ذكر الله وصعر خده للناس نذارة هلاكه انتهى ولما كان الاجزا قد يكون
بنفس كونا لجرى موجودا وهو بحيث يخشى ان يسعى في الفكاك بنوع حيلة تتحرك القلوب لاجابته وفك اسيره بمحل ذلك
من اسره على اطلاقه وقد يحتال بالفعل في التوصل الى فكه في خفية بسرقته او فتح سجنه او نحو ذلك وكانت وجوه الاجزا له
المشهورة ثلثة عطفها على الاجزا الاعم منها فقال **ولا يقبل منها** اي النفس الاولى والثانية **شفاعة** اي لم يوذن فيها وهو
من الشفع وهو ارفاد الطالب بتثنية الرغبة له فيما رغب فيه ليصير كالامام له في جهة حاجته قاله الحرالي **ولا يوخذ منها عدل**
يبذله غير الاعمال الصالحة وهو ما يعدل الشيء ويكون معه كالعدلين المتكافيين في القدر على الحمولة فكان العدل بالكسر في
الشيء المحسوس والعدل بالفتح في الشيء المعقول وكذلك عادة العرب تفرق بين ما في الحس وما في المعنى بعلامة اعراب في ذات
نفس الكلمة لا في اخرها قاله الحرالي ولما كان عدم النصرة للجمع يستلزم عدمها للمفرد بطريق الاولى جمع فقال **ولا هم ينصرون**
اي يجدد لهم نصر يوما ما بمن يتقدمهم قهرا كان من كان والنصر تاييد المقاوم في الامر بما هو اقوى من مقاومه وبما طرفان له
ليصير كالمتقدم له بحكم استقلاله فيما يتوقع عجز المقصور فيه قاله الحرالي فانتفى بذلك جميع وجوه الخلاص التي يطمع فيها
الظالم في الدنيا قال الحرالي ولما كانت اسباب النجاة للمرء باحد ثلاث اما شفاعة من فوقه في العلم والفضل واما نصرة من
فوقه في الايد والقوة واما فكاك من يده لنفسه اذ من هو مثله لا يغني عنه واحرى من هو دونه استوفى الخطاب جميع الوجوه
الثلاث ليبدي تعلق ذي النفس المستمسك بنفاسة جميع الوجوه الثلثة من الشفاعة والفدية والنصرة انتهى ولما تقدم
انه فضلهم وعاهدهم وان وفاه بعهدهم مشروط بوفايهم بعهده ناسب تقديم الشفاعة وياتي ان شا الله تعالى في الاية
الثانية ما يتم به البيان ولما وصف ذلك اليوم بانه لا ينفع فيه حيلة لدى ملكه المرتدي بالكبر والمتجلل بالعظمة ذكرهم بما
انعم عليهم من انجايه لهم بموسى وهرون عليهما السلام حيث شفعا عند الملك الذي كان استعبدهم وسامهم سوء العذاب
فلما لم تشفعهما فيهم قاهراه فانتصرا عليه بايد مليكهم واستنقذاهم منه من سطوة معبودهم وقال الحرالي ولما استوفى خطاب
النداء لهم وجمع التذكير باصل فضيلة النفس الباطنة بالوفا وعرض النفس الظاهرة في النعمة والرياسة جاء ما بعد ذلك من
تفاصيل النعم عطفا من غير تجديد ندا الى منتهى خاتمة الخطاب معهم حيث ثنى لهم هذا الخطاب الادنى بالتذكير بالنعمة ختما
لمتسق خطابه بما تضمنه تذكيرهم بتكرار قوله واذ واذ واحدة بعد اخرى الى جملة منها ولما ذكرهم بالنعمة الظاهرة فانتبه
من تداركته الهداية وتمادى من استحق العقوبة ذكر اهل الاستحقاق بما عوقبوا به بما يستلزمه معنى النجاة وبما يسره مما
احذوا به على ذنوب تشاكل ما هم عليه في معاندة تم القران لحين لم ينفع فيهم التذكير بالعهد والنعمة هددوا بتقريرهم
على مواقع ما اصيبوا به من البلا من عدوهم لما اقترفوه من ذنوبهم ولقد جاكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاكم
حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا فكان في تكذيبهم بالرسالة الاولى وشكهم ما اصابهم من العقوبة من ال فرعون
حتى انقذهم الله بموسى عليه السلام فقال تعالى **واذ** اي واذكروا اذ **نجيناكم** وهو من التنجية وهي تكرار النجاة والنجاة معناه رفع
على النجوة وهو المرتفع من الارض الذي هو مخلص مما ينال من في الوهاد وحيث الارض من هلاك بتسييل ماء ونحوه **من ال** اي
الرجل من تبدو فيهم احواله واعماله وافعاله حتى كانهم هو في غيبه من معنى الال الذي هو السراب الذي يظهر فيه ما بعد ويتراءى

كره

ما لم يكن يرى لولاه فرعون اسم ملك مصر في الجاهلية علم جنس لملوكها بمنزلة اسماء الاجناس من الحيوان وغيره انتهى والمراد بالآل فرعون هو واتباعه فان الآل يطلق على الشخص نفسه وعلى اهله واتباعه واوليائه قاله في القاموس قال ولا يستعمل الا فيما فيه شرف غالبا ثم بين ما انجاهم منه بقوله يسومونكم سوء العذاب سماه بذلك لانه اشد البلاء على النفس لما فيه استحقارها من السوم وهو تعذيب بتهاون بالمعذب والى ما يشتد تنكر النفس له وتكرهها ثم فسره هذا بقوله يذبحون من التذبيح وهو تكرار الذبح والذبح قطع بالغ في العنق قاله الحرالي ولما كان كل من ذبح الابن وحياة المراة بغير رجل الخشن وكانت البنت اذا بقيت صارت امراة عبر بالابناء والنساء فقال ابناءكم اي سوقا لكم سوق البهائم ويستحيون قال الحرالي من الاستحياء وهو استبقاء الحياة نساءكم من معنى الاتخاذ للنساء هل البلاء ليس في معنى ما جرى منه اشتقاق الانس والانثى والنبوة باشتراكها في احد الحروف الثلثة من الهمزة او الواو او الياء مع اجتماعها في النون والسين انتهى ثم نبههم بما فيه من العظم بقوله وفي ذلكم فاشار باداة البعد مقرونة بالميم بلاء اي اختبار من ربكم اي المحسن اليكم في حالي الشدة والرخاء عظيم قال الحرالي البلاء الاختبار وهو ابدا خبرة التي بشدة ومحنة وفيه اشعار باستحقاقهم ذلك واستصلاحهم بشدته دون ما هو ايسر منه وذكره بالعظم الشباعة في الاجسام والانفس والارواح وذكر معنى النجاة ثم فصله تفصيلا لكيفيته بعد ذلك بعد اذ النعمة النجاة التي هي تلو رحمة الانعام التي هي تلو نعمة التقدم بالعهد فانتهى الخطاب ثمانية في المعنى بيني فلما قررهم تعالى على ما اقترفوه قبل موسى عليه السلام حين اصابهم من آل فرعون ما اصابهم استجد لهم تذكيرا بنعمة نجاة من عقوبة مقدم اعمالهم انتهى ولما كان ما فعل بهم من البحر اهلاكا للرجال وابقاء للنساء طبق ما فعلوا ببني اسرائيل عقبه به فقال واذ اي واذكروا اذ فرقنا من الفرق وهو انفراج الواحد حكمة اظهار التقابل قاله الحرالي فصار لكم مسالك على عدد اسباطكم بكم اي بسببكم عقب اخراجنا لكم من اسر الغبط البحر قال الحرالي هو المتسع الرحب البراح مما هو ظاهر كالماء او مما هو باطن كالعلم الذي منه الحبر تشاركا بحروف الاشتقاق في المعنى فانجيناكم من الانجاء وهو الاسراع في الرفعة عن الهلاك الى النجوة العوز انتهى ومن عجائب ذلك انه كان الانجاء منه كان به قال الحرالي وجعل البحر مغرقا بهم كان ثم سبب فرقه فكان نجاتهم هي السبب وضرب موسى عليه السلام بالعصي هي الامارة والعلامة التي انفلق البحر عندها بسببهم وجعل النجاة من بلاء فرعون نجية لما كان على تدريج وجعل النجاة من البحر انجاء لما كان وحيا في سرعة وقت انتهى واغرقنا آل فرعون فيه وبه وانتم تنظرون اسراعه اليهم في انطباقه عليهم وهذا مثل خاض العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه من البحر الملح في ناحية البحرين او الخور له على اختلاف الروايتين ومثل ما قطع سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه الدجلة في زيادة العوس عوما بالخيول بجميع عساكره وكانوا زيادة على ثلثين الفا لم يفقد منهم احد وكان الفرس اذا تعب وثب فصار واقفا على ظهر الماء كانه على صخر فاذا استراح عام قال الحرالي واغرقنا من الغرق وهو البلاغ في الشيء الى غايته بحسبه فان كان في الهلاك فهو غايته وظهر معناه في الماء والبحر لبعد قعره وهو في الماء بمنزلة الخسف في الارض والنظر التحديق للصورة من غير تحقق ولا تبصر انتهى يذكرهم سبحانه بنعمة الانجاء منه بالرجل عنه اولا ثم باغراقه الذي هو اكبر من ذلك ثانيا بما كان بعينه سببا سلامتهم وآخر يذكرهم بما نابهم من النعم حيث كانوا يحقون النعم قال الحرالي وقررهم على نظرهم اليهم وفيه اشعار بعقد بصرهم لضعف نصائرهم من حيث لم يعقلوا وانتم تبصرون ولذلك عادوا بعدها الى امثال ما كانوا فيه من الشك والآباء على انبيائهم بعد ذلك انتهى ولما كان فرق البحر للابقاء البدني وكان انزال الكتاب للابقاء الديني عقبه به وكان الطبع السليم والمزاج المستقيم يقتضي احسان العمل زمن المواعدة واستعطاف المواعد والتزلف له والتملق بما يحقق الرجاء في انجاز وعده لا سيما بعد بليغ احسانه بالانجاء من العدو واهلاكه نعى عليهم علمهم خلاف ذلك بقوله واذ وقال الحرالي لما ذكرهم تعالى بامر الوفاء بالعهد الذي هو خاتمة امرهم وبالتفصيل الذي كان بادئة امرهم نظم ذلك بالامر المتوسط بين الطرفين الذي اعلاه مواعدة موسى عليه السلام وبدا الذي النعمة عليه نعمة عليهم فقال واذ وعدنا من الوعد وهو الترجية بالخير وواعدنا من المواعدة وهي التقدم في اللقاء والاجتماع والمناوصة ونحوه موسى كلمة معربة من لفظ العبراني مما تفسيره فيما يقال ماء وشجر سمي به لما اودع فيه من التابوت المقذوف في اليم اربعين ليلة هي كمال وقت الليل والليل وقت انطماس المدركات الظاهرة انتهى وخص الليل بالذكر اشارة الى ان الذ المناداة فيه والى انه لا نوم في تلك المدة بل المناجاة عامة لليلها ونهارها وانتصب اربعين بوقوعه موقع المفعول الثاني لواعدنا اي انقضاء اربعين اي الكلام وانزال التوراة عند انقضاء الاربعين وهي ذو القعدة وعشر من ذي الحجة وقيل ذو الحجة وعشر من المحرم قال الحرالي وفيه اشعار بان المناجاة انما يتهيأ لها لميقات حبس النفس عما به قوامها وكمال ذلك انما هو الصوم وكمال العدد الذي هو طور مصير من حال الى حال هو الاربعون وذكر الميقات بالليالي يشعر ان مناجاته صباح من ظلمة الكون في حال خصوص الخلقة من حيث ان الظلمة ابدا على فوت مرام نور الحق والنهار آية على ظهور نور الحق واول باد بدا من الحق للخلق كلام المصطفى من خلقه بغير واسطة وهو عبد في دنياه وفي ارضه التي كانت بحبنا فلما جاءها الحق لعبد من عبيده مناجيا له كان ايتها يوم الجزاء بعد البعث صارت موطن رحمة وهدى ونور وهو نحو الله من سيناء المذكور في الكتاب الاول انتهى وهذا دون قصة المصباح التي كانت لنبينا عليه السلام في اختراق السموات العلى الى سدرة المنتهى الى ما لا يعلمه الا الله تعالى وسمع الكلام من غير واسطة ورجع الى بيته في ليلته وقد قطع من المسافات ما مسيرته خمسون الف سنة كما سيأتي ان شاء الله تعالى في سورة السجدة ولما كانت الانفس الابية والهمم العلية تقتضي النفرة من الظالم والابعاد من كل ما ينسب اليه وفيه كربه وكانوا قد اتخذوا من آثار آل فرعون من حليهم ما دخلوا في رقه وعبوديته وكانت مشاهدتهم لما رأوا من الآيات مقتضية لغاية البعد من الكفر عبر عن مواقعتهم له بثم فقال ثم اتخذتم قال الحرالي من الاتخاذ وهو افتعال مما منه المواخذة كانه الوخذ وهو تصيير في المعنى نحو الاخذ

في الحس وفيه تكلف العجل وذكر في هذا التقرير اصل المواعدة وذكر الميقات وتجاوز الخطاب ما بعد ذلك من مهل حسب ما تمم به كلمة ثم لا تقتضي اتمام ذلك ما نالوه من الخيرة لتعقبوا ذلك بالتزام عادتهم في معاودة ما اعتادوه من اعمالهم الى الذي عمل من لا عقل ولا بقية له تنزله من اتخاذ جسد تحل الهيا بعد معرفة آثار الالهية على الغيب ففيه تعجب من ان موسى عليه السلام انما واعده الله بالمناجاة بعد ميقات اربعين صوما وتنسكا وتحنثا وانقطاعا الى ربه ثم يرون هم انهم شهدوا الاله مصورا محسوسا على ان موسى الذي ناجاه ربه مع الوهية تكييف بهم وذلك هو ظلمهم لو صنعوا الاله بحلل الشيء المحسوس وهو تعالى يتعالى على ان يراه صفيه الذي ناجاه في دنياه وانما ناجاه بعد ميقاته وهم يهيمون في ناله مرئي من غير مواعدة ولا اختصاص وفي قوله تعالى من بعده اي من بعد اتيانه لميعادنا اضمار لذكر موسى عليه السلام تقريرا لما كان ينبغي ان يكونوا عليه من الارتقاب لما يأتيهم به موسى عليه السلام من فوائد المناجاة كما يكون من تعلق قلبه بمن هو قدوته والبعد بعد عن حد يتخذ مبدأ ليكون سابقه قبل ولاحقه بعد انتهى واثبات الجار لان اتخاذهم ذلك لم يستغرق زمان البعد وانتم ظالمون فاعلون فعل من هو في اظلم الظلام بعد ان جاءكم موسى عليه السلام بالنور المبين ولما كان ذلك مقتضيا لاعظم السخط المقتضي من القادر للمعاجلة بالاخذ ذكرهم نعمة الامهال بعده فقال مشيرا الى عظيم الذنب والنعمة باداة التراخي ثم عفونا وقال الحرالي ثم تجاوز الخطاب ما اصابهم من العقوبة على اتخاذهم الى ذكر العفو تقريرا على تكرر تلافيهم حالا بعد حال ووقتا بعد وقت كلما احدثوا خطيئة تداركهم منه عفو وخصه باسم العفو لما ذكر ذنوبهم لان المعفو له لا يذكر ذنبه فان العفو رفع العقوبة دون رفع ذكرها والغفر امانة ذكر الذنب مع رفع العقوبة انتهى عنكم اي ولم نعاجلكم بالاخذ وفي قوله تعالى من بعد ذلك اي الذنب العظيم اشعار بما اصابهم من العقوبة وخطاب لبقية المعفو عنهم ليلتئم الامر بهم الى غاية يترجى معها لبقيتهم الشكر قاله الحرالي وكان الاشعار من جهة ادخال من على الظرف فاقتضى مهلة بين العفو والذنب لم يشغلها العفو بل كان فيها عقوبة ثم اقتضى قوله من بعده مهلة بين اتخاذهم العجل واول ذهاب موسى عليه السلام للمناجاة ويجوز ان يكون افراد حرف الخطاب اشارة الى انه لا يعلم جميع ما في دينهم من الشناعة الا امام اهل التوحيد النبي صلى الله عليه وسلم لعلكم تشكرون اي لتكون حالكم حال من يتوقع منه الشكر قال الحرالي وهو ظهور بركة الباطن على الظاهر يقال دابة شكور اذا نجح ما كلها يظهر رسمها وفيه اشعار بان منهم من يشكر ومنهم من يتمادى بما في ترجي كلمة لعل من الابهام المشعر بالقسمين والمنع مكان ظهور الفريقين حتى يظهر ذلك له لمبقاته لان كل ما كان في حق الخلق تردد فهو من الله سبحانه ابهام لمعلومه فيهم على ذلك تجري كلمة لعل وعسى ونحوها انتهى ولما كان في ذلك دليل على سوء طباعهم وعكس مزاجهم وانهم لا يحفظون عهدا ولا يستقيمون على نهج ذكرهم بنعمة الكتاب الذي من شأنه الضبط في جميع الاحوال بالرجوع اليه عند الضلال فقال وقال الحرالي لما ذكر تعالى امر موسى عليه السلام وهو خاص امرهم فصل لهم امر ما جاء به موسى عليه السلام وما كان منهم فيما جاء به انتهى فقال واذ آتينا اي بما لنا من العظمة موسى الكتاب اي الكامل في نفسه الجامع لكم على طريق الحق ولما كان الكتاب مع كونه جامعا لما اريد منه فارقا بين الملتبسات وصفه بقوله والفرقان اي المبين للاشيا على ما هي عليه من غير ان يلبع في شيء لبسا قال الحرالي فقررهم على امرين من الكتاب الذي فيه احكام الاعمال والفرقان الذي فيه امر العلم وبهما ملاك حال اقامة الدين بالعلم والعمل والفرقان فعلان لفظ مبالغة يفهم استغراقا وامتلاء وعظما فيما استعمل فيه وهو في هذا الملحظ من الفرق وهو اظهار ما البسته الحكمة الظاهرة للاعين بالتبيان لعرفان لبسه بما تسمعه الاذن وجا فيه بكلمة لعل اشعار بالابهام في امرهم وتفرقتهم مثبت لحكم الكتاب عامل به عالم بسطيه العرفان خبير به وبين تارك لحكم الكتاب غافل عن علم الفرقان انتهى فقال تعالى لعلكم تهتدون اي لتكون حالكم حال من ترجى هدايته فيغلب حالة جهله وغفلته شهوته ولهذا الختم تلاه بما هداهم به بما الزمهم من التوبة الزاجرة عن مثل ذلك من قتل الانفس فقال واذ قال الحرالي لما تكمل اقبال الخطاب عليهم مرات بما تقدم من ندائهم والعطف على ما في صلته صرف الحق وجه الخطاب عنهم الى ذكر خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى يخاطب العباد باسقاط الواسطة بينه وبينهم توبيخا لاقتدارهم لديه فيرفع من شاء يخبيه بما شاء ويوقف من شاء فيجعل له بينه وبينه في الخطاب واسطة من نبيه فلما قررهم بما مضى من التذكير على ما واجههم به الحق تعالى ذكر في هذه الاية تقريرهم على ما خاطبهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم حين اعرض الحق عن خطابهم بما اصابوه من قبيح خطيئتهم انتهى فقال واذ قال موسى لقومه العابد للعجل والساكت عنه والقوم قال الحرالي اسم من لهم منة في القيام بما هم مذكرون به وكذلك يقابل بلفظ النساء لضعفهن فيما يحاولنه وفيه تخويف لهذه الامة ان يصيبهم مثل ما اصابهم في خطاب ربهم بتعرض عنهم انتهى يا قوم واكد لعراقتهم في الجهل بعظيم ما ارتكبوه ويمنا وفيهم به مما اشربوا في قلوبهم من الهوى انكم ظلمتم انفسكم ظلما تستحقون به العقوبة باتخاذكم العجل اي الها من دون الله فجعلتم انفسكم متذللة لمن لا يملك لها شيئا ولمن هي اشرف منه فانزلتموها من رتبة عزها بخضوعها لمولاها الذي لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه الى ذلها بخضوعها لمن هو دونكم انتم بهذا اهوا سوء الظلم فان المرء لا يصلح ان يتذلل ويتعبد لمثله فكيف بمن دونه من حيوان فكيف بما يشبه بالحيوان من جماد الذهب الذي هو من المعادن وهو اخفض المواليد رتبة حين لم يبلغها حيا نما ان نبت وفوق الارض كالنبات من النجم والشجر ولما فيه من الانتفاع بما يكون منه من الحب والثمر الذي ينتفع به غذاء ودواء والمعادن لا ينتفع بها الا آلات ونقودا منفعتها اخراجها انتهى مما قاله الحرالي فتوبوا الى بارئكم الذي فطركم من قبل ان تتخذوا العجل بريئين من العيب مع احكام الخلق على الاشكال المختلفة قال الحرالي البارئ اسم لما

بمعنى البرء وهو اصلاح المواد للمتصور كالذى يقطع الجلد والثوب يجعله خفا وقميصا وكالذى يطحن القمح ويعجن الطين يجعله خبزا
وفخارا ونحو ذلك ومعناه البد فيق للشى بحسب التمثيل لصورته انتهى ولما كانت توبتهم بقتل اقاربهم وان كانوا ابا او ابنا عبر عنهم بالنفس لذلك
واشارة الى حث ما ارتكبوا فقال فاقتلوا انفسكم اى التى اوجدها فقادتكم الى الشرك قال الحرالى والقتل قتل الحيوان نزلته بمنزلة
قتل الزرع قبل استحصاده انتهى ولما كان ما امرهم به امرا لا يكاد يسمح به عظم الرغبة فيه بقوله ذلكم اى الامر العظيم وهو القتل خير
لكم والخير قال الحرالى ما يصلح فى الاختيار من محسوس الاشيا وما هو الاصلح وما هو الاخير ورب ما استعملت منه خير محذوفة فيقال هو خير لكم
فى نفسه اى مما يختار ويقال هذا اخير من هذا اى اخير منه اى اصلح فى الاختيار وكذلك شر فى مقابلة وهما مشعران بتوسط من الاشيا
لاختاره بجل زيادة صلاح ولا يطرح لاجل اذى ولا مضرة عند كلمة تفهم اختصاص ما اضيفت اليه بوجه ما عام واخص منه لدن
ولدن خاصتها وعند عامتها كالذى يملك الشى فهو عنده وان لم يكن فى حضرته انتهى بارئكم اى القادر على اعدامكم كما قدر على ايجادكم وفى
التعبير بالبارى ترغيب لهم فى طاعته بالتذكير بالاحسان وترهيب بايقاع الهوان ولما كان التقدير ففعلتم التوبة المامور بها بان
قتل بعضكم بعضا بتوفيقه لكم سبحانه مع ما فيه من عظم المشقة عطف عليه قوله فتاب عليكم اى مع عظم جرمكم ولولا توبته عليكم ما تبتم
ثم علل ذلك بقوله انه اى لانه هو التواب الرحيم اى ما زال هذا صفة له لا لاستحقاق منكم عليه قال الحرالى وفى اظهار هو مفصولة
من ضميره وصلها اثبات معنى الرحمة لله ثبتا لا يتبدل ولا يتغير الا انه من وراء غيب ما شاء الله من ادب وامتحان وعتاب تكذلك ختمه باسم
الرحيم لان الختم ابدا اظهار للمعنى للاخفى من مضمون ما فيه الختم انتهى ولما استتابوا عن عبادة العجل التى تقيد وا فيها بالمحسوس الذى هو مثل
فى العبادة طلبوا رؤية باريهم بالحس على ماله من صفات الكمال التى تابى الابتذال ناسين جميع النعم والنقم مسرعين فى الكفر الذى هو من شان
الحابر والحال ان الفرقان الذى لا يدع شبهة ولا يبقى حيرة قائم بين ايديهم لانهم من الجمود والوقوف مع الوهم والحس بمكان عظيم تذكرهم سبحانه
ذلك مسليا للنبى صلى الله عليه وسلم فى ابائهم للايمان به بما فعلوا مع موسى عليه السلام وهو احدهم فقال واذ قلتم اى بعد ما رايتم
من الايات وشاهدتم من الامور البينات يا موسى تدعونه باسمه جفا وغلظة كما يدعو بعضكم بعضا ولم تخصوه بما يدل على تعظيم
لما رايتم من اكرام الله له واكرامكم على يديه لن وهى كلمة تفهم نفى معنى باطن كانه لا ان يسر بالتخفيف لفظها قاله الحرالى نؤمن لك اى
لاجل قولك قال الحرالى وجا باللام لانهم قد كانوا امنوا به فتوقفوا عن الايمان له الذى يتعلق بامور من تفاصيل ما يانيهم به لمن
امن لاحد فقد امن بامور لاجله ومن امن به فقد قبل اصل رسالته يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين حتى كلمة تفهم غاية محوطة
يدخل ما بعدها فى حكم ما قبلها مقابل معنى الى نرى من الرؤية وهى اطلاع على باطن الشى الذى اظهر منه مبصوره الذى اظهره
منه منظره ومنه يقال فى مطلع المنام رؤيا لان ذوات المراى فى المنام مثال باطنه فى صورة المنظور اليه فى اليقظة انتهى الله
اى مع ماله من العظمة جهرة اى عيانا من غير خفا ولا نوع لبس قال الحرالى من الجهر وهو الاعلان بالشى الى حد الشهرة وبلاغه لمن لا
يقصده فى مقابلة السر المختص بمن يقصد به وهذا المطلوب مما لا يليق بالجهر لتحقق اختصاصه بمن يكشف له الحجاب من خاصة
من يجوزه القرب من خاصة من يقبل عليه النداء من خاصة من يقع عنه الاعراض فكيف ان يطلب ذلك جهرا حتى يناله من هو فى
محل البعد والطرد وفيه شهادة بتبلدهم عن موقع الرؤية فان موسى عليه السلام قال رب ارنى وقال تعالى وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة وقال عليه السلام انكم ترون ربكم فالاسم المذكور لمعنى الرؤية انما هو الرب لما فى اسم الله تعالى من الغيب الذى
لا يدركه لاجله الاسم ما هو يوف لاسم ما هو فى المعنى مثل ذلك السر من اسرار العلم بمواقع الاسما الحسنى فيما بنا سبها من صنوف
الخطاب والاحوال والاعمال وهو من اشرف العلم الذى يفهم به خطاب القران حتى يضاف لكل اسم ما هو اعلق فى معناه واولى
به وان كانت الاسما كلها ترجع معانى بعضها لبعض فاخذتكم من الاخذ وهو تناول الشى علة بنوع بطش وقوة انتهى اى بقولكم هذا
لما فيه من الفظاعة وانتهاك الحرمة الصاعقة قيل هى صيحة وقيل نار نزلت من السما فاحرقتهم ويؤيده قوله وانتم تنظرون
اى تلك الصاعقة فاماتتكم لانكم كنتم فى طلبكم رؤيته على ضرب من حال عبدة العجل فاماتكم كما اماتهم بالقتل ولما كان احيا ومهم من
ذلك فى هذه الدار فى غاية البعد وخرق العادة عبر عنه باداة التراخى و مظهر العظمة فقال ثم بعثناكم اى بما لنا من العظمة
بالاحيا قال الحرالى من البعث وهو الاستثارة من غيب وخفا اشده البعث من القبور ودونه البعث من النوم قال وتجاوز
الخطاب ما كان من سبب بعثهم وكذلك كل موضع يقع فيه ثم ففيه خطاب تجاوز مديد الامد كثير رتب العدد مفهوم لمن استوفى مقاصد ما وقعت كلمة ثم بلينه من الكلام من المثنا طفين ففى معنا التجاوز من الخطاب سؤال موسى عليه السلام ربه
فى بعثهم حتى لا يكون ذلك فتنة على سايرهم انتهى ولما كان ربما ظن ان البعث من غشى ونحوه حقق معناه مبينا انه لم يستغرق
زمن البعد بقوله من بعد موتكم اى هذا بتلك الصاعقة وقال دالا على ان البعث الى هذه الدار لا يقطع ما بنيت عليه
من التكليف لانها دار الاكدار فلا بد من تصفية الاسرار فيها بالاعمال والاذكار لعلكم تشكرون اى لتصيروا حالكم حال من
يصح يرجى شكره لهذه النعمة العظيمة وكلما جا من لعل المعلل بها افعال الرب تبارك وتعالى ينبغى ان تؤول نحو هذا فان
لعل تقتضى الشك لانها للطمع والاشفاق فيطمع فى كون مدخولها ويشفق من ان لا يكون وتارة يكون الشك للمخاطب
وتارة يكون للمتكلم ولو قيل لتشكروا لم يكن هناك شك فاله الرمانى فى سورة يوسف عليه السلام وقال الحرالى وفى لعل
ابهام معلومة فيهم بان منهم من يشكر ومنهم من لا يشكر انتهى وسياتى فى سورة طه ان شا الله تعالى عن نص سيبويه فى كتابه

خيرح

مايريد

مايريد ما ذكرته وفى هذه الاية وما بعدها منها من اية واتقوا يوما لا تجزى نفس تنبيه للعرب من غفلتهم فى انكار البعث واسناد
الى سؤال من يجوزهم من اهل الكتاب بانهم اولى بالحق من المسلمين عن هذه القصة التى وقعت لاسلافهم من احيايهم بعد موتهم
وكذا ما اتى فى مجاوراتهم من قصة البقرة ونحوها مما فيه ذكر الاحيا فى هذه الدار وفى القيمة قال الحرالى وفيه اى هذا الخطاب
اية على البعث الاخر الذى وعد به جنس بنى ادم كلهم لجاة صعق وسرعة بعث فان ما صح لاحدهم ولطايفة منهم امكن عمومه
فى كافتهم انتهى ولما ذكرت الصاعقة الناشية غالبا من الغمام كان انسب الاشيا ايلاؤها ذكر تظليل الغمام وناسب التحذير من
نقمة الاحراق بالصاعقة والتذكير بنعمة الايجاد من الموت الاتباع بذكر التنعيم فى الابقا بالصيانة عن حر الظاهر بالشمس
والباطن بالجوع وقال الحرالى وعطف تعالى على ذكر البعث ذكر حال من مثل احوال اهل الجنة الذى يناله من يحقه البعث فكان
حال منهم الذين لم يبوءوا انما شركوا هولا المبعوثين لكونهم كانهم ماتوا بموتهم وبعثوا ببعثهم بذكر ظل الغمام وهو من امر ما
بعد البعث والارزاق بغير كلفة وهو من حال ما بعد البعث وانهم ذلك امور اخرى احوالهم كما يقال ان ملابسهم كانت
تطول معهم كلما طالوا فكانهم اخرجوا من احوال اهل الدنيا بالجملة الى شبه احوال اهل الجنة فى محل تيههم ومستحق مناله
العقوبة لهم كل ذلك الغاما عليهم ثم لم يزيدوا مع ذلك الابعدا عن التبصرة فى كل ما ابدى لهم من العجايب حدث عن بنى اسرايل
ولا حرج فقال وظللنا من الظلة وهى وقاية مما ينزل من سما الموقى عليكم الغمام من الغم وهو ما يغم النور اى يغطيه انتهى اى فعلنا
ذلك لترفيه اجسامكم وترويح ارواحكم وانزلنا عليكم المن قال الحرالى هو ما جا بغير كلفة الكماة من المن انتهى والسلوى اى
لطعامكم على ان المن من الغمام وحشر السلوى اليهم بالريح المثيرة له فنظمهما به على غاية التناسب قال الحرالى والسلوى اسم
صنف من الطير يقال هو السمانى او غيره انتهى وسيانى ان شا الله تعالى فى الاعراف انه غير السمانى وانهم حصوا به ايذانا
بقساوة قلوبهم وهذه الخارقة قد كان لصحابة نبينا صلى الله عليه وسلم غنيين عنها بما كان النبى صلى الله عليه وسلم كلما احتاجوا
دعا بما عندهم من فضلات الزاد فيدعوا فيكثره الله حتى يكتفوا من عند اخرهم واعطى ابا هريرة تمرات وامره بجعلها فى مزود
وقال له انفق ولا تنثرها فاكل منه سنين وانفق منه اكثر من خمسين وسقا وبارك لاخر فى قليل شعير وامره ان لا يكيله فلم
يزل ينفق منه على نفسه وامراته وضيفه حتى كاله ففنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو لم تكله لاكلتم منه ولقام لكم
وكان نحو ذلك لعايشة رضى الله عنها بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم وكذا لام مالك رضى الله عنه فى عكة سمن لم تزل
تقيم لها ادمها حتى عصرتها ومثل ذلك كثير فى دلايل النبوة للبيهقى وغيره وقيل لكم كلوا او دل على انه اكثر من كفايتهم بقوله من طيبات
جمع طيبة قال الحرالى الطيب ما خلص من منازع يشاركه فيه وطيبه من سوى لاكل له اى لم ينازعه وليس فيه حول لغيره ومنه الطيب
فى المذاق وهو الذى لا ينازعه مكره فى طعمه وهذا زاد على ذلك بكونه لم يكن عن عمل حرث ولا معاملة مع خلق انتهى ما رزقناكم
اى على عظمتنا التى لا تضاهى ولما لم يرعوا هذه النعم اعرض عنهم للايذان باستحقاق الغضب وقال الحرالى ثم اعرض بالخطاب عنهم
واقبل به على محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه انتهى فقال وما اى فظلموا بان كفروا هذه النعم كلها وما ظلمونا بشى من ذلك
ولكن كانوا اى جبلة وطبعا انفسهم اى خاصة يظلمون لان ضرر ذلك مقصور عليهم قال الحرالى وفيه اشعار بتجديد
هؤلا ان يروا نحو ما راوا فينا لهم نحو ما نالوه لان قصص القران ليس مقصوده مقصورا على ذكر الاولين فقط بل كل قصة
منه انما ذكرت لما يلحق هذه الامة فى امد يومها من شبه احوال من قص عليهم قصصه انتهى ولما كان كل من ظل الغمام ورزق مرطعام
واحد غير مالوف لهم مع كونه نعمة دنيوية وكان المالوف احب الى النفوس تلاه بالتذكير بنعمة مالوفة من الاستظلال بالابنية
والاكل بما يشتهى مقرونة بنعمة دينية وقال الحرالى لما ذكر تعالى عظيم فضله عليهم فى استحقاق عقوبتهم فى تظليل الغمام
وانزال المن والسلوى وهو مبتدا امر تيههم حين ابوا ان يقاتلوا الجبابرة نظم به اخر امر تيههم بعد وفاة موسى وهرون عليهما
السلام حين دخولهم مع يوشع عليه السلام وما امروا به من دخول البلد المقدس متذللين بالسجود الذى هو اخص رتب العبادة له
وكال على العامل ودنو من الحق انتهى فقال تعالى واذ قلنا اى لكم ادخلوا هذه القرية اشارة الى نعمة النصر قال الحرالى الدخول
الولوج فى الشى بالكلية حسا بالجسم ومعنى بالنظر والراى والقرية من القرى وهو الجمع للمصالح التى بها يحصل قوام الدنيا لقرى
اهل الدنيا والتى تجمع مصالح اهل الاخرة لقرى اهل الاخرة قال عليه الصلاة والسلام امرت بقرية تاكل القرى باستنباطها
كانما تستقرى القرى تجمعها اليها وقد تناوبت اليا والهمزة والواو مع القاف والرا على تمام هذا المعنى انتهى وناسب سياق
النعم الدلالة على تعقيب نعمة الدخول بالفا فى قوله فكلوا منها حيث شئتم واتم النعمة بقوله رغدا موسعا عليكم طيبا
قال الحرالى وفيه اى هذا الخطاب تنبيه فى ذكر الارض لما تقدم من نحوه لادم فى السما فكان شبيها لهم لذلك عن فسق لا عن نسيان
كما كان امر ادم عليه السلام فكانهم اقتطعوا عن سنته الى حال الشيطان الذى كان من الجن ففسق عن امر ربه لتحقق ظلمهم حين
لم يشبهوا اباهم واشبهوا عدو ابيهم وعدوهم انتهى وامرهم بالشكر على نعم النصر والايوا وادرار الرزق بامر يسير من القول والفعل
وقدم الدخول الساتر للنفوس والسجود الذى هو اقرب مقرب للحضرة الشريفة لانه فى سياق عدا النعم على القول المشعر
بالذنب فقال وادخلوا الباب وهو كما قال الحرالى اول مستفتح الاشيا والامور المستغلقة حسا او معنى حال كونكم سجدا
وقولوا جامعين الى نوم القلب وخضوع الجوارح الاستغفار باللسان ولما كان القول تخلية الجهل فيكون مفعولا بها وتحمل

في المفرد اذا كان مصدرا او صفة لمصدر كقلت حقا او معبرا به عن جملة كقلت شعرا او ما كان على غير هذا كان اسناد القول اليها لا
فائدة فيه غير مجرد الامتثال رفع قوله حطة اى عظيمة لذنوبنا قال الكشاف والاصل النصب اى حط عنا ذنوبنا الا انه رفع ليعطي
معنى الثبات قال الحرالي من الحط وهو وضع الحمل الثقيل [illegible] وحام لوة تكون في الجسم والمعنى امروا بقول ما حط عنهم ذنوبهم التي لم
عوتبهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من معه من المهاجرين والانصار لشعب من الشعاب منفردا بين الحرمين لسير يفهن له
يعني في عمرة الحديبية فقال قولوا لا اله الا الله وعند ذلك دخول الشعب الذي هو باب المدخل من نجد الارض الى سهلها فقالوها
فقال والذي نفسي بيده انها للحطة التي عرضت على بني اسرائيل ان يقولوها فبدلوها انتهى وعبر بنون العظمة في قوله نغفر لكم اشارة
الى انه لا يتعاظمه ذنب وان عظم كما تعاظم الجبل اذا جب بالنوبة وفي قراءة من قراه بالتحتانية والفوقانية مبنيا للمجهول اشارة الى تحقير الذنوب
اذا اراد غفرانها بحيث انه بادنى امر وادق اشارة نحوها وهي اقل من ان يباشرها بنفسه المقدسة كل ذلك استعطاف الى التوبة
والعفو قال الحرالي ستر الذنب ان يظهر منه اثر على المذنب لا عقوبة ولا ذكر ثم قال ففي قراءة نغفر نزول من الحق ومن هو من حزبه من الملائكة
والرسل وفي قراءة تغفر ابلاغ امر خطاياهم بما يفهمه التانيث من نزول القدر وفي قراءة اليا توسط بين طرفي ما يفهمه علو قراءة النون وفي
ذلك تحليه اشعار بان خطاياهم كانت في كل مرتبة مما يرجع الى عبادة ربهم واحوال انفسهم ومعاملتهم مع غيرهم من انبيائهم وامثالهم
حتى جمعت خطاياهم جميع جهات الخطايا الثلاث فكانهم ثلثة اصناف صنف بدلوا وصنف انتقدوا وصنف احسنوا ليزيدهم الله
ما لا يسعه الفوت وهل جزا الاحسان الا الاحسان انتهى ولما كان السياق هنا لتعداد النعم حسن عنوان يعفو عن ذنوبهم بجمع الكثرة فقال
خطاياكم اشارة الى انهم اصروا عليها بحيث كادوا ان يجعلوا باز كل نعمة ذنبا والخطايا جمع خطيئة من الخطا وهو الزلل عن الحد عن غير
تعمد بل مع عزم الاصابة او ود ان لا يخطي هكذا قال الحرالي والظاهر ان المراد هنا ما كان عن عمد كما بيناه ما كان لان ذلك اولى بسياق
الامتنان والعقوبة بالعصيان قال في القاموس والخطيئة الذنب او ما تعمد منه والخطا ما لم يتعمد جمعه خطايا وقرى شاذا خطيئاتكم
بالجمع السالم الدال على القلة اشارة الى انها وان تكاثرت لهي في جنب عفوه قليل وهذا خلاف الاعراف فان السياق هناك لبيان
اسراعهم في الكفر كما سياتي ان شا الله تعالى ولما سبب عد النعم العطف على ما تقدم منها بقوله وسنزيد المحسنين اى بعد
غفران ذنوبهم قال الحرالي جمع محسن من الاحسان وهو البلوغ الى الغاية في حسن العمل فيكون مع الخلق دوبة المرنفسه في عزم فيوصل
له من البر ما يحب ان يفعل معه ورؤية العبد ربه في عبادته فالاحسان فيما بين العبد وربه ان يغيب عن نفسه ويرى ربه
والاحسان فيما بين العبد وغيره ان يغيب عن غيره ويرى نفسه فمن راى نفسه في حاجة الغير ولم ير نفسه في عبادة الرب فهو محسن
وذلك بلوغ في الطرفين الى غاية الحسن في العمل منزلة الحسن في الصورة انتهى ولما كان هذا التصريح بالترغيب المتضمن للتلويح
بالترهيب مقتضيا للعاقل المبادرة الى الطاعة بين انه تسبب عنه ان بعضهم عصوا وكفروا هذه النعمة العظيمة ولم يعتبروا
على تبوك هذا الامر بدلوه بدخولهم كما في الحديث يزحفون على استاههم قايلين حبة في شعره اى حبس الحب في حبس الشعر
اى في الغراير مطلوبنا لا الحطة وهي غفران الذنوب قال الحرالي امروا بالاخلاص لله نظرا الى حياة قلوبهم فطلبوا الحنطة نظرا الى
حياة جسومهم فقال تعالى فبدل من التبديل وهو تغيير شي مكان شي انتهى الذين ظلموا واسقط منهم لما في الاعراف ان شا
الله تعالى قولا اى مكان القول الذي امروا به ولما كان التبديل وان كان يفهم التغيير لكنه يصدق بادنى تغيير ولو انه في اللفظ
وان اتحد المعنى بين انه مضاد له بحيث لا يمكن اجتماعهما بقوله غير الذي قيل لهم فان غيركما قال الحرالي كلمة تفهم انتفا واثبات
ضد ما انتفى وقال ذكر تعالى عدولهم عن كل ذلك واشتغالهم ببطونهم وعاجل دنياهم فطلبوا طعام بطونهم التي قد فرغ منها التقوير
واظهر لهم العنا عنها في حال التيه بانزال المن والسلوى اظهارا للبلادة طباعهم وعليه حب العاجلة عليهم فبدلوا كلمة التوحيد
وهي لا اله الا الله وهي الحطة بطلب الحنطة ولو انهم امنوا واتقوا لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السما والارض من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين انتهى وبين سبحانه ان خص
المبدلين بالعقاب نعمة منه مع انه لو ان بهم فقال فانزلنا اى بعظمتنا بسبب ذلك على الذين ظلموا اى خاصة رجزا
قال الحرالي هو اشد العذاب وما جره ايضا يسمى رجزا لما يجب ان يزجر عنه والرجز كف البهايم عن عدوانها انتهى ولما كان الانزال
منها للسما حقيقة تعظيما له بقوله من السما بما اى بسبب ما كانوا يفسقون اى يجددون الخروج من الطاعة الى المعصية
في كل وقت ففي ايمانه انهم يعودون الى الطاعة بعد الخروج منها وذلك نقض لان يكون يظلمون اشد منه كما ياتي قال الحرالي
فيحق يجب على من دخل من باب حبل او قرية ان يقول في وصيدها لا اله الا الله ليحط عنه ما جنى ذنوبه فكان ذكر الله في باب المدينة
والشعب ذكاة لذلك المدخل لمن لم يدخله مذكيا دخله فاسقا ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق فلذلك ما ختم
ذكرهم في الاية بالفسق انتهى ولما بين سبحانه نعمته عليهم بالاسكان من العرية بالنصر على اهلها والتمتيع بما فيها ورحمته بتعذيبهم
بما يميت او يجري وتبين من ذلك كله ان قلوبهم اشد قسوة من الحجارة كما سياتي التصريح به من قول الله تعالى في قصة البقرة وانها
لا منفعة فيها اتبعه التذكير بنعمته عليهم في البرية بما برد الاكباد ويحيي الاجساد تذكروا انفجار الماس الحجر الذي عمهم نفعه وانقذهم
من الموت نبعه ودلهم على التوحيد والرسالة اصله وفرعه بقدرة الصانع وعلمه جمعا لهم بذلك بين نعمتي الدين والدنيا
فقال تعالى واذ استسقى اى طلب السقيا قال الحرالي والسقيا تعلى صيغة مبالغة فيما يحصل به الري من السقي والنعى

احيا موات شانه ان يطلب الاحيا حالا او معا لا قال صلى الله عليه وسلم اللهم اسق عبادك لعانك قال واحيي بلدك الميت انتهى موسى
لقومه اى لما خافوا الموت من العطش فقلنا اى بما لنا من العظمة حين حقيقت عنهم اضرب قال الحرالي من الضرب وهو وقع الشي على الشي بعوة
بعصاك والعصي كانها ما يكف به العاصي وهو من ذوات الواو والواو فيه اشعار بعلو كما ان الف تعلو من قارف ما تشعر فيه اليا بنزول
عله بالمعصية كان العصا ادب العصي يقال عصي يعصو اى ضرب بالعصي اشتقاقا من ثان وعصى يعصي اذا خالف الامر انتهى الحجر اى جنسه
فضرب حجرا انطوى هذا المعد ر من الضرب لاتي فانفجرت عليه مع البلاغة وبداعة الحسن ولطافة الرونق بجذ فروالدلالة على سرعة
الامتثال وعلى ان المؤثر في الحقيقة انما هو الامر بالضرب لا الضرب نفسه وما انسب ذكر الانفجار هنا بعد ختم ما قبل بالفسق
لاجتماعهما في الخروج عن محيط هذا خروج يجي وذاك خروج بميت قال الحرالي الانفجار انبعاث وحي من شي موعى او كانه موعى انشق وانفلق
عنه وعاوه ومنه الفجر وانشقاق الليل عنه انتهى ولان هذا سياق الامتنان عبر بالانفجار الذي يدور معناه على الانشقاق فيه سيلان
وانبعاث مع انتشار واتساع وكثرة ولما لم يكن سياق الاعراف للامتنان عبر بالانبجاس الذي يدور معناه على مجرد الظهور والنبوع
منه اى الحجر الذي ضرب به اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين والعين قال الحرالي هو باذنام فيم بيد وبه عبره فما اجراكن الماء في رى اوزرع
فهو عين وما مطر من السما فاغنى فهو عين يقال ان العين مطر ايام لا يقلع وانما هو مطر يغني ويحج وما ينبد وبه الموزونات عين وما
يبدو به الموهبات من الشمس عين وما ينال به الاعيان من الحواس عين والركبة وهي بير السقيا عين وهي التي يجعلها بعضهم فيقول
الركبة بالياء بمعنى الموحدة وانما هي الركبة بالياء المشددة كذا قال وقد ذكر اهل اللغة عين الركبة وعد القاموس المعاني التي
لهذا اللفظ نحوا من بعين منها الركبة اى بالموحدة ومنها مفجر الركية بالتحتانية مشددة ولما توقع السامع اخبارا لمتكلم هل كانت
الاعين موزعة بينهم مجموعة او ملبسة قال قد علم كل اناس اى منهم قال الحرالي وهو اسم جمع من الانس بالضم كما ان اسم جمع من
النوس قال فلم يسمهم باسم من اسما الدين لان الاسما تجري على حسب الغالب على المسميين بما من احوال تدين او حال طبع او تطبع
مشربهم مكتفا اى من الشرب المردد مع الايام ومع الحاجات في كل وقت بما يفهمه المفعل اسم مصدر فان مشتق من مطلق الشرب
او اسم محل يلزمه التكرار عليه والتردد فجعل سبحانه سقياهم اية من اياته في عصاه كما كانت اياته في عصاه على عدوه الكافر فكان فيها نقمة
ورحمة وظهر بذلك كمال تمليكه تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم حين كان ينبع من بين اصابعه الما غنيا في نبوعه عن الة ضرب او حجر وتمليك
الما من اعظم التمكين لانه تمكين فيما هو بز كل شي ومنه كل حي وبه كل مجعول ومصور انتهى يعني ان هذه الخارقة دون ما نبع للنبي صلى الله عليه
وسلم من الماء من بين اصابعه ودون ما نبع بوضع اصحابه سهما من سهامه في بير الحديبية وقد كانت لاما فيها وعوذلك كثير ولما كان السياق
للامتنان وكان الايجاد لا يستلزم التحليل للتناول قال زيادة على ما في الاعراف ممتنا عليهم بنعمة الاحلال بعد الايجاد على تقدير القول
لانه معلوم تقديره كلوا واشربوا من رزق الله اى الذي رزقكموه من له الكمال كله من غير كد ولا نصب قال الحرالي لما لم يكن في ماكلهم ومشربهم
جري لعادة حكمته في الارض فكان من غيب فاضيف ذكره لاسم الله الذي هو غيب ولا تعثوا من العثو وهو اشد الفساد وكذلك
العثي الا انه يشعر هذا التقابل بين الواو واليا ان العثو فساد اهل القوة بالسطوة والعثي افساد اهل المكر بالحيلة انتهى في الارض اى
عامة لان من افسد في شي منها بالفعل فقد افسد فيها كلها بالقوة واتباع ما معناه الفساد قوله مفسدين لبيل على ان المعنى ولا
تسرعوا الى فعل ما يكون فسادا فاصدين به الفساد فان العثي والعبث الاسراع في الفساد لكن قد يقصد بصورة الفساد الخير فيكون
صلاحا في المعنى كما فعل الخضر عليه السلام في السفينة والغلام وليس المراد بالاسراع التقييد بل الاشارة الى انه لملايمته للهوى لا يكون
الا كذلك وسياتي له في سورة هود عليه السلام ان شا الله تعالى مزيد بيان قال الحرالي وفيه اشعار بوقوع ذلك منهم لان في كل نهي اشعارا
بحالفته الا ما شا الله وفي كل امر اشعار بموافقته الا ما شا الله لان ما جبل عليه المر لا يومر به لاكتفا اجباره فيه طبعا عن امره وما منع منه
لا ينهى عنه لاكتفا اجباره عن امره وانما يجري الامر والنهي توطية لاظهار الكيان في التفرقة بين مطيع وعاص فكان منهم لذلك من العثي ما اوجب
ما اخبر به الحق عنهم من العدوان واشد الافساد افساد بنيان الحق الذي خلقه بيده وهي هياكل اجساد بني ادم فكيف بالمومنين منهم فكيف
بالانبيا منهم انتهى ولما امتن عليهم سبحانه بهذه النعمة العظمى من اكل المن والسلوى وشرب هذا الما الرباني بين انهم لفروها بالتضجر منها
وطلب غيرها واتبعه كان قريبا منها بل كان هذه في غاية العلو وكان مطلوبهم في غاية الدناة والسفول فقال تعالى واذ قلتم اى بعد هذه
النعم كلها يا موسى منادين له باسمه من غير تعظيم لن نصبر اى طويلا على طعام قال الحرالي الطعام ما يقوت المطعم ويصير جزا منه فليبتظر
الانسان الى طعامه الاية انتهى واحد اى لا يتبدل وان كان متعددا وان كان شريفا لا نحب فيه فادع لنا قال الحرالي من الدعا وهو ندا اغليا
لانه عوا الحاجة اليه من القايم على الداعي بتذلل وافتقار وهو في مقابلة الامر من الاعلى لانه اقتضا لما لا تدعوا حاجة من الامر لان الامر بالحقيقة
انما هو الغني لا المفتقر لما يقتضيه انتهى ربك مضيفين له الاسم اليه دون انفسكم مع كثرة تجليه لكم بهذا الوصف لنا ظر الى الاحسان
يخرج لنا اى وان كنت انت غير ملتفت الى ذلك مما تنبت من الانبات وهو التغذية والتنمية قاله الحرالي الارض ثم بينوا ما ارادوا بقولهم
من بقلها الى خضرها قال الحرالي البقل ما يكثر به الادم والادم الاشيا الدسمة فما يصلح معها من نجم الارض فهو بقل انتهى وقثايها وفومها
الى الحنطة وقال الحرالي يقال هو الحب الذي يخبز انتهى وعدسها وبصلها فكانه قيل ان هذا العجب منهم فما قال فقيل قال منكرا عليهم
اتستبدلون اى اتاخذون الذي هو ادنى اى منزلة بالذي هو خير اى بدله فالبا داخلة هنا على المتروك وهذه المادة اعني الباء
والدال المهملة واللام لهذا الترتيب لها استعمالات كثيرة تختلف معانيها فيشكل فهمها بسبب ذلك فانه قد يذكر معها

المتقابلات فقط وقد يذكر معهما غيرهما وقد لا يكون كذلك وقد يكون ذلك مع التبدل والاستبدال فيصحبوا احدهما بالبا وقد لا يكون كذلك وقد يذكران مع التبديل والابدال وتارة تكون البا داخلة على المتروك وتارة على الماخوذ وقد يتعدى الفعل بنفسه الى المفعولين وتارة يقتصر به على مفعول واحد وبعض الاستعمالات معنى غير معنى الاخر وسيأتي تحريره ان شا الله تعالى في سورة سبا فكانه قيل فهل اجابهم الى سوالهم فقيل ثم قال اهبطوا مصرا اى من الامصار قال الحرالي المصر هو البلد الجامع لما يتعاونون عليه من امور الدنيا الذي يجمع هذه المطالب التي طلبوها لان مادون الامصار لا يكون فيها الا بعضها ومنه سميت مصر لجماع امرها في الدنيا فيها وغرابة سقياها وان وافق ذلك ما يقال انما سميت مصر باسم رجل فالموافق في حكمة الله لان كل دقيق وجليل فيها جار بعلم الله وحكمته حيث كانت من ورا حجاب تخفيها او ظاهرة بادية لاهل النظر والاستبصار انتهى فان لكم اى فيه ما سألتم وينقطع عنكم المن والسلوى السوال قال الحرالي طلب مائدة عوايد الحاجة ونفع بها الكفاية قال وذكر تعالى ان مطلبهم انما يجدونه في الامصار التي اثر فيها حكمته لا في المفاوز التي يظهر فيها كلمته ولذلك كثيرا ما تخرق العادة لاولياء هذه الامة في المفاوز وقل ما تخرق في الامصار والقرى لما في هذه الاية مضمونه ولذلك حرص اهل الكون على السياحة والانقطاع عن العمائر لما يجدون في ذلك من روح رزق الله عن كلمته دون كلفة حكمته ولما نظم سبحانه بنبا موسى عليه السلام ما كان من نبائهم مع يوشع عليه السلام بعده نظم في هذه الاية خطاب موسى عليه السلام ما كان منهم بعد يوشع عليه السلام الى اخر اختلال امرهم وانقلاب احوالهم من حسن المظاهرة لنبيهم الى حال الاعتدا والقتل لانبيائهم عليهم السلام وفي حكمته اشعار بان ذلك لم يكن منهم الا لاجل ايثار الدنيا ورياستها ومالها على الاخرة ايثارا للعاجلة على الاجلة وفي طيه اشد التحذير لهذه الامة في اتباعهم لسنن اهل الكتاب في مثل احوالهم ولذلك انتظمت الاية الجامعة وابتدا بذكر الذين امنوا من هذه الامة ثم استوفى الملل التي لها صحة على ما يذكر اثنا ان شا الله تعالى انتهى ولما كان التقدير ففعلوا ما امروا به من هبوط المصر فكان ما وعدوا به عطف عليه قوله وضربت عليهم الذلة ملازمة لهم محيطة بهم من جميع الجوانب كما يحيط البيت المضروب على الانسان به وهي اسم من الذل وهو صغار في النفس عن قهر وغلبة قال الحرالي وفي عطفه ابهام لمجاوزة انبا عديدة غايتها في الظهور ما عطف عليها كان الخطاب بعثهم فانزلنا حيث انزلوا انفسهم وصغناهم ما لا يليق بمن حاله مثل حالهم فظهر منهم وجوه من الفساد تسلط عليهم العدو فاستاصل منهم من شا الله ومن بقي منهم اخذوا بانواع الهوان انتهى والمسكنة اي كذلك مناسبة لخساسة ما سالوه قال الحرالي وهي ظهور معنى الذل او التذلل على ظاهر الهيئة والصورة سكونا وانكفاف حراك انتهى وباءوا اي رجعوا وكانوا احقا بغضب من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له قال الحرالي معناه اجماع القاهر على الانتقام في حق مراغمه انتهى من الله اي الملك الاعظم لجراتهم على هذا المقام الاعظم مرة بعد مرة وكرة اثر كرة قال الحرالي وفيه تهديد لهذه الامة بما غلب على اهل الدنيا منهم من مثل احوالهم باستبدال الادنى في المعنى من الحرام والمتشابه بالاعلى من الطيب والاطيب الماخوذ عفوا وانتفاعا انتهى ثم ذكر سبب هذا او قال الحرالي ولما كان الغضب انما يكون على من راغم الجليل في معصيته ووقعت منهم المراغمة في معصيتهم واعتدائهم ذكر تعليلهم انتهى فقال ذلك اي الامر العظيم الذي حل بهم من الغضب وما معه ويجوز ان يرجع الى اهتمامهم بامر معاشهم وعنايتهم باحوال شهواتهم على هذا النحو الاحسن الادنى بانهم اي بسبب انهم كانوا اي جبلة وطبعا يكفرون تجديدا مستمرا بايات الله اي يسترون دعاتهم ويقصدون بسبب ايات الله الذي له جميع العظمة كتمانا عمن لا يعلم الايات وتلبيسا وكان تجديد ذلك والاصرار عليه ديدنا لهم وخلقا قائما بهم قال الحرالي والكفر بالايات ابعد الرتب من الايمان لانه ادنى من الكفر بالله لان الكفر بالله كفر بغيب والكفر بايات الله كفر بشهادة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشامة انتهى ويقتلون النبيين اي كان ذلك جبلة لهم وطبعا قال الحرالي وهما جمع نبي من النبا وهو الاخبار عن غيب عجز عنه المخبر به من حيث اخبر انتهى ولما كان النبي معصوما دينا ودنيا قال بغير الحق اي الكامل تنبيها على ان قتله لا يقع الا كذلك لكن هذا لا ينبغي ان يكون ثم شبهة كظن الشبهة فالذم على الاقدام على ارادة الدم بدون الوضوح التام وفاقا لنبي ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق فهو اخف مما في ال عمران ثم علل هذه الجراة فقال ذلك اي الامر الكبير من الكفر والقتل الذي هو من اعظم الكفر بما عصوا وهو من العصيان قال الحرالي وهو مخالفة الامر انتهى وكانوا اي جبلة وغريزة يعتدون اي يتجاوزون الحدود على سبيل التجدد والاستمرار فان من فعل ذلك مرد عليه وربه فاجترا على العظائم قال الحرالي وهو اي الاعتدا تكلف العدا والعدا مجاوزة الحد فيما يقتضيه الحد لا عذر لمجاوزه من حيث يقتضي له سعة ما يقتضيه وحده له ما حد انتهى وقد جا نظم هذه الايات من قصصهم على غير ترتيبها في الوجود وفي التوراة لما ذكرت من هذه المناسبات العظيمة والله اعلم بشرح امرها من التوراة قال في اخر السفر الرابع منها في النسخ الموجودة بين اظهر اليهود الان في هذا القرن التاسع فيما قراته في نسخة مترجمة بالعربية وخطها كذلك وعليها اثار قراتهم لها وبيان الاوقات التي يقراونها كل فصل منها ثم قابلتها بالمعنى كما مضى مع تخلص منهم وكان هو القادي ما نصه وهذه مظاعن بني اسرائيل حيث خرجوا من ارض مصر باجنادهم على يدي موسى وهرون وكتب موسى مخارجهم ومراحلهم على قول الرب ظعنوا من رعمسيس وفي نسخة من عين شمس في خمسة عشر يوما من الشهر الاول من غد الفصح وفي نسخة بعد الفصح بيوم والمراد بالشهر الاول عندهم نيسان وهو شهر الفريك وخرج بنوا اسرائيل بقوة عظيمة تجاه جميع اهل مصر كانوا مشاغيل بدفن الابكار الذين قتلهم الرب وبما انتقم الرب من الهتهم فظعن بنوا اسرائيل من رعمسيس وفي نسخة عين شمس ونزلوا ساحوث وارتحلوا من ساحوث ونزلوا اثم وفي نسخة ايام التي في اقاصي المفازة وظعنوا من ايام ونزلوا في فوهة الخندق الذي في حيال بعل صفون ونزلوا بازا مجدول وفي نسخة مجدول وارتحلوا من فوهة الخندق وجاوزوا في وسط البحر الى القفر وفي نسخة بين البحر والقفر وساروا

مسيرة ثلثة ايام في برية ايام ونزلوا مرة وفي نسخة المريرة واتوا آليم وفي نسخة ونزلوا في المرابر وارتحلوا من المرابر وصاروا الى آليم وكان في آليم اثنتا عشرة عينا من ماء وسبعون نخلة ونزلوا هناك على الماء وارتحلوا من آليم ونزلوا ساحل بحر سوف وفي نسخة على البحر الاحمر وظعنوا من بحر شاطئ بحر سوف وفي نسخة من البحر الاحمر وفي اخرى بحر القلزم ونزلوا برية سين وارتحلوا من قفر سين ونزلوا دفقا وظعنوا من دفقا ونزلوا الوس وارتحلوا من الوس ونزلوا رفيدين وفي نسخة رفيديم ولم يكن هناك ما يشرب الشعب وظعنوا من رفيدين وفي نسخة رفيديم فنزلوا برية وفي نسخة قفر سينا وظعنوا من قفر سينا ونزلوا الموضع المعروف بقبور الشهوة وارتحلوا من مقبرة الشهوة وفي نسخة قفر قبور الشهوة فنزلوا حصروت وظعنوا من حصروت فنزلوا رثما وفي نسخة الرامة وارتحلوا من رثما وفي نسخة الرامة فنزلوا رمون فرص وقال في السفر الثاني عند ذكر الانعام عليهم باستنقاذهم من ايدي القبط بتلك الايات العظيمة التي سنشرح ان شا الله تعالى في سورة الاعراف فقال موسى للشعب اذكروا هذا اليوم الذي خرجتم فيه من مصر من العبودية والرق ان الرب اخرجكم من ههنا بيد منيعة فلا يوكل خمير في هذا اليوم وهو ذا انتم خارجون في شهر الفتاح وفي نسخة الفريك فاذا ادخلكم الرب الى ارض الكنعانيين والحيثانيين والاموريين والحاويين واليابسانيين والفرزانيين كالذي يقسم لابائكم ان يعطيكم الارض التي تغل السمن والعسل تعملون هذا العمل في هذا الشهر كلوا الفطير سبعة ايام ولا يوجدون الخمير عندكم وتعلمون ابناكم في ذلك اليوم وتقولون لهم ان الله فعل بنا هذا الفعل اذ اخرجنا من ارض مصر وليكن ذلك اية على يدك وعلامة بين عينيك لتكون سنة الرب وشريعته على لسانك لان الرب اخرجك من مصر بيد عزيزة منيعة واحتفظ بهذا او هذه الوصية من سنة الى سنة في وقته واذا ادخلك الرب ارض الكنعانيين التي اقسم لك ولابائك ان يعطيكها فميز كل ذكر يفتح الرحم للرب وكل ذكر من البهائم التي تملكون لك يفتح الرحم يكون خاصة للرب تفتديه بحمل فان لم تفتده فاذبحه وتفتدي كل بكر ذكر من اولادك فاذا سالك ابنك غدا وقال لك ما هذا العمل فقل ان الرب اخرجنا من ارض مصر من العبودية والرق بيد عزيزة منيعة لان فرعون قسا وقط وابى ان يرسلنا فقتل الرب جميع ابكار ارض مصر من بكر البشر الى بكر البهائم من اجل ذلك اذبح للرب كل ذكر يفتح الرحم وافتدي جميع ابكار ولدي فيكون ذلك علامة على يدك وذكرا بين عينيك لان الرب اخرجك من مصر بيد منيعة عزيزة فلما ارسل فرعون الشعب وانطلقوا لم يرسلهم الله في طريق ارض فلسطين لانه كان قريبا ولان الله قال لعل الشعب اذا ما عاينوا القتال ان يخافوا ويرهبوا فيرجعوا الى مصر فساق الله الشعب في طريق برية بحر سوف وخرج بنوا اسرائيل من ارض مصر وهم متسلحون وحمل موسى عظام يوسف عليه السلام معه لانه اقسم على بني اسرائيل بايمان وقال ان الله سيذكركم فاصعدوا عظامي معكم من ههنا فظعنوا من ساحوث ونزلوا ايام التي في اقطار البرية وكان الرب يسير امامهم بالنهار في عمود السحاب ليسلكهم في الطريق وبالليل في عمود نار ليضي لهم وكان يسير امامهم بالليل والنهار ولم يكن عمود الغمام يزول بالنهار وعمود النار بالليل من بين يدي الشعب وكلم الرب موسى وقال له قل لال اسرائيل ان يرجعوا فينزلوا على شاطئ الخندق وما بين مجدول والبحر امام بعل صفون انزلوا هناك ازا البحر حتى يقول فرعون ان بني اسرائيل عزبا في الارض فظن انهم قد تاهوا في القفر وان البر قد انغلق عليهم وقال الرب لموسى انا اقسي قلب فرعون فيسير في طلبكم فامجد بفرعون وجميع جنوده فيعلم اهل مصر اني انا الرب ففعلوا كذلك فاسف فرعون وعبيده لارسال الشعب وندموا فالجم خيله وسار في جميع شعبه وظعن في ستمائة الف راكب مختارة وجميع مواكب المصريين ايضا والرجال وفي نسخة والقواد على جميعها فصار المصريون في طلبهم فرهقوا وهم حلول على المهرقان تغرب فرعون ورفع بنوا اسرائيل ابصارهم فراوا المصريين وهم في طلبهم فخافوا خوفا شديدا فصلى بنوا اسرائيل بين يدي الرب وقالوا لموسى العلة القبور بمصر اخرجتنا لنموت في البرية لم فعلت بنا هذا الفعل واخرجتنا من مصر اليس هكذا كنا نقول لك ونحن بمصر دعنا نتعبد للمصريين كان خيرا لنا ان نتعبد للمصريين من الموت في هذا القفر فقال موسى للشعب لا خوف عليكم انتظروا فابصروا اخلاص الرب اياكم في هذا اليوم لانكم عاينتم المصريين يومنا هذا لا تعودون ان تعاينوهم ايضا الى الابد والرب تجاهد عنكم اذ انتم في هدو وطمانينة فصلى موسى بين يدي الرب فقال مر بني اسرائيل ان يظعنوا وانت فارفع عصاك واضرب ماء البحر فيسير الى بني اسرائيل في البحر في اليبس وها انذا اقسي قلوب المصريين واغلظها ليتبعوهم فامجد بفرعون وجميع جنوده وبمواكبه وفرسانه فيعلم اهل مصر اني انا الرب اذا مجدت فرعون وجميع جنوده فظعن ملك الله الذي كان يسير امام عسكر بني اسرائيل فصار من ساقتهم فاحتمل السحاب الذي كان امامهم فوقف خلفهم ودخل بين عسكر المصريين ومحل بني اسرائيل وكان السحاب والحندس تلك الليلة باسرها وكان الضيا والنور لبني اسرائيل تلك الليلة كلها فلم يقدروا على الدنو اليهم تلك الليلة فرفع موسى يده على البحر فمرج الرب البحر بريح سموم وفي نسخة بقبول عاصف الليل اجمع فصير ماء البحر في اليبس وانفتح الماء فدخل بنوا اسرائيل في وسط البحر في اليبس فصارت المياه كالسور بين ايمانهم وبين شمائلهم فصار المصريون يدخلون في طلبهم فصار خيل فرعون وجميع مواكبه في البحر فلما كان عند صبح الغداة نظر الرب لعسكر المصريين في عمود نار ومزنة غمامة فارجف المصريين وافتنه وربط مواكبهم وجعلها وجعلوا هم يعنفون بالسير عليها فقال المصريون سيروا بنا لنهرب بين يدي ال اسرائيل لان الرب حارب عنهم بمصر فقال الرب لموسى ابسط يدك على المهرقان فتعود المياه على المصريين فتطغي على مواكبهم وفرسانهم فرفع يده على البحر فرجع البحر عند وقت الغداة الى موضعه والمصريون جعلوا يهربوا ازاءه فغرق الرب المصريين في البحر واكثر بهم لجت المياه وطغت على المواكب والفرسان وعلى جميع جنود فرعون الذين دخلوا في طلبهم ولم ينج منهم ولا واحد فخلص ال اسرائيل في ذلك اليوم من ايدي المصريين فنظر بنوا اسرائيل الى المصريين موتى على شاطئ المهرقان وعاين ال اسرائيل النعمة العظيمة التي انزلها الله بالمصريين وخاف الشعب الرب وامنوا به وصدقوا قول موسى

عنده حينئذ سبح موسى وبنو اسرايل بهذا التسبيح وقالوا نسبح الرب فالجلال الذي تعالى على المواكب وغرق فرسانها في البحر المنيع والمحمود الرب الاذى كان لى منجيا هذا الاهنا فلنمجده ولنمجده الاه ابائنا فلنعظمه ولتجلد الرب والملاحم جبارا اسمه لانه قذف بمراكب الفرعون وجنوده في البحر وغرق جبابرة في بحر سوف وغطتهم الامواج وهبطوا الى القعر فرسبوا مثل الجنادل يمينك يا رب الجسيمة بالقوة يمينك يا رب اهلكت اعداك بعظم عزك كبت شانيك ارسلت غضبك فاحرقهم كالهشيم بنزع رحمتك وامرك حدث المياه ووقف جريها كانه الاطواد ورسبت الاغمار في قعر البحر كالرصاص في الماء المنيع فمن مثلك ومن يعدل كالرب ايها الالهي في قدسه الموهوب المحمود مظهر العجايب سبيت بنعمتك هذا الشعب الذي خلصت فبلغ ذلك الشعوب فارتجفوا وقلقوا وخشي الخوف والرعب سكان فلسطين عند ذلك دعر اشراف ادوم وغشي الرعدة والارتعاش رجال مواب وانكسر جميع سكان كنعان فانهزموا فلينزل بهم الخوف والقلق والرجفة بعظمة ذراعك يعرفون كالجنادل حتى يجوز شعبك الذي خلصت فتقبلهم فتغرسهم في جبل ميراثك الرب يملك الى ابد الابدين فظعن موسى ببني اسرايل من بحر سوف فخرجوا حتى انتهوا الى برية اسود ثم ساروا في البرية مسيرة ثلاثة ايام فلم يجدوا ماء ثم انتهوا الى مورث فلم يقدروا على ان يشربوا ما مورث لانه كان مرا فتذمر الشعب على موسى وقالوا له ما الذي نشرب الان فصلى موسى بين يدي الرب فاظهر له الرب عودا فالقاه في الما فعذب الما هناك علمه السنن والاحكام فاتوا حتى انتهوا الى اليم وكان هناك اثنتا عشرة عينا من ما وسبعون نخلة فنزلوا هناك على الماء فظعنوا من اليم فاتوا برية سينين التي بين اليم وسينين في خمسة عشر من الشهر الثاني من الزمان الذي خرجوا من مصر فتذمر جميع جماعة بني اسرايل على موسى وهرون وقالوا انما قد كنا نحب ان نتوفى في ارض مصر اذ كنا جلوسا بين ايدينا مراجل اللحم وكثار الخبز نتفضل فاخرجتمانا الى هذه البرية لتقتلا جماعة بني اسرايل بالجوع فقال الرب لموسى ها انذا مهبطا لكم الخبز من السما فليخرج الشعب فليلتقطوا اطعام يوم بيوم لكي امتحنهم حتى يتبين يوصاي وسنني ويحفظونها ام لا فاذا كان اليوم السادس فليعدوا افضلا على ما ياتون به وليكن ذلك ضعف ما يلتقطون في كل يوم فقال موسى وهرون لجميع بني اسرايل عند الاصيل تعلمون ان الرب اخرجكم من ارض مصر وبالغداة تعاينون مجد الرب لان تذمركم بلغ الرب ونحن فمن نحن اذ تتذمرون علينا وقال لهم موسى ان الرب قد اعطاكم مما عند الاصيل لتاكلوا ورزقكم خبزا بالغداة لتشبعوا لانه قد بلغ الرب تذمركم الذي تتراطنون عليه ونحن فمن نحن وليس بما تتذمرون علينا بل على الرب وقال لهرون مر جميع جماعة بني اسرايل ان يدنوا فيقفوا بين يدي الرب فلما قال هرون ذلك لجميع جماعة بني اسرايل التفتوا فاذا مجد الرب قد اعتلن في السحاب وقال الرب لموسى قد بلغني تذمر بني اسرايل فقل عند مغارب الشمس تاكلون اللحم وبالغداة سرفا تشبعون من الخبز فتعلمون اني انا الرب الهكم فلما كان عند الاصيل صعدت السمانى فغشت العسكر وكان بالغداة ضبابة تقطر لمن فاحاطت بالعسكر فارتفعت الضبابة فاذا على وجه الارض دقيق يتقشر وكان شبه صفايح الجليد على الارض فقال موسى هذا الخبز الذي اعطاكم الرب فكلوا وهذا قول الرب الذي امر به ليلتقط المرء منه على قدر قوته مكيالا لكل نفس على عدد رؤسكم لياخذ المرء لكل من كان في خيمته فصنع بنو اسرايل كما امرهم موسى فلتقطوا فمنهم من اخذ كثيرا ومنهم من تناول قليلا وكالوا ذلك فلم يفضل الذي اخذ الكثير والذي اخذ القليل لم يعدمه فقال لهم موسى لا يبقى منه للغد شيا فلم يطيعوا موسى فافضل رهط منهم للغد فدب فيه الدود وانتن فغضب موسى فجعلوا يلتقطونه في كل غداة كل مرء على قدر قوته وكان اذا حميت عليه الشمس يميع فلما كان اليوم السادس التقطوا من الخبز ضعفي ما كانوا يغتدون لكل رجل مكيالين فاتى جميع اشياخ الجماعة فاخبروا موسى فقال لهم هكذا قال الرب ان السبت راحة ودعة وغدا يوم قدس للرب وقال في موضع اخر لا تعملوا فيه عملا بل يكون سبتا للرب في جميع مساكنكم وكل ما اردتم ان تخبزوه فاخبزوه واطبخوا ما اردتم طبخه واحتفظوا بما تفضلون باردا للغد فابقوا منه للغد كما امر موسى فلم ينتن ولم يدب فيه الدود فقال لهم موسى كلوه يومكم هذا لان اليوم يوم سبت للرب ولستم تقدرون عليه اليوم في الحقل كونوا يلتقطونه ستة ايام واليوم السابع هو سبت لا يوخذ فيه فلما كان اليوم السابع خرج رهط من الشعب ليلتقطوا فلم يجدوا فقال الرب لموسى حتى متى تابوا ان يقبلوا وصاي وسنني فاستراح الشعب في اليوم السابع فسماه بنو اسرايل المن وهو كحبة الكزبرة وطعمه كشهد العسل وقال في السفر الرابع والمن كان يشبه حبة الكزبرة وكان منظره ابيض كالمها وكان الشعب يتبددون ويلتقطونه ويطحنونه في الرحا ويهرسونه في المهراس ويطبخونه في القدور ويصيرون منه مليلا ويصير طعمه مثل طعم الخبز الذي يعجن دقيقه بالزيت ورجع الى الثاني قال فاكل بنو اسرايل المن اربعين سنة ولم يزالوا ياكلون المن حتى انتهوا الى اقطار الارض ذات السكنى وحتى انتهوا الى ارض اقطار ارض كنعان وكان ذلك المكيال عشر جريب اي عشروية وان جماعة بني اسرايل ظعنوا من برية سينين في مظاعنهم كما امر الرب فوردوا رفيدين ولم يكن للشعب ما يشربون فضج الشعب على موسى وقالوا له اعطنا ما نشرب فقال ما بالكم تضجون وكم تجربون الرب واشتد عطش الشعب هناك فتذمروا على موسى وقالوا له لم اصعدتنا من ارض مصر لتقتلنا وابناءنا ومواشينا بالعطش فصلى موسى امام الرب وقال ما اصنع بهذا الشعب لهم كادوا ان يرجموني فقال الرب لموسى جز قدام الشعب وانطلق ببعض اشياخ بني اسرايل والعصى التي ضربت بها البحر فخلقه خذها بيدك وانطلق وها انذا واقف بين يديك على حجر الظران بحوريب فاضرب عند ذلك الظران فيخرج الما ويشرب الشعب فصنع موسى هذا الصنيع بين اشياخ بني اسرايل فسمى ذلك الموضع التجريب والتذمر لان بني اسرايل تنازعوا واصطخبوا ولانهم جربوا الله وقالوا هل الله بيننا ام لا ولما كان في الشهر الثالث بعد خروج بني اسرايل من مصر انتهوا الى برية سينا اذ ظعنوا من رفيدين فاتوا برية سينا وحل هناك اسرايل تلقاء الجبل فصعد موسى الى الجبل فدعاه الله من الجبل فقال

هكذا

هكذا اقل لال يعقوب قد رايتم ما صنعت بالمصريين وحملتكم كانكم على اجنحة النسور وانلت بكم الي فان انتم الان اطعتم قولي وحفظتم عهدي فانتم احب الي من جميع شعوب الارض فاتى موسى فدعا باشياخ الشعب فقص عليهم جميع هذه الايات التي امره بها الرب فاجاب الشعب كلهم جميعا وقالوا نحن فاعلون جميع ما امرنا به الرب فرد موسى جواب الشعب على الرب فقال الرب لموسى ها انذا اتيك في سحابة مظلة لكي يسمع الشعب كلامي اذا كلمتك فيتقبلوا كلامك ويصدقوك الى الابد فقال الرب لموسى انطلق الى الشعب وطهرهم اليوم وغدا وليبيضوا ثيابهم ويرحضوها وليستعدوا في اليوم الثالث فناشد الشعب وتقدم اليهم وقل لهم احذروا ان تصعدوا الى الجبل ولا تقتربوا الى حافاته ومن دنا من الجبل فليقتل ولا تصيبه ايدي الناس بل يرجم رجما ويقذف به الى اسفل بهيمة كان او انسانا فاذا حميت اصوات القرون فانتم في حل من الصعود الى الجبل فهبط موسى من الجبل الى الشعب فطهر الشعب وبيضوا ثيابهم وقال موسى للشعب كونوا مستعدين في اليوم الثالث لا تقربن الى امراة فلما كان في اليوم الثالث باكروا غلسا فاذا هم باصوات قرون وبروق ورعود واذا هم ايضا بسحابة عظيمة قد حلت على الجبل فاشتد صوت القرن جدا واشتد فزع من كان في العسكر واخرج موسى الشعب الى لقا الرب من العسكر فقاموا الى حافات الجبل وكان جبل سينا يخرج منه الغبار والدخان لان الرب هبط عليه بالنار وارتفع غباره كغبار الاتون وتزلزل الجبل زلزلة شديدة واشتد صوت القرن ودعا الرب موسى الى راس الجبل فصعد موسى وقال له الرب انزل فانشد بني اسرايل وانذرهم ان لا يخرجوا عند النظر بين يدي الرب فيهلك منهم كثير وكان جميع الشعب يسمعون الاصوات ويرون المصابيح ويسمعون اصوات القرون ويرون الدخان يخرج من الجبل فراى ذلك الشعب ففزعوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى كلمنا انت حتى نسمع ولا يكلمنا الله لكيلا نموت فقال موسى لا خوف عليكم لان الله انما اتاكم ليمتحنكم ويجربكم لكي تخافوه وترهبوه ولا تخطيوا ولا تاثموا فوقف الشعب من بعيد ودنى موسى من الضباب التي اعتلن الله فيها وقال الرب لموسى هكذا اقل لال اسرايل قد رايتم وعلمتم اني كلمتكم من السما لا تتخذوا معي الهة من ذهب ولا تعملوا لكم الهة من فضة ثم قال هكذا مرسل اليك الملك بين يديك يحفظك في سفرك ويوردك البلد التي انتجبت وفي نسخة الذي هياته فاحذره واسمع منه لان اسمي حال عليه فان انت قبلت قوله واطعت امره وعملت بكل ما امرتك به ابغض مبغضيك ثم ويسير ملكي امامك ليدخلك على الاموريين وذكر بعدهم خمس فرق فاقتلهم وابيدهم وارسل الرعب والخوف والجزع بين يديك وابيد جميع الشعوب الذين تسير اليهم ولا ابيدهم في سنة واحدة لكيلا تخرب الارض بل رويدا رويدا حتى تكثر وفي نسخة تكثر فتصير ذا بطش فترث الارض واجعل تخومك من بحر سوف والى فلسطين من البرية وحتى النهر وفسره في موضع اخر بالفرات وقال الرب لموسى اصعد الى الجبل انت وهرون وناذاب وابيهو وسبعون رجلا من اشياخ بني اسرايل واسجدوا من بعيد وليقترب موسى وحده الى الرب وهم لا يقتربون ولا يصعد الشعب معه فجا موسى وقص على الشعب جميع عهود الرب وجميع احكامه فنادى الشعب كلهم بصوت عال وقالوا نحن نفعل ما امرنا الرب وكتب موسى جميع كلام الرب وغدا باكرا فبنى مذبحا في حافة الجبل ونصب اثني عشر نصبا لاسباط بني اسرايل ثم ذكر ذبايح وقرابين وغير ذلك ثم قال ثم اخذ سفر العهد فتلاه على الشعب فقالوا نحن سامعون فاعلون ما امرنا به الرب فتناول ذلك الدم يعني دم القربان فرشه على الشعب وقال هذا دم العهد الذي عاهدكم في جميع هذه الاقاويل وصعد موسى ومن ذكر معه ثم تركهم في مكان من الجبل ثم قال لهم امكثوا ههنا فصعد موسى الى الجبل وتغشاه السحاب وحل مجد الله على جبل سينا وستره السحاب ستة ايام ودعا الرب موسى في اليوم السابع من جوف السحاب ونظر الى مجد الرب مثل نار تتوقد في راس الجبل امام جميع بني اسرايل فدخل موسى في جوف السحاب وصعد الى الجبل فمكث موسى في الجبل اربعين يوما نهارا واربعين ليلة وكلم الرب موسى وقال له قل لبني اسرايل فليخصوا الى تزكية اموالهم وخذ ذلك من كل رجل يبلغ اسنده ثم ذكر الاموال التي تزكى الى ان قال ويتخذون لي مطهرا حتى احل بينهم كل شي اريكه سنته القبة وجميع متاعها كذلك فليصنعوه ثم قال واعمل على المثال الذي اريكه في الجبل ويتخذوا تابوتا من خشب الشمشار وطوله ذراعان ونصف وسمكه ذراع ونصف وصفحه بصفايح الذهب الابريز من داخله ومن خارجه ثم واتخذ له طوقا من ذهب يحيط به وصغ له اربع حلقات من ذهب وسمرها في اربع زوايا التابوت حلقتين في شق واحد وحلقتين في الجانب الاخر واتخذ اصطارا من خشب الشمشار وصفحها بالذهب وصير الاصطار في الحلق في جانبي التابوت يحمل بها وليكن الاصطار في حلق التابوت ولا ينزع منها وتضع الشهادة التي اعطيك في التابوت وسمى هذا تابوت الشهادة واتخذ كروبين اي شخصين من ذهب تخذهما مفرغين منصوبين فيكونا على جانبي التطهير ويكونا اجنحة الكروبين مبسوطة تظل من فوق فتظل باكنافها على التطهير وليكن وجه كل واحد منهما الى صاحبه وليكن وجها الكروبين من فوق التطهير وقال واتخذ دار القبة من مهب الجنوب واسمر بصفق له عمل هذه القبة واعمدتها وستورها والاتها وخدمها وما يقرب فيها ومحل حدبها من العسكر وعلى اي كيفية في نحو خمس عشرة ورقة وسماها قبة الزمان ثم امره تعالى في اخر هذا السفر الثاني باشيا مما يتصل بما تقدمها وسرادقاتها وغير ذلك في ازيد من عشر ورقات كما سياتي وقال في ذلك وتصير الشهادة التي اعطيك في التابوت واواعدك الى ههنا لك واكلمك فوق التطهير من بين الكروبين اللذين فوق تابوت الشهادة بجميع ما امرك في بني اسرايل وقال وتتخذوا هذا القربان دايما في كل حين في احقابكم على باب قبة الزمان قدام الرب واواعدكم الى هناك لا كلمكم واواعد بني اسرايل الى هناك فانقدس بكرامتي واحل بين بني اسرايل فيعلمون اني انا الرب الاههم الذي اخرجهم من ارض مصر ثم قال فليود الموسر منهم الزكاة عن نفسه اذا عددتهم لكيلا ينزل بهم الوبا ثم ذكر له تفاصيل ما يودى وان الزكاة على الغني والمسكين وكلم الرب موسى وقال له اعلم اني قد انتخبت بصلئيال بن اوري بن حور من سبط يهوذا واسبغت عليه روح

وملأته من الحكمة والعلم في كل علم لعمل الصناعات في عمل انية الذهب والفضة والنحاس في رند حة الحجارة ونظمها وكالها في نجارة
الخشب ليعمل كل عمل وقد صنعت له اليهب بن احسيمخ من سبط دان واحللت الحكمة والفهم في قلوب ذوي الحكمة والعقل ليعملوا جميع ما امرتك
به من عمل قبة الامد وتابوت الشهادة والتطهير الذي فوقها وجميع متاع القبة والمائدة وجميع متاعها والمنارة وجميع انيتها ومذبح البخور
ومذبح القرابين وجميع انيتها والسطل وقاعدته ولباس الصنائع ولباس القدس لهرون الكاهن وبنيه ليكهنوا وكسوة بنيه ليكهنوا ودهن
المسح وبخور الطيب للقدس فليعملوا جميع ما امرتك به الى ان قال ودفع الى موسى لما فرغ من كلامه له في طور سينا لوحي الشهادة لوحي حجارة
مكتوب عليهما باصبع الله فراى الشعب ان موسى قد ابطا عن النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون وقالوا له قم فاتخذ لنا الهة تسير امامنا لان الرجل موسى
الذي اخرجنا من ارض مصر لا نعلم ما صار من امره فذكر اتخاذ العجل الى ان قال فذبحوا له الذبائح وجلسوا ياكلون ويشربون وقاموا يلعبون [illegible]
وان هرون عليه السلام ذعر من ذلك [illegible]
هرون عليه السلام وحاشاه مما يوهم نقصا [illegible]
عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث الفتون [illegible] وقد ذكرت محل الحاجة منه في سورة طه والله الموفق ثم قال
فقال الرب لموسى اهبط من ههنا لان شعبك الذين اخرجتهم من ارض مصر قد اسرعوا [illegible] عن الطريق الذي امرتهم ان
يسلكوا فاتخذوا لهم عجلا معمولا سجدوا له وذبحوا له الذبائح وقالوا هذه الهتك يا اسرائيل التي اخرجتك من ارض مصر وقال الرب
لموسى قد رايت هذا الشعب فاذا هو شعب قاسية قلوبهم فدعني [illegible] عليهم وابيدهم واصيرك لشعب عظيم فصلى موسى بين
يدي الله وقال يا رب لا يشتد غضبك على شعبك الذين اخرجتهم من مصر بقوتك العظيمة وبذراعك المرتفعة ولا يقول
اهل مصر انك انما اخرجتهم لتقتلهم بين الجبال وتفنيهم عن وجه الارض يا رب اسكن غضبك
ورجزك واغفر ذنب شعبك اذكر ابراهيم واسحق ويعقوب عبيدك والايمان التي اقسمت بها لهم وقلت اني مكثر نسلكم مثل نجوم السما وجميع الارض
التي وعدت بها نسلكم ان يعطوها ويرثوها الى الابد فعفا الرب عن شعبه ولم يهلكهم ثم نزل موسى هبط من الجبل ولوحا الشهادة
في يده لوحان كتب عليهما الوجهان جميعا واللوحان من عمل الله والكتاب مكتوب عليهما فلما دنا موسى من العسكر نظر العجل والصنوج
فاشتد غضب موسى فرمى باللوحين من يديه فكسرهما في سفح الجبل فاخذ العجل الذي اتخذوه فاحرقه بالنار وسحقه بالمبرد حتى صيره مثل
التراب ونثره على وجه الماء [illegible] فقال من كان من حزب الله فليقبل الي فاجتمع اليه بنو لاوي اجمعين فقال
لهم موسى هكذا يقول الرب اله اسرائيل ليتقلد الرجل منكم سيفه وجولوا من باب الى باب [illegible] العسكر وليقتل الرجل منكم اخاه وصاحبه
وقرابته فصنع بنو لاوي كما امرهم موسى فقتل من الشعب في ذلك اليوم نحو من ثلثة الاف رجل فقال لهم موسى [illegible] ايديكم هذا من
الحمية للرب لتحل عليكم البركة يومنا هذا فلما كان الغد ومن ذلك اليوم قال موسى للشعب انتم خطيتم وارتكبتم هذه الخطية العظيمة فاما
الان فاني اصعد الى الرب لعله ان يغفر لكم ذنوبكم وانكم لترجع موسى الى الرب وقال اطلب اليك يا رب لتضرع اللهم ربي حقا لقد احتطا هذا
الشعب وارتكب اثما عظيما واتخذوا الهة من ذهب فالان ان انت غفرت خطاياهم والا فامحني من سفرك الذي كتبت فقال الرب انا
امحوا من سفري من احتطا واذنب فاما الان فانطلق بهذا الشعب الى الموضع الذي اقول لك وهذا ملاكي ينطلق امامك الى الارض التي
تغل السمن والعسل لاني لا اصعد معكم لانهم شعب قاسية رقابهم ولعل غضبي ان يشتد عليهم فافنيهم في الطريق فسمع الشعب هذا
القول العظيم فحزنوا فلم يتسلح المرء منهم بسلاحه فاخذ موسى خيمته فنصبها خارجا من العسكر وابعدها من المحلة وسماها قبة الزمان
وكان من سال الرب امرا يخرج الى قبة الزمان وكان اذا خرج موسى الى قبة الزمان كان جميع الشعب يقفون ويستعد كل امرء منهم على باب
خيمته ينظرون الى موسى من خلفه حتى يدخل الى القبة واذا دخل موسى الى القبة كان ينزل عمود السحاب فيقف على باب القبة ويكلم موسى
وكان جميع الشعب ينظرون الى عمود السحاب واقفا على باب القبة وكان يقف جميع الشعب ويصلي كل امرء منهم على باب خيمته ويكلم الرب
موسى مواجهة كما يكلم المرء اخاه وصاحبه وكان يرجع الى العسكر وكان خادمه يوشع بن نون الغلام لم يكن يفارق القبة وقال موسى للرب
انت يا رب امرتني ان اصعد بهذا الشعب ولم تطلعني على من ترسل معي وقلت لي قد اطلعتك على جميع خلايقي ومجدي وظفرت ايضا
مني برحمة ورافة فالان ان كنت قد ظفرت منك برحمة ورافة فارني طريقك حتى اعرفك فقال الرب لموسى سر امامي انا واعدك
وارعاك فقال له ان انت لم تصعد بيننا فلا تصعدنا من ههنا فبماذا يعرف اني قد ظفرت منك برحمة ورافة انا وشعبك الا اذا
سرت بيننا فنكون انا وشعبك منفصلين معروفين من جميع الشعوب الذين على وجه الارض فقال الرب لموسى اني فاعل ما سالت
لانك ظفرت مني برحمة ورافة واصير اسمك معروفا شهيرا الى الابد فقال له اريني مجدك فقال له اني اجير جميع مجدي وكرامتي بين
يديك ويذكر اسم الرب امامك واتحنن على من اردت ان اتحنن عليه وارحم من اردت ان ارحم وقال انك لا تقدر على النظر الى وجهي لانه لا
يراني بشر فيحيي وقال الرب لموسى انحت لوحي حجارة مثل اللوحين الاولين اللذين كسرتهما وكن مستعدا بالغداة واصعد باكرا الى
الجبل جبل سينا وقف هنالك على راس الجبل ولا يصعد احد معك ولا يرى احد في جميع الجبل ولا ترعى الغنم والبقر قبالة ذلك
الجبل فنحت موسى لوحين حجرين من حجارة مثل الاولين وغدا باكرا فصعد الى طور سينا كما امره الرب واخذ اللوحين في يده فنزل استعلان
الرب امامه فقال موسى يا رب اللهم ربي الرؤوف الرحيم الطويل والمهل الكثير نعمته وقسطه حافظ النعمة والعدل الى الف حقب
وتغفر الذنوب والاثم والخطايا فاستعجل موسى فخر على وجهه على الارض ساجدا وقال ان ظفرت يا رب منك برحمة ورافة فليسلك

الرب

الرب الان بيننا لان هذا الشعب هو شعب قاسية رقابهم واغفر ذنوبنا وخطايانا وخذ بنا تنا فقال له ها انا اعهد عهدا
امام جميع الشعب واظهر عجايب لم اظهر مثلها في الارض كلها وفي جميع الشعوب فيرى لك جميع هذا الشعب الذي انت فيه فعل الرب
الذي امرك برائه مخوف مرهوب احتفظ بما امرك به في هذا اليوم ها انا اقبل وابيد من بين يديك من الكنعانيين وسمى من تقدم
وكرر النهي عن السجود لغيره سبحانه واوصايا اشيا منها الفطير فقال واحتفظ بعيد الفطير سبعة ايام كما امرتك في اوان شهر الغنان
وفي نسخة الفريك لانك انما خرجت من مصر في شهر الفصاح ثم قال فمكث هناك عند الرب اربعين يوما وليلة لم ياكل طعاما ولم يشرب
شرابا وكتب الله على لوحي الحجارة كلام العهد وهو العشر الايات فلما هبط موسى من جبل سينا كان لوحا الشهادة في يده ولم يعلم
موسى ان بشرة وجهه قد جللت بالبها اذ كلمه الله فنظر هرون وجميع بني اسرايل الى وجه موسى ففزعوا ان يقربوا اليه فدعاهم فاتاه
هرون وجميع عظما الجماعة وكلمهم موسى فلما فرغ من كلامه لهم بسط على وجهه جلبابا وكان اذا دخل الى الرب ليكلمه ينزع عن وجهه
حتى يخرج وكان يخرج فينبا موسى بني اسرايل بما يومر به وقال لهم ان الرب امر ان تعمل عملك ستة ايام واليوم السابع يكون مخصوصا مقدسا
السبت يوم راحة قدس الرب ومن عمل فيه عملا فليقتل ولا تشعلوا النار في جميع مساكنكم يوم السبت ثم امرهم تعالى بالزكاة من الذهب
والفضة والنحاس والفرو والجلود وغير ذلك باشيا يزيد بها في قبة الزمان في اكثر من عشر ورقات وقال في اخر ذلك وقال الرب
لموسى انصب قبة الزمان في اول يوم من الشهر الاول وصير تابوت الشهادة هنالك واسبل الجلال على التابوت والى ان قال وادن
هرون وبنيه الى باب قبة الامد واغسلهم بالما والبس هرون لباس القدس وامسحه فليكهن لي وادن بنيه والبسهم السراويل
وامسحهم كما مسحت هرون اخاك فليكهنوا الي وليكن مسحهم للكهنوت الى الابد لا حقابهم فصنع موسى كما امره الله فلما كان اول يوم من
الشهر الاول من السنة الثانية نصب القبة يوم الاحد وضرب اوتادها وركب الواحها وادخل عوارضها وركز اعمدتها وبسط الستر
على القبة وجللها من فوقها كما امر الرب وتناول الشهادة فوضعها في التابوت وصير الدهوق في التابوت ووضع التطهير على التابوت
من فوق وادخل التابوت الى القبة واخذ حجاب وجه الباب فجلل تابوت الشهادة كما امر الرب ونصب المائدة عند جانب القبة
مما يلي مهب الشمال خارجا من الحجاب ونضد عليها صفوف الخبز بين يدي الرب كما امر الرب موسى ونصب المنارة ازا المائدة في جانب
القبة مما يلي مهب الجنوب ودلوا مصابيحها قدام الرب كما امر الرب موسى ونصب مذبح الذهب في قبة الزمان خارجا من الحجاب وبخر عليه
بخور الطيب كما امر الرب واسبل الستر على باب القبة ونصب مذبح القرابين على الباب وقرب عليه القرابين كما امر الرب ووضع السطل
بين قبة الزمان والمذبح وسكب عليه ما الغسل وكان هرون وبنيه يغسلون ايديهم واقدامهم اذا ارادوا الدخول الى قبة الزمان
وكانوا اذا دنوا من المذبح يغسلون ايضا كما امر الرب موسى ونصب الحايط بالقبة والمذبح واسبل الستر على باب الدار وكمل موسى
عملها وتغشت السحابة قبة الزمان وامتلات القبة بمجد الرب وكرامته ولم يقدر موسى على الدخول الى قبة الزمان لان السحاب
حلت عليها وامتلات القبة بمجد الرب وكرامته وكان اذا ارتفع السحاب عن القبة كان بنوا اسرايل يظعنون في جميع مظاعنهم
وان لم ترتفع الغمامة لم يظعنوا الى اليوم الذي ترتفع فيه لان سحاب الرب كان يغشى القبة بالنهار وكانت النار تضي عليها بالليل
وتزهر وتنير امام جميع بني اسرايل في جميع مظاعنهم وقال في اول السفر الرابع امر الله باحصا بني اسرايل فكانوا من ابنا عشرين سنة
الى ما فوقها من خرج منهم للحرب في الاجناد ستمائة الف وثلاثة الاف وخمسمائة وخمسين دون سبط لاوي فانهم لحفظ قبة الزمان
وحدهم ومنازلهم حولها محدقة بها وهم من ابن شهر الى ما فوقه اثنان وعشرون الفا ثم قال وكلم الرب موسى وقال له اذا
اتى على الرجل من اللاويين خمسة وعشرون سنة يتقوى على ان يعمل العمل في قبة الزمان فاذا اتت عليه خمسون سنة يخرج من العمل
ولا يعمل عملا في قبة الامد وكان ينزل بنوا اسرايل حول بني لاوي بانزال الله تعالى لهم كل له محل من القبة على الاستدارة وكان
ينزل من شرقيها موسى وهرون وبنوه ليحفظوا احفاظ القدس والقرابين على بني اسرايل ومن دنا من قبة الزمان واعمالها
من الغربا يوم يقتل فقد علم من هذا ومما قبله من ان كلا يصلي على باب خيمته ان قبلتهم وهم في التيه قبة الزمان وفي اليوم الذي
نصب فيه الخبا الى قبة الزمان تغشت سحابة من عند الرب قبة الزمان وحجاب باب الشهادة وكانوا يرون في الخبا عند
المسا نارا تتوقد الى الصباح كذلك كان يكون في الخبا دايما وكانت تغشاه سحابة بالنهار وترى فيه نارا بالليل فاذا ارتفعت
السحابة عن القبة ارتحل بنوا اسرايل من مواضعهم وحيث ما نزلت السحابة هناك كان ينزل بنوا اسرايل وانما كان ارتحال
بني اسرايل عن قول الرب وبامره فربما مكثت السحابة على القبة من المسا حتى الصباح وترتفع بعد الصبح فيرتحلون وربما
مكثت الليل والنهار وربما مكثت اياما واشهرا وربما مكثت سنة وكلم الرب موسى وقال له اتخذ قرنين من فضة يكونان عند
حضور الجماعة وارتحال العسكر يهتف بهما الكهنة فتحتشد اليك جماعة بني اسرايل اجمعون الى قبة الزمان وان نفخ في واحد
اجتمع اليك القواد وروسا الالوف ولما كان في السنة الثانية في عشر خلون من الشهر الثاني ارتفعت السحابة عن قبة الشهادة
وارتحل بنوا اسرايل من برية سينا ونزلت السحابة في قفر فاران ثم قال وارتحلوا من عند جبل الرب الى مسيرة ثلثة ايام فاما
تابوت عهد الرب فظعن قبلهم مسيرة يوم ليهيي منزلا وكانت تظلهم سحابة من قبل الرب اذا ارتحلوا ليلا تقيهم حرارة الشمس
فلما ارتحل حاملوا التابوت قال موسى انهض الينا يا رب لينكسر شانيك ويبيد اعداؤك من بين يديك واذا نزل حملة
التابوت قال اقبل يا رب الى الوف بني اسرايل فتذمر الشعب وشا الرب ذلك وغضب وسمع تشوشهم فاشتد غضبه

عليهم واشتعلت فيهم نار من قبل الرب فاحرقت الذي في اطراف العسكر وحوله وضج الشعب على موسى فصلى موسى امام الرب وخمدت النار ودعا اسم ذلك الموضع الاحتراق لان نار الرب اشتعلت بهم واحرقتهم هناك واشتهى الخلط الذين كانوا فيهم من الشعوب شهوة وانثلوا بني اسرايل وقالوا ليت لنا وجدنا من يطعمنا لحما ذكرنا السمك الذي كنا ناكله بمصر واكلنا القثا والبطيخ والكراث والبصل والثوم والان انفسنا قرمة اي يابسة لا تقدر على شي ناكله ما خلا هذا المن الذي قدام اعيننا وسمع موسى الشعب يبكون في قبايلهم كل انسان على باب خيمته واشتد غضب الرب وشق ذلك على موسى ايضا ثم قال من اين اقدر اعطي هذه الامة كلها لحما انما تبكي علي وتقول اعطنا لحما لست اقدر احمل هذه الامة كلها وحدي لانها اقوى مني ان كان تفعل هذا بي فاقتلني قتلا ان وافيت منك رحمة ولا اعاين شرا ولا ارى سوا فقال الرب لموسى اجمع سبعين شيخا من اشياخ بني اسرايل الذين تعلم انهم روسا الشعب وكتابه وانطلق بهم الى قبة الزمان تاتي انزل الليل واكلمك هناك وانقص من عطية الروح التي عليك واصبره عليهم يحملوا ثقل هذا الشعب ولا يتركوك وحدك ثم قال موسى للشعب تهيوا غدا لتاكلوا لحما لانكم بكيتم امام الرب وقلتم ليت من يطعمنا لحما وان الموت بارض مصر خير لنا فيعطيكم الرب لحما وليس انما تاكلون منه يوما او يومين بل تاكلون منه شهرين حتى يخرج من انوفكم وتصيبكم منه تخمة وجمع سبعين شيخا من مشايخ الشعب واقامهم حول الخبا ونزل الرب بجلالة وكلمه واخذ من الروح الذي عليه وصبره على السبعين ودخل موسى العسكر هو واشياخ بني اسرايل وهبت ريح من قبل الرب واصعدت السلوى من البحر والقته على العسكر ومسيره يوم يمنة ويسرة حول العسكر وكان مرتفعا من الارض نحو ذراعين وجمعوا ونشروا حول العسكر ليكون لهم قديدا فبينا اللحم بين اسنانهم قبل ان يقلع اشتد غضب الرب عليهم وضرب الشعب ضربة عظيمة جدا ودعا اسم ذلك الموضع قبور الشهوة وارتحل الشعب من قبور الشهوة فاتوا حضروث ونزلوها وذكر انهم مكثوا هنالك سبعة ايام ثم كان ثم ارتحل الشعب من حضروث ونزلوا مغارة فاران وكلم الرب موسى وقال له ارسل قوما يحسبون الارض التي اعطي بني اسرايل فذكر ارسال النقبا الاثني عشر كما سياتي ان شا الله تعالى في سورة المايدة ثم قال ورجعوا الى موسى بعد اربعين يوما فاتوا موسى وهرون وجماعة بني اسرايل الى برية فاران الى رقيم انتهى شرح ما اشير اليه في هذه السورة من قصص بني اسرايل من التوراة ولما بين سبحانه انهم لما تعنتوا على موسى عليه السلام كما مر وياتي من نقل التوراة مرة بعد مرة اوردهم كفرا في قلوبهم فردوا على العصيان والتجرو على مجاوزة الحدود فضرب عليهم الذلة والمسكنة واحلهم الغضب وكان في ذلك تحذيرا لمن طلب سلوك ذلك الصراط المستقيم من حالهم واعلام بان المتقين المستجاب لهم في الدعا بالهداية ليسوا في شي من ذلك بل قالوا اهدنا عن يقين واخلاص متبرين من الدعاوي والاعتراض على الرسل نبه على ان من عمل ضد عملهم فامن منهم او من غيرهم من جميع الملل كان على ضد حالهم عند ربهم فلا يغضب عليهم بل يوفيهم اجورهم ويورثهم الامن والسرور المتضمنين لضد الذلة والمسكنة فقال تعالى **ان الذين امنوا** ويقال انه تعالى لما علل اهانة بني اسرايل بعصيانهم واعتدايهم كان كانه قيل فما لمن اطاع فاجيب بجواب عام لهم ولغيرهم او يقال انه لما اخبر تعالى بانهم الزموا الخزي طوق الحمامة وكان ذلك ربما اوهم انه لا خلاص لهم وان تابوا وكانت عادته سبحانه جارية بانه اذا ذكر وعدا او وعيدا عقبه حكم ضده ليكون الكلام تاما اعلموا ان باب التوبة مفتوح والرب كريم على وجه عام وقال الحرالي لما انهى الحق تعالى نبا احوال بني اسرايل نهايته بما بين على نكرهم بالخطاب الاول الى ادنى الغضب عليهم جعل النبا الاخر عنهم اعراضا في مقابلة ذلك الاقبال الاول وكانوا هم اول اهل كتاب اشعر تعالى بهذا الختم ان جميع من بعدهم يكون لهم نبا يختم بما اصابهم من جميع اهل الملل الاربعة انتهى فقيل **ان الذين امنوا** اي الذين ادعوا الايمان بما دعا اليه محمد صلى الله عليه وسلم **والذين هادوا** اي ادعوا انهم على دين موسى عليه السلام قال الحرالي وهو من الهود وهو رجوع بالباطن وثبات فيه انتهى وقال ابو عمرو ابن العلا لانهم يتهودون اي يتحركون عند قراة التوراة ويقولون ان السموات والارض تحركتا حين اتى الله عز وجل التوراة لموسى عليه السلام **والنصارى** المدعين انهم تبعوا المسيح عليه السلام قال الحرالي جمع نصران فان كان من النصرة فهو فعلان ولما كانت هذه السورة في استعطاف بني اسرايل ترغيبا وترهيبا نزل هنا بين ترتيبهم ولما كانت ملة الصابية جامعة لما تفرق من اصول اديان اهل الشرك تلاهم بهم مرتبا اكل مشرك فقال **والصابين** المنكرين للرسالة في الصورة البشرية القايلين بالاوثان السماوية والاصنام الارضية متوسطين الى رب الارباب قال الحرالي بالهمز من صبا يصبا صبا وبغير همز من صبا يصبو اصبوا تناوبت الهمزة والواو مع الصاد والبا لمعنى هو عود الى حال صغر بعد كبر انتهى **من امن** اي منهم بدوامه على الايمان وان كان امن قبل ذلك ودخوله في الايمان ان كان كافرا ليكون من الاستعمال في الحقيقة والمجاز **بالله** اي لذاته **واليوم الاخر** الذي الايمان به متضمن للايمان بجميع الصفات من العلم والقدرة وغيرهما وحاث على كل خير وصاد عن كل ضير **وعمل صالحا** اي وصدق ما ادعاه من الايمان باتباع شرع الرسول الذي في زمانه في الاعمال الظاهرة ولم يفرق بين احد من الرسل ولا اخل بشي من اعتقاد ما جات به الكتب من الصلاح قال الحرالي وهو العمل المراعي من الخلل واصله الاخلاص في النية وبلوغ الوسع في الحلول له بحسب علم العامل واحكامه وقال والعمل ما دبر بالعلم انتهى ولما كان الافراد دل على تخصيص كل واحد بماله والجمع ادل على ارادة العموم وابطع للتعنت افرادا ولا وجمع هنا فقال **فلهم اجرهم** الذي وعدوه على تلك الاعمال المشروطة بالايمان وهو في الاصل جعل العامل على عمله كاينا **عند ربهم** فهو محفوظ لا يخشى عليه نسيان ولا يتوجه اليه تلف **ولا خوف عليهم** من ات يستعلي عليهم من جميع الجهات **ولا هم يحزنون** على شي فات بل هم في اعظم السرور بما لهم من العز والجده ضد ما للمعتدين من الذلة والمسكنة وحسن وضع هذه الاية في اثنا قصصهم

انهم

انهم كانوا مامورين بقتل كل ذكر من عالم وربما امروا بقتل النسا ايضا فربما ظن من ذلك ان من امن من غيرهم لا يقتل قال في التوراة في قصة مدين وقتلوا كل ذكر فيها ثم قال فغضب موسى فقال لهم لماذا ابقيتم على الاناث وهن كن عثرة لبني اسرايل عن قول بلعام ومشورته يعني بما افضى الى الزنا ثم قال وقال الرب لموسى كلم بني اسرايل وقل لهم انكم جايزون الاردن فتهلكوا جميع سكان الارض ونحو هذا مما لعل بعضه اصرح منه وقد ذكر منه في سورة المايدة وغيرها ايضا في اثنا قصصهم اشارة الى تكذيبهم في قولهم ليس علينا في الاميين سبيل وان المدار في عصمة الدم والمال انما هو الايمان والاستقامة وذلك موجود في نص التوراة في غير موضع وفيها تهديد لهم على المخالفة في ذلك بالذلة والمسكنة وسياتي بعض ذلك عند قوله لا تعبدون الا الله الاية بل وفيها ما يقتضي المنع من مال المخالف في الرب فانه قال في وسط السفر الثاني واذا لقيت ثور عدوك او حماره وعليه حمولة فاردها اليه واذا رايت حمار عدوك حايما تحت حمله فهممت ان لا تو ازره فوازره وساعده ثم رجع الى قصصهم على احسن وجه فانه لما ذكر للمومنين هذا الجزا الذي ختم امره ترغيبا بابهامه ونسبته الى حضرة الرب المحسن بانواع التربية وانه لا خوف معه ولا حزن تلاه بانهم لم يومنوا بعد روية ما رأوا من باهر الايات حتى رفع فوقهم الطور وعلموا انه واقع ان عصوا فكان قبوله من اعظم النعم عليهم لان حقيقة الرد لا تركا لايمان عند روية الباس لا ايمان بالغيب ثم ذكر انه لما اقلع عنهم تولوا عن الحضرة الشريفة الى حضرات الشيطان فاكثروا المعاصي اشارة الى انهم اغلظ الناس اكبادا واكثرهم جراة وعنادا لا يرعون لرهبة ولا يلبثون لرغبة فقال تعالى **واذ** واحصر من هذا ان يقال انه لما قرر سبحانه بقوله للعالم العامل المذعن كاينا من كان تلاه لليهود من الجلالة الداعية الى النفور عن خلال السعادة التي هي ثمرة العلم وماله سبحانه من التطول عليهم باكرامهم على ردهم اليه فقال واذ اي واذكروا يا بني اسرايل اذ **اخذنا** بما لنا من العظمة **ميثاقكم** بالسمع والطاعة من الوثيقة وهو ثنية العهد تاكيدا كاثباته بالكتاب قاله الحرالي **ورفعنا** ولما كان الجبل قد صار فوقهم كالظلة عاما لهم بحيث انه اذا وقع عليهم لم يفلت منهم انسان نزع الجار فقال **فوقكم الطور** ترهيبا لكم لتقبلوا الميثاق الذي هو سبب سعادتكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كل جبل ينبت وكل جبل لا ينبت فليس بطور وقلنا لكم وهو مظل فوقكم **خذوا ما اتيناكم** من الكتاب للعبادة بطاعتي والتزام احكامي الموجبة للكون في حضرتي **بقوة** اي بجد واجتهاد والقوة باطن القدرة من القوى وهو طاقات الحبل التي يفتل منها ويومن انقطاعه قاله الحرالي **واذكروا ما فيه** من التمسك به والانتقال عنه عند مجي الناسخ المنعوت فيه ذكرا يكون بالقلب فكرا وباللسان ذكرا **لعلكم تتقون** اي لتكونوا على رجا من ان تتقوا موجبات السخط ولما كان التقدير فاخذتم ذلك واو ثقتم العهد به خوفا من ان يدفنكم بالجبل عطف عليه واشار الى انه كان من حقه البعد عن تركه باداة البعد قوله **ثم توليتم** والتولي قال الاصفهاني اصل الاعراض عن الشي بالجسم ثم استعمل في الاعتراض عن الامور الدينية وهو هنا الاعراض المتكلف بما يفهمه التفعل قال الحرالي وذلك لان النفوس اذا تواطنت على امر الله ثم نازعت محاسنه فرجعت بذلك الى نحو من الفطرة الاولى لم ترجع عنه الا بمدافعة من الهوى شديدة ولما كان توليهم لم يستغرق زمن البعد ادخل الجار فقال **من بعد ذلك** اي التاكيد العظيم عن الوفاية **فلولا** اي فتسبب عن توليكم انه لولا **فضل الله** اي الذي له الجلال والاكرام مستعمل **عليكم ورحمته** بالعفو والتوبة والاكرام بالهداية والتفضل على الاعقاب **لكنتم من الخاسرين** بالعقوبة وتابيد الغضب وايضا فلما كان يمكنهم ان يدعوا الايمان والعمل الصالح عقبت تلك بالاية المبينة اشارة الى انه ليس المجي الايمان في الجملة بل الايمان بجميع ما اخذ عليهم به الميثاق وهو جميع ما اتاهم في التوراة ايمانا مصحوبا بالقوة ومما اتاهم صفة عيسى ومحمد عليهما السلام والامر باتباعهما فهو مما اخذ عليهم به العهد وقد كفروا به فلم يصح لهم ايمان ولا عمل لان التفرقة بين ما اتى منه سبحانه وتدفقه ثم جات قصة المعتدين في السبت موكدة لذلك اذ كان حاصلها انهم لما سمعوا امرا واحدا من اوامره واستخفوا به وهو تحريم السبت عذبهم بعذاب لم يعذب به احدا من العالمين فقال **ولقد** واقرب من ذلك ان يقال انه سبحانه لما ذكرهم بنعمة العفو الحافظ لهم من الخسران ذكرهم بجلافة اخرى لهم جذل بها فريقا منهم حتى غلبهم الخسران فما ضروا الا انفسهم معقبا على انهم بما عاملون ولها مستحضرون فقال تعالى عاطفا على ما تقديره لقد علمتم جميع ذلك من عهودنا وما ذكرنا من الايقاع بمن نقض من سنديه وعيدنا ومن التمديد على ذلك بضرب الذلة وما يتبعها من انواع النكال **ولقد** اي وعزتي لقد **علمتم الذين اعتدوا** اي تعمدوا العدوان **منكم في السبت** بان استحلوه واصل السبت القطع للعمل ونحوه **فقلنا** اي فتسبب عن اعتدايهم ان قلنا بما لنا من العظمة **لهم كونوا** بارادتنا **قردة خاسين** اي صاغرين مطرودين جمع خاسي من الخسي وهو طرد بكره واستخفاف وسبب ذلك ان الله تعالى امرهم بيوم الجمعة فابوا الا السبت فالزمهم الله اياه وجعله لهم محنة وحرم عليهم فيه العمل فاصطادوا واعلى الحيتان وخوف من العقوبة فلما طال زمن عفوه عنهم وحلمه سبحانه تجاهروا بالمعصية مسخ منهم من عصى بالمباشرة ومن سكت عن النهي عن المنكر **فجعلناها** اي فتسبب عن قولنا انهم كانوا قردة كايتا فجعلنا هذه العقوبة **نكالا** اي قيدا مانعا **لما بين يديها** من العاصي من اهل عالمها الشاهدين لها **وما خلفها** لمن جا بعدهم روي معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما والنكال ابدال العقوبة لمن يتعظ بها واليد ما به تظهر اعيان الاشيا وصورها اعلاها وادناها فلذلك تثنيت لانها يدعليا هي اليمنى ويد دنيا هي اليسرى والخلف ما يخلفه المتوجه في توجهه فينطمس عن حواس اقباله شهوده قال الحرالي وقال **وموعظة** من الوعظ وهو دعوة الاشيا بما فيها من العبرة للانقياد للاله

الحق بما عرفها في مقابلة التذكير بما يوجبها للمتقين وقد اشعر هذا ان التقوى عصمة من كل محذور وان النقم تقع في غيرهم وعظا لهم ولما بين تعالى شناعتهم في حقوقه عامة ثم خاصة اتبعه بيان خستهم في مصالح انفسهم لينتج انهم اسفه الناس فقال واذ قال موسى لقومه بني اسرائيل ان الله اي الذي له الامر كله يامركم ان تذبحوا بقرة لتعرفوا بها امر القتيل الذي اعياكم امره وتارها البيت لعلنا نبث الحقيقي بل لانها واحد من الجنس يقع على الذكر والانثى ولما كان من حقهم المبادرة الى الامتثال والشكر فلم يفعلوا بين فظاظتهم على طريق الاستئناف معظما لها بقوله حكاية عنهم قالوا اتتخذنا هزوا اي مكان هزؤ ومهزوءا بنا حين نسألك عن قتيل فتامرنا بذبح بقرة لجمعوا الى ما اشير اليهم من اساتهم سوء الادب على من ثبتت رسالته بالمعجزة وزد كلامه كفر لتكذيبهم بما راوا منه من العلم بالله المنافي للهزء بان قال اعوذ بالله اي اعتصم بمن له الكمال من ان اكون من الجاهلين فانه لا يستهزئ الا جاهل والعولا الحاهل مخوف لكاف بكلفه والجهل التقدم في الامور المنبهمة بغير علم قاله الحرالي قالوا تماديا في الغلظة ادع لنا ربك اي المحسن اليك فكان تخصيصهم له بالاضافة غاية في الجفا يبين من التبيين وهو انقطاع الشيء والمعنى مما يلابسه ويداخله قاله الحرالي والمراد المبالغة في البيان بما تفهمه صيغة التفعيل لنا ما هي تلك البقرة قال انه يقول ولما كانوا يتعنتون اكد فقال انها بقرة لا فارض اي مسنة ترضت سنيها اي قطعتها ولا بكر اي فتية صغيرة عوان اي نصف وهو خبر لمبتدا محذوف وبين هذا الخبر بقوله بين ذلك اي سني الفارض والبكر فافعلوا ما تؤمرون فان الاعتراض على من يجب التسليم له كفر فلم يفعلوا بل سالوا بيان اللون بعد بيان السن بان قالوا ادع لنا ربك تماديا في الجفا بعدم الاعتراف بالاحسان يبين لنا ما لونها بعد بيان سنها واللون تكيف ظاهر الاشيا في العين قاله الحرالي قال واكد لما مضى من تلذذهم فقال انه يقول واكد اشارة الى مزيد تعنتهم فقال انها بقرة صفراء واكد لشدة صفرتها بالعدول عن فاقعة الى قوله معبرا باللون فاقع لونها اي خالص في صفرته قال الحرالي انه نعت تخليص للون الاصفر بمنزلة قاني في الاحمر فهي اذن متوسطة اللون بين الاسود والابيض كما كانت متوسطة السن تسر الناظرين اي تبهج نفوسهم بانك اذا نظرت اليها خيل اليك بان شعاع الشمس يخرج من جلدها قاله وهب قالوا ادع لنا ربك المحسن اليك بالاجابة في كل ما سالته يبين لنا ما هي ثم عللوا تكريرهم لذلك بقولهم ان البقر اي الموصوف بما قدمته تشابه اي وقع تشابه بعضه علينا وذكروا الفعل لان كل جمع حروفه اقل من حروف واحده فان العرب تذكره نقله عن سيبويه ثم ادركتهم العناية فقالوا وانا ان شاء الله اي الذي له صفات الكمال واكدوا لما اوجب توقفهم من خلق عنادهم وقدموا التبرك بالمشية لذلك على خبر ان لمهتدون اي الى المراد فتبركوا بما لا يكون بركة الا به قال انه يقول انها اي هذه البقرة التي اطلتم التعنت في امرها بقرة لا ذلول من الذل وهو حسن الانقياد قاله الحرالي ثم وصف ذلول بقوله تثير الارض اي تجدد منها اثارتها بالحدث كل وقت من الاثارة قال الحرالي وهي اظهار الشيء من الثرى كما تخرج الثرى من تحتوى اليبس ولما كان الذل وصفا لازما عبر في وصفها بانتفائه بالاسم المبالغ فيه اي ليس الذل وصفا لازما لها الا انها بحيث لا يوجد منها ذل اصلا فانها لو كانت كذلك كانت وحشية لا يقدر عليها اصلا ولما كان نايم وصفها باثبات الذل الاسقي النفي عنها وكان امرا يتجدد ليس هو صفة لازمة كالذل عبر فيه بالفعل واصحبه لا عطفا على الوصف لا على تثير لئلا يفسد المعنى فقال واصفا للبقرة ولا تسقي الحرث اي لا يتجدد منها سقيه بالسانية كل وقت ويجوز ان يكون اثباتا لانه شبيها على حدتها قبل تثير فيكون الفعلان المنفيان تعبيرا على سبيل الاستئناف للا ذلول وحذفه قبل تثير لئلا يظن انه منها وصف لذلول فيفسد المعنى والمراد انها لا تذلل بحرث ولا سقي معلوم من العدوة على تبيا عما وتسلمها للذبح انما ليست في غاية الاباء كما اذن به الوصف بذلول كل ذلك لما في التوسط من الجمع لاشتات الخير مسلمة اي من العيوب لا شية اي علامة فيها تخالف لونها بل هي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها قالوا الآن اي في هذا الحد من الزمان الكائن الفاصل بين الاتي والماضي جئت بالحق اي الامر الثابت المستقر البين من بيان وصف البقرة لتخلصها فذبحوها اي فتسبب عما تقدم كله انهم ذبحوها وما كادوا اي قاربوا قبل هذه المراجعة الاخيرة يفعلون قال ابن عباس رضي الله عنهما لو ذبحوا بقرة ما لاجزاتهم لكنهم شددوا في السوال فشدد الله عليهم يعني انهم كلفوا بالاسهل فشددوا فنسخ بالاشق وهو دليل جواز النسخ قبل الفعل او يقال انه لما كان السبت اثما وجب عليهم وابتلوا بالتشديد فيه باقتراحهم لرسولهم اياه تعبدا بابيهم للجمعة كما ياتي ان شاء الله تعالى بيانه عند قوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه كان السبت لاشيا تعقيبه بقصة البقرة التي ما شدد عليهم في امرها الا لتعنتهم وابائهم لذبح اي بقرة تيسرت ويجوز ان يقال انه لما كان من جملة ما استحقوا به السبت لمسارعته الى ازهاق ما لا يحصى من الارواح الممنوعين منها من الحيتان وكان في قصة البقرة ثم التعنت والتباطؤ عن ازهاق نفس واحدة وامروا بها تلاه بها ومن احاسن المناسبات ان في كلا بني القردة والبقرة تبديل حال الانسان بمخالطة لحم بعض الحيوانات ثم في الاولى اخراسه بعد نطقه بلحم السمك وفي الثانية انطاقه بعد خرسه بالموت بلحم البقر ولعل تخصيص لحم البقر بهذا الامر تعريضا بما ظهر من ردتهم وتنبيههم من غفلتهم عن عظيم قدرة الله تعالى لينزع من قلوبهم التعجب من خوار العجل الذي عبدوه وقال الامام ابو الحسن الحرالي وفي ذلك تشامير من احوالهم في عبادتهم العجل وفي طلبهم ذلك وفي كل ذلك مناسبة بين طباعهم وطباع البقرة المخلوقة للكد وعمل الارض التي معها التعب والذل والتصرف فيما هو من الدنيا توغلا فيها وفيه تسمية مطلبهم ما تنبت الارض الذي هو اثر الحرث بعد الذي ابدلوا الحطة به وهو حبة في شعرة فكانهم بذلك ارضيون ترابيون لا تسمو طباع اكثرهم الى الامور الروحانية العلوية فان جبلة كل نفس تناسب ما تنزع اليه وتلهج به من انواع الحيوان

خلق

خلق لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا انتهى ولما قسمت القصة شطرين بنيها على التمثيل لنمة العفو عن التوقف عن الامر وتمام البيان بالامر الخارق وتنبيها على ان تهم بذلك تعريفين احدهما باساة الادب في ترك الاستمرار والتوقف عن الامتثال والثاني على قتل النفس وما تبعه ولو رتبت على ترتيبها في الوجود لم يحصل ذلك وقدم الشطر الانسب لقصة السبت تبعه الاخر وقال الحرالي لما رتبنا قول موسى عليه السلام على ذكر تدارئهم في القتيل ابتدا بالشوف العقد بمعنى التشريع الذي هو القايم على افعال الاعتدا واقوال الخصومة انتهى فقال تعالى واذ اي واذكروا اذ واسند القتل الى الكل والقاتل واحد لان ذلك عادة العرب لان عادة القبيلة المدافعة عن احدهم فقال قتلتم نفسا فاقبل عليهم بالخطاب توبيخا لهم واشارة الى ان الموجودين منهم رضوان بما مضى من اسلافهم وان من رضي شيا كان من عمله ولما كانوا قد انكروا القتل سبب عنه قوله مشيرا الى خفايه بالادغام فادارأتم فيها اي تدافعتم فكان كل فريق منكم يرد القتل الى الاخر فكان لكم بذلك ثلثة اثام اثم الكبيرة واثم الاصرار واثم الافترا بالدفع قال الكلبي وذلك قبل نزول القسامة في التوراة كانه يشير الى ما اذكره عنها قريبا ولما كان فعلهم في المداراة فعل غافل عن احاطة علم الخالق سبحانه قال يحكي حالهم اذ ذاك والله اي والحال ان الذي له الامر كله مخرج بلطيف صنعه وعظيم شانه ما كنتم تكتمون وفي تقديمه ايضا زيادة تبكيت لهم بتوقفهم في ذبح بقرة امروا بذبحها لمصلحة لهم عظيمة بعد مبادرة بعضهم الى قتل انسان مثله بعد النهي الشديد عنه وقال منبها بالالتفات الى اسلوب العظمة على ما في الفعل المامور به منها فقلنا اي بما لنا من العظمة اضربوه يعني والدليل على هذا المحذوف قوله ببعضها قال الامام ابو علي الفارسي في كتاب الحجة قلنا اضربوا المقتول ببعض البقرة فضربوه به فحيي واضمر ذكر البقرة ولم يظهر دلالة على اتحاد هذا الشق الاول من القصة الذي جعل ثانيا بالشق الذي قبله في انهما قصة واحدة فقال كذلك اي مثل هذا الاحيا العظيم على هذه الهيئة الغريبة يحيي الله اي الذي له صفات الكمال الموتى مثل هذا الاحيا الذي عوين وشوهد انتهى روي انهم ضربوه فقام وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا ولم يورث قاتل بعد ذلك وهذه الخارقة كما اخبر نبينا صلى الله عليه وسلم ذراع الشاة المشوية بانه مسموم لما سمته اليهودية التي كانت في قومها هذه الاية وجعل هذا التنبيه على البعث في قصتهم لانه في اعظم الادلة عليه وقد وقع منهم ما ساغ معه عدهم منكرين وهو قولهم للمشركين دينكم خير من دين محمد او ان هذا التنبيه مقصود به حث العرب على سوال من يستخصونهم في السوال عن النبي صلى الله عليه وسلم لكونهم اهل العلم الاول فهو ملزوم لهم باعتقاد البعث او اعتقاد كذب اليهود وعبر بالاسم العلم لان الاحيا من اخص الايات بصفة الالهية كما ان الارزاق اخص الايات بالربوبية ويريكم اياته فيما يشهد بصحته لعلكم تعقلون اي لتكونوا برؤية تلك الايات المشاهدة لها على رجا من ان يحصل لكم عقل فيرشدكم الى اعتقاد البعث وغيره مما تخبر به الرسل عن الله تعالى ولما كان حصول القسوة منهم بعد رؤية هذه الخارقة مستبعد التصور فضلا عن الوقوع اشار اليه بقوله ثم قست من القسوة وهي اشتداد التصلب والتحجر قلوبكم ولما كانت لهم حالات يطيعون فيها اتى بالجار فقال من بعد ذلك اي من بعد ما تقدم من وصفه من الخوارق في المراجعات وغيرها تذكيرا لهم بطول امهاله لهم سبحانه مع توالي كفرهم وعنادهم وتحذيرا من مثل ما حل باهل السبت فهي اي فتسبب عن قسوتها ان كانت كالحجارة التي هي ابعد الاشيا عن حالها فان القلب جني حي والحجر احمد جامد ولم يشبهها بالحديد لما فيه من المنافع ولانه قد يلين ولما كانت القلوب بالنظر الى حياتها الين لين وبالنظر شبابنا على حالة اصلب شي كانت بحيث يحير الناظر في امرها فقال او قال الحرالي هي كلمة تدل على تهم الامر وخفيته فيقع الابهام والابهام انتهى وهذا الابهام بالنسبة الى الرائين لهم من الادميين واما الله تعالى فهو العالم بكل شي قبل خلقه كعلمه به بعد خلقه وزاد اشد مع صحة بنا الفعل من ثبي للدلالة على فرط القسوة فقال اشد قسوة لانها لا تلين لما حقه ان يلينها والحجر يلين لما حقه ان يلينه وكل وصف للحي يشابه به ما دونه ابلغ فيه مما دونه من حيث ان الحي تهيا لضد تلك المشابهة بالادراك ولما كان التقدير فان الحجارة منفعل بالمراد له عطف عليه مشيرا الى مزيد قسوتهم وجلا فيهم بالتاكيد قوله وان من الحجارة وزاد في التاكيد تاكيدا لذلك قوله لما يتفجر اي يتفتح بالسعة والكثرة منه الانهار ذكرا الكثير مما يشاهد من ذلك وتذكيرا بالحجر المتفجر لهم منه الانهار بضرب العصا ثم عطف على ذلك ما هو دونه فقال وان منها لما يشقق اي يسيرا يتكلف بما يشير اليه الادغام والتفعل من التشقق وهو تفعل صيغة التكلف من الشق وهو مصير الشي في شقين اي ناحيتين منفصلا بلين قاله الحرالي فيخرج منه الما الذي هو دون النهر ثم عطف على هذا ما هو انزل من ذلك فقال وان منها اي الحجارة لما يهبط من خشية الله اي ينتقل من مكان عال من على الجبل الى اسفله لامر الملك الاعلى له بذلك وقلوبكم لا تنقاد لشي من الاوامر فجعل الامر في حق القلوب لما بينهما من العقل كالارادة في حق الحجارة لما لها من الجاذبية وفي ذلك تذكير لهم بالحجارة التي تهافتت من الطور عند تجلي الرب قال الحرالي والخشية وجل نفس العالم مما يستعظمه ولما كان التقدير فما اعمالكم او فما اعمالهم على قراءة الغيب مما يرضي الله عطف عليه وما ويجوز ان يكون حالا من قلوبكم اي قست والحال انه ما الله اي الذي له الكمال كله بغافل والغفلة فقد الشعور بما حقه ان يشعر به عما تعملون فانتظروا عذابا مثل عذاب اصحاب السبت اما في الدنيا واما في الاخرة ولم ار ذكر قصة البقرة في التوراة فلعله مما اخفوه لبعض اغراضهم كما اشير اليه بقوله تعالى تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا والذي رايت فيها مما يشبه ذلك ويمكن ان يكون مسببا عنه انه قال في السفر الخامس منها ما نصه فاذا وجدتم قتيلا في الارض التي يعطيكم الله ربكم مطروحا لا يعرف قاتله تخرج اشياخكم وقضاتكم ويذرعون

مابين القتيل والقرية فايةُ قرية كانت قريبة من القتيل باخذ اشياخ تلك القرية خمسين يمينا بالله ما قتلناه ولا علمنا له قاتلا فاذا حلفوا برؤا وكذا في الحديث قال ابن عباس رضي الله عنه فلم يعط القاتل من ميراثه شيئا بعد ذلك قاله البغوي ... مابين القتيل والعرية فاية قرية كانت قريبة من القتيل باخذ اشياخ تلك القرية عجلا لم يعمل به عمل ولم يحرث به حرث فيعزل اشياخ
العرية العجل الى الوادي الذي لم يزرع ولم يحرث فيه حرث بذبحون العجل في ذلك الوادي ويتقدم الاحبار بنو الاول الذي اختارهم
الله ربكم ان يخدموا ويباركوا اسم الرب وعن قولهم يقضى كل قضا وضرب كل مضروب وجميع اشياخ تلك القرية العربية من القتيل
يغسلون ايديهم فوق العجل المذبوح في الوادي ويحلفون ويقولون ما سفكت ايدينا هذا الدم وما راينا من قتله فاغفر يا رب لال اسرائيل
شعبك الذين خلصت ولا تواخذ شعبك بالدم الزكي ويغفر لهم على الدم وانتم فافحصوا عن الدم وانفوا بالحق وابعدوا عنكم الاثم
واعملوا الحسنات بين يدي الله ربكم انتهى وهو كما ترى يشبه ان يكون نوع هذا الاصل المذكور في القران العظيم والله اعلم ولما بين سبحانه
ان قلوبهم صارت من كثرة المعاصي وتوالي التجرؤ على ما ربها بالتجربة بالدين كثيفة الطبع بحيث انها اشد قسوة من الحجارة تسبب عن ذلك
بعدهم عن الايمان فالتفت الى المومنين يوئسهم من فلاحهم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما كان يشتد حرصه عليه من طلب ايمانهم
في معرض التبكيت عليهم والتبكيت لهم منكرا للطمع في ايمانهم بعدما قرر انه يكرر من كفرانهم فقال افتطمعون والطمع تعلق البال
بالشي من غير تقدم سبب له ان يومنوا اي عرب الذين بين اظهركم وقد سمعتم ما اتفق لاسلافهم من الكاثة وهم راضون بذلك ولا
لا امنوا يجردها الاخبار عن هذه القصص من هذا النبي الامي الذي يحصل التحقق بانه لا معلم له الا الله معترفين لكم وقد اي والحال
انه قد كان فريق اي ناس يقصدون التفرقة والشتات منهم قال الحرالي من الفرق وهو اختصاص برأي وجهة عمن حقه ان يتصل به ويكون
معه انتهى يسمعون كلام الله المستحق لجميع صفات الكمال والكلام هو اظهار ما في الباطن على الظاهر لمن يشهد ذلك الظاهر بكل نحو من
انحا الاظهار انتهى ثم يحرفونه اي يزيلونه عن جهة بردّه على حرفه وفي ذكر الفريق مع المعطوفات عليه تاكيد لعظيم تمكنهم في العصيان
بانهم كانوا ابعد ما وصف من احوالهم الخبيثة فرقا في الكفر والعدوان والتبري من جلباب الحيا وقوله من بعد ما عقلوه مع كونه توطئة
كاتي من امر النسخ مشير الى ان تحريفهم لم يكن في محل اشكال لكونه مدركا بالبديهة وانبنا الحار لاختلاف احوالهم ولما كان هذا مع انه
اشارة الى انهم على حيلات ابايهم والى ان من اجترا على الله ينبغي الحيا داب لله ان يطمعوا في صلاحه لهم لانه اذا اجترا على العالم بالخفيات كان له
على غيره اجرا مشيرا الى انه لا يفعله عاقل ختمه بقوله وهم يعلمون اي والحال انهم مع العقل حاملون للعلم بما هو له عند غافلين
بل متعمدون ولما كان الكلام مرشدا الى ان التقدير فمنهم لجرائهم على الله اذا سمعوا كتابكم حرّفوه واذا جد تواعدوا لله لا يكادون له
يصدقون عطف عليه قوله واذا لقوا الذين امنوا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا نفاقا منهم امنا واذا خلا بعضهم اي
المنافقين الى بعض قالوا لا يمين لهم طعنا منهم جهلا بالله لما وجد واكثيرا من اسرارهم وخفي احيائهم مما هو في كتابهم من الدقايق وغير
ذلك عند المومنين مع اجتهادهم في اخفاها ان بعضهم افشاها فعلمت من قبله اتحدثونهم من التحدث وهو تكرار حدث القول اي وانتم
بما فتح الله ذو الجلال والجمال عليكم من العلم القديم الذي اتاكم على السنة رسلكم او عذب به بعضكم والفتح قال الحرالي توسعة الضيق
حسا او معنى ليحاجوكم اي المومنون به عند ربكم والمحاجة يتثبيت لعقد والراي بما يحجه ولما كان عندهم ان افشاهم لمثل هذا من فعل
من لا يعقل قالوا انكارا من بعضهم على بعض افلا تعقلون ويمكن ان يكون خطابا للمومنين المخاطبين بتطمعون اي فلا يكون لكم عقل ليردكم
ذلك عن تعليق الامل بايمانهم ولما كان ظنهم هذا واضح الفساد لانه لو لم يكن علمه من قبل الله لم يقدر غيره ان يخبر عنه بعبارة تعجز
الخلايق عن مماثلتها وصل به قوله موبخا لهم اولا اي الا يعلمون ان علم المومنين لذلك لم يكن الا عن الله لما قام عليه من دليل الاعجاز ولا
يعلمون ان الله الذي له الاحاطة بكل شي يعلم ما يسرون اي يخفون من قولهم لاصحابهم ومن غيره وما يعلنون اي يظهرون من ذلك
فيخبر به اولياه ولما ذكر سبحانه هذا العزيق الذي هو من اعلام كفرا اغنا هم امرا عطف عليه قسما اغنى منه وانظا ان العالم يرجى
لعنه عن رايه او تحبله بالحجاج بخلاف المقلد العاني الكثيف الجافي فقال ومنهم اميون ويجوز ان يراد بهم من لا يحسن بالكتابة ومن
يحسنها وهو غليظ الطبع بعيد عن الفهم لان الامي في اللغة من لا يكتب او من على خلقة الامة لم يتعلم الكتابة وهو باق على جبلته وحال
ولادته والعي الجلف الجافي القليل الكلام قاله ابن قتيبة وعبر كتبة وهم المراد بالاميين وهو لا مع كونهم لا يحسنون الكتاب يجوز
ان يتعلموا القراة تلقينا ولا يفهمون المعاني ويجوز ان يكون المعنى انهم قسمان علما يحاربر عارفون بالمعاني وجهلة غبيون لا حظ لهم من التوراة
الا القراة الخالية عن التدبر المعروفة بالتمني ولذلك قال لا يعلمون الكتاب اي بخلاف القسم الذي ذكر قبله كونهم من اهل العلم ولما
كان المراد سلب العلم عنهم راسا ابرز الاستثنا مع كونه منقطعا في صورة المتصل فقال الا اماني جمع امنية وهي تقدير الوقوع فيما
يترامى اليه الامل وبيان ان معناه يجري في التلاوة للفظ كانما تقدير بالاضافة لم يحقق له المعنى قاله الحرالي اي ان كانت الاماني مما يسمع
ويصفه بالعلم فهي لهم لا غيرها من جميع انواعه ولما انتم ذلك ان التقدير ماهم الا يقدرون تقديرات اعلم لهم بها عطف عليه قوله
وان هم الا يظنون اي ليسوا على يقين ليس لهم يحلم كالعلم ولما اثبت العلم والعزيق هوادواهم واضرهم لعباد الله واعداهم قال
فويل والويل جماع الشر كله قاله الحرالي للذين يكتبون اي منهم ومن غيرهم الكتاب اي الذي يعلمون انه من عندهم لا من عند الله بايديهم
واشار الى قبح هذا الكذب وبعد رتبته في الخبث باداة التراخي فقال ثم يقولون لما كتبوه كذبا وبهتانا هذا من عند الله الملك الاعظم
ثم بين العلة الحاملة لهم على ذلك خساسة وتراميهم الى النجاسة ودناءتهم فقال ليشتروا به اي بهذا الكذب الذي صنعوه ثمنا
قليلا ثم سبب عنه قوله فويل لهم مما كتبت ايديهم من ذلك الكذب على الله وويل لهم مما يكسبون اي يجددون كسبه مما اشتروه
به وجرد الفعل لموضوح دلالته في الخبث بقرينة ما تقدم وادا ان المجرد كذلك كان غيره اولى قال الحرالي والكسب ما يجري من الفعل

والقول والعمل والاثار على احساس عنه فيه وقوة عليه انتهى وفي هذه الاية بيان لما شرف به كتابنا من انه لاعجازه لا يقدر احد ان
ياتي من عنده بما يدسه فيه فيلبس فيه فلله المنة علينا والفضل ولما ارشد الكلام الى ان التقدير فحرفوا كثيرا في كتاب الله وزادوا
ونقصوا عطف عليه مابين به جراتهم وجفاهم وعدم اكتراثهم بما يرتكبونه من الجرايم التي هم اعلم الناس بان بعضها موجب للخلود في النار
فقال تعالى وقالوا لن تمسنا من المس وهو ملاقاة ظاهر الشي ظاهر غيره النار اي المعدة في الاخرة الا اياما ولما كان مرادهم بذلك
انهم لا يخلدون فيها وكان جمع القلة وان كان يدل على ذلك لكنه ربما استعير الكثرة فدل على ما لا اخر له او ما بعد عده زادوا المعنى تاكيدا
وتصريحا بقولهم معدودة اي منقضية لان كل معدود منقض قال الحرالي والعد اعتبار الكثرة بعضها ببعض واقتصر على الوصف لم
بالمفرد لكفايته في هذا المعنى بخلاف ما في صحا العمران فانه لبيان اجترايهم على العظايم ولما ادعوا ذلك ادعوا ان المسلمين يخلفونهم بعد
ذلك فيها روى البخاري في الجزية والمغازي والطب والدارمي في اول المسند عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما فتحت خيبر اهديت للنبي صلى
الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجمعوا الي من كان ههنا من يهود فجمعوا له فقال اني سائلكم عن شي فهل انتم صادقي عنه
فقالوا نعم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم من ابوكم قالوا فلان فقال كذبتم بل ابوكم فلان قالوا صدقت وبررت قال فهل انتم صادقي
عن شي ان سالتكم عنه فقالوا نعم يا ابا القسم وان كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في ابينا فقال لهم من اهل النار قالوا نكون فيها يسيرا ثم
تخلفونا فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخسوا فيها والله لا نخلفكم فيها ابدا ثم قال هل انتم صادقي عن شي ان سالتكم عنه فقالوا نعم
يا ابا القسم قال هل جعلتم في هذه الشاة سما فقالوا نعم قال ما حملكم على ذلك قالوا اردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت نبيا
لم يضرك ولما ادعوا ذلك كان كانه قيل فيما ذا نرد عليهم فقال قل منكرا لقولهم ذلك اتخذتم في ذلك عند الله الذي له الامر كله عهدا اي
فيتسبب عن ذلك انه يوفى عهده لانه لن يخلف الله الذي له صفات الكمال عهده لم يكن ذلك فانتم تقولون على الله المحيط بكل شي
قدرة وعلما ما لا تعلمون ومعنى الانكار في الاستفهام انه ليس واحد من الامرين وانما كان في قوله تعالى افترى على الله كذبا ام به جنة ام ههنا له
هنا للهمزة وان اختلف الفعلان كما ذكر لبيه في اخر سورة مريم اتخذتم عهدا ولاتقم ذلك جهلا بل تعلمونه وانتم تعلمون خلافه ولذلك
كرمهم بتكرير الاسم الاعظم مظهرا غير مضمر ما له من الجلال والجمال الذي عاملوه كثيرا منه استعطافا لهم الى الخير وتخويفا ولما انتهى
الامران علم ان الكاين غير ما ادعوه فصرح به في قوله بلى اي ليمسنكم على خلاف ما زعمتموه فان بلى كلمة تدل على تقرير بعد من
اضراب عن نفي كانها بل وصلت بها الالف اثباتا لما اضرب عن نفيه قاله الحرالي وتم جواب الكلام لاتجه فيه ولما اضرب سبحانه
عما قالوه من العضائل الاعيان قاضيا عليهم بالخسران علل ذلك بوصف هم به متلبسون معلما بان من حق الجاهل باب الغيب الحكم على
الاوصاف التي ناط علام الغيوب بها الاحكام فقال من كسب سيئة اي عملا من حقه ان يسوء واحاطت به خطيئته بحيث لم يكن
شي من احواله خارجا عن الخطيئة بل كانت غامرة لكل ما سواها من اعماله ولا يكون ذلك الا للكفر الهادم لاساس الاعمال الذي لا يبنى
بنا الاعمال بدونه ولما كان افراد الضمير انص على جزاء كل فرد والحكم بالنكال على الكل انكارا وردع وانجح وافظع وادل على العدد افراد
ثم جمع فقال انبا بالقياد ليلا على ان اعمالهم سبب دخولهم النار فاولئك اي البعدا البغضا اصحاب النار هم خاصة فيها لا في غيرها
لانهم لا يخرجون منها خالدون ولما ابان لهذا مالهم ولكل من شاركهم في هذا الوصف عطف عليه ما لمن ادعوا انهم يخلفونهم في النار ولكل
من شاركهم في وصفهم الذي استحقوا به ذلك فقال والذين امنوا اي اقروا بالوحدانية بالسنتهم وعملوا الصالحات بيانا لان قلوبهم
مطمئنة بذلك اولئك العالو المراتب لشرفهم المناقب ولم يات بالفا دلالة على ان سبب سعادتهم انما هو الرحمة اصحاب الجنة
لا غيرهم هم اي خاصة فيها اي لا في سواها لانهم لا يبغون عنها حولا خالدون ثم شرع سبحانه يقيم الدليل على انهم ممن احاطت به خطيئته
فقال واذ اي اذكروا ما تعلمون في كتابكم من حال من كسب سيئة محيطة واذكروا اذ اخذنا بما لنا من تلك العظمة التي اشهدناكم
كثيرا منها ميثاقكم ولكنه اظهر لطول الفصل بذكر وصف يعمهم وغيرهم فقال ميثاق بني اسرائيل ويجوز ان يكون معطوفا على نعمتي
في قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم لان الكل في مخاطبتهم وبيان امورهم ولما كان الدين انما هو الادب مع الخالق والخلق
ذكر المعاهد عليه من ذلك مرتبا له على الاحق فالاحق فقال ذاكرا له في صيغة الخبر مريدا به النهي والامر وهو ابلغ من حيث انه كانه وقع
امتثاله ومضى ودل على ذلك بعطف وقولوا عليه لا تعبدون الا الله المنعم الاول الذي له الامر كله لتكونوا محسنين بذلك احسانا
هو الاحسان كله واحسنوا او وتحسنون بالوالدين ولو كانا كافرين قال الحرالي تثنية والد من الولادة لاستبقا ما يوقع ذهابه
بتطهير وصورة منه تخلف صورة بوعه انتهى احسانا عظيما لا يبلغ كنهه لكونهما في الرتبة الثانية لجعلهما سبحانه السبب في نعمة
الايجاد الاول والمباشرين للتربية وغير السياق فلم يقل لا تحسنون الا الى الوالدين لما ان الاحسان اليهما بشركهما فيه من بعدهما
وفوات هذا الحصر بتقديمهما ايذانا بالاهتمام وذي القربى وهم المتوسلون بالوالدين لما لهم من اكيد الوصلة واليتامى لضعفهم
واليتم قال الحرالي فقد الاب حين الحاجة ولذلك اثبته مثبت في الذكر الى البلوغ ونفي النبي الى التثبوبة لبقا حاجتها بعد البلوغ
والقربى فعلى من القرابة وهو قرب في النسب الظاهر او الباطن انتهى والمساكين لكسرهم ولما لم يكن وسع الناس عامة بالاحسان
بالفعل ممكنا امر بجعل ذلك بالقول فقال عطفا على الخبر الذي معناه الانشا وقولوا للناس عامة حسنا اي حسنا بالغ وهو
لعظمه كانه نفس الحسن وذلك بان يامروهم بما امر الله به وينهوهم عما نهى عنه ولما امرهم بما ان امتثلوه اجتمعت كلمتهم ذكر اعظم جامع
على الله من الاعمال فقال واقيموا الصلاة ثم ذكر ما به تمام الجمع ودوامه فقال واتوا الزكاة ولما كان الاعراض عن هذه المحاسن في غاية

البعد نكيف اذا كانت بعهد فكيف اذا كان من الله اشار الى ذلك باداة التراخي فقال ثم توليتم اي عن ذلك او عن كثير منه واشار بصيغة
التفعل الى ان الامور الدينية لحسنها لا يعرض عنها الا بعلاج بين الفطرة الاولى والامارة الا قليلا منكم وانتم اي والحال انكم معرضون له
عادتكم ذلك لم يكن ذلك منكم عن غير علم والاعراض صرف الشي الى العرض التي هي الناحية قال السمين وروي عن ابي عمرو وغيره الا قليل بالرفع
وفيه ستة اقوال اصحها رفعه على الصفة بتاويل الا وما بعدها بمعنى غير انتهى وياتي ان شا الله تعالى بسط هذا الاعراب عند قوله فشربوا
منه الا قليلا منهم ذكر ما يشهد لذلك من التوراة قال في السفر الثاني منها لما ذكر امر المناجاة وحضورهم عند الجبل وقال الله جميع هذه
الايات كلها انا الرب الهك الذي اصعدتك من ارض مصر من العبودية والرق لا تكون لك الهة غيري لا تعملن شيا من الاصنام والتماثيل
التي مما في السما فوق وفي الارض من تحت ومما في الما اسفل الارض لا تسجدن لها ولا تعبدها لاني انا الرب الهك اله غيور اجازي
الابنا بذنوب الابا الى ثلاثة احقاب واربعة من اعداي واثبت النعمة الى الف حقب لاحباي وحافظي وصاياي لا تقسم بالرب الهك
كذبا لان الرب لا يزكي من حلف باسمه كذبا اكرم اباك وامك ليطول عمرك في الارض التي يعطيكما الرب الهك لا تقتل لا تزن لا تسرق
لا تشهد على صاحبك شهادة زور لا تشته بيت صاحبك ولا تشتهين امراة صاحبك ولا كل شي لصاحبك وكان جميع الشعب يسمعون
الاصوات ويرون المصابيح وقال في موضع اخر من السفر الثالث لا تسرقوا ولا تغدروا ولا تحلفوا باسمي كذبا ولا تنجسوا اسم الرب
الهكم انا الرب وليس غيري لا تظلمن صاحبك ولا تشتمن الاخرس ولا تضع العثرة بين يدي الضرير اتق الله ربك لا تجنفوا في القضا
ولا تاثموا ولا تحابين المسكين ولا تحابي الكبير ايضا بل اقض بالبر والعدل لا تبغض اخاك في قلبك بل بكت صاحبك ووبخه بالحق لكيلا
يلزمك خطية في سببه ولا تحقدن على احد بل احب صاحبك كحب نفسك ولا تتطيروا بسبع الطيور ولا يكونن فيكم عراف ولا
يطولن شعر رؤوسكم ولا تحلقوا اعناق لحاكم ولا تخدشوا وجوهكم على الميت ولا تلبسوا على لحومكم بالابر انا الله ربكم لا تتبعوا العرافين
والقافة ولا تنطلقوا اليهم ولا تقبلوهم عن شي لئلا تنجسوا بهم اكرم الشيخ وقم اليه اذا رايته واكرم من هو اكبر منك واتق الله ربك
انا الله ربكم واذا سكن بينكم الذي يقبل الي فلا تظلموه بل انزلوه منزلة احدكم وصيروه منكم الذين يقبلون الي ويسكنون معكم احبوهم كما
تحبون انفسكم لانكم كنتم سكانا بارض مصر انا الله ربكم لا تاثموا في القضا ولا تاثموا في الاوزان والمكاييل بل اتخذوا ميزان الحق واتخذوا مكاييل
الحق انا الله ربكم الذي اخرجكم من ارض مصر احفظوا جميع وصاياي واحكامي بها انا الرب وليس غيري وقال في الثاني ومن تبع العرافين
والقافة وضل بهم انزل به غضبي الشديد واهلكه من شعبه واي رجل شتم والديه يقتلان قتلا ودمه في عنقه ثم قال بعد واي رجل
او امراة صار عرافا او منجما يقتلان قتلا ويكون قتلهما الرجم بالحجارة ودمهما في اعناقهما وقال قبل ذلك وكل من ضرب رجلا فمات
فليقتل قتلا ومن ضرب اباه وامه فليقتل قتلا ومن سرق انسانا فوجد معه يريد بيعه فليقتل قتلا ومن شتم اباه وامه فليقتل قتلا
ثم قال ولا تؤذن الساكن بينكم ولا تغصبوهم وتخرجوهم لانكم كنتم سكانا بارض مصر ولا تؤذوا الارامل والايتام فان اذيتموهم فضلوا بين يدي استمع
صلاتهم واستجيب لهم فيشتد غضبي واقتلكم في الحرب وتكون نساؤكم ارامل وبنوكم يصيرون يتامى وان اسلفت رزقك للمسكين الذي معك
من شعبي فلا تكونن له كالغريم ولا تاخذن منه ربا ثم قال ولا تقبلن الرشوة فان الرشوة تعمي ابصار الحكما في القضا وتبدل كلام الصالحين ولما كان
اكبر الكباير بعد الشرك القتل تلاه بالتذكير بما اخذ عليهم فيه من العهد وقرن به الاخراج من الديار لان المال عديل الروح والمنزل اعظم
المال وهو للجسد كالجسد للروح فقال واذ اخذنا ميثاقكم يا بني اسرائيل لا تسفكون دماءكم اي لا يسفك بعضكم دما بعض ولا
تخرجون انفسكم باخراج بعضكم بعضا لان المتواصلين بنسب او دين كالنفس الواحدة من دياركم قال الحرالي واصلها ما ادارته العرب
من البيوت كالحلقة استحفاظا لما عز به من اموالها انتهى ولما كانوا قد نكصوا عند حقوق الامر فلم يقبلوا ما اتاهم من الخير حتى خافوا الدمار
بسقوط الطور عليهم اشار الى ذلك بقوله ثم اقررتم اي بذلك كله بعد طول توقف والاقرار اظهار الالتزام بما خفي امره قاله الحرالي
وانتم تشهدون بلزومه وتعاينون تلك الايات الكبار الملجية لكم الى ذلك وقد مضى مما يصدق هذا عن التوراة اتقا ما فيه
كفاية للموفق وسياتي في المائدة بقيته ان شا الله تعالى ولما كان هذا اجما اكبر من ذكر الميثاق في مظهر العظمة اضافة الجناية الى نفس
الجاني جديرا بالبعد منه اشار الى ذلك بقوله ثم انتم هؤلا الحقيرون المغرور عليهم المجهولون الذين لا يعرف لهم اسم ينادون به او المرجون
الان ثم استانف البيان عن هذه الجملة فقال تقتلون انفسكم من غير التفات الى هذا العهد الوثيق وتخرجون فريقا منكم اي
ناسا هم اشقا لكم لم يحد بيرون منكم بالاحسان لا بالاخراج من ديارهم ولما كان من المستبعد جدا ابعد الاستبعاد الاول ان يقعوا في ذلك
على طريق العدوان استانف البيان لذلك بقوله تظاهرون اي تتعاونون من التظاهر وهو تكلف المظاهرة وهي تساند القوة كانه
استناد ظهر الى ظهر قاله الحرالي عليهم بالاثم اي مصاحبين للاثم وهو اسوأ الاعتدا في قول او فعل او حال ويقال للكذوب اثوم اعتبارا
بالقول على غيره والاثم الخمر لما يتبع بها من العداوة والعدى قاله الحرالي والعدوان اي والامتلا في مجاوزة الحدود وان ياتوكم اي
هؤلا الذين تعاونتم او عاونتم عليهم اسارى جمع اسرى جمع اسير واصله المشدود بالاسر وهو القد وهو ما يقد اي يقطع من السير
تفدوهم اي تخلصوهم بالمال من الفدا وهو الفكاك بعوض وتفادوهم من المفاداة وهي الا سوا في العوضين قاله الحرالي ثم اكد
تحريم الاخراج بزيادة الضمير والجملة الاسمية في قوله وهو محرم من التحريم وهو تكرار الحرمة بالكسر وهي المنع من الشي لزكانته والحرمة
بالضم المنع من الشي لعلوه قاله الحرالي عليكم ولما كان يظن ان الضمير للفدا عينه فقال اخراجهم ثم انكر عليهم التفرقة بين الاحكام
فقال افتؤمنون ببعض الكتاب اي التوراة وهو الموجب للفداء وتكفرون ببعض وهو المحرم للقتل والاخراج ثم سبب عن ذلك

قوله

قوله فما جزاء من يفعل ذلك اي الامر العظيم الشناعة منكم الا خزي ضد ما قصدتم بفعلكم من العز والخزي اظهار القبائح التي يستحيى
من اظهارها عقوبة قاله الحرالي في الحياة الدنيا تعجيلا للعقوبة لما في الداء التي جعلها محط قصده وقد فعل سبحانه ذلك بالمزاع الذلة
القتل لما رونه ويوم القيامة متى تعالى تعم بينها الما البالغة والغلبة وهو امر مستعظم والقيام هو الاستقلال باعباء
ثقيلة يردون اي بالبعث والرد هو الرجوع الى ما كان منه بدء المذهب قاله الحرالي الى اشد العذاب لانه الخزي الاعظم ولما
كانت المواجهة بالتهديد ادل على الغضب التفت لهم في قراءة الجماعة فعطف على ما تقديره ذلك بان الله عالم بما قصدتموه
في ذلك فهو يجازيكم بما تستحقون قوله وما الله اي المحيط علما وقدرة بغافل عما اي عن شي مما تعملون من ذلك ومن غيره وقراءة
نافع وابن كثير بالغيب على الاسلوب الماضي ولما كانت هذه الايات كلها كالدليل على قوله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة ذلك
بانهم كانوا يكفرون بايات الله كانت فذلكة ذلك قوله تعالى اولئك اي البعدا البغضا الذين اشتروا اي لجوا ان اخذوا الحياة
الدنيا العاجلة على خساستها بالاخرة العالية مع نفاستها والدنيا فعلى من الدنو وهو الانزل رتبة في مقابلة عليا ولانه
لزمته العاجلة صارت في مقابلة الاخرى اللازمة للعلو ففي الدنيا نزول قدر وتعجل وفي الاخرى علو قدر وتاخر فتقابلا لفظا على ما بينهم
تقابلين من معنى كل واحدة منهما قاله الحرالي قال والاية من الاحتباك ذكر الدنيا اولا يدل على حذف العليا ثانيا وذكر الاخرة ثانيا يدل
على حذف العاجلة اولا فلا اي فتسبب عن ذلك كله انه لا يخفف من التخفيف وهو مصير الثقيل والمستقل الى حال الطافي المستعلي حال
ما بين الجو والهوا قاله الحرالي عنهم العذاب في واحدة من الدارين ولا هم ينصرون وهو ايضا من اعظم الادلة على حذف لان من عز الاجل
المعتمر او غل وقد ورد في كثير من الاحاديث والاثار التصريح بذلك منها ما رواه مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما ظهر الغلول في قوم الا القى الله في قلوبهم الرعب وهو ايضا شرع قديم ففي سفر يوشع بن نون عليه السلام انه لما فتح مدينة
اريحا بعد موت موسى عليه السلام بعث الى مدينة عاي ثلاثة الاف مقاتل ليفتحوها فقتل منهم اهل عاي جماعة وهزموهم فاضطربت
قلوبهم وصارت كالما فخر يشوع على الارض امام تابوت الرب هو ومشيخة بني اسرائيل فقال له الرب انهض قائما واخبره ان قومه قد
غلوا فلا يقدرون الان ان يثبتوا لاعدائهم حتى يمحوا الحرام عنهم وقال الله له واذا كان غد فقدموا اسباطكم ليقترعوا والسبط الذي تصيبه
قرعة الرب يتقدم عشائره والعشيرة التي تصيبها القرعة تتقدم بيوتا بيوتا والذي تصيبه قرعة الرب ويصاب الحرام عنده يحرق
بالنار هو وكل شي له لانه تعدى على امر الرب ولانه اثم باسرائيل ففعل ما امره الرب فاصابت القرعة عاجار بن كرمي من سبط يهوذا
فاحضروه وبنيه وبناته ومواشيه وخيمته وكل من كان له فاصعدهم الى غور عاجار فرجمه بنو اسرائيل بالحجارة واحرقوهم بالنار
وجعلوا فوقه تلا من الحجارة الكبار الى اليوم ولذلك دعي اسم ذلك الموضع غور عاجار الى اليوم ثم اتوا من الغور الى عاي فقتلوا جميع
من فيها من بني ادم الذكور والاناث واحرقوها والمبين لهم انهم نقضوا العهود فاحاطت بهم الخطايا فاستحقوا الخلود في النار توقع
السائل الاخبار عن سبب وقوعهم في ذلك هل جهل او عناد فعين سبحانه ذلك عليهم بما انتجه حرف التوقع فقال ولقد باللام
التي هي لتوكيد مضمون الكلام وقد وهي لوقوع مرتقب مما كان خبرا او مما سيكون علما قاله الحرالي اتينا اي بعظمتنا موسى الكتاب
اي نقضتم تلك العهود مع ان عندكم فيها كتاب الله التوراة تدرسونه كل حين فلم ندعكم هملا بعد موسى عليه السلام بل ضبطنا
امركم بالكتاب وقفينا من التقفية وهي متابعة شي شيا كانه يتلو قفاه وقفا الصورة منها خلفها المقابل للوجه قاله الحرالي
من بعده اي موسى بالرسل اي ثم لم نقتصر على الضبط بالكتاب الذي تركه فيكم موسى بل واترنا من بعده ارسال الرسل مواترة
وجعلنا بعضهم في قفا بعض ليجددوا لكم من الدين ويؤكدوا عليكم العهود والرسالة انبعاث امر من المرسل الى المرسل اليه واتينا
بما لنا من العظمة عيسى بن مريم الذي ارسلناه لنسخ بعض التوراة وتجديد ما درس من بعضها البينات من الايات العظيمة
التي لا مرية فيها لذي عقل والبينة من قول والكون ما لا يدافعه منازع لوضوحه قاله الحرالي وايدناه اي قويناه على ذلك
كله من التاييد وهو من الايد وهو القوة كانه ياخذ معه بيده في الشي الذي يقوى فيه كما اخذ قوة المظاهرة من الظهر لان الظهر
موضع قوة الشي في ذاته واليد موضع قوة تناوله لغيره قاله الحرالي بروح القدس اي الروح الطاهر وهو جبريل عليه السلام
كما ايدنا به غيره من اولي العزم قال الحرالي والروح لمحة من لمحات امر الله وامر الله قيومه في كلية خلقه ملكا وملكوتا فما هو قوام
الخلق كله ملكا وملكوتا هو الامر الا له الخلق والامر وما هو قوام صورة من جملة الخلق هو الروح الذي هو لمحة من ذلك الامر
ولقيام عالم الملكوت وخصوصا حملة العرش بقيام الملك وخصوصا امر الدين الباقي سماهم الله روحا ومن اخصهم روح القدس
والقدس الطاهرة العلية التي لا يلحقها نجس على ما تقدم ومن اخص الروح به جبريل عليه السلام بما له من روح الامر الديني واسرافيل
عليه السلام بما له من روح النفخ الصوري وقد كان لعيسى عليه السلام بالروح من مزيد اختصاص لكثرة ما احيى من الموتى او لمعنى
فعلنا بكم يا بني اسرائيل ذلك ولم تزالوا الى عهد جميع من ذكرنا ناقضين للعهود فلا احد احق منكم بالخلود في النار ثم جا محمد صلى الله
عليه وسلم فلم يجد قوة ذكر شي من الانجيل يدل على انه عليه السلام اتى بالبينات مع تاييده بروح القدس مستخلصا من
الاناجيل الاربعة وقد جمعت بين الفاظها قال متى ومعظم السياق له فلما سمع يسوع ان يوحنا يعني يحيى بن زكريا عليهما
السلام قد اسلم يعني خذله اصحابه مضى الى الجليل وترك الناصرة وجا وسكن كفرناحوم التي على ساحل البحر في تخوم زابلون
ونفتالم ليكمل ما قيل في اشعيا النبي اذ يقول ارض زابلون ارض نفتالم طريق البحر عبر الاردن جليل الامم الشعب الجالس في

الظلمة ابصر نورا عظيما والجلوس في الكورة وظلال الموت نورا اشرق عليهم ومن ذلك الزمان بدا يسوع يكرز ويقول توبوا فقد اقترب
ملكوت السموات وقال مرقس ومن بعد حبس يوحنا واتى يسوع الى الجليل يكرز بانجيل ملكوت الله قايلا قد كمل الزمان وقربت ملكوت الله
توبوا وامنوا بالانجيل قال متى وكان يمشي على بحر الجليل فابصر اخوين سمعان الذي يدعى بطرس واندراوس اخاه يلقيان شباكهما في البحر لانهما
كانا صيادين فقال لهما اتبعاني اجعلكما تكونان صيادي الناس وللوقت تركا شباكهما وتبعاه وجاز من هناك فراى اخوين يعقوب بن زبدي
ويوحنا اخاه في سفينة مع ابيهما زبدي يصلحون شباكهم فدعاهما فللوقت تركا السفينة واباهما وتبعاه وفي انجيل يوحنا بعد
قصة يحيى بن زكريا الاتية في ال عمران هذا كان في بيت عنيا في عبر الاردن حيث كان يوحنا يعمد ومن الغد نظر يسوع مقبلا اليه فقال
هذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم هذا ذلك الذي قلت من اجله انه ياتي بعدي رجل صار قدامي لانه كان قبلي وانا لم اكن اعرفه لكن ليظهر لاسرايل
من اجل هذا جيت انا لاعمد بالماء وشهد يوحنا وقال اني رايت الروح نزل من السما مثل حمامة وحل عليه ولم اعرفه لكن من ارسلني لاعمد بالما
هو الذي قال الذي ترى الروح ينزل ويثبت عليه هو يعمد بروح القدس وانا عاينت وشهدت وبالغد كان يوحنا واقفا واثنان من تلاميذه
فنظر يسوع فقال هذا حمل الله فسمع تلميذاه كلامه فتبعا يسوع فالتفت يسوع فراهما يتبعانه فقال لهما ماذا تريدان قالا له ربي الذي
تاويله يا معلم اين تكون فقال لهما تعاليا لتنظرا فاتيا ونظرا اين يكون واقاما عنده يومهما ذلك وكان نحو عشر ساعات وان واحدا من
الذين سمعا من يوحنا وتبعا يسوع كان اندراوس اخا سمعان وانه ابصر اولا سمعان اخاه وقال له قد وجدنا مسيا الذي تاويله المسيح فجا به
الى يسوع فلما نظر اليه يسوع قال له انت سمعان بن يونا الذي يدعى الصفا الذي تاويله بطرس ومن الغد اراد الخروج الى الجليل فلقي فيلبس ناثا
نايل وقال له الذي كتب موسى من اجله في الناموس والانبيا وجدناه وهو يسوع الذي من الناصرة فقال له ناثانايل هل يمكن ان يخرج من الناصرة شي
فيه صلاح فقال له فيلبس تعال وانظر فلما راى يسوع ناثانايل مقبلا اليه قال من اجله هذا حقا اسرايلي لا غش فيه فقال له ناثانايل من اين
تعرفني فقال يسوع قبل ان دعاك فيلبس وانت تحت التينة رايتك فقال له يا معلم انت هو ملك اسرايل قال له يسوع لاني قلت لك اني
رايتك تحت التينة امنت سوف تعاين ما هو اعظم من هذا وقال له الحق الحق اقول لكم انكم من الان ترون السما مفتحة وملايكة الله ينزلون ويصعدون
على ابن البشر وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت ام يسوع هناك ودعي يسوع وتلاميذه الى العرس وكان الخمر قد فرغ فقالت ام يسوع له
ليس لهم خمر فقال لها يسوع ما لي ولك ايتها المراة لم تات ساعتي بعد فقالت امه للخدام افعلوا ما يامركم به وكان هناك ستة اجاجين من حجارة
موضوعة لتطهير اليهود يسع كل واحد مطرين او ثلثة فقال لهم يسوع املاوا الاجاجين ما فملاوها الى فوق وقال لهم اغرفوا الان وناولوا
رييس السقاة فلما ذاق رييس السقاة ذلك الما المتحول خمرا لم يعلم من اين هو فدعا رييس السقاة العريس وقال له كل انسان انما ياتي بالشراب
الجيد اولا فاذا سكروا اعند ذلك ياتي بالدون وانت ابقيت الجيد الى الان هذه الاية الاولى التي فعلها يسوع في قانا الجليل واظهر مجده وامن به
تلاميذه وبعد هذا انحدر الى كفرناحوم هو وامه واخوته وتلاميذه فاقاموا هناك اياما يسيرة ثم قال وعلم السيد يسوع ان الفريسيين
سمعوا انه قد اتخذ تلاميذ كثيرة وانه يعمد اكثر من يوحنا اذ ليس هو يعمد بل تلاميذه فترك اليهودية ومضى الى الجليل وكان يلزمه
ان يعبر الى موضع السامرة فاتى الى مدينة السامرة التي تسمى سوخار الى جانب القرية التي كان يعقوب وهبها ليوسف ابنه وكان
هناك بير يعقوب وكان يسوع قد عيي من تعب الطريق فجلس على البير في ست ساعات فجات امراة من السمرة تستقي ما فقال لها يسوع
اعطيني اشرب وكان تلاميذه قد دخلوا الى المدينة ليبتاعوا لهم طعاما فقالت له تلك المراة كيف وانت يهودي تستسقي الما وانا امراة
سامرية واليهود لا يختلطون بالسامريين اجاب يسوع وقال لها لو كنت تعرفين عطية الله ومن هذا الذي قال لك ناوليني اشرب
لكنت انت تسليه ان يعطيك ما الحياة قالت المراة يا سيد انه لا دلو لك والبير عميقة فمن اين لك ما الحياة افانك اعظم
من ابينا يعقوب الذي اعطانا هذه البير ومنها شرب هو وبنوه وماشيته فقال لها كل من يشرب من هذا الما يعطش ايضا فاما
من شرب من الما الذي اعطيه لا يعطش الى الابد فقالت المراة يا سيد اعطني من هذا الما ليلا اعطش ولا اجي ولا استقي من ههنا
فقال انطلقي وادعي زوجك وتعالي الى ههنا قالت ليس لي زوج قال لها احسنت قلت انه لا بعل لي لانه قد كان لك خمسة بعولة والذي
هو لك الان ليس هو زوجك اما هذا فحقا قلت قالت يا سيدي اني ارى انك نبي اباونا سجدوا في هذا الجبل وانتم تقولون ان باورشليم
المكان الذي ينبغي ان يسجد فيه قال لها يسوع ايتها المراة امني بي انه ستاتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في يورشليم يسجدون للاب انتم تسجدون لما لا تعلمون
ونحن نسجد لما نعلم لكن ستاتي ساعة وهي الان ايضا الساجدون الحقيقيون يسجدون بالروح والحق ان الرب ايضا يريد مثل هولا الساجدين له
والذين يسجدون له ينبغي ان يسجدوا بالروح والحق قالت المراة قد علمت ان مسيا الذي هو المسيح ياتي فاذا جا ذاك فهو يعلمنا كل شي فقال
انا هو الذي اكلمك وفي هذا جا تلاميذه وتعجبوا من كلامه مع امراة ولم يقل احد ماذا تريد ولم تكلمها فتركت المراة جرتها ومضت
الى المدينة وقالت للناس تعالوا انظروا رجلا اعلمني كل ما فعلت لعل هذا هو المسيح فخرجوا من المدينة واقبلوا اليه وفي هذا سالة
تلاميذه قايلين يا معلم كل فقال لهم ان لي طعاما لا تعرفونه انتم فقالوا فيما بينهم لعل انسانا اتاه بشي فطعمه فقال لهم طعامي انا ان اعمل
مسرة من ارسلني واتم عمله اليس انتم تقولون ان الحصاد ياتي بعد اربعة اشهر وانا قايل لكم ارفعوا اعينكم وانظروا الى الكور فقد ابيضت
وبلغت الحصاد والذي يحصد ياخذ الاجرة ويجمع ثمار الحياة الدايمة والزارع والحاصد يفرحان معا لانه في هذا توجد كلمة الحق ان واحدا
يزرع والاخر يحصد انا ارسلكم تحصدون شيا ليس انتم تعبتم فيه بل اخرون تعبوا فيه وانتم دخلتم على تعبهم وامن به في تلك
المدينة سامريون كثير من اجل كلمة تلك المراة ولما صار اليه السامريون طلبوا اليه ان يقيم عندهم فمكث عندهم يومين فامن به

استقي

كثير وكانوا يقولون للمراة لسنا من اجل قولك نومن به لكنا قد سمعنا وعلمنا ان هذا هو المسيح بالحقيقة مخلص العالم وبعد يومين
خرج يسوع الى الجليل ومضى من هناك لانه شهد ان النبي لا يكرم في مدينته ولما صار الى الجليل قبله الجليليون لانهم عاينوا كل ما عمل باورشليم
في العيد ثم جا يسوع حيث صنع الما خمرا وكان في كفرناحوم عبد الملك ابن مريض فسمع ان يسوع قد جا من يهودا الى الجليل فمضى اليه وساله
ان ينزل ويبري ولده لانه قد كان قد قارب الموت فقال له يسوع ان لم تعاينوا الايات والاعاجيب لا تومنون فقال له الملك انزل
يا سيد قبل ان يموت فتاي فقال له يسوع امض فابنك حي فامن الرجل بالكلمة التي قالها يسوع ومضى وبينما هو ماض استقبله غلمانه
وبشروه بان ابنه قد عاش فسالهم في اي وقت فقالوا له والده امس في الساعة السابعة تركته الحمى فعلم ابوه انه في تلك الساعة التي قال له
يسوع فيها ان ابنك قد حيي فامن هو وبيته باسره وهذه ايضا اية ثانية عملها يسوع لما جا من يهودا الى الجليل قال مرقس فاقبلوا الى
كفرناحوم وبقي يعلم في مجامعهم يوم السبت فتعجبوا من تعليمه لانه كان كالمسلط وقال متى وكان يسوع يطوف في كل الجليل ويعلم في مجامعهم
ويكرز ببشارة الملكوت ويبري كل مرض ووجع في الشعب فخرج خبره في جميع الشام فقدموا اليه كل من به اصناف الامراض والاوجاع
المختلفة والذين بهم الشياطين والمعترين في دوس الاهلة والمخلعين فابراهم وتبعه جموع كثيرة من الجليل والعشرة المدن ومن
يروشليم واليهودية وعبر الاردن فلما ابصر الجمع صعد الى الجبل وجلس وجا اليه تلاميذه وفتح فاه يعلمهم قايلا طوبى للمساكين
بالروح فان لهم ملكوت السموات طوبى للحزانا فانهم يعزون طوبى للمتواضعين فانهم يرثون الارض طوبى للجياع والعطاش من اجل
البر فانهم يشبعون طوبى للرحما فانهم يرحمون طوبى للنقية قلوبهم فانهم يعاينون الله طوبى لفاعلي السلامة فانهم بني الله يدعون طوبى
للمطرودين من اجل البر فان لهم ملكوت السموات طوبى اذا طردوكم وعادوكم وقالوا فيكم كل كلمة شر من اجلي افرحوا وتهللوا فان اجركم
عظيم في السموات لان هكذا طردوا الانبيا الذين قبلكم وقال لوقا هكذا كان اباوهم يصنعون بالانبيا الويل لكم ايها الاغنيا لانكم
قد اخذتم عزاكم الويل لكم ايها الشباعى الان فانكم ستجوعون الويل لكم ايها الضاحكون الان فانكم ستبكون وتحزنون الويل لكم اذا قال
الناس فيكم قولا حسنا لان اباهم كذلك فعلوا بالانبيا الكذبة يعني المتنبيين وفيه من الالفاظ التي لا يجوز اطلاقها في شرعنا
حمل الله والاب وقوله بني الله وسياتي ان شا الله تعالى في ال عمران تاويل مثل هذا على تقدير صحته وانه يرد الى الحكم على اوضح وجه
مثل الالفاظ التي وردت في شرعنا ورددناها الى المحكم وضل بها من حملها على ظاهرها من مبتدعي الاسلام والله الموفق ولما كان هذا
حالهم مع الرسل مع اتيانهم بهم ومعرفتهم باحوالهم واتصالهم بالله وكان لم علم انهم في منابذتهم لهم عبيد الهوى واسرى الشهوات
تسبب عن ذلك الانكار عليهم فقال افكلما اي اتفعلون ما فعلتم من نقض العهود مع موافرة الرسل ووجدان الكتاب فكلما جاكم
رسول اي من عند الله ربكم بما لا تهوى انفسكم من الهوى نزوع النفس لعل شهوتها في مقابلة مستعلي الروح لمنبعث انبساطه
كان النفس تتقبل الباطن بمنزلة الما والتراب والروح خفيف الباطن بمنزلة الهوا والنار وكان العقل منبع الباطن بمنزلة الشعاع
النوري في كلية الكون علوا وسفلا قاله الحرالي وقد دل على ان المراد الباطل بالتعبير بالهوى والنفس استكبرتم اي طلبتم الكبر واوجدتم
بما لكم من الرياسة على قومكم عن قبول الحق ميلا الى سنة ابليس مع اعطايكم العهد قبل ذلك على الدوام على اتباعه ففريقا
اي فتسبب عن طلبكم الكبر انكم فريقا كذبتم كعيسى ومحمد عليهما السلام وفريقا تقتلون اي قتلتم ولم تندموا على قتلهم بل انتم عازمون
على مثل ذلك الفعل كلما جاكم احد منهم بما يخالف الهوى وهم لم يبعثوا الا لصرف الانفس عن الهوى لان دعوة الرسول الى الاعلى الكل
هو ضد هوى النفس والظاهر انه اشار سبحانه بهذه الصيغة المستقبلة الى قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم بالسم في خيبر
كما اشار اليه الحديث لماضي اتقا ولما بين سبحانه تحاذيهم حتى ختمها باعظم ما ارتكبوا من الرسل من القتل المعنوي بالتكذيب والحسي
بازهاق الروح مع العلم بانهم اتوا بالبينات والايات المعجزات فاشتد المقام الى ان اشتد تشوفا لما للانبيا لما اتوهم امرا
كثيرا يعجب من صدوره عن عاقل واتوا في الجواب عن تكذيبهم وقتلهم من الشناعات بما لا يرضاه عالم ولا جاهل عطف
عليه او على وقالوا لن تمسنا النار قوله بيانا لشده جهلهم وقوة عنادهم وقالوا اي جواب ما كانوا يلقون اليهم من جواهر العلم التي هي
اوضح من الشمس قلوبنا غلف جمع اغلف وهو المغشي المذكر بالقلفة التي هي جلدته كان القلفة في طرفي المذكر وقلبه حتى يتم الله كلمته
في طرفيه بالختان والايمان قاله الحرالي فالمعنى عليها اغطية فهي لا تفهم ما تقولون فكان المراد بذلك مع انهم اعلم الناس ان ما تقولونه
ليس باهل لان يوجه اليه الفهم ولذلك اضرب الله سبحانه عنه بقوله بل اي ليس الامر كما قالوا من ان هناك غلفا حقيقية بل
لعنهم الله اي طردهم الملك الاعظم عن قبول ذلك لانهم ليسوا باهل للسعادة بعد ان خلقهم على الفطرة الاولى السوية لا غلف في
قلوبهم لان اللعن ابعاد في المعنى والمكانة والمكان الى ان يصير الملعون بمنزلة النعل في اسفل القامة يلاقي به ضرر الموطي قاله الحرالي
ثم بين علة ذلك بقوله بكفرهم قال الحرالي اعظم الذنوب ما يكون عقوبة الله عليها الالزام بذنوب اشد منها فاعقب استكبارهم
اللعن كما كان في حق ابليس مع ادم عليه السلام فانتظم صدر هذه السورة اظهار الشيطنتين من الجن والانس الذي اختتم به القران
في قوله من الجنة والناس ليتصل طرفاه فيكون ختما لا اول له ولا اخر والفاتحة محيطة به لا يقال هي اوله ولا اخره ولذلك ختم بعض
القرا بوصله حتى لا يتبين له طرف كما قالت العربية لما سيلت عن بنيها ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها ولما اخبر عن
بلعنهم سبب عنه قوله فقليلا ما يومنون فوصفه بالقلة واكده بما ايذانا بانه مغمور بالكفر لا عبرة له ولما ذكر سبحانه من
جلافتهم ما ختمه بلعنهم وكان قد تقدم ذكر كتابهم مرادا واشار الى الانجيل باتينا عيسى عليه السلام البينات ذكر سبحانه كفرهم بهذا

الكتاب الذي مقصود السورة وصفه بالهدى وبهذا الرسول اللائق به دليلا على اغراقهم في الكفر لانهم مع استفتاحهم به صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه على من يعاديهم واستبشارهم به وافتخارهم انفسهم بالسرور والبهجة كانوا ابعد الناس من دعوته تماديا في الكفر وتقيدا بالضلال فكان هذا الدليل ابين من الاول عند اهل ذلك العصر وذلك قوله تعالى ولما جاءهم كتاب اي جامع لجميع الهدى لعظمته بكونه من عند الله الجامع لجميع صفات الكمال ثم ذكر من الحيثيات لهم في اتباعه قوله مصدق لما معهم على لسان نبي يعرفون صحة امره بامور يشهدها كتابهم وتصديق هذا الكتاب لهم باعجاز نظمه وتصديق معناه لكتابهم والجواب محذوف دل ما بعد على انه كفروا به وفي ذلك ناصية لهم لان كتابهم يكون شاهدا على كفرهم ولا ابين شهادة كتابهم اشبه شهادتهم لبلا عرفوا معنى ذلك فقال وكانوا اي والحال انهم كانوا ولما كان استفتاحهم في بعض الزمان اثبت الجار فقال من قبل اي قبل مجيئه يستفتحون اي يسلون الله الفتح باسم الاتي به بمنا يذكره على الذين كفروا يعني انهم لم يكونوا في غفلة عنه بل كانوا اعلم الناس به وقد وطنوا انفسهم على تصديقه ومع ذلك كله فلما جاءهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ما عرفوا اي من صدقه بما ذكر من نعوته في كتابهم كفروا به اعتلالا بانواع من العلل البينة الكذب منها زعمهم ان جبريل عليه السلام عدوهم وهو اللائق به قال الثعلبي والواحدي روى ابن عباس رضي الله عنهما ان عبد الله بن صوريا حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشيا فلما اتجهت الحجة عليه قال اي ملك ياتيك من السما قال جبريل ولم يبعث الله نبيا الا وهو وليه وفي رواية وساله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقال ابن اسحق في السيرة حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي حسين المكي عن شهر بن حوشب الاشعري ان نفرا من احبار يهود جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن اربع نسالك عنهن فان فعلت اتبعناك وصدقناك وامنا بك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لين انا اخبرتكم بذلك لتصدقني قالوا نعم قال فسلوا عما بدا لكم قالوا فاخبرنا كيف يشبه الولد امه وانما النطفة من الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم بالله وبايامه عند بني اسرايل هل تعلمون ان نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المراة صفراء رقيقة فايتهما علت صاحبتها كان الشبه لها قالوا اللهم نعم قالوا فاخبرنا عن كيف نومك فقال انشدكم بالله وبايامه عند بني اسرايل هل تعلمون ان نوم الذي تزعمون اني لست به تنام عينه وقلبه يقظان قالوا اللهم نعم قال فكذلك نومي تنام عيني وقلبي يقظان قالوا فاخبرنا عما حرم اسرايل على نفسه قال انشدكم بالله وبايامه عند بني اسرايل هل تعلمون انه كان احب الطعام والشراب اليه البان الابل ولحومها وانه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم على نفسه احب الطعام والشراب شكرا لله فحرم على نفسه لحوم الابل والبانها قالوا اللهم نعم قالوا فاخبرنا عن الروح قال انشدكم بالله وبايامه هل تعلمون جبريل وهو الذي ياتيني قالوا اللهم نعم ولكنه يا محمد لنا عدو وهو ملك انما ياتي بالشدة وسفك الدما ولولا ذلك لاتبعناك فانزل الله فيهم من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين الى قوله اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون واصل ذلك في البخاري في خلق ادم والهجرة والتفسير عن انس بن مالك رضي الله عنه من روايات جمعت بين الفاظها قال اقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اي في الهجرة الى ان قال فاقبل يسير حتى نزل الى جانب دار ابي ايوب رضي الله عنه فانه ليحدث اهله اذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لاهله يخترف لهم فعجل ان يضع يخترف لهم فيها فجاء وهي معه فسمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى اهله فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم اي بيوت اهلنا اقرب فذكر نزوله على ابي ايوب رضي الله عنه ثم قال فلما جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال اشهد انك رسول الله وانك جئت بحق وقد علمت يهود اني سيدهم وابن سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم فادعهم فاسالهم عني قبل ان يعلموا اني قد اسلمت فانهم ان يعلموا اني قد اسلمت قالوا في ما ليس في وفي رواية بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وهو في ارض يخترف فاتاه فقال اني سائلك عن ثلاثة لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة ومن اي شي ينزع الولد الى ابيه ومن اي شي ينزع الى اخواله وفي رواية وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن جبريل انفا فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرا رسول الله هذه الاية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت وفي رواية الحوت واما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المراة فسبقها ماؤه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها وفي رواية واذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد واذا سبق ماء المراة نزعت قال اشهد انك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا باسلامي قبل ان تسالهم بهتوني عندك فارسل نبي الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا عليه وفي رواية فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون اني رسول الله واني جئتكم بالحق فاسلموا قالوا ما نعلمه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قالها ثلاث مرار قال فاي رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا واخيرنا وابن اخيرنا قال افرايتم ان اسلم قالوا حاشا لله ما كان ليسلم وفي رواية اعاذه الله من ذلك قال يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله وانه جاء بحق قالوا كذبت وقالوا شرنا وابن شرنا وتنقصوه فقال هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وللواحدي في اسباب النزول عن عمر رضي الله عنه قال كنت اتي اليهود عند دراستهم التوراة فاعجب من موافقة القران التوراة وموافقة التوراة القران فقالوا يا عمر ما احد احب الينا منك قلت ولم قالوا لانك تاتينا وتغشانا قلت انما اجي لاعجب من تصديق كتاب الله

بعضه

بعضه بعضا وموافقة التوراة القران وموافقة القران التوراة فبينا انا عندهم ذات يوم اذ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ظهري فقالوا ان هذا صاحبك فقم اليه فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل خوخة من المدينة فاقبلت عليهم فقلت انشدكم الله وما انزل عليكم من كتاب اتعلمون انه رسول الله قال سيدهم قد نشدكم بالله فاخبروه فقالوا انت سيدنا فاخبره فقال سيدهم نعلم انه رسول الله قلت فاني اهلككم ان كنتم تعلمون انه رسول الله ثم لم تتبعوه فقالوا ان لنا عدوا من الملائكة وسلما من الملائكة فقلت من عدوكم ومن سلمكم قالوا عدونا جبريل قلت ومن سلمكم قالوا ميكائيل قلت فاني اشهد ما يحل لجبريل ان يعادي سلم ميكائيل وما يحل لميكائيل ان يسالم عدو جبريل وانهما جميعا ومن معهما اعداء لمن عادوا وسلم لمن سالموا ثم قمت فاستقبلني يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن الخطاب الا اقرئك ايات فقرا من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك حتى بلغ وما يكفر بها الا الفاسقون قلت والذي بعثك بالحق ما جئت الا اخبرك بقول اليهود فاذا اللطيف الخبير قد سبقني بالخبر قال عمر لقد رايتني في دين الله اشد من حجر انتهى وقد سالت بعض فضلاء اليهود الموجودين عن عداوتهم لجبريل عليه السلام فلم يصرح بالتصريح وقال ما يعطي ذلك وقد روى هذا الحديث ايضا اسحق بن راهويه في مسنده عن الشعبي عن عمر رضي الله عنه قال شيخنا البوصيري وهو مرسل صحيح الاسناد وفيه انه قال لهم وكيف منزلتهما من ربهما قالوا احدهما عن يمينه والاخر من الجانب الاخر واني اشهد انهما وربهما سلم لمن سالموا وحرب لمن حاربوا ولما بين سبحانه بهذا انهم اعتى الناس واشدهم تلبيسا وبهتا وكذبا وفسقا وكانوا احق الناس بوصف الكفر تسبب عن ذلك قوله فلعنة الله على الكافرين فاظهر موضع الاضمار تعليقا للحكم بالوصف لبيهم واشعارا بصلاح من شا الله منهم ولما استحقوا بهذا وجود الملام كلها وصل به قوله بئسما فاتى بالكلمة الجامعة للذام المقابلة لنعم الجامعة لوجوه المدائح كلها اي بئس شي اشتروا به انفسهم اي حظوظهم فقدموها واثروها فكان ذلك عين تاخيرها عكس ما فعل المؤمنون من بيعهم لانفسهم وخروجهم عنها بتعبدهم لله بايثار ما يرضيه على هوى النفس بهم فكان ذلك عين تحصيلها وتقدمها ثم فسر الضمير العائد على المبهم الموجود في احراز النفس فقال ان يكفروا اي يستمروا على التجدد عليهم بما انزل الله الذي لا له كفر له اي اشتروا انفسهم فابقوها لهم على زعمهم بالكفر ولم يجعلوها بايعه ويجوز ان يكون اشتروا بمعنى باعوا لانهم بذلوها للشيطان بالكفر كما يبذل المؤمنون انفسهم لله بالايمان ثم علل كفرهم بقوله بغيا قال الحرالي هو اشتداد في طلب شي ما انتهى واصله مطلق الطلب والارادة كان الانسان لما كان مجبولا على النقصان ومطبوعا على الشر والعصيان الا من عصم الله واعان كان مذموما على مطلق الارادة لان من حقه ان لا يكون له خيرة ولا ارادة بل تكون ارادته تابعة لامر مولاه كما هو شان العبد والله الموفق ثم علل بغيهم بقوله ان ينزل الله ذو الجلال والاكرام من فضله في صيغة ينزل اشعار بتمادي ما يغيظهم فيما يستقبل وبشرى للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على من يشا من عباده من العرب الذين يحسدونهم ثم سبب عن ذلك قوله فباؤا اي رجعوا لاجل ذلك بغضب في حسدهم لهذا النبي صلى الله عليه وسلم لكونه من العرب على غضب كانوا استحقوه بكفرهم بانبيائهم عنادا دائما على الحكم الذي استحقوه بوصفهم تعميما واشارة الى انه سيؤمن بعضهم فقال وللكافرين اي الذين هم راسخون في هذا الوصف منهم ومن غيرهم عذاب مهين من الاهانة وهي الاطراح اذلالا واحتقارا ولما اقام سبحانه الدليل على استحقاقهم للخلود في النار بكفرهم بالكتاب الذي كانوا يستفتحون بالاتي به اقام دليلا اخر على ذلك ابين منه وذلك بكفرهم بكتابهم نفسه فقال واذا قيل لهم اي هولاء الذين نقضوا عهود كتابهم امنوا بما انزل الله اي الملك الذي له الامر كله مطلقا على جهة العموم من الكتب والصحف ولما رفع مقدارهم بالدعاء الى الايمان بما اسند الى هذا الاسم الاعظم قالوا تسفيلا لانفسهم نؤمن بما انزل علينا فاسقطوا اسم من يتشرف بذكره ويتبرك باسمه وخصوا البعض مما انزله ثم عجب من دعواهم هذه بقوله ويكفرون اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراءه اي وراء ما انزل عليهم مما انزل الله على رسله وهو يشمل ما قبل التوراة وما بعدها لان وراء يراد بها تارة خلف وتارة قدام فاذا قلت زيد وراي صح ان يراد في المكان الذي اواريه انا بالنسبة الى من خلفي فيكون امامي وان يراد في المكان الذي هو متوار عني فيكون خلفي وقال الحرالي وراء ما لا يناله الحس ولا العلم حيث ما كان من المكان فربما اجتمع ان يكون الشي وراء من حيث انه لا يعلم ويكون اماما في المكان انتهى وهو اي والحال ان ذلك الذي وراءه هو الحق الواصل الى اقصى غاياته بما دلت عليه ال قال الحرالي فالقاه لغاية الحق بكلمة ال لان ما ثبت ولا زوال له لا نهاية له هو الحق وما ثبت وقتا ما ثم تعقبه بكلية او تقبل زيادة فلما هو حق منكرا للفظ فان بين المعرف بكلمة ال وبين المنكر اشد التفاوت في المعنى انتهى مصدقا لما معهم فصح انهم كافرون بما عندهم لان المكذب بالحق لشي مكذب بذلك الشي ثم كشف ستر مقالهم هذه بابين نقض فقال قل فلم اي تسبب عن دعواكم هذه ان يقال لكم لم تقتلون انبياء الله الملك الاعظم مع ان كتابكم يحرم مطلق القتل فكيف بقتل الانبياء ثم بين ان كفرهم بهذا القتل انما هو بطريق الرضى بقتل اسلافهم بقوله مثبتا الجار لان ذلك كان منهم في بعض الازمان الماضية من قبل وفي صيغة المضارع تصوير لشناعة هذا القتل بتلك الحال الفظيعة ورمز الى انهم لو قدروا الان لفعلوا فعلهم لان التقدير وتفرون على قتلهم من بعد وفيه ايما الى حرصهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم تحذيرا منهم ولقد صدق هذا الايما الوائم لقد عزم بنو النضير على ان يلقوا عليه صخرة وسمه اهل خيبر ثم ورد مضمون دعواهم باداة الشك فقال ان كنتم مؤمنين اشارة الى ان مثل ذلك لا يصدر من متلبس بالايمان ولما دل على كذبهم في دعوى الايمان بما فعلوا بعد موسى مما استحقوا به الخلود في النار اقام

بالتصديق

دليلا اخر اقوى من كل ما تقدمه فانه لم يعهد اليهم في التوراة ما عهد اليهم في التوحيد والبعد عن الاشراك في النسخ الموجودة بين يده
اظهرهم الان وقد نقضوا جميع ذلك باتخاذ العجل في ايام موسى وبحضرة هرون عليهما السلام كما هو منصوص الان فيما بين ايديهم منها فقال
تعالى ولقد جاءكم موسى بالبينات ولما كان كفرهم مع ذلك في غاية الاستبعاد عبر عنه باداة مصور الزيادة تجديد بترتبه على اظهر البيان
وموبخا لهم فقال ثم اتخذتم اي مع العلاج لفطركم الاولى وعقولكم العجل وقيد بالجار على ان الاتخاذ في بعض زمن البعد فقال من بعده
اي بعد مفارقة موسى لكم الى الطور كما في الاية الاخرى فتنا قومك من بعدك وانتم اي والحال انكم ظالمون اي لم تتزعوا انه الحكم على جهل
بل بعد مجيء البينات لكم ان الهكم انما هو الله الذي انقذكم من العبودية واراكم العجائب لخوارق مما لا يحتمل شكا وسمعتم كلامه وعلمتم انه
ليس بجسم ولا يشبه الجسم فلم تفعلوا ذلك الا لان الظلم وهو المشي على غير نظام خبط عشوى وصف لازم لكم ثم ذكر امرا اخر هو ابين في عنادهم
وانهم انما هم مع الهوى فقال مقبلا على خطابهم لانه اشد في التقريع واذ اخذنا واظهره في مظهر العظمة تصويرا لمزيد جراءتهم ميثاقكم
على الايمان والطاعة ورفعنا فوقكم الطور الجبل العظيم الذي جعلناه زاجرا لكم عن الرضى بالاقامة في حضيض الجهل ورافعا الى اوج العلم
وقلنا لكم وهو فوقكم خذوا ما اتيناكم من الاصول والفروع في هذا الكتاب العظيم بقوة ولما كان فائدة السماع القبول ومن سمع فلم يقبل
كان كمن لم يسمع قال واسمعوا والا دفناكم به وذلك حيث يكفي غيركم في التاديب رفع الدرة والسوط عليه فينبعث للتعلم الذي اكثر النفوس
الفاضلة تحمل فيه المشاق الشديدة لما له من الشرف ولهاس النحارير لما صلوا العبد بهذه الاية الكبرى وشبكا مع كونها مقتضية للثبات
على الايمان بعد اخذ الميثاق الذي لا ينقضه ذو مروة فكان ضلالهم بعد ذلك منبئا عن ان العناد لهم طبع لازم فكانوا كانهم عند اعطاء العهد
عاصون قال منزجا عن اغلب احوال اكثرهم في مجموع ازمانهم وهو ما عبر عنه في الاية السالفة بقوله توليتم مؤذنا بالغضب عليهم بالاعراض
عن خطابهم بعد الخامهم بالمواجهة في تقريعهم حيث ناقضوا ما قال لهم من السماع النافع لهم فاخبر انهم جعلوه ضارا قالوا سمعنا
اي باذاننا وعصينا اي علينا بضد ما سمعنا وساقه لغرابته مساق جواب سائل كانه قال رفع الطور فوقهم امر هائل جدا مقتضى للبادر
الى اعطاء العهد ظاهرا وباطنا والثبات عليه فما فعلوا فقيل بادروا الى خلاف ذلك واشربوا فاعظم الامر باسناد الفعل اليهم ثم
الى قلوبهم وهو من الاشراب وهو مداخلة نافذة سابغة كالشراب وهو الماء المداخل كلية الجسم للطافته ونفوذه قاله الحرالي وقال الكشاف
خلط لون بلون في قلوبهم العجل اي حبه وحذفه للايذان لشدة التمكن بحيث صار المضاف هو المضاف اليه بكفرهم وفيه اشارة الى ان
من اعرض عن امتثال الامر استحق الابعاد عن مقام الانس قال الامام ابو الحسن الحرالي في المفتاح الباب الثامن في وجوه بيان الاقبال والاعراض
في القران اعلم ان كل مربوب يخاطب بحسب ما في وسعه لقنه ويثنى عنه ما ليس في سعة لقنه فلكل اس من اسنان القلوب خطاب اقبال
بحسب لقنه وربما كان له اباء عن بعض ذلك فيقع عنه الاعراض بحسب باديء الاباء وربما تلافته النعمة فعاد للاقبال اليه بوجه ما دون ما
منعه الاقبال الاول وربما تناسبت الاقبالات مترتبة فيعلو البيان والالهام بحسب رتبة من توجه اليه الاقبال وبشتد الادبار
بحسب بادي الادبار وربما تراجع لغة البيان فيما بعضها على بعض لخطاب الاقبال على النبي صلى الله عليه وسلم اعظمها في القران الم
تر الى ربك كيف مد الظل الاية وهو الذي جعل لكم الليل لباسا الاية تتفاوت الخطابين بحسب تفاوت المخاطبين او لم ير الذين
كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما اعرض عنهم الخطاب ونفى عنهم ما ليس في حالهم رؤيته خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا
قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم خاطبهم وامرهم فلما عصوا اعرض وجه الخطاب
عنهم ثم تلا فاهم بخطاب لسان نبي الرحمة لهم واستمر اعراضه هو تعالى عنهم وتمادى الخطاب يا ايها النبي اذا طلقتم النساء تنزل الخطاب
في المرتبتين لتبيين الاعلى مما يبينه للادنى ذلكم خير لكم وهذا الباب عظيم النفع في النفع لمن استوضح بيانه والتفاف موارده في القران
انتهى والدليل الموجود على اشرابهم حب العجل مسارعتهم الى عبادة ما يشبهه في عدم الضر والنفع والصورة ففي السفر الرابع من
التوراة في قصة بالاق ملك الامورانيين الذي استجد بلعام ابن بعور ما نصه وسكن بنو اسرائيل ساطيم وبدا الشعب ان يسحر سار
موات وعبد الشعب لها ذبح الهتهم واكل الشعب من ذبائحهم لالهتهم وكمل بنو اسرائيل العبادة لبعليفول الصنم واشتد غضب الله
على بني اسرائيل انتهى ولما بين سبحانه عظيم كفرهم وعنادهم مع دعاويهم بادعاء الايمان والاختصاص بالجنان امر نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يقول لهم على وجه التهكم كذا الزمهم بالتعبير بما وضع لمجامع المذام قل بئسما اي بئس شيئا الشيء الذي يامركم به من الكفر
ايمانكم هذا الذي ادعيتموه واوضح هذا التهكم بقوله على سبيل الفرض والتشكيك ان كنتم مؤمنين على ما ادعيتم فتحصل من هذا
انهم اما كاذبون في دعواهم واما انهم اجهل الجهلة حيث عملوا ما لا يجامعه الايمان وهم لا يعلمون ولما نقضت الادلة على انه لا حظ
لهم في الاخرة غير النار وذلك نقيض دعواهم انها لهم فقط في قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وتفسيرهم ذلك بانها سبعة
ايام وانا نخلفهم فيها ختم سبحانه ذلك بدليل قطعي بهى فقال قل ان كانت وقدم الجار اشعارا بالاختصاص فقال لكم الدار
الاخرة اي كما زعمتم ومؤكدها بقوله عند الله الذي له الكمال كله وبين المراد بقوله خالصة ولما ذكر الخلوص تاكيدا للمعنى
زاده تاكيدا بقوله من دون الناس اي سائرهم لا يشركم فيها احد منهم من الخلوص وهو تصفية الشيء مما يمازجه في خلقته مما هو
دونه قاله الحرالي فتمنوا الموت لان ذلك علم على صلاح حال العبد مع ربه وعمارة ما بينه وبينه ورجائه للقائه قال الحرالي
فعلى قدر نفرة النفس من الموت يكون ضعف منال النفس من المعرفة التي بها تانس بربها فتتمنى لقاءه وتحبه ومن احب لقاء الله
احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه يعني ذلك لعامة المومنين عند الكشف حال الغرغرة ولخاصة المومنين في مهل الحياة

لانهم

لانهم لو كشف لهم الغطاء ما ازدادوا يقينا فما هو للمومن بعد الكشف من محبة لقاء الله فهو للمومن في حياته وبقظته لكمال الكشف
له مع وجود حجاب الملك الظاهري ولذلك ما مات نبي حتى يخير تحققا للقاء الله وكون وفادته على الله وفادة محب مبادر ولقاصر المومن
عن يقين النبي يتولى الله الخيرة في لقائه لانه وليه ومنه ما ورد ما ترددت في شيء انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المومن يكره الموت
وانا اكره مساءته ولا بد له منه ففي ضمن ذلك اختيار الله للمومن لقاءه لانه وليه يختار له فيما لا يصل اليه ادراكه انتهى ثم سجل عليهم
سبحانه بالكذب فقال ان كنتم صادقين اي متصفين بالصدق في دعواكم خلوصها لكم ولما كان التقدير فما لهم لم يتمنوه
عطف عليه قوله اخبارا بالغيب للعناد موكدا لان ادعاءهم الخلوص اعظم من ادعائهم الولاية كما في سورة الجمعة ولن يتمنوه
قدامه ابدا ثم ذكر السبب في عدم التمني فقال بما قدمت وهو من التقدمة وهي وضع الشيء قدما وهو وجهة القصد الذي هو الامام
والنحاة اي قبالة الوجه قاله الحرالي وعبر باليد التي بها اكثر الافعال اشارة الى ان افعالهم لقبائحهم كانها خالية عن القصد فقال
ايديهم اي من الظلم والى ذلك اشار قوله عاطفا على ما تقديره فالله عليم بذلك والله عليم بالظالمين اي كلهم حيث اظهر
تنبيها على الوصف الموجب للحكم وتعميما وتهديدا ولما بين انهم لا يتمنونه اثبت لهم ما هو فوق ذلك من تمني الضد الدال على
علمهم بسوء منقلبهم فقال ولتجدنهم اي بما نعلم من احوالهم مما منه الوجدان وهو احساس الباطن بما هو فيه والاصابة ايضا
لما له علقة الباطن كانه فيه مبالغة من الحرص وهو طلب الاستغراق فيما يختص به الحظ قاله الحرالي احرص الناس على حياة
على اي حالة كانت وهم قاطعون بانه لا يخلو منها يوم عن كدر فانهم يعلمون انها وان كانت في غاية الكدر خير لهم مما بعد الموت اي واحرص
ومن الذين اشركوا الذين لا بعث عندهم على الحياة علما بانهم صائرون الى العذاب الدائم بالسيئات المحيطة والشرك قال الحرالي
اسناد الامر المختص بواحد الى من ليس معه امر انتهى ثم بين مقدار ما يتمنونه فقال يود من الود وهو صحة نزوع النفس للشيء
المستحق نزوعها اليه قاله الحرالي احدهم اي احد من تقدم من اليهود والمشركين بجميع اصنافهم او من اليهود خاصة او من المشركين
فيكون دال اليهود من باب الاولى قال الحرالي وهو نحو من خطاب القران لا يصل اليه ابلاغ الخلق لو يعمر من التعمير وهو تمادي العمر
كانه تكرار وتعاقد ما بين بدء الشيء وانقطاعه قاله الحرالي الف سنة حرفا من الموت وما بعده والالف كمال العدد بكمال
ثالث رتبة والسنة امد تمام دورة الشمس وتمام ثنتي عشرة دورة القمر قاله الحرالي وهذا المعنى وان كان موجودا في الحول
والعام والحجة غيران ماخذ الاشتقاق ملاحظ في الجملة فبلاغة القران لا تطلق واحدا من هذه الالفاظ الا فيما يناسب السياق
من اصل اشتقاق هذه الالفاظ فهذا السياق لما كان المراد به ذمهم بتمنيهم على بقائهم في الدنيا على اي حالة كانت علما منهم بانها
وان كانت اسوا الاحوال خير لهم مما بعد الموت لتحقق شقائهم عبر بما منه الاسنان وهو التغير وسوء الزمان او بما منه الدوران
الذي لم كد ونكب ان كان اصلها من سنا يسنو اذا دار حول البئر قال السهيلي في الروض وهو تسمى السنة دارا في الخبر ان بين ادم
ونوح الف دار اي سنة قال فتامل هذا فان العلم بتنزيل الكلام ووضع الالفاظ في مواضعها اللائقة بها يفتح بابا من العلم
باعجاز القران والله المستعان وما هو بمزحزحه والزحزحة ابعاد الشيء المستثقل المتراخي لما يبعد عنه قاله الحرالي من اي زحزحة
مبتدئة من العذاب وعبر بمن دون عن اعلاما بانهم لم يفارقوا العذاب دنيا ولا اخرة وان لم يحسوا به في الدنيا ثم فسر
الضمير بقوله ان يعمر اي ليس يزحزحه الطاعة المقرونة بالايمان الصحيح الذي ليس فيه نفرقة ولما كان التقدير لانهم يعملون
في اعمارهم الاعمال السيئة المحيطة عطف عليه قوله والله الذي له الامر كله بصير بما يعملون ولما ذكر عداوتهم لاهل البشر
واجتراءهم عليهم بالتكذيب والقتل وختم ذلك بعداوتهم لاكمل الخلق واحضهم حسدا لنزول هذا الذكر عليه عبادة ثم
اشارة بما رمزه نصبهم للقتل وانه في ذلك بانه لا يخلصهم من العذاب لانه بصير باعمالهم الموجبة له ذكر ما هو من دقيق
اعمالهم من غرائبهم في الكفر بعداوتهم لاخص الملائكة الذين هم خير محض لا حامل اصلا على بغضهم الا الكفر وبدا بذكر المنزل له
للقران لان عداوتهم للمنزل عليه لاجل ما نزل عليه عداوة لمنزله لانه سبب ما كانت العداوة لاجله فقال امرا له
صلى الله عليه وسلم اعلاما بما اخبره من خفي مكرهم القاضي بعدمهم قل او يقال وهو احسن وابين وامتن ولما امره صلى الله عليه
وسلم بما دل على كذبهم من ادعائهم خلوص الاخرة لهم واخبر بانه لا بد من عذابهم امره بدليل اخر على كلا الامرين يعلى بتقدير
كونه دليلا على الاول يكون مسبوقا على قل الاولى بغير عاطف اشعارا بان كلا من الدليلين كان فيما سبق له وعلى تقدير كونه
دليلا على الثاني يكون جواب لمن كانه قال لم لا يزحزحهم التعمير عن العذاب قل اي لهؤلاء الذين ادعوا ان دار الملك خالصة
لهم وهم بعداء دون خواص جنده من وهي اسم مبهم يشمل الادوات العاقلة احادا وجموعا واستغراقا قاله الحرالي كان عدوا
لجبريل فانه لا يضر الا نفسه لانه لا يبلغ ضره بوجه من الوجوه وعداوته لعداوته لله الذي خصه بقربه واختاره
لرسالته فكفر حينئذ هذا المعادي لجميع كتب الله ورسله وجبريل قال الحرالي يقال هو اسم عبودية لان ايل اسم من
اسماء الله عز وجل في الملا الاعلى وهو بسط لروح الله في القلوب بما يحييها الله من روح امره ارجاعا اليه من هذه الدار قبل ارجاع
روح الحياة بعد القبض من عزرائيل عليه السلام ثم علل هذا الخبر المحذوف بما ارشد اليه فقال فانه اي جبريل نزله
اي القران الذي كفروا به حسدهم الذي انزل عليه بعدما كانوا يستفتحون به الاتي بما ينفعهم الداعي الى ما يصلحهم بتوبتهم ولما
كان المراد تحقيق انه كلام الله وانه امر بابلاغه جمع بين قل وبين على قلبك اي وهو اكمل القلوب دون ان يقال على قلبي المطابق لقل

واداة الاستعلاء دالة على ان المنزل تمكن في القلب تصارت مجامعه معمورة به فكان مظهراً له **باذن الله** الملك الاعظم الذي له الامر كله فلا يلبس لاحد انكار ما اذن فيه والنازل به لم يتعد شيئا مما امر به والاذن او المنع وابقاء المكنة كونا وخلقا ما لم يمنعه حكم تصريف قاله الحرالي **مصدقا لما بين يديه** من كتب الله التي اعظمها كتابهم فكانوا احق الناس بالايمان به وكان جبريل عليه السلام احق الملئكة بمحبتهم له لانزاله وكان كفرهم به كفرا بما عندهم فلا وجه لعداوتهم له والبين حد فاصل في حس او معنى قاله الحرالي **وهدى** اي كل خير لانه بيان ما وقع التكليف به من اعمال القلوب والجوارح **وبشرى** اي بيانا للثواب **للمؤمنين** اي الذين لهم الايمان وصف لازم فلا يفرقوا بين كتب الله ولا بين رسله بل حيثما قادهم الحق انقادوا فلا يدخل في ذلك الذين امنوا بالسنتهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ولا من علم الله منه ذلك ولو كان قبل مبعثه صلى الله عليه الله اعلم بما كانوا عاملين فلوا انهم مؤمنون لما عادوا من نزل به بشرى لهم ولكنهم كفروا فهم في العذاب والاخرة ليست لهم بل عليهم ولما كانت عداوة واحد من الحزب لكونه من ذلك الحزب عداوة لجميع ذلك الحزب تلاه بقوله **من كان عدوا لله** ذي الجلال والاكرام لعداوته واحدا من اوليائه لكونه من اوليائه **وملئكته** النازلين بامره **ورسله** من البشر وغيرهم وخص من بينهم بالذكر من حاله بالعقل فقال **وجبريل وميكال** فانه قد كفر فاهلك نفسه بكفرهم وعلى ذلك دل قوله **فان الله** الملك الاعلى **عدو للكافرين** حيث اظهر ولم يضمر وعبر بالوصف للاذن صرفا للخطاب عمن يتخبط منهم فيرجع فلا تلحقه المعاداة لذلك وميكال يقال هو اسم عبودية ايضا وهو بذ بسط الارزاق المقيمة للاجسام كان اسرافيل بذ بسط الارواح التي لها الحياة قاله الحرالي ولما فرغ من نزغيبهم في القران بانه من عند الله وانه مصدق لكتابهم وفي جبريل بانه اللاتي به باذن الله ومن ترهيبهم من عداوته اتبعه مدح هذا القران وانه واضح الامر لمريد الحق وان من كفر به منهم او من غيرهم فاسق اي خارج عما يعرف من الحق فانه بحيث لا يخفى على احد فقال تعالى عطفا على قوله فانه نزله على قلبك باذن الله او قوله ولقد جاءكم موسى بالبينات وعلى ما تقديره فلقد بان بهذا الذي نزل جبريل عليه السلام ان الاخرة ليست خالصة لهم ممن احاطت به خطيئته لكفره **ولقد انزلنا** بعظمتنا في ذلك وغيره **اليك** وانت اعظم الخلق **ايات بينات** في الدلالة على صدقك وصحة امرك والبينة الدلالة الفاصلة بين القصة الصادقة والكاذبة فتفسقوا بكفرهم لها **وما يكفر بها** منهم ومن غيرهم **الا الفاسقون** الذين الفسق صفة لهم لازمة وعن الحسن انه الفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي وقع على اعظمه من كفر وغيره وفي ذلك رجوع الى وصف الكتاب الذي هو مقصود السورة ولما انكر عليهم اولا ردهم للرسل امرهم بمخالفة الهوى في قوله افكلما جاءكم رسول واتبعه بما يلائمه الى ان ختم بان ايات هذا الرسول من الامر البين الذي هو شهد به كتابهم وقد اخذ عليهم العهد باتباعه كما ارشد اليه قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى الاية انكر عليهم ثانيا كفرهم بما اتى به الرسل بقوله **اوكلما عاهدوا عهدا نبذه** اي طرحه محتقرا له **فريق منهم** اي من سائهم التسمي في العرفة ولما كان مترددا بين التقليل والتكثير لتردد التنوين بين التعظيم والتحقير واحتمال التقليل بقوله **بل** اي وليس الفريق الكافر بالنبذ اقلهم بل **اكثرهم لا يؤمنون** حالا ولا مالا ثم اتبع هذا الانكار ذكر الكتاب والرسول كما فعل في الانكار الاول غير انه صرح هنا بما طواه هناك فقال **ولما جاءهم رسول** اي عظيم دعوته بما اشعر به الاعظم في قوله **من عند الله** اي الملك الذي له جميع الملك والامر **مصدق لما معهم** لكونه اتى بكتاب محقق انه من عند الله لاعجاز نظمه وتصديق معناه لكتابهم **نبذ** اي رمي رمي استخفاف **فريق من الذين اوتوا الكتاب** الاول **كتاب الله** الملك الاعلى الذي له اخذ عليهم فيه الميثاق على لسان نبيهم باتباع النبي الامي هذا النبذ بعد لا مستحقا فهم به **وراء ظهورهم** بتركهم للعمل به وان حلوه بالذهب ووضعوه على الكراسي واشعر بعنادهم بقوله **كانهم لا يعلمون** ولما كانت سنة الله جارية بانه ما امات احد سنة الا ازداد في جهلانه بان احيى على يده بدعة اعقبهم نبذهم لكلام الله اولى الاولياء اقبالهم على كلام الشياطين الذين هم اعدا الاعدا فقال تعالى **واتبعوا ما تتلوا** اي تقرأ وتتبع وعبر بالمضارع له اشارة الى كونه ونسوه واستمراره **الشياطين على ملك** اي في ملك **سليمان** من السحر الذي هو كفر قال الحرالي من حيث ان حقيقته امر يبطل بذكر اسم الله ويظهر اثره فيما قصر عليه من التخييل والتمريض ونحوه بالاقتصار به من دون اسم الله الذي هو كفر انتهى وكان السحر كان في تلك الايام ظاهرا غالبا على ما يفهمه التعبير بعلى واحسن من هذا ان يضمن تتلوا الكذب فيكون التقدير تتلوا كذبا على ملكه كما اشار اليه ما رواه البغوي وغيره عن الكلبي وكذا ما روي عن السدي وقال ابو نعيم احمد بن حمدان الرازي في كتاب الزينة وروي في الحديث انه لما مات سليمان عليه السلام عمدت الشياطين فكتبت اصناف السحر من كان يحب ان يبلغ كذا فليفعل كذا وجعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم سليمن وكتبوا في عنوانه هذا كتاب اصف ابن برخيا الصديق سليمان ابن داود عليهما السلام من ذخائر كنوز العلم ثم دفنوه تحت كرسيه فاستخرجه بعد ذلك بقايا بني اسرائيل حين احدثوا ما احدثوا فلما عثروا عليه قالوا ما كان ملك سليمان الا بهذا فافشوا السحر في الناس فليس هو في احد اكثر منه في اليهود انتهى وسليمان على ما ذكر في اول الانجيل متى وانما الانجيل لوقا هو ابن داود بن يسى بن عوبيد بن باعار بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن رام بن يورام بن حصرون بن فارص بن يهودا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام والحاصل انهم مع تركهم للكتب المصدقة لما معهم الكفيلة بكل هدى وبركة الاتية من عند الله المتحبب الى عباده بكل جميل على السنة رسله الذين هم اصدق الناس وانصحهم والهداة لا سيما هذا الكتاب السحر الذي كانوا فيما يشرون يعرب ذم من قربه صاحبه اتبعوا السحر الذي هو اضر الاشيا واشنعها الاتي به الشياطين الذين هم اعدا الاعدا واقطعها واعجب ما في ذلك انهم نسبوا السحر الى سليمان عليه السلام

الاسم ع

كذبا

كذبا وفجورا وكفروه به ثم كانوا امّ اشد الناس تطلبا له ومصاحبة علما وعملا واكثر ما يوجد فيهم فكانوا بذلك شاهدين على انفسهم بالكفر ومن المحاسن ايضا انه لما كان قوله ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وما بعده في الكتب والانبيا والرسل من البشر والملئكة كانت قد لكنه ان الكفرة من اهل الكتاب نبذوا ذلك كله ونابذوا وانبلوا على السحر الذي كان ابطاله من اول معجزات نبيهم واعظمها فهو اشد شي منافاة لشرعهم مع علمهم بان ذلك يضرهم في الدارين ولا ينفعهم ولما اعتقد اهل الكتاب بعد موت موسى عليه السلام ان السحر منه وان انتظام ملكه على الانس والجن والطير والوحش والريح انما كان به نفى الله تعالى ذلك عنه بقوله **وما كفر سليمن** قال الحرالي هو من السلامة وانه من سلامة صدره من تعلقه بما خوله الله تعالى من ملكه هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر وهو واحد كما قال في ملك العالم المشهود من الاركان الاربعة وما بينهما من الخلق انتهى اي ما وقع منه كفر ما فضلا عن ان يكون بالسحر الذي هو ابعد الاشيا عن ايات الانبيا **ولكن الشياطين كفروا** ثم بين كفرهم بقوله **يعلمون الناس** اي المضطرين الذين لم يصلوا الى سنن الذين امنوا **السحر** اي الذين ولدوه هم بما يوهمونه من حاله ليعتقد انه مؤثر بنفسه ونحو ذلك كان الانبيا واتباعهم يعلمون الناس الحق بما يبينونه من امره والسحر قال الحرالي هو قلب الحواس في مدركاتها عن الوجه المعتاد لها في صحتها عن سبب باطل لا يثبت مع ذكر الله عليه وقال الكرماني امر خارق للعادة صادر عن نفس شريرة لا يتعذر معارضته وقال الاصفهاني اختلفوا في تعلمه على ثلاثة اوجه احدها انه حرام الثاني انه مكروه الثالث انه مباح والحق انه ان كان تعلمه للعمل فهو حرام وان كان لتوقيه وعدم الاغترار به فهو مباح وقال والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير حرام وتسميته على التجوز لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وقوله **وما** اي واتبعوا او يعلمون ما **انزل على الملكين** قال الحرالي فيه انبا بان هذا التخييل صنفان مودع في الكون هو امر الشياطين ومنزل من غيب هو المتعلم من الملكين وقال **ببابل** تخفيفا لنزولهما الى الارض **هروت وماروت** بدل من الملكين وكانهما لما كانا مع الحاجة اليهما لا يحتاجان الى احد وصفا ايضا بكونهما ملكين بكسر اللام وعبارة الحرالي ملكان جعلا ملكين في الارض والانه من اظهار الله للملئكة فضل الخليفة ثم بين نصيحة الملكين بقوله **وما يعلمان من احد** لتاكيد الاستغراق **حتى يقولا انما نحن فتنة** اي على صورة الاختبار من الله لعباده فانه يعلم انا من يختار السحر لما فيه من النفع العاجل على امر النبوة فيكفر ومن يعلم حقيقته لئلا يقع فيه وهو لا يشعر ثم يتركه اقبالا على دين الله ووجد والحجر عنه اثنان لانهما مصدر وهو لا يثنى ولا يجمع واصل معناها من فتن الذهب وهو حرقه ليظهر جوهره ويتخلص طيبه من خبيثه انتهى **فلا تكفر** بالعمل بما تعلمته فان العمل به كفر او باعتقاد انه حق معين عما جاء عن الله او مؤثر بنفسه **فيتعلمون منهما ما يفرقون به** مخالفة للملكين في النهي عن ذلك وذكر الفرقة في اشد الاتصال لينهم منه ما دونه فقال **بين المرء وزوجه** والمرء اسم سن من اسنان الطبع يشارك الرجل فيه المراة ويكون له فيه فضل ما ويبني معناه المروة قاله الحرالي ولما ذكر السبب للتقريب للضرر ردّه الى ترتيبه للذهن التنا تقليلا الى اعلى المراتب وصونا له عن اعتقاد ما لا يناسب فقال **وما هم بضارين** وهو من الضرر بالفتح والضم وهو ما يؤلم الظاهر من الجسم وما يتصل بمحسوسه في مقابلة الاذى وهو ايلام النفس وما يتصل باحوالها وتشعر الضمة في الضر بانه عن علو وقهر والفتحة بانه لا يكون عن مماثل ونحوه وقل ما يكون عن الاذى الا اذى منه لن يضروكم الا اذى قاله الحرالي **به من احد** ولما اكد استغراقه بعضر وب من التاكيد تلاه بمعيار العموم فقال **الا باذن الله** المحيط بكل شي قدرة وعلما وفي كفرله وفيه اعلام لهم بان ضرره لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الضرر الضعيف حيث سحره لبيد بن الاعصم انما هو كضرر غيره من الاسباب التي قد تخفى فيضاف الامر في ضررها الى الله تعالى وقد يعرف فيضاف الضرر اليها كما كان يحصل لغيره من اخوانه من الانبيا منهم ومن غيرهم والعلم حاصل بان المؤثر في الجميع في الحقيقة هو الله تعالى وسياتي عند قوله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا لها في سورة الانعام ما ينفع استحضاره هنا ولما كان هذا الذي تقدم وان كان للعامل به نفع على زعمه تفضره اكبر من نفعه اتبعه قسما اخر ليس للعامل به شي غير الضر فليس الحامل على تعلمه الا ايثار اللحاق بابليس وحزبه فقال **ويتعلمون** اي من السحر الذي ولده الشياطين لا من الملكين **ما يضرهم** لان مجرد العمل به كفر او معصية ثم حرر انه ضرر كله لا شائبة للنفع فيه بقوله **ولا ينفعهم** لانه لا تاثير له اصلا لما والنفع وصول موافق الجسم الظاهر وما يتصل به في مقابلة الضر ولذلك يخاطب به الكفار كثيرا لوقوع معتبرهما في الظاهر الذي هو معتمدهم من ظاهر الحياة الدنيا قاله الحرالي ثم اتبعه ما يعرف انهم ارتكبوه على علم فقال محققا مؤكدا **ولقد علموا** بيانا لانهم اسفه الناس **لمن اشتراه** اي اثره على ما يعلم نفعه من الايمان **ما له في الاخرة** الباقية الباقي نفعها **من خلاق** اي نصيب سوافق اصلا والخلاق الحظ اللائق لمن يقسم له النصيب من الشي كانه موافق به خلق نفسه وخلق جسمه قاله الحرالي ثم جمع لهم المذام على وجه التاكيد فقال **ولبئس ما شروا** اي باعوا على وجه اللجاجة **به انفسهم** اشارة الى انه بما احاط بهم فاحست نفوسهم من اصلها فاوجب لهم الخلود في النار ثم قال بعد اثبات العلم لهم **لو كانوا يعلمون** اي لو كان لهم قابلية للتلقي واردات الحق اشارة الى ان هذا لا يقدم عليه من له ادنى علم فعلمهم الذي اوجب لهم الجراة على هذا عدم بل العدم خير منه ولما بين ما عليهم فيما ارتكبوه من المضار اتبعه ما في الاعراض عن المنافع فقال **ولو انهم امنوا** اي بما دعوا اليه من هذا القران ومن اعتقاد ان الفاعل في كل شي انما هو الله لا السحر

الوقوع ع

واتقوا ما يقدح في الايمان من الوثوق بما كان حقا فنسخ من التوراة فصار باطلا ومن الاقدام على ما لم يكن حقا اصلا من السحر لاثيبوا اجرا مما تركوا لان من ترك شيا لله عوضه الله خيرا منه هكذا كان الجواب ولكنه عبر عنه بما يقتضي الثبوت والدوام والشرف الى غير ذلك مما تقصر عنه الاذهان من بلاغات القران فقال لمثوبة صيغة مفعلة من الثواب وهو الجزا بالخير وفي الصيغة اشعار بعلو وثبات قال الحرالي وشرفها بقوله من عند الله الذي له جميع صفات الكمال وزادها شرفا بقوله خير مع حذف المفضل عليه قال الحرالي وسوى بين هذه المثوبة ومضمون الرسالة في كونهما من عند الله تشريفا لهذه المثوبة والحاقا لها بالنمط العلي من علمه وحكمته ومعنا كلمته انتهى وهذه المثوبة عامة لما يحصل في الدنيا والاخرى من الخيرات التي منها ما يعطيه الله لصالحي عباده من التصرف باسما الله الحسنى على حسب ما تعطيه مفهوماتها من المنافع ومن ذلك واردات الاثار ككون الفاتحة شفا واية الكرسي حرزا من الشيطان ونحو ذلك من منافع القران والاذكار والتبرك باثار الصالحين ونحوه ثم اكد الخبر بان علمهم جهل بقوله لو كانوا يعلمون وقال الحرالي فيه اشعار برتبة من العلم اعلى واشرف من الرتبة التي كانت تضرهم على اخذ السحر ان تلك الرتبة تزهد في علم ما هو شر وهذه ترغب في مثال ما هو خير وفيه بشرى لهذه الامة بما يكتب لها من قبول هذا العلم الذي هو علم الاسما ومنافع القران تكون لهم عوضا من علم السيميا الذي هو باب من السحر وعساه ان يكون من نحو المنزل على الملكين قال صلى الله عليه وسلم من اقتبس علما من النجوم اقتبس بابا من السحر زاد ما زاد وحقيقة امر من امر الله اظهر اثاره في العالم الارض على سبيل اسما وارواح خبيثة من بواطن التنزلات العلويات من النيرات والكواكب والصور وما ابداه منه في علوم واعمال لا يثبت شي منه مع اسمه تعالى بل يشترط في صحته اخلاوه عن اسم اسم الله وذكره والقيام بحقه وصرف التحننات والوجهة الى ما دونه فهو كذلك كفر موضوع فتنة من الله تعالى لمن شا ان يفتنه به حتى كانت فتنة اسم السيميا من هدي الاسم بمنزلة اسم اللات والعزى من هداية اسم الله العزيز ولله كلمة الخلق والامر هديا واضلالا اظهارا للكلمة الجامعة الشاملة لتقابلات الازواج التي منتهاها قسمة الى دارين دار نور رحماني من اسمه العزيز الرحيم ودار نار انتقامي من اسمه الجبار المنتقم ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ولما جعل سبحانه من المعجزة في السحر ونحوه كان من المثوبة لمن امن واتقى من هذه الامة سورة الفلق والناس المعوذتان حرزا وابطالا وتلقفا لما يافك سحر السواحر عوضا دايما فيا لهذه الامة من عصى موسى فيها عصى هذه الامة التي تلقف ما يافك سحر السواحر عوضا دايما بما فيهما من التعويذ الجامع للتعوذه من شر الفلق الذي من لمحة منه كان السحر معرفا فهما عوذتان من وراما وراء السحر ونحوه وذلك من مثوبة الدفع مع ما اوتوا من مثوبة النفع ويكادان لا يعقل من جاه هذه الاية لهذه الامة عند غاية من منال الخيرات ووجوه الكرامات انتهى ولما كان لمن الحق كما قال الحرالي احوالا مور على حكم ما اشبهها الحق لا بما بدل حتى هو مثال للحق المبين وصرفها الى من يبتغيها الحق في حيزه الافك وقلب عن وجهه فهو خيال باطل وهو في باب المراى بمنزلة السحر في الحس فهو خيال لماصحة الشبه فيه مثال تتبع الايات الذامة للسحر الحقيقي التنبيه على السحر المجازي الذي جبلوا به الخير وقصدوا به الشر ليكون النهي عنه بقياس الاولى سطرين الاولى فقال ملتفتا عن ذكرهم الى خطاب المومنين الذي هو اخص من يا بني اسرايل الاخص من يا ايها الناس اعبدوا ربكم يا ايها الذين امنوا اي ادعوا بالايمان صدقوا اقرارهم به بان لا تقولوا للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا التي يقصدون بها الرعاية والمراقبة لقصد الخير وحفظ الجانب فاغتنمها اليهود لموافقة سبية عندهم يتعاورونها ويلوون بها السنتهم ويقصدون بها الرعونة وهي افراط الجهالة فنهاهم عن موافقتهم في القول سدا للذريعة الموافق في الصورة لتشبهه من القبيح وعوضهم منها ما لا يتطرق اليه لبس ولا فساد فقال وقولوا انظرنا فابقى المعنى وصرف اللفظ قال الحرالي فيه الزام بتصحيح الصور لتطابق تصحيح المقاصد وليقع الفرق بين الصورتين كما وقع الفرق بين المعنيين لبني انه ترفان خاصة بالعرب قال الاصبهاني وهذا الذي اختص بهذه الامة قال الواحدي لاجماع الامة على جواز المخاطبة بهذا اللفظ الان وقال واسمعوا اي قولوا ما امرتكم به وامتثلوا جميع اوامري ولا تكونوا كاليهود في تكليم السماع على حقيقته وقولهم سمعنا وعصينا وعطف وللكافرين على غير معطوف عليه مذكور مرشدا الى ان التقدير فان السماع اي القبول ايمان وللسامعين نعيم كريم والاعراض كفر ولليهود وغيرهم عذاب اليم ولما ارشد ختم الاية الى العلة الحاملة على الامتثال علل بعلة اخرى فقال ما يود الذين كفروا مطلقا من اهل الكتاب اليهود والنصارى ولا من المشركين باي نوع كان من انواع الشرك بغضا فيكم حسدا لكم ان ينزل عليكم واكد الاستغراق بقوله من خير من ربكم اي المحسن اليكم فكانه قيل للسماع علتان حاملتان عليه داعيتان اليه احدهما اخروية وهي النعيم للمطيع والعذاب للعاصي والاخرى دنيوية ومخالفة الاعدا من الاغراض العظيمة للمتمكنين في الاخلاق الفاضلة من ذوي الادوات الكاملة ولم يعطف ما يود لانه مع ذلك علة للعلة فكانه قيل لهم عذاب اليم لانهم لا يودون لكم خيرا فسماعكم من جملة عذابهم لانه واقع على خلاف ودادهم مع ما يدخر لهم في الاخرة بكفرهم وتنبيهم كفركم ولا يخفى ما فيها وفي التي بعدها من التحريض على الكتاب الذي لا ريب فيه ولما بين سبحانه ما يودون اتبعه التعريف بان له التصرف التام رضي من رضي وسخط من سخط فقال معلقا الامر بالاسم الجامع والله ما يودون والحال ان ذا الاسما الحسنى يختص ولما كان المنزل اثر الرحمة عبر عنه بقوله برحمته التي وسعت كل شي من الهداية والعلم وغير ذلك من يشا اي يجعله مختصا اي منفردا بها من بين الناس ولو كان عند غيره بمحل الاحتقار كما كان العرب عند بني اسرايل لما كانوا يرون من جهلهم وضلالهم واختلال احوالهم والاختصاص عناية تعين المختص له لرتبة يختص بها دون غيره والرحمة علم ما يوالي المرحوم في ظاهره وباطنه ادناه كشف الضر وكف الاذى واعلاه الاختصاص برفع الحجاب قاله الحرالي ولما كان ذلك ربما اوهم انه اذا فعله لم يبق من رحمته ما يسع غير المختص نفاه بقوله مصدرا له بالاسم الاعظم ايضا عاطفا على ما افهمه

الاختصاص

الاختصاص من عنوان يقال تعريضا باليهود فالله عن يزوي عنه الرحمة عليهم والله اي الملك الاعلى الذي له جميع العظمة والرحمة ولا يقوله ذو الفضل العظيم اي الذي لا يحصره حد ولا يدخل تحت عد ولما حرم سبحانه قولهم راعنا بعد حله وكان ذلك من باب النسخ والنهي مما يتعلق به بالوصف بالفضل العظيم بعد التخصيص الذي مقتضاه نقل ما يكون من المنافع من ملك او دين او قوة او علم من ناس الى ناس وكان اليهود يرون ان دينهم لا ينسخ لكان النسخ لذلك من مطاعنهم في هذا الدين وفي كون هذا الكتاب هدى للمتقين لانه على زعمهم لا يجوز على الله قالوا لانه يلزم منه البدا اي ظهور الرجح مقصودا او هو ان يبدو الشي اي يظهر بعد ان لم يكن وذلك لا يجوز على الله تعالى هذا مع ان النسخ في كتابهم الذي بين اظهرهم فان فيه انه تعالى امرهم بالدخول الى بيت المقدس بعد مقاتلة الجبارين فلما ابوا حرم عليهم دخولها ونهاهم عنه ومن القتال بالقدرة والامر كما سنراه عن نص التوراة في سورة المائدة ان شا الله تعالى وامرهم بالجمعة فاختلفوا فيه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وكما في قوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه واختاروا السبت ففرض عليهم وشدد عليهم فيه واحل لهم جميع اللحوم والشحوم فلما اتخذوا العجل حرم عليهم الشحوم واعجب من ذلك تعاطيهم من النسخ ما لم ياذن به الله في تغييرهم الكلم عن مواضعه وتحريم الاحبار والرهبان وتحليلهم لهم ما شاوا من الاحكام التي تقدم عد جملة منها اصولا وفروعا كما قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ولما قال عدي بن حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انهم لم يكونوا يعبدونهم قال اليسوا يحلون لهم ويحرمون قال بلى قال فتلك عبادتهم لهم كما هو مبين في السيرة في وفادة عدي وكما تعللوا في ابدال الرجم في الزنا بالجلد والتحميم وفي اتباع ما تتلوا الشياطين مع ان فيه ابطال كثير من شرعهم وفي نبذ فريق منهم كتاب الله وفي قولهم سمعنا وعصينا وفي اتخاذهم العجل مع النهي عن ذلك وكل ما شاكله في كثير من فصول التوراة وفي ما اشير اليه بقوله افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض الى غير ذلك لما كان ذلك قال تعالى جوابا عن طعنهم سابقا له في مظهر العظمة معلما انه قد البس العرب المحسودين ما كان قد زين به اهل الكتاب دهورا فابتذلوه ودنسوا بجاهه ورذلوه وغيروه وبدلوه اشارة الى ان الحسد لكونه اعتراضا على المنعم يكون سببا لالباس المحسود ثوب الحاسد ما ننسخ والنسخ قال الحرالي نقل بادي من اثر كتاب ونحوه من محله بمعاقب يذهبه او باقتباس يغني عن عسه وهو واردا الظهور في المعنيين في موارد الخطاب والمعاقبة في هذا اظهر انتهى وساقها بغير عطف لشدة التباسها بما قبلها لاختصاصها لاجل التمشية على حسب المصالح بالفضل والرحمة لانه ان كان المراد نسخ جميع الشرايع الماضية بكتابنا فلما فيه من التشريف بالانفراد بالذكر وعدم التبعية والتخفيف للاحوال التي كانت وان كان المراد نسخ ما شرع لنا فللنظر في المصالح الدنيوية والاخروية بحسب ما حدث من الاسباب من اية اي نرفع حكمها او تلاوتها بعد انزالها او ناس بذلك على الايمان النسخ على قراة ابن عامر سوا كانت في شرع من قبل كاستقبال بيت المقدس او لم تكن وفي صيغة تفعل اشعار بان من تقدم انما نسخ عنهم ما لم يحوصوا به مثلا والاخير انقى طيه ترغيب للذين امنوا اي كتابهم للخاص بهم وان يكون لهم عند النسخ قبول احق فرحا تجديدا واغتباطا بما هو خير من المنسوخ ليكون حالهم عند تناسخ الايات مقابل حال الابين من قوله المستمسكين بالسابق المتفاخر عن خير لاحق وجديد قاله الحرالي او ننسها اي نوخرها اي نترك انزالها عليكم اصلا وكذا معنى او ننسها من النسي في قراة غير ابن كثير وابي عمرو اي نامر بترك انزالها نات بخير منها او مثلها كما فعلنا في راعنا وغيرها ويكون المعنى ما ننسخ من اية فننزل حكمها ولفظها عاجلا كما فعلنا في راعنا او ننسها بان نوخر نسخها او نتركه على قراة ننسها ومانم ننسخها كالقبلة نات عند نسخها بخير منها او مثلها وقال الحرالي وهو الحق ان شا الله والنسي تاخير عن وقت الى وقت ففيه مدار بين السابق واللاحق بخلاف النسخ لان النسخ معقب للسابق والنسي مدلول للموخر وهو نمط من الخطاب على حكمي المنح لا يكد يتضح معناه لاكثر العلما الا لايمة من امة محمد صلى الله عليه وسلم لحقيقة الفرقان بين ماشانه المعاقبة وما شانه المدلولة ومن امثاله ما وقع في التبيين من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن لحوم الاضاحي فتقبله الذين امنوا نسخا وانما كان انسا وتاخير الحكم الاستمتاع بها بعد ثلاث الى وقت زوال الرافة التي كانت دفت عليهم من البوادي فلم يلغهم ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى فسره فقال انما نهيتكم من اجل الرافة فلتي دفت ففهمه ان احكاما تؤخر لتشابه النسخ من وجه ثم تعاد فتخالفه من هذا الوجه من حيث ان حكم المنسوخ منقطع وحكم المنسي مترقب وحد المقاتلة للعدو وعند وجدان كما المنة والقوة والمهادنة عند الضعف عن المقاومة من احكام المنسا وكل ما شانه ان يمتنع في وقت لمعنى ما ثم يعود في وقت له لزوال ذلك المعنى فهو من المنسا الذي اهمل علمه اكثر الناظرين وربما اضافوا اكثره الى نمط النسخ لحقيقة الفرقان بينهما فتحقق هذه الاية من جوامع اي العرفان لحفظ احكام النسي والانسا وهو في العلم بمنزلة تعاقب الفصول بما اشتملت عليه من الاشيا المتعاقبة في وجه المبدا ولو في الجملة قلت وحاصله تاخير الحل لما ذكر والحرمة كما في المتعة ونحو ذلك الى وقت اخر وذلك هو مدلول النسي على ما كانت العرب تتعارفه كما سياتي تحريره في سورة براة عند انما النسي زيادة في الكفر قال واما النسيان والتنسية فمعناه اخفى من النسي وهو ما يظهره الله من البيان على سبيل ادخال النسيان على من ليس شانه ان ينسى كما يسن التي ابداها النبي صلى الله عليه وسلم عن تنسية كما ورد من قوله اني لانسى او انسى لاسن وقال عليه الصلاة والسلام في افصاح القول بئسما لاحدكم ان يقول نسيت بل هو نسي ومنه قيامه من اثنتين وسلامه من اثنتين حتى اظهر الله سنة ذلك لامته وكانت تلك الصلاة لسهوها ليست بدون غيرها من غير سهو بل هي مثلها او خير ونحوه منامه عن الصلاة حتى اظهر الله توقيت الصلاة بالذكر كما كان قد اظهرها بالوقت الزماني قضاها ومدارها مع الذكر لصحة وقوعها للوقتين كانت الموقتة بالذكر اذا جسبه قضا بحسب فوت الوقت الزماني فلله تعالى على هذه الامة فضل عظيم فيما يكل لها على طريق النسخ وعلى سبيل النسي وعلى جهة النسيان الذي ليس عن تراخ ولا اهمال وانما يوقفهم

بن

اخبارا مع اجماع العزم لي كل ذلك اثباتا لان ما نسخ من الامر بعد هذا النسيان خير من مونع ذلك الامر الذي كان بينع على اجماع ودعايه لشتوى هذه الامة في جميع تقلبات انفسها كل ذلك من اختصاص رحمته وفضله العظيم انتهى واستدل سبحانه على اثباته بذلك بقدرته والقدرة الشاملة التامة مستلزمة للعلم اي وليس هو لغيره من الملوك اذا امر بشي خاف غايلة اتباعه ورعاياه في نقضه واستدل على القدرة بان له جميع الملك وانه ليس في حد معه امر وحاصل ذلك انه لما ذكر سبحانه هذا الكتاب واكد امره مرادا وكان ناسخا لعزوح شريعتهم ولا سيما ما بينها من الاصار والاغلال اشار سبحانه الى ان من اعظم ضلال لهم وغيهم وتحالهم ادعاءهم ان النسخ لا يجوز على الله فمنعوا من ان يستبدل عما يفعل ما هو موجود في كتابهم كما ترانفا ومما سوغوه لانفسهم بالتحريف والتبديل ولزم من ذلك تكذيب كل رسول اتاهم بما لا تهوى انفسهم وبعلو اختلاف حال المومنين المصدقين بما انزل الى نبيهم وما انزل الى غيره وضمن ذلك غشهم بالقدح في الدين بالامر بالشي اليوم والنهي عنه غدا وانه لو كان من عند الله لما تغير لانه عالم بالعواقب ولا علموا ان يعلم ان الامر بذلك الشي مصلحة فلا ينهى عنه بعد ومفسدة فلا يامر به اليوم وجوابهم عن ذلك معرضا عن خطابهم بتوبيخنا بعبارتهم الى خطاب اعلم الخلق بقوله **الم تعلم ان الله** اي الحاير لجميع صفات الكمال **على كل شي قدير** على وجه الاستفهام المتضمن لاحل تقصد اليهود لانكار والتقرير المشار به للتوعد والتهديد بتخلق بقدرته من الاسباب ما يصير الشي في وقت مصلحة وفي وقت اخر مفسدة لحكم ومصالح دبرها لتصرم هذا العالم وتقضي هذا الكون لشمول علمه بكل ما تقدم وما تاخر ولو اراد لجعل الامر على سنن واحد والناس على قلب رجل واحد ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا لجعل الناس امة واحدة ولكنه مالك الملك وملك السموات والارض يتصرف على حسب ما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه ولا يسوغ الاعتراض عليه بوجه فهل يجوز ان يعترض العبد الذي لا ينفك اصلا من الرق على السيد الثابت السودد على انه لا يلزمه شي اصلا فلا يلزمه الامر على حسب المصالح ثم اتبع ذلك بما هو كالدليل على شمول القدرة فقال **الم تعلم ان الله** الجامع لانواع العظمة **له ملك السموات والارض** يفعل في ذواتهما واحوالها ما يشا قال الحرالي فلربما هو على كل شي قدير بفصل الايات وهو بما له ملك السموات يدبر الامر انتهى ولما اتم سبحانه ما اراد من اظهار قدرته وسعة ملكه وعظمته بالاسم العلم الذي هو اعظم من مظهر العظمة في نسخ وتنسا بالاقبال على خطاب من يعلم ذلك حق علمه غيره تثبيتا لقلوب السامعين وصرف لفت الخطاب اليهم ترهيبا في اشارة الى ترغيب فقال **وما لكم من دون الله** المتصف بجميع صفات العظمة **من ولي** يتولى اموركم وهو من الولاية قال الحرالي وهي القيام بالامر عن وصلة فاصلة **ولا نصير** فاقبلوا بجميع قلوبكم اليه ولا تلتفتوا عنه وفي ذلك تعريض بالتحذير للذين امنوا ولم يبلغوا درجة المومنين في مخالفة امره اذا حكم عليهم بما اراد كما بينا ما كان لئلا يلتفتوا بواطنهم عن اليهود خوفا مما القت ظواهر السنتهم بان يتمسك بظاهر فالهيا تسايل عن قبول لاحقه ومكمله فيكون ذلك تبعا لكثرة اهل الكتاب في اباية نسخ ما لحقه التغيير من احكام في كتابهم افاده الحرالي قال وهو في الحقيقة خطاب جامع لتفصيل ما يرد من النسخ في تفاصيل الاحكام والاحوال بمنزلة الخطاب المتقدم في صدر السورة المشتمل على جامع ضرب الامثال في قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا وذلك لان هذه السورة هي فسطاط القران الجامعة لجميع ما يفصل فيه وهي سنام القران وسنام الشي اعلاه وهي سيدة سور القران ففيها جوامع ينتظم بعضها ببعض اثر تفاصيل خلالها في سنا بيه معانيها وسيادة خطابها نحو من انتظام اي سورة الفاتحة المنتظمة من غير تفصيل وفي اثناها لتكون بين المحيط الجامع والابتدا الجامع مشاكلة ما انتهى ولما رسخ ما ذكره سبحانه من تمام قدرته وعظيم مملكته وما ظهر لذاته المقدس من العظم يتكرر اسمه العلم فتاهلت القلوب للوعظ صدعها بالتاديب بالانكار الشديد فقال **ام** اي تريدون ان تردوا امر خالقكم في النسخ ام **تريدون ان** تتخذوا من دونه الها لا يقدر على شي بان **تسالوا رسولكم** ان يجعل لكم الها غيره **كما سيل موسى** ذلك ولما كان سوالهم ذلك في زمن يسير اثبتا الجار فقال **من قبل** اي قبل هذا الزمان اذ قال قومه بعد ما راوا من الايات وتدبروا ايقوم يعكفون على اصنام لهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وقالوا ارنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد وكانوا يتعنتون عليه في احكام الله بانواع التعنتات كما تقدم والارادة في الطاف نزوع النفس لباد يستقبله قاله الحرالي وادل دليل على قدرته قوله عطفا على ما تقديره فتكفروا فانه من سال ذلك فقد تبدل الكفر بالايمان **ومن يتبدل الكفر بالايمان** اي ياخذ الكفر بدلا من الايمان بالاعراض عن الايات وسوال غيرها والتمسك بما نسخ منه وعبر بالمضارع استجذابا لمن زل بسوال شي من ذلك الى الرجوع بالتوبة ليزول عنه الاستمرار فيزول الضلال **فقد ضل سواء السبيل** اي عدله ووسطه فلم يهتد اليه وان كان في بنيات منه فان من جاد عن السوا وشك ان يبعد بعد الاسلامة منه وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وكثيرا ما كان ينزل طوايف من الناس عند تبدل الايات وتناسي الاحكام وحسب ما يقع في النفس من تغافل عنه او تحامل على تنزله فحقه من هذا الضلال عن سوا هذا السبيل وفيه اشعار بان الخطاب للذين امنوا لا المومنين المعرفين بالوصف لا يتبدل احوالهم من ايمان لكفر لان احدا لا يرتد عن دينه بعد ان خالط الايمان بشاشة قلبه فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وقال عليه الصلاة والسلام ان الله لا ينتزع العلم بعد ان اعطاكموه وبذلك تنفتح موانع خطاب القران مع المرتدين قاله الحرالي وعرف السبيل بانه المشتمل على نوام السابرين فيه والسالك من نحو الرعي والسعي وكهم والسوا بانه من الشي سمته بالامر الذي يقصده قال ويقال هو وسطه وخياره ولما كان اكثر المثيرين لهذه الشكوك في صور اهل الاسلام قال تعالى مخاطبا للمومنين ومهمما في عزايم تنفير اللوم عن الضلال الذي هو في نفسه اهل لان ينفر عنه فكيف وهو شماتة العدو وتجهيله وودادته وتحذيرا لهم من مخالطتهم **ود كثير** وهو تعليل لمعنى الكلام وهو فلا تتبدلوا الكفر بالايمان بعد تعليله بالضلال وذلك كما معنى في ما يود

الذين

الذين كفروا اسوا ولما كان المشركون عربا عالمين بان طبع العرب الثبات لم يدخلهم معهم في هذا الود وقال **من اهل الكتاب** فابقى المعنى منهم قليل وبشر سبحانه بان ما يودونه من قسم المحال بسوقه سوق المتمني فقال **لو يردونكم** اي جميعكم ثم حقق امر التمني في كونه محالا فقال مشيرا باثبات الجار الى قناعتهم به ولو في زمن يسير فقال **من بعد ايمانكم** اي الراسخ **كفارا** اي لتكونوا مثلهم تخلدوا معهم في النار **حسدا** على ما اتاكم الله من الخير الهادي الى الجنة والحسد قلق النفس من رؤية النعمة على الغير وعبر عن بلوغ الحسد الى غاية لا حيلة معها في تركه بقوله **من عند انفسهم** اي انه راسخ في طبايعهم فلا تطمعون في صرفه بشي فان انفسهم غالبة على عقولهم ثم زاده تاكيدا بقوله مشيرا باثبات الجار الى ذمهم لانهم استمروا على الضلال بعد الدعوة لا يطلبون الحق مع القدرة على تعرفه حتى هجم عليهم ببيانه وفجاهم عرفانه ثم لم يرجعوا اليه وما كفاهم ضلالهم في انفسهم حتى تمنوا اضلال غيرهم بالرجوع عنه **من بعد ما تبين** اي بيانا عظيما لوضوحه في نفسه **لهم الحق** اي من صحة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وانه خاتم النبيين المرسل للناس كافة بشهادة ما طابقه من التوراة ومن انهم خالدون في النار ولانهم ممن احاطت به خطيئته بما دل عليه سبحانه في جميع هذه الايات ابطالا لدعواهم في مس النار لهم اياما معدودة ثم ارشد الى الدوا بقوله مسببا عن الاخبار بان ودهم محال وبعدم رجوعهم **فاعفوا** اي عاملوهم معاملة العافي بان لا تذكروا لهم شيا مما تظهره تلك الوداد الناشي من هذا الحسد من الاقوال والافعال ولا تاخذوا في مواخذتهم به فانهم لا يضرونكم ولا يرجعون اليكم **واصفحوا** اي اظهروا لهم انكم لم تطلعوا على شي من ذلك واصل معناه من الاعراض بصفحة العنق عن الشي كانه لم يره وامرهم بمطلق الصفح ولم يقيده بالجميل الذي اختص به خطاب نبيهم صلى الله عليه وسلم في قوله فاصفح الصفح الجميل ليتنزل الخطاب على مراتبه ويحق مواقعه وختم على ان يكون تعلمهم ذلك اعتمادا على تفريجه سبحانه بقوله **حتى ياتي الله** اي الذي لا امر لاحد معه **بامره** فبشرهم بذلك بظهورهم على من امروا بالمعروف والصفح عنهم وقد كان مبدا ذلك وبينهم في زمن عيسى عليه السلام ولما كان المقصود في القلة والضعف بحال عظيم وقوة عدوهم وكثرتهم اعظم مستبعدا قال **ان الله** واظهر موضع الاضمار تحقيقا للبشرى بالايما الى استحضار ما يدل عليه هذا الاسم الاعظم من صفات الجلال والاكرام **على كل شي قدير** ففي هذا الختم بشرى للمومنين بتقديرهم كما ان في الختم بالعلم بشرى بتعليمهم وفي ابهامه نذارة للكافرين المقابل ذلك ولما امرهم بالتخلق بهذا الكتاب ما نسخ منه وما لم ينسخ وانه لا يعوقهم عنه طعن الطاعنين ولا حسد الحاسدين وامرهم بالاعراض عن الغير امرهم بالاقبال على اصلاح النفس والاحسان الى الغير بما اتصف به المهتدون في قوله تعالى ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ولما كان المقصود من الصلاة نصر الهمة والنية على الحضرة الالهية وتفريغ البال من جميع الشواغل علم ان التقدير بعد الختم بشمول القدرة فاعلموا ذلك وبقوله **واقيموا الصلاة** التي هي كونها مستقبليكم في قبلتها بالنسخ قوام الدين والمعينة على جميع النوايب باعانة الخالق الذي يقصد بها الاقبال عليه والتقرب اليه **واتوا الزكاة** التي هي قرينة الصلاة لمن فرق بينهما فقد نسخ ما اثبت الله فاستحق النار ليرجع عما ارتكب من الضلال فهي من اعظم نفقات المومنين احسانا الى الخلايق ان كنتم مصلين بالحقيقة فان المال بعض ما صرفت عنه الصلاة من اعراض الدنيا ولما كان قوله يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وما بعده خطابا للمومنين تحذيرا من كيد اعدايهم بالنهي عما يرديهم والامر بما ينجيهم وختمه بهذه الاية فذلكة لذلك كله جمعا لمعانيه وتنبيها براس العبادات البدنية والمالية وكانت الا مشيرة الى الواجب من ذلك ختم الاية نفسها بالامر العام الجامع فقال **وما تقدموا لانفسكم من خير** اي من الصلاة والزكاة وغيرهما فرضا ونفلا **تجدوه** وزاد ترغيبا فيه بقوله **عند الله** اي الجامع لصفات الكمال فهو يحفظه بما له من العلم والقدرة ويربيه بما له من الكرم والرحمة الى غير ذلك من امور الفضل ولما كان الشي قد يهمل لكونه صغيرا وقد لا يطلع عليه لكونه خفيا حقيرا قال مرغبا مرهبا **ان الله** المحيط قدرة وعلما **بما تعملون بصير** واظهر الاسم في موضع الاضمار اشعارا بالاستيناف للخبر ليكون ختما جامعا لانه لو عاد على خصوص هذا الخطاب لكان انه وذلك لان تجديد الاظهار يقع بمعنى رد ختم الخطاب على احاطة جملته قاله الحرالي والمعنى انه لو اضمر لكان ربما اوهم تقييد علمه بحيثية ما تقدم من عمل الخير وعلى مثل هذا دل قول العلامة شمس الدين بن العز في اول شرحه لايساغوجي الغالب في المضمر ارادة المعنى الاول واما حديث الشي معرفة فاصل يعدل عنه كثيرا المعربين وقال الشيخ سعد الدين في المختصر في بحث التنبيه فلم يات بالضمير لئلا يعود الى التنبيه المذكور هو احص وما يقال ان المعرفة اذا اعيدت كانت عين الاول فليس على اطلاقه ولما ذكر دعواهم في مس النار وابطلها من وجوه كثيرة احاطت بهم فيها الخطايا احاطة اقتضت خلودهم فيها من جهة ضلالهم الى اية النسخ مرتبا الخطاب من سيء الى اسوا منها ثم من جهة اضلالهم لغيرهم من اية النسخ عطف على تلك الدعوى الاخبار بدعواهم في دخول الجنة تصريحا بما اقتضته الدعوى الاولى تلويحا وقرن بذلك مثل ما ختم به ما قبلها من ان ما من فعل خيرا لم جله على وجه يليق به ان ذلك الخير الاسلام والاحسان فقال تعالى **وقالوا** اي اهل الكتاب من اليهود والنصارى حسدا منهم على السبب الذي هو الجنة كما حسدوا على السبب وهو انزال ما اقتضى الايمان الموصل الى الرضوان الذي به استباحة الجنان **لن يدخل الجنة** المعدة لاوليا الله **الا من كان هودا** هذا قول اليهود منهم **او نصارى** وهذا قول النصارى نشر المالعته في وقالوا ولما كانوا ابعد الناس عن هذه الاماني التي تمنوها لانفسهم لمنابذتهم لما عندهم من العلم والتي حسدوا فيها المومنين ان ذلك فضل الله يوتيه من يشا قال مشيرا الى بعدهم عن ذلك على وجه الاستيناف معترضا بين الدعوى وطلب الدليل عليها تجهيلا لهم وتوهينا **تلك** باداة البعد **امانيهم** لهكا بهم اي امثال هذه الشهوة من ودهم ان لا ينزل على المومنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم وامثال ذلك من تمنياتهم ولما كان كل مدع لغيب مفتقرا في تصحيح دعواه الى دليل وكان مثل هذا لا يقنع فيه الا بقاطع امر اعلم الخلق لانه لا ينهض باحراسهم في علمهم ولددهم غيره بمطالبتهم بذلك ناقضا لدعواهم فقال **قل هاتوا برهانكم** بلفظ البرهان قال الحرالي وهو علم قاطع الدلالة غالب

القوة بما تشعر به صيغة الفعلان ضم اولها وزيادة اخرها وهذا كما افتتح تلك بالنقض بقوله قل اتخذتم وفي ذلك اعلام بانه تعالى
ما غيب شيا الا ابدى عليه علما ليكون في العالم المشهود شفاف عن العالم الغايب قاله الحرالي قال وهذا اهدم شي لمذهب المقلدين ودليل
على ان كل قول لا برهان عليه باطل ولما نادى عليهم بالكذب في قوله ان كنتم صادقين اثبت لغيرهم بقوله بلى ما ادعوا الاختصاص به
ثم بين اهل الجنة بقوله من اسلم وجهه اي كليته لان الوجه اشرف ما ظهر من الانسان فمن اسلمه اسلم كله كما ان الايمان اذعان القلب الذي
هو اشرف ما بطن واذعانه اذعان جميع الاعضا والاسلام قال الحرالي القا ما يكون من منه في باطن او ظاهر والوجه مجمع حواس الحيوان واحسن ما
في الوتان وهو ما عد الحيوان وموقع الفتنة من الشي الفتان وهو اول ما يحاول ابداوه من الاشيا لذلك لله من اجل انه الله باذعان القلب
الجامع للكمال ولما ذكر الاجر لكل واحد بعينه انص على المقصود وانفي للتعنت افرد الضمير فقال وهو محسن في جانب الحق وفي جانب الخلق بما يرضي
الرب وصار يعبد الله كانه يراه فطابق سره علنه ولما نفوا الاجر عن غيرهم واثبته سبحانه للمتصف بالاسلام منهم ومن سواهم وكان ربما قيل
انه اعطى غيرهم لكونه الملك المطلق بغير سبب ربط الاجر بالفا دليلا على ان اسلامهم هو السبب فقال فله اجره عند ربه احسانا
اليه باثبات نفعه على حسب مارتبه به في كل شريعة ولما كان ربما ادعى انه ما افرد الضمير الا لان المراد واحد بعينه فلا يقدح ذلك في
دعوى انه لن يدخل الجنة الا اليهود او النصارى جمع فقال ولا خوف عليهم من اتٍ ولا هم يحزنون على شي فات فنفى الضرر وهذا كما اثبت
سبحانه خلاف دعواهم في مس النار بقوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته الاية فالتحم الكلام بذلك اشد التحام وانتظم اي انتظام
ولما ابطل دعوى اختصاصهم بالرحمة قدحا منهم في غيرهم واثبتها للمحسنين اتبع ذلك قدح كل فريق منهم في الاخر وبيان انتفا ايهما عنهم لم
باساتهم بابطال كل فرقة منهم دعوى الاخرى مع ما يشهد به كتاب كل من بطلان قوله فقال وقالت اليهود ليست وليس تخفيفه
من وزن فرح ومعناها مطلق النفي لمتقدم اثبات او مقدره قاله الحرالي النصارى على شي اي يعتد به لكونه صحيحا اثبت تعليلهم لضعف
قولهم وجميع امرهم وقالت النصارى كذلك ليست اليهود على شي اي لنسخ دينها لدينهم وتعجب منهم في هذه الدعوى العامة لما قبل
التبديل والنسخ وما بعده بقوله وهم اي والحال انهم يتلون الكتاب اي مع في كتاب كل منهم حقية اصل دين الاخر ثم شبه بهم في نحو هذا
القول الجهلة الذين ليس لهم كتاب لان هم عندهم ضلال وفي ذلك غاية العيب لهم للتسوية حالهم مع علمهم بحال الجهلة في القطع
في الدين بالباطل كما سوى حالهم بهم في الحرص على الحياة في الدنيا ومنهم عبدة الاصنام الذين منهم العرب الذين اخرجوا الرسول صلى الله
عليه وسلم من بلده ومنعوه من مسجد ابيه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام الذي هو الحقيق به دونهم وساق ذلك جواب سايل كانه
قال هذا قول العلما بالكتاب فما حال من لا علم له فقال كذلك اي مثل هذا القول البعيد عن القصد قال الذين لا يعلمون ولما كان
صدور هذا من اهل العلم في غاية الغرابة وصدوره من الجهلة اغرب نبه تعالى على ان سامعه جدير بان يقول بعده له عدادا مالا يصدق
كيف قال الجهلة فقال او يقال ولما كان قولهم هذا لا يكاد يصدق من شدة غرابته كان كانه قيل احق كان هذا منهم حقيقة ام كني به عن
شي اخر فاجيب بقوله كذلك اي الامر كما ذكرنا عنهم حقيقة لا كناية عن شي غيره فلما استقر في النفس كانه قيل هل وقع هذا الاحد غيرهم
فقيل نعم وقع اعجب منه وهو انه قال الجهلة كعبدة الاصنام والمعطلة مثل قولهم تعاندوا وضللوا المومنين اهل العلم بالكتاب
الخاتم الذي لا كتاب مثله وضللوا اهل كل دين ولما وقع الخلاف بين هذه الفرق تسبب عنه حكم الملك الذي لم يحكم سدى بينهم فقال
فالله الملك الاعظم يحكم بينهم نفوذ المصرف على بعض ما يتصرف فيه وعن بعض ما يتشوف اليه وحقق امر البعث بقوله يوم القيمة فيما
كانوا فيه يختلفون والاختلاف افتعال من الخلاف وهو تقابل بين رايين فيما ينبغي انفراد الراي فيه قاله الحرالي ولما اشتركت جميع
هذه الفرق في الظلم وزاد الجهلة منع حزب الله من عمارة المسجد الحرام بما يرضيه من القول والفعل فازدادوا بذلك ظلما اخر وكان من منع مسجدا
واحدا لكونه مسجدا مانعا لجميع المساجد قال ومن اظلم اي منهم وانما ابدل الضمير بقوله ممن منع مساجد الله اي الجامع لصفات
الكمال التي هي جنان الدنيا لكونها اسباب الجنة التي يقصرونها عليهم ثم ابدل من ذلك تعجيبا له بذكره مرة بعد اخرى قوله ان يذكر فيها اسمه
وعطف بقوله وسعى في خرابها اي بتعطيلها عن ذكر الله لبعد وجوه ظلمهم زيادة في تبكيتهم والمنع الكف عما يرى اليه والمسجد مفعل
لموضع السجود وهو تنفس حط القايم والسعي الاسراع في الامر حسا او معنى والخراب ذهاب العمارة والعمارة احيا المكان واشغاله بما وضع
له قاله الحرالي ثم ذكر سبحانه مارتبه على فعلهم من الخوف في المسجد الذي اخافوا فيه اولياه وفي جميع جنسه والخزي في الدنيا والاخرة
ضد مارتبه لمن احسن فقال تعالى اولئك اي البعضا البعدا ما كان لهم اي ما صح وما انبغى ان يدخلوها اي المساجد الموصوفة
الا خايفين وما كان امنهم فيها الا بسبب ما ارتكبوه من الظلم والتمادي على الباطل وسنزيل ذلك ثم عم الحكم بما يندرج فيه هذا الخوف فقال
لهم في الدنيا خزي اي عظيم بذلك وبغيره ثم زاده بان عطف عليه قوله ولهم في الاخرة التي هم لها منكرون بالاعتقاد او الافعال
عذاب عظيم فدل بوصف العذاب على وصف الخزي الذي اشار اليه بالتنوين قال الحرالي وفيه انبا باحباط ما يعرف عنهم وتهاتر
وجوه العذاب فنالهم من العذاب لعظيم ما نالوا الكافرين حتى كان ما كان لهم من ملة وكتاب لم يكن وذلك اسوا الخسار ومن الموعودان
من اعلام قيام الساعة تضييع المساجد لذلك كل امة وكل طايفة وكل شخص معين سلطوا حرم في مسجد يكون فعله سببا لخلايه فان
الله عز وجل يجازيه بروعه وبمخافة تناوله في الدنيا حتى تنتظم بذلك من حزب مدينة من مدن الاسلام او كانت اعماله سبب
خرابها وفي ضمن ذلك ما كان من احداث المسلطين على البيت المقدس بما جرت اليه اعمال يهود فيه قال لذلك اجرى الله سنته
ان من لم يقم حرمة مساجده شرده منها واحوجه لدخولها تحت رقبة وذمة من اعدايه كما قد شهدت مشاهدة بصايرا هل

البصيرة وخصوصا في الارض المقدسة المتناوب فيها دول الغلب بين هذه الامة واهل الكتاب والم غلبت الروم في ادنى الارض
وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فكل طايفة في بعضها اذا اساء عملها في مسجدها شردت منه ودخلته في بعض الاخرى
خايفة كذلك حتى تكون العاقبة للمتقين حين يخرج المومنون بنصر الله قال وفي اشعاره تحذير من غلق المساجد واخفايها وحجرها
على القاصدين للتحنث فيها والخلوة بذكر الله وليس رفع المساجد منعها بل منعها ان لا يذكر فيها غير اسم الله قال تعالى في بيوت اذن الله ان
ترفع قال عمر رضي الله عنه لما بنى الرحبة من اراد ان يلغط او يحدث او ينشد شعرا فليخرج الى هذه الرحبة وقال صلى الله عليه وسلم
جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم وبيعكم وشراكم وابنوا على ابوابها المطاهر ففي كل ذلك انبا بان كل من عمل في مساجد
الله بغير ما وضعت له من ذكر الله كان ساعيا في خرابها ونال الخوف في محل الامن انتهى ولما انتهت الاية انه حصل لاوليا الله منع من
عمارة بيت الله بذكره وكان الله تعالى قد من على هذه الامة بان جعل الارض كلها لها مسجدا سلى المومنين بانهم اينما صلوا بقصد عبادته
لقيهم ثوابه لانه لا يختص به جهة دون جهة لان ملكه للكل على حد سوا فكان كانه قيل فاينما الصلاة التي هي اعظم ذكر الله حيثما كنتم فانه لله
ان المسجد الذي منعتموه لله وعطف عليه قوله ولله المشرق اي موضع الشروق وهو مطلع الانوار والمغرب وهو موضع افولها فانبا
تعالى كما قال الحرالي باضافة جوامع الافاق اليه اعلاما بان الوجهة لوجهة لا للجهة من حيث ان الجهة له انتهى ولما كان هذان الافقان مدارا
للكواكب من الشمس وغيرها عبر بهما عن جميع الجهات لتحول الافلاك حال الدوران الى كل منهما فلذلك تسبب عن ذكرهما قوله فاينما تولوا
اي في اي مكان او تعتم فيه التولية للصلاة الى القبلة التي امرتم بالتولية اليها من بيت المقدس او الكعبة او غيرهما في النافلة فثم اي
فذلك الموضع لان ثم اشارة الى ظرف مكان وجه الله اي جهته التي وجهكم اليها او مكان استقباله والتوجه اليه وما يستقبلكم من جلاله
وجماله ومتوجه اليكم من بره وافضاله فان نسبة جميع الاماكن والجهات في الابداع والقرب والبعد وغير ذلك اليه واحده قال الحرالي
وابهم التولي ليعم تولي القلب لوجه الله حين تقع محاذاة الوجه الظاهر للجهة المضافة لله انتهى ولما اخبر من سعة فضله مثبوتا في واسع
ملكه بما وقفنا العقول عن منتهى علمه علله بما صغر ذلك في جنبه فقال ان الله بذكره بالاسم الاعظم الجامع لجميع الاسما واسع اي محيط
بما لا تدركه الاوهام فلا يعجم شي الا في ملكه واصل الوسع تباعد الاطراف والحدود عليم فلا يخفى عليه فعل فاعل اين ما كان وكيفما
كان فهو يعطي المتوجه اليه على قدر نيته بحسب بلوغ احاطته وشمول علمه وقدرته قال الحرالي في شرح الاسما والسعة المزيد على الكفاف
من نحوها الى ان يبسط الى ما ورا امتدادا رحمة وعلما ورحمتي وسعت كل شي للذين احسنوا الحسنى وزيادة لهم ما يشاوون فيها ولدينا مزيد
ولا تتم السعة الا مع احاطة العلم والقدرة وكمال الحلم وافاضة الخير والنعمة بمقتضى كمال الرحمة ولهوى النعمة في وجوه الكفايات
ظاهرا وباطنا خصوصا وعموما لم يكد يصل الخلق الى حظ من السعة اما ظاهرا فلا يقع منهم ولا يكاد لكم لن تسعوا الناس باموالكم واما
باطنا بخصوص حسن الخلق فعساه يكاد وقال في تفسيره قدم تعالى المشرق لانه موطن بدو الانوار التي منها رؤية الابصار واعقبه بالمغرب
الذي هو مغرب الانوار الظاهرة وهو مشرق الانوار الباطنة فيعود التقابل الى ان مشرق الانوار الظاهرة هو مغرب الانوار الباطنة
الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان واشار بيده نحو المشرق لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق انتهى قلت ومن ذلك
حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بالمغرب بابا وفي رواية بابا للتوبة مفتوح من قبل
المغرب مسيرة عرضه سبعون عاما لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله اخرجه الطبراني والبغوي في تفسيره وقد ظهر لي ان المغرب
في الحديث المتقدم وهو في الصحيح ما عدا المشرق الذي اشار اليه بالفتنة في الحديث الاخر فالمغرب حينيذ المدينة وما يغلب
اليها من جهة المشرق وما وارى ذلك من جهة الجنوب والشمال وما وارا ذلك من جهة المغرب الى منتهى الارض فلا يبعد من حينيذ
حديث وهم بالشام فانها من جملة المغرب على هذا التقدير ويتلو جمعا طال ما دارت فيه الرؤوس وحارت فيه الافكار في
المحافل والدروس والله الموفق ولما كان من المحال افتقاره الى شي ولدا او غيره قدم اهل الاديان الباطلة كلهم بافترايهم في الولد اليهود
في عزير والنصارى في المسيح وعبدة الاوثان في الملايكة فقال معجبا ممن اجترا على نسبة ذلك اليه مع معرفة ما تقدم عاطفا على ما سبق
من دعاويهم وقالوا اتخذ الله الذي له الكمال كله وعبر بقوله ولدا الصالح للذكر والانثى ليتنظم بذلك مقالات الجميع ولما كان العطف
على مقالات اهل الكتاب ربما اوهم اختصاص الذم بهم حذفت واو العطف في قراءة ابن عامر على طريق الاستيناف في جواب من كانه
قال هل انقطع حبل افترايهم اشارة الى ذم من قال بذلك وذلك اشارة الى شدة التباسها بما قبلها كما قال الامام ابو علي الفارسي
في كتاب الحجة لان جميع المخزيين على اهل الاسلام ما تقول لهم لمن اخبا المساجد بالذكر ليشتغلهم بالعداوة عن لزومها والحاصل
انه ان عطف كان انصباب الكلام الى اهل الكتاب واما غيرهم فتبع لهم للمساواة في المقاولة وان اخذ فتا لواو انصب الى الكل انصبابا
واحدا ونزه نفسه الشريفة استينافا بقوله سبحانه فذكر علم التسبيح الجامع لاحاطة المعنى في جوامع التنزيه كله ثم جا بكلمة الاضراب
المفهمة الرد بالنفي فكان للخطاب يفهم ما اتخذ الله ولدا ولا له ولد بل له ما فعبر بالاداة التي هي لغير العاقل ويتضح له تنبيها وتحقيرا
لهم في السموات والارض مما ادعت كل فرقة فيه الولدية وغير ذلك ثم علله بقوله معبرا بما يفهم غاية الاذعان كل له قانتون
اي مخلصون خاشعون متواضعون لاستسلامهم لقضايه من غير قدرة على دفاع ولا تطلع الى نوع امتناع العاقل وغيره حتى كانهم يسرعون
في ذلك ويبادرون اليه مبادرة اللبيب الخادم قال الحرالي فجا بالجمع المشعر كما يقال بالعقل والعلم لما تقدم من انه لا عجمة ولا
جماد فيه بين الكون والكون انما يقع جادية وعجمة بين احاد من المقصرين في الكون عن الادراك التام والقنوت ثبات القايم بالامر على

الذي له الكمال كله

فبامه تحققا بتمكنه فيه انتهى ثم علل ذلك بما هو اعظم منه فقال بديع السموات والارض اى خالقهما على غير مثال سبق وما ابدع لله
كليه امر كان احرى ان يكون ماطيه واحاطته وافامته من الاشيا المقامة به من بديعه فكيف يجعل له سبب منه لان الولد مستخرج شبيه
بما استخرج من عينه ذكره الحرالى واذا قضى والقضا انفاذ المقدر والمقدر ما اخذ من مطلق المعلوم قاله الحرالى اى اراد امرا منهما او من
غيرهما فانما يقول له كن من الكون وهو كما قال الرازى هو فى ظاهره وباطنه فيكون فهو منزه عن حاجة التوالد وكل حاجة وسر التعبير
بالمضارع يذكر ان شا الله تعالى فى ال عمران والقضا انفاذ المقدر والمقدر ما اخذ من مطلق المعلوم قاله الحرالى فالواو رفع يكون للاستيناف
اى فهو يكون والعطف على يقول ايذانا بسرعة التكوين على جهة التمثيل ومن قال بالاول منع العطف على يكون لاقتضا الفا ان القول مع التكوين
فيلزم قدم التكوين وقال الامام ابو على الفارسى فى كتاب الحجة ان ذلك لا يطرد فى مثل ثانى حرفى ال عمران وهو قوله تعالى ثم قال له كن فيكون لانه لا يحسن
تخالف الفعلين المتعاطفين بالمضى وغيره واول قوله ولقد امر على اللئيم يسبنى فمضيت ثم اقول لا يعنينى بان معناه مررت ماضيا وطعن فيه
ابو شامة بان يكون فى الاية ماض مثله وقد صرح ابو على فى الحجة معه بانه على بابه معنى وفائدة التعبير به مضارعا بان يصور بالحال والارشاد
الى ان التقدير كن فكان لانه متى قضا شيا قال له كن فكان وجعل الاحسن عطفه على كن لانه وان كان بلفظ الامر فمعناه الخبر اى يكون وقال ان
ذلك اكثر اطرادا واستقامة لمثل قوله ثم قال له فيكون وهذا الموضع مجمع على رفعه وكذا قوله تعالى فى الانعام ويوم يقول له كن فيكون وانما
الخلاف فى ستة مواضع احتص ابن عامر منها باربعة مواضع وهى هذا الموضع وقوله تعالى فى ال عمران اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وفى
وفى مريم مثله سوا وفى غافر فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ووافقه الكسائى فى النحل انما قولنا لشى اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وفى
يس انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون فجعلوا النصب فى هذين عطفا على يقول وفى الاربعة الاولى جوابا للامر فى قوله كن اعتبارا
بصورة اللفظ وان لم يكن المعنى على الامر والتقدير يقول له كن يكون ويكونه فيكون اى فيطاوع فطاح قول من ضعفه بان المعنى على الخبر وانه
لا يصح النصب الا اذا خالف الامر جوابه وليس هذا كذلك بل يلزم فيه ان يكون الشى شرطا لنفسه لان التقدير ان يكن يكن وصرح ابن مجاهد
بوهم ابن عامر وان هذا غير جائز فى العربية كما نقله عنه الامام ابو شامة فى شرح الشاطبية فامعنت النظر فى ذلك لوقوع القطع بصحة
قراة ابن عامر لتواترها نقلا عمن انزل عليه القران فلما رايته لم ينصب الا فى خبر اذا علمت ان ذلك لاجلها لما فيها من معنى الشرط فيكون
مثل قوله تعالى فى الشورى ويعلم الذين يجادلون فى اياتنا بنصب يعلم فى قراة غير نافع وابن عامر على بعض التوجيهات وذلك ماش
على نهج السداد من غير كلفة ولا استبعاد واذا تومل الكلام على اذا قال الرضى وهو العلامة نجم الدين محمد بن محمد بن حسن الاستراباذى
فى الظروف من شرحه لمقدمة العلامة ابى عمرو عثمان بن الحاجب فى الكافية ومنها اذا وهى للمستقبل وفيها معنى الشرط فلذلك اختير بعدها
الفعل والاصل فى استعمال اذا ان تكون لزمان من ازمنة المستقبل مختص من بينها بوقوع حدث مقطوع به ثم قال وكلمة الشرط ما
يطلب جملتين يلزم من وجود مضمون اولاهما فرضا حصول مضمون الثانية فالمضمون الاول مفروض ملزوم والثانى لازمه ثم قال
وان موضوعة لشرط مفروض وجوده فى المستقبل مع عدم قطع المتكلم لا بوقوعه ولا بعدم وقوعه وذلك لعدم القطع فى الجزا لا بالوجود
ولا بالعدم سوا شك فى وقوعه كما حققنا او لم تشك كان الواقعة فى كلامه تعالى وقال ولا يكون الشرط فى اسم الا بتضمن معناها ثم قال
فنقول لما كان اذا للامر المقطوع بوجوده فى اعتقاد المتكلم فى المستقبل لم يكن لمفروض وجوده لتنافى القطع والفرض فى الظاهر فلم يكن فيه
معنى ان الشرطية لان الشرط كما بينا هو المفروض وجوده لكنه لما كان ينكشف لنا الحال كثيرا فى الامور التى نتوقعها قاطعين بوقوعها عن
خلاف ما نتوقعه جوزوا تضمين اذا معنى ان كما فى متى وساير الاسما الجوازم فيقول القايل اذا جئتنى فانت مكرم شاكا فى مجى المخاطب
غير مرجح وجوده على عدمه بمعنى متى جئتنى سوا ثم قال ولما كثر دخول معنى الشرط فى اذا وخروجه عن اصله من الوقت المعين جاز استعماله
وان لم يكن فيه معنى ان الشرطية وذلك فى الامور القطعية استعمال اذا المتضمنة لمعنى ان وذلك لمجى جملتين بعده على طرز الشرط
والجزا وان لم يكونا شرطا وجزا ثم قال فى الكلام على الفا التى تواصبا للفعل وقد تقرر ان الناصبة بعد الفا والواو والتى تقعين بعد
الشرط قبل الجزا نحو ان تاتنى فتكرمنى او وتكرمنى اتك او بعد الشرط والجزا نحو ان تاتنى اتك فاكرمك او واكرمك وذلك لمشابهة
الشرط فى الاول والجزا فى الثانى المنفى اذ الجزا المشروط وجوده بوجود الشرط ووجود الشرط مفروض فكلاهما غير موصوفين بالوجود
حقيقة وعليه حمل قوله تعالى ان يشا يسكن الريح فيظللن الى قوله ويعلم الذين يجادلون على قراة النصب ثم قال وانما صرفوا ما له
بعد فا السببية الى النصب لانهم قصدوا التنصيص على كونها سببية والمضارع المرتفع بلا قرينة مخلصة للحال
والاستقبال ظاهر فى معنى الحال كما تقدم فى باب المضارع فلو ابقوه مرفوعا لسبق الى الذهن ان الفا لعطف جملة حالية الفعل
على الجملة التى قبل الفا يعنى فكان يلزم ان يكون الكون قديما كالقول فصرفه الى النصب منبه فى الظاهر على انه ليس معطوفا اذ لا
المضارع المنصوب بان مفرد وقبل الفا المذكورة جملة ويخلص المضارع للاستقبال اللايق بالجزائية كما ذكرنا فى المنصوب بعد اذن
فكان فيه شيان دفع جانب كون الفا للعطف وتقوية كونه للجزا فيكون اذن ما بعد الفا مبتدا محذوف الخبر وجوبا انتهى فالتقدير
هنا والله اعلم فكونه واقع حق ليس بخيال كالسحر والموهومات لغلى هذه قراة النصب يلوح فيظهر رمانى الصرف عن الحال الى الاستقبال
مع ما دلت عليه من سرعة الكون وانه حق ثم رايت البرهان ابرهيم بن محمد السفاقسى حكى فى اعرابه ما خرجته عن ابن الصايغ يعنى بالصاد
المهملة والعين المعجمة وهو الاستاذ ابو الحسن على بن محمد بن يوسف المكى شيخ ابى حيان فقال ما نصه زاد ابن الصايغ فى نصب فيكون
وجها حسنا وهو نصبه فى جواب الشرط وهو اذا وكان مراده التسبيب عن الجواب كما ذكرت قال السفاقسى ويصح فيه وجه

ثالث

ثالث على مذهب الكوفيين وهو نصبه فى جواب الحصر بانما لانهم اجازوا انما هى ضربة اسد فتحطم ظهره ولما تقرر بما انبا من بديع ابانته
فى منبث مصنوعاته ان عظمته تتقاصر عنها الاوهام وتتقلص خاسية دونها نواحد الافهام عجب من الجراة عليه بما استوى فيه حال الجهلة
من العرب بالعلما من اهل الكتاب تبكيتا وتنفيرا منهم بانه لا حامل لهم على الرضى لانفسهم بالنزول من اوج العلم الى حضيض اهل
الجهل الا اتباع الهوى فقال وقال الذين لا يعلمون اى ليس لهم علم من العرب لولا اى هلا يكلمنا الله اى يوجد كلامه لنا على ما له
من جميع الصفات او تاتينا اية اى على حسب اقتراحنا عادين ما اتاهم من الايات على ما فيها من اية القران التى لا تزاد بها اية اصلا عدما
ولما كان قولهم هذا احد بدايان لا يصدق فيه عليه بقوله كذلك اى الامر كما ذكرنا عنهم ولما كان كانه قيل هل وقع مثل هذا افظاعه
قبل ثم وقع ما هو اعجب منه وهو انه قال الذين لما كان المراد بعض من تقدم ادخل الجار فقال من قبلهم ممن ينسب الى العلم من اهل الكتاب
مثل قولهم ثم علل بقوله تشابهت قلوبهم فى هذا وان كانت مختلفة باعتبار العلم وفى ذلك تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم بانه
كما تعنت عليه تعنت على من قبله ولما كان ذلك توقع السامع الاخبار عن البيان فكان كانه قيل هل تالوا ذلك جهلا او عنادا فقيل بل
عنادا لانا قد بينا الايات فى كل امة فى الكتاب المبين المسموع والكتاب الحكيم المرى ولما كان نفع البيان حاصلا باهل الايقان قال
لقوم يوقنون وفيه بعث للشاك على تعاطى اسباب الايقان وهو صفا العلم عن كدر سطرق الريب لاجتماع شاهدى السمع والعين
قال الحرالى وفيه اشارة لما حصل للعرب من اليقين كما قال سيد العرب رضى الله عنه لو كشف الغطا ما ازددت يقينا استظهارا لما بطن
من عالم الملكوت على ظاهر عالم الملك كالا للفهم عن واضح هذا البيان الذى تولاه الله وتمن اصطفاه الذى اشتمل عليه استنباع ضمير
بينا وفى استوا العالم وغيره فى الجهل بعد البيان دليل على مضمون التى قبلها فى ان ما اراد كان ولما تضمن هذا السياق الشهادة بصحة
رسالته صلى الله عليه وسلم وانه ليس عليه الا البيان صرح بالامرين فى قوله موكدا لكثرة المنكرين انا ارسلناك هذا على ان يكون
المراد بذلك جميع الامم اما اذا اريد هذه الامة فقط فيكون المعنى قد بينا الايات الدالة على طريق الحق باعظم برهان وبالاخبار عن
دقايق لا يعلمها الا حذاق اهل الكتاب لقوم يحق عليهم الايقان لما وضح لهم من الادلة ثم علل ذلك بقوله انا ارسلناك ارسالا ملتبسا
بالحق بالامر الكامل الذى يطابقه الواقع فى كل جزية بخبرها قال الحرالى والحق التام المكمل بكلمة ال هو استنطاق الخلق عن امر الله
فيهم على وجه اعلا لرسالته العلية الخاصة به عن عموم ما بعث به رسالة المرسلين من دون هذا الخصوص وذلك حق منكر كما تقدم فى
عند قوله وهو الحق مصدقا لما معهم لان ما احق عينا انما انزله الله فهو حق حتى السحر وما اظهر غيب القضا والتقدير واعلن ما بدا
حكمة الله على ما ابداها من نفوذ مشيته فى متقنا بل ما ابداه من خلقه فهو الحق الذى خلقت به السموات والارض ابتداوبه ختمت
الرسالة انتهاء ليتطابق الاول والاخر كما لاحال كونك بشيرا ونذيرا وقال الحرالى لما اجرى الله سبحانه من الخطاب عن اهل الكتاب
والعرب فنا رزهم لما انزل اولا واخرا وبنا ما افتروه بما لا شبهة فى دعواه اعرض بالخطاب عن الجميع واقبل به على النبى صلى الله عليه وسلم
تسلية له وتاكيدا لما اعلمه فى اول السورة من ان الامر مجرا على تقديره وقسمة الخلق بين مومن وكافر ومنافق فانباه تعالى انه ليس
مضمون رسالته ان يدعو الخلق الى غير ما جبلوا عليه وان مضمون رسالته ان يستظهر خبايا الافيدة والقلوب على الالسنة له
والاعمال فيبشر المهتدى والثابت على هدى سابق ويندر اللاى والمنكر لما سبق انزاره به قبل فتم بذلك الاولين والاخرين من
المعشرين والمنذرين انتهى فليس عليك الا ذلك فبشر وانذر فانما عليك البلاغ وليس عليك خلق الهداية فى قلوب اهل النعيم
ولا تسئل ويجوز ان يكون حالا من ارسلناك او من بشيرا عن اصحاب الجحيم والمراد بهم من ذكر فى الاية السابقة من الجهلة ومن قبلهم اى
عن اعمالهم لتذهب نفسك عليهم حسرات لعدم ايمانهم كما قال تعالى ولا تسيلون عما كانوا يعملون اى فحالك مستو بالنسبة الينا واليهم
لانك ان بلغتهم جميع ما ارسلت به اليهم لم نحاسبك باعمالهم وان تركت بعض ذلك لمحاسبة لهم لم يجيبوك ما دمت على دينك فاقبل على
امرك ولا تسال بهم وهو معنى قراة نافع ولا تسيل على النهى اى احتقرهم فانهم اقل من ان يلتفت اليهم فبلغهم جميع الامر فانهم لا يحبونك الا ان
تتبع ما انت عليه وفى الحكم بكونهم اصحابها اثبات لما نفوه عن انفسهم بقولهم لن تمسنا النار الاية ونفى لما خصصوا به انفسهم فى قوله
لن يدخل الجنة والجحيم قال الحرالى انضمام الشى الى وعظم فيه ومن معنى حروفه الجحم وهو النضام وظهور المقدار الا ان الجحم فيما ظهر كالاجسام
والجحم يتقدم اليهم فيما لطف كالصوت والنار والماجوت العادة بان المبشر ميسر بالبشرى اخبر تعالى ان اهل الكتاب من قسم المنذرين
فهم لا يزالون عليه غضبا باحتمال عطفا على ما اقتضاه ما قبله ولن ترضى من الرضى وهو اقرار ما ظهر عن ارادة قاله الحرالى عنك
اليهود ولا النصارى لشى من الاشيا حتى تتبع ملتهم اى حتى يكون لبشيرا لهم ولن يكون بشيرا لهم حتى توافقهم فيما احدثوه من اهوايهم بان تتبع
كتابهم على ما بدلوا فيه وحرفوا واحفوا على ما انتحلوه اضافة الملة اليهم لا الى صاحبها المعصوم وهو ابرهيم عليه السلام وسياتى تقرير
الملة قريبا ويكون ذلك مرعيه منه تامه على ما انتحلوه صيغة الافتعال وتترك كتابك الناسخ لفروع كتابهم والملة قال الحرالى
الاخذ والعمل بما فى العقل هدايته من اعلام المحسوسات ولما قيل ذلك تتقضى الحال سوالا وهو فما ذا اقول فقال قل ولم يقيده بلهم
اعراضا عنهم ان هدى الله الذى هو جميع ما انزل الجامع لصفات الكمال على رسله من كتابى وكتابكم هو اى خاصة الهدى اى كله مشيرا باداة
التعريف الى كمال معناه وبالحصر الى ان غيره هو الهوى واضافه الى الاسم الاعظم والدبان واعاده بلفظه وعبر عنه بالمصدر واستعمل
فيه ضمير الفصل ردا لانكارهم لهم فان اتبعوه كله فامنوا بان كتابهم داع الى كتابك فبشرهم وان لم يتبعوه فالزم انذارهم وفى الاية اشارة
الى ذلك الكتاب لا ريب فيه ثم عطف على ما انتجه السياق من تخويفين زغت عنه لتتركن الهدى كله باتباع الهوى قوله ولين اتبعت اهواهم

الداعية الى التغيير كما بهم قال الحرالي فاظهر ايضاحا بما اقتضته اضافة الملة اليهم من حيث كانت وضعا بالهوى لا هداية نور عقل كما هي في حق الحنيفيين انتهى ولما كان الكلام هنا في امر الملة التي هي ظاهرة للعقل اسقط من واتى بالذي بخلاف ما ياتي في امر القبلة فقال بعد الذي قال الحرالي اشارة كلمة الذي الى معنى قريب من الظاهر المحسوس كانه علم ظاهر تقفيه انبا بان ادنى ما جاءه من العلم مظهر لابطال ما هم عليه في وجوه تلبيسهم واهوائهم جاءك من العلم بانهم على ضلال وانك على جميع الهدى وخاطبه بذلك صلى الله عليه وسلم والمراد والله اعلم من اتبع اهواءهم بعد الاسلام من المنافقين تمسكا بولايتهم طمعا في نصرتهم ولذا ختم بقوله مالك من الله الذي له الامر كله ولا كفوله واكد النفي بالجار فقال من ولي ولا نصير ولما افصح بمن يستحق النذارة منهم بتغيير الذين باهوائهم فانهم من يستحق البشارة تلاه بالافصاح بالقسمين من يستحق البشارة منهم ومن يستحق النذارة فقال الذين آتيناهم الكتاب اي التوراة والانجيل يتلونه حق تلاوته قال ابن عباس يتبعونه حق اتباعه من تلا فلان فلانا اذا اتبعه رواه عنه ابو عبيدة وهي ناظرة الى قوله قريبا وهم يتلون الكتاب اي حق تلاوته بلا تلاوة ليس فيها تدبر لمعانيه ولا عمل بما فيه هذا اذا جعلناه حالا وان جعلناه خبرا فقوله اولئك اي العظيمو الرتبة خاصة يؤمنون به خبرا ثانيا فالمعنى ان من لم يؤمن بالكتاب حق الايمان من غير تحريف له ولا اخفاء لشيء فيه لما انتفى عنهم المقصود بالذات وهو الانتفاع بالكتاب لو تلي انتفى عنهم اصل الايمان لانه تجرد عن الفائدة والضمير في به يصح ان يكون للهدى قال الحرالي وحقية الامر تلاوة الى غايته والاحاطة به الى جماع حدوده حتى لا يسقط منه شيء ولا يقتصر فيه غاية اشعارا باشتمال الكتاب على امر محمد صلى الله عليه وسلم ولما وصف المؤمنين به ولم يبين ما انتجه الكافرين فقال ومن يكفر به اي بالكتاب ثم حصر الخسر فيهم بقوله فاولئك اي البعداء البغضاء هم خاصة الخاسرون فانهم ان المؤمنين به هم الرابحون ومن الوصف بالخسارة يعلم انهم كانوا على حق وشيء يمكن الربح فيه بتكميل الايمان بكتابهم بالايمان بالكتاب الخاتم فضيعوه فخسروا فانه لا يخسر الا من اصل مال متهيئ للنماء والربح والله اعلم ولما طال المدى في استقصاء تذكيرهم بالنعم ثم في بيان عوارهم وهتك استارهم وختم بذلك بالترهيب جنسا ذمهم لتضييعهم اديانهم باعمالهم وتحولهم وانتهائهم عاد ما صدر به قصتهم من التذكير بالنعم والتحذير من حلول النقم يوم يجمع الامم ويدوم فيه الندم لمن زلت به القدم ليعلم ان ذلك فذلكة القصة والمقصود بالذات في الحث على اتمام الفرصة في البعض عن حرمة النقص الى لذة الربح بدوام الشكر قال الحرالي فلبعده بالتقدم كرره تعالى اظهارا لعقد البناء اخر الخطاب باوله وليتخذ هذا الافصاح والتعليم اصلا لما يمكن ان يرد من نحوه في ساير القرآن حتى كان الخطاب اذا انتهى الى غاية خاتمة يجب ان يلحظ القلب بداية تلك الغاية فيتلوها ليكون في تلاوته جامعا لطرفي البناء وفي تفهمه جامعا لمعاني طرفي المعنى انتهى فقال تعالى يا بني اسرائيل اي ولد الانبياء الاصفياء وولد الانبياء السعداء اذكروا نعمتي اي الشريفة بالنسبة الى التي انعمت عليكم بها في الدنيا واني فضلتكم واقتصر هنا على نعمة التفضيل ولم يذكر الوفا الذي هو فضيلة النفس الباطنة اشارة الى جمودهم بانتصارهم على التطلع الظاهر على العالمين في تلك الازمان كلها باتمام نعمة الدنيا بشرع الدين المقتضي النعمة في الاخرى فانكم اذا ذكرتم النعمة شكرتموها فقيدتموها واستوجبتم من الله الزيادة في الدنيا والرضى في العقبى واتقوا يوما لا تجزي اي تقضي فيه نفس عن نفس شيئا اي من الجزاء ولما ختمت الآية الماضية بحصر الخسارة فيهم ناسب تقديم نفي القبول فقال ولا يقبل منها عدل يعدل في فكاكها من غير الاعمال الصالحة ولا تنفعها شفاعة غير ما دونت فيها ولا هم ينصرون وان كثرت جموعهم قال الحرالي اجراها تعالى في هذا التكرار على حدها في الاول لما خالف بين الايرادين في قوله واتقوا يوما الى اخره ليجمع النبأ في كل واحد من الشفاعة والعدل بين مجموع الوردين من الاخذ والقبول فتكون شفاعتها لا مقبولة ولا نافعة ويكون عدلها لا ماخوذا ولا مقبولا وذلك لان المعروض المقبول اولى ما يوخذ احد بحسبه من احد سمع او عين ثم ينظر اليه نظر تحقيق في المسموع وتبصر في المنظور فاذا صح التحقيق والتبصير قبل واذا لم يصح رد وانما يكون ذلك حالة حظ صحة ظاهر لا تثبت مع الخبرة فانبا تعالى بمقتضى الايتين الفاتحة والخاتمة ان هؤلاء ليس في حالهم حظ صحة البتة لا في شفاعة ولا في عدل فلا يقبل ولا يوخذ انبا بعرائهم عن البتة ظاهر صحة تقتضي اخذه بوجه ما فقبيه ثم بترتيبه بين حالهم حال ما بني عنهم على ما تقدم معناه في مفهوم الآية وبهذه الغاية انصرف الخطاب عنهم على خصوص ما اوتوا من الكتاب الذي كان يوجب لهم ان يتدينوا بقبول ما جاء محمد فلما منعهم فاتخذوهم باهوائهم ملة اتفقتها اهواؤهم وعظم تعالى بذلك ذكر صاحب الملة التي يرضاها وافتتح بابتداء امره في ابتلائه ليجمع عليهم الحجاج السابقة بحسب الملة الحنيفية الابراهيمية واللاحقة بحسب الدين المحمدي كان صلى الله عليه وسلم يقول في الصباح اصبحت على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة ابينا ابراهيم صلى الله عليه وسلم فخص المحمدية بالدين والابراهيمية بالملة ليتنظم ابتدا الامر بعودة الابراهيمية لطوايف اهل الكتاب سابقهم ولاحقهم بنبا ابتداء الابوة الادمية في متقدم قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة الايات ليتنظم رؤوس الخطاب بعضها ببعض وتفاصيلها بتفاصيلها وليكون اظهار ذلك في سورة سنام القرآن اصلا لما في سائره من ذلك وذكر قبل ذلك ان الملة ما يدعو اليه هدى العقل المبلغ عن الله لوحدته من ذوات الحنيفيين وان الدين الاسلام والاسلام التام ما باليد ظاهرا وباطنا وذلك انما يكون عن بادي غيب التوحيد انتهى ولما عاب سبحانه اهل الضلال وكان جلهم من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام وجميع طوائف الامم تعظمه ومنهم العرب وتنبيه الذي ناه اكبر مفاخرهم واعظم مآثرهم ذكر الجميع ما انعم به عليهم تذكيرا يؤدي الى ثبوت هذا الدين باطلاع هذا النبي الامي الذي لم يخالط عالما قط على ما لا يعلمه الا حذاق العلماء ذكر البيت الذي بناه فجعله الله عماد صلاحهم وامر بان يتخذ بعض ما هناك مصلى تعظيما لامره وتحببا لمعلي قدره وفي التذكير بوفائه بعد ذكر الدين وقرائه التلاوة وبعد دعوة بني اسرائيل عامة الى الوفا بالشكر حث على الاقتداء به

وكذا

وكذا اي ذكر الاسلام والتوحيد هو تلبيس من يسطيه الى اتباعه في ذلك وقال الحرالي لما وصل الحق تعالى بالدعوة العامة الاولى في قوله تعالى يا ايها الناس ذكر المراد بهم واستفتاح استخلافه ليقع بذلك جمع الناس كانه في طرفين في اجتماعهم في اب واحد ولدين واحد نظم تعالى بذلك وصل خطاب اهل الكتب بذكر ابراهيم ليقع بذلك اجتماعهم ايضا في اب واحد وملة واحدة اختصاصا بنعمة الامامة الابراهيمية من عموم نعمة الخلافة الادمية تنزيلا للكتاب وترقيا للخلق الى علو اختصاص الحق فلما ذكر تعالى في الابتدا انه ذكر ادم معطوفا على امور تجاوزها الافصاح في امر ادم عطف ايضا النبا بذكر ابتدا امر ابراهيم على امور تجاوزها حيث ان الخلق والامر معدوم من حد لم يزل ولا يزال يتكامل الى غاية ليس وراءها مرمى فقال تعالى واذ ابتلى ابراهيم والمعنى انه عامله بالامر بامور شاقة معاملة المختبر للممتحن وقال ربه اي المحسن اشعارا بان تكليف العباد هو غاية الاحسان اليهم وفي اسناد فعله بقوله بكلمات فاتمهن بيان لان اسنى احوال العباد الاذعان والتسليم لمن قامت الادلة على صدقه والمبادرة لامره دون اعتراض ولا توقف ولا بحث عن علة وفي ذلك اشارة الى تبكيت المدعين لاتباعه من بني اسرائيل حيث اعترضوا في ذبح البقرة وارتكبوا التعنت مع ما في ذبحها من وجوه الحكم بعد ان اساؤوا الادب على نبيهم في ذلك وفي غيره اي اول امرهم واثنائه واخره فاورثهم ذلك نكالا وبعدا فظهر ان الصراط المستقيم حال ابراهيم ومن ذكر معه من الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وانهم المنعم عليهم والظاهر عطف اذ على نعمتي في قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي واذكروا اذ ابتلى ابراهيم فاتم ما ابتلاه به فما لكم انتم لا تقتدون به فتفعلوا عند الابتلاء فعله في ايفاء العهد والثبات على الوعد لاجازيكم على ذلك جزائي للمحسنين والايتمام الموتي به لما له صورة تلتئم من اجزاء وآحاد قاله الحرالي كانه قيل فما جوزي على شكره بالاتمام فقيل قال له ربه ويجوز ان يكون قال بيانا للابتلاء اني جاعلك للناس اي كافة اماما كما كانت خلافة ابيه ادم لبنيه كافة والامام ما يتبع هدايته الى سداد قاله الحرالي واستانف قوله قال ابراهيم ومن اي واجعل من ذريتي ائمة قال لا ينال اي قد اجبتك وعاهدتك بان احسن الى ذريتك لكن لا ينال عهدي اي الذي عهدته اليك بالامامة الظالمين منهم لانهم نقضوا ففسخ عنك في ابوة الدين وفي ذلك اتم ترغيب في التخلق بوفائه لاسيما للذين دعوا قبلها الى الوفا بالعهد واشارة الى انهم ان شكروا اتى بنعمتهم كما اديم نعمته وان ظلموا لم تنلهم دعوته فضربت عليهم الذلة وما معها ولا يجزي احد عنهم شيئا ولا هم ينصرون والذرية لما يجمع بمعنى الذر والذرا والذري تختلف ذرية على وجوه اشتقاقه فيكون فعلولة كانه ذرورة ثم خفف بقلب الراء ياء استثقالا للتضعيف ثم كسر ما قبل الياء من تخفيفها لهما لانه اجتمع بعد القلب واو وياء سبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء او يكون فعيلة من الذر منسوبا من الذرة مخففة فعولة قلب الهمزة ياء ثم الواو بالاجتماع معهما سابقة احديهما بالسكون ثم ادغام او فعيلة ان يكون في الكلام لما فيه من ثقل اجتماع الضم والكسر قاله الحرالي وفيه تصرف ولما كان من امامته اتباع الناس له في حج البيت الذي شرفه الله ببنائه قال اثر ذلك داعيا على اهل الكتاب مخالفته وترك دينه وموطيا لامر القبلة واذ جعلنا البيت اي الذي بناه ابراهيم بام القرى مثابة للناس اي مرجعا يرجعون اليه بكليتهم كلما تفرقوا عنه اشتاقوا اليه او غيرهم ابر على رجوعهم من الدنيا الى ربهم قال الحرالي وهو مفعلة من الثوب وهو الرجوع ترامياً اليه بالكلية وفي صيغة المفعلة دوام المعاودة مثابره وامنا لكونه بيت الملك من حرب العدو ومن عذاب الاخرة الا في حق من استثناه الله من الكافرين تعلقا بالشرك وقوة بالالحاد والامن سواء عيب لم امن تطرق اذى اليه قاله الحرالي وقد كان في الجاهلية يرى الرجل قاتل ابيه في الحرم فلا يتعرض له قال الاصفهاني وهذا شيء توارثوه من دين اسماعيل عليه السلام فبقوا عليه الى ايام النبي صلى الله عليه وسلم فاليوم من اصاب في الحرم جريرة اقيم عليه الحد بالاجماع ولما كان المقصود بر فتاب للناس اتيانا ما بابيه واستوا يدعونه فيه عطف عليه قوله واتخذوا على قراءة الامر يكون المقصود بر تثوبوا اليه ايها الناس اثيبوا ما ابيه واتخذوا من مقام ابراهيم خليلنا مصلى وهو مفعل لما يدوم فيه الصلاة ومقام ابراهيم هو الحجر الذي قام عليه حين جاء لزيارة ولده اسمعيل عليهما السلام فلم يجده فغسلت امراة اسمعيل راسه وهو معتمد برجله عليه وهو راكب فغسلت شق راسه الايمن وهو معتمد على الحجر برجله اليمنى ثم ادارت الحجر الى الجانب الايسر وغسلت شقه الايسر فغاصت رجلاه فيه وهذا الاثر قدميه مختلف اصابع هذه عند عقب هذه وهو قبل ان يبني البيت والله اعلم بمراده وعهدنا عطف على قوله جعلنا الى ابراهيم الوفي واسمعيل ابنه الصادق الوعد وفي ذكره افصاح باجابة دعوته فيه في قوله ومن ذريتي واشارة الى ان في ذريته من ختم الامر بامته ويكون استعمال بيته في اجل العبادات من شرعته واتم الاشارة بقوله ان طهرا بيتي اي عن كل رجس حسي ومعنوي فلا يفعل بحضرته شيء لا يليق في الشرع والبيت موضع المبيت المخصوص من الدار المخصوص من المنزل المختص من البلد قاله الحرالي للطائفين به الذين فعلهم فعل العارف بانه ليس وراء الله مرمى ولا مهرب منه الا اليه والعاكفين فيه والعكوف الاقبال على الشيء وملازمته والاقتصار عليه والطواف التحليق بالشيء في غيبا ولمعنى غيب قاله الحرالي والركع السجود قال الحرالي وفي ذكر الركوع تخصيص للعرب الذين انما شرع الركوع في دينهم وفي ذلك تبكيت لمن احوج المؤمنين ومنهم من البيت وفي تكرير تفصيل هذه الآيات باذ تنبيه على توبيخهم بترك دينه وهو الخليل واتباع من لا يعلم وهو العدو ولما ذكر امر البيت الشريف فيما تكفل سبحانه وفيما امر به الخليل وولده عليهما السلام من تطهيره ذكر ما تعناه به لاهله ودعائه لهم مبكتا لمن عقه من ذريته بالتصريح بكفرهم بيوم الجزاء الاعم بكل خير الزاجر عن كل ضير فقال واذ قال ابراهيم رب فاسقط اداة البعد انبا بقربه كما هو دال اهل الصفوة اجعل هذا اي الموضع الذي جعلت فيه بيتك وامرتني ان اسكنته من ذريتي ولما كان الباقي

تقبلت

للنبي من المسجد وللسعي في حرابه وكان ذلك شاملا بعمومه للبادي فلذلك قرانه مثابة للناس عامة ولما كان الانسب تنكيره البلد فقال بلدا اي انس من حل به امنا انتصابا على الثمرة واذ جعلنا البيت الاية والمعنى انكم عققتم اعظم ابائكم في دعوته كلتيهما في كونه بلدا فانه اذا انقطع الناس عن اهله خرب وفي كونه امنا وهذا بخلاف ما ياتي في سورة ابرهيم عليه السلام ولما ذكر الغنى والامن اتبعه الرزق فقال وارزق اهله وقال من الثمرات ولم يقل من الحبوب لما في تعاطيها من الذل المنافي للامن لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم راى سكة حرث فقال ما دخلت هذه بيتا الا ذل وقال من امن منهم بالله الجامع لصفات الكمال واليوم الاخر تقييدا للدعوة بالرزق بما قيدت به دعوة الامامة تادبا معه تعالى حيث قال لا ينال عهدي الظالمين قال الله تعالى معلما ان شمول الرحمانية بامر الدنيا وزهرتها لجميع عمرة الارض ومن كفر اي ابتليه ايضا ما الهمتك من الدعا بالامن والرزق وعبر عن ذلك بقوله فامتعه قليلا تحسيسا له بما افهمه لفظ المتاع بكونه كما مضى من اسما الجيفة التي انما هي اينال المضطر على شعور بر قضية على قرب من منزحى النبي عنها واكد ذلك بقوله لكن فيه ايما الى انه يكون اطيب حالا في الدنيا واوسع رزقا من المومن وكذا في قوله ثم اضطره بما لي من العظمة الباهرة الى عذاب النار بما استدرجه من النعم الحاملة له على المعاصي التي هي اسباب النقم وفي التعبير بلفظ الاضطرار الى ما لا يقدم عليه احد باختياره اشعار باختيارا واله خلقه على ما شا منهم من اظهار حكمته وان احدا لا يقدر على حركة ولا سكون الا بمشيته والاضطرار الالجا الى ما فيه ضرر بشدة وشر ولما كان التقدير فبئس المتاع ما ذكر له في الدنيا عطف عليه قوله وبئس المصير اي العذاب له في الاخرة وهو مفعل بما منه التصيير وهو التنقل في اطوار واحوال تنتهي الى غاية تجب ان يكون عنيا حالة الشي الاول بخلاف المرجع ولما ذكر بما مهده من امر البيت دينا ودنيا اتبعه بنيانه مشيرا الى ما جاهم به من النعمة وما قابلوه من كفرها باختيارهم ان يكونوا من غير الامة المسلمة التي دعا لها لما دعا للرسول فقال عاطفا على اذ ابتلى تعديدا لوجوه النعم على العرب بابيهم الاعظم استعطافا الى التوحيد واذ يرفع ابرهيم اي اذكروا الوقت الذي يباشر بالرفع القواعد من البيت قال الحرالي عدد تعالى وجوه عنايته بسابقة العرب في هذه الايات كما عدد وجوه نعمته على بني اسرايل في سابقة الخطاب فكانت هذه في امر اقامة دين الله وكانت تلك في تجاوز ... نعمه ليظهر بذلك تفاوت ما بين الاصطفا والعناية والقاعدة ما يقعد عليه الشي اي يستقر ويثبت ويجوز ان يراد اسافل البنا لان كل ساق قاعدة للذي يبنى عليه قاله الاصبهاني ولما افرد الخليل عليه السلام بهذا الرفع اظهارا لشرفه بكونه هو السبب الاعظم في ذلك عطف عليه ولده فقال واسمعيل اي يرفع القواعد ايضا وصل بهذا العمل الشريف قوله ربنا من اداة القول محذوفا منه اداة البعد اي يقولان ربنا تقبل منا اي عملنا بفضلك ولا ترده علينا اشعارا بالاعتراف بالتقصير لحقارة العبد وان اجتهد في جنب عظيم مولاه ولما تضمن سوال القبول المشعر بخوف الرد علم العابد البصير بالتقصير علله بقوله انك واكده بقوله انت السميع العليم اي فان كنت سمعت وعلمت منا حسنا فزده حسنا وان كنت سمعت وعلمت غير ذلك فهو قول ناشي عن اختلاج في النفس بما سببه كلال او اعيا فاعفه ولما سال القبول سال الزيادة عليه بقوله ربنا على ما مضى من طرز دعا المقربين باسقاط اداة البعد واجعلنا اي انا وابني هذا الذي اعانني مسلمين لك ومن ذريتنا قال الحرالي لما تحقق مرجو الايمان في ذريته في قوله من امن منهم طلب التكملة باسلام الوجه والملة له ولابنه ولمن رزق الايمان من ذريته وذرية ابنه فان الاسلام لما كان ظاهر الدين كان سريع الانثلام لاجل معنا يقع في امر الدنيا وانما يتم الاسلام بسلامة الخلق من يد العبد ولسانه والالقا بكل ما بيده لربه وذلك مما ينازع فيه وجود النفس ومنفاسة الدنيا ولذلك هو مطلب لاهل الصفوة في خاتمة العمر ليكون الخروج من الدنيا عن القا للحق وسلام للخلق كما قال يوسف عليه السلام توفني مسلما وطلب بقوله امة مسلمة لك ان يكونوا امة يوم بعضهم بعضا ولما كان المسلم مضطرا الى العلم قال وارنا مناسكنا وفي ذلك ظهور لشرف علم الحج حيث كان متلقى عن الله بلا واسطة لكونه علما على اتي يوم الدين حيث لا واسطة هناك بين الرب والعباد والمنسك مفعل من النسك وهو ما يفعل قربة وتربينا تشارك حروفه حروف السكون قال الحرالي ولما كان الانسان محل العجز فهو اضطرا الى التوفيق قال وتب علينا انبا بمطلب التوبة اثر الحسنة كما هو مطلب العارفين بالله المتصلين من الحسنات رجعا بها الى من له الخلق والامر علل طمعه في ذلك بانه عادته تعالى التطول والفضل فقال انك انت التواب اي الرجاع بعباده الى موطن النجاة من حضرته بعد ما سلط عليهم عدوهم بغوايتهم ليعرفوا فضله عليهم وعظيم قدرته ثم اتبعه وصفا هو كالتعليل له فقال الرحيم ولما طلب ما هو له في منصب النبوة من تعليم الله له المناسك بغير واسطة طلب لذريته مثل ذلك بواسطة من جرت العادة به لامثالهم فقال ربنا وابعث فيهم اي الامة المسلمة التي من ذريتي وذرية ابني اسمعيل رسولا منهم ليكون ارفق بهم واشفق عليهم ويكونوا هم احذر باتباعه والترامي في نصره وذلك الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يبعث من ذريتهما بالكتاب غيره فهو دعوة ابرهيم عليه السلام الى العرب واكرم ذريته فهي ذلك اعظم ذم لهم بعداوته مع كونه مرسلا لتطهيرهم بالكتاب الذي هو الهدى لا ريب فيه واليه الاشارة بقوله يتلوا اي يقرا متابعا مواصلا عليهم اياتك اي علاماتك الدالات عليك اعم من ان يكون نزل بها الكتاب او استنبطت منه ويعلمهم الكتاب الكامل الشامل لكل كتاب او ثبت جوامع الكلم والحكمة وهي كل ما يشرعه لهم ليحفظهم في صراطي معاشهم ومعادهم من الزيغ المودي الى الضلال الموجب للهلاك ولما كان ظاهر دعوته عليه السلام ان البعث في الامة المسلمة كانوا الى تعليم ما ذكر احوج منهم الى التزكية فان اصلها موجود بالاسلام فاخر قوله ويزكيهم اي يطهر قلوبهم بما اوتي من دقايق الحكمة فترتقي بهم صفا بما ولطفها من ذروة الدين الى محل يومن عليها فيه ان ترتد على ادبارها وتحرف كلها بما كا فعل من تقدمها والتزكية اكتساب الزكاة وهي نما النفس بما هو لها بمنزلة الغذا للجسم قاله الحرالي ولما ذكر سبحانه في سورة الجمعة بعثه في الاميين عامة اقتضى المقام تقديم التزكية التي راسها البراة من الشرك الاكبر ليقبلوا ما جاءهم من العلم واما تقديمها في ال عمران مع ذكر البعث للمومنين فلانتقا الحال بالمعاتبة على الاقبال على الغنايم الذي كان سبب

الهزيمة لكونها اقبالا على الدنيا التي هي ام الادناس ثم علل ذلك بقوله انك انت العزيز اي الذي يغلب كل شي ولا يغلبه شي لان العزة كما قال الحرالي الغلبة الابية على كلية الظاهر والباطن الحكيم اي الذي يتقن ما اراد فلا يتاتى نقضه ولا يستضعف شي من ذلك عنه وفي ذلك اظهار عظيم لشرف العلم وطهارة الاخلاق وان ذلك لا ينال الا بجاهدات لا يطيقها البشر ولا تدرك اصلا الا بمجرد تطهير العزة وترتيبا بوسيلة الحكمة هذا المطلوب لذلك فكيف بما يصلح منه للرسالة وفيه اشارة الى انه يكبت عداة الرسل وان زاد عددهم وعظم جدهم ويحكم امورهم فلا يستطيع احد تنقض شي منها ولما كان التقدير فمن يرغب في مخالفة من يرسله من هو بهذه الصفة عطف عليه قوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم المستقيم الطريقة الطاهر الخليقة الشفيق على ذريته الباني لهم اعظم المفاخر المجتهد لهم في جليل المناقب والماثر الا من سفه نفسه اي امتهنها واحتقرها واستخف بها اي فعل بها ما ادى الى ذلك وفي ذلك تعريض بمعاندي اهل الكتاب قال الحرالي والسفاهة خفة الراي في مقابلة ما يراد منه من المتانة والقوة وفي نصب النفس انبا بلحاق له السفاهة بكلية ذي النفس لان من سفهت نفسه اخص للسفه بها ومن سفه نفسه بالنصب ستغرقت السفاهة ذاته وكليته وكان بدء ذلك وعايدته من جهة نفسه ويفهم ذلك نصبها وذلك لان الله عز وجل جعل النفس مبدا كل شر ابداه في ذات ذي النفس فانه تعالى يعطي الخير بواسطة وبغير واسطة ولا يجري الشر الا بواسطة نفس ليكون في ذلك حجة الله على خلقه وانما استحق السفاه من يرغب عن ملة ابرهيم لظهورها وشاهدها في العقل وعظيم بركتها في التجربة لان من التفت عنها لم يواخذ في كل ... من ... الدنيا والاخرة فلا عذر لمن رغب عن ذلك لظهوره في شاهدي العقل والحس اللذين هما اظهر حجج الله على خلقه ونيل ... انبا ها ابرهيم على قومه انتهى ولما كان التقدير فلقد اتينا من المزايا ما قدمنا لكم بما يبعد عنه دومكة عطف عليه قوله ولقد اصطفيناه فذكره بمظهر العظمة تعظيما له فان العبد يشرف بشرف سيده وتشريفا لاصطفائه فان الصنعة تجل بجلالة صانعها في الدنيا بما ذكرنا من كريم الماثر التي جمعها اسلامه وهو افتعال من الصفوة وهو ما خلص من اللطيف عن كثيفه ومكدره وفي صيغة الافتعال من الدلالة على التعمد والقصد ما يزيد بينها ايسير اليه من الشرف وانه في الاخرة لمن الصالحين وفي هذا اكبر تفخيم لرتبة الصلاح حيث جعله من المصطفين بما فهو حقيق بالامامة لعلو رتبته عند الله في الدارين فمن ذلك اعظم ترغيب في اتباع دينه والاهتدا بهديه واشد ذم لمن خالفه وكل ذلك تبكيت لاهل الكتاب بما عندهم من العلم بامر هذا النبي الكريم وما هو سبب له واقامة للحجة عليهم لان اكثر ذلك معطوف على اذكروا في قوله يا بني اسرايل اذكروا النعمة ولما ذكر امامته ذكر ما يوتم به فيه وهو سبب اصطفائه وصلاحه وذلك دينه وما اوصى به بنيه عليه السلام بنيه وما اوصى به بنوه بنيهم سلفا لخلف ولا سيما يعقوب عليه السلام المنوه بنبوة اهل الكتاب باسمه فقال اذ اي اصطفيناه بعظمتنا لانه قال له ربه اسلم اي لاحسان ربك اليك وحذف المفعول ليفيد اول كل ما يصح اسلامه الى المسلم اليه وقصره عليه وتخلي المسلم عنه قال اسلمت لرب العالمين اي المحسن الي والى جميع الخلايق ووصى بها اي بهذه المقالة او الوصية او الخصلة التي اصطفاه الله بها ولعله لم يذكر الضمير ليلا يوهم الرجوع الى ربه وقري واوصى من الايصا والوصية وهي التقدم في الشي النافع المجدد عاقبته وقراة التشديد ابلغ لدلالتها على التكرر والتكثر ابرهيم بنيه ويعقوب وصى بها ايضا بنيه فقال كل منهم يا بني ان الله بعظمته وكماله اصطفى لكم الدين وهو الاسلام فاعناكم عن تطلبه واجالة العكر فيه رحمة منه لكم فلا اي فتسبب عن ذلك اني اقول لكم لا تموتن على حالة من الحالات الا وانتم اي والحال انكم مسلمون اي ملقون بايديكم وجميع ما ينسب اليكم لله لاحظ لكم في شي اصلا ولا التفات الى غير مولاكم فان من كل افتقاره الى الغني الحكيم اغناه بحسب ذلك وقرر سبحانه بالايات الاتية بطلان ما عليه المتعنتون من اليهودية والنصرانية وبرا خليله والانبيا من ذلك على وجه اوجب القطع بانهم عالمون ببطلانه ذكر قصة ابرهيم عليه السلام من التوراة ذكر في السفر الاول منها انه ابرهيم بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن ارعو بن فالغ بن عابر بن شالح بن ارفخشاد بن سام بن نوح لانه قال في التوراة لما اتت على سام ماية سنة ولد له ارفخشاد فاتت عليه خمس وثلثون سنة فولد له شالح وسماه في موضع اخر شالخ فاتت عليه ثلثون سنة فولد عابر فاتت اربع وثلثون سنة فولد له فالغ فاتت عليه ثلثون سنة فولد له ارعو فاتت عليه اثنتان وثلثون سنة فولد له ساروغ فاتت عليه ثلثون سنة فولد له ناحور فاتت عليه تسع وعشرون سنة فولد له تارح فاتت عليه خمس وسبعون سنة فولد له ابرم وناحور وهاران وخالفت في الانجيل بعض المخالفة فقال في انجيل لوقا ناحر بن شارخ بن ارعو بن فالغ بن عابر بن صالا بن قينان بن ارفخشاد بن سام بن نوح ونوح على ما قال في التوراة بن لمك بن متوشلخ بن حنوخ بن يارد بن مهلاليل بن قينان بن انوش بن شيث بن ادم عليهم السلام وهكذا قال في انجيل لوقا الا انه قال في لمك لامك وفي يارد يرد بن مهلا ابيل ثم قال في التوراة وولد هاران لوطا ومات هاران في حياة ابيه تارح في الارض التي ولد فيها وهي اور الكلدانيين وفي نسخة اور الكلدانيين ونقل الاصبهاني عن السدي ان اور ارض بين الكوفة والبصرة فتزوج ابرم سري وكانت عاقرا فلم يولد لها ولد فانطلق تارح بابنه ابرم وبلوط ابن ابنه هاران وبكنته سري من اور الكلدانيين ليتيما ارض كنعان فانتهوا الى حران فسكنوها فتوفي تارح بحران عن مايتين وخمس سنين وقال الرب لابرم اخرج من ارضك من حيث ولدت ومن بيت ابيك الى الارض التي اريك فاجعلك لشعب عظيم واباركك واعظم اسمك وكن مباركا وابارك مباركيك والعن لاعنيك ويتبارك بك جميع قبايل الارض ويبرك بك ... فخرج ابرم كما امره الرب وانطلق معه لوط ابن اخيه وسري زوجته وكان اذ ذاك ابن خمس وسبعين سنة ومعهم جميع مواشيهم وما اقتنوا بحران من ولدان وحشم فخرجوا يريدون ارض كنعان فاتوها فجاز ابرم حتى الى بلاد شخيم والى بلوط ممري وكان الكنعانيون بعد سكانا في الارض فاعتلن الرب لابرم وقال له لذريتك

هذه الارض وبنى ابرم هنالك مذبحا للرب اذ ظهر له واستقل من هنالك الى الجبل من المشرق الى بيت ايل فنصب خيمته في بيتايل
من غربها وعاى من شرقهما وبنى ثم للرب مذبحا ودعا باسم الرب ثم ظعن منطلقا وكان مظعنه الى مهب الجنوب وكان جوع في الارض
فهبط ابرم الى مصر ليسكنها لان الجوع اشتد في الارض فلما دنى من مصر قال لسرى امرأته انى عالم انك امرأة حسنا فان رآك المصريون يقولون
امرأته فيقتلوني ثم ذكر قصة اخذ فرعون مصر لها والعوارض التي اصابته لحالت بينه وبينها لتخلي سبيلها واحسن اليهما والى
ابراهيم الى ان قال فخرج ابرم من مصر هو وامرأته ولوط معه الى ارض التيمن وفي نسخة الى القبلة وهي جهة الجنوب فاستغنى ابرم جدا فظعن
بمظعنه من الجنوب حتى اتى بيت ايل الى الموضع الذي كان نصب فيه خيمته من قبل ولوط معه وكان له غنم وبقر وخير كثير جدا واخبيه ولم
تكن تلك الارض تسعهما كليهما لان مواشيهما كثرت جدا فذكر ان لوطا رفع بصره فنظر الى ارض الاردن فاذا هي كلها ارض سقي وشرب مثل
فردوس الله ومثل ارض مصر التي يدخل صاعار وفي نسخة زغر فاختار لوط ارض الاردن فسكن ابرم ارض كنعان وسكن لوط قرى حاجا وورث
وفي نسخة قرى المرج وخيم الى سدوم وكان اهل سدوم اشرارا خطاة جدا فقال الرب لابرم بعدما اعتزل لوط مد بصرك فانظر من المكان
الذي انت فيه الى الجربيا والتيمن وفي نسخة الى الشمال والجنوب والمشرق والمغرب لان جميع الارض التي ترى اياك اعطيها وذريتك من بعدك
الى الابد واجعل ذريتك مثل ثرى الارض فان قدرت ان تحصي تراب الارض فان ذريتك تحصى فاتى ابرم فسكن ببلوط وفي نسخة في مرج ممرى الامورى
التي بحبرون وبنى هنالك مذبحا للرب وكان على عهد امرفال ملك شنعار وفي نسخة شنوار واريوخ ملك ذي الاسار وفي نسخة الخزر وكدرلعمر
ملك عيلم وفي نسخة خوزستان وتدعيل ملك جيلان وفي نسخة الامم اجتمع هولاء في قاع السد وهو مبين وهو البحر المالح فقتلوا الجبابرة الذين
في العشرة العزى والابطال الذين بها والحوريين الذين في جبال ساعير وفي نسخة شراة الى بطمه فاران التي في البرية ورجعوا واتوا عين
دينا وفي نسخة الحكم وهي رقيم وقتلوا كل رؤسا العمالقة والاموريين سكان عين جادو خرج بارع ملك سدوم وبرشع ملك عامورا
وشناب ملك ادوما وشاميبر ملك صبوييم وملك بالاع التي هي صاغار وفي نسخة زغر ملوك قاتلوا الاربعة بقاع السد وهو مبين فهرب
ملك سدوم وملك عامورا فوقعوا هناك وهرب البقية الى الجبل واستباحوا جميع مواشي سدوم وعامورا وجميع طعامهم واستاقوا لوطا
ابن اخي ابرم وماشيته وانطلقوا فاتى من نجا منهم واخبر ابرم العبراني فعبى فتيانه ومولديه ثلثمائة وثمنية عشر رجلا وسار في طلبهم الى
دارا وفي نسخة بانياس فاحاط بهم ليلا فقاتلهم وهزمهم الى الجوف وفي نسخة الى الزم التي عن شمال دمشق وهي قرية يقال لها حلبون ورد لوطا
ابن اخيه وماشيته وجميع المواشي والنساء والشعب فخرج ملك سدوم فتلقاه ورد عليه جميع ما سلب منه ومن بعد هذا حل وحي الله
على ابرم في الرؤيا وقال له يا ابرم لا تخف واساعدك لان ثوابك قد جزل جدا فقال ابرم اللهم رب ما الذي تخولني وانا خارج من الدنيا
بلا نسل ويرثني اليعازر غلامي الدمشقي فقال له الرب لا يرثك هذا بل ابنك الذي يخرج من صلبك فهو يرثك وقال له انظر الى السما
واحص النجوم ان كنت تقدر ان تحصيها ثم قال له كذلك تكون ذريتك فامن ابرم بالله وقال له الرب انا الرب الهك الذي اخرج من اور
الكلدانيين وفي نسخة اتون الكزدانيين لاعطيك هذه الارض لترثها فلما كان غروب الشمس وقع الصمت على ابرم وغشيه خوف وظلمة
عظيمة فقال الرب لابرم اعلم علما يقينا ان نسلك سيسكنون في ارض ليست لهم فيتعبدونهم ويكيدونهم اربعمائة سنة والشعب
الذين يتعبدونهم فاني ادينهم ويخرجون من هناك بعد ذلك بمال عظيم وانت تنتقل الى ابائك بسلام وتدفن بشيخوخة خير وصلاح والحقب
الرابع يرجعون الى هاهنا لان اثم الاموريين لم يكمل بعد فلما غربت الشمس صار دجى وحندس واذا تنور يدخن ومصباح نار يلتهب ويتردد
بين تلك الانصبة وفي ذلك اليوم عاهد الرب ابرم عهدا وقال اني معط ذريتك هذه الارض من نهر مصر والى الفرات النهر الاعظم وان سرى امرأة
ابرم لم تكن تلد وكانت لها امة مصرية اسمها هاجر فقالت سرى لابرم وهما بارض كنعان ان الرب قد حرمني الولد فادخل على امتي وابن لها لعلي
ان يولد منها فسمع ابرم قول سرى واعطاها اياها وذلك بعدما سكن ارض كنعان عشر سنين فحبلت فقالت سرى لابرم انت صاحب ظلامتي
انا وضعتها في حضنك فلما حبلت هنت عليها يحكم الرب بيني وبينك فقال هذه امتك مسلمة اليك اصنعي لها ما احببت فاهانتها
سرى سيدتها فهربت منها فلقيها ملاك الرب على عين ما في البرية في طريق سور وفي نسخة في طريق حدد وفي نسخة على العين التي بطريق الجفار
فقال لها يا هاجر امة سرى ارجعي الى سيدتك واستكدي تحت يديها ثم قال لها ملاك الله لاكثرن نسلك حتى لا يحصى ثم قال لها ها انت
حامل وفي نسخة انك حبلى وستلدين ابنا وتدعين اسمه اسمعيل لان الرب قد عرف لك خضوعك ويكون ابنك هذا رجلا بادي البرية
ويده في جميع الناس وفي نسخة وحشي الناس يده على كل ويد كل فيه ويحل على جميع حدود اخوته فدعت اسم الرب الذي كلمها فقالت انت الله
ذو الوحي والرؤيا وذلك لانها قالت اني قد رايت رؤيا ولذلك دعت تلك الطوى بير الحي مي بير رقيم وحدد وفي نسخة في ما بين قادس وبادرا
ثم ولدت هاجر لابرم ابنا فدعا ابرم اسمه اسمعيل وكان ابرم ابن ست وثمانين سنة اذ ولدت هاجر له اسمعيل فلما اتى على ابرم تسع
وتسعون سنة اعتلن له الرب وقال له انا الله اله المواعيد ارضني تكن غير معيب واثبت عهدي بيني وبينك وفي رواية تاحسن امامي ولا
تكن ملوما فاني جاعل بيني وبينك ميثاقا واكثرك جدا جدا فخر ابرهيم على وجهه فكلمه الله وقال له انا اثبت لك عهدي وفي نسخة فاوحى الله
اليه قائلا له اني قد جعلت ميثاقي معك وتكون ابا لشعوب كثيرة ولا يدعى اسمك بعد ابرم بل يكون اسمك ابرهيم لاني جعلتك ابا لشعوب
كثيرة وانميك واثريك جدا جدا واجعلك للشعوب رؤسا والملوك من صلبك يخرجون واثبت العهد وفي نسخة واني مثبت بيني وبينك
وبين نسلك من بعدك عهدا دايما واكون لك الها ولزرعك من بعدك واعطيك وذريتك من بعدك ارض سكناك وجميع ارض كنعان
ميراثا الى الابد واكون لهم الها وقال الله لابرهيم احفظ عهدي انت وذريتك من بعدك لاحقابهم هذا عهدي الذي امركم به تحفظوه يكون

ببني

بيني وبينك وبين نسلك من بعدك ان تختنوا كل ذكر وتختنوا لحم غرلكم ويكون علامة العهد بيني وبينكم وليختن كل ذكر منكم ابن ثمانية ايام
لاحقابكم ولدا البيت والمبتاع بالمال وكل من كان من ابنا الغربا الذين ليسوا من ذريتك فليختتن اختتان المولود في بيتك والمبتاع بالمال
ويكون عهدي مبيسما في اجسامكم عهدا دايما الى الابد وكل ذكر ذي غرلة لا يختن غرلته في اليوم الثامن فلتهلك تلك النفس من شعبها لانها
ابطلت عهدي وقال الله لابرهيم سرى صاحبتك لا تدع اسمها سرى لان اسمها سارة وابارك فيها واعطيك منها ابنا وابارك
ويكون رئيسا لشعوب كثيرة والشعوب وملوك من نسله يخرجون فخر ابرهيم على وجهه ضاحكا وقال في قلبه وفي رواية متعجبا يقول في
نفسه وهل يولد لابن مائة سنة ولد وسارة تلد وقد اتى عليها تسعون سنة وقال ابرهيم لله يا ليت اسمعيل يحيى بين يديك
وقال الله لابرهيم حقا وفي نسخة ان سارة صاحبتك ستلد ابنا وتسميه اسحق واثبت العهد بيني وبينه الى الابد ولذريته من
بعده وقد استجبت لك في اسمعيل فباركته وكثرته وانميته جدا جدا ويولد له اثنا عشر عظيما واجعله ابا لشعب عظيم
واثبت عهدي لاسحق الذي تلد لك سارة في هذا الحين من قابل فلما فرغ من كلامه ارتفع استعلان الرب عن ابرهيم فانطلق به
ابرهيم باسمعيل ابنه وجميع اولاد بيته والمبتاعين بماله كل ذكر من بيت ابرهيم فختن غرلهم في ذلك اليوم كما امره الله وكان قد اتى على ابرهيم تسع
وتسعون سنة اذ ختن غرلته وكان قد اتى لاسمعيل ابنه اذا ختن ثلث عشرة سنة وختن ايضا معه ابنا الغربا المشاهير ثم ذكر البشارة
باسحق كما سياتي في سورة هود ان شا الله تعالى الى ان قال وذكر الرب سارة كما قال وصنع الله تبارك وتعالى لسارة كما وعد فحبلت وولدت
لابرهيم ابنا على كبره في الوقت الذي وعد الله فسمى ابرهيم ابنه من سارة اسحق فختن ابرهيم اسحق ابنه في اليوم الثامن كما امره الرب وكان ابرهيم ابن مائة
سنة فقالت سارة لقد انعم الله علي وفرحني فرحا عظيما فمن سمع فليفرح لي وكانت من كان يقول لابرهيم ان سارة ترضع غلاما وتلد ابنا بعد الكبر
فشب الغلام وفطم وصنع ابرهيم يوم فطامه مادبة عظيمة ثم اعاد ذكر امر سارة باخراج هاجر وابعادها وان هذا شق على ابرهيم جدا وقال فقال
الله لابرهيم لا يشق عليك حال الصبي وامتك فغدا ابرهيم باكرا فاخذ خبزا واداوة من ما فاعطاها هاجر وحملها والصبي والطعام فانطلقت
وتاهت في برية بير سبع وفي نسخة بير الحلف لان ابرهيم حالف صاحب تلك الارض عندها ونفد الما من الاداوة فالقت الصبي تحت شجرة من الشجر
وانطلقت وجلست قبالته وتنحت عنه كرمية بسهم كيلا تعاين موته فلما صرخ الغلام وبكا سمع الرب صوته فدعا ملاك الرب هاجر من
السما وقال لها ما لك يا هاجر لا تخافي لان الرب قد سمع صوت الصبي حيث هو قومي فاحملي الصبي وشدي به يدك لاني اجعله رئيسا لشعب عظيم
فجلى الله عن بصرها فرات بيرما فانطلقت فملات الاداوة وسقت الغلام وكان الله مع الغلام فشب وسكن برية فاران وكان يتعلم الرمي في
تلك البرية وزوجته امه امرأة انتهى وفيه ان هذا الكلام في اخراج هاجر وولدها ظاهره مناقض لما تقدم في ختان اسمعيل عليه السلام فان
فيه انه كان ابن ثلث عشرة سنة وهذا ظاهره انه كان رضيعا وفي الحديث الصحيح انه وضعه عند البيت وهو يرضع ويمكن حمل هذا على
هذا الكلام الاخير واما الاول فلم يقل فيه انه كان عند الختان ببيت المقدس فيمكن ان ابرهيم عليه السلام طوى له الله الارض بالبراق او غيره
فذهب الى مكة المشرفة فختنه ثم رجع وفيه بشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم اصرح مما ذكروه وهي قوله ويبارك بك جميع قبايل الارض
لان ذلك لم يحصل باحد من اولاد ابرهيم عليه السلام الا بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد اثبت البركة به صلى الله عليه وسلم والخير في غالب قبايل
الارض ويكون الباقي بعد نزول عيسى عليه السلام والدولة ويده في جميع الناس الى اخره لان اسمعيل عليه السلام لم ينقل احد ان يده كانت
على جميع الناس ولا حل على جميع حدود اخوته ولا اتصف من اولاده بهذا الوصف الا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رايت في شرح المقاصد للشيخ
سعد الدين التفتازاني في صحة الصحابة ... مام السمرقندي التنبيه على هذا النص ولما قرر سبحانه لبني اسرايل ان اباهم يعقوب ممن اوصى بهذا
الاسلام قال مبكتا لهم ام بمعنى بل قطعا من ذكر حرف العطف ان المعطوف عليه محذوف كما قالوه في احد التقادير في هذه الاية وفي امن هو
قانت انا الليل في سورة الزمر وكما ياتي في سورة الجاثية فكان التقدير هنا التوبيخ وتقريعهم باي شي اختاروه لزمهم به ما يكرهون
اكنتم غايبين عن هذه الوصية من ابرهيم ويعقوب عليهما السلام ام حاضرين وكنتم غايبين في امر يعقوب عليه السلام خاصة ام
كنتم شهدا الاية اي اكنتم غايبين عن علم ذلك ام لا حين حكمتم بتخصيص انفسكم بالجنة ليمنعكم ذلك عن مثل هذا الحكم وعلى كل تقدير لا يغركم
جهلكم لان عندكم في كتاب الله المنزل على نبيكم من الامر مثله عن الله ما ينبيكم عنه وهو مانع لكم ايضا من هذا الحكم على وجه قطعي وفي ذلك اشارة
الى عدم وجوب التقليد بالاباء وارشاد الى توسيع الفكر الى النعم الاول وهو رب الابا للتقيد باوامره والوقوف عند زواجره سوا كان ذلك
موافقا لشرع الابا او مخالفا ولما كان هذا لازما لمضمون قوله تعالى تلك امة قد خلت الاية اتبعه بها اي لما لكم وللسوال عنها في ادعايهم
انهم كانوا هودا او نصارى كما سياتي النص بالتوبيخ على ذلك واتباعه مثل هذه الاية لانه اما ان يكون السوال عن النسب او عن العمل ولا
ينفعكم شي منهما لانه ليس للانسان الا ما سعى فليس السوال عنهم حينيذ لمن عدم علم ما ياتي وما يذر الا فضولا وفيه تنبيه على انهم قطعوا
انفسهم عنهم لانهم لما لم يتبعوهم في الاسلام فصلوا ما بينهم وبينهم من الوصلة بالنسب وحصلت براءتهم منهم لان نسب الدين اعظم من نسب
الما والطين ويقال وهو احسن لما ادعى اهل الكتاب ان الجنة خاصة بهم ورد ذلك سبحانه عليهم بانها لمن اسلم محسنا وذكرهم باحوال
الخليل عليه السلام حتى ختم بانه من رؤوس المتصفين بهذا الوصف وانه اوصى بنيه به فكان كانه قيل انكارا عليهم في دعواهم الاختصاص
بالجنة وتقريرا لهم اكنتم شهدا لذلك منه حتى تكونوا ممن ايتمر بامره في وصيته فتكونوا اهلا للجنة ام كنتم شهدا يا بني يعقوب
اذ حضر يعقوب صاحب نسبكم الاشهر الموت وهو على ما اوصى به ابرهيم بنيه اذ قال اي يعقوب لبنيه ولما كان مراده صلى الله عليه
وسلم التعميم في كل شي لينفع التخصيص من نفعه فلا يحتاج الى سوال خرج عن صيغة خرعبر بما العامة للعاقل وغيرهم فقال ما تعبدون

ولو عبر بمن لم يخرج ابهم هذا التصريح بنفي عبادة شي مما لا يعقل وقيده بقوله من بعدي لان الخليفة كثيرا ما يخلف الغايب بسوء وان كان
مصلحا في حضوره وادخل الجار لان اعمارهم لا تستغرق الزمان قالوا نعبد الهك الذي خلقك واله اباءك الذي خلقهم وبقي بعدهم ويبقى
بعد كل شي ولا يبدله كما كان قبل كل شي ولا قبل له ثم بينوا الاباء بقولهم ابرهيم اي جدك واسمعيل لانه عم والعم مثل الاب فهو اب مجازا واسحق
ولما تقدم ذكر الاله في اضافتين بينوا ان المراد بهما واحد فحكى سبحانه ذلك عنهم تحقيقا للبراءة من الشرك وتسجيلا على اهل الكتاب بختم بطلان
قولهم فقال الها واحدا ثم اخبروا بعد توحيدهم الذي تقدم انه معنى الاحسان في قوله وهو محسن باخلاصهم في عبادتهم بقولهم ونحن له
اي وحده لا لاب ولا غيره مسلمون اي لا اختيار لنا معه بل نحن له كالجمل الانف حيثما قادنا انقدنا اي ام كنتم شهداء له في هذه الوصية لتشهد
لكم بما شهدنا لبنيه الموجودين اذ ذاك من الاسلام فتكونوا من اهل الجنة ولما كان في ذلك اعظم تسجيل عليهم بانهم نابذوا وصية الاصفيا
من سلافهم وتزوا من دينهم وتعبدوا اغلافهم وكان من المعلوم قطعا ان الجواب انهم ما شهدوا ذلك ولا هم مسلمون عبر عنه بقوله تلك امة
قد خلت اي فتلكم بدهور لم تشهدوها ونبه على انهم عملوا بغير اعمالهم بقوله لها اي للامة ما كسبت اي من دين الاسلام خاص بها لا شركة لكم
فيه ولكم ما كسبتم اي مما انتم عليه من الهوى خاص بكم لا يسلون عنهم عن اعمالكم ولا تسئلون اي انتم عما كانوا يعملون ولما اخبر تعالى انهم تركوا
السنة في لقد ب نفسهم بالاقتدا في الاهتدا بالاصفيا من اسلافهم وبين بطلان ما هم عليه الان من كل وجه واوضح انه محض الضلال
بين انه عاقبهم على ذلك بان صيرهم دعاة الى الكفر لان سنته الماضية سبقت ولن تجد لسنة الله تحويلا ان من امات سنة
احيى على يده بدعة عقوبة له قال الحرالي لما تناسبا في الاديان تناولى لمقابلات في الاجسام فقال تعالى تعجيبا منهم عاطفا على قوله وقالوا
لن يدخل وقالوا اي الفريقان من اهل الكتاب لاتباع الهدى كونوا هودا او نصارى تهتدوا اي لم يكفهم ارتكابهم للباطل وسلوكهم طرق الضلال حتى
دعوا الى ما هم عليه ووعدوا بالهداية الصاير اليه فامره تعالى بان يجيبهم بانه مستن لسنة ابراهيم لا يحول عنها كما حالوا فقال موجها الخطاب الى
اشرف خلقه لعلو مقام ما يخبر به وصعوبة التقيد به على النفس قل بل مضربا عن مقالهم اي لا يكون شيئا مما ذكرتم بل نكون او نلازم انا ومن تبعني
من كل اهل الاسلام ملة ابرهيم ملابسة تصيرنا اياها كانا نحسد نا منها وهو كناية عن عدم الانفكاك عنها فهو ابلغ مما لو قيل بل اهل ملة
ابرهيم قال الحرالي فيه كمال تمسك محمد صلى الله عليه وسلم في ملته بملة ابرهيم عليه السلام الذي هو اول لمناسبة ما بين الاول والاخر وقد ذكر ان الملة
ما اظهره نور العقل من الهدى في ظلم ما التزمه الناس من عوايد امر الدنيا فكان اتم ما ابداه نور العقل ملة ابرهيم حنيفا اي لينا متبعا سهلا قابلا
للاستقامة ما يلايم داعي الحق منقادا له مسلما امره اليه لا يتوجه امره اليه شي من الغشاوة والكثافة والغلظة والجمود التي يلزم منها العصيان
والسماجة والطغيان وذلك لان مادة حنف بكل ترتيب تدور على الخفة واللطافة ويشبه ان تكون الحقيقة الاولى منها النحافة ويلزم هذا
المعنى الانتشار والضمور والميل فيلزمه سهولة الانقياد والاستقامة ويكشفه اية ال عمران ولكن كان حنيفا مسلما فذلك جاد عن بنيات طرق
الخلق في اغرائهم عن جادة طريق الاسلام وقال الحرالي الحنيف المايل عن منحرف ما عليه الناس عادة الى ما يقتضيه الفطرة حتى تلبا الى صدق حسن
الباطن ولما اثبت له الاسلام بالحنيفية نفى عنه غيره بقوله وما كان من المشركين قال الحرالي فيه انبا بشرك كتابي من امر الشرك في بعض الامور
والاعمال والاحوال وفي افهامه ان من امر محمد صلى الله عليه وسلم في الكمال الخاتم كان محمد صلى الله عليه وسلم منتفي الابتداء والخاتم قال تعالى
لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان صلاتي الى قوله وانا اول المسلمين تنفذه اوليه رتبة الكمال التي هي خاصة به ومن سواه فهو منه فيها لان نفي التي يفهم البراة
والتحاق بالمتاصل في مقابله فمن لم يكن مثلا من الكافرين فهو من المومنين ولو كان هو المومن لذكر بالصفة المقابلة لما نفي عنه لما في ذلك من معنى
اثبات الوصف ونفي مقابله ومثل هذا اكثر الدور في خطاب القران وبين من له الوصف ومن هو منه تفاوت ما بين السابق واللاحق في جميع ما يرد من نحو
وبين ومثل هذا التفاوت ظاهر للفهم خفي عن شاهد العلم لان العلم من العقل بمنزلة النفس والفهم من العقل بمنزلة الروح الى علي الوجود انتهى ولما قبل
ذلك توجهت النفس الى ما به يوصل الى ملة ابرهيم نصرفها الخطاب الذي كان عند الحجاج للاكل على وجه يشمل من قاربه الى من دونه بما يشمله لان
المراد العموم في سورة الكتاب الذي هم بالامر بالايمان به احق وساقه تعالى في جواب من كانهم قالوا اما نقول حين نكون ابا فقال قولوا اي يا ايها الذين
امنوا امنا بالله الذي له جميع صفات الكمال ولما كان المامور المومنين وكانت تعدية الانزال بالى تقتضي الانتها وكان ذلك تقتضي واسطة قبل
الانتها وكان الانتها الى الاتباع انما هو بالقصد الثاني كان الانسب في هذه الاية لتوجيه الامر اليهم التعبير بالى بخلاف اية ال عمران كما سياتي ان شا الله
تعالى فقال وما انزل الينا اي من الكتاب الذي تقدم انه الهدى على اي وجه كان من الاحكام والنسخ والنسخ وغير ذلك وقيل وما انزل الى ابرهيم
ليكون لهم جميعا احيا واسمعيل واسحق ابنيه قال الحرالي فلحق العرب الاميين المحسودين على ما اتاهم الله من فضله بسبق ما جرى من لفظ بني
اسرايل في عهده لهم فكان فيه وصل العرب الذين هم ابنا اسمعيل بابرهيم وبنيه وقطع بني اسرايل عنهم وفيه اظهار لمزية فضل الله على العرب
حين لقنهم ما لا يستنطقهم فيقصروا في مقالهم فاغناهم بما لقنهم تتلوه عما كانوا يقولونه لو وكلوا الى انفسهم فسبكهم ربهم والزمهم ما يصلح من القول
لهم وكال ويعقوب والاسباط تكملا لما تقدم في العهد السابق انتهى وما اوتي موسى وعيسى اي من ربهم من المنزل من التوراة والانجيل وغير المنزل
وغير الاسلوب تفضيلا لما لهما من الكتابين والمعجزات وغير ذلك من المكنة ثم اسند الايتا الى الجميع لكون اهل الكتب العظيمة فيهم على سبيل التغليب
فقال موكدا الكلام لانه على لسان الاتباع وهم بالتاكيد احق وما اوتي النبيون اي قاطبة من تقدم وغيرهم من المنزل من كتاب وغيره من ربهم
المحسن اليهم بذلك لا نفرق بين احد منهم في امر الايمان باصطفايهم مع توجيه الاوامر اليهم بذلك ونحن له اي لربهم المحسن الينا باحسانه اليهم
وحده مسلمون اي منقادون في الظاهر بعد انقياد الباطن للامر لنا معه اصلا قال الحرالي فاجرى على السنة الذين امنوا من هذه الامة تلقينا
لهم ما اجراه على السنة الاسباط تولا منهم فكانت العرب احق بهم من ابنا اسرايل بما استووا في الدين وان فترقوا في النسب الاسرايلية انتهى

والاسباط

والاسباط جمع سبط قال في القاموس السبط بالكسر ولد الولد والقبيلة من اليهود وجمعه اسباط وقال البيضاوي والاسباط جمع سبط
وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب وابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق وقال الاصبهاني قيل اصل السبط في اللغة شجرة ملتفة
كثيرة الاغصان من شجرة واحدة وقال والاسباط بنو اولاد يعقوب واحدهم سبط وهم اثنا عشر سبطا وسبط الرجل حافده ومنه قيل للحسن
والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط من بني اسرايل كالقبايل من العرب من بني اسمعيل والشعوب من العجم وقال في الاسبا
انبيا فلذلك قال وما انزل اليهم وقيل هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم انبيا انتهى قلت وهذا هو الذي يظهر اذا تاملت هذه الاية مع
التي بعدها واية النسا فان الاسباط اعني القبايل كان منهم الضلال وقد انكر الله على من قال انهم كانوا هودا او نصارى واخبر في اية النسا
انه اوحى اليهم وقد عد الاسباط اعني اولاد يعقوب جماعة فاختلفت عباراتهم عنهم والذي حررته انا من التوراة من عدة نسخ اصح عدتهم في اخر
السفر الاول منها ثم قال في اول السفر الثاني وهذه اسما بني اسرايل الذين دخلوا مصر مع يعقوب ابيهم دخل كل امرء منهم واهل بيته
روبيل وشمعون ولاوي ويهودا واسياخار وزبلون وبنيامين ودان ونفتالي وجاد واشير ويوسف كان بمصر انتهى قلت وبنيامين شقيق
يوسف عليهما السلام وربما قيل فيه بنيمين وفي روبيل روبال وفي شمعون شمعان وفي ايساخار يساخر وفي زبلون زبلون والله ولما قدم
تعالى ما امرهم به وكان عين الهدى تسبب عنه قوله معبرا باداة الشك اشارة الى ان ايمانهم لما لهم من الكثافة والغلظة والجلافة في
غاية البعد فان امنوا اي اهل الكتاب الذين ارادوا ان يستتبعوكم بمثل اي بنفس وحقيقة ما امنتم به كما ياتي بيانه في ليس كمثله
شي من الشورى فكانوا اتباعا لكم فقد اهتدوا عكس ما قالوا كونوا مثلنا تهتدوا وعبر بفعل المطاوعة لكون الايمان مع ظهور دلايله
موافقا للفطرة الاولى واما الكفر فانه لما كان لاجل ظهور الايمان وانطباعه في الجنان بعيدا عن المزاج لا يكون الا بنوع من العلاج بين
الهوى والعقل وكان لا يكون الا بعد الاعراض عن الايمان وغيبته عن العيان عبر عن ارتكابه بما يشعر بذلك بصيغة التفعل فقال
وان تولوا قال الحرالي فيه اشعار بايمان مومن منهم وتولي متول منهم لان الله تعالى اذا صبغ الخطاب نبا عن تصنيف الكيان فهو تعالى لا يخرج
نباه عن غيره كما يريكون نبا لا كون له انما ذلك من ادنى اوصاف بعض الخلق فانما هم في شقاق اي يريدون ان يكونوا في شق غير شقكم لانهم
يعلمون ان الهدى ليس في شي غيره كما انقصته انتهى ولما كان اللازم لمشاقتهم على هذا الحال المكايدة والمحاربة وكان ذلك على وجه العناد
لم يجل سبحانه كفايته او لباقته الى غيره تسبب عن ذلك قوله فسيكفيكهم الله اي بوعد لا خلف فيه اصلا وان تاخر شيا من تاخر
بما له من قدرة وغيرها من صفات الكمال التي افهمها الاسم الشريف والكفاية اغنا المكفا ومن عن مقاومة عدوه بما لا يحوجه الى دفع له
قال الحرالي ولما كان المتاولي يتخصص اما ان يكيده بقوله او بفعله وكان الفعل مسبوقا بالارتمام في الضمير وكان الكافي يتخصص انما
يتوقف كفايته على العلم بما يصلحه قال وهو السميع اي لما يقولون اعداوكم العليم بما يضمرون فهو يسبب لكل قول وضمير منهم ما يرده عليهم
لحظكم منهم مقصور على اذى في القول وسو ودني الضمير وحظهم منكم قتلهم وسبيهم والاستيلا على ديارهم واموالهم وجعل الحرالي صبغة الله
اي هيبة صبغ الملك الاعلى التي هي حلية المسلم وفطرته كان الصبغة حلية المصبوغ حالا انتصابها بمعنا الكلام وعاب على النحاة كونهم لا يعرفون
الحال الا من الكلم المعروفة ولا يكادون يتفهمون الاحوال من جملة الكلام وقال الصبغة تطوير معاجل بسرعة وجبر وقال فلما كان هذا التلقين تلقينا
وحيا سريع التصيير من حال الضلال المبين الذي كانت فيه العرب في جاهليتها الى حال الهدى المبين الذي كانت فيه الانبيا في هدايتها انه
من غير ملح جعله تعالى صبغة كما يصبغ الثوب في الوقت فيستحيل من لون الى لون في مقابلة ما يصنعه اهل الكتاب باتباعهم المتبعين
لهم في اهوايهم في نحو الذي يسمونه الغطاس ومن احسن من الله اي الذي له الكمال كله صبغة لانها صبغة قلب لا تزول لثباتها بالوانها
للحفيظ العليم وتلك صبغة جسم لا تنفع وفيه ايهام بما تختص به الذين امنوا من انقلاب جوهرهم نورا كما قال عليه الصلاة والسلام
اللهم اجعلني نورا فكان ما انقلب ليه جوهر الايمة انصبغت به قلوب الامة ونحن له اي خاصة عابدون تكملة لرد الخطاب على خطاب
عهد اسرايل حيث قال ما تعبدون من بعدي لان العبادة في عهد اسرايل سابقة والاسلام ختم والاسلام في هذا التلقين بدء لتفتح
العبادة شكرا اختص برحمته من يشا وجابه بالوصف الثابت الدايم ففيه اشعار بان احدا منهم لا يرتد عن دينه سخطة له بعد ان خالطه
الايمان بشاشة قلبه وهو حظه عام من العصمة الثابت خاصها للنبي صلى الله عليه وسلم في علي امره انتهى ولما امر تعالى بقوله قل بل ملة ابرهيم
وما بعده باعلام الخصم بالمخالفة وان لا موافقة الا بترك الهوى واتباع الهدى امر بمجادلتهم بما يوهي قوالهم ويزيح شبههم فقال معرضا
بالخطاب عن الجمع موجها له الى رسوله صلى الله عليه وسلم رفعا لمقامه وتعريفا بعلي منصبه اعلاما بانه لا ينهض بذلك غيره لما لهم من
العلم مع ما عندهم من الجدل واللدد قل منكرا محاجتهم وموبخا لهم عليها اتحاجوننا ولما كان لا انسب في المقارعة اعلام الخصم بالمخالفة لانه
اقطع لطمعه وامكن لغيظه مع انه هنا ادرب الى رضي الخالق ونقدم على المجادلة ومعنى قوله في الله في اختصاصكم بالملك الذي لا يملك سواه
لان له الكمال كله المشار الى ابطاله فيما سبق بقوله قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة الاية اي اتحاجوننا في ذلك ولا وجه
لاختصاصكم به وهو اي والحال انه ربنا وربكم نحن وانتم في العبودية له سوا ولنا اعمالنا نختص بها دونكم ولكم اعمالكم تختصون بها دوننا
لا نخاف منه ان يخصكم باعمالنا ولا بشي منها لتخصصوا بما عنده ولا ان يخصنا باعمالكم ولا بشي منها لتبعد بما عنده ظلما ولا غلطا لانه
السميع العليم الغني الحميد ونحن احسن عملا منكم لانا دونكم له وحده مخلصون لا نشرك به شيا وانتم تشركون به عزيرا او المسيح والاحبار
والرهبان وانتم تعلمون ذلك في باطن الامر وان اظهرتم خلافه فلزم قطعا انا احق به منكم والاخلاص عزل النفس جملة فلا يبلغ عبد
حقيقته حتى لا يحب ان يحمد على عمل ولما كان لم يبق من سبب هنا ثم انهم يدعون ان اصلا انهم كانوا على دينهم فنكون دعواهم الاختصاص

بالجنة صحيحة ابطلها سبحانه بقوله ام اى ارجعوا عن قولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا لما ثبت من مخالفة ذلك لملة ابرهيم والدام تقولون ولا يخفى ان التقدير على قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى وخلف وحفص ورويس بالخطاب رجعتم عن قولكم ان ابرهيم خليل الله واسمعيل واسحق ابنيه ويعقوب ابن اسحق والاسباط اولاد يعقوب كانوا هودا او نصارى لتصح دعواكم ان الجنة خالصة لاهل ملتكم فكانه قيل لما يقال لهم ان قالوا ذلك فقيل قل انتم اعلم بذلك ويجوز ام الله اى الذى له الاحاطة كلها اعلم فلا يمكنهم ان يقولوا نحن وان قالوا الله فقد برا الله ابرهيم من ذلك فبطل ما دعوا ولما كان العلم عندهم عن الله بان الخليل ومن ذكر معه عليهم السلام على دين الاسلام فكانوا يكتمون ما عندهم من ذلك مع تقرير الله لهم به واستحبا دهم عنه وتكبيرهم عن كتمانه وما يفاد به بقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل الاية وكان التقدير فمن اظلم ممن ادعى انه اعلم من الله بدعواه ذلك صريحا او لزومه له باخباره بخلاف ما ثبت فى القران المعلوم صدقه باعجازه قال تعالى عطفا على هذا المقدر ومن اظلم ممن كتم شهادة اى موجودة ومودعة عنده من الله اى كتمها من الملك الاعظم اوهى عنده منه وهو يستخبره عنها مع علمه بانه فاضحه لانه العالم بالسر والجهر ولما كان التقدير فانه يجلو ما علمه من كتمانه عطف عليه ما هو اعم منه فقال وما الله المحيط بكل شى قدرة وعلما بغافل عما تعملون اشعارا بصيغة المضارع بتمادهم بعد هذا كله على سوء عملهم ويحذر من مثل ذلك ولما لم يدع لهم متمسكا من جهة ابرهيم عليه السلام اتبع ذلك الاشارة على تقدير صحة دعواهم الى ان الدين ابرهيم امره فى كل زمان لاصح ما قرره لاحد من خلقه فانه لاحجر عليه ولا اعتراض بل له ان يامرا ليوم بامر وغدا مثلا بضده وان يفعل ما يشاء من احكام وفسخ ونسخ وانشا فقال تلك امة اى ابرهيم واله قد خلت اى تقدما ثم على ما زعمتم فقد مضوا وقد مرّ زمانهم فلا ينفعكم الا ما تتخذونه فى وقتكم هذا بحكم ما ياخذ دمن المنزل المعجز لكانه اهل الارض احمرهم واسودهم ويجوز ان يقال لما كان مضمون ما سبق من اثبات الاعلمية لله وكتمانهم الشهادة بما عندهم لثبوت ما اخبر به سبحانه على لسان هذا النبى الكريم من كون اصفيائه على دينه الاسلام فهم براتهم كان المعنى اذا دعيتم لهما اى العلم حاكم عن الله بما ادعيتموه قبل ان من تدعون ذلك عليه من الانبيا قد انقضت معجزته بموته وكتابكم غير مامون عليه التحريف والتبديل لكونه غير معجز وهذا النبى الامى بالقران بين اظهركم وهو يخبركم عن الله بكذب دعواكم له ويويد قوله بالمعجزات التى منها هذا القران الذى عجزت العرب كلها عن الاتيان بسورة من مثله وانتم كذلك مع مشاركتكم لهم فى الفصاحة نظما ونثرا واختصاصكم عنهم بالعلم فلزمكم قبوله لانكم لا تستندون فى ترويج كذبكم بعد الجهد الا الى من ثبت صدقه بثبوت رسالته وتثبت رسالته بظهور معجزته فوجب عليكم قبول امره وذلك ينتج قطعا انه يجب عليكم قبول هذا الداعى بهذا القران لمثل ذلك سواء والا كان قبول بعض من ثبت له هذا الوصف دون البعض حكما واتباعا للهوى المذموم فى كل شرعة المنعى عليكم بقوله تعالى افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم الاية هذا مع ان ردتولكم هذا ابين اظهر ظاهر من حيث انه لا يعقل ان يكون السابق على نسبة للاحق ما حدث الا بعد بعد دمه طاوله وسيانى النص التصريح بابطال ذلك فى ال عمران والاشارة الى منابذته للعقل بقوله افلا تعقلون لتطابق على ابطاله صادق النقل وحاكم العقل والى هذا كله الاشارة بقوله تلك امة قد خلت اى فهلكم بدهور لا يقبل الاخبار عنهم بعدها الا بقاطع ولا سبيل لكم اليه وقد قام القاطع على مخالفتكم لهم بهذا القران المقطوع بصدقه باعجازه بما تقدم ورد بما اشار اليه قوله تعالى لها ما كسبت اى من اعمالها ولكم ما كسبتم اى من اعمالكم فلا يسألون هم عن اعمالكم ولا تسئلون اى انتم عما كانوا يعملون ولما كان ادعاوهم ان اسلافهم على دينهم ليلا تنتقض دعواهم ان الجنة خاصة بهم مع كونه نقضوا لا اسند له يثبت به شى يحاوله لعدم جواز النسخ وكان ابطال الله تعالى لقولهم دعيبهم بما احد ثوا فى دينهم وتغيرهم به ملزوما لان يكونوا اباحوا لانفسهم منه ما منعوا منه خالقهم وهو لا يسئل عما يفعل كانوا اسعر الناس تعصبا بالتصريح بعيبهم والتعجب منهم فى انكارهم لنسخ القبلة وحقيتهم بالاعتراض على ربهم فقال واصلا بما قبلهم على وجه اعم سيقول الى اخره اذا لم يكونوا يعلمون حقيقة ذلك فلم يتبعوهم فلا اقل من ان يكفوا عن عيبهم فكيف وهم عالمون بانه الحق وقال السفهاء ولم يقل سيقولون اظهارا للوصف الذى استحقهم الى هذا القول الظاهر عواره لاهل كل دين والسفيه الذى يعمل بغير دليل اما بان لا يلتفت الى دليل فلا يتوقف الى ان يلوح له بل يتبع هواه او يرى غير الدليل دليلا واكد الوصف بالطيش بقوله من الناس الماخوذ من النوس وهو التحرك دون ان يقول من اهل الكتاب او بنى اسرائيل ونحو ذلك تصريحا بذمهم وتعميما لكل من صالاهم على ذلك ما ولاهم ولم يقولوا من زيادة فى الاذى بالاحتقار عن قبلتهم قال الحرالى القبلة ما يجعل قبالة الوجه والقبل ما اقبل من الجسد فى مقابلة الدبر لما ادبر منه التى كانوا عليها اى بيت المقدس ولعله ترك الافصاح ليصلح ذلك الارادة الكعبة ايضا ليصير المعنى ان كانوا انتقلوا عن الكعبة بامر الله فهم مبطلون فى رجوعهم والامهم فى حال اتباع الهوى وفى ذلك اشارة الى انه لما انقطعت حجتهم القوا هذه الشبهة الى من اخدعوه من المنافقين ولم يبعد روا ان يواجهوا بها احدا من الثابتى الايمان كما قالوا فيما تقدم كونوا هودا او نصارى ونحوه علما منهم بان الحجاج لهم عن المومنين من له الحجة البالغة ولذا احاجوا بهم استينافا الجواب من يقول لماذا يقول لهم اذا قالوا ذلك بقوله قل خاليا عن خطاب لا كما مضى فى قوله قل اتخذتم عند الله عهدا قل هاتوا برهانكم ونحوه وساق سبحانه الاخبار عنهم بذلك على طريق هو من اعلام النبوة ودلايل الرسالة فانه اخبار عما سيلون من الاعدا فكان منهم على وفق الخبر ولم يفد دوامع شدة عداوتهم واجتهادهم فى القدح بادنى شبهة فى التكذيب على تكذيبه بالكف عن ذلك فهذا مع توطينه لذلك فيما سلف فى خمسة مواضع حرّ يفهم لكلام الله وابطاله النسخ واستدلاله على حسن فعله واخباره بظلم مانع المسجد واخباره بانه لا يختص به جهة دون اخرى وذكره بناء البيت وما امر به من تعظيمه واتخاذه مصلى مع ما فى ذلك من توطين نفوس اهل الاسلام واكرامهم بتعليم الجواب قبل الحاجة ليكون اقطع للخصم واكسر لشوكته واردا سعنه وسمتهم

سفها

سفهاء انا ظر الى قوله فيما مضى عمن نافق منهم ومن غيرهم الا انهم هم السفهاء لانهم وان كانوا اصار جين بالكفر فاسم النفاق منطبق عليهم من جهة اخرى وهو انهم اظهروا الكفر وابطنوا معرفة الايمان اظهروا التكذيب وابطنوا انهم عارفون به من صدقه وايضا فاذا كان المنافقون الذين اظهروا حسنا سفها لما ابطنوه من القبيح فالذين عمهم القبيح ظاهرا وباطنا اسفه والى قوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه لما تقرر من مخالفتهم له وان ادعوا الموافقة وقال لله اى الملك المحيط بكل شى عظمة وعلما المشرق والمغرب مخصصا لهما لكونهما مجمعى الافاق كما مضى فلا تختص بالوجهة اليه جهة دون اخرى فما امر به فهو الحق ولما قرر ان الجهات كلها بالنسبة اليه سوا لانه ملكه علم ان من توجه الى شى منها بامره اصاب رضاه وذلك هو الوصول اليه فعبر عن ذلك مستانفا بقوله معظما لاهل الاسلام ومعرفا بحنا بته بهم يهدى من يشاء اى من عباده وعظم الكعبة بقوله الى صراط مستقيم فى اى جهة كانت فمتى وصله سلكه وصل الى المقصود من غير ضلال ونكره لان المراد به جزئيات من الشريعة واما الصراط المعرف فى الفاتحة فالمراد به الشريعة كلها بما دلت عليه ال من الكمال ولما بين استقامة القبلة التى وجههم اليها عرفانها وسط لاجور فيها فاتبع ذلك قوله وكذلك اى ومثل ما جعلنا قبلتكم وسطا لانها الى البيت العتيق الذى هو وسط الارض وهو بنا ابرهيم عليه السلام الذى هو اوسط الانبياء وهو مع ذلك خيار البيوت فهو وسط بكل معنى جعلناكم بالهداية اليه فى الاستقبال والى غيره مما نامركم به امة قال الحرالى من الام وهو تتبع الجملة بعضها لبعض الى ان تنتهى لامام اول فالامام والامة كالمتقابلين الامام قاصد امها والامة قاصدة امامها الذى هو امها والامام ما بين اليدين بمشهد الحس وسبيل القصد انتهى والام القرب واليسر والبين من الامر والقصد الوسط وسطا اى شريفة خيارا لان الوسط العدل الذى نسبة الجوانب كلها اليه سوا فهو خيار الشى قال ابو تمام الطائى كانت هى الوسط المحمى فاتصلت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وسالك الوسط من الطريق محفوظ من الغلط ومتى زاغ عن الوسط حصل الجور الموقع فى الضلال عن القصد ففى هذا انهم لما ادعوا الخصوصية كذبوا واردف تجهيلهم ثم اثبت الخصوصية لهذه الامة والوسط بالتحريك اسم لمعين ما بين طرفى الشى كمركز الدايرة وبالسكون اسم مبهم لداخل الدايرة مثلا ولذا كان ظرفا فالاول يجعل مبتدا وفاعلا ومفعولا به ولا يصح شى من هذا فى الساكن قاله الاصبهانى ومادة وسط مهموزة وغير مهموزة وواويه ويائيه بتراكيبها الاحد عشر وسط وطس سوط سطو طوس طسو طيس طسى سيط سطا طسا تدور على العدل السوا الذى نسبته الى كل جانب على التساوى ويلزم ان يكون اعلى من غيره لان اكثر المخلوقات كرى وكل ما كان فى وسط الكرة كان اعلى ولان كل خير يعد الوسط اذا نسبته الى الطرف الذى يليه كان ما بينه وبينه اقل ما بينه وبين الوسط ويلزم العدل الجودة ويلزم العلو الغلبة والسطوة والكرم والشدة وقد يلزم العلو الاضطراب فيانى الاختلاط والانقطاع والصغر فمن الاصل الوسط من كل شى اعدله ووسط الشى ما بين طرفيه فاذا سكنت السين كان ظرفا او هو فيما هو مصمت فاذا كانت اجزاوه متخلصة متباينة فبالاسكان ووسط قطعه نصفين وتوسط بينهم عمل الوساطة واخذ الوسط بين الجيد والردى ووسط القوم توسطهم وهو وسط فيهم او سطهم نسبا وارفعهم محلا وهو المتوسط بين القوم والسطة الرجل ما بين قادمته واخرته والواطاس واد بدبار هوازن لما وصفنا به دربدين الصمة من انه لاحزن ضرس ولا سهل دهس اى يتقلل المشى فيه بكونه شبه الرمل وما هو برمل ولا تراب ومن الجودة وهى ملزومة للحسن الوسيط الباب والصلاة الوسطى افضل الصلاة والطاوس طاير حسن والجميل من الرجال والفضة والارض المخضرة فيها كل ضرب من النبت والمطوس كمعظم الشى الحسن والطوس بالفتح القمر وحسن الوجه ونضارته بعد علة وتطوست المراة تزينت وطواس كسحاب ليلة من ليالى المحاق كانه من باب الازالة وبالنظر الى ان النجوم فى سدف الظلام احسن ومن العلو سطا الفرس ابعد الخطو والساطى الفرس البعيد الخطوة والذى يرفع ذنبه فى حضره والطويل واسط الكور مقدمه ومن الشدة والغلبة صار الماء وسيطه غلب على الطين وسطا عليه وبه صال وقهر بالبطش والراعى على الناقة ادخل يده فى رحمها يخرج ما فيها من ماء الفحل والفرس ركب راسه وساطاه شدد عليه والساطى الفحل المغتلم يخرج من ابل الى ابل ووسطا مهموزا كمنع جامعها والوطس كالوعد الضرب الشديد والكسر والوطيس التنور وحر الحرب والوطيسة شدة الامر ولكتائب الراعى وتواطسوا عليه اى تواطحوا اى تداولوا السرعلبهم والموج تلاطم واوطاس واد بديار هوازن لانه اشد مما هو رمل صرف والسوط الذى يضرب به والشدة والضرب والمسواط فرس لا يعطى حضره الا بالسوط والسياط قضبان الكراب الذى عليه دما ليقه اى عراجينه والكراب اصول السعف الغلاظ العراض وسوط اخرج ذلك والطوس بالفتح الوطء وبالضم دوام الشى ودوا يشرب للحفظ وطواس كسحاب ليلة من ليالى المحاق وما ادرى اين طوس به اى ذهب به وطسى كرضى طسا غلب الدسم على قلبه فاتخم كطسا اى واو باوطس بهمزا ايضا كفرح وجمع طسا وطسا فهو طسى اتخم او تغير من كل الدسم واطساه له الشبع ونفس طاسية ويدخل هذا فى الاضطراب والاختلاط والضعف ومن الكثرة الوسط وهى الناقة تملا الانا ويدخل فى الجيد والطس العدد الكثير وكل ما فى وجه الارض من تراب وقمام وخلق كثير النسل كالذباب والنمل والهوام او دقاق التراب كالطيس فى الكل وكثرة كل شى من الرمل والماء وغيرهما وسطا الماء اكثر والسوبطا مرقة لكثرة الماء ومن الاختلاط سياط كتاب معرب معزه مشهور وسطا الطعام ذاته والساطى الفحل المغتلم يخرج من ابل الى ابل وسطا الراعى على الناقة ادخل يده فى رحمها يخرج ما فيها من ماء الفحل والسوط الذى يضرب به والخلط والقرب والسياط قضبان الكراب الذى عليه دما ليقه وسوط باطل ضوء يدخل من الكوة وسطت الشى بالسوط ضربته به والسوط ايضا ما خلط به كالمسواط وولد لا بليس والمسواط فرس لا يعطى حضره الا بالسوط واستوط امره اضطرب واختلط وامو الهم سويط بينهم مختلطة والطوس بالضم دوا يشرب للحفظ والطاووس طاير والارض المخضرة فيها كل ضرب من النبت ومن الانقطاع الطاس اى الانا يشرب فيه

والعدد ج

والسوط النضيب والعضلة من الغد، ومن الضحى الوسط من بحرت الشعر او هو اصغرها وطسا كمنع بمهموز ولم اسمعه وسياتى ان شا الله
تعالى فى قول لقمن عليه السلام يا بنى اقم الصلاة ما يشيد نفعه هنا ولما اثبت لهم الوسط الذى من حله كان جديرا بان لا يخفى عليه شى من
الجوانب واستلزم ذلك كونه خيارا قال لتكونوا اى انتم لا غيركم شهدا اى بالفعل لاهلكم له وحققكم به بما انا لكم من التمكن فى رتبة
الوسط الجامعة للعلو والخير المنتصبين للقبول بالعلم والنعمة كما افاده التعبير بهذا دون ان يقال لتشهدوا وقال على الناس اى كافة
ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم اوسطهم قال ويكون الرسول اى غيره بما اقتضاه اختصاصه بكونه وسط الوسط عليكم خاصة
شهيدا بانكم بايعتموه و... فكنتم خير امة اخرجت للناس وبانه قد بلغكم مدة حياته فلما مات خلف فيكم كتابا معجزا مصونا لا يقبله الملا
بحرقه النار ولانه محفوظ بالصدور متلو بالالسن الى ان ياتى امر الله ولذلك عبر باداة الاستعلا فانه من صوغ الكلام هكذا انهم جاز لتشريفهم
انه لا يشهد عليكم الا الرسول وانه لا يحتاج فى الشهادة على سائر الامم الى غيركم ثم دفع التوهم ان غيرهم لا يكتفى فى الشهادة عليه الا بشهادة
الرسول كما لم يكتف فيهم الا بذلك ولما اعلم بما سيقول السفها وعلم جوابهم وبين لهم تحويل بين علة التوجه الى قبلتين بقوله وما جعلنا اى
بعظمتنا التى لا تعلو بها احد القبلة قال الحرالى فى جملته انبا بان القبلة مجعولة اى مصيرة عن حقيقة وراها وابتلا بتقلب الاحكام ليكون
تعلق القلب بالله الحكيم لا بالعمل المحكم والوجهة الظاهرة ليكون ذلك علما على المتبع عن صدق فيثبت عند تقلب الاحكام بما فى قلبه من صدق
التعلق بالله والتوجه اليه ايا ما ... وعلى المجيب عن غرض ظاهر ليس لسنده صدق باطن ويتعلق من الظاهر بما لا يثبت عند تغيره وبين ان لفا
الاولى بقوله التى كنت عليها وبين ان العلة التمييز بين الناس بقوله الا لنعلم اى بما لنا من العظمة بالجنود والرسل وغيرهم خبر وجود الامر
بالتحول عنها من يتبع الرسول فى كل ما يامر به اتباعا دالا على تمكن ايمانه ممن ينقلب اى يرتد فيرتد بعد اقباله منكصا على عقبيه علما
متعلقا بموجود تقوم به الحجة فى مجازى عاداتكم والعقب مؤخر القدم وقال الحرالى ليحمل ظاهرا على الصادق وغيره يشمل العلم به من علم الغيب قبل
كونه وبعد كونه ومن لم يعلم الغيب الا عن علم بما يلقى عنه من الاستنباط لهذا وجهه ووجه ما يرد من نحوه فى القران والسنة انتهى ثم بين شدتها على
من خلد الى العبادة بغلبة القوة الحيوانية البهيمية ولم يتمرن فى الانقياد للاوامر الالهية على خلق الالف وذل النفس فقال وان كانت اى الجعلة
لكبيرة اى ثقيلة شاقة جدا لان مفارقة الالف بعد طمانينة النفس اليه امر شاق جدا ثم استثنى من ايده سبحانه بروح منه وسكينة فقال
الا على الذين هدى الله اى الذى له الامر كله الهداية فى قلوبهم فانقادوا لما هداهم اليه بنصب الادلة ولما كان قبولهم لهذا الامر وثباتهم عند تغير
الاحكام انما كان عن ايمان وعلم محيط جعل الله عز وجل اعمالهم وتوجههم للقبلة الاولى من الايمان فقال وما كان الله الذى له الكمال المطلق ليضيع
قال الحرالى من الضياع والضيعة وهو التفريط فيما له غنا وثمرة الى ان لا يكون له غنا ولا ثمرة ايمانكم اى المصرح به فى قولكم امنا بالله المنادى
الى صدق الدعوى فيه بقبولكم دعوته مخلصون فى شى من الاشيا لا فى صلاتكم الى القبلة الاولى ولا فى تمييز الصادق منكم من المنافق بالامتحان بتغيير
الاحكام من القبلة وغيرها ولا فى اختصاصكم به سبحانه دون اهل الكتاب الجاحدين بانه الناكبين عن مرضاته الناكثين لعهوده ولما نزه نفسه
المقدسة عن هذه الاضاعة علل ذلك بما هو اعم فقال ان الله اى المحيط بجميع صفات الكمال بالناس اى الذين هم اعم من المومنين وغيرهم
ممن يتوسون بين حال الهدى والفتنة لروف اى فيرحم من يشا ممن توصل اليه بعمل صالح رافة منه به فان الرافة كما قال الحرالى فى التفسير
عطف العاطف على من يجد عنده منه وصلة فهى رحمة ذى الصلة بالراحم قال والرحمة تعم من لا صلة له بالراحم وقال فى شرح الاسما ان الرؤف
به تنقيمه عناية الرافة حتى تحفظ بسراها فى سرع ظهورها ما يستدعى العفو لاجله على تعلته انتهى وذلك مقتض لكونها اشد الرحمة وابلغها
والطفها كما قالوه رحيم لمن يشا وان لم يكن منه سبب فى الوصلة فيتعلقه من ذنوبه ابتلاء اشد ماكان بما اعملا ... فيما ترضاه الالهية
وذلك مع موافقته لما قال العلما ترقى من العالى الى الاعلى فان رحمة من لا سبب منه مقتضى العطف عليه ابلغ فى نوعها من حيث كونها ابتدا
والاولى ابلغ فى نفسها لما اقتضاها من السبب فان كان المراد بالناس العرب فهو بشارة له صلى الله عليه وسلم بانه يقر عينه بجعلهم من حزبه
بالتثبيت لمن كان اذ ذاك مقبلا والاقبال بمن كان مدبرا وان كان المراد ما هو اعم منهم فهو بشارة باتباع اكثر الخلايق له صلى الله عليه وسلم فاذا نزل عيسى
عليه السلام وقع العموم الحقيقى فى الطريق المحمدى باتباع الكل له صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون تعليلا للكلام من اوله فيكون المعنى ان تصعبه
رافته ورحمته مقتضيان للتمييز بين المومنين وغيرهم للعدل بين الناس لان تسوية المصلح بالمفسد يوم بالمصلح وسياتى ان شا الله تعالى فى اخر براة
ما ينفع استحضاره هنا ولما اشعر الكلام السابق اهل البلاغة لما حدث امر فى القبلة فتوقعوا الخبر عن ذلك وبين رافته ورحمته بالناس عموما
بين ذلك برسوله خصوصا بان حوله الى الكعبة رافة منه ورحمة له مع ما تقدم من فوايد فقال تعالى قد نرى تقلب وجهك قال
الحرالى فيه نبا اسماع لمن يرتقب امرا وخبرا يتجدد مع المستقبل نوره الوقوع ففيه اعلام بان النبى صلى الله عليه وسلم لما انطوى ضميره على ارادة
التوجه للكعبة التى هى قيام للناس حين كان هو رسولا لكافة الناس وكان صلى الله عليه وسلم على ملة ابيه ابرهيم عليه السلام يكتفى بعلم الله به عن
مسيلته لان الدعا للطالبين فصاحة وللمكتفين بعلم الله عبادة اجابة الله تقلب وجهه على قبله ووقع ذلك منه على ما تشعر به قد بالتعليل
للتقلب والتردية فى السما فيه اعلام بما جعله من اختصاص السما بوجه الداعى كما اختص غيب القلوب بوجهة المصلى فالمصلى يرجع الى غيب قلبه
ولا يرفع طرفه الى السما لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السما فى الصلاة او لتخطفن ابصارهم والداعى يتوجه الى السما ويمد يديه كما قال حتى راينا
عفرة ابطيه انتهى ملخصا فلنولينك اى فتسبب عن تلك الرؤية انا نوليك اى نجعلك تلى ونوجهك من غير شك قبلة قال الحرالى نكرها لما
كان من وراها قبلة التوجه العام فى شمل فتلك هى القبلة التى هى توجه لوجه الله لا توجه لقطر بادحى خلق الله فكان منتهى القبلة ما
بين اختصاص القبلة الشامية الى قيام القبلة الجاذبة الى احاطة القبلة العامة الافاقية وفى قوله ترضاها انبا باقراره للتوجه

لهذه القبلة لان الرضى وصف المعز لما يرد فكل واقع بارادة لا يكون رضى الا ان يسند كذا الا قرار فان تولى ... الرفع والتخيير فهو مراد
غير رضى انتهى ودل على ان مرضية الكعبة نفا السبب بقوله فول وجهك واما قلبك فانما توجهه الى الله الغيب للغيب والظاهر
للظاهر شطر اى عين المسجد كما استدل الشافعى رحمه الله على ذلك بجملة من اشعار العرب وقال اذا قلنا اقصد شطر كذا معلوم
انك تقول اقصد قصد عين كذا يعنى قصد نفس كذا ثم قال وهذا كله من اشعارهم ان شطر الشى قصد عين الشى اذا كان معاينا فبا
لصواب وان كان مغيبا فبالاجتهاد انتهى وكان حقيقته الموضع المتنصف منه وهو الذى اذا قسم من عنده كان شطرين متساويين
الحرام وتعبيره بهذا دون الكعبة فيه توسعة قال الحرالى سماه الله حراما لحرمته حيث لم يوطا قط الا باذنه ولم يدخل الا دخول تعبد
وذلة فكان حراما على من يدخله دخول متكبر او متجبر انتهى وعن الامام الماوردى ان كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم الا هنا
فالمراد به الكعبة انتهى وعبر عنه بذلك لان السياق للصلاة التى اعظم مقصودها السجود وسياتى عند يسيلونك عن الشهر الحرام
زيادة على هذا وفى الموطا عن سعيد بن المسيب انه قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان قدم المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت
المقدس ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين ولما بشره سبحانه بالتحويل اولا وانجز المبشر به ثانيا اشار الى بشارة ثالثة بتكثير
امته ونشرهم فى اقطار الارض لجمعهم اليه فى قوله وحيث ما كنتم اى من جهات الارض التى اورثكم اياها فولوا اى اقبلوا وقربوا
وانتم موجهين وجوهكم شطره بتوجيه قلوبكم الى ... ولما حرر ذلك وقرره بين ان العاسيين لدينه بذلك من اهل الكتاب عالمون بحقية
هذا التحويل وانه من اعلام نبوته فقال وان الذين اوتوا الكتاب اى من اليهود والنصارى ولم يصفهم هنا بالسعة لاثبات
العلم فى قوله ليعلمون انه اى هذا التحويل الحق اى الذى ليس بعده فى امر القبلة حق اخر يرفعه اصلا من ربهم اى المحسن اليهم
بارسال هذا الرسول الذى يرفع عنهم اصرهم وكانوا ينتظرون ... انه عضد ما اتاهم ... وارحمته وجعل سبحانه ذلك فى سياق
تهديد لهم مرج له ولاتباعه فليته لهم وتثبيتا وتقوية لعزايمهم وتمكينا حيث ختم الاية بقوله وما الله اى المحيط بكل شى قدرة وعلما
بغافل عما تعملون قال الحرالى بالياء اى الغايبة اعراضا عنهم وبالتا اقبالا عليهم ففيه الباء تهديد لهم على سوا حالهم فى دينهم
فى تماديهم على سوء هد دينه بما اقبل عليه وفى تماديهم على اسوا منه اوجب فى تهديده الاعراض عنه والاقبال على غيره ممن لم يصل
فى السو الى المكايدة الى ما وصل اليه المعرض عنه ولما اطمع اول الاية فى اهل الكتاب وقطع عنهم اخرها صرح بما لوح اليه هذا
الاخر واعلمه صلى الله عليه وسلم بعاقبة امرهم وانه لا اتفاق بينه وبينهم اصلا ولا اتفاق بين فريقيهم مع كون الكل من بنى اسرايل
ليبرح صلى الله عليه وسلم من التطلع الى هدى بعضهم فقال تعالى ولين اتيت الذين اوتوا ابناه للمجهول تنبيها على هوانهم الكتاب
اى من اليهود والنصارى بكل اية اى من الايات المسموعة مرغبة ومرهبة ومن الايات المرئية معجزة ومقربة ما تبعوا قبلتك
اى هذه التى حولت اليها وكنت الحقيق بها لكونها قياما للناس كما انت رسول الى جميع الناس لان اعراضهم ليس عن شبهة اذا ازالتها
زال بل عن عناد ثم اوما له الى انهم ينصبون له الحبايل ليعود ولو ساعة من نهار الى قبلتهم ليقدحوا بذلك فيه فقال وما انت
بتابع قبلتهم ثم اشار الى عيبهم باختلافهم وتفرقهم مع لحقهم عنه فقال وما بعضهم اى اهل الكتاب بتابع قبلة بعض مع
تقاربهم فى النسب وذلك حثا للعرب على الثبات على ثباتهم والحذر من خداعهم ولما كان دينهم قد نسخ اعلم سبحانه بان ثباتهم على قبلتهم
مع ذلك مجرد هوى فقال منفرا للامة عنهم ومحذرا لهم منهم بخطاب الراس ليكون ذلك ادعى لقبول الاتباع ولين اتبعت اهواهم ولما كان
هذا السياق لامر القبلة نقط قال من بعد ما جاك من العلم قال الحرالى فابهمه ولم يكن نحو الاول الذى قال فيه بعد الذى لظهور ذلك
ذكرا فى الاول ... ما وقع اليه الاشارة فى هذا اوجاز فيه من التى هى لابتدا من او فيه تحقيقا ... امرها جا من العلم هنا وظهور ذلك
الاول لان ذلك كان فى امر الملة التى ماخذها العقل وهذه فى امر التوجيه الذى ماخذ الدين والغيب قال الحرالى قال تعالى انك اذا
لمن الظالمين على حد ما ذكر من انه لمحا من وصف كان من الموصوف به بالطف لطف ووصل كل رتبة بحسبها فما يرفع عنه النبى صلى الله
عليه وسلم من باب اظهار رغبته وحرصه على هداية الخلق الذى جبل على الرحمة فيه وطلب المسامحة فى المقاصر عنه نظرا منه الى حق
الله ومضمون وصية الله له حين اوصاه بغير ترجمان ولا واسطة ان يصفح عن ظلمه ويصل من قطعه فكان صلى الله عليه وسلم يطلبه
وصل المنقطع عنه حتى يعلن عليه بالاكراه فى ترك ذلك ودعه فيجيبه حكما وان كان معه علما ومنه قوله اللهم اغفر لقومى فانهم
لا يعلمون لقى طى كل خطاب له يظهر الله عز وجل فيه اكراهه على اخذ حكم الحق وامضا العدل اعظم مدحة له والزام لوصيته اياه فهو له
ممدوح بما هو مخاطب بخطاب الاكراه على امضا العدل والاختصار فى امر رحمته للعالمين فرفعه الله ان يكون ممن يضع رحمة له
فى موضع استحقاق وضع النقمة فذلك الذى يجمع معناه بين مقابل الظلمين فمن يضع النقمة موضع الرحمة فيكون ادنى له
الظلم او من يضع الرحمة فى موضع النقمة فيكون منه تغيير الوضع بوضع الفضل موضع العدل وعلى ذلك جميع ما ورد فى القران له
من نحو قوله فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسيل الذين يقرون الكتاب من قبلك لقد جاك الحق من ربك اى فى امضا العدل
فلا تكونن من الممترين فى طلب الفضل لاهل العدل فان الله يمضى عدله كما يفيض فضله وكذلك قوله عليه ... تولى ان جاه الاعمى الا ان
عينه اظهار لمدحته بحرصه على تالف الابعدين ووصل القاطعين حتى ينصرف عنهم بالحكم واشارة الاكرام ... ذلك فلا ينصرف عن
حكم الوصية الى حكم الكتاب بالحق الا عن اشارة باكراهه عليه فهو محمود بما نهى عنه لان خطابه ابدا ... فى القران فيما بين الفضل
والعدل وخطاب ساير الخلق جار فيما بين العدل والجور فبين الخطابين ما بين درج العلو ودرك السفل فى مقتضى الخطابين

المنشا بحيث في القول المبني بتبين في العلم انتهى وسيأتي في قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم في سورة التوبة ما يوضحه ولما ختم الخطاب بالاشارة بقوله وما هو الخ الى علمهم بحقيقة هذا التحويل تلويحا كما فتحه بالاعلام به تصريحا كر على تأكيد الاعلام بما هم عليه في امرها من التحقيق اشارة الى ما يبطنون من العناد الموجب للتمادي في الفساد فقال معبرا له على وجه يصلح ان يكون صلى الله عليه وسلم معظما لهذه المعرفة باسناد الايتاء اليه سبحانه **الذين آتيناهم** اي بما لنا من العظمة التي هم بها عارفون **الكتاب يعرفونه** اي التحويل المتضمن لزيادة تحققهم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وكمال علمهم به **كما يعرفون ابناءهم** لا يشكون في حقيقة ذلك بوجه لظهور دلايله عندهم لانهم يعرفون الرسول صلى الله عليه وسلم بجميع نعوته معرفة لا يشكون فيها لكونها عن الله الذي لا خلف في قوله فبذلك صاروا يعرفون صحة هذا التحويل بهذه المعرفة وذلك كما انهم لا يشكون في شي مما تقع به المعرفة لابنايهم لشدة ملابستهم لهم والحاصل ان معرفتهم بنبوته تزيدهم في المعرفة بحقيقة التحويل بصيرة لانه من نعته ومعرفتهم بامر التحويل يثبتهم في حقيقة نبوته لكونه مما ثبت منها ولذلك قال الحرالي في انبائه بتحققهم بعيان ما ذكر لهم من امره لان العارف بالشي هو الذي كان له به ادراك ظاهر بادله ثم انكره لاشتباهه عليه ثم عرفه لتحقق ذكره لما تقدم من ظهوره في ادراكه فلذلك معنى المعرفة لتعلقها بالحس واعيان العقليات من العلم الماخوذ عن تفكر بالفكر وانما لم تجر في اوصاف الحق لما في معناها من شرط النكرة ولذلك يقال المعرفة حد بين علمين علم على تشهد الاشيا بسواد بها وعلم دون له يستدل على الاشيا باعلامها وفيه اي التشبيه بالابنا انبا باتصال معرفتهم به كيانا كيانا الى ظهوره ولو لم يكن شاهده عليهم الا ارتحالهم من بلادهم من الشام الى محل الشدايد من ارض الحجاز لارتقابه وانتظاره لحاجاتهم ما عرفوا كفروا به واجرى المثل بذكر الابنا لاشتداد عناية الوالد بابنه لاعتلاقه بفواده ففيه انبا بشدة اعتلاقهم به قبل كونه **وان فريقا منهم** اي اهل الكتاب **ليكتمون الحق** اي يخفونه ولا يعلنونه ولما كان لا يلزم من ذلك علمهم به ولا يلزم من علمهم به استحضاره عند الكتمان قال **وهم يعلمون** اي انه حق وانهم اثمون بكتمانه فجعلهم اصنافا صنفا عرفوه فاتبعوه وصنفا عرفوه فانكروه كما في افهامه وفريقا علموه فكتموه وفي تخصيص هذا الفريق بالعلم اشعار بعرفان ما بين حال من يعرف وحال من يعلم فلذلك كانوا ثلاثة اصناف عارف ثابت وعارف منكر موارد اوهم وعالم كاتم لا جوابه من سال يكتمون ويعلمون اشعار بتماديهم في العلم وتماديهم في الكتمان ولان هذا الجموع يفيد فهم الحق للخلق بما شا منهم من هدى وفتنة لنظرهما رحمته ونقمته وهو الحق الذي هو ماضي الحكم الذي جبلة محمد صلى الله عليه وسلم تتقاضى التوقف فيه لما هو عليه من طلب الرحمة ولزوم حكم الوصية خاطبه بالحق بقوله **الحق** اي هذا التفريق والتصنيف الموجب لعمارات درجات الجنة وعمارات دركات النار هو الحق او يكون المعنى الحق الذي اخبرت به في هذه السورة او الايات وجنس الحق كاين **من ربك** اي المحسن اليك بطرد من يضر اتباعه كما هو محسن اليك بالاقبال بمن ينفع اتباعه **فلا تكونن من الممترين** فيما قصد نحوه من اشتباه المرتبتين الواقعة منه فيما بين الفضل والعدل والواقعة من غيره فيما بين الجور والعدل انتهى وفيه زيادة وتغيير وفي تاكيد الامر تارة بالعلم وتارة بالمعرفة وتارة بغيرهما تاكيد لوجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم واراحة لما يلقيه السفها العالمون به من الشبه قال الحرالي والممتري من الامترا وهو تكلف المرية وهي مجادلة تستخرج السر من خبية المجادل من مرا ما في الضرع وهو استيصاله حلبا ولانه حال الشاك ربما اطلق عليه ولما بين ان احدا من هولاء الفرق لا يتبع قبلة الاخر وتضمن ذلك ان لكل منهم وجهة وان ذلك من اهل الكتاب على وجه العناد اثبت ما تضمنه الكلام السابق على وجه اعم منه وسبب عنه النتيجة فقال تعالى **ولكل** اي لكل فريق من المذكورين وغيرهم **وجهة** اي مقصد يقصده ويوجه وجهه اليه ويقبل بقلبه عليه من القبلة للصلاة وغيرها من جميع المقاصد **هو موليها** ان كسر اللام كان المعنى هو متوليها اي فاعل التولية اي مايل اليها بوجهه ومستقبل وتابع لها لا لارادة تدور ربكل بترتيب على الميل كما ياتي ان شا الله تعالى في اخر الانفال فيكون ولى بمعنى تولى كقدم بمعنى تقدم ومن المعلوم الفرق بين تولاه وتولى عنه وان فتح فالمعنى هو ممال اليها قال الحرالي وفي قراة موليها بالكسر اشعار باختلاف جبلات اهل الملل واقامة كل طايفة منهم بما جبلت عليه وفي قراة **مولاها** اظهار حقيقة ذلك وانه ليس ذلك منهم بل بما اقامهم فيه المولى لهم حيث شا وابهم فيه المولى فما كان في طوايف منهم حظ هوى وهو من التولية وهو ما يجعل مما يلي الجسد او القصد ان يكون بين يديه ملاصقا له انتهى ولما كان تعلم هذا انما هو لاجل تزكية النفس وخلاصها وكان ذلك لا يحصل الا بفعل الخير واجتناب الشر سبب عنه قوله **فاستبقوا الخيرات** اي فاجعلوا انتم مقصدكم انواع الخير من القبلة وغيرها وتسابقوا في قصدكم اليها اي كونوا في المبادرة الى افعال الخير كمن يسابق خصما فهو يجتهد في سبقه فالاستباق تكلف السبق والسبق بروز احد المتجاريين ثم حثهم على ذلك وحذرهم من تركه بقوله على وجه التعليل **اينما تكونوا** اي من الجهات التي استقبلتم اليها الحسية والمعنوية **يات بكم الله** اي الملك الاعظم **جميعا** منها اليه يوم البعث ثم علل هذه العلة بقوله **ان الله** اي الذي له الامر كله **على كل شي قدير** وفي ذكر البعث هنا معادلة بين القبلتين قبلة اهل الفضلة الامة الوسط التي جعلت على الامم والقبلة الاولى قال الحرالي من حيث يرد الخلق في البعث الى موطن القبلة السابعة من ارض الشام فيكون موطن الحق والعدل والى القبلتين بذلك لان اعلى القبلتين موطن امنة من حيث ان من دخله كان امنا فكان المحشر الى قبلتهم الاولى التي بداية الامر ليطابق الاخر من القبلتين الاولى من حيث كان الاخرى الدنيا للفضل والاول في الاخرة للعدل ومن الدعوتين من حيث كانت الدعوة الاولى في الاولى حكما وعلما والاتيان الاخرى في العقبى محشرا وملكا ولما عظم في شان القبلة انتشار اقوالهم في تنويع شبههم وجدالهم وكانوا اهل علم وكتاب وقد مرت لهم دهور وهم موسومون بانهم على صواب ناشرين لذلك النفاق ودارت رحى الباطل والشقاق وقامت سوق الفسوق فيما هنالك على ساق كان الحال مقتضيا لمزيد تاكيد لامرها تعظيما لشانها وتوهية لشبه السفها فقال تعالى ثانيا معبرا بعبادة مشعرة بامامته صلى الله عليه وسلم وانتظار المصلين له **ومن حيث خرجت** اي للصلاة المفروضة باتباعك من هذه الجهة التي انت بها الان بالمدينة الشريفة التي هي شمال الكعبة المشرفة او من غيرها

من الجهات من الشرق والغرب والجنوب **فول وجهك شطر** اي عين **المسجد الحرام** واما قلبك فهو الى الله ولما كان التقدير فانك مامور بذلك لئلا يظن ان ذلك انما عمل لتطلعه صلى الله عليه وسلم وهو فيه بالخيار فيظن ان الرجوع الى القبلة الاولى مصلحة لما انتشر في ذلك من الكلام الذي ينفذ في القلوب نفوذ السهام عطف عليه قوله **وانه للحق من ربك** موكدا له بانواع التاكيد مضيفا له الى صفة الاحسان باحسان التربية والنظر في ادبار الامور واحكامها ولما كان التقدير وان ربك عالم بما قالوه من الشبه التي دارت بين الناس وخيفت عاقبتها عطف عليه ما هو اعم منه فقال **وما الله** اي الذي له الاحاطة الكاملة **بغافل عما** اي عن شي مما **تعملون** اي السفها من اليهود وغيرهم من مستقبل الزمان فيوهيه ويبطل اذاه ويرميه ويبعده ويقصيه وعلى قراة الخطاب انتم في هذا الوقت وبعده فيعليه ويثبته ويبقيه ان كان خالصا لوجهه والا جعله هبا منثورا قال الحرالي ومن التفت بقلبه في صلاته الى غير ربه لم تنفعه وجهة وجه بدنه الى الكعبة لان ذلك حكم حق حقيقته توجه القلب ومن التفت بقلبه الى شي من الخلق في صلاته فهو مثل الذي استدبر بوجهه عن شطر قبلته فكما يتداعى الاجزا الغيبي باستدبار الكعبة حسا فكذلك يتداعى القبول باستدبار وجه القلب عن الرب غيبا فلذلك انبل هذا الخطاب على الذين امنوا والذين اسلموا لانه هو صلى الله عليه وسلم مبرا عن مثله انتهى **ومن حيث خرجت** اي من بقاع الارض للصلاة بامتك **فول وجهك** اي اجعله يلي **شطر** اي عين **المسجد الحرام** ولما تقرر بما تكرر ان هذا التحويل فرض في حقه صلى الله عليه وسلم حتم لا فتور عنه ولا رخصة فيه الا ما استثني في النفل ادخل معه امته ليعمهم الحكم ورد بالتنصيص المنيف وقدره الشريف عن ان يكون لاحد عليه ما يسمى حجة بحق او باطل فقال **وحيث ما كنتم** اي ايتها الامة من جميع جهات الكعبة في جميع اقطار الارض الداينة والقاصية قال الحرالي وذكر في امته بالكون لا بالخروج اشعارا بتقاصر الامة عن علو احوال الايمة وان حال الامة في تخلوتهم كحالهم في جلوتهم انتهى **فولوا وجوهكم** اي اجعلوها واليه **شطره** للصلاة قال الحرالي وفيه اشعار بتحفظ صحة صلوا ثم فرادى وفي بيوتهم كما قال اذا جيت فصل مع الناس وان كنت قد صليت في اهلك بخلافه هو صلى الله عليه وسلم فان صلاته لا تقع الا جمعا من حيث انه يصلي لهم وانه امام لا تقع صلاته الا قدا انتهى ولما كان ربما ظن ان الرجوع الى القبلة الاولى يزيل الكلام بين سبحانه ان الامر بخلاف ذلك فقال **لئلا يكون للناس** اي لاحد منهم **عليكم حجة** بان يقولوا النبي المبشر به يستقبل بيت ابراهيم عليه السلام ثم لا يتحول عنه وهذا لم يفعل ويقولوا ما جا بشي جديد وانما هو تبع لنا في قبلتنا ولما كانت الحجة كلاما ينشا عن مقدمات يقينية مركبة تركيبا صحيحا وقع الاستثنا باعتبار تلبس المستثنى بجز المعنى الذي نفي عن المستثنى منه بدلالة التضمن فهو قريب من الاستخدام فقال **الا الذين** اي الناس الذين **ظلموا منهم** فانهم لعنادهم ولددهم لا يرجعون الى الحق الذي يعرفونه بل يكون لهم عليكم مجرد كلام هو مادة الحجة لا حجة بما دل عليه وصفهم بالظلم الذي هو وضع الشي في غير محله كما هو شان كل ماش في ماخذ الاشتقاق الذي هو له الظلام ويكون الاستثنا على هذا منقطعا بمعنى لئلا يحتج احد عليكم لكن الذين ظلموا يقولون او يظهرون لجودا ولددا في ذلك كلاما يسمونه حجة ولعل السر في تصويره على تقدير الانقطاع بصورة الاستثنا الحث على الثبات على امر الله والاعراض عمن خالفه نظرا الى ما تاصل من ابطاله واستحضار الماظهر من فاسد احواله وان ابدى في الشبه ما يخفى امره ويصعب على بعض المحقين حله حتى يظن حجة ويجوز ان يراد بالحجة اعم من القطعي والظني فيكون الاستثنا متصلا قال السفاقسي ومثار الخلاف هل الحجة الدليل الصحيح والاستثنا منقطع او الاحتجاج والخصومة فهو متصل انتهى ووصفها بالاستعلا عليهم لما يحصل بها من الاذى لانها على العداوة والشقاق لا بتغييرها في وجه شي من الادلة والذين ظلموا ان اريد بهم اليهود فهم يقولون ما رجع الى الكعبة الا محبة لبلده ولو كان في قبلتنا على امر من الله ما تحول عنه وان كان المشركين فهم يقولون قد استقبل بلدكم ومسجدكم فيوشك ان يدين دينكم ولما نفى عن اهل هذه القبلة بالثبات عليها كل سبيل تسبب عنه قوله **فلا تخشوهم** اي في هذا الامر لا غيره فاني ادفع عنكم كيدهم واوهن امرهم ولما تبين احكام فعله ومضا ما يريد من ربطه وحله حثهم على لزوم هذه القبلة محذرا من مخالفته في شي من الاشيا فقال **واخشوني** ثم عطف على علة الاستقبال قوله **ولاتم** اي بهذا الدين المفيد لعز الدارين ونعيمهما الذي من جملته هذا الاستقبال **نعمتي عليكم** بالتمكين من الحج وغيره من امور الدين حين انزل عليكم اية اليوم اكملت لكم دينكم كما اتممتها على ابرهيم خليلي صاحب هذا البيت الذي وجهتكم اليه قال الحرالي وفي طيه بشرى بفتح مكة واستيلايه على جزيرة العرب كلها وتمكنه بذلك من ساير اهل الارض لاستغراق الاسلام لكافة العرب الذين فتح الله بهم له مشارق الارض ومغاربها التي انتهى اليها ملك امته انتهى **ولعلكم تهتدون** اي لتكونوا على رجا عند انفسكم ومن يراكم ممن لا يعلم العواقب من ان تهتدوا الى الثبات على هذه القبلة وغيرها من امر هذا الدين بسبب خشيتي فانها جالبة لكل خير ودافعة لكل ضير قال الحرالي وفي كلمة لعل على ما تقدم ابهام يشعر بتصنيفهم صنفين بهتد للثبات على السنة ومتغير فيه بوجه من وجوه بدعة لما ذكر من ان ما هو للخلق تردد فهو من الحق تقسيم وابهام في تعيين ذلك التقسيم والتصنيف ففيه اعلام لقوم بالاهتدا الدايم بما تمه صبغة الدوام واشعار بانقطاع قوم عن ذلك التمادي بما يفهمه ما هو للخلق موضع الترجي وفي طيه اشعار باستبدادهم بالامر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وانقسامهم فيه بين ثابت عليه دايم الاهتدا فيه ومتغير عنه كما ظهر فيما كان من شان من ثبت من بعده وردة من ارتد انتهى **كما** اي وجهناكم الى الكعبة لهذه العلل كما **ارسلنا** اي بعظمتنا **فيكم** لاجل ذلك بعينه ولئلا يقولوا ما كانوا يقولون من انكم لا حرمة لكم لاشراككم ولاتم على من اذكركم نعم عليكم النعمة بارسال من يستنقذكم اتباعه من الجهل والذل في الدنيا ومن العقاب في الاخرى **رسولا** متصفا بانه **منكم** تعرفون من صفاته العلى وهممه الشم الحاملة على اتباعه والمتيمن برايه ما لا يعرفه غيركم **يتلوا عليكم اياتنا** الحافظة لمن رعاها حق رعايتها على الصراط المستقيم عوضا من تناشدكم الاشعار قال الحرالي وفيه اخذهم بما هو بل طباعهم من ايثار امر السمع على امر العين الذي عليه جبلت العرب لا بقا امة تؤثر مسموع المدح والثنا من الخلق على ما تناله من الراحة فتجهد

في طلب الشفا من المخلوق ما لم يجعله امة غيرها فكيف بها اذا كان ما دعت اليه تثنا الحق عليها وتحليه ذلك لها في كلام دلها فتنال بذلك ما هو فوق مقصودها مما جبلت عليه من ايثار السماع على العين بخلاف ما عليه ساير الامم ثم قال وفيه اغنا العرب عن اعمال افكارها في تكسب العلم والحكمة لتستخرج منه احكاما فكان في تلاوة الايات عليهم اغناوهم عن الاستدلال بالدلايل واخذ الامور بالشواهد وتولى الله ورسوله تعليمهم ليكون اشرف المتعلم بحسب علا من علمه فتفضل علما العرب على ساير العلما تفضل النبي صلى الله عليه وسلم على معلمهم ممن سواه صلى الله عليه وسلم ولما كان السياق لفعل من الافعال وهو التوجه الى البيت للصلاة وكانت الصلاة اعظم مطهر للقلوب من اوضار الادناس قدم قوله ويزكيكم اي يطهركم في اقوالكم وافعالكم ويهيئكم بانعاش قلوبكم لتشرق بالمعاني الصالحة والاخلاق الطاهرة الموجبة للفوز الدايم والنجاة مما دنس اليهود واوجب لهم الضلال من مرض القلب بانكار النسخ وكتم الحق وافشا الباطل المثمر مع الضلال للاضلال قال الحرالي اشام بان هذا التنزيل لانفسهم بمنزلة الغذا للابدان فكما تتنامى اجسادهم بما المزن وما منه فكذلك تتنامى انفسهم باحكام الكتاب وتلاوة الايات وذلك زكاوها لما تشاكر فيه رغبتهم لان للمغتذي رغبة في الغذا اذا تحققه فمن علم ان التزام الاحكام غذا النفس حرص عليها ومتى نمت النفس تركت وترتبت على ما شانها ان تناله فواها كما ان البدن اذا قوي بالغذا تمكن مما شانه عمله انتهى ويعلمكم الكتاب المقيم للدين والدنيا قال الحرالي الفقه فيه والحكمة اي دقايق الاشارات الشافية لامراض القلوب المانعة من اتباع الهوى قال الحرالي خص تعليم الحكمة من عموم تعليم الكتاب لان التوسل بالاحكام جهة عمل والتوسل بعلم الحكمة تيسر مثال عمل لان الحكمة مثال الامر الذي فيه عسر بسبب فيه تيسره فتنال الحكم بحكمته لاطلاعه على افضا محجوب الاسباب بعضها لبعض مما بين اسباب عاجل الدنيا وسببات اجل الاخرة مما لا يصل اليه جهد العامل الكادح وفي تكملة الكتاب والحكمة بكلمة ال ايما الى الغاية الجامعة لكل كتاب وحكمة مما يعلمه الاولون والاخرون ثم قال وبذلك كان صلى الله عليه وسلم يتكلم بكلمات في علوم الاولين يعجز عنها ادراك الخلق نحو قوله صلى الله عليه وسلم استاكوا بكل عود ما خلا الاس والرمان فانهما يهيجان عرق الجذام او ان الخلق لا يستطيع حصر كليات المحسوسات غاية ادراكهم حصر كليات المعقولات ومن مستجلي احواله صلى الله عليه وسلم علم اطلاعه حسه على احاطة المحسوسات واحاطة حكمها واستيعابها ناطقا واعجمها حيها وجمادها جميعا لما في العادة حكمه ولما في خرق العادة ايته ثم قال تعلى قدر ما وهب العبد من العقل يعلمه من الكتاب والحكمة يوثر عن عمر رضي الله عنه انه قال كان صلى الله عليه وسلم يكلم ابا بكر رضي الله عنه فكانما يتكلمان بلسان اعجمي لا افهم مما يقولان شيا ولما كان انما هذا الكتاب عند هذه العامة انبا تعالى ان رسوله صلى الله عليه وسلم يعلمهم ما لم يكن في كتابهم مثال علمه ففيه اشعار [illegible] وتجديد فطرة يترقون بها الى ما لم يكن في كتابهم علمه انتهى وذلك لان استعمال الحكمة موجب للترقي فقال تعالى ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون اي من الاستنباط من الكتاب من المعارف بما يدريكم به من الاقوال والافعال ويسلككم فيه من طرق الخير الكاشفة لظلام الظلم الجالبة لمرائي الافكار المنورة لبصاير الاعتبار ولما كان من المعلوم ان هذا الخير الذي لا يعبر عنه ذو بصيرة ولا يقصر عنه من اراد في هيئة انما كان بذكر الله للعرب تفضلا منه عليهم بعد طول الشقا وتمادي الجهل والجهد والعنا مع ما يدوم ذلك مسببا له عما تقدم فقال فاذكروني اي لاجل انعامي عليكم بهذا وبغيره اذكركم فافتح لكم من المعارف وادفع عنكم من المخاوف ما لا يدخل تحت حد واشكروا لي وحدي من غير شريك تشركونه معي اذ ذكر واكد هذه الاشارة بقوله ولا تكفرون اي تسلبكم قال الحرالي ولما كان للعرب ولع بالذكر لابايهم ولوقايعهم ولايامهم جعل تعالى ذكره لهم عوض ما كانوا يذكرون كما جعل كتابه عوضا من اشعارهم وهو عز ايمهم لذلك بما يذكرهم به من ذكره لهم انتهى ولما ختم الايات الامرة باستقبال البيت في الصلاة بالامر بالشكر ومجانبة الكفر وكان ذلك راس العبادة وفاعله شديد الافتقار الى المعونة التفت الى قوله تعالى في ام الكتاب اياك نعبد واياك نستعين فامرهم بما تضمن ذلك من الصبر والصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر عالما بانهم سيمتثلون حيث عصى بنو اسرايل حين امرهم بمثل ذلك في اول قصتهم بقوله واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين الى ان قال واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فكان في ذلك اشارة الى انهم هم الخاشعون وحسن موقع هذه الاية كونها بعد اذى اهل الكتاب بسبتهم لهم الى بطلان الدين بتغيير الاحكام ونحو ذلك من مر الكلام كما في الاية الاخرى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وكونها عقب الامر بالذكر والشكر ايما الى ان ملاك كل منهما الصبر والصلاة فكانه قيل لا تلتفتوا الى طعن الطاعنين في امر القبلة ليشغلكم ذلك عن ذكري وشكري بل اصبروا وصلوا الي متوجهين الى القبلة التي امرتكم بها عالمين ان الصبر والصلاة نعم العون على كل ما ينوب من دين ودنيا وارشق من هذا ان يقال ولما علم من هذه الايات اتصال ما بينهم وبين السفها وامرهم بالدوا المنجح من الاعراض عنهم والاقبال على ذكره وشكره اتبع ذلك الاشارة الى ان الامر يصل الى اشد مما توهموه فقال يا ايها الذين امنوا مخاطبا لهم على وجه يشمل الكامل صلى الله عليه وسلم ولعله صرف الخطاب عنه لما في السياق مما يحمى عنه صلى الله عليه وسلم مقامه العالي استعينوا بالصبر اي على ما تلقون منهم وعلى الاقبال علي لا كفيكم كل مهم والصلاة فانها اكبر معين لانها اجمع العبادات فمن اقبل بها على مولاه حاطه وكفاه لاعراضه عن كل ما سواه لان ذلك شان كل كبير في من اقبل بكليته عليه ولما كانت الصلاة لا تقوم الا بالصبر اقتصر على التعليل به فقال ان الله اي الذي له الكمال كله مع الصابرين اي ومعلوم ان من كان الله معه فاز قال الحرالي والصبر حبس النفس عن كسلها باخذها بالنشاط فيما كلفت به ولا يكلف الله نفسا الا ما اتاها لا يكلف الله نفسا الا وسعها لمن تيسر الله عليها الجد والعزيمة جعل لها فيما كانت تصبر عليه في الابتدا الاستحلائية وخفت عنها وظيفة الصبر ومتى لم تصبر عن كسلها وعلى جدها تشتت فيناها عقوبات يكون الصبر عليها اشد من الصبر الاول كما ان من صبر عن حلو الطعام لم يحتج ان يصبر على مر الدوا فان تحمل الصبر

على عقوبات ضياع الصبر الاول تدارك لما فاته من اشتداد العقوبة عليها وان لم تصبر على تلك العقوبات وقعت في مهالك شدايد العذاب فقيل لاهلها اصبروا او لا تصبروا سوا عليكم ثم قال فبداة الدين صبر وخاتمته تيسر فان من كان الله معه رفع عنه مرارة الصبر بوضع حلاوة الصحبة التي تشعر بها كلمة مع انتهى ولما اشار لهم الى ما يستقبلونه من حال الطاعنين في دينهم ورقاهم في ذلك درجة بعد درجة اتبعه ما دل على ان الامر يصل الى القتل وما داناه لياخذوا لذلك اهبته ويعدوا له عدته وقال الحرالي ولما كان الصبر لله انما هو حمل النفس على ما تجهد فيه كرها اشام الحق تعالى ان الصبر له ليس على المجهود وانه يوجد فيه عند تجشمه حلاوة لذة الحياة وان كان ذلك مما يناله شعور الذين امنوا لخفائه عن ادراك المعقول فانباهم بما يحملهم على تجشم الصبر في الجهاد في سبيل الله فقال ولا تقولوا عطفا على ما ينجي من امور تعقبها بركة الجهاد انتهى اي وجاهدوهم لتقتلوهم ويقتلوكم وتسلبوهم ويسلبوكم ولا تقولوا ويقال ولما كان الصبر وانما على امور اشدها الجهاد ثم الحج ثم الصوم وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم قد سالوا عمن مات منهم على قبلة بيت المقدس فبين لهم ما صاروا اليه بقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم تلى اية الصبر بتبيين حال الشهدا المقتولين في الجهاد من المومنين دفعا لظن انهم اموات والتفاتا الى ما اشار به الى صيرورة الامر الى الحرب حيث عاب المانعين من المساجد واخبر بانه سيحصل لهم خزي في الدنيا بالقتل والاسر وعذاب عظيم في الاخرة بالنار والسخط وايما الى انه سياذن لهم في قتال من امرهم بالصبر على اذاهم من اهل الكتاب حتى يحكم فيهم السيف ويسكنهم الذل والخوف فالمعنى اصبروا على كل ما يقوله اهل الكتاب وغيرهم من امر القبلة وغيره وعلى كل ما يغير به الشيطان في وجه الايمان وصلوا الى البيت الذي وجهتكم اليه وجاهدوا كل من خالفكم حتى يكون الدين لله صابرين على كل ما ينوب في ذلك من القتل والنهب وغيره ولا تقولوا اذا قاتلتم الكفار المناصبين لكم من العرب وغيرهم من اهل الكتاب وغيرهم لمن يقتل منكم في سبيل الله اي الذي له جميع صفات الكمال بان قاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا لا لشي غير ذلك من دنيا او عصبية فانا سنكتب عليكم الجهاد وسنستشهد منكم شهدا انهم اموات بل قولوا انهم شهدا فانهم ليسوا باموات بل هم احيا وسياتي في ال عمران ان ذلك معنى الشهيد قال الحرالي فكانه تعالى ينفي عن المجاهد منال المكروه من كل وجه حتى في ان يقال عنه انه ميت لحماه من القول الذي هو عندهم من اشد غرض انفسهم لاعتلاق انفسهم بجميل الذكر ثم قال وابهم امرهم في هذه السورة ونفى عنهم القول لان هذه سورة الكتاب المدعو به الخلق وصرح بتفصيله في ال عمران لانها سورة قيام الله الذي به تجلي الحق فاظهر غيب امره في سورة اظهار امره واخفاه في سورة ظاهر دعوتهم انتهى ولما كان الحس قاصرا عما اخبر به سبحانه قال منبها على ذلك ولكن لا تشعرون انهم احيا كما ترون النيام همدا لا يتحركون ولا شعور لكم بما فيهم ينظر احلاما من غيره فلا لهم اعظم من ذلك في الدنيا ولا عيش ارغد منه في الاخرة واما المقتول من اعدايكم فليس له في الدنيا الا الخزي والتبجح بالكفر والذل والهوان والعذاب الذي لا اخر له في الاخرة قال الحرالي قال ذلك نفيا بكلمة لا لما ومثال الدوام ففيه اعلام بان الذين امنوا ليس في رتبتهم الشعور به اصلا الا ان يرقيهم الله بما يسن القلوب وصفا الانفس الى ما فوق ذلك من سن المومنين الى سن المحسنين الذين يشهدون من الغيب ما لا يشهده من في رتبة الذين امنوا انتهى وفي هذه الاشارة الى ان كون الله معهم لا يمنع ان يستشهد منهم شهدا بل ذلك من ثمرات كون الله معهم حيث يظفر من استشهد منهم بشهادة الاخرى ومن بقي بسعادة الدارين وتلخيص ذلك ان يقال انه لما كان حاصل ما تقدم في هذه السورة ان اهل الارض كلهم قريبهم وبعيدهم ووثنيهم وكتابيهم مطبقون على عداوة اهل هذا الدين وكان كثيرا ما يامرهم بالصبر على اذاهم اشتد تشوف النفوس الى انه هل بعد هذا الكف من فعل فاشار الى انه سيامر بجلاد الفجر على اذى اللسان بالصبر على جلاد السيف والسنان امرا عاما فقال عاطفا هذا النهي على الامر بالصبر اي اصبروا الان على هذا الاذى ثم اصبروا اذا امرتكم بالجهاد على وقع السيوف واقتحام الحتوف وفقد من يقتل منكم ولا تصفوهم بالموت ولعله فاجاهم بما تضمنته هذه الاية توطينا لهم على القتل في سبيله وكان استنفرهم الى الحرب تذكرة وبشرهم بان القتيل فيه حي وان رئي ميتا تسلية لهم عن هذا الحادث العظيم والخطب الجسيم ولما كان من شان الطين الذي منه البشر وما تولد منه انه لا يخلص عن الشوايب الا بعد معاناة شديدة الا ترى ان الذهب صفاه وهو لا يخلو عن الغش لا يبرى مما خالطه من الدنس الا بالامتحان بشدة النيران قال تعالى معلما لهم بالتدبير بما يحصل به التصفية بما تودي اليه مناصبة الكفار ومقارعة اهل دار البوار ولنبلونكم عطفا على ما ارشد اليه التقدير من نحو قوله فلنامرنكم بمقارعة كل من امرناكم من قبل بمجاملته ولنسلطن عليكم اهل الارض ولنبلونكم اي نصيبنكم باشيا اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم ليظهر الصابر من الجزع وقال الحرالي فالصبر الاول في ان الله مع الصابرين عن الكسل وعلى العمل والصبر الثاني في وبشر الصابرين على مصايب الدنيا فلذلك انتظم بهذه الاية ولنبلونكم عطفا وتجاوز الامر بوحدته بما من لم يجاهد في سبيل الله ضعفا عن صبر النفس عن كره القتال يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القتال وهو كره لكم فمن لم يحمل الصبر الاول على الجهاد اخذ بامور هي بلايا في باطنه تجاوزها الخطاب فانعطف عليها ولنبلونكم بشي من الخوف وهو غم النفس من امور ظاهرة تقرنها والجوع وهو غلبة الحاجة الى الغذا على النفس حتى تتراى جلة فيها لا تتامل عاقبته فاذا كان على غير غلبة مع حاجة فهو الغرث فلذلك في الجوع بلا والغرث عادة جارية وقال ايضا الجوع فراغ الجسم عما به قوامه كفراغ النفس عن الامنة التي بها قوامها فاعتوا مين في ذات نفسها بالخوف وفي بدنها بالجوع لما لم تصبر على كره الجهاد وقد كان ذلك لاهل الصبر عليه اهون من الصبر على الخوف والجوع وانما كان اول ما يلمح من هذا الابتلا الخوف حيث خافوا الاعدا على انفسهم فجاءتهم الى مواطنهم من لم يمش الى طيبة ليستريح جا الطبيب لهلاكه وشتان بين خوف الغازي للعدو في غزوه وبين خوف المحصر في اهله وكذلك شتان بين ارزاق المجاهد وتزويده وخير الزاد التقوى في سبيله لجهاده وبين جوع المتخلف عن عيلة انتهى وتنكير الشي وما بعده حثا على الشكر

بالاشارة الى ان كل من اصاب منها شيئا فقدرة الله ماهر اعظم منه فعدم الاصابة به نعمة ولما كان الجوع قد يكون عن رياضة بين انه عن حاجة بقوله **ونقص** وهو التقاصر عن الكفاف **من الاموال** اى التى كانت منها اغذيتهم قال الحرالى ان ذلك عرف استعمالهم فى لفظ المال وقال ايضا والمال ماهو للمتمول بمنزلة الجزء منه عنده لماله لذلك منه تضاعف تعالى منال البلاء فى ذوات انفسهم وابدانهم فيقطع عنهم لاجرم تطلع الكفاية من الاموال فى مقابلة ماينال المجاهد من العناء والرزق فالمجاهد امن فى جلسته منه وفى رحله غانم من عدوه له والمتخلف خايف فى اهله جايع فى عيلته ناقص المال من ذات يده انتهى ولما كان ذلك قد يكون عن افراط فى الكرم قال **والانفس** قال الحرالى فيه اشعار بان من جاهد كثر عدوه ونماولده وان من تكاسل قل عدوه وذوى خلفه وفى ضمنه اشعار بمنال المتكاسل حواصد من جوارف الاجال من الوبا والطاعون وغيره انتهى وقال **والثمرات** التى هى انفس الاشجار التى بها قوام انفس الابدان تخصيصا لها بالذكر لانها اعظم اموال الانصار الذين هم من اخص الناس بهذا الذكر لاسيما فى وقت نزول هذه الايات وهو اول زمان الهجرة ولما كان السياق مرشدا الى ان التقدير فانذر من لم يصبر ولكنه طوى اشارة الى اجلال الذين امنوا عن ان يكون فيهم من لم يصبر عطف عليه ارشادا اليه وحثا على الصبر ثم الذكر الموجبين للنصر قوله **وبشر الصابرين** وقال الحرالى ولما كان هذا البلاغ عن تكاسل من اولى الصبر كما قال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وكان مما يتراكم صبر عليه تدارك تعالى هذه الرتبة ببشرى الصابرين من هلكه ماينال من لم يصبر على هذه المصيبة وتجزعها وتسخطها فكان للصابر الاول الصحبة بقوله ان الله مع الصابرين وكان للصابر الثاني البشرى بالسلامة من عقوبة الاخرة ومالهم لما فاتهم وشتان بين من كان معه وبين من قيل لنبيه بشرهم بصبره على بلاء التخلف ولما كان للانفس مدخل فى تحمل شرفا وحفيظة على الاحساب والرتب لا تنبو بمخلص تعالى الصابرين لمن الصابرين تعظيما وتكاملا فقال **الذين اذا اصابتهم** من الاصابة وهى وقوع السدد على حد ما سدد له من موافق لغرض النفس او مخالف لها **مصيبة** خصصته عرف الاستعمال بما لا يوافق ذكرها الخصوص ذكره انتهى والمراد اى مصيبة كانت ولو قلت وضعفت بما افهمه تانيث الفعل **قالوا انا لله** اى الملك المحيط بكل شئ اسلاما بانفسهم لربهم فهو يفعل بنا من هذه المصيبة وغيرها ما يريد فلو المسئول فى ان يكون ذلك اصلح لنا ولما كان التقدير بيانا لكونهم لله تقريرا للاستسلام به نحن مبتدئون عطف عليه قوله **وانا اليه** اى لا الى غيره **راجعون** معنى ان جميع امورنا لا يكون شئ منها الا به وحسابا للبعث وظهورا ذلك بعده ظهورا تاما قال الحرالى ليكون ذلك غاية فى اسلام ثمراتهم واموالهم وما نقص من انفسهم حين لم يجاهدوا فى ذلك سبيل الله له فاصابتهم المصايب كان ثلاثيهم ان يسلموا امرهم لله ويذكروا مرجعهم اليه وليشعروا ان ما اخذ من انفسهم وما معهما ذخيرة عنده فيكون ذلك شاهدا بايمانهم ورجاء بهم للقايهم فتقع بحاهدتهم لانفسهم فى ذلك بوقع جهادهم فى سبيل الله الذى فاتهم وجعلها تعالى جامعة مطلقة لكل من اصابته مصيبة فاسترجع بما تثبت اجره بما اصيب وتلافاه الله بالاهتدا الى ما تقاصر عنه قبل ذلك قال **اولىك** له خطابا لنبيه واستحضارا لهم بمحل بعد عن قربه وغيبة عن اقباله عليهم قال **عليهم صلوات** صلاة الله على عباده هى اقباله عليهم بعطفه اخراجا لهم من حال ظلمة الى رفعة نور قال هو الذى يصلى عليكم وملايكته ليخرجكم من الظلمات الى النور فبصلواته عليهم اخرجهم من جهات ما اوقعهم فى وجوه تلك الابتلاات فلذلك كان ذلك صلوات بالجمع ولم يكن صلاة ليعدد ما اصابهم منه عدة تلك الابتلاات وفى قوله تعالى **من ربهم** اشعار بتدريجهم فى ذلك بحكم تربيته وتدارك الاحوال على ما اصابهم قال تعالى **ورحمة** افرادا لما نالها لهم بعد متقدم الصلوات عليهم فنالتهم الرحمة جمعا حين اخرجتهم الصلوات على ما اصابهم قال تعالى **واولىك** اشارة للذين نالتهم الصلوات والرحمة فنالهم مع ذلك فى محل بعد فى الحضرة وغيبة فى الخطاب **هم المهتدون** لمابلغهم اشعارا بصلاح بواطنهم عاجزه الابتلاء من انفسهم انتهى والذى يلوح لى ان اداة البعد فى اولىك اشارة الى علو مقامهم وعز مرامهم ولذا عبر عن هدايتهم بالجملة الاسمية على وجه يفهم الحصر والصلاة الانعام بما يقتضى التشريف والرحمة الانعام بما يقتضى العطف والتحنن والله الموفق وفى ذلك اشارة الى الامر بالاعراض عن اهل الكتاب فيما يطعنون عليهم به بالسنتهم والاملاء لهم الى حين الاذن فى مطاعنتهم بالرماح ومصالتهم ببيض الصفاح كما فى الاية الاخرى لتبلون فى اموالكم وانفسكم الى اخرها ويمكن ان يراد بالخوف الجهاد وبالجوع الصوم وبنقص الاموال زكاة الصامت من المال وبالانفس زكاة الحيوان وبالثمرات زكاة النبات لكن الانسب لافتتاح الاية واختتامها وما بعدها وتلاها ان تكون مقصودة على الجهاد ولما وقع بما اراد من احوال الطاعنين فى القبلة التى هى قيام للناس وما استتبع ذلك مما يضطر اليه فى اقامة الدين من جهاد لهم له وجلادهم وختم ذلك بالهدى شرع فى ذكر ماكان البيت به قياما للناس من المشاعر العايدة الى كل خير الحامية عن كل ضير التى جعلت مواقيتهما اعلاما على الساعة ولاسيما والحج اخو الجهاد فى المشقة والزوج عن الوطن وقد سماه النبى صلى الله عليه وسلم احد الجهادين مع انه من اعظم مقاصد البيت المذكورة فى هذه الايات مناقبه المتلوم ماثره المنصوبة شعايره التى هى فى الحقيقة دعايمه من الاعتكاف والصلاة والطواف المشار الى الحج واعتباره بقوله مثابة للناس وامنا فافتتح به بعد تلك الاشارة بعض الافصاح اذكان لم يبق من مفاخره العظمى غيره وضم اليه العمرة الحج الاصغر لمشاركتها له فى اظهار فخاره واعلا مناره **ان الصفا والمروة** له فهو كالتعليل لاستحقاق البيت لان يكون قبلة وعرفهما لانهما جبلان مخصوصان معهودان تجاه الكعبة اسم الصفا من الصفو وهو ما خلص من الكدر واسم المروة من المرو وهو ما تحدد من الحجارة قاله الحرالى وخصهما هنا بالذكر اشارة الى ان بركة الاقبال عليهما على ما شرع الله مفيده لحياة القلوب بما انزل على هذا الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب والحكمة الباقيين له الى اخر الدهر شفا للقلوب وزكاة للنفوس زيادة للنعمة بصفة الشكر وتعليما بصفة العلم كما كان الاقبال على السعى بينهما

تسليما لامر الله مفيدا الحياة لابنه اسمعيل عليه السلام وتفجر من تحت رجله بما انبع له من ماء زمزم الباقى الى قيام الساعة طعام طعم وشفا سقم وفى ذلك مع تقديم الصفا اشارة للمبصر امن ارباب القلوب الى ان الصابر لله المعتبر فيما تليها ينبغى ان يكون جامعا بين الصلابة والصفا فيكون بصلابته المجرية مانعا من الخواطر الشيطانية وبرقته الزجاجية جامعا للوامع الرحمانية بعيدا عن القلب المائى بصلابته وعن الحجرى بصفايه واستنارته ومن اعظم المناسبات بعضا كون سبيل الحج اذ ذاك كان ممنوعا باهل الحرب فكانها علة لما قبلها وكانه قيل ولنبلونكم بما ذكر لان الحج من اعظم شعاير هذا البيت الذى امرتم باستقباله وهو مما يعوض عليكم وسبيله ممنوع بمن يحلون فلنبلونكم بقتالهم لزوال مانع الحج وقتال غيرهم من اهل الكتاب وغيرهم لاتمام النعمة بتمام الدين وظهوره على كل دين ومن احسنها ايضا انه تعالى لما ذكر البلايا بنقص الاموال بسبب الذنوب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم اتبعها الدوا الجابر لذلك النقص دينا ودنيا فان الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الذهب والفضة رواه الامام احمد والترمذى والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى ايضا عن عدة من الصحابة رضى الله عنهم كما بينته فى كتابى الاطلاع على حجة الوداع وقال الحرالى لما تقدم ذكر جامعة من امر الحج فى قوله تعالى ولاتم نعمتى عليكم من حيث ان النعمة المضافة اليه احق بنعمة الدين وفى ضمنها نعمة الدنيا التى لم يتهيا الحج الا بها من الفتح والنصر والاستيلاء على كافة العرب كما قال تعالى لما انزل يوم تمام الحج الذى هو يوم عرفة اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى وذلك بما اتم الله عليهم من نعمة تمام معالم الدين وتاسيس الفتح بفتح ام القرى التى هى فى فتحها فتح جميع الارض لانها قيام الناس نظم تعالى بما تلاه من الخطاب تفصيلا من تفاصيل امر الحج انتظم بامر الذين امنوا من حيث ما فى سببه نزاله من التحرج للذين علوا بوضع الجناح عنهم وهم طايفة من الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد تحت حرا من التطوف بين الصفا والمروة وطايفة ايضا خافوا ان يحجهم فى الاسلام بعملهم نحو ما كانوا يعملونه فى الجاهلية نقص فى عمل الاسلام فاعلمهم الله ان ذلك موضوع عنهم لتخلف نياتهم فان الاعمال بالنيات فما نوى لله كان لله ولم يبال فيه بموافقة ما كان من عاداتهم فى الجاهلية وفى نفقته صحة السجود لله لمن اكره على السجود للصنم وفى طى ذلك صحة التعبد لله بكلمة الكفر لمن اكره عليها اذن صلى الله عليه وسلم غير مرة فى ان يقول فيه قايل ما يوافق الكفار بحسب نيته للقايل فى ذلك ولعقد حاجة له من حوايج دنياه عند الكفار فظهر بذلك كونه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين بقبل العذر ولا يبالى بالظواهر فى احوال الضراير فرفع الله عنهم الجناح بحسن نياتهم واخلاصهم لله علمهم فهذا النحو من التقاصر فى هذه الرتبة انتظم افتتاح هذا الخطاب بما قبله من احوال الذين امنوا من المبتلين بما ذكر انتهى **من شعاير الله** اى اعلام دين الله الاعلى الذى له كل شئ لجلاله وقال الحرالى وهى اى الشعاير ما احست به القلوب من حقه وقال والشعيرة ما شعرت به القلوب من امور باطنة ذلك ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى القلوب وانما ذكرها تعالى بالشعاير وعلمها معلم من معالم الاسلام وحرمة من حرم الله لما كان حكم فى امر القلوب التى كان فى ضمايرها تحرجهم لمن حيث ذكرها بالشعيرة صححها الاخلاص والنية **لمن حج** من الحج وهو تردد القصد الى ما يراد خيره وبره وقال الاصبهانى فى اصله زيادة شئ تعظمه انتهى **البيت** ذكر البيت فى الحج والمسجد الحرام فى التوجه لانما الطواف الى البيت واتساع المصلى من حد المقام الى ما وراه لكون الطايف منتهيا الى البيت وكون المصلى فلما يحل لوبه بوجه عن منتهى الطايف من مداناة البيت وذكره تعالى بكلمة من المطلقة المستغرقة لا ولى العقل شكا بالخطاب عن خصوص المتحرجين نفى الطلاق اشعارا بان الحج لا يمنعه شئ مما يعرض فى مواطنه من مكروه الدين لاشتغال الحاج بما هو فيه عما سواه نفى حتى تعقد اعراض الحاج عن مناكر تلك المواطن التى تعرض فيها بحسب الازمان والاعصار ويؤكد ذلك ان الحج اية الحشر واهل الحشر لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فلذلك حكم ماهو اية وحج البيت اتيانه فى خاتمة السنة من الشهور الذى هو شهر ذى الحجة اية ختم العمرة كما كان للنبى صلى الله عليه وسلم حيث ختم الله عمره بعمل الحج قال تعالى **او اعتمر** تذكر العمرة مع الحج لما كان التطوف بين الصفا والمروة من شعاير العملين **فلا جناح** وهو المواخذة على الجنوح والجنوح الميل عن جادة القصد انتهى **عليه ان يطوف** اى يدور وربما يعدد ونشاط **بهما** بادرا بما يرد الله به قال الحرالى ورفع الجناح عن الفعل حكم يشترك فيه الواجب والجايز والفرض والمباح حتى يصح ان يقال لا جناح عليك ان تصلى الظهر كما يقال لا جناح عليك ان تطعم اذا جعت وانما يشعر بالجواز والتخيير نفى الجناح عن الترك لا عن الفعل كما قال عليه الصلاة والسلام للذين سالوه عن العزل لا جناح عليكم ان لا تفعلوا اى الا تتركوا لان الفعل كناية عن الثبوت لا عن الترك الذى هو معنى العزل وهو الذى قررته عايشة رضى الله عنها اى لما قال لها عروة ما ارى على احد شيئا ان لا يطوف بهما فقالت لو كان كما تقول كان فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما الحديث قلت ولعل التعبير بالنفى انما اختير ليدل على نفى ما توهموه بالمطابقة وتقع الدلالة على الوجوب بافهام الجزالان من حج او اعتمر ولم يطوف بهما كان عليه جناح وبالسنة التى بينته من قوله صلى الله عليه وسلم اسعوا فان الله قد كتب عليكم السعى ومن فعله صلى الله عليه وسلم مع قوله خذوا عنى مناسككم ومن عدهما من الشعاير ونحو ذلك قال الحرالى وما يروى من قراءة من قرا ان لا يطوف بهما فليست لا نافية على حد ما نفت معناه عايشة رضى الله عنها وانما هى موكدة للاثبات بمنزلة ما منعك ان لا تسجد ولئلا يعلم اهل الكتاب لان من تمام المبهم استعماله فى المتقابلين من النفى والاثبات كما استعمل فى وجوه من المقابل كما تستعمل ما فى النفى والاثبات وكذلك له جاءت لا فى لسان العرب بمنزلتها فى الاستعمال وان كان دون ذلك فى الشهرة فنوادر القران معتبرا على رتبة لغة العرب وافصحها لا يحصل على تصحيح عربيته من اقتصر من النحو والادب على ما دون الغاية لعلوم فى رتبة العربية انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون

انتهى والذين قرؤا بزيادة لا علي وابن عباس بخلاف عنه وابي بن كعب وابن مسعود وانس بن مالك رضي الله عنهم وسعيد بن جبير ومحمد بن سيرين وميمون بن مهران كما نقل ذلك الامام ابو الفتح عثمن ابن جني في كتابه المحتسب في توجيه القراءات الشواذ ومعنى قول عائشة رضي الله عنها لكان ان لا يطوف بهما خاصة ولم ترد قراءة بالاثبات واما مع قراءة الاثبات فان المعنى يرشد الى ان قراءة النفي مثلها لان كونهما من الشعائر يقتضي التطوف بهما لا ابقا لهما والله اعلم قال الحرالي وذكره تعالى بالتطوف الذي هو تفعل اي تشبه بالطواف ومع البيت بالطواف في قوله تعالى ان طهرا بيتي للطائفين لما كان السعي ترددا الى طول والمراد الاحاطة بهما فكان في المعنى كالطواف لا في الصورة فلم يجعله لذلك تطوفا اي تشبها بالطواف انتهى ولما كان الصحابة رضي الله عنهم لم يقصدوا بترك الطواف بينهما الا الطاعة فاعلموا ان الطواف بينهما طاعة عبر بما يفيد مدحهم فقال تعالى ومن تطوع اي قال الحرالي اي كلف نفسه معاهدة البر والخير من غير استدعاء خيرا ابتدا اعلام بفضيلة التنفل في الحج والعمرة بالهدي ووجوه المرافق للرفقاء بما يعمه لفظ الخير لان عرفا استعماله في خير الرزق والنفقة كما قال تعالى وانه لحب الخير لشديد وان ترك خيرا ولما كان رفع الجناح تركا عادلها في الخطاب باثبات عمل خير ليقع في الخطاب باثبات يفيد عملا حين لم يفد الاول الا تركا فمن تحقق بالايمان اجزل نفقاته في الوفادة على ربه واختصه في اغراض نفسه ومن حرم النصف من دنياه انتصر في نفقاته في وفادته على ربه واجزل نفقاته في اغراض نفسه وشهوات عياله فذلك من اعلام المؤمنين واعلام الجاهلين من وفد على الملك اجزل ما يقدم بين يديه وانما قدمه بالحقيقة لنفسه لا لربه لمن شكر نعمة الله باظهارها خير الوفادة عليه في اية نعمة اليه ولقا بوله شكر الله له ذلك يوم يلقاه فكانت هدايا الله له يوم لقائه اعظم من هديته له يوم الوفادة عليه في حجه وعمرته فان الله اي المحيط بجميع صفات الكمال شاكر اي مجاز بالاعمال مع المضاعفة لثوابها قال الحرالي وقوله عليم فيه تحذير من مداخل الريا والسمعة في اجزال النفقات لما يغلب على النفس من التشامي في اظهار الخير انتهى ولما تقدم ان بعض اهل الكتاب يكتمون ما يعلمون من هذا الحق وختم ما اتبعه له بصفتي الشكر والعلم ترغيبا وترهيبا بانه يشكر من فعل ما شرعه له ويعلم ما اخفاه وان دق فعله وبالغ في كتمانه انعطف الكلام الى تبكيت الماقتين منهم والمصارحين ولعنهم على كتمانهم ما يعلمون من الحق اذ كانت هذه كلها في الحقيقة قصصهم والخروج الى غيرها انما هو استطراد على الاسلوب الحكيم المبين لان هذا الكتاب هدى وكان السياق مرشدا الى ان التقدير بعد شاكر عليم ومن احدث شرا فان الله عليم قدير توصل به استئنافا قوله على وجه يعمهم وغيرهم ان الذين يكتمون بيانا لجزائهم ما انزلنا بعظمتنا قال الحرالي فانتظمت هذه الاية في ختمها لهذا الخطاب بما مضى في اوله من قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون فكانت في البداية خاصة وكان الختم عاما ليكون ما في كتاب الله امرا على نحو ما كان امر محمد صلى الله عليه وسلم ومن تقدمه من الرسل خلقا لينطبق الامر على الخلق بدا وختما انطباقا واحدا فيم كل خاتم من الاولين والاخرين انتهى من البينات اي التي لا تحتاج سامعها المجرد عن الهوى في فهمها الى شي معها قال الحرالي في تمامه اذ في كتم ما يجب من العلم عن عقول لم تصل اليه انتهى والهدى اي الذي من شانه ان يقود من اصحبه الى صراط مستقيم ولما كان المراد الترهيب من الكتمان في وقت ما ولو قل اثبت الجار فقال من بعد ما بيناه اي بما لنا من العظمة للناس اي الذين هم في ادنى طبقات المخاطبين وفيه تبكيت عظيم لبني اسرائيل فانهم من اعظم المقصودين بذلك لكتمانهم ما عندهم قال الحرالي لان المسمين بالناس من اصاغر سن العقول المذكورين بنوسهم واكثر ما خص به كتمهم الملوك ورؤسا القبائل واتباعهم الذين زين لهم حب الشهوات انتهى في الكتاب اي الجامع لكل خير قال الحرالي لما بينه الله في الكتاب لا يحل كتمه لما ذكر من ان الكتاب هو ما احتوى على الاحكام والحدود بخلاف ما يختص بالقرآن او يعلو الى رتبة الفرقان انتهى ولما كان الصادع والاعلى التحديد المستمر وكان الاصرار المتصل بالموت دالا على سوء الجبلة اسقط فا السبب اشارة الى انهم استحقوا ثم للخزي في نفس الامر من غير نظر الى سبب فقال اولئك اي البعدا البغضا يلعنهم الله اي يطردهم الملك الاعظم طرد خزي وذل ويلعنهم اللاعنون اي كل من يصح منه لعن اي هم متهيئون لذلك ثم يقع لهم ذلك بالفعل عند كشف الغطا واخص من ذلك واسهل تناولا ان يقال لما كان اشق الصبر ما على فقد المحبوب من الالف والامن والسعة وكان العلم واقعا بان عداوة الكفار لم تزل الى ابتلايهم بذلك اتبع امر الصبر بقوله ولا تقولوا الايتين فكانه قيل لا تقولوا كذا فليكتبن عليكم الجهاد فلتجاهدوا ولنبلونكم فيه بشي من الخوف الاية لان الصفا والمروة من شعاير الله ووصولكم اليهما ممنوع بالكفار فلابد في الفتح من قتالهم وقد جرت العادة في القتال بمثل ذلك البلا ولما تم امر القبلة وما استتبعه وختم بشعائر الحج المكتوبة على الناس عامة الامر لهم بها باني البيت ابرهيم عليه السلام عن امر الله تعالى بقوله واذن في الناس بالحج فقام على المقام يا ايها الناس كتب عليكم الحج فحجوا فاجابه من علم الله انه يحج ثم حج الانبيا من بني اسرائيل بن ابرهيم عليهما السلام ثم اخفاها اهل الكتاب فيما اخفوه من كتابهم حسدا للعرب وختمت بان الحج بعلم رجع الى امر الكاتمين الذين يكتمون الحق وهم يعلمون واعظم ما كتموا امر هذا الكتاب الذي هو الهدى المفتتح به السورة ولما بين جزاءهم استثنى منهم التائبين سيقا لشرائط التوبة الثلاثة فقال الا الذين تابوا بالندم على ارتكاب الذنب واصلحوا بالعزم على عدم العود وبينوا ما كانوا كتموه فظهرت توبتهم بالاقلاع ولما كان الانسان يعيب ما كان بسبب منهم دعتهم في المتاب بعد توبتهم سببا لتوبته ورحمته وان كان ذلك كله سابقا منه في نفس الامر فقال معبرا له بالفا فاولئك العالو الرتبة اتوب عليهم اي اقبل توبتهم فاحفظهم بما يشعرونه مثال العقل الدائم بينما وفقتهم لا بتدايه وفي الوسط بالفا اشارة الى اسراع استنقاذ توبة الله عليهم من نار الخوف والندم رحمة منه لهم برفعهم الى موطن الانس لان نار الخوف في الدنيا المعترف رحمة من عذاب النار تتعد به من نار السطوة في الاخرة من لم يحترق بنار المجاهدة احرقته نار الخوف لمن لم يحترق له بنار الخوف احرقته نار السطوة افاده الحرالي ولما كان من شان الانسان معاودة الذنوب لصفة النسيان ختم الاية بما دل بدع على

ان

ان التقدير وانا اي احب التوابين فقال وانا التواب اي مرة بعد مرة لمن كر على الذنوب ثم راجع التوبة كرة اثر كرة الرحيم لمن فعل ما يرضيني ولما لعن الكاتمين واستثنى منهم التائبين ذكر المصرين معبرا عن كتمانهم بالكفر لانه العبارة كل كفر فقال ان الذين كفروا اي بهذا الكتمان وغيره وماتوا وهم كفار قال الحرالي نفي استماره بتيسير توبة الكافرين وعن توبة المنافقين من حيث صرح بذكر توبة الكاتم وتجاوز في الذكر توبة الكافر فكان الذين كفروا لا يتوبون الا الاقل والذين يكتمون يتوبون الا الاقل فلذلك وقع الاستثنا في الكاتم والتخصيص من الكافر انتهى ولما كان الموت على شي دالا على اصل الجبلة فالميت كافرا مجبول جبلة شر بين سبحانه انه مستحق في نفس الامر لكل خزي لذلك السبب حدده لمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه لانه سبحانه لا يسئل عما يفعل فاسقط فا السبب وعبر عنهم باداة البعد اشارة الى طردهم فقال اولئك اي الذين هم في غاية السفول عليهم لعنة الله اي طرد الملك الذي لا ملك سواه وابعاده ثم بين اللاعنين في التي قبلها فقال والملئكة والناس اجمعين اي هم اهل لذلك وكل احد يلعن الظالم والظلم الظالمين الكافر خالدين فيها اي اللعنة ولما كان اللعن دالا على العذاب صرح به فقال لا يخفف عنهم العذاب لاستعلا اللعن عليهم واحاطته بهم وقال الحرالي ذكر وصف العذاب بذكر ما لزمهم من اللعنة ليجمع لهم بين العقابين عقابا من الوصف وعقابا من الفعل كما يكون لمن يقابله نعيم ورضى انتهى ولاهم ينظرون قال الحرالي من النظرة وهو التاخير المرتقب نجازه انتهى فالمعنى انهم لا يمهلون من مهل ما اصلا كما يمهلون في الدنيا بل يتبع عليهم العذاب حال فراقهم للحياة ثم لا يخفف عنهم قال الحرالي في انهامه اشعار بطايفة يخرجون عنهم

اي من جفاة المومنين ح

وفي مقابلته الجزاء اعلم باحوال اهل الدنيا فصيبهم باصناف في اقتراف السو لمن دوامه داوم مد العذاب ومن اخرج وقتا ما في دنياه اخرج عنه العذاب ومن تزايد رغبته تزايد عذابه وذلك لكون الدنيا مزرعة الاخرة وان الجزا بحسب الوصف سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم انتهى ولما افاض عليهم سبحانه ما افاض من بحار الحجاج المعرفة بالامواج وقرر ما اراد من شرايع الاسلام على وجه الاتقان والاحكام وارشد هذا السياق المذكور فيه ثواب المطيع وعقاب العاصي الى ان التقدير فالهكم اله واحد لا شريك له يدانيه عما يريد الا اله الا هو المنتقم من اعدايه العظيم في كبريايه عطف عليه مكررا الزاجر لكل منافق وكافر ومذكرا بالعاطف لكل موافق سوالف قوله تعالى والهكم ولما كان المراد ان الواحدية معتبرة في نفس الامر الا للحق فلا يصح اصلا ان يكون الا للحق منقسما بالنوع ولا بالتشخص ولا بالوصف ولا بالفعل ولا بغير ذلك بوجه من الوجوه اعاد لفظ الا له فقال اله واحد اي لا ينقسم بوجه من الوجوه لا لمجانسة ولا غيرها وهو مع ذلك لا اله الا هو تعين بالوحدانية بنفي غيره واثباته فلا يصح بوجه ولا يمكن في عقل ان يصلح للالهية غيره اصلا فلا يستحق العبادة الا هو لانه الرحمن اي العام الرحمة بالنعم الزايلة لاوليايه واعدايه الرحيم اي المختص بالنعم الباقية لاوليايه فثبت للمنفرد بالالوهية انه حايز لجميع العظمة وبيده مجامع الكبريا والقهر ولوجهي الرحمة انه مفيض لجلايل النعم ودقايقها فكل ما سواه اما نعمة او منعم عليه فهو المخشي سطوته المرجو رحمته يغفر لمن تاب ويلعن من كفر ويخلده في العذاب من غير ان يقدر غيره ان يعترض عليه في شي من ذلك ولا يبعد عندي وان بعد المدى ان تكون الواو في قوله والهكم عاطفة على قوله في اوايل السورة وهو بكل شي عليم قبل قوله واذ قال ربك للملئكة اني جاعل في الارض خليفة فان التوحيد هو المقصود بالذات وعنه تنشا جميع العبادات فلما قال اولا يا ايها الناس اعبدوا ربكم اتبعه في قوله الذي خلقكم الى اخره بوصف هو دليل استحقاقه للعبادة فلما قام الدليل قال فلا تجعلوا لله اندادا اعلاما بانه لا شريك له في العبادة كما انه قد تبين انه لا شريك له في الخلق ثم اتبعه بما يليق بذلك المقام مما تقدم التنبيه عليه ثم رجع اليه قايلا ثانيا كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الى اخرها فاعاد الدليل على وجه ابين من الاول وابسط فلما تقرر على وجه لا مطعن فيه امر الوحدانية والاعادة كان الانسب ما ولاه من الايات السابقة لما ذكر فيها من غير ذلك من المهمات الى ان صار الى ذكر الكاتمين والتائبين والمصرين وذكر ما اعد لكل من الجزا فاتبع ذلك هذه الاية عاطفا لها على ما ذكرته على وجه اصرح مما تقدم في اثبات التوحيد بيانا لما هو الحق واشارة الى انه تعالى ليس كملوك الدنيا الذين قد يحول بينهم وبين اثابة بعض الطايعين وعقوبة بعض العاصين بعض اتباعهم فانه واحد لا كفو له بل لا مداني فلا مانع لنفوذ امره ولا يستنكر تجويز هذا العطف لانه جرت عادة البلغا ان احدهم اذا اراد اقامة الحجة على شي لامر يرتبه عليه ان يبدا بدليل كاف ثم يتبعه تقويها لثمرات الجناة منه ثم يعود الى تاكيده على وجه اخر لتانس به النفوس وتشرب به القلوب وربما كان الدليل طويل الذيول كثير الشعب فيشرح كل ما يحتاج اليه من ذيوله وما يستتبعه من شعبه فاذا استوفى ذلك وراى ان الخصم لم يصل الى غاية الاذعان اعاد له الدليل على وجه اخر عاطفا له على الوجوه الاول تذكيرا بما ليس بمستنكر ذلك في مجاري عاداتهم ومباني خطاباتهم ومن تامل مناظرات اهل البلا فلاني في احزابه من اولي الحفظ الواسع والتبحر في العلم علم ذلك وقال الحرالي ولما كان مضمون الكتاب دعوة الخلق الى الحق والتعريف بحق الحق على الخلق واظهار مزايا من اصطفاه الله ممن شملهم اصل الايمان من ملايكته وانبيايه ورسله ومن يلحق بهم من اهل ولايتهم واظهار شرف الهدى لك منهم واقامة الحجة بذلك على من دونهم في لزامهم اتباعهم وكان الفساد للخلق انما هو الشتات كان القائم لهم انما هو الوحدة فلما اظهر لهم تعالى مرجعهم الى وحدة ابوة ادم عليه السلام في جميع الذرية ووحدة ابوة ابرهيم عليه السلام في جميع الاسلام ووحدة احدية محمد صلى الله عليه وسلم في جميع الدين فانتج لهم عيب الشتات والتفرق وتحقق لهم شتا هذا النفع في الجمع الى وحدات كان ذلك اية على عظم الانتفاع بالرجوع الى وحدة الالهية في امر الحق وفي مهمام ذلك وحدات ما بطن في ظاهر الوحدات الظاهرة من وحدة الروح ووحدة النفس والعقل فقال تعالى عطفا على ما ظهر بيانه من الوحدات الظاهرة وما افاده فيما منها من الوحدات

الباطنة والهيكل الواحد فاذا فتح الشتات مع وحدة الاب الوالد فكيف به مع وحدة الاب المدبر فكيف به مع وحدة النبي المكمل فكيف به مع وحدة
الاله الذي هو الرحمن الذي شمل خلقه رحمانية الرحيم الذي اختص اولياءه واصفياءه عناية لجمعهم بوحدته التي هي قائم كل وحدة دونه تجمع اسبابها وحدة
تنتهي وحدتها الى وحدة الاله الذي انتهى اليه الا اله وهو تعبد الظاهر لجا المتعبد اليه في كل حاجاته واقاماته الظاهرة والباطنة ولا اثم من وحدة
مالا يتصوره العقل ولا يدركه الحس في علو وحدة الغيب الذي لا يبدو فيه ذات فيكون لها او فيها كميات ولا كيفيات ثم قال وقد صح بالتجربة ان الراحة
في صحبة الواحد وان التعب في اتباع العدد لاختصاص كل واحد بقصد في التابع يتشاكس عليه لذلك حال اتباعهم فكان اعظم دعوة الى جمع الخلق دعوتهم
الى جمع توحيد الالهية انتظاما بما دعوا اليه من الاجتماع في اسم الربوبية في قوله تعالى في مقدمها يا ايها الناس اعبدوا ربكم فاعلا الخطاب من رتبة الربوبية
الى رتبة هذه الدعوة بالالهية ليتعلو من هذا الحد الى الدعوة الى الاله الاحد الذي حديثه مركوزة في كافة فطر الخلق وجبلاتهم حين لم يقع الشرك فيه
بوجه وانما وقع في رتبة الالهية فكان هذا اوسط الدعوة بالاجتماع في وحدة الالهية وفي اضافة اسم الاله عليهم ثم انزل بمقدار معقولهم من تعبدهم
الذي هو تالههم ولما كان في الالهية دعوى كثيرة بوهم الضلال المبين اتبع ذلك بكلمة التوحيد بناء على اسمه المضمر في باطن تجاهر الالهية فقال تعالى
لا اله الا هو ردا على اضمار ما في الاول ولم يذكر اسمه المظهر ليكون للدعوة اليه رتبة عالية تكون هذه منولا اليها ولما كان هذا التوحيد الالهي
امر غيب من الاله اظهره تعالى بمظهر الرحمانية المحيطة الشاملة والرحيمية الاختصاصية لما عند الخلق من شاهد ذلك فيما يجدونه من اثر
الرحمانية في دنياهم وظاهرهم وما يجدون من اثار الرحيمية في اختصاصهم بالمزية في تضاعف رحمته فكان في مجموع هذه الاية اعطية من
غيب الالهية الى تمام اختصاص الرحيمية فلذلك كانت هذه الاية مع اية الاحاطة في اول ال عمران الجامعة لمقابل ما في هذه الاية من خصوص
الرحيمية مع خصوص مقابلها من وصف الانتقام الظاهر عن وصف العزة الذي ابداه قوله تعالى والله عزيز ذو انتقام فكانت هذه الاية
لذلك مع الم الله لا اله الا هو الحي القيوم اسم الله الاعظم المحيط بالغيب والشهادة جمعا للرحمة والنقمة في الظاهر واحاطة عظمة في الباطن
فكان هذا الحد من علو الخطاب ابتدا رفع للخلق الى التعلق باسم الله الاعظم الذي يبرئهم عن سفل تعبدهم بانفسهم المحجوزة الخاصة المسدا العابرة
بهذه الامة الخاتمة انتهى ولما كان هذا المقام لا يبعد الا بتمام العلم وكمال القدرة نصب الادلة على ذلك في هذه الاية الثالثة بابسط مما
في الاية الثانية كما كانت الثانية ابسط من الاولى واجلى تبصيرا للجهال وتذكيرا للعقلا فكانت هذه الاية تفصيلا لتلك الايتين السابقتين
ولم تدع حاجة الى مثل هذا التفصيل في اية ال عمران لان معظم المراد بها الدلالة على شمول القدرة واما هذه فدليل على التفرد فكان لا بد من ذكر ما
ربما اضيف الى اسبابه القريبة تنبيها على انه لا شريك له في شيء من ذلك فان الكل بخلقه وان اقام لذلك اسبابا ظاهرة فقال تعالى ان في
خلق السموات جمعها لاختلاف اجناسها ولان تعددها يعرف بالكواكب فلتمييز اقامة الدليل عليه وقدمها لانها اشرف واعجب خلقا
واكبر والارض اي واختلافهما فان خلق ما ذكر في الاية من نعمته على عباده كما ذكر في اول السورة ثم ذكر ما يغشاهما فقال واختلاف
وهو افتعال من الخلف وهو ما يقع من افتراق بعد اجتماع في امر من الامور الليل قدمه لانه الاصل والاقدم والاية تمم الليل الاية والنهار
وخلقهما فالاية من الاصناف ذكر الخلق اولا دليلا على حدوثه ثانيا والاختلاف ثانيا على حدوثه اولا وقال الحرالي ولما كان من سنة الله ان من
دعاه اليه والى رسله بشاهد خرق عادة في خلق او امر عاجله بالعقوبة في الدنيا وجدد بعده امة اخرى كما قال تعالى وما منعنا ان نرسل
بالايات الا ان كذب بها الاولون وكانت هذه الامة خاتمة ليس بعدها امة غيرها اعفاها بما من احتياجها الى خرق العوائد قال عليه
الصلاة والسلام ما من نبي الا وقد اوتي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا
فكان امر الاعتبار داعي اجابة واسع مخالفة وكفاها بما نداظهره لها في خلقه بالابدا والتسخير من الشواهد ليكونوا احلما سنا دين لروح العلم
لا لسلطان القهر فيكون ذلك من مرابام على غيرهم ولم يحجها الى ما سالته من ذلك فكما وصل تعالى بدعوة الربوبية ذكر الخلق والرزق له
وذكر الارض بانها فراش والسما بانها بنا على عادة العرب في رتبة حس ظاهر اعلامهم في هذا الخطاب بابراد اياته وشواهده على علو رتبة
معنى معقول فوق رتبة الامر المحسوس السابق فقال ان في خلق السموات والارض خطابا مع من له نظر عقلي يزيد على نظر الحس باعتبار
السموات كلا كلها وعددها بشواهد تخوتها حتى يتعرف انها سموات معدودة وذلك مما يظهر موقعه عند من له اعتبار في تخلوق السموات
ولما لم يكن للارضين شواهد محسوسة بعددها كما في السموات لم يجر ذكرها في القران الا مفردة وجاذكر السموات معدودة لاهل النظر
العقلي ومفردة لاهل النظر الحسي وايسر معتبر ما بين السموات والارض في مقابلة حظيهما في كون السموات في حد من العلو والصفا والنور
ابنية والحركة والارض في مقابل ذلك من السفل والكثافة والظلمانية والسكون فيقع الاعتبار بحصول شهود التعاون من شهود التقابل
وذلك مما يحير الخلق فيعلمون انه من امر الحق لان الخلق انما يقع لهم التعاون بالمتناسب لا بالمتقابل لان الماء مثلا تفسده عليه النار ومن
النار تفسد عليه الماء والحق تعالى اقام الخلق والموجودات والمواد الاحادا لجميعة تدهم فيهما متنافرات موجودات الاركان وموجود خلق
السما والارض المشهود فقابلهما فما وقع اجتماع النار بالماء على تقابل ما بين الحار والبارد واجتماع الهوا بالارض على تقابل ما بين الكثيف
واللطيف واجتماع الكل في شيء واحد من جسم واحد وعضو واحد حتى في جزء واحد من ادق اجزائه الا بامر يعجز عنه الخلق ولا يقدر عليه الا
الحق الذي جاز فيه الخلق فهو اذن الههم الذي هو الله واحد فاثاره عندهم موجودة في انفسهم وشواهده مبصرة باعينهم وحقايق تلك الشواهد
بادية لعقولهم فكانه تعالى اقام ذكره الحكيم المرئي لنفسهم كشفا لغطا اعينهم فتبصروا عن الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري ولما ذكر تقابل
خلق متقابل العلو والسفل في ذكر السموات والارض نظم بها اختلاف الافقين اللذين بينهما ظهور تخلق الليل والنهار ليتنزع اعتبارهم
بين اعتبار الاعلى والاسفل والمشرق والمغرب فيتم شواهد الاحاطة بهم عليهم في توحيدهم وارجاع ذلك اليه دون ان يعزى ذلك الى

شئ من

شئ من دونه مما هو داخل في حصر موجود هذه الاحاطة من المحيط الاعلى والمحيط الاسفل والمحيط بالجوانب كلها من ملتبس الافاق من الليل
والنهار خطاب اجمال تناسب مورد السورة التي موضوعها اجمالات ما يفسر فيها وفي ساير القران من حيث انها فسطاطه وسنامه انتهى
ولما ذكر تعالى ما انشاه عن سير الكواكب في ساحة الفلك اتبعه سير الفلك في باحة البحر فقال والفلك وهو ما عظم من السفن في مقابلة
القوارب وهو المستخف منها قال الحرالي يستوي واحده وجمعه حركات الواحد اولى في الضمير وحركات الجمع ثواني في الضمير من حيث ان الواحد اول
والجمع ثان مكسر انتهى ولما اراد هنا الجمع لانه ادل على القدرة وصفه باداة التانيث فقال التي تجري بتقدير الله وحق الامر بقوله
في البحر اسند الجري اليها ومن المعلوم انه لا جري لها حقيقة ولا فعل بوجه ترقية الى اعتقاد مثل ذلك في النجوم اشارة الى انه لا فعل لها
ولا تدبير كما يعتقد بعض الفلاسفة وقال الحرالي ولما ذكر تعالى جملة الخلق وجملة الاختلاف في الوجهين وصل بذلك احاطة البحر بالارض
وتخلل التجار فيها التوصل المنافع المحمول في الفلك مما يوصل من منافع المشرق للمغرب ومنافع المغرب للمشرق ومنافع الشمال للجنوب
وبالعكس فما حملت جارية شيئا ينتفع به الا انه تضمن ذكره منهم كلمة ما في قوله تعالى بما ينفع الناس وذكرهم باسم الناس الذي هو ادنى
سن يقع فيه الاجتماع والتعاون والتبصر بوجه ما وفي ذلك في منافع الدنيا الذي هو شاهد هذا القول انتهى ولما ذكر نفع البحر بالسفن
ذكر من نفعه ما هو اعم من ذلك فقال وما انزل الله الذي له العظمة التامة من السما اي جهتها باصعاد البخار لسحاب له ولما كان النازل
منها على انواع وكان السياق للاستعطاف الى رفع الخلاف ذكر ما هو سبب الحياة فقال من ما فاحيى به الارض بما ينبت منها ولما كان
الاحيا يستغرق الزمن المستعقب للموت نفي الجار فقال بعد موتها بعدمه ولما ذكر حياة الارض بالماء اشار الى ان حياة كل ذي روح به فقال
وبث من البث وهو تفرقة احاد متكثرة في جهات مختلفة فيها بالخصب من كل دابة من الدبيب وهو الحركة بالنفس قال الحرالي ثم
ابهم تعالى امر الخلق والاختلاف والاجرا فلم يسنده الى اسم من اسمائه بظهره واسند انزال الماء من السما الى اسمه العظيم الذي هو الله في
موقع ظهور القهر على الخلق باستدرار ارزاق الماء واستجداده وفيما تعدونه بخلاف مستمر ما ابهم من خلق السموات والارض الدائم على
حالة واختلاف الليل والنهار المستمر على وجهة واحتبال اجرا الفلك الماضي على حكم عادته فاظهر اسمه فيما يشهد عليهم بضرورتهم
اليه في كل حول ليرجعوا في العبادة الى علو المحل الذي منه ينزل الماء فينقلهم بذلك من عبادة من في الارض الى عبادة من في السما اامنتم من
في السما ان يخسف بكم الارض وقال عليه الصلاة والسلام للامة اين الله قالت في السما قال اعتقها فانها مومنة فاول ادنى الايمان الترجيح
الى عبادة من في السما ترقيا الى علو المستوى على العرش الى غيب الموجود في اسرار القلوب فكان في هذه التوطية توجيه الخلق الى الاله
الذي ينزل الماء من السما وهو الذي لم يشرك به احد سواه ليكون ذلك توطية لتوحيد الاله ولذلك ذكر تعالى اية الالهية التي هي الاحيا
والحياة كل خروج عن الجماد من حيث ان معنى الحياة في الحقيقة انما هو تكامل في الناقص فالممتزج بالاضافة الى الجماد ترقيا الى ما فوق
ذلك من رتب الحياة من نحو حياة الحيوان ودواب الارض فلذلك ذكر تعالى الاحيا بين المعنى واظهر الاسم مع الارض لظهوره في الحيوان فاظهر
حيث خفي عن الخلق ولم يذكره حيث هو ظاهر للخلق تنبيها لهم على الاعتبار بين انزال الماء الذي لهم منه شراب ومنه شجر وبه حياة الحيوان
ومنه مرعاهم ولما ذكر تعالى بث ما هو السبب للنبات المسبب عن الماء ذكر بث ما هو سبب للسحاب السبب للمطر السبب للحياة فقال
وتصريف الرياح اي تارة صبا واخرى دبورا ومرة شمالا وكرة جنوبا والتصريف اجرا المصرف بمقتضى الحكم عليه والريح متحرك الهوا في
الاقطار والسحاب وهو المتراكم في جهة العلو من جوهر ما بين الماء والهوا المنسحب في الجو المسخر اي بما من التسخير وهو اجرا الشيء على مقتضى
عرض ما سخر له بين السما والارض لا يهوي الى جهة السفل مع ثقله بحمله بخار الماء كالقوى بعينه الاجرام العالية حيث لم يكن لهما عمد
محسوس ولا يعلو ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احد الثلاثة فالكثيف يقتضي النزول واللطيف يقتضي الصعود والتوسط يقتضي
الانقشاع لايات وقال الحرالي لما ذكر تعالى الاعلى والاسفل ومطلع الليل والنهار من الجانبين وانزال الماء الهوا ذكر ما يملأ ما بين ذلك
من الرياح والسحب الذي هو ما بين حركة هوا الله الى استنارة ما يبين الى ما يلزم ذلك من بوادي نيرانه من نحو صواعقه وجملة احداثه فكان
في هذا الخطاب كتفا باصول من مبادي الاعتبار بذكر السما والارض والافاق وما بينهما من الرياح والسحب والماء المنزل الذي جعلته
قوام الخلق في عاجل دنياهم ليجعل لهم ذلك اية على علو امر وراه ويكون كل وجه منه اية على امر من امر الله فيكون ايات لتكون السما
اية على علو امر الله فيكون اعلى من الاعلى وتكون الارض اية على باطن امر الله فيكون ابطن من الابطن ويكون اختلاف الليل والنهار اية
على نور يبدوه وظلمة يغيبه مما ورا امر الليل والنهار ويكون ما انزل من الماء لاحيا الارض وخلق الحيوان اية ما ينزل من نور علمه على
القلوب فتحيا بها حياة تكون حياة الظاهر اية عليه ويكون تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السما والارض ايات على تصريف
ما بين ارض العبد الذي هو ظاهره وسمايه الذي هو باطنه وتسخير بعضه لبعض ليكون ذلك اية على علو الله على سمايه العلى
في الحس على سما القلوب لعلية في الوجدان فلاجل ذلك جعل تعالى صنوف هذه الاعتبارات ايات لقوم وهم الذين يقومون
في الامر حق القيام ففيه اشعار بان ذلك لا يناله من هو في سن الناس حتى يتنامى طبعه وفضيلة عقله الى ان يكون من قوم
يقومون في الاعتبار قيام المتمكنين في امور الدنيا لان العرب عرف سمتها لما في القوم انما هو لاجل النجدة والقوة حتى يقولون
قوم او نسا تقابلا بين المعنيين وذكر تعالى العقل الذي هو نور من نوره يهدي لمن اقام من حد نور ذلك الناس الى الاشفا
بنوره في قراة حروف كتابه الحكم التي كتبها بيده واغنى الاميين بقراة ما كتب لهم عن قراة كتاب ما كتبه الخلق انتهى تعالى
يعقلون اي يتعلمون انه مصرف هذه الامور على هذه الكيفيات المختلفة والوجوه المحكمة فاصل تحتار وهو نادر بما ساهد

من احيا الارض وغيرها مما هو اكبر منه على بعث الموتى وغيره مما يريده وانه مع ذلك كله واحد لا شريك له بما نبه العقلاء من الناس يعلمون ذلك بدلك فلا يتخذون اندادا من دونه ولا يميلون من جنابه الاعلى الى سواه وقد اشتملت هذه الاية على جميع ما نقل البيهقي في كتاب الاسماء والصفات عن الحليمي انه مما يجب اعتقاده في الله سبحانه وتعالى وهو خمسة اشيا الاول اثباته تعالى لتقع به مفارقة التعطيل والثاني وحدانيته لتقع به البراة عن الشرك وهذا من قوله والهكم اله واحد والثالث اثبات انه ليس بجوهر ولا عرض لتقع به البراة من التشبيه من قوله لا اله الا هو لان من لا بد غيره مبدع لا شبيه له والرابع اثبات ان كل ما سواه كان بابداعه له واختراعه اياه لتقع به البراة من قول من يقول بالعلة والمعلول وهذا من قوله الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض والخامس انه مدبر ما ابدع ومصرفه على ما يشا لتقع به البراة من قول القائلين بالطبايع او تدبير الكواكب او تدبير الملائكة وهذا من قوله وما انزل الله من السما من ما الى اخرها قال البيهقي ثم ان اسما الله تعالى جل التي ورد بها الكتاب والسنة واجمع العلما على تسميته بها منقسمة بين العقايد الخمس فيلتحق بكل واحد منهن بعضها وقد يكون منها ما يلتحق بمعنيين ويدخل في بابين واكثر انتهى وسبب تكثير الادلة ان عقول الناس متفاوتة فجعل سبحانه العالم وهو الممكنات الموجودة وهي جملة ما سواه الدالة على وجوده وفعله بالاختيار على قسمين قسم من شانه ان يدرك بالحواس الظاهرة ويسمى في عرف اهل الشرع الشهادة والخلق والملك وقسم لا يدرك بالحواس الظاهرة ويسمى الغيب والامر والملكوت والاول يدركه عامة الناس والثاني يدركه اولوا الالباب الذين عقولهم خالصة عن الوهم والوساوس فالله تعالى بكمال عنايته ورافته ورحمته جعل العالم بقسميه محتويا على جمل وتفاصيل من وجوه متعددة وطرق متكثرة تعجز القوى البشرية عن ضبطها يستدل بها على وحدانيته بعضها اوضح من بعض ليشترك الكل في المعرفة فيحصل لكل بقدر ما هيئ له اللهم الا ان يكون ممن طبع على قلبه نعوذ بالله والعياذ بالله هو الشقي ولما نصت الادلة وسطعت البراهين وزاحت العلل والشكوك عاب من عبد سواه ونزع الى غيره كما نهى عن الانداد عقب الاية الاولى الداعية الى العبادة مشيرا الى انهم انما يعقلون الى الدهر تابين ضلت عقولهم وقالت اراؤهم وبين انهم يتبرا بعضهم من بعض يوم ينكشف سحاب الغفلة عن سرادق العظمة ويتجلى الجبار في صفة القهر فقال تعالى عاطفا على ما قدرته ما اسند اليه المعنى ومن او يكون التقدير لمن الناس من عقل تلك الايات فامن بربه ونفي خبه ومن الناس من يتخذ وهم من لا يعقل من دون الله الذي لا كفو له مع وضوح هذه الادلة اندادا مما خلقه ادعوا انهم شركاوه اعم من ان يكونوا اصناما او روسا يقلدونهم في الكفر بالله والتحريم والتحليل من غير امر الله يحبونهم من الحب وهو احساس بوصلة لا يدري كنهها كحب الله الذي له الجلال والاكرام بان يفعلوا معهم من الطاعة والتعظيم فعل المحب كما يفعل من ذلك مع الله الذي لا عظيم غيره هذا على انه من المبني للمفعول ويجوز ان يكون للفاعل فيكون المعنى كحبهم الله لانهم مشركون والذين امنوا اشد حبا لله الذي له الكمال كله من حب المشركين لاندادهم فاضاف عليهم من كماله لانهم لا يعدلون به شيا في حالة من الحالات من ضرا او سرا في بر او بحر بخلاف المشركين فانهم يعدلون الى الله سبحانه واذا راوا في الرخا حجرا احسن تركوا الاول وعبدوه وحبهم هواي وحب المومنين له عقلي وقال الحرالي ولما استحق القوم العايبون في امر الله هذا الاعتبار بما اتاهم الله من العقل لم يكن من اتخذ من دون الله اندادا مما يقال فيهم قوم بل يبصرون الى اسم النوس الذي هو تردد وتلدد فكانه تعالى عجب ممن لم يلحق بهولا القوم في هذا الاعتبار الظاهرة شواهده البينة اثاره فانبا ان طايفة من الناس على المقابلة من ذلك الاعتبار التام بنور العقل في اخذهم لمقابل العقل من الخرق الذي يتقدم في موضع الاحجام ويحجم في موضع الاقدام ثم غلب ذلك عليهم حتى وصل الى بواطنهم فصار حبا لانه وصلة بين بواطنهم وقلوبهم وما اتخذوه من دون الله اندادا ففيه اشعار بنحو مما افصح به لبني اسرايل في كون قلوبهم كالحجارة او اشد قسوة ففي كرم هذا الخطاب في حق العرب ستر عليهم وعناية لتليينهم في ان يفصح عليهم بما افصح على بني اسرايل ففي لحنه اشعار بان من اتخذ اندادا من دون الله فتلك الوصلة بين حال قلبه وحال من اتخذ من دون الله فمن عبد حجرا فقلبه في القلوب حجر ومن عبد نباتا فقلبه في القلوب نبات وكذا من عبد دابة واشربوا في قلوبهم العجل كذلك الى ما يقع معبودا من دون الله مما بين اعلى النيرين الذي هو الشمس الى ادنى الاوثان الى ما يقع في الخلق من عبادة بعضهم بعضا من نحو عبادة الفراعنة والنماردة الى ما يلحق بذلك من نحو رتبة العبادة باتباع الهوى الشايع موقعه في الامم وفي هذه الامة لان من غلب عليه هوى شي فقد عبده فكان عابد الشمس قلبه سعير وعابد النار قلبه نار وعابد القمر قلبه زمهرير ومن عبد مثله من الخلق فقد عبد هواه ارايت من اتخذ الهه هواه ممن عبد الله فهو الذي علا عن سواه من المخلوقات تعادل سبحانه خطاب الاولين المعتبرين من العقلا بهذا الصنف الذي انتهى امرهم في الكفر الى الحب من حيث اعتلقت بواطنهم فيما شانه ان يختص بالله من الخوف والرجا والنصرة على الاعدا والاعانة للاوليا فلما توهموا انهم مرجي الالهية ومخافتها احبوهم لذلك كحب الله لان المتعبد موتمر ومبادر فقبل الامر محب والمجيب للامر مطيع فالمحبا على من الطرفين انتهى ولما عجب من حالهم حذرهم من سو منقلبهم ومالهم فقال ولو يرى الذين ظلموا اي ولو يرون اي المتخذون للانداد ولكنه اظهرهم لاجل التعميم والوصف الذي استحقوا به ما يذكر وهو وضعهم الشي في غير محله كفعل من يمشي في ماخذ الاشتقاق وهو الظلمة وذلك هنا تسويتهم من لا يملك شيا اصلا بمن يملك كل شي اذ يرون العذاب اي يتخذون اندادا والحال انهم لو يعلمون حين اهانتهم ولربما قلظ من اكبادهم ودونه مالا يستحق غيره بالنسبة اليه ان يسمى عذابا ان القوة لله الذي له مجامع الكمال جميعا حين يشاهدون العذاب قد احاط بهم ويتحققون انه لا شي يجزه من ثواب ولا عقاب ولا غيره وان الله الذي لا يملك

سواه شديد العذاب لم يتخذوا الاندادا ولم يعبدوا الا الله احدا او يكون التقدير ولو ترى بالتاء اي لو ابصرت او ابصر الذين ظلموا انفسهم باتخاذهم الانداد الى اخره وقال الحرالي قال تعالى ولو ترى عطفا على متجاوزا امورا من امور جزايهم مما نالهم من عقوبات اثر كفرهم في الدنيا قال عليه الصلاة والسلام اذا اذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سودا الى متمادي غاية رينهم العذاب وفي قوله ترى بالتا اقبالا على النبي صلى الله عليه وسلم تعجب له مما نالهم مما اصابوه وفيه اشعار بان ذلك من امر يعلوا امره الى محل رؤيته التي هي اتم الرؤية وفي قوله يرى بالتحتانية عليهم يشعر بان منالهم من رؤية العذاب مما كان يرجو عام عليه لو راوه انتهى اذ يرون اي الوقت الذي يبصرون فيه العذاب اي الاكبر الذي لا عذاب مثله كالمهمه لغرابته بالا ثم بينه بقوله ان القوة ومن شانه الباطن التي يجدها المقتدر ومنشأ ما يبدو بظاهره وما يبدو بظاهره قدرة القوة جميعها واصلها والقدرة ظاهرها وتفصيل اشيا بها لله جميعا فانه لا شي اشق على الانسان من ان يرى خصمه نافذ الامر منفردا بالعز في كل معنى لا سيما اذا كان جبارا متكبرا اشد البطش بمن عصاه كما يشير اليه قوله وان الله شديد العذاب ولا سيما اذا كان العاصي له قد اسا اليه بالاساة الى اوليايه وبالغ حتى لم يدع للصلح موضعا وقال الحرالي موقع الرؤية في الحقيقة هو ان القوة لله جميعا سلبا عن جميع اندادهم الذين احبوهم وعن انفسهم كما قال قايلهم نحن اولوا قوة واولوا باس شديد لكن كما كان دونهم لذلك عن رؤية مشهود العذاب الذي هو اتم العذاب ذكر العذاب الذي هو ظاهر مراي ان القوة لله جميعا وفي ان القوة اعلام باطلاعهم يوم هذه الرؤية على بواطن اندادهم وسلبها ما هو شان البواطن ان تخلى به من القوة من حيث وصفهم هم الباطن اطلعهم على سلب تمام الباطنة بالرؤية التي هي باطن البصر الذي هو باطن النظر ولما ذكر امر القوة عطف عليه ما هو امر القدرة فقال وان الله شديد العذاب كما للخطاب بظاهره واستانف معه الاسم العظيم لاظهار ما بين غايتي الباطن والظاهر في امر القوة والقدرة ليكون مع المنظر الظاهر بالقدرة اسم اظهره واستانفه وقدم ذكره كما كان مع المراي الباطن بالقوة اسما اضافه اليه وانهى له ليقع ما ول الخطاب مقابل ما ختم به الخطاب فينعطف اوله على اخره ولتم على اوله باطنا لظاهر وظاهر الباطن في المتعاطفين جميعا في قوله ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب انتهى اذ يقا اذ يرون العذاب الذي يتوعدون به الان لان القوة لله جميعا فلا مانع له من اتيانهم به كما تبين في الايتين قبلها انه لا كفو له وانه كامل القدرة شامل العلم والجواب محذوف تهويلا له لذهاب وهم المتوعد الى كل ضرب من انواع التوعد ولو ذكر ضرب منه لا مكن او يوطن نفسه عليه فالتقدير لو رايت وراوا ذلك الوقت الذي يشاهدون فيه تلك العظمة لرايت ولراوا امرا فظيعا هالا شاغلا لهم عن اتخاذ الانداد وحبها وغير ذلك من النظم وحذف الجواب للعلم به كما حذف من امثاله ثم ابدل من اذ يرون قوله اذ تبرا وهو من التبري وهو الذي طلب البراة وايقاعها بجد واجتهاد وهو اظهار التخلص من وصلة او اشتمال الذين اتبعوا اي وقع اتباع غيرهم لهم وهم الروسا من الذين اتبعوا مع تنعيمهم لهم في الدنيا بالاتباع لهم والذب عنهم وقال الحرالي قال ذلك اظهار الافصاح ما انبهم مضمون الخطاب الاول لتنتسق الايات بعضها ببعض فيظهر الاية ما في ضمن سابقتها ويجمع الاية ما في تفصيل لاحقتها واعلا للخطاب بما في المعقول عليه المتقدم الى ما في الايمان بناوه ليتم نور العقل الذي وقع به الاعتبار بنور الايمان الذي يقع له به القبول لما في الاخرة عيانا لمن عقل غير الكون الظاهر استحق استماع نبا الغيب الاتي ثم قال بدا التبري والمتبوع في الذكر لانه الاحرى الكون فكانه في المعنى انما تعلق التابع بالمتبوع ليعبده في الاخرة كما كان عمده منه ان يعبده في الدنيا فيتبرا منه كما ذكره تعالى من ان القوة لله جميعا ولذلك اتصل ذكر التبري بذكر نقص القوة والقدرة عنهم انتهى قال تعالى وراوا اي الكل العذاب اي الاكبر لا عيص لهم عنه وقال الحرالي قال لرد الاضمار على الجميع وفيه اشعار بان ذلك قبل غلبة العذاب عليهم في حال الرؤية ففيه انبا بان بين رؤيتهم العذاب وبين اخذهم به مهل يقع فيه خصومتهم وتبريهم وادراكهم للحق الذي كان متغيبا عنهم في الدنيا بما فتن بعضهم بعضا انتهى ولما بين حال هذه التبرية بين ان الامر اتم من ذلك لان كلا منهم متبرا من اقرب الناس اليه ولا يهمه غير نفسه ولا يجد ما يغني نوع اغتنا فقال وتقطعت اي تكلفت وتعمدت القطع وهو بين المتصل اشار اليه الحرالي ومعناه انه قطع بقوة عظيمة ويجوز ان تكون صيغة التفعل اشارة الى تكرر القطع في مهلة بان يظهر لهم انقطاع الاسباب شيا فشيا زيادة في بيانهم وابلايهم وهو انهم بهم اي كليهم الاسباب اي كلها وهي الوصل التي كانت بينهم في الدنيا والسبب والاصل الحبل ثم قيل لكل ما يتوسل به الى حصول مقصد قال الحرالي وفيه اشعار بخلو بواطنهم من التقوى ومن استنادهم الى الله في دنياهم وانهم لم يكونوا عقلوا الا تسبب بعضهم ببعض فتقطعت بهم الاسباب ولم يكن لهم لان ذلك واقع بهم في انفسهم لا واقع لهم في غيرهم فكانهم كانوا نظام اسباب تقطعت بهم فانتثروا منها واسبابهم وصل ما بينهم في الدنيا التي لم تثبت في الاخرة لانها من الوصل الفانية لا من الوصل الباقية لان متقاضي ما في الدنيا ما كان منه حق فهو من الباقيات الصالحات وما كان منه عن هوى فهو من الفاني الفاسد انتهى وقال الذين اتبعوا وهم الاذناب متمنين للمحال ندما على اتباع من لا ينفع حيث لا ينفع الندم لو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا وقال الحرالي حتى رجع وعودة عند غاية قوة انتهى ولما كانت لو بمعنى التمني نصب جوابها فقال فنتبرا منهم اي الروسا هنالك وقد لهم كما تبروا منا واذلونا هنا وقال الحرالي فيه انبا عن ياسهم على اتباع من دون ربهم ممن اتبعوا واجرا التاسيهم على وجه متوهم غير محقق على حد ما كان يسكهم بهم متوهم استتباع غير محقق ففيه اثبات لحالهم في الاخرة على ما كان سنالهم في الدنيا من

الاخذ بالموهوم والغيبة عن المعلوم انتهى ولما كانت هذه الاشيا بعضها ثمرة اعمالهم وبعضها حكاية اقوالهم قال تعالى على طريق الاستيناف جوابا لمن يقول لقد راوا عقابا بدهم لقل يرون جزا اعمال الجوارح كذلك اى الامر العظيم المهول يريهم الله الذي له القدرة التامة والعظمة الكاملة اعمالهم الخبيثة وغيرها حسرات اى تلهفا على ما فات اطلاقا للسبب على المسبب واشار باداة الاستعلا الى غلبتها وشدة قهرها لهم فقال عليهم وقال الحرالي لما كانت عقابيدهم فيهم حسرات اراهم اعمالهم التي عملوها لابتغا الخير في الدنيا حسرات وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا لما كان عمل من قلبه حب ومثاله لما دون الله وفيه اشعار بان عمل كل عامل مردود الى ما اطمان به قلبه وسكنت اليه نفسه وتعلق به خوفه ورجاوه فمن علت على سره شيء يعود به الذي يصرف عمله اليه فلا يجد عنده جزا فيرده منه فيصير حسرة عليه فانبا تعالى بانهم لا ينصرونهم في الاخرة ولا يجزونهم على اعمالهم فلم ينفعهم تالههم اياهم والمتبوع منهم مثاله لنفسه فلم يجد عندها جزا عمله فتحسر كل منهم على ما عمل من عمل الخير لاحباطه ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لين اشركت ليحبطن عملك والحسرة اشد الاسف على الفايت الذي يحسر المتلهف اي يقطعه عما تحسر عليه انتهى ويدخلون باعمالهم النار وماهم اي خاصة واكد النفي بالجار فقال بخارجين اي بثابت خروجهم بل هم وان خرجوا من السعير الى الزمهرير يعودون اليه من النار يوما من الايام ولا ساعة من الساعات بل هم خالدون فيها على طول الاباد ومر الاحقاب بخلاف عصاة المومنين فانهم اذا خرجوا منها لم يعودوا اليها قال الحرالي فيه اشعار بعضهم العزام منها والخروج كما قال تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا انبا تعالى ان وحصنهم للخروج لا تنفعهم فلم يبق لهم منة تمكنهم منها حتى ينقطع قطع رجايهم من منة انفسهم بقطع رجايهم ممن اعتلقوا به من شركايهم ولم يكن وماهم منها بمخرجين كما قال في اهل الجنة للاشعار بان الناس والانقطاع واقع منهم على انفسهم فكما كان بوادي اعمالهم في الدنيا من انفسهم عندهم جرى جزاوها على حد ذلك في المعنى وكما كان اعمال اهل الجنة عندهم من توفيق ربهم جرى في جزايهم على حد ذلك من المعنى بحسب ما يقتضيه اختلاف الصيغتين انتهى ولعل الاية ناظرة الى قوله اول السورة ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين يعني كان في اهل الكتاب منافقين ومصارحين فكذلك في العرب نصارا نزولان الذين كفروا سوا عليهم شاملا للاقسام الاربعة ثم اتبع ذلك المنافقين من العرب ثم المنافقين من اهل الكتاب ثم الجاهرين من العرب نصارا وقسما العرب مكتنفين لقسمي اهل الكتاب اشارة الى انهم المقصودون بالذات وانه سيومن اكثرهم ويجلبون اهل الكتاب ويقتلونهم قتل الكلاب ولما عجب سبحانه من الضالين وبين من مالهم ما يزجر مثله من له ادنى عقل فكانوا اهلا لان يعرض عنهم لعداد المقبل بعد الادبار والمذعن بعد الاستكبار اقبل على الكل كما فعل في ابتدا التوحيد الاول فقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم اقبالا متلطفا بعموم الاذن في تناول ما ايد عليهم ورحمهم به في هذا الملكوت المذكور في ضمن ما نصب من الادلة تذكيرا لهم بالنعمة وتوددا اليهم بجميع ما يوجب المحبة واشارة الى انه هو الذي خلق لهم ما تقوم به ابدانهم الى غير ذلك مما دعوه نداء من البحيرة والسايبة والوصيلة وما شاكلها فقال يا ايها الناس وان اختص فقيل لما اقام سبحانه الدليل على الوحدانية بما خلق من المنافع وصنف الناس صنفين فكان معطوفا دال بعطفه على غير مذكور على نهجه معطوف عليه وختم بما يبعد عذاب الضال اقبل على الصنفين اقبالا متلطفا مترفقا مستعطفا مناديا لهم الى تابيد نعيمهم قايلا يا ايها الناس اى كافة وقال الحرالي لما استوفى تعالى ذكر امر الدين الى نهاه من رتبة دين الاسلام الذي رضيه وكان الدين هو غذا القلوب وزكاة الانفس ينظر به ذكر غذا الابدان من الاقوات ليتم بذلك التمام بين تمام الدارين ظاهرها الدين وباطنها البدني لما بين غذى الابدان وقوام الاديان من التعاون على جميع امرى صلاح العمل ظاهرا وقوله باطنا قال عليه السلام لا يقبل الله عملا الا بالورع الشافي وكما قيل ملاك الدين الورع وهلاكه الطمع وتعصيه الشرف فكما انتظم الكتاب فقصر الخلق على افضل منتصر فانتهى للذين انتصل بقصرهم على افضل ما كلهم في المقوت ولما ذكر الدين في رتبتي صنفين من الناس والذين امنوا انتظم به ذكر الماكل في صنفيهما ايضا فقال يا ايها الناس فانتظم بخطاب قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما بين العبادة والماكل من التلازم انتهى ولما كانت رتبة الناس من ادنى المراتب في خطابهم الخلق لهم الاذن تلطفا بهم ولم يخاطبهم بالتعبيد فقال مبيحا لهم ما انعم به عليهم كلوا ولما كان في الارض ما لا يوكل قال مما في الارض اى مما بثنا لكم اثر من ادلة الوحدانية ولما كان في هذا الاذن تنبيه على ان الكل له والانتفاع به يتوقف على اذن منه دلهم على ان فيه ما اباحه وفيه ما حظره فقال حلالا قال الحرالي وهو ما انتهى عنه حكم التحريم فينتظم بذلك ما يكره وما لا يكره والتحريم المنع مما يلحق الاكل منه ضرر في جسمه كالميتة او في نفسه كلحم الخنزير او في قلبه كما اهل لغير الله به ثم اشار الى ان ما حرم خبيث بقوله طيبا اى غير خبيث مستقذر والاصل فيه ما يستلذ ويوصف به على جهة التشبيه الكافي لان النفس تكرهه لقذره والحلال لان الحرام يقذره العقل لزجر الشرع عنه وقال الحرالي الحلال مطلوب ليكتسب لا يوكل حتى يطيب والطيب ما لا منازع فيه انتهى ولما كان هذا الصنف ادنى المدعوين قرن سبحانه باطعامهم مما في الارض لكونهم ارضيين نهيهم عن اتباع العدو المبني امره على المنافرة ولا تتبعوا واشار بصيغة الافتعال الى تمهل هذا الصنف على اللحاق به وانهم غير واصلين ما داموا في هذا الحيز الى تمام متابعته وانما عليهم الحرج لان مخالفته لا تكون الا بمجاهدة كبيرة لا يقدرون عليها ما داموا في هذه الرتبة خطوات جمع خطوة وهي ما بين القدمين في المشي الشيطان اى وساوسه وطرقه في اتخاذ الانداد وتحريم الحلال كالسوايب وتحليل الحرام كالميتات فان ذلك كله من امره كما ياتي في قوله ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام الاية وهو من شطن اذا بعد وشاط اذا احترق فهو بعيد لهم كما قال الحرالي عن وطن ما هم عليه من الابتما الى ما كلهم الى التناول بشهواتهم ليتدرجهم بذلك من خطوة الاكل بالشهوة الى الاكل بالهوى فيتداعى منها الى المحرمات انتهى ثم علل ذلك بقوله انه لكم عدو بتكبيره على ابيكم ادم

ومكره

ومكره بوسواسه الانظار والاضلال لكم مبين اى ظاهر العداوة فلا تتبعوا العدو في مبادئه الولى ثم علل ابانة عداوته والنهي عن اتباعه بقوله انما للحصر يبغي عنه الامر بشي فيه رشد وفي قوله يامركم كما قال الحرالي ايتا بما مكنه الله حتى صار امرا بالسوء وهو خباثة الانفس الباطنة التي يورث فعلها مساءة والفحشاء وهي ما يكرهه الطبع من رذائل الاعمال الظاهرة كما ينكره العقل ويستخبثه الشرع فيتفق في حكمه ايات الله الثلاث من الشرع والعقل والطبع بذلك تفحش الفعل وان تقولوا على الله الحاير اقصى مراتب العظمة ما لا تعلمون مما تتحققون قوله في كل الموجودات من اشراك او ادعا ولد او تحليل او تحريم وغير ذلك ولقد ابلغ سبحانه في هذه الاية حسن الدعا لعباده اليه لطفا منه بهم ورحمة لهم بتذكيرهم في سياق الاستدلال على وحدانيته بما انعم عليهم بخلقه لهم اولا وبجعله لهم ملايما ثانيا واباحته لهم ثالثا وتحذيره لهم من العدو رابعا الى غير ذلك من دقايق الالطاف وجلايل المنن في سياق مشير الى جميع اصناف الحلال وسبب تحليله قال الاستاذ ابو الحسن الحرالي في كتاب العروة في حرف الحلال وجه انزال هذا الحرف توسيع الاستمتاع بما خلق الله في الارض من نعمه وخيره الموافقة لطباعهم وامزجتهم وتنزل نفوسهم في جميع جهات الاستمتاع من طعام وشراب ولباس ومركب وماوى وساير ما ينتفع به مما اخرج الله ومما بثه في الارض ومما عملت ايديهم من ذلك من صنعة وتركيب ومزج ليشهد وادوام لبس الخلق الحمد به في كل خلق على حسب تمامه نظر خلقه ولما كان الانسان مخلوقا من صفاوة كل شي توسع له جهات الانتفاع بكل شي الا ما استثني بحرف الحرام ووجهه كما استثنى لادم اكل الشجرة من متسع رغد الجنة فكان المتاع بجميعه الا ما اضر ببدنه او خبث نفسه او دان على علم قلبه وذلك بان يسوغ له طبعا وتحسن معينه في اخلاق نفسه وبنور قلبه لمنعمه الذي يشهد منه بدا اياته وكلاية بحربه ثم كل القران ذلك بالخلاصة للنبي من غير اثر لما سواه فيه وجامعه منزلة بحسب ترتيب القران قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ومن اوايله بحسب ترتيب البيان والله اعلم هو الذي انزل من السما ما لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون الاية وساير الايات الواردة في سورة النحل وفي سورة يس اذ هي القلب الذي منه مداد القران كله في قوله تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون الايات الى ساير ما في القران من نحوه ومن متسع خلاف هذا الحرف وتحت العنتة على الخلق بما زين لهم منه زين للناس حب الشهوات من النسا والبنين الاية ووجه فتنته ان على قدر التبسط فيه يحرم من طيب الاخرة اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها انما يلبس هذا من لا خلاق له في الاخرة فاستمتعوا بخلاقهم ومن روية سو هذا الخير تشار زهد الزاهدين ومن روية حسن الخير وربحه وتضاعفه الى ما لا يدرك مداه ونعيمه في بيع خلاق الاخرة تشارع المتورعين فاستراحت قلوبهم بالزهد واكتفوا بالورع عن الكدر وتفرغت قلوبهم واعمالهم لتبذل الجهد في سبيل الحمد وتميز الشقي من السعيد بالرغب فيه او عنه فمن رغب في الحلال شقي ومن رغب عنه سعد وهذا الحرف الذي تبصر بسط حرف النهي حتى لم يبق لابن ادم حظ فيما زاد على جلف الطعام وهي كسر وثوب يستره وبيت يكنه وما زاد عليه فيحزن انفقه ربحه وندم عليه وان ادخره خسره وندم عليه ولذلك لم ياذن الله لاحد في اكله حتى يتصف بالطيب للناس الذين هم ادنى المخاطبين بالفلاح اكثرهم من العقل والشكر الايمان يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا وعما اسمعه عن الذين امنوا وهم الذين لا يتبذلون ولا يزيدون على خبر اخوالهم بل يخلطون وذلك في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وهو ما طيبه حرف النهي علما وبرى من حواز القلوب طمانينة وتم والمنى صفوة للمرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وورد جوابا لسوالهم في قوله تعالى يسالونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات فمن اثر حرف النهي على حرف الحلال فقد تزكى واتبع الاحسن وصح هداه ووضعا لنبيه ومن اثر حرف الحلال على حرف النهي فقد تدسى وحرم هدى الكتب وعلم الحكمة ومرتبا لما بعد بما فاته من الله كثير وتورط فيه من الله سيئة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ثم قال فيما به تحصيل فوايده واعلم ان الانسان لما كان جامعا كان بكل شي منتفعا اما في حال لسعة ثم استثنا اشيا يسيرة مما يضره من جهة نفسه او عرضه او دينه على ما ذكر في الفصل الاول اي حرف الحرام هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فلا احد فيها الا محرما الا يبيتن اما في حال الضرورة فيغير استثنا البتة فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم والذي يتحصل تزاه هذا الحرف ما من جهة التغلب لمعرفة حكمة الله في المتناول من مخلوقاته ومعرفته اخص منافعها مما خلقه ليكون غذا في سعة او ضرورة او ادما او فاكهة او دوا كذلك ومعرفة موازنته ما بين الانتفاع بالشي ومضرته واستعماله على حكم الاغلب من منفعته او اجتنابه على حكم الاغلب من مضرته قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما وذلك مدرك عن الله سبحانه باعتبار العقل وادراك الحس في مخلوقاته كما ادركه الحنيفيون كان الصديق رضي الله عنه قد حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وكان اذا اخذ عليه في ذلك يقول والله لو اصبت شيا اشتريه بمالي كله يزيد في عقلي لفعلت فكيف اشتري بمالي شيا ينقص من عقلي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما ينبه على حكمة الله في الاشيا التي بها تتناول او تجتنب علما يقوله تعالى يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فقال لعلي رضي الله عنه وقد نال وله [illegible] بطخا العراد وقال لابي هريرة رضي الله عنه وهو رمد في خبز الشعير والسلق كل من هذا فانه اوفق لك وقال في التمر والقثا هذا يكسر برد هذا وقال لرمد وانت تاكل التمر وانت رمد وقال لعايشة رضي الله عنها في الما المشمس لا تفعلي يا حميرا فانه يورث البرص وقال استاكوا بكل عود ما خلا الاس والريحان فانهما

يهيجان عرق الجذام وقال لا مراة استطلقت بالشبرم حار حار الا استطلقت بالسنا فانه لو كان شي يذهب الموت لاذهبه السنا الى
غير ذلك مما اذا اباحه او حظره بنيه على حكمته وكانت عايشة رضي الله عنها تقول للمريض اصنعوا له حريرة فاطعموها فانها تجم فؤاد المريض
وتذهب بعض الحزن ومثل ذلك كثير من كلام العلماء وتجربات الحكماء ومعارف الحذاق قال الشافعي رحمه الله في قوله تعالى يحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبايث الطيبات ما استطابته نفوس العرب والخبايث ما استخبثته نفوس العرب هذا من جهة القلب واما
من جهة النفس فسخاوتها بما يقع فيه الاشتراك من المستحبات المحللات لان الشح بالحلال عن مستحقه محظور له على المحقين به اضيفا
على اهل الزبور واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل
فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك صبرها عما انتهيه من المضرات من الوجوه المذكورة انما الخمر والميسر الى قوله لعلكم تفلحون ولا
تاكلوا اموالهم الى اموالكم ومن يوق شح نفسه فاوليك هم المفلحون وكذلك التراضي وطيب النفس فيما يقع فيه الاشتراك الا ان تكون تجارة
عن تراض منكم فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيا مريا هذه الشروط الثلثة من السخا والصبر والتراضي في النفس واما في
العمل وتناول اليد فاول ذلك ذكر الله والتسمية عند كل متناول لان كل شي لله لما تتناول باسمه اخذ باذنه وما تتناول بغير اسمه
اخذ تلصصا على غير وجهه وشارك الشيطان فيه تناولا لنسيه المتناول معه في خطواته وشاركهم في الاموال والاولاد جا اعرابي وجارية
ليا كلا طعاما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم بغير تسمية فاخذ بايديهما وقال ان الشيطان جا يستحل بهما هذا الطعام والذي نفسي بيده
ان يده في يدي مع ايديهما فسمي النبي صلى الله عليه واكل ثم اطلقهما وقال للغلام كلا باسم الله وقال للغلام كل يا غلام سم الله والثاني التناول باليمين
لان الشيطان ياكل بشماله ويشرب بشماله واليمين خادم ما علا من الجسد والشمال خادم ما سفل منه والثالث ان يتناول تناول تقنع
وتورع عن تناول النهمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل بثلثة اصابع ويشرب مصا في ثلث وقال هو ابرا وامرا واهنا وقال
الكاد من العب والرابع الاكتفا بما دون الشبع لما في ذلك من حسن غذا البدن وحفظ الحواس الظاهرة والباطنة ومن علامات الساعة
ظهور السمن عن الاكل في الرجال وما ملا ابن ادم وعا شرا من بطن وما دخلت الحكمة معدة ملييت طعاما والمومن ياكل في معا واحد والكافر
ياكل في سبعة امعا لتوكل المومن في قوامه ولتكالب الكافر على الغذا اي قوته وحسب المومن لقيمات يقمن صلبه فان كان ولا بد فاعلا فثلث للطعام
وثلث للشراب وثلث للنفس انتهى ثلث ولعل المراد ان الكافر ياكل شبعا فيا كل مل بطنه لان الامعا كا قالوا سبعة والمومن ياكل يقوتا
فيا كل في معا واحد وهو شبع بطنه فان لم يكن في معاين وشي وهو الثلث والله اعلم قال الحرالي والخامس حمد الله تعالى في الختام لان من لم يحمد الله
في الختام كفر بنعمته ومن حمد غير الله من بطاعو نه بهذه الامور صرفته في القلب وحالا في النفس وادابا في العمل نفتح قراءة حرف الحلال
وتحصل خير الدنيا وتمهد الاساس لبنا خير الاخرة والله ولي التوفيق انتهى ولما نفاهم تجاوزه عن متابعة العدو وذمهم بتقليدهم مع انه عدو
من غير حجة بل بمجرد التقليد للجهلة فقال عاطفا على ومن الناس متعجبا منهم واذا قيل اي من اي قايل كان ولما كان الخطاب للناس عامة
وكان اكثرهم مقلدا ولاسيما للاباء اعاد الضمير عليهم والمراد اكثرهم فقال لهم اتبعوا اي اجتهدوا في تكليف انفسكم الرد عن الهوى الذي
نفخه فيها الشيطان في قوله ما انزل الله اي الذي له العلم الشامل والعزة التامة انعطاف على ذلك الكتاب لا ريب فيه وما
شاكله قالوا بل اي لا نتبع ما انزل الله بل نتبع اي بجهدنا في تتبع ما الفينا اي وجدنا قال الحرالي من الالفا وهو وجدان الامر على ما الفه
المتبصر فيه او الناظر اليه عليه اباءنا اي على ما هم عليه من الجهل والتجر قال فيه اشعار بان عوايد الابا منهية حتى يشهد لها شاهد
ابوع الدين فيه التجويز في رتب ما بين حال الكفر الى ادنى الفتنة التي شأن الناس ان يتبعوا فيها عوايد ابايهم انتهى لما ابوا الا لقعد
وهادوا التقليد تداعى السمو الى عدادي العلم بالنظر الشديد انكر عليهم سبحانه ذلك فقال منكرا لهم اولو اي اتبعون اباهم
والحال انه لو كان اباؤهم لا يعقلون بتبصا ير قلوبهم شيا من الاشيا المعقولة ولا يهتدون بابصار عيونهم الى شي من الاشيا المحسوسة
ولما كان التقليد لم تسلم حينيذ كمن يتبع اعمى في طريق وعر خوفي في فلوات شاسعة كثيرة الخطر عطف عليه ما يرشد الى تقديره من قوله
منبها على انهم صاروا بهذا كالبهايم بل اضل لانها وان كانت لا تعقل فهي تسمع وتبصر فتهتدي الى منافعها ومثل وبين الوصف الذي
حملهم على هذا الجهل بقوله الذين كفروا اي ستروا ما يعلمون من عظمة الله وتحدثون علمه وحكمته بما عندهم من الهوى في انهم لا يسمعون
من الدعا الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القا اذهان ولا استبصار كمثل قال الحرالي المثل ما يحصل في باطن الادراك من حقايق
الاشيا المحسوسة فيكون الطف من الشي المحسوس فيقع لذلك جالبا لمعنى مثل المعنى المعقول ويكون الاظهر منهما مثلا للاخفى فلذلك
ياتي استجلا المثل بالمثل ليكون فيه تلطيف للظاهر المحسوس وتنزيل للغايب المعلوم وفي هذه الاية يقع الاستجلا بين المثلين لا بين
الممثولين لتقارب المثلين فيه وهو وجه الشبه وتباعد الممثولين وفي ذكر هذين المثلين تقابل يفهم مثلين اخرين فانتفى ذلك
تمثيلين في مثل واحد كان ومثل المعظ الذي ينعمه هذا الاعجاز مثل الذين كفروا ومثل داعيهم كمثل الراعي ومثل ما يرعى من البهايم
وهو من علي خطاب فصحا العرب ومن لا يحصل فهمه الى جمع المثلين يقتصر على تاويله بمثل واحد فيقدر في الكلام ومثل داعي الذين
كفروا كمثل الذي ينعق اي يصيح وذلك لان التاويل يحمل على الاضمار والتقدير والفهم يمنع منه ويوجب فهم ايراد القران على حده
دو وجهه وقال بما اي بسبب شي من البهايم التي لا عقل لها فهو لا يسمع الا دعا اي من الناعق فيما يدعا اليه من تراعم غذايه وتسليه
ونداء انما يسارع اليه بمجرد عادته من حيث ان النداء يشعر بالبعد والدعا يشعر بالشروع في القصد انتهى فالكافر في كونهم لا يرجعون
عن غيهم لما يسمعون من الادلة وهم اولو اعقل وسمع وبصر كالبهايم التي تسمع وتبصر ولكنها لكونها لا تعقل لا تنتفع بالكلام لا تسمع

الا ما هو الصوت ولا تفهم ما تحته بل بالزجر والعصي قال الراعي اذا اراد رجوعها عن جهة صاح بها ودعى بحجر الى امامها فترجع فمن جعل له
مثلهم الذي هو عدم الادراك والبهم في كونها لا ترجع بالندا بل بالقارع كالاصم الاكم الاعمى الذي لا يرجع الا بقوارع يصك بها في وجهه له
فينكص على عقبه فهو يحمل مثلها او داعيهم في كونه يتكلم فلا يوثر كلامه مع المبالغة فيه كراعي البهم فهو موضع مثله وداعي البهم من حيث
ان بهمه لا ترجع الا بضربه بالحجر او صرخ كالمستقط الذي يسمع به الاصم او كعصا وقع لاصم المذكور فهو يحمل مثله فلذلك كانت نتيجة التمثيل قوله
صم اي بسمعون بكم لا ينطقون عمي اي لا يبصرون ولذلك تم بهذا ان الاية من الاحتباك حذف من الاول مثل الراعي بدلالة الناعق عليه ابي ح
ومن الثاني المنعوق به لدلالة المدعوين عليه ولما كان موجودا دراك العقل هو حقايق المحسوسات وقد نفي عنهم الحس المدرك للمحسوسات
ترتب عليه قوله فهم بالفا ربطا وتعقيبا وتسبيبا لا يعقلون لانهم لا ينتفعون بعقولهم كان هذا الاصم كذلك ومعناه
بلا النافية للمستمع وصيغة المضارع المنبه عن الدوام قال الحرالي ولما اخبر تعالى ان الدعا لا يزيدهم الا نفورا رد الخطاب من
الناس الى علي سنهم رتبة امرا لهم امر اباحة ايضا وهو ايجاب في تناول ما يقيم البنية وعقبها يا ايها الذين امنوا كلوا وقال
الحرالي لما كان تقدم الخطاب في امر الدين في رتبتين اولهما يا ايها الناس اعبدوا ربكم وثانيهما يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
فامر الناس فيه بالعبادة وامر الذين امنوا بحسن الرعاية مع النبي صلى الله عليه وسلم كذلك ههنا امر الناس بالاكل مما في الارض فنهى عن
اتباع خطوات الشيطان واشعر الخطاب بانهم ممن يتوجه الشيطان عزمهم للامر بالسوء والفحشا والقول بالهوى وامر الذين امنوا
بالاكل من طيبات فاعرض في خطابهم عن ذكر الارض فيتنا ولهم الرزق من السما فان ادنى الايمان عبادة من في السما واستر زاق
من في السما كما قال للسوداء اين الله قالت في السما قال اعتقها فانها مومنة قال تعالى وفي السما رزقكم فاطعم الارضيين وهم الناس
مما في الارض واطعم السماويين وهم الذين امنوا من رزق السما وكذلك دحض هذا الخطاب لفظ الحلال لما كان اخذا رزقهم من السما
سنا ولا طيبه لبراه من حال ما في الارض مما شانه ضر في ظاهر او اذى في باطن ولذلك لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المومن
منها حلالا لان المترزق من السما يصير الحرام له حلالا لاخذه منه عند الضرورة فقوتا لا تشهيا ويصير الحلال له طيبا لاقتناعه
منه بالكفاف دون التشهي يسلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وفي مورد هذين الخطابين بيان ان كلمة الناس واقعة على
سن اسنان القلوب وكلمة الذين امنوا واقعة على سن فوقه وليس يقع على عموم يشمل جميع الاسنان القلبية فنوم ذلك من انقال
القلوب التي تمنع تدبر القران لان خطاب القران يتوجه لكل اولي سن على حسب سن قلوبهم لا يصلح خطاب كل سن الا له ويتقاصر عنه
من دونه ولا يحتاج اليه من فوقه وهي اسنان متعددة سن الانسان ثم سن الناس ثم سن الذين امنوا ثم سن الذين يومنون ثم سن
المومنين ثم سن المومنين حقا ثم سن المحسنين فهذه اسنان سبعة خطابا بها مترتبة بعضها فوق بعض ومن ورا ذلك اسنان
لوقها من سن الموقنين وما ورا ذلك الى احوال اسنا هذه الاسنان من حال الذين اسلموا والمسلمين ومن يوصف بالعقل والذكر
والذكر والسماع وغير ذلك من الاوصاف التي تلازم تلك الاسنان في رتب مترتبة لا يشمل ادناها علاها ولا يتناهى دناها
لرتبة خطاب علاها الى ما ورا ذلك من خصوص خطاب النبي صلى الله عليه وسلم فيه بما لا يليق الا به وبمن هو منه من آله وفي استظهار
تفصيل هذه الرتب جامعة لما يقع من معناه في سائر القران انتهى ولما كانت هذه الرتبة كما تقدم ارفع من رتبة الناس حصر
خطابهم بعد بيان ان مالهم حل حيث قال من طيبات ولم يات بذلك العموم الذي تلف به الناس لما كانوا في اول طبقات
الايمان نبههم على الشكر يعولهم في سطح العظمة ما رزقناكم واخلصناه لكم من الشبه ولا تتعرضوا لما فيه دنس كما احله المشركون
من المحرمات ولا تحرموا ما احلوا فيما من السايبة وما معها ثم صرح به في قوله اثرا امر ايجاب واشكروا الله اي وخصوا شكركم بالمنعم
الذي لا نعمة الا منه وهذا خلاف ما ياتي في سورة المومنين خطابا لاعلى طبقات الخاص وهم الرسل ولما كان الشكر لا يصح الا
بالتوحيد علقه باختصاصهم اياه بالعبادة فقال ان كنتم اياه اي وحده تعبدون فان اختصاصه بذلك سبب
للشكر فاذا انتفى الاختصاص الذي هو السبب انتفى الشكر وايضا اذا انتفى السبب الذي هو الشكر انتفى الاختصاص لان السبب
واحد منهما متسا وبان ينتفي كل واحد منهما بانتفا الاخر وقال الحرالي ولما كان هذا الخطاب منتظما لتناول الطيب والشكر جنبه
البذل من الطيب لشكر كل نعمة اظهارها على حدها من جاه او مال او علم او طعام او شراب او غيره وانفاق فضلها والاسباع
منها بالادنى والتجارة بفضلها لمبتغي الاجر وابلاغها الى اهلها لمودي الامانة فان ايدي العباد خزاين الملك الجواد دعوا الناس
يرزق الله بعضهم من بعض فلما كان ذلك لا يتم الا بمعرفة بالله المخلف على ما ينفق كما قال وما انفقتم من شي فهو يخلفه
نبهوا على عهدهم الذي تقدم في سورة الفاتحة في قوله اياك نعبد واياك نستعين فقيل لهم كلوا واشكروا الله ان كنتم اياه
تعبدون لمن عرف الله بالكرم هان عليه ان يتكرم ومن عرف الله بالانعام والاحسان هان عليه ان يحسن وهو شكره الله من
ايقن بالخلف جاد بالعطية انتهى ولما تبع الاذن لهم بالطيب من الرزق افتقر الامر الى بيان الخبيث منه ليجتنب فبين
صريحا ما حرم عليهم مما كان المشركون يستحلونه ويحرمون غيره وانهم حل ما عداه وانه كثير جدا ليزداد المخاطب شكرا فقال
انما حرم عليكم وقال الحرالي ولما كان ادراك المومنين لمقتضى الخطاب فوق ادراك الناس خاطبهم تعالى بذكر ما حرم عليهم
فتناظر ذلك ما نهى عنه الناس من اتباع خطوات الشيطان فقال انما حرم واجرى اضماره على الاسم العظيم الاول اعلاما بان
الذي اذن لهم انما حرم عليهم ما لا يصلح لهم بكل وجه لشدة محتويه عليهم في احاطة ذواتهم ظاهرها وباطنها كما ذكر انه

المحرم اما لحرمته علوا كالبلد الحرام او تحريم الاثم او لحرمته دناءة كتحريم هذه المحرمات ففي كلمة انما نفي لمتوهمات ما يلحقه التحريم مما دون ما المذكور هنا كان قائلا يقول حرم كذا وحرم كذا من نحو ما حرمته الكتب الماضية او حرمته الاهواء المختلفة او حرمه نظر عقلي كالذي حرم اسرائيل على نفسه فكان الافهام لرد تلك المحرمات كلها انتهى بالمعنى والله اعلم انكم حرمتم الوصيلة والسائبة ونحوهما مما احله الله واحللتم الميتة والدم ونحوهما مما حرم الله ولم يحرم الله عليكم من السائبة وما معها مما حرمتموه ولا غيره مما استحللتموه الا ما ذكرته هذه الاية واذا راجعت ما في قوله تعالى في الانعام فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وقوله قل لا اجد فيما اوحي الي من كتابي هذا عرفت المراد من هذه الاية وقال الميتة اي التي سماها بذلك اهل العرف وهو ما فارقه الروح من غير ذكاة شرعية وهو مما يذكى قال الحرالي هي ما ادركه الموت من الحيوان عن ذبول القوة وفناء الحياة وهي اشد مفسد للجسم لفساد تركيبها بالموت وذهاب تلزز اجزائها وعفنها وذهاب روح الحياة والطهارة منها والدم اي الجاري لانه جوهر مرتكس عن حال الطعام ولم يبلغ بعد الى حال الاعضاء فهو ميتة من خاص حياته مرتكس في جوهره الا من طيبه الله كالميتة كالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وفيمن نزع عنه خبث الظاهر والباطن طبعا ونفسا ولحم الخنزير لاذاه في النفس كما حرم ما قبله لمضرته في الجسم لان من حكمة الله في خلقه ان من تغذى جسمه بجسمانية شيء اغتذت نفسانيته بنفسانية ذلك الشيء الكبر والخيلاء في الفدادين اهل الوبر والسكينة في اهل الغنم فلما جعل في الخنزير من الاوصاف الذميمة حرم على من حوفظ على نفسه من ذميم الاخلاق واللحم ما لحم بين ما في الحيوان من وسط عظمه وما انتهى اليه ظاهره من سطح جلده وغلب عليه استعماله على رطبه الاحمر وهو هنا على اصله في اللغة يجمع اللحم الاحمر والشحم والاعصاب والعروق الى حد الجلد وما اشتمل عليه ما بين الطرفين من اجزاء الرطوبات واذا حرم لحمه الذي هو المقصود بالاكل وهو اطيب ما فيه كان غيره من اجزائه اولى بالتحريم ولما حرم ما يضر الجسم ويؤذي النفس حرم ما يرين على القلب فقال وما اهل والاهلال رفع الصوت لرؤية امر مستعظم به اي وقع رفع الصوت بسببه ذابحا لغير الله اي الذي لا كفوء له بوجه قال الحرالي لان ما لم يذكر عليه اسم الله احد من يد من ذكر عليه اسمه وليس ذلك خالقه ولا مالكه انما خالقه ومالكه الله الذي جعل ذكر اسمه عليه اذنا في الانتفاع به وذكرا على اذهان الروح منه من نحته لامن يجد للدعوى فيها سبيلا من الخلق وذكر الاهلال اعلام بان ما اعلن عليه بغير اسم الله هو اشد المحرم ففي ابهامه تخفيف الخطاب عما لا يعلم من خفي الذكر قالوا يا رسول الله ان ناسا يأتوننا باللحمان لا ندري اسموا الله عليها ام لا فقال صلى الله عليه وسلم سموا الله انتم وكلوا فكان المحرم ليس ما لم يعلم ان اسم الله ذكر عليه بل الذي علم ان غير اسم الله قد اعلن به عليه وفي تقدم اضمار المحرم في قوله به تأكيد لمعناه لانهم يقدمون ما هم به اهم وهم ببيانه اعني قال صلى الله عليه وسلم ابدأوا بما بدأ الله به فلما كانت هذه الاية جامعة اي للتحريم اظهر فيها تقديم العناية بالمحرم وفي الابلاغ انتهى معنى من الذي اضمر فيها هذا الضمير ولما كان هذا الدين يسرا لا عسر فيه ولا حرج ولا جناح رفع حكم هذا التحريم عن المضطر ولما كان شأن الاضطرار ان يشمل جماعة من الخلق ابانه تعالى بان هذا الذي رفع عنهم من التحريم لا يخرج من كلية الاحكام بل يبقى مع هذه الرخصة موقع الاحكام في البغي والعدوان فقال فمن اضطر اي احوجه محوج والجأه ملجئ اي ضرورة كانت الى اكل شيء مما حرم بان اشرف على التلف فاكل من شيء منه حال كونه غير باغ اي قاصد فسادا بمكيدة يكيد بها لضعفه احدا من تلك الميتة فهو اقوى منه كان يحيله على غيرها خداعا منه ليستأثر عليه بالاحسن منها ولا عاد على غيره بان يكون اقوى منه فيدفعه عنها ولا متجاوز لسد الرمق وازالة الضرورة ويدخل في الايثار من بغى على امام او قصد بضربه في الارض فسادا او عدا على احد ظلما فحصل له بسبب ذلك مخمصة لا يحل له ما كان حراما لان في ذلك اعانة له على معصيته فان تاب استباح فلا اثم عليه من التحريم الاول ولا من الحكم الاخر ولو كان رفع الاثم دون هذين الاشتراطين لوقع بين المضطرين من البغي والتسلط ما مثله لا يحل لغير المضطرين فانتفى الاثم على صحة من الامرين وارتفاع الحكمين ففي السعة بحسب ما يضر وفي الضرورة بوفق ضرورة الجسم لقوامه على حكم الكتاب في اقامته وفي افهامه ان من اضطر لشيء مما حرم عليه فاكله لم تنله مضرته لان الله تعالى اذا اباح شيئا اذهب ضره ان الله لم يجعل شفاء امتي فيما حرم عليها ففيه تنبيه لتغير هذه الاعيان للمضطر عما كانت عليه حتى تكون رخصة في الظاهر وتطييبا في الباطن فكما رفع عنه حكمها الكتابي بتم فضله فيرفع عنه ضرها الطبعي ثم علل هذا الحكم مرهبا مرغبا بقوله ان الله فاتى بهذا الاسم المحيط اشارة الى عموم هذا الحكم للمضطر والموسع وفي قوله غفور اشعار بانه لا يصل الى حال الاضطرار الى ما حرم عليه احد الا عن ذنب اصابه فلولا المغفرة لتمت عليه عقوبته لان المؤمن والموقن لا تلحقه ضرورة لان الله لا يعجزه شيء وعبد الله لا يعجزه ما لا يعجز ربه وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين فالبأس الذي يحوج الى ضرورة انما يقع لمن هو دون رتبة اليقين ودون رتبة الايمان جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا ففنيت ازوادهم فاقاموا اياما يتقوتون بيسير حتى تقوتوا بتمرة تمرة فاخرج الله لهم العنبر دابة من البحر فلم تحوجهم ضرورتهم الى ما حرم عليهم بل جاءهم في ضرورتهم بما هو اطيب ما كان في حال السعة من صيد البحر الذي هو الطهور ماؤه الحل ميتته وفي قوله رحيم انباء بان من اضطر فاصاب مما اضطر اليه شيئا لم يبغ فيه ولم يعد تناله من الله رحمة توسعه عن ان يضطر بعدها الى مثله فيغفر له الذنب السابق الذي اوجب الضرورة ويناله بالرحمة الموسعة التي ينال بها من لم يقع منه ما وقع ممن اضطر الى مثله انتهى وتصرفت فيه ولما كان في بيان هذه المحرمات الاشارة الى عيب من استحلها من العرب وترك ما امر به من الطيبات جهلا وتقليدا لآبائهم بكر بعيب الكاتمين لما عندهم من الحق مما انزل في كتابهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وامر الحج وامر القبلة وغيرهما مما يصدق هذا الكتاب الذي لا ريب فيه خوفا على انقطاع ما كان يهدى اليهم لو باستهم في دينهم

على

على وجه عائب لهم لاستحلالهم اكل السحت على علم مبين انهم استحقوا الذم من وجهين احدهما نفس الاكل على هذا الوجه المؤدي الى الاعراض عن الطيبات والموافقة للعرب الثاني كونه على كتمان ما يعلمون من الحق فقال ان الذين يكتمون موكدا ذمهم بانواع التاكيد ولعدم الابلاء بصيغتي المغفرة والرحمة كما ختم اية الكتمان الاولى بوصفي التوبة والرحمة فكان مع ما فيه من الترغيب من قبيل الاحتراس اي انه لا يغفر لمثل هؤلاء الا ان انضعفوا بما اشارت اليه الاية الاولى من التوبة بقوله ما انزل الله باسناد الانزال الى اسمه الاعظم لاحاطة الكتاب بمختلفات الاحكام من الكتاب اي من حدوده واحكامه وغير ذلك مما اشارت اليه الاولى بالبينات والهدى من الحكم والاحكام ولما كان من الكتم ما يكون لقصد خير نكم من كلمة حق اريد بها باطل نبه بقوله ويشترون به ثمنا قال الحرالي والثمن ما لا ينتفع بعينه حتى يصرف الى غيره من الاعواض فاعلى ما يتضمن جهل الكاتم وحرصه باستكثاره بالعلم واجراه في غير ما اجراه الله تعالى على السنة انبيائه وما اسألكم عليه من اجر ولما كان كل ما لم يثبت من خير الدنيا في الاخرة وان جل حقيرا قال قليلا هذا المراد لا تقييده بالقليل ولما كانوا ابعد واعمى من مواطن الرحمة بتحليهم بما لا يبغضه الا نفاق اشار اليهم باداة البعد فقال اولئك في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم اشعارا بنوع ذلك من طابقه من امته حرصا على الدنيا ما ياكلون اي في هذه الحالة على ما دلت عليه ما ولما كان الاكل يطلق على مجرد الانفاد حقق معناه بقوله في بطونهم جمع بطن وهو فضاء جوف الشيء الاجوف لغيبته عن ظاهره الذي هو ظهر ذلك البطن الا النار كما احاط علمه تعالى بالغيب ان ذلك على الحقيقة ويصرح لعيون اهل الكشف الذين يرون العواقب في الاوائل والغيب في الشهادة وفي ذكره بصيغة الحصر نفي التاويل المتناول بكونه سببا وصرف له الى وجه التحقيق الذي يناله الكشف ويقصر عنه الحس فكانوا في ذلك كالخدر الذي يجعل يده في النار ولا يحس به فتبشعر ذلك بموت حواسه وهو لاعن حال ما تناوله ولما تقدم الوعيد في الثمن لكونه الحامل على الكتم اتبعه وعيد نفس الكتم فقال ولا يكلمهم الله اي الملك الاعظم الذي من كلمه نيل كل شيء عليه كلاما يدل على رضى لكونهم لم يكلموا الناس بما كتب عليهم وقال يوم القيامة تاكيدا لما اشارت اليه ما من ان المراد بالذي قبله الحال ولا يزكيهم اي يطهرهم من دنس الذنوب ويثني عليهم او ينمي اعمالهم بما يحصل لهم من المشاق في يوم التلاق كما يزكي بذلك من يشاء من عباده لانهم كتموا عن العباد ما يزكيهم وفي هذا التعظيم لذنب كتم العلم ولهم مع هذا العذاب عذاب اليم لما اولعوا ابناء الناس من التعب بكتمهم عنهم ما يقفهم على المحجة السهلة ولما ذكر جزاءهم اتبعه ترجمة حالهم موكدا لها لبعدهم فقال اولئك الذين اشتروا اي لجاجا وتماديا في الغي الضلالة عن طريق الخير بالهدى ولما ذكر حالهم في الدنيا اتبعه امر الاخرة فقال والعذاب بارتكابهم لهذه الموبقة بالمغفرة التي يجمعهم اذا محت صحفا يرهم لو سلموا من هذه المعضلة التي كانت سببا لضلال خلق كثير فكان عليهم وزرهم ولما جعل سبحانه اول ما كلهم نارا واخر امرهم عذابا وترجمة حالهم عدم المغفرة فكان بذلك ايضا اوسط حالهم نارا سبب عنه التعجيب من امرهم بحبسهم انفسهم في ذلك الذي هو معنى الصبر لالتباسهم بالنار حقيقة او بموجباتها من غير مبالاة فقال فما اصبرهم اي ما اشد حبسهم انفسهم او ما اجرأهم على النار التي اكلوها في الدنيا فاحسوا بها في الاخرة وكثيرا من ذلك للحرالي غير اني تصرفت فيه واذا جعلته مجازا كان مثل قولك لمن عاند السلطان ما اصبرك على السجن الطويل والقيد الثقيل تهديدا له ولما ذكر جزاءهم وشرح حالهم والتعجيب من امرهم ذكر السبب الموجب لهذا الابعاد العظيم والتهديد الكبير فقال ذلك مشيرا باداة البعد بان الله فذكر الاسم الاعظم ايضا الذي معناه ان له جميع صفات الكمال تعظيما للمقام نزل الكتاب اي الجامع لانواع الهدى مجانسا تقريبا للافهام وتدريبا للخاص والعام وهو صالح لارادة القران والتوراة بالحق اي الثابت الكامل في الثبات فمن كتمه فقد حاول نفي ما اثبته الله فقد ضاد الله في ملكه ومن خالف فيه وهو الذي لا شبهة تلحقه فقد ضاد الواضح فلبس فقد ابعد المرمى ولما كان التقدير فاختلفوا اتبعه قوله وان الذين اختلفوا اي خالف بعضهم بعضا في الكتاب نفسه لا في فهمه وهذه العبارة تدل على ان الاختلاف قول بعض في الكتاب كله او في شيء منه هو باطل والاقرار ببعض احكامه والانكار لبعضها او تحريفا للكلم عن مواضعه ونحو هذا لفي شقاق اي يكون كل واحد منهم في شق بعيد جدا عن شق اهل الحق ولذلك خاف الصحابة رضوان الله عليهم من اختلاف اهل هذا الدين في القران كما اختلف اليهود والنصارى فجمعوهم على مصحف واحد فلبس الاختلاف في وجوه الروايات والجأ الفهم من ذلك وقد وقع كما ترى تنبيه المشركين من العرب بدون ما تضمنه تنبيه بني اسرائيل من التقريع والتوبيخ لعرفان ما بينهم لان كفر المشركين عن جهل وكفر اولئك عن تعنت بعد تكرر رمشاهدة الايات ومن تدبر القران وطالع التوراة علم طول مكث موسى عليه السلام فيهم يتلو عليهم التوراة على حسب تنزيلها شيئا فشيئا وانهم كانوا مع ذلك كلما شاهدوا اية احدثوا كفرا وخلعوا شكرا وسالوا غيرها عنادا ومكرا وجعلنا قلوبهم قاسية وقد مر في اول السورة عن التوراة كثير من ذلك وسياتي ان شاء الله بقيته في المواضع اللائقة به من ايات القران وقال الامام ابو جعفر بن الزبير ومتى بين شيء في الكتاب العزيز من احوال النصارى فليس على ما ورد من مثله في اليهود لما ذكر من ان كفرهم تعنت وخطاب مشركي العرب فيما اشير اليه دون خطاب الفريقين لتقدم لهم ما لم يتقدم للعرب ويشيروا الى كتبهم وليس لمشركي العرب مثل ذلك والزيغ عن الهدى شامل للكل وليسوا في شيء من الصراط المستقيم مع ان اسوأ الاحوال حال من اضله الله على علم وهنا انتهى ما حذر منه ونهى عنه من اراد سلوك الصراط المستقيم وبيان حال من حاد عنه وتنكبه وظن انه على شيء وهم مفترقون اصناف لا تغني في اصناف

ثلثة وهم اليهود والنصارى واهل الشرك وبهم يلحق سائر من نكب فيلحق باليهود من نفق امنا من ارتاب بعد اظهار ايمانه
ونحل انا عليهم من المكر والخديعة والاستهزاء ويلحق بالنصارى من اتصف باحوالهم وبالمشركين من جعل لله ندا واعتقد فعلا
لغيره على غير طريقة الكسب والمجوس لاحقون باهل الشرك والشرك اكثر هذه الطرق الستة تشعبا ولهذا قال عليه الصلاة
والسلام الشرك اخفى من دبيب النمل ومن نقل اعمال من ذكر ولم يتنبه لامر الى معاودته دينه والخروج في شيء من اعتقاده خيف
عليه ان يكون ذلك وسيلة الى اللحوق بمن تشبه به والى هذا اشار عليه السلام بقوله اربع من كن فيه كان منافقا خالصا
اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر الى اشباه هذا من الاحاديث انتهى ولما بين سبحانه كفر اهل
الكتاب الطاعنين في نسخ القبلة بتكذيب الرسول وكتمان الحق وغير ذلك الى ان ختم بكفرهم بالاختلاف في الكتاب وكتمان ما فيه
من مؤيدات الاسلام اتبعه الاشارة الى ان امر الفروع اخف من امر الاصول لان الفروع ليست مقصودة لذاتها فالاستقبال
الذي جعلوا من جملة شقاقهم ان كتموا ما عندهم من الدلالة على حقيقته واكثروا الافاضة في عيب المتقين به ليس مقصودا لذاته
وانما المقصود بالذات الايمان فاذا وقع تبعته جميع الطاعات من الصلاة المشترط فيها الاستقبال وغيرها فقال تعالى
ليس البر اي الفعل المرضي الذي يعود في تزكية النفس كالبر في تغذية البدن ان تولوا وجوهكم اي في الصلاة قبل المشرق الذي
هو جهة مطلع الانوار والمغرب الذي هو جهة افولها اي وغيرهما من الجهات المكانية فان ذلك كله لله كما مضى عند اول اعتراضهم
التصريح بنسبة الكل اليه فاينما تولوا فثم وجه الله ولما كان تدين المتقين كما ذكر قبل ما يخرج عن الصراط المستقيم وحددوا منه تجنبوه
عقبه بما يلزمهم ليجلوه فابتدا من هنا بذكر الاحكام الى قوله امن الرسول وبدا ذلك بما بدا به السورة وفصل لهم ثمرا انما كلفوه مما
احله قبل ذلك تفصل الايمان تفصيلا لم يتقدم فقال ولكن البر من اي ايمان من ولعله عبر بذلك ايماء الى ان فاعل ذلك نفسه
بر اي انه زكى حتى صار نفس الزكاة امن بالله الذي دعت اليه اية الوحدانية فاثبت له صفات الكمال ونزهه عن كل شائبة نقص
بما على ذلك من دلايل افعاله ولما كان من اعم خلال الايمان القدرة على البعث والقصد بين به لانه يوجب لزوم الخير والبعد عن الشر
قال واليوم الاخر الذي كذب به كثير من الناس فاختل نظامهم ببغي بعضهم على بعض فالاول مبرى عن الانداد وهذا مبعد عن اذى
العباد ولما كان هذا ايمان الكمل وكان اكثر الناس بشأم العقول لا يعرفون شيئا الا بالتنبيه وضلال البصائر بغيبتهم دليل الهداية
ذكر سبحانه الهداة الذين جعلهم وسائط بينه وبين عباده بادئا بالاول فالاول فقال والملئكة اي الذين تاتيهم فيما بينه وبين
الناس وهم غيب محض والكتاب الذي ينزلون به على وجه لا يكون فيه ريب اعم من القران وغيره والنبيين الذي تنزل به عليهم
الملئكة لكونهم خلاصة الخلق فلهم جهة ملكية يقدرون بها على التلقي من الملئكة لهيا تهم اياهم بها وجهة بشرية يتمكن الناس
بها من التلقي منهم ولهم من المعاني الجليلة الجميلة التي صرفهم الله فيها ما يشكل ابدانهم وارواحهم ما لا يعلمه الا هو فعليهم الصلاة
والسلام والتحية والاكرام قال الحرالي تعنيه اي الايمان بهم وبما تلقوه لكن النفس بالاذعان لمن هو من جنسها والايمان بالغيب من ليس
من جنسها ليكون في ذلك ما يزع النفس عن هواها انتهى ولما فصل سبحانه الصدقة في تعقيبه الايمان بما اشعار بانها المصدقة
له لمن بخل بما كان مدعيا للايمان بلا بينة وارشادا الى ان خير ما السلامة من فتنة المال انما اموالكم واولادكم فتنة لان من امن
وتصدق كان قد اسلم لله زوجه وماله الذي هو عديل روحه فصار عبدا لله حقا وفي ذلك اشارة الى الحث على مفارقة كل محبوب
سوى الله في الله قال الحرالي فمن ظن ان حاجته يسدها المال فليس ببر انما البر الذي يعلم ان حاجته انما يسدها ربه بره الخفي انتهى
فلذلك قال واتى المال اي الذي ياخر بعد جعله دليلا عليه كرم نفس وتصديق ايمان بالاعتماد في الخلق على من ضمن الرزق له
وهو على كل شيء قدير واشار الى شرط الايمان به اشارة سبحانه على كل شيء بقوله على حبه اي اتيانا عاليا فيه حبا له على حب المال
اشارة الى التصدق في حال الصحة والشح بتاميل الغنى وخشية الفقر واشار الى انه لوجهه لا كما كانوا يفعلونه في الجاهلية من
التفاخر فقال ذوي القربى اي لانهم اولى الناس بالمعروف لان ايتاهم صدقة وصلة واليتامى من ذوي القربى وغيرهم لانهم
اعجز الناس والمساكين لانهم بعدهم في العجز ويدخل فيهم الفقراء بالموافقة وابن السبيل لعجزهم في الغربة واذا جعلنا ذلك
اعم من الحال والمال دخل فيه الغازي والسائلين لان الاغلب ان يكون سوالهم عن حاجة ويدخل الغارم وفي الرقاب قال الحرالي
جمع رقبة وهو ما ناله الرق من بني ادم فالمراد الرقاب المسترقة التي يرام فكها بالكتابة وفك الاسرى منه وقدم عليهم اولئك لان
حاجتهم لاقامة البنية ولما ذكر سبحانه مواساة الخلق وقدمها حثا على مزيد الاهتمام بها لشح النفس بما زين لها حبه من المال
اتبعها حق الحق فقال واقام الصلاة التي هي افضل العبادات البدنية ولا تكون الا بعد سداد في الجسد ولا تكون قائمة الا
بجميع حدودها والمحافظة عليها ولما ذكر ما يزكي الروح بالمثول بين يدي الله تعالى والتقرب بنوافل الصدقات ذكر ما يطهر المال
ويثبته وهو حق الخلق فقال واتى الزكاة وفي الاقتصار فيها على الايتاء اشعار بان اخراج المال على هذا الوجه لا يكون الا مع الاخلاص
ولما اتم الايمان وما يصدق دعواه في الجملة شرع في كمال ذلك على اول الكلام ما دل بعطفه كذلك على انه مقصود
لذاته فانه جامع لدخوله في جميع ما تقدمه فقال والموفون بعهدهم قال الحرالي من الايفاء وهو الاخذ بالوفاء والوفا
الموعود في امر المعهود انتهى وبين بقوله اذا عاهدوا ان المطلوب ما التزموا انفسهم به للحق او الخلق تصريحا بما افهمه ما قبله
ولما قطع الوفا تعظيما له لدخوله في ما قبل فعل كذلك في الصبر كذلك بعينه فقال والصابرين وفيه رمز الى معاملته

بما كان

بما كان من جهته لو عطف على من امن لو سبق على الاصل قال الحرالي وفيه اشعار بان من تحقق بالصبر على الايثار فكان شاكرا تحقق
منه الصبر في الابتلا والجهاد فانه يبدا من الله لمن شكر ابتداء باعانته على الصبر والمصابرة انتهى كانه لما جاد بخير الدنيا على حبه اصابه
الله ببلايا بما تكرمه له ليوفيه حظه من معقوده في دنياه فيكون ممن يتزح عند موته وبانه ان جاهد ثبت بما يحصل في نفس
الشاكر الصابر من الشوق الى لقاء الله بتيسر ما من وتحققا بمنال الخير من الله انتهى وعين اشد ما يكون الصبر فيه فقال في الباساء
اي عند حلول الشدة بهم في انفسهم من الله بلا واسطة او منه بواسطة العباد والضراء لحصول الضر في اموالهم وبقية احوالهم
من احتقار الناس لهم وغير ذلك وفسرها في القاموس بالشدة والنقص في الاموال والانفس فهو حينئذ اعم فيكون الاخص مذكورا مرتين
وقال الحرالي الباساء فعلاء من البوس وهو سوء الحال والفاقة وفقد المنة عن اصلاحه والضراء مرض البدن وافاته فكان الباساء
في الحال والضراء في البدن انتهى وحين الباس اي الحرب الجامع للانفس والاموال وقال الحرالي الباس الشدة في الحرب ولما كانت
هذه الخلال اشرف خلال اشار الى شرفها بشرف اهلها فقال مستانفا مبينا انه لا يستحق اسم البر الا من اجتمعت فيه
هذه الخلال اولئك اي خاصة الذين علت هممهم وعظمت اخلاقهم وشيمهم الذين صدقوا اي فيما ادعوه من الايمان وفيه
اشعار بان من لم يفعل افعالهم لم يصدق في دعواه واولئك هم خاصة المتقون ليوم الجزاء وفي جعله نعتا لهم اشعار بانهم
تكلفوا هذه الافعال لعظم الخوف وقال ابن الزبير في برهانه ثم ذكر الزكاة والصيام والحج والجهاد الى غير ذلك من الاحكام كالنكاح
والطلاق والعدد والحيض والرضاع والحدود والربا والبيوع الى ما تخلل هذه الايات من تفاصيل الاحكام ومجملها وقدم منها
الوفا بالعهد والصبر لان ذلك يحتاج اليه في كل الاعمال وما تخلل هذه الايات من لدن قوله ليس البر الى قوله امن الرسول مما
ليس من قبيل الالزام والتكليف فلسبب اوجب ذكره ولتعلق استدعاه انتهى والحاصل انه تعالى لما طهرهم من اوضار المحارم
بقوارع الزواجر شرع في تزكيتهم بالاخذ في غرائب الاوامر فكمل تعبدهم بتحليتهم باموره بعد تخليتهم من سخطه بصادع زجره
فذكر في هذه السورة جميع اركان هذا الحرف وحظيرته قال الامام ابو الحسن الحرالي في العروة وجه انزال هذا الحرف حمل الخلق
على صدق التذلل لله اثر التطهير من رجزهم ليعود بذلك وصل ما انقطع وكشف ما انحجب وهو حرف العبادة المتلقاة
بالايمان المثابر عليها بسابق الخوف لمبادرها تشوقا بصدق المحبة فالعابد من ساقه الخوف اليها والعارف من قاده الحب
لها وهو ثمانية ذو عمود واركان وله حظيرة تحوطه فاما عموده فالافراد التذلل لله توحيدا وطليعة ابتدا ما كان نحو قوله تعالى اعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا ظاهرهم حرف الزجر من رجز عبادة الاه اخر فانبعث لهم حرف الامر بالتفريد حتى لا يشركوا معه في التذلل
شيئا اي شيء كان اخر وهو اول ما افاء الله من بنا الدين ولم يعرض غيره نحو العشر من السنين في انزال ما انزل بمكة وشرع
معه في فرضه الركن الاول وهو الصلاة وبديت بالوضوء علما من حدث ظهر القلب والنفس بحرف النهي واعقب بالصلاة
علما من حدث طهور القلب بالتوحيد بين يدي الرب فالوضوء وجه عمل حرف الزجر والصلاة وجه عمل حرف الامر وسن على
تاسيس بدار الحب منكا لتنبه ونور الايمان في مشهود ملازمة خدمة الابدان فكان اول الامر ايمانا الزمهم واطول لهم صلاة
وقنوتا من احب ملكا خدمه ولازمه ولا تخدم الملوك بالكسل والتهاون وانما تخدم بالجد والتذلل فكانت الصلاة علم
الايمان فكثر بقوته تكل بضعفه لانها لو فرضت لم يظهر فيها تفاوت نور الايمان لصدق الحب كما لا يظهر بعد فرضها الا في
النوافل ولاجهاد النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وبدت في ذلك انزل عليه ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تذكرة لمن
يخشى تنزيلا ممن خلق السموات والارض العلى الرحمن على العرش استوى الى قوله الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى هذا التوحيد
واظهاره فهو كان يوميذ المعقود الاول وذلك قبل اسلام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وعمر موفي اربعين من عدد المومنين
قبل دخل الاسلام من لا يبعثه الحب والاستراحة على الصلاة بعد عشر او نحوها فرضت الصلاة فاستوى في فرضها
المحب والخائف وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم التطوع على ما كان اصلها وذلك صبيحة ليلة الاسراء واول منزل
هذا الحرف والله اعلم في فرض هذا الركن او من اول منزله قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقران الفجر
اختص لهم بها اوقات الرحمة وجنبهم بها اوقات الفتنة ومنه جميع اي اقامة الصلاة واتمها الركن الاخر الصوم وهو
اذلال النفس لله بامساكها عن كل ما تشوفت اليه من خاص امرها فيداوما للمعتصم ودواما للمعتكف وهو صلة بين العبد
وبين نفسه ووصل الشاتة في ذاته واول ما انزل هذا الركن من هذا الحرف بالمدينة بعد مدخ من الهجرة واول منزله
يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وانما فرض والله اعلم بالمدينة لانهم لما امنوا من عداوة
الامثال والاعيار وعام الفتنة بالمدينة عادت الفتنة خاصة في الانفس بالتبسط في الشهوات وذلك لا يليق بالمومنين
المؤثرين الدين على الدنيا ثم انزل الله اتمامه بقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران الى ما اختص من الاي باحكام
الصيام الركن الاخر الزكاة وهو كسر نفس الغني بما يوخذ باخذه منه من حق اصنافها اظهارا لان المتعلقين بالدين اثر
عند الله من المتعينين على الاموال ولتميز بها الذين امنوا من المنافقين لتمكنهم من الرياء في العبود والركنين ولم يشهد
الله بالنفاق جهرا اعظم من شهادته على مانع الزكاة ومن منع زكاة المال عن الخلق كان لمن امتنع عن زكاة قواه بالصلاة بالحق
فلذلك لا صلاة لمن لا زكاة له وكما كانت الزكاة حبا قبل فرضها كذلك كان الانفاق لما زاد على الفضل عن ما شهروا عند

لا يدرون ضرم ولا يشعرون في الاسلام بسواه فلما شمل الاسلام اخلاط وتحب النفوس فرضت الزكاة وعين اصنافها وذلك بالمدينة حين اتسعت اموالهم وكثر خير الله عندهم وحين عم نفاق قوم بما انفقه من حط رياستهم ببذل للاسلام لله والصفة تخلق الله ويبين فيها الخطاب مرة لارباب الاموال بقوله تعالى واتوا الزكاة لتكون لهم قربة اذا ادوها سماحا ومرة للقايم بالامر بقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة حتى يرئس من نفوسهم شح وشدد الله سبحانه فيها الوعيد في القران جبر الضعف اصنافها وتسوق لذلك جميع ما نزل في بيان النفقات والصدقات بدا ارا عن حب وابتدا عن حرف الركن الاخر وهو الحج وهو حشر الخلق من اقطار الارض للوقوف بين يدي ربهم في خاتم سنينهم ومشاهدتهم وفاتهم ليكون لهم امنة من حشر ما بعد مماتهم تكملة لما بنا الدين وذلك في اواخر سني الهجرة ومن اخر المنزل بالمدينة واول خطابه ولله على الناس حج البيت بنبيهم على اذان ابراهيم عليه السلام واذن في الناس بالحج الى ما انزل في امر الحج ه واحكامه الحظيرة الحابط وهي الجهاد ولم تزل مصاحبة الاركان كلها امام ضعيف كلما يمكنه او مع قوة كما في المدينة ومن اول تصريحه منزله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى قوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة قاتلوا الذين يلونكم من الكفار الى قوله جاهد الكفار والمنافقين الى انهما قتال اهل الكتاب في قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية الى تمام المنزل في شانه في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وهذا تمام حرف الامر لتكمل في ذلك الظاهر في الاسلام موقع حدوده في الايمان وموقع في الاحسان لدي ثلاثتها الذي هو كمال الدين كله ذلك من تنزل القران من بين افصاح وابهام في هذا الحرف وهو قوام الدين والتعبد لله رب العالمين ثم قال فيما به تحصل قراءة حرف الامر اعلم ان الوفا بقراءة حرف النهي تماما بقوع لقراءة حرف الامر لان المنغمس في معاشي الدنيا يتيسر له التوسع في عمل الاخرى والمتوسع في متاع الدنيا لا يمكنه التوسع في عمل الاخرى لما بينهما من التضاد والتضاد والذي تحصل به قراءة هذا الحرف اما من جهة القلب فالتوحيد والاخلاص واهم ذلك البراءة من الشرك العظيم فلا تجعل مع الله الها اخر لا لان المشرك في الالهية لا تصح منه المعاملة بالعبادة مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء واخص منه الاخلاص بالبراءة من الشرك الجلي بان لا يرى لله شريكا في شيء من اسمائه الظاهرة لان الشرك في سائر اسمائه الظاهرة لا يصح له القبول والذي حلف عبد الله بن عمر ان لا احد مثل احد ذهبا فانفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ولكل عمل من المامورات خصوص اسم في الاخلاص كاخلاص المنفق بان الانعام من الله لا من العبد المنفق وكاخلاص المجاهد بان النصر من عند الله لا من العبد المجاهد وما النصر الا من عند الله وكذلك سائر الاعمال تخصها الاخلاص في اسم من الاسماء يكون اسلك بذلك العمل واما من جهة احوال النفس فاولها واساسها طمانينة النفس بربها في قوامها من غير طمانينة لشيء سواه لمنى اطمانت النفس بما تجد وعليه وما لها من سنة او بما تملكه من سلوك او بما تسند اليه من غير ربها دون جميع عباده انما اطمانت اليه وكتب اسمها على جبهته وكانت امنته ربها وكان المرء عبدها لا عبد ربه كعبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة وهذا هو الذي احبط عمل العاملين من حيث لا يشعرون واما من جهة ما يخص كل واحد من الاوامر في احوال النفس فبما يناسبه من احوالها واخلاقها كاجتماعها في الصلاة بان لا تصغي لوساوس الشيطان وان لا تحدث في نوافلها وكسماحها وسخائها في الانفاق وايتاء الزكاة وكصبرها في الصوم والصوم الصبر كله وتصحيحها كل ذلك في الحج مع زيادة اليقين وتصحيحها الجمع في الجهاد مع غريزة الشجاعة هذا من جهة حال النفس واما من جهة العمل واحوال الجوارح فالادب للناطق بكلمة الشهادة ان يجمع حواسه الى قلبه ويحضر في قلبه كل جارحة فيه وينطق بلسانه عن جميع ذاته احوال نفس وجوارح بدن حتى ياخذ كل عضو منه وكل جارحة فيه وكل حال لنفسه قسطه منها كما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان بذلك تحات عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر فلم يقرا بتهليل القران من لم يكن ذلك حاله فيه ولذلك في تشهد الاذان وبذلك يتهدم التهليل سيا ثر في الاسلام كما هدم من المخلص به جرائم الكفران سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يوذن فلما قال الله اكبر قال على الفطرة فلما قال لا اله الا الله قال خرجت من النار واما ادب الصلاة فخشوع الجوارح والهدو في الاركان واتمام كل ركن باذكاره المخصوصة به وجمع الحواس الى القلب كحاله في الشهادة حتى لا يخفق بدرك حاسة عقله واما ادب الانفاق فخفض المناولة كان صلى الله عليه وسلم يناول السايل بيده ولا يكله الى غيره والاسرار به وان يخفوها ويؤتوها الفقراء فهو خير لكم وينفق من كل شيء بحسب ما رزق سرا ومنا او مشاهدة او سابقته ومما رزقناهم ينفقون واما ادب الصوم فالسحور وتاخير الفطر تعجيلا وصوم الاعضاء كلها عن العدل فاحرى عن الجور وترك العناية بما يفطر عليه الى ما بعد الزوال والاخذ فيه بشهوة العيال واما ادب الحج فاستطابة الزاد والاعتماد على ما بيد الله لا على حاصل ما بيد العبد وهو تزود التقوى والرفق مع الرفيق والرفق بالظهر وتحسين الاخلاق والاسعاف في الهدي وهو الحج والاعلان بالتلبية وهو العج وتتبع اركانه على ما يقتضيه احكامه واقامة شعايره على معلوم السنة لا على معهود العبادة واما ادب الجهاد فاستطابة الزاد واصلاح العدة ومباشرة الخلطا وحسن القيام على الخيل وتطييب علفها تصفية وودعا وتناوله بيده كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناول علف فرسه بيده ويمسح بردائه والتزام ما يجد معه المنة من ان يكون فارسا او راجلا او رامحا او نابلا ومن يتكلف غير ما يجد منه فقد ضيع الحق وعمل بالتكلف والصمت عند اللقا وغض البصر عن النظر الى الاعدا وقال صلى الله عليه وسلم اذا اكثبوكم فارموهم ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم وكف اليد عما للغير فيه حق وهو الغلول وان لا يدعوا للبراز وان يجيب اذا دعي وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه ولكل امر تلبس بما امور ادب يخصه على ما يستقرا من السنن النبوية واثار الخلفا وصالحي الامرا

فبهذه

انتهى

فبهذه الامور من اخلاص القلب وطيب النفس وادب الجوارح تصح قراءة حرف الامر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولما تقدم ان شرط رفع الاثم عن المضطر ترك العدوان وكان العدوان في ذلك وفي غيره ربما ادى الى القتل وتلا ذلك بما استتبعه كما تقدم الى ان ختم بهذه الاية وختمها بمدح الصبر والصدق في دعوى الايمان والوفا بالعهد وكل شيء كان من جملة ما خان فيه اهل الكتاب العهد امر سفك الدما تغييره كله او بعضه على ما اشار اليه تعالى بقوله واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم الاية وكان الصبر على بذل الروح اعظم الصبر والقتل اعظم مصدق في الايمان والاستسلام للقصاص اشد وفا بالعهد اخبر المؤمنين بما اوجب عليهم من ذلك وما يتبعه فقال تعالى ملذذا لهم بالاقبال عليهم بالخطاب **يايها الذين امنوا** اي ادعوا الايمان بالسنتهم ولما حصل التهذيب بما وقع سابقا من التاديب تعلم المخاطبون ان الحكم انما هو لله بني للمجهول قوله **كتب عليكم** اي فرض في الكتاب وقد سمعه انذار الذين اختلفوا في الكتاب والذي عين ارادة الفرض ان الكتب استعمال في الشرع في معناه واشعر التعبير بعلى **القصاص** اي المساواة في القتل والجراحات لانه من القص وهو تتبع الاثر قال الحرالي كانه تتبع بالجاني اثر ما جنى فيتبع اثر عقوبته اثر جنايته انتهى **في القتلى** اي في سائر امور القتل لمن قتل بشيء قتل به ومن قتل على كيفية قتل بمثلها كان نظم به افتسرى في النفس فيقطعه فان سرى والا حز فيه فيكون الاية عامة مخصوصة في بعض الصور ومتى لم تقل بالعموم كانت مجملة والتخصيص اولى من الاجمال فقد تواعدهم الايمان بالعمل الايما الاستيفاء وغيرهم بالانقياد فيه ولا تكونوا كاهل الكتاب الذين اختلفوا في كتابهم فامنوا ببعضه وكفروا ببعضه وايضا لما ذكر ايتا المال على حبه وكان تذكرا لنبا وهو المؤمن بالكتاب وكان من الكتاب بذل الروح المعلوم حبها عقبه به اشارة الى ان المال عديلها لا يوفى لاجل الله الا محض الايمان كان الروح لا يبذل الا بذلك ولما كان اهل الكتاب قد بدلوا احكام التوراة في القصاص الذي اشير اليه في المائدة الى انه كتب عليهم العدل فيه فكان من كان منهم اقوى جعل لقومه في ذلك فضلا فكان بنو النضير كما نقله ابن هشام في السيرة ياخذون في قتلاهم الدية كاملة وبنوا قريظة نصف الدية وكان بعضهم كما نقله البغوي في سورة المائدة عن ابن عباس رضي الله عنهما يقتل النفسين بالنفس اشار سبحانه الى مخالفتهم في هذا الجور بقوله مبينا للمساواة **الحر بالحر** ولا يقتل الحر بالعبد لان ذلك ليس باولى من الحكم المذكور ولا مساويا ويقتل العبد به لانه اولى بالحكم فهو مفهوم موافقة ولما تقدم هنا الحر تلاه بقوله **والعبد بالعبد** تعظيما للمذكورية وكذا يقتل بالحر لانه اولى ولا يقتل الحر بالعبد لانه ليس مساويا بالحكم **والانثى بالانثى** وتقتل الانثى بالذكر والذكر بها لان كلا منهما مساو للاخر وفاقا للاصل المؤيد بقوله صلى الله عليه وسلم النسا شقائق الرجال احتياطا للدما التي انتهاكها اكبر الكباير بعد الشرك ونقصت الدية بالتنصيف وان كانت بدلا للدم وفاقا لقوله تعالى وللرجال عليهن درجة وتنبيها على انحطاط حرمة الاموال عن حرمة الدما على ان مصب مفهوم الاية انه لا يقتل بالمقتول الا قاتله واذا تاملت قوله القتلى دون ان يقول القتل علمت ذلك قال الحرالي لان اخذ غير الجاني ليس قصاصا بل اعتدا ثانيا ولا يرفع العدوى بالعدوى انما يرفع العدوى بالقصاص على نحوه وحده انتهى وكذا اخذ غير المساوي اعتدا فلا يقتل مسلم بكافر بما افهمه القصاص وتقييد الحكم باهل الايمان مع قوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة في امثالها من الايات ولما فتح سبحانه لنا باب الرحمة بالقصاص منبها على تبكيت اهل الكتاب وكان ذلك من حكم التوراة لكن على سبيل الحتم وكان العفو عن النصارى كذلك اظهر في القرآن زيادة توسعة بوضع هذا الامر عنا بالتخيير بينهما قال الحرالي نقلا من عقاب الاخرة الى ابتلا الدنيا ونقلا من ابتلا الدنيا في الدم الى الكفارة باخذ حظ من المال كما كان ذلك في الفدا الاول لذبح ابرهيم عليه السلام من ولده فقال **فمن عفي له** اي عن جنايته من العفو وهو ما جا بغير تكلف ولا كره انتهى وعبر بالبنا للمفعول اشارة الى ان الحكم يتبع العفو من اي عاف كان له العفو في شيء من الحق ولو كان يسيرا وهو معنى قوله **من اخيه شيء** اي شيء كان من العفو بالنزول عن طلب الدم الى الدية وفي التعبير بلفظ الاخ كما قال الحرالي تلطف بين الجاني والمجني عليه واوليائه من حيث ما كان المؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا وان لم يكن خطا الطبع فهو خطا القصد من حيث لم يقصد ان يقتل مؤمنا انما قصد ان يقتل عدوا او شاتما او عاديا على اهله وماله او ولده فاذا انكشف حجاب الطبع عاد الى اخوة الايمان **فاتباع** اي فالامر في ذلك اتباع من ولي الدم **بالمعروف** فيه توطين النفس على كرهها عن حق ما تجره اليها احقاد الجنايات والمعروف ما شهد عيانه بموافقته وتقبل موقعه بين الانفس فلا يلحقها منه نكر ولما امر المتبع امر المؤدي فقال **واداء اليه باحسان** ليلا يجمع بين جنايته وارجائه وليه وتسويفا يرد في اعلام الهرام لا اولا ولي الجاني بالتذلل والخضوع والانصاف لاوليا المقتول بما لهم من السلطان فقد جعلنا لوليه سلطانا فيرا فيون فيهم رحمة الله التي رحمهم بها في باخذ الجاني بجنايته انتهى ولما وسع لنا سبحانه بهذا الحكم نبه على علته تعظيما للمنة فقال **ذلك** اي الامر العظيم الرفق وهو التخيير بين القصاص والعفو مجانا وعلى الدية **تخفيف** اي عن القاتل واوليائه **من ربكم** المحسن اليكم بهذه الحنيفية السمحة وهذا الحكم الجليل رحيم الضمير مراعاة كما قال الحرالي للجانبين لان كل طائفة معرضة لان تصيب منها الاخرى انتهى **ورحمة** لاوليا القتيل بالدية وللاخرين بالعفو عن الدم وروى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان في بني اسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية فمن عفي له من اخيه اي يقبل الدية في العمد ذلك تخفيف من ربكم ورحمة مما كتب على من كان قبلكم فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد قبول الدية انتهى وقال اهل التفسير كتب على اليهود القصاص وحرم عليهم الدية والعفو وعلى النصارى العفو وحرم عليهم القصاص والدية ولما كانت هذه منة عظيمة تسبب

عنها نقد بدس ابا ها فقال تعالى فمن اعتدى اي بالقتل بعد ذلك اي التخيير والعفو ولو كان للعافي عنه فله عذاب اليم بقتله او اخذ الدية منه جزاء على عدوانه بعد ره وتعديه بما اشعر با آية هذه الرخصة التي حكم بها المالك في عبيده الملك الذي لا تسوغ مخالفته ولو تسمية جزاءه بالعذاب وعدم تخصيصه باحدى الدارين اعلام بشياعه في كليهما تغليظا عليه قال الحرالي وفي الاية دليل على ان القائل عمدا ليس بذلك كافر انال الاصبهاني قال ابن عباس سمى الله القاتل في اول الاية مؤمنا وفي وسطها اخا ولم يؤيسه اخرها من التخفيف والرحمة ولما اخبر تعالى بما في العفو اخبر بما في مقابله تتميما لما تبدى لهل الكتاب على عدو ولم عن النص وعاموا عن الحكمة فقال تعالى ولكم اي ايها الذين امنوا في القصاص اي بهذا الجنس وهو قتل النفس القاتلة بالنفس المقتولة من غير مجاوزة ولا عدوان حياة اي عظيمة بديعة لان من علم انه يقتل لا يقتل وقال الحرالي فالحياة لمن يرى للجاني من غير ممن كان يعتدي عليه بجنايته غير في الدنيا والحياة للجاني بما انتقص منه في الاخرى لان من يكفر دينه في الاخرة ومن بقي عليه جنايته فاخذ بها فهو في حال ذلك ممن لا يموت فيها ولا يحيى لان المعاقب في حال عقوبته لا يدرك طعم الحياة لغلبة الالم ولا هو في الموت لاحساسه بعقوبته انتهى واما مطلق القتل كما كان اهل الجاهلية يقولون القتل انفى للقتل فليس كذلك لان من علموا انهم اذا قتلوا اثنين لا يقتل بهما الا واحد ربما كان ذلك مجريا لهم على القتل ويدخل فيه القتل ابتداء وهو اجلب للقتل لا انفى له وقد كانوا مطبقين استجادة معنى كلمتهم واسيرشاق لفظها من العلوم لكل ذي لب ان بينها وبين ما في القرآن كما بين الله وخلقه فانها زائدة على عبارة القرآن في الحروف ناقصة في المعنى فاذا اريد تصحيحها قيل القتل قصاصا انفى للقتل ظلما فكثرت الزيادة ولم تصل الى رشاقة ما في القرآن وعذوبته والله الموفق ولما كانت هذه العبارة كما ترى معجزة في صحة معناها ودقة اشاراته وعزيز مفهوماته قال تعالى مرغبا في علو الهمم يا اولي الالباب اي العقول التي تنفع اصحابها بخلوصها مما هو كالقشر من جميع لب قال الحرالي وهو باطن العقل الذي شانه ان يلحظ امر الله في المشهودات كما شان ظاهر العقل ان يلحظ الحقائق من المخلوقات فخص الناظرون الى ربهم في اياته انتهى ثم علل ذلك بقوله لعلكم تتقون اي الله بالانقياد لما شرع فتتحامون القتل قال الحرالي في الختام لعل التي هي من الخلق كما تقدم تردد اعلام بتصنيفهم صنفين بين من يثمر ذلك له تقوى وبين من يحمله ذلك ويزيد في الاعتداء انتهى ولما حث سبحانه على بذل المال ندبا وايجابا في حال الصحة والشح وتامل الغنى وخشية الفقر تصديقا للايمان واتبعه بذل الروح التي هو عدلها بالقتل الذي هو اسباب الموت اتبع ذلك بذله في حال الاشراف على الرحيل والامن من فقر الدنيا والرجاء لغنى الاخرة واستدراكا لما فات من بذله على حبه فقال وقال الحرالي لما اظهر تعالى وجوه التزكية في هذه الخاطبات وما الزمه من الكتاب وعلمه من الحكمة واظهر استناد ذلك كله الى تقوى يكون وصفا ثابتا او استجدادا معالجا حسب ما ختم به اية لبس البر من قوله هم المتقون وما ختم به اية القصاص في قوله لعلكم تتقون رفع رتبة الخطاب الى ما هو حق على المتقين حين كان الاول مكتوبا على المترجين لان يتقوا انتهى يعني وتزكية بخطاب يتوسل به الى خطاب على في التزكية ليتمحى الخطاب من رتبة الى رتبة الى ان يتوفى نهايات رتب اسنان القلوب واحوالها كما تقدمت الاشارة اليه ولما كان في الخطاب السابق ذكر القتل والقصاص الذي هو حال حضور الموت انتظم به ذكر الوصية لانه حال من حضره الموت انتهى فقال كتب عليكم اي فرض كما استفاض في الشرع واكد هنا بالتعبير بعلى ثم نسخ باية المواريث وجوبه فبقي جوازه وتبيين السنة ان الارث والوصية لا يجتمعان فالنسخ انما هو في حق القريب الوارث لا مطلقا فقال صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث رواه احمد والاربعة وغيرهم عن عمرو بن خارجة وابي امامة رضي الله عنهما اذا حضر احدكم الموت اي حضورا اسبابه وعلاماته ان ترك خيرا اي مالا ينبغي ان يوصى فيه قليلا كان او كثيرا اما اطلاقه على الكثير فكثير واطلق على القليل في اني لما انزلت الي من خير فقير ثم ذكر القائم مقام فاعل كتب بعد ان اشتد التشوف اليه فقال الوصية وذكر الفعل الرافع لها الوجود الفاصل انها ما القوة طلبه للوالدين بدا بهما لشرفهما وعظم حقهما والاقربين بالمعروف اي العدل الذي يتعارفه الناس في التسوية والتفضيل قال الحرالي وكل ذلك الى المحتضر والمعروف ما يتقبله الانفس ولا تجد منه نكرها انتهى واكد الوجوب بقوله حقا وكذا قوله على المتقين تنوا لهاب وتهييج وتذكيرا بما امامه من القدوم على من يسله على النقير والقطمير ولما تسبب عن كونه فعل ما دعت اليه التقوى من العدل وجوب كمل به قال فمن بدله اي الايصاء الواقع على الوجه المشروع او الموصى به بان غير عينه ان كان عينيا او نقصه ان كان مثليا وقال الحرالي لما ولى المتقين ايصال متروكهم الى والديهم وقرابتهم فاضموا بالمعروف تولى عنهم التهديد لمن يبدل عليهم وفي ابهامه ان الفرائض لما انزلت عن تقصير وقع في حق الوصية نكانه لو بقي على ذلك لكان كل المال حظا للمتوفى فلما فرضت الفرائض اختزل من يده الثلثان وبقي الثلث على الحكم الاول وبين ان الغرض عين الوصية فلا وصية لوارث لان الفرض بدلها انتهى بعدما سمعه اي علمه علما لا شك فيه اما دام لم يتحقق فاجتهد فلا اثم واكد التحذير من تغيير المغير وسكوت الشاهد عليه بقوله فانما اثمه اي التبديل على الذين يبدلونه بالفعل او التقرير لا يلحق الموصي منه شيء ولما كان للموصي والمبدل اقوال وافعال ونيات حذر بقوله ان الله اي المحيط بجميع صفات الكمال سميع اي لما يقوله كل منهما عليم بسره وعلنه في ذلك فليحذر من عمل السوء وان ظهر عمره ومن دعا المظلوم فان الله يجيبه ولما كان التحذير من التبديل انما هو في عمل العدل وكان الموصي ربما جار في وصيته جهلا او عرض تسبب عنه قوله فمن خاف اي علم وتوقع وظن واطلقه عليه لانه من اسبابه ولعله عبر به اشارة الى انه يقنع فيه بالظن من موص جنفا اي ميلا في الوصية خطا او اثما اي ميلا فيها عمدا قال الحرالي وكان حقيقته معنى الجنف جنفا حيف في صورة بر انتهى

فاصلح

فاصلح بينهم اي بين الموصي والموصى لهم ان كان ذلك قبل موته بان اشار عليه بما طابت به الخواطر او بين الموصى لهم والورثة بعد موته ان خيف من وقوع شر ثوفق بينهم على امر يرضونه وقال الحرالي وفي اشعاره بذكر الخوف من الموصي ما يشعر ان ذلك في حال حياة الموصي ليس بعد قرار الوصية على حيف بعد الموت قال ذلك لا يعرض له مضمون هذا الخطاب وفي ايقاع الاصلاح على لفظة بين اشعار بان الاصلاح نائل البين الذي هو وصل ما بينهم فيكون من معنى ما يقوله النحاة مفعول على السعة حيث لم يكن فاصلح بينه وبينهم انتهى فلا اثم عليه اي بهذا التبديل ولما كان المجتهد قد يخطى فلو اوخذ بخطائه احجم عن الاجتهاد رجاه سبحانه عليه بتعليل رفع الاثم بقوله اعلاما بتعميم الحكم في كل مجتهد ان الله اي المختص باحاطة العلم غفور اي لمن قصد خيرا فاخطا رحيم اي يفعل به من الاكرام فعل الراحم بالمرحوم ولما اباح سبحانه الاكل مما خلقه دليلا على الوحدانية والرحمة العامة والخاصة وكان من طبع الانسان الاستيثار وكان الاستيثار جارا الى الفتن واتبعه حكم المضطر واشار الى زجره عن العدوان ان يتقيض عنه في حال التلف فكان في ذلك زجر لعبيده بطريق الاولى واولاه الندب الى التخلي عما دخل اليه من متاع الدنيا للاصناف لسنة دون الزمهم شرا الاعجاب بالزكاة تزهيدا في زهرة الحياة الدنيا يحث العدو ان من اصله وفي ذلك حكم من قد لعدو وثم بما تبعه من التخلي عن المال في حضرة الموت فقد رفع النفس في الزهد بما هو معقول المعنى بادي بدء من التخلي عنه لمن ينتفع به اتبعه الامر بالتخلي عنه لا يحتاج اليه بل لله الذي اوجده لمجرد تزكية النفس وتطهيرها لنهيها لما تقتضيه عليها صيغة الصمد به من الحكمة هذا مع ما للقصاص والوصية من المناسبة للصوم من حيث ان في القصاص قتل النفس حسا وفي الصوم قتل الشهوة السبب للوط السبب لايجاد النفس حسا وفيه حياة الاجساد معنى وفي الصوم حياة الارواح بطهارة القلوب وفراغها للتفكر وتهيئها لافاضة الحكمة والخشية الداعية الى التقوى واماتة الشهوة وثمرة شهر الصبر المستعان به على الشكر وفيه تذكير بالصرلحات على الاحسان الى المضرور وهو مدعاة الى التخلي عن الدنيا والتحلي باوصاف الملائكة ولذلك نزل فيه القرآن المتلقى من الملك فلما انسب شيء لاثر الوصية المامور بها المتقون بالتخلي عن الدنيا عند مقاربة الاجتماع بالملائكة وختمها بالمغفرة والرحمة اشارة الى ان الصائم من اقرب الناس اليهما فقال تعالى يا ايها الذين امنوا الخاطب بما يتوجه بادي بدء الى ادنى الطبقات التي التزمت امر الدين لانه لم يكن لهم باعث حب وشوق يبعثهم على تقبله من غير فرض بخلاف ما فوقهم من رتبة المؤمنين والمحسنين فانهم كانوا يفعلون معالم الاسلام من غير الزام فكانوا يصومون على قدر ما يجدون من الروح فيه قاله الحرالي وقال فلذلك لم ينادوا في القرآن نداء ابعد ولا ذكروا الا مهدد وحين والذين ينادون في القرآن هم الناس والذين امنوا لما اشار به بعضهم على بعض والذين امنوا اماما لهم في محل الائتمار متناصرين على البيد ولذلك كل نداء في القرآن متوجه الى هذين الصنفين الا ما توجه للانسان بوجه ذم في قليل من الاي انتهى كتب اي فرض بما استفاض في لسان الشرع ونابيد باداة الاستعلاء عليكم الصيام هو الامساك عن المفطر من طلوع الفجر الى غروب الشمس بالنية وقال الحرالي فرض لما فيه من التهيؤ لعلم الحكمة وعلم ما لم يكونوا تعلمون وهو الثبات على تماسك عما من شان الشيء ان يتصرف فيه ويكون شانه كالشمس في وسط السماء يقال صامت اذا لم تظهر لها حركة لصعود ولا نزول التي هي من شانها وصامت الخيل اذا لم تكن مركوضة ولا مركوبة فما تماسك المرء عما من شانه فعله من حفظ بدنه بالتغذي وحفظ نسله بالنكاح وخوضه في زور القول وسوء الفعل هو صومه وفي الصوم خلاء من الطعام والشراب عن حال الانعام وانقطاع شهوات الفرج وتمامه الاعراض عن اشتغال الدنيا والتوجه الى الله والعكوف في بيته ليحصل بذلك ينبوع الحكمة من القلب وجعل كتبا حتى لا يتقاصر عنه من كتب عليه الا انثرم دينه كما يتثرم خرز القربة المكتوب فيها انتهى كما كتب اي فرضا لتشبيه في مطلق الفرضية على الذين وكانه ابتدا اهل الكتابين فقط فاتبعا الجار فقال من قبلكم فيه اشعار بانهم نما نقضوا فيه العهد لكثرة حرصا على صلال العرب ولما كان في الناس اعلا للهم القاصرة واشعارا واغلاء للقلوب العالية لان الشيء الشاق اذا عم سهل عمله قال لعلكم تتقون اي تجعلون بينكم وبين سخط الله وقاية بالمسارعة اليه والمواظبة عليه رجاء لرضى ربكم وخوفا من سبق من قبلكم لتكون التقوى لكم صفة راسخة فتكونوا ممن جعلت الكتاب هدى لهم فان الصوم بكسر الشهوة فيقمع الهوى فيردع عن موافقة السوء قال الحرالي وفي اشعاره تصنيف لما حوى دين بذلك صنفين من يثمر له صومه على وجه لزه تقوى ومن لا يثمر له ذلك ولما كان لهذه الامة جمع لما في الكتب والصحف كانت مبادي احكامها على حكم الاحكام المتقدمة تلقا وجهوا وجهة اهل الكتاب ابتداء ثم ختم لهم بالوجهة الى الكعبة انتهى كذلك صوموا صوم اهل الكتاب اياما معدودات اي قلائل مقدرة بعدد معلوم ابتداء ثم ردوا الى صوم دايرة الشهر وحدة تدراسا وذلك اثر لما كان من قبلهم اهل حساب لما فيه حصول امر الدنيا فكانت اعوامهم شمسية فكان صومهم عدد ايام لا وحدة شهر وفي علامة الزام تجدد بدا لنية لكل يوم حيث هي ايام معدودة وفي ابهامه منع من تمادي الصوم في زمن الليل الذي هو معنى الوصال الذي يشعر بفتحه رفع رتبة الصوم الى صوم الشهر الذي هو دوره لقمر فيقع الفطر في ليلة رخصة للضعيف لا عزما على الصائم وكان فيه من الكلفة ما في صوم اهل الكتاب من حيث لم يكن فيه اكل ولا نكاح بعد نوم فكان فيه كلفة ما في الكتب ليناله راس هذه الامة واوايلها حظا من منال اوايل الامم ثم يرفعها الله الى حكم ما يخصها فتكون مرتاة تجد طعم اليسر بعد العسر انتهى وفيه تصرف ومذهب الشافعي تحريم الوصال قالوا يا رسول الله انك تواصل قال اني لست كهيئتكم وقال من كان مواصلا فليواصل الى السحر قال الحرالي فانبا بتمادي الصوم الى السحر لتستقبل وجهة الفطر التي توافق حال اهل الكتاب الى وجهة السحر التي هي خصوص اهل القرآن انتهى وفي مواصلة النبي صلى الله عليه وسلم بهم كالمنكر لهم لما ابوا الا الوصال اياما ما يشهد لمن اباح ذلك والله اعلم قال الحرالي فليسبقه على العدد مكيا يرجع اليه

عند اغما الشهر الذي هو الهلال الذي كا سبا في التفريع بد قضا لمه العدد في الصوم بمنزلة التيمم في الطهور يرجعون اليه عند ضرورة
فقدا الهلال لرويته كما يرجعون الى الصعيد عند فقد الما ولما كان للمريض حاجة للدوا والغذا المجتنب تداعي جسمه رفع عنه
الكتب فتسبب عما مضي قوله تعالى انتهى **فمن كان منكم مريضا** اي مرضا يضره عاجلا او يزيد في علته اجلا قال الحرالي فيبقي على حكم التخلل
بيقين ما يغذو المومن ويسقيه من غيب بركة الله كما قال عليه الصلاة والسلام ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فللمومن غذا
في صومه من بركة ربه بحكم يقينه فيما لا يصل اليه من لم يصل الى محله فتعلو قدر ما تستمد بواطن الناس من ظواهرهم يستمد ظاهر
المومن من باطنه حتى يقوى في اعضاه به تستمد نور باطنه كما ظهر ذلك في تعلل لولاية والدبانة فكان فطر المريض حصة لموضع ما
تداويه واغتذايه ولما كان المرض وصفا جا بلفظ الوصف ولما كان السفر وهو ازالة الكن عن الراس تمام دورة يوم وليلة
بالمسير عنه بحيث لا يتمكن من عوده لماواه في مدار يومه وليلته تشبه بين حسا تبين جا حرف الاضافة معطوفا فقال **او على سفر**
لما يحتاج اليه المسافر من اغتذا او قوت تلفضته في عمله في سفره وان دفت اغتذا به بحسب البقاع لا بحسب الاختيار ان المسافر
ومتاعه على قلب الا ما رفي الله والسفر قطعة من العذاب وذلك ليلا يجتمع على العبد كلفتان فتضاعف عليه المشقة دينا
ودنيا فاذا احف عنه الامر من وجه طبيعي اخذ بالحكم من وجه اخر دينى **فعدة** نظمه يشعر ان المكتوب عدة **من ايام** اي متتابعة او متفرقة
اخر لا انتظام منا طع الكلام بعضها ببعض رووسا واطرافا فمعنى ايمامه ان مكتوب المريض والمسافر عدة مكتوب الصحيح والمقيم فبذلك
لا يحتاج الى تقدير فافطر لان المقصد معنى الكتب ويبقى ما دون الكتب على حكم تخلله فكانه يقال للمريض والمسافر مكتوبك ايام اخر
لا هذه الايام فتبقى هذه الايام خلية عن حكم الكتب لا خلية عن شرع الصوم ولما كانوا قوما لم يتعودوا الصوم وكانت عنايته الله
محيطة بهم تدريجا لرسوله صلى الله عليه وسلم قال تخيرا لهم في اول الامر **وعلى الذين يطيقونه** اي الصوم من الطوق وهو ما يوضع في
العنق حلية فيكون ما يستطيعه من الافعال طوقا له في المعنى **فدية طعام** بالاضافة او الفصل **مسكين** بالافراد رجاعا الى اليوم
الواحد وبالجمع رجاعا الى مجموع الايام لكل يوم طعام واحد وهو مد حفنتان بالكفين مما يقوت الحاين غذا وعشا كفافا لا اقتارا
ولا اسرافا في حليته توسعة امر الصوم على من لا يستطيعه ممن هو لغلبة حاجة طبعه الى الغذا بمنزلة المريض والمسافر فكوله
مرضا ما لنهمة كانما حال مرض جبل عليه الطبع فكان في النظر اليه توليه رحمة النظر الى المريض والمسافر الا ساوين ربين الصنفين
من كون هذا مطيقا وذينك غير مطيق او غير متمكن وفي اعلام بيان ان من لم يقدر على التماسك عن غذا به لحقه ان يغذو غيره له
ليقوم بذل الطعام عوضا عن التماسك عن الطعام لمناسبة ما بين المعنيين ولذلك لم يذكر هنا مع الطعام عتق ولا صوم
فمن تطوع خيرا اي زاد في الفدية **فهو خير له** لانه فعل ما يدل على مزيد حبوله بر ولما ساق سبحانه الافطار عند الاطاقة والفدية
واجها وتدرج بها مساق الغيبة وترك ذكر الفطر وان دل السياق عليه اشارة الى خساسته تنفيرا عنه جعل اهل الصوم
محل حضرة الخطاب بدانا بما له من الشرف على ذلك كله ترغيبا فيه وحضا عليه فقال **وان تصوموا** ايها المطيقون **خير لكم**
قال الحرالي فيه اشعار بان الصايم بنال له من الخير في جسمه وصحته ورزقه حظ وافر مع عظيم الاجر في الاخرة كما اشار اليه الحديث القدسي
كل عمل ابن ادم له الا الصوم وذلك لانه لما كانت الاعمال افعالا وانفاقا وسيرا واحوالا مما شان العبدان يعمله لنفسه ولاهله
في دنياه وكان من شانه كانت له ولما كان الصوم ليس من شانه لم يكن له فالصلاة مثلا افعال واقوال وذلك من شان المرء والزكاة
انفاق وذلك من شانه والحج ضرب في الارض وذلك من شانه وليس من شانه ان لا ياكل ولا يشرب ولا ينكح ولا ينصف ممن يعتدي
عليه فان امرو شاتمه او قاتله فليقل اني صايم فليس جل مقاصد الصوم من شانه وحقيقته اذبال جسمه واضعاف نفسه
واماتته بوجه ما ولذلك كان الصوم كفارة للقتل خطا ليتال بالصوم من قتل نفسه بوجه ما ما جرى على يده خطا من
القتل فكان في الصوم نقض ذات الصايم فلذلك قال تعالى فانه لي حين لم يكن من جنس عمل الادمي قال تعالى وانا اجزي به فعني استاره
ان جزاه من غيب الله مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كل ذلك في مضمون قوله **ان كنتم تعلمون** انتهى وجوابه
والله اعلم صمتم وتطوعتم فانهم ان لم يعلموا انه خير او لم يكونوا من اهل العلم لم يفعلوا فلم يكن خيرا لهم قال الحرالي كان خيرا حيث لم يكن
بين جمع الصوم والاطعام تنافد بل تعاضد لما يشعر به لفظ الخير انتهى روى البخاري في التفسير ومسلم وابو داود والترمذي والنساي
عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال لما نزلت وعلى الذين يطيقونه الاية كان من اراد ان يفطر ويفتدي حتى نزلت الاية التي بعدها
فنسختها وفي رواية حتى نزلت هذه الاية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وللبخاري عن ابن عمر عن اصحاب محمد رضي الله عنهم قالوا انزل
شهر رمضان فشق عليهم فكان من اطعم كل يوم مسكينا ترك الصوم ممن يطيقه ورخص لهم في ذلك فنسختها وان تصوموا خير لكم
فامروا بالصوم ولما ابهم الامر اولا في الايام ودحجله واجبا مخيرا على المطيق عين هنا وبت الامر فيه بقوله تعالى **شهر رمضان**
لان ذلك اضخم واكد من تعيينه من اول الامر قال الحرالي والشهر هو الهلال الذي شانه ان يبدو ودورة من حين يهل الى ان يهل
ثانيا سوا الانت عدة ايامه تسعا وعشرين او ثلثين كلا العددين في صحة التسمية بالشهر واحد فهو شايع في قدرين منه ابدي
الصحيح فكان العدد كما يالي احد القدرين لمسماه رمضان يقال هو اسم من اسما الله واشتقاقه من الرمضا وهو اشتداد
حر الحجارة من الهاجرة كان هذا الشهر سمي بوقوع في زمن اشتداد الحر بترتيب تحرم للحرم من اول فصل الشتا ليكون ابتدا
العام اول ابتدا الخلق باحيا الارض بعد موتها قال وبذلك يقع الربيعان في الربيع الارضي السابق حين تنزل الشمس الحوت

والسماوي

والسماوي اللاحق حين تنزل الشمس الحمل وقال انه لما رتبت لسابقة هذه الامة صوم كصوم اهل الكتاب كما وجهوا الى القبلة اولا
بوجهة اهل الكتاب تداركا الارتفاع الى حكم الفرقان المحقق بهم لجعل صومهم الغاية لهم بالشهر لانهم اهل شهور ناظرون الى الاهلة
ليسوا المستغرقين في حساب الشمس لجعل صومهم لروية الشهر وجعل لهم الشهر يوما واحدا فكانهم نقلوا من صوم ايام
معدودات الى صوم يوم واحد غير معدود ولوحدته لانهم امة امية وواعدنا موسى ثلثين ليلة هي ميقات امة محمد صلى
الله عليه وسلم واتممناها بعشر هي ميقات موسى عليه السلام وامته ومن يعمل من الامم الى هذه الامة انتهى ولما كان هذا
خطابا وفا مدحه سبحانه بانزال الذكر فيه جملة الى بيت العزة وابتدي بانزاله الى الارض قال الحرالي واظهر فيه وجه القصد في
الصوم وحكمته الغيبية التي اجرى فيها الكتب الاول التي فقال **الذي انزل فيه القران** فاشعران في الصوم حسن تلقي لمعناه
ويسر للتلاوة ولذلك جمع فيه بين صوم النهار والتهجد بالليل وهو صيغة مبالغة من القرو وهو ما جمع الكتب والصحف
والالواح انتهى وفي مدحه بانزاله فيه مدح للقران به من حيث اشعران من اعظم المقاصد بمشروعيته تصفية الفكر
لاجل فهم القران ليوقف على حقيقة ما اتبع هذا من اوصافه التي تقدمت ما افتتحت به السورة من انه لا ريب فيه وانه هدى
على وجه اعم من ذلك الاول فقال تعالى **هدى للناس** قال الحرالي فيه اشعار بان طايفة الناس يعليهم الصوم اي بالتهيئة
للتدبر والفهم وانكسار النفس الى رتبة الذين امنوا والمومنين ويرقيهم الى رتبة المحسنين فهو لهم هدى يغذوا فيه تفقد الغذا
القلب كما يغذو وجوده الجسم ولذلك اجمع محرر اعمال الديانات من الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
ان مفتاح الهدى انما هو الجوع وان المعدة والاعضا متى ارهقت لله نور الله القلب وصفى النفس وقوى الجسم ليظهر من امر
الايمان بجلب العبادة جديد عادة هي لو ثباتا براجل في القوة والمنة من عادته في الدنيا لعامة خلقه وفي اشارته لما
يعالنه الصايم من سد ابواب النار وفتح ابواب الجنة وتصفيد الشياطين كل ذلك بما يضيق من مجاري الشيطان من الدم
الذي ينقصه الصوم فكان فيه مفتاح الخير كله واذا هدى الناس كان للذين امنوا الهدى وكان نورا لهم وللمومنين نور كذلك
الى على رتب الصايمين العاكفين الذاكرين الله كثيرا الذين تماسكوا بالصوم عن كل ما سوى مجالسة الحق بذكره وفي قوله
وبينات اعلان بذكر ما يجده الصايم من نور قلبه وانكسار نفسه وتهيئة فكره لفهمه ليشهد تلك البينات في نفسه
وكونها **من الهدى** الاعم الاتم الاكل الشامل لكافة الخلق **والفرقان** الاكل وفي حصول الفرقان عن بركة الصوم الذي هو باب
رتب ما اظهر الحق ربه على وجهه اشعار بما يوتاه الصايم من الجمع الذي هو من اسمايه الجامع الذي لا يحصل الا بعد تحقق الفرقان
فان المبني على التقوى المتولد للصايم في قوله في الكتب الاول لعلكم تتقون فهو صوم ينبني عليه تقوى ينبني عليها فرقان كما قال
تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا فينتهي الى جمع يشعر به نقل الصوم من عدد الايام الى وحدة الشهر انتهى فعلى ما قلته المراد
بالهدى الحقيقة وعلى ما قال الحرالي هو مجاز علاقته السببية لان الصوم مهي للفهم وموجب للنور والهدى المعرف الوحي
اعم من الكتاب والسنة او ام الكتاب وغير ذلك وعلى ما قال الحرالي يصح ان يراد به القران الجامع للكتب كلها فهو الكتاب الاول للايام
والفرقان هو الخاص بالعرب الذي اعرب عن وحدة الشهر ولما تم ما في ذكر الشهر من الترغيب ثم التعيين ذكر ما فيه من عدم ورخص
فقال **فمن شهد** ~~من الشهود~~ على حد ما يقول النحاة مفعول على السعة لما فيه من حسن الاختصار وابلاغ المعنى ويظهر معناه قوله تعالى
منكم الشهر فليصمه بجملته واقعا على الشهرة واقعا على معنى فيه حيث لم يكن فليصم فيه وفي اعلامه صحة صوم ليله ليصير ما كان في الصوم
الاول من السعة بين الصوم والفطر للمطيق واقعا هنا بين صوم الليل وفطره لمن ذاق الفوز بروح من الله ولما نسخ هذا ما
مر من التخيير اعاد ما للمريض والمسافر ليلا يظن نسخه فقال **ومن كان مريضا** اي سوا شهده او لا **او على سفر** اي سوا كان
مريضا او صحيحا وهو يبين ان المراد شهوده في بلد الاقامة **فعدة** قال الحرالي لم يرد هذا الخطاب من مضمون اوله ومعناه تقوم
علة من حيث لم يذكر في هذا الخطاب الكتب ليجري برد كل خطاب على حد مبتداه وفي قوله **من ايام اخر** اعلام بان القضا لم يجز
على وحدة شهر في اختصاص الوحدة بشهر رمضان ونزول قضايه منزلة الصوم الاول في عدده وفي الجلالة اشعار بصحة وقوعه
متتابعا او غير متتابع انتهى ولما رخص علل ذلك بقوله **يريد الله** اي الذي لا يستطيع احد ان يقدره حق قدره **بكم اليسر** اي
شرع السهولة بالترخيص للمريض والمسافر وبقصر الصوم على شهر **ولا يريد بكم العسر** في جعله عزيمة على الكل وزيادته على شهر
قال الحرالي اليسر عمل لا يجهد النفس ولا يثقل الجسم والعسر ما يجهد النفس ويضر الجسم وقال فيه اعلام برفق الله بالاجسام
التي يسر عليها بالفطر وفي باطن هذا الظاهر اشعار لاهل الفوز بان اليسر في صومهم وان العسر في فطر المفطر فيجري الظاهر
على حكمته في الظهور ويجري الباطن على حكمته في البطون اذ لكل اية منه ظهر وبطن فلذلك والله اعلم كان النبي صلى الله عليه وسلم
يصوم في رمضان في السفر ويامر بالفطر وكان اهل القوة من العلما يصومون ولا ينكرون الفطر انتهى قال الشعبي اذا اختلف
عليك امران فان ايسرهما اقربهما الى الحق لهذه الاية ولما كانت علة التيسير المؤكد بنفي التعسير الاطاقة فكان التقدير
لتطيقوا ما امركم به وتخفف عليكم امره عطف عليه قوله **ولتكملوا** من الاكمال وهو بلوغ الشي الى غاية حدوده في قدر او عد حسا
او معنى **العدة** اي عدة ايام رمضان الى رويته الهلال او الى تمامه ثلثين الذي لا يمكن زيادة الشهر عليها ان غم عليكم
بوجود الغمام فلم تشهدوه فانه لو كلفكم الزمنه او كان الجابر على كل حال كان جديرا بان تنقصوا من ايامه اما بالذات بان تنقصوا

اي حضور حصول ذلك ... العيد ... بيوم او بالاهلال ... ثم نسخ ... عند العلماء ... رمضان ... للناس ... الشهر ... الصوم ... منهم حتى يكون

من عدتنا او بالوصف بان تاكلوا في اثنائها كالحيض النصارى فتبدوا في ذلك الى اعدادها اصلا وراسا وقال الحرالي لتعقدوا بر تصوموا
الصوم بالرؤية وتكملوا ان اغمي عليكم ففي هذا الخطاب تعادل ذكر الصحو في الابتداء بقوله شهد وذكر الغيم في الانتهاء بالاكمال انتهى وفيه
اشارة الى احتياط فان ذكر الشهود اولا يدل على عدمه ثانيا وذكر الاكمال ثانيا يدل على الصحو اولا ولما كان العظيم اذا
يسر امره كان ذلك اجدر بتعظيمه قال ولتكبروا والتكبير اشراف القدر والمقدار حسا او معنى قاله الحرالي وقرن به الاسم الاكبر
لاقتضاء المقام له فقال الله اي الذي تخف الاوهام خاشية دون جلاله وتخضع الاعناق لسبوغ جماله لتعتقدوا عظمته بقلوبكم
وتذكروها بالسنتكم في العيد وغيره ليكون ذلك احرى بدوام الخضوع من القلوب قال الحرالي وفيه اشارة الى ما يحصل للصائم
بصفاء باطنه من شهود ما يليح له اثر صومه من هلال نوره العلي فكما كبر في ابتداء الشهر لرؤية الهلال يكبر في انتهائه لرؤية باطنه
مرائي من هلال نور ربه فكان عمل ذلك هو صلاة ضحى العيد واعلن فيها بالتكبير وكرر لذلك وجعل في براح من متسع الارض
لمقصد التكبير لان تكبير الله انما هو بما جل من خلقه فانه فكان في لفظه اشعار ولما ظهر من السنة من صلاة العيد على اختصاصها
بتكبير الركعتين والجهر لمقصد موافقة معنى التكبير الذي انما يكون علنا انتهى ومن اعظم اسراره انه لما كان العيد محل فرح وسرور
وكان من طبع النفس تجاوز الحدود لما جبلت عليه من الشره تارة غفلة وتارة بغيا امر فيه بالذكر ليذهب من غفلتها ويكسر من
سورتها ولما كان للوتر بها اثر عظيم في التذكير بالوتر الصمد الواحد الاحد وكان للسبعة منها مدخل عظيم في الشرع جعل تكبير
صلاته وترا وجعل سبعا في الاولى لذلك وتذكيرا باعمال الحج السبعة من الطواف والسعي والجمار تشويقا اليها لان النظر
الى العيد الاكبر اكثر وتذكيرا لخالق هذا الوجود بالتفكر في افعاله المعروفة من خلق السموات السبع والارضين السبع وما فيهما
في الايام السبع لانه خلقهما في ستة وخلق آدم في اليوم السابع يوم الجمعة ولما جرت عادة الشارع بالرفق لهذه الامة ومنه
تخفيف الثانية على الاولى وكانت الخمسة اقرب وترا الى السبعة من دونها جعل تكبير الثانية خمسا لذلك ولانه لما استحضر
عظمة الخالق باشارة الاولى للعلم بانه المقصود بالعظمة والقهر والملك لجميع الامر فاقبلت القلوب اليه وحضرت لهم
عليه اشير بتكبير الثانية الى عبادته بالاسلام المبني على الدعائم الخمس وخصوصا باعظم دعائمه الصلوات الخمس والله الموفق ولما
كانت الهداية تطلق تارة على مجرد البيان وتارة عليه مع الحمل على لزوم المبين وكان تخفيف المامور به وتسهيله اعون على لزومه قال
على اي حامدين له على ما هداكم اي يسره لكم من شرائع هذا الدين تهيئا لكم للزومها ودوام التمسك بعراها ولعل هذا سر الاهتمام
بالصيام من الخاص والعام حتى لا يكاد احد من المسلمين يخل به الا نادرا والله الموفق وقال الحرالي ان الهداية اشارة الى تلك الموجودة
التي يجدها الصائم وما يشهده الله من بركاته من رؤية ليلة القدر ويكشف خاصة اهل الخلوة او ايات بينة لاهل البصر او
باطن بادية لاهل المراقبة فلا على حكم وجدهم من استغراق بما سكر وخلوته واستغراق ذكره في صومه فاعظم الهدى هدى القران
بتبديل جسمه ونفسه وتغني ذاته في حق ربه كما يقول تعالى يدع طعامه وشرابه من اجلي فكل عمل وثلث الصوم فانه نحو
وتقديسا سبب تحقيق ما هو الاسلام والتقوى من الثامنة الظاهر وقوة الباطن انتهى ولما كان الشكر صرف ما انعم المنعم
في طاعته وكان العمل اذا خف قرب الى لزوم الطاعة بل ومداومتها ولا شك ان يحصل به كذلك قال ولعلكم تشكرون اي
ولتكونوا في حالة يرجى معها لزوم الطاعة واجتناب المعصية وقال الحرالي فيه تصنيف في الشكر تماما كما كان فيه تصنيف
للتقوى بداية كما قال ولعلكم تتقون لمن صح له التقوى ابتداء صح منه الشكر انتهاء وفي اشعاره اعلام باظهار نعمة الله وشكر
الاحسان الذي هو مضمون زكاة الفطر عن كل صائم ومن يطعمه الصائم فكان في الشكر اخراج زكاة فطره طهر صومه واستقبال
فطره بامور به واظهار شكره بما خوله من اطعام عيلته فلذلك جرت فيمن يصوم وفيمن يعوله الصائم انتهى ولما كان دعا
الصائم مجابا وكان هذا الشهر بالخصوص مظنة الاجابة للصيام ولمكان ليلة القدر وكان ذكر كبريائه محاتا مهيبا لعباده لعله
للاحساس بالبعد فكان ربما اوقع في وهم انه على عادة المتكبرين في بعد المسافة عن محال العبيد وانه ان كان بحيث يسمع
لم يكن لاحد منهم ان يبلغه الا بواسطة رفع هذا الوهم بقوله واذا ودل العطف على غير مذكور ان التقدير فاذا سالك
عبادي عني فاني مع علو شاني قريب على من اطاعني ومن عصاني واذا وقال الحرالي لما انبت الحق تعالى كتاب الصيام لعباده لما
اراده لهم من اعلائهم الى خير جزائه واطلعهم على ما شاء في صومهم من ملكوته بحضور ليلة القدر واتمام الى التكبير على عظيم
ما هداهم اليه واستخلفهم في فضله وشكر نعمته بما خولهم من عظيم فضله واظهر عليهم من رواتبه كانه مايدعو الناظرين
لهم الى سؤالهم عما نالوه من ربهم فيليحون لمن دونهم ما يليق بهم رتبة كتبه يونس عن عمر رضي الله عنه انه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكلم ابا بكر رضي الله عنه فكانما يتكلمان بلسان اعجمي لانهم ما يعقولان شيا الى ان ينتهي الامر الى ادنى
السائلين الذين هم في رتبة حضرتهم بعد فيستبشرون بمطالعة القرب فقال واذا عطفا على امور تقدمت وذة كانه يقول اذا
خرجت من معتكفك فصليت وظهرت رتبة الله التي بامري مما مليكته ليست رتبة الدنيا التي يمنعها اهل حضرة
من مليكته فاذا سالك من حاله كذا فانبيه بكذا واذا سالك من حاله كذا فانبيه بكذا واذا سالك عبادي عني
اي هل انا على حالة المتكبرين من ملوك الدنيا في البعد عن دونهم فاخبرني لست كذلك ولما كان لا يسال عن الشيء الا من كان
معظما له مشتوقا الى تعجيل الاخبار به كان الانسب للمقام والاقر لعيون العباد والازجر لاهل العناد تقريب الجواب

واخباره

واخباره سبحانه بنفسه الشريفة دون واسطة اشعار بفرط قربه وحضوره مع كل سائل فقال فاني دون فقل اني قال
لو اثبت قل لاوهم بعدا وليس المقام لذلك ولكان قوله اني موهما لاحتياج الى ان يقال ان الله وهو مع ذلك فلا ينفك عن
اشكال واذا كان هذا التلطف بالسائلين فما ظنك بالسالكين السائرين وقال الاستاذ ابو القسم القشيري ما معناه
الذين يسالون عن الجبال وعن اليتامى وعن المحيض وعن الاهلة ونحوها يجابون بالواسطة واما الذين يسالون عني فانا ارفع
الوسايط بيني وبينهم وقال الامام قاضي القضاة ناصر الدين ابن الميلق ما معناه انه سبحانه لما كان قد تعرف الى عباده بافعاله
واياته وما ركز في العقول من معرفته كان حذف الواسطة في الاخبار عنه انسب بخلاف الاهلة ونحوها فان العقول
لا تستقل بمعرفتها فكان الاخبار عنها بواسطة الرسول الذي لا تعرف الا من جهته انسب قريب فتمثيل من القرب وهو
مطالعة الشيء حسا او معنى من طلبني لحقيقة وجدني وعرفني وانما ادخلت الرسل زيادة في التعرف ورفعا للحرج تيسير اي حم
التلطف واسقاط قل اسرع الى التعرف فهو احد بتعظيم الواسطة لان الاسراع في الاجابة ادل على صدق في الرسالة
قال الحرالي بشر اهل حضرة البعد بالقرب لما دني اهل القرب الى الوصول فكان المبشر اصلا كان المستخاصر عن القرب
مبشرا به ومعلوم ان قرب الله وبعد المخلوق منه ليس ببعد مسافة ولا قرب مسافة فالذي يمكن الاخذ من معنى القرب
ان من سمع فيما يخاطب به خطاب ربه فهو قريب ممن كان ذلك الخطاب منه ومن كان انما يسمع الخطاب ممن واجهه به
بالخطاب في حسه ومحسوسه فسمعه ممن دون ربه كان بعيدا بحسب تلك الواسطة من بعد دون بعد الى البعد
البعد ولذلك يحلى للنبي صلى الله عليه وسلم انما عليك البلاغ وكان انما يتلوه لا منه انما هو كلام ربه يتلوه لهم كلام
ربهم ليسمعوه من ربهم لا منه حتى لا يكون صلى الله عليه وسلم واسطة بين العبد وربه بل يكون يوصل العبد الى ربه وللاشارة
لهذا المعنى شرع كلمة قل في القران ليكون انصاحا بسماع كلام الله تعالى ممن سمع كائنا من كان وفي اشعاره اهتزاز القلوب
والاسماع الى نداء الحج اثر الصوم لانه جعل تعالى اول يوم من شهور الحج اثر اخر يوم من ايام الصوم فكان منادي الله ينادي يوم
الفطر بالحج فتى حتى اسماعا دائما علانا ابرهيم عليه السلام الذي تقدم واسس امر الاسلام على حنيفيته وملته وليكون حنيفيته
في هذه الاية الجامعة توطئة لذكر الحج لما تقدم من ان هذه السورة تنتظم جوامعها خلال تفاصيلها انتظاما عجيبا
يلحج المعنى لاهل الفهم ويعضله لاهل العلم ثم يحكم به على اهل الحكم قال اجيب من الاجابة وهي اللقاء بالقول ابتداء شروع
لتمام اللقاء بالمواجهة دعوة الداعي نفسه اشعار باجابة الداعي الى الحج عند خاتمة الصوم يعني لما بين العبادتين من تمام
المناسبة فان حال الصوم التابع لاية الموت في كونه نحو الحال البرزخ وحال الحج في كونه سفرا الى مكان مخصوص على حال
التجرد كحال الحشر قال وجاء الفطر يعني بعد اكمال الصوم بايمين على اجابة دعوة الوفادة على الله اثر الخلوة في بيت الله ليكون
انتقالهم من بيت خلوته بالعكوف الى موقف تجليه في الحج وفيه تحقيق للداعي من حاله لبس الداعي من اعراضه وشهواته ان الله
سبحانه يجيب دعوة العبد اذا كان فيه رشده والا ادخرها له او كفر بها عنه كما بينه صلى الله عليه وسلم ولما كان كل خلق
داعيا لحاجته وان لم ينطق بها اشار تعالى الى مقصد اظهار الدعا مقالا وانه الاكمل اذا دعان يكون حاله صدقا بطابقه
حاله مقالا وفي قراة الاكتفاء بكسرة الداع ودعان عن يائهما وقراءة تثبيتهما توسعة القراءة بما يتيسر على قبائل العرب
بحسب ما في السنة بعضها من التمكين وما في السنة بعضها من الحذف ولقد يسر القران للذكر فهل من مذكر وفي اجابته
حجة عليهم بان السيد اذا التزم اجابة عبده كان اجابة العبد لسيده اوجب التزاما لاستغناء السيد وحاجة العبد فحين
كان الغني مجيبا كان اولى بان يكون المحتاج مستجيبا يعني فلذلك سبب عنه قوله اشارة الى شرط الاجابة فليستجيبوا لي اي
عائد دعائهم اليه من قربه ويقصد بيته بما جبلهم عليه من حاجتهم اليه وجاء بصيغة الاستفعال المشعر باستخراج الاجابة
مما شانه الاباء لما في الانفس من كره فيما حمل عليه من الوصول الى بيت لم يكونوا بالغيه الا بشق الانفس انتهى وفيه تصرف ولما من كره ح
اوجب استجابته سبحانه في كل ما دعا اليه وكانت الاستجابة بالايمان اول المراتب واولاها وكانت مراتب الايمان في قوته وضعفه
لا تكاد تتناهى قال مخاطبا لمن امن وغيره وليؤمنوا بي اي مطلق الايمان او حق الايمان ثم علل ذلك بقوله لعلهم يرشدون
اي ليكونوا على رجاء من الدوام على اصابة المقاصد والاهتداء الى طريق الحق قال الحرالي والرشد حسن التصرف في الامر حسا او معنى
في دين او دنيا ومن مقتضى هذه الاية تنفصل جميع احوال السالكين الى الله من توبة التائب من حد بعده الى سلوك سبيل
قربه الى ما يؤتيه الله من وصول العبد الى ربه انتهى ولما تصوروا بهذه الاية الشريفة قربه وحبه على عظمته وعلوه
فتذكروا الاية المخاطبة فيما قيل فاشتاقوا اليها وكان قد يسر لهم امر الصوم كما على جميعهم ولبثا على اهل الضر وزاده منهم
كانوا كانهم سالوه التيسير على اهل الرفاهية فيما حرم عليهم كما حرم على اهل الكتاب من الوطء في شهر الصوم الا كل بعد النوم
فقال تحقيقا للاجابة وقرب احل لكم فاشعر ذلك بانه كان حراما ليلة اي في جميع ليلة الصيام الرفث وهو ما تواجه
به النساء في امر النكاح فاذا عني فلا رفث عند العلماء من اهل اللغة ويدل عليه وصله بحرف الانتهاء بالتضمين
الافضاء اي مفضين الى نسائكم بالجماع قولا وفعلا وخرج بالاضافة نساء الغير ولما كان الرفث والوقاع متلازمين غالبا
قال موكدا الارادة حقيقة الرفث وبيان السبب في احلاله هن اي نساؤكم لباس لكم تلبسونهن والمعنى ابيح ذلك في حال

الملابسة او صلاحيتها وهو يفهم انه لا يباح لها واسه اعلم ويجوز ان يكون تعليلا لان اللباس لا غنى عنه والصبر يصعب
عنهن حال الملابسة والمخالطة ولما كان الصيام عاما للصنفين قال **وانتم لباس لهن** اي يلبسونكم ثم علل ذلك بقوله مظهرا
العظمة لهذه الامة عنده في ارادته الرفق لها **علم الله** اي المحيط علمه ورحمته وله الاحاطة الكاملة كما قدم من كونه قريبا
اللازم منه كونه رقيبا **انكم كنتم تختانون** اي تفعلون في الخيانة في ذلك من المبادرة اليه فعل الحامل نفسه عليه
والخيانة التفريط في الامانة والامانة ما وضع ليحفظ روى البخاري في التفسير عن البراء رضي الله عنه قال لما نزل صوم
رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون انفسهم فانزل الله عز وجل علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم الاية
وروى البخاري والترمذي والنسائي عن البراء ايضا رضي الله عنه قال كان الرجل اذا صام فنام لم ياكل الى مثلها وان صرمة بن قيس
الانصاري رضي الله عنه فذكر حديثه في نومه قبل الاكل وانه غشي عليه قبل انتصاف النهار فنزلت الاية ولما كان ضرر ذلك
لا يتعداهم قال **انفسكم** ثم سبب عنه قوله **فتاب عليكم** قال الحرالي نفيه بيسر من حيث لم يواخذوا بذنب حكم خالف
شرعته جبلاتهم تعذرهم بجبلته فيهم ولم ياخذهم بكتابه عليهم وفي التوب رجوع الى مثل الحال قبل الذنب لتايب من الذنب
كمن لا ذنب له وكانت هذه الواقعة لرجل من المهاجرين ورجل من الانصار ليجتمع اليمن في الطايفتين فان امن الناس على الناس
من وقع في مخالفة فيسر الله حكمها بوسيلة مخالفته كما في هذه الاية التي اظهر الله تجابه الرفق فيها بهذه الامة من حيث شرع
لها ما يوافق كيانها وصرف عنها ما علم انها تختان فيه لما جبلت عليه من خلافه وكذلك حال الامة اذا شاء ان يطيعه مأموره
يامره بالامور التي لو ترك ودواعيه لفعلها وينهاه عن الاشيا التي لو ترك ودواعيه لاجتنبها فبذلك يكون حظ
حفظ المامور من المخالفة واذا شاء الله ان يشدد على امة امرها بما جبلها على تركه ونهاها عما جبلها على فعله فتقع
بينها المخالفة لذلك وهو من اشد الاصار التي كانت على الامم تخفف عن هذه الامة باجرا شرعتها على ما يوافق خلقتها
لتسارع بجبلتها لهم الى حظ من هواهم كما قالت عايشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم ان ربك يسارع الى هواك
ليكون لهم حظ مما للنبيهم كلبنته وكما قال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه اللهم ادر الحق معه حيث دار كان
صلى الله عليه وسلم يامر الشجاع بالحرب ويكف الجبان عنه حتى لا يظهر فيمن معه مخالفة الا عن سوطبع لا يزعه وازع الرفق وذلك
قصد العلما الربانيين الذين يجرون الحرب والمدرب والمودب على ما هو اليق بحاله وجبلة نفسه واوفق لخلقه وخلقته
ففيه اعظم اللطف لهذه الامة من دينها ومن نبيها ومن ايمة دينها وبناؤه منه قوله عليه الصلاة والسلام لقد هممت ان انهى
عن الغيلة حتى سمعت ان فارس والروم يصنعون ذلك فلا يضر ذلك اولادهم شيئا ليجري الاحكام على ما يوافق الجبلات وطباع
الامم لكونه رسولا الى كافة الناس على اختلاف طباعهم وما في السنة والفقه من ذلك فمن مقتبسات هذا الاصل العلي
الذي اجرى الله الحكم فيه لامة محمد صلى الله عليه وسلم على وفق ما تستغرق فيه امانتهم وتندفع عنهم خيانتهم وفي قوله
وعفا عنكم اي محو اثر الذنب اشعار بما كان يستحق ذلك من تطهير منه من نحو كفارة وشبهها ولما كان ما على اليه خطاب
الصوم صوم الشهر على حكم وحدة الاية على ليله ونهاره اعلا عن رتبة الكتب الاول التي هي ايام معدودات مفصول ما بين
ايامها بلياليها يجري النهار على حكم العبادة والليل على حكم الطبع فكان في هذا الاعلا اطعام الضعيف مما يطعمه الله
ويسقيه لا انه منه اخذ بطبع بل بانه حكم عليه بشرع حين جعل الشهر على حكم طباعهم كما قال في الشامي انما اطعمه الله له
وسقاه وفيه اغنا الغوي عن الطعام والشراب كما قال عليه الصلاة والسلام اني لست كهيئتكم فكان يواصل واذن في
الوصال الى السحر فكما اطعموا وسقوا شرعة مع تمادي حكم الصوم فكذلك النكح اشرعة مع تمادي حكمه فصار نكاحهم ابتماء
لحكم الله لا اجابة طبع ولا عرض نفس فقال **فالان** اي حين اظهر لكم اظهار الشرعة على العلم فيكم وما جبلت عليه طباعكم فرد
عنكم ابواب المخالفة التي تحث على عزيمكم **باشروهن** حكا حتى استحب طايفة من العلما النكاح من الصايم ليلا حيث صار
طاعة وهو من المباشرة وهي التقا البشرتين عمدا **وابتغوا** اي اطلبوا بجد ورغبة **ما كتب الله** اي الذي له القدرة الكاملة
فلا يخرج شي عن امره **لكم** اي من الولد والحل الحل وفيه اشعار بان ما يقتضي من الولد في ليالي رمضان قابل بركة وابر على نكاح
امر به حتى كان بعض علما الصحابة يفطر على النكاح **وكلوا واشربوا** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات
فان لم يجد فعلى تمرات فان لم يجد حسا حسوات من ما وقال ان الما طهور وفي تقديمه الاكل اجرا الحكم بهذا الشرع على وفق الطبع
انتهى ولانه سبب العطش ودل على وجوب تبييت النية وجواز تاخير الغسل الى النهار بقوله **حتى** فانه جعل تبين الفجر
غاية لحل المفطرات بجا بالمراقبة للكف عنها وذلك هو حقيقة النية ومن استمر مباشرا الى الفجر لم يمكنه الاغتسال
ليلا وقال **يتبين** قال الحرالي بصيغة يتفعل وهو حيث يتكلف الناظر نظره وكان الطالع يتكلف الطلوع ولم يقل
يستبين لان ذلك يكون بعد الوضوح انتهى وفي قوله **لكم** بيان لان الاحكام بحسب الظاهر وان التكليف بما في الوسع **الخيط
الابيض** قال الاصبهاني وهو اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود وقال الحرالي لما كانت غاية انتها الليل
وتبين حد النهار دادق ما يكون من مثل الخيط **من الخيط الاسود** قال الاصبهاني وهو ما يمتد معه من غبش الليل
اي البقية من الليل وقيل ظلمة اجزا الليل شبهها بخيطين ابيض واسود وقال الحرالي لغيبة انما حل الاستبصار له

في

في ملتقى الليل والنهار حتى يوفي العبد نور حس يتبين ذلك على دقته ورقته وقد كان انزل هذا المثل دون بيان ممثوله حتى اخذ اعرابي ينظر
الى خيطين حسوسين فانزل **من الفجر** يعني فتبين الابيض باخراجه بذكر المشبه من الاستعارة الى التشبيه لان من شرطهما ان لا يدل عليها الحالة
او الكلام وهذه الاستعارة وان كانت متعارفة عندهم قد نطقت بها شعراؤهم وتفاوضت بها فصحاؤهم وكبراؤهم لم يقتصر عليها وزيد في البيان
لانها خفيت على بعض الناس منهم عدي بن حاتم فلم تكن الاية مجملة ولا تاخر البيان عن وقت الحاجة ولو كان الامر لذلك ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم
على عدي رضي الله عنه عدم فهمهما وقال الحرالي في كتاب له في اصول الفقه بنا على انها مجملة والخطاب بالاجمال ممكن الوقوع وليس يلزم العمل
به والالزام تكليف ما لا يطاق والزام العمل يستلزم البيان والاعاد ذلك الممتنع وتاخير بيان المجمل الى وقت الالزام ممكن لان في ذلك تناسب
حكمة الوحي المنزل بحكمة العالم المكون فان الاجمال في القران بمنزلة نطف الاكوان والبيان فيه بمنزلة تخطيط الصور وذلك ظاهر عند
من زاوله وحينيذ فلا ابطال خطاب الاجمال عدم الفايدة لانه يفيد تدريج حكمة التنزيل وتحصيل بركة التلاوة وفي الاقتصار على بيانه
نمط من فصاحة الخطاب العربي حيث لم يكن ينبر ذكر المتوليين اكتفا باحدهما عن الاخر نفيه تاصيل لاصل البيان من الابهام حيث لم
يقل من الليل كما قال من الفجر اكتفا بما في الفهم من الذكر في وقوع المبين اثر غيره مثله نمط اخر من فصاحة الخطاب العربي لان العرب يردون
الثالث الى الاول لا الى الثاني فيتعلق بالاول في المعنى ويتنظم بالثاني في اللفظ فيكون محرز المحل المفهوم راجعا الى الاول بالمعنى انتهى
واوضح دليل على ايجاب التسبيب ترتيبه بالاتمام فانه لما وقع الشروع فيه فالتعقيب برفا ذا تبين الفجر الذي امر بمراقبته لكونه غاية لما
احل لكم فصوموا الى ان تسكوا عن المفطر **ثم اتموا** ذلك **الصيام الى الليل** والتعبير بثم اشارة الى بعد ما بين طرفي الزمان الذي احل
فيه المفطر وقال الحرالي فكان صوم النهار انما هو ما لا بد منه من صوم ليله فكانه في الليل صوم ليس بتام لانثلامه بالفطر وان كان في المعنى صوما
ومن معناه راى بعض العلما الشروع في الاعتكاف قبل الغروب لوجه مدخل الليل في الصوم التام بالعكوف واضافة الليل للنهار
في حكم صوم متا وهو في النهار تمام المعنى والحس واما الرمز بتمام الصوم نهارا واعتداده ليلا وجري تنبيه الاكل والنكاح بالامر ان النهار معاش
فكان الاكل فيه اكلا في وقت انتشار الخلق وتعاطي بعضهم من بعض فيما ينافي عنه المرتقب ولان الليل سبات ووقت توقف وانطماس فيبدا
فيه من امر الله ما يحجب ظهوره في النهار وكان المطعم بالليل طاعم من ربه الذي هو وقت تجليه ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا فكان له
الطاعم في الليل انما اطعمه الله وسقاه فلم يقدح ذلك في معنى صومه وان ظهرت صورة وقوعه في حسه كالناسي بل انما دونه اشرف
رتبة من الناسي انتهى ولما كان الصوم شديد الملابسة للمساجد والاعتكاف وكانت المساجد مظنة للاعتكاف وكان تحاته قد اطلق
في صدر الاية الاذن في الوطي في جميع الاماكن والاحوال التي غير حال الصوم خص من ساير الاحوال الاعتكاف ومن الاماكن المساجد فعقب
ذلك بان قال **ولا تباشروهن** اي في اي مكان كان **وانتم عاكفون** اي بايتون مقيمون او معتكفون ومدار مادة علف على الحبس
اي وانتم حابسون انفسكم لله **في المساجد** عن شهواتها بنية العبادة وفي المساجد ظرف لعاكفون فتحرم المباشرة في الاعتكاف
ولو في غير المسجد وتقييده الاعتكاف بها لا يفهم صحته في غير مسجد فانه انما ذكر لبيان الواقع وليفهم حرمة الجماع في المساجد لانه اذا
حرم تعظيما لما هو سبب حرمته وتحريمه لكانت حرمته تعظيما لها لنفسها اولى ويقال وهو احسن لما كان معنى العكوف مطلق
الحبس قيده بالمسجد ليفهم خصوص الاعتكاف الذي هو الحبس عبادة فصار كانه قال وانتم معتكفون هذا معنى المبتدا والخبر وما تعلق به
وكانه جرد الفعل ليشمل ما اذا كان اللبث في المسجد بغير نية والحاصل انه سبحانه سوى بين حال الصوم وحال الاعتكاف في المنع من
الجماع فان اجتمعا كان اكد فان الاعتكاف من كمال الصوم وذلك على وجه منع من المباشرة في المسجد مطلقا قال الحرالي وانما كان العاكف
في المسجد مكملا لصومه لان حقيقة الصوم التماسك عن كل ما شان المرء ان يتصرف فيه من بيعه وشرايه وجميع اغراضه فاذا
المعتكف المتماسك عن التصرف كله الا ما لا بد له من ضرورته هو الصايم المكمل صيامه والمتصرف الحافظ للسانه الذي لا ينتصف
بالحق ممن اعتدى عليه هو المتم للصيام ومن نقص عن ذلك فانتصف بالحق ممن اعتدى عليه فليس بمتم للصيام فمن اطلق لسانه
وافعاله فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه فاذا حقيقة الصوم هو الصوم لا صورته حتى تثبت معناه بالاكل ليلا
وبنا قال صلى الله عليه وسلم من صام رمضان واتبعه بست من شوال فكانما صام الدهر وقال عليه الصلاة والسلام
ثلثة ايام من كل شهر فذلك صوم الدهر وكان بعض اهل الوجهة من الصحابة يقول قايلهم انا صايم ثم يرى باكل من وقته فيقال له
في ذلك فيقول قد صمت ثلثة ايام من هذا الشهر فانا صايم في فضل الله مفطر في ضيافة الله كل ذلك اعتدادا من اهل الاحكام
والنهي بحقيقة الصوم اكثر من الاعتداد بصورته الظاهرة انتهى معناه ولما قدم سبحانه ذكر هذه الحرمات ضمن ما قدم في الاحكام
اما في المناهي فصريحا واما في الاوامر فلزوما وتقدم فيها ان جاهه سبحانه في الارض محارم رتبه على تعظيمها وتاكيد تحريمها باسينيا
قوله مشيرا باداة البعد **تلك** اي الاحكام البديعة النظام العالية المرام **حدود الله** وذكر الاسم الاعظم تاكيد للتعظيم
وحقيقة الحد الحاجز بين الشيين المتقابلين يمنع من دخول احدهما في الاخر فاطلق هنا على الحكم تسمية للشي باسم جزيه
بدلالة التضمن واعاد الضمير على مفهومه المطابقي استخداما فقال **فلا تقربوها** معبرا بالقربان لانه في سياق الصوم
والورع به اليق لان موضوعه نظام النفس عن الشهوات فهو نهي عن الشبهات من باب من يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه
فيدخل فيه مقدمات الجماع فالورع تركها ولما جلا هذا البيان الى حد لا يدرك حده ادراكه الانسان كان كانه قال ولكنا هل
يجعل بيان مثله لشي غيرهذا فقيل بيانا للواقع وتشويقا الى التلاوة وحثا على تدبر الكتاب الذي هو الهدى لا ريب فيه

كذلك أي مثل هذا البيان العلي الشأن يبين الله لما له من العظمة التي تحصر عدها وتبلغ بعد آياته التي حق لها العظمة بما له من نعت الإلهية وقال للناس إشارة إلى العموم دلالة على تمام قدرته بشمول علمه إلى أن يصل البيان إلى حد لا يحصل فيه تفاوت في أصل الفهم بين غبي وذكي وعلل ذلك لعلهم يتقون أي ليكون حالهم حال من يرجى منه خوف الله لما علموا من هذا البيان من عظمته وأشعر هذا الإيهام أن فيهم من لا ينتهي ولما أذن سبحانه فيما كان قد منع منه من المطعم والمنكح للصائم وقدم المنكح لأنه أشهى إذ الطبع إليه أدعى ولأن المنع منه كان في جميع الشهر فالضرر فيه أقوى وأتبعه الإذن في الأكل لأنه قوام الجسم ولولا المنع من النكاح في بعض الأحوال لفعل كذلك في المال الذي منه الأكل لأنه قد كان مما خان فيه أهل الكتاب عهد كتابهم واشتروا به ثمنا قليلا لأكثر من أمره لا سيما تحريم الرشوة فإنهم أحلوه واستباحوها حتى صارت بينهم شرعا متعارفا وكان طيب المطعم يحثوا عليه لا سيما في الصوم فنهى عن بعض أسباب تحصيل المال إثم من أن يكون رشوة أو غيرها فقال ولا تأكلوا أي يتناول بعضكم مال بعض ولكنه عبر بالأكل لأنه المقصد الأعظم من المال ولما كان المال ميالا يكون في يد هذا اليوم وفي يد غيره غدا فمن صبر وصل إليه ما كتب له مما في يد غيره بالحق ومن استعجل وصل إليه بالباطل لجاز السخط ولم ينل أكثر ما قدر له قال أموالكم وقال بينكم معنيا لهذه المحصبة وتنبيها على الأمر بالمعروف بالباطل وهو ما لم يأذن به الله بأي وجه كان سواء كان بأصله أو بوصفه ولما كان من وجوه الأكل بالباطل التوصل بالحاكم بحجة باطلة يعجز الخصم عن دفعها كما قال صلى الله عليه وسلم ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على حسب ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار فيكون الأمر خاصا بالأكل دون الحاكم عطف عليه ما يشاركه فيه الحاكم فقال عاطفا على تأكلوا وتدلوا أي وتتوصلوا في خفاء بها إلى الحكام بالرشوة المنجية للبصائر قال الحرالي وهو من معنى إنزال الدلو خفية في البئر ليستخرج منه ما لا يكان الراشي يدلي دلو رشوته للحاكم خفية ليستخرج جدوره فيأكل به مالا انتهى لتأكلوا فريقا أي شيئا يفرق بينه وبين صاحبه من أموال الناس من أي طائفة كانوا بالإثم أي الحوز الجهد ومن مدلوله أنه الذنب وأن يحل ما لا يحل وأنتم أي والحال أنكم تعلمون أي من أهل العلم مطلقا فإن الباطل منهم أشنع ويلزم منه العلم بأن ذلك التوصل لا يفيد الحل ولعله أشار إلى جواز التوصل إلى ما له عند جاحد لم يجد طريقا إلى خلاصه إلا ذلك وقال الحرالي في مناسبة هذه الآية لما قبلها لما كان منزل القرآن لإقامة الأمور الثلاثة التي بها قيام المخاطبين به وهو صلاح دينهم وهو ما بين العبد وربه من عمل أو إقبال بالسلم إليه وإصلاح دنياهم وهو ما فيه معاش المرء وإصلاح أخراهم وهو ما إليه معاده كان لذلك منزل القرآن مفصلا بأحكام تلك الأمور الثلاثة فكان شذرة للدين وشذرة للدنيا وشذرة للآخرة فلما كان في صدر هذا الخطاب يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا وهو خطاب للملوك ومن يتبعهم من دونها القبائل ومن يتبعهم انتظم به بعد ذلك حكم من أحكام أهل العلم ومن يتبعهم في قوله تعالى إن الذين يكتمون الآية ثم انتظم به ذكر الوصية من أهل الجدة ثم انتظم به ذكر أحوال الرشى من الراشي والمرتشي ليقع بها نظم التنزيل ما بين أمر في الدين ونهي في الدنيا ليكون ذلك أجمع للقلب في قبول حكم الدنيا عقب حكم الدين وتبين حال المعاد من عبرة أمر الدنيا فلذلك تعتور الآيات هذه المعاني ويتعقب بعضها لبعض ويتفصل بعضها ببعض كما هو حال المرء في يومه وفي مدة عمره حيث تعتور عليه أحوال دينه ودنياه ومعاده ليطابق الأمر الخلقي في التنزيل والتطوير انتهى ولما أتم سبحانه البيان لما أراد مما شرعه في شهر الصوم ليلا ونهارا وبعض ما تبع ذلك وكان كثير من الأحكام يدور على الهلال لا سيما أحد قواعد الإسلام الحج الذي هو آخر الصوم وكانت الأهلة كالحكام توجب أشياء وتنفي غيرها كالصيام والديون والزكوات ويتوكل بها الأموال حقا أو باطلا وكان ذكر الشهر وإكمال العدة قد حرك العزم للسؤال عنه بين ذلك بقوله تعالى يسألونك وجعل ذلك على طريق الاستئناف جوابا لمن كأنه قال هل سألوا عن الأهلة فقيل نعم وذلك لتقدم ما يثير العزم إلى السؤال عنها صريحا فكان سببا للسؤال عن السؤال عنها وكذا ما يأتي من قوله يسألونك ماذا ينفقون يسألونك عن الشهر الحرام يسألونك عن الخمر والميسر بخلاف ما عطف على ما قبله بالواو كما يأتي ويأتي إن شاء الله تعالى في الأنعام ما ينبغي من علم النجوم وما لا ينبغي عن الأهلة أي التي تقدم أنه ليس البر تولية الوجه قبل مشارقها ومغاربها ما سبب زيادتها بعد كونها كالخيط أو الخيط حتى تتكامل وتستوي ونقصها بعد ذلك حتى تدق وتمحق قال الحرالي وهي جمع هلال وهو ما يرفع الصوت عند رؤيته تغلب على رؤية الشهر الذي هو الهلال انتهى ولما كان كأنه قيل ما جوابهم قيل قل معرضا عنهم لما لم تبنه من الفتنة لأنه ينبني على النظر في حركات الفلك وذلك يجر إلى علم تسيير النجوم وما يتبعه من الآثار التي تعود إلى الكلام في الأحكام المنسوبة إليها فتستدرج إلى الإلحاد وقد ضل بذلك كثير من الأمم السالفة والقرون الماضية فاعتقدوا تأثيرها بذواتها وقد قال عليه الصلاة والسلام ناهيا عن ذلك لذلك من اقتبس علما من النجوم اقتبس بابا من السحر زاد ما زاد أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال علي رضي الله عنه من طلب علم النجوم تكهن مرشدا سبحانه إلى ما فيه صلاحهم هي مواقيت جمع ميقات من الوقت وهو الحد الواقع بين أمرين أحدهما معلوم سابق والآخر معلوم به لاحق وقال الأصبهاني والفرق بين الوقت والمدة والزمان أن المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها إلى الزمان والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لأمر ما للناس في صومهم كما تقدم ومعاملاتهم ليعلموا أعداد السنين والحساب والحج صرح به لأنه من أعظم أو أعظم مداخلها قال الحرالي وهو حشر العباد إلى الموقف في شهر آخر السنة فهو أمر دنيوي مشعر بختم الزمان وذهابه لما فيه من آية المعاد انتهى ولما كانوا قد ابتدعوا في الحج بدعا منكرا وكان ترك المألوفات أشق شيء على

النفوس

للناس

بر

النفوس ولذلك قال أهل الطريق وسادات أهل التحقيق ملاك القصد إلى الله تعالى خلع العادات واستجداد قبول الأمور المنزلات من قبول الأرض والسموات وبذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم سادات أهل الإسلام قال تعالى عاطفا على ليس البر منبها لذلك الفعل عليهم منبها على أنهم عكسوا في سؤالهم كما عكسوا في فعالهم ويجوز أن يكون معطوفا على حال دل عليها السياق تقديرها والحال أنه ليس البر سؤالكم هذا عنها وليس البر وأكد النفي بزيادة الباء في قوله بأن تأتوا البيوت أي الحسية والمعنوية من ظهورها عند القصد ومن الحج أو غيره كما أنه ليس البر بأن تعكسوا في مقالكم بترك السؤال عما يعنيكم والسؤال عما لا يعنيكم بل يغنيكم ولما نفى البر عن ذلك كما نفي في الأول استدرك على نحو الأولى فقال ولكن البر قال الحرالي بالرفع والتخفيف استدراكا لما هو البر وأعرض عن الأول وبالنصب والتشديد مع الالتفات إلى الأول لمقصد طرحه انتهى من اتقى فجعل المتقي نفس البر مبالغة بالدلالة على التقوى ولما كانت التقوى حاملة على جميع ما مضى من خلال الإيمان الماضية التي بها ولما كان التقدير فاتقوا فلا تسألوا عما لا يهمكم في دينكم عطف عليه وأتوا البيوت من أبوابها حسا في العمل ومعنى في التلقي والباب المدخل للشيء المحاط بحائط يحوزه ويحوطه قاله الحرالي وتقدم تعريفه له بغير هذا ولما كان الأمر بالتقوى قد تقدم ضمنا وتلويحا أتى به دالا على عظيم جدواها ذكرا وتصريحا دلالة على التأكيد في تركهم تلك العادة لاقتضاء الحال ذلك لأن من اعتاد شيئا قل ما يتركه وإن تركه طرقه خاطره وقتا ما فقال واتقوا الله أي الملك الأعظم في كل ما تأتون وما تذرون ووطنوا النفوس واربطوا القلوب على أن جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الإيهام بمقارنة الشك ثم علل بقوله لعلكم تفلحون أي لتكون حالكم حال من يرجى دوام التجدد لفلاحه وهو ظفره بجميع ما يطالبه من البر وغيره فقد دل سياق الآية على كراهة هذا السؤال وذكر الحرالي أن أكثر ما يقع فيه سؤال يكون لما ليس فتنة أو أشرب محنة أو أعقب عقوبة ولذلك قال تعالى لا تسألوا عن أشياء وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها وقال ذروني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم الحديث ومنه كره الرأي وتكلف توليد المسائل لأنه يشغل عن علم التأصيل ويعرض لوقوع ما كالذي سأل عن الرجل يبتلى في أهله فابتلي به ويقال كثرة توليد مسائل السهو أوقع فيه وقال وهذه الآية كالجامعة الموطئة لما ذكر بعدها من أمر توقيت القتال الذي كانوا عليه كما كان من أمر الجاهلية حكم التحرج من القتال في الأشهر الحرم والتأهل فيه في أشهر الحل مع كونه عدوى بغير حكم حق فكان فيه عمل بالفساد وسفك الدماء انتهى وفيه تصرف ولما سبحانه ما أصلوه من ذلك بما شرعه من أمر القتال لكونه جهادا فيه لا لحظ من حظوظ الدنيا ولما ذكر سبحانه الحج في هذه السورة المدنية وكان سبيله إذ ذاك ممنوعا عن أهل الإسلام بأهل الحرب الذين أخرجوهم من بلدهم ومنعوهم من المسجد الذي هم أحق به من غيرهم وكان الحج من الجهاد وكان كل من الصوم والجهاد تخليا من الدنيا سياحة أمتي الصوم ورهبانية أمتي الجهاد وكانت أمهات العبادات موقتة وهي الصلاة والزكاة والصوم والحج وغير موقتة وهي الذكر والجهاد وهو قتال أهل الحرب خلافا لما كان عند أهل الجاهلية من توقيته مكانا بغير الحرم وزمانا بغير الأشهر الحرم وكان القتال في الأشهر الحرم وفي الحرم في غاية المنع لكيف عند المسجد وكان سبحانه قد ذكر العبادات الموقتة أتبعها بغير الموقتة وهي الجهاد الذي هو حظيرة الموقتة الذي لا سلامة لها بدونه التفاتا إلى الظالمين بالمنع عن المسجد الحرام والإخراج منه فأمر بأن يفعل معهم مثل ما فعلوا من القتال والإخراج فعل الحكيم الذي يوصي بالشيء العظيم فهو يلقيه بالتدريج في أساليب البلاغة وأفانين البيان تشويقا إليه وحثا وتحريضا عليه بعد أن أشار لأهل هذا الدين أولا بأنه يجزي ظالمهم وثانيا بأن المقتول منهم حي يرزق وثالثا بمدحهم على الصبر في مواطن البأس بأنهم الذين صدقوا وأنهم المتقون فلما شوقهم إلى الجهاد وأهل البغي والعناد ألزمهم القتال بصيغة الأمر لتيسير باب الحج الذي افترضه وسبيله ممنوع بأهل الحرب فقال تعالى وقيل إنها أول آية نزلت في القتال قاله الأصبهاني وقاتلوا في سبيل الله أي الذي لا كفؤ له إشعارا بذكره على سبيل الإطلاق بعد الموقت بالهلال إلى أنه غير موقت به قال الحرالي من حيث إنه حظيرة على دين الإسلام المقيد بالمواقيت من حيث إن الإسلام عمل يقيده الوقت والدفع عنه أمر لا يتقيد وقت بل إن طرق العدو ليثنى الإسلام دفع عنه كما هو حكم الدفع في الأمور الدينية فكانت الصلاة لمواقيت اليوم والليلة والصوم والحج لمواقيت الأهلة والزكاة لميقات الشمس والجهاد لمطلق الميقات حيث ما وقع من مكان وزمان ناظرا أو أما لما يقابله من عمود الإسلام الذي هو ذكر كلمة الإخلاص ومع إنه الإله على الدوام يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم انتهى وقال الذين يقاتلونكم أي من شأنهم قتالكم لا من ليس شأنه ذلك كالصبيان وفيه إشعار بأن القتال عن سبب المقاتلة فهو مما يفعل عن سبب لا مما يفعل عن الوقت وصيغة المضارع لم يقصد بها الأصدور الفعل من غير نظر إلى زمان مخصوص كما قالوه في أمثاله ولما كان الله سبحانه قد أوجب العدل في كل شيء حتى في حق أعدائه قال ولا تعتدوا أي في ذلك بابتداء القتال لمن لم يبح ابتداؤه به إما بعهد أو بغير دعوة لمن لم يبلغه أمر الدين أو بغير ذلك من أنواع الخيانة والغدر أو قتل النساء والصبيان والشيوخ الفانين الذين لا منعة فيهم ولا رأي لهم ودوام القتال لمن ألقى السلم بعد الابتداء به وحذف المتعلق اختصارا أفاد زيادة المعنى وهو من غرائب فنون البلاغة وكأنه أتى بصيغة الافتعال للتقييد بالتعمد ثم علل ذلك بقوله إن الله أي لما له من صفات الكمال لا يحب المعتدين مطلقا في شيء وغيره أي لا يفعل بهم من الخير فعل المحب ولما جزم الأعتداء أصرح

باباحة اصل القتال فقال واقتلوهم اي الذين يقاتلونكم حيث ثقفتموهم اي وجدتموهم وانتم تطمعون في ان تغلبوا لهم
او حيث تمكنتم من قتلهم قال الاصبهاني لانه من ثقف اي بالضم ثقافة اذا صلب وثقف اي بالكسر كذلك وايضا صار حاذقا فطنا
وثقفت الشي ثقفا اخذته والشي صادفته قاله ابن القطاع وقال الاصبهاني والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة واطلق له
الوجدان ليشمل الحل والحرم من الزمان والمكان لانهم كذلك يفعلون بالمسلمين كانوا يؤذونهم ويفتنونهم عند البيت في كل وقت
وفي التعبير بالفعل ما يشعر بالنصر لحزب الله وبشرى بضعف العدو عن مداومة المصافة ومنه تلويحا هدنتهم وقد ظهرت تجربة مثل
ذلك وانهم اذا انهزموا لم يكروا ولما كانت الاية ناظرة الى القصاص قال واخرجوهم اي وان لم يقاتلوكم من حيث اخرجوكم اي مكة
التي هي موطن الحج والعمرة ومحل الشعائر المقصودة لاهل الاسلام ولما كان هذا مشعرا بانهم لم يكن منهم اليهم قتال في مكة
يعبر اذى المحوج الى الخروج من الديار باسم الفتنة فان الاخراج من المسكن اشد فتنة وقد فتنوكم به عطف عليه قوله والفتنة اي العذاب
بالاخراج وغيره من انواع الاخافة اشد في تلبيتهم للاسلام من القتل اعم من ان يكون المراد من قتلكم اياهم في الحرم او غيره او قتلهم اياكم
او غير ذلك لما فيهما من مواصلة الهم والغايض للنفس عن هواها فلذلك سوغنا لكم قتلهم قصاصا بسبب اخراجكم فكان المراد بالاذن
اخراجهم ليمكن الحج والاعتمار ولكنه لما لم يكن الا بقتالهم وقتلهم اذن فيهما وقد كشف لوائح تجرد عكرمة ابن ابي جهل وصفوان ابن
امية وعبد الله بن الزبعرى ان الاخراج من مكة فتنهم للاسلام اكثر من تليين القتل لانهم اسلموا لما اشرفوا على فراق مكة بظهور الاسلام
فيها ولم يسلم احد من قريش خوفا من القتل ولكون السياق لاخراجهم عبر هنا باشد ولما كان الاذن في الاخراج مستلزما في العادة له
للقتال وكان قد اذن في الابتداء به حيث ثقفوا خصص ذلك فقال ناظرا الى حال المناصفة ايضا ومشيرا الى ما سيقع في غزوة
الفتح المشار اليها بقوله بعد وكفر به والمسجد الحرام ولا تقاتلوهم اي هؤلاء الذين اذن لكم في اخراجهم عند المسجد الحرام اي الحرم
اذا اردتم اخراجهم فاتحين لهم حتى يقاتلوكم فيه اي في ذلك الموضع الذي هو عند المسجد وكانه عبر بغيره في الثاني وعند في الاول
والمراد الحرم في كل منهما كفا عن القتال فيه مهما وجد الى الكف سبيل تعظيما له واجلالا لحرمته لانه موضوع للصلاة التي اعظم
مقاصدها السجود ولا تغيره لتضلا عن القتال فان قاتلوكم اي في ذلك المكان فاقتلوهم اي لا تقتصروا على مدافعتهم بل
اصدقوهم في الضرب بالجهد ولا حرج عليكم من حرمة المسجد فان الانتهاك لحرمته منسوب الى البادي وفي التعبير بالقتل في جواب المقاتل
في قراءة الجمهور والقتل في قراءة حمزة والكسائي بشارة بنصرة المبني عليه وقوة ادالته ولما كان هذا امرا مهما انه خاص بهم عمم
بقوله كذلك اي مثل هذا الفعل العظيم الجري جزاء الكافرين كلهم ولما كان النزوع بعد الشروع لا سيما حالة الاسراف
على الظفر عزيزا على الانفس الابية والهمم العلية قال فان انتهوا اي عن القتال ومقدماته وفيه اشعار بان طائفة منهم تنتهي
فان العالم بكل شي لا يعبر باداة الشك الا لذلك ولما كان المقدر فكفوا عنهم ولا تعرضوا لهم فان الله قد غفر لهم علله بامر عام فقال
فان الله اي المحيط بجميع صفات الكمال غفور رحيم اي له هاتان الصفتان ازلا وابدا فكل من تاب فهذا شانه معه ولما كان المراد
بما مضى من قتالهم كف اذاهم باي فعل كان حققه بقوله وقاتلوهم اي هؤلاء الذين نسبناهم الى قتالكم واخراجكم وفتنتكم اعم من
ان يكونوا الكفار او لا حتى لا تكون اي توجد فتنة بان لا يقدروا ان يؤذوا احدا من اهل الاسلام ليردوه عن دينه او يخرجوه من
داره او يجلوه من ماله او يغلبوه على حقه فيقاتل كل من وقع منه ذلك كفرا او بغيا في سبيل الله حتى يفي الى امر الله ويكون له
الدين اي الطاعة والعبادة ولما كان هذا في اوايل ما بعد الهجرة قبل ان يروا من نصر الله لهم ما يقوي عزايمهم اعراه من التاكيد
فقال لله اي الذي لا كفؤ له خالصا بان يكون امر المسلمين ظاهرا ليس للشيطان فيه نصيب لا يقدر احد من اهل الكفر ولا اهل
البغي على التظاهر باذى احد منهم وذلك بان لا يبقى مشرك اصلا ولا يبقى كتابي الا ملتزم الصغار زيادة له والحكمة في ابقائهم
دون المشركين ان لهم كتبا امهاتها اصلها ليستظهروا بها فيقفوا على الحق منها فانها وان كانت قد وقع فيها التحريف قد بقي فيها
ما يهدي الموفق لانه لم يعمها التحريف واما اهل الاوثان فليس لهم ما يرشدهم الى الحق فكان ابقاؤهم زيادة في شركهم
مقطوعا بها من غير فائدة تنتظر قال الحرالي في طيه اشعار بما وقع وهو واقع وسيقع من قتال طائفة الحق لطائفة
البغي سائر اليوم المحمدي بما خلص من الفتنة وخلص الدين لله توحيدا ودينا وشانا على حال السلف الصالح وزمان الخلافة والنبوة
انتهى فان انتهوا اي كلفوا انفسهم الرجوع عما استوجبوا به القتال فقد تركوا الظلم والنهي قال الحرالي الكف المانع من الفعل
المتراءي البر بمنزلة الترك العقل المسمى نهيا لمنعه عما تهوى اليه النفس مما يستبصر فيه النهى قال عليه الصلاة والسلام ليليني منكم اولوا
الاحلام والنهى لمن لم يكن من اهل النهي كان نهاه النهي وهو الحكم المذكور انتهى فلا عدوان اي فلا سبيل يقع فيه العدو الشديد
للقتال عليهم فانه لا عدوان الا على الظالمين قال الحرالي بذكر الظلم الشامل لوجوه ايقاع الامر في غير موضعه من اعلى الرتب
الى ادناه انتهى ويجوز ان يكون التقدير فان انتهوا عن الشرك فقد انتفى عنهم اسم الظلم فلا تعتدوا عليهم فان اعتديتم عليهم
سلطنا عليكم لظلمكم لهم من يعتدي عليكم فانه لا عدوان الا على الظالمين الذين دخلتم في سمائهم وخرجوا من سمائهم بانتهائهم
فلا عدوان الا عليكم لا عليهم ومعنى العدوان القتال بغاية العدو والشدة والعزم ولما اباح سبحانه القتال في كل مكان حتى في الحرم
وكان تعلق في الاشهر الحرم عندهم شديدا حذرا اثار العزم للسوال عنه فقال معلما لهم ما يفعلون في عمرة القضا ان احتاجوا
على وجه عام الشهر الحرام اي وهو ذو القعدة من سنة سبع ان قاتلوكم فيه لكونهم قاتلوكم في شهر حرام بالشهر الحرام

الذي

الذي قاتلوكم فيه وهو ذو القعدة سنة ست حيث صدوكم عن عمرة الحديبية ولما اشعر ما مضى بالقصاص افصح به على
وجه اعم فقال والحرمات اي كلها وهي جمع حرمة وهي ما يحفظ ويرعى ولا ينتهك قصاص اي تتبع بالمساواة والمماثلة
فمن اي تسبب عن هذا انه من اعتدى عليكم اي تعمد اذاكم في شي من الاشيا في اي زمان او مكان كان فاعتدوا عليه
اي جازوه سمي اعتدا مشاكلة تقوية لعزايمهم وتطييبا لقلوبهم اي افعلوا به ما سماه المتعنت بغير ما حق له بمثل ما اعتدى
اي عدوانه عليكم اي بمثل الذي اعتدى عليكم به ولعله اعاد الظرف وان افهمه الاول لدفع تعنت من لعله يقول الكلام شامل
لاعتدائه على غيري فلي ان اقابله على ما وقع له من ذلك لان المراد ردع الحكم بهذا القيد ما يتقيه ولما جعل
المماثلة حدا وكان امرها خفيا والوقوف عنده بعد استرسال النفس بارسالها صعبا حذر من تعديه بعد الاذن
في القصاص لمن جرا عليه بتسميته اعتدا على وجه ناديا الى العفو للمستبصر فقال واتقوا الله اي المحيط علما بكل
شي بالتحري في القصاص حتى لا تتجاوزوا واعلموا واظهروا بضمير الجلالة لئلا يتقيد بالتقوى في باب الاعتدا امتثالا فقال ان الله اي
الذي له جميع صفات الكمال معكم ان اتقيتم بالتحري فيه او بالعفو فان الله مع المتقين ومن كان معه افلح كل الفلاح ما زاد
الله عبدا بعفو الا عزا قال الحرالي في ضمنه اشعار وتطريق لمقصد السماح الذي هو خير العفو بل من وصل القاطع له
والعفو عن الظالم ولما كان في هذه التقوى خروج عن حظ النفس اعلمهم انه تعالى يكون لهم عوضا من انفسهم بما اتقوا الله
وداوموا على التقوى حتى كانت وصفا لهم فاعلمهم بصحبته لهم انتهى ولما كانت النفقة من اعظم دعايم الجهاد وكان العيش في اول
الاسلام ضيقا والمال قليلا فكان ذلك موجبا لكل احد ان يستمسك بما في يده ظنا ان في التمسك به النجاة وفي انفاقه الهلاك
اخبرهم ان الامر على غير ما يسول به الشيطان من ذلك الشيطان يعدكم الفقر وقال الحرالي لما كان ما لزم العفو من العز الذي جا
على خلاف غرض النفس نظم به تعالى ما يجي على خلاف مدرك الحس في الانفاق الذي يحصل به الزكا والنما وايضا لما اسس
تعالى حكم الجهاد الذي هو اشق الاعمال على الانفس نظم به امر الجود والانفاق الذي هو اشد منه على الانفس من حيث ان
القتال مدافعة يشتمل على عدة وزاد لم يكن امر تمام الا باعمال العزيزين الشجاعة والجود ولذلك كان اشد الافات
في الدين البخل والجبن انتهى فقال تعالى وانفقوا واظهر ولم يضمر اظهارا للاعتنا بامر النفقة ولئلا يقيد بحيثية من الحيثيات
فقال في سبيل الله اي الملك الذي كل شي تحت قهره كما قال وقاتلوا في سبيل الله وهو كل ما امر الله به وان كان السياق
في الجهاد ذكرا ولا تخافوا العيلة والضيعة فان الله ربكم هو الذي امركم بذلك والله يعدكم مغفرة منه وفضلا قال الحرالي
فالتقطر بانفاقها الا باصلاحها واثباتها فانتظم الخطاب بما في العفو من العز وما في الانفاق من النما وكذلك بالاعلام
بما لا تتصل اليه مدارك الانفس من اصلاح الاموال وامساكها مما تتملكه انتهى فقال تعالى ولا تلقوا بايديكم اي تشرعوا
بوضعها اسراع من يلقي الشي بعدم الانفاق الى التهلكة من الهلك وهو تداعي الشي الى ان يبطل ويفنى فان في ذلك الاخلاد
الى الدعة والتواكل ليجترئ عليكم العدو فلا تقوم لكم قايمة فان البخل اسرع شي الى الهلاك وهي تفعلة بضم العين مصدر
هلك وقيل انه لا ثاني له في كلامهم وحقيقته اوقع الالقا لما ينتفعه من نفسه وغيرها بيده اي بنفسه لجعل التهلكة
اخذة بها مالكة لصاحبها وقال الحرالي احاطة الخطاب تقتضي ان التهلكة تضييع القتال او الانفاق اللذين تركهما
يفتح الاستطالة على مبنى الاسلام فيتطرق الى هدمه ولما كان امر الانفاق اخص بالانصار الذين كانوا اهل الاموال لتجرد
المهاجرين عنها كان في ضمنه ان اكثر نصل الخطاب فيه الانصار انتهى وقد روى ابو داود والترمذي وهذا اللفظ له
وقال حسن صحيح والنسائي عن ابي ايوب رضي الله عنه انما نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام
وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت فلو اقمنا في اموالنا فانزل
الله هذه الاية فكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو وروى البخاري في التفسير عن حذيفة رضي
الله عنه وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال نزلت في النفقة ولما كانت التوسعة في امر القتال
قد تجر الى الاعتداء الحقه بالنهي عنه وبان الله لا يحب المعتدين وكانت التوسعة في الانفاق في سبيل الله اعلى خلال الايمان
قال تعالى واحسنوا اي اوقعوا الاحسان على العموم بما افهمه قصر الفعل وترك المتعلق بالاكثار من الانفاق في
وظنوا بالله الحسن الجميل واظهر من غير اضمار لطول الفصل ولنحو ما تقدم ان الله الملك العظيم يحب المحسنين اي
فيفعل معهم ما يفعله المحب مع من يحبه من الاكرام والاعلاء والنصر والاعتنا وغير ذلك من جميع ما يحتاجه كما انه لا يحب
المعتدين قال الحرالي فانتظم ختم الخطابين بان لا يقع الاعتدا في الفعل وان يقع الاحسان في المال وفي اشعاره حض
الانصار على انفاق اموالهم ليتلون به حال المهاجرين في التجرد عنها فلما كان امر المهاجرين ان لا يتعقبوا الهجرة كان امر الانصار
ان لا يلتفتوا الى الدنيا فما خرج المهاجرون عن اصله خرج الانصار به عند التمسك به عن وصفه فكان اعراضهم تابعا
لترك المهاجرين اموالهم ولما ختم ايات القتال بالنفقة في سبيل الله لشدة حاجة الجهاد اليها وكان سبيل الله
اسما يقع على الحج كما يقع على الجهاد كما ورد في الحديث الحج من سبيل الله رجع الى الحج والعمرة المشير اليهما مثابة للناس
وان الصفا والمروة الاية ومواقيت للناس والحج ولا سيما واباحة القتال هذه انما نظمت ههنا بسببهما توصيلا

اليهما وبعضها سببه عمرة الحديبية التي صد المشركون عنها فكان كانه قيل مواقيت للناس والحج فحجوا واعتمروا ولا تلبسوا بذلك
وان صددتم عنه وقاتلوا في سبيل الله من قاتلكم في وجهكم ذلك ليفتح لكم السبيل ولما كان ذلك بعد الفتح ممكنا لا صاد عنه عبر بالاتمام
فقال واتموا اي بعد فتح السبيل بالفتح الحج والعمرة بمناسكهما وحدودهما وشرائطهما وسننهما ولما تقدم الانفاق
في سبيل الله والقتال في سبيل الله نبه هنا على ان ذلك كله انما هو لتمام العبادات التي هي مبنى الاسلام فقال سبحانه لله
اي الذي لا كفوء له لذاته ولم يقصر ليلا يتقيد بقيد ولما كان سبحانه قد اعز هذه الامة اكراما لنبيها صلى الله عليه وسلم فلا
يهلكها بعامة ولا يسلط عليها عدوا من غيرها بل جعل كفارة ذنوبها في القتال باسها بينها اوما الى انه ربما يقطعها عن الاتمام
قاطع من ذلك بقوله بانيا للمفعول لان الحكم دائر مع وجود الفعل من غير نظر الى فاعل معين معبرا باداة الشك اشارة الى ان هذا
مما يقل وقوعه فان احصرتم اي منعتم وحبستم عن اتمامهما من الاحصار وهو منع العدو والحصر عن منصرفه كالمرض بحصره عن التصرف
في شانه قاله الحرالي فما اي فالواجب على المحصر اذا اراد التحلل من الحج والعمرة تلافيا لما وقع له من الخلل في عملهما الذي منع عن اكماله
ما استيسر اي وجد بيسرة على غاية السهولة حتى كانه طالب يسر نفسه واليسر حصول الشيء عفوا بلا كلفة من الهدي جمع هدية
من الابل والبقر والغنم يذبحه حيث احصر ويتصدق به ثم يرجع حلالا ولما كان الحاج هو الشعث التفل اشار الى حرمة التعرض لشعره
بقوله ولا تحلقوا رؤسكم اي شعرها اذا كنتم محرمين بحج او عمرة من الحلق قال الحرالي وهو ازالة ما يتاتى للزوال بالقطع له
من الالة الماضية في عمله والراس مجمع الخلقة ومجتمع كل شيء راسه انتهى حتى يبلغ من البلاغ وهو الانتهاء الى الغاية الهدي ان
كان معكم هدي محله اي الموضع الذي يحل ذبحه فيه ان كنتم محصرين فحيث احصرتم والا فعند المروة او في منى وحرمها قال الحرالي
والهدي ما يتقرب به الادنى للاعلى وهو اسم ما يهدى قربة من الانعام يتقرب به الى الله تعالى وتوجهه الى البيت العتيق ونبه
لتعقيب الحلق بالهدي اشعارا باشتراكهما في معنى واحد وهو الفدا فالهدي في الاصل فدا الذبح الناسك نفسه لله سنة
ابرهيم في ولده عليهما السلام وازالة الشعر فدا من حز الراس لله ولذلك لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن تقديم احدهما
على الاخر قال افعل ولا حرج لان الجميع غايته المعنى الشامل للفدا انتهى ولما كان الانسان محل العوارض المشقة وكان الله سبحانه قد
رفع عنا الاصار ببركة النبي المختار صلى الله عليه وسلم فجعل دينه يسرا قال فمن كان ونبه بقوله منكم ايها المحرمون مريضا
يرجى له بالحلق خير او به اذى وهو قمل والاذى ما تعلق النفس اثره من راسه بقمل او غيره ففدية اي فعليه لحلق راسه
او المداواة بما ينافي الحرم عند قدرته فدية من صيام لثلثة ايام او صدقة لثلثة اصوع من طعام على ستة مساكين لان الصدقة
كما قال الحرالي تعدل الصيام عند فقده كما تقدم ولليوم وجبتا فطر وسحور لكل وجبة مد فلكل يوم صاع او نسك اي تقرب
بذبح شيء من الانعام وهذه فدية مخيرة ولما كان الله سبحانه لسعة حلمه وعظيم قدرته وشمول علمه قد اقام اسبابا تمنع
المعتدين على كثرتهم من التمكن من الفساد اشار الى ذلك باداة التحقيق بعد تعبيره عن الاحصار باداة الشك فقال
فاذا امنتم اي حصلتم في الامن فزال الاحصار والمرض وبني الفعل هنا للفاعل اشارة الى انه كانه اتى بنفسه تنبيها على انه
الاصل بخلاف الاحصار حثا على الشكر فمن تمتع اي تلذذ باستباحة دخوله الى الحرم باحرامه في اشهر الحج على مسافة القصر من الحرم
بالعمرة ليستفيد الحل حين وصوله الى البيت ويستمر حلالا في سفره ذلك الى الحج اي احرامه به عامه ذلك من مكة المشرفة
من غير رجوع الى الميقات فما اي فعليه ما استيسر اي وجد اليسر به من الهدي من النعم يكون هذا الهدي لحل ما تمتع به
بين النسكين من الحل وهو مسافر فهذا للمتمتع واما القارن فللجمع بين النسكين في سفر واحد وشانهما ان يكونا في وقتين
وقت حل ووقت حرم وفي العبارة اشعار بصحة ارداف الحج على العمرة لانه ترق من احرام ادنى الى احرام اعلى ولما افهم التقييد له
باليسر حالة عسر بينها بقوله فمن لم يجد اي هديا من الوجد وهو الطول والقدرة فصيام اي فعليه بدل الهدي صيام
ثلثة ايام في الحج اي في ايام تلبسه به فلا يصح قبله ويحب ان تكون قبل يوم عرفة بحيث يكون فيه مفطرا وصيام سبعة
اي من الايام اذا رجعتم اي بلادكم فلا يصح قبل الوصول ولم يعد ليعلم ان العبرة امكان الرجوع لا حقيقة رجوعه فلو اقام
بمكة صام بها ولو فاتته الثلثة في الحج فرق بينها وبين السبعة في الوطن بقدر مدة امكان العود وزيادة اربعة ايام
العيد والتشريق ليحكي القضا الادا قال الحرالي فيكون الصوم عدلا للهدي الذي يطعمه المهدي كما كان الاطعام عدلا للصوم
في اية وعلى الذين يطيقونه انتهى ولما كان للمفصح فيه زيادة ليست لغيره قال تلك اي العدة المفصلة المامور بصومها
عشرة دفعا لاحتمال ان تكون الواو بمعنى او وان يكون المراد بالسبع المبالغة دون الحقيقة وليحصر العدد في الذهن جملة
كما حصر تفصيلا والعشرة قال الحرالي معاد عد الاحاد الى اوله ولما كان زمن الصوم مختلفا قال كاملة نفيا لتوهم ان الصوم
بعد الاحلال دون ما في الاحرام والكامل قال الحرالي الذي انتهى الى الغاية بيسره وراها مزيد من كل وجه وقال وكما استوى حال الهدي
في اتيانه الى الحرم او الحل كذلك استوى حال الصوم في البلد الحرام والبلد الحلال ليكون في اشارته اشعار بان الارض لله مسجد
كما ان البيت الحرام لله مسجد فاظهر معنى استوائهما في الكمال في حكم الاجزاء لاهل الاجزاء والقبول لاهل القبول والرضى لاهل الرضى
والوصول لاهل الرحمة كل عامل على رتبة عمله انتهى ولو قال تامة لم يفد هذا لان التمام قد يكون في العدة مع خلل بعض
الاوصاف ولما كان ربما وقع في الفكر السؤال عن هذا الحكم هل هو خاص او عام استانف تخصيصه بمن هو غائب عن حرم مكة على

مسافة

مسافة القصر فقال ذلك اي الحكم المذكور العلي في نفعه الحكم في وضعه لمن لم يكن اهله من زوجه او قاربه او سكان
وطنه وقال الحرالي والاهل سكن المرء من زوج ومستوطن حاضري اي على مسافة الحضر بان يكون ساكنا في الحرم او من اهل
الحرم على دون مسافة القصر وكل من كان هكذا فهو حاضر من الحضور وهو ملازمة الوطن لا على مسافة السفر من المسجد
الحرام اي الحرم بل كان اهله على مسافة الغيبة منه وهي مسافة القصر قال الحرالي افصاحا بما افهمه معنى المتعة وذلك
لان الله عز وجل اذا تولى ابانة عمل انهاه الى الغاية في الافصاح انتهى وعبر عن الحرم بالمسجد اجلالا وتعظيما لما قرب من الحرم كما عظم
الحرم بقربه من المسجد وعظم المسجد بمجاورة الكعبة لانه جرت عادة الاكابر ان يكون لبيوتهم دور ولدورهم افنية وحول
تلك الافنية بيوت خواصهم واما حاضروه فلا دم عليهم في تمتع ولا قران فرقا بين خاصة الملك وغيرهم ولما كثرت الاوامر
في هذه الايات وكان لا يحمل على امتثالها الا التقوى اكثر تعالى فيها من الامر بها قال الحرالي لما تجوزه النفوس من مداخل تنقص
في النيات والاعمال والتنقلات من الاحكام الى ابدالها لما انبنى على التقوى خلص ولو قصر انتهى ولما كان من الاوامر ما هو
معقول المعنى ومنها ما هو تعبدي وكان عقل المعنى يساعد على النفس في الحمل على امتثاله ربما سبب قرانه الامر به بالتقوى
كما قال واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين ولما كان امتثال ما ليس معقول المعنى من عنده قوله
واتموا الحج والعمرة لله شديدا على النفس مع جماحها عن جميع الاوامر ناسب قرانه بالتهديد فكان ختام قوله واتقوا
اي فافعلوا جميع ذلك واحملوا انفسكم على التحري فيه والوقوف عند حدوده ظاهرا وباطنا واتقوا الله اي اجعلوا بينكم
وبين غضب هذا الملك الاعظم وقاية واكد لتعظيم المقام بالامر بالعلم وتكرير الاسم الاعظم ولئلا يعم الاضمار تقييد شديد
عقابه بجيئته لما مضى فقال واعلموا تنبيها على ان الباعث على المخالفة انما هو الغفلة ان الله اي الذي لا يداني عظمته شيء
شديد العقاب والعقاب الايلام الذي يتعقب به جرم سابق هذا مع مناسبة هذا الختام لما بعده من النهي عن الرفث
وما في حيزه ومن تدبر الابتداء عرف الختم ومن تامل الختم لاح له الابتداء قال الاستاذ ابو الحسن الحرالي في كتاب المفتاح في
الباب الخامس في تنزلات القران بحسب الاسما اعلم ان خطاب الله يرد بيانه بحسب ستماته ويجمعها جوامع اظهرها ما ترى
اياته وهو اسمه الملك وما يتفصل اليه من الاسما القيمة لامر الحكم والقضاء وبه اختتم العزيز الحكيم الذي يختم به ايات
الاحكام نكالا من الله والله عزيز حكيم ثم ما يسمع اياته من اسمه الرحمن الرحيم وما يتفصل من الاسما في معنى الرحمة المنبئة
عن الفتح والمغفرة الذي يختم به ايات الرحمة ويتوب الله على المومنين والمومنات وكان الله غفورا رحيما فلكل تفصيل من
مورد وجهي العدل والفضل اسما تختص به بناء اتها ولذلك قال عليه السلام ما لم تختم اية رحمة بعذاب واية عذاب
برحمة ثم ما توجد اياته وجدا تاني النفس وهي الربوبية وما ينتهي اليه معنى سور اولها من الحمد لله رب العالمين وما يتفصل
اليه من الاسما الواردة في ختم الاحاطات نحو الواسع العليم فمن تفطن لذلك استوضح من التفصيل الختم واستشرح من الختم
التفصيل وقد كان ذلك واضحا عند العرب فاستعجم عند المتعربين الا ما كان ظاهر الوضوح منه ولتكرار الاسما بالاظهار
والاضمار بيان متبين لا ابهام في القران انتهى ولما ذكر سبحانه ان الحج موقت بالاهلة ولم يعين له وقتا من شهور السنة وختم
ذلك بالتفرقة في بعض احكام الحج بسبب الاماكن تشوقت النفس الى تعيين وقته وانه هل هو كالمكان او عام الحكم فقال
الحج اي وقته اشهر فذكره بصيغة من جموع القلة الذي ادناه ثلاث وهي ثلاث بجبر المنكسر شوال وذو القعدة وتسع من
ذي الحجة وليلة العيد بدليل انه يفوت بطلوع الفجر يوم النحر ولما ابهم عين فقال معلومات اي قبل نزول الشرع له
فاذن هذا الا الامر بعد الشرع على ما كان عليه ولا شك ان في الابهام ثم التعيين اجلالا واعظاما للمحدث عنه ولما ختم
الاية التي قبلها بالتحذير من سطواته ابرز خلاص الحج عن الشوائب ناهيا بصيغة النفي تحقيقا له وتاكيدا للنهي ولما كان
الحج لا يقع الا فرضا قال فمن فرض اي اوجب بالاحرام وهو من الفرض وهو الحز في الشيء ليبرز الشيء بما يبدو فرضته حسا او معنى
لمن تعقبه سبحانه لانه جعله دون سائر العبادات لا تنفك فيه بعد التلبس به قال الحرالي لان الفرايض من لم يتمها ناقط
عضوا عضوا فانه ديته كما ان النوافل من لم يات بها عرى من زينتها فكانت الفروض صحة والنوافل زينة وفي قوله فيهن
اشعار بصحة وقوع الحج في بعضهن وان الحج ليس كالصوم طبق زمانه فكان من العبادات ما هو طبق زمانه كالصوم وما يتسع
فيه كالصلاة وما لا بد ان يتبنى في خاتمته كالحج ونفع التوسعة في الشروع انتهى الحج اي تلبس به كيف كان ولما كان في الانسان
قوى اربع شهوانية بهيمية وغضبية سبعية ووهمية شيطانية تبعث مع مساعدة القوتين الاخريين على المنازعة
والمغالبة في كل شيء وعقلية ملكية وكان المقصود من جميع العبادات قهر القوى الثلاث لان منشا الشر وكلها محصود
بها بالعقلية قال دالا عليها بحذرا منها مرتبة فلا رفث اي مواجهة للنسا بشيء من امور النكاح ولما كان الرفث
داعيا الى الوقاع الذي هو فسق بالخروج عن الاحرام الصحيح قال ضاما اليه كل ما دخل في هذا الاسم ولا فسوق قال الحرالي
هو الخروج عن احاطة العلم والعقل والطبع انتهى ولما كان المرائد بجر الى الفسق بما يثير من الاحن وتوغير الصدور فكان
فسقا خاصا عظيما ضره قال ولا جدال اي مدافعة بالقول تنقل عن القصد لمدافعة الجلاد بالبدو اليد
ولعله عبر بهذا المصدر الذي شانه ان يكون من اثنين دون الجدل الذي معناه المد في الخصومة لا ينصب النفي على المبالغة

فيه العفو عن اصله لانه لا يكاد يسلم منه احد وكذا الحال في الفسوق في الحج نضارا لفسق واسطة بين امرين جاذبين له
والجدال لكونه قد يفسد ذات البين اعظمها خطرا وجمع ما في الرفث من الشهوة وقد يكون فسقا فقد اشتمل على نتايج الكلام
فلذلك اجمع القراء السبعة على بنائه مع لا على الفتح دون ما قبله لان البنا دال على نفي الماهية ونفيها موجب لنفي جميع افرادها
واما الرفع فانما يدل على نفي فرد مسكوت عن تلك الماهية وهو لا يوجب نفي جميع الافراد ولان العرب كانوا يقفون الحج على النفي ويخالفون
فيه الى الموقف فزال الجدال فيه بعد البيان بكل اعتبار من جهة الخدمة والعيال وغيرهم والنفي والوقف وغيرهما من جهة انه قد
شاعره ونفذت شرايعه واحكمت شعايره واوضحت جميع معالمه فاندفع النزاع اصلا في امره قال الحرالي المنع في الحج من
الاقبال على الخلق بما فيه كره من رفث ومشاته وجدال حتى لا يقبل الخلق على الخلق في الحج الا بما الاقبال فيه اقبال على الحق
بالحقيقة لما ينزه الحق تعالى عن سوا جهته به يتحامى مع الخلق في زمن الحج كما يتوقى ما يختص بالنفس من الاحداث في عمل الصلاة
وفي وروده نفيا لا نهيا اعلام بانه منافض لحال الحج حتى نفي لان شان ما ينافض ان ينفى وشان ما لا ينافض ويخالف ان ينهى
عنه كما قال فيما قابل الجدال ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وبين خطاب النهي والنفي تفاوت في الاحكام الشرعية له
ينبني الفقه في الاحكام على تفقه في تاصيلها والتفريع عليها انتهى ولما كانت هذه المنهيات شرا وكان التقدير فما تعلمه من
هذه المنهيات على هذا الوجه الابلغ عوقبتم عليه عطف عليه وما قال الحرالي حمى من سو معاملة الخلق مع الخلق عوض بالندب الى وضع
موضع ذلك الاحسان فيقع في محل اخراج الانفس ان يتودد اليها باسدا الخير وهو الاحسان من خير الدنيا في اعلامه تحريض على احسان
الحاج بعضهم لبعض لما جمع ذلك من الضعيف والمنقطع فقال وما تفعلوا انتهى اي توجدكم تفعله في وقت من الاوقات
من خير في الحج او غيره يتوكل في تجرد او تزود وفي تزهد او غير ذلك من القول الحسن عوض الرفث والبر والتقوى مكان الفسوق والاخلاق
الجميلة والتيسر والوفاق مكان الجدال يعلمه الله الذي صفات الكمال فيجازيكم عليه فهو اشد ترغيب وترهيب ولما حث في الحث
على الخير على وجه شامل للتزود وغيره بعد التخصيص اشارة الى ان الخير هو الزاد على وجه يعم الحسي والمعنوي زيادة في الحث عليه اذ لا
احزن من اعواز الزاد لاكثر العباد فقال وتزودوا اي التقوى لمعادكم الحاملة على التزود الحسي لمعاشكم الحامل على الزهد فيما في
ايدي الناس والمواساة لمحاويج الوافية للعبد من عذاب الله اتقوا النار ولو بشق تمرة وذلك هو ثمرة التقوى والزاد منعه
المسافر ثم علل ذلك بما ابحر من قوله فان خير ويجوز ان يكون التقدير وتزودوا واتقوا الله في تزودكم فان خير الزاد التقوى
وفي التجرد مداخل خلل في بعض نيات المتلبسين بالمتوكلين من الاتكال على الخلق فامر الكل بالتزود وسترا للصنفين اذ كل جمع لا بد له
من كلا الطريقين افاده الحرالي وقال وفي ضمنه تصنيفهم ثلاثة اصناف متكل لا زاد معه لنعم خير الزادين ومتميم لم يتحقق تقواه فلا
زاد له في الحقيقة وجامع بين التقوى والنعمة تذلك على كمال السنة كما قال عليه الصلاة والسلام قيدها وتوكل لان ذلك اسن
للطريقين وحقيقة التقوى في امر التزود والنظر الى الله في اقامة خلقه وامره قال بعض اهل المعرفة من عوده الله دوام النظر
[illegible]
من صدق عزمه وشرفت همته اولى ليس عليكم جناح اي اثم
في ان تبتغوا اي تطلبوا بجد واجتهاد فضلا اي زيادة بالتجر في مواسم الحج وغيرها من ربكم المحسن اليكم في كل حال فلا تعتمد [illegible]
الفضل الا عليه وروى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية فتاثموا
ان يتجروا في المواسم فنزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج ولما كان الاستكثار من المال مما يكره للشغل عن ذكر
الله سبب عنه الامر بالذكر في قوله فاذا اي فاطلبوا الفضل من ربكم بالحج فاذا افضتم اي دفعتم الافاضة ترك مفعوله
للعلم به اي دفعتم ركابكم عند غروب الشمس فاضت في تلك الوهاد كما يفيض الما المنساب في تحدر الشعاب واصل
الافاضة الدفع بكثرة من عرفات الجبل الذي وقفتم فيه بباب ربكم الموقف الاعظم الذي لا يدرك الحج الا به من معنى التعرف
لما تقدم منه نكرة وليست تاوه للتانيث فتمنع الصرف بل هي علامة جمع المونث قاصدين المبيت بالمزدلفة وهو علم
على الموقف سمي جمع فاذكروا الله ذو الجلال لذاته بانواع الذكر عنده اي قريبا من المشعر اي المعلم ولما كان بالحرم قال
الحرام وهو الجبل المسمى قزح وهو من الشعور وهو خفي الادراك الباطن فالموقف الاول ابر على تعوض الدنيا وتحرها وزوالها
والثاني دال بتجره وتمسه على البعث لمجاراة الخلايق باعمالها والتعبير بعند للاعلام بان مزدلفة كلها موقف غير
محسر فانهما كلها متقاربه ويفهم ذلك صحة الوقوف عليه بطريق الاولى قال الحرالي وذلك حط من الوقوف فهيبة وثبت

كانت حج

في البلد

في البلد الحرام عند اقبال النهار معادلة للوقوف بعرفة من الحل الى اقبال الليل ليثنى الوقوف في الحل والحرم فكان
فيه موقف نهار ينتهي الى الليل في عرفة وموقف ليل ينتهي الى النهار وفي المشعر نوقف فيه صلى الله عليه وسلم
بعد صلاة الفجر وقبل طلوع الشمس فعود ذكره عنده لان الذكر بحسب الذاكر فذكر اللسان القول وذكر البدن العمل وذكر النفس
الحال والانفعال وذكر القلب المعرفة والعلم واليقين ونحو ذلك ولكل شي ذكر بحسبه وفي جمع الموقفين في الحل والحرم في معلم
الحج الذي هو اية الحشر ايذان وبشرى بان اهل الموقف صنفان صنف يقفون في موطن روع ومخافة ووقوفا طويلا
اعتبارا بوقوفي الموقفين بعرفة من حين زوال الشمس الى غروبها ست ساعات وصنف حظهم من الوقوف قدر ادنى امنه
ظل العرش الذي هو حرم يوم القيمة وكعبته فتنتشر حقيقة الوقوف بالمشعر الحرام لما مد طول ذلك اليوم بين علي
المستظلين بظل العرش فيه كما يسر مرة كما قال عليه السلام بمقدار صلاة مكتوبة فكان في ذلك تفضل ما بين موقف
الحرم على موقف الحل انتهى ولما من ذكر الاسم الاعظم ان التقدير كما هو مستحق للذكر لذاته عطف عليه قوله واذكروه اي
عند المشعر وغيره كما اي على ما ولاجل ما هداكم ايها الناس كافة للاسلام وايها الحمس خاصة لترك الوقوف به والوقوف
مع الناس في موقف ابيكم ابرهيم عليه السلام ولما كان التقدير فانه بين لكم شيا لم يبينه لاحد كان قبلكم ووفقكم للعمل
عطف عليه قوله وان اي وانكم كنتم ولما كانوا قبل عمرو بن لحي على بعض دين وكان منهم بعد ذلك المهتدي كزيد بن عمرو وورقة بن نوفل
فلم يستغرق زمانهم بالضلال اثبت الجار فقال من قبله اي الهدى الذي جاكم به محمد صلى الله عليه وسلم لمن الضالين عن
سنن الهدى في مواقف الانبيا علما وعملا حيث كنتم تفيضون من المشعر الحرام ولما نبه عليهم ما كانوا عليه من المخالفة في الوقوف
بالنسبة الى الضلال بالجملة الاسمية موكده بانواع التاكيد وكان ما مضى من ذكر الافاضة ليس قاطعا في الوجوب اشار
لهم الى تعظيم ما هداهم له من الموافقة باداة التراخي فقال عاطفا على ما تقديره فلا تفيضوا من المشعر الحرام للافاضة
التي كنتم تخالفون فيها الناس الا على تفاوت الافاضتين وبعد ما بينهما على وجه معلم بالوجوب ثم اي بعد طول تلبسكم
بالضلال نزلت عليكم في هذا الذكر الحكيم الذي ابينوه وهو شرفكم وعزكم لا ما ظننتم انه شرف لكم بالتخطي على الناس بمخالفة
الهدى في الوقوف بالمزدلفة والافاضة منها افيضوا اي اذا قضيتم الوقوف وقال الحرالي لما كان الخطاب بترتيب
للامر فالامر كما كان للكيان ترتيب للاسبق فالاسبق كان حرف المهلة الذي هو ثم يقع تارة لترتيب الكيان وتارة لترتيب
الاخبار ويقول القائل مثلا امس الى حاجة كذا انفقد بما في الخبر للامر ثم يكون خروجك من موضع كذا فيكون السابق في الكيان
متاخرا بالمهلة في الاخبار فمعنى ذلك قوله انتهى ثم افيضوا اي ايها الحمس من حيث افاض الناس اي معظمهم وهو عرفات
الى المشعر الحرام لتبيتوا به وروى البخاري في التفسير عن عايشة رضي الله عنها قالت كان قريش ومن دان دينها يقفون
بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان ساير العرب يقفون بعرفات فلما جا الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان
ياتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى ثم افيضوا الاية واستغفروا الله اي اطلبوا من ذي الجلال
والاكرام ان يغفر لكم ما كنتم تفعلونه ايام جاهليتكم من مخالفة الهدى في الوقوف ومما ينبغي له الانفس من اثار تلك العادة
ومن غير ذلك من النقايص التي يعلمها الله منكم قال الحرالي والعادات اشد ما على المتعبدين والطريق الى الله تخلعها
وقد كان حد الهم الى ذلك وقوفهم في الحرم بغير علم لان العلم يقتضي ان الواقف خايف والخايف لا يخاف في الحرم لان الله جعل الحرم امنا
لمن حق الوقوف ان يكون في الحل فاذا امن دخل الحرم واذا دخل الحرم امن انتهى واظهر الاسم الشريف تعظيما للمقام واعلاما
بانه موصوف بما تضمنه من على وجه العموم من غير نظر الى قيد ولا حيثية فقال ان الله ذا الكمال غفور اي ستور
ذنب من استغفره رحيم اي بليغ الرحمة يدخل المستغفر في جملة المرحومين الذين لم يبد منهم ذنب فهو يفعل بهم من
الاكرام فعل الراحم بالمرحوم فيكون التايب من الذنب كمن لا ذنب له ولما امرهم بالذكر في المناسك وكان الانسان فيها بصدد
الغفلة امرهم بالذكر بعد قضايها لان من فرغ من العبادة كان بصدد ان يستريح فيغفل عن الذكر الى عزم وكانت عادتهم ان
يذكروا بعد فراغهم مفاخر اباهم فقال فاذا قضيتم اي تممتم اتماما بينا لا شبهة فيه مناسككم اي اركان الحج واعاد
الاسم الاعظم لمثل ما مضى من التعظيم وتعميم الذكر في جميع الوجوه فقال فاذكروا الله الذي لا نعمة عليكم الا منه وهو
الذي هداكم ذكرا كذكركم اباكم لكونهم احسنوا اليكم بالتربية التي هي في الحقيقة من فضل الله على انهم تخلوا بكم لحفظ
لا تواريها نعمة فانهم اصلوكم فسبحان من رضي وهو المنعم المطلق الهادي بان يذكر مثل ذكر من كان سببا للنعمة خاصة
فهو سبحانه الذي افاضها عليهم مع انهم كانوا سببا في الضلال قال الحرالي فانتظم ذكر اخراجهم عن قولهم المعهود باخراجهم
عن موقفهم المعهود اخراجا لهم عن معتاد دمهم في اعمالهم واحوالهم وفي اعلامه اخذ للخلق بان يعاملوا الحق معاملة من
يجلونه من الخلق وذلك عن بلية ما غلب عليهم من التقيد بما يرون وضعف الايمان بما سمعوا او علموا ولما كان في هذه
الرتبة بخس جرى عليه هذا الخطاب كما ورد استحي من الله كما تستحي رجلا جليلا من قومك قال تعالى او اشد ذكرا انتهى
اي واذكروا الله ذكرا اعلى من ذلك بان تذكروه ذكرا اشد من ذكركم لابايكم لما له من الفضل العام ومما يدخل تحت هذا
الذكر ان يانف من ان يكون لله في عبادته او شي من اموره شريك كما يستنكف ان يكون لابيه فيه شريك بل يكون من

امر الشرك استدامته قال الحرالي فرفع الخطاب لما هو الليق باحق من ايثار ما يرجع اليه على ما يرجع الى الخلق انتهى ولما امر تعالى بما من ذكره لذاته ثم لاحسانه على الاطلاق ثم قيد بافراده بذلك وترك ذكر الغير سبب عنه تقسيم الناس في قبول الامر فقال صارفا القول عن الخطاب دلالة على العموم فمن الناس من تكون الدنيا اكبر همه فلا التفات له الى غيرها فهو يقول افراد الضمير رعاية للفظ من اشارة بان الهالك في هذه الامة ان شاء الله قليل ربنا ايها المحسن الينا آتنا في الدنيا ومفعوله محذوف تقديره ما يريد والحال انه ماله ويجوز ان يكون هذا عطفا على ما تقديره فتعطيه ما شاء سبحانه منها الا ما طلب هو وليس له في الآخرة من خلاق اي نصيب لانه لا رغبة له فيها فهو لا يطلبها ولا يسعى لها سعيها قال الحرالي الخلاق الحظ اللايق بالخلق والخلق ومنهم من يجعل غنيا ذريعة وجر وسيلة الى الرغبة الى ربه ويذكر الله كالامر فهو يقول ربنا باحسانك آتنا في الدنيا حالة وعيشة حسنة لا نتوصل بها الى الآخرة على ما يرضيك قال الحرالي وهي الكفاف من المطعم والمشرب والملبس والماوي والزوج على ما كانت لا سرف فيها انتهى وفي الآخرة حسنة اي من رحمتك التي تدخلنا بها الجنة ولما كان الرجاء لا يصلح الا بالخوف واعطا الحسنة لا ينفي المس بالسية قال وقنا عذاب النار اي بعفوك ومغفرتك ولما كان هولا على منهاج الرسل لانهم عبدوا الله اولا كما اشار اليه السياق فانكسرت نفوسهم ثم ذكروه على تلك المراتب الثلاث فنارت قلوبهم بتجلي نور جلاله سبحانه فتاهلوا بذلك الدعا فكان دعاؤهم كاملا كما فعل الخليل عليه السلام حيث قال الذي خلقني فهو يهدين الايات حتى قال رب هب لي حكما والحقني بالصالحين فقدم الذكر على الدعا وكما هدى اليه اخر ال عمران في قوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا الايات فقدموا الطاعة عظم شانهم بقوله على سبيل الاستيناف جامعا على معنى من بشارة بكثرة الناجي في هذه الامة او يكون الجمع لعظم صفاتهم اولئك اي العالوا المراتب العظيموا المطالب لهم اي هذا القسم فقط لان الاول قد اخبر ان الامر عليه لا له ولما كان غالب اعمال العباد دائما على غير السداد واقل ما فيها ان تكون خالية عن نية حسنة قال مشيرا الى ذلك نصيب وهو اسم للحظ الذي تنتهي عليه القسمة بين جماعة كاين مما ولو قال لهم مثلا لهم جميع اعمالهم ولو قال فعلوا لظن خروج القول فعدل الى قوله كسبوا اي طلبوا واصابوا وتصرفوا واجتهدوا فيه وجمعوا من خلاصة اعمالهم القولية والفعلية ومنها الادعية وهو ما اخلصوا فيه فهو الذي يثابون عليه وهو قليل بالنسبة الى باقي اعمالهم ولما كان اسرع الناس حسابا اعلمهم بعقوبة خطا وصوابا ولما كان المتقدر بذلك عالم بخفي اعمالهم وجليها وتمييز جيدها من رديها فهو يجازيهم على حسب ذلك عطف عليه قوله والله اي المحيط علما وقدرة سريع الحساب وهو احصا الاعمال وبيان ما يجب لكل منها من الجزا وايصاله الى العامل لما له من سعة العلم وشمول القدرة قيل لبعضهم كيف يحاسب الله الخلق في وقت واحد قال كما يرزقهم في وقت واحد وفيه ترغيب بانه لا يضيع عملا وترهيب بانه لا يمشي عليه باطل ولا يبعد على مدافعه مطاول ولما كان تداركهم بذكره عند قضا الاركان وكان ربما تم انتصارهم عليه في الوقت الذي كانوا يذكرون فيه اباهم قال معما وليكون الحث عليه اكد لتكرير الندب اليه بصيغة الامر ليكونوا احرص شانه واذكروا اي بالرمي وغير عنه بالذكر ليشمل كل ذكر لسانيا كان او غيره الله اي لما يستحقه في ذاته من الكمال في ايام ولما كانت لا تحتاج الى غير العد لكونها قليلة وبعد الايام التي تختلط في امرها بالتراي وغيره حتى تكون معلومات قال جامعا جمع صحة ما لا يعقل بما اطرد فيه من الالف والتا اذا كان موصوفها جمع قلة معدودات وهي ايام اقامتكم بمنى في رمي الجمار فعبر سبحانه بالفعل تعبيرا ما عليكم من تمام العبادات الحج اولها يوم القر وهو الحادي عشر يستقر الناس فيه بمنى ثانيها يوم النفر الاول ثالثها يوم النفر الاعظم والثلاثة تسمى ايام التشريق وهي مع يوم العيد تسمى ايام النحر والاربعة مع يوم عرفة ايام التكبير والذكر ولما فهم من هذا انه لا بد من الاقامة بها في مدة الثلاثة الايام فهي ذلك ميسرا لان الحج يجمع القوي والضعيف والخادم والمخدوم والضعيف في هذا الدين امير على القوي فقال مشيرا الى ان الانسان في ذلك الجمع الاعظم له نازعان نازع ينزع عن الاقامة في تلك الاماكن المرضية والجماعات المعقودة ونازع ينزع الى اهله واوطانه وعشايره واحدائه فمن تعجل اي سكن النفر للرجوع الى اوطانه في يومين منهما فلا اثم عليه والتعجيل فعل الشي قبل وقته الا ليق به وقيد باليومين اعلاما بان من ادركه غروب اليوم الثاني بمنى وهو مقيم لزمه مبيت الليلة الثالثة ورمي اليوم الثالث فان نفر قبل غروبه سقط عنه المبيت والرمي قال في شرح المهذب بلا خلاف وكذا ان ادركه الغروب وهو راحل قبل ان ينفصل منها ولم يقيد التاخر لان نهايته باليوم الثالث معروف من ان الايام ثلاثة ولما كان ذلك ربما فهم ان المتاخر يلحقه اثم كما كان اهل الجاهلية يقولون وكان الصحابة رضي الله عنهم قوما يسابقون الى المعالي وكان سبحانه يريد الرفق باهل هذا الدين سيرا لتصريح بالترغيب في التاخر فعبر فيه ايضا بنفي الاثم كالاول بعد ان اشار الى الترغيب فيه بالتعبير عن النفر الاول بالتعجيل فقال ومن تاخر اي فاقام في منى الى تمام الثلاثة فنفر في اليوم الثالث فلا اثم عليه والتاخر ابعاد الفعل من الان الكاين قال الشيخ محيي الدين في شرح المهذب قال الشافعي والاصحاب يجوز النفر في اليوم الثاني من التشريق ويجوز في الثالث وهذا مجمع عليه لقوله تعالى فمن تعجل الاية قالوا والتاخر الى اليوم الثالث افضل للاحاديث الصحيحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر في اليوم الثالث ولما كان مراد الاعمال التربيات على التها قيد ذلك بقوله لمن اي هذا النفي للاثم عن القسمين لمن اتقى من اهلهما فادار الغالب على ما يرضي الله ولما كان التقدير

فافعلوا

فافعلوا ما شئتم من التعجيل والتاخر عطف عليه ما علم انه روحه فقال واتقوا الله اي الذي له الاحاطة الشاملة ولما كان الحج حشرا في الدنيا والانصراف منه شبيه انصراف اهل الموقف بعد الحشر عن الدنيا فريقا الى الجنة وفريقا الى السعير ذكرهم بذلك بقوله واعلموا انكم اي جميعا اليه لا الى غيره تحشرون بعد البعث والحشر الجمع بكره وهو واقع على اول خروجهم من الاجداث الى انتها الموقف فاعملوا ما يكون سببا في انصرافكم منه الى دار كرامته لا الى دار اهانته قال الحرالي وكلية الحج ومناسكه مطابق في الاعتبار لامر يوم الحشر ومواقفه من خروج الحاج من وطنه متزودا كخروج الميت من الدنيا متزودا بزاد العمل ووصوله الى الميقات واهلاله بتجرده كانبعاثه من القبر متعريا وتلبيته في حجه كتلبيته في حشره مهطعين الى الداعي الى كذلك اعتباره موطنا موطنا الى غاية الافاضة والحلول بحرم الله في الآخرة التي هي الجنة والشرب من ماء زمزم التي هي اية نزل الله لاهل الجنة على وجوه من الاعتبارات يطلعها اهل الفهم واليقين فلاجل ذلك كان انتهاء احكام الحج ذكر الحشر انتهى وهنا تم ما اراده سبحانه من بيان قواعد الاسلام الخمس الايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج المشار الى الثلاثة الاول منها بقوله تعالى اول السورة يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون وذكر الحج لمزيد الاعتناء به لاحقا للصوم بعد ذكرها سابقا عليه ولعل ذلك هو السبب في تقديم الصوم على الحج تارة وتاخيره اخرى في روايات حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيح بني الاسلام على خمس لما كان قد ذكر سبحانه الراغب في الدنيا وحدها والراغب في الدارين وكان قد بقي من الاقسام العقلية المعرض عنهما وهو مفقود فلم يذكره والراغب في الآخرة فقط وكل من الاقسام تارة يكون مسرا وتارة يكون معلنا وكان الحج ومنها انما هو المسر لارادة الدنيا باظهاره لارادة الآخرة وكان هذا هو المنافق وقد بدا به بعد ذكر التقوى والحشر ليكون مقصودا بادي بدء بذلك الامر مقصودا بالتهديد بالحشر ومساقا بصيغة ما في اول السورة من ذكر المنافقين ليتذكر السامع تلك القصص ويتحضرها بتلك الاحوال وحسن ذلك طول الفصل وبعد العهد فقال ومن الناس من اي شخص او الذي يعجبك اي يروقك وياخذ بجامع قلبك ايها المخاطب قوله كما ذكرنا اول السورة انه يخادع والعجب من الاعجاب وهو من العجب وهو كون الشي خارجا عن نظايره من جنسه حتى يكون ندرة في صنفه قال الحرالي وقال الاصبهاني حالة تعتري الانسان عند ادراك كال مجهول السبب ممن لا يعرفه وحقيقة العجب كرا ظهر في ظهور السي عرف سببه ولما كان ذكر هذا بعد ذكر الحشر ربما اوهم ان يكون القول او الاعجاب واقعا في تلك الحالة قيده بقوله في اي الكاين في الحياة الدنيا لا يزداد في طول مدته فيها الا تحسينا لقوله تنبيها لما يخفى من فعله واما في الآخرة فكلامه غير حسن ولا معجب ويشهد الله المتجلي لصفات الكمال على ما في قلبه انه مطابق لما اظهره بلسانه وهو اي والحال انه الد الخصام اي بينادي في الخصام بالباطل لا ينقطع جداله لكل ذلك وهو يظهر انه على الحق الجميل ويوجه لكل شي من خصا وجها بصريته غاية ادراكه من القباحة الى الملاحة والالد شدة الخصومة والخصام القول الذي يسمع المصيخ ويولج في صماخ ما يكفه عن زعمه ودعواه قال الحرالي وقال الاصبهاني هو التعمق في البحث عن الشي والمضايقة فيه ويجوز ان يجعل الخصام الد على المبالغة انتهى ولما ذكر انه الد شرع يذكر حركة لدده فقال عاطفا على ما تقديره فاذا واجهك اجتهد في اظهار انه مصلح او تكون جملة حالية واذا تولى اي اعرض بقلبه او قالبه عن حضرتك بكلامه وكنى بالتعبير بالسعي عن الاسراع في ايقاع الفتنة بغاية الجهد فقال سعى ونبه على كثرة فساده بقوله في الارض اي كلها بفعله وقوله عند من يوافقه ليفسد اي ليوقع الفساد وهو اسم لجميع المعاصي فيها اي الارض في ذات البين لاجل الاهلاك والناس اسرع شي اليه فيصير له مشاركون في افعال الفساد فاذا تمكن منه ما يريد كان معروفا عندهم فكان له عليه اعوان ويبين انه يصل بافساده الى الغاية بقوله منبها الحروث حرثا مبالغة ويهلك الحرث اي الحروث الذي يعيش به الحيوان قال الحرالي سماه حرثا لانه الذي نسبه الى الخلق ولم يسمه زرعا لان ذلك منسوب للحق انتهى ولانه اذا اهلك السبب هلك المسبب من غير عكس والنسل اي المنسول الذي به بقاء نوع الحيوان قال الحرالي وهو استخراج لطيف الشي من جملته انتهى وتعلل ذلك فلا افساد ونظمت الاية هكذا اما لان المعنى انه غرضه اولا بالافساد ذات البين للتوصل الى الاهلاك وثانيا بالاهلاك المتوصل الى الافساد والله اي والحال ان الملك الاعظم لا يحب الفساد اي لا يفعل فعل المحب فلا يامر به بل ينهى عنه ولا يقر عليه بل يغيره وارطال المدى لعاقبه عليه ولم يفعل الهلاك لانه قد يكون صورة فقط فيكون صلاحا كما اذا كان قصاصا ولما لا الانسان وليشمل ما اذا كان الفساد عن غير قصد والاية من الاحتباك ذكر اولا الافساد ليدل على حذفه ثانيا وثانيا الاهلاك ليدل على حذفه اولا وذكر الحرث الذي هو السبب دلالة على التناسل والنسل الذي هو المسبب دلالة على الزرع فهو احتباك ثان ولما كان من الناس من يفعل الفساد فاذا نهي عنه انتهى بين ان هذا على غير ذلك تحقيقا لالد بيته فقال مشيرا باداة التحقيق بانه لا يزال في الناس من يقوم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واذا قيل له من اي قايل كان اتق الله اي الملك الاعظم الذي كل شي تحت قهره واترك ما انت عليه من الفساد اخذته اي قهرته لما له من ملكة الكبر العزة في نفسه لما بينها من الكبر والاستهانة بامر الله وليس من شان الخلق الا نصاف بذلك فان العزة لله جميعا بالاثم اي مصاحبا للذنب وهو العمل الذي لا يسا اي لا يحل ويوجب العقوبة باحتقار الغير والاستكبار

وعن الراغب انه قال العجب
حيرة تعرض في ذاته عند جهل
الانسان بات الى من يعرف
السبب ح

عليه ولما كان هذا الشان الخبيث شانه ايتا بهدد لنفسه للتمكن بما يويد بسبب عنه قوله فحسبه اي كفاية جهنم
تكون مهادا له كا مهد للفساد وتخصيص هذا الاسم المنبئ عن الجهامة في المواجهة اي الاستقبال بوجه كريه لما وقع منه من المواجهة
لمن امره من مثله قال الحرالي فلعني ما ختص بالحكم يسمى تعالى النار باسم من اسمائها انتهى ولبئس المهاد والمهاد موطن الهدو المستقر
ما يستقر فيه ويوطا قال الحرالي وقال وفيه اشعار بامهال الله عز وجل لهذه الامة وعاية لثلا يهما تاحيث فاجرها وكافرها
لعذاب الاخرة وعاجل مومنها بعقوبة الدنيا لتخلص لكافرها الدنيا ولمومنها الاخرة واثبا تطول المقام والخلود فيها انتهى
ولما اتم الخبر عن هذا القسم الذي هو شر الاقسام اتبعه خيرها ليكون ختاما وبينهما تباين فان الاول من يهلك لا ستيفا نفسه
وهذا يهلك نفسه لاستصلاح الناس فقال ومن الناس من اي تخص او الذي يشتري اي يفعل هذا الفعل كلما لاح له
وهو انه يبيع لغاية الرغبة والانبعاث نفسه فيقدم على اهلاكها ويشتريها بما يكون سبب اعتاقها واحيائها بالاجتهاد
في اوامر الله بالنهي لمثل هذا الالد عن فعله الخبيث والامر له بالتقوى والتذكير بالله وروى انها نزلت في صهيب رضي الله عنه لانه لما
هاجر ارادت قريش رده فجعل لهم ماله حتى خلوا سبيله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ربح البيع فعلى هذا يكون شرى بمعنى
اشترى ثم علل ذلك بقوله ابتغا اي تطلب وتسهل وتيسر لغاية ما يمكن ان يكون كل من ذلك مرضات الله اي رضي المحيط
بجميع صفات الكمال وزمان الرضى ومكانه بما دل عليه كون المصدر ميميا ويكون ذلك غاية في بابه بما دل عليه من وقف
بالتا الممدودة لما يعلم من شدة رحمة الله به والله روف اي بالغ الرحمة واظهر موضع الاضمار دلالة على العموم وعلى
الوصف المقتضي للرحمة والشرف فقال بالعباد كلهم حيث اسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة مع كفرهم او تقصيرهم في
امره وبين لهم الطريق غاية البيان بالعقل اولا والرسل ثانيا والشرائع ثالثا والكتب الحافظة لها رابعا ولعل الفصل
بين الاقسام الاربعة بالايام المعدودات لفهما ما يامرها لكونهما من الحج وتاخيرها عن اخويهما اشارة الى انهما ليست من الله
دعائم المناسك بل تجبر بدم ولما ختم بهذين القسمين بالساعي في رضى الله مشاكلا للاولين حسن جدا تعقيبه بقوله يا ايها
الذين امنوا ليكون هذا النداء والنعا بادئ بدء في اذن هذا الواعي كا كان المنافق مصدوعا بما سمعه من التقوى والحشر مع
كونه دليلا على صحة الرافة وتكرير الامر بالايمان بين طوايف الاعمال من اعظم دليل على حكمة الآمر به فانه مع كونه اكد لامره
وامكن لا لجده وحزمه يعلم انه العماد في الرشاد الموجب للاسعاد يوم التناد فقال ادخلوا في السلم اي الايمان الذي هو
ملزوم لسهولة الانقياد الى كل خير وتعوي الاصل بالفتح والكسر الموادعة في الظاهر بالقول والفعل اي يا من امن بلسانه لهذا
الا له ليكن الايمان او الاستسلام بكلية الباطن والظاهر ظرفا محيطا بكم من جميع الجوانب فيحيط بالقلب والقالب كا احاط
باللسان ولا يكون لعوامر الجهل وخلا نه الكفر اليكم سبيل كافة اي وليكن جميعكم في ذلك سواء واحدا لهذا الذي يشتري
نفسه ولا ينقسم فيكون بعضكم هكذا وبعضكم كذلك الا ان ذلك دليل الكذب في دعوى الايمان ولما كان الاباء والعناد
الذي حمل عليه الكبر فعل الشيطان وثمرة كونه من نار قال ولا تتبعوا اي تكلفوا انفسكم من امر الضلال ضد ما فطرها
الله عليه وسهلها لها من الهدى خطوات الشيطان اي طرق المبعد المحترق في الكبر عن الحق قال الحرالي ففي ايماء ان التلبط
في هذا اليوم له وفيه اشعار وانذار بما وقع في هذه الامة وهو واقع وسيقع من خروجهم من السلم الى الاحزاب بنوع الفتنة
في الالسنة والاسنة على امر الدنيا وعودهم الى امور جاهليتهم لان الدنيا اقطاع الشيطان كا ان الاخرة خلاصة الرحمن فكان
ابتدا الفتنة منذ كسر الباب الموصد على السلم وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يزل الهرج ولا يزال الى ان تضع الحرب
اوزارها انتهى ثم علل ذلك سبحانه بقوله انه لكم عدو مبين اي بما اخبرناكم به في امر ابيكم ادم عليه السلام وغير ذلك مما
شواهده ظاهرة وما احسن هذا الختم المصادر للختم التي قبلها فان تذكر الرافة منه سبحانه على عظمته والعبودية منا الذي
هو معنى الولاية التي روحها الانقياد لكل ما يحبه الولي وتذكر عداوة المضل اعظم منفر منه وداع الى الله سبحانه ولما اقام سبحانه
الادلة على عظمته التي منها الوحدانية وازال الشبه ومحى الشكوك وذكر بانواع اللطف والبر الى ان ختم الايتين بما ذكر من
ولايته وعداوة المضل عن طريقه سبب عن ذلك قوله فان زللتم مشيرا باداة الشك الى انهم صاروا الى حالة من وضوح
الطريق الواسع الامكن الامن المستقيم الاسهل يبعد معها البعداء ان يزلوا عنه ولذلك قال من بعد ما جاءتكم
البينات اي بهذا الكتاب الذي لا ريب فيه قال الحرالي بينات التجربة مشهودا وانباء عما مضى وتحققا بما وقع وقالوا ان التعبير
بان ليشعروا بانهم يتركون والتعبير بالماضي اشعارا بالرجوع عنه رحمة من الله لهم لرحمته قبل لابويهم حين ازلهما الشيطان
فكما ازال ابويهم في الجنة عن حرم الشجرة ازلهم في الدنيا عن شجرة المحرمات من الدما والاموال والاعراض انتهى ولما كان الخوف
حاملا على طريق السلامة قال فاعلموا فان العلم اعون شي على المقاصد ان الله الحاوي لصفات الكمال عزيز لا يعجزه
من زل ولا يفوته من ضل حكيم يبرم ما لا يقدر احد على نقض شي منه ولما كان هذا الختم مؤذنا بالعذاب وكان ابتدا العذاب
من محل يتوقع منه الرحمة افظع وكان انفع الاشيا السحاب حملة الغيث والملائكة الذين هم خير محض وكان الذين شاهدوا
العذاب من السحاب الذي هو مظنة الرحمة ليكون اهول عادا وبني اسرائيل وكان عادا قد مضوا فلا يمكن عادة سوالهم له
وكان من زل بعد هذا البيان قد اشبه بني اسرائيل في هذا الحال فكان جديرا بان يشبههم في المآل فيما صاروا اليه

من

من ضرب الذلة والمسكنة وحلول الغضب والوقوع في العطب قال تعالى هل ينظرون اي ينتظرون اذا زلوا سايقا
لهم في اسلوب الانكار وصيغة مجرده عن الانفعال تنبيها على ان الزالين في غاية البعد عن مواطن الرافة والاستحقاق
لمظهر الكبر والنقمة باعراضهم لتشديد عن خطابهم واثباته من عذابهم على ما لم يكن في حسابهم الا ان ياتيهم الله اي مجد
الذي لا يحتمل شي تجلي عظمته وظهوره جلاله كا يليق بجلاله في ظلل من الغمام ظلة في داخل ظلة وهو ما يستر من الشمس له
تهي في غاية الاظلال والهول والمهابة لما لها من الكثافة التي تغم على الرائي ما فيها وتدبر ما اتت عليه الى غير ذلك من
انواع المجد الذي لا يقدر حق قدره الا الله والملئكة اي وياتي جنده الذين لا يعصون الله ما امرهم هذا على قراءة الجماعة
وعلى قراءة ابي جعفر بالخفض المعنى وظلل من الملئكة اي جماعات يملاون الاقطار لنفاذ ووالي امتثال اوامره وهل ينتظر من
العقوى التي يحكم لما يفعل العزيز الذي يجلوا امره كل امر الا اتيانه بالباس اذا غضب بعد طول الحلم وتمادي الاناة فلا
يرد باسه ولا يجار ضرامره وهو المراد من قوله وقضى اي والحال انه قد قضي الامر اي نفذ باهلاكهم سريعا فرجعوا الى الله
باسرهم لا يملكون لانفسهم شيا والى الله الذي له الاحاطة الكاملة وحده ترجع الامور كلها دينا واخرى فان حكمه
لا يرد وقدرته لا تحد قال الحرالي واتيان الله في محل الايمان امر مبهم لا ينال له علم العالمين ويقف عنده ايمان المومنين
لا يا خذونه بكيف ولا يتوهمونه بوهم واتيان الله في اوائل فهم الفاهمين بدو امره وخطابه في كل محل مما من السما والارض
او العرش والكرسي او ما شا من خلقه فهو تعالى يجل ان يحيز كون حيث ما بدا خطابه كفاحا بواسطة فمن هنالك هو فيما دنيا
من جانب الطور الايمن الى اني انا الله وفي الكتاب الاول جا الله من سينا انتهى بتمامه وشرق من جبل ساعير فظهر للناس من
جبال فاران والمراد بالاول نبوة موسى عليه السلام وهو واضح وبالثاني نبوة عيسى عليه السلام فان جبل ساعير هو جبل
الخليل وهو الذي طبرية وشرح ابن عاوم وبالثالث نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان فاران مكة المشرفة ولما كان
بنو اسرائيل اعلم الناس بظهور مجد الله في الغمام لما راى اسلافهم منه عند خروجهم من مصر وفي جبل الطور وفيه الزما
وما في ذلك على ما نقل اليهم من وقور الهيبة وتعاظم الجلال قال تعالى جوابا لمن كانه قال كيف يكون هذا سل بنقل
حركة العين الى الفا فاستغني عن همزة الوصل بني اسرائيل اي الذين هم احسد الناس للعرب ثم استفهم واستانف
الاخبار كم اتيناهم من ذلك ومن غيره من اية بينة بواسطة انبيائهم فانهم لا يقدرون على انكار ذلك وسكوتهم
على سماعهم منك اقرار منهم وقال الحرالي ولما كان هذا الذي اخذوا به امر الجلا احيلوا الى تفاصيل الوقائع وتخصيص
اللاحم ووقوع الاشبا والنظاير على ما تقدم ووقع مثاله في بني اسرائيل لتكرار ما وقع فيهم من هذه الامة حذو
النعل بالنعل والقذة بالقذة فقال سل استنطاقا لحالهم لا لانبائهم واخبارهم فان لقاء النبي صلى الله عليه وسلم
الى ما يشهده الله من احوال بني اسرائيل واحوال ملوكهم واحبارهم وابائهم ونفرتهم واختلافهم وصنوف بلاياهم
هو سواله واستبصاره الى ان قيل واحد فخبره انتهى كذا قال والظاهر انه اباحة لسوالهم فانه صلى الله عليه وسلم
ما سالهم عن شي وكذبوا في جوابه فبين كذبهم الا اعترفوا بالكذب كقصة حد الزنا وقضية سوالهم وعن ابيهم وقضية
سم الشاة ونحو هذا وفي ذلك زيادة لايمان من يشاهده واقامة للحجة عليهم وغير ذلك من الفوايد ولما كان التقدير
فكانوا اذا بدلوا شيا من اياتنا واسمها لوابه عاقبناهم لسد دنا عقابهم كا دل عليه ما سقته من التوراة في هذا
الديوان لمن تدبر عطف عليه قوله ومن يبدل من التبديل وهو تغيير الشي على ما كان نعمة الله اي الذي لا نعمة
الا منه التي هي سبب الهدى فيجعلها سببا للضلال وسبب الشكر فيجعلها سبب الكفر كا يفعل من كان قال الحرالي واحل
هذا التبديل رد علم العالم عليه ورد صلاح الصالح اليه وعدم الاقتدا بعلم العالم والاقتدا بصلاح الصالح
وذلك المتاركة التي تقع بين العامة وبين العلما والصلحا وهو كفر نعمة الله وتبديلها انتهى ولما كان التقصير بالنار
يتجلب النعم قبل اتيانها ما اليه والجاحد العني يعتبط بها بعد سبوغها عليه وكان المجد والنبذ بلها في وقت مالا
في كل وقت قال تعالى من بعد ما جاءته اي وتمكن من الرسوخ في علمها تنبيها على ان من بدلها في تلك الحال قد
سفل عن ادني الانسان والتحق بما لا يعقل من الحيوان ولما كان التغيير بملك الله علله بقوله فان الله اي العظيم
الشان شديد العقاب وهو عذاب يعقب الجرم ذكر بعض ما يدل على صدق التعقيب في معرفة بني اسرائيل
بما في ظهور المجد في الغمام ومن الرعب وما اتاهم من الايات البينات قال في اوائل السفر الخامس من التوراة فاسمعوا
الآن يا بني اسرائيل السنن والاحكام التي اعلمكم لتعملوا بها وتعيشوا وتدخلوا وترثوا الارض التي يعطيكم الله رب
ابائكم لا تزيدوا على الوصية التي اوصيكم بها قد رايتم ما فعل الله ببعلفغور من اجل ان كل رجل اتبع بعلفغور اهلكه
الله ربكم من بينكم وانتم الذين شعتم الله ربكم انتم احيا سالمون الى اليوم انظروا اني قد علمتكم السنن والاحكام كما امرني
الله لتعملوا بها في الارض التي تدخلونها وتحفظونها وتعملوا بها لانها حكمتكم وفهمكم تجاه الشعوب التي تسمع منكم له
هذه السنن كلها ويقولون اذا سمعوها ما احكم هذا الشعب العظيم وما احسن لهم اي شعب عظيم له قريب
منه مثل الله ربنا فيما دعوناه واي شعب عظيم له سنن واحكام معتدلة مثل هذه السنة التي اتلو عليكم اليوم

ولكن احتفظوا واحترسوا بانفسكم ولا تنسوا جميع الايات التي رايتم ولا تزول عن قلوبكم كل ايام حياتكم بل علموها بنيكم
وبني بنيكم واخبروهم بما رايتم يوم وقفتم امام الله ربكم في حوريب يوم قال لي الرب اجمع لهذا الشعب ما في لا سمعهم اياه
ويتعلموا ان يتقوني كل ايام حياتهم على الارض ويعلموا بنيهم ايضا وتقدمتم وقمتم في اصل الجبل والجبل يشتعل نارا وابو لهيبها
لهيبها الى جو السماء ورايتم الظلمة والضباب والسحاب فكلمكم الرب في الجبل من النار وكنتم تسمعون صوت الكلام ولم تكونوا
ترون شبها فاظهر لكم عهده وامركم ان تعملوا العشر الايات وكتبها على لوحين من حجارة احترسوا واحتفظوا بانفسكم جدا
لانكم لم تروا شبها في اليوم الذي كلمكم الله ربكم من الجبل من النار احتفظوا لا تفسدوا ولا تتخذوا اصناما واشباها تمثالا من
كل جنس شبه ذكر او انثى او شبه بهيمة في الارض وشبه كل طير في الهوا او شبه كل هوام الارض ولا ترفعوا اعينكم الى السما
وتنظروا الى الشمس والقمر والكواكب والى كل اجناد السما وتضلوا بها وتسجدوا لها وتعبدوها التي اتخذها جميع الشعوب
الذين تحت السما فاما انتم فقربكم الله واخرجكم من كور الحديد من ارض مصر لتصيروا له ميراثا كاليوم هذا نصه وقد تقدم
ذلك مستوفى من السفر الثاني من التوراة عند قوله تعالى واذا استسقى موسى لقومه فكان الرجوع الى نص ما يريد سبحانه
من احوال بني اسرائيل للاعراض الماضية على غاية ما يكون من الاحكام وفي الذروة العليا من حسن الانتظام وتجلي الملئكة
في ظلل من الغمام امر مالوف منه ما في الصحيح عن البراء رضي الله عنه قال كان رجل يقرا سورة الكهف والى جانبه حصان
مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر فلما اصبح اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر ذلك له فقال تلك السكينة تنزلت بالقران وعن عمران بن حصين رضي الله عنه انه بينما هو يقرا سورة البقرة
وفرسه مربوط عنده اذ جالت الفرس فسكت وسكنت ثم قرا فجالت فانصرف فلما اصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم
وقال فرفعت راسي الى السما فاذا مثل الظلة فيها امثال المصابيح فرفعت حتى لا اراها قال وتدري ما ذاك قال لا
قال تلك الملئكة دنت لصوتك ولو قرات لاصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم ولما تقدم من الامر بالسلم والنهي
عن الزلل عنه ما يقتضي لزومه حتما كان كانه قيل ما فعل من خوطب بهذه الاوامر ووقع بتلك الزواجر فقيل له
اي الكريم فقيل ان هذا التعجب ما الذي صدهم فقيل تقدير العزيز الذي لا يخالف مراده الحكيم الذي يدق عن الانكار
اسنده راجر فقيل كيف يتصور من العاقل كفر النعمة فبين ان سبب ذلك غالبا التزين والتخطر والكبر والبطر فرحا
بما في اليد وركونا اليه واعراضا عما في خزائن الله في تحقيق لقدرة فقال مستانفا بانيا للمفعول دالا على ضعف
عقولهم بانهم يغترون بكل مزين **زين** قال الحرالي من التزيين مما منه الزينة وهي بهجة العين التي لا تخلص الى باطن
المزين انتهى **للذين كفروا** اي حتى بدلوا النعمة **الحياة الدنيا** لحضورها فالهتهم عن غايب الاخرة قال الحرالي ففي ضمنه
اشعار بان استحسان بهجة الدنيا كفر ما من حيث ان نظر العقل والايمان يبصر باطنها ويشهد جيفتها فلا يغتر بزينتها
وهي لهو الخلق في انقطاعهم عن الحق وابهم تعالى المزين في هذه الاية ليشمل ادنى التزيين الواقع على لسان
الشيطان واخفى التزيين الذي يكون من استدراج الله كما في قوله تعالى كذلك زينا لكل امة عملهم انتهى ولما ذكر ذلك بين حالهم
عنده فقال **ويسخرون** اي والحال انهم لا يزالون يسخرون اي يوقعون السخرية وهي استزرا العقل هزوا وقال الحرالي هي
استزرا العقل معنى بمنزلة الاستسخار في العقل حسا **من الذين امنوا** لما هم فيه من الضعف والحاجة لاعراضهم عن الدنيا
رغبة فيما عند الله لما وهبهم الله من العلم الخارق لتلك الحجب الكاشف لاستار المغيب ولان الله يزوي عنهم الدنيا ويحميهم
منها رغبة بهم عنها لكرامتهم عليه كما يحمي الانسان حبيبه الطعام والشراب اذا كان مريضا لكرامته عليه فضلا والكفار
بهذا التزيين مع ما بوانا هم من الهوان بانواع التهديد التي لا مرية في قدرتنا عليها مشتغلون بلماع من العيش لحظهم
راضون باجالهم مسرورون بها بحيث انهم لا ينظرون في عاقبة بل مع الحالة الراهنة يستهزؤن بمن لاهل الحق متعامين عن
البينات معرضين عن التهديدات ذكرن للاستبصار باحوال بني اسرائيل ولما كان الاستسخار بذوي الاقدار مرا وللنفوس
مضرا قال تعالى مبشرا بانقلاب الامر في دار الخلد مرغبا في التقوى بعد الايمان **والذين اتقوا** اي امنوا خوفا من الله ما
فاخرج المنافقين الذين يمكن دخولهم في الجملة الماضية **فوقهم** في الرزق والرتبة والمكان بدليل فيضوا راية اي كان
لي قرين وكل امر سار **يوم القيمة** فهم يضحكون منهم جزا بما كانوا يفعلون ولما كان تبدل الاحوال قريبا عندهم من المحال
كان كانه قيل في تقريب ذلك يرزق من عند الله يرزق فيمحوه **والله** بعز سلطانه وجلال عظمته وباهر كرمه **يرزق**
من يشا اي في الدنيا وفي الاخرة ولو كان افقر الناس واعجزهم ولما كان الاعطا جزافا لا يكون الا عن كثرة وبكثرة قال **بغير**
حساب اي رزقا لا يحد ولا يعد لان كل ما دخله العد فهو محصور متناه يعد وفي هذه الامة من لا يحاسبه الله على
ما اتاه لئن في حقه على حقيقتها من هذه الحيثية ولما كان كانه قيل هل كان هذا الكفر والتزيين من بدء الامر ام
هو شي حدث فيكون حدوثه اعجب فقيل لا فرق عند الحكيم بين هذا وذاك فان قدرته على الصغير والكبير والجاهل
والعليم والطايش والحليم على حد سوا على ان الواقع ان ذلك شي حدث بعد البيان الواضح **كان الناس** اي كلهم **امة**
اي مجتمعين على شي واحد يوم بعضهم بعضا ويقتدي بعضهم ببعض ثم اكد اجتماعهم بقوله **واحدة** اي على الصراط

المستقيم

المستقيم فزل بعضهم فاختلفوا وتفرقت بهم السبل كما في ابن يونس وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وعلى
هذا اكثر المحققين كما قاله الاصبهاني وقد رواه ابو يعلى الموصلي في مسنده بسند متصل عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال على الاسلام كلهم **فبعث الله** اي الذي لا حكم لغيره **النبيين** الذين رفعهم على بقية خلقه فانباهم
بما يريد من امره وارسلهم الى خلقه **مبشرين** لمن اطاع وهو جار مجرى حفظ الصحة ولانه المقصود بالذات قدم
ومنذرين لمن عصى وذلك جار مجرى ازالة المرض بالدوا قال الحرالي فيه اعلام بانه ليس للانبيا من الهداية شي
وانما هم مخلصون لامر جبلات الخلق وفطرهم فيبشرون من فطر على خير ويتذرون من جبل على شر لا يبسا تقون امرا
لم يكن بل يظهرون امرا كان مغيبا وكذلك حال كل امام وعالم في زمانه يميز الله به الخبيث من الطيب انتهى **وانزل معهم**
الكتاب اي كلامه الجامع للهداية قال الحرالي ابرامه التي الامر المضاعف ليكون الامر بشاهدين اقوى منه بشاهد
واحد فقد كان في الرسول كفاية وفي الكتاب وحده كفاية لكن الله تعالى ثنى الامر وجمع الكتاب والرسول لتكون له الحجة
البالغة انتهى **بالحق** اي الثابت كل الثبات **ليحكم** اي الله بواسطة الكتاب **بين الناس فيما اختلفوا فيه** من
الدين الحق الذي كانوا عليه قبل ذلك امة واحدة فسلكوا بهم بعد جهد السبيل الاقوم ثم ضلوا على علم بعد موت
الرسل فاختلفوا في الدين لاختلافهم في الكتاب **وما اختلف فيه** اي الكتاب الهادي للحق الذي لا لبس فيه المنزل
لازالة الاختلاف **الا الذين** ولما كان العالم يتجه منه مخالفة العلم مطلقا الا بقيد كونه من محل مخصوص بني للمفعول
قوله **اوتوه** اي فبدلوا نعمة الله بان اوقعوا الخلاف فيما انزل لرفع الخلاف ففي هذا غاية التعجب واظهار
القدرة الباهرة التي حملتهم على ذلك ولما كان الخلاف ربما كان عن امر غامض بين ان الامر على غير ذلك فقال
مشيرا باثبات الجار الى انه لم يستغرق الزمان **من بعد ما جاءتهم البينات** اي الدلايل العقلية والنقلية
التي تثبت لها النبوة التي تثبت بها الكتاب قال الحرالي الجامعة لاياة ما في المحسوس واياة ما في المسموع فلذلك
كانت البينات مكملة لاجتماع شاهدها انتهى ولما كان هذا محل السوال عن السبب بين انه الحسد والاستطالة
عدولا عن الحق محبة لما زين من الدنيا وتنافسا فيها فقال **بغيا** قال الحرالي والبغي اعمال الحسد بالقول والفعل
قال عليه السلام ثلاث لا يسلم منهن احد ومنهن تخلي الحسد والطيرة والظن فاذا حسدت فلا تبغ لان الحسد
واقع في النفس كانها مجبولة عليه فلذلك عذر فيه فاذا استعملت بحسبه مقالها وفعالها كانت باغية انتهى
وزاده عجبا بقوله **بينهم** اي لا بغيا على غيرهم فيدلوا امر كل جهة ولما كان ذكر انزال الكتاب وسببه ذكر ما تسبب
عنه فقال عاطفا على ما تقديره فحموا عن البينات **فهدى الله** في اسناده الى الاسم الاعظم كما قال الحرالي اعلام
بانه ليس في طرق الخلق الا بعون وتوفيق من الحق انتهى **الذين امنوا** اي بالتبيين بيركة ايمانهم **لما اختلفوا** اي اهل
الضلالة **فيه** ثم بينه بقوله **من الحق** ويجوز ان تكون تبعيضية لما عموا عنه من الحق الذي نزل به الكتاب الذي جاء به
النبيون **باذنه** اي بما اقتضاه لهم من علمه وارادته وتمكينه قال الحرالي فيه اشعار بما فطرهم عليه من التمكين لقبوله
لان الاذن اوناه التمكين وازالة المنع انتهى **والله** اي المحيط علما وقدرة **يهدي من يشا** اي بما له من صفات الكمال
الى صراط مستقيم قال الحرالي فهذا هدى اعلى من الاول كان الاول هدى الى احاطة علم الله وقدرته وهذا هدى اليه
الى صبغة المصانع لتري لهذه الامة بدوام هداهم الى ختم اليوم المحمدي لا تزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق
حتى ياتي امر الله انتهى ولما اتم ما صرح به الكلام السابق من الاختلاف ووقوع العداوات وكان في العداوات خطر الاموال
والانفس وكان ذلك اشق ما يكون وكانت العادة قاضية بان المدعوين الى ذلك ان لم يصمموا على الاباء كانوا بين مستقلين
لامر الرسل يرون انهم يفرقون ما اتفق من الكلمة ورضي به الناس لانفسهم ويثنون امرهم ومستثقلين لطول انتظار
الانتصار كان حالهم حال من يطلب الراحات في درى الجنات بلا مشقات وذلك محال ومحض ضلال فان الثبات على الصراط
المستقيم لا يكون الا باحتمال شدايد التكاليف فكان كانه قيل في جواب ذلك عدولا عن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم
المقول له سل بني اسرايل الى خطاب الاتباع تشريفا له عن ذلك ورفعا لهم بالمواجهة بالخطاب والناسبة
بمن مضى من اولي الالباب تنشيطا لهم وتقوية لعزايمهم احسبتم انا لا نرسل الرسل لتمييز الخبيث من الطيب **ام حسبتم**
بعد ارسالهم ان الامر هين بان تنالوا السعادة بلا اجتهاد في العبادة قال الحرالي هو كلمة الحسبان وهو ما تقع غلبته
فيما هو من نوع المفطور عليه المستقر عادته والظن الغلبة فيما هو من المعلوم الماخوذ بالدليل والعلم فكان ضعف
علم العالم ظن وضعف عقل العاقل حسبان انتهى وهذا الذي قدرته هو معنى **ان تدخلوا الجنة** اي التي هي نعيم دايم
والحال انه **لما ياتكم مثل** اي وصف **الذين خلوا** ولما كان القرب في الزمان اشد في التاسية اثبت الجار فقال **من**
قبلكم اي بعض عليكم تتعلوا به او يصيبكم ما اصابهم من الاحوال الغريبة والقضايا العجيبة التي هي في غرابتها كالامثال
وقال الحرالي ام عطف على امور يفهمها سياق الخطاب كانه يقول احسبتم ان تفارق احوالكم احوال الامم الماضية في حكمة
الله وسنته ولن تجد لسنة الله تبديلا الى ما يخص معنى الخطاب اجمالا وتفصيلا في وقايع الدنيا من مبتداها

حال

في النفس

مثال

وحرها وبردها وضيق عيشها والزلزال اذا هاوحالها لم يرخ حال الشدة [illegible] الى [illegible] ذلك الى غاية دخول الجنة فكان
عند انتهاء ذلك [illegible] خطاب وحسنه [illegible] البعث وغاية دخول الجنة انتهى [illegible] التى فيها معنى التوقع
لانها التى [illegible] على الاثبات على ان ذلك ينبغى ان يكون [illegible] على بصيرة من حصول [illegible] بكثرة المخالف
والمعاند [illegible] والصوابر ليكون ذلك [illegible]
والارتقاء الى الدرجات ولما كانه [illegible] بيانا بقوله **مستهم البأساء** اى المصائب فى الاموال **والضراء**
اى فى الانفس [illegible] ابو عبيد الهروى عن الازهرى [illegible] فى الحرب وكثير الاستعمال
فى الفقرا [illegible] قال الحرالى [illegible] **وزلزلوا** [illegible]
والمعنى [illegible] بانواع البلايا والرزايا والاهوال والافزاع [illegible] تكاد تفقد الارض وتلك
الجبال **حتى يقول** [illegible] حكاية الحال [illegible] ما اصابهم [illegible] وكانك تحكى ذلك
حين وقوعه مثل من يقول عن مريض يشاهده مرض حتى لا يرجونه فان النصب يتقدير ان وهى علم الاستقبال فهى لا تنصب
الا مضارعا بمعناه ونصبه الجماعة على حكاية الحال ايضا لكن بتقدير ان الزلزال مشاهد والقول منتظر محقق ذلك
التميمين **الرسول** وهو ابلغ للناس **والذين امنوا معه** وهم الاثبت بعده لطول زمان تمادى الزمان فى ماسهم
وعبر بالمضارع تصوير الحالهم واشارة الى تكرير ذلك من مقالهم وقال الحرالى فذكر قول الرسول لوقع فى رتبة الذين امنوا
معه لا قوله فيما يخصه فى ذاته وحده ومن هو منه او متبعه لان للنبى ترتبا فى ما يظهر من قول وفعل مع دنيا امته فكان
قول الرسول المبنى عن حالهم **متى نصر الله** لكانهم فى مثل ترتب المتلذذ الحائر الذى كانه وان وعد بما هو الحق يوقع لما الناحبى
صورة الذى انبهم عليه الامر لما يرى من اجتثاث اسباب الفرج فنى استعاره اعلام بان الله تعالى انما يفرج عن انبيائه ومن معهم
بعد انقطاع اسبابهم ممن سواه ليمتحن قلوبهم للتقوى فتتقدس سرائرهم من الركون لشى من الخلق وتتعلق ضمائرهم بالله
وحده حتى يقول صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لنتصر رسلنا والذين
امنوا فى الحياة الدنيا وعلى ذلك جرت خوارق العادات للاولياء واهل الكرامات لا يكاد يقع لهم الا عن ضرورة قطع الاسباب
وفى قراءة النصب اعراب بان غاية الزلزال القول وفى الرفع اعراب عن غاية الزلزال وانه امر مبهم لم يقع فى البواطن والظواهر
حد تلك الظواهر وقوع هذا القول ففى الرفع انبا باشتداد الامر بتاثيره فى ظاهر القول وماوراءه انتهى وهو فى النصب واضح
بان حتى مسلطة على الفعل واما فى الرفع فهى منقطعة عن العمل لانها لم تحمل فيه لمضيه ليذهب النفس فى الغاية كل مذهب
ثم استوقف شى من بيانهما ولما كان معنى الكلام طلب النصر واستبطا الاراجابهم تعالى جابر المنادى فى حال استبعاد النصر بقوله
الا قال الحرالى استفتاحا وتنبيها وجمعا للقلوب للسماع **ان** تاكيدا وتثبيتا **نصر الله** الذى لا سبب له الا العناية فى
ملك الملوك بعد قطع كل سبب من دونه **قريب** لاستغنائه عن عدد ومدد ففى جملته بشرى باسقاط كلفة النصر
بالاسباب والعدد والالات المتبعة والاستغنا بتعلق القلوب بالله ولذلك انما ينصر الله هذه الامة بضعفائها
لان نصرها بتقوى القلوب لا بمدافعة الاجسام فلذلك تفتح فاتحة هذه الامة قسطنطينية الروم بالتسبيح
والتكبير قال صلى الله عليه وسلم انا اذا نزلنا بساحة قوم فسا صباح المنذرين فانعطف ذلك على ما اراده الله بانبيائه
واصفيائه من الصبر الذى لا بد لهذه الامة فاراد منهم الصبر فى كل حال انتهى وفى بعض الاثار انما تفاتلون الناس باعمالكم والحاصل
انه لا يكفى مجرد ادعائهم الدخول فى السلم بل لا بد من اقامة البينة بالصبر على ما يمتحنهم به كما امتحن الامم الخالية والقرون الماضية
فانظر هذا التدريب فى مصاعد التاديب وتامل كيف التفت الى العرب وان كان الخطاب لمن امن فذكر التمييز فى قوله والذين اتقوا
فوقهم يوم القيمة والجنة فى قوله ان تدخلوا الجنة وهم يشكرونها الغاسا كان محقق لا ارتاب فيه فاتنيسا لهم بذكرهما وانظر
ما فى ذلك من بدايع الحكم ولما كانت النفقة من اصول ما بنيت عليه السورة من صفات المومنين ومما زنتا لهم ينفقون
ثم كرر الترغيب فيها فى نفثا عيفا الاى الى ان امر بها فى اول ايات الحج الماضية التفاتا مع انهاس دعائم بدايات الجهاد والى ان
تضمنتها الاية السالفة مع القتل الذى هو نهاية الجهاد وكان هذا موضع السوال عنهما فاخبر تعالى عن ذلك على طريق
النشر المشوش وذلك موبد لما فهمته فى الباسا والضرا ان استعمالها فى القران اكثر من المرتب فقال معلما لمن سال
هل سال المخاطبون بذلك عنهما **يسئلونك ماذا** اى اى شى **ينفقون** من الاموال وقال الحرالى لما كان منزل القران
على نحو متصرف المرء فى الازمان كان انتظام خطابه منزاجا بين خطاب دين يتلقى عن الله وبين اقامة حكم يكون العبد فيه
خليفة الله فى نفاذ امره وبين انفاق يكون فيه خليفة فى ايصال فضله لان الشجاعة والجود خلافة والجبن والبخل عزل عنها
فكان فى طى ما تقدم من الخطاب الاحسان والانفاق وكان حق ذلك ان لا يسال عما ذا ينفق لان المنفق هو الفضل كما قال
صلى الله عليه وسلم يا ابن ادم ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ففى هذا السوال ممن سال نوع تلدد من نحو
ما تقدم لبنى اسرايل فى امر البقرة من تراده المسئلة لمن فادت الصديق رضى الله عنه حين اتى بماله كله ولا اسناد فى
عمر رضى الله عنه حين اتى بشطر ماله ولا اسناد فى سعد بن الربيع حين خرج لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما عن شطر ماله

واحدى وحجبه فكان فى هذا السوال اظهار مثل الذين خلوا من قبلهم ولولا ان الله رحيم لكان جوابهم ينفقون الفضل فكان يقع
واجبا ولكن الله لطف بالضعيف لضعفه وابتدا الانفاق وابهم قدره وتعرض لترتيب المنفق فيهم لان اقرب المرء البخل فان انفق
كان ابتداوه فى نكس الانفاق بان يتصدق على الاجانب مع حاجة من الاقارب فقال تعالى خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم واعراضا
منه عن السايلين لما فى السوال من التبلد الاسرايلى انتهى فقال **قل ما انفقتم من خير** فعم المنفق منه وهو كل مال بعد ونه خيرا
وخص المصرف مبينا انه اهم لان النفقة لا يعتد بها الان تقع موقعها فقال **فللوالدين** لانهما اخرجاه الى الوجود فى عالم الاسباب
والاقربين لما لهم من الحق المؤكد بانهم كالجزء لما لهم من قرب القرابة **واليتامى** لتعرضهم للضياع لضعفهم وقال الحرالى لانهم اقارب
بعد الاقارب باليتم الذى اوجب خلافة الغير عليهم انتهى **والمساكين** لمشاركتهم للايتام فى الضعف وقد يتهم فى الجملة على
نوع كسب وهم المتعرضون لغيره والمستترون الذين لا يفطن لهم ولا يجدون ما يغنيهم شرعا ولغة نبويه انتهى **وابن السبيل**
لضعفه بالغربة والاية محكمة لحمل ما فيها على مال لا يعارض غيرها ولما خص من ذكر عم وبشر بقوله **وما تفعلوا من خير** اى مما يعد
خيرا من عين او معنى من هذا او غيره مع هولاء او غيرهم **فان الله** المحيط علما وقدرة بكل شى ولما كان فى مقام الترغيب والترهيب
لكونه وكل الامر الى المتقين وكان بحانه عظيم الرفق بهذه الامة اكد علمه بذلك تقدم الظرف اشارة الى ان له غاية النظر الى اعمال
الخبيثة فقال **به عليم** اى بالغ العلم وهو اولى من جاذى على الخير وقال الحرالى ختم بالعلم لاجل دخول الخلل على النيات فى الانفاق
لانه من اشد شى تتباهى به النفس فيكاد لا يسلم لها منه الا ما لا تعلمه شمالها لما التى هى التفاتها وتباهيها وتحقق فيمنها التى
هى صدقها واخلاصها انتهى ولما اخبروا بما سالوا عنه من احدى الخصلتين المتضمنتين لاية الزلزال كان ذلك موضع السوال
عن الاخرى فاجيبوا على طريق الاستئناف بقوله **كتب** وقال الحرالى لما التئت حكم الحج بالحرب تداخلا بالاشتراكهما وكما تقدم
تاسيس فرض الحج فى اية من فرض فيهن الحج انتظر بركتب القتال والفرض من الشى ما ينزل بمنزلة الجزء منه والكتب ما حوز بالشى
فصار كالوصلة فيه كما جعل الصوم لان فى الصوم جهاد النفس كما ان فى القتال جهاد العدو ويجرى ما شانه المداخلة بمعنى
الكتب وما شانه العمل الايتال بمعنى الفرض وهما معنيان مقصودان فى الكتاب والسنة يحق العناية بتفهمهما لنزل
كل من القلب فى محله ويختص النية فى كل واحد على وجهه وقد كان من اول منزله اى القتال اذن للذين يقاتلون فكان الاول
اذنا لمن شانه المدافعة عن الدين بداعية من نفسه من نحو ما كانت الصلاة قبل الفرض واقعة من اهل اليقين بداعية
من جهتهم لربهم ورغبتهم فى الخلوة به والانس بمناجاته فالذين كانت صلاتهم حبا كان الخطاب لهم بالقتال اذنا لتلقفهم له
الله ورغبتهم فى بذل انفسهم لله الذين كان ذلك حالهم يطلبون الوفا برحبا للقا ربهم بالموت كما احبوا القا ربهم
بالصلاة حين عقلوا وايقنوا انه لا راحة لمومن الا فى لقا ربه فكان من علم لقا ربهم بالصلاة فى السلم وطلب لقا به
بالشهادة فى الحرب فلما اتسع امر الدين ودخلت الاعراب والاتباع الذين لا يحملهم صدق المحبة للقا الله على ابتدار الجهاد
نزل كتبه كما نزل فرض الصلاة استدراكا فقال **كتب عليكم** اى ايها الامة **القتال** وكان فى المعنى راجعا لهذا الصنف
الذين يسئلون عن النفقة ومعنى ذلك انتظمت الاية بما قبلها بتبلدهم فكانهم فى الانفاق تبلدا اسرايليا وبتقاعدهم
عن الجهاد تقاعدا اهل التيه منهم الذين قالوا اذهب انت وربك فقاتلا انتهى **وهو كره** وهو ما يخالف غرض النفس
وهواها ولعله لكونه لما كان خيرا عبر باللام فى **لكم** وهذا باعتبار الاغلب وهو كما قال الحرالى عند المحبين للقا الله من اجل
ما فاتهم النفسهم حتى كان يتنازع الرجل منهم فى ان يقف فيقسم على الذى يمسكه ان يدعو للشهادة قال بعض التابعين
لقد ادركنا قوما كان الموت لهم اشهى من الحياة عندكم اليوم وانما كان ذلك لما خربوه من دنياهم وعمروه من اخراهم له
فكانوا يحبون التنقل من الخراب الى العمار انتهى ولما كان مكروها لما فيه على المال من المونة وعلى النفس من المشقة وعلى
الروح من الخطر من حيث الطبع شهيا لما فيه من الوعد باحدى الحسنيين من حيث الشرع اشار الى ذلك بجمله حالية فقال
وعسى ان وسيانى ان شا الله تعالى فى سورة برائة من شرح معانى عسى ما يوضح ان المعنى وحالكم جديرة وخليقة
لتعظيم علم العواقب عنكم بان **تكرهوا شيئا** اى كالغزو وتعرضوا عنه لظنكم انه شر لكم **وهو** اى والحال انه **خير لكم**
لما فيه من الظفر والغنيمة او الشهادة والجنة فانكم لا تعلمون والذى كلفكم ذلك عالم بكل شى غير محتاج الى شى وما
كلفكم ذلك الا لنفعكم قال الحرالى فشهد لهم بما لم يشهد وا مشهد المومنين الذين يشاهدون غيب الايمان له
كما يشهدون عين الحس كما قال ثعلبة كانى الى اهل الجنة فى الجنة ينعمون والى اهل النار فى النار يعذبون
ولم يبرم لهم الشهادة ولكن ناطها بكلمة عسى لما علم من ضعف قبول من خاطبه بذلك وفى اعلامه الزام بتنزل
العلى للادنى رتبة لما اظهر هذا الخطاب من تنزل الحق فى مخاطبة الخلق الى حد مجاوزة المرفق فى الخطاب
انتهى ولما رغبهم سبحانه فى الجهاد بما فى رجائهم فيه من الخير رهبهم من القعود عنه بما يخشى فيه من الشر قال الحرالى فانه
ان المتقاعد لم فى تقاعده افات وشر فى الدنيا والاخرة ليس انه لا ينال خير الجهاد فقط بل وينال شر التقاعد والتخلف
انتهى فقال تعالى **وعسى ان تحبوا شيئا** اى كالقعود فتقبلوا عليه لظنكم انه خير لكم **وهو** اى والحال انه **شر لكم** لما
فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والاجر وليس احد منكم الا قد جرب مثل ذلك مرارا فى امور دنياه فاذا صح

شعر

ذلك في فرد فرد صار كل شيء كذلك في امكان خيريته وشريته فوجب ترك الهوى والرجوع الى العلم المنزه عن الغرض ولذلك قال
عاطفا على ما تقديره فالله قد حجب عنكم سر التقدير والله اي الذي له الاحاطة الكاملة يعلم اي له علم كل شيء وقد اخبركم في
صدر هذه الامر انه رءوف بالعباد فهو لا يامركم الا بخير وقال الحرالي شهادة بحق العلم يرجع اليها عند الاغتيا في تنزل الخطاب
انتهى والاية من الاحتباك ذكر الخير اولا دال على حذفه ثانيا وذكر الشر ثانيا دال على حذف مثله اولا ولما اثبت سبحانه
وعلا شأنه العلم لنفسه نفاه عنهم فقال وانتم لا تعلمون اي ليس لكم من انفسكم علم وانما عرض لكم ذلك من قبل ما علمكم
فتوبوا وبادروا الى كل ما يامركم به وان شق وقال الحرالي فنفى العلم بكلمة لا اي التي هي الاستقبال حتى تفيد دوام الاستصحاب
وما اوتيهم من العلم الا قليلا قال من حيث رتبة هذا الصنف من الناس من الاعراب وغيرهم واما المومنون اي الراسخون فقد
علمهم الله من علمه فعلموا ان القتال خير لهم وان التخلف شر لهم انتهى حتى ان علمهم ذلك افاض على السنتهم ما يفيض الدموع
ويثير القلوب حين شاورهم النبي صلى الله عليه وسلم في التوجه الى غزوة بدر فقام ابو بكر رضي الله عنه فقال واحسن ثم قام
عمر رضي الله عنه فقال واحسن ثم قام المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال يا رسول الله امض لما اراك الله فنحن معك والله لا نقول
لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون
فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا
ودعا له ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس فقال له سعد بن معاذ الانصاري رضي الله عنه
والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال لقد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على
ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر في الحرب صدق في اللقاء
لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ولما اخبرهم سبحانه بايجاب القتال عليهم مرسلا في جميع الاوقات
وكان قد امرهم فيما مضى بقتلهم حيث ثقفوهم ثم قيد عليهم في القتال في المسجد الحرام كان بحيث يسأل هنا هل الامر في الحرم
والحرام كما مضى ام لا وكان المشركون قد لبسوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتلوا فيها من الكفار عمرو بن الحضرمي الى التعدي بالقتال
في الشهر الحرام واشتد تعييرهم لهم به فكان موضع السؤال هل سالوا اعاعيرهم به الكفار من ذلك فقال مخبرا عن سؤالهم مبينا
لحالهم يسألونك اي اهل الاسلام لا سيما اهل سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنهم عن الشهر الحرام فلم يعين الشهر
وهو رجب ليكون اعم وسمي الحرام لتعظيم حرمتها حتى حرموا القتال فيها فابهم المراد من السؤال ليكون للنفس به التفات
ثم بينه ببدل الاشتمال بقوله قتال فيه ثم امرهم بالجواب في قوله قل قتال فيه اي قتال كان فالمسوغ العموم ولما كان
مطلق القتال فيه في زعمهم لا يجوز حتى ولا لمستحق القتل وكان في الواقع القتال عدوانا فيه اكبر منه في غيره قال كبير اي في
الجملة ولما كان من المعلوم ان المومنين في غاية السعي في تسهيل سبيل الله فليسوا من الصد عنه ولا من الكفر في شيء لم
يشكل ان ما بعده كلام مبتدأ هو للكفار وهو قوله وصد اي صد كان عن سبيل الله اي الملك الذي له الامر كله الذي
هو دينه الموصل اليه اي الى رضوانه او البيت الحرام فان النبي صلى الله عليه وسلم سمي الحج سبيل الله قال الحرالي والصد
صرف الى ناحية باعراض ونكوه والسبيل طريق الجادة السابلة عليه الظاهر لكل سالك منهجه وكفر به اي كفر كان
اي بالدين او بذلك الصد اي بسببه فانه كفر اي كفرهم وحذف الخبر لدلالة ما بعده عليه دلالة بينة لمن امعن النظر
وهو اكبر اي من القتال في الشهر الحرام والتقييد فيما ياتي بقوله عند الله يدل على ما فهمته من ان المراد بقوله كبير في زعمهم
وفي الجملة لانه من الكبائر ولما كان قد تقدم الاذن بالقتال في الشهر الحرام وفي المسجد الحرام بشرط كما مضى كان مما يوجب
السؤال عن القتال فيه في الجملة بدون ذلك الشرط او بغيره تشوفا للاطلاق لا سيما والسرية التي كانت سببا لنزول
هذه الاية وهي سرية عبد الله بن جحش كان الكلام فيها كما رواه ابن اسحق عن الامرين كليهما فانه قال انهم لقوا الكفار
الذين قتلوا منهم واسروا واحدا واعيرهم في اخر يوم من رجب فهابوهم فلطفوا لهم حتى سكنوا فغشيا ودوا في امرهم
وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فترددوا ثم شجعوا انفسهم
ففعلوا ما فعلوا فعيرهم المشركون بذلك فاشتد تعييرهم لهم واشتد قلق الصحابة رضوان الله عليهم لا سيما اهل
السرية من ذلك ولا شك انهم اخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بكل ذلك فاجابهم له على هذه الصورة كاف في علم
سؤالهم فضلا عن دلالة ما مضى على التشوف الى السؤال عنه لما كان ذلك قال تعالى والمسجد اي ويسألونك عن المسجد
الحرام اي الحرم الذي هو للصلاة والعبادة بالخضوع لا لغير ذلك قتال فيه قل قتال فيه كبير عندكم على نحو ما مضى ابدا
قابلا واخراج كما ابتدأ قوله وصد عن سبيل الله وقال اهله اي المسجد الذين كتبه الله لهم في القدم وهم اولى الناس به
منه اي المسجد اكبر اي من القتال في الشهر الحرام خطا وبناء على الظن والقتل فيه عند الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما
فقد صدق في كل جملة ما دل عليه ما ثبت في الاخرى فهو من وادي الاحتباك وسر ما صنع في هذا الموضع من الاحتباك
انه لما كان القتال في الشهر الحرام قد وقع من المسلمين حين هذا السؤال في سرية عبد الله بن جحش ابرز السؤال عنه والجواب

وما كان

وما كان الصد عن سبيل الله الذي هو البيت والكفر الواقع بسببه لم يقع وسيقع من الكفار عام الحديبية اخفى خبره
وقدره ولما كان الاخراج قد وقع منهم ذكر خبره واظهره فاظهر سبحانه ما ابرزه على يد الحدثان واضمر ما اضمره في صدر الزمان
وصرح بما صرح به لسان الواقع ولوح الى ما لوح اليه صادم الفتح القاطع والله الهادي والمراد بالمسجد الحرام الحرم كله قال الماوردي
من اصحابنا كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم الا قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام فان المراد به الكعبة
نقله عنه ابن الملقن وقال غيره انه يطلق ايضا على نفس مكة مثل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام فان في بعض
طرق البخاري فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست الى ان قال ثم اخذ بيدي
وعرج بي الى السماء ويطلق ايضا على نفس المسجد نحو قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس
سواء العاكف فيه والبادي ولما كان كل ما تقدم من امر الكفار فتنة كان كانه قيل اكبر لان ذلك فتنة والفتنة اي بالكفر
والتكفير بالصد والاخراج وسائر انواع الاذى التي يرتكبونها باهل الله في الحرم والاشهر الحرم اكبر من القتل ولو كان في
الشهر الحرام لان همه يزول وغمها يطول ولاجل خوف الفتنة بانواع الاهانة احتمل الصحابة رضي الله عنهم الخروج من
مكة بالهجرة واقدموا عليها كما كانوا يقدمون على القتل التي هي اكبر منه وما لان احد منهم بشيء من ذلك للردة ولم يعبر هنا
باشد ولما كان التقدير وقد قتلوكم وقاتلوكم وكان الله سبحانه عالما بانهم ان تراخوا في قتالهم ليتركوا الكفر لم يتراخوا هم في
قتالهم ليتركوا الاسلام وكان اشد الاعداء من اذا تركته لم يتركك قال تعالى عاطفا على ما قدرته ولا يزالون اي الكفار
يقاتلونكم اي يجددون قتالكم كلما لاحت لهم فرصة ولما كان قتالهم انما هو لتبديل الدين الحق بالباطل علله تعالى بقوله حتى ولكنهم
كانوا يعدون انه هين عليهم لقلة المسلمين وضعفهم بصورة ثابتة لابد من انتهائهم اليها تدل على ذلك بالتعبير باداة
الغاية يردوكم اي كافة ما بقي منكم واحد عن دينكم الحق ونبه على انه حتى تعليليه بقوله تخوفا من التواني عنهم تكسيحا لكم
لبدهم ملهبا للاخذ في الحذر منهم وان كان ليستجر بانهم لا يستطيعون ان استطاعوا اي الى ذلك سبيلا فانتم احق بان
لا تزالوا كذلك لانكم قاطعون بانكم على الحق وانتم منصورون وانهم على الباطل وهم مخذولون ولابد وان طال المدى لاعتمادكم
على الله واعتمادهم على قوتهم ومن وكل الى نفسه ضاع فالامر الذي بينكم وبينهم اشد من الكلام فينبغي الاستعداد له بعدته
والتأهب له باهبته فضلا عن ان يلتفت الى التأثر بكلامهم الذي توجهه اليهم الشياطين طعنا في الدين وصدا عن السبيل
وسببهم الى اصلوا عليها دينهم ولا اصل لها وفي الاية اشارة الى ما وقع من الردة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لان
القتال على الدين لم ينقض الا بعد الغزو من امرهم قال الحرالي الاستطاعة مطاوعة النفس في العمل واعطاؤها الا نقياد
فيه ثم قال فيه اشعار بان طائفة ترتد عن دينها وطائفة تثبت لان كلام الله لا يخرج في بثه واشتراطه الا لمعنى واقع
بنحو ما ويوضحه تصريح الخطاب في قوله ومن يرتدد الى اخره وهو من الردد وهي الردة وهو كف بكره لما شانه الاقبال
بوثوق انتهى وكان صيغة الانفعال لمؤونته بالتكليف والعلاج اشارة الى ان الدين لا يرجع عنه الا باكراه النفس لما في مفارقة
الالف من الالم وادغام القراء على الغلة هنا للاشارة الى ان الحبوط مشروط بالكفر ظاهرا باللسان وباطنا بالقلب
لموبيخ بالعفو عن نطق اللسان مع طمانينة القلب واشارت قراءة الادغام في المائدة الى ان الصبر ارفع درجة من الاجابة
باللسان وان كان القلب مطمئنا ولما احاطهم سبحانه باضافة الدين اليهم بانهم يريدون سلبهم ما اختاروه لانفسهم
لخفيته وردهم فيه الى ما رغبوا عنه لبطلانه حرك هممهم من التراخي عنهم حتى يصلوا الى ذلك فقال ومن يرتدد منكم اي
بفعل ما يقصد به من الردة عن دينه وعطف على الشرط قوله فيمت اي يتعقب ردته انه يموت وهو اي والحال
انه كافر ولما افرد الضمير على اللفظ نصا على كل فرد فرد جمع لان احزان الجمع احزان لكل فرد منهم ولا عكس وفيه تعظيم السبب
اعلاما بان سوء اعمالهم هو السبب في وبالهم فقال فاولئك البعداء البغضاء حبطت اعمالهم اي بطلت معانيها ولم
تبق صورها من حبط الجرح اذا برا وبقي اثره وقال الحرالي من الحبط وهو فساد في الشيء الصالح ياتي عليه من وجه يظن به
صلاحه وهو في الاعمال بمنزلة البطح في الشيء القائم الذي يتحلل عن قيامه كذلك الحبط في الشيء الصالح يفسده عن وهم
صلاحه في الدنيا بزوال ما فيها من روح الانس بالله ولطيف الوصلة به وسقوط اضافتها اليهم الا مقرونة ببيان
حبوطها فقد بطل ما كان لها من الاقبال من الحق والتعظيم من الخلق والاخرة بابطال ما كان يستحق عليها من الثواب
بصادق الوعد ولما كانت الردة ابلغ انواع الكفر كرر المنادى بالبعد على اهلها فقال واولئك اصحاب النار نزلا
بالصحبة على انهم احق الناس بها وانهم غير منفكين منها ولما كانوا كذلك كانهم المختصون بها دون غيرهم لتبلغ ما لهم فيها من
السفول الى حد لا يوازيه غيره فتكون لذلك الحطة لهم بالايام من غيرهم فقال تقريرا للجملة التي قبلها هم فيها خا لدون
اي مقيمون اقامة لا اخر لها وهذا الشرط ملوح الى ما وقع بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم من الردة لان الله سبحانه اذا
ساق شيئا مساق الشرط اقتضى انه سيقع شيء منه فيكون المعنى ومن يرتد فيثبت عن ردته فقبيل الله عليه كما وقع لاكثرهم
وكان التعبير بما قد يفيد الاختصاص اشارة الى ان عذاب غيرهم عدم بالنسبة الى عذابهم لان كفرهم افحش انواع الكفر
ولما بين سبحانه المقطوع لهم من النار بين الذين هم اهل لرجاء الجنة ليلا يزال العبد هاربا من موجبات النار ومقبلا

على رحبات الجنة خوفا من ان يقع فيما يسقط رجاه وقال الحرالى لما ذكر امر المترددين ذكر امر الثابتين انتهى فقال **ان الذين آمنوا** اى اقروا
بالايمان ولما كانت الهجرة التى هى فراق المألوف والجهاد الذى هو المخاطرة بالنفس فى مفارقة وطن البدن والمال فى مفارقة وطن
النعمة اعظم الاشيا على النفس بعد مفارقة وطن الدين كرر لهما الموصول اشعارا باستحقاقهما للاصالة فى انفسهما
فقال موكدا للمعنى بالاخراج فى صيغة المفاعلة **والذين هاجروا** اى اوقعوا المهاجرة بان فارقوا بغضا ونفرة الضد بغادة
لانزارهم بذلك ديارهم ومن خالفهم فيه من اهليهم واحبابهم قال الحرالى من المهاجرة وهو مفاعلة من الهجرة وهو التخلى عما شانه
الاغتباط به لمكان ضر منه **وجاهدوا** اى واوقعوا المجاهدة مفاعلة من الجهد فتحا وضما وهو الابلاغ فى الطاقة والمشقة
فى العمل **فى سبيل الله** اى دين الملك الاعظم كل من خالفهم **اولئك** العالو الرتبة العظيمو الزلفى والقربة ولما كان اجرهم
انما هو من فضل الله قال **يرجون** من الرجا وهو ترقب الانتفاع بما تقدم له سبب ما قاله الحرالى ولما كان الانسان محل النقصان
فهو لا يزال فى فعل ما ان اوخذ به هلك قال مشيرا الى ذلك مبشرا بسعة الحلم فى جملة حالية من واو يرجون ويجوز ان يكون عطفا
على ما تقديره ويخافون عذابه فالله مستو عظيم **رحمة الله والله** اى الذى له صفات الكمال **غفور** اى ستور لما فرط منهم من
الصغائر او ثار بواعثه من الكبائر **رحيم** فاعل بهم فعل الراحم من الاحسان والاكرام والاستقبال بالرضى قال الحرالى وفى الختم له
بالرحمة ابدا فى خواتم الاى اشعار بان فضل الله فى الدنيا والاخرة ابدا افضل ليس فى الحقيقة جزاء العمل كما يرحم العبد طفلا
ابتدا برحمه كهلا انتهاء ويبتديه برحمته فى معاده كابتداءه برحمته فى ابتداءه انتهى بالمعنى ولما كان الشراب مما اذن فيه
فى ليل الصيام وكان غالب شرابهم النبيذ من التمر والزبيب وكانت بلادهم حارة فكان ربما اشتد فكان عايقا عن العبادة
لا سيما الجهاد لان السكران لا ينتفع به فى راى ولا بطش ولم يكن ضروريا فى اقامة البدن كالطعام اخر بيانه الى ان فرغ مما
هو اولى منه بالاعلام وختم الايات المتخللة بينه وبين ايات الاذن بما يدراها به من الجهاد وما ذكر معه فى محل الرجا للرحمة
فاقتضى الحال السوال هل سالوا عن اهول الهول وامهات الخبايث فقال معلما بسوالهم عنه مبينا لما اقتضاه الحال
من حكمة تبنى ما مضاه على الاباحة المحضة **يسئلونك عن الخمر** الذى هو احد ما غنمه عبد الله بن جحش رضى الله عنه فى
سريته التى انزلت الايات السالفة بسببها قال الحرالى وهو مما منه الخمر بفتح الميم وهو ما وارى من شجر وغيره فالخمر بالسكون
فيما يستبطن بمنزلة الخمر بالفتح فيما يستظهر كان الخمر وارى ما بين العقل المستبصر من الانسان وتصيبه البهائم وهى ما اسكر
من اى شراب كان سواء فيه القليل والكثير **والميسر** قال الحرالى اسم مقامرة كانت الجاهلية تعمل بها لقصد انتفاع الضعفا
وتحصيل طعم المغالبة انتهى وقرنهما لتجانسهما فى الضرر بالجهاد وغيره باذهاب المال مجانا عن غير طيب نفس مع ما ينشأ
بحائز من المواخاة بينهما هنا وفى المائدة وان كان اقتصر هنا على ضرر الدين وهو الاثم لانه اس يتبعه كل ضرر فقال فى الجواب
قل فيهما اى فى استعمالهما **اثم كبير** لما فيهما من المساوى المنابذة لمحاسن الشرع من الكذب والشتم وزوال العقل واستحلال
مال الغير فهذا اثبت للتحريم باثبات الاثم ولانهما من الكبائر قال الحرالى فى تراقى انبا الموحش والمثلثة انبا عن مجموع الامرين
من كبر المقدار وكثرة العدد وواحد من هذين مما يصد ذا الطبع الكريم والعقل الرصين عن الاقدام عليه بل يتوقى عن الاثم
الصغير القليل فكيف عن الكبير الكثير انتهى **ومنافع للناس** بربحهم لهما لاجلهما من التجارة فى الخمر واللذة بشربها ومن اخذ
المال الكثير فى الميسر وانتفاع الفقرا او سلب الاموال والافتخار على الابرام والتوصل بهما الى مصادقة الفتيان ومعاشرتهم
والنيل من مطاعمهم ومشاربهم وعطاياهم ودر المفاسد مقدم فكيف **واثمهما اكبر من نفعهما** وفى هذا كما قال الحرالى
تنبيه على النظر فى تفاوت الخير والشر انتهى قال ابو حاتم احمد بن حمدان الرازى فى كتاب الزينة وقال بعض اهل
المعرفة والنفع الذى ذكر الله فى الميسر ان العرب فى الشتاء الجدب كانوا يتقامرون بالقداح على الابل ثم يجعلون
لحومها لذوى الفقر والحاجة فانتفعوا واعتدلت احوالهم قال الاعشى فى ذلك المطعموا الضيف اذا ما شتوا والجاعلو
القوت على الياسر انتهى وقال غيره وكانوا يدفعونها للفقرا ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه
ويسمونه البرم وبيان المراد من الميسر عزيز الوجود مجتمعا وقد استقصيت ما قدرت عليه منه انهما المقابلة
قال المجد الفيروزابادى فى قاموسه والميسر اللعب بالقداح يسر ييسر او الجزور التى كانوا يتقامرون عليها او النرد او
كل قمار انتهى وقال كتاب صاحب الزينة وجمع الياسر يسر وجمع اليسر ايسار فهو جمع الجمع مثل حارس وحرس واحراس
والقمار كل مراهنة على غرر محض وكانه ماخوذ من القمر الليل لانه يزيد مال المقامر تارة وينقصه اخرى كما يزيد القمر
وينقص وقال ابو عبيد الهروى فى الغريبين وعبد الحق الاشبيلى فى كتابه الواعى قال مجاهد كل شى فيه قمار فهو
الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وفى تفسير الاصبهانى عن الشافعى ان الميسر ما يوجب دفع مال او اخذ مال فاذا خلا
الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان والصلاة عن النسيان لم يكن ميسرا وقال الازهرى الميسر الجزور الذى
كانوا يتقامرون عليه سمى ميسرا لانه يجزا اجزا فكانه موضع التجزية وكل شى جزاته فقد يسرته والياسر الجازر
لانه يجزى لحم الجزور وقال وهذا الاصل فى الياسر ثم يقال للضاربين بالقداح والمتقامرين على الجزور ياسرون
لانهم جازرون اذا كانوا سببا لذلك ويقال يسر القوم اذا قامروا ورجل يسر وياسر والجمع ايسار والقزاز فانت

بايسر

ياسر وهو ميسور وجمع المفعول مياسير يعنى الجزور وايسار جمع يسر ويسر جمع ياسر وقال القزاز واليسر القوم الذين
يتقامرون على الجزور واحدهم ياسر كما تقول غايب وغيب ثم يجمع اليسر فيقال ايسار فيكون الايسار جمع الجمع ويقال
للضارب بالقداح يسر والجمع ايسار ويقال للنرد ميسر لانه يضرب عليها كما يضرب على الجزور ولا يقال ذلك فى الشطرنج
لمفارقتها ذلك المعنى وقال عبد الحق فى الواعى والميسر موضع التجزية ابو عبد الله كان امر الميسر انهم كانوا يشترون
جزورا فينحرونها ثم يجزونها اجزا قال ابو عمرو على عشرة اجزا وقال الاصمعى على ثمانية وعشرين جزا ثم يسهمون عليها بعشرة
قداح لسبعة منها انصبا وهى الفذ والتوام والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى وثلاثة منها ليس لها انصبا
وهى المنيح والسفيح والوغد ثم يجعلونها على يد رجل عدل عندهم يجيلها لهم باسم رجل رجل ثم يقتسمونها على قدر ما
تخرج لهم السهام فمن خرج سهمه من هذه السبعة اخذ من الاجزا حصته كذلك ومن خرج له واحد من الثلاثة فقد اختلف
الناس فى هذا الموضع فقال بعضهم من خرجت باسمه لم ياخذ شيئا ولم يغرم ولكن تعاد الثانية ولا يكون له نصيب
ويكون لغوا وقال بعضهم بل يصير ثمن الجزور كله على اصحاب هولا الثلاثة فيكونون مقمورين وياخذ اصحاب السبعة
انصباهم على ما خرج لهم فهولا الياسرون قال ابو عبيد ولم اجد علماءنا يستقصون علم معرفة هذا ولا يدعونه ورايت
ابا عبيدة اقلهم ادعاء له قال ابو عبيد وقد سالت عنه الاعراب فقالوا لا علم لنا بهذا لان هذا شى قد قطعه الاسلام
منذ جا فلسنا ندرى كيف كانوا ييسرون قال ابو عبيد وانما كان هذا منهم فى اهل الشرف والثروة والجدة انتهى
ولعل هذا سبب تسميته ميسرا وقال صاحب الزينة فالتى لها الغنم وعليها الغرم اى من السهام يقال لها موسومة
لاجل الفروض فانها بمنزلة السمة ويكون عدد الايسار سبعة انفس ياخذ كل رجل قدحا وربما نقص عدد الرجال عن
السبعة فياخذ الرجل منهم قدحين فاذا فعل ذلك مدح به وسمى متمم الايادى قال النابغة انى اتمم ايسارى وامنحهم
مثنى الايادى واكسو الجفنة الادما وقال ويقال للذى يضرب بالاقداح حرضة وانما سمى بذلك لانه رجل محل لا يدخل
مع الايسار فى شى من امورهم قال له البرم ويجمع القداح فى جلدة وقال بعضهم فى خرقة وتسمى تلك الجلدة الربابة
بكسر الرا المهملة وهو حدثين ثم يجمع اطرافها ويجعل بينها ويكسى يده اديما لكيلا يجد مس قدح له فيه راى ويشد عيناه
ويجمع اصابعه عليها ويحيلها لمينة الضغث ثم يضرب رؤسها بحاق راحته فلما طلع من الربابة كان فايزا له
وقال غيره تكون الربابة شبه الخريطة يجمع فيها القداح ثم يولى الحرضة ان يجيلها فمنها ما يعرض فى الربابة ولا يخرج
ومنها ما لا يعرض فيطلع فذاك يكون فايزا ويقعد رجل امين على الحرضة يقال له الرقيب ويقال للذى يضرب
بالقداح مفيض والافاضة الدفع وهو ان يدفعها دفعة واحدة الى قدام ويجعلها تخرج منها قدح وكذلك الافاضة
من عرفة هو الدفع منها الى جمع انتهى قال فى القاموس كانوا اذا ارادوا ان ييسروا اشتروا جزورا نسيئة ونحروه
قبل ان ييسروا وقسموه ثمانية وعشرين قسما او عشرة اقسام فاذا خرج واحد واحد باسم رجل ظهر فوز من خرج
لهم ذوات الانصبا وغرم من خرج له الغفل انتهى وقال عبد الغافر الفارسى فى مجمع الغرايب الياسر هو الضارب
فى القدح وهو من الميسر وهو القمار الذى كان اهل الجاهلية يفعلونه وكانوا يتقامرون على الجزور او غيره
ويجزونه اجزا ويسهمون عليها مثلا بعشرة لسبعة منها انصبا وهى القداح ثم يخرجون ذلك فمن خرج سهمه من
السبعة اخذ حصته ومن خرج له واحد من الثلاثة لم ياخذ شيئا ولهم فى ذلك مذاهب ما عرفها اهل الاسلام
ولم يكن احد من اهل اللغة على ثبت فى كيفية ذلك انتهى هذا ما قالوه فى مادة يسر وقد نظمت اسما القداح
تسهيلا لحفظها فى قولى الفذ والتوام والرقيب والحلس والنافس ياضريب ومسبل مع المعلى عدوا ثم منيح وسفيح
وغد واما ما قالوه فى مادة كل اسم منها فقال فى القاموس الفذ اى بفتح الفا وتشديد الذال المعجمة اول سهام
الميسر والتوام اى بفتح الفوقانية المبدلة من الواو واسكان الواو وفتح الهمزة وزن كوكب سهم من سهام الميسر او ثانيها
والرقيب امين اصحاب الميسر او الامين على الضريب والثالث من قداح الميسر وقال فى مادة ضرب والضريب الموكل
بالقداح او الذى يضرب بها كالضارب والقدح الثالث وقال فى الجمع بين العباب والمحكم والرقيب الحافظ ورقيب
القداح الامين على الضريب وقيل هو امين اصحاب الميسر وقيل هو الرجل الذى يقدم خلف الحرضة فى الميسر ومعناه
كله سوا وانما قيل للعيوق رقيب الثريا تشبيها برقيب الميسر والرقيب الثالث من قداح الميسر وفيه ثلثة
فروض وله غنم ثلثة انصبا ان فاز وعليه غرم ثلثة ان لم يفز وقال فى مادة ضرب وضرب بالقداح والضريب الموكل بالقداح
وقيل الذى يضرب بها قال سيبويه فعيل بمعنى فاعل والضريب القدح الثالث من قداح الميسر قال اللحيانى وهو
الذى يسمى الرقيب قال وفيه ثلثة فروض وله ثلثة اجزا اى الرقيب وقال فى القاموس والحرضة اى بضم المهملة واسكان
المهملة ثم معجمة امين المقامرين والحلس بكسر المهملة واسكان اللام ثم مهملة وككتف الرابع من سهام الميسر
والنافس بنون وفا مكسورة ومهملة اسم فاعل خامس سهام الميسر ومسبل اى بسين مهملة وموحدة قال بوزن
محسن السادس او الخامس من قداح الميسر وقال فى مجمع البحرين وهو المصفح ايضا يعنى بفتح الفا والمعلى كمعظم

سابع سهام الميسر والمنيح كامير اى بنون واخره مهملة قدح بلا نصيب لسفيح اى بوزنه وبمهملتين فا واحدة مهملة قدح من الميسر لا نصيب له والوغد اى بمعجمة ثم سكون المعجمة ثم مهملة الاحمق الضعيف الرذل الدنى وقدح لا نصيب له وقال صاحب الزينة وكانوا يبتاعون الجزور ويضمنون ثمنه ثم يضربون بالقداح عليه ثم يجزونه ويقسمونه عشرة اجزا على ما حكاه صاحب اللغة ثم يجيلون عليها القداح فان خرج المعلى اخذ صاحبه سبعة انصبا وبرى من الغرم ثم يجيلون عليها ثانيا فان خرج الرقيب اخذ صاحبه ثلثة انصبا وبرى من الغرم ونفدت اجزا الجزور وغرم الباقون على عدد انصبائهم ثمن صاحب الفذ نصيبا واحدا وصاحب التوام نصيبين نحو ذلك يقسمون الغرم بينهم وذكر عن الاصمعي انه قال كانوا يقسمون الجزور على ثمانية وعشرين جزا للفذ جز وللتوام جزان والرقيب ثلثة اجزا نحو هذا حتى تبلغ ثمانية وعشرين جزا وخالفه في ذلك اكثر العلما وخطاوه وقالوا ان كان ذلك كذلك واخذ كل قدح نصيبه لم يبق هنالك غرم فلا يكون اذا قامر ولا مغمور من اجل ذلك قالوا لاجزا الجزور اعشارا لانها عشرة اجزا قال امرو القيس وما ذرفت عيناك الا لتضربي بسهميك في اعشار قلب مقتل جعل القلب بدلا لاجل اعشار الجزور وجعل للعين مثلا للقدحين اى سهميك فيه تفاوت بهما يفوز صاحب المعلى والرقيب باعشار الجزور ويحوى عليها انتهى وقال القزاز في [illegible] من ديوانه والتوام احد قداح الميسر وهو الثاني منها وانما سمي توأما بما عليه من الخطوط وعليه خطان وله من انصبا الجزور نصيبان وان لم تخرج انصبا الجزور وغرم من خرج له التوام نصيبين وذلك انها عشرة قداح اولها الفذ وعليه فرض وله نصيب والثاني التوام وعليه فرضان وله نصيبان والثالث الرقيب وعليه ثلثة فروض وله ثلاثة انصبا والرابع الحلس وعليه اربعة فروض وله اربعة انصبا والخامس النافس وعليه خمسة فروض وله خمسة انصبا والسادس المسبل وعليه ستة فروض وله ستة انصبا والسابع المعلى وعليه سبعة فروض وله سبعة انصبا ومنها ثلثة لا خطوط لها وهي السفيح والمنيح والوغد وربما سموها باسما غير هذه لكن ذكرنا المستعمل منها ههنا ونذكرها باسمائها في مواضعها من الكتاب ان شا الله وهذه التي لا خطوط لها ليس عليها فرض وانما تدخل اغفالا لان الغفل من الدواب الذي لا سمة له وهيئة ما يفعلون في القمار هو ان تنحر الناقة وتقسم عشرة اجزا فتجعل احدى الوركين جزوا والورك الاخرى جزوا والعجز جزا والكاهل جزا والزور وهو الصدر جزا والملحا اى ما بين الكاهل والعجز من الصلب جزوا والكتفان وفيهما العضدان جزان والفخذان جزان وتقسم الرقبة والطفاطف بالسوا على تلك الاجزا وما بقى من عظم او بضعة فهو الريم واصله من الزيادة على الحمل وهي التي تسمى علاوة فياخذه الجازر وربما استثنى بايع الناقة شيا منها لنفسه واكثر ما يستثنى الاطراف والراس فاذا اصلحت الجزور وعلى هذه الهية احضروا رجلا يضرب بها بينهم يقال له الحرضة تشد عيناه ويجعل على يده ثوب لئلا يحس القداح ثم يوتى بخريطة فيها القداح واسعة الاسفل ضيقة الفم قدر ما يخرج منها سهم او سهمان والقداح فيها كفصوص النرد الطوال غير انها مستديرة فتجعل الخريطة على يدى الحرضة ويوتى برجل يجعل امينا عليه يقال له الرقيب فيقال له جلجل القداح فيجلجلها في الخريطة مرتين او ثلثا فاذا فعل ذلك افاض بها وهو ان يدفعها دفعة واحدة فتند من مخرجها ذلك الضيق فاذا خرج قدح اخذه الرقيب فان كان من الثلثة التي لا فروض عليها رده الى الخريطة وقال اعد وان كان من السبعة ذوات الخطوط دفعه الى صاحبه وقال له اعتزل القوم وذلك ان الذين يتقامرون قد اخذ كل واحد منهم قدحا على ما يحب فان كان الذي خرج الفذ اخذ جزا وسلم من الغرم ورد واعاد الحرضة الافاضة وان كان الذي خرج التوام اخذ صاحبه نصيبين واعتزل القوم وسلم من الغرم ايضا وكذا كل واحد منهم ياخذ ما خرج له ويعتزل القوم ويسلم من الغرم فاذا خرج في الثانية قدح اخذ صاحبه ما خرج له وكذا الثالث ياخذ ما خرج له ويعتزل القوم ما لم يستغرق الاول والثاني ايضا الجزور ومثل ان يخرج للاول الرقيب فياخذ ثلثة انصبا ثم يخرج للثاني المعلى فياخذ سبعة انصبا ويغرم الباقون ثمن الجزور او يخرج في الاول الفذ وفي الثاني التوام وفي الثالث المعلى فيذهب ايضا سائر الانصبا ويغرم باقي القوم ثمن الجزور وكذا ما كان مثل هذا فان زادت سهام من خرج له قدح على ما بقى من الجزور غرم له من بقى ما زاد سهمه وذلك مثل ان يخرج للاول المعلى فياخذ سبعة انصبا ثم يخرج للثاني النافس وحظه خمسة وانما بقى من الجزور ثلثة فياخذها ويغرم له الباقون خمسي الجزور وكذا لو خرج للاول النافس اخذ خمسة انصبا ثم خرج للثاني الحلس فاخذ اربعة انصبا وخرج للثالث المعلى اخذ النصيب الذي بقى وغرم له الباقون ثلثة اخماس الجزور وعلى هذا سائر ما يرد اذا تدبرته علمت كيف يجرى جميعه ويغرم القوم ما يلزمهم على قدر سهامهم الباقية يعرضون ما لزمهم على عدد ما في انصبائهم من الفروض وقد ذكر ان العرض جزء ويجزا على عدد ما في القداح من الفروض وهي ثمانية وعشرون جزا ولا معنى لهذا القول لانه يلزم ان لا يكون في هذا قمار ولا فوز ولا خيبة اذ كل واحد يختار لنفسه ما احب من السهام ثم ياخذ ما خرج له ثم لا تتفرغ اجزا الجزور الا بفراغ القداح فلا معنى للتقامر عليها والاول اصح وعليه يدل شعر العرب ودلالة

لان الرجل

لان الرجل ربما اخذ في الميسر قدحين فيفوز باجزا الجزور ومثل ان ياخذ المعلى والرقيب فاذا ضرب الحرضة خرج له احد القدحين ففاز بحظه ثم اذا ضرب الثانية خرج له الاخر فيفوز بسائر الجزور ولو كان الانصبا والسهام على ما ذكروا لم يفز صاحب سهمين بسائر الانصبا الا بخيبتها لا انصبا الا بفراغ القداح ومما يدل على فوز صاحب السهمين له بالكل قول امرئ القيس وما ذرفت عيناك الا لتضربي بسهميك في اعشار قلب مقتل يقول تضرب بسهميها المعلى والرقيب فتحوز القلب كله ومن هذا قول كثير وصف ناقة هزلها السير حتى ذهب لحمها وتوبين من بعض الهواجر والسرى بعد حين فانها من قداح المقعقع يقول هذه الناقة هزلها السير حتى لم يبق من لحمها شي فكانه ضرب عليها بالقداح ففاز منها قدحان فاستوليا على اعشارها وهو الرقيب والمعلى انتهى هكذا ذكر شرح قول كثير ورايت على حاشية نسخة من كتابه ما لعله اليق وذلك انه قال في شطر بها فضل على الابل في سيرها بعد نقض الهواجر والسرى لصبرها وكرمها وشبهها بفضل رجل فاز قدحه مرتين على قداح اصحابه والمقعقع هو الذي يجيل القداح انتهى وهو اقرب مما قال لان قوله تؤبين بعد حين فائزا ظاهر في ان القدحين لها وانهما هي الفائزة والله الموفق هذا وقوله لا معنى للتقامر عليها على تقدير التجزية بثمانية وعشرين ليس كذلك بل يظهر ثمرته في التفاوت في الانصبا وذلك بان يكون السهام وهي القداح عشرة فانه لما قال ان الاجزا تكون ثمانية وعشرين لم يقل انها على عدد السهام حتى تكون السهام ثمانية وعشرين بل قال انها على عدد الفروض التي في السهام وقد علم انها عشرة وقد صرح صاحب الزينة وغيره عن الاصمعي كما مضى وهو ممن قال بهذا القول فحينئذ من خرج له المعلى مثلا اخذ سبعة انصبا من ثمانية وعشرين فيكون له حظا ممن خرج له ما عليه ستة فروض مما فوقها وقوله في الرجل انما اخذ قدحين الى اخره يبين وجها اخر في التفاوت وهو ان الرجل ربما خرج له سهم واحد لاعتراض السهام ونحوها عن سمت الاستقامة حال الخروج وربما خرج له سهمان او ثلثة في افاضة واحدة لاستقامة السهام واعتدالها للخروج ففاز بمعظم الجزور وذلك بان تكون الرجال اقل من السهام وربما خرج له اكثر من ذلك مع الوفا للثمن بينهم على السوا وقال في الكشاف ثم كانوا يعطون الانصبا للفقرا ولا ياخذون منها شيا وقد تقدم نقل ذلك عن صاحب الزينة والله اعلم ولما ذكر ما يذهب صفا الروح وقوام البدن وذم النفقة فيهما اقتضى الحال السوال عما يمدح الانفاق فيه فقال عاطفا على السوال عن المقتضى لتبذير المال **ويسئلونك ماذا ينفقون** واشعر تكرير السوال عنها بتكرير الواردات المقتضية لذلك فانبا ذلك بعظم شانها لانها اعظم دعايم الجهاد وساق ذلك سبحانه على طريق العطف لانه لما تقدم السوال عنه والجواب في قوله قل ما انفقتم من خير فللوالدين الاية منع من توقع سوال اخر واما اليتامى والمحيض فلم يتقدم ما يوجب توقع السوال عنهما اصلا وادعا ان سبب العطف النزول جملة وسبب القطع النزول مفرقا مع كونه غير شاف للعلة بعدم بيان الحكمة يرده ما ورد ان اخر اية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وهي بالواو اخرجه البيهقي في الدلايل والواحدي من وجهين في مقدمة اسباب النزول وترجم لها البخاري في الصحيح ومن تتبع اسباب النزول وجد كثيرا من ذلك وقال الحرالي في العطف تنبيها كما تقدم مرتين على نفقة بني اسرايل لكن ربما تخولت هذه الامة ومن ثالثها توقع صمهم عن السوال في الثالثة لتقاصر ما يقع في هذه الامة عما وقع في بني اسرايل بوجه ما وقال تعالى في الجواب **قل العفو** وهو ما سمحت به النفس من غير كلفة قال فكانه الزم النفس نفقة العفو وحرضها على نفقة ما تنازع فيه ولم يلزمها ذلك لئلا يشق عليها لما يريده بهذه الامة من اليسر فصار المنفق على ثلاث رتب رتبة حق مفروض لابد منه وهي الصدقة المفروضة التي امساكها هلكة في الدنيا والاخرة وفي مقابلته عفو لا ينبغي الامساك به لسماح النفس لمن امسكه تكلف امساكه وفيما بينهما ما ينازع النفس امساكه فيفتح لها المجاهدة في انفاقه وهو متجرها الذي تشتري به الاخرة من دنياها قالت امراة للنبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لنا من اموال ازواجنا قال الرطب تاكلينه وتهدينه لانه من العفو الذي يضر امساكه بفساده لان الرطب هو ما اذا ابقى من يوم الى يوم تغير كالعنب والبطيخ وفي معناه الطبايخ وساير الاشيا التي تتغير ببياتها انتهى وفي تخصيص المنفق بالعفو منع لمتعاطي الخمر قبل حرمتها من التصرف اذ كان الاغلب ان تكون تصرفاته لا على هذا الوجه لان حالة السكر غير معتد بها والتصرف فيها يعقب في الاغلب عند الافاقة اسفا وكذا الميسر بل هو اغلظ ولعل تاخير بيان المحثوث عليه من النفقة انما هو الفضل في هذا المحل لجهل اهل الدين الرغبة فيه مع ما كانوا فيه من الضيق على الايثار على النفس من غير امر به رحمة لهم ومن اعظم الملوحات الى ذلك ان في بعض الايات الذاكرة له فيما سلف واتى المال على حبه قال الاصبهاني قال اهل التفسير كان الرجل بعد نزول هذه الاية اذا كان له ذهب او فضة او زرع او ضرع ينظر ما يكفيه

وعياله لنفقة سنة استكثر ويتصدق بسائره فان كان ممن يعمل بيده امسك ما يكفيه وعياله يومه ذلك ويتصدق بالباقي حتى نزلت اية الزكاة فنسخت هذه الاية ولما بين الاحكام الماضية في هذه السورة احسن بيان وفصل ما نص من جميع ما اراد ابدع تفصيل لاسيما امر النفقة فانه بينها من اول السورة الى هنا في انواع من البيان على غاية الحكمة والاتقان كان موضع سؤال هل يبين لنا ربنا غير هذا من الايات هذا البيان فقال كذلك اي مثل ما مضى من هذا البيان العلي الرتبة البعيد المنال عن منازل الارذال يبين الله اي الذي له جميع صفات الكمال لكم جميع الايات قال الحرالي جمعها لانها ايات من جهات مختلفات لما يرجع لامر القلب وللنفس وللجسم وحال المرء مع غيره انتهى وافرد الخطاب اولا وجمع ثانيا اعلاما بعظمة هذا القول للاقبال به على الراس ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم قد امتلا علما من قبل هذا بحيث لا يحتاج الى زيادة وان هذا البيان انما هو للاتباع يتفهمونه على مقادير افهامهم وهممهم ويجوز ان يكون الكلام تم ثم استانف ما بعده فيكون البيان مذكورا مرتين مرة في خطابه تلوحا واخرى في خطابهم تصريحا او يقال اشار الى علو الخطاب بالافراد والى عمومه بالجمع انتهى لعلكم تتفكرون اي لتكونوا على حالة يرجى لكم معها التفكر وهو طلب الفكر وهو يد النفس التي تنال بها المعلومات كما تنال بيد الجسم المحسوسات قاله الحرالي ولما كان البيان من اول السؤال الى هنا قد شمل في امور الدارين وكفى واوضح ثمرات كل منهما وكان العرب ينكرون الاخرة ساق ذكرها مساق ما لا نزاع فيه لكثرة ما دل عليها فقال في الدنيا والاخرة اي في امورهما فتعملوا بما ثبت لكم سبحانه من الابواب وما اصل لكم من الاصول ما هو صالح وما هو اصلح وما هو شر وما هو اشر لتفعلوا الخير فتتقوا الشر فيؤول بكم ذلك الى فوز الدارين ولما كان العفو غير مقصور على المال بل يعم القوى البدنية والعقلية وكان النفع لليتيم من اجل ما يرشد اليه التفكر في امور الاخرة وكان الجهاد من اسباب العنا الموجب لليتم وكانوا يلون يتاماهم فنزل لتحريج التشديد في اكل اموالهم تجانبوهم واشتد ذلك عليهم سالوا عنهم فانتاهم سبحانه فيهم وندبهم الى مخالطتهم على وجه الاصلاح الذي لا يكون لمن يتعاطى الخمر والميسر فقال ويسئلونك عن اليتامى اي في ولايتهم لهم وعملهم في اموالهم واكلهم منها ونحو ذلك مما يعسر حصره وامره بالجواب بقوله قل اصلاح لهم خير اي من تركه ولا يخفى الاصلاح على ذي لب فجمع بهذا الكلام اليسير المضبوط بضابط العقل الذي اقامه تعالى حجة على خلقه ما لا يكاد يعد في تنزله لهم ما يشعر بالحث على تخصيصهم بالنظر في احوالهم ولو ادى ذلك الى مشقة على الولي ولما كان ذلك قد يكون مع تجانبهم وكانوا قد يرغبون في نكاح بعضهما ثم قال وان تخالطوهم اي بنكاح او غيره ليصير النظر في الصلاح مشتركا بينكم وبينهم لان المصالح صارت كالواحدة قال الحرالي وهي رتبة دون الاولى والمخالطة مفاعلة من الخلط وهو ارسال الاشياء التي شانها الانكفاف بعضها في بعض كانه رفع التحاجز بين ما شانه ذلك فاخوانكم جمع اخ وهو الناشئ مع اخيه من منشأ واحد على السواء بوجه ما انتهى اي تخليطكم من مثل تخليطهم ما يقود الطبع اليه من مسامحة الاخوان ويحل لكم من الاكل من اموالكم بالمعروف ما يحل من اموال اخوانكم قالت عائشة رضي الله عنها اني لاكره ان يكون مال اليتيم عندي كالعرة حتى اخلط طعامه بطعامي وشرابه بشرابي قالوا واذا كان هذا في اموال اليتامى واسعا كان في غيرهم اوسع وهو اصل شاهد لما يفعله الرفاق في الاسفار يخرجون بالسوية ويتباينون في قلة المطعم وكثرته نقله الاصبهاني ولما كان ذلك مما قد يدخل فيه الشر الذي يظهر فاعله انه لم يرد به الا الخير وعكسه قال مرغبا مرهبا والله الذي له الاحاطة بكل شيء يعلم اي في كل حركة وسكون ولما كان الورع مندوبا اليه محثوثا عليه لاسيما في امر اليتامى فكان التحذير بهذا المقام اولى قال المفسد الذي الفساد صفة له من المصلح فاتقوا الله في جميع الامور ولا تجعلوا خلطتكم اياهم ذريعة الى اكل اموالهم ولما كان هذا الامر لا يكون في بابه امر اصلح منه ولا ايسر عليهم تيسر في قوله ولو شاء الله اي بعظمته كاله لاعنتكم اي كلفكم في امرهم وغيره ما يشق عليكم مشقة لا تطاق لحد لكم حدودا وعينها يصعب الوقوف عندها والزمكم لوازم يعسر تعاطيها من الاعنات وهو ايقاع العنت وهو اسوأ الهلاك الذي يتحش نعته قاله الحرالي ثم علل ذلك بقوله ان الله اي الملك الاعظم عزيز يقدر على ما يريد حكيم يحكمه بحيث لا يقدر احد على نقض شيء منه ولما ذكر تعالى فيما مر حل الجماع في ليل الصيام واتبع ذلك من امره ما اراد الى ان ذكر المخالطة على وجه يشمل النكاح في سياق مانع من الفساد داع الى الصلاح وختم بوصف الحكمة وكان النكاح من اخطر المخالطة في النفقة وغيرها وكان الانسان جموحا تولى سبحانه بحكمته تعريفهم ما يصلح له وما لا يصلح من ذلك واحترز النكاح عن بيان ما ذكر معه من الاكل والشرب في ليل الصيام لان الضرورة اليهما اعظم وقدم في اية الصيام لان النفس اليه اميل فقال عاطفا على ما دل العطف على غير مذكور على ان التقدير فخالطوهم وانكحوا من تلونه من اليتيمات على وجه الاصلاح ان اردتم ولا تنكحوا قال الحرالي مما منه النكاح وهو الايلاج تندلي برزخ ليصير ابدا لك كالشيء الواحد انتهى وهو اصله لغة والمراد هنا العقد لانه استعمل في العقد في الشرع ولكثرة استعماله فيه وغلب حتى صار حقيقة شرعية فهو في الشرع حقيقة في العقد مجازا في الجماع

وفي

وفي اللغة بالعكس وسياتي عند حتى تنكح زوجا غيره عن الفارسي قرينة يعرف بها مراد اهل اللغة المشركات اي الوثنيات والاكثر على ان الكتابيات مما شملته الاية ثم خصت باية والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم حتى يؤمن فان المشركات شر محض ولامة وثيقة مؤمنة لان امر الايمان ادنى ما يرجع الى الاخرة الباقية والدنية الفانية قال الحرالي فانتظمت هذه الايات تبيين خير الخيرين وترجيح امر الغيب في امر الدين والعقبى في ادنى الاماء من المؤمنات خلقا وكونا وظاهر صورة على حال العين في امر العاجلة من الدنيا في اعلى الحرائر من المشركات خلقا وظاهر صورة وشرف بيت انتهى ولا تنكحوا ايها الاولياء المشركين اي الكفار باي كفر كان شيئا من المسلمات حتى يؤمنوا فان الكفار شر محض ولعبد اي مملوك مؤمن خير على سبيل التنزل من مشرك حر ولو اعجبكم اي المشرك وانتم هنا خيرية للحرة والحر المؤمنين من باب ولي مع التشريف العظيم لهما بترك ذكرهما اعلاما بان خيريتهما امر مقطوع به لا كلام فيه وان المفاضلة انما هي بين من كانوا ابعد ونه دينا فشرف الايمان ومن بعد ونه حقير الحقره الكفران ولذلك ذكر الموصوف بالايمان في الموضعين ليدل على انه وان كان دنيا موضع التفضيل لعلو وضعه واثبت الوصف بالشرك في الوصفين مقتصرا عليه لانه موضع التحقير وان علا في العرف موصوفه ولما كانت مخالطة اهل الشرك مظنة الفساد الذي ربما ادى الى الهلاك انهما وربا لدين فربما دعا الزوج زوجه الى الكفر لتمادة الميل الى اتباعه قال منبها على ذلك ومعللا لهذا الحكم اولئك اي الذين هم اهل للبعد من كل خير يدعون الى النار اي الافعال المؤدية اليها ولا يبعد فيما ادى الحب لزوج المسلم الى الكفر ولا عبرة باحتمال ترك الكافر للكفر واسلامه موافقة للزوج المسلم لان درء المفاسد مقدم وسياتي في المائدة عند قوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله لذلك مزيد ولما رهب من اهل الشرك حثا على البغض فيه رغب في الاقبال اليه سبحانه بالاقبال على اوليائه بالحب فيه وتعبير ذلك بقال والله اي بعز جلاله وعظمة كماله يدعوا اي بما يامر به الى الجنة اي الافعال المؤدية اليها ولما كان ربما لا يوصل الى الجنة الا بعد القصاص قال والمغفرة اي الى ان يفعلوا ما يؤدي الى ان يغفر لهم ويهذب نفوسهم بحيث يصيرون الى حالة سنية يغفرون فيها للناس ما اتوا اليهم ولما كان الدعاء قد يكون بالحمل على الشيء وقد يكون بالبيان بحيث يصير المدعو اليه متهيئا للوصول اليه قال باذنه اي بتمكينه من ذلك لمن يريد سعادته له ويبين اياته اي في ذلك وفي غيره للناس كافة من اراد سعادته وغيره لعلهم يتذكرون اي ليكونوا على حالة يظهر لهم بها ما خلق لهم ربهم من الفهم وما طبع في انفسهم من الغرائز من حسن ما دعاهم اليه وقبح ما نهاهم عنه غاية الظهور بما افهمه الاظهار ولما كان في ذكر هذه الاية رجوع الى تتميم ما احل من الرفث في ليل الصيام على احسن وجه تلاها بالسؤال عن غشيان الحائض ولما كان في النكاح شائبة الجماع نشير للسؤال عن احواله ومشابهته للانس والاستمتاع لتخرج عن ذلك نظم اية الحرث باية العقد بطريق العطف انسب منه بطريق الاستيناف فقال ويسئلونك عن المحيض اي عن نكاح النساء فيه مخالفة لليهود قال الحرالي وهو مفعل من الحيض وهو معاهدة اندفاع الدم العفن الذي هو في الدم بمنزلة البول والعذرة في فضلتي الطعام والشراب من الفرج قل هو اذى اي موذ للجسم والنفس لان فيه اختلاط النطفة بركس الدم الفاسد العفن قاله الحرالي وقال حتى انه يقال ان الوطء نوطا وهي حائض يتبع في ولدها من الافات انواع انتهى ولهذا السبب سبحانه عنه بقوله فاعتزلوا النساء اي كلفوا انفسكم ترك وقاعهن من الاعتزال وهو طلب العزل وهو الانفراد بما شانه الاشتراك قاله الحرالي في المحيض اي زمنه واظهره لئلا يلتبس لو اضمر بان الضمير لمطلق المراد بالاذى من الدم فيشمل الاستحاضة وهي دم صالح لا يسيل من عرق ينفجر من عنق الرحم فلا يكون اذى كالحيض الذي هو دم فاسد يتحول من طبيعة المراة من طريق الرحم ولو احتبس لمرضت المراة فهو كالبول والغائط يحل الوطء معه دون الحيض لاسقاط العسر قاله الامام ولا تقربوهن اي في محل الاتيان بجماع ولا مباشرة فيما دون الازار وانما تكون المباشرة فيما علا عن الازار حتى ولما كان فيه ما اشير اليه من الركس كان يطهرن اي بانقطاعه وذهاب اثاره والغسل منه والذي يدل على ارادة ذلك مع قراءة التشديد قوله تعالى فاذا تطهرن اي اغتسلن فالوطء له شرطان الانقطاع والاغتسال ولما دلت قراءة التخفيف على جواز القربان لا الاتيان وذلك بالمباشرة فيما سفل عن الازار فاتوهن اي جماعا وخلطة مستندين من حيث امركم الله اي الذي له صفات الكمال وهو القبل على اي حالة كان ذلك ولما دل ما في السياق من تاكيد على ان بعضهم عزم او اجبان يفعل بعض ما تقدم النهي عنه علل بقوله ان الله مكررا الاسم الاعظم تعظيما للمقام ولم يضمره اعلاما بان هذا الحكم عام لما يقع من هفوة بسبب الحيض وغيره يحب لجلاله من الاعتنا بالاحاطة بالاكرام وان كان مختصا بالاحاطة بالجلال التوابين اي الرجاعين عما كانوا عزموا عليه من ذلك له ومن كل ذنب وجب لهم نقص الانسانية ولاسيما شهوة الفرج الا لما امر به كلما وقعت منهم زلة احدثوا لها توبة لان ذلك من اسباب طهارة سبحانه صفة الحلم والعفو والجود والرحمة والكرم لو لم تذنبوا لجا

خير يز سبيل التنزل من مشرك حر ولو اعجبكم اي المشرك لان شيئ فيها وما ساد جمالها يرجع الى الدنيا صح

بيان

ص

الله

بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم اخرجه مسلم والترمذي عن ابي ايوب رضي الله عنه واذا احب من يكرر
منه التوبة بتكرار المعاصي فمن الثابت الذي لم يقع منه بعد توبته زلة ان كان ذلك ابو جراحب وفيه ارغب وبه
ارحم ولما كان ذلك مما يعجز التخلص من اشراكه اما في تجاوز زمان المباشرة او في الجماع اولا او اخرا اتى بصيغة المبالغة
قال الحرالي تانيسا للقلوب المتحرجين من معاودة الذنب بعد توبة منه اي ومن معاودة التوبة بعد الوقوع في ذنب ثان
لما يخشى العاصي ان يكتب عليه كذب كلما احدث توبة وزل بعدها فيصير مستهزئا فيسقط من عين الله ثم لا يبالي به
فيوقفه ذلك عن التوبة ولما كانت المخالطة على الوجه الذي نهى الله عنه قذرة جدا اشار الى ذلك بقوله ويحب
ولما كانت شهوة النكاح وشدة التسبق جديرة بان تغلب الانسان الابر مجاهدة منه اظهرنا التفعل فقال
المتطهرين اي الحاملين انفسهم على ما يشق من امر الطهارة من هذا وغيره وهم الذين بها العقول ودعاة البعد عن كل مشتبه
فلا يرتعون حايضا الا كال التطهر اي يفعل معهم من الاكرام فعل المحب وكذا كل ما يحتاج الى طهارة حسية او معنوية
ولما بين سبحانه المانى في الاية السالفة نوع بيان اوضحه مشيرا الى ثمرة النكاح الناهية لكل ذي لب عن السفاح فقال
نساؤكم اي اللاتي هن حل لكم بعقد او ملك يمين ولما كان القاء النطفة التي يكون منها النسل كالقاء البذر الذي
يكون منه الزرع شبههن بالمحارث دلالة على ان الغرض الاصيل طلب النسل فقال مسميا موضع الحرث باسمه
موقعا اسم الجزء على الكل موحدا لانه جنس حرث لكم فاوضح ذلك قال الحرالي ليقع الخطاب بالاشارة اي في الاية
الاولى لاولي العلم وبالتصريح اي في هذه لاولي العلم لان الحرث كما قال بعض العلماء انما يكون في موضع الزرع انتهى في تخصيص
الحرث بالذكر وتعميم جميع الكيفيات الموصلة اليه بقوله فأتوا حرثكم اي الموضع الصالح للحراثة انى اي من اين وكيف
شئتم اشارة الى تحريم ما سواه لما فيه من العبث بعدم المنفعة قال الثعلبي الادبار موضع الفرث لا موضع الحرث
ولما كانت هذه امورا خفية لا يحمل على صالحها ويحجز عن فاسدها الا محض الورع قال وقدموا اي اوقعوا التقديم
ولما كان السياق للجماع وهو من شهوات النفس قال مشيرا الى الزجر عن اتباعها كل ما يهوى لانفسكم اي من هذا العمل
وغيره من كل ما يتعلق بالشهوات ما اذا عرض على من تهابونه وتعتقدون خيره افتخرتم به عنده وذلك بان تصرفوا
مثلا هذا العمل عن محض الشهوة الى قصد الاعفاف وطلب الولد الذي يدوم به صالح العمل فيتصل الثواب
ومن التقديم التسمية عند الجماع على ما وردت السنة صرح به الحبر ابن عباس رضي الله عنهما على ما نقل عنه ولما
كانت افعال الانسان في الشهوات تقرب من فعل من عنده وعظ احتيج الى مزيد وعظ فقال واتقوا الله اي
اجعلوا بينكم وبين ما يكرهه الملك الاعظم من ذلك وغيره وقاية من الحلال او المشتبه وزاد سبحانه في الوعظ والتحذير
بالتنبيه بطلب العلم وتصوير العرض فقال واعلموا انكم ملاقوه وهو سائلكم عن جميع ما تعلمونه من دقيق
وجليل وصالح وغيره فلا تفعلوا انما تستحيون منه اذا سالكم فهو اجل من كل جليل قال الحرالي وفيه اشعار بما يجري
في اثناء ذلك من الاحكام التي لا يصل اليها احكام حكام الدنيا مما لا يقع الفصل فيه الا في الاخرة من حيث ان امر ما بين
الزوجين سر لا يفشى قال عليه الصلاة والسلام لا يسأل الرجل لم ضرب امرأته وقال لا احب للمرأة ان تشكو زوجها
فانبأ تعالى ان امر ما بين الزوجين موضح حكمه الى لقاء الله عز وجل حفيظة على ما بين الزوجين ليبقى سرا لا يظهر امره
الا الله وفي اشعاره ايضا للمروة في ان لا يحكم الزوجان عند حاكم في الدنيا وان يرجع كل واحد منهما الى تقوى الله وعلمه
بلقاء الله انتهى ولما كان هذا لا يعقله حق عقله كل احد اشار الى ذلك بالالتفات الى اكمل الخلق فقال عاطفا على
ما تقديره فانذر المكذبين تعليلا او قولا لقوله تعالى وبشر المؤمنين اي الذين صار لهم الايمان وصفا راسخا تنبيها له
للمراقبة وهو اشارة الى ان مثل هذا من باب الامانات لا يحجز عنه الا الاخلاص في الايمان والتمكن فيه ولما اذن في اتيان
النساء في محل الحرث كيفما اتفق ومنع مما سوى ذلك ومنع من محل الحرث في حال الحيض بين حكم ما اذا منع الانسان نفسه
من ذلك بالايلاء او بمطلق اليمين ولو على غير سبيل الايلاء لانه نقل عن كثير منهم شدة الميل الى النكاح فكان يحمل
المواقعة في حال المنع فيحمله شدة الورع على ان يمنع نفسه بمانع مظاهرة كما بين في سورة المجادلة او غيرها من الايمان
فمنعهم من ذلك بقوله تعالى عادلا عن خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم تعظيما لمقامه ولا تجعلوا الله اي
الذي لا شيء يداني جلاله وعظمته وكماله عرضة اي معرضا لايمانكم فيكون في موضع ما يمتهن ويبتذل ان اي لاجل
ان تبروا في اموال اليتامى وغيرها مما تقدم الامر به او النهي عنه وتتقوا اي تجعلكم ايمانكم على البر وهو الاتساع في
كل خلق جميل والتقوى وهي التوغل في خوف الله تعالى وتصلحوا بين الناس فان في ذلك اذا حال حمل على الاجتراء على الكذب
الحرالي بتع الاشياء قال الحرالي والعرضة ذكر الشيء واخذه على غير قصد له ولا صمد نحوه بل لصمد غيره فان من لا ينقاد
الى الخير الا بعائد من يمين او غيرها ليس بصادق العزيمة وفي الامثال فرس لا تجري الا بمهماز بئس الفرس ولما
ارشد السياق والعطف على غير مذكور الى ان التقدير فان الله جليل عظيم عطف عليه قوله والله اي بما له من العز
والعظمة سميع لجميع ما يكون من ذلك وغيره عليم بما اسر منه وما اعلن فاحذروه في جميع ما يامركم به وينهاكم عنه

ويجوز

ويجوز ان تكون الجملة حالا من واو تجعلوا فلا يكون هناك مقدر ويكون الاظهار موضع الاضمار لتعظيم المقام
ولما تقدم اليهم سبحانه في هذا وكانت السنتهم قد مرنت على الايمان من غير قصد بحيث صاروا لا يقدرون على
ترك ذلك الا برياضة كبيرة ومعالجة طويلة وكان مما رحم الله به هذه الامة العفو عما اخطأت به ولم تتعمد
قال في ذلك من كان بسبيل ان يسال عن ذلك لا يؤاخذكم اي يعاقبكم ويحقبكم بما ملكم معاملة من يناظر شخصا في ان كلا
منهما يريد اخذ الاخر بذنب سلف اليه الله فكرر في الاطلاق والعفو الاسم الاعظم الذي ذكره في التقييد
والمنع ايذانا بان عظمته لا تمنع من المغفرة باللغو وهو ما تسبق اليه الالسنة من القول على غير عزم
قصدا اليه قال الحرالي في ايمانكم فان ذلك لا يدل على الامتهان بل ربما دل على المحبة والتعظيم ولما بين ما اطلقه
بين ما منعه فقال ولكن يؤاخذكم والعبارة صالحة للاثم والكفارة ولما كان الحامل على اليمين في الاغلب
المنافع الدنيوية التي هي الرزق وكان الكسب يطلق على طلب الرزق وعلى القصد والاصابة عبر به فقال
بما كسبت اي تعمدت قلوبكم فاجمع فيه مع اللفظ النية قال الحرالي فيكون ذلك عزما باطنا وقولا ظاهرا
فيؤاخذ باجتماعهما في جملته ترفيع لمن لا يحلف بالله في عزم ولا لغو وذلك هو الذي حفظ حرمة الحلف بالله
وفي مقابلته من يحلف على الخير ان لا يفعله انتهى ولم يبين هنا الكفارة صريحا اشارة الى انه ينبغي ان يكونوا اتقى
من ان يمنعوا من شيء فيفارقوه واشار اليها في الايلاء كما ياتي ولما كان ذكر المؤاخذة مقطعا للقلوب لحا بقين سكنها
بقوله مظهرا موضع الاضمار اشارة الى ان رحمته سبقت غضبه والله اي مع ما له من العظمة غفور اي ستور
لذنوب عباده اذا تابوا ولما كان السياق للمؤاخذة التي هي معاجلة كل من المتناظرين لصاحبه بالاخذ كان الحلم
انسب الاشيا لذلك فقال حليم لا يعاجلهم بالاخذ والحلم احتمال الاعلى للاذى من الادنى وهو ايضا رفع المؤا
خذة عن مستحقها في حق مستعظم قاله الحرالي ولما كان الايلاء حلفا مقيدا وبين حكم مطلق اليمين قبله لتقدم المطلق في
المقيد بانفكاكه عنه بينه دليلا على حكمه حيث لم يؤاخذهم به فقد كانوا يضارون به النساء في الجاهلية بان
يحلفوا على عدم الوطء ابدا فتكون المرأة لا ايما ولا ذات بعل وجعل لهم مرجعا يرجعون اليه فقال في جواب
من كان بسبيل ان يسأل عنه لما اشعر به ما تقدم للذين يؤلون اي يحلفون قال الحرالي والايلاء تأكيد الحلف وتشديده
حلفا مبتدءا بالى من نسائهم في صلب النكاح او علقة الرجعة مما افاد وتر الاضافة بان لا يجامعوهن ابدا او فوق
اربعة اشهر فالتعدية بمن تدل على اخذ في البعد عنهن سوا كانوا احرارا او عبيدا او بعضا وبعضا
في حال الرضى او الغضب نحو ما كان اولا لان المضارة حاصلة بيمينه تربص اي امهال وتمكث بتحمل فيه الصبر
الذي هو مقلوب لفظه انتهى اربعة اشهر ينتظر فيها رجوعهم عن اليمين حلما من الله تعالى حيث لم يجعل
الامر باتا حين الحلف بفراق او وفاق قال الحرالي ولما كان تخلص المرأة من الزوج احل شرع كان اجلها مع امد
هذا التربص كانه والله اعلم هو القدر الذي تربص المرأة عن زوجها يذكر ان عمر رضي الله عنه سال النساء
عن قدر ما تصبر المرأة عن الزوج فاخبرنه انها تصبر ستة اشهر فجعل ذلك امد البعوث فكان التربص العدل
قدر ما تصبره المرأة عن زوجها وقطع سبحانه بذلك ضرار الجاهلية في الايلاء الى غير حد انتهى وفيه تصرف
ولما كان حالهم بعد ذلك مرددا بين تعالى نسبه فقال مفصلا له فان فاءوا اي رجعوا في الاشهر او عقبها عن
المفاصلة الى المواصلة من الفيء وهو الرجوع الى ما كان منه الانبعاث فان الله يغفر لهم ما قارفوه في ذلك من اثم
ويرحمهم بانجاح مقاصدهم لانه غفور رحيم له هاتان الصفتان ينظر بهما الى من يستحقهما فيغفر ما في ذلك
من جناية منهما الموم من احدهما ان شاء ويعامل بعد ذلك بالاكرام قال الحرالي في مورد هذا الخطاب باسناده
للازواج ما يظافر معنى اجرا امور النكاح على ستره واعراض عن حكم الحكام من حيث جعل التربص له والفيء منه
فكان الحكم من الحاكم انما يقع على من تهتك حرمة ستر احكام الازواج التي حيالها تجري بين الزوجين من وراء ستر
كما هو سر النكاح الذي هو سبب جمعهما ليكون الستر سرا وحكم الجهر جهرا انتهى ولما كان الحال في مدة الايلا شبيها
بحال الطلاق وليس به قال مبينا ان الطلاق لا يقع بمجرد مضي الاربعة الاشهر بل اما ان يفيء او يطلق فان ابى طلق
عليه الحاكم وان عزموا الطلاق فاوقع عليه العزم من غير حرف جر بمعنى انهم تركوا ما كانوا فيه من التذبذب
وجعلوا الطلاق عزيمة وانها من غير تحجة ولا ستروا العزم الاجماع على انفاذ الفعل والطلاق هو في المعنى
بمنزلة اطلاق الشيء من اليد الذي يمكن اخذه بعد اطلاقه قاله الحرالي ولما كان المطلق ربما ندم فحمله العشق
على انكار الطلاق رهبه بقوله فان الله اي الملك الذي له الجلال والاكرام سميع لعبارتهم عنه قال الحرالي
في اشارته اعلام بان الطلاق لا بد له من ظاهر لفظ يقع مسموعا انتهى عليم اي بسرهم ونياتهم قال الحرالي وفيه تهديد
بما يقع في الانفس والبواطن من المضارة والمضاجرة بين الازواج في امور لا تأخذها الاحكام ولا يمكن ان يصل
عليها الحكام فجعلهم امناء على انفسهم فيما بطن وظهر ولذلك راى العلماء ان الطلاق امانة في ايدي الرجال

كأن العدد والاستبرا أمانة في أيدي النساء فلذلك انتظمت آية تربص المرأة في عدتها بآية تربص الزوج في إيلائه انتهى بقي من أحكام الإيلاء قسم ثالث ترك التصريح به إشارة إلى أنهم ينبغي أن يكونوا في غاية النزاهة عنه وهو الإصرار على الإضرار وأشار بصفتي المغفرة والرحمة لفاعل ضده إلى من تركه يعامل بضدهما بما حكمه معروف في الفقه والله الموفق ولما ختم آية الإيلاء بالطلاق بين عدته فقال وقال الحرالي لما ذكر تربص الزوج في أمر الطلاق الذي هو أمانته ذكر تربص المرأة في أمر العدة التي هي أمانتها فقال **والمطلقات** أي المدخول بهن بما أفهمه الإيلاء من أن الكلام فيهن غير الحوامل لأن عدتهن بالولادة وغير ذوات الأشهر لصغر أو كبر ولما أريد التأكيد لأمرهن بالعدة سيق بعد تأكيده ببنائه على المبتدأ في صيغة الخبر الذي من شأنه أن يكون قد وجد وانقضى إيماء إلى المسارعة إلى امتثاله فقيل **يتربصن** أي ينتظرن اعتدادا ولما كانت النفس داعية إلى الشهوات لا سيما نفس النساء إلى الرجال كان التربص بما في النفس بالعقد لزوج آخر وفي التعرض له بالتحال والتزين والتعريض بكلام مع البينونة ويعبر ذلك غصص الأول معبرا بالنفس هزا إلى الاحتياط في كمال التربص والاستحيا مما يوهم الاستعجال فقال **بأنفسهن** فلا يطمعها في مواصلة رجل قبل انقضاء العدة ولما كان القرء مشتركا بين الطهر والحيض وكان الأقراء مشتركا بين جمع كل منهما وكان الطهر مختصا عند جمع من أهل اللغة بأن يجمع على قروء وكان مذكرا يؤنث عدده وكانت الحيضة مؤنثة يذكر عددها دل على أن المراد الأطهار بما خصه من الجمع وبتأنيث عدده فقال ذاكرا ظرف التربص **ثلاثة قروء** أي جموع من الدم وسيأتي في أول سورة الحجر أن هذه المادة بأي ترتيب كان تدور على الجمع وأن المراد بالقرء الأطهار لأنها زمن جمع الدم حقيقة وأما من الحيض فإنما يسمى بذلك لأنه سبب تحقق الجمع والمشهور من كلام أهل اللغة أن جمع القرء بمعنى الطهر أقرا وقروء وأن جمعه إذا أطلق على الحيض أقرا فقط وذلك لأن المادة لما كانت للجمع وكانت أيام الطهر هي المتحققة بذلك وكان جمع الكثرة أعرق في الجمع كان بالطهر أولى وقال الحرالي قروء جمع قرء وهو الحد الفاصل بين الطهر والحيض الذي يقبل الإضافة إلى كل واحد منهما ولذلك ما تعارضت في تفسيره تفاسير اللغويين واختلف في معناه أقوال العلماء حقا معناه بما هو حد بين الحالين كالحد الفاصل بين الظل والشمس فالقرء الحدود وذلك حين تطلق المرأة لقبل عدتها في طهر لم تمس فيه ليطلقها على طهور براءة من علقتها بما يطلق ما لم ينطلق عنه فإذا انتهى الطهر وابتدأ الحيض كان ما بينهما قرءا لأن القرء استكمال جمع الحيض حين يتعفن فلم يتبينه أبدا الخروج لم يتم قرءا فإذا طهرت الطهر الثاني وانتهى إلى الحيض كان قرءين فإذا طهرت الطهر الثالث وانتهى إلى الحيض شاهدت كمال القرء كان ثلاثة أقراء فلذلك يقرب معناه عن حل المرأة عند رؤيتها الدم من الحيضة الثالثة لتمام عدة الأقراء الثلاثة فيتوافق معنى من يفسر القرء بالطهر ويكون أقرب من تفسيره بالحيض فأمد الطهر ظاهرا هو أمد الاستقرا للدم باطنا فيبعد تفسيره بالحيض عما هو تحقيقه من معنى الحد بعدا ما انتهى ولما كان النكاح أشهى ما إلى الحيوان وكان حب الشيء يعمي ويصم وكان النساء أرغب في ذلك مع ما لهن من النقص في العقل والدين فكان ذلك ربما حملهن على كتم ولد لإرادة زوج آخر تقصيرا للعدة وإلحاقا للولد به أو حيض لرغبة في رجعة المطلق قال سبحانه **ولا يحل لهن** أي المطلقات **أن يكتمن ما خلق الله** أي الذي له الأمر كله ولدا أو دما **في أرحامهن** جمع رحم قال الحرالي وهو ما يشتمل على الولد من أعضاء التناسل يكون فيه تخلقه من كونه نطفة إلى كونه خلقا آخر وليس فيه دليل على أن الحمل يعلم إنما تعلم أماراته ولما كان معنى هذا الإخبار النهي ليكون نافيا للحل بلفظه مثبتا للحرمة بمعناه تأكيدا له فكان التقدير فلا يكتمن قال مرغبا في الامتثال مرهبا من ضده **إن كن يؤمن بالله** أي الذي له جميع العظمة **واليوم الآخر** الذي فيه تظهر عظمته أتم ظهور ويدين فيه العباد بما فعلوا أي فإن كتمن شيئا من ذلك دل على عدم الإيمان وقال الحرالي ففي إشعاره إثبات نوع نفاق على الكاتمة ما في رحمها انتهى وفيه تصرف ولما كان الرجعي أخف الطلاق بين الرجعة تنبيها على أنه إن كان ولا بد من الطلاق فليكن رجعيا فقال تعالى **وبعولتهن** أي أزواجهن جمع بعل قال الحرالي وهو الرجل المتهيئ لنكاح الأنثى المتأتي له ذلك يقال على الزوج والسيد انتهى ولما كان للمطلقة حق في نفسها قال **أحق بردهن** أي إلى ما كان لهم عليهن من العصمة لإبطال التربص وحرمة الاستمتاع من المطلقات بإرادة السراح **في ذلك** أي في أيام الأقراء فإذا انقضت صارت أحق بنفسها منه بها لانقضاء حقه والكلام في الرجعية بدليل الآية التي بعدها ولما أثبت الحق لهم وكان منهم من يقصد الضرر قيده بقوله **إن أرادوا** أي بالرجعة **إصلاحا** وهذا تنبيه على أنه إن لم يرد الإصلاح وأرادت هي السراح كان في باطن الأمر لها قال الحرالي الإصلاح خلل ما بينهما أحق في علم الله وحكمته من استفتاح وصلة ثانية لأن تذكر الماضي يخل بالحاضر مما حذر النبي صلى الله عليه وسلم عنه نكاح اللفوت وهي التي لها ولد من زوج سابق فلذلك كان الأحق إصلاح الأول دون استفتاح وصلة ثانية انتهى ولما أخرج أمر الرجعة عنهن جبرهن بقوله **ولهن** أي من الحقوق **مثل الذي عليهن** أي في كونه حسنة في نفسه على ما يليق بكل منهما لا في النوع فكما للرجال الرجعة فيهم أن تعليهن العشرة بالجميل وكما لهم حبسهن فلهن ما يزيل الوحشة من تزين ونحو ذلك ولما كان كل منهما قد يجور على صاحبه قال **بالمعروف** أي من حال كل منهما قال الحرالي والمعروف ما أقره الشرع وقبله العقل ووافقه

كرم الطبع انتهى ولما ذكر الرجعة له بصيغة الأحق وبين الحق من الجانبين بين فضل الرجال بقوله **وللرجال** أي من أن يكونوا البعولة **عليهن** أي أزواجهم **درجة** أي فضل من جهات لا تخفى كالإنفاق والمهر لأن الدرجة المرقى إلى العلو وقال الحرالي لما أوتروا به من رصانة العقل وتمام الدين انتهى فالرجل يزيد على المرأة بدرجة من ثلاث لأن كل امرأتين بمنزلة رجل ولما أعز سبحانه الرجل ووصف نفسه بالعزة مبتدئا بالاسم الأعظم الدال على كل كمال فقال عطفا على ما تقديره لأن الله أعزهم عليهن بحكمته **والله** أي الذي له كمال العظمة **عزيز** إشارة إلى أنه أعز من كل عزيز إلا هو يخشى كل من أعاره ثوب عزة سطوته وقال **حكيم** تنبيها على أنه ما فعل ذلك إلا لحكمة بالغة تسلية للنساء وإنما أوجبه بعزته وأتقنه بحكمته لا يمكن نقضه ولما ذكر الرجعة ولم يبين لها غاية تنتهي بها فكانت الآية كالمجمل عرض سؤال هل هي ممتنعة كما كانوا يفعلون في الجاهلية متى راجعها في العدة له أن يطلقها ما دام يفعل ذلك ولو ألف مرة أم منقطعة فقال **الطلاق** أي المحدث عنه وهو الذي تملك فيه الرجعة قال الحرالي لما كان الطلاق لما بينها رده قصره الحق تعالى على المرتين اللتين يمكن فيهما تلافي النكاح بالرجعة انتهى وقال تعالى **مرتان** دون طلقتان تنبيها على أنه ينبغي أن يكون مرة بعد مرة كل طلقة في مرة لا أن يجمعهما في مرة ولما كان أنه بعد الثانية في العدة حالان إمساك وإهمال وكان الإمساك إما بالرجعة وإما بالطلاق بدأ بالإمساك لأنه الأولى بالبيان لأنه أقرب إلى أن يؤدي به وأخر الإهمال إلى أن تنقضي العدة لأنه مع فهمه من آية الأقراء سيصرح به في قوله في الآية الآتية أو سرحوهن بمعروف فقال معقبا بالفاء **فإمساك** أي أن راجعها في عدة الثانية قال الحرالي هو من المسك وهو إحاطة تحبس الشيء ومنه المسك بالفتح للجلد **بمعروف** تصرفهم بذلك عن ضرار الجاهلية الذي كانوا عليه بتكرير الطلاق إلى غير حد يجعل له حد انقطع بعد انقضاء الأقراء انتهى **أو تسريح** أي أن طلقها الثالثة ولا يملك بعد هذا التسريح عليها الرجعة كما كان عليه حال أهل الجاهلية قال الحرالي تسمى الثالثة تسريحا لأنه إرسال لغير معنى الأخذ كتسريح الشيء الذي لا يراد ارتجاعه وقال أيضا هو إطلاق الشيء على وجه لا يتهيأ للعود كمن أرسل البازي مثلا ليسترده فهو مطلق ومن أرسله لا ليسترجعه فهو مسرح انتهى ويجوز أن يراد بالتسريح عدم المراجعة من الثانية لا أنه طلقة ثالثة ولما كان مقصود النكاح حسن الصحبة وكانت من الرجل الإمتاع بالنفس والمال وكان الطلاق منعا للإمتاع بالنفس قال **بإحسان** تعريضا بالجبر بالمال لئلا يجتمع منعان منع النفس وذات اليد أفاده الحرالي وقال تقييد لوجه ما تعريض بما صرحت به آية المتعة الآتية انتهى ومن ذلك بذل الصداق كاملا وأن لا يشاححها في شيء لها فيه حق مع طيب المقال وكرم الفعال ولما كان سبحانه قد خيره بين شيئين الرجعة والتسريح الموصوفين وكانت الرجعة أقرب إلى الخير بها ولكنها لما كانت قد تكون لأجل الافتداء بما أعطيه المرأة وكان أخذه أو شيئا منه مشاركا للسراح في أنه يقطع عليه ما كان له من ملك الرجعة وكان الافتداء قد يكون في الأول لم يعرضها بالتعابيل قال مشيرا إلى أن من إحسان التسريح سماح الزوج بما أعطاها عاطفا على ما تقديره فلا يحل لكم مضارتهن **ولا يحل لكم** أي أيها المطلقون أو المتوسطون من الحكام وغيرهم لأنهم لما كانوا الآمرين عدوا آخذين **أن تأخذوا** إحسانا في السراح **مما آتيتموهن** من صداق وغيره **شيئا** أي بدون مخالعة قال الحرالي لأن إيتاء الرجل للمرأة إيتاء نحلة لإظهار مزية الدرجة لأنه في مقابلة الانتفاع فلذلك أمضاه ولم يرجع منه شيئا ولذلك لزم في النكاح الصداق لتظهر مزية الرجل بذات اليد كما ظهرت في ذات النفس انتهى ولما كان إسناد الخوف إلى ضمير الجمع ربما التبس قال **إلا أن يخافا** نصا على المراد بالإسناد إلى الزوجين وعبر عن الظن بالخوف تحذيرا من عذاب الله وسوغ ذلك أن الظن سببه فإنك لا تخاف ما لا تظنه وعبر في هذا الاستثناء إن قلنا إنه منقطع بأداة المتصل تنفيرا من الأخذ ومعنى البناء للمفعول في قراءة حمزة وأبي جعفر ويعقوب إلا أن يحصل لهما أمر من حظ أو شهوة يضطرهما إلى الخوف من التقصير في الحدود ولا مفهوم للتقييد بالخوف لأنه لا يتصور من عاقل أن يتعدى بمال من غير أمر محوج له ومتى حصل المحوج كان الخوف ومتى خاف أحدهما خافا لأنه متى خالفه الآخر حصل التشاجر المثير للحظوظ المقتضية للإقدام على ما لا يسوغ والله أعلم **ألا يقيما** أي في الاجتماع **حدود الله** العظيم فيفعل كل منهما ما وجب عليه من الحق قال الحرالي وفي إشعاره أن الفداء في حكم الكتاب مما اختص الزوجة من زوجها لا من غير ذلك من مالها والحدود جمع حد وهو النهاية في المتصرف المانع من الزيادة عليه انتهى ثم زاد الأمر بيانا لأنه في مقام التحديد فقال مسندا إلى ضمير الجمع حثا على التحقق لجعل الفداء حلالا نافيا للجميع الحرج **فإن خفتم** أيها المتوسطون بينهما من الحكام وغيرهم من الأئمة بما ترون منهما وما يخبركم به عن أنفسهما **ألا يقيما حدود الله** وتكرير الاسم الأعظم يدل على دفعة زائدة لهذا المقام وتعظيم كبير لهذه الأحكام وحث عظيم على التقيد في هذه الرسوم بالمراعاة والالتزام وذلك لأن كل إنسان

مجبول على تقديم نفسه على غيره والشرع كله مبني على العدل الذي هو الانصاف ومحبة المرء لغيره ما يحب لنفسه
فلا جناح اي ميل باثم عليهما واشار الى حل الاخذ مطلقا بدون تقييد بما اتاها بانه لم يقل في ذلك بل قال
فيما افتدت به اي لا على الزوج بالاخذ ولا عليها بالاعطا سوا كان ذلك مما اتاها او من غيره اكثر منه او اقل لان الخلع
عقد معاوضة فكما جاز لها ان تمتنع من اول العقد حتى ترضى ولو باكثر من مهر المثل فكذا في الخلع يجوز له ان لا يرضى
الا بما في نفسه كائنا ما كان فيكون ذلك عما كان يملكه عليها من الرجعة فاذا اخذه بانت المراة فصارت احق بنفسها
فلا سبيل عليها الا باذنها ولما كانت احكام النسا تارة بالموافقة وتارة بالمفارقة وكانت مبنية على الشهوات
تارة على البهيمية وتارة على السبعية وكان سبحانه قد حد فيها حدودا تكون بها المصالح وتزول المفاسد منع
سبحانه من تعدي تلك الحدود اي الاحكام التي بينها في ذلك ولم يذكر قربانها كما مضى في اية الصوم فقال تلك اي
الاحكام العظيمة التي تولى الله بيانها من احكام الطلاق والرجعة والخلع وغيرها حدود الله اي شرائع الملك
الذي له جميع العزة من الاوامر والنواهي التي بينها فصارت كالحدود المعروفة في الاراضي ولما كانت شرائع الله ملائمة
للفطرة الاولى السليمة عن نوازع النقائص وجواذب الرذائل اشار الى ذلك سبحانه بصيغة الافتعال في قوله
فلا تعتدوها اي تتكلفوا مجاوزتها وفيه ايضا اشارة الى العفو عن المجاوزة من غير تعمد ولما اكد الامر تارة
بالبيان وتارة بالنهي زاد في التاكيد بالتهديد فقال عاطفا على ما تقديره فمن تعدى شيئا منها فقد ظلم ومن
يتعد اي يتجاوز حدود الله اي المحيط بصفات الكمال التي بينها واكد امرها وزاد تعظيمها بتكرير اسمه الاعظم
قال الحرالي ففيه ترجية فيما يقع من تعدي الحدود من دون ذلك من حدود اهل العلم ووجوه السنن وفي علامه ايذان
بان وقوع الحساب يوم الجزا على حدود القران التي لا سعة وحرج لاحد بوجه من وجوه السعة في مخالفتها ولذلك تحقق
التقوى والولاية مع الاخذ بمختلفات السنن ومختلفات اقوال العلما انتهى واليه يرشد الحصر في قوله فاولئك اي
المستحقون للابعاد هم الظالمون اي العريقون في الظلم بوضع الاشيا في غير مواضعها فكانهم يمشون في الظلام قال
الحرالي وفي اشعاره تصنيف الحدود ثلثة اصناف حد الله تعالى وحد النبي صلى الله عليه وسلم وحد العالم قال صلى
الله عليه وسلم ما جا من الله فهو الحق وما جا مني فهو السنة وما جا من اصحابي فهو السعة فابرا العباد من الظلم من
حافظ على ان لا يخرج من حدود العلما ليكون ابعد ان يخرج من حدود السنة ليكون ابعد ان يخرج من حدود الكتاب ف
الظالم المنتهي ظلمه الخارج عن الحدود الثلثة حد العلم وحد السنة وحد الله انتهى ولما بين قسمي الطلاق البائن وكان
نظر الطلاق الى العدد اشد من نظره الى العوض قدم قسمه في قوله او تسريح باحسان ثم فرع عليه فقال موحدا لئلا
يفهم الحكم الجمع ان الجمع قيد في الحكم والهم التكرير للجمع شدة الذم لما كانوا يفعلون في الجاهلية من غير هذه
الاحكام فان طلقها اي الثالثة تقدم التخيير فيها بلفظ التسريح فكانه قال فان اختار الطلاق الثالث بعد
المرتين اما في العدة من الطلاق الرجعي وبعد الرجعة بعوض وغيره ولا فرق في جعلها ثالثة بين ان يكون
بعد تزوج المراة بزوج اخر اولا قال الحرالي فرد معنى التسريح الذي بينه في موضعه بلفظ الطلاق لما هيا لها
بوجه الى المعاد وذلك فيما يقال من خصوص هذه الامة وان حكم الكتاب الاول ان المطلقة ثلاثا لا تعود ابدا فالمدة
العود بعد زوج صار السراح طلاقا انتهى فلا تحل له ولما كان اسقاط الحرف والظرف يوهم ان الحرمة تختص
بما استغرق زمن البعد فيفهم ان نكاحه لها في بعض ذلك الزمن يحل قال من بعد اي في زمن ولو قل من ازمان
ما بعد استيفا العدد الذي هو الثلاث بما افاده اثبات الجار وتمتد الحرمة حتى اي الى ان تنكح اي تجامع بذوق
العسيلة التي صرح بها النبي صلى الله عليه وسلم قال الفاسي اذا قال العرب نكح فلان فلانة ارادوا عقد
عليها واذا قالوا نكح امراته او زوجته ارادوا جامعها وقال الامام ان هذا الذي قاله ابو علي جار على قوانين الاصول
وانه لا يصح ارادة غيره ودل على ذلك بقياس دقيقة فالاية دالة على انه لا يكتفى في التحليل بدون الجماع كما بينته
السنة والا كانت السنة ناسخة فان غاية الحرمة في الاية العقد وفي الخبر الوطي وخبر الواحد لا ينسخ القران واشار
بقوله زوجا الى اشتراط هذا الجماع ان يكون حلالا في عقد صحيح غيره اي المطلق وفي جعل هذا غاية تحل زجر
لمن له غرض ما في امراته عن طلاقها فهما قلنا لان كل ذي مروة يكره ان يفترش امراته اخر ومجرد العقد لا يفيد هذه
الحكمة وذلك بعد ان اثبت له سبحانه من كمال رافته بعباده الرجعة في الطلاق الرجعي مرتين لان الانسان
في حال الوصال ما يكون حاله بعده ولا تفيده الاولى كمال التجربة فقد يحصل له نوع شك بعدها وفي الثانية
يضعف ذلك جدا ويقرب الحال من التحقق فلا يحمل على الفراق بعدها الا كمال تامل ومحض الحق بالمحلل
المنهي عنهما فان طلقها اي الثاني وتعبيره بان التي للشك للتنبيه على انه متى شرط الطلاق على المحلل
بطل العقد وحزوجر عن دابرة الحدود المذكورة لان النكاح كما قال الحرالي عقد حرمة مؤبدة لا حد منعة
موقتة فلذلك لم يكن الاستمتاع الى امد حلالا في السنة وعند الايمة لما يفرق بين النكاح والمتعة من

من التابيد والتحديد انتهى فلا جناح عليهما اي على المراة ومطلقها الاول ان يتراجعا بعقد جديد
بعد عدة طلاق الثاني المعلومة مما تقدم من قوله والمطلقات يتربصن وهذه مطلقة الى ما كانا فيه
من النكاح ان ظنا اي وقع ظن كل منهما ان يقيما حدود الله اي الذي له الكمال كله التي حدها لهما في العشرة
قال الحرالي لما جعل الطلاق سراحا جعل تجديد النكاح مراجعة كانه لما ابتدانا بان الرجعة للزوج اولى
من تجديد الغير انتهى ولما كان الدين مع سهولته ويسره شديدا لمن يشاده احد الا غلبه وكانت الاحكام
مع وضوحها قد تخفى لما في تنزيل الكليات على الجزئيات من الدقة لان الجزئي الواحد قد يتجاذبه كليان فاكثر فلا
يجردها من موانع الشبه الا من نور الله بصيرته عطف على تلك لما صنعه تعظيما للحدود قوله وتلك
اي الاحكام المتناهية في مدارج العظم ومراتب الحكم حدود الله اي العظيمة باضافتها اليه سبحانه
وبتعليتها بالاسم الاعظم يبينها اي يكشف اللبس عنها بتنوير القلب لقوم فيهم نهضة وجد في
الاجتهاد وقيام وكفاية يعلمون اي يجددون النظر والتامل بغاية الاجتهاد في كل وقت فيجدد لك بعطيهم الله
ملكة يميزون بها ما يلبس على غيرهم ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا واتقوا الله ويعلمكم الله ولما ذكر
الطلاق رجعيه وبائنه عقبه ببيان وصف الرجعة من الحل والحرمة وبيان وقتها وتحديده والاشاد
الى تصوير بعض صور المضارة ترهيبا منها فليست الاية مكررة واذا طلقتم النسا اي طلاقا
رجعيا والمراد من يملك نكاحها من هذا النوع الشامل للقليل والكثير ولم يقل نساءكم لئلا يفهم الا
ان الطلاق فيهم غير نسائهم حكما مغايرا لهذا في بلوغ الاجل مثلا ونحوه ولما كانت اباحة الرجعة في اخر
العدة دالة على اباحتها فيما قبل ذلك بطريق الاولى وكان من المقطوع به عقلا ان لما بعد الاجل حكما
غير الحكم الذي لما قبله لم يكن التعبير بالبلوغ ملبسا وكان التعبير به مقصدا لقضى ما تمكن به المضارة فقال
فبلغن اجلهن اي شارفن انقضا العدة بدليل الامر بالامساك لانه لا يتاتى بعد الاجل قال الحرالي ولما
كان للحد الحدود الفاصل بين امرين متقابلين بلوغ وهو الانتها الى اول حده وقرار وهو الثبات عليه
ومجاوزة تحده ذكر تعالى البلوغ الذي هو الانتها الى اول الحد دون المجاوزة والحلول والاجل مشارفة انقضا
امد الامر حيث يكون منه ملجا الذي هو مقلوبه كانه مشارفة فراغ المدة انتهى فامسكوهن اي بالمراجعة
ان اردتم ولو في اخر لحظة من العدة بمعروف اي بحال حسنة تحمد عاقبتها ونكره اشعارا بانه لا يشترط فيه
رضى المراة او سرحوهن بمعروف بان تتركوهن حتى تنقضي العدة فيملكن انفسهن من غير تلبس بدعوى
ولا تضييق في شي من الاشيا وقال الحرالي هذا معروف الامتاع والاحسان وهو غير معروف الامساك
ولذلك فرق الخطاب ولم يكن فامسكوهن او سرحوهن بمعروف انتهى ولما كان المعروف يعم كل خير وكان
الامر به لا يفيد التكرار خص نوع الشر اهتماما به معبرا بما يتناول جميع الاوقات فقال ولا تمسكوهن
اي بالمراجعة في اخر العدة ضرارا كما كان في الجاهلية لتعتدوا اي قاصدين بذلك التوصل الى شي من مجاوزة
الحدود التي بينت لكم مثل ان يريد تطويل العدة عليها فانه قد يفضي الى اعتدادها تسعة اشهر
ولما كان التقدير لمن يفعل ذلك فقد ظلم زوجه عطف عليه زيادة في التنفير عنه قوله ومن يفعل ذلك
اي الفعل البعيد عن الخير في التعبير بالمضارع اشعار بان في الامة من يتمادى على فعله فقد ظلم نفسه
اي بتعريضها لسخط الله عليه ونفور الناس منه ولما كان قد لا يقصد شيئا من انتهاك الحرمات ولا من
المصالح لكن يفعل ما على بالا يعلم او يظن له عاقبة حميدة تهاونا بالنظر وكان ما علم ذلك شبيها بالهما
كما يقال لمن لم يجد في امرهم لاعب قال ولا تتخذوا ايات الله اي مع ما تعلمون من عظمتها بعظمة ناصبها
هزوا بالهما لها عن تقصد المصالح الذي هو روحها ولما كان على العبد ان يتقي اثر السيد في جميع افعاله
قال واذكروا نعمة الله اي الذي له الكمال كله وعبر باداة الاستعلا اشارة الى عموم النعم وعظمتها
فقال عليكم هل ترون فيها شيئا من وادي العبث تخلوه عن حكمة ظاهرة وما اي وخصوا بالذكر الذي
انزل عليكم من الكتاب الذي فاق جميع الكتب وعلا عن المعارضة فغلب جميع الخلق بما افاد تباداة الاستعلا
والحكمة التي بينها فيه وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم حال كونه يعظكم اي يذكركم بما يرقق قلوبكم به
اي بذلك كله واتقوا الله اي بالغوا في الخوف ممن له الاحاطة بجميع صفات الكمال باستحضار ما له من
العظمة التي لا تتناهى ونبه على عظم امره بقوله واعلموا وبتكرير الاسم الاعظم في قوله ان الله فلم يبق وزا
ذلك مرمى بكل شي اي من امور النكاح وغيرها عليم اي بالغ العلم فاحذروه حذر من يعلم انه بحضرته
وكل ما يعمله من سر وعلن فيفضحه قال الحرالي والتهديد بالعلم منتهى التهديد انتهى ولما نهى عن المضار في
العصمة وفي اثرها الذي هو العدة اتبعه النهي عما كان منه بعد انقضائها بالعضل من كل من يتصو

منه عضل لما كان نهي الأولياء إذا كانوا أزواجا نهيا للغير بطريق الأولى أسنده إلى الأزواج وهم في غمارهم فقال **وإذا طلقتم** أي أيها الأزواج وأظهر ولم يضمر لأن المذكور هنا أعم من الأول فقال **النساء** أي طلاق كان **فبلغن أجلهن** أي انقضت عدتهن فقد دل سياق الكلامين على اختلاف البلوغين نقله الأصبهاني عن الشافعي يعني أن الأول دل على المشارفة بلازمه بالإمساك وهذا على الحقيقة للنهي عن العضل **فلا تعضلوهن** أي تمنعوهن أيها الأولياء أزواجا كنتم أو غير أزواج والعضل قال الحرالي هو أسوأ المنع من عضلت الدجاجة إذا نشبت بيضتها فيها حتى تهلك انتهى **أن ينكحن أزواجهن** أي الذين طلقوهن وغيرهم وسموا أزواجا لما آل أمرهم إلى ذلك كما أن المطلقين سموا أزواجا بما كان واستدل الشافعي رحمه الله بها على أنه لا نكاح إلا بولي لأن التعبير بالعضل دال على المنع الشديد المعنى من الداء العضال وإن عضل من غير كفؤ جاز ولم يتزوج منه ولو كانت المرأة تزوج نفسها لما كان أعيا ولا يثبت عضله الممنوع ليحصل عزله إلا إذا امتنع عند الحاكم وقد بينت ذلك السنة وهذه الآية من عجائب أمر الاحتباك طلقتم بفهم الأزواج من تعضلوهن وطلقتموهن بفهم الأولياء من طلقتم وقد بينت ذلك في كتابي الإدراك **إذا تراضوا** أي النساء والأزواج الأكفاء بما أفهمته الإضافة دون أن يخال أزواجا لهن مثلا ولما كان الرضى ينبغي أن يكون على العدل أشار إليه بقوله **بينهم** ولما كانا قد يتراضيان على ما لا ينبغي نبه بقوله **بالمعروف** فإن تراضوا على غيره كأن كان الزوج غير كفؤ فاعضلوهن وعرفه كما قال الحرالي اجتماع معرفتين منهما فكان معرفتهما المعروف التام وأما المنكر فوصف حد منهما انتهى ولما ذكر الأحكام مبينا لحكمها فكان ذلك وعظا وكان أكثر الناس يظن أن الوعظ مغاير للأحكام أقبل على المختار للكمال فقال **ذلك** أي الأمر العظيم أيها الرسول **يوعظ** أي يرقق **به** قلوب **من كان** والوعظ قال الحرالي هز النفس بموعود الجزاء ووعيده انتهى فهو تهديد لمن تشق عليه الأحكام وهم الأكثر ولما كان من أتباعه صلى الله عليه وسلم من جاهد نفسه حتى صار أهلا لفهم الدقائق وإدراك الإشارات والرقائق فالتفت كلية للسماع خطر بقوله **منكم** معلما أن الخطاب في الحقيقة لكل تابع وإنما نبه بهم لأنهم المسعون به العاقلون له لما لهم من رقة القلوب المناسبة على الأذهان لأن الخطاب وإن كان بالأحكام فهو وعظ تضمن الترهيب كما يتضمن الترغيب ولما كان من الحكمة أن من لا ينتفع بشيء لا يقصد به أشار إلى ذلك بقوله **يؤمن بالله** أي بما له من العظمة **واليوم الآخر** خوفا من الفضيحة فيه وفي تسميته وعظا إفهام بأن من تجاوز حدا في غيره سلط عليه من يتجاوز فيه حدا قال الحرالي لأن من فعل شيئا فعل به نحوه كأنه من عضل عن زوج عضل ولي أخ عنه حين يكون هو زوجا من زنى زني به سنجزيهم وصفهم انتهى فلما رفع ما يهجو إليه من كمال الأصغاء قال مقبلا عليهم **ذلكم** أي الأمر العظيم الشأن **أزكى لكم** أي أشد تنمية وتكثيرا بما يحصل منه بينكم من المودة والبركة من الله **وأطهر** للقلوب ولما كان وصف الكل بالعلم أدعى لقبول من دونه منه قال مظهرا معيدا الاسم العظيم تعظيما للأمر **والله** أي الذي إليكم هذا والحال أن الملك الأعظم **يعلم** أي له هذا الوصف **وأنتم لا تعلمون** أي ليس لكم هذا الوصف بالذات لا في الحال ولا في الاستقبال لما أفهمه النفي بكلمة لا وصيغة الدوام ولما كان النكاح قد يكون عنه ولادة فيكون عنها رضاع وقد تكون المرضعة زوجة وقد تكون أجنبية والزوجة قد تكون متصلة وقد تكون منفصلة وكان الفراق بالطلاق أكثر منه بالموت وسطر بين عدتي الطلاق والوفاة لا ولاية إلى لكل بسبب واهتماما بشأنه وحثا على الشفقة على الصغير وشدة العناية بأمره لأن الأم ربما كانت مطلقة فاستهانت بالولد إيذاء للزوج إن كان الطلاق عن شقاق أو رغبة في زوج آخر وكذا الأب فقال تعالى عطفا على ما تقديره مثلا فللنساء لهن أحكام كثيرة وقد علمتم منها هنا أصولا تعلم من يصرح الله كثيرا من الفروع والمطلقات إن لم يكن بينكم وبينهن علقة ولادة ونحوها فلا سبيل لكم عليهن وقال الحرالي لما ذكر تعالى أحكام الاستحار بين الأزواج التي عظم منزلها الكتاب لأجلها وكان من حكم توابع الأزواج وفروع الولد وأحكام الرضاع نظم به عطفا بعضا على معاني ما تجاوزه الإفصاح وتضمنه الإفهام لما قد علم من أن إفهام القرآن أضعاف إفصاحه بما لا يكاد ينتهي عده فلذلك يكثر فيه الخطاب عطفا أي على غير مذكور ليكون الإفصاح أبدا مشعرا بإفهام ينال من رزق روح العقل من الفهم كما ينال نفسه الإفصاح من وهبه الله نفس العقل الذي هو العلم انتهى فقال تعالى **والوالدات** أي من المطلقات وغيرهن وأرهن بالإرضاع في صيغة الخبر الذي من شأنه أن يكون وقد تحقق تسليتهما على تأكيده وإن كان الندب لما أفهمه إيجاب الأجرة لهن هنا وفي سورة الطلاق وما يأتي من الاسترضاع فقال **يرضعن أولادهن** قال الحرالي جعل تعالى الأم أرض النسل التي يتغذى من غذائها في البطن وما كان يتغذى أعضاؤها من دمها فكان لذلك لبنها أولى بولدها من غيرها ليكون مغذاه وليدا من مغذاه جنينا فكان الأحق أن يرضعن أولادهن وذكره بالأولاد ليعم الذكور والإناث وقال لرضاعة التغذية بما يذهب الضراعة وهو الضعف والنحول بالرزق الجامع الذي هو طعام وشراب وهو اللبن الذي مكانه الثدي من المرأة والضرع من ذات الظلف انتهى ولما ذكر الرضاع ذكر مدته ولما كان المقصود مجرد تحول الزمان بفصوله الأربعة ورجوع الشمس بعد قطع البروج الاثني عشر إلى البرج الذي كانت فيه عند الولادة وليس المراد الإشعار بمدح الزمان ولا ذمه ولا وصفه بضيق

ولا سعة عبر بما يدل على مطلق التحول فقال **حولين** ولما كان الشيء قد يطلق على معظمه مجازا أو صح أن يراد حول وبعض الثاني بين أن المراد الحقيقة قطعا للتنازع إن وجدت في مدة الرضاع وإعلاما بالوقت المفيد للتحريم كما قال صلى الله عليه وسلم إنما الرضاعة من المجاعة بقوله **كاملين** ولما كان ذلك ربما أفهم وجوب الكمال نفاه بقوله **لمن** أي هذا الحكم لمن **أراد أن يتم الرضاعة** فأفهم أنه يجوز الفطام للمصلحة قبل ذلك وأنه لا رضاع بعد التمام وقال الحرالي وهو الذي يكتفى به دون التمام هو ما جمعه قوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا فإذا كان الحمل تسعا كان الرضاع أحدا وعشرين شهرا وإذا كان حولين كان المجموع ثلاثا وثلاثين شهرا فيكون ثلاثة آحاد وثلاثة عقود فيكون ذلك تمام الحمل والرضاع ليجتمع في الثلاثين تمام الرضاع وكفاية الحمل انتهى ولما أوهم أن ذلك يكون مجانا نفاه بقوله **وعلى** ولما كانت الوالدية لا تتحقق في الرجل كما تتحقق في المرأة وكان النسب يكتفى فيه بالفراش وكان للرجل دون المرأة قال **المولود له** أي على فراشه **رزقهن** أي المرضعات لأجل الرضاع سواء كن متصلات أو منفصلات فلو نشزت المتصلة لم يسقط وإن سقط ما يخص الزوجية ولما كان أشق ما لها بالرضاع عن كل ما يريده الزوج من الاستمتاع ربما أوهم سقوط الكسوة ذكرها فقال **وكسوتهن** أجرة لهن قال الحرالي الكسوة رياش الآدمي الذي يستر ما ينبغي ستره من الذكر والأنثى وقال فأشعرت إضافة الرزق والكسوة إليهن باعتبار حال المرأة فيه وعادتها بالسنة لا بالبدعة انتهى ولما كان الحال يختلف في النفقة والكسوة باختلاف أحوال الرجال والنساء قال **بالمعروف** أي من حال كل منهما قال الحرالي فأكد ما أفهمته الإضافة وصرح الخطاب بإجماله انتهى ثم علله أو فسره بالحنيفية التي من علينا سبحانه بها فقال **لا تكلف** قال الحرالي من التكليف وهو أن يحمل المرء على أن يتكلف بالأشياء التي يدعوه إليها طبعه **نفس** أي لا يقع تكليفهما وإن كان له سبحانه أن يفعل ما يشاء **إلا وسعها** أي ما تسعه وتطيقه لا كما تفعل سبحانه بمن قبل كان أحدهم تعرض ما أصابه البول من جلده بالمقراض والوسع قال الحرالي ما يأتي بسعة وكمال قوة ولما كانت نتيجة ذلك حصول النفع ودفع الضر قال **لا تضار والدة بولدها** أي لا تضر المنفق به ولا يضرها وضم الراء ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب على الخبر وهو آكد وفتح الباقون على النهي ويحتمل فيهما البناء للفاعل والمفعول **ولا مولود له بولده** المولود على فراشه ليس له أن يضر الوالدة به وليس لها أن تضره به ولأن يضر الولد يتفرط وحزنه حملا للقا على الفعل المجرد وكل من أسند سبحانه المضارة إليه أضاف إليه الولد استعطافا له عليه وتحريكا لطبعه إلى مزيد نفعه قال الحرالي تقضيه أبدا بأن لا يمنع الوالد الأم أن ترضع ولدها فيضرها في تفقدها له ولا يبتغي معاملتها في رزقها وكسوتها بسبب ولدها فكما يصلح أن يمسكها زوجة إلا بمعروف لم يصلح أن يسترضعها إلا بمعروف ولا يتم المعروف إلا بالبراءة من المضارة وفي إشعاره تحذير الوالدات من ترك أولادهن لقصد الإضرار مع ميل الطبع إلى الفصال عنهم وكذلك في إشعاره أن لا تضره في رزق ولا كسوة انتهى ولما تم الأمر بالمعروف وما يتبعه من تفسيره وكان ذلك على تقدير وجود الولد إذ ذاك بين الحال بعده فقال **وعلى الوارث** أي وارث الولد وهو الرضيع **مثل ذلك** أي المأمور به من المعروف على ما تقدم به في ماله إن مات والده والوارث قال الحرالي المتلقي من الاحتياط عن الموتى ما كان لهم من حق أو مال انتهى وقيل في الوارث غير ذلك لأنه تقدم ذكر الوالدات والولد والمولود له فاحتمل أن يضاف الوارث إلى كل منهم ولما بين أمد الرضاع وأمر النفقة صرح بما أفهمه الكلام من جواز الفطام قبل التمام فقال مسببا عما أفهمته العبارة **فإن أرادا** أي الوالدان **فصالا** أي فطاما قبل تمام الحولين للصغير عن الرضاع قال الحرالي وهو من الفصل وهو عود المتواصلين إلى بين سابق انتهى وهو أعم من الفطم فلذا عبر به ولما بين ذلك نبه على أنه لا يجوز إلا مع المصلحة فقال **عن تراض منهما** ثم بين أن الأمر خطر يحتاج إلى تمام النظر بقوله **وتشاور** أي إدارة الكلام في ذلك لاستخراج الرأي الذي ينبغي أن يعمل به قال الحرالي فأفهم بإشعار ما في قوله أن يتم أن الكفاية قد تقع بدون الحولين فجعل ذلك لا يكون بريئا من المضارة إلا باجتماع إرادتهما وتراضيهما ومشاورتهما لمن له بصيرة لئلا يجتمعا على نقص الرأي قال صلى الله عليه وسلم ما خاب من استخار ولا ندم من استشار والمشورة أن تخلص حلاوة الرأي وخالصه من خلايا الصدور كما يشور العسل جانيه انتهى **فلا جناح عليهما** فيما تقضياه عن الحولين لأنهما غير متهمين في أمره واجتماع رأيهما ثقة وذاي من يستشيرانه قل ما يخطئ قال الحرالي ففيه استعار بأنهما ثلاث رتب رتبة تمام فيها الخير والبركة ورتبة كفاية فيها رفع الجناح وحالة مضارة فيها الجناح انتهى وقد أفهم تمام نصح العناية أن الإنسان كلما كان أضعف كان رحمة الله له أكثر وعنايته به أشد ولما بين رضاع الوالدات وقدمه دليلا على أولويته أتبعه ما يدل على جواز غيره فقال **وإن أردتم** أي أيها الرجال **أن تسترضعوا** أي أن تطلبوا من يرضع **أولادكم** من غير الأمهات **فلا جناح**

ای میل بانّکم علیکم اذا سلّمتم ای الی المراضع ما اٰتیتم ای ما جعلتم لهن من العطا بالمعروف من طیبة
به انفسکم من غیر تشاحّ ولا تعاسر لان ذلک اقطع لمعاذیر المراضع فیتواجد ربا لاجتهادها فی النصیحة وعدم التفریط
فی حق الصغیر ولما کان التقدیر فافعلوا جمیع ما امرتکم به وانتهوا عن جمیع ما نهیتکم عنه فقد جمعت لکم مصالح
الدارین فی هذا الکتاب الذی هو هدی للمتقین عطف علیه قوله واتقوا الله ای الذی له القدرة الشاملة والعلم
الکامل ثم حذرهم سطواته بقوله منبها علی عظم هذه الاحکام واعلموا وعلق الامر بالاسم الاعظم الجامع لجمیع الاسما
الحسنی فقال ان الله ای المحیط بصفات الکمال تعظیما للمقام ولذلک اکد علمه سبحانه هنا علی خلاف ما مضی فی
وما تفعلوا من خیر فان الله به علیم بتقدیم قوله للاعلام بمزید الاهتمام بما تعملون ای من سر وعلن ولما
کانت هذه الاحکام ادق مما فی الایة التی بعدها وکثیر منها منوط باعمال القلوب ختمها بما یدل علی البصر
والعلم فقال بصیر ای بالغ العلم به فاعملوا بحسب ذلک ولما ذکر الرضاع وکان من تمادیه ما اذا مات الاب
ذکر عدة الوفاة لذلک وتتمیما لانواع العدة فقال وقال الحرالی لما ذکر علق الطلاق الذی هو فرقة الحیاة
انتظم برأس ایته ذکر عدة الوفاة الذی هو فراق الموت واتصل بالایة السابقة لما انجری فی ذکر الرضاع من
موت الوالد وامر الوارث وکذلک کل اية تکون رأسا لها متصلان متصل بالرأس المنتظم بها المنتظمة به
ومتصل بالایة السابقة قبلها بوجه ما انتهی فقال والذین ای وازواج الذین یتوفون منکم ای یحصل وفاتهم
بان یستوفی انفسهم التی کانت عاریة فی ابدانهم الذی عارهم ایاها قال الحرالی من الوفاة وهو استخلاص الحق من حیث
وضع الله عز وجل نفخ الروح واودع النفس لیستوفیها لهذا اجل من حیث ودعها فکان ذلک توفیا تفعلا من الوفا
وهو اداء الحق ویذرون من الوذر وهو ان یوحذ المرء عما شانه امساکه ازواجا بعدهم ولما ارید تاکید التربص
مراعاة لحق الازواج وحفظا لقلوب الاقارب واحتیاطا للنکاح اتی به فی صیغة الخبر الذی من شانه ان یکون قد وجد ثم
فقال یتربصن ای ینتظرن ازواجهن لانقضا العدة ولما کان الممنوع انما هو للعقد والتعرض له بالاتعال دون طلب
بالتعریض قال معبرا بالنفس لذلک وللتنبیه علی ان العجلة عن ذلک انما تکون شهوة نفسانیة بهیمیة لیکون
ذلک حادیا علی البعد عنها بانفسهن فلا یبذلنها لزوج ولا یخرجن من منزل الوفاة ویترکن الزینة وکل ما للنفس فیه
شهوة تدعو الی النکاح کما بینت ذلک السنة اربعة اشهر وعشرا ان کن حرائر ولم یکن حمل سوا کانت صغیرة
او کبیرة تحیض ولا ابتداؤها من حین الوفاة لانها السبب وعلب للیالی فاسقط التا لان اول الشهر اللیل فاذا
بلغن اجلهن ولما کان الله تعالی قد جعل المسلمین کالجسد الواحد وکان الکلام فی ازواج الموتی اعلم سبحانه بانه یجب علی
علی احیائهم المسلمین من حفظ حقوقهم ما کانوا یحفظونه لو کانوا احیا بقوله فلا جناح علیکم ای یا اهل الدین فیما
ولما کان لا بد من اذن المراة وقد تاذن للقاضی علی دع الولی عند عضله مثلا اسند الفعل الیهن فقال فعلن فی
انفسهن ای من النکاح ومقدماته التی کانت ممنوعة منها بالاحداد ولا یحمل هذا علی المباشرة لیکون دلیلا علی
انکاح المراة نفسها لمعارضته اية ولا تعضلوهن المتایدة بالسنة ولما کان ذلک قد لا یکون علی وجه شرعی قال
بالمعروف لینصرف الی الکامل فلا یکون فی ذلک شوب نکارة فان فعلن ما ینکر کان علی الناس الجناح بترک
الانکار علیهن بالفعل واجمع الفقها غیر ابی مسلم الاصفهانی علی ان هذه الایة ناسخة لایة العدة بالحول والتقدم
فی التلاوة لا یمنع التاخر فی النزول لان الترتیب لیس علی ترتیب النزول نقل ذلک الشمس الاصفهانی ورد علیه ما بالغ فی
نقله له عن مجاهد ولما کان التقدیر فالله حد لکم هذه الحدود فاحفظوها عطف علیه قوله تحذیرا من التهاون
فی شی منها فی انفسهم او من الامر بالمعروف والنهی عن المنکر فی حق غیرهم والله ای الذی له صفات الکمال بما تعملون من
سر وعلانیة ولما کان هنا من العدة ما لم تعرفه العرب قبل وربما انکرته القلوب لکونها لم تفهم سره وکان
امر النکاح وان قید بالمعروف باطنا ختم بقوله خبیر ای یعلم خفایا البواطن کما یعلم ظواهرها فاحذروا مخالفته
واتبعوا امره ولما حرم سبحانه هذه المدة لمنعهن عن الرجال بین ان التعریض بالخطبة لیس داخلا فی المنع فقال
ولا جناح علیکم ای اثم یمیل فیما عرضتم به ای تلفظتم وانتم تقصدون ما هو بعید عنه کانه فی جانب وهو فی
جانب حرة ینادی الیه لا تبدوه کانت جمیلة او نافقة وانا عازم علی ان اتزوج وعسی ان یسر الله لی قرینة صالحة
قال الحرالی من التعریض وهو تفعیل من العرض والعرض وهو القا القول عرضا ای ناحیة علی غیر قصد الیه وصمد
نحوه انتهی والفرق بینه وبین الکنایة انه کلام ظاهر فی معنی یقصد به غیر معناه الظاهر فلا یفهم المراد الا بالقرائن
کقول المحتاج حیث اسلم علیک وانظر وجهک الکریم ویسمی التلویح ایضا والکنایة ذکر اللازم وارادة الملزوم وقد
افهم نوط الحل بالتعریض تحریم التصریح المقابل له والکنایة والتصریح اسم لما هو طاهر المراد عند السامع بحیث
یسبق الی فهمه المراد ویسبق عند الاطلاق من خطبة وهی الخطاب فی قصد التزوج وقال الحرالی هی هیئة له
الحال فیما بین الخاطب والمخطوبة التی النطق عنها هو الخطبة بالضم النسا المتوفی عنهن ازواجهن ومن اشبههن

فی طلاق

فی طلاق باین بالثلاث او غیرها ولما احل له التعریض وکان قد یعزم علی التصریح اذا حل له ذلک نفی عنه
الحرج فیه بقوله او اکننتم ای اضمرتم فی انفسکم من تصریح وغیره سواء کان من شهوات النفس او لا قال
الحرالی من الکن بالفتح وهو الذی من معناه الکن بالکسر وهو ما واری بحیث لا یوصل به الی شی ولما کان الله سبحانه
بهذه الامة عنایة عظیمة فی التخفیف عنها اعلمها بذلک بقوله علی سبیل التعلیل علم الله ای
بما له من صفات الکمال انکم ستذکرونهن ای فی العدة فاذن لکم فی ذلک علی ما حد لکم قال الحرالی تقفیة
اجرا الشرعة علی الجبلة الخاصة بهذه الامة انتهی ولما کان التقدیر فاذکروهن استثنی منه قوله ولکن
لا تواعدوهن ای فی ذکرکم ایاهن سرا ولما کان السر یطلق علی ما اسر بالفعل وما لهوا هل ان یسر وان جهر
بین ان المراد الثانی وهو السر بالقوة فقال الا ان تقولوا ای فی الذکر لهن قولا معروفا لا یستحیی منه عند
احد من الناس فال الامر الی ان لا تواعدوهن الا ما لا یستحیی من ذکره فیستتر وهو التعریض فنصت هذه الایة علی
تحریم التصریح بعد افهام الایة الاولی لذلک اهتماما به لما للنفس من الداعیة الیه ولما کانت عدة
الوفاة طویلة فکان حبس النفس فیها عن النکاح شدیدا وکانت اباحة التعریض قریبة من الوقوع حول
الحمی وکان من یرتع حول الحمی یوشک ان یواقعه خصها باتباعها النهی عن العقد قبل الانقضاء حملا
علی التحری ومنعا من التجری فقال ولا تعزموا ای تبتوا ای تفعلوا فعلا تاما مقطوعا به غیر متردد عنه
عقدة النکاح ای النکاح الذی یصیر معقودا للمعتدة عدة هی فیها بائن لتضمن العزم البت ولذلک اسقط
علی واوقعه علی العقدة التی هی من اثاره ولا تتحقق بدونه فکانه قال ولا تعزموا علی النکاح بان تعقدوه
وهو ابلغ مما لو قیل ولا تعقدوا النکاح فان النهی عن العزم الذی هو سبب العقد نهی عن العقد بطریق
الاولی قال الحرالی والعقدة توثیق جمع الطرفین المفترقین بحیث یشق حلهما وهو معنی دون الکتب الذی هو
وصلة وحرز حتی یبلغ الکتاب ای الذی تقدم فیما انزلت علیکم منه بیان عدة من زالت عصمتها من رجل
بوفاة او طلاق او ما کتب وفرض من العدة اجله ای اخر مدته التی ضربها للعدة ولما کان اباح سبحانه التعریض
وحظر عزم العقدة وغلظ الامر بتعلیقه بالکتاب ونفی بین الطرفین امور کانت للشهوة فی مثلها غالبة
والهوی میلا غلظ سبحانه الزواجر لتفاقم تلک الدواعی فتولی تلک الامور تهدیدا بقوله تعالی واعلموا
ای ایها الراغبون فی شی من ذلک ان الله وله جمیع الکمال یعلم ما فی انفسکم کله فاحذروه ولا تعزموا
علی شر فانه یلزم من احاطة العلم احاطة القدرة ولما هددهم بعلمه وکان ذلک النهایة فی التهدید
وکان کل احد یعلم من نفسه من النقایص ما یجل عن الوصف اخبرهم بما اوجب الامهال علی ذلک من سعة
بغفرانه وحلمه حثا علی التوبة واقامة بین الرجا والهیبة واعلموا ان الله ای کما اقتضی جلاله العقوبة اقتضی
جماله العفو فهو لذلک غفور ای ستور لذنوب الخطائین ان تابوا حلیم لا یعاجل احدا بعقوبته فبادروا
بالتوبة رجا غفرانه ولا تغتروا بامهاله فان غضب الحلیم لکونه بعد طول الاناة لا یطاق ویجوز ان یکون
التقدیر ولا تصرحوا للنسا المعتدات بعقدة النکاح فی عدة من العدد والسر فی بقا وبها ان عدة
الوفاة طولت مراعاة للورثة الی حد هو اقصی دال علی براة الرحم لان ما یکون فیه اربعین یوما نطفة
ومثلها علقة ومثلها مضغة لم ینفخ فیه الروح فتلک اربعة اشهر وقد تنقص الاشهر اربعة
ایام فزیدت علیها وجبرت بما اتم اقرب العقود الیها وفی صحیح مسلم تقدیر المدة الاولی باثنتین واربعین
وفی روایة خمسة واربعین وفی روایة بضع واربعین فاذا حمل البضع علی ست وزید ما قد تنقصه
الاشهر صارت اربعة اشهر وعشرا ولم تزد علی ذلک مراعاة للمراة لما قیل انه یفضل صبر النساء
بعد ذلک وانقصر فی الاستبرا علی قرء وهو اقل دال علی براة الرحم لان السید یکون مخالطا للامة غالبا
فیشق الصبر وثلثت عدة الحرة جریا علی سنة الشارع فی الاستظهار بالتثلیث مع زوال علة الاسراع
من المخالطة ولان اکثر الطلاق رجعی فربما کان عن غیظ فمدت لیزول فیتروی وکانت عدة الامة من
الطلاق بین الاستبرا وعدة الحرة لما تنازعها من حق السید المقتضی للقصر وحق الزوج المقتضی للطول
مع عدم امکان التنصیف والله اعلم ولما تمت احکام العدد وما یتبعها مما حق الرجال فیه اغلب اتبعها
احکام الاصدقة ولما کان الکلام قد طال فی احکام الطلاق والموت ولم یذکر الصداق وکان قد ختم تلک الاحکام
بصفتی الغفر والحلم وکان الصداق معلوما عندهم قبل الاسلام اقتضی ذلک السؤال هل یجب
للمفارقة صداق ولا وما دخل تحت المغفرة والحلم فلا یجب فقیل لا جناح علیکم ای لا تبعة من
مهر ولا غیره الا ما یاتی من المتعة واصل الجناح المیل مع المثقل ان طلقتم النسا ای ان طلق احد منکم
ما یملک عصمته منهن ما لم تمسوهن ای تجامعوهن من المس ومن المماسة فی القراة الاخری وهو لا

فاذا

الجرمين بغير حائل بينهما قاله الحرالي او تفرضوا لهن فريضة اى تسموا لهن مهرا معلوما اى لا جناح عليكم ما لم يقع احد الامرين اى مدة انتفائه ولا ينتفي الاحد المبهم الا بانتفاء الامرين معا فاذا انتفيا انتفى الجناح وان وجدا او احدهما وجب فان وجد المسيس وجب المسمى او مهر المثل وان وجد الفرض وجب نصفه ان خلا عن مسيس قال الحرالي ففي انبائه صحة عقد النكاح مع اهمال ذكر الصداق لا مع ابطاله ففيه صحة نكاح التفويض ونكاح التشاجر لذكر الصداق فبان به ان الصداق ليس ركنا فيه وان ابطاله مانع من شأنه فيكون له ثلثة احوال من رفع الجناح فيه عن المهمل الذي لم يمس فيه كانه كان يستحق فرضا ما فرفع عنه جناحه من حيث ان على الماهر كلية النحلة وعلى العاقد شطرها لحمله فرفع عنه جناح الفرض وجبر موضع الفرض بالامتاع ولذلك الزمت المتعة طائفة من العلما انتهى ولما كان التقدير فطلقوهن ان اردتم وادعوا فيهن ما اوجبت من الحقوق لكم وعليكم عطف عليه قوله ومتعوهن اى جبرا لما وقع من الكسر بالطلاق على حسب حال المطلقين والمطلقة من غير مسيس ولا فرض مستحقة للمتعة بالاجماع نقله الاصفهاني على الموسع منهم اى الذي له في حاله سعة وقال الحرالي هو من الايساع وهو الملكة في السعة التي هي اكثر من الكفاية قدره من القدر وهو الحد المحدود في الشي حسا او معنى وعلى المقتر اى الذي في حاله ضيق قال الحرالي هو من الاقتار وهو النقص من القدر الكافي انتهى قدره اى ما يقدر عليه ويطيقه وقراءة فتح الدال كقراءة اسكانها فانهما لغتان او ان الفتح مشير الى التفضل بحمل شي ما فوق القدرة متاعا اى تمتيعا له بالمعروف وهو ما ليس فيه في الشرع نكارة حقا على المحسنين اى الذين صار الاحسان لهم وصفا لازما والاحسان غاية رتبة الدين فانه كما قال الحرالي اسلام ظاهر يقيمه ايمان باطن يكمله احسان شهودي انتهى وله فالكلام على هذا النظام الهاب ونحيح لا فيد وانما كانت حسانا لان ملاك القصد فيها كما قال الحرالي ما تطيب به نفس المراة ويبقي باطنها وباطن اهلها مسلما او ذا مودة لعل الله يحدث بعد ذلك امرا انتهى ولا شك في ان هذا احا ولما نفي الجناح بانتفا المسيس والفرض فافهم انهما اذا وجدا او احدهما وجد الجناح بوجوب المفروض كله اتبعه ما اذا انتفى احدهما فقط فذكر الحكم عند انتفا المسيس وحده صريحا في ضد المفوضة السابقة وافهم بذلك ما اذا انتفى الفرض وحده تلويحا فقال وان طلقتموهن اى الزوجات من قبل ان تمسوهن اى تجامعوهن سوا كانت هناك خلوة او لا وقد اى والحال انكم قد فرضتم اى سميتم لهن فريضة اى مهرا مقدرا فنصف اى فالماخوذ نصف ما فرضتم اى سميتم لهن من الصداق لا غيره ولما اوجب لها ذلك بحثها على تركه لان الزوج لم ينتفع منها بشي بالتعبير بالعفو فقال الا ان يعفون اى النسا فان النون ضمير هن والواو لام الفعل فلا يوخذ منكم شي او يعفو الذي بيده اى اليه ولكن لما كان اغلب الاعمال باليد اسندت اليها كلها فصارت كناية عن القدرة عقدة النكاح وهو الزوج الذي ان شا ابقاها وان شا حلها فيسمح لها بالجميع كان التعبير بهذا اهز للزوج الى العفو في نظير ما جعل اليه من هذا ومما قال الحرالي اذا قرن هذا الايراد بقوله ولا تعزموا عقدة النكاح خطابا للازواج قوي فهم من جعل الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج معادلة للزوجات ومن خص عفوهن بالمالكات اى الرشيدات خص هذا بالولي فكان لهذا النمط من التعديد للاختلاف لبس عن سعة ابهام وكانه عن تقيه بوجه ما من نهاية الافصاح لتنشا الخلاف فيه دون منشا الخلاف من خطابات لسعة بالابهام انتهى وجعل الامام هنا مفهوما من التعبير بالعقدة لانها تدل على المفعول كالاكلة واللقمة والذي بيده ذلك الزوج والذي بيد الولي العقد وهو المصدر كالاكل واللقم لا العقدة الحاصلة بعد العقد وان تعفوا ايها الرجال والنسا اقرب اى من الحكم بالعدل الذي هو التسوا ولما كان المقام للترغيب عبر باللام الدالة على مزيد القرب دون الى فقال للتقوى اما من المراة فلا تحمل ان الزوج لم ينل منها شيا ولا حظي بطائل فهو اقرب الى رضاه واما من الرجل فلما اشار اليه بجعل العقدة بيده فانه كما ربطها باختياره حلها باختياره فدفع الكل اقرب الى جبر المراة ورضاها ومن فعل الفضل كان بفعله ذلك اقرب الى ان يفعل الاجر لمن لم يفعل ولما كان العفو فضلا من العافي واحسانا منه وكانوا انما يتمادحون بالفضل بل اكده بقوله ولا تنسوا اى تتركوا ترك المنسي والتعبير بالنسيان ادل النهي الفضل اى ان تكونوا مفضلين في جميع ما مضى لا مفضلا عليكم فان اليد العليا خير من اليد السفلى وزاده تاكيدا بقوله بينكم اى حال كونه واقعا فيكم من بعضكم لبعض ليس شي منه خارجا عنكم ولن ينال الله منه شي لانه غني عن كل شي فما امركم به الا لنفعكم خاصة لبلايا ذي الزوج يبذل لم ينتفع في مقابلته من المراة بشي لا المراة بطلاق لم يحصل لها في نظير ما لحقها من الكسر بسببه شي وهو يصح ان يكون بالتغليب خطابا للفريقين وخصه الحرالي بالرجال فقال لمن حق الزوج الذي له فضل الرجولة ان يكون هو العافي وان لا يوخذ النسا بالعفو لذلك ولذلك لم يات في الخطاب امر لهن ولا حز بعض فمن اقبح ما يكون حمل الرجل على المراة في استرجاع ما اتاها بما يصح به قوله او اتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيا فينبغي ان لا تنسوا ذلك الفضل فتجرون عليه حيث لم تلزموا به انتهى ثم علل ذلك مرغبا مرهبا بقوله ان الله اى الذي له الكمال كله بما تعملون اى وان دق بصير وانهم ذلك

وان طلقتموهن بعد المسيس وقبل الفرض فجميع مهر المثل ولما ذكرت احكام النسا وشعبت حتى ضاق فسيح العقل بانتشارها وكان ان يضيع في منتسع مضمارها مع ما هناك من مظنة الميل بالعشق والنفرة بالبغض الحامل على الحيف والتشاغل بالاولاد وغيرة للملتمس فتن وبلايا ومحن يضيق عنها نطاق الحصر ويكون بعضها مظنة للتهاون بالصلاة بل ولحل عبادة انتضى الحال ان يقال يرى ان الانسان ضعيف وفي بعض ذلك شاغل عن كل مهم فهل بقي له سعة لعبادة تلك فقيل حافظوا بصيغة المفاعلة الدالة على غاية العزيمة اى ليسابق بعضكم بعضا في ذلك ويجوز ان يكون ذلك بالنسبة الى العبد وربه فيكون المعنى احفظوا صلاتكم له يحفظ صلاته عليكم فلا يفعل فيها فعل الناسي فيترك تنشر يعفكم بها واحضر منه ان يقال لما ذكر سبحانه ما بين العباد خاصة ذكر ما بينه وبينهم فقال وقال الحرالي لما كان ما انزل له الكتاب اقامة ثلثة امور اقامة امر الدين الذي هو ما بين العبد وربه وتمشية حال الدنيا التي هي دار محنة العبد واصلاح حال الاخرة والمعاد الذي هو موضع قرار العبد صار ما يجري ذكره من احكام تمشية الدنيا غلسا نجوما بارنه احكام امر الدين فلذلك مطلع نجوم خطابات الدين اثنا خطابات امر الدنيا فيكون خطابات الامر مجاخلال خطابات الحرام والحلال في امر الدنيا وانما كان نجم هنا الخطاب للمحافظة على الصلاة لان هذا الاستجار المذكور بين الازواج فيما يقع من تكره في الانفس وتشاح في الاموال مما وقع من تضييع المحافظة على الصلوات لان الصلاة بركة في الرزق وسلاح على الاعدا وكراهة الشيطان فهي دافعة للامور التي منها تنضايق الانفس وتقبل الوسواس ويطرقهما الشح فكان في انتظام نجم هذا الخطاب اثنا هذه الاحكام الامر بالمحافظة على الصلوات لتجري امورهم على سداد يغنيهم عن الارتباك في جملة هذه الاحكام انتهى فقال حافظوا قال الحرالي من المحافظة مفاعلة من الحفظ وهو رعاية العمل علما وهيئة ووقتا واقامة بجميع ما يحصل به اصله ويتم به عمله وينتهي اليه كماله واشار الى كمال الاستعداد لذلك باداة الاستعلا فقال على الصلوات فعم وعرف حتى يعم جميع انواعها اى افعلوا في حفظها فعل من يناظر اخر فيه فانه لا مندوحة عنها في حال من الاحوال حتى ولا في حال خوف التلف فان في المحافظة عليها كمال صلاح امور الدنيا والاخرة لاسيما ادرار الارزاق واذلال الاعدا وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها الاية واستعينوا بالصبر والصلاة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ولا شك ان للفظ صالح لدخول صلاة الجنازة فيه ويزيده وضوحا اكتناف بني الوفاة هذه الاية سابقا ولاحقا وقال الحرالي ان الله يعطي الدنيا على نية الاخرة وابى ان يعطي الاخرة على نية الدنيا فخلل حال المرء في دنياه ومعاده انما هو عن خلل حال دينه وملاك دينه واساسه ايمانه وصلاته فمن حافظ على الصلوات اصلح الله حال دنياه واخراه وفي المحافظة عليها تجري مقتضيات عملها اسلاميا وخشوعا احسا ايمانيا وروية وشهودا احسانيا فبذلك تتم المحافظة عليها واول ذلك الطهارة لها باستعمال الطهور على حكم السنة وتتبع معاني الحكمة كما في مسح الاذنين مع الراس لان من فرق بينهما لم يتم له طهور نفسه بما ابدته الحكمة واقامته السنة وعمل العلما بضد عنه عامة الخلق الغفلة ثم التزام التوبة عندها لان طهور القلب للتوبة كما ان طهور البدن والنفس بالما والتراب فمن صلى على غير تجديد توبة صلى محدثا بغير طهارة ثم حضور القلب في التوحيد عن الاذان والاقامة فان من غفل قلبه عند الاذان والاقامة عن التوحيد نقص من صلاته روحها فلم يكن لها عمود دنيا من خضوع قلبه حال الاذان والاقامة خضوع قلبه في صلاته ومن غفل قلبه عنده ما غفل قلبه في صلاته ثم همه بها في تمام ركوعها وسجودها وانطلاق كل ركن على حد ذكر الله المختص به ادنى ما يكون ثلثا فليس في الصلاة محل لا نطق له ولا يقبل الله صلاة من لم يقم صلبه في ركوعه وسجوده وقيامه وجلوسه فيما ينقص من تمامها ينقص المحافظة عليها وبتضييع المحافظة عليها يتملك الاعدا النفس ويلحقها الشح فتثقل عليها الاحكام وتتضاعف عليها مشاق الدنيا ومن حامل يحمل عملا في وقت صلاة او حال اذان الا كان وبالا عليه وعلى من ينتفع به من عمله وكان ما ياخذه من اجر فيه سحتا حيث لا يثمر له عمل بر ولا راحة نفس في عاجلته ولا اجلته وخصوصا بعد ان امهل الله الخلق من طلوع شمس يومهم الى زوالها ست ساعات فمن لم يكن له نيام حق في الست الباقية فكيف اذا طرقوا منها بافات الاذان والصلاة وما نقص عمل من صلاة فبذلك كانت المحافظة على الصلوات ملاكا لصلاح احوال الخلق مع ازواجهم في جميع احوالهم انتهى والصلاة الوسطى اى خصوصا فانها افضل الصلوات لانها اخصها بهذا النبي الخاتم كما مضى بيانه اول السورة في قوله واستعينوا بالصبر والصلاة فخصها سبحانه بمزيد تاكيد واخفاها لادا ذلك الى المحافظة على الكل ولهذا السبب اخفى ليلة القدر في رمضان وساعة الاجابة في يوم الجمعة والاسم الاعظم في جميع الاسما ووقت الموت

حملا على التوبة في كل لحظة وقال الحرالي وما من جملة الا ولها زهرة فكان في الصلوات ما هو منها بمنزلة الخيار من الجملة وخيارها وسطاها فلذلك خصص تعالى خيار الصلوات بالذكر وذكرها بالوصف بها مما يشمل الوسطى الخاصة لهذه الامة وهي العصر التي لم تصح لغيرها من الامم ويشمل الوسطى العامة لجميع الامم ولهذه الامة التي هي الصبح ولذلك اتسع الموضع اخذها بالوصف بحال العلماء فيها ثم تعدت نظائرهم الى جميعها لموقع الابهام في ذكرها حتى تتاكد المحافظة في الجميع بوجه ما وفي قراءة عايشة رضي الله عنها وصلاة العصر عطفا على ما يشعر بظاهر العطف باختصاص الوسطى بالصبح على ما رآه بعض العلما وفيه مساغ لمرجعه على الصلاة الوسطى نفسها ليكون عطف اوصاف وتكون تسميتها بالعصر مدحا ووصفا من حيث ان العصر خلاصة الزمان كما ان عصارات الاشيا خلاصاتها ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون فعصر اليوم هو خلاصته لسلامته من وهج الهاجرة وغسق الليل ولتوسط الاحوال والابدان والانفس بين حاجتي الغذا والعشا التي هي مشغلتهم حاجة الغذا ومن افصاح العرب عطف الاوصاف المتكاملة فيقال فلان كريم وشجاع اذا تم فيه الوصفان فاذا انقصا عن التمام قيل كريم شجاع بالاتباع فلذلك قيل معنى هذه القراءة ان تكون الوسطى هي العصر عطفا لوصفين ثابتين لامر واحد انتهى ويوضح ما قاله رحمه الله قوله في الرمان المز حلو حامض من غير عطف وبرهانه انهم قالوا ان الجمل اذا اتت بعد من غير عطف كان ذلك موذنا بتمام الاتصال بينهما فتكون الثانية اما علة للاولى واما مستانفة على تقدير سوال سايل ونحو ذلك مما قاله البيانيون في باب الفصل والوصل ولولا اشعار الكلام الاول بالجملة الثانية لاحتياجه اليها لم يوجد محرك للسوال بخلاف ما اذا تعاطفت فان ذلك يوذن بان كل واحدة منها غير ما بعدها وذلك موذن بالتمام واما اسما الله تعالى فتتابعها دون عطف لان شيا منها لا يودي جميع مفهوم اسم الذات العلم ولذلك ختم سبحانه سورة الحشر بقوله له الاسما الحسنى اي ان هذه الاسما التي ذكرت هي مما اشتمله مدلول اسم العلم المبتدا به سوا قلنا انه مشتق او لا ومهما اطلق على وصف حسن يليق به سبحانه فهو مما دل عليه الاسم الاعظم لان من يستحق العبادة لا يكون الا كذلك جامعا لاوصاف الكمال اولانه لما جبلت النفوس وطبعت القلوب على المعرفة بانه سبحانه منزه عن شوايب النقص متصف باوصاف الكمال كان الاعرا من العطف فيها للايذان بذلك وما عطف منها فلمعنى دعا اليه كما ياتي بيانه ان شا الله تعالى في مواضعه وانا لا اشك ان المعطل اذا وقع في ضيق حرجه ودهمه من البلا ما اعجزه واحرق قلبه واجرى دمعه التفت قلبه ضرورة الى الله تعالى في كشفه وضرع اليه في ازالته لما في جبلته من كماله وعظمته وجلاله ذاهلا عن نكتته من قرنا السوء من سوء الاعتقاد وجحوده من العناد والله اعلم فخذ هذه القاعدة فقد طال ما تطلبتها وسالت عنها الفضلا فما وجدتها وضربت بفكري في رياض الفنون ومهامه العلوم حتى تصورتها ثم بعد فراغي من تفسيري رايت الكشاف اشار اليها في اية والمستغفرين بالاسحار في ال عمران والله الموفق ولما امر بالمحافظة عليها اتبعه جامع ذلك فقال **وقوموا لله** اي الذي له الجلال والاكرام **قانتين** اي مطيعين قاله الحسن وسعيد بن جبير والشعبي وعطا وقتادة وطاوس وروى الطبراني في الاوسط والامام احمد وابو يعلى الموصلي في مسنديهما وابن حبان في صحيحه عن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل حرف ذكر من القنوت في القران فهو الطاعة وقيل القنوت السكوت ففي الصحيحين عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه في حاجته حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وقال مجاهد خاشعين وقيل غير ذلك واذا علم اصل معنى هذه الكلمة لغة علم ان المراد مخلصين واليه يرجع جميع ما قالوه وذلك ان مادة قنت باي ترتيب كان تدور على الضمور من القتن للقليل اللحم والطعم وقتن المسك اذا يبس فيلزمه الاجتذاب والخلوص فانه لولا تجاذب الاجزا وزوال ما بينهما من المانع لم يضمر ومنه امراة قنوت اذا كانت قليلة الولد لكانها تجتذب المني كله فتنطفي بما يكون منه الولد او انه لما كان المقصود الاعظم من الجماع الولد كانها كانت المختصة بجذب المني وكان اجتذاب غيرها عدما او كانها تجتذب الولد من رحمها فتخرجه وذلك من نتق السقا وهو نفضه حتى يقتلع ما فيه فيخلص ومن ذلك البيت المعمور نتاق الكعبة اي معلق عليها من فوق فلو انه جاذب شيا من الارض لكان اباها لانه يجاذبها ومن الضمور النقيق لوسادة الما وهو الكدر الذي يبقى في الحوض فانه منتهى لاجتذاب العكر له ويلزم الضمور الاحكام لجودة التراص في الاجزا لخلوصها عن مانع ومنه امر متقن اي محكم ورجل تقن اذا كان حاذقا بالاشيا فهو خالص الراي ويلزمه الاخلاص والخشوع والتواضع فتاتي الطاعة بالدعا وغيره فانها جمع الهمم على المطاع امن هو قانت انا الليل ونحو ذلك والتقن ايضا الطبيعة فانها من الشي خالصه ومنه الفصاحة من تقن فلان اي طبعه ويلزم الضمور القيام فانه ضمور بالنسبة الى هيئة الهيبات ومنه افضل الصلاة طول القنوت والسكون ضمور بالنسبة الى الكلام

ويلزم الضمور اليبس والذبول ومنه النقن للطين الذي يذهب عنه الما فييبس ويتشقق والقلة ومنه قراد قتين اي قليل الدم فيلزم ايضا السكوت والاحكام واذا راجعت معاني هذه المادة وهي قنت وقتن ونقت وتقن ونتق من كتب اللغة ازددت بصيرة في هذا واذا علم ذلك علم ان الاية منطبقة على الحديث محتملة لجميع اقوال العلما وذلك ان الصلاة اذا اخلصت لم يكن فيها قول ولا فعل لغير منها وذلك محض الطاعة والخشوع وقال الحرالي القنوت الثبات على امر الخير وفعله وذلك لان فعل الخير والبر يسير على الاكثر ولكن الثبات والدوام عسير عليهم وكان من القنوت مداومة الحق فيما تجابه في الصلاة حتى لا يقع التفاوت للخلق فلذلك لزم الصمت عن الخلق من معناه لان كلام الناس قطع له وامر المناجاة نفي اشعاره ان من قام لله قانتا في صلاته اقام الله في دنياه حاله في ذاتيه ومع اهله كما يشير اليه معنى اية وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك ففيه ايذان بان الصلاة تصلح الحال مع الاهل وتستدر البركة في الرزق انتهى وحديث زيد هذا صريح في ان الصلاة في اول الامر لم تكن على الحد والتي صارت اليها اخرا فتحتمل ان الفعل كان مباحا فيها كما كان الكلام ويويده ان الاصل في الاشيا الاباحة حتى ياتي نص بالمنع وبهذا يزول ما في حديث ذي اليدين من الاشكال من انه يقتضي اباحة القول والفعل للمصلي اذا ظن انه اكمل الصلاة او نسي انه فيها لان النبي صلى الله عليه وسلم صلى احدى صلاتي العشي فسلم من ركعتين ثم قام الى خشبة في ناحية المسجد فاتكا عليها وخرج سرعان الناس فقال له ذو اليدين بالحال فسال الناس فصدقوه فرجع فاكمل الصلاة فان الحديث غير مورخ فيحتمل انه كان قبل تحريم الافعال والاقوال بهذه الاية ويويد احتمال اباحة الافعال والاتباع الاية بقوله تعالى **فان خفتم** اي بحال من احوال الجهاد الذي تقدم انه كتب عليكم او نحو ذلك من عدو او سبع او غريم يجوز الهرب منه او غير ذلك **فرجالا** اي فقاموا على الارجل وهو جمع راجل من حيث انه اقرب الى صورة الصلاة قال البغوي اي ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين للصلاة حقها لخوف فصلوا مشاة على ارجلكم **او ركبانا** اي كاينين على ظهور الدواب على هيئة التمكن وقال الحرالي ما من حكم شرعه الله في السعة الا واثبته في الضيق والضرورة بحيث لا يفوت في ضيقه بركة من حال سعته ليعلم ان فضل الله لا ينقصه وقت ولا يفقده حال وفيه اشعار بان المحافظة على الصلاة في التحقيق ليس الا في اقبال القلب بالكلية على الرب فما انتج له الحال فما وراء ذلك تعلق والا اكتفي بحقيقتها ولذلك انتهت الصلاة عند العلما في شدة الخوف الى تكبيرة واحدة تجمع اليها وحدها بركة اربع الركعات التي تقع في السعة وفيها على حالها من البركة في اتباع الرزق وصلاح الاهل ما في الواقعة في السعة مع معاجلة النصرة لعزيمة اقامتها على الامكان في الحافز وقد صح باختلاف احوال صلاة الخوف ان حقيقتها انما لا صورة لها فقد صح فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة صورة وزيادة صور في الاحاديث الحسان انتهى روى البخاري في التفسير عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كيفية في صلاة الخوف ثم قال فان كان خوف اشد من ذلك صلوا رجالا قياما على اقدامهم او ركبانا مستقبلي القبلة او غير مستقبليها قال مالك قال نافع لا ارى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ذكر ذلك الا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لان مثل ذلك لا يقال من قبل الراي **فاذا امنتم** اي حصل لكم الامن مما كان اخافكم ولما كان المراد الاعظم من الصلاة الذكر وهو دوام حضور القلب قال مشيرا الى ان صلاة الخوف يصعب فيها ذلك منبها بالاسم الاعظم على ما يوكد الحضور في الصلاة وغيرها من كل ما يسمى ذكرا **فاذكروا الله** اي الذي له الامر كله قال البغوي فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها وقال الحرالي اظهر المقصد في عمل الصلاة وانه انما هو الذكر الذي هو نبا من الامن والخوف انتهى فكانه سبحانه لما منع مما ليس من الصلاة من الاقوال والافعال استثنى الافعال حال الخوف فابقيت على الاصل لكن قد روى الشافعي رحمه الله في كتاب اختلاف الحديث من الام وابو داود والنسائي من طريق عاصم بن ابي النجود عن ابي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا نسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة الحديث في انه لما رجع من الحبشة قال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحدث من امره ما شا وان مما احدث ان لا تتكلموا في الصلاة وحكم بانه قبل حديث ذي اليدين لما في بعض طرقه مما يقتضي ان رجوعه كان قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهو كذلك لكن عاصم له اوهام في الحديث وان كان حجة في القراءة فلا يقوى حديثه لمعارضة ما في الصحيحين من حديث زيد الماضي المقتضي بنزول الاية والبقرة مدنية كما في الصحيح في فضائل القران عن عايشة رضي الله عنها انها قالت ما نزلت سورة البقرة والنسا الا وانا عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه في النكاح وغيره انه صلى الله عليه وسلم بنى بها وهي بنت تسع سنين واقامت عنده تسعا فيكون ذلك في السنة الثانية من الهجرة وقال الشافعي في الرسالة في باب وجه اخر من الناسخ والمنسوخ اخبرنا محمد بن ابي فديك عن ابن ابي ذيب عن المقبري عن عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حبسنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم الخندق عن الصلاة حتى كان بعد المغرب بهوي من الليل حتى كفينا وذلك قول الله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأمره فأقام الظهر فصلاها فأحسن صلاتها كما كان يصليها في وقتها ثم أقام العصر كذلك ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ثم أقام العشاء فصلاها كذلك أيضا وذلك قبل أن ينزل الله تعالى في صلاة الخوف فإن خفتم فرجالا أو ركبانا وقد روى الشيخان أيضا حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فيرد علينا فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا وقال إن في الصلاة شغلا لكنه ليس صريحا في تحريم الكلام فيعود الاحتمال السابق فإن كان الواقع أن حديث زيد متأخر كان ما قلت وإلا كان الذي ينبغي القول به أنه لا فرق بين القول والفعل لأن اشتمال حديث ذي اليدين عليهما على حد سوا كما صحح صاحب التتمة من أصحاب الشافعي ونقل عن اختيار الشيخ محيي الدين النووي في كتابه التحقيق وتبعه عليه السبكي وغيره من المتأخرين وكلام الشافعي ظاهر فيه فإنه قال في الرد على من نسبه إلى أنه خالف في التفريع على الحديث المذكور فإنه خالف أصله وفرعه ولم أخالف شيئا من أصله ولا من فرعه حرفا واحدا هذا نصه في كتاب الرسالة ولما أمر سبحانه بالذكر عند الأمن علله بقوله كما علمكم أي لأجل إنعامه عليكم بأن خلق فيكم العلم المنقذ من الجهل فتكون الكاف للتعليل وقد جوزه أبو حيان في النهر ونقله في موضع آخر منه عن النحاة والله أعلم ما لم تكونوا تعلمون بما أتاكم على لسان هذا النبي الكريم من الأحكام التي تقدمت في هذه السورة المفصلة ببدائع الأسرار من الأصول ودقائق العلوم كلها وقال الحرالي من أحكام هيئة الصلاة في الأعضاء والبدن وحالها في النفس من الخشوع والإخبات والتخلي من الوسواس وحالها في القلب من التعظيم والحرمة وفي إشارته ما وراء ظاهر العلم من أسرار القلوب التي اختصت بها أئمة هذه الأمة انتهى ولما كان ذكر أحكام عشرة النساء على هذا الوجه مظنة سؤال سائل كما تقدم بقول قد استغرق الاشتغال بهن الزمان وأضر بالفراغ للعبادة وكان هذا السؤال ربما أدى إلى الاستئذان في الرهبانية والاختصاء الذي سأل عنه من سأل كما سيبين إن شاء الله في المائدة في قوله لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وكان الإعراض عن جواب السائل بالأمر بالمحافظة على الصلاة ربما أشعر بالإقرار على مضمون السؤال والإذن في الترهب بقرينة الإعراض عن السؤال وربما كان مشيرا إلى النهي عن الترهب بقرينة السكوت على ما تقدم من الأمر بعشرتهن من غير نهي عنه عقب الأمر بذلك ببعض آيات النساء تأكيدا لما أفهمته تلك الإشارة أي اتركوا الترهب وكونوا رجالا في الاقتداء بنبيكم صلى الله عليه وسلم في القيام بحقوق الله وحقوق نفسه وغيره من سائر العباد وجعل ما تخلف آية الصلاة من تعلق النكاح آيتين فقط وليتهما في حكم من أحكام الموت وهي منسوخة كما قال الأكثر ليست من دعائم أحكام هذا الباب إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون الإقبال على العبادة أكثر وأن يكون الاشتغال بأمر النساء والأولاد إنما هو على وجه التزود للموت وما بعده فقال تعالى والذين وقال الحرالي لما ذكر تعالى أحكام الأزواج في الطلاق والوفاة وحكم الفرض والمتعة في المطلقات قبل الدخول ختم هذه الأحكام المؤكدة بالفرض والأمر بما هو من نحوها فنظم بالمتعة من النفقة والكسوة والإخدام وما في معناه المتعة بالسكنى للمتوفى عنها زوجها إلى حد ما كانت تعتد في الجاهلية ليكون للخير والمعروف بقايا في الإسلام بوجه ما إنما عقد العهد كان في الجاهلية فلن يزيده الإسلام إلا شدة انتهى يتوفون منكم أي يقاربون أن يتوفى أرواحهم من أجسادها أبدانهم يخلصها منها كاملة لا يغادر منها شيئا ولا يأخذ شيئا من جسمهم معها مع ما بينهما من كمال الامتزاج الذي لا يقدر معه على تمييز أحدهما عن الآخر إلا هو سبحانه ويذرون أزواجا بعد موتهم فليوصوا وصية ومن رفع فالتقدير عنده فعليهم وصية ويجوز أن يحمل الوفاة على حقيقتها ويكون التقدير وصية من الله لأزواجهم أو يوصيكم الله وصية لأزواجهم بالسكنى في بيوتهم متاعا لهن إلى رأس الحول من حين الوفاة قال الحرالي وهو غاية العمر وجامع الجملة الفصول التي بتواليها تمامها تظهر أحوال الصبر عن الشيء والحرص عليه وإنما الحول الثاني استئذان انتهى غير إخراج أي غير مصاحب ذلك المتاع بنوع إخراج أو غير ذي إخراج قال الحرالي فتكون الأربعة الأشهر والعشر فرضا وباقي الحول متاعا لتلحق أنواع المتعة بأنواع اللازم في الزوجية من نفقة وكسوة وإخدام وسكنى ولما كان هذا المتاع الزائد إنما هو تقرير للزوجة في حال ما كانت عليه مع زوجها إسعادا ببقاء العصمة والإحالة من الله بحسن صبر المرأة المتوفى عنها زوجها على زوجها لا تتزوج عليه غيره حتى تلقاه فتكون معه على النكاح له السابق ليكون للأمة في أزواجهم لمحة حظ من حرمة أزواج نبيهم بعده اللاتي يبقين بعده إلى أن يلقينه أزواجا يجالسهن فيكون ذلك لمن يستشرف من خواص أمته إلى اتباعه في أحكامه وأحكام أزواجه لأن الرجال مما يتحسنون ذلك لأزواجهم لمن اشتد ما يلحق الرجل بعد وفاته تزوج زوجته من بعده لأنها بذلك كأنها هي المطلقة له ولذلك ورد أن المرأة إنما تكون لآخر زوج لأنها تركت الزوج ولم يتركها هو قال صلى الله عليه وسلم أنا وسفعاء الخدين حبست نفسها على يتاماها حتى ماتوا أو بانوا كهاتين في الجنة كأنه صلى الله عليه وسلم أكد ذلك المعنى على من ترك لها المتوفى له ذرية لأنه أثبت عهد معه انتهى روى البخاري في التفسير عن مجاهد والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا قال كانت هذه العدة تعتد عند أهل زوجها واجب فأنزل الله عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا متاعا إلى الحول غير إخراج

قال

قال جعل الله لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية إن شاءت سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت وهو قول الله غير إخراج فالعدة كما هي واجب عليها ولما كان هذا المتاع الواجب من جهة الزوج جائزا من جهة المرأة نبه عليه بقوله فإن خرجن أي من أنفسهن من غير مزعج ولا مخرج فلا جناح عليكم يا أهل الدين الذين يجب عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما فعلن في أنفسهن من النكاح ومقدماته ولما كانت لهن في الجاهلية أحوال منكرة في الشرع قيده بقوله من معروف أي عندكم يا أهل الإسلام ولما كان في هذا حكمان حكم من جهة الرجال فضل وآخر من جهة النساء عفو وكان التقدير فالله عفو حليم عطف عليه قوله والله أي الذي لا كفؤ له عزيز حكيم وفي ضمنه كما قال الحرالي تهديد شديد للأولياء إن لم ينفذوا أو يمضوا هذه الوصية بما ألزم الله فقال لا حذر من أضاع ذلك نالته من عزة الله عقوبات في ذات نفسه وزوجه ومخلفيه من بعده وتجري بأخذ ما تقتضيه العزة على وزن الحكمة جزاء وفاقا وحكما قصاصا وهذه الآية مما ذكر فيها بعض الناس النسخ وإنما هي مما حفظها نسيان أو نعمة الله تعالى على الخلق حتى لا يكاد أن يكون غاب بها أحد إلا أحداهم يذكر به ولم يشتهر فيه فهي مما النبي ترك عليه النسيان لا من شاء الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم أنفذ لامرأة من تركة زوجها نفقة سنة وذلك والله أعلم قبل نزول آية الفرائض حين كانت الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف انتهى وبما قال الحرالي من أنها غير منسوخة قال مجاهد كما تقدم في رواية البخاري عنه أن الزوجة إن اختارت هذا بعد تمام الحول والأخذ بها الآية الأولى ونقل الشمس الأصفهاني عنه في تفسيره ونقل عن بلديه أبي مسلم قريبا منه فإنه قال بعد أن نقل عنه أنها غير منسوخة لعل التقدير بما يفيد الوجوب على الزوج مثل فليوصوا بل التقدير وقد وصوا أو ولهم وصية وحسن تعقيب آية المحافظة على الصلاة بعدة الوفاة لكون الخوف المذكور فيها من أسباب القتل ولعل إثباتها في التلاوة مع كونها منسوخة الحكم على ما قال الجمهور لتذكير النساء بما كان عدة لهن في أول الأمر ليلا يستطلن العدة الثانية بأربعة أشهر وعشر فيتمنهن شيئا من حرماتها كما أشار إليه في الصحيحين وغيرهما عن أم سلمة رضي الله عنها أن امرأة استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم أن تكحل ابنتها لوجع أصابها فأبى وقال قد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول ولما ذكر سبحانه متاع المتوفى عنهن أعقبه متاع المطلقات تأكيدا للحكم بالتكرير وتعميما بعد تخصيص بعض أفراده فقال تعالى وللمطلقات أي المدخول بهن بأي طلاق كان متاع أي من جهة الزوج يجبر ما حصل لها من الكسر بالمعروف أي من حال لهما حقا على المتقين قال الحرالي حيث كان الذي قبل الدخول حقا على المحسنين كان المحسن يتمتع بالسير ويفضله في القول دون الإفضاء والمتقي حق عليه الإمتاع بمقدار ما وقع له من حرمة الإفضاء ولما وقع بينهما من الارتهان والتخير فيكون في المتعة إزالة لبعض ذلك وإبقاء بسلام أو مودة انتهى وفيه إشارة إلى أن الطلاق كالموت لانقطاع حبل الوصلة الذي هو كالحياة وأن المتاع كالإرث ولما بين سبحانه هذه الأحكام هذا البيان الشافي كان سائلا قال هل يبين غيرها مثلها فقال كذلك أي مثل هذا البيان يبين الله أي الذي له الحكمة البالغة لأنه المحيط بكل شيء لكم آياته أي المرئية بما يفصله لكم في آياته المسموعة لعلكم تعقلون أي لتكونوا على حال يرجى لكم معها التفكر في الآيات المسموعات والآيات المرئيات كما يفعل العقلاء فيهديكم ذلك إلى سواء السبيل وقد كرر مثل هذا القول كثيرا وفصلت به الآيات تفصيلا وكان لعموم بكل لما الفطن السالم من مرض القلب وآفة الهوى إيراده مرة واحدة في الوثوق بمضمونه والركون إلى مدلوله وإنما كرر تنبيها على بلاغة الآيات المختومة به وخروجها عن طوق البشر ومقدرة المخلوق وذلك أنهم كلما سمعوا شيئا من ذلك وهم أهل السبق في البلاغة والظفر على جميع أرباب الفصاحة والبراعة تراءوه فائتا لقواهم وبعيدا من قدرهم خطر لهم السؤال عن مثل ذلك البيان تأسيسا لما تقدم من صادق الوعد وثابت القول بأن الكل على هذا المنوال البديع المثال البعيد المنال لما اعتراهم من دهش العقول وانبهار الألباب والعموم ولما انقضى ما لا بد منه مما سبق بعد الإعلام بفرض القتال المكروه للأنفس من تفصيل ما أحل في ليل الصيام من المشارب والمآكل وما تبعهما وكان الطلاق كما سلف كالموت وكانت المراجعة كالإحياء وختم ذلك بالصلاة حال الخوف الذي غلب صورة الجهاد ثم بتبيين الآيات عاد إلى أن تكون في الجهاد وغيره عقب ذلك بقوله دليلا على أنه كتب القتال المحثوث فيه على الإقدام على المكاره لجهل المخلوق بالعاقبات ألم تر وقال الحرالي لما كان أمر الدين مقاما يجاء لها الحسن التي إقامة ظاهرها تمام في الأمة وإنما تمام إقامتها بتقوى القلوب وإخلاص النيات كان القليل من المواعظ والقصص في شأنه كافيا ولما كان حظيرة الدين إنما هو الجهاد الذي فيه بذل الأنفس وإنفاق الأموال كثرت فيه مواعظ القرآن وترددت وعرض لهذه الأمة بأعلام بما يقع فيه بذكر ما وقع من الأقاصيص في الأمم السالفة وخصوصا أهل الكتابين بني إسرائيل ومن لحق بهم من أبناء العيص فكانت وقائعهم مثلا لوقائع هذه الأمة فلذلك أحيل النبي صلى الله عليه وسلم على استنطاق أحوالهم بما يكشفه الله له من أمرهم عيانا

وبما ينزله من جبروتهم بيانا وكان من جامعه معنى ذلك ما تقدم من قوله تعالى سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة وكان من جملة الآيات التي يجب الاقبال بها على النبي صلى الله عليه وسلم العلو معناها فاشرف المعاني ما قيل فيه الم تر فانبا الاعلى النبي صلى الله عليه وسلم وعموم المعاني ما قيل فيه الم تر فانبا الاعلى الامة ليخاطب كل على قدر ما قدم لهم من تمهيد موهبه العقل لتتراءب المكتسبة من العلم على مقدار الموهبة من العقل فكان من القصص العلي للعلم اللطيف الاعتبار ما تضمنته هذه الآيات من قوله الم تر ليكون ذلك عبرة لهذه الامة حتى لا يفروا من الموت فرار من قبلهم قال عليه الصلاة والسلام اذا نزل الوبا بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وذلك لتظهر مزيتهم على من قبلهم بما يكون من عزمهم كما اظهر الله تعالى مزيتهم على من قبلهم بما اتاهم من فضله ورحمته التي لم يؤتها لمن قبلهم انتهى ولما كانت مفارقة الاوطان مما لا يسمح به بشر يذكره على عظيم ما دهمهم فقال الى الذين خرجوا اي من نفد مكر من الام من ديارهم التي الفوها وطال ما تعبوا حتى توطنوها لما وقع فيها مما لا طاقة لهم به من الموت وهم الوف اي كثيرة جدا تزيد على العشرة بما افهمه جمع التكثير قال الحرالي فيه اشعار بان تخوفهم لم يكن من نقص عدد وانما كان من جزع الانفس فاعلم تعالى ان الحذر لا يجي من القدر وانما يجي منه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء ان الدعاء ليلقى القضا فيعتلجان الى يوم القيمة انتهى حذر الموت فرارا من طاعون وقع في مدينتهم او فرارا من عدو دعاهم الى نبيهم الى قتاله على اختلاف الرواية ظنا منهم ان الفرار ينجيهم ودل سبحانه على ان موتهم كان كنفس واحدة بان جعلهم كالمامور الذي لم يمكنه التخلف عن الامتثال بقوله لهم مسببا عن خروجهم على هذا الوجه فقال لهم الله اي الذي لا يفوته هارب ولا يعجزه طالب لان له الكمال كله موتوا اي لما تقوا الحمون موت نفس واحدة لم ينفعهم حذرهم ولا صد القدر دخلهم عليهم بالاسوار وبعده اعلاما بان من هاب القتال حذر الموت لم يجنبه حذره مع ما جناه من اغضاب ربه ومن اقدم عليه لم يضره اقدامه مع ما فاز به من مرضاة مولاه قال الحرالي في اشعاره انبا بان هذه الاماتة اماتة تكون بالقول حيث لم يقل فاماتهم الله فتكون اماتة حكمة لا مرجع منها ففيه ايما المعنى تدريج ذات الموت في اسنان مترتبة من حد ضعف الاعضا والقوى بالكسل الى حد السنة الى حد النوم الى الى حد الغشي الى حد الصعق الى حد هذه الاماتة بالقول الى حد الاماتة الاتية على جملة الحياة التي لا مرجع الا بعد البعث وكذلك الاماتة التي يكون عنها فساد الجسم مع بقاية على صورة ابتلا يرا اشد ابتانا على المبيت من التي لا تاتي على اعضا ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا والشهدا والعلما والموذنين فكما للحياة اسنان من حد ربوة الارض الى حد حياة المومن الى ما فوق ذلك من الحياة كذلك للموت اسنان بعدد اسنان الحياة مع كل سن حياة موت الى ان ينتهي الامر الى الحي الذي لا يموت وان الى ربك المنتهى فبذلك يعلم ذوو الفهم ان ذلك توطية لقوله ثم احياهم وفي كلمة ثم امهال الى ما شا الله انتهى وجعل سبحانه ذلك تقريرا له صلى الله عليه وسلم بالروية اما لانه كشف له عنهم في الحالتين واما تنبيها على انه في القطع باخبار الله تعالى له على حالة هي كالروية لغيره تدريبا لامته ولعل في الاية حضا على التفضل بالمراجعة من الطلاق كما تفضل الله على هولا باحيا بعد ان ادبهم بالاماتة وختم ما قبلها بالاية في مقام الترجي للعقل فيه اشارة الى ان الخارجين من ديارهم لهذا العرض سفهوا فكانه قيل فتعقلوا فلا تكونوا كهولا الذين ظنوا ان فرارهم ينجيهم من الله بل تكونون عالمين بانكم اينما كنتم في قبضته وطوع مشيته وقدرته فيفيدكم ذلك الاقدام على ما كتب عليكم مما تكرهونه من القتال او غيره ولما كان المتوفى قد يطلق زوجته في مرض موته فرارا من ارثها وقد يخص بعض ورثته بما يضار به غيره وقد يحتال على المطلقة ضرارا بما يمنع حقها ختم ايات الوفاة عن الازواج له والمطلقات بترجية بمعنى انكم اذا عقلتم لم تمنعوا احدا من فضل الله الذي اتاكم علما منكم بانه تعالى قادر على ان يمنع المراد اعطاوه ويمنح المراد منعه باسباب يقيمها ودواعي يخلقها ارتشي فاعلى ذلك من مرضه فيلبه فضله فيعقره بعد غناه ويصحه بعد ثواه فانه لا يمتنع من قدره حذر ولا يدفع مراده كيد ولا حيل وان كثر العدد وجل المدد الم تر الى ان قال ان الله اي الذي له الاحاطة بالجلال والاكرام لذو فضل على الناس اي عامة فليذكر كل احد ما له عليه من الفضل ولم يعتبروا في العفو عن يرون ان منعه عدل لان ذلك اقرب الى الشكر وابعد عن الكفر فطلاق الغار اخراج الزوجة عن دايرة عصمته حذرا من اماتة ماله باخذ ما يخصها منه وخروج الزوج عن دارة النكاح حذرا من موت متقيد بكونها في عصمته وخروج الالوف من دار الاقامة حذرا من موت مطلق ومن المناسبات البديعة انه لما كانت حقيقة حال العرب انهم انتقلوا بعد ابيهم اسمعيل عليه السلام والنا بحنيفه باحسان من صبغ دار العلم والايمان حذرا لهلاك الابدان بتكاليف الاديان الى قضا الشهوات والعصيان فوقعوا في موت الجهل والكفر فلما نزل عليهم القران وكان اكثر هذه السورة في الرد على اهل الكتاب وكرر فيها هداية العرب من الكفر والجهل بكلمة الاطماع في غير موضع نحو ولاتم نعمتي ولعلكم تهتدون لعلكم تتقون لعلهم يرشدون لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة وغير ذلك الى ان ختم هذه الايات بترجي العقل وكان اهل الكتاب قد اشتد حسدهم لهم بجعل النبي الذي كانوا ينتظرونه منهم وكان الحاسد يتعلق في استبعاد الخير عن محسوده بادنى شي كانوا كانهم قالوا انجي هولاء

العرب

العرب على كثرتهم وانتشارهم في اقطار هذه الجزيرة من موت الكفر والجهل بالايمان والعلم بعد ان تمادت بهما الازمان وتوالت عليهم الليالي والايام حتى عتوا فيهما وعسوا او مردوا عليهما وقسوا فاحيوا ابيهم وما استبعد نموه غير بعيد فقال لو ان كان به لهم عناية فلم تركهم بجهلهم ويكفرون بعد ما شرع لهم ابوهم اسمعيل عليه السلام ومن ابيه ابرهيم عليه السلام فاجيبوا بانه فعل بهم ذلك لذنب استحقوه لحكمة اقتضاها سابق علمه ثم ذكرهم قدرته في مثل ذلك من العقوبة واللطف بما هم به عالمون فقال مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم والمراد هم كما يقال الكلام لك واسمعي يا جاره الم تر ويجوز ان يكون الخطاب لكل اي تعلم بقلبك ايها السامع علما هو الروية ببصرك لما تقدم من الادلة التي هي اضوا من الشمس على القدرة على البعث ويويد انه لم تنبه الابصار تعديته بالى في قوله الى الذين خرجوا وقال فقال لهم الله اي الذي له العظمة كلها عقوبة لهم بفرارهم من امره موتوا ثم احياهم بعد ان تطاول عليهم الامد وتقادم بهم الزمن كما افهمه العطف بحرف التراخي تفضلا منه فكما تفضل على اوليك بحياة اشباحهم بعد عقوبتهم بالموت فهو يتفضل على هولا بحياة ارواحهم من موت الكفر والجهل اظهارا لشرف نبيهم صلى الله عليه وسلم ثم علل ذلك بقوله ان الله بما له من الجلال والعظمة والكمال لذو فضل اي عظيم على الناس اي كافة مطيعهم وعاصيهم قال الحرالي بما يتبعهم تارة الى احوال مهوبه ثم يخيمهم منها الى احوال سيجة بحيث لو ابقى هولا على هذه الاماتة ومن لحق به سنتهم من بعدهم لهلكت حرثهم كما هلكت دنياهم والله سبحانه احياهم ليجدد فضله عليهم انتهى كما تفضل عليكم يا بني اسرائيل بان احياكم من موت العبودية وذلك الذل بعد ان كان الزمكموه بذنوبكم دهرا طويلا وكما تفضل عليكم ايها العرب بقصص مثل هذه الاخبار عليكم لتعتبروا ولكن اكثر الناس كرر الاظهار ولم يضمر ليكون انص على العموم لئلا يدعي مدع ان المراد بالناس اهل زمان ما فيختص الثاني اي اكثرهم لا يشكرون وذلك تعريض ببني اسرائيل انهم لم يشكروه سبحانه في الوفا بما عاهدته لهم في اتباع هذا النبي الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم وفي هذا الاسلوب بعد هذه المناسبات اثبات لقدرته تعالى على الاعادة وجر لمنكر ذلك الى الحق من حيث لا يشعر قال الحرالي والشكر ظهور باطن الامر على ظاهر الخلق بما هو باطن لمن حيث ان الامر كله لله فشراه الشكران يبدو الخلق كله بالله شكرا لان اصل الشكور الدابة التي يظهر عليها مانالته سمنا وصلاحا لمن اودع خلقه امرا لم يبد على خلقه فهو كفور فلما اودعه سبحانه في ذوات الاشيا من معرفته وعلمه وتكبيره كان من لم يبد ذلك على ظاهر خلقه كفورا ومن بدا ما استسر فيه الامر من ذلك شكورا وليس من وصف الناس ذلك لترددهم بين ان يكون البادي عليهم عندهم نكرة من الله وتارة من انفسهم ومن دون الله ممن يحمدوه او لتاني جد كفرا او هوى او بدعة او خطيئة وعلى حد ريب كسبهم على قلوبهم نفي اعتبار هذه الاية تحذير لهذه الامة من ان يحذروا الموت قال بعض ائمتنا التابعين لقد رايتنا اقواما يحنون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت لهى احرهم اشهى من الحياة عندكم اليوم وانما ذلك لما خففوا من موعود الاخرة حتى كانهم يشاهدونه لهان عليهم الخروج من خراب الدنيا الى عمارة اخرتهم انتهى وما احسن الرجوع الى قصص الاقدمين والالتفات الى قوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم على هذا الوجه وهولا الذين اماتهم الله ثم احياهم قال اهل التفسير ان احياهم كان على يد حزقيال احد انبيا بني اسرائيل عليهم السلام وقال البغوي انه ثالث خلفائهم والذي رايته في سفر الانبيا المبعوثين منهم بعد موسى عليهم السلام لتجديد امر التوراة واقامة ما درس من احكامها وهم ستة عشر نبيا اولهم يوشع ابن نون واخرهم دانيال على جميعهم السلام والتحية والاكرام ان حزقيال خامس عشرهم عليه السلام قال في الاصحاح الحادي والعشرين من نبوته وكانت على يد الرب واخرجني روح الرب الى صحرا مملوة عظام موتى وامرني ان اجوز عليها وادور حولها فرايتها كثيرة في الصحرا يابسة وقال لي يا ابن الانسان هل تعيش هذه العظام فقلت انت تعلم يا رب الارباب قال لي تنبا على هذه العظام وقل لها ايتها العظام اليابسة اسمعي كلام الله ان هكذا يقول رب الارباب لهذه العظام اني ادخل فيكم الروح فتحيون وتعلمون اني انا الرب في بالعصب واللحم والجلد ابثنه وادخل فيكم الارواح فتحيون فلما تنبات بهذا صار صوت عظيم وزلزلة واقتربت العظام كل عظم الى مفصله ورايت قد صعد عليها العصب ونبت اللحم ودب عليها الجلد من فوق ذلك ولم يكن فيهم روح وقال لي الرب تنبا ايها الانسان وقل للروح هكذا يقول رب الارباب تعالوا ايها الارواح من الاربع ارواح وانفخي في هولا القتلى فيعيشوا فتنبات كالذي امرني الرب فدخلت فيهم الروح وعاشوا وقاموا على ارجلهم جيش عظيم جدا وقال لي الرب يا ابن الانسان هذه العظام كلها من بني اسرائيل ومن الانبيا الذين كانوا يقتلون وقد يبست عظامهم وكل رجل بطل ممن احل هنا تنبا وقل هكذا يقول رب الارباب هوذا افتح قبوركم واصعدكم من قبوركم واتي بكم الى ارض اسرائيل وتعلمون اني انا الرب انفخ فيكم روحي فتعيشون واتركم تحلون قد قلت هذا وانا افعله انتهى ولما بين سبحانه ان الموت لا يصون منه فرار امر بالجهاد الذي هو المقصود الاعظم بهذه السياقات ولعله لقول الى من يحتاج الى الامر به من الامة وصدره بالواو فافهم العطف على غير معطوف عليه مذكور ان التقدير فلا تفروا من اسباب الموت بل اثبتوا في مواطن الباس

وقاتلوا أي حققوا الطريقة إشارة إلى وجوب كونهم في القتال وإن اشتدت الأحوال مظروفين للدين مراعين له لا يخرجون عنه بوجه فيقصدون في الإقدام على من بحّ في الكفران ويسارعون في الإحجام عمن بادر إلى الإذعان ونحو ذلك من مراعاة شرائع الإيمان وعبر بالسبيل إشارة إلى يسر الدين ووضوحه فلا عذر في الخروج عن شيء منه بحال فقال في سبيل الله أي الذي لا كفوء له كما كتبه عليكم وإن كنتم تكرهون القتال ولما أمرهم بعد ما حذرهم رغبهم ورهبهم بقوله واعلموا منبهاً لهم لأن يلقوا أسماعهم ويحضروا أفهامهم لما يلقى عليهم أن الله أي الذي له القدرة الكاملة والعلم المحيط سميع لما تقولون إذا أمرتم بما يكره من القتال عليم بما تضمرون من الإعراض عنه والإقبال فهو يجازيكم على الخير قولاً وعملاً ونية الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وعلى السيئة بمثلها إن شاء ولا يظلم ربك أحداً ولما كانت النفقة التي هي من أعظم مقاصد السورة أوثق دعائم الجهاد والتي مصدق للإيمان ومحقق لمبايعة الملك الديان كرّ الحث عليها على وجه أبلغ تشويقاً مما مضى فقال على هيئة الممتحن للصادق ممن أمره وحذره وأنذره من ذا الذي منكم يا من كتب عليهم القتال والخروج عن الأنفس والأموال يقرض الله الذي تفرد بالعظمة وهو من الإقراض أي إيقاع القرض ولذا قال قرضاً وشبهه سبحانه العمل به لما يرجى عليه من الثواب فهو كالقرض الذي هو بذل المال للرجوع بمثله وعبر به لدلالته على المحبة لأنه لا يقرضك إلا محب ولأن أجره أكثر من أجر الصدقة حسناً أي جامعاً لطيب النفس وإخلاص النية وزكاء المال وقال الحرالي القرض الجزء من الشيء والقطع منه كأنه يقتطع له من ماله قطعة ليقطع له من ثوابه أقطاعاً مضاعفة والقرض بين الناس قرضاً بقرض مثلاً بمثل لمن ازداد فقد أربى ومن زاد من غير عقد ولا عهد فقد وفى فالقرض مساواة والربا ازدياد ووصف تعالى القرض الذي حض عليه بالحسن لتكون المعاملة به له على وجه الإحسان الذي هو روح الدين وهو أن يعامل الله به كأنه يراه انتهى ولما كانت الأنفس مجبولة على الشح بما لديها إلا للفائدة رغبها بقوله مسبباً عن ذلك فيضاعفه قال الحرالي من المضاعفة مفاعلة من الضعف بالكسر وهي ثني الشيء بمثله مرة أو مرات وأزال عنه ريب الاحتمال بقوله له أي في الدنيا والآخرة قال الحرالي هذه المضاعفة إلى أنبائها أن الزائد ضعف ليس كرأس واحد للقرض ليخرج ذلك عن معنى ما قال فإن المقرض تارة يوفي على الواحد كسراً من وزنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرض قرضاً إلا وفى عليه زيادة وقال خير الناس أحسنهم قضاء فأنبأ تعالى أن إقراضه ليس بهذه المثابة بل بما هو فوق ذلك لأنه يضعف القرض بمثله وأمثاله إلى ما يقال فيه الكثرة وفي قوله أضعافاً ما يفيد الحسنة بعشر وفي قوله كثيرة ما يفيد البلاغ إلى ما فوق العشر إلى المائة كأنه المفسر في قوله بعد هذا مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله الآية فأوصل تخصيص هذه الكثرة إلى المئين ثم فتح باب التضعيف إلى ما لا يناله علم العالمين في قوله والله يضاعف لمن يشاء انتهى ولما رغب سبحانه في إقراضه أتبعه جملة حالية من ضمير يضاعف مرهبة مرغبة فقال والله أي المحيط علماً وقدرة يقبض أي له هذه الصفة وهي إيقاع القبض والإقتار بمن يشاء وإن جلت أمواله قال الحرالي والقبض ما كان الأخذ أصله القبض باليد كلها والقبص بالمهملة أخذ بأطراف الأصابع وهو جمع عن بسط فلذلك قوبل به ويبسط أي لمن يشاء وإن ضاقت حاله والبسط توسعة الجمع إلى حد غاية وإليه ترجعون حساً بالبعث ومعنى في جميع أموركم فهو يجازيكم في الدنيا على حسب ما يعلم نياتكم ولما كان الصحابة رضوان الله عليهم يتمنون في مكة المشرفة الإذن في مقارعة الكفار ليردوهم عما هم عليه من الأذى والبغي والعمى عجّب من حال بني إسرائيل حيث سألوا الأمر بالقتال ثم لم ينصفوا إذا أمروا تحذيراً من مثل حالهم وتصويراً للتحبيب فدربه على نقض العزائم وتقليب القلوب وإعلاماً بعظيم مقادير الأنبياء وتمكنهم في المعارف الإلهية ودليلاً على ختام الآية التي قبلها فقال مقبلاً على أعلى الخلق إشارة إلى أن للنفوس من دقائق الوساوس ما لا يعلمه إلا البصير ألم تر قال الحرالي أراه في الأولى حال أهل الحذر من الموت بما في الأنفس من الهلع الذي حذرت منه هذه الأمة ثم أراه في هذه مقابل ذلك من التراكي إلى طلب الحرب ومخاطرة الإخراف في الأنفس قال صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموه فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ففيه إشعار لهذه الأمة بأن لا تطلب الحرب ابتداء وإنما تدافع من منعها من إقامة دينها كما قال تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وقال عليه الصلاة والسلام والمشركون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا الحق المؤمن أن يأتي الحرب ولا يطلبه فإنه إن طلبه فاونيه عجز كما عجز هؤلاء حين تولوا إلا قليلاً لهذه الأقاصيص ليس المراد منها حديثاً عن الماضين وإنما هو إعلام بما يستقبله الآتون إياك أعني واسمعي يا جارة فلذلك لا يسمع القرآن من لم يأخذه تحملته خطاباً لهذه الأمة بكل ما قص له من أقاصيص الأولين انتهى ويجوز أن يكون الخطاب لكل من ألقى السمع وهو شهيد ولما كان الإخلال من الشريف أفحش قال إلى الملإ أي الأشراف قال الحرالي الذين يملأون العيون بهجة والقلوب هيبة انتهى ولما كان ذلك من أولاد الصلحاء أشنع قال من بني إسرائيل ولما كان ممن تقرر له الدين واتضحت له المعجزات واشتهرت عنده الأمور الإلهيات أخشن قال من بعد موسى أي الذين أتاهم من الآيات بما طبق الأرض كثرة وملأ الصدور رعظمة وأبقى فيهم كتاباً هو أعجب ما بعد القرآن من الكتب السماوية مثله قال الحرالي وفيه إيذان بأن الأمة تختل بعد نبيها بما يصحبها من نور زمن وجوده معهم قالوا ما نفضنا أيدينا من تراب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا انتهى إذ قالوا أي

ولما

ولما كان الاختلاف مع الأكابر لا سيما الأنبياء أقبح قال لنبي لهم ونكره لعدم تعلق الغرض بتعريفه وقال الحرالي لأن نبيهم المعهود الأشهر لهم إنما هو موسى عليه السلام ومن بعده إلى عيسى عليهم السلام إنما هم أنبياء بحسب السياسة والقادة لهم كالعلماء في هذه الأمة متعبدون وعاملون بما أنزل على موسى كذلك كانوا إلى حين تنزيل الإنجيل فكما قص في صدر السورة حالهم مع موسى قص في خواتيمها حالهم من بعد موسى ليتخبر هذه الأمة من ذلك حالها مع نبيها وبعده انتهى ولما كان عندهم من الغلظة ما لا ينقادون به إلا لإيالة الملك وكان القتال لا يقوم إلا برأس جامع تكون الكلمة به واحدة قالوا ابعث لنا أي خاصة ملكاً أي يقيم لنا الحرب نقاتل أي عن أمره في سبيل الله أي الملك الأعلى قال الحرالي في إعلامه أخذهم الأمر بمنة الأنفس حيث لم يظهر في قولهم إسناد إلى الله تعالى الذي لا تنجح الأعمال إلا بإسنادها إليه فكان بناء على تقويهم وما كان على دعوى نفس لم يهد قال أي ذلك النبي هل كلمة تنبئ عن تحقيق الاستفهام لكنه تنحا هاهنا عن الهمزة انتهى عسيتم أي قاربتم ولما كانت العناية بتأديب السائلين في هذا أهم الكثر قدم قوله إن كتب أي فرض كذا قالوا والأحسن عندي كما يأتي إن شاء الله تعالى تحقيقه في سورة براءة أن يكون المعنى هل تخافون من أنفسكم ولما كان القصد التنبيه على سوء العاقبة والبعد عن التعرض للبلاء لخطر المقام بأن الأمر إذا وجب لم يبق فيه رخصة لمن قصر فيه هلك وسط بين عسى وصلتها قوله عليكم القتال فضلاً لأمرنا وبناه للمفعول صيانة لاسم الفاعل عن مخالفة ينفع تقصيرهم بها ألا تقاتلوا فتبوءوا بحكم ذلك في العصيان قال الحرالي بكسر سين عسى وفتحها لغتان عادة النحاة أن لا يلتمسوا اختلاف المعاني من أوساط الصيغ وأوائلها وفي تمام اللغة وتحقيقها إعراب في الأوساط والأوائل كما اشتهر إعراب الأواخر عند عامة النحاة فالكسر حيث كان منبئ عن بادٍ عن ضعف وانكسار والفتح معرب عن باد عن قوة واستواء انتهى فكأنه صلى الله عليه وسلم فهم أن بعضهم يترك القتال عن ضعف عنه وبعضهم يتركه عن قوة ولذلك نفى الفعل ولم يقل أن تعجزوا قال الحرالي فأنبأهم بما آل إليه أمرهم فلم يلقنوا عنه وحاجوه وردوا عليه بمثل سابقة قولهم في إشعاره إنباء بما كانوا عليه من غلظ الطباع وعدم سرعة التنبه انتهى ولما كان مضمون هذا الاستفهام أي أخشى عليكم القعود عن القتال علمنا الله عن جوابهم بقوله قالوا ولما أرشد العطف على غير مذكور أن التقدير ما يوجب لنا القعود وإنا لا نخاف ذلك على أنفسنا لأنا نحن جازمون بأنا نقاتل أشد القتال عطف عليه قوله وما أي وأي شيء لنا في أن لا نقاتل ولما كانت النفس بما لا الله أحد والنية الخفض قالوا في سبيل الله أي الذي لا كفوء له إيماناً وتسميحاً وقد أي والحال أنا قد أخرجنا أعم من أن يكون مع الإخراج إيجاداً وأبناه للمجهول لأن موجب الاحتفاظ والإخراج نفس الإخراج لا نسبة إلى أحد بعينه من ديارنا التي هي لا بد لنا كالأرواح لنا ولما كان في أخرجنا معنى أبعدنا عطف عليه وأبنائنا فخلطوا بذلك ما لله بما لغيره وهو أعني الشرك لا يقبل إلا خالصاً قال الحرالي فأنبأ تعالى بأنهم أسندوا ذلك إلى غضب الأنفس على الإخراج وإنما يقاتل في سبيل الله من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا انتهى ولما كان إخلاف الوعد مع قرب العهد أشنع قال فلما بالفاء المؤذنة بالتعقيب كتب عليهم أي خاصة القتال أي الذي سألوه كما كتب عليكم بعد أن كنتم تمنونه إذ كنتم بمكة كما سيبين إن شاء الله تعالى في النساء عند قوله تعالى ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم تولوا أي فنادروا الإدبار بعد شدة الإقبال إلا قليلاً منهم أي فقاتلوا والله عليم بهم والله الذي له الإحاطة بكل كمال عليم بالمتولين هكذا كان الأصل ولكنه قال بالظالمين معلماً بأنهم سألوا البلاء وكان من حقهم سؤال العافية فلما أجيبوا إلى ما سألوا أعرضوا فكفوا حيث ينبغي المضاء ومضوا حيث كان ينبغي الكف فعصوا الله الذي أوجبه عليهم فجمعوا بين عار الإخلاف وفضيحة العصيان وخزي النكوص عن الأقران وقباحة الخذلان للإخوان ولما أرشد العطف على غير مذكور إلى أن التقدير فقال لهم نبيهم ألم أقل لكم لا تسألوا البلاء ولا تتمنوا لقاء العدو فإن أكثر قول النفس كذب وحمل أمانتها دون أما أمر الله لمتبع برزخ عطف عليه قوله وقال لهم أي خاصة لم يكن معهم أحد غيرهم عجال عليهم جوابهم الذي لا يليق به وصرح بالمقصود لئلا يظن أن القائل الله وأنهم واجهوه بالاعتراض فقال نبيهم أي الذي تقدم أنهم سألوه ذلك مؤكداً معظماً محققاً بأداة التوقع لأن سؤالهم على لسان نبي يقتضي توقع الإجابة إن الله أي بجلاله وعز كماله قد ولما كان الناس الشخص عن الملك مثل أعز الأجساد بنفخ الروح كان التعبير عن ذلك بالبعث أليق فقال بعث لكم أي خاصة لأجل سؤالكم طالوت اسم ملك من بني إسرائيل من سبط لم يكن الملك فيهم ملكاً تنتهون في تدبير الحرب إلى أمره قال الحرالي فكان أول ما ابتلوا به أن ملك عليهم من لم يكن من أهل بيت الملك عندهم فكان أول فتنتهم بما طلبوا ملكاً فأجيبوا فلم يرضوا بما بعث لهم انتهى ولما أجابهم إلى ما سألوا كان من أول جلافتهم اعتراضهم على أمر الملك الديان الذي أورده لهم باسمه الأعظم الدال على جميع الكمال من الجلال والجمال فيكون أجدر لهم بقبول أمره والوقوف عند زجره وأرداد اعتراضهم في جواب من كأنه قال ما فعلوا إذ أجابهم إلى ما سألوا فقال قالوا أي لأعرهم أنى أي من أين وكيف يكون له أي خاصة الملك علينا ونحن أي والحال أنا نحن أحق بالملك منه لأن فينا من هو من سبط الملوك دونه قال الحرالي فتشوا اعتراضهم بما هو أشد وهو الفخر بما ادعوه من استحقاق الملك على من ملكه الله عليهم فكان فيه حظ من فخر إبليس حيث قال حين أمر بالسجود لآدم

انا خير منه انتهى ولم اى والحال انه لم يؤت سعة من المال اى تصاريه ما لغان احد مما انه ليس من بيت المملكة والثانى انه
يملق والملك لا بد له من مال يعتضد به قال الحرالى فكان فى هذه الثالثة فتنة استعصام المال وانه مما يقام به الملك وانما
الملك بايتاء الله فكان فى هذه الفتنة الثالثة جهل وشرك فتزايدت صنوف فتنتهم فيما انبعثوا الى طلبه من انفسهم
انتهى ولما كان الخلق كلهم متساوين فى اصل الجسمية وانما جا تفضيل بعضهم على بعض من الله فكان هو المدار علق الامر به
فى قوله قال اى النبى فى ضرم موكدا الحال انكارهم معظما عليهم الحق باعادة الاسم الاعظم ان الله اى الذى له جميع الامر فلا اعتراض
عليه وهو اعلم بالمصالح اصطفاه قال الحرالى والاصطفا اخذ الصفوة انتهى ولما كان ذلك مضمنا معنى ملكه قال فى تعديته
عليكم ثم اتبع ذلك ما اودعه سبحانه مما تقتضى لك فقال وزاده اى عليكم بسطة فى العلم الذى به تحصل الملكة فى التدبير
والنفاذ فى كل امر وهو يدل على اشتراط العلم فى الملك وفى تقديمه ان الفضائل النفسانية اشرف من الجسمانية وغيرها
وان الملك ليس فيه بالارث والجسم الذى به يتمكن من الظفر بمن بارزه من الشجعان وقصده من سائر الاقران ولما كان من ليس
شى كان له اختار فى اسناده الى غيره قال والله اى اصطفاه والحال ان الملك الذى لا امر لغيره يؤتى ملكه اى الذى هو له وليس
لغيره فيه شى من يشا كما اتاكموه بعد ان كنتم مستعبدين عند ال فرعون والله الذى له الاحاطة الكاملة فلا يجوز الاعتراض
عليه واسع اى فى احاطة قدرته وشمول عظمته وكثرة جنوده ورزقه عليم اى بالغ العلم لما اختاره فهو المختار وليس لاحد
معه خيرة فهو يفعل بما له من السعة فى القدرة والعلم ما لا تدركه العقول ولا تحتمل وصفه الالباب والفهوم فيوتى من
من ليس له مال من خزاين رزقه ما يشا ولما كان اغليهم وانقفاسع المشاهدات غير ثابت القدم فى الايمان بالغيب قال وقال
لهم نبيهم مثبتا لامر طالوت ان اية اى علامة ملكه قال الحرالى وقل ما احتاج احد فى ايمانه الى اية خارقة الا كان ايمانه ان
امن قلقة يخرج عنه بايسر فتنة ومن كان ايمانه باستبصار ثبت عليه ولم يحتج الى اية فان كانت الاية كانت له نعمة ولم تكن
عليه فتنة وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون وما نرسل بالايات الا تخويفا فاذا الايات طليعة المواخذة
والاقناع بالاعتبار طليعة القبول والثبات انتهى ان ياتيكم اى من غير ات به ترونه التابوت قال الحرالى هو وعاما
يحرز قدره انتهى وهو والله اعلم الصندوق الذى وضع فيه اللوحان اللذان كتب فيهما العشر الايات التى تسميها من
التوراة تسمية فاتحة الكتاب من القران وهو يسمى تابوت الشهادة كما تقدم ذكره فى وصف قبة الزمان فى ما مضى اول
قصة بنى اسرايل كانوا اذا حاربوا احمله جماعة منهم موظفون لحمله ويتقدمون به امام الجيش فيكون ذلك سبب نصرهم
وكان العمالقة اصحاب جالوت لما ظهروا عليهم اخذوه فى جملة ما اخذوا من نفايسهم وكان عهدهم به كان قد طال فذكرهم
بما تاثره ترغيبا فيه وحملا على الانقياد لطالوت فقال فيه سكينة اى شى يوجب السكون والثبات فى مواطن الخوف وقال
الحرالى معناه ثبات فى القلوب يكون له فى عالم الملكوت صورة بحسب حال المثبت ويقال كانت سكينة بنى اسرايل صورة هو
من ياقوت ولولو وزبرجد ملتفق منه اعضا تلك الصورة تخرج منه ريح هفافة تكون علم النصر لهم انتهى وزاده مدحا
بقوله من ربكم اى الذى طال احسانه اليكم وتربيته باللطف لكم وقال الحرالى وغيره انه كان فى التابوت صورة باقى منها
عند النصر ريح تسمع قال الحرالى كما كانت الصبا تخفق لهذه الامة بالنصر قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا فكانت
سكينتها كلية افاقيا وتابوتها كلية سماويا لا تحتاج الى محل تحملها ولا عدة تعدها لانها امية تولى الله لها امر
علمها واعمالها انتهى ولما كان الكليم واخوه عليهما السلام اعظم انبيائهم قال وبقية قال الحرالى فضلة جملة ذهب جلها
مما ترك من الترك وهو ان لا يعرض للامر حسا او معنى ال موسى وال هرون اى وهى لوحا العهد قال الحرالى وفى اشعاره
تنبيه ذكر الال ما يحل باختصاص موسى عليه السلام بوصف دون هرون عليه السلام بما كان عليه من الشدة فى امر
الله وباختصاص هرون عليه السلام بما كان فيه من اللين والاحتمال حيث لم يكن ال موسى وهرون لان الال حقيقة من
يبدو فيه وصف من هو اله وقال الال اصل معناه السراب الذى يبدو فيه الاشيا البعيدة كانه مراة يجلو الاشيا
فال الرجل من اذا حضروا فكانه لم يغب انتهى ثم صرح بما افهمه اسناد الاتيان اليه فقال تحمله من الحمل وهو ما استقل
به الناقل الملايكة وما هذا باغرب من قصة سفينة رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
اصحابه رضى الله عنهم فثقل عليهم متاعهم فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابسط كساك فبسطته فجعلوا فيه
متاعهم فحملوه على فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احمل فانما انت سفينة قال فلو حملت من يوميذ وقر بعير او بعيرين
او ثلثة او اربعة او خمسة او ستة ما ثقل على واما مقاتلة الملايكة فى غزوة بدر فامر شهير كان الصحابى يكون قاصدا
الكافر ليقاتله فاذا راسه قد سقط من قبل ان يصل اليه ولما كان هذا امرا باهرا قال منبها على عظمته ان فى ذلك
اى الامر العظيم الشان لاية اى باهرة لكم ان كنتم مومنين فان المواعظ لا تنفع غيرهم قال الحرالى ولما ضعف قبولهم عن النظر
والاستبصار صار لهم فى صورة الضعف الذى يقال فيه ان كان كذا فان فى اشعاره خللهم وفتنتهم الا قليلا انتهى وفى هذه
القصة توطية لغزوة بدر وتدريب لمن كتب عليهم القتال وهو كره لهم وتادب لهم وتهذيب واشارة عظيمة له
واضحة الى خلافة الصديق رضى الله عنه بما دل عليها من امر استخلافه له فى الامامة فى الصلاة التى هى خلاصة هذا الدين

كما ان ما فى تابوت الشهادة كان خلاصة ذلك الدين وتحذير لمن لعله يخالف فيها او يقول انه ليس من بنى هاشم
ولا عبد مناف الذين هم بيت الامامة والرياسة ونحو ذلك مما حمى الله المومنين منه كما قال النبى صلى الله عليه وسلم
يابى الله ذلك والمومنون وفى توجيه الخطاب الى النبى صلى الله عليه وسلم اعلام بان اول مقصود به الاقرب منه
صلى الله عليه وسلم فالاقرب وفيها تشجيع للصحابة رضوان الله عليهم فيما ينوبهم اليه الصديق رضى الله عنه من
قتال اهل الردة وما بعده الى غير ذلك من الاشارات التى تقصر عنها العبارات والله الموفق ولما كان التقدير
فاتاهم التابوت على الصفة المذكورة فاطاعوا نبيهم فيه فملكه واتبعوا امره فخرج بهم الى العدو وفصل بالجنود من
محل السكن عطف عليه قوله فلما فصل من الفصل وهو انقطاع بعض من كل واصله فصل نفسه او وحده او نحو ذلك
ولكنه كثر حذف المفعول للعلم به فصار يستعمل استعمال اللازم طالوت اى الذى ملكوه بالجنود اى التى اختاروها وخرجوا للقا
من سالوا القاءه لكفره بالله مع ما قد احرقهم به من انواع القهر قال الحرالى وهو جمع جند وهم اتباع يلوذون بحده للمستتبع قال
اى ملكهم ان الله اى الذى لا اعظم منه وانتم خارجون فى مرضاته مبتليكم بنهر من الما الذى جعله سبحانه حياة لكل شى نضرب به
مثلا للدنيا التى من ركن اليها ذل ومن صدف عنها عز قال الحرالى فاظهر الله على لسانه ما انبا به نبيهم فى قوله وزاده بسطة
فى العلم انتهى فمن شرب منه اى بل بطنه فليس منى اى لكونا نغمس فى الدنيا فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ومن لم
يطعمه فانه منى لمن عزف عنها بكليته ثم نزل هذه الدرجة العلية التى قدمت للغاية بما يليها من الاقتصار فقال
مستثنيا من شرب الا من اغترف اى تكلف الغرف غرفة بيده ففى قراءة فتح الغين اعراب عن معنى افرادها اخذة ما اخذت
من قليل او كثير وفى الضم اعلام بملها والغرف بالفتح الاخذ بجملة اليد والغرفة الفعلة الواحدة منه وبالضم اسم ما حوته
الغرفة فكان فى المعترفين من استوفى الغرفة ومنهم من لم يستوف قال الحرالى وقال فكان فيه ايذان بتصنيفهم ثلثة اصناف
من لم يطعمه البتة واوليك الذين ثبتوا وظنوا انهم ملاقوا الله ومن شرب منهم واوليك الذين انثنوا وانقطعوا عن الجهاد
فى سبيل الله ومن اغترف غرفة وهم الذين ثبتوا وتزلزلوا حتى ثبتهم الذين لم يطعموا ولما كان قصص بنى اسرايل مثالا لهذه الامة
كان مبتلى هذه الامة بالنهر ابتلاهم بنهر الدنيا الجارى خلالها فكانت جيوشهم بحكم هذا الايجاء الاعتبارى اذا مروا بنهر اموال
الناس وبلادهم وزروعهم وانظارهم فى سبيلهم الى غزوهم فمن اصاب من اموال الناس ما لم يبلغه الاذن من الله انقطع عن ذلك
الجيش ولو حضره لما كان فى بنى اسرايل غيبا بما يكون وقوعه فى هذه الامة استبصارا استرة لها وتفضيحا لاوليك ومن لم يصب
منها شيا منا كان اهل ثبت ذلك الجيش الثابت المثبت قيل لعلى رضى الله عنه يا امير المومنين ما بال فرسك لم يكب بك
قط قال ما وطيت به زرع مسلم قط ومن اصاب ما له فيه ضرورة من منزل ينزله او غلبة عادة تنفع منه ويوده ان لا
تنفع فهو لا يفعلون التثبيت من الذين تورعوا كل الورع فلذلك هذا الدين الزهد فى القلب والورع فى التناول باليد
قال صلى الله عليه وسلم انما تنصرون بضعفايكم وفى الاحة هذا التمثيل والاعتبار ان اعظم الجيوش جيش يكون فيه من اهل
الورع بعدد الثابتين من اصحاب طالوت الذين بعددهم كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وهم ثلثمائة
ثلثمائة وثلثة عشر عدد المرسلين من كثرة عدد النبيين قال وفى افراد اليد ايذان بانها غرفة اليد اليمنى لانها اليد
الخاصة للتعريف ففى اعتباره ان الاخذ من الدنيا انما يكون باليد لا باليدين لان اشتمال اليدين على جانبى الخير والشر انتهى
تعرض لهم النهر كما اخبرهم به فشربوا منه مجاوزين حد الاقتصاد الا قليلا منهم فاطاعوا فادوا امر الله وقوى قلوبهم ومن عصى
فى شرب غلبه العطش وضعف عن اللقا فبقى على شاطى النهر قال الحرالى وفيما يذكر انه قرى بالرفع وهو اخراج لهم من اسار بين
بالاتباع كان الكلام بنى عليه حيث صار تابعا واعرابه مما لا تحمله النحاة فلم يحكموه وحكمه ان ما بنى على اخراجه اتبع وما لم
يبن على اخراجه وكانه انما انتهى اليه بعد مضا الكلام الاول قطع ونصب انتهى وكان المعنى فى النصب انه لما استقر الفعل
للكل رجع الاستثنا الى البعض وفى الاتباع تسوى لا استثنا من الاول فصار كالفرع وهذه القراة عزاها الاهوازى فى كتاب
الشواذ الى الاعمش وعزاها السمين فى اعرابه الى عبد الله وابى رضى الله عنهما وعقد سيبويه رحمه الله فى نحو نصف
كتابه لاتباع مثل هذا بابا ترجمه بقوله باب ما يكون فيه الا وما بعده وصفا بمنزلة غير ومثل ودل عليه بابيات
كثيرة منها وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان قال كانه قال وكل اخ غير الفرقدين وسوى بين هذا وبين
اية لا يستوى القاعدون من المومنين غير اولى الضرر بالرفع وغير المغضوب عليهم وجوز فى ما قام القوم الا زيد بالرفع البدل
والصفة قال الرضى متمسكا بقوله وكل اخ البيت وقوله عليه السلام الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى
الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وقال السمين والفرق بين الوصف بالا والوصف
بغيرها ان الا يوصف بها المعارف والنكرات والظاهر والمضمر وقال بعضهم لا يوصف بها الا النكرة والمعرفة بلام الجنس
فانه فى قوة النكرة ولما ذكر فتنتهم بالنهر اتبعه فتنة اللقا بحر الجيش وما فيه من عظيم الخطر المزلزل للقلوب حثا على
سوال العافية وتعريفا بعظيم رتبتها كما قال صلى الله عليه وسلم يوم عرض نفسه الشريفة على اهل الطايف
وسسه منهم من عظيم الاذى ما مسه ان لم يكن بك على غضب فلا ابالى ولكن عافيتك هى اوسع لى فقال تعالى

بين

فلما جاوزه اي النهر من غير شرب من المجاوزة مفاعلة من الجواز وهو العبور من عدوة دنيا الى عدوة قصوى هو والذين امنوا
اي اقروا بالايمان وجاوزوا معه وتراءت الفئتان قالوا اي بعضهم قال الحرالي رد الضمير كذا عاما ايذانا بكثرة الذين اغترفوا وقلة
الذين لم يطعموا كان ضمير شربوا لكثرة الذين شربوا انتهى لا طاقة مما منه الطوق وهو ما استقل به العامل ولم يعجزه لنا
اليوم اي على ما نحن فيه من الحال بجالوت وجنوده لما هم فيه من القوة والكثرة قال الحرالي ففيه من نحو قولهم ولم يؤت سعة
من المال اعتمادا على ان النصر بعدة مال او قوة وليس الا بنصر الله ثم قال فاذا نوظر هذا الابتلاء بهم والطلب اي كما يأتي في دينا
النوع بما تولى الله من رد هذه الامة في جيشهم والمتول لهذا الجيش في سورة الانفال من نحو قوله اذ يغشيكم النعاس امنة
منه الايات علم عظيم فضل الله على هذه الامة واستشعر بما يكون لها في خاتمتها مما هو اعظم بتا واكمل عيانا فلله الحمد
على ما اعظم من فضله ولطفه انتهى ولما اخبر عنهم بهذا القول نبه على انه لا ينبغي ان يصده ممن يظن ان اجله مقدر ولا
يزيد بالجبن والاحجام ولا ينقص بالجراة والاقدام وانه يلقى الله فيجازيه على عمله وان النصر من الله لا بالقوة والعدد فقال
قال الذين يظنون اي يعلمون ولكنه عبر بالظن لما ذكر انهم ملاقوا الله اي الذي له الجلال والاكرام اشارة الى انه يكفي في الخوف
من الله والرجاء له الظن لانه يوجب فرار العاقل مما يظن انه يكرهه سبحانه انقاذا لنفسه من الهلاك بذلك كما اشرف
مترا في الشرب لظن الهلاك بعدمه ورجعوا الظن الهلاك باللقاء ويجوز ان يكون الظن على بابه ويراد اللقاء بالحالة
الحسنة كم من فئة قليلة كما كانت لهذه الامة في يوم بدر غلبت فئة كثيرة ثم نبه على ان سبب النصر الطاعة والذكر
لله بقوله باذن الله اي بتمكين الذي لا كفوء له فلا ينبغي لمن علم ذلك ان يفتر عن ذكره ويرضى بغضا به ثم بين ان ملاك ذلك
كله الصبر بقوله والله اي الملك الاعظم مع الصابرين ولا يخذل من كان معه ثم بين انهم صدقوا قولهم قبل المباشرة
بالفعل عندها فقال عاطفا على ما تقديره فلما قالوا لهم ذلك جمع الله كلمتهم فاعتمدوا عليه وبرزوا للقتال
بين يديه ولما برزوا وهم على ما هم عليه من الضعف والقلة والبروز هو الخروج عن كل شي يواري في براز من الارض وهو الذي
لا يكون فيه ما يتوارى فيه عن عين الناظر لجالوت اسم ملك من ملوك الكنعانيين كان بالشام مرئي زمن بني اسرايل له
وجنوده على ما هم فيه من القوة والكثرة والجراة بالتعود بالنصر قالوا ربنا افرغ من الافراغ وهو السكب المنبسط على كلية المسكوب
عليه علينا صبرا حتى يبلغ من الضرب ما يجب في مثل هذا الموطن وثبت من التثبيت تفعيل من الثبات وهو التمكن في الموضع
الذي شانه الاستزلال اقدامنا جمع قدم وهو ما يقوم عليه الشي ويعتمد اي بتقوية قلوبنا حتى لا تنفر وتكون ضربا ثابتا
متمكنة موجعة واشاروا الى ذلك بقولهم وانصرنا على القوم الكافرين موضع قولهم عليهم الى انهم انما يقاتلونهم لتضييعهم
حقه سبحانه لا لحظ من حظوظ النفس كما كان من مخطيهم اول ما سألوا والى انهم اتوبا فلابد لهم من معونته عليهم سبحانه ثم رتب
على ذلك النتيجة حثا على الاقتدا بهم ليتنبل ما نالوا فقال عاطفا على ما تقديره فاجاب الله دعاءهم فهزموهم مما منه الهزيمة
وهو تزايل من شانه من شانه الثبات قال الحرالي وقال ولم يكن فهزمهم الله كما لهذه الامة في ولكن الله قتلهم انتهى باذن الله
اي الذي له الامر كله ثم بين ما خص به المتولي لعظم الامر بعد بعض نفسه للمتلف في ذات الله سبحانه من الخلال الشريفة
الموجبة لكمال الحياة الموصلة الى البقا السرمدي فقال وقتل داود وكان في جيش طالوت جالوت قال الحرالي مناظرة
قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وكان فضل الله عليك عظيما انتهى وفي الزبور في المزمور الحادي والخمسين بعد المائة
وهو اخره صغيرا كنت في اخوتي وحدثا في بيت ابي راعيا غنم ابي يداي صنعتا الارغن واصابعي عملت القيثار من الان اختاري
الرب الذي استجاب لي وارسل ملاكه واخذني من غنم ابي ومسحني بدهن مسحته اخوتي حسان واكبر مني ولم يسر بهم الرب خرجت
ملتقيا الفلسطيني الجبار الغريب فدعا علي باوثانه فرميته بثلاثة احجار في جبهته بقوة الرب فصرعته واستللت
سيفه وقطعت به راسه ونزعت العار عن بني اسرايل واتاه الله بجلاله وعظمته الملك قال الحرالي كان داود عليه السلام
عندهم من سبط الملك فاجتمعت له المزيتان من استحقاقه البيت وظهور الاية على يديه بقتل جالوت قال تعالى والحكمة
تخليصا للملك مما يلحقه بفقد الحكمة من اعتدا الحدود انتهى فكان داود عليه السلام اول من جمع له بين الملك والنبوة
وعلمه اي زيادة عما احتاج اليه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير وغير ذلك ولما بين سبحانه بهذه الواقعة
على طولها هذا البيان الذي يعجز عنه الانس والجان بين حكمة الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بل ما هو اعم من ذلك
من تسليط بعض الناس على بعض بسبب انه جبل البشر على خلايق موجبة للتحير وطلب التفرد بالعلو المفضي الى الاختلاف
فقال بانيا له على ما تقديره فدفع الله بذلك عن بني اسرايل ما كان ابتلاهم به ولولا دفع الله اي المحيط بالحكمة والقدرة
يقونه وقدرته الناس وقرئ دفاع قال الحرالي تعال من اثنين وما يقع من احدهما دفع وهو رد الشي بغلبة وقهر عن وجهته
التي هو منبعث لها باشد منه انتهى وهو ابلغ من الاول اشارة الى انه سبحانه يفعل في ذلك فعل المبالغ ولما اثبت
سبحانه ان الفعل له خلقا وايجادا بين انه لعباده كسبا ومباشرة فقال بعضهم ببعض فتارة ينصر قويهم على ضعيفهم
كما هو مقتضى القياس وتارة ينصر ضعيفهم على قويهم حتى لا يزال ما اقام بينهم من سبب حفظه
لهيبة بعضهم لبعض قائما لفسدت الارض باكل القوي الضعيف حتى لا يبقى احد ولكن الله تعالى بعظمته وجلاله وعزته

وكالة

وكالة يكف بعض الناس ببعض ويولي بعض الظالمين بعضا ويؤيد الدين بالرجل الفاجر على نظام دبره وقانون احكمه في
الازل يكون سببا لكف القوي عن الضعيف بقاء لهذا الوجود على هذا النظام الى الحد الذي حده ثم يزيل التحنا على
زمن عيسى عليه السلام ليتم العلم بكمال قدرته واختياره وذلك من فضله على عباده وهو ذو فضل عظيم جدا على العا لمين
اي كلهم اولا بالايجاد وثانيا بالدفاع لمن يكف من ظلم الظلمة اما بعضهم ببعض او بالصالحين وقليل ما هم وتبع عليهم
غير ذلك من انواع نعمة ظاهرة وباطنة ومما يستشهد انشاده لهذه القصة ما اسنده الحافظ ابو القسم بن عساكر
في الكنى من تاريخ دمشق في ترجمة ابي عمرو بن العلا عن الاصمعي قال انشدنا ابو عمرو بن العلا قال سمعت اعرابيا ينشد
وقد كنت خرجت الى ظاهر البصرة متفرجا مما نالني من طلب الحجاج واستخفائي منه: صبر النفس عند كل ملم ان في الصبر
حيلة المحتال: لا تضيقن في الامور فقد يكشف لأواؤها بغير احتيال: ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال:
قد يصاب الجبان في اخر الصف وينجو مقارع الابطال: فقلت ما وراءك يا اعرابي قال مات الحجاج فلم ادر بايهما افرح
بموت الحجاج او بقوله فرجة لاني كنت اطلب شاهدا لاختيار القراءة في سورة البقرة الا من اغترف غرفة انتهى ولعل
ختام قصص بني اسرايل بهذه القصة لما فيها للنبي صلى الله عليه وسلم من واضح الدلالة على صحة دعواه الرسالة
لانها مما لا يعلمه الا القليل من حذاق علما بني اسرايل ثم عقبها باية الكرسي التي هي العلم الاعظم من دلايل التوحيد فكان
ذلك في غاية المناسبة لما في اوايل السورة في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الى اخر تلك الايات من دلايل التوحيد
المتضمنة لدلايل النبوة المفتتح بها قصص بني اسرايل فكانت دلايل التوحيد مكتنفة قصصهم اولها واخرها مع ما في
تناسبها جريا على الاسلوب الحكيم في مفاصلة العلما ومجادلة الفضلا فكان خلاصة ذلك كانه قيل الم تنبيها للنفوس
بما استاثر العليم سبحانه بعلمه فلما الفت الاسماع واحضرت الافهام قيل يا ايها الناس فلما عظم التشوف قال
اعبدوا ربكم ثم عينه بعد وصفه بما بينه بقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم كما سيجي ذلك من غير فاصل اول سورة
التوحيد ال عمران المنزلة في المجادلة اهل الكتاب من النصارى وغيرهم وختم قصصهم بقوله ربنا اننا سمعنا مناديا
ينادي للايمان ان امنوا بربكم يعني بالمنادي والله اعلم القايل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الى اخرها ومما يجب التنبه له
من قصصهم هذه ما فيها لانها تدريب لمن كتب عليهم القتال وتاديب في ملاقاة الرجال من الارشاد الى ان اكثر حديث
النفس واما فيها الكذب لا سيما بالثبات في مزال الاقدام فتشجع الانسان فاذا تورط انقلب به على الهلع حتى لا
يتمنوا لقا العدو وكما ادبهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وذلك ان بني اسرايل مع كونهم لا يحصون كثرة سالوا نبيهم
صلى الله عليه وسلم بعث ملك ليجاهدوا فلما بعث لهم الف اعراضهم لم يناجوه الا بالاعتراض ثم لما استقر الحال بعد
نصب الادلة واظهار الايات ندبهم فانتدب جيش لا يحصى كثرة فشرط عليهم الشباب الفارغ من بنا دار وبناء بامراة
فلم يكن الموجود بالشرط الا ثمانين الفا ثم امتحنوا بالنهر فلم يثبت منهم الا ثلثماية وثلثة عشر وهم دون الثلث
من ثمن العشر من المنتدبين بالشرط من الذين هم دون العشر من المنتدبين الذين هم دون العشر من السايلين في بعث
الملك فكان الخالصون معه كما قال بعض الاوليا الممتحنين لا تخر فضده بالزيادة: الم تعلم باني صيرفي احك الاصدقا على
محك: فمنهم بهرج لا خير فيه: ومنهم من اجوزه بشك: وانت الخالص الذهب المصفى بتزكيتي ومثلي من يزكي: وهذا سر قول
الصادق عليه الصلاة والسلام امتي كالابل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة وقوله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقا العدو
وسلوا الله العافية فاذا لقيتموه فاصبروا فالحاصل انه على العاقل المعتقد جهله بالعواقب وشمول قدرة ربه ان
لا يثق بنفسه في شي من الاشيا ولا يزال يصمها بالعجز وان ادعت خلاف ذلك ويتبرا من حوله وقوته الى حول الله وقوته
ولا يتعلق بسيله العفو والعافية ولما علت هذه الايات عن اقصى ما يعرفه البصرا البلغا من الغايات وتجاوزت
الى حد تعجز العقول عن مناله وتتضال دون الافهام عن الاتيان بشي من مثاله نبه سبحانه على ذلك بقوله تلك
اي الايات المعجزات لمن شمخت انوفهم وتغالت في مراتب الكبر هممهم ونفوسهم والاشارة الى ما ذكر في هذه السورة ولا سيما
هذه القصة من اخبار بني اسرايل والعبارة عن ذلك في هذه الاساليب الباهرة والافانين المعجزة القاهرة ايات الله
اي الذي علت عظمته وتمت قدرته وقوته ولما كانت الجلالة من حيث انها اسم للذات جامعة لصفات الجمال ونعوت
الجلال لفت السوال الى مظهر العظمة اشارة الى اعجازهم عن هذا النظم بنعوته الكبر التعال فقال نتلوها اي نقرها
شيا في اثر شي بما لنا من العظمة عليك تثبيتا لك عالم الكتاب الذي هو الهدى وتتميما للعوايد بالحق قال الامام
سعد الدين التفتازاني في شرح العقايد الحق الحكم المطابق للواقع يطلق على الاقوال والعقايد والاديان والمذاهب
باشتمالها على ذلك ويقابله الباطل واما الصدق فقد شاع في الاقوال خاصة ويقابله الكذب وقد يفرق بينهما
بان المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع وفي الصدق من جانب الحكم فمعنى صدق الحكم مطابقته الواقع ومعنى حقيقته
مطابقة الواقع اياه انتهى فمعنى الاية على هذا انا عالمون بالواقع من هذه الايات فاتينا بعبارة يطابقها ذلك الواقع لا تزيد عنها
ولا تنقص فتلك العبارة ثابتة ثبات الواقع لا يتمكن منصف عالم من انكارها ولا انكار شي منها كما لا يتمكن من انكار الواقع المعلوم وقوعه

ويكون الخبر عنها صدقا لانه مطابق لذلك الواقع بغير زيادة ولا نقص والحاصل ان الحق يعتبر من جانب المخبر فانه يأتي
بعبارة يساويها الواقع فتكون حقا وان الصدق يعتبر من جانب السامع فانه ينظر الى الخبر فان وجده مطابقا لما
وقع قال هذا صدق وليس ببعيد ان يكون من الشواهد على ذلك هذه الاية وقوله تعالى والذي جاء بالصدق
وصدق به وقوله قال فالحق والحق اقول بل جاء بالحق وصدق المرسلين وهو الحق مصدقا لما بين يديه وكذا وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي ان هذا الفعل وهو خلقنا لها ليس متلعبين فيه وهذا الواقع يطابق خلقها لا
يزيد عليه شيء بمعنى انه كان علينا ان نزيد فيها شيئا وليس لنا الاقتصار على ما وجد ولا ينقص عنه بمعنى انه كان علينا
ان نجعلها ناقصة عما هي عليه ولم يكن لنا انما هما هكذا او بالحق الذي هو قدرتنا واختيارنا لا كما يدعيه الفلاسفة
من الفعل بالذات من غير اختيار او بسبب الحق اي اقامته واثباته وابطال الباطل ونفيه وقوله واتيناك بالحق
وانا لصادقون اي اتيناك بالخبر بعذابهم وهو ثابت لان مضمونه اذا وقع فنسبته الى الخبر علمت مطابقته له اي مطابقة
الواقع اياه واخبارنا عنه على ما هو به نحن صادقون فيه اي نسبنا وقوع العذاب اليهم نسبة تطابق الواقع فاذا وقع
نظرت الى اخبارنا فرايته مطابقا له فعلمت صدقنا فيه والذي لا يدع في ذلك اما قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه
السلام قد جعلها ربي حقا اي مطابقة الواقع لتاويلها واما صدقه صلى الله عليه وسلم فهو بنسبة الخبر الى الواقع
وهو انه راى ما اخبر به وذلك موجود من حين اخباره صلى الله عليه وسلم فان كان حين اخباره به مطابقا للواقع واما صدق
الرويا فباعتبار انه كان لها واقع طابقه تاويلها فان قيل ما سبيل المفاعلة ان تكون بين اثنين يفعل احدهما
بالاخر ما يفعل الاخر به فتنسب نا اعتبرنا المطابقة من جانب واحد فذلك لا ينبغي اعتبارها من الجانب الاخر فماذا يعني ما
ادعته قيل بما وان كان لا بد فيها من مراعاة الجانبين لكنها تفهم ان الذي اسند اليه الفعل هو المطالب بخلاف باب
التفاعل فانه لا دلالة لفعله على ذلك وجملة الامر ان الواقع احق باسم الحق لانه الثابت والخبر احق باسم الصدق والواقع
طالب خبر يطابقه ليعرف على ما هو عليه والخبر طالب لمطابقة الواقع له فيكتسب الشرف بتسميته صدقا واول
ثابت في نفس الامر هو الواقع فانه قبل الخبر عنه بانه وقع فاذا كان مبدا الطلب من الواقع سمي الخبر باسمه واذا كان مبدا
الطلب من الخبر سمي باسمه الحقيقي به ولعلك اذا اعتبرت ايات الكتاب الناطق بالصواب وجدتها كلها على هذا الاسلوب
والله الموفق ولما ثبت ان التلاوة عليه صلى الله عليه وسلم حق قال تعالى **وانك** اي والحال انك **لمن المرسلين** بما دلت
هذه الايات عليه من علمك بها من غير معلم من البشر ثم باعجازها الباقي على مدى الدهر ولما تقدم في هذه السورة
ذكر رسل كثيرة وختم هذه الايات بانه صلى الله عليه وسلم منهم تشوفت النفس الى معرفة احوالهم في الفضل هل هم
فيه سواء او هم متفاضلون فاشار الى علو مقادير الكل في قوله **تلك الرسل** باداة البعد اعلاما ببعد مراتبهم
وعلو منازلهم وانهم بالمحل الذي لا ينال والمقام الذي لا يرام وجعل الحرالي التعبير بتلك التي هي اداة التانيث دون اولئك
التي هي اشارة للمذكر توطية واشارة لما يذكر بعد من اختلاف الامم بعد انبيائهم وقال يقول فيه النحاة اشارة لجماعة
المونث وانما هو في العربية لجماعة ثانية في الرتبة لان التانيث احد التثاني عن اوليه تناسبه في المعنى وتقابله
في المنطق قال ومن لسن العرب واشارة تاسيس كلها ان المعنى متى اريد ارفاعه اطلق عن علامة الثاني في الرتبة واشارته
ومتى اريد انزاله قيد بعلامة الثاني واشارته ثم قال ففي ضمن هذه الاشارة لاولي التنبه اشعار بما تضمنته الاية
من الاخبار النازل عن رتبة الثبات والدوام الى رتبة الاختلاف والانقطاع كما انه لما كان الذكر اعلى في محل اجلاء في ابتر
الانعام قيل اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ولما كان شان الاختلاف والانقطاع غير مستغرب في محل
النقص والاشكال وطي لهذا الواقع بعد الرسل بانه ليس من ذلك وانه من الواقع بعد اظهار التفضيل وابلاغ البيان
لما يشاء من امره انتهى ثم اتبع هذه الاشارة حالا منها او استينافا قوله **فضلنا بعضهم على بعض** اي بالتخصيص
بمآثر لم تجتمع لغيره لبعد ان فضلنا الجميع بالرسالة ولما كان اكثر السورة في بني اسرائيل واكثر ذلك في اتباع موسى
عليه السلام بدا بوصفه وثنى بعيسى عليه السلام لانه الناسخ لشريعته وهو اخر انبيائهم فقال مبينا لما اجمل
من ذلك التفضيل بادئا بدرجة الكلام لانها من اعظم الدرجات لانها القول الى مظهر الذات بما لها من جميع الصفات لانه
اوثق للكلام المستجمع للتمام **منهم من كلم الله** اي بلا واسطة بما له من الجلال كموسى ومحمد وادم عليهم السلام **ورفع بعضهم**
وهو محمد صلى الله عليه وسلم على غيره ومن فوائد الابهام الاستنباط بالدليل ليكون مع انه احلى احذر بالحفظ وذلك
الاستنباط ان يقال انه تعالى قد عمهم بالتفضيل بالرسالة اولا ثم بين انه فضل بعضهم على غيره وذلك كله رفعة
فلو كانت هذه مجرد رفعة لكانت تكريرا الرجحان بهم انما رفعة على اعلاهم واسقط الفوقية هنا اكراما
للرسل بخلاف ما في الزخرف فقال معبرا بعض ما اقتضاه التفضيل **درجات** اي عظيمة بالدعوة العامة
والمعجزات الباقية والاتباع الكثيرة في الازمان الطويلة من غير تبديل ولا تحريف وبلغ شرعه لجميع الشرائع وبكونه
رحمة للعالمين وامته خير امة اخرجت للناس وكونه خاتما للنبيين الذين اسلمهم سبحانه عند الاختلاف مبشرين

ومنذرين

ومنذرين وانزل معهم الكتاب فلا نبي بعده ينسخ بشريعته وانما ياتي النبي الناسخ لشريعته موسى عليه السلام
بعد دروس الشريعة بعجنه تجدد ما درس منها كما كان من بني اسرائيل الذين بينه وبين موسى عليه السلام ولما كان التخصيص لا يبين
فضله الا باثاره وكانت ايات موسى وعيسى عليهما السلام اكثر من ايات من سبقهما خصهما بالذكر اشارة الى ذلك
فكان فيه اظهار الفضل لنبينا صلى الله عليه وسلم لانه لا نسبة لما اوتي احد من الانبياء الى ما اوتي وابهامه يدل
على ذلك من حيث انه اشارة الى ان ابهامه في الظهور والجلاء كذكره لان ما وصف به لا ينصرف الا اليه ولما كان الناس
واقفين مع الحس الا الفرد النادر وكان من تكرر الايات المحسوسات كالاحياء والابراء ما ليس لغيره ومع ذلك ارتد اكثرهم
بعد رفعه عليه السلام فقال صارفا القول الى مظهر العظمة تهديدا لمن كفر بعد ما راى او سمع من تلك الايات
الكبر **واتينا** بما لنا من العظمة بالقدرة على كل شيء من الخلق والتصوير كيف نشاء وعلى غير ذلك **عيسى** ونسبه
الى امه اشارة الى انه لا اب له فقال **ابن مريم** اي الذي خلقناه منها بغير واسطة ذكر اصلا **البينات** من احياء
الموتى وغيره قال الحرالي والبينة ما ظهر برهانه في الطبع والعلم والعقل بحيث لا مندوحة عن شهود وجوده وذلك
فيما اظهر الله على يديه من الاحياء والاماتة الذي هو من اعلى ايات الله فان كل باد في الخلق ومتنزل في الامر فهو من ايات
الله فما كان اقرب الى ما اختص الله به كان اعلى واظهر وما كان مما يجري نحوه على ايدي خلقه كان اخفى والبس الا على من شرح
الله قلبه لاستبصاره فيه **وايدناه** اي بعظمتنا البالغة **بروح القدس** في اعلامه ذكر ما جعل تعالى بينه
وبين عيسى عليه السلام في كيانه تجري نحوه في عمله من واسطة الروح كما قال تعالى فارسلنا اليها روحنا كذلك كان
تعلمه مع تاييده وفي ذلك بينه وبين موسى عليهما السلام مواخاة ابتدائية حيث كان امر موسى من ابتداء امر
التكليم الذي هو غاية سقوط الواسطة وكان امر عيسى عليه السلام من ابتداء امر الاحياء الذي هو غاية تفرق المقربين
انتهى وذكر شيء مما في الانجيل من بيناته وحكمه واياته قال متى انتم ملح الارض فاذا فسد الملح فبماذا يملح لا يصلح لشيء لكن يطرح
خارجا وتدوسه الناس وقال لوقا جيد هو الملح فان فسد فبماذا يملح لا يصلح للارض ولا المزبلة لكن خارجا من كان له اذنان
سامعتان فليسمع وقال متى انتم نور العالم لا تستطيع مدينة تخفى وهي موضوعة على راس جبل ولا يوقد سراج فيوضع
تحت مكيال لكن يوضع على منارة ويضيء لكل من في البيت هكذا فليضيء نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الحسنة ويمجدوا
اباكم الذي في السموات لا تظنوا اني جئت لاحل الناموس والانبياء لم ات لاحل بل لاكمل الحق اقول لكم ان السماء والارض تزولان
وخطة واحدة لا تزول من الناموس حتى يكون هذا كله فمن احل احد هذه الوصايا الصغار وعلم الناس هكذا يدعى في ملكوت
السموات صغيرا والذي يعمل ويعلم هذا يدعى عظيما في ملكوت السماء ثم قال واذا صليتم فلا تكونوا كالمرائين لانهم
يحبون القيام في المجامع وزوايا الازقة يصلون ليظهروا للناس الحق اقول لكم لقد اخذوا اجرهم واذا صليت فادخل
الى مخدعك واغلق بابك عليك وصل لابيك سرا وابوك يرى السر فيعطيك علانية واذا صليتم فلا تكثروا
مثل الوثنيين لانهم يظنون انهم يستجاب لهم بكثرة كلامهم فلا تتشبهوا بهم لان اباكم عالم ما تحتاجون اليه قبل
ان تسالوه وهكذا تصلون انتم ابانا الذي في السموات فقدس اسمك ياتي ملكوتك تكون مشيئتك كما في السماء
وعلى الارض خبزنا كفافنا اعطنا اليوم واغفر لنا ما يجب علينا كما غفرنا لمن اخطا الينا ولا تدخلنا التجارب لكن
نجنا من الشرير لان لك المجد والقوة الى الابد امين وقال مرقس واذا قمتم تصلون اغفروا الكل من لكم عليه لكيما ابوكم
الذي في السموات يترك لكم هفواتكم وقال متى فان غفرتم للناس خطاياكم غفر لكم ابوكم السماوي خطاياكم وان لم تغفروا
للناس سيئاتهم لم يغفر لكم خطاياكم وقال لوقا وكان يصلي في بقعة فلما فرغ قال واحد من تلاميذه يا رب علمنا نصلي
كما علم يوحنا تلاميذه فقال لهم اذا صليتم فقولوا ابانا الذي في السموات يتقدس اسمك ياتي ملكوتك تكون ارادتك
كما في السماء كذلك على الارض خبزنا كفافنا اعطنا كل يوم اغفر لنا خطايانا لانا نغفر لمن لنا عليه ولا تدخلنا التجارب
لكن نجنا من الشرير ثم قال لهم من منكم له صديق يمضي اليه نصف الليل فيقول له يا صديقي هبني ثلاث خبزات
فان صديقا جاءني من طريق وليس لي ما اقدم اليه فيجيبه ذلك من داخل ويقول لا تعنتني قد اغلقت بابي واولادي
معي على سريري ولا اقدر اقوم فاعطيك اقول لكم ان لم يقم ويعطيه من اجل الصداقة فيقوم ويعطيه من اجل الحاجة
ما يحتاج اليه وانا ايضا اقول لكم سلوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم كل من سال اعطي ومن طلب وجد ومن يقرع
يفتح له وقال متى واذا صمتم فلا تكونوا كالمرائين لانهم يعبسون وجوههم ويغيرونها ليظهروا للناس صياما لهم الحق
اقول لكم لقد اخذوا اجرهم وانت اذا صمت ادهن راسك واغسل وجهك لئلا يظهر للناس صيامك وقال لوقا
من منكم له عبد يحرث او يرعى فاذا جاء من الحقل يقول له للوقت اصعد واجلس اوليس يقول له اعدد ما اكله وشد
حقويك واخدمني حتى اكل واشرب ومن بعد ذلك تاكل انت وتشرب فهل لذلك العبد فضل عنده بما فعل ما امر به
كذلك انتم اذا فعلتم كل شيء امرتم به قولوا انا عبيد بطالون انما عملنا ما يجب علينا وقال ايضا وقال له واحد من الجمع
يا معلم قل لاخي يقاسمني الميراث فقال له يا انسان من اقامني عليكم حاكما او مقسما وقال لهم انظروا وتحفظوا من كل الشره

لان الحياة ليست للانسان بكثرة ماله وقال لهم مثلا انسان غني اخصبت له كورة فتفكر وقال ماذا اصنع اذ ليس لي
حيث اصنع غلاتي اهدم اهرائي وابنيها واوسعها واخزن هناك واقول لنفسي يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة
لسنين كثيرة استريحي وكلي واشربي وافرحي فقال له الله يا جاهل في هذه الليلة تنزع نفسك وهذا الذي له
اعددته لمن يكون هكذا من يدخر ذخائر وليس هو غنيا بالله وقال متى لا تكنزوا لكم كنوزا في الارض حيث الاكلة والسوس
يفسد والسارقون ينقبون فيسرقون اكنزوا لكم كنوزا في السما حيث لا اكلة ولا سوس يفسد ولا ينقب السارقون
فيسرقون وقال لوقا بيعوا امتعتكم واعطوا رحمة فاجعلوا لكم اكياسا لا تبلى وكنوزا في السموات لا تفنى حيث لا يصل
اليه سارق ولا يفسده سوس وقال متى لانه حيث تكون كنوزكم هناك تكون قلوبكم سراج الجسد العين فان كانت عينك
بسيطة فجسدك يكون كله نيرا وان كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلما فاذا كان النور الذي فيك ظلاما
فالظلام ما هو ليس يستطيع انسان يعبد ربين الا ان يبغض الواحد ويحب الاخر او يحل الواحد ويحتقر الاخر لا تقدرون
ان تعبدوا الله والمال فلهذا اقول لكم لا تهتموا لنفوسكم بما تاكلون او بما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون اليس النفس
وقال لوقا لان النفس افضل من الماكل والجسد من اللباس انظروا الى طيور السما التي لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الاهرا
وابوكم السماوي يقوتها اليس انتم بالحري بان تكونوا افضل منها وقال لوقا فكم انتم افضل من الطيور من منكم اذا اهتم
فيقدر ان يزيد على قامته ذراعا واحدا فلماذا تهتمون باللباس اعتبروا ازهر الحقل حيث يربى ولا يتعب وقال لوقا
تاملوا الزهر كيف ينمو بغير تعب ولا عمل اني اقول لكم ان سليمن في كل مجده لم يلبس كواحدة منها فاذا كان زهر الحقل
يكون اليوم وفي غد يطرح في التنور يلبسه الله هكذا فكم انتم احرى يا قليلي الايمان فلا تغتموا وتقولوا ماذا ناكل وماذا نشرب
وماذا نلبس هذا كله تطلبه الامم البرانية وابوكم يعلم انكم تحتاجون الى هذا جميعه اطلبوا اولا ملكوت الله وبره وهذا كله تزادوه
لا تهتموا بالغد فالغد يهتم بشانه ويكفي كل يوم شره وقال لوقا لتكن اوساطكم مشدودة وسرجكم موقودة وكونوا مشتبهين
بناس ينتظرون سيدهم متى ياتيهم من العرس لكي اذا جا وقرع يفتحون له طوبى لاولئك العبيد الذين ياتي سيدهم فيجدهم
مستيقظين الحق اقول لكم انه يشد وسطه ويتكيهم ويقف يخدمهم لذلك فطوبى لاولئك العبيد ثم قال فقال له
بطرس يا رب من اجلنا تقول هذا المثل ام للجميع فقال من ترى الوكيل الامين الحكيم الذي يقيمه سيده على حشمه
يعطيهم طعامهم في حينه فطوبى لذلك العبد الذي ياتي سيده فيجده فعل هكذا الحق اقول لكم انه يقيمه على جميع
ماله فان قال ذلك العبد الشرير في قلبه ان سيدي يبطي قدومه ويأخذ في ضرب عبيد سيده واماه ويأكل
ويشرب ويسكر ياتي سيده في يوم لا يظن وساعة لا يعلم فيشقه من وسطه ويجعل نصيبه مع الغير مومنين
فاما العبد الذي يعلم ارادة سيده ولا يستعد ويعمل ارادة سيده فيضرب كثيرا والذي لا يعلم ويعمل ما يستوجب به
الضرب يضرب يسيرا لان من اعطي كثيرا يطلب كثيرا والذي استودع كثيرا يطالب بكثير وقال في موضع اخر الامين في
القليل يكون امينا في الكثير والظالم في القليل ظالم في الكثير فان كنتم غير امنا في مال الظلم فمن يامنكم في الحق وان كنتم
غير امنا فيما ليس لكم فمن يعطيكم ما لكم جئت لالقي نارا في الارض وما اريد الا اضطرامها ولي صبغة اصطبغها وانا احد لتكمل
هل تظنون اني جئت لالقي سلامة في الارض اقول لكم يكون افتراق من الان يكون خمسة في بيت واحد يخالف اثنين واثنان
ثلثة يخالف الاب ابنه والابن اباه والام ابنتها والابنة امها والحماة كنتها والكنة حماتها وقال متى لا تدينوا لئلا
تدانوا وبالكيل الذي تكيلون يكال لكم وقال لوقا ولا تحبوا الحكم على احد لئلا يحكم عليكم اغفروا يغفر لكم اعطوا تعطوا بكيل
صالح مملوء فايض يلقى في حضونكم لانه بالكيل الذي تكيلون يكال لكم هل يستطيع اعمى ان يقود اعمى اليس يقعان كلاهما
في حفرة وقال متى لماذا تنظر القذى الذي في عين اخيك ولا تفطن بالخشبة التي في عينك كيف تقول لاخيك دعني
اخرج القذى من عين اخيك لا تعطوا القدس للكلاب ولا تلقوا جواهركم امام الخنازير لئلا تدوسها بارجلها وترجع
لتمزقكم سلوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم لان كل من يطلب يجد ومن سال يعط ومن يقرع يفتح له اي انسان منكم يسله
ابنه خبزا فيعطيه حجرا او يسله سمكة فيعطيه حية فاذا كنتم انتم الاشرار تعرفون تمنحون العطايا الصالحة لابنايكم
فكم بالحري ابوكم الذي في السموات يعطي الخيرات لمن يسله وكل ما تريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوه انتم بهم فهذا
هو الناموس والانبيا قال لوقا وزوال السما والارض اسهل من ان يبطل من الناموس حرف واحد وقال ايضا وقال لهم
لكي يصلوا كل حين ولا يملوا فقال كان قاض في مدينة لا يخاف الله ولا يستحيي من الناس وكان في تلك المدينة ارملة وكانت
تاتي اليه وتقول انصفني من خصمي ولم يكن يشا الى زمان وبعد ذلك قال في نفسه ان كنت لا اخاف الله ولا استحيي
من الناس لكن من اجل ان هذه المراة احكم لها ولا تعود تخنقني وتاتي الي في كل حين لتتعبني قال الرب اسمعوا ما قال قاضي الظلم
افليس الله احرى ان ينتقم لمختاريه الذين يدعون النهار والليل نعم اقول لكم انه ينتقم لهم سريعا وقال متى ادخلوا من
الباب الضيق فان المسلك واسع والطريق المودية الى الهلاك رحبة والداخلون فيها كثيرون ما اضيق الباب واكرب
الطريق التي تودي الى الحياة وقليل هم الذين يجدونها احذروا من الانبيا الكذبة الذين ياتونكم بلباس الحملان وداخلهم

ذئاب

ذئاب خطفة ومن ثمارهم تعرفونهم هل يجنى من الشوك عنب ومن العوسج تين هكذا كل شجرة صالحة تخرج ثمرة جيدة
وقال لوقا وكل شجرة تعرف من ثمرتها ليس يجنى من الشوك تين ولا يختطف من العليق عنب الرجل الصالح من الذخاير الصالحة
في قلبه يخرج الصالحات والشرير من ذخايره الشريرة يخرج الشر لان من فضل ما في القلب ينطق الفم وقال متى
وكل شجرة لا تثمر ثمرة جيدة تقطع وتلقى في النار فمن ثمارهم تعرفونهم ليس كل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت
السموات لكن الذي يعمل ارادة ابي الذي في السموات اي اسره كثيرون يقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب اليس باسمك
تنبانا وباسمك اخرجنا الشياطين وباسمك صنعنا ايات كثيرة فحينئذ اعترف لهم اني ما عرفتكم قط اذهبوا
عني يا فاعلي الاثم وقال لوقا فقال له واحد يا رب قليل هم الذين يخلصون فقال احرصوا على الدخول من الباب الضيق
فاني اقول لكم ان كثيرا يريدون الدخول منه فلا يستطيعون فاذا قام رب البيت يغلق الباب فحينئذ تقفون
خارجا وتقرعون الباب وتقولون يا رب يا رب افتح لنا فيجيب لا اعرفكم من اين انتم فتقولون اكلنا قدامك وشربنا
فيقول ما اعرفكم من اين انتم تباعدوا عني يا عمال الظلم هناك يكون البكا وصرير الاسنان قال متى كل من يسمع كلماتي
هذه ويعمل بها يشبه رجلا عاقلا بنى بيته على الصخرة وقال لوقا بنى بيتا وحفر وعمق ووضع الاساس على الصخرة
فنزل المطر وجرت الانهار وهبت الرياح وضربت ذلك البيت فلم يسقط لان اساسه ثابت على الصخرة وكل من
يسمع كلماتي هذه ولم يعمل بها يشبه رجلا جاهلا بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجرت الانهار وهبت الرياح وضربت
ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيما وكان لما اكمل يشوع هذه الكلمات بهت الجميع من تعليمه لانه كان
يعلمهم كمن له سلطان وليس كمثل كتابهم وفيه مما يمتنع اطلاقه في شرعنا لفظ الاب والرب ونسبا في ال
عمران ما يشفي الغليل في تاويل مثل ذلك على تقدير صحته وكل ما ورد من وصف الانبيا بالكذبة فالمراد به المدعي
للنبوة كذبا ولما تقدم ان الله تعالى ارسل رسلا وانزل معهم كتبا وانهم تعبوا ومستهم الباسا والضرا وزلزلوا
حتى جمعوا الناس على الحق وان اتباعهم اختلفوا بعد ما جاتهم البينات كان مما تتوجه النفس للسوال عنه
سبب خلافهم فبين انه مشيئته سبحانه لا غير اعلاما بانه الفاعل المختار فكان التقدير ولو شا الله لساوى
بين الرسل في الفضيلة ولو شا لساوى بين اتباعهم في قبول ما اتوا به فلم يختلف عليهم اثنان ولكنه لم يشا
ذلك فاختلفوا عليهم وهم يشاهدون البينات وعطف عليه قوله ولو شا الله اي الذي له جميع الامر قال
الحرالي وهي كلمة جامعة لكل ابنية محمدية تشهد الله وحده وتمحو عن الاقامة ما سواه انتهى ما اقتتل اي ما تكلف
القتال مع انه مكروه للنفوس الذين من بعدهم لاتفاقهم على ما قرروا عليه نبيهم من الهدى قال الحرالي فيه
تذكر الاقتتال الذي انما يقع بعد فتنة المقال بعد فتنة الاقوال بالاحاين والاحقاد بعد فقد السلام
بعد فقد الوداد بعد فقد المحبة الجامعة للامة مع نبيها انتهى من بعد ما جاتهم البينات اي على ايدي
رسلهم قال الحرالي فيه ايذان بان الوسائل والاسباب لا تقتضي اثارها الا بامضا كلمة الله فيها انتهى ولكن اختلفوا
لانه سبحانه لم يشا اتفاقهم على الهدى فمنهم اي فتسبب عن اختلافهم ان كان منهم من امن اي ثبت على ما قاله
نبيه حيثما دعت اليه البينات فكان ايمانه هدى من الايمان في الحقيقة لانه اعرق في امر الغيب ومنهم من كفر
ضلالا عنها او عنادا ولما كان من الناس من اعمى الله قلبه فتسبب فعال الجبارين من الخلق اليهم استقلالا قال تعالى
محلا ان الكل خلقه تاكيدا لما مضى من ذلك معيدا ذكر الاسم الاعظم اشارة الى عظم الحال في امر القتال الكاشف لمن
باشره في ضلال عن انهج الخلال ولو شا الله اي الذي لا كفو له ما اقتتلوا بعد اختلافهم بالايمان والكفر وكرر الاسم
الاعظم زيادة في الاعلام بعظم المقام ولكن الله اي بجلاله وعز كماله شا اقتتالهم فانه يفعل ما يريد فاختلفوا
واقتتلوا طوع مشيئته على خلاف طباعهم وما ينافي ما عندهم من العلم والحكمة ولما كان الاختلاف على الانبيا سببا
للجهاد الذي هو حظيرة الدين وكان عماد الجهاد النفقة اتبع ذلك قوله رجوعا الى اول السورة من هنا الى اخرها والى
التاكيد بلفظ الامر لما تقدم من الحث عليه من امر النفقة يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالسنتهم بالايمان انفقوا
تصديقا لدعواكم في جميع ابواب الجهاد الاصغر والاكبر ولا تبخلوا فاني قد اوردت امر البخل ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون ولما امر بذلك هونه عليهم بالاعلام بانه له لا لهم فقال مما اي الشي الذي وورد القول الى مظهر العظمة
حثا على المبادرة على امتثال الامر تقبيحا للحال من ابطاعه فقال رزقناكم بما لنا من العظمة وجزمها بالامر لانه
لما رغب في النفقة من اول السورة الى هاهنا مرة بعد اخرى في اساليب متعددة صارت دواعي العقلا في درجة
القبول لما تدب اليه من امرها وان كان الخروج عما في اليد في غاية الكراهة الى النفس وصرف الامر بالتبعيض
الى الحلال الطيب لمنع احتجاج المعتزلة بها على ان الرزق لا يكون الا حلالا لكونه مامورا به واتبعه بما يرغب ويرهب
من حال يوم التناد الذي تنقطع فيه الاسباب التي اقامها سبحانه في هذه الدار فقال من قبل ان ياتي يوم
موصوف بانه لا بيع فيه موجود ولا خلة قال الحرالي هي ماسة المخاللة وهي المداخلة فيما يقبل التداخل حتى يكون

كل واحد خلال الاخر موقع محبتها الموافقة في وصف الرضى والسخط فالخليل من رضاه رضى خليله وسخطه من سخطه انتهى
ولا شفاعة والمعنى انه لا يفدي فيه اسير بمال ولا يراعى لصداقة من مساو ولا شفاعة من كبير لعدم ارادة الله تعالى
لشي من ذلك ولا يكون الا ما يريد وفي الاية التفات شديد الى اول السورة حيث وصف المومنين بالانفاق مما رزقهم
والايقان بالاخرة وبيان لان المراد بالانفاق اعم من الزكاة وان ذلك يحمل جميع وجوه الانفاق من جميع المعاون والحظوظ التي
تكسب المعالي وتنجي من المهالك وسياتي في الايات الحاثة على النفقة ما يرشد الى ذلك كقوله تعالى ان تبدوا الصدقات
وغيرها وقال الحرالي فانتظم هذا الانتهاء افتتاح اية هي سيدة اي هذه السورة من الذين يومنون بالغيب ويقيمون
الصلاة الى قوله المفلحون فلذلك وقع بعد هذا الانتهاء افتتاح اية هي سيدة اي هذه السورة المنتظمة بافتتاحها
انتظاما معنويا براس ام ذلك الكتاب فكان في اشارة هذا الانتظام توطية لما افتتح به الخطاب في فاتحة سورة ال عمران
لما ذكر من ان القران مثاني ابهام وحمد فكان اوله حمدا واخره حمدا يثني ما بين الحمدين على اوله كما قال حمدني عبدي اثنى
علي عبدي لجملته حمد وتفاصيله ثنا انتهى ولما حث سبحانه على الانفاق ختم الاية بذم الكافرين لكونهم لم يتحلوا بهذه الصفة
لتخليهم من الايمان وبعدهم منه وتكذيبهم بذلك اليوم فهم لا يتقون خوفه ولا رجاءه فقال بدل ولا نصيرة الكافر والكافرون
اي المعلوم كفرهم في ذلك اليوم وهذا العطف يرشد الى ان التقدير فالذين امنوا يفعلون ما امرناهم به لانهم المفلحون والكافرون
هم المختصون بانهم الظالمون اي الكاملون في الظلم لا غيرهم ومن المعلوم ان الظالم خاسر وانه مخذول غير منصور لانه يضع
الاشيا في غير مواضعها ومن كان كذلك لا يثبت له امر ولا يرتفع له شان بل هو دايما على شفا جرف هار ولاجل ذلك ختم سبحانه
كثيرا من اياته بقوله وما للظالمين من انصار فقد انتفى بذلك جميع انواع الخلاص المعهودة في الدنيا في ذلك اليوم من الافتدا
بالمال والمراعاة لصداقة او عظمة ذي شفاعة او نصرة بقوة ولما ابتدا سبحانه الفاتحة كما مضى بذكر الذات ثم تعرف بالافعال
لانها مشاهدات ثم رقى الخطاب الى التعريف بالصفات ثم اعلاه رجوعا الى الذات للتاهل للمعرفة ابتدا هذه السورة
بصفة الكلام لانها اعظم المعجزات وابينها وادلها على غيب الذات واوقعها في النفوس لا سيما عند العرب ثم تعرف بالافعال
فاكثر منها فلما لم يبق لبس اثبت الوحدانية باياتها السابقة مخللا ذلك بافانين الحكم ومحاسن الاحكام وانواع الترغيب والترهيب
في محكم الوصف والترتيب فلما تمت الاوامر وهالت تلك الزواجر تشوفت الانفس وتشوقت الخواطر الى معرفة سبب انقطاع
الوصل بانبتار الاسباب وانتفا الشفاعة في ذلك اليوم اذ كان المالوف من ملوك الدنيا انهم لا يكادون يتمكنون من امر من
الامور حق التمكن من كثرة الشفعا والراغبين من الاصدقا اذ كان الملك منهم لا يخلو مجلسه قط عن جمع كل منهم صالح للمقام
مقامه ولو خذله او وجه اليه مكره ضعضع امره وفت في عضده فهو محتاج الى مراعاتهم واسترضائهم وصدادهم بين سبحانه
صفة الامر بما هو عليه من الجلال والعظمة ونفوذ الامر والعلو عن الضد والتنزه عن الكفو والند والتفرد بجميع الكمالات
والهيبة المانعة لعبد انكشافها هنالك ان يتوجه الهم لغيره وان ينطق بغير اذنه وان يكون غير ما يريد ليكون
ذلك ادعى الى قبول امره والوقوف عند نهيه وزجره ولاجل هذه الاغراض ساق الكلام مساق جواب لسوال فكانه
قيل هذا ما لا يعرف من احوال الملوك فمن الملك في ذلك اليوم فذكر اية الكرسي سيدة اي القران التي ما اشتمل كتاب
على مثلها مفتتحا لها بالاسم العلم المفرد الجامع الذي لم يتسم به غيره وذلك لما تاهل السامع بعد التعرف بالكلام والتودد
بالافعال لمقام المعرفة فترقى الى اوج المراقبة وحضرة المشاهدة فقال عائدا الى مظهر الجلالة الجامع لصفات الجلال
والاكرام لانه من اعظم مقاماته الله اي هو الملك في ذلك اليوم ثم اثبت له صفات الكمال منزها عن شوائب النقص مفتتحا
لها بالتفرد فقال لا اله الا هو معتورا لكمال التوحيد فانه المقصود الاعظم من جميع الشرايع ولكن الانسان لما جبل عليه
من النقصان لا بد له من ترغيب يشده وترهيب يرده ومواعظ ترققه واعمال تصدقه واخلاق تحققه تخلل سبحانه
اي التوحيد بالاحكام والقصص فالاحكام تفيد الاعمال الصالحة فترفع استار الغفلة عن عيون القلوب وتكسب الاخلاق
الفاضلة لتصقل الصدا عن مرائي النفوس فتتجلى فيها حقائق التوحيد والقصص تلزم بمواعظها واعتبارها بالاحكام
وتقرر دلائل المعارف فترسخ التوحيد وكان هذا التفصيل لانه انشط للنفس بالانتقال من نوع الى اخر مع ما للمزج من حسن النظم
وبلاغة التناسب والالهاب ببداعة الربط وبراعة التلاحم وقال الحرالي لما انتهى الخطاب على بيان جوامع من معالم الدين
وجهات الاعتبار وبيان احكام الجهاد والانفاق فيه فتم الدين بخطيرته معالم اسلام وشعائر ايمان ولمحة احسان اعلى
تعالى الخطاب الى بيان امر الاحسان كما استوفى البيان في امر الايمان والاسلام فاستفتح هذا الخطاب العلي الذي يسود كل
خطاب ليعلي به الذين امنوا ليخرجهم به من ظلمة الايمان بالغيب الذي نوره يذهب ظلمة الشك والكفر الى صفا ضيا
الايقان الذي يصير نور الايمان بالاضافة اليه ظلمة كما يصير نور القمر عند ضيا الشمس ظلمة فكانت نسبة هذه الاية
من اية الالهية في قوله تعالى والهكم اله واحد نسبة ما بين علو اسمه الله الذي لم يقع فيه شرك بحق ولا بباطل الى اسمه
الاله الذي وقع فيه الشرك بالباطل فينتقل تعالى بالمومنين الذين استغفر لهم ايمان الاعتبار باية والهكم اله واحد وما
بعدها من الاعتبار في خلق السموات والارض الى تعين العيان باسمه الله وما يليه بمعناه من اوصافه العظيمة انتهى

ولما وحد سبحانه نفسه الشريفة اثبت استحقاقه لذلك بحياته وبين ان المراد بالحياة الابدية بوصف
القيومية فقال الحي اي الذي له الحياة وهي صفة توجب صحة العلم والقدرة القيوم اي القائم بنفسه المقيم
لغيره على الدوام على اعلى ما يكون من القيام والاقامة قال الحرالي فيجول وتدت في اصوله اليا فيجتمع فيه لفظ ما هو من
معناه الذي هو القيام بالامر مع واوه التي هي من قام يقوم فادت صيغته من المبالغة ما في القيام والقوام على حد ما
تفهمه معاني الحروف عند المخاطبة بها من ائمة العلما الواجدين مدينة العلم المحمدي من بابه العلوي انتهى ثم بين تنزهه مبنه
وكمال حياته بقوله لا تاخذه سنة قال الحرالي هي اول النعاس في الحسين قبل ان يستغرق الحواس ويخامر
القلب ولا نوم وهو ما وصل من النعاس الى القلب فغشيه في حق من ينام قلبه وما استغرق الحواس في حق من لا ينام
قلبه انتهى ولما عبر بالاخذ الذي هو بمعنى القهر والغلبة وجب تقديم السنة كما لو قيل فلان لا يغلبه امير ولا سلطان
ثم بين هذه الجملة بقوله له اي بيده وفي تصرفه واختصاصه ما في السموات الذي من جملته الارض وما في الارض
اي من السنة والنوم وغيرهما ابداعا واعادة واما وما هو في قبضته وتصرفه لا يغلبه قال الحرالي وسلب بالجملة الاولى امر الملكوت
من ايدي الملائكة الى قهر جبروته والاثار من نجوم الافلاك الى جبره وسلب بالجملة الثانية الاثار والصنايع من ايدي خليقته
وخليقته الى قضائه وقدره وظهور قدرته فكان هذا الخطاب بما ابدى للفهم اقامة قيامه على مجعول الحكمة الارضية
والسماوية التي هي حجاب قيوميته سلبا للقيام عما سواه انتهى ثم بين ما تضمنته هذه الجملة بقوله منكرا على من
ربما توهم ان شيا يخرج عن امره فلا يكون مختصا به من ذا الذي يشفع اي ممن ادعى الكفار شفاعته وغيره عنده
الا باذنه اي بتمكينه لان من لم يقدر احد على مخالفته كان من البين ان كل شي في قبضته وكل ذلك دليل على تفرده
بالالهية قال الحرالي وحقيقة الشفاعة وصلة بين الشفيع والمشفوع له لمزية وصلة بين الشفيع والمشفوع عنده
فكان الاذن في باطن الشفاعة حظا من سلب ما للشفعا ليصير بالحقيقة انما الشفاعة لله عند الله فهو تعالى بالحقيقة
الذي يشفع عند نفسه بنفسه فيما حقايقه تعالى شفاعته في شفاعة الشفعا كان هو الشفيع في الابتدا من وراء حجاب
لان ابداه كله في حجاب واعادته في غير حجاب فلذلك تعالى هو خاتم الشفعا حيث يقول كما ورد في الخبر شفع الانبيا والمرسلون
ولم يبق الا الحي القيوم انتهى ثم بين ما جميع ما مضى بقوله يعلم ما بين ايديهم اي في الخافقين ممن ادعيت شفاعته وغيرهم
قال الحرالي اي ما انتم عليه من امر انفسكم وغيرهم لان ما بين يدي المرء يحيط به حسه وما علمه ايضا فكانه بين يدي قلبه
محيط به علمه وما خلفهم وهو ما لم ينله علمهم لان الخلف هو ما لا يناله الحس فانبا ان علمه من وراء علمهم محيط بعلمهم
فيما علموا وما لم يعلموا او لما بين تفرده لهم بعلمه بين عجزهم عن كل شي من علمه الا ما افاض عليهم لحكمة فقال ولا
يحيطون بشي اي قليل ولا كثير من علمه الا بما شاء فبان بذلك ما سبقه لان من كان شامل العلم ولا يعلم غيره الا
ما علمه كان كامل القدرة فكان كل شي في قبضته فكان منزها عن الكفو متعاليا عن كل عجز وجهل فكان بحيث لا يقدر احد
غيره ان ينطق الا باذنه لانه يسبب له ما يمنعه مما لا يريده ثم بين ما في هذه الجملة من احاطة علمه وتمام قدرته بقوله
مصورا العظمة وتمام علمه وكبريائه وقدرته بما اعتاده الناس في ملوكهم وسع كرسيه ومادة كرسي تدور على
القوة والاجتماع والعظمة والكرس الذي هو البول والبعر الملبد ماخوذ من ذلك وقال الاصفهاني الكرسي ما يجلس
عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وقال الحرالي معنى الكرس هو الجمع فكل ما كان اتم جمعا فهو احق بمعناه ويقال على
المرقى للسرير الذي يسمى العرش الذي يضع الصاعد عليه قدمه اذا صعد واذا نزل وحين يستوي ان شا كرسي ثم قال
والكرسي فيه صور الاشيا كلها كما بدت اينه في الارض التي فيها موجودات الاشيا كلها كما في الارض صورة الاولها في الكرسي
مثل لما في العرش اقامته ففي الكرسي امثلته وما في السموات اقامته ففي الارض صورته فكان الوجود مثليا كما كان القران
مثاني اجمالا وتفصيلا في القران ومدارا وصورا في الكون فجمعت هذه الاية العلية تفصيل المفصلات وابهام صورة
الداديات بنسبة ما بين الما وما منه وجعل وسع الكرسي وسعا واحدا حيث قال السموات والارض ولم يكن وسعا
لان الارض في السموات والسموات في الكرسي والكرسي في العرش والعرش في الهوا انتهى فبان بذلك ما قبله لان من كان بهذه العظمة
في هذا التدبير المحكم والصنع المتقن كان بهذا العلم وهذه القدرة التي لا يثقلها شي ولذا قال ولا يوده اي يثقله
قال الحرالي من الاود وهو بلوغ المجهود وداوا يقابله بالمعنى لفظ الايدا وهو القوة واصل معناه والله اعلم انه لا يعجزه علوا ايده
ولذلك يفسره اللغويون بلفظ يثقله حفظهما اي قيوميته كما يثقل غيره او يعجزه حفظ ما يحويه بل هو عليه
يسير لانه لو اثقله لاختل امرهما ولو يسيرا او لفقد عن ولو يوما ما على غير ما يريده والحفظ قال الحرالي الرعاية لما هو
متداع في نفسه فيكون تماسكه بالرعاية له عما يوهنه او يبطله انتهى ولما لم يكن علوه وعظمته بالقهر والسلطان
والاحاطة بالكمال محصورا فيما تقدم عطف عليه قوله وهو اي مع ذلك كله المتفرد بانه العلي اي الذي لا رتبة الا وهي
منحطة عن رتبته العظيم كما انبا عن ذلك افتتاح الاية بالاسم العلم الاعظم الجامع لجميع معاني الاسما الحسنى علوا وعظمة
تتقاصر عنهما الاوهام لما غلب عليها من الاوهام ونظم الاسمين هكذا دال على انه اريد بالعظم علو الرتبة وبعد المنال

عن ادراك العقول وقد ختمت الآية بما بديت به غير ان بداتها بالعظمة كما قال الحرالي كان باسمه الله الاحد وختمها
كان بذلك اتصاحا لما ذكر من ان الابدا من وراء حجاب والاعادة بغير حجاب كذلك تنزل القران سد الخطاب الاحد
وخاتمته اتصاح ليتطابق الوحي والكون تطابق تام ومقام الاله الخلق والامور لما في العلو من الظهور وفي العظمة من الخفا
لموضع الاحاطة ان العظيم هو ما يستغرق كما يستغرق الجسم العظيم جميع الاقطار وله المثل الاعلى وذلك حين كان ظاهر العلو
هو كبرياؤه الذي شهد به كبير خلقه قال تعالى فيما انبا عنه نبيه صلى الله عليه وسلم الكبريا ردائي اي لان الردا هو
ما على الظاهر والعظمة ازاري والازار ما ستر الباطن والاسفل فاذا في السما كبرياؤه وفي الارض عظمته وفي العرش علوه
وفي الكرسي عظمته فعظمته اخفى ما يكون حيث التفصيل وكبرياؤه وعلوه اجلى ما يكون حيث الالهام والابهام فتبين لهذا المعنى
علو رتبة هذه الآية بما علت على الايمان علو الايمان على الكفران ولما الاحة للانهام من قيوميته تعالى وعلوه وعظمته
وابادة ما سواه في ان ينسب اليهم شي لانه تعالى اذا بلغ ابادة ما سواه كانت الاحة هذه الآية العلية ما امروا الا ليعبدوا
به مخلصين حنفا ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ولذلك كان ذكر دين الاسلام في سورة الافصاح بمعاني هذه السورة آل
عمران اثر قوله شهد الله انه لا اله الا هو انتهى وقد علم من هذا التقرير ان كل جملة استونفت فهي علة لما قبلها وان الاخرة
شارحة للازم العلم المحيط وهو القدرة التامة التي هي دليل لزومها في حفظه لمن ادعى شركة فليحفظ هذا الكون ولو
في عام من الاعوام وليعلم بما هو فاعل في ذلك العام ليصح قوله واني له ذلك واني والقيح بما تقرر له سبحانه من العلو والعظمة
ان الكافر به هو الظالم وان يوم تجليه للفصل لا يكون فيه شفاعة ولا خلة واما البيع فهم عنه في اشغل الشغل وان كان
المراد به الحدا فقد علم انه لا سبيل اليه ولا تعويل عليه ولهذه الاسرار نصح قول السيد المختار صلى الله عليه وسلم
ان هذه الآية سيدة اي القران وذلك لما اشتملت عليه من اسما الذات والصفات والافعال ونفي النقص واثبات
الكمال وثبت به من ادلة التوحيد على اتم وجه في احكم نظام وابدع اسلوب متخصصه لذلك قال فضل الذكر والعلم يتبع
المذكور والمعلوم وقد احتوت على الصفات السبع الحياة والعلم والقدرة والارادة والكلام صريحا فان الاذن لا يكون الا بالكلام
والارادة وعلى السمع والبصر من لازم له ما في السموات وما في الارض ومن لازم الحي ان المراد الحياة الكاملة وكررت فيها الاسما الشر
ظاهرة ومضمرة سبع عشرة مرة بل احدى وعشرين ولم يتضمن هذا المجموع انه غيرها في كتاب الله وهي خمسون كلمة على عدد
الصلوات المامور بها اولا في تلك الحضرة السما حضرة العرش والكرسي فوق سدرة المنتهى وبعدما استقرت عليه من رتبة
الاجر اخراجا بها مرا الى الروح فادلها الى ذلك المحل الاسمى الذي هي ابنه الذي تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة ولعل لهذا اسرها انبت من انه لا يقرب من يقراها عند النوم شيطان لان من كان في حضرة الرحمن
عال عن وساوس الشيطان والله الموفق ولما اتضح الدين الى انه لا يتخلى عالم رجا هل صار الدين الى حد لا يحتاج فيه منصف لنفسه
الى اكراه فيه فقال **لا اكراه في الدين** وقال الحرالي لما نقل تعالى رتبة الخطاب من حد خطاب الامر والنهي والحدود وما يلتفى
عليه المقام به دين القيمة الذي اخفى لهم امر العظمة والجبروت لجابرة اهل الملكوت والملك فيما فيه مصرفون الى علو
رتبة دين الله المرضي الذي لا لبس فيه ولا حجاب عليه ولا عوج له وهو اطلاعه تعالى عبده على قيوميته الظاهرة بكل
باد وفي كل باد وعلى كل باد واظهر من كل باد وعظمته الخفية التي لا يشير اليها اسم ولا يجوز بها رسم وهي مداد كل مد ابدين
تعالى واعلن بوضع الاكراه الحق موقعه في دين القيمة من حيث ما فيه من حمل الانفس على كرهها لما كتب عليها مما هو
علم عقابها وآية هذا الجهاد تسبب بالاطلاع على امر الله في قيوميته وعظمته كره النفس بشهودها جميع ما جرى فيها
لا عليها فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات لما استشعرته قلوبهم من ماء التوحيد الجاري تحت مختلفات ثمار اعمالهم
وذاقوا حلوه ومره بذلك التوحيد حلوا كما يتغالى في الكبريت الاحمر الذي يقلب اعيان الاشيا الدنية الى حال اعلاها انتهى
ثم علل سبحانه انتفا الاكراه عنه بقوله **قد تبين الرشد** قال الحرالي وهو حسن التصرف في الامر والاقامة عليه بحسب
ما يثبت ويدوم **من الغي** وهو سوء التصرف في الشي واجراؤه على ما تسوء عاقبته انتهى اي فصار كل ذي لب يعرف ان الاسلام خير كله
وغيره شر كله لما تبين من الدلايل وصار بحيث يبادر كل من اراد نفع نفسه اليه ويخضع اجبر الجبابرة لديه لمكانه لقوة ظهوره
وغلبة نوره فقد انتفى عنه الاكراه بحرا فيره لان الاكراه الحمل على ما لم يظهر فيه وجه المصلحة فلم يبق منه مانع الا حظ النفس
الخبيث في شهواتها البهيمية والشيطانية فمن اي فكان ذلك سببا لانه من **يكفر بالطاغوت** وهو نفسه وما دعت اليه وما لم
بطبعها الردي اليه وقال الحرالي وهو ما الحشي في الاخراج عن الحد الموقف على الهلكة صيغة مبالغة وزيادة انتهاء فيما منه
الطغيان انتهى **ويومن بالله** اي الملك الاعلى بسلامة العقل الذي هو خير كله لما راى ثبوته من الادلة القاطعة والبراهين
الساطعة وداوم على ذلك بما افادته صيغة المضارع من يكفر ويومن **فقد استمسك** على بصيرة منه **بالعروة الوثقى**
اي التي لا يقع شك في انها اوثق الاسباب في نجاته بما الغي بيده واستسلم لربه ومن يسلم وجهه الى الله الآية والعروة ما تشد بها
العياب ونحوها بتداخلها بعضها في بعض دخولا لا ينفصم بعضه من بعض الا بفصم طرفه فاذا انفصم منه عروة انفصم
جميعه والوثقى صيغة فعلى للمبالغة من الثقة بشدة ما شانه ان يخاف رهنه ثم بين وثاقتها بقوله **لا انفصام لها** اي لا

مطاوعة

مطاوعة في حل ولا صدع ولا ذهاب قال ابن القطاع فصمت الشي صدعته والعقدة حللتها والشي عنه ذهب وقال
الحرالي من الفصم وهو خروج العرى بعضها من بعض اي لهذه العروة لا انحلال لها اصلا وهو تمثيل للمعلوم بالنظر والاحتجاج
بالمشاهد المحسوس ليتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده فيه ويجل اغتباطه به فعلم من هذا انه لم
يبق عائق عن الدخول في هذا الدين الا القضا والقدر فمن سبقت له السعادة قيض الله له من الاسباب ما يخرجه به
من الظلمات الى النور ومن غلبت عليه الشقاوة سلط عليه الشياطين فاخرجته من نور الفطرة الى ظلمات الكفر
والحيرة ولما كان كل من الكفر والايمان المتقدمين قولا وفعلا واعتقادا قال مرغبا فيهما ومرهبا من تركهما **والله**
اي الذي له صفات الكمال **سميع** اي لما يقال مما يدل على الايمان **عليم** بما يفعل او يضمر من الكفر والطغيان ويجازي عليه
ولعل في الآية التفاتا الى ما ذكر اول السورة من انه سوا عليهم الانذار وتركه والى المنافقين وتقبيح ما هم عليه مما
هو في غاية المخالفة لما صارت دلايله اوضح من الشمس وهي مشعرة بالاذن في الاعراض عن المنافقين ولما تقرر ذلك
واشتد السياق الى شي اقتضت البلاغة طيه ارشادا الى البعد منه والهرب عنه لبشاعته وسوء مغبته وهو من
يومن بالطاغوت ويكفر بالله فلا يتمسك له واعد يهوي به الى الجحيم كان كانه قيل لمن يخلص النفس من ظلمات الهوى
والشهوة ووساوس الشيطان فقال مستانفا **الله** اي بما له من العظمة والاسما الحسنى **ولي الذين امنوا** اي يتولى
مصالحهم ولذلك بين ولايته بقوله **يخرجهم من الظلمات** اي المعنوية جمع ظلمة وهو ما يطمس البادئات حسا او
معنى وجمعها لان طرق الضلال كثيرة فان الكفر انواع **الى النور** اي المعنوي وهو ما يظهر البادئات حسا او معنى
قاله الحرالي ووحده لان الصراط المستقيم واحد ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ومن المحامل الحسنة ان يشار
بالجمع الى ما ينشا من الجهل عن المشاعر التي اخبر بالختم عليها فصار البصر عريا عن الاعتبار والسمع خاليا عن الفهم
والاستبصار والقلب معرضا عن التدبر والافتكار وبالوحدة في النور الى صلاح القلب فانه كفيل بجلب كل سار
ودفع كل ضار والنور الذي هو العقل والفطرة الاولى ذو جهة واحدة وهي القوم والظلمة الناشية عن النفس
ذات جهات هي في غاية الاختلاف ولما ذكر عبادة الخلص ذكر عبادة الشهوات فقال **والذين كفروا** اي ستروا ما دلت
عليه ادلة العقول اولا والنقول ثانيا بشهوات النفوس **اولياوهم الطاغوت** من شهواتهم وما دعت اليه من
اتباع كل ما طغى من الشياطين والعكوف على الاصنام وغير ذلك ثم بين استيلاءهم عليهم بقوله **يخرجونهم** واسناده
الى ضمير الجمع يويد ان جمع الظلمات لكثرة انواع الكفر **من النور** اي الفطري **الى الظلمات** قال الحرالي وفيه بيان استوا
جميع الخلق في حقيقة النور الاول الى الروح المجندة الى الفطرة المستوية كل مولود يولد على الفطرة انتهى ولما ذكر استيلا
الشهوات عليهم الداعي اليها الطيش والخفة الناشي عن عنصر النار التي هي شعبة من الشيطان بين ان جزاءهم
من جنس مرتكبهم فقال **اولئك** اي الخالون في محل البعد والبغض **اصحاب النار** قال الحرالي الذين اشعروها من حيث
لم يشعروا من حيث ان الصاحب من اتبع مصحوبه انتهى ولما علم من ذكر الصحبة دوامهم فيها صرح به تاكيدا بقوله
مبينا اختصاصهم بها **هم** اي خاصة **فيها خالدون** اي مالا اخر له قال الحرالي جعل الخلود وصفا لهم اشعارا
بانهم فيها وهم في دنياهم انتهى ولما ذكر ما له سبحانه من الاحاطة والعظمة واتبعه امر الايمان وتوليه حزبه وامر
الكفران وحده لانه اهله احد يدل على ذلك بقصة المحاج للخليل والمار على القرية مذكرا بقصة الذين قال
لهم موتوا ثم احياهم في سياق التعجيب من تلك الجراة قال الحرالي ولما كان ما اظهره الحق في اية عظمته وما اتصل
بها الى خاصة عباده اختص هذا الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم لعلو مفهوم مغزاه عمن دونه انتهى فقال تعالى
الم تر اي تعلم بما اخبرك به علما هو عندك كالمشاهدة لما لك من كمال البصيرة وبما اودعناه فيك من المعاني
المنيرة ولما كان هذا المحاج بعيدا من الصواب كثيفا لحجاب اشار الى بعده بحرف الغاية فقال **الى الذي حاج**
ابرهيم اي الذي هو ابو العرب وهم احق الناس بالاقتدا به **في ربه** الضمير يصح ان يعود على كل منهما اي فيما
يختص به خالقه المحسن اليه المربي له بعد وضوح هذه الادلة وقيام هذه البراهين اشارة الى انه تعالى
اوضح على لسان كل نبي امره وبين عظمته وقدره مع انه ركز ذلك في جميع الفطر وقادها الى نحو جلاله بادنى نظر
فكان نمرود المحاج للخليل ممن اخرجته الشياطين من النور الى الظلمات ولما كان ذلك امرا باهرا معجبا بين ان
علته الكبر الذي اشقى ابليس فقال **ان** اي لاجل ان **اتاه الله** اي الملك الاعلى بمحض فضله **الملك** الفاني في
الدنيا الدنية فجعل موضع ما يجب عليه من شكر من ملكه ذلك لمحاجته فيه وكبره بزعم عليه وعرفه اشارة
الى كماله بالنسبة الى الادميين بالحكم على جميع الارض قال الحرالي وفي اشعاره ان الملك بلاء وفتنة على من اوتيه انتهى
فتكبر بما خوله الله فيه على عباد الله وهم يطيعونه لما مكن الله له من الاسباب الى ان رسخت قدمه في الكبر المختص
بالملك الاعظم مالك الملك ومبيد الملوك فظن جهلا انه اهل له ولما اخبر تعالى بمحاجته بين ما هي تقريرا
لاية فقال لهم الله موتوا ثم احياهم دلالة على البعث ليوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة فقال **اذ** اي حاج حين

قال ابرهيم ربي اي الذي احسن الي بالخلق وادامة الهداية لي الذي يحيي ويميت اي وحده وهذه العبارة تدل على
تقدم كلام في هذا او ادعا احد لمشاركة في هذه الصفة ولما كان كانه قيل هذا امر ظاهر مجمع عليه فما ذا الذي يحاج المحاج
فيه اجيب بقوله قال اي ذلك المحاج بجراة وعدم تامل لما اتته من ذل الناس له وطواعيتهم بجبروته انا اي ايضا
احيي واميت بان امن على من استحق القتل واقتل من لا يستحق فلما راى ابرهيم عليه السلام انه قد اجترا على عظيم وان
محاجته في نفس الاحيا ربما خفيت وطالت راى ان يحل الهاته مع بيان حقارته بما هو اجلى من ذلك وفيه انه دون
ما ادعاه بمراتب لان الاحيا افاضة الروح على صورة بعد ايجادها من العدم بان قال ابرهيم وقال الحرالي ولما كان من
حسن الاحتجاج ترك المرا بمتابعة الحجة الملبسة كما قال تعالى فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا انتقل المحاج من الحجة الواقعة
في الانفس الى الحجة الواقعة في الافاق باعظم كواكبها الشمس سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم ففي ظاهر الاحتجاج انتقال
وفي طيه تقرير الاول لان الروح شمس البدن فكانه ضرب مثل من حيث ان الاحيا انما هو ان يوتى بشمس الروح من حيث
غربت فكان في ظاهره استقبال حجة قاطعة وفي باطنه تتميم للحجة الاولى قال تعالى فان بالفا الرابطة بين الكلامين اشعارا
لتتمة الحجة الاولى بالحجة الثانية انتهى اي تسبب عن دعواك هذه ان اقول لك ان الله بما له من العظمة والجلال باستجماع
صفات الكمال ياتي بالشمس اي وهو الذي اوجدها من المشرق اي في كل يوم من قبل ان توجد انت بدهور فات بها
انت من المغرب ولو يوما واحدا قال الحرالي اظهار الموجع العام بكليته الى واحد وان قيوما لانسان في الاحيا والاماتة
هو قيوم الافاق في طلوع الشمس وغروبها وفي لحنه اشعار بان الله تعالى سبحانه لا بد وان ياتي بالشمس من المغرب ليكون
في ذلك اظهار تقريعه لها حيث شا حتى يطلعها من حيث غربت كما يطلع الروح من حيث قبضت ليكون طلوع الشمس
من مغربها اية مقاربة قيام الساعة وطلوع الارواح من ابدانها انتهى فبهت قال الحرالي من البهت وهو بقا الشي على
حاله وصورة لا يتغير عنها لامر يبهره ونحوه اي فتسبب عن ذلك انه بهت الذي كفر اي حصل له الكفر بتلك الدعوى
التي لزمه بها انكاره لاختصاصه سبحانه بالقدرة على ذلك وادعاوه لنفسه الشركة فتبين له الخليل عليه السلام
بهذا المثال انه عاجز عن تحويل صورة صورها الله تعالى وصنعها في جهة الى غير تلك الجهة فكيف له بان يوجد
صورة من العدم فكيف ثم كيف بافاضة الروح عليها فكيف الحساسة فكيف بالروح الناطقة وسياتي لهذا المثال
في سورة الشعرا مزيد بيان فبالله ما اعلى مقامات الانبيا وما اصفى بصائرهم وما اسمى درجاتهم واذكى عناصرهم عليهم
اجمعين من اعظم الصلاة والسلام واعلى التحية والاكرام وقال الحرالي بتعرفه اي في قوله كفر بوصفه من حيث دخل عليه
البهت منه انتهى اي لانه ستر ما يعلمه من عجز نفسه وقدرة خالقه فكشف سبحانه بلسان خليله صلى الله عليه وسلم
الستر الذي ارخاه كشفا واضحا وهتكه بعظيم البيان هتكا فاضحا ولما كان التقدير لانه ظلم في ادعائه ذلك وفي الوجه
الذي ادعى ذلك بسببه من قتل البري وترك الجري قال تعالى والله اي الذي لا امر لاحد معه لا يهدي القوم اي الذين
عظام قوة المقاومة للامور الظالمين عامة لوضعهم الاشيا بارادته وتدبيره في غير مواضعها لانه اظلم
قلوبهم فجعلها احلك من الليل الحالك فلم يبق لهم ذلك وجها ثابتا يستمسكون به فاين منهم الهداية وقد صاروا
بمراحل عن مواطن اهل العناية وقصر فعل الهداية لافادة العموم قال الامام فاختصر اللفظ افادة لزيادة المعنى وهو
من اللطايف القرانية ولما كان الاحيا والاماتة من اظهر ايات الربانية واخصها بها اظهر سبحانه العبرة عليهما تارة
بابهات المدعي للمشاركة وتارة باشهاد المستبعد في نفسه وغيره بفعل ربه وتارة باشهاد المسترشد في غيره بنفسه
معبرا في كل منهما بما اقتضاه حاله واشعر به سواله فعبر في الكافر بالي اشارة الى انه في محل البعد عن المخاطب صلى الله عليه وسلم
وفي التعجب باسقاطها اسقاطا لذلك للبعد وفي المسترشد المستطلع باذكا هي العادة المستمرة في اهل الصفا والهم
والوفا فاتبع التعجب من حال المحاج التعجب ممن حال من استعظم احياه تعالى لتلك القرية ولما كان معنى الم تر هل رايت
لان هل كما ذكر الرضي وغيره تختص مع كونها للاستفهام بان تفيد فايدة النافي حتى جاز ان يجي بعدها الا قصدا للايجاب
كقوله تعالى هل جزا الاحسان الا الاحسان وقوله تعالى هل هذا الا بشر مثلكم كان كانه قيل هل رايت الذي حاج ابرهيم او
هل رايت كالذي ويجوز ان يكون التقدير ان اخبار الاولين انما هي مواعظ لنا او مثل كهذا المحاج لاعظام ايانهم فهم
يقولون ان الاحيا ليس على حقيقته بالبعث بعد الموت وهم كالذي مر قال الحرالي من المرور وهو جعل الشي على مسلك
الى غيره مع التفات اليه في سبيله على قرية وهي التي خرج منها الالوف او بيت المقدس وهي خاوية اي متهدمة
ساقطة جدرانها على عروشها اي سقوفها او خالية على بقا سقوفها قال الحرالي من الخوا وهو خلو الشي عما شانه ان يعمه
حسا او معنى والعروش جمع عرش من نحو معنى العريش وهو ما اقيم من البنا على حال عجالة يدفع سورة الحر والبرد ولا يدفع
جملتها كما لكن المشيد فكان المشيد في الحقيقة عريشا لوقتها الدنيا بجملتها في قيل الاستبصار انتهى ولما كان كانه قيل
ما الذي في حاله ذلك مما يعجب منه قيل قال اني يحيي هذه اي القرية الله اي الذي له الامر كله بعد موتها اي بما صارت
اليه من الخراب وذهاب اهلها فيعيدها الى ما كانت عليه عامرة اهلة قال الحرالي وفي لفظة اني لشمول معناها

لمعنى

لمعنى كيف وحيث ومتى استبعاد لاحيا الاحيا في الكيف والمكان والزمان ومعنى هذا الاستبعاد انما
يطرق النفس من طلبها للمعرفة بكيف ما لا يصل اليها علمها انتهى ولما كان هذا المستبعد قاصرا عن رتبة الخليل
عليه السلام في التمهيد للطمانينة بل الايقان كان ايقافه على الكيفية موافقا للحكمة على تركه في عالم الغيب لمدة
التي ضربت لبقايه ميتا ليكون ذلك كالتخمير في الطين ليتهيا نفسه لحمل ذلك والايقان به قال فاماته اي له
فتسبب عن ذلك ان اماته الله اي الذي له الكمال كله فيما اراد كان لايقانه على علم ذلك عناية من الله به مائة ولما
كان المراد ان مدة موته كانت طويلة ليكون قد بلي فيها فتكون اعادته امكن في القدرة على ما استبعده العرب وان
ذلك الزمان كان حسا طيبا لقوله الاحيا والعمارة عبر عنه بما يدل على السعة فقال عام حتى بلي حماره وحفظ
طعامه وشرابه من التغير ليتحقق كمال القدرة بحفظ ما شانه التغير وتغير ما شانه البقا واعادة ما فني قال
الحرالي وخص المائة لكمالها في العد المثلث من الاحاد والعشرات وعشرها وتر الشفع لان ما تم في الثالث كان ما
زاد عليه تكرارا اجزى عنه الثلاث ثم بعثه في بيانه اشعار بان بدنه لم يتغير ولانتي بقا حماره حيث لم يكن ثم نشره
والله اعلم كما قال ثم اذا شا انشره انتهى ولما احاط العلم بان هذا العمل لا جل ايقانه على القدرة تشوفت النفس الى ما
حصل له بعد البعث فاجيبت بقوله تنبيها له ولكل سامع على ما في نفسه من الخوارق قال اي له الله او من شا ممن
خطابه ناشي عنه كم لبثت اي في رقدتك هذه قال لنظره الى سلامة طعامه وشرابه لبثت يوما ثم تغير ظنه
بحسب الشمس او غيرها فقال او بعض يوم وكانه استعجل لهذا الجواب كما هي عادة الانسان قبل النظر الى حماره قال
اي الذي خاطبه مضربا عن جوابه بيانا لانه غلط ظاهر بل لبثت مائة عام معبرا عن الحول بلفظ يدور على معنى السعة
والامتداد والطول ودله على ذلك وعلى كمال القدرة بقوله فانظر الى طعامك وشرابك اي الذي كان معك لما رقدت
وهو اسرع الاشيا فسادا كالتين والعصير لم يتسنه من السنة اي يتغير بمر السنين على طول مرورها وقوة تقلبها لها وتنا تبرها
ومعنى القراءة بها السكت اي الخبر بذلك امر جازم ممتنع لامرية فيه ولا تردد اصلا وانظر الى حمارك بالبادي مهما لجمع الله
له بين ابقا الرطب في حفظه واليابس في نقضه ولما كان التقدير فعلنا ذلك لتجعله اية لك على كمال القدرة
او لتعلم انت قدرتنا عطف عليه قوله ولنجعلك اي في مجموع خبرك اية للناس اي كافة فكان امره ابقا وتغييرا
اية في موجود الدنيا على ما سيكون في امر الاخرة قيام ساعة وبعثا ونشورا قاله الحرالي ولما امر بالنظر الى ما جعله
لدابته على لبثه ذلك الزمن الطويل امره بالنظر الى ما جعله له اية على اقتداره على الاحيا كيف ما اراد فقال
وانظر الى العظام اي من حمارك وهي جمع عظم وهو عماد البدن الذي عليه مقوم صورته كيف ننشزها قال الحرالي
بالزاي من النشز وهو عود الفاني الى صورته الاولى وبالضم جعل وتصيير اليه وبالراي من النشر وهو اظهار الشي وعلاوه
من نشز الارض وهو ما ارتفع منها وظهر انتهى وضم بعضها الى بعض على ما كانت عليه سنظر ذلك كله ثم نكسوها لحما قال
الحرالي جعل حياته بعثا وحياة حماره نشورا واراه النشر واللحم الذي لم يبل العظام حتى صارت صورة واحدة ليتبين امر
الشفاعة عيانا فيكون حجة على الكافر والمستبعد فلما تبين له اي هذا الامر الخارق الباهر الدال على وصف سبحانه نفسه
المقدسة في اية الكرسي قال الحرالي في صيغة تفعل اشعار بترددة في النظر بين الاثنين حتى استقر عنده امر ما علم به
واضمحل عنده ما قدره قال اعلم بصيغة الفعل ناشيا عن نفسه وبصيغة الامر افادة لغيره ما علم لتدل القراءتان
على انه علم وعلم لان العلم انما يتم حين يصل الى غير العالم بجمع فضل العلم والتعليم انتهى ويجوز ان يدل التعبير بالمضارع
في اعلم على انه لم يزل متصفا بهذا العلم من غير نظر الى حال ولا استقبال ويكون ذلك اعتذارا عن تعبيره في التعجب تعبيرهم
بما دل على الاستبعاد بانه انما قاله استبعادا للتخليق القدرة بذلك لا للقدرة عليه ان الله اي لما اعلم من عظمته
على كل شي اي من هذا او غيره قدير قال الحرالي في اشعاره الزام البعث بشهود قدرة الله في تغييرهما في الاسباب الحكمية
التي تتغير بها الاشيا وعمله بقدرته الحفا الماد في اية الاحيا والاماتة بامرهما ليستوي في العلم ان حياتك هو
مصرف لك ان حياتك بقدرته فكذلك عملك بقدرته فلام تفصيل ابراد القدرة به بما تقدم من ابدا الحفظ
بالله والعظمة لله فكانها جوامع وتفاصيل كلها تقتضي احاطة امر الله بكلية ما اجمل وبدايق تفاصيل ما فصل انتهى
وفي الاية بيان لوجه مغالطة الكافر لما استحقه من قومه في المحاجة مع الخليل عليه السلام بان الاحيا الذي يتحقق به الملك
الالوهية هو هذا الاحيا الحقيقي لا التخلية عن مستحق القتل ولما كان الايمان بالبعث بل الايقان من المقاصد العظمى
في هذه السورة وانتهى الى هذا السياق الذي هو لتثبيت دعايم القدرة على الاحيا مع تباين المناهج واختلاف الطرق فبين
اولا بالرد على الكافر ما يوجب الايمان وبا ثانيها والتعجب ما حتم الايقان علاوة على ذلك البيان في قصة الخليل عليه السلام
الى ما يثبت الطمانينة وقد قرر سبحانه امر البعث في هذه السورة بعد ما اشار اليه الفاتحة بيوم الدين احسن
تقرير فبث نجومه فيها خلال سمواتها يا ثناها وفرق رسومه في ارجايها بين دلايلها وبيناتها فعل الحكيم الذي يلقي
ما يريد بالتدريج غير عجل ولا مقصر فكرر تعالى ذكره بالاخرة تارة والاحيا اخرى تارة في الدنيا وتارة في الاخرى في مثل قوله

وبالآخرة هم يوقنون كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم الآية ثم بعثناكم من بعد موتكم كذلك يحيي الله الموتى فقال
لهم الله موتوا ثم أحياهم وما كان من أمثاله ونظائره وأشكاله في تلك الأساليب المرادة غالبا بالذات لغيره فاستأنست
أنفس المنكرين له فصار لها استعداد لسماع الاستدلال عليه حتى ساق لهم أمر خليله عليه السلام والتحية والإكرام
فكان كأنه قيل يا منكري البعث ومظهري العجب منه ومقلدي الآباء في أمره بالأحبار التي أكثرها كاذب اسمعوا قصة أبيكم إبراهيم
كفاكم بها الاستدلال على البعث وجمع المتفرق وإعادة الروح بأخبار من لا يتهم بشهادة القرآن الذي لجزمكم عن الإتيان بمثل
شيء منه تشهدونه شهادة الله لتصيروا من ذلك على علم اليقين بل عين اليقين فقال تعالى وإذ عطفا على نحو اذكروا ما يتلى
عليكم من أمر البعث واذكروا قصة أبيكم إبراهيم فيما يدل عليه إذ وقال الحرالي ولما كان أمر منزل القرآن إقامة الدين بملكوته وحدوده
فإتمامه تعالى شيء منه ثم نظم به ما نظم من علنه في آية الكرسي ورتب على ذلك دين الإسلام الذي هو اللقا كالقاء اليد عند الموت
انتظم به أمر المعاد الذي لا مدخل للعباد في أمره فرتب تعالى ذكر المعاد في ثلاثة أحوال حال الجاحد الذي انتهت غايته إلى بعد
ثم حال المستبعد الذي انتهت غايته إلى علم وإيمان وانتهى الخطاب إلى حال المؤمن الذي انتهى حاله إلى يقين وطمأنينة ورؤية
ملكوت من ملكوت الأرض انتهى فقال تعالى وإذ قال إبرهيم ولقد استولى الترتيب والتعبير في هذه الآيات الثلاث على الأمر
الأقصى من الحسن فإنه بدأ بمن أراد أن يخفي ما وضحه البراهين من أمر الإله في الإحياء بأن ادعى لنفسه المشاركة بإحياء مجازي تلبيسا
بلفظ إلى الدال على بعده ولعنه وطرده ثم بمن استبعد إحياء القرية فأراه الله كيفية الإحياء الحقيقي آية له وتتميما للرد
على ذلك مع الإقبال عليه بالمخاطبة ولذة الملاطفة ثم بمن سأل إكرام الله تعالى بأن يريه كيف يحيي فقيل تم انثنت
ثم الكل ومناسبة الثلاث يكون ثانيها في إحياء الأشباح بالأرواح لما قبلها وهو في إحياء الأرواح بأسرار الصلاح أجل مناسبة
فالمراد التحذير عن حال الأول والندب إلى الارتفاع عن درجة الثاني إلى مقام الثالث الذي حقيقته الصدق في الإيمان لرجاء الحياة
مما أكرم به ولذلك عبر في قصته بقوله وإذ ولم يسقهما مساق التعجيب كالأول رب أي أيها المحسن إلى أرني كيف تحيي الموتى قال
الحرالي طلب ما هو أعلى بما قال تعالى وكذلك نري إبرهيم ملكوت السموات والأرض لمن ملكوت الأرض إحياء ففرده تعالى على تحقيق
ابتداء حاله من تعزر الإيمان فقال مستأنفا قال ولما كان التقدير ألم تعلم أني قادر على الإحياء أني قادر على كل شيء عطف عليه
قوله أولم تؤمن فإن الإيمان يجمع ذلك كله قال بلى تحقق أن طلبه كيفية الإحياء ليس عن بقية تثبت في الإيمان فكان في استعادة
أن الترتيب الكيف في الأمور إنما يطلبونه عن وهن في إيمانهم ومن طلب لتثبيت الإيمان مع أن فيما دون الكيف من الآيات كفاية
لم ينتفع بالآية في إيمانه لأن كفايتها فيما دونه ولم يحل اليقين ليعتضد إيمانه عن تمام حده فإذا تم الإيمان بحكم آياته التي في موجود
حكمة الله في الدنيا بيانه ترتب عليه برؤية ملكوت شهود الدنيا مرتبة اليقين كما وجد عزيمته أهل الكشف من العارفين
في أمر الله حيث أورث لهم اليقين ومتى شاركهم في أمر من رؤية الكشف أو الكرامات ضعيف الإيمان طلب فيه تاه وبلاء وبما كان عليه
فتنة تنقصه بما كان عنده من حظ من إيمانه حتى وبما داخله نفاق لا ينفك منه إلا أن يستنقذه الله فلذلك ابتدأ تعالى
خطاب تقريره خليله على تحقق الإيمان ليصح الترقي منه إلى رتبة الإيقان وهو مثل من نحو ما تقدم في مطلق قوله تعالى الله ولي
الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور وذكر عن الخليل عليه السلام أنه نظر إلى بدن دابة توزعها دواب البحر ودواب البر وطير
الهواء فتعجب منها وقال يا رب قد علمت لتجمعها فأرني كيف تحييها لأعاين ذلك فإنما يغني يقين العيان على تحقق الإيمان له
ولكن أريد المعاينة ليطمئن من الطمأنينة وهو الهدوء والسكون على سواء الخلقة واعتدال الخلق قلبي من نظر على نيل
شيء جبل على الشوق إليه فلما كان إبرهيم عليه السلام متهيئا القبول لطمأنينة قذف في قلبه طلبها فأجابه الله بما قد هيأ
له فضرب تعالى له مثلا أراه إياه جعله جري العيان على الإيقان وذلك أن الله سبحانه هو الأحد الذي لا يعد ولا يحد وكان من تنزل
تجليه لعباده أنه الإله الواحد والواحد يرى من العدد فكان أول ظهور الخلق هو أول ظهور العدد فأول العدد الاثنان ومن
كل شيء خلقنا زوجين فالاثنان عدد هو خلق كل واحد منهما واحد فجعل تعالى اثنين كل واحد منهما اثنان ليكون الاثنينية
كلا وجزءا ليكون زوجا من زوج فكان ذلك العدد هو الأربع فجعله الله أصلا للخلق فإنه فكانت جملتها ورتبه فجعل الأقوات من أربع
وقدرها في أربعة أيام وجعل الأركان التي خلق منها صور المخلوقات أربعا وجعل الأقطار أربعا وجعل الأعمال
أربعا وقال عليه الصلاة والسلام خير الرفقاء أربعة وخير البعوث أربعون وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف
والمربعات في أصول الخلق كثيرة تتبعها العلماء وأطلع عليها الحكماء هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم الآية ولما كان خلق
آدم وسائر المخلوقات من مواد الأركان التي هي الماء والتراب والهواء والنار فأظهر منها الصور وصوركم فأحسن صوركم ثم أظهر
تعالى تمهره بإمساكه وأفنا صورة كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب فكان بددها في أربعة أقطار
شرقا وغربا وشمالا وجنوبا أرى خليله عليه السلام كيف يدعو خلقه من أقطار أفانه الأربعة بعد بددها واختلاطها
والتئام أجزائها على غير حدها فيقال إن عليا رضي الله عنه ضرب بيده على قدح من فخار فقال كم فيه من خد أسيل وعين
كحيل قد علمنا ما تنقص الأرض منهم فأري تعالى خليله عليه السلام مثلا من جملة ذلك قال فخذ بالفاء تحقيقا لمقاله
وصدقه فيما تحقق من إيمانه وابتدأ استحقاقه اليقين والطمأنينة بتقرر إيمانه أربعة من الطير هو اسم جمع من معنى

سامر

ساسه الطيران وهو الخفة من ثقل ما ليس من شأنه أن يعلو في الهوا جعل تعالى المثل من الطير لأن الأركان له
المجتمعة في الأبدان طوائر تطير إلى أوكارها ومراكزها التي حددها الله تعالى لها جعلا فيها لا طبعا وإجبارها
فإن الله عز وجل هو الحكيم الذي جعل الحكمة لمن أشهده الحكمة أشهده أنه جاعلها فهو حكيمها ومن أشهده الحكمة
الدنيا ويزد لم يشهده أنه جاعلها فهو جاهلها فالحكمة شهود الحكمة مجعولة من الله كل ما هيئة مهماه وكل
معنوية بمعناه وكل حقيقة بحقيقة فالطبع وما فيه جعل من الله من جهله الحد ومن تحققه وحد كذلك
المعقول وما فيه اقتباس من الله وأراه من أمر الله من تقيد به واعتقده لا ينفك تشتد الحد في الطبع واحتاج
إلى مجانبه من التأويل في عيب التشرع وكل ما سوى الحق موضوع معطى حظا وحدا ينال ما أعطي يعجز عما فوقه
للعقول حد تقف عنده لا تتعداه فلذلك جعلها تعالى طوائر بقهرها تنقض الصورة وتمام التوبة ويظهر
تماسكها نفخ الروح انتهى وقوله تعالى فصرهن أي اضممهن إليك أي لتعرف شكالها فيكون ذلك أثبت في
أمرها قال الحرالي من الصور وهو استمالة القلوب بالإحسان حتى يشتد إلى المستميل صحوها وميلها واستعاره
يعني والله أعلم أن إبرهيم عليه السلام رباهن وغذاهن حتى عرفته ليكون ذلك مثلا لما الله سبحانه في خلقه من تربيته
بخلقهم ودرهم حتى عرفوه بما احتاجوا إليه فوجدوه معرفة عجز عنه لا معرفة نيل له لشيء عاما من أقطار الآفاق
أجابوه إجابة هذه الطوائر لخليله بخطير من تربيته لهن وإذا كانت هذه الأربع مجيبة للخليل لهذا الحظ
اليسير من الصور والصحو فكيف تكون إجابة الجملة للجليل العزيز الحكيم قال تعالى ثم اجعل عطفا بكلمة
المهملة تجاوز البعد توزيعهن عن ذبحهن ودرسهن وخلطهن حتى صرن لحمة واحدة لا يبين في جملتها شيء من الصور
الدالة كما تصير المواليد ترابا عند موتها وتشتد هذا صورة واحدة ترابية ليطابق المثل في الممثول مطابقة
تامة إلى ما وراء ذلك من تجاوزه عرض ورؤيته على كل جبل من الجبال القريبة إليك منهن جزءا والجزء بعض من كل
يشابهه كالقطعة من الذهب ونحوه فجعل مثل الأقطار ومع لارتفاعها أمكن في الرؤية والعد من الاشتباه أن كا
الأصبع واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون إن كانت إلا زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة لما كان بالصيحة والزجرة من
الممثول كان بالدعا في المثل قال فما كان بالخلق والرزق في الممثول كان بالصور في المثل وجعله جزءا حيث كان يشبه
بعضه بعضا ثم ادعهن يأتينك سعيا والسعي هو العدو والقصد المسرع يكون في الحس والمعنى في إتيان الطائر
طائرا أحظ من مشيه وفي إتيانه سعيا أحظ من ذلك فلذلك جليهن عليه سعيا بحال المنة للطالب للرزق له
والأمن من البعد التي عهد منها الرزق والجنية التي ألف منها الأمن فيبدأ المثل مطابقا للممثول وحاشه لمرأى له
عين تضاد موقتا مطمئنا وليس في ذلك بأعجب من مشي الأحجار تارة والأشجار كرة وأعضاء لقا أخرى إلى خدمة ولده المصطفى
صلى الله عليه وسلم وكذا الحامل بيد معوذ بن عفراء بعد ما قطعت وحاجلها كما ذكر في السير في غزوة بدر وتضارب
مثل أخيها في أشياء من أمثال ذلك على أنه قد كان له من إحياء الموتى ما ذكره في آل عمران وكان لا جادا منه من ذلك
ما ذكر البيهقي في الدلائل منه عددا كثيرا وإنما لم يكثر ذلك على يده صلى الله عليه وسلم لأنه مرسل إلى قوم لا يقرأون
بالبعث ومحل الإيمان التصديق بالغيب فلو كثر وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم لكشف الغطاء عن جل من تخلف
عن الإيمان بالعذاب وهو نبي الرحمة وأما عيسى عليه السلام فكان في قوم بالآخرة تفعله لذلك لإظهار المعجزة
بنوع أعلى مما كانوا يصلون إليه بالطب على أنه لا فرق في إظهار الخارق بين واحد وأكثر والله الموفق ولما أراه تعالى
ملكوت الأرض صارت تلك الرؤية علما على عزة الله من وراء الملكوت في محل الجبروت فقال واعلم أن الله أي المحيط
علما وقدرة عزيز ولما كان للعز صولة لا تقوى لها نظر الحس عين تنزل تعالى بالخطاب إلى محل حكمته فقال حكيم له
فكان فيه إشعار بأنه تعالى جعل الأشياء بعضها من بعض كالبشر وبعضها إلى بعض كالمدة وبعضها من ذلك البعض
معادة منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى هذه الحكمة التي أشار إليها اسمه الحكيم حكمة ملكوتية
جامعة لوصله ما بين حكمة الدنيا وحكمة الآخرة لأن الحكيم بالحقيقة ليس من علمه الله حكمة الدنيا وليس عليه
جعله لها مثل ذلك جاهلها كما تقدم إنما الحكيم الذي أشهده الله حكمة الدنيا أرضا وأفلاكا ونجوما وآفاقا
ومواليد ونتوالدا وأشهده أنه حكيمها ومزج له علم حكمة موجود الدنيا بعلم حكمة موجود الآخرة وأراه كيفية
توابع الحكمتين بعضها في بعض وتآل بعضها إلى بعض حتى يشهد دوران الأشياء في حكمة أمر الآخرة التي هي عقيب الدنيا
إلى مشهود حكمة الدنيا ثم إلى مشهود حكمة الآخرة كذلك عودا على بدء وبدءا على عود في ظهور عقيب لا بد إلى مشهود
وفي عود مشهوده إلى غيبه قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين كذلك إلى المعاد الأعظم الإنساني يوم يجمعكم
ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذا هو الحكيم المتوسط الحكمة ثم وراء ذلك أمر آخر من علي أمر الله في تعالي تجليها
بأسماء وأوصاف تعالى ويتعاظم للمؤمنين ويتبارك ويتعلى للموقنين الموحدين فله تعالى العزة في خلقه وأمره
وله الحكمة في خلقه وأمره ومن ورائهما كلمته التي لا ينفد تفصيل حكمها قل لو كان البحر مدادا الآية وكلماته لا تحد

بينهم

الجبال

ولا تعدد ألوان ما في الأرض من شجرة أقلام الآية فهو العزيز الحكيم العلي العظيم انتهى وهو أعلى من الجوهر الثمين وقد لاح بهذا أن قصد الخليل عليه أفضل الصلاة والتسليم الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين بل إلى حق اليقين وكأنه عد المرتبة الدنيا من الطمأنينة بالنسبة إلى العليا عدما وقيل بل كان قصده بالسؤال رؤية المحيي ولكنه طلبها تلويحا فأجيب بالمنع منها بوصفها لعزة تلويحا وموسى عليه السلام لما سأل تصريحا أجيب تصريحا وسؤال الخليل عليه السلام ليس على وجه الشك وقول النبي صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من إبراهيم يرشد إلى ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم لم يشك وإذا انتفى الشك عن الأحق انتفى الشك عن غيره من باب الأولى ولئن سلمنا فالمراد به فعل مثل ما يفعل الشاك إطلاقا لاسم الملزوم على اللازم في الجملة وأما نفس الشك فقد نفاه القرآن عنه صلى الله عليه وسلم تصريحا بقوله بل وتلويحا بكون هذه الآية لا حاجة لذلك الذي يلت وينقل أن الشيخ أحمد أخا حجة الإسلام الغزالي سئل أيهما أعلى المقام الإبراهيمي في سؤال الطمأنينة أو المقام العلوي القائل بل لو كشف الغطا ما ازددت يقينا فقال الإبراهيمي لقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ولما انقضى جواب السؤال عن الملك الذي لا تنفع عنده شفاعة بغير إذنه ولا خلة ولا غيرها وما تبع ذلك إلى أن ختم بقصة الأطيار التي صفت إلى الخليل بالإتيان عليها والإحسان إليها أثنى الكلام إلى الأمر بالنفقة قبل ذلك اليوم الذي لا تنفع فيه الوسائل إلا بالوجه الذي شرعه بعد قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له نظرا إلى أول السورة تذكيرا بوصف المتقين حثا عليه فضرب لذلك مثلا صريحا لمضاعفتها فاندرج فيه مطلق الأمر بما اندراج المطلق في المقيد وتلويحا الذي من جملة المشار إليه حكيم للإحيا فصرح بأن النفقة المأمور بها من ذخائر ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه إلا ما شرعه وهو من جليل العزة وساقه على وجه يتضمن إحياء الموات الذي هو أنسب الأشيا لما قبله من نشر الأموات تنويها لما إلى الاستدلال على البعث بأمر محسوس وذلك من دقيق الحكمة فكأنه تعالى يقول إن خليلي عليه السلام لما كان من الراسخين في رتبة الإيمان أهلته لاستعطاء درجة أعلى من رتبة الإيقان بخرق العادة في ذبح الأطيار على يده عن إحياء الأطيار وأنت شطاما من ذلك لعامة الخلق مطويا في إحياء النبات على وجه معتاد لمن اعتبر به البصر ومن عمي عنه انعكس حاله وأدبر فقال تعالى مثل فكان كأنه قيل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الآية يا أيها الذين آمنوا أنفقوا الآية فإنه مثل الذين ينفقون أي يبذلون أموالهم بطيب نفس في سبيل الله الذي له الكمال كله كمثل زارع ومثل ما ينفقون كمثل حبة بما زرعه قال الحرالي من الحب وهو تمام النبات المنتهي إلى صلاحية كونه طعاما للآدمي الذي هو أتم الخلق فالحب لمثل من الثمرة طعامية والثمرة أدامية أنبتت أي بما جعل الله لها من قوة الإنبات بطيب أرضها واعتدال ريها سبع سنابل بأن تشعب منها سبع شعب في كل شعبة سنبلة وهو من السنبل قال الحرالي وهو مجتمع الحب في أكمامه كأنه آية استحقاق اجتماع أهل ذلك الرزق في تعاون وتمام في أمرهم وتعريف بأن الحب مجمعة لا متوحدة في كل سنبلة مائة حبة فصارت الحبة سبعمائة بمضاعفة الله لها قال الحرالي فضرب المثل للإنفاق في سبيل الله بالحرث الذي هو كيميا عباده ويشهدون من ثمره حيث تصير الحبة أصلا ويثمر الأصل سنابل ويكون في كل سنبلة أعداد من الحب فكان ما ذكر تعالى هو أول الإنفاق في سبيل الله وذكر السبع لما فيه من التمام وما يقبله من التكثير فإن ما أنبت أكثر من سبع إذا قصد بالتكثير أتبع عنه بالسبع لأن العرب تكثر به ما هو أقل منه أو أكثر لجعل أدنى النفقة في سبيل الله سبعمائة ضعف ثم فتح تعالى باب التضعيف إلى ما لا يصل إليه عد انتهى وفي الآية من الاحتباك وتقديرها مثل الذين ينفقون ونفقتهم كمثل حبة وزارعها تذكر المنفق أولا دليل على حذف الزارع ثانيا وذكر الحب ثانيا دليل على حذف النفقة أولا ولما كان التقدير فكما ضاعف سبحانه للزارع حبه فهو يضاعف للمنفق نفقته عطف عليه قوله والله يضاعف لمن يشاء بما له من السعة في القدرة وكل صفة حسنى والله أي بما له من الكمال في كل صفة واسع لا يحد في صفة من صفاته التي تنشأ عنها أفعاله عليم فهو يضاعف لأهل النفقة على قدر ما علمه من نياتهم ولما ختم أول آيات هذه الأمثال بهاتين الصفتين ختم آخرها بذلك إشارة إلى أن سعته قد أحاطت بجميع الكائنات فهو جدير بالإثابة في الدارين وأن علمه قد شمل كل معلوم فلا يخشى أن يترك عملا ولما كان الإنسان قد يزرع ما يكون لغيره بين أن هذا لهم بشرط فقال وقال الحرالي ولما كان للخلافة خصوصا بالإنفاق موقع من النفس بوجوه مما ينقص التضعيف أو يبطله كالذي يطرأ على الحرث الذي ضرب به المثل مما ينقص نماه أو يستأصله نبه تعالى على ما يبطل انتهى فقال الذين ينفقون ورغبهم في إصلاحها ورهبهم من إفسادها بإضافتها إليهم فقال أموالهم وحث على الإخلاص في قوله في سبيل الله الذي له الأسماء الحسنى ولما كانت النفس مطبوعة على ذكر فضلها وكان من المستبعد جدا تركها له نبه عليه بأداة التبعيد إعلاما بعظم فضله فقال ثم لا يتبعون ما أنفقوا بما جاهدوا به أنفسهم منا قال الحرالي وهو ذكره لمن أنفق عليه فيكون قطعا للوصلة بالإغضاء عنه لأن أصل معنى المن القطع ولا أذى وهو ذكره لغيره فيؤذيه بذلك لما يتعالى عليه بإنفاقه وكذا أن يقول لمن شاركه في فعل خير لو لم أحضر ما تم وتكريره لا تنبيه على أن انتفا كل منهما شرط لحصول الأجر لهم ولم يقرنه بالفا إعلاما بأنه ابتدا عطا من الله تفخيما لمقداره وتعظيما لشأنه حيث لم يجعله مسببا عن إنفاقهم أجرهم أي الذي ذكر في التضعيف فأشعر ذلك أنه إن اقترن

بما ينفي

بما ينفي عنه لم يكن لهم ثم زادهم رغبة بقوله عند ربهم أي المحسن إليهم بتربيتهم القائم على ما يقبل من النفقات بالحفظ والتنمية حتى يصير في العظم إلى حد يفوت الوصف ولا خوف عليهم من هضيمة تلحقهم ولا هم يحزنون على فائت لأن ربهم لم يترك شيئا من الفضل اللائق بهم إلا أوصله إليهم ولما أفهم هذا أن ما لا يقترن بالشرط من الإنفاق تتشوف النفس إلى الوقوف على الحقيقة من أمر مصرح به في قوله قول معروف قال الحرالي وهو ما لا يوجع قلب المتعرض بحسب حاله وحال القائل ولما كان السائل قد يلح ويغضب من الرد وإن كان بالمعروف من القول فيغضب المسؤول قال ومغفرة أي للسائل إذا أغضب من رده خير من صدقة وهي الفعلة التي يبدو بها صدق الإيمان بالغيب من حيث إن الرزق غيب فالواثق منفق تصديقا بالخلف إعلاما بعظم فضله يتبعها أذى بمن أو غيره لأنه حينئذ لمن يكون جامعا بين نفع وضر وربما لم يف ثواب النفع بعقاب الضر والله أي والحال أن الذي له الملك لا أعظم منه غني فهو لا يقبل ما لم يأذن فيه ولما وهب المتصدق بصفة الغني رغبه في الحلم عمن أغضبه بكفران الإحسان أو الإساءة في القول عند الرد بالجميل فقال حليم أي لا يعاجل من عصاه بل يرزقه وينصره وهو يعصيه ويكفره ولما شرط للقبول شرطا وهي ما عري منهما عنه أتبعه التصريح بالنهي عن إبطاله والنص على محقه لها وإبطاله وضرب لذلك مثلا وضرب للمثل مثلا مبالغة في الزجر عن ذلك فقال يا أيها الذين آمنوا أي أقروا بذلك صدقوا إقراركم بأن لا تبطلوا قال الحرالي فبين أن ما اشترطه في الأجر المطلق مبطل للإنفاق انتهى صدقاتكم بالمن والأذى فرب منهما وأذى عقابهما ثواب الصدقة أو زاد فكان كالإبطال أوله إلى أن لا ثواب قال الحرالي فالحق عمل الإخلاص بأنه ما نفقته بما بني على أصل الربا انتهى فقال كالذي ينفق ماله لغير الله إنما ينفقه رئاء الناس أي لقصد أن يروه قال الحرالي هو الفعل المقصود به رؤية الخلق غفلة عن رؤية الحق وعماية عنه ولما شبه المان والمؤذي بالمرائي لأنه أسقط الناس وأدناهم همة وأسوأهم نظرا وأعماهم قلبا فأولوا الهمم العلية لا سيما العرب سدي تنفس منه والبعد عنه كان لمن يرى حالا ذلك الحقه بأشدهما فقال ولا يؤمن بالله أي الذي له صفات الكمال واليوم الآخر الذي يقع فيه الجزاء بعد نقد الأعمال جيدها من رديها قال الحرالي ولما ضرب مثلا لنما النفقة بالحرث ضرب مثلا لإبطالها بحظ الحارث في الحرث فقال فمثله في نفقته مقارنا لما يفسده ومثل نفقته كمثل صفوان وما زرع عليه وهو صيغة مبالغة من الصفا وهي الحجارة الملس الصلبة التي لا تقبل النبات أي ما غرته لبعض الجهلة فزرع عليه ولما كانت إزالة التراب عما زرع عليه عقب وقوعه أحد دواعيه أتى بالفاء وأيضا فإن كان حجرا أملس قال الحرالي في إبطاله الربا للعمل فأصابه أي عقب كون التراب عليه من غير مهلة بخلاف ما يأتي من الربوة فإنها صفة لازمة فلو تعقبها ماء المطر لدام بذره وإنها فأفسد هنا وابل أي مطر كثير فأزال التراب عنه فتركه صلدا أي صخرا لا يقبل النبات بوجه بل يخيب من يأمله كما يقال أصلد الزند إذا لم يور فجعل قلب المؤذي المان بمنزلة الصفوان الذي أصابه وابل المطر فأذهب ما يرجى نفقته كما أذهب بذر الحارث على الصفوان وابل المطر الذي شأنه أن يصلح البذر قاله الحرالي وفيه تصرف ولما بان بهذا بطلان العمل في المثل والممثول ترجمه بقوله لا يقدرون أي الممثل لهم والممثل بهم على شيء مما كسبوا والآية من الاحتباك ولما كان الزارع على مثل هذا أعجبا في الضلال والغباوة وكان التقدير فإن الله لا يقبل عمل المؤذين كما لا يقبل عمل المرائين عطف عليه معلما أنه يعمي البصيرة عن أبين الأمور إذا أراد ومما شأنه نقل قوله والله أي الذي له الحكمة كلها لا يهدي أي لوجه مصلحة ولما كان كل من المؤذي والمرائي قد غطى محاسن عمله بما جره من السوء قال القوم الكافرين وفي ذكره لهذه الجملة وحدها إشارة لترهيب المتصدق على هذا الوجه ولما فرغ من مثل العاري عن الشرط ضرب للمقترن بالشرط من الإنفاق مثلا سنيها نبه على أن غيره ليس يبتغى به وجه الله فقال ومثل قال الحرالي عطف على مثل الذي ينفق رئاء ولا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر عطف مقابلة وعلى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله عطف مناسبة انتهى الذين ينفقون أموالهم أي ومثل نفقاتهم لغير علة دنيوية ولا شائبة نفسانية ابتغاء مرضات الله أي الذي له الجلال والإكرام فلذلك صلح كل الصلاح تخليه عن المن والأذى وغيرهما من الشوائب الموجبة للخلل قال الحرالي والمرضاة مفعلة لتكرار الرضى ودوامه انتهى وتثبيتا من أنفسهم بالنظر في إصلاح العمل وإخلاصه بالحمل على الحلم والصفح والصبر على جميع مشاق التكاليف فإن من راض نفسه بحملها على بذل المال الذي هو شقيق الروح ذلت له خاضعة وقل طمعها في اتباع الشهوات فهان عليه حملها على سائر العبادات ومتى تركها وهي مطبوعة على النقائص زاد طمعها في اتباع الشهوات ولزوم الدناءة فمن للتبعيض مفعول به مثلها في قولهم لين من عطفه وحرك من نشاطه كمثل جنة أي بستان ومثل صاحبها قال الحرالي ولما كان حرث الدنيا حبا وثمرا جعل نفقات الآخرة كذلك حبا وثمرا فمن أنفق في السبيل جعل مثله كالحب ومن أنفق ابتغاء مرضات الله جعل مثله كالجنة التي لها أصل ثابت تؤتي عليها الثمرات وهي ثابتة وتستغني من الماء بما لا يستغني به الحرث لأن الحرث يحتاج في كل وقت كما أن الجهاد واقع عند الحاجة إليه والمنفق ابتغاء مرضات الله ينفق في كل وجه دائم الإنفاق فكان مثله مثل

الجنة الدانية ليتطابق المثلان بالمثلين فتمت بهذه النفقة جهات الانفاق كلها في جميع سبيل الخير انتهى
بربوة اي مكان عال ليس بجبل قال الحرالي وفي اعلامه ان خير الجنات ما كان في الربوة لتنالها الشمس وتخترقها الرياح
اللواقح فاما ما كان من الجنان في الوهاد فيجانا وتها الرياح اللواقح من فوقها فتضعف حملها لان الرياح هي حياة النبات
الروح من نفس الرحمن انتهى ثم وصفها بقوله اصابها وابل اي مطر كثير فاتت اكلها اخرجته باذن الله حتى صار في قوة المعطى
ضعفين اي مثلي ما كانت تخرجه لو اصابها دون الوابل كذا قالوا مثلين والظاهر ان المراد اربعة امثاله لان المراد بالضعف
قدر الشيء ومثله معه فيكون الضعفان اربعة والله اعلم والاية من الاحتباك ذكر المنفق اولا دال على حذف صاحب الجنة
ثانيا وذكر الجنة ثانيا دال على حذف النفقة اولا ولما كان الوابل قد لا يوجد قال فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها
لعلوها طل وهو الندى الذي ينزل في الضباب وقال الحرالي الطل سن من اسنان المطر خفي لا يدركه الحس حتى يجتمع فان المطر
ينزل خفيا عن الحس وهو الطل ثم يبدو بلطافة وهو الطش ثم يقوى وهو الرش ثم يتزايد ويتصل وهو الهطل ثم يكثر ما
ويتقارب وهو الوابل ثم يعظم سبكه وهو الجود فتلك اسنان نماء الانبات الحس للطافته الى نماء عجلته الحس لكثرته انتهى والمعنى
ان اهل هذا الصنف لا يتطرق الى عملهم فساد غايتهما ان يطرقها النقص باعتبار ضعف النبات ولذلك كان التقدير
تسبيبا عن ذلك فالله بما تستحقون على نياتكم عليم فعطف عليه قوله والله اي المحيط علما وقدرة بما تعملون اي ما ظهر
منه بصير كما هو كذلك بما بطن فاجتهدوا في احسان الظاهر والباطن ولما قدم سبحانه ان المن مبطل للصدقة ومثله بالربا
وضرب لهما مثلا ورغب في الخالص وختم ذلك بما يصلح للترهيب من المن والربا رجع اليهما دلالة على الاهتمام بهما
فضرب لهما مثلا اوضح من السالف واشد في التنفير عنهما والبعد منهما فقال وقال الحرالي ولما تراجع خبر الانفاقين
وتقابلهما تراجعت امثالهما فضرب لمن ينفق مثلا لمن يبتغي مرضات الله مثلا بالجنة المخلفة انتهى فقال منكرا على من
يبطل عمله كاهل مثل الصفوان بعد كشف الحال بضرب هذه الامثال ايود احدكم اي يحب حبا شديدا ان تكون له
جنة اي حديقة تستر داخلها ثم عين بعضها بما يعمه في المثل الاول فقال من نخيل جمع نخلة وهي الشجرة القائمة على ساق
الجنة من علاها اشبه الشجر بالادمي ثابت ورقها معه مودم ثمرها في كليتها نفعها حتى في خشبها طعام للادمي بخلاف سائر
الشجر مثلها كمثل المومن الذي ينتفع به كله واعناب جمع عنب وهو شجر منكسر لا يختص في نهاية بجهة العلو اختصاص
النخلة بل يتفرع علوا وسفلا ويمنة ويسرة مثل كمثل المومن التقي الذي يكرم بتقواه في كل جهة قال الحرالي ولما كانت الجنان
لا تقوم وتدوم الا بالماء قال تجري من تحتها الانهار اي ليكرم ارضها وقال الحرالي وفي اشعاره تكلف ذلك فيها بخلاف
الاولى التي هي بعل فان الحاجة في السقي اشد على المالك منها في البعل لقلة الكلفة في البعل ولشدة الكلفة في السقي انتهى
ولما وصفها بكثرة الثمار ذكر نتيجة ذلك فقال له فيها من كل الثمرات اي مع النخل والعنب ولما ذكر كرمها ذكر شدة الحاجة
اليها فقال واصابه اي والحال انه اصابه الكبر فصار لا يقدر على الكسب وله ذرية ضعفاء بالصغر كما ضعف
هو بالكبر فاصابها اي الجنة بمرة من المرات اعصار اي ريح شديدة جدا قال الحرالي صيغة اشتداد بزيادة الهمزة
والالف فيه من العصر وهو الشدة المخرجة لخبء الاشياء والاعصار ريح شديدة في غيم يكون فيها حاصرة من برد الزمهرير
وهو احد قسمي النار ونظيره في السعير السموم وقال الاصفهاني ريح تشتد فيرتفع الى الارض ثم تستطع نحو السماء كالعمود فيه نار
فاحترقت تلك الجنة وبقي صاحبها بضيعته مع ضعفه وثقل ظهره بالعيال وقلة المال قال الحرالي من الاحتراق وهو
ذهاب روح الشيء وصورته ذهابا وحيا باصابة قاصف لطيف يتشبع في كليته فيذهبه ويفنيه فجعل المثل الاول
في الحب الذي على الصفوان لانه من تحته وجعل المثل في الجنة جائحة من فوقه كانهما جمعا طرو العلل والافات من جهة
اصل وفرع انتهى فحال من راءى في اعماله او اذى في صدقته ماله في يوم القيمة اذا هو له كحال هذا في نفسه وعياله
عند جنبه اماله وروى البخاري في التفسير عن عبيد بن عمير قال عمر رضي الله عنه لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيم ترون
هذه الاية نزلت ايود احدكم الى ان قال قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل قال عمر اي عمل قال ابن عباس لعمل قال عمر لرجل
غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله ولما بين لهم هذا البيان الذي يبهت بلغاء
الانس والجان نبههم على تعظيمه لتجليه وتكريمه بقوله مستانفا كذلك اي مثل هذا البيان يبين الله اي الذي
له الكمال كله لكم الايات اي كلها لعلكم تتفكرون اي ليكون حالكم حال من يرجى ان يحمل نفسه على الفكر ومن يكون
كذلك ينتفع بفكره وقال الحرالي فتلتبسون الامور على تثبيت لاجرى في عبادة الا بتفكر كان الباني لا بد ان يفكر في بنائه
كما قال الحكيم اول الفكرة اخر العمل واول العمل اخر الفكرة كذلك من حق اعمال الدين ان لا تقع الا بفكرة في اصلاح اوائلها
السابقة واواخرها اللاحقة لكي لا تروا في ذلك صنفين مما يشعر به لعلكم مطابقين للمثل فتفكر مضاعف حرثه وجنته
وعامل بغير فكرة تستهويه اهواء نفسه فتلحقه الافة في عمله في حرثه وجنته من سابقة او لاحقة انتهى ولما رغب في
الفعل وتخليصه عن الشوائب اتبعه المال المنفق منه فامر بطيبه فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان ان
انفقوا اي تصديقا لاقراركم من طيبات ما كسبتم وانما قدم الفعل لانه الصق بالانسان وتطيبه اعم نفعا ولما

ذكر ما اباحه سبحانه من ارباح التجارات ونحوها اتبعه ما اباحه من منافع النباتات ونحوها منبها بذلك على
ان كل ما يتقلب للعباد فيه من انفسهم وغيرها نعمة منه انشاها من الارض التي ابدعها من العدم ترغيبا في
الجود به وفي جعله خيارا حلالا وترهيبا من الشح به وجعله رديئا او حراما فقال ومما اخرجنا اي بعظمتنا لكم نعمة
منا عليكم من الارض قال الحرالي لتقدم خطاب المكتسبين باعمالهم كانهم المهاجرون وعطف عليهم المنفقين من الحرث
والزرع كانهم الانصار انتهى ولما امر بذلك اكد الامر به بالنهي عن ضده فقال ولا تيمموا اي ولا تتكلفوا ان تقصدوا
الخبيث منه اي خاصة تنفقون قال الحرالي الخبيث صيغة مبالغة بزيادة الياء من الخبث وهو ما ينافر حس النفس ظاهره
وباطنه في مقابلة ما يرتاح اليه من الطيب الذي ينبسط اليه ظاهرا وباطنا وقال في الاحنه معنى حصر كانهم لا ينفقون
الا منه ليتجاوز النهي من ينفق من طيبه وخبيثه على غير قصد اختصاص النفقة من الخبيث انتهى ثم اوضح قباحة ذلك بقوله
ولستم باخذيه اي اذا كان لكم على احد حق فاعطاكموه الا ان تغمضوا اي تتساهلوا فيه بالحياء مع الكراهة قال الحرالي من
الاغماض وهو الاغضاء عن العيب فيما يستعمل اصله من الغمض وهي هوية تغشى الحس ثم تنفتح وقال ولما كان الاخذ
هو الله ختم بقوله واعلموا انتهى وعبر بالاسم الاعظم فقال ان الله اي المستكمل لجميع صفات الكمال من الجلال والجمال
غني يتفضل على من اسلف خيرا رغبة فيما عنده وليست به حاجة تدعوه الى اخذ الردي ولا رغبكم في اصل الانفاق
لحاجة منه الى شيء مما عندكم وانما ذلك لطف منه بكم ليجري عليه الثواب والعقاب حميد مجازي المحسن افضل الجزاء
على انه لم يزل محمودا ولا يزال عذب واثاب قال الحرالي وهي صيغة مبالغة بزيادة يا من الحمد الذي هو استواء الامر الذي
لا تفاوت فيه من جهة ابتدائه وافق الانفس وخالفها ولما رغب سبحانه في الانفاق وختم اياته بما يقتضي الوعد من اصدق
القائلين بالغنى والاثابة في الدارين اتبعه بما للعدو الكاذب من ضد ذلك فقال محذرا من البخل في جواب من كانه قال
هذا امر لا يشك فيه لما للنفوس لا توجد غالبا الا متحجرة بالانفاق الشيطان اي الذي اسمه اسوا الاسماء فانه
يقتضي الهلاك والبعد واحد الوصفين كاف في مجانبته فكيف اذا اجتمعا يعدكم الفقر المانع من الانفاق قال الحرالي
الذي تحوته تقاطع اهل الدنيا وقد ابروا وحرصوا وادخروا وكل ذلك لا يزيل الفقر كل حريص فقير ولو ملك الدنيا
وكل متقنع غني ومن حق من كان عبد الغني ان يتحقق انه غني بغنى سيده فنفي خوف الفقر اباق العبد عن ربه والفقر فقد
ما اليه الحاجة في وقت من قيام المرء في ظاهره وباطنه انتهى ويامركم بالفحشاء المبطلة له من المن والاذى وغيرهما من مستلذات
الانفس وربما كان فيها اتلاف الاموال واذهاب الارواح وقال الحرالي وكل ما اجتمعت عليه استقباحات الشرع والعقل
والطبع فهو فحشاء واعظم مراد بها هنا البخل الذي هو ادوا الداء لمناسبة ذكر الفقر وعليه ينبني شر الدنيا والاخرة لانه
يلازمه الحرص ويتابعه الحسد ويتلاحق به الشر كله انتهى وفيه تصرف ولما ذكر ما للعدو من الشر اتبعه ماله سبحانه من
الخير فقال مصرحا بما تقدم التلويح به والله اي الذي له الاسماء الحسنى والصفات العلى الرحيم الودود يعدكم مغفرة
منه لما وقع منكم من تقصير وفيه اشعار بانه لا يقدر احد ان يقدر الله حق قدره لما له من الاحاطة بصفات الكمال
ولما جبل عليه الانسان من النقص وفضلا بالزيادة في الدارين وكل نعمة منه فضل ثم اكد ذلك بقوله والله اي
المحيط بكل كمال واسع لتضمنه معنى حليم غني واتبعه بقوله عليم اشارة الى انه لا يضيع شيئا وان دق قال الحرالي وفي
اشعاره توهين لكيد الشيطان ووعد كريم للمفتونين بخوف الفقر وعمل الفحشاء لما علمه من ضعف الانفس وسرعة
قبولها من الوسواس انتهى ولما ختم احزابات الامثال بما ختم به اولها ترغيبا وترهيبا ولما انقضى الكلام في الانفاق والمال
المنفق على هذا الاسلوب الحكيم تصريحا وتلويحا وختم ذلك الختام بين الصفتين وتضمن ذلك مع التصريح بانه عليم
انه حكيم اتبع ذلك الوصف بان من سعته وعلمه وحكمته انه يهب من صفاته ما يشا لمن يشا بان يوتيه الحكمة
فيوقفه على علم ما خفي من هذه الامثال المتقنة والاحوال الحسنة تصريحا وتلويحا ويوفقه للعمل بذلك ان شاء
ونصحيحا فقال تعالى منبها على ترجيح العمل بامر الرحمن وقبول وعده لحكمه بانه على مقتضى العقل والحكمة وان امر
الشيطان ووعده على وفق الهوى والشهوة وقال الحرالي ولما ابدى تعالى امر الاخرة واظهر ما فيها وبين امر الدنيا من التز
والتسبب ورجع بعضها على بعض عودا على بدء انبا تعالى ان ذلك من حكمته وان من الحكمة لما فيها من استيفاء
حكمة الدارين فان الحكيم ليس من علم امر الدنيا بل من علم امر ما بين الدنيا والاخرة فداوى ادواء الدنيا بدواء الاخرة
وداوى للنفس بدواء الدين وضم جوامعها في تبيين الكلم كما ضمها لمن اصطفاه ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة
فقال تعالى يوتي الحكمة انتهى وفيه ترتيبها على واسع عليم بعد غني حميد بعد عزيز حكيم التحذير من التعرض
لانفاق ما يرده لعزته وغناه وسعته ويذم عليه لعلمه لرداءته او فساد في نيته وان خفي فان ذلك خارج عن
منهاج الحكمة منا ومقتضى الحكمة صنه سبحانه كما وقع لقابيل اذ قرب رديا كما هو مشهور في قصته ولعله
لوح اليه بالتذكر في ختام هذه الاية ثم بقوله وما للظالمين من انصار فصار كانه قال سبحانه واعلموا ان الله
عزيز حكيم يوتي الحكمة وهي العلم بالاشيا على ما هي عليه المزين بالعمل والعمل المتقن بالعلم من يشا من عباده ثم

ثم مدح من حلاه بها فقال مشيرا ببنا الفعل للمفعول الى انها مقصودة في نفسها **ومن يوت الحكمة** اي التي هي صفة من صفاته واشار بالتعريف الى كمالها بحسب ما تحتمله قوى العبد والحكمة قوة تجمع امرين العلم المطابق وفعل العدل وهو العمل على وفق العلم قال الاصبهاني والقران مملوء من الايات الدالة على ان كمال الانسان ليس الا في هاتين القوتين **فقد اوتي خيرا كثيرا** قال الحرالي ما معناه انه نكره لما في الحكمة من التسبب الذي فيه كلفة ولو يسيرة فكان الخير الكثير المعرف في الكلمة لما فيها من اليسر والحياطة والاناءة الذي لا ينال منه منال بسبب وانما هو فضله يوتيه من يشاء فيصير سبحانه سمعه وبصره الى اخره ولما كان التقدير فان ذلك الذي اوتي الحكمة يصير ذا لب فيتاهل لان يتذكر بما يلقيه الله من كلمته ما ثبت في الانفس والافاق من حكمته وصل به قوله **وما يذكر** اي بكلام الله حكمة **الا اولوا الالباب** اي اصحاب العقول الصافية عن دواعي الهوى المتبعة من الشبهات الحاصلة عن الوسوسة فهم يترقون بالتذكر بما هم لا حول لهم عن المسببات الى اسبابها الى ان يصلوا الى مسببها فيحرزوه حق معرفته وقال الحرالي الذين لهم لب العقل الذي يناله لب الحس كان الدنيا قشر يناله بنا هو العقل الاخرة لب ينال بلب العقل ظاهر الظاهر وباطن الباطن من تذكر ابتدا امن الابتداآت السابقة ورد عليه فضل الله منه من رجع من حسه الى نفسه تكشفت له اوصاف الفضايل النفسانية وترقى عما تهوى محسوسه من المهاوي الشهوانية ومن تخلص من نفسه الى روحه تحسس بالوصلة الرحمانية والجمة الربانية كذلك من ترقى من روحه الى امره تحقق بالاحاطة الوحدانية ومن استبطن من امره الى سره احتمع الى الاولية الفردانية لهذا الترتيب من كالات هذه الحكمة المؤتاة المنزلة بالوحي في هذا الكتاب الجامع لنبا ما سبق وخبر ما لحق وباطن ما ظهر انتهى ذلك الى ذكرها اعمال الخلق وخصوصا في الجود بالموجود كما انتهى اقامة مبنى الدين بظهور وجوده فانتهى تنزيل امره بظهور وجوده وانتهى استحلاف عباده بالانفاق الى مد وجوده فكان اعلى الحكمة الجود بالموجود فيذلك والله اعلم اتصل ذكر اية الحكمة بالانفاق نظما وباية الكرسي مناظرة انتهى ولما كان البيان سابقا ولاحقا للانفاق علم ان التقدير لما جمعتم من شي فان الله مطالبكم في وضعه وجمعه بوجه الحكمة ومحاسبكم على ذلك فعطف عليه حثا على الاسرار بالنفقة في الخير والوفا بالنذر وتحذيرا من الانفاق في المعصية ولو على ادنى الوجوه بانه يعلم ذلك كله ويجازي عليه قوله **وما انفقتم من نفقة** اي في وجه من الوجوه فدخل فيه جميع التوسعات المشروعات عند النكاح والختان والولادة واتخاذ المسكن وفي الدعوات للاخوان وغير ذلك ولما كان الانسان كثيرا ما يخشى فوات امر فينذر ان حصل ينفقه في وجه خير ونحو ذلك وكان ربما ظن ان الترغيب في الانفاق خاص بما ندب الله اليه ابتداء لا ما الزمه الانسان نفسه قال **او نذرتم من نذر** وادخال من لتاكيد الاستغراق قال الحرالي والنذر ابرام العدة بخير يستقبل فعله او يرتقب له ما يلتزم به وهو ادنى الانفاق لا سيما اذا كان على وجه الاشتراط قال صلى الله عليه وسلم انما يستخرج به من البخيل انتهى **فان الله** عظم الامر بهذا الاسم الاعظم **يعلمه** ذكر الضمير لانه مع وضوح عوده الى المتقدم اشد تعظيما للنذر لما قد يتوهم فيه من النقص عن منه وبالشرع لتخوا الى طيب ذلك والوفا به وجميع ما يدخل فيه من الاوامر والنواهي يجري من يطلبه رضى ملك عظيم بما يهدي اليه ويعوضه عليه بما نصرتم فيه بالحكمة من نفاق او غيره فانه تعالى يجازيكم عليه على حسب ما ذكر لكم من التضعيف ومن يفعل منكم شيا منه على غير وجه الحكمة فهو ظالم واضع للشي في غير موضعه فهو مردود عليه ومعاقب به وما له من ناصر هكذا كان الاصل ولكنه تعالى عم وعلق الحكم بالوصف فقال **وما للظالمين** اي الواضعين للشي في غير موضعه **من انصار** قال الحرالي نفي انصارهم ان الله اخذ بيد السخي وبيد الكريم كلما عثر يجد له نصيرا ولا يجد الظالم بوضع الغفر موضع البر ناصرا وفيه استغراق نفي بما تعرب عنه كلمة من انتهى ولما كان حال الانفاق المحثوث عليه يختلف بالسر والجهر لكان مما يسيل عنه قال تعالى حاثا على الصدقة في كلتا الحالتين مع ترجيح الاسرار لما فيه من البعد عن الريا **ان تبدوا الصدقات** اي التطوع بها قال الحرالي وهي من ادنى النفقة ولذلك لا تحل لمحمد ولا لال محمد لانها طهرة وغسول يحانها اهل الرتبة العلية والاصطفا وقال والهداية اجل حق المال لانها لمن فوق رتبة المهدى والهبة لانها للمثل **فنعما هي** تجمع لها الامداح المبهمة لان نعم كلمة مبالغة تجمع المدح كله وما كلمة مبهمة تجمع الممدوح فتطابقتا في الابهام وقال ابو طالب العبدي في شرح الايضاح ان نعم وبيس للمبالغة فالمراد بهما التناهي في المدح والذم ولاختصاصهما بهذا المعنى منعا التصرف وانفردا بما على المعنى لان المدح والذم انما يكونان متعلقين بما ثبت واستقر لا بمدح الانسان بما لم يقع منه انتهى **وان تخفوها** حتى لا يعلم بها الا من تعلموه بها له ولما كان المقصود بها سد الخلة قال **وتوتوها الفقرا فهو** اي ذلك الاخفا والقصد للمحتاج **خير لكم** لانه ابعد عن الريا واقرب الى الاخلاص الذي هو روح العبادات وفي تخريبهما وجمعهما ما ربما اشعر بعموم العرض والنفل لما في اظهار المال الخفي من التعرض للظلم والحسد وفي ابهام السياق ان الصدقة تجوز على الغني ولما كان التقدير فانا نرفع بها درجاتكم عطف عليه قوله **ونكفر عنكم من سياتكم** اي التي بيننا وبينكم ولما كان التقدير فلا تخافوا من اخفايها ان يضيع عليكم شي منها فان الله بكل ما تعلموه منها عليم عطف عليه تعميما وترغيبا وترهيبا **والله** الذي له كل الكمال **بما تعملون** اي من ذلك وغيره **خبير** فلم تدع حاجة اصلا الى الاعلان لتعليكم بالاخفا فانه اقرب الى صلاح الدين والدنيا فاخلصوا فيه وفي واعبنا بالجزا عليه ولما حث سبحانه على وجوه الخير ورغب في لزوم الهدى وكان اكثرهم معرضين لان ما دعا اليه هادم لما جبلوا عليه من الحب لتوفير المال والحفيظة على النفس وكان صلى الله عليه وسلم شديد الاسف عليهم دايم القلق من اجلهم لعظيم رحمته لهم وشفقته عليهم فكان يجد من تقاعدهم عما يدعوهم اليه من هذه الحالة العلية التي هي حكمة الله التي راسها الايمان بالله واشترا الاخرة بجلية الدنيا وجدا شديدا خفض سبحانه عليه الامر وخفف عليه الحال

فقال **ليس عليك** اي عندك **هداهم** حتى يكون قادرا عليه لما عليك الا البلاغ واما خلق الهداية لهم فليس عليك ولا تقدر عليه **ولكن الله** الذي لا كفوله هو القادر على ذلك وحده فهو **يهدي من يشا** تظهر من الهداية بتعيين ان يكون عليك بمعنى عندك ومعك ونحو ذلك لان لكن للاستدراك وهو ان يكون حكم ما بعدها مخالفا لما قبلها وكلام اهل اللغة يساعد على ذلك قال الامام عبد الحق في كتابه الواعي في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما كنت احيي بالجذع وعلينا الف شاة معناه وعندنا الف شاة تقول العرب علينا كذا وكذا اي معنا فسره فاسم تمني وهو يرجع الى القدرة كما تقول على رضى فلان اي انا مطيق لذلك قادر على حمله فالمعنى ليست تقدر على ايجاد الاهتدا فيهم اصلا وانما ذلك الى الله فهو يهدي من يشا فيفعل ما يقدره سبحانه له من وجوه الهدى من نفقة وغيرها قال الحرالي ما معناه ان الانصار رضي الله عنهم من اول مراد بهذا الجملة لانه سبحانه جعل فيهم نصرة دينه ولما كان المقصود الاعظم في هذه الحكمة وهذا الهدى التوسل الى الجواد بالجود بالنفس والمال النايل عموما القريب والبعيد والمومن والكافر بمنزلة المطر الجود الذي ياخذ السهل والجبل حتى كان هذا الخطاب صارفا لقوم تحرجوا من الصدقة على فقرا الكفار وصلة قرابا تهم منهم حملوا على عموم الانفاق انتهى فقال تعالى **وما تنفقوا من خير** اي مال ومعروف على مومن او كافر يحل فعل ذلك معه ولو قل لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة **فلانفسكم** كما قيل له صلى الله عليه وسلم عن شاة ذبحت ذهبت اي بالهدية والصدقة الا رقبتها فقال بقيت الا رقبتها والمعنى انكم ان بخلتم او منتم له فانما تفعلون ذلك بانفسكم ولما كان الكلام في النفقة مع المومنين المنفقين في سبيل الله وعبر عنها بالخير كل ذلك اشارة الى الاخلاص اخرى بحال المومن قال **وما** اي والحال انكم ما **تنفقون الا ابتغا** اي ارادة ولما كان تذكر الوجه لما له من الشرف ادعى الى الاجتهاد وفي تشريف العمل باحسانه واخلاصه قال **وجه الله** اي الملك الاعظم من سد خلة فقير او صلة رحم مسلم او كافر تجوز الصدقة عليه لا لانفسكم ولا غيرها بل تخلصا من اسار المال باداء الامانة فيه الى عباد الله هذا هو الذي يدعو اليه الايمان فلا يظن بمومن ان يفعل غيره وذلك يقتضي البعد جدا عن الاذى والريا وكل نقيصة والملابسة لكل ما يوجب القبول من الكمال الحسي والمعنوي ولما كان الانفاق بالوفا مرغبا في الاحسان ومبعدا من الاساءة والامتنان خوفا من جزاء الملك الديان قال **وما تنفقوا من خير** اي على اي وجه كان وباي وصف كان المتصدق والمتصدق عليه **يوف** اي يبالغ في وفائه بالتضعيف واصلا **اليكم وانتم لا تظلمون** اي لا يقع عليكم ظلم في ترك شي مما انفقتموه ولا في نقص مما وعدتموه من التضعيف ان احسنتم والمماثلة ان اساتم ولما كان غالب هذه الاحكام التي ذكرت في الانفاق من اجل المحاويج وكان ما مضى شاملا للمومن وغيره بين ان محط القصد في الحث عليها المومن فقال تعالى **للفقرا** اي هذه الاحكام لهم **الذين احصروا** اي منعوا من التكسب واشار بقوله **في سبيل الله** اي الذي له الكمال والاكرام الى ان المنعه لهم عن ذلك الاشتغال باقامة الدين بالجهاد وغيره **لا يستطيعون ضربا في الارض** بالتجارة لاجل ذلك واشار الى شدة رضاهم عن الله بعدم شكايتهم فقال **يحسبهم الجاهل** اي الذي ليس عنده له فطنة الخلص **اغنيا من** اجل **التعفف** عن المسألة والتلويح بها قناعة بما اعطاهم مولاهم ورضى عنه وشرف نفس والتعفف تكلف العفة وهي كف ما ينبسط للشهوة من الادمي الا بحقه ووجهه قاله الحرالي ولما ذكر خفاهم على الغني ذكر جلاهم عند المتوسم فقال **تعرفهم** اي بالبصر المتفرس والفطنة انت ومن رسخت قدمه في تباعتك **بسيماهم** قال الحرالي وهي صيغة مبالغة من السمة والوسم وهي العلامة الخفية التي تترااى للمتبصر انتهى وتلك الله اعلم هي السكينة والوقار وضعف الصوت ورثاثة الحال مع علو الهمة والبراة من الشماخة والكبر والبطر والخيلا ونحو ذلك **لا يسيلون** لطموح ابصار بصايرهم عن الخلق الى الخالق **الناس** من سلك ولا غيره **الحافا** اي سوال الزام اخذا من اللحاف الذي يتغطى به للزومه لما يغطيه ومنه لا وحقه اي لازمته وقال الحرالي هو لزوم ومداومة في الشي من حروف الحلف الذي هو تتمة الخبر الى الغاية كذلك اللحف تتمة السوال الى الغاية انتهى وانما يسيلون ان سالوا على وجه العرض والتلويح الخفي كما كان ابو هريرة رضي الله عنه يستقري جزء الاية ليضيفه وهو اعرف بها ممن يستقريه به فلا يفهم مراده الا النبي صلى الله عليه وسلم والتعبير بالتعفف يفيد الاجتهاد في العفة والمبالغة فيها والتقييد بالالحاف يدل على وقوع السوال قليلا جدا او على وجه التلويح لا التصريح كما يويده ويوكده المعرفة بالسيما ولما ذكر سبحانه احق مواضع النفقة اشار الى خفايها لا سيما في ذلك الموضع فقال **وما تنفقوا من خير** اي في اي وقت تنفقونه **فان الله** اي المحيط بصفات الكمال **به عليم** وان اجتهدتم في اخفايه باعطايه لمن لا يسيل فلا يعرف او بغير ذلك وذكر العلم في موضع الجزا اعظم مرغب واخوف مرهب كما يحقق ذلك بامعان التامل لذلك ولما حض على النفقة فاكثر وضرب فيها الامثال واطنب في المقال ولم يعين لها وقتا كان سايلا قال في اي وقت تفعل فبين في اية جامعة لاصناف الاموال والازمان والاحوال انها حسنة في كل وقت وعلى كل حال فقال **الذين ينفقون اموالهم** اي في الوجوه الصالحة التي تقدم الشبه عليها وقدم من المتقابلين ما كان اقرب الى الاخلاص اهتماما به دلالة على فضله فقال **بالليل** ان اقتضى ذلك الحال **والنهار** اي دعتهم الى ذلك حطة وشد **سرا وعلانية** كذلك ولما كان الاتيان عن المن والاذى في بعض الاحوال اشد ما يكون على النفس لما يرى من المنفق عليه من الغض ونحو ذلك فلا يكاد يسلم منه احد ابتدا الجزا اي ابتداه من غير ربط بالفا اشارة الى ان العفو عما يغلب النفس منه تنزيلا له منزلة العدم وايماء الى تعظيمه بكونه ابتدا عطية من الملك ترغيبا في الكف

عنه انه منظور اليه في الجملة وربط الجزاء في هذه اعلاما بانه مسبب عن هذه الاحوال لان الافعال ابين من التروك لحصوله متوقف على حصولها حثا على الاتيان بها كلها للسهولة في ذلك لان من سمح بالانفاق لله استوت عنده فيه الاوقات والاحوال فقال **فلهم اجرهم** وسببيته كونه علامة لحصول الاجر الا انه سبب حقيقي انما السبب الحقيقي رحمة الله بالتوفيق للعمل والا والاعتداد به واعلم بانه محفوظ مضاعف مربى لا يضيع اصلا بقوله **عند ربهم** اي المحسن اليهم بنفقاتهم وبزكيها كما ربا لهم ثم ختم اي النفقات ثم بدا هاته من الامن والسرور فقال **ولا خوف عليهم** كما فرجوا بها عن غيرهم **ولا هم يحزنون** لانه لا ثواب اعظم من ذلك اذ لا عيشة لحزين ولا خائف ولشدة مشاق الانفاق على الانفس لا سيما في اول الاسلام لما كانوا فيه من الضيق اكد تعالى فيه هذا التاكيد بجملته وبينه هذا البيان الواضح حتى لم يبق فيه خفية وحجة الا اظهرها وحذر منها او فردها اشار الى ذلك الاستاذ ابو الحسن الحرالي وقال فافضلهم المنفق بالليل سرا وانزلهم المنفق نهارا علانية فهم بذلك اربعة اصناف انتهى ولما كان سبحانه قد ذكر النفقة لما افاض عليهم من الرزق من اول السورة الى هنا في غرابة ورغب فيها بانواع من الترغيب في فنون من الاساليب وكان الرزق يشتمل الحلال والحرام وكان مما يسترزقون به قبل الاسلام الربا وهو اخذ مجانا وهو في الصورة زيادة وفي الحقيقة نقص وعيب ضد ما تقدم الحث عليه من الاعطاء مجانا وهو في الظاهر نقص وفي الباطن زيادة وخير نهاهم عن تعاطيه ونفرهم منه وبين لهم حكمه وانه خبيث لا يصلح لا كل ولا صدقة وجعل ذلك في اسلوب الجواب لمن قال هل تكون النفقة المحبوبة المحثوث عليها من كل مال فاجاب بقوله وقال الحرالي لما كان حال المنفق لا سيما المبتغي وجه الله افضل الاحوال وهو الحال الذي دعوا اليه نظم به ادنى الاحوال وهو الذي يتوسل به الى الاموال بالربا فافضل الناس المنفق وشر الناس المربي فنظم به خطاب الربا فقال **الذين** ولما كان من الصحابة من اكل الربا عبر بالمضارع اشارة الى ان هذا الجزاء يخص المصر فقال **ياكلون الربا** وهو الزيادة من جنس المزيد عليه المحدود بوجه ما انتهى لجريه على عادة هذا الذكر الحكيم في ذكر احد الضدين بعد الاخر وعبر بالاكل عن التناول لانه اكبر المقاصد واضرها ويجري من الانسان مجرى الدم كالشيطان **لا يقومون** اي عند البعث يظهر ثقله في بطونهم فيمنعهم النشاط ويكون ذلك سيماهم يعرفون به بين اهل الموقف هتكا لهم وفضيحة وقال الحرالي في اطلاقه اشعار بحالهم في الدنيا والبرزخ والاخرة ففي علامة ابدان بان اكله يجلب عقله ويكون بقاؤه في الدنيا بحرق لا يحصل يقبل في محل الادبار ويدبر في محل الاقبال انتهى وهو مؤيد بالمشاهدة فانا لم نر ولم نسمع قط باكل ربا ينطق بالحكمة ولا يشتهر بفضيلة بل هم ادنى الناس وادنسهم **الا كما يقوم الذي يتخبطه** المصروع اي يتكلف خبطه ويكلفه اياه ويشق به عليه **الشيطان** ولما كان ذلك قد يظن انه تخبط الفكر بالوسوسة مثلا قال **من** اي تخبطا له مبتدئا **من المس** اي الجنون فاشار سبحانه بذلك الى المنع من ان تكون النفقة من حرام ولا سيما الربا والى ان الخبيث المنهي عن تيمم انفاقه قسمان حسي ومعنوي والنهي في المعنوي اشد وقال البيضاوي تبعا للزمخشري وهو اي التخبط والمس وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع وان الجني يمسه فيختلط عقله انتهى وظاهره انكار ذلك وليس بمنكر بل هو الحق الذي لا مرية فيه قال المهدوي في تفسيره وهذا دليل على من انكر ان الصرع من جهة الجن وزعم انه فعل الطبايع وقال الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد وبالجملة فالقول بوجود الملئكة والجن والشياطين مما انعقد عليه اجماع الاراء ونطق به كلام الله وكلام الانبياء وحكى مشاهدة الجن عن كثير من العقلاء وارباب المكاشفات من الاولياء فلا وجه لنفيها وقال والجن اجسام لطيفة هوائية تتشكل باشكال مختلفة ويظهر منها احوال عجيبة والشياطين اجسام نارية شانها القاء الناس في الفساد والغواية ولكون الهواء والنار في غاية اللطافة والتشفيف كانت الملئكة والجن والشياطين يدخلون المنافذ الضيقة حتى اجواف الانسان ولا يرون بحس البصر الا اذا اكتسبوا من الممتزجات انتهى وقد ورد في كثير من الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من الانسان مجرى الدم وورد انه صلى الله عليه وسلم اخرج الصارع من الجن من جوف المصروع في صورة كلب ونحو ذلك وفي كتب الله سبحانه وتعالى المتقدمة ما لا يحصى مثل ذلك واما مشاهدة المصروع يخبر بالمغيبات وهو مغمض وهو غائب الحس وربما كان ملقى في النار وهو لا يحترق وربما ارتفع في الهواء من غير رافع وكثير جدا لا يحصى مشاهدة الى غير ذلك من الامور الموجبة للقطع ان ذلك من الجن او الشياطين وها انا اذكر لك في ذلك من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم ثم من كتب الله القديمة ما فيه مقنع لمن دبره والله الموفق روى الدارمي في اوايل مسنده بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما ان امراة جاءت بابن لها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه ياخذه عند غدائنا وعشائنا فيخبث علينا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا فثع ثعة وخرج من صدره مثل الجرو الاسود فسعى ثع بمثلثة ومهملة اي قاء وكذا رواه ايضا عبد بن حميد بسند حسن ايضا عن جابر رضي الله عنه قال خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فركبنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا كانما على رءوسنا الطير تظلنا فعرضت له امراة معها صبي لها فقالت يا رسول الله ان ابني هذا ياخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرار فتناول الصبي فجعله بينه وبين مقدم الرحل ثم قال اخسأ عدو الله انا رسول الله ثلاثا ثم دفعه اليها واخرجه الطبراني من وجه اخر وبين ان السفر ذات غزوة الرقاع وان ذلك كان في حرة واقم قال اقبل مني فقد بني فوالذي بعثك بالحق ما عاد اليه بعد فقال خذ واسها واحدا وردوا عليها الاخر ورواه البغوي في شرح السنة عن يعلى بن مرة رضي الله عنه وفي الانجيل من ذلك كثير جدا كان

في

في انجيل متى ولوقا ومرقس يزيد احدهم على الاخر وقد جمعت بين الفاظهم وجاء يعني عيسى عليه السلام الى عبر البحر الى كورة الجرجسيين وقال في انجيل لوقا التي هي مقابل عبر الجليل فلما خرج من السفينة استقبله مجنون قال لوقا من المدينة معه شياطين وقال متى مجنونان خارجان من المقابر وبان جدا حتى انه لم يقدر احد ان يجتاز من تلك الطريق فصاحا قائلين ما لنا ولك يا يسوع جئت لتعذبنا قبل الزمان قال لوقا وكان يربط بالسلاسل والقيود ويحبس وكان يقطع الرباط ويقوده الشيطان الى البراري فساله يسوع ما اسمك فقال لاجاون لانه دخل فيه شياطين كثيرة وقال مرقس فقال له اخرج ايها الروح النجس اخرج من الانسان ثم قال له ما اسمك فقال لاجاون اسمي لانا كثير وطلب اليه ان يرسلهم خارجا من الكورة وكان هناك نحو الجبل قطيع خنازير كثير يرعى بعيدا منهم فطلب اليه الشياطين قائلين اخرجنا فارسلنا الى قطيع الخنازير فقال لهم اذهبوا وقال مرقس فاذن لهم يسوع فللوقت خرجت الارواح النجسة ودخلت في الخنازير وقال متى فلما خرجوا ومضوا الى الخنازير واذا بقطيع الخنازير قد وثب على جرف ووقع في البحر ومات جميعه في المياه وان الرعاة هربوا ومضوا الى المدينة واخبروهم بكل شيء وبالمجنونين فخرج كل من المدينة للقاء يسوع قال مرقس وابصروا ذلك المجنون جالسا لابسا عفيفا الخ قال فلما ابصروه يعني عيسى عليه السلام طلبوا اليه ان يتحول عن تخومهم قال لوقا لانهم خافوا خوفا عظيما وقال مرقس فلما صعد السفينة طلب اليه المجنون ان يكون معه فلم يدعه يسوع لكن قال له امض الى بيتك وعرفهم ما صنع الرب بك ورحمته اياك فذهب وكرز في العشرة مدن وقال كل ما صنع به يسوع فتعجب جميعهم وفي انجيل لوقا معناه وفي اخره فذهب وكان ينادي في المدينة كلها بكل ما صنعه معه يسوع وفي انجيل متى ولما خرج يسوع من هناك قدموا اليه اخرس به شيطان فلما اخرج الشيطان تكلم الاخرس فتعجب الجمع قائلين لم يظهر قط هكذا في اسرائيل فقال الفريسيون انه باركون الشياطين يخرج الشياطين ثم قال جيء اليه باعمى به شيطان اخرس فابراه حتى ان الاخرس تكلم وابصر فبهت الجمع كلهم وقالوا لعل هذا هو ابن داود فسمع الفريسيون فقالوا هل لا يخرج الشياطين الا بابعلزبول رئيس الشياطين وفيه بعد ذلك فلما جاء الى الجمع جاء اليه انسان ساجدا له قائلا يا رب وفي انجيل لوقا يا معلم ارحم ابني فانه يعذب في رؤوس الاهلة ومرارا كثيرة يريد ان ينطلق في النار ومرارا كثيرة في الماء وفي انجيل مرقس قد اتيتك بابني فيه روح وحيث ما ادركه صرعه وازبد وصر باسنانه فتركه يابسا وفي انجيل لوقا اصرخ اليك ان تنظر الى ابني لانه وحيدي وروح ياخذه فيصرخ بغتة ويلبطه بجهد ويزبد عند انفصاله عنه ويرضضه وضرعت لتلاميذك ان يخرجوه فلم يقدروا وفي انجيل متى وقدمته الى تلاميذك فلم يقدروا ان يبرئوه اجاب يسوع له ايها الجيل الاعوج الغير مؤمن الى متى اكون معكم وحتى متى احتملكم قدمه الى ههنا وفي انجيل لوقا وفيما هو جاء به طرحه الشيطان ولبطه وفي انجيل مرقس فلما راته الروح النجسة من ساعته صرعته وسقط على الارض مضطربا مزبدا ثم قال لابيه من كم اصابه هذا فقال منذ صباه ثم قال ما معناه افعل معه ما استطعت وتحنن علينا فقال له يسوع كل شيء مستطاع للمؤمن فصاح ابو الصبي وقال انا اومن فاعن ضعف ايماني فلما راى يسوع تكاثر الجمع انتهر الروح النجس وقال ايها الروح الاصم الغير ناطق انا امرك ان تخرج منه ولا تدخل فيه فصرخ ولبطه كثيرا وخرج منه وصار كالميت وقال كثير انه مات فامسك يسوع بيده واقامه فوقف وفي انجيل متى فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان وبرا الغلام في تلك الساعة حينئذ اتى التلاميذ الى يسوع منفردين وقالوا له لماذا لم نقدر نحن نخرجه فقال لهم يسوع من اجل قلة ايمانكم الحق اقول لكم ان لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لقلتم لهذا الجبل انتقل من ههنا الى هناك فينتقل ولا يعجز عليكم شيء وهذا الجنس لا يخرج الا بالصوم والصلوة وقال مرقس لا يستطاع ان يخرج بشيء الا بصلاة وصوم وقال في انجيل مرقس ولوقا انه كان يعلم في كفرناحوم مدينة في الجليل قال وكان في مجمعهم رجل فيه روح شيطان نجس فصاح بصوت عظيم قائلا ما لنا ولك يا يسوع الناصري اتيت لتهلكنا قد عرفت من انت يا قدوس الله فانتهره يسوع قائلا اسكت واخرج منه فالقته الروح النجسة وصاح بصوت عظيم وخرج منه وفي انجيل لوقا فطرحه الشيطان في وسطهم وخرج منه ولم يولمه وخاف الجمع مخاطبا بعضهم بعضا قائلين ما هو هذا التعليم الجديد الذي بسلطانه يامر الارواح النجسة فتطيعه وخرج خبره في كل كورة الجليل وفيه ثم قام من هناك وذهب الى تخوم صور وصيدا ودخل الى بيت واراد ان لا يعلم احد به فلم يقدر ان يختفي فلما سمعت امراة كانت بابنة لها روح نجس جاءت اليه وخرت قدام قدميه وكانت يونانية صورية وسالته ان يخرج الشيطان من ابنتها فقال لها دعي البنين يشبعون اولا لا يحسن ان يوخذ خبز البنين ويدفع للكلاب فاجابت نعم يا رب والكلاب ايضا تاكل مما يسقط من المائدة من فتات الاطفال فقال لها من اجل هذه الكلمة اذهبي قد خرج الشيطان من ابنتك فذهبت الى بيتها فوجدت الصبية على السرير والشيطان قد خرج منها وفي اخر انجيل مرقس انه اخرج من مريم المجدلانية سبعة شياطين وفي انجيل لوقا وكان بعد ذلك يسير في قرية ويكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر والنسوة كن ابراهن من الامراض والارواح الخبيثة مريم التي تدعى المجدلانية التي اخرج منها سبعة شياطين ومرثا امراة خوزي خازن هيرودس وسوسنة واخوات كثيرات وفي انجيل لوقا وفي ما

كل مدينة صح

يهو يعلم في احد المجامع في السبت فاذا امراة معها روح مرض منذ ثمان عشرة سنة وكانت منحنية لا تقدر ان تستوي البتة فـ
نظر اليها يسوع وقال يا امراة انت محلولة من مرضك ووضع يده عليها فاستقامت للوقت ومجدت الله فاجاب رئيس
الجماعة وهو مغضب وقال للجمع لكم ستة ايام ينبغي العمل فيها وفيها تأتون وتستشفون الا في السبت فقال يا مراؤون واحد منكم
يحل ثوره او حماره من المذود في السبت ويذهب فيسقيه وهذه هي ابنة ابرهيم كان الشيطان قد ربطها منذ ثمان
عشرة سنة اما كان يجب ان تطلق من هذا الرباط في يوم السبت فلما قال هذا الكلام اخزي كل من كان يقاومه وكل الشعب
كانوا يفرحون بالاعمال الحسنة التي كانت منه انتهى وانما كتبت هذا مع كون ما نقل عن نبينا صلى الله عليه وسلم كافيا لانه
لا بدع ان يكون فيه ايناس له ومصادقة تزيد في الايمان مع ان فيه لابل راده على النصارى في ادعائهم التثليث والاتحاد واحسن ما
رد على الانسان من كلامه وبما يعتقده وسيأتي ان شاء الله تعالى في المائدة عند قوله تعالى وما من اله الا اله ما يلتفت الى بعض
هذا ويشرحه شرحا جيدا نافعا وكذا في جميع ما انقله من الانجيل كما سنراه ان شاء الله تعالى في مواضعه وكل ما فيه من متشابه
لم ار لهم فيما يوهم اتحادا او تثليثا فلا تزدد نفرتك منه وراجع ما سيمر في آل عمران وغيرها يرجع معك الى المحكم رجوعا جليا
على ان اكثره اذا تأملت طرائقه وجدته لا شبهة فيه اصلا وان لم يكونوا اهلا للجري في مضمار ما ينسب الى امير المؤمنين علي رضي الله
عنه كن ممن يعرف الرجال بالحق ولا تكن ممن يعرف الحق بالرجال فانظر كتاب الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل لحجة الاسلام
ابي حامد الغزالي رحمه الله تجده اول كثيرا مما ذكرته بمثل ما ويلي او قريب منه ولم اره الا بعد كتابتي لذلك والله الموفق
وفي الآية اشارة الى انه تعالى يقضي بنزع نور العقل من المرابي ودل على ذلك بقوله **ذلك** اي الامر البعيد من الصواب **بانهم** اي
المربون **قالوا** جدالا لاهل الله **انما البيع** اي الذي يخصمون الحل فيه باهل الاسلام **مثل الربا** في ان كلا منهما معاوضة فنحن
نتعاطى الربا كما تتعاطون انتم البيع فما لكم تنكرونه علينا فجعلهم الربا اصلا انسلاخ مما اودعه الله في نور العقل وحكم الشرع
وسلامة الطبع من الحكمة والبيع كما عرفه الفقهاء نقل ملك بثمن وقال الحرالي هو رغبة المالك عما في يده الى ما في يد غيره له
والشرا رغبة المستملك في ما في يد غيره بمعاوضة بما في يده مما رغب عنه فلذلك كل شار بايع **واحل** اي والحال انه احل
الله الذي له تمام العظمة المقتضية للعدل **البيع** اي لما فيه من عدل الانتفاع لانه معاوضة على سبيل النصفة للتراضي
من الجانبين لان الغبن فيه غير محقق على واحد منهما لان من شرى ما يساوي درهما بدرهمين يمكن ان يبيعه بعد ذلك
لرواجه او وجود راغب فيه لامر دعاه اليه بمثله **وحرم الربا** لما فيه من اختصاص احد المتعاملين بالضرر والغبن والاخر
بالاستيثار على وجه التحقق فان من اخذ درهما بدرهمين لا يرجى جبر ما فاته من ذلك الوجه اصلا وكذا في المضاعفة وهو
ما اذا طلب دينه فكان الغريم معسرا فالزمه بالدفع او الزيادة في الدين فانه ليس في مقابلة هذا الزائد شي ينتفع به المدين
قال الحرالي فنفع الاستيثار فهو ذلك الجور الذي يقابله العدل الذي غايته الفضل فاجور الجور في الاموال الربا واجور الجور في الربا
الربا كالذي يقتل بقتيل قتيلين وكل من طفف في ميزان فتطفيفه ربا بوجه ما ولذلك تعددت ابواب الربا وتكثرت قال
صلى الله عليه وسلم الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك وهذا راسه وهو ما كانت تتعامل به اهل الجاهلية
من قولهم اما ان تربي واما ان تقضي ثم لحق به سائر ابوابه فهو انتفاع للمربي وتضرر للذي يعطي الربا وهذا اشد الجور دينيا
العبيد الذي حظهم التساوي في امر بلغة الدنيا فكما اعلمهم تعالى اثر حكمة الخير في الانفاق اعلمهم اثر حكمة الشر في الربا في دار
الآخرة وفي عقبى من الدنيا وكما انه يجعل للمنفق خلفا في الدنيا كذلك يجعل للمربي في الدنيا محقا حسب ما صرح به الخطاب
بعد هذا الاشعار انتهى ومادة بيع بجميع تقاليبها الستة يائية وواوية مهموزة وغير مهموزة بيع وعيب وعبي وبوع
وبعو وبيع ووعب وعبو وعبا تدور على الاتساع فالبيع يدور على التصرف التام بالقوة تارة وبالفعل اخرى والذي بالفعل
يكون بالملك تارة وبغيره اخرى والذي بالملك يكون بالتحصيل تارة وبالازالة اخرى ولا يخفى ان كل ذلك من الاتساع فمن الذي
بالقوة باعه من السلطان سعى به اليه وامرأة بايع اذا كانت تنفق لجمالها والبياعة السلعة والمبيع كسيد المساوم
وابعته بمعنى عرضته للبيع ومن الذي بالفعل من غير ملك باع على بيعه اي قام مقامه في المنزلة والرفعة ظفر به وكذا
ابعت الرجل فرسا اي اعرته اياه ليغزو عليه ومن الذي بالملك ازالة بعته وابعته اي ازلت ملكي عنه بثمن واستباعه
ساله ان يبيعه منه وانباع نفق وانباع لي في سلعته سامح في بيعها وامتد الى الاجابة اليه ومن الذي بالملك تحصيلا
باع الشي بمعنى اشتراه قال القزاز في ديوان الادب قال ابو ثروان بع لي تمرا بدرهم يريد اشتر وهذا الحرف من الاضداد
وابتاعه اشتراه والعيب بمعنى الوصمة يوسع الكلام في العرض وسببه توسع الانسان في قول او فعل على غير منهاج العقل
والعيبة وعاء من ادم يوضع فيه المتاع وهي ايضا الصدر والقلب وموضع السر والعائب من اللبن الخاثر اي اخذ طعم حموضة اما
من العيب واما لانه المتسع عن طعمه الاول والعيابة ضرب من الاكسية لاتساعها عن الازر وذخرها طولا وعرضا والرجل الجافي
الثقيل تشبيها بها في الخشونة والثقالة وتعبية الجيش تهيئته في مواضعه كأن مراكزه عياب له وضعت كل فرقة
منه في عيبتها وعيبك من الجزور نصيبك والتعابي ان يميل رجل مع قوم واخر مع اخرين لان ذلك اتساع بالفرقتين وانتقال
من الرجلين ومن المهموز العبء بالكسر وهو الحمل الثقيل من اي شي كان لانه يبعد روسع الحامل او فوق وسعه وتعاوسع

بما دونه من الاحمال وهو ايضا العدل لانه يسع ما يوضع فيه والمثل ويفتح لان الاثنين اوسع من الواحد والعب بالفتح ضياء
الشمس وهو واضح في السعة وعبا المتاع والامر تعبيئة هيأه كعباه تعبية لانه اعطاه ما يسعه ووضعه في مواضع تسع
والطيب صنعه وخلطه فانه يسع بالخلط وانتشرت رائحته بالصنعة والعبا كسا معروف وهو يسع ما يلف به كالعباءة
والاحمق الثقيل الوخم وتقدم عن عجز ويمكن جعله من العبي بمعنى الحمل وبمعنى التثقيل والمعباة المكنسة خرقة الحائض لانها تقدر
ما يسعه الفرج والمعبا كمقعد المذهب لاتساعه للذاهب فيه وما اعتيابه ما اصنع ويقال ما اباليه اي ما اوسع الفكر
فيه انتهى المهموزة والباع قدر مد اليدين والشرف والكرم والبوع ابعاد خطو الفرس في جريه وبسط اليد بالمال
والمكان المنهضم اي المطمئن في لصب الجبل واللصب بالكسر الشعب الصغير من الجبل اضيق من اللهب واوسع من الشعب
واللهب مهواة ما بين كل جبلين او الصدع في الجبل والشعب الصغير والشعب بالكسر الطريق في الجبل ومسيل الماء في بطن
ارض وما انفرج بين الجبلين والشقف بالقاف صدع يكون في لهوب الجبال ولصوب الاودية دون الكهف توكر فيه
الطير وباعة الدار ساحتها والبايع ولد الظبي اذا باع في مشيه وانباع العرق سال والحية بسطت نفسها بعد تحويها
لتساور والوباعة الاست لاتساعها بالخروج للخارج منها وكذبت وباعته اي حبق يعني ضرط والوباعة من الصبي ما تحرك
من يافوخه لاستداده الى الحركة ووعبه كوعده اخذه اجمع كاوعبه واستوعبه واوعب جمع والشي في الشي ادخله كله
اي وسعه حتى دخل فيه والوعب من الطرق الواسعة وبيت وعيب اي واسع والجناية والجرم لان ذلك يوسع الكلام في
العرض وهو ايضا العادية وتجاه لمرة واصاب منه وتجاه بالعين اصابه بها كانه وسع لعينه فيه حظا ولما كان
الوعظ كما قال الحرالي دعوة الاشيا بما فيها من العبرة للانقياد للاله الحق بما تخوفها ويقبضها في مقابلة التذكير
بما يرجيها ويبسطها وكان فيما اخبر به سبحانه عن حال المرابي زاجر ان احلها للانسان بعد روحه عقله سبب عن
ذلك قوله **فمن جاءه** قال الحرالي اطلق الكلمة من علامة التانيث لتنازل الرتبة ترتيبها القدر لهذه الموعظة الحقية
المدرك العظيمة الموقع **موعظة** بما سالغة واعلام لما اشعرت المفعلة الزائدة الحروف على اصل لفظ الوعظ بما
يشعر به الميم من التمام والهاء من الانتهاء توضع الاحكام حكمة والاعلام بثمراتها في الآخرة موعظة تشوق النفس الى رغبتها
ورهبتها انتهى ولما كان التخويف من المحسن اردع لان النفس منه اقبل قال **من ربه** اي المربي له المحسن اليه بكل ما هو فيه من
الخير قال الحرالي في اشعاره ان من اصل التربية الحمية من هذا الربا انتهى **فانتهى** اي عما كان سببا للوعظ قال الحرالي في بالقا
العقبية فلم يعمل فيه فسحة ولا قرارا عليه لما فيه من خبل العقل الذي هو اصل مزية الانسانية وان لم يشعر به حكما الدنيا
ولا اطبا وهما انتهى ولما كان السياق بما ارشد اليه التعليل يعول ذلك بانهم قالوا الا على ان الآية في الكفرة وان المراد بالاكل
الاستحلال اكد ذلك بقوله **فله ما سلف** اي من قبح ما ارتكبه بعد ان كان عليه ولا يتبعه شي من جريرته لان الاسلام
يجب ما قبله وتوبة الحربي لا تجب المظالم قال الحرالي والسلف هو الامر الماضي بكليته الباقي بجملته وقال وفي اعلامه ايذان
بتحليل ما استقر في ايديهم من ربا الجاهلية ببركة توبتهم من استيناف العمل به في الاسلام لما كان الاسلام يجب ما
قبله وفي طي اشعاره تعريض بوده لمن باخذ لنفسه بالافضل وبتقوى اشعاره قوله **وامره الى الله** انتهى اي فهو يعامله
بما له من احاطة الجلال والاكرام بما يعلمه من نيته من خلوص وغيره ولما كان هذا المربون بعد هذا الزاجر بعيدين من
رحمة الله عبر عنهم سبحانه باداة البعد في قوله **ومن عاد** اي الى تحليل الربا بعد انتهائه عنه نكوبا عن حكمة ربه **فاو**
لئك اي البعداء من الله **اصحاب النار** ولما كانت بنتيجة الملازمة قال **هم فيها خالدون** ولما كان المرغب في الربا ما فيه من الربح
الناجز المشاهد والمنفر عن الصدقة كونها نقصا محققا بالحس بين ان الربا وان كان بصورة الزيادة فهو نقص له
وان الصدقة وان كانت بصورة النقص فهي زيادة لان ذلك انما هو بيده سبحانه لما شاء محقه وان كان كثيرا وما
اراد نماه وان كان يسيرا فقال كالتعليل للامر بالصدقة والنهي عن الربا او يكون فاعله من اهل النار **يمحق الله**
اي بماله من الجلال والقدرة **الربا** بما يفتح له من ابواب المعارف قال الحرالي والمحق الاذهاب بالكلية بقوة وسطوة
ويربي اي يزيد **الصدقات** بما يفيد عنها من مثل ذلك ويربح في تقلباتها ويجوز كونه استينافا وذلك انما تقرر
ان فاعليه من اصحاب النار ربما سيق مساق الجواب لمن كانه قال وان تصدقوا من اموال الربا وانفقوا في سبيل الخير اعلاما
بان الربا مناف للخير فهو مما يكون هبا منثورا والماذن جعلهم من اصحاب النار ان من لم يتب عن الربا اصلا او انتهى وعاد
الى فعله موبق في شرك الشرك قاطع بخوه عقبات تقتلان منها في انتهاك حرمة الله سترا بانه في عدم الانتهاكه
والاستهانة بها في العود اليه الثالثة انتهاك حرمة عباد الله فكان اثمه منكرا واسبال عاقبته لا يقع الا كذلك عبر كما
بصيغة المبالغة في قوله عطفا على ما تقديره فلبلا لما قبله فالمتصدق مومن كريم والمربي كفار اثيم **والله** المتصف
بجميع صفات الكمال **لا يحب كل كفار** اي في واجب الحق وحده وما شرع من اياته وسترها والاستهانة بها او كفار لنعمته
سبحانه بالاستطالة بما اعطاه على سلب ما اعطى عباده **اثيم** في واجب خلقه اي منهمك في تعاطي ما حرم من اختصاصه
بالربا وغيره فلذا لا يفعل معهم سبحانه فعل المحب لا بالبركة في اموالهم ولا باليمن في احوالهم وهذا النفي من عموم السلب

وطريقة انك تعتبر النفي اولاً ثم تنسبه الى الكل فيكون المعنى انتفى عن كل كما رايتهم حيه وكذا كل ما ورد عليك من اشباه هذه ان اعتبرت
النسبة الى الكل اولاً ثم نفيت فهو لسلب العموم وان اعتبرت النفي اولاً ثم نسبته الى الكل فلعموم السلب وكذلك جميع القيود فالكلام المشتمل
على نفي وقيد قد يكون لنفي التقييد وقد يكون لتقييد النفي فمثل ما ضربته تاديبا اي بل اهانة سلب للتعليل والعلة للفعل وما ضربته
اكراما له اي تركت ضربه للاكرام تعليل للسلب والعلة للنفي وما جاني راكبا اي بل ماشيا نفي للكيفية وما حج مستطيعا اي ترك
الحج مع الاستطاعة تكييف للنفي وقد اشبع الشيخ سعد الدين التفتازاني رحمه الله الكلام في ذلك في شرحه للمقاصد في بحث الرؤية
عند استدلال المعتزلة بقوله تعالى لا تدركه الابصار ولما بين تعالى ما سلبه عن الكافرين من محبته اتبعه ما اثبته للمؤمنين له
المصدقين من رحمته الملوح اليهم فيما قبل بالعطف على غير معطوف عليه ظاهر كما تقدم انفا على وجه لم يخله من ذكر النفقة فقال
تعالى مشيرا الى قسيم ومن عاد ان الذين امنوا اي صدقوا بجميع ما اتاهم به الرسل عن الله وعملوا تصديقا لايمانهم الصالحات
ايتمارا وانتهاء لا سيما ترك الربا ولما كانت الصلاة زبدة الدين فيما بين الحق والخلق خصها بالذكر فقال واقاموا الصلاة بجميع
حدودها ولان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولما كان الايثار اجل ما بين الحق والخلق وزبدته اخراج الواجب من المال عن طيب نفس
قال واتوا الزكاة فضلا عن ان يبخلوا فضلا عن ان يربوا ودل على ان جزاءهم بحسب ثبات ثباتهم في فتنة الردة بقوله لهم اجرهم واعلم
بحفظه وتنميته بقوله عند ربهم واذن بتمام الانتفاع بقوله ولا خوف عليهم اي من طارق يطرقهم بغير ما بلاء بهم لانهم في كنف
العزيز العليم ولا هم يحزنون على شيء فاتهم فهم في غاية الرضى بما نالهم ولعظيم الجدوى في ذلك كرر في هذه الايات غير مرة دنوه به
كرة في اثر كرة ولما كانت نتيجة الاية الماضية في الاعتماد على ما عند الله من الاجر وعدم الحزن على ما فات من ربا او غيره والخوف من شيء ات
من فقر او غيره ترك كل شيء ينسب الى الربا وكان بين اهل الاسلام واهل الجاهلية وبين بعضهم وبعض معاملات في الجاهلية ربوية
لم تتم بعد بين امرها تعقيبا لما قد يتوهم من قوله سابقا فله ما سلف من تحليل بقايا الربا وانه انما نهى عن ما يحدث منه فقال مخاطبا
لاقرب من ذكره ممن تلبس بالايمان ولم يلتفت الى غيرهم تشويقا لهم يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالتصديق بالسنتهم ولما كان الربا
قد يكون موجلا فيكون صاحبه قد مضت عليه مدد وهو موطن نفسه على اخذه فيصير الكف عنه يعدل الموت عنده ابلغ
قالي في التشديد بهذه المواعظ فقال اتقوا الله اي الذي له جميع العظمة تصديقا لاقراركم وذروا اي اتركوا اي ترك كان ما
بقي من الربا اي الذي كنتم تتعاملون به فلا تستحلوه ولا تاكلوه ولما لوح في اول الاية الى ان من اصر فهو غير صادق في دعوى الايمان صرح له
بذلك في اخرها فقال ان كنتم مومنين اي متصفين بما ذكرتموه بالسنتكم قال الحرالي فبين ان الربا والايمان لا يجتمعان واكثر بلايا
هذه الامة حتى اصابها ما اصاب بني اسرائيل من لباس الشيع والانتقام بالسنين انما هو من عمل من عمل بالربا وهذه الاية اصل
عظيم في احكام الكفار اذا اسلموا لما مضى منها لا ينقض وما لم يحصل لم يفعل نبه عليه الاصبهاني ولما كان من حق من عاند السيد
الاحد سبب عن ذلك قوله فان لم تفعلوا اي ترك الربا قال الحرالي في اشعاره ان طائفة منهم لا يذرونه بعد تحريمه مما انهم
ليسوا من الذين كانوا امنوا انتهى فاذنوا بحرب اي عظيمة قال الحرالي والحرب مدافعة بشدة عن اتباع المدافع بما يطلب منه
الخروج عنه فلا يسمح به ويدافع به باشد مستطاع ثم عظم امرها بايراد الاسم الاعظم فقال من الله العظيم الجليل ورسوله الذي
هو اعظم الخلائق بتشريفه بالاضافة اليه وقال الحرالي الذي سماه نبي الرحمة فكان نبي الرحمة محاربا له فانقطعت وصلة من الرحيم
والشفيع انتهى وان تبتم اي تعلمه بعد الاذن بالقتال او قبله مما امركم الله به من ترك ما بقي منه فلكم رءوس اموالكم اي كما هو حال
البيع الماكان ذلك هو العدل لانه الحق قال لا تظلمون اي باخذ شي مما بقي من الربا ولا تظلمون فينقص من راس المال او دفع بمطل
ولما كان الناس منقسمين الى موسر ومعسر اي غني وفقير كان كانه قيل هذا حكم الموسر وان كان اي وجد من المدينين ذو عسرة
لا يقدر على الادا في هذا الوقت فنظرة اي فعليكم نظرة له قال الحرالي وهي التاخير المترقب نجازه الى ميسرة ان لم ترضوا الا انه
باخذ اموالكم وقرا نافع بضم السين قال الحرالي انبا عن استيلاء اليسر وهي اوسع المنظرتين والباقون بالفتح ابتغاء توسطها فيكون
اليسر في ذلك لمن استطار الى اوسع اليسرين كان افضل توبة انتهى وان تصدقوا اي وصدقتكم على المعسر بتركه له خير لكم
في الدنيا بما يبارك الله لكم ويعوضكم وفي الاخرة بما يجزل لكم من الاجر ولما كان كل احد يدعي العلم ويانف اشد انفة من النسبة له
الى الجهل قال ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من ذوي العلم فانتم تعرفون صحة ما دعوتكم اليه مما يقتضي الادبار عنه او الاقبال عليه فاذا
تحققتم ذلك فامتثلوه فانه يقبح على العالم بقبح الشيء الاصرار عليه والا فبينوا انه ليس بخير والا فانتم من اهل الاعوجاج بالجهل فقوموا
بالحرب والطعن والضرب كالسباع الضارية والذئاب العاوية وقال الحرالي فاعلم سبحانه ان من وضع كيانه للعلم فكان ممن يجزم
علمه فعله لان خير الترك خير من خير الاخذ فاحسن بترك جميعه انتهى وروى البخاري في التفسير عن عائشة رضي الله عنها قالت
لما نزلت الايات الاواخر وفي رواية من اخر سورة البقرة في الربا قراهن النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية على الناس في المسجد
ثم حرم التجارة في الخمر وله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اخر اية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم اية الربا ولابي عبيد عن ابن
شهاب قال اخر القران عهدا بالعرش اية الربا واية الدين وله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اخر اية انزلت من القران
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله قال زعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بعدها تسع ليال وبدي به يوم
السبت ومات يوم الاثنين انتهى ولا مخالفة لانها من ايات الربا والدين وروى الحديث ابو عمرو الداني في كتاب البيان في عدد

اي القران وقال فيه قال الملك اجعلها على راس ثمانين ومائتين من البقرة ولما كان من المعلوم انه ليس لاحد محبة
سبحانه تحجزه كان التقدير فامتثلوا ما امرتم به واجتنبوا ما نهيتم عنه فعطف عليه تخويفا من يوم العرض عليه والجزاء
بين يديه فقال وقال الحرالي لما انتهى الخطاب بامر الدين وعليه وامر الاخرة على وجوهها واظهار حكمتها المرتبطة بامر الدنيا
وبين امر الانفاق والربا الذي هو غاية امر الدين والدنيا في صلاحهما وانتهى ذلك الى الموعظة بموعود جزائه في الدنيا والاخرة
احل الموعظة بتقوى يوم الرجعة الى احاطة امره ليقع الختم باجمل موعظة واشملها ليكون انتهاء الخطاب على ترهيب
الانفس لتجتمع عزائمها على ما هو ملاك امرها من قبول صلاح دينها ودنياها ومعادها من خطاب الله لها ليختم ذلك
بكمال معناه بهذه الاية كما انها هي الاية التي ختم بها التنزيل انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الشكاية
وهي اخر اية انزلت عليه في مقابلة اقرا باسم ربك الذي هو اول منزل النبوة ويا ايها المدثر الذي هو اول منزل
الرسالة فكان اول الامر نذارة واخره موعظة تبعث النفس على الخوف وتبعث القلب على الشوق من معنى ما
اختتم امر خطاب الله في اية سلك يوم الدين انتهى فقال تعالى واتقوا يوما اي في غاية العظم ترجعون فيه حسا
بعد انكم كما انتم في الدنيا ومعنى بجميع اموركم رجوعا ظاهرا لا يحجبه شي من الاسباب ولا يحول دونه عارض رتبا الى الله
الذي لا يحصر عظمته وصف ولا يحيط بها حد فيكون حالكم بعد النقلة من الدنيا كحالكم قبل البروز اليها من البطن
لا تصرف لكم اصلا ولا متصرف فيكم الا الله فيكون حالكم في ذلك اليوم الاعسار لانه لا يمكن احدا ان يكافي ما لله عليه
من نعمه فمن نوقش الحساب عذب فان كنتم تحبون المجاوزة عنكم هنالك فتجاوزوا انتم عن احوالكم اليوم وتصدقوا
ما دمتم قادرين على الصدقة واتقوا النار في ذلك اليوم ولو بشق تمرة واشار سبحانه الى طول وقوفهم ذلك
الموقف في مقام الهيبة وتمادي حبسهم في مشهد الجلال والعظمة باداة التراخي في قوله ثم قال الحرالي قيل له
يا رسول الله اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال في الظلمة دون الجسر وقال صلى الله عليه وسلم
يقيمون في الظلمة الف سنة وورد عن علي رضي الله عنه في تفصيل مواقف يوم الجزاء ان الخلق يوقفون على قبورهم
الف سنة ويساقون الى الحشر الف سنة ويوقفون في الظلمة الف سنة ثم يكون انشقاق السموات السبع وتبديل
الارض وما شاء الله من امره انتظار المجيء فتغيا عمر مقاله والله اعلم ان ذلك يكون ستة الاف سنة وانها كما بنيت في ستة
ايام تهدم في ستة ايام كما بدانا اول خلق نعيده فيكون ذلك نسخة ايام ويكون المجيء في اليوم العاشر الذي هو يوم عرفة
عاشورا اذ ذلك اليوم الذي تكرر مجيء امره فيه في يوم الدنيا ثم وصف عليه السلام المواقف الى منتهاها هنا انتهى ولما كان انتقاد
الانسان على كل ما عمل من سر وعلن في غاية الكراهة اليه فضلا عن جزائه على كل شي منه لا بالنسبة الى موقف معين
بني للمفعول قوله توفى اي تعطى على سبيل الوفاء كل نفس ما كسبت اي من خير وشر قال الحرالي جا بصيغة فعل المشعر
بجري العمل على غير تكلف وتحمل ففي استعاره انها توفى ما كسبت من الخير وما كوتبت له من الشر وان ما تكلفته من الشر في
وحلتها كراهية ربما غفر لها حيث لم تكن توفى ما كسبت وما اكتسبت كما قال في الاية التي بعد هذا لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت فكان مكتسبها عليها وربما غفر لها فانها وفيت ما كسبته من الشر واشتمل عليه ظاهرها وباطنها حتى
يسرف لها انتهى ولما كانت عادة الناس انه اذا بقي شي يسير وقع في محل المسامحة وكان اليسير يختلف باختلاف الاصل
فالالف مثلا يتسامح فيه بمائة مثلا بين ان الامر عنده على غير ذلك فقال وهم لا يظلمون شيا من الاشيا ولو قل وهذا
اشارة الى العدل بين عباده قال الحرالي وهذه الاية ختم التنزيل وختم لتمام المعنى في هذه السورة التي هي سنام القران
وفسطاطه وختم لكل موعظة وكل ختم فهو من خواص المحمدية الجامعة المفصلة من سورة الحمد المشيرة الى تفاصيل عظم
امر الله في حقه وفي خلقه وفيما بينه وبين خلقه انتهى ولما نهى سبحانه عن الربا وكان احد مدايناتهم وكان ضرب من الدين مأذونا
فيه وهو من انواع الانفاق مع دخوله في المطالبة برءوس الاموال عقب ذلك باية الدين وايضا فانه تعالى لما ذكر في المال
امرين بنقصانه وبركاته باطنا وترك الربا اذن في رءوس الاموال وامر بالانظار في الاعسار وختم بالتهديد فكان ذلك
ربما اطمع المدين في شي من الدين ولو بدعوى الاعسار اقتضى حال الانسان لماله من النقصان الارشاد الى حفظ المال الحلال
وصونه عن الفساد والتنبيه على كيفية التوثق فقال يا ايها الذين امنوا كالذي تقدمه اذا تداينتم من التداين تفاعل من
بين اثنين من الدين والدين في الامر الطا هو معاملة على تاخير كما ان الدين بالكسر فيما بين العبد وبين الله معاملة على تاخير
قاله الحرالي اي وسلم بعضكم ذلك والدين مال مرسل في الذمة سوا كان موجلا او لا وهو خلاف الحاضر والعين وقال بدين
ليخرج بيع الدين بالدين لانه مداينة بدينين قال الحرالي فكان في اعلامه اي بالاتيان بصيغة اذا انهم لا بد ان يتداينوا لا
حين ينتظره في اغلب معناها انتهى وارشد الى ضبطه بالوقت اشارة الى انه يجوز كونه حالا والى ان الاجل وهو الوقت المحدود
واصله التاخير ان كان مجهولا كان باطلا بقوله الى اجل مسمى قال الحرالي من التسمية وهي تلقي الشي باسمه للسمع في معنى
المصور وهو ابدا الشي بصورته في العين ولما كان الله تعالى وهو العليم الخبير قد اجرى سنته في دينه بالكتابة فامر ملائكته
وهم الامنا العدول باثبات اعمال الخلق والحكم ومصالح لا تخفى وانزل كتابه الشريف شهادة لهم وعليهم بما يولونه في يوم

الدين من ثواب وعقاب فقطع بحجتهم امورهم ان يكون علمهم في الدين كما كان نفعله في الدين فارشدهم الى اثبات ما يكون بينهم من المعاملات لئلا يجر ذلك الى المخاصمات فقال تعالى امرا للارشاد لا للايجاب فاكتبوه وفي ذكر الاجل اشارة الى البعث الذي وقع الوعد بالوفاء فيه افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ولما امر بالكتابة وكان المراد تحصيلها في الجملة لا من احد بعينه لان اغلب الناس لا يحسنها اتبعها الارشاد الى تخير الكاتب بقوله وليكتب بينكم اي الدين المذكور وان كان صغيرا او عبدا كاتب متصف بالعدل استئناسا به سبحانه في ملائكته وان عليكم لحافظين كراما كاتبين بايدي سفرة كرام بررة ولما ارشد الى تخير الكاتب تقدم اليه بالنهي بعد ما لعله درا للمفاسد ثم الامر فقال ولا يأب كاتب ان يكتب اي مانعا بابيه من ذلك كما علمه الله اي الذي هو غني عنه وعن غيره من خلقه شكرا له على تلك النعمة وكتابة مثل الكتابة التي علمها له سبحانه لا ينقص عنها شيئا فليكتب كرر ذلك تنبيها على تاني بذل الجهد في التنصح من الشفقة ولما كان ذلك وكان لا بد فيه من ممل يبين من يجب املاؤه للمكتوب فقال وليملل من الاملال وهو الاملاء لما تشتمل عليه الضماير على اللسان قولا وعلى الكتابة رسما قاله الحرالي الذي عليه الحق ليشهد عليه المستملي ومن حضره ولما كانت الانفس مجبولة على محبة الاستيثار على الغير حذرها مما لا يحل من ذلك فقال وليتق الله فعبر بالاسم الاعظم ليكون ازجر للمأمور ثم قال ربه تذكيرا بانه لاحسانه لا يأمر الا بخير وترجية للعوض في ذلك اذا ادى فيه الامانة في الكم له والكيف من الاجل وغيره واكد ذلك بقوله ولا يبخس من البخس وهو استواء النقص الذي لا تسمح به الانفس لبعده عن محل السماح الى وتوقعه في حد الضيم منه شيئا ولما كان هذا المملي قد يكون لا في العبارة وكان الاملا لا يعقد عليه كل احد قال تعالى فان كان الذي عليه الحق سفيها فلا يعتبر اقراره لضعف رأيه ونظره ونقص حظه من حكمة الدنيا او ضعيفا عن الاملاء في ذلك الوقت لمرض او غيره من صبي او جنون او نحو من الضعف وهو وهن القوى حسا او معنى او لا يستطيع ان يمل هو لعي او حيا او عجمة ونحوه فليملل وليه القائم بمصالحه من اب او وصي او حاكم او ترجمان او وكيل بالعدل فلا يحيف عليه ولا على ذي الحق قال الحرالي لجعل لسان الولي لسان المولى عليه لكان فيه مثل لما نزل به الكتاب من اجرا كلام الله على السنة خلقه في نحو ما تقدم من قوله اياك نعبد واياك نستعين وما تفصل منها الله ولي الذين امنوا امثل ما عليهم من الحقوق له لجعل كلاما من كلامه يتلونه فكان الاملاء منه لهم تلقيا صرفهم عن واجب حقه تقاصرا لسفهه ومن منعه عن املاك وليه عنه وتوليه وتمكن استطاعته انتهى ولما لم يكن بين الكتابة والشهادة ملازمة نص عليها وبين اهلها فقال واستشهدوا اي اطلبوا الشهادة واوجدوها مع الكتابة ودونها شهيدين قال الحرالي لجعل شهادة الدين باثنين كما جعل الشاهد في الدين اثنين شاهدا يتفكر في الايات المرئية وشاهدا التدبر للايات المسموعة وفي صيغة فعيل مبالغة في المعنى في تحقق الوصف بالاستبصار والخبرة انتهى ولما بين عدد الشاهد بين نوعه فقال من رجالكم واعلم بالاضافة اشتراط كونه مسلما والاطلاق هذا الذي ينصرف الى الكامل مع ما يؤيده في الاية يفهم الحرية كقوله ولا يأب الشهداء والاتيان بصيغة المبالغة في الشاهد وتقييده مع ذلك بالرضى وتعريف الشهداء ونحوه قال الحرالي ولكثرة المداينة وعمومها وسع فيها الشهادة فقال فان لم يكونا اي الشاهدان رجلين اي على صفة الرجولية كلاهما فرجل وامرأتان وفي عموم معنى الكون اشعار بتطرق لشهادة المرأتين مع امكان طلب الرجل بوجه ما من حيث لم يكن فان لم يجد وافقه يهدف للخلاف بوجه ما من حيث ان شمول الكتاب توسعة في العلم سوا كان على تساو او على ترتب له ولما كن ناقصات عقل ودين جعل ثنتان منهن مكان رجل انتهى ولما بين العدد بين الوصف فقال ممن ترضون اي في العدالة من الشهداء هذا في الديون ونحوها قال الحرالي وفي مفهوم الشهادة استبصار نظر الشاهد لما في الشهود من ادراك معنى خفي في صورة ظاهرة يهدي اليها النظر الثاقب انتهى ولما شرط في القيام مقام الواحد من الرجال العدد من النسا علله بما يشير الى نقص الضبط فيهن فقال ان تضل احديهما اي تغيب عنها الشهادة فتنساها او شيئا منها فتذكر احديهما الاخرى فتهتدي الى ما ضلت عنه بواسطة المذاكرة قال الحرالي بما هي اعرف بمداخل الضلال عليها لان المتقاربين اقرب في التعاون وفي قراءتي التخفيف والتثقيل اشعار بتصنيف النسا صنفين في دينة هذه الشهادة من يلحقها الضلال عن بعض ما شهدت فيه حتى تذكر بالتخفيف ولا يتكرر عليها ذلك ومن شانها ان يتكرر عليها ذلك وفي ابهامه بلفظ احدى اي من غير تعيين اقتصار على الضمير الذي يعين ما يرجع اليه اشعار ان ذلك يقع بينهما متناوبا حتى ربما ضلت هذه عن وجه وضلت تلك عن وجه اخر فاذكرت كل واحدة منهما صاحبتها فلذلك يقوم بهما معا شاهد واحد فقط انتهى وفي ذكر الاذكار وضع من الشهادة بدون الذكر والاية من الاحتياط ولما افهم ذلك الحث على الشهادة صرح به في قوله ولا يأب الشهداء اي تحمل الشهادة وادائها بعد التحمل اذا ما دعوا وتاجا زما بما افهمته زيادة ما ولما تم ذلك وكان صغير الحق وكبيره ربما تركت كتابته تهاونا بالصغير ومللا للكبير حذر من ذلك ولم يجعله في صلب الامر قبل الاشهاد بل افرده بالذكر له تعظيما لشانه فقال ولا تسأموا من السامة قال الحرالي فيها مبالغة وهو سمة الملالة ان تكتبوه اي لا تفعلوا فعل السئم فتتركوا كتابته صغيرا كان الدين او كبيرا طالت الكتابة او قصرت قال الحرالي ولم يكن قليلا او كثيرا لان الكثرة والقلة واقع بالنسبة الى الشي المعدود في ذاته والصغر والكبر يقع بالنسبة الى المداين فربما كان الكثير في العدد صغيرا لعد وعند الرجل الجليل المقدار وربما كان القليل العدد كثيرا بالنسبة الى الرجل المشاح منه فكان الصغر والكبر اشمل وارجع الى حال المداين الذي هو

المخاطب بان يكتبا انتهى الى اجله اي الذي تواقفتم وتواثقتم عليه ولما كان كانه قيل ما فائدة ذلك فقيل ذلكم اشارة باداة البعد وميم الجمع الى عظم جدواه قال الحرالي ولبيانه ووضوحه عندهم لم يكن انباء على النبي صلى الله عليه وسلم الذي يحمل عليه في الاسود الحقية انتهى اقسط اي اعدل فقد نقل عن ابن السيد انه قال في كتابه الاقتضاب ان قسط بمعنى جار وبمعنى عدل وقال الحرالي اقسط من الاقساط وهو وضع القسط وهو حفظ الموازنة حتى لا يخرج الى تطفيف ثم زاد تعظيمه بقوله عند الله اي الذي هو محيط بصفات الكمال بالنسبة الى كل صفة من صفاته لانه يحمل على العدل بمنع المغالطة والتلون في شي من احوال ذلك الدين واقوم للشهادة اي اعدل في قيام الشهادة اذا طلب من الشاهد ان يقيمها بما هو مضبوط له وعليه وادنى اي اقرب في ان لا ترتابوا اي تشكوا في شي من الامر الذي وقع قال الحرالي ففيه اشعار انه ربما داخل الرجل والرجلين نحو ما داخل المرأتين فيكون الكتاب مقيما للشهادة دونهما فيعنى عن الرجال الريبة بالكتاب كما يغني عن اتيان الضلال بالذكرى انتهى ولما كان الدين المؤجل اعم من ان يكون قرضا او تجارة ينمي بها المال المأمور له بالانفاق منه في وجوه الخير النافعة يوم الدين وكان قد اكد في امر الكتابة تاكيدا ربما ظن معه الحث عليها ولو لم يكن اجل نبه على ان العلة فيها الاجل الذي هو مظنة النسيان المستولي على الانسان بقوله الا ان تكون اي المداينة تجارة حاضرة هذا على قراءة عاصم وكان في قراءة غيره تامة تديرونها بينكم اي يدا بيد من الادارة قال الحرالي من اصل الدور وهو وهو رجوع الشي عودا على بدء فليس عليكم جناح اي اعتراض في ان لا تكتبوها اي لانها مناجزة ومعرض زايله يكاد يستقر في يد احد لان القصد به المتجر الاستنفاق بعدما تختشى من التجاحد ولما كان البيع اعم من ان يقصد به المتجر او غير ذلك من وجوه الانتفاع قال واشهدوا اسوا كانت كتابة اولا اذا تبايعتم اي على وجه المتجر عاجلا او اجلا او لا للمتجر لان الاشهاد ابعد من الخلاف واقرب الى التصاف بما فيه من الانصاف والامر للارشاد فلا يجب ولما لزم في صدد الخطاب الكاتب ان يكتب والشهيد ان يجيب ولا يأبى اكد ذلك بصيغة تشمل المستكتب والمستشهد فقال ناهيا ولا يضار يصح ان يكون للفاعل وللمفعول وهو صحيح المعنى على كل منهما كاتب ولا شهيد اي لا يحصل ضرر منهم ولا عليهم قال الحرالي ففي الاحد تعريض بالاحسان منه للشهيد والكاتب ليجيبه لمراده ويعينه على الاتيان والمامور به بما يدفع عنه من ضرر عطلته واستعماله في امر من امور دنياه ففي تعريضه اجازة لما ياخذه الكاتب ومن يدعا لاقامة معونة في نحوه مما يعوض له فيما يضره التخلي عنه انتهى وان تفعلوا اي ما نهيتم عنه من الضرار وغيره فانه فسوق اي خروج بكم من الشرع الذي شرعه الله لكم قال الحرالي وفي صيغة فعول تاكيد فيه وتشديد في النذارة انتهى وختم ايات هذه المعاملات بصفة العلم بعد الامر بالتقوى في غاية المناسبة لما يفعله المتعاملون من الحيل التي يجتلب كل منهم بها الحظ لنفسه له والترغيب في امتثال ما امرهم به في هذه الجمل بانه من علمه وتعليمه فقال تعالى عاطفا على ما تقدم من امر ونهي ادال ما تقديره فافعلوا ما امرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واتقوا الله اي خافوا الذي له العظمة كلها فيما امركم ونهاكم من هذا وغيره ولما كان التقدير واستبينا فالبيان تحامة هذه التنبيهات يرشدكم الله الى مثل هذه المراشد لاصلاح ذات بينكم عطف عليه قوله ويعلمكم الله اي يعد رتبكم الذي له الكمال كله بذلك على العلم وقال الحرالي وفي قوله يعلم بصيغة الدوام ايذان بما يستمر به التعليم من دون هذا المثال انتهى والله اي الذي له الاحاطة الكاملة بكل شي عليم وهذا الختم جامع لبشرى التعليم ونذارة التهديد ولما كان التقدير هذا اذا كنتم حضورا يسهل عليكم احضار الكاتب والشاهد عطف عليه قوله وان كنتم ولما كان الانسان في السفر يكون مستجمع القوى كامل الالات تام الاهبة عبر باداة الاستعلاء فقال على سفر يعوز مثله احضار كاتب ولم تجدوا كاتبا فرهن اي فيغنيكم عن الكتب رهن يكون بدلا عنه وفي قراءة فرهان وكلاهما جمع رهن بالفتح والاسكان وهو التوثقة بالشي لما يعادله بوجه ما قاله الحرالي واشار بان بدليتها لا تفيد الا بما وصفها به من قوله مقبوضة اي بيد رب الدين وثيقة لدينه ولما كان التقدير هذا ان خوفتم من المداين عطف عليه قوله فان امن ولما كان الايمان تارة يكون من الداين وتارة يكون من الراهن قال بعضكم بعضا اي فلم تفعلوا شيئا من ذلك فليؤد اي يعطي من الادا وهو الاتيان بالشي لميقاته ولما كان المراد التذكير بالاحسان بالايمان ليشكر ولم يتعلق غرض بكونه من محسن معين بني للمفعول قوله الذي اؤتمن من الايمان وهو طلب الامانة وهو ايداع الشي لحفيظته حتى يعاد الى المؤتمن قال الحرالي امانته وهو الدين الذي ترك المؤتمن التوثق به من المدين احسانا اليه وحسن ظن به وكذا ان كان الايمان من جهة الراهن وليتق الله المستجمع لصفات العظمة ربه الذي رباه في نعمه وصانه من باسه ونقمه وعطف عليه قلب من اعطاه وايتمنه ليؤدي الحق على الصفة التي اخذه بها فلا يخون في شي مما اوتمن عليه ولما كانت الكتابة لاجل اقامة الشهادة وكانت الانفس مجبولة على الشح موسوسة على حب الاستيثار فيحصل بسبب ذلك تخاصمات وتشتد عنها المشاححات وربما كان بعض المتخاصمين ممن يخشى امره ويرجى بره فيحمل ذلك الشهود على السكوت قال تعالى ولا تكتموا الشهادة اي سواء كان صاحب الحق يعلمها اولا ولما نهى اتبع النهي التهديد فقال ومن يكتمها فانه اثم ولما كان محلها القلب الذي هو عمدة البدن قال قلبه ومن اثم قلبه فسد ومن فسد قلبه فسد كله لان القلب

توام البدن اذا فسد فسد ساير الجسد ولما كان التقدير فان الله عالم بانه كتم وكان للتشهد جهات تتصرف بها الشهادة عن وجه الاقامة عطف عليه قوله ليشمل التهديد تلك الاعمال باحاطة العلم والله اي المحيط بجميع صفات الكمال ولما كان الانسان هو المقصود الاعظم من ساير الاكوان فكانت احواله مضبوطة بانواع من الضبط كان العلم البليغ مقصورا عليه فلذلك قدم قوله بما تعملون اي كله وان دق سوا كان بعمل القلب وحده او لا عليم قال الحرالي فانهي امرها بين الحق والخلق بمثل لا وامرها بين الخلق والخلق مثلا انتهى ولما اخبر عن سعة علمه دل عليه بسعة ملكه المستلزم لسعة قدرته ليدل ذلك على جميع الكمال انه قد ثبت كما قال الاصبهاني ان الصفات التي هي كمالات حقيقية ليست الا القدرة والعلم المحيط فقال واعدا للمطيع متوعدا للعاصي مصرحا بان افعال العباد وغيرها مخلوق له وقال الحرالي ولما كان اول السورة اظهار كتاب التقدير في الذكر الاول كان ختمها له ابدا اثر ذلك الكتاب الاول في الاعمال والجزا التي هي الغاية في ابتدا امر التقدير بوقوع الختم بانه سلب الخلق ما في ايديهم مما ابدوه وما اخفوه من اهل السموات والارض انتهى فقال لله اي الملك الاعظم ولما كانت ما ترد لمن يعقل وكان اغلب الموجودات جمادات عبر بها فقال ما في السموات اي كله على علوها واتساعها من ملك وغيره وما في الارض مما تعقلونه وغيره من عاقل وغيره بما فيهما يفعل فيهما بما يشا ويمحو عما يشا ويعطي من يشا ويمنع من يشا ويصف لمن يشا ولما كان التقدير فهو يعلم جميع ما فيهما من كتمانكم وغيره ويتصرف فيه بما يريد عطف عليه محذرا من يكتم الشهادة او يضمر سوا غيرها او يظهره قوله تعالى وان تبدوا اي تظهروا ما في انفسكم من شهادة او غيرها او تخفوه مما وطنتموه في النفس وعزمتم عليه وليس هو من الخواطر التي كرهتموها ولم تعزموا عليها قال الحرالي من اخفا وهو تغييب الشي وان لا يجعل عليه علم يهتدي اليه من جهته يحاسبكم من المحاسبة مفاعلة من الحساب والحسب وهو استيفا الاعداد فيما للمرء وعليه من الاعمال الظاهرة والباطنة يعني يجازي بها به الله اي يذكره لكم وانتم تعلمون ما له من صفات الكمال قال الحرالي وفي ضمن صدق الخطاب لاولي العلم ايما بان الله سبحانه اذا عاجل العبد بالحساب بحكم ما يفهمه ترتيب الحساب على وقوع العمل حيث لم يكن فيه حاسبكم مثلا فقد اعظم اللطف به لان من حوسب بعمله عاجلا في الدنيا خف جزاؤه عليه حيث يكفر عنه بالشوكة يشاكها حتى بالقلم يسقط من يد الكاتب فيكفر عن المومن كل ما يلحقه في دنياه حتى يموت على طهارة من ذنوبه وفراغ من حسابه كالذي يتعاهد بدنه وثوبه بالتنظيف فلا يتسخ ولا يدرن ولا يزال نظيفا انتهى وفيه تصرف ولما كانت حقيقة المحاسبة ذكر الشي والجزا عليه وكان المراد بها هنا العرض وهو الذكر فقط بدلالة التقسيم دل عليه بقوله مقدما للترجية معادلة لما افهمه صدر الاية من التخويف فيغفر لمن يشا اي فلا يجازيه على ذلك كبيرة كان او لا ويعذب من يشا بتكفير او جزا ولما اخبر سبحانه بهذا انه مطلق التصرف ختم الكلام دلالة على ذلك بقوله مصرحا بما لزم تمام علمه من كمال قدرته والله الذي لا امر لاحد معه على كل شي قدير اي ليس هو كملوك الدنيا يحال بينهم وبين ما يريدون بالشفاعات وغيرها قال الحرالي فسلب بهذه الاية القدرة عن جميع الخلق انتهى وقد ذهب بعض العلما الى ان هذه الاية خاصة بامر الشهادة وقال الاكثرون هي عامة كما فهمها الصحابة رضوان الله عليهم في الوسوسة وحديث النفس المعزوم عليه وغيره ثم خففت بما بعدها روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات الاية الى قدير اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما لا نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد انزلت هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها السنتهم انزل الله في اثرها امن الرسول بما انزل اليه الى المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فانزل لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى او اخطانا قال نعم قال البغوي وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قد فعلت واستمر الى اخر السورة كلها فراها جملة قال نعم فقد تبين من هذا ان سبب هذه الايات واما مناسبتها لاول السورة ردا للمقطع على المطلع فهو انه لما ابتدا السورة بوصف المومنين بالكتاب الذي لا ريب فيه على الوجه الذي تقدم ختمها بذلك بعد تفصيل الانفاق الذي وصفهم به اولها على وجه يتصل بما قبله من الاوامر والنواهي الاتصاف باوصاف الكمال اشد اتصاف وجعل راسهم الرسول عليه الصلاة والسلام تعظيما للمدح وترغيبا في ذلك الوصف فاخبر بايمانهم بما انزل اليه بخصوصه وبجميع الكتب وجميع الرسل وبقولهم الدال على كمال الرغبة وغاية الضراعة والخضوع فقال استينافا جواب من كانه قال ما فعل من انزل عليه هذه الاوامر والنواهي وغيرها امن الرسول اي بما ظهر له من المعجزة القائمة على ان الاتي اليه بهذا الوحي ملك من عند الله كما امن الملك به بما ظهر له من المعجزة الدالة على ان الذي اتى به كلام الله امره الله بانزاله وعرفه اشارة الى انه اكمل الرسل في هذا الوصف باعتبار ارساله الى جميع الخلايق الذين هم بعد وانه الجامع لما تفرق فيهم من الكمال وانه المخصوص بما لم يعطه احد منهم من المزايا والافضال بما انزل اليه اي من ان الله يحاسب بما ذكر وغير ذلك مما امر بتبليغه وما اختص هو به ورغب في الايمان بما امن به بقوله من ربه اي المحسن اليه بجليل التربية المزكي له بجميل التزكية فهو لا ينزل اليه الا ما هو غاية في الخير ومنه ما حصل له في دنياه من المشقة قال الحرالي تقبل الرسول هذا الحساب الاول العاجل اليسير ليسر في امره منه وحظه في دنياه قال صلى الله عليه وسلم لما قالت له فاطمة رضي الله عنها عند موته واكرباه لا كرب على ابيك بعد اليوم

وكان صلى الله عليه وسلم اي فيما رواه ابو نعيم في الحلية عن انس رضي الله عنه ما اوذي احد في الله ما اوذيت فكان حظه من حكمة ربه في دنياه حتى كان يوعك كما يوعك عشرة رجال وما شبع من خبز بر ثلاثا تباعا حتى لقي الله وكذلك المومن من لا راحة له دون لقا ربه ولا شحى عليه بعد حزن وحبه من دنياه الحرج حظ كل مومن من النار انتهى ولما اخبر عن الراس اخبر عمن يليه فقال والمومنون معبرا بالوصف الدال على الرسوخ اي امنوا بما ظهر لهم من المعجزة التي اثبتت انه كلام الله بما دلت على ان الاتي به رسول الله ولما اجمل فصل فقال مبتدءا كل اي منهم قال الحرالي جمعهم في كلية كان قلوبهم قلب واحد لم يختلفوا لان القبول واحد والرد يقع مختلفا انتهى ثم اخبر عن ذلك المبتدا بقوله امن بالله اي لما يستحقه من ذلك لذاته لما له من الاحاطة بالكمال وملائكته الذين منهم النازلون بالكتب لان الايمان بالمنزل يستلزم ذلك وكتبه اي كلها ورسله كلهم من البشر كانوا او من الملائكة فان فيما انزل اليه صلى الله عليه وسلم الاخبار بذلك قال الحرالي انقيادا للامتثال من البشر ولما كان في الناس من يومن ببعض الانبيا ويكفر ببعض قال موكدا لما افهمته صيغة الجمع المضاف من الاستغراق اي قالوا لا نفرق كما فعل اهل الكتاب وعبر بما يشمل الاثنين لما فوقهما فقال بين احد اي واحد وغيره من رسله اي لا نجعل احدا منهم على صفة الفرقة البليغة من صاحبه في ذلك بل نومن بكل واحد منهم والذي دل على تقدير قالوا دون غيرها انه لما اكمل قولهم في القوة النظرية الكفيلة باعتقاد المبدا اتبعه قولهم في القوة العملية الكافية في الوسط عطفا عليها وقالوا سمعنا اي باذان عقولنا كل ما يمكن ان يسمع عنك وعلمناه واذعنا له واطعنا اي لكل ما فيه من امرك قال الحرالي فتداركوا اهل الكتاب في طليعة الابا وخالفوهم في معاجلة التوبة والاقرار بالسمع والطاعة فكان لهم ما للتائب وعلى اولئك ما على المصر انتهى ولما كان الانسان محل الزلل والنقصان اشاروا الى ذلك تواضعا منهم كما هو الاولى بهم لمقام الالوهية فقالوا مع طاعتهم معترفين بالمعاد غفرانك اي اغفر لنا او نسالك غفرانك الذي يليق اضافته اليك لما له من الكمال والشرف والجلال ما قصرنا فيه ولا تواخذنا به فانك ان تفعل ذلك تهلكنا والحاصل انهم طلبوا ان يعاملهم بما هو اهله لا بما هم اهله بما جراهم عليه في قوله فيغفر لمن يشا قال الحرالي فهذا القول من الرسول كشف عيان ومن المومنين نشر ايمان ومن القايلين للسمع والطاعة قول اذعان فهو شامل لجمع كل على رتبته انتهى وزاد واملغا بقولهم ربنا ذاكرين وصف الاحسان في مقام طلب الغفران قال الحرالي وهو خطاب قرب من حيث لم تظهر فيه اداة ندا ولم يجر الله على السنة المومنين في كتابه العزيز ندا بحرف والغفران فعلان صيغة مبالغة تعطي الملي ليكون غفرا للظاهر والباطن وهو مصدر محيط المعنى نازل منزلة الاستغفار الجامع لما احاط به الظاهر والباطن مما اودعته الانفس التي هي مظهر حكمة الله التي وقع فيها مجموع الغفران والعذاب فيغفر لمن يشا ويعذب من يشا ففي ضمنه بشرى بتعيين القايلين المذعنين ومن تبعهم بالقول لحال المغفرة لان هذه الخواتيم مقبولة من العبد بمنزلة الفاتحة لاجتماعهما في كونهما من الكنز الذي تحت العرش وعلى ما ورد من قوله حمدني عبدي الى ان قال ولعبدي ما سال وعلى ما ورد في دعا هذا الختم في قوله قد فعلت وبما ابتدا تعالى به اية هذا الحساب وختمها به من سلب الامر اولا وسلب القدرة عما سواه اخرا فكان في الابتدا والختم اقامة عذر القايلين له توجب لهم تحقق الغفران كما كان لابيهم ادم حيث تلقى الكلمات من ربه انتهى ولما كان التقدير فمنك مبدانا ربنا فانه منك مبدانا عطف عليه قوله حثا على الاجتهاد في كل ما امر به ونهي عنه على وجه الاخلاص واليك اي لا الى غيرك المصير اي مطلقا لنا ولغيرنا وقال ابن الزبير ولما بين سبحانه ان الكتاب هو الصراط المستقيم ذكر افتراق الامم كما بينا واحوال المتقين والمتنكبين تحذيرا من حالهم ونهيا عن مرتكبهم وحصل فيمن الترك جملة واختصار التاركين واعقب بذكر ملتزمات المتقين وما ينبغي لهم امتثاله والاخذ به من الاوامر والاحكام والحدود واعقب ذلك بان المراعى ان ينطوي على ذلك ويسلم الامر لمالكه فقال تعالى امن الرسول بما انزل اليه فاعلم ان هذا ايمان الرسول ومن كان معه على ايمانه وانهم لما قالوا سمعنا واطعنا لا كقول بني اسرائيل سمعنا وعصينا وانه اثابهم على ايمانهم رفع الاصر والمشقة والمواخذة بالخطا والنسيان فقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها فحصل من هذه السورة باسرها بيان الصراط المستقيم على الاستيفا والكمال اخذا وتركا وبيان شرف من اخذ به وسوء حال من تنكب عنه وكان العباد لما علموا اهدنا الصراط المستقيم الى اخر السورة قيل لهم عليكم بالكتاب اجابة لسوالهم ثم بين لهم حال من سلك ما طلبوا فكان قد قيل لهم اهل الصراط المستقيم وسالكوه هم الذين من شانهم وامرهم والمغضوب عليهم من المتنكبين هم اليهود الذين من امرهم وشانهم والضالون هم النصارى الذين من امرهم وشانهم فيجب على من رغب في سلوك الصراط المستقيم ان يحذر ما اصاب هولا بما نبه عليه وان ياخذ نفسه بكذا وكذا وان يلتجي ايمانه على كل ذلك وان يسلم الامر لله الذي تطلب منه الهداية له ويتضرع اليه بان لا يواخذه بما يثمر الخطا والنسيان وان لا يحمله ما ليس في وسعه وان يعفو عنه الى اخر السوال انتهى ولما منوا بالايمان في سوال الغفران عللوا السوال بقولهم لا يكلف الله اي الملك الاعظم الرحيم الاكرم الذي له جميع صفات الكمال نفسا الا وسعها اي ما تسعه وتطيقه ولا تعجز عنه وذلك هو الممكن لذاته الذي يتعلق اختيار العبد

بفعله ولم يخبر الله تعالى بانه لا يقع لا المحال لذاته ولا الممكن لذاته سواكان مما لا مدخل للانسان في اختياره كالنوم او كان له
مدخل فيه وقد تعلق العلم الازلي بعدم وقوعه واخبر تعالى بعدم وقوعه معينا لصاحبه فهذا لا يقع التكليف به ويجوز التكليف
به وهذا الكلام من جملة دعائهم على وجه الثناء طلب للوفا بما اخبرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم عنه سبحانه من ذلك خوفا
من ان يكلفوا بما لله تعالى كما دلت عليه الاية وقول المؤمنين عند نزولها وجواب النبي صلى الله عليه وسلم لهم ان يكلف به من
المواخذة بالوساوس التي لا يقع العزم عليها لانه مما تخفيه النفوس ولا طاقة على دفعه فهو من باب اذا اثنى عليك المرء يوما
كفاه من تعرضه الثناء ولعل العدول عن الخطاب الى الغيبة بذكر الاسم الاعظم من باب التملق بان له من صفات العظمة ما
يقتضي العفو عن ضعفهم ومن صفات الحلم والرحمة والرافة ما يرفه عنهم ويحتمل ان يكون ذلك من قول الله تعالى جزاء لهم على قولهم
سمعنا واطعنا الاية مما فادهم بذلك انه لا يحاسبهم بحديث النفس الذي لا عزم فيه فانتفى ما شق عليهم من قوله وان تبدوا ما
في انفسكم الاية بخلاف ما افاد بني اسرائيل قولهم سمعنا وعصينا من الاصار في الدنيا والاخرة فيكون حينئذ استينافا جوابا لمن
كانه قال فهل اجاب دعاءهم ويكون شرح قوله اول السورة اولئك على هدى من ربهم الاية ويرشد هذا الاحتمال اتباعه لحكم ما
في الوسع على طريق الاستئناف او الاستنتاج بقوله لها اي خاصا بها ما كسبت وذكر الفعل مجردا في الخير ايماء الى انه يكفي في الاعتداد
به مجرد وقوعه ولو مع الكسل بل ومجرد نيته قال الحرالي وصيغته تحل مجرده تعرب عن ادنى الكسب فلذلك من هم بحسنة فلم يعملها كتبت
له حسنة انتهى وعليها اي بخصوصها ما اكتسبت لتشرط في الشر صيغة الافتعال الدالة على الاعمال اشارة الى ان من طبع
النفس الميل الى الهوى بكليتها والى ان الاثم لا يكتب الا مع التصميم والعزم القوي الذي ان كان عنه عمل ظاهر كان بجد ونشاط ورغبة
وانبساط فلذلك من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه ودرجات العبادة بخلاف ذلك المعنى في ذلك السياق اقتضاه المقام ولما
بشرهم بذلك عرفهم مواقع نعمه في دعاء ربه على الاخف فالاخف على سبيل التحلي اعلاما بانه لم يواخذهم بما اجترحوه نسيانا
ولا بما فاتوه خطا ولا حمل عليهم ثقلا بل جعل شريعتهم حنيفية سمحا ولا حملهم فوق طاقتهم مع ان له جميع ذلك وانه عفا عن عقابهم
ثم سترهم فلم يخجلهم بذكر سيئاتهم ثم رحمهم بان احلهم محل القرب لجعلهم اهلا للخلافة فلاح بذلك انه يعلي امرهم على كل امر ويظهر دينهم
على كل دين اذ كان سبحانه هو الذي علمهم وليكون الدعاء كله مجموعا على الاصابة وشعورا بالاجابة فقال تعالى ربنا لا تواخذنا اي لا تفعل
معنا فعل من يناظر خصما فهو يناقشه على صغير وكبير ان نسينا اي فعلنا ما نهيتنا عنه او اخطانا اي فعلناه ذاكرين له
لكنا لم نتعمد سوء قال الحرالي والخطا هو الزلل عن الحد عن غير تعمد بل مع عزم الاصابة او ود ان لا يخطئ وفي اجرائه من كلام الله على
لسان عباده قبوله انتهى واعاده ربنا في صدر كل جملة من هذا الطراز تقدمت الاشارة اليه في التذكير بعظم المقام في حسن التربية
ولطيف الاحسان والرافة ولما كان ذلك قد يكون فان له ان يكلف بما شاء مع تحمل ما تعظم مشقته من التكاليف لانه لا يسال عما
يفعل قال ربنا ولا تحمل علينا اصرا اي ثقلا وقال الحرالي هو العهد الثقيل الذي في تحمله اشد المشقة انتهى ثم عظم المنة بقوله
كما حملته على الذين من قبلنا اشارة الى انه كان حمل على من سبق من الاحكام ما يهد الاركان تاكيدا لما يحمل على الشكر على تخفيف
ذلك عنا واصل الاصر العاطف اصره الشي ياصره عطفه ويلزمه الثقل لان الغصن اذا ثقل مال والعطف وهو المقصود هنا ونلك
الاصار المشار اليها كثيرة جدا منها ما في السفر الثاني من التوراة في القربان انه ينضح من دم الذبيحة على زوايا المذبح ثم قال ومن تقرب بذبح له
ثورا وغيره في مكان غير باب قبة الزمان بين الرب يعاقب ذلك الرجل عقوبة من قتل قتيلا لانه سفك دما ويهلك ذلك الرجل
من شعبه ومن اكل دما نزل به الغضب ويهلك لان انفس البهايم هي الدم وانما امروا ان يقربوه على المذبح لغفران خطاياهم وتطهير
انفسهم لانه انما يغفر للنفس بالدم ومن قرب قربانا اكل منه يوم ذبحه وثانيه وما بقي في الثالث احرق بالنار ومن اكل منه
هلك من شعبه ومن ذلك في ذوي العاهات ان من برص من الادميين يجلس وحده ولا يختلط مع الناس ويكون سكنه خارجا
من محلة بني اسرائيل حتى ذكر البرص في الثياب والبيوت وغيرها لما برص من الثياب والجلود يقطع موضع البرص منه فان ظهر فيه
بعد القطع احرق كله بالنار وان ظهر في بيت برص يهدم ويجمع حجارته خشبه وترابه خارجا من القرية ويحرق بالنار وكذا مرض السلس
فيه تشديدات كثيرة منها ان من جلس على ثوب عليه مسلوس يغسل ثيابه ويسبح بالماء ويكون نجسا الى الليل ونحو هذا ثم قال
وكلم الرب موسى وقال له هذه سنة الابرص الذي يتطهر يتقدم الى الكاهن ويخرجه خارجا من العسكر وينظر الحبر ان كانت ضربة البرص
قد برات ويتطهر منها بامر الحبر فيقدم ويقرب بعصفورين حيين زكيين وعود من خشب الارز وعهنه حمرا وعدا شيا اخرى وقربانا
على كيفية مخصوصة صعبة على عين ما ويغسل ثيابه وبدنه ويحلق شعر راسه ولحيته وحاجبيه وكل شعر جسده وانه يمكث
خارجا من بيته سبعة ايام وفي اليوم الثامن ياتي بقربان اخر على كيفية مخصوصة ويلطخ الكاهن من دمه على اشيا من بدن هذا الذي
تطهر من البرص وكذا من زيت قربانه ويصب بقيته على راسه وكذا في مرض السلس اذا برا المسلوس يمكث سبعة ايام يتطهر
ويغسل ثيابه ويقرب قربانا في باب قبة الزمان وقال واي رجل مذي او خرج منه منيه يغسل جسده كله بالماء ويكون نجسا
الى الليل واي ثوب او فراش وقعت عليه جنابة يغسل بالماء ويكون نجسا الى الليل ومن دنى من الحايض يكون نجسا الى الليل واي ثوب
وقعت عليه وهي حايض كان نجسا ومن دنى من فراشها يغسل ثيابه ويسبح بالماء ويكون نجسا الى الليل وكذا المستحاضة ذكرته ايضا
وكلم الرب موسى وقال له كلم بني اسرائيل وقل لهم المراة اذا حبلت وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة ايام كما تكون في ايام حيضها

بلغ مقابلة

وفي اليوم الثامن يختن الصبي وتكون نجسة وتجلس مكانها ثلثة وثلاثين يوما لا تدنو من شي مقدس ولا تدخل بيت الله لا
لان الصلاة محرمة عليها حتى تتم ايام تطهيرها فان ولدت جارية تكون مثل نجاستها في ايام حيضها اربعة يوما
وتجلس مكانها على الدم الزكي ستة وستين يوما فاذا كملت ايام تطهيرها ابنا ولدت او بنتا تجي بحمل حولي تقربانا في قبة
الزمان على يدي الكاهن ليتطهر ما كان يجري منها من الدم ومن الاصار ما في السفر الثالث في الضحايا انهم اذا حصدوا ارضا
او قطفوا كرما حرم عليهم الاستقصا وامروا ان يتركوا للمساكين ثم قال ولا تلتقطوا ما يتناثر من زيتونكم بل دعوه للمساكين
والذين يقبلون الي لاني انا الله ربكم ثم قال فاذا دخلتم الارض وغرستم فيها كل شجر تثمر ثمارا اتركوا مدعوها ثلاث سنين ولا
تاكلوا من ثمارها فاذا في السنة الرابعة صيروا جميع ثمار شجركم حرمة للرب ومجدا لاكرامه وفي السنة الخامسة كلوا ثمارها
فانها تنموا وتزداد لكم غلاتها انا الله ربكم وقال في اواخر السفر الخامس وهو اخر اسفارها لا تحيفوا على المسكين واليتيم
والساكن بينكم في القضا ولا تاخذ وا ثوب الارملة رهنا واذكروا انكم كنتم عبيدا بارض مصر وانقذكم الرب من هناك لذلك
امركم واقول لكم انه واجب عليكم ان تفعلوا مثل هذا الفعل واذا حصدتم حقل ارضكم ونسيتم حزمة لا ترجعوا في طلب اخذها
بل تكون للساكن واليتيم والارملة واذا قطعتم كرومكم لا تستقصوا ما فيها بل دعوا فيها ما يحيث به الساكن واليتيم والارملة
واذكروا انكم كنتم عبيدا بارض مصر لذلك امركم ان تفعلوا هذا الفعل واما ما على النصارى من ذلك فنسبا في كثير منه ان شا
الله تعالى في المائدة عند قوله تعالى وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ولما دعوا بما نفهم الايمان مما نزل اليهم مما حمل من قبلهم
من الثقل اتبعوه ما يدل على اعتقادهم ان ذلك عدل منه سبحانه في نفعنا وانه له ان يحمل فوق ذلك فيكلف بما ليس في
الوسع لانه المالك التام الملك والملك المتفرد بالملك وسالوا التخفيف برفع ذلك فقالوا ربنا ولا وعبر بالتفعيل
لما فيه مما يعم من الصلاح من مناسبة التكليف بالايمان فقال تحملنا ما لا طاقة اي قدرة لنا به ولما كان الانسان قد
يتعمد الذنب لشهوة تدعوه اليه وغرض يحمله عليه اتبعوا ذلك دعاء عاما فقالوا واعف عنا اي ارفع عنا عقاب الذنوب
كلها واغفر لنا اي ولا تذكرها لنا اصلا فالاول العفو عن عقاب الجسم والثاني العفو عن عذاب الروح وقال الحرالي ولما كان
قد يلحق من يعفي عنه ويغفر له قصور في الرتبة عن منال الحظ من الرحمة الحق تعالى المعفو عنه المغفور له بالمرحوم ابتدا
بقوله وارحمنا اي حتى يستوي المذنب التايب والذي لم يذنب قط في منال الرحمة ولما ضاعف لهم تعالى عفوه ومغفرته
ورحمته انهاهم بذلك الى محل الخلافة العاصمة لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم فلما صاروا خلفا تحقق منهم الجهاد لاعدا الله
والقيام بامر الله ومنابذة من تولى غير الله فتحقق انه لا يبدان بينها فنفهم اعدا وينابذ وهم تعليمهم الذي حمهم سبحانه اسناد
امرهم بالولاية اليه قايلا عنهم انت مولانا والمولى هو الولي اللازم الولاية القايم بها الدايم عليها لمن تولاه باسناد امره اليه
فيما ليس هو مستطيع له انتهى بالمعنى وكان حقيقته الفاعل لثمرة الولاية وهي القرب والاقبال وذلك انهم لما سالوا العفو
عن عذاب الجسم والروح سالوا ثوابهما فثواب الجسم الجنة وثواب الروح لذة الشهوة وذلك ثمرة الولاية وهي الاقبال على
المولى بالكلية ثم جعل ختام توجه المؤمنين الى ربهم الدعا بثمرة الولاية فقال فانصرنا باللسان والسنان واشار الى فتوح
الخافقين حثا على تصحيح الاتجار والصدق في الرغبة بقوله على القوم واشار الى ان الادلة عليه سبحانه في غاية الظهور لكل عاقل
بقوله الكافرين اي الساترين للادلة الدالة لهم على ربهم المذكورين اول السورة فتضمن ذلك وجوب قتالهم وانهم اعدا له
الاعدا وانه قوله تعالى لا اكراه في الدين ليس نهيا عن ذلك وانما هو اشارة الى ان الدين صار في الوضوح الى حد لا يتصور فيه
اكراه بل ينبغي لكل عاقل ان يدخل فيه بغاية الرغبة فضلا عن الاعوجاج الى ارهاب لمن نصح نفسه دخل فيه بما دله عليه عقله
ومن ابى ادخل فيه قهرا بصبغة الله التي هي الضرب بالحسام وتاذ السهام ولما كان الختم بذلك مشيرا الى انه تعالى لما صنا
لهم عفوه عن الذنب فلا يعاقب عليه ومغفرته له بحيث يجعله كان لم يكن فلا يذكره اصلا ولا يعاتب عليه ورحمته في حد
ايصال المذنب المعفو عنه المغفور له الى المنازل العلية انهاهم الى رتبة الخلافة في القيام بامره والجهاد لاعدايه وان
حل امرهم وا عي حصرهم كان منبها على ان بداية هذه السورة للهداية وخاتمتها خلافة فاستوفت تبيين امر النبوة لما
حد ظهور الخلافة فكانت سناما للقران وكان جامعا ما في القران منضما الى معانيها اما لما صرحت به او لما الاحته وافهمته
افصاح من افصاحها كما تنضم هي مع ساير القران الى سورة الفاتحة فتكون ام الجميع افاد ذلك الاستاذ ابو الحسن الحرالي وقد
بان بذكر المنزل والايمان به والنصرة على الكفار بعد تفصيل امر النفقة والمال الذي ينفق منه رد مقطعها على مطلعها واخر
على اولها ومن الجوامع العظيمة في امرها وشمول معنا هذا المبين لحلو قدرها ما قال الحرالي انه لما كان منزل هذا القران
المختص بختام النبيين منزلا حرفا محيطة المعاني مخاطبا به النبي الامي وتفصيلا مخاطبا به عامة الامة انتظمت هذه
السورة صنفي الخطابين فافتتحت بالم حروفا مبينة عن احاطة بما تضمنته معانيها من احاطة القايم من معنى الالف واحاطة
المقام من معنى اللام واحاطة الوصلة من معنى الحلق ولما كانت الاحاطة في ثلاث رتب احاطة الهية قيومية واحاطة
كتابية واحاطة تفصيلية كانت الاحاطة الخاصة بهذه الاحرف التي افتتحت بها هذه السورة احاطة كتابية متوسطة
لموقع الافتتاح فيما وقع عليه امر القران في تلاوته في الارض بالرتبة المتوسطة من حيث هي اقرب للطرفين وايسر للاطلاع

على الاعلى والقيام بالاذى لكان ما كان في القران من الم تلك ايات الكتاب الحكيم ونحوه تفصيل احاطة من احاطة الكتاب التي انزلت فيها
سورة البقرة فكانت مشتملة على احاطات الكتب الاربعة كتاب التقدير الذي كتبه الله قبل ان يخلق الخلائق بما شاء الله من امد عدد
ورد ان الله كتب كتاب وقضى القضية وعرشه على الماء وان الله تعالى قدر مقادير الخلائق قبل ان يخلقهم بخمسين الف عام وانه قدر
الارزاق قبل ان يخلق الصور بالفي عام وكثير من ذلك مما ورد في الاخبار في مقابلة هذا الكتاب السابق بالتقدير الكتاب اللاحق بالجزاء الذي
كتبه الله ويكتبه اثر تمام الابد ابا سبقت الاعمال البادية على ايدي الخلق الذي بها لهم النعيم والجحيم والامن والروع والكشف والحجاب
وهذا الكتاب الاخر مطابق للكتاب الاول وبين طرفيهما كتاب الاحكام المتضمن لامر الدين والدعوة الذي وقعت فيه الهداية والفتنة ثم
كتاب الاعمال الذي كتبه الله في ذوات المكلفين من اعمالهم واحوال انفسهم وما كتب في قلوبهم من ايمان او طبع عليها او ختم عليها بفجور او طغيان
فتطابقت الاوايل والاواخر واختلف كتاب الاحكام وكتاب الاعمال بما ابداه الله من ورا الحجاب من معنى الهدى والفتنة والاقدام والاحجام مرة
فتضمنت سورة البقرة احاطات جميع هذه الكتب فاستوفت كتاب الاقدار بما في صدرها من تبيين امر المومنين والكافرين والمنافقين
وكتاب الاعمال كما ذكر تعالى من الختم على الكافرين والمرض في قلوب المنافقين وما تفصل في جميع السورة من احكام الدين وما يذكر معها مما يناسبها
من الجزاء من ابتدا الايمان الى غاية الايقان الذي انتهى اليه معنى السورة فيما بين الحق والخلق من امر الدين وفيما بين الخلق والخلق من المعاملات
والمعاونات وفيما بين المرء ونفسه من الايمان والعهود الى حد ختمها بما يكون من الحق للخلق في استخلافنا خلقنا الذي ختم بذكرهم هذه السورة
الذين قالوا ربنا الى انتهاء ايها ولما كان مقصود هذه السورة الاحاطة الكتابية كان ذلك افتتاحها ومعظم اياتها وكانت الاحاطة الالهية
القيومية الاخبارية نورا اياتها فكان ذلك في اية الكرسي بفجر بحا وفي ساير ايها الاخرة بحسب ترتب الاحاطة الكتابية من الاحاطة الالهية وفي
بدو سابق وختم لاحق وحكمة جامعة فلذلك انتظم بالسورة الذي ذكرتها البقرة السورة التي يذكر فيها ال عمران لما انزل في سورة
ال عمران الاخرة وكان ما في البقرة الاخرة في سورة ال عمران افصاحا الا ما اطلع في كل واحدة منهما من تصريح الاخرى فلذلك هما سورتان لها
مو تبطنان وغايتان دعامتان تظلان صاحبهما يوم القيمة وبما هما من الذكر الاول وبينهما من ظاهر التفاوت ما بين الاحاطة الكتابية
وبين الاحاطة الالهية فلذلك كانت سورة البقرة سناما له والسنام اعلى ما في الحيوان المنكب واجمل جمله وهو البعير وكانت سورة ال
عمران تاج القران والتاج هو اعلى ما في اعلى المخلوقات من الخلق القايم المستخلف في الارض ظاهره وفي جميع الكون احاطته فوقع انتظام هاتين
السورتين على نحو من انتظام التي يتصل الافصاح في الاية بالاخرة سابقتها كما تقدم التنبيه عليه في مواضع انتهى وسر ترتيب سورة النساء
على هذا النظام انه لما انتهى سبحانه بتصنيف الناس الذين هم للدين كالقوايم الحاملة لذي السنام فاستوى وقام ابتدا المقصود بذكر
اقرب السنام الى اهمام اهل القيام فقال مخاطبا لجميع الاصناف التي قدمها يا ايها الناس اعبدوا ربكم واستمر الى ان بالامر غاية البيان
فاخذ يذكر سبحانه منته على الناس المامورين بالعبادة بما انعم عليهم من خلق جميع ما في الوجود لهم ثم بما اكرم به اباهم ادم عليه السلام ثم خص
العرب ومن تبعهم ببيان المنة عليهم في مجادلة بني اسرايل وتبكيتهم وهو سبحانه مولد كل قبيل امر الربوبية والتوحد بالعبادة من غير
ذكر شي من الاحكام الا ما النح منه بنو اسرايل فذكره على وجه الامتنان به على العرب وتبكيت بني اسرايل بتركه لا على انه مقصود بالذات
فلما تركوا التعبد بوا فيا هلوا لانواع المعارف قال محلبا لهم من مصاعد الربوبية الى معارج الالهية والهكم اله واحد لا اله الا هو
فلما تسنموا هذا الشرف لعتهم العبادات المزكية والقام ارواحها المصغية فذكر امهات الاعمال اصولا وفروعا الدعايم الخمس
والخطيرة وما تبع ذلك من الحدود وذي الماكل والمشارب والمناكح وغير ذلك من المصالح فتهيبوا بها للواردات الحرمية الجلال فقال
مرقيا لهم الى غيب حضرته الشما ذاكرا سمي جميع الاسما الله لا اله الا هو الحي القيوم ولما كان الواصل الى على مقام القربة لا بد عند
القوم من رجوعه الى ربقة العبودية ذكرهم بعض الاعمال اللايقة بهم لحث على اشيا اكثرها من وادي الاحسان الذي هو مقام اهل
العرفان فذكر سبيل النفقة التي هي احد ما في السورة عقب ما ذكر مقام الطمانينة ايذانا بان ذلك شان المطمين ورغب فيها اشارة
الى انه لا مطمع في الوصول الا بالانسلاخ من الدنيا كلها واكثر من الحث على طيب المطعم الذي لا يبقا حال من الاحوال بدونه ونهى عن الربا
اشد نهي اشارة الى التقنع بالقل الكفاف ونهيا عن مطلق الزيادة للخواص وعن كل حرام للعوام وارشد الى اداب الدين الموجب للتثبت
بما عند الله المقتضي لصدق التوكل المثمر للعون من الله وللاشارة الى ذلك توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو متلبس به وبنى سبحانه
كل ثلث من هذه الاثلاث على مقدمة في تثبيت امره وتوجه خاتمة في التحذير من التهاون به وزاد الثالث لكونه الختام وبه بركة
التمام ان اكد عليهم بعد خاتمته في الايمان بجميع ما في السورة وختم بالاشارة الى ان عمدة ذلك الجهاد لذوي البغي والعناد والاعتماد
فيه على مالك الملك وملك العباد وذلك هو طريق اهل الرشاد والهداية والسداد والله الموفق ٥٥٥٥٥٥٥٥٥٥

سورة آل عمران مائتا آية مدنية

بسم الله الواحد المنفرد بالاحاطة بالكمال الرحمن الذي وسعت رحمة ايجاده كل مخلوق واوضح للمكلفين طريق النجاة الرحيم الذي
اختار اهل الايمان لمحل انسه وموطن جمعه وقدسه الم المقاصد التي سيقت لها هذه السورة اثبات الوحدانية لله تعالى
والاخبار بان رياسة الدنيا بالاموال والاولاد وغيرهما مما اثره الكفار على الاسلام غير مغنية عنهم شيا في الدنيا ولا في الاخرة

وان ما

وان ما اعد للمتقين من الجنة والرضوان هو الذي ينبغي الاقبال عليه والمسارعة اليه وفي وصف المتقين بالايمان بالدعا والصبر
والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار ما يعطف اليه كثيرا من افانين اساليب هذه السورة هذا ما كان ظهر لي
اولا واحسن منه ان يخص المقصد الاول وهو التوحيد بالقصد فيها فان الامرين الاخرين يرجعان اليه وذلك لان الوصف
بالقيومية يقتضي القيام بالاستقامة فالقيام يكون على نفس والاستقامة العدل كما قال قايما بالقسط اي بعقاب
العاصي وثواب الطايع بما يقتضي للموفق ترك العصيان ولزوم الطاعة وهذا الوجه اوفق للترتيب لان الفاتحة لما كانت
جامعة للدين اجمالا جاءت ما بعدها مفصلة له التفصيل محاذيا لذلك فابتدئ بسورة الكتاب المحيط بامر الدين ثم بسورة التوحيد الذي هو
رجوع الحمد اول حروف الفاتحة لان التوحيد هو الاس الذي لا يقوم بنا الا عليه والماضح الطريق وثبات الاساس جاءت العنى
بعدها داعية الى الاجتماع على ذلك وايضا فلما ثبت بالبقرة امر الكتاب في انه هدى وقامت به دعايم الاسلام الخمس
جاءت هذه لاثبات الدعوة الجامعة في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم فاثبت الوحدانية له سبحانه بابطال الالهية
غيره باثبات ان عيسى عليه السلام الذي كان يحيي الموتى عبده فغيره بطريق الاولى فلما ثبت ان الكل عبيده دعت سورة
النساء الى اقبالهم اليه واجتماعهم عليه ومما يدل على ان القصد بها هو التوحيد تسميتها بال عمران فانه لم يعرب عنه
في هذه السورة ما اعرب عنه ما ساقه سبحانه فيها من اخبارهم بما فيها من الادلة على القدرة التامة الموجبة للتوحيد
الذي ليس في درجة الايمان اعلى منه فهو التاج الذي هو خاصة الملك المحسوسة كما ان التوحيد خاصة المعقولة
والتوحيد موجب للطهارة المتخلي به فلذلك سميت الزهرا المقصد الاول التوحيد ومناسبة هذا الاول بالابتدا
به لاخر ما قبلها انه لما كان اخر البقرة في الحقيقة اية الكرسي وما بعدها انما هو بيان لها اوضحت امر الدين بحيث لم يبق
ورا لهما في لمتعنت وتعجب من حال من جادل في الالهية او استبعد شيا من القدرة ولم ينظر فيما تضمنته هذه الاية
من الادلة مع وضوحها واشارة الى الاستدلال على البعث بامر السنا بل في قالب الارشاد الى ما ينفع في اليوم الذي نفى فيه نفع
البيع والخلة والشفاعة من النفقات وبيان بعض ما يتعلق بذلك وتقرير امر ملكه لما منه الاتفاق من السموات والارض
والاخبار بايمان الرسول واتباعه بذلك وبانهم لا يفرقون بين احد من الرسل المشار اليهم في السورة وبصدقهم في التضرع
برفع الاثقال التي كانت من قبلهم من بني اسرايل وغيرهم وبالنصرة على جماعة الكافرين لما كان ذلك على هذا الوجه ناسب هذا
الاختتام غاية المناسبة ابتدا هذه السورة بالذي وقع الايمان به سبحانه وتعالى ووجهت الرغبات اخر تلك اليه واحسن منه
انه لما انزل البنا سبحانه كتابه تجمع مقاصده في الفاتحة على وجه ارشد فيه الى سوال الهداية ثم شرع في تفصيل ما جمعه
في الفاتحة فارشد في اول البقرة الى ان الهداية في هذا الكتاب وبين ذلك بحقيقة المعنى والنظم كما تقدم الى ان ختم البقرة له
بالاخبار عن خلص عباده بالايمان بالمنزل والسمع والطاعة واتبع ذلك مع التوحيد بالدعا الى المنزل له ان له سبحانه كل شي
وبيده النصر علم انه واحد لا شريك له حي لا يموت قيوم لا يغفل وان ما انزل هو الحق فصرح اول هذه بما افهمه اخر تلك كما
يصرح بالنتيجة بعد المقدمات المنتجة لها فقال الله اي الذي لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه لان له الاحاطة بجميع اوصاف
الكمال والنزاهة الكاملة من كل شايبة نقص وقال الحرالي يشير الى القول الصحيح في ترتيب السور انه باجتهاد الصحابة رضوان
الله عليهم انزل الله سبحانه هذا الانتظام والترتيب للسور في مصحف وهذا الكتاب هو ما رضيه الله تعالى فاقره فلما كانت
سورة الفاتحة جامعة لكلية امر الله فيما يرجع اليه وفيما يرجع الى عبده وفيما بينه وبين عبده فكانت ام القران
وام الكتاب جعل مثنى تفصيل ما يرجع منها الى الكتاب المتابع عن سوابقه في الفاتحة مضمنا سورة البقرة الا ما على به الالا
نور اية الكرسي فيها وكان منزل هذه السورة من مثنى تفصيل ما يرجع الى خاص علن الله في الفاتحة فكان منزلة سورة ال عمران
منزلة تاج الراكب وكان منزلة سورة البقرة منزلة سنام المطية قال صلى الله عليه وسلم لكل شي سنام وسنام القران
سورة البقرة ولكل شي تاج وتاج القران سورة ال عمران وبما بدى هذا الترتيب لسورة الكتاب لان علم الكتاب اقرب الى
المخاطبين من تلقي علن الله فكان في تعلم سورة البقرة والعمل بها تيسر لتلقي ما تضمنته سورة ال عمران ليقع التدرج والتدرب
بتلقي الكتاب حفظا وتلقيه علما للقي منزل الكتاب بما ابداه عليه في هذه السورة وبذلك يتضح ان احاطة الم المنزلة
في اول سورة البقرة احاطة كتابية لما هو قيامه وتمامه ووصله ما بين قيامه وتمامه وان احاطة الم المنزلة في اول
هذه السورة احاطة الهية حيا بية قيومية لما بين غيب عظمة اسمه الله الى تمام قيوميته البادية في تنزلك ما انبا
عنه اسمه الحي القيوم وما اوصله لطفه من مضمون توحيده المنبي عنه كلمة الاخلاص في قوله لا اله الا هو فلذلك كان هذا
المجموع في منزلة قرانا حرفيا وقرانا كلميا اسمايا وقرانا كلاميا تفصيليا بما هو اسمه الاعظم كما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم
اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وكما وقعت الاخرة في سورة
البقرة لما وقع به الافصاح في سورة ال عمران كذلك وقع في ال عمران من نحو ما وقع تفصيله في سورة البقرة ليصير امثالا واحدا
بما اقتضى مضمون كل سورة بالاخرة الاخرى فلذلك هما غمامتان وغيابتان على قارئهما يوم القيمة كما تقدم لا تفترقان فاعظم
الم هو مضمون الم الذي افتتحت به هذه السورة ويليه في الرتبة ما افتتحت به سورة البقرة ويليه في الرتبة ما افتتحت به

سورة الآيات نحو قوله تعالى الم تلك آيات الكتاب الحكيم فللكتاب الحكيم احاطة قواما وتماما ووصلة وللمطلق الكتاب احاطة كذلك واحاطة الاحاطات واعظم العظمة احاطة افتتاح هذه السورة وكذلك ايضا للحواميم واحاطات الحواميم من دون احاطة الطواسيم لما تختص به معاني حروفها من دون احاطات حروف الطواسيم على ما يتضح تراجمه وعلمه لمن اتاه الله فهمها فانه بمنزلة قران الحروف المخصوص بانزاله هذه الامة دون سائر الامم الذي هو العلم الالهي العلوي ثم قال ولما كانت اعظم الاحاطات احاطة عظمة اسمه الله الذي هو مسمى التسعة والتسعين اسما التي اولها الله كان بالمسمى اولى الفهم هنا اسم الغيبة في معنى احاطات الحروف عن نحو احاطة اسمه الله في الاسما فكانت هذه الالف مسمى كل الف كما كان اسمه الله مسمى كل اسم سواه حتى انه مسمى سائر الاسما الاعجمية التي هي اسماؤه في جميع الالسن كلها مع اسما العربية اسما لمسمى هو هذا الاسم العظيم الذي هو الله الاحد الذي لم يتطرق اليه شرك كما تطرق لاسمائه من اسمه الاله الى غاية اسمه الغفور وكما كان احاطة هذا الالف اعظم احاطة حرفية وسائر الالفات سما لعظيم احاطته كذلك هذه الميم اعظم احاطة ميم تفصلت منه وكانت له اسمائها لتا سامي سائر الالفات اسما لمسمى هذا الالف كذلك سائر الميمات اسم لمسمى هذا الميم كما ان اسمه الحي القيوم اعظم تمام كل عظيم من اسما عظمته وكذلك هذا اللام بمنزلة الفه وميمه وهي ام الالهية الذي اسراه لطف التنزل الى تمام ميم قيوميته لمن لم تبته الى فهم معاني الحروف في هذه الفاتحة نزل له الخطاب الى ما هو افصاح احاطتها في الكلم الكلامي المنتظم في قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم فهو قران حرفي يفصله قران كلمي كلامي انتهى فقوله الله اي الذي امن به الرسول واتباعه بما له من الاحاطة بصفات الكمال لا اله الا هو اي متوحد لا كفوله فقد فاز قصدكم الينا الرغبة وتعويلكم عليه في المسئلة قال الحرالي فما اعلن به هذا الاسم العظيم اي الله في هذه الفاتحة هو ما استعلن به في قوله تعالى قل هو الله احد ولما كان احاطة العظمة امرا خاصا لان العظمة ازار الله الذي لا يطلع عليه الا صاحب سر كان البادي لمن دون اهل العلم من رتبة اهل العلم اسم الله الصمد الذي تصمد اليه بالحاجات والرغبات المختص بالفوقية والعلو الذي يقال للمومن عنه اين الله فيقول في السما اي جهة علو ان يقول فوق العرش فذلك الصمد الذي انبا عنه اسمه الاله الذي انزل فيه الزام الاخلاص والتوحيد منذ عبدت في الارض الاصنام فلذلك نظم توحيد اسمه الاله بما جدد به مسمى هو من اسمه العظيم الله ورجع عليه بالاسم المضمر الذي تهوي جبلات الانفس وغرائز القلوب الذي تجده غيبا في بواطنها فتقول فيه هو فكان هذا الخطاب مبدا وابا الاسم العظيم المظهر منتهيا الى الاسم المضمر كما كان خطاب قل هو الله احد مبدا وابا لاسم المضمر منتهيا الى الاسم العظيم المظهر ولذلك ولذلك ايضا اسم الله الاعظم في سورة قل هو الله احد كما هو في هذه الفاتحة ولما كان لبادي الخلق افتقار الى قوام لا يثبت طرفة عين دون قوامه كان القوام البادي اوله هي الحياة كما حيي ثبت وما مات شيء وهلك انتهى ولما كان المتفرد بالملك من اهل الدنيا يموت قال **الحي** اي الحياة الحقيقية التي لا موت معها ولما كان الحي قد يحتاج في التدبير الى وزير لعجزه عن الكفاية بنفسه في جميع الاعمال قال **القيوم** اعلاما بانه قيام كل شيء وهو قائم على كل شيء قال الحرالي فكان الحيوان يتجزى من روح امره فكل متماسك على صورة حي بقيوميته انتهى وفي وصفه بذلك اعلام بانه قادر على نصر جنده واعزاز دينه وعونه وليه وحث على مراقبته جهرا واعلانا ودوام الخضوع لديه والضراعة اليه ولما كان من معنى القيوم انه المدبر للمصالح اتصل به الاعلام بتنزيل ما يتضمن ذلك وهو الكتاب المذكور في قوله بما انزل اليه من ربه والكتب المذكورة في اول البقرة في قوله بما انزل اليك وما انزل من قبلك وفي اخرها بقوله وكتبه ورسله التي من جملتها التوراة والانجيل اللذان فيهما الاصار المرفوعة عنا ثم شرع بعد امر النصر في الاحتجاج وذلك لان المصالح قسمان روحانية وجسمانية واشرف المصالح الروحانية العلم الذي هو للروح كالروح للبدن فانها تصير به مراة مجلوة تتجلى فيها صور الحقائق واشرف المصالح الجسمانية تعديل المزاج وتسوية البنية في احسن هيئة وقدم الروحانية المتكفل بها الكتاب لانها اشرف ولما كانت مادة كتب دائرة على معنى الجمع عبر بالتنزيل الذي من معناه التفريق ليشتمل هذه الجملة على حاويها من امره على اجمال وتفصيل فقال قال الحرالي ولما كان احاطة الكتاب اي في البقرة ابتدا واعقبها اي في اول هذه السورة احاطة الالهية تا هذا الخطاب ردا عليه فتنزل من الاحاطة الكتابية الى الاحاطة الالهية بالتنزيل الذي هو تدرج من رتبة الى رتبة دونها انتهى فقال **نزل** اي شيئا فشيئا في هذا العصر **عليك** اي خاصة بما اقتضاه تقدم الجار من الاهتمام وكان موجب ذلك ادعا بعضهم انه يوحى اليه وانه يقدر على الاتيان بمثل هذا الوحي **الكتاب** اي القران الجامع للهدى نجما بحسب الوقائع لمن يغفل عن واحدة منها ولا قدم حوائجها ولا اخره عن محل الحاجة لانه قيوم لا يشغله شان عن شان قال الحرالي وهذا الكتاب هو الكتاب المحيط الجامع الاول الذي في تنزل الاعلى الخاتم الاخر المعقب لما اتم به حكمته من ان صور الاوائل اخر مقامه حقايق الاوائل فاول الانوار الذي هو نور محمد هو تمم خاتم الصور التي هي صورة محمد انتهى تنزيلا ملتبسا **بالحق** اي الامر الثابت فهو ثابت في نفسه وكل ما يتشاعه من قوله وفعل كذلك قال الحرالي وكان هذا الكتاب هو الكتاب الجامع الاول المحيط بكل كتاب كذلك هذا الحق المنزل به هذا الكتاب هو الحق الجامع المحيط الذي كل حق منه وهو الحق الذي اقام به حكمته فيما رفع ووضع انتهى حال كونه **مصدقا** ولما كان العامل فرعا لانه اسم فاعل قواه باللام فقال **لما بين يديه** اي من الكتب السماوية التي اتت بها الانبيا عن الحضرة الالهية قال الحرالي لما كان هذا الكتاب اولا جامعا ومحيطا كان كل كتاب بين يديه ولم يكن من ورائه كتاب انتهى ولما كان نزاع وفد نجران في الاله او النبي وفيهما كان هذا الكلام على وجازته كفيلا بالرد عليهم في ذلك بتبيان الحق في الاله بالقيومية وفي النبي بالكتاب المعجز ولما كانوا مقرين بالكتب لقدمه اشار الى انه لبس لهم انكار هذا الكتاب وهو اعلى منها في كل امر اوجب تصديقها

والى

والى ان من انكره بعد ذلك كان من الامر الظاهر انه معاند لا شك في عناده فقال **وانزل التوراة** وهو تفعلة او فوعلة من الورى وهو تقدح النار من الزند استثقل اجتماع الواوين فقلب اولهما تا كما في تجاه والتلاج والتراث والتران ونحوه قال الحرالي فهي توراة بما هي نورا عقبت ظلام ما وردت عليه من كفر من دعي اليها من الفراعنة فكان فيها هدى ونور **والانجيل** من النجل وضع على زيادة افعيل لمزيد معنى ما وضعت له هذه الصيغة وزيادتها مبالغة في المعنى واصل النجل استخراج خلاصة الشي ومنه يقال للولد نجل كان الانجيل استخلص نور خلاصة التوراة فاظهر باطن ما شرع في التوراة ظاهره فان التوراة كتاب احاطة الامر الظاهر الذي يحيط بالاعمال واصلاح امر الدنيا وحصول الفوز من عاقبة يوم الاخرى فهو جامع احاطة الظواهر وكل ايه ظاهرة لمن كتاب التوراة والانجيل كتاب احاطة لامر البواطن يحيط بالاحوال النفسانية التي بها يقع موجود الاخرة مع الاعراض عن اصلاح الدنيا بل مع هدمها فكان الانجيل مقيما لامر الاخرة هادما لامر الدنيا مع تحصيل ادنى البلغة وكانت التوراة مقيمة لاصلاح الدنيا مع تحصيل الفوز في الاخرة فجمع هذان الكتابان احاطتي الظاهر والباطن فكان منزل التوراة من مقتضى اسمه الظاهر وكان منزل الانجيل من مقتضى اسمه الباطن كما كان منزل الكتاب الجامع من مقتضى ما في اول هذه السورة من اسمائه العظيمة مع لحظ التوحيد لبعض السور والكتاب بما منه تنزيله من اسمه الله وسائر اسمائه على وجوه احاطاتها انتهى وفيه تصرف فاحاط هذا الكتاب احاطة ظاهرة بامري الظاهر والباطن بما اذن به تصديقه للكتابين وخصهما سبحانه بالتنويه بذكرهما اعلاما بعلو قدرهما ولما لم يكن انزالهما مستغرقا للماضي لانه لم يكن في اول الزمان ادخل الجار فقال معريا عن التقييد بمن نزلا عليه لشهرته وعدم النزاع فيه بخلاف القران **من قبل** اي من قبل هذا الوقت فان الا انقضى امره ومضى زمانه حال كون الكل **هدى** اي بيانا وداعيا فقال **للناس** اماما لما في اول البقرة بمعنى خلق الهداية في القلب فلذا اخص المتقين والحاصل ان هذه الاية كالتعليل لاخر البقرة فكانه قيل كل امن بالله لانه منفرد بالالوهية لانه منفرد بالحياة لانه منفرد بالقيومية وامن برسله الذين جاؤا بكتبه المنزلة بالحق من عنده بواسطة ملئكته ولما كانت مادة فرق للفصل عبر بالانزال الذي لا يدل على التدريج لما تقدم من ارادة الترجمة بالاجمال والتفصيل على غاية الاعجاز لا فتقارا الاعجاز رجع الكتابين في انزال واحد واستجز لكتابنا انزالا لاتيانها على طور تنبيه عنهما بمقدار على رتبة المتقين الذين هم هدى لهم وبتقواهم يكون لهم فرقان على رتبة الناس الذين هم هدى لهم فقال تعالى **وانزل الفرقان** اي الكتاب المصاحب للعز الذي يكسب صاحبه نوع له التصرف فيما يريد من الفصل والوصل الذي هو وظيفة السادة المرجوع اليهم عند المهمات المقترن بالمعجزات المعرفة بين الحق والباطل وسترى هذا المعنى ان شا الله في سورة الانفال باوضح من هذا لعل ذلك لينفذ قابله امر الكتاب المقرر فيه الشرع الحق المباين لجميع الملل الباطلة والاهوا المضلة والنحل الفاسدة وذلك هو روح النصر على اعدا الله المرشد الى الدعا به ختام البقرة قال الحرالي فكان الفرقان جامعا لمنزل ظاهر التوراة ومنزل باطن الانجيل جمعا يبدي ما وراءهما لحكم استناده للنفوس التي هي لحضوره لتنزل الكتاب ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا فكان الفرقان اقرب الكتب للكتاب الجامع فصار التنزيل في ثلاث رتب رتبة الكتاب المنزل بالحق الجامع ثم رتبة الفرقان المظهر لمحل الجمع بين الظاهر والباطن ثم منزل التوراة والانجيل الحنفي فيه موضع التقاط ظاهر التوراة بباطن الانجيل انتهى ومناسبة ابتدائهما بالتوحيد لما في اثنائها انه لما كان خلق عيسى عليه السلام من انثى فقط وهي ادنى اسباب لما كان وجوده اشارة الى ان الزيادة قد انتهت وان الخلق اخذ في النقصان وهذا العالم اشرف على الزوال فلم يات بعده من قومه نبي بل كان خاتم انبيا بني اسرائيل وكان هذا النبي الذي اتى بعده من غير قومه خاتم الانبيا مطلقا وكان مبعوثا مع نفس الساعة وكان نزوله هو في اخر الزمان علما على الساعة تصدرت هذه السورة التي نزل كثير منها بسببه بالوحدانية اشارة الى ان الوارث قد دنا زمان ارثه وان يكون ولا شي معه كما كان وان الحين الذي يختص فيه متفرد الواحد قد حان والان الذي يقول فيه سبحانه لمن الملك اليوم قد ان ويوضح ذلك انه لما كان ادم عليه السلام مخلوقا من التراب الذي هو اسفل اسباب لما وهو غالب على كل ما جاوره وكانت الانثى مخلوقة من ادم الذي هو الذكر وهو اقوى سببي التناسل كان ذلك اشارة الى كثرة الخلايق ونمايهم وازديادهم فصدر اول سورة ذكر فيها خلقه وابتدا امره بالكتاب اشارة الى ان ما يشير اليه ذكره من تكثر الخلايق وانتشار الامم والطوايف داع الى انزال الشرايع وارسال الرسل بالاحكام والدلايل فالمعنى ان ادم عليه السلام لما كان منه الابتدا وعيسى عليه السلام لما كان دليلا على الانتها اقتضت الحكمة ان يكون كل منهما لما كان منه وان تصدر سورة كل بما صدرت به والله الموفق وقال ابن الزبير ما حاصله ان اتصالها بسورة البقرة والله اعلم من جهات احدها تبيين صدر السورة لما هو احالة على ما تضمن في سورة البقرة باسرها فان بها الاشارة في صدر السورة ايضا الى ان الصراط المستقيم قد بين شانه لمن تقدم في كتبهم وان هذا الكتاب جا مصدقا لها نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه فهو بيان لحال الكتاب الذي هو هدى للمتقين ولما بين افتراق الامم بحسب السابقة الى اصناف ثلثة وذكر من تعنت بني اسرائيل وتوقفهم ما تقدم اخبر تعالى هنا انه انزل عليهم التوراة وانزل بعدها الانجيل وان كان ذلك هدى لمن وفق اعلاما منه سبحانه لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان من تقدمهم قد بين لهم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والتناسب قصة عيسى عليه السلام وابتدا امره من عزايب والاعتبار به تنظير الاعتبار بادم عليه السلام وهذا اشار قوله تعالى

ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم انتهى ولما علم بذلك لنا امر القيوم سبحانه بالحق وهو الايمان علم ان المخالف امره من اضداد المومنين الموصوفين
وهم الكفرة المدعو بحذفه لتمام المنزل الفرقان لجواد بانهم الويل والثبور فاتصل بذلك قوله ان الذين كفروا اى غطوا ما دلتهم عليه الفطرة
الاولى التي فطرهم الله عليها ثم ما بينت لهم الرسل عنه سبحانه من البيان الذي لا لبس معه بايات الله المستجمع لصفات الكمال اقتبالا لانهم
على ما لبس له اصلا صفة كمال وهذا الكفر كما قال الحرالي دون الكفر باسما الله الذي هو دون الكفر بالله فلذلك كما بدا خطاب التنزيل
من علاه ينطر به ابتدا الكفر من ادناه لهم عذاب شديد لما تقتضيه صفتا العزة والنقمة وفي وصفه بالشدة ايذان بان من
كفر دون هذا الكفر كان له مطلق عذاب قال الحرالي ففي اشعاره ان لمن داخله كفر ما حظا بحسب حظه ذلك الكفر فافصح الخطاب
بالاشد ولاح بالاضعف انتهى والاية على تقدير سوال لمن كان قال ماذا يفعل بمن اعرض عن الكتب الموصوفة او يقال انه لما قال
وانزل الفرقان اى الفارق بين الحق والباطل من الايات والاحكام عليك وعلى من قبلك من الانبيا لم يبق لاحد شبهة فقال واحسن من ذلك
كله انه سبحانه لما انزل سورة البقرة على طولها في بيان ان الكتاب هدى للمتقين وبين اول هذه وحدانيته وحياته وقيوميته
الدالة على تمام العلم وشمول القدرة فانتج ذلك صدق ما اخبر به سبحانه ايد ذلك بالاعلام بان ذلك الكتاب مع انه هاد اليه حق
ودل على ذلك بمصادقته لما قبله من الكتب ولما ختم اوصافه بانه فرقان لا يدع لبسا ولا شبهة انتج ذلك قطعا ان الذين قدم اول
تلك انهم اصروا على الكفر به خاسرون فاخبر بما اعد لهم من العذاب فقال ان الذين موكدا مظهرا لما كان من حقه الاضمار لولا ارادة
تعليق الحكم بالوصف وهو الكفر اى ستر لما تفصل عليهم به من الايات ثم قرر قدرته على ما هددهم به وعزته فقال عاطفا على ما ارشد
السياق مع العطف على غير مذكور الى انه فالله عالم بما له من القيومية بجميع احوالهم والله اى الملك الاعظم مع كونه رقيبا عزيز
لا يغلبه شي وهو يغلب كل شي ذو انتقام اى تسلط وبطش شديد بسطوة قال الحرالي فاظهر وصفا لعزة موصوفة بما ادام من انتقامه
بما تعرب عنه كلمة ذو المفصحة بمعنى صحبة ودوام فكان في اشعاره دواما لهذا الانتقام بدوام امر الكتاب الجامع المقابل علوه لدنوه
هذا الكفر وكان في طي اشعار اظهار الانتقام احد قسمي اقامة القيومية في طرفي النقمة والرحمة فتقابل بهذا ان الخطابان افصاحا
وافهاما من حيث ذكر بتفصيل الكتب افصاحا فافهم جزاها بالرحمة الاخرة من حيث ذكر جزاء الكفر افصاحا فافهم منزل الفتنة
في الابتداء الاخرة فانه كما انزل الكتب هدى انزل متشابهها فتنة فتعادل الافصاحان والافهامان وتم بذلك امر الدين في هذه السورة
انتهى وما احسن اطلاق العذاب بعد ذكر الفرقان ليشمل الكون في الدنيا نصرة للمومنين استجابة لدعائهم وفي الاخرة نقصا بنقائهم
وزيادة في سرورهم ونعيمهم وتهديدا لمن ترك كثير من هذه السورة بسببهم وهم وفد نصارى نجران مجادلون النبي صلى الله عليه وسلم
في امر عيسى عليه السلام فتارة يقولون هو الله وتارة يقولون هو ابن الله وتارة يقولون ثالث ثلثة وكان بعضهم عالما بالحق في امر
عيسى عليه السلام وبان احمد الذي يبشر به هو هذا النبي العربي فقال له بعض قاربه فلم لا تتبعه وانت تعلم ان عيسى امر باتباعه
فقال له لو اتبعناه لسلبنا ملوك الروم جميع ما ترى من النعمة وكان ملوك الروم قد احبوهم لاجتهادهم في دينهم وعظموهم وسودوهم
وخولوهم في النعم حتى عظمت رياستهم وكثرت اموالهم على ما بين في السيرة الهشامية وغيرها واستمر سبحانه يوكد استجابته لدعاء
اوليائه بالنصرة اخر البقرة في نحو قوله ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم قل للذين كفروا ستغلبون الى ان ختم السورة بشرط الاستجابة
فقال اصبروا وصابروا الاية ثم قال توضيحا لما قدم في اية الكرسي من ثبات العلم واسنده لا على وصفه تعالى بالقيومية التي فارق
بها كل من ادعى الالهية مشيرا بذلك الى الرد على من جادل في عيسى عليه السلام فاطراه بدعوى انه اله وموضحا لان كتبه هدى وانه
عالم بالمطيع والعاصي بما تقدم انه ارشد العطف في والله عزيز الى تقديره ومعللا لوصفه بالعزة والقدرة لما ياتي في سورة
طه من ان تمام العلم يستلزم شمول القدرة ان الله بما له من صفات الكمال التي منها القيومية لا يخفى عليه شي وان دق ولما كان
تقريب المعلومات بالمحسوسات اعد في التعليم وابعد عن الخفا قال وان كان علمه تعالى لا يتقيد بشي في الارض ولا في السما اي ممن
لا يعبدون ان يدعوا في عيسى عليه السلام مثل هذا العلم بل في انجيلهم الذي بين اظهرهم الان في حدود السبعين والثمانين من اية النص
بانه تخفى عليه بعض الامور قال في ترجمة انجيل مرقس في قصة التي كان بها نزيف الدم انها اتت من ورائه فامسكت ثوبه فبرات تحلم
القوة التي خرجت منه فالتفت الى الجمع وقال من مس ثوبي فقال له تلاميذه ما تدري الجمع يزحمك الله وتقول من اقترب مني فجاءت وقالت
له الحق فقال يا ابنة ايمانك خلصك وهو في انجيل لوقا بمعناه ولفظه فجاءت من ورائه وامسكت طرف ثوبه فوقف جري دمها الذي
الذي كان سبيل منها فقال يسوع من لمسني فانكر جميعهم فقال بطرس والذين معه يا معلم الجمع يزحمك الله ويضيق عليك له
وتقول من الذي لمسني فقال يسوع من قرب مني قد علمت ان قوة خرجت مني الى اخره وقال ابن الزبير ثم اشار قوله تعالى ان الله لا
يخفى عليه شي الى ما تقدم في البقرة من تفصيل اخبارهم فكان الكلام في قوة ان لو قيل اتخفى عليه مرتكبات العباد وهو مصورهم
في الارحام والمطلع عليهم حيث لا يطلع عليهم غيره انتهى ولما قرر تعالى شمول علمه اتبعه دليله من تمام قدرته فقال وقال الحرالي
ولما كان كل تفصيل يتقدمه بالرتبة مجمل جامع وكانت تراجم السورة وضع الاجمال ليكون تفصيلها موضع التفاصيل وكان من المذكور
في سورة الكتاب ما وقع من لبسه كذلك كان في هذه السورة التي ترجمتها جوامع الالهية ما وقع من اللبس في امر الالهية في امر
عيسى عليه السلام فكان في هذه الاية الجامعة توطية لبيان الامر في شانه عليه السلام من حيث انه مما صور في الرحم وحملته
الانثى ووضعته وان جميع ما حوته السما والارض لا ينبغي ان يقع فيه لبس في امر الالهية انتهى فقال مبينا امر قدرته بما لا يقدر

عليه

عليه عيسى عليه السلام ولا غيره هو اى وحده الذي ولو عبر هم بصرف القول من الغيبة الى الخطاب تنبيها لهم على ما هم فيه
من قهر المصور لهم على ما وجدهم عليه مما يشتهونه ومالا يشتهونه فقال يصوركم اى بعد ان كنتم نطفا من التصوير وهو اقامة
الصورة وهي تمام البادي الذي يقع عليها حسن الناظر لظهورها فصورة كل شي تمام بدوه قاله الحرالي في الارحام اى التي لا اطلاع لكم
عليها بوجه ولما كان التصوير في نفسه امرا معجبا وشيا للعقل اذا تامله وان كان قد هان بكثرة الالف باهرا فكيف باحواله المتباينة
واشكاله المتخالفة المتباينة اشار الى التعجيب من امره وجليل سره بالة الاستفهام وان قالوا انها في هذا الوطن شرط فقال
كيف يشا اى على اى حالة اراد سواء عنده كونكم من نطفة ذكر وانثى او نطفة انثى وحدها دليلا على كمال العلم والقيومية
وايما الى ان من صور في الرحم كغيره في العبدية لا يكون الا عبدا اذ الاله متعال عن ذلك لما فيه من انواع الاحتياج والنقص وقال الحرالي
فكان في الاحة هذه الاية توزيع امر الاظهار على ثلاثة وجوه تناظر وجوه التقدير الثلاثة التي في فاتحة سورة البقرة فتبلغ هديه
واضلالا لاولياسا الكل الله به وجيه كما اقام بتقدير الايمان والكفر والنفاق خلقه فطابق الامر الخلق فاقام الله بذلك قائم خلقه
وامره فكان في انتظام هذه الافهامات ان بادي الاحوال الظاهرة عند انتها الخلق انما ظهرت لانها مودعة في اصل التصوير
بصورة نورانية يهتدى بها وصورة ظلمانية يكفر لاجلها وصورة ملتبسة غلبيتة غلسية يعتمن ويقع الالتباس والالتباس
من جهتها لما لا ينبغي بيانها الا الفرقان المنزل على هذه الامة ولا تتم احاطة جميعها الا في القران المخصوص به ايمة هذه الامة انتهى
فقد علم ان التصوير في الرحم ادق شي علما وقدرة فعلم انه علم بغيره والقدرة عليه من باب الاولى فثبت انه لا كفوله فلذلك وصل
به كلمة الاخلاص وقال الحرالي ولما تضمنت لاحة هذه الاية ما تضمنته من الالتباس والتكفير اظهر تعالى كلمة الاخلاص ليظهر نورها
ارجاس تلك الالتباسات وتلك التكفيرات فقال لا اله الا هو ابدانا بما يقتضيه الالتباس والتكفير من نوع الاشراك بالالهية
والكفر بها والتلبس والالتباس في امرها فكان في طي هذا التهليل بشرى بنصرة اهل الفرقان على اهل الالتباس والكفران له
وخصوصا على اهل الانجيل والتوراة الذين ذكرت كتبهم صريحا في هذا التنزيل بوحدانيته في التهليل اظهار الحكم في هذه الاية بصيغتي
العزة المقتضية للانتقام من اهل عداوته والحكمة المقتضية لاكرام اهل ولايته انتهى فقال العزيز اى الغالب غلبة لا
يجد معها المغلوب وجه مدافعة ولا انفلات ولا معجز له في انفاذ شي من احكامه الحكيم اى الحاكم بالحكمة فالحكم المنع عما يتزايد اليه
المحكوم عليه وحمله على ما يمتنع منه من جميع انواع الصبر فكأنها بالسياسة العالية نظرا له والحكمة العلم بالامر الذي لاجله وجب
الحكم من قوام امر العاجلة وحسن العقبى في الاجلة ففي ظاهر ذلك الجهد وفي باطنه الرفق وفي عاجله الكره وفي اجله الرضى والروح ولا
يتم الحكم ويستوي الحكمة الا بحسب سعة العلم فبذلك يكون تنزيل امر العزة على وزن الحكمة قاله الحرالي بالمعنى ولما ختم سبحانه بوصف
العزة الدال على الغلبة الدالة على كمال القدرة والحكمة المقتضي لوضع كل شي في احسن محاله واكملها المستلزم لكمال العلم
بتدبير ما مر من التصوير وغيره وكان هذا الكتاب كمل مسموعات العباد لنزوله على وجه هو اعلى الوجوه ونظمه على اسلوب
اعجز الفصحا واكثر البلغا الى غير ذلك من الامور الباهرة والاسرار الظاهرة وعلى عبد هو اكمل الخلق اعقب الوصفين بقوله
بيانا لتمام علمه وشمول قدرته هو اى وحده الذي ولما فصل امر المنزل الى المحكم والمتشابه تطرالية جملة كما اقتضاه التعبير
بالكتاب بعبر بالانزال دون التنزيل فقال انزل عليك اى خاصة الكتاب اى القران وقصر الخطاب على النبي صلى الله عليه وسلم
لان هذا موضع الراسخين وهو راسهم دلالة على انه لا يفهم هنا حق فهمه من الخلق غيره قال الحرالي ولما كانت هذه السورة فيما
اختصت به من علن امر الله مناظرة لسورة البقرة فيما انزلت له من اظهار كتاب الله كان المنتظم بمنزل فاتحتها ما يناظر المنتظم له
بفاتحة سورة البقرة فلما كانت سورة البقرة منزل كتاب هو الوحي انتظم بترجمتها الاعلام بامر كتاب الخلق الذي هو التقدير
فلما بين في اول سورة البقرة كتاب التقدير الذي قدره وكتبه في ذوات الخلق من مومن وكافر ومتردد بينهما هو المنافق فتنزلت
سورة الكتاب الوحي الى بيان قدر الكتاب الخلقي كذلك كان منزل هذا الافتتاح الالهي الى اصل منزل الكتاب الوحي ولما بين في
امر الخلق ان منهم من فطره على الايمان ومنهم من جبله على الكفران ومنهم من راسه بين الخلقين بين في الكتاب ان منه ما انزله على
الاحكام ومنه ما انزله على الاشتباه وفي اقهاما منه ما انزله على الاتيان والاضلال فكان المحكم في الكتاب بمنزلة فطرة الايمان والمتشابه
بمنزلة لبوس النفاق والاتيان والاضلال بمنزلة ختم الكفار فقال منه ايات محكمات اى اتقنت فيها قال الحرالي وهي التي ابرم
حكمها فلم يتغير كما يبرم الحبل الذي يتخذ حكمة اى وثاما ما يبرم به الشي الذي يخاف خروجه لمن الانضباط كان الاية المحكمة تحكم النفس
عن جولانها وتمنعها من جماحها وتضبطها الى لحال مصالحها ثم قال فهي اى التعبد من الخلق للحق اللاى لم يتغير حكمهن في كتاب
من هذه الكتب الثلاث المذكورة فهن لذلك ام انتهى ولما كان الاحكام في غاية البيان فكان في تكامله ورد بعض معانيه الى بعض
كالشي الواحد وكان رد المتشابه اليه في غاية السهولة لمن رسخ ايمانه وصح قصده واتبع علمه فيصير الكل شيا واحدا اخبر عن
الجمع بالمفرد فقال هن ام الكتاب والام الامر الجامع الذي يوم اى يقصد وقال الحرالي هي الاصل المقتبس منه الشي في الروحا بيان
والثابت منه او فيه في الجسمانيات واخر اى منه متشابهات قال الحرالي والمتشابه ما تزاد الشبه في ظاهر امرين يشبه كل
واحد منهما بالاخر بحيث يخفى خصوص كل واحد منهما ثم قال وهي الاي التي اخبر الحق تعالى فيهن عن نفسه وتنزلات تجلياته ووجوه
اعانته خلقه وتوفيقه واجرائه ما اجرى من اقتداره وقدرته في بادي ما اجراه عليهم فهن لذلك متشابهات من حيث ان نبا

الحق عن نفسه لانتاله عقول الخلق ولا تدركه ابصارهم وتعرف لهم بما تعرف به مثل من نفسهم فكان المحكم للعمل والمتشابه لظهور
العجز فكان لذلك حرف المحكم اثبت الحروف عملا وحرف المتشابه اثبت الحروف ايمانا واجتمعت على اقامته الكتب الثلاث واختلفت في
الاربع اختلافا كثيرا اذا اختلف حلالها وحرامها وامرها ونهيها واتفق محكمها ومتشابهها انتهى فبين المتشابه بهذا سبحانه كما يفعل
الافعال المتشابهة مثل تصوير عيسى عليه السلام من غير نطفة ذكر مع اظهار الخوارق على يديه ليتبين الراسخ في الدين من غيره كذلك
يقول الاقوال المتشابهة وانه فعل في هذا الكتاب ما فعل في غيره من كتبه من تقسيم اياته الى محكم ومتشابه ابتلاء لعباده ليتبين فضل
العلماء الراسخين الموقنين بانه من عنده وان كل ما كان من عند الله فلا اختلاف فيه في نفس الامر لان سبب الاختلاف الجهل او العجز وهو
سبحانه متعال جده منزه قدره عن شيء من ذلك ليبين فضلهم بانهم يؤمنون ولا يزالون يستمطرون منه تعالى فتح المغلق وبيان المشكل
حتى يفتحه عليهم بما يرده الى المحكم وهذا على وجه يشير الى المتمسة الذي تاه فيه النصارى والتيه الذي ضلوا فيه عن المنهج والبحر الذي اغرق
جماعتهم وهو المتشابه الذي منه انهم زعموا ان عيسى عليه السلام كان يقول له القائل يا رب افعل لي كذا او يسجد له فيقره على ذلك
ويجيب سؤاله فدل ذلك على انه اله ومنه اطلاقه على الله تعالى ابا وعلى نفسه انه ابنه فابتغوا الفتنة فيه واعتقدوا الابوة ٥
والبنوة على حقيقتهما ولم يردوا ذلك الى المحكم الذي قاله لهم فاكثر منه كما اخبر عنه اصدق القائلين سبحانه في الكتاب المتواتر الذي حفظ
من التحريف والتبديل فلا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت
واوصاني بالصلوة والزكاة ما دمت حيا ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم هذا لما ورد
في كتابنا الذي لم يغير واما ما عندهم فان كانوا بدلوه فقد بقي ولله الحمد منه في الاناجيل الاربعة التي بين اظهرهم الان في اواخر هذا
القران التاسع من المحكم ما يكفي في رد المتشابه اليه ففي انجيل لوقا ان جبريل ملاك الرب لما بشر مريم عليها السلام مبشرا لها بالمسيح
عليه السلام وخافت منه قال لها لا تخافي يا مريم ظفرت بنعمة من عند الله وانت تقبلين حبلا وتلدين ابنا يدعى يشوع يكون عظيما
وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الاله كرسي داود ابيه وفي انجيله ايضا وانجيل متى ان عيسى عليه السلام قال وقد امره ابليس ان يجرب
قدره عند الله بان يطرح نفسه من شاهق مكتوب لا يجرب الرب الهك وقال وقد امره ان يسجد له مكتوب للرب الهك اسجد وله وحده
اعبد وصرح ان الله واحد في غير موضع وفي انجيل لوقا انه دفع الى النبي سفر شعيا النبي فلما فتح وجد الموضع الذي فيه مكتوب روح الرب
علي من اجل هذا مسحني وارسلني لابشر المساكين ولابشر بالسنة المقبولة للرب والايام التي اعطانا الهنا ثم طوى السفر ودفعه الى
الخادم وفيه وفي غيره من اناجيلهم من قبلكم فقد قبلني ومن قبلني فقد قبل الذي ارسلني ومن سمع منكم فقد سمع مني ومن جحدكم فقد
جحدني ومن جحدني فقد شتم الذي ارسلني ومن انكرني قدام الناس انكرته قدام ملائكة الله وفي انجيل يوحنا انه قال عن نفسه عليه السلام
الذي ارسله الله انما ينطق بكلام الله لانه ليس بالكيل اعطاه الله الروح وقال وقد سالته تلاميذه ان ياكل فقال طعامي انا ان اعمل مشيئة
من ارسلني واتم عمله وفيه في موضع اخر الحق الحق اقول لكم ان من يسمع كلامي وامن بمن ارسلني وجبت له الحياة المؤبدة لست اقدر اعمل شيئا
من ذات نفسي وانما احكم بما اسمع ودينونتي عدل لاني لست اطلب مسرتي بل مسرة من ارسلني وفي انجيل مرقس انه قال للناس تعلمتم
وصايا الناس وتركتم وصايا الله وزجر بعض من تبعه فقال اذهب يا شيطان لانك لم تفكر بما لله وتفكر في ذات الناس وفي انجيل
الله الهه وربه ومعبوده واعترف له بالوحدانية وجعل ذاته مباينة لذات الناس الذي مؤمنهم وفي جميع اناجيلهم نحو هذا وانه
كان يصوم ويصلي لله ويامر تلاميذه بذلك ففي انجيل لوقا انهم قالوا له يا رب علمنا نصلي كما علم يوحنا تلاميذه فقال لهم اذا
صليتم فقولوا ابانا الذي في السموات يتقدس اسمك كفافنا اعطنا كل يوم واغفر لنا خطايانا لانا نغفر لمن لنا عليه ولا تدخلنا
في التجارب لكن نجنا من الشرير ولما دخل الهيكل بدا يخرج الذين يبيعون ويشترون فيه وقال لهم مكتوب ان بيتي هو بيت الصلاة وانتم
جعلتموه مغارة اللصوص فعلم من هذا كله ان اطلاق اسم الرب عليه لان الله تعالى اذن له ان يفعل بعض افعاله التي ليست في قدرة
البشر والرب يطلق على السيد ايضا كما قال يوسف عليه السلام اذكرني عند ربك ثم وجدت في اوائل انجيل يوحنا ان الرب تاويله
المعلم ولورود ايضا الاب والابن الى هذا المحكم وامثاله وهي كثيرة في جميع اناجيلهم تعلم بلا شبهة ان معناه ان الله تعالى يفعل معه
ما يفعل الوالد مع ولده من التربية والاحاطة والنصرة والتعظيم والاجلال كما ترجمهم عنها ان يقولوا قوله فيما تقدم ابانا الذي
في السموات وقوله في انجيل متى لتلاميذه هكذا فليضئ نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذي في السموات وقال
واحسنوا الى من يبغضكم وصلوا على من يطردكم ويحزنكم لكيما تكونوا بني ابيكم الذي في السموات لانه المشرق شمسه على الاخيار والاشرار
والممطر على الصديقين والظالمين انظروا لا تصنعوا امراحكم قدام الناس لكي يروكم فليس لكم اجر عند ابيكم الذي في السموات واذا
صنعت رحمة فلا تضرب قدامك بالبوق ولا تصنع كما يصنع المراؤون في المجامع وفي الاسواق لكي يمجدوا من الناس الحق اقول لكم لقد
اخذوا اجرهم وانت اذا صنعت رحمة لا تعلم شمالك ما صنع يمينك لتكون صدقتك في خفية وابوك الذي يرى الخفية يعطيك
علانية وقال في الفصل العاشر منه وصل لابيك سرا وابوك يرى السر فيعطيك علانية وهكذا في جميع ايات الاحكام
من الانجيل كررهم هذه اللفظة تكريرا كثيرا لكيما يعرف لها النصارى بان المراد منها تعظيمهم له اشد من تعظيمهم لابائهم يعني
بهم اكثر من عناية الوالد بولده وكذلك يؤولون ما في انجيل لوقا وغيره ان ام عيسى واخوته اتوا اليه فلم يقدروا لكثرة الجمع على
الوصول اليه فقالوا له امك واخوتك خارجا يريدون ان ينظروا اليك فاجاب امي واخوتي الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها

فكذلك يلزمهم تاويلها في حق عيسى عليه السلام كذلك ليرد المتشابه الى المحكم وان لم يؤولوا ذلك في حق انفسهم وحملوه على الظا
كما هو ظاهر قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه كانوا مكابرين في المحسوس بلا شبهة فان كل احد منهم مساو
لجميع الناس وانهما بني ان له ابوين وكانت دعواهم هذه ساقطة لا يردها عليهم الا من تبرع بالزامهم لمحسوس اخوانهم مختبرون
وقد ابانهم هو نفسه عليه السلام ادلة على صرفها عن ظاهرها منها غير ما تقدم انه كثيرا ما كان يخبر عن نفسه فيقول ابن الانسان
يفعل كذا ابن البشر قال كذا يعني نفسه الكريمة بحيث نسب الى البشر كان مريدا الحقيقة لانه ابن امراة منهم وهو مثلهم
في الجسد والمعاني وحيث نسبها الى الله تعالى كان على المجاز كما تقدم واما السجود فقد ورد في التوراة كثيرا لاحاد الناس من غير نكير
فلانه كان جائزا في شرائعهم فعله لغير الله تعالى على وجه التعظيم والله اعلم واما نحن فلا يجوز فعله لغير الله ولا يجوز في شرعنا
اصلا اطلاق الاب ولا الابن بالنسبة اليه سبحانه وكذا كل لفظ اوهم نقصا سواء كان ذلك كان جائزا في شرعهم ام لا واذا ارجعت
تفسير البيضاوي لقوله تعالى في البقرة اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون زادك بصيرة فيما هنا والحاصل انهم لم يصرفوا
ذلك في حق عيسى عليه السلام عن ظاهره وحقيقته ويحكموا بان المراد منه المجاز وهو هنا اطلاق اسم الملزوم على اللازم وكذا
غيره من متشابه الانجيل كما فعلنا نحن بمعونة الله في وصف الله تعالى بالرضى والغضب والرحمة والضحك وغير ذلك مما يستلزم
حمله على الظاهر صفات المحدثين وكذا ذكر اليد والكف والعين ونحو ذلك فحملنا ذلك كله على ان المراد منه لوازمه وغاياته
مما يليق بجلاله تعالى مع تنزيهنا له سبحانه عن كل نقص واثباتنا له كل كمال فان الله تعالى عز جده وجل قدره ونحوه انزل حرف
المتشابه ابتلاء لعباده ليتميز الثابت من الطائش والموقن من الشاك قال الحرالي في كتاب عروة المفتاح وجه انزال هذا الحرف
تعرف الحق للخلق بمعنى ما خلقهم عليه ليعلموا عنه وليفهموا خطابه وليتضح لهم نزول رتبتهم عن علو ما تعرف به لهم وليتحقق
عجزهم عن ادراك هذا الحرف علمهم بالاربعة يعني الامر والنهي والحلال والحرام وحسبهم بالخامس يعني المحكم ويوقفهم عنه والاكتفاء
بالايمان منه ما تقدم من علمهم بالاربعة واتصافهم بالخامس ليتم لهم العبادة بالوجهين من العمل والوقوف والادراك والعجز
فارجع البصر هل ترى من فطور علما وحسا ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وقوفا وعجزا اعلمهم بحظ
من علم انفسهم وغيرهم بعد ان اخرجهم من بطون امهاتهم لا يعلمون شيئا ثم اعجزهم عن علم امره واياما الماضية والاتية وغايب الحاضرة
ليسلموا اليه اختيارا اذا اعوزهم اليقين بامره وغايب ايامه كما اسلموا له في الصغر اضطرارا اذا عوزهم حظا من علم خلقه لمن لم يوفقه
في حد الايمان اشتباه خطابه تعالى عن نفسه وما بينه وبين خلقه وحلول تدركه بدليل او تفكر او تاويل هزم اليقين يعلي الامر
والتحقيق في علم الخلق واخذ بما اضاع من محكم ذلك المتشابه حين اشتغل عما يعنيه من حال نفسه بما لا يعنيه من امر ربه فكان
كالمتشاغل بالنظر في ذي الملك وتنظيره يرى نفسه عن مواتية ما يلزمه من تفهم حدوده وتلك لله طرمته وحيرا مع منزل
هذا الحرف في ذينك مبهمه ومفصله اما ابهامه فلوقوف العلم به على تعريف الله من غير واسطة من وسائط النفس من فكر
او استدلال وليتدرب المخاطب بتوقفه على المبهم على توقفه عن مفصله ومبهمه وهو جامع للحروف المنزلة في اوائل السور
التسعة والعشرين من سوره وبه افتتح الترتيب في القران ليبتلي الخلق بادي امر الله بالعجز والوقوف والاستسلام الى الله
عن الله بجمله يفتح من لدنه ولذلك لم يكن في تنزيله في هذه الرتبة ريب لمن علمه الله كنهه من حيث لم يكن للنفس مدخل في
علمه وذلك قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه لمن علمه الله اياه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ٥
وقوفا عن محاولة علم ما ليس في وسع الخلق علمه حتى تحقه العناية من ربه بعلمه ما لم يكن في علمه واما الرتبة الثانية
فمتشابه الخطاب المفصل المشتمل على اخبار الله عن نفسه وتنزلات امره وترتب اقامات خلقه بابداع كلمته وتصيير
حكمته وباطن ملكوته وعزيز جبروته واحوال ايامه واول ذلك في ترتيب القران اخباره عن استوائه في قوله تعالى ثم استوى
الى السماء الى قوله فاينما تولوا فثم وجه الله الى سائر ما اخبر عنه من عظيم شانه في جملة ايات متعددات كقوله تعالى الا له
ليعلم من يتبع الرسول فاني قريب هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة الله لا اله الا هو الحي القيوم فاذنوا
بحرب من الله ورسوله هو الذي يصوركم في الارحام ويحذركم الله نفسه ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير وكان
الله سميعا بصيرا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم خلق السموات
والارض ثم استوى على العرش ولتصنع على عيني قل من بيده ملكوت كل شيء فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة
المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله كل شيء هالك الا وجهه هو الذي يصلي عليكم وملائكته ان الله وملائكته يصلون على
النبي ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه
وله الكبرياء في السموات والارض كل من عليها فان ويبقى وجه ربك هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو معكم اينما كنتم ما يكون
من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا فاتاهم الله من حيث لم
يحتسبوا تبارك الذي بيده الملك تعرج الملائكة والروح اليه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وما تشاؤون الا ان يشاء
وجاء ربك والملك صفا صفا الى سائر ما اخبر به عن تنزلات امره وتسوير خلقه وما اخبر عنه حبيبه صلى الله عليه وسلم
من محفوظ الاحاديث التي عرف بها امته ما يحملهم في عبادتهم على الانكماش والجد والخشية والوجل والاشفاق وسائر الاحوال

المتشابهات في حرف المحكم من نحو حديث النزول والتجلي والصورة والضحك والكف والانامل وحديث عنا بز لزوم التقرب بالنوافل وغير
ذلك من الاحاديث وورد بعضها في الصحيحين واعتنى بجمعها الحافظ المتقن ابو الحسن الدارقطني رحمه الله ودون بعض المتكلمين جملة منها
لقصد التاويل وسنده البكبري في ذلك ائمة المحدثين بو نسو عن الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه انه قال ايات الصفات واحاديث
الصفات صناديق مقفلة مفاتيحها بيد الله تاويلها تلاوتها وكذلك ائمة الفقها وفتياهم لعامة المومنين والذي اجتمعت
عليه الصحابة رضوان الله عليهم ولغته العرب كلها وورد ذلك من الله ومن رسوله ومن الائمة انما هو المقصد لا الابهام المقصد
الاعلام فلذلك لم يستشكل الصحابة رضوان الله عليهم منه شيئا قط بل كلما كان وارده عليهم اكثر كانوا به افرح وللخطاب به
افهم حتى قال بعضهم لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يضحك من عبده لا نعدم الخير من عبد يضحك وهم وسائر العلما
بعدهم صنفان اما متوقف عنه في حد الايمان قانع بما افاد من الابهام واما مفتوح عليه بما هو في صفا الايقان وذلك ان الله سبحانه
تعرف لعباده في الافعال والاثار في الافاق وفي انفسهم تعليما وتعرف للخاصة منهم بالاوصاف العليا والاسما الحسنى بما يمكنهم
اعتباره تنجيز الحجا ووجدا ودرا النعل بالاعلام الى عجز الادراك تعرفوا ان لا معرفة لهم وذلك هو حد العرفان واحكام قراة هذا الحرف
المتشابه في منزل القران وتحققوا ان ليس كمثله شي ولم يكن له كفوا احد فنهد تواتيدلك لما يفتح الله على من يحب من صفا الايقان
والله يحب المحسنين ثم قال فيما به قراة حرف هذا الحرف اعلم ان تحقيق الاسلام بقراة حرف المحكم لا يتم الا بكمال الايمان بقراة حرف
المتشابه تماما لان حرف المحكم حاله يتحقق للعبد ولما كان حرف المتشابه اخبارا عن نفسه سبحانه بما يتعرف به لخلقه من اسما
واوصاف كانت قراته ان يتحقق العبد ان تلك الاسما والاوصاف ليست مما تدركه حواس الخلق ولا مما تناله عقولهم وان اجرى
بعض تلك الاسما والاوصاف على الخلق فبوجه لا يلحق اسما الحق ولا اوصافه منها تشبيه في وهم ولا تمثيل في عقل ليس كمثله شي
وهو السميع البصير ولم يكن له كفوا احد فالذي يصح به قراة هذا الحرف اما من جهة القلب فالمعرفة بان جميع اسما الحق واوصافه
تعجز عن معرفتها ادراكات الخلق ويتقف عن تاويلها احلالا واعظاما معلوما ثم وان حسبها معرفتها بانها لا تعرفها واما من
جهة حال النفس فالاستكانة لما يوجبه تعرف الحق بتلك الاسما والاوصاف من التحقق بما يقابلها والبراة من الاتصاف بها
لان ما صلح للسيد حرم على العبد كتحقق فقر الخلق من تسمي الحق بالغني ولا يتسمى بالغني فيقدح في هداه فيهلك باسمه ودعواه
وتحقق ذلهم من تسميته تعالى بالعزة وعجزهم عن تسميته بالقدرة واستحقاق تحليهم من جميع ما تعرف به من اوصاف الملك
والسلطان كالغضب والرضى والوعد والوعيد والترغيب والترهيب الى ساير ما تسمى به في جميع تصرفاته مما ذكر في المتشابه
من الاي واشير اليه من الاحاديث وما عليه اشتملت واردات الاخبار في جميع الكتب والصحف ومراي الصالحين ومواقف المحدثين
ومواجد المروعين واما من جهة العمل فحفظ اللسان عن اطلاق الفاظ التمثيل والتشبيه تحقيقا لما في مضمون قوله تعالى
ولم يكن له كفوا احد لان مقتضاها الرد على المشبهة من هذه الامة وليس لعمل الجوارح في هذا الحرف مظهر سوى ما ذكر من لفظ
اللسان ففوائده كالتوطية لتخليص العبادة بالقلب في قراة مفرد حرف الامثال والله العلي الكبير انتهى وقد تقدم حرف الامثال
عند قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقد بين سبحانه انه لا يصل بحرف المتشابه الا ذو الطبع المعوج الذين لم ترسخ اقدامهم
في الدين ولا استنارت معارفهم في العلم فقال **فاما الذين في قلوبهم زيغ** اي اعوجاج عدلوا به عن الحق وقال الحرالي هو ميل المايل
الى ما يزيد لنفسه الميل اليه والمراد هنا اشد الميل الذي هو ميل القلوب عن جادة الاستوا وفي اشعاره ما يلحق بزيغ القلوب
من سيي الاحوال في الانفس وزلل الافعال في الاعمال فانبا تعالى عما هو الاشد وافهم ما هو الاضعف **فيتبعون** في اشعار هذه
الصيغة بما تنبي عنه من تكلف لمتابعة بان من وقع الميل قلبه لم تلحقه مذمة هذا الخطاب فاذا وقع الزلل ولم يتتابع
حتى يكون اتباعا سلم من حد الفتنة بمعاجلة التوبة **ما تشابه منه** فاعمه ايهاما ما يشعر بما جرت به الكلمات فيما يقع
بناعن الحق وعن الخلق في بادي الصورة من نحو العين واليد والرجل والوجه وساير بوادي الصورة كل ذلك مما آيه متشابهات
انزلها الله تعالى ليتعرف للخلق بما جبلهم عليه مما لو لم يتعرف به لم يعرفوه ففايدة انزالها التعرف بما يقع به الامتحان بالجام
الفكر عنه والاقدام على التعبد له ففايدة انزاله عملا في الحكم وفايدة انزاله فيه توقفا عنه ليقع الابتلا بالوجهين عملا
بالحكم ووقوفا عن المتشابه قال عليه الصلاة والسلام لا تتفكروا في الله وقال علي رضي الله عنه من تفكر في ذات الله تزندق
وارتفعا لعلما اتكالا لخلق عن التصرف في تكييف شي منه كما ذكر عن مالك رضي الله عنه في قوله الكيف مجهول والسوال عنه
بدعة فالخوض في المتشابه بدعة والوقوف عنه سنة وافصح عنه الامام احمد يعني فيما تقدم في ايات الصفات من ان
تاويلها تلاوتها هذا هو حد الايمان وموقفه واليه اذعن الراسخون في العلم وهم الذين تحققوا في اعلام العلم ولم يطمعوا
الى وهم التخييل والتمثيل به في شي مما انبا الله به عن نفسه ولا في شي مما بينه وبين خلقه وكان في توقفهم عن الخوض في
المتشابه تفرغهم للعمل في المحكم لان المحكم واضح وجدا في متفقة عليه مدارك الفطر واذعان الجبلات ومنزلات الكتب
لم يقع فيه اختلاف بوجه حتى كان لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة حبة من كبر للزوم الواجب من العمل بالحكم في اذعان
النفس فكما لا يصلح العرا عن الاتصاف بالحكم لا يصلح التزايد في شي من الخوض في المتشابه لاحد من اهل العلم والايمان اهل الدرجات
لان الله سبحانه جبل الخلق وفطرهم على ادراك حظ من انفسهم ومن احوالهم واوقفهم عن ادراك ما هو راجع اليه فامر الله وتجلياته

لاينال

لاينال الاعنابة منه يزج بالعبد وجه يقطع به الحجب الظلمانية والنورانية التي فيها مواقف العلما فليس في هذا الحرف
المتشابه الا الاعد لسانا بين لسان وقفة عن حد الايمان للراسخين في العلم المشتغلين بالاتصاف بالتذلل والتواضع والتقوى
والبر الذي امر صلى الله عليه وسلم ان يتبع فيه حتى ينتهي العبد الى ان يحبه الله فيرفع عنه عجز الوقفة عن المتشابه ويبعده من
حجاب النور اليه فلا يستشكل عليه دقيق ولا يحجبه خفي مما احبه الله وما بين ذلك من خوض دون انفاذ هذه العناية فنقص
عن حد رتبة الايمان والرسوخ في العلم فكلما يعرض فيه نافص من حيث يحجب ان يزيد فهو اما عجز ايماني من حيث الفطر الخلقي
واما تحقق ايقاني بوجه العناية والمحبة انتهى ولما ذكر اتباعهم له ذكر علته فقال **ابتغا الفتنة** اي تمييل الناس عن
عقايدهم بالتشكيك **وابتغا تاويله** اي ترجيعه الى ما يشتهونه وتدعوا اليه نفوسهم المايلة واهويتهم الباطلة بادعا انه
ماله قال الحرالي والابتغا افتعال تكلف البغي وهو شدة الطلب وجعله تعالى ابتغاين لاختلاف وجهيه فجعل الاول فتنة
لتعلقه بالغير وجعل الثاني تاويلا اي طلبا للمال عنده لانتصاره على نفسه فكان القول لو يجيء انتهى ولما بين زيغهم
بين ان سببه خوضهم فيما لا يمكنهم علمه فقال **وما** اي والحال انه ما **يعلم** في الحال وعلى القطع **تاويله** قال الحرالي هو ما
يوول اليه امر الشي في ماله اي معاده **الا الله** اي المحيط قدرة وعلما قال ولكل باد من الخلق مال كما ان الاخرة مال الدنيا يوم
ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جات رسل ربنا بالحق وكذلك كل يوم من ايام الاخرة مال للذي قبله فيوم الخلود
مال يوم الجزا ويوم الابد مال يوم الخلود وابد الابد مال الابد وكذلك كل الخلق له مال من امر فامر الله مال خلقه وكذلك
الامر كل تنزل اعلى منه مال للتنزل الادنى الى كمال الامر وكل امر الله له مال من اسمايه وتجلياته وكل تجل اجلى مال لما دونه
من تجل اخفى قال عليه الصلاة والسلام فيما يتم ربهم في ضرب الصورة التي يعرفونها الحديث الى قوله انت ربنا فكان تجليه الاظهر
لهم مال تجليه الاخفى عنهم فكان كل اقرب للخلق من غيب خلق وقايم امر وعلى تجلي ايلا الى ما وراه فكان تاويله فلم تكن الاحاطة
بالتاويل المحيط الا لله انتهى ولما ذكر الزايغين ذكر الثابتين فقال **والراسخون في العلم** قال الحرالي وهم المتحققون في اعلام
العلم من حيث ان الرسوخ النزول بالتثقل في الشي الرخو ليس الظهور على الشي فلرسوخهم كانوا اهل ايمان ولو انهم كانوا ظاهرين
على العلم كانوا اهل ايقان لكنهم راسخون في العلم لم يظهروا بصفا الايقان على نور العلم فثبتهم الله عند حد التوقف فكانوا
دايمين على الايمان لقوله **يقولون امنا به** بصيغة الدوام انتهى اي هذا حالهم في رسوخهم ولما كان هذا شبيها بقول فاما
الذين في قلوبهم زيغ كان ذلك واضحا في كونه ابتدا وان الوقف على ما قبله ولما كان هذا الضمير محتملا للمحكم فقط قال **كل** اي
من المحكم والمتشابه قال الحرالي وهذه الكلمة معرفة بتعريف الاحاطة التي اعمل النحاة ذكرها في وجوه التعريف الا من لاح معناها
منهم فلم يلتفق ولم يتفق جماعتهم عنه ذلك وهو من اكمل وجوه التعريف لان حقيقة التعريف التعيين لعيان او عقل وهي
اشارة الى احاطة ما انزله على ابهامه فكان مرجع المتشابه والمحكم عندهم مرجعا واحدا امنوا بحال اجتماعه الذي منه نشا
فرقانه لان كل مفترق بالحقيقة انما هو معروج من حد اجتماع فما رجع اليه الايمان في قولهم امنا به هو محل اجتماع المحكم والمتشابه
في احاطة الكتاب قبل تفصيله انتهى **من عند ربنا** اي المحسن الينا بكل اعتبار ولعله عبر بعند وهي للامر الظاهر دون لدن
اشارة الى ظهور ذلك عند التامل وعروه عن الاشتباه ولما كان مع كل متشابه امر ادق النظر فيه رجع الى مثال حاضر
في العقل ما لمحسوس واما في حد ظهور المحسوس قال مثبتا المدح المتاملين منبها على دقة الامر وشدة غموضه بادغام تا التفعل
مشيرا الى انهم نالوا هيلوا بالرسوخ الى الادنا عن رتبته ملوحا الى انه لا فهم لغيرهم عاطفا على ما تقديره فتذكرهم الله في محالي المتشابه
ببركة ايمانهم وتسليمهم بما نصبه من الايات في الايات وفي انفسهم ما يمكن ان يكون اراده سبحانه منه وان لم يكونوا على القطع بانه
اراده **وما يذكر** اي من الراسخين بما سمع من المتشابه ما في حسه وعقله من افعال ذلك **الا اولوا الالباب** قال الحرالي الذين
لهم لب العقل الذي للراسخين في العلم ظاهره فكان بين اهل الزيغ واهل التذكر مقابلة بعيدة فيهم متذكر ينتهي الى ايقان راسخ
في العلم يقف عند حد ايمان ومتاول يركن الى لبس بدعة وفاتن يتبع هوى فانبا جملة هذا البيان عن احوال الخلق بالنظر
الى تلقي الكتاب كما انبا بيان سورة البقرة عن جهات تلقيهم للاحكام انتهى ولما علم بذلك ان الراسخين ايقنوا بانه من عند الله
المستلزم لانه لا عوج فيه اخبر انهم اقبلوا على التضرع اليه في ان يثبتهم بعد هدايتهم ثم ان يرحمهم ببيان ما اشكل عليهم بقوله
حاكيا عنهم وهو في الحقيقة تلقين منه لهم لطفا بهم مقدما ما ينبغي تقديمه من السوال في تطهير القلب عما لا ينبغي على ما
طلب تنويره بما ينبغي لان ازالة المانع قبل ايجاد المقتضي عين الحكمة **ربنا** اي ايها المحسن الينا **لا تزغ قلوبنا** اي عن الحق ولما
صلاح القلب صلاح الجملة وفساده فسادها وكان ثبات الانسان على سنن الاستقامة من غير عوج اصلا مما لم تجر به سبحانه
عادته لغير المعصومين قال نادعا الجار ومسندا الفعل الى ضمير الجملة **بعد اذ هديتنا** اليه وقال الحرالي وفي الاية معنا حال
هذا الابتهال واقع من اولي الالباب ليبرؤوا من يجلهم من التذكر الى ما هو اعلى وابطن انتهى فلذلك قالوا **وهب لنا من لدنك**
اي امرك الخاص بحضرتك القدسية الباطن عن غير خواص اصلك **رحمة** اي فضلا ومنحة منك ابتدا من غير سبب منا وتكون ها
تعظيما لها بان ايسر شي منها يكفي الموهوب ولما لم يكن لغيره شي اصلا فكان كل عطا من فضله قالوا وقال الحرالي ولما كان
هذا الامر الذي ليس لها في فطر الخلق وجبلاتهم واقامة حكمتهم وانما هو موهبة من الله بحسب العناية ختم بقوله

انك انت الوهاب وهي صيغة مبالغة من الوهب والهبة وهي العطية سماحا من غير قصد من تا لموهب انتهى ولما كان من المطلوب من اول ما قرع السمع من الكتاب من الفاتحة واول البقرة واثنائها اتيان للناس بيوم ما يتداينون فيه وصلوا بقولهم السابق قولهم ربنا انك جامع قال الحرالي من الجمع وهو ضم ما شأنه الافتراق والتنافر لطفا او قهرا انتهى الناس اي كلهم ليوم اي بتداينون فيه لا ريب فيه ثم عللوا نفي الريب بقولهم عادلين عن الخطاب تبين بالاسم الاعظم لان المقام للجلال ان الله اي المحيط بصفات الكمال لا يخلف ولما كان نفي الخلف في زمن الوعد ومكانه ابلغ من نفي خلافه عبر بنفسه عبر بالمفعال فقال الميعاد وقال الحرالي هو مفعال من الوعد صيغ لمعنى تكرره ودوامه والوعد العهد في الخير انتهى وكل ذلك تنبيها على انه يجب التثبت في فهم الكتاب والاحجام عن مشكله خوفا من الفضيحة يوم الجمع يوم يسألون اليه ويقفون بين يديه فكأنه تعالى يقول للنصارى هب انه اشكل عليكم بعض ما تلي وانزل في الانجيل فهلا فعلتم فعل الراسخين فنزهتموني عما لا يليق بجلالي من التناقض وغيره ووكلتم امر ذلك الي وعولتم في فتح مغلقه علي خوفا من يوم الدين وقال الزبير ثم لما بلغ الكلام الى هنا اي الى اية التصوير كانه قد قيل فكيف طرأ عليهم ما طرأ مع وجود الكتب فاخبر تعالى بشأن الكتاب وانه محكم ومتشابه وكذا غيره من الكتب والله اعلم فحال اهل التوفيق تحكيم المحكم وحال اهل الزيغ اتباع المتشابه والتعلق به وهذا بيان لقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وكل هذا بيان لكون الكتاب لحرب اعظم فرقان واوضح بيان اذ قد اوضح احوال المختلفين ومن اين اتى عليهم مع وجود الكتب وفي اثناء ذلك تنبيه العباد على عجزهم وعدم استبدادهم لئلا يغتر الغافل فيقول مع هذا البيان ووضوح الامر طريق الى تنكب الصراط فنبهوا حين علموا الدعاء من قوله واياك نستعين ثم كرر تنبيههم لشدة الحاجة فيتذكر هذا ابدا فيه معظم البيان ومن اعتقاد الاستبداد يلتبس الشرك الاكبر اذ اعتقاد الاستبداد بالافعال اخراج لتصرف الموجودات عن يد بارئها والله خلقكم وما تعملون ثم التنبيه ان الذين كفروا ومنه يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ومنه امن الرسول الى خاتمتها فهذا من جلي التنبيه ومحكمه ومما يرجع اليه ويجوز معناه بعد اعتباره والهكم اله واحد وقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم لمن رأى الفعل او بعضه لغيره تعالى حقيقة فقد قال بالهية غيره ثم حذروا اشد التحذير لما بين لهم فقال تعالى ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد ثم ارتبطت الايات الى اخرها انتهى ولما تحقق ان يوم الجمع كائن لا محالة تحقق ان من تابعه تحقيقا لعزته سبحانه وانتقامه من الكفرة قوله تعالى ان الذين كفروا اي الذين يظنون لسترهم ما دلت عليه مرائي عقولهم انهم يمتنعون من امر الله لانهم يفعلون في عصيانه وعداوة اوليائه فعل من يريد المغالبة لن تغني عنهم اموالهم اي وان كثرت وقدمها لان بها قوام ما بعدها وتمام لذته واكد باعادة النافي ليفيد النفي عن كل على حياله وعن المجموع فيكون اصرح في المراد ولا اولادهم وان جلت وعظمت من الله اي الملك الاعظم شيئا اي من اغناء مبتدئا من جهة الله واذا كانت تلك الجهة عارية مما يغني كان كل ما يأتيهم من قبله سبحانه من بأس وانعام لا مانع له فيما اراده بهم كان من خذلان في الدنيا وبعث بعد الموت وحشر بعد البعث وعذاب في الاخرة فاولئك المعرضون منه لكل بلاء واولئك هم وقود النار وفي ذلك اعظم تنبيه على ان الراسخين الذين خالفوا الزائغين يوقفت بهم نعمه المقتضية لتصديقه عن تصديقه ليست مغنية عنهم تلك النعم شيئا وانهم مغلوبون لا محالة في الدنيا ويحشرون في الاخرة الى جهنم ولما كانت هذه السورة سورة التوحيد كان الاليق تخطيها بان يكون الدعاء فيه الى الزهد ايام من الدعاء في غيرها والاشارة فيه الى ذلك اكثر من الاشارة في غيرها فكانت هذه الاية قاطعة للقلوب لشيرة بما اشارت اليه من فتنة الاموال والاولاد الموجبة للهلاك قال الحرالي ولما كان من مضمون ترجمة سورة البقرة اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على سر التقدير الذي صرف عن الجواب فيه واظهار سر موسى كليم الله وعيسى كلمة الله عليهما السلام كان مما اظهره الله لخاتمة امة محمد صلى الله عليه وسلم علاها على كل امة واختصاصا لها بما علا اختصاص له نبيها صلى الله عليه وسلم حتى قال قائلهم اخبرهم اني بريء منهم وانهم براء مني لقوم لم يظهروا على سر القدر وقال والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو ان لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه ما قبل منه حتى يؤمن بالقدر فافهم الله علماء هذه الامة ان اعمالها لا تقبل الا على معرفة بسر التقدير ليكون قلوبها بريئة من اعمال ظواهرها كما قيل في اثارة من تعلم من لم يختم عمله بالعلم لم يعمل ومن لم يختم علمه بالجهل لم يعلم فختم العامل عمله بالعلم ان يعلم انه لا عمل له وان الذي على يديه امر مقدر قدره الله عليه واقامه فيه لما خلق له من حكمته من وصفه من خير او شر ومن تمام كلمته في رحمته او عقوبته لتظهر بذلك حكمة الحكيم ولا حجة للعبد على ربه ولا حجة للصبغة على صانعها ولله الحجة البالغة وكذلك العالم متى لم يطو سره على انه لا يعلم وانما العلم عند الله لم يثبت له علم فذلك ختم العمل بالعلم وختم العلم بالجهل فلما اطلعه تعالى في فاتحة سورة البقرة على سر تقديره في خلقه اظهره في فاتحة سورة ال عمران على علن قيوميته الذي هو شاهده في وحي ربه كما هو بصير بسر القدر في تفرقة احوال خلقه فكان منزل سورة البقرة قوام الافعال ومنزل سورة ال عمران قوام التنزيل والانزال فكان علن القيومية قوام التنزيل للكتاب الجامع الاول والتنزيل قوام انزال الكتب وانزال الكتاب الجامع لتفصيل الكتب قوام تفصيل الايات المحكمات والمتشابهات والاحكام والمتشابه اقامة الهدى في الفتنة والهدى في الفتنة اقامة متصرف الحواس الظاهرة والباطنة والاحوال وما دونها من الافعال على وجه جمع يكون قواما لما تفصل من جملته وتكثر من وحدته وتفرق من اجتماعه ولعلو مضمون هذه السورة لم يقع فيها توجه الخطاب بيا ايها الناس واختص خطابها بالذين امنوا في علو من معاني الايمان لما ذكر من شرف سن الايمان

على سن الناس في تنامي اسنان القلوب وكان خطاب سورة البقرة بمقتضى سنة العقل الذي به يقع اول الاستماع والاستماع كما ظهر في ايات الاعتبار فيها في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض الى قوله لقوم يعقلون فكان خطاب سورة ال عمران اقبالا على اولي الالباب الذين لهم لب العقل بما ظهر في اولها وخاتمتها في قوله تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب وفي خاتمتها في ايات اعتبارها في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب فبالعقل يقع الاعتبار لمنزل الكتاب وباللب يكون التذكر ايلا الى الذي نزل الكتاب وبالجملة فالمثاني في هذه السورة من تفاصيل اياتها وجمل جوامعها بما هو اعلى تجيب الايمان واعتبار اللب كما ان منزل سورة البقرة اعلى بما هو من امر الاعمال واقامة معالم الاسلام بما ظهر في هذه السورة من علن امر الله وبما افتتحت به من اسم الله الاعظم الذي جميع الاسماء لاحاطته واختصاصها بوجه ما فكان فيها علن التوحيد وكمال روح قوام تنزيل الامر وتطور الخلق في جميع متنزلها ومثانيها وظهر فيها تفصيل وجوه الحكم العلية التي تضمن جملة ذكرها الاية الجامعة في سورة البقرة في قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء فكان من جملة نبأ الحكمة ما هو السبب في ظهور الكفر من الذين كفروا بما غلب عليهم من الفتنة باموالهم واولادهم حتى الهتهم عن ذكر الله فانتهوا فيه الى حد الكفر الذي نبه عليه الذين امنوا في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله انتهى ولما كان السبب المقتضي لاستمرار الكفر من النصارى المجادلين في امر عيسى عليه السلام الخوف ممن فوقهم من ملوك النصرانية نبههم سبحانه على اول قصة اسلافهم من بني اسرائيل وما كانوا فيه من الذل مع ال فرعون وما كان فيه فرعون من العظمة التي لم يعسرها ملوك زمانهم ثم لما اراد الله تعالى قهر اسلافهم له لم تغن عنهم ذلك ثم ولا قلتهم ولا نفعته عزته ولا كثرة اله فلذلك صرح بهم سبحانه وطوى ذكر من قبلهم فقال كدأب اي لم يغن عنهم ذلك شيئا مثل عادة ال فرعون اي الذين اشتهر لديكم استكبارهم وعظمتهم وبغيهم قال الحرالي الدأب العادة الدائمة التي تتابع بالتزامها وال الرجل من اذا حضر ترأى فيهم فكأنه لم يغب وفرعون اسم ملك مصر في الكفر ومصر ارض جامعة كليتها وجملة اقليمها نازل منزلة الارض كلها فلها احاطة بوجه ما فلذلك اعظم شأنها في القران وشأن العالي فيها من الفراعنة وكان الرسول المبعوث اليه اول المؤمنين بما وراء امر الخلق من طليعة ظهور الخلق لسماع كلامه بلا واسطة ملك فكان اول من طوى له رتبة نبوته رتبة النبوة ذات الواسطة فلذلك بدئ به في هذا الخطاب لعلو رتبة نبوته بما هو كليم الله ومصطفاه على الناس ولحقت من تقدمهم بما وقعت في نبوته من واسطة روح او ملك وخص له لانه هو كان عارفا بامر الله فكان جاحدا مكذبا انتهى ال فرعون والذين ولما كان المكذبون انما هم بعض المتقدمين ادخل الجار فقال من قبلهم وقد نقلت لكم اخبارهم وقومهم واستظهارهم فكأنه قيل ما ذا كانت عادتهم فقيل كذبوا ولما كان التكذيب موجبا للعقوبة كان مظهر العظمة به اليق فصرف القول اليه فقال باياتنا السودية والطورية مع ما لها من العظمة بما لها من اضافتها الينا فاخذهم ولما لم يجنسوا في التكذيب عدل الى اعظم من مظهر العظمة تهويلا لاخذهم فقال الله فاظهر الاسم الشريف تنبيها على باهر العظمة بذنوبهم اي التكذيب وغيره قال الحرالي فيه اشعار بان صريح المواخذة يناط بالذنوب وان المواخذة الدنيوية لا تصل الى حد الاختتام على التكذيب فكان ما ظهر من امر الدنيا يقع عقابا على ما ظهر من الاعمال وما بطن من امر الاخرة يستوفي العقاب على ما اصرت عليه الضمائر من التكذيب ولذلك يكون عقاب الدنيا طهرة للمؤمن لصدقه باطنه من التكذيب ويكون واقع يوم الدنيا كفاف ما جرى على ظاهره من المخالفة فكان الذنب من المؤمن يقع في دنياه خاصة والذنب من الكافر يقع في دنياه واخراه من استغراقه لظاهره وباطنه واظهر الاسم الشريف ولم يضمر للتنبيه على زيادة له العظمة في عذابهم لمن بدا اجترائهم فقال والله اي والحال ان الملك الذي لا كفؤ له في جبروته ولا شيء من نعوته شديد العقاب لا يعجزه شيء ولما تم ذلك على هذه الوجوه الظاهرة التي اوجبت اليقين لكل منصف بانهم مغلوبون وصل بها امره صلى الله عليه وسلم وهو الحبيب العزيز بان يصرح لهم بمضمون ذلك فقال قل للذين كفروا اي منا اهل دينا اذا حربا على منهاج اولئك الذين اخذناهم ستغلبون كما غلبوا وان كنتم ملء الارض لانكم انما تغالبون خالقكم وهو الغالب لكل شيء وليغلبن مغالب الغلاب واللام على قراءة الجمهور بالخطاب معدية وعلى قراءة الغيب معللة اي قل لاجلهم وفي معنى عن اي قل عنهم وقدم فيهم الاخبار بمجرد الغلبة دون ذكر العذاب كما كان يذكر في تهديد من قبلهم ان اخذهم بعد المغالبة والمدافعة والتضرع تشريفا لنبيهم صلى الله عليه وسلم لانه عرض عليه عذابهم فابى الا المدافعة على سنة المصابرة فكان اول ذلك غلبه صلى الله عليه وسلم على مكة المشرفة وكان فتحها فتحا لجميع الارض لانها ام القرى نبه على ذلك الحرالي ويحشرون اي تجمعون بعد موتكم احياء كما كنتم قبل الموت الى جهنم قال الحرالي وهي الجهامة وهي كراهة المنظر انتهى فتكون مهادكم لا مهاد لكم غيرها وبئس اي والحال انها بئس المهاد ولما كان الكفرة من اهل الكتاب وغيرهم من العرب بمعرض ان يقولوا حين قيل لهم ذلك كيف نغلب وما هم فينا الا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود قيل لهم ان كانت قصة ال فرعون لم تنفعكم لجهل او طول عهد فانه قد كان لكم اية اي عظيمة بدلالة التذكير كان في فئتين تثنية فئة للطائفة التي يفيء اليها اي يرجع من يستعظم شيئا استنادا اليها حمايتها لقوتها ومنعتها التقتا اي في بدر فئة اي تتمة موسمه لما يرشد اليه

قوله فئة تقاتل في سبيل الله اي الملك الاعلى لتكون كلمة الله هي العليا ومن كان كذلك لم يكن قطعا الا مومنا واخرى اي منهما كافرة اي
تقاتل في سبيل الشيطان فالاية كما ترى من وادي الاحتباك وهو ان يوتى بكلامين يحذف من كل منهما شي ايجازا يدل ما ذكر من كل
على ما حذف من الاخر وبعبارة اخرى هو ان يحذف من كل جملة شي ايجازا ويذكر في الجملة الاخرى ما يدل عليه ولما نبه سبحانه على الاعتبار
بذكر الاية نبه على موضعها بقوله يرونهم وضمن يرى البصرية القاصرة على مفعول واحد فعل الظن وانتزع منه حالا ودل
عليها بنصب مفعول ثان فصار التقدير يظنونهم مثليهم فعلى قراءة نافع بالتاء الفوقانية يكون المعنى ترونهما ايها المخاطبون الكفار
المقاتلين للمومنين او على قراءة غيره بالغيب المعنى يرى المسلمون الكفار مثلي المسلمين راي العين اي بالحزر والتخمين لا بحقيقة العدد
هذا اقل ما يجوز دونه فيهم وقد كانوا ثلاثة امثالهم ومع ذلك نصرهم الله على مضاعفتهم ونصرهم عليهم او يرى الكفار المسلمين مثلي
الكفار مع كونهم على الثلث من عددهم كما هو مشهور في الاثار تاييدا من الله لاوليايه فيرعب لا جل ذلك اعداوه فينهزموا او يرى الكفار المسلمين
ضعفي عدد المسلمين قال الحرالي لتقع الاراءة على صدقهم في موجود الاسلام الظاهر والايمان الباطن فكان كل واحد منهم بما هو مسلم ذاتا
وبما هو مومن ذاتا فالمومن المسلم ضعفان ابدا ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين وذلك بما ان
الكافر ظاهر لا باطن له فكان ذات عين لا ذات قلب له فكان المومن ضعفه فوقعت الاراءة للفئة المومنة على ما هي عليه شهادة من
الله بثبات اسلامهم وايمانهم وكان ذلك ادنى الاراءة لمزيد موجود الفئة المقاتلة في سبيل الله بمقدار الضعف الذي هو اقل الزيادة الصحيحة
واما بالحقيقة فان التام الدين بما هو مسلم مومن صاحب تعين بما هو بالحقيقة عشر تام نظير موجود الوجود الكامل فهو عشرة وان بما هو
صاحب يقين ودين ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين انتهى وهذا التقليل والتكثير واقع بحسب اول القتال واخره وقبل اللقا
وبعده لما اراده الله من الحكم كما في اية الانفال والمعنى انا قادرون على ان نكثر ايها الكفار على ايديهم ما فعلناه باوليك وقد كانوا قليلين اعظم من مقالكم
فلم تغن عنهم شيا كثرتهم ولا شدة شكيمتهم وعتوهم فان الله ولي المومنين لطيبهم ولا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث ولما كان
التقدير فنصر الله الفئة القليلة عطف عليه قوله والله اي الذي له الامر كله يويد والايد تضعيف القوة الباطنة بنصره قال الحرالي
والنصر لا يكون الا للحق وانما يكون لغير الحق الظفر والانتقام انتهى من يشاء اي فلا عجب فيه في التحقيق فلذلك اتصل به قوله ان في ذلك اي
الامر الباهر وفي اداة البعد كما قال الحرالي اشارة بعد الى محل علو الاية لعبرة قال هي المجاوزة من عدوة دنيا الى عدوة قصوى ومن علم ادنى
الى علم اعلى يعني لفظها بشرى بظن نالون من ورايها ما هو اعظم منها الى غاية العبرة العظمى من الغلبة الخاتمة التي عندها تضع الحرب
اوزارها حيث يكون من اهل الكمال بعدد اهل بدر ثلثمائة وثلثة عشر فهو غاية العبرة لمن له بصر نافذ ونظر جامع بين البداية
والخاتمة كما بدانا اول خلق نعيده انتهى لاولي الابصار اي يعبرون بها من حال الى اشرف منها في قدرة الله وعظمته وفعله بالاختيار
قال الحرالي اول موقع العين على الصورة نظر ومعرفة خبرتها الحسية بصر ونفوذه الى حقيقتها روية فالبصر متوسط بين النظر والروية
كما قال تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فالعبرة هي لمرتبة اولي الابصار الذين يبصرون الاواخر بالاوايل فاعظم غلبة بطشة
في الابتدا غلبة بدر واعظمها في الانتها الغلبة الخاتمة التي لا حرب وراها التي تكون بالشام في اخر الزمان انتهى ولما علم بهذا ان الذي
وقف بهم عن الايمان من الاموال والاولاد وساير المتاع انما هو شهوات وعرض زايل يوثره على اتباع ما شرعه الملك الا من انسلخ من
صفات البشر الى طور البهايم التي لا تعرف الا الشهوات وختم ذلك بذكر اية الفئتين كان كانه قيل الاية العلامة ومن شانها الظهور
فما حجبها عنهم فقيل تزيين الشهوات لمن دنت همته وقال الحرالي لما اظهر تعالى في هذه السورة ما اظهره تبعا لعلن قيوميته من تنزيل
الكتاب الجامع الاول وانزال الكتب لتلثة انزال التوراة بما اثنا عليه فيها من وضع رغبتهم ورهبتهم في امر الدنيا فكان رغبتهم
فيها ووعيدهم على اقامة ما فيها انما هو برغبة الدنيا ورهبتها لان كل امة تدعى بنحو ما جبلت عليه فكان كتاب التوراة كتاب رجا
ورغبة وخوف ورهبة في موجود الدنيا وكان كتاب الانجيل كتاب دعوة الى ملكوت الاخرة وكانا متقابلين بينهما ملابسة لم
يفصل امرهما فرقان واضح فكثر فيهما الاشتباه فانزل الله تعالى الفرقان لرفع لبس ما بينهما فابان فيه المحكم والمتشابه من منزل
الوحي كما ابان فيه فرقان الوحي ابان فيه ايضا فرقان الخلق وما اشتبه من امر الدنيا والاخرة وما التبس على اهل الدنيا من امر الخلق
فلبوايح ايات الحق عليهم فتبين في الفرقان محكم الوحي من متشابهه ومحكم الخلق من متشابهه وكان متشابه الخلق هو المزين من متاع
الدنيا ومحكم الخلق هو المحقق من دوام خلق الاخرة فاطلع نجم هذه الاية لانارة غلس ما بني عليه امر التوراة من انباء امر الدنيا لهم وعداد
وعيد التكون هذه الاية توطية لتحقيق صرف النبي عن مد اليد والبصر الى ما متع به اهلها فانبا تعالى ان متاع الدنيا امر مزين
لا حقيقة له بذاته ولا حاصل ورا زخرفه فقال زين للناس فابهم المزين لترجع اليه السنة التزيين بما كانت في رتبة علو امر
ودنو وفي اناطة التزيين بالناس دون الذين امنوا وموقنيهم ايضاح لنزول سنيهم في اسنان القلوب وانهم ملوك الدنيا واتباعهم
ورؤسا القبايل واتباعهم الذين هم اهل الدنيا حب الشهوات جمع شهوة وهي نزوع النفس الى محسوس فيما لك عنه انتهى
وفي هذا الكلام اعلام بان الذي وقع عليه التزيين الحب لا الشي المحبوب تضادا للازم لاهل الدنيا انما هو محبة الامر الكلي من هذه
المسميات وربما اذا تشخصت الجزيات لم تكن تلك الجزيات محبوبة لهم وفيه تحريك لهمم اهل الفرقان الى العلو عن رتبة الا
الذين اكثرهم لا يعلمون ولا يشكرون ولا يعقلون ثم بين ذلك بما هو محط القصد كله واخر العمل من حيث انه الاعلق بالنفس حب
اناثها التي هي بها خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها فقال من النسا اي المبتدى بهن منهن واشبعه ما هو منه ايضا وهو

بلغ

بلغ مقابلة

بينه وبين الانثى فقال والبنين قال الحرالي واخفى فتنة النسا بالرجال سترا لهن كما اخفى امر حوا في ذكر المعصية لادم حيث
قال وعصى ادم ربه فاخفا لهن لما في ستر الحرم من الكرم والله حي كريم انتهى ثم اتبع ذلك ما يحل به امرهم فقال والقناطير قال
الحرالي جمع قنطار ويقال هو ماية رطل ويقال ان الرطل اثنتا عشرة اوقية والاوقية اربعون درهما والدرهم خمسون حبة
وخمسا حبة حب الشعير واحقه ان يكون من شعير المدينة المقنطرة اي المضاعفة مرات انتهى ثم بينها بقوله من الذهب
والفضة ثم اتبعها الزينة الظاهرة التي اكبر الاسباب في تحصيل الاسباب فقال والخيل قال الحرالي اسم جمع لهذا الجنس المجبول
على هذا الاختيال لما خلق له من الاعزاز وقوة المنة في الافتراس عليه الذي سمي مثله واحده فرسا المسومة اي المعلمة باعلا
مي سمنها وسيماها التي تشتهر بها جودتها من المسومة بعلم التسبين وهي العلامة التي تجعل على الشاة لتعرف بها واصل
السوم بالفتح الارسال للرعي مكتفى في المرسل بعلامات تعرف بها نسبتها لمن تتوفر الداعي للحفيظ عليها من اجله من الوايع
عليها من الخاص والعام فهي مسومة بسيمة تعرف بها جودتها ونسبتها والانعام وهي جمع نعم وهي الماشية فيها ابل والابل
واحدها فاذا خلت منها الابل لم تجر على الماشية اسم نعم انتهى وقال في القاموس النعم وقد يسكن عينه الابل والشا جمعه انعام
وقد ذكر بعض اللغويين ان النعم في الابل خاصة فاذا قلت الانعام دخل فيها البقر والغنم قال وان افردت الابل والغنم لم يقل
فيها نعم ولا انعام وقال قوم النعم والانعام بمعنى وقال في المجمل والانعام البهايم وقال الفارابي في ديوان الادب والنعم واحد الانعام
واكثر ما يقع هذا الاسم على الابل ولما ذكر هذه الاعيان التي زين حبها في نفسها اتبعها ما يطلب لاجل تحصيلها وتنميتها وتكثيرها
فقال والحرث ولما فصلها وختمها بما هو مثل الدنيا في البداية والنهاية والاعادة اجمل الخبر عن شرها وبيان حقيقتها فقال
ذلك اي ما ذكر من الشهوات المفسر بهذه الاعيان باداة التخسيسية البعيد من اخلاد ذوي الهمم اليه لقطعهم عن الدار الباقية
وقال الحرالي الاشارة الى بعده عن حدا لتقرب الى حضرة الجنة انتهى متاع الحياة الدنيا اي التي هي مع دناتها الى فنا قال الحرالي
جعل سبحانه ما احاط به حس النظر العاجل من موجود العاجل ادنى فافهم ان ما انبا به على سبيل السمع اعلى فجعل تعالى من امر
اشتباه كتاب لتكون للمرى وذكره المشهود ان محل محسوس العين وحمل على تركه وقبض اليد بالورع والقلب بالحب عنه واخر شهود
مسموع الاذن من الاخرة وانبا بالصدق عنه وشبه بالايات عليه ليوثر المومن مسمعه على منظره كما اثر الناس منظرهم على مسمعهم
حرص لسان الشرع على ترك الدنيا والرغبة في الاخرى فابكت الانفس وقبلته قلوب وهيم لسان الشعر في رتبة الدنيا فقبلته
الانفس ولم تسلم القلوب منه الا بالعصمة فلسان الحق يصرف الى حق الاخرة ولسان الخلق يصرف الى رتبة الدنيا فانبا تعالى ان
ما في الدنيا متاع والمتاع ليس له بقا وهو في نفسه خسيس خساسة الجيفة انتهى ثم اتبع ذلك سبحانه حالا من فاعل معنى الاشارة
فقال والله اي الذي بيده كل شي ويجوز ان يكون عطفا على ما تقديره وهو سوا المبدا في هذا الذهاب الى غاية الحياة والله عنده
حسن الماب قال الحرالي مفعل من الاوب وهو الرجوع الى ما منه كان الذهاب انتهى فارشد هذا الخطاب اللطيف كل من ينصح نفسه
الى منافرة هذا العرض الخسيس بانه ان حصل له يعرض عنه بان يكون في يده لا في قلبه فلا يفرح به بحيث يشغله عن الخير بل يجعله
عونا على الطاعة وانه ان منع منه لا ياسف عليه لتحقق زواله ولرجا الاول الى ما عند خالقه الذي ترك ذلك لاجله ولما
ذكر سبحانه ما اوجب الاعراض عن هذا العرض فكان السامع جديرا بان يقول تعلق من اقبل امر سبحانه اقرب الخلق اليه واعزهم عليه
لديه بجوابه لتكون البشارة داعية الى محبة فقال قل اي لمن فيه قابلية الاقبال الينا ولما اجرى سبحانه هذه البشرى على
لسانه صلى الله عليه وسلم ليقوم الحجة على العباد بحاله كما يقوم بمقاله من حيث انه لا يدعو الى شي الا كان اول فاعل له ولا ينهى
عن شي الا كان اول تارك له لايثاره الغايب المسموع من بنا الاخرة على العاجل المشهود من اثر الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم
لعمر رضي الله عنه حين اشفق عليه من تاثير رمال السرير في جنبه فذكر ما فيه فارس والروم من النعيم او في شك انت يا ابن
الخطاب اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة تشوق اليها بالاستفهام في قوله اونبيكم بخير من ذلكم اي الذي ذكر من الشهوات
وعظمه باداة البعد وميم الجمع لعظمته عندهم وللزيادة في تعظيم ما يرشد اليه ثم استانف بيان هذا الخير بقوله
للذين اتقوا اي تخصصوا بالتقوى فكان مما ثمر لهم اتصافهم بها ان اعرضوا عن هذه الشهوات من حيث انها شهوات
وجعلوها عبادة وانية لهم من عذاب ربهم فتلذذوا بالنسا لا لمجرد الشهوة بل لغض البصر من الجانبين وابتغا ما كتب
لهم من الولد ابتغا المواد ربهم من تكثير خلايقهم في الارض للاصلاح ولقوله صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني مكاثر
بكم الامم يوم القيمة ونحو ذلك وفرحوا بالبنين لا لمجرد المكاثرة بل لتعليمهم العلم وحملهم على الذكر والجهاد والشكر وانواع
السعي في رضى السيد وحازوا النقدين لا للكنز بل للانفاق في سبيل الخيرات وربطوا الجياد لا للفخر والرياسة على العباد
بل لقمع اوليا الشيطان ودفع اوليا الرحمن المستلزم لظهور الايمان كما بين النبي صلى الله عليه وسلم ملتنبا بر اقتنايها فقال
هي لرجل اجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر ثم عظم سبحانه ما لهم بقوله مرغبا بلغة القول الى وصف الاحسان المقتضي لتربية
الصدقات وغيرها من الاعمال الصالحات عند ربهم اي المحسن اليهم بلباس التقوى لايثارهم الاخرة على الدنيا وقوله
جنات مرفوع بالابتدا ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف فاذا كان للذين متعلقا بخير ثم وصفها بقوله تجري من تحتها الانهار
اي ان ماها غير مجلوب بل كل مكان منها مستمد لان ينبع منه ما تجري به تلك بقعتها وتدوم زهرتها ونضرتها ثم اشار بقوله

وجمع جمع ... وقال التفتزاني معه
ونعم اسم جمع للابل خاصة وربما وقع
ونعم ... وجمع النعم
انعام
صح

خالدين فيها اي انها هي المشتملة على جميع الاحسان الغنية عن الحدث والانعام وان ذلك على وجه لا انقطاع له قال الحرالي وفي
معنى لفظ الخلود اعلام بسكون الانفس اليها لما فيها من موافقتها انتهى ولعله انما خص من بين ما تقدم من الشهوات ذكر النسوان في قوله
وازواج لانها اعظم المشتهيات ولا يكمل التلذذ بها الا بحصول جميع ما يتوقف ذلك عليه فصار ذكرهن على سبيل الامتنان من القادر
كناية عن جميع ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ولما كانت التقوى حاملة على تطهير الانفس من اوضار الادناس من الاوصاف السيئة وكان
الوصف بالمفرد ادل على انهن في اصل الطهارة كانهن نفس واحدة قال عادلا عما هو اولى من الوصف بالجمع جمع من يعقل مطهرة
لانهن مقتبسات من نفسهم خلق لكم من انفسكم ازواجا ولما لوحظ البدن في لذة هذا النعيم بما للروح وزاده من الاضعاف المضاعفة
ما لا حد له بقوله ورضوان قال الحرالي بكسر الراء وضمها اسم مبالغة بمعنى الرضى وهو على صيغة امتلاء بما تعرب عنه الالف والنون وثقل
ضمة رائه بظاهر اشباعه وكسرتها بباطن احاطته انتهى ولما جرى وعد الجنات على اسم الربوبية الناظر الى الاحسان بالتربية فخم
امر هذا الجزاء واعلاه على ذلك بنوطه بالاسم الاعظم فقال من الله اي المحيط بصفات الكمال ولما كان شاملا لجميعهم وكان ربما ظن
انهم فيه متساوون اشار الى التفاوت بقوله مظهرا في موضع الضمار اشارة الى الاطلاق عن التقييد بحيثية ما والله اي الذي له الحكمة
البالغة بصير بالعباد اي بنياتهم ومقادير ما يستحقون بها بفضله على حسب اخلاصها وبغير ذلك من اعمالهم واقوالهم وسائر احوالهم
ولما اخبر تعالى بانه بصير بمن يستحق ما اعد من الفوز اتبعه ما استحقوا ذلك به من الاوصاف تفضلا منه عليهم بها وبايجاب ذلك على
نفسه حثا لهم على التخلق بتلك الاوصاف فقال وقال الحرالي لما وصف تعالى قلوبهم بالتقوى وبراءتهم من الاستغنا بشيء من دونه
وصف ذيهم في المقال فقال انتهى الذين يقولون ربنا اي يا من ربانا باحسانه وعاد علينا بفضله واسقط اداة النداء اشعارا بما لهم
من القرب لانهم في حضرة المراقبة ولما كانت احوالهم في تقصيرها عن ان تقدر الله حق قدره كانها احوال من لم يؤمن فتقتضي لمقام التأكيد
فقالوا اننا انا تثبيتا للنون ابلاغا في التأكيد آمنا اي بما دعوتنا اليه واظهروا هذا المعنى بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا اي فانا عاجزون عن
دفعها ودفع الهم عن موافقتها وان اجتهدنا لما جبلنا عليه من الضعف والنقص تنبيها منه تعالى على ان مثل ذلك لا يقدح في
التقوى اذا هدم بالتوبة لانه ما اصر من استغفر والتوبة تجب ما قبلها قال الحرالي وبنى المغفرة على مجرد الايمان اشارة الى انه
لا تخيرها الافعال من ترتب ايمانه على تقوى غفرت ذنوبه فكان مغفرة الذنوب في المتقين اعلام باجرا قدر الذنوب على
الجميع لما كان منها مع التكذيب اخذ به وما كان منها مع التقوى والايمان غفر له انتهى ولما رتب سبحانه الغفران على التقوى ابتداء رتب
عليها الوقاية انتهاء فقال وقنا عذاب النار اي الذي استحققناه بسوء اعمالنا قال الحرالي ولما وصف تقوى قلوبهم باطنا وادب
مقالهم ظاهرا وصف احوال انفسهم لينطابق ظاهر امرهم بمتوسطه وباطنه فقال الصابرين فوصفهم بالصبر اشعارا بما له
ينالهم من سجن الدنيا وشدائدها والصبر امدح اوصاف النفس به تخلص عن هواها وعما زين من الشهوات المذكورة بما تحقق
من الايمان بالغيب الموجب ترك الدنيا للاخرة فصبروا عن الشهوات اما النسا فبالاقتصار على ما ملكوه واما البنون فبمراعاة
ان ما تقدم خير مما تأخر قال صلى الله عليه وسلم يعني فيما رواه ابن ماجه عن ابي هريرة السقط اقدمه بين يدي احب الي من
فارس اخلفه بعدي واما الذهب والفضة فبالنظر اليها اصنافا بغير موجودها وبا حرى ان ينال منها السلامة منفقة
لا يكاد يصل انفاقها الى ان يكون كفارة كسبها وجمعها فكان الصبر عنها اهون من التخلص منها واما الخيل فلما يصحبها من التعزز
المحمد خيلا النفس الذي هو اشد ما على النفس ان تخرج عن ذكرها وخلائها الى احتمال الضيم والسكون تحت الذل يقال انه اخر
ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واما الانعام فبالاقتصار منها على قدر الكفاف لان كل مستزيد تمولا من الدنيا زايدا
على الكفاف منه من مسكن او ملبس او مركب او مال فهو محجر على من سواه من عباد الله لذلك الفضل الذي هم احق به منه قال صلى
الله عليه وسلم فيما عنه ما برح لا يزيدان تزيد الحديث وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم واما الحرث فبالاكتفا
منه على قدر الكفاية لما يكون راتبا للالزام ومرصدا للنوائب ومخرجا للبذر فان اعطاه الله فضلا اخرجه من وجوه الاخراج
ولو بالبيع ولا يمسكه متمولا لقلبه الى غيره من الاعيان فيكون محتكرا قال عليه الصلاة والسلام كما اخرجه احمد وابو يعلى عن
ابن عمر رضي الله عنهما من احتكر اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه فبذلك يتحقق الصبر بحبس النفس عما زين للناس
من المتمولات من الدنيا الزائدة على الكفاف التي هي حظ من لا خلاق له في الاخرة ولذلك يحق ان تكون هذه الكلمات معربة
بالنصب مدحا لان الصفات المتبعة للمدح حليتها النصب في لسان العرب وانما يتبع في الاعراب ما كان لرفع لبس او تخصيص
انتهى ولما كان سن التقوى فوق سن الايمان عطف امداحهم كلها بالواو ايذانا بكمالهم في كل وصف منها وتمكنهم فيه تجاوزا
مالي بتراه على ما سياتي ان شا الله تعالى فقال والصادقين قال الحرالي في عطف الصفات ما يؤذن بكمال الوصف لان العرب
تعطفها اذا كملت وتتبع بعضها بعضا اذا تركبت والتامت يعني مثل رمان حلو حامض اذا كان مزا غير صادق الحلاوة
ولا الحموضة ففي العطف اشعار بكمال صبرهم على العاجلة على ما تقدم حكم النظر في الاية السابقة ومن شان الصابر عن الدنيا
الصدق لان اكثر المداهنة والمراياة انما الجا اليها التسبب في كسب الدنيا فاذا رغب عنها لم يحمله على ترك الصدق حامل
فيتحقق به فيصدق في جميع اموره والصدق مطابقة اقواله وافعاله لباطن حاله في نفسه وعرفان قلبه انتهى والقانتين
اي المخلصين لله في جميع امورهم الدائمين عليه ولما ذكر سبحانه العمل الحامل عليه خوف الحق ورجاؤه اتبعه ما الحامل عليه ذلك

مع الشفقة على الخلق لان من اكرم المنتمي اليك فقد بالغ في اكرامك فقال والمنفقين اي مما رزقهم الله في كل ما يرضيه
فانه لا قوام لشيء من الطاعات الا بالنفقة قال الحرالي فيه اشعار بان من صبر تول ومن صدق اعلى ومن قنت جل وعظم قدره
فنوله الله ما يكون له منفقا والمنفق اعلى حالا من المزكي لان المزكي يخرج ما وجب عليه فرضا والمنفق يجود بما في يده فضلا له
انتهى ولما ذكر هذه الاعمال الزاكية الجامعة العالية اتبعها الاشارة الى ان الاعتراف بالعجز عن الوفا بالواجب هو العمدة
في الخلاص فقال والمستغفرين اي من تقصيرهم مع هذه الافعال والاحوال التي هي نهاية ما يصل اليه الخلق من الكمال
بالاسحار التي هي اشق الاوقات استيقاظا عليهم واجهارا خذ لديهم وادناها بصفا القلوب واقربها الى الاجابة المعبر
عنها في الاحاديث بالنزول كما ياتي بيانه في اية التهجد في سورة الاسرا قال الحرالي وهو جمع سحر واصل معناه المتحلل عن الشي
بما يقاربه ويدانيه ويكون منه بوجه ما فالوقت من الليل الذي يتحلل فيه بدء نور الصباح هو السحر ومنه المسحور تخلل
عن الغذاء ثم قال وفي افهامه تهجدهم في الليل كما قال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون
فهم يستغفرون من حسناتهم كما يستغفر اهل السيات من سيئاتهم تبرأ من دعوى الافعال ورؤية الاعمال انتهى ما يصد
قولهم في الابتدا ربنا اننا امنا وكمال الايمان بالقدر خيره وشره فباجتماع هذه الاوصاف السبع من التقوى والايمان
والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار كانت الاخرة خيرا لهم من الدنيا وقد بان بهذا احكام ايات الخلق من متنا
بعد الاعلام بحكم ايات الامر ومتشابهها فتم بذلك منزل العرفان في ايات الوحي المسموع والكون المشهود انتهى ولعله
سبحانه اشار بهذه الصفات الخمس المتعاطفة الى دعائم الاسلام الخمس فاشار بالصبر الى الايمان وبالصدق الى الزكاة
المصدقة لدعواه وبالقنوت الذي مداره ومآدته على الاخلاص الى الصلاة التي هي محل المراقبة وبالانفاق الى الحج الذي اعظم
مقوماته المال وبالاستغفار الى الصيام الذي مبناه التخلي من احوال البشر والتحلي بحلية الملك لا سيما في القيام ولا
سيما في السحر وسر ترتيبها انه لما ذكر ما بين العبد والخالق في التوحيد الذي هو العدل اتبعه ما بينه وبين الخلائق
من الاحسان ولما ذكر عبادة القلب والمال ذكر عبادة البدن الدالة على الاخلاص في الايمان ولما ذكر عبادة البدن تجردا
بعد عبادة المال تجردا ذكر عبادة ظاهرة مركبة منهما اشعارا بما تغير الظاهر ثم اتبعه عبادة بدنية خفية
عمادها تطهير الباطن تختم بمثل ما بدابه وهو ما لا يطلع عليه حق الاطلاع الا الله تعالى ولما اخبر سبحانه بوحدانيته
في اول السورة واستدل عليها واخبر عما اعد للكافرين واستدل عليه بما دل على الوحدانية وختم بالاخبار بما اعد
للمتقين مما جرى ذكره تعالى بما يقتضي الوحدانية ايضا من الاوصاف المبنية على الايمان انتج ذلك ثبوتها ثبوتا لامرية
فيه فكرر تعالى ذكر هذه النتيجة على وجه اضخم من الماضي كما اقتضته الادلة فقال وقال الحرالي لما انهى تعالى العرفان
نهايته بتبيان المحكمين والمتشابهين في الوحي والكون انتظمت هذه الشهادة التي هي اعظم شهادة بما في كتاب الله باية
القيومية التي هي اعظم اية الوجود المنتظم اية الشهود باية الوجود انتهى فقال تعالى شهد الله اي الملك الاعظم الذي لا كفوء له
قال الحرالي فاعاد بالاظهار ليكون الشاهد والمشهود له لا اله الا هو فاعاد بالهوية لحق الوحدانية في الشهادة ولم يقل
الا الله لما يشعر به تكرار الاسم في محل الاضمار من التنزل العلي انتهى والمعنى انه سبحانه فعل فعل الشاهد في اخباره عما يعلم
حقيقته بلفظ الشهادة جريا على عادة الكبراء اذا ارادوا التعاظم على اتباعهم عما يامرون به من المهمات في تعاطيهم له بانفسهم
تنبيها على ان الخطب قد فدح والامر قد تفاقم فيتساقط حينئذ البراء الاتباع ولو ان فيه الهلاك تساقط الذباب في
احلى الشراب والى ذلك يشير قول وقد تقتنيب ما لمجد يا مرونا بان نشهد له بالوحدانية ولا يشهد هو لنفسه فكان صلى الله عليه
بعد لا يخطب خطبة الا شهد لنفسه الشريفة فيها بالرسالة فكانه قيل ان ربكم الذي اسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة قد نصب لكم الادلة بخلق ما خلق على تفرده بحيث انتفى كل ريب فكان ذلك اعظم شهادة منه سبحانه لنفسه
واليه اوما من قال ولله في كل تحريكة وتسكينة ابدا شاهد وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد ثم شهد بذلك بنفسه
بكلامه جمعا بين ايتي السمع والبصر فلم يبق لكم عذر فقال الحرالي وهذه الشهادة التي هي من الله لله هي الشهادة التي اليها
نفذ القاصدون وسلك السالكون اليها انتهت الاشارة وعندها وقفت العبارة وهي انهى المقامات واعظم
الشهادات فمن شهد بها فقد شهد شهادة ليس وراءها مرمى ومن شهد بما دونها كانت شهادته مشهودا عليها
لا شهادة يؤثر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يوم الجمعة وهو قائم بعرفة منذ حان وقت العصر الى ان غربت
الشمس في حجته التي كمل بها الدين وتمت بها النعمة يقول هذه الاية لا يزيد عليها فاي عبد شهد لله بهذه
الشهادة التي هي شهادة الله لله بالوحدانية فقد كملت شهادته واتم الله النعمة عليه وهي سر كل شهادة من دونها
وهي اية علن التوحيد الذي هو منتهى المقامات وغاية الدرجات في الوصول الى محل الشهود الذي منه النفوذ
الى الوجود بمقتضى الاعظمية التي في الاية الفاتحة ولما اخبر تعالى عن نفسه المقدسة اخبر عمن يعتد به من خلقه
فقال مقدما لان المقام للعلم لمن هم اعلم به سبحانه ممن اطلعهم من الملك والملكوت على ما لم يطلع عليه الانسان
ولا شاغل لهم من شهوة ولا حظ ولا تردد والملائكة اي العباد المقربون المصفون من ادناس البشر الذين لا يعصون

ما امرهم ويفعلون ما يومرون ولما خص اهل السموات عم فقال واولوا العلم وهم الذين عرفوه بالادلة القاطعة ففعلوا ما فعل
العظيم من الشهادة ليكون ذلك ادعى لغيرهم اليه واحث عليه ولما كانت الشهادة قد تكون على غير وجه العدل نفى ذلك بقوله قائما
وافرد ليفهم انه حال كل من المذكورين لا المجموع بقيد الجمع ويجوز وهو الاقرب ان يكون حالا من الاسم الشريف اشارة الى انه ما وحد الله
حق توحيده غيره لانه لا يحيط به احد علما وقال الحرالي افرد القيام فاندرج من ذكر من الملئكة واولى العلم في هذا القيام لانهما ما كا
اندرجوا في الشهادة انتهى فكان في اشعاره ان الملئكة واولى العلم لا يقاد منهم فيما يجريه الله على ايديهم لان امرهم قائم
بالقسط من الله يذكر ان عظيم عاد لما كشف له عن الملئكة في يوم النقمة قال لهود عليه السلام يا هود ما هذا الذي اراهم في السحاب
كانهم البخاتي فقال ملئكة ربي فقال ارايت ان امنت بالهك ايقيدني منهم ممن قتلوا من قومي فقال ويحك وهل رايت ملكا يقيد من
جنده انتهى بالقسط اي العدل السوا الذي لا حيف فيه اصلا بوجه من الوجوه وقد ثبت بهذه الشهادة على هذا الوجه ان التوحيد
في نفس الامر على ما وقعت به الشهادة ويجوز ان يراد مع ذلك ان قيامه بالعدل فعله في خلقه فانه عدل وان كان من بعضهم الى
بعض ظلما فانه تصرف منه سبحانه في ملكه الذي لا شائبة لاحد فيه واذا نسب اليه كان عدلا لانه فعله بالحكمة واذا نسب الى الظالم
كان ظلما لانه فعله خطه لا الحكمة فلذا قال على طريق الاستنتاج والتعليل للقيام بالقسط والتلقين للعباد لان يقولوها
بعد ثبوتها بما تقدم وان يكرروها دائما ابدا لا اله الا هو وقال الحرالي كرر هذا التهليل لانه في رتبة القسط الفعلي لان التهليل
الاول في رتبة الشهادة العلمية فاستوفى التهليلان جمع البادي علما وفعلا انتهى واتبعه سبحانه بقوله العزيز الحكيم دليلا على قسطه
لانه لا يقوم بالقسط الا من له العزة الكاملة والحكمة الشاملة ان يتصرف بجود على وحدانيته لانه لا يصح التفرد بدون الوصفين وليسا على
الاطلاق لاحد غيره اصلا ولما كانت الايات كلها في الايقاع بالكافرين قدم الوصف الملايم لذلك قال الحرالي وقسط الله هو اجرا
عدله في دار الدنيا من حيث انه خفض ورفع يتعادل خفضه ورفعه خفضه فيوول الى عدل ويراه بذلك في حال تفاوته
كل ذي لب بما انه عزيز يظهر عزته فيما يرفع حكيم يخفى مصا حكمه فيما يخفض فكل ما هو باد من الخلق جور فهو من الله قسط طيته عدل
سره سوا فيظهر عزته فيما حكم انتقاما وحكمته في الموازنة بين الاعمال والجزا عدلا انتهى ولما كان ذلك علم انه يجب ان تخضع له
الرقاب وتخلص له التوحيد جميع الالباب وذلك هو الاسلام فقال معللا للشهادة منهم بالعدل وقراة الكسائي بالفتح اظهر في التعليل
ان الدين واصله الجزا اطلق هنا على الشريعة لانها سببه عند الله اي الملك الذي له الامر كله الاسلام فاللام للعهد في هذه الشهادة فانها
اس لكل طاعة فلاجل ان الدين عنده هذا شهد والله بهذه الشهادة المقتضية لنهاية الادعان ولما كان ذلك مصرحا بانه لا دين عنده
غيره كان كانه قيل فكان يجب ان يعلم بذلك الانبيا الماضون والامم السالفون ليلزموه ويلزموه اتباعهم فقيل قد فعل ذلك فقيل
فما لهم لم يلزموه فقيل قد لزموه مدة مديدة وما ويجوز وهو احسن ان يكون التقدير بين الله بشهادته ما يرضيه بآياته المرئية
ثم اوضحه غاية الايضاح بآياته المسموعة بكتبه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب هذا الاختلاف الذي ترونه الا من بعد ما جاءهم العلم
بذلك كله وما كان اختلافهم لجهلهم بذلك بل بغيا بينهم لا بينهم وبين غيرهم بل من بعضهم على بعض للحسد والتنافس في الدنيا
لشبه ابدوها ودعاوا ادعوها طال بينهم فيها النزاع وعظم الدفاع والله تعالى عالم بكشفها قادر على صرفها قال الحرالي والبغي السعي
بالقول والفعل في ازالة نعم انعم الله بها على خلق بما اشتملت عليه ضماير الباغي من الحسد له انتهى ولما كان التقدير فمن استمر على
الايمان فان الله عظيم الثواب عطف عليه قوله ومن يكفر اي يستمر على كفره ولم يقبل حلما منه ومن كفر بآيات الله اي المرئيات والمسموعات
الدالات على احاطته بالكمال وتوقعا مع تلك الشبه وعمي عن الدليل فان الله مهلكه عاجلا فان الله اي المحيط بكل قدرة وعلما لكفوله سريع
قال الحرالي من السرعة وهي وحا النجاز فيما شانه الابطا انتهى ويحتمل ان يكون كنى بالسرعة عن القرب فالمعنى قريب الحساب اي عن قريب
يجازيهم على كفرهم في هذه الحياة الدنيا بايدي بعضهم وبايدي المومنين ثم ينقلون الى حسابه سبحانه في الدار الاخرة المقتضي لعذاب
الكفرة ويحتمل ان يكون السرعة على بابها والمراد انه لا يتهيا في حسابه ما يتهيا في حساب غيره من المغالطة المقتضية للنجاة
او المطاولة في مدة الحساب المقتضية لتاخير الجزا الى مدة المراوغة والله اعلم ومن الكفر بالآيات الكفر بعيسى عليه السلام
حين انتحلوا فيه الالهية قال الحرالي كان اية من الله للهداية فوقع عندهم بجاه من كفروا به فكان سبب كفرهم ما كان
مستحقا ان يكون سبب هداية المهتدي وكان ذلك فيه لمحل اشتباه لانه اشتبه عليهم خلقه بما ظهر على يديه
من آيات الله وفي النحو بعض من الاخر لما يقع لهذه الامة في نحوه ممن هو مقام للهداية توقع في طايفة موقع اية كفروا بها
كما قال عليه السلام في علي رضي الله عنه مثلك يا علي كمثل عيسى ابن مريم ابغضه يهود فبهتوا امه واحبه النصارى
فانزلوه بالمحل الذي ليس به لذلك تفرقت فرق في علي رضي الله عنه من بين خارجيهم ورافضيهم انتهى ولما تم ذلك
كان كانه قيل قد جيناك بالامر الواضح الذي لا يشكون فيه فان حاجوك بعده في شي مما تضمنته وهدي اليه ودل صريحا
او تلويحا عليه فاعلم ان جدالهم عن عناد مع علم بحقيقة الحال فقل اي فاعرض عنهم الى ان امرك بالقتال لان من الواجب
كما تقرر في اداب البحث الاعراض عمن كابر في المحسوس وقل عملا انت بالاية السالفة اسلمت وجهي اي اخلصت قصدي
وتوجهي وانقدت غاية الانقياد لله الملك الاعظم الذي له الامر كله فلا كفوله قال الحرالي وكما ادرج تعالى شهادة
الملئكة واولي العلم في شهادته لقن نبيه صلى الله عليه وسلم ان يدرج من اتبعه في اسلامه وجهه لله ليكون اسلامهم

باسلام نبيهم لا باسلام انفسهم لتلحق التابعة من الامة بالايمة وذلك حال الفرقة الناجية مونره الفرق الاثنين
والسبعين التي قال صلى الله عليه وسلم ما انا عليه فيها اوفى من اليقين واصحابي فيها اوثوه من الانقياد وبرائهم من الرجوع
الى انفسهم في امورهما كانوا يقولون عند كل نابتة علم او امر الله ورسوله اعلم فمن دخل برايه في راي نقص حظه من الاتباع
بحسب استبداده انتهى فقال تعالى عاطفا على الضمير المرفوع المتصل لاجل الفصل ومن اي واسلم من اتبعني وجوههم له
سبحانه ولما كان المكمل لنفسه يجب عليه السعي في اكمال غيره اعلمه بذلك في قوله وقل تهديدا وتحذيرا وتبكيتا وتقريعا
للذين اوتوا الكتاب اي عامة من هولا النصارى الذين يجادلونك ومن اليهود ايضا والاميين الذين لا كتاب لهم مشيرا بالاستفهام
الى عنادهم منكرا عليهم موبخا لهم ااسلمتم فان اسلموا عند ذلك فقد اهتدوا وانفعوا انفسهم في الدنيا والاخرة وفي صيغة
انفعلوا ما يلوح الى ان الانفس ما يلزم الى الضلال زايغة عن طرق الكمال وان تولوا اي عن الاسلام فهم معاندون فلا يهمنك
امرهم فانما عليك البلاغ اي وعليهم وبال توليهم وفي تكنيته التفعل ما يومي الى ان طرق الهدى بعد البيان اخذ محاسنها له
بمجامع القلوب وان الصادق عنها بعد ذلك فانما هو لشاهد غفلته وتوهم فطرته الاولى برجاسة نفسه واعوجاج طبعه ولما
كان التقدير فالله يوفق لقبول البلاغ عنك من علم فيه الخير ويكب عنه من علم فيه الشر عطف عليه قوله والله اي المحيط
بكل شي قدرة وعلما بصير بالعباد اي فهو يوفق من خلقه للخير منهم ويخذل غيره لا يقدر على فعل ذلك غيره ولا يقدر احد
غيره ان يفعل غير ذلك ولما اشترك اليهود في هذا الخطاب وانهم شرط التولي باداة الشك وتوقعه فتشوفت النفس الى معرفة
جزائهم اشار اليه واصفا لهم ببعض ما اشتملت عليه من اقبح فعالهم فقال وقال الحرالي لما كانت هذه السورة منزلة التبيين لما اشتبه
على اهل الانجيل جرى ذكر اهل التوراة فيها مجملا بجوامع من ذكرهم لان تفاصيل امرهم قد استوفاه سورة البقرة فكان امر
اهل التوراة في سورة البقرة بيانا واهل الانجيل اجمالا وكان امر اهل الانجيل في سورة ال عمران بيانا وذكر اهل التوراة
اجمالا لما كان لبس اهل التوراة في الكتاب توقع تفصيل ذكرهم في سورة الم ذلك الكتاب ولما كان اشتباه امر اهل الانجيل
في شان الالهية كان بيان ما تشابه عليهم في سورة الم الله لا اله الا هو الحي القيوم فجا هذا الذكر لاهل التوراة معادلة
بينهم وبين اهل الانجيل بما كفروا بآيات من المعنى الذي اشتركوا فيه في امر الالهية في عزير واختصوا بقتل الانبيا لما
وقتل اهل الخير الامرين بالقسط انتهى فقال تعالى ان الذين يكفرون وهم الذين خذلهم الله بآيات الله في ابراز الاسم
الاعظم المشارة الى عظيم كفرهم بكونه كما اضيف سبحانه قال الحرالي وفي ذكره بصيغة الدوام ما يقع منهم من الكفر بآيات الله
في ختم اليوم المحمدي مع الدجال فانهم اتباعه ويقتلون النبيين في اشعاره ما تمادوا عليه من البغي على الانبيا حتى كان لهم
مدخل في شهادة النبي صلى الله عليه وسلم التي رزقه الله فيما كان يدعوا به حيث كان يقول صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقني
شهادة في يسر منك وعافية ولما كان قتلهم اياهم بدون شبهة اصلا بل لمحض الكفر والعناد لان الانبيا مبرأون من ان يكون
لاحد قبلهم حق دنيوي او اخروي قال بغير حق اي لا صغير ولا كبير في نفس الامر ولا في اعتقادهم فهو ابلغ مما في البقرة على عادة
افعال الحكما في الابتدا بالاخف فالاخف ولما خص ذكر اكمل الخلق عبر بما يجمع اتباعهم فقال مبعدا للعامل زيادة في لومهم وتقريعهم
ويقتلون الذين يامرون بالقسط اي العدل ولما كان ذلك شاملا لمن لا قدرة لهم على قتله من الملئكة قال من الناس اي كلهم
سوا كانوا انبيا او لا ويجوز ان يكون اراد بهذا القيد زيادة توبيخهم بانهم يقتلون جنسهم الذي من حقهم ان يالفوه ويتبعوا
في مبابرهم بهذا تحقق لان قتلهم لمجرد العدوان قال الحرالي فيه اعلام بتمادي تسلطهم على اهل الخير من الملوك والروسا فكان
في طيه الاخبار لما استعملوا فيه من علم التطبيب وتخالطهم روسا الناس بالطب الذي توسل كثير منهم الى قتلهم به عمدا وخطا
ليجري ذلك على ايديهم خفية في هذه الامة نظير ما جرى على ايدي اسلافهم في قتل الانبيا جهرة انتهى ويجوز ان يكون الخبر عنهم
لجده وفاوالتقدير انهم مطبوع على قلوبهم فلا يومنون او لا يزالون يجادلونك ويناوعونك ويبغون لك الغوايل فبشرهم بعذاب
اليم ولما كان الحال ربما اقتضى ان يقال من بعض اهل الضلال ان لهولا اعمالا احسانا واجتهادات في الطاعة عظيمة بين تعالى
ان تلك الاعمال لمجرد صورها لا معاني لها لتضييع القواعد كما انهم هم ايضا ذوات بغير قلوب لتقع المناسبة بين الاعمال والعاملين
فقال اولئك اي البعدا البغضا الذين حبطت اي فسدت فسقطت واشار بتانيث الفعل الى ضعفها من اصلها لما
اعمالهم اي كلها الدنياوية والدينية واشار تعالى بقوله في الدنيا كما قال الحرالي انهم يتعقبون اعمال خيرهم بما يبطلها فلا
يطعمون جزا لها في عاجل او اجل وبذلك تنادي عليهم الذل وقتل منهم المهتدي انتهى والاخرة فلا يقيم لهم الله يوم القيمة
وزنا واسقط ذكر الحياة اشارة الى انه لا حياة لهم في واحدة من الدارين ولما كان التقدير فلا ينتصرون بانفسهم اصلا فانهم
لا يدبرون تدبيرا الا كان فيه تدميرهم عطف عليه قوله وما لهم من ناصرين قال الحرالي فيه اعلام بوقوع الغلبة عليهم
غلبة لا نصرة لهم فيها في يوم النصر الموعود في سورة الروم التي هي تفصيل من معنى هذه السورة في قوله تعالى ويومئذ يفرح
المومنون بنصر الله ينصر من يشا انهم غير داخلين فيمن ينصر بما قد ورد انهم يقتلون في اخر الزمان حتى يقول الحجر يا مسلم خلفي
يهودي فاقتله حتى لا يبقى منهم الا من يستره شجرة الغرقد كما قال صلى الله عليه وسلم انه من شجرهم وفي افهامه ان طايفة
من اهل الانجيل يقومون جهته فيكونون ممن تشملهم نصرة الله مع المسلمين فتتسق الملة واحدة لما يقع من الاجتماع حين

حين تضع الحرب أوزارها انتهى ولما كان من المعلوم أن ثبات الأعمال وزكاتها إنما هو باتباع أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وأمر
الذين أوتوا العلم عنه دل على ما أخبر به من الحبوط وعدم النصر بما بيننا هذه من أحوالهم في منابذة الدين فقال ألم تر وكان الموضع لأن
يقال إليهم ولكنه قال إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ليدل على أن ضلالهم على علم وأن الذي أوتوه منه قراءتهم له بألسنتهم وادعاء
الإيمان به وقال الحرالي كتابهم الخاص بهم نصيب من الكتاب الجامع وما أخذوا من كتابهم نصيب من اختصاصه فإنهم لو استوفوا حظهم
لما عدلوا في الحكم عنه ولو صوابه وكان في هذا التعجيب أن يكون غيرهم يرضى بحكم كتابهم ثم لا يرضون هم به انتهى يدعون إلى كتاب الله أظهر
الاسم الشريف ولم يقل إلى كتابهم احترازا عما غيروا وبدلوا لأنهم إنما دعوا إلى كتاب الله الذي أنزل على موسى عليه السلام لا إلى ما عساه
أن يكون بأيديهم مما غيروا نبه عليه الحرالي وفيه أيضا إشارة إلى عظيم اجترائهم بتوليهم عما له الإحاطة الكاملة ليحكم بينهم قال الحرالي
في إشعاره أن طائفة منهم على حق منه أي وهم المدعوون لذلك الحكم الذي دعي إليه انتهى ولما كان اتباعه واجبا وأحيا نفعه لمن جرد
نفسه عن الهوى عبر عن مخالفته بأداة البعد فقال ثم وقال الحرالي في إمهاله ما يدل على تلددهم وتبلدهم في ذلك بما يوقفهم الله
من المقت والتحير على من دعي إلى حق فأباه وفي صيغة يتفعل في قوله يتولى ما ينبئ سبب معنى ذلك في تكلف التولي على اجتذاب من
بواطنهم لما عرفوه وكتموه وصرح قوله فريق منهم بما أفهمه ما تقدم من قوله ليحكم بينهم فأفهم أن طائفة منهم ثابتون قابلون حكم كتاب
الله وأنبأ قوله المشير إلى كثرة ارتداد هذا الفريق وهم معرضون بما سلبوه من ذلك التردد والتكلف نفيا ووصفا لهم بعد أن كا
تفعلا ما أنكر منكر حقا وهو يعلمه إلا سلبه الله علمه حتى يصير إنكاره له بصورة وبوصف من لم يكن قط علمه انتهى وفي هذا تحذير لهذه
الأمة في الوقوع في مثل ذلك ولو بأن يدعى أحدهم من حق إلى أحسن منه نبه عليه الحرالي قال إذ ليس المقصود حكاية ما مضى فقط ولا
ما هو كائن فحسب بل خطاب القرآن قائم دائم ماض كلية خطابه في غابر اليوم المحمدي مع من يبنا سبب أحوال من تقدم منهم وفي حق
المرتع نفسه في أوقات مختلفة انتهى ثم علل اجتراءهم على الله فقال ذلك أي الإعراض البعيد عن أحوال أهل الكرم المبعد من الله لهم
بأنهم قالوا كذبا على الله كما تقدم بيانه في سورة البقرة لن تمسنا النار إلا أياما ولما كان المقام هنا لبيان اجترائهم على
العظائم لا سيما تهاونهم بالعذاب لاستقصارهم لمدته والتفرغ بغفل الأمرين بالقسط عامة وبحبوط الأعمال وكان جمع القلة قد
يستعار للكثرة أكدت ادعاءهم حقيقة القلة بجمع آخر للقلة ليقبل على ما هو أولى من وصف جمع القلة لما لا يعقل بجمع جبر له
معدودات وتطاول الزمان وهم على هذا الباطل حتى نسوا به واطمأنوا إليه لأنه ما كذب أحد على الأعوب بتصديقه بباطل
وما ترك قوم سنة إلا أحيوا بدعة على أن كذبهم أصارهم إلى الاستهانة بعذاب الله الذي لا يستهان بشيء منه ولو قل ولما نسبوا ذلك
إلى الكتاب ليجعلوه دينا قال وغرهم قال الحرالي من الغرور وهو إخفاء الخدعة في صورة النصيحة انتهى في دينهم ما كانوا أي بما هيؤوا له
وجبلوا عليه يفترون أي يتعمدون كذبه قال الحرالي فتقابل التعجيبان في ردهم حق الله وسكونهم إلى باطلهم انتهى ولما تسبب عن
اجترائهم بالكذب على الله أن يسأل عن حالهم معه قال صارفا القول إلى مظهر العظمة المقتضي للمجازاة والمناقشة فكيف أي يكون
حالهم إذا جمعناهم أي وقد رفعنا حجاب العظمة وشهرنا سيف العزة والسطوة ولما كان المقصود بالجمع الجزاء قال ليوم ووصفه
بقوله لا ريب فيه مشعرا كما قال الحرالي بأنهم ليسوا على طائفة في باطلهم بمنزلة الذي لم يكن له أصل كتاب فهم في ريبهم يترددون
الآن بأن في ذلك اليوم ولما كان الجزاء أمرا محققا لا بد منه أشار إليه بصيغة الماضي في قوله ووفيت وأنبأ للمفعول للإفهام بسهولة
ذلك عليه وإن كان بعوث الحصر وتأنيث الفعل للإشارة إلى دناءة النفوس وضعفها وقوله كل نفس قال الحرالي الفصل الموقع للجزاء
مخصوص بوجود النفس التي دأبها أن تتنفس فتريد وتحب وتختار وتكره فهي التي توفي لمن سلب الاختيار والإرادة والكراهة بتحقق العبو
تقدم ارتفع عنه التوفية إذ لا وجود نفس له بما أسلم وجهه لله فلذلك اختص عبد القرآن كله بالنفس في نفاستها بإزاء لطفا
وما تنشأ لها عليه من أحوالها وأنفالها ودعواها في ملكها وملكها فمتى نفست فتملكت ملكا أو تشرفت ملكا خرجت عن إسلامها
حتى يأتي لها سلب لغيرها منه وإلزام الذل عنه ويلحق من هذا المعنى تفصلت الآية التي بعدها بختم هذه الآية وناظرت ذكر رأس آية الإسلام
فأما هو مسلم لله وذو نفس متملك على الله حتى يسلبه الله في العقبى ويذله في الدنيا فشمل هذا الوفاء لكل نفس أهل الكتاب وغيرهم
وعم الوفاء الكل من يجمعه الجمع كذلك خطاب القرآن يبدأ بخصوص فيختم بعموم ويبدأ بعموم فيثنيه بتفصيل انتهى ولما كان هذا الجزاء شاملا
للخير والشر قال ما أي جزاء ما كسبت فأتى به مجتمعا ليشمل المباشرة بكسب والاكتساب وأنث الفعل مع جواز التذكير مراعاة للفظ
كل إشارة إلى الإحاطة بالأفعال ولو كانت في غاية الحقارة وراعى كل مكني للوفاء بالمعنى مع موافقة الفواصل وهم لا يظلمون أي لا يقع
عليهم ظلم بزيادة ولا نقص ولا ينوقعونه ولما أخبر تعالى بأن الكفار سيغلبون وأنه ليس لهم من ناصر بل كان حالهم مقتضيا لأن يقولوا
كيف ونحن أكثر من الحصى وأكثر شكائم من ليوث الشرى فكيف نغلب أم كيف لا ينصر بعضنا بعضا وفينا الملوك والأمراء والأكابر
والرؤساء ومنا وفينا القليل الضعفاء أهل الأرض الغبراء وأولو البأساء والضراء فقال تعالى تنبيها للرائدين من فرش الغفلات
المتقلبين في فلوات البلادات من يليهم بما رأوا وسمعوا من نزع الملك من قوي الناس وإعطائه لأضعفهم فيعلموا أن الذي
من شأنه أن يفعل ذلك مع بعض عداه جدير بأن يفعل أضعافه لأوليائه قل اللهم وقال الحرالي ولما كان هذا الأمر نبوة ثم
خلافة ثم ملكا فانتظم ما تقدم من السورة أمر النبوة في التنزيل والإنزال وأمر الخلافة في ذكر الراسخين في العلم الذين يقولون
ربنا لا تزغ قلوبنا وكانت من الخبر أبي بكر رضي الله عنه يقنت بها في وتر صلاة النهار في آخر ركعة من المغرب انتظم برؤوس تلك

المعاني

المعاني ذكر الملك الذي آتى الله هذه الأمة وخص بهم من أمر به الملك كما خص بالخلافة من صلحت له الخلافة كما خص بالنبوة
الخاتمة من أجلها سواه انتهى فقال قل أي يا محمد أو يا من آمن بنا مخاطبا لإلهك مسمعا لهم ومعرضا عنهم ومنبها له
لهم من سكرات غفلاتهم في قنا لهم على ملوك لا شيء في أيديهم وأعراضهم عن هذا الملك الأعظم الذي بيده كل شيء قال الحرالي
العلو منزل هذه السورة كثر الإقبال فيها بالخطاب على النبي صلى الله عليه وسلم وجعل المقابل لما كانت المجاوزة منه لأن
منزل القرآن ما كان منه لإصلاح ما بين الخلق وبينهم يجيء الخطاب فيه من الله إليهم مواجهة حتى ينتهي إلى الإعراض عنه بإباء من أبى
منهم وما كان لإصلاح ما بين الأمة ونبيها يجري الله الخطاب فيه على لسانه من حيث توجههم بالمجاوزة إليه فإذا قالوا
قولا يقصدون به قال الله عز وجل له قل لهم ولكون القرآن متلوا ثبتت فيه كلمة قل انتهى اللهم مالك الملك أي لا
يملك شيء منه غيرك قال الحرالي في افتتاحه صلى الله عليه وسلم ملك دينه لمن كان منه ومن له وخلفائه بروحانيته يلون من
إسلامه وجهه لربه إسلام الملك كله الذي منه شرف الدنيا لله فلذلك لم يكن صلى الله عليه وسلم يتظاهر بالملك
ولا يأخذ مأخذه لأنه كان نبيا عبدا لا نبيا ملكا فأسلم الملك لله كذلك خلفاؤه أسلموا الملك لله فلبسوا الخلقان
والمرقعات واقتصروا على تخطف العيش ولانوا في الحق وحملوا جفاء الغريب واتبعوا أثره في العبودية فأسلموا الملك لله
ولم ينازعوه شيئا منه حمل عمر رضي الله عنه قربة على ظهره زمن خلافته حتى سكبها في دار امرأة من الأنصار في أقصى المدينة
فلما جاء الله بزمن الملك واستوفيت أيام الخلافة عقب وفاء زمن النبوة أظهر الله الملك في أمة محمد صلى الله عليه وسلم
وخصص بالخلافة فقراء المهاجرين خصص بالملك الطلقاء الذين كانوا عتقاء الله ورسوله لينال كل من رحمة الله وفضله
التي ولي جميعها نبيه صلى الله عليه وسلم كل طائفة على قدر قربهم منه حتى اختص بالتقدم قريشا ما كانت ثم العرب ما كانت
إلى ما صار له الأمر لبعد الملك من سلطنة وتجبر إلى ما يصير إليه من رحل كل ذلك تحول لمن تحوله بحسب القرب والبعد منه
تؤتي الملك من تشاء في الإيتاء إشعار بأنه تنزيل من الله من غير قوة وغلب ولا مطاولة فيه وفي التعبير بمن العامة للعقلاء
إشعار بمنال الملك من لم يكن من أهله وأخص الناس بالبعد عنه العرب ففيه إشعار بأن الله يتول ملك فارس
والروم للعرب كما وقع منه ما وقع ويبقى منه ما بقي إلى من نال الملك بسببها وعن الإسناد إليها من سائر الأمم الذين
دخلوا في هذه الأمة من قبائل الأعاجم وصنوف أهل الأقطار حتى ينتهي الأمر إلى أن يسلب الله الملك جميع أهل الأرض فيعيده
إلى إمام العرب الخاتم للهداية من ذريته ختمه صلى الله عليه وسلم للنبوة من ذرية آدم ونبوتهم من المكنة كما قال صلى الله
عليه وسلم لو شاء أحدهم أن يسير من المشرق إلى المغرب في خطوة لفعل ومع ذلك فلبسوا من الدنيا ولبست الدنيا
منهم فنبوتهم الله ملكا من ملك ظاهر هداية من هداه شافة عن سره الذي يستعلن به من خاتمة يوم الدنيا ليتصل
بظهوره ملك يوم الدين والملك الذي ليس يشرف في الدنيا والاستغناء وخيرها قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما في وصيته
إذا جئت فلتمح يدك قال حتى تشبع من جئت له فإن نازعتك نفسك في شيء تذكرهم فتشاركهم غير مستأثر عليهم
وإياك والذخيرة فإن الذخيرة تهلك دين الإمام وتسفك دمه فالملك التباس بشرف الدنيا والاستيثار وخيرها
واتخاذ ذخيرة منها لما أرادوا أن يخيروا على عمر رضي الله عنه ذهبه عندما أتيا له على بيت المقدس بيد بهم فقال إنا قوم
أعزنا الله بالإسلام فلن نلتمس العز بغيره فمن التمس الشرف بحياة الدنيا فهو ملك بقدر ما يلتمس من شرفها
قل ذلك الحظ أو جل وهو به من أتباع ملوك الدنيا وكذلك من التمس الاستيثار وخيرها واتخذ الذخيرة منها كل بنال
من الملك ويكون من سبعة الملوك بحسب ما ينال ويجب من ذلك حتى ينتهي إلى حشر مع الصنف الذي عمل إليه فمن تذلل
وتقلل وتوكل بعث مع الأنبياء والمرسلين والخلفاء كما أن من تشرف بالدنيا واستأثر وادخر منها حشر مع الملوك واللا
جلس عمر رضي الله عنه يوما وسلمان وكعب وجماعة رضي الله عنهم فقال أخبروني أخليفة أنا أم ملك فقال له سلمان
يا أمير المؤمنين إن جبيت درهما من هذا المال فوضعته في غير حقه فأنت ملك وإن لم تضعه إلا في حقه فأنت خليفة
فقال كعب رحمه الله ما ظننت أن أحدا يعرف الفرق بين الخليفة والملك غيري فالتزام مرارة العدل وإيثار الخير
خلافة وتشيع في سبيلها وينال حلاوة الاستيثار بالعاجلة شرفها وما لها ملك وتخير لنا باعه انتهى وفي تقديم
الإيتاء على النزع إشارة إلى أن الداعي ينبغي أن يبدأ بالترغيب وتنزع قال الحرالي من النزع وهو الأخذ بشدة وبطش انتهى
الملك ممن تشاء وفيه إشارة إلى أن الدعاء باللين إن لم يجد ثنى بالترهيب وعلى هذا المنوال أبرز قوله وتعز من تشاء أي
إعزازه وتذل من تشاء أي إذلاله وهو كما قال إن رحمتي سبقت غضبي قال الحرالي وفي كلمة النزع ما ينبئ عنه من البطش
والقوة ما يناسب معنى الإيتاء فهو إيتاء للعرب ونزع من العجم كما ورد أن كسرى رأى في منامه أنه يقال له سلم ما بيدك
لصاحب الهراوة فنزع ملك الملوك من الأكاسرة والقياصرة وخوله قريشا ومن قام بأمرها وانتحل الملك باسمها من
صنوف الأمم عربا وشرقا وجنوبا وشمالا إلى ما يتم به الأمر والختم والعز والله أعلم عزة الله لأهله والتي لنبيه صلى الله عليه وسلم
وللأنصار والصحابة من صحابته وعشيرته وأتباعهم وذرياتهم الذين سلبهم الله ملك الدنيا فخلاهم لعز الآخرة وبعزة الدين
كما قال تعالى فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين ليكون في الخطاب تنبأ بشرى لهم أنه آتاهم من العز بالدين ما هو خير من الشرف

بملك الدنيا من كان يريد العزة فلله العزة جميعا فالملوك وان اغتروا بملك الدنيا فليس لهم من عزة الدين شيء اعزهم الله بالدين
تخدمهم الاحرار وتتوطد لهم الامصار لا يجدون وحشة ولا يحصرون في محل ولا تسقط لهم حرمة حيث ما حلوا وحيث ما كانوا استتروا
واشتهروا والمتلبسون بالملك لا يخدمهم الا من استرقوه فهم لا يملكون تضييع الخلق ولا يملكون محاب قلوبهم محصورون في اقطارهم لكم
لا يخرجون عنها ولا يتعقلون منها حتى يتبعهم من كمال الدين فلا يتصرفون في الارض ولا يضربون فيها حتى يمتنع ملوك من الحج مخافة
نيل الذل في غير موطن الملك والله عز وجل يقول ان عبدا اصححت له جسمه واوسعت عليه في رزقه يقيم خمسة اعوام لا يفد
علي لمحروم فالملوك مملوكون بما ملكوا واعزا الله مكنونون فيما اليه وجهوا لا يصدهم عن تكملة امر الدين واصلاح امر الاخرة صاد
ولا يردهم عنه راد لخروجهم من سجن الملك الى سعة العز بعزة الله فقاد رضا الله اهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم
ومن لم يرضه للملك بعز الامامة ورفعة الولاية والاستيلاء على محاب القلوب للعالمين بما استرعى الملوك بعض حواس الحدرين
والمستنجبين والذل مقابل ذلك العز فاذا كان ذلك العز عزا دينيا ربانيا عوضا عن سلب الملك كان هذا الذل والله
اعلم ذل اهل الدنيا في دنياهم الذي الزمهم الله اياه بما اذلهم انفسهم فاستعملتهم في شهواتها واذلهم اتباعهم فتوسلوا
بهم الى نقتا اغراضهم في اهوائهم وبسط لهم من يظلمونه بما يتقصفون منهم ونيالهم من ذل تضييع الدين ويبدو على وجوههم
من ظلمة الظلم ما يشهد ذلهم فيه ابصار العارفين انتهى ولعل نصارى نجران اشد قصدا بهذا الخطاب فانهم خافوا ان ينزع
منهم ملوك الروم ما خولوهم فيه من الدنيا ان اخبروا بما يعلمون من امر هذا النبي صلى الله عليه وسلم ولما تقرر بما تلك لما تقدم
انتج ان له التصرف المطلق فعبر عنه بقوله بيدك اي وحدك الخير ولم يذكر الشر تعليما لعباده الادب في خطابه وترغيبا لهم
في الاقبال عليه والاعراض عما سواه لان العادة جارية بان الناس اسرع شيء الى معطي النوال وباذل الاموال وتنبيها على ان الشر
اهل للاعراض عن كل شيء من امره حتى عن مجرد ذكره واخطاره بالبال مع ان الاقتصار على الخير يسلك الخير كله مستلزم لمثل ذلك في الشر
لانهما ضدان كل منهما مساو لنقيض الاخر فاثبات احدهما نفي للاخر ونفيه اثبات للاخر فلا يعطي الخير الا وقد نفى الشر ولا ينزع الخير الا
وقد وضع الشر والله اعلم ولما افهم ان الشر بيده كما اعلم ان الخير بيده وخاصته قرر ذلك على وجه اعم بقوله انك على كل شيء قدير
فلما ثبتت خصوصيته سبحانه بصفة القدرة على الوجه الاعم ذكر بعض ما تحت ذلك مما لم يدخل شيء منه تحت قدرة غيره فقال
وقال الحرالي ولما كانت هذه الاية متضمنة تقلبات نفسانية في العالم القائم الادمي تفصل بها ذكر تقلبات في العالم الدائر ليوخذ
لكل منهما اعتبار من الاخر ولما ظهر في هذه الاية افتراق النزع والايتاء والاعزاز والاذلال ابدى في الاية التالية تواتج بعضها في
بعض ليوجد بولوج العز في الذل والذل في العز والايتاء في النزع والنزع في الايتاء وتواتج المفترقات والمتقابلات بعضها في بعض ولما
كانت هذه الاية متضمنة لبيان الاحكام والتشابه في منزل الكتاب محكم الفرقان اظهر تعالى في اياتها ما احكم وبين في خلقه وامره
وما التبس واولج في خلقه وامره فكان من محكم اية في الكائن القائم الادمي ما تضمنه ايتاء الملك ونزعه والاعزاز والاذلال وكان
من الاشتباه ايلاج العز في الذل وايلاج الذل في العز فلما صرح بالاحكام بتبيان الطرفين في الكائن القائم الادمي وضمن الخطاب له
اشتباهه في ذكر العز والذل صرح به في اية الكون الدائر تذكرة الافاق وهو الليل والنهار بما يتباين فيهما من التواتج حيث ظهر ذلك
فيها وخفي في تواتج احوال الكائن القائم لان الاحكام والاشتباه متراد بين الايتين اية الكائن القائم الادمي واية الكون الدائر العرشي
لما وقع اشتباهه في احدهما ظهر احكامه في الاخر فقال تعالى تولج من الولوج وهو الدخول في الشيء بسائر جملة الداخل الليل في النهار
بتفصيل من مقادير قدرته فهو تعالى يجعل كل واحد من المتقابلين بطانة للاخر والجا فيه على وجه لا يصل اليه منال المعقول لما في المعقول
من افتراق المتقابلات فكان في القدرة ايلاج المتقابلات بعضها في بعض وايداع بعضها في بعض على وجه لا يتكيف للعقول ولا ينال
بعلم انتهى وتولج النهار في الليل اي تدخل كل منهما في الاخر بعد ظهوره حتى يذهب فيه ويختفي ولا يبقى له اثر قال الحرالي ولما جعل المتقابلين
من الليل والنهار متوالجين جعل المتباطنين من الحي والميت مخرجين فما ظهر فيه الموت بطنت فيه الحياة وما ظهرت فيه الحياة بطن فيه
الموت انتهى فقال تعالى وتخرج الحي اي من النبات والحيوان من الميت منهما وتخرج الميت منهما من الحي منهما كذلك قال الحرالي فهذه
سنة الله وحكمته في الكائن القائم وفي الكون الدائر فاما في الكون الدائر فباخراج حبي الشجر والنجم من موات البذر والعجم وبظهوره في العيان
كان احكم في البيان مما يقع في الكائن القائم لذلك الكائن القائم يخرج الحي المؤمن من الميت من الكافر الجاهل وما كان استغفار
ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ويخرج الكافر الابي من المؤمن الراحم يا نوح انه ليس من اهلك
اظهر تعالى بذلك وجوه الاحكام والاشتباه في امتي خلقه ليكون ذلك اية على ما في امره وليشف ذلك عما يظهر من امر علمه وقدرته
على من شا من عباده كما اظهر في ملايكته وانبيائه وكما خصص بما شا من اظهار عظيم امره في المثلين الاعظمين مثل ادم وعيسى عليهما
السلام فانزلت هذه السورة لبيان الامر فيما اشتبه على من التبس عليه امر عيسى عليه السلام فهو تعالى اظهر من موات الانسانية
ما شا من الاحيا بالدين واظهر في ادم عليه السلام ما شا من علمه حين علم ادم الاسما كلها كذلك اظهر في عيسى عليه السلام ما شا
من قدرته كما اظهر في الخلق ما شا من ملكه فملك ما شا ونزع الملك ممن شا واعز من شا واذل من شا واظهر بالنهار ما شا
وطمس بالليل ما شا واولج المتقابلين بعضهما في بعض واخرج المتباطنين بعضهما من بعض انتهى ولما بدا الاية سبحانه بما
يقتضي الترغيب مما هو محط احوال الانفس من الملك وانواع الخير ختمها بمثل ذلك مما لا يقوم الملك ولا يطيب العيش الا به

فقال

فقال وترزق من تشا قويا كان او ضعيفا بغير حساب اي تعطيه عطاء واسعا جما متصلا من غير تضييق ولا عسر
كما فعل باول هذه الامة على ما كانوا فيه من القلة والضعف حيث اباد بهم الاكاسرة والقياصرة واباحهم كنوزهم واخذتهم
ابناهم واطلعهم ديارهم وقال الحرالي ولما ذكر تعالى هذه الاحكام والاشتباه من امر العلية من الخلق اهل شرف الملك واهل عزة
الدين ختم الخطاب بامر الرزق الذي هو تتمة الخلق وفيه من الاحكام والاشتباه نحو مما في الايتاء والنزع ولما فيه من الوزن
والايتاء بقدر وختم باعزبه وهو الارزاق الذي لا يقع على وزن ولا يكون بحساب وفيه اشعار بالارزاق الختمي الذي يكون في اخر
اليوم المحمدي للذين يوتيهم الله ما شا ما شا من ملكه وعزه وسعة رزقه بغير حساب فكما ختم الملك لبني اسرائيل بملك
سليمان عليه السلام في قوله هذا عطاونا فامنن او امسك بغير حساب كذلك يختم لهذه الامة بان يرزقهم بغير حساب
حين تلقي الارض بركاتها وتستظهر من فتنتها فتنقطع المكنة في ختم اليوم المحمدي بالهداية والمهدية كما انقضت لبني اسرائيل بالملك
والقوة انتهى ولما بان بهذه الاية ان لا شيء في يد غيره وانقضى ذلك قصر الهمم عليه وكان نصارى نجران انما داموا على موالاة ملوك
الروم لمحض الدنيا مع العلم ببطلان ما هم عليه حذرا والمؤمنون من مداناة مثل ذلك مع كونهم مؤمنين كما وقع لحاطب بن ابي
بلتعة رضي الله عنه مما قص في سورة الممتحنة اشارة الى انه لا تجتمع موالاة المؤمنين وموالاة الكافرين في قلب الا وشكت
احديهما ان تغلب على الاخرى فتنزعها فقال تعالى منبها على ذلك كله سايقا له مساق النتيجة لما قبله وقال الحرالي ولما كان
مضمون هاتين الايتين بشرى بخصوص هذه الامة وعمومها بالعز والملك وختم الرزق الذي لا حساب فيه كان من الحق
ان تطهر قلب المبشرين بعزة البشرى فلا يتولوا غيره ولما قبض ما بايدي الخلق اليه في ايتا الملك ونزعه والاعزاز والاذلال
واظهر احاطة قدرته على كل شيء اقامة امتحانه بما اولج واخرج وانبا عن اطلاق حد العد عن ارزاقه فسد على النفس الابواب
التي منها يتوهم الحاجة الى الخلق نهى المؤمنين الذين كانت لهم عادة بمباطنة بعض كفرة اهل الكتاب وغيرهم من المشركين ومن
يشمله وصف الكفران جروا على عادتهم في موالاتهم ومصافاتهم والحديث معهم لان المؤمنين يجاوزونهم بصفا والكافرون
يتسمحون ويأخذون منهم بدغل ونفاق عليهم كما قال تعالى ها انتم اولا تحبونهم ولا يحبونكم فنهاهم الله سبحانه عما غاب عنهم
خبرته وطيه انتهى فقال تعالى لا يتخذ المؤمنون اي الراسخون في الايمان وعبر في اضدادهم بالوصف ليلا يتوهم ذلك في كل من
تلبس بكفر في وقت ما فقال الكافرين اوليا ونبه بقوله من دون المؤمنين على ان ولايتهم اوليا يرمن ولايته وان المنهي عنه
انما هو الولاية التي قد توهن الركون الى المؤمنين لان في ذلك كما قال الحرالي تبعيد القريب وتقريب البعيد والمؤمن اولى بالمؤمن
كما قال عليه الصلاة والسلام المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا فاقوياهم لهم ركن وضعيفهم مستند لذلك الركن
القوي فاذا والاه قوي بر بما بباطنه وبصافيه واذا اتخذ الكافر وليا من دون مومنه القوي ربما تداعى ضعف في ايمانه
الى ما يبدو اغترفيه من ملابسة احوال الكافرين كما انهم لما اصاخوا اليهم اصاخوا او تحوا بينهم سببا بالجاهلية في قو[له]
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكما قال تعالى يا ايها الذين امنوا
ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ولم يمنع سبحانه من صلة ارحام من لهم من الكافرين ولا من
خلطتهم في امر الدنيا فيما يجري مجرى المعاملة من البيع والشرى والاخذ والعطا وغير ذلك ليوالوا في الدين اهل الدين ولا يضرهم ان
يباروا من لم يحاربهم من الكافرين انتهى ولما كان التقدير فمن تولاهم وكل اليهم وكان في عدادهم لانه ليس من الراسخين في صفة الايمان عطف
عليه ترهيبا لمن قد تتقاصر همته فيرضى بمنزلة دون الرسوخ قوله ومن يفعل ذلك اي هذا الامر البعيد من افعال ذوي الهمم
الذي يكون به في عداد الاعدا ابعد هذا البيان ومع رفع هذا الحجاب الذي كان مسدولا على اكثر الخلق فليس من الله اي الذي بيده
كل شيء فلا كفوله في شيء قال الحرالي نفي لهامه ان من تمسك بولاية المؤمنين فهو من الله في شيء بما هو متمسك بعنان من هو ولي
الى الله من الذين اذا راوا ذكر الله انتهى ولما كان من الناس القوي والضعيف والشديد واللين نظرا الى اهل الضعف سبحانه فوسع
لهم بقوله الا ان تتقوا منهم تقاة اي الا ان تخافوا منهم امرا خطرا تعجزون عن احتماله كما خافه نصارى نجران وتوهمه حاطب فحينئذ له
يباح اظهار الموالاة وان كانت درجة من تصلب في مكاشرتهم وتعزز مكافحتهم ومكاثرتهم وان تقطع اعظم فاياكم ان تركنوا اليهم
فان الله يحذركم ايما لكم على حدوده فان ذلك موجب لاعراضه عنكم ويحذركم الله اي الملك الاعظم نفسه فانه عالم بما
تفعلونه وهو الحكم في الدنيا كما ترون من اذلاله العزيز واعزازه الذليل وهذا التحذير منه وهو نفسه سبحانه كما قال الحرالي
مجموع اسما تعاليه المقابلة باسما اوصافهم التي مجموعها انفسهم وموجود النفس ما تنفس واذا كانت نفس الخلق تنفس
على ما دونها الى حد مستطاعها فكان ما حذره الله من نفسه اولى واحق بالمنافسة في تعاليه وصفاته واسمايه ان تنفس على
من يغنيه فلا يستغني ويكفيه فلا يكتفي ويريه مصارف سد خلاته وحاجاته فلا يتصرف لها الا بتوجه نحوها فهو سبحانه
يعذب من تعرف له بنفسه فلم يعرفه اشد من عذاب من يتعرف له باياته فلا يعتبر بها بما ان كل ما ابداه من نفسه
بلا واسطة فهو اعظم مما ابداه بالواسطة من نعيم وعذاب فلا اعظم من نعيم من تعرف له بنفسه فعرفه ولا اشد من عذاب
من تعرف له بنفسه فانكره انتهى ولما كانت مصايب الدنيا قد تنشا عن قال تعالى عاطفا على ما نحو تقديره فمن الله المصير
وقال الحرالي ولما كان الدليل ابدا امورا بترك الاعتماد عليه اقام تعالى على المتمسك بما دونه حجة بزواله فلا يستطيع التبان

عليه

عند ما نباله الا ازالة والاذهاب وبصيرا لامر كله لله فاعلم ان المصير المطلق الى الله فمن تعرف اليه تعرف نال اعظم النعيم ومن تعرف
اليه فانكره نال اشد الجحيم انتهى فقال والى الله اي الذي له الاحاطة الكاملة المصير اي وان طال امهاله لمن اعرض عنه فيوشك ان ينتقم منه
ولما كانت الموالاة بالباطن المنهي عنها مطلقا ودائما قد تخفى وتدعى نفيها احتيج الى امره صلى الله عليه وسلم بتحذيرهم من موالاة اعدائه
على وجه النفاق او غيره فقال وقال الحرالي ولما كان حقيقة ما نهي عنه في الولاية والتقاة امرا باطنا يترتب عليه فعل ظاهر وقع التحذير
فيه على الفعل كرر فيه التحذير على ما وراء الفعل مما في الصدور وسنه فيه على ما مناله العلم حقيقة فانه قد يترك الشي فعلا ولا
تترك النفس العشقة صغوا ونزوعا اليه في اوقات وكرر في ختمه التحذير ليتشفى التحذير ان ترقيا من الظاهر في الفعل الى باطن الحماية في العلم
كما تثنى الامران في الظاهر والباطن وقال في اجرا هذا الخطاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم تحذير عليهم بما انه بشر مثلهم يلزمهم
الاقتداء به فيما لم يبادر والى حذر من الله في خطابه الذي عرض به تحذيرهم انتهى فقال تعالى قل ان تخفوا اي يا ايها المومنون ما في
صدوركم او تبدوه يعلمه الله المحيط قدرة وعلما ثم قال عاطفا على جملة الشرط التي هي مقول القول ارادة التعميم ويعلم ما
اي جميع ما في السموات ولما كان الانسان مطبوعا على ظن انه اذا اخفى شيئا في نفسه لا يعلمه غيره اكد باعادة الموصول فقال وما اي
وجميع ما في الارض ظاهرا كان او باطنا ولما كان ذو العلم لا يكمل الا بالقدرة وكان يلزم من تمام العلم شمول القدرة كما سياتي ان شا
الله تعالى برهانه في سورة طه كان التقدير بكل شي عليم فعطف عليه قوله والله اي بما له من صفات الكمال على كل شي قدير من
نمط ذلك قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما مع ذكر التصوير كيف يشا والختم بوصفي العزة والحكمة وقد دل سبحانه
بالتفرد بصفتي العلم والقدرة على التفرد بالالوهية ولما تم الحكم والوصف والقدرة بحد التحذير من سطواته ذكر يوم المصير
المحذر منه المحصي فيه كل كبير وصغير المعامل فيه كل عامل بما يليق به الذي يتم فيه انكشاف الاوصاف لكل ذي وعي فقال تعالى يوم
وهو معمول لعامل من معنى يحذر تجد كل نفس والذي يرشد الى تقدير هذا العامل اذ جعل العامل مقدرا قوله تعالى ويحذركم
الله نفسه سابقا لها ولاحقا ويجوز ان يكون بدلا من يوم في قوله ليوم لا ريب فيه وتكون فتحته للبنا لاضافته الى الجملة والله اعلم والمراد
بالنفس والله اعلم المكلفة ما عملت من خير محضرا اي لا نقص فيه ولا زيادة بامر القاهر القادر على كل شي وما عملت من سوء حاضرا املا لها
لما عملت من خير تود انها لا تفارقه ولا ينقص منه شي وما عملت من سوء تود اي تحب حبا شديدا لو ان بينها وبينه اي ذلك العمل
السوء امدا اي زمانا قال الحرالي واصله مقدار ما يستوفي جهد الفرس من الجري فهو مقدار ما يستوفي ظهور ما في التقدير الى وفا كيانه بعيدا
من البعد وهو منقطع الوصلة في حس او معنى انتهى فالاية من الاحتباك ذكر احضار الخير دلالة على حضور الشر وود تبعد السوء دلالة على
ود لزوم الخير ولما ذكر هول ذلك اليوم كان كانه قال فاتقوه فان الله يحذركموه ويحذركم الله الذي له العظمة التي لا يحاط بها نفسه فانه
منتقم ممن تعدى طوره ونسي انه عبد قال الحرالي ان تكون لكم انفس تجد ما عملت ويلزمها وطاة هذه المواخذة بل الذي ينبغي ان يبرا العبد
من نفسه تبرية من ان يكون له ارادة وان يلاحظ علم الله وقدرته في كلية ظاهره وباطنه وظاهر الكون وباطنه انتهى ولما كان تكرير التحذير
قد يفهم تبين ان تحذيره للاستعطاف فانه ينصب الادلة ويبعث الدعاة والترغيب في الطاعة والترهيب من المعصية المسبب عنه
سعادة الدارين فهو من رافته بالمحذرين فقال بانيا على ما تقديره ويعدكم الله فضله ويبشركم به لرافته بكم والله اي والحال ان الذي له
وصف الجلال والاكرام رءوف بالعباد قال الحرالي فكان هذا التحذير الخاتم ابتدائيا والتحذير السابق انتهائيا فكان هذا رافة
سابقة وكان الاول الذي يترتب على الفعل تحذيرا لاحقا متصلا بالمصير الى الله وهذا الخاتم مبتدا بالرافة من الله والرافة يقول اهل المعاني
هي ارق الرحمة والذي يفصح عن المعنى والله اعلم انها عطف العاطف على من يجد عنده منه وصلة فهي رحمة ذي الصلة بالراحم لمن تحقق ان
الامر لله وحده ويرى فضله ورحمته عليه لما يرى من دعوى شي من نسبة الخير الى نفسه فاحبه لذلك قيل لاعرابي انك تموت وتبعث
وترجع الى الله فقال اتهددوني بمن لم ار الخير قط الا منه فلذلك اذا تحقق العبد ذلك من ربه احبه بما وجده وبما وجده في العاجلة
نجاه ان يجد عمل نفسه في الآجلة انتهى وقد علم ان الاية من الاحتباك التحذير اولا دال على الوعد بالخير ثانيا والرافة ثانيا دالة على الانتقام
اولا والله الموفق ولما قطعهم سبحانه عن موالاة الكفار ظاهرا وباطنا بما اقتضى القصر على موالاة اهل الله لتغيبه من تولى الكفار عن ان
يكون في شي من الله وكان الانسان ربما والى الكافر وهو يدعي محبة الله وختم برافته سبحانه بعباده وكانت الرافة قد تكون عن المحبة الموجبة
للقرب فكان الاخبار بها ربما دعا الى الاتكال ووقع لاجله الاشتباه في الحزبين جعل لذلك سبحانه علامة فقال وقال الحرالي لما كان اعظم
ما يترقى اليه مقامات السالكين الى الله والقاصدين اليه من مبدا احوال الذكر الذي هو منتهى المقامات العشر المترتبة في قوله تعالى
ان المسلمين محبة الله بما ان المحبة وصلة خفية يعرف الحاس بها كتمها انا متعالي المحبة على المتزامين لدعوى القرب من الله والادعائي
على ما يصل اليه العقول من محبته بما انبا ان من انتمى الى ان يحب الله فليتبع هذا النبي الذي احبه الله لمن اتبعه احبه الله فقامت
بذلك الحجة على كل سالك وقاصد ومتقرب فان نهاية الخلق ان يحبوا الله وعناية الحق ان يحب العبد فرد سبحانه جميع من احاط به
الاصطفا والاجتبا والاختصاص ووجههم الى وجهة الاتباع لحبيبه الذي احبه كما قال صلى الله عليه وسلم لو ان موسى بين اظهركم
ما وسعه الا اتباعي واذا كان ذلك في موسى عليه السلام كان في المتحلين لملته الزم بما هم متبعون لمتبعه عندهم واصل ذلك انه صلى
الله عليه وسلم لما كان المبدا في الابدا وجب ان يكون النهاية في المعاد فالزم الله الخليقة ممن احب الله ان يتبعوه واجرى ذلك
على لسانه اشعارا بما فيه من الخير والوصول الى الله من حيث انه نبي البشرى وليكون ذلك اكظم لمن ابى اتباعه انتهى فقال تعالى قل ان كنتم

تحبون الله

تحبون الله اي المحيط بصفات الكمال مخلصين في حبه لاعتقادكم انه على غاية الكمال فان الكمال محبوب لذاته فاتبعوني قال الحرالي
قد تقدم صلى الله عليه وسلم ظاهر اتباعه فقال في البر واصل حقيقة الايمان بالله والايثار لعباد الله والتقوى وهي
ملاك الامر واصل الخير وهي اطراح استغنا العبد بشي من شانه لا من ملك ولا من فعل ولا من وصف ولا
من ذات حتى يكون عنده كما هو عند ربه في ازله قبل ان يكون موجودا لنفسه ليكون امره كله بربه في وجوده كما كان امره
بربه قبل وجوده لنفسه وقد تقدم حق التقاة التي هي غاية التقوى بان يكون العبد يشكر ولا يكفر ويذكر فلا ينسى
ويطيع فلا يعصى انتهى قال الامام المحبة توجب الاقبال بالكلية على المحبوب والاعراض عن غيره انتهى فمن ادعى محبته وخالف
سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كذاب وكتاب الله يكذبه يحببكم الله اي الذي له الاسما الحسنى والصفات العلى
حبا ظهرت لي ماراته بما اعلم به القلب فان الامر المنجي غاية النجاة انما هو محبة الله للعبد لا محبة العبد لله فانه ربما كانت
له حالة يظن بها انه يحب الله والواقع انه ليس كما ظن لكونه يعمل بما يسخطه لكنه والامارة الصحيحة لذلك رد الامر كله
الى الله وحينئذ يفعل الله مع العبد فعل المحب من حسن الثنا والاكرام بالثواب قال الحرالي فان من رد الامانة الى الله
احبه الله فكان سمعه وبصره ويده ورجله واذا احب الله عبدا اراحه وانقذه من منالة في ان يكون هو يحب الله فمن احب
الله وله ومن احبه سكن في ابتدا غايته وتثبته الله انتهى فقد اشار سبحانه الى ان الدلالة الناشية عن الرافة من الاكرام
بالنعم من الهداية بالبيان والابلاغ في الاحسان عامة للمحبوب وغيره وان الدليل على المحبة الالهية هو الاتباع للداعي
اعملوا فكل ميسر لما خلق له فاما من كان من اهل السعادة فييسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فهو
ميسر لعمل اهل الشقاوة ما تقرب المتقربون الي بمثل اداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى
احبه ولما كان الدين سيدا لن يشاده احد الا غلبه لما عليه العبد من العجز والمعهود من عظيم الامر اتبع ذلك الاعلام
بانه مع ايصال الثواب يرفع العقاب والعتاب فقال وقال الحرالي ولما كان من اية حب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ما انزل
عليه من قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر جرى لمن احبه الله باتباعه حظ منه في قوله
ويغفر لكم ذنوبكم اي مطلقا وذنب كل عبد بحسب لان اصل معنى الذنب ادنى مقام العبد فكل ذي مقام اعلاه حسنته
وادناه ذنبه ولذلك في كل مقام توبة حتى تقع التوبة من التوبة لتكمل الوجود والشهود ولما كان هذا الامر من احص ما
يقع وكان بما دونه مقامات خواص الخلق فيما بين اسلامهم الى محبتهم لله ختم تعالى بما يفهم احوال من يرجع الى من دون
هذا الكمال فقال والله الذي له الكمال كله غفور رحيم اي لمن لم يبلغ رتبة حب الله له بما يقع في اثنا احواله من موجب
المغفرة واسند تا الرحمة حيث لم يصل الى المحبة فمرحوم لحد مغفرة وهو القاصد ومغفور لحد محبة وهو الواصل
انتهى ولما كان الاتباع قد يكون عن علية لا عن طاعة بين انه لا ينفع الا مع الاذعان فقال او يقال لما كان صلى الله عليه وسلم
في غاية الرافة بالعباد وكان يعلم ان احاد الامة لا يقدرون على كمال اتباعه لما له من العصمة من الطبع على خصال الكمال
كان كانه قال له سبحانه وتعالى فان لم تقدروا على كمال اتباعي فقال قل وقال الحرالي ولما ذكر تعالى ما تقدم من تحذيرين ذكر بين
اولا مما في الذكر تحاذيهم من موجب التحذيرين فكان الاتباع موجب النجاة من التحذير الثاني الباطن الذي مبداه الرافة
وكانت الطاعة موجب النجاة من التحذير الاول السابق فمن اطاع الله والرسول فيما نهي عنه من اتخاذ ولاية الكافرين من
دون ولاية المومنين سلم من التحذير الظاهر ومن اتبع الرسول فاحبه الله سلم من التحذير الباطن فختم الخطاب بما بدا به
ولما كانت رتبة الاتباع عليا وليتها دانية الا ابتمار فهو اما متبع على حب واما موتمر على طاعة فمن لم يكن من اهل الاتباع
فليكن من اهل الطاعة فكان الخطاب يفهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني فان لم تستطيعوا ان تتبعوني فاطيعوني انتهى فقال
تعالى قل اطيعوا الله اي لما له من صفات الكمال ولما قدم ان رضاه في اتباعه صلى الله عليه وسلم تدل على ان الطاعتين
واحدة قال موحدا للعامل والرسول اي الكامل في الرسلية لما له به سبحانه من مزايا الاتصال وهو وان كان اسمانه
كليا لكنه كان حين انزال هذا الخطاب مختصا باكمل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله بن عبد المطلب المرسل
الى الخلق كافة على ان طاعته طاعة جميع الرسل الذين بلغوا الناس صلى الله عليهم اجمعين وسلم قال الحرالي فكان اشارة
ذلك الى ما نهوا عنه من التولي الى ما ينتظم في معنى ذلك وفيه اشعار بان الامر يكون فيه محوطا بالرحمة من حيث ذكر الرسول
فيه بما هو رحمة للعالمين فان تولوا اي عن طاعة خطاب الله والرسول المحفوف باللطف من الله والرحمة من رسول
الله انتهى وتولوا يحتمل المضارع والمضي فكان الاصل في الكلام فان الله الذي له الغنى المطلق لا يحبكم او لا يحبهم ولكنه اظهر
الوصف المعلم بان المتولي كفر فقال لا يحب الكافرين قال الحرالي فرد الامر لله لما كان وعيدا ابقا لرسوله صلى الله عليه وسلم
في حيز الرحمة ولما نفى عمن تولى ان يحبه كان في اشعاره ان هذا الكفر عموم كفر يداخل رتبا من الايمان من حيث نفي الحب
نفي منه ما بنا له العفو والمغفرة والرحمة ونحو ذلك بحسب رتب تناقص الكفر لانه كفر دون كفر ومن فيه كفر غير
مستوفي اتباع الرسول بما انه الماحي يمحو الله به الكفر وانما يحب الله من اتبع رسوله فعاد الختم في الخطاب الى اشعار
من معنى اوله وفي الاحبة ان حب الله للعبد بحسب توحيده فكلما كان اكمل توحيدا كان احب وما سقط عن رتبة

ادنى التوحيد الذي هو محل الامر بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كان كفرا بحسب ما يخطي عن تلك الرتبة
من التوحيد لان هذه السورة سورة الالهية ايمانية حسبه توحيد به تختطها بخصوص مما يجري من حكم ذلك من الايمان له
والكفر والمحكم والمتشابه وكشف غطا الغين ورفع حجب القلوب انتهى وقد وضح ان الاية من الاحتباك فاصل نظمها فان تولوا
فان الله لا يحبهم لكفرانهم وان اقبلوا فان الله يحبهم لايمانهم فان الله لا يحب الكافرين والله يحب المؤمنين اثبات التولية في الاول
يدل على حذف الاقبال من الثاني واثبات الكراهة في الثاني يدل على حذف مثلها في الاول ولما كان الاصطفا اخص من
مطلق الاحباب بين بعض الانبيا وما اكرمهم به تصديقا لقوله تعالى في الحديث القدسي الشريف فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها تنبيها لوفد نصارى نجران وغيرهم على انه
مثل ما اصطفى لنفسه دينا اصطفى للتخلق به ناسا يحبونه ويطيعونه ويوالون اوليا ه ويعادون اعداه وليسوا من صفات
الكافرين في شي فقال او يقال انه سبحانه لما شبه افعاله في المتشابه وغيره باقواله وعرف ان طريق الاقوم رد المتشابه منهما
الى الواضح المحكم والالتجا في كشف المشكل اليه مع الاعتقاد الجازم المستقيم وبين ان الموقف عن هذا الطريق الاقوم الوقوف
مع العرض له نبوي من الرياسة وغيرها والفا الدين مع التحلل فيه بالتمني العارع وانهى ذلك وتوابعه الى ان ختم بتهديد
من تولى عن الحق احذ في تصوير تصويره في الارحام كيف شا بما شوهد من ذلك ولم يشك فيه من احوال اناس هم من
خليص عباده المقبلين على ما يرضيه فقال او يقال ولعله احسن ولما اخبر سبحانه ان اهل الكتاب ما اختلفوا الا من بعد
ما جاهم العلم بكفرهم ايد ذلك والحق به ما تبعه الى ان ختم بالامر باتباع الرسول او بانه لا يحب الكافرين بالتولي عن رسله
اشتد تشوف النفس الى معرفة الرسل الاتين بالعلم الذين يوجب مخالفتهم الكفر فبينهم بقوله وقال الحرالي لما كان
منزل هذه السورة لاظهار المحكم والمتشابه في الخلق والامر وقدم تعالى بين يدي ايات متشابه خلق عيسى عليه السلام وجه
الاصطفا المتقدم للادمية ومن منها من الذرية لتظهر معادلة خلق عيسى عليه السلام اخر المتقدم خلق ادم عليه السلام
اولا حتى يكونا مثلين محيطين بطرفي الكون في علو روحه ودنو ادم رتبته وانه تعالى منزل الروح الى الخلق الادمي كما قال ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون فظهر اثر ذلك اللبس بما وقع لاهل الزيغ في عيسى كما انه رقى الخلق الطيني رتبة
رتبة الى كمال التسوية الى ان نفخ فيه من روحه فكان ترقي الادمي الى النفخ كتنزل الروح الى الطينة الانسانية التي تم بها وجود
عيسى عليه السلام كما كمل وجود ادم عليه السلام بالنفخ ولما كان اصل الابتدا انوار اعليا تنزله الحق سبحانه في رتب التطوير
والتصيير والجعل الى ان بدا عالما دنياويا محتويا على الاركان الاربعة والمواليد الثلاث وخفيت انوار ابنيته في موجود اصناف
صفي الله سبحانه من وجود كلية ذلك هذا الخلق الادمي فكان صفي الله فانبا الخطاب عن تصييره الى الصفا بالانتقال انتهى له
فقال تعالى ان الله اي بجلال له وعظمته وكمال له في احاطته وقدرته اصطفى اي للعلم والرسالة عنه سبحانه الى خلقه والخلافة
له في ملكه ادم اباكم الاول الذي لا تشكون في انه خلقه من تراب وهو تنبيه لمن غلط في امر عيسى عليه السلام على ان اعظم ما استغربوا
من عيسى كونه من غير ذكر وادم اغرب حالا منه بانه ليس من ذكر ولا انثى ولا من جنس الاحيا كما سياتي ذلك صريحا بعد هذا التلويح
لذي الفهم الصحيح قال الحرالي فاصطفاه من كلية تخلوقه الذي ابداه ملكا وملكوتا خلقا وامرا واجرى اسمه من اظهر ظاهره
الارضي وادنى دناه فسماه ادم من اديم الارض على صيغة افعل التي هي نهاية كمال الادمية والادمية فكان مما اظهر تعالى في
اصطفا ادم ما ذكر جوامعه علي رضي الله عنه في قوله لما خلق الله ادم ابان فضله للملائكة واراهم ما اختصه به من سابق العلم
من حيث علمه عند استنبائه اياه اسما الاشيا فجعل الله ادم محرابا وكعبة وبابا وقبلة اسجد له الابرار والروحانيين
الانوار ثم نبه ادم على مستودعه وكشف له خطر ما ايتمنه عليه بعد ان سماه عند الملائكة اماما فكان تنبيهه على خطر
امانته ثمرة اصطفائه به انتهى ونوحا اباكم الثاني الذي اخرجه من بين ابوين شايين على عادتكم المستمرة فيكم وقال الحرالي انبا
تعالى انه عطف لنوح عليه السلام اصطفا على اصطفا ادم عليه السلام ترقيا الى كمال الوجود الادمي وتعاليا الى الوجود الروحي
العيسوي فاصطفى نوحا عليه السلام بما جعله اول رسول بتوحيده من حيث رحض الشرك واقام كلمة الايمان بقول لا اله
الا الله لما تقدم بين ادم ونوح عليهما السلام من عبادة الاصنام والاوثان فكان هذا الاصطفا اصطفا باطنا لذلك الاصطفا
الظاهر فتاكد الاصطفا وجرى منا هلكته طامة الطوفان مع نوح عليه السلام من الذي يجري تخليص الصفا والات
من خثارتها وكما صفى ادم عليه السلام من الكون كله صفى نوحا عليه السلام وولده الناجين معه من مطرح الخلق الادمي الكافرين
الذين لا يلدون الا فاجرا كفارا فلم يكن فيهم ولا في مستودع ذراريهم صفاوة تصلح لمزية الاخلاص الذي اختص بصفوته نوح
عليه السلام واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فكان ميثاق نوح عليه السلام ما قام به من كلمة التوحيد ورفض
الاصنام والطاغوت التي تخذها الظالمون من ذرا ادم فتصفى بكلمة التوحيد التوديتون منه فكان نوح عليه السلام
ومن نجا معه صفوة زمانه كما كان ادم عليه السلام صفوة حينه انتهى ولما كان اكثر الانبيا عليهم السلام من نسل ابرهيم
عليه السلام زاد في تعظيمه بقوله وال ابرهيم اي الذي وجد فيهم الخوارق ولا سيما في اخراج الولد من بين شيخين كبيرين لا
يولد لمثلهما وفي ذلك اشارة الى ان عيسى عليه السلام مثلهم لانه احدهم وكذا قوله وال عمران وفي قوله على العالمين اشارة

ذرية

الى انه كسابر ابنا قرابته منهم وافصح بذلك افصاحا جليا في قوله ذرية بعضها من بعض اي فهم كلهم من بني ادم لا مزية لبعضهم
على بعض في ذلك لا مزية في شي من ذلك وانتم لا تشكون فيه في شي من الخصايص لهما دون امر عيسى عليه السلام ومه
فما لكم لما خص سبحانه ال عمران من بين العالمين بخرق العادة فيهم باخراج ولد من انثى فقط من غير ذكر لم ترتدوا مالم تخرقوا امر
الى ما تعرفون من الخوارق حتى انجلى لكم واتضح لديكم بل اشكل عليكم وفات من فيه فتباستكم بما يفضي الى الشك في قدرة الله له
الذين لا تشكون ان من شك في تمام قدرته كفر وقال الحرالي فانبات هذه الجملة بتشابه وتماثل يتعالى عن نجوم الاه
فابان هذا الخطاب في عيسى عليه السلام اصطفا من جملة هذا الاصطفا فكما لم يقع فيهن سواه لبس من امر الالهية
فكذلك ينبغي ان لا يقع فيه هو ايضا لبس لمن يتلقى بيان الاحكام والمتشابه من الذي انزل الكتاب محكما ومتشابها
واظهر الخلق بادبا وملتبسا انتهى وقد عاد سبحانه بهذا الخطاب على احسن وجه الى قصة عيسى عليه السلام الذي
نزلت هذه الايات كلها في المجادلة في امره والاخبار عن حمله وولادته وغير ذلك من صفاته التي يتنزه الاله عنها له
وكراماته التي لا تكون الا المقرب فاخبر اولا عن حال امه وامها واختها وما اتفق لهن من الخوارق التي تمسك بنوع مثلها
من عيسى عليه السلام من كفر برفعه فوق طوره ثم شرع في قص امره حتى لم يدع فيه لبسا بوجه وقال الحرالي في التعبير
عن اصطفا ابرهيم ومن بعده عليهم السلام في اشعار الخطاب اختصاص ابرهيم عليه السلام بما هو اخص من هذا الا
من حيث ينتظم في سلك ال لا اختصاصه هو بالخلة التي لم يشركوه فيها اهل هذا الاصطفا فاختص نمط هذا الاصطفا
بالهم والله اعلم اسحق ويعقوب والعيص عليهم السلام ومن هو منهم من ذريتهم لان اسمعيل عليه السلام اختص
بالوصلة بين ابرهيم الخليل ومحمد الحبيب فكان سري ما هو لهم من وراء هذا الاصطفا ولان انزال هذا الخطاب لخلق
عيسى عليه السلام وهو من ولد داود عليه السلام فيما يذكر وداود من سبط لاوي بني اسرائيل عليهم السلام فيما ينسب
فلذلك والله اعلم جرى هذا الاصطفا على اله فظهر من مزية هذا الاصطفا لال ما كان من اصطفا موسى عليه السلام
بالتكليم وانزال الكتاب السابق يا موسى اني اصطفيتك على الناس فكان هذا الاصطفا استخلاص صفاوة من
صفاوة نوح عليه السلام المستخلصين من صفاوة ادم عليه السلام وال عمران والله اعلم مريم وعيسى عليه السلام ليقع
الاصطفا في نمط يتصل من ادم الى عيسى عليهما السلام ليحوز اطرفي الكون روحا وسلالة والعالمون علم الله الذي المملك
فكما ان الملك لا بد له من علم يعلم به بدوه وظهوره جعل الله ما ابداه من خلقه علما على ظهور ملكه بين يدي ظهور خلقه
في غاية يوم الدين عاما وفي يوم الدنيا لمن شا من اهل اليقين والعيان خاصا واعلى معناه بما ظهر في لفظ من الالف التي تر
على لفظ العلم فاصطفى سبحانه ادم على الموجودين في وقته ولذلك نوح وال ابراهيم وال عمران كلا على عالم زمانه من
بعد في غيب لم تبد صورته في العالم العياني لم تجمعه بعد عند اهل النظر اسم العالم واشار تعالى بذكر الذرية من معنى
الذر الذي هو مخصوص بالخلق ليظهر انتظام عيسى عليه السلام في سلك الجمع ذرا وانه لا يكون مع الذر الا الهية
لان الله تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فكان نصب لفظ الذرية تكييفا لهذا الاصطفا المستخلص على وجه
الذر وهو الذي يسميه النحاة حالا انتهى ولما ذكر سبحانه هؤلا الذين اصطفاهم وكان مدار امر الاصطفا على العلم
ومدار ما يقال لهم وفيهم مما يكون كفرا وايمانا على السمع ختم سبحانه الاية بقوله عاطفا على ما تقديره فالله تعالى
يفعل باحاطته ما يريد والله اي المحيط قدرة وعلما سميع عليم اشارة الى انه اصطفاهم على تمام العلم بهم ترغيبا
في احوالهم والاقتدا بافعالهم واقوالهم ولما كان جل المقصود هنا بيان الكرامات في ال عمران لا سيما في الولادة له
وكان ادم المثل به عليه السلام قد تقدم بيان امره في سورة البقرة سورة الكتاب المثمر للعلم وكذا بيان مما
اصطفى به ابرهيم واله عليهم السلام اذ كان معظم المقصد بالكلام للذريته وكان معظم المقصود من ذكر نوح كونه
في عمود النسب وليس في امره لادته ما هو خارج عن العادة قال طاويا لمن قبل اذ اي ذكر جوابا لمن يجادلك في امرهم له
ويبيلك عن حالهم حين قالت امراة عمران وهي حامل وقال الحرالي لما كان من ذكر الاصطفا بما ذكر توطئة لامر عيسى
اختص التفصيل بامر عيسى عليه السلام دون سائر ما ذكر معه وكان في هذه المناظرة بين الصور تبين حظ من التكافر
من حيث ذكر امر خلق ادم في سورة البقرة فذكر خلق المثل المناظر له في السورة المناظرة لسورة البقرة وهي هذه السورة
فتحاد توقيت هذا القول الى غاية هذا الاصطفا فانبا عن ابتدا ما اختص به لعيسى عليه السلام من قول ام مريم
امراة عمران حين اجرى على لسانها واخطر بقلبها ان تجعل ما في بطنها نذرا فتفصل ما به ختم من اصطفا ال عمران له
ولذلك عرفت ام مريم في هذا الخطاب بانها امراة عمران ليلتئم التفصيل بجملته السابقة رب اني نذرت لك
ما في بطني وكان نذر الولد شايعا في بني اسرائيل الا انه كان عندهم معهودا في الذكور لصلاحهم لسدانة بيت الله
والقيام به فاكمل الله مريم لما كمل له الرجال كما قال عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النسا الا اربع
فذكر مريم بنت عمران عليها السلام فكان من كمالها خروج والدتها عنها وكان اصله من الام التي لها الاستغراق في
فكان خروجها اكمل من خروج الوالد لانها لها في زمن الحمل والرضاع والتربية الى ان يعقل الولد اباه تحببه يترقى

الى حزب ابيه ولذلك والله اعلم ارى ابرهيم عليه السلام ذبح ولده عند تنبيره وجوحت امراة عمران عن حملها وهو في بطنها حين
ما هو اعلق بها انتهى ونذرته لله تعالى حال كونه محررا اي لا اعتراض ولا حكم لاحد من الخلق عليه قال الحرالي والتحرير طلب الحرية
والحرية رفع اليد عن الشي من كل وجه وفي الاتيان به بصيغة التكثير والتكرير اشعار بمعنى العزيمة في قطع الولاية عنه
بالكلية لتسلم ولايته لله انتهى فتقبل مني ولما كان عن اجابة المهتوف الملتجا اليه على حسب احاطة سمعه وعلمه عللت
سؤالها في التقبل بان قصرت السمع والبصر عليه سبحانه فقالت انك انت اي وحدك السميع العليم فقالت كما قال
سلفها ابرهيم واسمعيل عليهما السلام ربنا تقبل منا الاية اي فلا يسمع احد قولي مثل سمعك ولا يعلم احد نيتي
مثل علمك ولانا ان كان فيها شي لا يصلح فنجا وزعته ولما اخبر بما اقتضى مضي عزمها قبل الوضع اخبر بتحقيقه بعد
فقال فلما وضعتها قالت اي تحسرا اذاكرة وصف الاحسان استعطافا للامتنان رب اني وضعتها قال الحرالي من الوضع
وهو القاء الشي المستثقل انثى هي ادنى زوجي الحيوان المتناكح انتهى ولما كان الاخبار عادة انما هو لمن لا يعلم الخبر بين انه ان امر الله
تعالى ليس كذلك لان المقصود باخباره ليس مضمون الخبر وانما هو شي من لوازمه وهو هنا التحسر فقالت والله اي الذي
له صفات الكمال ولما كان المراد التعجيب من هذه المولودة بانها من خوارق العادات عبرت عنها بما فقالت اعلم بما وضعت
وعبرت بالاسم الاعظم موضع ضمير الخطاب اشارة الى السوال في ان يهبها من كماله ويرزقها من هيبته وجلاله وفي قراءة
اسكان التا الذي هو اخبار من الله عنها كما قال الحرالي لاحز معنى ان مريم عليها السلام وان كان ظاهرها الانوثة ففيها
حقيقة المعنى الذي الحقها بالرجال في الكمال حتى كانت ممن كمل من النسا لما لا يصل اليه كثير من رجال عالمها فكان في اشعار
ان الموضوع كان ظاهره ذكرا وحقيقته انثى ولما كان مقصودها مع امتنان نذرها بعد تحقق كونها انثى التحسر على ما
فاتها من الاجر في خدمة البيت المقدس بما يقابل فضل قوة الذكر على الانثى وصلاحيته للخدمة في كل احواله قالت
وليس الذكر اي الذي هو معتاد النذر وكنت احب ان تنيله لافوز بمثل اجره في هذا الفرض في قوته وسلامته من العوارض
المانعة من المكث في المسجد ومخالطة العومة كالانثى التي وضعتها وهي داخلة في عموم النذر بحكم الاطلاق في الضعف وعارض
الحيض ونحوه فلا ينقص برها جرى بسبب ذلك ولو قالت وليست الانثى كالذكر لفهم ان مرادها ان نذرها لم يشملها فلا حق
للمسجد فيها من جهة الخدمة قال الحرالي وفي اشعار هذا القول تفضل بما تخوفت ان لا يكون ما وضعته كفا النذرها
لما شهدت من ظاهر انوثته ما وضعت فجعلها الله لها اكمل مما اشتملت عليه عزيمتها من رتبة الذكورة التي كانت تعهدها
فكانت مريم عليها السلام اتم من معهود نذرها مزيد فضل من ربها عليها بعد وفا حقيقة مقصودها في نذرها انتهى
ويجوز ان يكون هذا من كلام الله كالجملة التي قبله اذا اسكنت التا والتقدير فالت كذا والحال ان الله اعلم منها بما وضعت وكان
ايضا انه ليس الذكر الذي ارادته بحكم معتاد النذر كالانثى التي وهبت لها قد دخلت فيه بحكم اطلاقه بل هي على ان غاية ما
تعرفه من النذر ورين ان يكون كانبيا بهم المقررين لحكم التوراة وهذه الانثى مع ما لها من العلو في نفسها ستكون سببا في التحول
في بني هو من اعظم انبيابهم وذلك صاحب شريعة مستقلة ويكون مفردا لاعظم الشرايع ولما تم ما قالته عند الوضع اوقاله
الله في تلك الحالة اتم سبحانه الخبر عن بقية كلامها وانها عدلت عن مظهر الجلاله الى الخطاب على طريق اهل الحضرة والكدت
اعلاما بشدة رغبتها في مضمون كلامها فقال حاكيا واني سميتها مريم ومعنى هذا الاسم بلسانهم العابدة قال الحرالي فيه
اشعار بان من جا بشي او قربه فحقه ان يجعل له اسما وردان السقط اذا لم يسم يطالب من حقه ان يسميه فيقول يرب
اضاعوني فكان من تمام ان وضعتها ان سمتها فيكون ابدا وها لها وضع عين واظهارها اسم لما في وجود الاسم من كمال الوجود في
السمع كما هو في العين ليقع التعرف والنذر بما هو كامل الوجود عينا واسما ولما كانت محررة لله كان حقا ان يجري الله عادتها
تولاه كما هو جار عليها معاده كونها من حيث هي وما كان في حمى الملك لا يتطرق اليه طريدة فقالت واني اعيذها بك وفي قوله
وذريتها اشعار بما اوتيته من علم بانها ذات ذرية فكانها نطقت عن غيب من امر الله مما لا يعلمه الا الله فهو محل لمن تأتى
ولما كان من في حصن الملك وحوزه بجواره بعيدا ممن احرقه نار البعد واهانه بالرجم حققت لا عادة بقولها من الشيطان
الرجيم وفي هذا التخليص لمريم بالاعادة ولذريتها حظ من التخليص المحمدي لما شق صدره وسلخ حظ الشيطان منه وغسل
قلبه بالما والثلج في البداية الكونية وبما زمزم في البداية النبوية عند الاسرا الكوني فلذلك كان لمريم ولذريتها بمحمد صلى
الله عليه وسلم اتصال واصل قال صلى الله عليه وسلم انا اولى الناس بعيسى بن مريم من اجل انه ليس بيني وبينه نبي وبما هو حكم امام
في خاتمة يومه وقايم من قومة دينه ولما اخبر بدعايها اخبر باجابتها اليه فقال فتقبلها اي بصيغة التفعل مطابقة لقولها
فتقبل ففيه اشعار بتدرج وتطور وتكثير كانه يشعر بانها مزيد لها في كل طور تتطور اليه من حيث لم يكن فقبل مني فلم تكن
اجابته فقبلها فيكون عطا واحدا منقطعا عن التواصل والتتابع فلا تزال بركة تحريرها متجددا لها في نفسها وعايدا الله
بركته على امها حتى تترقى في العلي المحمدي فتكون في ازواجه ومن يتصل به انتهى وجاء بالوصف المشعر بالاحسان مضافا اليها
ابلاغا في المعنى فقال ربها قال الحرالي وظهر سر الاجابة في قوله تعالى بقبول حسن حيث لم يكن تقبل جاريا على الاول ولما
انبا القبول عن معنى ما او لبيته باطنا انبا الانبات عما او لبيته ظاهرا في جسمانيتها ومن ذكر الفعل منا نعل في قوله وانبتها

والاسم من نعل في قوله نباتا حسنا اعلام بكمال الامرين من امدادها في النمو الذي هو غيب عن العيون وكمالها في ذاتية
النبات الذي هو ظاهر للعين يكمل في الانبات والوقوع حسن التأثير وحسن الاثر فاعرب عن انباتها ونباتها عن معنى حسنا
انتهى فوقع الجواب لامها عناية من الله بها على ما وقع سؤالها فيه فلقد ضل وافترى من قذفها وابنها وكفر وغلا من ادعى
في ولدها من الاطرا ما ادعي وقال الحرالي قد انبا تعالى في هذه السورة الخاصة بقصة مريم عليها السلام من تقبلها لله
وانباتها وحسن سيرتها بما نفى اللبس في امرها وامر ولدها لان المخصوص منزل هذه السورة ما هو في بيان رفع اللبس
الذي ضل به النصارى فيذكر في كل سورة ما هو الاليق والاولى بالمخصوص منزلها فلذلك يتفصل الخطاب في القصة الواحدة
في سورة ما يستوفيه في سورة اخرى لاختلاف مخصوص منزلها كذلك الحال في القصص المتكررة في القران من قصص
الانبيا وما ذكر فيه لقصد الترغيب والتثبيت والتحذير وغير ذلك من وجوه التنبيه انتهى وفيه تصرف ولما كان
الصغير لابد له فيما جرت به العادة من كبير يتولى امره قال وكفلها قال الحرالي من الكفل وهو حياطة الشي من جميع جهاته
حتى يصير عليه كالفلك الداير زكريا وفي قراءة التشديد انبا بان الله تعالى هو في الحقيقة كفيلها بما هو تقبلها وقد
استنى لزكريا من حيث جعله يدا وكالة له فيها انتهى ولما كان من شان الكفيل القيام بما يعجز عنه المكفول بين سبحانه ان
تلك الكفالة انما كانت جريا على العوايد وانه تبين ان تقبل الله لها اغناها عن سواه فقال في جواب من لعله يقول
ما فعل في كفالتها كلما اي كان كلما دخل عليها زكريا المحراب اي موضع العبادة وقال الحرالي هو صدر البيت ومقدمه
الذي لا يكاد يوصل اليه الا بفضل منه وقوة وجهد حرب وجد عندها رزقا وذلك كما وجد عند خبيب بن عدي
الانصاري رضي الله عنه القطف من العنب كما سياتي في اخر المايدة ومثل ذلك كثير في هذه الامة وفي هذه العبارة اي من
اولها الاخر لمعنى حسن كفالته وانه كان يتفقدها عند تقدير حاجتها الى الطعام بما يفيده كله كلما من التكرار فيجد
الكفيل الحق قد عاجلها برزق من غيب بما هو تعالى المتولي لانباتها ليكون نباتها من غيب رزقه فيصلح النفخ روحه ومتولا
كلمته ولا يلحقها بعد الاعادة ما فيه مس من الشيطان الرجيم الذي اعاذها الله منه بكثرة الاختلاط في موجودات الارزاق
فكان من حفظها ان تولى الله سبحانه رزقها من غيب الا ما يطيبه من باد وليكون حسن نباتها من احسن رزق الله كما يقال
من غذي بطعام قوم غذي بقلوبهم ومن غذي بقلوبهم ال الى منقلبهم وكانت هي مثل ما كفلها كافلها ظاهرا كلفته
باطنا حتى ابدى الله له من امره ما لم يكن قبل بداله ليكون حملها بالكلمة فعند ذلك طلب زكريا نحو ما عاين لها من ان يرزقه
الله الولد في غير ابانه كما رزق مريم الرزق في غير اوانه وفي تعيين محلها بالمحراب اشارة بحالها والمحراب صدر البيت
المتخذ للعبادة وفي لزومها لمحرابها في وقت تناول الرزق اعلام بان الحبيس والمعتكف بيته محرابه ومحرابه بيته خلاف
من له متسع في الارض ومحل من غير بيت الله انما المساجد بيوت اهل الله المنقطعين اليه فهو محلهم في صلاتهم ومحلهم
في تناول ارزاقهم ففيه اشعار بحضورها وحضور اهل العكوف حضورا سواء في صلاتهم وطعامهم ولذلك انما حال
العبد عند ربه بما هو عليه في حال تناول طعامه وشرابه فاهل الله سوا لحياتهم ومماتهم واكلهم وصلاتهم من غفل
عند طعامه قلبه لم يستطع ان يحضر في صلاته قلبه ومن حضر عند طعامه قلبه لم يغب في صلاته قلبه وفي ذكر الرزق
شايعا اشعار بانها انواع من ارزاق من حيث انه لو اختص لخص به ما هو اخص من هذا الاسم انتهى ولما كان كانه قيل
فما كان يقول لها اذا راى ذلك قيل كان كلما وجد ذلك او لما تكرر وجدانه لذلك قال يا مريم انى اي من اين لك هذا
قال الحرالي كلمة انى تشعر باستغرابه وجود ذلك الرزق من وجوه مختلفة من جهة الزمان لانه ليس زمانه ومن جهة
المكان لانه ليس مكانه ومن جهة الكيف ووصوله اليها لانه ليس حاله وفي ذكر الضمير في قوله قالت هو ايذان بنظرها الى
مجموع حقيقة ذلك الرزق لا الى اعيانه فهو انبا عن روية قلب لا عن نظر عين لان هو كلمة اضمار جامعة لكل ما تفصل
صورة مما اتخذه مضمره ولما لم يكن من معهود ما اظهرته حكمته سبحانه مما يجري على معالجات ايدي الخلق قالت من عند الله
ذي الجلال والاكرام لان ما خرج عن معهود معالجة الحكمة فهو من عنده وما كان مستغربا فيما هو من عنده فهو من لدنه فهي
ثلاث رتب رتبة لدنية ورتبة عندية ورتبة حكمية عادية فكان هذا من وسط الثلاث كما قال تعالى اتيناه رحمة من
عندنا وعلمناه من لدنا علما حيث كان مستغربا عند اهل الخصوص كما قال اخوتها لتعرفها اهلها لقد جيت شيا فريا
والامر المعجب والعلو رتبته عن الرتبة العادية جرى لسانها عنه مضافا الى الاسم الاعظم الذي هو مسمى الاسما كلها من حيث
لم يكن من عند ربها في ذكر اسم الربوبية من اشعار بعادة او قريب منها او ما كان من نحوها كما قال هذا من فضل ربي
لما كان من عادته المكنة على الملوك وكان ممكنا فيما احاط به موجود الاركان الاربعة انتهى ولما اخبرت بحزنه سبحانه
لها العادة عللت ذلك بقولها موكدة تنبيها على ان ذلك ليس في قدرة ملوك الدنيا ان الله اي الذي له الاحاطة
الكلية قال الحرالي في تجديد الاسم الاعظم في البنا اشعار باتساع البنا وايذان والاحتراز بان ذلك يكون لك ولمن شا
الله كما هو لي بما شاه الله من حيث لم يكن انه فيكون ملبسا الاختصاص مما بها ويؤيده عموم قولها يرزق من يشا
وقولها بغير حساب يشعر بانه عطا متصل لا يتحدد ولا يتعدد فهو رزق لا يتعقب عليه لان كل محسوب في

الابد الى ما سبب عليه في الاعادة فكان في الرزق بغير حساب من علاج الحكمة بشرى بيوم الحساب عنهم في المعاد وكفالة
بالشكر عنه لان اعظم الشكر رؤية رزق الله معرفة العبد بانه من الله انما يشكر رزق الله من اخذه من الله انتهى ولما كان كانه قيل
فما قال زكريا حينئذ قيل هنالك اي في ذلك الوقت وذلك المكان العظيمي المقدار دعا زكريا ربه تذكرا لما عوده الله به من
الاكرام فظهرت عليه كرامات هذه الكفالة قال الحرالي لما اشهده الله انه يخرق عادته لمن شا بكلمته في حق كفيلته في الظاهر
الكافلة له في هذا المعنى دعا به الذي عوده بالاحسان ان يرزقه ولدا في غير ابانه كما رزق مريم رزقا في غير زمانه فوجب
دعاوه انتهى قال رب اي الذي عودني باحسانه هب لي من لدنك قال الحرالي طلب علية من باطن الامر كما قال تعالى وعلمناه
من لدنا وكما قال فيه وحنانا من لدنا لان كل ما كان من لدن فهو ابطن من عند ذرية فيه اشعار بكثرة وبنسل باق فاجيب
بولد فرد لما كان زمان انتهائه ظهور كلمة الروح وبانه لا ينسل فكان يحيى حصورا لغلبة الروحانية على انسانيته انتهى طيبة
اي مطيعة لك لان ذلك طلبة اهل الخصوص ثم علل ادلاله على المقام الاعظم بالسوال بقوله انك سميع الدعاء اي مربه
ومجيبه لان من شان من يسمع ولم يمنع ان يجيب اذا كان قادرا كاملا وقد ثبتت له القدرة بالربوبية الكاملة التي لا تصلح الا
من الحي القيوم بخلاف الاصنام ونحوها مما عبد فانها لا تسمع ولو سمعت لم تقدر على الاجابة الى ما يسال فيه لانها مربوبة
قال الحرالي اعلم الداعي بما لله من الاجابة والقرب وسيلة في قبول دعائه انتهى ولما كان الله عند ظن عبده به سمع دعاه كما
قال فنادته اي تسبب عن دعائه وحسن رجائه انه نادته الملائكة يعني هذا النوع لا كلهم بل ناداه البعض وكان منهيا
بما اتاه الله من الفضل لمناداة الكل كما هو شان اهل الكمال من الرسل وهو قائم يصلي في المحراب وهو موضع محاربة
العابد للشيطان وهو اشرف الاماكن لذلك قال الحرالي فيه اشعار بسرعة اجابته ولزومه معتكفه وقنوته في قيامه
وان الغالب على صلاته القيام لان الصلاة قيام وسجود يتقابلان وركوع متوسط فذكرت صلاته بالقيام اشعارا بان حكم القيام
الغالب عليها انتهى ثم استانف في قراءة حمزة وابن عامر بالكسر جواب من كانه قال باي شي نادته الملائكة قوله ان الله يبشرك
قال الحرالي فذكر الاسم الاعظم المحيط معناه بجميع معاني الاسماء ولم يقل ان ربك لما كان امر اجابته من وراء الحكمة العادية وفي قوله
بيحيى تسمية بصيغة الدوام مع انه كما قيل قتل اشعار بوفاء حقيقة الروحانية الحياة فيه دائما لا سيما طارقة نوب الظاهر
حيث قتل شهيدا انتهى مصدقا بكلمة اي بني خلق بالكلمة لا بالمعالجة العادية يرسله الله الى عباده فيكذبه الكثير ويصدقه
هو واطلاق الكلمة عليه من اطلاق السبب على المسبب قال الحرالي فكان عيسى عليه السلام كلمة الله ويحيى مصدقه بما هو منه كمال
كلمة حتى انهما في سنهما واحدة ففي قوله من الله اشعار باحاطته في ذات الكلمة انتهى وسيدا وحصورا اي فلا يزن بريبه
لانه بالغ الحبس لنفسه والتضييق في المنع من النكاح قال في القاموس والحصور من لا ياتي النساء وهو قادر على ذلك او الممنوع منهن
او من لا يشتهيهن ولا يقربهن والمجبوب والهيوب والمحجم عن الشي وقال الحرالي وهو من الحصر وهو المنع عما شان الشي ان يكون مستعملا فيه
انتهى ونبيا ولما كان النبي الحق لا يكون الا صالحا لم يعطف بل قال من الصالحين اعلاما بمزيد رتبة الصلاح واحترازا عن المتنبئين
فكانه قيل فما قال حين اجابه ربه سبحانه فقيل قال يستثبت ذلك بما يزيده طمانينة ويقينا وسكينة رب اني اي ايها
المحسن الي ولما كان مطلوبه ولدا يقوم مقامه فيما هو فيه من النبوة التي لا يطيقها الا الذكور الاقويا الكملة وكانت العادة
قاضية بان ولد الشيخ يكون ضعيفا لا سيما ان كان حرثه مع الطعن في السن في اصله غير قابل للزرع احب ان يصرح له بمطلوبه
فقال اني اي كيف ومن اين يكون لي وعبر بما تدور مادته على الغلبة والقوة زيادة في الكشف فقال غلام وتعبيره به في
سياق الحصور دليل على انه في غاية ما يكون من صحة الجسم وقوته اللازم منه شدة الداعية الى النكاح وهو مع ذلك يمنع نفسه
منه منعا زائدا على الحد لما عنده من غلبة الشهود اللازم عنه الاقبال على العبادة بكليته والاعراض عن كل ما يشغل عنها
جملة لا سيما النكاح بحيث انه لا ارب له فيه وهذا موافق للتفسير الاول للحصور في القاموس وهو الذي ينبغي ان لا يعرج على
غيره لانه يتناسب لغة من منعه ولانه مدح له صلى الله عليه وسلم ومما دار النبي على صفة الكمال في الانبيا عليهم السلام وجب
ان لا يعدل عنه وما ورد مما ياتي ان شا الله تعالى في سورة مريم عليها السلام ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذكره مثل هذه
القذاة فقد ضعفوه وعلى تقدير صحته فيكون ذلك اخبارا عن انه لما اعرض عنه راسا ضعف ما معه لذلك فهو اخبار
عن اخر امره الذي ادت اليه عزيمته والاية مشيرة الى ما تقتضيه خلقته وعزيزته وان كان الجمع لكمال الوجود الانساني بالنكاح
اكمل كما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم ويقع لعيسى عليه السلام بعد نزوله وقد اي والحال انه قد بلغني الكبر الى حد لا يولد فيه
عادة وامراتي عاقر قال الحرالي من العقر وهو البلوغ الى حد انقطاع النسل هو ما انتهى كذا قال واية سورة مريم تدل على ان
المعنى انها لم تزل عقيما وعليه يدل كلام اهل اللغة قال في القاموس في الرا العقرة وبضم العقم وقد عقرت كعني فهي
عاقر ورجل عاقر وعقير لا يولد له والعقرة كتمرة خرزة تحملها المراة لئلا تلد وقال في الميم العقم بالضم هزمة تقع في الرحم
فلا يقبل الولد عقم كفرح ونصر وكرم وعني ورحم عقيم وامراة عقيم ورجل عقيم لا يولد له وقال الامامان ابو عبد الله القزاز
في ديوانه وعبد الحق في واعيه والعقر بضم العين وسكون القاف مصدر العاقر من النساء وهي التي لا تحمل في غير داء ولا كبر
يقال امراة عاقر وبها عقر سميت بذلك كان في رحمها عقرا يمنعها من الولادة وقال الامام ابو غالب بن التياني في كتابه

الموعب

الموعب صاحب العين العقر مصدر العاقر من النساء وهي التي لا تحمل من غير داء ولا كبر لكن خلقة ثم قال وتعقرت اذا ولدت
ثم امسكت والله الموفق ثم وصل به قوله قال كذلك اي مثل هذا الفعل الجليل العالي الرتبة يكون ولما كان استنباء
عن القوة والكمال لا عن الخلق عبر سبحانه في تعليل ذلك بالفعل بخلاف ما ياتي في قصة مريم عليها السلام فقال
الله يفعل ما يشاء لانه المحيط بكل شي قدرة وعلما فكانه قيل انه تعرف عينه لما قال فقيل قال ارادة تعجيل البشرى
وتحقيق السرور رب اجعل لي اية اي علامة اعلم بها ذلك قال ايتك ان لا تكلم الناس اي لا تقدر على ان تكلمهم بكلام
دنيوي ثلاثة ايام ولما كان الكلام يطلق على الفعل مجازا استثني منه قوله الا رمزا لتخلص هذه المدة للذكر شكرا
للنعمة فاحمد ربك على ذلك قال الحرالي والرمز تلطف في الافهام باشارة تحرك طرف كاليد والحظ والشفتين ونحوها
والغمز اشد منه باليد ونحوها انتهى تقدم الكلام مع صحة الالة دليل ايجاد المتكلم مع ضعف لسنه الى حد لا يكون عنها عادة
ولما كان الاتم في القدرة ان يحبس عن كلام دون اخر قال واذكر ربك اي بالحمد وهو ان تثبت له الاحاطة بكل كمال كثيرا
في الايام التي منعت فيها من كلام الناس خصوصا وفي سائر اوقاتك عموما وسبح اي ارفع التسبيح المطلق الكامل ربك بان
تنفي عنه كل نقص بالعشي قال الحرالي من العشو واصل معناه اتقاد نار على علم المقصود هدى او قرى وماوى على حال ومنه تسمي
عشي النهار لانه وقت فعل ذلك وبناكر معناه في العشا ومنه سمي لطعام العشا والابكار واصله المبادرة لاول الشي
ومنه التبكير وهو السرعة والباكورة وهو اول ما يبدو من الثمر فالابكار انتطاف زهرة النهار وهو اوله انتهى ولما فرغ
بما للكافل تجدد ما نوه بامر المكفولة بيانا لان سياق الدعا من ابنها لها اذ الاشارة بذكرها والاعلام بجلي قدرها فقال
عاطفا على ما تقديره هذا امام الكافل فاذكره لهم فانهم لا يشكون معه في نبوتك واذ قالت الملائكة وعبر بالجمع والمراد
جبريل عليه السلام كما في سورة مريم عليها السلام لتهيؤها للخطاب كل منهم كما مضى يا مريم ان الله اي الذي له الامر كله اصطفاك
اي اختارك في نفسك لا بالنظر الى شي اخر كما تبين بعض من هو في نفسه خيار وطهرك عن كل دنس واصطفاك اي اصطفا
خاصا على نساء العالمين فمن هذا الاصطفا والله اعلم كما قال الحرالي ان خلصت من الاصطفا الاول العبراني الى اصطفا عربي حنفي
الحق من محمد صلى الله عليه وسلم النبي العربي قال صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها اما شعرت ان الله زوجني معك
مريم بنت عمران انتهى ولما اخبرها سبحانه بما اختصها به امرها بالشكر فقال يا مريم اقنتي اي اخلصي افعالك العبادة لربك
الذي عودك الاحسان بان رباك هذه التربية ولما تقدم الاخلاص الذي هو روح العبادة اتبعه اشرفها فقال واسجدي
فان اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد قال الحرالي وكان من اختصاص هذا الاصطفا العلي ابدا لثاني ما اختصها من الخطا
بالركوع الذي خصت به هذه الامة الراكعة التي اطلعها الله من سر عظمته التي هي زادة على ما لم يطلع عليه احد ممن سواها
في قوله واركعي مع الراكعين كما قال لبني اسرائيل عند الامر بالملة المحمدية واركعوا مع الراكعين الى ما يقع من كمال ما بشرت به
حيث يكلم الناس كهلا في خاتمة اليوم المحمدي ويكمل له الوجود الانساني حين يتزوج ويولد له كما ذكر وذلك كله فيما يشعر به
بتمام التمام في ابنها الاسم وانتهائه وفيما بين التماميين من كريم التربية ابانا ما يشعر به الوامق توالي الحق لها في تربيتها وزكا
وما تشعر به اليا من كمالها الذي اختصت به على عالمها انتهى والمراد باتباع قنتها لما مضى التنبيه على انخراطها في سلك
ما مضى من امر ادم المجتبى اصطفاء وابراهيم في بنيه الاحنفي في خرق العادة فيهم وان تخصيصها بالانكار او التعجب والثنا دع
مع الاقرار بامر مريم ليس من اعمال العقلا والظاهر ان المراد بالسجود في هذا المقام ظاهره وبالركوع الصلاة نفسها
فكانه قيل واسجدي مصلية ولتكن صلاتك مع المصلين اي في جماعة فانك في عداد الرجال لما خصصت به من الكمال ولم
يقل مع الراكعات لان الاقتدا بالرجال افضل واشرف واكمل وانما قلت هذا لاني تتبعت التوراة فلم اره ذكر فيها الركوع
في صلاة ابرهيم عليه السلام ولا من بعده من الانبيا ولا اتباعهم الا في موضع واحد لا يحسن حمله فيه على ظاهره ورايته
ذكر الصلاة فيها على ثلثة انحا الاول اطلاق لفظها من غير بيان كيفية والثاني اطلاق لفظ السجود مجردا والثالث اطلا
مقرونا بركوع او جثو او خرور على الوجه ونحو ذلك ففي السفر الاول منها في قصة ابرهيم عليه السلام حين ماتت زوجته
سارة رضي الله عنها وسال بني حاث اهل تلك الارض ان يعطوه مكانا يدفنها فيه فاجابوه فقام ابرهيم فسجد لشعب
الارض لبني حاث وكلمهم وفيه في قصة ربانية قال وسجد على الارض وقال يا رب فذكر دعا ثم قال وصلى ابرهيم بين
يدي الرب وفيه في قصة عبد لابرهيم عليه السلام انه ذهب الى بلاد حران يخطب لاسحق عليه السلام امراة فظفر بقصده
فجثا الرجل اي عبد ابرهيم على الارض فسجد للرب وقال تبارك الله رب سيدي ابرهيم وفيه لما جا به اهل المراة فلما
سمع غلام ابرهيم كلامهم سجد على الارض قدام المراة وفيه عند لقا عيسو الاخيه يعقوب عليهما السلام فدنت
الامتان واولادهما فسجدوا اي لعيسو ودنت ليا وولدها فسجدوا فلما كان اخيرا دنت راحيل ويوسف فسجدوا
وفيه في قصة يوسف عليه السلام ودنا اخوته فخروا له سجدا وقالوا له ها نحن لك عبيد وفي السفر الثاني عند قدوم
موسى عليه السلام الى بني اسرائيل واخباره لهم بارسال الله تعالى له واظهاره لهم الايات فامن الشعب وسمعوا ان
الرب قد ذكر بني اسرائيل وابصر الى خضوعهم وجثا الشعب وسجدوا للرب وفيه في خروجهم من مصر فركع الشعب كله

ساجداً لله وفيه فاستعجل موسى وخرّ على وجهه على الأرض ساجداً وفيه في تلقي موسى لختنه يثرون عليهما السلام إذ جاءه بامرأته
بما أنعم الله عليه بعد غرق فرعون فخرج موسى يتلقى ختنه وسجد له وقبّله وسأل كل منهما عن سلامة صاحبه وفيه وقال الله
لموسى عند ما بشّره بقتل الكنعانيين وغيرهم من سكان بلاد القدس لا تسجدوا لآلهتهم ولا تعبدوها ولا تفعلوا كأفعالهم
بل كبّهم كبّاً على وجوههم وكسّر أصنامهم واعبدوا الرب إلهكم وفي أوائل السفر الثالث في ذكر ظهور مجد الرب لهم في قبة
الزمان التي كانوا يصلون إليها على حياة موسى عليه السلام وعاين ذلك جميع الشعب وحمدوا الله وخرّ الشعب كله على وجهه
وفي السفر الرابع عند ما همّ بنو إسرائيل بالرجوع إلى مصر متضجرين من حالهم خرّ موسى وهرون على وجوههما ساجدين بين يدي
جماعة بني إسرائيل كلها وفيه عند ما تذمروا عليه من أجل العطش جاء موسى وهرون من عند الجماعة إلى باب قبة الزمان
فخرّا على وجوههما فظهر لهما مجد الرب فذكر قصة ضرب الحجر بالعصا وانفجار الماء وفيه في قصة بلعام بن بعور حين رأى ملكاً
في طريقه فجثا على وجهه ساجداً وأما إطلاق لفظ الصلاة فقال في آخر السفر الثاني وكان إذا خرج موسى إلى قبة الزمان
كان جميع الشعب يقفون ويستعد كل امرئ منهم على باب خيمته وينظرون إلى موسى من خلفه حتى يدخل إلى القبة وإذا دخل
موسى القبة كان ينزل عمود السحاب فيقف على باب القبة ويكلم موسى وكان جميع الشعب ينظرون إلى عمود السحاب واقفاً
على باب القبة وكان يقف جميع الشعب ويصلي كل امرئ منهم على باب خيمته وفيه وعمل سطلاً من نحاس فنصبها عند منظر
النسوة اللاتي يأتين فيصلين على باب قبة الأمد وكل ما فيها من ذكر الصلاة فهكذا يطلق لفظه غير مقرون بما يرشد إلى
كيفية تلاوتها بيده في سرده وهذه القبة أمر الله تعالى موسى عليه السلام باتخاذها مظهر المجده وأن يجعلها كهيئة الخيام
الذي ظهر له مجده تعالى فيه في جبل طور سينا وهي من غرائب الدهر في الارتفاع والسعة والهيبة يقيمها من الخشب والبيوت
والتوابيت والأعمدة والجواهر وصفائح الذهب والفضة والنحاس والسرادقات والستور من الحرير والأرجوان والكتان
والأطناب وغير ذلك مما يكلّ عنه الوصف وكله بنص من الله تعالى على الطول والعرض والوزن والعمل بحيث إنه كان فيها صفائح
الذهب ومسامير ونحوها تسعة وعشرون قنطاراً وأربعمائة وثلاثون مثقالاً بمثقال القدس ومن الفضة مائة قنطار
وألف وسبعمائة وسبعون مثقالاً ومن النحاس سبعون قنطاراً وألفان وأربعمائة مثقال وكانت هذه القبة تنصب في مكان
من الأرض وينزل بنو لاوي سبط موسى وهرون عليهما السلام حولها خدمها بين يدي هرون وبنيه ومن دنى منها من
غيرهم احترق وينزل أسباط بني إسرائيل حول بني لاوي لكل سبط منزلة لا يتعداها من شرقيها وغربيها وجنوبيها وشماليها كل ذلك
بأمر من الله لموسى عليه السلام وكان السحاب يغشاها بالنهار وكانت النار تضيء عليها بالليل ويرحلون ما دام السحاب منجلياً
ثم يقيمون فإذا ارتفع عنها كان أدنى في سفرهم فالذي يفهمه من هذه الأماكن وغيرها أن الصلاة عندهم تطلق على الركوع
وعلى ما هو مجرد السجود فإن ذكر معه ما يدل على وضع الوجه على الأرض فذاك وحينئذ تسمى صلاة وإلا كان المراد به مطلق
الانحناء للتعظيم وذلك موافق للغة قال في القاموس سجد خضع والخضوع التطامن والاستكان الذي فيه ذكر الركوع فالظاهر
أن معناه فصلى الشعب كله ساجداً لله لأن الركوع في اللغة يطلق على معان منها الصلاة يقال ركع أي صلى وركع إذا انحنى
كبراً والراكع الذي يكبو على وجهه ولا يصح حمل الركوع على ظاهره لأنه لا يمكن في حال السجود التي وقعت في عداد البلغاء يعرف ذلك
من تأمل مواقع ترجمتهم لها على أني سألت عن صلاة اليهود الآن فأخبرت أنه ليس فيها ركوع ثم رأيت البغوي صرح في تفسير
قوله تعالى واركعوا مع الراكعين بأن صلاتهم لا ركوع فيها وكذا ابن عطية وغيرهما ولما كان المقصود من ذكر هذه الآيات
بيان الخوارق التي كانت لآل عمران من زكريا ويحيى وعيسى وأمه عليهم السلام للمجادلة بالحق في أمر عيسى عليه السلام وبيان أن ما
أشكل عليهم من أمره ليس خارجاً عن أشكال الخوارق في الدهر وكان الرد على كل طائفة بما تعتقده أولى وجب ذكر ذلك من الأناجيل
الأربعة الموجودة الآن بين أظهر النصارى ذكر قصة يحيى عليه السلام في حمله وولادته ونبوته وما اتفق في ذلك من الخوارق من الأناجيل
وقد مزجت بين ألفاظها فجعلتها شيئاً واحداً على وجه لم يعقبه بأول أمر المسيح عليه السلام قال مترجمها في أول إنجيل لوقا
كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن أي حبر إمام اسمه زكريا من خدمة آل أبيا وامرأته من بنات هرون واسمها
اليصابات وكانا كلاهما تقيين قدام الله سائرين في جميع وصاياه وحقوق الرب بغير عيب ولم يكن لهما ولد لأن اليصابات
كانت عاقراً وكانا كلاهما قد طعنا في أيامهما فبينما هو يكهن في أيام ترتيب خدمته أمام الله كعادة الكهنوت إذ بلغته نوبته
وضع البخور فجاء إلى هيكل الله وجميع الشعب يصلون خارجاً في وقت البخور فتراءى له ملاك الرب قائماً عن يمين مذبح
البخور فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف فقال له ملاك الرب لا تخف يا زكريا فقد سمعت صلاتك وامرأتك اليصابات
تلد ابناً وتدعو اسمه يوحنا ويكون لك فرح وتهلل وكثير يفرحون بمولده ويكون عظيماً قدام الرب لا يشرب خمراً ولا
مسكراً ويمتلئ من روح القدس وهو في بطن أمه ويعيد كثيراً من بني إسرائيل إلى الرب إلههم وهو يتقدم أمامه بالروح
وبقوة إيليا ويقبل بقلوب الآباء على الأبناء والعصاة إلى علم الأبرار ويعد للرب شعباً مستقيماً فقال زكريا للملاك
كيف أعلم هذا وأنا شيخ وامرأتي قد طعنت في أيامها فأجاب الملاك وقال أنا هو جبريل الواقف قدام الرب أرسلت
أكلمك بهذا وأبشرك ومن الآن تكون صامتاً لا تستطيع أن تتكلم إلى اليوم الذي يكون هذا وكان الشعب منتظرين

زكريا

زكريا متعجبين من إبطائه في الهيكل فلما خرج لم يقدر يكلمهم فعلموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل فكان يشير إليهم وأقام
صامتاً فلما كملت أيام خدمته مضى إلى بيته ومن بعد تلك الأيام حملت اليصابات امرأته وكتمت حبلها خمسة أشهر
قائلة هذا ما صنع بي الرب في الأيام التي نظر إليّ فيها لينزع عني العار بين الناس ولما كانت في الشهر السادس أرسل
جبريل الملاك من عند الله إلى مدينة في الجليل تسمى ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود
واسم العذراء مريم فلما دخل إليها الملاك قال لها افرحي يا ممتلئة نعمة الرب معك مباركة أنت في النساء فلما رأته
اضطربت من كلامه وفكرت قائلة ما هذا السلام فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم فقد ظفرت بنعمة من الله وأنت
تقبلين حبلاً وتلدين ابناً ويدعى اسمه يسوع هذا يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه
ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه انقضاء فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا ولا أعرف رجلاً فأجاب
الملاك وقال لها روح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك قال عبد الله ترجمتي فقالت مريم ها أنا عبدة
الرب فيكون لي كقولك وانصرف عنها الملاك فقامت مريم في تلك الأيام ومضت مسرعة إلى عين كرم إلى مدينة يهوذا
ودخلت إلى بيت زكريا فسلمت على اليصابات فلما سمعت اليصابات صوت سلام مريم تحرك الطفل في بطنها فامتلأت
اليصابات من روح القدس وصرخت بصوت عظيم وقالت مباركة أنت في النساء ومباركة ثمرة بطنك من أين لي هذا
أن تأتي أم ربي إليّ منذ وقع صوت سلامك في أذني تحرك الطفل بتهليل في بطني فطوبى للتي آمنت أن يتم لها ما قيل من
الرب فقالت مريم تعظم نفسي بالرب وتبتهل روحي بالله مخلصي لأنه نظر إلى تواضع عبدته وقدوس اسمه ورحمته
لخائفيه صنع القوة بذراعه وفرق المستكبرين بفكر قلوبهم أنزل القادرين عن الكراسي ورفع المتواضعين أشبع الجياع
من الخيرات فأقامت مريم عندها نحواً من ثلاثة أشهر ورجعت عائدة إلى بيتها ولما تم زمان اليصابات لتلد ولدت
ابناً فسمع جيرانها وأقاربها أن الرب قد أعظم رحمته معها ففرحوا لها فلما كان في اليوم الثامن جاؤوا ليختنوا الصبي ودعوه
باسم أبيه زكريا فأجابت أمه قائلة لا لكن ادعوه يوحنا فقالوا لها ليس أحد في جنسك يدعى بهذا الاسم فأشاروا
إلى أبيه ماذا يريد أن تسميه فاستدعى لوحاً وكتب قائلاً يوحنا فتعجب جميعهم وانفتح فوه من ساعته ولسانه وتكلم
وبارك ووقع خوف عظيم على جميع جيرانهم وتحدث بهذا الكلام في جميع تخوم يهوذا وفكر جميع السامعين في قلوبهم
قائلين ماذا ترى يكون من هذا الصبي ويد الرب كانت معه فامتلأ زكريا أبوه من روح القدس وبدأ فتنبأ قائلاً
مبارك الله إله إسرائيل الذي اطلع وصنع نجاة لشعبه وأقام لنا قرن خلاص من بيت داود فتاه كالذي تكلم على أفواه أنبيائه
القديسين من الأبد خلاص من أعدائنا ومن يدي كل مبغضينا صنع رحمة مع آبائنا وذكر عهده المقدس القسم الذي
عهد به لإبرهيم أبينا ليعطينا الخلاص بلا خوف من يدي أعدائنا لنخدمه بالبر والعدل قدامه في كل أيام حياتنا وأنت
أيها الصبي نبي العلي تدعى وتنطلق قدام وجه الرب لتصلح طريقه لتعطي علم الخلاص لشعبه لمغفرة الخطايا بتحنن ورحمة
إلهنا الذي افتقدنا به المشرق من العلو ليضيء للجالسين في الظلمة وظلال الموت لتستقيم سبل أرجلنا للسلامة فأما
الصبي فكان يشب ويتقوى بالروح وأقام في البرية إلى يوم ظهوره لإسرائيل وفي سنة خمس عشرة من ولاية طيباريوس
قيصر وبيلاطس النبطي على اليهودية وهيرودس رئيس الجليل وفيلفس أخوه على ربع الصورية وكورة ابطرخيون ولوسا
ليس على ربع الأبلية وحنان وقيافا رؤساء الكهنة حلت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية فجاء إلى كل البلاد المحيطة
بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا كما هو مكتوب في سفر كلام شعيا النبي قائلاً صوت صارخ في البرية
أعدوا طريق الرب فاصنعوا سبله مستقيمة جميع الأودية تمتلئ وجميع الجبال والآكام تتضع ويصير الوعر سهلاً
والخشنة إلى طريق سهلة ويعاين كل ذي جسد خلاص الله وفي إنجيل متى وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في
برية يهوذا ويقول توبوا فقد اقترب ملكوت السموات هذا هو الذي في شعيا النبي إذ يقول صوت صارخ وقال
مرقس مكتوب في شعيا النبي ها أنا مرسل ملاكي أمام وجهك ليسهل طريقك قدامك ثم اتفقا صوت صارخ
في البرية أعدوا طريق الرب وسهلوا سبله وكان لباس يوحنا وبر الإبل ومنطقته جلداً على حقويه وكان طعامه
الجراد وعسل البر حينئذ خرجوا إليه من يروشليم وكل اليهودية وجميع كورة الأردن وكان يعمدهم في نهر الأردن
معترفين بخطاياهم وفي مرقس كان يوحنا يعمد في القفر ويكرز بمعمودية التوبة لغفران الخطايا وكان يخرج إليه
جميع كورة يهوذا وكل يروشليم فيعمدهم في نهر الأردن معترفين بخطاياهم فقال للجميع الذين يأتون إليه ويعتمدون
منه يا ثمرة الأفاعي وفي متى فلما رأى كثيراً من الفريسيين والزنادقة يأتون إلى معموديته قال لهم يا أولاد الأفاعي
ثم اتفق هو ولوقا من دلكم على الهرب من الغضب الآتي اعملوا الآن ثماراً تليق بالتوبة ولا تقولوا في نفوسكم إن أبانا
إبرهيم أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبرهيم ها هوذا الفأس موضوع على أصول الشجر
وكل شجرة لا تثمر ثمرة طيبة تقطع وتلقى في النار فسأله الجموع ماذا نصنع أجاب وقال لهم من له ثوبان فليعط
من ليس له ومن له طعام فليعط مثل ذلك فأتى العشارون ليعتمدوا منه فقالوا ماذا نصنع يا معلم فقال لهم لا

يفعلوا اكثر مما امرتم به وسأله ايضا الجند قايلين ماذا نصنع نحن ايضا فقال لهم لا تغصبوا احدا ولا تظلموا احدا
واكتفوا بارزاقكم وان جميع الشعب فكروا في قلوبهم وظنوا ان يوحنا المسيح اجابهم يوحنا اجمعين وقال لهم اما انا
فانا اعمدكم بالماء للتوبة وسياتي الذي هو اقوى مني الذي لا استحق ان احل سيور حذائه وقال متى لا استحق ان احمل
حذاءه وقال مرقس وكان يبشر قايلا الذي ياتي بعدي اقوى مني لست اهلا ان انحني لحل سيور حذائه انا اعمدكم بالما
وهو يعمدكم بروح القدس والنار الذي بيده الرفش ينقي به اندره ويجمع القمح الى اهرائه ويحرق التبن بنار لا تطفا
ولا يخبر الشعب ويبشرهم باشيا كثيرة وفي انجيل يوحنا كان انسان ارسل من الله اسمه يوحنا جا للشهادة للنور
الذي هو نور الحق الذي يضي لكل انسان الاتي الى العالم في العالم الى خاصته جا وخاصته لم تقبله فاما الذين قبلوه
فاعطاهم سلطانا والكلمة صار جسدا وحل فينا ورأينا مجده مجدا مثل الوحيد الممتلي نعمة وحقا يوحنا شهد من
اجله وصرخ وقال هذا الذي قلت انه ياتي بعدي كان قبلي لانه اقدم مني ومن امتلايه نحن باجمعنا اخذنا نعمة من
اجل ان الناموس بموسى اعطي والنعمة والحق وحيا بيشوع المسيح الذي لم يره احد قط الا الابن الوحيد هذه شهادة
يوحنا اذا ارسل اليه اليهود من يروشليم كهنة ولاويين الى يوحنا ليسالوه من انت فاعترف واقر
اني لست المسيح فسالوه من انت فقال لست انا ايليا قال كلا انا لو اله من انت لنرد الجواب الى الذين ارسلونا ماذا
تقول عن نفسك قال انا اقول الصوت الصارخ في البرية سهلوا طريق الرب كما قال شعيا النبي فاما اوليك
الذين ارسلوا فكانوا من الفريسيين فسالوه قالوا ما بالك تعمد ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبي اجابهم يوحنا انا
اعمدكم بالماء وفي وسطكم قايم ذاك الذي لستم تعرفونه الذي ياتي بعدي هو اقوى مني وهو قبلي كان ذاك الذي لست
مستحقا ان احل سيور حذائه هذا كان في بيت عنيا في عبر الاردن حيث كان يوحنا يعمد قال لوقا فاما هيرودس فانه
بفعله وزاد على ذلك انه طرح يوحنا في السجن وقال مرقس وقد ذكرا بان اظهرها المسيح وسمع هيرودس الملك
وقال ان يوحنا المعمداني قام من الاموات ومن اجل تلك القوات يعمل وقال اخرون انه ايليا واخرون انه نبي كواحد
من الانبيا فلما سمع هيرودس قال انا قطعت راس يوحنا وفي متى وفي ذلك الزمان سمع هيرودس رئيس الربع
خبر يشوع فقال لغلمانه هذا هو يوحنا المعمداني وهو قام من الاموات من اجل هذه القوات التي يعمل وكان
هيرودس قد امسك يوحنا وشده وجعله في السجن وقال مرقس وحبسه من اجل هيروديا امراة فيلفس
لانه قد تزوجها وقال له يوحنا ما يحل لك ان تاخذ امراة اخيك وكانت هيروديا حنقة عليه تريد قتله ولم تقتله
لان هيرودس كان يخاف من يوحنا لانه يعلم انه رجل صديق قديس ويحفظه ويسمع منه كثيرا بشهوة وكان
في يوم من الزمان وافى هيرودس مولود فصنع وليمة لعظمايه وقوّاديه ومقدمي الجليل ودخلت ابنة هيروديا
فرقصت فوافق ذلك هيرودس وجلساه فقال الملك للصبية سلي ما اردت فاعطيك وحلف لها انني
اعطيك ما سالت ولو كان نصف ملكي فخرجت وقالت لامها اي شي اسأله فقالت راس يوحنا المعمداني فرجعت
للوقت بسرعة الى الملك وسالت راس يوحنا على طبق فحزن الملك ومن اجل اليمين والمتكين لم يرد منعها فانفذ
سيافا من ساعته وامران يوتي براسه في طبق فمضى وقطع راسه في الحبس وجا به في طبق واعطاه للصبية فاخذ
الصبية ودفعته لامها وسمع تلاميذه فجاوا ورفعوا جثته وجعلوها في قبر وقال متى وجا تلاميذه فاخذ واجسده
ودفنوه واتوا فاخبروا يشوع فلما سمع يشوع مضى من هناك في سفينة الى البرية منفردا فسمع الجمع فتبعوه ماشين
من المدن فلما خرج ابصر جمعا كثيرا فتحنن عليهم وابرا اعلالهم ومرضاهم انتهى ولما اتى نبينا صلى الله عليه وسلم بهذه
الاخبار الغريبة المجودة العجيبة التي لا يعرفها على وجهها الا الحذاق من علما بني اسرايل كان من حق سامعها ان يتنبه
من غفلته ويستيقظ من رقدته لانها بهجة بنفسها للمنصف الفطن على ان الاتي بها والسامع خبير بانه لم يخالط عالما
قط صادقا لامرية في صدقه في كل ما يدعيه عن الله وكان من حق من يتنبه ان يبادر الى الاذعان فيصرح بالايمان فلما لم
يفعلوا التفت الى تنبيه الغبي وتبكيت العتي فقال تعالى ذلك اي الخطاب العلي المقام الصادق المرام البديع
النظام من انبا الغيب نوحيه اي نجدد ايحاه في امثال اليك في كل حين لما كنت لديهم في هذا الذي ذكرناه لك
على هذا النحو يرمع الاعجاز في البلاغة ويجوز ان تكون الجملة حالا تقديرها والحال انك ما كنت ولما كان هذا
مع كونه من بطن السر هو من اخفى العلم عبر عنه بما دل لانها انما هو في علي رتبة الغرابة كما تقدم في قوله هو من عند
وكررها زيادة في تعظيمه وتنبيها على انه مما يستغرب جدا حتى عند اهل الاصطفا فقال لديهم قال الحرالي
الذي هي عند حاضرة لرؤية ذلك الشي الذي ينبا عنه انتهى اذ يلقون لاجل القرعة اقلامهم قال الحرالي جمع قلم
وهو مظهر الاثار المنبية عما وراها من الاعتبار انتهى ايهم اي يسهمون ايهم يكفل مريم اي يحضنها ويربيها
تنافسا في امرها لما شرفها الله به وما كنت لديهم اذ اي حين يختصمون اي في ذلك حتى يقع مثل هذه
الاخبار على هذا الوجه السديد يعني انه لا وجه لك الى علم ذلك الا بان تكون معهم اذ ذاك او اخذ ذلك عن اهل الكتاب

او يوحي بها من الواضح الجلي ان بعد قسيك الى التعلم من البشر كبعد نسبتك الى الحضور بينهم في ذلك الوقت لشهر
بالنشاة اميا مباعدا للعلم والعلما ما يتفاخر به قومك من السجع ومعناه الصوغ لفنون الكلام على الوجوه الفايقة
فانحصر اخبارك بذلك في الوحي منا وجعل هذا التنبيه في نحو وسط هذه القصص ليكون السامع على ذكر مما مضى ويلقي
السمع وهو شهيد لما بقي وجعله بعد الافتتاح بقصة مريم عليها السلام تنبيها على عظم شانها وانها المقصودة
بالذات للرد على وفد نصارى نجران وكانه اتبع التنبيه ما كان في اول القصة من اقتراعهم بالاقلام واختصاصهم في
كفالتها حفا به الا على حواصل هذا الكتاب هذا مع ما في مناسبة الاقلام للاشارة بمن يعلمه الله الكتاب واستمر في
اكمال المقال على ذلك الاسلوب الحكيم حتى تمت الحجة واستقامة المحجة فقال تعالى مبدلا من اذ الاولى ابتدانا بان ما بينهما
اعتراض لما نبه عليه من شريف الاغراض اذ قالت الملايكة يا مريم ولما كانت هذه السورة سورة التوحيد المقتضي للتفرد
بالعظمة عبر بما صدرت به من اسم الذات الجامع لجميع الصفات فقال ان الله اي الملك الاعظم الذي لا كفو له فلا راد
لامره يبشرك وكرر هذا الاسم الشريف في هذا المقام زيادة في ايضاح هذا المرام بخلاف ما يا في سورة مريم عليها
السلام وقوله بكلمة اي مبتدية منه من غير واسطة وهو تسمية المسبب باسم السبب والتعبير بها اوفق لمقصود
السورة وانفى لما يدعيه المجادلون في امره ثم بين انه ليس المراد بالكلمة حقيقتها بل ما يكون عنها ويكون فعالا بها فقال
مذكرا للضمير اسمه اي الذي يتميز به عمن سواه مجموع ثلثة اشيا المسيح اصل هذا الوصف انه كان في شرعهم من
مسحه الامام بدهن القدس كان طاهرا متاهلا للملك والعلم والمزايا الفاضلة مباركا فدل سبحانه على ان عيسى عليه السلام
ملازم للبركة الناشية عن المسح وان لم يمسح واما وصف الرجال بذلك فاما ان يكون لما كان هلاكه على يد عيسى عليه السلام
وصف بوصفه من باب التسمية بالضد واما ان يكون اشارة الى انه ملازم للنجاسة فهو بحيث لا ينفك ولو مسح عن الاخبا
الى التطهير بالمسح من الدهن الذي يمسح به المذنبون ومن كان به برص ونحوه فبرا والله اعلم ولما وصفه بهذا الوصف الشريف
ذكر اسمه فقال عيسى وبين انه يكون منها وحدها من غير ذكر بقوله موضع ابيك ابن مريم وذلك انفى لما ضل به من ضل
واوضح في تقرير مقصود السورة وفي تخييم هذا الذكر بجعله نفس الكلمة وابهامه اولا ثم تفسيره وقوله اسمه تعظيم
لقدره وبيان لفضله على يحيى عليهما السلام حيث لم يجعل له في البشارة به مثل هذا الذكر ثم اتم لها البشارة باوصاف
جعلها احوالا دالة على انه يظهر انقاذه بها حال الولادة تخفيفا لظهور اثر الكلمة عليه فقال وجيها قال الحرالي
صيغة مبالغة بما منه الوجاهة واصل معناه الوجه وهو الملاحظ المخبر ظاهر رتبه انتهى في الدنيا ولما كان ذلك قد
لا يلزم الوجاهة بعد الموت قال والاخرة ولما كانت الوجاهة ثم مختلفة ذكر اعلاها عاطفا بالواو اشارة الى تمكنه
في الصفات فقال ومن المقربين اي عند الله ولما كان ذلك قد لا يقتضي خرق العادات قال ويكلم الناس اي من كلمه
من جميع هذا النوع باي لسان كان كله حال كونه في المهد قال الحرالي هو الموطن الهدو والسكون للتخشيش اللطيف الذي
يكون بذلك الهدو والسكون قوامه انتهى وبشرها بطول حياته بقوله وكهلا اي بعد نزوله من السما في خاتمة اليوم
المحمدي ويكون كلامه في الحالتين كلام الانبيا من غير تفاوت قال الحرالي والكهولة سن من اسنان الرابع الانسان وتحقيق حده
انه الربع الثالث الموتر لشفع متقدم سنيه من الصبي والشباب فهو خير عمره يكون فيمن عمره الف شهر بضع وثمانون
سنة بين حد نيف واربعين الى بضع وستين اذا قسم الارباع لكل ربع احدى وعشرون سنة صبي واحدى وعشرون شبابا
واحدى وعشرون كهولة واحدى وعشرون شيخوخة لذلك بضع وثمانون سنة انتهى وهذا التحقيق ما اختلف من كلام
اهل اللغة ثم مادام بين الثلثين والاربعين فهو شاب ثم كهل الى ان يستوفي الستين ويقال شاب الرجل ثم شمط ثم
شاخ ثم كبر انتهى والكهل قال اهل اللغة ماخوذ من اكتهل النبات اذا تم طوله قبل ان يهيج وكلام الفقها لا يخالف فان له
مبناه العرف فالنص على كهولته اشارة لامه بانه ممنوع من اعدايه اذا قصدوه وتنبيه على ان دعواهم لصلبه كاذبة
ولما كانت رتبة الصلاح في غاية العظمة قال مشيرا الى علو مقدارها ومن الصالحين ومعلما بانها محيطة بامره شاملة
لاخر عمره كما كانت مقارنة لاوله وكانها لما سمعت ذلك امتلات تعجبا فاستخفها ذلك الى الاستعجال بالسوال قبل
اكمال المقال بان قالت رب بها الحرالي اني اي من اين وكيف يكون لي ولما كان استبعادها لمطلق الحبل لا بقيد كونه
ذكرا كما في قصة زكريا عليه السلام قالت ولد وقالت ولم يمسسني بشر لفهمها ذلك من نسبته اليها فقط كما قال
الحرالي والبشر هو اسم المشهود من الادمي في جملته بمنزلة الوجه في اعلى قامته في معنى البشرة وهو ظاهر الجلد انتهى
ولعل هذا الكلام خطر لها ولم تلفظ به تعلم تعلم الملك عليه السلام انه شغل فكرها فاجابها عنه لتفريغ الفهم بان
قال كذلك اي مثل هذا الفعل العظيم الشان العالي الرتبة يكون ما بشرتك به ولما كان استبعادها
لمطلق التكوين من غير سبب صلاعبر في تعليل ذلك بالخلق فقال الله يخلق اي يقدر ويصنع ويخترع ما يشا
تعبير بالخلق اشارة الى ان العجب فيه لا في مطلق الفعل كما في يحيى عليه السلام من جعل الشيخ كالشاب ثم علل ذلك بما
بين سهولته فقال اذا قضى امرا اي جل او قل فانما يقول له كن فيكون بيانا للكلمة فلما اجابها عما شغل قلبها

من العجب فتفرغ للفهم اخذ في اكمال المقال بقوله عطفا على ويكلم الناس حالا كما قبله في قراءة نافع وعاصم وبالنون
في قراءة الباقين نظرا الى العظمة اظهارا لعظمة العلم ونعلمه او يكون مستانفا ان يعطف على ما تقديره فنخلقه
كذلك ونعلمه الكتاب اي الكتابة او جنس الكتاب فيشمل ذلك معرفة الكتاب وحفظه وفهمه وغير ذلك من امره
والحكمة اي العلوم الالهية لتفيده تهذيب الاخلاق فيفيض عليه قول الحق وفعله على احكم الوجوه بحيث لا يقدر احد على
نقض شي مما ابرمه ولما وصفه بالعلوم النظرية والعملية تصاعدنا هلا لاسرار الكتب الالهية قال والتوراة
اي التي تعرفونها والانجيل بانزاله عليه تاليا لهما وتاخيره في الذكر يفيد تعظيمه بان ما قبله مقدمات لتلقيه ولا يصح عطفه
على فيكون لانه في حيز الشرط فيقتضي اتصاف كل مقضي بهذه الاوصاف كلها ولما ذكر الكتاب المنزل عليه حسن ذكر الرسالة فقال
بعد ما افاده عظمتها بجعله ما مضى مقدمات لها ورسولا عطفا على تاليا المقدر او بنصب بتقدير بجعله الى بني اسرائيل
اي بالانجيل ولما كان ذكر الرسالة موجبا لتوقع الاية دالة على صحتها وكان من شان الرسول لمخاطبة المرسل اليهم والانبا لهم بجميع ما
رسالة عليهم اتبعه ببيان الرسالة مقرونا بحرف التوقع فقال اني اي ذاكرا اني قد جيتكم باية من ربكم الذي طال احسانه
اليكم ثم ابدل منها اني اخلق لكم اي لاجل تربيتكم بصنايع الله من الطين قال الحرالي هو متخمر الما والتراب حيث يصير متهيا لقبول
وقوع الصورة فيه كهيئة وهي كيفية وضع اعضا الصورة بعضها من بعض التي يدركها حس اللمس انتهى الطير ثم ذكر احيا
في حيا به الى مصالحه بقوله معقبا للتصوير فانفخ قال الحرالي من النفخ وهو ارسال الهوا من مبعثه بقوة انتهى فيه اي
في ذلك الذي هو مثل الهيئة فيكون طيرا اي طايرا بالفعل كما في قراءة نافع وذكر المعالجة لئلا يتوهم انه خالق حقيقة ثم
اكد ذلك ازالة لجميع الشبه بقوله باذن الله اي بتمكين الملك الاعظم الذي له جميع صفات الكمال له روح كامل بحمله في الهوا
تذكيرا بخلق ادم عليه السلام من تراب للاشارة الى ان هذا اعجب من خلق ادمي من انثى فقط فلا تهلكوا في ذلك ولما ذكر ما شابه
امر ادم عليه السلام اتبعه علاج اجساد اولاده بما يردها الى معتادها بما يعجز اهل زمانه وكان الغالب عليهم الطب
وبدا باجزايها فقال وابرئ قال الحرالي من الابرا وهو تمام التخلص من الدا والدا ما يوهن القوى ويغير الافعال العامة للطبع
والاختيار انتهى الاكمه والابرص بجاد ما فقد منهما من الروح المعنوي والكمه قال الحرالي ذهاب البصر في اصل الخلقة كالذي
يولد اعمى او يعمى قبل ان يميز الاشيا او يدركها والبرص اصل معناه تلمع الشي بلمع خلاف ما هو عليه ومنه براص الارض لبقع
لا نبت فيها ومنه البريص في معنى البصيص فالملمع من الجلد على غير حاله فهو لذلك برص وقال الحرالي البرص عبارة عن سوء
مزاج يحصل بسببه تكرج اي فساد بلغم يضعف القوة المغيرة عن احالته الى لون الجسد انتهى ولما نزع من رد الارواح الى اجزا
الى اجزا الجسم اتبعه رد الروح الكامل في جميعه الحقيقي لامر البعث المقصود له باخراج من عالم الغيب الى عالم الشهادة في بعض الادميين
فقال واحيي الموتى اي برد ارواحهم الى اشباحهم بعضهم بالفعل وبعضهم بالقوة لان الذي اقدرني على البعض قادر على ذلك
في الكل فقد اعطاني قوة ذلك وهذا كما نقل القضاعي ان الحسن قال ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له
في وادي كذا فمضى معه الى الوادي وناداها باسمها فلانة اجيبيني باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك
قد اسلما فان احببت ان اردك فقالت لا حاجة لي بهما وجدت الله لي خيرا منهما وقد تقدم في البقرة عند ارني كيف تحيي
الموتى ما ينفع هنا وقصة رد عين قتادة بن دعامة في رده صلى الله عليه وسلم عينه بعد ان اصابها سهم فسالت على
خده فصارت احسن من اختها شهيرة وقصة اويس القرني رحمه الله في ابرا الله تعالى له من البرص ببركته امر كذلك ولما كان
ذلك من امر الاحيا الذي هو من خواص الالهية وابطن ايات الملكوتية ربما اورث لبسا في امر الاله بتراسه ورده الى من هو له
تزيلا للبس وموضحا للامر فقال مكررا لما قدمه في مثله باذن الله اي بعلمه وتمكينه ثم اتبعه ما هو من جنسه في الاخراج
من عالم الغيب الى عالم الشهادة فقال معبرا بما يدل على عظمه وانبئكم اي من الاخبار الجليلة من علم الغيب بما تاكلون
اي مما لم اشاهده بل تقطعون باني كنت غايبا عنه وما تدخرون ولما كان مسكن الانسان اعز البيوت عنده واخفاها لما يريد
ان يخفيه قال في بيوتكم قال الحرالي من الادخار افتعال من الدخر قلب حرفاه للدال لتوسط بين طرفيهما في متقابل
حالهما والدخرة ما اعتني بالتمسك به عدة لما شانه ان يحتاج اليه فيه فما كان لصلاح خاصة الماسك فهو ادخار وما كان
لتكسب فيما يكون من العوام فهو احتكار انتهى ولما ذكر هذه الخوارق نبه على عظم امرها بقوله ان في ذلك اي الامر العظيم
لاية لكم اي بها المشاهدون على اني عبد الله ومصطفاه فلا تهلكوا في تكويني من انثى فقط فتطروني فاني لم اعمل شيا منها
الا ناسبا له الى الله وصانعا فيه ما يوذن بالحاجة المنافية للالهية ولو بالدعا وافراد كاف الخطاب اولا لكون ما عمل ظاهر
لكل احد على انفراده انه اية لجميع المرسل اليهم وكذا ثانيا وقطع التعنت من قد يقول انها لا تدل الا باجتماع انظار
جميعهم لو جمع الاول وانها ليست اية لكلهم بل لواحد منهم لو وحد في الثاني ولما كانت الايات لا تنفع مع المعاندات قال
ان كنتم مومنين اي مذعنين بان الله قادر على ما يريد واهلا للتصديق بما ينبغي التصديق به ولما كانت ترجمة اني
قد جيتكم اتيا اليكم باية كذا مصدقا فاتيا بها او نعتت به عطف على الحال المقدر منه تاكيدا لانه عبد الله قوله ومصدقا
لما بين يدي اي كان قبلي انبا في اليكم من التوراة اي المنزلة على اخي موسى عليه السلام لان القبلية تقتضي العدم الذي هو

صفة المخلوق او يعطف على باية اذا جعلنا البا للحال لا للتعدية اي وجيتكم مصحوبا باية ومصدقا ولما ذكر التوراة
اتبعها بما يدل على انه ليس كل ما بينه وبين موسى من الانبيا عليهم السلام في اقرارها كلها على ما هي عليه وتجديد امرها
على ما كان زمن موسى عليه السلام بل هو مع تصديقها ينسخ بعضها فقال ولاحل اي صدقتها لاحكم على العمل بها ولاحل
لكم بعض الذي حرم عليكم اي فيها تخفيفا عليكم وجيتكم الاية ليس مكررا للتاكيد اني قد جيتكم باية من ربكم اني اخلق
لكم من الطين على ما توهم بل المعنى والله اعلم ان عيسى عليه السلام لما اتاهم بهذه الخوارق التي من جملتها احيا الموتى وكان
من المعهود عندهم كما ورد في الاحاديث الصحيحة التحذير من الدجال وكان من المعلوم من حاله انه ياتي بخوارق منها احيا
ميت ويدعي الالهية كان من الجايز ان يكون ذلك سببا لشبهة تعرض لبعض الناس فختم هذا الدليل على سالف
بما هو البرهان الاعظم على عبوديته وذلك مطابقة لما دعا اليه الانبيا والمرسلون كلهم من اخلاص العبادة له
فقال وجيتكم باية اي عظيمة خارقة للعادة من عند ربكم المحسن اليكم بعد التفرد بخلقكم وهي اجل الايات وادلها
على صدقي في رسالتي وعدم تمنيي بوقوع شبهة في عبوديتي ولما تقرر بذكر الاية مرة بعد مرة مع ما افادته من سبيل
التفصيل لانواع الايات تاكيد رسالته تلطيفا لطباعهم الكثيفة فيتقلع منها ما كانت لقنته في الازمان المتطاولة
من العوايد الباطلة تسبب عن ذلك ما يصرح بعبوديته فقال مبادرا للاشارة الى ان الادب مع الحق اكد والخوف منه
احق واوجب لئلا يقطع احسانه ويبدل امتنانه فاتقوا الله اي الذي له الامر كله واطيعون اي في قبولها فان
ان التقوى مستلزمة لطاعة الرسول ولما كان كانه قيل ما تلك الاية التي سميتها اية بعد ما جيت به من الاشيا الباهرة
قال ان الله الجامع لصفات الكمال ربي وربكم اي خالقنا ومربينا انا وانتم في ذلك شرع واحد وقد من فتح ان اظهر في المراد
فاعبدوه هذا اي الذي دعوتكم اليه صراط مستقيم انا وانتم فيه سوا لا ادعوكم الى شي لا كنت اول فاعل له ولا ادعي انني
اله ولا ادعو الى عبادة غير الله كما يدعي الدجال وغيره من الكذبة الذين تظهر الخوارق على ايديهم امتحانا من الله لعباده
فيجعلونها سببا للعلو في الارض والترفع على الناس وجا بالتحذير منهم والتوبيخ احوالهم الانبيا والى هذا يرشد قول
عيسى عليه السلام فيما اسيا في عن الانجيل يوحنا ان من يتكلم من عنده انما يطلب المجد لنفسه فاما الذي يطلب مجد الذي
ارسله فهو صادق وليس فيه ظلم والى مثل ذلك ارشدت التوراة فانه جعل العلامة على صدق الصادق وكذب
الكاذب الدعوة فمن كانت دعوته الى الله وجب تصديقه ومن كذبه هلك ومن دعا الى غيره وجب تكذيبه ومن صدقه
هلك قال في السفر الخامس منها واذا دخلتم الارض التي يعطيكم الله ربكم فلا تعملوا امثال اعمال تلك الشعوب ولا يوجد
فيكم من يعبر ابنه او ابنته في النار وينذر للاصنام ولا من يطلب تعليم العرافين ولا من ياخذ بالعين ولا يوجد فيكم من
يتطير طيرة ولا ساحر ولا من يرقي رقية ولا من ينطلق الى العرافين والقافة فيطلب اليهم ويسالهم عن الموتى لان كل من
يعمل هذه الاعمال هو نجس بين يدي الله ربكم ومن اجل هذه النجاسة يهلك الله هذه الشعوب من بين ايديكم ولكن
كونوا انتم اصفيا نجيبين امام الله ربكم لان هذه الشعوب التي ترثونها كانت تطيع العرافين والمنجمين فاما انتم فليس
هكذا يعطيكم الله ربكم بل يقيم لكم نبيا من اخوتكم مثلي فاطيعوا ذلك النبي كما اطعتم الله ربكم في حوريب يوم الجماعة
وقلتم لا نسمع صوت الله ربنا ولا نعاين هذه النار العظيمة كيلا نموت فقال الرب ما احسن ما تكلموا سانيم لهم نبيا
من اخوتهم مثلك واجري قولي فيه ويقول لهم ما امره به والرجل الذي لا يقبل قول النبي الذي يتكلم باسمي انا انتقم منه فاما
النبي يتكلم ويجترئ باسمي ويقول ما لم امره ان يقوله ويتكلم باسما الالهة الاخرى يقتل ذلك النبي وان قلتم في قلوبكم كيف لنا
ان نعرف القول الذي لم يقله الرب اذا تكلم ذلك النبي باسم الرب فلم يكمل قوله ولم يتم ذلك القول لم يقله الرب ولكن
تكلم ذلك النبي جراة وصفاقة وجرا فلا تخافوه ولا تفزعوا منه وقال قبل ذلك بفصيل واذا اهلك الله الشعوب التي
تنطلقون اليها وابادهم من بين ايديكم وورثتموهم وسكنتم ارضهم احتفظوا لا تتبعوا الهتهم من بعد ما يهلكهم الله من بين ايديكم
ولا تسلوا عن الهتهم ولا تقولوا كيف كانت هذه الشعوب تعبد الهتها حتى نفعل نحن فعلها ولا تفعلوا امثل فعالها امام
الله ربكم لانهم عملوا بكل ما يبغض الله واحرقوا بنيهم وبناتهم لالهتهم ولكن القول الذي امركم به اياه احتفظوا به اعملوا
لا تزيدوا ولا تنقصوا منه شيا فان قام بينكم نبي او من يفسر احلاما وعمل اية او عجيبة ويقول اتبعوا بنا نعبد الالهة
الاخرى التي لا تعرفونها ونعبدها لا يقبل قول ذلك النبي وصاحب الاحلام لانه انما يريد ربكم ان يجربكم ليعلم هل تحبون الله
ربكم احتفظوا وصاياه واتقوه واسمعوا قوله واعبدوه والحقوا به فاما ذلك النبي وذلك الذي يحلم الاحلام فليقتل لانه
نطق بالاثم امام الله ربكم الذي اخرجكم من ارض مصر وخلصكم من العبودية فاراد ان يضلكم عن الطريق الذي امركم الله ربكم
ان تسيروا فيه واستاصلوا الشر من بينكم وان تشوقك اخوك ابن امك وابيك او حليلتك او صديقك ويقول
لك هلم بنا نتبع الالهة الاخرى التي لم تعرفها انت ولا اباؤك من الهة الشعوب التي حولكم القريبة منكم والبعيدة
ومن اقطار الارض الى اقصاها لا تقبل قوله ولا تطعه ولا تشفق عليه ولا ترحمه ولا تكتم عليه ولا تتعطف عليه ولكن اقتله
قتلا وابدا بيدك قتلا ثم يبدا به جميع الشعوب وارجموه بالحجارة ليموت لانه اراد ان يضلك عن عبادة الله ربك

الذي اخرجك من ارض مصر وخلصك من العبودية ويسمع بذلك جميع بني اسرائيل ويفزعون فلا يعودوا ان يعملوا
مثل هذا العمل السوء بينكم واذا سمعتم ان في قرية من القرى التي اعطاكم الله قوما قد ارتكبوا الخطية واضلوا ا
اهل قريتهم وقالوا ننطلق فنعبد الهة اخرى لم تعرفوها افحصوا عنها وسلوا حسنا ان كان القول الذي بلغكم يقينا
وتعملت هذه النجاسة وفعلت في تلك القرية اقتلوا اهل تلك القرية بالسيف واقتلوا كل من فيها من النسا
والصبيان والبهائم بالسيف واجمعوا جميع نهبها خارج القرية واحرقوا القرية بالنار واحرقوا كل نهبها امام الله
ربكم وتصير القرية تلا خرابا الى الابد ولا تبنى ايضا ولا تلصق بايديكم من خرابها شي ليصرف الرب غضبه عنكم ويعطف
عليكم ويفيض رحمته عليكم ويحييكم ويرحمكم ويكثركم كما قال لابايكم هذا ان انتم سمعتم قول الله ربكم وحفظتم وصاياه
التي امرتكم بها اليوم وعملتم الحسنات امام الله ربكم فاذا فعلتم هذا صرتم لله ربكم لا تاثموا ولا تقفروا واشبهة الوحش
ولا تخدشوا وجوهكم وبين اعينكم على الميت لانكم شعب طاهر لله ربكم واياكم اختار الله ربكم ان تكونوا له شعبا حبيبا افضل
من جميع شعوب الامم انتهى فقد تبين من هذا كله ان عيسى عليه السلام مصدق للتوراة في الدعا الى توحيد الله وان
الاية الكبرى على صدق النبي الحق اختصاصه الله الحق تعالى بالدعوة وتسويته بين نفسه وجميع من يدعوه في الاقبال
عليه والبعد له والتخشع لديه وان الاية على كذب الكاذب دعاوه الى غير الله وفي ذلك وامثاله مما سياتي عن الانجيل
في سورة النسا تحذير من الدجال وامثاله فتبين ان المراد بالاية في هذه الاية ما قدمته من الاخبار بان الله رب لكل
والامر بعبادته وهذا كما سياتي من الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى
كلمة سوا بيننا وبينكم الى ان قال ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولما ختم سبحانه هذه البشارة بالاية القاطعة
القوية الجامعة وكان قوله في اول السورة يصوركم في الارحام كيف يشاء وقوله يخلق ما يشا مغنيا عن ذكر حملها طواه
وارشد السياق حتما الى ان التقدير فحملت به من غير ذكر فولدته على ما قال سبحانه وجيها وكلم
الناس في المهد وبعده وعلمه الكتاب والحكمة وارسله الى بني اسرائيل فاتاهم بالدلايل ونفى الشبه على ما امره به
الذي ارسله سبحانه وعلموا انه ناسخ لا محرف فتابعه قوم وخالفه اخرون تغطوا جميع الايات واعرضوا عن الهدى
والبينات ونصبوا له الاشراك والحبايل وبغوه الدواهي والغوايل فضلوا على علم وظهر منهم الكفر البين والعوجوا
عن الصراط المستقيم عطف عليه قوله مسليا لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فلما احس قال الحرالي من الاحساس
وهو منال الامر بادراك العلم والشعور الوجداني انتهى عيسى منهم الكفر اي علم علما من شانه هذا الشي بالحس وراى مكرهم
على ذلك بتزايد وعنادهم بتكاثر بعد ان علم كفرهم علما لا مرية فيه فاستغاث بالانصار وعلم ان سيحولون الحرب فلا
دار تعوم على الحائم دار البوار قال من انصاري ولما كان المقصود ثبات الانصار معه الى ان يتم امره عبر عن ذلك بصلة
دلت على تضمين هذه الكلمة كلمة توافق الصلة فقال الى اي سايرين او واصلين معي بنصرهم الى الله اي الملك الاعظم
قال الحواريون قال الحرالي جمع حواري وهو المستخلص نفسه في نصرة من يحق نصرته بما كان من بشاره على نفسه بصفا
واخلاص لا كدر فيه ولا شوب انتهى وهو مصروف لان ياه عارضة نحن انصار الله اي الذي ارسلك وانذرك على ما تاتي
به من الايات فهو المحيط بكل شي عزة وعلما ثم صححوا النصرة وحققوا بان علموا بقولهم امنا بالله اي صلى ما له من صفات
الكمال ثم اكدوا ذلك بقولهم مخاطبين لعيسى عليه السلام رسولهم الى الخلق اذ ذاك واشهد بانا مسلمون اي
معنا دون جميع ما نامرنا كما هو حق من من يكون شهادتك علينا احد ركنا بنا ولتشهد لنا بها يوم القيمة ثم لما خاطبوا
الرسول ادبا ترقوا الى المرسل في خطابهم اعظاما للامر وزيادة في التاكيد فقالوا مستعطفين لاداة البدا استحضارا
لعظمته بالقرب لمزيد القدرة وترجي منزلة اهل الحب ربنا امنا بما انزلت اي على السنة رسلك كلهم واتبعنا
الرسول اي اليهم بذلك معتقدين رسالته منك وعبوديته لك فاكتبنا لتقبلك شهادتنا واعتدادك بها مع
الشاهدين اي الذين قدمتا لهم شهدوا لك بالوحدانية مع الملايكة ولعله عقب ذلك بقوله ومكروا المعطوف
على قوله قال من انصاري بالاضمار الصالح المشمول كل من تقدم له ذكر اشارة الى ان الماكر عليه يصح ان ينسب الى المجموع
من حيث هو مجموع اما مكر اليهود فمشهود واما الحواريون الاثنا عشر فنقض احدهم وهو الذي تولى كبر الامر وجوا اليهود
اليه ودل عليه كما ياتي بيانه ان شا الله تعالى في سورة النسا وترتيب المكر على الشرط يفهم انهم لما علموا احساسه بكفرهم
خافوا غايلته فاعملوا الحيلة في قتله والمكر قال الحرالي اعمال الخديعة والاحتيال في هدم بنا ظاهر كالدنيا والكيد اعمال
الخديعة والاحتيال في هدم بنا باطن كالدين والتخلق وغير ذلك فكان المكر خديعة حس والمكيدة خديعة معنى انتهى ثم تبين
ان مكرهم تلاشى واضمحل بقوله ومكر الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما ولما كان المقام لزيادة العظمة اظهر ولم يضمر
لبلاغهم الاضمار خصوصا من جهة منا فقال والله اي والحال ان الذي له هذا الاسم فلم يشارك فيه احد بوجه خير الماكرين
بارادته تاخير جزايهم الى وقت قضاه في الازل فامضاه وذلك عند مجي الدجال تخليص اليهود فتكون النصارى الذين
سالمهم دين هذه الامة تشريفا لهم ثم بين ما فعله بهم من القصصا الذي على صورة المكر لكونه اذى يخفى على المقصود به

بانه رافعه

بانه رافعه اليه وشبه ذلك عليهم حتى ظنوا انهم صلبوه وانما صلبوا احدهم ويقال انه الذي دلهم واما هو عليه السلام
فصان ترعده بعد رفعه الى محل اوليايه وموطن قدسه لينزله في اخر الزمان لاستيصالهم بعد ان ضرب عليهم
الذلة بعد نصره لهم له بالاذى الذي طلبوا به العز الى اخر الدهر فكان تدميرهم في تدبيرهم وذلك اخفى الكيد فقال تعالى
مخبرا عن ذلك على وجه مبشر له بانه عاصمه من ان يقتلوه ومميته حتف انفه اذ اي مكر حين قال الله اي بما له من التفرد
بصفات الكمال يا عيسى اني متوفيك وعبر عن ذلك بطريق الكناية الايمائية فان عصمته من قتل الكفار ملزوم
للموت حتف الانف واما قول الزمخشري اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك
الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ليكون كناية تلويحية عن العصمة من القتل لانها ملزومة
لتاخيره الى الاجل المكتوب والتاخير ملزوم للموت حتف الانف فلا ينبغي الاعتزاز به لانه مبني على مذهب الاعتزال
من ان القاتل قطع اجل المقتول المكتوب وكان القاضي البيضاوي لم يفطن له فترجم هذه العبارة بما يؤيد بها ويجوز ان يكون
معنى متوفيك اخذك اي من غير ان يصلوا منك الى محذور ولا ما فيه من عضو ولا نفس فلا تخش مكرهم قال في القاموس
وفى فلانا حقه اعطاه وافيا كوفاه ووافاه فاستوفاه وتوفاه ثم زاد سبحانه في بشارته بالرفعة الى محل كرامته وموطن
ملايكته ومعدن النزاهة عن الادناس فقال ورافعك اي الي ومطهرك من الذين كفروا ولما
كان لذوي الهمم العوال اشد التفات الى ما يكون عليه خلايفهم بعدهم من الاحوال بشره تعالى في ذلك بما يسره فقال
وجاعل الذين اتبعوك اي ولو بالاسم فوق الذين كفروا اي ستروا ما يعرفون من نبوتك بما راوا من الايات التي ابدت بها مظاهر
لما عندهم من البشاير بك الى يوم القيمة وكذا كان لم يزل من اسمه بالنصرانية حقا او باطلا فوق اليهود ولا يزالون كذلك
الى ان يعدموا فلا يبقى منهم احد ولما كان البعث عاما دل عليه بالالتفات الى الخطاب تكميلا لما بشره به من النصرة ثم الي
مرجعكم اي المومن والكافر في الاخرة فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ثم فصل له الحكم فقال مرهبا للمخالفة مرغبا في الموالفة
وقدم المخالفين لان السياق لبيان اذلالهم فاما الذين كفروا اي من الطايفتين فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالذل
والهوان والقتل والاسر والاخرة بالخزي الدايم وما لهم من ناصرين وان كثر عددهم ولم يقل واما الذين اتبعوك ليلا يلبس الحال
وان كان من اتبع النبي الاتي بعده اتبعه في بشارته به والامر باتباعه بل قال واما الذين امنوا وعملوا الصالحات لان هذه
ترجمة الذين اتبعوه حق الاتباع ولما كان تمام الاعتنا بالاولياء مقصودا لغاية القهر للاعدا اتى في مظهر العظمة قوله
تعظيما لهم وتحقيرا لاعدايهم فنوفيهم اجورهم اي نعطيهم من غير ان نبخسهم منها شيئا او نظلم احدا من الفريقين في شي فان
الله متعال عن ذلك والله الذي له الكمال كله لا يحب الظالمين من كانوا اي لا يفعل معهم فعل المحب فهو يحبط اعمالهم
لبنايها على غير اساس الايمان فلا بد من الاحتباك ونظمها على الاصل فنوفيهم لانا نحبهم والله يحب المومنين والذين ظلموا
نحبط اعمالهم لانا لا نحبهم والله لا يحب الظالمين فتوفية الاجر ولا ينفعها ثانيا واثبات الكرامة ثانيا يثبت ضدها
اولا وحقيقة الحال انه اثبت للمومنين لازم المحبة المراد منها في حق الله تعالى لانه امس ولازم المراد من عدمها في الظالمين
لانه انكا ولما اتم سبحانه ما اراد من امر عيسى عليه السلام من ابتدا تكوينه الى انتها رفعه وما كان بعده من امر اتباعه مشيرا
بذلك الى ما فيه من بدايع الحكم وخزاين العلوم واللطايف المنزلة على مقادير الهم على اتقن وجه واحكمه واتمه واخلصه
واسلمه وختمه بالتنفير من الظلم وكان الظلم وضع الشي في غير موضعه وكان هذا القران العظيم قد حاز من حسن
الترتيب ورصانة النظم بوضع كل شي منه لفظا ومعنى في محله الاليق به المحل الاعلى لا سيما هذه الايات التي اتت
بالفيصل من امر عيسى عليه السلام فلم يدع فيه شكا ولا ابقت شبهة ولا لبسا اتبع ما تقدم من تفصيل الايات
البينات قوله منبها على عظمة هذه الايات الشاهدة للاتي بها صلى الله عليه وسلم باوضح الصدق باعجازها
في نظمها وفي العلم بمضامينها من غير معلم من البشر كما تقدم نحو ذلك في ذلك من انبا الغيب نوحيه اليك ذلك
اي النبا العظيم والامر الجسيم الذي لم تكن تعلم شيئا منه ولا علمه من شان قومك نتلوه اي نتابع قصه بما لنا من العظمة
عليك وانت اعظم الخلق حال كونه من الايات اي التي لا اشكال فيها ويجوز ان يكون خبر اسم الاشارة والذكر الحكيم اشارة
الى ذلك لان الحكمة وضع الشي في اعدل مواضعه واتقنها واشار باداة البعد تنبيها على علو منزلته ورفيع قدره
ثم اكد ظلمهم وصور حكمته بمثل هو الفرقان في امر عيسى عليه السلام الكاشف لما في ذلك مما التبس عليهم فقال
ان مثل عيسى اي في كونه من انثى فقط عند الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما في اخراجه من غير سبب حكمي عادي كمثل
ادم في ان كلا منهما ابدع من غير اب بل امر ادم اعجب فانه اوجده من غير اب ولا ام ولذلك فسر مثله بانه خلقه
اي قدره وصوره جسدا من غير جنس البشر بل من تراب فعلمنا ان تفسير مثل عيسى كونه خلقه من جنس البشر
من ام فقط بغير اب لمثل عيسى اقل غرابة من هذه الجهة وان كان اغرب من حيثية انهم لم يعهدوا امثاله فلذلك
كان مثل ادم مثلا له موضحا لانه مع كونه اغرب اشهر وعبر بالتراب دون الما والطين والحما وغيره كما في غير هذا الموضع
لان التراب اعلى اجزايه ولان المقام لاظهار العجب وابداع ما اسكنه انواع الانوار بالهداية والعلوم الباهرة من التراب

الذي كثف الاشباح اغرب كما ان تغليب ظلال الضلال على الشياطين مع كونهم من عنصر نيراعجب ولما شبه المثل بالمثل علمنا
ان مثل عيسى كل ولد نشاهده نتولد من انثى ومثل ادم كل حيوان نشاهده نتولد من التراب وما شاهده بنوا اسرائيل من خلق عيسى
عليه السلام الطير من الطين فهذا المثل الذي هو كل ما تولد من انثى مثل ذلك المثل الذي هو كل ما تولد من تراب في ان كلا منهما
لم يكن الا بتكوين الله تعالى والا لكان كل جماع موجبا للولد وكل تراب موجبا لتولد الحيوان منه فلما كان اكثر الجماع لا يكون منه
ولد علمنا ان الايجاد بين الذكر والانثى انما هو بارادة الله وقدرته ومن ارادته وقدرته كونه من ذكر وانثى فلا فرق في ذلك
بين ان يريد كونه من انثى بتسبيب جماع من ذكر يخرق به عادة الجماع بجعله موجبا للحمل وبين ان يريد كونه من انثى فقط
يخرق به عادة ما نشاهده الان من التوليد بين الذكر والانثى كما انا لما علمنا ان ليس كل تراب يكون منه حيوان علمنا
قطعا ان هذا المتولد من تراب انما هو بارادة القادر واختياره لا بشي اخر والى ذلك اشار يحيى عليه السلام بقوله فيما
سلف قريبا ان الله قادر على ان يقيم من الحجارة اولادا لابراهيم اي لانه سبحانه هو الذي يخلق المسببات فلا فرق حينئذ بين
سبب وسبب بل كلها في قدرته سوا والى ذلك اشار قوله ثم قال له كن اي بشرا كاملا روحا وجسدا وعبر بصيغة المضارع
المعبر بالفا في فيكون دون الماضي وان كان المتبادر الى الذهن ان المعنى عليه حكاية للحال وتصويرا لها اشارة الى انه
كان مع الامر من غير تخلف وتنبيها على ان هذا هو الشان دائما يتجدد مع كل مراد لا يتخلف عن حال الامر اصلا كما تقدم
التصريح به في اية اذا قضى امرا وذلك اغرب مما كان سبب ضلال النصارى الذي يجادل عن معتقدهم وفد نجران فال
سبحانه ذلك اشارة الى انهم ظلموا في القياس وكان العدل ان يقاس في خرقه للعادة بابي امه الذي كان يعلم الاسما كلها وسجدت له
الملايكة لا ان يغلو فيه ويكون نه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال الحرالي جعل سبحانه ادم عليه السلام مثلا مبداه السلالة
الطينية وغايته النفخة الامرية وكان عيسى عليه السلام مثلا مبداه الروحية والكلمة وغايته التكمل بملابسة
السلالة الطينية حتى قال صلى الله عليه وسلم انه عند نزوله في خاتمة اليوم المحمدي يتزوج امراة من بني اسد ويولد
له غلام لتكمل الادمية في العيسوية كما كملت العيسوية في الادمية وليكونا مثلا واحدا على جامعة ولله المثل الاعلى
في السموات والارض انتهى ولما ابتدا القصة بالحق في قوله نزل عليك الكتاب بالحق ختمها بذلك على وجه اكد واصرح فقال
الحق اي الكامل في الثبات كاين من ربك اي المحسن اليك بانه لا يدع لخصم عليك مقالا ولما تسبب عما مضى نقلا وعقلا الاعتقاد
الحق في امر عيسى عليه السلام قال فلا تكن من الممترين مشيرا بصيغة الافتعال الى انه لا يشك فيه بعد هذا الا من اعمل
الفكر في شبهة يثيرها او يهام يزاولها ويستر بيانها وما احسن ما في سفر الانبيا الاسرايليين الذي هو بايدي الطايفتين
اليهود ثم النصارى يتناقلونه معتقدين ما فيه واوضحه في خلاف معتقدهم في عيسى عليه السلام وموافقة معتقدنا فيه
لكنهم لا يتدبرون وذلك انه قال في نبوة اشعيا عليه السلام اسمع يا يعقوب عبدي وانت يا اسرايل الذي انتخبته انا الذي
خلقتك في الرحم واعنتك ثم قال هكذا يقول الرب انا الذي جبلتك في الرحم وخلصتك واعنتك انا الذي خلقت الكل
وانا الذي مددت السما وحدي وانا الذي ثبت الارض انا الذي ابطل ايات العرافين واصير كل العرافين جهالا واردا لحكما
الى خلفهم واعرف علمهم للناس واثبت كلمة عبيدي واتمم قول رسلي ثم قال انا الرب الذي خلقت هذه الاشيا
الويل للذي يخاصم خالقه ولا يعلم انه من خزف الطين يقول للفاخوري لماذا تصنعني او لعله يقول له لست تامل
صنعتك الويل للذي يقول لابيه لماذا ولدتني او لامه لماذا احبلت بي هكذا يقول الرب قدوس اسرايل ومخلصه
انا الذي خلقت السما ومددتها بيدي وجميع اجنادها وجعلت فيها الكواكب البهية ذكر ما يحتاج اليه المفسرون ان
شا الله زيادة الايقان لكل مسلم من قصة عيسى عليه السلام في ولادته وما يتعلق بهذه السورة من مبدا امره ومنتهاه
وبعض ما ظهر على يديه من الايات ولسانه من الحكم المشيرة الى عبد الله ورسوله وغير ذلك من الاناجيل الاربعة التي بايدي
النصارى اليوم وقد دخلت كلام بعضهم في بعض وجمعت ما تفرق من المعاني في سياقاتهم بحيث صار الكل حديثا واحدا
قال متى وخطه البياني له كتاب ميلاد يشوع المسيح بن داود بن ابرهيم عليهم السلام ثم قال فكل الاجيال من ابرهيم الى داود
اربعة عشر جيلا ومن داود الى سبي بابل اربعة عشر جيلا ومن سبي بابل الى المسيح اربعة عشر جيلا لما خطبت مريم امه
ليوسف قبل ان يجتمعا وجدت حبلى من روح القدس وكان يوسف خطيبها صديقا ولم يرد ان يشهرها وهم بتخليتها
سرا وفيما هو مفكر في هذا اذ ظهر له ملاك الرب في الحلم قايلا يا يوسف بن داود لا تخف ان تاخذ مريم خطيبتك لان
الذي تلده هو من روح القدس وستلد ابنا ويدعى اسمه يشوع وهو يخلص شعبه من خطاياهم هذا كله كان لكي
يتم ما قيل من قبل الرب على لسان النبي القايل ها هو ذا العذرا تحبل وتلد ابنا وتدعى اسمه عمانويل الذي تفسيره الله
معنا فقام يوسف من النوم وصنع كما امره ملاك الرب واخذ مريم خطيبته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعي
اسمه يشوع وفي انجيل لوقا ولما كان في تلك الايام اي ايام ولادة يحيى بن زكريا عليهما السلام خرج امر من اغسطس
قيصر بان يكتب جميع المسكونة هذه الكتبة الاولى في ولاية قرينيوس على الشام فمضى جميعهم ليكتتب كل واحد منهم في
مدينته فصعد يوسف ايضا من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لانه كان

كنبز

من بيت داود وقبيلته ليكتتب مع مريم خطيبته وهي حبلى فبينما هما هناك اذ تمت ايام ولادها فولدت ابنها
البكر ولفته وتركته في مذود لانه لم يكن لهما موضع حيث نزلا وكان في تلك الكورة رعاة يحرسونه لحراسة الليل
ثوبا على مواشيهم راوا ملاك الرب قد وقف بهم ومجد الرب اشرق عليهم فخافوا خوفا عظيما فقال لهم الملاك
الان هوذا ابشركم بفرح عظيم يكون لكم ولجميع الشعوب لانه ولد لكم اليوم مخلص الذي هو المسيح في مدينة داود
وهذه علامة لكم انكم تجدون طفلا ملفوفا موضوعا في مذود وللوقت بغتة اتى مع الملاك جنود كثيرة سما
يسبحون الله ويقولون المجد لله في العلى وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة فلما صعد الملايكة الى السما قال الرجال
الرعاة بعضهم لبعض امضوا بنا الى بيت لحم لننظر الكلام الذي اعلمنا به الرب فجاوا مسرعين فوجدوا مريم ويوسف
والطفل موضوعا في مذود فلما راوه علموا ان الكلام الذي قيل لهم عن الصبي حق وكل من سمع تعجب مما تكلم به الرعاة
وكانت مريم تحفظ هذا الكلام كله وتفكر ورجع الرعاة يمجدون الله ويسبحون على كل ما سمعوا وعاينوا كما قيل لهم
ولما تمت ثمانية ايام ليختتن ودعوا اسمه يشوع كالذي دعاه الملاك قبل ان تحبل به في البطن فلما كملت ايام تطهيرها
على ما في ناموس موسى صعدوا به الى يروشليم ليقيموه للرب كما هو مكتوب في ناموس الرب ان كل ذكر فاتح رحم امه يدعى
قدوس الرب ويقرب عنه كما هو مكتوب في ناموس الرب زوج يمام او فرخا حمام وكان انسان بيروشليم اسمه سمعون
وكان رجلا بارا تقيا ينتظر عزا اسرايل وروح القدس كان عليه وكان يوحي الله من روح القدس انه لا يموت حتى يعاين
المسيح الرب فاقبل بالروح الى الهيكل عندما جا ابوا الطفل يشوع ليصنعا عنه كما يجب في الناموس فحمله على ذراعه
وبارك الرب قايلا الان يا سيد اطلق عبدك بسلام ككلامك لان عيني ابصرتا خلاصك الذي اعددت قدام جميع
الشعوب نورا استعلن للامم ومجدا لشعبك اسرايل وكان يوسف وامه يتعجبان مما يقال عنه وباركهما سمعان
وقال لمريم امه هوذا هذا موضوع لسقوط كثير وقيام كثير من اسرايل وكانت حنة النبية ابنة فانوئيل من سبط اشير
قد طعنت في ايامها واقامت مع زوجها سبع سنين بعد بكوريتها ثم ترملت اربعة وثمانين عاما غير مفارقة
للهيكل عابدة بالصوم والطلبة ليلا ونهارا وفي تلك الساعة جات قدامه معترفة لله وكانت تتكلم من اجله عند
كل احد ينتظر خلاص يروشليم فلما اكملوا كل شي على ما في ناموس الرب رجعوا الى الجليل الى مدينتهم الناصرة فاما
الصبي فكان ينشا ويتقوى بالروح ويمتلي بالحكمة ونعمة الله كانت عليه وابواه يمضيان الى يروشليم في كل سنة في عيد الفصح
وقال متى فلما ولد يشوع في بيت لحم يهودا في ايام هيرودس الملك اذا المجوس وافوا من المشرق الى يروشليم قايلين
اين هو المولود ملك اليهود لانا راينا نجمه في المشرق ووافينا لنسجد له فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع يروشليم
وجمع كل روسا الكهنة وكتبة الشعب واستخبرهم اين يولد المسيح فقالوا له في بيت لحم ارض يهودا كما هو مكتوب في النبي وانت
يا بيت لحم ارض يهودا لست بصغيرة في ملوك يهودا يخرج منك مقدم الذي يرعى شعبي اسرايل حينيذ دعا هيرودس
المجوس سرا وتحقق منهم الزمان الذي ظهر لهم فيه النجم وارسلهم الى بيت لحم قايلا امضوا فابحثوا عن الصبي باجتهاد
فاذا وجدتموه فاخبروني لكي اتي انا واسجد له فلما سمعوا من الملك ذهبوا واذا النجم الذي راوه في المشرق يقدمهم حتى جا ووقف
فوق حيث كان الصبي فلما راوا النجم فرحوا فرحا عظيما جدا واتوا الى البيت فراوا الصبي مع مريم امه فخروا له سجدا وفتحوا
اوعيتهم وقدموا له قرابين ذهبا ولبانا ومرا واوحي اليهم في الحلم ان لا يرجعوا الى هيرودس بل يمضون في طريق
اخرى الى كورتهم فلما ذهبوا اذا ملاك الرب تراءى ليوسف في الحلم قايلا قم خذ الصبي وامه واهرب الى ارض مصر وكن
هناك حتى اقول لك فان هيرودس مزمع ان يطلب الصبي ليهلكه فقام واخذ الصبي وامه ليلا ومضى الى مصر وكان هناك
الى وفاة هيرودس لكي يتم ما قيل من قبل الرب بالنبي القايل من مصر دعوت ابني حينيذ لما راى هيرودس يخونه
المجوس به غضب جدا وارسل فقتل كل صبيان بيت لحم وكل تخومها من ابن سنتين فما دون كنحو الزمان الذي تحقق عنده
من المجوس حينيذ تم ما قيل من ارميا النبي حيث يقول صوت سمع في الرامة بكا ونوح وعويل كثير راحيل تبكي على بنيها
ولا تريد ان تتعزى لفقدهم فلما مات هيرودس ظهر ملاك الرب ليوسف في الحلم بمصر قايلا قم خذ الصبي وامه واذهب
الى ارض اسرايل فلما سمع ان ارشلاوش قد ملك على اليهودية عوض هيرودس ابيه خاف ان يذهب الى هناك
فاخبر في الحلم واذهب الى تخوم ناحية الجليل فاتى وسكن في مدينة تدعى ناصرة لكي يتم ما قيل من الانبيا انه يدعى ناصريا
وفي انجيل لوقا فلما تمت له اثنتا عشرة سنة مضوا الى يروشليم الى العيد كالعادة فلما كملت الايام ليعودوا له
تخلف عنهما يشوع في يروشليم ولم تعلم امه ويوسف لانهما كانا يظنان انه مع السايرين في الطريق فلما ساروا
نحو يوم طلباه عند اقربايهما ومعارفهما فلم يجداه فرجعا الى يروشليم يطلبانه وبعد ثلثة ايام وجداه في
الهيكل جالسا بين العلما يسمع منهم ويسايلهم وكان كل من يسمعه مبهوتين من علمه واجابته لهم فلما ابصراه بهتا
فقالت له امه يا بني ما هذا الذي صنعت بنا ان اباك وانا كنا نطلبك باجتهاد معذبين فقال لهما لم تطلباني
اما تعلمان انه ينبغي ان اكون في الذي لابي فاما هما فلم يفهما الكلام ونزل معهما وجا الى الناصرة وكان يطيعهما

تاما يشوع لكان يلبث في قامته وفي الحكمة والنعمة عند الله وعند الناس قال متى وفي تلك الايام جاء يوحنا المعمداني يكرز له
في برية يهود الى اخر ما تقدم اقتباس بشارة يحيى عليه السلام به ثم قال حينئذ اتى يشوع من الجليل الى الاردن ليعتمد من يوحنا
فامتنع يوحنا منه وقال انا المحتاج ان اعتمد منك وانت تاتي الي فاجاب يشوع دع الان هكذا يجب لنا ان نكمل كل البر حينئذ
تركه فاعتمد يشوع وللوقت صعد من الما فانفتحت له السموات ورأى روح الله نازلا كمثل حمامة جائيا اليه وقال مرقس وكان
تلك الايام جاء يشوع من ناصرة الجليل واصطبغ في نهر الاردن من يوحنا ساعة صعد من الما راى السموات قد انشقت وروح
القدس كالحمامة نزلت عليه وللوقت اخرجه الروح الى البرية واقام بها اربعين يوما واربعين ليلة وهو مع الوحوش والملائكة
تخدمه وقال متى وصام اربعين يوما واربعين ليلة وقال لوقا وكان لما اعتمد جميع الشعب واعتمد يشوع فيما هو يصلي انفتحت
السما ونزل عليه روح القدس شبه جسد حمامة وكان لما صار ليشوع ثلثون سنة وكان يظن انه ابن يوسف وان يشوع
امتلا من روح القدس فرجع من الاردن فانطلق به الروح اربعين يوما لم ياكل شيا في تلك الايام ثم قال ورجع يشوع الى الجليل
بقوة الروح وخرج خبره في كل الكورة وكان يعلم في مجامعهم ويمجده كل احد وجا الى الناصرة حيث كان تربى ودخل كعادته الى مجمعهم يوم
السبت وقام ليقرا فدفع اليه سفر شعيا النبي فلما فتح السفر وجد الموضع الذي فيه مكتوب روح الرب علي من اجل هذا مسحني
وارسلني لابشر المساكين واشفي منكسري القلوب واتنذر الماسورين بالتخلية والعميان بالنظر وارسل المربوطين بالتخلية
وابشر بالسنة المقبولة للرب والايام التي اعطانا الهنا ثم طوى السفر ودفعه الى الخادم وجلس وكل من كان في الجمع كانت عيونهم محدقة
اليه فبدا يقول لهم اليوم كمل هذا المكتوب باسماعكم وفي انجيل يوحنا ان يشوع قال ان كنت انا اشهد لنفسي فليست شهادتي حقا
ولكن الذي يشهد لي بها حق انتم ارسلتم الى يوحنا فشهد لي بالحق واما انا فلست اطلب شهادة من انسان ولكني اقول هذا لتخلصوا
انتم وانا على اعظم من شهادة يوحنا لان الاعمال التي اعملها تشهد من اجلي ان الاب ارسلني والذي ارسلني قد شهد لي ولم تسمعوا قط
صوته ولا عرفتموه ولا رايتموه وكلمته لا تثبت فيكم لانكم لستم تؤمنون بالذي ارسل فتشوا الكتب التي تظنون ان تكون لكم بها حياة
الابد فهي تشهد من اجلي لست اخذ المجد من الناس انا اتيت باسم ابي فلم تقبلوني وان اتاكم اخر باسم نفسه فتقبلونه كيف تقدرون
ان تؤمنوا وانما تقبلون المجد بعضكم من بعض ولا تطلبون المجد من الله الواحد لا تظنوا اني اشكوكم ان لكم من يشكوكم موسى الذي
عليه تتوكلون فلو كنتم امنتم بموسى امنتم بي لان ذلك كتب من اجلي وان كنتم لا تؤمنون بكتب ذاك فكيف تؤمنون بكلامي انتهى له
ما وقع الاختيار على اثباته هنا وفيه من الالفاظ المنكرة في شرعنا اطلاق الاب والابن وقد تقدم التنبيه على مثل ذلك
ولما اتم سبحانه من امر عيسى عليه السلام بالفصل في البيان الذي ليس بعده الا العناد فبين اولا ما تقل به عيسى عليه السلام
من اطوار الخلق الموجبة للحاجة المنافية للالهية ثم فضح بتمثيله بادم عليه السلام شبهتهم الزمهم على تقديره بالفصل الاعظم
للمعاند الموجب للعذاب المستاصل لاهل الفساد فقال تعالى فمن اي فتسبب عما اتيناك به من الحق في امره انا نقول لك من
حاجك فيه اي خاصمك بايراد حجة اي كلام يجعل في عداد ما يقصد ولما كان الملوم انما هو من بلغته هذه الايات وعرف معناها
دون من حاجك الزمان الذي هو بعد نزولها دون اطلاعه عليها قال من اي مبتدا بالمحاجة من ويجوز ان يكون الاتيان بمن للايذان
ان المباهلة تختص بمن استغرق زمان البعد بالمجادلة بعد ما جاك من العلم اي الذي انزلناه اليك وقصصناه عليك في امره
فقل تعالوا اي اقبلوا ايها المجادلون الى امر نعرف فيه علو الحق وسفول المبطل ندع ابنانا وابناكم الذين هم اعز ما عند الانسان
لكونهم بعضه ونسانا ونساكم اي اللاتي هن اولى ما يدافع عنه اولوا الهمم العوال وانفسنا وانفسكم فقدم ما يدافع عنه ذوو
الاحساب ويفدونه بنفوسهم وقدم منه الاعزا الالصق بالاكباد وختم بالمدافع وهذا الترتيب على سبيل الترقي اذا اعتبرت
انه قدم الفروع ثم الاصل وبدا بالادنى وختم بالاعلى وفايدة الجمع الاشارة الى القطع بالوثوق بالكون على الحق ثم ذكر ما له هذا الجمع
مشيرا بحرف التراخي الى خطر الامر وانه مما ينبغي الاهتمام به والتروي له وامعان النظر فيه لوخامة العاقبة وسوء المنقلب للكاذب
فقال ثم نبتهل اي نتضرع قال ابن عباس رضي الله عنهما كما نقله الامام ابو حيان في نهره وقال الحرالي الابتهال طلب البهل والبهل
اصل معناه التخلي والضراعة في مهم مقصود انتهى فنجعل لعنة الله اي الملك الذي له العظمة كلها فهو مجير ولا يجار عليه اي ابعاده
وطرده على الكاذبين وقال ابن الزبير بعد ما تقدم من كلامه ثم لما اتبعت قصة ادم عليه السلام يعني في البقرة بذكر بني اسرائيل
لوقوفهم من تلك القصص على ما لم تكن العرب تعرفه واتذروا وحذروا اتبعت قصة عيسى عليه السلام يعني هنا بذكر الحواريين
وامر النصارى الى ان المباهلة انتهى ولما كان العلم الازلي حاصلا بان المجادلين في امر عيسى عليه السلام ينكصون عن المباهلة بعد الجدال
خوفا من الاستيصال في العاجلة مع الخزي الدائم في الاجلة وكان نكوصهم عن ذلك موجبا للقطع بابطالهم في دعواهم لكل من بينا هذه
او يتصل به خبرهم حسن كل الحسن تعقيب ذلك بقوله تنبيها على ما فيه من العظمة ان هذا اي الذي تقدم ذكره من امر عيسى عليه
السلام وغيره لهو اي خاصة دون غيره مما يضاده القصص الحق والقصص كما قال الحرالي تتبع الوقايع بالاخبار عنها شيا
بعد شي على ترتيبها في معنى قص الاثر وهو اتباعه حتى ينتهي الى محل ذي الاثر انتهى ولما بدا سبحانه وتعالى القصة اول
السورة بالاخبار بوحدانيته مستدلا على ذلك بانه الحي القيوم صرح اخيرا ختمها بمثل ذلك اشارة وتلويحا فقال عاطفا
على ما انتجه ما تقدم من ان عيسى عبد الله ورسوله معمما للحكم معرفا بزيادة الجار في النفي وما من اله اي معبود بحق لان له

صفات

صفات الكمال فهو يجب بضره وينفع الا الله اي المحيط بصفات الكمال لانه الحي القيوم كما مضى التصريح به فانه رح في ذلك
عيسى عليه السلام وغيره وقد علم من هذا السياق انهم لما علموا تفرده تركوا المباهلة رهبة منه سبحانه علما منهم
بانهم له عاصون ولحقه مضيعون وان ما يدعون الهيته لا شي في يده من المدفع عنهم ولا من النفع لهم فلا برهان اقطع من هذا
ولما كان في نفي العزة والحكمة عن غيره تعالى نوع خفا اتى بالوصفين على طريق الحصر فقال عاطفا على ما قد رته بما ارشد
السياق اليه علمنا ما قبله من النفي وان الله اي الملك الاعظم لهو اي وحده العزيز الحكيم وهذا بخلاف الحياة والقيومية
فانه لم يوت بهما على طريق الحصر لظهورهما وقد علم بلا شبهة بما علم من انه لا عزيز ولا حكيم الا هو انه لا اله الا هو ولما ثبت
ذلك كله تسبب عنه تهديدهم على الاعراض بقوله معبرا بالتعبير باداة الشك على انه لا يعرض عن هذا الحق المبين
الا من كان عالما بانه مبطل ومثل ذلك لا يظن بذي عقل ولا مروة لمن حق ذكره ان يكون من قبيل فرض المحالات فان تولوا
اي عن اجابتك الى ما تدعوا اليه فان الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما عليم بهم هكذا كان الاصل فعدل عنه لتعليق
الحكم بالوصف تعميما من مثل حالهم فقال بالمفسدين اي فهو يحكم فيهم بعلمه فينتقم منهم لفسادهم بعزته انتقاما
يتقنه بحكمته فينقلبون منه بصفقة خاسر ولا يجدون من ناصر ولما نكصوا عن المباهلة بعد ان اورد عليهم انواع
الحجج فانقطعوا فلم يبق لهم شبهة وقبلوا الصغار والجزية تعلم الخلال لهم عما كانوا فيه من المحاجة ولم يبق الا اظهار النتيجة
اقتضى ذلك عظم شوقه صلى الله عليه وسلم اليها فامره بان يذكرها مكررا ارشادهم بطريق اخف مما مضى بان يؤنسهم
فيما يدعوهم اليه بالمواساة فيدعو عاما يشمل المحاجين من النصارى وغيرهم ممن له كتاب من اليهود وغيرهم له
الى الكلمة التي قامت البراهين على حقيتها ونصبت لها الادلة على صدقها دعا لا اعدل منه على وجه يتضمن نفي ما
قد يتخيل من ارادة التفضل عليهم والاختصاص بامر دونهم وذلك انه يكابرهما بشره ما دعاهم اليه ورضي لهم ما رضي
لنفسه وما اجتمعت عليه الكتب واتفقت عليه الرسل فقال تعالى قل ولما كان قد اشتغل من طلب الافهام
خاطبهم تلطفا بهم بما يحبون فقال يا اهل الكتاب اشارة الى ما عندهم في ذلك من العلم تعالوا اي ارفعوا
انفسكم من حضيض الشرك الاصغر والاكبر الذي انتم به الى كلمة ثم وصفها بقوله سوا اي ذات عدل لا شطط فيه بيننا
وبينكم ثم فسرها بقوله الا نعبد الا الله اي لانه الحائز لصفات الكمال واكد ذلك بقوله ولا نشرك به شيئا
اي لا نعتقد له شريكا وان لم نعبده ولما كان التوجه الى غير الله خلاف ما تدعوا اليه الفطرة الاولى عبر بصيغة الافتعال
فقال ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا اي كعزيز والمسيح والاحبار والرهبان الذين يحلون لهم ويحرمون ولما كان الرب
قد يطلق على المعلم والمربي بنوع تربية نبه على ان المحذور انما هو اعتقاد الاستبداد والاجتزا على ما يختص به الله فقال
من دون الله الذي اختص بالكمال ولما زاحت الشكوك وانتفت العلل امر بمصارحتهم بالخلاف في سياق ظاهره المتاركة
وباطنه الانذار الشديد بالمعاركة فقال مسببا عن ذلك مشيرا بالتعبير باداة الشك الى ان الاعراض عن هذا العدل
لا يكاد يكون فان تولوا اي عن الاسلام له في التوحيد فقولوا انتم تبعا لابيكم ابراهيم عليه السلام اذ قال اسلمت لرب
العالمين وامتثالا لوصيته اذ قال ولا تموتن الا وانتم مسلمون اشهدوا بانا اي نحن مسلمون اي متصفون بالاسلام منقادا
لامره فيوشك ان يامرنا نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالكم لنصرته عليكم جريا على عادة الرسل فنجيبه بما اجاب به
الحواريون المشهدون بانهم مسلمون ثم ثم بنبا دركم متوجهين اليه معتمدين عليه وانتم تعرفون ابا من الناصية ووقائعه
السالفة ولما علم اهل الكتاب ما جبل عليه العرب من محبة ابيهم ابراهيم عليه السلام وان محمدا صلى الله عليه وسلم اتى بدينه
كما تقدم في قوله تعالى بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اجتمع ملاؤهم كما انهم بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم
وضلل كل منهم الاخر وادعى كل منهم قصد الاجتذاب للمسلمين الى ضلالهم بكيدهم وبعالهم اتباع ابراهيم عليه السلام بانه
صلى الله عليه وسلم كان على دينهم ولم يكن لذلك ذكر في كتابهم مع ان العقل يرده بادنى التفات لان دين كل منهم انما قرر
بكتابهم وكتابهم انما نزل على نبيهم ونبيهم انما كان بعد ابراهيم عليه السلام بدهور متطاولة واليهود ينسبون الى
يهودا بن يعقوب عليه السلام لاخذه البكورية عن اخيه بنيامين لا امر مذكور في كتابهم والنصارى ينسبون الى الناصرة
مخرج عيسى عليه السلام في جبل الجليل ولا يحتمل ان يكون المتقدم على دين ما حدث الا بعده وعلى نسبة متاخرة عنه وكان
دينه صلى الله عليه وسلم انما هو الاسلام وهو الحنيفية السمحة فقال تعالى مبكتا لهم يا اهل الكتاب كالمعلل لسكتهم
لان الولد من العالم اشنع لم تحاجون في ابراهيم فيدعيه كل من فريقيكم و الحال انه ما انزلت التوراة والانجيل المعدد
كل منهما لاصل دين منتحله منكم الا ولما كان انزال كتاب كل منهم غير مستغرق للزمان الاتي بعده ادخل الجار فقال
من بعده واعظم ما يتمسك به كل فرقة منهما السبت والاحد ولم يكن ما يدعونه فيهما من شريعة ابراهيم عليه السلام لا يقدر
على انكار ذلك ولا يابى مثل ذلك في دعوى انه مسلم لان الاسلام الذي هو الاذعان للدليل معنى قديم موجود من حين خلق الله العقل
والدليل لا يقدر احد ان يدعي انه ما حدث الا بعد ابراهيم عليه السلام كما قيل في الدينين المذكورين ولما كان الدليل
العقلي واضحا في ذلك ختم الاية بقوله منكرا عليهم افلا تعقلون اي فيما لكم تعبسم وادعيتم ان ذلك في كتابكم دون ان بيننا

دون

حشيه
من تحرا عنتهم او من فرايقهم
جمع فريق

وظنهم ان ذلك يخفى على من له المام له بكتابكم فكيف عقلتم عن البرهان العقلي ثم استانف تبكيتا اخر فقال منبها لهم مكررا
للتنبيه اشارة الى طول رقادهم او شدة عنادهم فقال ها انتم هؤلاء اي الاشخاص الحمقى ثم بين ذلك بقوله حاججتم اي
قصدتم مغالبة من يقصد الرد عليكم فيما لكم به علم اي نوع من العلم امر موسى وعيسى عليهما السلام لذكر كل منهما في كتابكم
وان كان حجة لكم فيهما على خلاف ما تعلمون من احوالهما عنادا وطغيانا فلم تحاجون اي تغالبون بما تزعمون انه حجة وهو لا ينبغي
ان يسمى شبهة فضلا عن ان يكون حجة فيما ليس لكم به علم اصلا لكونه لا ذكر له في كتابكم بما حاججتم فيه مع مخالفته لصريح
العقل والله المحيط بكل شيء يعلم اي وانتم تعلمون مجادلتكم في الحقيقة انما هي مع الله وتعلمون ان علمه محيط بجميع ما جادلتم
فيه وانتم اي والحال انكم انتم لا تعلمون اي ليس لكم علم اصلا الا ما علمكم الله فهذا على تقدير كون ها في ها انتم للتنبيه
ونقل شيخنا ابن الجزري في كتابه النشر في القراآت العشر عن ابي عمرو بن العلا وعن ابي الحسن الاخفش انها بدل من همزة
وروى عن ابي حمدون عن اليزيدي ان ابا عمرو قال وانما هي أأنتم ممدودة فجعلوا الهمزة هاء والعرب تفعل هذا فعلى هذا
التقدير يكون استفهاما معناه التعجب منهم والتوبيخ لهم ولما وبخهم على ذلك من جهلهم نفى سبحانه عن ابرهيم عليه السلام
ما ادعاه عليه كل منهم طبق ما برهنت عليه الاية الاولى ونفى عنه كل شرك ايضا واثبت انه كان مائلا عن كل باطل منقادا مع
الدليل الى كل حق بقوله تعالى ما كان ابرهيم يهوديا اي كما ادعى اليهود ولا نصرانيا كما ادعى النصارى لما تقدم من الدليل
ولكن كان حنيفا مسلما وقد بين معنى الحنيف عند قوله تعالى قل بل ملة ابرهيم حنيفا بما يصدق على المسلم وقال
الامام العارف ولي الدين الملوي في كتابه حصن النفوس في السوال في القبر واليهودي اصله من امن بموسى عليه السلام والتزم
احكام التوراة والنصراني من امن بعيسى عليه السلام والتزم احكام الانجيل ثم صار اليهودي من كفر بما انزل بعد موسى عليه
السلام والنصراني من كفر بما انزل بعد عيسى عليه السلام والحنيف المائل عن كل دين باطل والمسلم المطيع لاوامر الله تعالى في اي
كتاب نزلت مع اي رسول اوردت وان شيت قلت هو المنقاد لله وحده بقلبه ولسانه وجميع جوارحه المخلص عمله لله عز
وجل قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له قل لي في الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا غيرك قل امنت بالله ثم استقم انتهى ثم خص
بالنفي من عرفوا بالشرك مع الصلاح لكل من داخله شرك من غيرهم كمن اشرك بعزير والمسيح عليهما السلام فقال
وما كان من المشركين وفي ذلك وصفي الاسلام والحنف بقولهم بانهم في غاية العناد والجلافة والبلس في التمسك بالمالوف
وترك ما اتاهم من واضح الادلة وقاطع الحجج البينات ولما نفى عنه صلى الله عليه وسلم كل زيغ بعد ان نفى عنه ان يكون على ملة
هو متقدم عن جده ثم شرع في بيان ما انتج نتيجة ما مضى بتعيين من هو اقرب اليه ممن جاء بعده فقرر ان الاولى بما هو فيه
اتبعه في اصل الدين وهو التوحيد والتنزيه الذي لم يختلف فيه نبيان اصلا وفي الانقياد للدليل وترك المالوف
من غير تعليم حتى صاروا احقا بالاسلام الذي هو وصفه بقوله تعالى مؤكدا ردا عليهم وتكذيبا لمحاجتهم ان اولى الناس
اي اقربهم واحقهم بابرهيم للذين اتبعوه اي في دينه من امته وغيرهم لا الذين ادعوا انه تابع لهم ثم صرح بهذه الامة فقال
وهذا النبي اي هو اولى الناس به والذين امنوا اي من امته وغيرهم وان كانوا في ادنى درجات الايمان والله اي بما له من
صفات الكمال وليهم هذا الاصل ولكنه قال ولي المومنين ليعم الانبيا كلهم واتباعهم من كل فرقة وليعلم ان الوصف الموجب
للتقريب العراقة في الايمان ترغيبا لمن لم يبلغه في بلوغه ولما كان قصد بعضهم بدعواه ان ابرهيم عليه السلام على دينه انما هو
اضلال اهل الاسلام عقب ذلك بالاعراب عن مرادهم بقوله تعالى جوابا لمن كانه قال فما كان مراد اهل الكتابين بدعواهم
فيه مع علمهم ان ذلك مخالف لصريح العقل ودت طايفة اي من شانها ان تطوف حولكم طواف التابع المحب مكرا وخداعا
من اهل الكتاب حسدا لكم لو يضلونكم بالرجوع الى دينهم الذي يعلمون انه قد نسخ وما اي والحال انهم ما يضلون بذلك التمني
والاضلال لو وقع الا انفسهم لان كلا من تمنيهم واضلالهم ضلال لهم مع انهم لا يقدرون ان يضلوا من هداه الله فثباتهم
على ضلالهم فانما اضلهم الله وما يشعرون اي وليس يتجدد لهم في وقت من الاوقات نوع شعور بتكيدهم لا بعدهم فقد جمعوا
بين الضلال والجهل اما حقيقة لبعضهم واما لانهم لما عملوا بغير ما يعلمون عد علمهم جهلا وعدوا هم بهايم فكانت هذه الجملة
على غاية التناسب لان اهم شيء في حق من دعي باطلا انما عليه الراي ليتحاظ بانه سلفه بيان ابطاله في دعواه ثم تبكيته المتضمن
لبراءة المقذوف ثم التصريح ببراءته ثم بيان من هو اولى بالكون من حزبه ثم بيان المراد من تلك الدعوى الكاذبة ليحذر غايلتها
السامع ولما ختم الكلام فيهم بنفي شعورهم بين تعالى في معرض التبكيت ان نفيهم عنهم انما هو لانهم معاندون لا يعلمون بعلمهم
بل يعلمون بجلافة فقال مستانفا بما يدل على غاية التبكيت المؤذنة بشدة الغضب يا اهل الكتاب اي الذين يدعون انهم اهل
العلم لم تكفرون اي تجددون في كل وقت بايات الله اي تسترون ما عندكم من العلم بسبب الايات التي انزلت عليكم
من الملك المحيط بكل شيء عظمة وعزا وعلما وانتم تشهدون اي تعلمون علما هو عندكم في غاية الانكشاف انها اياته ثم اتبع
ذلك استينافا اخر لمثل ذلك الا ان الاول قاصر على ضلالهم وهذا متعد الى ضلالهم فقال يا اهل الكتاب لم تلبسون
الحق اي الذي لا مرية فيه بالباطل اي بان تؤولوه بغير تاويله او تحملوه على غير محمله وتكتمون الحق اي الذي لا يقبل تاويلا وهو
ما تعلمون من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونوابعها وانتم اي والحال انكم تعلمون وان عذاب الضال المضل عظيم جدا

ذلك

ذلك قطعا ولما ذكر لبسهم دل عليه بقوله عطفا على ودت طايفة مبينا لنوع اضلال اخر وقالت طايفة من اهل الكتاب
اي من يهود المدينة امنوا اي اظهروا الايمان بالذي انزل على الذين امنوا ومتابعة لهم وجه اي اول النهار سمي وجها لانه
اول ما يستقبلك منه وهو ما يظهر ولذا عبروا به عن الاول الذي يصلح لاستغراق النصف لان مرادهم التلبيس بظاهر
لا باطن له ولفظ لا حقيقة له في جزء يسير جدا واكفروا اخره اي ليظنوا انه لا غرض لكم الا الحق وانه ما ردكم عن دينهم بعدما
اظهرتموه الا ظهور بطلانه لعلهم يرجعون اي ليكون حال من يرجى رجوعه عن دينه ولا تؤمنوا اي توقعوا التصديق الحقيقي الا لمن
تبع دينكم فصوبوا طريقته وصدقوا دينه وعقيدته ولما كان هذا غاية الضلال امر سبحانه ان يجيب من حالهم منبها
بقوله معرضا عنهم ايذانا بالغضب قل ان الهدى هدى الله اي المختص بالعظمة وجميع صفات الكمال لا تقدرون على اضلال
احد منا عنه ولا تقدرون على ارشاد احد منكم اليه الا باذنه ثم وصل به تعريجهم فقال ان باثبات همزة الانكار في قراءة
ابن كثير وتقديرها في قراءة غيره اي افعلتم الايمان على الصورة المذكورة خشية ان يؤتى احد اي من طوايف الناس مثل ما
اوتيتم اي من العلم والهدى الذي كنتم عليه اول الامر او كراهة ان يحاجوكم اي يحاجكم اوليك الذين اوتوا مثل ما اوتيتم
عند ربكم الذي طال احسانه اليكم بالشهادة عليكم انهم امنوا وكفرتم بعد البيان الواضح فيفضحوكم ولما كانت هذه
الاية شبيهة باية البقرة ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم في الحسد على
ما اوتي غيرهم من الدين الحق وكانت تلك ردا لها ببيان ما يلبسونه لقصد الاضلال ختمت بما ختمت به تلك لكن لما تقدمها
الرد عليهم في كلا هذين الامرين الذين دبروا هذا المكر لاجلهما زيدت ما له مدخل في ذلك فقال تعالى مجيبا لمن تشوف
الى تعليم ما لعله يكف من مكرهم ويومن من شرهم معرضا عنهم بالخطاب بعد الاقبال عليهم ايذانا بشديد الغضب
قل ان الفضل في التشريف بانزال الايات وغيرها بيد الله المختص بانه لا كفؤ له فله الامر كله ولا امر لاحد معه واتبعه
نتيجة فقال يؤتيه من يشاء فله مع كمال القدرة كمال الاختيار ثم قال مرغبا مرهبا وردا عليهم في الامر الثاني والله الذي
له من العظمة وسائر صفات الكمال ما لا تحيط به العقول ولا تبلغه الاوهام واسع عليم اي يوسع على من سمع فيه
خيرا ويهلك من علم انه لا يصلح لخير ويعلم دقيق امركم وجليله فلا يحتاج الى تنبيه احد لما حاجكم عليه عنده ولما كان هذا من
الوضوح بحيث لا يحتاج الى تاكيد انتقل عنه الى تاكيد الرد عليهم في الامر الاول بثمرة هذه الجملة ونتيجتها من انه فاعل
بالاختيار ثم الامتنان فقال يختص برحمته من يشاء ثم اكد تعظيم ما له بردفعا لتوهم من يظن ان اختصاص البعض
لضيق الرحمة على العموم فقال والله الذي كل شيء دونه فلا ينقص ما عنده ذو الفضل العظيم وكرر الاسم الاعظم
تعظيما لما ذكر من النعم مشيرا بذلك كله الى التمكن من الاعطا باختياره وعزاوة فضله والى القدرة على الانجا من حبايل
المكر بسعة علمه فلما تقرر ان الامر كله له ذكر دليل ذلك فيهم بانه فضل بعضا منهم فاعلاه وزل فريقا فارداه فلبس
الكتاب وهم يتلونه الى الصواب فقال عطفا على ما مضى من نحاديهم مكررا الكتابا لهم للحق مع علمهم بانه الحق بان الخيانة
ديدنهم في الاعيان الدنيوية والمعاني الدينية منبها على انهم وان شاركوا الناس في انقسامهم الى امين وخاين فهم بعارفوهم
من حيث ان خيانتهم بتدين بخيانته ويستند بها وقد من ربقة الحيا الى الله مادحا للامين منهم ومن اهل الكتاب اي الموصوفين
من ان تامنه بقنطار اي من الذهب المذكور في الفريق الاتي يوده اليك من غير خيانة فيه فلا تشقوا الكل مساقا واحدا ومنهم
من ان تامنه بدينار اي واحد لا يوده اليك في زمن من الازمان ديانة وخيانة الا ما اي وقت ما دمت عليه قايما تطالبه
به غالبا له بما دلت عليه اداة الاستعلا ثم استانف علة الخيانة بقوله ذلك اي الامر البعيد من الكمال بانهم قالوا كذبا
على شرعهم ليس علينا في الاميين يعني من ليس له كتاب فليس على دينهم سبيل ولما كان ترتيبا لاثم على شي اثباتا ونفيا
لا يعرف الا من قبل الله قال مبينا ان هذا متضمن الكذب على الله سابقا له على معرف بانهم اجرا الناس على الكذب
ويقولون اي على سبيل التجديد والاستمرار غير متحاشين على الله اي الملك الاعلى الكذب اي لدعوى وغيرها مجترين
عليه ولما كان الكذب من عظيمة الفباحة بمكان يظن بصيبه انه لا يجترئ عليه ذو عقل فكيف على الله قال وهم يعلمون
اي ذوو علم فيعلمون انه كذب ولما ادعوا نفي الجناح عنهم فيهم وبين تعالى انهم لا يتحاشون عن الكذب صرح بكذبهم في هذا
الامر بخصوصه بقوله بلى اي عليكم في خيانتهم لتحريم الغدر عليكم مطلقا اي سبيل كما هو في التوراة وقد مضى نقله في
البقرة في اية ان الذين امنوا والذين هادوا واية وقولوا للناس حسنا ولما مضى تقسيمهم الى امين وخاين استانف
بشارة الاول ونذارة الثاني على وجه عام لهم ولغيرهم لتحريم الخيانة في كل شرع في حق كل احد منهما ان الله يبغض الخاين
فقال من اوفى بعهده في الدين والدنيا واتقى اي كاينا من كان فان الله ذا الجلال والاكرام يحبه هذا الاصل ولكنه اظهر
الوصف لتعليق الحكم به واشعارا بانه العلة الحاملة على الامانة فقال يحب المتقين ولما كانت النفوس نزاعة الى الخيانة
ودواعيه عندها متنا بقي الامانة وكانت الخيانة تجر الى الكذب بسط في الانذار فقال ان الذين يشترون اي يلجون في ان ياخذوا
على وجه العوض بعهد الله اي الذي عاهدوه عليه من الايمان بالرسول الذي عاهدهم على الايمان به وذكر صفته للناس
وهو سبحانه اعلى واعز من كل شيء فهو محيط بكل شيء قدرة وعلما وايمانهم اي التي عقدوها بالتزام متابعة الحق على السنة الرسل

بما دل عليه العقل ثمنا قليلا في الدنيا اي البعيد والرتبة في الدناءة لا خلاق اي نصيب لهم في الاخرة لبيعهم له
بنصيب الدنيا ولا يكلمهم الله اي الملك الاعظم استهانة بهم وغضبا عليهم بما انتهكوا من حرمته ولما زادت هذه على اية
البقرة العهد والحلف وكان من عادة الحالف والمعاهد النظر الى من فعل ذلك من اجله زاد قوله ولا ينظر اليهم اي بل يعدهم
احقر شي بما اعرضوا عنه ولما كان لكثرة الجمع مدخل عظيم في شنعة الخزي قال يوم القيمة الذي من افتضح في جمعه لم يفز ولا يزكيهم
لانهم لم يزكوا اسمه ولهم اي مع ذلك عذاب اليم يعرفون به ما جهلوا من عظمته ولما نسبهم الى الكذب عموما نبه على نوع خاص منه
هو اكذب الكذب فقال وان منهم لفريقا اي جبلوا على الفرقة فهم لا يزالون يسعون في التفريق يلوون اي يفتلون ويحرفون
السنتهم بالكتاب بان يميلوا اللسان لتغيير الحرف من مخرج الى اخر مثلا بان يقولوا في اعبدوا الله اللات وفي لا تقتلوا النفس
الا بالحق بالحد وفي من زنى فارجموه فاحمموه بالمهملة او الجموه او اجلدوه ونحو هذا ولما كان كلام الله لما له من الحلاوة والجلالة لا
يلبس بغيره الا على ضعيف العقل ناقص الفطرة عبر بالحسبان تنفيرا عن السماع منهم وتنبيها على نقد الانسان من غيره
فقال لتحسبوه اي الذي لووا به السنتهم المحرف من الكتاب المنزل من عند الله ولما علم بهذا انه ليس منه نبه على انه
في غاية البعد عنه فقال وما هو من الكتاب اعاده ظاهرا صريحا بالتعميم ولما كانهم بهذا من الجراة بمكان اعلم سبحانه انهم
تجاوزوه الى ما هو اعظم منه فصرحوا بما اوهموه فقال ويقولون اي يجددون التصريح بالكذب في كل وقت بان يقولوا هو من عند
الله اي المحيط بجميع صفات الكمال ثم صرح بكذبهم بقوله معيدا لما لووا به السنتهم عن ان يكون فيه شوب حق مظهرا في موضع
الاضمار لان الاسم الذي لم يشاركه فيه احد بوجه انص على المراد وانفى لكل احتمال وما هو اي الذي لووا به السنتهم حتى احالوه
عن حقيقته من عند الله اي الذي له الاحاطة العامة فما لم يكن من عنده فلا حق فيه بوجه من الوجوه لا بكونه من الكتاب ولا من
غيره ولما بين بهذا كذبهم على الله تصريحا بعد ان قدم في الاية الاولى ما يشابه بما يفطن تلويحا اخبر بان ذلك عادة لهم لا يتقون
منه عند عدو ولا يتحصرون فيه بحد فقال ويقولون على الله اي الحائز لجميع العظمة جراة منهم الكذب اي العام كما
قالوا عليه هذا الكذب الخاص ولما كان الكذب قد يطلق على ما لم يتعمد بل وقع خطا احترز عنه بقوله وهم يعلمون
اي انه كذب لا يشكون فيه ولما فرغ من بيان ما اراد من كتمانهم للحق مع الاشارة الى بعض توابعه الى ان ختم بانهم لا يتحاشون
من الكذب على الله المقتضي للكذب على الانبيا لانهم لا علم لهم بقول الله الا بواسطة الانبيا عليهم السلام وكمما كان القول
كذبا على الله اقتضى ان يكون تعبدا للمنسوب اليه من دون الله لانه هو الذي شرعه وذلك موجب لان يدعى ان النبي دعا الى عبادته
من دون الله وذلك بعد ان اوضح سبحانه من صفات عيسى عليه السلام المقتضية لنفي الالهية عنه ما لا يخفى على ذي لب شرع
يبين انهم كاذبون فيما يدعونه في عيسى عليه السلام فنفى ان يكون قال لهم ذلك او شيا منه على شي شامل له ولكل من اتصف
بصفته وبسياق هو بمجرده كاف في ابطال قولهم فقال ما كان اي صح ولا تصور بوجه من الوجوه لبشر اي من البشر كاينا من
كان من عيسى وعزير عليهما السلام وغيرهما ان يوتيه الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما الكتاب والحكم اي الحكمة المهيئة
للحكم وهي العلم المويد بالعمل والعمل المتقن بالعلم لان اصلها الاحكام وهو وضع الشي في محله بحيث يمتنع فساده والنبوة
وهي الخبر من الله تعالى المقتضي لتمام الوثوق بفعل الله به ذلك الامر الجليل ونصبه للدعا الى اختصاصه سبحانه بالعبادة له
وترك الانداد ثم يكذب على الله بان يقول للناس كونوا عبادا لي ولما كان ذلك قد يكون تجوزا عن قبول قوله والمبادرة
لامتثال امره عن الله احترز عنه بقوله من دون الله اي المختص بجميع صفات الكمال اذ لا يشك عاقل ان من اوتي نبوة وحكمة
هو بشر في غاية البعد عن ادعا مثل ذلك لان كل صفة من صفاته لا سيما تغير بشريته الدالة على انه لا يستقل
بالابعاد من هذه الدعوى فلم يبق لهم مستند لا من جهة عقل ولا من طريق نقل نصا وقول مثل ذلك منافيا للحكمة
التي هو متلبس بها نفيا قطعا ابتغاوه عنه ولما ذكر ما لا يكون له اثبت ما له فقال ولكن اي يقول كونوا ربانيين
اي تابعين طريق الرب منسوبين اليه بكمال العلم المزين بالعمل والالف والنون زيدتا للايذان بما لهم في المتابعة
ورسوخهم في العلم اللدني فان الرباني هو الشديد التمسك بدين الله وطاعته قال محمد بن الحنفية عن ابن عباس رضي الله
عنهما لما مات مات رباني هذه الامة بما كنتم تعلمون الكتاب اي بسبب كونكم عالمين به معلمين له وبما كنتم تدرسون
فان فايدة الدرس العلم وفايدة العلم العمل ومنه الحث على الخير والمراقبة للخالق ولما نفى ان يكون الحكيم من البشر داعيا
الى نفسه واثبت انه يكون ولا بد داعيا الى الله لتظهر حكمته اثبت ان ذلك لا بد ان يكون على وجه الاخلاص لان بعض الشياطين
يحكم مكره بابعاد التهمة عن نفسه بالدعا الى غيره على وجه الشرك لا سيما ان كان ذلك الغير ربانيا كعيسى عليه السلام
فقال ولا يامركم اي ذلك البشر ان تتخذوا اي بصيغة الافتعال ايذانا بان الفطرة مجبولة على التوجه لله من غير كلفة
الملائكة والنبيين فضلا عن غيرهم اربابا اي مع الله او من دونه ثم بين ان كل عبادة كان فيها ادنى شايبة فهي باطلة بقوله
على طريق الانكار بمنزلة العبادة الخالص من مثل ذلك ايامركم بالكفر اشارة الى ان الله غني لا يقبل الا من كان خالصا لوجهه
بعد اذ انتم مسلمون اي منقادون لاحكامه او متهيون للتوحيد على الفطرة الاولى ولما بين سبحانه فيما مضى ان التولي عن الرسل
كفر وذكر كثيرا من الرسل لخص في ذكرهم وعم ذكرها نوتا كليا لمعرفة الرسول عنه سبحانه والتمييز بينه وبين الكاذب فقال

عاطفا على اذ انتم مسلمون واذ اخذ الله اي الذي له الكمال كله ميثاق النبيين اي كافة والمعنى ما كان لهم ان يقول
ذلك بعد الانعام عليكم بالاسلام والانعام عليه باخذ الميثاق على الناس من الانبيا وغيرهم بان يومنوا به اذا اتاهم
فيكون بذلك الفعل مكفرا لغيره وكافرا بنعمة ربه وهذا معنى قوله لما اي فقال لهم الله لما اتيتكم وقراة نافع اتيناكم
اوفق لسياق الجلالة قال الجعبري من كتاب وحكمة اي امورا لها يشرع من الشرايع فامرتم بذلك من رسلتم اليه ثم
جاكم رسول اي من عندي ثم وصفه بما يعلم انه من عنده فقال مصدق لما معكم اي من ذلك الكتاب والحكمة لتومنن به
اي انتم واممكم ولتنصرنه على من خالفه فكانه قيل ان هذا الميثاق عظيم فقيل انه زاد في تاكيده اهتماما به فقال ءاقررتم
ااقررتم اي يا معشر النبيين واخذتم على ذلكم اي العهد العظيم بالاشارة باداة البعد ومبهم الجمع اصري اي عهدي سمي
بذلك لما فيه من الثقل فانه يشتد في نفسه بالتوثيق والتوثق ويشتد بعد كونه على النفوس لما لها من النزوع الى الاطلاق
عن عهدة التقييد بنوع من القيود فكانه قيل ما قالوا فقيل قالوا اقررنا اي بذلك فقيل ما قال فقيل قال فاشهدوا
اي يا انبيا بعضكم على بعض او يا ملايكة عليهم وانا معكم من الشاهدين فمن تولى اي فتسبب عنه انه من تولى اي منكم او من
اممكم الذين يلحقهم ذلك عن نصر نبي موصوف بما ذكر ولما كان المستحق لغاية الذم انما هو من اتصل توليه بالموت لم يقرن
الظرف بجار فقال بعد ذلك اي الميثاق البعيد الرتبة بما فيه من التوثقة فاولئك اي البعدا من خصال الخير
هم الفاسقون اي المختصون بالخروج العظيم عن دايرة الحق ولما كان المدرك لكل نبي انما هو امة النبي الذي قبله وكانوا
يكذبونه ويخالفونه قال خاتما لهذه القصص بعد الشهادة بنفسه المقدسة بما بدا به في قوله شهد الله الاية
الى ان الدين عند الله الاسلام على وجه الانكار والتهديد عاطفا على ما دل عليه السياق افغير اي تولوا ففسقوا
فتسبب عن ذلك انهم غير دين الله الذي اختص بصفات الكمال يبغون اي يطلبون بفسقهم او تولوا على قراة لله
الخطاب وله اي والحال انه له خاصة اسلم اي خضع بالانقياد لاحكامه والجري تحت مراده وقضايه لا يقدرون على
مغالبة قدره بوجه من في السموات والارض وهم من لهم قوة الدفاع بالبدن والعقل فكيف بغيرهم طوعا له
بالايمان او بما وافق اغراضهم وكرها بالتسليم لقهره في اسلام احدهم وان كثرت اعوانه وعز سلطانه الى كره
ما يكره وخصوصا عند الاحتضار لا يستطيع امرا ولا يجد نصرا واليه ترجعون بالحشر لا تجدون معزا ولا تلقون ملجا ولا مفرا
فاذا كانوا كذلك لا يقدرون على التفصي من قبضته بنوع قوة ولا حيلة في سكون ولا حركة فكيف يخالفون ما اتاهم من
امره على السنة رسله وقد ثبت انهم رسله بما اتى به كل منهم من المعجزة ومن المعلوم ان المعاند للرسول معاند
للمرسل ولما تم تنزيه الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الدعا الى شي غير الله ثم تهدد من تولى فكان السامع جديرا
بان يقول انا مقبل غير متول لما اقول وما افعل قال مخاطبا لراس السامعين ليكون احد الامتثال لهم قل اي قبل كل
شي ملقنا لمن نفعه هذا التذكير والتهديد فقيل امنا انا ومن اطاعني من امتي مبكتا لاهل الكتاب بما تركوه
من دين ابرهيم عليه السلام ومن بعده من خلص ابنايه وابوه وجاد لرابه عدوا انا وادعوه ثم فصل المامور به بالايمان
فقال بالله الذي له الكمال ولما كان الانزال على الشي مقصودا به ذلك الشي بالقصد الاول كان الانسب ان يقال
وما انزل علينا فيكون ذلك له حقيقة والينا مجازا وكانت هذه السورة بذلك احق لانها سورة التوحيد وما
انزل على ابرهيم اي ابينا واسمعيل واسحق ابنيه ويعقوب بن اسحق والاسباط اي اولاد يعقوب ولما
كان ما نال لصاحبا شريعة بني اسرايل من الكتابين المنزلين عليهما والمعجزات الموتيين بهما اعظم مما كان لمن قبلهما
غير السياق الى قوله وما اوتي موسى من اولاد الاسباط من التوراة والشريعة وعيسى ابن ذرية داود من الانجيل
والشريعة الناسخة لشريعة موسى عليهما السلام ولما كان النظر هنا الى الرسول صلى الله عليه وسلم اكثر لكونها
سورة التوحيد الذي هو اخلق بردا عوق فيرنا سبل لاعراض التاكيد بما في البقرة ونظرا الى الكل جمعا واحدا فقال
والنبيون اي كافة من الوحي والمعجزات ليكون الايمان بالمنزل مذكورا مرتين لشرفه من ربهم اي المحسن اليهم خاصة
بالتعبد عامة بارسالهم اليهم ثم استانف تفسير هذا الايمان بقوله لا نفرق بين احد منهم تنبيها على انه
الموضع الذي كفر به اليهود والنصارى ونحن له اي الله وما انزل من عنده مسلمون اي منقادون على طريق الاخلا
والوضع لما امر سبحانه باظهار الايمان بهذا القول وكان ذلك هو الاذعان الذي هو الاسلام قال محذرا من الردة عنه
عاطفا على امنا ومظهرا لما من حقه الاضمار ولولا ارادة التنبيه على ذلك مشيرا بصيغة الافتعال الى مخالفة الفطرة
الاولى ومن يبتغ اي يتطلب غير دين الاسلام الذي هو ما ذكر من الانقياد لله المشتمل على الشرايع المعروفة
التي اساسها الايمان بعد التلبس به حقيقة باظهار اتباع الرسل او مجازا بالكون على الفطرة الاولى بما اشعر
الابتغا كما تقدم وكرر الاسلام في هذا السياق كثيرا لكونه في خبر الميثاق الماخوذ بمتابعة الرسول المصدق حثا
على تمام الانقياد له دينا واتى بالفا الرابطة اعلاما بان ما بعدها مسبب عما قبلها ومربوط به فقال
فلن يقبل منه اي في الدنيا واشعر ترتيب هذا على السبب بانه يرجى زوال السبب لانه مما عرض للعبد

بجبله

ص

كما جرى في الردة في خلافة الصديق رضي الله عنه فانه رجع الى الاسلام اكثر المرتدين وحسن اسلامهم وقوله وهو في الاخرة
من الخاسرين معناه ولا يقبل منهم في الآخرة مع زيادة التصريح بالخسارة وهي حرمان الثواب المنافية لمقاصدهم
والقصد الاعظم بهذا اهل الكتاب مع العموم لغيرهم لانكارهم تصديق النبي الكريم وتوقعهم له عالمين قطعا بصدقه لما
في كتبهم من البشارة به ولما اخبر تعالى بخسارة من ارتد عن الاسلام شرع يستدل على استحقاقه لذلك بقوله كيف
يهدي الله مع ماله من صفات العظمة قوما اي خلق الهداية في قلوب ناس لهم قوة المحاولة لما يريدونه كفروا اي اوقعوا
الكفر بالله ربهم وبما ذكر لهم انه اتت به رسله اعراضا عنه وعنهم ولما كان المقصود بكمال الذم من استمر كفره الى
الموت قال من غير جار بعد ايمانهم بذلك كله وشهدوا اي وجدان شهدوا ان الرسول حق بما عندهم من العلم به
وجاءهم البينات اي القاطعة بانه هو وانه رسول الله قطعا لا شيء اقوى من بيانه ولا اشد من ظهوره بما اشتهر به
اسقاطا للنابت من جا ولما كان الحائد عن الدليل بعد البيان لا يرجى في الغالب عوده كان الاستبعاد بكيف موضحا
لان التقدير لاجل التصريح بالمراد اولئك لا يهديهم الله بوضعهم بثمرة الجهل ينقض عهد الله المؤكد بواسطة
رسله فجمع لثمرة العلم فعطف على هذا المقدر المعلوم تقديره قوله والله اي الذي له الكمال كله لا يهدي القوم الظالمين
اي العريقين في الظلم لكونه جبلهم على ذلك مجذبرا من مطلق الظلم ولما علمت بشاعة خياناتهم تشوف السامع الى
معرفة جزائهم فقال اولئك اي البعداء البغضاء جزاؤهم ان عليهم لعنة الله اي الملك الاعظم وهي غضبه وطرده والملائكة
والناس اجمعين حتى انهم ليلعنون انفسهم فان الكافر يطبع على قلبه فيظن انه على هدى ويصير يلعن الكافر ظانا انه
ليس بكافر وهذا اللعن واقع عليهم حال تلبسهم بالفعل لوضعهم الشيء في غير محله فصار كل من له علم يبعدهم لسوء
صنيعهم لتبديلهم الحسن بالسيء وحدا من فعل مثل ذلك معه خالدين فيها اي اللعنة دائما ولما كان المقيم في الشدة
تنقص شدته على طول نفى ذلك بقوله لا يخفف عنهم العذاب معناه ان عليهم مع مطلق الشدة بالطرد شدائد
اخرى لا تخفيف ولما كان المعذب على شيء ربما استمهل وقتا ما ليرجع عن ذلك الشيء او ليعتذر نفى ذلك بقوله
ولا هم ينظرون اي يؤخرون للعلم بحالهم باطنا وظاهرا حالا ومآلا ولاقامة الحجة عليهم من جميع الوجوه لم يترك شيء منها لان
المقيم لها منزه عن العجز والنسيان ولما خلعت القلوب بهذه الكروب نفس عنها سبحانه مشيرا الى انه يتيم وان
استبعد رجوعهم موضعا للرجا بقوله الا الذين تابوا اي رجعوا الى ربهم متذكرين لاحسانه ولما كان التائب لم
يستغرق زمان ما بعد الايمان بالكفر اثبت الجار فقال من بعد ذلك الارتداد حيث تقبل التوبة واصلحوا اي له
بالاستمرار على ما تقتضيه من الثمرات الحسنة فان الله اي الذي له الجلال والاكرام يغفر ذنوبهم لان الله غفور يمحو الزلات
رحيم باعطاء المثوبات فهذه صفته لهم ولكل من تاب من ذنوبه ولما رغب في التوبة رهب من التواني عنها فقال
ان الذين كفروا اي بالله واوامره واسقط الجار لما مضى من قوله بعد ايمانهم بذلك ولما كان الكفر لفظاعته وقبحه
وشناعته جديرا بالنفرة عنه والبعد منه نبه سبحانه على ذلك باستبعاد ايقاعه فكيف بالتمادي عليه فكيف
بالازدياد منه وعبر عن ذلك باداة التراخي فقال ثم ازدادوا كفرا اي بان تمادوا على ذلك ولم يبادروا بالتوبة
لن تقبل توبتهم اي ان تابوا لان الله يطبع على قلوبهم فلا يتوبون توبة نصوحا يدومون عليها ويصلحون ما فسد او
لن يوجد منهم توبة حتى يترتب عليها القبول لانهم زادوا عن اهل القسم الاول بالتمادي ولم يات بالفاء الدالة على
انه مسبب عما قبله اعلاما بان ذلك انما هو لانهم مطبوع على قلوبهم مهيأون للكفر من اصل الجبلة فلا يتوبون ابدا
توبة صحيحة فالحقيقة الطبع لا الذنب وهذا شامل لمن تاب عن شيء وقع منه كابي عزة الجمحي واليه اشار ولو اسمعهم لتولوا
ولمن لم يتب كحيي بن اخطب واولئك هم اي خاصة الضالون اي العريقون في الضلال لوقوعهم في ابعد شعابه واضيق
نقابه فاني لهم بالرجوع منه والتقصي عنه ولما اثبت لهم الخصوصية بذلك لانهم لم يتوبوا الى حد ايس معه من رجوعهم تشوف
السامع الى حالهم في الاخرة فقال مبينا لهم معرفا ان السبب في عدم قبول توبتهم تفويت محلها بتماديهم على الكفر
ان الذين كفروا اي بهذا الكفر وغيره ويجوز ان يكون المراد انهم ثلاثة اقسام التائبون توبة صحيحة وهم الذين اصلحوا والتائبون
توبة فاسدة والواصلون كفرهم بالموت من غير توبة ولذا قال وماتوا وهم كفار ولما كان الموت كذلك سببا للخلود
في النار لان السياق للكفر والموت عليه صرح بنفي قبول الفداء كاينا ما كان وربطه بالفاء فقال فلن يقبل اي بسبب
شناعة فعلهم الذي هو الاجترا على الكفر ثم الموت عليه من احدهم اي كاينا من كان ملء الارض ذهبا اي من الذهب اي
لا يتجدد له قبول ذلك لو بذله نفقة او هدية او غير ذلك ولو افتدى به لو في مثل هذا السياق تجي منبهة على ان ما قبلها
جاء على سبيل الاستقصاء وما بعدها جاء تنصيصا على الحالة التي يظن انها لا تندرج فيما قبلها كقوله صلى الله عليه وسلم
اعطوا السائل ولو جاء على فرس فكونه جاء على فرس يؤذن بغناه فلا يناسب ان يعطى لكن فنص عليه واما هنا فلما كان قبول
الفدية واجبا عند اهل الكتاب كما مر في قوله تعالى وان ياتوكم اسارى تفدوهم كان بحيث ربما ظن ان بذله على طريق
الافتداء يخالف بذله على غير ذلك الوجه حتى يجب قبوله فنص عليه ايضا لحالة الافتداء حالة لا يمنن فيها المفتدي على

المفتدي منه

المفتدى منه اذ هي حالة قهر من المفتدي منه للمفتدي قال ابن حيان فالمعنى لا يقبل من احدهم ما يملأ الارض
من الذهب على حال من الاحوال ولو على حال الافتداء والمراد بالمثال المبالغة في الكثرة اي لا يقبل منه شيء
وانما اقتصر على ملء الارض لانه اكثر ما يدخل تحت اوهام الناس ويجري في محاوراتهم والله اعلم ولما تشوف السامع
الى معرفة ما يحل بهم اجيب بقوله اولئك اي البعداء من الرحمة لهم عذاب اليم ولعظمته اعرق في النفي بعده بزيادة
الجار فقال وما لهم من ناصرين اي ينصرونهم بوجه من الوجوه فانتفى عنهم كل وجه من وجوه الاستنقاذ ولما كان آخر
هذه القصص في الحقيقة ابطال كل ما خالف الاسلام الذي هو معنى ان الدين عند الله الاسلام وما بعد ذلك
انما جره ختم الاية بدعوى ان المخالفين من الخاسرين وختم ذلك بان من مات على الكفر لا يقبل انفاقه للانقاذ مما
يلحقه من الشدايد لا يدفع لها قهرا ولا بقوة لناصر فتشوف النفس الى الوقت الذي يقبل فيه الانفاق واي
وجوهه انفع فارشد الى ذلك والى ان الاحب منه احمد ربا للقبول رجوعا الى ما افرده سبحانه قبل اية الشهادة له
بالوحدانية من صفة عباده المتقين والمستغفرين بالاسحار على وجه ابلغ بقوله لن تنالوا البر وهو كمال
الخير حتى تنفقوا اي في وجوه الخير مما تحبون اي من كل ما تقتنون كما ترك اسرائيل عليه السلام احب الطعام اليه لله
ولما كان التقدير فان انفقتم منه علمه الله فانالكم به البر وان تيممتم الخبيث الذي تكرهونه فانفقتموه لم تبروا
وكان كل من المحبة والكره امرا خفيا قال تعالى مرغبا مرهبا وما تنفقوا من شيء اي من المحبوب وغيره فان الله
اي الذي له الاحاطة الكاملة وقدم الجار اهتماما به اظهارا لانه يعلمه من جميع وجوهه كما تقول لمن قال هل تعلم كذا
لا اعلم الا هو فقال به عليم فهذا كما ترى احتباك ولما اخبر بذلك بين انه كان ديدن اهل الكمال على وجه يعود به ما
مضى من الاخبار بعظيم اجتراء اهل الكتاب على الكذب بالمرحسي فقال تعالى كل الطعام اي من اللحوم وغيرها كان حلا
لبني اسرائيل اي اكله اي كان حلالا لمن قبلهم على اصل الاباحة الا ما حرم اسرائيل تبررا وتطوعا على نفسه وخصه بالذكر
استجلابا لبنيه الى ما يرفعهم بعدا جده ابيهم للمؤمنين الى ما يضرهم ولا ينفعهم ولما كانوا انما عرفوا فيه من الكذب ربما
قالوا انما حرم ذلك اتباعا لحكم التوراة قال من قبل واثبت الجار لان تحريمه في بعض ذلك الزمن لا مستغرقا له وعبر بالمضارع
لا تراول على التجدد فقال ان تنزل التوراة وكان قد ترك لحوم الابل والبانها وكانت احب الاطعمة اليه لله وايثارا للعبادة
كما تقدم ذلك في البقرة عند قل جاءهم ما عرفوا كفروا به ولما كانت هذه الاية الزاما لليهود باعتقاد النسخ الذي
طعنوا به في هذا الدين في امر القبلة وكانوا ينكرونه ليصير عذرا لهم في التخلف عن اتباع النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا
عندهم فكانوا يقولون لم تزل اللحوم وسائر ما ذكر معها حراما على من قبلنا كما كانت حراما علينا فامر بجوابهم بان قال قل اي
لليهود فاتوا بالتوراة فاتلوها اي ليتبين لكم ان كنتم صادقين فيما ادعيتموه فلم ياتوا بها فبان كذبهم فافتضحوا
فضيحة لا مثل لها في الدنيا فمن اي فتسبب عن ذلك انه من افترى اي تعمد على الله اي الملك الاعظم الكذب اي في امر المطاعم
وغيرها ولما كان المراد النهي عن ايقاع الكذب في اي زمن كان لا عن ايقاعه في جميع الزمان الذي بعد نزول الاية
اثبت الجار فقال من بعد ذلك اي البيان العظيم الظاهر جدا فاولئك اي الابعداء الابغضاء هم خاصة لتعمدهم
الكذب على من هو محيط بهم ولا يخفى عليه خافية الظالمون اي المتناهون في الظلم بالمشي على خلاف الدليل فعل من يمشي
في الظلام فهو لا يضع شيئا في موضعه وذلك يفرضهم الى ان يهلكهم الظلام بالعلم وبعذبهم الشامل القدرة ولما اتضح
كذبهم وافتضح تدليسهم لانه لما استدل عليهم بكتابهم فلم ياتوا به صار ظاهرا كالشمس لا شك فيه ولا لبس ولم يردهم
ذلك الا تماديا في الكذب امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله قل اي لاهل الكتاب الذين انكروا النسخ فانقطعت
عليهم الحجة من كتابهم صدق الله اي الملك الاعظم الذي له الكمال كله في جميع ما اخبر وتخبر به عن ملة ابرهيم وغيره من انبيائه
اسلافكم وتبين انه ليس على دينكم هو ولا احد ممن قبل موسى عليه السلام لانكم لو كنتم صادقين لاتيتم بالتوراة ناطقا
بذلك ان يكون تاخرهم عن الاتيان بها لعلة يحتالون بها غير ذلك واذ قد تبين صدقه تعالى في جميع ما قال
وجب اتباعه في كل ما يامر به واعظمه ملة ابرهيم فانها الجامعة للمحاسن ولما ثبت ذلك بهذا الدليل لحكم لو من له
قطعا انه ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولا مشركا وقد اقروا بان ملته هي الحق وانهم اتباعه فتسبب عن ذلك وجوب
اتباعه فيما اخبر الله به فبان كالشمس صدقه لا فيما افتروه هم من الكذب فقال تعالى فاتبعوا ملة ابرهيم وهي
الاسلام اي الانقياد الى الدليل وهو معنى قوله حنيفا اي تابعا للحجة اذا اخرجت غير متقيد بالمالوف ولما كان صلى
الله عليه وسلم مفطورا على الاسلام فلم يكن في جبلته شيء من العوج فلم يكن له دين غير الاسلام نفى الكون فقال
وما كان من المشركين اي بجزئيه ولا غيره من الاكابر كالاحبار الذين تقلدونهم مع علمكم بانهم يدعون الى ضد ما دعا
اليه سبحانه ولما الزمهم تعالى بالدليل الذي دل على النسخ انهم على غير ملة ابرهيم عليه السلام واوجب عليهم اتباعها
بعد بيان انها هي ما عليه محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه اخبر عن البيت الذي حول اليه التوجه في الصلاة فعابوه
على اهل الاسلام انه اعظم شعاير ابرهيم عليه السلام التي كفروا بتركها ولذلك ابلغ في تاكيده فقال تعالى

ان اول بيت اي من البيوت الجامعة للعبادة وضع للناس اي على العموم متعبدا واجبا عليهم قصده وتحجه بما امرهم به
على لسان موسى عليه السلام واستقباله في الصلاة بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك ولعل بنا وضع للمفعول
اشارة الى ان وضعه كان قبل ابراهيم عليه السلام للذي ببكة اي البلدة التي تدق اعناق الجبابرة ويزدحم الناس فيها ازدحاما
لا يكون في غيرها مثله ولا قريب منه فلا بد ان يدق هذا النبي الذي اظهرته منها الاعناق من كل من ناواه ويزدحم الناس في
الدخول في دينه ازدحاما لم يعهد مثله فان فاتكم ذلك خبتم في الدارين غاية الخيبة ودام ذلكم وصفا لكم حال كونه مباركا
اي عظيم الثبات كثير الخيرات في الدين والدنيا وهدى للعالمين اي من بني اسرائيل ومن قبلهم ومن بعدهم ثم عاب عليهم
سبحانه في هذه الاية فعلهم من النسخ ما انكروه على مولاهم وذلك تركهم لما شرعه من حجه من عند انفسهم تحريفا منهم مثالا
لما تقدم الاخبار به عن كذبهم وهذا امر شهير يسجل عليهم بالمخالفة ويثبت للمؤمنين الموالفة فان حج البيت الحرام وتعظيمه
من اعظم ما شرعه ابرهيم عليه السلام كما هو مبين في السير وغيرها وهم عالمون بذلك وقد حجه انبياؤهم عليهم السلام
واسلافهم ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وغيرهم من الانبيا عليهم السلام واتباعهم كما روى من غير
طريق عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى ان في بعض الطرق انه كان مع موسى عليه السلام في حجه اليه سبعون الفا من بني اسرائيل له
ومن المحال عادة ان يخفى ذلك عليهم ومن الامر الواضح انهم قد تركوا هذه الشريعة العظيمة اصلا وراسا فكيف يصح لهم
دعوى انهم على دين ابرهيم عليه السلام مع انسلاخهم من معظم شرايعه ثم فسر الهدى بقوله فيه ايات بينات وقوله مقام
ابرهيم اي اثر قدمه عليه السلام في الحجر حيث قام ليغسل كنته راسه الشريف اعربه ابو حيان بدلا او عطف بيان من الموصول
الذي هو خبر ان في قوله للذي ببكة فكانه قيل ان اول بيت وضع للناس لمقام ابرهيم واعربه غيره بدل بعض من قوله ايات
وهو وحده ايات لعظمه وتعدد ما فيه من تاثير القدم وحفظه الى هذا الزمان مع كونه منقولا وتذكيره بجميع قصتي ابرهيم
واسمعيل عليهما السلام ولما امن اهله في بلاد النهب والغارات التي ليس بها حاكم يقوم اليه ولا دين يعول في ذلك عليه
من دل الايات قال تعالى ومن دخله اي فضلا عن اهله كان امنا اي عريقا في الامن وقد امنوه بامان الله وتخويل العبادة من امن
داخله لان هذا ادل على المراد من تمكن الامن وفيه بشارة بدخول الجنة ولما اوضح سبحانه براءتهم من ابرهيم عليه السلام لمخالفتهم
اياه بعد دعواهم بهتانا انه على دينهم وكانت المخالفة في الواجب دل قال تعالى ولله اي الملك الذي له الامر كله على الناس
اي عامة فاظهر في موضع الاضمار دلالة على الاحاطة والشمول كما سياتي بيان ذلك ان شا الله تعالى عن الاستاذ ابي الحسن الحرالي
في استطعما اهلها في الكهف وذلك ليلا يدعي بالعرب وغيرهم حج البيت اي زيارته زيارة عظيمة واظهروا ايضا تفخيما
عليه وتنويها بذكره تحقيقا لقدره وعبر هنا بالبيت لانه في الزيارة وعادة العرب زيارة معاهد الاحباب واطلالهم واماكنهم
وحلالهم واعظم ما يعبر به عن الزيارة عندهم الحج ثم من بالتخفيف بقوله مبدلا من الناس تاكيدا بالايضاح بعد الابهام وحملا
على الشكر بالتخفيف بعد التشديد وغير ذلك من البلاغة من استطاع اليه اي خاصة سبيلا فمن حج كان مؤمنا ولما كان
من الواضح ان التقدير ومن لم يحج مع الاستطاعة كفر بالنعمة ان كان معترفا بالوجوب وبالمروق من الدين ان جحد عطف عليه قوله
ومن كفر اي بالنعمة او بالدين فان الله اي الملك الاعلى غني ولما كان غناه مطلقا دل عليه بقوله موضع عنه عن العالمين
اي طايعهم وعاصيهم صامتهم وناطقهم رطبهم ويابسهم فوضح بهذه الاية وما شاكلها انهم ليسوا على دينه كما وضح بما تقدم
انه ليس على دينهم فثبتت بذلك براءته منهم والاية من الاحتباك لان اثبات فرضه اولا يدل على كفر من اباه واثبات
من كفر ثانيا يدل على من حج ولما اتم سبحانه وعز شانه البراهين واحكم الدلايل عقلا وسمعا ولم يبق لمتعنت شبهة ولم
يبادروا للاذعان بل زادوا في الطغيان وكادوا ان يوقعوا الضراب والطعان بين اهل الايمان اعرض تعالى عن خطابهم
ايذانا بشديد الغضب ولرايح الانتقام فقال تعالى مخاطبا لرسوله الذي يكون قتلهم على يده قل واثبت داه له
دالة على بعدهم عن الحضرة العلية وسبه فقال يا اهل الكتاب اي من الفريقين لم تكفرون اي توقعون الكفر بايات الله
اي وهي لكونه الحاوي لجميع الكمال البينات نقلا وعقلا الدالة على انكم على الباطل لما وضح من انكم على غير ملة ابرهيم عليه
السلام ولما كان كفرهم ظاهرا ذكر شهادته تعالى فقال مهددا والله اي والحال ان الله الذي هو محيط بكل شي قدرة وعلما
فلا اله غيره وقد اشركتم به شهيد على كل ما تعملون اي لكونه يعلم سبحانه السر واخفى وان حرفتم واسررتم ثم اسند نفي
ايذانا بالاستقلال تقريعا اخر لوبا دينهم على الكفر لتكفير غيرهم فقال قل يا اهل الكتاب اي المدعين للعلم واتباع
الوحي كرر هذا الوصف لانه مع انه اشد في التقريع اقرب الى التلطف في صرفهم عن ضلالهم لم تصدون اي تعرضون بعد كفركم
عن سبيل الله اي الملك الذي له العلو والاختصاص بجميع صفات الكمال وسبيله دينه الذي جا به نبيه صلى الله
عليه وسلم وقدمه الله تماما به ثم ذكر المفعول فقال من امن حال كونكم تبغونها اي السبيل عوجا اي بلبكم السنتكم
وافترايكم على الله ولم يفعل سبحانه اذا عرض عنهم في هذه الاية ما فعل من قبل اذا قبل عليهم بلذيذ خطابه تعالى جده وتعاظم
مجده اذ قال يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم يا اهل الكتاب لم تكفرون الاية التي بعدها بغير واسطة وقال ابو البقا
في اعرابه ان تبغون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا من الضمير في تصدون ومن السبيل لان فيها ضميرين راجعين اليهما

فلذلك

فلذلك يصح ان يجعل حالا من كل واحد منهما وعوجا حال اسمي وقال صاحب القاموس في باب الواو والياء وبغى الشي يبغوه نظر اليه
كيف هو وقال في باب اليا بغيته ابغيه طلبته انتهى فالظاهر ان جعل عوجا حالا كما قال ابو البقا اصوب من جعله مفعولا
كما قال في الكشاف ويكون يبغون اما يائيا فيكون معناه تريدون وتبغونها معوجة او ذات عوج فان طلب معنى اراد واما
ان يكون واويا بمعنى تنظرونها ذات عوج اي تجعلونها في نظركم بعين تتكلفون وصفها بالعوج مع علمكم باستقامتها
لكن قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح ابغني احجارا استنفض بهن يويد قول صاحب الكشاف ولما ذكر صدهم واراد
العوج الذي لا يرضاه ذو عقل قال موبخا وانتم شهدا اي باستقامتها بشهادة كتبكم باستقامة دين ابرهيم مع قيام
ادلة السمع والعقل انها دينه وان النبي والمؤمنين اولى الناس به لانقيادهم للادلة ولما كان الشهيد قد يغفل
وكانوا يخفون مكرهم في صدهم هددهم باحاطة علمه فقال وما الله اي الذي تقدم انه شهيد عليكم وله صفات الكمال
كلها بغافل اي اصلا عما تعملون ولما تم ايذانه بالسخط على اعدايه وابلغ في انذارهم عظيم انتقامه ان داموا على اضلال
اقبل بالبشر على احبايه مواجها لهم بلذيذ خطابه وصفي عتابه محذرا لهم الاغترار بالمضلين ومنبها ومرشدا
ومذكرا ورادا على ما ختم به ما قبلها من احاطة علمه بدقيق مكر اليهود فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اي بنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ان تطيعوا فريقا اي بهذا اللفظ لما كان الحذر منه الافتراق والمقاطعة الذي باين عيب
اهل الكتاب به من الذين اوتوا الكتاب اي القاطعين بين الاحباب مثل شاس بن قيس الذي مكر بكم الى ان اوقع
الحرب بينكم فلولا النبي الذي رحمكم به ربكم لعدتم الى شر ما كنتم فيه يردوكم وزاد في تشنيع هذا الحال بقوله منبرا له
باسقاط الجار والى استغراق زمان البعد بعد ايمانكم كافرين اي عريقين في صفة الكفر فيالها من صفقة ما اخسرها
وطريقة ما اجورها ولما حذرهم منهم عظم عليهم طاعتهم بالانكار والتعجيب من ذلك مع ما هم عليه بعد اتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم من الاحوال الشريفة فقال عاطفا على ما تقديره فكيف تطيعونهم وانتم تعلمون عداوتهم وكيف
تكفرون اي يقع منكم ذلك وقتا من الاوقات على حالة من الاحوال وانتم تتلى اي تتواصل بالقراة عليكم ايات الله
اي علامات الملك الاعظم البينات وفيكم رسوله الهادي من الضلالة المنقذ من الجهالة فتكونون قد جمعتم الى مراقبة
العدو ومخالفة الولي وانتم بعينه وفيكم امينه ومن اي والحال انه من يعتصم اي يجهد نفسه في ربط اموره بالله
المحيط بكل شي قدرة وعلما في جميع احواله كاينا من كان ولما كان من تعصم نفسه على من له الكمال كله موفقا للفلاح
عبر باداة التوقع معنونة بفا السبب فقال فقد هدي وعبر بالمجهول على طريقة كلام القادرين الى صراط مستقيم
ولما انقضى هذا التحذير من اهل الكتاب والتعجيب والترغيب مرهبا بما يثمر ذلك من رضاه فقال يا ايها الذين امنوا
اي ادعوا ذلك بالسنتهم اتقوا الله اي صدقوا دعواكم بتقوى ذي الجلال والاكرام حق تقاته فادهموا الانقياد له
بدوام مراقبته ولا تخطوا امرا دونه ولا تموتن على حالة من الحالات الا وانتم مسلمون اي منقادون اتم انقياد ونقل
عن العارف ابي الحسن الشاذلي ان هذه الاية في اصل الدين وهو التوحيد وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم في فروعه
ولما كان عزم الانسان فاترا وعقله قاصرا دلهم بعد ان اوقفهم التقوى على اصل جميع الخيرات المتكفل بالحفظ من
جميع الزلات فقال واعتصموا اي كلفوا انفسكم الارتباط الشديد والانضباط العظيم بحبل الله اي طريق دين
الملك الذي لا كفو له التي نهجها لكم ومهدها واصل الحبل السبب الذي يوصل به الى البغية والحاجة وكل من يمشي على طريق
دقيق يخاف من ان تزل رجله عنه اذا تمسك بحبل ممتد الطرفين بجانبي ذلك الطريق امن الخوف ولا يخفى ان الصراط
بما ورد به النقل الصحيح وهذا الدين مثاله في صعوبته وشدته على النفوس بما لها من النوازع والحظوظ مثال دقته
لمن يهوي نفسه وحفظها على المتمسك به حفظ عن السقوط عما هو مثاله ولما اتم كل من الضمير والحبل والاسم الجامع احاطة
الامر بالكل اكده بقوله جميعا لا تدعوا احدا منكم يشذ عنها بل كلما عثرتم على احد فارقها ولو قيد شبر فردوه اليها ولا
تناظروه ولا تهملوا امره ولا تغفلوا عنه فيختل النظام وتتعبوا على الدوام بل لا تزالوا كالرابط ربطا شديدا حزمة
نبل يخيل لا يدع واحدا منها يتفرد عن الاخرى ثم اكد ذلك بقوله ولا تفرقوا ثم ذكرهم نعمة الاجتماع لان ذلك باعث
على شكرها وهو باعث على ادامة الاعتصام والتقوى بدا منها بالدنيوية لانها اس الاخروية فقال واذكروا نعمة
الله الذي له الكمال كله عليكم بان عصمكم بعصام الدين اذ كنتم اعدا متنافرين اشد تنافر فالف بين قلوبكم بالجمع على هذا
الصراط القويم والمنهج العظيم فاصبحتم بنعمته اخوانا قد نزع ما في قلوبكم من الاحن وازال تلك الفتن والمحن
ولما ذكر النعمة التي انقذتهم من هلاك الدنيا ثنى بما يتبع ذلك من نعمة الدين التي عصمت من الهلاك الابدي فقال
وكنتم على شفا اي حرف وطرف حفرة من النار بما كنتم فيه من الجاهلية فانقذكم منها ولما تم هذا البيان على
هذا الاسلوب الغريب نبه على ذلك بقوله جوابا لمن يقول لله در هذا البيان ما اعرب من بيان كذلك اي مثل
هذا البيان البعيد المنال البديع المثال يبين الله المحيط علمه الشاملة قدرته بحيطته لكم اياته وعظم
الامر بتخصيصهم به واضافته الاي اليه ولما كان السياق لبيان دقايق الكفار في ارادة اضلالهم ختم الاية بقوله لعلكم تهتدون

دينهم
لهم
الله
ول

اى تكون حالكم عند من ينظركم حال من ترجى ويتوقع هدايته هذا الترجي حالكم فيما بينكم واما هو سبحانه فقد احاط علمه
بالسعيد والشقي ثم الامر اليه لمن يشاء هداه ومن اراد ارداه ولما عاب سبحانه الكفار بالضلال ثم بالاضلال امر المومنين
بالهدى في انفسهم واتبعه الامر بهداية الغير بالاجتماع وكان الامر بالاجتماع المؤكد بالنهي عن التفرق ربما اوهم الوجوب
لتقود الجميع في كل جزئية من جزئيات العبادة في كل وقت على سبيل الاجتماع مع الاعراض عن كل عائق عن ذلك سوا كان له
وسيلة اولا بالنسبة الى كل فرد فرد اتبعه بقوله منبها على الرضى بايقاع ذلك في الجملة سوا كان بالبعض او الكل كما هو شان
فروض الكفايات **ولتكن منكم امة** اى جماعة تصلح لان يقصدها غيرها ويكون بعضها قاصدا لبعض حتى يكون اشد شي ايتلافا
واجتماعا في كل وقت من الاوقات على البدل **يدعون** تجددا بين لذلك في كل وقت **الى الخير** اى بالجهاد والتعليم والوعظ والتذكير
ولما عم كل خير خص ليكون المخصوص مامورا به مرتين دلالة على جليل امره وعلى قدره **ويامرون بالمعروف** اى من الدين **وينهون
عن المنكر** فيه بحيث لا يخلو وقت من الاوقات عن قوم قائمين بذلك وهو تنبيه لهم على ان يلازموا ما فعله الرسول صلى الله
عليه وسلم ومن معه من اصحابه رضي الله عنهم من امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر حين استغرهم الشيطان بمكر شاس بن
قيس في التذكير بالاحقاد والاضغان والانكاد واعلام بان الذكرى تنفع المومنين ولما كان هذا السياق مفهما لان الذين
قاموا بذلك نالوا بذلك خيرا كثيرا ولهم نعيم مقيم عطف عليه مرغبا **واولئك** اى العالو الرتبة العظيمو المنفعة
هم المفلحون حق الفلاح فتبين سبحانه ان الاجتماع المامور به انما هو بالقلوب لجاعله لهم كالجسد الواحد ولا يضر فيه
صرف بعض الاوقات الى المعايش ونعيم البدن ببعض المباحات وان كان الاكمل صرف الكل بالنية الى العبادة ولما امر بذلك
اكده بالنهي عن ما يضاده معرضا بمن نزلت هذه الايات فيهم من اهل الكتاب مبكتا لهم بضلالهم واختلافهم له
في دينهم وعلى انبيائهم فقال **ولا تكونوا كالذين تفرقوا** بما ابتدعوه في اصول دينهم وبما ارتكبوه من المعاصي فقادهم
ذلك ولا بد الى التخاذل والتواكل والمداهنة التي تفسد وابها المسالمة تجرهم الى المصارمة ولما كان التفرق ربما كان
بالابدان فقط مع الاتفاق في الاراء بين ان الامر ليس كذلك فقال **واختلفوا** بما اثمر لهم الحقد الحامل على الاتصاف
بما له من يظن انهم جميع وقلوبهم شتى لما دهمهم بالاختلاف الذي دل العقل على [illegible] بانهم خالفوا فيه بعد
نهي العقل واضح النقل فقال **من** اى ابتدا اختلافهم من الزمان الذي هو من **بعد ما جاءهم** وعظمه باعرابه عن التانيث
البينات اى مما يجمعهم ويعليهم ويرفعهم ويوجب تعاقبهم ويبقيهم فارادهم ذلك الافتراق واهلكهم ولما كان التقدير
فاولئك قد تعجلوا الهلاك في الدنيا فهم الخائبون عطف عليه قوله **واولئك** البعضاء البعدا **لهم عذاب عظيم**
اى في الدار الاخرة بعد عذاب الدنيا باختلافهم مما يذيب لما من شانه الجمع والاية من الاحتباك اثبات المفلحون اولا
يدل على الخاسرون ثانيا والعذاب العظيم ثانيا يدل على النعيم المقيم اولا ولما قدم ما لاهل الكتاب المقدمين
على الكفر على علم يوم القيمة في قوله ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم وختم تلك الاية بانهم لهم عذاب اليم
واستمر حتى ختم بعده بانه مع ذلك عظيم بين ذلك اليوم بقوله بادئا بما هو انكالهم من تنعيم اضدادهم **يوم تبيض
وجوه** اى بما لها من الاثار الحسنة **وتسود وجوه** بما عليها من الجرائر السيئة **فاما الذين اسودت وجوههم** بدا بهم
لان المقام للترهيب [illegible] ولان العام للترهيب وزيادة النكاية لاهله فيقال لهم توبيخا وتقريعا **اكفرتم** يا سود
الوجوه وعبيد الشهوات **بعد ايمانكم** بما جبلتم عليه من الفطر السليمة ومكنتم به من العقول المستقيمة من النظر في
الدلائل بما اخذ عليكم انبياؤكم من العهود **فذوقوا العذاب** اى الاليم العظيم **بما كنتم تكفرون** وانتم تعلمون انه
قائم في لعنة الله ما لكنون **واما الذين ابيضت وجوههم** اشتوابا وتهيا لانهم امنوا فامنوا من العذاب **ففي رحمة
الله** اى مثوى محل ذي الجلال والاكرام الذي هو محل الراحة لا في غير رحمته ثم اجاب عن سوال من كانه قال هل تزول
عنهم كما هو حال النعيم في الدنيا بقوله على وجه بعثهم لزومها لهم في الدنيا والاخرة **هم** اى خاصة **فيها خالدون**
فلذا كانوا يوسون فالاية من الاحتباك اثبات الكفر اولا دل على ارادة الايمان ثانيا واثبات الرحمة ثانيا دل على
حذفها للعنة اولا ولما جاءت هذه الايات من التهذيب واحكام الترتيب وحسن السياق في مضب لسباق اشار
اليها مع قربها باداة البعد واضافها الى اعظم اسمائه فقال **تلك ايات الله** اى هذه دلائل الملك الاعظم
العالية الرتب البعيدة المتناول ثم استانف خبرها قائلا **نتلوها** اى [illegible] قصها وزاد في تعظيمها بعد المبتدا
بالمنتهى فقال **عليك** ثم اكد ذلك بقوله **بالحق** اى ثابتة المعاني راسخة المقاصد صادقة الاقوال في كل ما اخبرت
به من قولكم وهلاككم من غير ان تظلم احدا منهم **وما الله** اى الحائز لجميع صفات الكمال **يريد ظلما** فلا اجل **للعالمين** اى ما
ظلمهم ولا يريد ظلم احد منهم لانه متعال عن ذلك لا يتصور منه وهو غني عنه لان له كل شي ولما كان امرهم بالاقبال عليه ونهيهم
عن الاعراض عنه ربما اوقع في وهم انه غير قادر على ضبطهم او محتاج الى ربطهم ازال ذلك دالا على انه غني عن الظلم بقوله
ولله الملك الاعلى **ما** اى كل شي **في السموات وكل ما في الارض** من جوهر وعرض ملكا وملكا ولما كان المقصود سعة الملك
لم يضم ليلا يظن تخصيص الثاني بما في خبر الاول فقال **والى الله** الذي لا امر لاحد معه **ترجع الامور** اى كلها التي فيها والتي

في غيرهما فلا داعي له الى الظلم لانه غني عن كل شي قادر على كل شي ولما كان من رجوع الامور اليه هدايته من يشاء واضلال
من يشاء قال مادحا لهذه الامة ليمتعوا الى اقتناء حمد او شكر او مؤيسا لاهل الكتاب عن اضلالهم ليزدادوا حيرة
وسكرا **كنتم خير امة** اى وجدتم على هذا الوصف الثابت لكم جبلة وطبعا ثم وصف الامة بما يدل على عموم الرسالة
وانهم سيقهرون اهل الكتاب فقال **اخرجت للناس** ثم بين وجه الخيرية بما لم يحصل مجموعه لغيرهم على ما هو عليه
من المكنة بقوله **تامرون** اى على سبيل التجدد والاستمرار **بالمعروف** اى كل ما عرفه الشرع واجازه **وتنهون عن المنكر**
وهو ما خالف ولو وصل الامر الى القتال مبشرا لهم بانه قضي في الازل انهم يمتثلون ما امرهم به من الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر في قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير اراحة لهم من كلفة النظر في انهم هل يمتثلون فيفلحوا او ازاحة
لحملهم اعبا الخطر بكونهم يخافون عليه ليعودوا ويرجحوا المضارة فايدة الامر كثرة الثواب بقصد امتثال الواجب
وللترمذي وقال حسن عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الاية انتم تتمون
سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله وللبخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنتم خير الناس تاتون بهم في
السلاسل في اعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام ولما اخبر عنهم بهذا الوصف الشريف في نفسه اتبعه ما زاده شرفا
وهو انهم يفعلونه في حال ايمانهم فهو معتبر به لوجود شرطه الذي هو اساس كل خير فقال **وتومنون** اى يفعلون ذلك والحال
انكم تومنون **بالله** اى الملك الاعلى الذي تاهت الافكار في معرفة كنه ذاته وارتدت نوافذ ابصار البصائر خاسئة
عن حصر صفاته اى بقصد تومنون انبياءه ورسله بسببه في كل ما اخبروا به قولا وفعلا ظاهرا وباطنا وتفعلون جميع اوامره
وتنتهون عن جميع مناهيه وهذا يفهم ان من لم يومن كايمانهم فليس من هذه الامة اصلا لان الكون المذكور لا يحصل الا بجميع
ما ذكر وكرر الاسم الاعظم زيادة في تعظيمهم وقد صدق الله ومن اصدق من الله حديثا قال الامام ابو عمر يوسف بن عبد البر
النمري في كتاب الاستيعاب روى ابن القسم عن مالك انه سمعه يقول لما دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشام نظر اليهم رجل من اهل الكتاب فقال ما كان اصحاب عيسى بن مريم الذين قطعوا بالمناشير وصلبوا على الخشب
باشد اجتهادا من هولا انتهى ولما كان من المعلوم ان التقدير وذلك خير لكم عطف عليه قوله **ولو امن اهل الكتاب**
اى اوقعوا الايمان كما امنتم بجميع الرسل وجميع ما انزل عليهم في كتابهم وغيره ولم يفرقوا بين شي من ذلك **لكان** اى الايمان **خيرا
لهم** اشارة الى تسفيه احلامهم في وقوفهم مع ما منعهم عن الايمان من العرض للقليل الفاني والرياسة التافهة وتركهم له
الغني الدايم والعز الباهر الثابت ولما كان هذا ربما اوهم انه لم يومن منهم احد قال مستانفا **منهم المومنون** اى الثابتون
في الايمان ولكنهم قليل **واكثرهم الفاسقون** اى الخارجون من ربقة الاوامر والنواهي خروجا يضمحل معه خروج غيرهم ولما
كانت المخالفة الاكثر قاصمة خفف عن اوليائه بقوله **لن يضروكم** ولما كان الضر كما تقدم عن الحرالي ايلام الجسم وما يتبعه من
الحواس والاذى ايلام النفس وما يتبعها من الاحوال اطلق الضر هنا على جز معناه وهو مطلق الايلام ثم استثنى منه فقال
الا اذى اى بالسنتهم وعبر بذلك لتصويره مفهوم الضر والاذى ليحضر الذهن فيكون استثناؤه ادل على وصولهم الى
المواجهة **وان يقاتلوكم** اى يوما من الايام **يولوكم** صرح بضمير الخاطبين نصا في المطلوب **الادبار** اى ظهورهم اذلا وجبنا
ولما كان المولى قد يعود لكرة بعد فرة قال عادلا عن حكم الجزا ليلا يفهم التقييد بالشرط مشيرا بحرف التراخي الى عظيم
رتبة خذلانهم **ثم لا ينصرون** اى لا يكون لهم ناصر من غيرهم ابدا وان طال المدى فلا تهتموا بهم ولا باحد يمالئهم من المنافقين
وقد صدق الله ومن اصدق من الله قيلا لم يقاتلوكم في موطن الا كانوا كذلك ولما اخبر عنهم سبحانه بهذا الذل اتبعه الاخبار
بانه في كل زمان وكل مكان معاملة منه لهم بضد ما ارادوا فعوضهم عن الحرص على الرياسة الزامهم الذلة وعن الاخلاد
الى المال اسكانهم المسكنة واخبر ان ذلك لهم طوق الحمامة غير زايل عنهم الى اخر الدهر بان في اعقابهم بالغالهم هذه
التي لم يبايدهم فيها الاعقاب فقال تعالى مستانفا **ضربت عليهم الذلة** وهي الانقياد كرها واحاطت بهم كما يحيط
البيت المضروب بساكنيه **اينما ثقفوا** اى وجدهم من هو حاذق خفيف فطن في كل مكان وعلى كل حال **الا** حال
كونهم معتصمين **بحبل** اى عهد وثيق مسبب للامان وهو عهد الجزية وما شاكله **من الله** اى الحائز لجميع العظمة
وحبل من الناس اى قاطبة الذين امنوا وغيرهم موافق لذلك الحبل الذي من الله ولما كان الذل ربما كان مع الرضى
مولوما من وجه قال **وباءو** اى رجعوا اعما كانوا فيه من الحال الصالح **بغضب من الله** الملك الاعظم ملازم لهم ولما كان
الوصفان قد يجتمعان مع اليسار قال **وضربت** اى مع ذلك **عليهم** اى كما يضرب البيت **المسكنة** اى الفقر ليكونوا
بهذه الاوصاف اغرق شي في الذل فكانه قيل ثم استحقوا ذلك فقيل **ذلك** اى الالزام لهم بما ذكر **بانهم** اى
اسلافهم الذين رضوا هم بفعلهم **كانوا يكفرون** اى يجددون الكفر مع الاستمرار **بايات الله** اى الملك الاعظم
الذي له الكمال كله وذلك اعظم الكفر لمشاهدتهم لها مع اشتمالها من العظم على ما يليق بالاسم الاعظم **ويقتلون
الانبيا** اى الاتين من عند الله حقا على كثرتهم بما دل عليه جمع التكسير فهو ابلغ مما في ال عمران لما في البقرة
ليكون ذمهم على سبيل الترقي كما هي قاعدة الحكمة ولما كانوا معصومين دينا ودنيا قال **بغير حق** اى يبيح قتلهم ثم

علل اقدامهم على هذا الكفر بقوله ذلك اى الكفر والقتل العظيمان بما عصوا وكانوا اى جبلة وطبعا يعتدون
اى يجددون تكليف انفسهم الاعتداء ان الاقدام على المعاصى والاستهانة بمجاوزة الحدود يهون الكفر قال الاصبهانى
قال ارباب المعاملات من ابتلى بترك الاداب وقع فى ترك السنن ومن ابتلى بترك السنن وقع فى ترك الفرايض ومن
ابتلى بترك الفرايض وقع فى استحقار الشريعة ومن ابتلى بذلك وقع فى الكفر والاية دليل على مواخذة الابن الراضى بذنب
الاب وان علا وذلك طبق ما رايته فى ترجمة التوراة التى بين ايديهم الان قال فى السفر الثانى وقال الله جميع هذه الايات
كلها انا الرب الهك الذى اصعدتك من ارض مصر من العبودية والرق لا تكون لك الهة اخرى لا تعملن شيا من الاصنام
والتماثيل التى مما فى السما فوق وفى الارض من تحت ومما فى الما اسفل الارض لا تسجدن لها ولا تعبدها لانى انا الرب الهك
اله غيور اجازى الابنا بذنوب الابا الى ثلثة احقاب واربعة خلوف واثبت النعمة الى الف حقب لاحبابى وحافظى وصاياى
ولما كان السياق ربما افهم انهم كلهم كذلك قال مستانفا نافيا لذلك ليسوا سوا اى فى هذه الافعال يثنى سبحانه على من
اقبل على الحق منهم وخلع الباطل ولم يراع سلفا ولا خلفا بعيدا ولا قريبا ثم استانف قوله بيانا لعدم استوايهم من اهل
الكتاب فاظهر لئلا يتوهم عود الضمير على خصوص من حكم بتكفيرهم امة اى جماعة يحق لها ان تؤم قايمة اى مستقيمة
على ما اتاها به نبيها فى الثبات على شرعه منتهية بالقيام للاشتغال عنه عند مجى الناسخ الذى يبشر به وصفه غير رابعة
بالايمان ببعضه والكفر ببعضه ثم ذكر الحامل على الاستقامة فقال يتلون اى يتابعون مستمرين ايات الله اى علامات
ذى الجلال والاكرام المنزلة الباهرة التى لا لبس فيها اناء الليل اى ساعاته وهم يسجدون اى يصلون فى غاية الخضوع ثم ذكر
ما اثمر لهم التهجد فقال يومنون وكرر الاسم الاعظم اشارة الى استحضارهم لعظمته فقال بالله الذى له من الجلال
وتناهى الكمال ما حير العقول واتبعه اليوم الذى تظهر فيه عظمته كلها لانه الحامل على كل خير فقال واليوم الاخر اى ايمانا
يعرفه من حقق بتصديقهم له بالعمل الصالح بما يرد عليهم من المعارف التى مالها من نفاد فيتجدد بتجددهم ثم لما
وصفهم بالاستقامة فى انفسهم وصفهم بانهم يقومون غيرهم فقال ويامرون بالمعروف اى بجددون ذلك مستمرين عليه
وينهون عن المنكر كذلك ولما ذكر تخلقهم للخير ذكر نشاطهم فى جميع انواعه فقال ويسارعون فى الخيرات ولما كان التقدير
فاوليك من المستقيمين عطف عليه واوليك اى العالوا الرتبة من الصالحين اشارة الى ان من لم يستتم لم يصلح لشى وارشد
السياق الى ان التقدير وا كرم لليسوا هذه الصفة ولما كان التقدير بما تعلوا من خير فهو بعين الله يشكره لهم عطف عليه لو لم
وما تفعلوا اى انتم من خير من انفاق او غيره فلن تكفروه بل هو مشكور لكم بسبب فعلكم وبنى للمجهول تادبا معه سبحانه وليكون
على طريق المتكبرين وعطف على ما تقديره فان الله عليم بكل ما يفعله الفاعلون والله اى المحيط بكل شى عليم بالمتقين
من الفاعلين الذين كانت التقوى حاملة لهم على كل خير فهو يثيبهم اعظم الثواب وبغيرهم فهو يجازيهم بما يريد من العقاب
هذا على قراءة الخطاب واما قراءة الغيبة فامرها واضح فى نظمها بما تلته ولما رغبهم فى الانفاق بما يشتمل كل خير واخبرهم بانه
عالم بدقه وجله واخبر ان ذلك كان داب اسرايل عليه السلام على وجه انتج ان بنيه كاذبون فى ادعايهم انهم على ملة جده
ابرهيم عليه السلام ثم حذرهم وختم ما ختمه بالمتقين بالترغيب فى الخير بما اندرج فيه الانفاق الذى قدم اول السورة
انه من صفة المتقين المستغفرين بالاسحار التى هى اشرف انا الليل وكان مما يمنع منه خوف الفقر والنزول عن حال
الموسرين من الكفار المفاخرين بالاكثار المعيرين بالاقلال من المال والولد وقوفا مع الحال الدنيوى وكان تكرر اخباره انه
لا يقبل من احدهم مل الارض ذهبا اعنى هذا بمثل ذلك على وجه اعم فقال واصفا اضداد من تقدم نافيا ما يعتقدون
من ان اعمالهم الصورية تنفعهم ان الذين كفروا اى بالله بالميل عن المنهج القويم وان ادعوا الايمان به نفاقا او غيره لن
تغنى عنهم اموالهم اى وان كثرت ولا اولادهم وان عظمت من الله اى الملك الذى لا كفوله شيا اى من الاغنا تاكيدا لما
فهم من عدم نصرة اهل الكتاب الذى حملهم على ايثار الكفر على الايمان استجلاب الاموال والرياسة على الاتباع على وجه يعم
جميع الكفار كما قال فى اول السورة سوا ولما كان التقدير فاوليك هم الخاسرون عطف عليه قوله واوليك اصحاب النار
اى هم مختصون بها ثم استانف ما يفيد ملازمتها فقال هم فيها خالدون ولما كان ربما قيل ما حال ما يبذلونه فى المكارم
ويواسون به فى المغارم ضرب لذلك مثلا جعله هبا منثورا اصابعا وان كثر بره اكان لم يكن شيا مذكورا بقوله تعالى جوابا
لهذا السوال مثل ما ينفقون اى من المال وحقر نفقتهم بتحقير مخطه فقال فى هذه الحيوة الدنيا اى على وجه القربة
او غيرها ومثل انفاقهم له ومثل حرث اصيب بالريح كمثل ريح فيها صر اى برد شديد اصابت حرث قوم موصوفين بانهم
ظلموا انفسهم اى بالبنا على غير اساس الايمان فاهلكته لمثل ما ينفقون فى كونه لم ينفعهم فى الدنيا بانتاج ما ارادوا
وضرهم فى الدارين اما فى الدنيا فبضياعه فى غير شى واما فى الاخرة فبالمعاقبة عليه لتضييع اساسه وفقدهم الفاسدة
مثل الزرع الموصوف فانه لم ينفع اهله الموصوفين بالضرر فى الدنيا بضياعه وفى الاخرة بما قصدوا به من العقود
الفاسدة ومثل انفاقهم له فى كونه ضرهم ولم ينفعهم مثل الريح فى كونها ضرت الزرع ولم تنفعه فلما كانت الريح الموصوفة
امرا مشاهدا جليا جعلت فى اهلاكها مثلا لضياع انفاقهم الذى هو امر معنوى خفى ولما كان الزرع المحرق امرا محسوسا

جعل

جعل فى ما حصل له بعد التعب من العطب مثالا لامر معقول وهو اموالهم فى كون انفاقهم ايا بالم يثمر لهم شيا
غير الخسارة والتعب فالمثلان ضياع المزدوع والانفاق وضياع الزرع اظهر فهو مثل لضياع الانفاق لانه اخفى وقد
بان ان الاية من الاحتباك حذف اولا مثل الانفاق بدلالة الزرع عليه وثانيا الحرث لدلالة ما ينفق عليه ولما كان سبحانه
موصوفا بانه الحكم العدل القايم بالقسط وانه لا ينبغى جبر الخلل قال دفعا لتوهم ان ذلك بخس وما ظلمهم اى الممثل بهم
والممثل لهم الله الملك الاعظم الغنى الغنى المطلق لانه المالك المطلق وقد كفروا اما الممثل لهم فبكونهم انفقوا على غير
الوجه الذى شرعه واما الممثل بهم فبكونهم لم يحرسوا زرعهم بالطاعات وفى الاية دليل على ان اهل الطاعات غرس ضوايحهم
من الافات ويخرق فيها العادات ثم قال ولكن ولما كان الممثل لاجلهم الذين كفروا اعم من ان يموتوا عليه او يسلموا لم يعبر فى
الظلم بما تقتضيه الجبلة من فعل الكون وقال انفسهم اى خاصة يظلمون فافادانهم هم الذين ظلموا انفسهم
بتضييعهم الاساس بكفرهم وان ظلمهم مقصور على انفسهم لا يتعداها الى غيرها وان ظهرت نفاقهم نكاية فى عدوهم
فان العاقبة لما كانت للمومنين كانت نكايتهم كالعدم بل هى زيادة فى وبالهم فهى من ظلمهم لانفسهم ولما كان الجلال
بالمال لاسيما مع الانفاق من اعظم المرغبات فى الموالاة وكانت هذه الاية قد صيرت جملة بتجاويزه وله تشجيعا قال لها
مكروا للتنبيه على مكر ذوى الاموال والجلال الذين يريدون ايقاع الفتنة بينهم من اليهود والمنافقين لينفحل امرهم
وتزول شوكتهم يا ايها الذين امنوا اى ايمانا صحيحا مصدقا ادعاوه بالعمل الصالح الذى من اعظمه الحب فى الله والبغض
فى الله لا تتخذوا بطانة اى من تباطنونهم باسراركم وتختصونهم بالمودة والصفا ومباذلة المال والوفا من دونكم اى
ليسوا امثلكم ايها المومنون وعبر بذلك اعلاما بانهم يحطون انفسهم وينزلونها عن درجتها بموالاتهم ثم صفهم
تعليلا للنهى بقوله لا يالونكم خبالا اى يقصرون بكم من جهة الفساد ثم بين ذلك بقوله على سبيل التعليل ايضا ودوا
ما عنتم اى يتمنوا مشقتكم ولما كان هذا قد يخفى بينه بقوله معللا قد بدت البغضا من افواههم اى هى بينة فى حد
ذاتها مع اجتهادهم فى اخفايها لان الانسان اذا امتلا من شى غلبه لحيثيته ولكنكم لحسن ظنكم وصفا نياتكم لا تتاملو
فتاملوا ثم اخبر عن علمه سبحانه قطعا وعلم الغطى من عباده بالقياس ظنا بقوله وما تخفى صدورهم اكبر مما ظهر على
سبيل الغلبة ثم استانف على طريق الالهاب والتهييج قوله قد بينا اى بما لنا من العظمة لكم اى بهذه الجمل الايات
اى الدالات الدالة على سعادة الدارين ومعرفة الشقى والسعيد والمخالف والموالف وزادهم الهابا بقوله ان كنتم
اى جبلة وطبعا تعقلون ثم استانف الاخبار عن تحلل حالهم معهم فقال منبها او مبدلا الفا من همزة الانكار ها انتم
اولا اى المومنون المسلمون المنسلون تحبونهم اى لاغتراركم باقرارهم بالايمان لصفا بواطنكم ولا اى والحال انهم لا
يحبونكم لمخالفتهم لكم فى الدين فانهم كاذبون فى اقرارهم بالايمان وتومنون اى انتم بالكتاب كله اى ويكفرون هم به
كله اما بالقصد الاول واما بالايمان بالبعض والكفر بالبعض واذا لقوكم قالوا اى لكم امنا لتغتروا بهم واذا خلوا
اى منكم وصورشدة حنقهم بقوله عضوا عليكم لما يرون من ايتلافكم وحسن احوالكم الانامل من الغيظ اى المفرط
منكم ومن جعل الهاء فى ها انتم بدلا عن همزة استفهام فالمراد عنده اانتم يا هولا القربا منى تحبونهم والحال انهم لا
هم عليه من مباينتكم وانتم على ما انتم عليه من العظمة بصفا الافكار وعلى الاثر يحبونكم الحق كله لان المومن كيس
فطن فهو استفهام وان كان من وادى التوبيخ المراد به التنبيه والتهييج المتعقد من سافل الدركات الى عالى الدرجات
والله الموفق ولما كانوا كانهم قالوا لما نفعل قال مخاطبا للراس المسموع الامر المجاب الدعا قل اى لهم موتوا بغيظكم اى
او زادوا دعا عليهم لا لخيط من الغهرو بادنه حتى يميتهم ولما كانوا يحلفون على نفى هذا البر صوبهم قال تعالى موكدا لما
اخبر به لئلا يظن انه ادى به غير الحقيقة ان الله اى الجامع لصفات الكمال عليم بذات الصدور اى فلا تظنوا انه
اراد بعض ما يجوز بالغيظ عنه ولما كان ما اخبرت به هذه الجمل من بغضهم وشدة عداوتهم محتاجا ليصل الى المشا
الى بيان دل عليه بقوله ان تمسسكم اى بمجرد مس حسنة تسوهم ولما كان دليلا شهوديا ولكنه ليس صريحا اتبعه
الصريح بقوله وان تصبكم اى بقوة مرها وشدة بدو ثغبها وضرها سيئة يفرحوا بها ولما كان هذا امرا مسكيا غايظا
سو لما داواهم بالاشارة الى النصر مشروطا بشرط التقوى والصبر فقال وان تصبروا وتتقوا اى تكونوا من
من اهل الصبر والتقوى لا يضركم كيدهم شيا ثم علل ذلك بقوله ان الله اى ذا الجلال والاكرام بما يعملون
محيط اى فهو يعد لكل كيد ما يبطله والمعنى على قراءة الخطاب بعملكم كله لمن صبر واتقى ظفره ومن عمل على غير ذلك
انتقمت منه ولما كان ما تضمنته هذه الاية من الاخبار ومن الوعد منطوقا ومفهوما محتاجا الى الاجتلا فى صور الجزئيات
ذكرهم سبحانه بالوقايع التى شوهدت فيها احوالهم من النصر عند العمل بمنطوق الوعد من الصبر والتقوى وعدمه
عند العمل بالمفهوم وشوهدت فيها احوال عدوهم من المسااة عند السر ووروا السرور عند المساة وذلك
غنى عن دليل لكونه من المشاهدات مشيرا الى ذلك بواو العطف على غير مذكور مخاطبا لاعظم عباده فطنة
وافرهم اليه رتبة تهييجا لغيره الى تدقيق النظر واتباع الدليل من غير ادنى وقوف مع المالوف فقال تعالى واذ

اى اذكر ما يصدق ذلك من احوالكم الماضية حين صبرتم واتقيتم فنصرتم وحين ساءتم نصركم في كل ذلك في صرع عبد الله بن جحش الى حمله ثم في بدر ثم في غزوة بني قينقاع وغير ذلك واذكر اذ لم يصبر اصحابك فاصيبوا واذ ستر بهم مصيبتكم في وقعة احد اذ غدوت اى يا خاتم الانبياء واكرم المرسلين من اهلك اى بالمدينة الشريفة صبيحة يوم الجمعة الى اصحابك في مسجدك تستشيرهم في امر المشركين وقد نزلوا باحد في اواخر يوم الاربعا او في يوم الخميس لقتالكم وبنى من غدوت حالا اعلاما بان الشروع في السبب شروع في مسببه فقال تبوئ اى تنزل المؤمنين اى صبيحة يوم السبت وعبر بقوله مقاعد اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم تقدم الى كل احد بالثبات في مركزه واوعز اليه في ان لا يفعل شيئا الا بامره لا سيما الرماة ثم ذكر علة ذلك فقال للقتال ولما كان التقدير وتقدم اليهم بابلغ مقال في تسديد الاقوال والافعال اشار تعالى الى انه وقع في غضون ذلك منه ومنهم كلام كثير خفي وجلي بقوله والله اى والحال ان الملك الاعظم الذي انتم في طاعته سميع اى لاقوالكم عليم اى بنياتكم في ذلك وعزم فاحذروه ولعله خص النبي صلى الله عليه وسلم بلذيذ الخطاب في التذكير تخويفا لهم مع ما تقدم من الاشارة اليه على المواقفة تعريضا بانهم حقوا مع الذي ذكرهم امورا حتى تواثبوا حين تخاصموا الى السلاح كما ذكر في سبب نزول قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية لو تفقوا عن باعث الغنم وصافي العكر حقه الى ما اراد بهم عدوهم فما نقضى هذا التحذير كله وبوبيه ذلك اتباعه بالخطاب عليهم عند نسبة الفشل اليهم كما يأتي قريبا ولعله انما خص هذه الغزوة بالذكر دون ما ذكرت ان واو عطفها دلت عليه بما بعد والبدر بالنصر لان الشماتة بالمصيبة ادل على البغضا والعداوة من الحزن بما يسر ودل ذكرها على المحذوف لان المدعى فيما قبلها شيئان المساءة بالحسنة والفرح والسرور بالمصيبة فاذا برهن المتكلم على الثاني علم ولا بد انه حذف برهان الاول وانه انما حذفه وهو حكيم لنكتة ومن هنا عدم الاحتياج الى ذكره لوضوحه بدلالة السياق مع واو العطف عليه وما تقدم من كونه غير صريح الدلالة في امر البغض على انه تعالى قد ذكر بدرا كما ترى بعد حكمة ستذكر واطلق سبحانه كما عن الطبري وغيره التبوئ على ابتداء القتال بالاستشارة فان الكفار لما نزلوا يوم الاربعا ثاني عشر شوال سنة ثلث من الهجرة في سفح احد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر فيهم ما ياتيه من الوحي بقية الاربعا ويوم الخميس وليلة الجمعة وباتت وجوه الانصار في المسجد بباب النبي صلى الله عليه وسلم يحرسونه صلى الله عليه وسلم وحرست المدينة الشريفة ثم دعا الناس صبيحة يوم الجمعة فاستشارهم في امرهم واخبرهم برؤياه تلك الليلة البقر المذبوحة والثلم في سيفه وادخال يده في الدرع الحصينة وكان رايه مع راي كثير من الصحابة المكث في المدينة فان قاتلوهم فيها قاتلهم الرجال مواجهة والنسا والصبيان من فوق الاسطحة وكان عبد الله بن ابي المنافق على هذا الراي فلم يزل ناس ممن اكرمهم الله بالشهادة منهم اسد الله واسد رسوله عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه يلحون عليه صلى الله عليه وسلم في الخروج اليهم حتى اجاب فدخل بيته ولبس لامته بعد ان صلى الجمعة فندموا على استكراههم له صلى الله عليه وسلم وهو يأتيه الوحي فلما خرج اليهم اخبروه وسألوه في الاقامة ان شا فقال ما كان ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه وفي رواية حتى يلاقي فاني الشيخين وهما اطمان تعرض بهما عسكره فنزع مع غياب الشمس وراه المشركون حتى نزل بهما واستعمل تلك الليلة على حرسه محمد بن مسلمة واستعمل المشركون على حرسهم عكرمة بن ابي جهل ثم ادلج من سحر ليلة السبت وتعدب الادلا لبسيره امامه وجاءت صلاة الصبح في الشوط وهم بحيث يرون المشركين فامر بلالا رضي الله عنه فاذن واقام وصلى باصحابه صلى الله عليه وسلم الصبح صفوفا فانخذل عبد الله بن ابي بثلث العسكر فرجع وقال اطاع الولدان ومن لا راي له وعصاني وما ندري علام نقتل انفسنا وتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر بن عبد الله احد بني سلمة واحد من استشهد في ذلك اليوم وكلمه الله قبلا ابتا شدهم الله في الرجوع فلم يرجعوا فقال ابعدكم الله سيغني الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنكم ورجع ثواني النبي صلى الله عليه وسلم نصف اصحابه وكادت طائفتان من الباقين وهما بنو سلمة عشيرة عبد الله بن عمرو وبنو حارثة ان تفشلا للرجوع بالمنافقين ثم ثبتهم الله تعالى ونزل صلى الله عليه وسلم الشعب من احد فجعل ظهره وعسكره الى احد وعبا اصحابه وقال لا يقاتلن احد حتى نامره وعين طائفة من الرماة وانزلهم بجنبين جبيل هناك من ورائهم واوعز اليهم في ان لا يتغيروا امنه حتى يامرهم ان كانت له او عليه حتى قال لهم ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا وان رايتمونا هزمنا فلا تشركونا في الغنيمة وانضحوا الخيل عنا اذا اتت من ورائنا وبرز صاحب لوا المشركين وطلب المبارزة فبرز اليه رجل من المسلمين فقتله المسلم فحمله اخر وبرز فقتل وفعلوا ذلك واحدا بعد واحد حتى تموا عشرة كلهم يقتل فلما انكسرت قلوب المشركين بتوالي القتل في اصحاب اللوا امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فشدوا فهزموا المشركين وخلوا عسكرهم ونساءهم وكانت الخيل كلما اتت من ورا المسلمين نضحتهم الرماة بالنبل فرجعوا فلما وقع الصحابة رضي الله عنهم في نهب العسكر خلى الرماة مركزهم فنهاهم اميرهم وحذرهم مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يطعه منهم الا نحو العشرة فاتى اصحاب الخيل فقتلوا من بقي من الرماة ثم اتوا الصحابة رضي الله عنهم من ورائهم وهم ينتهبون فاسرعوا فيهم القتل ونادى ابليس ان محمدا قد قتل فانهزم الصحابة رضوان الله عليهم ولم يثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم الا قليل ما بين العشرة الى

الثلثين

الثلثين على اختلاف الاقوال فاستمر يحاربهم العدو والله تعالى يحفظه ويدافع عنه حتى دنت الشمس للغروب وصرف الله العدو وقد قتل النبي صلى الله عليه وسلم الشهدا واصيب اصحابه رضي الله عنهم فاثنى على الله عز وجل ثناء عظيما ذكر فيه سبحانه وعدله وان الملك ملكه يتصرف فيه كيف شا ورجع الى المدينة الشريفة وقد اصابته الجراحة في مواضع من وجهه بنفسي هو وابي وامي وجسمي وعيني ولما كان رجوع عبد الله بن ابي المنافق كما ياتي في صريح الذكر اخر القصة من الادلة على ان المنافقين يضلاعن المصارحين بالمصارمة متصفون بما اخبر الله تعالى عنهم من العداوة والبغضا مع انه كان سببا في هم الطائفتين من الانصار بالفشل كان ابتلاء هذه القصة للنهي عن اتخاذ بطانة السوء الذين لا يقصرون عن فساد في غاية المناسبة ولذلك افتتحها سبحانه بقوله مبدلا من اذ غدوت دليلا على ما قبله من ان بطانة السوء لا تالوهم خبالا وغير ذلك اذ همت طائفتان كانتا جناحي العسكر منكم اى بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس ان تفشلا اى تكسلا وتتراخيا وتضعفا وجبنا لرجوع المنافقين عن نصرهم وولايتهم فترجعا كما رجع المنافقون والله اى والحال ان ذا الجلال والاكرام وليهما وناصرهما لانهما مؤمنتان فلا ينبغي وقوع الفشل وتحققه منهما فلينوكلا عليه وحده لايمانهما او يكون التقدير فالعجب منهما كيف تعتمدان على غيره سبحانه لتضعفا جدا لانه والحال انه على الله اى الذي له الكمال كله وحده فليتوكل المؤمنون اى الذي صار الايمان صفة لهم ثابتة اجمعون لينصرهم لا على كثرة عدد ولا قوة جلد والاحسن تنزيل الاية على الاحتباك ويكون اصل نظمها والله وليهما لتوكلهما وايمانهما فلم يمكن الفشل منهما فتولوا الله وتوكلوا عليه ليصونكم من الوهن وعلى الله فليتوكل المؤمنون كلهم ليفعل بهم ذلك فالامر بالتوكل ثانيا دال على وجوده اولا واثبات الولاية اولا دال على الامر بها ثانيا وفي البخاري في التفسير عن جابر رضي الله عنه قال فينا نزلت اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب انها لم تنزل لقول الله عز وجل والله وليهما ولما كان ظاهر الحال فيما اصاب الكفار من المسلمين في هذه الغزوة ربما كان سببا للشك من لم يحقق بواطن الامور ولا له اهلية التعوذ في الدقايق من عجايب المعد ولي قوله تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم قل للذين كفروا ستغلبون ذكرهم الله تعالى نصره لهم في غزوة بدر وهم في القلة دون ما هم الان بكثير مشيرا لهم الى ما اثمره توكلهم من النصر وحالهم اذ ذاك حال الايس منه ولذلك كانوا في غاية الكراهة للقتال بخلاف ما كانوا عليه في هذه الكرة حثا على ملازمة التوكل منبها على انه لا يزال يريهم مثل ذلك النصر ويذيق الكفار اضعاف ذلك الهوان حتى يحق الحق ويبطل الباطل ويظهر دين الاسلام على الدين كله فقال عاطفا على ما تقديره لمن توكل عليه نصره وكفاه وان كان قليلا فلقد نصركم الله اول النهار في هذه الغزوة وحيث صبرتم واتقيتم له بطاعتكم للرسول صلى الله عليه وسلم في ملازمة الثغر والاقبال على الحرب وغير ذلك مما امركم به صلى الله عليه وسلم ولم تفرقكم قلتكم ولا ضعفكم من رجع عنكم شيئا ولقد نصركم الله بما له من صفات الجلال والجمال ببدر المشار اليها اول السورة بقوله تعالى قد كان لكم اية في فئتين التقتا بما صبرتم واتقيتم ولما كانوا في عدد يسير اشار اليه بجمع القلة فقال وانتم اذلة اى فاذكروا ذلك واجعلوه نصب عينكم لينفعكم وكان الاتيان بامر بدر وتعداد الفشل المختتمة بالحث على التوكل في الغاية من حسن النظم وهو دليل ايضا على منطوق قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا كما كان امر احد دليلا على منطوقها ومفهومها معادل على منطوقها بنصرهم اول النهار عند صبرهم وعلى مفهومها بادالة العدو عليهم عند تسليم امره والله الموفق على انك اذا امعنت التامل في قصة احد من السير وكتب الاخبار علمت ان الظفر بها ما كان الا للنبي صلى الله عليه وسلم كما سيأتي الخبر به في قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه الاية فان الصحابة رضي الله عنهم هزموهم كما مضى في اول النهار حتى لم يبق في عسكرهم احد ولا بقي عند نسايهم حام فلما خالف الرماة امره صلى الله عليه وسلم واقبلوا على الغنيمة اراد الله تاديبهم وتعريفهم ان نصرته لنبيه صلى الله عليه وسلم غير محتاجة في الحقيقة اليهم فانهزموا حتى لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم منهم غير نفر يسير ما يبلغون الخمسين والكفار ثلاثة الاف وخيلهم مائتان فاستمر عليه الصلاة والسلام في نحورهم يجالدهم وقصد اولهم يرامونه مرة ويطاعنونه اخرى ويجتمعون عليه كرة ويفترقون عنه اخرى والله تعالى يمنعه منهم بايده ويحوطه بعونه حتى دلكت الشمس للغروب وقتل بيده صلى الله عليه وسلم ابي بن خلف مبارزة بضربة بحربة لما كان وعد به قبل الهجرة وخالطوه غير مرة ولم يمكنهم الله منه ولا قدروا على اسر احد من اصحابه ثم ردهم خائبين بعد ان تراجع اليه اصحابه في اثنا النهار ولم يرجع صلى الله عليه وسلم من احد الا بعد انصرافهم ودفن من استشهد من اصحابه وامام قاتلهم وراجعين ولم يلووا على احد ممن قتل منهم وهم اثنان وعشرون رجلا من سرواتهم وجال رايا تهم وقال الجلال الخجندي في كتابه في دروس المجاهدين انه صح النقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ما نصر النبي صلى الله عليه وسلم في موطن من المواطن نصرته في يوم احد انتهى وكفى على ذلك دليلا ما نقل موسى بن عقبة وسير ثم اصح السير في غزوة الفتح عن قائد الجيش يومئذ ابي سفيان بن حرب انه قال عند ما عرض عليه النبي صلى الله عليه

الا اعلام بالحمد فقد استنصرت الهي واستنصرت الهك ثم الله ما لقيتك من مرة الا ظهرت علي فلو كان الهي حقا والهك
مبطلا لقد ظهرت عليك وانما كانت الهزيمة وقتل من قتل لحكم ومصالح لا تخفى على من له رسوخ في الشريعة وثبات قدم في السنن
ويمكن ان تكون هذه القصة سند رجيز في حكم النهي في القصة التي قبلها عن طاعة فريق من اهل الكتاب عطفا على قوله
تعالى يخبر في قوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم لتنشابه الفصتين في الاصغا الى الكفار قولا او فعلا
المقتضي لهدم الدين من اصله لان هم الطايفتين بالفشل انما كان من اجل رجوع عبد الله بن ابي المنافق حليف اهل الكتاب
وموالبهم ومصادقهم ومصافيهم ويويد ذلك نهيه تعالى في اثنا هذه عن مثل ذلك بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ويكون اسناد الفعل في غدوت وامثاله الى النبي صلى الله
عليه وسلم والمراد الاسناد الى الجمع لانه الرئيس المخاطب بخطابهم ولشرف هذا الفعل كان الاليق افراده صلى الله عليه وسلم
واما الفشل ونحوه فاسند اليهم كما هو الواقع عليهم ولما امتن سبحانه عليهم بالنصرة في تلك الكرة سبب عن ذلك امرهم
بالتقوى اشارة الى انها السبب لدوام النعمة فقال **فاتقوا الله** اي في جميع اوامره ونواهيه مراقبين له بذكر جميع جلاله
وعظمته وكماله **لعلكم تشكرون** وقد استشكل هذا بان التقوى التنزه عن المعاصي والشكر فعل يبنى عن تعظيم المنعم وشكر
الله صرف جميع ما انعم به في طاعته فحينئذ التقوى من الشكر فان اريد العموم اختل الكلام الى اشكروا لعلكم تشكرون ولا يتجه
الجواب الا بعد معرفة حقيقة التقوى لغة قال الامام عبد الله في كتابه الواعي الوافية ما وقيت الشي وكل شي وقيت به شيا
فهو وقاية له ووقاية وقوله سبحانه لعلكم تتقون قال ابن عرفة اي لعلكم ان تجعلوا بقبول ما امركم به وقاية بينكم وبين النار انتهى
فاتضح ان حقيقة اتقوا اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية وان شيئا اتخذ الوقاية الخوف من ضارنا الظاهر والله اعلم ان
اتقوا بمعنى خافوا مجازا مرسلا من اطلاق اسم المسبب على السبب فالمعنى خافوا الله لتكونوا على رجا من ان يحملكم خوفه على طاعته
على سبيل التجديد والاستمرار ولئن سلمنا ان التقوى من الشكر هو اصل الباب الذي يثمر باقيه وهو المراد بقول ابن
هشام في السيرة ان المعنى فاتقون فانه شكر نعمتي ويجوز ان يكون لعلكم بردا دول نعما تشكرون عليها اقامة للسبب مقام
المسبب والله اعلم ولما اشتملت هذه القصة على المصيبة التي سيقص الله كثيرا منها وهي مستوفاة في السير كان الانسب
من قصها وبيان ما اتفق بها او عظم من يأتي البداة بتذكير من باشرها بما وعدهم الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
قبل وقوع القتال من النصر المشروط بالصبر والتقوى تنبيها لهم على ان الخلل من جهتهم اتى ثم وعظهم بالنهي عما منعهم
النصر والامر بما يحصله لهم ثم سجعهم على ذلك بما يقص عليهم من نبا من قاتل مع الانبيا قبلهم بانهم لما اصابهم القتل
لم يهنوا وعلموا ان الخلل من انفسهم فبادروا الى اصلاحه بافعال المتقين من الصبر والتضرع والاقرار بالذنب فقال
سد الامن اذ غدوت عودا على بدء لتعظيمها للامر حثا على النظر في موارده ومصادره والتدبر لاوايله واواخره **اذ تقول
للمومنين** اي الذين شاورتهم في امر احد وفي عادتهم المنافقون لما زلزلوا برجوع اكثر المنافقين حتى كاد بعض الثابتين
ان يرجع ضعفا وجبنا مع ما كان النبي صلى الله عليه وسلم اخبرهم به من تلك الرويا التي اولها بانه يكون في اصحابه ليكون
اقدامهم على بصيرة او يصدهم ذلك عن الخروج الى العدو كما كان ميل النبي صلى الله عليه وسلم في اكثر اصحابه واعلامهم الى المكث
في المدينة قال منكرا اتيا باداة التاكيد للنفي **الن يكفيكم** اي ايها المومنون **ان يمدكم** امدادا خفيا بما اشار اليه الادغام
ربكم اي المتولي لتربيتكم ونصره بكم **بثلثة الاف** ثم عظم امرهم بقوله **من الملئكة** ثم زادهم عظما بانهم من السما بقوله
منزلين ثم تولى سبحانه هو الجواب عنهم تحقيقا للكفاية فقال **بلى** اي يكفيكم ذلك ثم استانف بقوله **ان تصبروا
وتتقوا** اي توقعوا الصبر والتقوى لله ربكم فتفعلوا ما يرضيه وتنتهوا عما يسخطه **وياتوكم** اي الكفار **من فورهم** اي وقتهم
استعير للسرعة التي لا تردد فيها من فارت القدر اذا غلت **هذا** اي في هذه الكرة **يمددكم** اي امدادا جليا بما اشار اليه
اشارة لتطبيق الفك واشارة مجموعة التنويه **ربكم** اي المحسن اليكم باكثر من ذلك **بخمسة الاف من الملئكة** ثم بين انهم من
اعيان الملائكة بقوله **مسومين** اي معلمين بما يعرف به مقامهم في الحرب والظاهر من التعبير بالتنويه ايهام القتال
ومن الاقتصار على الانزال عدمه ويكون فائدة نزولهم البركة بهم وارهاب الكفار بمن يرونه منهم قال البغوي قال ابن عباس
ومجاهد لم تقاتل الملائكة في المعركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون انما يكونون عددا ومددا
ولما كان التعبير بلين الامداد بهم موجبا للنصر وكان قد قدم في اول السورة قوله والله يويد بنصره من يشا قال نهيا
قاصرا للامر عليه **وما جعله الله** اي الامداد المذكور وذكره لكم على ما له من الاحاطة بصفات الكمال التي لا يحتاج سواها الى
شي غيره اصلا **الا بشرى** ولما كانت الهزيمة عليهم في هذه الكرة وكان المقتول منهم اكثر قال **لكم** لئلا يتوهم ان ذلك بشرى
لعدوهم ولمثل هذا ايذانا بالمغلوب فقال **ولتطمين** وعلم ان التقدير لتكون الاية من الاحباب لتستبشر نفوسكم به
وطمانينة لكم لتطمين **قلوبكم به** اي الامداد فحكم هنا بانه بشرى مقيدا بلكم فكانت العناية بضميرهم اشد حتى كانه قيل الا
لبشراكم وطمانينتكم فوجب تاخير ضميره عنهم والمعنى انهم كانوا او لا خايفين فلما وردت البشرى اطمانوا بها رجا ان يفعل
لهم مثل ما فعل في بدر فلما اطمانوا بها وقع النصر كما وقع به الوعد ثم لما اطمانت قلوبهم الى شي من قوتها لانه قد سبق لها

هر

نصره وسره ودبطعن فضرب في بدر وغيرها فليحث نحو شي من ذلك حصلت الهزيمة ليصيروا الى حق اليقين بانه لا حول
لهم ولا قوة ولذلك قال تعالى **وما النصر** اي في ذلك وغيره **الا من عند الله** اي المستجمع لصفات الكمال لا بمدد ولا
غيره فلا تجدوا في انفسكم من رجوع من رجع ولا تاخر من تاخر ولا هزيمة من انهزم ولما قدم امر بدر هنا واول السورة
وتحقق بذلك ما له من العزة والحكمة قال **العزيز** الذي لا يغالب فلا يحتاج الى قتال احد ولا يحتاج في نصره ان قاتل
الى معونة احد **الحكيم** الذي يضع الاشيا في اتقن محالها من غير تاكيد اي الذي نصركم قبل هذه الغزوة وفي اول
النهار فيها لقلتكم ولا لغيركم ناصر غيره لئلا تلتفت احد الى سواه وكلا اليه خذل فاحذروه لتطيعوه طاعة الى الا
في كل اوان وهذا بخلاف ما في قصة بدر في الانفال وسياتي ان شا الله ما يتعلق بها من المقال بما اقتضاه هناك
الحال والحكيم رأس آية باجماع اهل العدد كما في الانفال ولما قرر الوعد ذكر ثمرته فقال معلقا الجار بيمددكم **ليقطع**
اي بالقتل **طرفا** اي طايفة من كرامهم يهمون بهم **من الذين كفروا** اي يهزم الباقين **او يكبتهم** اي يكسرهم ويردهم بغيظهم مع
الخزي اذلا واصل الكبت صرع الشي على وجهه **فينقلبوا** اي كلهم منهم ومن **خايبين** وذلك في كلتا الحالتين بقوتكم عليهم المنة
وضعفكم عنكم به ويجوز تعليق ليقطع بفعل التوكل اي فليتوكلوا عليه ليفعل باعدايهم ما يشاوه من نصرهم عليهم فيقبل بهم الى
الاسلام رغبة او رهبة او يسيبهم على كفرهم فيديم عذابهم مع عافيتهم منهم ورايت في سيرة الامام محمد بن عمر الواقدي ما يدل على تعليقه
من قوله وما جعله الله الا بشرى او بقوله ولتطمين وهو حسن ايضا ولما كان صلى الله عليه وسلم حريصا على طلب الادالة عليهم ليمثل
بهم كما مثلوا بعمه حمزة وعدة من اصحابه رضي الله عنهم قال تعالى **ليس لك من الامر** اي امرهم او امر غيرهم **شي** متوسطا بين المتعاطفات
يعني من الادالة عليهم بقتل او هزيمة تدرك بهما ما تريد بل الامر كله الي ان اردت فعل بهم ما تريد وان اردت منعك منه بالتوبة
عليهم او اماتتهم على الكفر حتف الانف فيتولى هو عذابهم وذلك معنى قوله **او يتوب عليهم** اي كلهم بما يكشف عن قلوبهم من
حجاب الغفلة فيرجعوا عما هم عليه من الظلم **او يعذبهم** كلهم بايديكم بان تستاصلوهم فلا يفلت منهم احد او يعذبهم من
غير واسطتكم بما يستدرجهم به مما يوجب اصرارهم حتى يموتوا على الكفر مع النصر عليكم وغيره مما هو لهم في صورة النعم الموجبة
لزيادة عقابهم ثم علل الاقسام الاربعة بقوله **فانهم ظالمون** وفي المغازي من صحيح البخاري معلقا عن حنظلة بن ابي سفيان
قال سمعت سالم بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على صفوان بن امية وسهيل بن عمرو والحارث بن
هشام فنزلت ليس لك من الامر شي الى ظالمون ورواه موصولا في المغازي والاعتصام عن سالم بن ابيه بغير هذا اللفظ وفيه
اللهم العن فلانا وفلانا ولما كان التقدير بل الامر له سبحانه وحده عطف عليه قوله مبينا لقدرته على ما قدم من فعله بهم في
جزائهم **ولله** اي الملك الاعظم وحده **ما في السموات** اي كلها على عظمها من عاقل وغيره وعبر بما لان غير العاقل اكثر وهي اجدر
وما في الارض كذلك ملكا وملكا فهو يفعل في ملكه وملكه ما يشا وفي التعبير بما ايضا اشارة الى ان الكفرة الذين السياق لهم
في عداد ما لا يعقل ولما كانت الاقسام كلها راجعة الى قسمين راحة الى قسمين عاقبة وعذاب قال مترجما لذلك مفردا
لقوله ليس لك من الامر شي **يغفر لمن يشا** اي منهم ومن غيرهم فيحظيه ما شا من خيري الدنيا والاخرة ويجنبه عن الربا وغيره
ويعذب من يشا بالمنع مما يريده من خيري الدارين لا اعتراض عليه فلو عذب الطائع ونعم العاصي حسن منه ذلك ولا يقبح
منه شي ولا اعتراض يوجه عليه هذا اصل اول الاية وهو لا يقتضي انه يفعل او لا يفعل ولما كان صلى الله عليه وسلم لشدة غيظه
عليهم في الله جديرا بالاستقامة منهم بدعا او غيره اشار له سبحانه الى العفو بالحث على التخلق باخلاق الله الذي سبقت رحمته
غضبه بقوله **والله** اي المختص بالجلال والاكرام **غفور رحيم** اي محا للذنوب عينا واثرا مكرم بعد ذلك بانواع الاكرام
فانطبق ذلك على ايضاح ليس لك وانهما امرا لموجب لاعتقاد ان يكون له سبحانه الامر وحده ولما انزل عليه ذلك وما
في اخر النحل بما للصابرين والعافين حوم المثلة واشتد نهيه صلى الله عليه وسلم عنها فكان لا يخطب خطبة الا نهى منها ولما
كان الختم بهاتين الصفتين ربما اطمع في انتهاك الحرمات لاتباع الشهوات فكان بعد المتعاطيه من الرحمة بعيدا من النقمة
وكان اعظم المقتضيات للخذلان تضييعهم للثغر الذي امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بحفظه بسبب ما لم نقل انما هو
هو بهزيمة العدو وعلى الغنايم للزيادة في الاعراض الدنيوية التي هي معنا الربا في اللغة اذ هو مطلق الزيادة اقبل عليهم تعالى
بقوله **يا ايها الذين امنوا** اي اقروا بالايمان صدقوا ايمانكم بان **لا تاكلوا الربا** اي المنتج فيما تقدم امره غاية النتيجة
وهو كما ترى مستعطف مناد لهم باسم الايمان الناظر الى الانفاق المعرض عن التحصيل ولما رزقناهم ينفقون والمنفقين
والمستغفرين بالاسحار لئن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ناه عن الالتفات الى الدنيا بالاقبال على غنيمة او غيرها
بطريق الاشارة بدلالة التضمن اذ المطلق جز المقيد في هذه العبارة التي صرحها ناه عن الاقبال على الدنيا اقبالا
يوجب الاعراض عن الاخرة باستباحة اكل الربا المتقدم في البقرة من النهي عنه من المبالغة ما يردع من له ادنى تقوى لانه
يوجب لمن لم يتركه وما بقي دبرا الضمان بالخذلان في كل زمان فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وليك الذين
اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ولما كان في ترك الاخذ في العدو ونحوه لل

المانع منه بالهزيمة مع انه فيه من حلاوة الظفر ما جل عن الوصف لاجل الغنيمة التي هي لمن غلب وتيسر في المبادرة الى حوزها
كبير فائدة دلالة على تنامي الحب للتكاثر ناسب المقام ربا التضعيف فقال او يقال لما كان سبب الهزيمة طلبهم الزيادة
بالغنيمة وكان حب الزيادة حلالا قد يجر الى حب الحرام ما يجر الى الربا المضاعف لان من يرتع حول الحمى يوشك ان يواقع قيد قال
اضعافا مضاعفة اي لا تنهبوا لذلك باقبالكم على مطلق الزيادة فان المطلوب منكم بذل المال فضلا عن الاعراض
عنه فضلا عن الاقبال عليه فالحاصل انها دلت على الربا بمطابقتها وعلى مطلق الزيادة بتضمنها وهي من وادي قوله صلى الله
عليه وسلم من يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه وختام الاية بقوله واتقوا الله اي الملك الاعظم لعلكم تفلحون مشيرا الى ذلك
اي واجعلوا بينكم وبين مخالفته لنهيه عن الزيادة وقاية بالاعراض عن مطلق محبة الدنيا والاقبال عليها لتكونوا على رجاء من الفوز
بالمطالب لمن له ملك الوجود وملكه فانه جدير بان يعطيكم من ملكه ان اتقيتم ويمنعكم ان تناهلتم فهي نهي عن الربا بصريح
العبارة وتحذير من ان يعودوا الى ما صدر منهم من الاقبال على الغنائم قبل انفصال الحرب فعلا وقوة بطريق الاشارة
وهي من ادلة امامنا الشافعي على استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه والذي دلنا على ارادة المعنى التضمني المجازي نظمها
والناظم حكيم في سلك هذه القصة ووضعها في هذا الموضع ولا يقدح في ذلك انه قد كان في هذه القصة امر يصلح ان يكون
سببا لنزول هذه الاية ووضعها هنا لان ذلك غير لازم ولا مطرد فقد كان حلفه صلى الله عليه وسلم انه يمثل بسبعين منهم
كما مثلوا بعمه حمزة رضي الله عنه سببا لنزول اخر سورة النحل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الى اخرها ولم توضع
هنا والامر الصالح لان يكون سببا لها ما رواه ابو داود في سننه بسند رجاله رجال الصحيح عن ابي هريرة ان عمرو بن اقيش
رضي الله عنهما كان له ربا في الجاهلية فكره ان يسلم حتى ياخذه فجاء يوم احد فقال اين بنو عمي قالوا باحد قال اين فلان قالوا
باحد قال اين فلان قالوا باحد فلبس لامته وركب فرسه ثم توجه قبلهم فلما راه المسلمون قالوا اليك عنا يا عمرو قال اني قد
امنت فقاتل حتى جرح فحمل الى اهله جريحا فجاءه سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال لاخته سليه حمية لقومك او غضبا لله عز وجل
فقال بل غضبا لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فمات فدخل الجنة وما صلى لله عز وجل صلاة والقصة في جزء عبد
الله بن محمد بن حفص العيشي بالمهملة ثم التحتانية ثم المعجمة تخريج ابي القسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي والجزء السابع
عشر من المجالسة للدينوري من طريق حماد بن سلمة شيخ ابي داود ولفظ العيشي ان عمرو بن وقش وقال الدينوري اقيش كان
له ربا في الجاهلية وكان يمنعه ذلك الربا من الاسلام حتى ياخذه ثم يسلم فجاء ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم زاد
الدينوري واصحابه باحد فقال اين سعد بن معاذ وقال العيشي فقال القوم اين سعد بن معاذ قالوا هو باحد قال الدينوري
فقال اين بنو اخيه قالوا باحد فسال عن قومه فقالوا باحد فاخذ سيفه ودرعه ولبس لامته ثم اتى احدا وقال الدينوري
ثم ذهب الى احد فلما راه المسلمون قالوا اليك عنا يا عمرو قال اني قد امنت فقاتل فحمل الى اهله جريحا فدخل سعد بن
معاذ فقال يعني لامراته سليه وقال العيشي فقال لاخته ناديه فقولي وقال الدينوري فقالت اجبت غضبا لله ورسوله
ام حمية وغضبا لقومك فقاتل ثم فقال جئت غضبا لله ورسوله فمات فدخل الجنة ولم يصل لله قط وقال الدينوري قال
ابو هريرة رضي الله عنه فدخل الجنة وما صلى لله صلاة ورواها ابن اسحق والواقدي عن ابي هريرة رضي الله عنهم انه كان يقول
حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط وقال الواقدي خبروني برجل يدخل الجنة لم يصل لله سجدة قط فيسكت الناس فيقول
ابو هريرة رضي الله عنه هو اخو بني عبد الاشهل وقال ابن اسحق فاذا لم يعرفه الناس سالوه من هو فيقول اصيرم بني عبد
الاشهل عمرو بن ثابت بن وقش رضي الله عنه زاد ابن اسحق قال الحصين يعني شيخه فقلت لمحمود بن لبيد كيف كان شان الاصيرم
قال كان يابى الاسلام على قومه فلما كان يوم خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد بدا له في الاسلام فاسلم ثم اخذ سيفه
فغدا حتى دخل في عرض الناس فقاتل حتى اثبتته الجراحة فبينا رجال من بني عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة اذا هم به
فقالوا والله ان هذا للاصيرم ما جاء به لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الحديث فسالوه ما جاء به فقالوا ما جاء بك يا عمرو احدب
على قومك ام رغبة في الاسلام فقال بل رغبة في الاسلام امنت بالله ورسوله واسلمت ثم اخذت سيفي فغدوت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قاتلت حتى اصابني ما اصابني ثم لم يلبث ان مات في ايديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انه لمن اهل الجنة فالمعنى على هذا يا ايها الذين يريدون الايمان لا تفعلوا مثل فعل الاصيرم في تاخير ايمانه لاجل الربا
بل سابقوا الموت لئلا ياتيكم بغتة فتهلكوا او يا ايها الذين اخبروا عن انفسهم بالايمان ورسوخ الاذعان في انفسهم كما
والايمان بموالزمان افعلوا مثل فعله ساعة اسلم في صدق الايمان واسلام نفسه الى دهره بركوب الاهوال في غمرات القتال
من غير خوف ولا توقف ولا التفات الى امر دنيوي ان عظم فقد بان انه نبه بالاشارة الى قصة بدر ثم بهذه الاية على ان من
اعرض عن الدنيا حصلت له بعز وان كان قليلا ومن اقبل عليها فاته بذل وان كان كثيرا جليلا لان من له ملك السموات
والارض يفعل ما يشا ولا تقيد الاية باخر مطلق الفضل في الربا ما لم يبلغ الى الاضعاف المضاعفة لان افهامها لذلك
معارض بمنطوق ايات البقرة الناهية عن مطلق الربا والمفهوم لا يعمل به اذا عارض منطوق نص اخر وهذا من مزيد الاعتنا

بستان الربا

بشان الربا اذ حرم كل نوع منه في اية تخصه بحرم ربا الفضل في ايات البقرة ويلزم من تحريمه تحريم ربا الاضعاف
ثم نص عليه في هذه الاية نصا وحرما مرتين مفهوما ومنطوقا مع ما افاد ذكره من النكت التي تقدم التنبيه عليها ولما كان
الغاية بالمطالب قد لا يوفي للطالب قال تعالى واتقوا النار اي ان لم تكونوا ممن يتقيه سبحانه لذاته النار التي اعدت اي
هيئت للكافرين اي بالله باستحلال الربا وغيره بالذات وللكافرين بالنعمة عصيانا بالعرض ولما كان الغاية السالم
قد لا يكون مقربا قال اتباعا للوعيد بالوعد واطيعوا الله ذا الجلال والاكرام والرسول اي الكامل في الرسلية كمالا
ليس لاحد مثله في امتثال الاوامر واجتناب النواهي بالاخلاص لعلكم ترحمون اي لتكونوا على رجاء وطمع في ان يفعل بكم
فعل المرحوم بالتقريب والمحبة والانجاز كل ما وعد على الطاعة من نصر وغيره ولما نهى عما منع النصر بالنهي عن الربا المراد
بالنهي عنه الصرف عن مطلق الاقبال على الدنيا المشار الى ذمها في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين الاية وامر بما تضمن الفوز والنجاة والقرب وكان ذلك قد يكون مع التواني امر بالمسارعة فيه توصلا الى ما
اعد للذين اتقوا الموعودين بالنصر المشروط بتقواهم وصبرهم في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا
يمددكم وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا الموصوفين بما تقدم في قوله تعالى في المقصد الثالث من ذم ايم هذه
السورة قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا الايات على وجه ابلغ من ذلك بالمسارعة الى ما يوجب المغفرة من الرب
اللطيف بعباده والى ما يبيح الجنة الموصوفة بالاجتهاد في الجهاد على ما جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من التقوى فان
هذه الجنة اعدت للمتقين الذين تقدمت الاشارة اليهم في قوله تعالى واتقوا الله لعلكم تفلحون الذين يتخلون عن الاموال
وجميع مصالح الدنيا فلا تمتد اعينهم الى الازدياد من شي منها ويتحلون بالزهد فيها والانفاق لها في سبيل الله في مرضاة رسوله
صلى الله عليه وسلم من الجهاد وغيره في السرا والضرا لا بالاقبال على الدنيا من غنيمة او غيرها اقبالا يخل ببعض الاوامر وبالصبر
بكظم الغيظ عمن اصيب منهم بقتل او جراحة والعفو عمن يحسن العفو عنه في التمثيل بالقتلى في احد او غير ذلك ارشادا
الى ان لا يكون جهادهم الا غضبا لله تعالى لا مدخل فيه لحظ من حظوظ النفس اصلا وبالصبر ايضا على حمل النفس على الاحسان
الى من اساء بذلك او غيره كما فعل صلى الله عليه وسلم في فتح مكة بعد ان كان حلف ليمثلن بسبعين منهم مكان تمثيلهم بسيد
الشهدا اسد الله واسد رسوله عمه حمزة بن سيد الحجيج عبد المطلب فانه وقف صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم الذي كان
اعظم ايام الدنيا الذي انبث فيه نور الاسلام على مشرق الارض ومغربها فهزم ظلام الكفر وضرب رواده في كل قطر على
درج الكعبة وهم في قبضته فقال ما تظنون اني فاعل بكم يا معشر قريش قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم
الطلقا وبالاستخفاف عن عمل الفاحشة من خذلان المومنين واكل الربا والتولي عن قتال الاعدا وعن ظلم النفس من حب
الدنيا الموجب للاقبال على الغنائم التي كانت سبب الانهزام او غير ذلك مما اراد الله تعالى فقال تعالى وسارعوا
اي بان تفعلوا في الطاعات فعل من يسابق خصما الى مغفرة من ربكم اي المحسن اليكم بارسال الرسل وانزال الكتب
بفعل ما يوجبها من التوبة والاخلاص وكل ما يزيل العقاب وجنة اي عظيمة جدا ثم بين عظمها بقوله عرضها السموات والارض
اي كعرضها فكيف بطولها ويحتمل ان يكون كطولها فهي ابلغ من اية الحديد كما يا في وعلى قراءة سارعوا بحذف الواو يكون
التقدير سارعوا بفعل ما تقدم فهو في معناه لا مغاير له ولما وصف الجنة بين اهلها بقوله اعدت اي الان وفرغ منها
للمتقين وهم الذين صارت التقوى شعارهم فاستقاموا واستمروا على الاستقامة ثم وصف المتقين بما تضمن تفصيل
الطاعة المامور بها قبل اجمالا على وجه معرف باسباب النصر الى اخر ما قص من خبر الانبيا الماضين ومن معهم من الربيين بادئا
بما هو اشق الاشيا ولا سيما في ذلك الزمان من التبرؤ من المال الذي هو عديل الروح فقال الذين ينفقون اي مما
اتاهم الله وهو تعريض بمن اقبل على الغنيمة في السرا والضرا اي في مرضات الله في حالتي الشدة والرخا ولما ذكر اشق
ما يترك ويبذل اتبعه اشق ما يحبس فقال والكاظمين اي الحابسين الغيظ عن ان ينفذوه بعد ان امتلاوا منه ولما
كان الكاظم غيظه عن ان يتجاوز في العقوبة قد لا يعفو احثه على العفو بقوله والعافين وعم في الحكم بقوله عن الناس اي
ظلمهم لهم ولو كانوا قد قتلوا منهم او جرحوهم ولما كان التقدير فان الله يحبهم لاحسانهم عطف عليه تنويها بدرجة
الاحسان قوله والله اي الذي له صفات الكمال يحب المحسنين اي يكرمهم بانواع الاكرام على سبيل التجديد والاستمرار
ولما اخبر بها للمحسنين الى الغير ومن قاربهم اخبر انها لمن دونهم في الرتبة من التائبين المحسنين الى انفسهم استجلابا لمن رجع
عن احد من المنافقين ولغيرهم من العاصين فقال والذين اذا فعلوا اي باشروا عن علم او جهل بغلبة فاحشة اي من الذنوب
الكبار او ظلموا انفسهم اي باي نوع كان من الذنوب ليصير الفاحشة موعودا بغفرانها بالخصوص وبالعموم ذكروا الله
اي بما له من كمال العظمة فاستحيوا منه وخافوه فاستغفروا اي فطلبوا منه المغفرة بالتوبة بشرطها لذنوبهم اي
فانه يغفر لهم لانه غفار لمن تاب ولما كان هذا مفهما لانه تعالى يغفر كل ذنب تبعه تحقيق ذلك ونفي القدرة عليه
عن غيره لان المخلوق لا يمضي غفرانه لذنب الا اذا كان مما شرع الله غفرانه فكان لا غافر في الحقيقة الا الله فقال مرغبا
في الاقبال عليه بالاعتراض بين المتعاطفين ومن يغفر الذنوب اي يمحوا اثارها حتى لا تذكر ولا يجازى عليها الا الله اي

أي الملك الأعلى ولما كان الإصرار إضراراً للقلوب قال تعالى ولم يصروا أي يديموا على ما فعلوا ولما كان سبحانه قد تفضل برفع
القلم عن الغافل قال وهم يعلمون أي أنهم على ذنب ولما أتم وصف السابقين وهم المتقون واللاحقين وهم التائبون قال معلياً
بجزائهم الذين سارعوا إليه من المغفرة والجنة مشيراً إليهم بأداة البعد تعظيماً لشأنهم على وجه معلم بأن أحداً لا يقدر أن يقدر
الله حق قدره أولئك أي العالو الرتبة جزاؤهم مغفرة أي لتقصيرهم أو هفواتهم أو لذنوبهم وعظمها بقوله من ربهم أي
المحسن إليهم بكل إحسان وأتبع ذلك الإكرام فقال وجنات أي جنات ثم بين عظمها بقوله تجري من تحتها الأنهار حال كونهم
خالدين فيها أي أجرهم على عملهم ونعم أجر العاملين هي هذا على تقدير أن تكون الإشارة لجميع الموصوفين وإن كانت للمستغفرين
خاصة فالأمر واضح في نزول رتبتهم عمن قبلهم ولما فرغ من بيان الزلل الذي وقع لهم به الخلل والترهيب مما يوقع فيه والترغيب
فيما ينجي منه في تلك الأساليب التي هي أحلى من رائق الزلال وألذ من الوصال بعد طول المطال أخذ يشجعهم على الجهاد لذوي
العناد فبدأ بالسبب الأقوى وهو الأمر بمشاهدة مصارع من مضى من المكذبين برؤية ديارهم وتتبع آثارهم مع أنهم كانوا أشد
خلقاً وأقوى هِمماً وأكثر عَدداً وأحكم عُدداً فقال تعالى معللاً للأمر بالمسارعة إلى المغفرة قد خلت ولما كان العلم بالقرب
في الزمان والمكان أتم وكان الذين وقعت فيهم السنن لم يستوعبوا جميع أهل الأرض ولا في جميع الزمان أثبت الجار فقال من قبلكم أي فلا
تظنوا أن ما أملي لهم لهذه الإدالة أن نعمته انقطعت عنكم سنن أي وقائع سنها الله في القرون الماضية والأمم الخالية في المؤمنين
والمكذبين وأحوال وطرائق كانت للفريقين فتارة سوءاً للمؤمنين وتوبخوا الأعداء لكم مثل ما للمكذبين فانظروا وانحوا النا...
في أحوال الفريقين ولما لم يحصل ذلك إلا بالسير في البعيد والتعب الشديد قال فسيروا في الأرض أي للاتعاظ بأحوال تلك الأمم
برؤية آثارهم لتضموا الخبر إلى الخبر وتغيروا من العين بالأثر وتفرقوا بين الفعل والنظر ولما كان الرجوع عن الهفوة واجباً على
الفور عقب بالفاء قوله فانظروا أي نظر اعتبار ونبه على عظمة المنظور فيه بأنه أهل لأن يستفهم عنه لأنه خرج عن العوائد
لتعاظم أشكاله فقال كيف كان عاقبة أي آخر أمر المكذبين ولما تكفلت هذه الجمل بالهداية إلى سعادة الدارين نبه على ذلك
سبحانه بقوله على طريق الاستنتاج هذا بيان أي بقيد إزالة الشبهة للناس أي المصدقين والمكذبين وهدى أي إرشاد
بالفعل وموعظة أي ترقيق للمتقين ولما أمرهم بالمسارعة وأتبعها علتها ونتيجتها نهاهم عما يعوق عنها من مثل الوهن
الذي عرض لهم عند رؤيتهم الموت فقال ويجوز أن يعطف على ما تقديره فتبينوا أو اهتدوا واتعظوا إن كنتم متقين وانظروا
أحوال من كان قبلكم من أهل الباطل وإن كانت لهم دول وصولات وسطوات وحيل ولا تهنوا أي في جهاد أعدائكم الذين هم
أعداء الله فإن الله معكم عليهم وإن ظهروا يوم أحد نوع ظهور فتصيرون إلى أن يزول الأمر ولا تحزنوا أي على ما أصابكم منهم ولا
على غيره مما عساه ينوبكم والحال أنكم أنتم الأعلون أي في الدارين إن كنتم مؤمنين أي إن كان الإيمان وهو التصديق
بكل ما يأتي عن الله لكم صفة راسخة فإنكم لا تهنون لأنكم بين إحدى الحسنيين كما لم يهن من سيقص عليكم نبأهم ممن كانوا
مع الأنبياء قبلكم لعلوكم على عدوكم أما في الدنيا فلأن دينكم حق ودينهم باطل ومولاكم العزيز الحكيم الذي وعدكم هو
الملك الكبير لمن قتل والنصر المؤزر لمن بقي وهي خصوصيتكم لا يخفى عليه شيء من أحوالكم فهو ناصركم وخاذلهم وأما في الآخرة
فلأنكم في مقعد صدق عند مليك مقتدر وهم في النار وعند ملائكة العذاب الغلاظ الشداد أبداً ولما نهاهم عما تقدم
وبشرهم سلاهم وبصرهم بقوله إن يمسسكم قرح أي مصيبة بإدالتهم عليكم اليوم فقد مس القوم أي الذين لهم من قوة
المحاولة ما قد علمتم في يوم أحد نفسه وفي يوم بدر قرح مثله أي في مطلق كونه قرحاً وإن كان أقل من قرحكم في يوم أحد وأكثر منه
في يوم بدر على أنهم لما انصرفوا بعد ما أصابهم وانكفأتم يوم بدر بالوهن الذي لحقهم بعده وهل يقتل مثل من قتل منكم وأسر
منكم يوم أحد بالقتل والهزيمة أول النهار وهم أعداؤه فهو جدير بأن يظفركم بعدوهم وأنتم أولياؤه فكما لم يضعفهم وهنهم
وهم على الباطل فلا تضعفوا أنتم وأنتم على الحق ترجون من الله ما لا يرجون فقد أدلناكم عليهم يوماً وأدلناهم عليكم آخر وتلك الأيام
ولما نبه على تعظيمها بأداة البعد وكانت مما تعظم بعظمة أحوالها ذكر الحال المنبه عليها بقوله نداولها بين الناس أي بأن نرفع
من شئنا تارة ونرفع عليه أخرى ولما كان التقدير ليدال على من كانت له الدولة فيعلم كل أحد أن الأمر لنا بلا شريك ولا منازع
عطف عليه قوله وليعلم الله أي المحيط بجميع الكمال الذين آمنوا أي يتضح من دعوى الإيمان ببينة الجهاد فنكرمهم ومعنى ليعلم
أنه يفعل فعل من يريد علم ذلك بأن يبرز ما يعلمه غيباً إلى عالم الشهادة ليقيم الحجة على الفاعلين على ما يتعارفه الناس بينهم
ويتخذ منكم أي بأن يجعل قتلهم عين الحياة التي هي الشهادة لا غيبة فيها فهو سبحانه يزيد في إكرامهم بما صدقوا إيمانهم بأن لا
يكونوا مشهوداً عليهم أصلاً بفتنة في قبورهم ولا غيرها ولا يفزعوا الخوف ولا صعق ولا غيره فإن الله يحب المؤمنين ويعلم الذين
ظلموا ويجزي منهم أهل الجنة والأعداء والله أي الملك الأعلى لا يحب الظالمين أي الذين خالف فعلهم قولهم فهو لا يستشهدهم وإنما
يجعل قتلهم أول جهنم وعذابهم وفيه بشارة في ترغيب بأنه لا يفعل مع الكفرة فعل المحب لئلا يحزنوا على ما أصابهم ونذارة
في تأديب بأنهم ما خذلوا إلا بتضييعهم الثغر الذي أمرهم به من لم يزل مواظباً عليه وأمر الله بها في المنشط والمكره بحفظه وأقبلوا
على الغنائم قبل أن يفرغوا من العدو والآية من الاحتباك أثبت الاتخاذ أولاً دالاً على نفيه ثانياً وإثبات الكراهة ثانياً دالاً
على المحبة أولاً ولما قدم التطهير من الظلم دلالة على الاهتمام به أكمل ثمرات المداولة بقوله وليمحص أي وليطهر الله أي ذو الجلال

والاكرام

والإكرام الذين آمنوا أي أصيبوا أو يجعل مصيبتهم سبباً لتقويتهم ويمحق الكافرين أي شيئاً فشيئاً في كلتا الحالتين بما يجمعهم من
الرجس أما إذا كانت لهم فبالنقص بالقوة بالبطر الموجب للعكس وأما إذا كانت عليهم فبالنقص بالفعل الموجب للقطع بالنار
ولما كان السياق يرشد إلى أن المعنى أحسبتم أنه لا يفعل ذلك عادله بقوله أم حسبتم أي يا من أسكره تعبيتنا على الخروج في هذا
الوجه أن تدخلوا الجنة أي التي أعدت للمتقين ولما يعلم الله أي يفعل المحيط قدرة وعلماً بالامتحان فعل من يريد أن يعلم الذين
جاهدوا منكم أي وادعوا الجهاد بصدق العزيمة ثم أمضوه بالفعل تصديقاً للدعوى ويعلم الصابرين أي الذين شأنهم الصبر
عند الهزاهز والثبات عند جلائل المصائب تصديقاً لظاهر الغرائز فإن ذلك أعظم دليل على الوثوق بالله ووعده
الذي هو صريح الإيمان ولما أرشد السياق إلى أن التقدير فلقد كنتم تقولون لئن خرجت بنا لنبلين الله بلاء حسناً عطف عليه
قوله ولقد ويجوز أن يكون حالاً من فاعل حسبتم كنتم تمنون الموت أي الحرب عبر عنها به لأنها سببه وقد تمنى بعضهم الموت
نفسه بتمني الشهادة من قبل أن تلقوه أي رغبة فيما عند الله للشهداء فقد رأيتموه أي برؤية قتل إخوانكم والضمير يصلح
أن يكون للموت المعبر به عن الحرب وللموت نفسه برؤية أسبابه القريبة وقوله وأنتم تنظرون بمعنى رؤية العين فهو تحقيق
لإرادة الحقيقة ولما كان التقدير فما لكم عند ما صرخ الشيطان كذباً ألا إن محمداً قد قتل ولم يكن لكم ذلك فإنكم إنما تعبدون
رب محمد الحي القيوم وتقاتلون له وأما محمد فما هو إلا لكم في الدنيا ولكن وما محمد إلا رسول أي من شأنه الموت لا إله ثم قرر
المراد من السياق بقوله قد خلت أي مضت وفرغت إما بموتهم أو بالرفع إلى السماء ولما كان المراد أن الخلو منهم إنما كان في بعض الزمان
الماضي أثبت الجار فقال من قبله الرسل أي فسيسلك سبيلهم فاسلكوا أنتم سبيل من نصح نفسه من أتباعهم فاستمسك
بغرزهم ولما سبب عن ذلك إنكاراً انهزامهم ووهنهم على تقدير فقده أنكر عليهم بقوله أفإين ولما كان الملك القادر على ما
يريد لا يقول شيئاً وإن كان فرضاً إلا فعله ولو على أقل وجوهه وكان في علمه سبحانه أنه صلى الله عليه وسلم يموت موتاً لكونه على فراشه
وقتلاً لكونه بالسم قال مات أي موتاً على الفراش أو قتل أي قتلاً انقلبتم أي عن الحال التي فارقكم عليها فأضعتم مشاعر
الدين وتركتم مناهج المرسلين ثم قرر المعنى بقوله على أعقابكم لئلا يظن أن المراد مطلق الانتقال وإن كان على الأسنى له
والانتقال إلى أحسن ومن أي تقلبتم والحال أنه من ينقلب على عقبيه أي يترك ما شرع له نبيه أو التقصير فيه فلن
يضر الله أي المحيط بجميع العظمة شيئاً لأنه متعال عن ذلك بأن الخلق كلهم طوع أمره لا يتحركون حركة إلا على وفق مراده فلو أراد
لهداهم أجمعين ولو أراد أضلهم أجمعين وإنما يضر ذلك المنقلب نفسه لكفره بالله وسيجزي الله الكافرين ومن سار ثابتاً
على المنهج السوي فإنما ينفع نفسه شكره لله وسيجزي الله أي الذي له جميع صفات الكمال الشاكرين أي كلهم فالآية من الاحتباك
أثبت الانقلاب وعدم الضر أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً والجزاء ثانياً دليلاً على حذف مثله أولاً ولما كان موت الرأس من
أنصار الدين لا يصلح أن يكون سبباً للفرار إلا إذا كان موته بغير إذن صاحب الدين وكان الفرار لا يصلح إلا إذا كان يمكن
أن يكون سبباً للنجاة وأما إذا كان موته لا يكون إلا بإرادة رب الدين والفرار لا يكون سبباً في زيادة الأجل ولا نقصه أشار إلى ذلك
بقوله وما كان لنفس أي من الأنفس كائنة من كانت أن تموت أي بشيء من الأشياء إلا بإذن الله أي بعلم الملك الأعلى الذي
له الإحاطة التامة وإرادته وتمكينه من قبضها كتب لكل نفس عمرها كتاباً مؤجلاً أي أجلاً لا يتقدم عنه بثبات ولا يتأخر عنه
بفرار أصلاً ولما كان المعنى فمن أقدم شكره ولم يضره الإقدام ومن أحجم ذمه ولم ينفعه الإحجام وكان الحامل على الإقدام إيثار
ما عند الله والحامل على الإحجام إيثار الدنيا عطف على ذلك قوله ومن يرد ثواب الدنيا أي بعمله كالمهتمة المتغير بالثواب
وهم المقبلون على الغنائم بالنهب والفارون كفراً لنعمة الله نؤته منها أي ما أردنا وختام الآية يدل على أن التقدير هنا
وسنردي الكافرين ولكنه طواه رفقاً بهم ومن يرد ثواب الآخرة أي وهم الثابتون شكراً على إحسانه إليهم من غير أن يشغلهم
شاغل عن الجهاد ولما كان قصد الجزاء غير قادح في الإخلاص منة من الله تعالى علينا قال نؤته ونبه على أن العمل لذات الله من
غير نظر إلى ثواب ولا عقاب أعلى فقال منها أي ونجزيه لشكره وهو معنى قوله وسنجزي الشاكرين لكنه أظهر لتعليق الحكم بالوصف
وتم ولما ذكر سبحانه هذه الجمل على هذا الوجه الذي بين فيه العلل وأوضح لحال الزلل وكان التقدير بعد انقضائها فكأين من قوم
أمرناهم بالجهاد فكانوا على هذين القسمين فأثبنا الطائع وعذبنا العاصي ولم يضرنا ذلك شيئاً ولا جرى شيء منه على غير مرادنا
عطف عليه تأنيسهم بطرائق الصالحين من قبلهم وتسليتهم بأحوالهم قوله وكأين وهي بمعنى كم وفيها لغات كثيرة قرئ منها
في العشرة باثنتين الجمهور بفتح الهمزة بعدها الكاف وتشديد الياء المكسورة وابن كثير وأبو جعفر بألف ممدودة بعد الكاف
وهمزة مكسورة ولعلها أبلغ لأنه عوض عن الحرف المحذوف من المشهورة بالمد والمد وقع في النفس أو وزن القلب وفيها
كلام كثير في لغاتها ومعناها وقراءاتها المتواترة والشاذة وصلاً ووقفاً ورسمها في مصحف الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه
الذي وقع إجماع الصحابة عليه ليكون المرجع عند الاختلاف إليه وهل هي بسيطة أو مركبة ومشتقة أو جامدة وفي كيفية التصرف
في لغاتها استوعبته في كتابي الجامع المبين لما قيل في كأين وقال سبحانه من نبي ليكون التسلية أعظم بذكر ما هو طبق ما وقع في هذه
الغزوة من قتل أصحابه واحتمال العبارة لقتله نفسه بقوله قتل أي ذلك النبي حال كونه معه لكن الأرجح إسناد قتل إلى ربيون
لموافقته قراءة الجماعة سوى الحرميين وأبي عمرو وقاتل معه ربيون أي علماء ورثة الأنبياء وعلى منهاجهم كثير فما أي فما تسبب عن

قتل نبيهم وهنهم او يكون المعنى ويؤيده الوصف بالكثرة قتل الربيون لما تسبب عن قتلهم ان الباقين بعدهم وهنوا اي
ضعفوا في علمهم لما اصابهم في سبيل الله اي الملك الاعظم من القتل لنبيهم الذي هو عمادهم او لاخوانهم الذين هم اعضادهم لكونه في
الله وما ضعفوا اي مطلقا في العمل ولا في عزم وما استكانوا اي وما خضعوا لاعدائهم فطلبوا ان يكونوا تحت ايديهم تعريضا
بمن قال اذهبوا الى ابي عامر الراهب ليأخذ لنا امانا من ابي سفيان بل صبروا فاحبهم الله لصبرهم والله الذي له صفات الكمال
يحب الصابرين اي فليفعلن بهم من النصر واعلاء القدر وجميع انواع الاكرام فعل من يحبه ولما اثنى سبحانه على فعلهم اتبعه قولهم
فقال وما كان اي شيء من القول قولهم اي بسبب الامر الذي دهمهم الا ان قالوا اي وهم مجتهدون في نصر دين الله ناسبين الخذلان
الى انفسهم بتعاطي اسبابه ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي التي استوجبنا بها الخذلان واسرافنا في امرنا هضما لانفسهم لمع
كونهم ربانيين مجتهدين نسبوا ما اصابهم الى ذنوبهم فافعلوا انتم فعلهم لتنالوا من الكرامة ما نالوا كما اشار لكم سبحانه الى ذلك
قبل الاخذ في قص القصة عند ما وصف المتقين من قوله او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ولما دعوا بمحو ما اوجب
الخذلان دعوا بثمرة الحرف فقالوا وثبت اقدامنا اشارة الى ان الرعب من نتائج الذنب والثبات من ثمرات الطاعة انما تقاتلون
الناس باعمالكم ثم اشاروا الى ان قتالهم لم يكن الا لله لا لحظ من حظوظ النفس اصلا بقولهم وانصرنا على القوم الكافرين
فلما تم الثنا على فعلهم وقولهم ذكر ما سببه لهم ذلك من الجزاء فقال فآتاهم الله المحيط علما وقدرة ثواب الدنيا اي بان قبل
دعاءهم بالنصر والغنى بالغنائم وغيرها وحسن الذكر وانشراح الصدر وزوال شبهات الشر ولما كان ثواب الدنيا كيف ما كان
لا بد ان يكون بالكدر مشوبا وبالبلا مصحوبا لانها دار الاكدار اعراه من وصف الحسن وخص الاخرة به فقال وحسن ثواب الآخرة
اي بمجازاتهم بالتوفيق الى الاسباب في الدنيا وحقيقة في الاخرة فانهم احسنوا في هذه الافعال والمقال لكونهم لم يطلبوا بعبادتهم
غير وجه الله فاحبهم لاحسانهم والله المحيط بصفات الكمال يحب المحسنين كلهم فهو حقيق بان يفعل بهم كل جميل ولذلك رفع
منزلتهم ولم يجعل ثوابهم بعضا كما فعل بمن عبده لارادة الثواب فقال نؤته منها فقد بان ان هذه الآية منعطفة على ما امر به
الصحابة رضي الله عنهم على طريقة اللف والنشر المشوش فنفي الوهن تعريض بمن اشير اليه في آية ولقد كنتم تمنون الموت ومحبة
الصابرين تعريض بمن لم يصبر في قوله ويعلم الصابرين وكذلك والثنا على قولهم حث على مثل ما ندبهم اليه في قوله او ذكروا الله
فاستغفروا لذنوبهم وثبات الاقدام اشارة الى وانتم الاعلون ان كنتم مومنين والى ان ثبات القدم للنصر على عدا الله
كان شاغلا لهم عن الالتفات الى غيره وتعريض بمن اقبل على الغنائم وترك طلب العدو ولتمام النصر المسند اليهم باية ومن
ثواب الدنيا نؤته منها وايتا الثواب ناظر الى النهي عن الربا وما انتظم في سلكه او دانا والى الامر بالمسارعة الى الجنة وما والاه
وايما الى ان من فعل فعلهم نال ما نالوا ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه لان علمه محيط وكرمه لا يحد وخزاينه لا تنفد
بل لا تنقص ثم ختمها بما ختم به للحث على التخلق باوصاف المتقين فعدا نفخ بغير لبعل ان المراد بهذه الآية ومن اخبار عن
اثباتهم الثواب التنبيه على ان امام الامور واحقها بالمراعاة التخلق بما وعظوا به قبل قص القصة ولا ريب ان في مدح
ان من سواهم تهييجا ذا ابتدا لانبعاث نفوسهم وتحرك هممهم وتقبيله نشاطهم وتودد ان عزايمهم غيره منهم ان يكون
احدهم خير امة اخرجت للناس على همة واقوى عزيمة واشد شكيمة واصلب عودا وانبت عمودا واربط جاشا واذكرهم
وارغب فيما عنده وازهد فيما اعرض عنه منهم ولما امرهم بالطاعة الموجبة للنصر والاجر وختم بمحبة المحسنين حذرهم من
طاعة الكافرين المقتضية للخذلان رغبة في موالاتهم ومناصرتهم فقال تعالى واصلا بالندا في آية الربا يا ايها الذين امنوا
اي اقروا بالايمان ان تطيعوا بخنوع او استيمان او غيره الذين كفروا اي هذا الفريق منهم او غيره يردوكم على اعقابكم
بتعكيس احوالكم الى ان تصيروا امثالهم ظالمين كافرين فتنقلبوا خاسرين في جميع اموركم في الدارين فتكونوا في غاية البعد
من احوال المحسنين فتكونوا بمحل السخط من الله صغرة تحت ايدي الاعدا في الدنيا خالدين في العذاب في الاخرى وذلك ناظر
الى قوله تعالى اول ما حذر من مكر الكفار يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الآية وموضح ان جميع هذه
الآي شديد الاتصال بعضها ببعض والله الموفق ولما كان التقدير فلا تطيعوهم انهم ليسوا اصلحين للولاية مطلقا
مادمتم مومنين عطف عليه قوله بل الله الملك الاعظم مولاكم مخبرا بانه ناصرهم وان نصره لا يساويه نصر احد سواه بقوله
وهو خير الناصرين اي لان من نصره سبب له جميع اسباب النصر وازال عنه كل اسباب الخذلان لمنع غيره كاينا من كان
من ذلك ثم قرر ذلك بقوله تحقيقا للوعد سنلقي اي بعظمتنا في قلوب الذين كفروا الرعب اي المقتضي لامتثال ما امروا به
من الجراة عليهم وعدم الوهن في امرهم كما افتتح القصة بالايما الى ذلك بالامر بالسير في الارض والنظر في عاقبة المكذبين
ثم بين سبب ذلك فقال بما اشركوا بالله اي ليجعلوا انفعا انه لاولى لعده والانه لا كفوله وبين بقوله ما لم ينزل اي في
وقت من الاوقات به سلطانا انه لا حجة لهم في الاشراك وما لم ينزل به سلطانا فلا سلطان له ومادة سلط ترجع الى القوة ولما
كان التقدير فعليهم الذل في الدنيا لا شاعهم ما لا قوة له عطف عليه وماواهم النار ثم هول امرها بقوله وبئس مثوى الظالمين
اي هي واظهر في موضع الاضمار للتعميم وتعليق الحكم بالوصف ولما كانت السين في سنلقي معلمة للاستقبال كان ذلك
ربما اوهم انه لم يرعبهم فيما مضى فنفى هذا الوهم محققا لهم ذلك بتذكيرهم بما انجز لهم من وعده في اول هذه الواقعة

مدة تلبسهم بما شرط عليهم من الصبر والتقوى بقوله تعالى عطفا على قوله بلى ان تصبروا وتتقوا الآية مصرحا بما
لوح اليه تقديرا قبل ولقد نصركم الله ببدر كما مضى ولقد صدقكم الله وعده في قوله وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم
اذ تحسونهم اي تقتلونهم بعضهم بالقتل والباقين بالعقوبة التي نهيا لكم باذنه فان الحس القتل والاستيصال
قاله في القاموس ثم بين لهم سبب هزيمتهم بعد تمكينه منهم ليكون رادعا لهم عن المعاودة الى مثله فقال مبينا لغاية
الحس حتى اذا فشلتم اي ضعفتم وتراخيتم بالميل الى الغنيمة خلاف ما تدعوا اليه الهمم العوال فكيف بهم اذا كانوا
من حزب مولى الموال فلقد كانت العرب على حال جاهليتها تتفاخر بالاقبال على الطعن والضرب في مواطن الحرب
والاعراض عن المغانم كما قال عنترة بن شداد العبسي يفتخر * هلا سألت الخيل يا ابنة مالك * ان كنت جاهلة بما لم تعلمي
اذ لا ازال على رحالة سابح * نهد تعاوره الكماة مكلم * طورا يعرض للطعان وتارة * ياوي الى حصد القسي عرمرم *
يخبرك من شهد الوقيعة انني * اغشى الوغى واعف عند المغنم * وقال يفاخر بقومه كلهم انا اذا حمي الوغى نروي القنا
ونعف عند مقاسم الانفال * ولما ذكر الفشل عطف عليه ما هو سببه في الغالب فقال وتنازعتم اي بالاختلاف
واصله من نزع بعض شيئا من يد بعض في الامر اي امر الثغر المامور بحفظه وعصيتم اي وقع العصيان بينكم بتضييع الثغر
وانبعث الجاد مصوبا للمخالفة بانها كانت عقب رؤية النصر سواء وتبشيرا بزوال المها فقال من بعد ما اراكم ما تحبون
اي من حسهم بالسيوف وهزيمتهم ولما ذلك ربما اوهم ان الجميع عصوا نفى ذلك معللا للعصيان بقوله منكم من يريد
الدنيا اي تغاضى عن معايبها التي اجلاها فناؤها ولما كان حكم الباقين غير معين للعلم من هذه الجملة قال
ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون في مراكزهم لم يعرجوا على الدنيا ولما كان التقدير جوابا لاذا سلطهم عليكم عطف عليه قوله
ثم صرفكم عنهم اي لاندهاشكم لاتيانهم اليكم من ورائكم وعطفه بثم لاستبعادهم للهزيمة بعدما راوا من النصرة ليبتليكم
اي يفعل في ذلك فعل من يريد الاختبار ليثبتكم على الدين في حالتي السرا والضرا ولما كان اجتناده تعالى بعصيانهم شديد
الازعاج للقلوب عطف على قوله صرفكم ولقد عفا عنكم اي تفضلا عليكم لايمانكم والله الذي له الكمال كله ذو فضل على
المومنين اي كافة وهو من الاظهار في موضع الاضمار للتعميم وتعليق الحكم بالوصف ولما ذكر علة الصرف والعفو عنه صوره
فقال اذ اي صرفكم وعفا عنكم حين تصعدون اي تتوغلون لصعود تنجد دون نحو المدينة او تذهبون في الارض لتبعدوا
عن محل الوقعة خوفا من القتل ولا تلوون اي تعطفون على احد اي من قريب ولا بعيد والرسول اي الذي وصل اليكم به
لتجيبوه الى كل ما يدعوكم اليه وهو الكامل في الرسلية يدعوكم في اخراكم اي ساقتكم وجماعتكم الاخرى وانتم مدبرون
وهو ثابت في مكانه في نحر العدو في نفر يسير لا يبلغون العشرين على اختلاف الروايات وثوقا بوعد الله ومراقبة
له يقول كلما مر عليه جماعة منهزمة الي عباد الله انا رسول الله ابي اي عباد الله كما هو اللايق بمنصبه الشريف من الاعتماد
على الله والوثوق بما عنده ومن وعده ومن دونه من ولي وعدو وعدما وانما قلت انما معنى ذلك الانهزام لان الدعا يراد منه
الاقبال على الداعي بعد الانصراف عما يريده الداعي فيعلم بذلك انهم مولون عن المقصود وهو القتال وفي التفسير
عن البخاري عن البرا رضي الله عنه قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم احد عبد الله بن جبير رضي الله عنه واقبلوا
منهزمين فذاك اذ يدعوهم الرسول في اخراهم ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا ولما تسبب عن العفو
ردهم عن الهزيمة الى القتال قال تعالى فاثابكم اي جعل الله لكم ربكم ثوابا غما اي باعتقادكم قتل الرسول وكان اعتقادا
كاذبا ملبسهم به رعبا بغم اي كان حصل لكم من القتل والجراح والهزيمة وسماه وان كان في صورة العقاب باسم الثواب
لانه كان سببا للسرور حين تبين انه خبر كاذب وان النبي صلى الله عليه وسلم سالم حتى كانهم كما قال بعضهم لم يصبهم مصيبة
فهو من الدوا بالدا ثم علله بقوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم اي من النصر والغنيمة ولا ما اصابكم اي من القتل والجراح
والهزيمة لاشتغالكم عن ذلك بالسرور بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولما قص سبحانه عليهم ما فعلوه ظاهرا وما
قصدوه باطنا وما داواهم به قال عاطفا على ما تقديره فالله خبير بما يصلح اعمالكم ويبري ادواكم والله اي المحيط علما وقدرة
خبير بما تعملون اي من خير وشر في هذه الحال وغيرها وبما يصلح من جراحكم وابرايه فتارة يداوي الدا بالدا وتارة بالدوا
لانه الفاعل المختار ولما كان امانهم بعد انخلاع قلوبهم بعيدا ولا سيما بكونه بالنعاس الذي هو ابعد شي عن ذلك
المقام الوعر والمحل الضنك عطف باداة البعد في قوله ثم انزل عليكم ولما افاد باداة الاستعلا عظمة الامن وكان متصلا
بالغم ولم يستغرق زمن ما بعده ابتدا الجار فقال من بعد الغم اي المذكور وانتم في نحر العدو امنة اي امنا عظيما ثم ابدل
منها تنبيها على ما فيها من الغرابة قوله نعاسا دليلا قطعيا على الامن لانه لا يكون الا من امن ولما كان لبعضهم فقط
استانف وصفه بقوله يغشى طايفة منكم وهم المومنون روى البخاري في التفسير عن انس رضي الله عنه ان ابا
طلحة رضي الله عنه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد فجعل سيفي يسقط من يدي واخذه ويسقط واخذه
وابتدا الاخبار عن الباقين بقوله وطايفة اي اخرى من المنافقين قد اهمتهم انفسهم لا المدافعة عن الدين لانه
فهم انما يطلبون خلاصها ولا يجدون الى ذلك فيما يظنون سبيلا لانقطاع رعبهم وشدة جزعهم تعوقوا على ذلك

بانه لم يحصل لهم الامن المذكور ثم فسر همهم فقال **يظنون بالله** المحيط بصفات الكمال **غير الحق** اي من ان نصره بعد هذا
لا يكون او انهم لو قعدوا في المدينة لم يقتل احد ونحو ذلك من سفساف الكلام وفاسد الظنون التي قبحتها لو والاوهام **ظن الجاهلية**
اي الذين لا يعلمون من عظمة الله سبحانه بان ما اراده كان ولا يكون غيره ما يعلم اتباع الرسل ثم فسر الظن بقوله **يقولون** اي منكرين
انه لم يحصل الرأي برأيهم ويحمل بمقتضاه غضبا وتاسفا على خروجهم في هذا الوجه وعدم رجوعهم مع ابن ابي بعد ان خرجوا **هل
لنا من الامر** اي المسموع ولكون الاستفهام بمعنى النفي ثبتت اداة الاستغراق في قوله **من شيء** كأنه قيل فماذا يقال لهم فقيل
قل اي لهم ردا عليهم احتقارا بهم **ان الامر** اي الحكم لا يكون سواه **كله لله** اي الذي لا كفوء له ليس لكم ولا لغيركم منه شيء شئتم او ابيتم غزوتم
او قعدتم ثبتم او فررتم ولما فضح سبحانه عليهم بعض امورهم في هذه الحرب وبين لهم شيئا من فوائد ما فعل بهم بقوله ان يمسسكم قرح
الايات وكان من جملة ذلك ما اظهر من اسرار المنافقين بهذه الوقعة في انهامهم الله ورسوله حتى وصل الى هنا وكان قولهم هذا غير
صريح في الاتهام لامكان حمله على حاق الاستفهام اخبر تعالى بخلاف ظاهره بقوله **يخفون** اي يقولون ذلك مخفين **في انفسهم ما لا يبدون
لك** لكونه لا يرضاه الله ثم بين ذلك بعد اجماله فقال **يقولون لو كان لنا من الامر** اي المسموع **شيء ما قتلنا هاهنا** الا انا كنا
نمكث في المدينة ولا نخرج الى العدو ولما اخبر تعالى عنهم بما اخفوه جهلا منهم ظنا ان الحذر يغني من القدر امره تعالى بالرد عليهم بقوله
قل لو كنتم في بيوتكم اي بعد ان اجمع رايكم على ان لا يخرج منكم احد **لبرز الذين كتب عليهم القتل** اي في هذه الغزوة **الى مضاجعهم**
اي التي هي مضاجعهم بالحقيقة وهي التي قتلوا بها لان ما قدرناه لا يمكن احدا دفعه بوجه من الوجوه ثم عطف على ما علم تقديره
ودل عليه السياق في قوله ليبتلي اي ليبرز المذكورون ليمضي قضاءه ويصدق قوله لكم في غزوة بدر ان فاديتم الاسرى ولم تقتلوهم
قتل منكم في العام المقبل مثلهم **وليبتلي الله** اي المحيط بصفات الكمال بهذا الامر المقدر بروزه **ما في صدوركم** اي من الايمان والنفاق
بان يفعل في اظهاره من عالم الغيب الى عالم الشهادة فعل المختبر كما فعل بما وجد في هذه الغزاة من الامور الحقيقية **وليمحص ما في قلوبكم**
اي يطهره ويصفيه من جميع الوساوس الصارفة عن المراقبة من محبة الدنيا من الغنائم التي كانت سببا للهزيمة وغيرها وختم
بقوله **والله** اي الذي له الاحاطة بكل شيء **عليم بذات الصدور** ترغيبا وترهيبا ودالا لما قد يتوهم من ذكر الابتلاء من عدم العلم
بالخفايا ولما كانوا في هذه الغزوة قد حصل لهم ضرر عظيم لكنه كان بما وقع من بعضهم من الخلل الظاهر فاذهبهم بذلك عفى عنهم
سبحانه بعد ذلك التاديب ورحمهم وطيب قلوبهم بهذه الاية بما فيها من التصريح وبما فيها من الاشارة بجمع جميع حروف المعجم فيها
تلويحا الى ان امرهم لا بد ان يتم كما تمت الحروف في هذه الاية لكنه اتبعها باداة التراخي اشارة الى انه لا يكون الا بعد مدة مديدة
حتى تنفصل مواد الفساد والتي ختمها بها بخلاف ما في الاية الاخرى الجامعة للحروف في اخر سورة الفتح التي نزلت في الحديبية التي
سائم رجوعهم منها دون وصولهم الى قصدهم كما ياتي ان شاء الله تعالى ولما كان فيه مع ذلك معنى التعليل والتنبيه على انه عنى عن
الاختبار وخبير بدقائق الاسرار اتبعه قوله مثبتا نفا لبيان ما هو من ثمرات العلم **ان الذين تولوا منكم** اي عن القتال ومقارعة
الابطال **يوم التقى الجمعان** اي من المؤمنين والكفار **انما استزلهم** اي طلب زللهم عن ذلك المقام العالي **الشيطان** اي
عدوهم البعيد من الرحمة المحترق باللعنة **ببعض ما كسبوا** اي من الذنوب التي لا تليق بمن طلب الدنو الى حضرات القدس ومواطن
الانس من ترك المركز والاقبال على الغنيمة وغير ذلك فان القتال في الجهاد انما هو بالاعمال فمن كان اصبر في اعمال الطاعة كان اجلد
على قتال الكفار ولم يكن توليهم عن ضعف في نفس الامر ولما كان ذلك مفهما ان الذين تولوا صاروا من حزب الشيطان فاستحقوا ما
استحق الصق به قوله **ولقد عفا الله** اي الذي له صفات الكمال **عنهم** لئلا تطير افئدة المؤمنين منهم وختم ذلك ببيان علته
بما هو اهله من الغفران والحلم فقال معيدا للاسم الاعظم تنبيها على ان الذنب عظيم والخطر بسببه جسيم فلولا الاشتمال على جميع
صفات الكمال لعوجلوا باعظم النكال **ان الله غفور** اي محاء للذنوب عينا واثرا ولما كان الغفر قد يكون مع تحمل بقاه بقوله **حليم**
اي حيث لم يعامل المتولين حذر الموت معاملة الذين خرجوا من ديارهم كما تقدم حذر الموت فقال لهم الله موتوا ولما كان قولهم انا
لو ثبتنا في المدينة المشبهة بالدرع الحصينة كما كان راى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاكابر من اصحابه لسلمنا الى غير ذلك مما
اشار سبحانه اليه قولا موجبا لغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فيه من الاتهام وسوء العقيدة وكان مع ذلك مظنة لان يخدع كثيرا
من اهل الطاعة لشدة حبهم لمن قتل منهم وتعاظم اسفهم عليهم كان انسب الاشياء المبادرة الى الوعظ بما يزيل هذا الاثر ولما كان الرسول
عليه الصلاة والسلام مؤيدا باعظم الثبات لما طبع عليه من الشيم الطاهرة والمحاسن الظاهرة كان الانسب البداءة بغيره فنهى الذين
امنوا عن الانخداع بقولهم فقال تعالى **يا ايها الذين امنوا** اي اظهروا الاقرار بالايمان صدقوا اقوالكم بان **لا تكونوا كالذين كفروا**
اي بقلوبهم على وجه الستر **وقالوا** اي نفاقا **لاخوانهم** اي لاجل اخوانهم لا عزة عليهم نسبا او مذهبا **اذا ضربوا** اي سافروا مطلق
سفر **في الارض** اي لمتجر او غيره **او كانوا غزى** اي غزاة مبالغين في الغزو في سبيل الله بسفر او غيره جمع غاز لما ماتوا او قتلوا **لو كانوا
عندنا** اي لم يفارقونا **ما ماتوا وما قتلوا** وهذا في غاية التهكم بهم لان اطلاق هذا القول منهم لا سيما على هذا التاكيد يلزم منه
ادعا انه لا يموت احد في المدينة وهو لا يقوله عاقل ولما كان هذا القول مخرجا اعتقاده وكماله علل سببه بقوله قالوا او باتفاقا
لكون كالذين قالوا قوله **ليجعل الله** اي الذي لا كفوء له **ذلك** اي القول او الانفراد به عن مشارك **حسرة في قلوبهم** اي باعتقاده
وعدم المواساة وعلى تقدير التعليق بها او يكون من باب التهكم بهم لانهم لو لم يقولوه لهذا الغرض الذي لا يقصده عاقل لكانوا

ثم قالوه

ثم قالوه لا لغرض اصلا وذلك اعرق في كونه لبسا من افعال العقلاء **والله** اي لا تكونوا مثلهم والحال او قالوا ذلك والحال ان الذي
له الاحاطة الكاملة **يحيي** اي من اراد في الوقت الذي يريد **ويميت** اي من اراد اذا اراد لا يغني حذر من قدره **والله** اي المحيط بكل شيء
قدرة وعلما **بما تعملون** اي بعملكم وبكل شيء منه **بصير** وعلى كل شيء منه قدير ولا يكون شيء منه بغير اذنه ومن كان على خلاف امره عاقبه
عليه ولما نهاهم عن قول المنافقين الدال على تمني الحال من دوام البقاء وكراهة الموت بين لهم ثمرة فوات انفسهم في الجهاد
بالموت والقتل ليكون ذلك مبعدا لهم بما قاله المنافقون موجبا للتسليم للامر الخالق بل محببا فيه وداعيا اليه فقال
ولئن وهو حال اخرى من لا تكونوا **قتلتم** اي من اي قاتل كان **في سبيل الله** اي الملك الاعظم قتلا **او متم** اي فيه موتا على اي حالة كان
ولما كان للنفوس غاية الجموح عن الموت زاد في التاكيد فقال **لمغفرة** اي لذنوبكم ثابتة لكم فهذا تعبد بالخوف من العقاب **من الله**
اي الذي له نهاية الكمال بما كنتم عليه من طاعته **ورحمة** اي لاجل ذلك وهو تعبد لطلب الثواب **خير مما يجمعون** اي مما هو ثمرة
البقاء في الدنيا عند اهل الشقاء مع انه ما في ثمرة الشيء من اعمارهم ولما ذكر اشرف الموت بادئا باشرفه ذكر ما دونه بادئا بادناه فقال
ولئن متم او قتلتم اي في اي وجه كان على حسب ما قدر عليكم في الازل **لالى الله** اي الذي هو متوفيكم لا غيره وهو ذو الجلال والاكرام الذي
ينبغي ان يعبد لذاته ودل على عظمته بعد الدلالة بالاسم الاعظم بالبناء للمجهول فقال **تحشرون** فان كان ذلك الموت والقتل
على طاعته اثابكم ولا عاقبكم والحاصل انه لا حيلة في دفع الموت على حالة من الحالات قتل او غيره ولا في الحشر اليه سبحانه واما الخلاص من هول
ذلك اليوم نفسه حيلة بالطاعة والله الموفق وما احسن ما قال عنترة في نحوه وهو جاهلي فالمؤمن اولى منه بمثل ذلك يكون ثمرة في
الحتوف كأنني اصبحت عن عرض الحتوف بمعزل فاجبتها ان المنية منهل لا بد ان اسقى بكاس المنهل فاقني حياءك لا ابا لك
واعلمي اني امرؤ سأموت ان لم اقتل ولما فرغ من وعظ الصحابة رضي الله عنهم اتبعه تحبيب النبي صلى الله عليه وسلم فيما فعل بهم من
الرفق واللين مع ما سبب الغضب الموجب للعنف والسطوة من اعتراض على ما اشار به ثم لمخالفتهم لامره في حفظ المركز والصبر
والتقوى ثم خذلانهم له وتقديمهم انفسهم على نفسه الشريفة ثم عدم العطف عليه وهو يدعوهم اليه ويامرهم بالكر عليهم ثم اتهامهم
من يتهمه الى غير ذلك من الامور التي توجب لرؤسا الجيوش وقادة الجنود اتهام اتباعهم وسوء الظن بهم الموجب للغضب له
والايقاع ببعضهم ليكون ذلك زاجرا لهم عن العود الى مثله فقال تعالى **فبما رحمة من الله** الذي له الكمال كله **لنت لهم** اي ما لنت
لهم هذا اللين الخارق للعادة وفعلت بهم هذا الرفق بعد ما فعلوا بك الا بسبب رحمة عظيمة من الجابر لجميع الكمال فقابلتهم
بالجميل ولم تعنفهم بانهزامهم عنك بعد اذ خالفوك ارايك وهم كانوا سببا لاستخراجك والذي اقتضى هذا الحصر هو ما النافية
في سياق الاثبات فلم يمكن ان توجه الا الى ضد ما اثبته السياق ودلت امامها على ان تنوين رحمة للتعظيم اي فبالرحمة العظيمة
لا بغيرها لنت ولما بين سبحانه سبب هذا اللين المثمر ثمرته ببيان ما في ضده من الضرر فقال **ولو كنت فظا** اي سيئ
الخلق جافيا في القول **غليظ القلب** اي قاسيه لا تتاثر بشيء تعاملهم بالعنف والجفاء **لانفضوا** اي تفرقوا تفرقا قبيحا
لا اجتماع معه **من حولك** اي ففات المقصود من البعثة ولما اخبره تعالى انه هو عفا عنهم ما فرطوا في حقه امره بالعفو
عنهم فيما يتعلق به صلى الله عليه وسلم وبالاستمرار على مشاورتهم عند النوائب لئلا يكون خطاؤهم في الراي اولا في الخروج
من المدينة وثانيا في تضييع المركز وثالثا في اعراضهم عن الاثخان في العدو وبعد الهزيمة الذي ما شرع القتال الا لاجله
بانتهابهم على النهب ورابعا في وهنهم عند كر العدو والى غير ذلك موجبا لترك مشاورتهم فيفوت ما فيها من المنافع
نفسها وفيما تثمره من التالف والسكن وغير ذلك فقال تعالى **فاعف عنهم** اي ما فرطوا في هذه الكرة في حقك **واستغفر
لهم** اي الله فيما فرطوا في حقه **وشاورهم** اي استخرج اراءهم **في الامر** اي الذي تريده من امور الحرب تالفا لهم وتطييبا لنفوسهم
وليستن بك من بعدك **فاذا عزمت** اي بعد ذلك على امر قضيت فيه وقراه من ضم التاء للمتكلم بمعناها اي فاذا فعلت انت
امرا بعد المشاورة لا في تحليت فيه باني اردته فعل الحازم ولما امر بالمشاورة التي هي النظر في الاسباب امر بالاعتصام ان
بمسببها من غير التفات اليها ليكمل جهاد الانسان بالملابسة ثم التجرد فقال **فتوكل** اي فيه **على الله** اي الذي له الامر كله
ولا يردك عنه خوف عاقبة كما فعلت بتوفيق الله في هذه الغزوة ثم علل ذلك بقوله **ان الله** اي الذي لا كفوء له **يحب
المتوكلين** اي فلا يفعل بهم الا ما فيه اكرامهم وان رئي غير ذلك ولما كان التقدير فاذا فعلوا ما يحبه اعطاهم مناهم بما
عزموا عليه لاجله استانف الاخبار بما يحمل بقلوبهم اليه ويقصر هممهم عليه بان من نصره هو المنصور ومن خذله هو المخذول
فقال تعالى **ان ينصركم الله** اي الذي له جميع العظمة **فلا غالب لكم** اي ان كان نبيكم صلى الله عليه وسلم بينكم اولا فانما لكم وهنتم
لما صاح ابليس ان محمدا قد قتل وهلا فعلتم كما فعل سعد بن الربيع رضي الله عنه وكما فعل انس بن النضر رضي الله عنه
حين قال موتوا على ما مات عليه نبيكم صلى الله عليه وسلم فهو اعز لكم عند ربكم **وان يخذلكم** اي بامكان العدو منكم **فمن ذا الذي
ينصركم من بعده** اي من نبي او غيره ولما كان التقدير فعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين عطف عليه قوله **وعلى الله** اي الملك الاعظم
وحده لا على نبي ولا على قوة بعدد ولا بمال من غنيمة ولا غيرها **فليتوكل المؤمنون** اي كلهم فيكون امارة صحة ايمانهم ولما كان
الغلول من اعظم موجبات الخذلان او اعظمها والنزاهة عنه من اعظم موجبات النصر كان انسب الاشياء تعقيب هذه
الاية باية الغلول بيانا لانه كان سبب هزيمتهم في هذه الغزوة فانه لا خذل الا بالذنوب ومن اعظم الذنوب الموجبة

للخذلان الغلول فيكون المراد بتنزيهه صلى الله عليه وسلم عنه والله اعلم ان اتباعهم على نهب الغنائم قبل وقته اما ان يكون لقصد ان يغلوا باخفاء ما انتهبوه او بعضه واما ان يكون للخوف من ان يغل بينهم وحاشاه واما ان يكون للخوف من ان يظن بان لا يقسمه صلى الله عليه وسلم بينهم على السوا وحاشاه من كل من ذلك واما المبادرة الى النهب لغير هذا القصد فخفة وطيش وعبث لا يضرب عاقل اليه اذا تقرر هذا امكن ان يكون التقدير فليتوكلوا في كف العدو وتحصيل ما معه من الغنايم فلا يعجلوا على ذلك اتباعا لا يتطرق منه احتمال لظن السوء بهاديهم في ان يغل وهو الذي اخبرهم بتحريم الغلول وبانه سبب للخذلان وما نهى صلى الله عليه وسلم قط عن شيء الا كان اول تارك له وبعيد منه وما كان ينبغي لهم ان ينحوا طريقا الى هذا الاحتمال فعبر عن ذلك بقوله عطفا على وكاين من نبي **وما كان** اي ما تاتى وما صح في وقت من الاوقات ولا على حالة من الحالات **لنبي** اي نبي كان فضلا عن سيد الانبيا وامام الرسل **ان يغل** تبشيعا لفعل ما يؤدي الى هذا الاحتمال زجرا من معاودة مثل ذلك الفعل المؤدي الى تجويز شي مما ذكر وعلى قراة الجماعة غير ابن كثير وابي عمرو بضم اليا وفتح العين مجهولا من غل المعنى وما كان له وما صح ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول او يظن به ما يؤدي الى ذلك ويجوز ان يكون التقدير بعد الامر بالتوكل على الله وحده فلا تاتوا ان كنتم مومنين بما يقدح في التوكل كالغلول وما يدانيه فتخذلوا فانه ما كان لكم ان تغلوا **وما كان** اي ما كان **لنبي** اي من الانبيا قط **ان يغل** اي لم اخصكم بهذه الشريعة بل ما كان شرع نبي قط اباحة الغلول فلا تفعلوه ولا تقاربوه بنحو الاشتياق الى النهب فان ذلك يذهب كمال التوكل فانه من يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه فيوجب له الخذلان روى الطبراني في الكبير قال الهيثمي ورجاله ثقات عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم جيشا فردت رايته ثم بعث فردت ثم بعث فردت بغلول راس غزال من ذهب فنزلت وما كان لنبي ان يغل ولما كان تعليم ذلك محتملا لقصدهم الغلول وخوفهم من غلول غيرهم اتبعه في التهديد بقوله **ومن يغلل** اي يقع منه ذلك كاينا من كان **يات بما غل يوم القيمة** ومن عرف كلام اهل اللغة في الغلول عرف صحة قولي انه لمطلق الخيانة وانه يجوز ان يكون التقدير وما كان لاحد ان يفعل ما يؤدي ولو على بعد الى نسبة نبي الى غلول قال صاحب القاموس اغل فلانا نسبه الى الغلول والخيانة وغل غلولا خان كاغل وخاص بالفي وقال الامام عبد الحق الاشبيلي في كتابه الواعي غل الرجل غلا اذا خان فهو مغل وغل في المغنم يغل غلولا وقرى ان يغل وان يُغَل لمن قرا يغل اراد يخون ومن قرا يُغل اراد يخان ويجوز ان يريد لا ينسب الى الخيانة وكل من خان شيئا في خفا فقد غل يغل غلولا ويسمى الخاين غالا وفي الحديث لا اغلال ولا اسلال الاغلال الخيانة في كل شي وغللت الشي اغله غلا اذا سترته فالواو منه الغلول في المغنم انما اصله ان الرجل كان اذا اخذ منه شيا ستره في متاعه فقيل للخاين غال ومغل ويقال غللت الشي في الشي اذا ادخلته فيه وقد انغل اذا دخل في الشي وقد تغلل في الشجر دخل انتهى فهذه الاية نهي للمومنين عن الاشتياق الى المغنم على طريق الاشارة ختم بها الوعظ الذي في اول القصة كما ان الاية الذين نهي عنه على طريق الاشارة فتح بها الوعظ الذي في اوايل القصة فقد اكتنف التنفير من الغلول الذي هو سبب الخذلان في هذه الغزوة بخصوصها لما شرع ما هو مظنة له وفي الغزو مطلقا طرفي الوعظ فيها ليكون من اول ما يقرع السمع واخره ولما كان ثمرة الايقان بالجزا عليه عم الحكم تنبيها على ان ذلك اليوم يوم الدين فلا بد من الجزا فيه وتصويره له تبشيعا للفضيحة فيه بحضرة الخلق اجمعين وذا دني تعظيمه وتعظيم للجزا فيه باداة التراخي وتضعيف الفعل فقال معمما الحكم ليدخل الغلول من باب الاولى **ثم توفى** اي في ذلك اليوم العظيم وبناه للمجهول اظهارا لعظمته على طريق كلام القادرين **كل نفس** اي غالة وغير غالة **ما كسبت** اي ما لها فيه فعل ما من خير او شر وانما مبالغة في تقرير وفايه **وهم لا يظلمون** اي لا يقع عليهم ظلم في شي منه بزيادة ولا نقص ولما اخبر تعالى انه لا يقع في ذلك اليوم ظلم اصلا تسبب عنه الانكار على من حدثته نفسه بالاماني الكاذبة فظن غير ذلك من استوا حال المحسن وغيره او فعل فعلا وقال قولا يؤدي الى ذلك كالمنافقين وكالمقبلين على الغنيمة فقال تعالى **افمن اتبع** اي طلب بجد واجتهاد **رضوان الله** اي ذي الجلال والاكرام بالاقبال على ما امر به الصادق فصار الى الجنة ونعم المصير **كمن با** اي رجع من تصرفه الذي يريد به الربح او حل واقام **بسخط من الله** اي الملك الاعظم بان فعل ما يقتضي السخط بالمخالفة ثم الادبار او لا المعفو **وماواه جهنم** اي جزا بما فعل اسباب السخط ماواه **وبيس المصير** اي هي ولما انتم الانكار على من سوى بين الناس اعلمهم منازلهم وصرح بذلك في قوله **هم درجات** اي متباينون تباين الدرجات ولما كان اعتبار التفاوت ليس بما عند الخلق قال **عند الله** اي الملك الاعلى في حكمه وعلمه وان خفي ذلك عليكم لان الله خلقهم فهو عالم بهم حين خلقهم **والله** اي الذي له جميع صفات الكمال **بصير** اي بالبصر والعلم **بما يعملون** اي بعد ايجادهم لان ذلك ايضا خلقه وتقديره وليس لهم فيه الا نسبته اليهم بالكسب فهو يجازيهم بحسب تلك الاعمال فكيف يتخيل انه يساوي بينهم في المال وقد فاوت بينهم في الحال وهو الحكم العدل فعلم بما في هذا الختام من احاطته بتفاصيل الاعمال صحة ما ابتدي به الكلام من التوفية ولما ارشدهم الى هذه المراشد وبين لهم بعض ما اشتملت عليه من الفوايد وبان بهذه القصة قدر ما اسدى اليهم ذلك على لسانه صلى الله عليه وسلم بما له من الفضايل التي من اعظمها كونه من جنسهم يميل اليهم ويرحمهم ويعطف عليهم فيبالغ في نفعهم نبه على ذلك سبحانه ليستمسكوا بعروته ولا يلتفتوا لحظة عن لزوم هديه فقال تعالى مؤكدا لما اقتضاه الحال من تعلل يلزم منه النسبة الى الغلول **لقد من الله** اي ذو الجلال

والاكرام

والاكرام **على المومنين** خصهم لانهم المنتفعون بهذه النعمة **اذ بعث فيهم** اي فيما بينهم او بسببهم **رسولا** وزادهم رغبة فيه بقوله **من انفسهم** اي نوعا وصنفا يعلمون امانته وشرفه وصيانته ومعاليه وطهارته قبل النبوة وبعدها **يتلوا عليهم اياته** اي ينجو ابركة نفس التلاوة كثيرا من شر الجان وغيرها مما ورد في منافع القران مما عرفناه وما لم نعرفه اكثر **ويزكيهم** اي يطهرهم من اوضار الدنيا والاوزار بما يفهمه بفهمه الثاقب من دقايق الاشارات وبواطن العبارات وقدم التزكية لاقتضا مقام المعاتبة على الاقبال على الغنيمة ذلك كما مضى في سورة البقرة **ويعلمهم الكتاب** اي الذي يكونه من نوعهم يلذ لهم الترقي منه **والحكمة** تفسيرا واباته وتحبيرا **وان** اي والحال انهم **كانوا** ولما كانوا قد عرفت لهم ازمان وهم على دين ابيهم اسمعيل عليه السلام نبه على ذلك بادخال الجار فقال **من قبل** اي من قبل ذلك **لفي ضلال مبين** اي ظاهر وهو من شدة ظهوره كالذي ينادي على نفسه بايضاح لبسه وفي ذلك اعظم اشارة الى انه عليه الصلاة والسلام علمهم من الحكمة في هذه الوقعة ما اوجب نصرتهم في اول النهار فلما خالفوه حصل الخذلان ولما ازال شبهة النسبة الى الغلول بحذافيرها واثبت ما له من اضدادها من معالي الشيم وشمايل الكرم صوب الى شبهة قولهم لو كان رسولا ما انهزم اصحابه عنه فقال تعالى **ولما** اي اتركتم ما ارشدكم اليه الرسول الكريم الحليم العليم الحكيم ولما **اصابتكم** اي في هذا اليوم **مصيبة** لمخالفتكم لامره واعراضكم عن ارشاده **قد اصبتم مثليها** اي في بدر وانتم في لقا العدو كما تسارعون الى الموت على الصدق مما كنتم فيه في هذه الغزوة وما كان ذلك الا بامتثالكم لامره وقبولكم لنصحه **قلتم انى** من اين وكيف اصابنا **هذا** اي بعد وعدنا النصر **قل هو من عند انفسكم** اي لان الوعد كان مقيدا بالصبر والتقوى له وقد تركتم المركز واقبلتم على الغنائم قبل الامر به وعن علي رضي الله عنه ان ذلك باختياركم الفدا يوم بدر الذي نزل فيه لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم واباح لهم سبحانه الفدا بعد ان عاتبهم وشرط عليهم ان اختاروه ان يقتل منهم في العام المقبل بعدة الاسرى فرضوا وقالوا نستعين بما ناخذه منهم عليهم ثم نرزق الشهادة ثم علل ذلك بقوله **ان الله** اي الذي له الكمال كله **على كل شي** اي من النصر والخذلان ونصب اسباب كل منهما **قدير** وقد وعدكم بذلك سبحانه في العام الماضي حين خيركم فاخترتم الفدا وخالف من خالف منكم الان فكان ذكر المعصية التي كان سببها المخالفة ما رتبه صلى الله عليه وسلم بعد ختم الاية التي قبلها بالتذكير بما كانوا عليه من الضلال ابدع ما يرى من البلاغة ولما كانت نسبة المصيبة اليهم ربما اوهمت من لم ترسخ قدمه في المعارف الالهية ان بعض الافعال خارج عن مراده تعالى قال **وما اصابكم** ولما استغرقت الحرب ذلك اليوم نزع الجار فقال **يوم التقى الجمعان** اي حزب الله وحزب الشيطان في احد **فباذن الله** اي بتمكين من له العظمة الكاملة وقضايه واثبات ان ذلك باذنه نحو ما ذكر عند التولية يوم التقى الجمعان من نسبة الاحيا والاماتة اليه ولما كان التقدير ليبلوكم به عطف عليه قوله **وليعلم المومنين** اي الصادقين في ايمانهم ولما كان تعليق العلم بالشي على حدته اتم واكد من تعليقه به مع غيره اعاد العامل لذلك واشعارا بان اهل النفاق اسفل رتبة من ان يجمعوا مع المومنين في شي فقال **وليعلم الذين نافقوا** اي علما تقوم به الحجة في مجاري عاداتكم وهذا مثل قوله هناك وليبتلي الله ما في صدوركم الاية وعطف على قوله نافقوا ما اظهر نفاقهم او يكون حالا من نا على نافقوا فقال **وقيل لهم تعالوا قاتلوا** اي وجد لكم القتال **في سبيل الله** اي الذي له الكمال كله بسبب تسهيل طريق الرب الذي شرعه **او ادفعوا** اي عن انفسكم واحبابكم على عادة الناس لاسيما العرب **قالوا لو نعلم** اي نتيقن **قتالا** اي انه يقع قتال **لاتبعناكم** اي لكنه لا يقع فيما نظن قتال ورجعوا ولما كان هذا الفعل المسند الى هذا القول ظاهرا في نفاقهم ترجمه بقوله **هم للكفر يومئذ** اي يوم اذ كان هذا حالهم **اقرب منهم للايمان** عند كل من سمع قولهم او راى فعلهم ثم علل ذلك او استانف بقوله معبرا بالافواه التي منها ما هو ابعد من اللسان لكونهم منافقين فقولهم الى اصوات الحيوان اقرب منه الى كلام الانسان ذي العقل واللسان لانهم **يقولون بافواههم** ولما الهم هذا انهم لا يجاوز السنتهم فلا حقيقة له ولا ثبات عندهم صرح به في قوله **ما ليس في قلوبهم** بل لا شك عندهم في وقوع القتال علم الله هذا منهم كما علموه من انفسهم **والله** اي الذي له الاحاطة الكاملة **اعلم** اي منهم **بما يكتمون** اي كله لانه يعلمه قبل كونه وهم لا يعلمونه الا بعد كونه واذا كان نسوه بتطاول الزمان وهو سبحانه لا ينساه ولما حكى عنهم ما لا يقوله ذو ايمان اتبعه ما لا يتخيله ذو مروة ولا عرفان فقال مبينا للذين نافقوا **الذين قالوا لاخوانهم** اي لاجل اخوانهم والحال انهم قد اسلموهم **وقعدوا** اي عنهم خذلانا لهم **لو اطاعونا** اي في الرجوع **ما قتلوا** ولما كان هذا موجبا للغضب اشار اليه باعراضه في قوله **قل** اي لهولا الاجانب الذين هم بمنزلة الغيبة عن حضرتي لما تسبب عن قولهم هذا من ادعا القدرة على دفع الموت **فادرءوا** اي ادفعوا بعز ومنعة وميلوا **عن انفسكم الموت** اي حتى لا يصل اليكم اصلا **ان كنتم صادقين** اي في ان الموت يغني منه حذر فقد انتظم الكلام بما قبل الجملة الواعظة اتم انتظام على انه قد لاح لك ان ملايمة الجمل الواعظة لما قبلها وما بعدها ليس بدون ملايمة ما قبلها من صلب القصة لما بعدها منه ولما ازاح سبحانه العلل وشفى الغلل وختم بانه لا مفر من القدر فلم يبق عند اهل الايمان الا ما طبع عليه الانسان من الاسف على فقد الاخوان

وكان سرور المفقود بما يرد عليه الموجود ببشرهم بحياتهم وما نالوه من لذاتهم ولما كان العرب بعيدين قبل الاسلام من اعتقاد الحياة بعد الموت خاطب الذي لا ريب في علمه بذلك اشارة الى انه لا يفهمه حق فهمه سواه كما اشار اليه قوله في البقرة ولكن لا تشعرون فقال تعالى عاطفا على قيل يحيا في الجهاد ازالة لما يحضر به المنافقون من انه سبب الموت ولا تحسبن الذين قتلوا اي وقع لهم القتل في هذه الغزوة او غيرها في سبيل الله اي الملك الاعظم والله اعلم بمن يقتل في سبيله امواتا اي الان بل احياء وبين زيادة شرفهم مخبرا عن تقربهم بقوله عند ربهم اي المحسن اليهم في كل حال فكيف في حال قتلهم فيه حياة ليست كالحياة الدنيوية وحقق حياتهم بقوله يرزقون اي رزقا يليق بحياتهم فرحين بما اتاهم الله اي الحاوي لجميع الكمال من ذلك الفوز الكبير من فضله لانه لو حاسبهم على اقل نعمة من نعمه لم توف جميع اعمالهم بها لان اعمالهم من نعمه فاعلمنا سبحانه بهذا تسلية وحسن تعزية انه لم يفت منهم الا حياة الكدر التي لا مطمع لاحد في بقائها وان طال المدى وبقيت لهم حياة الصفا التي لا انفكاك لها ولا اخر لنعيمها انعم بحضرتهم ولا نصب ينالهم ولا حزن يعتريهم ولا دهش يلم بهم في وقت الحشر ولا غيره فلا غفلة لهم فكان ذلك مذهبا الحزن عن خلفوه ومرغبا لهم في الاسباب الموصلة الى مثل حالهم وهذا والله اعلم معنى الشهادة اي انهم ليست لهم حال غيبة لان دوام الحياة بلا كدر اصلا كذلك ولما ذكر سرورهم بما نالوه ذكر سرورهم بما علموه لمن هو على دينهم فقال ويستبشرون اي توجد لهم البشرى وجود اعظم الشان حتى كانهم يوجدونها كلما ارادوا بالذين لم يلحقوا بهم اي في الشهادة في هذه الغزوة ثم بين ذلك بقوله من خلفهم اي في الدنيا ثم بين المبشر به فقال ان لا خوف عليهم اي على اخوانهم في اخرتهم ولا هم يحزنون اي اصلا لا يفقد منه شيء بل لهم كل خطر في زيادة وهذا اعظم البشرى لمن تركوا على مثل حالهم من المؤمنين لانهم يلحقونهم في مثل ذلك لان السبب واحد وهو محبة الله بالقتل فيه او مطلق الايمان لمطلق ما هم فيه من السعادة بغير قيد الشهادة ولما ذكر سرورهم لانفسهم تارة ولاخوانهم اخرى كرره تعظيما له واعلاما بانه في الحقيقة عن غير استحقاق وانما هو مجرد منة فقال يستبشرون بنعمة من الله اي ذي الجلال والاكرام كبيرة وفضل اي منه عظيم وان الله اي الملك الاعظم الذي لا يقدره احد حق قدره لا يضيع اجر المؤمنين اي منهم ومن غيرهم بل يوفيهم اجرهم على اعمالهم ويتفضل عليهم ولو شاء لحاسبهم على سبيل العدل ولو فعل ذلك لم يكن لهم شيء ولما ذم المنافقين بقولهم من غير ان يصيبهم قرح ومدح احوال الشهداء ترغيبا في الشهادة واحوال من كان على مثل حالهم ترغيبا في النهج على سننهم وختم بتعليق السعادة بوصف الايمان اخذ يذكر ما اثمر لهم ايمانهم من المبادرة الى الاجابة الى ما ندبهم اليه صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه لم يحمل على التخلف عن امره من غير عذر الا صريح النفاق فقال الذين استجابوا اي اوجدوا الاجابة في الجهاد ايجادا موكدا تحقيقا ثابتا بما عندهم من خالص الايمان لله والرسول اي لا لغرض منهم ولا غيره ثم عظم صدقهم بقوله مثبتا الجار لارادة ما ياتي من احدى الغزوتين لا استغراق ما بعد الزمان من بعد ما اصابهم القرح ولما كان تعليق الاحكام بالاوصاف حاملا على التحلي بها عند المدح قال تعالى للذين احسنوا وعبر بما يصلح للبيان والبعض ليدوم رغبهم ورهبهم فقال منهم واتقوا اجر عظيم وهذه الايات من تتمة هذه القصة سوا قلنا انها اشارة الى غزوة حمراء الاسد وغزوة بدر الموعد فان الوعد كان يوم احد والله الهادي ومما يجب التنبيه له ان البيضاوي قال تبعا للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى بدر الموعد في سبعين راكبا وفي تفسير البغوي ان ذلك كان في حمراء الاسد فان حمل على ان الركبان من الجيش كان ذلك عددهم والا لباقين كانوا مشاة فلعله والا فليس كذلك اما في حمراء الاسد فان النبي صلى الله عليه وسلم بلغه ان المشركين هموا بعد انفصالهم من احد بالرجوع ان يرهبهم وان يريهم من نفسه واصحابه قوة فنادى مناديه يوم الاحد الغد من يوم احد بطلب العدو والا يخرج معه الا من كان حاضرا معه بالامس فاجابوه بالسمع والطاعة فخرج في اثرهم واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم ولا يشك في انهم اجابوا كلهم ولم يتخلف منهم احد وقد كانوا في احد نحو سبعمائة ولم ياذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في الخروج معه لاحد لم يشهد القتال يوم احد واستاذنه رجال لم يشهدوا فمنعهم الا ما كان من جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فانه اذن له لعلة ذكرها في التخلف عن احد مجردة قال الواقدي ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلوائه وهو معقود لم يحل من الامس فدفعه الى علي رضي الله عنه ويقال الى ابي بكر رضي الله عنه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وراسه مشجوج وهو مجروح في وجهه اثر الحلقتين ومشجوج في جبهته في اصول الشعر ورباعيته قد شظيت وشفته قد كلمت من باطنها وهو متوهن منكبه الايمن بضربة ابن قمئة وركبتاه مجحوشتان بابي هو وامي وروحي وعيني فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فركع ركعتين والناس قد حشدوا ونزل اهل العوالي حيث جاءهم الصريخ ثم ركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين فدعا بفرسه على باب المسجد وتلقاه طلحة رضي الله عنه وقد سمع المنادي فخرج ينظر متى يسير فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه الدرع والمغفر وما يرى منه الا عيناه فقال يا طلحة سلاحك قال قلت قريب قال فاخرج اعدو فالبس درعي ولانا اهم بجراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مني بجراحي ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على طلحة فقال اين ترى القوم الان قال هم بالسيالة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ظننت اما انهم يا طلحة لن ينالوا منا مثل امس حتى يفتح الله مكة علينا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى عسكر

بحمراء الاسد

بحمراء الاسد قال سعد رضي الله عنه وكان عامة زادنا التمر وحمل سعد بن عبادة رضي الله عنه ثلاثين بعيرا حتى وافت الحمراء وساق جزرا فنحروا في يوم اثنين وفي يوم ثلاثا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرهم في النهار بجمع الحطب فاذا امسوا امر ان توقد النيران فيوقد كل رجل نارا فلقد كنا تلك الليالي نوقد خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد وذهب ذكر معسكرنا ونيراننا في كل وجه حتى كان مما كبت الله به عدونا فهذا ظاهر في انهم كانوا خمسمائة رجل والله اعلم ويؤيد ذلك ما نقل من اخبار المنقلبين بالجراح قال الواقدي جاء سعد بن معاذ رضي الله عنه والجراح في الناس فاشية عامة بني عبد الاشهل جريح بل كلهم رضي الله عنهم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان تطلبوا عدوكم قال يقول اسيد بن حضير رضي الله عنه وبه سبع جراحات وهو يريد ان يداويها سمعا وطاعة لله ولرسوله وجاء سعد بن عبادة رضي الله عنه قومه بني ساعدة له فامرهم بالمسير فلبسوا ولحقوا وجاء ابو قتادة رضي الله عنه اهل خربا وهم يداوون الجراح فقال هذا منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم بطلب العدو فوثبوا الى سلاحهم وما عرجوا على جراحاتهم رضي الله عنهم فخرج من بني سلمة رضي الله عنهم اربعون جريحا وبالطفيل ابن النعمان رضي الله عنه ثلاثة عشر جرحا وبقطبة بن عامر بن حديدة رضي الله عنه تسع جراحات حتى وافوا النبي صلى الله عليه وسلم ببئر ابي عنبة الى راس الثنية عليهم السلاح قد صفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليهم والجراح فيهم فاشية قال اللهم ارحم بني سلمة وحدث ابن اسحق والواقدي ان عبد الله بن سهل ورافع بن سهل رضي الله عنهما كان بهما جراح كثيرة فلما بلغهما النداء قال احدهما لصاحبه والله ان تركنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لغبن والله ما عندنا دابة نركبها وما ندري كيف نصنع قال عبد الله انطلق بنا قال رافع لا والله ما بي مشي قال اخوه انطلق بنا نتجار ونقصد فتضعف رافع فكان عبد الله يحمله على ظهره عقبة ويمشي الاخر عقبة حتى اتوا رسول الله عند العشاء وهم يوقدون النيران فاتي بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى حرسه تلك الليلة عباد بن بشر فقال ما حبسكما فاخبراه بعلتهما فدعا لهما بخير وقال ان طالت بكم مدة كانت لكم المراكب من خيل وبغال وابل وليس ذلك بخير لكم واما غزوة بدر الموعد فروى الواقدي ومن طريقه الحاكم في الاكليل كما حكاه ابن سيد الناس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج في هذه الغزوة في الف وخمسمائة من اصحابه رضي الله عنهم وكانت الخيل عشرة قال الواقدي واقبل رجل من بني ضمرة يقال له مخشي بن عمرو فقال والناس مجتمعون في سوقهم واصحاب رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الموسم يا محمد لقد اخبرنا انه لم يبق منكم احد فما اعلمكم الا اهل الموسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرفع ذلك الى عدوه ما اخرجنا الا موعد ابي سفيان وقتال عدونا وان شئت مع ذلك نبذنا اليك والى قومك العهد ثم جالدناك قبل ان نبرح من منزلنا هذا فقال الضمري بل نكف ايدينا عنكم ونتمسك بحلفك ولما كان قول نعيم بن مسعود او ركب عبد القيس عند الصحابة رضي الله عنهم صدقا لا شك فيه لما قام عندهم من القرائن فكان بمنزلة المتواتر الذي يدل عليه الخلائق وكانت قريش اعلا الناس شجاعة واوفاهم قوة واعرقهم اصالة فكانوا كانهم جميع الناس كان التعبير بصيغة العموم في قوله الذين قال لهم الناس اي نعيم او ركب عبد القيس ان الناس يعني قريشا قد جمعوا لكم فاخشوهم امدح للصحابة رضي الله عنهم من التعبير عن اخبرهم ومن جمع لهم بخاص اسمه او وصفه ولما كان الموجب لاقدامهم على اللقاء بعد هذا القول الذي لم يشكوا في صدقه ثبات الايمان وقوة الايقان قال تعالى فزادهم اي هذا القول ايمانا لانه ما ثناهم عن طاعة الله ورسوله وقالوا اذ زاد الخلائق بالاعتماد على الخالق حسبنا اي كافينا الله اي الملك الاعلى في اغتنام مصالحنا ولما كان ذلك هو شان الوكيل وكان في الوكلاء من يذم قال ونعم الوكيل اي الموكول اليه المفوض اليه جميع الامور روى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هذه الكلمة قالها ابرهيم عليه السلام حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فقال كان اخر كلمة قالها ابرهيم عليه السلام حين القي في النار حسبي الله ونعم الوكيل ولما كان اعتمادهم على الله سببا لفلاحهم قال فانقلبوا اي فكان ذلك سببا لانهم انقلبوا اي من الوجه الذي ذهبوا فيه مع النبي صلى الله عليه وسلم بنعمة وعظمها باضافتها الى الاسم الاعظم فقال من الله اي الذي له الكمال كله وفضل اي من الدنيا ما طاب لهم من طيب التجارة بصدق الوعد ومضاء العزم وعظيم الغناء والجراة الى ما نالوه عند ربهم حال كونهم لم يمسسهم سوء اي من العدو الذي خوفوه ولا غيره واتبعوا اي مع ذلك بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغاية جهدهم رضوان الله اي الذي له الجلال والجمال فحازوا اعظم فضله والله اي الذي لا كفوء له ذو فضل عظيم اي في الدارين على من يرضيه فسيظهرون فوق ما يؤملون فليبشر المجيب وليحزن المتخلف واعظم الامر كرر الاسم الاعظم كثيرا ولما جراهم سبحانه على امثال ذلك بما وقع لهم من فوزهم بالسلامة والغنيمة بفضل من حاز اوصاف الكمال وتنزه عن كل نقص بما له

الحق ردا الكبريا والجلال ودعهم فيما لديه لتوليهم اياه اتبع ذلك بما يزيدهم بصيرة من الخوف لهم من كيده ضعيف وامره خفيف وانه يخيف وهو الشيطان وسار ذلك مساق التعليل لما قبله من حيازتهم للفضل وعدم مس السوء بان وليهم الله وعدوهم الشيطان فقال التفاتا اليهم بزيادة في تكشيطهم او تشجيعهم وتثبيتهم انما ذلكم اي القايل الذي تقدم انه الناس الشيطان اي الطريد البعيد المحترق ولما نسب القول اليه لانه الذي زينه لهم حتى اشربته القلوب وامتلات به الصدور كان كانه قيل لما ذا اعساه يصنع فقال يخوف اي يخوفكم اولياءه لكنه اسقط المفعول الاول اشارة الى ان تخويفه يؤول الى خوف اولياءه لان اولياء الرحمن اذا ثبتوا لاجله انجز لهم ما وعدهم من النصرة على اولياء الشيطان والى ان من خاف من تخويفه وعمل بموجب خوفه نفيه ولاية له فصح اضافته اليه قلت او كثرت ولما كان المعنى انه يشوش بالخوف من اوليائه تسبب عن النهي عن خوفهم فقال فلا تخافوهم اي لان وليهم الشيطان وخافون اي فلا تعصوا امري ولا تتخلفوا ابدا عن رسولي ان كنتم مومنين اي مباعدين لاولياء الشيطان بوصف الايمان ولما مدح سبحانه المسارعين في طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وختم ذلك بالنهي عن الخوف من اولياء الشيطان اعقبه بذم المسارعين في الكفر والنهي عن الحزن من اجلهم ولما كانوا اكثر الناس كالمنافقين الراجعين عن احد ثم المقايلين القايلين هل لنا من الامر من شي رجعوا الى ابي عامر وعبد الله بن ابي لاخذ الامان من ابي سفين ثم ركب عبد القيس او نعيم بن مسعود ثم من استجاب من اهل المدينة وارجف بما قالوا اوسط المومنين وكان ذلك مما غطى بالبال بما دين بام الكفر واهله غالبين ويتفرج في رجا نقص مدته ويوجب الحزن على ذلك قال تعالى قاصرا الخطاب على اعظم الخلق واشفقهم واحبهم في صلاحهم ولا يحزنك الذين يسارعون اي يسرعون اسراع من يسابق خصما في الكفر علل ذلك بقوله انهم لن يضروا الله اي الذي له جميع العظمة شيا اي دينه باذلال انصاره والقايمين به وحذف المضاف تعظيما له وتوعيبا فيه حيث جعله هو المضاف اليه ولما نفى ما خيف من امرهم كان مظنة السوال عن الحامل لهم على المسارعة فقال جوابا يريد الله اي الذي له الامر كله ان لا يجعل لهم حظا اي نصيبا في الاخرة ولما كانت المسارعة في ذلك عظيمة ختم الاية بقوله ولهم عذاب عظيم لتعم جميع ذواتهم لان المسارعة دلت على ان الكفر قد ملا ابدانهم ونفوسهم وارواحهم ولما كان قبول نعيم وركب عبد القيس لذلك الجعل الذي هو من اسباب الكفر شرى للكفر بالايمان عقبت بقوله ان الذين اشتروا الكفر اي فاخذوه بالايمان اي فتركوه واكد نفي الضرر وابده فقال لن يضروا الله اي الذي له الغلبة شيا لما يريده تعالى من الاعلاء للاسلام واهله وختمها بقوله ولهم عذاب اليم لما نالوه من لذة العوض في ذلك الشرى كما هي العادة في كل تجدد من الارباح والفوايد ولما كان مما اشترى به الكفر رجوع المنافقين من احد الذي كان سببا للاملا لهم قال تعالى ولا يحسبن الذين كفروا اي بالله ورسوله ان ما نملي اي ان املاءنا اي امهالنا واطالتنا لهم خير لانفسهم ولما نفى عنهم الخير لهذا الذي تتشوف النفس الى ما لهم فقال انما نملي لهم اي نسند راجا ليزدادوا اثما وهو جميع ما سبق العلم الازلي بانهم يفعلونه فاذا بلغ النهاية اوجب الاخذ ولما كان الرجوع المسفر عن السلامة مظنة لعزمهم في هذه الدار الغايبة عنده من حسن ذلك الراي عوضوا عنه الاهانة الدايمة فقال تعالى ولهم عذاب مهين ولما كان مطلق المسارعة اعم منها بالعوض وهو اعم مما بالرجوع جا نظم الايات على الايات ولما كشفت هذه الوقعة جملة من المغيبات من اعظمها تمييز المخلص فعلا او قولا من غيره اخبر تعالى ان ذلك من اسرارها على وجه يشير الى النعي على المنافقين بما خبروا انفسهم بالرجوع وغيره فقال مشيرا الى الخطاب لاتباع الى مزيد علمه صلى الله عليه وسلم وعلو درجته لديه وعظيم قربه سنة سبحانه ما كان الله اي مع ما له من صفات الكمال ولما كان نزل التمييز غير محمود عبر بفعل الوذر واظهر موضع الاضمار لاظهار شرف الوصف تعظيما لاهله فقال ليذر المومنين اي الثابتين في وصف الايمان على ما انتم عليه من الاختلاط بالمنافقين ومن رفايهم من الذين امنوا على حال الاشكال للاقتناع بدعوى اللسان دليلا على الايمان حتى يميز الخبيث من الطيب بان يفضح المبطل وان طال ستره بتكاليف شاقة واحوال شديدة لا يصبر عليها الا الخلص من العباد المخلصون في الاعتقاد وما كان الله لاختصاصه بعلم الغيب ليطلعكم على الغيب وهو الذي لم يبرز الى عالم الشهادة بوجه لتخلوا به الذي في قلوبهم مع احتمال ان يكون الرجوع للعلة التي ذكروها في الظاهر والقول لشدة الاسف على اخوانهم ولكن الله اي الذي له الامر كله يجتبي اي يختار اختيارا بليغا من رسله من يشا اي فيخبر على السنتهم بما يريد من المغيبات كما اخبرهم برجوعهم للكفر اقرب منهم للايمان وانهم يقولون بافواههم ولما تسبب عن هذا وجوب الايمان به قال فامنوا بالله اي في انه عالم الغيب والشهادة له الاسما الحسنى ورسله في انه ارسلهم وفي انهم صادقون في كل ما يخبرون به عنه ولما كان التقدير فانكم ان لم تومنوا كان لكم ما تقدم من العذاب العظيم الاليم المهين عطف عليه قوله وان تومنوا اي بالله ورسله وتتقوا اي بالمداومة على الايمان وما يقتضيه من العمل الصالح فلكم اجر عظيم اي منه انه لا يضركم كيد اعدايكم شيا كما تقدم وعدكم به ولما كان من جملة ما في السورة الانفاق وتقدم في غير اية مدح المنفقين به وحثهم عليه وتقدم ان الكفار ساروا في الكفر يوسعين بالانفاق في سبيل الشيطان على من يخذل الصحابة ونعيم او عبد القيس بالسعي في ذلك وكان المبادرون الى الجهاد قد تضمن تعليمهم السماح بما اتاهم الله من الانفس والاموال وكان الله تعالى قد اخبر بما لهم عنده من الحياة التي هي خير من حياتهم التي اذهبوها في حبه والرزق الذي هو افضل مما انفقوا في سبيله

ذم الله الباخلين بالانفس والاموال في سبيل الله فقال راد الخطاب اليه صلى الله عليه وسلم لانه امكن لسبر ودهم واوثق في انجاز الوعد ولا تحسبن اي انت باخبار البر بهذا على قراءة حمزة وعند الباقين الفاعل الموصول في قوله الذين يبخلون اي عن الحقوق الشرعية بما اتاهم الله اي بجلاله وعزه كاله من فضله اي لا لاستحقاقهم له بخلهم هو خيرا لهم اي لتثميرهم المال بذلك بل هو اي البخل شر لهم لانهم مع جعل الله البخال متلفة لاموالهم سيطوقون اي يفعل من يامره بذلك كما يفعل من كان يعانه السهولة عليه ما بخلوا به اي يجعل لهم بوعد صادق لا خلف فيه بل لا مثلا لهم طوقا بان يجعل شجاعا اي حية عظيمة مهولة تلزم الانسان منهم محيطة بعنقه تضربه في جانبي وجهه يوم القيمة لان الله يرثه منهم بعد ان كان خولهم فيه فيجعله بسبب ذلك التحويل عذابا عليهم روى البخاري في التفسير عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يود زكاته مثل له ماله شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة فياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا هذه الاية ولما كان هذا اطلبا منهم للانفاق وكان الطالب محتاجا الى ما يطلبه وكان ذو المال اذا علم انه ذاهب وان ماله موروث عنه تصرف فيه اخبر تعالى بغناه على وجه يحدوهم على الانفاق فقال عاطفا على ما تقديره لانه ثمرة كونه من فضله فهو كل ما في ايديهم ولله اي الذي له الكمال كله ميراث السموات والارض اي للعربين بهذا الما فيهما بان يبيد سبحانه جميع الاحيا وان املى لهم ويفنى سايرما هيهم من الاعراض ويكون هو الوارث لذلك كله ولما كانت هذه الجمل في الاخبار عن المغيبات دنيا واخرى وكان البخل من الافعال الباطنة التي يستطاع اخفاؤها ودعوى الانفاق بضدها كان الختم بقوله والله اي الملك الاعظم ولما كان منصب النبي صلى الله عليه وسلم الشريف في غاية النزاهة صرف الخطاب الى الاتباع في قراءة غير ابن كثير وابي عمرو وهو ابلغ في الوعيد من تركه على مقتضى السياق من الغيبة في قراءتهما وتقدم الجار اشارة الى ان علمه باعمالهم بالغ الى حد لا تدرك عظمته لان ذلك ابلغ في الوعيد الذي اقتضاه السياق بما يعملون خبير ولما كان العمل شاملا لتصرفات الجوارح كلها من القلب واللسان وساير الاركان دالا على خبرة السماع ما قالوه تجاوزين وهذه البخل الى حضيض النجس مريدين التشكيك لاهل الاسلام بما يبدو من الشبه فيا ما على ما يعرفونه من انفسهم من انه كما تقدم لا يطلب الا المحتاج لقد سمع الله اي الذي له جميع الكمال قول الذين قالوا اي من اليهود ان الله اي الملك الاعظم فقير اي لطلبه القرض ونحن اغنيا لكونه يطلب منا وهذا رجوع منه سبحانه الى اتمام ما نبه عليه قبل هذه القصة من بغض اهل الكتاب لاهل هذا الدين وحسدهم لهم وارادة تشكيكهم فيه للرجوع عنه على اسنى المناهج واعلى الاساليب ولما تتشوف النفوس الى جزايهم على هذه العظيمة وكانت الملوك اذا علمت انتقاص احد لها وهي قادرة عاجلته لما عندها من نقص الاذى بالغيظ قال سبحانه مهددا لهم مشيرا الى انه على غير ذلك سنكتب اي على عظمتنا الانامة الحجة عليهم على ما يتعادونه في الدنيا ما قالوا اي من هذا الكفر وانشاء السين للتاكيد ويجوز ان تكون على بابها من المهلة للحث على التوبة قبل ختم دنيا الشهادة وسياتي في الزخرف له مزيد بيان ولما كان هذا اجترامهم على الخالق اتبعه اجترامهم على اشرف الخلايق فقال مشيرا باضافة المصدر الى ضميرهم وجمع التكسير الدال على الكثير الى انهم الناس تمردا وتمرنا على ارتكاب العظايم وان الاجترا على اعظم انواع الكفر قد صار لهم خلقا وقتلهم الانبيا اي الذين انما اتاهم فيهم ليجددوا ما اوهوه من بنيان دينهم ولما لم يكن في قتلهم شبهة اصلا قال بغير حق فهو اعظم مما قبله من التعبير بالفعل المضارع في قوله ويقتلون الانبيا بغير حق ثم عطف على قوله سنكتب قوله ونقول بما لنا من الجلال ذوقوا اي بما مسكم به من المصايب في الدنيا والعقاب في الاخرى كما كنتم تذوقون الاطعمة التي كنتم تبخلون بها فلا تودون حقوقها عذاب الحريق جزا على ما احرقتم به قلوب عبادنا ثم بين السبب فيه بقوله ذلك اي العذاب العظيم بما قدمت ايديكم اي من الكفر بقتلهم وبغيره وان اي وبسبب ان الله اي الذي له جميع صفات الكمال ليس بظلام اي بذي ظلم للعبيد ولو لم يعذبكم لكان تركا على صورة الظلم لمن عاديكم فيه واشتدادا لكم ولما كان القربان من جنس النفقات ولما يتبين به سماح النفوس وشحها احسن نظم اية القربان هنا بقوله ردا شبهة لهم اخرى ومبينا قتلهم الانبيا الذين قالوا تقاعدا عما يجب عليهم من المسارعة بالايمان ان الله اي الذي لا امر لاحد معه عهد الينا وقد كذبوا في ذلك ان لا نومن لرسول كاينا من كان حتى ياتينا بقربان اي عظيم يتقرب به لله تعالى فيكون متصفا ناكله النار عند تقريبه له وفي ذلك اعظم بيان لانهم ما ارادوا بقولهم ان الله فقير حيث طلب الصدقة الا التشكيك حيث كان المتقرب الى الله بالمال من دينهم الذي يتقربون الى الله به بل وادعوا انه لا يصح دين بغيره ولما افتروا هذا التشكيك امر سبحانه بنقضه بقوله قل قد جاكم رسل فضلا عن رسول ولما كانت مدتهم لم تستغرق الزمان الماضي اثبت الجار فقال من قبلي كزكريا وابنه يحيى وعيسى عليهم السلام بالبينات اي من المعجزات وبالذي قلتم اي من القربان فان لعنتهم لم تحل كما في الصحيح لاحد كان قبلنا فلم تحل لعيسى عليه السلام فلم تكن بما نسخ من احكام التوراة وقد كانت تجمع فتنزل نار من السما فتاكلها الا ان وقع فيها غلول فلم قتلتموهم اي قتلتم اسلافكم ورضيتم انتم بذلك فتنادكتموهم فيه ان كنتم صادقين اي في انكم تومنون لمن اتاكم على الوجه الذي ذكرتموه وفي ذلك رد على الزاعمين من اليهود المدعين انهم قتلوه الزاعمين انه عهد اليهم في الايمان بمن اتاهم بذلك والنصارى المسلمين لما ادعى اليهود من

من قبله المستلزم لكونه ليس بلاه ولما كانت هذه السورة متضمنة لكثير من الدقايق التي احتفوها من كتابهم الذي جعلوه
نواطيس يبدونها ويخفون كثيرا وفي هذه الاية بخصوصها من ذلك ما يقتضي تصديقه صلى الله عليه وسلم وكان سبحانه عالما بان
اكثرهم لعنادهم سبب عن ذلك ان سلاه في تكذيب المكذبين منهم بقوله فان كذبوك فكانه قيل هذا الذي علمتك به
يوجب تصديقك فان لم يفعلوا بل كذبوا فقد ولما كان السياق لاثبات مبالغتهم في العظمة والجفا والكفر وعدم الوفا
وكانت السورة سورة التوحيد والرسل متفقون عليه وقد اتى كل منهم فيه بانهى البيان وازال كل لبس اسقط تا
التانيث لانها ربما دلت على نوع ضعف فقال كذب رسل ولما كانت تسلية الانسان بمن قاربه في الزمان اعظم اثبت الجار
فقال من قبلك اي فلك فيهم مسلاة وبهم اسوة جاءوا بالبينات اي المعجزات والزبر اي من الصحف المتضمنة للمواعظ والحكم
الزواجر والدقايق التي يزبر العالم بها عن المساوي والكتاب المنير اي الجامع للاحكام وغيرها الموضح لانه الصراط المستقيم
ولما تقدم في قصة احد رجوع المنافقين وهزيمة بعض المؤمنين مما كان سبب ظفر الكافرين وعاب سبحانه ذلك عليهم بانهم
هربوا من موجبات السعادة والحياة الابدية الى ما لا بد منه والى ذلك اشار بقوله قل لو كنتم في بيوتكم ولئن قتلتم في سبيل الله قل
فادرءوا عن انفسكم الموت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله وغير ذلك لما سكتهم به في رجوعهم حذر الموت وطلب امتداد العمر
مع ما اشيع به من ان موت هذا النبي الكريم وقتله ممكن كما كان من قبله من اخوانه من الرسل على جميعهم افضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام
وختم بالاخبار بانه وقع قتل كثير من الرسل فكان ذلك محققا انه لا يصان من الموت خاص ولا عام مضموما الى ما شاهد من ذلك
في كل خطة صور ذلك الموت بعد ان صار مستحضرا للعيان تصويرا اوجب للتصريح به اشارة الى ان حالهم في هربهم ورجوعهم وما
تبع ذلك من قولهم حال من هو في شك منه فقال تعالى كل نفس اي منفوسة من عيسى وغيره من اهل الجنة والنار ذائقة الموت
اي وهو المعنى الذي يدخل معه تصرف الروح في البدن وتكون هي باقية بعد موته لان الذايق لا بد ان يكون حال ذوقه حيا حساسا ومن
يذوق عليه ذوق الموت يجوز عليه ذوق النار وهو عنه محتاج فالعاقل من سعى في النجاة منها والانجا كان فعل الخلص الذين منهم عيسى
ومحمد عليهما الصلاة والسلام وكان نظمها بعد الايات المقتضية لتوفية الاجور مثابا به عليها وانه ليس بظلام للعبيد شديد
الحسن وذلك مناسب بها لختم الاية بالتصريح لتوفية الاجور يوم الدين وان الزحزحة عن النار ودخول الجنة هو الفوز لا الشح في
الدنيا بالنفس والمال الذي ربما كان سببا لامتداد العمر وسعة المال بقوله وانما توفون اي تعطون اجوركم على التمام جزاء ما
عملتموه من خير وشر يوم القيمة واما ما يكون قبل ذلك من نعيم القبر ونحوه فبعض لا وفا فمن زحزح اي ابعد في ذلك اليوم ابعادا
عظيما سريعا عن النار وادخل الجنة فقد فاز اي بالحياة الدايمة والنعيم الباقي والمعنى ان كل نفس توفى ما عملت فتوفى انت
اجورك على صبرك على اذاهم وكذا من اطاعك وتجاوزهم على ما فرطوا من حقك فيقع لهم في غمرة النار وكان الحصر اشارة الى تجهيل
اقبالهم على الغنيمة وغيرها من التوسع العاجل اي انما مقتضى الدين الذي دخلتم فيه هذا وذلك ترهيبا من الالتفات الى تحصيل
شيء من الاجر في الدنيا كما قال ابو بكر رضي الله عنه في اول اسلامه وجدت بضاعة بلسية ما وقعت على بضاعة قط انفس منها
وهي لا اله الا الله فالحاصل انه كل نفس اي حذرة من الموت ومستسلمة ذائقة الموت اي فلا الاحتراس منه بقعود عن الغزو
او هرب من العدو وانما توفون اجوركم اي يا اهل الاسلام التي وعدتموها على الاعمال الصالحة يوم القيمة اي فما لكم
تريدون تعجلها باسراعكم الى الغنايم او غيرها مما يزيد في اعراض الدنيا فتكونوا ممن تعجل طيباته في الحياة الدنيا
فمن اي بحيث علم انه لا فوز في الدنيا الا بما يقرب الى الله تسبب عن ذلك انه من زحزح عن النار اي بكونه وفر اجره ولم يتعجل طيباته
وادخل الجنة اي بما عمل من الصالحات لحياة الحياة الدايمة مع الطيبات الباقية فقد فاز اي كل الفوز ولما صح انه لا فوز
الا ذلك صح قوله وما الحيوة الدنيا اي التي اسلى لهم فيها وازيلت عن الشهدا الا متاع الغرور اي المتاع الذي يدلس
الشيطان امره على الناس حتى يغتروا به فيخسروا بترك الباقي واخذ الاشيا الزايلة بانقضا لذاتها والندم على شهواتها
بالخوف من تبعاتها وفي ذلك ايضا مناسبة من وجه اخر وهو انه لما سلاه سبحانه بالرسل الذين لازموا الصبر والاجتهاد
في الطاعة حتى ماتوا او انهم وتركوا ما كان بايديهم عاجزين عن المدافعة ولم يبق الا ملكه سبحانه وان الفريقين ينتظرون الجزا
فالرسل لتمام الفوز والكفار لتمام الهلاك اخبر ان كل نفس كذلك ليجتهد الطايع ويقصر العاصي وفي ذلك تعريض
بالمنافقين الذين رجعوا عن احد خوف القتل وقالوا عن الشهدا لو اطاعونا ما قتلوا اي ان الذي فروا منه لا بد منه
والحياة التي اثروها متاع يندم عليه من يحصله للتمتع كما يندم المغرور الذي غبن وفاز السعيد الذي سعى في ان يكون
موته في رضى مولاه الذي لا محيص له عن الرجوع اليه والوقوف بين يديه ولما سلى الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم
عن تكذيبهم له بما لقي اخوانه من الرسل وبانه لا بد من الانقلاب اليه فيفوز من كان من اهل حزبه ويشقى من والى اعداه
وذوي حربه اعاد التسلية على وجه يشمل المؤمنين وساقها مساق الاخبار بحلول المصايب الكبار التي هي من شعاير
الاخيار في دار الاكدار المعلية لهم في دار القرار فقال مؤكدا لان الواقف في الخدمة ينكر ان يصيبه معبوده بسوء هذا
طبع البشر وان تطبع بخلافه وافاد ذكره قبل وقوعه تهوينه بتوطين النفس عليه وافاد بناءه للمفعول ان المنكي البلا
لا كونه من جهة معينة لتبلون اي تعاملون معاملة المختبر ليتبين المؤمن من المنافق في اموالكم اي بانواع الانفاق وانفسكم اي

بالاصابة

بالاصابة في الجهاد وغيره فكانا لكم سانا لكم من الاذى بادني ليخفف عنكم بعده من الاذى بما امضيت به سنتي في خلص عبادي
وذوي محبتي وكان ابلا ذلك للاية التي قبلها الاشارة الى ان توفية الاجور للاعمال الصالحة مما ينيل الفوز مناسبا
من حيث الترغيب في كل ما يكون سببا لذلك من الصبر على ما يبتلي به سبحانه من كل ما يامر به من التكاليف او ياذن فيه
من المصايب وقدم المال لانه كما قيل عديل الروح وربما هان على الانسان الموت دون الفقر المؤدي الى الشماتة
والذل والعار بما تقصر عنه يده بفقده من افعال المكارم وما احسن ذكر هذه الاية اثر قصة احد التي وقع فيها
القتل بسبب الاقبال على المال وكان ذكرها تعليلا لبغضة اهل الكتاب وغيرهم من الكفار ولما كان يومها يوم
بلا وتمحيص كان ربما اطمع في العافية بعده فتوطنت النفس على ذلك فاشتد انزعاجها بما ياتي من امثاله وليس
ذلك من اخلاق المتقين اراد سبحانه توطين النفوس على ما طبعت عليه الدار من الاشتغال والاصار فاخبر ان البلا
لم ينقض به بل لا بد بعده من بلايا وسماع اذى من سائر الكفار ورغب في شعاير المتقين الصبر الذي قدمه في
اول السورة ثم قبل قصة احد ونباها عليه معلما انه مما يحق ان يعزم عليه ولا يتردد فيه فقال ولتسمعن اي
بعد هذا اليوم من الذين ولما كان المراد تسوية العالم بالجاهل في الذم نزه المعلم عن الذكر فبنى للمفعول قوله اوتوا
الكتاب ولما كان ايتاؤهم له يستغرق الزمن الماضي ادخل الجار فقال من قبلكم اي من اليهود والنصارى ومن الذين
اشركوا اي من الاميين اذى كثيرا اي من الطعن في الدين وغيره بسبب هذه الوقعة او غيرها وان تصبروا اي
تتخلقوا بالصبر على ذلك وغيره وتتقوا اي تجعلوا بينكم وبين ما يسخط الله وقاية بان تعضوا عن كثير من اجوبتهم اعتمادا
على قهرهم بالسيوف وانزال الحتوف فان ذلك اي الامر العالي الرتبة من عزم الامور اي الاشيا التي هي اهل لان يعزم
على فعلها ولا يتردد فيه ولا يعوق عنه عايق فقد ختمت قصة احد بمثل ما سبقت دليلا عليه من قوله قد بدت
البغضاء من افواههم الى ان ختم بقوله وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وهذا ما اخبر هنا بانه من عزم الامور
ولما قدم سبحانه في اوايل القصص لليهود انه اخذ على النبيين الميثاق بما اخذ واخبرهم انه من تولى بعد ذلك فهو
الفاسق ثم اخبر بقوله قد جاءكم رسل من قبلي وان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك ان النبيين وفوا بالعهد
وان كثيرا من اتباعهم خان ثنى هنا بالتذكير بذلك العهد على وجه يشمل جميع العلما بعد الاخبار بسماع الاذى
المتضمن لنقضهم للعهد فكان التذكير بهذا الميثاق كالدليل على مضمون الاية التي قبلها وكانه قيل فاذكروا قوله
لتبلون واجعلوه نصب اعينكم لتوطنوا انفسكم عليه فلا يشتد جزعكم بحلول ما حل بكم واذكروا اذ اخذ الله الذي له
العظيم الا هو ميثاق الذين ولما كانت الخيانة من العالم اشنع وكان ذكر العلم دون تعيين المعلم كافيا في ذلك بني للمجهول قوله
اوتوا الكتاب اي في البيان لحافوا ان اذوا الا انفسهم واذا اذوا انفسهم بخيانة عهد الله كانوا في اذا لم استعدوا اليه
اسرع او يكون التقدير واذكروا ما اخبرتكم به عند ما انزل بكم واصبروا لتفوزوا واذكروا اذ اخذ الله ميثاق من قبلكم
فضيعوه كيلا تفعلوا فعلهم فيحل بكم ما حل بهم من الذل والصغار في الدنيا مع ما يدخر في الاخرة من عذاب النار وهذا
ما كان ظهر لي اولا ثم بان ان الذي لا معدل عنه انه لما انقضت قصة احد وما تبعها الى ان ختمت بعد الوعظ بحتم الموت
الذي فر من فر منهم منه وخوف البلايا امره بمثل ما تقدم انه جعلها دليلا عليه من بغض اهل الكتاب وما تبعه
عطف على اذ المقدرة لعطف واذ غدوت عليها قوله واذ اخذ الله اي اذكروا ذلك بدليل على غدرهم واذكروا
ما صح عندكم من اخبار الله المشاهد باخبار من اسلم من الاحبار والقسيسين ان الله اخذ ميثاق الذين اوتوا الكتاب
اي من اليهود والنصارى بما اكد في كتبه وعلى السنة رسله لتبيننه اي الكتاب للناس ولا تكتمونه اي نصحا
منهم لله ولرسوله ولايمة المؤمنين وعامتهم ليؤمنوا بالنبي المبشر به فنبذوه اي الميثاق بنبذ الكتاب وراء ظهورهم ربهم
حسدا لكم وبغضا وهو تمثيل لتركهم العمل به لان من ترك شيئا وراءه نسيه واشتروا به ولما كان الثمن الذي اشتروه
خسارة لا ربح فيه اصلا على العكس مما بذلوه على انه ثمن وكان الثمن اذا بقي ذلك مظنة الربح منه عبر عنه بقوله ثمنا
وزاد في بيان سفههم بقوله قليلا اي بالاستكثار من المال والاستئثار للرياسة فكتموا ما عندهم من العلم لهذا
النبي الكريم فبئس ما يشترون اي لانه مع قلته يورثهم العار الدايم والنار الباقية وعبر عن هذا بالشرا اعلاما
بلجاجهم فيه ورغبتهم بصيغة الافتعال على مبالغتهم في اللجاج ولما اخبر تعالى بانهم احتووا على المال والجاه بما كتموا
من العلم واظهروا من خلافه المتضمن لجبرهم اهل دينهم فيهم رياستهم عليهم بانهم على الدين الصحيح وانهم اهل العلم فهم
اهل للاقتدا بهم قال تعالى مخبرا عن مالهم مخبرا من شكل حالهم على وجه يعم كل امرئ لا تحسبن على قراءة الجماعة بالخطاب
الذين يفرحون بما اتوا اي بما خالف ظاهره باطنه وتوصلوا به الى الاغراض الدنيوية من الاموال والرياسة وغير
ذلك اي لا تحسبنهم بنفسهم وفي قراءة الكوفيين ويعقوب بالخطاب المعنى لا تحسبنهم ايها الناظر لمكرهم ودواجهم
بسببه في الدنيا واصلين الى خير ويحبون ان يحمدوا اي يوجد لهم الثناء بالوصف الجميل عليهم بما لم يفعلوا اي بدلالة
الباطن الذي لم يفعلوه قال ابن هشام في السيرة ان يقول الناس علما وليسوا باهل علم لم يحملوهم على هدى ولا حق

ولما تسبب عن ذلك العلم بهلاكهم قال فلا تحسبنهم اي تحسبن انفسهم على قراءة ابن كثير وابي عمرو بالغيب وعلى ضم البا
وعلى قراءة الجماعة المعنى تحسبنهم ايها الناظر بمفازة من العذاب بل انهم بمهلكة منه ولهم عذاب اليم ولما اخبر بهلاكهم
دل عليه بحال من فاعل يحسب فقال تعالى ولله اي الذي له جميع صفات الكمال وحده ملك السموات والارض
اي لا يقع في نكوصهم ذلك والحال انه ملكه محيط بهم وله جميع ما يمكنهم الاختيار اليه وله ما لا سلطة لهم ومن ملك الخافقين
فهو بكل شي محيط والله اي الذي له جميع العظمة على كل شي قدير اي وهو شامل القدرة لمن كان في ملكه كان في قبضته ومن
كان في قبضته كان عاجزا عن التفصي عما يريد به لانه الحي القيوم الذي لا اله الا هو كما افتتح به السورة ولما ذكر هذا الملك
العظيم وختم بشمول القدرة دل على ذلك بالتنبيه على التفكر فيه الموجب للتوحيد الذي هو المقصد الاعظم من
هذه السورة الداعي الى الايمان الموجب للمفازة من العذاب لان المقصود الاعظم من انزال القران تنوير القلوب
بالمعرفة وذلك لا يكون الا بغاية التسليم وذلك هو اتباع الملة الحنيفية وهو متوقف على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
فبدا سبحانه السورة بدلايل صدقه باعجاز القران بكشفه مع الاعجاز بنظمه على لسان النبي الامي للشبهات وبيانه للخفيات
واظهر مكابرة اهل الكتاب وفضحهم ثم نصحه لما تم ذلك على احسن وجه منظما ببدايع الحكم من الترغيب والترهيب شرع
في بث انوار المعرفة بنصب دلايلها الغريبة وكشف اسرارها البهية فقال ان في خلق السموات والارض اي على كبرهما
وما فيهما من المنافع ونبه على التغيير الدال على المغير بقوله واختلاف الليل والنهار اي اختلافا هو كالنزول على غاية
الاحكام بكونه على منهاج قويم وسير لا يكون الا بتقدير العزيز العليم لايات اي على جميع ما جاءت به الرسل عن الخالق وزاد
الحث على التفكر والتهييج اليه والالهاب من اجله بقوله لاولي الالباب وذكر سبحانه في اخت هذه الاية في سورة البقرة
ثمانية انواع من الادلة واقتصر هنا على ثلاثة لان السالك يفتقر في ابتدا السلوك الى كثرة الادلة فاذا استنار قلت حاجته الى
ذلك وكان الاكثار من الادلة كالحجاب للسالك الشاغل له عن استغراق القلب في لجج المعرفة واقتصر هنا من اثار الخلق على السما وبه لانها اظهر
وابهر والعجايب فيها اكثر وانتقال القلب منها الى عظمة سبحانه وكبريايه اشد واسرع وختم تلك بما هو اول السلوك
العقل وختم هذه بلبه لانها لمن تخلص من وساوس الشيطان وشوايب هواجس الوهم البالغة من الوصول الى حق اليقين بل
علم اليقين ولما كان كل مميز يدعي انه في الذروة من الرشاد نعتهم بما يبين من يعتد بعقله فقال الذين يذكرون الله اي الذي ليس
في خلقه لهما ولا لغيرهما شك وله جميع اوصاف الكمال ولما كان المقصود الدوام وكان قد يتجوز به عن الاكثر عبر عنه بهذا التفصيل
نفيا لاحتمال التجوز ودفعا لدعوى العذر فقال قياما وقعودا ولما كان اكثر الاضطجاع على الجنب قال وعلى جنوبهم اي في اشتغالهم
باشغالهم وفي وقت استراحتهم وعند منامهم فهم في غاية المراقبة ولما بدا من اوصافهم بما يجلو صدا القلوب ويسكنها وينفي
عنها الوساوس حتى استعدت لتجليات الحق وقبول الفيض بالفكر لاستفادة الشهوة وسورة الغضب وتركهما وضعف
داعية الهوى فزالت نزغات الشيطان ووساوسه وخطرات النفس ومخالطات الوهم قال ويتفكرون اي على الدوام
ولما كانت ايات المعرفة اما في الافاق واما في الانفس وكانت ايات الافاق اعظم خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس قال
في خلق السموات والارض على كبرهما واتساعهما وفوت ما فيهما من المنافع حصر الخلايق يتعلمون بما في ذلك من الاحكام
مع جرى ما فيهما من الحيوان الذي خلقنا لاجله على غير انتظام ان وراء هذه الدار دارا يثبت فيها الحق وينفي الباطل ويظهر العدل
ويضمحل الجور فيقولون تضرعا اليه واثنا عليه ربنا اي ايها المحسن الينا ما خلقت هذا اي الخلق العظيم المحكم باطلا
اي لاجل هذه الدار التي لا تفصل فيها على ما شرعت القضايا ولا تنصف فيها الرعايا بل انما خلقته لاجل دار اخرى يكون
فيها محض العدل ويظهر فيها الفضل ولما كان الاقتصار على هذه الدار مع ما يشاهد من ظهور الاشرار نقصا ظاهرا
وخللا بينا نزهوه عنه فقالوا سبحانك وفي ذلك تعليم العباد الدعا بتقديم الثنا قبله وتنبيه على ان العبد كلما
عزرت معرفته ازداد خوفه فازداد تضرعه فانه يحق منه كل شي من تعذيب الطايع وغيره ولولا ان ذلك كذلك لكان الدعا
برفعه عبثا وما احسن ختمها حين تسبب عما مضى تيقنهم ان اماما دارا يظهر فيها العدل مما هو شان كل احد في تعذيب
فيها العاصي وينعم فيها الطايع كما هو داب كل ملك في رعيته بقولهم رغبة في الخلاص في تلك الدار فقنا عذاب
النار على وجه جمع بين ذكر العذاب المختتم به اية حيي الجهلة بالباطل والنار المحذر منها في من خرج عن السادة لتحقيقها بقولهم
معظمين ما سالوا وقفة من العذاب ليكون موضع السوال اعظم ليدل على ان الداعية في ذلك الدعا اكمل واخلاصه اتم
مكررين الوصف المقتضي للاحسان مبالغة في اظهار الرغبة استمطارا للاجابة ربنا والدواعي عليهم بالخاطر على الخاطر
اعلاما بان حالهم في تقصيرهم من امن النار وحثا لانفسهم على الاجتهاد في العمل فقالوا انك من تدخل النار اي للعذاب فقد
اخزيته اي اذللته واهنته اهانة عظيمة بكونه ظالما وختمها بقوله وما للظالمين من انصار الحاسم لطمع من يظن
منهم انه بمفازة من العذاب واظهر موضع الاضمار لتعليق الحكم بالوصف والتعميم ولما ابتهلوا بهاتين الايتين في الاجا
من النار توسلوا بذكر مسارعتهم الى اجابة الداعي بقولهم ربنا ولما كانت حالهم لمعرفتهم بانهم لا ينفكون عن تقصير
وان بالغوا في الاجتهاد لانه لا يستطيع احد ان يقدر حق قدره شبيهة بحال من لم يؤمن اقتضى المقام التاكيد اشارة الى

هضم

هضمهم انفسهم بالاعتراف بذنوبهم فقالوا مع علمهم بان المخاطب عالم بكل شي اننا فاظهروا النون الا غاية في التاكيد
سمعنا مناديا اي من قبلك وزاد في تفخيمه بذكر ما منه الندا معقبا بعد الاطلاق بقوله ينادي ولما كانت اللام
تصلح للتعليل ومعنى الى عبر بها فقيل للايمان ثم فسره تفخيما له بقولهم ان امنوا بربكم ثم اخبر بمسارعتهم الى
الاجابة بقولهم فامنا اي عقب السماع ثم ازالوا ما ربما يظن من سبيلهم الى ذروة الاعجاب بقولهم تصريحا بما فهمه
التاكيد لمن علمه محيط ربنا فاغفر لنا ذنوبنا اي التي اسلفناها قبل الايمان بان تقبل منا الايمان فلا تزيغ
قلوبنا فيكون جابا لما قبله عندك كما كان جابا له في ظاهر الشرع وكذا ما فرط منا بعد الايمان ولو كان بغير توبة
واليه الاشارة بقولهم وكفر عنا سيياتنا بان توفقنا بعد تشريفك لنا بالايمان لاجتناب الكباير ثم بفعل
الطاعات المكفرة للصغاير وتوفنا مع الابرار اي لنسلك انسابهم ولما كان الله سبحانه هو المالك التام
الملك فهو ذو التصرف المطلق الذي لا يجب عليه شي ولا يقبح منه شي اشار الى ذلك بقوله ملقنا لهم مكررا
صفة الاحسان تنبيها على مزيد الابتهال والتضرع والتخضع والخشية ربنا واتنا ما وعدتنا ثم على رسلك
من اظهار الدين والنصر على الاعدا وحسن العاقبة وايراث الجنة في مثل قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات
ان لهم جنات وفي الدعا بذلك اشارة الى انه لا يجب على الله شي لو تقدم به وعده الصادق وان كنا نعتقد انه
لا يبدل القول لديه ولا تخزنا يوم القيمة اي بالمواخذة بالسيات ثم ارشدهم الى الالهاب والتهييج مع الخبر
على ما بنيه عليه اولا من انه لا يجب عليه شي بقوله باسطا لهم بلذة المنادمة بالمخاطبة انك لا تخلف الميعاد
ولما تسبب عن هذا الدعا الاجابة لتكمل شروطه وهي استحضار عظمته تعالى بحد معرفته بالدليل وادامة ذكره
والتفكر في بدايع صنعه والتناحر بالثنا عليه سبحانه وتنزيهه والاخلاص في سواله قال فاستجاب اي فاوجد
الاجابة حتما لهم قال الاصفهاني عن جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف
واعطاه ما اراد وقرا هذه الاية واشار الى نهايته وتصله بقوله ربهم اي المحسن اليهم المتفضل عليهم اني لا اضيع
عمل عامل منكم كاينا من كان من ذكر او انثى وقوله معللا بعضكم من بعض التفاتا الى قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله
كمثل ادم الناظر الى قوله ذرية بعضها من بعض المفتتح بان الله اصطفى ادم ونوحا المنادي بان البشر كلهم في العبودية
للواحد الذي ليس كمثله شي القيوم سوا من غير تفاوت في ذلك اصلا والمراد انهم اذا كانوا امثالهم في النسب
فهم مثلهم في الاجر على العمل ولما اقر اعينهم بالاجابة وكان قد تقدم ذكر الانصار عموما في قوله ويستبشرون بالذين
لم يلحقوا بهم من خلفهم وان الله لا يضيع اجر المومنين خص المهاجرين بيانا لفضلهم وزيادة شرفهم تخصيصهم
لكونهم معهم لم يانسوا بغيره ولم يتركوا السنوات من اهل ولا مال بقوله مسببا عن الوعد المذكور مفصلا ومعظما
ومبجلا فالذين هاجروا اي صدقوا ايمانهم بمفارقة احب الناس اليهم في الدين المودي الى المقاطعة واعز البلاد
عليهم ولما كان للوطن من القلب منزل ليس لغيره نبه عليه بقوله واخرجوا من ديارهم اي وهي اثر المواطن
عندهم بعدوان اعدوا اهلهم وهم اقرب الخلايق اليهم ولما كان الاذى مكروها لنفسه لا بالنسبة الى معين بنى
للمفعول قوله واوذوا اي بغير ذلك من انواع الاذى في سبيلي اي بسبب ديني الذي نهجته ليسلك الى
وحكمت انه لا وصول الى رضاي بدونه وقاتلوا اي في سبيلي ولما كان القتل نفسه هو المكروه ولا بالنسبة الى
معين كان المدح على اقتحام موجباته فبنى للمفعول قوله وقتلوا اي فيه فخرجوا بذلك عن مساكن ارواحهم بعد
الخروج عن منازل اشباحهم وقراة حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول ابلغ معنى لانها اشد ترغيبا في الاقدام
على الاخصام لان من استقبل الاقدام على الغمرات اقدام الاسد فقتل اخص ولم يخف احدا امامه فكانه قيل وقاتلوا
القتل بهذا بالنظر الى الانسان نفسه ويجوز ان يكون الخطاب للمجموع فيكون المعنى قاتلوا بعد ان قاتل كثير
من اصحابهم قد قتل لاكفرن عنهم سيئاتهم كما تقدم سوالهم اياي في ذلك علما منهم بان احدا لن يقدر على ان
يقدر الله حق قدره وان اجتهد ولادخلنهم اي بفضلي جنات تجري من تحتها الانهار كما سبق به الوعد ثوابا
وهو وان كان على اعمالهم فهو فضل منه وعظمه بقوله من عند الله اي المنعوت بالاسما الحسنى التي منها الكرم
والرحمة لان اعمالهم لا تؤدي اقل نعمة والله اي الذي له الجلال والجمال ونبه على عظمة المحدث عنه بالعندية
فقال عنده اي في خزاين ملكوته التي هي في غاية العظمة حسن الثواب اي وهو ما لا تتانيه كدرية لانه شامل
القدرة بخلاف غيره ولما كانت هذه المواعيد اجلة وكان نظرهم الى ما فيه الكفار من عاجل السعة ربما اثر
في بعض النفوس اثرا يقدح في الغيب الذي هو شرط قبول الايمان دواه سبحانه بان تلا بعث من المهاجرين
بانذار الكفار المنافقين والمصارحين الذين املى لهم بخذلانهم المومنين بالرجوع عن قتال احد وغيره من
اسباب الاملا على وجه يصدق ما تقدم اول السورة من الوعد بانهم سيغلبون وان اموالهم لا تغني عنهم
لاحقا بقولها عطفا اخرها على اولها وتاكيدا للاستجابة دعا اولياية اخرا التي قبلها بقوله مخاطبا لاشرف

اعباده والمراد من يمكن ذلك عادة منه لان خطاب الرسول يسكن في خطاب الاتباع **لا يغرنك تقلب** اي لا تغتر بتصرف **الذين كفروا** تصرف من يتقلب الامور بالنظر في عواقبها لسلامتهم في تصرفهم وفوائدهم وجودة ما يقصدونه في الظاهر لجودة التقلب في البدن **في البلاد** فان تقلبهم **متاع قليل** اي لا يعبأ به ذو همة عليه وعبر باداة التراخي اشارة الى ان تمتعهم وان فرض انه طال زمانه وعلا شأنه تافه لزواله ثم عاقبته والى هول تلك العاقبة وتناهي عظمها فقال **ثم مأواهم** اي بعد التراخي ان قدر **جهنم** اي الكريهة المنظر الشديدة الاهوال العظيمة الاوجال لا مهاد لهم غيرها **وبئس المهاد** اي الفراش الذي يوطأ ويسهل للراحة والهدوء ولما بين بآية المهاجرين ان النافع من الايمان هو الموجب للثبات عند الامتحان وكانت تلك الشروط قد لا توجد ذكر وصف التقوى العام للافراد الموجب للاسعاد تعقب لقدمها الكافر بما لاضدادهم المتقين العابرين بما تقدم الدعاء اليه بقوله تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم فقال تعالى **لكن الذين اتقوا ربهم** اي اوقعوا الاتصاف بالتقوى بالائتمار بما امرهم به المحسن اليهم والانتهاء عما نهاهم شكرا لاحسانه وخوفا من عظيم شأنه **لهم جنات** اي جنات ثم وصفها بقوله **تجري من تحتها الانهار** تحريفا بدوام نبوعها وزهرتها وعظم بهجتها ولما وصفها بضد ما عليه النار وصف تقلبهم فيها بضد ما عليه الكفار من كونهم في صنائع الكرام الحفار فقال **خالدين فيها** ولما كان النزل ما يعد للضيف عند نزوله قال معظما لمن يرضيه **نزلا** ولما كان الشيء يشرف بمن هو من عنده نبه على عظمته بقوله **من عند الله** مضيفا الى الاسم الاعظم واشار بجعل الجنات كلها نزلا الى التعريف بعظيم ما لهم بعد ذلك عنده سبحانه من النعيم الذي لا يمكن الادميين الاطلاع على حقيقة وصفه ولهذا قال مظهرا لانه لو اضمر لظن الاختصاص بالنزل **وما عند الله** اي الملك الاعظم من النزل وغيره **خير للابرار** مما فيه الكفار ومن كل ما يمكن ان يخطر في البال من النعيم ولما كان للمؤمنين من اهل الكتاب بين مع التشرف بما كانوا عليه من الدين الذي اصله حق حظ من الهجرة فكانوا قسما ثانيا من المهاجرين وكان انزال كثير من هذه السورة في حقهم ولد اهل الكتاب وجدالهم والتحذير من مخالطتهم ومخادعتهم والاخبار بانهم يبغضون المؤمنين مع محبتهم لهم وانهم لا يؤمنون بكتابهم وانهم سيسمعون منهم اذى كثيرا الى ان ختم في وصفهم بانهم اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا بما ايأس من ايمانهم اتبع ذلك مدح مؤمنيهم وغير الاسلوب عنان يقال مثلا والذين امنوا من اهل الكتاب طاعنا في سواهم بعد التدريب بالتحذير منهم على سنا وائمهم وملاوائهم فقال **وان من اهل الكتاب** اي اليهود والنصارى **لمن يؤمن بالله** اي الملك الذي حاز صفات الكمال واشار الى الشرط المصحح لهذا الايمان بقوله **وما انزل اليكم** اي من هذا القرآن **وما انزل اليهم** اي كله فيدعو الى ما يأمر به باتباع هذا النبي العربي واليه الاشارة بقوله جامعا للنظر الى معنى من تعظيما لوصف الخشوع بالنسبة الى مطلق الايمان **خاشعين لله** اي لانه الملك الذي لا كفو له غير مستكفين عن ترك المألوف **لا يشترون بآيات الله** اي التي يتلونها على انه لا يقدر عليها الا من احاط بالجلال والجمال الامرة لهم بذلك **ثمنا قليلا** بما هم عليه من الرياسة ونفوذ الكلمة كما تقدم قريبا في وصف معظمهم فهم يبينونها ويرشدون اليها ولا يحرفونها ولما اخبر تعالى عن حسن توجههم اليه اخبر عن جزائهم عنده بما يسر النفوس ويبهجها لهم فقال **اولئك** اي العظيموا الرتبة **لهم اجرهم** اي الذي يأملونه ثم زادهم فيه رغبة بتشريفه بقوله **عند ربهم** اي الذي رباهم ولم يقطع احسانه لحظة عنهم كل ذلك تعظيما له من حيث ان لهم الاجر مرتين ولما تضمنت هذه التأكيدات المبشرات ايجاب الاجر واتمام احسانه وكان قد تقدم انه تعالى يوفي كل احد من ذكر وانثى اجره ولا يضيع شيئا ويجازي المسيء والمحسن وكانت العادة قاضية بان كثرة الخلق سبب لطول زمن الحساب وذلك سبب لطول الانتظار وذلك سبب لتعطيل الانسان عن مهماته ولضيق صدره بتفرق عزمه وشتاته كان ذلك كله يحدث نوهم ما لا ينبغي فازال هذا التوهم بان امره تعالى على غير ذلك لانه لا يشغله شأن عن شأن بقوله **ان الله** اي بما له من الجلال والعظمة والكمال **سريع الحساب** ولما كثر في هذه الآيات الامر بمقاساة الشدائد وتجرع مرارات الاذى في اقتحام الحروب واستهانة عظائم الكروب والحث على المعارف الالهية والآداب الشرعية من الاصول والفروع اخلاعا من المألوفات الى ما يأمر به سبحانه من الطاعات وختم بتجرع فرقة من اهل الكتاب لتلك المرادات كانت نتيجة ذلك لا محالة قوله تعالى منبها على عظمة ما يدعوا اليه لانه شامل لجميع الآداب **يا ايها الذين امنوا** اي بكل ما ذكرنا في هذه السورة **اصبروا** اي اوقعوا الصبر تصديقا لايمانكم على كل ما ينبغي الصبر عليه مما تكرهه النفوس مما دعاكم اليه الزهراوان **وصابروا** اي اوجدوا المصابرة للاعداء من الكفار والمنافقين وسائر العصاة فلا يكونن على باطلهم اصبر منكم على حقكم **ورابطوا** اي بان تربطوا في الثغور خيلا تكون بازاء ما لهم من الخيول ارهابا لهم وحذرا منهم هذا اصله ثم صار الرباط يطلق على المكث في الثغر لاجل الذب عن الدين ولو لم تكن خيول بل ويطلق على المحافظة على الطاعات ثم امر بملاك ذلك كله فقال **واتقوا الله** اي في جميع ذلك بان تكونوا امرا فيمنزله مستحضرين جميع ما يمكنكم ان تعلموه من عظمته بنعمته ونقمته **لعلكم تفلحون** اي لتكونوا حالكم حال من يرجى فلاحه وظفره بما يريد من النصر على الاعداء والفوز بعيش السعداء وهذه الآية كما ترى معلمة بشرط استجابة

الدعا

الدعاء بالنصرة على الكافرين المختتم به البقرة فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون داعية الى تذكر اولي الالباب بالمراقبة للواحد الحي القيوم الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء في اتباع آياته ومحاداة عاداته كما ان التي قبلها في الامن بجميع الكتب هذا القرآن المصدق لما بين يديه والتوراة والانجيل كل ذلك للفوز بالفرقان والنصر وتعذيب اهل الكفر بايديهم تمكينا من الله والله ذو انتقام ردا للمقطع على المطلع على احسن وجه

وابدع والله الموفق

سورة النسا

مقصودها الاجتماع على التوحيد الذي هدت اليه آل عمران والكتاب الذي حدث عليه البقرة لاجل الدين الذي جمعته الفاتحة تحذيرا مما اراده شاس بن قيس وانظاره من الفرقة وهذه السورة من اواخر ما نزل روى البخاري في فضائل القرآن عن يوسف بن ماهك ان عراقيا سأل ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ان تريه مصحفها فقالت لم قال لعلي اؤلف القرآن عليه فانه يقرأ غير مؤلف قالت وما يضرك اية قرأت قبل انما نزل اول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل اول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر ابدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا ابدا لقد نزل بمكة على محمد واني لجارية العب بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وما نزلت سورة البقرة والنساء الا وانا عنده قال فاخرجت له المصحف فاملت عليه اي السور انتهى وقد عنت بهذا رضي الله عنها ان القرآن جار على البلاغة في نزاله مطابقا لما تقتضيه الاحوال بحسب الازمان ثم رتب على اعلى وجوه البلاغة بحسب ما تقتضيه المفاهيم من الحال كما تشاهد من هذا الكتاب البديع المثال البعيد المنال ولما كان مقصودها الاجتماع على ما دعت اليه السورتان قبلها من التوحيد وكان السبب الاعظم في الاجتماع والتواصل عادة الارحام العاطفة التي مدارها النساء سميت النساء لذلك ولان بالاتقاء فيهن يتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد **بسم الله** الجامع لشتات الامور باحسان التزاوج في لطائف المقدور **الرحمن** الذي جعل الارحام رحمة عامة **الرحيم** الذي خص من اراد بالتواصل على ما دعا اليه دينه الذي جعله نعمة تامة ولما تقرر امر الكتاب الجامع الذي هو الطريق وثبت الاساس الحامل الذي هو التوحيد احتيج الى الاجتماع على ذلك فجاءت هذه السورة داعية الى الاجتماع والتواصل والتعاطف والتراحم فاستفتحت بالنداء العام لكل الناس وذلك انه لما كانت امهات الفضائل كما تبين في علم الاخلاق اربعا العلم والشجاعة والعفة والعدل كما بان في شرح ذلك في سورة لقمن عليه السلام وكانت آل عمران داعية مع ما ذكر من مقاصدها الى اثنتين منها وهما العلم والشجاعة كما اشير الى ذلك في غرابة نزل عليك الكتاب بالحق وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فاذا عزمت فتوكل على الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الآية الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا الآية وكانت قصة احد قد اسفرت عن ايتام استشهد مورثوهم في حب الله وكان من امرهم في الجاهلية منع امثالهم من الارث جورا على سواء السبيل وضلالا عن اقوم دليل جاءت هذه السورة داعية الى الفضيلتين الباقيتين وهما العفة والعدل مع تأكيد الخصلتين الاخريين حسبما تدعو اليه المناسبة وذلك متمم للتواصل بالاحسان والتعاطف باصلاح الشأن للاجتماع على طاعة الديان لمقصودها الاعظم الاجتماع على الدين بالاقتداء بالكتاب المبين وما احسن ابتداءها بعموم **يا ايها الناس** بعد اختتام تلك بخصوص يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا الآية ولما اشتملت هذه السورة على انواع كثيرة من التكاليف منها التعطف على الضعاف بامور كانوا قد مرنوا على خلافها فكانت في غاية المشقة على النفوس واذن بشدة الاهتمام بها بافتتاح السورة واختتامها بالحث عليها قال **اتقوا ربكم** اي سيدكم ومولاكم المحسن اليكم بالتربية بعد الايجاد بان تجعلوا بينكم وبين سخطه وقاية لئلا يجافيكم بترك احسانه اليكم فينزل بكم كل بؤس ثم ابتدأ هذه ببيان كيفية ابتداء الخلق حثا على اساس التقوى من العفة والعدل فقال **الذي** جعل بينكم غاية الوصلة لتراعوها ولا تقطعوها وذلك انه **خلقكم من نفس واحدة** هي ابوكم آدم عليه السلام مذكرا بعظيم قدرته ترهيبا للعاصي وترغيبا للطائع توطئة للامر بالارث وقد جعل سبحانه الامر بالتقوى مطلعا لسورتين هذه وهي رابعة النصف الاول والحج وهي رابعة النصف الثاني وعلل الامر بالتقوى في هذه بما دل على كمال قدرته وشمول علمه وتمام حكمته من امر المبدا وعلل ذلك في الحج بما صور المعاد تصويرا لا مزيد عليه تدل فيها على المبدا والمعاد تنبيها على انه لخط الحكمة ما خلق الوجود الا لاجله لتظهر الاسماء الحسنى

الله

والصفات العلي ام ظهور يمكن للبشر الاطلاع عليه ورتب ذلك على الترتيب الاحكم فقدم سورة المبدا على سورة المعاد
لتكون الايات المتلوة طبق الايات المرتبة وابدع من ذلك كله وادق انه لما كان اعظم مقاصد السورة الماضية الجادلة في امر
عيسى وان مثله كمثل ادم عليهما السلام وكانت حقيقة حاله انه ذكر تولد من انثى فقط بلا واسطة ذكر بين في هذه السورة
بقوله عطفا على ما تقديره جوابا لمن كانه قال كيف كان ذلك انشا تلك النفس او تكون الجملة حالية وخلق منها زوجها ان مثله
في ذلك ايضا كمثل حوا امه فانها انثى تولدت من ذكر بلا واسطة انثى فصار مثله كمثل كل من ابيه وامه ادم وحوى عليهما
السلام وصار الاعلام بخلق ادم وزوجه وعيسى عليهم السلام المندرج تحت اية بعضكم من بعض مع اية البث التي بعد هذه حاصرا
للقسمة الرباعية العقلية التي لا مزيد عليها وهي بشر لا من ذكر ولا انثى بشر منهما بشر من ذكر فقط بشر من انثى فقط
ولذلك عبر في هذه السورة بالخلق وعبر في غيرها بالجعل لخلو السياق عن هذا الغرض ويؤيد هذا انه قال تعالى في امر
يحيى عليه السلام كذلك الله يفعل ما يشاء وفي امر عيسى عليه السلام يخلق ما يشاء وايضا فالسياق هنا للترهيب الموجب
للتقوى فكان بالخلق الذي هو اعظم في اظهار الاقتدار لانه اختراع الاسباب وترتيب المسببات عليها احق من الجعل الذي
هو ترتيب المسببات على اسبابها وان لم يكن اختراع فسبحان العزيز العليم العظيم الحكيم ولما ذكر تعالى الانشا عبر بلفظ الرب
الذي هو من التربية ولما كان الكل المشار اليه بقوله تعالى عطفا على ما تقديره دبث لكم منها اليها وبث منهما اي فرق
ونشر بالتوالد ولما كان المبثوث قبل ذلك عدما وهو الذي اوجده من العدم نكره افهاما لذلك فقوله رجالا كثيرا ونسا
من نفس واحدة كان احسان كل من التناسل لكل منهم من صلة الرحم ووصف الرجال دونهن مع انهن اكثر منهم اشارة
الى ان لهم عليهن درجة فهو اقوى واطهر واطيب واظهر في راى العين لما لهم من الانتشار وللنسا من الاختفا والاستتار
ولما كان قد امر سبحانه اول الاية بتقواه مشيرا الى انه جدير بذلك منهم لكونه ربهم عطف على تلك الامر امرا اخر مشيرا الى
انه يستحق ذلك لذاته لكونه الحاوي لجميع الكمال المنزه عن كل شائبة نقص فقال واتقوا الله اي عموما لما له من احاطة
الاوصاف كما اتقيتموه خصوصا لما له اليكم من الاحسان والتربية واحذروه ودانبوه في ان تقطعوا ارحامكم التي جعلها
سببا لتربيتكم ولما كان المقصود من هذه السورة المواصلة وصف نفسه المقدسة بما يشير الى ذلك فقال الذي
تساءلون اي يسال بعضكم بعضا به فانه لا يسال باسمه الشريف المقدس الا الرحمة والبر والعطف ثم زاد المقصود
ايضاحا فقال والارحام اي واتقوا قطيعة الارحام التي تساءلون بها فانكم تقولون ناشدتك بالله وبالرحم وعلل هذا
الامر بحثا بهم عواقب بطشه لانه مطلع على سرهم وعلنهم مع ما له من القدرة الشاملة فقال مؤكدا لان افعال
الناس في ترك التقوى وقطيعة الارحام افعال من يشك انه بعين الله سبحانه ان الله اي المحيط علما وقدرة كان عليكم
وفي اداة الاستعلا ضرب من التهديد رقيبا وخفض حمزة الارحام المقسم بها تعظيما لها وتاكيدا للتنبيه على انهم قد تسوا
الله في الوفا بحقوقها كما اقسم بالنجم والتين وغيرهما والقرائتان مؤذنتان بان صلة الارحام من الله بمكان عظيم حيث قرنها باسمه
سوا كان عطفا كما شرحته اية وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وغيرها او كان قسما واتفق المسلمون على ان صلة الرحم واجبة
واحقهم بالصلة الولد واول صلته ان يختار له الموضع الحلال ولما بان من هذا تعظيمه لصلة الرحم بجعلها في سياق ذكره
سبحانه المعبر عنه باسمه الاعظم كما فعل نحو ذلك في غيرما اية وكان قد تقدم في السورة الماضية ذكر قصة احد التي تكشفت
عن ايتام ثم ذكر في قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت ان الموت مشرع لابد لكل نفس من وروده علم انه لابد من وجود الايتام في
كل وقت فدعى الى العفة والعدل فيهم لانهم بعد الارحام اولى من يتقي الله فيهم ويخشى مراقبته بسببه بقوله واتوا اليتامى
اي الضعفا الذين انفردوا عن اباءهم واصل اليتم الانفراد اموالهم اي غيروها بحسن التصرف فيها لان تؤتوهم اياها بعد البلوغ
كما ياتي او يكون الايتا حقيقة واليتم باعتبار ما كان او باعتبار الاسم اللغوي هو مطلق الانفراد وبما ابدع ايلاؤها للاية الامرة
بعد عموم تقوى الله بخصوصها في صلة الرحم الختمة بصفة الرقيب لما لا يخفى من انه الحامل على العدل في الايتام الا المراقبة لانه
لا ناصر لهم وقد يكونون ذوي رحم ولما امر بالعفة في اموالهم اتبعه تقبيح الشره الحامل للعائل على لزوم المامور به فقال ولا تتبدلوا
اي تتكلفوا انفسكم ان تاخذوا على وجه البدلية الخبيث اي الذي هو كل امر مخل على معالي الاخلاق الصائنة للعرض المعلية
لقدر الانسان ثم بعد هذا النهي العام نوه بالنهي عن نوع منه خاص فقال معبرا بالاكل الذي كانت العرب تذم بالاكثار منه
ولو انه حلال طيب فكيف اذا كان حراما ومن مال ضعيف مع الغنى عنه ولا تاكلوا اموالهم اي تنتفعوا بها اي انتفاع كان مجموعة
الى اموالكم شرها وحرصا وحبا في الزيادة من الدنيا التي علمتم شومها وما اثرت من الخذلان في ال عمران وعبر بالي اشارة الى
تضمين الاكل معنى الضم تنبيها على انها متى ضمت الى مال الولي اكل منها فوقع في النهي فحض بذلك على تركها محفوظة على حيالها
ثم علل ذلك بقوله انه اي الاكل كان حوبا اي اثما وهلاكا كبيرا ولما كان تعالى قد اجرى سنته الالهية في انه لابد في التناسل من
توسط النكاح الا ما كان من ادم وحوا وعيسى عليهم السلام وكانوا قد امروا بالعدل في اموال اليتامى كانوا يلون امور يتامى من
وكانوا ربما نكحوا من تحجرهم منهن فكان ربما اوقعهم هذا التحذير من اموالهم عن النكاح خوفا من التقصير في حق من حقوقهن اتبعه
تعالى عطفا على ما تقديره فاتقوا ولا تقصروا في اقساطهم وانتقوا من انفسكم بالعدل فخاطبهم بالنكاح وغيره وان خفتم وعبر باداة الشك حثا على

الورع

بلغ مقابلة

الورع ان لا تقسطوا اي تعدلوا في اليتامى وتفتنوا من انفسكم بالعدل في غيرهن فانكحوا ولما كانت النسا ناقصات
عقلا ودينا عبر عنهن باداة ما لا يعقل اشارة الى الرفق بهن والتجاوز عنهن فقال ما ولما افاد انكحوا الاذن المتضمن
للحل حمل الطيب على اللذيذ المنفك عن النهي السابق ليكون الكلام عاما مخصوصا بما ياتي من اية المحرمات من النسا ولا
يحمل الطيب على الحل لئلا يودي مع كونه تكرارا الى ان يكون الكلام مجملا لان الحلال يتقدم علمه والحمل على العام المخصوص اولى
لانه حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة اصلا افاده الامام الرازي فقال تعالى طاب اي زال عنه حرج النهي السابق
ولذه واشتهاه قيدا لابد منه بقوله لكم وصرح بما علم التزاما فقال من النسا اي من غيرهن مثنى وثلاث ورباع اي حال
كون هذا الماذون في نكاحه موزعا هكذا ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا لكل واحد وهذا الحكم عرف من العطف
بالواو ولو كان باو لما افاد التزوج الا على احد هذه الوجوه الثلاث ولم يفد التخيير المفيد للجمع بينها على سبيل التوزيع وهذا
دليل واضح على ان النسا اضعاف الرجال وروى البخاري في التفسير عن عروة بن الزبير انه سال عائشة رضي الله عنها
عن قول الله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فقالت يا ابن اختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله
ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها ان يتزوجها بغير ان يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا عن ذلك
ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن ويبلغوا بهن على سنتهن في الصداق فامروا ان ينكحوا ما طاب لهم من النسا سواهن
قال عروة قالت عائشة وان الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية فانزل الله عز وجل
يستفتونك في النسا قالت عائشة وقول الله عز وجل في اية اخرى وترغبون ان تنكحوهن رغبة احدكم عن يتيمته
حين تكون قليلة المال والجمال قالت فنهوا ان ينكحوا من رغبوا في ماله وجماله في يتامى النسا الا بالقسط من اجل رغبتهم
عنهن اذا كن قليلات المال والجمال وفي رواية في النكاح فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا
رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى في الصداق وهذا الخطاب للاحرار دون العبيد لان العبد
لا يستقل بنكاح ما طاب له بل لابد من اذن السيد ولما كان النسا كاليتامى في الضعف قال مسببا عن الاذن في النكاح
فان خفتم ان لا تعدلوا اي في الجمع فواحدة اي فانكحوها لان الاقتصار عليها اقرب الى العدل لانه ليس معها من يقسم
له فيجب العدل بينها وبينه ولما كان حسن العشرة المودي الى العدل دايرا على اطراح النفس وكان الاما لكسرهن
بالغربة وعدم الاهل اقرب الى حسن العشرة سوى بين العدد منهن الى غير نهاية وبين الواحدة من الحراير فقيل او ما
اي انكحوا ما ملكت ايمانكم فانه لا قسم بينهن وذكر ملك اليمين يدل ايضا على ان الخطاب من اوله خاص بالاحرار ذلك
اي نكاح غير اليتامى والتقلل من الحراير والاقتصار على الاما ادنى اي اقرب الى ان لا تعولوا اي تميلوا بالجور عن منهاج
القسط وهو الوزن المستقيم او يكثر عيالكم اما عند الواحدة فواضح واما عند الاما فبالعزل وعدم احتياج الرجل معهن
لخادم له او لهن والبيع لمن اراد منهن وامرهن بالاكتساب او تحتاجوا فتظلموا بعض النسا او تاكلوا اموال اليتامى وكل معنى
من هذه راجع الى لازم لمعنى المادة الذي مدارها عليه لان مادة علا واوية بجميع تقاليبها الست علو عول لوع لعو وعل ولع
ويائية بتركيبها لبيع عيل تد وعلى الارتفاع ويلزمه الزيادة والميل لان الارتفاع العلو والوعل والولع ومن الميل
والزيادة العول وبقية المادة يائية وواوية اما للازالة واما لاحد هذه المعاني على ما ياتي بيانه فعلا يعلو ارتفع والعالية
القناة القويمة لانها تكون ادفع لما ساواها وهو معوج والعالية من يحالا لاشرافها على ما حولها وكذا العوالي القرى بظاهر
المدينة المشرفة لانها في المكان العالي الذي يجري ماوه الى غيره والمعلاة كسب الشرف ومقبرة مكة بالحجون لانها في اعلا مكة
وماوها يصوب الى ما دونه وفلان من علية الناس اي اشرافهم والعلية بالتشديد الغرفة وعلى حرف استعلا وتعلت المراة
من نفاسها اي طهرت وشفيت لانها كانت في سفول من الحال والعلاوة راس الجبل وعنقه وما حمل على البعير بين العدلين
ومن كل شي ما زاد عليه والمعلى القدح السابع في الميسر لانه الغاية في القداح الفايزة لان القداح عشرة السبعة الاولى منها
فايزة والثلاثة الاخيرة مهملة لا نصيب لها وعلوان الكتاب عنوانه وارتفاعه على بقية الكتاب واضح والعليان الطويل
والضخم والناقة المشرفة ومن الاصوات الجهيرة والعلاه السندان والعليا راس كل جبل مشرف والسما والمكان العالي
وكل ما علا من شي عليك زيدا الزمه لانه يلزم من ملازمته له العلو على امره وعلا النهار ارتفع وعلا الدابة ركبها واعلى عنها
نزل كانه من الازالة وكذا اعلى المتاع عن الدابة تعليه انزله واعليت عن الوسادة وعاليت ارتفعت وتنحيت ورجل عالي
الكعب شريف وعلى الكتاب تعلية عنونه كعلونه وعالوا نعيه اظهروه والعلى الشديد القوي وعليون في السما
السابعة واحده علو اعنوه والتعالي الارتفاع اذا امرت منه قلت تعال بفتح اللام ولها تعالي ولو كنت في موضع اسفل
من موضع المامور لانه يحتاج الى تطاول مهما كان بينك وبينه مسافة ولان الامر اعلى من المامور رتبة لموضعه كذلك وتعلى
علا في مهلة والمعتلى الاسد واللعو السيء الخلق والعسل والشره الحريص واللاعي الذي يفزعه اصد في شي اما لانه وصل الى
الغاية في السفول فتسنم اعلا ها حتى رضي لنفسه هذه الاخلاق واما انه من باب الازالة او التسمية بالضد وسبه
لعوة وامراة لعوة اي حريصة واللعوة السواد بين حلمتي الثدي اما ان ذلك اعلاه واما لعلو لون السواد على لون الثدي

ولا لعا السلاميات والسلامى عظم يكون في فرسن البعير وعظام صغار في اليد والرجل وذلك لان العظام اعلى ما في الجسد في القوة والشدة والصلابة وهي اعظم قوامه واللاعية شجرة في سفح الجبل لها نور اصفر ولها لبن واذا القي منه شيء في غدير السمك اطفاها اي جعلها طافية اي عالية على وجه الماء سميت بذلك اما من باب الازالة نظرا الى لبنها واما لان ريحها يعلو كل ما خالطه ويكسبه طعمها واما لفعلها هذا في السمك وتلقي العسل لعقد وزنا ومعنى واما من اللاعية لانها كثيرة العقد واما من لازم العلو القوة والشدة ولذلك يقال عند العثرة اي انعشك الله والعول ارتفاع الحساب في الفرائض والعول الميل وقد تقدم انه لازم للعلو والعول كل امر عليك كانه علا عنك فلم تقدر على نيله والمستعان به لانه يتوصل به الى المقصود الا وفيه علو وقوت العيال لانه سبب علوهم وعول عليه معولا اتكل واعتمد والاسم كعنب وعيل ككيس وعال جار والميزان نقص وزاد قال زيادة من الارتفاع والنقص من لازم الميل وعالت الفريضة ارتفعت اي زادت سهامها فدخل النقصان على اهل الفرائض قال ابو عبيد اظنه ماخوذا من الميل وعال امرهم اشتد وتفاقم وعال فلان عولا وعيالا كثر عياله كاعول واعيل ورجل معيل ومعيل ذو عيال واعال الرجل واعول اذا حرص اما لما تقدم تخريجه واما لانه لازم لذي العيال وعال عليه حمل اي رفع عليه الحمول كعول وفلان حرص والفرس صوت واعولت المراة رفعت صوتها بالبكا وعيل عولة ثكلته امه لما يقع من صياحها وعيل ما هو عايله غلب ما هو غالبه يضرب لمن يعجب من كلامه ونحوه لانه لا يكون كذلك الا وقد خرج عن امثاله علوا وقد يكون بسفول فيكون من التسمية بالضد والعالة النعامة لانها اطول الطير وماله عال ولا مال شيء لان ذلك غاية في السفول ان كان فجرا وفي العلو ان كان زهرا ويقال للعاثر عالك عاليا لهم لعا لك والمعول حديدة ينقر بها الجبال من القوة اللازمة للعلو والعالة شبه الظلة يستتر بها من المطر واللوعة حرقة توجد من حرارة الحب والمرض والهم لانها تعلو الانسان ولا صاحب مرضه وانا ان لاعة الفؤاد الى تحسبها كانها ولمى فزعا ولاع يلاع جزع او مرض ورجل هاع لاع جبان جزوع او حريص او سيء الخلق لما علاه من هذه الاخلاق المنافية للعقل وغلبه منها ولاعته الشمس غيرت لونه واللاعة ايضا الحديدة الفؤاد الشهمة لانه يعلو غيره وامراة لاعة اي تغازلك ولا تمكنك لما لها في ذلك من الغلبة والعلو على المغلوب والوعل تيس الجبل والشريف والملجا والوعلة الموضع المنيع من الجبل او صخرة مشرفة منه وهم علينا وعل واحد مجتمعون وما لك عن ذلك وعل اي بد فانه اولا علوه عليك ما اضطررت اليه والوعل اسم شوال كانه لما له من العلو بالعيد والحج والوعل ككتف اسم شعبان لما له من العلو بتوسطه بين رجب وشوال والوعلة ايضا عروة القميص جرا والقدح والابريق التي يعلق بها فيعلو وعال كغراب حصن باليمن والمستوعل بفتح العين جزء الوعل ووعل كوعد اشرف وتوعلت الجبل علوته واولع فلان بكذا وولع بالكسر استخف اي فصار عاليا عليه غالبا له لا طاقة بحمله وولع تحقه ذهب وولع بالفتح اذا كذب اما للازالة واما لانه استخف الكذب لحمله وولع والع مبالغة اي كذب عظيم والملع الذي فيه لمع من الوان كانه علا على تلك الالوان او غلب تلك الالوان اصل لونه وعبارة القاموس والتوليع استطالة البلق برذون وثور مولع كمعظم والوليع الطلع ما دام في قيقانه اي وعايه وهو قشرة الطلع لعلوه وما ادري ما ولعه بالفتح اي حبسه اما للازالة لانه لما منعه كان كانه ازال علوه واما لانه علا عليه واولعه به اي اغراه اي حمله عليه والعيلة الحاجة وعال يعيل افتقر وذلك اما من الازالة او لان الحاجة علته او لانها ميل وعالني الشيء اعجزني وعيل صبري فل وضعف اي علاه من الامر ما اضعفه وعلك الضالة لم ادر اين بغيها والمعيل الاسد والنمر والذئب لانه يعيل صيدا اي يلتمس فهو يرجع الى العلو والقدرة على الطلب وعالني الشيء عوزني اما ازال علوي او علا عني وعال في مشيه تمايل واختال وتبختر لانه لا يفعله الا عال في نفسه مع انه كله من الميل وعال في الارض ذهب اي علا عليها مشيا والذكر من الضباع عيلان والعيل كرعص حديثا وكلامك على من لا يريده وليس من شانه كانه لم تقصد لمن يريده فعرضته على من لا يريده فهو يرجع الى الحاجة المزيلة للعلو ولبعة الجوع بالفتح حرقته كما تقدم في اللوعة ولبث بالكسر تحيرت كانه من الازالة او ان العلو للامر المتضجر منه والملياع بالكسر السريعة العطش لانها تعلو الابل حينئذ سبقا الى الماء او لان العطش علاها والملياع التي تقدم الابل سابقة ثم ترجع اليها ودنح لباع بالكسر يشد بده وقد وضح بذلك صحة ما فسره امامنا الشافعي صريحا ومطابقة لما تقدم وشهد له العول في الحساب والسهام ومع كثرتها وظهر تحامل من رد ذلك وقال انه لا يقال في كثرة العيال الا اعال يعيل ولم من عايب قولا صحيحا او كيف لا وهو من الايمة الحجج بالقول لهم في اللغة وقد وافقه غيره وشهد لقوله الحديث الصحيح قال الامام يحيى بن ابي الخير العمراني الشافعي في كتابه البيان ان لا تعولوا قال الشافعي معناه ان لا تكثر عيالكم ومن تمونونه وقيل ان اكثر السلف قالوا المعنى ان لا تجوروا يقال عال يعول اذا جار واعال يعيل اذا كثر عياله الا زيد بن اسلم فانه قال معناه ان لا تكثر عيالكم وقول النبي صلى الله عليه وسلم يشهد لذلك قال ابدا بنفسك ثم بمن تعول انتهى وهذا الحديث اخرجه الشيخان وغيرهما عن حكيم بن حزام عن ابي هريرة رضي الله عنهما بلفظ افضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول وفي الباب ايضا عن عمران بن حصين وابي رمثة البلوي وابي امامة رضي الله عنهم واثر زيد بن اسلم رواه الدارقطني والبيهقي من طريق سعيد بن هلال عنه قال ذلك ادنى ان لا يكثر من تعولونه افاده شيخنا

وأنفقه من الفهم السقيم

ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي وقال الامام ان تفسير الشافعي هو تفسير الجماعة عبر عنه بالكناية وهي ذكر الكثرة واراد الميل لكون الكثرة لا تنفك عنه وقال ابن الزبير لما تضمنت سورة البقرة ابتدا الخلق وايجاد ادم عليه السلام من غير اب ولا ام واعقبت بسورة ال عمران لتضمنها مع ما ذكر في صدرها امر عيسى عليه السلام وانه كمثل ادم عليه السلام في عدم الافتقار الى اب وعلم الموفقون من ذلك انه تعالى لو شا لكانت سنة من بعد ادم عليه السلام فكان سائر الحيوان لا يتوقف الا الى ابوين وكان يكون كعيسى عليه السلام لا يتوقف الا على ام فقط اعلم سبحانه ان من عدا المذكورين عليهما السلام من ذرية ادم سبيلهم سبيل الابوين فقال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الى قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ثم اعلم تعالى بكيفية النكاح المجعول سببا في التناسل وما يتعلق به ويبين حكم الارحام والمواريث فتضمنت السورة ابتدا الامر وانتهاه فاعلمنا بكيفية النكاح وصورة الاعتصام واحترام بعضنا لبعض وكيفية تناول الاصلاح فيما بين الزوجين عند التشاجر والشقاق وبين لنا ما ينكح وما ابيح من العدد وحكم من لم يجد الطول وما يتعلق بهذا الى المواريث فحصل ذلك كله الا الطلاق لان احكامه تقدمت ولان بنا هذه السورة على التواصل والايتلاف ورعي حقوق ذوي الارحام وحفظ ذلك كله الى حالة الموت المكتوب علينا وناسب هذا المقصود من التواصل والالفة ما افتتحت به السورة من قوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة الاية فافتتحها بالايتام والوصلة وهذا خصت من حكم تشاجر الزوجين بالاعلام بصورة الاصلاح والمعدلة ابقا لذلك التواصل فلم يكن الطلاق ليناسب هذا فلم يقع له هنا ذكر الا ايماء وان يتفرقا يغني الله كلا من سعته ولكثرة ما يعرض من رعي حظوظ النفوس عند الزوجية ومع القرابة ويدق ذلك ويغمض لذلك ما تكرر كثيرا في هذه السورة الامر بالاتقا وبه افتتحت اتقوا ربكم واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ثم حذروا من حال من صمم على الكفر وحال اليهود والنصارى والمنافقين وذوي التقلب في الاديان بعدا عن اليقين وكل ذلك تاكيدا لما امروا به ومن الاتقا واختتمت الايات الى الختم بالكلالة من المواريث المتقدمة انتهى والماخذ من العول الذي من مدلوله الحاجة عن كثرة النسا كان ربما تخلق به من تخلى عن بعض الحقوق لا سيما ما يستكثره من الصداق فاتبعه ما ينفي ذلك فقال لخاطب للازواج لان السياق لهم معبرا بما يصلح للدفع والالتزام المتهيئ له **واتوا النسا** اي عامة من اليتامى وغيرهن **صدقاتهن** وقوله موكدا للايتا بمصدر من معناه **نحلة** موبد لذلك لان معناها عطية عن طيب نفس قال الامام ابو عبد الله القزاز في ديوانه واصله اي النحلة اعطا الشيء لا يراد به عوض وكذا ان قلنا معنى النحلة الديانة والملة والشرعة والمذهب اي اتوهن ذلك ديانة ولما وقع الامر بذلك كان ربما اتى المتخلق بالاسلام فيقول ما شح به المراة منه باترا اورد على سبيل الهبة لظنه ان ذلك لا يجوز او غير ذلك فقال **فان طبن لكم** اي تجاوزت **عن شيء** ووحد الضمير ليرجع الى الصداق المفهوم من الصدقات ولم يقل منها لئلا يظن ان الموهوب لا يجوز الا ان كان صداقا كاملا فقال **منه** اي الصداق **نفسا** اي عن شهوة صادقة من غير اكراه ولا خديعة **فكلوه** اي تصرفوا فيه بكل تصرف يخصكم **هنيئا** اي سائغا صالحا لذيذا في عاقبة بلا مشقة ولا مضرة **مريئا** اي جيد المغبة محمودها سارا لا تنغيص فيه وربما كان التبعيض ندبا الى التعفف عن قبول الكل لانه في الغالب لا يكون الا عن خداع او تحرز بما اعقب الندم وهذا الكلام يدل ايضا على تخصيص الاحرار دون العبيد لانهم لا يملكون ما جعلته النسا لهم لياكلوه هنيا قال الاصبهاني فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب نفسها وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امراته شريحا في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها اليس قد قال الله تعالى فان طبن الاية قال لو طابت نفسها لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن ولما امر بدفع اموال اليتامى والنسا اليهم ونهى عن كل شيء منها تزهيدا في المال واستهانة به وكان في النسا والمحاجير من الايتام وغيرهم سفها وامر بالاقتصاد في المعيشة حذرا من الظلم والحاجة نهى عن التبذير وقد حث سبحانه على حسن رعاية المال في غير اية من كتابه لانه نعم المال الصالح للرجل الصالح رواه احمد وابن منيع عن عمرو بن العاص رفعه لان الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بتحصيل ما يهمه من الدنيا وما لم يتمكن من تحصيل ما يهمه من الدنيا لا يمكنه امر الاخرة ولا يكون فارغ البال الا بواسطة ما يكفيه من المال لانه لا يتمكن في هذه الدار التي بناها على الاسباب من جلب المنافع ودفع المضار الا به فمن اراده لهذا الغرض كان من اعظم الاسباب المعينة على اكتساب سعادة الاخرة ومن اراد لنفسه كان من اعظم المعوقات عن سعادة الاخرة فقال تعالى **ولا تؤتوا** ايها الازواج والاوليا **السفهاء** اي من محاجيركم ونسائكم وغيرهم **اموالكم** اي الاموال التي خلقها الله لعباده سواء كانت مختصة بكم او بهم ولكم بها علقة بولاية او غيرها فانه يجب عليكم حفظها **التي جعل الله** اي الذي له الاحاطة بالعلم الشامل والقدرة التامة **لكم قياما** اي ملاكا وعمادا تقوم بها احوالكم فيكون ذلك سببا لضياعها وضياعها سبب لضياعكم فهو من تسمية السبب باسم المسبب للمبالغة في سببيته **وارزقوهم** متجرين **فيها** وعبر بلفظ اشارة الى الاقتصاد واستثمار الاموال حتى لا تزال موضعا للفضل حتى يكون النفقة والكسوة من الربح لا من راس

المال

واكسوهم اى فان ذلك ليس من المنهى عنه بل هو من معالى الاخلاق ومحاسن الاعمال وقولوا لهم اى مع ذلك قولا معروفا
اى فى الشرع والعقل كالعدة الحسنة ونحوها وكل ما سكنت اليه النفس واحبته من قول او عمل وليس مخالفا للشرع
فهو معروف فان ذلك ربما كان انفع من كثير من الاعطا واقطع للشر والحجر على السفيه مندرج فى هذه الاية لان ترك الحجر عليه
من ايتا المنهى عنه ولما نهى عن ذلك البذل للسفها ايتاما كانوا او غيرهم بين انه ليس دايما بل ما دام السفه فانما تمست
الحاجة الى التعريف بمن يعطى ومن يمنع وكيف يفعل عند الدفع ولما كان السفه امرا باطنا لا يعرف الا بالتصرف ولا سيما فى
بدا سبحانه بتعليم ما يتوصلون به الى معرفته فقال مصرحا بالايتام اهتماما بامرهم وابتلوا اليتامى اى اختبروهم فى امر
الرشد فى الدين والمال فى مدة مراهقتهم واجعلوا ذلك دابكم حتى اذا بلغوا النكاح اى وقت الحاجة اليه بالاحتلام والسن
فان انستم اى علمتم علما انتم فى عظيم شفقته كانكم تبصرونه على وجه تحبونه وتطيب نفسكم به منهم اى عند بلوغه رشدا
اى بذلك التصرف ونكره لان وجود كمال الرشد فى احد يعز وقوعه فادفعوا اليهم اموالهم اى لزوال الحاجة الى الحجر بخوف
التبذير واضافها اليهم بعد اضافتها اولا الى المعطين اشارة الى انه لا يستحقها الا من يحسن التصرف فيها ولما كان الانسان
مجبولا على نقايص منها الطمع وعدم الشبع لا سيما اذا خالط لا سيما ان حصل له اذن ما ادبه سبحانه بقوله ولا تاكلوها
اى بعلة استحقاقكم لذلك بالعمل فيها اسرافا اى مسرفين بالخروج عن القصد فى التصرف ووضع الشى فى غير موضعه
واعمال العدل والشفقة وبدارا اى مبادرين ان يكبروا فتاخذوها منكم عند كبرهم فيفوتكم الانتفاع بها وكانه
عطف بالواو الدالة على تمكن الوصف وتمامه اشارة الى عدم المواخذة بما يعجز عنه الانسان المجبول على النقصان
مما يجرى فى الافعال مجرى الوسوسة فى الاقوال ولو بيناد الدين احد الا غلبه ولما اشعر النهى عن اكل الكل بان لهم فى الاكل
فى الجملة علة مقبولة افصح به فى قوله ومن كان اى منكم ايها الاوليا غنيا فليستعفف اى يطلب العفة ويوجدها
ويظهرها عن الاكل منها جملة فانها عنه بما بسط الله له من رزقه ومن كان فقيرا وهو يتعهد مال اليتيم لاصلاحه ولما
كان يخشى من امتناعه من الاكل منه التفريط فيه بالاشتغال بما يهمه فى نفسه اخرج الكلام فى صيغة الامر فقال معبرا
بالاكل لانه معظم المقصود فلياكل بالمعروف اى بقدر اجرة سعيه ولما كان ذلك ربما افهم الامان الى الرشيد بكل اعتبار
امر بالحزم كما فى الطبرانى الاوسط عن انس احترسوا من الناس بسوء الظن فقال فاذا دفعتم اى اليتامى اموالهم
اى التى كانت تحت ايديكم لعجزهم عن حفظها فاشهدوا عليهم اى احتياطا لان الاحوال تتبدل والرشد يتفاوت
فالاشهاد اقطع للشر وانفع فى كل امر والامر بالاشهاد ازجر للولى عن الخيانة لان من عرف انه لا يقبل عند الخصام الا ببينة
عف غاية العفة واحترز غاية الاحتراز ولما كانت الاموال مظنة لميل النفوس وكان الحب للشى يعمى ويصم ختم الاية بقوله
وكفى بالله اى الذى له الحكمة البالغة والقدرة الباهرة والعظمة التى لا مثل لها والباء فى مثل هذا تاكيد لان ما قرنت به هو الفاعل
حقيقة لا المجاز الى امر بالفعل مثلا حسيبا اى محاسبا بليغا فى الحساب فهو ابلغ تحذير لهم وللايتام من الخيانة والتعدى
ومد العين الى حق الغير ولما ذكر اموال اليتامى على حسب ما دعت اليه الحاجة واقتضاه التناسب الى ان ختم بهذه الاية
كان كانه سايلا سال من اين تكون اموال لهم فبين ذلك بطريق الاجمال بقوله تعالى للرجال اى الذكور من اولاد الميت واقربايه
ولعله عبر بذلك دون الذكور لانهم كانوا لا يورثون الصغار ويخصون الارث بمن يحمى الذمار فنبه سبحانه على ان العلة الطنة
نصيب اى منهم معلوم مما ترك الوالدان والاقربون ولما كانوا لا يورثون النسا قال وللنسا نصيب ولقصد التصريح
للتاكيد قال موضع مما تركوا مما ترك الوالدان والاقربون مشيرا الى انه لا فرق بينهن وبين الرجال فى القرب الذى هو
سبب الارث ثم زاد الامر تاكيدا وتصريحا بقوله ابدالا مما قبله بتكرير العامل مما قل منه او كثر ثم عرف بان ذلك على
وجه الحتم الذى لا بد منه فقال مبينا للاعتنا به بقطعه عن الاول بالنصب على الاختصاص بتقدير اعنى نصيبا مفروضا
اى مقدرا واجبا مبينا وهذه الاية مجملة بينتها اية المواريث وبالاية علم انها خاصة بالعصبات من التعبير بالفرض لان
الاجماع كما نقله الاصبهانى عن الرازى على انه ليس لذوى الارحام نصيب مقدر وما بين المفروض شبعه المندوب فقال
واذا حضر القسمة اولوا القربى اى ممن لا يرث صغارا او كبارا واليتامى والمساكين اى قربا او غربا فارزقوهم منه
اى المتروك وهو امر ندب لتطييب قلوبهم وقرينة صرفه عن الوجوب ترك التحديد وقولوا لهم اى مع الاعطا قولا معروفا
اى حسنا سايغا فى الشرع مقبولا تطيب به نفوسهم ولما اعاد الوصية باليتامى مرة بعد اخرى وختم بالامر بالاية القول
وكان للتصوير فى التاثير فى النفس ما ليس لغيره اعاد الوصية بهم لضعفهم مصورا لحالهم مبينا ان القول المعروف
هو الصواب الذى لا خلل فيه فقال وليخش اى بوقع الخشية على ذرية غيرهم الذين وذكر لهم حالا هو جدير بايقاع
الخشية فى قلوبهم فقال لو تركوا اى شارفوا الترك بموت وهرم وصور حالهم وحققه بقوله من خلفهم اى بعد
موتهم او عجزهم العجز الذى هو كموتهم ذرية اى اولادا من ذكور واناث ضعافا اى لصغر او غيره خافوا عليهم اى جور
الجايرين ولما تسبب عن ذلك التصور الى التفهيم حوفهم على ذرية غيرهم كما يخافون على ذريتهم سواء كانوا اوصيا او اوليا
او اجانب وكان هذا الخوف ربما ادام فى قصد نفعهم الى جور على غيرهم امر بما يحفظهم على الصراط السوى بقوله فليتقوا

وعبر بالاسم الاعظم ارشادا الى استحضار جميع عظمته فقال الله اى فليجعلوا ولائى امورهم ليقيض الله لهم من يعدل فى ذرية
والا اوشك ان يسلط على ذريتهم من يجور عليهم وليقولوا اى فى ذلك وغيره قولا سديدا اى عدلا قاصدا صوابا ليدل هذا
الظاهر على صلاح ما اثمره من الباطن ولما طال التحذير والزجر والتهويل فى شان اليتامى وكان ذلك ربما اوجب المنفرة من
مخالطتهم راسا فتضيع مصالحهم وصل بذلك ما بين ان ذلك خاص بالظالم فى سياق موجب لزيادة التحذير فقال موكدا
لما كان قد رسخ فى نفوسهم من الاستهانة باموالهم ان الذين ولما كان الاكل اعظم مقاصد الانسان عبر به عن جميع الاغراض فقال
ياكلون اموال اليتامى اى كلا هو فى غير موضعه بغير دليل يدل عليه فهو كفعل من يمشى فى الظلام ثم اتبعه ما زاده تاكيدا
بالتحذير فى سياق الحصر فقال انما ياكلون اى فى الحال وصور الاكل وحققه بقوله فى بطونهم نارا اى تحرق المعانى الباطنة التى
تكون بها قوام الانسانية وبين انها على حقيقتها فى الدنيا ولكنا اخفيناها الان لانها غير النار المعهودة فى الظاهر بقوله مكررا
للتحذير مبينا بقراءة الجماعة بالبنا للفاعل انهم لحاوون اليها الجا يصيرهم كانهم يدخلونها بانفسهم وسيصلون
اى فى الاخرة بوعيد لا خلف فيه سعيرا اى عظيما هو نهاية فى العظمة وذلك هو معنى قراءة ابن عامر وعاصم بالبنا للمجهول
اى يلجيهم الى صليها ملجى قاهر لا يقدرون على نوع دفاع له ولما تم ذلك تشوفت النفوس الى بيان مقادير الاستحقاق بالارث
لكل واحد وكان قد تقدم ذكر استحقاق الرجال والنسا من غير تقييد بعم فاقتضت البلاغة بيان جميع اصول المواريث
وشفا الغليل بايضاح امورها فقال مستانفا فى جواب من كانه سال عن ذلك موكدا لما امر به منها غاية التاكيد
مشيرا الى عظمة هذا العلم بالتقدم فيه ايضا فى اول اياته والتحذير من الضلال فى اخرها ورغب فيه النبى صلى الله عليه وسلم
بانه نصف العلم وحذر من اضاعته بانه اول علم ينزع من الامة يوصيكم الله اى بما له من العظمة الكاملة والحكمة البالغة وبدا
بالاولاد لان تعلق الانسان بهم اشد فقال فى اولادكم اى اذا مات مورثهم ولما كان هذا مجملا كان بحيث يطلب تفسيره فقال
جوابا لذلك بادئا بالاشرف بيانا لفضله بالتقدم وجعله اصلا والتفضيل للذكر اى منهم اذا كان معه شى من الاناث
ولم يمنعه مانع من قتل او مخالفة دين ونحوه مثل حظ الانثيين اى نصيب من شانه ان يغنى ويسعد وهو الثلثان اذا
انفردتا فللواحدة معه الثلث فاثبت سبحانه للاناث حظا تغليظا لهم فى منعهن مطلقا ونقصهن عن نصيب الرجال
تعريفا بانهم اصابوا فى بعض الحكم بانزالهن عن درجة الرجال ولما بان سهم الذكر مع الانثى بعبارة النص واشعر ذلك
بان لهن ارثا فى الجملة وعند الاجتماع مع الذكور فهم بحسب اشارة النص وهى مثبتة بحظه لكنه غير مقصود ولا
سيق له النص حكم الانثيين اذا لم يكن معهن ذكر وهو ان لهما الثلثين وكان ذلك ايضا مفهوما لان الواحدة اذا كان لها
مع الاخ الثلث كان لها ذلك مع الاخت اذا لم يكن ثم ذكر من باب الاولى فاقتضى ذلك انهن اذا كن ثلاثا او اكثر ليس معهن ذكر
استغرقن الشركة وان كانت واحدة ليس معها ذكر لم تزد على الثلث بين ان الامر ليس كذلك كما تقدم بقوله مبينا انهن حال
الانفراد فان كن اى الوارثات نسا اى اناثا ولما كان ذلك قد يحمل على اقل الجمع وهو اثنتان حقيقة او مجازا حقق
ونفى هذا الاحتمال بقوله فوق اثنتين اى لا ذكر معهن فلهن ثلثا ما ترك اى الميت لانه لا بد من الثلثين وان كانت اى الوارثة
واحدة اى منفردة ليس معها غيرها فلها النصف اى فقط ولما قدم الايصا بالاولاد لضعفهم اذا كانوا صغارا وكان
الوالد اقرب الناس الى الولد واحقهم بصلته واشدهم اتصالا به اتبعه حكمه فقال ولابويه اى الميت ثم فصل بعد ان
اجمل ليكون الكلام اكد ويكون سامعه اليه اشوق بقوله مبدلا بتكرير العامل لكل واحد منهما اى ابيه وامه اللذين
ثنيا بالابوين السدس مما ترك ثم بين شرط ذلك فقال ان كان له اى الميت ولد اى ذكر فان كانت انثى اخذ الاب السدس
فرضا والباقى بعد الفرض عصوبة ولما بين حكمهما مع الاولاد تلاه بحالة فقدهم فقال فان لم يكن له ولد اى ذكر ولا انثى
وورثه ابواه اى فقط فلامه الثلث اى وللاب الباقى لان الفرض انه لا وارث له غيرهما ولما كان التقدير هذا مع فقد
الاخوة ايضا بنى عليه بقوله فان كان له اخوة اى اثنان فصاعدا ذكورا او لا مع فقد الاولاد فلامه السدس اى لان الاخوة
تنقصها عن الثلث اليه والباقى للاب ولا شى لهم واما الاخت الواحدة فانها لا تنقصها الى السدس سواء كانت وارثة
او لا وكذا الاخ اذا كان واحدا ثم بين ان هذا كله بعد اخراج الوصية والدين لان ذلك سبق لغير حق الميت الذى جمع المال
فقال من بعد وصية يوصى بها اى كما هو مندوب لكل ميت وقدمها فى الوضع على ما هو مقدم عليها فى الشرع حثا
على ادائها لان النفس لوارثه تشح بها لكونها مثل مشاركتهم فى الارث لانها بلا عوض او دين اى ان كان عليه دين ولما
كان الانسان قد يرى ان بعض اقربايه من اصوله او فصوله او غيرهم انفع له فاحب تفضيله فتعدى هذه الحدود ولما رآه
وكان ما رآه خلاف الحق فى الحال او فى المال وكان الله تعالى هو المستاثر بعلم ذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما الحديث لان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها
كيف شا قال تعالى حثا على لزوم ما حده موكدا بالجملة الاعتراضية كما هو الشان فى كل اعتراض لان هذه القسمة
مخالفة لما كانت العرب تفعله وهى على وجوه لا تدرك عللها اباوكم وابناوكم اى الذين فصلنا لكم ارثهم على ما ذكرنا
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اى من غيره لانه لا احاطة لكم فى علم ولا قدرة فلو وكل الامر فى القسمة اليكم لما وضعتم

الأمور في أحكم مواضعها ولما بين أن الإرث على حده سبحانه موكدا له بلفظ الوصية وزاده تأكيدا بما جعله اعتراضا بين
النصب وبين فريضة بين أنه على سبيل الحتم الذي من تركه عصى فقال ذاكرا مصدرا مأخوذا من معنى الكلام فريضة
من الله أي الذي له الأمر كله ثم زادهم حثا على ذلك وزعقة فيه بقوله تعليلا لفريضته عليهم مطلقا وعلى هذا الوجه إن الله
أي المحيط علما وقدرة كان ولم يزل ولا يزال لأن وجوده لا يتفاوت في وقت من الأوقات لأنه لا يجري عليه زمان ولا يحويه مكان
لأنه خالقهما عليما أي بالعواقب حكيما أي فوضع لكم هذه الأحكام على غاية الإحكام في جلب المنافع لكم ودفع الضر عنكم
ورتبها سبحانه أحسن ترتيب فإن الوارث يتصل بالميت تارة بواسطة وهو الكلالة وأخرى بلا واسطة وهذا يكون
تارة بالنسب وتارة بصهر ونسب فقدم ما بلا واسطة لشدة قربه وبدأ منه بالعصب لقوته وبدأ منهم بالولد لمزيد
الاعتناء به ولما كان الإرث بالمصاهرة أضعف من الإرث بالقرابة ذكره بعده وقدمه على الإرث بقرابة الأخوة تعريفا
بالاهتمام به ولأنه بلا واسطة وقدم منه الرجل لأنه أفضل فقال ولكم نصف ما ترك أزواجكم ثم بين شرط هذا بقوله
إن لم يكن لهن ولد أي منكم أو من غيركم ثم بين الحكم على التقدير الآخر فقال فإن كان لهن ولد أي وارث وإن سفل سواء كان
ابنا أو بنتا فلكم الربع مما تركن أي تركت كل واحدة منهن ويغسلها الزوج لأن الله أضافها إليه باسم الزوجية والأصل
الحقيقة ولا يضر حرمة جماعها بعد الموت وحل نكاح أختها وأربع سواها لأن ذلك لفقد المقتضي أو المانع وهو لطيفة ولذلك
لا يمنع علقة النكاح المبيح للغسل كما لم يمنعها الأجل لعدة لو كان الفراق بالطلاق ثم كرر حكم الوصية اهتماما بشأنها
فقال من بعد وصية يوصين بها أي الأزواج أو بعضهن ولعل جمع إشارة إلى أن الوصية أمر عظيم ينبغي أن يكون مستحضرا
في الذهن غير مغفول عنه عند أحد من الناس أو دين ولما بين إرث الرجل أتبعه إرثها فقال معلما أنه على النصف مما
للزوج كما مضى في الأولاد ولهن أي عددا كن أو لا الربع مما تركتم أي يشتركن فيه على السواء إن كن عددا وتنفرد به الواحدة
إن لم يكن غيرها ثم بين شرطه بقوله إن لم يكن لكم ولد ثم بين حكم القسم الآخر بقوله فإن كان لكم ولد أي وارث فلهن الثمن
مما تركتم كما تقدم في الربع ثم كرر للخروج من حق الموروث فقال من بعد وصية توصون بها أو دين ولما فرغ من قسمي ما اتصل
بالميت بلا واسطة أتبعه الثالث وهو ما اتصل بواسطة ولما كان قسمين لأنه تارة يتصل من جهة الأم فقط وهم الأخياف
أمهم واحدة وآباؤهم شتى وتارة من جهة الأب فقط وهم العلات أبوهم واحد وأمهاتهم شتى وتارة من جهة الأبوين وهم الأعيان
وكانت قرابة الأخوة أضعف من قرابة البنوة أكدها بما يقتضيه حالها لجعلها في قصتين ذكر أحدهما هنا إدخالا لها
في حكم الوصية المعروضة وختم بالأخرى السورة لأن الختام من مظنات الاهتمام ولما كانت قرابة الأم أضعف من قرابة
الأب قدمها هنا دلالة على الاهتمام بشأنها وأن ما كانوا يفعلونه من حرمان الإناث خطأ وجور عن منهاج العدل فقال
تعالى وإن كان أي وجد رجل يورث أي من ورث حال كونه كلالة أي ذا حالة لا ولد فيها ولا والد ويكون يورث من ورث
بمعنى أن إرث الوارث بواسطة من مات كذلك لا هو ولد للميت ولا والد ووارثه أيضا كلالة لأنه ليس بوالد ولا ولد
فالموروث كلالة ووارثه والوارث كلالة موروثه قال الأصبهاني رجل كلالة وامرأة كلالة وقوم كلالة لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر
كالدلالة والوكالة وهو بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء وقد تطلق الكلالة على القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه
قولهم ما ورث المجد عن كلالة أو وجدت امرأة أي تورث كلالة كذلك ويجوز أن يكون يورث صفة وكلالة خبر كان وله أي للمذكور
وهو الموروث على أي الحالتين كان ولما كان الإدلاء بمحض الأنوثة يسوي بين الذكر والأنثى لضعفها قال أخ أو أخت أي من الأم بإجماع
المفسرين وهي قراءة أبي وسعد بن مالك رضي الله عنهما فلكل واحد منهما السدس أي من تركته من غير فضل للذكر
على الأنثى ولما أفهم ذلك أي بتحويل العبارة المذكورة من أن يقال فلهما السدسان أنهما إن كانا معا كان لهما الثلث وكان
ذلك قد يفهم أنه إن زاد وارثه زاد الإرث عن الثلث نفاه بقوله فإن كانوا أي ما أفهمه أخ أو أخت من الوراث منهم
أكثر من ذلك أي واحد كيف كانوا فهم شركاء أي بالسوية في الثلث أي المجتمع من السدسين اللذين تقدم أنهما لهما
لا يزادون على ذلك شيئا ثم كرر الحث على مصلحة الميت بيانا للاهتمام بها فقال من بعد وصية يوصى بها أو دين ولما كان
الميت قد يضار ورثته أو بعضهم بشيء يخرجه عنهم ظاهرا أو باطنا كان يقر بما ليس لأجنبي أو بدين لا حقيقة له أو بدين كان له
بأنه استوفاه ختم الآية بالزجر عن ذلك بقوله غير مضار مع ما تقدم من الإشارة إلى ذلك أول القصة بقوله لا تدرون
أيهم أقرب لكم نفعا قال الأصبهاني والإضرار في الوصية من الكبائر ثم أكد ذلك بقوله مصدرا ليوصيكم وصية من الله أي
الذي له الأمر كله مع تأكيده بجميع ما في الآيات تعظيما للأمر باكتناف الوصية بأولها وآخرها وهو دون الفريضة في حق الأولاد
لأن حقهم آكد ولما بين سبحانه الأصول وفصل النزاع وكان ذلك خلاف ما ألفوه وكان العظام عن المألوف في الذروة من المشقة
اقتضى الحال الوعظ بالترغيب والترهيب لختم القصة بقوله والله أي الجامع لصفات الكمال من الجلال والجمال وللإشارة
إلى عظم الوصية كرر هذا الاسم الأعظم في جميع القصة ثم قال عليم أي فلا يخفى عليه أمر من خالف بقول أو فعل أو نية أو غيرها
حليم فهو من شأنه أن لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بإمهاله فإنه إذا أخذ بعد طول الأناة لم يفلت فاحذروا غضب الحليم
وفي الوصفين مع التهديد استجلاب للتوبة ولما كان قطع أنفسهم عن منع الأطفال والنساء شديدا عليهم لمرونتهم عليه

بحدود

بحدود الله هذه الطويلة على إطباقهم على فعله واستحسانهم له أتبعه سبحانه الترغيب والترهيب لئلا يغتر بوصف
الحلم فقال معظما للأمر بأداة البعد ومشيرا إلى جميع ما تقدم من أمر المواريث والنساء واليتامى وغيره تلك أي
هذه الحدود الجليلة النفع العظيمة الجدوى المذكورة من أول هذه السورة بل من أول القرآن حدود الله أي الملك
الأعظم لمن راعاها ولو لم يقصد طاعته بل دفعا لنفسه عن دناءة الإخلاد إلى الفاني ومعرة الاستئثار على الضعيف
المبني عن البخل وسفول الهمة نال خيرا كبيرا فإنه يوشك أن تجره ذلك إلى أن يكون ممن يطيع الله ومن يطع الله أي الحائز
لصفتي الجلال والإكرام ورسوله أي في جميع طاعاته هذه وغيرها بالإقبال عليها وترك ما سواها لأجله سبحانه قال
الأصبهاني من عام ووقوعه عقيب هذه التكاليف الخاصة لا يخصصه ولما تشوقت المسامع بكليتها إلى الخبر التفت
إليه تعظيما للأمر على قراءة نافع وابن عامر بالنون فقال ندخله جنات أي بساتين وقراءة الجماعة بالياء عظيمة
أيضا لبنائها على الاسم الأعظم وإن كانت هذه أشد تنشيطا بلذة الالتفات تجري من تحتها الأنهار أي أرضها
معادن المياه ففي أي موضع أردت جرى نهر فهي لا تزال بالغة غضة وجمع الفائزين بدخول الجنة في قوله خالدين
فيها تبشيرا بكثرة الواقف عند هذه الحدود ولأن منادمة الإخوان من أعلى نعيم الجنان ولما كان اختصاصهم
بالإرث عن النساء والأطفال من الفوز عندهم بل لم يكن الفوز العظيم عندهم إلا الاحتواء على الأموال وبلوغ ما في
البال منها من الآمال قال تعالى معظما بأداة البعد وذلك أي الأمر العالي الرتبة من الطاعة المسند وبالبها الفوز
العظيم أي لا غيره من الاحتواء على ما لم يأذن به الله وهذا النسب سني لتقديم الترغيب لتسمح نفوسهم بترك ما كانوا فيه
مع ما فيه من التلطف بهذه الأمة والتبشير له صلى الله عليه وسلم بأنها مطيعة راشدة ولما اشرأبت القلوب
الصافية ذوات الهمم العالية حتى نيل هذا الفوز أتبعه الترهيب قطعا لها عن تلك العوائد بالكلية فقال
ومن يعص الله أي الذي له العظمة كلها ورسوله أي في ذلك وغيره ويتعد حدوده أي التي حدها في هذه الأحكام
وغيرها وأفرد العاصي في النيران في قوله يدخله نارا خالدا فيها لأن الانفراد المقتضي للوحشة من العذاب والهوان
ولما كان منعهم للنساء والأطفال من الإرث استهانة بهم ختم الآية بقوله وله عذاب مهين ولما تقدم سبحانه في الإيصاء
بالنساء وكان الإحسان في الدنيا تارة يكون بالثواب وتارة يكون بالزجر والعقاب لأن مدار الشرائع على العدل والا
والاحتراز في كل باب عن طرفي الإفراط والتفريط وختم سبحانه بإهانة العاصي إحسانا إليه بكفه عن الفساد لئلا يبلغ به
ذلك إلى الهلاك أبد الآباد وكان من أفحش العصيان الزنا وكان الفساد في النساء أكثر والفتنة بهن أكبر والضرر
منهن أخطر وقد يدخلن على الرجال من يرث منهم من غيرأولادهم قد مهد فيه أهم ما يزجرهن فقال واللاتي
وهو جمع التي ولعله عبر فيهن بالجمع إشارة إلى كثرتهن كما أشار إلى ذلك مثنى وثلاث ورباع وإلى كثرة الفساد منهن
يأتين أي يفعلن من إطلاق السبب على المسبب والتعبير به أبلغ الفاحشة أي الفعلة الشديدة الشناعة وفي
الآية لأن من أعظم المرادات بنظمها عقيب آيات الإرث وما تقدمها الاحتياط للنسب إشارة بذكر عقوبة الزانية
من غير تعرض لإرث الولد الآتي منها إلى أن الولد للفراش وأنه لا ينفي بالمظنة بل بعد التحقق على ما في سورة النور
لأنه لا يلزم من وجود الزنى نفيه وكونه من الزني قال أبو حيان في النهر والفاحشة هنا الزنا بإجماع المفسرين إلا
ما ذهب إليه مجاهد وتبعه أبو مسلم الأصفهاني في أنها المساحقة ومن الرجال اللواط ثم بين الموصول بقوله
من نسائكم أي الحرائر فاستشهدوا أي فاطلبوا أن تشهدوا عليهن أربعة من الرجال ولما كان تعالى قد جعل هذه
الأمة وسطا يقبلون على غيرهم ولا يقبل غيرهم عليهم قال منكم أي من عدول المسلمين بأنهن فعلنها فإن شهدوا
أي بذلك فأمسكوهن أي فاحبسوهن في البيوت أي وامنعوهن من الخروج فإن ذلك أصون لهن وليستمر هذا
المنع حتى يتوفاهن الموت أي بأيديهن وهن وافيات الأعراض أو يجعل الله المحيط علما وحكمة لهن سبيلا أي للخروج
قبل الموت بتبيين الحد أو بالنكاح وإن لم تشهد الأربعة لم يفعل بهن ذلك وإن تحقق الفعل ولما ذكر أمر النساء
أتبعه حكم الرجال على وجه يعم الرجال أيضا فقال واللذان وهو تثنية الذي وشدد نونه ابن كثير تقوية له
ليقرب من الأسماء المتمكنة يأتيانها منكم أي من بكر أو ثيب ورجل أو امرأة ويثبت ذلك بشهادة الأربعة كما تقدم
فآذوهما وقد بين محل الأذى الصادق باللسان وغيره آية الجلد وسنة الرجم فإن تابا أي بالندم والإقلاع والعزم
على عدم العود وأصلحا أي بالاستمرار على ما عزما عليه ومضت مدة علم فيها الصدق في ذلك فأعرضوا عنهما
أي عن أذاهما وهو يدل على أن الأذى باللسان يستمر حتى يحصل الاستبراء ثم علل ذلك بقوله إن الله أي الذي له جميع
صفات الكمال كان توابا أي رجاعا بمن رجع عن عصيانه إلى ما كان فيه من المنزلة رحيما أي يخص من يشاء من عباده
بالتوفيق لما يرضاه له فتخلقوا بفعله سبحانه وارجوا المذنبين إذا تابوا ولا يكن إذا كم لهم لأن الله ليرجعوا ولئلا يكثر كلا
الوعظ بما يقبل بقلوبهم إلى ما يرضاه الإلهية ويؤيد أن المراد بهذا البكر والثيب من الرجال والنساء تفسير النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه مسلم والأربعة والدارمي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قد جعل الله لهن

نصاف

مكرهم

سبيلا

البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب الرجم فالحديث مبين لما اجمل في الآية من ذكر السبيل ولما ختم ذلك
بذكر توبة الزناة وكان الحامل على الزنا غلبة ما يقتضيه الطبع البشري شدة الشبق وقلة النظر في العواقب وكان ذلك
انما هو في الشباب وصل بذلك قوله تعالى معرفا بوقت التوبة وشرطها مرغبا في تعجيلها مرهبا من تاخيرها **انما التوبة**
وهي رجوع العبد عن المعصية اعتذارا الى الله تعالى والمراد هنا قبولها سماه باسمها لانها بدون القبول لا نفع لها فكانت
لا حقيقة لها ولما شبه قبولها بالواجب من حيث تحتمه من جهة انه لا يبدل القول لديه عبر بحرف الاستعلاء المؤذن بالوجوب
حثا عليها وترغيبا فيها فقال **على الله** اي الجامع لصفات الكمال **للذين يعملون السوء** اي سواء كان من فسق او كفر وقال
بجهالة اشارة الى شدة قبح العصيان لا سيما الزنا من المشايخ لا شعار السياق ترهيبا بان الامر فيهم ليس كذلك كما
صرح به النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البزار باسناد جيد عن سلمان رضي الله عنه ثلاثة لا يدخلون الجنة الشيخ الزاني
والامام الكذاب والعائل المزهو وهو في مسلم وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر
اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وهو عن كثير من الصحابة من طرق كثيرة وذلك لان حضور
الموت بالقوة القريبة من الفعل واضعاف القوى الموهنة لداعية الشهوة قريب من حضوره بالفعل وذلك ينبغي
ان يكون مذهبا لداعية الجهل ماحقا لعرائز الشباب سواء قلنا ان المراد بالجهالة ضد الحلم او ضد العلم قال الامام عبد
الحق في كتابه الواعي قال ابو عبد الله يعني القزاز والجاهلية الجهلاء اسم وقع على اهل الشرك يكون ماخوذا من الجهل الذي
هو ضد العلم والذي هو ضد الحلم قال واصل الجهل من قولهم استجهلت الريح الغصن اذا حركته فكان الجهل انما هو حركة
تخرج عن الحق والعلم انتهى فالمعنى حينئذ يعملون السوء ملتبسين بسفه او حركة وخفة اخرجتهم عن الحق والعلم فكانوا كانهم
لا يعلمون لعملهم عمل اهل الجاهلية الذين لا يعلمون وزاد في التنفير من مواقعة السوء والتحذير بقوله **ثم يتوبون** اي يجددون
التوبة ولما كان المراد الترغيب فيها ولو قصر زمنها بمعاودة الذنب اثبت الجار فقال **من** اي بعض زمان **قريب** اي من زمن
المعصية وهم في فسحة من الاجل وذلك كناية عن عدم الاصرار الى الموت ولعله عبر بثم اشارة الى بعد التوبة ولا سيما مع القرب
من واقع المعصية لان الغالب ان الانسان اذا ارتبك في حبايلها لا يخلص الا بعد عسر ولذلك اشار الى تعظيمهم باداة
البعد في قوله مسببا عن توبتهم واعلاما انه فاعل ما اوجبه على نفسه لا محالة من غير خلف وان كان لا يجب عليه شيء ولا يقبح
منه شيء **فاولئك** اي العظيمو الرتبة الصادقو الايمان **يتوب الله** اي الذي له جميع صفات الكمال **عليهم** اي يردهم الى
ما كانوا فيه عنده من مكانة القرب قبل موافقة الذنب **وكان الله** اي المحيط علما وقدرة **عليما** اي بالصادقين في
التوبة والكاذبين وبنياتهم فهو يعاملهم بحسب ما يقتضيه حالهم **حكيما** فهو يضع الاشياء في احكم محل لها فمهما فعله
لم يكن نقصه ولما بين سبحانه المقبول اتبعه المطرود فقال **وليست التوبة** اي قبولها **للذين يعملون السيئات** اي واحدة
بعد اخرى مصرين عليها فسقة كانوا او كفرة غير راجعين من قريب بل يمهلون **حتى اذا حضر** ولما كان تقديم المفعول على وجه
يجوز لكل سامع وقوعه عليه اهول لكونه يصير مرتقبا حال فاعله خائفا من عاقبته قال **احدهم الموت** اي بان وصل الى
حد الغرغرة وهي حال المعاينة **قال** اي بلسانه ان كان يقدر او قلبه **اني تبت الان** فبين ان ما قبل الاحتضار قريب مع الترغيب
في المسارعة جدا بالتعبير بقريب **ولا الذين** اي وليست التوبة للذين **يموتون وهم كفار** حقيقة او مجازا من غير ان
يتوبوا الا عند الغرغرة فسوى بين الكفر والفسق تنفيرا من الفسق لصعوبة النزع عنه بعد مواقعته ولذلك جمعهما
في العذاب بقوله جوابا لمن كان قال فاجزاء هذين الصنفين **اولئك** اي البعداء من الرحمة الذين لم يتوبوا الا حال الغرغرة
والذين ماتوا مصرين **اعتدنا** اي هيانا واحضرنا **لهم عذابا** ولما كان تاخير التوبة لذة نفسانية ختم بقوله **اليما**
اي نعذب به الكافرين ومن شئنا من عصاة المؤمنين لان توبتهم في تلك الحالة عدم والميت من غير توبة من المؤمنين
في المشية ولما انقضى ما تخلل ذكر النساء الوالدات للوراث وختمه بهذا التهديد الهائل لمن فعل ما لا يحل له وصل
الكلام فيهن بامر من فعله فهو ان مصر على الزنا الى الموت ان اعتقد حرمته او كافر ان اعتقد حله فقال مشيرا
بتخصيص المؤمنين عقب ولا الذين يموتون وهم كفار الى انه لا يرث كافر من مسلم والا لقال يا ايها الناس مثلا منفرا من
ذلك التعبير بما هو ادنى الايمان **يا ايها الذين امنوا** اي توقف بهم الايمان عن زواجرنا **لا يحل لكم ان ترثوا النساء**
اي مالهن **كرها** اي كارهين لهن لا حامل لكم على نكاحهن الا رجاء الارث وذلك انهم كانوا ينكحون البنات لمالهن وليس لهم
فيهن رغبة الا تربص الموت لاخذ مالهن ميراثا كما سياتي في تفسير ويستفتونك في النساء الاية او يكون الفعل واقعا
على نفس النساء ويكون كرها على هذا حالا مؤكدة اي كارهات او ذوات كره وذلك ان الرجل كان اذا مات وله امراة
جاء ابنه من غيرها او قريبه من عصبته فيلقي ثوبه عليها فيصير احق بها من نفسها ومن غيرها فان شاء تزوجها بغير
صداق الا الصداق الاول الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها ومنعها من الازواج
يضارها لتفتدي منه بما ورثت من الميت او تموت هي فيرثها وكان اهل المدينة على هذا حتى توفي قيس بن الاسلت
ففعل ابنه حصن هذا مع زوجته فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل هذه الاية روى البخاري في

التفسير

في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانوا اذا مات الرجل كان اولياؤه احق بامراته ان شاء بعضهم تزوجها
وان شاؤا زوجوها وان شاؤا لم يزوجوها وهم احق بها من اهلها فنزلت هذه الاية في ذلك لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها
ولهذا اتبعه سبحانه قوله **ولا تعضلوهن** اي تمنعوهن من التزوج بعد طلاقكم لهن او بعد موت ازواجهن او تشددوا عليهن
بالمضارة وهن في حبالكم قال البيضاوي واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها انتهى والظاهر ان مدار
مادته على الاشتداد من عضلة الساق وهي اللحمة التي في باطنه ونقل عبد الحق انها كل لحم اجتمع قال وقال الخليل كل لحمة اشتملت
على عصبة انتهى وتارة يكون الاشتداد ناظرا الى المنع وتارة الى الغلبة والضيق ثم علل ذلك بقوله **لتذهبوا ببعض ما
اتيتموهن** اي انتم ان كن ازواجا لكم او مورثوكم ان كن ازواجا لهم وعضلتموهن بعده ثم ليذهب ذلك بسبب نفاقهن له على
انفسهن في زمن العضل او بسبب فتدائهن لانفسهن به منكم ثم استثنى من تحريم العضل في جميع الحالات فقال **الا ان**
اي لا تفعلوا ذلك لعلة من العلل الا لعلة ان **ياتين بفاحشة** اي فعلة زائدة القبح **مبينة** اي بالشهود الاربعة ان كانت
زنا فاعضلوهن بالامساك في البيوت كما مضى لان من تحمل شيئا ثقل او انه عوقب بحرمانه وبما يقبل من الشهود ان كانت نشوزا
وسوء عشرة فلكم العضل حينئذ الى الصلاح او الافتداء بما تطيب به النفس ولا نسب لسياق الامر في **وعاشروهن**
ان يكون تعضلوهن منهيا لا معطوفا على ان ترثوا **بالمعروف** اي من القول والفعل بالمبيت والنفقة والموادة قبل
الاتيان بالفاحشة **فان** اي ان كنتم لا تكرهونهن فالامر واضح وان **كرهتموهن** فلا تبادروا الى المضاجرة او المفارقة واصبروا
عليهن تنظرا لما هو الاصلح لا لمجرد ميل النفس فان الهوا شانه ان لا يدعو الى خير ثم دل على هذه العلة بقوله **فعسى** ولو صرح
دالا لنهاه على ذلك صح جعلها جوابا للشرط **ان تكرهوا شيئا** اي من الازواج او غيرها لم يقيده سبحانه تعميما تتميما للفايدة
ويجعل الله اي المحيط علما وقدرة وغيب بحكمته عليكم العواقب لئلا تسكنوا الى ما لوف او تنفروا من مكروه **فيه خيرا كثيرا**
ولما نهى عن العضل تسببا الى اذهاب بعض ما اعطيته المراة اتبعه التصريح بالنهي عن اخذ شيء منه في غير الحالة التي اذن
بها في المضارة فقال **وان** اي لم تعضلوا المراة بل **اردتم استبدال زوج** اي نكحوها **مكان زوج** اي فارقتموها ولو لم
يكن من قبلنا ما يبيح الضرر ولما كان المراد بزوج الجنس جمع في قوله **واتيتم احديهن** اي احدى النساء اللاتي وقع الاذن لكم
في جمعهن في النكاح سواء كانت بدلا او مستبدلا بها **قنطارا** اي مالا جما **فلا تاخذوا منه شيئا** اي بالمضارة عن غير طيب
نفس منها ولا سبب مباح ثم عظم اخذه باستفهام انكار وتوبيخ فقال **اتاخذونه** اي على ذلك الوجه ولما تقدم ان
من صور الغضب على الافتداء حال الاتيان بالفاحشة شبه الاخذ في هذه الحالة التي لا سبب لها بالاخذ في تلك الحالة
لحمل الاخذ على هذه الصورة فانها مقام القذف بما لا حقيقة له فلذلك قال **بهتانا واثما مبينا** اي كذوي بهتان
في اخذه واثم مبين في كونه لا سبب له يورث شبهة فيه ثم غلظ ذلك باستفهام اخر كذلك فقال **وكيف تاخذونه**
وقد اي والحال انه قد **افضى** اي بالملامسة **بعضكم الى بعض** اي تكدر ان تصيروا جسدا واحدا **واخذن** اي النساء **منكم**
اي بالارتضاء والاتحاد **ميثاقا غليظا** قويا عظيما اي بتقوى الله في المعاشرة بالاحسان وعدم الاساءة لان مبنى النكاح على ذلك
وان لم يصرح به فيه ولما كرر ذكر الاذن في نكاحهن وما تضمنه منطوقا ومفهوما وكان قد تقدم الاذن في نكاح ما طاب من
النساء وكان الطيب شرعا قد يحمل على الحل لمسيس الحاجة الى ما يحل منهن لذلك وما يحرم فقال **ولا تنكحوا** اي تتزوجوا
وتجامعوا **ما نكح** اي بمجرد العقد في الحرة وبالوطء في ملك اليمين **اباؤكم** وبين ما بقوله **من النساء** اي سواء كانت اماء او لا بنكاح
او ملك يمين وعبر بما دون من لما في النساء غالبا من السفه المدني لما لا يعقل ولما نهى عن ذلك فنزعت النفوس عما كان قد
الف لها له فلاح انه في غاية القباحة وان الميل اليه انما هو شهوة بهيمية لا شيء فيها من عقل ولا مروة وكانت عادتهم
في مثل ذلك مع التاسف على ارتكابه السوال عما مضى منه كما وقع في استقبال بيت المقدس وشرب الخمر اتبعه الا
من لازم الحكم وهو فانه موجب لمقته من ارتكبه وعقابه فقال **الا ما قد سلف** اي لكم من فعل ذلك في ايام الجاهلية
كما قال الشافعي في الام قال السهيلي في روضه وكان ذلك مباحا في الجاهلية لشرع متقدم ولم يكن من الحرمات التي
انتهكوها ثم علل النهي بقوله **انه** اي هذا النكاح **كان** اي الان وما بعده كونا راسخا **فاحشة** اي والفاحشة لا يقدم عليها
تام العقل **ومقتا** اي شرعا يكون بينكم وبين ذوي الهم لما انتهكتم من حرمة ابائكم **وساء سبيلا** اي قبح طريقا طريقه
ولما ابتدا بتعظيم الاباء واحترامهم في ان يبيح الابناء ازواجهم على العموم ثنى بخصوص الام بقوله **حرمت عليكم** ولما كان اعظم
مقصود من النساء النكاح فكان اضافة التحريم الى اعيانهن لافادة التاكيد غير قادح في فهمه وكان مع ذلك قد تقدم
ما يدل على ان المراد النكاح اسند التحريم الى الذات تاكيدا للتحريم فقال **امهاتكم** اي التمتع بهن بنكاح او ملك يمين
فكان تحريمها مذكورا مرتين تاكيدا له وتغليظا لامره في نفسه واحتراما للاب وتعظيما لقدره **وبناتكم** اي وان
سفلن لما في ذلك من ضرار امهاتهن وهذان الصنفان لم يحللن في دين من الاديان **واخواتكم** اي اشقاء او لا **وعماتكم**
كذلك **وخالاتكم** ايضا والضابط لهما ان كل ذكر رجع نسبك اليه فاخته عمتك وقد تكون من جهة الام وهي اخت
ابي امك وكل انثى رجع نسبك اليها بالولادة فاختها خالتك وقد تكون الخالة من جهة الاب وهي اخت ام ابيك

سلف

وبنات الاخ شقيقا كان او لا وبنات الاخت اى كذلك وفروعهن وان سفلن ولما انقضى امر النسب وهو سبعة اصناف
اتبعه امر السبب وهو ثمانية اولها ازواج الآبا افردها وقدمها تعظيما لحرمتها لما كانوا استهانوا من ذلك واخره المحصنات
وبدا من هذا القسم بالام من الرضاع كما بدا النسب بالام فقال وامهاتكم اللاتى ارضعنكم منزلا له منزلة النسب ولذلك
سماها اما فكل انثى انتسبت باللبن اليها فهى امك وهى من رضعت او ارضعت امراة ارضعتك او رجلا ارضعك بلبانه
من زوجته او ام ولد وكذا كل امراة ولدت امراة ارضعتك او رجلا ارضعك فهى امك من الرضاعة والمراضع اختك
وزوج المرضعة الذى رضعت بلبانه ابوك وابواه جداك واخته عمتك وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع
وبعده اخوة لاب وام المرضعة جدتك واختها خالتك وكل من ولد لها من هذا الزوج اخوة لاب وام ومن ولد لها من
غيره فهم اخوته واخواته لام فعلى ذلك ينزل قوله واخواتكم من الرضاعة كما فى النسب بشرط ان يكون خمس رضعات
فى الحولين وبتسمية المرضعة اما والمشاركة فى الرضاع اختا علم ان الرضاع كالنسب كما بينه النبى صلى الله عليه وسلم
بقوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فالصورتان منبهتان على بقية السبع الام منبهة على البنت بجامع الولادة
والاخوات على العمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت بجامع الاخوة ولما انقضى ما هو كلحمة النسب اتبعه امر ما
بالمصاهرة فقال وامهات نسائكم اى دخلتم بهن او لا لما فى ذلك من افساد ذات البين غالبا وربائبكم وذكر سبب
الحرمة فقال اللاتى فى حجوركم اى بالفعل او بالقوة لما فيهن من شبه الاولاد من نسائكم ولما كانت الاضافة تسوغ فى
اللغة بادنى ملابسة بين سبحانه انه لابد من الجماع الذى كنى عنه بالدخول لانه تمكين حكم الزواج الذى يصير به الاولاد
كالاولاد فقال اللاتى دخلتم بهن قيد بالدخول لان غيرة الام من بنتها دون غيرة البنت من امها ولما اشعر هذا
القيد بحل بنت من عقد عليها ولم يدخل بها افصح به تنبيها على عظيم حرمة الابضاع فقال فان لم تكونوا دخلتم بهن
اى الامهات فلا جناح عليكم اى فى نكاحهن ولما افتتح المحرمات على الابناء بزوجة الاب ختمها بزوجة الولد فقال
وحلائل ابنائكم اى زوجة كانت او موطوءة بملك يمين ولما لم يكن المتبنى مرادا قيد بقوله الذين من اصلابكم اى وان
سفلوا ودخل ما بالرضاع لانه كلحمة النسب فلم يخرجه القيد ولما انقضى التحريم المؤبد اتبعه المؤقت فقال وان اى وحرم
عليكم ان تجمعوا بعقد نكاح لان مقصود الوطء او بوطء فى ملك يمين بين الاختين فان كانت احديهما منكوحة والاخرى
مملوكة حلت المنكوحة وحرمت المملوكة مادام الحل لان النكاح اقوى فاذا زال الحل حلت الاخرى ولو فى عدة التى كانت حلالا
ولما كان الجمع بين الاختين شرعا قديما قال الا ما قد سلف اى فانه لا اثم عليكم فيه رحمة من الله عليكم ثم دفع حرجه
فقال ان الله اى المحيط بصفات الكمال كان غفورا اى ساترا لما يريد من اعيان الزلل واثاره رحيما اى محاملا بغاية
الاكرام الذى يرضاه الالهية ولما ذكر مضارة الجمع اتبعه مضارة الاغارة على الحق والاول جمع بين المنكوحتين وهذا جمع
بين الناكحين فقال عاطفا على النايب عن فاعل حرمت والمحصنات اى الحرائر المزوجات لانهن منعن فروجهن
بالنكاح عن غير الازواج من النساء الا ما ملكت ايمانكم اى من ازواج اهل الحرب فان الملك بالاسر يقطع النكاح
ولما اتم ذلك قال مؤكدا له ومبينا عظمته كتاب الله اى خذوا فرض الملك الاعظم الذى اوجبه عليكم ايجاب ما هو
موصول فى الشىء يقطعه منه والزموه غير ملتفتين الى غيره وزاد فى تاكيده باداة الوجوب فقال عليكم ولما افهم
ذلك حل ما سواه افصح به احتياطا للابضاع وتعظيما لحرمتها فى قوله واحل لكم وبين عظمة هذا التحريم باداة البعد فقال
ما وراء ذلكم اى الذى ذكر لكم من المحرمات العظيمة ولما كان الكلام فى المنع لم يصرح بالفاعل بل قال حرمت توقفا فى الخطاب حثا
على الاداب فلما وصل الى مراتب الحل اظهره تطييبا للقلوب وتانيسا للنفوس فى قراءة ابن كثير ونافع وابى عمرو وابن عامر
بفتح الهمزة والحاء وابهمه فى قراءة الباقين على نسق حرمت لان فاعل الحل والحرمة عند اهل هذا الكتاب معروف انه
الملك الاعلى الذى لا امر لاحد معه اصلا ثم اتبع التحليل علته فقال ان اى ارادة ان تبتغوا اى تطلبوا متلبسين من شىء
مما احل لكم باموالكم اللاتى تدفعونها مهورا حال كونكم محصنين اى قاصدين بذلك العفة لانفسكم ولهن غير مسافحين
اى قاصدين قضاء الشهوة وصب الماء الدافق لذلك فقط وهو على هذا الوجه لا يكون الا زنا سرا وجهرا فيكون فيه حينئذ
اضاعة المال واهلاك الدين ولا مفسدة اعظم مما يجمع هذين الخسرانين ولما تقدم اول السورة واثناءها الامر بدفع
الصداق والنهى عن اخذ شىء مما دفع الى المراة وكان ذلك اعم من ان يكون بعد الدخول او قبله مسمى او لا قال هنا مسببا
عن الابتغاء المذكور فما استمتعتم اى اوجدتم المتاع وهو الانتفاع به منهن بالبناء بها متطلبين لذلك من وجوهه
الصحيحة راغبين فيه فاتوهن اجورهن اى عليه كاملة وهى المهور فريضة اى حال كونها واجبة من الله وسماها مقدرة
قد ربحتموها على انفسكم ويجوز كونها تاكيدا لاتوا مصدرا من معناه ولا جناح اى حرج وميل عليكم فيما تراضيتم به
اى انتم والازواج من بعد الفريضة اى من طلاق او فراق او زيادة او نقص ان كانت موجودة مقدرة او من مهر المثل ان
لم تقدروه ان لم تكن مسماة فيمن عقد عليها من غير تسمية صداق ولما ذكر فى هذه الايات انواعا من التكاليف
هى فى غاية الحكمة والتعبير عنها فى الذروة العليا من الحكمة وختمها باسقاط الجناح عند التراضى وكان التراضى امرا باطنا

لا يطلع

لا يطلع عليه حقيقة الا الله تعالى حث على الورع فى شانه سبوط الحكم بغلبة الظن فقال مرغبا فى امتثال اوامره
ونواهيه ان الله اى الذى له الاحاطة التامة علما وقدرة كان عليما اى بمن يقدم متحريا للرضى صاحبه او غير متحر
لذلك حكيما اى يضع الاشيا فى امكن مواضعها من الجزاء على الذنوب وغيرها ولما مضى ذلك على هذا الوجه الجليل
عرف انه كله فى الحرائر لانه الوجه فى النكاح واتبعه تعليم الحكمة فى نكاح الاما فقال عاطفا على ما تقديره هذا حكم من
استطاع نكاح حرة ومن لم يستطع منكم اى ايها المؤمنون طولا اى سعة وزيادة عبر فيها قبله بالمال تهويلا للبذل
بانه ميال لا ثبات له وهنا بالطول الذى معناه التى قل من يجدها ان اى لان ينكح المحصنات اى الحرائر فان الحرة
مظنة العفة الجاعلة لها فيما هو كالحصن على مريد الفساد لان العرب كانوا يصونونهن وهن يصن انفسهن عما لا
يكون كالاما المؤمنات بسبب كثرة المونة وغلا المهر فمن اى فلينكح ان اراد من ما ملكت ايمانكم اى مما ملك غيركم من
المؤمنين من فتياتكم اى امائكم واطلقت الفتوة وهى الشباب على الرقيق لان يفعل ما يفعل الشاب لتكليف السيد
الى الخدمة وعدم توقيره وان كان شيخا ثم وضح المراد بالاضافة فقال المؤمنات اى من الحرائر الكافرات ولا اما
ملكم من الاما الكافرات ولا بما ملك الكفار رحمة من مخالطة الكافرة خوفا من الفتنة كما مضى فى البقرة ولئلا
يكون الولد المسلم يحكم بتبعية امه فى الرق لكافر هذا ما تفهمه العبارة ولكنهم قالوا ان تقييد المحصنات بالمؤمنات
لا مفهوم له ولا لصار نكاح الحرة الكتابية المباح باية المائدة مشروطا بفقد مسلمة حرة كانت او امة ولم يشترط
ذلك ومذهب الشافعى انه لا يجوز نكاح الامة مع القدرة على الحرة كتابية والظاهر ان فايدة التقييد الندب
الى مباعدة الكفار فلا ينكح منهن الا لضرورة فكان هذه سورة المواصلة اسقط فيها اهل المباعدة والمائدة
سورة تمام الدين فذكر فيها ما يجوز لاهله فلا ضرر فى القيد لان المفهوم لا يقوى لمعارضة المنطوق مع ما فيه من
فايدة الندب الى الترك وهذا كما ان قيد الاحصان هنا للندب الى عدم نكاح الزوانى مع جوازه باية النور وانكحوا
الايامى منكم كما ياتى بيانه هناك ان شاء الله تعالى ولما شرط فى هذا النكاح الايمان وعبر فيه بالوصف وكان امرا
قلبيا لا يطلع على حقيقته الا الله اعقبه ببيان انه يكتفى فيه بالظاهر فقال والله اى الذى له الاحاطة التامة
بالمعلومات والمقدورات اعلم بايمانكم فربما ظهر ضعفا بما يتحد والباطن بخلافه لكن فى التعبير به وبالوصف
لا بالفعل ارشاد الى تزييد التحرى من جهة الدين فاظفر بذات الدين تربت يداك ولما اشترط الدين كان كانه قيل
فالنسب فاشار الى عدم اشتراطه بقوله بعضكم من بعض اى كلكم من ادم وان تشعبتم بعده فانكحوهن اى بشرط
العجز باذن اهلهن اى مواليهن ولا يجوز نكاحهن من غير اذنهم ولما كان مما لا يخفى ان السيد المالك للرقبة مالك
للمنفعة من باب الاولى كان الامر بدفع المهر اليهن مفيدا للندب لسيد الى جبرها به من غير ان يوهم انها تملكه
وهى لا تملك نفسها فلذلك قال تعالى واتوهن اجورهن وهى المهور بالمعروف اى من غير ضرار لا عليكم ولا عليهن
ولا على اهلهن حال كونهن محصنات اى عفائف بانفسهن ويصون الموالى لهن غير مسافحات اى مجاهرات
بالزنى لمن اراد لا تخص معينا ولا متخذات اخدان اى اخلاء فى السر للزنا معينين لا تعدو ذات الخدن خدنها الى غيره
قال الاصبهانى وهو اى الخدن الذى يكون معك فى كل ظاهر وباطن ولما لم يتقدم بيان حد الاما قال مبينا له فاذا
احصن مبنيا للفاعل فى قراءة حمزة والكسائى وابى بكر عن عاصم والمفعول فى قراءة الباقين اى شغلن من خير التعرض
للزنا بالاكراه الى حيز الحرائر بان حفظن فروجهن بكراهتهن للزنا او حفظهن الموالى بالرضى لهن بالعفة وقال
الشافعى فى اوائل الرسالة فى اجزاء الناسخ والمنسوخ الذى يدل الكتاب على بعضه والسنة على بعضه ان معنى
احصن هنا اسلمن لا نكحن فاصبن بالنكاح ولا اعتقن وان لم يصبن وقال فان قال قائل اراك توقع الاحصان على
معان مختلفة قيل نعم جماع الاحصان ان يكون دون التحصين مانع من تناول الحرم فالاسلام مانع وكذلك الحرية مانعة
وكذلك التزويج مانع وكذلك الحبس فى البيوت مانع وكل ما منع احصن وقد قال الله عز وجل وعلمناه صنعة لبوس
لكم لتحصنكم من باسكم وقال لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة يعنى ممنوعة قال واخر الكلام واوله يدلان على ان
معنى الاحصان المذكور عاما فى موضع دون غيره ان الاحصان هنا الاسلام دون النكاح والحرية والتحصين بالحبس
والعفاف وهذه الاسما التى جمعها اسم الاحصان انتهى فان اتين بفاحشة ولا تكون حينئذ الا عن رضى من غير
اكراه ولما كان من شان النكاح تغليظ الحد فقط فى الحرائر بالرجم بين تعالى انه لا تغليظ على الاما بل حدهن بعده
هو حدهن قبله فقال فعليهن نصف ما على المحصنات اى الحرائر اللاتى هن فى مظنة العفة وان كن بغير ازواج
من العذاب اى الجلد كما كان ذلك عذابهن قبل الاحصان وهذا يفهمه بطريق الاولى والمراد هنا الجلد لان الرجم
لا يتنصف ولما كان كانه قيل هل هذا الحل عام عن الحرة استونف جواب لسوال بقوله تعالى مشيرا باداة البعد
الى انه مما لا يحسن قربه ذلك اى حل نكاح الاما الذى ينبغى البعد منه لمن خشى العنت اى الوقوع فى الزنا الموجب
للاثم المقتضى للهلاك بالعذاب فى الدنيا والاخرة بما عنده من عظيم الداعية الى النكاح ومشقة الصبر عنه

ثم الواو اصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر وقال الاصبهاني وقيل ان الشبق الشديد بدو والغلمة
العظيمة قد يودي بالانسان الى الامراض الشديدة اما في حق النسا فقد يودي الى اختناق الرحم واما في حق الرجال
فقد يودي الى اوجاع الوركين والظهر ولما كان هذا التخفيف والتيسير خاصا بالمومنين مما فيه بقوله منكم ولما بين
اباحته واشار الى البعد عنه لما فيه من اسر الولد صرح بالندب الى حبس النفس عنه فقال وان تصبروا اي
عن نكاحهن متعففين خير لكم اي لئلا تخبروا بهن او تسترقوا اولادكم منهن ثم اتبع ذلك بما كيده لذوي البصاير والهمم في
سياق دال على دفع الحرج فقال والله اي الذي له الجلال والاكرام غفور اي لمن يصبر والمغفرة تشير الى نوع تقصير
رحيم اي فاعل به فعل الراحم منكم بالاذن في قضا وطره واللطف فيما يتبع ذلك من الحدود ولما اتم سبحانه بيان الحلال
والحرام من هذه الحدود والاحكام وختمها بصفة الرحمة بين ما اراد بها من موجبات الرحمة تذكيرا بالنعمة للشكر وتحذيرا
من ان تنسى فتكفر فقال تعالى يريد الله اي الملك الاعظم انزال هذه الاحكام على هذا النظام ليبين لكم اي ليوقع لكم البيان
الشافي فيما لكم وعليكم من شرايع الدين ويهديكم اي يعرفكم سنن اي طرق الذين ولما كان المراد بعض الماضين قال
من قبلكم اي من اهل الكتاب الانبيا واتباعهم ويتوب عليكم اي يرجع بكم عن كل ما لا يرضيه لاسيما ما يجر الى المقاطعة
مثل منع النسا والاطفال الارث ومثل نكاح ما يحرم نكاحه وغير ذلك فاعلمهم بهذا انهم لم يخصهم بهذه التكاليف
بل يسلك بهم فيها صراط الذين انعمت عليهم ليكون ذلك ادعى لهم الى القبول واعون على الامتثال وليحققوا ان القا
اهل الكتاب الشبه اليهم وتذكيرهم بالاضغان لارادة القا العداوة محض حسد لمشاركتهم لهم في منهم اذهدوا السنتهم
وما احسن ختم ذلك بقوله والله اي المحيط باوصاف الكمال عليم حكيم فلا يشرع لكم شيا الا وهو في غاية الاحكام فاعملوا
به يوصلكم الى دار السلام بيان ذلك ان ما في هذه السورة الامر بالتقوى والحث عليها وبيان الفرايض وامر الزناة
وما يحل ويحرم من النسا والتحري في الاموال والاحسان الى الناس لاسيما الايتام والوالدين والاذعان للاحكام
وتحريم القتل والامر بالعدل في الشهادة وغيرها وكل ذلك مبين اصوله في التوراة كما هو مثبوت في هذا الديوان
عن نصوصها في المواضع اللايقة به لكن القران احسن بيانا وابلغ تبيانا وابدع شانا والطف عبارة وادق اشارة
واعجب ذلك ان سبب انزال فرايض الميراث في شريعتنا النسا ففي الصحيحين وغيرهما عن جابر رضي الله عنه قال مرضت
فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاني وقد اغمي علي وفي رواية للبخاري في التفسير عادني النبي صلى الله عليه وسلم
وابو بكر في بني سلمة ماشيين فوجدني النبي صلى الله عليه وسلم لا اعقل فدعا بما فتوضا فصب علي وضوءه فافقت
فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي وفي رواية للبخاري فنزلت وفي رواية للترمذي حتى نزلت يوصيكم الله في اولادكم وفي
رواية للترمذي حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة الاية وقال حديث صحيح ولابي داود والترمذي
وابن ماجه والدارقطني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال جاءت امراة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد رضي الله
عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل ابوهما معك يوم احد
شهيدا وان عمهما اخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا تنكحان الا ولهما مال قال يقضي الله عز وجل في ذلك فنزلت آية الميراث
وفي رواية ابي داود ونزلت الاية في سورة النسا يوصيكم الله في اولادكم وفي رواية الدارقطني فنزلت سورة النسا وفيها
يوصيكم الله في اولادكم الى اخر الاية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين واعط
امهما الثمن وما بقي فهو لك وفي رواية الدارقطني ان امراة سعد بن الربيع قالت يا رسول الله ان سعدا هلك وترك
ابنتين واخاه فعمد عمهما فقبض ما ترك سعد وانما تنكح النسا على اموالهن فلم يجبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في
مجلسها ذلك ثم جاءته فقالت يا رسول الله ابنتا سعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع لي اخاه فجاه فقال
ادفع الى ابنتيه الثلثين والى امراته الثمن ولك ما بقي وقال شيخنا حافظ عصره ابو الفضل احمد بن علي بن حجر في
الاصابة في اسما الصحابة روى ابو الشيخ في تفسيره من طريق عبد الله بن الاجلح الكندي عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال كان اهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الموالي الصغار حتى يدركوا فمات رجل من الانصار يقال له
اوس بن ثابت وترك بنتين وابنا صغيرا فجا ابنا عمه خالد وعرفطة فاخذا ميراثه فقالت امراته للنبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون فارسل الى خالد وعرفطة ورواه الثعلبي في تفسيره
فقال سويد وعرفطة ووقع عنده انهما اخوا اوس ورواه مقاتل في تفسيره فقال ان اوس بن مالك توفي يوم احد
وترك امراته ام كحة وبنتين فذكر القصة وذكر شيخنا في تخريج احاديث الكشاف ان الثعلبي والبغوي ساقا بلا اسناد
ان اوس بن الصامت الانصاري ترك امراته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة
ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النسا والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد وزاد
عن الحوزة وحاز الغنيمة فجات ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى
انظر ما يحدث الله فنزلت للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيا

وفي رواية لمسلم انما يرثني كلالة فلم يحبس بنتي وفي رواية
للترمذي كان لي تسع اخوات حتى نزلت آية الميراث

فان الله

فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى نزلت يوصيكم الله في اولادكم الاية فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والبا
لابني العم ورواه الطبراني من طريق ابن جريج عن عكرمة على غير هذا السياق ولفظه نزلت في ام كحة وابنة كحة وثعلبة واوس
بن سويد وهم من الانصار كان احدهما زوجها والاخر عم ولدها فقالت يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنته فلم نورث
فقال عم ولدها ان ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكا عدوا فنزلت للرجال نصيب الاية وروى من طريق السدي
قال في قوله يوصيكم الله في اولادكم الاية كان اهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفا من الغلمان ولا يورثون الا من
اطاق القتال فمات عبد الرحمن اخو حسان الشاعر وترك امراة يقال لها ام كحة وترك خمس اخوات فجات الورثة
فاخذوا ماله فانزل الله فان كن نسا فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ثم قال في ام كحة ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد الاية
فجميع هذه الروايات كما ترى ناطقة بان سبب نزول ايات ميراث النسا ويمكن ان يكون المجموع سببا والله اعلم وكذا
كان سبب انزال الفرايض في التوراة كان النسا ايضا وذلك انه جل امره وعز اسمه وتعالى جده لما امات من نكص
عن امره من بني اسرايل ومن لا ثم في التيه واخرج ابناهم منه امر موسى عليه السلام بقسمة ارض الكنعانيين بينهم بعد
معرفة عددهم على منهاج ذكره ولم يذكر البنات وكان فيهم بنات لا اب لهن فسالن ميراث ابيهن فانزل الله حكمهن كما
في السفر الرابع من التوراة ما نصه ولما كان بعد الموت الفاشي قال الرب لموسى وللعازر بن هرون الحبر احفظا عدد
جماعة بني اسرايل من ابن عشرين سنة الى فوق كل من خرج للمحاربة من بين بني اسرايل فكلما الجماعة في عربة مواب
التي عند الاردن اريحا واحصاهم بقول الرب ثم احصاهم فكان عددهم احد وستماية الف وسبعماية وثلاثين رجلا غير
اللاويين سبط موسى فانهم كانوا الحفظة في ذلك الزمان وحدهم منها وكانوا ثلاث قبايل احدهم قاهات فولد له عمرم
وكان اسم امراة عمرم يوحانا ابنة لوي ولدت له بارض مصر هرون وموسى ومريم وكان عددهم في هذا الوقت ثلثة
وعشرين الفا كل ذكر منهم ابن شهر فما فوق ولم يكن في هولاء ممن احصاه موسى وهرون حيث عدا بني اسرايل في برية
سينا لان الرب قال لهم يقتلون في هذه المفازة ولا يبقى منهم رجل ما خلا كالاب بن يوفنا ويشوع بن نون ودنا
بنات صلفحد من قبيلة منشا بن يوسف وقلنا ابونا توفي في البرية ولم يخلف ابنا اعطنا ميراثنا فرفع موسى
امرهن الى الرب فقال الرب لموسى الحق تكلم اعطهن ميراثا مع اعمامهن لينتقل ميراث ابيهن وقل لبني اسرايل اي
رجل مات ولم يخلف ابنا يعطى ميراثه ابنته وان لم يكن له بنت يعطى ميراثه اخوته ومن لم يكن له اخوة يعطى ميراثه اعمامه
ومن لم يكن له اعمام يعطى ميراثه لمن كان قرابته من اهل عشيرته ويكون هذه سنة لبني اسرايل في احكامهم كما امر
الرب موسى وقال في السفر الثالث منها ما نصه سنة الخطايا التي اذا ارتكبها انسان عوقب بالموت وكلم الرب موسى
وقال له كلم بني اسرايل وقل لهم انا الله ربكم لا تعملوا امثال اعمال اهل مصر التي سكنتموها ولا تعملوا مثل اعمال اهل
كنعان التي ادخلكم اليها ولا تسيروا بسننهم ولكن اعملوا باحكامي واحفظوا وصاياي وسيروا بها انا الله ربكم احفظوا
شرايعي واحكامي لان الذي يعمل بها يعيش بها انا الرب وليس اله غيري ولا يجترئ الرجل منكم ان يكشف عورة قرابته
انا الرب وليس غيري لا تكشف عورة ابيك ولا عورة امك لانها امك ولا تفضح امراة ابيك ولا تكشف عورتها لان
عورتها عورة ابيك ولا تفضح اختك من ابيك ومن امك التي ولدت من ابيك او اختك من امك لا من ابيك لا
تكشف عورتها لان تفضحها تفضحك ولا تكشف عورة بنت امراة ابيك التي ولدت من ابيك لانها اختك ولا تكشف
عورة عمتك لانها اخت ابيك ولا تكشف عورة خالتك لانها اخت امك ولا تكشف عورة امراة عمك ولا تدن من
امراته لانها امراة عمك ولا تكشف عورة كنتك لانها امراة ابنك ولا تكشف عورة امراة اخيك لان فضيحتها فضيحة
اخيك ولا تكشف عورة امراة وبنتها اي لا تتزوج بهما ولا تكشف عورة بنت الابن ولا بنت البنت لان فضيحتها فضيحتك
ولا تكشف عورتهما لانهن قرابتك وارتكابهن اثم ولا تتزوج اختا امراتك في حياتها فتخزيها ولا تكشف عورتهما جميعا
في حياة امراتك والمراة اذا حاضت وطمثت لا تدن لتكشف عورتها ولا تضطجع بامراة صاحبك ولا تتنجس بها ولا
تنجس اسم الهك انا الله ربكم لا تضاجع الذكور ولا ترتكب من الذكر ما ترتكب من المراة لانه فعل نجس لا تنجسوا
بها بشي فهذه كلها نجست الشعوب التي اهلكتها من بين ايديكم وتنجست ارضهم بفعلهم وعاقبتهم باثمها وتعطلت
الارض من سكانها حال خطاياهم احفظوا عهودي واحكامي ولا ترتكبوا شيا من هذه الخطايا لان اهل البلاد التي
تورثونها فعلوا هذه الافاعيل كلها وتنجست الارض بهم ولا تنجسوا الارض لئلا تعطل منكم كما تعطلت من الشعوب
الذين كانوا فيها قبلكم لان كل من يفعل هذه الخطايا يهلك احفظوا شرايعي ولا ترتكبوا شيا من سير الخطايا التي
فعلها من كان قبلكم ولا تنجسوا بها انا الله ربكم ثم كلم الرب موسى وقال له كلم جميع بني اسرايل وقل لهم تقدسوا لاني
قدوس انا الله ربكم يهاب كل امرئ منكم والديه ويكرمهما واحفظوا وصاياي لاني انا الله ربكم لا تقبلوا الى الشيطان ولا
تتخذوا الهة مسبوكة انا الله ربكم وقال في السفر الثاني ولا تقبلن الخبر الكاذب ولا توال الخبيث لتكون له شاهد
زور ولا تتبعن هوى الكبرا فتسعى لاساءة بعض البر الذين يجنحون في القضا فتخفف معهم ولا تعين المسكين على الظلم

لا تحيفن في قضا المسكين وتباعد عن القول الكاذب وقال في السفر الخامس ودعا موسى جميع بني اسرايل وقال لهم
اسمعوا يا بني اسرايل السنن والاحكام التي اتلو عليكم لتعلموها وتحفظوها وتعملوا بها وتعلمون ان الله ربنا عاهدنا عهدا
بارض حوريب ولم يعاهد الله اباينا بهذا العهد بل ايانا عاهد نحن الذين ههنا احيا لسانا مزجها قبل وجه كلمنا الرب
في النار من الجبل فانا كنت قايما بين يدي الرب وبينكم لاظهر لكم ذلك الزمان اقوال الله ربكم حيث فرقتم من النار ولم تصعدوا
الى الجبل وقال الرب انا الله ربكم الذي اخرجكم من ارض مصر وخلصتكم من العبودية لا يكون لكم اله غيري ولا تتخذوا اصناما ولا
اشباها ولا تقسم باسم ربك كذبا لان الرب لا يزكي من يحلف باسمه كذبا احفظوا يوم السبت وطهروه الى ان قال لا تعملوا
فيه عملا ليستريح فيه عبيدكم واماؤكم معكم واذكروا انكم كنتم عبيدا بارض مصر فاخرجكم الله ربكم من هناك بيد منيعة وذراع
عظيمة لذلك امركم ربكم ان تحفظوا يوم السبت اكرم كل امرئ منكم والديه كما امركم الله ربكم لتطول اعماركم وينعم عليكم في الارض
التي يعطيكم لا تقتلوا لا تزنوا لا تسرقوا لا تشتهين الرجل منكم امراة صاحبه الى ان قال ولا شيئا مما لصاحبك هذه الايات
التي امر الرب بها بني اسرايل وكلمهم بها في الجبل من النار بالسحاب والضباب بصوت عظيم لا يوصف ولا يحد وهي التي كتبها على
لوحي الحجارة ودفعها الى موسى النبي فلما سمعتم صوتا من الظلمة ورايتم نارا تشتعل في الجبل تقدم الي رؤساؤكم وقالوا قد ارانا
الله ربنا مجده وكرامته وعظمته اليوم رايناه اذ كلم الله الناس وعاشوا ان عدنا نسمع صوت الله ربنا متنا تقدم انت
واسمع ما يقول الله ربنا وقص علينا وقال الرب لي الرب قد سمعت صوت الشعب وما قالوا لك ثم ما تكلموا به وانت تكون
لهم فتكون تسمع وتطيع وتتقوى وتفرغون من قولي وتحفظون جميع وصاياي كلها احفظوا واعملوا بما امركم الله ربكم ولا تحيدوا
يمنة ولا يسرة بل سيروا في كل الطريق الذي امركم ربكم لتعيشوا وينعم عليكم وتطول مدتكم في الارض التي ترثون هذه السنن
والوصايا والاحكام التي امرني الله ربكم ان اعلمكم لتعملوا وتتقوا الله ربكم انتم وبنوكم كل ايام حياتكم فتطول اعماركم اسمعوا يا بني
اسرايل الله ربنا واحد احبوا الله ربكم في كل قلوبكم ولتكن هذه الايات التي امركم في قلوبكم ابدا وعلموها بنيكم وتكلموا بها اذا
حضرتم في منازلكم واذا سافرتم واذا رقدتم واذا قمتم وشدوها علامة في ايديكم وتكون سيما بين اعينكم واكتبوها على معالم
بيوتكم وعلى ابوابكم لا تنسوا الله ربكم واياه فاعبدوا وباسمه فاقسموا ولا تتبعوا الالهة الاخرى التي تعبدها الشعوب
التي حولكم لان الله ربكم الحال فيكم هو اله غيور فاتقوه لا تشتد غضبه عليكم ويهلككم عن جديد الارض ولا تجربوا الله ربكم
كما جربتموه بالبلايا ولكن احفظوا وصية الله ربكم وشهادته وسنته التي امركم بها فاعملوا الحسنات واصنعوا واعدلوا لينعم
عليكم وتدخلوا وترثوا الارض الخصبة التي اقسم الله لابايكم ويكسر جميع اعدايكم ويهزمهم قدامكم كما قال الرب فاذا سالكم
بنوكم غدا وقالوا ما الشهادة والسنة والحكومة التي امركم الله بها فقولوا لبنيكم انا كنا عبيدا لفرعون بارض مصر واخرجنا
الرب من ارض مصر بيد منيعة وانزل باهل مصر بلاء شديدا وفعل ذلك بفرعون وجميع اهل بيته ههنا واخرجنا الله
من هناك ليدخلنا ويعطينا الارض التي اقسم لابائنا وامرنا الرب ان نعمل هذه السنن كلها وان نتقي الله ربنا لينعم علينا
كل ايامنا ويحيينا بالخير والنعم ويكون ربنا برا اذا حفظنا هذه الوصية كلها وعلمناها امام الله ربنا كما امرنا وقال
في السفر الخامس ولا تكف يدك عن العطا والصدقة على اخيك المسكين ولكن تصدق بعضكم على بعض ويعطي بعضكم بعضا
ولا يضيق قلبك ولا تحزن اذا اصدقت على اخيك لانك اذا فعلت هذا القول واوسعت على اخيك يبارك الله لك في
جميع اعمالك وفي كل ما تمد يدك اليه من اجل ان الارض لا تعدم المساكين فلذلك امرك وانا متقدم اليك ان تمد يدك الى اخيك
المسكين وتصدق على الفقير في الارض وقال فيه انصفوا بين اخوتكم واحكموا بالحق ولا تحيفوا في القضا واسمعوا من الصغير
كما تسمعون من الكبير ولا تهابوا الرجل ولو عظم شانه وكثرت امواله لان القضا لله وقال فيه صيروا لكم قضاة وكتابا في جميع قراكم
ويقضون للشعب قضا العدل والبر لا تحيفن في القضا ولا تحابوا ولا ترتشوا لان الرشوة تعمي اعين الحكام في القضا ولكن
اقض بالحق لتعيشوا وتبقوا وترثوا الارض التي يعطيكم الله ربكم فقد علم من هذا اصول غالب ما ذكره تعالى في هذه السورة
مع ما تقدم من اشكاله في البقرة عند قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرايل لا تعبدون الا الله وغيرها من الايات وفي ال
عمران ايضا واما حد الزاني وامر القتل والجراح فسيذكر ان شا الله تعالى في المايدة ولما قرر سبحانه ارادته لصلاحهم ورغب
في اتباع الهوى بحلمه وحكمته عطف على ذلك قوله والله بلطف منه وعظم سلطانه يريد اي بانزاله هذا الكتاب العظيم
وارساله هذا الرسول الكريم ان يتوب عليكم اي يرجع لكم بالبيان الشافي عما كنتم عليه من طرق الضلال لما كنتم فيه من العمى
بالجهل وزادهم في ذلك رغبة بقوله ويريد الذين يتبعون اي على سبيل المبالغة والاستمرار الشهوات اي من اهل
الكتابين وغيرهم كشاس بن قيس وغيره من الاعداء ان تميلوا اي عن سبيل الرشاد ميلا عظيما اي الى ان تصيروا الى ما
كنتم فيه من الشرك والضلال فقد ابلغ سبحانه في الحمل على الهدى بموافقة الولي المنعم الجليل الذي لا تلحقه شايبة نقص
ومخالفة العدو الحسود الجاهل النازل من اوج العقل الى حضيض طباع البهايم ولما كان الميل مستحا لو تكبر اجرهم
ان علة بيانه للهداية وارادة التوبة الرفق بهم فقال يريد الله اي وهو الذي له الجلال والجمال وجميع العظمة والكمال
ان يخفف عنكم اي يفعل في هذا البيان وهذه الاحكام فعل من يريد ذلك فيضع عنكم الاصار التي كانت على من كان قبلكم

الكاملة

الكاملة على الميل ويرخص لكم في بعض الاشيا كنكاح الامة على ما تقدم ودل على علة ذلك بالواو العاطفة لانكم خلقتم
ضعفا يشق عليكم الثقل وخلق الانسان الذي انتم بعضه ضعيفا مبناه الحاجة فهو لا يصبر عن النكاح ولا غيره من
الشهوات ولا يقوى على فعل شيء الا بتاييد منه سبحانه ولما كان غالب ما مضى مبنيا على الاموال تارة بالارث وتارة
بالجعل في النكاح حلالا وحراما قال تعالى انتاجا مما مضى بعد ان بين الحق من الباطل وبين ضعف هذا النوع كله
فبطل تعليلهم لمنع النسا والصغار من الارث بالضعف وبعد ان بين كيفية التصرف في النكاح بالاموال وغيرها
حفظا للانساب ذاكرا كيفية التصرف في الاموال تطهيرا للاسباب مخاطبا للادنى الاسنان في الايمان تنزيها نيقا
لغيرهم عن مثل هذا الشان يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان والتزام الاحكام ولما كان الاكل اعظم المقاصد
بالمال وكان العرب يرون التهافت على الاكل اعظم العار وان كان حلالا كنى به عن التناول فقال لا تاكلوا اي
تتناولوا اموالكم اي الاموال التي جعلها الله قياما للناس بينكم بالباطل اي من التسبب فيها باخذ نصيب
النسا والصغار من الارث وبعضل بعض النسا وغير ذلك مما تقدم النهي عنه وغيره ولما نهى عن الاكل بالباطل
استدرك ما ليس كذلك فقال الا ان تكون اي المعاملة المدارة المتداولة بينكم تجارة هذا في قراة الكوفيين
بالنصب وعلى قراة غيرهم الا ان توجد تجارة كاينة عن تراض منكم اي غير منهي عنه من الشارع ولعل الاتيان باداة
الاستثنا المتصل والمعنى على المنقطع للاشارة الى ان تصرفات الدنيا كلها جديرة بان يجري عليها اسم الباطل
ولو لم يكن الابتغا بها تزهيدا فيها وصدا عن الاستكثار منها وترغيبا فيما يدوم نفعه ببقايه وهكذا كل استثنا
منقطع في القران من تامله حق التامل وجد للعدول عن الحرف الموضوع له وهو لكن الى صورة الاستثنا حكمة بالغة
والله الموفق ولما كان المال عديل الروح ونهى عن اتلافه بالباطل نهى عن اتلاف النفس لكون اكثر اتلافهم لها بالغارات
لنهب الاموال وما كان بسببها ونبه بها على ان من اكل ماله ثارت نفسه فادى ذلك الى القتل لانه ربما كان اخرها
القتل فكان النهي عن ذلك انسب شي لما بنيت عليه السورة من التعاطف والتواصل فقال تعالى ولا تقتلوا
انفسكم اي حقيقة بان يباشر الانسان قتل نفسه او مجازا بان يقتل بعضكم بعضا فان الانفس واحدة ولان ذلك
ايضا يؤدي الى قتل نفس القاتل ولا تغفلوا عن حظ انفسكم من التشكر لمن غفل عن حظها فكانها قتلها ثم علل ذلك بما
يلين اقسى الناس فقال ان الله اي مع ماله من صفات العظمة التي لا تدانيها عظمة كان بكم اي خاصة حيث خفف
عليكم ما شدده على من كان قبلكم رحيما اي بليغ الرحمة حيث يسر لكم الطاعة ووفقكم لها فابلغ سبحانه الترغيب
في الامتثال ثم قال ترهيبا من موافقة الضلال ومن يفعل ذلك اي المنهي عنه من القتل وغيره العظيم الابعاد
عن حضرات الاله عدوانا وظلما اي بغير حق وعطفه للوصف بالواو يدل على تناهي كل منهما هذا مع ما في
صيغة الفعلان من المبالغة فكان المراد العدو الشديد المفرط المتجاوز للحدود الناشئ عن العهد وتناهي الظلم
الذي لا شايبة فيه للحق فسوف نصليه نارا اي ندخله اياها بوعد لا خلف فيه وان طال امهاله وكان ذلك
اي الامر العظيم الذي توعده به على الله اي الذي له الجلال والجمال يسيرا اي لانه لا ينقصه من ملكه شيا ولا يمنع منه مانع
ولما بين تعالى ما للفاعل ذلك تحذيرا وكان قد تقدم جملة من الكباير اتبعه ما للمنتهي تبشيرا جوابا لمن كان نزف ان
هذا الفاعل فما للمجتنب فقال على جري عادته ان تجتنبوا اي تجهدوا انفسكم بالقصد الصالح في ان تتركوا تركا
عظيما وتباعدوا كباير ما تنهون عنه اي من اكل المال والقتل بالباطل والزنا وغير ذلك مما تقدم وروى البزار
قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح عن عبد الله يعني ابن مسعود انه سيل عن الكباير فقال ما بين اول سورة
النسا الى راس ثلثين قال الاصبهاني وكل ذنب عظم الشرع الوعيد عليه بالعقاب وشدده او عظم ضرره في
الخمس الضرورية حفظ الدين والنفس والنسب والعقل والمال فهو كبيرة وما عداه صغيرة نكفر عنكم سيا تكم
اي التي هي دون الكباير كلها فان ارتكبتم شيا من الكباير واتيتم بالمكفرات من الصلوات الخمس والجمعة وصوم
رمضان والحج او فرطتم في شي منها فمن الله عليكم بان اتاكم بالمرض كغير ذلك المنافي به الصغاير ولم يف ما ثم تلك الكبيرة
فلم يكفر جميع السيات لعدم انبائه على تلك الكبيرة وندخلكم مدخلا كريما اي يجمع الشرف والعمر والجود وكل
معنى حسن ومن فاته جميع ذلك لم نكفر عنه سياته ولم يدخل هذا المدخل ونكفي في اشقايه حصول القصاص
في وقت ما وقال الامام احمد المسلمون كلهم في الجنة لهذه الاية وقول النبي صلى الله عليه وسلم ادخرت شفاعتي
لاهل الكباير من امتي فان الله تعالى يغفر ما دون الكباير والنبي صلى الله عليه وسلم يشفع في الكباير فاي ذنب
على المسلمين ذكره عنه الاصبهاني وهذا الحديث اخرجه ابو داود والترمذي وغيرهما عن انس رضي الله عنهما ولما
نهى عن القتل وعن الاكل بالباطل بالفعل وهما من اعمال الجوارح ليصير الظاهر طاهرا عن المعاصي الوخيمة نهى طاهرا
عن التمني الذي هو مقدمة الاكل ليكون نهيا عن الاكل بطريق الاولى فان التمني قد لا يكون حسدا او هو المنهي
عنه هنا كما هو ظاهر الاية وهو حرام والرضى بالحرام حرام والتمني على هذا الوجه يجر الى الاكل والاكل يعود الى القتل

فان من يرتفع حول لمن يونسك ان يوافقه والنهي هنا للتحريم عند اكثر العلما فقال ولا تتمنوا اي تتابعوا انفسكم
في ذلك ما فضل الله اي الذي له العظمة كلها فلا ينقصه شي به اي من المال وغيره بعضكم على بعض اي في الارث وغيره من
جميع الفضائل النفسانية المتعلقة بالقوة النظرية كالذكا التام والحدس الكامل وزيادة المعارف بالكمية
والكيفية او بالقوة العملية كالعفة التي هي وسط بين الخمود والفجور والشجاعة التي هي وسط بين التهور والجبن والسخا
الذي هو وسط بين الاسراف والبخل وكاستعمال هذه القوى على الوجه الذي ينبغي وهو العدالة والفضائل البدنية
كالصحة والجمال والعمر الطويل مع اللذة والبهجة او الفضائل الخارجية مثل كثرة الاولاد الصلحا وكثرة العشاير والاصدقا
والاعوان والرياسة التامة ونفاذ القول وكونه محبوبا للناس حسن الذكر فيهم فهذه مجامع السعادات وبعضها
فطرية لا مدخل للكسب فيها وبعضها كسبية ومتى تامل العاقل في ذلك وجده محض عطا من الله لمن يشا وهو غير
ارفع منه في شي من هذه الاحوال تالم قلبه وكانت له حالتان احديهما ان يتمنى حصول مثل تلك السعادة له والاخرى ان
يتمنى زوالها عن صاحبها وهذا هو الحسد المذموم لانه كالاعتراض على الله الذي قسم هذه القسمة فان اعتقد انه احق منه
فقد فتح على نفسه باب الكفر واستجلب ظلمات البدع ومحى نور الايمان فان الله تعالى لما يريد لا يسال عما يفعل
فلا اعتراض عليه وكما ان الحسد سبب للفساد في الدين فهو سبب للفساد في الدنيا فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما
بان ذلك مصلحة ولو كان غير ذلك فسد فان ذلك كل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبيره وعلمه باحوال العباد فيما
يصلحهم ويفسدهم واما تمني المثل فان كان دينيا كان حسنا كما قال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين وان كان
دنيويا فمن الناس من جوز ذلك ومنهم من قال وهم المحققون لا يجوز ذلك لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه
في الدين مضرة في الدنيا لقصة ثعلبة فقول قال معنى ذلك الامام الرازي ولما نهى سبحانه عن ذلك علله بما يحث على السعي في
الاسترزاق والاجمال في الطلب كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه احمد والترمذي وابن ماجه عن شداد بن اوس رضي الله عنه
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكما قال صلى الله عليه وسلم فيما
رواه مسلم والنسائي وابن ماجه عن ابي هريرة رضي الله عنه المومن القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف وفي كل خير
احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك شي فلا تقل لو اني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شا
فعل فان لو تفتح عمل الشيطان فقال مشيرا الى انه لا ينال احد جميع ما يومل للرجال نصيب اي قدر فرغ من تقديره فهو
بحيث لا يزيد ولا ينقص وبين سبحانه انه ينبغي الطلب والعمل كما اشار اليه الحديث فقال مما اكتسبوا اي كلفوا انفسهم
واتبعوها في كسبه من امور الدارين من الثواب واسبابه من الطاعات ومن الميراث والسعي في المكاسب والارباح جعل
ما ذكر تحت طلب ربي لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وللنسا نصيب مما اكتسبن اي كذلك فالتمني يرزقكم
حينئذ غير نافع فالاشتغال به يجر عنا ولما اشار بالتبعيض الى ان الحصول بتقديره لا بالكسب الذي جعله سببا
فانه تارة يثمر وتارة يخيب فكان التقدير فاكتسبوا ولا تعجزوا ولا تطلبوا بالتمني امرا لا قبال في العين وكل شي عليه اشارة الى
تحريك السبب مع الاجمال في الطلب فقال واسالوا الله الذي له جميع صفات الكمال ولما كان سبحانه تعالى عظمته لا ينقص
شي ان جل قال من فضله اي من خزاينه التي لا تنفد ولا ينقصها شي وفي ذلك تنبيه على عدم التعيين لانه ربما كان سبب
الفساد بل يكون الطلب لما هو صلاح واحسن له كما المانور ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
وقنا عذاب النار ثم علل ذلك بقوله ان الله اي الملك الاعظم الذي بيده مقاليد كل شي كان بكل شي عليما اي فكان لعلمه
كل شي قديرا فان كمال العلم يستلزم شمول القدرة كما سيبين ان شا الله تعالى في طه والمعنى انه قد فعل لعلمه ما يصلحكم
تسلوه بعلمه وقدرته ما ينفعكم فانه يعلم ما يصلح كل عبد وما يفسده وعطف على ذلك ما هو من جملة العلة فقال
ولكل اي من القبيلين صغارا كانوا او كبارا جعلنا بعظمتنا التي لا تضاهى موالي اي حكمنا بانهم هم الاوليا اي الانصار
والاقربا لاجل الارث هم الذين يلون المال ويرثونه سوا كانوا عصبة خاصة وهم الوارث او عصبة عامة وهم الملوك
ولما كان للاهتمام بتوريث الصغار اكثر قال مما اي من اجل ما ترك اي خلفه الوالدان اي لكم ثم اتبع ذلك ما يشمل
حتى الاصل والفرع فقال والاقربون اي لكم ثم عطف على ذلك قوله والذين اي ما تركه الذين عاقدت ايمانكم اي بما
ترك منه كونوا لهم بنسب وسبب بالحلف او الولا او الصهر ذكرا ليمين لان العهد يكون مع المصافحة بها ثم سبب عن ذلك
قوله فاتوهم اي الموالي وان كانوا صغارا او اناثا على ما بينت لكم في ايات المواريث السابقة واتركوا كل ما خالف ذلك لا
نقد نسخ بها نصيبهم اي الذي فرضناه لهم من الارث موفرا غير منقوص ولا تظنوا ان غيرهم اولى منهم او مساو لهم ثم اكد
من المخالفة واكد الامر وعدا ووعيدا بقوله ان الله اي المحيط بصفات الكمال كان على كل شي شهيدا اي فهو يعلم
الولي من غيره والخاين من غيره وان اجتهد في الاخفا لانه لا يخفى عليه شي لانه لا يغيب عن شي ولا يغيب عنه شي فالمعنى انا لم
نفعل سوى ما قدمتم من عطا المال لمن يحمي الذمار ويذب عن الحوزة وانتم كنتم غير منزلين حق منازله لغفلتكم عن حقايق
الامور وغيبتها عنكم فانا لم نخرج شيا منه بغير الموالي اي الانصار اما بالقرابة او بالمعاقدة بالولا او المصاهرة والحالف

انه لمن يحمي بالفعل او بالقوة القريبة منه او البعيدة الايلة الى القرب واما التفضيل في الانصبا فامر اسنا ثبوتا
بعلم مستحقيه وفي البخاري في التفسير عن ابن عباس موالي ورثة والذين عاقدت كان المهاجرون لما قدموا المدينة
يرث المهاجري الانصاري دون ذوي رحمه للاخوة التي اخا النبي صلى الله عليه وسلم بينهم ولما نزلت ولكل جعلنا
نسخت ثم قال والذين عاقدت من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له ثم بين سبحانه وجه
استحقاق بعض المفضلين فقال جوابا لسوال من كانه قال ما للرجال فضلوا الرجال قوامون اي قيام
الولاة على النسا في التعليم والتاديب وكل امور ثم بين سببي ذلك بقوله بما فضل الله اي الذي له الحكمة
البالغة والكمال الذي لا يحد اي هبة منه وفضلا من غير تكسب بعضهم وهم الرجال في العقل والقوة والشجاعة
ولذا كان فيهم الانبيا والولاة والامامة الكبرى والولاية في النكاح ونحو ذلك من كل امر يحتاج الى فضل قوة في البدن
والعقل والدين على بعض يعني النسا فقال للرجال انفروا خفافا وثقالا وقال للنسا وقرن في بيوتكن ولما
ذكر السبب الموهبي اتبعه الكسبي فقال وبما انفقوا اي من المهور والكساوي وغيرها من اموالهم اي عليهن
فصارت الزيادة في احد الجانبين مقابلة بالزيادة من الجانب الاخر ولما بان بذلك تفضيلهم فادعت الانفس لما فضلوا
به في الارث وغيره وكان قد تقدم ذكر نكاحهم للنسا والحث على العدل فيهن حسن بيان ما يلزم الزوجات من
حقوقهم وتاديب من تحدث الخلق فقال مسببا لما يلزمهن من حقوقهم عما ذكر من تفضيلهم فالصالحات قانتات
اي مخلصات في طاعة الازواج ولذلك ترتب عليه حافظات للغيب اي لحقوق الازواج من الانفس والبيوت والاموال
في غيبتهم عنهن بما اي بالامر الذي حفظ الله اي المحيط علما وقدرة به غيبتهم بجعله فيه فعل من يحفظه من الترغيب
في طاعتهم فيما يرضي الله والترهيب من عصيانهم فيما يسخطه ورعى الحدود التي اشار اليها سبحانه في البقرة وشرحتها
سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولما عرف بالصالحات لاستحقاق الانفاق في اللوازم اتبعه حكم غيرهن فقال
واللاتي تخافون نشوزهن اي ترفعهن عليكم عن الرتبة التي اقامهن الله بها وعصيانهن لكم فيما جعل الله لكم من الحق
واصل النشوز الارتفاع في ارتفاع قال الشافعي دلالات النشوز قد تكون قولا وقد تكون فعلا فالقول مثل ان
كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له بالقول اذا خاطبها ثم تغيرت والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها
او كانت تسارع الى امره وتبادر الى فراشه باستبشار اذا التمسها ثم انها تغيرت فحينئذ ظن نشوزها ومقدمات
هذه الاحوال توجب خوف النشوز فعظوهن اي ذكروهن من امر الله بما يصدع قلوبهن ويرققها ويخيفهن
من جلال الله ولما كان الوعظ موجبا لتحقق الطاعة او المعصية قال واهجروهن اي ان لم يرجعن بالوعظ في المضاجع جمع
اي التي كنتم تبيتون معهن فيها من البيت وفي ضمن الهجر امتناعه من كلامها قال الشافعي ولا يزيد في هجرة الكلام على ثلاث
واضربوهن اي ان اصررن ضرب تاديب غير مبرح وهو ما لا يكسر عظما ولا يشين عضوا ويكون مفرقا على بدنها
ولا يوالي به في موضع واحد ويتقي الوجه لانه مجمع المحاسن ويكون دون الاربعين قال الشافعي الضرب مباح وتركه افضل
فان اطعنكم اي بشي من الوعظ او الهجر في موضع المبيت من البيت او الضرب فلا تبغوا اي تطلبوا عليهن سبيلا
اي طريقا الى الاذى على ما سلف من العصيان من توبيخ على ما سلف ونحوه بما لكم عليهن من العلو بل اعفوا لهن
ما سلف ولا يحملنكم ما منحكم الله من العلو على المنافسة ثم علل ذلك بقوله ان الله اي وقد علمتم ما له من الكمال
كان ولم يزل عليا كبيرا اي له العلو والكبر على الاطلاق بكمال القدرة ونفوذ المشية فهو لا يحب الباغي ولا يقره على
بغيه وقدرته عليكم اعظم من قدرتكم عليهن وهو مع ذلك يعفو عن عصاه وان ملا الارض خطايا اذا اطاعه
ولا يواخذه بشي مما فرط في حقه بل يبدل سياته حسنات فلو اخذكم بذنوبكم اهلككم فتخلقوا بما قدرتم عليه
من صفاته التي لنا الواجبة هيابته وخافوا سطواته واحذروا عقوبته بما له من العلو والكبر ولما بين حال الوفاق
وما خالطه من سي الاخلاق التي يقوم باصلاحها الزوج اتبعه حال المباينة والشقاق المحوج الى من ينصف احدهما
من الاخر فقال وان خفتم اي ايها المتقون القادرون على الاصلاح من الولاة وغيرهم شقاق بينهما اي
الزوجين المفهومين من السياق بكون كل واحد منهما في شق غير الشق الذي فيه الاخر ولا يكون ذلك الا واحدهما
على باطل واضاف الشقاق الى البين ليفيد ان هذا الحل انما يكون عند الخوف من شقاق خاص وهو ان يكون البين
المضاف اليهما وهو الذي يميز كل واحد منهما من الاخر لا تمكن في العادة ازالته ليكونا شيا واحدا كما كانا بين لحمهما
وذلك يبطن انه لا صلاح في اجتماعهما فابعثوا اي اليهما للاصلاح بينهما بانصاف المظلوم من الظالم حكما
من اهله اي الزوج وحكما من اهلها اي الزوجة هذا الكل لان اهلهما اقرب الى ازالة اسباب الشقاق من بينهما
لانهم احدر بالاطلاع على بواطن امورهما وعلى خفايا احوالهما والدواعي اقرب الى اطلاعهما ان كانا قريبين على
ضمايرهما واقرب الى اخفا ذلك عن الاجانب وفايدة الحكمين ان يخلو كل منهما بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال
ليعرف وجه الصلاح ثم اجاب من كانه قال وما ذا عسى ان يصنعا بقوله ان يريدا اي الحكمان اصلاحا اي بينهما

وكأنه نكره لان الاخلاص ووجود الكمال قليل يوفق الله الذي له الاحاطة بعلم الغيب والشهادة بينهما اي الزوجين في اصلاح
النية اكبر معين على بلوغ المقاصد وهذا دال على انه لا يكون شيء الا بالله وان الاسباب انما هي بجعله من الله يسعد بها
من يباشرها ويعتمد على الله دونها ويشقى بها من يجعلها محط قصده فيعتمد عليها ولما كان الصلح قد يبطن بفسد الصدر
بمرارة الحق من غير مداراة والمفسد قد يعد مصلحا لما يرى منه من المداهنة والمراياة والمكر فيبطن من يخلف الوعد بالتوفيق
غير ما في نفس الامر قال تعالى مزيلا لهذا الوهم مرغبا ومرهبا ان الله اي المحيط بجميع صفات الكمال كان عليما اي مطلقا
على ما يمكن الاطلاع عليه وان غاب عن غيره خبيرا اي لا يخفى عليه من ذلك خفي ولا يغيب عنه خبي فصارت هذه الايات
كفيلة بغالب احوال النكاح ولم يذكر سبحانه الطلاق عندما ذكر الشقاق لتقدمه في البقرة ولان مبنى هذه السورة
على التواصل والائتلاف دون التفاصل والاختلاف خصت من حكم تشاجر الزوجين بالاعلام بصورة الاصلاح والمعدلة
ابقا لذلك التواصل فلم يكن الطلاق ليناسب هذا فلم يقع له هنا ذكر ولا ايما الا قوله وان يتفرقا يغن الله كلا من
سعته انتهى ولما كثرت في هذه السورة الوصايا من اولها الى هنا نتيجة التقوى العدل والفضل والترغيب في نواله
والترهيب في نكاله الى ان ختم ذلك بارشاد الزوجين الى المعاملة بالحسنى وختم الاية بما هو في الذروة من حسن الختام
من صفتي العلم والخبر وكان ذلك في معنى ما ختم به الاية الامرة بالتقوى من الوصف بالرقيب اقتضى ذلك تكرير التذكير
بالتقوى التي افتتحت السورة بها فكان التقدير حتما فاتقوه عطف عليه او على نحوه واسئلوا الله من فضله او على اتقوا
ربكم للخلق المقصود من الخلق المبثوثين على تلك الصفة وهو العبادة الخالصة التي هي الاحسان في معاملة الخالق له
واتبعها الاحسان في معاملة الخلائق فقال واعبدوا الله اي اطيعوا الذي له الكمال كله فلا يشبهه شيء طاعة محضة
من غير شائبة خلاف مع الذل والانكسار لان ملاك ذلك كله التعبد بامتثال الاوامر واجتناب الزواجر ولما كان
سبحانه غنيا لم يقبل الا الخالص فقال موكدا لما افهمه ما قبله ولا تشركوا به شيئا ولما امر للواحد الحقيقي
بما ينبغي له وكان لذلك درجتان اولاهما الايمان واعلاهما الاحسان فصار المامور بذلك مخلصا في عبادته امره
بالاحسان في خلافته وبدا باولى الناس بذلك وهو من جعله سببا لايجاده فقال مشيرا الى انه لا يرضى له من ذلك
الا درجة الاحسان والى من اخلص له اغناه عن كل ما سواه فلا يزال منعما على من عاداه وبالوالدين اي واحسنوا بهما
احسانا ولعل دلالته على تعظيم امرهما جعل بدءهما قرين الامر بتوحيده سبحانه ولما كان مبنى السورة على الصلة لذوي
الرحم قال مفصلا لما ذكر اول السورة تاكيدا له وبذي القربى لتاكد حقهم بمزيد قربهم ولاقتضا هذه السورة مزيد
الحث على التعاطف اعاد الجار ثم اتبع ذلك من تجب مراعاته لله او للمعنى بقصد بالاخلال به ذات البين وبدا بما لله
لانه اذا صح تبعه غيره فقال واليتامى والمساكين اي وان لم تكن رحمهم معروفة وخصهم لضعفهم وقدم اليتيم لانه
اضعف لصغره بضعف عوده في حاجته ورفعها الى غيره والجار ذي القربى اي لان له حقين والجار الجنب اي الذي
لا قرابة له للبلوى بحسرته خوفا من بالغ مضرته اللهم اني اعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادية
يتحول والصاحب بالجنب اي الملاصق المخالط في امر من الامور الموجبة للامتداد لعشرة وابن السبيل اي المسافر
لغربته وقلة ناصره ووحشته وما ملكت ايمانكم اي من العبيد والاما لعل ذلك فان الاحسان اليهم طاعة عظيمة اخر ما
تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة وما ملكت ايمانكم ولما ذكر الاحسان الذي عماده التواضع والكرم ختم الاية ترغيبا
فيه وتحذيرا من ضده معللا للامر به بقوله ان الله اي بما له من الاسما الحسنى والصفات العلى لا يحب اي لا يفعل فعل
المحب مع من كان مختالا اي متكبرا متعجبا بنفسه متزينا بحليته مرائيا بما اتاه الله من فضله على وجه العظمة واحتقار
الغير يانف من ان ينسب ليرافقا ربما الفقرا او يعد رحيرا انه اذا كان متواضعا فلا يحسن اليهم لئلا يلموا به فيعيرهم
ولما كان المختال ربما احسن رئيا قال معلما انه لا يقبل الا الخالص فخورا مبالغا في التمدح بالخصال يانف من عشرة
الفقرا وفي ذلك اتم ترهيب من الخلق المانع من الاحسان وهو الاختيال على عباد الله والافتخار عليهم ازدرا بهم
فانه لا مقتضي لذلك لان الكل من نفس واحدة والفضل نعمة منه سبحانه تجب شكرها بالتواضع لتدوم وتحذر
كفرها بالفخار خوفا من ان تزول ولما كان الاختيال والفخر دالين على الفرح بالاعراض الفانية والركون اليها
والاعتماد عليها فكانا حاملين على البخل خوفا من زوالها قال واصفا لهم بجملة من الاخلاق الردية الجلية ذلك
مفتتحا وصفها الذين يبخلون اي يوقعون البخل بما حملهم من المتاع الفاني على البخار وقصره ليعم كتم العلم ونحوه ثم تلي ذلك
باسوا منه فقال ويامرون الناس بالبخل مغتنا للسخا وفي التعبير بما هو من التوسل اشارة الى انهم لا يحلفون اطاعهم
بذلك الا بذوي لهم السافلة والرتب القاصرة ويحتمل ان يكون الامر كناية عن حملهم غيرهم على البخل بما يرى
من اجتنابهم وافتخارهم عليهم ثم اتبع ذلك اخبث منه وهو الشح بالكلام الذي يجني بنفسه وجحد النعمة واظهار
الافتقار فقال ويكتمون ما اتاهم الله الذي له الجلال والاكرام من فضله اي من العلم جاحدين ان يكون لهم شيء يجودون
به قال الاصبهاني ثم ان هذا الكتمان قد يقع على وجه يوجب الكفر مثل ان يظهر الشكاية لله ولا يرضى بالقضا ثم عطف على

ان الله لا يحب ملتفتا الى مقام التكلم دلالة على تناهي الغضب وتعيينا للمتوعد مصرحا بمظهر العظمة الذي دل
عليه هناك بالاسم الاعظم قوله واعتدنا اي احضرنا وهيأنا وكان الاصل لهم ولكنه قال تعميما وتعليقا للحكم بالوصف
واعلاما بان ذلك حامل على الكفر للكافرين اي بفعل هذه الفعال فعلا حقيقيا بما اوصلهم اليه لزوم الاخلاق الدنية
اوجحدا بالكتمان النعمة عذابا مهينا اي بما اغتروا بالمال الحامل على الفخر والكبر والاختيال لا يدخل الجنة من كان في حبه
مثقال حبة من كبر ولما ذم المقترين اتبعه ذم المسرفين المبذرين فقال عطفا على الكافرين او الذين يبخلون معرفا ان الذين
لا يحسنون على الوجه المامور به فيمن تقدم الامر بالاحسان اليهم فريقان فرقة يمنعون النفقة اصلا وفرقة يمنعون
وصفها ويفعلونها ريا فيعدمون بذلك روحها والذين ينفقون واشار الى عظيم رغبتهم في نفقتهم بقوله اموالهم
ودل على خسة مقاصدهم وسفول هممهم بقوله رئاء الناس اي لقصور نظرهم وتقيده بالمحسوسات كالبهائم التي
لا تدرك الا الجزئيات المشاهدات ولما ذكر اخراج المال على وجه لا يرضاه ذو عقل ذكر الحامل عليه مشيرا الى انهم
حقروا انفسهم بما عظموها به وذلك انهم تعبدوا للعبيد وتكبروا على خالقهم العزيز الحميد فقال ولا يؤمنون
بالله وهو الملك الاعظم ولما كان المامور بالاحسان اليهم هنا من الوالدين ومن ذكر معهم اخص ممن اشير اليهم في البقرة
اكد بزيادة النافي فقال ولا باليوم الاخر الحامل على كل خير والنازع عن كل شر ولما كان التقدير فكان الشيطان قرينهم لكفرهم
باعجابه وكبره عطف عليه قوله ومن يكن الشيطان اي وهو عدوه البعيد من كل خير المحترق بكل ضير له قرينا فانه يحمله على
شر ويبعده عن كل خير والى ذلك اشار قوله فسا قرينا ولما كان التقدير فماذا لهم في الكفر والانفاق ريا من الضرر
نفع يبيده عطف عليه قوله تعنيفا لهم وانكارا عليهم وماذا عليهم اي من حقير الاشيا وجليلها لو امنوا بالله اي الذي
له كل كمال وبيده كل شيء واليوم الاخر الحامل على كل صلاح وانفقوا ولما وصفهم بانفاق جميع اموالهم للعدو والحقير اشار
الى شحهم بما هو لله العلي الكبير بشيء يسير يحصل لهم به خير كثير فقال مما رزقهم الله اي الذي له كل كمال فهو الغني المطلق
والجواد الباهر ولما كان التقدير فقد كان الله عليهم لما يذروا اموالهم قديرا عطف عليه قوله وكان الله المحيط بالكمال
بهم اي في كلتا الحالتين عليما اي بليغ العلم وللاعلام بعظمة العلم بهم قدم الجار المفيد للاختصاص في غير هذا الموضع
ولما فرغ من توبيخهم قال معللا ان الله اي الذي له كل كمال فهو الغني المطلق لا يظلم اي لا يتصور ان يقع منه ظلم ما مثقال
ذرة اي لما دونها وانما ذكرها لانها كناية عن العدم لانها مثل في الصغر اي فلا ينقص احدا شيئا مما عمله ولا يثيب عليه
شيئا لم يعمله لما ذا على من امن به وهو بهذه الصفة العظمى ولما ذكر التخلي من الظلم اتبعه التحلي بالفضل فقال عاطفا على
ما تقديره فان تك الذرة سيئة لم يزد عليها ولا يجزي بها الا مثلها وان ولما كان تشوف السامع الى ذلك عظيما
حذف منه النون لعدم حذف المعطوف عليه تقريبا للمرامه فقال تك اي مثقال الذرة وانثه لاضافته الى مونث
وتحقيرا له ليعم بتضعيف ما فوقه من باب الاولى وهذا يطرد في قراءة الحرميين برفع حسنة اي وان صغرت يضاعفها
اي يجعلها بعشرة امثالها الى سبعين الى سبعمائة الى ازيد من ذلك بحسب ما يعلم من حسن العمل بحسن النية ويؤت
من لدنه اي من عزيز ما عنده فضلا من غير عمل لمن يريد قال الامام وبالجملة فذلك التضعيف اشارة الى السعادات
الجسمانية وهذا الاجر الى السعادات الروحانية اجرا عظيما وسماه اجرا وهو من غير جنس تلك الحسنة لانه يتاتي على
الايمان اي لمن كان هذا شانه لا يسوغ لعاقل توجيه الهمة الا اليه ولا الاعتماد اصلا بانفاق وغيره الا عليه ولما تم تحذيره
من اليوم الاخر وما ذكره من اظهار العدل واستقصا به فيه كان سببا للسوال عن حال المبكتين في هذه الايات اذ ذاك
فقال فكيف اي يكون حالهم وقد حملوا امثال الجبال من مساوي الاعمال اذا جئنا على عظمتنا من كل امة بشهيد
اي يشهد عليهم وجئنا بك وانت اشرف خلقنا على هولا اي الذين ارسلناك اليهم وجعلناك شهيدا عليهم شهيدا
وفي التفسير من البخاري عن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا علي قلت اقرا عليك وعليك
انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري فقرات عليه سورة النساء حتى بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هولا شهيدا قال امسك فاذا عيناه تذرفان ثم استانف الجواب عن ذلك بقوله يومئذ اي يوم
الاشهاد يود الذين كفروا اي ستروا ما تهدي اليه العقول من اياته وبين انهم مخاطبون بالفروع في قوله وعصوا
الرسول بعد ستر ما ظهر من بيناته لو تسوى بهم الارض اي تكون مستوية معتدلة بهم ولا تكون كذلك الا وقد
غيبتهم واستوت بهم ولم يبق فيها شيء من عوج ولا شيء بسبب احد منهم ولا شيء من اجسامهم وانما ودوا ذلك خوفا
مما يستقبلهم من الفضيحة بعتابهم ثم الاهانة بعقابهم ولما كان التقدير فلا تستوي بهم عطف عليه قوله ولا يكتمون
الله اي الملك الاعظم حديثا اي شيئا احدثوه بل يفتضحون بسبب اخبارهم ويحملون جميع اوزارهم جزاء لما كانوا يكتمون
من اياته وما نصب للناس من بيناته ولما وصف الوقوف بين يديه في يوم العرض والاهوال الذي ذب فيه سطوة
الكبريا والجلال الى تمني العدم ومنعت قوة يد القهر والجبروت كتم حديثا وتضمن وصفه انه لا يجوز فيه الا من
كان طاهر القلب والجوارح بالايمان به والطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم وصف الوقوف بين يديه في الدنيا

في مقام الانس وحضرة القدس المنجي من هول الوقوف في ذلك اليوم والذي خطرت معاني اللطف وفيه الالتفات الى غيره
وامر بالطهارة في حال التزين به عن الجنابة فقال يا ايها الذين آمنوا اي اقروا بالتصديق بالرسل وما اتوا به عن الله
واوله واولاه ان لا تشركوا به شيئا من الاشراك لا تقربوا الصلاة اي بان لا تكونوا في موضعها فضلا عن ان تفعلوها وانتم
اي والحال انكم سكارى اي غائبوا العقل من خمر او نحوها فانه يوشك ان يسبق اللسان فيمكن الشيطان بزوال العقل
الى شيء من الاشراك فيكون شركا لسانيا وان كان القلب مطمئنا بالايمان فيوشك ان يعرض ذلك عليه يوم الوقوف
الاكبر فان من اثم ببينة به لا يكتم حديثا فيود من نطق لسانه بذلك لما لا يحصل له من الالم لو كان من اهل العدم واصل
السكر في اللغة سد الطريق وسبب نزولها ما رواه مسدد باسناد قال شيخنا البوصيري رجاله ثقات عن علي رضي
الله عنه ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فسقاهما قبل ان حرم الخمر فامهم علي رضي الله عنه
في المغرب وقرأ قل يا ايها الكافرون فنزلت هكذا رواه وقد رواه اصحاب السنن الثلاثة واحمد وعبد بن حميد والبزار
والحاكم والطبري فبينوا المراد وهو ان الذي صلى بهم قرأ اعبد ما تعبدون وفي رواية الترمذي ونحن نعبد ما تعبدون
ولما افهم النهي عن قربانها في هذا الحال زواله بانقضائه صرح به في قوله حتى اي ولا يزال هذا النهي قائما حتى تعلموا بزوال
السكر ما تقولون فلا يقع منكم حينئذ شيء بل وعند الشافعي ان المراد بالصلاة نفسها وموضعها وهو المسجد وذلك
من دلائله على استعمال الشيء في حقيقته ومجازه فنهى السكران ان يصلي الى ان يفهم اي يصحو ونهى كل احد ان يكون في
المسجد وهو جنب بقوله عطفا على محل وانتم سكارى ولا اي ولا تقربوا الصلاة بالكون في محالها فضلا عنها جنبا
اي ممنين بالفعل او القوة القريبة منه بالتقاء الختانين لان الجنابة المني سواء كان عن جماع او لا في حال من الاحوال الجنابة
الا عابري سبيل اي مارين مرورا من غير مكث ولا صلاة ولما غيى منع الجنابة بقوله حتى تغتسلوا اي تغسلوا البدن
عما وكان للانسان حالان يتعسر او يتعذر فيهما غالبا استعمال الما ذكرهما فقال مرتبا لها على الاحوج الى الرخصة
فالاحوج وان كنتم مرضى اي بجراح او غيرها مرضا يمنع من طلب الما او استعماله او على سفر كذلك سواء كان السفر طويلا
او قصيرا او جا احد منكم اي ايها المومنون ولو كان حاضرا صحيحا من الغائط اي المكان المطمئن من الارض الواسع الذي يقصد
للتخلي اي او جا من التخلي بقضاء حاجته التي لا بد له منها فهو بها احوج الى التخفيف مما بعده ولما تقدم امر الجنابة التي هي المني
اعم من ان تكون بجماع او غيره ذكر هنا ما يعمها وغيرها من وجه فقال او لامستم النسا اي بمجرد التقاء البشرتين او بالجماع
سواء حصل انزال او لا واخر هذا الاثر لما منه بد ولا يتكرر تكرر قضاء الحاجة فلم تجدوا ما اي ما يفقده او بالعجز عن استعماله
فتيمموا اي اقصدوا واقصدوا اصادقا بان تلابسوا انا و بن صعيدا اي ترابا طيبا اي طهورا خالصا فهو بحيث ينبت
والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه فامسحوا اعادة خاصة بنا ولما كان التراب لا يمكن من جميع العضو وان اجتهد
الانسان في ذلك ادخل الباء قاصرا للفعل في قوله بوجوهكم اي وعقوا المسح بها سواء عم التراب منبت الشعر ام لا
وايديكم اي منها كما صرح به في المائدة لا فيه ولا عليه مثلا ليفهم التمحك او ان الحجر مثلا يكفي و الملامسة جوز الشافعي رضي
الله عنه ايضا ان يراد بها المس اي ملاقاة البشرتين الذي هو حقيقة اللمس والجماع الذي هو مسبب عن المس و
هو مماسة خاصة فهو من تسمية الكل باسم البعض حينئذ ولما نهى عما يدني من وقوع صورة الذنب الذي هو جري
اللسان بما لا يليق به سبحانه وخفف ما كان شديدا بالتيمم ختم الاية بقوله ان الله اي الذي اختص بالكمال كان عفوا
اي بترك العقاب على الذنب وكان هذا راجع الى ما وقع حالة السكر غفورا اي بترك العقاب ومحو الذنب حتى لا يذكر بعد
ذلك اصلا وكان هذا راجع الى التيمم فان الصلاة معه حسنة ولولاه كانت سيئة مذكورة ومعاقبا عليها واما على تركها
لمشقة استعمال الما عند التساهل وعلى فعلها بغير طهارة في بعض وجوه التسطيع وذلك معنى قوله تعالى في المائدة
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ومن كانت عادته المغفرة كان متيسرا غير معسر ولما افهم ختام هذه الاية ان التشديد
في الاحكام يكون سببا للاجرام فيكون سببا في الانتقام نزر ذلك بحال اليهود الذين وجب لهم الاصار عذاب النار ولذا
فقال ليكون ذلك مرغبا في تقبل ما مر من التكاليف لليسره ولرجا الثواب ومرهبا من تركها خوفا من العقاب
وليصير الكلام حلوا دائما ممجا بتفصيل نظمه تارة باحكام وتارة باقاصيص عظام فينشط الخاطر ويقوى العزيمة
الم تر او يقال انه لما حذر تعالى فيما مضى من اهل الكتاب بقوله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا
عظيما وكان الى ان انزل هذه فيمن حرف في الصلاة لسانه فقط لا عن عمد الكلم عن مواضعه اتبعها التصريح بالتعجب
من حال المحرفين بالقلب واللسان عمدا عدوانا اجترا على الله الملوح اليهم بالاية السابقة انهم يريدون لنا الضلال
عما هدينا اليه من سننهم فقال تعالى الم تر ولما كانوا محل البعد بما لهم من اللعن عن حضرتنا الشريفة عبر باداة
الانتهاء بعد روية كانت لرويته وقلبية فقال الى الذين اوتوا او حقرا مرهم بالبنا للمفعول وبقوله نصيبا من الكتاب
اي كشاس بن قيس الذي دار الخلف بين الانصار وفي ذلك ان قل شي من الكتاب يكفي في ذم الضلال لانه كاف في
الهداية يشترون اي يتكلفون ويلجون بما هم فيه من رياسة الدنيا من المال والجاه ان ياخذوا الضلالة معرضين

عن

عن الهدى عين ذاكر به بوجه وسبب كثير من ذلك ما في دينهم من الاصار والاثقال كما اشار اليه قوله تعالى فخلف من
بعدهم خلف اضاعوا الصلاة اي بسبب ما شدد عليهم فيها بانها لا تفعل الا في الموضع المبني لها وبغير ذلك من
انواع الشدة وكذا غيرها المشار اليه بقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وغير ذلك ومن اعظمه ما يخفون من صفة
النبي صلى الله عليه وسلم ليتقربوا بذلك الى اهل دينهم وياخذوا منهم الرشا على ذلك ويجعلوهم عليهم روسا ولما ذكر
ضلالهم المتضمن لاضلالهم اتبعه ما يدل على اغراقهم فيه فقال مخاطبا لمن يمكن توجيه هممهم بالاضلال اليه ويريدون
ان تضلوا اي يا ايها الذين آمنوا السبيل حتى تساووهم فلذلك يذكرونكم بالاحقاد والاضغان والانكاد كما فعل شاس
لا يخيبونكم ويلقون اليكم الفتنة فالله اعلم بهم حيث حذركم منهم بقوله لا يالونكم خبالا وما بعده الى هنا والله اي المحيط
علمه وقدرته اعلم اي من كل احد باعدائكم اي كلهم هولاء وغيرهم بما يعلم من البواطن لمن حذركم منه كاينا من كان فاحذروه
ولما كان كل من قبيلتي الانصار قد والى اناسا من اليهود ليعتزوا بهم ويستنصروهم قال تعالى قاطعا لهم عن موالاتهم وكفى
اي والحال انه كفى به هكذا كان الاصل ولكنه اظهر الاسم الاعظم لتستحضر عظمته فيستهان امر الاعدا فقال بالله وليا
اي قريبا يحمل جميع ما يفعله القريب الشفيق ولما كان الولي قد يكون فيه قوة النصرة والنصير قد لا يكون له شفقة الولي وكانت
النصرة اعظم ما يحتاج الى الولي فيه افردها بالذكر اعلاما باجتماع الوصفين مكررا الفعل والاسم الاعظم اهتماما بامرها
فقال وكفى بالله اي الذي له العظمة كلها نصيرا اي لمن والاه فلا تضره عداوة احد فثقوا بولايته ونصرته دونهم ولا
تبالوا باحد منهم ولا من غيرهم فهو يكفيكم الجميع ولما قربت هذه الايات الدواعي على تخيير هولا الذين يريدون الاضلال
قال بعد الاعتراض بما بين المبين والمبين من الجمل لمزيد الاهتمام به من الذين هادوا ثم بين ما يضلون به ويضلون بقوله
ويجوز ان يكون استينافا فالمعنى بعضهم او منهم من يحرفون الكلم اي الذي اتى به شرعهم من صفة النبي الامي صلى الله عليه وسلم
وصفة دينه وامته وغير ذلك فيما يرون تحريفه لغرض فيقا العون في امالته وتغييره عن حده وطرقه الى حد آخر مجاوز
عن ولما كانت الكلمة اذا غيرت شبهها الكلام وهو المقصود بالذات نبه على ذلك بتذكير الضمير فقال مواضعه
اي التي هي اليق فيتم ضلالهم واضلالهم وهو يشمل ما اذا كان المعنى المغير اليه بعيدا عن المغير او قريبا فالذي في
المائدة اخص ولما كان سبحانه عالما بجميع تحريفهم اشار اليه بالعطف على ما تقديره فيقولون كذا ويقولون كذا
ويقولون سمعنا اي ما تقول وعصينا موهمين انهم يريدون ان ذلك حكاية ما وقع لاسلافهم قديما وانما يريدون
انهم هم سمعوا ما تقول وخالفوه عمدا ليتيقن من سمع ذلك انهم على بصيرة في المخالفة بسبب ما عندهم من العلم الرباني
ليورثه ذلك شكا في امره وحيرة في شانه واسمع حال كونك غير مسمع موهمين عدم اسماعه ما يكره من قولهم فلان
اسمع فلان الكلام وانما يريدون الدعا كما يقال اسمع لا سمعت وراعنا موهمين ارادة المراعاة لهم والاقبال
عليهم وانما يريدون الشتم بالرعونة وقال الاصفهاني ويحتمل شبه كلمة عبرانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا
سخرية بالدين وهزءا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به
التوقير والاكرام ولذلك قال ليا بالسنتهم اي صرفا لها عن مخارج الحروف التي يحق لها في العربية الى ما يفعله العبرانيون
من تخليط بعض الحروف وشوب بعضها بغيره لارادة معان عندهم قبيحة مع احتمالها لارادة معان غير تلك يقصد
العرب مليحة وطعنا في الدين اي بما يفهمونه لمن يطمعون فيه من تلك المعاني الخبيثة ولما ذكر هذه الكلمات الموجهة
بين ما كان عليهم لو وفقوا فقال قاطعا حجتهم ولو انهم قالوا في الجواب له صلى الله عليه وسلم سمعنا واطعنا
اي بدل الكلمة الاولى واسمع وانظرنا بدل ما بعدها لكان اي هذا القول خيرا لهم اي من ذلك لعدم استجلابهم
الاثم واقوم اي لعدم احتمال الذم ولكن لعنهم الله اي طردهم الذي له جميع صفات العظمة والكمال وابعدهم عن الخير
بكفرهم اي بدناءتهم بما يخطون من انوار الحق ودلائل الخير فلم يقولوا ذلك ولما تسبب عن طردهم استمرار كفرهم قال
فلا يومنون اي يجددون لهم ايمانا الا قليلا اي منهم استثنا من الواو فانهم يومنون وهو استثنا مفرغ من مصدر
يومن اي منا بما انهم ببعض الايات التي لا ينفعهم لكفرهم بغيره ولما بكتهم على تعللهم وقولهم وصرح بلعنهم خوفهم
اظهار ذلك في الصور المحسوسة فقال مقبلا عليهم ايثار الغضب يا ايها الذين مناديا لهم في محل البعد اوتوا الكتاب
ولم يسند الايتا اليه تحقيرا لهم ولم يكتف بنصيب منه لانه لا يكفي في العلم بالمصادقة الا الجميع آمنوا بما نزلنا اي بما لنا
كما نزلنا التوراة كذلك على ما لنا من العظمة التي ظهرت في اعجازه واخباره بالمغيبات ودقائق العلوم مما عندكم
وغيره على رسالته وابجاده واعلم بعنادهم وحسدهم بقوله مصدقا لما معكم من حيث انهم له مستحضرون
وبه في حد ذاته مقرون ولما امرهم وقطع حجتهم حذرهم فقال خففا عنهم بالاشارة بحرف الجر الى انه متى وقع منهم
ايمان في زمن ما قبل الطمس اخره عنهم من قبل ان نطمس اي نمحو وجوها فان الطمس في اللغة المحو وهو يصدق
بتغيير بعض الكيفيات ثم سبب عن ذلك قوله فنردها فالتقدير من قبل ان نمحو اثر وجوه بان نردها على ادبارها
اي بان نجعل ما الى جهة القبل من الراس الى جهة الدبر وما الى الدبر الى جهة القبل مع ابقا صورة الوجه على ما هي عليه

او يكون المراد بالرد على الدبر التنقل من حال الى ما دونها من ضدها بجعلها على حال القفا الذي ليس فيها معلم من فم ولا عين
ليكون المعنى بالطمس مسح ما في الوجه من المعاني قال ابن هشام نطمس نمسحها فنسويها فلا يرى فيها عين ولا انف
ولا فم ولا شيء مما يرى في الوجه وكذلك فطمسنا اعينهم المطموس العين الذي ليس بين جفنيه شيء ويقال طمست
الكتاب والاثر فلا يرى منه شيء ويكون الوجه في هذا التقدير على حقيقته ثم خوفهم نوعا اخر من الطمس فقال
عاطفا على نردها او نلعنهم اي نبعدهم جدا عن صورة البشر بان نقلب وجوههم او الجميع ذواتهم على صورة القردة
كما لعنا اصحاب السبت اذ قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ويكون الوجه في هذا التقدير الاخير عبارة عن الجملة فهو ذ
مما استعمل في حقيقته ومجازه ويجوز ان يكون واحدا او جها فيكون عود الضمير اليها استخداما ويكون المراد بالرد على الادبار
جعلهم ادنيا صغرة من الاسافل والله اعلم ولما كان ذلك امرا غريبا ومقدورا عجيبا وكان التقدير فقد كان امر الله
فيهم بذلك كما علمتم نافذا اتبعه الاعلام بان قدرته شاملة وان وجوه مقدوراته لا تنحصر فقال عاطفا على ما
قدرته وكان امر الله اي حكمه وقضاؤه ومراده في كل شيء شاءه منهم ومن غيره بذلك وبغيره لان له العظمة التي لا حد لها
والكبرياء التي تعيي الاوصاف دونها مفعولا اي كائنا حتما لا تخلف له اصلا فلا بد من وقوع احد الامرين ان لم يؤمنوا
وقد امن بعضهم فلم يصح انهم لم يؤمنوا لانه قد وقع منهم ايمان ولما كان مع ارتكابهم العظائم يقولون سيغفر لنا
وكان امتثالهم لتحريف احبارهم ورهبانهم شركا بالله كما قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
قال معللا لتحقيق وعيدهم معلما ان ما اشير اليه من تحريفهم اداهم الى الشرك ان الله اي الجامع لصفات العظمة لا يغفر
ان يشرك به اي على سبيل التجديد المستمر الى الموت سواء كان المشرك من اهل الكتاب ام لا وزاد ذلك حسنا انه في سياق
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ولما اخبر بعدله اخبر بفضله فقال ويغفر ما دون ذلك الامر الكبير العظيم من كل
معصية سواء كانت صغيرة ام كبيرة سواء تاب فاعلها او لا ورهب بقوله اعلاما بانه مختار لا يجب عليه شيء لمن يشاء ولما
كان التقدير فان من اشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عطف عليه قوله ومن يشرك اي يوجد منه شرك في الحال او المآل
واما الماضي فتجبه التوبة بالله اي الذي كل شيء دونه فقد افترى اي تعمد كذبا اثما عظيما اي ظاهرا في نفسه من جهة
نفسه انه قد ملا اقطار نفسه وقلبه وروحه وبدنه مظهرا للغير انه اثم فهو في نفسه مناد بانه باطل مضر فلم يدع للصلح
موضعا فلم تقتض الحكمة العفو عنه لانه قادح في الملك وانما طوى مقدمة الضلال وذكر مقدمة الافتراء لكون السياق
لاهل الكتاب الذين ضلالهم على علم منهم وتعمد وعناد بخلاف ما يأتي عن العرب وفي التعبير بالمضارع استكفاف
مع استعطاف واستجلاب في سترها ب ولما كان في ذلك اشارة الى ان المراد بهذه الايات من اهل الكتاب اضل
الناس وكانوا يقولون انهم اهدى الناس عجب منهم منكرا عليهم بعدا فترائهم تزكيتهم انفسهم فقال الم تر وابعدهم
بقوله الى الذين يزكون انفسهم اي بما ليس لهم من قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقولهم لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى وقوله ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما فان
ابعاد غيرهم في الميل مصحح لتزكيتهم انفسهم بالباطل ونحو ذلك مما تقدم وغيره ولما كان معنى الانكار ليس لهم ذلك لانهم
كذبوا فيه وظلموا اشار اليه بقوله بل الله اي الذي له صفات الكمال يزكي من يشاء اي بما له من العلم التام والقدرة الشاملة
والحكمة البالغة والعدل السوي بالثناء عليه وبخلق معاني الخير الظاهرة فيه لتنشأ عنها الاعمال الصالحة فاذا زكى احدا من صفيا
بشيء كالنبوة وكان له ان يزكي نفسه بذلك حملا على ما ينفع الناس به عن الله ولا اي والحال ان الذي يزكيهم او يدسيهم يظلمون
فتيلا اي مقدار ما في شق النواة من ذلك الشيء المفتول اي قليلا ولا كثيرا لانه عالم بما يستحقون وهو الحكم العدل الغني
عن الظلم لان له صفات الكمال ولما اخبر تعالى ان التزكية انما هي اليه بما له من العلم الشامل وكان ذلك امرا لا نزاع فيه وشهد
عليهم بالضلال وثبتنا ان ذلك كلامه بما له من الاعجاز في حالتي الاطناب والايجاز ثبت كذبهم تزاد في توبيخهم فقال
منبها لرسوله صلى الله عليه وسلم من وقاحتهم واجترائهم على من يعلم كذبهم ويقدر على معاجلتهم بالعذاب مبينا انه
صلى الله عليه وسلم في الحضرة بعد بيان بعدهم انظر كيف يفترون اي يتعمدون على الله اي الذي لا يخفى عليه شيء ولا يعجزه شيء
الكذب كما من غير خوف منهم لذلك عاقبة وكفى اي والحال انه كفى به اي بهذا الكذب اثما مبينا اي واضحا في نفسه
ومناديا عليها بالبطلان ولما عجب من كذبهم دل عليه بقوله الم تر وكان الاصل اليهم ولكنه قال لزيادة التقريع والتبكيت
والاعلام بان كفرهم عناد لكونه عن علم الى الذين وعبر بالى دلالة على بعدهم عن الحضرات الشريفة اوتوا نصيبا اي
من الكتاب اي الذي هو الكتاب في الحقيقة لكونه من الله يؤمنون بالجبت وهو الصنم والكاهن والساحر والذي لا
خير فيه وكل ما عبد من دون الله والطاغوت وهو اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل راس ضلال والاصنام
وكل ما عبد من دون الله وكل هذه المعاني تصح ارادتها هنا وهي مما نهي عنه في كتابهم واصله ومداره مجاوزة الحد
عدوانا وهو واحد وقد يكون جمعا قال تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والحال ان اقل نصيب من الكتاب
كاف في النهي عن ذلك وتكفير فاعله ولما دل على ضلالهم بقوله معبرا بصيغة المضارع دلالة على عدم توبتهم ويقولون

للذين

للذين كفروا اودل بالتعبير بالارشاد دون الخطاب على انهم يقولون ذلك حتى في غيبتهم حيث لا حامل لهم على القول الا محض
الكفر هؤلاء اي الكفرة العابدون للاصنام اهدى اي اقوم في الهداية من الذين امنوا اي اوقعوا هذه الحقيقة فيفهم ذمهم
بالتفضيل على الذين يؤمنون ومن فوقهم من باب الاولى سبيلا مع ان في كتابهم من ابطال الشرك وهدمه وعيب مدانيه
وذمه في غير موضع تاكيدا اكيدا وامرا عظيما شديدا ولما انتج ذلك خزيهم قال اولئك اي البعداء عن الحضرات الربانية
الذين لعنهم الله اي طردهم بجميع ما له من صفات الكمال طردا هم جديرون بان يختصوا به ولما كان تقديرهم لهذا القول مثا
المشركين لهم وكان التقدير فيا لها بذلك اللعن الذل والصغار عطف عليه قوله ومن يلعن الله اي الملك الذي له
الامر كله منهم ومن غيرهم فلن تجد له نصيرا اي في وقت من الاوقات اصلا وكرر التعبير بالاسم الاعظم لان المقام يقتضيه
استعار التناهي الكفر الذي هو اعظم المعاصي بتناهي الغضب ولما كان التقدير الذلك كان من لوازمهم الذل والصغار
عطف عليه قوله ام لهم نصيب اي واحد من الانصباء من الملك فاذا اي تسبب عن ذلك انهم اذا كان لهم ادنى نصيب منه
لا يؤتون الناس اي الذين امنوا نقيرا اي شيئا من امور دنيا ولا اخرة من هدى ولا غيره والنقير النقرة في ظهر النواة
فهو كناية عن العدم فهو بيان لانهم لافراط بخلهم لا يصلحون الا لما هم فيه من الذل فكيف بدرجة الملك لان الملك
والبخل لا يجتمعان ام اي بل ليس لهم نصيب ما من الملك بل ذلهم لازم وصفا وهم ابدا كائن دائم فهم يحسدون الناس
اي محمدا صلى الله عليه وسلم الذي جمع فضائل الناس كلهم الاولين والاخرين وزاد عليهم ما شاء الله والعرب الذين
لا ناس الا هم غيرهم لانا فضلناهم على العالمين بان يتميزوا دوام ذلهم كما دام لهم هم ودل على نهاية حسدهم باداة
الاستعلاء في قوله على ما اتاهم الله اي بما له من صفات الكمال من فضله حسدوهم لما راوا من اقبال جدهم وظهور
سعدهم وانهم سادة الناس وقادة اهل الندى والباس ان الغرائز تلقاها الحسدة ولن ترى للئام الناس
حسادا وقد اتاهم الله جميع انواع الملك فانه على ثلاثة اقسام ملك على الظواهر والبواطن معا وهو للانبياء بما لهم
من غاية الجود والكرم والرحمة والشفقة والشجاعة والبر واللطف التي كل منها سبب للانقياد وذلك مع ما لهم بالله
تعالى من تمام الوصلة وملك على الظواهر فقط وهو ملك الملوك وملك على البواطن فقط وهو ملك العلماء
ولما ذمهم سبحانه اولا بالجهل ومدح النفس تشبعا بما لم يعطوا وذلك سبب لجمع النقائص وثانيا باعظم منه منع
الحق من اهله بخلا وثالثا باعظم منهما تمني ان لا يصل الى احد نعمة وان كانت لا تنقصهم تجاوزا بذلك اعلى خلال
الذم وكانت المساوي تضع والمحاسن ترفع تسبب عن هذا توقع السامع لاعلاء العرب واذا من ذل اليهود دوامهم
عندهم قال فقد اي فتسبب عن هذا وتحققه انا قد اتيناهم هكذا كان الاصل ولكنه اظهر للتنبيه على التوصيف
الذي شاركوهم به في استحقاق العطاء بل فقال اتينا اي بما لنا من العظمة ال ابرهيم اي الذين علمنا كم في كتابكم
انا شرفناه انا نخص ذريته وتمديتهم ونجعل ابنه اسمعيل حالا على جميع حدود اخوته ويده في جميع الناس ويد
الكل وبيد كل به الكتاب اي الذي لا كتاب الا هو لما له من الحفظ والفضل بالاعجاز والفصل والحكمة اي النبوة التي ثمرتها
العمل المتقن بالعلم المجرد المحكم واتيناهم مع ذلك ملكا عظيما اي ضخما واسعا باقيا الى ان تقوم الساعة فمنهم
اي من ال ابراهيم من امن به وهم اغلب العرب ومنهم من صد عنه اي اعرض بنفسه وصد غيره كبني اسرائيل
وبعض العرب ولما كان قد علم من السياق ان الطاعن فيه مبيت محسدة من غيران بصره بامور دينه وكان التقدير
فبان امرهم في الاخرة فحكمنا ان يسحبهم الناس بعد الذل في هذه الدار والهوان والصغار عطف عليه قوله
وكفى بجهنم سعيرا اي توقدا والتهابا في غاية الاحراق والحر والاسراع الى الاذى وفي اية الطاغوت انهم سمحوا
بذل الدين وهو اعز شيء عند الانسان في شهادتهم للكفرة بالهداية وفي اية الملك الايماء الى انهم في الحضيض
من الشح بالخسيس الفاني وفي اية الحسد انه لم يكفهم التوطن في حضيض الشح بما اوتوا من العلى حتى سفلوا عنه الى اسفل
من ذلك بالحسد لمن اتاه الله ما لا ينقصهم ولما انتج لمن صد عنه النار علله بقوله ان الذين كفروا باياتنا اي
ستروا ما اظهرته عقولهم بسببها سوف نصليهم اي بوعيد ثابت وان طال معه الامهال نارا ولما كانت النار
على ما نعهده مفنية ما حفرا استانف قوله ردا لذلك كلما نضجت جلودهم اي صارت بحرها الى حالة اللحم النضيج الذي
اودل ان يؤكل فصار ذات كاللحم الميت الذي يكون في الجرح فلا يحس بالالم بدلناهم اي جعلنا لهم جلودا غيرها اي غير
النضيجة بدلا منها بان اعدناها الى ما كانت عليه قبل تسليط النار كما اذا صغت من خاتم خاتما على غير هيئته فانه هو
الاول لان الفضة واحدة وهو غيره لان الهيئة متغايرة وهكذا الجلد الثاني مغاير للنضيج في الهيئة ليذوقوا اي اصحاب
الجلود المقصودون بالعذاب العذاب اي ليدوم لهم تجدد ذوقه فيتجدد لهم مشاهدة الاعادة بعد البلى كل وقت كما
كانوا تجدد دون التكذيب بذلك كل وقت ليكون الجزاء من جنس العمل فانه لو لم يعد منهم ما رمي لا داه وهيه الى البلى لو بلي
منهم شيء ليبلوا كلهم فانقطع عذابهم ولما كان هذا امرا لم يعهد مثله دل على قدرته عليه بقوله ان الله اي الملك الاعظم كان
ولم يزل عزيزا اي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء حكيما اي يتقن صنعه فجعل عذابهم على قدر ذنوبهم لان عزائمهم كانت

على دوامهم على ما استحقوا به ذلك ما بقوا ولما ذكر الترهيب بعقاب الكافرين اتبعه الترغيب بثواب المؤمنين فقال والذين آمنوا أي أقروا بالإيمان وعملوا بيانا لصدقهم فيه الصالحات سندخلهم أي بوعد لا خلف فيه وربما أفهم التنفيس لهم بالسين دون سوف كما في الكافرين أنهم أقصر الأمم مدة وأنهم أقصرهم أعمارا إراحة لهم من دار الكدر إلى محل الصفا وأنهم يدخلون الجنة قبل جميع الفرق الناجية من أهل الموقف جنات أي بساتين ووصفها بما يديم بهجتها ويعظم نضرتها وزهرتها فقال تجري من تحتها الأنهار أي أن أرضها في غاية الري كل موضع منها صالح لأن تجري منه نهر ولما ذكر قيامها وما به دوامها أتبعه ما تهواه النفوس من استمرار الإقامة بها فقال خالدين فيها أبدا ولما وصف حسن الدار ذكر حسن الجار فقال لهم فيها أزواج والطرد في وصف جميع القلة لمن يحمل الألف والتاء تعدل هنا عن ذلك إلى الوحدة لإفهام أنهن لشدة الموافقة في الطهر لذات واحدة فقيل مطهرة أي ينكر ظهورها لا توجد وقتا ما على غير ذلك ولما كانت الجنان في الدنيا لا تخلو إلا بتمكن الشمس منها وكانت الشمس تنسخ الظل فتخرج إلى التحول إلى مكان آخر وربما أذى حرها أمن من ذلك فيها بقوله وندخلهم أي فيها ظلا أي عظيما وأكده بقوله ظليلا أي متصلا لا فرج فيه منبسطا لا ضيق معه دائما لا تصيبه الشمس يوما ما لا حر فيه ولا برد بل هو في غاية الاعتدال ولما تقدم في هذه السورة الأمر بالإحسان والعدل في النساء والأيتام في الإرث وغيره وفي غير ذلك من الدماء والأموال والأقوال والأفعال وذكر خيانة أهل الكتاب وما أحل بهم لذلك من العقاب وذكر أنه آتى هذه الأمة الملك المقتضي للحكم وآتاهم الحكمة بعد جهلهم وضعفهم أقبل عليهم بلذيذ خطابه بعدما وعدهم على امتثال أمره من كريم ثوابه بما ختمه بالظل الموعود على العدل في حديث سبعة يظلهم الله تحت ظله فقال إن الله أي الذي له صفات الكمال يأمركم أي أيتها الأمة أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها أي من غير خيانة ما كما فعل أهل الكتاب في كتمان ما عندهم والإخبار بغيره والأمانة كل ما وجب لغيرك عليك ولما أمر بما يحق للإنسان في نفسه أمر بما يحق له في معاملة غيره وحقق لهم ما لم يكونوا يرومونه من أمر الملك بقوله بأداة القطع عاطفا شيئا على شيئين وإذا حكمتم وبين عموم ملكهم لسائر الأمم بقوله بين الناس وبين المأمور به بقوله أن تحكموا بالعدل أي السوية بأن تأمروا من وجب عليه حق بأدائه إلى من هو له فإن ذلك من أعظم الصالحات الموجبة لحسن المقيل في الظل الظليل أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل الحديث ولما أخبرهم بأمره زادهم رغبة بقوله إن الله معبرا أيضا بالاسم الأعظم نعما أي نعم شيئا عظيما يعظكم به وحثهم على المبادرة إلى حسن الامتثال بقوله إن الله مكررا لهذا الاسم الشريف ليجتهدوا في الترقي في طهارة الأخلاق إلى حد لم يبلغه غيرهم ولما كان الترغيب في الأمانات لا بد له أن يكون له مزيد سمع وعلم قال كان أي ولم يزل ولا يزال سميعا أي بالغ السمع لكل ما يقولونه جوابا لأمره وغير ذلك بصيرا أي بالغ البصر والعلم بكل ما يفعلونه في ذلك وغيره من امتثال وغيره ولما أمر سبحانه بالعدل ورغب فيه ورهب من تركه أمر بطاعة المنتصبين لذلك الحاملة لهم على الرفق بهم والشفقة عليهم فقال يا أيها الذين آمنوا أي أقروا بالإيمان وبدأ بما هو العمدة في الحمل على ذلك فقال أطيعوا أي بموافقة الأمر تصديقا لدعواكم الإيمان الله أي فيما أمركم به في كتابه مستحضرين ما له من الأسماء الحسنى وعظم رتبة نبيه صلى الله عليه وسلم بإعادة العامل فقال وأطيعوا الرسول فيما أحده لكم في سنته عن الله وبينه من كتابه لأن منصب الرسالة مقتض لذلك ولذا عبر به دون النبي وأولي الأمر منكم أي الحكام فإن طاعتهم فيما لم يكن معصية كما أشير إلى ذلك بعدم إعادة العامل من طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته من طاعة الله عز وجل والعلماء من أولي الأمر أيضا وهم العاملون فإنهم يأمرون بأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولما أبان هذا الحكم الأصول الثلاثة أتبعها القياس فسبب عما تقديره هذا في الأمور البينة من الكتاب والسنة والتي وقع الإجماع عليها قوله فإن تنازعتم في شيء أي لالتباسه فاختلفت فيه آراؤكم فردوه إلى الله أي المحيط علما وقدرة بالتضرع بين يديه بما شرع لكم من الدعاء والعبادة ليفتح لكم ما أغلق منه ويهديكم إلى الحق منه والرسول أي الكامل الرسالة بالبحث عن آثار رسالته من نص في ذلك بعينه أو أولى قياس ودلت الآية على ترتيب الأصول الأربعة على ما هو فيها وعلى إبطال ما سواها وعلم من إفراده تعالى وجمع النبي صلى الله عليه وسلم مع أعلام أمته أن الأدب توحيد الله حتى في مجرد ذكره وأكد البيان لدعوى الطاعة بقوله إن كنتم تؤمنون أي دائمين على الإيمان بتجديده في كل أوان بالله أي الملك الأعظم الذي لا كفؤ له واليوم الآخر الحامل على الطاعة الحاجز عن المعصية ثم دل على عظمة هذا الأمر وعميم نفعه بقوله مخصصا رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك أي الأمر العالي الرتبة خير أي وغيره شر وأحسن تأويلا أي عاقبة أو ترجيعا أو مردا من ردكم إلى ما يقتضيه قويم العقل من غير ملاحظة لآثار الرسالة من الكتاب والسنة فإن في الأحكام ما لا يستقل العقل بإدراكه إلا بمعونة الشرع روى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت هذه الآية أطيعوا الله في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية يعني فأمرهم أن يدخلوا في النار ولما كان التقدير كما أفهمه آخر الآية وأشعر أولها بعد أن جمع الخلق على طاعته بالطريق الذي ذكره فمن أبى ذلك فليس بمؤمن دل عليه بقوله معجبا لخاطبا لأكمل الخلق الذي عرفه الله المنافقين في لحن القول ألم تر وأشار إلى بعدهم عن محل حضرته الشماء بقوله إلى الذين وإلى كذبهم ودوام نفاقهم بقوله

يزعمون أنهم آمنوا أي أوجدوا هذه الحقيقة وأقروها في أنفسهم بما أنزل إليك ودل على أن هذا الزاعم المنافق كان من أهل الكتاب قبل ادعاء الإسلام بقوله وما أي ويزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك أي من التوراة والإنجيل قال الأصبهاني ولا يستعمل أي الزعم في الأكثر إلا في القول الذي لا يتحقق يقال زعم فلان إذا شك فيه فلم يعرف كذبه أو والمراد أن هؤلاء قالوا وافقوا أهو عند من لا يعلم البواطن أهل لأن يشك فيه بدليل أنهم يريدون أن يتحاكموا أي هم وغرماؤهم إلى الطاغوت أي الباطل المعروف في البطلان وقد أي والحال أنهم قد أمروا ممن له الأمر أن يكفروا به في كل ما أنزل من كتابك وما قبله ومتى تحاكموا إليه كانوا مؤمنين به كافرين بالله وهو معنى قوله ويريد الشيطان بإرادتهم ذلك التحاكم أن يضلهم أي بالتحاكم إليه ضلالا بعيدا أي بحيث لا يمكنهم معه الرجوع إلى الهدى وهذه الآية سبب تسمية عمر رضي الله عنه بالفاروق لضربه عنق منافق لم يرض بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة ذكرها الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ولما ذكر ضلالهم بالإرادة ورغبتهم في التحاكم إلى الطاغوت ذكر نحلهم فيهم في نفرتهم عن التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وإذا قيل لهم أي من أي قائل كان تعالوا أي أقبلوا رافعين أنفسكم من وهاد الجهل إلى شرف العلم إلى ما أنزل الله أي الذي عنده كل شيء وإلى الرسول أي الذي تجب طاعته لأجل من أرسله مع أنه أكمل الرسل الذين هم أكمل الخلق رسالة رأيتهم هكذا كان الأصل ولكنه أظهر الوصف الذي دل على كذبهم فيما زعموه من الإيمان فقال رأيت المنافقين يصدون أي يعرضون عنك وأكد ذلك بقوله صدودا أي هو في غاية الطغيان في الصدود ولما تسبب عن هذا تهديدهم قال مهولا لوعيدهم بالإبهام والتعجب منه بالاستفهام معلما بأنهم سيندمون حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار فكيف أي يكون حالهم إذا أصابتهم مصيبة أي عقوبة هائلة بما قدمت أيديهم بما ذكرنا ومن غيره ولما كان الذي ينبغي أن يكون بيننا فضيحتهم بعيدا لأن الكذب عند العرب كان شديدا قال ثم جاؤوك أي خاضعين بما ليست منهم تلك المصيبة حال كونهم يحلفون بالله أي الحاوي لصفات الكمال من الجلال والجمال غير مستحضرين لصفة من صفاته إن أي ما أردنا أي في جميع أحوالنا وسائر أفعالنا إلا إحسانا وتوفيقا أي أن نكون الأمور على الوجه الأحسن والأوفق لما رأينا في ذلك مما خفي على غيرنا وقد كذبوا في جميع ذلك ولما ذكر سبحانه بعض ما يعد منهم من التناقضات وهم غير محتشمين ولا هائبين قال معلما بشأنهم معللا لما يصنع بهم أولئك أي البعداء عن الخير الذين يعلم الله أي الحاوي لنعوت العظمة ما في قلوبهم أي من شدة البغض للإسلام وأهله وإن اجتهدوا في إخفائه عنه تخيلا لما يصنع بهم وإعلاما بأنهم لا يضرون إلا أنفسهم قوله فأعرض عنهم أي عن عقابهم وعن الخشية منهم وعن عتابهم لأنهم أقل من أن يجب لهم حساب وعظهم أي وإن ظننت أن ذلك لا يؤثر لأن القلوب بيد الله يصطنعها لما أراد متى أراد وقل لهم في أنفسهم أي بسببها وما يشرح أحوالها ويبين نفاقهم من نفاقها سيما أو خاليا معهم فإن ذلك أقرب إلى ترقيقهم قولا بليغا أي يكون في غاية البلاغة في حد ذاته ولما أمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وذم من حاكم إلى غيره وهدده وختم تهديده بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنه والوعظ له فكان التقدير فما أرسلناك وغيرك من الرسل إلا للرفق بالأمة والصفح عنهم والدعاء لهم على غاية الجهد والنصيحة عطف عليه قوله وما أرسلنا أي بما لنا من العظمة ودل على الإغراق في الاستغراق بقوله من رسول ولما كان ربما يوهمهم سبحانه من الآيات وتحتمهم به من المعجزات حاملا في ذاته على الطاعة نبههم بالحامل على إرساله فقال إلا ليطاع أي لأن منصبه الشريف مقتض لذلك أمر به داع إليه بإذن الله أي بعلم الملك الأعظم الذي له الإحاطة بكل شيء في تمكينه من أن يطاع لما جعلنا له من المزية بالصفات العظيمة والمناصب الجليلة والأخلاق الشريفة كما قال صلى الله عليه وسلم ما من الأنبياء نبي إلا قد أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ولما كان التقدير فلو أطاعوك لكان خيرا لهم عطف عليه قوله ولو أنهم إذ أي حين ظلموا أنفسهم أي بالتحاكم إلى الطاغوت وغيره جاؤوك أي مبادرين فاستغفروا الله أي عقبوا مجيئهم بطلب المغفرة من الملك الأكرم ولما استحضروه له من الجلال واستغفر لهم الرسول أي بما فرطوا بعصيانه فيما استخفوا عليهم من الطاعة لوجدوا الله أي الملك الأعظم توابا رحيما أي بليغ التوبة على عبيده والرحمة لهم لإحاطته بجميع صفات الكمال فيقبل توبتهم ويمحو ذنوبهم ويكرمهم ولما أفهم ذلك أن إباءهم لقبول حكمه والاعتراف بالذنب لديه سبب ما نفى لهم من الإيمان قال مؤكدا للكلام غاية التأكيد بالقسم المؤكد لإثبات مضمونه ولا النافية لنقيضه فلا وربك أي المحسن إليك لا يؤمنون أي يوجدون هذا الوصف ويجددونه حتى يحكموك أي يجعلوك حكما فيما شجر أي اختلط واختلف بينهم من كلام بعضهم لبعض للتنازع حتى كانوا كأغصان الشجر في التداخل والتضايق ولما كان الإذعان للحكم بما يخالف الهوى في غاية الشدة على النفس أشار إليه بأداة التراخي فقال ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا أي نوع ضيق الضيق مما قضيت أي عليهم به وأكد إسلامهم لأنفسهم بصيغة التفعيل فقال ويسلموا أي يوقعوا التسليم البليغ لكل ما هو لهم من أنفسهم وغيرها لله ورسوله صلى الله عليه وسلم خالصا عن شوب كره ثم زاده تأكيدا بقوله تسليما وفي الصحيح أن الآية نزلت في الزبير وخصم له من الأنصار فلا التفات إلى من قال إنه حاطب رضي الله عنه ولما كان التقدير

فقد كتبنا عليهم طاعتك والتسليم لك في هذه الحنيفية السمحة التي دعوتهم اليها وحملتهم عليها عطف عليه قوله ولو انا كتبنا عليهم اي هذا الخاصم للزبير رضي الله عنه واشباه هذا الخاصم ممن ضعفا ايمانه كما به معروضة ان اقتلوا انفسكم اي كما كان في التورية في كفارة بعض الذنوب مباشرة حنيفية وكما فعل المهاجرون بتعريض انفسهم لذلك ثلاث عشرة سنة ثم لجهاتها عند اعدا الله مصنفة لم بين يدي يشود تخاطفونها او اخرجوا كما فعل المهاجرون الذين لا يزيهن روسهم من ديارهم اي التي هي لاشباحكم كاشباحكم لارواحكم توبة لربكم ما فعلوه اي لقصور ايمانهم وضعف ايقانهم ولو كتبناه عليهم ولم يرضوا به كفروا فاستحقوا القتل ولما كان كل كدر لا يخلو عن خلاصة قال الا قليل منهم اي وهم العالمون بان الله تعالى خير لهم من انفسهم وان حياتهم انما هي في طاعته روي ان من هولاء ثابت بن قيس بن شهاب رضي الله عنه قال اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وكذا ابن مسعود وعمار بن ياسر رضي الله عنهما وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك ولا ريب في ان التقدير ولكنا لم نكتب عليهم فليشكروا ولياتوا بتمسكوا بهذه الحنيفية السمحة ولما كان مبنى السورة على الايتلاف وكان السياق للاستعطاف قال مرغبا ولو انهم اي هولاء المنافقين فعلوا ما يوعظون اي يجدد لهم الوعظ في كل حين به لكان اي فعلهم ذلك خيرا لهم اي مما اختاروه لانفسهم واشد تثبيتا اي مما ثبتوا به انفسهم بالايمان الخائنة واذن لاتيناهم اي واذا فعلوا ما يوعظون به اتيناهم بما لنا من العظمة ايتانا موكدا لا مرية فيه واشار بقوله من لدنا الى انه من غرايب ما عنده من خوارق خوارق العادات ونواقض نواقض المطرودات اجرا عظيما ولهديناهم اي بما لنا من العظمة صراطا مستقيما اي يوصلهم الى مرادهم وقد عظم سبحانه هذا الاجر ترغيبا في الطاعة انواعا من العظمة منها التنبيه باذن والاتيان بصيغة العظمة ولدن مع العظمة والوصف بالعظيم ولما رغب في العمل بمواعظه وكان الوعد قد يكون لغلط في الموعظ وكان ما قدمه في وعظه امرا مجملا رغب بعد تزقيقه بالوعظ رغب في مطلق الطاعة التي المقام كله لها مفصلا اجمال ما وعد عليها فقال ومن يطع الله اي في امتثال اوامره والوقوف عند زواجره مستحضرا عظمته طاعة هي على سبيل التجدد والاستمرار والرسول اي في كل ما اراده فان منصب الرسالة يقتضي ذلك لا سيما من بلغ لها بنبيها فاولئك اي العالو الرتبة العظيمو الشرف مع الذين انعم الله اي بما له من صفات الجلال والجمال عليهم اي معدودا من حزبهم فهو بحيث اذا اراد زيارتهم وصل اليها بسهولة لانه يلزم ان يكون في درجاتهم وان كانت اعماله قاصرة ثم بينهم بقوله من النبيين اي الذين انباهم الله بدقايق حكمه وانباوا الناس بجلايل الكلم بما لهم من طهارة الشيم والعلو العظم والصديقين اي الذين صدقوا اول الناس بما اتاهم من الله وصدقوا هم في اقوالهم وافعالهم فكانوا قدوة لمن بعدهم والشهدا اي الذين لم يغيبوا اصلا عن حضرات القدس ومواطن الانس طرفة عين بل هم مع الناس بجسومهم ومع الله بخلوتهم وعلومهم سوا شهد والذين الله بالحق ولسواه بالبطلان بالحجة او بالسيف ثم قتلوا في الله والصالحين اي الذين لا يعتريهم في ظاهر ولا باطن بحول الله فساد اصلا والى هذا يشير كلام العارف الشيخ رسلان حيث قال ما صلحت ما دامت فيك بقية لسواه وقد تجتمع الصفات الاربع في شخص وقد لا تجتمع وابو بكر رضي الله عنه احق الامة بالصديقية وان قلنا ان عليا وزيدا رضي الله عنهما اسلما قبله لانه لكبيره وكونه لم يكن قبل الاسلام تابعا للنبي صلى الله عليه كان قدوة لغيره ولذلك كان سببا لاسلام ناس كثير واوليك كانوا سببا لاسلام غيرهم فكان له مثل اجر الكل وكان فيه حين اسلامه قوة الجهاد في الله بالمدافعة عن النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الافعال الدالة على صدقه ولملاحظة هذه الامور كانت رتبتها تلي رتبة النبوة ولرفع المواسطة بينهما وفق الله هذه الامة التي اختارها بتولية الصديق بلا احد يليهم ودونه الى جانبه ومن عظيم رتبتهم تنويه النبي صلى الله عليه وسلم في اخر عمره بهم فقال مع الرفيق الاعلى روى البخاري في التفسير عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي يمرض الا خير بين الدنيا والاخرة وكان في شكواه الذي قبض فيه اخذته بحة شديدة فسمعته يقول مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين فعلمت انه خير ولما اخبر ان المطيع مع هولاء لم يكتف بما افهم ذكرهم من جلالهم وجلال من معهم بل زاد في بيان علو مقامهم ومقام كل من معهم بقوله وحسن اي وما احسن اولئك اي العالو الاخلاق السابقون يوم السباق رفيقا من الرفق وهو لين الجانب ولطافة الفعل وهو مما يستوي واحده وجمعه ثم اشار الى تعظيم ما منحهم به مرغبا في العمل بما يودي اليه باداة البعد فقال ذلك الفضل وزاد في الترغيب فيه بالاخبار عن هذا الابتدا بالاسم الاعظم فقال من الله ولما كان مدار التفضيل على العلم قال بانيا على ما تقديره لما يعلم من صحة بواطنهم اللازم منها شرف ظواهرهم وكفى بالله اي الذي له الاحاطة الكاملة عليما بعلم من لصما يرى الظواهر ما يستحق به التفضيل من فضله على غيره ولما دل على علو درجة الشهادة بعدما ذكر من ثواب من قبل موعظته ولو في قتل نفسه ودم من ابى ذلك بعد ما حذر من الاعدا من اهل الكتاب والمشركين والمنافقين المحادعين فتوفرت دواعي الراغبين في المكارم على ارتقايها التفت الى المومنين ملذذا لهم بحسن خطابه نادبا الى الجهاد مع الارشاد الى الاستعداد له بما يروع الاضداد فقال تعالى منبها باداة البعد وصيغة المضي الى ان الراسخ لا ينبغي له ان يحتاج الى التنبيه على مثل هذا يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان ولما كان سبحانه قد خلق للانسان عقلا يحمله على التيقظ والتحرز من المخوف فكان كالالة له وكان لما عنده من السهو والنسيان في غالب الاوقات مهملا له فكان كانه قد ترك الة كانت معه

قال تعالى خذوا حذركم اي من الاعدا الذي ذكرتهم لكم وحذرتكم منهم المشاققين منهم والمنافقين فانفروا اي اخرجوا اسعد بقا لما ادعيتم اليه من الجهاد منسرعين ثبات اي جماعات متفرقين سرية في اثر سرية لا تملوا ذلك اصلا او انفروا جميعا اي عسكرا جميعا ولا تخاذلوا فتهلكوا فكانه قال حققت عندكم قتل الانفس على الصفة التي كتبتها على من قبلكم ولم امركم الا بما يبقيها ويعلي قدرها من موارد القتال الذي هو مناهج الابطال ومشارع فحول الرجال وجعلت للباقي منكم المحبوب من الظفر وحل المغنم وللماضي احب المحبوب وهو الدرجة التي ما بعدها الا درجة النبوة مع انكم لم ينقص من اجله شي ولوم يقتل في ذلك السبيل المرضي لقتل في غيره في ذلك الوقت ولما كان التقدير فان منكم الخارج الى الجهاد عن غير حزم ولا حذر عطف عليه قوله مبينا لما هو من احل مقاصد هذه الايات من تبكيت المنافقين للتحذير منهم ووصفهم ببعض ما يخفون موكدا لان كل من ادعى الايمان ينكر ان يكون كذلك وان منكم اي يا ايها الذين امنوا وعزتنا لمن ليبطين اي يتثاقل في نفسه عن الجهاد لضعفه في الايمان او نفاقه ويامر غيره بذلك امرا موكدا اظهارا للشفقة عليكم وهو عين الغش فانه ثمرة الضعف المودي الى جراة العدو والمفضي الى التلاشي ولما كان لمن يتثاقل عنهم حالتا نصر وكسر سبب عن تثاقله مقسما لقوله فيهما فان اصابتكم مصيبة اي في وجهكم الذي تعدوا عنه قال ذلك القاعد جهلا منه وغلظة قد انعم الله اي الملك الاعظم ذاكرا لهذا الاسم غير عارف بمعناه علي اذ اي حين ولاني لم اكن معهم شهيدا اي حاضرا ويجوز ان يريد الشهيد الشرعي ويكون اطلاقه من باب التنزل فكانه يقول هذا الذي هو اعلاها عندكم اعد فواته مني نعمة عظيمة ولين اصابكم فضل اي فتح وظفر وغنيمة من الله اي الملك الاعلى الذي كل شي بيده ولما كان تحسره انما هو على فوات الاعراض الدنيوية اكد قوله ليقولن اي في غيبتكم واعترض بين القول ومقوله تاكيدا لذمهم بقوله كان اي كانه لم اي مشبها حاله حال من لم يكن بينكم وبينه مودة اي بسبب قوله يا ليتني كنت معهم فافوز اي بسبب كينونتي في ذلك فوزا عظيما وذلك لانه لو كان ذا مودة لقال حال الهزيمة يا ليتها لم تصبهم ولو كنت معهم لدافعت عنهم وحال الظفر لقد سرني عزهم ولكنه لم يجعل محط همه في كلتا الحالتين غير المطلوب الدنيوي ولعله خص الحالة الثانية بالتشبيه لان ما تسبب لي فيها لا يقتصر عليه محب واما الحالة الاولى فربما اقتصر المحب فيها على ذلك قصدا للبقا لاخذ الثار ونكال الكفار وذكر المودة لان المنافقين كانوا يبالغون في اظهار الود والشفقة والنصح للمومنين ولما بين ان محط حال القاعد عن الجهاد الدنيا علم ان قصد المجاهد الاخرة فتسبب عن ذلك قوله فليقاتل في سبيل الله اي بسبب تسهيل طريق الملك الذي له الامر كله وحفظ الناس عليه الذين يشرون اي يبيعون برغبة ولجاجة وهم المومنون او ياخذون وهم المنافقون استعمالا للمشترك في معنييه الحياة الدنيا فيتركونها بالاخرة ولما كان التقدير فانه من قعد عن الجهاد فقد رضي في الاخرة بالدنيا عطف عليه قوله ومن يقاتل في سبيل الله اي فيريد اعلا كلمة الملك المحيط بصفات الجلال والجمال فيقتل اي في ذلك الوجه وهو على تلك النية بعد ان يجلب القضا والقدر على نفسه او يغلب اي الكفار فيسلم فسوف نوتيه اي بوعد لا خلف فيه بما لنا من العظمة المحيطة بالخير والشر والاية من الاحتباك ذكر القتل اولا دليل على السلامة ثانيا وذكر الغالبية ثانيا دليل على المغلوبية اولا وربما دل التعبير بسوف على طول عمر المجاهد غالبا خلافا لما يتوهمه كثير من الناس علاما بان المدار على فعل الفاعل المختار لا على الاسباب اجرا عظيما اي في الدارين على اجتهاده في اعزاز دين الله وانتصاره على هذين القسمين حث على الثبات ولو كان العدو اكثر من الضعف فكم من فية قليلة غلبت فية كثيرة والله يويد بنصره من يشا والله مع الصابرين ولما كان التقدير فما لكم لا تقاتلون في سبيل الله لهذا الاجر الكثير ممن لا يخلف الميعاد وكانوا يقولون انا لا نعطي الميراث الا لمن يحمي الذمار ويذب عن الجار ويمنع الحوزة قال عاطفا على هذا المقدر ملهبا لهم ومهيجا ومبكتا للقاعدين وموبخا وما اي واي شي لكم من دنيا او اخرة حال كونكم لا تقاتلون اي تجددون القتال في كل وقت لا تملونه في سبيل الله اي بسبب تسهيل طريق الملك الذي له العظمة الكاملة والغنى المطلق وبسبب خلاص المستضعفين اي المطلوب من الكفار ضعفهم حتى صار موجودا ويجوز وهو اقعد ان يكون منصوبا على الاختصاص تنبيها على انه من اجل ما في سبيل الله ولما اشكل من هذا ان من كان رجا نفعه اعظم ثم ما لمن يكون العار به اقوى واحكم رتبهم هذا الترتيب فقال من الرجال والنسا والولدان اي المسلمين الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وكانوا وكانوا يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم وكل منهما كاف في بعث ذوي الهمم العالية والمكارم على القتال ثم وصفهم بما يهيج الى نصرهم ويحث على عيانهم فقال الذين يقولون اي لا يفترون ربنا اي المحسن الينا باخراجنا من الظلمات الى النور اخرجنا من هذه القرية ثم وصفوها بالحامل على هذا الدعا فقالوا الظالم اهلها اي بما تيسر لنا من الاسباب واجعل لنا من لدنك اي من امورك العجيبة في الامور الخارقة للعادات وليا يتولى مصالحنا ولما كان الولي قد لا يكون فيه قوة النصر قالوا واجعل لنا ولما كانوا يريدون ان ياتيهم خوارق الخوارق كرروا قولهم من لدنك نصيرا اي يبلغ النصر الى حد يعجب منه المعتاد دون الخوارق فكان بهذا الكلام كانه سبحانه قال قد جعلت لكم

من المبرات فما لكم لا تقاتلون في سبيل شكرا لنعمتي ان مانعا عون من المحبة والحماية ما لكم لا تقاتلون في نصر هؤلاء الضعفا
لتحقيق حمايتكم للدمار وسعكم لحوزة ودكم على الجاد ولما اخبر عن مقامهم الى النصار وظلمهم من الكفار استانف
الاخبار عن الفريقين فقال موكدا للترغيب في الجهاد ولما الذين امنوا اي صدقوا في عوام الايمان يقاتلون اي يصدقون
لدعوام من غير فترة اصلا في سبيل الله اي الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال فاصدين وجهه بجهادهم الزاما وعز
واما من لم يصدق دعواه بهذا الثاني والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فلا ولي لهم ولا ناصر
ولما كان الطاغوت الشيطان او من دينه الشيطان وكان كل من عصى لله ومن اغواه حقيرا سبب عن ذلك قوله
فقاتلوا اولياء الشيطان ثم علل الجراءة عليهم بقوله ان كيد الشيطان اي الذي هو راس العصاة كان جبلة وطبعا
ضعيفا ولما عزمهم هذه المفاوز الاخروية والمفاخر الدنيوية وختم بما يتضمن الجبان ويقوي الجنان ورغبهم بما شوقا للبر
من نعيم الجنان عجب من حال من توانى بعد ذلك واستكان فقال تعالى معقبا بالخطاب على عبد خلعته واطوعهم لامره
الم تر واسنا ان لم تحل بعد عن حضرته تهبيضا لهم بقوله الى الذين قيل لهم اي جوابا لقولهم انا نريد ان نبسط ايدينا
الى الكفار بالقتال لان امتحانا بهم قد طال كفوا ايديكم اي ولا تبسطوها اليهم فانا لم نامر بهذا واقيموا الصلاة
اي صلة بالخالق واستبصارا على التنائي واتوا الزكاة منماة للمال وطهرة للاخلاق وصلة للخلائق فلما كتب
عليهم القتال اي الذي طلبوه وهم يومرون بالصفح كتابة لا تنفك الى اخر الدهر اذا فريق منهم اي ناس يلزم عن تخلفهم
الفرقة فاجبوا هذا الكتب بانهم يخشون الناس اي الذين هم مثلهم ان يضروهم والحال انه ينبغي ان يكونوا عليهم اجرا منهم
وهم ناس مثلهم كخشية الله اي مثل ما يخشون الله الذي هو القادر لا غيره ولما كان كفهم عن القتال شديدا يوجب لمن
يراه منه ان يظن بهم من الجبن ما يتردد به في الموازنة بين خوفهم من الناس وخوفهم من الله عبر باداة الشك فقال
او اشد خشية اي او كانت خشيتهم لهم عند الناظر لهم اشد من خشيتهم من الله فقد افاد هذا ان خوفهم من الناس
ليس باقل من خوفهم من الله بل اما مثلا واشد منه وقد يكون الابهام للتفاوت بالنسبة الى وقتين فيكون خوفهم منهم
في وقت متساويا وفي اخر زائدا فهو متردد بين هذين الحالين ويجوز ان يكون ذلك كناية عن كراهتهم القتال في ذلك
الوقت وتمنيهم لتاخيره الى وقت ما وايد ما تقدم من الظن بقوله ما هو كالتعليل للكراهة وقالوا جزعا من الموت
او المتاعب ان كانوا مومنين او اعتراضا ان كانوا منافقين على تقدير صحة ما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ربنا
اي ايها المحسن الينا المقرب منا لم كتبت علينا القتال اي ونحن ضعفاء لولا اي هلا اخرتنا اي عن الامر بالقتال
الى اجل قريب اي لناخذ راحة مما كنا فيه من الجهد من الكفار بمكة وسبب نزولها ان عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن
الاسود الكندي وقدامة بن مظعون وسعد بن ابي وقاص وجماعة رضي الله عنهم كانوا يلقون من المشركين بمكة اذى كثيرا قبل ان
يهاجروا ويقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فانهم قد اذونا فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم
فاني لم اومر بقتالهم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلما هاجروا الى المدينة وامرهم الله بقتال المشركين شق ذلك على
بعضهم حكاه البغوي عن الكلبي وحكاه الواحدي عنه بنحوه وروى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عبد الرحمن بن
عوف واصحابه رضي الله عنهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقالوا يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون فلما امنا صرنا
اذلة فقال اني امرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم فلما حوله الله الى المدينة امره بالقتال فكفوا فانزل الله عز وجل
الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم الاية وهذا يفهم ان نسبة القول اليهم انما هي لان حالهم في التاخر عن المبادرة الى
القتال حال من يقول ذلك فالمراد من الاية الهابهم الى القتال وتهييجهم ليس غيره لما عهد عليه الصلاة والسلام منهم انكارا
عليهم كانه قال لما اقول لهم فامره بوعظهم وتضليل عقولهم وتسفيه رايهم بقوله قل متاع الدنيا قليل اي ولو
فرض انه مد في اجالكم الى ان تملوا الحياة فان كل منقطع قليل مع ان نعيمها غير محقق الحصول وان حصل كان منغصا
بالكدورات والاخرة خير لمن اتقى اي لانها لا يفنى نعيمها مع انه محقق ولا كدر فيه وهي شر من الدنيا لمن لم يتق لان عذابها
طويل لا يزول ولا تظلمون فتيلا اي لا في دنياكم بان تنقص اجالكم بقتالكم ولا ارزاقكم باشتغالكم ولا في اخرتكم بان يضيع شي
من ثوابكم على ما نالكم من المشقة لانه سبحانه حكيم لا يضع شيئا في غير موضعه ولا يفعل شيئا الا على قانون الحكمة فما لكم
تقولون قول المتهم لحكمه المخشون العدو له ان يفعل ما شاء لا يسيل عما يفعل يحسن ويعطي من تقبل احسانه ان الفضل
ولما زهدهم في دار المتاعب والاكدار على تقدير طول البقاء وكانهم كانوا يرجون بترك القتال الخلود او تاخير موت بسبب
القتال نبههم على انهما يتحققون من ان الموت منهل لا بد من وروده في الوقت الذي قدره الله ان استمع الانسان منه في الحصون
او رمى بنفسه في التالف فقال تعالى مبكتا من قال ذلك موكدا ايما التاكيد لتقيض ما تضمنه الكلام لان حالهم حال
من ينكر الموت بغير القتال مجيبا تحاق الجواب بعدما اورد الجواب الاول على سبيل التنزل اينما تكونوا ايها الناس
كلكم مطيعكم وعاصيكم يدرككم الموت اي فانه طالب لا يفوته هارب ولو كنتم في بروج اي حصون برج داخل برج او
كل واحد منكم في برج ولما كان ذلك جمعا ناسب للتشديد المراد به الكثرة في مشيدة اي مطولة كل واحد منها شاهق في

الهوا منيع وهو مع ذلك مطلي بالشيد اي الجص فلا خلل فيه اصلا ويجوز ان يراد بالتشديد مجرد الاتقان بمعنى انها
مبالغ في تحصينها لان البيان ابرجا يقتضيه فاذا كان لا بد من الموت فلان يكون في الجهاد الذي يستعقب السعادة
الابدية اولى من ان يكون في غيره ثم عطف ما بقي من اقوالهم على ما سلف منها في قوله ربنا لم كتبت الى اخره وان كان هذا
لناس منهم غير الاولين ويجوز ان يقال انه لما اخبر ان الحذر لا يغني من القدر اتبع ذلك حالا لهم مبكتا به لمن توانى في امره
موذنا بالالتفات الى الغيبة اعراضا عن خطابهم ببعض غضب لانهم جمعوا الى الاخلال بتعظيمهم لله الاخلال
بالادب مع الرسول الذي ارسله ليطاع باذن الله فقال وان اي قالوا ذلك والحال انه ان تصبهم اي بعض المدعوين
من الامة وهم من كان في قلبه مرض حسنة اي شيء يعجبهم ويحسن وقعه عندهم من اي شيء كان يقولوا هذه من عند الله
اي الذي له الامر كله لا دخل لك فيها وان تصبهم سيئة اي حالة تسوءهم من اي جهة كانت يقولوا هذه من عندك
اي من جهة حلولك في هذا البلد تطيرا بك ولما كان هذا امرا فادحا للفواد محرقا وقادحا سهل عليه بقوله قل كل اي
من السيئة والحسنة في الحقيقة دنيوية كانت او اخروية من عند الله اي الذي له كل شيء لا شيء لغيره وذلك كما قالوا لما مات
ابو امامة اسعد بن زرارة نقيب بني النجار رضي الله عنه عند ما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كما في السيرة بيس الميت ابو امامة ليهود ومنافقي العرب يقولون لو كان نبيا لم يمت صاحبه ولا املك لنفسي
ولا لصاحبي من الله شيئا ولما تسبب عن هذا معرفة انهم اخطاوا في ذلك فاستحقوا الانكار قال منكرا عليهم فما
وحقرهم بقوله هولاء وكانه قال القوم الذي هو دال على القيام والكفاية تهكما بهم واما نسبة لهم الى قوة الابدان
وضعف المعاني لا يكادون يفقهون لا يقربون من ان يفهموا حديثا اي يلقى اليهم اصلا فهما جيدا ولما اجابهم
بما هو الحق ايجادا علمهم ما هو الادب لملاحظة السبب فقال مستانفا ما اصابك من حسنة اي نعمة دنيوية او اخروية
فمن الله اي ايجادا وتفضلا والايمان احسن الحسنات قال الامام انهم يقولون اتفقوا على ان قوله ومن احسن قولا ممن دعا الى
الله المراد به كلمة الشهادة وما اصابك وانت خير الخلق من سيئة اي بلاء فمن نفسك اي تخبرك بطريق الاولى ولما
انتفى قولهم انكار رسالته صلى الله عليه وسلم الا ان نعل كل خارقة واخبر تعالى بانه مساو مع الخلق في القدرة قال تعالى
مخبرا بما اختصه به عنهم وارسلناك اي بعظمتنا لك للناس اي كافة رسولا اي تفعل ما على الرسل من
البلاغ ونحوه وقد اجتهدت في البلاغ والنصيحة ولم نجعلك الها تاتي بما يطلب منك من خير وشر فان انكروا رسالتك
فالله يشهد بنصب المعجزات والايات البينات وكفى بالله المحيط علما وقدرة شهيدا لك بالرسالة والبلاغ
ولما نعى عليهم في التخلف عن طاعته الى ان ختم بالشهادة برسالته قال مرغبا مرهبا على وجه عام يسكن قلبه ويخفف
من دوام عصيانهم له دالا على عصمته في جميع حركاته وسكناته من يطع الرسول اي كما هو مقتضى حاله فقد اطاع
الملك الاعظم الذي لا كفو له لانه داع اليه وهو لا ينطق عن الهوى انما يخبر بما يوحيه اليه ومن تولى اي عن طاعته ولما كان لم
ينقد يوما انما عصى الله والله عالم به وقادر عليه فلو اراد لرده ولو شاء لاهلكه بطغيانه فاتركه وذلك عبر عن ذلك كله بقوله
فما ارسلناك اي بعظمتنا عليهم حفيظا انما ارسلناك داعيا ولما كان من شان الرسول ان يحفظ من طاعه ومن
عصاه ليبلغ ذلك من ارسله وكان تعالى قد اشار له الى الاعراض عن ذلك لكونه لا يحيط بذلك علما وان اجتهد
شرع يخبره ببعض ما يخفونه فقال حاكيا لبعض اقوالهم مبينا لنفاقهم فيه وخداعهم ويقولون اي اذا امرتهم بشيء من
امورنا وهم بحضرتك طاعة اي كل طاعة منا لك دائما نحن ثابتون على ذلك والتنكير للتعظيم بالتعميم فاذا برزوا
اي خرجوا من عندك بيت طائفة منهم في غاية التمرد منهم اي قدرت ودورت على غاية من التقدير والتخير ومع
الاستدارة والتقابل كفعل من يريد الامور ويحكمها ويتقنها ليلا غير الذي تقول اي تجدد قوله لك في كل حين
من الطاعة التي اظهروها او غير قولك الذي بلغته لهم وادغم ابو عمرو وحمزة التا بعد تسكينها استثقالا لتوالي
الحركات في الطالعة بالحرجين والطاء يزيد بالاطباق وتحسن ادغام الانقص في الازيد واظهر الباقون والادغام له
اوفق لحالهم والاظهار اوفق لما فضح من حالهم ولما كان الانسان من عادته اثبات الامور التي يريد تخليدها بالكتابة
اجرى الامر على ذلك فقال والله اي والحال ان الملك المستجمع لصفات الكمال يكتب ما يبيتون اي يجدد دون تبليته
كلما فعلوه وهو غني عنه ولكن ذلك ليقرأهم اياه يوم يقوم الاشهاد ويقيم به الحجة عليهم على ما جرت به عاداتهم
او يوحي به اليك فيفضحهم بكتابه ويتلوه مدى الدهر فلا يظنوا ان تبييتهم يخفى شيئا ولما تسبب عن ذلك كفايته
صلى الله عليه وسلم هذا المهم قال فاعرض عنهم اي فانهم بذلك لا يضرون الا انفسهم وتوكل اي في شانهم وغيره على الله
اي الذي لا يخرج شيء عن مراده وكفى بالله اي المحيط علما وقدرة وكيلا فستنظر كيف تكون العاقبة في امرك وامرهم ولما
كان سبب بطانهم خلاف ما يظهرون اعتقادا انه صلى الله عليه وسلم ليس لا يعلم الا ما اظهروه لا رسول من الله الذي
يعلم السر واخفى سبب عن ذلك وجه الانكار ارشادهم الى الاستدلال على رسالته بما يزيح الشك ويوضح الامر وهو
تدبر هذا القران المتناسب لمعانيه المعجز المباني الفائت لقوى الخلائق المظهر لخفايا امرهم على اجتهادهم في اخفائها

فقال تعالى دالا على وجوب النظر في القران والاستخراج للمعاني منه افلا يتدبرون اي يتاملون يقال تدبرت الشيء اذا
تذكرت في عاقبته واخر امره القران اي الجامع لكل ما يراد علمه من تمييز الحق من الباطل على نظام لا اختلال فيه ولا يمل كال
المهدوي وهذا دليل على وجوب تعلم معاني القران وفساد قول من قال لا يجوز ان يوخذ منه الا ما ثبت عن النبي صلى الله
عليه وسلم ومنع ان يتاول على ما يسوغه لسان العرب وفيه دليل على النظر والاستدلال ولما كان التقدير فلو كان
من عند غير الله لم يعجزوا باسرهم عطف عليه قوله ولو كان من عند غير الله اي الذي له الاحاطة الكاملة كما زعم الكفار
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي في المعنى بالتناقض والتخلف عن الصدق في الاخبار بالمغيبات او بعضها وفي النظم
بالتفاوت في الاعجاز فاذا علموا انه من عند الله بهذا الدليل القطعي حفظوا سرايرهم كما يحفظون علانيتهم لان الامر
بالطاعة مستو عند السر والعلن والتقييد بالكثير بين ان المخلوق عاجز عن التحرز من النقص العظيم بنفسه
وافهام عند استثناء نقيض التالي وجود الاختلاف اليسير فيه توقعه الصراح ولما امر تعالى بالنفر الى الجهاد وعلم
الحزم والحذر واولاه الاخبار بان من الناس المعذر والمخذل نفرتها بالثاني وتكلوتها الى الاول وحذرهما ومن غيرهما
الى ان ختم بامر المالكين وبان القران فيه لا عوج فيه ذكر ايضا المخذلين والمعذرين على وجه اصرح من الاول مبينا ما كان
عليهم فقال واذا جاءهم اي هولاء المزلزلين امر من الامن من غير ثبت او الخوف كذلك اذاعوا اي اوقعوا الاذاعة لما
يقدرون عليه من المفاسد به اي بسببه من غير علم منهم بصدقه من كذبه وحقه من باطله ومنفقه من مختلفه
فيحصل الضرر البالغ لاهل الاسلام اقل قليل الحقايق قال في القاموس ذاعه ذيعا فشاه ونادى به في الناس وذلك
كما قالوا في امر الامن حين هزم اهل الشرك باحد فتركوا المركز الذي وضعهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالفوا
امره وامر اميرهم فكان سبب كرة المشركين وهزيمة المومنين وفي امر الخوف حين صاح الشيطان ان محمدا قد قتل فصدقوه
واذا عبر بعضهم لبعض وانهزموا وارادوا الاستجارة بالكفار من ابي سفيان وابي عامر وكذا ما اشاعوه عند الخروج
الى بدر الموعد من ان ابا سفيان قد جمع لهم ما لا يحصى كثرة وانهم ان لقوه لم يبق منهم احدا الى غير ذلك من الارجاف الى ان
صارت المدينة تفور بالشر فورا ان الرجل حتى احجموا كلهم او الا قليلا منهم حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم والله لاخرجن ولو لم
يخرج معي احد فانتدب اليه بواجيبذ واكسبهم هذا القول شجاعة وانالهم طمانينة فرجعوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم
سوء كما وعدهم الله ورسوله ان صبروا واتقوا فكذب ظنهم وصدق الله ورسوله وفي هذا ارشاد الى الاستدلال على كون
القران من عنده سبحانه بما يكذب من اخبارهم هذه التي يشيعونها ويختلف وان ما كان من عنده تعالى لا يختلف وان
تحرى فيه مثبته وان جل عقله وتناهى نبله الا ان استند عقله الى ما ورد على العالم بالعواقب المحيط بالكوائن على
لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام والتحية والاكرام والى ان القياس حجة وان تقليد القاصر للعالم واجب وان الاستنباط
واجب على العلماء والنبي صلى الله عليه وسلم راس العلماء والى ذلك يومي قوله تعالى ولو ردوه اي ذلك الامر الذي تصدى فيه
من قبل ان يتكلموا به الى الرسول اي نفسه ان كان موجودا واخباره ان كان مفقودا والى اولي الامر منهم اي الذين هم اهل لان
يامروا وينهوا من امرا بالفعل او بالقوة من العلماء وغيرهم لعلمه اي ذلك الامر على حقيقته وهل هو مما يذاع او لا
الذين يستنبطونه اي يستخرجونه بفطنتهم وتجربتهم كما يستخرج الانباط المياه ومنافع الارض منهم اي من الرسول
واولي الامر ولما كان التقدير فلولا فضل الله عليكم ورحمته بالرسول ووراث علمه لاستبيحت بالشناعات هذه بيضة
الدين واضمحلت امور المسلمين عطف عليه قوله ولولا فضل الله عليكم اي ايها المتسمون بالاسلام بانزال الكتاب
وتقويم العقول ورحمته بارسال الرسول لاتبعتم الشيطان اي المطرود المحترق الا قليلا اي منكم فانهم لا يتبعونه
حفظا من الله بما وهبهم من صحيح العقل من غير واسطة رسول وهذه الاية من المواضع المستعصية على الافهام بدون توقيف
على المراد بالفضل الا عند من اتاه الله علما بالمناسبات وفهما ثاقبا بالمراد بالسياقات وفطنة بالاحوال والمقامات
مشوب من الكشف وذلك ان من المقرر انه لا بد من مخالفة حكم المستثنى منه وهو هنا من وجد عليهم الفضل
والرحمة فاهتدوا ومخالفة المستثنى لهم يكون باحد امور ثلاثة كل منها فاسد اما بان يعدموا الفضل فيتبعوه ويلزم
عليه ان يكون الضال اقل من المهتدي وهو خلاف المشاهد وبان يعدموه فلا يتبعوه فيكونوا مهتدين من غير فضل
او بان يوجد عليهم الفضل فيتبعوه فيكونوا ضالين مع الفضل والرحمة اللذين كانا سببا في امتناع الضلال عن
المخاطبين فيكون تارة مانعين وتارة غير مانعين فلم يبق الا ان مع انه ايضا يلزم عليه ان يكون الضال اقل من المهتدي
فاحمل الكلام على ان المراد بالفضل الارسال وصح المعنى ويكون التقدير ولولا ارسال الرسول لاتبعتم الشيطان الا
قليلا منكم فانهم لا يتبعونه من غير ارشاد الرسول بل بهداية من الله وفضل بلا واسطة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو
بن نفيل وورقة بن نوفل والدليل على هذا المقدر ان السياق لرد الاشياء كلها الى الرسول والمنع من الاستقلال بشيء دونه
ولما بين تعالى نفاقهم المقتضي لنفاقهم عن الجهاد بانفسهم وتثبيطهم لغيرهم كان ذلك سببا لان يمضي صلى الله عليه وسلم
لامره تعالى من غير التفات اليهم وانفروا اولا نفروا فقال تعالى بعد الامر بالنفر ثبات وجميعا وبيان ان منهم المبطئ مشيرا

الى ان الامر باق وان بطا الكل فقاتل في سبيل الله اي الذي له الامر كله ولو كنت وحدك ولما كان كانه قيل فما افعل بمن
ارسلتني اليهم ان لم يخرجوا قال معلما بانه قد جعله اشجع الناس واعلمهم بالحروب وتدبيرها وهو مع ذلك تايبد بذلك
قد تكفل بنصرته ولم يكله الى احد لا تكلف الا نفسك اي ليس عليك اثم اتباعك لو تخلفوا عنك وقد اعلم ذم من ذلك
ولا ضرر عليك في الدنيا ايضا من تخلفهم فان الله ناصرك وحده وليس النصر الا بيده سبحانه وما كان سبحانه ليامر
بشيء الا وهو كفوله فهو ملي بمقاتلة الكفار كلهم وحده وان كانوا اهل الارض كلهم ولقد عزم في غزوة بدر الموعد
التي قيل انها سبب نزول هذه الاية على الخروج الى الكفار ولو لم يخرج معه احد وقد اقتدى به صاحبه الصديق
رضي الله عنه في قتال اهل الردة فقال للصحابة رضي الله عنهم والله لو لم اجد الا هاتين لجاهدت بهما عايشة واسما
رضي الله عنهما لقاتلتهم بهما ولما كان ذلك قد يفتر عن الدعاء قال وحرض المومنين اي مرهم بالجهاد وانههم عن تركه
وعن مواصلة كل من يثبطهم عنه واجتهد في امرهم حتى يكونوا مستعدين للنفر متى ندبوا حتى كانهم لشدة استعدادهم
حاضرون في الصف دايما ثم استانف الذكر لثمرة ذلك فقال عسى الله اي الذي استجمع صفات الكمال ان يكف
بما له من العظمة باس الذين كفروا اي عن مسعوك من اظهار الدين بقتالك وقتال من تحرضه ولقد فعل سبحانه ذلك على
يد عيسى عليه السلام ولما كان السامع ربما فهم انه لا يبالي كلهم الا بذلك قال ترغيبا وترهيبا واحتراسا والله اي الذي
لا مثل له اشد باسا اي عذابا وشدة من المقاتلين والمقاتلين واشد تنكيلا اي تعذيبا باعظم العذاب ليكون
ذلك مهلكا للمعذب ومانعا للغير عن مثل فعله قال الامام ابو عبد الله القزاز يقال نكلته تنكيلا اذا عملت به
عملا يكون نكالا لغيره اي عبرة فيرجع عن المراد من اجله وهو ان الناظر اليه والذي يبلغه ذلك يخاف ان يحل به مثله فيكون
له ذلك فيداعيا الاقدام والنكال بالكسر القيد ولما كان ذلك موجبا للرغبة في طاعة النبي صلى الله عليه وسلم لا سيما
في الجهاد وللرغبة فيمن كان بصفة المومنين من الاقبال على الطاعة والاعراض عن كل من كان بصفة المنافقين والادابة
لطردهم وابعادهم والغلظة عليهم والحذر من مجالستهم حتى يتبين اخلاصهم وكان بين كثير من خلص الصحابة وبينهم قرابات
توجب العطف المقتضي للشفقة عليهم الحاملة للشفاعة فيهم اما بالاذن في التخلف عن الجهاد بما يزخرفون من الاعذار
الكاذبة او في العفو عنهم عند العثور على نفاقهم او في اعانتهم او اعانة غيرهم بالمال والنفس في امر الجهاد عند ادعا
ان المانع له عنه العجز او في غير ذلك وكانت التوبة محترضة لهم ولغيرهم وكان البر ما سكن اليه القلب والاثم ما حاك في
الصدر ولا انسان على نفسه بصيرة وكانت البواطن لا يعلمها الا الله وكان الانسان ربما اظهر شرا في صورة خير
رغب سبحانه في البر وحذر من الاثم بقوله معمما مستانفا في جواب من كانه قال اما تقبل فيهم شفاعة من يشفع
اي يوجد ويجدد كاينا من كان في اي وقت كان شفاعة حسنة اي يعينهم بها عذرا لمسلم في كل ما يجوز في الدين ليوصل اليه
خيرا او يدفع عنه ضيرا يكن له نصيب منها باجر تسببه في الخير ومن يشفع كاينا من كان في اي زمان كان شفاعة سيئة
اي بالذب عن مجرم لا يجوز العتب في علانية وجبر دابته وعظم الشفاعة السيئة لان درء المفاسد اولى من جلب المصالح فقال
معبرا بما يفهم النصيب ويفهم اكثر منه تغليظا في الزجر يكن له كفل منها وهذا بيان لان الشفاعة فيهم سيئة اذ تحقق اجرا
حيث ان علمت توبتهم واسلامهم ولما كان كل من يحرض المومنين على الجهاد والشفاعة الحسنة من وادي من سن سنة
حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة حتى فترا عنها احدا والنصيب قدر متميز من الشيء يخص من
هو له وكذا الكفل الا ان الاستعمال يدل على انه اعظم من النصيب ويويده ما قالوا من انه قد يراد به الضعف فكانه
نصيب متكفل بما هو له من اسعاد وانجاد قال اهل اللغة النصيب الحظ والكفل بالكسر الضعف والنصيب
والحظ ومادة نصب تدور على العلم المنصوب ويلزمه الرفع والوضع والتمييز والاصل والمرجع والتعب فيلزمه
الوجع ومن لوازمه ايضا الحد والغاية والحد والوقوف ومادة كفل تدور على الكفل بالتحريك وهو العجز او ردفه
ويلزمه الصيانة واللين والرفق والتاخر وقال الامام الكفل هو النصيب الذي عليه يعتمد الانسان في تحصيل المصالح
لنفسه ودفع المفاسد عن نفسه والمقصود هنا حصول ضد ذلك كقوله فبشرهم بعذاب اليم والغرض منه
التنبيه على ان الشفاعة المودية الى سقوط الحق وقوة الباطل تكون عظيمة العقاب عند الله انتهى وما غلظ هذا الزجر الا
للعلم بان اكثر النفوس ميالة باصحابها للشفاعة بالباطل ولما كان الاليق بالرغبة ان لا يقطع في موجبها بالجنة ليكون
ذلك زاجرا عن مفارقة شيء منها وان صغر عبر في الحسنة بالنصيب وفي السيئة بالكفل ويويد ارادة هذا انه تعالى لما
ذكر ما يوجب الجنة من الايمان والتقوى وكان في سياق الوعظ لاهل الكتاب الذين هم على شرع اصله حق بشريع رسو
من عند الله فترجم لذلك بعبده تحتاج الى زيادة ترغيب عبر بالكفل فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا
برسوله يوتكم كفلين من رحمته الى اخرها ولما كان النصيب مبهما بالنسبة الى علمنا لتفاوته بالنسبة الى قصود
الشافعين واقدامهم على الشفاعة على علم او جهل وغير ذلك مما لا يمكن الاحاطة به الا لله تعالى علما وقدرة قال
تعالى مرغبا مرهبا وكان الله اي ذو الجلال والجمال على كل شيء من الشافعين وغيرهم وجزاء الشفاعة مقيتا اي حفيظا

وشهيدا وقديرا على اعطا ما يعوت من اخلاق النفوس واحوال القلوب وارزاق الابدان وجميع ما به القوام جلا وابدا من جميع الجهات وعلى تقديره ما يستحق كل احد من الجزا على الشفاعة وكل خير وشر ولما كان ذلك موجبا للاعراض عنهم راسا ومنابذتهم قولا وفعلا بين سبحانه ان التحية ليست من وادي الشفاعة وان الشفاعة تابعة للعلم والتحية تابعة للظاهر فقال تعالى عاطفا على ما تقديره فلا تشفعوا فيهم وانتم تعلمون سوء مقاصدهم فقال معبرا باداة التحقق بشارة لهم بانهم يصيرون بعد ما هم فيه الان من النكد ملوكا وفي حكم الملوك يحيون ويشفع عندهم وحثا على التواضع **واذا حييتم بتحية** اي تحية كانت اذا كانت مشروعة واصل التحية الملك واشتقاقها من الحياة فكان حياة الملك هي الحياة وما عداها عدم ثم اطلقت على كل دعا يبدا به عند اللقا وقال الاصبهاني لفظ التحية صار كناية عن الاكرام فجميع انواع الاكرام تدخل تحت لفظ التحية **فحيوا باحسن منها** كان تزيدوا عليها **او ردوها** اي من غير زيادة ولا نقص وذلك دال على وجوب رد السلام من الامر وعلى العفو من الفا والاجماع موافق لذلك وترك الجواب اهانة والاهانة ضرر والضرر حرام قال الاصبهاني والمبتدي يقول السلام عليكم والمجيب يقول وعليكم السلام ليكون الافتتاح والاختتام بذكر الله وما احسن جعلها تالية لاية الجهاد اشارة الى ان من بذل السلام وجب الكف عنه ولو كان في الحرب على انه من مقتضيات هاتين الايتين ان مبنى هذه السورة على الندب الى الاحسان والتعاطف والتواصل وسبب ذلك اما المال وقد تقدم الامر به في قوله تعالى واذا حضر القسمة الاية واما غيره ومن اعظمه القول لانه ترجمان القلب الذي به العطف ومن اعظم ذلك الشفاعة والتحية قال عليه الصلاة والسلام فيما اخرجه مسلم والاربعة عن ابي هريرة رضي الله عنه والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا الا ادلكم على امر اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم فتناسب ذكر هاتين الايتين بعد ذكر اية الجهاد الختمة بالباس والتنكيل ولما كانت الشفاعة اعظمهما في الاحسان قدمت ولا سيما وموجبها الاعراض ومقصد السورة التواصل فشانها اهم والنظر اليها اكد ثم رغب في الاحسان في الرد ورهب من تركه بقوله معللا **ان الله** اي الذي له الاحاطة علما وقدرة **كان** اي ازلا وابدا **على كل شي حسيبا** اي محصيا لجميع المعدودات دقيقها وجليلها كافيا لها في قوامها ومثوبا بها ومحاسبا بها مجازيا عليها وذلك كله شان المغيث ثم علل ذلك بقوله دالا على تلازم التوحيد والعدل **الله** اي الذي لا مثل له **لا اله الا هو** اي وقد امركم بالعدل في الشفاعة والسلام فان لم تفعلوه لما لكم من النفاق بحمل التي بهما عدم الوحدانية فهو قادر عليه ولا بد فاحذروه لانه واحد فلا معارض له في شي من الحساب ولا غيره ولا يخفى عليه شي فالحكم على البواطن انما هو له تعالى واما انتم فلم تكلفوا الا بالظاهر ولما تبين انه لا معارض له انتج قوله مبينا والها للمبالغة لوقت الحساب الاعظم **ليجمعنكم** واكده باللام والنون دلالة على تقدير القسم لانكار المنكرين له ولما كان التعدية بالامانة شيئا فشيئا عبر بحرف الغاية فقال **الى يوم القيمة** والها للمبالغة ثم اكده بقوله **لا ريب فيه** اي فيفصل بينكم وبين من اخبركم بهم من المنافقين وتنقد احوالهم وبين تجاه لهم فيجازي كلا بما يستحق ولما كان التقدير لمن اعظم من الله نذرة عطف عليه قوله **ومن اصدق من الله** اي الذي له الكمال كله ولا شوب نقص يلحقه **حديثا** وهو قد وعد بذلك لانه عين الحكمة واقسم عليه فلا بد من وقوعه واذ قد تقرر بما مضى ان المنافقين كفرة لا لبس في امرهم وكشف سبحانه الحكم في باطن امرهم بالشفاعة وظاهره بالتحية وحذر من خالف ذلك بما اوجبه على نفسه حكمته من الجمع ليوم الفصل للحكم بالعدل وختم بان الخبر عنهم وعن جميع ذلك صدق كان ذلك سببا للجزم القول بشقاوتهم والاعراض عنهم والبعد عن الشفاعة فيهم والاجماع على ذلك من كل مومن وان مبنى السورة على التواصل لان ذلك انما هو حث لا يودي الى مقاطعة امر الله فقال تعالى مبكتا لمن توقف عن الجزم بابعادهم **فما لكم في المنافقين** اي اي شي لكم من امور الدنيا او الاخرة في اتراككم فيهم **فئتين** بعضكم يشتد عليهم وبعضكم يرفق بهم ولما كان هذا ظاهرا في بروز الامر المطاع بثبت القول بكفرهم وصرح بقوله **والله** اي والحال ان الملك الذي لا امر لاحد معه **اركسهم** اي ردهم منكوسين مقلوبين **بما كسبوا** اي بعد اقرارهم بالايمان من مثل هذه العظائم فاحذروا ذلك ولا تختلفوا في امرهم بعد هذا البيان وفي غزوة احد والتفسير من البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى احد رجع ناس ممن خرج معه وكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزلت فما لكم في المنافقين الاية وقال انها طيبة تنفي الذنوب وفي رواية الخبث كما تنفي النار خبث الفضة انتهى فالمعنى حينئذ اتفقوا على ان تبروا منهم بما نزل عليكم في هذه الايات ولما كان حال من يرفق بهم حال من يريد هدايتهم انكر سبحانه ذلك عليهم صريحا لتبت الامر في كفرهم فقال **اتريدون** اي ايها المومنون **ان تهدوا** اي توجدوا الهداية في قلب **من اضل الله** اي وهو الملك الاعظم الذي لا يرد له امر وهو معنى قوله **ومن** اي والحال انه من **يضلل الله** اي الجامع لاسمائه وصفاته **فلن تجد** اي اصلا ايها المخاطب كائنا من كان **له سبيلا** اي الى ما اصله عنه اصلا والمعنى ان كان رفقكم بهم رجاء هدايتهم فذلك امر ليس الا لله وانما عليكم انتم الدعا لمن اجاب صار اهلا للمواصلة ومن ابى صارت مقاطعته دينا وقلته قربة والاغلاظ عليه واجبا ولما اخبر بضلالهم وثباتهم عليه اعلم باغراقهم فيه فقال **ودوا** اي احبوا وتمنوا تمنيا واسعا **لو تكفرون** اي توجدون الكفر وتجددونه وتستمرون عليه دايما **كما كفروا** ولما لم يكن بين ودهم لكفرهم وكونهم مثلا وبينهم تلازم عطف على الفعل المودود ولم يسبب قوله **فتكونون**

ولا عليه دابها

اي وودوا ان يتسبب على ذلك ويتحقق ان تكونوا انتم وهم **سوا** اي في الضلال اي توجدون الكفر وتجددونه وتستمرون فانتم تترجون في زمان الرفق بهم هدايتهم وهم يريدون فيه كفركم وضلالكم فقد تباعد تم في المذاهب وتباينتم في المقاصد ولما اخبر بهذه الودادة سبب عنه امرهم بالبراة منهم حتى يصلحوا ايمانا لان قولهم في الايمان لا يقبل ما لم يصدقونه بفعل فقال **فلا تتخذوا** اي ايها المومنون **منهم اوليا** اي اقربا منكم **حتى يهاجروا** اي يوقعوا المهاجرة **في سبيل الله** اي يهجروا من خالفهم في ذات من لا شبيه له ويتسببوا في هجرانه لهم ان كانوا في دار الحرب فيتركوها وان كانوا عندكم فيتركوا موادة الكفرة والموافقة لهم في اقوالهم وافعالهم وان كانوا اقرب اقربائهم وهجرتهم في جميع ذلك بمواصلتكم في جميع اقوالكم وافعالكم والهجرة العامة هي ترك ما نهى الله ورسوله عنه ولما نهى عن موالاتهم وعلق النهي بالهجرة سبب عنه قوله **فان تولوا** اي عن الهجرة المذكورة **فخذوهم** اي فهروهم بالاسر وغيره **واقتلوهم حيث وجدتموهم** اي في حل وحرم ولما كانوا في هذه الحالة لا يوالون المومنين الا تكلفا قال **ولا تتخذوا** اي تتكلفوا ان تاخذوا **منهم وليا** اي من تفعلون معه فعل المقارب المصافي **ولا نصيرا** اي على احد من اعدائكم بل جانبوهم مجانبة كلية ولما كان سبحانه قد امر فيهم على تقدير توليهم بما امر استثنى منه فقال **الا الذين يصلون** اي فرارا منكم وهم من الكفار عند الجمهور **الى قوم بينكم وبينهم ميثاق** اي عهد وثيق بان لا تقاتلوهم فلا تقاتلوا من لجا اليهم او دخل فيما دخلوا فيه فكفوا حينئذ عن اخذهم وقتلهم **او الذين جاوكم** حال كونهم **حصرت** اي ضاقت وهابت واحجمت **صدورهم ان** اي عن ان **يقاتلوكم** اي لاجل دينهم وقومهم **او يقاتلوا قومهم** اي لاجلكم فرارا او يكفوا عن قتالكم وقتال قومهم فلا تاخذوهم ولا تقاتلوهم لانهم كالمسالمين بترك القتال ولعله عبر بالماضي في جا اشارة الى انه شرط مسا وانهم للواصلين الى المعاهدين عدم التكرر فان تكرر ذلك منهم فهم الاخرون الاتي حكمهم ولما كان التقدير فلو شا الله لجعلهم مع قومهم البا واحدا عليكم عطف عليه قوله **ولو** اي يكون المعنى والحال انه **شا الله** اي وهو المتصف بكل كمال **لسلطهم** اي هولا الواصلين والجايين على تلك الحال من الكفار **عليكم** بنوع من انواع التسليط تسليطا جاريا على الاسباب ومقتضى العوايد لان لهم قوة على قتالكم **فلقاتلوكم** اي فتسبب عن هذا التسليط انهم قاتلوكم مستقلين او مع غيرهم من اعدائكم واللام فيه جواب لو على التكرير او البدل من سلط ولما كان المعنى على النهي عن قتالهم حينئذ صرح به في قوله **فان اعتزلوكم** اي هولا الذين امرتكم بالكف عنهم من المنافقين فكفوا عنكم **فلم يقاتلوكم** منفردين ولا مجتمعين مع غيرهم **والقوا اليكم السلم** اي الانقياد **فما جعل الله** اي الذي لا امر لاحد معه بوجه من الجهات **لكم عليهم سبيلا** اي الى شي من اخذهم ولا قتلهم ولما كان كانه قيل هل بقي من اقسام المنافقين شي قيل نعم **ستجدون** اي من قرب بوعد لا شك فيه **اخرين** اي من المنافقين **يريدون ان يامنوكم** اي فلا يحصل لكم منهم ضرر **ويامنوا قومهم** كذلك لضعفهم عن كل منكم فهم يظهرون لكم الايمان اذا لقوكم ولهم الكفر اذا لقوهم وهو معنى **كلما ردوا الى الفتنة** اي الابتلا بالخوف عند المخالطة **اركسوا** اي قلبوا منكوسين **فيها** ولما كان هولا اعرق في النفاق وادنى واردى من الذين قبلهم واعدا صرح بمفهوم ما صرح به في اوليك لانه اغلظ وهم احذر من الاولين بالاغلاظ وطوى ما صرح به ثم قال **فان لم يعتزلوكم** ولما كان الاعتزال خضوعا لا كبرا صرح به في قوله **ويلقوا اليكم السلم** اي الانقياد ولما كان الالقا لا بد له من قراين تعرف بها قال **ويكفوا ايديهم** اي عن قتالكم واذا **فخذوهم** اي فهروهم بكل نوع من انواع القهر تقدرون عليه **واقتلوهم** ولما كان نفاقهم كما تقدم في غاية الردآة واخلاقهم في نهاية الدناة اشار الى الوعد بتيسير التمكين منهم فقال **حيث ثقفتموهم** فان معناه صادفتموهم وادركتموهم وانتم ظافرون بهم حاذقون في قتالهم فطنون بما يخفيفون فيه فان الثقف الحاذق الخفيف الفطن ولذلك اشار اليهم باداة البعد فقال **واوليكم** اي البعدا عن منال الرحمة من النصر والنجاة وكل خير **جعلنا** اي بعظمتنا **لكم عليهم سلطانا** اي تسلطا **مبينا** اي ظاهرا قوته وتسلطه وهذه الايات ملتبسة بايات براة فانها متاخرة النزول فانها بعد تبوك ولما بين اقسامهم بيانا ظهر منه ان احوالهم ملتبسة وامر بقتالهم مع الاجتهاد في تعرف احوالهم وختم بالتسلط عليهم وكان ربما قتل من لا يستحق القتل بسبب الالتباس تبع ذلك بقوله المراد به التحريم بحرفا له في صورة النفي الموكد بالكون لتغليظ الزجر عنه لما للنفوس عند الحظوظ من الدواعي الى القتل **وما كان لمومن** اي يحرم عليه **ان يقتل مومنا** اي في حالة من الحالات **الا خطا** اي في حالة الخطا بان لا يقصد القتل او لا يقصد الشخص او يقصده بما لا يقصد به زهوق الروح او لا يقصد ما هو بنوع كمن يرمي الى صف الكفار وفيهم مسلم او بان يكون غير مكلف فان القتل على هذا الوجه ليس بحرام وهذا الذي ذكره في اقسام المنافقين اشارة الى انه ينبغي التثبت والتحري في جميع امر القتل متى احتمل ان يكون القاتل مومنا احتمالا تقضي العادة بقربه فليلزم من ذلك بيان حكم الخطا ولام الاختصاص قد تطلق على ما لا مانع منه فاما مالك او لا او للذنب فكانه عبر به ليفيد بايجاب الكفارة والدية غاية الزجر عن قتل المومن لانه اذا كان هذا جزا ما هو له فيما الظن بما ليس له فقال تعالى **ومن قتل مومنا** صغيرا كان او كبيرا ذكرا كان او انثى ولعله عبر سبحانه بالوصف تنبيها على انه ان لم يكن كذلك في نفس الامر لم يكن عليه شي في نفس الامر وانما لزمه في الظاهر **خطا** ولما كان الخطا مرفوعا

ول

خبيك

عن هذه الأمة فكان لذلك يظن أنه لا شيء على المخطئ بين الأمر في القتل ليس كذلك حفظا للنفوس لأن الأمر فيها خطر جدا فقال مغلظا عليه حثا على زيادة النظر والتحري عند فعل ما قد يقتل فتحرير أي فالواجب عليه تحرير رقبة أي نفس عبر بها عنها لأنها لا تعيش بدونها كأنها الرق مؤمنة ولو بتبع الدار والسابي سليمة مما يخل بالعمل وقدم التحرير هنا حثا على زيادة التحري من تجاب لعبد وإيجاب ذلك في الخطأ إيجاب له في العمد بطريق الأولى وكأنه لم يذكره في العمد لأنه تخفيف في الجملة والسياق للتغليظ ودية مسلمة أي مؤداة بتيسير وسهولة إلى أهله أي ورثته يقتسمونها كما يقتسم الميراث إلا أن يصدقوا أي يجب ذلك عليه في كل حال إلا في حال تصدقهم بالعفو عن القاتل بإبرائه من الدية فلا شيء عليه حينئذ وعبر بالتصدق ترغيبا فإن كان أي المقتول من قوم أي فيهم منعة عدو لكم أي محاربين وهو أي والحال أنه مؤمن فتحرير أي فالواجب على القاتل تحرير رقبة مؤمنة وكأنه عبر بذلك إشارة إلى التحري في جودة إسلامها وقد أسقط هنا حرمة نفسه بغير الكفارة بسكناه في دار الحرب التي هي دار الإباحة أو وقوعه في صفهم ولعل من عادهم قال من ومعنا لها كما قال الشافعي وغيره تبعا لابن عباس رضي الله عنهما في وإن كان أي المقتول من قوم أي كفرة أيضا عدو لكم بينكم وبينهم ميثاق وهو كافر مثلهم فدية أي فالواجب فيه كالواجب في المؤمن المذكور قبله دية مسلمة إلى أهله على حسب دينه إن كان كتابيا فثلث دية المسلم وإن كان مجوسيا فثلثا عشرها وتحرير رقبة مؤمنة وكأنه قدم الدية هنا إشارة إلى المبادرة بها حفظا للعهد ولتأكيد أمر التحرير بكونه ختاما كما كان افتتاحا حثا على الوفاء به لأنه أمانة لا طالب له إلا الله وقال الأصبهاني إن سر ذلك أن الجانب في المؤمن أولى من الدية وبالعكس هنا انتهى وكان سر النظر إلى جبر الدين في المؤمن وإلى حفظ العهد في الكافر فمن لم يجد أي الرقبة ولا ما يتوصل به إليها فصيام أي فالواجب عليه صيام شهرين متتابعين حتى لو أفطر يوما واحدا لغير حيض ونفاس وجب الاستئناف وعلل ذلك بقوله عادا الخطأ بعد التعبير عنه باللام المقتضية أنه مباح دينا تغليظا للحث على مزيد الاحتياط توبة أي أوجب ذلك عليكم لأجل قبول التوبة من الله أي الملك الأعظم الذي كل شيء في قبضته ولما كان الكفارات من المشقة على النفس بمكان رغب فيه سبحانه بختم الآية بقوله وكان الله أي المحيط بصفات الكمال عليما أي بما يصلحكم في الدنيا والآخرة وبما يقع خطأ في نفس الأمر أو عمدا فلا يغتر أحد بنصب الأحكام بحسب الظاهر حكيما في نصبه الزواجر بالكفارات وغيرها فالزموا أوامره وباعدوا زواجره لتفوزوا بالعلم والحكمة ولما ساق تعالى الخطأ مساقا ما هو للقاتل منفرا عنه هذا التنفير ناسب كل المناسبة أن يذكر ما للعامد من ذلك إذ كان ضبط النفس بعد إرسالها شديدا فربما سهلت قتل من تحقق إسلامه إحنة وجرت إليه ضغينة وقوت الشبه فيه شدة شكيمة ولعمري إن الحمل على الكف بعد الإرسال أصعب من الحمل على الإقدام وإنما يعرف ذلك من جرب النفوس حال الإشراف على الظفر واللذاذة بالانتقام مع القوة والقدرة فقال ومن يقتل مؤمنا ولعله أشار بصيغة المضارع إلى دوام العزم على ذلك لأجل الإيمان وهو لا يكون إلا كفرا وترك الكلام محتملا زيادة تنفير من قتل المسلم متعمدا أي وأما الخطأ فقد تقدم حكمه في المؤمن وغيره فجزاؤه أي على ذلك جهنم أي تتلقاه متجهمة كما تجهم المقتول خالدا فيها أي ماكثا إلى ما لا آخر له وغضب الله أي الملك الأعلى الذي لا كفوء له مع ذلك عليه ولعنه أي وأبعده من رحمته وأعد له عذابا عظيما أي لا تبلغ معرفته عقولكم وإن عم القول في هذه الآية كان الذي خصها ما قبلها وما بعدها من قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الآية والفرقان فإنها مكية وهذه مدنية ولما تبين بهذا المنع الشديد من قتل العمد وما في قتل الخطأ من المؤاخذة الموجبة للتثبت وكان الأمر قد برز بالقتال والقتل في الجهاد موكدا بأنواع التأكيد وكان ربما التبس الحال أتبع ذلك التصريح بالأمر بالتثبت جوابا لمن كأنه قال ماذا نفعل بين أمر الإقدام والإحجام فقال يا أيها الذين آمنوا مشيرا بأداة البعد والتعبير بالماضي إلى من هو أدنى الأسنان إلى أن الراسخين غير محتاجين إلى مزيد التأكيد في التأديب وما أحسن التفاته إلى قوله تعالى وحرض المؤمنين إشارة منه تعالى إلى أنهم يتأثرون عن تحريضه صلى الله عليه وسلم وينقادون لأمره بما دلت عليه كلمة إذا في قوله تعالى إذا ضربتم أي سافرتم وسرتم في الأرض في سبيل الله أي الذي له الكمال كله لأجل وجهه مخلصا فتبينوا أي اطلبوا بالتأني والتثبت بيان الأمور والثبات في ملتبسها والتوقف الشديد عند مزالها وذلك بتمييز بعضها من بعض وانكشاف لبسها غاية الانكشاف ولا تقدموا إلا على ما بان لكم ولا تقولوا قولا فضلا عما هو أعلى منه لمن ألقى أي كائنا من كان إليكم السلام أي بادر بأن حياكم بتحية الإسلام ملقيا قياده لست مؤمنا أي بل متعوذ لتقتلوه ولما كان اتباع الشهوات عند العرب في غاية الذم قال موبخا منفرا عن مثل هذا في موضع الحال من فاعل تقولوا ما تبتغون أي حال كونكم تطلبون طلبا حثيثا بقتله عرض الحياة الدنيا أي بأخذ ما معه من الحطام الفاني والعرض الزائل أو بإدراك ثأر كان لكم قبله روى البخاري في التفسير ومسلم في آخر كتابه عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام قال كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون فقال السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته فأنزل الله ذلك إلى قوله عرض الحياة الدنيا ورواه الحارث بن أبي أسامة عن سعيد بن جبير وزاد كذلك كنتم من قبل تخفون إيمانكم وأنتم مع المشركين فمن الله عليكم وأظهر الإسلام فتبينوا ثم علل النهي عن هذه الحالة بقوله فعند الله أي الذي له الجلال والإكرام مغانم كثيرة أي يغنيكم بها عما تطلبون من العرض مع طيبها ثم علل النهي من أصله بقوله كذلك أي مثل هذا الذي قتلتموه بجعلكم إياه بعيدا من الإسلام كنتم وبعض زمان القبل كما هو الواقع بقوله من قبل أي قبل ما نطقتم بكلمة الإسلام فمن الله أي الذي له جميع صفات الكمال عليكم أي بأن ألقى في قلوب المؤمنين قبول ما أظهرتم امتثالا لأمره سبحانه بذلك فقوى أمر الإيمان في قلوبكم قليلا قليلا حتى صرتم إلى ما أنتم عليه من الرسوخ في الدين

والشهرة به

والشهرة به والعز ولو شاء لقسى قلوبكم وسلطهم عليكم فيقتلوكم فإذا كان الأمر كذلك فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الدين من القبول ما فعل بكم وهو معنى ما سبب عن الوعظ من قوله تأكيدا لما مضى إعلاما بغلظ أمر القتل فتبينوا أي الأمور وتثبتوا فيها حتى تتجلى ثم علل هذا الأمر بقوله مرغبا مرهبا إن الله أي المختص بأنه عالم الغيب والشهادة كان بما تعملون خبيرا أي يعلم ما أقدمتم عليه عن تبيين وعدمه فاحذروه بحفظ بواطنكم وظواهركم ولما ناسبت هذه الآية ما قبلها من آية القتل العمد والتفتت إلى وحرض المؤمنين وإلى آية التحية فاشتد اعتناقها لهما وعلم بها أن في الضرب في سبيل الله هذا الخطر فكان ربما فتر عنه بين فضله لمن كان له قابلية أن يتقعد عن الجهاد للسلم بقوله لا يستوي القاعدون أي عن الجهاد حال كونهم من المؤمنين أي العريقين في الإيمان ليفيد التصريح بتفضيل المؤمن المجاهد على المؤمن القاعد لئلا يخصه أحد بالكافر الجاحد ولما كان من الناس من عذره سبحانه برحمته استثناهم فقال واصفا للقاعدون أو مستثنيا منهم غير أولي الضرر أي المانع والعائق عن الجهاد في سبيل الله من عرج أو مرض أو عمى ونحوه وبهذا بان أن الكلام في المهاجرين روى البخاري في التفسير عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله فجاءه ابن أم مكتوم وهو يمليها فقال يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى فأنزل الله عز وجل على رسوله وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ثم سري عنه فأنزل الله غير أولي الضرر وأخرجه في فضائل القرآن عن البراء رضي الله عنه قال لما نزلت لا يستوي القاعدون الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم ادع زيدا وليجئ باللوح والدواة ثم قال اكتب لا يستوي وحديث زيد أخرجه أيضا أبو داود والترمذي والنسائي وفي رواية لأبي داود قال كنت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فما وجدت شيئا أثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سري عنه فقال لي اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون إلى آخرها فقام ابن أم مكتوم وكان رجلا أعمى لما سمع فضيلة المجاهدين فقال يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فلما قضى كلامه غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم السكينة فوقعت فخذه على فخذي ووجدت من ثقلها في المرة الثانية كما وجدت في المرة الأولى فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أولي الضرر الآية كلها قال زيد أنزلها الله وحدها فألحقتها والذي نفسي بيده لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع كتف ورواه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو يعلى الموصلي وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل إليه دام بصره مفتوحة عيناه وفرغ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عز وجل ولما ذكر القاعد أتبعه قسيمه المجاهد بقوله والمجاهدون في سبيل الله أي دين الملك الأعظم الذي من سلكه وصل إلى رحمته بأموالهم وأنفسهم ولما كان نفي المساواة سببا لترقب كل من الحزبين الأفضلية لأن القاعد وإن فاته الجهاد فقد يخلف الغازي في أهله أو يحيي الدين بالاشتغال بالعلم ونحوه قال مستأنفا فضل الله أي الذي له صفات الكمال المجاهدين ولما كان المال في أول الأمر ضيقا قال مقدما للمال بأموالهم وأنفسهم أي جهادا كائنا بالفعل على القاعدين أي عن ذلك وهم متمكنون منه بكونهم في دار الهجرة درجة أي واحدة كاملة لأنهم لم يفوتوهم بغيرها وفي البخاري في المغازي عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون إلى بدر ولما شرك بين المجاهدين والقاعدين بقوله وكلا أي من الصنفين وعد الله أي المحيط بالجلال والإكرام أجرا على إيمانهم الحسنى بين أن القاعد المشارك إنما هو الذي فيه قوة الجهاد القريبة من الفعل وهو المتمكن من تنفيذ الأمر بسبب هجرته لأرض الحرب وكونه بين أهل الإيمان وأما القاعد عن الهجرة مع التمكن فليس مشاركا في ذلك بل هو ظالم لنفسه فإنه ليس متمكنا من تنفيذ الأوامر فلا هو مجاهد بالفعل ولا بالقوة القريبة منه فقال وفضل الله أي الملك الذي لا كفوء له فلا مجير عليه المجاهدين أي بالفعل مطلقا بالنفس أو المال على القاعدين أي عن الأسباب الممكنة من الجهاد دون من الهجرة أجرا عظيما ثم بينه بقوله درجات وعظمها بقوله منه وهي درجة الهجرة ودرجة التمكن من الجهاد بعد الهجرة ودرجة مباشرة الجهاد بالفعل ولما كان الإنسان لا يخلو عن ذلك وإن اجتهد في العمل قال ومغفرة أي محوا لذنوبهم بحيث إنها لا تذكر ولا يجازى عليها ورحمة أي كرامة ورفعة وكان الله أي المحيط بالأسماء الحسنى والصفات العلى غفورا رحيما أزلا وأبدا لم يتجدد له ما لم يكن ثم علل ذلك بالغ حث على الهجرة فقال إن الذين توفاهم أي تقبض أرواحهم كاملة على ما عندهم من نقص بعض المعاني بما تركوا من ركن الهجرة بما أشار إليه حذف التاء وفي الحذف إشارة إلى أنه إذا تركه من يسعى في جبره بصدقة أو حج ونحوه من أفعال البر جبر لأن الأساس الذي تبنى عليه الأعمال الصالحة موجود وهو الإيمان الملائكة ظالمي أنفسهم أي بالقعود عن الجهاد بترك الهجرة والإقامة في دار الحرب حيث لا يتمكنون من إقامة شعائر الدين كلها قالوا أي الملائكة موبخين لهم فيم كنتم أي في أي شيء من الأعمال والأحوال كانت إقامتكم في بلاد الحرب ولما كان المراد من هذا السؤال التوبيخ لأجل ترك الهجرة قالوا معتذرين كنا مستضعفين في الأرض أي أرض الكفار لا نتمكن من إقامة الدين وكأنهم أطلقوها إشارة إلى أنها عندهم لاتساعها لكثرة الكفار هي الأرض كلها فكأنه

قيل هذا فنعى عليهم بذلك فقيل لا لأنهم لم يكونوا ضعفا عن الهجرة إلى موضع يأمنون فيه على دينهم قالوا ألم تكن أرض الله أي المحيط بكل
شيء الذي له كل شيء واسعة فتهاجروا أي بسبب اتساعها كل من يجادبكم في الدين حتى تأمنوا فيها أي إلى حيث يزول عنكم المانع
فالآية من الاحتباك ذكر الجهاد أولا في تفضيل الله المجاهدين دليل على حذفه ثانيا بعد ظالمي أنفسهم وذكر الهجرة ثانيا دليل على حذفها
أولا بالقعود عنها ولذلك خص الطائفة الأولى بوعد الحسنى ولما دخوا على تركهم الهجرة سبب عنه جزاؤهم فقيل فأولئك أي البعداء
من اجتهادهم لأنفسهم مأواهم جهنم أي لتركهم الواجب وتكثيرهم سواد الكفار وأبساطهم في وجوه أهل النار وساءت مصيرا
روى البخاري في التفسير والفتن عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي السهم يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله تعالى إن الذين توفاهم الآية
ولما توعد على ترك الهجرة أتبع ذلك بما زاد القاعد عنها تخويفا بذكر من لم يدخل في المحكوم عليه بالقدرة على صورة الاستثنا
تنبيها على أنهم جديرون بالتسوية في الحكم لولا فضل الله عليهم فقال بيانا لأن المستثنى منهم كاذبون في ادعائهم الاستضعاف
إلا المستضعفين أي الذين وجد ضعفهم في نفس الأمر وعدوا ضعفا وتقوى عليهم غيرهم من الرجال والنساء والولدان
ثم بين ضعفهم بقوله لا يستطيعون حيلة أي في إيقاع الهجرة ولا يهتدون سبيلا أي إلى ذلك ولما كانت الهجرة شديدة
وكان ربما تركها بعض الأقوياء واعتل بالضعف وربما ظن القادر مع المشقة أنه ليس بقادر نفر من ذلك بالإشارة إليهم
بأداة البعد فقال فأولئك ولما كان لله تعالى أن يفعل ما يشاء لا يجب عليه شيء ولا يقبح منه شيء بل له أن يعذب الطائع وينعم
العاصي ويفعل ويقول ما يشاء لا يسأل عما يفعل أحل هؤلاء المعذورين محل الرجاء إيذانا بأن ترك الهجرة في غاية الخطر فقال
عسى الله أي المرجو للخليق والجدير من الملك المحيط بأوصاف الكمال أن يعفو عنهم أي ولو واخذهم لكان له ذلك وكل ما جا
في القرآن من نحو هذا فهو للإشارة إلى هذا المعنى وقول ابن عباس رضي الله عنهما إن عسى من الله واجبة معناه أنه مع أن له
أن يفعل ما يشاء لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة على ما يتصوره منهاج العقل السليم وكان الله أي الملك الذي له كل شيء فلا اعتراض
عليه أزلا وأبدا عفوا أي محوا للذنب إذا أراد فلا يعاقب عليه وقد يعاتب عليه غفورا أي يزيل أثره أصلا ورأسا بحيث لا يعاقب عليه
ولا يعاتب ولا يكون بحيث يذكر أصلا ولعل العفو راجع إلى الرجال والغفران إلى النساء والولدان ولما رهب من ترك الهجرة رغب
فيها بما يسلي عما عساه يوسوس به الشيطان من أنه لو فارق رفاهية الوطن وقع في شدة الغربة وأنه ربما تجشم المشقة فاخترم
قبل بلوغ القصد فقال تعالى ومن يهاجر أي يوقع الهجرة لكل ما أمر الله ورسوله بهجرته في سبيل الله أي الذي لا أعظم من ملكه
ولا أوضح من سبيله ولا أوسع يجد في الأرض أي ذات الطول والعرض مراغما أي مهربا ومذهبا ومضطربا يكون موضعا للمراغمة
بغضب الأعداء به ويرغم أنوفهم بسبب ما يحصل له من الرفق وحسن الحال فيجعل بها جره من سوء معاملتهم له من الرغم وهو الذل
والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب تقول راغمت فلانا أي هجرته وهو يكره مفارقتك لذلة تلحقه بذلك
ولما كان ذلك الموضع وإن كان واحدا فإنه لكبره ذو أجزاء عديدة وصف بما يقتضي التعدد فقال كثيرا ولما كانت المراغمة
لذة الروح فكانت أعز من لذة البدن قدمها أتبعها قوله وسعة أي في الرزق كما قال صلى الله عليه وسلم صوموا تصحوا
وسافروا تغنموا أخرجه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه اغزوا تغنموا وهاجروا تفلحوا ولما كان ربما مات المهاجر
قبل وصوله إلى النبي صلى الله عليه وسلم فظن أنه لم يدرك الهجرة مع تجشمه لفراق بلده قال ومن يخرج من بيته أي فضلا عن بلده
مهاجرا إلى الله أي رضى الملك الذي له الكمال كله ورسوله أي ليكون عنده ثم يدركه الموت أي بعد خروجه من بيته ولو
قبل الفصول من بلده فقد وقع أجره أي في هجرته بحسب الوعد تفضلا لا بحسب الاستحقاق عدلا على الله أي الذي له
تمام الإحاطة فلا ينقصه شيء وكذا كل من نوى خيرا ولم يدركه لأحد الأمرين فهو موفيه إياه توفية ما يليق بالكريم منكم
ولما كان بعضهم ربما قصر بعد البلوغ في توابعه في سيره أو عن خروجه من بلده فظن أن هجرته هذه لم تجبر تقصيره قال وكان الله
أي الذي له جميع صفات الكمال غفورا أي للمقصرين كان رحيما يكرمهم بعد المغفرة بأنواع الكرامات ولما أوجب السفر
للجهاد والهجرة وكان مطلق السفر مظنة المشقة فكيف بسفرهما مع ما ينضم إلى المشقة فيهما من خوف الأعداء ذكره
تخفيف الصلاة بالقصر بقوله تعالى وإذا ضربتم أي بالسفر في الأرض أي سفر كان لغير معصية ولما كان القصر رخصة
غير عزيمة بينه بقوله فليس عليكم جناح أي إثم وميل في أن تقصروا ولما كان القصر خاصا ببعض الصلوات أتى
بالجار لذلك ولإفادة أنه في الكم لا في الكيف فقال من الصلاة أي فاقصروا إن أردتم وأتموا إن أردتم وبينت السنة
أعيان الصلوات المقصورات وأنه لم يقصر منها من ركعة وأن القصر من الكمية لا من الكيفية بالإيماء مثلا في صلاة الخوف
بقول عمر رضي الله عنه ليعلى بن أمية حين قال له كيف نقصر وقد أمنا عجبت مما عجبت منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته هذا هو حقيقة القصر والذي دلت عليه من وأما الإيماء ونحوه من كيفيات
صلاة الخوف فأبدال لا قصر والسياق كما ترى يشير إلى شدة الاهتمام بشأنها وأنه لا يسقطها عن المكلف شيء قاض
بأن المخاطرة بالنفس والمال لا تسقط الجهاد ولا الهجرة إذ الخوف والخطر مبنى أمرهما ومحط قصدهما فهذا سر قوله
إن خفتم أن يفتنكم أي يخالطكم بمخالطة مزعجة الذين كفروا إلا أنه شرط في القصر كما بينت نفي شرطيته السنة والحاصل

الذين

أن هذا الشرط ذكر لهذا القصد لا لمخالفة المفهوم للمنطوق بشهادة السنة وقد كانت الصلاة قبل الهجرة ركعتين
ركعتين فأتمت بعد الهجرة إشارة إلى أن المدينة دار الإقامة وما قبلها كان محل سفر ونقل روى الشيخان وأحمد وهذا
لفظه عن عائشة رضي الله عنها قالت فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
أقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر ولما ذكر الخوف منهم علله مشيرا بالإظهار موضع الإضمار وباسم الفاعل إلى
أن من تلبس بالكفر ساعة ما أعرق فيه أو إلى أن المجبول على العداوة المشار إليه بلفظ الكون إنما هو الراسخ في الكفر
المحكوم بموته عليه فقال إن الكافرين أي لما سحن منهم في الكفر كانوا أي جبلة وطبعا ولعله أشار إلى أنهم مخلوقون
بقوله لكم دون عليكم عدوا ولما كان العدو مما يستوي فيه الواحد والجمع قال مبينا أي ظاهر العداوة بعد ونعليكم لقصد
الأذى بهما وحد ولذلك سبيلا فربما وجدوا الفرصة في ذلك عند طول الصلاة فلذلك قصرتها ولولا أنها لا رخصة
فيها بوجه لوضعتها عنكم في مثل هذه الحالة أو جعلت التخفيف في الوقت فأمرت بالتأخير ولكنه لا زكا للنفوس بدون ذلك
فعلها على ما حددت من الوقت وغيره ولما أتم سبحانه بيان أن القصر في الكمية مقرونا بالخوف لما ذكر وكان حضور النبي صلى
الله عليه وسلم مظنة الأمن بالتأييد بالملائكة ووعد العصمة من الناس وما شهر به من الشجاعة وصرح به من الرعب وغير
من الأمور القاضية بأن لا خافية بين سبحانه حال الصلاة في الكيفية عند الخوف وأن صلاة الخوف تفعل عند الأمر
بحضرته كما تفعل عند الاستيحاش لغيبته صلى الله عليه وسلم تحذيرا لهما لقوم لغير هو صلى الله عليه وسلم فيهم مفهوم
موافقة فقال تعالى وإذا كنت حال الخوف الذي تقدم فرضه فيهم أي في أصحابك سواء كان ذلك في السفر أو في
الحضر فأقمت أي ابتدأت وأوجدت لهم الصلاة أي الكاملة وهي المفروضة فلتقم طائفة منهم معك أي في الصلاة
ولتقم الطائفة الأخرى وجاه العدو ويطوفون في كل موضع يمكن أن يأتي منه العدو وليأخذوا أي المصلون لأنهم الحاضرون
إلى هذا الأمر لدخولهم في حالة هي مظنة ترك السلاح أحد أسلحتهم كما يأخذها من هو خارج الصلاة وسبب الأمر بصلاة
الخوف كما في صحيح مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه أنهم غزوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقاتلوا قوما من جهينة
فقاتلونا قتالا شديدا قال جابر رضي الله عنه فلما صلينا الظهر قال المشركون لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم
فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فذكر ذلك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
وقالوا إنها ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد فلما حضرت العصر صفنا صفين والمشركون بيننا وبين القبلة
الحديث فإذا سجدوا ويمكن أن يكون المراد بالسجود ظاهره فيكون الضمير في فليكونوا للجمع الذين منهم هذه
الطائفة المذكورين بطريق الإضمار في قوله وإذا كنت فيهم وفي فلتقم منهم أي فإذا سجد الذين قاموا معك
في الصلاة فليكن الحدث عنهم وهم الباقون الذين أنت فيهم وهذه الطائفة منهم من ورائكم فإذا أتمت هذه
الطائفة صلاتها فلتذهب إلى الحراسة ولتأت طائفة أخرى أي من الجماعة لم يصلوا فليصلوا معك كما
صلت الطائفة الأولى فإن كانت الصلاة ثنائية ولم تصل كل طائفة جميع الصلاة فلتسلم بالطائفة الثانية وإن كا
رباعية ولم تصل كل فرقة جميع الصلاة فلتتم صلاتها ولتذهب إلى وجاه العدو ولتأت طائفة أخرى وهكذا
حتى تتم الصلاة ويمكن أن يكون المراد بالسجود الصلاة من إطلاق اسم الجزء على الكل فكأنه قال فإذا صلوا أي أتموا
صلاتهم على ما مضت الإشارة إليه والضمير حينئذ في فليكونوا للطائفة الساجدة وقوله وليأخذوا يمكن أن
يكون ضميره للكل ليلا يتوهم أن الأمر بذلك يختص بالمصلي لأن غيره لا عائق له عن الأخذ متى شاء أي ولتأخذ
جميع الطوائف الحارسون والمصلون حذرهم وأسلحتهم في حال صلاتهم وحراستهم وإتيانهم إلى الصلاة
وانصرافهم منها فجعل الحذر الذي هو التيقظ والتحذر بالقلب للفكر على ما يمنع كيد العدو كالآلة المحسوسة
وخص في استعماله في الصلاة في شأن العدو وخص آخر الصلاة بزيادة الحذر إشارة إلى أن العدو في أول الصلاة
قلما يفطنون لكونهم في الصلاة بخلاف الآخر فلهذا خص بمزيد الحذر وهذا الكلام على وجازته محتمل كما ترى
لجميع الكيفيات المذكورة في الفقه لصلاة الخوف إذا لم يكن العدو في وجه القبلة على أنها تحتمل التنزيل على ما
إذا كان في وجه القبلة بأن تحمل الورا على ما وراء السجود عنكم وإتيان الطائفة الأخرى على الإقبال على المتابعة
للإمام في الأفعال ولم يصلوا أي بقيد المتابعة في جميعها والله الهادي وما أحسن اتصال ذلك بأول آيات الجهاد
في هذه السورة يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فهو من رد المقطع على المطلع ثم علل أمره بهذه الكيفية على هذا
الاحتياط والحزم بقوله مغريا لهم بقتالهم في ذلك بإقبال الخطاب عليهم ود أي تمنى تمنيا عظيما الذين كفروا أي أوقعوا
الكفر وثبتوا فكيف بمن هو عريق فيه لو تغفلون أي يقع لكم غفلة في وقت ما عن أسلحتكم ولما كانت القوة
بالآلات مرهبة للعدو ومسكنة قال وأمتعتكم ولما كانت الغفلة ضعفا ظاهرا تسبب عنها قوله فيميلون
وأشار إلى العلو والغلبة بقوله عليكم وأشار إلى سرعة الأخذ بقوله ميلة وأكده بقوله واحدة ولما كان الله وله
المن قد رفع عن هذه الأمة الحرج وكان المطر والمرض شاقين قال ولا جناح أي حرج عليكم إن كان بكم أذى

اي وان كان يسيرا من مطر اي لان حمل السلاح حينئذ يكون سببا لبله او كنتم مرضى اي متصفين بالمرض وكان التعبير بالوصف
اشارة الى ان ادنى شيء منه لا يرخص ان تضعوا اسلحتكم اي لان حملها يزيد المريض وهنا ولما خفف ما اوجبه اولا من اخذ
السلاح برفع الجناح في حال العذر وكان العدو يفضحوه ان شيئا عطف عليه بصيغة الامر اشارة الى وجوب الحذر منهم في
كل حال قوله وخذوا حذركم اي في كل حالة فان ذلك نفع لا يتوقع منه ضرر ثم علل ذلك بما بشرهم بالنصر تشجيعا للمؤمنين
واعلاما بان الامر بالحزم انما هو للجري على ما رسمه من الحكمة في قوله ربط المسببات بالاسباب فهو من باب اعقلها وتوكل فقال
ان الله اي المحيط علما وقدرة اعد اي في الازل للكافرين اي الدائمين على الكفر لا من اتصف به وقتا ما وتاب منه عذابا مهينا
اي يهينهم به من اعظمه حذركم الذي لا يدع لهم عليكم مقدما ولا تمكنهم معه منكم فرصة ولما علمهم ما يفعلون في الصلاة حال
الخوف اتبع ذلك ما يفعلون بعدها لئلا يظن انها تغني عن تجرد الذكر فقال مشيرا الى تخفيفها بها فاذا قضيتم الصلاة
اي فرغتم من فعلها واديتموها على حالة الخوف او غيرها فاذكروا الله اي بعد الصلاة لانه لاحاطته بكل شيء يستحق ان يراقب
فلا ينسى قياما وقعودا وعلى جنوبكم اي في كل حالة فان ذكره حصن في كل حالة من كل عدو ظاهر او باطن ولما كان الذكر اعظم
حفيظ للعبد وحارس من شياطين الانس والجن ومسكن للقلوب الا بذكر الله تطمئن القلوب اشار الى ذلك بالامر بالصلاة حال
الطمانينة تنبيها على عظم قدرها وبيانا لانها اوثق عرى الدين واقوى دعائمه وافضل مجليات القلوب ومهذبات النفوس
لانها مشتملة على مجامع الذكر ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فقال فاذا اطمانتم اي عما كنتم فيه من الخوف
فاقيموا الصلاة اي فافعلوها قائمة المعالم كلها على الحالة التي كنتم تفعلونها قبل الخوف ثم علل الامر بها في الامن والخوف
والسعة والضيق سفرا وحضرا بقوله ان الصلاة مظهرا لما كان الاصل فيه الاضمار تنبيها على عظيم قدرها بما للعبد فيها من الوصلة
بمعبوده كانت على المؤمنين كتابا اي هي مع كونها فرضا جامعة على الله جمعا لا يفارقها فيه غيره موقوتا اي وهي مع كونها
محدودة مضبوطة باوقات مشهورة فلا يجوز اخراجها عنها في امن ولا خوف فوقت بها اشارت اليه مادة وقت للابدان بما ينبت
من الارزاق وللقلوب بما تجلب من المعارف والانوار ولما عرف من ذلك ان ايات الجهاد في هذه السورة محلها الحذر خوف الضرر
مرشدة الى اتقان المكايد للتخلص من الخطر وكان ذلك مظنة لمتابعة النفر والمبالغة فيه وهو مظنة للتواني في امر الجهاد اتبع ذلك
قوله تعالى منبها على الجد في امره وانه لم يدع في الصلاة ولا غيرها ما يشغل عنه عاطفا على خذوا فافعلوا ما امركم به او على فاقيموا
الصلاة ولا تهنوا اي تضعفوا وتتوانوا بالاشتغال بذكر ولا صلاة فقد يسرت ذلك لكم تيسيرا لا يعوق عن شيء من امر الجهاد
في ابتغاء القوم اي طلبهم بالاجتهاد دون كانوا في غاية القوة والقيام بالامور ثم علل ذلك بقوله ان تكونوا تالمون اي يحصل لكم
الم ومشقة بالجهاد من القتل وما دونه فانهم يالمون كما تالمون لانهم يحصل لهم من ذلك مثل ما يحصل لكم فلا يكونن على
باطلهم اصبر منكم على حقكم ولما بين ما يكون مانعا لهم من الوهن دونكم لانه مشترك بينهم وبين ما يحملهم على الاقدام لاختصاصه بكم
فقال وترجون اي انتم من الله اي الذي له جميع الاسماء الحسنى والصفات العلى ما لا يرجون اي من النصر والعز والكرم واللطف
لانكم تقاتلون فيه وهم يقاتلون في الشيطان وهذا لكل من يامر بالمعروف وينهى عن المنكر سوا كان ذلك في جهاد الكفار او لا
ولما كان العلم مبنى كل خير وكانت الحكمة التي هي نهاية العلم وغاية القدرة مجمع الصفات العلى قال تعالى وكان الله اي الامر لكم
بهذه الاوامر وهو المحيط بكل شيء عليما اي بالغ العلم فهو لا يامر الا بما يكون بالغ الحسن مصلحا للدين والدنيا حكيما فهو يتقن
لمن يامره الاحوال ويسدده في المقال والفعال فمن علم منه خيرا اراده ورقاه في درج السعادة ومن علم منه شرا كاده فنكس
مبداه ومعاده ولما كان اول هذه القصص التعجيب من حال الذين من ادعى الايمان اوتوا نصيبا من الكتاب في ضلالهم واضلالهم
ثم التعجيب من ايمانهم بالجبت والطاغوت ثم التعجيب من حال من ادعى الايمان بهذا الكتاب مع الكتب السالفة ثم رضي بحكم غيره
وساق سبحانه فصول ذلك وتوابعه ونصب الادلة حتى علت على الفرقدين وانتشر ضياؤها على جميع الخافقين وختم ذلك بمجاهدة
المبطلين بالحجة والسيف وسور ذلك بصفتي العلم والحكمة ناسب تمام المناسبة الاخبار بانه انزل هذا الكتاب بالحق وبين
فائدته التي عدل عنها المنافقون في استحكام غيره فقال انا انزلنا اي بما لنا من العظمة التي تتقاصر دونها كل عظمة
اليك اي خاصة وانت امام الخلق الكتاب اي الكامل الجامع لكل خير بالحق اي ملتبسا بما يطابقه الواقع لتحكم بين الناس
اي عامة لان دعوتك عامة فلا اضل ممن عدل عن حكمك وبغى خيرا من غير كتابك واشار الى انه لا ينطق عن الهوى بقوله بما اراك
الله اي عرفك الذي له القدرة الشاملة والعلم الكامل فان كان قد بين لك شيئا غاية البيان فافعله والا فانتظر منه البيان
ثم شرع سبحانه في تمام ما بقي من اخبارهم وكشف ما بطن من اسرارهم وبيان علاماتهم ليعرفوا ويجتنبها المؤمنون لئلا
يوسموا بميسمهم ولما كان سبحانه قد خفف عليه صلى الله عليه وسلم بالدفع عن طعمة بن ابيرق لان امره كان مشكلا فانه سرق
درعا واودعها عند يهودي فوجدت عنده فادعى ان طعمة اودعها عنده ولم يثبت ذلك على طعمة حتى انزل الله الاية فاراد
انزاله في هذه النازلة وغيرها لما يؤيده سبحانه في المقام الخضري من الحكم بما في نفس الامر مما لا يعلمه الا الله تعالى اذ كان الصحيح
الذي عليه الجمهور كما نقله شيخنا قاضي الشافعية بمصر ابو الفضل احمد بن علي بن حجر رحمه الله في الاصابة في اسماء الصحابة
ان الخضر عليه السلام نبي وكان نبينا صلى الله عليه وسلم قد اعطي مثل جميع معجزات الانبياء مع ما اختص به دونهم على جميعهم

افضل

افضل الصلاة وازكى التسليم والبركات فقال تعالى عاطفا على ما علم تقديره من نحو فاحكم بما تريك من انوار العلو
التي اودعناها هذا الكتاب ولا تكن للخائنين اي لاجلهم من طعمة وغيره خصيما اي مخاصما لمن يخاصمهم واتبع ذلك
قوله واستغفر الله اي اطلب مغفرة من له الكمال كله من لمهم بالذب عنه ثم علل بقوله ان الله اي الذي له الاحاطة
التامة والغنى المطلق كان اي ازلا وابدا غفورا رحيما وهذا الاستغفار لا عن ذنب وهو منزه عن ذلك معصوم منه
ولكن عن مقام عال تام للادنى الى اعلى منه واتم وقد روى الترمذي سبب نزول هذه الايات الى قوله تعالى فقد ضل
ضلالا بعيدا من وجه مستقصى مبين بيانا شافيا وسمى بني ابيرق بشيرا وبشرا ومبشرا ولم يذكر طعمة والله اعلم
قال عن قتادة بن النعمان قال كان اهل بيت منا يقال لهم بنو ابيرق بشر وبشير ومبشر وكان بشير رجلا منافقا
يقول الشعر يهجو به اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ينحله بعض العرب يقول قال فلان كذا فاذا سمع اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الشعر قالوا والله ما يقول هذا الشعر الا هذا الخبيث وكانوا اهل بيت حاجة
وفاقة في الجاهلية والاسلام فقدمت ضافطة من الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملا من الدرمك فجعله في مشربة
وفي المشربة سلاح درع وسيف فعدي عليه فنقبت المشربة واخذ الطعام والسلاح فلما اصبح اتاني فقال يا ابن اخي
انه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا فتحسسنا في الدار فقيل لنا قد
راينا بني ابيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى الا على بعض طعامكم وكان بنو ابيرق قالوا ونحن نسال في الدار والله
ما نرى صاحبكم الا لبيد بن سهل رجلا منا له صلاح واسلام فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال انا اسرق فوالله ليخالطنكم
هذا السيف او لتبينن هذه السرقة قالوا اليك عنا ايها الرجل فما انت بصاحبها فسالنا في الدار حتى لم نشك انهم
اصحابها فقال لي عمي يا ابن اخي لو اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فاتيته فقال النبي صلى الله عليه وسلم
سآمر في ذلك فلما سمع بنو ابيرق اتوا رجلا منهم يقال له اسير بن عروة فكلموه في ذلك فاجتمع في ذلك اناس من
اهل الدار فقالوا يا رسول الله ان قتادة بن النعمان وعمه عمدا الى اهل بيت منا اهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة
من غير بينة ولا ثبت قال قتادة فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمدت الى اهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح
ترميهم بالسرقة على غير ثبت وبينة قال فقال لي عمي ما اخبرته ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله المستعان
فلم يلبث ان نزل القران انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الى خصيما بني ابيرق واستغفر الله مما قلت لقتادة ان الله
كان غفورا رحيما الى قوله فسوف نؤتيه اجرا عظيما فلما نزل القران اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فرده
الى رفاعة فلما نزل القران لحق بشير بالمشركين فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية فانزل الله ومن يشاقق الرسول
الى قوله ضلالا بعيدا وروى الحديث ابن اسحق في السيرة وزاد ان حسان قال في نزوله عندها ابياتا فطردته فلحق بالطائف
فدخل بيتا ليسرق منه فوقع عليه فقالت قريش والله ما يفارق محمدا من اصحابه احد فيه خير ولما نهاه عن الخصام
المطلق للخائن وهو من وقعت منه خيانة ما اتبعه النهي عن المجادلة عمن تعمد الخيانة فقال تعالى ولا تجادل اي في وقت ما
عن الذين يختانون اي يتعمدون تعمدا ان يخونوا انفسهم بان يوقعوها في الهلكة بالعصيان فيما ائتمنوا عليه من الامور
الخفية والتعبير بالجمع مع ان الذي نزلت فيه الاية واحد للتعميم وتهديد من اعانه من قومه ويجوز ان يكون اشارة بصيغة
الافتعال الى ان الخيانة لا تقع الا مكرره فانه يعزم عليها اولا ثم يفعلها فادنى ذلك ان يكون قد خان من نفسه مرتين قال
الامام ما معناه ان التهديد في هذه الاية عظيم جدا وذلك انه تعالى عاتب خير الخلق عنده ولو لم يرد بهذه المعاتبة
وما فعل الا الحق في الظاهر فكيف بمن يعلم الباطن ويساعد اهل الباطل فكيف ان كان بغرضهم ثم اشار تعالى الى ان من
خان غيره كان مبالغا في الخيانة بالعزم وخيانة الغير المستلزمة لخيانة النفس فلذا ختمت بالتعليل بقوله ان الله اي
الجليل العظيم ذا الجلال والاكرام لا يحب اي لا يكرم من كان خوانا اثيما بصيغتي المبالغة على ان مراتب المبالغين في
الخيانة تتفاوت وفيه مع هذا استعطاف لمن وقعت منه الخيانة مرة واحدة وقدم سبحانه ذلك لان فيه دفعا للضر عن
البريء وجلبا للنفع اليه ثم اتبعه بعيب هذا الخائن وقلة تامله والاعلام بان المجادلة عنه قليلة الجدوى فقال تعالى
معجبا منهم بما هو كالتعليل لما قبله يستخفون اي هؤلاء الخونة طعمة ومن مالاه وهو يعلم باطن امره من الناس حياء منهم
وخوفا من ان يضروهم لمشاهدتهم لهم وتوقفا مع الوهم كالبهائم ولا يستخفون اي يطلبون ويوجدون الخفية بعدم الخيانة
من الله اي الذي لا شيء اظهر منه لما له من صفات الكمال وهو اي والحال انه معهم لا يغيب عنه شيء من احوالهم ولا يعجزه شيء
من نكالهم فالاستخفاء منه لا يكون الا بترك الخيانة ومحض الاخلاص فيما سولوه من اغلب الافعال والاقوال والاحوال اذ اي
حين يبيتون اي يرتبون ليلا على طريق الامعان في الفكر والاتقان للراي ما لا يرضى من القول اي من البهت والحلف عليه
فلا يستحيون منه ولا يخافون لاستيلاء الجهل والغفلة على قلوبهم وعدم ايمانهم بالغيب ولما اثبت علمه سبحانه بهذا من
حالهم عم فقال وكان الله اي الذي كل شيء في قبضته لانه الواحد الذي لا كفؤ له بما يعملون اي من هذا وغيره محيطا اي
علما وقدرة ولما وبخهم سبحانه على جهلهم حذرا من مناصرتهم فقال مبينا انها لا تجديهم شيئا تخوفا لهم جدا بالمواجهة بمثل

هذا التنبيه والخطاب ثم الاشارة بعده ها انتم هولاء وزادوا في الترهيب للتخيين بما هو من الجدال الذي هو اشد الخصومة
من جدل الحبل الذي هو شده فتله واظهاره في صيغة المفاعلة فقال مبينا لان المراد من الجملة السابقة التهديد جادلتم عنهم
في هذه الواقعة او غيرها في الحياة الدنيا اي بما جعل لكم من الاسباب والماخذ دوم وبحثكم على قلة فطنتهم وزيادة في التحذير بان
مجادلتكم هذه سبب لوقوع الحكومة بين يديه سبحانه فقال فمن يجادل الله اي الذي له الجلال كله عنهم اي حين تنقطع الاسباب
يوم القيمة ولا يفترق الحال في هذا بين ان تكون ها من ها انتم للتنبيه او بدلا عن همزة استفهام على ما تقدم فان معنى الانكار
هنا واضح على كلا الامرين ولما كان من اعظم المحاسن كف الانسان عما لا يعلم له به عطف على الجملة من اولها من غير تقييد بيوم
القيمة منبها على قبح المجادلة عنهم بقصور علم الخلايق قوله ام من يكون اي فيما ياتي من الزمان عليهم وكيلا اي يعلم منهم ما
يعلم الله بان يحصي عليهم ما لهم فلا يغيب عنه منها شي ليجادل الله عنهم فيثبت لهم ما نالوه وينفي عنهم ما لم يلابسوه ويرعاهم
ويحفظهم مما ياتيهم به القدر من الضرر والكدر ولما نهى عن نصرة الخائنين وحذر منها ندب الى التوبة من كل سوء فقال عاطفا
على ما تقديره فمن يصر على مثل هذه المجادلة يجد الله عليما حكيما ومن يعمل سوءا اي قبيحا متعديا يسوء غيره شرعا عمدا كما
فعل طعمة او غير عمد او يظلم نفسه بما لا يتعداه الى غيره شركا كان او غيره او بالرضى لها بما غيره اعلى منه ولم يسمه بالسوء
لانه لا يقصد نفسه بما يضرها في الحاضر ثم يستغفر الله اي يطلب من الملك الاعظم غفرانه بالتوبة بشروطها يجد الله
اي الجامع لكل كمال غفورا رحيما اي بليغ المحو لما تاب منه والاكرام لمن اقبل اليه من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني
ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة روى اسحق بن راهويه عن عمر رضي الله عنه وابو يعلى الموصلي عن ابي الدردا
رضي الله عنه ان هذه الاية نسخت من يعمل سوءا يجز به وانها نزلت بعدها ولما ندب الى التوبة ورغب فيها بين ان ضرر اثمه لا
يتعدى نفسه حثا على التوبة وتهييجا اليها لما جبل عليه كل احد من محبة نفع نفسه ودفع الضرر عنها فقال ومن يكسب اثما
اي ثم كان فانما يكسبه على نفسه لان وباله راجع عليه اذ الله له بالمرصاد فهو مجازيه على ذلك لا محالة غير حامل لشي من اثمه على غيره
كما انه غير حامل لشي من اثم غيره عليه والكسب فعل ما يجر نفعا او يدفع ضرا ولما كان هذا لا يكون الا مع العلم والحكمة قال تعالى وكان الله
اي الذي له كمال الاحاطة ازلا وابدا عليما اي بالغ العلم بدقيق ذلك وجليله فلا يترك شيئا منه حكيما فلا يجازيه الا بمقدار ذنبه واذا
اراد شيئا وضعه في احكم مواضعه فلا يمكن غيره شي من نقضه ولما ذكر ما يخص الانسان من اثمه اتبعه ما يعديه الى غيره فقال ومن
يكسب خطيئة اي ذنبا غير متعمد له او اثما اي ذنبا تعمده ولما كان البهتان شديدا جدا قل من يجتري عليه اشار اليه باداة التراخي
فقال ثم يرم به بريا اي ينسبه الى من لم يعمله كما فعل طعمة باليهودي وابن ابي بالصديقة رضي الله عنها وعظم جرم فاعل ذلك الافتعال
بقوله فقد احتمل وبقوله بهتانا اي خطر كذب يبهت المرمي به لعظمه وكانه اشارة الى ما يلحق الرامي في الدنيا من الذم واثما اي ذنبا
كبيرا مبينا يعاقب به في الاخرة وانما كان مبينا لمعرفته بخيانة نفسه وبراءة المرمي ولان الله اجرى عادته الجميلة ان يظهر براءة
المقذوف به يوما ما بطريق من الطرق ولو لبعض الناس ولما وعظ سبحانه في هذه النازلة وحذر ونهى وامر بين نعمته على نبيه
صلى الله عليه وسلم في عصمته عما ارادوه من مجادلته عن الخائن بقوله تعالى ولولا فضل الله اي الملك الاعلى عليك اي بانزال الكتاب
ورحمته اي باعلاء امرك وعصمتك من كل ذي كيد وحفظك في اصحابك الذين اتوا يجادلون عن ابن عمهم سارق الدرع في التمسك
بالظاهر وعدم تقصد العناد لهمت طايفة منهم اي فرقة فيها اهلية الاستدارة والتحلق لا تزال تتحلق فتقبل الاراء وتقلب الامور وتدبر
الانكار في ترتيب ما تريد ان يضلوك اي يوقعوك في ذلك بالحكم ببراءة طعمة ولكن الله حفظك في اصحابك فما هموا بذلك وانما قصدوا
المدافعة عن صاحبهم بما لم يحققوه ولو هموا لما اضلوك وما يضلون اي على حالة من حالات هذا الهم الا انفسهم اذ وبال ذلك عليهم
وما يضرونك اي يجددون في ضرك حالا ولا مالا باضلال ولا غيره من شي هو وعد بدوام العصمة في الظاهر والباطن كما بين للملائكة
ايضا وان كانت هذه تسببا فيها ظاهرة في الباطن وتلك ظاهرة في الظاهر وانزل الله اي الذي له جميع العظمة عليك وانت اعظم
الخلق عصمة لامتك الكتاب اي الذي تقدم اول القصة الاشارة الى كماله وجمعه لخيري الدارين والحكمة اي العلم بجميع مقاصد
الكتاب فتكون افعالك واقوالك من بابة بعلك فيه على اتم الاحوال فتتطفو بتحقيق العلم واتقان العمل وعمم بقوله وعلمك ما لم
تكن تعلم اي من المشكلات وغيرها غيبا وشهادة من احوال الدين والدنيا وكان فضل الله اي المتوحد بكل كمال عليك عظيما
اي بحيث ذلك من امور لا تدخل تحت الحصر وهذا من اعظم الادلة على ان العلم اشرف الفضايل ولما كان قوم طعمة قد ناجوا النبي
صلى الله عليه وسلم في الدفع عنه نبههم سبحانه وغيرهم على ما ينبغي ان يقع به التناجي ونحسن فيه التقاول والتجاذب على وجه ناه
عن غيره اشد نهي بقوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم اي يجري جميع المتناجين الا من اي نجوى من امر بصدقة ولما حقق الصدقة
لعزة المال في ذلك الحال عم بقوله او معروف اي معروف كان مما يحمد الشرع من صدقة وغيرها ولما كان اصلاح ذات البين
امرا جليلا نبه على عظمه بتخصيصه بقوله او اصلاح بين الناس اي عامة فقد بين سبحانه ان غير المستثنى من التناجي لا خير فيه
وكل ما انتفى عنه الخير كان مجتنبا كما روى احمد والطبراني في الكبير بسند لا باس به وهذا لفظه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام قال انما الامور ثلثة امر يتبين لك رشده فاتبعه وامر يتبين لك غيه فاجتنبه وامر اختلف
فيه فرده الى عالمه ولما كان التقدير فمن امر بشي من ذلك نجواه خير وله عليها اجر عطف عليه قوله ومن يفعل ذلك اي الامر العظيم الذي امر به

من هذه الاشيا ابتغا مرضات الله اي الذي له صفات الكمال لان العمل لا يكون له روح الا بالنية فسوف نوتيه اي
في الاخرة بوعد لا خلف فيه اجرا عظيما وهذه الاية من اعظم الدلايل على ان المطلوب من اعمال الظاهر رعاية احوال
القلب في اخلاص النية وتصفيتها الداعية عن الالتفات الى غرض دنيوي فان كان رياء انقلبت فصارت من اعظم المفاسد
ولما رتب سبحانه الثواب العظيم على الموافقة رتب العقاب الشديد على المخالفة والمشاقة وكل المخالف الى نفسه بقوله
تعالى ومن يشاقق الرسول اي الكامل في الرسلية فيكون بعلية او شي من فعله في جهة غير جهته على وجه المظاهرة وعبر
بالمضارع رحمة منه سبحانه بتقييد الوعيد بالاستمرار واظهر القاف اشارة الى تعليقه بالمجاهرة ولان السياق في
لاهل الاوثان وهم يجاهرون وقد جاهر سارق الدرع الذي كان سبب النزول الاية في اخر قصته كما مضى ولما كان في سياق
تعليم الشريعة التي لم تكن معلومة قبل الا بها لا في سياق الملة المعلومة بالعقل اتى بمن تقييدا للتهديد بما بعد
الاعلام بذلك فقال من بعد ما ولو حذفت لفهم اختصاص الوعيد بمن استغرق زمان البعد بالمشاقة ولما كان
ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم في غاية الظهور قال تبين له الهدى اي الدليل الذي هو سببه ولما كان المخالف للاجماع
لا يكفر الا بمنابذة المعلوم بالضرورة عبر بعد التبين بالاتباع فقال ويتبع غير سبيل اي طريق المومنين اي الذين
صار الايمان لهم صفة راسخة والمراد الطريق المعنوي وجه الشبه الحركة البدنية الموصلة الى المطلوب في الحسي
والنفسانية في مقدمات الدليل الموصل الى المطلوب في المعنوي نوله اي نخلطه في الدنيا والاخرة ما تولى اي نكله الى
ما اختار لنفسه وعاج فيه لنظرته الاولى جزاء لا نامنا له ونصله اي في الاخرة جهنم اي نلقه وساءت مصيرا وهذه الاية
دالة على ان الاجماع حجة لانه لا يتوعد الا على مخالفة الحق وكذا حديث طايفة من امتي قايمة بامر الله وفي رواية ظاهرين على
الحق حتى ياتي امر الله رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة من الصحابة رضي الله عنهم ثوبان والمغيرة وجابر بن سمرة وجابر
بن عبد الله ومعوية وانس وابو هريرة بعض احاديثهم في الصحيحين وبعضها في السنن وبعضها في المسانيد وبعضها في
المعاجم وغير ذلك ووجه الدلالة ان المطابقة التي شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بالحق في جملة اهل الاجماع والله
الموفق ولما كان فاعل ذلك بعد بيان الهوى ثم اهل الكتاب ومن اضلوه من المنافقين بما القوه اليهم من الشبه فردا
الى ظلام الشرك والشك بعد ما بهرت بصايرهم اشعة التوحيد حسن ايلاوه قوله تعالى معللا تعظيما لاهل الاسلام
وحثا على لزوم هديهم وذما لمن نابذهم وتوعدا واشارة الى ان من خرق اجماع المسلمين صار حكمه حكم المشركين فكيف بمن نابذ
المرسلين ان الله اي الاحد المطلق فلا كفو له لا يغفر ان يشرك به اي وقوع الشرك به من اي شخص كان وباي شي كان لان من
قدح في الملك استحق البوار والهلك وسارق الدرع احق الناس بذلك ويغفر ما اي كل شي هو دون ذلك اي الامر
الذي لم يدع للشناعة موضعا كما هو شان من لقي السلم ودخل في ربقة العبودية ثم غلبته الشهوة فقصر في بعض نوع
الخدمة ثم دل على نحو ذامره بقوله لمن يشاء ولما كان التقدير فان من اشرك به فقد افترى اثما مبينا عطف عليه قوله
ومن يشرك اي يوقع هذا الفعل القذر حدا في اي وقت كان من ماض او حال او استقبال مدا وما على تجديده بالله اي
الملك الذي لا نزاع في تفرده بالعظمة لانه لا خفا في ذلك عند احد فقد ضل اي ذهب عن السنن الموصل ضلالا بعيدا
لا يمكن سلامته معه تكبيه وطوى مقدمة الافترا الذي هو تعمد الكذب وذكر مقدمة الضلال لان معظم السياق للعرب
اهل الاوثان والجهل فيهم فاش بخلاف ما مضى لاهل الكتاب فان كفرهم عن علم فهو تعمد للكذب ولما كان المنافقون
من المقصودين بالذات بهذه الايات وكان اكثرهم اهل اوثان ناسب كل المناسبة قوله معللا لان الشرك ضلالا ان اي
يدعون وما انسب التعبير لعباد الاوثان عن العبادة بالدعا اشارة الى ان كل معبود لا بد يدعى في الضرورات فيسمع فعابده
اجهل الجهلة ولما كان كل شي دونه سبحانه لانه تحت قهره قال تحقيرا لما عبدوه من دونه اي وهو الرحمن ولما كانت معبوداتهم
اوثانا منكسرة وكل كثرة تلزمها الفرقة والحاجة والضعف مع انهم كانوا يسمون بعضها باسماء الاناث من اللات والعزى
ويقولون في الكل انها بنات الله ويقولون عن كل صنم انثى بني فلان قال الا اناثا اي يجعلوا انفسهم للاناث عبادا وهم
يانفون من ان يكون لهم اولاد او اولى التفسير من الجمادي اناثا يعني اموات حجرا او مدرا او ما اشبه ذلك هذا مع ان مادة انث
وثن يلزمها في نفسها الكثرة والرخاوة والفرقة وكل ذلك في غاية البعد عن رتبة الالهية وسياتي ان شا الله تعالى بسط
ذلك في سورة العنكبوت وان هذا القصر قلب قصر لاعتقادهم انها الهة ومعنى الحصر ما هي الا غير الهة لما لها من النقص
وان يدعون اي يعبدون في الحقيقة الا شيطانا اي لانه هو الامر لهم بذلك المزين لهم مريدا اي عاتيا صلبا عاصيا ملازما
للعصيان مجردا من كل خير محترقا بافعال الشر بعيدا من كل امن من شاط وشطن ومورد بيخ عيشه وضمها وعبر بصيغة فعيل التي
هي للمبالغة في سياق ذمهم تنبيها على انهم تعبدوا المالا الباس في شرارته لانه شرك بخلاف ما في سورة الصافات فان سياقه
يقتضي عدم المبالغة كما سياتي ان شا الله تعالى ثم بين ذلك بقوله لعنه الله اي ابعده الملك الاعلى من كل خير فبعد واحترق
ولما كان التقدير فقال اصرارا على العداوة بالحسد وعزتك لاجتهدن في ابعاد غيري كما ابعدتني عطف عليه قوله وقال لاتخذن
اي والله لاجتهدن في ان اخذ من عبادك الذين هم تحت قهرك ولا يخرجون عن مرادك نصيبا مفروضا اي جزءا انت قدرته

ولاضلنهم اي عن طريقك السوي بما سلطتني به من الوساوس وتزيين الاباطيل ولامنينهم اي كل ما اقدر عليه من الباطل من عدم
البعث وغيره من طول الاعمار وبلوغ الآمال من الدنيا والاخرة بالرحمة والعفو والاحسان ونحوه مما هو سبب للتسويف بالتوبة
ولآمرنهم ولما كان قد علم مما طبعوا عليه من الشهوات والحظوظ التي هي اتباعهم لطاعته وكانت طاعته في الفساد عند كل عاقل في
غاية الاستبعاد اكد قوله فليبتكن اي يقطعن تقطيعا كثيرا اذان الانعام ويشقفونها علامة على ما حرموه على انفسهم ولآمرنهم
فليغيرن خلق الله اي الذي له الحكمة الكاملة فلا كفوله بانواع التغيير من تغيير الفطرة الاولى السليمة الى ما دون ذلك من فقئ عين
الحامي ونحو ذلك وهو اشارة الى ما حرم اهل الجاهلية على انفسهم بالتقريب للاصنام من السائبة وما معها المشار الى ابطاله
في اول المائدة بقوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم المصرح به في اخرها بقوله ما جعل الله من بحيرة الاية ويكون التغيير بالوشم
والوشر ويدخل فيه كل ما خالف الدين فان الفطرة الاولى داعية الى خلاف ذلك حتى دخلوا فيه تشبيه الرجال بالنساء في التخنث
وما يتفرع عنه في تشبيه النساء بالرجال في السحق وما تاخره ولما كان التقدير فقد خسر من تابعه في ذلك لانه صار للشيطان
وليا عطف عليه معمما قوله ومن يتخذ اي يتكلف منهم ومن غيرهم تغيير الفطرة الاولى فياخذ الشيطان وليا ولما كان ذلك ملزوما
لمحادة الله وكان ما هو ادنى من رتبته في غاية الكثرة ليعم الاستغراق من باب الاولى فقال من دون الله اي المستجمع لكل وصف جميل
فقد خسر باتخاذه ذلك ولو على ادنى وجوه الشرك خسرانا مبينا اي في غاية الظهور والرداة بما تغطيه صبغة الفعلان
لانه تولى من لا خير عنده ثم علل ذلك بقوله يعدهم اي بان يخيل اليهم بما يصل الى قلوبهم بالوسوسة في شيء من الاباطيل انه قريب
الحصول وانه لا درك في تحصيله وانه ان لم يحصل كان في فواته ضرر فيسعون في تحصيله فيضيع عليهم في ذلك الزمان ويرتكبون فيه
ما لا يحل من الاهوان والهوان ويمنيهم اي يزين لهم تعليق الآمال بما لا يتاتى حصوله ثم بين ذلك بقوله وما اي والحال انه ما يعدهم
واظهر في موضع الاضمار تنبيها على مزيد التنفير فقال الشيطان اي المحترق البعيد عن الخير الا غرورا اي تزيينا بالباطل خداعا
ومكرا وتلبيسا اظهارا لما لا حقيقة له او له حقيقة سيئة في ابهى الحقائق واشرفها والذها الى النفوس واشهاها الى الطبع
فان مادة غرور ترجع تدور على الشرف ولطف ورفاعة العيش فالغرور ازالة ذلك ولما انتج لهم ذلك انتج بلا شك قوله اولئك اي
البعداء من كل خير ماواهم جهنم اي تجهمهم وتتقد عليهم بما اتخذوا من خلق منها وليا ولا يجدون عنها محيصا اي موضعا ما يميلون
اليه شيئا من الميل ولما ذكر ما للكافرين ترهيبا اتبعه ما لغيرهم ترغيبا فقال والذين امنوا اي اقروا بالايمان وعملوا اي تصديقا
لاقرارهم الصالحات سندخلهم اي بوعد لا خلف فيه جنات تجري في قرب وبعد بقوله من تحتها الانهار اي لري ارضها حيث
ما اجرى منها نهر جرى ولما كان الانزعاج عن مطلق الوطن ولو لحاجة تعرض شديدا فكيف بهذا قال خالدين فيها ولما كان الخلود
يطلق على مجرد المكث الطويل دل على انه لا الى اخر بقوله ابدا ثم اكد ذلك بان الواقع يطابقه وهو يطابق الواقع فقال وعد الله
حقا اي يطابقه الواقع لانه الملك الاعظم وقد برز وعده بذلك ومن احق من الله وعدا واخبر به خبرا صادقا يطابق الواقع ومن
اصدق من الله المختص بصفات الكمال قيلا واكثر من التاكيد هنا لانه في مقابلة وعد الشيطان ووعد الشيطان موافق
للهوى الذي طبعت عليه النفوس فلا تنصرف عنه الا بعسر شديد ولما اخبر تعالى عما اعد لهم ولمن اضلهم من العقاب وعما اعد
للمومنين من الثواب وكانوا يمنون انفسهم الاماني الفارغة من انه لا تبعة عليهم في التلاعب بالدين لا في الدنيا ولا في الاخرة ويتجهم
على ذلك اهل الكتاب ويدعون انهم ابناء الله واحباوه ولا يواخذهم بشيء ولا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى او من شفعوا
فيه ونحو هذه التكاذيب مما يطمعون به من والاهم بانهم ينجونه وكان المشركون يقولون نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين
ونحو ذلك كما قال العاصي بن وائل لخباب بن الارت وقد تقاضاه دينا كان له عليه دعني الى تلك الدار فاقضيك مما لي فيها فوالله
لا تكون انت وصاحبك فيها اثر عند الله مني ولا اعظم حظا فانزل الله في ذلك افرايت الذي كفر باياتنا الايات من اخر مريم ويقولون
لهم اهل الكتاب انتم اهدى سبيلا لما كان ذلك قال تعالى رادا على الفريقين ليس اي ما وعده الله واوعده بامانيكم اي ايها
العرب ولا اماني اهل الكتاب اي التي منيتكم جميعا بها الشيطان ولما كانت ما بينهم انهم لا يجازون باعمالهم الخبيثة انتج ذلك
لا محالة قوله من يعمل سوءا يجز به اي بالمصائب من الامراض وغيرها عاجلا ان اريد به الخير واجلا ان اريد به الشر وما احسن ايلاءها
لتمنية الشيطان المذكورة في قوله يعدهم ويمنيهم ليكون الكلام واليا يكشف عوار شياطين الجن ثم الانس في غرورهم لمن خف
سهمهم موليا لمن ثقل منهم ولا ابدع ختاما بقوله ولا يجد له ولما كان كل احد قاصرا عن مولاه عبر بقوله من دون الله اي الذي حاز
جميع العظمة وليا اي قريبا يفعل معه ما يفعل القريب ولا نصيرا اي ينصره في وقت ما وما اشد التيامها بختام اول الايات
المحذرة منهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة الى قوله وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا اشارة الى ان مقصود
المنافقين من متابعة اهل الكتاب ومتابعتهم انما هو الولاية والنصرة وانهم قد ضيعوا امنيتهم فاستنصروا بمن لا نصرة لهم
وتركوا من ليست النصرة الا له ولما ابدى جزاء المسيء تحذيرا اولا اجر المحسن تبشيرا فقال ومن يعمل وخفف تعالى عن عباده بقوله
من الصالحات ولما لم يذكر من صرح بما تضمنه في قوله من ذكر او انثى وقيد ذلك بقوله وهو اي والحال انه مومن ليكون بناء
الاعمال على اساس الايمان فاولئك اي العالو الرتبة ويدخلون ببني للدخول للمفعول في قراءة ابن كثير وابي عمرو وابي جعفر وابي بكر
عن عاصم وروح عن يعقوب وللفاعل في قراءة غيرهم لان المقصود نفس الفعل لا كونه من فاعل معين وان كانت قراءة الاولين اكثر

فائدة يدخلون اي يدخلهم الله الجنة اي الموصوفة ولا يظلمون وبني للمفعول للمجهول لان المقصود الخلاص منه لا بقيد فاعل
معين نقيرا اي لا يظلم الله المطيع منهم بنقص شيء ما ولا العاصي بزيادة شيء ما ولا النقير ما في ظهر النواة من تلك الوقبة الصغيرة
جدا التي هي اغيا العدم وهذا على ما يتعارفه الناس والا فالله تعالى له ان يفعل ما يشاء فان ملكه تام وملكه عام لا يتصور منه ظلم
كيف ما فعل ولما كشف سبحانه زورهم وبين فجورهم انكر ان يكون احد احسن دينا ممن اتبع ملة ابراهيم الذي يزعمون انه كان على دينهم
ذعما تقدم كشف عواره وهتك استاره في ال عمران فقال عاطفا على ما تقديره فمن احسن ابدا وعجا ذيا وحاكما منه
سبحانه ومن احسن دينا او يكون التقدير انهم احسنوا في دينهم ومن احسن دينا منهم لكنه اظهر الوصف تعميما وتعليقا
للحكم به وتعليما لما يفعل المومن وحثا عليه فقال ممن اسلم اي اعطى ولما كان المراد الاخلاص الذي هو اشرف الاشياء عبر عنه
بالوجه الذي هو اشرف الاعضاء فقال وجهه اي قياده اي الجهة التي يتوجه اليها بوجهه اي بقصده كله الملازم لاسلام نفسه
كلها لله فلا حركة له ولا سكنة الا في ما يرضاه لكونه الواحد الذي لا مثل له فهو حصر بغير صيغة الحصر فافاد فساد طريق
من لفت وجهه نحو سواه سبحانه او غيرها ولا سيما المعتزلة الذين يرون الطاعة من انفسهم ويرون انها موجبة لثوابهم
والمعصية كذلك وانها موجبة لعقابهم فهم في الحقيقة لا يرجون الا انفسهم ولا يخافون غيرها واهل السنة فوضوا الله
التدبير والتكوين والخلق الى الحق فهم المسلمون ولما عبر تعالى عن كمال الاعتقاد بالماضي شرط فيه الدوام والاعمال
الظاهرة بقوله وهو اي والحال انه محسن اي مومن مراقب لا غفلة عنده اصلا بل الاحسان صفة له راسخة لانه يعبد
الله كانه يراه فقد اشتملت هذه الكلمات لحثها على الدين كله اصلا وفرعا مع الترغيب بالمدح الكامل لمتبعه وافهمت
الذم الكامل لغيره ولما كان هذا ينتظم من كان على دين اي نبي كان قبل نسخه قيده بقوله واتبع اي بجهد منه ملة ابراهيم
الذي اشتهر عند جميع الطوائف انه ما دعا الا الى الله وحده وتبرا مما سواه من فلك وكوكب وصنم وطبيعة وغيرها حال
كون ذلك المتبع حنيفا اي لينا سهلا ميالا مع الدليل والملة ما دعت اليه الفطرة الاولى بمساعدة العقل السليم من
كمال الاسلام بالتوحيد ولما كان التقدير ترغيبا في هذا الاتباع فقد جعل الله ملة ابراهيم احسن الملل وخلقه يوم خلقه
حنيفا عطف عليه قوله واتخذ الله اي الملك الاعظم اخذ من هو معتن بذلك المجتهد فيه ابراهيم خليلا لكونه كان حنيفا
وذلك عبارة عن اختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله من ترديد الرسل بالوحي بينه وبينه واجابة الدعوة
واظهار الخوارق عليه وعلى اله والنصرة على الاعداء وغير ذلك من الالطاف واظهر اسمه في موضع الاضمار تصريحا بالمقصود
احتراسا من الابهام واعلاء للقدرة تنويها بذكره ولما اخبر بمن يحبه ومن يبغضه وبما يرضيه وما يغضبه وكان ربما توهم
عدم القدرة على اخذه لغير ما اخذ وجعله لغير ما جعل او تعنتا بذلك متعنت فظن ان في الكلام دخلا بنوع احتياج
الى المخالة او غيرها فقال ولله اي والحال ان المختص بالوحدانية فلا كفو له ما في السموات ولما كان السياق للمنافقين
والمشركين كرره فقال وما في الارض من ابراهيم عليه السلام وغيره اشارة الى انه التام الملك العظيم الملك فلا يعطي الا من تابع
اولياءه وجانب اعداءه ولا يختار الا من علمه خيارا وهو مع ذلك قادر على ما يريد من افقار وتبديل ولذلك قال وكان الله
اي الملك الذي له الكمال كله بكل شيء اي منهما ومن غيرهما محيطا قدرة وعلما فهما اراد كان من وعده ووعيده للمطيع
والعاصي لا يخفى عليه شيء منهم ولا يعجزه احد ولما كان سبحانه قد رتب هذا الكتاب على انه يذكر احكاما من الاصول او الفروع
ثم يفصلها بوعد ووعيد وترغيب وترهيب وينظمها بدلائل كبريائه وجلاله وعظيم بره وكماله ثم يعود الى بيان الاحكام
على بديع نظام لان القلب المراد في ذلك الغالب فوق الى القبول والنظم كذلك احذر بالتاثير في القلوب لان التكليف
بالاعمال الشاقة لا تنقاد له النفوس الا اذا كان مقرونا ببشارة ونذارة وذلك لا يوثر الا عند القطع بغاية الكمال
لمن صدر عنه ذلك المقال ولا ينتقل مع ذلك من اسلوب الى اخر الا على غاية ما يكون من المناسبة بين اخر كل نوع واول
ما بعده بكمال التعلق لفظا ومعنا وفعل سبحانه في هذه السورة في احكام العدل الذي بدا السورة به في المواصلة التي
مبناها النكاح والادب وغير ذلك مما اتصل به كما بين الى ان ختم هنا بالاسلام المتمم لقبول ذلك كله وعظمة الملك
الموجبة لتمام الاسلام وقامت البراهين وسطعت الحجج وكان من اعظم مقاصد السورة العدل في الضعفا من الايتام
وغيرهم في الميراث وغيره وكان لا يورثون النساء والاطفال ذكورا كانوا او اناثا مما ابيته نفوسهم واشربت بغضه قلوبهم
وكان التغير يوشي اثبات ما هذا سبيله اجمع والقاوه شيئا فشيئا في قوالب البلاغة انفع وصل بذلك قوله تعالى ويستفتونك
في جملة حالية من اسم الجلالة في التي قبلها اي لما ذكر فلا مساغ للاعتراض عليه والحال انهم يسالونك طلبا لان تفتيا
عليهم بالجواب في بعض ما اعطي من ملكه لبعض خلقه قائلة في النساء طمعا في الاستيثار عليهن بالمال وغيره محتجين بانه لا ينبغي
ان يكون المال الا لمن يحمي الذمار والحال انهم قد عبدوا من دونه اناثا وجعلوا لها مما خولهم فيه من الرزق الذي ملكهم له
ضعيف من الحرث والانعام نصيبا فلا اعجب من حال من كره الاستفتاء الذي لا يكون في العرف غالبا الا فيما اعتراض في
اناث احيا واطفال ذكور واعطاه المالك التام الملك العظيم الملك بعض ما يريد ولم يعترض على نفسه حيث
اعطى اناثا لا حياة لها ولا منفعة مما في يده وملكه في الحقيقة لغيره ولم ياذن فيه المالك مما لا ينتفع به المعطي لما كان المعا

بكثرة الاستفتاء محتاجا الى زيادة الاعتناء قال قل الله امرا مجيبا بالاسم الاعظم منبها على استحضار ما ذكر اول السورة ه
يفتيكم اى يبين لكم حكمه فيهن اى الان لان تقوموا لهن بالقسط وما اى مع ما يتلى عليكم اى تجدد لكم تلاوته الى اخر الدهر سبقا
قاطعا وحكما ماضيا جامعا في الكتاب اى فيما سبق اول السورة في قوله وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من
النساء وغير ذلك في يتامى النساء اى في شان اليتامى من هذا الصنف اللاتي لا تؤتونهن اى بسبب التوقف في ذلك وتكرير
الاستفتاء عنه ما كتب لهن اى ما فرض من الميراث وساير الحقوق فرضا هو في غاية اللزوم وترغبون ان اى في ان او عن ان
تنكحوهن لجمالهن او لذمامتهن ويفتيكم في المستضعفين اى الموجود ضعفهم والمطلوب اضعافهم بمنعهم حقوقهم من الولدان
ولما كان التقدير في ان تقوموا لهم بالقسط اى من ميراثهم وساير حقوقهم ولا تحقروهم لصغرهم عطف عليه قوله وان تقوموا
اى تفعلوا فيه من القوة والمبادرة فعل القائم النشيط لليتامى من الذكور والاناث بالقسط اى بالعدل من الميراث وغيره
ولما كان التقدير فما تفعلوا في ذلك من شر فان الله كان به عليما وعليكم قديرا عطف عليه قوله ترغيبا وما تفعلوا من خير في
ذلك او غيره فان الله اى الذي له الكمال كله كان به عليما اى فهو جدير وهو اكرم الاكرمين واحكم الحاكمين بان يعطي فاعله على حسب
كرمه وعلو قدره فطيبوا انفسا وقروا اعينا روى البخاري في الشركة والنكاح ومسلم في اخر الكتاب وابو داود والنسائي في
النكاح عن عروة انه سال عايشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الى رباع قالت يا ابن اختي
هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها ان يتزوجها بغير ان يقسط من صداقها فيعطيها مثل
ما يعطيها غيره فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن ويبلغوا بهن على سنتهن من الصداق وامروا ان ينكحوا ما طاب لهم من النساء
سواهن قالت عايشة رضي الله عنها ثم ان الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستفتونك الى وترغبون ان
تنكحوهن والذي ذكر انه يتلى الاية الاولى التي قال فيها فان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى قالت عايشة رضي الله عنها وقول
الله في الاية الاخرى وترغبون ان تنكحوهن هي رغبة احدكم بيتيمته وقال مسلم عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة
المال والجمال فنهوا ان ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء الا بالقسط من اجل رغبتهم عنهن زاد مسلم اذا كن
قليلات المال والجمال وقال البخاري في النكاح فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان
يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى في الصداق وفي البخاري ومسلم في التفسير عن عروة ايضا ويستفتونك في النساء الاية
قال هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها فاشركته وقال مسلم لعلها ان تكون شركته في ماله حتى في العذق فيرغب ان
ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فنزلت هذه الاية وفي رواية مسلم نزلت في الرجل يكون له اليتيمة
وهو وليها ووارثها ولها مال وليس لها احد يخاصم دونها فلا ينكحها لمالها فيضربها ويسيء صحبتها فقال ان خفتم ان لا تقسطوا
في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم يقول ما احللت لكم ودع هذه التي تضربها وفي رواية له وللبخاري في النكاح فيرغب عنها ان يتزوجها
ويكره ان يزوجها غيره فيشركه في ماله وقال البخاري فيدخل عليه في ماله فيعضلها ولا يتزوجها ولا يزوجها زاد البخاري فنهاهم
الله عن ذلك وحاصل ذلك ما نقله الاصبهاني انه كان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه فاذا فعل بها ذلك
لم يقدر احد ان يتزوجها ابدا فان كانت جميلة وهويها تزوجها واكل مالها وان كانت ذميمة منعها الرجال حتى تموت فاذا
ماتت ورثها وما انسب ذكر هذا الحكم الذي كثرت فيه المراجعة على وجه يؤذن بعدم اذعان بعض النفوس له عقب اية
الاسلام الذي معناه الانقياد والخضوع والاحسان الذي صار في العرف اكثر استعماله للاعطاء والتالف والعطف لا
سيما للضعيف وذكر ابراهيم عليه السلام الذي تقدم انه اتم ما ابتلاه الله به من الكلمات ووفى بها من غير مراجعة ولا
تلعثم وانه كان حنيفا مبالغا في الميل تحنيفا لمن قام عليه دليل العقل واتاه صريح النقل وهو يراجع واذا تاملت
قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به مع قوله فيهما قيل وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم لاحت لك ايضا
مناسبة بديعة ولما صاروا يعطون اليتامى اموالهم وصاروا يتزوجون ذوات الاموال منهن ويضاجرونه بعضهن عقب
ذلك تعالى بالافتاء في احوال المشاقة بين الازواج فقال وان امراة اى واحدة او على ضراير ولما كان الظن المكروه يخوف قال
خافت اى توقعت وظنت بما يظهر لها من القراين من بعلها نشوزا اى ترفعا بما ترى من اسبابه لها بمنع حقوقها واساءة
صحبتها او اعراضا عنها بقلبه بان لا ترى من محادثته ومؤانسته ومجامعته ما كانت ترى قبل ذلك تخشى ان يجر الى الفراق وان كان
متكلفا لملاطفتها بقول وفعل فلا جناح اى حرج وميل عليهما ان يصالحا اى يوقع الزوجان بينهما تصالحا ومصالحة هذه
على قراءة الجماعة وعلى قراءة الكوفيين بضم الياء واسكان الصاد وكسر اللام المقدر اصلاحا لكنه لما كان المامور به يحصل باقل ما
يقع عليه اسم الصلح بنى المصدر على غير هذين الفعلين فقال مجردا له صلحا بان تسمح بترك بعض المهر او بعض القسم او نحو ذلك
وان يلين لها هو باحسان العشرة في مقابلة ذلك ولما كان التقدير ولا جناح عليهما ان يتفارقا على وجه العدل عطف عليه قوله
والصلح اى بترك كل منهما حقه او بعض حقه خير اى من المفارقة التي اشارت اليها الجملة المطلوبة لان الصلح مبناه الاحسان
الكامل بالرضى من الجانبين والمفارقة مبناها العدل الذي يلزمه في الاغلب غبط احدهما وان كانت مشاركة للصلح في الخير
لكنها مفضولة وتخصيص المفارقة بالطي لان مبنى السورة على المواصلة ولما كان منشا التشاجر المانع من الصلح شكاسة

في الطباع

في الطباع صور سبحانه ذلك تنفيرا عنه فقال اعتراضا بين هذه الجمل للحث للجود بانيا الفعل للمجهول اشارة الى ان هذا
الحضر لا يرضى احد نسبته اليه واحضرت الانفس اى الناظرة الى نفاستها احضارا الشح اى الحرص وسوء الخلق وقلة الخير والنكد والبخل
بالموجود وكله يرجع الى سوء الخلق والطبع الردي واعوجاج الفطرة الاولى الذي كني عنه بالاحضار الملازم الذي لا انفكاك له
لاجلها دكنه ينال به الاجر الكثير ولما كان هذا الخلق اردى الخلق لم يذكر فاعله والمعنى احضرها اياه محضر فصار ملازما لها لا تنفك عنه
الا بتوفيق من الله في قهرها عليه بتذكر ما عنده سبحانه من حسن الجزاء ولما كان التقدير فان تشحوا فانه اعلم بما في الشح من حرج
الذم عطف عليه قوله وان تحسنوا اى توقعوا الاحسان بالاقامة على نكاحهن وما يتم اليه من حسن العشرة وان كنتم كارهين ه
وتتقوا اى توقعوا التقوى بمجانبة كل ما يوذي بنوع اذى اشارة الى ان التشحيح الحسن والا متق فان الله اى وهو الجامع لصفات الكمال
كان ازلا وابدا بما تعملون اى في شح واحسان خبيرا اى بالغ العلم به وانتم تعلمون انه اكرم الاكرمين فهو يجازيكم عليه احسن جزاء ولما
ذكر سبحانه ان الوقوف على الحق فضلا عن الاحسان وان كانت المراة واحدة متعسر اتبعه ان ذلك عند الجمع اعسر فقال
تعالى معبرا باداة التاكيد ولن تستطيعوا اى توجدوا من انفسكم طواعية بالغة دايمة ان تعدلوا اى من غير حيف اصلا
بين النساء في جميع ما يجب لكل واحدة منهن عليكم من الحقوق ولو حرصتم اى على فعل ذلك وهذا مع قوله تعالى وان خفتم الا
تعدلوا فواحدة كالحتم للاقتصار على واحدة ولما اخبر تعالى بانه لا يخلو نكاح العدد عن ميل سبب عنه قوله فلا اى فان
كان لا بد لكم من العدد او قال ووقع الميل الى الزوجة واحدة فلا تميلوا ولما كان مطلق الميل غير مقدور على تركه فلم يكلف به بين
المراد بقوله كل الميل ثم سبب عنه قوله فتذروها اى المراة كالمعلقة اى بين النكاح والعزوبة والزواج والانفراد ولما كان
الميل الكثير مقدورا على تركه وكان التقدير فان ملتم كل الميل مع ابقاء العصمة فان الله كان منتقما حسيبا عطف عليه قوله
وان تصلحوا وتتقوا بان توجدوا الاصلاح بالعدل في القسم والتقوى في ترك الجور على حكم دلالة وقت فان الله الذي له الكمال
كله كان غفورا رحيما اى محاء للذنوب بليغ الاكرام فهو جدير بان يغفر لكم مطلق الميل ويسبغ عليكم ملابس الانعام ولما
كان من الاصلاح المعاشرة بالمعروف ذكر قسيمه فقال وان يتفرقا اى يفترق كل من الزوجين من صاحبه يغن الله
اى الذي له صفات الكمال كلا اى منهما اى يجعله غنيا هذه برجل وهذا بامراة او بغير ذلك من لطفه وتبين منشا هذا
الغنى فقال من سعته اى من شمول قدرته وغير ذلك من كل صفة كمال ولمزيد الاعتناء بتقرير هذه المعاني في النفوس
لاحصارها الشح كرر اسمه الاعظم الجامع فقال وكان الله اى ذو الجلال والاكرام ازلا وابدا واسعا اى محيطا بكل شيء ه
حكيما اى يضع الاشيا في اتم محالها ولما كان مبنى هذه السورة على التعاطف والتراحم والتواصل لم يذكر فيها الطلاق
الا على وجه الايماء في هذه الاية على وجه البيان لرافته وسعة رحمته وعموم تربيته وفي ذلك معنى الوصلة والعطف قال
ابن الزبير ولكثرة ما يعرض من رعي حظوظ النفوس عند الزوجية ومع القرابة وبدون ذلك ويجمض لذلك ما تكرر
كثيرا في هذه السورة الامر بالاتقاء بافتتاحها اتقوا ربكم اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب الاية ولما ذكر تعالى اية التفرق وختمها بصفتي السعة والحكمة دل على الاول ترغيبا في سؤاله بقوله ولله اى الذي
له العظمة كلها ما في السموات ولما كان في السياق بيان ضعف النفوس رحيلها على النقايص فكانت تحتاج الى تقوية
الكلام المخرج لها عن الغث من الباطل قال وما في الارض وعلى الثانية بالوصية بالتقوى لانه لو لحث على التقوى
في هذه الجمل في سياق الشرط بقوله وان تحسنوا وتتقوا وان تصلحوا وتتقوا اخبر تعالى بعد اللطف بذلك السياق
ان وصيته بها موكدة لم تزل قديما وحديثا لان العلم بالمشاركة في الامر يكون ادعى للقبول واهون على النفس فقال ذاكرا
ولقد وصينا اى على ما لنا من العظمة ولما كان الاشتراك في الاحكام موجبا للرغبة فيها والتخفيف لثقلها وكانت ه
الوصية للعالم اجدر بالقبول قال الذين اوتوا الكتاب اى التوراة والانجيل وغيرهما وبنى الفعل للمجهول لان القصد
بيان كونهم اهل علم ليرغب فيما اوصوا به ودلالة على ان العلم في نفسه محمي للقبول ولافادة ان وصيتهم اعم من ان تكون
في الكتاب وعلى لسان الرسول من غير كتاب ولما كان ايتاؤهم الكتاب غير مستغرق للماضي كذا الايصاء قال من
قبلكم اى من بني اسرايل وغيرهم واياكم اى ووصيناكم مثل ما وصيناهم ولما كانت التوصية بمعنى القول فسرها بقوله
ان اتقوا الله اى الذي لا يطاق انتقامه لانه لا كفؤ له ولما كان التقدير فان تتقوا فهو حظكم وسعادتكم في الدارين عطف
عليه قوله وان تكفروا اى بترك التقوى فان لله اى الذي له الكمال المطلق ما في السموات ولما كان السياق لعرض الكفر
حسن التاكيد في قوله وما في الارض منكم ومن غيركم من حيوان وجماد اجسادا وارواحا واحوالا ولما كان المعنى لا يخرج شيء
عن ملكه ولا ارادته ولا يجمعه ضرر بكفركم ولم تضروا ان تعلموا الا انفسكم لانه غني عنكم لا يزداد جلالا بالطاعات ولا
ينقص بالمعاصي وانسب التاكيد بقوله دالا على غناه واستحقاقه للمحامد وكان الله اى الذي له الاحاطة كلها غنيا
اى عن كل شيء الغنى المطلق لذاته حميدا اى محمودا بكل لسان قالي وحالي كفرتم او شكرتم فكان ذلك غاية في بيان حكمته
ولما كان الملك لا يمنع الاعتراض على المالك بين ان ذلك انما هو في الملك الناقص وان ملكه تام ولله اى الذي له العلم
الكامل والقدرة الشاملة ما في السموات واكد لمثل ما مضى فقال وما في الارض اى هو قايم بمصالح ذلك كله بمستقل

بجميع اموره لا معترض بل هما وكل ما فيهما ومن فيهما مظهر لحججه على اموره محقق معالمه بنفسه واحواله اليه طوعا او كرها فهو
وكيل على كل ذلك فاعل به ما يفعل الوكيل من الاخذ والقبض والبسط ولمثل ذلك كرر الاسم الاعظم فقال وكفى بالله اي الذي
له الامر كله ولا امر لاحد معه وكيلا اي قائما بالمصالح فاهو منفرد بجميع الامور قادر على جميع المقدور وروعة بان كما ترى ان جملة
المكررة ثلاث مرات ذكرت كل مرة دليلا على شي غير الذي قبله وكررت لان الدليل الواحد اذا كان دالا على مدلولات كثيرة يحسن
ان يستدل به على كل واحد منها ويعاد مع كل واحد اولى من ان يكتفى بذكره مرة واحدة لان عند اعادته يحضر في الذهن ما
يوجب العلم بالمدلول فيكون العلم الحاصل بذلك اجلى واقوى واجل وفي ختم كل جملة بصفة من الصفات الحسنى تنبيه الذهن
بها الى ان هذا الدليل دال على اسرار شريفة ومطالب جليلة لا تحصر فيجتهد السامع في التفكر لاظهارها والاستبصار والاستدلال
على صفات الكمال لان الغرض الكلي من هذا الكتاب صرف العقول والافهام عن الاشتغال بغير الله الى الاستغراق في معرفته
وهذا التكرير مما يفيد حصول هذا المطلوب ويؤكده فكان في غاية الحسن والكمال ولما تقرر بهذا شمول علمه من هذا من شانه
وتمام قدرته انتج قوله مهددا ومتوعدا ومخوفا مرهبا ان يشا يذهبكم وصرح بالعموم اشارة الى عموم الارسال بقوله ايها
الناس اي المتفرعون من تلك النفس الواحدة كافة لغناه عنكم وقدرته على ما يريد منكم ويات باخرين اي من غيركم يوالونه
وكان الله اي الواحد الذي لا شريك له ازلا وابدا على ذلك اي الامر العظيم من الايجاد والاعدام قديرا اي بالغ القدرة وهذا
غاية البيان لغناه وكونه حميدا وقاهر اشد بيانا واتمه ومن ختام قوله تعالى في قصة عيسى عليه السلام في اخر هذه السورة
سبحانه ان يكون له ولد ان ذلك هذا الشي وهو كونه لا اعتراض عليه وصنوعا ولما كان في هذا تهديد بليغ وتخويف لسعة
الملك وكمال التصرف وكان مدار احوال المتشاحين في الارث وحقوق الازواج وغيرها الامر الدنيوي وكان سبحانه قد بين فيما
مضى ان مبنى احوال المنافقين على طلب العرض الفاني خصوصا قصة طعمة بن ابيرق الراضي لنفسه بالفضيحة في نيل شي تافه
قال تعالى تعليلا لارابهم وتخسيسا لهممهم حيث نزلوا الى الادنى مع القوة على طلب الاعلى مع طلب الادنى ايضا منه تعالى
فلا يفوتهم شي من محبوبهم مع احراز الانفس من كان يريد ثواب الدنيا المقصور نظره على المحسوس الحاضر مع خسته
كالبهائم فعند اي فليقبل الى الله فانه عند الله اي الذي له الكمال المطلق ثواب الدنيا الخسيسة الفانية والاخرة اي
النفيسة الباقية فليطلبهما منه فانه يعطي من اراد ما شاء ومن علت همته عن ذلك فاقبل بقلبه اليه وقصر همه عليه فلم
يطلب الا الباقي جمع سبحانه له بينهما كمن جاهد لله خالصا فانه يجمع له بين الاجر والمغنم وما اسند الثواب اليهما مع ذلك بما قبلها
لان من كان تام القدرة واسع الملك كان كذلك ولما كان الثنا شي عن الارادة اما قولا او فعلا وكان الفعل قد يكون قلبيا قال
وكان الله اي المختص بجميع اوصاف الكمال سميعا اي بالغ السمع لكل قول وان خفي قلبيا كان او لسانيا بصيرا اي بالغ
البصر لكل ما يمكن ان يبصر من الافعال والعلم بكل ما يبصر وما لا يبصر منها ومن غيرها فيكون من البصر ومن البصيرة فليراقبه العبد
قولا وفعلا ولما كان ذلك من احسن المواعظ لعموم طعمة الذين عصبوا له التفت اليهم مستعطفا بصيغة الايمان حاثا لهم على جمع
الامر على وجه يعم غيرهم فاتيا بما هو كالنتيجة لما مضى من الامر بالقسط من اول السورة الى هنا على وجه اكده وحث عليه يا ايها الذين امنوا
اي اقروا بالايمان بالسنتهم كونوا قوامين اي قائمين قياما بليغا مواظبا عليه مجتهدا فيه ولما كان اعظم ما في هذه السورة العدل
قدمه فقال بالقسط بخلاف ما ياتي في المائدة فان النظر فيها الى الوفا الذي انما يكون بالنظر الى الولي له شهدا اي حاضرين متيقظين
حضور المحاسب لكل شي وزدهم الدخول فيه لله اي الوجه الذي كل كبده لا لشي غيره ولو كان ذلك القسط على انفسكم اي فان لا بد لكم
بذلك الاعزاز لا تعجلوا ذلك فيهر تكم على الشهادة على انفسكم على اي وسل الاشهاد فتفضحكم في يوم يجمع فيه الاولون والاخرون من جميع
العباد ولما كان ذكر اعز ما عند الانسان اتبعه ما يليه وبدا منه بمن جمع الى ذلك الهيبة فقال او اي وكان ذلك القسط على الوالدين
واتبعه ما يعمهما وغيرهما فقال والاقربين اي من الاولاد وغيرهم ثم علل ذلك بقوله ان يكن اي المشهود له او عليه غنيا اي يرون الشهادة له
بشي باطل او تفرض منه للغني من المشهود عليه او غيره او ما لغيه فيما لا اكبر منها او عليه بما لم يكن صلاحا في نفع الفقير بما لا
يضره ونحو ذلك او فقيرا اي فيحمل البكم ان الشهادة له بما ليس نفعه رحمة له او بما ليس عليه لمن هو اقوى منه تسكين فتنته فالله
اي ذو الجلال والاكرام اولى بهما اي بنوعي الغني والفقير المندرج فيهما هذان المشهود بسببهما منكم فهو المرجو لجلب النفع ودفع
الضر بغير ما ظننتموه فالضمير من الاستخدام ولو عاد للمذكور لوحد الضمير لان الحديث عنه واحد منهم ولما كان هذا تسبب عن
قوله فلا تتبعوا اي تتكلفوا تتبع الهوى تهمكوا افتراما ان المجتهد في الحب لان اي ارادة ان تعدلوا فتقعد بان تكم انه لا عدل في ذلك ولما
كان التقدير فان تتبعوه لذلك او لغيره فان الله كان عليكم قديرا عطف عليه قوله وان تلووا اي السنتكم لتحرفوا الشهادة نوعا من
التحريف اوتتدبر السنتكم اي تنطقوا بالشهادة باطلا وقرا ابن عامر وحمزة بضم اللام من الولاية اي تودوا الشهادة على وجه
من العدل اوتلى او تعرضوا اي عنها وهي حق فلا تودوها الامر ما فان الله اي المحيط علما وقدرة كان اي لم يزل ولا يزال بما تعملون خبيرا
اي بالغ العلم باطنا وظاهرا فهو يجازيكم على ذلك بما تستحقونه فاحذروه ان خفتم وارجوه ان وفيتم وذلك بعدما مضى من
تاديبهم على وجه الاشارة والابتها من غير امر وما انسبها ختام التي قبلها واشد التام الختامين ختام هذه بصفة الخبر وتلك
بصفتي السمع والبصر ولما امر بالعدل على هذا الوجه امر بالحامل على ذلك وهو الايمان بالشارع والمبلغ والكتاب الناسخ

لشرائعه

بلغ مقابلة

لشرائعه المبين لسرائره الذي انتج القصد بحقيته وبيان تاييده فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان ولما كان داعيهم يوصف
الايمان امرهم بما لا يحصل الا به فقال مفصلا له امنوا بالله اي لانه اهل لذلك لذاته المستجمع لجميع صفات الكمال ولما كان الايمان
بالله لا يصح الا بالايمان بالوسايط وكان اقرب الوسايط الى الانسان الرسول قال ورسوله اي لانه المبلغ عنه سواء كان
من الملك او البشر والكتاب الذي نزل اي مفرقا بحسب المصالح تدريجا تثبيتا وتفهيما على رسوله اي لانه المفصل لشرايعكم
المتكفل بما تحتاجون اليه من الاحكام والمواعظ وجميع ما يصلحكم وهو القران الواصل اليكم بواسطة اشرف الخلق والكتاب
الذي انزل اي اوجد انزاله ومضى لما لم يكن انزاله مستغرقا للزمان الماضي بين المراد بقوله من قبل من الانجيل والزبور والتورية
وغيرها لان رسولكم يبلغكم ذلك فلا يحصل الايمان الا بتصديقه في كل ما يقوله ولما كان المومن الذي الخطاب معه عالما بان
التنزيل والانزال لا يكون الا من الله بنيا للمفعول في قراءة ابن كثير وابي عمرو وابن عامر للعلم بالفاعل وصرحت قراءة الباقين به
ولما كان التقدير فمن امن بذلك فقد اهتدى وامن قطعا بالملائكة واليوم الاخر وغير ذلك من كل ما دعا اليه الكتاب والرسول
عطف عليه قوله ومن يكفر اي يوجد الكفر ويجدده وقتا من الاوقات بالله وملائكته وكتبه اي التي انزلها على انبيائه بواسطة
ملائكته او بغير واسطة ورسله اي من الملائكة والبشر كان الايمان بالترقي للاحتياج اليه وكان الكفر بالتدلي للاجترا عليه
ولما كان الايمان بالبعث وان كان اظهر شي مما لا تستقل به العقول فلا تصل اليه الا بالرسل ذكره بعدهم فقال واليوم الاخر
اي الذي اخبرت به رسله وقضت به العقول الصحيحة وان كانت لا تستقل بادراكه قبل تنبيه الرسل لها عليه وهو
روح الوجود وسره وقوامه وعماده فيه تكشف الحقايق وتجمع الخلايق ويظهر شمول العلم وتمام القدرة ويبسط
ظل العدل وتجتنى ثمرات الفضل فقد ضل وابلغ في التاكيد لكثرة المكذبين فقال ضلالا بعيدا اي لا حيلة في رجوعه
معه ولما كان التمادي بعد نزول هذا الهدى موجدا للكفر مجددا له على اعراقي البعد بعضه سبحانه لما دبه معلما
ان الثبات على الكفر عظيم جدا وصوره بابلغ صورة وفي ذلك الطف استعطاف الى النزوع عن الخلاف فقال ان الذين امنوا
اي بما كانوا مهيئين له من الايمان بالفطرة الاولى ثم كفروا اي وتخبوا الكفر فخرجوا مما اقامهم الله من فطرتهم ثم امنوا اي
حقيقة او بالقوة بعد مجي الرسول بما هياهم له باظهار الادلة واقامة الحجج ثم كفروا اي بذلك الرسول او برسول اخر
بتجديد الكفر او التمادي فيه ثم ازدادوا كفرا اي باصرارهم على الكفر الى الموت لم يكن الله اي الذي له صفات الكمال ليغفر لهم
اي ما داموا على هذا الحال لانه لا يغفر ان يشرك به ولا ليهديهم سبيلا اي من السبل الموصلة الى المقصود ولما كانت جميع
صور الاية منطبقة على النفاق بعضها حقيقة وبعضها مجازا فكان جوابا لمن كانه سال عن جزائهم متهكما بهم بشر
المنافقين فاظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف بان لهم عذابا اليما ووصفهم بما يدل على انهم المسافرون
بالكفر بقوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اي المجاهرين بالكفر اولياء اي يتعززون بهم تنفيرا من مقاربة صفتهم ليتميز المخلص من
المنافق وبيانا لان مرادهم بولايتهم انما هو التعزز بهم فان خط امرهم على العرض الدنيوي ونبه على دناة امرهم وعلى
ان العزيز في الايمان اعلى الناس بقوله من دون المومنين اي المعرقين في الايمان ثم انكر عليهم هذا المراد بقوله ايبتغون
اي المنافقون يطلبون طلبا عظيما عندهم اي الكافرين العزة فكانه قال طلبهم العزة بهم سفه من الراي بعيد من
الصواب لانه لا شي من العزة عندهم ولما انكر عليهم هذا الابتغا علله بقوله فان العزة لله اي الذي لا كفو له جميعا اي وهم
اعدا الله فانما يترتب لهم ضرب الذلة والمسكنة وما احسن التفات هذه الاية الى اول الايات المحذرة من اهل الكتاب
المرائي الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الختمة بقوله وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا وقد اي تتخذونهم والحال انه قد
نزل عليكم اي ايها الامة الصادقين منكم والمنافقين في الكتاب اي في سورة الانعام النازلة بمكة المشرفة النهي عن
مجالستهم فضلا عن ولايتهم افلا تخافون ان عزة ما بهم عن ذلك ان يضركم بذل لا تخلصون منه ابدا لانهم لا ينفكون
عن الكفر بايات الله فانه لا يباح ولا ينبغي في حال من الاحوال الا عند الاعراض عن الكفر وذلك هو المراد من قوله ان اي انه
اذا سمعتم ايات الله اي ذي الجلال والاكرام ولما كان السماع مجملا بين المراد بقوله يكفر بها اي يستر ما اظهرت من الادلة من اي
كافر كان من اليهود وغيرهم ويستهزا بها اي يطلب طلبا شديدا ان يكون مما يهزا به فلا تقعدوا معهم اي الذين يفعلون
ذلك بها حتى يخوضوا او عبر عن الشروع بالخوض ايما الى ان كلامهم لا يخلو عن شي في غير موضعه رمز الى عدم مجالستهم
على كل حال في حديث غيره فهذا نهي عن مجرد مجالستهم فكيف بولايتهم ولما كانت اية الانعام مكية اقتصر فيها على مجرد الاعراض
وقطع المجالسة لعدم التمكن من الانكار بغير القلب واما هذه الاية فمدنية فاشتد التعبير عند انزالها باللسان واليد
لمكن لكل مسلم فالمجالس من غير نكير راض فلهذا علل بقوله انكم اذا اي اذا قعدتم معهم وهم يفعلون ذلك مثلهم
اي في الكفر لان المجالس المظهر للايمان المصرح بالكفران دال على ان اظهاره لما اظهر نفاق وانه راض بما يصرح به
هذا الكافر والرضى بالكفر كفر فاشتد حسن ختم الاية بجمع الفريقين في جهنم بقوله مستانفا الجواب لسوال عما
تكون به المماثلة ان الله اي الذي احاط علمه فتمت قدرته جامع ولما كان الحال الخفي اهم قدم قوله المنافقين اي الذين
يظهرون الايمان ويبطنون الكفر فيقعدون مع من يسمعونه يكفر والكافرين اي الذين يجاهرون بكفرهم لرسوخهم

في جهنم التي هي سجن الملك جميعا كما جمعهم معهم مجلس الكفر الذي هو طعن في ملك الملك والتسوية بينهم في الكفر
بالقعود معهم دالة على التسوية بين العاصي ومجالسه بالخلطة من غير انكار ثم وصفهم سبحانه بما يعرف بهم فقال الذين
يتربصون بكم أي ينتظرون على حالهم انتظار الوقوع ما يحبطكم فإن كان لكم فتح أي ظهور وعز وظفر وقال من الله أي الذي له
العظمة كلها تذكيرا للمؤمنين بما يديم اعتمادهم عليه وافتقارهم إليه قالوا أي الذين آمنوا إيمانا لكم أيها المؤمنون ألم نكن معكم
أي ظاهرا وباطنا بما تشهدون من أقوالنا فأشركونا في فتحكم وإن كان للكافرين أي المجاهرين وقال نصيب تحقيرا لظفرهم
وأنه لا يضر بما حصل للمؤمنين من الفتح قالوا للكافرين لتشركوهم في نصيبهم ألم نستحوذ عليكم أي نطلب حياطتكم والحافظة
على مودتكم حتى غلبنا على جميع أسراركم واستولينا عليها وخالطناكم مخالطة الدم للبدن من قولهم حاذه أي حاطه وحافظ
عليه ونمنعكم من المؤمنين أي من تسلطهم عليكم بما كنا نخادعهم به ونشيع فيهم من الإرجافات والأمور المرعبات الصادة لهم
عن كثير من المقاصد لتصديقهم لنا لإظهارنا الإيمان ورضانا منهم بما هنا من نكره بما لا يرضاه إنسان ولما كان هذا
لا يحل لله أمرا غائظا معلقا مرجعا سبب عنه قوله فالله أي بما له من جميع العظمة يحكم بينكم أي أيها المؤمنون والكافرون
المساترون والمجاهرون ولما كان الحكم له في الدارين بين أنه في الدار التي لا يظهر فيها لأحد غيره أمر ظاهرا ولا باطنا وتظهر فيها
جميع الخفيات فقال يوم القيامة ولما كان هذا ربما أيأسهم من الدنيا قال ولن يجعل الله عبر بأداة التأكيد وبالاسم الأعظم
لاستبعاد الغلبة على الكفرة لما لهم في ذلك الزمان من القوة والكثرة للكافرين أي سواء كانوا مساترين والمجاهرين على
المؤمنين أي كلهم سبيلا أي توجها في دنيا ولا آخرة وهذا تسفيه لآرائهم واستخفاف بعقولهم فكأنه يقول يا أيها المتربصون
بأحباب الله ورسوله وأيها المتمنون لأعدائه النصر قد فاتت الدلالة على أن العزة جميعا لله ما أضلكم في ظنكم أنه يخذل أولياءه
وينصر أعداءه وما أغلظ أكبادكم ويدخل في عمومها أنه لا يقتل مسلم بذمي ولا يملك كافر مال مسلم قهرا ثم بين أن صورتهم
في صبرهم للشقة بالوجهين صورة المخادع وما أضلهم حيث خادعوا من لا يجوز عليه الخداع لعلمه بالخفايا فقال معللا لمنعهم
السبيل إن المنافقين لإظهارهم لكل من غلب أنهم منه يخادعون الله أي يفعلون بإظهار ما يسروا بطانهم ما يضر فعل المخادع مع
من له الإحاطة الكاملة بكل شيء لأنه سبحانه يستدرجهم من حيث لا يشعرون وهم يخدعون المؤمنين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر
وهو الذي أمر المؤمنين بما أمرهم فكأنهم يفعلون ذلك معه وهو خادعهم باستدراجهم من حيث لا يعلمون لأنه قادر على أخذهم من
مأمنهم وهم لا يقدرون على حذر بوجه وإذا أي يخادعونه والحال أنهم قد فضحوا أنفسهم بما أظهر مكرهم للمستبصرين وهو أنهم
إذا قاموا إلى الصلاة أي المكتوبة قاموا كسالى متثاقلين متقاعسين ثقيلين عادة لا ينفكون عنها بحيث يعرف ذلك منهم كل من تأملهم
لأنهم يرون أنها تعب من غير أرب فالداعي إلى تركها وهو الراحة أقوى إليها من الداعي إلى فعلها وهو خوف الناس ثم استأنف في جواب
من كأنه قال ما لهم يفعلون ذلك فقال يراءون الناس أي يفعلون ذلك ليراهم الناس لا ليظنوهم مؤمنين فيراهم الناس
لأجل ذلك ما يسرهم من عدهم في عداد المؤمنين يرون أنهم المؤمنين حين يصلون ولا يذكرون الله أي الذي له جميع صفات الكمال
في الصلاة وغيرها إلا قليلا أي حيث يتعين ذلك طريقا لخداعهم يفعلون ذلك حال كونهم مذبذبين أي مضطربين كما يضطرب
الشيء الخفيف المعلق في الهواء وحقيقته الذي يذب عن كلا الجانبين ذبا عظيما ولما كان ما تقدم يدل على أنهم تارة ولهم
أخرى قال بين ذلك أي الإيمان والكفر ولما كان الإيمان يدل على أهله والكفر كذلك قال لا إلى أي لا يجدون سبيلا منتميا إلى هؤلاء أي المؤمنين
ولا إلى هؤلاء أي الكافرين ولما كان التقدير لأن الله أضلهم بنى عليه قوله ومن يضلل الله أي الشامل القدرة الكامل العلم فلن تجد أي أصلا
له سبيلا أي طريقا إلى شيء يريده ولما اقتضى ما يريده من الإنكار على من ادعى الإيمان في اتخاذ الكافرين أولياء المستلزم للنهي
عن ذلك الاتخاذ صرح به مخاطبا للمؤمنين فقال يا أيها الذين آمنوا أي أقروا بالإيمان بألسنتهم صدقا أو كذبا لا تتخذوا أي تكلفوا
أنفسكم غير ما تدعو إليه الفطرة الأولى السليمة فتأخذوا الكافرين أي المجاهرين بالكفر العريقين فيه أولياء أي أقربا تفعلون له
معهم من المودة والنصرة ما يفعل القريب مع قريبه ولما كان العريق في الإيمان أقوى الناس وكان تحت رتبته رتب متكاثرة نبه
على ذلك وعلى دناءة معتقدهم بالجار فقال من دون المؤمنين أي العريقين في الإيمان وهذا إشارة إلى أنه لا يصح لمن يواليهم دعوى
الإيمان ولذلك قال منكرا أتريدون أي بموالاتهم أن تجعلوا لله أي الذي لا تطاق سطوته لأن له الكمال كله عليكم أي في النسبة إلى النفاق
سلطانا أي دليلا واضحا على كفركم باتباعكم غير سبيل المؤمنين مبينا واضحا مسوغا لعقابكم وخزيكم وجعلكم في زمرة
المنافقين ولما نهاهم عن فعل المنافقين استأنف بيان جزائهم عنده فقال إن المنافقين في الدرك أي البطن والمنزل الأسفل
من النار لأن ذلك أخفى ما في النار وأستره وأدناه وأوضعه كما أن كفرهم أخفى الكفر وأدناه وهو أيضا أخبث طبقات النار
كما أن كفرهم أخبث أنواع الكفر وفيه أن من السلطان وضع ما علم ذلك في دار المنافقين لفعله مثل فعلهم ومن تشبه
بقوم فهو منهم وسميت طبقات النار دركا لأنها متداركة متتابعة إلى أسفل كما أن الدرج متتابعة إلى فوق ولما أخبرهم
من هذا الحال الضنك أخبر بدوام ذلك لهم على وجه سلم جدا فقال ولن تجد أي أبدا لهم نصيرا أو إشارة بالنهي عن سوء أثمهم وعدم نصرهم
إلى ختام أول الآيات المحذرة من الكافرين وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ولما كان فيما تقدم أن الغفران للكافر ممتنع أن يكون له
منافقا أو لا مستحدا وأتبعه ما لا إيمان إلى أن ختم بما دل على أن النفاق أغلظ أنواع الكفر استثنى منه دلالة على أن غيره من الكفر

في هذا

في هذا الاستثناء أولى تنبيها على أن ذلك المنفي المبالغ فيه إنما هو لمن مات على ذلك ولكنه سيق على ذلك الوجه تهويلا لما
ذكره في خبره وتنفيرا منه فقال تعالى إلا الذين تابوا أي رجعوا عما كانوا عليه من النفاق بالندم والإقلاع وأصلحوا أي عملهم
الظاهر من الصلاة التي كانوا يراءون فيها وغيرها بالإقلاع عن النفاق واعتصموا بالله أي اجتهدوا في أن تكون عصمتهم أي
ارتباطهم بالملك الأعظم في عدم العود إلى ما كانوا عليه ولما كان الإقلاع من النفاق الذي من أنواعه الرياء أصلا وأساسا في غاية
العسر قال حثا على مجاهدة النفس فيه وأخلصوا دينهم أي كله لله أي الذي له الكمال كله فلم يريدوا بشيء من عباداتهم غير وجهه
لا دنيا ولا غيرها فأولئك أي العالو الرتبة مع المؤمنين أي الذين صار الإيمان لهم وصفا راسخا في الجنة وإن عذبوا على معاصيهم
في الطبقة العليا من النار وسوف يؤت الله أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما المؤمنين بوعد لا خلف فيه وإن أصابهم قبل ذلك
ما أصابهم وإن طال عذابهم تهذيبا لهم من المعاصي بما أشار إليه لفظ سوف أجرا عظيما أي بالخلود في الجنة التي لا
تنقضي نعيمها ولا ينكد يوما مزيلها فيسنا ذكرهم من كان معهم لأنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم ولما كان معنى الاستثناء
أنه لا يعذبهم وأنهم يجدون الشفيع بإذنه قال مؤكدا لذلك على وجه الاستنتاج منكرا على من ظن أنه لا يتسلم بعد
الإغراق في المهالك ما يفعل الله أي وهو المتصف بصفات الكمال التي منها الغنى المطلق بعذابكم أي أيها الناس فإنه لا يجلب
له نفعا ولا يدفع عنه ضرا ولما كان الخطاب مع الذين آمنوا قال إن شكرتم أي نعمه التي من أعظمها إنزال الكتاب الهادي
إلى الرشاد المنقذ من كل ضلال المبين لجميع ما يحتاج إليه العباد فدام التفكر في حالها إلى معرفة مسديها فأذعنتم
وهديتم إلى طاعته بالإخلاص في عبادته والبعد عن معصيته ولما كان الشكر هو الحامل على الإيمان قدمه عليه ولما
كان لا يقبل إلا به قال وآمنتم أي إيمانا خالصا موافقا فيه القلب ما أظهره اللسان ولما كان معنى الإنكار أنه لا يعذبكم
بل يشكر ذلك قال عاطفا عليه وكان الله أي ذو الجلال والإكرام أزلا وأبدا شاكرا لمن شكره بإثابته على طاعته فوق ما يستحقه
عليما بمن عمل له شيئا وإن دق لا يجوز عليه سهو ولا غلط ولا اشتباه ولما أتم سبحانه ما أراد من تقبيح حال المجالسين الخائضين
في آياته بما هي منزهة عنه وما يتبعه من وصفهم وبيان قصدهم بتلك المجالسة من النهي عن مثل حالهم ومن جزاء
من فعل مثل فعلهم إلى أن ختم بأشد عذاب المنافقين وحث على التوبة بما ختمه بصفتي الشكر والعلم أخبر أنه
يبغض خوض الكافرين الذين نهى عن مجالستهم حال التلبس به وكذا كل جهر بسوء إلا ما استثناه لمن أقدم على ملاحمة بغير
حق عمو دينه فقال معللا لما مضى نيل افتتاح أمر المنافقين من الأمر بإحسان التحية لا يحب الله أي المختص بصفات
الكمال الجهر أي ما ظهر فيصير في عداد الجهر بالسوء أي الذي يسوء ويؤذي من القول أي لأحد كائنا من كان فإن ذلك ليس من شكر
الله في الإحسان إلى عباده وعياله ولا من شكر الناس في شيء ولا يشكر الله من لا يشكر الناس إلا من أي جهر من ظلم أي كان
من أحد من الناس ظلم إليه كائنا من كان فإنه يجوز له الجهر بشكواه والتظلم منه والدعاء عليه وإن ساءه ذلك بحيث لا
يعتدي ولما كان القول لما يسمع وكان من الظلم ما قد يخفى قال مرغبا مرهبا وكان الله أي الذي له الإحاطة الكاملة سميعا
أي لكل ما يمكن سماعه من جهر وغيره عليما أي بكل ما يمكن أن يعلم فاحذروه لئلا يفعل بكم فعل الساخط وجهر من ظلم
وإن كان داخلا فيما يحبه الله تعالى على تقدير كون الاستثناء متصلا لكن جعله من جملة السوء إن كان من باب المشاكلة
ففيه لطيفة وهي تمني المتظلم عن تعاطيه وحثه على العفو لأن من علم أن فعله بحيث ينطلق اسم السوء عليه بوجه كان
إطلاقه لعنه أن كان موفقا ولما كانت معاقد الخيرات على كثرتها منحصرة في قسمين إيصال النفع ابتداء أو اختصار دفع
الضرر كان قد أشار سبحانه إلى العفو وختم بصفتي السمع والعلم قال مصرحا بالندب إلى العفو والإحسان فكان ندبا
إليه مرتين الأولى بطريق الإشارة لأولي البصارة والثانية بطريق العبارة للراغبين في التجارة حثا على الأحب إليه
سبحانه والأفضل عنده والأدخل في باب الكرم إن تبدوا خيرا أي من قول أو غيره أو تخفوه أي تفعلوه خفية ابتداء
أو في مقابلة سوء فعل إليكم ولما ذكر فعل الخير اتبعه نوعا منه هو أفضله فقال أو تعفوا عن سوء أي فعل بكم ولما كان التقدير
يعلمه بما له من صفتي السمع والعلم فيجازي عليه خيرا أفضل منه وعفوا أعظم من عفوكم سبب عنه قوله فإن أي فإنه جدير
بالعفو بسبب علمكم بأن الله كان أي دائما أزلا وأبدا عفوا ولما كان ترك العقاب لا يسمى عفوا إلا إذا كان من قادر وكان هو
الكف عند القدرة عن الانتقام مما أثر في القلوب الآثار العظام بعيدا شاقا على النفس شديدا قال تعالى مذكرا
للعباد بذنوبهم إليه وقدرته عليهم قديرا أي بالغ العفو عن كل ما يريد العفو عنه من أفعال الجانين والقدرة على
كل ما يريد ومن يريد فالذي لا ينفك عن ذنب وعجز أولى بالعفو طمعا في عفو القادر عنه وخوفا من انتقامه منه وتخلقا
بخلقه العظيم واقتداء بسنته ولما اقتضى ذلك على أتم وجه وأحسن سياق ونحو وختم بصفتي العفو والقدرة شرع في
بيان أحوال من لا يعفى عنه من أهل الكتاب وبيان أنهم هم الذين أضلوا المنافقين بما يلقون إليهم من الشبه التي يوسع
عقولهم لها ما أنعم به عليهم سبحانه من العلم فأبدوا الشر وكتموا الخير فوضعوا نعمته بحيث يكره ثم كشف سبحانه بعض
شبههم فقال مبينا لما أنتج قصصهم من أنهم اشتروا الضلالة بالهدى ويريدون ضلال غيرهم بعد أن كان
ختم هناك ما قبل قصصهم بقوله عفوا غفورا إن الذين يكفرون أي يسترون ما عندهم من العلم بالله أي الذي له الاختصاص

بالجلال والجمال ورسله ولما ذكر اخر امرهم ذكر السبب الموقع فيه فقال ويريدون ان يفرقوا بين الله اي الذي له الامر كله ولا امر لاحد
معه ورسله اي فيصدقون بالله ويكذبون ببعض الرسل فينفون رسالاتهم المستلزم لنسبتهم الى الكذب على الله المقتضي
لكون الله بريا منهم ولما ذكر الارادة ذكر ما نشا عنها فقال ويقولون نؤمن ببعض اي من الله ورسله كاليهود الذين امنوا بموسى
وغيره الا عيسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم فكفروا بهما ونكفر ببعض اي من ذلك وهم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ويريدون ان يتخذوا
اي يتكلفوا ان ياخذوا بين ذلك اي الايمان والكفر سبيلا اي طريقا يكفرون به وعطف الجمل بالواو وان كان بعضها سببا
لبعض اشارة الى انهم جديرون بالوصف بكل منها على انفراده وان كل خصلة كافية في نسبة الكفر اليهم وقدم نتيجتها وختم ه
بالحكم بها على وجه اصح تقطيعا لحالهم واصل الكلام ارادوا سبيلا بين سبيلين فقالوا نكفر ببعض فارادوا التفرقة فكفروا والكفر
هو في غاية الشناعة على علم منهم فانتج ذلك اولئك اي البعداء البغضاء هم الكافرون اي العريقون في الكفر حقا ولزمهم الكفر بالجميع لان
الدليل على نبوة البعض لزم منه القطع بنبوة كل من حصل منه مثل ذلك الدليل وحيث جوز حصول الدليل بدون المدلول
تعذر الاستدلال على شيء كالمعجزة فلزم حينئذ الكفر بالجميع فثبت ان كل من كذب بنبوة احد من الانبيا لزمه الكفر بجميع ه
الانبيا ومن لزمه الكفر بهم لزمه الكفر بالله وكل ما جاء به ولما كان التقدير فلا جرم انا اعتدنا اي هيانا لهم عذابا مهينا
عطف عليه تعميما واعتدنا للكافرين اي جميعا عذابا مهينا اي كما استهانوا ببعض الرسل وهم الجديرون بالحب والكرامة والاية
شاملة لهم ولغيرهم ممن كان حاله كحالهم وايلا ذلك لبيان احوال المنافقين انسب شي واحسنه للتعريف بانهم منافقون من
حيث انهم يظهرون شيا من امر النبي صلى الله عليه وسلم ويبطنون غيره وان كان ما يظهرونه على الضد مما يظهره المنافقون وبانهم
الذين اضلوا المنافقين والتحذير من الفتهم وتزييف ما حرفوا من نكالهم وفي ذلك التفات الى اول هذه القصة يا ايها الذين امنوا
امنوا بالله ورسوله الاية ولما بين سبحانه ما اعد لهم بين ما اعد لاضدادهم من اهل طاعته بقوله والذين امنوا بالله اي الذي له الكمال كله
ورسله ولما جمعوهم في الايمان ضد ما فعل اهل الكفران صرح بما افهمه فقال ولم يفرقوا اي في اعتقادهم بين احد منهم اي لم يجعلوا
احدا منهم على صفة الفرقة البليغة من صاحبه بان كفروا ببعض وامنوا ببعض كما فعل الاشقيا والتفرقة تقتضي شيين فصاعدا
واحد عام في الواحد المذكر والمونث وتثنيتهما وجمعهما فلذلك صح التعبير به بمعنى بين اثنين وجماعة وكانه اختير للمبالغة
بان لو ان الواحد يمكن فيه التفرقة لكان الايمان بالبعض دون البعض كفرا اولئك اي العالو الرتبة في رتب السعادة ولما كان المراد
تاكيد وعدهم وكان الشان هذا فيه غالبا التاخر قال سوف نؤتيهم اي بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه وان تاخر فالمراد تحقيق
لا تحقيق تاخره ولكنه اتى بالاداة التي هي اكثر حروفا واشد تنفيسا لان هذا السياق لاهل الايمان المجرد الشامل لمن لم يكن له عمل
ولذا اضاف الاجور اليهم وختم بالمغفرة لئلا يحصل لهم ياس وان طال المدى اجورهم اي كاملة بحسب نياتهم واعمالهم ولما كان الانسان
محل النقصان قال وكان الله اي الذي لا يبلغ الواصفون كنه ما له من صفات الكمال غفورا لما يريد من الزلات رحيما اي بمن يريد اسعاده ه
بالجنات ولما اخبر تعالى بما على المفرقين بين الله ورسله وما لاضدادهم اتبعه بعض ما ارادوا به التفرقة وذلك ان كعب بن الاشرف
وفنحاص بن عازورا من اليهود قالا ان كنت نبيا فاتنا بكتاب جملة من السما كما اتى به موسى عليه السلام جملة
كذلك فانزل الله تعالى موبخا لهم على هذا الكذب مشيرا الى كذبهم فيه موهيا لسوالهم محذرا من غوايله مبينا لكفرهم بالله
ورسله يسئلك ولما كانت هذه من اعظم شبههم التي اضلوا بها من اراد الله وذلك انهم راوا ان هذا الكتاب المبين اعظم
المعجزات وان العرب لم يمكنهم الطعن فيه على وجه يمكن قبوله فوجهوا اسكاديهم نحوه بهذه الشبهة ونحوها زيفها سبحانه اتم
تزييف وفضحهم بسببها غاية الفضيحة وزاد سبحانه في تبكيتهم بقوله اهل الكتاب اشارة الى ان العالم ينبغي له ان يكون ابعد الناس
من التمويه فضلا عن الكذب الصريح ان تنزل عليهم اي خاصا بهم باثبات اسمايهم كتابا من السما او ما هو ابه في قولهم هذا من
ان موسى عليه السلام اتى بالتوراة جملة كذب تلقفها منهم من اراد الله من اهل الاسلام ظنا منهم ان الله تعالى اقرهم عليها
وليس كذلك كما يفهمه السياق كله وبان في ما هو كالصريح تنزيله في قوله انا اوحينا اليك الاية كما سياتي بيانه واليهود الان معترفون
بانها لم تنزل جملة وقال الكلبي في تفسير البقرة التي ذبحوها الاجل القتيل الذي تدارءوا فيه وذلك قبل نزول القصا من التوراة
ولما كان هذا مما يستعظمه النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى ذلك مبينا تسلية له صلى الله عليه وسلم ان عادتهم التعنت
وديدنهم الكفر وانهم اعرق الناس في غلظ الاكباد وجلافة الطبايع وان اوايلهم تعنتوا على من يدعون الايمان به الان وانهم على
شو يعتنه واحب شي فيهم ما رامهم من تلك الايات العظام التي منها استنقاذهم من العبودية بل من الذبح وان ذلك تكرر منهم
مع ما يشاهدونه من الخوارق والعفو فقال فقد اي فلا تستعظم ذلك فقد سالوا اي اباوهم وهم على نهجهم في التعنت فهم شركاوهم
موسى لغير داع سوى التعنت اكبر اي اعظم من ذلك اي الامر العظيم الذي واجهوك به بعد ما اظهرت من المعجزات ما اوجبنا على كل من
علمها الايمان بكل ما اتانا به رب معك ثم بينه بقوله فقالوا ارنا الله اي الملك الاعلى الذي لا شبيه له وتقصر العقول عن الاحاطة
بعظمته جهرة اي عيانا من غير ستر ولا حجاب ولا نوع من خفا بل تحيط به ابصارنا كما يحيط السمع بالقول الجهر وهذا
يدل على ان كلا من السوالين ممنوع لكونه ظلما لادايه الى الاستخفاف بما تقدمه من المعجزات وعده غير كاف مع ان انزال
الكتاب جملة غير مناسب للحكمة التي بنيت عليها هذه الدار من ربط المسببات بالاسباب وبنايها عليها لان من

المعلوم ان تفريق الاوامر بسبب الحقة حملها وذلك ادعى لمنتثليها وايسر لحفظها واعون على فهمها واعظم لتثبيتنا
للمنزل عليه واشرح لصدره واقوى لقلبه وابعث لشوقه والروية على هذا الوجه الذي طلبوه وهو الاحاطة محال انسو
لهم
لذلك استخفاف مع انه تعنت ولذلك سبب عن سوالهم قوله فاخذتهم اي عقب هذا السوال وبسببه من غير امهال
اخذ قهر وغلبة الصاعقة اي نار نزلت من السما بصوت عظيم موجد ربان لا يسمى غيره اذا نسب الى صاعقة فاهلكتهم بظلمهم
اي بسبب ظلمهم بهذا السوال وغيره لكونه تعنتا من غير مقتض له اصلا ولطلب الروية على وجه محال وهو طلب الاحاطة
ثم بعد العفو عنهم واحيايهم من اماتة هذه الصاعقة اتخذوا العجل اي تكلفوا اخذه وعبدوا انفسهم باصطناعه ولما كان
الضلال بعد نوط البيان اجدر بالتبكيت قال من بعد وادخل الجار اعلاما بان اتخاذهم لم يستغرق زمان البعد بل تابوا
منه ما جاءتهم البينات اي بهذا الاحيا وغيره من المعجزات فعفونا اي على ما لنا من العظمة عن ذلك اي الذنب العظيم بتوبتنا عليهم
من غير استيصال لهم واتينا اي بعظمتنا التي لا تدانيها عظمة موسى سلطانا اي تسلطا واستيلا ظاهرا مبينا اي ظاهرا فانه
امرهم بقتل انفسهم فبادروا الامتثال بعد ما ارتكبوا من عظيم هذا الضلال وفيه رمز ظاهر الى انه سبحانه يسلط محمدا
صلى الله عليه وسلم على كل من يعانده اعظم من هذا التسليط ولما بين هذا من عظمته اتبعه امرا اخر اعظم منه فقال ورفعنا
اي بعظمتنا ولما كان لذ ملاجهة الفوق باذوا اي جميع ابدانهم ولم يسلم احد منهم من ذلك نزع الجار فقال فوقهم الطور اي الجبل
العظيم ثم ذكر سبب رفعه فقال بميثاقهم اي حتى التزموه واذعنوا له وقبلوه ولما ذكر الميثاق على هذا الوجه العجيب اتبعه ما
نقضوا فيه على سهولته دليلا على سو طباعهم فقال وقلنا لهم اي بما لنا من دوية عظمتنا ادخلوا الباب اي الذي لبيت المقدس
سجدا اي فنقضوا ذلك العهد الوثيق وبدلوا وقلنا لهم اي على لسان موسى عليه السلام في كثير من التوراة لا تعدوا اي لا تجاوزوا
ما حددناه لكم في السبت اي لا تعملوا فيه عملا من الاعمال تسمية للشي باسم سببه سمي عدوا لان العامل للشي يكون لشدة اقباله
عليه كانه يعدو واخذنا منهم اي في جميع ذلك ميثاقا غليظا كما جزمت بان المراد بهذا والله اعلم على لسان موسى عليه السلام لانه تعالى
كرر التاكيد عليهم في التوراة في حفظ السبت واوصاهم به وعهد اليهم فيه ما لم يعهده في شي من الفروع غيره قال بعض
المترجمين للتوراة في السفر الثاني في العشر الايات التي اولها ان الهك الذي اصعدتك من ارض مصر من العبودية والرق
لا يكون لك الهة غيري ما نصه اذكر حفظ يوم السبت وطهره ستة ايام كد فيها واصنع جميع ما ينبغي لك ان تصنعه
واليوم السابع سبت الله ربك لا تعمل فيه شيا من الاعمال انت وابنك وبنتك وعبدك وامتك ودوابك والساكن
في قراك لان الرب خلق السموات والارض في ستة ايام والبحور وجميع ما فيها واستراح في اليوم السابع ولذلك بارك
الله اليوم السابع وقدسه اكرم اباك الى اخر ما مر في سورة البقرة ثم اعاد العشر الايات في اوايل السفر الخامس وقال
في السبت احفظوا يوم السبت وطهروه كما امر الله ربكم واعملوا الاعمال في ستة ايام واصنعوا ما اردتم ان تصنعوا فيها فاما
يوم السبت فاسبوع ربكم لا تعملوا فيه عملا انتم وبنوكم وعبيدكم واماوكم وثيرانكم وحميركم وكل بهايمكم والساكن الذي في قراكم
ليستريح عبيدكم الى اخر ما في اوايل هذه السورة عند ويهديكم سنن الذين من قبلكم وقال في الثاني بعد ذلك وقال الرب
لموسى وانت فامر بني اسرايل ان يحفظوا السبوت لانها امارة العهد وعلامة فيما بيني وبينكم لاحقابكم فتعلموا اني انا الرب
الهكم مقدسكم احفظوا يوم السبت فانه مطهر مخصوص لكم ومن نقضه واخذ العمل فيه فليقتل ومن عمل عملا فيه يهلك ذلك
الانسان من شعبه اعملوا اعمالكم ستة ايام واليوم السابع هو يوم سبت تقدس الرب لان الرب خلق السما والارض في ستة
ايام والبحور وما فيها وهدا في اليوم السابع ودفع الى موسى لما فرغ كلامه في طور سينا لوحي الشهادة وابلغ في تاكيد حفظه
عليهم في غير ذلك من المواضع حتى انه شرع لهم اسبات الارض ونحوها فقال في السفر الثاني ايضا ازرع ارضك ست
سنين واحمل اتفالها وفي السنة السابعة ابذرها ودعها فيا كل مساكين شعبك وما يبقى بعد ذلك يا كله حيوان البر
وكذلك فافعل بكرومك وزيتونك اعمل عملك في ستة ايام وفي اليوم السابع تستريح لكي يستريح ثورك وحمارك
ويستريح ابن امتك والساكن في قراك ثم ذكر الاعياد في السفر الثالث وحرم العمل فيها وقال في بعضها وكل
نفس تعمل عملا في هذا اليوم تهلك تلك النفس من شعبها فلا تعملوا فيه عملا لانه سنة جارية لكم الى الابد في جميع مساكنكم
فليكن هذا اليوم سبت السبوت ثم امرهم بعيد المظال سبعة ايام وقال ليعلم احقابكم اني اجلست بني اسرايل في المظال
حيث اخرجتهم من ارض مصر ثم ذكر بعض القرابين وقال ويصف هرون الخبز صفين في اليوم السادس وهو يوم الجمعة
ويكون ذلك من عند بني اسرايل وكلم الرب موسى وقال له في طور سينا كلم بني اسرايل وقل لهم اذا دخلتم الارض التي اعطيكم ميراثا
تسبت الارض سبتا للرب ازرعوا مزارعكم ست سنين واكسحوا كرومكم ست سنين واستغلوا غلاتكم ست سنين
فاما السنة السابعة فلتكن سبت الراحة للارض لا تزرعوا مزارعكم ولا تكسحوا كرومكم ولا تحصدوا ما ينبت من ارضكم في
تلك السنة من غير ان يزرع ولا تقطعوا عنب كرومكم بل يكون سبت الراحة للارض لكم ولبنيكم ولعبيدكم ولامايكم ولاجرايكم
وللسكان الذين يسكنون معكم واحصوا سبع مرات سبعا سبعا تسعا واربعين سنة وقدسوا سنة الخمسين ولتكن
رد الاشيا الى اربابها ولا تزرعوا ارضكم في تلك السنة ولا تحصدوا ما ينبت فيها ولا تقطعوا عنبها لانها سنة الرد وانقوا

لاني انا الله ربكم احفظوا وصاياي واعملوا بها واحفظوا احكامي واعملوا بها واسكنوا ارضكم بالسكون والطمانينة لتحمل
لكم الارض غلاتها وتاكلوا وتشبعوا او تسكنوها مطمئنين وان قلتم من اين ناكل في السنة السابعة التي لا نزرع فيها فلا نجمع
انا منزل لكم بركاتي في السنة السادسة وتغل لكم ارضكم في تلك السنة غلة ثلاث سنين حتى اذا زرعتم في السنة الثامنة لم تحتاجوا
الى غلتها لانكم تاكلون من السنة السادسة الى السنة الثامنة واما الارض فلا تباع بيعا صحيحا ابدا لان الارض لي
وانما انتم سكان وحيث ما بيعت الارض في ميراثكم فليتخلص وترد في سنة الرد وفيها مما لا يجوز اطلاقه في شرعنا نسبة
الاستراحة اليه سبحانه هذا مع انه اكد سبحانه العهود عليهم في التوحيد وحفظ جميع الاحكام في جميع التوراة على نحو ما
تراه فيما انقله منها في هذا الكتاب فلما بين سبحانه انه اكد عليهم الميثاق واكثر في التقدم في حفظ العهد بين انهم نقضوا
فاعقبهم بسبب ذلك ما هدد به في التوراة من الخزي وضرب الذلة مع ما ادخر لهم في الاخرة فقال فبما موكدا بادخال ما
نقضهم ميثاقهم اي فعلنا بهم بسبب ذلك جميع ما ذكرنا في التوراة من الخزي وقد تقدم كثير منه في القران ولا يبعد عندي
تعليقه بقوله الاتي حرمنا عليهم طيبات واعتدنا ويكون من الطيبات العز وعذاب الحبس وذلك جامع لنكد
الدارين ولطف على هذا الامر العام ما اشتدت به العناية من افراده عطف الخاص على العام فقال وكفرهم بايات الله
بما جاءتهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم واقتضت حكمته سبحانه ان يكون عطفها مناسبة لعظمة اسمه الاعظم الذي هو مسمى به
جميع الاسماء فاستلزم كفرهم به كفرهم بما انزل على موسى عليه السلام لانه اعظم ما نقضوا فيه واخص من مطلق النقض وقتلهم الانبيا
وهو اعظم من مطلق كفرهم لان ذلك سد لباب الايمان عنهم وعن غيرهم لان الانبيا سبب الايمان وفي محو السبب محو المسبب ولما
كان الانبيا معصومين من كل نقيصة ومبرئين من كل دنية لا يتوجه عليهم حق لا يؤدونه قال بغير حق اي كبير ولا صغير اصلا وهذا
الحرف لكونه في سياق طعنهم في القران الذي هو اعظم الايات وقع التعبير فيه بابلغ مما في ال عمران الذي هو ابلغ مما سبق عليه
لان هذا مع جمع الكثرة وتنكير الحق عبر فيه بالمصدر المفهم لان الاجترا على القتل صار لهم خلقا وصفة راسخة بخلاف ما مضى فانه
بالمضارع الذي ربما دل على العروض ثم ذكر اعظم من ذلك كله وهو اسنادهم عظائمهم الى الله تعالى فقال وقولهم قلوبنا غلف
اي لا ذنب لنا لان قلوبنا خلقت من اصل الفهم بعيدة عن فهم مثل ما يقول الانبيا لكونها في اغشية فهي شديدة الصلابة
وذلك سبب تسليم ود قولهم وهذا بعد ان كانوا يعرفون بهذا النبي الكريم ويشهدون له بالرسالة وبانه خاتم الانبيا ويصفونه
باشهر صفاته ويرقبون اتيانه لا جرم رد الله عليهم بقوله عطفا على ما تقديره وقد كذبوا لانهم ولدوا على الفطرة كسائر
المولد انه لم تكن قلوبهم في الاصل غلفا بل طبع الله اي الذي له جميع صفات العز وجامع العظمة عليها طبعا عارضا بكفرهم بل انه خلقها اولا
على الفطرة متمكنة من اختيار الخير والشر فلما اعرضوا بما هيا قلوبهم له من قبول النقص عن الخير واختاروا الشر باتباع شهواتهم
الناشئة من نفوسهم وترك ما تدعو اليه عقولهم طبع سبحانه عليها بجعلها ناسية محجوبة عن رحمته ولذا سبب عنه قوله فلا يومنون
اي يجددون الايمان الا وقتا من الاوقات لا ثباتة ويجوز ان يتعلق بما تقديره ضد كلامهم طبع الله عليها فهي لا تعي ولا تكون بل استدراكا
للطبع بالكفر وحده لا يرد بما انضم اليه وان يكون اضرب عن قولهم انها في غلف لكونها في الخلاف قد يكون مهيئا لاخراجه من الكلام
الى الطبع الذي من شانه الدوام الا قليلا من الايمان بان يومنوا وقتا يسيرا وجزءا لهار ويكفروا في غيره ويومنوا ببعض ويكفروا
ببعض او الا اناسا قليلا منهم كما كان اسلافهم يومنون بما ياتي به موسى عليه السلام من الايات ثم لم يكن باسرع من كفرهم وتعنتهم
بطلب اية اخرى كما هو مذكور في توراتهم التي بين ظهورهم ونقلت كثيرا منه في هذا الكتاب فقامت الحجة عليهم بانهم يعترفون بمن
قدمهم على الايمان وقدر ما منهم على الطغيان ولما بين كفرانهم بقتل الانبيا بين كفرهم بالبهتان الذي هو سبب القتل والفتنة اكبر من القتل
فقال معطيا له بالعادة العامل وبكفرهم اي المطلق الذي هو سبب جراتهم على الكفر بنبي محبين لموسى عليه السلام وعلى القذف
ليكون بعض كفرهم معطوفا على بعض اخر ولذلك قال وقولهم على مريم اي بعد علمهم بما ظهر على يديها من الكرامات الدالة على براءتها
وانها ملازمة للعبادة بانواع الطاعات بهتانا عظيما اتهموها ثم بما لم يتاتوا من قبل اعظم ما جا من انبيائهم باعظم مما اوا من الايات
من بعد موسى وهو عيسى عليهما السلام ثم بادعاهم لقتله وصلبه افتخارا به مع تشكيكهم فيه فقال وقولهم انا قتلنا المسيح ثم بينه بقوله عيسى ابن مريم
ثم تهكموا به بقولهم رسول الله اي الذي له نهاية العظمة فجمعوا بين انواع من القبائح منها التشبع بما لم يعطوا ومنها انه على تقدير صدقهم فيه
جامع لاكبر الكبائر مطلقا وهو الكفر بقتل النبي بكونه نبيا واكبر الكبائر بعده وهو مطلق القتل ولم يكفهم ذلك حتى كانوا يصفونه
بالرسالة مضافا الى الاسم الاعظم استهزاء به وبمن ارسله عز اسمه وجلت عظمته وتعالى كبرياؤه وتمت كلماته ونفذت اوامره
تكون ذلك بمنعه منهم على زعمهم ثم ما اي والحال انهم ما قتلوه وما صلبوه وان كثرنا بلوا ذلك منهم وسلم لهم النصارى ولكن لما كان
المقصود وقوع اللبس عليهم الضال لهم لا كونه من معين قال شبه لهم اي فكانوا في هزمهم بذلك متشبعين بما لم يعطوا
ولما فهم التشبيه الاختلاف فكان التقدير فاختلفوا بسبب التشبيه في قتله فمنهم من قال قتلناه حادثا ومنهم من قال
ليس هو المقتول ومنهم من قال الظاهر انه هو عطف عليه قوله دالا على شكهم باختلافهم وان الذين اختلفوا فيه اي في قتله لفي شك منه
اي تردد مستوي الطرفين كلهم وان جزم بعضهم ثم اكد هذا المعنى بقوله ما لهم به اغرق في النفي بقوله من علم ولما كانوا يحلفون
انفسهم اعتقاد ذلك بالنظر في شبهات فربما ترتب عندهم شبهة فصادف امارة اوجبت لهم لشغفهم بامتثالها ظنا

ثم اضمحلت في الحال لكونها لا حقيقة لها فصار الشك وكان ابلغ في التحير قال الا اي لكن اتباع الظن اي يكلفون انفسهم الارتقاء
من درك الشك الى رتبة الظن وعبر باداة الاستثناء دون لكن الموضوعة للانقطاع اشارة الى ان ادراكهم لما زعموه من قتله
مع كونه في الحقيقة شكا يكلفون انفسهم جعله ظنا انهم يجزمون به ثم صار عندهم متواترا قطعيا فلا اجهل منهم ولما اخبر
بشكهم فيه نفى بعد الاخبار بنفيه اعادة ذلك على وجه ابلغ نفيا له فقال وما قتلوه اي انتفى قتلهم له انتفا يقينا اي انتفاه على سبيل
القطع ويجوز ان يكون حالا من واو قتلوه اي ما فعلوا القتل متيقنين انه عيسى عليه السلام بل فعلوه شاكين فيه والحق انهم لم
يقتلوا الا الرجل الذي القي شبهه عليه والوجه الاول اولى لقوله بل رفعه الله بما له من العظمة البالغة والحكمة الباهرة ورفع عيسى
عليه السلام اليه اي مكان لا يصل اليه حكم ادمي وعن وهب انه اوحي اليه ابن ثلاثين ورفع ابن ثلاث وثلاثين فكانت رسالته ثلاث
سنين وكان الله اي الذي له جميع صفات الكمال في كل حال عند قصدهم له وقتله وبعده عزيزا اي يغلب ولا يغلب حكيما اي اذا
فعل شيئا اتقنه بحيث لا يطلع احد في نقض شي منه وختم الاية بهاتين الصفتين يدل على ان المراد ما قررته من استهزائهم وانه
قصدا لرد عليهم اي انه قد فعل بما يمنع من استهزائكم لو نفعه اليه بعزته وحفظه بحكمته وسوف ينزله بالغ قدرته فيردكم عن لهوكم
ويسفك دماكم ويبيد خضراكم وله في رفعه وادخال الشبهة عليكم حكمة تدق عن افكاركم لكم قصة رفعه عليه السلام من الانجيل
الموجود اليوم بين اظهر النصارى وهي تتضمن الانذار بالدجال والاخبار بنزوله وصعوده والبشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
الذي وصفه بالفارقليط وبالاركون وان احبارهم بقتله وصلبه ليس مستنده الا الشك كما قال الله تعالى واحسن ما رد على الانسان
بما يعتقده قال مترجمهم في انجيل متى انه عليه السلام دخل الى الهيكل في يروشليم وجرت بينه وبين الاحبار محاورات كان اخرها
ان قال لهم اني اقول لكم انكم لا تروني الان حتى تقولوا مبارك الاتي باسم الرب ثم خرج من الهيكل فجا اليه تلاميذه كي يروه بنا الهيكل فاجاب
وقال لهم انظروا هذا كله الحق اقول لكم انه لا يترك ههنا حجر على حجر الا نقض ثم جلس على جبل الزيتون قال مرقس تجاه الهيكل فجا اليه
تلاميذه قائلين قل لنا متى هذا وما علامة مجيئك وانقضا الزمان فقال لهم انظروا لا يضلكم احد قال مرقس ولوقا فان كثيرا
ياتون باسمي قائلين انا هو المسيح ويضلون كثيرا فاذا سمعتم بالحروب واخبار الحروب فانظروا لا تقلقوا فلا بد ان يكون هذا كله تقوم
امة على امة ومملكة على مملكة ويكون خوف عظيم واضطراب وجوع ووبا قال لوقا وعلامات عظيمة من السما وزلازل في اماكن
وكل هذا اول المخاض وقال مرقس وهذه بداية الطلق انظروا انتم انهم يسلمونكم الى المجامع والمحافل وتضربون وقال لوقا
وقبل هذا كله يضعون ايديهم عليكم ويطردونكم الى المجامع والسجون وتقامون امام الملوك والقواد شهادة عليهم وعلى كل الامم
ينبغي اولا ان يكرز بالانجيل فاذا قدموكم واسلموكم فلا تهتموا بما تقولون ولا ماذا تجيبون فانكم تعطون في تلك الساعة الذي
تتكلمون به ولستم المتكلمين لكن روح القدس قال لوقا اني معطيكم فما وحكمة لا يقدر الذين يناصبونكم يقاومونها ولا الجواب عنها
ويسلم الاخ اخاه للموت والاب ابنه ويثب الابنا الى ابائهم قال متى حينئذ يسلمونكم الى الضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين
من كل الامم وحينئذ يشك كثير ويسلم بعضكم بعضا ويبغض بعضكم بعضا ويقوم كثير من الانبيا الكذبة ويضلون كثيرا ولكثرة
الاثم تبرد المحبة من كثير والذي يصبر الى المنتهى يخلص ويكرز بهذه البشارة في الملكوت في جميع المسكونة شهادة لكل الامم
قال مرقس فاذا رايتم نجاسة الخراب المذكور في دانيال النبي قائمة حيث لا ينبغي فليعلم القاري حينئذ الذين في يهودا ام
يهربون الى الجبل والذي فوق السطح لا ينحدر ان ينزل الى بيته لياخذ شيئا والويل للحبالى والمرضعات في تلك الايام وقال لوقا
وحينئذ الذين في اليهودية يهربون الى الجبال والذين في وسطها يفرون خارجا والذين في الكورة لا يدخلونها لان هذه
هي ايام الانتقام لكي يتم كل ما هو مكتوب يكون على الارض ضر وشدة عظيمة وسخط على هذا الشعب ويقعون في فم السيف
ويسبون في كل الامم وتكون يروشليم موطى الامم حتى يكمل الزمان وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم ويخرج نفوس
الناس من الخوف وقال متى وحينئذ يا في الانفصال ثم قال سيكون ضيق عظيم قال مرقس تلك الايام لم يكن مثله من اول
العالم حتى الان ولا يكون ولولا ان تلك الايام قصرت لم تخلص ذو جسد وقال مرقس فلولا ان الرب اقصر تلك الايام لم يخلص
ذو جسد لكن لاجل المختارين قصرت تلك الايام فان قال لكم احد ان المسيح ههنا فلا تصدقوا فسيقوم مسحا كذبة
وانبيا كذبة ويعطون علامات عظاما وايات ويضلون المختارين ان قدروا ها هو ذا قد تقدمت واخبرتكم فان قالوا لكم
انه في البرية فلا تخرجوا او في المخادع فلا تصدقوا وكما ان البرق يخرج من المشرق فيظهر في المغرب كذلك يكون حضور
ابن البشر لانه حيث تكون الجثة تجتمع النسور وللوقت بعد ضيق تلك الايام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والكواكب
تتساقط من السما وقوات ترتج وحينئذ تظهر علامات ابن الانسان في السما وتنوح كل قبائل الارض ويرون ابن
الانسان اتيا في سحاب السما مع قوات ومجد كثير ويرسل الملائكة مع صوت الشافور العظيم ويجمع مختاريه من الاربع
الارياح من اقصى السموات وقال مرقس من اطراف الارض الى اطراف السما فمن شجرة التينة قال لوقا ومن كل الاشجار
تعلمون المثل اذا لانت اغصانها وفرعت ورقها علمتم ان الصيف قد دنا كذلك انتم اذا رايتم هذا كله علمتم انه قد
قرب على الابواب الحق اقول لكم ان هذا الجيل لا يزول حتى يتم هذا كله والسما والارض تزولان وكلامي لا يزول لاجل ذلك
اليوم وتلك الساعة لا يعرفها احد ولا ملائكة السموات وقال مرقس ولا الابن الا الاب وحده وقال لوقا سالوه الفريسيون

متى يأتي ملكوت الله فقال ليس يأتي ملكوت الله برصد ولا يقولون هو ذا هي ههنا او هناك ها هو ذا ملكوت الله داخلكم قال لتلاميذه
ستأتي ايام تشتهون ان تروا يوما واحدا من ايام ابن الانسان فلا ترون فان قالوا لكم هو ذا ههنا او هناك فلا تذهبوا ولا تسعوا
لانه كمثل البرق الذي يبرق في السما فيضي تحت السما كذلك يكون ايام ابن البشر انتهى وكما كان في ايام نوح عليه السلام كذلك يكون
استعلان ابن الانسان لانه كما كانوا قبل ايام الطوفان ياكلون ويشربون ويتزوجون الى اليوم الذي دخل فيه نوح الى السفينة ولم يعلموا
حتى جا الطوفان فادرك جميعهم كذلك يكون حضور ابن الانسان وقال لوقا ومثل ما كان في ايام لوط ياكلون ويشربون ويبيعون
ويشترون ويغرسون ويبنون الى اليوم الذي خرج فيه لوط من سدوم وامطر من السما نارا وكبريتا واهلك جميعهم كذلك في اليوم
الذي يظهر فيه ابن الانسان وفي ذلك اليوم من كان في السطح والثياب في البيت لا ينزل ياخذها ومن كان في الحقل ايضا لا يرجع هكذا
الى ورائه اذكروا امراة لوط من اراد ان يحيي نفسه فليهلكها ومن اهلكها احياها اقول لكم انه في هذه الليلة وقال متى حينئذ
يكون اثنان في الحقل يوخذ واحد ويترك الاخر واثنتان تطحنان على رحى واحدة توخذ الواحدة وتترك الاخرى وقال مرقس فانظروا
واسهروا وصلوا لانكم لا تعلمون متى يكون الزمان اسهروا فانكم لا تعلمون متى ياتي رب البيت ليلا ياتي بغتة فيجدكم نياما والذي اقول
لكم اقوله للجميع اسهروا وقال لوقا في كل حين وتضرعوا لكي تقووا على الهرب من هذه الامور الكائنة كلها وتقفوا قدام ابن الانسان
وقال متى فاسهروا لانكم لا تعلمون في اي ساعة ياتي ربكم واعلموا انه لو علم رب البيت في اي هجعة ياتي السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب
كذلك كونوا مستعدين لان ابن الانسان ياتي في ساعة لا تظنونها من ترى هو العبد الامين الحكيم الذي يقيمه سيده على بيته ليعطيهم
الطعام في حينه طوبى لذلك العبد الذي ياتي سيده فيجده يعمل هكذا الحق اقول لكم انه يقيمه على جميع ماله فان قال ذلك العبد الردي في قلبه
ان سيدي يبطي فيبدا ياكل ويشرب مع السكارى فيأتي سيده في يوم لا يظنه وساعة لا يعرفها فيجعل نصيبه مع المرائين هناك
يكون البكا وصرير الاسنان حينئذ يشبه ملكوت السموات عشرة عذارى اخذن مصابيحهن وخرجن للقا العريس خمس منهن جاهلات وخمس
حليمات فاما الجاهلات فاخذن مصابيحهن ولم ياخذن زيتا واما الحليمات فاخذن زيتا في انا مع مصابيحهن فلما ابطا العريس نعسن
كلهن ونمن وانتصاف الليل صرخ هو ذا العريس قد اقبل اخرجن للقائه حينئذ قام جميع العذارى وزين مصابيحهن فقال الجاهلات
للحليمات اعطيننا من زيتكن فان مصابيحنا قد طفيت فقلن ليس معنا ما يكفينا واياكن فاذهبن الى الباعة وابتعن لكن فلما
ذهبن ليبتعن جا العريس فالمستعدات ذهبن معه الى العرس واغلق الباب وبعد ذلك جات العذارى قائلات يا رب افتح لنا فاجاب وقال الحق اقول لكن اني لا
اعرفكن اسهروا الان فانكم لا تعرفون ذلك اليوم ولا تلك الساعة كمثل انسان اراد السفر فدعا عبيده فاعطاهم ماله فاعطى
خمس وزنات للواحد ووزنتين للاخر وواحدا وزنة كل منهم على قدر قوته وسافر للوقت فمضى الذي اخذ الخمس فتجر فيها فربح خمس
وزنات اخرى وهكذا الذي اخذ الوزنتين ربح فيهما وزنتين اخريين واما الذي اخذ الوزنة فمضى وحفر في الارض ودفن فضة سيده
وبعد زمان كثير جا سيد هولا العبيد فحاسبهم فجا الذي اخذ الخمس وزنات فاعطى خمس وزنات اخرى قائلا يا رب خمس وزنات اعطيتني وهذه
خمس وزنات اخرى ربحتها فقال له سيده قال لوقا جيدا ايها العبد الصالح الذي كنت امينا على القليل وقال متى نعما يا عبد صالح امين
وجدت في القليل امينا انا اقيمك على الكثير امينا ادخل الى فرح سيدك وجا الذي اخذ الوزنتين فقال يا سيدي وزنتين دفعت الي
وهو ذا وزنتان اخريان ربحتهما فقال له سيده نعما يا عبد صالح امين وجدت في القليل امينا انا اقيمك على الكثير ادخل الى
فرح سيدك فجا الذي اخذ الوزنة فقال يا سيدي عرفتك انك انسان شرير تحصد ما لم تزرع وتجمع من حيث لا تبذر
فخفت ومضيت فدفنت مالك في الارض هو ذا مالك فاجاب سيده وقال ايها العبد الشرير الكسلان علمت اني احصد من حيث
لا ازرع واجمع من حيث لا ابذر كان ينبغي لك ان تجعل فضتي على المايدة وانا اتي واخذه الي مع ربا فخذوا منه الوزنة واعطوها للذي
له عشر وزنات لان من له يعطى ويزاد والذي ليس له يوخذ منه ما معه والعبد الشرير القوه في الظلمة القصيا هناك يكون
البكا وصرير الاسنان اذا ابن الانسان في مجده وجميع الملائكة المقدسين معه حينئذ يجلس على كرسي مجده ويجمع اليه كل الامم فيميز
بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجدا ويقيم الخراف عن يمينه والجدا عن شماله حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا
يا مباركي ابي رثوا الملك المعد لكم من قبل انشا العالم جعت فاطعمتموني عطشت فسقيتموني وغريبا كنت فاويتموني وعريانا
فكسوتموني ومريضا فعدتموني ومحبوسا فاتيتم الي حينئذ يجيب الصديقون ويقولون يا رب متى رايناك جايعا فاطعمناك
او عطشانا فسقيناك ومتى رايناك غريبا فاويناك او عريانا فكسوناك او مريضا او محبوسا فاتينا اليك فيجيب
الملك ويقول الحق اقول لكم الذي فعلتموه باحد هولا الحقير من اخوتي فبي فعلتم حينئذ يقول للذين عن يساره اذهبوا عني يا ملاعين
الى النار المويدة المعدة لابليس وجنوده جعت فلم تطعموني الى اخره فيذهب هولا الى العذاب الدايم والصديقون الى الحياة الابدية
ولما اكمل يشوع هذا الكلام كله قال لتلاميذه علمتم ان بعد يومين يكون الفصح وقال مرقس كان الفصح والفطير بعد يومين واجتمع
روسا الكهنة والكتبة ومشايخ الشعب في دار رئيس الكهنة الذي يقال له قيافا فتشاوروا على يشوع ليمسكوه قال مرقس
بمكر ويقتلوه وقالوا ليس في العيد لئلا يكون شغب وقال مرقس شغب في الشعب وقال يوحنا فجمع عظما الكهنة والفريسيين
محفلا وقالوا ماذا نصنع اذا كان هذا الرجل يعمل ايات كثيرة وان تركناه هكذا فيومن به جميع الناس وياتي الروم فيتغلبوا
على امتنا وان واحدا منهم اسمه قيافا كان رئيس الكهنة فقال انه خير لنا ان يموت رجل واحد عن الشعب من ان تهلك الامة كلها

لان يشوع

لان يشوع كان مزمعا ان يجمع ابنا الله المتفرقين الى واحد ومن تلك الساعة تشاوروا على قتله فاما يشوع فلم يكن يمشي بين اليهود
علانية ولكنه انطلق من هناك الى البرية الى كورة تسمى مدينة افرام وكان يتردد هناك مع تلاميذه وكان عيد فصح اليهود قد
قرب فصعد كثير من القرى الى يروشليم قبل الفصح ليطهروا انفسهم فطلب اليهود يشوع وكانوا امروا ان علم انسان
مكانه ان يدلهم عليه وان يشوع قبل ستة ايام من الفصح قصد الى بيت عنيا حيث كان العازر الميت الذي اقامه يشوع
فصنعوا له هناك وليمة وجعلت مرتا تخدم وعلم جمع كثير من اليهود فجاوا اليه وليبصروا الى العازر الذي قام من بين
الاموات وتشاور عظما الكهنة ان يقتلوا العازر لان كثيرا من اليهود من اجله كانوا يومنون بيشوع وكان الجمع الذين معه
يشهدون انه دعا العازر من القبر واقامه ومن الغد سمعوا ان يشوع ياتي الى يروشليم فخرجوا للقايه يصرخون مبارك الاتي
باسم الرب ملك اسرائيل ووجد يشوع حمارا فركبه كما هو مكتوب لا تخافي يا ابنة صهيون هو ذا ملكك ياتيك راكبا على
جحش ابن اتان ثم قال وقال يشوع قد قربت الساعة التي يمجد فيها ابن البشر الحق الحق اقول لكم ان حبة الحنطة ان لم تقع
في الارض وتموت تبقى وحدها وان هي ماتت اتت بثمار كثيرة من احب نفسه فليهلكها ومن يبغض نفسه في هذا العالم
فانه يحفظها للحياة الابدية وقال يا رباه مجد اسمك فجا صوت من السما قد مجدت وايضا امجد فسمع الجمع الذي كان واقفا
بعضهم انما كان رعدا وقال اخرون ان ملاكا كلمه قال يشوع ليس من اجلي كان هذا الصوت ولكن من اجلكم قد حضر الان
دينونة هذا العالم الان يلقى رئيس هذا العالم الى خارج وانا اذا ارتفعت من الارض جذبت الي كل واحد فاجاب الجمع نحن
سمعنا في الناموس ان المسيح يدوم الى الابد فكيف تقول انت يرتفع ابن البشر فقال لهم يشوع ان النور معكم زمانا يسيرا
فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام ان الذي يمشي في الظلام ليس يدري اين يتوجه فما دام لكم النور امنوا بالنور
لتكونوا ابنا النور تكلم يشوع بهذا ثم مضى فتوارى عنهم وقال يا بني انا معكم زمانا قليلا وتطلبوني فلا تجدوني وكما قلت
لليهود ان الموضع الذي امضي اليه انا لستم تقدرون على المضي اليه قال يوحنا في محاورته لليهود في الهيكل قال يشوع
انا امضي فتطلبوني وتموتون بخطاياكم وحيث انا اذهب لستم تقدرون لستم تقدرون على اتيانه فقال اليهود لعله
يريد ان يقتل نفسه فقال لهم انتم من اسفل وانا من فوق انتم من هذا العالم واما انا فلست من هذا العالم فقد اخبرتكم
انكم تموتون بخطاياكم فقالوا له انت من انت ثم قال وقالوا له ان ابانا هو ابرهيم قال لو كنتم بني ابرهيم كنتم تعملون اعمال
ابرهيم لكنكم تريدون قتلي انسان كلمكم بالحق الذي سمعه من الله ولم يفعل ابرهيم هذا انتم تعملون اعمال ابيكم فقالوا
اما نحن فلسنا مولودين من زنا فقال لهم انتم من ابيكم ابليس وشهوة ابيكم تهوون ان تعملوا ذلك الذي هو من البدء قتال
الناس ولم يثبت على الحق لانه ليس فيه حق واذا ما تكلم بالكذب فانما يتكلم بما هو له واما انا فاتكلم بالحق ولستم تومنون بي
من منكم يوبخني على خطيئة انتهى واقول لكم الان ان تحب بعضكم بعضا كما احببتكم فبهذا يعرف كل احد انكم تلاميذي وقال يشوع
من يومن بي ليس بي يومن فقط بل وبالذي ارسلني ومن راني فقد راى الذي ارسلني انا جيت نور العالم لكي يتخلص كل من يومن
بي من الظلام ومن يسمع كلامي ولا يومن بي فانا لا ادينه لاني لم ات لادين العالم بل لاحيي العالم من يجحدني ولم يقبل كلامي فان له من
يدينه الكلمة التي نطقت بها هي تدينه في اليوم الاخر لاني لم اتكلم من نفسي لان الرب الذي ارسلني هو اعطاني الوصية
ثم قال الحق الحق اقول لكم من يومن بي يعمل الاعمال التي اعملها وافضل منها يصنع ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وانا
اطلب من ابي ليعطيكم فارقليط اخر ليثبت معكم الى الابد روح الحق الذي لم يطق العالم ان يقبلوه لانهم لم يروه ولم
يعرفوه وانتم تعرفونه لانه مقيم عندكم وهو فيكم لست ادعكم يتامى لاني سوف اجيكم عن قليل من يحبني يحفظ
كلمتي ومن لا يحبني ليس يحفظ كلامي والكلمة التي تسمعونها ليست لي بل للرب الذي ارسلني كلمتكم بهذا لاني عندكم مقيم
والفارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي فهو يعلمكم كل شي وهو يذكركم كل ما قلت لكم السلام استودعكم سلامي خاصة اعطيكم
لا يقلق قلوبكم ولا يجزع قد سمعتم اني قلت لكم اني منطلق وعايد اليكم لو كنتم تحبوني لكنتم تفرحون بمضيي الى الرب لان الرب اعظم
مني وها قد قلت لكم قبل ان يكون حتى اذا كان تومنون ولست اكلمكم كثيرا الان اركون العالم ياتي وليس له في شي ولكن ليعلم العالم
اني احب الرب وكما اوصاني الرب كذلك افعل انا هو الكرمة الحقيقية وربي الغارس كل غصن لا ياتي بثمار ينزعه والذي ياتي بثمار ينقيه
لياتي بثمار كثيرة انتم نقيا من هذا الكلام الذي كلمتكم به اثبتوا في وانا فيكم كما ان الغصن لا يطيق ان ياتي بالثمار من عنده ان لم
يثبت في الكرمة كذلك انتم ان لم تثبتوا في انا هو الكرمة وانتم الاغصان من ثبت في وانا فيه ياتي بثمار كثيرة وانتم لستم تقدرون
تعملون شيا فان لم يثبت احد في طرح خارجا مثل الغصن الذي يجف فياخذونه ويطرحونه في النار فيحترق وان انتم ثبتم في وثبت
كلامي فيكم كان لكم كل ما تريد وبهذا يمجد ربي بان تاتوا بثمار كثيرة وانتم احبائي ان عملتم كل ما وصيتكم به انما وصيتكم بهذا لكي
تحب بعضكم بعضا فان كان العالم يبغضكم فاعلموا انه قد ابغضني قبلكم لو كنتم من العالم كان العالم يحب من هو منه لكنكم لستم من
العالم بل اخترتكم من العالم من اجل هذا يبغضكم العالم لو لم ات واكلمهم لم يكن لهم خطية والان ليس لهم حجة في خطيتهم لو لم اعمل اعمالا
لم يعملها غيري لم يكن لهم خطية لتتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم انهم ابغضوني باطلا اذا جا الفارقليط الذي ارسله اليكم روح الحق الذي
من الرب ينبثق هو يشهد وانتم تشهدون لانكم معي من قبل كلمتكم بهذا لكي لا تشكوا فانهم سوف يخرجونكم من مجامعهم ولو اجري

بهذا من قبل لاني معكم والان فاني منطلق الى من ارسلني اقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق لاني ان لم انطلق لم يأتكم الفارقليط فاذا انطلقت
ارسلته اليكم فاذا جاء ذاك فهو موبخ العالم على الخطية وان لي كلاما كثيرا اريد ان اقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الان واذا جاء روح الحق
ذاك فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما ياتي وهو يمجدني لانه ياخذ مما هو لي ويخبركم قليلا ولا
ترونني وقليلا وترونني قالوا اما هذا القليل الذي يقول فقال لهم اني هذا براطن بحثكم بعضا الحق اقول لكم انكم تبكون وتنوحون والعالم
يفرح وانتم تحزنون لكن حزنكم يؤول الى فرح كالمراة اذا حضر ولادها تحزن لان قد جاءت ساعتها فاذا ولدت ابنا لم تذكر الشدة من
اجل الفرح لانها ولدت انسانا في العالم تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه الى السما وقال يرب قد حضرت الساعة فمجد عبدك ليمجدك
عبدك كما اعطيته السلطان على كل ذي جسد ليعطي كل من اعطيته حياة الابد وهذه هي حياة الابد ان يعرفوك انك انت الله
الحق وحدك والذي ارسلته يسوع المسيح انا قد مجدتك على الارض ذلك العمل الذي اعطيتني لاصنعه قد اكملت والان مجدني انت
يا رباه بالمجد الذي عندك قد اظهرت اسمك للناس الان علموا ان كل ما اعطيتني هو من عندك وعلموا حقا اني من عندك اتيت
وامنوا انك ارسلتني وانا اجي اليك ايها الرب القدوس احفظهم باسمك الذي اعطيتني كي يكونوا واحدا كما نحن اذ كنت معهم
في العالم انا كنت احفظهم باسمك ليس اسل ان تنزعهم من العالم بل ان تحفظهم من الشرير لانهم ليسوا من العالم كما اني لست
من العالم قدسهم بحقك فان كلمتك خاصة هي الحق كما ارسلتني الى العالم ارسلتهم انا ايضا الى العالم ولست اسل في هولا
فقط بل وفي الذين يومنون بي بقولهم ليكونوا باجمعهم واحدا كما انك يا رباه في وانا فيك ليكونوا ايضا فينا واحدا ليومن العالم
انك ارسلتني قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه الى عبر عبوة وادي الارز وكان هناك بستان دخله هو وتلاميذه وكان يهوذا
الذي اسلمه يعرف ذلك المكان لان يسوع كان يجتمع هناك مع تلاميذه كثيرا وقبل عيد الفصح كان يسوع يعلم ان قد حضرت الساعة
التي ينتقل فيها من هذا العالم فلما حضر العشا خامر الشيطان قلب يهوذا سمعان الاسخريوطي لكي يسلمه فقام يسوع عن العشا
وترك ثيابه واتزر بمنديل وبدا يغسل اقدام التلاميذ وينشفها بالمنديل الذي كان موتزرا به فلما انتهى الى شمعون الصفا قال له
انت يا سيدي تغسل لي قدمي فقال يسوع ان الذي اصنعه لست تعرفه الان ولكنك ستعرفه فيما بعد قال له شمعون الصفا
انك لست غاسلا لي قدمي الى الابد قال له يسوع ان انا لم اغسلهما فليس لك معي نصيب قال شمعون يا سيدي ليس تغسل
لي قدمي فقط بل ويدي وراسي قال له يسوع ان الذي يطهر ليس يحتاج الا الى غسل قدميه فلما غسل ارجلهم تناول ثيابه واتكا
وقال لهم تعلمون ما صنعت بكم انتم تدعونني معلما وربا وما احسن ما تقولون فاذا كنت انا معلمكم وربكم قد غسلت اقدامكم فانتم احق
ان يغسل بعضكم اقدام بعض والحق اقول لكم ليس عبد اعظم من سيده ولا رسول اعظم ممن ارسله وقال الحق الحق اقول لكم ان واحدا
منكم يسلمني وقال متى ولما كان يسوع في بيت عنيا في بيت سمعان الابرص جاءت امراة معها قارورة طيب كثير الثمن فاراقته على راسه
وهو متكي حينئذ مضى احد الاثني عشر اي الحواريين الذين سيذكرون في المائدة والانعام باسمائهم وهو الذي يقال له يهوذا الاسخر
يوطي الى روسا الكهنة وقال لهم ماذا تعطوني حتى اسلمه اليكم فاقاموا له ثلثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه
وفي اول يوم الفطير قال مرقس لما ذبحوا الفصح قال له تلاميذه اين تريد نمضي نستعد لك الفصح فقال اذهبوا الى المدينة الى فلان
وقولوا له المعلم يقول زماني قد اقترب وعندك اصنع الفصح مع تلاميذي ففعل التلاميذ كما امرهم يسوع واعدوا الفصح وقال لوقا
وكان في النهار يعلم في الهيكل ويخرج في الليل يبيت في الجبل الذي يدعا جبل الزيتون وكان جميع الشعب يدلجون اليه ليسمعوا منه
وكان لما قرب عيد الفطير المسمى الفصح وطلب الكهنة كيف يهلكونه وكانوا خائفين من الشعب قد دخل الشيطان في يهوذا الذي يدعى
الاسخريوطي الذي كان من الاثني عشر فمضى وكلم روسا الكهنة ليسلمه اليهم ففرحوا ووعدوه وكان يطلب فرصة ليسلمه اليهم معزولا
عن الجمع فجا يوم الفطير الذي يذبح فيه الفصح فارسل بطرس ويوحنا وقال امضيا واعدا لنا الفصح ثم قال فانطلقا واعدا الفصح قال
متى لما كان المسا اتكا مع الاثني عشر تلميذا قال فقال لهم شهوة اشتهيت ان اكل معكم الفصح فاني اقول لكم اني ايضا لا اكل منه حتى يتم
في ملكوت الله وقال متى وفيما هم ياكلون قال الحق اقول لكم ان واحدا منكم يسلمني فنظر التلاميذ بعضهم الى بعض وكان واحد من
تلاميذه متكيا في حضن يسوع وهو الذي كان يسوع يحبه فاوما سمعون الصفا اليه ان يسله من الذي قال لاجله فوقع ذلك التلميذ
على صدر يسوع وقال له يا سيدي من هذا فقال يسوع هو الذي ابل خبزا واناوله فبل خبزا ودفعه الى سمعون الاسخريوطي وقال متى
فقال الذي يجعل يده معي في الصحفة هو يسلمني وابن الانسان ماض كما كتب من اجله الويل لذلك الانسان الذي يسلم ابن الانسان
خير له لو لم يولد اجابه يهوذا مسلمه وقال لعلي انا هو يا معلم قال انت قلت فسبحوا وخرجوا الى جبل الزيتون وقال لوقا فقال
لهم ان ملوك الامم هم سادتهم والمسلطون عليهم يدعون المحسنين اليهم فاما انتم فليس كذلك لكن الكبير منكم يكون كالصغير
والمقدم كالخادم من اكبر المتكي ام الذي يخدم اليس المتكي فاما انا في وسطكم مثل الخادم وانتم الذين صبرتم معي في تجاربي وانا اعد
لكم كما وعدني ابي الملكوت لتاكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي وتدينوا اثني عشر سبط اسرائيل
الى ان قال ثم خرج كالعادة ومضى الى جبل الزيتون وتبعه ايضا تلاميذه فلما انتهى الى المكان قال لهم صلوا لئلا تدخلوا التجربة
وابتعد عنهم كرمية حجر وخر على ركبتيه فصلى وقال متى حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون في هذه لانه مكتوب اني اضرب
الراعي فتتفرق خراف الرعية فاجاب بطرس وقال له لو شك جميعهم لم اشك انا قال له يسوع الحق اقول لك في هذه الليلة

قبل ان يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات وقال يوحنا الحق الحق اقول لك لن يصيح الديك حتى تنكرني ثلاثا لا تضطرب قلوبكم
امنوا بالله وامنوا بي وقال متى قال له بطرس لو الجيت الى ان اموت معك ما انكرت وقال مرقس فيما ذكر بطرس وقال
يا ابت وان اضطررت الى ان اموت معك ليس انكرك وهكذا قال جميع التلاميذ حينئذ جا معهم الى قرية تدعى جسمانية
فقال للتلاميذ اجلسوا ههنا لامضي اصلي هناك امكثوا واسهروا معي وبعد ذلك خر على وجهه يصلي وجا الى التلاميذ
فوجدهم نياما قال مرقس فقال لبطرس يا سمعان انت نائم ما قدرت تسهر معي ساعة واحدة اسهروا وصلوا لئلا
تدخلوا التجارب اما الروح فمستبشر وقال مرقس فمستعدة واما الجسد فضعيف ومضى ايضا وصلى وجا ايضا فوجدهم
نياما لان عيونهم كانت ثقيلة فتركهم ومضى ايضا يصلي قال لوقا فظهر له ملاك من السما ليقويه وكان يصلي بتواترا
وكان عرقه كعبيط الدم نازلا على الارض وقال متى حينئذ جا الى التلاميذ وقال لهم ناموا الان واستريحوا فقد قربت
الساعة وفيما هو يتكلم اذ جا يهوذا الاسخريوطي احد الاثني عشر معه جمع كثير بسيوف وعصي من عند روسا الكهنة
ومشايخ الشعب والذي اسلمه اعطاهم علامة وقال الذي اقبله هو هو فامسكوه وجا الى يسوع وقال له السلام
يا معلم وقبله فقال له يسوع يا هذا الهذا جيت حينئذ جاوا فوضعوا ايديهم على يسوع وقبضوا عليه ثم قال في تلك الساعة
قال يسوع للجموع كانكم قد خرجتم الى لص بالسيوف والعصي لتاخذوني في كل يوم كنت جالسا عندكم اعلم في الهيكل فما قبضتم
علي هذا كان كله لتكميل كتب الانبيا وقال يوحنا ان يهوذا اخذ جندا من عند عظما الكهنة والفريسيين وشرطا وجا الى هنا
بسرج ومصابيح وسلاح ويسوع كان عارفا بكل شي ياتي عليه فخرج وقال لهم من تطلبون قالوا يسوع الناصري قال انا هو
وكان يهوذا واقفا معهم فلما قال انا هو رجعوا الى ورائهم وسقطوا على الارض فقال يسوع ان كنتم تطلبوني فدعوا هولا
يذهبوا لتتم الكلمة التي قال ان الذي اعطيتني لن يهلك منهم احد وقال متى حينئذ تركه تلاميذه كلهم وهربوا والذين
اخذوا يسوع اقتادوه الى دار قيافا رئيس الكهنة واما بطرس فاتبعه على بعد منه الى دار رئيس الكهنة ودخل الى داخلها
وجلس مع الخدام لينظر التمام وقال مرقس وجلس مع الخدام عند النار يصطلي وقال يوحنا وان سمعان الصفا والتلميذ
الاخر يعني الذي يتقدم ان عيسى كان يحبه تبعا يسوع وكان عظيم الكهنة يعرف ذلك التلميذ فدخل يسوع الى دار عظيم الكهنة
فاما سمعان فكان واقفا خارج الباب فخرج التلميذ الاخر الذي كان يعارف رئيس الكهنة فقال للبوابة ودخل سمعون
بطرس فقالت الجارية البوابة لسمعان اما انت من تلاميذ هذا الرجل فقال لها لا وكان العبيد والشرط قياما يوقدون نارا
ليصطلوا لانها كانت ليلة باردة وقام سمعان معهم ايضا يصطلي قال متى فقال رئيس استحلفك بالله الحي ان تقول
لنا ان كنت انت هو المسيح قال له يسوع انت قلت ثم ذكر انهم افتوا بقتله وقال عند ذلك بصقوا في وجهه وستروا وجهه
بثوب ولطموا وجهه وقفوه قائلين بها المسيح بين لنا من هو الذي ضربك قال مرقس وبينما بطرس في اسفل الدار جات فتاه
من جواري رئيس الكهنة فقالت له وانت ايضا قد كنت مع يسوع الناصري وقال متى مع يسوع الجليلي وقال لوقا فلما
راته جارية جالسا عند الضوء ميزته فقالت هذا كان معه فانكر وقال ما اعرفه وقال متى فجحد بين ايديهم اجمعين وعند
خروجه الى الباب ابصرته جارية اخرى فقالت وهذا ايضا كان مع يسوع الناصري فجحد ايضا بيمين اني لست اعرف الرجل
وبعد قليل تقدم الوقوف فقالوا لبطرس بالحقيقة انك منهم انت لان كلامك يدل عليك وقال مرقس وانت جليلي
وكلامك يشبه كلامهم وقال حينئذ ابتدا بطرس يلعن ويحلف اني لست اعرف الانسان وفي الحال صاح الديك فذكر بطرس
كلمة يسوع قبل ان يصيح الديك تجحدني ثلاثا فخرج الى خارج وبكا بكا مرا ولما كان الصبح عملوا كلهم موامرة على يسوع حتى يميتوه
فربطوه وساقوه الى بيلاطس النبطي ولما ابصر يودس يعني يهوذا الاسخريوطي انه قد حكم عليه ندم ورد الثلثين الفضة على روسا
الكهنة قائلا قد اخطات اذ اسلمت دما زكيا فقالوا ما علينا فطرح الفضة في الهيكل ومضى يخنق نفسه فاخذ روسا
الكهنة الفضة وقالوا لن يجوز لنا نلقيها في داخل الزكاة لانها ثمن دم فتشاوروا وابتاعوا حقل الفاخوري لمقبرة الغربا
لذلك دعي ذلك الحقل حقل الدم الى اليوم حينئذ تم قول ارميا النبي القائل واخذوا الثلثين من الفضة ثمن المكرم الذي ثمنه
بنو اسرائيل وجعلوها في حقل الفاخوري على ما رسم لي واما يسوع فوقف امام الوالي ثم ذكر ان الوالي كان كارها قتله لان
امراته ارسلت اليه تقول اياك ودم ذاك الصديق فاني توجعت في هذا اليوم كثيرا من اجله في الحلم وانه اجتهد بهم ليطلقه
فابوا الا صلبه وصاحوا عليه وانه قال لهم اي شر عمل فازدادوا صياحا وقالوا يصلب فلما راى بيلاطس انه لا ينفع شيا
اخذ ما وغسل يديه قدام الجمع وقال اني بري من دم هذا الصديق فقالوا دمه علينا وعلى اولادنا وقال لوقا وان بيلاطس
قال لروسا الكهنة اني لم اجد على هذا الانسان علة حتى قال فلما علم انه من سلطان هيرودس يعني من الجليل ارسله الى
هيرودس لانه كان في تلك الايام بيروشليم وان هيرودس لما راى يسوع فرح جدا لانه كان يشتهي ان يراه من زمان طويل
لما كان يسمع عنه من الامور الكثيرة وكان يرجوا ان يعاين اية يعملها وساله عن كلام كثير وذكر انه لم يجبه فاحتقره
هيرودس وجنده واستهزاوا به والبسه ثيابا حمرا وارسله الى بيلاطس وصار بيلاطس وهيرودس صديقين
في ذلك اليوم لانه كان بينهما عداوة ثم ذكر ان بيلاطس قال لهم لم اجد عليه علة اخذه بها ولا هيرودس ايضا وانهم لم يقبلوا

منه ذلك وصاروا يصيحون اصلبه اصلبه وقال يوحنا ثم جلس يعني فيلاطس على كرسي في موضع يعرف بوصف الحجارة وبالعبرانية يسمى جاجلتا ثم ذكر جميع نقلة اناجيلهم انهم صلبوه بين لصين وانهم كانوا يستهزؤون به حتى اللصان المصلوبان قال مرقس فلما كانت الساعة السادسة تغشت الارض كلها ظلمة الى الساعة التاسعة وانه صاح بصوت عظيم منه الهي الهي لم تركتني فانشق ستر حجاب الهيكل باثنين من فوق الى اسفل والارض تزلزلت وتشققت الصخور وتفتحت القبور وكثير من اجساد القديسين النيام قاموا من قبورهم ودخلوا المدينة فظهروا للكثير وكان هناك نسوة كثير ينظرون من بعيد وهن اللاتي تبعن عيسى من الجليل منهن مريم المجدلانية ومريم ام يعقوب الصغير وام يوسا وام بني زبدي وقال يوحنا وكان واقفا عند صليبه امه واخت امه مريم ابنة كلابا ومريم المجدلانية ثم ذكروا انه دفن وذكر مرقس انه كان يوم جمعة وقال يوحنا واما اليهود فلانه يوم الجمعة قالوا لا هذه الاجساد لا تبيت على صليبها لان السبت كان عظيما ثم ذكروا انهم انزلوهم وان عيسى دفن وقال متى ان الملك جاء بعد ثلاث واقامه وقال للنسوة انه قد قام فاسرعن فقلن لتلاميذه هو ذا يسبقكم الى الجليل وان رؤساء اليهود رشوا الجند الذين كانوا يحرسون قبره ليقولوا ان تلاميذه سرقوه من القبر ففعلوا وشاع ذلك عند اليهود الى اليوم فاما الاحد عشر تلميذا فمضوا الى الجليل الى الجبل الذي امروا به فلما راوه سجدوا له وبعضهم شك وقال لوقا وفيما هم يتكلمون وقف عيسى في وسطهم وقال لهم السلام لكم يا هؤلاء لا تخافوا فانا هو فاضطربوا وخافوا وظنوا انهم ينظرون روحا فقال لهم ما بالكم تضطربون ولم تاتي الافكار في قلوبكم انظروا يدي ورجلي فاني انا هو جسوني وانظروا الى الروح ليس له لحم ولا عظم كما ترون انه لي ولما قال هذا اراهم يديه ورجليه واذا هم غير مصدقين من الفرح والتعجب وقال لهم اعندكم هاهنا ما يؤكل فاعطوه جزءا من حوت مشوي ومن شهد عسل فاخذه امامهم واكل واخذ الباقي واعطاهم ثم قال ثم اخرجهم خارجا الى بيت عينا ورفع يديه وباركهم وكان فيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد الى السماء وقال يوحنا انه قال لمريم امضي الى اخوتي وقولي لهم اني صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم وقال متى انه تقدم فكلمهم فقال اعطيت كل سلطان في السماء وعلى الارض فاذهبوا الان وتلمذوا كل الامم انتهى ما اردته هنا من الاناجيل من هذه القصة فقد بان بذلك ان اناجيلهم كلها اتفقت على ان علمهم في امره انتهى الى واحد وهو الاسخريوطي واما غيره من الاعداء فلم يكن يعرفه وانه انما وضع يده عليه ولم ينكر بلسانه انه هو وان الوقت كان ليلا وان عيسى نفسه قال لاصحابه كلكم تشكون في هذه الليلة وان تلاميذه كلهم هربوا فلم يكن لهم علم بعد ذلك بما اتفق في امره وان بطرس تبعه من بعيد وان الذي دل عليه خنق نفسه وان الناقل ان الملك قال انه قام من الاموات انما هو نسوة كن عند القبر في مدى بعيد وما يدري النسوة الملك من غيره ونحو ذلك من الامور التي لا يفيد غير الظن بالجهد واما الآيات التي وقعت فعلى تقدير تسليمها لا يفيد التصديق بها وتكون اخبارا بانهم على الله يصلب من يظنونه المسيح ومن احسن ما في ذلك قوله بعد اجتماعهم به بعد دفنه اعطيت كل سلطان فانه يثبت ان المعطي غيره وهذا كله يصادق القرآن في انهم في شك منه ويدل على المصلوب في زعمهم انهم صلبوا من ظنوه اياه هو الذي دل عليه كما قال بعض العلماء انه الذي شبه عليه ويؤيد ذلك قولهم انه خنق نفسه فالظاهر انهم لما لم يروه بعد ذلك ظنوا انه خنق نفسه فجزموا به والله اعلم وقوله انك ابي وابا في وانا قبلك ليكونوا الى التلاميذ فينا ونحوه مما يوهم حلولا المراد به الاتحاد في المراد بحيث ان واحدا منهم لا يريد الا ما يريده الاخر ولا يرضى الا ما يرضاه فهو من وادي ما في الحديث القدسي كنت سمعه الذي يسمع به الى اخره وكذا اطلاق الابن والاب معناه انه يعاملهم في لطفه معاملة الاب ابنه فالمراد الغاية كما يؤول ذلك في اطلاق الغضب والحب ونحو ذلك في حق الله تعالى في شرعنا وقد مضى كثير من رد المتشابه في مثل ذلك الى المحكم في آل عمران ومضى في ذلك الموضع وغيره ان كل ما اوهم نقصا لا يجوز في شرعنا اطلاقه على الله تعالى والله الموفق ولما انجز الكلام الى امر عيسى عليه السلام على هذا المنهاج البديع بما ذكر في فضائح اليهود له وقبائح افعالهم وانهم قصدوا قتله عليه السلام فخاب قصدهم واصله زيدهم وقال رافعهم ورد عليهم بغيهم وحصل له بذلك اعلى المناصب واولى المراتب قال محققا لما ابتدأ في الآية قبلها من القطع بكذبهم مثبتا انهم في سبا بغيهم في عداوته سيكونون من اتباعه المصدقين بجميع امره الذي منه التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم مؤكدا له اشد تأكيد لما عندهم من الانكار له **وان** اي والحال انه ما **من اهل الكتاب** اي احد يدرك نزوله في اخر الزمان **الا** وعزتي **ليؤمنن به** اي بعيسى عليه السلام **قبل موته** اي موت عيسى عليه السلام اي انه لا يموت حتى ينزل في اخر الزمان ويؤيد الله به دين الاسلام حتى يدخل فيه جميع اهل الملل اشارة الى ان موسى عليه السلام ان كان قد ايده الله تعالى بانبياء كانوا يجددون دينه زمانا طويلا فالنبي الذي نسخ شريعة موسى هو عيسى عليهما السلام هو الذي يؤيد الله به هذا النبي العربي في تجديد شريعته وتمهيد امره والذب عن دينه ويكون من امته بعد ان كان صاحب شريعة مستقلة واتباع مستكثرة امر قضاه الله في الازل فامضاه فاطيلوا ايها اليهود او اقصروا فمعنى الآية ان والله اعلم انه ما من احد من اهل الكتاب المختلفين في عيسى عليه السلام على شك الا وهو يؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته بعد نزوله من السماء انه ما قتل وما صلب ويؤمن به عند زوال الشبهة والله اعلم روى الشيخان واحمد وابو بكر بن مردويه وغيرهم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا واماما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها وفي رواية وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين وفي رواية حتى يهلك الله الملل كلها غير الاسلام فيهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام يقول ابو هريرة

اقرؤوا

اقرؤوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية موت عيسى عليه السلام ثم يعيدها ابو هريرة ثلاث مرات ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد وفي رواية ويفيض المال حتى لا يقبله احد ولمسلم عنه رضي الله عنه كيف بكم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال الوليد بن مسلم احد رواة الحديث قال ابن ابي ذئب تدري ما امامكم منكم قلت تخبرني قال فامكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولمسلم ايضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول اميرهم تعال صل لنا فيقول لا ان بعضكم على بعض امراء تكرمة الله هذه الامة وروي عن ابن عباس ومحمد بن علي المشهور بابن الحنفية رضي الله عنهم ان المعنى الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل موت ذلك الكتابي عند الغرغرة حين لا ينفعه الايمان ليكون ذلك زيادة في حسرته قال الاصبهاني ويدل على صحة هذا التاويل قراءة ابي الا ليؤمنن قبل موتهم بضم النون ولما اخبر تعالى عن حالهم معه في هذه الدار اتبعه فعله بهم في تلك فقال **ويوم القيامة** اي الذي يقطع ذكره القلوب ويحمل التفكر فيه على كل خير ويقطع عن كل شر **يكون** وادل شقاوتهم بقوله **عليهم شهيدا** اي بما عملوا ولما اذن حرف الاستعلاء في الشهادة بانه لا خير لهم في واحد من الدارين وبان التقدير فبظلمهم سبب عنه قوله دالا على ان التوراة نزلت منجمة **فبظلم** اي عظيم جدا راسخ ثابت وهو جامع لتفصيل نقض الميثاق وما عطف عليه مما استحلوه بعد ان حرمته التوراة وقال مشيرا الى زيادة تبكيتهم **من الذين هادوا** اي تلبسوا باليهودية في الماضي ادعاء انهم من اهل التوبة والرجوع الى الحق ولم يقصر تغييبا لهم زيادة في تقريعهم **حرمنا عليهم طيبات احلت** اي كان وقع احلالها لهم في التوراة **لهم** كالشحوم التي ذكرها الله تعالى في الانعام ولما ذكر ظلمهم ذكر الجامع من جزئياته وبدأ بها باعراضهم عن الدين الحق فقال معيدا للعامل تاكيدا له **وبصدهم عن سبيل الله** اي الذي لا اوضح منه ولا اسهل ولا اعظم لكونه الذي يحجه له من العظمة والحكمة ما لا يدرك وصد يجوز ان يكون قاصرا فيكون **كثيرا** صفة مصدر محذوف وان يكون متعديا فيكون مفعولا به اي وصدهم كثيرا من الناس بالاضلال عن الطريق لمنعوا استلذاذ تلك المآكل بما منعوا انفسهم وغيرهم من لذاذة الايمان ولما ذكر امتناعهم ومنعهم من المحا التي لا اطيب منها ولا اشرف اتبعه اقدامهم على قبائح دنية فيها ظلمهم للخلق فقال **واخذهم الربا** اي وهو قبيح في نفسه مزرد بصاحبه **وقد** اي والحال انهم قد **نهوا عنه** فضموا الى مخالفة الطبع السليم الاجتراء على انتهاك حرمة الله العظيم ولما ذكر الربا اتبعه ما هو اعم منه فقال **واكلهم اموال الناس بالباطل** اي سواء كانت ربا او رشوة او غيرهما ولما ذكر بعض ما عذبهم به في الدنيا اتبعه جزاءهم في الاخرة فقال عاطفا على قوله حرمنا **واعتدنا للكافرين** اي الذين صار الكفر لهم صفة راسخة فماتوا عليه ولما علم ان منهم من يؤمن فيدخل الجنة قال **منهم** ولما كان الجزاء من جنس العمل قال **عذابا اليما** اي بسبب ما المّوا الناس باكل اموالهم وتخطيتهم على حقوقهم من الفضائل والفواضل ذكر تحريم الاموال بالربا وغيره من انواع الباطل نص التوراة قال في السفر الثاني بعد ما قدمته في البقرة من الامر بالاحسان الى الناس والنهي عن اذاهم وان اسلفت ورقك للمسكين الذي معك من شعبي فلا تكونن له كالغريم ولا تاخذن منه ربا وقال في الثالث وان افتقر اخوك واستعان بك فلا تتركه بمنزلة الغريب الساكن معك بل وسع عليه واياك ان تاخذ منه ربا او عينة ولا تعرضه بالعينة وقال في الخامس ولا تدخلوا بيت الله ربكم اجرة زانية ولا ثمن كلب ولا تاخذوا من اخوتكم ربا في فضة ولا في طعام ولا في شيء مما تعاملون به واما الغريب فخذوا منه ان احببتم فقد ثبت من توراتهم النهي عن الربا واما تخصيصه بالغريب فتبديل منهم بلا ريب بدليل ما قدمته عنها في البقرة عند قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا ومن النهي عن غدر العدو وعند قوله تعالى لا تعبدون الا الله من الاحسان الى عامة الناس لا سيما الغريب والله الموفق ولما بين تعالى ما للمطبوع على قلوبهم العريقين في الكفر من العقاب بين ما للنيري البصائر بالرسوخ في العلم والايمان من الثواب فقال **لكن الراسخون في العلم منهم** اي الذين هيئت قلوبهم في اصل الخلقة لقبول العلم فابعد عنها الطبع وحليت بالحكمة وشرحت بالرحمة فامتلات من نور العلم وتمكنت بانس الايمان ولما ذكر نعت العلم المفيد لجميع الفضائل اتبعه ما نشأ عنه فقال **والمؤمنون** اي الذين هيئوا للايمان ودخلوا فيه فصار لهم خلقا الا رذالا منهم ومن غيرهم **يؤمنون** اي يجددون الايمان كل لحظة **بما انزل اليك** لانهم اعرف الناس بانه حق **وما انزل من قبلك** اي على موسى عليه السلام وبسبب ايمانهم الخالص امنوا بما انزل على عيسى عليه السلام ثم بما انزل اليك ولما كانت الصلاة اعظم دعائم الدين ولذلك كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر نصبت على المدح من بين هذه المرفوعات اظهارا لفضلها فقال تعالى **والمقيمين الصلاة** اي بفعلها بجميع حدودها ويجوز على بعد ان يكون المقتضي لنصبها جعل لكن بالنسبة اليها بمعنى الا وتضمنها لفظها لما بينهما من التآخي فيكون المعنى انهم مستثنون ممن اعد لهم العذاب الاليم على معنى ان الله سبحانه وهو الفاعل المختار سبق علمه بان مقيم الصلاة بجميع حدودها لا يموت كافرا بل تناله بركتها فيسلم وهذا اعظم مدح لها والحاصل ان لكن استعيرت لمعنى الاخراج لان بعد كل منهما مخالف في الحكم لما قبله كما استعيرت الا لمعنى لكن في الاستثناء المنقطع ولما كان الرجوع بما بعدها الى الاسلوب الماضي ابين في مدحها قال **والمؤتون الزكاة** ولما ذكر انهم جمعوا الى الصلة الخالق الاحسان الى الخلائق ذكر الايمان ثانيا تنبيها على عظمته مفصلا له بعض التفصيل ومشيرا الى ان نفعه كما يشترط ان يكون فاتحا يشترط ان يكون خاتما فقال **والمؤمنون بالله** اي مستحضرين ما له من صفات الكمال وضم اليه الحامل على كل خير والمبعد عن كل شر ترغيبا وترهيبا فقال **واليوم الاخر** فصار الايمان مذكورا خمس مرات فان هذه الاوصاف لموصوف واحد

عطفت بالواو تفخيما لها واشارة الى ان وصف الرسوخ في العلم مقتض لانهم في الذروة من كل وصف منها والاتصاف بكل منها يتضمن الايمان بيوم الدين فانه لا يمدح احد اتصف بشي منها عريا عن الايمان به لا جرم نبه على فخامة امرهم وعلو شانهم باداة البعد فقال
اولئك اي العالو الهمم ويكون السياق في الراسخين العاملين اكفى في التاكيد بالسين لان المنكر هنا اثقل منه في الاولى ولم يصفها الاخر ووصفه بالعظم فقال سنوتيهم اي بعظمتنا الباهرة بوعد لا خلف فيه اجرا عظيما ولما كانت هذه الاوصاف منطبقة على الانبيا عليهم السلام وكان من احوالهم الوحي قال تعالى ابطالا لشبهتهم القايلة لو كان نبيا لاتى بكتابه جملة من السما كما اتى موسى عليه السلام بالتوراة كذلك باقرارهم بنبوة هولا الانبيا عليهم السلام مع كونهم لم يات لهم تلك الصفة ولم يكن ذلك قادحا في نبوة احد منهم ولا رسالته انا ويحتمل ان يكون هذا تعليلا ليومنون اي انهم امنوا بما انزل اليك لانا اوحينا اليك كما اي مثل ما اوحينا الى نوح وقد امنوا به لما اتى به من المعجز الموجب للايمان من غير توقف على معجز اخر ولا غيره لان اثبات المدلول انما يتوقف على ثبوت الدليل فاذا تم الدليل كانت المطالبة بدليل اخر طلبا للزيادة واظهارا للتعنت واللجاج والله سبحانه يفعل ما يشا ويحكم ما يريد ولما كان مقام الايحا وهو الانبيا من قبل الله قال والنبيين من بعده اي فهم يعلمون ذلك بما لهم من الرسوخ في العلم وطهارة الاوصاف ولا يشكون في ان الكل من مشكاة واحدة مع ان هذا الكتاب ابلغ والتعبير فيه عن المقاصد اجلى واجمع فهم البراهيل والدلايل واما المطبوع على قلوبهم الممنوعون من رسوخ العلم فيها بكثافة الحجاب حتى انها لا تنظر الى اسراره الا من وراء غشا فهم غير قابلين لنور العلم المهيئ للايمان فاسرعوا الى الكفر وبادروا الى كل جرم فهم لا يضرون الا انفسهم بما بيناه لهم من العذاب في الدنيا بالذل والصغار وفي الاخرة بالسخط والنار ولما اجمل تعالى ذكر النبيين فصل فقال منبها على شرف من ذكرهم وشهرتهم واوحينا الى ابراهيم اي ابيكم وابيهم كذلك واسمعيل اي ابنه الاكبر الذي هو ابوكم دونهم واسحق وهو ابنه الثاني وابوهم ويعقوب اي ابن اسحق والاسباط اولاد يعقوب ولما اجمل بذكر الاسباط بعد تفصيل من قبلهم فصل من بعدهم فقال وعيسى الذي هو اخوهم من ذرية يعقوب وايوب وهو من ذرية عيصو بن اسحق على ما ذكروا ويونس وهرون وسليمان ولما كان المقام للتعظيم بالوحي وكان داود عليه السلام من اهل الكتب قال واتينا داود زبورا اي وهم يدعون الايمان به مع اعترافهم بانه لم ينزل جملة ولا مكتوبا من السما ولما تم ما اقتضاه مقام النبوة وكان فيهم رسل وكان ربما قال متعنت ان شان الرسل غير شان الانبيا في الوحي قال عاطفا على ما تقديره من معنى اوحينا ارسلنا من شينا من هولا الذين قصصناهم عليك هنا الى من شينا من الناس ورسلا اي غير هولا قد قصصناهم اي تلونا ذكرهم عليك ولما كان القص عليه غير مستغرق للزمان الماضي قال من قبل اي من قبل انزال هذه الاية ورسلا لم نقصصهم عليك اي الى الان ولما كان المراد انه لا فرق بين النبي والرسول في الوحي نبه على ذلك بقوله وكلم الله اي الذي له الكمال كله فهو يفعل ما يريد لا امر لاحد معه موسى تكليما اي على التدريج شيا فشيا بحسب المصالح من غير واسطة ملك فلا فرق في الوحي بين ما كان بواسطة وبين ما كان بلا واسطة والمعنى انكم لو كنتم انما تتوقفون عن الايمان ببعض الانبيا تعنتا لكونه لم تفعل به ما فعل بموسى عليه السلام من الكرامة لم تومنوا بابرهيم واسحق ويعقوب والاسباط وهرون وغيرهم فانه خص بالتكليم دونهم فلم جعلتم الاتيان بمثل ما اتى به موسى عليه السلام شرطا في الايمان ببعض الانبيا دون بعض وان جعلتم الشرط الاتيان بالكتاب جملة ومن السما فعينا انه لذلك دون التكليم وغيره مما جعل له كان ذلك على تقدير التسليم تحكما وترجيحا من غير مرجح على ان التوراة ايضا كما تقدم بيانه لهذا القران في انزالها منجمة على حسب الوقايع على ما اشار اليه قوله تكليما ولم يكتب منها جملة الا اللوحان اللذان وضعا في تابوت الشهادة كما انزل بعض سور القران جملة كسورة الانعام وليس في نزول موسى عليه السلام بهما من جبل الطور مكتوبين دليل على نزولهما من السما ويدل على ذلك كثير من نصوصها اصرحها انه تعالى حرم عليهم العمل في السبت عقب خروجهم من البحر عند انزال المن كما بين في السفر الثاني منها ولم يبين كيف يفعل بالعاصي فيه الا بعد ذلك بدهر طويل ما في السفر الرابع منها انه في قصة التيه ومكث بنو اسرايل في البرية وجدوا رجلا يحتطب حطبا يوم السبت فقدمه الذين وجدوه يحتطب الى موسى وهرون والى الجماعة كلها وحبسوه في السجن لانه لم يكن اوحي الى موسى كيف يصنع به فقال الرب لموسى يقتل هذا الرجل يرجم بالحجارة خارجا من العسكر ورجمه الجماعة كلها بالحجارة ومات كما امر الرب موسى ومنها انه امرهم كما بين في السفر الثاني بنصب قبة الزمان التي كانوا يصلون اليها ويسمع موسى الكلام فيها ثم بعد ذلك بمدة امرهم كما بين في السفر الرابع بالزيادة فيها ومنها انه كتب له الالواح في الطور اللوحين اللذين كسرهما غضبا من اتخاذهم العجل ثم لوحين عوضا عنهما ثم لما نصبت قبة الزمان صار سبحانه يكلمه فيها وغالب احكامهم انما شرعت بالكلام الذي كان في قبة الزمان كما هو في غاية الوضوح في التوراة ومنها ما قال في اواخر السفر الخامس وهو اخرها فلما اكمل موسى كتاب ايات هذه التوراة في السفر ونزع منها امر موسى الاحبار الذين يحملون تابوت عهد الرب وقال لهم خذوا سفر هذه السنن واجعلوه في جوف تابوت عهد الله ربكم في جانب من جوانبه ليكون هناك شاهدا لاني قد عرفت جفاكم وقساوة قلوبكم وما تصيرون اليه وكيف لا يكون ذلك وقد اغضبتم الرب وانا حي معكم فكم بعد موتي اخرى ان تفعلوا ذلك فليجتمع الي اشياخ اسباطكم وكتابكم فاتلو عليهم هذه الاقوال واشهد عليهم السما والارض لانكم مفسدون من بعد وفاتي تحيدون عن الطريق الذي امرتكم به سيشتد بكم في اخر الايام اذا عملتم السيات بين يدي الرب واغضبتموه باعمال ايديكم وقال موسى بين يدي جماعة بني اسرايل انصتي ايتها السما فاتكلم ولتسمع الارض لنطق مني وقال كلاما كثيرا فيه ذمهم اذكره ان شا الله تعالى في المايدة عند من لعنه الله وغضب عليهم قال بقول الله اسخطوني مع الذرايا وتاثمهم واغضبوني حين ذبحوا للشياطين ومضى يتكلم عن كلام الله الذي هو من

احسن

من احسن التوراة الى ان قال فلما اكمل موسى هذه الايات كلها لبني اسرايل قال لهم اقبلوا بقلوبكم الى هذه الاقوال ثم قال وكلم الرب موسى في ذلك اليوم وقال له اصعد الى جبل العبرانيين هذا جبل بانوا الذي في ارض مواب حيال يوريحا وانظر الى ارض كنعان التي اعطي بني اسرايل ميراثا وذكر بعد ذلك كلاما طويلا وفيها كلها من بيانا مثلها كثير مما هو ظاهر في ذلك بل صريح وفي قصة نوح وابرهيم عليهما السلام ما هو صريح في ان الايحا اليهما كان منجما كما مضى عنهما في قصة ابرهيم عليه السلام في البقرة ويأتي ان شا الله تعالى في ذكر الاصار في الاعراف وفي قصة نوح عليه السلام في سورة هود والله الموفق وقد ابتدا سبحانه في هذه الاية بنوح عليه السلام اول اولي العزم اصحاب الشرايع وجودا وهو من اول الانبيا وزمانه في القدم بحيث لا يعلم مقداره على الحقيقة الا الله ثم ثنى بتابعهم في الوجود وهو ابرهيم عليه السلام ثم ذكر اولاده على ترتيبهم والاسباط يحتمل ان يراد بهم اولاد يعقوب عليهم السلام انفسهم وقبايلهم ويكون المعنى حينيذ وانبيا الاسباط ويكون مما استعمل في حقيقته ومجازه ويكون شاملا لجميع انبيا بني اسرايل ثم صرح ببعض من دخل منهم في العموم فبدا بهم باحزمهم بعثا وهو عيسى عليه السلام الذي هو احد نبيي اهل الكتابين وختم الاية باحد اصحاب الكتب منهم وهو جده المشهور بالنسبة اليه فان اليهود يقولون لعيسى عليه السلام يا ابن داود لانه من ذريته وختم الاية باول نبيي اهل الكتابين موسى عليه السلام الذي مرتبته على الاسلام واهله المتمونون لاتباعه ووسط اخاه هرون عليه السلام بين اثنين من اهل البلا ايوب ويونس واثنين من اهل الملك واحدهم صاحب كتاب وهما سليمان وداود وكل ذلك اشارة الى انه لا فرق في كيفية الايحا فيخرج ما الى الانبيا بين متقدميهم ومتاخريهم سوا كان من بني اسرايل او من غيرهم وسوا منهم من اوتي الملك ومن لم يوته ومن اتي بكتاب ومن لم يات ومن لطايف هذا الترتيب ان المخصوصين بالذكر في الاية الاولى بعد دخولهم في العموم احد عشر اسما الاسباط احدها والمشهور بالكتب والصحف منهم ثلاثة ابرهيم وعيسى وداود وقد وقع كل منهم سادسا لصاحبه وهو العدد الذي كان فيه الخلق فلعل في ذلك اشارة الى ان الله لا يعجب العجلة فكما انه لم يعجل في انشا الخلق فكذلك لم يعجل بانزال الكتاب التي بها قوامهم وبقاوهم دفعة بل انزلها منجمة تبعا لمصالحهم وتثبيتا لرعايتهم ومن لطايفه انه تعالى بدا المذكورين وختمهم باثنين من اولي العزم اشتركا في ان كلا منهما اهلك من عانده كنفس واحدة بالاغراق ترهيبا لهولا الملبسين على اهل الاسلام بالباطل المدعين انهم اتباع ووسط بينهما وبين بقية المسمين عموم النبيين والمرسلين العلم اخرا الرسل ليعلم ان كل من عطفوا عليه رسل ولان رتبة النبوة قبل رتبة الرسالة بمعنى انها اعم منها ولما صرح اسما من دخل في العموم بداهم باشرفهم ثم بالاقرب الى هذا النبي الكريم فالاقرب من المرتبين على حسب ترتيب الوجود اشارة الى انه سن به في الوحي سنة ابايه واخوانهم وذرياتهم والله الموفق ولما كان معظم رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم بشارة ونذارة قال مبينا انهم مثله في ذلك كانوا قبل في الوحي لان المقصود من الارسال لجميع الرسل جميع الخلق على الحق بالبشارة والنذارة رسلا اي جعلناهم رسلا ويجوز ان يكون بدلا من رسلا الماضي وان يكون حالا حال كونهم مبشرين ومنذرين ثم علل ذلك بقوله لئلا يكون اي لينتفي ان يوجد للناس اي نوع من فيه قوة النوس ولما كانت الحجة قد تطلق على مطلق العذر ولو كان مردودا عبر باداة الاستعلا فقال على الله حجة اي واجبة القبول على الملك الذي اختص بجميع صفات الكمال في ان لا يعذب عصاتهم ولما كان المراد استغراق النفي لجميع الزمان المتعقب للارسال اسقط الجار فقال بعد اي بعد انتفا ذلك انتفا مستغرقا لجميع الزمان الذي يوجد بعد ارسال الرسل وتبليغهم للناس وذلك على ان وجوب معرفته تعالى انما يثبت بالسمع واما نفس المعرفة والنظر والتوحيد فطريقها العقل فالمعرفة متلقاة من العقل والوجوب متلقى من الشرع والعقل ولما كان ذلك ربما اوهم انه ربما امتنع عليه قبل ذلك سبحانه احد بحجة او غيرها قال مزيلا لذلك وكان الله اي المستجمع لصفات الكمال عزيزا اي يغلب كل شي ولا يغلبه شي فهو قادر على ما طلبوه ولكنه لا يجيب اليه لانه على سبيل اللجاج وهو غير معجز بل حكيما اي يضع الاشيا في اتقن مواضعها فلذلك رتب مور لا يكون معها لاحد حجة ومن حكمته انه لا يجيب المتعنت ولما لم يبق سبحانه لهم شبهة واستمروا على عنادهم اشار تعالى الى ما تقديره انهم لا يشهدون لك عند اتضاح الامر فقال لكن اي ومع ما قام من البراهين على صدقك وكون كتابك من عند الله فهم لا يشهدون بذلك لكن الله اي الذي له الامر كله فلا كفوله يشهد اي لك بما انزل اليك اي من هذا الكتاب المعجز الذي قد اخرس الفصحا وابكم البلغا وفيه هذه الاحكام المصادقة لما عندهم وهم يريدون الاضلال عنها فشهادته ببلاغته وحكمته بصدقك الاتي به هي شهادة الله لانه قايله ولذلك علل بقوله انزله بعلمه اي لما بانزاله على الوجه المعجز مع كثرة المعارض فلم يقدر احد ولا يقدر على احداث شي فيه من تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان ولا معارضة والمليكة ايضا يشهدون بذلك لانهم كانوا حاضرين الانزال وامنا على من كان منهم على يده يبلغه كما قال تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم وهذا خطاب للعباد على حسب ما يعرفون ولما كان ربما اوهم نقصا نفاه بقوله وكفى بالله اي الذي له الكمال كله شهيدا اي وكفى بشهادته في ذلك شهادة عن شهادة غيره وذلك لانه انزله سبحانه شاهدا بشهادته ناطقا بها لاعجازه بنظمه وبما فيه من علمه من الحكم والاحكام وموافقة كتب اهل الكتاب فشهادته بذلك هي شهادة الله وهي لعمري لا تحتاج الى شهادة احد غيره ولما بين سبحانه انه اقام الادلة على صحته بالمعجزات فصار كانه شهد بحقيقته كان انفع الاشيا اتباع ذلك بوصف من جحده في نفسه وصد عنه غيره زجرا عن مثل حاله وتقبيحا لما ابدى من ضلاله فقال ان الذين كفروا اي ستروا ما عندهم من العلم بصدقه بما دل عليه من شاهد العقل وقاطع النقل من اليهود وغيرهم

وصدوا عن سبيل الله اي الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه بانفسهم وباضلال غيرهم بما يلقونه من الشبه من مثل هذه وقولهم كذبا انه في التوراة ان شريعة موسى عليه السلام لا تنسخ وقولهم ان الانبيا لا يكونون الا من ابنا هرون وداود عليهما السلام قد ضلوا اي عن الطريق الموصل الى مقصودهم في جحده ومنع ما يراد من علائه ضلالا بعيدا اي لانا اشد الناس ضلالا مبطل يعتقد انه محق ثم يحمل غيره على مثل باطله فصاروا بحيث لا يرجى لهم الرجوع الى الطريق النافع لا سيما ان ضم الى ذلك الحسد لان ذا الحسد دوا دايه ثم علل اغرائهم في الضلال باضلاله لهم لتماديهم فيما تدعوا اليه نقيصة النفس من الظلم بقوله وعيدا لهم ان الذين كفروا اي ستروا ما عندهم من نور العقل وظلموا اي بحملهم الحسد هم تحمل الناس في الظلام باغراضهم واضلالهم غيرهم لم يكن الله اي بجلاله ليغفر لهم لظلمهم ولا ليهديهم طريقا اي ليفتح لهم ما اتاهم من نور العقل ومنابذتهم ثم تهكم بهم بقوله الا طريق جهنم اي بما جنحوا من ظلمه ولما كان المعنى انا نمر بسكنهم ايا ها قال خالدين فيها اي لان الله لا يغفر ان يشرك به واكد ذلك بقوله ابدا ولما كان ذلك مع ما لهم من العقول امرا عجيبا قال تعالى وكان ذلك اي الامر العظيم من كفرهم وضلالهم وعذابهم على الله يسيرا لانه قادر على كل شي ولما وضح بالحجاج معهم الحق واستبان بحوششهم كلها من وجوه كثيرة الرشد واوضح لهم سداد طريقهم وابلغ وعيدهم انتج ذلك صدق الرسول وحقيقة ما يقول فاذعنت النفوس فكان انسب الاشيا ان عم سبحانه في الخطاب لما وجب من اتباعه على وجه العموم عند بيان السبيل وتفوض له نيل فقال مرغبا مرهبا يا ايها الناس اي كافة قد جاءكم الرسول اي الكامل في الرسلية الذي كان ينتظره اهل الكتاب لرفع الارتياب ملتبسا بالحق اي الذي يطابقه الواقع وستنظرون الوقائع فتطبقونها على ما سبق فيها من الاخبار كما بنا ذلك الحق من ربكم اي المحسن اليكم فان اتبعتم رسوله فقد تم احسانه ثمت نعمته عليكم ولهذا سبب عن ذلك قوله فامنوا ولما كان التقدير بما ارشد اليه السياق توعدا لهم ان يؤمنوا يكن الايمان خيرا لكم عطف عليه قوله وان تكفروا اي تستمروا على كفرانكم او تجددوا كفرا يكن الكفران شرا لكم اي خاصا ذلك لشركم ولا يضره من ذلك شي ولا ينقصه من ملكه شيا كما ان الايمان لم ينفعه شيا ولا زاد في ملكه شيا لان له الغنى المطلق وهذا معنى قوله فان لله اي الكامل العظمة ما في السموات والارض فانه من اقامة العلة مقام المعلول ولم يؤكد بكونه مما وان كان الخطاب مع المضطربين لان قيام الادلة اوصل الى حد من الوضوح بشهادة الله لا مزيد عليه فصار المدلول به كالمحسوس ولما كان التقدير فهو غني عنكم وله عبيد غيركم لا يعصونه وهو قادر على تعذيبكم باسقاط ما اراد من السما وخسف ما اراد من الارض وغير ذلك وكان تنعيم الموالف وتعذيب المخالف وتلقي النصيحة بالقبول دايرا على العلم وعلى الحكمة التي هي نتيجة العلم والقدرة قال وكان الله اي الذي له الاختصاص التام بجميع صفات الكمال ازلا وابدا مع انه لجميع الملك عليما اي فلا يسع ذا لبا ان يعدل عما اخبر به من ان امر هذا الرسول حق ولم يخبر به الا عن تمام العلم ولا يخفى عليه عاص ولا مطيع حكيما فلا ينبغي لعاقل ان يضيع شيا من اوامره لانه لم يضعها الا على كمال الاحكام فهو جدير بان يحل بالعدا انتقام ويثيب من اطاعه بكل انعام ولما اقتضى الا تحمل فيما سبق تمام امر عيسى عليه السلام اذ كان الكلام في بيان عظيم جرائمهم وجفاهم وكان ما فعلوا معه اول دليل على ذلك وكان كل من اعدايه واحبابه قد ضل في امره وغلا في شانه اليهود بخفضه والنصارى برفعه اقتضى قانون العلم والحكمة المشار اليهما بختام الاية السالفة بيانه بما هو الحق من شانه ودعا الفريقين اليه فقال يا اهل الكتاب اي عامة لا تغلوا في دينكم اي لا تفرطوا في امره فتتجاوزوا بسببه حدود الشرع وقوانين العقل ولا تقولوا على الله اي الملك الاعلى الذي لا كفو له شيا من القول الا الحق اي الذي يطابقه الواقع لمن قال عن عيسى عليه السلام انه لغير رشدة فقد اعرق في الباطل فانه لو كان كذلك ما وفقه للدوام على الطاعات ولا ظهرت عليه عجايب الكرامات ولا تكلم هو في المهد ولا ظهرت على لسانه ينابيع الحكمة ولا قدر على احيا الموتى وذلك متضمن لان الله تعالى العليم الحكيم اظهر المعجزات على يد من لا خير فيه وذلك مناف للحكمة فهو كذب على الله بعيد عن تنزيهه ومن قال انه الله او ابن الله فهو ابطل وابطل فانه لو كان كذلك لما كان حادثا ولما احتاج الى الطعام والشراب وما ينشا عنهما ولا قدر احد على اذاه ولتنبه للحاجة الى الصاحبة للاله فلم يصلح للالهية وذلك ابطل الباطل ولما ادعى اليهود انه غير رسول والنصارى انه اله حسن تعقيبه بقوله انما المسيح اي المبارك الذي هو اهل لان يمسح الامام به هذا المقدس لما فيه من صلاحية الامامة وهو اهل ايضا لان يمسح الناس ويطهرهم لما له من الكرامة ولما ابتدا سبحانه بوصفه الاشهر وكان قد يوصف به غيره بينه بقوله عيسى ثم اخبر عنه بقوله ابن مريم ليتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم لا يصح نسبته بالبنوة الى غيرها وليس هو الله ولا ابن الله كما زعم النصارى رسول الله لا انه لغير رشدة كما كذبت اليهود ولما كان تكونه بكلمة الله من غير واسطة ذكر جعل نفس الكلمة فقال وكلمته لانه كان بها من غير تسبب عن اب بل كونا خارقا للعوايد القاها اي اوصلها على علو امره وعظيم قدره ايصالا سريعا الى مريم وحصلها فيها وزاده تشريفا بقوله وروح اي عظيمة نفخها فيها تكون في مريم من الجسد الذي قام بالكلمة لا بمادة من ذكر والروح هو النفخ في لسان العرب وهو كالريح الا انه اقوى بما له من الواو والحركة المجانسة لها ولغلبة الروح عليه كان يحيي الموتى في ذا ارادوا كمل شرفها بقوله منه اي وان كان جبريل هو النافخ واذا وصف شي بغاية الطهارة قيل روح لا سيما ان كان به حياة في دين او بدن ولما اتضح بهذا الحق تسبب عنه قوله فامنوا بالله اي الذي لا يعجزه شي ولا يحتاج الى شي ورسله اي عيسى عليه السلام وغيره عامة من غير افراط ولا تفريط ولا تؤمنوا ببعض وتكفروا ببعض فان ذلك حقا هو الكفر الكامل كما مر ولما امر باثبات الحق نهاهم عن التلبس

بالباطل فقال

بالباطل فقال ولا تقولوا اي في امر عيسى عليه السلام ثلثة اي لتستمروا ايها اليهود على التكذيب بما يقول فيه النصارى ولا تقولوا انه متولد من اب وام لغير رشدة المقتضي للتثليث وارجعوا ايها النصارى عن التثليث الذي تريدون به الاله بتثليثه وان ضممتم اليه انه الواحد لان ذلك يؤدي الى البطلان والحاصل انه نهى كلا عن التثليث وان كان المراد به مختلفين وانما العدل فيه انه ابن مريم فهما اثنان لا غير وهو عبد الله ورسوله وكلمته وروح منه ولما تم عن ذلك بصيغة النهي صرح به فيما دونه مرغبا مرهبا في صيغة الامر بقوله انتهوا اي عن التثليث الذي نسبتموه الى الله بسببه وعن كل كفر وتدارك سياق التهديد الى ان التقدير ان تنتهوا يكن الانتهاء خيرا لكم ولما نفى ان يكون هو الله كما تضمن قولهم حصر القول فيه سبحانه في صدد ذلك كما فعل في عيسى عليه السلام فقال انما الله اي الذي له الكمال كله ولما كان النزاع انما هو في الوحدانية من حيث الالهية لا من حيث الذات قال اله واحد اي لا تعدد فيه بوجه ولما كان المقام عظيما ادى في تنزيهه تنزيها عما قالوه فقال سبحانه اي تنزه وبعد بعدا عظيما وعلا علوا كبيرا ان اي عن ان يكون له ولد اي كما قلتم ايها النصارى فان ذلك يقتضي الحاجة ويقتضي التركيب والمجانسة فلا يكون واحدا ثم علل ذلك بقوله له اي لانه الواحد لا شريك له له ما في السموات واكد لان المقام له فقال وما في الارض اي خلقا وملكا وملكا فلا يتصور ان يحتاج الى شي منهما ولا الى شي مختبر فيهما ولا يصح بوجه ان يكون بعض ما يملكه المالك جزا منه وولدا له وعيسى وامه عليهما السلام من ذلك وكل منهما محتاج الى ما في الوجود ولما كان معنى ذلك انه الذي دبرهما وما فيهما لان الارض في السما وكل سما في التي فوقها والسابعة في الكرسي والكرسي في العرش وهو ذو العرش العظيم لا نزاع في ذلك وذلك هو وظيفة الوكيل بالحقيقة ليكفي من وكله كل ما يهمه كان كانه قيل وهو الوكيل فيهما وفي كل ما فيهما في تدبير مصالحكم فبنى عليه قوله وكفى بالله اي الذي احاط بكل شي علما وقدرة وكيلا اي يحتاج اليه كل شي ولا يحتاج هو الى شي الا لما كان كافيا ولما كان الوكيل من يقوم مقام الموكل ويفعل ما يعجز عنه الموكل وكان الله تعالى لا يعجزه شي ولا يحتاج الى شي وكان عيسى عليه السلام لا يدعي القدرة على شي الا بالله وكان يحتاج الى النوم والى الاكل والشرب وما يستلزمانه صح انه عبد الله فقال سبحانه دالا على ذلك لن يستنكف اي يطلب ويريد ان يمتنع ويابى ويتنحى بانف ويستكبر المسيح اي الذي ادعوا فيه الالهية وانفرد داله من العبودية لكونه خلق من غير ذكر ولكونه ايضا يخبر ببعض المغيبات ويحيي بعض الموتى ويات في خوارق العادات ان اي من ان يكون عبدا لله اي الملك الاعظم الذي عيسى عليه السلام من جملة مخلوقاته فانه من جنس البشر في الجملة وان كان خلقه خارقا لعادة البشر ولا الملائكة اي الذين هم اعجب خلقا منه في كونهم ليسوا من ذكر ولا انثى ولا ما جانس عنصر البشر فكانوا لذلك اعجب خلقا من ادم عليه السلام ايضا وهم لا يستنكفون بذلك عن ان يكونوا عبادا لله ولما كان التقريب مقتضيا في الاغلب للاستحقاق وكان صفة مادحة للملائكة قال المقربون اي الذين هم في حضرة القدس فهم احدر بعلم المغيبات واظهار الكرامات وجبريل الذي هو احدهم كان سببا في حياة عيسى عليه السلام وقد ادعى بعض الناس فيهم الالهية ايضا وبهذا طاح استدلال المعتزلة بهذه الاية على افضلية الملك على البشر بان العادة في مثل هذا السياق الترقي من الادنى الى الاعلى بعد تسليم مدعاهم لكن في الخلق لا في المخلوق ولما اخبر تعالى عن خلص عباده بالشرف بعبوديته اخبر عمن ابى ذلك فقال مهددا محذرا موعدا ومن يستنكف اي من الموجودات كلهم عن عبادته ولما كان الاستنكاف قد يكون بمعنى مجرد الامتناع لا كبرا قال مبينا للمراد من معناه هنا ويستكبر اي يطلب الكبر عن ذلك ويوجده لان مجرد الامتناع لا يستلزمه ولما كان الحشر عاما للمستكبر وغيره كان الضمير في فسيحشرهم عايدا على العباد المشار اليهم بعبدا وعبادته ولا يحسن عوده على من لان التفصيل يا باه فالتقدير حينيذ فسيلهم لانه سيحشر العباد اليه جميعا اي المستكبرين وغيرهم بوعد لا خلف فيه لان الكل يموتون ومن مات كان تحت الحدثان قطعا ومن كان مقدورا على ابتدايه وافنايه كانت القدرة على اعادته اولى ولما عم الحشر الجميع بكونه ولما عم بالحشر المستكبرين وغيرهم جا التفصيل الى القسمين فقال فاما الذين امنوا اي اذعنوا لله تعالى وخضعوا له وعملوا الصالحات تصديقا لاقرارهم بالايمان فيوفيهم اجورهم اي التي جرت العادات بينكم ان يعطوها وان كانوا في الحقيقة لا يستحقونها لان الله تعالى هو الذي وفقهم لها فهي تفضل منه عليهم ويزيدهم اي بعد ما قضت به العادات من فضله اي شيا لا يدخل تحت الحصر لانه ذو الفضل العظيم واما الذين استنكفوا واستكبروا اي طلبوا كلا من الابا والكبر فيعذبهم عذابا اليما اي بما وجدوا من لذاذة الترفع والكبر والتوابد لذلك او لتيا الله ولا يجدون لهم اي حالا ولا مالا من دون الله اي الذي لا امر لاحد معه وليا اي قريبا يصنع معهم ما يصنع القريب ولا نصيرا اي وان كان بعيدا وفي هذا انه زاجر عما قصده المنافقون من موالاة اهل الكتاب واعظم ناف لما تبوهم اياه بما لهم زعموا من المنزلة عند الله المقتضية لان يقربوا من شاوا ويبعدوا من شاوا وهو من انسب الاشيا لختام اول الايات المحذرة منهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ولما ازاح شبه جميع المجادلين من ساير الفرق اليهود والنصارى والمنافقين واقام الحجة عليهم كلهم واقام الادلة القاطعة على حشر جميع الخلق فثبت انهم كلهم عبيده عم في الارشاد لطفا منه بهم فقال يا ايها الناس اي كافة اهل الكتاب وغيرهم ولما كان السامع جديرا بان يكون قد شرح صدرا بقواطع الادلة بكلام وجيز جامع قال قد جاءكم برهان اي حجة نيرة واضحة مفيدة لليقين التام وهو رسول مؤيد بالادلة القاطعة من المعجزات وغيرها من ربكم اي المحسن اليكم بارساله الذي لم تروا قط احسانا الا منه ولما كان القران صفة الرحمن في مظهر العظمة فقال وانزلنا اي بما لنا من العظمة والقدرة والعلم والحكمة على الرسول الموصوف منتهيا اليكم نورا مبينا

اى واضحا فى نفسه موضحا لغيره وهو هذا القران الجامع باعجازه وحسن بيانه بين تحقيق النقل وتبصير العقل فلم يبق لاحد من المدعوين
نوع عذر والحاصل انه سبحانه لما خلق للادمى عقلا واسكنه نورا لا يضل ولا يميل بما حاد ولكنه سبحانه خصه بالشهوات والحظوظ
والملل والفتور فكان فى اغلب احواله قاصرا الا الانبيا عليهم السلام ومن الحقه سبحانه بهم انزل كتبه بذلك العقل مجردا عن كل عايق
وامرهم ان يجعلوا عقولهم تابعة له منقادة لانها مشوبة وهو مجرد لا شوب فيه بوجه ولما اشار فى هذه الاية الى الرسول الاصفى
والنبى الاهدى المجبول على هذا العقل الاقوم الاجلى والكتاب الاتم الاولى الجارى على هذا القانون الاعلى لوالى تعبيره الوجيز باحكام
الاولى والاحرى لكمال سياقه وترتيبه بانه يوضوح الادلة وظهور الحجج اخذ يقسم المنذرين فقال تعالى فاما الذين امنوا بالله اى
الذى ثبت انه لا امر لاحد معه فى ذاته وصفاته وافعاله واحكامه واسمايه بما دل عليه قاطع البرهان واعتصموا به اى جعلوه عصاما
لهم فى الفرايض التى هى من اعظم مقاصد هذه السورة بربطهم ويضبطهم عن ان يضلوا بعد الهدى ويرجعوا من الاستبصار الى
العمى ان العصام هو الرابط للوعا ان يخرج شى مما فيه وصيغة الافتعال تدل على الاجتهاد فى ذلك لان النفس داعية الى الاهمال
المنتج للضلال فسيدخلهم اى بوعد لا خلف فيه ولعل السين ذكر لتغييه مع تحقيق الوعد الحث على المثابرة والمداومة على العمل
اشارة الى عزة ما عنده سبحانه فى رحمة منه اى ثواب عظيم هو برحمته لهم لا بشى استوجبوه واشار الى البر على ما تقتضيه اعمالهم
لو كانت لهم بقوله وفضل اى عظيم يعلمون انه زيادة لا سبب لهم فيها ويهديهم اى فى الدنيا والاخرة اليه صراطا اى عظيما واضحا جدا
مستقيما اى هو مرشده قومه كانه طالب لتقويم نفسه فهو يوصلهم لا محالة الى وعده بما يحفظهم فى سرهم وعلنهم بتجلى انوار عالم
القدس فى ارواحهم وتوفيقهم لاتباع ما هدت اليه من امر الفرايض وغيرها فقد اتى كما ترى باما المقتضية للتقسيم لا محالة والى باحد
القسمين المذكورين فى الاية التى قبلها ووصفهم بالاعتصام بالله فى النصرة وقبول جميع احكامه فى الفرايض وغيرها واكتفى هو بتهم
او خالفيها تعريضا بالمنافقين الذين والوا غيرهم وبالكافرين الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض وترك القسم الاخر وهو قسم المستنكفين
والمستكبرين ووضع موضعه حكما من احكام الفرايض المفتتح بها السورة التى هى من اعظم مقاصدها من غير حرف عطف بل بكمال
الاتصال فقال منكرا عليهم تكرير السوال عن النسا والاطفال بعدما شافى المقال مبينا انه قد هدى فى ذلك كله اقوم طريق يستفتونك
اى يسلونك ان تفتيهم اى تبين لهم بما عندك من الكرم والجود والسخا ما اشكل عليهم امره وابهم لديهم سره من حكم الكلالة وللاعتنا بامر
المواريث قال اشارة الى ان الله تعالى لم يكل امرها الى غيره قل الله اى الملك الاعظم يفتيكم فى الكلالة وهو من لا ولد له ولا والد روى البخارى
فى التفسير عن البرا رضى الله عنه قال اخر سورة نزلت براة واخر اية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة فقال ابو بكر هو ما عدا الوالد
والولد وقال عمر ما عدا الوالد والولد ثم قال عمر انى لاستحيى من الله ان اخالف ابا بكر رضى الله عنه ثم استانف قوله ان امرؤ هلك اى مات وهو
بانه اى حال كونه ليس له ولد اى وان سفل سوا كان ذكرا او انثى عند ارث النصف وليس له ايضا والد فان كان له احدهما لم يسم كلالة وقد
بحث ذلك السنة قال الاصبهانى وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والاخر بالسنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرايض باهلها
فما بقى فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ والحال انه له اخت اى واحدة من اب شقيقة كانت اولا لانه سياتى ان اخاها يعصبها فلو
كان ولدا لم يحجب فلها نصف ما ترك وهو اى وهذا الاخ الميت يرثها اى يأخذ ما بقى هو جميع مالها ان لم يكن لها ولد اى
ذكرا كان او انثى كما مر فى عكسه هذا ان اريد بالارث جميع المال والا فهو يرث مع الانثى كما انها هى ايضا ترث مع الانثى كما يرشد السياق
ايضا دون النصف ولما بين الامر عند الانفراد اتبعه ببيانه عند الاجتماع وقدم اقله فقال فان كانتا اى الوارثتان ببيان السياق
لهما وارشاده اليهما ولما اضمر ما دل عليه السياق وكان الخبر صالحا لان يكون صالحتين او صغيرتين او غير ذلك بين ان المراد كما يرشد
اليه السياق ايضا مطلق العدد على اى وصف اتفق فقال اثنتين اى من الاخوات للاب شقيقتين كانتا اولا فلهما الثلثان
مما ترك اى فان كانتا شقيقتين كان لكل منهما ثلث وان اختلفتا كان للشقيقة النصف وللتى للاب فقط السدس تكملة
الثلثين ولما بين اول الاجتماع اتبعه ما فوقه فقال وان كانوا اى الورثة اخوة اى مختلطين رجالا ونسا فللذكر اى منهم
مثل حظ الانثيين وقد انهى سبحانه ما اراد من بيان ارث الاخوة لاب فتم بذلك جميع احوال ما اراد من الارث وهو على وجازته كما
ترى يحتمل مجلدات والله الهادى ووضع هذه الاية هنا كما تقدم اشارة منها الى ان من ابى توريث النسا والصغار الذى تكرره
الاستغنا عنه فقد استنكف عن عبادته واستكبر وان امن بجميع ما عداه من الاحكام ومن استنكف عن حكم من الاحكام فذلك
هو الكافر حقا كما ان من امن ببعض الانبيا وكفر ببعض فهو الكافر حقا وهذا امر رشيا طين اهل الكتاب العارفين بصحة هذه
الاحكام الحاسدين لكم عليها المريدين لضلالكم عنها ليشاركوهم فى الشقا الذى وقع لهم لما بدلوا الاحكام المشار اليهم بعد ذكر
ايات الميراث وما تبعها من احوال النكاح بقوله يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم وقوله ويريد الذين يتبعون
الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما ثم المصرح به فى قوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان
تضلوا السبيل والله اعلم باعدايكم ولذلك والله اعلم ختم هذه الاية بقوله يبين الله اى الذى احاط بكل شى قدرة وعلما لكم اى
لا يكلكم فى هذا البيان الى بيان غيره وقال مرغبا مرهبا ان اى كراهة ان تضلوا والله اى الذى له الكمال كله بكل شى عليم اى فقد
بين لكم بعلمه ما يصلحكم بيانه محيا ومماتا دنيا واخرى حتى جعلكم على الحجة البيضا فى مثل ضوء النهار لا يزيغ عنها منكم الا هالك
والحاصل انه تاخر هذه الاية الى هنا لما تقدم من ان تعريض القول فيما تاباه النفوس والقاه شيا فشيا باللطف والتدريج

بلغ مقابلة

ادعى بقوله وللاشارة الى شدة الاهتمام بامر الفرايض بجعل الكلام فيها فى جميع السورة اولها واثنايها واخرها والتحريف من ان يكون
حالهم كحال المنافقين فى اضلال اهل الكتاب لهم بالقا الشبه واخذهم من الموضع الذى تهواه نفوسهم ومضت عليه اوائلهم واشربته
قلوبهم والترهيب من ان يكونوا مثلهم فى الايمان ببعض والكفر ببعض فيوديهم ذلك الى كمال الكفر لان الدين لا يتجزا بل من كفر
بشى منه كفر به جميعه ومن هنا ظهرت مناسبة اخر هذه السورة لاولها لان اولها مشير الى ان الناس كلهم كشى واحد وذلك
يقتضى عدم الفرق بينهم الا بما شرع الله واخرها مشير الى ذلك بالتسوية بين النسا والرجال فى مطلق التوريث بقرابة
الارحام وان اختلفت الانصبا فكانه قيل يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا
كثيرا ونسا وسوى بينهم فيما اراد من الاحكام فانه من استكبر ولو عن حكم من احكامه يستجاذبه يوم الحشر ولا يجد له من دونه ناصرا ولا
يخفى عليه شى من حاله وما اشد مناسبة ختامها باحاطة العلم لما دل عليه اولها من تمام القدرة فكان اخرها دليلا على اولها
لان تمام العلم مستلزم لشمول القدرة قال الامام وهذان الوصفان هما اللذان بهما تثبت الربوبية والالهية والجلال والعزة
وبهما يجب على العبد ان يكون مطيعا للاوامر والنواهى منقادا لكل التكاليف انتهى وختام اول اية فيها بقوله ان الله كان
عليكم رقيبا اى وهو بكل شى من احوالكم وغيرها عليم فلا تظنوا انه يخفى عليه شى وان دق فليشتد حذركم منه ومراه
ومراقبتكم له وذلك اشد شى مناسبة لاول المايدة والله الموفق بمنه وكرمه ولطفه وهداه والله اعلم
قال الشيخ الامام العالم العلامة ابرهيم بن عمر بن حسن الرباط على بن ابى بكر البقاعى الشافعى تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته

سورة المائدة

وتسمى سورة العقود وسورة الاحبار مقصودها الوفا بما هدى اليه الكتاب ودل عليه ميثاق العقل من توحيد الخالق ورحمة
الخلايق شكرا للنعمة واستدفاعا للنقمة وقصة المايدة ادل ما فيها على ذلك فان مضمونها ان من زاغ عن الطمانينة بعد
الكشف الشافى والانعام الوافى نوقش الحساب فاخذه العذاب وتسميتها بالعقود اوضح دليل على ما ذكرت من مقصودها
وكذا الاحبار بسم الله الذى تمت كلماته فصدقت وعوده وعمت مكرماته الرحمن الذى عم بالدعا الى الوفا فى حقوقه وحقوق
مخلوقاته الرحيم الذى نظر الى القلوب فثبت منها على الصدق ما جبله على التخلق بصفاته لما اخبر تعالى فى اخر النسا ان اليهود
لما نقضوا المواثيق التى اخذها عليهم حرم عليهم طيبات احلت لهم منها كثير من بهيمة الانعام المشار اليها بقوله وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذى ظفر الاية واستمر تعالى فى هتك استارهم وبيان عوارهم الى ان ختم باية فى الارث الذى افتتح اياته بالايصا
وختمها بانه شامل العلم ناسب افتتاح هذه بامر المومنين الذين اشتد تحذيره لهم بالوفا الذى جل مبناه القلب الذى هو غيب
فقال مشيرا الى ان الناس الذين خوطبوا اول تلك تاهلوا لاول اسنان الايمان فاوصاهم بما هم محتاجون اليه وتخصيصهم
مشيرا الى ان من فوقهم من الاسنان عنده من الرسوخ ما يجنبه عن الحمل بالامر وذلك ابعث له على التدبر والامتثال يا ايها الذين
امنوا اى ادعوا ذلك بالسنتهم اوفوا اى صدقوا ذلك بان توفوا بالعقود اى العهود الموثقة المحكمة وهى تعم جميع احكامه سبحانه
فيما احل وحرم اوندب على سبيل الفرض او غيره التى من جملتها الفرايض التى فتحها بلفظ الايصا الذى هو من اعظم العهود وتعم
ساير ما بين الناس من ذلك حتى ما كان فى الجاهلية من عقد يدعو الى بر واما غير ذلك فليس بعقد بل حل بيد الشرع العقوبة
تذكيرا بما اشار اليه قوله تعالى فى حق بنى اسرايل اذكروا نعمتى واوفوا بعهدى اوف بعهدكم واياى فارهبون واخبارا لهم بانه احل
لهم ما حرم على اوليك فقال على سبيل التعليل مشيرا الى ان المقصود من النعمة كونها لا تبعد فاعل الخصوص والى ان المخاطبين
يعلمون انه لا مانع غيره سبحانه احلت لكم والاحلال من احل العقود بهيمة وبينها بقوله الانعام اى وتوا الانه احل لكم لما
يشتمل عليه وكامل قدرته لطفا بكم ورحمة لكم ما حرم على من قبلكم من الابل والبقر والغنم باحلال اكلها والانتفاع بجلودها واصوافها
واوبارها واشعارها وغير ذلك من شانها فاحذروا ان تنقضوا كما نقضوا فيحرم عليكم ما حرم عليهم ويعد لكم من العقاب ما اعد
لهم ولا تعترضوا على نبيكم ولا تتعنتوا كما اعترضوا وتعنتوا فان ربكم لا يسئل عما يفعل وسياتى فى قوله لا تسئلوا عن اشيا ما يوضح
هذا ولما كانوا ربما فهموا من هذا الاحلال ما العرا من الميتات ونحوها قال مستثنيا من نفس البهيمة وهى فى الاصل كل حى
لا يميز تحذيرا من اعظم العقود ما تقدم تحريمه من ذلك فى البقرة الا ما يتلى عليكم اى من بهيمة الانعام انه تحريم فانه لم يحل لكم
ونصب غير محلى الصيد على الحال ادل دليل على ان هذا السياق وان كان صريحه مذكرا بالنعمة للشكر فهو مشار به الى
التهديد ان كفرت اى احل لكم ذلك فى هذه الحال فان تركتموها انتفى الاحلال وهذه مشيرة الى تكذيب من حرم من ذلك ما
اشير اليه بقوله تعالى فى التى قبلها حكاية عن الشيطان ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله من السايبة
وما معها مما كانوا يتخذونه دينا وفصلوا فيه تفاصيل كما سياتى صريحا فى اخر هذه بقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سايبة الاية
وكذا فى اخر الانعام وفى الامر بالوفا بالعقود بعد الاخبار بانه بكل شى عليم غاية التحذير من تعمد الاخلال لشى من ذلك وان دق
افتتاح هذه المسماة بالمايدة بذكر الاطعمة عقب سورة النسا التى من اعظم مقاصدها النكاح والارث المنظمين للموت
المشروع فيهما الولايم والماتم اتم مناسبة وقال ابن الزبير لما بين تعالى حال اهل الصراط المستقيم ومن تنكب عن نهجهم ومال

وبان العذر بقبين من المغضوب عليهم والضالين وبين العباده المتقين ما فيه هداهم وبه خلاصهم اخذا وتركا وجعل على ذلك الاسهم الثمانية الوارده في حديث حذيفة رضي الله عنه من قوله للاسلام ثمانية اسهم الشهادة سهم والصلاة سهم والزكاة سهم والصوم سهم والحج سهم والامر بالمعروف سهم والنهي عن المنكر سهم وقد خاب من لا سهم له فلك وهذا الحديث اخرجه البزار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاسلام ثمانية اسهم الاسلام سهم والصلاة سهم فذكره وصحح الدارقطني وقفه ورواه ابو يعلى الموصلي عن علي رضي الله عنه مرفوعا وللطبراني في الاوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام عشرة اسهم وقد خاب من لا سهم له شهادة ان لا اله الا الله سهم وهي الملة والثانية الصلاة وهي الفطرة والثالثة الزكاة وهي الطهور والرابعة الصوم وهي الجنة والخامسة الحج وهي الشريعة والسادسة الجهاد وهي العزوة والسابعة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي الحجة والتاسعة الجماعة وهي الالفة والعاشرة الطاعة وهي العصمة وفي سنده من ينظر في حاله قال ابن الزبير وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس اي في الحديث الذي اخرجه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر وغيره واحد من الصحابة رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان قال ابن الزبير وقد تحصلت الاسهم الثمانية والدعائم الخمس فيما مضى وتحصل مما تقدم ايضا ان اسوا حال المخالفين حال من غضب الله عليه ولعنه وان ذلك ببغيهم وعدوانهم ونقضهم العهود فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وكان النقض كل المخالفة قال الله تعالى لعباده المؤمنين يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود لان اليهود والنصارى انما اتى عليهم من عدم الوفا ونقض العهود تحذيرا للمؤمنين انتهى والمراد بالانعام الازواج الثمانية المذكورة في الانعام وما شابهها من حيوان البر ولكون الصيد مرادا للدخول في بهيمة الانعام استثنى بعض احواله فقال **وانتم حرم** اي احلت لكم البهيمة مطلقا الا ما يتلى عليكم من ميتاتهم وغيرها في غير حال الدخول في الاحرام بالحج او العمرة او دخول الحرم واما في حال الاحرام فلا يحل الصيد اكلا ولا فعلا ولما كان مدار هذه السورة على الزجر والاحجام عن اشيا اشتد الغيهم لها والتفاهم لها وعظمت فيها رغبتهم من الميتات وما معها والازلام والذبح على النصب واخذ الانسان بجريمة الغير والفساد في الارض والسرقة والخمر والسوايب والبحاير الى غير ذلك ذكرني اولها بالعهود التي عقدوها على انفسهم ليلة العقبة حين تواثقوا على الاسلام من السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر فيما احبوه او كرهوه وختم الاية بقوله محللا **ان الله** اي الملك **يحكم ما يريد** اي من تحليل وتحريم وغيرهما على سبيل الاطلاق كالانعام ونحوها حال دون حال كما يشابهها من الصيد فلا يسيل عن تخصيص ولا تفصيل ولا غيره فانهم حكمته فذاك وما لا فكلوه اليه وارغبوا في ان يلهمكم حكمته قال الامام وهذا الذي يقوله اصحابنا ان علة حسن التكليف هو الربوبية والعبودية لا ما يقوله المعتزلة من رعاية المصلحة ولما استثنى بعض ما احل على سبيل الابهام شرع في بيانه ولما كان منه ما نهي عن التعرض له لا مطلقا بل ما لم يبلغ محله بدا به لكونه في ذلك كالصيد وقدم على ذلك عموم النهي عن انتهاك معالم الحج المنبه عليه بالاحرام او عن كل محرم في كل مكان وزمان فقال مكررا النداء تنويها بالشانهم وتنبيها لعزايمهم وتذكيرا لهم بما الزموه انفسهم **يا ايها الذين امنوا** اي دخلوا في هذا الدين طايعين **لا تحلوا شعاير الله** اي معالم حج بيت الملك الاعظم الحرام او حدوده في جميع الدين وشعاير الحج ادخل في ذلك والاصطباد اولاها ولما ذكر ما عممه في الحرم او مطلقا اتبعه ما عممه في الزمان فقال **ولا الشهر الحرام** اي فان ذلك لم يزل معاندا على احترامه في الجاهلية والاسلام ولعله وحده والمراد الجمع اشارة الى ان الاشهر الحرم كلها في الحرمة سوا ولما ذكر الحرم والاشهر الحرم ذكر ما يهدى للحرم فقال **ولا الهدي** وخص منه اشرفه فقال **ولا القلايد** اي صاحب القلايد من الهدي وعبر بها مبالغة في تحريمه ولما اكد في احترام ما قصد به الحرم من البهايم دفي الخطاب الى من قصده من العقلاء فانه مماثل لما تقدم في الاقصد البيت الحرام حام له وزاجر عنه مع ما زاد به من شرف العقل فقال **ولا امين** اي ولا تحلوا التعرض لناس قاصدين **البيت الحرام** لان من قصد بيت الملك كان محترما باحترام ما قصده ولما كان المراد القصد له بالزيارة بينه بقوله **يبتغون** اي حال كونهم يطلبون على سبيل الاجتهاد **فضلا من ربهم** اي المحسن اليهم شكرا لاحسانه بان يثيبهم على ذلك لان ثوابه لا يكون على وجه الاستحقاق الحقيقي اصلا ولما كان الثواب قد يكون مع السخط قال **ورضوانا** وهذا ظاهر في المسلم ويجوز ان يراد به ايضا الكافر لان قصده البيت على هذا الوجه يرق قلبه فيهيئه للاسلام وعلى هذا فهي منسوخة ولما كان التقدير فان لم يكونوا كذلك اي في اصل القصد ولا في وصفه فهم حل لكم وان لم تكونوا انتم حرما فالصيد حلال لكم عطف عليه التصريح بما افهمه التقييد فيما سبق بالاحرام فقال **واذا حللتم** اي من الاحرام بقضا المناسك والاحصار **فاصطادوا** وترك الشهر الحرام اذ كان الحرام فيه حراما في غيره وانما صرح به تنويها بقدره وتعظيما لحرمته ثم اكد تحريم قاصد المسجد الحرام وان كان كافرا وان كان على سبيل المجازاة بقوله **ولا يجرمنكم** اي يحملنكم **شنان قوم** اي شدة بغضهم ولما ذكر البغض اتبعه سببه فقال **ان** على سبيل الاشتراط الذي يفهم تغيير الحكم بانه انه سيقع هذا في قراءة ابن كثير وابي عمرو والتعبير في قراءة الباقين بالفتح اجل ان **صدوكم** اي في عام الحديبية او غيره **عن المسجد الحرام ان** اي على ان **تعتدوا** اي تبتدوا عدوكم عليهم بان تصدوهم عنه او غير ذلك فان المسلم من لم يزده تعدي عدوه فيه حدود الشرع الا وقوفا عند حدوده وهذا قبل نزول انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام سنة تسع ولما نهاهم عن ذلك وكان الانتهاء عن الحظوظ شديدا على النفوس كان لذلك لا بد في الغالب من منبه واتى امر بالتعاون في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال **وتعاونوا على البر** وهو ما اتسع وطاب من حلال الخير **والتقوى** وهي كل ما حمل على الخوف من الله

فانه الحامل على البر فان كان منكم من اعتدى فتعاونوا على رده والانتقام داوا بالمعاونة خيرا ولما كان المعين على الخير قد يعين على قال تنبيها على الملازمة في المعاونة على الخير ناهيا ان يغضب الانسان لغضب احد من صديق او قريب الا اذا كان الغضب لله داعيا الى بر وتقوى **ولا تعاونوا على الاثم** اي الذنب الذي يستلزم الضيق **والعدوان** اي المبالغة في مجاوزة الحدود والانتقام والتشفي وغير ذلك وكرر الامر بالتقوى اشارة الى انها الحاملة على كل خير فقال **واتقوا الله** اي الذي له صفات الكمال لذاته فلا تتعدوا شيا من حدوده ولما كان كف النفس عن الانتقام وزجرها عن شفا ثار الغيظ وبرد غلة الاحن في غاية العسر ختم الاية بقوله **ان الله** اي الملك الاعظم **شديد العقاب** ولما اتم الكلام على احترام اعظم المكان واكرم الزمان وما لابسهما وهذب النفوس بالنهي عن حظوظها وامر بعد تخليتها عن كل شر بتحليتها بكل خير عد على سبيل الاستيناف ما وعد بتلاوته عليهم مما حرمه مطلقا الا في حال الضرورة فقال **حرمت** بانيا الفعل للمفعول لان الخطاب لمن لم يعلم انه لا محرم الا الله واشعارا بان هذه الاشيا لشده قذارتها كانها محرمة بنفسها **عليكم الميتة** وهي ما فقد الروح بغير ذكاة شرعية فان دم كل ما مات حتف انفه محتبس في عروقه ويتعفن ويفسد فيضرا كله البدن بهذا الضرر الظاهر والدين بما يعلمه اهل البصاير **والدم** اي المسفوح وهو المتبادر الى الذهن عند الاطلاق **ولحم الخنزير** خصه بعد دخوله في الميتة لاتخاذ النصارى كله كالدين **وما اهل** ولما كان القصد في هذه السورة الى حفظ حكم العهود المذكر بجلال المعاهد قدم المفعول له فقال **لغير الله** اي الملك الاعلى **به** اي ذبح على غير اسمه من صنم او غيره على وجه التقرب عبادة لذلك الشيء والاهلال رفع الصوت ولما كان من الميتات ما لا تعافه النفوس عيافتها لغيره نص عليه فقال **والمنخنقة** اي بحبل ونحوه سوا خنقها خانق اولا **والموقوذة** اي المضروبة بمثقل من وقذه اذا ضربه **والمتردية** اي الساقطة من عال المضطربة غالبا في سقوطها **والنطيحة** اي التي نطحها شي فماتت **وما اكل السبع** اي كالذيب والنمر ونحوهما ولما كان كل واحدة من هذه قد تدرك حية فتذكى استثنى فقال **الا ما ذكيتم** اي من ذلك كله بان ادركتموه وفيه حياة مستقرة بان اشتد اضطرابه وانفجر منه الدم ولما حرم الميتات وعد في جملتها ما ذكر عليه غير اسم الله عبادة ذكر ما ذبح على الحجارة التي كانوا ينصبونها للذبح عندها تدينا وان لم يذكر اسم شي عليها فقال **وما ذبح على النصب** وهو واحد الانصاب وهي حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح عندها تقربا اليها وتعظيما **وان تستقسموا** اي تطلبوا علم ما قسم لكم **بالازلام** اي القداح التي لا ريش لها ولا نصل واحدها بوزن قلم وعمر وكانت ثلاثة على واحد امرني ربي وعلى اخر نهاني ربي والاخر غفل فان خرج الامر فعل او الناهي ترك او الغفل اجيلت ثانية فهو دخول في الغيب وافترا على الله بادعا امره ونهيه وان اريد بالرب الصنم فهو الكفر الصراح وقال صاحب كتاب الزينة يقال انه كانت عندهم سبعة قداح مستوية من شوحط وكانت بيد السادن مكتوب عليها نعم لا منكم من غيركم ملصق العقل فضل العقل فكانوا اذا اختلفوا في نسب الرجل جاوا الى السادن بماية درهم ثم قالوا للصنم يا الهنا قد تماريا في نسب فلان فاخرج علينا الحق فيه فتجال القداح فان خرج القدح الذي عليه منكم كان اوسطهم نسبا وان خرج الذي عليه من غيركم كان حليفا وان خرج ملصق كان على منزلته لا نسب له ولا حلف واذا ارادوا سفرا او حاجة جاوا بماية فقالوا يا الهنا اردنا كذا فان خرج نعم فعلوا وان خرج لا لم يفعلوا واذا جنى احدهم جناية فاختلفوا فيمن يحمل العقل جاوا بماية فقالوا يا الهنا فلان جنى عليه فاخرج الحق فان خرج القدح الذي عليه العقل لزم من ضرب عليه وبري الاخرون وان خرج غيره كان على الاخرين العقل وكانوا اذا عقلوا العقل فضل الشي منه تداروا فيمن يحمله فضربوا عليه فان خرج القدح الذي عليه فضل العقل للذي ضرب عليه لزمه والا كان على الاخرين الذين لم يضرب عليهم فهذا الاستقسام الذي حرمه الله لانه يكون عند الاصنام ويطلبون ذلك منها ويظنون ان الذي اخرج لهم ذلك هو الصنم واما اجالة السهام لا على هذا الوجه فهو جايز وهو تسام وانتزاع لا استقسام وقال ابو عبيدة واحد الازلام زلم بفتح الزاي وقال بعضهم بالضم وهو القدح لا ريش له ولا نصل فاذا كان مريشا فهو السهم والله اعلم ويجوز ان يراد مع هذا ما كانوا يفعلونه في الميسر على ما مضى في البقرة فانه طلب معرفة ما قسم من الجزور ويلتحق بالاول كل كهانة وتنجيم وكل طيرة يتطير بها الناس الان من التشاوم ببعض الايام وبعض الاماكن والاحوال فاياك ان تفرح على شي من الطيرة فتكون على شعبة جاهلية ثم اياك ولما كانت هذه الاشيا شديدة الخبث اشار الى تعظيم النهي عنها باداة البعد وميم الجمع فقال **ذلكم** اي الذي ذكرت لكم تحريمه **فسق** اي فعله خروج من الدين ولما كانت هذه المنهيات معظم دين اهل الجاهلية وكان سبحانه قد نهاهم قبلها عن احلال شعاير الله والشهر الحرام وقاصدي المسجد الحرام بعد ان كان اباح لهم ذلك في بعض الاحوال والاوقات بقوله واخرجوهم من حيث اخرجوكم ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه الشهر الحرام بالشهر الحرام واقتلوهم حيث ثقفتموهم علم ان الامر بالكف عن انتهاز الفرص انما هو للامن من الفوت وذلك لا يكون الا عن تمام القدرة وهو لا يكون الا بعد اكمال الدين واظهاره على كل دين كما حصل به الوعد الصادق وكذا الانتهاء عن جميع هذه المحارم انما يكون لمن رسخ في الدين قدمه وتمكنت فيه عزايمه وهممه فلا التفات له الى غيره ولا همة الى سواه ولا مطمع لمخالفه فيه فعقب سبحانه النهي عن هذه المناهي كلها بقوله على سبيل النتيجة والتعليل **اليوم** اي وقت نزول هذه الاية **ييس الذين كفروا** اي لا بسوا الله

الكفر فسوا كانوا راسخين فيه او لا من دينكم اي لم يبق لكم ولا لاحد منكم عذر في شي من اظهار الموافقة لهم او التستر من احد منهم
كما فعل حاطب ابن ابي بلتعة رضي الله عنه حين كاتبهم فعفي بذلك ذوي رحمه لان الله تعالى قد كثركم بعد القلة واعزكم بعد الذلة
واحيى بكم منار الشرع وطمس معالم الجهل وهد منار الضلال فانا اخبركم وانتم عالمون بصحة علمي ان الكفار قد اضمحلت قوائمهم
وماتت هممهم وذلت نخوتهم وضعفت عزائمهم فانقطع رجاؤهم من ان يغلبوكم او يستميلوكم الى دينهم بنوع استمالة فانهم
راوا دينكم قد قامت مناره وعلت في المجامع منابره وضرب بجرانه وبرك بقواعده واركانه ولهذا سبب عما مضى قوله فلا
تخشوهم اي اصلا واخشوني اي واخصوا الخشية لي وحدي فان دينكم قد اكمل بدره وحل عن المحاق محله وقد رسخ ورضي به الامر
ومكنه على رغم انوف الاعداء وهو كالدرر ذلك قوله تعالى مسوقا مساق التعليل اليوم اكملت لكم دينكم اي الذي ارسلت
اليكم به اكمل خلقي لتدينوا به وقد انزلوا كما انزلته ازال كل ما يحتاج اليه من اصل وفرع نصا على البعض وبيانا لطريق القياس
في الباقي وذلك بيان لجميع الاحكام واما قبل ذلك اليوم فهو وان كان كاملا لكنه يخبر هذا المعنى بل الى حين ثم يزيد فيه سبحانه
ما يشا فيكون به كاملا ايضا واكمل مما مضى وهكذا الى هذه النهاية وكان هذا هو المراد من قوله واتممت عليكم نعمتي اي التي
قسمتها في القدم من هذا الدين على لسان هذا الرسول بان جمعت عليه كلمة العرب الذين قضيت في القدم باظهارهم على من ناواهم
من جميع اهل الملل ليظهر عموم الدين وتنكسر شوكة المفسدين من غير حاجة في ذلك الى غيرهم وان كانوا بالنسبة الى الخالق
كالشعرة البيضا في جلد الثور الاسود ورضيت لكم الاسلام اي الذي هو الشهادة لله بما شهد به لنفسه من الوحدانية التي
يتبع الاذعان لها الاذعان لكل طاعة دينا تجازون به فيما بينكم ويجازيكم به ربكم روى البخاري في المغازي وغيره ومسلم في اخر
الكتاب والترمذي في التفسير والنسائي في الحج عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين اية
في كتابكم تقراونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم فقال عمر رضي
الله عنه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم نزلت وهو قائم بعرفة يوم جمعة وفي التفسير
من البخاري عن طارق بن شهاب رضي الله عنه قالت اليهود لعمر انكم تقراون اية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا فقال عمر اني لاعلم
حيث انزلت واين انزلت واين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزلت وقال البغوي قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ذلك
اليوم خمسة اعياد جمعة وعرفة وعيد اليهود وعيد النصارى والمجوس ولم يجتمع اعياد اهل الملل في يوم قبله ولا بعده قلت ويوم
الجمعة هو اليوم الذي تم الله فيه خلق هذه الموجودات بخلق ادم عليه السلام بعد عصره وهو حين نزول هذه الاية ان شا الله تعالى
فكانت تلك الساعة من ذلك اليوم تماما وابتداء وروى هرون بن عنترة عن ابيه قال لما نزلت هذه الاية بكى عمر رضي الله عنه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لم يكمل شي الا نقص قال صدقت
فكانت هذه الاية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدا وثمانين يوما وقد روي انه كان يحري النبي صلى الله عليه وسلم
يوم عرفة من العصر الى الغروب شهد الله انه لا اله الا هو الاية وكان ذلك كان جوابا منه صلى الله عليه وسلم لهذه الاية لفهمه صلى الله
عليه وسلم ان اية ال عمران سر الاسلام واعظمه واكمله انتهى وهذه الاية من المعجزات لانها اخبار بمغيب صدقها فيه الواقع ولما تمت
هذه الجمل الاعتراضية التي صارت بينها وبين ما قبلها وما بعدها باحكام الوصف وابتنائي الربط من الامتزاج اشد مما بين
الروح والجسد المشيرة الى ان هذه المحرمات هي التي تحقق بها اهل الكفر كمال الكفر فانفرا بسببها معها من المواصلة والمؤالفة
رجع الى تمام تلك المحظورات فقال مسببا عن الوحي بالاسلام الذي هو الحنيفية السمحة المنزهة عن هذه الخبائث لاضرارها
بالبدن والدين فمن اضطر اي الجي الجاء عظيما من اي شي كان الى تناول شي مما مضى انه حرم بحيث لا يمكنه معه الكف عنه في مخمصة
اي مجاعة عظيمة غير متجانف اي متعمد ميلا لاثم اي باكل على غير سد الرمق او بالبغي على مضطر اخر بنوع مكر او العدو عليه
بضرب قهر وزاد بعد هذا التقييد تخويفا بقوله فان الله اي الذي له الكمال كله غفور رحيم اي لمحو عنه اثم ارتكابه للمنهي ولا
يعاقبه عليه ولا يعاتبه ويكرمه بان يوسع عليه من فضله ولا يضطره مرة اخرى الى غير ذلك من الاكرام وضروب الانعام ولما
تقدم احلال الصيد وتحريم الميتة وختم ذلك بهذه الرخصة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل الكلاب وكان الصيد
ربما مات في يد الجارح قبل ادراك ذكاته سال بعضهم عما يحل من الكلاب وبعضهم عما يحل من ميتة الصيد احلالا مطلقا
لا بقيد الرخصة اذ كان الحال يقتضي هذا السؤال روى الواحدي في اسباب النزول بسنده عن ابي رافع رضي الله عنه قال
امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب فقال الناس يا رسول الله ما احل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها
فانزل الله تعالى يسئلونك ولما كان هذا اخبارا عن غائب قال ماذا احل لهم دون لنا قال الواحدي اي من امساك
الكلاب واكل الصيود وغيرها اي من المطاعم ثم قال الواحدي رواه الحاكم ابو عبد الله في صحيحه وذكر المفسرون شرح هذه
القصة قال قال ابو رافع رضي الله عنه جا جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستاذن عليه فاذن له فلم يدخل فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال قد اذنا لك يا رسول الله قال اجل يا رسول الله ولكنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فنظروا فاذا في بعض
بيوتهم جرو قال ابو رافع فامرني ان لا ادع بالمدينة كلبا الا قتلته حتى بلغت العوالي فاذا امراة عندها كلب يحرسها فرحمتها فتركته
فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فامرني بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب

جا الناس

جا ناس فقالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله هذه الاية فلما نزلت اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتنا الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه
وامر بقتل الكلب الكلب والعقور وما يضر ويوذي ورفع القتل عما سواها مما لا ضرر فيه وقال سعيد بن جبير نزلت
هذه الاية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين رضي الله عنهما وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
زيد الخير وذلك انهما جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة وان كلاب
ال ذريح وال ابي حورية تاخذ البقر والحمر والظبا والضب فمنه ما ندرك ذكاته ومنه ما يقتل فلا ندرك ذكاته وقد
حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها فنزلت يسئلونك الاية الطيبات يعني الذبائح والجوارح الكواسب من الكلاب وسباع
الطير انتهى فاذا اريد كون الكلام على وجه يعم قيل قل لهم في جواب من سال احل لكم الطيبات اي الكاملة الطيب فلا
حث فيها بنوع تحريم ولا تقذر من ذوي الطباع السليمة مما لم يرد به نص ولا صح فيه قياس وهذا يشمل كل ما ذبح وهو مما
في … كانوا يحرمونه على انفسهم من السائبة وما معها وكل ما اذن فيه من غير ذبح كالحيوان البحري وما اذن فيه من غير
المطاعم وما علمتم من الجوارح اي التي من شانها ان تجرح او تكون سببا للجرح وهو الذبح او من الجرح بمعنى الكسب ويعلم
ما جرحتم بالنهار وهي كواسب الصيد من السباع والطير فاحل امساكها للقنية وصيدها وشرط فيه التعليم قال
الشافعي والكلب لا يصير معلما الا عند امور اذا اشلي استشلى واذا زجر انزجر وحبس ولم ياكل واذا دعي اجاب واذا
اراده لم يفر منه فاذا فعل ذلك مرات فهو معلم ولم يذكر احدا الا الاسم اذا لم يكن معلوما من نص ولا اجماع وجب
الرجوع فيه الى العرف وبين الحال من الكلاب وان كان المراد العموم لان التاديب فيها اكثر فقال مكلبين اي حال
كونكم متكلفين تعليم هذه الكواسب ومبالغين في ذلك قالوا وفائدة هذه الحال ان يكون المعلم نحريرا في علمه موصوفا
به واكد ذلك بحال اخرى واستيناف فقال تعلمونهن وحوشا كن او طيورا مما علمكم الله اي المحيط بصفات الكمال
من علم التكليب فافاد ذلك ان على كل طالب لشي ان لا ياخذه الا من احذق العلما به واشدهم دراية له واغوصهم على لطائفه
وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من اخذ من غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير
انامله ثم سبب عن ذلك قوله فكلوا ولما كان في الصيد من العظم وغيره ما لا يوكل قال مما امسكن اي الجوارح مستقرا
امساكها عليكم اي على تعليمكم لا على جبلتها وطبيعتها دون تعليمكم وذلك هو الذي لم ياكل منه وان مات قبل ادراك
ذكاته واما ما امسك الجارح على اي مستقرا على جبلته وطبعه ناظرا فيه الى نفاسة نفسه فلا يحل واذكروا اسم الله
اي الذي له كل شي ولا كفوء له عليه اي على ما امسكن عند ارسال الجارح او عند الذبح ان ادركت ذكاته لتخالفوا سنة الجاهلية
وتاخذوه من مالكه وقد صارت نسبة هذه الجملة كما ترى الى حرمت عليكم الميتة نسبة المستثنى الى المستثنى منه والى
مفهوم غير محلي الصيد وانتم حرم نسبة الشرح ولما كان تعليم الجوارح امرا خارجا عن العادة في نفسه وان كان قد كثر حتى
صار مالوفا وكان الصيد بها امرا يعجب سر عنه وتهتز النفوس لكيفيته ختم الاية بما هو خارج عن عادة البشر وطوقها
من سرعة الحساب ولطف العلم بمقدار الاستحقاق من الثواب والعقاب فقال محذرا من اهمال شي مما رسمه
واتقوا اي حاسبوا انفسكم واتقوا الله اي عالم الغيب والشهادة القادر على كل شي فيما ادركتم ذكاته وما لم تدركوها وما
امسكه الجارح عليكم وما امسكه على نفسه الى غير ذلك من امور الصيد التي لا يقف عندها الا من غلبت عليه مهابة الله
واستشعر خوفه فاتقاه فيما احل وما حرم ثم علل ذلك بقوله ان الله اي الجامع لجامع العظمة سريع الحساب اي عالم
بكل شي وقادر عليه في كل وقت فهو قادر على كل جزا يريده لا يشغله احد عن احد ولا شان عن شان ولما كان قد تقدم
النهي عن نكاح المشركات والمنافرة لجميع اصناف الكفار وبيان بغضهم وعداوتهم والحث على طردهم ومنابذتهم
… ونحوها لضعف الامر اذ ذاك وشدة الحاجة الى اظهار الغلاظة والغلظة لهم لتعظيم دين الله حتى
كانت خلطتهم من امارات النفاق كما سياتي في كثير من ايات هذه السورة وكان الدين قد وصل عند نزولها من العظمة
الى حد لا يحتاج فيه الى تعظيم معظم وكانت مخالطة اهل الكتاب لا بد منها عند فتوح البلاد التي وعد الصادق بها لما
وسبق في الازل علمها وكانت الغنية في مخالطتهم قد صارت في حد الامن وسع الامر بحل طعامهم ونسائهم فقال تعالى
مكررا ذكر الوقت الذي نزل فيه هذه الايات تنبيها على عظم النعمة فيه مذكرا بما هم فيه من الكثرة في الامن والجمع والالفة
وتذكيرا بما كانوا فيه قبل ذلك من القلة والخوف والفرقة فقال اليوم ولما كان القصد انما هو الحل لا كونه من محل معين
مع ان المخاطبين بهذه الايات يعلمون انه لا محل الا الله بني للمجهول فقال احل اي ثبت الاحلال فلا يفسخ ابدا
لكم اي ايها المومنون الطيبات اي التي تقدم في البقرة وصفها بالحل لزوال الاثم وملايمة الطبع فهي الكاملة في الطيب
ولما كانت الطيبات اعم من المآكل قال وطعام الذين ولما كان سبب الحل الكتاب ولم يتعلق بذكر موتيه غرض بني الفعل
للمجهول فقال اوتوا الكتاب اي مما يصنعونه او يذبحونه وعبر بالطعام الشامل للذبح وغيره وان كان المقصود
المذبوح لان غيره لا يختلف حاله من كتابي ولا غيره تصريحا بالمقصود حل لكم اي تناوله لحاجتكم الى مخالطتهم للاذن في اقرار

معنى الحصر الاية التي قبلها اعلاما بعظم النعمة فيه ومفيدا تذكر وقت الاحلال انه احلال مقصود به الثبات لكونه يوم اتمام النعمة فهو غير الاول صح

دهم

على دينهم بالجزية ولما كان هذا مشعرا ببقائهم على ما اختاروا لانفسهم زاده تاكيدا بقوله وطعامكم حل لهم اى فلا عليكم في بذله
لهم ولا عليهم في تناوله ولما كانت الطيبات اعم من المطاعم وغيرها وكانت الحاجة الى المناكح بعد الحاجة الى المطاعم وكانت المطاعم قد
حلال من الجانبين والمناكح من جانب واحد قال والمحصنات اى الحرائر من المومنات ثم اكد الاشارة الى اقرار اهل الكتاب فقال
والمحصنات اى الحرائر من الذين اوتوا الكتاب وبنى الفعل للمفعول للعلم بموتيه مع انه لم يتعلق بالتصريح به غرض ولما كان له
ايتاوهم الكتاب لم يستغرق الزمن الماضي اثبت الجار فقال من قبلكم اى وهم اليهود والنصارى وعبر عن العقد بالصداق للدلالة
فقال الخوجا للامة لانها لا تعطى الاجر وهو الصداق لانها لا تملكه بل يعطاه سيدها اذا اتيتموهن اجورهن اى عقدتم لهن ودل
مساق الشرط على تاكد وجوب الصداق وان من تزوج وعزم على عدم الاعطا كان في صورة الزاني وورد فيه حديث وتسميته بالاجر دال
على انه لا حد لاقله ولما كان المراد بالاجر المهر وكان في اللغة يطلق على ما تعطاه الزانية ايضا بينه بقوله محصنين اى قاصدين الاعفاف
والعفاف غير مسافحين اى قاصدين صب الماء لمجرد الشهوة جهارا ولا متخذي اخدان اى صدايق لذلك في السر جمع خدن وهو يقع
على المذكر والانثى فكانت هذه الاية مخصصة لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يومن فبقي على التحريم مما تضمنته تلك ما عدا
الكتابيات من الوثنيات وغيرهن من جميع المشركات حتى المنتقلة من الكتابيات من دينها الى غير دين الاسلام وصرح هنا
بالمومنات المقتضي لهن قوله تعالى في النسا واحل لكم ما ورا ذلكم وقوله فمن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المومنات ولعل ذكر
وصف الاحصان الواقع على العفة للتنبيه على انه لا يقصد المتصفة بغيره لمجرد الشهوة الا من سلب الصفات البشرية له
واخلد الى مجرد الحيوانية فصار في عداد البهايم بل ادنى مع ان التعليق بذلك الوصف لا يفهم الحرمة عند فقده بل الحل من باب الاولى
لان من حكم مشروعيته النكاح الاعفاف فاذا شرع اعفاف العفايف كان شرع اعفاف غيرهن اولى لان زناها
اما لشهوة او حاجة وكلاهما للنكاح مدخل عظيم في تنفيده والله اعلم ولما كان السر في النهي عن نكاح المشركات في الاصل ما يخشى
من الفتنة وكانت الفتنة وان علا الدين ورسخ الايمان واليقين لم تزل عن درجة الامكان وكانت الصلاة تسمى ايمانا لانها من اعظم
شعايره وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلاتكم روى الطبراني في الاوسط عن عبد الله بن قرط رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اول ما يحاسب به العبد يوم القيمة الصلاة فان صلحت صلح ساير عمله وان فسدت فسد ساير عمله وله في الاوسط
ايضا بسند ضعيف عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يحاسب به العبد يوم القيمة ينظر
في صلاته فان صلحت فقد افلح وان فسدت فقد خاب وخسر وكانت مخالطة الازواج مظنة التكاسل عنها ولهذا انزلت اية
حافظوا على الصلوات كما مضى بالمحل الذي هي به ولما كان ذلك كذلك ختمت هذه الاية بقوله تعالى منفرا من نكاحهن بعد احلاله
اشارة الى ان الورع البعد عنه امتثالا للايات الناهية عن موادة الحاد ولئلا يحصل ميل فيدعوا الى المتابعة او يحصل ولد كه
تستميله لدينها ومن اى احل لكم ذلك والحال انه من يكفر اى يوجد تجدد الكفر على جهة ثبات القلب به والاستمرار عليه الى
الموت بالايمان اى بسبب التصديق القلبي بكل ما جاءت به الرسل وانزلت به الكتب الذي منه حل الكتابيات فيدعوه ذلك الى نكاحهن
فتحمله الخلطة على اتباع دينهن فيكفر بسبب ذلك التصديق يكفر بالصلاة التي يلزم بالكفر بها الكفر به فاطلاقه عليها تعظيم
لها وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلاتكم فقد حبط اى فسد عمله اى اذا اتصل ذلك بالموت بدليل قوله وهو في الاخرة من الخاسرين
والاية من ادلة امامنا الشافعي على استعمال اللفظ الواحد في حقيقته ومجازه لحيث قصد التحذير من الكفر حقيقته فالايمان حقيقة
وحيث اريد الترهيب من اضاعة الصلاة فهو مجاز ومما يويد ذلك ان في السفر الثاني من التوراة لا تعاهدن سكان الارض لكيلا
تضلوا باوثانهم وتذبحوا لالهتهم او يدعوك فتاكل من ذبايحهم وتزوج بنيك من بناتهم وبناتك من بنيهم فتضل بناتك خلف
الهتهم وتضل بنوك بالهتهم وقال في الخامس منها واذا ادخلكم الله ربنا الارض التي تدخلونها لترثوها واهلك شعوبا كثيرة من
بين يديكم حيثا نيين وجرجشانيين واموراانيين وكنعانيين وحاوانيين وياسانيين سبعة شعوب كثيرة واقوى منكم له
ويدفعهم الله ربكم في ايديكم فاضربوهم واقتلوهم وانفوهم وحرموهم ولا تعاهدوهم عهدا ولا ترحموهم وتخلصوهم ولا تزوجوا بناتكم
من بنيهم ولا تزوجوا بنيكم من بناتهم لئلا يغوين بنيكم عن عبادتي ويحد عنهم فيعبدوا الهة اخرى ويشتد غضب الرب عليكم
ويهلككم سريعا ولكن اصنعوا بهم هذا الصنيع استاصلوا مذابحهم وكسروا انصابهم وحطموا اصنامهم المصنوعة واحرقوا
اوثانهم المنحوتة لانكم شعب طاهر لله ربكم انتهى واذا تاملت جميع ذلك وامعنت فيه النظر لاح لك سر تعقيبها بقوله تعالى اشارة
مشيرا الى البشارة بان هذه الامة تطيع ولا تعصي فتومن ولا تكفر لما حض به كتابها من البيان الاتم في النظم المعجز مع شرف التذكير
بما افاضه من جليل الايادي فتح هذه السورة بالامر بالوفا لحقوق الربوبية واتبعه التذكير بما وفا به سبحانه من حق الربوبية من نوعي
المنافع في لذة المطعم وتوابعه ولذة المنكح وتوابعه وقدم المطعم لان الحاجة اليه فوق الحاجة الى المنكح فلما اتم ما الزمه نفسه الاقدس
من عهد الربوبية فضلا منه اتبعه الامر بالوفا بعهد العبودية بذروة سنامها الصلاة لانها اشرفه بعد الايمان وقدم الوضو لانه شرطها
فقال يا ايها الذين امنوا اى اقروا به صدقوه بانكم اذا عبر باداة التحقق بشارة بان الامة مطيعة قمتم اى بالقوة وهي العزم التام
على القيام الذي هو سبب القيام الى الصلاة اى جنسها محدثين لما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بجمعه لعدة صلوات بوضو واحد
وان كان التجديد اكمل وخصت الصلاة ومس المصحف من بين الاعمال بالامر بالوضو تشريفا لهما وبريد حمل الايمان على الصلاة حسنا

تقدم قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم الثابت انها نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بعد عصر يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم
على ناقته يخطب وكان من خطبته في ذلك الوقت او في يوم النحر او في كليهما الا ان الشيطان قد ايس ان يعبده المصلون في جزيرة
العرب ولكن في التحريش بينهم رواه احمد ومسلم في صفة القيامة والترمذي عن جابر رضي الله عنه فقوله المصلون اشارة
الى ان الماحي للشرك هو الصلاة فما دامت قايمة فهو ذابل ومتى زالت والعياذ بالله رجع والى ذلك يشير ما رواه مسلم في صحيحه
واصحاب السنن الاربعة عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بين العبد والكفر ترك الصلاة وللاربعة وابن حبان
في صحيحه والحاكم عن بريدة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر وللطبراني
بسند ضعيف عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما افترض الله على الناس من دينهم الصلاة
واخر ما يبقى الصلاة ولما كان الوضو في سورة النسا انما هو على سبيل الاشارة اجمالا صرح به هنا على سبيل الامر وتفصيله
فقال مجيبا للشرط اعلاما بان الامر بالوضو تبع للامر بالصلاة لان المعلق على الشي يعرف انه بعدم عند عدم الشرط له
فاغسلوا اى لاجل ارادة الصلاة ومن هنا تعلم وجوب النية لان فعل العاقل لا يكون الا مقصودا وفعل المامور به لاجل الامر
هو النية وجوهكم وحد الوجه منابت شعر الراس ومنتهى اللحيين طولا وما بين الاذنين عرضا وليس منه داخل العين وان كان
ماخوذا في المواجهة لانه من الحرج وكذا ايصال الما الى البشرة اذا اكثفت اللحية خفف للحرج واكتفي عنه بظاهر اللحية واما
العنفقة ونحوها من الشعر الخفيف فيجب وايديكم ولما كانت اليد تطلق على ما بين المنكب ورووس الاصابع قال مبينا ان ابتدا
الغسل يكون من الكفين لانهما المعظم النفع اولى بالاسم الى المرافق اى اخرها اخذا من بيان النبي صلى الله عليه وسلم بفعله فانه
كان يديرا الما على مرفقيه وانما كان الاعتماد على البيان لان الغاية تارة تدخل كقوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وتارة لا
تدخل كقوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل والمرافق ملتقى العظمين وعفى عما فوق ذلك تخفيفا وامسحوا ولما عدل عن
تعدية الفعل الى الراس فلم يفعل كما فعل في الغسل مع الوجه بل اتى بالباء فقال برءوسكم علم ان المراد ايجاد ما يسمى مسحا في اى
موضع كان من الراس دون خصوص التعميم وهو معنى قول الكشاف المراد الصاق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح
كلاهما ملصق للمسح ولما كان غسل الرجل مظنة الاسراف فكان مامورا بالاقتصاد فيه وكان المسح على الخف شايعا كافيا قرئ
وارجلكم بالجر على المجاورة اشارة الى ذلك او العطف على بابه والمسح فيه بمعنى الغسل لقول العرب تمسحت للصلاة اى توضات
وذلك لان الغاسل يدلكه في الاغلب قال في القاموس المسح كالمنع امرار اليد على الشي السايل فيكون في ذلك اشارة ايضا الى
استحباب الدلك والقرينة الدالة على استعمال هذا المشترك في اخر هذا المعنيين قراة النصب وبيان النبي صلى الله عليه وسلم
وسر استعماله فيه الاشارة الى الرفق وبالنصب على الاصل ولما كان الرجل من موضع الاستعاب من الاسفل الى اخرها خص بقوله
والاجل الغاية على ان المراد الغسل كما مضى في المرافق لان المسح لم يرد فيه غاية في الشريعة وعلى ان ابتدا الغسل يكون من دون
الاصابع لان التقدم لعظم نفعه اولى باسم الرجل الى الكعبين وهما العظمان الناتيان عند مفصل الساق والقدم وثنى اشارة
الى ان لكل رجل كعبين ولو قيل الى الكعاب لفهم ان الواجب كعب واحد من كل رجل كما ذكره الزركشي في مقابلة الجمع بالجمع من
حروف الميم من قواعده والفصل بالمسح بين المغسولات معلم بوجوب الترتيب لان عادة العرب كما نقله الشيخ محيي الدين النووي
في شرح المهذب عن الاصحاب انها لا تفعل ذلك الا للاعلام بالترتيب وقال غيره معللا لما التزمه العرب ترك التمييز
بين النوعين بذكر كل منهما على حدته مستهجن في الكلام البليغ لغير فايدة فوجب تنزيه كلام الله عنه ايضا فدلالة الاية
على وجوب البداة بالوجه بما لا مدفع له لترتيبها له بالجزاء على الشرط بالفا وذلك مقتض لوجوب الترتيب في الباقي
اذ لا قايل بالوجوب في البعض دون البعض ولعل تكرير الامر بالغسل والتيمم للاهتمام بهما والتذكير بالنعمة في التوسعة
بالتيمم وان حكمه باق عند اميتهم وسعتهم كراهة ان يظن انه انما كان عند حرفتهم وقلتهم وضيق التبسط في الارض لظهور
الكفار وغلبتهم كما كانت المتعة تباح تارة وتمنع اخرى نظرا الى الحاجة وفقدها وللاشارة الى انه من خصايص هذه الامة
والاعلام بانه لم يرد به ولا بشي من المامورات والمنهيات قبل الحرج وانما اراد طهارة الباطن والظاهر من ادناس الذنوب
واوضار الخلايق السافلة فقال تعالى معبرا باداة الشك اشارة الى انه قد يقع وقد لا يقع وهو نادر على تقدير وقوعها
على ما تقديره هذا ان كنتم محدثين حدثا اصغر وان كنتم اى حال القصد للصلاة جنبا اى ممنين باحتلام او غيره فاطهروا
اى بالغسل ان كنتم خالين عن عذر لجميع البدن لانه اطلق ولم يخص بعض الاعضا كما في الوضو ولما اتم امر الطهارة عزيمة بالما
من الغسل والوضو وبدا بالوضو لعمومه ذكر الطهارة رخصة بالتراب فقال معبرا باداة الشك اشارة الى ان الرخا
اكثر من الشدة وان كنتم مرضى اى بجراح او غيره فلم تجدوا ما حسيا او معنى بعدم القدرة على استعماله وانتم جنب او على
سفر طويل او قصير كذلك ولما ذكر الاكبر اتبعه الاصغر فقال او جا احد منكم وهو غير جنب من الغايط اى الموضع المطمئن
من الارض وهو مكان التخلي او قضى حاجة الانسان التي لا بد له منها وبنزه الكتاب عن التصريح بها لانها من النقايص المذكرة
له بشديد عجزه وعظيم ضرورته وفقره ليكف من اعجابه وكبره وترفعه وفخره كما ورد ان بعض الامرا لقي بعض النبلا في طريق فلم
يفسح له فغضب وقال كانك ما تعرفني فقال بلى والله اني لاعرفك اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت فيما بين

تما

ذلك تحمل العذرة ولما ذكر ما يخص الاصغر ذكر ما يعم الاكبر فقال او لامستم النسا اي بالذكر او غيره امنيتم او لا فلم تجدوا
اي حسا او معنى بالعجز عن استعماله للمرض بجرح او غيره فتيمموا اي اقصدوا قصدا متعمدا صعيدا اي ترابا طيبا اي طهورا
خالصا فامسحوا ولما كان التراب لكثافته لا يصل الى ما يصل اليه الما بلطافته قصر الفعل وعداه بالحرف اشارة الى الاكتفا
بمرة والعفو عن المبالغة وبينت السنة ان المراد جميع العضو فقال بوجوهكم وايديكم منه اي حال النية التي هي القصد
الذي هو التيمم ثم اشار لهم الى حكمته سبحانه في هذه الرخصة فقال مستانفا ما يريد الله اي الغني الغنى المطلق ليجعل عليكم
واعرق في النفي بقوله من حرج اي ضيق علما منه بضعفكم فسهل عليكم ما كان عسر على من كان قبلكم واكراما لكم لاجل نبيكم صلى الله
عليه وسلم فلم يامركم الا بما يسهل عليكم ليقل عاصيكم ولكن يريد ليطهركم اي ظاهرا وباطنا بالما والتراب وبامتثال الامر على ما
شرعه سبحانه عقلتم معناه او لا مع تسهيل الاوامر والنواهي ليلا يوقعكم التشديد في المعصية التي هي رجس الباطن وليتم
نعمته اي في التخفيف في العزايم ثم في الرخص وفي وعدكم بالاجر على ما شرع لكم من الافعال عليكم لاجل تسهيلها ليكون فعلكم
لها واستحقاقكم لما رتب عليكم من الاجر مقطوعا به الا لمن طبعه في العوج وتمادي في الغواية والجهل والبطر ولعلكم تشكرون
اي فعل ذلك كله من التسهيل وغيره وليكون حالكم لما سهل عليكم حال من يرجى صرفه لنعم ربه عليه في طاعاته المسهلة له
المحبة اليه روى البخاري في التفسير وغيره عن عايشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
اسفاره حتى اذا كنا بالبيدا او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه
وليسوا على ما وليس معهم ما وفي رواية سقطت قلادة لي بالبيدا ونحن داخلون المدينة فاناخ النبي صلى الله عليه وسلم ونزل
فثنى راسه في حجري راقدا فاتى الناس الى ابي بكر فقالوا الا ترى ما صنعت عايشة فجا ابو بكر فلكزني لكزة شديدة وقال حبست
النبي صلى الله عليه وسلم في قلادة فبي الموت لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اوجعني ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم
استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الما فلم يوجد فنزلت يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة الاية وفي رواية فانزل اية التيمم فتيمموا
فقال اسيد بن الحضير لقد بارك الله للناس فيكم يا ال ابي بكر ما انتم الا بركة لهم وفي رواية ما هي باول بركتكم يا ال ابي بكر قالت
فبعثنا البعير الذي كنت عليه فاذا العقد تحته وفي رواية له عنها في النكاح انها استعارت من اسما قلادة فهلكت فارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ناسا من اصحابه في طلبها فادركتهم الصلاة فصلوا بغير وضو فلما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك
اليه فنزلت اية التيمم فقال اسيد بن حضير جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك امر قط الا جعل الله لك منه مخرجا وجعل للمسلمين
فيه بركة وهذا الحديث يدل على ان هذه الاية نزلت قبل اية النسا فكان تلك نزلت بعد ذلك لتاكيد هذا الحكم ومزيد الامتنان
به لما فيه من عظيم اليسر وليحصل في التيمم من الجنابة نص خاص فيكون ذلك اصرح لشانها وادل على الاهتمام بها ولما كانت هذه
المامورات والمنهيات خروج عن المالوفات وكانت الصلاة اوثق عرى الدين وكان قد عبر عنها بالايمان الذي هو اصل الدين
واساس الاعمال عطف عليها قوله تذكيرا بما يوجب القبول والانقياد واذكروا اي ذكر اتعاظ وتامل واعتبار ولما كان الحفظ
من الانعام غاية قال نعمة الله اي الملك الاعلى عليكم اي في هدايته لكم الى الاسلام بعد ان كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم
منها وفي غير ذلك من جميع النعم وانما لم يجمع ليلا يظن ان المقصود تعداد النعم لا الندب الى الشكر بتامل ان هذا الجنس لا يقدر عليه
غيره سبحانه وعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يستحقه بجعل فعله سبحانه فعله صلى الله عليه وسلم فقال وميثاقه اي عقده
الوثيق الذي واثقكم به اي بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم حين بايعكم ليلة العقبة على السمع والطاعة في العسر واليسر
والمنشط والمكره اذ اي حين قلتم سمعنا واطعنا وفي ذلك تحذير من مثل ما اراد بهم شاس بن قيس وتذكير بما اوجب له
صلى الله عليه وسلم عليهم من الشكر بهدايته لهم الى الاسلام الجامع لالتزام تلك العهود ليلة العقبة الموجبة للوفا الموعود عليه
الجنة وانعطافا الى قوله اول السورة اوفوا بالعقود وحديث اسباغ الوضو على المكاره مبين لحسن هذا التناسب ولما
كان امر الوفا بالعهد صعبا لا يقوم به الا من صدقت عزيمته وصفت سريرته وانما يحمل عليه مخافة الله قال واتقوا الله اي اجعلوا
بينكم وبين ما يغضب الملك الاعظم الذي يفعل ما يشا من نقض العهد وقاية من حسن القيام لتكونوا في اعلى درجات رغبة
ثم علل ذلك مرغبا مرهبا بقوله ان الله اي الذي له صفات الكمال عليم اي بالغ العلم بذات الصدور اي احوالها من سرايرها
وان كان صاحبها لم يعلمها لكونها لم تبرز الى الموجود وعلانياتها وان كان صاحبها قد نسيها ولما تقدم القيام الى الصلاة
وتقدم ذكر الازواج المامور فيهن بالعدل في اول النسا واثنايها وكان في الازواج المذكورات هنا الكافرات ناسب
تعقيب ذلك بعد الامر بالتقوى بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان ولما كان العدل في غاية الصعوبة على الانسان
فكان لذلك يحتاج المتخلق به الى تدريب كبير ليصير صفة راسخة عبر بالكون فقال كونوا قوامين اي مجتهدين في القيام على
النسا اللاتي اخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وعلى غيرهن في الصلاة وغيرها من جميع الطاعات اللاتي
عاهدتم على الوفا بها ولما كان مبنى السورة على الوفا بالعهد الوثيق وكان الوفا بذلك انما يخف على النفوس ويصح النشاط
فيه ويعظم العزم عليه بالتذكير لجلاله موثقه وعدم انتهاك حرمته لان المعاهدة انما تكون باسمه وحفظ حده ورسمه قوموا
قوله لله اي الذي له الاحاطة بكل شي بخلاف ما مضى في النسا ولما كان من جملة المعاقد عليه ليلة العقبة ليقولوا [illegible]

ان تقولوا

ان تقولوا بالحق حيث ما كانوا لا يخافون في الله لومة لايم قال شهدا اي متيقظين محضرين افهامكم غاية الاحضار بحيث لا
يشذ عنها شي مما تريدون الشهادة به بالقسط اي العدل وقال الامام ابو حيان في نهره ان التي في سورة النسا جات
في معرض الاعتراف على نفسه وعلى الوالدين والاقربين فبدي فيها بالقسط الذي هو العدل والسوا من غير محاباة
نفس ولا والد ولا قرابة وهنا جات في معرض ترك العداوات والاحن فبدي فيها بالقيام لله اذ كان الامر بالقيام لله
اولا ادعى للمومن ثم اردف بالشهادة بالعدل فالتي في معرض المحبة والمحاباة بدي فيها بما هو اكد وهو القسط والتي في
معرض العداوة والشنان بدي فيها بالقيام لله فناسب كل معرض ما جي به اليه وايضا فتقدم هناك حديث النشوز
والاعراض وقوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا وقوله فلا جناح عليهما ان يصالحا فناسب تقديم القسط وهنا تاخر
ذكر العداوة فناسب ان يجاورها ذكر القسط انتهى ولما امر بهذا الخير نهى عما يحجب عنه فقال ولا يجرمنكم اي يحملنكم
شنان قوم اي شدة عداوة من لهم قوة على القيام في الامور من المشركين بحيث يخشى منها لهم ارادة دفعهم على ان لا
تعدلوا اي ان تتركوا قصد العدل وهو يمكن ان يدخل فيه بغض اهل الزوجة الكافرة واذا دها في شي من حقوقها
لاجل خسة دينها فامروا بالعدل حتى بين هذه المراة الكافرة وضراتها المسلمات واذا كان هذا شان الامر به في الكافرة
فما الظن به في المسلم ثم استانف قوله امرا بعد النهي تاكيد الامر العدل اعدلوا اي تحروا العدل واقصدوه في كل شي حتى
في هذه الزوجات وفيمن يجاوز فيكم الحدود فكلما عصوا الله فيكم اطيعوه فيهم فان الذي منعكم من التجاوز وحرفه بركم من
النصرة وصلاح الحال ما يسركم ولما كان ترك قصد العدل قد يقع لصاحبه العدل اتفاقا فيكون قريبا من التقوى قال مشيرا
ومعللا هو اي قصد العدل اقرب اي من ترك قصده للتقوى والاحسان الذي يتضمنه الصلح اقرب من العدل اليهما وعدي
اقرب باللام دون الى المقتضية لنوع بعد زيادة في الترغيب كما مر في البقرة ولما كان التقي لا يكون الا بمعرفة ما [illegible] وكان
قد علم من هذا ان العدل مقدمة التقوى قال عاطفا على النهي على تخوفنا اعدلوا واتقوا الله اي اجعلوا بينكم وبين
غضب الله الاعظم وقاية بالاحسان فضلا عن العدل ويويد كون الاية ناظرة الى النكاح مع ما ذكر ختام اية الشقاق التي
في اول النسا بقوله ان الله كان عليما خبيرا وختام قوله تعالى في اواخرها وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا
بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا وختام هذه بقوله معللا لما قبله ان الله اي المحيط بصفات الكمال خبير بما تعملون
لان ما بين الزوجين ربما دق علمه عن ادراك غير العليم الخبير وقال ابو حيان لما كان الشنان محله القلب وهو الحامل على
ترك العدل امر بالتقوى واتى بصفة خبير ومعناها عليم ولكنها تختص بما لطف ادراكه انتهى وشهدا يمكن ان يكون من
الشهادة التي هي حضور القلب كما تقدم من قوله او القى السمع وهو شهيد وان يكون من الشهادة المتعارفة ويوضح المناسبة
فيها مع تابعه ارادة كونها بحضرة قوله ان الله عليم بذات الصدور وختم او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا كما
ختمت هذه بمثل ذلك ولما امر سبحانه ونهى بشر وحذر فقال وعد الله اي الملك الذي له الكمال المطلق فله كل شي الذين
امنوا اي اقروا بالايمان بالسنتهم وعملوا تصديقا لهذا الاقرار الصالحات وترك المفعول الثاني تعميما في باب
البشارة فانه يحتمل كل خير ويذهب النفس في تخويره كل مذهب ولما كان الموعود شيين فضلا واسقاطا حق قدم
الاسقاط تامينا للخوف فقال واضعا له موضع الموعود في صيغة دالة على الثبات والاختصاص لهم مغفرة اي لما
فرط منهم لما طبع الانسان عليه من النقص نسيانا او عمدا بعمل الواجبات ان كان صغيرة وبالتوبة ان كان كبيرة وفيه
اشارة الى انه لا يقدر احد ان يقدر الله حق قدره ولما امنهم بالتجاوز اتبعه الجود بالعطا فقال واجر اي على قدر
رجاهم من حسن العمل عظيم اي لا يدخل تفاوت درجاته تحت الحصر ولما قدم الوعد لانه في سورة الذين امنوا اتبعه
الوعيد لاضدادهم وهو اعظم وعد لاحبابه المومنين ايضا فقال والذين كفروا اي غطوا ما اتضح لعقولهم من دلالة
الوحدانية وكذبوا اي زيادة على الستر بالعناد باياتنا على ما لها من العظمة بانتسابها الينا وباضافتها الينا اولئك
اي البعدا البعدا من الرحمة خاصة اصحاب الجحيم اي النار التي اشتد توقدها فاشتد احمرارها فلا يراها شي الا احجم
عنها لهم يلعنون فيها بما اقدموا على ما هو اهل للاحجام عنه من التكذيب بما لا ينبغي لاحد التكذيب به ثم يلازمونها فلا
ينفكون عنها كما هو شان الصاحب ولما كان من الاجر ما يحصل من اسباب السعادة في الدنيا قال تعالى ذاكرا لهم بعض
ذلك مذكرا ببعض ما حاطهم به ليقدموا على مباينة الكفرة ويقفوا عند حدوده كاينة ما كانت يا ايها الذين امنوا
اي صدقوا بالله ورسوله وكتابه اذكروا نعمة الله اي الذي احاط بكل شي قدرة وعلما عليكم عظمها بابهامها ثم زادها تعظيما
بالتذكير بوقتها فقال اذ اي حين هم قوم اي لهم قوة ومنعة وقدرة على ما يقومون فيه ان يبسطوا اليكم ايديهم اي
بالقتال والقتل وهو شامل مع ما ذكر من اسباب نزوله لما اتفق صبيحة ليلة العقبة من ان قريشا سمعت الخبر عن البيعة
فلما صح عندهم طلبوا اهل البيعة ففاتوهم الا اثنين ادركوا سعد بن عبادة باذاخر والمنذر بن عمرو اخا بني ساعدة وكلاهما
كان نقيبا فاما المنذر فاعجزهم واما سعد فاخذوه فربطوه واقبلوا يضربونه حتى خلصه الله منهم بجبير بن مطعم بن عدي والحارث
بن حرب بن امية بما كان بينه وبينهما من الجوار فكان في سوق الاية بعد اية الميثاق الذي اعظمه ما كان ليلة العقبة اعظم

نفا

قوله تعالى ومن يكتمها فانه اثم قلبه وختام اية النسا التي في الشهادة بقوله وان تلووا او [illegible]

يذكر بذلك فكف أيديهم عنكم أي مع قلتكم وكثرتهم وضعفكم وقوتهم ولم يكن لكم ناصر إلا الذي آمنتم به تلك الليلة وتوكلتم عليه وبايعتم رسوله فكف بعض الأعداء عنكم أيدي بعض ولو شاء لسلطهم عليكم كما سلط ابن آدم على أخيه وينبغي أن يعلم أن العقبة التي عزيت في بعض التفاسير هنا إلى بني قريظة في الاستعانة في دية القتيلين إنما هي لبني النضير وهي كانت سبب جلائهم ولما أمرهم بذكر النعمة عطف على ذلك الأمر بالخوف من المنعم أن يبدل نعمته نقمة فقال واتقوا الله أي الملك الذي لا يطاق انتقامه لأنه لا كفوء له حذرا من أن يسلط عليكم أعداءكم ومن غير ذلك من سطواته ولما كان التقدير فعلى الله وحده في كل حالة فتوكلوا فإنه جدير بنصر من انقطع إليه ولم يعتمد إلا عليه عطف على ذلك قوله تعميما وتعليقا للحكم بالوصف وعلى الله أي وحده لكونه لا مثل له فليتوكل المؤمنون أي في كل وقت فإنه يمنعهم إذا شاءه المنع وإن اشتد الخطب وتعاظم الأمر فتوكلوا ولا تنكلوا عن أعدائكم الذين وعدكم الله أرضهم وديارهم وأبناءهم ونساءهم كما هاب بنو إسرائيل كما سيقص عليكم وقوله هنا المؤمنون وفي قصة بني إسرائيل إن كنتم مؤمنين شديد التآخي بمحل معناه في الفريقين وحينئذ حسن كل الحسن تعقيبها مع ما تقدم من أمر العقبة وأمر بني النضير في نقضهم عهدهم وغدرهم بما هموا به من قتل النبي صلى الله عليه وسلم بإلقاء الرحى عليه من سطح البيت الذي أجلسوه إلى جانبه بقوله إشارة إلى أن اليهود ما زالوا على النقض قديما تحذيرا للمؤمنين من أن يكونوا مثلهم في النقض لئلا يحل بهم ما حل بهم من الصغار وإعلاما بأن عادته سبحانه بالإلزام بالتكاليف قديمة غير مخصوصة بهم بل هي عامة لعباده وقد كلف أهل الكتاب تشريفا لهم بمثل ما كلفهم به ورغبهم ورهبهم لما يقول لهم في الطاعة فإن الأمر إذا عم هان والإنسان إذا سابق اجتهد في أخذ الرهان وأكد الخبر بذلك لئلا يظن لشدة إمعانهم في الفسق أنه لم يبق لهم عهد فقال ولقد أخذ الله أي بما له من جميع الجلال والعظمة والكمال ميثاق بني إسرائيل أي العهد الموثق بما أخذ عليكم من السمع والطاعة وبعثنا أي بما لنا من العظمة منهم اثني عشر نقيبا أي شاهدا على كل سبط نقيب يكفلهم بالوفاء بما عليهم الوفاء به كما بعثنا منكم ليلة العقبة اثني عشر نقيبا وأخذنا منكم الميثاق على ما أجملته الإسلام كما قال كعب بن مالك رضي الله عنه في تخلفه عن تبوك ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وأما تفصيله فمذكور في السير والنقيب الذي ينقب عن أحوال القوم كما قيل عريف لأنه يتعرفها ومن ذلك المناقب وهي الفضائل لأنها لا تظهر إلا بالتنقيب عنها وقال الله أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما لبني إسرائيل وأكد لتكرر رجوعهم وتقلبهم فقال إني معكم وهو كناية عن الكفاية لأن القادر إذا كان مع أحد كان كذلك إذا لم يغضبه ولما انتهى الترغيب بالمعية استأنف بيان شرط ذلك بقوله مؤكدا لمثل ما مضى لئن أقمتم أي أنشأتم الصلاة أي التي هي صلة ما بين العبد والخالق بجميع شروطها وأركانها ولما كان المقصود من الإنفاق المواساة بالإيثار قال وآتيتم الزكاة أي التي هي بين الخلق والخلائق ولما كان الخطاب مع من آمن بموسى عليه السلام وكانوا في قليل يرعوون عن اتباعه أو كمال اتباعه وكان سبحانه عالما بأن من يلم بعده يكون أكثر تربت في الأزل أنه يتواتر إليهم بعده الرسل يحفظونهم عن الزيغ ويقومون منهم الميل قال وآمنتم برسلي أي دمتم على الإيمان بموسى عليه السلام وجددتم الإيمان بمن يأتي بعده فصدقتموهم في جميع ما يأمرونكم وعزرتموهم أي ذببتم عنهم ونصرتموهم ومنعتموهم أشد المنع والتعزير والتأزير من باب واحد ولما كان من أعظم المصدق للإيمان ونصر الرسل بذل المال فهو البرهان قال وأقرضتم الله أي الجامع لكل وصف جميل قرضا حسنا أي بالإنفاق في جميع سبل الخير وأعظمها الجهاد والإعانة فيه للضعفاء ولما كان الإنسان محل النقصان فهو لا ينفك عن زلل أو تقصير وإن اجتهد في صالح العمل قال سادا الجواب القسم الذي وطأت له اللام الداخلة على الشرط مسد جواب الشرط لأكفرن أي لأسترن عنكم سيئاتكم أي فعلكم لما من شأنه أن يسوء ولأدخلنكم أي تفضلا مني جنات تجري ولما كان الماء لا يجري إلا بقربه وانكشافه عن بعض الأرض قال من تحتها الأنهار أي من شدة الري لمن كفر ولما كان الله سبحانه لا يعذب حتى يبعث رسولا وكان المهلك من المعاصي بعد الإرسال ما اتصل بالموت فأحبط ما قبله من الجار فقال بعد ذلك أي الشرط المؤكد بالأمر العظيم الشأن منكم أي بعد ما رأى من الآيات والذي من المواثيق فقد ضل أي ترك وضيع ويستعمل قاصرا بمعنى جار ومتعديا كما هنا سواء أي وسط وعدل السبيل أي لأن ذلك كفر بعد البيان العظيم فهو أعظم من غيره وفي هذا تحذير شديد لهذه الأمة لأن المعنى فإن نقضتم الميثاق كما نقضوا بمثل ما سد الجاش شاس بن قيس وغيره صنعنا بكم ما صنعنا بهم حين نقضوا من إلزامهم الذلة والمسكنة وغير ذلك من آثار الغضب وإن وفيتم بالعهود آتيناكم أعظم مما آتيناهم من فتح البلاد والظهور على سائر العباد فقال ابن الزبير ولهذا الغرض والله أعلم أي عرض التحذير من نقض العهد ذكر هنا العهد المشار إليه في قوله تعالى وأوفوا بعهدي فقال تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل إلى قوله فقد ضل سواء السبيل ثم بين نقضهم وبني اللعنة وكل محنة ابتلوا بها عليه فقال فبما نقضهم ميثاقهم وذكر تعالى عهد الآخرين فقال ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم الآية ثم فصل تعالى للمؤمنين أفعال الفريقين ليتبين لهم ما نقضوا فيه أي من ادعائهم في المسيح ما ادعوا وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه ونكولهم عن فتح الأرض المقدسة وإسرافهم في القتل وغيره وتغييرهم أحكام التوراة إلى غير ذلك مما ذكره في هذه السورة ثم بين تفاوتهم في البعد عن الاستجابة فقال تعالى لتجدن أشد الناس عداوة الآية انتهى وينبغي ذكر النقباء من هذه الفرق الثلاث بأسمائهم وما دعا إلى ذلك تخفيفا للأمر وزيادة بنصرة أما اليهود فكل

فيهم

فيهم ذلك موثقين الأول قال في السفر الرابع من التوراة إن الرب تبارك اسمه كلم موسى النبي في جبل سيناء في قبة الأمد في أول يوم من الشهر الثاني في السنة الثانية لخروج بني إسرائيل من مصر وقال أحص عدد جماعة بني إسرائيل كلها في قبائلهم كل ذلك من أبناء عشرين سنة إلى فوق كل من يخرج في الحرب وأحصهم أنت وهارون أخوك وليكن معكما من كل سبط رجل ويكون الرجل رئيسا في أهل بيته ثم بين بعد ذلك أن كل رجل منهم يكون قائد جماعة ينزلون بنزوله حول قبة الزمان ويرحلون برحيله ويطيعونه فيما يأمرهم ففعل موسى وهارون ما أمرهما الله به وانتدبوا اثني عشر رجلا كما أمر الله من روبيل اليصور بن شديئور ومن سبط شمعون شلوميئل بن صور شداي ومن سبط يهودا نحشون بن عميناداب ومن سبط إيساخار نثنائيل بن صوعر ومن سبط زابلون اليب بن حيلون ومن سبط يوسف من آل افرائيم أليشمع بن عميهود ومن سبط منشا جمليئيل بن فدهصور ومنشا هو ابن يوسف وهو أخو أفرائيم ومن سبط بنياس أبيدان بن جدعوني ومن سبط دان أحيعزر بن عميشداي ومن سبط أشير فجعيئيل بن عكرن ومن سبط جاد الياساف بن دعوائيل ومن سبط نفتالي أحيرع بن عينن وسبط لاوي هم سبط موسى وهارون عليهما السلام لم يذكروا لأنهم كانوا لحفظ قبة الزمان لموسى وهارون عليهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم على قومه كما سيأتي والمرة الثانية كانت ليجسوا أمر بيت المقدس قال في أثناء هذا السفر وكلم الرب موسى وقال له أرسل قوما يجسون الأرض التي أعطي بني إسرائيل ويكون الذين ترسل رجلا من كل سبط من رؤسائهم فأرسلهم موسى من برية فاران عن قول الرب رجالا من رؤساء بني إسرائيل وهذه أسماؤهم من سبط روبيل شاموع بن زكور ومن سبط شمعون شافاط بن حوري ومن سبط يهودا كالاب بن يوفنا ومن سبط إيساخار يجائيل بن يوسف ومن سبط افرائيم هوشاع بن نون ومن سبط بنيامين فلطي بن رافوا ومن سبط زابلون جدي ايل بن سودي ومن سبط يوسف من سبط منشا جدي بن سوسي ومن سبط دان عميائيل بن جملي ومن سبط أشير ساتور بن ميخائيل ومن سبط نفتالي نحبي بن وفسي ومن سبط جاد جوائيل بن ماخي هؤلاء الذين أرسلهم وتقدم إليهم بالوصية وأما النصارى ففي إنجيل متى ما نصه ودعا يعني عيسى عليه السلام تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطانا على جميع الأرواح النجسة لكي يخرجوها ويشفوا كل الأمراض وفي إنجيل مرقس وصعد إلى الجبل ودعا الذين أحبهم فأتوا إليه وانتخب الاثني عشر ليكونوا معه ولكي يرسلهم ليكرزوا وأعطاهم سلطانا على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين وفي إنجيل لوقا ودعا الاثني عشر الرسل وأعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين وأشفاء المرضى وأرسلهم يكرزون بملكوت الله ويشفون الأوجاع وهذه أسماؤهم سمعان المسمى بطرس وأندراوس أخوه ويعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه وقال في إنجيل مرقس وسماهما باسم بوانرجس الذين هما ابنا الرعد وفيلبس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفا ولبا الذي يدعى تداوس وقد اختلفت الأناجيل في هذا ففي إنجيل مرقس بدله تدي وفي إنجيل لوقا يهوذا بن يعقوب ثم اتفقوا وسمعان القاناني وفي إنجيل لوقا المدعو الغيور ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه وأما نقباء الإسلام فكانوا ليلة العقبة الأخيرة بايع النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار رضي الله عنهم على الحرب وأن يمنعوه إذا وصل إلى بلادهم وقال لهم صلى الله عليه وسلم أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم كما اختار موسى من قومه فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس فقال لهم أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي قالوا نعم وهذه أسماؤهم من الخزرج أبو أمامة أسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة ورافع بن مالك بن العجلان والبراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر وعبادة بن الصامت والمنذر بن عمرو ومن الأوس أسيد بن الحضير وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر وأبو الهيثم بن التيهان قال ابن هشام وقال كعب بن مالك يذكرهم فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري وذكر أبا الهيثم ابن التيهان ولم يذكر رفاعة فقال * أبلغ أبيا أنه فال رأيه * وحان غداة الشعب والحين واقع * أبى الله ما منتك نفسك إنه * بمرصاد أمر الناس راء وسامع * وأبلغ أبا سفيان أن قد بدا لنا * بأحمد نور من هدى الله ساطع * فلا ترغبن في حشد أمر تريده * وألب وجمع كل ما أنت جامع * ودونك فاعلم أن نقض عهودنا * أباه عليك الرهط حين تبايعوا * أباه البراء وابن عمرو كلاهما وأسعد يأباه عليك ورافع * وسعد أباه الساعدي ومنذر * لأنفك إن حاولت ذلك جادع * وما ابن ربيع إن تناولت عهده بمسلمه لا يطمعن ثم طامع * وأيضا فلا يعطيكه ابن رواحة * وإخفاره من دونه السم ناقع * وفاء به والقوقلي بن صامت بمندوحة عما تحاول نافع * أبو هيثم أيضا وفي بمثلها * وفاء بما أعطى من العهد خانع * وما ابن حضير إن أردت بمطمع * فهل أنت عن أحموقة الغي نازع * وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه * ضروح لما حاولت ملأمر مانع * أولاك نجوم لا يغبك منهم * عليك بنحس في دجى الليل طالع * فأما نقباء اليهود في جس الأرض فلم يوف منهم إلا اثنان كما سيأتي قريبا عن نص التوراة التي بين أيديهم وأما نقباء النصارى فنقض واحد منهم كما مضى عند قوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه وسيأتي إن شاء الله تعالى في الأنعام عند قوله تعالى لأنذركم به ومن بلغ وأما نقباؤنا فكلهم وفى وبر بتوفيق الله وعونه فلله الحمد ولما ذكر سبحانه ما أخذ على اليهود من الميثاق ووعيده لهم إن كفروا بعد ذلك ذكر أنهم نقضوا مرة بعد مرة كما تقدم في سورة

البقرة وغيرها كثيراً منه عن نص ما عندهم من التوراة فاستحقوا ما هم فيه من الخزي فقال تعالى مسبباً عما مضى مؤكداً بما
النافية لضد ما أثبته الكلام فبما نقضهم ميثاقهم أي بنكثهم الرسل الاثني عشر بعد موسى عليه السلام وقتلهم الأنبياء ونبذهم
كتاب الله وراء ظهورهم في كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك لا بغير ذلك كما نقض بنو النضير فسلطه الله عليهم
بما أشار إليهم في سورة الحشر لعناهم أي أبعدناهم بعد أن وعدناهم القرب بأن نكون معهم إن وفوا ولما كان البعيد قد يكون رقيق
القلب متأسفاً على بعده ساعياً في أسباب قربه باكياً على عاقبة ذنبه فيرجى له بذلك غفران ذنبه أخبر أنهم على غير ذلك بقوله
وجعلنا أي بعظمتنا قلوبهم قاسية أي صلبة عاسية لا تعتش ثمن غير قابلة للنصيحة لأن الذهب الخالص يكون ليناً والمغشوش
يكون فيه يبس وصلابة وكل لين قابل للإصلاح لسهولته ثم بين قساوتها بما دل على نقضهم بقوله يحرفون الكلم أي يجددون كل وقت
تحريفه عن مواضعه فإنهم كلما وجدوا شيئاً من كلام الله يشهد بضلالهم حرفوه إلى شهواتهم وأولوه التأويل الباطل بأهوائهم فهم
يحرفون الكلم ومعانيها ولما كانوا قد تركوا أصلاً ورأساً ما لا يقدرون لصراحته على تحريفه قال معبراً بالماضي إعلاماً بجزمهم بالبراءة
من ذلك ونسوا حظاً أي نصيباً نافعاً معلياً لهم مما ذكروا به أي من التوراة على ألسنة أنبيائهم عيسى ومن قبله عليهم السلام
تركوه ترك الناسي للشيء لقلة مبالاتهم به بحيث لم يكن لهم رجوع إليه وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال قد ينسى المرء بعض العلم
بالمعصية وتلا هذه الآية ولما ذكر سبحانه ما يفعلونه في حقه في كلامه الذي هو صفته أتبعه ما يعم حقه وحق نبيه صلى الله عليه وسلم
على وجه معلم أن الخيانة دينهم تسلية له صلى الله عليه وسلم فقال ولا تزال أي بما نطلعك عليه يا أكرم الخلق تطلع أي تظهر
ظهوراً بليغاً على خائنة أي خيانة عظيمة تستحق أن تسمى بالعلم الخول لشدتها منهم أي في حقك بنقضهم بعض الذي في حق الله تعالى
بإخفاء بعض ما شرع لهم إلا قليلاً منهم فإنهم يكونون على نهج الاستقامة إما بالإيمان وإما بالوفاء وهم متمسكون بالكفر ثم سبب
عن هذا الذي في حقه صلى الله عليه وسلم قوله فاعف عنهم أي امح ذنبهم ذلك الذي اجترحوه وهو دون النقض والتحريف فلا تعاتبهم
عليه ولما كان العفو لا يمنع المعاتبة قال واصفح أي وأعرض عن ذلك أصلاً ورأساً فلا تعاتبهم عليه كما لم تعاقبهم فإن ذلك إحسان
منك وإذا أحسنت أحبك الله إن الله أي الذي له جميع صفات الكمال يحب المحسنين وذلك كما روى الشيخان وغيرهما عن عائشة
رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم سحره رجل من اليهود يقال له لبيد بن الأعصم وفي رواية للبخاري أنه رجل من بني زريق
حليف اليهود وكان منافقاً حتى كان يخيل إليه أنه يأتي النساء ولا يأتيهن وذلك أشد السحر ثم إن الله تعالى شفاه وأعلمه أن السحر
في بئر ذروان فقالت له عائشة رضي الله عنها أفلا أخرجته فقال لا أما أنا فقد عافاني الله وكرهت أن أثير على الناس شراً فأمر
بها فدفنت وهو في معجم الطبراني الكبير وهذا لفظه ومسند أبي يعلى الموصلي وسنن النسائي الكبرى ومسند عبد بن حميد
وأبي بكر بن أبي شيبة وأحمد بن منيع عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال كان رجل يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فعقد له عقداً
فجعله في بئر رجل من الأنصار فأتاه ملكان يعودانه فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما أتدري ما
وجعه قال فلان الذي يدخل عليه عقد له عقداً فألقاه في بئر فلان الأنصاري فلو أرسل رجلاً لوجد الماء أصفر فبعث رجلاً
فأخذ العقد فحلها فبرأ فكان الرجل بعد ذلك يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر له شيئاً منه ولم يعاتبه وللشيخين عن
أنس رضي الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت أن أقتلك قال ما كان الله ليسلطك على ذلك أو قال علي قالوا
أفلا نقتلها قال لا قال فما زلت أعرفها في لهوات النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية أنها كانت سبب موت النبي صلى الله
عليه وسلم بانقطاع أبهره الشريف منها بعد سنين وفي سنن أبي داود من وجه مرسل أنه قتل اليهودية والأول
هو الصحيح وسيأتي في هذا الحديث ذكر في هذه السورة عند والله يعصمك من الناس وهذا إعادته العفو والإحسان
امتثالاً لأمر الله سبحانه ولما دخل النصارى فيما مضى في قوله من بني إسرائيل خصهم بالذكر لأن كفرهم أشد وأهجن فقال
ومن الذين قالوا أي مسمين أنفسهم بلا تبيين لها النصرة لله مؤكدين قولهم رداً على من يرتاب فيه إنا نصارى أي
مبالغون في نصرة الحق فالتعبير بذلك دون ومن النصارى تنبيه على أنهم تسموا بما لم يفوا به أخذنا أي بما لنا من العظمة
ميثاقهم أي كما أخذ على من قبلهم ولما كان أكفرهم في غاية الظهور والجلاء لم ينسبهم إلى غير الترك فقال فنسوا أي تركوا
ترك الناسي حظاً أي نصيباً عظيماً يتنافسون في مثله مما ذكروا به أي في الإنجيل مما سبق لهم ذكره في التوراة من
أوصاف محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الحق ولما أدى ذلك إلى تشعبهم فرقاً فأنتج تشاحنهم وتقاطعهم وإدبارهم
سبب عنه قوله فأغرينا أي ألصقنا بعظمتنا إلصاقاً ما هو بالغراء لا ينفك بل يصير كالجزء الشيء بينهم أي النصارى بعد
أن جعلناهم فرقاً متباينين يتفرقون إلى دين وكذا بينهم وبين اليهود العداوة ولما كانت العداوة قد تكون عن بغي ونحوه
إذا زال ذلك أو خفت قال معلماً أنها أمر باطني نشأ من تزيين الهوى فهو ثابت غير منفك والبغضاء بالأهواء
المختلفة إلى يوم القيامة ولما أخبر بكدهم في الدنيا أتبعه ما لهم في الآخرة فقال وسوف ينبئهم أي يخبرهم الله أي
الملك الأعلى المحيط بكل شيء قدرة وعلماً إخباراً عظيماً لشأن بما فيه من عظم التقريع والتوبيخ في الآخرة بوعيد لا خلف
فيه ولما كانت خبايتهم قد صارت لشهوتهم فيها ملكات بما لازموا منها حتى ضربوا بها وتمرنوا عليها حتى صارت لهم أحوالاً

لأنفسهم وأخلاقاً لقلوبهم سماها صنائع فقال بما كانوا يصنعون أي دربوا أنفسهم عليه حتى صارا كالصنعة
فيجازيهم عليه بما يفهم عليهم من الحجة ولما علم بذلك كله أحوال الفريقين فنقل عليهم واعظا ما نا سعطفنا مرغبا
مرهباً فقال يا أهل الكتاب أي عامة قد جاءكم رسولنا أي الذي أرسلناه بما لنا من العظمة فليظهرن بذلك على
كل من ناواه يبين لكم أي يوضح إيضاحاً شافياً كثيراً مما كنتم أي بما لكم من جبلة الشر والكذب والخيانة تخفون من الكتاب
أي العظيم المنزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الزنا وغيرهما لخساسة وأمانة بدعة كما مضى منه ما
شاء الله في سورة البقرة وذلك دال بلا شبهة على صحة رسالته ويعفو عن كثير أي فلا يفضحكم بإظهاره امتثالاً لأمر
له بذلك كما تقدم أنه إحسان منه صلى الله عليه وسلم إليكم لأنه لا فائدة في إظهاره إلا فضيحتكم ولما أخبر عن فضله
للخفايا وكان التفصيل لا يكون إلا بالنور اقتضى الحال توقع الأخبار بأنه نور فقال مفتتحاً بحرف التوقع والتحقيق قد
جاءكم وعظمه بقوله معبراً بالاسم الأعظم من الله أي الذي له الإحاطة بأوصاف الكمال نور أي واضح النورية وهو محمد صلى
الله عليه وسلم الذي كشف ظلمات الشك والشرك ودل على جمعه مع فرقه بقوله وكتاب أي جامع مبين أي بين في نفسه
مبين لما كان خافياً على الناس من الحق ولما كانت هدايته مشروطة بشرط صلاح الجبلة بين ذلك بقوله واصفاً له
يهدي به أي الكتاب الله أي الملك الأعظم القادر على التصرف في البواطن والظواهر من اتبع أي كلف نفسه وأجهدها
في الخلاص من أسر الهوى بأن تبع رضوانه أي غاية ما يرضيه من الإيمان والعمل الصالح ومعلوم أن ذلك لا يكون إلا
بتوفيقه ثم ذكر مفعول يهدي فقال سبل أي طرق السلام أي الله باتباع دينه والعافية والسلامة من كل مكروه
ويخرجهم من الظلمات أي كدورات النفوس والأهواء والوساوس الشيطانية إلى النور أي الذي دعا إليه العقل
فيصيروا عاملين بأحسن الأعمال كما يقتضيه اختيار من هو في النور بإذنه أي بتمكينه ولما كان من في النور قد يحجب
عنه غرضه الأعظم فلا ينظره لغيبته عنه ببعده منه ويكثر عليه الأسباب فلا يهتدي إليها بوصل أو يعوق إيصاله
ويسهل أمره قال كافلاً لهم بالفوز مزيحاً من خطر التستر ويهديهم أي بما له من إحاطة العلم والقدرة إلى صراط مستقيم
أي على طريق موصل إلى الغرض من غير عوج أصلاً وهو الدين الحق وذلك مقتض للقرب المستلزم لسرعة الوصول
ولما تم ذلك موضحاً أن من لم يتبع الكتاب الموصوف كان كافراً وعن الطريق الأقوم جائراً حائراً وكان محصل حال اليهود كما
رأيت فيما تقدم وما يأتي من نصوص التوراة أنهم لا يعتقدون على كثرة ما يرون من الآيات أن الله مع نبيهم دائماً كان أنسب
الأشياء بعد الوعظ أن يذكر حال النصارى في نبيهم فإنه مباين لحال اليهود من كل وجه فأولئك على شك أنه معه وهؤلاء
اعتقدوا أنه هو فقال تعالى مبيناً أنهم في أظلم الظلام وأعمى العمى لقد أو يقال إن اليهود لما فرطوا كفروا وأنهم ذلك
أن النصارى لما أفرطوا كفروا فصار حالهم كالنتيجة لما مضى فقال لقد كفر الذين قالوا مؤكدين لبعد ما قالوه من العقل
فهو في غاية الإنكار إن الله أي على ما له من جميع صفات الكمال التي لا يجهلها من له أدنى تأمل ذا نوح إلى الهدى والخلع من أسر
الهوى هو المسيح أي عينه وهذا أقطع للكفر وأبينه بطلاناً ووصفه بما هو في غاية الوضوح في بطلان قولهم لبعده
عن رتبة الإلهية في الحاجة إلى امرأة فقال ابن مريم فهو محتاج إلى كفالتها لما لها من الأمومة ولما بطل مدعاهم على أتقن
منهاج وأحصره وكان ربما دق على بعض الأفهام أوضحه بقوله قل دالاً على أن المسيح عليه السلام عبد مملوك لله مسبباً عن كلامهم
فمن يملك من الله أي الذي له الأمر كله شيئاً أي من الأشياء التي إنها لا تمنعه ما يريد بحيث يصير بذلك المملوك أحق به
منه فلا ينفذ له فيه تصرف إن أراد أي الله سبحانه أن يهلك المسيح وكرر وصفه بالبنوة إيضاحاً للمراد فقال
ابن مريم وأزال الشبهة جداً بقوله وأمه ولما خصهما دليلاً على ضعفهما المستلزم للمراد عم دلالة على عموم القدرة
المستلزم لتمام القهر لكل من يماثلهما المستلزم لعجز الكل المبعد عن رتبة الإلهية فقال موضحاً للدليل بتسويتهما
ببقية المخلوقات ومن في الأرض جميعاً أي فمن يملك منعه من ذلك ولما كان التقدير فإن ذلك كله لله يملكه كيف
شاء متى شاء عطف عليه ما هو أعم منه فقال معلماً بأنه مع كونه مالكاً ملكاً له تمام التصرف ولله أي الملك الأعلى الذي لا
شريك له ملك السموات أي التي بها قيام الأرض والأرض وما بينهما أي بين النوعين وبين أفرادهما مما به تمام
أمورهما ثم استأنف قوله دليلاً على ما قبله ونتيجة له يخلق ما يشاء على أي كيفية أراد كما تقدم أن له أن يعدم ما يشاء
كذلك فلا عجب في خلقه بشراً من أنثى فقط لا بواسطة ذكر حتى يكون سبباً في ضلال من ضل به ولما دل ذلك على تمام
القدرة على المذكور عم فقال والله أي ذو الجلال والإكرام على كل شيء أي من ذلك وغيره قدير ولما تم سبحانه في ذكر قبائح
بني إسرائيل تارة وخص أخرى عم بذكر طامة من طوامهم حملهم عليها العجب والبطر بما أنعم الله به عليهم فقال وقالت
اليهود والنصارى أي كل طائفة قالت ذلك على حدتها خاصة لنفسها دون الخلق أجمعين نحن أبناء الله أي بما هو
ناظر إلينا به من جميع صفات الكمال وأحباؤه أي عريقون في كل من الوصفين كما يدل عليه العطف بالواو ثم شرع له
بنقض هذه الدعوى نقضاً بعد نقض على تقدير كون البنوة على حقيقتها أو مجازها أو الذي أورثهم هذه الشبهة أن
لم يكونوا قالوا ذلك عناداً أن في مواضع من التوراة عن قول الله تعالى لموسى عليه السلام شعبي بكري وقال في أول

نبوة موسى عليه السلام كما ذكرته في الاعراف وقبل لفرعون هكذا يقول الرب بني بكري اسرايل ارسل ابني يعبدني فان
ابيت ان ترسل ابني فاني اقتل ابنك بكرك ونحو هذا وفي كثير مما بين ايديهم من الانجيل عن قول عيسى عليه السلام افعلوا كذا
لتكونوا ابنا ابيكم الذي في السما ونحو ذلك وقد بينت معناه على تقدير صحته بما يوجب رده الى المحكم بلا شبهة في اول سورة
ال عمران وقال البيضاوي في اول سورة الكهف انهم كانوا يطلقون الاب والابن في تلك الاديان بمعنى المؤثر والاثر
وقال في البقرة في تفسير بديع السموات انهم كانوا يطلقون الاب على الله باعتبار انه السبب الاصلي ثم ظنت الجهلة
منهم ان المراد به معنى الولادة ولذلك كفر قايله ومنع منه منعا مطلقا انتهى فاول نقض نقض به سبحانه وتعالى
هذه الدعوى بيان انه يعذبهم فقال قل فلم يعذبكم اي ان كنتم جامعين بين كونكم ابنا واحبا بين عطف النبوة وصفة
المحبة بذنوبكم وعذابهم مذكور في نص توراتهم في غير موطن ومشهور في تواريخهم بتحصيلهم قردة وخنازير وغير ذلك
اي فان كان المراد بالمرة الحقيقة فابن الاله لا يكون له ذنب فضلا عن ان يعذب به لان الابن لا يكون الا من جنس الاب
تعالى الله عن النوعية والجنسية والصاحبة والولد علوا كبيرا وان كان المراد المجاز اي بكونه يكرمكم اكرام الولد والحبيب
كان ذلك مانعا من التعذيب ولما كان معنى ذلك انه يعذبكم لانكم لستم ابنا ولا احبا عطف عليه نقضا اخر واوضح من الاول
فقال بل انتم بشر ممن خلق وذلك امر مشاهد والمشاهدات من اوضح الدلايل فانتم مساوون لغيركم في البشرية
والحدوث لا مزية لاحد منكم على غيره في الخلق والبشرية وهما يمنعان النبوة فان القديم لا يلد بشرا والاب لا يخلق ابنه
فامتنع بهذين النبوة الوصفين وامتنع بتعذيبهم ان يكونوا احبا الله فبطل الوصفان اللذان ادعوهما ولما كان
التقدير يفعل بكم ما يفعل بسائر خلقه وصل به قوله جوابا لمن يقول ما هو فاعل بمن خلق يغفر لمن يشا اي من
خلقه منكم ومن غيركم فضلا منه تعالى ويعذب من يشا عدلا كما تشاهدونه يكوم ناسا منكم في هذه الدار ويهين اخرين ولما كان
التقدير لانه مالك خلقه ومليكهم لا اعتراض عليه في شي من امرهم عطف عليه قوله نقضا ثالثا بما هو اعم مما قبله فقال ولله
اي الذي له الامر كله فلا كفو له ملك السموات وقدمها لشرفها دلالة على ملك غيرها من باب اولى وصرح بقوله والارض وما
بينهما اي وانتم مما بينهما وقد اجتمع بذلك مع الملك والابداع الملك والتصرف التام وذلك هو الغنى المطلق ومن
كان كذلك لم يكن محتاجا الى شي من ولد ولا غيره ولا يكون لاحد عليه حق ولا يسوغ عليه اعتراض ولما كان التقدير فمنه وحده الابتدا
عطف عليه قوله واليه اي وحده المصير اي الصيرورة والرجوع وزمان ذلك ومكانه معنى في الدنيا بانه لا يخرج شي عن
مراده وحسا في الاخرة فيحكم بين مصنوعاته على غاية العدل كما هو مقتضى الحكمة وشان كل ملك في اقامة ملكه بانصاف
بعض عبيده من بعض لا يجوز عنده من موجب السياسة اطلاق قويهم على ضعيفهم فان ذلك يودي الى خراب الملك
وضعف الملك فاذا كان هذا شان الملوك من العبيد لنا فتصيبن فما ظنك باحكم الحاكمين واذا حاكمهم كلهم بالعدل
اسبغ على من يريد ملابس الفضل ولما دحضت حجتهم ووضحت كذبتهم اقتضى ذلك الالتفات الى وعظهم على وجه الامتنان
عليهم وابطال ما عساهم يظنونه حجة فقال تعالى اشاحا مما تقدم يا اهل الكتاب اي من الفريقين ولما كان ما حصل
لهم من الضلال بتضييع ما عندهم من البينات وتغييرها حالا يتوقع معه الارسال قال معبرا بحرف التوقع قد
جاكم رسولنا اي الذي عظمته من عظمتنا فاعظموه واجلوه لواجب لذلك ثم بين حاله منه ما له على متعلق جابيا لانه
اهم ما الى المرسل اليهم ارشادا الى قبول كل ما جا به بقوله يبين لكم اي يوقع لكم البيان في كل ما ينفعكم بيانا شافيا لما
تقدم وغيره ولما كان مجيه ملتبسا ببيانه وظرفا له غير منفك عنه وكان بيانه مستعليا على وقت مجيه وما مضى قبله
وما ياتي بعده بيقا كتابه محفوظا لعموم دعوته وختامه وتفرده فلا نبي بعده قال معلقا بجا على فترة اي طويلة بالنسبة
الى ما كان يكون بين النبيين من بني اسرايل مبتديه تلك الفترة من الرسل اي انقطاع من مجيهم سببه تقدمهم وبعد
العهد بهم ونسيان اخبارهم وبلاد سومهم واثارهم وانطماس معالمهم وانوارهم بشي كان يعلي فترتهم لم يبق من وصفهم
المقصود منه الا استخفاف ورسم دارس يقال فتر الشي اذا سكنت حدته وصار اقل مما كان عليه وذلك لانه كان بين
عيسى وبين النبي صلى الله عليه وسلم ستماية سنة فسد فيها امر الناس ولعله عبر بالمصادع في يبين اشارة الى
ان دينه وبيانه لا ينقطع اصلا بحفظ كتابه فكلما درست سنة منه الله بعالم يرد الناس اليها بالكتاب فيحي القايم ابدا
فلذلك لا يحتاج الامر الى نبي مجدد الا عند الفتنة التي لا يطيقها العلما وهي فتنة الدجال وياجوج وماجوج ثم علل ذلك
بقوله ان اي كراهة ان تقولوا اي اذا حشرتم وسيلتم عن اعمالكم ما جانا ولتاكيد النفي قبل من بشير اي يبشرنا لترغب
فنعمل بما يسعدنا فنفوز ولا نذير اي يحذرنا لترهب فنترك ما يشقينا فنسلم لان الانسان مودع النقصان بين الرغبة
والرهبة وقد كان اختلط في تلك الفترة الحق بالباطل فالتبس الامر وجهل الحال لكنه لم يجهل جهلا يحصل به
عذر في الشرك وساء بينه في اول ص ولما كان المعنى فلا تقولوا ذلك سبب عنه قوله فقد جاكم من هو متصف
بالوصفين معا فهو بشير ونذير اي كامل في كل من الوصفين وان تباينا ولما كان ربما توهم احد من ترك الارسال
زمن الفترة ومن ترك التعذيب بغير حجة الارسال وبالعدول عن بني اسرايل الى بني اسماعيل شيا في القدرة قال كاشفا

فقال

لتلك الغمة والله اي حاكم والحال ان الملك الذي له الكمال كله على كل شي اي من ان يرسل في كل وقت وان يترك ذلك وان
يهدي بالبيان وان يضل ومن ان يعذب ولا يقبل عذرا وان يغفر كل شي وغير ذلك قدير وفي الختم بوصف القدرة
وايقاعه بعد تذكيرهم ما صاروا اليه من العز بالنبوة والملك بعدما كانوا فيه من الذل بالعبودية والجهل اشارة الى ان
انكارهم لان يكون من ولد اسمعيل عليه السلام نبي يلزم منه انكارهم للقدرة ولما ذكر سعة مملكته وتمام علمه وشمول
قدرته اتبع ذلك الدلالة عليه بقصة بني اسرايل في استنقاذهم من اسر العبودية والرق واعلاشانهم وايراثهم ارض
الجبارين بعد اهلاك فرعون وجنوده وغير ذلك مما تضمنته القصة اظهارا بعدم ردهم الى مصر التي بادر اهلها لتمام
القدرة وسعة الملك ونفوذ الامر وهي مع ذلك دالة على نقضهم الميثاق وقساوتهم ونقضهم ما ادعوا من نبوتهم له
ومحبتهم وذلك انها ناطقة بتعذيبهم وتفسيقهم وتبروهم من الله ولا شي من ذلك فعل حبيب ولا ولد فقال عاطفا على
نعمه في واذكروا نعمة الله عليكم تذكيرا لهذه الامة بنعمة التوفيق بالسمع والطاعة التي ابا ها بنو اسرايل بعدما راوا
من الايات وبما كف عنهم على ضعفهم وشجع به قلوبهم والزمهم الطاعة وكره اليهم المعصية بضد ما فعل بني اسرايل
وغير ذلك مما يرشد اليه انعام النظر في القصة واذ اي واذكروا حين قال موسى لقومه اي من اليهود يا قوم اذكروا
اي بالقلب واللسان ذكرا اعتبارا واتعاظ بما لكم من قوة القيام بما تحاولونه ليقيم منكم الشكر نعمة الله اي انعام
الملك الاعظم الذي له الاحاطة بالجلال والاكرام وعبر عن الانعام بالغاية لانها المقصود عليكم وعظم ذلك التذكير
بالاسم الاعظم ونبه بذكر ظرفها على اجل النعم وهي النبوة المنقذة لهم من النار فقال اذ اي حين جعل فيكم وبشرتم بمن ياتي من
بعده من الانبيا من بني اسرايل جمع جمع الكثرة في قوله انبيا اي يحفظونكم من المهالك الدايمة تفعل معكم بذلك وغيره من
النعم التي فضلكم بها على العالمين في تلك الازمان فعل المحب مع حبيبه والولد مع ولده ومع ذلك عاقبكم حين عصيتم وعضر
عليكم اذ ابيتم فعلم ان الاكرام والاهانة دايران بعد مشيته على الطاعة والمعصية ولما فعلهم من الجبنة التي كانوا
فيها عبيدا للفرعون لا يصلحون معها للملك ولا تحدثهم انفسهم به الى حقيقة الحرية القابلة لان يكون كل منهم معها ملكا
بعد ان ارسل فيهم رسولا وبشر بانه يتبعه من الانبيا ما لم يكن في امة من الامم غيرهم قال وجعلكم ملوكا اي كما جعلكم كذلك
بعد ما كنتم عبيدا معبين في شي منه فقد تعقله منكم وجعله في غيركم بتلك القدرة التي انعم عليكم بها وذلك لكفركم
بالنعم وايثاركم الجهل على العلم فانكاركم لذلك وتخصيص النعم بكم تحكم وترجيح بلا مرجح ويوضح ذلك ان كفر النعمة سبب
زوالها وقد كانوا بهذه دون في التوراة وغيرها بما تم فيه من ضرب الذلة والمسكنة التي لا يصلحون معها للملك انهم كفروا
كما سيا في بعض ذلك في هذه السورة ولما ذكرهم تعالى ما ذكرهم به من النعم العامة اتبعها الاكبر بنعمة خاصة فقال واتاكم ما لم
يوت اي في زمانكم ولا فيما قبله من سالف الزمان كما اقتضاه التعبير بكم احدا من العالمين اي من الايات التي اظهرها على
يد موسى عليه السلام فاخرجكم بها من الظلمات الى النور والكتاب الذي جعله تبيانا لكل شي ثم اتبعه ما تقيد به هذه النعم
من الشكر بامتثال الامر في جهاد الاعدا في سياق موذن بالنصر معكم بانه نعمة اخرى بحيث شكرها ولذلك وصله بما قبله
وصل المعلول بالعلة فقال يا قوم ادخلوا عن امر الله الذي علمكم بما صنع من الايات انه غالب على جميع امره الارض
المقدسة المطهرة المباركة التي حكم الله ان يطهرها بانبيايه ورسله من نجس الشرك ووضر المعاصي الافك ويبارك
فيها ثم وصفها بما يوجب للمومن الاقدام لحققه النصر فقال التي كتب الله اي الذي له الامر كله فلا مانع لما اعطى لكم اي بان
تجاهدوا اعداه فترثوا ارضهم التي لا مثل لها تحوزوا سعادة الدارين وهي بيت المقدس التي وعدها ابوكم ابرهيم عليه السلام
ان تكون ميراثا لولده بعد ان جعلها مهاجرة ولما امرهم بذلك نهاهم عن التقاعد عنه فقال مشيرا الى ان مخالفة
امر الله لا تكون الا بمصادمة للفطرة الاولى ولا ترتدوا اي تكلفوا انفسكم الرجوع عن اخذها وصدكم لهم التنوع عن اخذ
بما يستحيي من له همة من ذكره فقال على ادباركم ولما جمع بين الامر والنهي خوفهم عواقب العصيان معلما بان ارتدادهم
سبب لهلاكهم بغير شك فقال معبرا بصيغة الانفعال فتنقلبوا اي من عند انفسكم من غير قالب يسلط عليكم
خاسرين اي بخزي المعصية عند الله وعار الجبن عند الناس وخيبة المسعى من خيري الدارين ولما كان هذا السياق محركا
للنفس الى معرفة جوابهم عند ايراده على تقدير سوال من كانه قال ان هذا الترغيب مشوق وترهيب مقلق فما قالوا
في جوابه فقال قالوا معرضين عن ذلك كله بهم سافلة واحوال نازلة مخاطبين له باسمه جفا وجلافة وقلة ادب
يا موسى واكدوا قولهم تاكيد من هو محيط العلم فقالوا مخاطبين بجراة وقلة حيا لا علم اهل زمانه ان فيها اي دون غيرها قوما
جبارين اي عتاة قاهرين لغيرهم مكرهين له على ما يريدون وانا لن ندخلها خوفا منهم حتى يخرجوا منها ثم صرحوا بالانبيا
بالجملة الاسمية المولد بها كلهم على الدخول وانه لا مانع لهم الا الجبن فقالوا فان يخرجوا منها اي باي وجه كان وعبروا
باداة الشك مع اعلام الله لهم باهلاكهم على ايديهم جلافة منهم وعوايد طبع في التكذيب فانا داخلون فكانه قيل ان
هذه لعظيمة ما مثلها فما اتفق لهم بعدها فقيل قال رجلان واشار الى كونهما من بني اسرايل بقوله دفعا لمن تقاعس
عن الامر منهم من الذين يخافون اي يوجد منهم الخوف من الجبارين ومع ذلك فلم يخافا وتوقا منهما بوعد الله ولما كان

بنوا اسرائيل اهلا لان يخافهم من يقصدونه بالحرب لان الله معهم بعونه ونصره فهو يخافون مبنيا للمفعول أنعم الله أي
بما له من صفات الكمال عليهما أي بالتثبيت على العمل بحق النقابة وهما يوشع بن نون وكالاب بن يوقنا كما انعم عليكم ايها
العرب وخصوصا النقبا بالثبات في كل موطن ادخلوا عليهم الباب أي باب قريتهم امتثالا لامر الله وايقانا بوعده
ولما كانا يعلمان انه لا بد من دخولهم عليهم وان لقوا عسرا وان طال المدى لان الله وعد بنصرهم عليهم ووعده حق عبرا بأداة
التحقق خلاف ما مضى كما هيرهم فقالا فاذا دخلتموه اكدا اخبرهما ايقانا بوعد الله فقالا فانكم غالبون أي لان الملا
معكم دونهم وعلى الله أي الملك الاعظم الذي وعدكم بارثها وحده فتوكلوا أي لا على عدة منكم ولا عدد ولا حول ولا قوة ولما
كان الاخلاص يلزمه التوكل وعدم الخوف من غير الله الهبهم بقوله ان كنتم أي جبلة وطبعا مؤمنين أي عريقين في الايمان
بنبيكم صلى الله عليه وسلم والقصد بهذا تهييج ما اتى به فكانه قيل لقد نصحا لهم وبرا واجتهدا في الصلاح الدين والدنيا فما خدعا
ولا غرا فما قالوا فقيل لهم بردهم ذلك الاستفتاء واستفتحا لانفسهم اعراضهم عن الله واستصغارا لانهم
قالوا معرضين عمن خاطبهما غير عادين لهم يا موسى واكدوا نفيهم للاقدام عليهم قولهم انا وعظموا تاكيدهم بقولهم
لن ندخلها وزادوه تاكيدا بقولهم ابدا وقيدوا ذلك بقولهم ما داموا أي الجبابرة فيها أي لهم اليد عليها ثم اتبعوه ما
يدل على انهم في غاية الجهل بالله الفعال لما يريد الغني عن جميع العبيد فقالوا مسببين عن نفيهم ذلك قولهم فاذهب
انت وربك أي المحسن اليك فلم يذكروا انه احسن اليهم كثافة طباع وغلظ اكباد بل خصوه بالاحسان وهذا القول
ان لم يكن قايله يعتقدون التجسيم فهم مشاربون له ولذلك وامثاله كان اليهود الان عريقين في التجسيم ثم سببوا
عن الذهاب قولهم فقاتلا ثم استانفوا قولهم موكدين لان من له طبع سليم وعقل مستقيم لا يصدق ان احدا يتخلف عن امر الله
لا سيما ان كان بمشافهة الرسول انا ههنا أي خاصة قاعدون أي لا نذهب معكما فكان فعلهم فعل من يريد السعادة بمجرد
ادعا الايمان من غير تصديق له بامتحان بفعل يدل على الايقان روى البخاري في المغازي والتفسير عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال قال المقداد بن عمرو يوم بدر يا رسول الله لا نقول كما قال قوم موسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
ولكنا نقول امض ونحن معك نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرايت النبي صلى الله عليه وسلم اشرق
وجهه وسره فكانه قيل ما قال موسى عليه السلام فقيل قال لما ايس منهم معرضا عنهم شاكيا الى الله تعالى رب أي ايها المحسن
الي لما كان من حق الرسول ان يقيه كل احد بنفسه وولده ويكف بما دون ذلك فكان لا يصدق احد ان اتباعه لا يطيعونه نجري
على طبع البشر وان كان يخاطب علام الغيوب فقال موكدا اني لما امتثل من امر الرجلين لهم بالدخول انهما يريدا دخولهما
بدخول الجماعة حصر في قوله لا املك الا نفسي واخي أي ونحن مطيعان لما تامر به فافرق بيننا أي انا مع اخي وبين القوم الفاسقين
أي الخارجين عن الطاعة قولا وفعلا ولا تجمعنا معهم في دين واحد في فعل ولا جزا قال فانها أي الارض المقدسة محرمة عليهم أي
بسبب قولهم هذه وانما لهم لا يدخلها ممن قال هذه المقالة او رضيها احد بل يمكثون اربعين سنة ثم استانف جوابا لمن
يتعب فكره في تعرف حالهم في هذه الاربعين ومحلهم من الارض قوله يتيهون أي يسيرون متحيرين في الارض حتى يهلكوا كلهم
والتيه المفازة التي يحير سالكها فيضل عن وجه مقصده وروي انهم اقاموا هذه المدة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم
جادين ثم يمسون في الموضع الذي ساروا منه ثم سبب عن اخباره بعقوبتهم قوله فلا تاس أي تحزن حزنا موئسا على القوم
أي الاقوياء الابدان الضعفا القلوب الفاسقين أي الخارجين عن قيد الطاعات ثم بعد هلاكهم ادخلها بنيهم الذين
نشاوا في التيه لسلامتهم من اعوجاج طباعهم التي اكسبتهم اياها بلاد الفراعنة في كتابتها لبني اسرائيل لم اخبر بتعجيلهم
وان كانوا معينين في علمي كما اقتضته حكمتي وفي هذه القصة اوضح دليل على نقضهم للعهود التي بنيت السورة على طلب الوفا
بها وافتتحت بها وصرح باخذها عليهم في قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى ان قال وامنتم برسلي وعزرتموهم وفي ذلك
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعلونه بعدهم وتذكير لهم بالنعمة على قومهم بالتوفيق وترغيب لمن اطاع منهم وترهيب لمن عصى
ومات في تلك الاربعين كل من قال ذلك القول او رضيه حتى النقبا العشرة وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويكون لهم
عمود من نور بالليل يضي عليهم وغير هذا من النعم لان المنع بالتيه كان تاديبا لهم لا غضبا فانهم تابوا شرح هذه القصة
مما يبين انهم من التوراة وذكر بعض ما عذبهم فيه بذنوبهم قال في السفر الرابع منها وكلم الرب موسى وقال له ارسل قوما
يجسون الارض التي اعطي بني اسرائيل فارسلهم موسى من برية فاران رجالا من روسا بني اسرائيل اثني عشر رجلا بينهم كالاب
بن يوقنا وهوشاع بن نون ودعا موسى هوشاع بن نون يوشع وارسلهم ليتجسسوا ارض كنعان وقال لهم اعبروا واختبروا
الشعب الذي بها اقوي هو ام ضعيف اكثير هو ام قليل وما خبر الارض التي هم فيها اخصبة ام لا وما خبر القرى
التي يسكنونها وان كانت محوطا عليها ام لا وتقربوا وخذوا من ثمار الارض فصعدوا فاستخبروا الارض واخذوا من برية
صين حتى انتهوا الى راحوب التي في مدخل حماة وصعدوا الى التيمن فاتوا حبران في تخم حبرون وكان بها بنو الجبابرة ثم اتوا
وادي العنقود وقطعوا قضيبا من الكرم فيه عنقود عنب فحمله رجلان باسطار ودعوا اسم ذلك الموضع وادي العنقود
من اجل ذلك واخذوا من الرمان والتين ايضا ورجعوا الى موسى بعد اربعين ليلة الى برية فاران الى رقيم واخبروا موسى

والجماعة

والجماعة كلها خبر الارض وقالوا انطلقنا فاذا الارض تغل اللبن والعسل وهذه ثمارها ولكن الشعب الذي في
الارض عزيز قوي وقراهم كبار مشيدة ورأينا ثم بني الجبابرة ثم ذكر ان الكنعانيين على ساحل البحر الى نهر الاردن قالوا وكنا عندنا
مثل الجراد كذلك رأينا انفسنا وضجت الجماعة كلها ورفعوا اصواتهم بالبكا وبكوا في تلك الليلة بكا شديدا وتذمر جميع
بني اسرائيل على موسى وهرون في ذلك اليوم وضجوا عليهما وقال لهما جماعة بني اسرائيل كلها يا ليتنا متنا بارض مصر على
يدي الرب وليتنا متنا في هذه البرية ولا يدخلنا الرب الى الارض التي نصرع فيها قتلا وتنتهب مواشينا واهلونا كان
المثوى بارض مصر خيرا لنا وقال كل امري منهم لاخيه اجتمعوا حتى نصير علينا رئيسا ونرجع الى ارض مصر فخر موسى وهرون
على وجوههما ساجدين بين يدي جماعة بني اسرائيل كلها فاما يشوع بن نون وكالاب بن يوقنا اللذان كانا من الجواسيس
فقالا الارض مخصبة جدا فان شا الرب دفعها الينا فهي ارض تغل السمن والعسل فلا تعصوا الرب ولا تفتتنوا ولا
تخافوا شعب هذه الارض فان اهلها مبذولون لنا مثل الطعام للاكل واعلموا ان قوتهم ستضعف وتزول عنهم
شدتهم ونحن الغالبون لان الرب معنا فلا تخوفوا منهم وظهر مجد الرب بالسحابة في قبة الزمان تجاه بني اسرائيل وقال
الرب لموسى الى متى يسخطني هذا الشعب والى كم لا يصدقوني ولم يروا جميع الايات التي اتيتهم بها سأضربهم بالموت
واهلكهم واصيرك لشعب اعظم من هذا واعز منهم فقال موسى امام الرب فيسمع اهل مصر الذين اخرجت هذا الشعب
من بينهم بقوتك ويقول سكان هذه الارض ايضا الذين سمعوا انك رب هذا الشعب فان انت قتلت هذا الشعب
جميعا كرجل واحد تقول الشعوب التي بلغها خبرك ان الرب لم يقدر ان يدخل هذا الشعب الارض التي وعدهم فلذلك
قتلهم في البرية فليعظم قوتك الان يا رب كما وعدت وقلت يا رب انت ذو المودة والنعمة تغفر الاثم والخطايا وتزكي من
ليس بزكي اغفر يا رب كما غفرت لهم مذ خرجوا من ارض مصر الى الان فقال الرب لموسى قد غفرت لهم كقولك ولكن
حي انا يوم اقسم بذلك ويمجدي الذي امتلات الارض كلها منه ان جميع الرجال الذين عاينوا مجدي والايات التي اظهرت
لهم بمصر والقفار وجربوني عشر مرات ولم يطيعوا ولم يقبلوا قولي لا يعاينون الارض التي اقسمت لابائهم ان اعطيهم
ولا يدخلها احد من الذين اغضبوني فاقبلوا غدا وارحلوا الى طريق بحر سوف وقال الرب الى متى تتذمر هذه الجماعة الردية
بين يدي اني اقسم انكم تصيرون الى ما قلتم وكما تكلمتم ذلك يصيبكم في هذه البرية فتسقط جثثكم فيها وتبلى اجسادكم
ويهلك كل عددكم وحسابكم من ابن عشرين سنة الى فوق لانكم تذمرتم وتمرمرتم علي لا تدخلوا التي رفعت يدي لانزلكم فيها
ولا يدخلها الا كالاب بن يوقنا ويوشع بن نون واما مواشيكم التي قلتم انها تنتهب وبنوكم الذين لا يعلمون الخير من الشر فهم
يدخلون الارض واصيرهم اليها ويرثون الارض فاما جثثكم فتسقط وتبلى في هذه البرية ويمكث بنوكم يترددون في هذه
المفازة اربعين سنة يعاقبون حتى تهلك جثثكم في هذه البرية على عدد الايام التي اجتس الجواسيس الارض فيها لكل
يوم سنة وتعاقبون بآثامكم لكل يوم سنة اربعين سنة لاربعين يوما فتعلموا اني انما فعلت ذلك لتذمركم بين يدي
انا الرب قلت كذلك اصنع بهذه الجماعة الردية التي اجتمعت بين يدي تهلك في هذه البرية يموتون كلهم والقوم الذين
ارسلهم ان يجسوا الارض فانقلبوا وشنعوا عليه وافسدوا الجماعة كلها وذلك انهم اخبروا الشعب في امر الارض خبرا
رديا ومات القوم الذين اخبروا الخبر موت الفجاة امام الرب فاما يشوع وكالاب فنجوا من الموت ولم يهلكا مع الذين
استخبروا الارض فاخبر موسى بني اسرائيل هذه الاقوال وجلس في حزن شديد وقالوا نحن صاعدون الى الموضع الذي
امر الرب ونعترف بخطايانا قال لهم موسى اعلموا انكم لا تنجحون ولا يتم امركم لا تصعدوا لان الرب ليس معكم لئلا يهزمكم اعدا
فان صعدتم هزمتم وقتلتم لانكم اغضبتم الرب ورجعتم عن قوله فلذلك لا يكون الرب معكم فصعد القوم الى راس الجبل
فاما تابوت عهد الرب وموسى النبي فلم يبرحا من العسكر ونزل العمالقة والكنعانيون الذين يسكنون ذلك الجبل
وحاربوهم وهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وطردوهم الى حرما وكان ذكر قبل ذلك في السفر الثاني قبل قصتهم
في امر الجواسيس قتالهم في رفيدين ورئيسهم لعماليق فقال ما نصه وان عماليق جا ليقاتل بني اسرائيل برفيدين فقال
موسى ليشوع اختر رجالا من اهل الجلد والشدة واخرج بنا نقاتل عماليق غدا وانا واقف على راس الاكمة وقضيب الله
في يدي فصنع يشوع كما قال له موسى يخرج الى حرب عماليق وصعد موسى وهرون وحور الى راس الجبل وكان موسى
اذا رفع يده قوي بنو اسرائيل واذا خفض يده قوي عماليق فاعيت يد موسى فاخذ حجارة فوضعها تحته ثم استوى عليها
جالسا وكان هرون وحور يدعمان يديه احدهما يمينا والاخر شمالا حتى غربت الشمس فهزم يشوع عماليق ومن معه
وقتلوهم بحد السيف فقال الرب لموسى اكتب هذا الامر في سفر الكتاب وضعه امام يشوع بن نون لاني امحق وابيد
ذكر عماليق من تحت اديم الارض فبنى للرب مذبحا ودعا اسمه اسم الله حربي ثم قال وارسل رسلا من رقيم الى ملك ادوم
بانهم نازلون في رقيم القرية التي في حد بلاده واستاذنه في الجواز في بلاده ليفردهم بالمقاتلة فقالوا لا نشرب
لك ما الا بثمن فقال لا تجوزوا الى حدي وخرج اليهم بجيش عظيم وسلاح شاك فتنحى بنو اسرائيل عنه وظعنوا من
رقيم واتى جميع بني اسرائيل الى هور الجبل حيث توفي هرون ثم قال ونزل موسى والعازر من الجبل فرات محافل بني اسرائيل

كلها ان هرون قد توفي وبكى على هرون جميع بني اسرايل ثلاثين يوما وسمع الكنعاني ملك حور الذي كان يسكن التيمن ان بني
اسرايل قد نزلوا في طريق الجواسيس فحاربهم وسبى منهم قوما فنذر بنوا اسرايل نذرا للرب وقالوا ان انت دفعت لينا
هذا الشعب يارب وقويتنا عليه جعلنا قراهم حريمة للرب فسمع الرب اصوات بني اسرايل ودفع اليهم الكنعانيين وقراهم
عليهم وهزموهم وقتلوهم وجعلوا قراهم حريمة للرب ودعوا اسم تلك البلاد حريمة فظعن الشعب من هور الجبل في طريق
بحر سوف ليدوروا حول ارض ادوم فضعفت انفس الشعب من شدة الطريق وكلب وتذمر الشعب على الله وعلى موسى وقالوا
لم اصعدتنا من مصر لتميتنا في موضع ليس فيه خبز ولا ماء قد ضاقت انفسنا من قلة الطعام فسلط الله عليهم حيات
فنهشت قوما من الشعب ومات منهم كثير فاجتمعوا الى موسى وقالوا انا اخطانا اذ تذمرنا على الله وعليك صل امام
الرب ليصرف عنا الحيات فصلى موسى فقال الرب له اتخذ حية من نحاس مثال الحية وارفعها على خشبة علامة ومن
نهشته حية ينظر الى الحية المعلقة فيبرا ففعل ذلك فظعن بنوا اسرايل فنزلوا ابوث ثم ارتحلوا من ابوث ونزلوا على
عيي العبرانيين التي في البرية امام ارض مواب في الجانب الشرقي وحيث مشارق الشمس ثم ظعنوا من هناك ونزلوا وادي
زارد وارتحلوا من هناك ونزلوا عبر ارنون في البرية التي تخرج من حد الاموريين وهي في حد المواببين ولذلك يقال
في كتاب حروب الرب للهب تعاصف في وادي ارنون واصحاب الاودية المايلة الى سكان عار التي تنتهي الى حد المواببين
ثم ارسل بنوا اسرايل رسلا الى سيحون ملك الاموريين قالوا له تجوزني ارضك من غير ان نطا لك حقلا ولا كرما ولا ماء
نشرب من ماء جبابك ولكن نلزم الطريق الاعظم حتى نجوز ارضك فابى سيحون وجمع جميع اجناده وخرج الى البرية وحارب بني
اسرايل فقتل بنوا اسرايل سيحون واصحابه وورثوا ارضه وصعدوا الى ارض متنين وخرج عوج ملك متنين اليهم هو
واجناده ليحاربهم في ادرعي وقال الرب لموسى لا تخفه فاني دافعه في يدك واصير جميع شعبه وارضه في يدك فاصنع به كما
صنعت بسيحون ملك الاموريين فلما حاربوه قتلوه وابنيه وجميع شعبه ولم يبق منهم احد فظعن بنوا اسرايل
ونزلوا عربيموات التي عند الاردن اريحا ثم ذكر قصة بلعام بن بعور وغيرها وقال قال الرب لموسى اصعد الى هذا الجبل جبل
العبرانيين وانظر الى ارض كنعان التي اعطي بني اسرايل فاذا نظرتها اجتمع مع شعبك وصر الى ما صار اليه اباوك كما
صار هرون اخوك فتكلم موسى امام الرب وقال يامر الله رجلا يدبر الجماعة ويدخل ويخرج امامهم ويدخلهم ويخرجهم لكيلا
تكون جماعة الرب كالغنم التي ليس لها راع فقال الرب لموسى عمد الى يشوع بن نون رجل عليه من الروح فضع يدك
عليه واقمه بين يدي اليعازر الحبر امام الجماعة كلها ومر بحاهم قبلا واعطه من المجد الذي عليك فتطيعه جماعة بني اسرايل كلها
ويقوم بين يدي اليعازر الحبر ليكون يسل الرب عن حوايجه وسنته ويحفظ بنوا اسرايل قوله وعن قوله يخرجون وعن قوله
يدخلون وفعل موسى كالذي امره الله في يوشع وغيره ثم ذكر اشيا من القرابين والاعياد وفتح مدين وبقية قصة بلعام
وغير ذلك ثم قال وكثرت مواشي بني روبيل وبني جاد جدا ونظروا الى يعزير وارض جلعاد انه موضع يصلح للمواشي فقالوا لموسى
ان تحظرنا منك برحمة وترافك تعطي هذه الارض لعبيدك ميراثا ولا تجزنا نهر الاردن فقال موسى اخوتكم يخرجون الى الحرب وانتم
تستقرون هاهنا لم تكسرون قلوب اخوتكم ان لا يجوزوا الى الارض التي يعطيهم الرب ميراثا هكذا اصنع ايضا اباوكم فاشتد غضب
الرب عليهم واقسم انه لا يعاين احد منهم الارض التي وعدت بها اباوهم لانهم لم يتموا قولي ولم يتبعوا وصيتي ما خلا كالاب بن يوفنا
القيزاني ويشوع بن نون انهما اتما قول الرب فاشتد غضب الرب على بني اسرايل وتوههم في البرية اربعين سنة حتى هلك
حقب الرجال الذين اسخطوا الرب وانتم اليوم ايضا تريدون ان ينزل غضب الرب ببني اسرايل وان انتم انقلبتم عن امر الرب
ايضا ان يتوهكم في التيه ويفسدون على جميع هذا الشعب فدنا منه القوم وقالوا انبني هنا قرى لعيالاتنا وحظاير لانعامنا
ونحن نتسلح امام بني اسرايل حتى ندخلهم الى مواضعهم ولا نرجع الى بيوتنا حتى يرث بنوا اسرايل كل انسان ميراثه ولا نرث
معهم من عبر الاردن وما خلف ذلك لانا قد قبضنا ميراثنا في مجاز الاردن في مشارق الشمس فقال لهم موسى اذا انتم فعلتم
هذا الفعل وتسلحتم امام ربكم حتى يرجعون وتحلون ارضكم ويرضى بنوا اسرايل عنكم وتصير هذه الارض لكم ميراثا
وان لم تفعلوا هذا تصيروا امام الرب خطاة واعلموا ان خطاياكم تدرككم ثم قال وهذه مظاعن بني اسرايل حيث خرجوا
من ارض مصر فذكر ما تقدم في البقرة ثم قال وارتحلوا من رتما ونزلوا رمون فرص وظعنوا من رمون فرص ونزلوا لبنا وفي نسخة لبونا
وارتحلوا من لبنا ونزلوا راسيا وفي نسخة رسا وظعنوا من راسيا او رسا ونزلوا قهلات وفي نسخة بقهلات وارتحلوا من قهلات ونزلوا
جبل شافا وفي نسخة شافر وارتحلوا من جبل شافا ونزلوا حدرده وفي نسخة حردا وارتحلوا من حدرده وفي نسخة حارده ونزلوا
مقهلوت وفي نسخة مهقلوت وظعنوا من مهقلوت ونزلوا تاحات وارتحلوا من تاحات ونزلوا ترح وارتحلوا من ترح ونزلوا
متقا وارتحلوا من متقا ونزلوا حشمونا وظعنوا من حشمونا ونزلوا امسروث وارتحلوا من مسروث ونزلوا حي بني يعقا ن
وظعنوا من حي بني يعقان ونزلوا جبل حدجاد وارتحلوا من جبل حدجاد ونزلوا يطبث وفي نسخة يطبانا وظعنوا من يطبث
ونزلوا عبرونا وفي نسخة عبرونا وارتحلوا من عبرونا ونزلوا عصيونغبا وهي قلزم وارحلوا من عصيونغبا ونزلوا بريه صين
وفي نسخة بريه صين المعروفة بقداش وهي رقيم وظعنوا من قداس ونزلوا هور الجبل الذي في اقاصي ارض ادوم وفي نسخة

اطعنوا

وظعنوا من بريه صين ونزلوا في يقرقا ان وهي القدس وارتحلوا من القدس فنزلوا في جبل هور تحت ارض ادوم وهم الروم
وصعد هرون الحبر عن قول الله الى هور الجبل وتوفي هناك في سنة اربعين لخروج بني اسرايل من ارض مصر في الشهر الاول
اول يوم منه وقد كان اتى على هرون يوم توفي ماية وثلاث وعشرون سنة وبلغ الكنعاني ملك حد يا الساكن بالتيمن في
ارض كنعان وفي نسخة عيرادا الساكن في الادوم بلد ما ان بني اسرايل تواحده وظعنوا من هور الجبل ونزلوا صلمونا وارتحلوا
من صلمونا ونزلوا فينون وظعنوا من فينون ونزلوا ابوث وفي نسخة اباث وارتحلوا من ابوث ونزلوا العين المحروقة
بالعبرانيين على حد مواب وفي نسخة ونزلوا عايا في العبر على تخوم مواب وارتحلوا من عايا فنزلوا احاد وفي نسخة ورحلوا من عبر
العبرانيين ونزلوا ديبون قرية جاد وارتحلوا من قرية جاد ونزلوا علمون التي في دبلتيم وفي نسخة دبلاثيم وظعنوا من علمون
التي في دبلتيم وفي نسخة دبلاثيم فنزلوا جبل العبرانيين الذي امام نابو وارتحلوا من جبل العبرانيين ونزلوا عربه مواب التي بازا
يريحا وفي نسخة ونزلوا محارب مواب على الاردن قبالة يريحا ونزلوا على شاطي الاردن من عند اشيموث الى ابل شاطيم التي عند عربه
مواب وفي نسخة قبالة محارب مواب وكلم الرب موسى في محارب مواب عند الاردن قبالة يريحا فقال كلم بني اسرايل وقل
لهم انتم جايزون الاردن الى ارض كنعان لتهلكوا جميع سكان الارض وتحرقوا بيوت اصنامهم المسبوكة وتقلعوا مذابحهم
كلها وتصير الارض لكم وترثونها فاقسموها لعشايركم سهاما وصيروا الكثير على قدر كثرتهم والقليل على قدر قلتهم كل قبيلة
على ما يرتفع السهم بها وتصيبها القرعة وان لم تهلكوا سكان الارض من بين ايديكم فالذين يبقون منهم يكونون اسنة في اعينكم
وسهاما في اصداغكم ويضيقون عليكم في الارض التي تسكنونها وكما رايت ان اصنع بهم كذلك اصنع بكم فهكذا اقسموا الارض
في مواريثكم ارض كنعان تحدودها فاما حد التيمن فيكون لكم من ساحل البحر المالح من ناحية المشرق ويدور حدكم من التيمن الى
عقبة سعفرويم ويجوز الى صين ويكون مخارجه من التيمن الى رقيم الجاي ويخرج من هناك الى حصر ادار وفي نسخة الى ديغ ويجوز الى
عصمون الى وادي مصر ويكون مخارجه الى ناحية البحر ويكون حد البحر حدكم والبحر الاعظم تحدوده هذا حدكم من ناحية البحر واما حدكم
مما يلي الجربيا وفي نسخة الشمال فيكون من البحر الاعظم الى هور الجبل وحدود ذلك من الجبل الى مدخل حماه ويكون مخارج الجبل الى ع
صدده ويخرج الحد الى زفرون ويكون مخارجه الى حصر عينن هذه حدودكم من ناحية الجربيا واما حدودكم من ناحية المشرق فتحدد
من حصر عينن الى شافم وينزل الحد من شافم الى ربلة الى مشارق غاب حتى ينتهي الى بحر كبرة وفي نسخة البحيرة المنتنة من مشارقه
ويدور حتى ينزل الى حد الاردن ويكون مخارجه الى بحر المالح هذه حدود الارض التي ترثونها كما هي وتم ذكر القسمة وشيا في
من الاحكام ثم قال في اول السفر الخامس هذه الايات والاقوال التي قال موسى لبني اسرايل عند مجاز الاردن في البرية في عرابا
وفي نسخة البيدا وهو الجانب الغربي حيال سوف بين فاران وبين تفال ولبنارة وحصروت وذو ذهاب وفي نسخة وداي الذهب رانبين
وهو اشارة الى الموضع الذي عبد وافيه العجل مسيرة احد عشر يوما من حوريب الى ساعير والى رقام الجاي فلما كان في سنة اربعين
من خروج بني اسرايل من مصر في الشهر الحادي عشر في اول يوم منه كلم موسى بني اسرايل وامرهم بعد قتلهم سيحون ملك الامر
وعوج ملك متنين في مجاز الاردن في ارض مواب فقال ان الله قال لنا في حوريب قد طال مكثكم في هذا الجبل انهضوا فادخلوا
من هاهنا وادخلوا جبل الاموريين وكل ما حوله الى القرى والجبل والى سواحل البحر اسفل الجبال والتيمن ارض الكنعانيين
ولبنان الى النهر الكبير الذي هو الفرات ادخلوا ورثوا الارض التي وعد الله اباكم ابرهيم واسحق ويعقوب ان يعطيهم لها
ويورثها نسلهم من بعدهم ثم قال وامرتكم في ذلك الزمان بما ينبغي ان تعملوا وارتحلنا من حوريب وسرنا في البرية
العظيمة المهولة كما امرنا الله ربنا وانتهينا الى رقيم الجاي وقلت لكم قد انتهيتم الى جبل الاموريين الذي اعطانا الله
ربنا اصعدوا ورثوا الارض كما قال لكم الله رب ابايكم لا تخافوا ولا تفزعوا وتقدمتم الي باجمعكم وقلتم نرسل بين يدينا
رجالا يجسون لنا الارض ويخبرونا بخبرها ويدلونا على الطريق الذي نسير فيه والقرى التي ندخلها فكان قولكم عندي
حسنا وعمدت الى اثني عشر رجلا منكم من كل سبط رجل وارسلتهم وصعدوا الى الجبل حتى انتهوا الى وادي العنقود
واستخبروا الارض واخذوا من ثمار الارض واتوا بها واخبرونا وقالوا لنا ما اخصب الارض التي يعطينا الله ربنا ولم تحبوا
ان تصعدوا ولكن اجتنبتم قول الله ربكم واغضبتموه وتوسوستم في خيمكم وقلتم بعضكم لبعض لبغض الرب اخرجنا من ارض مصر
ليدفعنا في ايدي الاموريين ليهلكونا الى اين نصعد اخوتنا كسروا قلوبنا وقالوا الشعب اعظم واعز منا واقوى وقراهم
عظيمة مشيدة الى السما ورايتنا هناك ابنا جبابرة وقلت لكم لا تخافوا ولا تفزعوا منهم من اجل ان الله ربكم يسير امامكم
وهو يجاهد عنكم كما صنع بكم في ارض مصر وفي البرية كما رايتم انه حملكم كما يحمل الوالد ولده في كل الارض التي سلكتموها حتى
انتهيتم الى هذه البلاد وبهذا القول لم تصدقوا ان الله ربكم تكفل له بكم انه يسير امامكم في الطريق ليهيي لكم موضعا
تكونون فيه العسكر هو الذي اراكم طريقا تسلكون فيه بالليل بالنار وسترتكم بالنهار من حر الشمس بالغمام وسمع الرب
كلامكم واصواتكم وغضب واقسم وقال لا يعاين احد من هولا القوم اهل هذا الحقب الردي الارض الخصيبة التي اقسمت ان
اعطي اباهم غير كالاب بن يوفنا فاني ادفع اليه الارض التي مشى فيها واورثها ولده لانه اتم قول الرب واكمل سنته وقال لي وانت
ايضا لا تدخلها ولكن يشوع بن نون الذي يخدمك هو يدخل هناك اياه اقوي واويده لانه هو الذي يورث بني اسرايل

الارض الخصبة التي وعدت بها اباءهم ان اعطيهم واما مواشيكم التي قلتم انها تنتهب وبنوكم الذين لا يعلمون الخير من الشر
فهم يدخلون هناك واليهم ادفعها وهم يرثونها فاما انتم فاقبلوا وادخلوا الى البرية في طريق بحر سوف فردوا علي وقلتم قد
اسانا واجرمنا بين يدي الله ربنا نحن صابرون ومجاهدون كما قال لنا وتسلح كل امري منكم بسلاحه وتهياتم للصعود الى الجبل
وقال لي الرب انذرهم وقل لهم لا تصعدوا ولا تجاهدوا لاني لست بينكم لئلا يهزمكم اعداوكم وقلت ولم تقبلوا اجتنبتم
قول الرب واغضبتموه وحسوتم وصعدتم الى الجبل وطردوكم كما تطرد الدبابير بالدخان ورفعوكم من ساعير الى حرما
وجلستم وبكيتم ولم يسمع الرب اصواتكم فمكثتم امام الرب في قادش اياما كثيرة ما مكثتم فيها فاقبلنا فادخلنا في البرية
في طريق بحر سوف كما قال الرب وترددنا حول جبل ساعير اياما كثيرة وقال لي الرب قد طال ترددكم حول هذا الجبل اقبلوا
الى الجانب الجربي فتقدم الى الشعب وقل لهم انتم تجوزون في حد اخوتكم بني عيسو وفي نسخة عيصو الذين يسكنون ساعير
تحفظوا ان لا تولعوا بهم لاني لست اعطيكم من ارضهم ميراثا ولا موضع قدم ابتاعوا منهم طعاما لما كلكم وامتاروا منهم
ما يعصمه لمشربكم ليبارك الله ربكم عليكم ويبارك لكم في كل ما عملت ايديكم كما علم ان يسوسكم في هذه البرية اربعين سنة
فالله ربكم ما دام معكم لا يعوزكم شي وجزنا طريق العربي وفي نسخة ايلة واقبلنا وجزنا في البرية الى طريق مواب
وقال الرب لا تضيق على المواييين ولا تحاربهم لاني لست اعطيك من ارضهم ميراثا بل قد جعلت هذه الارض ميراثا
لبني لوط هذه التي سكنها امين اولا شعبا كان عظيما كان المواييون يسموهم امين فاما ساعير فكان سكانها الحوريين
اولا وورثها بنو عيسو فقوموا الان فجوزوا وادي زرد فجزنا وادي زرد حينئذ وكان عدد الايام التي سرنا من رقيم
الى ان جزنا وادي زرد ثمانية وثلاثين سنة حتى هلك جميع الرجال الابطال اهل ذلك الحقب من عسكر بني اسرائيل كما
اقسم عليهم الرب لان يد الرب كانت عليهم حتى هلكوا فلما ماتوا من الشعب كلمني الرب وقال انت جائز اليوم الى حد مواب
وتدنو من حد بني عمون ولا تتعرض لهم لست اعطيك ميراثا من ارض بني عمون لاني قد جعلتها ميراثا لبني لوط فقم وارحل وجز
وادي ارنون اني قد دفعت اليك سيحون ملك الاموراثيين محاربه واهلك اصحابه فاني ابتدا القي خوفك وفزعك على الناس
منذ يومك هذا وعلى جميع الشعوب التي تحت السما حتى اذا سمعوا خبرك فرقوا وفزعوا امنك وارسلت رسلا من برية قدموث
الى سيحون ملك حشبون بكلام طيب وبالسلام وقلت له نجوز في ارضك ونسير في الطريق الاعظم لا نميل يمنة ولا يسرة تمنا ومنكم طعاما
بفضة لما كلنا وكذلك نبتاع ماء نشربه بثمن ندعونا نجوز سابرين في الطريق كما صنع بنا بنو عيسو الذين في ساعير والمواييون
الذين في عاره حتى نجوز في الاردن الى الارض التي يعطينا الله ربنا ولم يشا سيحون ملك حشبون ان نجوز في حده لان الله ربكم قسى قلبه وعظم
روحه ليدفعه في ايديكم وخرج الينا هو وجميع اجناده ليحاربنا في ياهص فدفعه الرب الينا وقتلناه هو وجميع اجناده وفتحنا قراه
واهلكنا كل من كان في قراه ولم يبق منهم احدا واهلكنا نساءهم وعيالاتهم ولم يبق منهم احد من حد عرو عير الى حد وادي ارنون
والقرية التي في الوادي والى جلعاد لم تفتنا قرية بل دفعها الله ربنا في ايدينا جميعا فاما ارض بني عمون فلم نقربها وكل ما كان من
وادي يبوق وقرى الجبال ايضا وكل ما امرنا الله ربنا به ثم اقبلنا وصعدنا الى ارض متنين وخرج الينا ملك متنين هو وكل جنده
ليحاربنا في ادرعي وقال لي الرب لا تفزع فاني قد دفعته في يدك واسلمت اليك كل اجناده وارضه وقتلناهم ولم يبق منهم احد
وطفرنا بكل قراه في ذلك الزمان ولم تفتنا قرية الا اخذناها منهم ستين قرية كل حبل ارجوب كل القرى كانت سورانها مشيدة
محصنة بالابواب الشديدة الموثقة واخربناها كما صنعنا بسيحون واخذنا الارض في ذلك الزمان من ملك الاموراثيين اللذين
كانا عند مجاز الاردن من وادي ارنون الى جبل حرمون فاما الصيدانيون فكانوا يدعون حرمون سريون واما الاموراثيون
فكانوا يسمونها بساعير واخذنا كل القرى التي كانت في الصحرا وكل جلعاد وكل متنين الى سلكى وادرعي جميع قرى ملك عوج
لان عوجا كان الجبار الذي بقي وحده من الجبابرة وكان سريره من حديد في مدينة عمون التي تسمى ربث طوله تسع اذرع
وعرضه اربع اذرع بذراع الجبابرة وورثنا هذه الارض في ذلك الزمان ثم قال وامرت يشوع في ذلك الزمان وقلت قد رايت
بعينك ما صنع الله ربكم بملكي الاموراثيين كذلك يصنع الرب بجميع الممالك التي تجوزون اليها لان الله ربكم هو يجاهد عنكم
وتضرعت الى الرب في ذلك الزمان وقلت اطلب اليك يا ربي والاهي ان تظهر لعبدك عظمتك بيدك المنيعة وبذراعك العظيمة
اي اله في السما او في الارض يعمل مثل اعمالك وجبروتك انا ذا بي الان فاعبروا عاين الارض الخصبة التي في مجاز الاردن هذا
الجبل الخصب ولبنان ولم يستجب لي وقال لي الرب حسبك لا تعد ان تقول هذا القول بين يدي اصعد راس الاكمة وارفع عينيك
الى المغرب والمشرق والى الجربي والتيمن وانظر اليها نظرا ولا تجز هذا الارض ومر يشوع وتقدم اليه وقوه وايده لانه هو
الذي يجوز امام هذا الشعب وهو يورثهم الارض التي تراها ونزلنا الوادي حيال بيت فعور ثم قال واقسم اي الرب اني لا
اجوز هذا الاردن ولا ادخل الى الارض التي اعطاكم الله ربكم ميراثا فانا الاردن متوفي في هذه الارض ولا اجوز هذا الاردن
فاما انتم تجوزون وترثون هذه الارض الخصبة احفظوا لا تنسوا عهد ربكم الذي عاهدكم ولا تفسدوا وتتخذوا اصناما واشباها
من اجل ان الله ربكم هو نار محرقة وهو اله غيور واذا ولد لكم بنون وبنو بنين وعتقتم في الارض واتخذتم اصناما واشباها
وارتكبتم الشر امام الله ربكم واغضبتموه وقد اشهدت عليكم السما والارض انكم تهلكون سريعا من الارض التي تجوزون

لترثوها

لترثوها ولا تكثر ايامكم فيها سلوا عن الايام الاولى التي مضت قبلكم منذ يوم خلق الله الناس على الارض من اقصى السما
الى اقطارها هل كان مثل هذا الامر العظيم او سمع بمثله قط هل سمع شعب خبر صوت الله يكلمه من النار كما سمعتم انتم وجربوا
الله الذي اتخذتم شعبا من الشعوب بالبلايا والايات والاعاجيب والحروب واليد المنيعة والذراع العظيمة وبالمناظر العظيمة
كما صنع الله باهل مصر عيانا بحضرتكم انتم وعاينتم وعلمتم ان الله هو رب كل شي وليس اله غيره اسمعكم صوته من السما ليعلمكم واراكم
ناره العظيمة وسمعتم اقاويله من النار من اجل انه احب اباءكم اختار نسلهم من بعدهم واخرجكم بوجهه من مصر بقوته العظيمة
ليهلك من بين ايديكم شعوبا اعظم واعز منكم ليدخلكم ويعطيكم ارضهم ميراثا لتعلموا يومكم هذا وتقبلوا بقلوبكم لانه الله
هو الله في السما فوق وفي الارض سفل وليس له سواه احفظوا سننه ووصاياه التي امركم بها يومكم هذا ليتم عليكم
وعلى ابنائكم من بعدكم ويطول مكثكم في الارض التي يعطيكم الله ربكم طول الايام هذه الشهادات والاحكام والسنن التي قص
موسى على بني اسرائيل حيث خرجوا من ارض مصر وانتهوا الى مجاز الاردن في الوادي في مشارق الشمس والى البحر الغربي الى
سدود وقرحا ثم ذكر بعد ذلك في اخر هذا السفر بعد ان قص عليهم احكاما كثيرة وحكما عزيزة الرب مقبل بكم الى
الخير ويفرحكم كما فرح اباكم وذلك ان انتم سمعتم قول الله ربكم وحفظتم سننه ووصاياه المكتوبة في هذا الكتاب من
كل قلوبكم وانفسكم من اجل ان هذه الوصية لم تخفف عليكم ولم تغب وليس هو بمستور في السما فتقولوا من يصعد لنا الى
السما ويانينا به فنسمعه ونحمل به وليس بغائب عنكم في اقصى البحر فتقولوا من ينزل لنا الى البحر وياتينا به فنسمعه
ونحمل به ولكن القول قريب من فيك وقلبك فاعمل به وانظر اني قد ميزت بين يديك اليوم الحياة والخير واخبرتك بالموت
والشر وانا امرك اليوم ان تحب الله ربك وتسلك في طرقه وتحفظ سننه ووصاياه واحكامه لتحيا وتكثر جدا ويبارك
الله ربك عليك ويحييك في الارض التي تدخلها لترثها وان مال قلبك وزاغ ولم تسمع وضللت وتبعت الالهة وسجدت
لها فقد بينت لكم اليوم انكم تهلكون هلاكا ولا يطول مكثكم في الارض التي تجوزون الاردن لترثوها واعرضت اليكم وانشدت
السما والارض والحياة والموت وفي نسخة واشهدت عليكم السما والارض وجعلت بين يديكم الحياة والموت وتلوت عليكم
اللعن والدعا فاختر الحياة لتحيا انت ونسلك اذا احببت الله ربك وسمعت قوله والحقت بعبادته لانه حياتك وطول
عمرك وتسكن في الارض التي اقسم الرب لاباءك وعد ابرهيم واسحق ويعقوب ان يعطيك ثم انطلق موسى فكلم بني اسرائيل
وقص عليهم هذه الاقوال كلها وقال لهم لي اليوم مائة وعشرون سنة ولست اقدر على الدخول والخروج ايضا والرب قال
انك لا تجوز هذا الاردن فالله ربكم هو يجوز امامكم وهو يهلك هذه الشعوب من بين ايديكم وترثونهم ويشوع هو يجوز امامكم
كما قال الرب وسيصنع بهم الرب كما صنع بسيحون وعوج ملك الاموراثيين اللذين اهلكهما وبهزمهم ربكم من بين ايديكم
فاصنعوا بهم حينئذ ما امرتكم به فتقووا واعتزوا ولا تخافوا ولا تفزعوا ولا ترعب قلوبكم منهم لان الله ربكم سائر امامكم لا يخذلكم
ولا يرفضكم ودعا موسى يشوع بن نون وقال له بين يدي جماعة بني اسرائيل تقوى واعتز لانك انت الذي تدخل هذا الشعب
الارض التي اقسم الله لاباءهم ان يعطيهم وانت تورثها اياهم والرب هو يسير امامكم وهو يكون معك ولا يخذلك ولا
يرفضك فلا تخف ولا تفزع ولا يرعب قلبك وكتب موسى هذه التوراة وسننها ودفعها الى الاحبار بني لاوي الذين يحملون
تابوت عهد الرب والى جميع اشياخ بني اسرائيل ثم قال وكلم الرب موسى في ذلك اليوم وقال له اصعد الى جبل العبرانيين
هذا اجبل نابو الذي في ارض مواب حيال اريحا وانظر الى ارض كنعان التي اعطي بني اسرائيل ميراثا وتتوفى هناك في الجبل
الذي تصعد اليه وانضم الى ابائك كما توفي اخوك هرون في الجبل وصار الى قومه ثم قال في اخر هذا السفر وهو اخر التوراة
فطلع موسى من عربوب وفي نسخة من بيدا مواب الى جبل نبوا الى راس الاكمة التي قبالة وجه اريحا واراه الله جميع جلعاد الى
دان وجميع ارض نفتالي وجميع ارض افرايم ومنشا وجميع ارض يهودا الى اخر البحر والبرية وما حول بقعة بلد اريحا مدينة
النخل الى صاعر فقال الرب لموسى ان هذه هي الارض التي اقسمت لابرهيم واسحق ويعقوب وقلت اني لنسلكم اعطيها
قد اريتها بعينيك فاما انت فما تدخلها وقضى عبد الله موسى بارض مواب بامر الرب فدفن بعين في ارض مواب
حذا بيت فاعور ولم يعرف احد اين قبره الى يومنا هذا وكان موسى وقت قضى ابن مائة وعشرين سنة لم يضعف بصره
ولم يتشنج جدا فناح بنو اسرائيل على موسى بعربوب وفي نسخة في بيدا مواب ثلاثين يوما وتمت ايام بكا مأتم موسى
وامتلا يشوع بن نون روح الحكمة لان موسى وضع عليه يده واطاع له بنو اسرائيل وامتثلوا ما امر الرب به موسى
انتهى ما اردته من اخبار التيه وما يتصل بذلك من مساواتهم لجميع الناس في العذاب بالمعاصي والالطاف
بالطاعات الهادم لكونهم ابناء واحباء وفيه مما يحتاج الى تفسير الحربي وهو نسبة الى الحربيا بكسر الجيم والموحدة
بينهما مهملة ساكنة ثم تحتانية ممدودة وهي جهة الشمال والتيمن بفتح الفوقانية واسكان التحتانية
وضم الميم وهو وفق اليمن الذي يقابل الشمال فالمراد به الجنوب وفيه قاصمة لهم في انكار النسخ في امرهم بنقض
التوراة بالدخول الى بيت المقدس ثم نهيهم عن ذلك لما عصوا فانه قال اصعدوا وارثوا الارض كما قال لكم الله
رب ابائكم لا تخافوا ولا تفزعوا ولما عصوا هذا الامر اوا علمهم موسى عليه السلام بغضب الله عليهم وعقوبتهم

بالتيه ارادوا امتثال الامر في الصعود توبة فقال لهم موسى عليه السلام وقال في التوراة ادم وقل لهم لا تصعدوا ولا تجاهدوا لاني لست بينكم لئلا يهزمكم اعداؤكم هذا نصه فراجعه واما دخول انبيائهم الى بلاد القدس وغلبتهم على اهلها وتبسطهم في ارضها فقصة يعقالمو اعيد الله على يد يوشع بن نون عليه السلام فستذكر ان شاء الله تعالى عند قوله تعالى في سورة يونس عليه السلام ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ولكني اقدم هنا من امر يوشع بعد موسى عليهما السلام والمعونة بالله ما ينبني عليه بعض مناسبات الاية التي بعدها قال البغوي فتوجه يعني يوشع ببني اسرائيل الى اريحا ومعه تابوت الميثاق فاحاط بها ستة اشهر ثم نفخوا في القرون وصاح الشعب صيحة واحدة فسقط سور المدينة ودخلوا فقاتلوا الجبارين فقتلوهم وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس علي فردت عليه وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وتبع ملوك الشام واستباح منهم واحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنائم فلم تنزل النار فاوحى الله الى يوشع ان فيها غلولا فمرهم فليبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال هلم ما عندك فاتاه براس ثور من ذهب مكلل باليواقيت والجواهر فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل والقربان انتهى ورايت انا في تاريخ نبوة يوشع بعد موت موسى عليهما السلام ما ربما يخالف هذا في الاشهر والبلد اما الاشهر فجعلها سبعة ايام واما البلد التي وقفت عندها الشمس فجبعون لا اريحا فانه قال ما نصه قال الرب ليوشع انظر اني قد دفعت في يدك اريحا وملكها وكل اجنادها فلتحط بالمدينة بجميع الرجال المقاتلة ودوروا حول المدينة مرة في اليوم وافعلوا ذلك ستة ايام وتحمل سبعة من الكهنة سبعة ابواق ويهتفون امام التابوت حتى اذا كان اليوم السابع دوروا حول المدينة سبع مرات ويهتف الكهنة بالقرون واذا هتفت الابواق وسمعتم اصواتها يهتف جميع الشعب كل انسان حياله انتهى ثم ذكروا منشا لهم لا امر الله وتحريم لاريحا على ما قال الله واما البلد التي ردت فيها الشمس فهي جبعون وذلك انه ذكر بعد فتح اريحا هذه ان سكان جبعون وهم الحاويون صالحوا يوشع بحيلة فغلوها مع يوشع ثم قال وهذه اسماء قراهم جبعون واحفيرا وعيروث وبعران فلما سمع بذلك اذونيصداق ملك اورشليم فرق فرقا شديدا لان جبعون كانت مدينة عظيمة كمثل مدن الملك وكان اهلها رجالا جبابرة فارسل الى هوهم ملك حبران وفي موضع اخر حبرون والى برآم ملك يرموث والى نافع ملك لخس والى دابير ملك عجلون وقال في بعض اليهود ان المراد اهل عجلون وقال لهم اصعدوا التمسوني على محاربة اهل جبعون لانهم قد صالحوا يشوع فاجتمع الخمسة من ملوك الامورانيين وجميع عساكرهم نزلوا على جبعون فارسل اهل جبعون الى يشوع فصعد يشوع من الجلجال هو وجميع ابطال الشعب فاوحى الرب الى يشوع لا تخف ولا تفزع منهم لاني قد اسلمتهم في يدك فاتاهم بغتة لانه صعد من الجلجال الليل اجمع فهزمهم الرب بين يدي اسرائيل وخرجوا منهم جرحى كثيرة في جبعون التي بحوران وهم في طريق عقبة حوران امطر الرب عليهم حجارة برد كبارا من السما الى عاقا رو ماتوا فكان الذين ماتوا بحجارة البرد اكثر من الذين قتلوا ثم قال يشوع امام الرب مصليا في اليوم الذي دفع الرب الامورانيين في يدي بني اسرائيل وقال ايتها الشمس امكثي في جبعون ولا تسيري وانت ايها القمر لا تبرح فاع ايلون فثبتت الشمس وقام القمر حتى انتقم الشعب من اعدائهم وكتبت هذه الاعجوبة في سفر التسابيح لان الشمس وقفت في وسط السماء ولم تزل الى الغروب وصار النهار يوما تاما ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده انتهى وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذه القصة روى البخاري في الخمس والنكاح ومسلم في المغازي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبيا فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امراة وهو يريد ان يبني بها ولما يبن بها ولا احد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا احد اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر ولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر او قريبا من ذلك فقال للشمس انك مامورة وانا مامور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتاكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك فلزقت يد رجلين او ثلاثة بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا براس مثل راس بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فاكلتها ثم احل الله لنا الغنائم ثم راى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا وفي زوائد المسند للحافظ نور الدين الهيثمي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس لم تحبس على بشر الا ليوشع ليالي سار الى بيت المقدس قال وهو في الصحيح ولم ار فيه حصرا كما هنا وفي سيرة ابن اسحق ما ينقضه قال حدثنا احمد ثنا يونس عن اسباط بن نصر الهمداني عن اسماعيل بن عبد الرحمن القرشي قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجي قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجي فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس ولم ترد الشمس على احد الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة ولما كانت قصتهم هذه في امرهم بالدخول الى الارض المقدسة لما فيها من نقض العهود والتبرؤ من الله والحكم عليهم بالفسق والتعذيب ناقضة لما ادعاه اليهود من النبوة كان ذلك كافيا في ابطال مدعى النصارى لذلك لانهم ابناء اليهود واذا بطل كون ابيك ابنا لاحد بطل ان تكون انت ابنه لما كان كذلك ناسب ان تعقب بقصة ابني ادم لما يذكر فقال عاطفا على قوله واذ قال موسى **واتل عليهم** اي على المدعين الذين من جملتهم اليهود تلاوة هي من اعظم الادلة على نبوتك لان

ذلك

ذلك لا علم لك ولقومك به الا من جهة الوحي **نبا ابني ادم** اي خبرهما الجليل العظيم تلاوة ملتبسة **بالحق** اي الخبر الذي يطابقه الواقع اذا تعرف من كتب الاولين واخبار الماضين كابنا ذلك البنا **اذ** اي حين **قربا** اي ابنا ادم ولما لم يتعلق الغرض في هذا المقام ببيان اي نوع قربا منه قال **قربانا** اي بان قرب كل واحد منهما شيا من شانه ان يتقرب الى المطلوب مقاربته غاية القرب ولما كان المؤثر للحسد انما هو عدم التقبل لا بالنسبة الى متقبل خاص بناه للمفعول فقال **فتقبل** اي قبل قبولا عظيما ظاهرا لكل احد **من احدهما** ابهمه ايضا لعدم الاحتياج في هذا السياق الى تعيينه **ولم يتقبل من الاخر** علما ذلك بعلامة كانت لهم في ذلك اما اكل النار للمقبول كما قالوه او غير ذلك ومناسبتها لما قبلها من حيث انها ايضا ناقضة لدعواهم النبوة لان قابيل ممن ولد في الجنة على ما قيل ومع ذلك فقد عذب لما نقض العهد فانتفى ان يكون ابنا وكان هو وغيره سرعا واحدا ابرا امرهم في العذاب والثواب على الوفا والنقض من وفي كان حبيبا ووليا ومن نقض كان بغيضا عدوا واذا انتفت النبوة على الولد لصلبه لا واسطة بينهما ومع كونه ولد في الجنة دار الكرامة فانتفاوها عمن اسفل منه من باب الاولى وكذا المحبة ومن المناسبات ايضا ان كفر بني اسرائيل بمحمد صلى الله عليه وسلم انما هو للحسد فنبهوا بقصة ابني ادم على ان الحسد يجر الى ما لا يرضاه عاقل ويكب في النار ومنها ان في قصة بني اسرائيل احجامهم عن قتال اعدا الله البعدا منهم المامورين بقتالهم الموعودين عليه بخيري الدارين وان الله معهم فيه وفي قصة ابني ادم اقدام قابيل على قتل اخيه حبيب الله المنهي عن قتله الموعود بان الله يقتص منه ان قتله ففي ذلك تاديب لهذه الامة عند كل اقدام واحجام وتذكير بالنعمة في حفظهم من مثل ذلك وان فيها ان موسى وهرون عليهما السلام اخوان في غاية الطواعية في انفسهما ورحمة كل منهما للاخر والطاعة لله وقصة ابني ادم بخلاف ذلك وفي ذلك تحذير مما جرا اليه وهو الحسد وان في قصة بني اسرائيل انهم لما قدموا الغنائم للنار فلم تاكلها علم نبيهم صلى الله عليه وسلم انها لم تقبل لغلول غلوه فاستخرجه ووضعه فيها فاكلتها ففي ذلك الاستدلال بعدم اكل النار على عدم القبول كما في قصة ابني ادم وان بني اسرائيل عذبوا بالمنع من بيت المقدس بالتيه وقابيل نفي من الارض التي كان فيها بقتل اخيه وان بني اسرائيل تاهوا اربعين سنة على عدد الايام التي غاب فيها نقباؤهم في حين اخبار الجبابرة وان قابيل حمل هابيل بعد ان قتله اربعين يوما ذكره البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وقصده السباع فحمله على ظهره اربعين يوما وكل هذه محسنات والعمدة هو الوجه الاول وليس منها ان يكون الامر لموسى عليه السلام عطفا على النهي في تاس والمعنى ان الارض المقدسة مكتوبة لهم كما قدمته اثناء القصة في قولك التي كتب الله لكم فانا مورثها لا محالة لابنائهم وانت متوفى قبل دخولها وقد اجريت سنتي في بني ادم بانهم اذا توطنوا واستراحوا تحاسدوا واذا تحاسدوا وتدابروا وقتل بعضهم بعضا فاتل عليهم هذه القصة لتكون زاجرة لهم من ان يفعلوا ذلك اذا نزعوا من الجبابرة واورثهم وصفت لهم البلاد فتوطنوها واخرجت لهم بركاتها فابطرتهم النعم ونسوا غوايل النقم ويكون ذلك وعظا لهذه الامة وما نحا من نحو مثل ذلك بعد اكمال دينهم ووفاة نبيهم واظهارهم على الدين كله كما تقدم به الوعد لهم فقهروا العباد وفتحوا البلاد وانتثلوا كنوزها وحكموا في اموالها ونفسوا اما كانوا فيه من القلة والحاجة والذلة فابطرتهم النعم وارتكبوا افعال الامم واعرضوا عن غوايل النقم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم دب اليكم دا الامم قبلكم الحسد والبغضا الا والبغضا هي الحالقة لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين اخرجه الترمذي والامام احمد وابو داود الطيالسي في مسنديهما والبزار قال المنذري باسناد جيد والبيهقي وقال لا يزالون بخير ما لم يتحاسدوا ورواه الطبراني ورواته ثقات وذكر الحافظ ابو الربيع بن سالم الكلاعي في القسم الثاني من سيرته في فتح جلولا من بلاد فارس ان سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه لما ارسل الغنيمة الى عمر رضي الله عنه اقسم عمر رضي الله عنه لا يجنها سقف بيت حتى تقسم فوضعت في صحن المسجد فبات عبد الله بن عوف وعبد الله بن ارقم رضي الله عنهما يحرسانه فلما جا الناس كشف عنه فنظر عمر رضي الله عنه الى ياقوته وزبرجده وجوهره فبكى فقال عبد الرحمن رضي الله عنه ما يبكيك يا امير المومنين فوالله ان هذا الموطن شكر فقال عمر والله ما ذاك يبكيني وتالله ما اعطى الله هذا قوما الا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا الا القي باسهم بينهم شرح قصة ابني ادم من التوراة قال المترجم في اولها بعد قصة اكل ادم عليه السلام من الشجرة ما نصه فدعا ادم اسم امراته حوا من اجل انها كانت ام كل حي وصنع الرب لادم وامراته سرابيل من الجلود والبسهما فارسله الله من جنة عدن ليحرث الارض التي منها اخذ فاخرجه الله ربنا فجامع ادم امراته حوا فحبلت وولدت قابيل وقالت لقد استفدت لله رجلا وعادت فولدت اخاه هابيل فكان هابيل راعي غنم وكان قابيل يحرث الارض فلما كان بعد ايام جا قابيل من ثمار ارضه بقربان لله وجا هابيل ايضا من ابكار غنمه بقربان فسر الله بهابيل وقربانه ولم يسر بقابيل وقربانه فساء ذلك قابيل جدا وهم ان يسوه وعبس وجهه فقال الرب لقابيل ما ساءك وما كشف وجهك ان احسنت تقبلت منك وان لم تحسن فان الخطيئة رابضة على الباب وانت تقبل اليها وهي تتسلط عليك فقال قابيل لهابيل اخيه نتمشى في البقعة فبينما هما يتمشيان في الحرث وثب قابيل على اخيه هابيل فقتله فقال الله لقابيل اين هابيل اخوك فقال لا ادري ارقيبا انا على اخي قال الله ماذا

فعلت فان دم اخيك ينادي الي من الارض من الآن ملعون انت ثم الارض التي فتحت فاها فقبلت دم اخيك من يدك فاذا انت عملت
في الارض فانها لا تعود تعطيك حرثها وتكون فزعا تائها في الارض فقال قابيل للرب عظمت خطيئتي من ان تغفرها وقد اخرجتني
اليوم عن وجه الارض واتواري من قدامك واكون فزعا تائها في الارض وكل من وجدني يقتلني فقال الله ربنا كلا ولكن كذلك كل قاتل
واما قابيل فانه يجزى بدل الواحد سبعة فخرج قابيل من قدام الله فجلس في ارض هود شرقي عدن انتهى وقال البغوي عن ابن اسحق
عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان ادم كان يغشى حوا في الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت فيها بقابيل وتوامته فذكر قصته
في النكاح وقتله لاخيه وشرب الارض لدمه وقول قابيل لهابيل لله حين قال له انه قتله ان كنت قتلته فاين دمه فحرم الله على
الارض يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا انتهى ولما اخبر تعالى بان احدهما فعل معه من عدم القبول ما غاظه كان كانه قيل فما فعل
حين غضب فقيل **قال** اي الذي قبل قربانه حسدا له **لاقتلنك** فكانه قيل ثم اجابه فقيل بنهيه اولا على ما تصل به الى رتبته لتزول
حسدك بان **قال انما يتقبل الله** اي يقبل قبولا عظيما المحيط بكل شي قدرة وعلما الملك الذي له الكمال كله فليس هو محتاجا الى شي وكل
شي محتاج اليه **من المتقين** اي العريقين في وصف التقوى فلا معصية لهم يصرون عليها بشرك ولا غيره فعدم تقبل قربانك من
نفسك لا مني فلم تقتلني وقتلك لي مبعد لك عما حسدتني عليه ولما وعظه بما يمنعه من قتله ويقبل به على خلاص نفسه اعلمه ثانيا
ان الخوف من الله منعه من ان يمانعه عن نفسه مليئا لقلبه بما هو جدير بان يرده عنه فقال مؤكدا بالقسم لان مثل ما يخبر به
عظيم لا يكاد يصدق **لئن بسطت الي** اي خاصة **يدك لتقتلني** اي لتوجد ذلك باي وجه كان ثم بالغ في اعلامه بامتناعه من المماثلة فقال
ما انا واغرق في النفي فقال **بباسط** اي اصلا وعدم المفعول به ثم نعتهما ثم خص المتعلق لمناسبة الحال فقال **يدي اليك لاقتلك**
اي في وقت من الاوقات وعلله اي بالاسمية المفيدة لنفي الثبات والدوام ثم علله بقوله **اني اخاف الله** اي استحضر جميع ما قدر على
استحضاره من كماله ثم وصفه بالاحسان الى خلقه ليكون ذلك مانعا له من الاساءة الى احد منهم فقال **رب العالمين** اي الذي
انعم عليهم بنعمة الايجاد ثم التربية فانا لا اريد ان اخرب ما بني وهذا كما فعل عثمان رضي الله عنه ولما كان من المهمات للواصلين
الى حضرات القدس ومواطن الانس بالله المتمكنين في درجات الفناء عن غير الفاعل المختار ان لا يراد الا ما يريده سبحانه فان كان
طاعة اراده العبد ورضيه وان كان معصية اراده من حيث مراد الله ولم يرضه لكونه معصية فيرضى بالقضاء دون المقضي وكان
من الممكن القريب ان يكون هابيل قد كشف عن انه سبق في علم الله ان اخاه يقتله قال مرهبا له معللا بتعليل اخر صارف له
ايضا عن الاقدام على القتل **اني اريد** اي بعدم الممانعة لك **ان تبوء** اي ترجع من قتلي ان قتلتني **باثمي** اي الاثم الذي ينالك من اجل
قتلك لي وبعقوبته الذي من جملته انه يطرح عليك من سيئاتي بمقدار ما عليك من حقي اذا لم تجد ما ترضيني به من الحسنات
واثمك اي الذي لا سبب لي فيه وهو الذي كان سببا لرد قربانك واجترائك على عدوانك وافوز انا باجري واجري اي اجري الذي
لا سبب لك فيه والاجر الذي تم لي باستسلامي لك وكف يدي عنك **فتكون** اي انت بسبب ذلك **من اصحاب النار** اي الخالدين
فيها جزاء لك لظلمك بوضعك القتل في غير موضعه ثم بين ان هذا يعم كل من فعل هذا الفعل فقال **وذلك جزاء الظالمين** اي
الراسخين في وصف الظلم كلهم واكون انا من اصحاب الجنة جزاء لي باحساني في ايثار حياتك على حياتي وذلك جزاء المحسنين وهذا
مثل تمني الشهادة سواء ليس مستلزما لارادة المعصية من حيث كونها معصية بارادة ظهور الكفار لما علم ان النصر بيد الله
فهو قادر على نصرة اوليائه بعد استشهاد الشهيد ولما كان هذا الوعظ جديرا بان يكون سببا للطاعة وزاجرا له عن معصيته
بين تعالى انه قسى قلبه فجعله سببا للاقدام فقال مبينا بصيغة التفعيل ان القتل لما جعل الله له من الحرمة وكساه من الهيبة
لا يقدم عليه الا بمعالجة كبيرة من النفس **فطوعت له** اي للذي لم يتقبل منه **نفسه قتل اخيه** اي عالجته معالجة كبيرة وشجعته
وسهلت له بما عندها من المنافسة على زعمها حتى غلبت على عقله فانطاع لها وانقاد فاقدم عليه وتحقيق المعنى ان من تصور
النهي عن الذنب والعقاب عليه امتنع منه فكان فعله كالعاصي عليه ومن سولت عليه نفسه بانواع الشبه في تزيينه صار
فعله وانقدامه عليه كالمطيع له الممكن من نفسه بعد ان كان عاصيا عليه نافرا عنه ثم سبب عن هذا التطويع قوله **فقتله** وسبب
عن القتل قوله **فاصبح** اي فكان كل زمن **من الخاسرين** اي العريقين في صفة الخسران يغضب الله عليه لاجترائه على فساد مصنوعه
وغضب بتاجنه عليه لاجترائه على احدهم وعبر بالاصباح والمراد جميع الاوقات لان الصباح محل توقع الارباح قيل انه لم يدر
كيف يقتله فتصور له ابليس في يده طائر فشدخ راسه بحجر فقتله فاقتدى به قابيل فاتى هابيل وهو نائم فشدخ راسه بحجر
ولما كان التقدير انه لم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت فلم يكن الدفن معروفا تسبب عنه قوله **فبعث الله** اي الذي له كمال
القدرة والحكمة ولما كان المعنى يحصل بالغراب الباحث فقط قال **غرابا يبحث** اي يوجد البحث وهو التفتيش في التراب
بتلبين ما تراص منه وازاحته من مكانه ليبقى مكانه مجوفة خالية ولما كان البحث مطلق التفتيش دل على ما ذكرته بقوله
في الارض ليواري غرابا اخر مات ولما كان سبب علم ابن ادم القاتل للدفن كانه بحث لاجل تعليمه فقال تعالى **ليريه** اي
الغراب ابن ادم ويجوز ان يكون الضمير المستتر لله تعالى والاول اولى لتوقيفه على عجزه وجهله بان الغراب اعلم منه واقرب
الى الخير **كيف يواري** ولما كانت السوءة واجبة الستر وكان الميت يصير بعد موته كله سوءة قال منبها على ذلك وعلى انه
السبب في الدفن بالقصد الاول **سوءة** اي فضيحة **اخيه** اي اخي قابيل وهو هابيل المقتول وصيغة المفاعلة تفيد على ان الجثة

تريد ان يكون القاتل واريها والقاتل يريد كون الجثة وراءه فيكون بحيث لا يرى واحد منهما الاخر ولعل بعث الغراب اشارة
الى غربة القاتل باستيحاش الناس منه وجعله مما ينفر عنه ويقتله كل من قدر عليه ومن ثم سمي غراب البين وتشاءم
به من يراه ولما كان كانه قيل ان هذا العجب فما قال قابيل **قال** الكلمة التي تستعمل عند الداهية العظيمة لما نبهه م
ذلك متحجبا متحسرا متلهفا عالما ان الغراب اعلم منه واشفق منكرا على نفسه **يا ويلتي** اي احضر يا ويل فهذا اوانك
ان لا يكون لي نديم غيرك ولما تجرع غاية الفجيعة وتاسف كل الاسف انكر على نفسه فقال **اعجزت** اي مع ما جعل لي من
القوة والناطقة **ان اكون** مع مالي من الجوارح الصالحة لاعظم من ذلك **مثل هذا الغراب** وقوله مسببا عن ذلك
فاواري سوءة اي عورة وفضيحة **اخي** نصب عطفا على اكون لا على جواب الاستفهام لانه انكاري معناه النفي لانه لم يكن وقع
منه مواراة ليستنكر على نفسه ويوبخها بسببها ولو كانت وقعت لم يصح انكارها على تقدير عدم العجز الذي افاده الهمز
فاصبح بسبب قتله **من النادمين** اي على ما فعل لانه فقد اخاه واغضب ربه واباه ولم يفده ذلك ما كان سبب غيظه
بل زاده تعبا وذكر ان ادم عليه السلام لما علم قتله رثاه بشعر وعن ابن عباس رضي الله عنهما رد ذلك وان الانبيا عليهم
السلام كلهم في النهي عن الشعر سوا وقال صاحب الكشاف وقد صح ان الانبيا معصومون من الشعر ولا تقتل نفس
ظلما الا كان على ابن ادم هذا كفل من دمها بما سن رواه مسلم وغيره عن عبد الله وكذا كل من سن سنة سيئة ولهذا قال
عليه السلام ان اخوف ما اخاف على امتي الائمة المضلون وهذا لان الادمي لنقصانه اسرع شي الى الاقتدا في النقائص
وهذا مما يجب للفاعل فاذا تاب وكان غير مجتهد للفعل كادم عليه السلام لم يكن سانا لذلك فلا شي عليه ممن عمل بذلك
بعده ولما علم بهذا ان الانسان موضع العجلة والاقدام على الموبقات من غير تامل فكان احوج شي الى نصب الزواجر اشعر
تعالى بقوله **من اجل ذلك** اي من غاية الامر الفاحش جدا ومدته وعظم الامر وشدته في نفسه وعند الله وصغره عند
القاتل وحبسه ومنعه وجنايته واشارته وتبجحه وجراءة الانسان على العظائم من غير تامل **كتبنا** اي بما لنا من العظمة
ليفيد ذلك عظمة المكتوب والتنبيه على ما فيه من الحكمة ليفيد الانزجار **على بني اسرائيل** اي علمناهم بما لنا بهم من العناية
في التوراة التي كتبناها لهم ويفهم ذلك ايضا انهم اشد الناس جراة على القتل ولذلك كانوا يقتلون الانبيا فاعلمهم
الله بما فيهم من التشديد ولما علم من الادميين لا سيما من الجراة عليه ليقيم عليهم بذلك الحجة على ما يتعارفونه بينهم
ويكف عن القتل من سبقت له منه العناية بما يتصور من فظاعة القتل وقبح صورته وخشونة اثره وعبر باداة الاستعلا
التي هي للحتم من الوجوب والحرمة لان السياق للزجر فهي تعم المنع عن الاقدام على القتل في هذا المقام **انه من قتل نفسا**
اي من بني ادم وكانه اطلق لعظيم لهم اشارة الى ان غيرهم جماد **بغير نفس** اي بغير ان تكون قتلت نفسا تستحق ان تقاد بها
فاستباح قتلها لتلك النفس التي قتلتها **او** قتلها بغير **فساد** وقع منها ولما كانت الارض مع انها فراش وهي محل التوالد
والتربية والتنمية دار الكدر وكان فساد من فسد فراشه الموصوف لا سيما وهو في كدر دالا على سوء جبلته وكان سوء
الجبلة موجبا للقتل قال **في الارض** اي يبيح ذلك الفساد دمها كالشرك والزنا بعد الاحصان وكل ما يبيح اراقة الدم وقد
علم بهذا ان قصة ابني ادم مع شدة التحامها بما قبل توطئة لما بعد وتغليظ امر القتل تقدم على التوراة في سورة
البقرة وقوله **فكانما قتل الناس جميعا** من جملة الادلة المبطلة لما ادعوا من النبوة اذ معناه ان الناس شرع واحد
من جهة نفوسهم متساوون فيها كلهم اولاد ادم لا فضل لاحد منهم على اخر في اصل تحريم القتل بغير ما ذكر من الموجب من
قصاص وفساد لا من بني اسرائيل ولا من غيرهم وذلك كما قال تعالى في ثاني العقود بل انتم بشر ممن خلق فما من قتل
نفسا واحدة بغير ما ذكر فكانما حمل اثم من قتل الناس جميعا لان اجتراءه على ذلك اوجب اجتراء غيره ومن سن سنة او غرق م
كان كفاعلها **ومن احياها** اي بسبب من الاسباب كعفو وانقاذ من هلكة او مدافعة لمن يريد ان يقتلها ظلما لا
فكانما احيى اي بذلك الفعل الذي كان سببا للاحيا **الناس جميعا** اي بمثل ما تقدم في القتل والاية دالة على تعليم
سبحانه لعباده الحكمة لما يعلم من طباعهم التي خلقهم عليها ومن عواقب الامور لا على انه يجب عليه رعاية المصلحة ومما يحسن
ايراده هنا مما ينسب الى امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ورايت من ينسبه للشافعي الناس من جهة التمثيل اكفا
ابوهم ادم والام حوا نفس كنفس وارواح مشاكلة واعظم خلقت فيهم واعضا فان يكن لهم في اصلهم حسب يفاخرون
به فالطين والما ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلا وقدر كل امرئ ما كان يحسنه وللرجال على الافعال
اسما وضد كل امرئ ما كان يجهله والجاهلون لاهل العلم اعدا ففز بعلم تعش حيا به ابدا فالناس موتى واهل العلم احيا
ولما اخبر سبحانه انه كتب عليهم ذلك اتبعه حالهم فيه دالة على انهم بعيدون من ان يكونوا ابناء واحباء فقال **ولقد** اي
والحال انهم قد **جاءتهم رسلنا** اي على ما لهم من العظمة باضافتهم الينا واختصاصنا لهم لان ياتوا عنا فهم لذلك انصح
الناس وابعدهم عن الغرض واحلمهم واجمعهم للكمالات وارفعهم عن النقائص لان كل رسول دال على مرسله
بالبينات اي الايات الواضحة للعقل انها من عندنا امرة لهم بكل خير زاجرة عن كل شر لم نقتصر في التغليظ في ذلك
على الكتاب بل وانزلنا الرسل اليهم متواترة ولما كان وقوع الاسراف وهو الابعاد عن حد الاعتدال في الامر منهم بعد ذلك بعيدا

عبر باداة التراخي مؤكدا بانواع التاكيد فقال ثم ان كثيرا منهم اي بني اسرائيل وبين شدة عتوهم باصرارهم خلفا بعد سلف
فلم يجتث لجار فقال بعد ذلك اي البيان العظيم والزاجر البليغ بالرسل والكتاب في الارض اي التي هي لهم مع كونها فراشا لهم
ويقبح على الانسان ان يقبح فراشه شاغلة لما فيها من عظائم الكدورات وترادف القاذورات عن الكفاف فضلا عن الاسراف
لمسرفون اي عريقون في الاسراف بالقتل وغيره ولما كان هذا الاسراف بعد هذه الموانع محاربة للناهي عنه وكان تارة
يكون بالقتل وتارة بغيره وكان ربما ظن ان عذاب القاتل يكون باكثر من القتل لكونه كمن قتل الناس جميعا وصل به سبحانه
قوله على طريق الحصر من الفساد انما جزاؤا وكان الاصل جزاؤهم ولكنه اريد تعليق الحكم بالوصف والتعميم فقال الذين يحاربون
اي الملك الاعظم الذي لا كفؤ له ورسوله اي بمحاربة من نهيا عن محاربته بقطع الطريق وهم مسلمون ولهم منعة ممن ارادهم
ويقصدون المسلمين في دمائهم واموالهم سواء كانوا في البلد او خارجها ولما كان عباد الرحمن يمشون على الارض هونا اعلم
ان هؤلاء عباد الشيطان بقوله ويسعون في الارض ولما كان هذا ظاهرا في الفساد صرح به في قوله فسادا اي حال كونهم ذوي
فساد او للفساد ويجوز ان يكون مصدرا ليسعون على المعنى ولما كانت افعالهم مختلفة قسم عقوبتهم بحسبها فقال ان يقتلوا
اي كانت جريمتهم القتل فقط لان القتل جزاء القتل وزاد بكونه في قطع الطريق صيرورته حتما لا يصح العفو عنه او يصلبوا
اي مع القتل ان ضموا الى القتل اخذ المال بان يرفع المصلوب على جذع ومنهم من قال يكون ذلك وهو حي فحينئذ تمد يداه مع
الجذع والاصح عند الشافعية يقتل ويصلى عليه ثم يرفع على الجذع زمنا ليشيع خبره فيه لينزجر غيره ولا يزاد على ثلاثة ايام
او تقطع ايديهم اي اليمنى باجذامهم المال من غير قتل وارجلهم اي اليسرى لاخافة السبيل وهذا معنى قوله من خلاف اي ان كانت
الجريمة اخذ المال فقط او ينفوا من الارض اي بالاخافة والازعاج ان لم يقعوا في قبضة الامام ليكونوا متنقلين من بلد ابراه
احترزا وخوفا وبالحبس ان وقعوا في القبضة وكانوا انما كثروا سواد المحاربين وما قتلوا ولا اخذوا مالا ذلك اي النكال الشديد
المفصل الى ما ذكر لهم اي خاصا بهم خزي اي اهانة وذل باتباع عيبهم في الدنيا اي ليرتدع بهم غيرهم ولهم اي ان لم يتوبوا في الاخرة
اي التي هي موطن العدل باظهار العدل عذاب عظيم اي هو بحيث لا يدخل تحت معارفكم اكثر من وصفه بالعظم ولما كان التعبير
بانما يدل على حتم الجزاء على هذا الوجه استثنى من المعاقبين بهذه العقوبة بقوله الا الذين تابوا اي رجعوا عما كانوا عليه
من المحاربة خوفا من الله تعالى ولذا قال من قبل واثبت الجار اشارة الى القبول وان طال زمن المعصية وقصر زمن التوبة ان
تقدروا عليهم اي فان حتم الجزاء المذكور يسقط فلا يجازون على ما يتعلق بحقوق الادمي الا اذا طلب صاحب الحق فان عفى كان له
ذلك واما حق الله تعالى فانه يسقط والى هذا الاشارة ايضا بقوله تعالى فاعلموا ان الله اي على ماله من صفات العظمة غفور رحيم
اي صفته ذلك ازلا وابدا فهو يفعل منه ما يشاء لمن يشاء وافهمت الاية ان التوبة بعد القدرة لا تسقط شيئا من الحدود ولما ذكر
تعالى حكمهم عند التوبة وختم الاية بما يناسب من الغفران والرحمة وكان ذلك ربما جرأ من لم يرسخ قدمه في الدين على جناية المحاربة
اتبع ذلك الامر بالتقوى وجهاد كل من فسد بقطع الطريق او الكفر او غيره فقال على وجه الاستنتاج مما قبله يا ايها الذين امنوا
اي وجد منهم الاقرار بالايمان اتقوا الله اي اجعلوا بينكم وبين ما سمعتم من وعيده للمفسدين وقاية اي تصديقا لما اقررتم به لما
سبحانه من العظمة التي هي جديرة بان يخشى وترجى لجلها الجلال والاكرام ولما كانت مجامع التكليف منحصرة في تخل عن فضائح المنهيات
وتحل بملابس المامورات وقدم الاول لانه من درء المفاسد اتبعه الثاني فقال وابتغوا اي اطلبوا طلبا شديدا اليه اي خاصة
الوسيلة اي التقرب بكل ما يوصل اليه من طاعة ولا تيأسوا وان عظمت ذنوبكم لانه غفور رحيم ولما كان سبحانه قد قدم اوامر
ونواهي كان الاستقراء افادنا بان الناس عند الامر والنهي بين مقبل ومعرض وكان قد امر المقبل بجهاد المعرض وكان للجهاد
بما له من عظيم النفع وفيه من المشقة مزيد خصوصية افرده بالذكر تاكيدا لما مضى منه واعلاما بانه للعاصي مطلقا سواء
كان بالكفر او بغيره فقال وجاهدوا في سبيله اي لتكون كلمته هي العليا لعلكم تفلحون اي لتكونوا حالكم حال من يرجى نيله لكل
ما يطلبه وهذا شامل لكل امر بمعروف ونهي عن منكر في على درجاته وادناها ولما كان ترك هذه الاوصاف الثلاثة التقوى
وطلب الوسيلة والجهاد مزيلا للوصف الاول وهو الايمان ناسب كل المناسبة تحذيرا من تركها ذكر حال الكفار وانه لا تنفعهم
وسيلة في تلك الدار فقال معللا لما قبله ان الذين كفروا اي بترك ما في الاية السابقة ورتب الجزاء على الماضي زيادة في التحذير
لو ان لهم ما في الارض واكد ما افهمه الكلام من استغراق الظرف والمظروف فقال جميعا اي بما كان يطلب منهم شيء يسير جدا
منه وهو الاذعان بتصديق الجنان وانفاق الفضل من المال وزاد الامر هولا بقوله ومثله ولما كان لدفع الفداء جملة ما ليس
معروفا قال معه ولما كان المقصود تحقير ذلك بالنسبة الى عظمة يوم التغابن وان كان عند الكفار الذين جعلوا غاية امورهم
الحياة الدنيا اعظم ما يكون والافهام بان المراد بالمثل الجنس ليشمل ما عساه ان يفرض من الامثال اعاد الضمير على هذين
الشيئين على كثرتهما وعظمهما مفردا فقال معبرا بالمضارع الدال على تجدد الرغبة في المسئلة على سبيل الاستمرار لان
السياق للمتصفين بالكفر والمحاربة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم والسعي في الارض بالفساد ولذلك صرح بعدم القبول
على الهيئة الاتية ليفتدوا به اي يجددوا الافتداء في كل لحظة بما ذكر من عذاب يوم القيمة ولما كان المراد تهويل الامر برده
وكان ذلك يحصل بغير تعيين الراد قال ما تقبل منهم بالبناء للمفعول اي على حالة من الحالات وعلى يد من كان لان المدفوع اليه

ذلك تام القدرة وله الغنى المطلق ولما كان من النفوس ما هو سائل لا ينكبه الزجر وكان الوداد لاجل مضمنا المعد من الجزا
قال مصرحا بالمقصود ولهم اي بعد ذلك عذاب اليم اي بالغ الايجاع بما اوجعوا اولياء الله سرهم لما اظهروا من تمويه
البيان وانتهكوا من حرمات الملك الديان ثم علل شدة ايلامه بدوامه فقال يريدون ان يخرجوا اي يكون لهم خروج
في وقت ما اذا رفعهم اللهب الى ان يكادوا ان يلقيهم خارجا من النار ثم نفى خروجهم على وجه التاكيد التابيد فقال
وما هم واغرق في النفي بالاسمية اشارة الى انه لا يتجدد لهم الخروج من الحرور الى الزمهرير فان سمي احد ذلك خروجا
فهو غير مرادهم ولما كان المعذبون في دار ربما دام لهم المكث فيها وانقطع عنهم العذاب قال ولهم اي خاصة دون
عصاة المؤمنين عذاب اي تارة بالحر وتارة بالبرد وتارة بغيرهما دائم الاقامة لا يبرح ولا يتغير مقيم ولما كانت
السرقة من جملة المحاربة والسعي بالفساد وكان فاعلها غير متق ولا متوسل عقب بها فقال والسارق اي الاخذ لما
هو في حرز خفية لكونه لا يستحقه والسارقة اي كذلك ولما كان التقدير مما قصصنا او حكمهما فيما يتلى عليكم
سبب عنه قوله فاقطعوا وقال المبرد التعريف بمعنى الذي والفاء سبب كقولك الذي يأتيني فله درهم ايديهما
اي الايامن من الكوع اذا كان الماخوذ ربع دينار فصاعدا من حرز مثله من غير شبهة له فيه كما بين جميع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
ويرد مع القطع ما سرقه ثم علل ذلك بقوله جزاء بما كسبا اي فعلا من ذلك ولانه على ادنى وجوه السرقة وقاية للمال وهوانا
للخيانة وديتهما اذا قطعت في غير حقها خمسمائة دينار وقاية للنفس من غير ان ترخصها الخيانة ثم علل هذا الجزاء
بقوله نكالا اي منعا لهما لما يمنع القيد من الله اي الذي له جميع العظمة فهو الموهوب لكل مرهوب واعاد الاسم الاعظم تعظيما
للامر فقال والله اي الذي له جميع صفات الكمال عزيز اي في انتقامه فلا يغالبه شيء حكيم اي بالغ الحكم والحكمة في شرائعه
فلا يستطاع الامتناع من سطوته ولا نقض شيء يفعله لانه يضعه في اتقن مواضعه ولما ختم بوصفي الحكمة والعزة سبب
عنهما قوله فمن تاب اي ندم واقلع ودل على كرمه بالقبول في اي وقت وقعت التوبة فيه ولو طال زمن المعصية باثبات
الجار فقال من بعد وعدل عن ان يقول سرقته الى ظلمه تعميما للحكم في كل ظلم فيشمل ذلك قطع الطريق وما ذكر بعده مما
تقدم في القتل وغير ذلك من كل ما يسمى ظلما واصلح اي وجد الاصلاح واوقعه برد الظلامة والثبات على الاقلاع
فان الله اي بما له من كمال العظمة يتوب عليه اي يقبل توبته ويرجع به الى ما كان عليه قبل الظلم من سقوط عقاب
الاخرة دون عقاب الدنيا رحمة من الله له ورفقا به وبمن ظلمه وعدلا بينهما لا يقدر احد ان يمنعه من ذلك ولا يحول
بينه وبينه لحظة ما ثم علل ذلك بقوله ان الله اي الذي له الكمال كله ازلا وابدا غفور رحيم اي بالغ المغفرة والرحمة لا
مانع له من ذلك ولا من شيء منه ولا من شيء يريد فعله بل هو فعال لما يريد والاية معطوفة على اية المحاربين وانما فصل
بينهما بما تقدم لما ذكر من العلة الطالبة لمزيد العناية به ولما كان معنى ذلك انه لا اعتراض عليه سبحانه في ذلك ولا
ولا مانع لان قدرته تامة ليس هو كمن يشاهد من الملوك الذين ربما يخافون من اعتراض اتباعهم ورعاياهم عن تقريب
بعض من لم يباشر اساءة وابعاد بعض من لم يباشر احسانا فكيف بغير ذلك قال تعالى مقررا لذلك بتفرده في الملك
الم تعلم ان الله اي الذي له جميع العز له ملك السموات اي على علوها واتساع اسباب ما دونها منها والارض اي
اي ان الملك خالصه له عن جميع الشوائب ولما كان ايقاع النقمة ادل على القدرة وكان السياق لها لما تقدم من خيانة اهل
الكتاب ونقضهم وقصة ابني ادم والسرقة والمحاربة وغير ذلك قدم قوله معللا لفعل ما يشاء بتمام الملك لا بغيره من
رعاية المصالح او غيرها يعذب من يشاء اي من بني اسرائيل الذين ادعوا البنوة والمحبة وغيرهم وان كان مطيعا اي له
فعل ذلك لانه لا يقبح منه شيء ويغفر لمن يشاء اي وان كان عمله موبقا لانه لا يتصور منه ظلم ولا يسوغ عليه اعتراض
ولما كان التقدير لانه قادر على ذلك عطف عليه قوله والله اي الذي له الاحاطة بكل كمال على كل شيء اي شيء قدير اي ليس
هو كغيره من الملوك الذين قد يعجز احدهم عن تقريب ابنه وتبعيد اعدى عدوه وهذه القضية الضرورية ختم بها
ما دعت المناسبة الى ذكره من الاحكام وكر بها على ما انتظم الى اول نقوض دعواهم في قوله بل انتم بشر ممن خلق
الاية ولما تقرر ذلك كان من غير شك علة لعدم الحزن على شيء من امورهم ولا من امر غيرهم ممن عصى شيئا من هذه
الاحكام كما قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها الى ان قال لكيلا تاسوا
على ما فاتكم فقوله تعالى يا ايها الرسول اي المبلغ لما ارسل به معلول لما قبله وادل دليل على ذلك قوله تعالى ومن يرد
الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا لا يحزنك اي لا يوقع عندك شيئا من الحزن صنيع الذين يسارعون في الكفر اي
يفعلون في اسراعهم في الوقوع فيه غاية الاسراع فعل من يسابق غيره وفي تعبيرهم بالمنافقين واهل الكتاب
بشارة بتمام النعمة على العرب بدوام اسلامهم ونصرهم عليهم وقدم اسوء القسمين فقال من الذين قالوا امنا
ولما كان الكلام هو النفسي احترز بتعيينه بقوله بافواههم معبرا لكونهم منافقين بما هو ابعد عن القلب
من اللسان فهم الى الحيوان اقرب منهم الى الانسان وزاد ذلك بيانا بقوله ولم تؤمن قلوبهم ولما بين المسارعين
بالمنافقين عطف عليهم اشدهم احزنهم اشد الناس مواخاة لهم فقال ومن الذين هادوا اي الذين عرفت قلوبهم

وكفرت السنتهم تبعا لمخالفة قلوبهم لما تعرف عنادا وطغيانا ثم اخبر عنهم بقوله سماعون اى متقبلون غاية التقبل لاجل
الرغبة للكذب اى من قوم من المنافقين يأتونك فينقلون عنك الكذب سماعون لقوم اخرين لصدق ثم وصفهم بقوله
لم يأتوك اى لغلبة البغض على نفاقهم يحرفون الكلم اى الذى يسمعونه عنك على وجه ينبيا لعون في تغييره واما له
بعد ان يقيسوا المعنيين المعبر والمعبر اليه واللفظين فلا يبعدوا به بل يأخذونه بالكلم عن حده وطرفه الى حد اخر قريب منه
جدا ولذلك اثبت الجار فقال من بعد اى يثبتون الا ماله من مكان قريب من مواضعه التى ازاله عن وجهه وذكر الضمير
لارادة الكلام لان المقصود بان يثبتا ولوه على غير تاويله او يثبتوا الفاظا قريبة منها فلا يبعد عنها المعنى جدا وهذا ادق
مكرا مما في النساء وهو من الحرف وهو الحد والطرف وانحرف عن الشى مال عنه قال الصغانى وتحريف الكلام عن مواضعه
تغييره وقال ابو عبد الله القزاز والتحريف التفعيل من انحرف عن الشى اذا مال ومعنى حرفت الكلام ازلته عن حقيقة ما
كان عليه في المعنى وابقيت له شبه اللفظ ومنه قوله تعالى يحرفون وذلك ان اليهود كانت تغير معانى التوراة بالاشباه
وفي الحديث يسلط عليهم طاعون يحرف القلوب اى يغيرها عن التوكل ويدعوهم الى الانتقال عن تلك البلاد وحكى حرفته
عن جهته اى بالتخفيف مثل حرفته والمحارفة المقايسة من الحراف وهو الميل الذى يقاس به الجراح انتهى فالاية من الاحتباك
حذف منها اولا الاتيان واثبت عدمه ثانيا للدلالة عليه وحذف منها ثانيا الصدق ودل عليه باثبات ضده الكذب في الاولى
ولما كان كانه قيل ما غرضهم باثبات الكذب وتحريف الصدق قال يقولون اى لمن توافقهم ان اوتيتم اى من اى موت كان هذا
اى المكذوب والمحرف فخذوه اى اعملوا به وان لم تؤتوه اى اتيتم غيره او سكت عنكم فاحذروا اى من ان تؤتوا غيره فتقبلوه
ولما كان التقدير فاولئك الذين اراد الله فتنتهم عطف عليه قوله ومن يرد الله اى الذى له الامر كله فتنته اى ان يحل به ما يميله
عن وجه سعادته بالكفر حقيقة او مجازا فلن تملك له من الله اى الملك الاعلى الذى لا كفؤ له شيئا اى من الاسعاد وان تملك
ذلك انت وانت اقرب الخلق الى الله فمن يملكه ولما كان هذا انتج لا محالة قوله اولئك اى البعداء من الهدى الذين لم يرد الله اى ذو
الذى لا راد لما يريده ولا فاعل لما لا يفعله فهذه اشد الايات على المعتزلة ان يطهر قلوبهم اى بالايمان والجملة كالعلة لقوله
فلن تملك له من الله شيئا ولما ثبت ان قلوبهم نجسة انتج ذلك قوله لهم في الدنيا خزى اى بالذل والهوان اما المنافقون
فباظهار الاسرار والفضائح الكبار وخوفهم من الاظهار واما اليهود فبالبيان انهم حرفوا وبدلوا وضرب الجزية عليهم وغير ذلك
من الصغار ولهم في الاخرة اى من بعد حشرهم فيها فلا دافع له بوجه عذاب عظيم اى لعظيم ما ارتكبوه من هذه المعاصى المتضاعفة
ولما ذكر التحريف ذكر اثره وهو الحكم به فقال مكررا لوصفهم زيادة في توبيخهم وتقبيح شأنهم سماعون اى هم في غاية الشهوة
والانهماك في سماعهم للكذب اكالون اى على وجه المبالغة للسحت اى الحرام الذى يسحت البركة اى يستأصلها وهو كل ما لا يحل
كسبه وذلك اخذهم الرشا ليحكموا بالباطل على نحو ما حرفوه وغيروه من كلام الله قال الشيخ ابو العباس المرسى ومن اثر من
الفقراء السماع لهواه واكل مما حرمه مولاه فقد اشبههم بنزعة يهودية فان المقوال يذكر بذكر العشق والمحبة والوجه وما عندهم
منها شئ لما كانوا ياخذون الرشوة ولا يقدرون على ابرام الحكم بما ارادوه فيطمعون في ان يفعلوا ذلك بواسطة ترافعهم
الى النبى صلى الله عليه وسلم فيترافعون اليه فان حكم بينهم بما ارادوا قبلوه واحتجوا على من لعله يخالفهم وان حكم بما لم يريدوه قالوا
ليس هذا في ديننا طمعا في ان يخليهم فلا يلزمهم بما حكم اعلمه الله تعالى بما يفعل في امرهم وحذره غوائل مكرهم فقال مفوضا
الخيرة اليه في امر المعاهدين الى مدة واما اهل الجزية فيجب الحكم بينهم اذا ترافعوا الى حاكمنا مسببا عن اكلهم الحرام وسماعهم الكذب
فان جاءوك اى طمعا في ان توتيهم ما حرفوا اليه الكلم فاحكم بينهم اى ان شئت بما انزل الله عليك من الحق او اعرض عنهم اى
كذلك ولما كان قوله وان دالا بعطفه على غير معطوف عليه ان التقدير فان حكمت بينهم لم ينفعوك شيئا ولا فبالك عليهم كان
وان تعرض عنهم اى الكفرة كلهم من المصارحين والمنافقين فلن يضروك شيئا اى لا عواصمك عنهم واستهانتك بهم
ولما كان هذا التخيير غير مراد الظاهر في جواز الحكم بينهم عند التنازع البتة وعدمه بل معناه عدم المبالاة بهم اعرض عنهم
او لا والحقيقته بيان ان العاقبة على تقديرى الفعل والترك علمه كيف يحكم بينهم فقال عاطفا على ما قدرته وان حكمت اى
فيهم فاحكم اى اوقع الحكم بينهم بالقسط اى العدل الذى ذكره الله على ان الاية ليست في اهل الكتاب والحكم في ترافع الكفار الينا
انهم ان كان منهم او من احدهم التزام لاحكامنا او منا التزام للذب عنهم وجب لقوله تعالى فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع
اهواءهم والا لم يجب ثم علل ذلك بقوله ان الله اى الذى له صفات الكمال يحب المقسطين اى الفاعلين للعدل السوى من
غير حيف اصلا ولما كان التقدير فكيف يحكمونك وهم يكذبونك ويدعون انك مبطل عطف عليه قوله متعجبا منهم موبخا لهم
وكيف يحكمونك اى في شئ من الاشياء وعندهم اى والحال انه عندهم التوراة ثم استأنف قوله فيها حكم الله اى الذى لا يدانى
عظمته عظمة وهو الذى كان معترفا في شرعهم انه لا يسوغ خلافه فان كانوا يعتقدون ذلك الى الان لم يجز لهم العدول اليك
على زعمهم وان كانوا لا يعتقدونه ولا يعتقدون ان حكمك هو الحق ولم يومنوا بك كانوا قد امنوا ببعض وكفروا ببعض ولما
كان الاعراض عن حكمه سبحانه عظيما وكان ذو قدر ممن يدعى انه مومن به بعيدا عظيما شديدا قال ثم يتولون اى يكلفون انفسهم
الاعراض عنه سواء اتاه بحكمك به اولا لاجل الاعراض لاتباع لما كان المراد بالحكم الجنس وكانوا يفعلون بعض احكام

فلم يستفيقوا زمان توليهم زمان البعد ادخل الجار لذلك فقال من بعد ذلك اى الامر العالى وهو الحكم الذى يعلمون انه
حكم الله فلم يبق تحكيمهم لك من ايمان بك الا تلاعبا ولما كان التقدير فما اولئك بالمريدين للحق في ترافعهم اليك عطف عليه
قوله وما اولئك اى البعداء من الله بالمؤمنين اى العريقين في صفة الايمان بكتابهم ولا بغيره مما يستحق الايمان به
لانهم لو كانوا عريقين في ذلك لامنوا بك لان كتابهم دعاهم اليك ولما تضمن هذا مدحهم التوراة صرح به فقال
تاكيدا لذمهم في الاعراض عما دعت اليه من اصل وفرع وتحذيرا من مثل حالهم انا انزلنا اى على ما لنا من العظمة التوراة
ثم استأنف قوله معظما لها فيها هدى اى كلام يهدى بما يدعو اليه الى طريق الجنة ونور اى بيان لا يدع لبسا ثم استأنف
المدح للعاملين بها فقال يحكم بها النبيون ووصفهم باعلى الصفات وذلك هو العناء المحض فقال نقال مادحا لا مقيدا
الذين اسلموا اى اعطوا انقيادهم لربهم سبحانه حتى لم يبق لهم اختيار اصلا وفيه تعريض بان اليهود بعداء من الاسلام والا
لاتبعوا انبياءهم فيه فكانوا يؤمنون بكل من قام الدليل على نبوته ولما كان من المعلوم ان حكمهم بامر الله لهم باتباع التوراة
وموافاتها علم ان التقدير بما استحفظوا من كتاب الله فحذف لدلالة ما ياتى عليه واشعار الاسلام به ثم بين المحكوم له تقييدا
به اشارة الى انه سينسخ فقال للذين هادوا اى لمن التزم اليهودية والربانيون اى اهل الحقيقة منهم الذين انسلخوا من
الدنيا وبالغوا فيما يوجب النسبة الى الرب والاحبار اى العلماء الذين اسلموا بما اى بسبب ما ولما كان سبب الملام امرهم
بالحفظ لكونه من الله بلا واسطة بنى للمفعول قوله استحفظوا اى الانبياء ومن بعدهم من كتاب الله اى بسبب ما طلب
منهم وامروا به من الحفظ لكتاب الذى له جميع صفات الكمال الذى هو صفته تعظيمه من عظمته وحفظه دراسته والعمل
بما فيه وكانوا اى وبما كانوا عليه شهداء اى رقباء حاضرين لا يغيبون عنه ولا يتركون مراعاته اصلا فالاية كما ترى من فن
الاحتباك ذكر اولا بما استحفظوا لدلالة ما ذكر هنا عليه وترك ذكر الاسلام هنا لدلالة ذكره اولا عليه وانما خص الاول
بذكر الاسلام لان الانبياء احق به وهو داع الى الحفظ قطعا وخص الثانى بالاستحفاظ لان الاتباع اولى به وهو دال على الاسلام
ولما كان هذا كله ذما لليهود بما تركوا من كتابهم ومدحا لمن راعاه منهم وكان الترك اما لرجاء او خوف قال مخاطبا لهذه الامة
كلها طائعها وعاصيها تحذيرا لها من مثل حالهم وترغيبا في مثل حال الانبياء والتابعين لهم باحسان مسببا عن ذلك فلا
تخشوا الناس اى في العمل بحكم من احكام الله واخشون اى فان ذلك حامل لكم على العدل والاحسان فمن كان مسلما طائعا
فليزدد طاعة ومن لم يكن كذلك فليبادر بالانقياد والطاعة وهذا شامل لليهود وغيرهم ولما قدم الخوف لانه اقوى ما ثبراه
اتبعه الطمع فقال ولا تشتروا ولما كان الاشتراء معناه اللجاجة في اخذ شئ بثمن وكان المثمن اشرف من الثمن من حيث انه
المرغوب فيه جعل الايات مثمنا وان اقترنت بالباء حتى يفيد الكلام التعجيب من الرغبة عنها وانها لا يصح كونها ثمنا فقال
باياتى ثمنا قليلا اى من الرشى وغيرها لتبدلوها كما بدل اهل الكتاب ولما نهى عن الامرين وكان ترك الحكم بالكتاب
اما لاستهانة او لخوف او رجاء او شهوة رتب ختام الايات على الكفر والظلم والفسق قال ابن عباس رضى الله عنهما من
جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق ولما كان التقدير فمن حكم بما انزل الله فاولئك هم المسلمون عطف
عليه ما افهمه من قوله ومن لم يحكم اى يوجد الحكم ويوقعه على وجه الاستمرار بما انزل الله اى الذى له الكمال كله فلا امر لاحد
معه تهاونا بالاعراض عنه اعم من ان يكون تركه حكما بغيره او لا فاولئك اى البعداء من كل خير هم الكافرون اى
المختصون بالعراقة في الكفر وهذه الايات من قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الى هنا نزلت في الزنا ولكن لما كان السياق
للمحاربة وكان كل من القتل وقطع الطريق والسرقة محاربة ظاهرة مع كونه فسادا صرح به ولما كان الزنا محاربة خفية له
بالنظر الى خشيته وحرمته وجره في بعض الصور الى المحاربة وغير محاربة بالنظر الى كونه في الغالب عن تراض وصاحبه
غير متزى بزى المحارب بين لم يصرح في هذه الاية باسمه وان كانت نزلت فيه روى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه
قال في خطبته ان الله بعث محمدا وانزل عليه كتابا وكان فيما انزل عليه اية الرجم فتلوناها ووعيناها الشيخ والشيخة اذا
زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وقد رجم رسول الله ورجمنا بعده الحديث وفي اخره ولولا انى اخشى
ان يقول الناس زاد في كتاب الله لاثبته في حاشية المصحف واصله في الصحيحين وغيرهما وللحاكم والطبرانى عن ابى امامة
بن سهل عن خالته العجماء رضى الله عنها بلفظ الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة وفي صحيح ابن حبان
عن ابى بن كعب رضى الله عنه انه قال لزر بن حبيش كم تعدون سورة الاحزاب من اية قال قلت ثلاثا وسبعين قال والذى
يحلف به كانت سورة الاحزاب توازى سورة البقرة وكان فيها اية الرجم الشيخ والشيخة الحديث وللشيخين البخارى في
مواضع ومسلم واحمد وابى داود وهذا لفظه والدارمى والترمذى في الحدود والنسائى في الرجم عن ابن عمر رضى الله عنهما
انه قال ان اليهود جاءوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكروا ان رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تجدون في التوراة في شان الزنا فقالوا نفضحهم ويجلدون وفي رواية فقال لا تجدون في التوراة الرجم فقالوا لا نجد فيها
شيئا فقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه كذبتم فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فاتوا بالتوراة فنشروها
فجعل احدهم وفي رواية مدراسها الذى يدرسها منهم يده على اية الرجم فجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله

عن عموم

ابن سلام ارفع يدك فرفعها فقال ما هذه فاذا فيها اية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها اية الرجم فامر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما قال عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما فرايت الرجل يحنا على المراة يقيها الحجارة وفي لفظ للبخاري في التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم ما تجدون في التوراة الرجم فقالوا لا نجد فيها شيئا فقال لهم عبد الله ابن سلام كذبتم فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وفي لفظ له في التوحيد وهو رواية احمد ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي قال فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ولابي داود عن ابن عمر ايضا رضي الله عنهما قال اتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القف فاتاهم في بيت المدراس فقالوا يا ابا القسم ان رجلا منا زنى بامراة فاحكم فوضعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فجلس عليها ثم قال ايتوني بالتوراة فاتي بها فنزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها ثم قال امنت بك وبمن انزلك ثم قال ايتوني باعلمكم فاتي بفتى شاب فذكر قصة الرجم نحو الذي قبله وسكت عليه ابو داود والحافظ المنذري في مختصره وسنده حسن ولمسلم وابي داود وهذا لفظه والنسائي وابن ماجة عن البرا ابن عازب رضي الله عنهما قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودي محمم قد عام فقال هكذا تجدون حد الزاني فقالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال نشدتك بالله الذي انزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم فقال اللهم لا ولولا انك نشدتني بهذا لم اخبرك نجد حد الزاني في كتابنا الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الرجل الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا نجتمع على شي نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد وتركنا الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله عز وجل يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا الى قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون في اليهود الى قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون في اليهود الى قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون قال هي في الكفار كلها يعني هذه الاية وروى الدارقطني في اخر النذور من السنن عن جابر رضي الله عنه قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي ويهودية قد زنيا فقال لليهود ما يمنعكم ان تقيموا عليهما الحد فقالوا كنا نفعل اذ كان الملك لنا فلما ان ذهب ملكنا فلا نجترئ على الفعل فقال لهم ايتوني باعلم رجلين فيكم فاتوه بابني صوريا فقال لهما انتما اعلم من وراكما قالا يقولون قال فانشدكما بالله الذي انزل التوراة على موسى كيف تجدون حدهما في التوراة فقالا الرجل مع المراة زنية وفيه عقوبة والرجل على بطن المراة زنية وفيه عقوبة فاذا شهد اربعة انهم راوه يدخل كما يدخل الميل في المكحلة رجم قال ايتوني بالشهود فشهد اربعة فرجمهما النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وهذه الاية ملتفتة الى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة الاية والتي بعدها اي التفات وذلك ان هولا لما تركوا هذا الحكم جرهم الى الكفر وليس في هذه الروايات كما ترى تقييد الرجم بالاحصان وكذا ظاهر ما هو موجود عندهم من التوراة قال في السفر الثالث وغيره ثم كلم الله موسى وقال له قل لبني اسرايل اي رجل من بني اسرايل ومن الذين يقبلون الي ويسكنون بين بني اسرايل القى زرعه في امراة غريبة يقتل ذلك الرجل قتلا يرجمه جميع الشعب بالحجارة وانا ايضا انزل غضبي بذلك الرجل واهلكه من شعبه لانه القى زرعه في غريبة واراد ان ينجس مقدسي وان ينجس اسمي قدسي فان غفل شعب الارض عن الرجل الذي القى زرعه في غريبه ولم يوجبوا عليه القتل انزل غضبي بذلك الرجل وبقبيلته واهلكه واهلك من يضل به لانهم ضلوا يتبعون غريبات ليس لهم بحلال ثم قال الرجل الذي ياتي امراة صاحبه وامراة رجل غريب يقتلان جميعا والرجل الذي يرتكب ذكرا مثله يرتكب منه ما يرتكب من النسا فقد ارتكبا نجاسة يقتلان ودمهما في اعناقهما والرجل الذي يتزوج امراة وامها فقد ارتكب خطية يحرق بالنار هو وهما والذي يرتكب من البهيمة ما يرتكب من النسا يقتل قتلا والبهيمة ترجم ايضا والمراة التي ترتد بين يدي البهيمة لترتكب منها البلا تقتل المراة والبهيمة جميعا يقتلان ودمهما في اعناقهما والرجل الذي ياتي امراة طامثا ويكشف عورتها قد كشف عن ينبوعها وهي ايضا كشفت عن ينبوع دمها يهلكان جميعا من شعبهما وقال والرجل الذي ياتي امراة ابيه قد كشف هذا عورة ابيه يقتلان جميعا ودمهما في اعناقهما والرجل الذي ياتي كنته يقتلان كلاهما لانهما ارتكبا خطية ودمهما في اعناقهما والرجل الذي يتزوج اخته من امه او من ابيه ويرى عورتها وترى عورته هذا عار شديد يقتلان قدام شعبهم وذلك لانه كشف عورة اخته يكون اثمهما في روسهما لا تكشف عورة عمتك ولا خالتك لانهما قرابتك ومن فعل ذلك يعاقب باثم فضيحته والرجل الذي ياتي امراة عمه قد كشف عورة عمه يعاقبان بخطيتهما ويموتان والرجل الذي يتزوج امراة اخيه فقد ارتكب اثما لانه كشف عورة اخيه يموتان بل وصرح برجم البكر فقال في السفر الخامس في من تزوج بكرا فادعى انه وجدها ثيبا وان كان قد انبا باها حقا ولم يجدها عذرا يخرج الجارية الى باب ابيها ويرجمها اهل القرية بالحجارة وتموت لانها ارتكبت حوبا بين بني اسرايل وزنت في بيت ابيها عز الشر عنكم وان وجد رجل يضطجع بامراة رجل يقتلان كلاهما الرجل والمراة جميعا بل صرح برجم البكر المكرهة فقال عقب ما تقدم وان كان لرجل خطيبة بكر ثم لقيها بعد فخرجت خارجا فظفر بها رجل وقهرها وضاجعها يخرجان جميعا ويرجمان حتى يموتا وانما تقتل الجارية

مع الرجل لانها لم تصرخ ولم تستغث انتهى فالاحاديث المقيدة بالاحصان في هذه القصة ينبغي ان تكون مرجوحة لانه روايتها ظنوا ان الحادثة الاسلامية شرع لهم ولما كان ختام هذه الايات في ترهيب المعرض عن الحكم بما انزل الله مطابقا لقوله في اول سياق المحاربة ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون رجع الى القتل مبينا انهم بدلوا في القتل كما بدلوا في الزنا ففضلوا بني النضير على بني قريظة فقال وكتبنا اي بما لنا من العظمة عليهم فيها اي التوراة عطفا على كتبنا على بني اسرايل انه من قتل نفسا بغير نفس واذا تمت النظر وجدت ما بينهما لشدة اتصاله وقوة الداعية اليه كانه اعتراض ان النفس اي مقتولة قصاصا مثلا بمثل بالنفس اي بقتل النفس بغير وجه مما تقدم والعين اي تقلع بالعين اذا قلعت بغير شبهة والانف يجدع بالانف كذلك والاذن تصلم بالاذن على ما تقدم والسن تقلع بالسن اذا قلعت عدا بغير حق والجروح اي التي تنضبط كلها قصاص مثلا بمثل سوا بسوا ولما اوجب سبحانه هذا رخص لهم في النزول عنه فتسبب عن ذلك قوله فمن تصدق به اي عفى عن القصاص ممن يستحقه سواكان هو المجروح ان كان باقيا او وارثه ان كان هالكا فهو اي التصدق بالقصاص كفارة له اي ستارة لذنوب هذا العافي ولم تجعل لهم دية انما هو القصاص او العفو لمن حكم بما انزل الله فاولئك هم المسلمون لانقيادهم في هذا الامر الصعب لامر الله ومن لم يحكم اي على وجه الاستمرار بما انزل الله اي الذي لا كفوله فلا امر لاحد معه لخوف او رجا او تدينا بالاعراض عنه سوا حكم بغيره او لا فاولئك اي البعدا عن طريق الاستقامة البغضا الى اهل الكرامة هم الظالمون اي الذين تركوا العدل فضلوا فضادوا لمن يمشي في الظلام فان كان تدينا بالترك كان نهاية الظلم وهو الكفر والا كان عصيانا لان الله احق ان يخشى ويرجى روى ابن اسحق في السيرة في تحاكمهم في الزنا نحو ما تقدم ثم قال وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الايات من المايدة التي قال الله فيها فاحكم بينهم او اعرض عنهم الى المقسطين انما نزلت في الدية بين بني النضير وبين قريظة كانوا يودون نصف الدية فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ذلك فيهم فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق في ذلك فجعل الدية سوا قال ابن اسحق فالله اعلم اي ذلك كان واخرجه النسائي في سننه من طريق ابن اسحق وروى من طريق اخر عن ابن عباس ايضا رضي الله عنهما قال كان قريظة والنضير وكان النضير اشرف من قريظة وكان اذا قتل رجل من قريظة رجلا من النضير قتل به واذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة ادى مائة وسق من تمر فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فقالوا ادفعوه الينا نقتله فقالوا بيننا وبينكم النبي فاتوه فنزلت وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط النفس بالنفس ثم نزلت افحكم الجاهلية يبغون انتهى وهذا نص ما عندهم من التوراة في القصاص قال في السفر الثاني وكل من ضرب رجلا فمات فليقتل قتلا واذا تشاجر رجلان فاصابا امراة حبلى فاخرجا جنينها ولم تكن الروح حلت في السقط بعد فليغرم على قدر ما يلزمه زوج المراة وليؤد ما حكم عليه الحاكم فان كان الروح حلت في السقط فالنفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن واليد باليد والرجل بالرجل والجراحة بالجراحة واللطمة باللطمة وقال في السفر الثالث بعد ذكر الاعياد في الاصحاح السابع عشر ومن قتل انسانا يقتل ومن قتل بهيمة يدفع الى صاحبها مثلها والرجل يضرب صاحبه ويوثر فيه اثرا يعاب به يصنع به كما صنع والجروح قصاص الكسر بالكسر والعين بالعين والسن بالسن كما يصنع الانسان بصاحبه كذلك يصنع به القضا واحد لكم وللذين يقبلون الي وقال في الثاني واذا ضرب الرجل عين عبده او امته فقفاها فليعتقه بدل عينه واذا قلع سن عبده او امته فليعتقه بدل سنه وذكر احكاما كثيرة ثم قال ومن ذبح للاوثان فليهلك بل لله وحده وقال في الرابع ومن يقتل نفسا لا يقتل الا ببينة عادلة ولا تقبل شهادة واحد على قتل النفس ولا تقبلوا رشوة في انسان يجب عليه القتل بل يقتل ولا تاخذوا منه رشوة ليهرب الى قرية الملجا ليسكنها الى وفاة الحبر العظيم ولا تنجسوا الارض التي تسكنونها لان الدم ينجس الارض والارض التي يسفك فيها الدم لا يغفر لتلك الارض حتى يقتل القاتل الذي قتل وقال في الخامس ولا يقتل من قد وجب عليه القتل الا بشهادة رجلين ولا يقتل بشهادة رجل واحد واذا رجمتم فالذي يشهد عليه فليبدا برجمه الشهود اولا ثم يبدا به جميع الشعوب واهلكوا الذين يعملون الشر استاصلوهم من بينكم وان شهد رجل على صاحبه شهادة زور يصنعوا به مثل ما اراد ان يصنع باخيه وحواشر من بينكم وعاقبوا بالحق ليسمع الذين يبقون فيفزعوا ولا يعودوا ان يعملوا مثل هذا الفعل القبيح بينكم ولا تشفق اعينكم على الظالم بل يكون قضاؤكم نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل ولما كانت هذه الايات كلها مع ما فيها من الاسرار دالة قصة ايضا لما ادعوه من النبوة بما ارتكبوه من الذنوب من تحريف كلام الله وسماع الكذب واكل السحت والاعراض عن احكام التوراة والحكم بغير ما حكم الله اتبعها بما اتى به عيسى عليه السلام الذي دعي فيه النفاذ للنبوة الحقيقية والشرك في الالهية وكذا في تصديق التوراة في الشهادة على من خالفها من اليهود بالشر ومن الله موكدا لما فيها من التوحيد الذي هو عماد الدين واعظم ابا تها التي اخذت عليهم بها العهود ووضعت في تابوت الشهادة مع الذي كانوا يقدمونه امامهم في الحروب فان كانوا ابا تين على ما فيه من الميثاق نصروا والا خذلوا ونا سخا الشر بعينهم مجازاة لهم من جنس ما كانوا يعملون من التحريف وشاهدا على من اطراه بالضلال فقال تعالى وقفينا اي اخرها وهكذا

كل ما بعدها من اياتهم الى اخر السورة لا تخلوا اية منها من التعرض الى نقض دعواهم هذا بذكر ذنب او ذكر عقوبة عليه او ذكر تكذيب
لهم من كتابهم او نبيهم والمعنى اوجدنا التقفية وهي اتباع شي لشي يتقدمه فيكون اتيا في قفاه لكونه وراه والقفاوة في مظهر
العظمة لتعظيم شان عيسى عليه السلام على اثارهم اي النبيين الذين يحكمون بالتوراة وذكر الاثر يدل على انهم كانوا قد تركوا
دينهم لم يبق منه الا رسم خفي بعيسى ونسبه الى امه اشارة الى انه لا والد له تكذيبا لليهود والى انه عبد مربوب تكذيبا للنصارى
فقال ابن مريم مصدقا اي عيسى عليه السلام في الاصول وكثير من الفروع لما بين يديه اي لما اتى به موسى عليه السلام قبله
من التوراة واشار الى انه ناسخ لكثير من احكامها بقوله واتيناه الانجيل اي انزلناه بعظمتنا عليه كما انزلنا التوراة على موسى عليه
السلام ولما كان في الانجيل المحكم الذي يفهمه كل احد والمتشابه الذي لا يفهمه الا الافراد من خلص العباد ولا يقف عند فهمه
عند حدوده الا المتقون قال مبينا لحاله فيه اي اتيناه اياه بعظمتنا كاينا فيه هدى اي وهو المحكم يهتدي به كل من سمعه الى صراط
مستقيم ونور اي حسن بيان كاشف للمشكلات لا يدع بذلك الصراط لبسا ولما كان الناسخ للشي بتغيير حكمه قد يكون ه
مكذبا له اعلم انه ليس كذلك بل هو مع النسخ للتوراة مصدق لها فقال مبينا لحال الانجيل عطفا على محل فيه هدى ومصدقا
اي الانجيل بكماله لما بين يديه ولما كان الذي نزل قبله كثيرا عين المراد بقوله من التوراة فالاول صفة لعيسى عليه السلام والثاني
صفة للكتاب بمعنى انه هو والتوراة والانجيل متصادقون فكل من الكتابين يصدق الاخر وهو يصدقهما لم يخالفوا في شي بل هو مخلوق بجميع ما
يصيبه ولما كان المتقون خلاصة الخلق فهم الذين يزلون كل ما في كتب الله من محكم ومتشابه على ما يحقق به انه هدى ويبطلون به المتشابه
والمحكم وكان قد بين ان فيه من الهدى ما يسهل به رد المتشابه اليه فصار بعد البيان كله هدى قال معمما بعد ذلك التخصيص وهدى
وموعظة للمتقين اي كل ما فيه يهتدون به ويتعظون فترق قلوبهم ويعتبرون به ويتنقلون مترقين من حال عالية الى حال اعلى
منها ذكر بعض ما يدل على ذلك من الانجيل الذي بين ظهراني النصارى الان وقد مزجت فيه كلام بعض الاناجيل ببعض واغلب المباني
وعبت بعض ما خالفه قال لوقا وجا اليه قوم واخبروه خبر الجليليين الذين خلط بيلاطس دماهم مع دما ذبايحهم فاجاب
يسوع وقال لهم لا تظنوا ان اوليك الجليليين اشد خطا من كل الجليليين اذ اصابتهم هذه الاوجاع لا اقول لكم ان لم تتوبوا
كلكم انتم تهلكون مثلهم وهولايك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج في سيلوحا وقتلهم اتظنون انهم اكثر جرما من جميع
سكان يروشليم كلا اقول لكم ان لم تتوبوا جميعكم تهلكون وقال لهم شجرة تين كانت لواحد مغروسة في كرمه جا يطلب فيها ثمرة
فلم يجد فقال للكرام هذه ثلاث سنين لي واطلب منها ثمرة فلا اجد اقطعها ليلا تبطل الارض فقال له يا رب دعها في هذه السنة
لا نكبها واصلحها لعلها تثمر في السنة الاتية فان اثمرت والا اقطعها قال متى ولما نزل من الجبل وتبعه جمع كثير واذا ابرص
قد جا فسجد له وقال ان شيت فانت قادر ان تطهرني فمد يده ولمسه وقال له قد شيت فاطهر وللوقت طهر برصه وقال له يسوع
لا تقل لاحد ولكن امض فار نفسك للكاهن وقدم قربانا كما امر موسى للشهادة عليهم وقال مرقس بشهادتهم قال لوقا فذاع
عنه الكلام وزادوا واجتمع جمع كثير ليسمعوا منه ويستشفوا من امراضهم واما هو فكان يمضي الى البرية يصلي هناك وقال متى
ولما دخل كفرناحوم جا اليه قايد ماية فطلب اليه قايلا يا رب فتاي ملقى في البيت مخلع وسقيم جدا فقال له اني اتي وابريه فاجاب
قايد الماية وقال يا رب لست مستحقا ان تدخل تحت سقف بيتي لكن قل كلمة فقط فيبرا فتاي لاني تحت سلطان ولي جند ان قلت
لهذا اذهب ذهب ولاخر ايت اتى ولعبدي اعمل هذا عمل فلما سمع يسوع تعجب وقال للذين يتبعونه الحق اقول لكم انني لم اجد مثل
هذه الامانة في اسرايل اقول لكم ان كثيرا ياتون من المشرق والمغرب وقال لوقا والشمال واليمين ويتكيون مع ابرهيم واسحق ويعقوب
قال لوقا وكل الانبيا في ملكوت الله وانتم خارجا ويكون الاولون اخرين والاخرون اولين وقال متى في ملكوت السموات وبنو الملكوت
يلقون في الظلمة البرانية الموضع الذي يكون فيه البكا وصرير الاسنان وقال يسوع لقايد الماية اذهب كما امنت يكون لك فبرا
الغلام في تلك الساعة وقال لوقا ولما اكمل جميع كلامه ودخل كفرناحوم وكان عبد لقايد الماية قد قارب الموت وكان كريما عنده
فلما سمع بيسوع ارسل الى شيوخ اليهود يسلونه المجي ليخلص عبده فلما جاوا الى يسوع طلبوا منه باجتهاد وقالوا انه مستحق ان
تفعل معه هذا لانه يحب امتنا وهو بنى لنا الكنيسة فمضى يسوع معهم وفيما هو قريب من البيت ارسل اليه قايد الماية اصدقاه
قايلا يا رب لا تتعب فاني لا استحق ان تدخل تحت سقف بيتي من اجل ذلك لم استحق ان اجي انا اليك لكن قل كلمة فيبرا الا ني رجل ذو سلطان
وتحت يدي جند فاقول لهذا امض فيمضي ولاخر ايت فياتي فلما سمع يسوع هذا تعجب منه والتفت الى الجمع الذي يتبعه وقال الحق اقول
لكم اني لم اجد في اسرايل مثل هذه الامانة فرجع المرسلون الى البيت فوجدوا المريض قد برا وفي غد كان يسوع ماضيا الى مدينة
اسمها نايين وتبعه تلاميذه اجمع وجمع كبير فلما قرب من باب المدينة اذا محمول قد مات وحيد لامه وكانت ارملة وجمع كبير من اهل
المدينة معها فلما راها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكي وتقدم ولمس النعش فوقف الحاملون له وقال له ايها الشاب لك اقول
قم واجلس فجلس الميت وبدا يتكلم ودفعه لامه وخافهم خوف ومجدوا الله قايلين لقد قام فينا نبي عظيم وتعاهد الله شعبه
بصلاح فذاع هذا الكلام في كل اليهودية وكل الكور التي حولها قال متى وجا يسوع الى بيت بطرس فنظر الى حماته ملقاة بحمى
وقال مرقس وجا الى بيت سمعان واندراوس مع يعقوب ويوحنا فراى حماة سمعان في حمى شديدة فقالوا له من اجلها فتقدم
وامسك بيدها واقامها وقال متى فلمس يدها فتركتها الحمى وقامت تخدمهم وقال لوقا وفي الوقت تخدمهم فلما كان المسا

قال مرقس عند غروب الشمس قدموا اليه مجانين كثيرا قال مرقس ووقف جميع اهل المدينة على الباب وابرا
كثيرا ممن به علة رديه واخرج شياطين كثيرا وقال متى وكان يخرج الارواح بكلمة وابرا كل سقيم لكي يتم ما قيل في اشعيا
النبي القايل انه اخذ امراضنا وحمل اوجاعنا وسحرا جدا قام وخرج الى البرية ليصلي هناك وشمعون ومن معه يطلبونه
فلما وجدوه قالوا له ان الجمع يطلبك فقال لهم سيروا بنا الى القرى والمدينة القريبة لنكرز فاني لهذا اوتيت
فاقبل يبشر في مجامعهم في كل الجليل ويخرج الشياطين وقال لوقا وفي غد اليوم خرج وذهب الى موضع قفر والجمع يطلبونه
وجاوا اليه وامسكوه ليلا يمضي من عندهم فقال لهم انه ينبغي ان ابشر في المدن الاخر بملكوت الله لاني لهذا ارسلت
وكان يكرز في مجامع الجليل وكان لما اجتمع اليه جمع ليسمعوا كلام الله كان هو واقفا على بحيرة جناشر فراى سفينتين
موقفتين على شاطي البحيرة والصيادون قد صعدوا عليها ليغسلوا شباكهم فصعد الى احداهما التي لسمعان وامره ان
يبعدها عن الشط قليلا وجلس يعلم في الجمع من السفينة ولما اكمل كلامه قال لسمعان تقدم الى اللج والقوا شباككم
فقال يا معلم قد تعبنا الليل اجمع ولم ناخذ شيا وبكلمتك نحن نلقي شباكنا ولما فعلوا ذلك اخذوا سمكا كثيرا وكادت
شباكهم تتخرق فاشاروا الى شركايهم في السفينة الاخرى ليا توا يعينوهم فلما جاوا املاوا السفينتين حتى كادتا ان
تغرقا فلما راى سمعان ذلك خر عند قدمي يسوع وقال له ابعد عني يا سيدي لاني رجل خاطي لان الخوف عراه وكل من معه
لاجل صيد الحيتان التي اصطادوا وكذلك يعقوب ويوحنا ابنا زبدي اللذان كانا صديقي سمعان فقال يسوع لسمعان
لا تخف من الان تكون صيادا تصيد الناس وقربوا السفن الى الشط وتركوا كل شي وتبعوه وقال متى فلما نظر يسوع
الى الجمع الذين حوله امر ان يذهبوا الى العبر فجا اليه كاتب وقال له يا معلم اتبعك الى حيث تمضي فقال له يسوع ان للثعا
لب اجحارا ولطير السما اوكارا فاما ابن الانسان فليس له موضع يسند راسه قال لوقا وقال لاخر اتبعني فقال يا رب ايذن لي
ان امضي ولا ادفن ابي فقال له يسوع اتبعني ودع الموتى يدفنوا موتاهم وقال لاخر فقال بل تاذن لي اولا ان ارتب اهل
بيتي فقال ما من احد يضع يده على سكة العذاب وينظر الى ورايه يستحق ملكوت الله وقال متى فلما صعد السفينة
تبعه تلاميذه وقال لوقا صعد السفينة هو وتلاميذه وقال لهم امضوا بنا الى عبر البحيرة فساروا وفيما هم سايرون نام
واذا اضطراب عظيم كان في البحر حتى كادت الامواج تغطي السفينة لان الريح كانت مضادة لهم وهو نايم فتقدم اليه
تلاميذه وقالوا يا رب وقال مرقس وكانت رياح عواصف عظيمة وكانت الامواج تضرب السفينة وتدخلها المياه
حتى كادت تمتلي وهو نايم في موخرها على وسادة فايقظوه وقالوا له يا معلم نجنا اننا هلكنا فقال لهم ما خافكم يا قليلي
الامانة حينيذ قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوا عظيما ثم قال متى فلما صعد السفينة وجا الى العبر ودخل مدينته
قدموا اليه مخلعا ملقى على سرير وفي انجيل مرقس ولوقا انهم ارادوا الدخول به اليه فلم يقدروا لكثرة الجمع فصعدوا
الى السطح ودلوه بسريره اليه حينيذ قال للمخلع قم احمل سريرك واذهب الى بيتك فقام ومضى الى بيته فنظر
الجمع وتعجبوا ومجدوا الله الذي اعطى هذا السلطان هكذا للناس وقال يوحنا في انجيله وبعد هذا كان عيد اليهود
فصعد يسوع الى يروشليم وكان هناك بيروشليم مكان يسمى بالعبرانية بيت الرحمة وكان فيه خمسة اروقة
وكان خلق كثير من المرضى مطرحين فيها وعمي ومقعدون وجافون فكانوا ينتظرون تحريك الما لان ملاكا كان ينزل
الى الصبغة في حين بعد حين وكان يحرك الما والذي كان ينزل فيه اولا من بعد حركة الما يبرا من كل الوجع الذي به وكان
هناك رجل سقيم منذ ثمان وثلاثين سنة فنظر اليه يسوع ملقى فقال له اتحب ان تبرا فقال نعم يا سيدي ولكن
ليس لي انسان اذا تحرك الما يلقيني في البركة اولا فالى ان اجي انا ينزل قدامي اخر فقال له اليهود انه يوم سبت
ولا يحل ان تحمل سريرك فاجابهم الذي ابراني هو قال لي احمل سريرك وامش فسالوه من هو فلم يكن يعلم من هو لان
يسوع كان قد استتر في الجمع الكثير الذي كان في ذلك الموضع ثم قال لهم يسوع لقد عملت عملا واحدا فتعجبتم له
باجمعكم اعطاكم موسى الختان وليس هو من موسى لكنه من الابا وقد تختنون الانسان يوم السبت ليلا تنقضوا
سنة موسى فلم تتذمرون علي لاني ابرات الانسان يوم السبت لا تحكموا بالمحاباة لكن احكموا حكما عدلا ثم قال فبينما
هو مار راى رجلا ولد اعمى فقال تلاميذه يا معلم من اخطا هذا ام ابوه حتى انه ولد اعمى فقال لا هو ولا ابوه ولكن
لتظهر اعمال الله فيه ينبغي ان اعمل اعمال من ارسلني ما دام النهار وسياتي الليل الذي لا يستطيع احد يعمل فيه عملا
ما دمت في العالم انا نور العالم قال هذا وتفل على التراب وصنع من تفله طينا وطلى به عيني ذلك الاعمى وقال
له امض واغتسل في عين سيلوحا التي تاويلها المبعوثة فمضى واغتسل فعاد يبصر فاما جيرانه والذين كانوا
يرونه يتسول فقالوا اليس هو هذا الذي كان يجلس ويتسول واخرون قالوا انه هو واخرون قالوا انه يشبهه فاما
هو فكان يقول اني انا هو فقالوا له كيف انفتحت عيناك فقص عليهم فقالوا اين هو ذاك فقال ما ادري فاتوا به
الى الفريسيين لان يسوع صنع الطين يوم السبت فساله الفريسيون فاخبرهم فقال قوم منهم ليس هذا الرجل
من الله اذ لا يحفظ السبت واخرون قالوا كيف يقدر رجل خاطي ان يعمل هذه الايات فوقع بينهم لذلك شقاق فقالوا

للاعمى ما تقول انت من اجله قال لهم انه نبي ولم يصدق اليهود انه كان اعمى حتى دعوا ابويه وسالوهما فقالا نحن نعلم ان هذا ولدنا وانه ولد اعمى وبعد بين الاعمى وبينهم محاورة كانت اخرها قالوا له انت ولدت بالخطايا وانت تعلمنا واخرجوه وقال متى واجتاز يشوع هناك فراى انسانا جالسا على المكس اسمه متى فقال له اتبعني فقام وتبعه وقال لوقا وبعد هذا خرج فنظر الى عشار اسمه لاوى جالسا على المكس فقال له اتبعني فترك كل شيء وقام وتبعه وصنع له لاوى في بيته وليمة عظيمة وكان جمع كثير من العشارين واخرون متكئين معه وقال مرقس ثم خرج الى شاطئ البحر واجتمع اليه جمع كثير وعلمهم وعند مضيه راى لاوى بن حلفا جالسا على العشارين فقال له اتبعني فقام وتبعه وبينما هو متكئ في بيته وقال متى وبينما هو متكئ في بيت سمعان جا عشارون وخطاة كثيرون فاتكاوا مع يشوع وتلاميذه فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه لما ذا معلمكم ياكل مع العشارين والخطاة فلما سمع يشوع قال لهم الاصحا لا يحتاجون الى طبيب لكن ذووا الاسقام اذهبوا فاعلموا اني ما هو اريد رحمة لا ذبيحة لم ات لادعوا الصديقين لكن الخطاة للتوبة وقال لوقا وطلب اليه واحد من الفريسيين ان ياكل معه فدخل بيت ذلك الفريسي وجلس وكان في تلك المدينة امراة خاطية فلما علمت انه متكئ في بيت ذلك الفريسي اخذت قارورة طيب ووقفت من ورايه عند رجليه باكية وبدات بل قدميه بدموعها ومسحها بشعر راسها وكانت تقبل قدميه وتدهنهما بالطيب فلما راى ذلك الفريسي الذي دعاه تفكر في نفسه قايلا لو كان هذا نبيا علم ما هذه وانها خاطية فاجاب يشوع وقال له يا سمعان غريمان عليهما لانسان دين على احدهما خمسماية دينار وعلى الاخر خمسون ولم يكن لهما ما يوفيان فوهب لهما فايهما اكثر حبا له فقال اظن الذي وهب له الاكثر فقال له بالحق حكمت ثم التفت الى المراة وقال يا سمعان دخلت بيتك فلم تسكب على رجلي ما وهذه بلت رجلي بالدموع ومسحتهما بشعر راسها انت لم تقبلني وهذه منذ دخلت لم تكف من تقبيل قدمي انت لم تدهن راسي بزيت وهذه دهنت بالطيب قدمي لاجل ذلك اقول لك ان خطاياها مغفورة لها لانها احبت كثيرا ثم قال لها اذهبي بسلام ايمانك خلصك وكان بعد ذلك يسير الى كل مدينة ويكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر ونسوة كن ابراهن من الامراض والارواح الخبيثة مريم التي تدعى المجدلانية التي اخرج منها سبعة شياطين ويونا امراة خوزي خازن هيرودس واخر كثيرات وقال متى حينيذ جا اليه تلاميذ يوحنا قايلين لما ذا نحن والفريسيون نصوم كثيرا وتلاميذك لا يصومون فقال لهم يشوع لا يستطيع بنوا العرس ان ينوحوا ما دام العريس معهم وستاتي ايام اذا ارتفع العريس عنهم حينيذ يصومون ليس احد ياخذ خرقة جديدة يجعلها في ثوب بال لانها تاخذ ملاها من الثوب فيصير الخرق اكبر وقال مرقس انه لا يرقع انسان ثوبا باليا بخرقة جديدة الا مد الجديد البالي فيخرقه وقال متى ولا يجعل خمر جديدة في زقاق عتق فتنشق الزقاق وتهلك ويهراق الخمر لكن تجعل خمر جديدة في زقاق جدد فيتحفظان جميعا قال لوقا وما من احد يشرب قديما فيحب الجديد للوقت لانه يقول ان القديم اطيب وقال متى وفيما هو يكلمهم واذا رييس قد جا اليه ساجدا قايلا ان ابنتي ماتت الان تاتي فتضع يدك عليها فتحيى فقام يشوع وتبعه تلاميذه واذا امراة بها نزيف دم منذ اثنتي عشرة سنة قال مرقس عيت من الاطبا انفقت كل مالها لم تجد راحة بل تزداد وجعا فلما سمعت بيشوع قال متى جات من خلفه ومست طرف ثوبه فالتفت يشوع فراها فقال لها ثقي يا ابنة ايمانك خلصك فبرات المراة في تلك الساعة وجا يشوع الى بيت الرييس قال مرقس ولم يدع احدا يتبعه الا بطرس ويعقوب ويوحنا اخا يعقوب انتهى فنظر الى الجمع مضطربين فقال لهم اخرجوا لم تمت الجارية لكنها نايمة فضحكوا منه فلما خرج الجمع دخل وامسك بيدها فقامت الجارية وقال مرقس واخرج جميعهم واخذ معه ابا الصبية وامها والذين معه ثم دخل الى الموضع الذي فيه الصبية موضوعة واخذ بيدها وقال لها طليثا قوم الذي تاويله يا صبية لك اقول قومي فللوقت قامت الصبية ومشت وكان لها اثنتا عشرة سنة فبهتوا وعجبوا عجبا عظيما فامرهم كثيرا ان لا يعلموا احدا بهذا وقال اطعموها تاكل وقال متى وخرج خبرها في جميع تلك الارض ولما كان التقدير انبئناه ذلك ليتمنى اهل التوراة عما نسخه منها عطف عليه قوله **وليحكم** في قراة حمزة بكسر اللام والنصب والتقدير على قراة الجماعة بالاسكان والجزم فليتبعه اهل التوراة عما نسخ منها وليحكم **اهل الانجيل** وهم اتباع عيسى عليه السلام **بما انزل الله** اى الواحد الاحد الذي له جميع صفات الكمال **فيه** من الدلايل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن غير ذلك مما اودعناه اياه من الاحكام والمواعظ الجسام ولما كان التقدير فمن انتهى فاوليك هم المسلمون ومن حكم بما انزل الله فيه فاوليك هم المفلحون عطف عليه قوله **ومن لم يحكم بما انزل الله** اى الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه فله كل شيء وليس لاحد معه شيء وكل شيء اليه مفتقر ولا افتقار له الى شيء فيه او في غيره وهو غير منسوخ تكذيبا بتركه او لشهوة داعية **فاوليك** اى البعدا عن كل خير البغضا **هم الفاسقون** اى المختصون بكمال الفسق فان كان تكذيبا كان كفرا وان كان لاتباع الشهوات كان مجرد معصية لان الحظوظ والشهوات تحمل على الخروج من دايرة الشرع مرة بعد اخرى لمن تولى الحكم تكذيبا فقد جمع الدركات الثلاث ستر الدلايل فسقط من درجة النور الى دركة الظلام فانكب في مهواة الخروج من المحاسن فانحط الى قبح المساوى والتعبير بالوصف المودن بالعراقة في ماخذ الاشتقاق معلم بان المراد بكل واحد منها الكفر فحقق ان المراد منه الشرعي لا مطلق الستر غاية التحقيق فبين بوصفه بالظلم انه ستر لما ينبغي اظهاره وبالفسق انه ابلغ من كونه في غير موضعه النهاية حتى خرق جميع دايرة الماذون فيه فخرج منها وهذا اشارة

الى ذنوب اهل الانجيل لينتج نقض دعواهم النبوة والمحبة لان المعنى ومن لم يحكم بكتابك الذي جعل مهيمنا على جميع الكتب ثم خالفوا احكامه فهم فاسقون اى خارجون عما من شانه الاستقرار فيه لتفصحه فتوافقون في الظلمة الموجبة لوضع الشي في غير موضعه المقتضية للتغطية والستر وقدم الوصف بالكفر لان السياق لمن حرف الكلم عن مواضعه وغير ما كتب من محكم احكام التوراة من الحدود وذلك هو التغطية التي هي معنى الكفر لانه من الخلا كما ان الفسق سبب الظلم لانه الخروج عما من شانه النفع فكان الاخر اولى بالمعنى والاول نهاية في الحقيقة والاية دالة على ان فيه احكاما وكذا قوله تعالى في ال عمران ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وهذا هو الحق فاعظم ما غير تحريم السبت الذي كان اعظم شعايرهم فاظهر وغير ايضا غير ذلك من احكامهم قال فيما رايته في ترجمة انجيل متى سمعتم ما قيل للاولين لا تقتل فان من قتل وجب عليه لايمة الجماعة ومن قال لاخيه احمق فقد وجب عليه نار جهنم ان انت قدمت قربانك على المذبح وذكرت هناك ان اخاك واجد عليك فدع قربانك هناك قدام المذبح وامض ولاه وصالح اخاك وحينيذ فات وقدم قربانك كن منفقا مع خصمك سريعا ما دمت معه في الطريق ليلا يسلمك الخصم الى الحاكم والحاكم الى المستخرج وتلقى في السجن وفي انجيل لوقا اذا رايتم سحابة تطلع من الغرب قلتم ان المطر ياتي فيكون كذلك واذا هبت ريح الجنوب قلتم سيكون حر يا مراون تحسنون تمييز وجه السما والارض وهذا الزمان كيف تميزونه ولا تحكمونه بالصدق من قبل نفوسكم لانك اذا ذهبت مع خصمك الى الرييس فاعطه ما يجب عليك في الطر تتخلص منه ليلا يذهب بك الى الحاكم فيدفعك الحاكم الى المستخرج ويلقيك المستخرج في السجن وقال متى الحق اقول لك انك لا تخرج من هناك حتى توفي اخر فلس سمعتم ما قيل للاولين لا تزن وانا اقول لكم ان كل من نظر الى امراة واشتهاها فقد زنى بها في قلبه ان شككتك عينك اليمنى فاقلعها والقها لانه خير لك ان تهلك احد اعضايك ولا يلقى جسدك كله في جهنم قيل ان من طلق امراته فليدفع لها كتاب الطلاق وانا اقول لكم ان من طلق امراة من غير علة زنا فقد جعلها زانية ومن تزوج مطلقة فقد زنى وايضا سمعتم ما قيل للاولين لا تحنث في يمينك واوف الرب قسمك وانا اقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسما لانها كرسي الله ولا بالارض لانها موطى قدميه ولا بيروشليم فانها مدينة الملك العظيم ولا براسك لانك لا تقدر تضع شعرة بيضا او سودا ولكن كلمتك نعم نعم ولا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير سمعتم ما قيل العين بالعين والسن بالسن وانا اقول لكم لا تقاوموا الشرير ولكن من لطمك على خدك الايمن فحول له الاخر ومن اراد خصومتك واخذ ثوبك فدع له رداك ومن سخرك ميلا فامض معه اثنين قال لوقا وكل من سالك فاعطه ومن اراد ان يقترض منك فلا ترده ولا تطلب من الذي ياخذ مالك وكما تحبون ان يصنع الناس بكم كذلك فاصنعوا انتم بهم وقال متى سمعتم ما قيل احب قريبك وابغض عدوك وانا اقول لكم حبوا اعداكم وباركوا لاعنيكم واحسنوا الى من يبغضكم وقال لوقا بمبغضيكم وصلوا على من يطردكم ويجربكم لكيما تكونوا بني ابيكم الذي في السموات لانه المشرق شمسه على الاخيار والاشرار والممطر على الصديقين والظالمين واذا احببتم من يحبكم فاي اجر لكم اليس العشارون يفعلون مثل ذلك وان سلمتم على اخوتكم فقط فاي فضل عملتم اليس كذلك يفعل العشارون وقال لوقا لانتم انما تحبون من يحبكم فاي اجر لكم ان الخطاة يحبون من يحبهم وان صنعتم الخير مع من يحسن اليكم فاي فضل لكم ان الخطاة هكذا يصنعون وان كنتم لا تقرضون الا من تظنون انكم تاخذون منه العوض منه فاي فضل لكم الخطاة ايضا يقرضون الخطاة لكي ياخذوا منهم العوض لكن حبوا اعداكم واحسنوا اليهم وكونوا رحما مثل ابيكم فهو روف وقال متى كونوا انتم كاملين مثل ابيكم السماي فهو كامل ثم قال في الفصل الثاني والثلاثين وفي ذلك الزمان مر يشوع في سبت بالزروع وجاع تلاميذه فبداوا يفركون سنبلا وياكلون وفي لوقا كان تلاميذه يقطعون السنبل ويفركون بايديهم وياكلون فلما ابصرهم الفريسيون قالوا له ما هوذا تلاميذك يعملون ما لا يحل في السبت وفي لوقا لما ذا يعملون ما لا يحل ان يفعل في السبوت فقال لهم اما قراتم ما صنع داود لما جاع هو والذي معه كيف دخل الى بيت الله واكل خبز التقدمة الذي لا يحل اكله الا للكهنة قال مرقس واعطى الذين كانوا معه ثم قال لهم السبت من اجل الانسان كان ولم يخلق الانسان من اجل السبت قال متى اوما قراتم في الناموس ان الكهنة في السبت في الهيكل يخسون السبت وليس عليهم جناح اقول لكم ان ههنا اعظم من الهيكل لو كنتم تعلمون ما هو مكتوب في اريد الرحمة لا الذبيحة لم تحكموا على من لا ذنب له وقال لوقا ودخل بيت احد رؤسا الفريسيين في سبت ليا كل خبزا وهم كانوا يرصدونه واذا انسان به استسقا فقال يشوع للكهنة والفريسيين هل يحل ان يبرا في السبت فسكتوا فاخذه وابراه ثم قال لهم من منكم يقع ابنه في بير يوم السبت ولا يصعده في الوقت فلم يقدروا ان يجيبوه عن هذا ثم قال متى فجا الفريسيون يجربونه قايلين هل يحل للانسان ان يطلق امراته لاجل كل علة اجاب ما قراتم ان الذي خلق في البدء خلقهما ذكرا وانثى من اجل ذلك يترك الانسان اباه وامه ويلصق بامراته ويكونان كلاهما جسدا واحدا وليس هما

ابنين لكن جسدا واحدا وما زوجه الله لا يفرقه الانسان وقال مرقس لا يقدر انسان يفرقه قالوا له لماذا امر موسى ان يعطى
كتاب الطلاق ويخلى قال لهم موسى من اجل قسوة قلوبكم اذن لكم ان تطلقوا نساكم وفي مرقس ثم لما سالوه قال لهم بماذا اوصا
موسى قالوا امران يكتب كتاب الطلاق ويخلى قال لهم يسوع من اجل قسوة قلوبكم كتب لكم موسى هذه الوصية من البدء لم يكن
هكذا واقول لكم من طلق امراته من غير زنى فقد الجاها الى الزنا ومن تزوج مطلقة فقد زنى وفي انجيل مرقس وفي البيت ايضا
ساله التلاميذ عن هذا فقال لهم من طلق امراته وتزوج اخرى فقد زنى عليها وان هي خلت زوجها وتزوجت اخر فهي زانية وفي
لوقا كل من يطلق امراته ويتزوج اخرى فهو يزني وكل من تزوج مطلقة من زوجها فهو يزني قال متى فقال له التلاميذ ان كان
هكذا علة الرجل مع امراته فخير له ان لا يتزوج فقال لهم ما كل احد يستطيع هذا الكلام الا الذين قد اعطوا لان خصيان ولدوا من بطون
امهاتهم وخصيان اخصاهم الناس وخصيان اخصوا نفوسهم من اجل ملكوت السموات ومن يستطيع ان يحتمل فليحتمل ولما ذكر
سبحانه الكتابين ذكر ختامهما وتمامهما وهو ما انزل الى هذا النبي الامي من القرآن الشاهد على جميع الكتب التي قبله فقال تعالى
وانزلنا اي بعظمتنا اليك خاصة الكتاب اي الكامل في جمعه لكل ما يطلب منه وهو القرآن بالحق اي الكامل الذي لا يحتاج الى
شيء يتمه ثم مدحه بمدح الانبياء الذين تقدموه فقال مصدقا لما بين يديه اي تقدمه ولما كانت الكتب السماوية من شدة تصادقها
كالشيء الواحد عبر بالمفرد لافادته ما يفيد الجمع وزيادة دلالة على ذلك فقال من الكتاب اي الذي جاء به الانبياء من قبل ومهيمنا
اي شاهدا حفيظا مصدقا وامينا رقيبا عليه اي على كل كتاب تقدمه كما قاله البخاري في اول الفضائل من الصحيح عن ابن عباس
رضي الله عنهما وفي هذه الصفة بشارة بحفظه سبحانه لكتابنا حتى لا يزال بصفة الشهادة فان الله تعالى استحفظهم كتبهم فحرفوا
عنها فحرفوها وحرفوهم واسقط منها ما سرقوه فتكفل هو سبحانه بحفظ كتابنا فكان فيما عليها فما كان فيها موافقا له فهو حق وما كان فيها
مخالفا فهو اما منسوخ او مبدل فلا يعتبر بل يحكم بما في كتابنا لانه ناسخ لجميع الكتب والاتي مرسل الى جميع العالمين فملته ناسخة
لجميع الملل فانتج هذا وجوب الحكم بما فيه على الموالف والمخالف بشرطه فلذا قال مسببا عما قبله فاحكم بينهم اي بين جميع اهل
الكتب وغيرهم من باب الاولى بما انزل الله اي الملك الذي له الامر كله اليك في هذا الكتاب الناسخ لكتبهم المهيمن عليها في اثبات
ما اسقطوه منها من امرهم باتباعك ونحو ذلك من وصافك ولا تتبع اهواءهم فيما خالفه منحرفين عما جاءك وبينه بقوله
من الحق ولما كان كل من كتابهم من عند الله كان كانه قيل كيف يكون الحكم بكتابهم الذي يصدقه كتابنا انحرافا عن الحق فعلل ذلك
دالا على النسخ بقوله لكل اي لكل واحد جعلنا اي بعظمتنا التي تفعل بها ما نشاء من نسخ وغيره ثم خصص الابهام بقوله منكم اي
يا اهل الكتب شرعة اي دينا موصلا الى الحياة الابدية كما ان الشريعة موصلة الى الماء الذي به الحياة الدنيوية ومنهاجا
اي طريقا واضحا مستنيرا ناسخا لما قبله وقد جعلنا شريعتك ناسخة لجميع الشرائع وهذا وامثاله مما يدل على ان كل
مشروع مختص بشرع وغير متعبد بشرع من قبله محمول على الفروع وما دل على الاجتماع كاية شرع لكم من الدين محمول
على الاصول ولو شاء الله اي الملك الاعظم المالك المطلق الذي له التصرف التام والامر الشامل العام ان يجمعكم على شيء واحد
لجعلكم امة اي جماعة متفقة يوم بعضها بعضا وحقق المراد بقوله واحدة اي على دين واحد ولم يجعل شيئا من الكتب
ناسخا لشيء من الشرائع لان الكل بمشيئته ولا مشيئة لاحد سواه الا بمشيئته ولكن لم يشا ذلك بل شا ان تكونوا على شرائع
مختلفة ليبلوكم اي يعاملكم معاملة المبتلي المختبر فيما اتاكم اي اعطاكم وقسم بينكم من الشرائع المختلفة ليبرز الى الوجود
ما تعلمونه في ذلك من اتباع واذعان اعتقادا ان ذلك مقتضى الحكمة الالهية فترجعون عنه اذا قامت البراهين بالمعجزات على
صدق ناسخه ونهضت الادلة البينات على صحة دعواه بعد طول الالف له واخلاد النفوس اليه واستحكامه بمرور الاعصار
وتقلب الادوار او زيغ وميل اتهاما وتحيرا كما فعل اول المتكبرين ابليس فتوثرون الركون اليه والعكوف عليه لمتابعة الهوى
والوقوف عند مجرد الشهوة ولما كان في الاختبار اعظم تهديد تسبب عنه قوله فاستبقوا الخيرات اي افعلوا في المبادرة
اليها بغاية الجهد فعل من يسابق شخصا يخشى العار بسبقه له ثم علل ذلك بقوله الى الله اي الشارع لذلك لا الى غيره لانه
الملك الاعلى مرجعكم جميعا وان اختلفت شرائعكم حسا في القيمة ومعنى في جميع اموركم في الدارين فينبئكم اي يخبركم
اخبارا عظيما بما كنتم اي بحسب اختلاف الجبلات ولما كان في تقديم الظرف ابهام وكان الافهام تجد الابهام او تقع
النفس قال فيه تختلفون اي تجددون الخلاف مستمرين عليه ويعطي كلا ما يستحقه ويظهر سر الاختلاف وفائدة له
الوفاق والائتلاف ولما كان الامر بالحكم فيما مضى لكونه مسببا عما قبله من انزال الكتاب على الاحوال المذكورة اعاد الامر
به سبحانه مصرحا بذلك لذاته لا لشيء اخر ليكون الامر به موكدا غاية التاكيد بالامر به مرتين مرة لان الله امر به واخرى
لانه على وفق الحكمة فقال تاكيدا له وتنويها بتعظيم شانه وتحذيرا من الاعداء فيما يلقونه من الشبه للصد عنه وان اي
احكم بينهم بذلك لما قلنا من السبب وما ذكرنا من العلة في جعلنا لكل دينا ولانا قلنا امرين لك ان احكم بينهم اي
اهل الكتب وغيرهم بما انزل الله اي المختص بصفات الكمال لانه يستحق ان يتبع امره لذاته وبين مخالفتهم له
واعراضهم عنه انما هو مجرد هوى لان كتابهم داع اليه فقال ولا تتبع اهواءهم اي في عدم التعبد به واحذرهم ان
يفتنوك اي يخالطوك بكذبهم على الله وافترائهم وتحريفهم الكلم ومرائهم مخالطة تميلك عن بعض ما انزل الله

اليك اي الذي لا اعظم منه فلا وجه اصلا للعدول عن امره اليك فان تولوا اي كلفوا انفسهم الاعراض عما حكمت به بينهم مضادا
لما دعت اليه الفطرة الاولى من اتباع الحق ودعت اليه كتبهم من اتباعك فاعلم انما يريد الله اي الذي له جميع العظمة ان يصيبهم
لانه لو اراد بهم الخير لهداهم الى القبول الذي يطابق عليه شاهد العقل بما تدعوا اليه الفطرة الاولى والنقل بما في كتبهم امام من
الامر بذلك الحكم بعينه واما من الامر باتباعك ببعض ذنوبهم اي الذي هذا منها وابهمه زيادة في استدراجهم واضلالا
وتحذيرا لهم من جميع مساوي اعمالهم لئلا يجعلوا عين الذنب الذي اصيبوا به بتحميلهم ذلك على الرجوع عنه وبصير ذلك
كالالجاء ويكون ابهامه للتعظيم كما ان التنكير يفيد التعظيم فيؤذن السياق بتعظيم هذا التولي وبكثرة ذنوبهم واجترائهم
على موافقتها ولما كان التقدير فانهم بالتولي لفاسقون عطف عليه وان كثيرا من الناس اي هم وغيرهم لفاسقون اي
خارجون عن دائرة الطاعات ومعادن السعادات متكلفون لانفسهم اظهار ما في بواطنهم من خفي الجبلة بقوة ولما كان
من المعلوم ان من اعرض عن حكم الله اقبل ولا بد على حكم الشيطان الذي هو عين الهوى الذي هو دين اهل الجهل الذين لا كتاب
لهم هادي ولا شرع ضابط تسبب عن اعراضهم الانكار عليهم بقوله افحكم الجاهلية اي خاصة مع ان احكامها لا يرضى
بها عاقل لكونها لم يدع اليها كتاب بل انما هي مجرد اهواء وهم اهل الكتاب يبغون اي يريدون باعراضهم من حكمك
مع ما دعا اليه كتابهم من اتباعك وشهد به كتابك بالعجز عن معارضته من وجوب رسالتك الى جميع الخلائق وقراة
ابن عامر بالالتفات الى الخطاب دل على الغضب ولما كان حسن الحكم تابعا لاتقانه وكان اتقانه دائرا على صفات
الكمال تمام العلم وشمول القدرة وغير ذلك قال معلما ان حكمه احسن الحكم عاطفا على ما تقديره اي لا اضل منهم ومن
ويجوز ان تكون الجملة حالا من واو يبغون اي يريدون ذلك والحال انه يقال لهم من احسن من الله اي المستجمع لصفات الكمال
حكما ثم زاد في تقريعهم بكثافة الطباع وجمود الاذهان ووقوف الافهام بقوله لقوم اي فيهم نهضة وقوة لمحاولة لما
يريدونه يوقنون اي يوجد منهم الايقان يوما ما واما غيرهم فليس باهل للخطاب فكيف بالعتاب فتعابه
شديد العقاب وفي ذلك ايضا غاية التبكيت لهم والتقبيح عليهم من حيث انهم لم يزالوا يصفون اهل الجاهلية
بالضلال وان دينهم لم ينزل الله به من سلطان وقد عدلوا في هذه الاحكام اليه تاركين جميع ما انزل من الله من
كتابهم والكتاب الناسخ له فقد ارتكبوا الضلال بلا شبهة على علم وتركوا الحق المجمع عليه ولما بين عنادهم وان عداوتهم
لاهل هذا الدين التي حملتهم على هذا الامر العظيم ليس بعدها عداوة نهى من اتسم بالايمان عن موالاتهم لانه لا
يفعلها بعد هذا البيان مؤمن ولا عاقل فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان ولما كان الانسان لا يوالي
غير قومه الا باجتهاد في مقدمات يعملها واشيا يتحبب بها الى اولئك الذين يريد ان يواليهم اشار الى ذلك
بصيغة الافتعال فقال لا تتخذوا اي ان ذلك لو كان بيانا في سهولة لما كان ينبغي لكم ان تفعلوه فكيف وهو لا يكون
الا ببذل الجهد اليهود والنصارى اولياء اي اقربا تفعلون معهم ما يفعل القريب مع قريبه وترجون منهم مثل
ذلك وهم اكثر الناس استخفافا بكم وازدراء لكم ثم علل ذلك بقوله بعضهم اولياء بعض اي كل فريق منهم يوالي
بعضهم بعضا متفقون بجامع الكفر وان اختلفوا في الدين على عداوتكم يا اهل هذا الدين الحنيفي ومن يتولهم منكم
اي يعالج فطرته الاولى حتى يعاملهم معاملة الاقربا فانه منهم لان الله غني عن العالمين فمن والى اعداه تبرا منه ووكله
اليهم ثم علل ذلك تزهيدا فيهم وترهيبا لمتوليهم بقوله ان الله اي الذي له الغنى المطلق والحكمة البالغة وكان
الاصل لا يهديهم او لا يهديه ولكنه اظهر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال لا يهدي القوم الظالمين اي الذين
يضعون الاشيا في غير مواضعها فهم يمشون في الظلام فلذلك اختاروا غير دين الله ووالوا من لا تصلح موالاته
ومن لم يرد الله هدايته لم يقدر احد ان يهديه ونفي الهداية عنهم دليل على الحيرة في الايمان القلب اذ معناه
ان هذا الذي يظهر من الاقرار ممن يواليهم ليس بشيء لان الموالي لهم ظالم بموالاته لهم والظالم لا يهديه الله فالموالي
لهم لا يهديه الله فهو كافر وهكذا كل من كان يقول او يفعل ما يدل دلالة ظاهرة على كفره وان كان يصرح بالايمان
والله الهادي وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تراءى ناراهما ومنه قول عمر لابي موسى رضي الله عنهما حين اتخذ كاتبا نصرانيا لا تكرموهم اذ
اهانهم الله ولا تامنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروي ان ابا موسى رضي الله عنه قال لا قوام للبصرة
الا به فقال عمر رضي الله عنه مات النصراني والسلام يعني هب انه مات فما كنت صانعا حينئذ فاصنعه الساعة
ولما علل بذلك كان سببا لتمييز الخالص الصحيح من المغشوش المريض فقال فترى اي تسبب عن ان الله لا يهدي
متوليهم انك ترى الذين في قلوبهم مرض اي فساد في الدين كابن ابي واصحابه اخزاهم الله يسارعون بسبب
الاعتماد عليهم دون الله فيهم اي في موالاة اهل الكتاب حتى يكونوا من شدة ملابستهم كانهم مظروفون لهم
كان هذا الكلام انما هي لهم كان اعزا ويعقلون بها لا يعقل بها مريض الدين من النظر الى مجرد السبب في النصرة عند
خشية العارة يقولون اي قايلين اعتمادا عليهم وهم اعدا الله اعتذارا عن موالاتهم نخشى اي نخاف خوفا بالغا

ان تصيبنا دائرة اى مصيبة تحيط بنا والدوائر التى تخشى والدوائل التى ترجى ولما نصب سبحانه هذا الدليل الذى يعرف الخالص
من المغشوش كان تعليم هذا الخالص سببا فى ترجى امر من عند الله ينصر به دينه اما الفتح او غيره مما احاط به علمه وكونه قدرته
يكون سببا لندمهم فلذا قال فعسى الله اى الذى لا اعظم منه فلا يطلب النصر الا منه ان ياتى بالفتح اى باظهار الدين على الاعداء او
امر من عنده باخذهم قتلا بايديكم او باخراج اليهود من ارض العرب او بغير ذلك فينكشف لهم الغطاء ولما كانت المصيبة عند الاصباح
اعظم عبر به وان كان المراد التعميم فقال فيصبحوا اى فيتسبب عن كشف غطائهم ان يصبحوا والاحسن فى نصبه ما ذكره ابو طالب
العبدى فى شرح الايضاح للفارسى من انه جواب عسى الحاقا لها بالتمنى لكونها للطمع وهو قريب منه وتحسنه ان الفتح وندامتهم
المرتبة عليه عندهم فى حيز المحال فيكون النصب اشارة الى ما يحققون من ذلك وهو مثل ما يأتى ان شاء الله تعالى فى توجيه قراءة حفص
عن عاصم فى غافر فاطلع بالنصب على ما اسروا ولما كان الاسرار لا يكون الا لما يخشى من اظهاره فساد وكان يطلق على ما دار بين جماعة
خاصة على وجه الكتمان عن غيرهم بين انه ادق من ذلك وانه على الحقيقة سترهم خوفهم من غائلة وغيرته عندهم ان يبرزوه الى الخارج
فقال فى انفسهم اى من تجويز محو هذا الدين واظهار غيره عليه نادمين اى ثابت لهم غاية الندم فى الصباح وغيره ويقول الذين امنوا
من رفعه عطفه على معنى فيصبحوا نادمين فان اصله فيندمون ولكنه عبر بالاسم اعلاما بدوام ندمهم بشارة بدوام الظهور لهذا الدين
على كل دين او على يقولون يخشى من اسقط الواو وجعله حالا ومن نصبه جاز ان يعطفه على يصبحوا اى يكون ذلك سببا لتحقق المؤمنين
امر المنافقين بالمسارعة فى اهل الكتاب عند ثباتهم سرورا بهم والندم عند خذلانهم وتحققهم فيقول بعض المؤمنين لبعض
تعجبا من حالهم او اغتباطا بما من الله عليهم به من التوفيق فى الاخلاص مشيرين الى المنافقين تنبيها وانكارا اهؤلاء اى الحقيرون
الذين اقسموا بالله اى وهو الملك الاعظم جهد ايمانهم اى بما لغيرهم فى ذلك اجتراء على عظمته انهم لمعكم ايها المؤمنون ويجوز ان يكون
هذا القول من المؤمنين لليهود فى حق المنافقين حيث قاسموهم على النصر ثم ابتدأ جوابا من بقية كلام المؤمنين او من كلام الله
لمن كانه قال فماذا يكون حالهم فقال حبطت اى فسدت وسقطت اعمالهم فاصبحوا اى فتسبب عن ذلك انهم صاروا خاسرين اى داخلين فى الخسارة
بتعبهم فى الدنيا بالاعمال وخيبة الامال وحصول ثمهم فى الاخرة الوبال وعبر بالاصباح لانه الانح من مصابحة السرور لما فى ذلك من
التعب بخلاف ما ينتظرونه من مثل ولما نهى عن موالاتهم واخبر ان فاعلها منهم نفى الخيار مصرحا بالمقصود فقال مظهرا النتيجة
ما سبق يا ايها الذين امنوا اى اقروا بالايمان من يرتد منكم هكذا كان الاصل ولكنه صرح بان ذلك ترك للدين فقال من
يرتدد ولو على وجه خفى بما اشار اليه الادغام فى قراءة من سوى المدنيين وابن عامر منكم عن دينه اى الذى معناه موالاة اولياء
الله ومعاداة اعداء الله فيوالون اعداءه ويتركون اولياءه فيبغضهم الله ويبغضونه ويكونون اعزة على المؤمنين اذلة للكافرين
فالله غنى عنهم فسوف ياتى الله اى الذى له الغنى المطلق والعظمة البالغة مكانهم وان طال المدى بوعد صادق لا خلف فيه
بقوم يكون حالهم ضد حالهم يثبتون على دينه وهم ابو بكر والتابعون له باحسان رضى الله عنهم ولما كانت محبته اصل كل
سعادة قدمها فقال يحبهم فيثيبهم عليه ويثيبهم بكرمه احسن الثواب ويحبونه فيثنون عليه ووصفهم بما يبين ذلك فقال
اذلة وهو جمع ذليل ولما كان ذلهم هذا انما هو الرفق ولين الجانب لا الهوان كان فى الحقيقة عزا فاشار اليه بحرف الاستعلاء
مضمنا له معنى الشفقة فقال مبينا ان تواضعهم عن علو منصب وشرف على المؤمنين اى لعلمهم ان الله يحبهم اعزة على
الكافرين اى يظهرون الغلظة والشدة عليهم لعلمهم ان الله خاذلهم ومهلكهم وان اشتد امرهم وظهر علوهم وقهرهم فالاية
من الاحتباك حذف اولا البغض وما يثمره لدلالة الحب عليه وحذف ثانيا الشأن لدلالة الردة عليه ثم علل ذلك بقوله يجاهدون
اى يوقعون الاجتهاد لمن يستحقه من غير ملال ولا تكلف كالمنافقين وحذف المفعول تعميما ودل عليه مؤذنا بان الطاعة محيطة
بهم فقال فى سبيل الله اى طريق الملك الاعظم الواسع المستقيم الواضح لا لشئ غير ذلك كالمنافقين ولما كان المنافقون ثم
يخرجون من الجهاد فضلهم منهم بقوله ولا اى والحال انهم لا يخافون لومة اى واحدة من لوم لائم وان كانت عظيمة وكان هو عظيما
فتسبب ذلك هم صلاب فى دينهم اذا شرعوا فى امر من امور الدين امر بمعروف او نهى عن منكر كانوا كالمسامير المحماة لا يروعهم
قول قائل ولا اعتراض معترض ويفعلون فى الجهاد فى ذلك جميع ما تصل اليه ايديهم وتبلغ قوتهم من انكاء الاعداء واهانتهم
ومناصرة الاولياء ومعاضدتهم وليسوا كالمنافقين يخافون لوم اوليائهم من اليهود فلا يفعلون وان كانوا مع المؤمنين
شيئا يكتمهم ولما كانت هذه الاوصاف من العلو فى رتبة المدح بمكان قال مشيرا اليها باداة البعد واسم المذكر ذلك اى
الذى تقدم من اوصافهم العالية فضل الله اى الحاوى لكل كمال يؤتيه اى الله لانه خالق لجميع افعال العباد من يشاء اى فليبذل
الانسان كل الجهد فى طاعته لينظر اليه هذا النظر برحمته والله اى الذى له الاحاطة الكاملة واسع اى محيط بجميع اوصاف
الكمال فهو يعطى من سعة ليس لها حد ولا يلحقها اصلا نقص عليم اى بالغ العلم بمن يستحق الخير ومن يستوجب غيره وبكل
ما يمكن علمه ولما نهى سبحانه عن ولايتهم بمعنى الحجز وبمعنى النصرة وبمعنى القرب بكلا عينا دائح ذلك حصر ولايته كل من يدعى
الايمان فيه وفى اوليائه فقال انما وليكم الله اى لانه القادر على ما يلزم الولى ولا يقدر غيره على شئ من ذلك الا به سبحانه
ولما ذكر المحقق باخلاص الولاية له معلما بافراد المبتدأ انه الاصل فى ذلك وما عداه تبع اتبعه من يعرف ولايته سبحانه
بولايتهم بادئا باحقهم فقال ورسوله واضافه اليه اظهارا لرفعته والذين امنوا اى وجدوا الايمان واقروا به

ثم وصفهم بما يصدق دعواهم الايمان فقال الذين يقيمون الصلاة اى تمكينا لوصلتهم بالخالق ويؤتون الزكاة احسانا الى الخلائق
وقوله وهم راكعون يمكن ان يكون معطوفا على يقيمون اى ويكونون من اهل الركوع فيكون فصلا مختصا بالمسلمين وذلك لان
اليهود والنصارى لا ركوع فى صلاتهم كما مضى بيانه فى ال عمران ويمكن ان يكون حالا من فاعل الايتاء وفى اسباب النزول انها نزلت
فى على رضى الله عنه سأله سائل وهو راكع فطرح له خاتمه وجمع وان كان السبب واحدا ترغيبا فى مثل فعله من فعل الخير
والتعجيل به لئلا يظن ان ذلك خاص به ولما كان التقدير فمن يتول غيرهم فاولئك حزب الشيطان وحزب الشيطان هم
الخاسرون عطف عليه ومن يتول الله اى يجتهد فى ولاية الذى له مجامع العز ورسوله اى الذى خليفته القرآن والذين امنوا واعاد
ذكر من يختص الولاية بهم تبركا باسمائهم وتصريحا بالمقصود فانهم الغالبون هكذا كان الاصل ولكنه اظهر ما شرفهم به
ترغيبا لهم فى ولايته فقال فان حزب الله اى القوم الذين يجمعهم على ما يرضى الملك الاعلى ما حزبهم اى اشتد عليهم فيه هم الغا لبون
اى لا غيرهم بل غيرهم مغلوبون ثم الى النار يحشرون لانهم حزب الشيطان ولما نبه سبحانه على العلل المانعة من ولاية
الكفار وحصر الولاية فيه سبحانه انتج ذلك قطعا قوله منبها على علل اخرى موجبا للبراءة منهم يا ايها الذين امنوا اى اقروا
بالايمان ونبه بصيغة الافتعال على ان من يواليهم يجاهد عقله على ذلك اتباعا لهواه فقال لا تتخذوا الذين اتخذوا
اى بغاية الجد والاجتهاد منهم دينكم اى الذى شرفكم الله به هزوا ولعبا ثم بين المنهى عن موالاتهم بقوله من الذين اوتوا الكتاب
ولما كان تطاول الزمان له تاثير فيما عليه الانسان من طاعة او عصيان وكان الايتاء المذكور لم يستغرق زمان القبل قال
من قبلكم يعنى انهم تحلوا الهزء عنادا بعد تحققهم صحة الدين ولما حصرهم فقال والكفار اى من عبدة الاوثان الذين لا علم
لهم بنقل عن الانبياء وانما سيروا اساويخ لعقولهم من الادلة فكانوا ضالين وكذا غيرهم سواء علم انهم يستهزءون ولا كما ارشد
اليه قراءة غير البصريين والكسائى بالنصب اولياء اى فان العرب يقتلين اجمعوا على حسدكم وازدرائكم فلا تصح لكم موالاتهم اصلا ولما
كان المحقق للموالاة تخصيصا تركه والاغيرة يبسى فى اهانته حذرهم وقوعهم بموالاتهم على صفة مقصودهم فقال واتقوا
الله اى خافوا فى كل حركة وسكون من له الاحاطة الكاملة فان من والى عدوه عاداه ومن عاداه هلك هلاكا لا بقاء معه ان كنتم مؤمنين
اى راسخين فى الايمان بحيث صار لكم جبلة وطبعا فان لم تخافوه بان تتركوا ما نهاكم عنه فلا ايمان ولما عم فى ابيان استهزائهم
جميع الدين خص روحه وخالصته وسره فقال واذا ناديتم اى دعا بعضكم الباقين الى الاقبال الى النادى وهو المجتمع فاجابه
الباقون بغاية الرغبة ومنه دار الندوة او يكون المعنى ان المؤذن كلم المسلمين برفع صوته كلام من هو معهم فى النادى بالقول
فاجابوه بالفعل فكان ذلك مناداة هذا اصله فعبر بالغاية التى يكون الاجتماع لها فقال مضمنا له الانتهاء الى الصلاة
اى التى هى اعظم دعائم الدين وموصل الى الملك العظيم وعاصم بحبله المتين اتخذوها على ما لها من العظمة والحد والبعد
من الهزء بغاية هممهم وعزائمهم هزوا ولعبا فيتعمدون الضحك والسخرية ويقولون صاحوا كصياح العير ونحو هذا وبين سبحانه
ان سبب ذلك عدم انتفاعهم بعقولهم فكانهم لا عقول لهم وذلك لان تاملها فى تطهيرها وحسن حال فاعلها عند التلبس بها
من التخلى من الدنيا جملة والاقبال على الحضرة الالهية والتحلى بالقراءة لاعظم الكلام والتخشع والتخضع لملك الملوك الذى لم يخف
عظمته على احد ولا نازع قط فى كبريائه وقدرته منازع بمجرده كاف فى اعتقاد حسنها وجلالها وهيبتها وكمالها فقال ذلك
اى الامر العظيم الشناعة بانهم قوم وان كانوا اقوياء لهم قدرة على القيام فى الامور لا يعقلون اى ليست لهم هذه الحقيقة
ولو كان لهم شئ من عقل لعلموا ان الندا بالاذان احسن من التثويب وضرب الناقوس بشئ يقاس وان التذلل بين يدى
الله بالصلاة امر لا شئ احسن منه بوجه وللاذان من الاسرار ما يعجز عنه الافكار منه انه جعل تسع عشرة كلمة ليكف
الله به عن قائله خزنة النار التسعة عشر وجعلت الاقامة احدى عشرة كلمة رجاء ان يكون معتقدها رفيقا للاحد عشر
العشرة المشهود لهم بالجنة وقطبهم وقطب الوجود كلهم النبى صلى الله عليه وسلم وناهيك ان من اسراره انه جمع الدين كله
اصولا وفروعا كما بينت ذلك فى كتاب الايذان بفتح اسرار التشهد والاذان ولما كانت النفوس نزاعة الى الهوى عمية عن المصالح
جامحة عن الدواء ايما وقفت عنده من النظر الى رتبة الدنيا وكان الدليل على سلب العقل عن اهل الكتاب دليلا على الطريق
بطريق الاولى وكان اهل الكتاب لكونهم اهل علم لا يتمشى تحاجهم الا الافراد من خلص العباد قال تعالى دالا على ما ختم به
الاية من عدم عقلهم امرا لاعظم خلقه بتبكيتهم وتوبيخهم وتقريعهم نزل واتزلهم بمحل البعد فقال مبكتا لهم بكون لهم
العلم لم يمنعهم عن الباطل يا اهل الكتاب اى من اليهود والنصارى هل تنقمون اى تنكرون وتكرهون وتعيبون منا الا
ان امنا اى اوجدنا الايمان بالله اى لما له من صفات الكمال التى ملات الاقطار وجاوزت حد الافكار وما انزل الينا
اى لما له من الاعجاز فى حالات الاطناب والتوسط والايجاز وما انزل ولما كان انزال الكتب والصحف لم يستغرق زمان الماضى
اثبت الجار فقال من قبل اى لما شهد له كتابنا وهذه الاشياء التى امنا بها لا يجد عنها عاقل لما لها من الادلة التى وضوحها
يفوق الشمس حسنها لا شك فيه ولا لبس وان اى امنا كلنا مع ان او والحال ان اكثركم فيه احتراجا لمن يؤمن منهم بما
دل عليه التعبير بالوصف فاسقون اى عريقون فى الفسق وهو الخروج عن دار السعادة بحيث لا يمكن منهم رجوع
الى المرضى فى العبادة فتبين انهم لا ينقمون من المؤمنين الا المخالفة والمخالفة انما هى بايمان المسلمين بالله وما امر به

لبون

وكفر اهل الكتاب بجميع ذلك مع علمهم بما تقدم لهم ان من كان الله معه فنصره على كل من يناويه وجعل ما آله الى الفوز الدائم
وان من كفر به امنه فاهلكه في الدنيا وجعل ما آله الى عذاب لا ينقضي سعيره ولا ينصرم انينه وزفيره ومن ركب ما يودي به الى ذلك
على علم منه واختيار لم يكن اصلا احد اضل منه ولا اعدم عقلا وتخصيص لشتمهم بما قصد من المومنين بمنع عطف وان على ان امنا
ولما انزلهم سبحانه الى عداد البهائم بكونهم ينسبونهم الى الشر بجعلهم اياهم موضع الهزو واللعب وبكونهم ينظرون الى من خالفهم
فيبعدون منه وينفرون عنه من ان يستعملوا اما امثا زوايه عن البهائم في ان المخالف ربما كان فيه الدوا او المكروه قد يوط الى الشفا
والمحبوب يجر الى العطب والتوى بين لهم ان تلك رتبة سنية ومنزلة عليه بالنسبة الى ما هم فيه فقال على سبيل التنزل والارخا
العنان قل اي يا من لا ينهض بمحاججتهم لعلمهم ولدوام غيرة لما جبلت عليه من قوة الفهم ثم لما انزل اليك من العلم هل انبئكم
اي اخبركم اخبارا عظيما جليلا بشر من ذلك اي الامر العظيم الذي نقمتموه علينا مع كونه فيما وان تعاميتم عنه لم
ووحد حرف الخطاب اشارة الى عمى قلوبهم وان هذه المعاني لا يعيها حق الفهم الا المويد بروح من الله مثوبة اي جزاء صالحا
يرجع اليه فان المثوبة للخير كما ان العقوبة للشر وهي مصدر ميمي كالميسور والمعقول ثم نوه بشرفه بقوله عند الله اي المحيط بصفات
الجلال والاكرام ثم رده اسفل سافلين بيانا لانه استعارة تهكمية على طريق تحية بينهم ضرب وجيع بقوله جوابا لمن كانه قال نعم
من اي مثوبة من لعنه الله اي ابعده الملك الاعظم وطرده وغضب عليه اي اهلكه ودل على اللعن والغضب بامر محسوس
فقال وجعل ودل على كثرة الملعونين بجمع الضمير فقال منهم اي بالمسخ على معاصيهم القردة تارة والخنازير اخرى واللام للتعريف
للجنس وقال ابن قتيبة ان التعريف يفيد ظن انهم لم ينقرضوا بل توالدوا حتى كان منهم اعيان ما نعرفه من النوعين فما ابعد
من كان منهم هذا من ان يكونوا ابناء الله واحباءه ثم عطف في قراءة الجماعة على قوله لعنه سبب ذلك بعد ان قدم المسبب
اهتماما به لصراحته في المقصود مع ان اللعن والغضب سبب حقيقي والعبادة سبب ظاهري فقال وعبد الطاغوت
وقراءة حمزة بضم البا على انه جمع والاضافة عطف على القردة وهو كما قال في القاموس اللات والعزى والكاهن والشيطان
وكل راس ضلال والاصنام وكل ما عبد من دون الله ومردة اهل الكتاب للواحد والجمع فعلوت من طغو وكل هذه المعاني تصلح
ههنا اما اللات والعزى وغيرهما مما لم يعبده صريحا فلحسبهم دين اهله حسدا للاسلام وقد عبدوا الاوثان في كل زمان
حتى في زمان موسى عليه السلام كما في نص التوراة ثم بالغوا في النجوم لاستعمال السحر فشاركوا الصابئين في ذلك المعنى الاية تنزلنا
الى ان تنسبكم لنا الى الشر صحيحة تكونوا يات كتاب بلعننا ولا بالغضب علينا ولا مسخنا قردة ولا خنازير ولا عبدنا غير الله منذ
اقبلنا عليه وانتم قد وقع بكم جميع ذلك لا تقدرون ان تنكروا شيا منه فلا يشك عاقل انكم شر منا واضل والعاقل من اذا دار امره
بين شرين لم يختر الا اقلهما شرا فثبت كالشمس صحة دعوى انهم قوم لا يعقلون ولذلك ختم الاية بقوله اولئك اي البعدا البغضا
الموصوفون باللعن وما معه شر مكانا واذا كان ذلك لمكانهم فما ظنك بانفسهم فهو كناية عن نسبتهم الى العراقة في الشر واضل
عن سوا اي قصد وعدل السبيل اي الطريق ويجوز ان تكون الاشارة في ذلك الى ما دل عليه الدليل الاول من عدم عقلهم ولا
تنزل حينئذ وانما قلت انهم لا يقدرون على انكار شي من ذلك لان في نص التوراة التي بين ظهورهم في السفر الخامس قال الرب يقول
لكم ويامركم ان تكونوا له شعبا حبيبا وتحفظوا جميع وصاياه وتعملوا بها فانه يرفعكم فوق جميع الشعوب واذا جزتم الاردن انصبوا
الحجارة التي امركم بها اليوم على جبل جبل وكلسوها بالكلس وابنوا هناك مذبحا من حجارة لم يقع عليها حديد ولكن ابنوا الحجارة
كاملة لم تقطع وقربوا عليها ذبائح كاملة امام الله ربكم وكلوا هنا وافرحوا امام ربكم واكتبوا على تلك الحجارة جميع ايات هذه السنة
ثم صير موسى رجالا يقومون على جبل اذا جاوزوا الاردن ويهتفون بصوت عال ويقولون لبني اسرائيل ملعونا يكون الذي يتخذ
اصناما مسبوكة واوثانا منحوتة امام الرب والشعب كلهم يقولون امين ملعونا يكون من ينقل حد صاحبه ويظلم في ارضه ويقول
الشعب كلهم امين ملعونا يكون من يضل الاعمى عن الطريق ويقول الشعب كلهم امين ملعونا يكون من يحيف على المسكين واليتيم
والارملة في القضا ويقول الشعب كلهم امين الى ان قال ملعونا يكون كل من لا يثبت على عهد ايات هذه التوراة ويعمل بها
ويقول الشعب كلهم امين ثم قال وان انتم لم تسمعوا قول الله ربكم ولم تحفظوا او لم تعملوا بجميع سننه ووصاياه التي امركم بها
اليوم ينزل هذا اللعن الذي اقص عليكم كله ويدرككم العقاب وتكونوا ملعونين في القرية ملعونين في الحرب ويلعن نسلكم
وثمار ارضكم وتكونون ملعونين اذا دخلتم وملعونين اذا خرجتم ينزل بكم الرب البلا والحسرات وينزل بكم الضربات الشديدة
وبكل شي تمدون ايديكم اليه لتعملوه حتى يهلككم ويتلفكم سريعا من اجل سوء اعمالكم وترككم لعبادتي ويسلط عليكم هذه الشعوب
حتى تهلكوا وتكون السما التي فوقكم عليكم شبه النحاس والارض تحتكم شبه الحديد ويكسركم الرب بين يدي اعدائكم تخرجون
اليهم في طريق واحدة وتهربون في سبعة طرق وتكونون مثلا وفزعا لجميع مملكات الارض وتكون جيفكم ماكلا لجميع السباع
وطيور السما ولا يذب احد عنكم تكونون مقهورين مظلومين مغصوبين كل ايام حياتكم بسبب بنيكم وبناتكم شعب اخر وتنظر
اليهم ولا تقدر لهم على خلاص وتكون مضطهدا مظلوما طول عمرك يسوقك الرب ويسوق ملكك الذي ملكه عليك الى
شعب لم يعرفه ابوك وتعبد هناك الهة اخرى عملت من خشب وحجارة وتكون مثلا وعجبا ويهكو بك كل من يسمع
خبرك في جميع الشعوب التي يعزك الله فيها تزرع كثيرا وتحصد قليلا ويتعظم عليك زكاتك وتصيرون فوقك هذا

اللعن

اللعن كله يلزمك وينزل بك ويدركك حتى يهلكك لانك لم تقبل قول الله ربك ولم تحفظ سننه ووصاياه التي امرك بها
ويظهر فيك ايات وعجايب وفي نسلك الى الابد لانك لم تعبد الله ربك ولم تعمل بوصاياه وتصير اعداوك وفي الحديد بزعل عنقك
ويسلط الله عليك شعبا ياتيك وانت جايع ظمان عريان تفتقر نداعوزك كل شي تحتاج اليه وتخدم اعداك ويسرع البلا
مثل طيران النسر شعب لا تعرف لغتهم شعب وجوههم صفيقة لا تستحي من الشيوخ ولا ترحم الصبيان ويضيق عليك
في جميع قراك حتى يظفر بسورك المشيدة التي تتوكل عليها وتثق بها في كل ارضك وتضطر حتى تاكل لحم ولدك والرجل
المدلل منكم المغنج تنظر عيناه الى اخيه وحليلته والى من بقي من ولده حيا بعالا يعطيهم من لحم ابنه الذي ياكل لانه لا يبقى
عنده شي من الاضطهاد والضيق الذي يضيق عليك عدوك وان لم تحفظ وتعمل بجميع الوصايا والسنن التي كتبت في هذا
الكتاب وتتقي الله ربك وتهاب اسمه المحمود المرهوب يخصك الرب بضربات موجعة ويبتليك بها ويبتلي نسلك
من بعدك ويبقى من نسلك عدد قليل من بعد كثرتهم التي كانت قد صارت مثل نجوم السما لانك لم تسمع قول الله كما فرح
الرب وانعم عليكم وكثركم يستاصلكم بالعقاب والنكال ويدمر عليكم ويتلفكم وتجلون عن الارض التي تدخلونها لترثوها له
ويفرقكم الرب بين جميع الشعوب هذه اقوال العهد التي امر الله بها موسى ان يعاهد بني اسرائيل في ارض مواب سوى العهد
الذي عاهدكم بحوريب ثم قال فان قالوا انه لم تنقض بعد موسى عليه السلام حتى يلزمنا هذا اللعن المشروط بنقض العهد قيل قد شهد
عليكم بذلك ما بين ايديكم من كتابكم فانه قال في اخر اسفاره ما نصه وقال الرب لموسى قد دنت ايام وفاتك فادع يشوع وقوما
في قبة الزمان لامره بما اريد وانطلق يشوع وموسى وقاما في قبة الزمان وظهر الرب في قبة الزمان بعمود من سحاب
وقام عمود من سحاب في باب قبة الزمان وقال الرب لموسى انت مضطجع منقلب الى ابائك فيقوم هذا الشعب فيضل ويتبع الهة
اخرى الهة الشعوب التي يدخل ويسكن بينها ويخالفني ويبطل عهدي الذي عاهدته ويشتد غضبي في ذلك اليوم واخذ
وادير وجهي عنهم ويصيرون ماكلا لاعدائهم ويصيبهم شر شديد وغم طويل لانهم تبعوا الالهة الاخرى فاكتب لهم الان هذا
التسبيح وعلمه بني اسرائيل وصيره في افواههم ليكون هذا التسبيح شهادة على بني اسرائيل لاني مدخلهم الارض التي اقسمت
لابائهم ارضا التي تغل السمن والعسل وياكلون ويشبعون ويتلذذون ويتبعون الالهة الاخرى ويعبدونها ويغضبوني
ويبطلون عهدي فاذا نزل بهم هذا الشر الشديد والغموم يتلى عليهم هذا التسبيح للشهادة ولا تعدمه افواه ذريتهم لاني
عالم باهوايتهم وكل ما يصنعونه ههنا اليوم قبل ان ادخلهم الارض التي اقسمت لابائهم وكتب موسى هذا التسبيح ذلك
اليوم وعلمه بني اسرائيل وذكر بعد هذا كلاما ذكرته عند انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح في النسا فراجعه ثم قال انصتي
ايها السما فاتكلم ولتسمع الارض المنطق من في لانها ترجوا كلامي عطشانة ولمثل الندا ينزل قولي وكالمطر على البقل
وشبه الضباب على العشب لاني دعوت باسم الرب ابدا واعطوا العظمة لله الرب العدل وليس عنده ظلم الرب البار
الصادق اخطا اولاد الانجاس الجيل المعوج المتقلب وبهذا كافوا الرب لانه شعب جاهل وليس بحليم اليس الرب
استخلصك وخلقك اذكروا ايام الدهر وتفهموا ما مضى من سنين جيلا بعد جيل استخبر اباك يخبرك وشيوخك
فيفهموك حين قسم العلي الامم بني ادم الذين فرقهم واقام حدود الامم على عدد الملائكة وصار جزء الرب شعبه يعقوب
وحبل ميراثه اسرائيل فاواه في البرية من عطش الحر حيث لم يكن ماء وحاطه وادبه وحفظه مثل حدقة العين وكمثل
النسر حين يصل عشه والى فراخه اشتاق ونشر اجنحته وقبلهم وحملهم على صلبه الرب وحده ساقهم ولم يكن معهم
اله اخر واصعدهم الى علو الارض واطعمهم من ثمر الشجر وغذاهم عسلا من حجر من الصخرة اخرج لهم الزيت ومن سمن البقر
ولبن الغنم وشحم الخراف والكباش والثيران والجدا والبر النقي اكل يعقوب المخصوص حين شحم وغلظ وعرض ترك الاله الذي
خلقه وبعد من الله مخلصه يقول الله اسخطوني مع الغربا باوثانهم واغضبوني حين ذبحوا للشياطين ولم يقربوا الا الالهة
ولم يعرفه الجيل الحديد الذين اتوا ونسوا اباهم هذا ما اردت ذكره من التوراة في الشهادة على لزوم اللعن والغضب
لهم لعبادتهم الطواغيت وقد صدق الله قوله فيهما واتم كلماته وهو اصدق القايلين بما وقع لهم بعد وفاة موسى عليه السلام
ثم بعد يوشع عليه السلام مع ما تقدم لهم من ايام موسى عليه السلام من عبادة العجل من الصنم كما مضى عند قوله تعالى
واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ذكر ما يصدق ذلك من سفر يشوع قال ودعا يوشع جميع بني اسرائيل وقال لهم
انا قد شخت وطعنت في السن وانتم قد رايتم ما صنع الله بهذه الشعوب انه اهلكهم من بين ايديكم وان الله ربكم
هو تولى حروبكم وطردتم قد علمتم اني لم اقسم لكم الشعوب التي بقيت فاما عند النهر الاعظم في مغارب الشمس
فقد قسمتها لكم والله ربكم يهزمهم ويهلكهم من امامكم وترثون ارضهم كما قال الله ربكم ولكن تقووا جدا واعملوا
بجميع ما كتب في سفر موسى عبد الرب هلك الرب من امامكم شعوبا عظيمة ولم يثبت لكم انسان الى اليوم الرجل
منكم يهزم الف رجل لان الله ربكم معكم وهو يجاهد عنكم كما قال لكم فاحترسوا لانفسكم ان انتم خالطتم الشعوب
الذين بقوا بينكم وصرتم لهم اختانا صاروا لكم فخاخا وعثرات واسنة في اصداغكم وصنارات في اعينكم حتى تهلكوا
من الارض الصالحة التي اعطاكم الله ربكم واما انا فسائر في طريق اهل الارض كلهم فقد تعلمون يقينا من كل قلوبكم

وانفسكم انه ما سقطت كلمة واحدة من الكلام الذي وعدكم الله ربكم وكان كل الكلام الصالح الذي وعدكم الله به كذلك ينزل
بكم كل اللعن حتى تهلكوا وتبيدوا اذا انتم عصيتم وتعديتم على ميثاق الله ربكم والوصايا التي اوصاكم بها وجمع جميع بني اسرايل
الى سحام واقامهم امام الرب في تيه الزمان وقال اسمعوا قول الله اله بني اسرايل كان اباوكم سكانا في مجاز النهر في الدهر
الاول تارح ابو ابرهيم وناخور وكانوا يعبدون هناك الهة اخرى وعمدت الى ابيكم واخرجته من مجاز النهر وسيرته في ارض
كنعان كلها واكثرت ذريته ورزقته اسحق ابنا ورزقت اسحق يعقوب وعيسو واعطيت عيسو جبل ساعير ميراثا
فاما يعقوب وبنوه فنزلوا الى مصر وارسلت موسى وهرون وعاقبت اهل مصر واكثرت في ارضهم من الايات
والاعاجيب ومن بعد ذلك اخرجتهم منها وشق لهم الرب بحر سوف واجاز اباكم فيه مشيا فلما اراد المصريون ان يجوزوا
قلب البحر عليهم وغرقهم ورات اعينكم ما صنعت باهل مصر ثم اتيت بكم المفازة وسكنتموها اياما كثيرة ثم اتيت بكم ارض
الاموراتيين الذين يسكنون عند مجاز الاردن وحاربوكم ودفعتهم اليكم ووثب عليكم بالاق بن صفور ملك المواييين
وحارب اسرايل وارسل فدعا بلعام بن بيعور ليلعنكم ولم يسرني ان اسمع قول بلعام ولكن باركت عليكم ونجيتكم من
يديه ثم جزتم نهر الاردن واتيتم اهل اريحا فحاربكم اهلها والاموراتيون ثم عدة بقية الطوايف فسحقته ودفعتهم اليكم اجمعين
واعطيتكم اصناما تتعبون فيها فاتقوا الرب واعبدوه بالبر والعدل واصرفوا عن قلوبكم الفكر في عبادة الالهة الاخرى
التي عبدها اباوكم عند مجاز النهر وفي ارض مصر واعبدوا الرب وحده وان كان يشق عليكم ان تعبدوا الرب فاختاروا
لانفسكم يومنا هذا من تعبدون اتحبون ان تعبدوا الالهة التي عبدها اباوكم عند مجاز نهر الفرات ام الهة الاموراتيين
الذين سكنتم بينهم اما انا واهل بيتي فانما نعبد الرب فاجاب الشعب وقالوا حاشى لنا ان نجتنب عبادة الرب
ونعبد الالهة الاخرى لان الله ربنا هو الذي اخرجنا من اهل مصر وخلصنا من العبودية وعمل الايات والاعاجيب امامنا
وحفظنا في كل الطرق التي سلكناها وثبتنا على جميع الشعوب التي حاربناها فلذلك نعبد الرب لانه هو الاله وحده
وهو الهنا فقال انظروا لعلكم تجتنبون عبادة الله وتعبدون الالهة الغريبة فيغضب الرب عليكم وينزل بكم البلا
ويهلككم من بعد انعامه عليكم فقال الشعب لا يكون لنا عبادة اخرى غير عبادة الله ربنا قال يشوع اشهدوا على انفسكم
انتم الذين اخترتم عبادة الرب فقالوا له نشهد فاول ما دخل عليهم الدخل انهم لم يستاصلوا الكنعنة وخالطوهم في
ايام يوشع قال في سفره فصعد رسول الرب من الجلجال الى بحيم وقال لبني اسرايل هكذا يقول الرب انا الذي اصعدتكم
من ارض مصر واتيت بكم الارض التي اقسمت لابايكم وقلت اني لا ابطل عهدي الى الابد وامرتكم ان لا تعاهدوا اهل هذه الارض
ولكن استاصلوا مذابحهم ولم تقبلوا ولم تطيعوا وانا ايضا قد قلت اني لا اهلكهم من امامكم ولكن تكون لكم الهتهم عثرة
فلما قال رسول الرب لبني اسرايل هذا القول رفع القوم اصواتهم بالبكا ودعوا اسم ذلك الموضع بكا اي موضع البكا
وذبحوا هناك ذبايح للرب وتوفي يشوع بن نون عبد الرب ابن ماية وعشر سنين ودفن في ميراثه بمغسوح التي في جبل
افرايم عن يمين جبل عاش وكل ذلك الحقب ايضا قبضوا ونشا من بعدهم حقب لم يعرف الرب ولم يعرف اعماله
التي عملها وارتكب بنو اسرايل السيات امام الرب واجتنبوا عبادة الله اله ابايهم الذي اخرجهم من ارض مصر
وتبعوا الهة الشعوب التي حولهم وسجدوا لها وعبدوا واسترتا الصنمين وغضب الرب على بني اسرايل وسلط
عليهم المنتهبين ودفعهم الى اعدايهم ولم يقدروا ان يثبتوا لاعدايهم وكلما كانوا يخرجون الى الحرب كانت يد الرب
عليهم بالعقاب والبلا كما قال لهم الرب وكما اقسم لابايهم واضطروا وضاق بهم جدا فصير الرب عليهم قضاة
واعان قضاتهم وخلصوهم من ايدي اعدايهم وكان الرب يسمع انينهم وما يشكوا من المضيقين عليهم والمزعجين
عليهم فلما توفيت قضاتهم رجعوا الى الفساد كابايهم وعبدوا الاصنام وسجدوا لها ولم ينقصوا من سوا اعمالهم الاولى
وطرقهم الرديه فاشتد غضب الرب على بني اسرايل وقال لان الشعب اعتدوا الوصية التي اوصيت اباهم ولم يسمعوا
قولي لا اعود ان اهلك انسانا بين ايديهم من الشعوب التي خلف يشوع بعد وفاته ليجرب الرب بها بني اسرايل هل
يحفظون طرق الرب كما حفظ اباوهم ام لا فلذلك ترك الرب هذه الشعوب ولم يهلكهم سريعا ولم يسلمها في يد
يشوع والذين تركوا خمسة روسا اهل فلسطين وجميع الكنعانيين والصيدانيين والحاوانيين والذين يسكنون جبل
لبنان ومن جبل بني حرمون الى مدخل حماة ليجرب بهم بني اسرايل وجلس بنو اسرايل بين الاموراتيين والحيثيين بلد
وزوجوا بناتهم من بنيهم وزوجوا بنيهم من بناتهم وعبدوا الهتهم وارتكب بنو اسرايل السيات امام الرب ونسوا
صنيع الرب اليهم وعبدوا بعلا واسترتا واشتد غضب الرب على بني اسرايل ودفعهم الى كوشان الاثيم ملك حران
فاستعبدهم ثماني سنين ودعا بنو اسرايل الرب متضرعين وصير الرب لهم مخلصا وخلصهم عتنيال بن قناز اخو
كالاب الاصغر فاعانه الرب وصار حكما لبني اسرايل الخروج الى الحرب واسلم الرب في يده كوشان الاثيم واستراحت
الارض من الحرب اربعين سنة وتوفي عتنيال بن قنز وعاد بنو اسرايل في سوا اعمالهم امام الرب فقوى الرب
عليهم ملك مواب واستمروا هكذا في كل حين ينقضون ولسنة الرب كل قليل مير فضول لا ينتقمون الا بعد زمان يشتون

جزاده

جزاده النقم ويذوقون لذاذة النعم ولولا خوف الاطالة الموجبة للسامة والملالة لذكرت من ذلك كثيرا من الكتب
التي بين ايديهم لا يقدرون على انكار ما يلزمهم بها من الفضيحة والعار والله الموفق ولما تم ذلك عطف سبحانه على اذا
ناديتم الى الصلاة قوله دالا على سخفهم ثم للعن وعلى ما اخبر به من شرهم وصلا لهم بما فضحهم به من سوا اعمالهم
ودالة على صحة دين الاسلام باطلاع شارعه عليه افضل الصلاة والسلام على خفايا الاسرار واذا جاوكم اي ايها المومنون
هولا المنافقون واعاده ضمير الفريقين عليهم لانهم في الحقيقة منهم ما افادهم دعوى الايمان شيا عند الله
والعدول الى خطاب المومنين دال على عطفه على ما ذكرت وفيه اشارة الى ان النبي صلى الله عليه وسلم يعرفهم في
لحن القول فلا يهتز لخداعهم ولا يسكن الى مكرهم بما اعطي من صدق الفراسة وصحة التوسم قالوا امنا اي لا تغتروا
بمجرد قولهم الحسن الخالي عن البيان بما يناسبه من الافعال فكيف بالمقترن بما ينفيه منها وقد علم ان الفصل
بين المتعاطفين بالاجنبي لسالفتين لا يضر لكونهما علة للمعطوف عليه فهما كالجزء منه ولما ادعوا الايمان
كذبهم سبحانه في دعواهم بقوله معبرا بالماضي لما ضيهم من الحال وحالهم عند الدخول لانهما تكاد تظهر باعهم يخفونه توجب
التوقع للتصريح بها وقد اي والحال انهم قد دخلوا اليكم بالكفر مصاحبين له ملتبسين به ولما كان
المقام يقتضي لهم بعد الدخول حسن الحال لما يرون من سمت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجليل وكلامه العذب
ودينه العدل وهديه الحسن فلم يتاثروا وما عندهم من الحسد الموجب للعناد اخبر عن ذلك بابلغ من الجملة التي
اخبرت بكفرهم تاكيدا للاخبار عن ثباتهم على الكفر لانه امر ينكره العاقل فقال وهم اي من عند انفسهم لسوء
ضمايرهم وجبلاتهم من غير سبب من احد منكم لا منك ولا من اتباعك قد خرجوا به اي الكفر بعد دخولهم ورويتهم
ما راوا من الخير دالا على قوة عنادهم بالجملة الاسمية المفيدة للثبات وذكر المسند اليه مرتين وهم بما ظهروا
يظنون انه يخفي ما اضمروا ولما كان نسخ قلوبهم من الفساد والمكر بالاسلام واهله ما يطول شرحه نبه عليه بقوله
والله اي المحيط بجميع صفات الكمال وبكل شيء علما وقدرة اعلم اي منهم ومن توسم فيهم النفاق بما كانوا اي بما في
جبلاتهم من الدواعي العظيمة الى الفساد يكتمون اي من هذا وغيره في جميع احوالهم من اقوالهم وافعالهم ولما كانهم
في دعوى الايمان امام سبحانه الدليل على كفرهم بقوله مخاطبا لمن له البصر التام مفيدا انه اطلعه صلى الله عليه وسلم على
ما يعلم منهم مما يكتمونه من ذلك نصا يقينا لقوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول اطلاعا هو كالروية عاطفا على ما
تقديره وقد اخبرنا غيرك من المومنين بما نعلم منهم من ذلك واما انت فترى ما في قلوبهم مما اتيناك من الكشف
وترى اي لا يزال يتجدد لك كثيرا منهم اي اليهود والكفار منافقهم ومصارحهم ولما كان التعبير بالعجلة لا تقع
هنا الا بما لا يكون الا في شيه وقبات لا ينبغي وقت غيره لا ينبغي والاثم لا يتاتى فيه ذلك قال يسارعون اي يعملون
في تهالكهم على ذلك فعل من يباطر خصما في السير فيما هو فيه محق وحالهم بالسرف في غاية الخبر وكان الموضع لا يصير
بالضمير فقال فيه اي الكفر نعبر عنه بعمهما وتعليقا للحكم بالوصف امادة لان كفرهم عن جبلة هي في غاية الرداة
بقوله في الاثم اي كل ما يوجب اثما من الذنوب وخص منه اعظمه فقال والعدوان اي مجاوزة الحد في ذلك الذي اعظمه
الشرك ثم حقق الامر وصوره بما يكون لوضوحه دليلا على ما قبله من انه على الحرام الذي لا يمكن معه صحة القلب
اصلا ولا يمكنهم انكاره فقال واكلهم السحت اي الحرام الذي يستاصل البركة من اصلها فيمحقها ومنه الرشوة وكان
هذا دليلا على كفرهم لانهم لو كانوا مومنين ما اصروا على شي من ذلك فكيف بجميعه فكيف بالمسارعة فيه ولذلك
استحقوا غاية الذم بقوله لبيس ما كانوا ولما كانوا يزعمون العلم عبر عن فعلهم بالعمل فقال يعملون ولما كان
المنافقون من الاميين واهل الكتاب قد صاروا اشياعا واحدا في الانحياز الى المصارحين من اهل الكتاب فانزل
فيهم سبحانه هذه الايات على وجه يعم غيرهم حتى تبينت احوالهم وانكشف زيغهم ومحالهم انكر على من يودعونهم
اسرارهم ويمحضونهم مودتهم واحبارهم من علمايهم وزهادهم عدم امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر لكونهم جديرين
بذلك لما يزعمونه من اتباع كتابهم فقال لولا اي هلا ولولا ينهاهم اي يجدد لهم النهي الربانيون اي المدعون للتخلي من الدنيا
الى سبيل الرب والاحبار اي العلما عن قولهم الاثم اي الكذب الذي يوجبه وهو مجمع عليه واكلهم السحت وذلك لان ه
قولهم للمومنين امنا وقولهم لهم انا معكم انما نحن مستهزيون لا يخلو عن كذب وهو محرم في توراتهم وكذا اكلهم الحرام
فما سكوتهم عنهم في ذلك الا لتمرنهم على المعاصي وتمردهم في الكفر واستهانتهم بالجراة على من لا تخفى عليه خافية ولا
يبقى لمن عاداه باقية ولما كان من طبع الانسان الانكار على من خالفه وكانت الفطرة الاولى مطابقة لما اتت به الرسل
من قباحة الكذب وما يتبعه من الفسوق وكان الانسان لا ينزل عن تلك الرتبة العالية الى السكوت عن الفاسقين
فضلا عن تحسين احوالهم الا بتدرب طويل وتمرن عظيم حتى يصير له ذلك كالصبغة التي صارت بالتدرب صنعة
يالفها وملكة لا يتكلفها جعل ذنب المرتكب في المعصية غير راسخ لان الشهوة تدعوه اليها وذنب التارك للنهي راسخا
لانه لا شهوة له تدعوه الى الترك بل معه حامل من الفطرة السليمة تحثه على النهي فكان اشد حالا فقال لبيس ما ولما كان

ذلك في جبلاتهم غيريا لكون تفال كانوا يصنعون اي من سكوتهم عنهم وسماعهم منهم ولما لم تزل الدلائل على ابطال دعوى
اهل الكتاب في النبوة والحبية تقوم وجيوش البراهين تحوم حتى انتشبت فيهم سهام الكلام اي انتشاب قال تعالى معجبا من
عالميهم بعد تعيين خاصتهم معلما بانهم لم يقتنعوا بالسكوت عن المنكر حتى تكلموا بالكره مشيرا الى سفول رتبتهم ودناءة هممهم
منزلتهم باداة التانيث وقالت اليهود معبرين عن البخل والعجز جراءة وجهلا بان قالوا ذاكرين اليد لانها موضع القدرة والآلة
الجود والنصرة يد الله اي الذي يعلم كل عاقل ان له صفات الكمال مغلولة اي فهو لا يبسط الرزق غاية البسط وهذا كناية
عن البخل والعجز من غير نظر الى مدلول كل من لفظيه على حياله اصلا كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط ولم يقصد من ذلك غير الجود وضده لا غل ولا عنق ولا بسط اصلا بل صار هذا الكلام عبارة عما وقع مجازه عنه
كانهما متعقبان على معنى واحد حتى لو جاد الاقطع الى المنكب لقيل له ذلك ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة منه الاستوا
وقال في السما المراد منه كما قال العلما انه ما ليس بعبده المشركون من الاوثان قال في الكشاف ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن
تبصر محجة الصواب في تاويل امثال هذه الآية ولم يتخلص عن يد الطاعن اذا عبثت به ولما نطقوا بهذه الكلمة الشنعاء وفاهوا
بتلك الداهية الدهيا اخبر عما جازاهم به سبحانه على صورة ما كان العرب يقابلون به من يستحق الهلاك من الدعا فقال
معبرا بالمبني للمفعول افادة لتحتم الوقوع وتعليما لنا كيف ندعو عليهم ولم يسببه عما قبله بالفا تفويتا لعلى تقدير
سوال سائل غلت ايديهم دعا مقبولا وخبرا صادقا عن كل خير فلا تكاد تجد فيهم كريما ولا سخيا عادلا حاذقا في فن وان
كان ذلك لم تظهر ثمرته ولعنوا اي بعدوا وطردوا عن الجناب لكونهم بما قالوا والمعنى انهم كما راوا احوال المنافقين
المقتضية للتوراة بانهما ثم واقروا عليها فكذلك نطق بعضهم بكلمة الكفر التي لا اقطع منها وسكت عليه الباقون فشاركوه
ولما كان الغل كناية عن البخل وعدم الانفاق وكان الدعا يلعنهم وعليهم متضمنا ان الامر ليس كما قالوا ترجمه سبحانه بقوله
بل يداه وهو منزه عن الجارحة وعن كل ما يدخل تحت الوهم مبسوطتان مشيرا بالتثنية الى غاية الجود ليكون رد قولهم
وانكاره بابلغ ما يكون في قطع تعنتهم وتكذيب قولهم ولما كان معنى هذا اثبات ما نفوه على ابلغ الاحوال قال مصرحا
بالمقصود معرفا انه في انفاقه مختار فلا عنوان يبسط لبعض دون بعض ينفق ولما كان انفاقه سبحانه مختلفا للاختلاف
على احوال متباينة بحيث انها تفوت الحصر اشار الى التعجب من ذلك بالتعبير باداة الاستفهام وان كانوا انما في هذا
الموطن شرط فقال كيف اي كما يشا اي على اي حالة اراد دائما من تقتير وبسط وغير ذلك ولما كان قولهم هذا غاية
في العجب لان كتابهم كاف في تقبيحه بل تقبيح ما هو دونه في الفحش فكيف وقد انضم الى ذلك ما انزل في القرآن من واضح البيان
قال سبحانه عاطفا على وترى كثيرا منهم موكدا المضمون ما سبق من قوله ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا بانه
جعل سبب هذا القول منهم ما اتاهم من الهدى الاكمل في هذا الكتاب المعجز على لسان هذا النبي الذي هم به اعرف منهم
بابنائهم وليزيدن كثيرا منهم اي ممن اراد الله فتنته ثم ذكر فاعل الزيادة فقال ما انزل اليك اي على ما له من النور
وما يدعو اليه من الخير من ربك اي المحسن اليك بكل ما ينفعك دنيا واخرى طغيانا اي تجاوزا عظيما عن الحد تمثلا
منه الاكوان في كل امر وشان وذلك بما جره اليهم داء الحسد لانهم كلما راوه سبحانه تدرا احسانه اليك طعنوا في ذلك
الاحسان وهو لما له من الكمال وعلو الشان يكون الطعن فيه من عظم الدليل عليه والبرهان فيكون اعدى العدوان
وكفرا اي سترا لما ظهر لعقولهم من النور ودعا اليه كثيرهم من الخير وهذا كما يوذي الخفافيش ضيا الصباح وكلما قوي
الضيا ازداداه وفي هذا اياس من توبتهم وتاكيد لعداوتهم وزجر عن موالاتهم وموادتهم اي انهم لا يزدادون بحسن
وعظك وجميل تلاوتك عليهم الآيات الا شقاقا ما وجدوا قوة فان ضعفوا نافقوا ولما كان الاخبار باجتماع كلمتهم
على شقاوة الكفر ربما احدث خوفا من كيدهم نفى ذلك بقوله والقينا اي بما لنا من العظمة الباهرة بينهم اي اليهود
العداوة ولما كانت العداوة وهي ان يعدوا بعضهم الى اذى بعض ربما زالت بزوال السبب فاذا انها لازمة لا تنفك
بقوله والبغضا اي الامور الباطنة وفحش في قلوبهم ونوع الحجر الملقى من علو الى يوم القيمة ولما كان ذلك مفيدا
لوهنهم ترجمه بقوله كلما اوقدوا على سبيل التكرار لاحد من الناس نارا للحرب اي باحكام اسبابها وتهييج جميع ابوابها
اطفاها بان خيب قصدهم في ذلك الله اي الذي له جميع صفات الكمال فلا تجدهم في بلد من البلاد الا في الذل وتحت
القهر واصل استعارة النار لها ما في كل منهما من التسلط والغلبة والحرارة في الظاهر والباطن مع ان المحارب يوقد
النار في موضع عال ليجتمع اليه انصاره ولقد قام لعمري دليل المشاهدة على صدق ذلك بغزوة قينقاع ثم النضير ثم
قريظة والقبائل الثلاث بالمدينة لم يتناصروا ولم ينصروا هذا فيما في خاصتهم واما في غير ذلك فقد الب الاحزاب
وجمعوا القبائل واعتنوا في زعمهم على امرهم المكايد ثم اطفا الله نارهم حسا ومعنى بالريح والملائكة والوهم حزبهم
وعارهم وجعل الدائرة عليهم وساق حتف المنون على ايدي المومنين اليهم والى ذلك وامثاله من اذاهم الاشارة بقوله
ويسعون اي يوجدون ويجتهدون باجتهاد الساعي على سبيل الاستمرار بما يوجدون من المعاصي من كتمان ما عندهم من
الدليل على صحة الاسلام وغير ذلك من انواع الاجرام في الارض اي كلها ما قدروا عليه بالفعل والباقي بالقوة ولما كان

الانسان

الانسان لكونه محل النقصان لا ينبغي ان يتحرك فضلا عن ان يمشي فضلا عن ان يسعى الا بما يرضي الله وحينئذ لا ينسب الفعل
الا الى الله لكونه اثر خالقه فكانت نسبة السعي الى الانسان دالة على الفساد صرح به في قوله فسادا اي
للفساد او ذوي فساد والله اي والحال ان الذي له الكمال كله لا يحب المفسدين اي لا يفعل معهم فعل المحب
فلا ينصرهم جيشا ولا يعلي لهم كعبا ولا يصلح لهم شانا ويدلك يوعدهم سبحانه في التوراة بنصه ولما انتج
بقوله وليزيدن انهم كانوا كفروا قبل اتيان هذا الرسول عليه السلام وكرر ما اعده لهم من الخزي الدائم على نحو
ما اخبرهم به كتابهم وعظيم وحامهم سبحانه استعطافا لهم لئلا ييأسوا من روح الله على عادته في رحمة
لعباده ورافته بهم بقوله تعالى عاطفا على ما تقديره فلو انهم كفوا عن هذه الجرائم العظائم لاضمحلت صحائف
فلم تكن لهم سيئات ولو ان ولما كان الضلال من العالم اقبح اهل الكتاب اي العريقين منهم ولما كان الايمان اساس
جميع الاعمال قدمه اعلاما بانه لا نجاة لاحد الا بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم هذا مع انه حقيق بالتشدد
العناية به لمبالغتهم في كتمان ما عندهم منه صلى الله عليه وسلم فقال امنوا اي بهذا النبي الكريم وما انزل
اليه من هذا الهدى واتقوا اي ما هددوا به في كتابهم على حسب ما دعاهم اليه كتابهم كما في قصة اسمعيل
وغيرها الى ان كان اخر ما دعاهم عليه موسى عليه السلام في اخر كتابهم التصريح بنبوته عليه السلام والاشارة
الى ان اتباعه احق من اتباعه فقال جاء ربنا من سينا واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران فاضاف
الرب اليهم وجعل الاتيان من جبال فاران التي هي مكة لا نزاع لهم في ذلك شديا وظهورا اي لا خفا به
بوجه ولا ظهورا تم منه لكفرنا واشار الى عظم جرايهم بمظهر العظمة عنهم سيئاتهم اي التي ارتكبوها قبل
مجيئه وهي مما يستوي بشدة شكر النفس له وتكرهها واشار الى سعة رحمته وانها لا تضيق عن شي ارادته بمظهر
العظمة فقال ولادخلناهم اي بعد الموت جنات النعيم اي بدل ما هم فيه من الشقا الذي لا يدانيه شقا
ولما كان المعنى لو فعلوا ذلك فالزمناهم الخزي في الدنيا والعذاب الدائم في الآخرة وكان هذا اجمالا لحالتيهم
الدنيوية والاخروية وكان محط نظرهم الاموال الدنيوي رجع لعدما اهتدا الى صلاح الحالة الاخروية لانها
ام في نفسها الى سبب قولهم تلك الكلمة الشنعاء والداهية الفظيعة الصلعا وهو تقتير الرزق عليهم وبين
ان السبب انما هو من انفسهم فقال ولو انهم اقاموا التوراة اي قبل انزال الانجيل بالعمل بجميع ما دعت
اليه من اصل وفرع وثبات عليها وانتقال عنها والانجيل اي بعد انزاله كذلك وفي اقامته اقامة التوراة
الداعية اليه وما انزل اليهم من ربهم اي المحسن اليهم من اسفار الانبيا المبشرة بعيسى ومحمد عليهما السلام
ومن القرآن بعد انزاله كذلك وفي اقامته اقامة جميع ذلك لانه مبشر به وداع اليه لاكلوا اي لتيسر لهم الرزق
وغيرهم لان المراد بيان جهة المأكول لا الاكل من فوقهم ولما كان ذلك كناية عن عظيم التوسعة قال موضحا
له معبرا بالاحين ليفهم غيره بطريق الاولى ومن تحت ارجلهم اي تيسيرا واسعا جدا متصلا لا يحصر او يكون
كناية عن بركات السما والارض فتبين بذلك انه ما ضربهم بالذل والمسكنة الا تصديقا لما تقدم اليهم به من
التوراة قال مترجمها في السفر الخامس ان الدعا والبركات وان انتم سمعتم قول الله ربكم وحفظتم وعملتم بجميع
الوصايا التي امركم بها اليوم يصيركم الرب فوق جميع الشعوب تصيرون الى هذا الدعا ويبارك لكم الله في
في القرية والحقل ويبارك في اولادكم وارضكم ويبارك لكم في بهايمكم وما يصنع في انطاع بقركم واحراب غنمكم
ويبارك فيكم اذا دخلتم ويبارك فيكم اذا خرجتم ويدفع اليكم الله اعداكم الساعين يخرجون اليكم في طريق واحد
ويهربون في سبعة طرق يأمر الله بالبركة في اهرايكم وفي جميع الاشيا التي تمدون ايديكم اليها وينظر اليكم
جميع شعوب الارض ويعلمون ان اسم الرب عليكم وقد سمعتم به فيخافونكم ويزيدكم الرب خيرا ويبارك
في ثمار ارضكم يفتح الله اهوا السما ويهبط المطر على اهله في زمانه وتتسلطون على شعوب كثيرة ولا يتسلط
عليكم احد ويصيركم الرب راسا ولا يصيركم ذنبا وتصيرون فوق ولا تصيرون اسفل اذا عملتم بجميع وصايا
الله ربكم ولم تزوغوا عنها يمنة ولا يسرة ولا تتبعوا الشعوب ولا تعبدوا الهتها وان انتم لم تسمعوا قول
الله ربكم ولم تحفظوا ولم تعملوا بجميع سننه ووصاياه التي امركم بها اليوم ينزل بكم هذا اللعن الذي اقص عليكم
كله ويدركم العقاب وتكونون ملعونين في القرية الى اخر اللعن الذي تقدم فيها وقال في الثالث اذا سلكتم
بسنتي وحفظتم وصاياي وعملتم بها ادر امطاركم في وقتها وتبذل الارض لكم غلاتها وتبذل لكم الشجر ثمارها
ويدرك الدراس والقطاف يدرك الزرع وتاكلون خبزا وتشبعون وتسكنون ارضكم مطمئنين ولا يكون
من يخوفكم واصرف عن ارضكم السباع الضارية وتطردون اعداكم الخمسة منكم يهزمون ماية والماية منكم
يهزمون عشرة الاف وتقع اعداوكم قتلى بين ايديكم في الحرب واقبل اليكم واكثركم وادبر مقدسي بينكم ولا ادير
عنكم بل اكون معكم واسير بينكم وان لم تطيعوني وتسمعوا قولي ولا تعملوا بهذه الوصايا وابطلتم عهودي

انا ايضا اصنع بكم مثل صنيعكم وامر بكم البلايا والبرص والبهق المقشر الذي لا يبرأ والسل الذي يطفي البصر ويهلك النفس ويكون نحبكم في الزرع باطلا وذلك لان اعداكم يأكلونه ما تزرعون وانزل بكم غضبي يهزمكم اعداؤكم ويتسلط عليكم شنائكم وتنهزمون من غير ان يهزمكم احد واصير السماء فوقكم مثل الحديد والارض تحتكم مثل النحاس ولا تحمل لكم ارضكم غلاتها ولا تثمر الشجر ثمارها وارسل عليكم السباع الضارية فتهلككم وتهلك بهائمكم وتستوحش الطرق منكم واسلط عليكم الموت وادفعكم الى اعدائكم وتأكلون ولا تشبعون وتصيرون الى ضيق حتى تأكلوا لحوم بناتكم واخرب منازلكم وافرقكم بين الامم وتخرب قراكم لخيبة تهوي الارض اسباتها وتسبت كل ايام وحشتها ما لم تسبت حيث كنتم فيها عصاة لا تسبتون والذي يبقون منكم القي في قلوبهم فزعة ويطردهم صوت ورقة تحرك ويهربون من صوت الورقة كما يهربون من السيف ويعنفون باثمهم ويحاتون باثام ابائهم ومن بعد ذلك تنكسر قلوبهم الغلف ولما كان ما مضى من ذمهم ربما اوهم انه اكلهم قال مستانفا جوابا لمن يسأل عن ذلك منهم اي اهل الكتاب امة اي جماعة جديرة بان لها تقصد مقتصدة اي مجتهدة في العدل لا غلو ولا تقصير وهم الذين هداهم الله للاسلام نحن نحوهم واجتهادهم وكثير منهم اي بني اسرائيل ساء ما يعملون اي ما اسوا عملهم الذي هم مستمرون على تجديده ففيه معنى التعجب والتخبير بالعمل لانهم يزعمون انه لا يصدر منهم الا عن علم وهم الذين حرفوا الكلم عن مواضعه وارتكبوا العظائم في عداوة الله ورسوله ولما اتم ذلك سبحانه وعلم منه ان من اريدت سعادته يؤمن ولا بد ومن اريدت شقاوته لا يؤمن اصلا ومن اتم ما انزل اليه سعد ومن كفر بشيء منه شقي وكان ذلك بما فترعن الابلاغ نون بقوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر فولاحانا على الابلاغ لاسعاد من اريد للسعادة وهم الامة المقتصدة منهم وان كانوا قليلا وكذا الابلاغ جميع من عداهم يا ايها الرسول اي الذي موضوع امره البلاغ بلغ اي اوصل الى من ارسلت اليهم ما انزل اليك اي كله من ربك اي المحسن اليك بانزاله غير مراقب احدا ولا خائف شيئا لتعلم ما لم تكن تعلم ويهدي على يدك من اراد الله هدايته فيكون لك اجره ولما كان البلاغ مما يخالف الاهوا من الشدة على النفوس بمكان لا يحمله الا ذوو الهمم العالية والاخلاق الزاكية كان المقام شديد الاقتضا لتأكيد الحث على الابلاغ فدل على ذلك بالاعتراض بين الحال والعامل فيها وبالتخبير بالفعل الدال على داعية من من الموانع بان قال وان لم تفعل اي وان لم تبلغ جميع ذلك او ان لم تعمل به فما بلغت رسالته لان من المعلوم ان ما تقع على كل جزء مما انزل فلو ترك منه حرف واحد صدق نفي البلاغ لما انزل ولان بعضها ليس باولى بالابلاغ من بعض فمن اغفل شيئا منها فكانه اغفل الكل كما ان من لم يؤمن ببعضها لم يؤمن بكلها لادلة كل منها بما يدل به الاخر فكانت لذلك في حكم شيء واحد والمعنى فليجادلنك ولكنه كنى بالسبب عن المسبب اجلالا له صلى الله عليه وسلم وافادة لان الواحدة تقع الكل لانه ينتفي بانتفاء الجزء ولما تقدم انهم يسعرون الحروب ويسعون في ابقاء اشد الكروب وكان ذلك وان وعد سبحانه باخماده عند ابقاده لا يمنع من تجويز انه لا يخمد الا بعد قتل ناس وجراح اخرين وكان كانه قيل اذا بلغ ذلك وهو ينقض دبا بهم خيف عليه قال والله اي بلغ انت والحال ان الذي امرك بذلك وهو الملك الاعلى الذي لا كفوء له يعصمك اي يمنعك منعا تاما من الناس اي من ان يقتلوك قبل تمام البلاغ وظهور الدين فلا مانع من ابلاغ شيء منها لاحد من الناس كاينا من كان ولما اذن ضمان العصمة بالمخالفة المؤذنة بان فيهم من لا ينفعه البلاغ فهو لا يؤمن فلا يزال يبغي الغوائل اتبع هذا الفهم بتعليل عدم الايمان بقوله ان الله اي الذي لا امر لغيره لا يهدي القوم الكافرين اي المطبوع على قلوبهم في علم الله مطابقة لقوله ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ويهدي المؤمنين في عليه الثناء اليهم بقوله ويجعل من يشاء والحاصل انه تبين من الايات الارشاد الى ان ترك البلاغ سببين احدهما خوف فوات النفس والاخر خوف فوات ثمرة الدعاء فنفى الاول بضمان العصمة والثاني بختام الاية اي ليس عليك الا البلاغ فلا يحزنك من لا يقبل فليس عراضه لقصور في بلاغك ولا خطك بل لقصور ادراكه وحظه لان الله ختم بكفره وختم على قلبه لما علم من فساد طبعه والله لا يهدي مثله وتخصيص بلغ لمن اجابك ممن اشير اليه بما سلف من غير الكثير الذين يزيدهم ما انزل اليك عمى على عمائهم ومن الامة المقتصدة وغيرهم فهو حظه في الدنيا والاخرة ومن ابى فلا يحزنك امره لان الله هو الذي اراد ضلاله لقصد تبليغ فليس عليك الا البلاغ والى الله الهدى والضلال ان الله لا يهدي القوم الكافرين ويهدي القوم المؤمنين او فاذا بلغت هدى بك ربك من اراد ايمانه ليكتب لك مثل اجرهم واضل من شاء كفرانه ولا يكون عليك شيء من وزرهم ان الله لا يهدي القوم الكافرين والمعنى كانه يعصمك من ان ينالوك بما يمنعك من الابلاغ حتى يتم دينك ويظهر على الدين كله كما وعدناك وعلى مثل هذا دل كلام امامنا الشافعي رحمه الله قال في الجزء الثالث من الام ويقال والله اعلم ان اول ما انزل عليه صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم انزل عليه بعدها ما لم يؤمر فيه بان يدعو اليه المشركين فمرت لذلك مدة ثم يقال اتاه جبريل عليه السلام عن الله عز وجل بان يعلمهم نزول الوحي عليه ويدعوهم الى الايمان فكبر ذلك عليه وخاف التكذيب وان يتناول فنزل عليه يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فقال يعصمك من قتلهم ان يقتلوك حتى تبلغ ما انزل اليك انتهى ولقد وفى سبحانه بما ضمن ومن اوفى منه وعدا واصدق قيلا فلما اتم الدين وادعم

انوف

انوفي المشركين انفذ فيه السم الذي نال وله بخيبر قبل سنين فتوفاه شهيدا كما احياه سعيدا روى الشيخان البخاري في الهبة ومسلم في الطب وابو داود في الديات عن انس بن مالك رضي الله عنه ان امراة يهودية اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فاكل منها فجي بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك او قال على فقالوا الا تقتلها قال لا فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو داود وهي اخت مرحب اليهودي قال الحافظ عبد العظيم المنذري في مختصر سنن ابي داود وذكر غيره انها ابنة اخي مرحب وان اسمها زينب بنت الحرث وذكر الزهري انها اسلمت ولابي داود والدارمي وهذا لفظه عن ابي سلمة وهو ابن عبد الرحمن بن عوف قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل الهدية ولا يقبل الصدقة فاهدت له امراة من يهود خيبر شاة مصلية فتناول منها وتناول بشر بن البراء ثم رفع النبي صلى الله عليه وسلم يده ثم قال ان هذه تخبرني انها مسمومة فمات بشر بن البراء رضي الله عنه فارسل اليها النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما حملك على ذلك فقالت ان كنت نبيا لم يضرك وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال ابو داود فامر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلت زاد الدارمي فقال في مرضه ما زلت من الاكلة التي اكلت بخيبر فهذا اوان انقطاع ابهري وهذا مرسل قال البيهقي ورويناه عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه وقال البيهقي يحتمل انه لم يقتلها في الابتداء ثم لما مات بشر امر بقتلها وقصة هذه الشاة عن ابي هريرة رواها البخاري في الجزية والمغازي في الطب والدارمي في اول المسند بغير هذا السياق كما مضى في البقرة في قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقد مضى في اول هذه السورة في قوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين شيء منه ولابي داود والدارمي عن ابن شهاب قال كان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث ان يهودية من اهل خيبر سمت شاة مصلية ثم اهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فاكل منها واكل رهط من اصحابه معه ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليهودية فدعاها فقال لها اسممت هذه الشاة فقالت اليهودية من اخبرك قال اخبرتني هذه في يدي للذراع قالت نعم قال فما اردت قالت قلت ان كان نبيا فلن يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي بعض اصحابه الذين اكلوا من الشاة واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل الذي اكل من الشاة حجمه ابو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الانصار قال الدارمي وهو من بني ثمامة وهم حي من الانصار قال المنذري وهذا منقطع الزهري لم يسمع من جابر بن عبد الله وفي غزوة خيبر من تهذيب السيرة لابن هشام فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت له زينب بنت الحرث امراة سلام بن مشكم شاة مصلية وقد سالت اي عضو من الشاة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيها من السم ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور وقد اخذ منها كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم ثم دعاها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحت منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر من اكلته التي اكل وذكر موسى بن عقبة ان بشرا رضي الله عنه لم يسغ لقمته حتى اساغ النبي صلى الله عليه وسلم لقمته وقال لعدان اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم والذي اكرمك لقد وجدت ذلك في اكلتي التي اكلت فما منعني ان الفظها الا اني اعظمت ان انغصك طعامك فلما اسغت ما في فيك لم اكن لارغب بنفسي عن نفسك وتنكب من خط شيخنا حافظ عصره ابي الفضل احمد بن علي بن حجر الكناني الشافعي ما نصه واخرج الحافظ ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده المشهور وابو القسم سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني في معجمه الكبير من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياكل من هدية حتى يامر صاحبها ان ياكل منها للشاة التي اهديت له بخيبر قال شيخنا الحافظ ابو الحسن الهيثمي رجاله ثقات قلت وذكره محمد بن اسحق في السيرة الكبرى وكذلك الواقدي في المغازي انتهى وقال ابن اسحق وحدثني مروان بن عثمن بن ابي سعيد بن المعلى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال في مرضه الذي توفي فيه ودخلت عليه ام بشر بنت البراء بن معرور تعوده يا ام بشر ان هذا الاوان وجدت انقطاع ابهري من الاكلة التي اكلت مع اخيك بخيبر قال فان كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة ولابن ماجه في الطب عن ام سلمة رضي الله عنها قالت لا يزال يصيبك كل عام وجع من الشاة المسمومة التي اكلت قال ما اصابني شيء منها الا وهو مكتوب علي وادم في طينته وللبخاري في اخر المغازي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول

في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم قال
ابن فارس في المجمل الأبهر عرق مستبطن الصلب والقلب متصل به وهو قوله صلى الله عليه وسلم هذا أوان قطعت
أبهري وعبارة المحكم عرق في الظهر يقال هو الوريد في العنق وبعضهم يجعله عرقا مستبطن الصلب وقال ثابت
بن عبد العزيز في كتاب خلق الإنسان وفي الصلب الوتين وهو عرق أبيض غليظ كأنه قصبة وفي الصلب الأبهر والأبيضان هما
عرقان وقال الزبيدي في مختصر العين والأبهران عرقان مكتنفا الصلب وقيل هما الأكحلان وقال الحربي وأبا ذر في
قاموسه والأبهر الظهر وعرق فيه ووريد العنق والأكحل والكلية والوتين عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه
وقال ابن الفرات في الوفاة من تيسيرة من نادرته قال الحربي العرق في الظهر يسمى الأبهر وفي اليد الأكحل وفي العنق الوريد
وفي الفخذ النسا وفي الساق الأجل وفي العين الشأن وهو عرق واحد كله يسمى الجدول وقال ابن كيسان أيضا هو الوتين
في القلب والصافن وقال الإمام أبو غالب بن البناني الأندلسي في كتابه الموعب إسمعيل أبو حاتم الأبهر عرق في الظهر
يقال هو الوريد في العنق ثم قال والأبهر عرق مستبطن المتن الأصمعي في الصلب الأبهر وهو عرق صاحب العين الأبهران
الأكحلان ويقال هما عرقان مكتنفا الصلب من جانبيه وقال صلى الله عليه وسلم ما زالت أكلة خيبر تعادني كل عام فالآن
حين قطعت أبهري يعني عرقي ويقال الأبهر عرق مستبطن الصلب إذا انقطع فلا حياة بعده وهذا اللفظ الذي ذكره
رواه البخاري والطبراني عن عائشة رضي الله عنها وحتى تعادي شاظوني وتعالقني من بعده عصى الندا الذي هو المثل
المضاد والمنافر في كلما زدت في جسمي صحة نقصته بما لها من الضرر الأذى ولما أمره سبحانه بالتبليغ العام أمره بنوع منه
على وجه يؤكد ما ختمت به آية التبليغ من عدم الهداية لمن حتم بكفره ويبطل مع تأكيده هذه الدعوى قولهم نحن أبناء الله
وأحباؤه فقال مرهبا لهم بعد ما تقدم من الترغيب في إقامته قل يا أهل الكتاب أي من اليهود والنصارى لستم على شيء
أي سارا ويعتد به من دنيا ولا آخرة لأنه لعدم نفعه كبطلانه لا يسمى شيئا أصلا حتى تقيموا أي بالعمل بالقلب والقالب
التوراة والإنجيل وما فيهما الإيمان بعيسى ثم محمد عليهما السلام بالإشارة إلى كل منهما بالخصوص بنحو ما تقدم في الإشراق
من ساعير والظهور من فاران وبالإشارة بالعموم إلى تصديق كل من أتى بالمعجز وصدق ما قبله من منهاج الرسل وما أنزل
ولما كان ما عندهم إنما أتى إليهم بواسطة الأنبياء عداه بحرف الغاية فقال إليكم من ربكم أي المحسن إليكم بإنزاله على ألسنة
أنبيائكم من البشارة بهما وعلى لسان هذا النبي العربي الكريم بما يصدق ما قبله فإنهم يعلمون ذلك ولكنهم يجحدونه ولما كان ذلك
السياق لأن أكثرهم هالك صرح به دالا بالعطف على غير معطوف عليه أن التقدير فليؤمنن به من أراد الله منهم فقال
وليزيدن كثيرا منهم أي ما عندهم من الكفر بما في كتابهم ما أنزل إليك من ربك المحسن إليك بإنزاله طغيانا أي
تجاوزا شديدا للحد وكفرا أي سترا لما دل عليه العقل ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد الشفقة على خلق الله سلاه في
ذلك بقوله فلا أي فتسبب عن إعلام الله لك بذلك قبل وقوعه ثم عن وقوعه كما أخبر أن تعلم أنه بإرادته وقدرته فيقال لك
لا تأس أي تحزن على القوم الكافرين أي على فوات العريقين في الكفر فإنهم لم يضروا إلا أنفسهم لأن ربك العليم القدير
لو علم فيهم خيرا لأقبل بهم إليك والحاصل أنه ختم هذه الآية بمعلول الآية التي قبلها فكأنه قيل بلغ فإن الله هو الهادي المضل
فلا تحزن على من أدبر ولما كان ما مضى في هذه السورة غالبا في فضائح أهل الكتاب لا سيما اليهود وبيان أنهم عسوا على
الكفر ومردوا على الجحد وتمرنوا على البهت وعتوا عن أمر الله كان ذلك موجبا لأنه ربما حدث في الخاطر أنه إن آمن منهم
أحد لم يقبل أو لأن تقرأهم ليس في دعائها حينئذ فائدة فلأنه عنا أخبر أن الباب مفتوح لهم ولغيرهم من جميع أهل
الملل وأنه ليس بين الإنسان وبين أن يكون من أهل الأعلام إلا الإخلاص فإذا أخلص أذن في دخوله ونودي بقوله أو يقال
وهو أحسن لما أخبر عن كثير منهم بالزيادة في الكفر رغب القسم الآخر على وجه يعم غيرهم أو يقال إنه لما طال الكلام معهم كان
ربما ظن أن الأمر ترغيبا أو ترهيبا وأمرا أو نهيا خاص بهم فوقع الإعلام بأنهم وغيرهم من جميع الفرق في ذلك سواء لم
تشريفا لمقدار هذا النبي الكريم بعموم الدعوة وإحاطة الرسالة فقال سبحانه إن الذين آمنوا أي قالوا آمنا والذين هادوا
أي اليهود والصابئون أي القائلون بالأوثان السماوية والأصنام الأرضية والنصارى أي الذين يدعون اتباع المسيح
عليه السلام ولما كان اليهود قد عبدوا الأصنام متقربين بها إلى النجوم في استنزال الروحانيات لها كما في السحر الذي جاء
نبيهم موسى عليه السلام بإبطاله وكان ذلك هو معنى دين الصابئة فرق بين فريقي بني إسرائيل بهم مكتفيا عن ذكر بقية
المشركين لما مضى في البقرة ولما سبق في هذه السورة من ذم اليهود بالنقض للميثاق والكفر واللعن والقسوة
ونكر الجناية وإخفاء الكتاب والمسارعة في الكفر والنفاق والتخصيص بالكفر والظلم والفسق وغير ذلك من الطامات
ما سد الأسماع كان قبول توبتهم جديرا بالإنكار وكانوا هم ينكرون عنادا لإفلاح العرب من آمن منهم ومن لم يؤمن
فاقتضى الحال كون الخبر يقين في حيز التأكيد ولم يتقدم للصابئة ذكر هنا أصلا فأخرجوا منه تنبيها على أن المقام
لا يقتضيه لهم فابتدى بذكرهم اعتراضا ودل على أن الخبر عنهم بخبران وأنه لما كان المقام للترغيب في التوبة وجعل
هؤلاء مع شناعة حالهم بظهور ضلالهم كمن لا إنكار لقبول توبته كان غيرهم أولى بذلك ولما كان حال النصارى مشتبها

جعلوا

جعلوا في حيز الاحتمال للعطف على اليهود لما تقدم من ذمهم وعلى الصابئة لخفة حالهم لأنهم مع أن أصل دينهم صحيح
لم يبلغ ذمهم السابق في هذه السورة مبلغ ذم اليهود من آمن أي منهم مخلصا من قلبه ولعله ترك الجار إغراقا لهم
في التعميم بالله أي الذي له جميع الجلال والإكرام واليوم الآخر أي الذي يبعث فيه العباد بأرواحهم وأشباحهم
ويبعث ذكره على الزهادة والجد في العبادة وبالإيمان به يحصل كمال المعرفة بالله تعالى باعتقاد كمال قدرته
وعمل صالحا أي صدق إيمانه القلبي بالعمل بما أمر به ليجمع بين فضيلتي العلم والعمل ويطابق الحال مع الأركان
فلا خوف عليهم بعتبة به في دنيا ولا آخرة ولا هم أي خاصة يحزنون على شيء فات لأنه لا يفوتهم شيء يوسف عليه
أصلا وأما غيرهم فهم في الحزن أبدا وفي الآية تكذيب لهم في قولهم ليس علينا في الأميين سبيل المشار إليه في هذه
السورة بنسبتهم إلى أكل السحت في غير موضع وإلى نصوص التوراة الموجودة بين أظهرهم الآن أعظم ناصح لهم في
ذلك كما سبق في أوائل سورة البقرة وقال في السفر الرابع منها عند ذكر التيه ووصاياهم إذا دخلتم إلى الأرض
المقدسة وملكتم فيها يا شيئا منها القربان وإن سكن بينكم رجل غريب يقبل إلي وبين أولادكم لأحقابكم ويقرب
قربانا لوقع لذات الرب تجوز للرب يعمل كما تعملون أنتم ولتكن السنة واحدة لكم وللذين يقبلون إلي ويسكنون بينكم
سنة جارية لأحقابكم إلى الأبد والذين يقبلون إلي من الغرباء يكونون أمام الرب مثلكم ولتكن لكم سنة واحدة وحكم
واحد لكم وللذين يقبلون إلي ويسكنون معكم ولما كانت هذه البشارة الصادقة من العزيز العليم الذي هو
الكتاب عرفوا الناس به لمن آمن كائنا من كان موجبة للدخول في الإيمان والتعجب ممن لم يسارع إليه وكان أكثر أهل
الكتاب ممن يسارعون في الكفر كان الحال مقتضيا لذكر ما مضى من قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وزيادة التعجب منهم مع ذلك فأعاد سبحانه الإخبار به مؤكدا له تفخيما لأمره وتعظيما
لشأنه وسائرا على وجه يبرد دعوى النبوة والمحبة ملتفتا مع التذكير بأول قصصهم في هذه السورة إلى أول السورة وقوا
بالعقود وغيره في موضع الجلالة نون العظمة وجعل بدل النقباء الرسل فقال مستأنفا لقد أخذنا أي على ما لنا
من العظمة ميثاق بني إسرائيل أي على الإيمان بالله ثم بمن يأتي بالمعجز مصدقا لما عندهم بحيث يقوم الدليل على أنه من
رسل الله الذين تقدم أخذ العهد عليهم بالإيمان بهم ودل على عظمة الرسل بعوده إلى مظهر العظمة وأرسلنا إليهم
رسلا أي لم نكتف بهذا العهد بل لم نخلهم من بعد موسى من الرسل الذين يرونهم الآيات ويجددون لهم أوامر الرب
إلى زمن عيسى عليه السلام روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه البخاري في بني إسرائيل ومسلم في المغازي أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وأنه لا نبي بعدي وسيكون
خلفاء فيكثرون قالوا فما تأمرنا قال فوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم انتهى
ومع ذلك فلم يخل لهم زمان طويل من الكفر لا في زمن موسى ولا في زمن من بعده من الأنبياء عليهم السلام حتى قتلوا
كثيرا من الرسل وهو معنى قوله جوابا لمن كأنه قال ما فعلوا بالرسل كلما جاءهم رسول أي من أولئك الرسل أي رسول
كان بما لا تهوى أنفسهم أي بشيء لا تحبه نفوسهم محبة تكسبا قطعها إليه فكأنه قيل أي مخالفة فقيل فريقا أي من
الرسل كذبوا أي كذبهم بنو إسرائيل من غير قتل ودل على شدة بشاعة القتل وعظيم شناعته بالتعبير بالمضارع
تصويرا للحال الماضية وتنبيها على أن هذا ديدنهم وهو أشد من التكذيب فقال وفريقا يقتلون أي مع التكذيب
وليدل على ما وقع منهم من سم النبي صلى الله عليه وسلم وتقديم المفعول للدلالة على اختصار أمرهم في حالتي التكذيب
والقتل بلا حظ لهم في تصديق مخالف لأهويتهم وحسبوا أي لخفة عقولهم مع مباشرتهم لهذه العظائم التي ليس
بعدها شيء أن لا تكون أي توجد فتنة أي إنهم لا يصيبهم بها عذاب في الدنيا ولا خزي في الأخرى بل استحقوا بأمرها
فلا تعجب أنت من حوائهم في ادعائهم أنهم أبناء وأحباء وقرئ تكون بالرفع تنزيلا للحسبان منزلة العلم فتكون مخففة
من الثقيلة التي للتحقيق وبالنصب لأن الحسبان على بابه وأن على بابها خفيفة ناصبة للفعل لأن القاعدة كما ذكر
الواحدي أن الأفعال على ثلاثة أضرب فعل للثبات والاستقرار كالعلم واليقين والتبيين يقع بعده الثقيلة
دون الخفيفة وفعل للزلزلة والاضطراب كالطمع والخوف والرجاء فلا يكون بعده إلا الخفيفة الناصبة للمضارع وفعل يقع
على وجهين كحسب تارة يكون بمعنى طمع فينصب وتارة بمعنى علم فيرفع فإن رفع هنا كان الحسبان بمعنى العلم عندهم لقوة
عنادهم وإن نصب كان بمعنى الطمع بأنهم عالمون بأن قتلهم لهم خطأ فتنزل القراءتان على فريقين والله أعلم وأيضا
فقراءة الرفع تفيد تأكيد حسبانهم المفيد لعدم خوفهم بزيادة عماهم فعموا أي تسبب عن إدلالهم إدلال الولد والمحبوب
جهلا منهم وحماقة بظنهم أنهم لا تنالهم فتنة أنهم وجد عماهم العمى الذي لا عمى في الحقيقة سواه وهو انطماس البصائر
فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وحتى في زمن موسى عليه السلام وصموا أي بعده وبعد يوشع
عليهما السلام لأن الصمم أضر من العمى فصاروا كمن لا يهتدي إلى سبيل أصلا لأنه لا بصر له يعين ولا قلب ولا سمع ثم تا[ب الله]
أي الذي له الإحاطة بصفات الكمال عليهم أي فرجعوا إلى الحق وتكرر لهم ذلك ثم عموا أي في زمن المسيح عليه السلام

سنة واحدة وحكم

وصموا اي بعده ولما كان الاتيان بالضمير مفهما لان ذلك عمهم كلهم اعلم سبحانه ان ذلك ليس كذلك بقوله كثير منهم الا ان سوقه
للعبارة هذا المساق يدل على ان من لم يكفر منهم كان بمنزلة لا غير راسخ القدم في الهدى والله اعلم ولما دل عليه بقوله والله اي المحيط
بكل شي قدرة وعلما بصير بما يعملون اي وان دق وان كانوا يظنون انهم اسروا عملهم على علم وقد مضى في قوله من لعنه الله وغضب عليه
ما يشهد لهذا من عبادتهم بعجل الصنم وغيره من الاصنام مرة بعد مرة ولما اخبر تعالى بقبيح اعمالهم دل على ذلك بقوله مستنتجا
مبينا من حال النصارى ما بين من حال اليهود وموكدا لختم اية التبليغ بما ينقض دعواهم في النبوة والمحبة لقد كفر اي ستر ما دل
عليه العقل وهدى اليه النقل الذين قالوا ان الله اي على ما له من نعوت الجلال والجمال هو المسيح فبين بصيغة تعقيل الذي لا مانع من ان
يكون للمفعول بعده عما ادعوه فيه ثم اوضح ذلك بقوله ابن مريم ايضاحا لا خفا معه ولما كانت دعوى الاتحاد الذي هو قول اليعقوبية
اشد في الكفر واتى للالام من دعوى التثليث الذي هو قول النسطورية والملكية القائلين بالاقانيم قدمها وبين تعالى انهم خالفوا
فيها امر المسيح الذي ادعوا انه هو الاله فقال وقال اي قالوا هذا الذين كفروا به والحال انه قال لهم المسيح شفقة عليهم ودعا الى
ما هو الحق يا بني اسرائيل اي الذي كان يتشرف بعبادة الله وتسميته بانه عبد الله اعبدوا الله اي الملك الاعظم الذي كل شي تحت
قهره فامرهم بما الحق اي اهله مذكرا لهم بعظمته ثم ذكرهم باحسانه وانه واياهم في ذلك شرع واحد فقال مقدما لما يتعلق به
لانه الاهم لانكارهم له ربي وربكم فلم يطيعوا الاله الحق ولا الذي دعوه الها فلا اضل منهم ولا اسفه قال ابو حيان في النهر وهذا
الذي ذكره تعالى عنه هو مذكور في انجيلهم يقرءونه ولا يعملون به وهو قول المسيح يا معشر بني المعمودية ربي وربكم يا معشر الشعوب
قوموا بنا الى ابي وابيكم والهي والهكم ومخلصي ومخلصكم انتهى وقد اسلفنا في آل عمران وغيرها عن الانجيل كثيرا من شواهد
ذلك ويأتي في هذه السورة وغيرها كثير منه ولما امرهم بما يفهم منه الاخلاص علله تعالى في العبادة لما ذكر من جلاله وان ما سواه
مربوب ولانه اغنى الاغنياء لمن اشرك به شيئا لم يعمله لعبادة علل ذلك بقوله انه من يشرك اي الآن او بعد الآن في زمن من
الازمان بالله اي الذي تفرد بالجلال في عبادة او فيما هو مختص به من صفة او فعل فقد حرم الله اي الذي له الامر كله فلا امر لاحد معه
عليه الجنة اي منعه من دخولها منعا عظيما محتما ولما كان المنع من دار السعداء مفهما للكون في دار الاشقياء صرح به فقال ومأواه
اي محل سكناه النار ولما جرت عادة الدنيا بان من نزل به ضيم يسعى في الخلاص منه بانصاره واعوانه نفى ذلك سبحانه مظهرا
للوصف المقتضي لشقائهم تعليلا وتعميما فقال وما للظالمين اي لهم لظلمهم من انصار لا بفدا ولا بشفاعة ولا مقاهرة
بجاههم ولا مسايرة لان من وضع عمله في غير موضعه فكان ماشيا في الظلام لا تمكنه اصلا مقاومة من هو في تمام ضياء وهذا اعلى
التهديد على الكفر فلا يصح ان يكون على مطلق المعصية ولو كانت كبيرة فبطل قول المعتزلة ولما انقضى هذا النقض دعوى الالوهية
كما مضى اتبعه ابطال دعوى التثليث بقوله مبدلا من تلك النتيجة نتيجة اخرى لقد كفر الذين قالوا جرأة على الكلام المناقض
وعدم حياء ان الله اي على ما له من العظمة التي منها الغنى المطلق ثالث اي واحد ثلاثة اي كلهم الهة واما القائل بانه ثالث
بالعلم فلا يكفر ولما اعلم بكفرهم اشار الى ابطاله كما اشار الى ابطال الاول كما سلف بما لا يخفى على احد تحقيقا لكفرهم
بمعنى الكفر الذي هو ستر ما هو ظاهر فقال وما واغرق في النفي بما هو الحق واقتضاه المقام فقال من اله الا اله واحد اي
قالوا ذلك والحال انه لا يصح ولا يتصور في العقل ان يكون اله متعدد لا تحقيقا ولا تقديرا بوجه من الوجوه ولا يكون الا واحدا
بكل اعتبار وهو الله تعالى لا غيره وقد بين عيسى عليه السلام في الانجيل الذي بين اظهرهم انه لا يصح ان يكون الاله الا واحدا بالمعنى
من دليل ذلك عند محققي اهل الاصول وهو برهان التمانع المشار اليه في كتابنا بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
فقال مترجمهم في انجيل متى حينئذ اتي اليه اي عيسى عليه السلام باعمى اخرس به شيطان فابراه حتى انه تكلم وابصر فبهت
الجمع كلهم وقالوا لعل هذا ابن داود فسمع الفريسيون فقالوا هذا لا يخرج الشياطين الا ببعل زبول رئيس الشياطين
فلما علم فكرهم قال لهم كل مملكة تنقسم على ذاتها تخرب وكل مدينة او بيت ينقسم لا يثبت فان كان الشيطان لا يخرج
الشيطان فقد انقسم فكيف يقوم ملكه فان كنت انا اخرج الشياطين ببعل زبول فابناؤكم بماذا يخرجونهم من اجل
هذا هم يحكمون عليكم وان كنت انا بروح الله اخرج الشياطين فقد قربت منكم ملكوت الله فكيف يستطيع احد ان يدخل
بيت القوي ويخطف متاعه الا ان يربط القوي اولا حينئذ ينهب بيته وقال مرقس واما الكتبة الذين نزلوا من يروشليم
فقالوا ان بعل زبول معه وبارکون الشياطين يخرج الشياطين ثم دعاهم فقال لهم كيف يقدر شيطان ان يخرج شيطانا
وكل مملكة تنقسم لا تثبت تلك المملكة فاذا اختلف اهل البيت لا يثبت ذلك البيت وان كان الشيطان الذي يقاوم
نفسه وينقسم فلن يقدر ان يثبت لكن له انقضاء لا يقدر احد ان يدخل بيت القوي وينهب بيته الا ان يربط
اولا وينهب متاعه الحق اقول لكم ان كل شي يغفر لبني الناس من الخطايا والتجديف الذي يجدفونه والمجدف على روح
القدس ليس يغفر له الى الابد بل يحل عليه العقاب الدائم لانهم يقولون ان معه روحا نجسا قال متى من ليس معي فهو
علي ومن لا يجمع معي فهو يفرق من اجل هذا اقول لكم ان كل خطية وتجديف يترك للناس والتجديف على الروح القدس
لا يترك ومن يقل كلمة على ابن الانسان يترك له والذي يقول على روح القدس لا يترك له في هذا الدهر ولا في الآتي اما ان
تصيروا الشجرة الجيدة يا اولاد الافاعي كيف تقدرون ان تتكلموا بالصلاح وانتم اشرار انما يتكلم الفم من فضل ما في القلب

الرجل الصالح من كنزه الصالح يخرج الصالح والرجل الشرير من كنزه الشرير يخرج الشر اقول لكم ان كل كلمة يتكلم الناس
بطالة يعطون عنها جوابا في يوم الدين لانك من كلامك تبرر ومن كلامك تحكم عليك وفي انجيل لوقا وفيما هو
يتكلم رفعت امراة من الجمع صوتها وقالت طوبى للبطن التي حملتك والثدي التي رضعتك فقال لها مهلا طوبى لمن
لمن يسمع كلام الله ويحفظه انتهى حينئذ اجابه قوم من الكهنة والفريسيين قائلين نريد يا معلم ان نرى منك اية فاجاب
وقال لهم الجيل الشرير الفاسق يطلب اية فلا يعطى له الا اية يونان النبي قال لوقا كما كان في يونان اية لاهل
نينوى كذلك يكون ابن الانسان لهذا الجيل اية انتهى رجال نينوى يقومون في الحكم ويحاكمون هذا الجيل لانهم تابوا
بكرازة يونان وقال لوقا بانذار يونان وههنا افضل من يونان ملكة التيمن تقوم في الحكم مع هذا الجيل وتحاكمه
لانها اتت من اقصى الارض لتسمع من حكمة سليمن وههنا افضل من سليمن ان الروح النجس اذا خرج من الانسان
يأتي اماكن ليس فيها ما يطلب راحة فلا يجد فيقول حينئذ ارجع الى بيتي الذي خرجت منه فياتي فيجد المكان فارغا
مكنوسا مزينا فيذهب حينئذ وياخذ معه سبعة ارواح اخر شرا منه ويأتي ويسكن هناك فتصير اخرة ذلك
الانسان شرا من اوله وهكذا يكون هذا الجيل الشرير انتهى والتجديف هو الكفر بالنعم ويونان يونس عليه السلام
والكرازة بينها لوقا بانها الانذار والتيمن اليمن والادكون بضم الهمزة والكاف بينهما دال مهملة ساكنة الكبير
ويروشليم بفتح التحتانية وضم المهملة ثم شين معجمة بيت المقدس وبعل زبول بموحدة وعين مهملة وزاي
وموحدة هذا الدليل على التوحيد وان الشركة في الالهية لا تصح اصلا واما الدليل على عدم شركة كل من عيسى وامه
عليهما السلام بخصوصهما فسيأتي تقريره بقوله كانا يأكلان الطعام والمراد من ذلك كله انه متى دخلت الشركة اتى النقص
فعلا او مكانا او امكانا ومن عرته شائبة نقص لم يصح كونه الها ولما اخبر انهم كفروا واشار الى نقض قولهم كان
انسب الاشياء بعد ان يعطف عليه ترهيبهم وترغيبهم فقال تعالى وان لم ينتهوا اي الكفرة بجميع اصنافهم عما
يقولون اي من هاتين المقالتين وما داناهما ليمسن اي مباشرة من غير حائل الذين كفروا اي داموا على الكفر وثبتوا
سبحانه بانه يتوب على بعضهم بقوله منهم عذاب اليم ولما كان من شان العاقل انه لا يقدم على باطل فان وقع ذلك منه
ويشعر بنوع ضرر يأتي بسببه بادر الى الاقلاع عنه تسبب عن هذا الانذار بعد بيان العوار الانكار عليهم في عدم المبادرة
الى التوبة ايضاحا لان معنى كفروا داموا عليه فقال افلا يتوبون اي يرجعون بعد هذا الكفر الذي لا اوضح من بطلانه
ولا ابين من فساده والوعيد الشديد الى الله اي المتصف بكل وصف جميل ويستغفرونه اي يطلبون منه غفران
ما قدموا عليه من العار البين العوار ولما كان التقدير فالله تواب حكيم عطف عليه قوله والله ويجوز ان يكون التقدير
والحال ان المتصف بصفات الكمال ازلا وابدا غفور اي بليغ المغفرة يمحو الذنوب فلا يعاقب عليها ولا يعاتب رحيم
بالغ الاكرام لمن اقبل اليه ولما ابطل الكفر كله باثبات فعاله من ارساله وانزاله وغير ذلك من كماله واثبت التوحيد
على وجه عام اتبع ذلك تخصيص ما كفر به المخاطبون بالابطال فكان ذلك دليلا خاصا بعد دليل عام فقال
على وجه الحصر في الرسلية ردا على من يعتقد فيه الالهية واصفا له بصفتين لا يكونان الا لمصنوع مربوب ما المسيح
اي الممسوح بدهن القدس المطهر المولود لانه ابن مريم الا رسول وبين ما كان به عما ممن كان قبله من اخوانه بقوله قد
خلت من قبله الرسل اي فما من خارقة له الا وقد كان مثلها او اعجب منها لمن قبله كادم عليه السلام في خلقه من تراب
وموسى عليه السلام في قلب العصى حية تسعى ونحو ذلك ولما كفروا بامه ايضا عليهما السلام بين ما هو الحق فقال وامه صديقة
اي بليغة الصدق في نفسها والتصديق لما ينبغي ان يصدق فرتبتها تلي رتبة الانبياء ولذلك تكون من ازواج نبينا
صلى الله عليه وسلم في الجنة وهذه الاية من ادلة من قال ان مريم عليها السلام لم تكن نبية فانه تعالى ذكر اشرف صفاتها
في معرض الرد على من قال بالهيتهما اشارة الى بيان ما هو الحق في اعتقاد ما لهما من اعلى الصفات وانه من
رفع واحدا منهما فوق ذلك فقد اطراه ومن نقصه عنه فقد ازدراه فالقصد العدل بين الافراط والتفريط
باعتقاد ان اعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة واكمل صفات امه الصديقية ولما كان المقام مقام
البيان عن نزولهما عن رتبة الالهية ذكر ابعد الاوصاف عنها فقال كانا يأكلان الطعام وحصول الاكل لا بد مع
كونه ضعفا ظاهرا هو اصل الحاجات المعترية للانسان فهو تنبيه على غيره ومن الامر الجلي ان الاله لا
ينبغي ان يدنو الى جنابه عجز اصلا وقد اشتمل قوله تعالى وقال المسيح وقوله كانا يأكلان الطعام على اشرف
احوال الانسان واخسها فاشرفها عبادة الله واخسها الاشتغال عنها بالاكل الذي هو مبدا الحاجات
ولما اوضح ما هو الحق في امرهما حتى ظهر كالشمس بعدهما عما ادعوه فيهما اتبعه التعجيب من تمام قدرته على اظهار
الايات وعلى الاضلال بعد ذلك البيان فقال انظر كيف نبين لهم الآيات اي نوضحها ايضاحا شافيا قاطعا للعلائق
التي من شانها الهداية الى الحق والمنع من الضلال ولما كان العمى عن هذا البيان في غاية البعد اشار اليه باداة
التراخي فقال ثم انظر انى اي كيف ومن اين ولما كان العجب قبولهم للصرف وكان تركهم لا كونه من صارف معين بني

للمفعول قوله يؤفكون اي يصرفون عن الحق وبيان الطريق صرف من لا نور له اصلا من اي صارف كان فصرفهم في غاية السفول
وبيان الآيات في غاية العلو فبينهما بون عظيم ولما نفى عنهما الصلاحية لرتبة الالهية للذات اتبعها نفي ذلك من حيث الصفات
فقال منكرا مصرحا بالاعراض عنهم اشارة الى انهم ليسوا اهلا للاقبال عليهم قل اي للنصارى بها الرسول الاعظم اتعبدون
ونبه على ان كل شيء دونه وانهم اتخذوهم وسيلة اليه بقوله من دون الله ونبه باثبات الاعم الاعظم على ان له جميع الكمال وعبر
عما عبدوه باداة ما لا يعقل تنبيها على انه هو سبحانه الذي افاض عليه ما رفعه عن ذلك الحيز ولو شاء لسلبه عنه فقال ما لا يملك
لكم ضرا من نفسه فتخشوه ولا نفعا اي فترجوه ليكون لكم نوع عذرا وشبهة ولا هو سميع يسمع كل ما يمكن سمعه بحيث يغيث
المضطر اذا استغاث به في اي مكان كان ولا عليم يعلم كل ما يمكن علمه بحيث يعطي على حسب ذلك وكل ما يملكه من ذلك فبتمليك
الله له كما ملككم من ذلك ما شاء ولما نفى عنه ما ذكر تصريحا وتلويحا اثبته لنفسه المقدسة كذلك فقال والله اي والحال ان الملك
الذي له الاسماء الحسنى والصفات العلى والكمال كله هو اي خاصة السميع العليم وهو وحده الضار النافع يسمع منكم هذا القول
ويسمع هذا العقد السيء وانما اتى بالسميع العليم دون البصير لارادة التهديد بل من عبد غيره لان العبادة قول او فعل ومن
الفعل ما محله القلب وهو الاعتقاد ولا يدرك بالبصر بل بالعلم والاية كما ترى من الاحتباك دل بما اثبته لنفسه على سبيل
القصر على نفيه في الجملة الاولى عن غيره وبما نفاه في الجملة الاولى عن غيره على اثباته له والله الموفق ولما قامت الادلة على بطلان
قول اليهود ثم على بطلان مدعى النصارى ولم يبق لاحد علة امره صلى الله عليه وسلم ان ينهى الفريقين عن الغلو بالباطل في امر
عيسى عليه السلام اليهود بانزاله عن رتبته والنصارى برفعه عنها بقوله تعالى قل يا اهل الكتاب اي عامة لا تغلوا اي تجاوزوا
الحد علوا ولا نزولا في دينكم ولما كان الغلو ربما اطلق على شدة الفحص عن الحقائق واستنباط الخفي من الاحكام والدقائق من
خبايا النصوص نفى ذلك بقوله غير الحق وعرفه ليفيد ان المبالغة في الحق غير منهي عنها وانما المنهي عنه تجاوز دائرة الحق
بحذافيرها ولو نكره لكان من جاوز حقا الى غيره واقعا في النهي لكن جاوز الاجتهاد في صلاة النافلة الى الجد في العلم النافع ولو
قيل باطلا لاوهم ان المنهي عنه المبالغة في الباطل لا اصله ومطلقه ولما نهاهم ان يضلوا بانفسهم نهاهم ان يقلدوا في ذلك
غيرهم فقال ولا تتبعوا اي تطلبين فعل من تجتهد في ذلك اهواء قوم اي هووا مع ما لهم من القوة فكانوا اسفل سافلين
والهوى لا يستعمل الا في الشر قد ضلوا ولما كان ضلالهم غير مستغرق للزمان الماضي ادخل الجار فقال من قبل اي من قبل زمانكم
هذا عن منهاج العقل فصروا على ضلالهم واستنوا بما تمادوا عليه من محالهم واضلوا اي لم يكفهم ضلالهم في انفسهم حتى
اضلوا غيرهم كثيرا اي من الناس بما دعوهم في الباطل من التثليث وغيره حتى طرحقا وضلوا اي بعد بعث النبي صلى الله عليه وسلم
بمنابذة الشرع عن سواء اي عدل السبيل اي الذي لا سبيل في الحقيقة غيره لان الشرع هو الميزان القسط والحكم العدل
وهذا اشارة الى انهم ان لم يتنبهوا كانوا على محض التقليد لاسلافهم الذين هم في غاية البعد عن المنهج وترك الاهتداء
بنور العلم وهذا غاية في التبكيت فان تقليدهم لو كان فيما يشبه الحق كان جهلا فكيف وانما هو تقليد في هوى ولما نهاهم
عن ذلك ونعى عليهم علله محذرا منه بقوله تعالى بانيا للمفعول لان الفاعل معروف تقريبة من هو على لسانهما لعن
ووصفهم بما بنيه على علة لعنهم بقوله الذين كفروا وصرح بنسبتهم تعيينا لهم تبكيتا وتقريعا فقال من بني اسرائيل واكد
هذا اللعن وفخمه بقوله على لسان داود اي الذي كان على شريعة موسى عليه السلام لانهم خالفوا النبيين وذلك باعتدائهم
في السبت فصاروا قردة وعيسى ابن مريم اي الذي نسخ شرع موسى عليه السلام لانهم خالفوا النبيين معا فلانهم تقيدوا بما
دعاهم اليه داود عليه السلام من شرعهم الذي هم مدعون التمسك به وعادوا بانه ما دعاهم اليه منه حقا ولانهم خرجوا عن
الى ما امروا بالخروج اليه على لسان موسى عليه السلام في بشارته به متقيدين بما غير فلم يبق لهم علة من التقيد به ولا
التقيد بحق دعاهم اليه غيره فعلم قطعا انهم مع الهوى كما مضى ولم ينفعهم مع نسبتهم الى واحدة من الشريعتين
نسبتهم الى اسرائيل عليه السلام فانه لا نسب لاحد عند الله دون التقوى لا سيما يوم الفصل الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين ولما اخبر بلعنهم واشار الى تعليله بكفرهم صرح بتعليله بقوله ذلك اي اللعن التام بما اي
بسبب ما عصوا اي تغلوا في ترك احكام الله فعل العاصي على الله وكانوا يعتدون اي كانت مجاوزة الحدود التي حدها
الله لهم خلقا ذكر الاشارة الى لعنهم في الزبور والانجيل قال في المزمور السابع والسبعين من الزبور انصت يا شعبي
لوصاياي قربوا اسماعكم الى قول فمي فاني افتح بالامثال فمي وانطق بالاسرار الازلية التي سمعناها وعرفناها واخبرنا
اباؤنا بها ولم يخفوها عن ابنائهم ليعرفوا الجيل الاتي تسابيح الرب وقوته وعجائبه التي صنعها اقام شهادته في يعقوب
وجعل ناموسا في اسرائيل كالذي اوصى اباءنا ليعلموا ابناءهم لكيما يخبر الجيل الاخر البنين الذين يولدون ويقومون ويعلمون
ايضا بنيهم ان يجعلوا توكلهم على الله ولا ينسوا اعمال الرب ويبتغوا وصاياه لئلا يكونوا كابائهم الجيل المعوج المخالف
الخلف الذي لم يبق قلبه ولم يؤمن بالله المتخرج عنه بنو افرايم الذين اوتروا ورموا عن قسيهم وانهزموا في يوم القتال
لانهم لم يحفظوا عهد الرب ولم يشاؤوا ان يسيروا في سبله ونسوا احسن اعماله وصنائعه التي اظهرها قدام ابائهم العجائب
التي صنعها في ارض مصر في مزارع صاعان فلق البحر واجازهم واقام المياه كالزقاق هداهم بالنهار في الغمام وفي الليل اجمعه

بمصابيح

بمصابيح النار وفلق صخرة في البرية وسقاهم منها كاللجج العظيمة اخرج الماء من الحجر فجرت المياه كجري الانهار وعاد
الشعب ايضا في الخطيئة واسخطوا العلي حيث لم يكن ما جربوا الله في قلوبهم بمسالة الطعام لنفوسهم ودمدموا
على الله وقالوا هل يقدر ان يصنع لنا مائدة في البرية لانه ضرب الصخرة فجرت المياه وفاضت الاودية هل يستطيع
ان يعطينا خبزا او يعد مائدة لشعبه سمع الرب فغضب واشتعلت النار في يعقوب وصعد الرجز على بني اسرائيل
لانهم لم يؤمنوا بالله ولا رجوا خلاصه فامر السحاب من فوق وفتح ابواب السماء وانزل لهم المن ليأكلوا اعطاهم
خبز السماء اكله الانسان ارسل اليهم صيدا ليشبعوا اهاج ريح التيمن من السماء واتى بقوة العاصف وانزل
اللحم مثل التراب وطير السماء ذات الاجنحة مثل رمل البحار وسقطت في محالهم حول خيامهم فاكلوا وشبعوا جدا
اعطاهم شهوتهم ولم يحرمهم ارادتهم فبينما الطعام في افواههم اذ غضب الله نزل عليهم فقتل في كثرتهم وصرع
في مختاري اسرائيل ومع هذا كله اخطاوا اليه ايضا ولم يؤمنوا بعجائبه ففنيت بالباطل ايامهم وتصرمت عاجلا سنوهم
فحين قتلهم رغبوا الى الله وعادوا واسكروا اليه وذكروا ان الله معينهم وان الله العلي مخلصهم احبوه بافواههم
وكذبوه بالسنتهم ولم تخلص له قلوبهم ولم يؤمنوا بعهده وهو رحيم رؤوف يغفر ذنوبهم ولا يهلكهم ولا يرد كثرة
سخطه عنهم ولا يبعث كل رجزه وذكر انهم لحم وروح يذهب ولا يعود مرارا كثيرة اسخطوه في البرية واغضبوه في ارض
طامية وعادوا جربوا الله واسخطوا قدوس اسرائيل ولم يذكروا يده في يوم نجاهم من المضطهدين انتهى هذا بعض
ما في الزبور واما الانجيل فطافح بذلك منه ما في انجيل متى قال وانتقل يسوع من هناك وجاء الى عبر الجليل وصعد
الى الجبل وجلس هناك وجاء اليه جمع كبير معهم خرس وعمي وعرج وعسم واخرون كثير فخروا عند رجليه فابراهم
وتعجب الجمع لانهم نظروا الخرس يتكلمون والصم يسمعون والعرج يمشون والعمي يبصرون ومجدوا اله اسرائيل وان
يسوع دعا تلاميذه وقال اني اتحنن على هذا الجمع لان لهم معي ثلاثة ايام ههنا وليس عندهم ما ياكلون ولا اريد اطلاقهم
لئلا يضعفوا في الطريق قال مرقس لان منهم من جاء من بعيد انتهى فقال له التلاميذ من اين نجد من خبز القمح في البرية
ما يشبع هذا الجمع فقال لهم يسوع كم عندكم من الخبز فقالوا سبعة ارغفة ويسير من سمك فدعا فامر الجمع ان يجلس
على الارض واخذ السبع خبزات والسمك وبارك وكسر واعطى تلاميذه وناول التلاميذ الجمع فاكل جميعهم وشبعوا
ورفعوا فضلات الكسر سبع قفاف مملوءة وكانوا الذين اكلوا نحو اربعة الاف رجل سوى النساء والصبيان واطلق
الجمع وصعد السفينة وجاء الى تخوم مجدل وقال مرقس الى نواحي دلمانوثا وجاء الفريسيون والزنادقة يجربونه
ويسألونه ان يريهم اية من السماء فاجابهم يسوع قائلا اذا كان المساء قلتم ان السماء صاحية لاحمرارها وبالغداة
تقولون اليوم شتاء لاحمرار جو السماء العبوس ايها المراؤون تعلمون اية هذا الزمان الجيل الشرير الفاسق
يطلب اية ولا يعطى الا اية يونان النبي وتركهم ومضى ثم جاء التلاميذ الى العبر ونسوا ان ياخذوا خبزا قال مرقس
ولم يكن في السفينة الا رغيف واحد وان يسوع قال لهم انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين والزنادقة وقال
مرقس وخمير هيرودس ففكروا انا بلينا لم نجد خبزا فعلم يسوع فقال لهم لماذا تفكرون في نفوسكم يا قليلي
الامانة انكم ليس معكم خبز اما تفهمون ولا تذكرون الخمس خبزات لخمسة الاف وكم سلا اخذتم والسبع خبزات
لاربعة الاف وكم قفة اخذتم لماذا لا تفهمون اني لم اقل لكم من اجل الخبز حينئذ فهموا انه لم يقل لهم ان يتحرزوا
من خمير الخبز لكن من تعليم الزنادقة والفريسيين وقال لوقا تحرزوا لانفسكم من خمير الفريسيين الذي هو الرياء
لانه ليس خفي الا سيظهر ولا مكتوم الا سيعلم الذي تقولونه في الظلام سيسمع في النور والذي وعيتموه في الاذن
سوف ينادى به على السطوح اقول لكم يا احبائي لا تخافوا ممن يقتل الجسد وبعد ذلك ليس له ان يفعل اكثر
خافوا ممن اذا قتل له سلطان ان يلقي في نار جهنم وستاتي بقية الاشارة في سورة الصف ان شاء الله تعالى
والعسم جمع اعسم بمهملتين وهو من في يده او قدمه اعوجاج او يده يابسة ولما علل تعالى لعنهم بعصيانهم
وغلوهم في الباطل بينه مخصصا للعلماء منهم بزيادة تهديد لانهم مع كونهم على المنكر لا ينهون غيرهم عنه مع
انهم احق من غيرهم بالنهي فصاروا اعلى منكرين شديدي الشناعة وسكوتهم عن النهي مغو لاهل الفساد ومغر
لهم ولغيرهم على الدخول فيه والاستكثار منه فقال تعالى كانوا لا يتناهون اي لا ينهى بعضهم بعضا وبين
اغراقهم في عدم المبالاة بالتنكير في سياق النفي فقال عن منكر ولما كان الفعل ما كان من الاعمال عن داعية من الفاعل
سواء كان من علم او لا عبر به اشارة الى انهم في ايقاع المناكر عراة من غلبت عليه الشهوة فلم يبق له نوع علم فقال
فعلوه ولما كان من طبع الانسان النهي عن كل ما خالفه طبعا او اعتقادا لا سيما ان تايد بالشرع فكان لا يكف
عن ذلك الا بعد ريب للنفس عليه لغرض فاسد اداه اليه اكد مقسما معبرا بالفعل الذي يعبر به عما قد
لا يصحبه علم ولا يكون الا عن داعية عظيمة فقال لبئس ما كانوا جبلة وطبعا يفعلون اشارة الى انهم لما
تكررت فضائحهم وتواترت قبائحهم صاروا الى حيز ما ليس في نيته العلم ولما اخبر باقرارهم على المناكر دل على ذلك

ان

بأمر ظاهر منهم لا دم ثابت دائم معوض لبنيان دينهم هادم فقال موجها الخطاب لأصدق الناس فراسة وأوفرهم علما
وأثبتهم توسما وفهما ترى كثيرا منهم أي أهل الكتاب ولما كان الإنسان لا ينحاز إلى حزب الشيطان إلا بمساعدة الفطرة
الأولى السليمة أشار إلى ذلك بالتفعل فقال يتولون أي يتبعون بغاية جهدهم الذين كفروا أي المشركين مجتهدين في ذلك
مواظبين عليه وليس أحد منهم ينهاهم عن ذلك ولا يقبحه عليهم مع شهادتهم عليهم بالضلال وإضلالهم إلى أن جاء هذا
النبي الذي كانوا له في غاية الانتظار وبه في نهاية الاستبشار وكانوا يدعون الإيمان به ثم خالفوه فمنهم من استمر على المخالفة
ظاهرا وباطنا ومنهم من ادعى أنه تابع واستمر على المخالفة باطنا فكانت موالاته للمشركين دليلا على كذب دعواه ومظهرة
لما أضمروه من المخالفة وأخفاه ولما كان ذلك منهم ميلا مع الهوى بغير دليل أصلا فقال لبئس ما قدمت أي تقدم النزل
للضيف لهم أنفسهم أي التي من شأنها الميل مع الهوى ثم بين المخصوص بالذم وهو ما قدمت بقوله أن سخط الله أي وقع سخط
بجميع ما له من العظمة عليهم ولما كان من وقع السخط عليه يمكن أن يزول عنه قال مبينا أن لا يجود ولا عجز بكل هلاك وفي العذاب
أي الكامل الأوفى في الدنيا والأكبر في الآخرة هم خالدون ولما كان هذا دليلا على كفرهم دل عليه بقوله ولو أي فعلوا ذلك مع دعواهم
الإيمان والحال أنهم لو كانوا أي كلهم يؤمنون أي يوجد منهم إيمان بالله أي الملك الأعلى الذي له الإحاطة بكل شيء والنبي أي
الذي له الوصلة التامة بالله ولذا أشعر قوله وما أنزل إليه أي من عند أسماع من القيادة وغيره إيمانا خالصا من غير نفاق
ما اتخذوهم أي المشركين مجتهدين في ذلك أولياء لأن المخالفة في الاعتقاد تمنع الوداد لمن كان ثابتا على يهوديته ظاهرا وباطنا
فالألف في النبي يكشف سريرته للعهد أي النبي الذي ينتظرونه ويقولون إنه غير محمد صلى الله عليه وسلم أو للحقيقة أي لو كانوا
يؤمنون بهذه الحقيقة أي حقيقة النبوة ما والوهم فإنه لم يأت نبي إلا بتكفير المشركين كما أشار إلى ذلك صلى الله عليه وسلم
بقوله الأنبياء أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد كما سيأتي قريبا في حديث أبي هريرة يعني والله أعلم أن شرائعهم
وإن اختلفت في الفروع فهي متفقة في الأصل وهو التوحيد ومن كان منهم قد أظهر الإيمان فالمراد بالنبي في إظهاره بل به
ومثله وصفه محمد صلى الله عليه وسلم لأنه نهى عن موالاة المشركين بل عن مناكحتهم ولم يرض إلا بمعاداتهم ومحاربتهم
ولما أفهمت الشرطية عدم إيمانهم استثنى منها منبها بوضع الفسق موضع عدم الإيمان على أنه الحامل عليه فقال ولكن
كثيرا منهم فاسقون أي متمكنون في خلق المروق من دوائر الطاعات ولما دل كالشمس ميلهم إلى المشركين دون المؤمنين
على أنهم في غاية العداوة لهم صرح تعالى بذلك على طريق الاستنتاج فقال دالا على رسوخهم في الفسق لتجدن أشد الناس
أي كلهم عداوة للذين آمنوا أي أظهروا الإقرار بالإيمان فكيف بالراسخين فيه اليهود قدمهم لأنهم أشد الفريقين لأنه لا
أقبح من ضال على علم والذين أشركوا لما جمعهم من الاستهانة بالأنبياء هؤلاء جهلا وأولئك عنادا وبغيا فعرف أن من
صدق في إيمانه لا يواليهم بقلبه ولا بلسانه وأنهم ما اجتمعوا على الموالاة إلا لاجتماعهم في أشدية العداوة ولمن أمعن
بهذه الآية تعليل لما قبلها كأنه قيل هب أنهم لا يؤمنون بالله والنبي وذلك لا يقتضي موادة المشركين فلم والوهم حينئذ فقيل
لأن الفريقين اجتمعوا في أشدية العداوة للذين آمنوا ولما أخبر تعالى بأبعد الناس مودة لهم أخبر بضدهم فقال
ولتجدن أقربهم أي الناس مودة للذين آمنوا أي وجد الإيمان بالقلب واللسان الذين قالوا وفي التعبير بذلك على قولهم
إشارة إلى أنهم ما كانوا على حقيقة النصرانية إنا نصارى أي لقلة اهتمامهم بالدنيا بمجرد قولهم ذلك ولو لم يكونوا على بعض
في الدين وأثبتا لهم على علم الباطن ولذلك علله بقوله ذلك بأن منهم قسيسين أي متقبلين على العلم من القس وهو ملازمة
الشيء بتعهد ورهبانا أي في غاية التخلي من الدنيا ولما كان التخلي منها موجبا للبعد من الحسد وهو سبب لمجانبة الكبر
قال وأنهم لا يستكبرون أي لا يطلبون الرفعة على غيرهم ولا يوجدونها ولما كان ذلك علة في الظاهر ومعلولا في الباطن
لرقة القلب قال وإذا سمعوا أي أتباع النصرانية ما أنزل إلى الرسول أي الذي ثبتت رسالته بالمعجزة فكان من شأنه
أن يبلغ ما أنزل إليه للناس ترى أعينهم ولما كان البكاء سببا لامتلاء العين بالدمع وكان الامتلاء سببا للفيض الذي حقيقته
السيلان بعد الامتلاء عبر بالمسبب عن السبب فقال تفيض من الدمع وأصله يفيض دمعها ثم تفيض هي دمعا فهو من أنواع
التمييز ثم علل الفيض بقوله مما عرفوا من الحق وليس لهم غرض دنيوي يمنعهم من قبوله ثم بين حالهم في مقالهم بقوله
يقولون ربنا أي أيها المحسن إلينا آمنا أي بما سمعنا فاكتبنا ولما كان من شأن الشاهد إحضار القلب وإلقاء السمع
والقيام التام بما يلي عليه ويندب إليه قال مع الشاهدين أي أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون على الأمم يوم
القيامة فإن تقويتنا على ذلك ليست إلا إليك وما أي ويقولون ما أي أي شيء حصل ويحصل لنا حال كوننا لا نؤمن
بالله أي الذي له الكمال فلا خير إلا منه وما أي وبما جاءنا من الحق أي الأمر الثابت الذي مهما عرض على الواقع طابقه الواقع سواء
كان حالا أو ماضيا أو آتيا ولما كانوا بمضمون أنفسهم عبروا بالطمع الذي لا ينظر معه لعمل فقالوا ونطمع أن يدخلنا ربنا
أي بجوده وإحسانه لا بعمل منا وجرأتهم في هذا المضمار عبروا بمع دون في من قولهم مع القوم الصالحين هضما لأنفسهم
وتعظيما لرتبة الصلاح ولما ذكر قولهم الدال على حسن اعتقادهم وجميل استعدادهم ذكر جزاءهم عليه فقال فأثابهم الله
أي الذي له جميع صفات الكمال بما قالوا أي جعل ثوابهم على هذا القول المستند إلى خلوص النية الناشئ عن حسن الطوية

جنات

جنات تجري ولما كان الماء لو استخرن فسد أثبت الجار فقال من تحتها الأنهار ولما كانت اللذة لا تكمل إلا بالدوام
قال خالدين فيها ولما كان المقيد بالإحسان يفهم طرد الأمر في غيرهم فقال وذلك أي الجزاء العظيم جزاء المحسنين
أي كلهم واختلفوا في هذه الواقعة بعد اتفاقهم على أنها في النجاشي وأصحابه وذلك مبسوط في شرحي لنظمي للسيرة
النبوية فمن ذلك أنه لما قدم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من مهاجرة الحبشة مع أصحابه رضي الله عنهم قدم
معهم سبعون رجلا بعثهم النجاشي رضي الله عن الجميع وفدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثياب الصوف
اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام وهم بحيرا الراهب وأبرهة وإدريس وأشرف وتمام وقثم
ودريد وأيمن فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس إلى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا
وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فأنزل الله فيهم هذه الآيات لتجدن أشد الناس إلى آخرها ذكر
ذلك الواحدي في أسباب النزول بغير سند ثم أسند عن سعيد بن جبير في قوله تعالى ذلك بأن منهم قسيسين
ورهبانا قال بعث النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيار أصحابه ثلاثين رجلا فقرأ عليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم يس فبكوا فنزلت فيهم هذه الآية وإذا انظرت مكاتبات النبي صلى الله عليه وسلم للملوك
ازددت بصيرة في صدق هذه الآية فإنه ما كاتب نصرانيا إلا آمن أو كان لينا ولو لم يسلم كهرقل والمقوقس وهوذة
بن علي وغيرهم وغاية أمرهم أنهم ضنوا بملكهم وأما غير النصارى فإنهم كانوا على غاية الفظاظة ككسرى فإنه مزق كتابه
صلى الله عليه وسلم ولم يجز رسوله بشيء وأما اليهود فكانوا جيران الأنصار وموالیهم وأحبابهم ومع ذلك فأحوالهم
في العداوة غاية كما هو واضح في السير مبين جدا في شرحي لنظمي للسيرة وكان السر في ذلك مع ما تقدم من باعث الزهد أنه
لما كان عيسى عليه السلام أقرب الأنبياء زمنا من النبي صلى الله عليه وسلم كان المنتمون إليه ولو كانوا كفرة أقرب
الأمم مودة لأتباع النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة الأنبياء أولاد علات
وفي رواية أبناء وفي رواية إخوة العلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيني وبينه نبي وفي رواية وليس بيني وبين
عيسى نبي وفي رواية لمسلم أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة قالوا كيف يا رسول الله قال الأنبياء إخوة
من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بيننا نبي ولما ذكر سبحانه جزاء المطيعين لما دعي إلى الإذعان ترغيبا
ذكر جزاء من لم يفعل فعلهم ترهيبا فقال والذين كفروا أي ستروا ما أوضحته لهم عقولهم من الدلالة على صحة ما دعتهم
إليه الرسل وكذبوا أي عنادا بآياتنا أي بالعلامات المضافة لعظمها إلينا أولئك أي البعداء من الرحمة أصحاب
الجحيم أي الذين لا ينفكون عنها لا غيرهم من العصاة المؤمنين وإن كثرت كبائرهم ولما مدح سبحانه الرهبان وكان ذلك
داعيا إلى الترهب وكانت الرهبانية حسنة بالذات قبيحة بالعرض شريفة في المبادئ دنية في المآل فإنها مبنية
على الشدة والاجتهاد في الطاعات والتورع عن أكثر المباحات والإنسان مبني على الضعف مطبوع على النقائص
فيدعوه طبعه ويساعده ضعفه إلى عدم الوفاء بما عاقد عليه ويسرع بما له من صفة العجلة إليه فيقع في الخيانة
كما قال تعالى فما رعوها حق رعايتها عقب ذلك بالنهي عنها في هذا الدين والإخبار بأنه بناه على التوسط
رحمة منه لأهله ولطفا بهم تشريفا لنبيهم صلى الله عليه وسلم ونهاهم عن الإفراط فيه والتفريط فقال تعالى
يا أيها الذين آمنوا أي وجد منهم الإقرار بذلك لا تحرموا أي تمنعوا أنفسكم بنذر أو يمين أو غيرهما تصديقا لما
أقررتم به ورغبة منكم في امتثال أمره بأن جعله موافقا لطباعهم ملائما لشهواتهم فقال طيبات ما أي الطيبات
وهي اللذيذة التي أحل الله وذكر هذا الاسم الأعظم أعظم مرغب في ذلك فإن الإقبال على المنح يكون على مقدار المعطي
وأكد ذلك بقوله لكم أي وأما هو سبحانه فهو منزه عن الأغراض لا ضر يلحقه ولا نفع لأن له الغنى المطلق ولما أطلق لهم
ذلك حثهم على الاقتصاد وحذرهم من مجاوزة الحد إفراطا وتفريطا فقال ولا تعتدوا أي دل بصيغة الافتعال
على أن الفطرة الأولى مبنية على العدل تعدوها عنه لا يكون إلا بتكلف ثم علل ذلك بقوله مؤكدا للاستبعاد
أن تنهى عن الإمعان في العبادة إن الله أي وهو الملك الأعظم لا يحب المعتدين أي لا يفعل فعل المحب من الإكرام
للمفرطين في الورع بحيث يحرمون ما أحللت ولا للمفرطين فيه الذين يحللون ما حرمت أي يفعلون فعل
المحرم من المنع وفعل المحلل من التناول وما ذكر من سبب نزول الآية واضح في ذلك روى الواحدي في أسباب النزول
بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني إذا أكلت من هذا
اللحم انتشرت إلى النساء وإني حرمته علي فنزلت لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ونزلت وكلوا مما رزقكم الله الآية
وأخرجه الترمذي في التفسير عن جامعه وقال حسن غريب ورواه خالد الحذاء عن عكرمة مرسلا وقال الواحدي
وتبعه عليه البغوي قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناس ووصف القيامة ولم يزدهم
على التخويف فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة رضي الله عنهم في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم أبو بكر
الصديق وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة والمقداد

ابن الأسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن واتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا
يأكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الأرض ويترهبوا ويجبوا المذاكير
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله وما أردنا إلا الخير فقال
إني لم أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم
ومن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات
الدنيا أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وإن سياحة
أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان
فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فأنزل الله هذه
الآية فقالوا يا رسول الله فكيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما عليه اتفقوا فأنزل الله عز وجل لا يؤاخذكم
الله باللغو في أيمانكم الآية ولا تعارض بين الخبرين لإمكان الجمع بأن يكون الرجل لما سمع تذكير النبي صلى الله عليه وسلم ولو لم
يجمع لصح أن يكون كل منهما سببا فإن الشيء الواحد قد يكون له أسباب جمة بعضها أقرب من بعض فمن الأحاديث الواردة في ذلك
ما روى البغوي في سنده من طريق ابن المبارك في كتاب الزهد عن سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ائذن لنا في الاختصاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من خصى ولا اختصى إن
خصاء أمتي الصيام فقال يا رسول الله ائذن لنا في السياحة فقال إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله فقال يا رسول الله
ائذن لنا في الترهب فقال إن ترهب أمتي الجلوس في المساجد انتظار الصلاة وللشيخين والترمذي والنسائي والدارمي
عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال أراد عثمان بن مظعون رضي الله عنه أن يتبتل فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أذن
له وفي رواية ولو أجاز له التبتل لاختصينا وللدارمي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أيضا قال لما كان من أمر عثمان
بن مظعون رضي الله عنه الذي كان من ترك النساء بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمان إني لم أومر
بالرهبانية أرغبت عن سنتي قال لا يا رسول الله قال إن من سنتي أن أصلي وأنام وأصوم وأطعم وأنكح وأطلق فمن رغب
عن سنتي فليس مني يا عثمان إن لأهلك عليك حقا ولعينك عليك حقا قال سعد فوالله لقد كان أجمع رجال من المسلمين
على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هو أقر عثمان على ما هو عليه أن نختصي فنتبتل وقال شيخنا ابن حجر في تخريج أحاديث
الكشاف وروى الطبري من طريق ابن جريج عن مجاهد قال أراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو أن يتبتلوا
ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح ومن طريق ابن جريج عن عكرمة أن عثمان بن مظعون وعلي بن أبي طالب وابن مسعود
والمقداد بن الأسود وسالما مولى أبي حذيفة في جماعة رضي الله عنهم تبتلوا فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء
ولبسوا المسوح وحرموا طيبات الطعام واللباس وهموا بالاختصاء وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت
يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن لأنفسكم عليكم
حقا فصوموا وأفطروا وصلوا وناموا فليس منا من ترك سنتنا وللترمذي عن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه
وسلم نهى عن التبتل وقرأ قتادة ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وللنسائي عن عائشة رضي
الله عنها نحوه وأشار إليه الترمذي وللطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة
ومنها ما روى الشيخان عن عبد الله رضي الله عنه أنه قال كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لنا شيء وفي رواية
نساء وفي رواية كنا ونحن شباب فقلنا يا رسول الله ألا نختصي فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب ثم قرأ
علينا عبد الله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية ومنها ما روى البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله إني رجل شاب وإني أخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء قال النسائي فأختصي
فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاختص على ذلك أو ذر وقال النسائي أو دع ومنها ما روى الشيخان وغيرهما عن
أنس بن مالك رضي الله عنه قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن يسألون عن عبادة
النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية مسلم والنسائي أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى
الله عليه وسلم عن عمله في السر فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر
وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا وفي رواية وقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أنام على فراش فبلغ ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه وقال ما بال أقوام قالوا كذا وكذا وفي رواية فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن

سنتي

سنتي فليس مني والمبهمون في الحديث قال شيخنا في مقدمة شرحه للبخاري هم ابن مسعود وأبو هريرة وعثمان
بن مظعون وعلي بن أبي طالب وفي مصنف عبد الرزاق من طريق سعيد بن المسيب أن منهم عليا وعبد الله
بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم وقال شيخنا في تخريج أحاديث الكشاف إن هذا أصل ما رواه الواحدي عن المفسرين
وللشيخين والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نهيتكم عنه فاجتنبوه
وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم وفي
رواية ذروني ما تركتكم وفي رواية تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ولأبي
داود عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم وللإمام أحمد
في المسند عن أنس رضي الله عنه والحاكم في علوم الحديث في فن الغريب وهذا لفظه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض عبادة الله إليك فإن المنبت لا أرضا
قطع ولا ظهرا أبقى المتين الصلب الشديد والإيغال المبالغة والمنبت بنون وموحدة وفوقانية مشددة هو
الذي انقطع ظهره وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الدين يسر ولن
يشاد الدين إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا وفي بعض الروايات والقصد القصد تبلغوا ولمسلم وابن ماجه
وهذا لفظه عن حنظلة الكاتب التميمي الأسيدي رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا الجنة
والنار حتى كأنا رأي عين فقمت إلى أهلي فضحكت ولعبت فذكرت الذي كنا فيه فخرجت فلقيت أبا بكر رضي الله عنه فقلت
نافقت نافقت فقال أبو بكر إنا لنفعله فذهب حنظلة فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا حنظلة لو كنتم كما
تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم أو على طرقكم يا حنظلة ساعة وساعة ولفظ مسلم من طرق جمعت مفرقها
عن حنظلة وكان من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال كيف أنت يا حنظلة قلت نافق
حنظلة قال سبحان الله ما تقول قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة كأنها رأي عين
فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا قال أبو بكر
رضي الله عنه فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نافق
حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار
والجنة كأنها رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي
طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرار وفي رواية قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا فذكرنا
النار وفي رواية الجنة والنار ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة فخرجت فلقيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله نافق حنظلة فقال مه فحدثته بالحديث فقال أبو بكر وأنا قد فعلت مثل
ما فعل فقال يا حنظلة ساعة وساعة فلو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم
في الطرق ومن هنا تبين لك مناسبة أول المجادلة لآخر الحديد التي كاع في معرفتها الأفاضل وكع عن تطلبها
لغموضها أكابر الأماثل وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان ذلك وإيضاح ما فيه من لطيف المسالك ومن هذه الآية
وقع الالتفات إلى قوله تعالى أحلت لكم بهيمة الأنعام وقوله قل أحل لكم الطيبات وما أخذ بصدرها يا أيها
الذين آمنوا كما صدر أول السورة به وقد مضى بيان أن جميع ما مضى في الوفاء بالعقود فكأنه تعالى قال أوفوا
بالعقود فلا تنتهكوها ولا تتعدوها فتنقضوها ولا تبالغوا فيها فتكونوا معتدين فتضعفوا فإنه لن يشاد الدين أحد إلا غلبه
بل سددوا وقاربوا القصد القصد تبلغوا وقال ابن الزبير بعد قوله ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم
ثم فصل للمؤمنين أحوال الفريقين أي اليهود والنصارى ليتبين لهم فيما نقضوا ثم بين تفاوتهم في البعد عن الاستجابة
فقال تعالى لتجدن أشد الناس الآية ثم نصح عباده وبين لهم أبوابا منها دخول الامتحان وهي سبب كل الابتلاء فقال
لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا فإنكم إن فعلتم ذلك كنتم شارعين لأنفسكم وظالمين انتهى وما أحله
شامل لكل ما كانوا أرادوا أن يتورعوا عنه من المآكل والملابس والمناكح والنوم وغير ذلك ولما كان الحال لما ألزموا
به أنفسهم مقتضيا للتأكيد أمر بالأكل بعد أن نهى عن الترك ليجتمع على إباحة ذلك الأمر والنهي فقال وكلوا
ورغبهم فيه بقوله مما رزقكم الله أي الملك الأعظم الذي لا يرد عطاؤه ولما كان الرزق يقع على الحرام قيد بعد الغنية
بالتبعيض بقوله حلالا ولما كان سبحانه قد جعل الرزق شهيا وصف امتنانا وترغيبا فقال طيبا ويجوز أن يكون
قيدا محذرا مما فيه شبهة تنبيها على الورع ويكون معنى طيبة تيقن حله فيكون بحيث تتوفر الدواعي على تناوله ولا دنيا
تتوفر على تناول ما هو نهاية في اللذة شهوة وطبعا وأن يكون مخرجا لما تعافه النفس مما أخذ في الغضب ومن الأطعمة
لئلا يضر قال ابن المبارك الحلال ما أخذ من جهته والطيب ما غذي ونمي فأما الطين والجوامد وما لا يغذي فمكروه إلا على جهة

التداوي وان يكون بحرجا لما فوق سد الرمق في حالة الضرورة ولهذا وامثاله قال واتقوا الله اي الملك الذي له الجلال والاكرام
من ان تحلوا حراما او تحرموا حلالا ثم وصفه بما يوجب رعي عهوده والوقوف عند حدوده فقال الذي انتم به مؤمنون اي ثابتون
على الايمان به فان هذا الوصف يقتضي رعي العهود وخص سبحانه الاكل والمراد جميع ما نهى عن تحريمه من الطيبات لانه سبب
لغيره من المتمتعات فلما نزلت كما نقل البغوي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الاية قالوا يا رسول الله وكيف نصنع
بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه كما تقدم فانزل الله تعالى لا يؤاخذكم الله اي على ما له من تمام الجلال
باللغو وهو ما يسبق اليه اللفظ من غير قصد في ايمانكم على اني لم اعتمد على سبب النزول في المناسبة الا لدخوله في المعنى لا لكونه
سببا فانه ليس كل سبب يدخل في المناسبة كما بينته في اول غزوة احد في ال عمران وانما كان السبب هنا داخلا في مناسبة
النظم لان تحريم ما احل يكون تارة بنذر وتارة بيمين والنذر في المباح وهو مسيلتنا لا ينعقد وكفارته كفارة يمين فحينئذ
لم تدع الحاجة الا الى التعريف بالايمان واحكامها فقسمها سبحانه الى قسمين مقصود وغير مقصود فاما غير المقصودة
فلا اعتبار به واما المقصود فقسمان حلف على ماض وحلف على ات فاما الحلف على الماضي فهو اليمين الغموس التي لا كفارة
لها عند بعض العلماء وسياتي في اية الوصية واما الحلف على الاتي وهو الذي يمكن التحريم به فذكر حكمه هنا بقوله ولكن يؤاخذكم
ولما كان مطلق الحلف الذي منه اللغو يطلق عليه عقد لليمين علم ان المؤاخذة انما هي بعقد القلب وهو المراد بالكسب في الاية
الاخرى فعبر بالتفعيل في قراءة الجماعة والمفاعلة في قراءة ابن عامر تنبيها على ان ذلك هو المراد ومن قراءة حمزة والكسائي بالتخفيف
فقال بما عقدتم الايمان اي بسبب توثيقها وتوكيدها واحكامها بالجمع بين اللسان والقلب سواء كان على ادنى الوجوه
كما تشير اليه قراءة التخفيف وعلى اعلاها كما تشير اليه قراءة التشديد فلا يحل لكم الحنث فيها الا بالكفارة بخلاف اللغو فانه
باللسان فقط فلا عقد فيه فضلا عن تعقيد وما صدر فيه ولما اثبت المؤاخذة سبب عنها قوله فكفارته اي الامر الذي
يستر النكث والحنث عن هذا التعقيد ويزيل اثره بحيث تصيرون كانكم ما حلفتم اطعام عشرة مساكين اي احرار
مسلمين لكل مسكين ربع صاع وهو مد من طعام وهو رطل وثلث من اوسط ما كان عادة لكم انكم تطعمون اهليكم اي
من عدله في الجودة والقدر كمية وكيفية وهو مد جيد من غالب القوت سواء كان من الحنطة او التمر او غيرهما ولما بدا بالاقل ما يكفر
تخفيفا ورحمة عطف على الاطعام ترقيا قوله او كسوتهم اي ثوب يغطي العورة من قميص او ازار او غيرهما مما ينطلق
عليه اسم الكسوة او تحرير اي اعتاق رقبة اي مؤمنة سليمة عما يخل بالعمل كما تقدم في كفارة القتل حملا لمطلق
الكفارات على ذلك المقيد ولان النبي صلى الله عليه وسلم ما استاذنه احد في اعتاق رقبة في كفارة الا اختبر ايمانها
هذا ما على المكلف على سبيل التخيير من غير تعيين والتخيير له اذا كان واجدا للثلاثة ولاحدها والاتيان باحدها
مبرئ من العهدة لان كل واحد من الثلاثة بعينه اخص من احدها على الابهام والاتيان بالخاص يستلزم الاتيان بالعام
فمن لم يجد اي واحدا منها فاضلا عن قوته وقوت من تلزمه مؤنته فصيام اي فالكفارة صيام ثلاثة ايام ولو متفرقة
ولما تم ذلك اكده في النفوس وقرره بقوله ذلك اي الامر العدل الحسن الذي ذكر كفارة ايمانكم اي المعقدة اذا حلفتم
واردتم نكثها سواء كان ذلك قبل الحنث او بعده ولما كان التقدير فافعلوا ما قدرتم عليه منه عطف عليه لئلا تمتهن الايمان
لسهولة الكفارة قوله واحفظوا ايمانكم اي فلا تحلفوا ما وجدتم الى ذلك سبيلا ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم فانه سبحانه
عظيم ومن كثر الحلف وقع في الحذر ولا بد واذا حلفتم فلا تحنثوا دون تكفير ويجوز للمكفر الجمع بين هذه الخصال كلها ثم
واستشكل وصله بما قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في التلويح في بحث او والمشهور في الفرق بين التخيير والاباحة انه يمتنع
في التخيير الجمع ولا يمتنع في الاباحة لكن الفرق ههنا انه لا يجب في الاباحة الاتيان بواحد وفي التخيير يجب وحينئذ ان كان الاصل
فيه الحظر وثبت الجواز بعارض الامر كما اذا قال بع من عبيدي هذا او ذاك يمتنع الجمع ويجب الاقتصار على الواحد لانه المامور
به وان كان الاصل فيه الاباحة ووجب بالامر واحد كما في خصال الكفارة يجوز الجمع بحكم الاباحة الاصلية وهذا يسمى التخيير
على سبيل الاباحة ولما اشتملت هذه الايات من البيان على ما يدهش الانسان كان كانه قيل هل يبين كل ما يحتاج اليه هكذا
فتنبه من هذه الغفلة بقوله كذلك اي مثل هذا البيان العظيم الشان يبين الله على ما له من العظمة لكم اياته اي اعلام
شرائعه واحكامه على ما لها من العلو باضافتها اليه ولما اشتمل ما تقدم من الاحكام والحكم والتنبيه والارشاد والاخبار
بما فيها من الاعتبار على نعم جسيمة ومنن جليلة عظيمة ناسب ختمها بالشكر المربي لها في قوله على سبيل التعليل المؤذن
بقطعها ان لم توجد العلة لعلكم تشكرون اي ليحصل منكم الشكر بحفظ جميع الحدود الامرة والناهية ولما تم بيان حال
الماكل وكان داعية الى المشرب احتيج الى بيانه فبين تعالى المحرم منه ليعلم ان ما عداه مادون في التمتع به وذلك لحاذي في تحريم
شيء مقترن بالازلام بعد احلال اخر لما في اول السورة من تحريم الميتة وما ذكر معها بعد احلال بهيمة الانعام وما معها فقال
تعالى مذكرا لهم بما اقروا به من الايمان الذي معناه الاذعان يا ايها الذين امنوا اي اقروا به ونبههم على ما يريد العدو بهم
من الشر بقوله تعالى انما الخمر وهي كل ما اسكر سواء فيه قليله وكثيره واضاف اليها ما واخاها في الضرر دينا ودنيا وفي
كونه سببا للخصام وكثرة اللغط المقتضي للحلف والاقسام تاكيدا لتحريم الخمر بالتنبيه على ان الكل من افعال الجاهلية فلا

فوق بين شاربها والذابح على النصب والمعتمد على الازلام فقال والميسر اي الذي تقدم ذكره في البقرة والانصاب
والازلام المتقدم ذكرهما اول السورة والزلم القدح لا ريش له قاله البخاري وحكمة ترتيبها هكذا انه لما كانت الخمر غاية
في الحمل على اتلاف المال قرن بها ما يليها في ذلك وهو القمار ولما كان الميسر مفسدة المال قرن به مفسدة الدين
وهي الانصاب ولما كان تعظيم الانصاب شركا جليا ان عبدت وخفيا ان ذبح عليها دون عبادة قرن بها نوعا
من الشرك الخفي وهو الاستقسام بالازلام ثم امر باجتناب الكل اشارة وعبارة على اتم وجه فقال رجس اي
قذرا اهلا لان يبعد عنه بكل اعتبار حتى عن ذكره سواء كان عينا او معنى وسواء كانت الرجسية في الحس والمعنى
ووحد الخبر للنص على الخمر والاعلام بان اخبار الثلاثة حذفت وقدرت لانها اهل لان يقال في كل واحدة منها على
حدتها كذلك ولا يكتفى عنها بخبر واحد على سبيل الجمع ثم زاد في التنفير عنها تاكيدا لرجسها بقوله من عمل الشيطان
اي المحترق البعيد ثم صرح بما اقتضاه السياق من الاجتناب فقال فاجتنبوه بان تعمدوا الى ان تكونوا عنه في جانب اخر غير
جانبه واتبعه لما تقدم من الحكم ثم علل بما يفهم انه لا فوز بشيء من المطالب مع مباشرتها فقال لعلكم تفلحون اي تظفرون
بجميع مطالبكم روى البخاري في التفسير والاشربة عن ابن عمر قال لقد حرمت الخمر وما بالمدينة منها شيء وفي رواية نزل
تحريم الخمر وان بالمدينة يومئذ لخمسة اشربة ما فيها شراب العنب وفي رواية عنه سمعت عمر على منبر النبي صلى الله
عليه وسلم يقول اما بعد ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة من العنب وفي رواية من الزبيب والتمر والعسل
والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل وعن انس بن مالك قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا فاني لقائم اسقي ابا
طلحة وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا اهرق هذه القلال يا انس فما سالوا عنها ولا راجعوها
بعد خبر الرجل وفي رواية عنه حرمت علينا الخمر حين حرمت وما نجد خمر الاعناب الا قليلا وعامة خمرنا البسر والتمر
قال الاصبهاني وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام ولما كانت حكمة النهي عن الانصاب والازلام قد تقدمت في اول
السورة وهي انها فسق اقتصر على بيان علة النهي عن الخمر والميسر اعلاما بانهما المقصودان بالذات وان الاخرين
ما ضما اليهما الا لتاكيد تحريم هذين كما تقدم لان الخطاب لاهل الايمان وقد كانوا اجتنبوا عبادة الاوثان فقال مؤكدا لان في
الاقلاع عما حصل التمادي في المرون عليه يحتاج الى مثل ذلك انما يريد الشيطان اي بتزيين الشرب والقمار
لكم ان يوقع بينكم العداوة ولما كانت العداوة قد تزول بزوال اسبابها ذكر ما ينشا عنها مما اذا استحكم تعسر او تعذر
زواله فقال والبغضاء في الخمر والميسر اي بتعاطيهما لان الخمر تزيل العقل فيزول المانع من اظهار الكماين من
الضغاين بالمنافسة والمحاسدة فربما ادى ذلك الى حروب طويلة وامور مهولة والميسر يذهب المال فيوجب
ذلك الاحنة على من سلبه ماله وتنقص عليه احواله ولما ذكر ضررهما في الدنيا ذكر ضررهما في الدين فقال ويصدكم عن
ذكر الله اي الملك الاعظم الذي لا اله لكم غيره ولا كفو له وكرر الجار تاكيدا للامر وتغليظا في التحذير فقال وعن الصلاة
اما في الخمر فواضح واما في الميسر فان المغابن منغمس بطول الغلبة والخائب مغمور بهمه واعظم التهديد بالاستفهام والجملة الاسمية
الدالة على الثبات بعد التاكيد بالحصر والضم الى فعل الجاهلية وبيان الحكم الداعية الى الترك والشرور المنفرة عن الفعل
فقال فهل انتم منتهون اي قبل ان يقع بكم ما لا تطيقون ولما كان ذلك مالوفا لهم محبوبا عندهم وكان ترك المالوف امر من
ضرب السيوف اكد دعوتهم الى اجتنابه تحذيرا من المخالفة بقوله عاطفا على ما تقديره فانتهوا واطيعوا الله اي الملك
الاعلى الذي لا شريك له ولا امر لاحد سواه فيما امركم به من اجتناب ذلك واكد الامر باعادة العامل فقال واطيعوا
الرسول اي الكامل في الرسلية في ذلك وزاد في التخويف بقوله واحذروا اي من المخالفة ثم بلغ الغاية في ذلك بقوله
فان توليتم اي بالاقبال على شيء من ذلك واشار بصيغة التفعيل الى ان ذلك انما يعمل بمعالجة من النفس للفطرة الاولى
وعظم الشان في ابتداء الجزاء بالتنبيه بالامر بالعلم فقال فاعلموا انكم لم تضروا الا انفسكم لان الحجة قد قامت عليكم ولم يبق
على الرسول شيء لانكم علمتم انما على رسولنا اي البالغ في العظمة مقدارا يجل عن الوصف باضافته الينا البلاغ المبين
اي البين في نفسه الواضح لكل من سمعه ما يراد منه لا غيره لمن خالف فلينظر ما ياتيه من البلاء من قبلنا وهذا ناظر الى قوله
بلغ ما انزل اليك من ربك فكانه قيل ما عليه الا ما تقدم من الامر له به من البلاغ فمن اختار لنفسه المخالفة كفر والله لا يهدي
من كان مختارا لنفسه الكفر ولما كانوا قد سالوا عند نزول الاية عما من شان الانفس الصالحة الناظرة للورع التحرك للسؤال
عنه وهو من مات منهم وهو يفعلها قال جوابا لذلك السؤال ليس على الذين امنوا وعملوا اي تصديقا لايمانهم الصالحات
جناح فبين سبحانه ان هذا السؤال غير وارد لانهم لم يكونوا منعوا منهما وكانوا مؤمنين عاملين للصالحات متقين لما يسخط الرب
من المحرمات وقد بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال حرمت الخمر ثلاث مرات
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فانزل الله تعالى يسالونك عن الخمر والميسر الاية فقال الناس لم يحرم علينا انما قال فيهما اثم فكانوا يشربون الخمر حتى
كان يوم من الايام صلى رجل من المهاجرين المغرب خلط في قراءته فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى

رضي الله تعالى عنهم

فكانوا يشربونها حتى يأتي احدهم الصلاة وهو مفيق فنزلت يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الاية فقالوا انتهينا ربنا وقال
الناس يا رسول الله ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجسا من عمل
الشيطان فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو حرمت عليهم لتركوها
كما تركتم ولا يضر كونه من رواية ابي معشر وهو ضعيف لانه موافق لقول اعلا الدين وروى الشيخان عن انس رضي الله عنه قال واذا
مناد ينادي الا ان الخمر قد حرمت فقال ابو طلحة رضي الله عنه اخرج فاهرقها فهرقتها فقال بعض القوم قد قتل فلان وفلان وهي في بطونهم
فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح الاية على انه لو لم يرد هذا السبب كانت المناسبة حاصلة وذلك انه
تعالى لما اباح الطيب من الماكل وحرم الخبيث من المشرب نفى الجناح عمن يأكل ما اذن فيه او يشرب ما عدا ما حرمه في عبادة ثم
الماكل والمشرب فقال فيما طعموا اي ماكلا كان او مشربا وشرط ذلك عليهم بالتقوى ليخرج المحرمات فقال اذا ما اتقوا اي اوقعوا
جميع التقوى التي تطلب منهم فلم يطعموا محرما ولما بدأ بالتقوى وهي خوف الله الحامل على البعد عن المحرمات ذكر اساسها الذي لا
تقبل الا به فقال وامنوا ولما ذكر الاقرار بالايمان ذكر مصداقه فقال وعملوا اي بما اداهم اليه اجتهادهم بالعلم لا اتفاقا الصالحات
ثم اتقوا اي فاجتنبوا ما جدد عليهم تحريمه وامنوا اي بانه من عند الله وان الله له ان يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وهكذا كلما تكرر
تحريم شيء كانوا يلا يبسونه ولما كان قد نفى الجناح اصلا وراسا شرط الاحسان فقال ثم اتقوا واحسنوا اي لازموا التقوى الى
ان اوصلتهم الى مقام المراقبة وهي العبادة عن رؤية غير الله فافهم ذلك ان من لم يبلغ رتبة الاحسان لا يمتنع ان يكون عليه جناح مع التقوى
والايمان يكفر عنه بالبلايا والمصائب حتى ينال ما قدر له مما لم يبلغه عمله من درجات الجنان ومما يدلك على نفاسة التقوى وعزها
انه سبحانه كما شرطها في هذا العموم حث عليها عند ذكر الماكل بالخصوص كما مضى فقال واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون وهذا في غاية
الحث على التورع في الماكل والمشرب واشارة الى انه لا يوصل الى مقام الاحسان الا به والله الموفق ولما كان التقدير فان الله يحب المتقين
المؤمنين عطف عليه قوله والله اي الذي له صفات الكمال يحب المحسنين ولما ذكر ما حرم من المطعوم في كل حال وكان الصيد مما حرم في بعض
الاوقات وكان من امثل مطعوماتهم وكان قد ذكر لهم بعض احكامه عقب قوله احلت لكم بهيمة الانعام واحلت لكم الطيبات اخذ هنا
في ذكر اشياء من احكامه وابتدأ بها لانهم خافوا على من مات منهم على شرب الخمر قبل تحريمها بانه يبتليهم ليتميز الورع منهم من غيره بالصيد
في الحال التي حرمه عليهم فيها كما ابتلى بني اسرائيل في السبت فكان ذلك سببا لجعلهم قردة ومن سبحانه على الصحابة من هذه الامة
بالعصمة عند بلواهم بيانا لفضلهم على من سواهم قال تعالى مناديا لهم بما يلحقهم ذكره عن المخالفة يا ايها الذين امنوا اي اقروا
بالايمان ولو على ادنى وجوهه فعم بذلك العالي والداني ليبلونكم الله اي يعاملكم معاملة المختبر في تحريم الخمر وغيره المحيط بكل شيء
قدرة وعلما وذكر الاسم الاعظم اشارة بالتذكير بما له من الجلال الى ان له ان يفعل ما يشاء واشار الى تحقير البلوى تسكينا للنفوس
بقوله بشيء من الصيد اي الصيد في البر في الاحرام وهو ملتفت الى قوله هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله الاية وشارح لما ذكر اول
السورة في قوله غير محلي الصيد وانتم حرم الاية وما ذكر بعد المحرمات من قوله فكلوا مما امسكن عليكم ووصف المبتلى به بوصف هو
من اعلام النبوة فقال تناله ايديكم اي ان اردتم اخذه سالما ورماحكم ان اردتم قتله ثم ذكر المراد من ذلك وهو اقامة الحجة على ما
يتعارفه العباد بينهم فقال ليعلم الله اي وهو الغني عن ذلك بما له من صفات الكمال التي لا خفاء بها عند احد يعلم هذا الاسم الاعظم
من يخافه بالغيب اي بما حجب به من هذه الحياة الدنيا التي حجبتهم عن ان يعرفوه حق معرفته سبحانه والمعنى انه يخرج بالامتحان ما كان
من افعال العباد في عالم الغيب الى عالم الشهادة فيصير تعلق العلم به تعلقا شهوديا كما كان تعلقا غيبيا لتقوم بذلك على الفاعل
الحجة في مجاري عاداتكم ويزداد من له اطلاع على اللوح المحفوظ من الملائكة ايمانا ويقينا وعرفانا وقد حقق سبحانه معنى هذه الاية
فابتلاهم بذلك عام الحديبية حتى كان يغشاهم الصيد في رحالهم ويمكنهم اخذه بايديهم ولما كان هذا زاجرا في العادة عن التعرض
لما وقعت البلوى به وحاسما للطمع فيه ممن اتسم بما جعل محط اله نا من الايمان سبب عنه قوله فمن اعتدى اي كلف نفسه تجاوز
الحد في التعرض له ولما كان سبحانه يقبل التوبة عن عباده حصل لو عبر عن استغراق الزمان بالاعتداء اسقط الجار لذلك فقال
بعد ذلك اي الزجر العظيم فله عذاب اليم بما التذ من تعرضه لما عرف بالميل الى هذا انه الى ما هو اشهى منه كالخمر وما معها اميل ولما اخبرهم
بالابتلاء صرح لهم بما لوح اليه بذكر الخائف من تحريم التعرض لما ابتلاهم به فقال منوها بالوصف الناهي عن الاعتداء يا ايها الذين امنوا
وذكر القتل الذي هو اعم من الذبح اشارة الى ان الصيد لما عده من القوة المانعة من التمكن من ذبحه يحبس باي وجه كان من انواع القتل فقال
لا تقتلوا الصيد اي تصطادوا ما يحل اكله من الوحش واما غير الماكول فيحل قتله لانه لا حظ للنفس في قتله الا الراحة من اذاه المراد
بالفسق في قوله صلى الله عليه وسلم خمس من الدواب فواسق لا جناح على من قتلهن في حل ولا حرم وذكر منهن السبع العادي فدل الحكم
برفع الجناح عقب الوصف بالفسق على انه علة في الاباحة ولا معنى لفسقها الا اذاها وانتم حرم اي محرمون او في الحرم ولما كان سبحانه عالما بانه
لا بد ان يواقع من امر من نهاه ويخالف مخالف موافقة لمراده شرع لمن خالف كفارة تخفيفا منه على هذه الامة ودفعا لما كان
على من قبلها من الاصار فقال عاطفا على ما تقديره فمن انتهى فله عند ربه اجر عظيم ومن قتله منكم متعمدا اي
قاصدا للصيد ذاكرا للاحرام عالما بالتحريم ولما كان هذا الفعل العمد موجبا للاثم والجزاء ومنه اخطا له
وصف منه كان خطاه موجبا للجزاء فقط وكان سبحانه قد عفى عن اعلام الصحابة رضي الله عنهم العمد الذي كان

سببا

سببا للنزول الاية كما في احزها لم يذكره واقتصر على ذكر الجزاء فقال فجزاء اي فالمكافاة مثل ما قتل اي اقرب الاشياء به شبها في
الصورة لا النوع ووصف الجزاء بقوله من النعم لما قتله عليه اي عليه ان يكافئ ما قتله بمثله وهو من اضافة المصدر الى الفاعل هذا على
قراءة الجماعة باضافة جزاء الى مثل واما على قراءة الكوفيين ويعقوب بتنوين جزاء ورفع مثل فالامر واضح ولما كان كانه قيل لم تعرف
المماثلة قال يحكم به اي بالجزاء ولما كانت وجوه المشابهة بين الصيد وبين النعم كثيرة احتاج ذلك الى زيادة التامل فقال
ذوا عدل منكم اي المسلمين وعن الشافعي ان الذي له مثل ضربان ما حكمت فيه الصحابة وما لم تحكم فيه فما حكمت فيه لا يعدل الى غيره
لانه قد حكم به عدلان فدخل تحت الاية وهم اولى من غيرهم لانهم شاهدوا التنزيل وحضروا التاويل وما لم يحكموا به يرجع فيه الى اجتهاد
عدلين فينظران الى الثلاثة الاجناس من الانعام فكل ما كان اقرب شبها به يوجبانه فان كان القتل خطا جاز ان يكون القاتل احد
الحكمين وان كان عمدا فلا لانه يفسق به ولما كان هذا المثل يساق الى مكة المشرفة على وجه الاكرام والنسك رفقا بمساكينها
قال مبينا الحال من الضمير في به هديا ولما كان الهدي هو ما تقدم تفسيره صرح به فقال بالغ الكعبة اي الحرم المنسوب
اليها وانما صرح بها زيادة في التعظيم واعلاما بانها هي المقصودة بالذات بالزيارة والعمارة لقيام ما يأتي في ذكره بذبح الهدي
بمكة المشرفة ويتصدق به على مساكين الحرم والاضافة لفظية كان الوصف يشبه يبلغ فلذا وصفت بها النكرة ولما كان
سبحانه رحيما بهذه الامة خيرها بين ذلك وبين ما بعده فقال او عليه كفارة هي طعام مساكين في الحرم بمقدار قيمة الهدي
لكل مسكين مد او عدل ذلك اي قيمة المثل صياما في اي موضع تيسر له عن كل مد يوم فاو للتخيير لانه الاصل فيه والقول
بانها للترتيب يحتاج الى دليل ولما كان الامر مفروضا في المتعمد قال معللا بالجزاء اي نغليه ان يجازى بما ينقص المال ويولم
الجسم ليذوق وبال اي ثقل امره وسوء عاقبته ليحترز عن مثل ما وقع فيه ولما كان هذا الجزاء حكموا به في دار العمل التي لا يطلع
اهلها بمجرد عقولهم فيها على غيب ولا يعرفون عاقبة امر الا عرضا طرد الحكم في غير المتعمد لئلا يدعي المتعمد انه مخطئ كل ذلك
حرمة للدين وصونا لحرمة الشرع وحفظا لجانبه ورعاية لشانه ولما كان قد مضى منهم قبل نزولها من هذا النوع
اشياء كانوا كانهم قالوا فكيف نصنع بما اسلفنا قال جوابا عفا الله اي الغني عن كل شيء الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال
عما اي تعمد سلف اي لكم من ذلك لمن حفظ نفسه بعد هذا فانه ومن عاد اي تعمد شيء من ذلك ولو قل ولما كان لسببيه استعمنا
معنى الشرط قرن الخبر بالفاء اعلاما بالسببية فقال فينتقم الله اي الذي له الامر كله منه اي بسبب عوده بما يستحقه من الانتقام
ولما كان فاعل ذلك منتهكا لحرمة الاحرام والحرم وكان التقدير فالله قادر عليه عطف على ذلك ما اقتضاه المقام من
الاتيان بالاسم الاعظم ووصف العزة فقال والله اي الملك الذي لا كفؤ له في عظمته عظمة عزيز لا يغالب ذو انتقام ممن
خالف امره ولما كان هذا عاما في كل صيد بين انه خاص بصيد البر فقال احل لكم صيد البحر اي اصطياده الذي مبناه
غالبا على الحاجة والمراد جميع المياه من الانهار والبرك وغيرها وطعامه اي مصيده طريا وقديدا ولو كان طافيا لانه
البحر وهو الحيتان بانواعها وكل ما لا يعيش في البر وما اكل مثله في البر ولما احل ذلك ذكر علته فقال متاعا لكم اي اذا
كنتم مسافرين او مقيمين وللسيارة اي يتزودونه الى حيث ارادوا من البر والبحر وفي تحليل صيد البحر حال الابتلاء من النعم
على هذه الامة ما يبين فضلها على من كان قبلها ممن جعل صيد البحر لهم محنة يوم الابتلاء ولله الحمد والظاهر ان المراد بصيد
البحر الفعل لان ثم امرين الاصطياد والاكل والمراد بيان حكمهما فكانه احل اصطياده بقوله صيد البحر واحل طعام البحر مطلقا ما
اصطاده وما لم يصطاده سواء كانوا مسافرين او مقيمين وذلك لانه لما قدم تحريم اصطياد ما في البر بقوله لا تقتلوا
الصيد وانتم حرم اتبعه بيان احلال اصطياد صيد البحر في حال تحريم ذاك ثم اتبعه بيان حرمة مصيد البر بقوله وحرم
عليكم صيد البر اي اصطياده واكل ما صيد منه لكم وهو ما لا يعيش الا فيه وما يعيش فيه وفي البحر فانه صيد للحلال حل للمحرم
اكله فان غيره منسوب الى اصطياده بالفعل او بالقوة ما دمتم حرما لان مبنى امره غالبا في الاصطياد والاكل مما صيد
على الترفه والرفاهية وقد تقدم ايضا حرمة اصطياد مصيد البر وحرمة الاكل مما صيد منه وتكرر ذلك بتكرر الاحرام
في اية غير محلي الصيد واية لا تقتلوا الصيد وانتم حرم فلا يجاد صريحه مفهوم ما دمتم وغير ذلك ليكون نصا في الحرمة في كل
جزء من اجزاء وقت الاحرام الى تمام التحلل والله اعلم ولا يسقط الجزاء بالخطا والجهل كسائر محظورات الاحرام ولما كان الاصطياد
يحشر المصيد الى حيث يعجز عن الخلاص منه وكانت حالة الاحرام اشبه شيء بحالة المحشر في التجرد عن المخيط والاعراض عن اللذات
وتمتعاتها ختم الاية بقوله عطفا على ما تقديره فلا تاكلوا شيئا منه في حال احرامكم واتقوا الله اي الذي له الامر كله في ذلك
وفي غيره من الاصطياد وغيره الذي اليه تحشرون ليكون العرض عليه نصب اعينكم فتكونوا مواظبين على طاعته محترزين
عن معصيته ولما كان الاحرام وتحريم الصيد فيه انما هو لقصد تعظيم الكعبة بين تعالى حكمة ذلك وانه كما جعل الحرم والاحرام
امنا للوحش والطير جعله سببا للامن للناس وسببا لحصول السعادة دنيا واخرى فقال مستانفا بيانا لحكمة المنع
في اول السورة من استحلال من يقصدها للزيارة جعل الله اي بما له من العظمة وكمال الحكمة ونفوذ الكلمة الكعبة
وعبر عنها بذلك لانها ماخوذة من الكعب الذي به قيام الانسان وقوامه وبينها مادحا بقوله البيت الحرام اي الممنوع من
كل جبار ردا لما الذي تقدم في اول السورة اي منعكم من استحلال من يؤمه قياما للناس اي في امر معاشهم ومعادهم

لانها لهم كالعماد الذي يقوم به البيت فيامن به الخايف ويقوى فيه الضعيف ويقصده التجار والحجاج والعمار فهو عماد الدين والدنيا
ولما ذكر ما به القوام من المكان اتبعه ذلك من الزمان فقال والشهر الحرام اي الذي يفعل فيه الحج وغيره يامن فيه الخايف ولما ذكر ما به القوام
العوام من المكان والزمان اتبعه ما به قوام الفقرا من شعايره فقال والهدي ثم اتبعه اعزه واخصه فقال والقلايد اي والهدي
العزيز الذي يقلد فيذبح ويقسم على الفقرا وفي الاية التفات الى ما في اول السورة من قوله يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله الاية
فقوامها انها من قصدها في الشهر الحرام لم يتعرض له احد ولو كان قتل ابنه ومن قصدها في غيره ومعه هدي قلده او لم يقلده او لم
يكن معه هدي وقلد نفسه من لحا شجر الحرم لم يتعرض له احد حتى ان بعضهم يلقى الهدي وهو مضطر فلا يعرض له ولو مات جوعا وسوا
في ذلك صاحبه وغيره لان الله تعالى اوقع في قلوبهم تعظيمها لانه تعالى جبل العرب على الشجاعة ليفتح بهم البلاد شرقا وغربا
ليظهر عموم رسالة نبيهم صلى الله عليه وسلم فلزم من ذلك شدة حرصهم على القتل والغارات وعلم ان ذلك ان دام بهم شغلهم عن
تحصيل ما يحتاجون اليه لمعيشتهم فادى الى فنائهم فجعل بيته المكرم وما كان من اسبابه اماما يكون به قوام معايشهم فكان ذلك
برهانا ظاهرا على انه عالم بجميع المعلومات وان له الحكمة البالغة ولما اخبر بعلة التعظيم لما امر بتعظيمه من نظم امور الناس
ذكر علة ذلك الجعل فقال ذلك اي الجعل العظيم الذي تم امره على ما اراد جاعله سبحانه لتعلموا اي بهذا التدبير المحكم ان الله
اي الذي له الكمال كله الذي جعل ذلك يعلم ما في السموات فلذلك دبرها ترتيبا فصلت به الايام والليالي فكانت من ذلك الشهور
والاعوام وفصل من ذلك ما فضل للقيام المذكور وما في الارض فلذلك جعل فيها ما قامت به مصالح الناس وكف فيه اشدهم
وانتقم عن اضعفهم وامن فيه الطير والوحش فيؤدي ذلك من له عقل رصين وفكر متين الى ان يعلم ان فاعل ذلك من العظمة ونفوذ
الكلمة بحيث يستحق الاخلاص في العبادة وان يمتثل امره في احلال ما احل من الطعام وتحريم ما حرم من الشراب وغير ذلك ولما
ذكر هذا العلم العظيم ذكر ما هو اعم منه فقال وان الله اي الذي له الامر كله الذي فعل ذلك فتم له بكل شي عليم والا لما اتقن جميع
مقتضيات ذلك ونفى جميع موانعه حتى كان ولقد اتخذ العرب كما في السيرة الهشامية وغيرها طواغيت وهي بيوت جعلت لها
سدنة وحجابا وهدايا اكثروا منها وعظمت كل قبيلة ما عندها اشد تعظيم وطافوا به فلم يبلغ شي منها ما بلغ امر الكعبة المشرفة
ولا قارب ليحصل العلم بانه سبحانه لا شي مثله ولا شريك له ولما انتج هذا الكلام انه على كل شي قدير لانه بكل شي عليم وكانت هذه الاية كما تقدم
ناظرة الى اول السورة من اية لا تحلوا شعاير الله وما بعدها ثم تطرد كره سبحانه ما اشتملت به حرمت عليكم الميتة من الوعيد الذي ختم به
ما قبلها والوعد الذي ختمت هي به في هذه الاية على ترتيبه سابقا لمساق النتيجة والثمرة لما قبلها بيانا لان من ارتكب شيا من هذه
المنهيات كان خطر فقال محذرا ومبشرا لان الايمان لا يتم الا بهما اعلموا ان الله اي الذي له العظمة كلها الذي نهاه عنها شديد
العقاب فليكن عباده على حذر منه وان من وقع في شي منها القدر ثم فتح له التوفيق بالحذر فكفر فيما فيه كفارة وتاب كان
مخاطبا بقوله وان اي واعلموا ان الله اي الذي له الجلال والاكرام مع كونه شديد العقاب غفور رحيم يقبل عليه ويمحو زلله ويكرمه
فكان كتابا في سياب الرجا سابقا للانذار ولاحقا معلما بان رحمته غلبت غضبه وان العقاب انما هو لاتمام رحمته قال ابن الزبير
ثم قال جعل الله الكعبة الاية فنبه على سو العاقبة في منع البحث عن التعليل وطلب الوقوف على ما لعله مما استاثر الله بعلمه
ومن هذا الباب ابتلي على بني اسرايل في امر البقرة وغير ذلك وجعل هذا التنبيه ابهاما ثم اعقبه بما يفسره يا ايها الذين امنوا لا
تسالوا عن اشيا الاية ووعظهم بحال غيرهم في هذا وانهم سالوا فاعطوا ثم امتحنوا وقد كان التسليم اولى بهم فقال تعالى قد
سالها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ثم عرف عباده انهم اذا استقاموا فلن يضرهم ضلال غيرهم يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
انتهى ولما رغب سبحانه ورهب علم انه المجازي وحده فانتج ذلك انه ليس الى غيره الا ما كلفه به فانتج ذلك ولا بد قوله ما على الرسول
اي الذي من شانه الابلاغ الا البلاغ اي بانه يحل لكم الطعام وغيره ويحرم عليكم الخمر وغيرها وليس عليه ان يعلم ما تضمرون وما
تظهرون ليحاسبكم عليه والله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما يعلم ما تبدون اي تجددون ابداه على الاستمرار وما تكتمون من ايمان
وكفر وعصيان وتحوي في الدين بتحريم الحلال من الطعام والشراب وغيره افراطا وتفريطا لانه الذي خلقكم وقدر ذلك فيكم
في اوقاته فيجازيكم على ما في نفس الامر من عصى اخذه بشديد العقاب ومن اطاعه منحه حسن الثواب واما الرسول صلى الله عليه وسلم
فلا يحكم الا بما يعلمه مما ينبه وانه ما لم يكشف له الباطن وامره فيه بامر وهذه ايضا ناظرة الى قوله تعالى بلغ ما انزل اليك من
ربك ولما سلب سبحانه العلم عن كل احد واثبته لنفسه الشريفة انتج ذلك انه لا امر لاحد غيره ولا نهي ولا اثبات ولا نفي فاخذ
سبحانه يبين حكمة ما مضى من الاوامر في احلال الطعام وغيره من الاصطياد والاكل من الصيد وغيره والزواجر عن الخمر وغيرها
بان الاشيا منها طيب وخبيث وان الطيب وان قل خير من الخبيث وان كثر ولا يميز هذا من ذلك الا الخلاق العليم فربما ارتكب
الانسان طريقة شرعها لنفسه ظانا انها حسنة لجزئه الى نسبة وهو لا يشعر فيهلك كالرهبانية التي كانوا عزموا
عليها والخمر التي دعا شغفهم بها الى الانزال فيها مرة بعد اخرى الى ان كد فيها هنا اشد تاكيد وحذر فيها ابلغ تحذير فقال
تعالى صارفا الخطاب الى اشرف الورى صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه لا ينهض بمعرفة هذا من الخلق غيره قل لا يستوي الخبيث
اي من المطعومات والطاعمين والطيب اي كذلك فان ما يتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان من جهة الخبث ولما
كان الخبيث من الذوات والمعاني الكثير الظاهر بشر قال ولو اعجبك كثرة الخبيث وادل دليل على رداءة العصاة والمطيع

التدبير

اي ولتعلموا ان الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما

قوله

قوله فاتقوا الله اي اجعلوا بينكم وبين ما يسخط الملك الاعظم من الحرام وقاية من الحلال لتكونوا من قسم الطيب فانه لا مقرب الى
الله مثل الانتها عما حرم كما تقدمت الاشارة بقوله ثم اتقوا واحسنوا وزيد ذلك وضوحا قوله يا اولي الالباب اي العقول
الخالصة عن شوايب النقص فتوثروا الطيب وان قل في الحس لكثرته في المعنى على الخبيث وان كثر في الحس لنقصه في المعنى لعلكم
تفلحون اي لتكونوا على رجا من ان تفوزوا بجميع المطالب وحينيذ ظهر كالشمس مناسبة تعقيبها بقوله على طريق الاستيناف
والاستنتاج يا ايها الذين امنوا اي اعطوا من نفوسهم العهد على الايمان الذي معناه قبول جميع ما جا به من وقع به الايمان لا تسالوا
عن اشيا وذلك لانهم اذا كانوا على خطر فيما يشرعون وفيما به ينتفعون من الماكل والمشارب وغيرها من الاقوال والا
فهم مثله فيما عنه يسالون سوا سالوا اشرعا اولا لانه ربما اجابهم من لا يضر شي الى ما فيه ضررهم مما سالوه فانهم يحتاجون
التفرقة بين الخبيث والطيب وسبب نزولها كما في الصحيحين عن انس رضي الله عنه انهم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى احفوه
المسيلة فغضب فصعد المنبر فقال لا تسالوني اليوم عن شي الا بينته لكم وشرع يكرر ذلك واذا رجل كان اذا لاحى الرجال يدعى
لغير ابيه فقال يا رسول الله من ابي قال حذافة ثم انشا عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا
نعوذ بالله من ذلك نعوذ بالله من الفتن وفي اخره فنزلت يا ايها الذين لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم وللبخاري في التفسير
عن انس ايضا قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين فقال رجل من ابي قال فلان فنزلت لا تسالوا عن اشيا
الاية وللبخاري ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان قوم يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزا فيقول الرجل
من ابي ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله فيهم هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا حتى فرغ من الاية
كلها ولابن ماجة مختصرا والحافظ ابي القسم بن عساكر في الموافقات فيما افاده المحب الطبري في مناقب العشرة وابي يعلى في
مسنده مطولا عن انس رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان ونحن نرى ان معه جبريل عليه السلام
حتى صعد المنبر وفي رواية فخطب الناس فقال سلوني فوالله لا تسالوني عن شي اليوم الا اخبرتكم وفي رواية انباتكم به فما رايت
يوما كان اكثر باكيا منه فقال رجل يا رسول الله وفي رواية فقام اليه رجل فقال يا رسول الله انا كنا حديث عهد بجاهلية من
ابي قال ابوك حذافة لابيه الذي كان يدعى له وفي رواية ابوك حذافة الذي تدعى له فقام اليه اخر فقال يا رسول الله افي الجنة انا
ام في النار فقال في النار فقام اليه اخر فقال يا رسول الله اعلينا الحج كل عام وفي رواية كل عام فقال لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت
لم تقوموا بها عذبتم فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وفي رواية
رسولا لا تفضحنا بسرايرنا وفي رواية فقام اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا رسول الله انا كنا حديث عهد بجاهلية
فلا تبد علينا سرايرنا لا تفضحنا بسرايرنا اعف عنا عفا الله عنك فسري عنه ثم التفت الى الحايط فقال لم تمثل الجنة والنار كيوم
وللامام احمد ومسلم والنسائي والدارقطني والطبري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خطب وفي رواية خطبنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل وفي رواية النسائي فقال الاقرع بن حابس التميمي
اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال من السايل فقال فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لو قلت نعم لوجبت ثم اذا لا تسمعون ولا تطيعون ولكن حجة واحدة وفي رواية الدارقطني والطبري ولو وجبت ما اطقتموها
ولو لم تطيقوها وفي رواية الطبري ولو تركتموه لكفرتم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم
تسوكم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سوالهم واختلافهم على انبيايهم فاذا امرتكم بشي فاتوا
منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي فدعوه وفي رواية فاجتنبوه وهذا الحديث له الفاظ كثيرة من طرق شتى استوفيتها
في كتاب الاطلاع على حجة الوداع ولا تعارض بين هذه الاخبار ولو تعدد ردها الى شي واحد لما تقدم لما تقدم عند قوله
تعالى لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم من ان الامر الواحد قد تتعدد اسبابه بل وكل ما ذكر من اسباب تلك وما اشبهها كقوله
تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال الاية يصلح ان يكون سببا
لهذه وروى الدارقطني في اخر الرضاع من سننه عن ابي ثعلبة الخشني وفي اخر الصيد عن ابي الدردا رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرايض فلا تضيعوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وحد حدودا
فلا تعتدوها وسكت عن اشيا من غير نسيان فلا تبحثوا عنها وقال ابو الدردا افلا تتكلفوها رحمة من ربكم فاقبلوها واخرج
حديث ابي الدردا ايضا الطبراني ولما كان الانسان قاصرا عن علم ما غاب فكان زجره عن الكشف عما يسوه زجرا له عن كل ما
يتوقع ان يسوه قال تعالى ان تبد اي تظهر لكم باظهار عالم الغيب لها تسوكم ولما كان ربما وقع في وهم متعنت ان هذا الزجر
انما هو لقصد راحة المسول من السوال خوفا من عواقبه قال وان تسالوا عنها اي تلك الاشيا التي يتوقع مساتكم
عند ابدايها حين ينزل القران اي والملك حاضر تبد لكم ولما كان ربما قال لما لا تبد بها سيل عنها ام لا قال عفا الله
اي بما له من الغنى المطلق والعظمة الباهرة وجميع صفات الكمال عنها اي سترها عليكم فلم يبدها لكم رحمة منه لكم واخراجا
مما يسوكم ويثقل عليكم في دين ودنيا ولما كانت صفاته سبحانه ازلية لا توقف لواحدة منها على غيرها وضع الظاهر موضع

تعالى

المضمر لئلا يختص بما قبله فقال نادبا من وقع منه ذنب إلى التوبة والله أي الذي له مع صفة الجلال صفة الإكرام غفور أي لا
يزال يمحو الزلات عينا وأثرا ويعقبها بالإكرام على عادة الحلماء حليم أي لا يعجل بالعقوبة على العاصي ولما نهى عن السؤال
عنها لتعرف حالها علل ذلك بأن غيرهم عرف أشياء وطلب أن يعطاها إما بأن سأل غيره ذلك وإما بأن شرعها وسأل
غيره أن يوافقه عليها وهو قاطع بأنها غاية في الحسن فكانت سبب شقائه فقال قد سألها يعني أمثالها ولم يقل سأل عنها لأنه
إشارة إلى ما ابتدأ به قوم أي ولو أعزم ذو بأس وثبات في الأمور ولما كان وجود القوم فضلا عن سؤالهم لم يستغرق زمان القبل
أدخل الجار فقال من قبلكم ولما كان الشيء إذا جاء عن مسألة جديرا بالقبول لا سيما إذا كان من ملك فكيف إذا كان من ملك الملوك
فكان رده في غاية البعد عبر عن استبعاده بأداة البعد في قوله ثم أصبحوا بها أي عقب إتيانهم إياها سواء من غير مهلة كافرين
أي ثابتين في الكفر وهذا زجر بليغ لأن يعودوا لمثل ما أرادوا من تحريم ما أحل لهم ميلا إلى الرهبانية والتعمق في الدين المنهي عنه
بقوله لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولما فرغ من زجرهم عن أن يشرعوا لأنفسهم أو يسألوه في أن يشرع لهم أو أن يسألوا عمن
رحمهم بابتدائهم لهذا التشريع عن شيء من الأشياء اعتمادا على أنه ما ابتدأ بذلك إلا وهو مخفف عنهم شيئا ينفعهم ولا مبدٍ لهم شيئا
يضرهم لأنه بكل شيء عليم كما قدم التنبيه على ذلك قال معللا لختام الآية التي قبلها ما جعل الله أي الذي له صفات الكمال فلا يشرع
شيئا إلا وهو في غاية الحكمة وأغرق في النفي بقوله من بحيرة وأكد النفي بإعادة النافي فقال ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام
الآية دالا بذلك على أن الإنسان قد يقع في شرعه لنفسه على الخبيث دون الطيب وذلك لأن الكفار شرعوا لأنفسهم هذا
لظنهم أنه من محاسن الأعمال فإذا هو مما لا يحبه الله بل ومما يعذب عليه لكونه أوقعهم فيما كانوا معترفين بأنه أقبح القبائح وهو
الكذب بل في أقبح أنواعه وهو الكذب على ملك الملوك ثم صار لهم دينا وصار والد رح الناس فيه وهو عين الكفر وهم معترفون
بأنه ما شرعه إلا عمرو بن لحي وهو أول من غير دين إبراهيم كما رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إن عمرا أول من غير دين إسماعيل ونصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحامي ورواه عبد بن
حميد في مسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ونحوه وكان عمرو بن لحي أول من حمل العرب على عبادة الأصنام ورواه البخاري
في المناقب في صحيحه ومسلم في صفة النار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن عامر الخزاعي
يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب قال ابن هشام في السيرة والبحيرة عندهم الناقة تشق أذنها فلا يركب ظهرها
ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف أو يتصدق به وتهمل لآلهتهم وروى البخاري في المناقب ومسلم في صفة النار عن سعيد
بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت ولا يحلبها أحد من الناس والسائبة التي كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل
عليها شيء وكذا رواه البخاري أيضا في التفسير وقال والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل ثم تثني بعد بأنثى وكانوا
يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر وقال البرهان السفاقسي في إعرابه قال أبو عبيدة وهي الناقة
إذا نتجت خمسة أبطن في الآخر ذكر شقوا أذنها وخلوا سبيلها لا تركب ولا تحلب وقيل غير ذلك وقال أبو حيان في النهر قال ابن
عباس السائبة هي التي تسيب للأصنام أي تعتق وكان الرجل يسيب من ماله شيئا فيجيء به إلى السدنة وهم خدم آلهتهم فيطعمون من
لبنها ابن السبيل والوصيلة قال ابن عباس هي الشاة تنتج سبعة أبطن فإن كان السابع أنثى لم ينتفع النساء منها بشيء إلا أن
تموت فيأكلها الرجال والنساء وإن كان ذكرا ذبحوه وأكلوه وإن كان ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فتترك مع أخيها فلا تذبح
ومنافعها للرجال دون النساء فإذا ماتت اشترك الرجال والنساء فيها وقال ابن هشام والحامي الفحل إذا نتج له عشر إناث
متتابعات ليس بينهن ذكر حمي ظهره فلم يركب ولم يجز وبره وخلي في إبله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك وقال السفاقسي
قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم واختاره أبو عبيدة والزجاج هو الفحل ينتج من صلبه عشرة أبطن فيقولون
قد حمى ظهره فيسيبونه لأصنامهم فلا يحمل عليه شيء ولما كانوا قد حرموا هذه الأشياء وكان التحريم والتحليل من خواص الإله وكان
لا إله إلا الله دان حكمهم عليها بالحرمة نسبة لذلك إلى الله سبحانه كذبا فقال تعالى بعد أن نفى أن يكون جعل شيئا من ذلك ولكن
الذين كفروا أي ستروا ما دل عليه عقلهم من أن الله ما جعل هذا لأنهم لا وصول لهم إليه سبحانه وعز شأنه فلذلك قال
يفترون أي يتعمدون جعل هذه الأشياء من تحريم وتحليل على الله أي الملك الأعلى الكذب فيحرمون ما لم يحرمه ويحللون ما لم
يحلله وأكثرهم أي هؤلاء الذين جعلوا هذه الأشياء لا يعقلون أي لا يجدد لهم عقل لكونهم ماتوا على كفرهم ثم لما حرموا هذه
الأشياء اضطروا إلى التحليل للميتة فحرموا الطيب وأحلوا الخبيث ولما اتخذوه دينا واعتقدوه شرعا ومضى عليه أسلافهم
دعتهم الحظوظ والأنفة من نسبتهم بأنهم إلى الضلال والشهادة عليهم بالسفه إلى الإصرار عليه وعدم الرجوع عنه بعد انكشاف
قباحته وبيان بشاعته حتى أفنى أكثرهم السيف ووطئتهم الدواهي فتواطأت كفاتهم وذلك اتباعا فيهم واكتنافهم فقال تعالى
دالا على مقام الآية التي قبل من عدم عقلهم وإذا قيل لهم أي من أي قائل كان ولو أنه ربهم بما ثبت من كلامه بالمعجزة أنه كلامه
تعالوا أي ارفعوا أنفسكم عن هذا الحضيض السافل إلى ما أنزل الله أي الذي له الأعظم منه وقد ثبت لديكم أنه أنزله بعجزكم عنه وإلى
الرسول أي الذي من شأنه لكونه سبحانه أرسله أن يبلغكم ما يحبه لكم ويرضاه قالوا حسبنا أي يكفينا ما وجدنا عليه آباءنا
ولما كانوا عالمين بأنه ليس في آبائهم عالم وأنه من تأمل أدنى تأمل عرف أن الجاهل لا يهتدي لشيء قال منكرا عليهم موبخا لهم

أولو

بلغ مقابلة

أولو أي أيكفيهم ذلك أو أقالوا ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من الأشياء حق علمه لكونهم لم يأخذوه عن الله بطريق
من الطرق الواصلة إليه ولما كان من لا يعلم قد يشعر بجهله فيتعلم فيهتدي فيصير أهلا للاقتداء به وقد لا يشعر لكون جهله مركبا
فلا يجوز الاقتداء به بين أنهم من أهل هذا القسم فقال ولا يهتدون أي لا يطلبون الهداية فلا توجد هدايتهم إلى صواب لأن
من لا يعلم الصواب له لأنه ليس للهداية سوى العلم وأول دليل على عدم هدايتهم أنهم ضيعوا الطيب من أموالهم فاضطرهم
ذلك إلى أكل الخبيث من الميتة وأعضوا بذلك خالقهم فدخلوا النار فلا أقبح مما اختاره لنفسه المطبوع على الكذب والحق
مما يشرعه ربه البشر وهذه الآية ناظرة إلى قوله تعالى في سورة النساء إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا
إلى قوله ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام فالتفت حينئذ إلى قوله رجس من عمل الشيطان أي التفات ولما كان المانع لهم من قبول
الهدى كون ذلك تسفيها لآبائهم فيعود ضررا عليهم يسبون به على زعمهم أعلم الله المؤمنين أن مخالفة الغير في قبول الهدى لا
تضرهم أصلا بأن عقب آية الإنكار عليهم في التقليد بآبائهم لما بعثهم لهم في الكفر بقوله يا أيها الذين آمنوا أي عاهدوا ربهم
ورسوله على الإيمان عليكم أنفسكم أي الزموا هدايتها وإصلاحها ولما كان كأنه قيل إنا نسب بآبائنا وتلتبس لهم لزوما ضررنا
نسبتنا إليهم عند الله كما جوز ذلك بن الجون الخزاعي أن يضره شبه عمرو بن لحي به حتى سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لا
أنك مؤمن وهو كافر كما في أول السيرة الهشامية عن أبي هريرة رضي الله عنه وكان ذلك ربما وقف بأحد منهم عن الإسلام قال
لا يضركم من ضل أي من المخالفين بكفر أو غيره بنسبتكم إليه ولا بقول الكفار إنكم سفهتم آباءكم ولا بغير ذلك من وجوه الضرر ه
وحقق هدايتهم بشارة لهم بأداة التحقيق فقال معلما لوجود الضرر عند فقد الهداية إذا اهتديتم أي بالإقبال على ما أنزل
الله وعلى الرسول حتى تصيروا علماء وتعملوا بعلمكم فتحاربوا من ضل فإن كان موجودا أبلغتم جهدا في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر
بحسب الطاقة فإن لم تستطع رده انتظر به يوم الجمع الأكبر والهول الأعظم وإن كان مفقودا أنبحا الفتنة في ذلك الضلال وإن كان
أقرب الأقرباء وأولى الأحباء والأكان الباقي أسعد من الماضي وقد كان لعمري أحدهم لا يتبع أباه إذا كان سفيها في أمر دنياه عاجزا
عن تحصيلها ولا يحاشي عن مخالفته في طريقته بل يعد الكدح في تحصيلها والتعمق في اقتناصها وحسن السعي في تثميرها ولطف
الحيلة في توسيعها من معالي الأخلاق وأصالة الرأي وجودة النظر على أن ذلك ظل زائل وعرض فائت فكيف لا يخالفه فيما به
سعادته الأبدية وحياته الباقية ويأخذ بالحزم في ذلك ويشمر ذيله في أمره ويسهر ليله في إعمال الفكر وترتيب النظر فيما
أمره الله بالنظر فيه حتى يظهر له الحق فيتبعه ويتبين له به الباطل فيجتنبه ما ذاك إلا لجود الهوى وقد كان الحزم العمل بالحكمة
التي كشفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن شداد بن أوس رضي الله عنه الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وروى مسلم والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن
بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا وقال ابن ماجه ولا تقل لو أني فعلت كذا وكذا فإن لو تفتح عمل الشيطان
وفي بعض طرق الحديث ولكن قل قدر الله وما شاء فعل يعني والله أعلم اعمل عمل الحزمة فأوسع النظر حتى لا تترك أمرا يحتمل أن ينفعك
ولا يضرك إلا أخذت به ولا تدع أمرا يحتمل أن يضرك ولا ينفعك إلا اجتنبته فإنك إن تفعل ذلك وغلبك القضاء والقدر
لم تجد في نفسك أمرا تقول لو أني فعلته أو تركته ولكنك تقول قدر الله وما شاء فعل بخلاف ما إذا لم تنعم النظر وعملت عمل العجزة
فإنك حتما تقول لو أني فعلت كذا وكذا إلا أن الشيطان يفتح لك تلك الأبواب التي تطرقها الحازم فيكثر لك من لو لأنها مفتاح
عمله وليس في الآية ما يتعلق به من يهمل ونافي الأمر بالمعروف كما يفعله كثير من البطلة روى أحمد في المسند عن أبي عامر الأشعري
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له في مرداة يا أبا عامر ألا غيرت فتلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم فغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أين ذهبتم إنما هي لا يضركم من ضل من الكفار إذا اهتديتم وروى أحمد وأصحاب السنن الأربعة
والحارث وأحمد بن منيع وأبو يعلى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موا
وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعقابه قال البغوي
وفي رواية لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن الله عليكم شراركم فليسومنكم سوء العذاب ثم ليدعون الله
خياركم فلا يستجاب لكم والله الموفق ولما حكم تعالى وهو الحكم العدل أنه لا ضرر عليهم من غيرهم بشرط هدايتهم وكان الكفار يعيرونهم
قال مؤكدا لما أخبر به ومقررا لمعناه إلى الله أي الملك الأعظم الذي لا شريك له لا إلى غيره مرجعكم أي أنتم ومن يعيركم ويهددكم له
وغيرهم من جميع الخلائق جميعا فينبئكم أي يخبركم إخبارا عظيما مستوفى مستقصى بما كنتم تعملون أي تجددا جبلة وطبعا ويجازي
كل أحد على حسب ما عمل ولا يؤاخذ أحدا بما عمل غيره ولا بما أخطأ فيه أو تاب منه وليس المرجع ولا شيء منه إلى الكفار ولا معبودا
ولا غيرهم حتى تخشوا شيئا من غاياتهم في شيء من الضرر ولما خاطب سبحانه أهل ذلك الزمان بأنه نصب لمصالح العامة كالبيت
الحرام والشهر الحرام وأشار بآية البحيرة وما بعدها إلى أن أسلافهم لا قدروا عليهم مالا ولا نصحوهم في دينهم وختم ذلك بتهديد
للعباد بالموت وكشف الأسرار يوم العرض بالحساب على النقير والقطمير والجليل والحقير عقب ذلك بآية الوصية إرشادا
منه سبحانه إلى ما يكشف سريره من خان فيها علما منه سبحانه أن الوفاء في مثل ذلك يقل وحثا لهم على أن يفعلوا ما أمر سبحانه

لينصحوا لمن خلفوه بتوفير المال ويقتدي بهم فيما ختم به الآية من التقوى والسماع والبعد من الفسق والنزاع فقال تعالى مناديا
لهم بما عقدوا به العهد بينهم وبينه من الإقرار بالإيمان يا أيها الذين آمنوا أي أخبروا عن أنفسهم بذلك شهادة بينكم هو كناية
عن التنازع والتشاجر لأن المشهود إنما يحتاج إليهم عند ذلك وسبب نزول الآية قد ذكره المفسرون وذكره الشافعي في الأم
فقال أخبرني أبو سعيد معاذ بن موسى الجعفري عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان قال أخذت هذا عن مجاهد
والحسن والضحاك أن رجلين نصرانيين من أهل دارين أحدهما تميمي والآخر يماني صحبهما مولى لقريش في تجارة فركبوا البحر ومع
القرشي مال معلوم قد علمه أولياؤه من بين آنية وبز ورقة فمرض القرشي فجعل وصيته إلى الداريين فمات وقبض الداريان المال فدفعاه
إلى أولياء الميت فأنكر القوم قلة المال فقالوا للداريين إن صاحبنا قد خرج معه بمال أكثر مما أتيتمونا به فهل باع شيئا أو اشترى
شيئا فوضع فيه أو هل طال مرضه فأنفق على نفسه قالا لا قالوا فإنكما خنتمانا فقبضوا المال ورفعوا أمرهما إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم فلما نزلت أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقاما بعد الصلاة فحلفا
بالله رب السموات ما ترك مولاكم من المال إلا ما أتيناكم به فلما حلفا خلى سبيلهما ثم إنهم وجدوا بعد ذلك إناء من آنية الميت
فأخذوا الداريين فقالا اشتريناه منه في حياته فكذبا وكلفا البينة فلم يقدرا عليها فرفعوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله عز وجل فإن عثر يعني إلى آخرها ثم ذكر وقت الشهادة وسببها فقال إذا حضر وقدم المفعول تهويلا كما ذكر في النساء
ولأن الآية نزلت لحفظ ماله فكأنه اهتم فقال أحدكم الموت أي أخذته أسبابه الموجبة لظنه ولما كان لا يصح إذ ذاك إلا أمرا متعارفا
عرف فقال معلقا بشهادة كما علق به إذا أو مبدلا منه إذ الآن الزمنين واحد حين الوصية أي أن أوصى ثم أخبر عن المبتدأ فقال اثنان
أي شهادة بينكم في ذلك الحين شهادة اثنين ذوا عدل منكم أي من قبيلتكم العارفين بأحوالكم أو آخران أي ذوا عدل من غيركم
أي إن لم تجدوا قريبين يضبطان أمر الوصية من كل ما للموصي وعليه وقيل بل هما الوصيان أنفسهما احتياطا بجعل الوصي اثنين وقيل
آخران من غير أهل دينكم وهو خاص بهذا الأمر الواقع في السفر للضرورة لا في غيره ولا في غير السفر ثم شرط هذه الشهادة بقوله
إن أنتم ضربتم أي بالأرجل في الأرض أي بالسفر لأن الضرب بالأرجل لا يسمى ضربا إلا فيه لأنه موضع الجد والاجتهاد فأصابتكم وأشار
إلى أن الإنسان هدف لسهام الحدثان بتخصيصه بقوله مصيبة الموت أي أصابت الموصي المصيبة التي لا مفر منها ولا مندوحة عنها
ولما كان قد استشعر من التفصيل في أمر الشهود مخالفة لبقية الشهادات فكان في معرض السؤال عن المشهود ماذا يفعل بهم قال
مستأنفا تحبسونهما أي تدعونهما إليكم وتمنعونهما من التصرف لأنفسهما لإقامة ما تحملاه من هذه الواقعة وأدائه ولما كان المراد
إقامة اليمين ولو في يسير من الأوقات أن استغرق زمن البعد بالحبس وخل الجار فقال من بعد الصلاة أي التي هي أعظم الصلوات فكانت
بحيث إذا أطلقت معرفة انصرفت إليها وهي الوسطى وهي العصر ثم ذكر الغرض من حبسهما فقال فيقسمان بالله أي الملك الذي له
تمام القدرة وكمال العلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليمين إنما تكون إذا كانا من غيرنا فإن كانا مسلمين فلا يمين وعن غيره إن كان
الشاهدان على حقيقتهما فقد نسخ تحليفهما وإن كانا الوصيين فلا ثم شرط لهذا الحلف شرطا فقال معترضا بين القسم والمقسم عليه
إن ارتبتم أي وقع لكم شك فيما أخبرا به عن الواقعة ثم ذكر المقسم عليه بقوله لا نشتري به أي بهذا الذي ذكرناه ثمنا أي لم نذكره ليحصل
لنا به عوض دنيوي وإن كان في نهاية الجلالة وليس قصدنا به إلا إقامة الحق ولو كان أي الموصى لذي أقسمنا لأجله تبرية ذا قربى أي لنا
أي إن هذا الذي فعلناه عادتنا التي أطعنا فيها كونوا قوامين بالقسط شهداء لله الآية لأنه فعلنا في هذه الواقعة فقط ولا نكتم شهادة
الله أي هذا الذي ذكرناه أم نبدل فيه لما أمر الله به من حفظ الشهادة وتعظيمها ولم نكتم شيئا وقع به الإشهاد ولا نكتم فيما يستقبل شيئا
نشهد به لأجل الملك الأعظم المطلع على السرائر كما هو مطلع على الظواهر ثم علل ذلك بما لقنهم إياه ليكون آخر كلامهم كل ذلك تغليظا
وتنبيها على أن ذلك ليس كغيره من الأيمان فقال تذكيرا لهم وتحذيرا من التغيير إنا إذا أي إذا فعلنا شيئا من التبديل والكتم لمن الآثمين
ولما كان المراد مجرد الاطلاع بني للمفعول قوله فإن عثر أي اطلع مطلع بقصد أو بغير قصد قال البغوي وأصله الوقوع على الشيء أي من
عثرة الرجل على أنهما أي الشاهدين إن أريد بهما الحقيقة أو الوصيين استحقا إثما أي بسبب شيء خانا فيه من أمر الشهادة فآخران
أي من الرجال الأقرباء للميت يقومان مقامهما أي ليفعلا حيث شك في الريبة من الأقسام عند مطلق ما فعلا من الذين استحق
أي طلب وقوع الحق بشهادة من شهد عليهم هذا على قراءة الجماعة وعلى قراءة حفص بالبناء للفاعل المعنى وجد وقوع الحق عليهم
وهم أهل الميت وعشيرته ولما كان كأنه قيل ما منزلة هذين الآخرين من الميت فقيل هما الأوليان أي الأحقان بالشهادة أي الأقربان
إليه العارفان ببواطن أمره وعلى قراءة أبي بكر وحمزة بالجمع كأنه قيل هما من الأولين أي في الذكر وهم أهل الميت فهو نعت للذين استحق
فيقسمان أي هذان الآخران بالله أي الملك الذي لا يقسم إلا به لما له من كمال العلم وشمول القدرة لشهادتنا أي بما يخالف
شهادة الحاضرين للواقعة أحق من شهادتهما أي أثبت فإن تلك إنما شأنها في الظاهر وشهادتنا ثابتة في نفس الأمر وساعدها
الظاهر بما عثر عليه من الريبة وما اعتدينا أي تعدينا في يميننا مجاوزة الحق إنا إذا أي إذا وقع منا اعتداء لمن الظالمين أي الواضعين
للشيء في غير موضعه كمن يمشي في الظلام وهذا إشارة إلى أنهم على بصيرة ونور فيما شهدوا به وذلك أنه والإناء الذي فقده أهل
الميت وحلف الداريان بسببه إنهما ما خانا طالبوهما فقالا كنا اشتريناه منه فقال لهم ألم نقل لكما هل باع صاحبنا شيئا فقلتما
لا فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا أن نقر فرفعوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اثنان من أقارب الميت فحلفا على

على الاناء

على الإناء فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم إليهما لأن الوصيين ادعيا على الميت البيع فصار اليمين في جانب الورثة لأنهم أنكروا
وسمي أيمان الفريقين شهادة كما سميت أيمان المتلاعنين شهادة نبه على ذلك الشافعي وكان ذلك لما في الأيمان من مزيد التأكيد
ولما تم هذا على هذا الوجه العجيب بين سبحانه سره فقال ذلك أي الأمر الحكم المرتب هذا الترتيب بالأيمان وغيرها أدنى أي أقرب
أن أي إلى أن يأتوا أي الذين يشهدوا أولا بالشهادة أي الواقعة في نفس الأمر على وجهها من غير أدنى ميل بسبب أن يخافوا من الحنث
عند الله بعد هذا التغليظ أو يخافوا إن لم يمنعهم الخوف من الله أن ترد أي تثنى وتعاد أيمان أي من الورثة بعد أيمانهم
للعثور على ريبة فيفتضحوا أو يفتضحوا مثلا للناس قال الشافعي وليس في هذا رد اليمين إنما كانت يمين الداريين على ما ادعى
الورثة من الخيانة ويمين ورثة الميت على ما ادعى الداريان مما وجد في أيديهما وأقروا أنه مال الميت وأنه صار لهما من قبله فلم تقبل
دعواهما بلا بينة فأحلف وارثاه قال وإذا كان هذا كما وصفت فليست الآية ناسخة ولا منسوخة لأمر الله بإشهاد ذوي عدل
ومن نرضى من الشهداء انتهى ولما انقضى إيلاؤها لما قبلها ولقد رجعها إلى مجموع هذه السورة مبادئ منها ما تقدم من ذكر القتل الذي
هو من أنواع الموت عند قصة ابني آدم وما بعدها ثم تعقيب ذلك بالجهاد الذي هو من أسباب الموت وقوله تعالى وكتبنا
عليهم فيها أن النفس بالنفس الآية ثم ذكرا بعضا في قوله تعالى يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وقد جرت السنة الإلهية
بذكر الوصية عقب مثل ذلك في البقرة ولم تذكر عقب واحدة من الآيات المذكورة لزيادتها على آية البقرة بمبادئ منها
الحلف فناسب كونها بعد آية الأيمان ومنها تغليظ الحلف والخروج به عما يشاكله من القسم على المال بكونه في زمان مخصوص
بعد عبادة مخصوصة فناسب ذكرها بعد تغليظ أمر الصيد في حال مخصوص وهو الإحرام والخروج به عن أشكاله من الأحوال
وبعد تغليظ جزائه والخروج به عن أشكاله من الكفارات وتغليظ أمر المكان المخصوص وهو الكعبة والخروج بها عن أشكالها
من البيوت وكذا تغليظ الزمان المخصوص وهو الشهر الحرام والخروج به عن أشكاله من الأزمنة وكل ذلك لقيام أمر الناس وإصلاح
أحوالهم وهكذا آية الوصية وما خرج من أحكامها عن أشكاله كل لقيام الأمور على السداد وإصلاح المعاش والمعاد وهي ملتفتة
إلى أول السورة إذ هي من أعظم العهود والوفاء بها من أصعب الوفاء وإلى قوله وتعاونوا على البر والتقوى وإلى قوله تعالى كونوا قوامين
لله شهداء بالقسط انظر إلى ختامها بقوله إن الله خبير بما تعملون وإلى كون هذه في سياق الإعلام بأن الله عالم بالخفايا ثم قوله
عطفا على ما تقديره فالزموا ما أمرتكم به وأرشدتكم إليه تفلحوا واتقوا الله أي ذا الجلال والإكرام إلى آخرها ملتفت إلى قوله
وميثاقه الذي واثقكم به الآية أي خافوا الله خوفا عظيما يحملكم على أن تجعلوا بينكم وبين سخطه وقاية لئلا تحلفوا كاذبين
أو تخونوا ذا خيانة واسمعوا أي الموعظة سمع إجابة وقبول ذاكرين لقولكم سمعنا وأطعنا فإن الله يهدي المتمسكين
بالميثاق والله أي الذي له تمام الحكمة وكمال العزة والسطوة لا يهدي القوم أي لا يخلق الهداية في قلوب الذين لهم قدرة
على ما يحاولونه الفاسقين أي الذين هم خارجون أي من عادتهم ذلك على وجه الرسوخ فهم أبدا غير منقادين بعقد ولا له
منضبطين بدائرة عهد ولا عقد ولما كان فيها إقامة الشهود وحبسهم عن مقاصدهم حتى يفرغوا من هذه الواقعة المحوج
فيها عن خفايا متعلقة بالموت والتغليظ بالتحليف بعد صلاة العصر وكانت ساعة يجتمع فيها الناس وفريقا الملائكة
المتعاقبين فينا بالليل والنهار وأيضا ساعة الأصيل المؤذنة بهجوم الليل وتعوض لهما رحمة كأنه لم يكن ورجوع الناس
إلى منازلهم وتركهم لمعايشهم وكانت عادته سبحانه بأنه يذكر أنواعا من الشرائع والتكاليف ثم يتبعها إما بالإلهيات
وإما بشرح أحوال الأنبياء وإما بشرح أحوال القيامة ليصير ذلك مؤكدا لما تقدم من التكاليف ولا ينتقل من فن إلى آخر إلا بغاية
الإحكام في الربط عقبها تعالى بقوله يوم يجمع الله أي الملك الأعظم الذي له الإحاطة الكاملة الرسل أي الذين أرسلهم إلى عباده
بأوامره ونواهيه إشارة إلى تذكر انصرام هذه الدار وسرعة هجوم ذلك اليوم لمشاهدة هذه الأحوال المؤذنة به وبأنه
يوم يقوم فيه الأشهاد ويجتمع فيه العباد ويفتضح فيه أهل الفساد إلى غير ذلك من الإشارات لأرباب البصائر والقلوب
والظاهر أن يوم ظرف للمضاف المحذوف الدال عليه الكلام فإن من المعلوم أنك إذا قلت خف من فلان أن المعنى خف من
عقابه ونحو ذلك فيكون المراد هنا واتقوا غضب الله الواقع في ذلك اليوم أي اجعلوا بينكم وبين سطواته في ذلك اليوم
وقاية أو يكون المعنى اذكروا هذه الواقعة وهذا الوقت الذي يجمع فيه الشهود ويحلس المعترف والجحود يوم الجمع الأكبر حين
يري الله تعالى عن العباد ويسيل العباد عنهم فيقول للرسل تشريفا لهم وبيانا لفضلهم وتشريفا للمحق من أممهم
وتبكيتا للمبطل وتوبيخا للمفرط منهم والمفرط ولما كان مما لا يخفى أصلا أنهم أجيبوا ولا يقع فيه نزاع ولا يتعلق بالسؤال
عنه غرض تجاوز ذلك السؤال إلى الاستفهام عن نوع الإجابة فقال ماذا أجبتم أي أي إجابة أجابكم من أرسلتكم إليهم إجابة
طاعة أو إجابة معصية ولما كان المقصود من قولهم بيان الناجي من غيره وكانت الشهادة في تلك الدار لا تنفع إلا بما وافق
فيه الإضمار الإظهار فكانت شهادتهم لا تنفع المشهود له بحصول الإجابة إلا أن يطابق ما قاله بلسانه اعتقاده بقلبه قالوا
نافين لعلمهم أصلا ورأسا إذ كان موقوفا على شرط فهو من علم ما غاب ولا علم لهم به لا علم لنا أي على الحقيقة لأنا لا نعلم إلا
ما شاهدناه وما غاب عنا أكثر وإذا كان الغائب قد يكون مخالفا للمشهود فالشهادة ليس بعلم لأنه غير مطابق للواقع ولهذا
عللوا بقولهم إنك أنت أي وحدك علام الغيوب أي كلها نعلمها علما تاما فكيف بما غاب عنا من أحوال قومنا فكيف بالشهادة

فكيف بما شهدناه من ذلك وهذا في موضع قولهم انت علم لكن هذا احسن ادبا فانهم محوا انفسهم من ديوان العلم بالكلية لأن كل علم بلا شيء اذا نسب الى علمه يضمحل فيما اوتي بصفته او اسمه ولما كان سؤاله سبحانه للرسل عن الاجابة متضمنا لتبكيت المبطلين وتوبيخهم وكان اشد الامم افتقارا الى التوبيخ اهل الكتاب لأن تمردهم تعدى الى رتبة الجلال بما وصفوه سبحانه به من اتخاذ الصاحبة والولد ومن ادعاء الالهية لعيسى عليه السلام لما اظهر من الخوارق التي دعاهم بها الى الله مع اقترانها بما يدل على عبوديته ورسالته لئلا يهلكهم حقه او يغلو فيه مع مشاركتهم لغيرهم في اذى الرسل عليهم السلام بالتكذيب وغيره وكان في الاية السالفة ذكر الآبا وما اثروا الابنا ذكر امر عيسى عليه السلام بقوله مبدلا من قوله يوم يجمع معبرا بالماضي تذكيرا بما لذلك اليوم من تحتم الوقوع وتصويرا لعظيم تحققه وتنبيها على انه لعظم قربه كانه قد وقع ومضى اذ قال الله اي المستجمع لصفات الكمال يا عيسى ثم بينه بما هو الحق في نسبه فقال ابن مريم ولما كان ذلك يوم الجمع الاكبر والاحاطة بجميع الخلائق واحوالهم في حركاتهم وسكناتهم وكان الحمد هو الاحاطة باوصاف الكمال امره بذكر حمده سبحانه على نعمته عنده فقال اذكر نعمتي عليك اي في خاصة نفسك وذكر ما يدل للعاقل على انه عبد مربوب فقال وعلى والدتك اي اخره مشيرا الى انه اوجده من غير اب فاحرز مما يجب للاباء من الحقوق ومما يورثون ابناءهم من اقتداء واهتداء او اقامة بحقوق امه فاقدره وهو في المهد على الشهادة لها بالبراءة والحصانة والعفاف وكل نعمة انعمها سبحانه عليه صلى الله عليه وسلم فهي نعمة على امه دينا ودنيا ولما ذكر سبحانه هذه الامة المدعوة من العرب واهل الكتاب وغيرهم بنعمه عليهم في اول السورة بقوله اذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم وكانت هذه الايات من عند الاخر مواطيات ما احل الله لكم كلها في النعم اخبرهم انه يذكر عيسى عليه السلام بنعمه في يوم الجمع اشارة الى انهم ان لم يذكروا نعمه في هذه الدار دار العمل بالشكر ذكروها حين يذكرهم بها في ذلك اليوم تبرؤا بالكفر وبالها فضيحة في ذلك الجمع الاكبر والموقف الاهول وليتبصر اهل الكتاب فيرجعوا عن كفرهم بعيسى عليه السلام اليهود بالتقصير في امره والنصارى بالغلو في شانه وقدره ولما كان اعظم الامور التنزيه بدا به كما تفعل بنفسه الشريفة في كلمة الدخول الى الاسلام ولما كان اعظم ذلك تنزيه امه عليها السلام وتصحيح ما خرق لها من العادة في ولادته وكان احكم ما يكون ذلك بتفويه روحه حتى يكون كلامه طفلا ككلامه كهلا قدمه فقال معلقا باذكر فارقا بكل نعمة ما يدل على عبوديته ورسالته ليخزي من غلا في امره او قصر في وصفه وقدره اذ ايدتك اي قويتك تقوية عظيمة بروح القدس اي الطهر الذي يحيي القلوب ويطهرها من اوضار الاثام وهو جبريل عليه السلام فكان له منه في الصغر حظ لم يكن لغيره قال الحرالي وهو بد بسط لروح الله في القلوب بما تحييها الله به من روح امره ارجاعا البر في هذه الدار قبل ارجاع روح الحياة بعد القبض من عزرائيل عليه السلام ثم استانف تفسير هذا التاييد فقال تكلم الناس اي من اردت من عالمهم وسافلهم في المهد اي بما برأ الله به امك واظهر به كرامتك وفضلك ولما ذكر هذا الفضل العظيم اتبعه خارقا اخر هو احياؤه نفسه وحفظه جسده اكثر من الف سنة لم يدركه الهرم فانه رفع شابا وينزل على ما رفع عليه ويبقى حتى يصير كهلا وتسوية كلامه في المهد بكلامه في حالة بلوغ الاشد وكمال العقل خرقا لما جرت به العوائد فقال وكهلا ولما ذكر هذه الخارقة اتبعها روح العلم الرباني فقال واذ علمتك الكتاب اي الخط الذي هو مبدا العلم وتلقيح لروح الفهم والحكمة اي الفهم لحقائق الاشيا والعمل بما يدعو اليه العلم والتوراة اي المنزلة على موسى عليه السلام والانجيل اي المنزل عليك ولما ذكرنا تاييده بروح الروح اتبعه تاييده باضافة الروح على جسد لا اصل له فيها فقال واذ تخلق من الطين اي هذا الجنس كهيئة الطير باذني ثم سبب عن ذلك قوله فتنفخ فيها اي في الصورة المهياة فتكون اي تلك الصورة التي هياتها طيرا باذني ثم باضافة روح ما على بعض جسد اما ابتداء في الاكمه كما في الذي قبله واما اعادة كما في الحادث العمى والبرص بقوله وتبرئ الاكمه والابرص ولما كان من اعظم ما يراد بالسياق توبيخ من كفر به كرر قوله باذني ثم برد روح كامل الى جسد هامد بقوله واذ تخرج الموتى اي من القبور فعلا او قوة حتى يكونوا كما كانوا من سكان البيوت باذني ثم بعصمة روحه ممن اراد قتله بقوله واذ كففت بني اسرائيل عنك اي اليهود لما هموا بقتلك ولما كان ذلك ربما اوهم نقصا استحلوا قصده به بين انه بقصد ذلك كعادة الناس مع الاكابر والرسل من اتباعهم تسلية لهذا النبي الكريم والتابعين له باحسان فقال اذ جئتهم بالبينات اي كلها بعضها بالفعل والباقي بالقوة لدلالة ما وجد عليه من الايات الدالة على رسالتك الموجبة لتعظيمك فقال الذين كفروا اي غطوا تلك البينات عنادا منهم اي ما هذا الا سحر مبين ثم ثنى بتاييده بالانصار الذين احيوا ارواحهم بالايمان واجسادهم باختراع الماكل الذي من شانه تزايد لعادة حفظ الروح وذلك في قصة المائدة وغيرها فقال واذ اوحيت اي بالالهام باطنا وبايصال الاوامر على لسانك ظاهرا الى الحواريين اي الانصار ان امنوا بي وبرسولي اي الذي امرته بالابلاغ للناس ما امرهم به ثم استانف مبينا لشرعة اجابتهم لجعله عجيبا لهم مطاوعتهم بقوله قالوا امنا ولما كان الايمان باطنا فلا بد في ثباته من دليل ظاهر وكان في سياق عد النعم والطواعية للوحي للملك الاعظم ودلوا على تمام الانقياد ناسب المقام زيادة التاكيد باثبات النون الثالثة في قوله واشهد باننا بخلاف ال عمران مسلمون اي منقادون تمام الانقياد فلا اختيار لنا الا ما تامرنا به وانظر ما انسب اذ عند التاكيد بروح كامل حسا او معنى وحذفها عند التاييد بها في اصل الخلق وفي الكمال الموجب للحياة الابد وفي تعليم الكتاب وما بعده المفيض لحياة الابد على كل من تخلق باخلاقه وفي خلق الطير وهو ظاهر وهكذا الى الاخر ذكر شيئا عن اكبر من الحكمة في الانجيل قال متى وكان يسوع يطوف المدن والقرى ويعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل الامراض والاوجاع ثم قال فلما سمع يوحنا في السجن باعمال المسيح ارسل اليه اثنين من تلاميذه قائلا انت الاتي ام ننتظر اخر قال لوقا وفي تلك الساعة ابرا الامراض والاوجاع والارواح الشريرة ووهب النظر لعميان كثيرين فاجاب يسوع وقال لهما قال متى اذهبا واعلما يوحنا بما رايتما

وسمعتما

وسمعتما العميان يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون وطوبى لمن لا يشك في فلما ذهب تلميذا يوحنا بدا يسوع يقول للجمع من اجل يوحنا لماذا خرجتم الى البرية تنظرون قال لوقا قصبة تحركها الريح ام لماذا خرجتم تنظرون انسانا لابسا لباسا ناعما ان الذين لباسهم الناعم يكونون في بيوت الملوك وقال لوقا ان الذين عليهم لباس المجد والنعيم هم في بيوت الملوك انتهى لكن لماذا خرجتم تنظرون نبيا نعم اقول لكم انه افضل من نبي هذا الذي كتب من اجله هوذا انا مرسل ملكي امام وجهك ليسهل طريقك قدامك الحق اقول لكم انه لم يقم في مواليد النسا اعظم من يوحنا المعمدان والصغير في ملكوت السما اعظم منه وجميع الشعب الذي سمع والعشارون شكروا الله حيث اعتمدوا من معمودية يوحنا فاما الفريسيون والكتاب علموا انهم رفضوا امر الله لهم اذ لم يعتمدوا منه قال متى ثم قال من له اذنان سامعتان فليسمع بماذا اشبه هذا الجيل يشبه صبيانا جلوسا في الاسواق يصيحون الى اصحابهم قائلين زمرنا لكم فلم ترقصوا ونحنا لكم فلم تبكوا اجا يوحنا لا ياكل ولا يشرب فقالوا معه جنون جا ابن الانسان ياكل ويشرب فقالوا هذا انسان اكول شريب خليل العشارين والخطاة فتبررت الحكمة من بنيها حينئذ بدا يعير المدن التي كان فيها اكثر قواته لانهم لم يتوبوا ويقول الويل لك يا كورزين والويل لك يا بيت صيدا لان القوات اللاتي كن فيكما لو كن في صور وصيدا لتابوا بالمسوح والرماد لكني اقول لكم ان لصور وصيدا راحة في يوم الدين اكثر منكما وانت يا كفرناحوم لو ارتفعت الى السما ستهبطين الى الجحيم لانه لو كان في سدوم هذه القوات التي كانت فيك اذن لثبتت الى اليوم واقول لكم ايضا ان ارض سدوم تجد راحة يوم الدين اكثر منك ثم قال وانتقل يسوع من هناك ودخل الى مجمعهم واذا رجل هناك يده يابسة وقال لوقا يده اليمنى يابسة فسالوه قائلين هل يحل ان يشفى في السبت فقال لهم اي انسان منكم يكون له خروف يسقط في حفرة في السبت ولا يمسكه ويقيمه فكم احرى الانسان افضل من الخروف فاذن يحل هو فعل الخير في السبت وقال لوقا فقال للرجل اليابس اليد قف في الوسط فقام وقال لهم يسوع اسالكم ماذا يحل ان يفعل في السبت خيرا ام شرا نفس تخلص او تهلك فسكتوا قال متى حينئذ قال للانسان امدد يدك فمدها فصحت مثل الاخرى فخرج الفريسيون قال مرقس مع اصحاب هيرودس وتشاوروا في اهلاكه فعلم يسوع وانتقل من هناك وتبعه جمع كثير فشفى جميعهم وامرهم ان لا يظهروه وذلك لكي يتم ما قيل في اشعيا النبي القائل هاهوذا فتاي الذي هويت وحبيبي الذي به سررت اضع روحي عليه ويخبر الامم بالحكم لا يماري ولا يصيح ولا يسمع احد صوته في الشوارع قصبة مرضوضة لا يكسر وسراج مطفطف لا يطفئ حتى يخرج الحكم بالغلبة وعلى اسمه تتكل الامم ثم قال وفي ذلك اليوم خرج يسوع من البيت وجلس على جانب البحر فاجتمع اليه جمع كثير حتى انه صعد الى السفينة وجلس وكان الجمع كله قياما على الشط وكلمهم بامثال كثيرة قائلا هاهوذا خرج الزارع ليزرع وفيما هو يزرع سقط البعض على الطريق فاتى الطير واكله طاير وبعض سقط على الصخرة حيث لم يكن له ارض كثيرة وللوقت شرق اذ ليس له عمق ارض ولما اشرقت الشمس احترق وحيث لم يكن له اصل يبس وبعض سقط في الشوك فطلع الشوك وخنقه وقال مرقس فخنقه بعلوه عليه فلم يات بثمره وقال متى وبعض سقط في الارض الجيدة فاعطى ثمره للواحد ماية وللاخر ستين وللاخر ثلثين قال لوقا فلما قال هذا نادى من له اذنان سامعتان فليسمع فتقدم اليه تلاميذه وقالوا له لماذا تكلمهم بالامثال فاجابهم وقال لهم انتم اعطيتم معرفة سراير ملكوت السموات وقال لوقا فقال لهم لكم اعطي علم سراير ملكوت الله واوليك لم يعطوا ومن كان له يعطى ويزاد ومن ليس له فالذي له يوخذ منه وقال لوقا والذي ليس له ينزع منه الذي يظن انه له فلهذا اكلمهم بالامثال لانهم يبصرون فلا يبصرون ويسمعون فلا يسمعون ولا يفهمون لكي يتم فيهم نبوة اشعيا القايل سمعا يسمعون ولا يفهمون ونظرا ينظرون ولا يبصرون لقد غلظ قلب هذا الشعب وثقلت اذانهم عن السماع وغمضوا عيونهم لكيلا يبصروا بعيونهم ولا يسمعوا باذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فاشفيهم فاما انتم فطوبى لعيونكم لانها تنظر ولاذانكم لانها تسمع قال ومثل الزرع هذا هو كلام الله قال متى كل من يسمع كلام الملكوت ولا يفهم ياتي الشرير ويخطف ما زرع في قلبه هذا الذي زرع على الطريق والذي زرع على الصخرة هو الذي يسمع الكلام وللوقت يقبله بفرح وليس له فيه اصل لكنه الى زمان يسير اذا حدث ضيق او طرد فللوقت يشك وقال مرقس بسبب الكلمة فيشكون للوقت وقال لوقا انما يومنون الى زمان التجربة وفي زمان التجربة يشكون والذي يزرع في الشوك فهو الذي يسمع الكلام فيخنق الكلام لنبره وقال مرقس فتغلب عليهم هموم هذا الدهر وطلب الغنى وقال مرقس ومحبة الغنى وساير الشهوات يسلكون بها فيخنقون الكلمة فلا تثمر فيهم وقال متى ويكون بغير ثمرة والذي زرع في الارض الجيدة هو الذي يسمع الكلام ويفهم ويعطي ثمره وقال لوقا واما الذي وقع في الارض الصالحة فهم الذين يسمعون الكلمة بقلب جيد فيحفظونه ويثمرون بالصبر قال متى للواحد ماية وللاخر ستين وللاخر ثلثين وضرب لهم مثلا اخر قائلا يشبه ملكوت السموات انسانا زرع زرعا جيدا في حقله فلما نام الناس جا عدوه فزرع زوانا في وسط القمح ومضى فلما نبت القمح ظهر الزوان فجا عبيد رب البيت فقالوا له يا سيدنا اليس زرعا جيدا زرعت في حقلك فمن اين صار فيه زوان فقال لهم عدو فعل هذا فقال عبيده تريد ان نذهب فنجمعه فقال لهم لا لكيلا يقلع الحنطة دعوهما ينبتان جميعا الى زمان الحصاد واقول للحصادين اولا اجمعوا الزوان وشدوه حزما ليحرق واما القمح فاجمعوه الى اهراي وضرب لهم مثلا اخر قائلا يشبه ملكوت

السموات حبة خردل اخذها انسان وزرعها في حقله لانها اصغر البزور كلها وقال مرقس وهي اصغر الحبوب التي على الارض
فاذا طالت صارت اكبر من جميع البقول وتصير شجرة وقال مرقس وصنعت اغصانا عظاما وقال لوقا فنمت وصارت شجرة
عظيمة حتى ان طاير السما يستظل تحت اغصانها وكلمهم بمثل اخر وقال لهم يشبه ملكوت السموات خميرا اخذته امراة وخبئته في ثلثة
اكيال دقيق فاختمر الجميع وقال مرقس وكان يقول لهم لعل يوخذ سراج فيوضع تحت مكيال او سرير لكن على منارة وقال لوقا ليس
احد يوقد سراجا فيغطيه ولا يجعله تحت سرير لكن يضعه على منارة فيرى نوره كل من يدخل قال مرقس كذلك ليس خفي الا ه
سيظهر ولا مكتوم الا سيعلم وقال لوقا سراج الجسد العين فاذا كانت عينك بسيطة فجسدك كله نير وان كانت عينك شريرة
فجسدك يكون كله مظلما احرص ان لا يكون النور الذي فيك ظلاما فان كان جسدك كله نيرا وليس فيه جزء مظلم فانه يكون كاملا نيرا
كما ان السراج ينير لك بلمع ضيائه وقال مرقس من له اذنان سامعتان فليسمع وقال لهم انظروا ماذا تسمعون فبالكيل الذي
تكيلون يكال لكم وتزادون ايها السامعون لان الذي له يعطى ومن ليس عنده فالذي عنده يوخذ منه وقال يشبه ملكوت الله انسانا
يلقي زرعه على الارض وينام ويقوم ليلا ونهارا والزرع ينمو ويطول وهو لا يعلم ولا ... وبعد ذلك سنبل ثم يملي السنبل
حتى اذا انتهت الثمرة حينئذ يضع المنجل اذ قد دنا الحصاد قال متى هذا كله قاله يسوع للجموع ليتم ما قيل في النبي القايل افتح فاي
بالامثال وانطق بالخفيات من قبل اساس العالم حينئذ ترك الجمع وجا الى البيت فجا اليه تلاميذه وقالوا فسر لنا مثل زوان
الحقل اجاب الذي زرع الزرع الجيد هو ابن الانسان والحقل هو العالم والزرع الجيد هم بنوا الملكوت والزوان هم بنوا الشر
والعدو الذي زرعهم والشيطان والحصاد هو منتهى الدهر والحصادون هم الملايكة فكما انهم يجمعون الزوان ويلقونه بالنار يحرق
هكذا يكون منتهى هذا الدهر يرسل ملايكته ويجمعون من مملكته كل الشكوك وفاعلي الاثم فيلقونهم في اتون النار هناك يكون البكا
وصرير الاسنان حينئذ يضي الصديقون مثل الشمس في ملكوت ابيهم من له اذنان سامعتان فليسمع ويشبه ملكوت السموات
كنزا مخفيا في حقل وجده انسان فخباه ومن فرحه مضى وباع كل شي واشترى ذلك الحقل وايضا يشبه ملكوت السموات انسانا
جوهريا يطلب الجوهر الفاخر الحسن فوجد درة كثيرة الثمن فمضى وباع كل ماله واشتراها وايضا يشبه ملكوت السموات شبكة
القيت في البحر فجمعت من كل جنس فلما امتلات اطلعوها الى الشط فجلسوا وجمعوا الخيار في الاوعية والردي رموه خارجا هكذا
يكون في انقضا هذا الزمان تخرج الملايكة ويميزون الاشرار من وسط الصديقين ويلقونهم في اتون النار هناك يكون البكا وصرير
الاسنان فلما اكمل يسوع هذه الامثال انتقل من هناك وجا الى بلدته وكان يعلم في مجامعهم حتى انهم بهتوا وقالوا من اين له
هذه الحكمة والقوة وقال مرقس من اين له هذا التعليم وهذه الحكمة التي اعطيها والقوات التي تكون على يديه اليس هذا ابن
النجار وقال لوقا وكان جميعهم يشهدون له ويتعجبون من كلام النعمة الذي كان يخرج من فمه وكانوا يقولون اليس هذا ابن يوسف
اليس امه تسمى مريم واخوته يعقوب ويوسا وسمعان ويهوذا اليس هو واخوته عندنا جميعا فمن اين له هذا كله وكانوا
يشكون فيه فان يسوع قال لهم لا يهان نبي الا في بلدته وبيته وقال مرقس ليس يهان نبي الا في بلدته وعند انسابه وبيته وقال
لوقا فقال لهم لعلكم تقولون لي هذا المثل ايها المتطبب اشف نفسك والذي سمعنا انك صنعته في كفرناحوم افعله ايضا ههنا
في مدينتك فقال لهم الحق اقول لكم ان لا يقبل نبي في مدينته الحق اقول لكم ان الارامل كثيرة كن في اسرايل في ايام ايليا اذ
غلقت السما ثلاث سنين وستة اشهر وصار جوع عظيم في الارض كلها ولم يرسل ايليا الى واحدة منهن الا ارملة في صارفة
صيدا وبرص كثير كانوا في اسرايل على عهد اليسع النبي ولم يطهر واحد منهم الا نعمان الشامي فامتلا جميعهم غضبا عند ما سمعوا
هذا واخرجوه خارج المدينة وجاوا به الى على الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه ليطرحوه الى اسفل فاما هو فجاز في وسطهم
ومضى ونزل الى كفرناحوم مدينة في الجليل وكان يعلمهم في السبت وبهتوا من تعليمه لان كلامه كان بسلطان وقال في موضع اخر
وجا اليه ناس من الفريسيين وقالوا له اخرج فاذهب من ههنا فان هيرودس يريد يقتلك فقال لهم امضوا وقولوا لهذا
الثعلب ان هوذا اخرج الشياطين واتم الشفا اليوم وغدا وفي اليوم الثالث اكمل وينبغي ان اقيم اليوم وغدا وفي اليوم الاتي
اذهب لانه ليس يهلك نبي خارجا عن يروشليم يا يروشليم يا قاتلة الانبيا وراجمة المرسلين اليها كم من مرة اردت
ان اجمع بنيك مثل الدجاجة التي تجمع فراخها تحت جناحيها فلم يريدوا هوذا اترك بيتكم خرابا فسمع هيرودس رئيس الربع
بجميع ما كان فتحير لان كثيرا كانوا يقولون ان يوحنا قام من الاموات واخرون يقولون ان ايليا ظهر واخرون يقولون نبي من
الاولين فقال هيرودس انا قطعت راس يوحنا فمن هو الذي اسمع عنه هذا وطلب ان يبصره وفي انجيل متى وفي ذلك الزمان
سمع هيرودس رئيس الربع خبر يسوع فقال لغلمانه هذا هو يوحنا المعمداني وهو قام من الاموات من اجل هذه القوات
التي تعمل بها قوله المعمد من اعمده اذا غسله في ما العمودية قوله تبررت اي صارت بريئة بالغيبة اليهم قوله يعير المدن
اي يذكر ما اوجب لها العار قوله القوات هي جمع قوة وهي المعجزات هنا قوله الذي هويت يعني احبت حبا شديدا ولفظ
الهوى الظاهر انه يفهم نقصا فلا يحل في شرعنا اطلاقه على الله تعالى قوله مطقطف اي يميلوا الى راسه لا يزال كذلك قوله
شوق ورزن فوح اي ضعف من شان يريجه وشرقت الشمس اذا ضعف ضوها قوله اتون هو وزن تنور وقد يخفف
اخدود الجيار والجصاص قوله بسيطا اي على الفطرة الاولى قوله ملكوت ابيهم تقدم ما فيه غير مرة قوله يروشليم تقدم انها

ومملة وشين معجمة بيت المقدس ولما كان من المقصود بذكر معجزات عيسى عليه السلام تنبيه الكافر ليومن والمومن
ليزداد ايمانا وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ اليهود المدعين انهم ابناوه واحباوه الى غير ذلك مما اراد الله فرعت به
الاسماع ولم يتعلق بما عجيب به يوم القيمة عند امره بذلك غرض فطوى ولما احل المقاصد تاديب هذه الامة لنبيها
صلى الله عليه وسلم لتحلها عن ان تبداه بسوال او تقترح عليه شيا في حال من الاحوال ذكر لهم شان الحواريين في اقتراحهم
بعد ما تقدم من امتداحهم بعدهم في عداد اولي الوحي ومبادرتهم الى الايمان امتثالا الى الامر مع الاشهاد على سبيل
التاكيد بتمام الانقياد وسلب الاختيار فقال معلقا بقالوا امنا معبرا لمن تعنتهم من دمنا بما تم مذكرا لهذه الامة
بحفظها على الطاعة ومبكتا لبني اسرايل بكثرة تقلبهم وعدم تماسكهم ابعادا لهم عن درجة الخيرية فضلا عن النبوة وهذه
القصة قبل قصة الايحا اليهم فتكون اذ هذه ظرفا لتلك فيكون الايحا اليهم بالامر بالايمان في وقت سوالهم هذه بعد
ابتدايه فتكون تاديته حفظهم من ان يستبيلوا اية اخرى كما سالوا هذه بعد ما راوا منه صلى الله عليه وسلم من الايات
اذ قال واعاد وصفهم ولم يضمر تنصيصا عليهم بعد ما يذكر من حالهم هذا من حالهم الاول فقال الحواريون وذكر انهم
نادوه باسمه واسم امه فقالوا يا عيسى ابن مريم ولم يقولوا يا رسول الله ولا يا روح الله ونحو هذا من التبجيل هل يستطيع
ربك بالبا مسندا الى الرب وبالتا الفوقانية مسندا الى عيسى عليه السلام ونصب الرب ومعناهما واحد يرجع الى التهييج
والالهاب بسبب الاجتهاد في الدعا بحيث تحصل الاجابة وتكون هذه العبارة ايضا للتلطف كما يقول الانسان لمن
يعظمه هل تقدر ان تذهب معي الى كذا وهو يعلم انه قادر ولكنه يكتفي بذلك عن ان السايل يحب ذلك ولا يريد المشقة
على المسوول ان ينزل اي الرب المحسن اليك علينا مايدة وهي الطعام ويقال ايضا للخوان اذا كان عليه الطعام والخوان
شي يوضع عليه الطعام للاكل هو في العموم بمنزلة السفرة لما يوضع فيه طعام المسافر بالخصوص وهي من ماده اذا اعطاه
واطعمه ولما كان هذا ظاهرا في انها سماوية صرحوا به احترازا عما عودهم به صلى الله عليه وسلم من انه يدعو بالقليل من الطعام
فيبارك فيه فيمده الله فيكفي الفيام من الناس فقالوا من السما اي لا صنع للادميين فيها لتختص بها عمن تقدمنا من الامم
ولما كان المقصود من هذا وعظنا وارشادنا الى ان لا نسيل نبينا صلى الله عليه وسلم شيا اكتفا بما يرحمنا به ربنا
الذي رحمنا بابتدايتنا بارساله الينا لا يصل لنا اليه سبحانه وتخويفا من ان نكون مثل من مضى من المقترحين الذين كان
اقتراحهم سبب هلاكهم دل على ذلك بالنزوع من اسلوب الخطاب الى الغيبة فقال مستانفا ارشادا الى السوال
عن جوابه قال ولم يقل فقلت اتقوا الله اي اجعلوا بينكم وبين غضب الملك الاعظم الذي له صفات الكمال وقاية
تمنعكم عن الاجترا على الاقتراح ان كنتم مومنين اي بانه قادر وانى رسوله فلا تفعلوا الفعل من وقف ايمانه على روية ما
يقترح من الايات ولما كان المعجزات مما تطلب الايمان من لم يكن امن وكان في هذا الجواب انه زجر لهم تشوف السامع
الى جوابهم فقيل لم يبتهوا بل قالوا انا لا نريدها لاجل ازالة شك عندنا بل نريد مجموع امور ان ناكل منها فانا جياع
ولما كان التقدير فتحصل لنا بركتها عطف عليه وتطمين قلوبنا اي بضم ما راينا منها الى ما سبق من معجزاتك من غير سوالنا
فيه ونعلم اي يقين اليقين وحقه ان قد صدقتنا اي في كل ما اخبرتنا به ونكون عليها واشاروا الى عمومها بالتبعيض فقالوا من
الشاهدين اي شهادة روية مستعلية عليها بانها وقعت لا شهادة ايمان بانها جايزة الوقوع قال عيسى ونسبه زيادة في البيان يح به
تحقيقا لانه لا اب له ونسبها لمن اطراه او وضع من قدره فقال ابن مريم اللهم فافتتح دعاه بالاسم الاعظم ثم بوصف الاحسان
فقال ربنا اي ايها المحسن الينا انزل علينا وقدم المقصود فقال مايدة وحقق موضع الانزال بقوله من السما ثم وصفها
بما تكون به بالغة العجب عالية الرتب فقال تكون اي هي او يوم نزولها لنا عيدا واصل العيد كل يوم فيه جمع ثم قيل بالمراد
بالمعنى يعود اليهما مرة بعد مرة سرورا بها ولعل منها ما ياتي من البركات حين نزوله عليه السلام كما في الاحاديث الصادقة
ويويد ذلك قوله مبدلا من لنا لاولنا واخرنا ولما ذكر الامر الديني اتبعه الامر الدنيوي فقال واية منك اي علامة على
صدقي وارزقنا اي رزقا مطلقا غير مقيد بها ولما كان التقدير فانت خير المسوولين عطف عليه قوله وانت خير الرازقين تين
اي فانك تغني من تعطيه وتزيده عما يومله ويرجيه بما لا ينقص شيا مما عندك ولا تطلب منه شيا غير ان ينفع نفسه
بما توينه عليه من طاعتك بذلك الرزق قال الله اي الملك المحيط علما وقدرة ولما كان ظاهر سوالهم في الاستفهام
عن الاستطاعة الاضطراب وان كان للالهاب اكد الجواب فقال اني منزلها عليكم اي الان بمقدرتي الخاصة بي فمن يكفر
بعد اي بعد انزالها منكم وهذا السياق مشعر بانه يحصل منهم كفر وقد وجد ذلك حتى في الحواريين على ما يقال
في يهوذا الاسخريوطي احدهم الذي دل على عيسى فالقي شبهه عليه ولذلك خصه بهذا العذاب فقال فاني اعذبه اي على سبيل
البت والقطع عذابا لا اعذبه اي مثله ابدا ايضا احدا من العالمين وفي هذا تمام زاجر لهذه الامة عن اقتراح
الايات وفي ذكر قصة المايدة في هذه السورة التي افتتحت باحلال الماكل واختتمت بها اعظم تناسب وفي ذلك كله اشارة
الى تذكير هذه الامة بما انعم عليها بما اعطى نبيها من المعجزات ومن عليها به من حسن الاتباع وتحذير من كفران هذه النعم
المعدودة عليهم وقد اختلف المفسرون في حقيقة هذه المايدة وفي احوالها قال ابو حيان واحسن ما يقال فيها ما

ما اخرجه الترمذي في ابواب التفسير عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت المائدة من السما
خبزا ولحما وامروا ان لا يدخروا لغد ولا يخونوا فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير انتهى قلت ثم صحح الترمذي وقفه
على عمار وقال لا نعلم للحديث المرفوع اصلا غير ان ذلك لا يضر لكونه لا يقال من قبل الراي ولا اعلم احدا ذكر عمارا فيمن اخذ عن اهل
الكتاب فهو مرفوع حكما وهذا الخبر يؤكد ان الخبر في الاية على بابه فيدفع قول من قال انها لا تنزل لانهم لما سمعوا الشرط قالوا لا حاجة
لنا بها لان خبره تعالى لا يخلف ولا يبدل القول لديه وهذا الرزق الذي من السما قد وقع مثله لاحاد الامة روى البيهقي في اواخر
الدلايل عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كانت امراة من دوس يقال لها ام شريك اسلمت في رمضان فاقبلت تطلب من يصحبها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت رجلا من اليهود فقال ما لك يا ام شريك قالت اطلب رجلا يصحبني الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فتعالي فانا اصحبك قالت فانتظرني حتى املا سقاي ما قال معي ما تريدين ما فانطلقت معهم فساروا يومهم
حتى امسوا فنزل اليهودي ووضع سفرته فتعشى وقال يا ام شريك تعالي الى العشا فقالت اسقني من الما فاني عطشى ولا استطيع
ان اكل حتى اشرب فقال لا اسقيك حتى تهودي فقالت لا والله لا اتهود ابدا بعد ان هداني الله للاسلام فاقبلت الى بعيرها فعقلته
ووضعت راسها على ركبته فنامت قالت فما ايقظني الا برد دلو وقع على جبيني فرفعت راسي فنظرت الى ما اشد بياضا من اللبن
واحلى من العسل فشربت حتى رويت ثم نضحت على سقاي حتى ابتل ثم ملاته ثم رفع بين يدي وانا انظر حتى توارى مني في السما فلما
اصبح جا اليهودي فقال يا ام شريك قلت والله قد سقاني الله قال من اين انزل عليك من السما قلت نعم والله لقد انزل الله علي
من السما ثم رفع بين يدي حتى توارى عني في السما ثم اقبلت حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصت عليه القصة فخطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها نفسها فقالت يا رسول الله لست ارضى نفسي لك ولكن بضعي لك فزوجني من شيت فزوجها زيدا
وامر لها بثلاثين صاعا وقال كلوا ولا تكيلوا وكان معها عكة سمن هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لجارية لها
بلغي هذه العكة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولي ام شريك تقريك السلام وقولي هذه عكة سمن اهديناها لك فانطلقت
بها فاخذوها ففرغوها وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم علقوها ولا توكوها فعلقوها في مكانها فدخلت ام شريك
فنظرت اليها مملوة سمنا فقالت يا فلانة اليس امرتك ان تنطلقي بهذه العكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قد والله
انطلقت بها كما قلت ثم اقبلت بها اصوبها ما يقطر منها شي ولكنه قال علقوها ولا توكوها فعلقتها في مكانها وقد اوكتها ام شريك
حين راتها مملوة فاكلوا منها حتى فنيت ثم كالوا الشعير فوجدوه ثلثين صاعا لم ينقص منه شي قال وروى ذلك من وجه اخر وله
في العكة شاهد صحيح عن جابر رضي الله عنه وروى باسناده عن ابي عمران الجوني ان ام ايمن هاجرت من مكة الى المدينة وليس معها
زاد فلما كانت عند الروحا وذلك عند غيبوبة الشمس عطشت عطشا شديدا قالت فسمعت حفيفا شديدا فوق راسي
فرفعت راسي فاذا دلو مدلى من السما برشا ابيض فتناولته بيدي حتى استمسكت به قالت فشربت منه حتى رويت قالت فلقد
اصوم في اليوم الحار الشديد ثم اطوف في الشمس كي اظما فما ظميت بعد تلك الشربة وفي الجهاد من البخاري عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري جد عاصم بن عمر
بن الخطاب رضي الله عنهم فذكر الحديث حتى قال فابتاع خبيبا يعني ابن عدي الانصاري بنو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف
وكان خبيب هو قتل الحرث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم اسيرا فاخبرني عبيد الله بن عياض ان ابنة الحرث قالت والله
ما رايت اسيرا قط خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما ياكل من قطف عنب في يده وانه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمرة وكانت
تقول انه لرزق من الله رزقه خبيبا الحديث ومن الامر الجلي ان عيسى عليه السلام بعد امر الله تعالى له بذكر هذه النعم يقوم
في ذلك الجمع فيذكرها ويذكر المقصود من التذكير بها وهو الثنا على المنعم بها بما يليق بجلاله فيحمد ربه تعالى بمحامد تليق بذلك
المقام في ذلك الجمع لمن انسب الامور حينيذ سواله وهو المحيط علما بمكنونات الضماير وخفيات السراير اثر التهديد لمن
يكفر بعد كفر به النصارى فلذلك قال تعالى عاطفا على قوله اذ قال يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي **واذ قال الله** اي بما له من
صفات الجلال والجمال مشيرا الى ما له من علو الرتبة باداة النداء **يا عيسى بن مريم** وذلك تحقيقا لانه عمل بمقتضى النعمة
وتبكيتا لمن ضل فيه من النصارى وانكارا عليهم **انت قلت للناس** اي الذين ارسلتك اليهم من بني اسرايل وكانه بذلك للزيادة في
التوبيخ لهم بكونهم اعتقدوا ذلك وفيهم الكتاب بكثرة لا ناس غيرهم **اتخذوني** اي كلفوا انفسكم خلاف ما تعتقدونه بالفطرة
الاولى في الله بان تاخذوني **وامي الهين** ولما كانت عبادة غير الله ولو كانت على سبيل الشرك مبطلة لعبادة الله لانه سبحانه
اغنى الاغنيا ولا يرضى الشرك الا فقير قال **من دون الله** اي الملك الاعلى الذي لا كفو له فيكون المعنى اتخذوا تالهنا سلما تتوصلون به
الى الله ويجوز ان يكون المعنى على المغايرة ولا دخل حينيذ للاشتراك ولما كان من المعلوم لنا في غير موضع انه لم يقل ذلك
صرح به هنا توبيخا لمن اطراه وتاكيدا لما عندنا من العلم وتبجيلا له صلى الله عليه وسلم بما يبدي من الجواب وتفصيلا بالاعلام
بانه لم يحد عن طريق الصواب بل بذل الجهد في الوفا بالعهد وتقريعا لمن قال ذلك عنه وهم يدعون حبه واتباعه عليه السلام
وتخجيلا لهم فلما تشوفت لجوابه الاسماع واصغت له الاذان وكان في ذكره من الحكم ما تقدمت الاشارة اليه ذكره سبحانه قايلا
قال مفتتحا بالتنزيه **سبحانك** اي لك التنزه الاعظم عن كل شايبة نقص وذكر بالمضارع على ان هذا القول لا يزال ممنوعا منه

قوله **ما يكون لي** اي ما ينبغي ولا يصلح اصلا **ان اقول** اي في وقت من الاوقات **ما ليس لي** واغرق في النفي كما هو حق المقام فقال
بحق ولما بادر عليه السلام اعظم ما لكمال الى الاشارة الى نفي ما سيل عنه انتجه ما يدل على انه كان يكفي في الجواب عنه ان علم
وانما اجاب بما تقدم اشارة الى ان هذا القول تكاد السموات يتفطرن منه ومبادرة الى تبكيت من دعاه له فقال دالا على انه لم يقع
بما تضمن اعظم المدح لان المقام للخضوع **ان كنت قلته** اي مطلقا للناس او حدثت به نفسي **فقد علمته** وهو مبالغة في الادب واظهار
للذل وتفويض الامر كله الى رب العزة ثم علل الاخبار بعلمه بما هو من خواص الاله فقال **تعلم** ولما كانت النفس يعبر بها عن الذات وكان
القول يطلق على النفسي فاذا انتفى شي انتفى العيان فقال **ما في نفسي** اي وان اجتهدت في اخفايه فانك خلقته وما انا له الا وعا
فكيف به ان كنت اظهرته ولما اثبت له سبحانه ذلك نفاه عن نفسه توبيخا لمن ادعى له الالهية فقال مشاكلة **ولا اعلم ما في نفسك** اي
ما اخفيته عني من الاشيا ثم علل الامرين كليهما بقوله **انك انت** اي وحدك **علام الغيوب** ولما نفى عن نفسه ما يستحق النفي ودل
عليه اثبت ما قاله لهم على وجه مصرح بنفي غيره ليكون ما نسب اليه من دعوى الالهية منفيا مرتين اشارة وعبارة فقال مخبرا عن
الامر بالقول مطابقة للسوال وفسر الامر بيانا لان كل ما قاله من مباح او غيره داير على الامر من حيث الاعتقاد بمعنى ان المخاطب
بما قاله الرسول مامور بان يعتقد فيه انه بتلك المنزلة لا يجوز ان يعتقد فيه انه فوقها ولا دونها تعبدا لله تعالى بذلك **ما قلت لهم** اي ما
امرتهم شيا من الاشيا **الا ما امرتني به** ثم فسره دالا بان المراد بالقول الامر بالتعبير في تفسيره بحرف التفسير **ان اعبدوا** اي ما
امرتهم الا بالعبادة **الله** اي الذي لم يجمع نعوت الكمال والجمال احد غيره ثم اشار الى انه كما يستحق العبادة يستحقها للنعمة فقال
ربي وربكم اي انا وانتم في عبوديته سوا وهذا الحصر يصح ان يكون للقلب على ان دون بمعنى غير وللافراد على انها بمعنى سفول المنزلة
وهو من بدايع الامثلة ولما فهم صلى الله عليه وسلم من هذا السوال ان اتباعه غلوا في شانه فنزه الله سبحانه وعز شانه من ذلك واخبر
بما امر الناس به في حقه سبحانه من الحق اعتذر عن نفسه بما يوكد ما مضى نفيا واثباتا فقال **وكنت عليهم** اي خاصة لا على غيرهم ولما كان
سبحانه قد ارسله شاهدا زادني الطاعة في ذلك الى ان بلغ جهده كاخوانه من الانبيا عليهم السلام فقال معبرا بصيغة المبالغة
شهيدا اي بالغ الشهادة لا ادع فيهم منكرا الا اجتهدت في ازالته **ما دمت فيهم** واشار الى البقا الى الله تعالى بقوله **فلما توفيتني**
اي رفعتني الى السما كامل الذات والمعنى مع بذلهم جهدهم في قتلي **كنت انت** اي وحدك **الرقيب** اي الحفيظ القدير **عليهم** لا يغيب
عليك شي من احوالهم وقد منعتهم انت ان يقولوا شيا غير ما امرتهم انا به من عبادتك بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم
على لساني من البينات **وانت على كل شي** اي منهم ومن غيرهم حيوان وجماد **شهيد** اي مطلع غاية الاطلاع لا يغيب عنك شي منه
سوا كان في عالم الغيب والشهادة فان كانوا قالوا ذلك فانت تعلمه دوني لاني لما بعدت عنهم في المسافة انقطع علمي عن احوالهم ولما كان
هذا الذي سلف كله سوالا وجوابا واخبارا احمد الله تعالى وثنا عليه بما هو اهله بالتنزيه له والاعتراف بعجزه والشهادة له بعلم الخفايا
والقدرة والحكمة وغير ذلك من صفات الجلال والجمال وكان هذا السوال يفهم ارادة التعذيب للمسول عنهم قال مشيرا
الى الشفاعة فيهم على وجه الحمد لله تعالى والثنا الجميل عليه لان العذاب ولو للمطيع عدل والعفو عن العاصي باي ذنب كان
فضل مطلقا وغفران الشرك ليس ممتنعا بالذات **ان تعذبهم** اي القايلين هذا القول **فانهم عبادك** اي فانت جدير
بان ترحمهم ولا اعتراض عليك في عذابهم لان كل حكمه عدل **وان تغفر لهم** اي تمح ذنوبهم عينا واثرا **فانك انت** اي خاصة **العزيز**
فلا احد يعترض عليك ولا ينسبك الى وهن **الحكيم** فلا تفعل شيا الا في اعلى درج الاحكام لا قدرة لاحد على نقضه ولا الاعتراض على
شي منه ولما انقضى جوابه عليه السلام على هذا الوجه الجليل تشوف السامع الى جواب الله له فقال تعالى مشيرا الى كون جوابه حقا
ومضمونه صدقا منبها على مدحه حاثا على ما يحث عليه السورة من الوفا بالعقود **قال الله** اي الملك المحيط بالجلال والاكرام
جوابا لكلامه **هذا** اي مجموع يوم القيمة ولما كان ظهور الجزا النافع هو المقصود قال **يوم** على قراة الجماعة بالرفع وقرا نافع بالنصب
غير منون ايضا لاضافته الى متمكن بمعنى هذا الذي ذكر واقع او قال الله هذا الذي تقدم يوم **ينفع الصادقين** اي العريقين في
هذا الوصف نفعا لا يضرهم معه شي **صدقهم** اي الذي كان لهم في الدنيا وصفا ثابتا بالجزم على الوفا بما عاهدوا عليه فكانه قيل ما
ينفعهم باي شي فقال **لهم جنات** اي من ذي الارض الذي يستلزم زكا الشجر وطيب الثمر بحيث **تجري** ولما كان تفرق المياه في الاراضي اعجب
بعض فقال **من تحتها الانهار** ولما كان مثل هذا لا يرتاح الا اذا دام قال **خالدين فيها** واكد معنى ذلك بقوله **ابدا** ولما كان ذلك لا يتم الا
برضى المالك قال **رضي الله** اي الذي له صفات الكمال **عنهم** اي بجميع ما له من الصفات وهو كناية عن انه اثابهم بما يكون من الراضي
ثوابا متنوعا بتنوع ما له من جميع صفات الجلال والجمال ولما كان ذلك لا يكمل ولا يبسط الا برضاهم قال **ورضوا عنه**
بمعنى انه لم يدع شهوة الا اتاهم اياها وقال ابن الزبير بعد ما تقدم عنه فلما طلب تعالى المومنين بالوفا بما نقض فيه غيرهم
وذكرهم ببعض ما وقع به النقض وما اعقب ذلك فاعله واعلمهم بثمرة التزام التسليم والامتثال اراهم جل وتعالى ثمرة الوفا
وعاقبته فقال واذ قال الله يا عيسى بن مريم انت قلت للناس الى قوله هذا يوم ينفع الصادقين الى اخرها فحصل من جملتها
الامر بالوفا فيما تقدمها وحال من حاد ونقض وعاقبة من وفي وانهم الصادقون وقد امرنا ان نكون معهم يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وكونوا مع الصادقين انتهى ولما كان سبحانه قد امرهم اول السورة بالوفا شكرا على ما احل لهم في دنياهم ثم اخبر انه زاد
الشاكرين منهم وفاهم الى ان اباحهم احل النعيم في الاخرة ووصف سبحانه هذا الذي اباحه لهم الى ان بلغ في وصفه ما لا مزيد عليه

اخذ يغبطهم به فقال ذلك اى الامر العالى لا غيره الفوز العظيم ولما كان هذا الذى اباحه لهم واباحهم اياه لا يكون الا باسباب لا تسعها العقول ولا تكتنه بفروع ولا اصول علل اعطاه اياه وسهولته له بقوله مشيرا الى ان كل ما ادعيت فيه الالهية مما تقدم فى هذه السورة وغيرها بعيد عن ذلك لانه ملكه وفى ملكه وتحت قهره لله اى الملك الذى لا تكتنه عظمته ولا تضعف قدرته لا لغيره ملك السموات بدا بها لانها اشرف واكبر وانا انها ادل واكثر والارض على اتساعهما وعظمهما وتباعد ما بينهما وما فيهن اى من جوهر وعرض ولما كان انهى ما نعلمه عم بقوله وهو على كل شىء اى من ذلك وغيره من كل ما يريد قدير فلذلك هو يحكم ما يريد لانه هو الا له وحده وهو قادر على اسعاد من يشا واشقا من يشا واحلال ما يشا وتحريم ما يشا والحكم بما يريد ونفع الصادقين الموفين بالعقود والثابتين على العهود لان له ملك هذه العوالم وما بينها مما ادعى فيه الالهية من عيسى وغيره والكل بالنسبة اليه اموات بل موات جديرون بان يعبر عنهم بما لا يعقل لا يستحق معه شيا ومن يملك معه ضرا او نفعا وقد انطبق اخر السورة على اولها كما ترى اى انطباق واتسقت جميع اياتها اخذا بعضها بحجز بعض اى اتساق فسبحان من انزل هذا القران على اعظم البيان محجلا لمن اباه من الامم معجزا لاصحاب السيف والقلم

سورة الانعام

مقصودها الاستدلال على ما دعا اليه الكتاب فى السور الماضية من التوحيد بانه الحائز لجميع الكمالات من الايجاد والاعدام والقدرة على البعث وغيره وانسب الاشيا المذكورة فيها لهذا المقصود الانعام لان الاذن فيها كما يأتى مسبب عما ثبت له من الفلق والتفرد بالخلق وتضمن بانى ذكرها ابطال ما اتخذوه من امورها دينا لانه لم يأذن فيه ولا اذن لاحد معه لانه المتوحد بالالهية لا شريك وحصر المحرمات من المطاعم التى جعلها فى هذا الدين وغيره فدل ذلك على احاطة علمه وسيأتى فى سورة طه البرهان على ان احاطة العلم ملزومة لشمول القدرة وسائر الكمالات وذلك عين مقصود السورة وقد ورد فيه عدة طرق كما بينت ذلك فى كتابى مصاعد النظر انها نزلت جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح وفى رواية ان نزولها كان ليلا وان الارض كانت ترتج لنزولها وهى كلها فى حجاج المشركين وغيرهم من المبتدعين والقدرية واهل الملل الزائغة وعليها مبنى اصول الدين لاشتمالها على التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وابطال مذاهب الملحدين ونزولها على الصورة المذكورة يدل على ان اصول الدين فى غاية الجلالة وان تعلمه واجب على الفور لنزولها جملة بخلاف الاحكام فانها تفرق بحسب المصالح ونزولها ليلا دليل على غاية البركة لانه محل الانس بنزوله تعالى الى سما الدنيا وعلى ان هذا العلم لا يقف على اسراره الا البصرا الايقاظ فى سنة الغفلات ولو الالباب اهل الخلوات والارواح الغالبة على الابدان وهو قليل ما هم بسم الله الذى بين دلايل توحيده بانه الجامع لصفات الكمال الرحمن الذى افاض على سائر الموجودات من رحمته بالايجاد والاعدام ما خبر لعموم الافهام فضاقت به الاوهام الرحيم الذى حبا اهل الايمان بنور البصائر حتى كان الوجود ناطقا لهم بالاعلام بانه الحى القيوم السلام الحمد اى الاحاطة باوصاف الكمال لله لما ختم سبحانه تلك بتمجيد عيسى عليه السلام الجلالة فى ذلك اليوم فى ذلك الجمع ثم بحمده لتفسير المقدسة بشمول الملك والقدرة اذ الحمد هو الوصف بالجميل افتتح هذه بالاخبار بان ذلك الحمد وغيره من المحامد مستحق له استحقاقا ثابتا دايما قبل ايجاد الخلق وبعد ايجاده سوا شكره العباد او كفروه لما له من صفات الكمال على ما تقدمت الاشارة اليه فى الفاتحة فان فى بهذه الجملة الاسمية المفتتحة باسم الحمد الكلى الجامع لجميع انواعه الدالة على الاستغراق اما بان اللام له عند الجمهور او بانها للجنس كما هو مذهب الزمخشرى ويؤول الى مذهب الجمهور فان الجنس اذا كان مختصا به لم يكن فرد منه لغيره اذ الجنس لا يوجد الا ضمن افراده فمتى وجد فرد منه لغيره كان الجنس موجودا فيه فلم يكن الجنس مختصا به وقد قلنا انه مختص وهذا التحميد صار بوصفه فردا من افراد تحميد الفاتحة تحقيقا لكونها اما وعقبها سبحانه بالدليل المشهود على ما ختم به تلك من الوصف بشمول القدرة بوصفه بقوله الذى خلق ولما كان تعدد السموات ظاهرا بالكواكب فى سيرها وحركاتها فى السرعة والبطو واستتار بعضها ببعض عند الخسوف وغيره وغير ذلك مما هو محرر عند اهله جمعها فقال السموات اى على علوها واحكامها وقدمها لما تقدم قريبا والارض اى على تخللها بالمنافع وانتظامها ولما كان فى الجعل معنى التضمين فلا يقوم المجعول بنفسه قال وجعل اى احدث وانشا لمصالحكم الظلمات اى الاجرام المتكاثفة والنور وجمع الاول تنبيها على ان طرق الشر الهلاك كثيرة وتدور على الهوى وقد تقرر بهذا ما افتتح به السورة لان من تفرد باختراع الاشيا كان هو المختص بجميع المحامد لم يكن له مساو ولم يكن له شريك لا ثانى اثنين ولا ثالث ثلاثة ولا غير ذلك وما احسن ختمها بعد الاشارة الى هذه المقاصد المتعددة لان يكفر به او يعدل به شىء بقوله ثم الذين كفروا اى ستروا ما دلتهم عليه عقولهم من دلالة وحدانيته التى لا خفا بها عن احد جرد نفسه من الهوى وعالج ادواه بانفع دوا الاحاطة بجميع صفات الكمال وزاد الامر تقبيحا عليهم بابدال ما كان الاصل فى الكلام من الضمير بقوله بربهم اى المحسن اليهم الذى لم يروا احسانا الا منه يعدلون اى يجعلون غيره مما لا يقدر على شىء معادلا له مع معرفتهم بانه الذى ابدع الاشيا كفرا للنعمة وبعدا من رحمته فبعضهم عدل به بعض الجواهر من خلقه من السما كالنجوم او من الارض كالاصنام او بعض ما ينشا عن بعض خلقه من الاعراض وهو خلقه كالنور والظلمة والحال ان تقلبهما نهار ندل بادنى النظر على امرين الاول بعدهما عن الصلاحية للالهية لتغيرها اى لا احب الافلين والثانى قدرة خالقهما ومغيرهما على البعث لايجاد كل منهما بعد اعدامه كما هو شان البعث الى غير ذلك من الاسرار التى تدق عن الافكار وتقديم الظلمة مناسب لسياق العادلين والتعبير بثم للتنبيه على ما كان ينبغى لكل

لكل الهذا الخلق من الابعاد عن الكفر لبعده عن الصواب فقد لاح ان مقصد السورة الاستدلال على ما دعا اليه الكتاب الذى تبين انه الهدى من توحيد الله والاجتماع عليه والوفا بعهوده بانه سبحانه الخالق وحده الحائز لجميع الكمالات من القدرة على البعث وغيره وما انسب ذلك بختم المايدة بذكر يوم الجمع وان لملكه جميع الملك وهو على كل شىء قدير وهذه السورة اول السور الاربع المشيرة الى جميع النعم الممتد رجها تحت النعم الاربع التى اشتملت عليها الفاتحة وكل سورة منها مشيرة الى نعمة من النعم الاربع فعرفها خلق لله السموات والارض الاية ثم خلقكم من طين ثم وما من دابة فى الارض الاية متكفل بتفصيل نعمة الايجاد الاول لجميع العالمين من السموات والارض وما بينهما وما فيهما من ادمى وغيره المشار اليه فى الفاتحة برب العالمين كما تقدم ولما تكفلت السور المتقدمة بالرد على منشرعى العرب واليهود والنصارى مع الاشارة الى ابطال جميع انواع الشرك سيق مقصود هذه السورة فى اساليب متكفلة بالرد على بقية الفرق وهم الثنوية من المجوس القايلون بالهين اثنين وباصلين النور والظلمة ويقرون بنبوة ابرهيم عليه الصلاة والسلام فقط والصابية القايلون بالاوثان السماوية والاصنام الارضية متوسطين الى رب الارباب وينكرون الرسالة فى الصورة البشرية واصحاب الروحانيات مدبرات الكواكب والافلاك وينتسبون الى ملة ابرهيم عليه السلام ويدعون انه منهم وقد اعاذه الله من ذلك والشمسية القايلون بالهية الشمس مع تاكيد الرد على الفرق المتقدمة على ان جميع فرقهم يجتمعون فى اعتبار النجوم تبين ذلك لمن نظر فى كتب فتوح بلاد الفرس فى ايام الصديق والفاروق رضى الله عنهما وقال شكلوشا البابلى فى اول كتابه فى احكام الدرج الفلكية ان القدما من الكسدانيين استنبطوا اسرار الفلك وكان عندهم اجل العلوم ولم يكونوا يظهرون علم الفلك لكل الناس بل كانوا يخفون اكثره عن عامتهم ويعطونهم منه بمقدار ما يصلح ويندرس الباقى بينهم مطويا بين علمايهم وحكمايهم ثم ذكر تقسيمهم درج الفلك على ثلثمائة وستين ثم قال وقسموا الدرج اقساما كثيرة حتى قالوا ان بعضها ذكور وبعضها اناث وبعضها مسعدة وبعضها منحسة ثم قال كل ذلك يريدون فيه الدلالة منها على ما تدل عليه فى عالمنا وعلى احوالنا حتى جعلوا الكل درجة عالما وخلقا تنفرد بمدانه وان ذلك العالم والخلق يندرسون ويلتشا بعدهم عنهم الى غير ذلك من الكلام الذى يرجع الى اعتقاد تاثير النجوم بنفسها تعالى الله عن ان يكون له شريك او يكون له كفوا ولما قرر سبحانه انه هو الذى خلق السموات والارض للتين منهما وفيهما الاصنام والكواكب والاجرام التى عنها النور والظلمة فثبت وجوده على ما هو عليه من الاحاطة باوصاف الكمال التى ابتنها الحمد فبطلت جميع مذاهبهم فتعجب منهم بكونهم يعدلون به غيره اتبع ذلك اختصاصه بخلق هذا النوع البشرى وهو مع ما فيه من التنويه له بالاختصاص بالحمد والرد على المطربين لعيسى عليه السلام المخلوق من الطين بخلق ابيهم ادم عليه السلام موكد لابطال مذهب الثنوية وذلك انهم يقولون ان النور خالق الخير والظلمة خالق الشر فاذا ثبت انه الخالق للنوع الادمى الذين منهم الخير والشر من شىء واحد وهو الطين الذى ولد منه المنى الذى جعل منه الاعضا المختلفة واللون والصورة والشكل من القلب وغيره من الاعضا البسيطة كالعظام والاعضا المركبة وغير ذلك من الانسان والاوتار ثبت ان خالق اوصافهم من الخير والشر واحد قدير عليم لان تولد الصفات المختلفة من المادة المتشابهة لا يكون الا عن مريد واحد مختار لا اثنان وهو الذى خلق الارض التى منها اصلهم وهو الله الذى اختص بالحمد فقال هو الذى خلقكم ولما كانوا يستبعدون البعث لصيرورة الاموات ترابا واختلاط تراب الكل بعضه ببعض وبتراب الارض فيتعذر التمييز وكان تمييز الطين لشدة اختلاط اجزايه بما اعسر من تمييز التراب فقال من طين اى تمييز طينة كل منكم مع ان منكم الاسود والابيض وغير ذلك والشديد وغيره من طينة الاخر بعد ان جعلها ما تحيا لقوة الدفق وبما ها الى حيث شا من الكبر ولما كان من المعلوم ان ما كان من شىء واحد كانت مدة بقايهما واحدة نبه باداة التراخى على كمال قدرته واختياره فى المغايرة بين الاجال فقال ثم قضى اى حكم حكما تاما وثبت واوجد اجلا اى وقتا مضروبا لانقضا العمر وقطعا للتاخر لكل واحد منكم خيرا كان او شريرا قويا كان او ضعيفا من اجل باجل اخر اذا تاخر وجعل تلك الاجال مع كونها متفاوتة مزية لاحد منكم بصفة على اخر بصفة مغايرة لها وتاملوا ذلك لا يكون الا واحدا فاعلا بالاختيار ولما ذكر الاجل الاول الذى هو الابداع من الطين اشارة الى ما فرغ منه من الاجال المنقضية ذكر الاجل الاخر الجامع للكل لان ذكر البداية يستدعى ذكر النهاية فقال مشيرا الى تعظيمه بالاستيناف والتنكير واجل اى عظيم مسمى اى لكم اجمعين لانقضا البرزخ للاعادة التى هى فى مجارى عاداتكم اهون من الابتدا المحاذ لكم والحكم بينكم الذى هو محط حكمته ومظهر نعمته ونقمته فى وقت واحد يتساوى فيه الكل وستر علمه عن الكل كما اشار اليه بالتنكير وهذا لا يصح ان يكون الا لواحد لا منعه والالتبا بين المعادير والارادات واتسق كل مقدور فى صنف لا يتعداه والا لعلى بعضهم على بعض والتهتك اسرار البعض بالبعض سبحان الله وتعالى عما يصفون وغير السياق الى الاسمية اشارة الى اختصاصه بعلمه وانه ثابت لا شك فيه ويؤكده اثبات قوله عنده فى هذه الجملة وحذفها من الاولى هنا وفى قوله ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى وقدم المبتدا مع تنكيره والاصل تاخيره افادة لتعظيمه ولما كان فى هذا من البيان لوحدانيته وتمام قدرته لا سيما على البعث الذى هو مقصود حكمته ما يبعد معه الشك فى الاعادة اشار اليه باداة التراخى وصيغة الافتعال فقال ثم انتم تمترون اى تكلفون انفسكم الشك فى كل من الوحدانية والاعادة التى هى اهون على مجارى عاداتكم من الابتدا بتقليد الابا والركون الى مجرد الهوى والاعراض عن الادلة التى هى اظهر من ساطع الضيا وهذه الاية نظيرة اية الروم اولم يتفكروا فى انفسهم اى كيف خلقهم الله من طين وسلط بعضهم

غنوا ابعض

احد

ونه

على بعض بالظلم والعدوان وجعل لهم اجلا فاوت بينهما وساوى في ذلك بين الاصل والفرع فانتج هذا ايه ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق اى بسبب اقامة العدل في جميع ما وقع بينكم من الاختلاف كما هو شان كل مالك في عبيده واجل مسمى الايه قال الامام ابو
جعفر ابن الزبير لما بين سبحانه وتعالى حال المتقين وهو الصراط المستقيم واوضح ما يجدد من جانبى الاخذ والترك وبين حال من تنكب عنه ممن
كان قد يلحه وهم اليهود والنصارى كونهم لم يلتزموا الوفا وحادوا عما امنحهم وانقضى امر العز بقين في ما حالهم وبيانا لنقضهم وتحذيرا
للمتقين ان يصيبهم ما اصابهم وختم ذلك ببيان الموقفين في القيمة يوم ينفع الصادقين صدقهم وقد كان انجر مع ذلك ذكر مشركى العرب وصممهم
عن الداعى وعماهم عن الايات فكانوا اشبه بالبهايم منهم بالاناسى اعقب ذلك تعالى بالاشارة الى طايفة او ما الى النظر والاعتبار فلم توفق
لاصابة الحق وقصرت عن الاستضاءة بانوار الهدى وليسوا ممن يرجع الى شريعة قد صرفت وغيرت بل هم في صورة من هم ان اهتدى فبادى الفطرة
ويستدل بما بسط الله تعالى في المخلوقات فلم يمعن النظر ولم يوفق فضل وهم المجوس وساير الثنوية لمن كان قصارى امره نسبة الفعل
الى النور والاظلام ولم يكن تقدم لهولا ذكر ولا اخبار بحال فقال تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور فبدا الكلام
بذكر خلق السموات والارض التى عنها وجد النور والظلمة اذ الظلمة ظلال هذه الاجرام والنور عن اجرام نيرة محمولة فيها وهى الشمس والقمر
والنجوم فكان الكلام الحمد لله الذى اوضح الامر لمن اعتبر واستبصر فعلم ان وجود النور والظلمة متوقف بحكم السببية التى شاها تعالى على
وجود اجرام السموات والارض وما اودع فيها مع بيان الامر في ذلك حاد عنه من عمى عن الاستبصار ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقوله
تعالى هو الذى خلقكم من طين مما يزيد هذا المعنى وضوحا فانه تعالى ذكر اصلنا والمادة التى عنها اوجدنا كما ذكر للنور والظلمة ما هو كالمادة
وهو وجود السموات والارض واشعر لفظ جعل بتوقفها لوجود بحسب المشية على ما ذكر فكان قد قيل اى فرق بين كون النور والظلمة عن
وجود السموات والارض وبين وجودكم عن الطين حتى يقع امتراكم في نسبة الايجاد الى النور والظلمة وهما لم يوجدا الا بعد ما دة
او سبب كما طرا في ايجادكم فالامر في ذلك اوضح شى ثم انتم تمترون ثم مرت السورة من اولها الى اخرها منبهة على بسط الدلالات في المراد
مع التنبيه على ان ذلك لا يصل الى استثمار فايدته الا من هى بحسب السابقة وقال تعالى انما يستجيب الذين يسمعون ثم قال تعالى والموتى
يبعثهم الله وهو والله اعلم من نمط او من كان ميتا فاحييناه اجمل هنا ثم فسر بعد في السورة بعينها والمراد ان من الخلق من جعله الله سامعا
مطيعا متيقظا معتبرا باول وهلة وقد ادى المثال سبحانه وتعالى من ذلك في قصة ابرهيم عليه السلام في قوله وكذلك نرى ابرهيم ملكوت
السموات والارض فكانه يقول لعباده المتقين تعالوا فانحوا طريق الاعتبار ملة ابيكم ابرهيم عليه السلام كيف نظر نظر السامع المتيقظ
فلم يعرج في اول نظره على ما سبب وجوده بين فيحتاج يرا الى نرضها فرضني الكوكب والقمر والشمس بل نظر فيما عنه صدر النور لاى النور
راى النور عن اجرام سماوية تامل تلك الاجرام وما قام بها من الصفات فراى الافول والطلوع والانتقال والتنقل فقال هذا لا يليق
بالربوبية لانها صفات حدوث ثم رقى النظر الى القمر والشمس فراى ذلك الحكم جاريا فيهما الحكم بان وراها مدبرا لها بتنزه عن الافتقار
والغيبة والافول فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض وخص عليه السلام ذكرهذين لحملهما اجرام النور وسببيتهما
في وجود الظلمة ثم تامل هذا النظر منه عليه السلام وكيف خص بالاعتبار واشرفها الوجودين واعلاهما فكان في ذلك وجهان من الحكم احدهما
علو النظر ونفوذ البصيرة في اعتبار الاشرف الذى اذا بان تيز الامر فهو فيما سواه ابين فجمع بين قرب التناول وعلو الهمة والوجه الثانى
التناسب بين حال الناظر والمنظور فيه والتناول والجرى على الفطرة العلية وهو من قبيل اخذ نبينا صلى الله عليه وسلم اللبن حين عرض
عليه اللبن والخمر فاختار اللبن فقيل له اخترت الفطرة فكان قد قيل هذا النظر والاعتبار ربنا لهم لا نظر من اخلد الى الارض فعبد الصنا
والظلام وينبغى ان يعتمد في قصة ابرهيم عليه السلام في هذا الاعتبار انه صلى الله عليه وسلم في قوله هذا ربى انما قصد قطع حجة من عبدها
من ذلك اذ كان دين قوم فبسط لهم الاعتبار والدلالة واخذ بعرض ما قد تنزه قدره عن الميل اليه فهو كما يقول المناظر لمن يناظره هب
ان هذا على ما تقول يريد بذلك اذعان خصمه واسندناه للاعتبار حتى يكون غير منا قوله ما لا يعتقد ليبنى على ذلك مقصوده ليقلع
خصمه وهو على يقين من امره فهذا ما ينبغى ان يعتمد هنا القول يوسف عليه السلام ما كان لنا ان نشرك بالله من شى فالعصمة قد اكتنفتهم
عما يتوهمه المبطلون ويتقوله المفترون ويشهد لما تلناه قوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه فهذه حال من علت درجته
من الذين يسمعون فمن الخلق من جعله الله سامعا باول وهلة وهذا مثال شاف في ذلك ومنهم الميت والموتى على ضربين منهم من تراح
عن جهله وعمهه ومنهم من يبقى في ظلماته ميتا الاحراك به يبين ذلك قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ولما كانت السورة مفصحة جهات الاعتبار ومحركة الى النظر ومعلنة في مجموع ايها ان المعتبر والمتامل
وان لم يكن متيقظا باول وهلة ولا سامعا اول تحرك ولا مستجيبا اول سامع قد تنتقل حالته عن جموده وغفلته الى ان يسمع ويلحق بمن
كان يتيقظ في اول وهلة ناسب تحريك العباد وامرهم بالنظر فوقع الاشارة في صدر السورة الى حالتين حالة السامعين لاول وهلة
وحالة السامعين في ثانى حال فقيل انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ولم يقع هنا اشارة الى القسم الثالث مع العلم به
وهو الباقى على جموده وموته ممن لم يحركه زاجر ولا واعظ ولا اعتبار لان هذا الضرب لو ذكر هنا لكان فيه ما يكسل من ضعفت همته ولحقه
حالة ابتدائية فقيل والموتى يبعثهم الله واطلق ليعمل الكل على هذا البعث من الجهل والتيقظ من سنة الغفلة فدعى الكل الى الله دعا واحدا
فقيل يا ايها الناس اعبدوا ربكم ثم اختلفوا في اجابة الداعى بحسب السوابق هكذا ورد هذا والموتى يبعثهم الله اسماعا للكل وفي صورة
القساوى

القساوى ومناسبة للدعا لتقوم الحجة على العباد حتى اذا انبسطت الدلايل وانشرحت الصدور لتلقيها وتشبثت النفوس
وتعلقت بحسب ما قدر وفاز بالخير اهله قال تعالى بعد اى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس
وكان قد قيل لمن انتقل عن حالة الموت فوالى قدر نعمة الله عليه باحيايه هل تنسه الا ان حالك الاولى كما تحت حين غيرك
بحالك الجادية فاشكر ربك واضرع اليه في طلب الزيادة وانقطع بحالك من لزوم حال موته فلم تغن عنه الايات وهو المشار اليه
بقوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا
عليهم كل شى قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله سوا عليهم اانذرتهم وكان القسم المتقدم الذى سمع لاول وهلة لم يكن ليقع
ذكره هنا من جهة تقصد ان اراه قدر هذه النعمة وانقاذ المتصف بها من حيرة شكه سوبتها فيما تقدم من قوله انما يستجيب
الذين يسمعون فذكر هنا ما هو واقع في ارأة قدر نعمة الانقاذ والتخليص من عمى الجهل وهذا حال من انتقل بتوفيق الله
وحال من بقى على موته او يكون الضربان قد شملهما قوله او من كان ميتا فاحييناه واما الثانى وهو الذى تبعث فيه صورة النظر
فامره صريح من الاية واما الضرب الاول وهو السامع لاول وهلة المكفى المونة بوالى العصمة من طوارق الجهل والشكوك
قد خلوه تحت مقتضى هذا اللفظ من حيث ان وقاية تلك او سماعه باول وهلة ليس من جهته ولا بما سبق او تكلف بل بابتدا
الرحمة وتقديم النعمة ولو ابقاه لنفسه او وكله اليها لم يكن كذلك وما بكم من نعمة فمن الله فبهذا النظر قد تكون الاية قد شملت
الضروب الثلثة وهو اولى اما سقوط الضرب الثالث من قوله انما يستجيب الذين يسمعون فلما قدم والله اعلم بما اراد ولما تضمنت
هذه السورة الكريمة من بسط الاعتبار وابدا جهات النظر ما اذا تامله المتامل علم ان حجة الله قايمة على العباد دون ارسال
الرسل رحمة ونعمة وفضل واحسان واذا كانت الدلالات مبسوطة والموجودات شاهدة مفصحة ودلالة النظر من سمع
وابصار وافيدة موجودة فكيف يتوقف عاقل في عظيم رحمته تعالى بارسال الرسل فتاكدت الحجة وتعاضدت البراهين فلما
عرف الخلق بقيام الحجة عليهم بطريقى الاصغا الى الداعى والاعتبار بالصنعة قال تعالى قل فلله الحجة البالغة قد جاءكم بصاير من ربكم
وهدى ورحمة فما عذر المعتذر بعد هذا اتريدون كشف الغطا ورؤية الامر عيانا لو استبصرتم لحصل لكم ما تحتم هل ينظرون
الا ان تاتيهم الملائكة او ياتى ربك او ياتى بعض ايات ربك الاية ثم ختمت السورة من التسليم والتفويض بما يحذى مع قوله
فلو شا لهداكم اجمعين وحصل من السور الاربع بيان اهل الصراط المستقيم وطبقاتهم في سلوكهم وما ينبغى لهم التزامه او تركه
وبيان حال المتنكبين عن سلوكه من اليهود والنصارى وعبدة الاوثان والمجوس انتهى ولما كان علم جميع احوال المخلوق دالا على
ان العالم بها هو خالقها وان من ادعى انه خالقه عاجز عن ضبط مملكته عن كشف غيره لعوراتها وعلم ما لا يعلمه هو منها فلم يكن
الها وكان الاله هو العالم وحده وكان المحيط العلم لا يعد عليه تمييز التراب من التراب وكان صلى الله عليه وسلم يخبرهم عن الله
من مغيبات سرايرهم وخفايا احبارهم بما يفضحون منه العجب ويعلمون منه احاطة العلم حتى قال ابو سفين بن حرب يوم
الفتح لو تكلمت لاخبرت عن هذه الحصبا قال تعالى عاطفا على هو الذى دالا على الوحدانية بشمول العلم بعد قيام الدليل
على تمام القدرة والاختيار لان انكارهم المعاد لامرين احدهما ظن ان الموثر في الابدان امتزاج الطبايع والكار ان الموثر قادر
مختار والثانى انه على تقدير تسليم الاختيار غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز بدن زيد عن اجزا بدن عمرو فاذا قام الدليل
على كمال قدرته سبحانه واختياره وشمول علمه لجميع المعلومات الكليات والجزئيات زالت جميع الشبهات وهو الله اى الذى
له هذا الاسم المستجمع لجميع الاسما الحسنى والصفات العلى المدعو به تالهـا له وخضوعا وتعبدا وعلق بهذا المعنى قوله في السموات
لان من في الشى يكون متصرفا فيه ولما كان الخطاب لمنكرى البعث الا اكد فقال وفي الارض اى هذه صفته دايما هذا المراد من انه سبحانه
بانت له هذا الاسم الذى تفرد به على وجه التمام والتخب في كل من جهتى العلو والسفل ولا يفهم ذو عقل صحيح بما يقتضيه الظاهر
من انه يحوى متحصر محتاج الى حاويه وحاصره ضعيف التصرف فيما وراه ومن كان محتاجا نوع احتياج لا يصلح للالوهية والمشير
بحديث الجارية ابن الله قالت في السما محجوج بحديث انت الاول فليس قبلك شى وانت الاخر فليس بعدك شى وانت الظاهر فليس
فوقك شى وانت الباطن فليس دونك شى فان ظاهره مناف الاول وظاهر هذا مويد بقاطع العقل من انه غير محتاج وموبد
بصحيح النقل ليس كمثله شى اى لا في ذاته ولا صفاته ولا شى من شوونه وقد كان الله ولا شى معه وحديث ليس فوقك شى رواه مسلم
والترمذى وابن ماجه في الدعوات وابو داود في الادب عن ابى هريرة رضى الله عنه والله الموفق ولما كان المراد اثبات ان علمه تعالى
محيط نسبة كل من الخفى والجلى اليه على السوا وكان السياق هنا للخفى فانه في بيان خلق الانسان وعجيب صنعه فيه مما خلق فيه من
ادراك المعانى وهياه له من قبل ان يقدر على التعبير عنه ثم اقدره على ذلك قدم الخفى فقال شارحا لكونه لا يغيب عنه شى يعلم سركم
ولما كان لا ملازمة بين علم السر والجهر لانه قد يكون في الجهر لفظ شديد يمنع اختلاط الاصوات فيه من علمه صرح به فقال وجهركم
ونسبة كل منها على حد سوا لا توصف واحدة منها بعزوب في لسانه اليه ولا بعد ولما كان السر والجهر شايعين في الاقوال
وكانت الاقوال تتعلق بالسمع ذكرهما بجمعها وهو شايع في الافعال المتعلقة بالبصر فقال ويعلم ما تكسبون فافاده
ذلك صفتى السمع والبصر مع اثبات العلم فلما تظاهرت الادلة وتظاهرت الحجج وهم عنها ناكبون وصل بذلك في جملة
حالية قوله معرضا عنهم ايذانا باستحقاقهم شديد الغضب وما تاتيهم اى هولا الذين هم اهل للاعراض عنهم واغرق

في النفي بقوله من آية اي علامة على صحة ما دعاهم اليه رسولهم صلى الله عليه وسلم وبعض بقوله من آيات ربهم اي المحسن اليهم بنصب الادلة وإنارة العقول وبعث الرسول إلا كانوا عنها معرضين اي هذه صفتهم دائما قصدا للعناد لئلا تلزمهم الحجة ويجوز ان يكون ذلك معطوفا على يعدلون ولما كان اعراضهم عن النظر سببا لتكذيبهم وهو سبب لتعذيبهم قال فقد كذبوا اي اوقعوا التكذيب للصادق بالحق بسبب الامر الثابت الكامل في الثبات كله لان الآيات كلها معنى واحد في الدلالة على ما يدل عليه الواحدة منها لما جاءهم اي لم يتأخروا عند المجيء اصلا للنظر ولا غيره وذلك ادل ما يكون على العناد ولما كان الاعراض عن الشيء هكذا فعل المكذب المستهزئ الذي بلغ تكذيبه الغاية القصوى وهي الاستهزاء قال فسوف يأتيهم اي بوعد صادق لا خلف فيه عند نزول العذاب بهم وان تأخر اتيانه انباء ما كانوا اي جبلة وطبعا به يستهزءون اي يجددون الهزء به بغاية الرغبة في طلبه وهو ابعد شيء عن الهزء وانباء الخبر العظيم وهو الذي يكون معه الجزاء وافاد تقديم الظرف انهم لم يكونوا يهزءون بغير الحق الكامل كما ترى كثيرا من المترفين لا يعجب من العجب ويعجب من غير العجب وانه على استهزائهم بغيره بالنسبة الى الاستهزاء به عدم ولما اخبر بتكذيبهم على هذا الوجه وتوعدهم بحتم تعذيبهم اتبعه ما يجري مجرى الموعظة والنصيحة تعجب من ثباتهم مع ما علموا من اهلاك من كان اشد منهم قوة واكثر جمعا وجبى من سوابغ النعم بما لم يحصروه فيرتبع ماضيهم ابلغ تحقق اخبارهم من مشاهدة آثارهم وعجيب اصناعهم في ابنيتهم وديارهم مسندا بذلك على تحقيق ما قبله من التهديد على الاستهزاء فقال مفردا منكرا موبخا متعجبا الم يروا ودل على كثرة المخبر عنهم تهويلا للخبر بقوله كم اهلكنا ولما كان المراد ناسا معينين لم يستغرقوا زمن القبل وهم اهل المكنة الزائدة كقوم نوح وعاد وهود وصالح ادخل الجار فقال من قبلهم وبين كم بقوله من قرن اي جماعة مقترنين في زمان واحد وهم اهل كل مائة سنة كما صححه القاموس لقول النبي صلى الله عليه وسلم للغلام عش قرنا فعاش مائة هذا نهاية القرن والاقرب انه لا يتعذر بل اذا انقضى اكثر اهل عصر قيل انقضى القرن ودل على ما شاهدوا من آثارهم بقوله مكناهم اي ثبتناهم بتقوية الاسباب من البسطة في الاجسام والقوة في الابدان والسعة في الاموال في الارض اي بالقوة والصحة والفراغ ما لم نمكنكم ومكنا لهم بالخصب والبسطة والسعة ما لم نمكن اي تمكينا لم نجعل لكم اي نخصكم به فالآية من الاحتباك او شبهه والالتفات من الغيبة الى الخطاب لئلا يلتبس الحال لان ضمير الغائب يصلح لكل من المفضول والفاضل ولا ينفي اللبس التعبير بالماضي في قوله وارسلنا السماء اي المطر تسمية للشيء باسم سببه او السحاب عليهم ولما كان المراد المطر كان التقدير حال كونه مدرارا اي ذا سيلان غزير متتابع لانه صفة مبالغة من الدر قالوا ويستوي فيه المذكر والمؤنث ولما ذكر نفعهم بما السماء وكان غير دائم اتبعه ما الارض لدوامه وملازمته للبساتين والرياض فقال وجعلنا الانهار تجري ولما كان عموم الماء بالارض وبعده ما انحاه من تمام الانتفاع بها اشار الى قربه وعدم عموم الارض به بالجار فقال انظر لعل صوابه عموم الارض بالماء من تحتهم اي على وجه الارض واسكناه في اعماقها فصارت بحيث اذا حفرت نبع منها من الماء ما يجري منه نهر ولما كان من المعلوم انه من الماء كل شيء حي فكان من اظهر الاشياء انه غزر نباتهم واخصبت سهولهم وجبالهم فكثرت زروعهم وثمارهم فاتسعت احوالهم وكثرت اموالهم فتيسرت آمالهم اعلم سبحانه ان ذلك ما كان الا لهوانهم استدراجا لهم بقوله مسببا عن ذلك فاهلكناهم اي بعظمتنا بذنوبهم اي التي كانت عن بطرهم النعمة ولم نبال بهم ولا اغنت عنهم نعمهم ولما كان الانسان ربما ابقى على عبده او صاحبه خوفا من الاحتياج الى مثله بين انه سبحانه غير محتاج الى شيء فقال وانشأنا ولما كان سبحانه لم يجعل لاحد الخلد ادخل الجار فقال من بعدهم اي بعد اهلاكهم قرنا ودل على انه لم يبق من المهلكين احد وان هذا القرن الثاني لا يرجع اليهم بنسب بقوله آخرين ولم ينقص ملكنا شيئا فاحذروا ان نفعل بكم كما فعلنا بهم وهذه الآية مثل آية الروم اولم يسيروا في الارض الآية فتمكينهم هو المراد بالشدة هناك والتمكين لهم هو المراد بالعمارة والاهلاك بالذنوب هو المراد بقوله فما كان الله ليظلمهم الى آخر الآيتين ولما كانت ترجمة ما مضى انهم يعدلون بربهم غيره ويكذبون بما جاءهم به من الحق مع ما اوضحت عليه من الحجج ونصبت من الدلائل وكان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على ايمانهم كان المقام يقتضي ان يقول لسان الحال انزل عليهم يا رب ما يقتفلون به من النظر بالفكر الى العيان كما اقترحوا على فاخبره انهم لا يؤمنون بذلك بقوله عطفا على وما تأتيهم من آية تحقيقا وتصويرا في جزئي ولو نزلنا اي على ما لنا من العظمة عليك كتابا اي مكتوبا من السماء في قرطاس اي ورق اجابة لما اشار عليهم اليهود باقتراحه ثم حقق انه اوضح الامر ليس بخيال ولا فيه نوع لبس بقوله فلمسوه اي زيادة على الرؤية زيادة في التحقيق والتصوير ودفع التجوز بقوله بايديهم لقال وأظهر ولم يضمر تعليقا للحكم بالوصف وتنبيها على ان من الموجودين من يسكت ويؤمن ولو بعد ذلك فقال الذين كفروا اي حكمنا بثبات كفرهم ستر الآيات عنادا ومكابرة ولعله اسقط منهم اشارة الى عموم دعوته لمن العرب ومن غيرهم من امة دعوتك لا سيما اليهود المشار الى تعنتهم وكذبهم بقوله يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ان اي ما هذا الا سحر اي تمويه وخيال لا حقيقة له وزاد ذلك في الوقاحة فقالوا مبين اي واضح ظاهر قال صاحب كتاب الزينة معنى السحر في كلام العرب التعليل بالشيء والمدافعة به والتقرير بشيء لا يحصل له يقال سحره اذا علله وغرره وشبه عليه حتى لا يدري من اين يتوجه ويقلب عن وجهه فكان السحرة يعللون الناس بالباطل ويشبهون الباطل في صورة الحق ويقلبونه عن جهته ولما بين ما يترتب على الاجابة الى ما اشار اليه اليهود اقترحوه من انزال الكتاب اخبر انهم اقترحوا ظهور الملك لهم وبين لوازمه فقال انهم قالوا لو بعث الله رسولا لوجب كونه ملكا ليكون اكثر علما واقوى قدرة واظهر امتيازا عن البشر فتكون الشبهة في رسالته اقل والحكيم اذا اراد تحصيل مهم كان الاولى تحصيله بما هو اسرع ايصالا اليه فقال وقالوا لولا اي هلا ولم لا انزل عليه ملك اي من السماء ظاهرا لنا يكلمنا ونكلمه ولا يحتجب عنا ولما ذكر قولهم مشيرا الى شبهتهم نقضه بقوله ولو اي والحال انا لو انزلنا واسقط اداة الاستعلاء لعدم الاحتياج في ردّ كلامهم الى ذكرها ولئلا يكون فيه تسليم لما لوحوا اليه من انكارهم نزول

الملك عليه بالوحي ملكا اي كما اقترحوه فلا يخلو اما ان يكون على صورته او لا فان كان على صورته التي خلق عليها لم يثبتوا لرؤيته ولو كان كذلك لقضي الامر اي باهلاكهم وبناه للمفعول اشارة على طريق كلام القادرين الى غاية السرعة لسهولة الامر وخفته مو لكونه فانه لا ينظره احد منهم الا صعق ولئن اعطيناهم قوة يثبتون بها لنظره ليكونن قضاء للامر وانفصال النزاع من وجه آخر وهو ان ذلك كشف للغطاء وفوات للايمان بالغيب وقد جرت عادتنا بالاهلاك عند ذلك فاذن هم هالكون على كل من هذين التقديرين وهو معنى قوله مهولا لو نجيئه عرف التراخي ثم لا ينظرون اي على حالة من حالتين واما ان جعلناه على صورة يستطيعون نظرها فانا نجعله على صورة رجل فانها اكمل الصور وحينئذ يقع لهم اللبس الذي وقع لهم بدعا بك وهو معنى ولو جعلناه اي مطلوبهم ملكا اي يمكن في مجاري العادات في هذه الدار رؤيتهم له ويعلمون بعد رؤيته لجعلناه رجلا اي في صورة رجل ولكنه عبر بذلك اشارة الى تمام اللبس حتى انه لا يشك احد يراه في كونه رجلا كما كان جبريل عليه السلام ينزل في بعض الاوقات على النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي فاذا راه بعض الصحابة رضي الله عنهم لم يشك انه دحية رضي الله عنه ولو جعلناه رجلا للبسنا عليهم ما يلبسون اي لخلطنا عليهم بجعلنا اياه رجلا ما يخلطونه على انفسهم وعلى غيرهم في قولهم ان الرسالة لا تصح من البشر فلو كان هذا الذي يقول انه رسول رسولا لكان ملكا فوقع اللبس عليهم بانه لما كان هذا الذي يقول انه رسول ملكا كان رجلا ويجوز ان يقرر ذلك على وجه آخر وهو ان يكون ولو نزلنا في حيز كانوا عنها معرضين اي اعرضوا عنها لو نزلنا ها عليك في غير قرطاس ولو نزلنا عليك من السماء كتابا في قرطاس لجمعنا لهم في ذلك بين حسي البصر واللمس اعرضوا وقال الذين ابدا كفرهم عنادا ومكابرة ما هذا الا سحر ظاهر ويكون وقالوا معطوفا على فقال الذين كفروا او يكون ذلك قبل اقتراحهم لذلك بما حكاه الله تعالى عنهم في سورة الاسراء بقوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى آخرها فيكون اخبارا بمغيب ولما قطع الرجاء لهداية من حكم بشقاوته وكان طلبهم لانزال الملك ونحوه انما هو على سبيل التعنت والاستهزاء وكان ذلك يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضي الله عنهم غاية المشقة المعنتة النفس الى الاحتراز منهم وتوقعه لما تقدم من مظاهر العظمة فاخبره انه فاعل ذلك في سياق متكفل بتسليته وان تلك سنته في من فعل فعلهم فقال عاطفا على قوله فسوف يأتيهم انباء ولقد اي هذا منهم انما هو استهزاء بك ولقد استهزئ اي اوقع الهزء واوجد من ام وبني للمفعول لان المشكي الاستهزاء لا كونه من معين واشارة الى انه كان يقع لهم ذلك من الاعلى والادنى برسل ولما كان القرب في الزمن في مثل هذا انما يبلي وكان كل من الارسال والاستهزاء لم يستغرق الزمان ادخل الجار فقال من قبلك فاهلكنا من هزأ بهم وهو معنى فحاق اي فاحاط بالذين سخروا منهم اي من اولئك الرسل ما كانوا به يستهزءون اي من العذاب الذي كانوا يتوعدون به وكان سببا لهزئهم ولما علم تعالى انهم يقولون في جواب هذا ان هذا الا اساطير الاولين امره صلى الله عليه وسلم بعد ما مضى من التعجيب من كونهم لم ينظروا بعقولهم او ابصارهم مصارع الماضين في قوله الم يروا كم اهلكنا ان يأمرهم بان يشاهدوا مصارع من تمكن في قلوبهم علم انهم اهلكوا بمثل تكذيبهم من قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ليجتنبهم ذلك عن مشاهدة ما اقترحوا فقال تعالى قل سيروا اي اوقعوا السير للاعتبار ولا تغتروا بامهالكم وتمكينكم في الارض الآية وهي كالدليل على قوله فقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولما كان السياق للتهديد بالتحذير من مثل اخذ الامم الماضية وكان قد اسلف انه لا يعذبهم عن اجالهم امهالهم في النظر فانه اقوى في التهديد وادل على القدرة وادعى الى النصفة ولا سيما والسورة من اوائل القرآن نزولا وبلد ترتيبا فقال ثم انظروا واشار الى ان هذا اهل لان يسأل عنه بقوله كيف كان عاقبة اي آخر امر المكذبين اي ابعوا النظر وبالغوا في التفكر واطيلوا التدبر اذا رايتم آثار المعذبين لاجل تكذيب الرسل فانكم اذا شاهدتم تلك الآثار كمل لكم الاعتبار وقوي الاستبصار وذلك اشارة الى ان الامر في غاية الانكشاف فكما ظن التفكر فيه ازدادوا ظهورا ولما امرهم سبحانه بالسير سائلهم هل يرون في سيرهم وتطوافهم وجولانهم واعتكافهم شيئا لغير الله تذكيرا لهم بما رحمهم به من ذلك في ايجاده لهم اولا وتيسير منافعه ودفع مضاره ثانيا استعطافا الى الاقبال عليه والاعراض عن الخضوع لما هو مثلهم او ادنى منهم وهو ملكه سبحانه وفي قبضته وتقريعا لان يأكلوا خيره ويعبدوا غيره فقال مفردا لهم على اثبات الصانع والنبوة والمعاد ويكتفي بسفههم وشدة جهلهم وعميهم قل لمن ونبه بتقديم المعمول على الاهتمام بالمعبودية ما في السموات والارض ولما كانوا في مقام العناد حيث لم يبادروا الى الاذعان بعد نهوض الادلة واتضح كل علم اشار الى ذلك بقوله معرضا عن انتظار جوابهم توبيخا لهم بعدم النصفة التي يدعونها قل لله اي الذي له الاحاطة الكاملة قدرة وعلما ولا كفوء له غيره وهم وان كانوا معاندين فانهم لا يمكنهم رد قولك لا سيما وجواب الانسان عما سأله انما يحسن ان يتعاطاه هو بنفسه اذا كان قد بلغ في الظهور الى حد لا يقدر على انكاره منكر وهو هنا كذلك لان آثار الحدوث والامكان ظاهرة على صفحات الاكوان فكان الافراد به ضروري لا خلاف فيه ولما كان اكثر ما في هذا الكون منافع مع كونها حسنة لذيذة طيبة شهية وما كان فيه من مضار فهي محجوبة ممنوعة عنهم بعلل وصولها اليهم الا بتسببهم فيها او الكل مع ذلك دلائل ظاهرة على وحدانيته وتمام علمه وقدرته وكان ذلك اهلا لان يتعجب منه لعموم هذا الاحسان مع ما هم عليه من الاثم والعدوان وتأخير العذاب عنهم مع العناد والطغيان قال دالا على ان رحمته سبقت غضبه مستأنفا كتب اي وعد وعدا هو كالمكتوب الذي ختم وكان غاية التأكيد او كتب حيث اراد سبحانه ولما كانت النفس يعبر بها عن الذات على ما هي عليه قال على نفسه الرحمة اي فلذلك اكرمكم هذا الاكرام بوجوه الانعام واخر عنكم الانتقام بالاستيصال ولو شاء لسلط عليكم المضار وجعل عيشكم من غير اللذيذ كالتراب وبعض القاذورات التي يعيش بها بعض الحيوانات ولما كان ذلك مطمعا للظالم البطر ومحيا لخير امو سفا للمظلوم المنكسر قال محذرا مرجيا مبشرا ملتفتا الى مقام الخطاب لانه ابلغ وانص على المقصود

ستيصال

دالا على البعث بما مضى من اثبات ان الاكوان لله لان كل ما فيه موصوف بصفات يجوز اتصافه باضدادها فاختصاص كل جسم بصفته المعينة انما يكون بتخصيص الفاعل المختار فيكون قادرا على الاعادة لان التركيب الاول انما كان لان صانعه قادر على جميع الممكنات لكونه عالما بجميع المعلومات والاتصاف بذلك لا يجوز انفكاكه عنه فهو ملك مطاع امرناه مرسل من يبلغ عنه اوامره ونواهيه لاظهار ثمرة الملك من الثواب والعقاب يوم الجمع ليجمعنكم اى والله محشورين شيئا فشيئا الى يوم القيمة للعدل بين جميع العباد كاينا لا ريب فيه اى بوجه من الوجوه وذلك الجمع لتخصيص الرحمة فى ذلك اليوم باوليائه والمقت والنقمة باعدائه بعد ان كان عم بالرحمة الفريقين فى يوم الدنيا وجعل الرحمة اظهر فى حق الاعداء وبهذا الجمع تمت الرحمة من كثير من الخلق ولولاه لارتفع الضبط وكثر الخبط كما كان فى الجاهلية ولما كان ذلك كذلك فى عدم الريب لاخبار الله على السنة رسله ولما عليه من الادلة لما فى هذا الخلق من بدايع الحكم مع خروج اكثر افعال الحيوان عن العدل فصار من المعلوم لكل ذى وعى ان البعث محط الحكمة لاظهار التجلى بالصفات العلى لجميع الخلق الشقى والسعيد والقريب والبعيد كان كانه قيل فما لنا نرى اكثر الناس كافرا به فقال جوابا الذين خسروا انفسهم اى باهلاكهم اباها بتكذيبهم بمخالفة الفطرة الاولى التى تهدى الاخرين وستر العقل السليم فهم اى بسبب خسارتهم لانفسهم باهمال العقل واعمال الحواس والتقيد بالتقليد لا يؤمنون فصاروا كالملقى نفسه من شاهق ليموت لغرض من الاغراض الفاسدة لا بسبب خفاء فى امر القيمة ولا لبس يوقع ريبا ومآل المعنى ان الذين لا يؤمنون فى هذا اليوم هم المقضى بخسارتهم فى ذلك اليوم ولما استنارة الادلة استنارة الشمس وانتصبت البراهين حتى لم يبق اصلا نوع لبس عم بالخبر عما تقدم مما يشاهدونه وغيره فقال ذاكرا للزمان بعد المكان وقد مر انه اظهر والمعلم الكامل هو الذى يبدا بالاظهر فالاظهر مترقيا الى الاخفى فالاخفى فتم بذلك الخبر عن الزمان والزمانيات والمكان والمكانيات وله اى وحده ما سكن اى حل وتحيز وحصل فى الليل والنهار اى ما من شانه ان يسكن فيهما وان كان متحركا ولكنه عبر بذلك دون التحرك لانها دار الموت ودخل فى ذلك النور والظلمة اللذان اشرك بهما من اشرك ولما دل ما مضى على القدرة التامة والقسم الى متحرك وساكن وكانت القدرة لا تتم الا بالعلم دل عليه بقوله وهو اى لا غيره السميع اى البالغ السمع لكل متحرك العليم اى التام العلم بالبصر والسمع ونحوهما بكل متحرك وبكل ساكن من اقوالكم وافعالكم وغيرهما فلا تطمعوا فى ان يترك شئ من مجازاتكم والعليم هنا ابلغ من البصير وذلك مثل ما تقدم من فى قوله قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم وهو ترجمة قوله يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ولما تمحض من الحجج ما لم يبق معه لذى بصيرة شك كان لسان الحال مقتضيا لان ينادى بالانكار عليهم فى الالتفات عن جنابه والاعراض عن بابه فابرز تعالى ذلك فى قالب الامر له صلى الله عليه وسلم بالانكار على نفسه ليكون ادعى لهم وارفق بهم لان ما تقدم مبنى على غاية المخالفة منذرا بما انذر من سوء العاقبة المشاققة فكانهم قالوا فهل من سبيل الى الموافقة فقيل لا الا باتخاذكم اياه وليا وذلك لعموم سعادتكم فى الدارين وبتطعكم فى اتخاذى اندادكم اولياء وهذا ما لا يكون ابدا وهذا معنى قوله تعالى قل اى مصرحا لهم بالانكار ان يميل الى اندادهم بوجه ولما كان الانكار منصبا الى كون الغير متخذا لا الى اتخاذ الولى اولى غير الهمزة فقال اغير الله اى الذى لا شئ يدانيه فى العظمة اتخذ اى اكلف نفسى الى خلاف ما تدعوا اليه الفطرة الاولى والعقل المجرد عن الهوى كما تفعلونه انتم واخذ وليا اى اعبده لكونه يلى جميع اموركم ثم وصفه بما حقق ولايته وبصرف عن ولاية غيره فقال فاطر السموات والارض اى خالقهما ابتداء على غير مثال سبق وهو اى والحال ان الله يطعم اى يرزق كل من سواه مما فيه روح ولما كان المنفى كونه سبحانه مفعولا من الطعم لا كون ذلك من مطعم معين بنى للمفعول قوله ولا يطعم اى ولا يبلغ احد بوجه من الوجوه ان يطعمه والمعنى ان المنافع من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع فامتنع فى العقل اتخاذ غيره وليا لان غيره محتاج فى ذاته وفى جميع صفاته اليه وهو سبحانه الغنى على الاطلاق وهذا التفات الى قوله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وتعريض بكل من عبد من دون الله ولا سيما الاصنام فانهم كانوا يهدون لها الاطعمة فتاكلها الدواب والطيور ومعلوم انها لا تطعم ولا تطعم وروى الدارمى فى اول مسنده بسند حسن عن الاعمش عن مجاهد قال حدثنى مولاى ان اهله بعثوا معه بقدح فيه زبد ولبن الى الهتهم قال فمنعنى ان اكل الزبد لمخافتها فجا كلب فاكل الزبد وشرب اللبن ثم بال على الصنم ومولاه كان شريك النبى صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام واختلف فيه فقيل هو قيس بن السايب بن عويمر بن عايذ بن عمران بن مخزوم وقيل زهير السايب بن ابى السايب صيفى بن عايذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وقيل ابنه عبد الله بن السايب والله اعلم وله عن ابى رجا هو العطاردى وهو مخضرم قال كنا فى الجاهلية اذا اصبنا حجرا حسنا عبدناه وان لم نصب حجرا جمعنا كثبة من رمل ثم جينا بالناقة الصفى فتفاج عليه فنحلبها على الكثبة حتى نرويها ثم نعبد تلك الكثبة ما اقمنا بذلك المكان وفيه ايضا ايماء الى انه كما خلقكم كلكم من طين على اختلافكم فى المقادير والالوان والاخلاق وهو غنى عنكم فكذلك خلق المطعومات على اختلاف اشكالها وطعومها ومنافعها والوانها من طين وجعل لها منافع لكم وهو غنى عنها وسياتى التصريح بذلك فى قوله وهو الذى انزل من السما ما فاخرجنا به نبات كل شئ المسوق فى مضماره فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وفى الاية كلها التفات الى قوله اول السورة ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقوله فى التى قبلها ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء فى امثالها مما فيه تولى الكفار لغير خالقهم سبحانه وتعالى هذا الولى بردا من قبل الخالق كان النظر السديد كافيا فى التنزه عنه كما كنت قبل النبوة لا التفت الى اصنامكم ولا اعتبر للعبادة شيئا من نصابكم فكيف وقد امرت بذلك وهو معنى قل انى امرت اى من جهة من له الامر ولا امر الا له وهو من تقدم ان له كل شئ وهو الله وحده ان اكون اى بقلبى وقالبى اول من اسلم فى الرتبة مطلقا وفى الزمان بالنسبة الى الامة ولما كان الامر بالاسلام نهيا عن الشرك لم يكتف به بل صرح به جامعا بين الامر والنهى من هذا الرب الكريم الذى بدءوا احسانه وكرمه الى ولايته ونهى بتمام ملكه وجبروته عن شئ من عداوته فى قوله عطفا على قل على حالة

ولا تكونن

ولا تكونن اى بوجه من الوجوه فى وقت من الاوقات اصلا من المشركين اى فى عدادهم باتباعهم فى شئ من اغراضهم وهذا التاكيد لقطع اطماعهم عنه صلى الله عليه وسلم فى سؤالهم ان يطرد بعض اتباعه ليوالوه ونحو ذلك مما كانوا يرجون مقاربته منهم بالا بان يفعل شيئا مما يريدون صحيح للنسبة اليهم والكون فى عدادهم من تشبه بقوم فهو منهم ولما كان فعل المنهى عنه لا يعذب عليه قال معللا بان المخالفة فى هذا من ابلغ المخالفات فصاحبها مستحق لاعظم الانتقام وكل ذلك قطعا لهم عن الطمع فيه واكده للاشارة لانكارهم مضمونه قل انى ولما كان المقام للخوف قدمه فقال اخاف ان عصيت اى بشئ مما تريدون منى او من غيره مما امرت به او نهيت عنه ربى اى المحسن الى عذاب يوم ولما كان عظم الظرف بعظم مظروفه قال عظيم ولما كان قد قدم من عموم رحمته ما اطمع الفاجر ثم ايأسه من ذلك بما اشير اليه من الخسارة صرح هنا بما اقتضاه ذلك المتقدم فقال واصفا لذلك العذاب مبينا ان الرحمة فى ذلك اليوم على غير المعهود الان فانها خاصة لا عامة دائمة السبوغ على من نالته لا زائلة وكذا النقمة هكذا شان ذلك اليوم من يصرف عنه اى ذلك العذاب ولما كان المراد دوام الصرف فى جميع اليوم قال يومئذ اى يوم اذ يكون عذاب ذلك اليوم فقد رحمه اى فعل به بالانعام عليه فعل المرحوم وذلك اى لا غيره الفوز اى الظفر بالمطلوب المبين اى الظاهر جدا ومن لم يصرف عنه فقد اهانه وذلك هو العذاب العظيم ولما كان التقدير فان يصرف عنك ذلك العذاب فقد قرت عينك عطف عليه دليلا اخر لانه لا يجوز فى العقل ان تتخذ غيره وليا فقال معمما للحكم فى ذلك العذاب وغيره مبينا انه لا مخلص لمن اوقع به وان يمسسك الله اى الملك الاعظم الذى لا كفوء له ولما كان المقام للترهيب قدم قوله بضر اى هنا او هناك فلا كاشف له اصلا بوجه من الوجوه الا هو اى لانه لا كفوء له فهو قادر على ابقاء غيره ولا يقدر غيره على دفاعه لانه على كل شئ قدير وان يمسسك بخير اى فى اى وقت اراد ولما كان القياس على الاول موجبا لان يكون الجزاء فلا مانع له كان وضعه موضعه قوله فهو على كل شئ من ذلك وغيره قدير ولا يقدر غيره على منعه منبها ان رحمته سبحانه سبقت غضبه ولما كانت الجملتان من الاحتباك فافادتا بما ذكر وما دل عليه المذكور مما حذف انه تعالى غالب على امره قال مصرحا بذلك وهو القاهر اى الذى يعمل مراده كله ويمنع غيره ان شاء ويصور قهره وحققه بتمكن الغلبة بقوله فوق عباده وكل ما سواه عبد ولما كان فى القهر ما يكون مذموما نفاه بقوله وهو اى وحده الحكيم فلا يوصل اثر القهر بايقاع المكروه الا لمستحق واتم المعنى بقوله الخبير اى بما يستحق كل شئ فتمت الادلة على عظيم سلطانه وانه لا فاعل غيره ولما ختم بصفتى الحكمة والخبرة كان كانه قيل فلم يعلم انا نكذبك بخبرته فيرسل معك بحكمته من يشهد لك على ما تقول من انه امرك بان تكون اول من اسلم ونهاك عن الشرك لنصدقك من ملك كما تقدم سؤالنا لك فيه او كتاب فى قرطاس او غيرهما فقال قد فعل ولم يرض لى الا بشهادته المعتبرة فقال او يقال انه لما اقام الادلة على الوحدانية والقدرة ووصل الى صفة القهر المؤذن بالانتقام لم يبق الا اشهاده عليهم ايذانا بما يستحقونه من سوء العذاب وانذاره لهم ليلا يقولوا اذا حل بهم انه لم ياتنا نذير فقال قل اى ايها الرسول لهم اى شئ اكبر اى اجل واعظم شهادة فان انصفوا وقالوا الله فقل هو الذى يشهد لى كما قال فى لكن الله يشهد بما انزل اليك وان كتموا قطع الكلام هنا اشارة الى عنادهم او سكوتهم او الى تنزيلهم منزلة المعاند او العالم بالشئ العامل عمل الجاهل فقال امرا له صلى الله عليه وسلم قل الله اى الملك الاعظم المحيط علما وقدرة اكبر شهادة ولما كانوا بمعرض ان يسلموا ذلك ويقولوا انه كذلك ولكن هل شهد لك قال شهيد اى هو ابلغ شاهد يشهد بينى وبينكم اى بهذا القران الذى ثبت بعجزكم عنه انه كلامه وبغيره من الايات التى عجزتم عن معارضتها ولما تقرر انه اعظم شهيد واشار الى شهادته بالايات كلها نبه على اعظمها لان اظهاره تعالى للقران على لسانه صلى الله عليه وسلم على وفق دعواه شهادة من الله له بالصدق فقال ذاكرا الفايدة على سياق تهديد متكفل باثبات الرسالة واثبات الوحدانية وقدم الاول لانه المقرر للثانى المفهم لدقايقه عاطفا على جملة شهيد بانيا للمفعول تنبيها على ان الفاعل معروف للاعجاز وبنى للفاعل فى السواد واوحى الى وحقق الوحى به وشخصه بقوله هذا القران ولما كان فى سياق التهديد قال مقتصرا على ما يلايمه لانذركم اى اخوفكم واحذركم من اعتقاد شائبة نقص فى الاله لا سيما الشرك به به ومن اى وانذر به كل من بلغ اى بلغه قال الفراء والعرب تضمر الهاء فى صلات الذى ومن وما قال البخارى فى اخر الصحيح لانذركم به يعنى اهل مكة ومن بلغ هذا القران فهو له نذير علقه بصيغة الجزم عن ابن عباس ووصله ابن ابى حاتم كما افاده شيخنا فى شرحه وقال عبد الرزاق فى تفسيره اخبرنا معمر عن قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عن الله فمن بلغته اية من كتاب الله فقد بلغه امر الله وقال الامام تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى فى جواب سؤال ورد عليه سنة ثمان وثلثين وسبعماية فى ان النبى صلى الله عليه وسلم هل بعث الى الجن ومن خطه نقلت والسنة ناطقتان بذلك والاجماع قايم عليه لا خلاف بين المسلمين فيه ثم اسند الاجماع الى ابى طالب القضاعى وابى عمر بن عبد البر فى التمهيد وابى محمد بن حزم فى كتاب الفصل وغيرهم ثم قال اما الكتاب فايات احدها لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظى من بلغه القران فكانما راى النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ينذركم وقال السدى من بلغه القران فهو له نذير وقال ابن زيد من بلغه هذا القران فانا نذيره وهذه كلها اقوال متفقة المعنى ونذارة نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول هذا الكلام وانه ينذر بالقران كل من بلغه ولم يخص انسا ولا جنا من اهل التكليف ولا خلاف ان الجن مكلفون انتهى وسياتى مما ذكر من الايات وغيرها ما يليق بالاستدلال على الارسال الى الملائكة عليهم السلام فالمعنى فمن صدق هذا القران فقد افلح ومن كذب فلياتِ بسورة من مثله ثم عجزه شاهد على نفسه بالكذب وهو شهادة الله بالصدق ولاجل ان الله هو

بما الشاهد لم تنقص الشهادة بموت النبي صلى الله عليه وسلم بل استمرت على مر الاباد وكر الاعوام لبقاء الشاهد وتعاليه عن شوائب النقص
وسمات الحدث والى ذلك الاشارة بقول النبي صلى الله عليه وسلم ما من الانبيا نبي الا قد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي
اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة اخرجه الشيخان عن ابي هريرة ولعل الاقتصار على الانذار مع ما تقدم من
اشارة الى ان اهل الخلق هالك وقد ذكر في نزول هذه الاية ان اهل مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اما وجد الله رسولا غيرك
ما نرى احدا يصدقك بما تقول ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انهم ليس عندهم منك ذكر فارنا من يشهد انك رسول الله
كما تزعم فانزلها ولما لم يبق لمتعنت شبهة ساق تعالى ذلك وقطع دابره ونقول من التوحيد الذي جعله الرسالة من في اليرقا ذا
تلبث في قلب فاصيب انواره بحسب ثباته حتى ابهاد بما ملات الاكوان وعلت على كيوان مساق استفهام على طريقة الانكار والتعجب
تعظيما لشانه وتخيما للمقام وتنبيها لهم على ان يبعدوا عن الشرك فقال ابنكم لتشهدون ان مع الله اي الذي حاز جميع العظمة الهة
ولما كانوا الكثرة تعنتهم ربما اطلقوا على اسمائه سبحانه الهة كما قالوا حين سمعوه صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن كما سياتي
ان شا الله تعالى اخر الحجر واخر سبحان صرح بالمقصود على وجه لا يحتمل النزاع فقال اخرى ولما كان كانه قيل انهم ليقولون ذلك فماذا
يقال لهم قال قل لا اشهد اي معكم بشي مما تقولونه لانه باطل ولو كان حقا لشهدت به ولما كان هذا غير قاطع لطمعهم فيه اجتثه
من اصله وبرمته بقوله قل انما هو اي الاله الواحد وهو الله الذي لا يعجزه شي وهو يعجز كل شي لانه واحد لا كفوله فانكم عجزتم عن الاتيان له
بسورة من مثل كلامه وانتم افصح الناس ولما كان معنى هذا البراة من انداده صرح به في قوله موكدا الى جملة اسمية واني بري مما
تشركون اي الان وفي مستقبل الزمان ابعادا من تطمعهم ان تكون لموافقة بينه وبينهم باتخاذ الانداد وشيا منها ولما فتح التوحيد
بهذه الاية باعظم طرق البيان وابلغ وجوه التاكيد ولقد امتثل صلى الله عليه وسلم الامر بانذار من يمكن بلاغه القران فلما استراح من
حرب قريش وكثير ممن حوله من العرب في عام الحديبية وهو سنة ست من الهجرة واعلمه الله تعالى ان ذلك فتح مبين ارسل الى من يليه من
ملوك الامصار في ذلك العام وما بعده وكان اكثره عند منصرفه من ذلك الاعتمار ويدعوهم الى جنات وانها في دار القرار ويذرهم
دار البوار وقال اهل السير خرج صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من عمرة الحديبية التي صد عنها على اصحابه رضوان الله عليهم فقال
ايها الناس ان الله بعثني رحمة وكافة فادوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم عليه السلام فقال
المهاجرون يا رسول الله والله لا نختلف عليك في شي ابدا فمرنا وابعثنا فسالوه كيف اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام
قال دعاهم الى الذي دعوتكم اليه وقال ابن عبد الحكم ان الله تبارك وتعالى اوحى الى عيسى عليه السلام ان ابعث
الى ملوك الارض فبعث الحواريين فاما من بعثه مبعثا قريبا فرضي وسلم واما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل قال ابن عبد
الحكم وقال لا احسن كلام من تبعثني اليه فشكا ذلك عيسى عليه السلام الى الله عز وجل فاصبح كل رجل وقال ابن عبد الحكم فاوحى الله
تعالى اليه اني ساكفيك فاصبح المثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الامة التي بعث اليها فقال عيسى عليه السلام هذا امر قد عزم الله عليه
فامضوا له وقال الشيخ مجد الدين الفيروزابادي في القاموس ان المكان الذي جمع به عيسى عليه السلام الحواريين وانفذهم الى النواحي
قرية بناحية طبرية تسمى الكرسي وقال ابن اسحق وحدثني يزيد بن ابي حبيب المصري انه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى البلدان وملوك العرب وما قال لاصحابه حين بعثهم قال فبعثت به الى محمد بن شهاب الزهري فعرفه فذكر نحو ما تقدم الى ان
قال ابن اسحق وكان من بعث عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم من الحواريين والاتباع الذين كانوا بعدهم في الارض بطرس الحواري
ومعه بولس وكان من الاتباع ولم يكن من الحواريين الى رومية واندرابس ومنتا الى الارض التي ياكل اهلها الناس وتوماس
الى ارض بابل من ارض المشرق وفيلبس الى قرطاجنة وهي افريقية ويحنس الى افسوس قرية اصحاب الكهف ويعقوبس الى اورشليم
وهي ايليا قرية بيت المقدس وابن ثلما الى الاعرابية وهي ارض الحجاز وسيمن الى ارض البربر ويهودا ولم يكن من الحواريين
جعل مكان يودس انتهى كذا رايت في نسخة معتمدة مقابلة من تهذيب السيرة لابن هشام وكذا في مختصرها للامام جمال الدين
محمد بن المكرم الانصاري عدد رسله واسماهم وفي اخرهم ثم لم يكن يودس ولم يتقدم ليودس ذكر والذي حررته انا من الاناجيل
التي بايدي النصارى غير هذا ولعله اصح وقد جمعت ما تفرق من الفاظها قال في انجيل متى ما نصه ومعظم السياق له ودعا
يعني عيسى عليه السلام تلاميذه الاثني عشر واعطاهم سلطانا على جميع الارواح لكي يخرجوها ويشفوا كل الامراض وفي انجيل
مرقس وصعد الى الجبل ودعا الذين ارادهم فاتوه وانتخب اثني عشر ليكونوا معه ولكي يرسلهم ليكرزوا واعطاهم سلطانا
على شفا الامراض واخراج الشياطين وفي انجيل لوقا وكان في تلك الايام خرج الى الجبل يصلي وكان ساهرا في صلاة الله فلما كان النهار
دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر وقال في موضع اخر ودعا الاثني عشر الرسل واعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين وشفا
المرضى وارسلهم يكرزون بملكوت الله ويشفون الاوجاع وهذه اسما الاثني عشر الرسل سمعان المسمى بطرس وتنسبه في موضع في
انجيل متى ابن يونا واندراوس اخوه ويعقوب بن زبدي ويوحنا اخوه قال في انجيل مرقس وسماهما باسم بوانرجس اللذين هما
ابنا الرعد وفيلبس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفا ولبا الذي يدعى تداوس وجعل في انجيل مرقس بدل

هذا اندى وفي انجيل لوقا بدلهما يهوذا بن يعقوب ثم تقفوا وسمعان القاناني وقال في انجيل لوقا المدعو الغيور ويهوذا الاسخريوطي
الذي اسلمه اي دل عليه في الليلة التي ادعى اليهود القبض عليه فيها هولا اثنا عشر الرسل الذين ارسلهم يسوع وفي انجيل مرقس ودعا
الاثني عشر وجعل يرسلهم اثنين اثنين واعطاهم السلطان على الارواح النجسة قائلا لا تسلكوا طريق الامم ولا تدخلوا مدينة
السامرة وانطلقوا خاصة الى الخراف التي ضلت من بني اسرائيل واذا ذهبتم فاكرزوا وقولوا قد اقتربت ملكوت السموات
اشفوا المرضى اقيموا الموتى طهروا البرص اخرجوا الشياطين مجانا اخذتم مجانا اعطوا لا تكنزوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقكم
ولا هميانا في الطريق ولا ثوبين ولا خبزا ولا عصى فالفاعل مستحق طعامه وفي انجيل مرقس وامرهم ان لا ياخذوا في الطريق غير عصى
فقط ولا هميانا ولا خبزا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقهم الا نعالا في ارجلهم ولا يلبسوا قميصين وفي انجيل لوقا وقال لهم لا تحملوا في الطريق
شيا ولا عصى ولا هميانا ولا عصى ولا هميانا ولا خبزا ولا فضة ولا يكون لكم ثوبان واي مدينة او قرية دخلتموها فافحصوا فيها عمن
يستحقكم وكونوا هناك حتى تخرجوا فاذا دخلتم الى البيت فسلموا عليه فان كان البيت مستحقا لسلامكم فهو يحل عليه وان كان لا يستحق
فسلامكم راجع اليكم ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاذا خرجتم من ذلك البيت وتلك القرية او تلك المدينة انفضوا غبار ارجلكم
وفي انجيل مرقس وقال لهم اي بيت دخلتموه اقيموا فيه الى ان تخرجوا منه واي موضع يقبلكم ولم يسمع منكم فاذا خرجتم من هناك فانفضوا
الغبار الذي تحت ارجلكم للشهادة عليهم الحق اقول لكم ان لارض سدوم وعامورا راحة في يوم الدين اكثر من تلك المدينة هو ذا انا
مرسلكم كالخراف بين الذياب كونوا حكما كالحية وودعا كالحمام احذروا من الناس فانهم يسلمونكم الى المحافل وفي مجامعهم يضربونكم
ويقدمونكم الى القواد والملوك من اجلي شهادة لكم وللامم وفي انجيل مرقس شهادة عليهم وعلى كل الامم ينبغي اولا ان تكرزوا بالانجيل
فاذا اسلموكم فلا تهتموا بما تقولون وفي انجيل مرقس واما ذا تجيبون فانكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به ولستم انتم
المتكلمين لكن روح ابيكم وفي انجيل مرقس لكن روح القدس يتكلم فيكم وسيسلم الاخ اخاه الى الموت والاب ابنه وتقوم الابنا على ابايهم
فيقتلونهم وتكونون مبغوضين من الكل من اجل اسمي والذي يصبر الى المنتهى يخلص فاذا طردوكم من هذه المدينة اهربوا الى اخرى الحق
الحق اقول لكم انكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى ياتي ابن الانسان ليس تلميذ افضل من معلمه ولا عبد افضل من سيده حسب التلميذ ان يكون
مثل معلمه والعبد مثل سيده ان كانوا دعوا رب البيت باعل زبول فكم بالحرا اهل بيته فلا تخافوا فليس خفي الا سيظهر ولا مكتوم
الا سيعلم الذي اقول لكم في الظلمة قولوه انتم في النور وما سمعتموه باذانكم فاكرزوا به على السطوح لا تخافوا ممن يقتل الجسد
ولا يستطيع ان يقتل النفس خافوا ممن يقدر ان يهلك النفس والجسد جميعا في جهنم اليس عصفوران يباعان بفلس وواحد
منهما لا يسقط على الارض دون ارادة ابيكم فشعور روسكم كلها محصاة فلا تخافوا فانكم افضل من عصافير كثيرة لا تظنوا اني جيت
لالقي على الارض سلاما لكن سيفا اتيت لافرق الانسان من ابيه والابنة من امها والعروس من حماتها واعدا الانسان اهل بيته من احب
ابا او اما اكثر مني فلا يستحقني ومن وجد نفسه فليهلكها ومن اهلك نفسه من اجلي وجدها ومن قبلكم فقد قبلني ومن قبلني فهو يقبل
الذي ارسلني ومن يقبل نبيا باسم نبي فاجر نبي ياخذ ومن ياخذ صديقا باسم صديق فاجر صديق ياخذ ومن سقى احد هولا الصغار
كاس ما بارد فقط باسم تلميذ الحق اقول لكم ان اجره لا يضيع ولما اكمل يسوع امره للاميذه الاثني عشر انتقل من هناك ليعلم ويكرز
في مدنهم وفي انجيل مرقس فلما خرجوا يعني الرسل كرزوا بالتوبة واخرجوا شياطين كثيرة ومرضى عدة يدهنونهم بالزيت فيشفون
وفي انجيل لوقا ومن بعد هذا ايضا ميز الرب سبعين اخرين وارسلهم اثنين اثنين قدام وجهه الى كل مدينة وموضع ازمع ان ياتيه
وقال لهم ان الحصاد كثير والفعلة قليل اطلبوا الى رب الحصاد ليخرج فعلة لحصاده وفي انجيل متى ما ظاهره ان هذا الكلام كان للاثني
عشر فانه قال قبل ذكر عددهم فلما راى الجمع تحنن عليهم لانهم كانوا ضالين ومطرحين كالخراف التي ليس لها راع حينيذ قال لتلاميذه
الاثني عشر الى اخر ما ذكرته عنه او الجمع بانه قاله للفريقين رجع للسياق الاول اذهبوا هو ذا ارسلكم كالخراف بين الذياب لا تحملوا
هميانا ولا حذا ولا مزودا ولا تقبلوا احدا في الطريق واي بيت دخلتموه فقولوا اولا السلام لاهل هذا البيت فان كان هناك ابن السلام
فان سلامكم يحل والا فسلامكم راجع اليكم وكونوا في ذلك كلوا واشربوا من عندهم فان الفاعل مستحق اجرته ولا تنتقلوا من بيت الى بيت
واي مدينة دخلتموها ويقبلكم اهلها فكلوا ما تقدم لكم واشفوا المرضى الذين فيها وقولوا لهم قد قربت ملكوت الله واي مدينة
دخلتموها ولا يقبلكم اهلها اخرجوا من شوارعها وقولوا الحق ننفض لكم الغبار الذي لصق بارجلنا من مدينتكم لكن اعلموا ان ملكوت
الله قد قربت اقول لكم ان سدوم في ذلك اليوم لها راحة اكثر من تلك المدينة الويل لك يا كورزين والويل لك يا بيت صيدا
لانه لو كان في صور وصيدا القوات التي كن فيكن جلسوا وتابوا بالمسوح والرماد واما صور وصيدا فلهما راحة في الدينونة اكثر منكم
وانت يا كفرناحوم لو انك ارتفعت الى السما سوف تهبطين الى الجحيم من سمع منكم فقد سمع مني ومن جحدكم فقد جحدني ومن جحدني
فقد جحد الذي ارسلني فرجع السبعون بفرح قايلين يا رب الشياطين باسمك تخضع لنا يا رب فقال لهم قد رايت الشيطان سقط
من السما مثل البرق وهو ذا قد اعطيتكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شي لكن لا تفرحون لهذا
ان الارواح تخضع لكم افرحوا لان اسماكم مكتوبة في السموات وفي تلك الساعة تهلل يسوع بالروح والتفت الى تلاميذه خاصة وقال
طوبى للاعين التي ترى ما رايتم اقول لكم ان انبيا كثيرة وملوكا اشتهوا ان ينظروا ما نظرتم فلم ينظروا ويسمعوا ما سمعتم فلم يسمعوا
وفي انجيل متى بعد ما ادعى اليهود صلبه انه ظهر للتلاميذ الاحد عشر اي وهم من تقدم غير يهوذا الاسخريوطي الذي اسلمه في الجليل

في الجبل الذي امرهم به يشوع وكلمهم قايلا اعطيت كل سلطان في السما وعلى الارض فاذهبوا الان وتلمذوا كل الامم وفي اخر انجيل مرقس انه ظهر لهم وهم مجتمعون وكانوا في تلك الايام يبكون وينوحون فبكتهم لقلة ايمانهم وقسوة قلوبهم وقال لهم امضوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل في الخليقة كلها فمن امن واعتمد خلص ومن لم يومن يدان وهذه الايات تتبع المومنين يخرجون الشياطين ويتكلمون بالسنة جديدة ويحملون بايديهم الحيات وان شربوا السم القاتل فلا يضرهم ويضعون ايديهم على المرضى فيبراون ومن بعد ما كلمهم يشوع ارتفع الى السما فخرج اوليك يكرزون في كل مكان وفي انجيل لوقا فلما خرجوا كانوا يطوفون في القرى ويبشرون ويشفون في كل موضع وفي اخره بعد ان ذكر قيامه للاحد عشر وكلاما كانوا يتحدثون فيه بعد ادعا اليهود صلبه وفيما هم يتكلمون وقف يشوع في وسطهم وقال لهم السلام لكم انا هو لا تخافوا فاضطربوا وظنوا انهم ينظرون روحا فقال لهم ما بالكم تضطربون ولم تاتي الافكار في قلوبكم انظروا يدي ورجلي فاني انا هو جسوني وانظروا ان الروح ليس له لحم ولا عظم كما ترون انه لي ولما قال هذا اراهم يديه ورجليه واذ هم غير مصدقين من الفرح قال لهم اعندكم ههنا ما يوكل فاعطوه جزا من حوت مشوي ومن شهد عسل فاخذ قدامهم واكل واخذ الباقي واعطاهم وقال لهم هذا الكلام الذي كلمتكم به اذ كنت معكم وانه سوف يكمل كل شي هو مكتوب في ناموس موسى والانبيا والمزامير لاجلي وحينيذ فتح اذهانهم ليفهموا وقال لهم اجلسوا انتم في المدينة يروشليم حتى تلبسوا القوة من العلا ثم اخرجهم خارجا الى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم وكان فيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد الى السما اما هم فرجعوا الى يروشليم بفرح عظيم وكانوا في كل حين يسبحون ويباركون الله انتهى ما نقلته من الاناجيل وما كان فيه من لفظ يوهم نقصا فقد تقدم في اول ال عمران انه لا يجوز في شرعنا اطلاقه على الله تعالى وان كان صح اطلاقه في شرعهم فهو موول وقد نسخ وقال الامام محيي السنة البغوي في تفسير ال عمران فيما نقله عن وهب فلما كان بعد سبعة ايام اي من مراد اليهود لصلبه قال الله تعالى لعيسى عليه السلام اهبط على مريم المجدلانية في جبلها فانه لم يبك عليك احد بكاها ولم يحزن احد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله تعالى فاهبطه الله عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة ثم رفعه الله اليه وتلك الليلة هي التي يدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى عليه السلام اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين هذا ما ذكر من شان رسل عيسى عليه السلام انهم كانوا دعاة واما رسل النبي صلى الله عليه وسلم فانما كانوا مبلغين لكتبه صلى الله عليه وسلم لمن قبل ذلك كان حظه من الله ومن ابى كان جوابه السيف الا من حقن دمه بالجزية كما ذكرته مستوفى في شرحي لنظمي للسيرة وهو مذكور في فتوح البلاد ولما بعث صلى الله عليه وسلم رسله اتخذ لاجل مكاتبة الملوك الخاتم ثم اخرج ابو يعلى في مسنده عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى وقيصر وفي رواية واكيدر دومة والى كل جبار يدعوهم الى الله واخرج الشيخان في صحيحيهما وهذا لفظ مسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه قال لما اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب الى الروم وفي رواية الى العجم قالوا انهم لا يقراون كتابا الا مختوما فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة كاني انظر الى بياضه في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم نقشه محمد رسول الله فبعث دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه الى قيصر ملك الروم وامره ان يوصل الكتاب الى عظيم بصرى ليوصله اليه فعظم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وقبله وقراه ووضعه على وسادة وعلم صدقه صلى الله عليه وسلم وانه سيغلب على ملكه فجمع الروم وامرهم بالاسلام فابوا فخافهم فقال انما اردت ان اجربكم ثم لم يقدر الله له الاسلام فازال الله حكمه عن الشام وكثير من الروم على يدي ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ثم عن كثير من الروم ايضا على يد من بعدهم ومكن بها الاسلام لكن اثابه الله على تعظيم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بان ابقى ملكه في اطراف بلاده الى الان وبلغني ان الكتاب محفوظ عندهم الى هذا الزمان وبعث شجاع بن وهب الاسدي رضي الله عنه الى الحرث بن ابي شمر الغساني وقال القضاعي المنذر بن ابي شمر عامل قيصر على تخوم الشام ثم الى جبلة بن الايهم الغساني فاما الحرث او المنذر فغضب من الكتاب وهم بالمسير الى النبي صلى الله عليه وسلم ليقاتله فنهاه عن ذلك قيصر فاكرم شجاعا ورده واسلم حاجبه مري الرومي مما عرف من صفة النبي صلى الله عليه وسلم في الانجيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم باد ملك الحرث وفاز مري فما لبث الحرث حتى مات وولي بعده في مكانه جبلة بن الايهم الغساني وهو اخر ملوك غسان على نواحي الشام فوفد اليه النبي صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب رضي الله عنه فرد على النبي صلى الله عليه وسلم ردا جميلا ولم يسلم واستمر يتربص حتى اسلم في خلافة عمر رضي الله عنه لما راى من ظهور نور الاسلام وخمود نار الشرك ثم ارتد ولحق ببلاد الروم في لطمة اراد ان يقتص منه فيها فسبحان الفعال لما يشا وبعث عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه الى كسرى ملك الفرس وامره ان يدفع الكتاب الى عظيم البحرين ليوصله اليه فلما راى ان النبي صلى الله عليه وسلم بدا باسمه الشريف مزق الكتاب قبل ان يعلم ما فيه ورجع عبد الله فلما سكن غضب الخبيث التمسه فلم يجده فبعث في طلبه فسبق الطلب فلما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن تمزيق الكتاب دعا على كسرى ان يمزق كل ممزق فاستجاب الله دعوته فتشتت شملهم وقطع وصلهم على يد ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم قتل يزدجرد اخر ملوكهم في خلافة عثمان رضي الله عنه فاصبح ملك الاكاسرة كامس الدابر وعم بلادهم الاسلام وظهرت بها كلمة الايمان بل تجاوز الاسلام ملكهم الى ما ورا النهر والى بلاد الخطا وبعث حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه الى المقوقس صاحب مصر والاسكندرية فعلم من صدق النبي صلى الله عليه وسلم ما علم قيصر من الانجيل فاكرم الرسول واهدى للنبي صلى الله عليه وسلم ورد ردا جميلا ولم يسلم فاباد الله ملكه على يد عمرو بن العاصي امير عمر رضي الله عنهما وبعث عمرو بن امية الضمري رضي الله عنه الى النجاشي فامن رضي الله عنه وقال اشهد انه للنبي الامي الذي ينتظره اهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل عليهم السلام وان العيان ليس باشفى من الخبر واهدى للنبي صلى الله عليه وسلم هدايا كثيرة وارسل ابنه باسلامه في ستين من الحبشة وقال في كتابه واني لا املك الا نفسي ومن امن بك من قومي وان احببت ان اتيك يا رسول الله

فعلت فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر وبعث العلا بن الحضرمي رضي الله عنه الى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين والى سيبخت مرزبان هجر بكتاب يدعوهما فيه الى الاسلام او الجزية وارض البحرين من بلاد العرب لكن كان الفرس قد غلبوا عليها وبها خلق كثير من عبد القيس وبكر بن وايل وتميم فاسلم المنذر وسيبخت وجميع من هناك من العرب وبعض العجم فاقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على عملهم وبعث سليط بن عمرو العامري رضي الله عنه الى هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة وكان عاملا لقيصر على قومه فقرا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ورد ردا دون رد فصادف ان قدم عليه راهب من دمشق فاخبره انه لم يجب الى الاسلام فقال لم قال ضننت بملكي قال الراهب لو تبعته لاقرك والخير لك في اتباعه فانه النبي الذي بشر به عيسى عليه السلام قال هوذة للراهب فانك لا تتبعه فقال اجد في جسده ولعه الخمر فبعث هوذة كتابا وبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم بهدية ومكانة ذلك وشعر به قومه فاتوه فتهددوه فرد الرسول واستمر على نصرانيته فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع اليه سليط باد هوذة وباد ما في يده فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من فتح مكة جاءه جبريل عليه السلام بان هوذة مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما ان اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبا يقتل بعدي فكان كذلك كما هو مشهور من امر مسيلمة الكذاب وبعث المهاجر بن ابي امية المخزومي رضي الله عنه الى الحرث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن فلما بلغه رسالة النبي صلى الله عليه وسلم قال الحرث قد كان هذا النبي عرض نفسه علي فخطئت عنه وكان ذخرا لمن صار اليه وسانظر وتباطا به الحال الى ان اسلم عند رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك سنة الوفود وكاتب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وبعث عمرو بن العاصي رضي الله عنه الى جيفر وعبد ابني الجلندي الازديين ملكي عمان فتوقفا واضطرب رايهما ثم عزم الله لهما على الرشد فقال جيفر انه والله قد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شر الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر وانه يوفي بالعهد وينجز الوعد ولا يزال يطلع على سر قوم يساوي فيه اهله واني اشهد انه رسول الله واسلم اخوه ايضا وكتبا الى النبي صلى الله عليه وسلم باسلامهما فقال خيرا واثنى خيرا وكان في سير هولا الرسل لغيري غير ما ذكرنا احاديث عجايب واقاصيص غرايب من دلايل النبوة واعلام الرسالة خشيت من ذكرها الاطالة وان تمل وان لم تكن فيها ما يقتضي ملالة فقد شفيت في شرحي لنظمي للسيرة باستيفايها الغليل في ترتيب جميل ونظم اسلوبه لغيري جليل هولا رسل البشر واما الرسل من الجن فروى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن قال كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومهم قال الهيثمي في سنده النضر ابو عمر وهو متروك ويويد عموم هذه الاية في نبينا عليه السلام قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا واذا تاملت سياق الايات التي بعدها مع اخر السورة التي قبلها قطعت بذلك لتنذر من كان حيا انما تنذر من اتبع الذكر اذ هم من جملة العالمين وممن بلغه القران وممن هو حي وممن اتبع الذكر والخطاب بالانذار وارد مورد التغليب ذا الانس والجن اهل له فانتفى ما يقال ان الملايكة في غاية الخوف من الله مع عصمتهم فليسوا ممن يخوف ويزيد ذلك وضوحا قوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ولا انذار اعظم من ذلك وان عيسى عليه السلام من هذه الامة وممن شملته الايات الدالة على عموم الرسالة بغير شك وان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي اخرجه الامام احمد والدارمي والبيهقي في الشعب عن جابر رضي الله عنه ومذهب اهل السنة ان رسل البشر افضل من رسل الملايكة وقد نبهت رسالته الى الافضل المعصوم بالفعل كعيسى وبالتعليق بالحياة لموسى عليه السلام وقد اخذ الله سبحانه ميثاق النبيين كلهم عليهم السلام ان ادركوه ليومنن به وقد خوطب النبي صلى الله عليه وسلم وهو اشرف الخلق والمكلم بالانذار في غير اية فيما اول به ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم قيل مثله في حقهم عليهم السلام وما يرفع النزاع ويدفع تعلل المتعلل بالاية نذار قوله تعالى لتنذر به وذكرى للمومنين بحذف مفعول تنذر دال على عموم رسالته وتعليق الذكرى بالمومنين مدخل لهم بلا ريب لانهم من رووسهم عليهم السلام وقوله تعالى لتبشر به المتقين الى غيرها من الايات فيكون عموم رسالته لهم زيادة شرف له وهو واضح وزيادة شرف لهم تحمل انفسهم على طاعته والتعبد بما جاء لهم من اعمال ملته طاعة لله تعالى زيادة في اجورهم ورفعة درجاتهم وذلك مثل ما قال ابو حيان في قوله تعالى اتبع ما اوحي اليك ولكن من الشاكرين ان في الامر له بذلك مزيد تاكيد وحصول اجر بالامتثال وقال القاضي عياض في الفصل السابع من الباب الاول من القسم الاول من الشفا في قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب الاية قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليومنن به ويعضد ذلك ما قال في الباب الاول منه وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة المذكورة في قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين شي قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثنا الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروى مسلم في كتاب الصلاة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وحمل من حمل الخلق على الناس للرواية التي فيها الى الناس تحكم بل العكس اولى لمطابقة الايات وقد خرج من هذا العموم من لا يعقل بالدليل العقلي فبقي غيرهم داخلا في اللفظ لا يحل لاحد ان يخرج منه احدا منهم الا بنص صريح ودلالة قاطعة ترفع النزاع وقال عياض في الباب الثالث من القسم الاول وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم الاذان فذكر المعراج وسماع الاذان من ورا الحجاب ثم قال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام باهل السما فيهم

ادم ونوح انتهى وروى عبد الرزاق عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل بارض في تحانت الصلاة فليتوضا فان لم يجد ما فليتيمم فان اقام صلى معه ملكا وان اذن واقام صلى الله خلفه من جنود الله ما لا يرى طرفاه قال المنذري الفي بكسر القاف وتشديد الياء هي الارض القفر وروى مالك والستة الا الترمذي وابو يعلى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا امين وفي رواية اذا امن الامام فامنوا فانه من وافق تامينه تامين الملائكة وفي رواية من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وفي رواية في الصحيح اذا قال احدكم في الصلاة امين وقالت الملائكة في السماء امين فوافقت احداهما الاخرى غفر له ما تقدم له من ذنبه وفي رواية لابي يعلى اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الذين خلفه امين التقت من اهل السماء واهل الارض غفر للعبد ما تقدم من ذنبه وللشيخين عن ابي هريرة ايضا رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا لك الحمد فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وفي رواية فاذا وافق قول اهل السماء قول اهل الارض غفر له ما تقدم من ذنبه في اشكال ذلك مما يوذن بايتمام الملائكة بائمتنا وذلك ظاهر في التعبد بشرعنا وروى احمد وابو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وجزم ابن معين والذهلي بصحته عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وان الصف الاول على مثل صف الملائكة وادل من جميع ما مضى ما روى مالك والشيخان وابو داود وابن خزيمة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر وفي رواية فاذا قعد الامام طويت الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر فان تركهم لكتابة الناس واقبالهم على الاستماع دليل واضح على الايتمام بما رواه الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة ايضا رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت لكن قال الحليمي في الرابع من شعب الايمان في الجواب عما اورد على قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله من ان التخصيص بالانس والجن يمنع قدرة الملائكة على المعارضة ما نصه واما الملائكة فلم يتحدوا عن ذلك لان الرسالة اذا لم تكن اليهم لم يكن القرآن حجة عليهم فسواء اكانوا قادرين على مثله او عاجزين وهم عندنا عاجزون وقال في الخامس عشر في انه من انواع تعظيمه الصلاة عليه فامر الله عباده ان يصلوا عليه ويسلموا وقدم قبل ذلك اخبارهم بان ملائكته يصلون عليه لينبههم بذلك على ما في الصلاة عليه من الفضل ان كانت الملائكة مع انفكاكهم عن شريعته تتقرب الى الله تعالى بالصلاة والتسليم عليه ليعلموا انهم بالصلاة والتسليم عليه اولى واحق هذا نصه في الموضعين ولم يذكر لذلك دليلا ونسب الجلال المحلي في شرح جمع الجوامع مثل ذلك الى البيهقي في الشعب فانه قال وصرح الحليمي والبيهقي في الباب الرابع من شعب الايمان بانه عليه افضل الصلاة والسلام لم يرسل الى الملائكة وفي الباب الخامس عشر بانفكاكهم من شرعه قال وفي تفسيري الامام الرازي والبرهان النسفي حكاية الاجماع في تفسير الاية الثانية اي ليكون للعالمين نذيرا انه لم يكن رسولا اليهم انتهى وهو شهادة نفي كما ترى لا ينهض بما ذكرته من النصوص على ان الحليمي لم يقل بذلك الا لقوله بان الملائكة افضل من الانبياء كما نقل عن الامام فخر الدين في كتاب الاربعين والشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد وغيرهما ولم يوافقه على ذلك احد من اهل السنة الا القاضي ابو بكر الباقلاني لكنه لم يوافق على الاصل لا يوافق على الفرع واما البيهقي فانما نقله عن الحليمي وسكوته عليه لا يوجب القطع برضاه قال الزركشي في شرح جمع الجوامع وهي مسئلة وقع النزاع فيها بين فقيهين مصري فاضل درس عندهم وقال لهم الملائكة ما دخلت في دعوته فقاموا عليه وقد ذكر الامام فخر الدين في تفسير سورة الفرقان الدخول محتجا بقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا والملائكة داخلون في هذا العموم انتهى وهذا يقدح فيما نقل عنه من نقل الاجماع وعلى تقدير صحته ففيه امور اما اولا فالاجماع لا يرجع فيه الا الى اهل الاطلاع على المنقولات من حفاظ الاثار رواة اقوال السلف واما ثانيا فانه نقل يحتمل التصحيح والتضعيف لانه يتطرقه احتمال ان يكون نقل عمن لا يعتد به ويكون اخذه عن احد مذاكرة واحسن الظن به واحصل له سهو ونحو ذلك فلا توثق الا بعد معرفة المنقول عنه وسند النقل والاعتضاد بما يوجب الثقة ليقاوم هذه الظواهر الكثيرة واما ثالثا فانه سيأتي عن الامام تقي الدين السبكي ان بعض المفسرين قال بالارسال الى الملائكة وقال الامام ولي الله ابو زرعة احمد بن الحافظ زين الدين العراقي في شرح جمع الجوامع واما كونه مبعوثا الى الخلق اجمعين فالمراد المكلف منهم وهذا يتناول الانس والجن والملائكة فاما الاولان فبالاجماع واما الملائكة فمحل خلاف فاين هذا على تقدير صحة هذا النقل واني ادعي ذلك بحرفا في راجعت تفسير الامام للاية المذكورة فلم اجد فيه نقل الاجماع وانما قال ثم قالوا هذه الاية تدل على احكام الاول ان العالم كل ما سوى الله فيتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة لكنا بينا انه عليه السلام لم يكن رسولا الى الملائكة فوجب ان يبقى كونه رسولا الى الجن والانس جميعا ويبطل قول من قال انه كان رسولا الى البعض دون البعض الثاني ان لفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات فتدل الاية على انه رسول الى المكلفين الى يوم القيمة فوجب ان يكون خاتم الانبياء والرسل هذا اللفظ في اكثر النسخ وفي بعضها لكنا اجمعنا بدل بينا وهي غير صريحة في اجماع الامة كما ترى ولم يعين الموضع الذي احال عليه في النسخ الاخرى فليطلب من مظانه ويتامل واما النسفي فمختصر له والله الموفق ثم رايت في خطبة كتاب الاصابة في اسماء الصحابة لشيخنا حافظ عصره ابي الفضل بن حجر في تعريف الصحابي وقد نقل الامام فخر الدين في اسرار التنزيل الاجماع على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن مرسلا الى الملائكة ونوزع في هذا النقل بل رجح الشيخ تقي الدين السبكي انه كان مرسلا اليهم واحتج باشياء يطول شرحها انتهى والعجب من الرازي في نقل هذا الذي لم يوجد لغيره مع انه قال في اسرار التنزيل في اواخر الفصل الثاني من الباب الثالث في الاستدلال بالخلق الادمي على وجود الخالق الوجه الرابع

ابي

اني في تكريم بني ادم انه جعل اباهم رسولا الى الملائكة حيث قال انبئهم باسمائهم وقد تقرر ان كل كرامة كانت لنبي من الانبيا فلنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها او اعظم منها وقال في تفسيره الكبير في وعلم ادم الاسماء لا يبعد ايضا ان يكون مبعوثا الى من توجه التحدي اليهم من الملائكة لان جميعهم وان كانوا رسلا فقد يجوز الارسال الى الرسول كبعثة ابرهيم الى لوط عليهما السلام انتهى خبير بامر عيسى عليه السلام بعد نزوله من السما والحاصل ان رسالته صلى الله عليه وسلم اليهم صلوات الله عليهم رتبة فاضلة ودرجة عالية كاملة جائزة لا يقتضيه منصبه مطابقة لما ورد من القواطع بعموم رسالته وشمول دعوته وقد دلت على حيازته لها ظواهر الكتاب والسنة مع انه لا يلزم من اثباتها له اشكال في الدين ولا محذور في الاعتقاد فليس لنا التجرؤ على نفيها الا بقاطع كما قال امامنا الشافعي رحمه الله في كتاب الرسالة في اية الانعام قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الاية قال فاحتملت معنيين احدهما ان لا يحرم على طاعم يطعمه ابدا الا ما استثنى الله عز وجل وهذا المعنى الذي اذا وجه رجل مخاطبا به كان الذي يسبق اليه انه لا يحرم غير ما سمى الله عز وجل محرما وما كان هكذا فهو الذي يقول له اظهر المعاني واعمها واغلبها لو احتملت الاية معاني سواه كان هو المعنى الذي يلزم اهل العلم القول به الا ان تاتي سنة النبي صلى الله عليه وسلم باني هو واي تدل على معنى غيره مما تحتمله الاية فنقول هذا معنى ما اراد الله عز وجل ولا يقال بخاص في كتاب الله ولا سنة الا بدلالة فيهما او في واحد ولا يقال بخاص حتى تكون الاية تحتمل ان يكون اريد بها ذلك الخاص فاما ما لم تكن تحتمله فلا يقال فيها بما لا تحتمل الاية انتهى وشرحه الامام ابو محمد بن حزم في المحلى فقال ولا يحل لاحد ان يقول في اية او خبر هذا منصوص او مخصوص في بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ولا ان لهذا النص تاويلا غير مقتضى ظاهر لفظه ولا ان هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده الا بنص اخر وارد بان هذا النص كما ذكر او باجماع متيقن بانه كما ذكر او بضرورة حس موجبة انه كما ذكر برهانه وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وقال فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة ومن ادعى ان المراد بالنص بعض ما يقتضيه في اللغة العربية لا كل ما يقتضيه فقد اسقط بيان النص واسقط وجوب الطاعة له بدعواه الكاذبة وليس بعض ما يقتضيه النص باولى بالاقتصار عليه من سائر ما يقتضيه انتهى وقال اهل الاصول ان الظاهر ما دل على المعنى دلالة ظنية اي راجحة والتاويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فان حمل لدليل فصحيح او لما يظن دليلا وليس في الواقع بدليل ففاسد او لا لشيء فلعب لا تاويل

قال الامام الغزالي في كتاب المحبة من الاحيا في الكلام على ان رؤية الله تعالى في الاخرة هل هي بالعين او القلب والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة من شواهد الشرع ان ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة في الشرع يجري على ظاهره اذ لا يجوز ازالة الظواهر الا لضرورة انتهى وقال الامام تقي الدين السبكي في جواب السؤال عن الرسالة الى الجن الذي تقدم في اول الكلام على هذه الاية اي رايته بخطه الاية العاشرة ليكون للعالمين نذيرا قال المفسرون كلهم في تفسيرها الجن والانس وقال بعضهم والملائكة الثانية عشرة وما ارسلناك الا كافة للناس قال المفسرون معناه الا ارسالا عاما لجميع الناس اي ليس بخاص ببعض الناس فمقصود الاية نفي الخصوص واثبات العموم ولا مفهوم لها فيما وراء الناس بل قوتها في العموم تقتضي عدم الخصوصية فيهم وحينئذ يشمل الجن ولو كان مقصود الاية حصر رسالته في الناس لقال وما ارسلناك الا الى الناس فان كلمة الا تدخل على ما يقصد الحصر فيه فلما ادخلها على كافة دل على انه المقصود بالحصر وبقي قوله للناس لا مفهوم له اما اولا فلانه مفهوم لقب واما ثانيا فلانه لم يقصد بالكلام واما ثالثا فلانه قد قيل ان الناس يشمل الانس والجن اي على القول بانه مشتق من النوس وهو التحرك وهو على هذا شامل للملائكة ايضا وممن صرح من اهل اللغة بان الناس يكون من الانس ومن الجن الامام ابو ابرهيم اسحق بن ابرهيم الفارابي في كتابه ديوان الادب قال الرابعة عشرة ان هو الا ذكر للعالمين الثالثة عشرة انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب ونحوها كقوله لتنذر من كان حيا وكذا قوله هدى للمتقين واما السنة فاحاديث الاول حديث مسلم عن ابي هريرة وارسلت الى الخلق كافة الى الخلق عام يشمل الجن بلا شك ولا يرد على هذا انه ورد في روايات هذا الحديث من طرق اخرى في صحيح البخاري وغيره الناس موضع الخلق لانا نقول ذلك من رواية جابر وهذا من رواية ابي هريرة فلعلهما حديثان وفي رواية الخلق زيادة معنى على الناس فيجب الاخذ بها ولا تعارض بينهما ثم يجوز ان يكون من روى الناس روى بالمعنى فلم يوف به قال وهذا الحديث يؤيد قول من قال انه مرسل الى الملائكة ولا يستنكر هذا فقد يكون ليلة الاسرا سمع من الله كلاما فبلغه لهم في السما او لبعضهم وبذلك يصح انه مرسل اليهم ولا يلزم من كونه مرسلا اليهم من حيث الجملة ان يلزمهم جميع الفروع التي تضمنتها شريعته فقد يكون مرسلا اليهم في بعض الاحكام او في بعض الاشيا التي ليست باحكام او يكون يحصل لهم بسماع القرآن زيادة ايمان ولهذا جاء في من قرا سورة الكهف فنزلت عليه مثل الظلة ثم قال في اثنا كلام بخلاف الملائكة لا يلتزم ان هذه التكاليف كلها ثابتة في حقهم اذا قيل بعموم الرسالة لهم بل يحتمل ذلك ويحتمل في شي خاص كما اشرنا اليه فيما قيل انتهى قلت ولا ينكر اختصاص الاحكام ببعض المرسل اليهم دون بعض في شرع واحد كما في الاحرار والعبيد والنسا والرجال والحطابين والرعاة في بعض اعمال الحج وغير ذلك مما يكثر تعداده والله الموفق ومن تجرا على نفي الرسالة اليهم من اهل زماننا بغير نص صريح يضطره اليه كان ضعيف العقد مضطرب الايمان متزلزل اليقين سقيم الدين ولو كان حاكيا لما قيل على وجه الرضى به فما كل ما يعلم يقال وكفى بالمرا اثما ان يحدث بكل ما سمع ولعمري ان الامر لعلى ما قال صاحب البردة وتلقته الامة بالقبول وطرب عليه في المحافل والجموع دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت ولما اثبت شهادة الله تعالى له بالتصديق بانه محقق وكان ذلك ربما اوهم ان غير الله تعالى لا يعرف ذلك لا سيما وقد ادعى كفار قريش انهم

وبل

سبحانه وتعالى واحكم

انهم سالوا اهل الكتابين فادعوا انهم لا يعرفونه اتبعه بقوله على طريق الاستيناف الذين اتيناهم مما لنا من العظمة من اليهود والنصارى الكتاب اى الجامع لخير الدنيا والاخرة وهو التوراة والانجيل يعرفونه اى الحق الذى كذبتم به لما جاءكم وحصل النزاع بينى وبينكم فيه لما عندهم فى كتابهم من وصفه الذى لا يشكون فيه ولما هم بمثله اسوة مما اتيت به من المعجزات ولما فى هذا القران من التصديق لكتابهم والكشف لما اخفوا من اخبارهم والاساليب التى لا يرتابون فى انها خارجة من مشكاة كتابهم مع زيادتها بالاعجاز فهم يعرفون هذا الحق كما يعرفون ابناءهم اى من بين الصبيان بحلاهم ونعوتهم معرفة لا يشكون فيها وقد وضعتموهم موضع الوثوق وانزلتموهم منزلة الحكم بسؤالكم لهم غير مرة وقد امن جماعة منهم وشهدوا الى ما لكم لا انتم بعوائد لقد ابان الهوى والكشف عن ضلالكم الغطا ولما كان اكثرهم يخفون ذلك ولا يشهدون به قال جوابا لمن سيل عنهم الذين خسروا اى منهم ولكنه حذفها للتعميم انفسهم فهم اى بسبب ذلك لا يؤمنون اى لما سبق لهم من القضا بالشقا الذى خسروا به انفسهم بالعدول عما دعت اليه الفطرة السليمة والفكرة المستقيمة ومن خسر نفسه فهو لا يؤمن فكيف يشهد فقد بينت هذه الجملة ان من لم يشهد منهم فهو فى الحقيقة ميت وموات لان من فاتت نفسه كذلك بل هو اشقى منه فلعماد ادام ذلك الشقا الى ان حرفوا كتابهم واخفوا كثيرا مما يشهد لى بالنبوة فكانوا اظلم الخلق بالكذب فى كتاب الله والتكذيب لرسل الله ولما كان التقدير خسروا انفسهم لانهم ظلموا بكتمان الشهادة فكان الظلم سبب خسرانهم فمن اظلم منهم عطف عليه ما يوذن بانهم بدلوا كتابهم ونسبوا اليه ما ليس فيه فقال واضعا للظاهر موضع ضميرهم لذلك ومن اظلم ممن افترى اى تعمد على الله كذبا كهؤلاء الذين حرفوا كتابهم ونسبوا الى الله ما لم يقله زيادة كتبوها بايديهم لا اصل لها اضلالا منهم لعباده او كذب باياته اى الاتى بها الرسل كالقران وغيره من المعجزات كالمشركين لا احد اظلم منهم فهم لا يفلحون انه لا يفلح الظالمون اى فكيف بالاظلمين ولما كان معنى هذا انهم اكذب الناس دل عليه بكذبهم يوم الحشر بعد انكشاف الغطا فقال ويوم اى اذكر كذبهم على الله وتكذيبهم له فى هذه الدار واذكر اعجب من ذلك وهو كذبهم فى عالم الشهادة عند كشف الغطا وارتفاع الحجب يوم نحشرهم اى نجمعهم بما لنا من العظمة وهم كارهون صاغرون جميعا اهل الكتاب والمشركين وغيرهم ومعبوداتهم واشار الى عظمة ذلك اليوم وطوله ومشقته وهوله بقوله باداة التراخى ثم نقول اى بما لنا من العظمة التى انكشفت لهم اسنادها وبدت لهم جنودها واعوادها توبيخا وتنديما للذين اشركوا اى سموا شيا من دوننا الها وعبدوه بالفعل من الاصنام او عزير او المسيح او الظلمة او النور او غير ذلك او بالرضى بالشرك فان الرضى بالشى يحل له لا سيما ان انضم اليه تكذيب الحق والشهادة للمبطل بان دينه خير اين شركاؤكم و اضافهم الى ضميرهم لتسميتهم لهم بذلك الذين كنتم تزعمون اى انهم شركاؤنا بالعبادة او الشهادة بما يودى اليها ادعوهم اليوم ليشفعوا لكم بما نريد من ضركم او يرفعوكم مما نريد من وضعكم وسوالهم هذا يجوز ان يكون مع غيبة الشركاء عنهم وان يكون عند احضارهم لهم فيكون الاستفهام عما كانوا يظنون من نفعهم فكان غيبته عنهم ولما كان اخبارهم بغير الواقع فى ذلك اليوم مستبعدا بعد رفع الحجاب عن الاهوال واظهار الزلازل والاوجال اشار اليه باداة البعد فقال ثم لم تكن فتنتهم اى عاقبة مخالطتنا لهم بهذا السوال وامثاله من البلايا التى من شانها ان تميل ما خالطته فتحيله لو انه حيل عن حاله بما له من قوة دعو وذلوا له الا كذبهم فى ذلك الجمع وهو معنى قوله الا ان قالوا اثباتا منهم بتمام عرفهم على وصفه من وصف الكذب والله فذكروا الاسم الاعظم الذى تندك لعظمته الجبال الشم وتنطق بامره الاحجار الصم الجامع لجميع معانى الاسماء الحسنى التى ظهر لهم كثير منها فى ذلك اليوم واكدوا ذلك بذكر الوصف المذكر بتربيتهم ودوام الاحسان اليهم فقالوا ربنا فلم ينفعوا التجرد للكذب حتى اقسموا ولا التجرد للقسم حتى ذكروا الاسم الجامع والوصف المحسن ما كنا مشركين اى ان تكذيبهم لك اوصلهم الى حد يكذبون فيه فى ذلك اليوم بعد كشف الغطا طمعا بما لا ينفعهم كما ترى الحاير لما هو فيه فى الدنيا يفعل فعل ذلك فهموا باياس من فلاح الجميع المشركين واهل الكتاب ويكون المعنى تندما لهم وتاسيفا انه لم يكن عاقبة كفرهم الذى افتتنوا به فى لزومهم والافتخار به والقتال عليه لكونه دين الابا الا جحوده والبراءة منه والحلف على الانتفا من التدين به والمعنى على قراءة النصب والرفع فى فتنة على جعلها خبرا او اسما واحد لمعنى قراءة النصب لم يكن شى الا قولهم اى غير قولهم الكذب فتنتهم اى لم يكن شى فتنتهم الا هذا القول فهذا القول وحده فتنتهم فنفى عن فتنتهم وسلب عنها كل شى غير قولهم هذا فالفتنة مقصورة على قولهم الكذب والكذب قد يكون ثابتا لغيرها اى انهم يكذبون من غير فتنة بل فى حال الرخا وهذا بعينه معنى قراءة ابن كثير وابن عامر وحفص برفع فتنة اى لم تكن فتنتهم شيا غير كذبهم فقد نفيت فتنتهم عن كل شى غير الكذب فانحصرت فيه ويجوز ان يكون ثابتا فى حال غيرها على ما مر وهذا التقرير تخليص عزيز الوجود دقيق المسلك يا لى ان شا الله تعالى عنده وما كان ضلالهم عند البعث الا مكانى الانتقال ما ينفع هنا من اجمعه ولما كان هذا من اعجب العجب اشار اليه بقوله انظر وبالاستفهام فى قوله كيف كذبوا وبالاشارة الى انهم تعلوه مع علمهم بما انكشف لهم من العظمة انه لا يجديهم بقوله على انفسهم وهو نحو قوله فيحلفون له كما يحلفون لكم الاية ولما كان قولهم هذا مرشدا الى ان شركاهم غابوا عنهم فلم ينفعوهم بنافعة وكان الاعلام بغيوبة ما الخصم مقبل عليه فرج يرسار الخصم جالبا للغمة صرح به فى قوله وضل اى غاب عنهم اما حقيقة او مجازا او وهما بالنظر الى وقتين ليكون انكا ما كانوا يفترون اى يتعمدون الكذب فى ادعا شركته عنادا لما على ضده من الدلايل الواضحة ولما علم ان هذه الايات قد ترابطت حتى كانها كانت اية واحدة وختم بان مضمون قوله فقد كذبوا بالحق لما جاءهم الاية نقد صار وصفا لهم ثابتا حتى ظهر فى يوم الجمع فسم الموسومين بما كانت تلك الاية سببا له وهو الاعراض عن الايات

المذكر

المذكور فى قوله الا كانوا عنها معرضين فكان كانه قيل فمنهم من اعرض بكليته فعطف عليه قوله ومنهم من يستمع اليك اى يصغى بجهده كما فى السيرة عن ابى جهل بن هشام وابى سفين بن حرب والاخنس بن شريق ان كلا منهم جلس عند بيت النبى صلى الله عليه وسلم فى الليل يستمع القران لا يعلم احد منهم بمجلس صاحبه فلما طلع الفجر افترقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقالوا لو راكم ضعفاؤكم لسارعوا اليه وتعاهدوا على ان لا يعودوا ثم عادوا تمام ثلاث ليال ثم سال الاخنس ابا سفين عما سمع فقال سمعت اشيا عرفتها وعرفت المراد منها واشيا لم اعرفها ولم اعرف المراد منها فقال وانا كذلك ثم سال ابا جهل فاجاب بما يعرف منه انه علم صدقه وترك تصديقه حسدا وعنادا وذلك هو المراد من قوله وجعلنا اى والحال انا قد جعلنا على قلوبهم اكنة اى اغطية جمع كنان اى غطا ان اى كراهة ان يفقهوه اى القران وفى اذانهم وقرا اى ثقلا يمنع من سمعه حق السمع لانه يمنع من وعيه الذى هو غاية السماع فهم لا يؤمنون بما يسمع منك لذلك ولما ذكر ما يتعلق بالسمع ذكر ما يظهر للعين معبرا بما يعم السمع وغيره من اسباب العلم فقال وان يروا اى بالبصر او البصيرة كل اية اى من اياتنا سواه لا يؤمنوا بها اى لما عندهم من العناد والنجوه فى تقليد الابا والاجداد حتى كانت غايتهم فى هذا الطبع على قلوبهم انهم مع عدم فقههم اذا جاءوك يجادلونك اى بالفعل او بالقوة والغاية داخلة فكانه قيل تعجبا ماذا يقولون فى جدالهم فقال مظهرا للوصف الذى اداهم الى ذلك يقول الذين كفروا اى غطوا ما هو ظاهر لعقولهم وهو معنى الطبع ان اى ما هذا اى الذى وصل الينا الا اساطير جمع سطور واسطر وجمع سطر وهى ايضا جمع اسطار واسطير بكسرهما واسطورة بالها فى الكل الاولين وقد قال ذلك النضر بن الحرث فصدق قوله اخبار هذه الاية وهم حال من فاعل يسمع اى يستمعون اليك والحال انهم ينهون عنه اى عن الاستماع او عن اتباع القران وينأون اى يبعدون عنه اى كما وقع لابى جهل وصاحبيه فى المعاهدة على ترك المعاودة للسماع وما يتبعه وان اى وما يهلكون اى بعبادتهم ومكابدتهم الا انفسهم اى وما هم بضارينك ولا بضار احد من اتباعك فيما يقدح فى المقصود من رسالتك من اظهار الدين ومحو الشرك واذلال المفسدين وما يشعرون اى وما لهم نوع شعور بما يوديهم اليه الحال بل هم كالبهايم بل هى اصلح حالا منهم ولما جعل عدم ايمانهم بشى من الايات موصلا لهم الى غاية من الجهل عظيمة موئسة من ادعانهم فى هذه الدار وهى مجادلتهم له صلى الله عليه وسلم وختم الاية بما رايت من عظم التهديد استشرفت النفس الى معرفة حالهم عند ردهم الى الله تعالى والكشف لهم عما هددوا به فاعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان حالهم اذ ذاك الايمان حيث يسر غاية السر ويقصد بقهم له وتمنيهم متابعته لما يركبهم من الذل ويحيط بهم من الصغار ولا يزيدهم ذلك الا ضرارا وغما وندما وحسرة فكانه قيل فلو رايت حالهم عند كشف الغطا وهول المطلع لرايتهم يؤمنون ولو ترى اذ اى حين وقفوا اى فى الحشر وبنى للمجهول لان المنكى الايقاف لا كونه من معين على النار اى عندها ليدخلوها مشرفين على كل ما بها من انواع النكال وذلك اعظم فى النكاية او على الجسر وهو الصراط وهى تحتهم او عرفوا حقيقتها ومقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا عرفته اياه فقالوا تمنيا للمحال يا ليتنا نرد اى الى الدنيا ولما كان التقدير بشهادة قراءة من نصب الفعلين جوابا للتمنى واحدهما فتطبع عطف على الجملة قوله ولا اى والحال انا لا او ونحن لا نكذب ان رددنا بايات ربنا اى المحسن الينا ونكون من المؤمنين اى الراسخين فى الايمان والتقدير عند ابن عامر فى نصب الثالث ليتنا نرد ليتنا لا نكذب فنسعد وان نكون وعلى قراءة حمزة والكسائى وحفص بنصب الفعلين ليتنا نرد فنسعد وان لا نكذب وان نكون والمعنى لو رايت بقاءهم ووقوفهم فى ذلك الذل والانكسار والخزى والعار وسوالهم وجوابهم لرايت مراها بلا فظيعا ومنظرا كريها شنيعا ولكنه حذف تفخيما له لتذهب النفس فيه كل مذهب وجاز حذفه للعلم به فى الجملة ولما اخبروا فى قراءة الرفع عن انفسهم بما تمنوا لاجله الرد وتضمنت قراءة النصب الوعد فانه كما لو قال قايل ليت الله يرزقنى مالا فاكافيك على صنيعك فانه يخل الى ان رزقنى الله مالا كافاتك فصار لذلك مما يقبل التكذيب ضرب سبحانه تكذيبا لهم بقوله بل اى ليس الامر كما قالوا الان هذا التمنى ليس عن حقيقة ثابتة فى انفسهم من محبة مضمونه وثمرته بل بدا اى ظهر لهم من العذاب الذى لا طاقة لهم به ما كانوا يخفون اى من احوال الاخرة ومن انهم على باطل ولما كان اخفاوهم ذلك فى بعض الزمان قال من قبل اى يدعون انه خفى بلا حقيقة له ويسترون ما تنبه به الرسل من دلايله بما يلبسون من الشبه عنادا منهم مع انه واضح من شمس النهار فلذلك تمنوا ما ذكروا ولو ردوا اى الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه اى من الكفر والقبائح التى كانوا عليها وستر ما اتضح لعقولهم من الدلايل وانهم لكاذبون اى فيما اخبروا به عن انفسهم من مضمون تمنيهم انهم يفعلون لو ردوا واكد طبعهم على الكفر بقوله عطفا على قوله لعادوا وقالوا اى بعد الرد ما كانوا يقولونه قبل الموت فى انكار البعث ان هى اى ما هذه الحياة التى نحن ملابسوها الا حياتنا الدنيا اى التى كنا عليها قبل ذلك وما نحن واغرقوا فى النفى فقالوا بمبعوثين اى بعد ان نموت وما دوننا لما رايناه قبل هذا من البعث لا صحة لا حقيقة له ولم ينفعهم مشاهدة البعث بل صرهم هذا احتمل وظاهره ولكن الانسب لسياق الايات قبل وبعد ان يكون هذا حكاية لقولهم له صلى الله عليه وسلم فى هذه الدار عطفا على قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك على الوجه الاول وقوله ولو ترى متصل بذلك اى قالوا هذا القول لما اخبرتهم بالبعث فكيف ذلك من قولهم والحال انك لو رايت اعترافهم برافاسالهم خالقهم لتشركى ذلك من قولهم وما يؤول اليه امرهم وعبر بالمضارع تصويرا لحالهم ذلك وقوله اذ وقفوا على ربهم مجازا عن الحبس فى مقام من مقامات الجلال

بما اقتضاه اضافة الرب اليهم اى الذى طال احسانه اليهم وحلمه عليهم فاظهر لهم ما اظهر فى ذلك المقام من تبكيتهم وتوبيخهم وتقريعهم
واطلعهم بما تقتضيه اداة الاستعلاء على ما له من صفات العظمة من الكبرياء والانتقام فى التربية اذ لم يشكروا احسانه فى تربيتهم
وسياق الاية يقتضى ان يكون الجواب لو رايتهم قد منعتهم الهيبة وعدم الناصر وشدة الوجل من الكلام فكان سائلا قال الما ذا
يرشد الى ذلك حتى كانه مشاهد فهل يكلمهم الله بما يشعر به التعبير بوصف الربوبية قيل نعم لكن كلام انكار واخزاء اذ قال قال اليس
هذا اى الذى اتاكم به رسولى من امر البعث وغيره مما ترونه الان من دلائل كبريائى بالحق اى الامر الثابت الكامل فى الحقيقة الذى لا خيال فيه ولا سحر
قالوا اى جزعا لهيبتهم عليه فكان ما اراد بلى وزادوا على ما امروا به فى الدنيا القسم فقالوا وربنا اى الذى احسن الينا بانواع الاحسان وكان
كلامهم هذا منزل على حالات تنكشف لهم فيها امور بعد اخرى كل امر اهول مما قبله ويوم القيمة كما قال ابن عباس رضى الله عنهما
ذو الوان تارة لا يكلمهم الله وتارة يكلمهم فيكذبون وتارة يسألهم عن شئ فيشكرون فتشهد جوارحهم وتارة يصدقون لهذا الموقف
ويحلفون على الصدق ولما اقروا فهموا بعد كشف الغطاء وفوات الايمان بالغيب بما كانوا يكذبون تسبب عن اقرارهم قوله اى
مستانفا قال اى الله مسببا عن اعترافهم حيث لا ينفع وتركهم له فى الدنيا حيث كان ينفع فذوقوا العذاب اى الذى كنتم به توعدون
بما كنتم تكفرون اى بسبب دوامكم على ستر ما دلتكم عليه عقولكم من صدق رسولكم ولا شك ان الكلام وان كان على هذه الصورة
فيه نوع احسان لانه اهون من التعذيب مع الاعراض فى مقام اخسئوا فيها ولا تكلمون ولذا كان ذلك اخر المقامات ولما انتج هذا
ما تقدم الاخبار به عن خسرانهم لانفسهم فى القيمة توقع السامع ذكره فقال تحقيقا لذلك وزاده الجمل فانه من ذوق العذاب
قد خسر واظهر موضع الاضمار تعميما وتنبيها على ما اوجب لهم ذلك فقال الذين كذبوا بلقاء الله اى الملك الاعلى الذى له الامر كله
ولا امر لاحد معه خسروا كل شئ يمكن احرازه من الثواب العظيم واستمر تكذيبهم حتى اذا جاءتهم الساعة اى الحقيقة وكذا الموت
الذى هو مبداها فان من مات قامت ساعته وحذرهم منها بقوله بغتة اى باغتة او ذات بغتة او بغتتهم باتيانها على حين غفلة
لا يمكن ان يشعروا بحين الوقت الذى يجئ فيه نوعا من الشعور قالوا يا حسرتنا اى تعالى احضرى يا ايها الحسرة اللائقة بنا فى هذا
المقام فانه لا نديم لنا سواك وهو كناية عن عظمة الحسرة وتنبيه عليه ليتحامى الاحسان عن اسبابها على ما فرطنا اى قصرنا فيها
اى بسبب الساعة فيما سبقنا ما يسعد فيها من تهذيب الاخلاق المهيئة للسياق بترك اتباع الرسل وذلك ان الله خلق المكلف وبعث
له النفس الناطقة القدسية منزلا لها الى العالم السفلى وافاض عليه نعما ظاهرة وهى الحواس الظاهرة المدركة والاعضاء والالات
الجسمانية ونعما باطنة وهى العقل والفكر وغيرهما ليتوسل باستعمال هذه القوى والالات الى تحصيل المعارف الحقيقية
والاخلاق الفاضلة التى تعظم منافعها بعد الموت وبعث الانبياء عليهم السلام للهداية واظهر عليهم المعجزات ليصدقوا فاعرضوا
عما دعوا اليه من تزكية النفس واقبلوا على استعمال الالات والقوى فى اللذات والشهوات الفانية فعاينت الالات البدنية
التى هى راس المال وما ظنوه من اللذات التى عدوها ارباحا فات فقدوا الزاد ولم يهيئوا النفوس للاهتداء فكان راس المال
ولا ربح فصاروا الى غاية الانقطاع والعذاب والخسران اعظم من هذا ولما كان هذا امرا مقطعا زاد فى تعظيمه بالاخبار فى جملة
حالية بشدة تعبهم فى ذلك الموقف ووهن ظهورهم بذنوبهم حتى كان عليهم احمالا ثقالا فقال وهم اى قالوا ذلك والحال انهم
يحملون اوزارهم اى احمال ذنوبهم التى من شانها ان تثقل وحقق الامر وصوره بقوله على ظهورهم اعتبارا الحمل عليها كما يقال
ثقل عليك كلام فلان ويجوز ان تجسد لهم الحسنات ثقالا يتكلفوا حملها ولما كان ذلك الحمل امرا لا يبلغ الوصف الذى تحمله
عقولنا كل حقيقة ما هو عليه من البشاعة والثقل اشار الى ذلك بقوله جامعا للذام الا ساء ما يزرون فلما تاكد امر البعث
غاية التاكيد ولم يبق فيه لذى لب وقفة صرح بما اقتضاه الحال من امر هذه الدار فقال منبها على خساستها محجبا منهم فى قوة
رغبتهم فى بقائها ولذاذتها علما بانه قد كشف الحال عن ان ما ركنوا اليه خيال وما كذبوا به حقيقة ثابتة ليس لها زوال عكس ما
كانوا يقولون وما الحياة الدنيا ولما كان السياق للخسارة وكانت اكثر ما تكون من اللعب وهو فعل ما يريد سرور النفس على وجه
غير مشروع ويسرع انقضاؤه قدمه فقال الا لعب ولهو اى للاشقياء والحياة الدنيا شر للذين يلعبون واللهو ما من شانه
ان يحب النفس كالغناء والزينة من المال والنساء على وجه لا يود فيه يكون سببا للغفلة عما ينفع تاخيره اشارة الى ان
الجهلة كلما نزعوا الى اللعب وهو الاشتغال بالامور السافلة والشواغل الباطلة بعثوا النفوس واثاروا الشهوات
بالملاهى المعنى انه تحقق من هذه الايات زوال الدنيا تحققت سرعته لان كل ات قريب حقيقة ما هى الا ساعة لعب يندم الانسان
على ما فرط فيها كما يندم اللاعب ان كان له عقل على تفويت الارباح اذا راى ما حصل ولو الجد ارباب العزائم ولما كان التعبير
بما ارشد اليه المعنى وما الدار الاخرة الا جد وحضور وبقاء للاتقياء اتبعه قوله مؤكدا وللدار الاخرة خير ولما كان لكل ما لهم الى
الاخرة خصص فقال للذين يتقون اى يوجدون التقوى وهى الخوف من الله الذى يحمل على فعل الطاعات وترك المعاصى ليكون
ذلك وقاية لهم من غضب الله فذكر حال الدنيا وحذف تخصيصها باهلها لدلالة ثمرة الاخرة عليه وحذف ذكر حال الاخرة لدلالة ذكر
حال الدنيا عليه فهو احتباك ولما كان من شان العقلاء الاقبال على الخير وترك غيره تسبب عن اقبالهم على الفانى وتركهم الباقى
قوله منكرا افلا يعقلون ولما كرر فى هذه السورة امره بعقولهم واطال فى الحث على تحاذلهم وختم بما يقتضى سلبهم العقل
مع تكرير الاخبار لان المقتضى لخسارتهم انهم لا يؤمنون لاية من الايات وكان من المعلوم انهم حال اسماعهم ما امر به لا يسكتون الا عن عزم

من

من عظيم النخوة وشماخة الكبر وقوة الجراة وانه لا جواب لهم الا السفه والبذاءة كما هو داب المعاند المغلوب وان ذلك يحزنه صلى الله
عليه وسلم لما جبل عليه من الحياء والشهامة والصيانة والنزاهة كان الحال محتاجا الى التسلية فقال تعالى قد نعلم والمراد بالمضارع
وجود العلم من غير نظر الى زمان وعدل عن الماضى لئلا يظن الاختصاص به فالمراد تحقق التجدد لتعلق العلم بتجدد الاقوال
انه ليحزنك اى يوقع على سبيل التجدد والاستمرار لك الحزن على ما فاتك من حالات الصفاء التى كدرها الذى يقولون اى
من تكذيبك فقد علمنا امتثالك لاوامرنا فى اسماعهم ما يكرهون من تنزيهنا وعلمنا ردهم عليك بما لا يرضيك وعلمنا انه
يبلغ منك فلا تحزن لان من علم ان ربه يرضى المطيع له ويجزى عاصيه وهو عالم بما ينال المطيع فى طاعته لا ينبغى ان يحزن بل
يسر وهو كقوله تعالى فى سورة يس فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ولا شك ان الحزن عند وقوع ما يسوء
من طبع البشر الذى لا يقدر على الانفكاك عنه فالنهى عنه فالمنهى عنه انما هو غير ما يتشاعه من الاسترسال المودى الى الجزع
المودى الى عدم الصبر ونسيان ما يعزى فهو من النهى عن السبب للمبالغة فى النهى عن المسبب وما اشبه ذكر ما يحزن بعد
تقدير ان الدنيا الا لاهلها لعب ولهو وان الاخرة خير للمتقين ومن المعلوم انهما ضدان فلا ينال احدهما الا بضد ما للاخر
فلا ينال الاخرة الا بضد ما لاهل الدنيا من اللعب واللهو وذلك هو الحزن الناشئ عن التقوى الحامل عليها الخوف كما
روى فى حديث قدسى انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلى ولما اخبره سبحانه بعلمه بذلك سبب عنه قوله فانهم اى فلا يحزنك ذلك
فانهم لا يكذبونك بل انت عندهم الامين وليكن علمنا بما تلقى منهم سببا لزوال حزنك وكذا اخبارنا لك بعد تكذيبهم لك
بل انت عندهم فى نفس الامر امين غير متهم ولكنهم لشدة عنادهم ووقوفهم مع الحظوظ وعجزهم عن جواب ما يرد عليهم ويشق
عليهم ينكرون ايات الله مع علمهم بحقيقتها فليخفف حزنك لنفسك ما انهم تكره من حرمتهم من رسلك والاية من الاحتباك
حذف من الجملة الاولى اظهار الشرف النبى صلى الله عليه وسلم اولا معه سبب الحزن وهو التكذيب لدلالة الثانية عليه ومن الثانية
النهى عن المسبب لدلالة الاولى عليه روى الطبرى فى تفسيره عن السدى انه لما كان يوم بدر قال الاخنس بن شريق لبنى زهرة
ان محمدا ابن اختكم وانتم احق من كف عنه فانه ان كان نبيا لم تقاتلوه وان كان كاذبا كنتم احق من كف عن ابن اخته قفوا ههنا حتى
القى ابا الحكم فان غلب محمد رجعتم سالمين وان غلب محمد فان قومكم لن يصنعوا بكم شيئا فيومئذ سمى الاخنس وكان اسمه ابى
فالتقى الاخنس وابو جهل فخلا الاخنس به فقال يا ابا الحكم اخبرنى عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا من قريش
احد غيرى وغيرك يسمع كلامنا فقال ابو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهبت بنو قصى باللواء
والحجابة والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وعن ناجية قال قال ابو جهل للنبى صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولكن
نتهم الذى جئت به فانزل الله الاية وعلى ذلك يدل قوله ولكن وقال الظالمين فى موضع الضمير تعميما وتعليقا للحكم به
بالوصف اى الذين كانوا فى مثل الظلام بايات الله اى بسبب ايات الله اى الملك الاكبر الذى له الكمال كله يجحدون قال ابو على القالى رسى
فى اول كتاب الحجة اى يجحدون ما عرفوه من صدقك وامانتك وعلق بالجر بالظالمين كما هى فى قوله واتينا ثمود الناقة مبصرة
فظلموا بها ونحوها وقال ابن القطاع فى كتاب الافعال جحد الشئ جحدا وجحودا انكره وهو عالم به هذا قصدهم غير انه لا طريق
لهم الى انكار الايات الا بالتكذيب وما يؤول اليه وانت تعلم ان الذى ارسلك على كل شئ قدير وهو القاهر فوق عباده وهو
الحكيم الخبير فاقتضت قدرته وقهره وانتصاره لاهل ولايته وحبره ان يحل باعدائهم سطوة تجل عن الوصف واقتضت
حكمته عدم المعاجلة بها تشريفا لك وتكثيرا لامتك ولما سلاه بوعده النصرة المسببة عن علم المرسل القادر وبان تكذيبهم
انما هو له سبحانه وهو مع ذلك يصبر عليهم ويحلم عنهم بل ويحسن اليهم بالرزق والمنافع زاده بان ذلك سنته فى اخوانه
من الرسل فقال ولقد ولما كان المنكى هو التكذيب لا كونه من معين بنى للمفعول قوله كذبت رسل ولما كان تكذيبهم لم يستغرق
الزمان وكان الاشتراك فى شئ يهونه وكلما قرب الزمن كان اجدر بذلك ادخل الجار فقال من قبلك بان جحد قومهم ما يعرفون
من صدقهم وامانتهم كما فعل بك فصبروا اى فتسبب عن تكذيب قومهم لهم انهم صبروا على ما كذبوا واوذوا اى فاصبر والله
ايضا على ما اوذوا اشار الى الوعد بالنصر بشرط الصبر فقال حتى اى واستمر صبرهم حتى اتاهم نصرنا اى فليكن لك بهم
اسوة وبهم سلوة فاصبر حتى ياتيك النصر كما اتاهم فقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وفى قولنا
فان حزب الله هم الغالبون ولا مبدل لكلمات الله اى لان له جميع العظمة فلا كفو له ولما دل سبحانه على صعوبة مقام الصبر جدا بالتا كد
فقال ولقد جاءك ودل على عظيم ما تحملوا بقوله من نبأ المرسلين اى خبرهم العظيم فى صبرهم واحتمالهم وطاعتهم وامتثالهم
ورفقهم بمن ارسلوا اليهم ونصرنا لهم على من بغى عليهم ونجيناهم تقدم اجمالا وتفصيلا اما اجمالا ففى مثل قوله وكاين من نبى
قتل معه ربيون كثير افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم واما تفصيلا ففى ذكر موسى وعيسى وغيرهما وفى قوله فصبروا ادل دليل
على ما تقدم من ان النهى عن الحزن نهى عن تابعه المودى الى عدم الصبر والتعبير بمن التبعيضية تهويل لما لقوا فهو ابلغ فى التعزية
ولما سلاه بما هو فى غاية الكفاية فى التسلية اخبره بانه لا حيلة له غير الصبر فقال عاطفا على ما تقديره فتحمل واصبر كما
صبروا وليصغر عندك كل ما تلاقى منهم فى جنب الله وان كان كبر اى عظم جدا عليك اعراضهم اى عما اتيتهم به من الايات الذى
قدمنا الاخبار عنه بقولنا وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين واردت ان تنتقل فى اجابتك بانه

لا ينفعهم الا الايات المقترحات من علم اليقين الى عين اليقين فان استطعت ان تبتغي اي تطلب بجهدك وغاية طاقتك نفقا اي منفذا
في الارض تنفذ فيه الى ما عساك تقدر على الاتيان اليه او سلما في السماء اي جهة العلو لترتقي فيه الى ما تقدر عليه فتاتيهم باية اي مما
اقترحوه عليك فافعل لتشاهد انهم لا يزدادون عند اتيانك بها الا اعراضا كما اخبرناك لان الله قد شاء ضلال بعضهم والمراد
بهذا بيان شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم بانه لو قدر على ان يتكلف النزول الى تحت الارض وفوق السماء فياتيهم بما يؤمنون
به لفعل ولما كان هذا السياق ربما اوهم شيئا في القدرة نفاه ارشادا الى تقدير ما قدرته فقال ولو شاء الله اي الذي له العظمة
الباهرة والقدرة الكاملة القاهرة لجمعهم على الهدى اي لان قدرته شاملة وايمانهم في حد ذاته ممكن ولكنه قد شاء افتراقهم باضلال
بعضهم ولما كان صلى الله عليه وسلم بعد اعلام الله له بما اعلم من حكمه بان الايات لا تنفع من حتم بكفره حريصا على اجابتهم الى ما يقترحون
رجاء جمعهم على الهدى لما طبع عليه من مزيد الشفقة على البعيد فضلا عن القريب مع ما اوصاه الله به ليلة الاسراء من غير واسطة
كما افاده الحرالي من ادامة الشفقة على عباده والرحمة لهم والاحسان اليهم واللين لهم وادخال السرور عليهم فتظافر على ذلك
الطبع والايصاء حتى كان لا يكف عنه الاباء من جازم وعمى موكل صادم سبب عن ذلك قوله فلا تكونن فاكد الكلام سبحانه ليعلم صلى الله
عليه وسلم انه قد ختم بافتراقهم فيسكن الى ويخالف ما جبل عليه من شدة الشفقة عليهم من الجاهلين اي انك اعلم الناس مطلقا
وذلك الفراسة التامة والبصر النافذ والفكرة الصافية بمن لم تعاشرهم فكيف بمن بلوتهم ناشئا وكهلا ويافعا فلا تعمل بحمة ما اوصاك
الله به من الصبر والصفح وجبلتك عليه من الاناة والحلم في ابتغاء ايمانهم بخلاف ما تعلم من خسرانهم فلا تقطع نفسك فيما لا مطمع فيه
فان ما شاء لا يكون غيره فهذه الاية وامثالها مما في ظاهره غلظة من الدلالة على عظيم رتبته صلى الله عليه وسلم ومن لطيف مداح
القران له كما نبين ان شاء الله في سورة التوبة عن قوله تعالى عفا الله عنك ولما افهم هذا النفي الحتم انه قد صار حالهم حال من
صم بالموت فلا يمكن اسماعهم الا الله ولا يمكن ان يستجيب عادة قال انما يستجيب اي في مجاري عاداتكم الذين يسمعون اي فيهم
قابلية السمع لانهم احياء فيتدبرون حينئذ ما يلقى اليهم فينتفعون به وهؤلاء قد ساووا الموتى في عدم قابلية السماع لختمنا
على مشاعرهم والموتى اي كلهم حسا ومعنى يبعثهم الله اي الملك المحيط علما وقدرة فهو قادر على بعثهم بافاضة الايمان على الكافر
واعادة الروح الى الهالك فيسمعون حينئذ فالاية من الاحتباك حذف من الاول الحياة لدلالة الموتى عليها ومن الثاني السماع
لدلالة يسمعون عليه ولما قرر ان من لا يؤمن كالميت حثا على الايمان وترغيبا فيه وقرر قدرته على البعث خوف من سطواته بقوله
ثم اليه اي وحده يرجعون اي معنى في الدنيا فانه قادر على كل ما يشاء منهم لا يخرج شي من احوالهم عن مراده اصلا وحسا بعد الموت
فيساقون فيه الى موقف يفصل فيه بين كل مظلوم وظالمه ولما سلاه صلى الله عليه وسلم فيما احزنه من اقوالهم بما شرح له
صدره وسر خاطره واعلمه تخفيفا عليه ان امرهم انما هو بيده ذكر بعض كلامهم الايل الى التكذيب عقب اخباره بالحشر الذي
يجازي فيه كلا بما يفعل فقال عطفا على قوله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا او قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك تعجيبا منهم تعجيبا
اخر وقالوا اي مغالطة او عنادا او مكابرة لولا اي هلا نزل اي بالتدريج عليه اي خاصة اية اي واحدة تكون ثابتة بالتدريج
لا تنقطع وهذا منهم اشارة الى انهم لا يعدون القران اية ولا شيئا مما راوه منه صلى الله عليه وسلم من غير ذلك نحو انشقاق القمر
من ربه اي المحسن اليه على حسب ما يدعيه ليستدل بها على ما يقول من التوحيد والبعث ولما كان في هذا كما تقدم اشارة منهم له
الى انه لم يات باية على هذه الصفة اما مكابرة واما مغالطة امره بالجواب بقوله قل ان الله اي الذي له جميع الامر قادر على ان
واشار بتشديد الفعل الى اية القران المكررة عليهم كل حين تدعوهم الى المبارزة وتتحداهم بالمغالبة والمعاجزة فقال
ينزل وقراءة ابن كثير بالتخفيف مشيرة الى انهم بلغوا في الوقاحة الغاية وانهم لو قالوا لولا انزل اي مرة واحدة لكان اخف
في الوقاحة والى انه ان اراد انزل عليهم اية كانت فتلجئهم الى الايمان وتضطرهم اليه في آن واحد كما قال تعالى ان نشا ننزل عليهم
من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين ولكنه لا يشاء ذلك الا بالتدريج كما تشير اليه صيغة التفعيل في قراءة غيره المذكرة
بان اية القران لا تنقضي بل كلما سمعها احد منهم او من غيرهم طول الدهر كانت منزلة عليه لكونها واصلة اليه فهو ابلغ من مطلوبهم
اية تنزل عليه واحدة والحاصل انهم طلبوا اية باقية تخصه فلوح لهم الى انها مع كونها خاصة به فيما حصل له من الشرف عامة
لكل من بلغته باقية طول المدى اية اي مما اقترحوه ومن غيره لا يعجزه شي وفي كل شي له من الايات ما يعجز الوصف وكفى بالقران
العظيم مثالا لذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ليس فيهم قابلية العلم فهم لا يتفكرون في شي من ذلك الذي يجدونه من مصنوعاته
ليدلهم على انه على كل شي قدير فلا فائدة لهم في انزال ما طلبوه واما غير الاكثر فهو سبحانه يردهم باية القران او غيرها مما لم يقترحوه
ولما عجب منهم في قولهم هذا الذي يقتضي انهم لم يروا الاية قط بعد ما جاءهم من الايات الخاصة به ما ملا الاقطار ورد الى الصم له
الاسماع والى من العمي الابصار ذكرهم باية غير اية القران تشتمل على ايات مستكثرة كافية اصلاحهم ربما كان سبحانه قبل سؤالهم له
تفضلا منه عليهم دالة على باهر قدرته على البعث وغيره من الايات التي طلبوها وغيرها وعلى تفرده بجميع الامر اذا تاملوها
حق تاملها كفتهم في جميع ما يراد منهم فقال تعالى وما اي قالوا ذلك والحال انه ما وهي ناظرة الى قوله هو الذي خلقكم من طين
اي فعل ذلك بكم وما من دابة في الارض اي تدب اي تنتقل برجل او بغير رجل ولا طائر يطير وقرر الحقيقة بقوله بجناحيه وشمل
ذلك جميع الحيوان حتى ما في البحر لان سيرها في الماء اما ان يكون دبيبا او طيرانا مجازا ولما كان المراد بالدابة والطائر الاستغراق قال

امم اي يقصد كل منها في نفسه ويقصد هو نوعه وينضم الى شكله امثالكم اي في ذلك وفي انا خلقناهم ولم يكونوا شيئا وحفظنا
جميع احوالهم وقدرنا كل ارزاقهم واجالهم وجعلنا لكم فيهم احكاما حددناها لكم وجعلنا لكل منهم اجلا للموت لا يتعداه
بعد ان فاوتنا بينهم في الحياة وللكل اجل في علمنا في البرزخ ثابت قبل ان نخلقهم لا ينقص ذرة ولا يزيد خردلة وجعلنا في
هذه الحيوانات ما هو اقوى منكم وما هو اضعف وجعلناكم اقوى من الجميع بالعقل ولو شئنا لجمعنا له بين قوة البدن والعقل
وربما سلطنا الاضعف عليكم كالجراد والفار والدود بما يعجز عنه عقولكم ولو شئنا لسلطنا عليكم من اضعفها خلقا
البعوض ما اخذ انفاسكم ومنعكم القرار واخرجكم عن حركات الاختيار الى ان اهلككم جميعا هلاك نفس واحدة الى غير ذلك
من امور تكل عنها العقول وتقف دونها نوافذ الفكر وهذا كله معنى قوله ما فرطنا اي تركنا واغفلنا لما لنا من القدرة الكاملة
والعلم الشامل في الكتاب اي اللوح المحفوظ والقران واغرق في النفي بقوله من شيء اي ليذهب ذكره كما يذهب العقد الذي
ينقطع سلكه فينفرط بل ذكرنا جميع احوال خلقنا من الجن والانس والملائكة وغيرهم من كل ناطق وصامت فصار في غاية
الضبط حتى ان الحفظة يعرضون ما يحدث من عمل المكلفين وغيره اخر النهار على ما كان مثبتا في ام الكتاب فيجدونه كما هو
لا يزيد شيئا ولا ينقص فيزدادون ايمانا واثبتنا في هذا القران مجامع الامور فهو تبيان لكل شي من الاحكام الاصلية والفرعية
والدلالات على كل شي واخبار الاولين والاخرين وكل علم يمكن ان يحتاج المخلوق لمن اراد الهداية هداه بدقيق اسراره
ومن اعرض او قعد في الوادي وعمي عن واضح انواره والاية كما قال تعالى ان في خلق السموات والارض الى ان قال وبث فيها من كل
دابة لايات لقوم يعقلون وفي كل شي له اية تدل على انه واحد فلا يكون لكم في ذلك ايات تغنيكم عن ارسال الرسل فضلا
عن ان تتوقفوا بعد ارسالهم ولا ترضوا منهم من خوارق العادات الا بما تقترحونه ولما اشار الى ما شارك فيه سائر الحيوان الادمي
من احوال الحياة وغيرها نص على الشرح الذي هو محط الحكمة فقال ثم اي بعد طول الحياة والاقامة في البرزخ الى ربهم اي خاصة وبني
للمفعول على طريق كلام القادر من قوله يحشرون اي يجمعون كرها بعد ان يعيدهم كلهم كما بداهم وينصف كل مظلوم منهم من ظالمه
كل ذلك عليه هين ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والكل محفوظون في كتاب مبين على اختلاف انواعهم وتباين حقائقهم
واشخاصهم وزيادتهم في الحد عن ان يوجه نحوهم العد سبحان من احاط بكل شي علما واحصى كل شي عددا ان ذلك على الله يسير وهو
على كل شي قدير ولما كان التقدير بعد التذكير بهذه الاية التي تنوعت فيها الايات وتكررت وتكثرت فيها الدلالات فالذين امنوا
احياء سامعون لاقوالنا ناطقون بمحامدنا راوون لافعالنا عطف عليه قوله والذين كذبوا اي اوقعوا التكذيب باياتنا
اي على ما لها من العظمة المقتضية لاضافتها الينا مرئية كانت ومسموعة تكذيبا متكررا على عدد الايات بالفعل او بالقوة
ولو بالاعراض عنها صم اي اموات فهم لا يسمعون وبكم لا ينطقون في الظلمات اي عمي لا يبصرون فلذلك لا يزالون خابطين
خبط العشواء عن غاية السعي الى الوادي لان ذلك شان من في الظلمة فكيف بمن هو في جميع الظلمات ولعله جمعها اشارة الى ان
المكذب لا ينتفع ببصر ولا ببصيرة وذلك انهم لما لم ينتفعوا بحياتهم ولا باسماعهم ولا نطقهم ولا ابصارهم ولا عقولهم كان كل ذلك
منهم عدما ولما بين ان الاصم الابكم الاعمى لا يمكن هدايته بين ان ذلك انما هو بالنسبة لغيره سبحانه قطعا عن طلب اجابتهم الى ما
يقترحون من الايات واما هو سبحانه ففعال لما يريد فقال في جواب من كانه قال ما تمكن هدايته من يشا الله اي الذي له الامر كله ولا
امر لاحد معه اضلاله يضلله ومن يشا هدايته يجعله واشار الى تمكينه باداة الاستعلاء فقال على صراط مستقيم بان يخلق
الهداية في قلبه ومن يهدي الله فما له من مضل ومن يضلل الله فما له من هاد مع ان الكل عباده وخلقه منقلبون في نعمه غادون
رائحون في بره وكرمه ان في ذلك على وحدانيته وتمام قدرته لايات بينات لقوم يعقلون ولما كانت هذه الاية بما فيها من
التصريح بالتكذيب شديدة الاعتناق لقوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقوله فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم
انبا الايتين رجع بالذي بعدها الى مثلها التفاصيل الماضية وواسطة عقدها وفريدة ردها وهو التوحيد الذي بانتهاء
الادلة تتلو الايتين فقال دالا على اعتقادهم القدرة التي استلزم تعنتهم بطلب الاية نفيها واعتقادهم للتوحيد في الجملة
وهم يكذبون به بيانا لانهم في الظلمات مقهورون بيد المشية بعدم تحاشيهم من التناقض معجبا منهم قل ارايتكم اي اخبروا
يا من كذب بالايات والقدرة عنادا او شهد ان مع الله الهة اخرى وعدل بالله الذي يعلم السر والجهر وهو معكم من يدعوه في كل
سما وكل ارض بجنانه ونصره ولما كانت حقيقة ارايتكم هل رايتم انفسكم وكان هذا الكون سوالا عن معلوم لا يجهله احد مشيرا
الى ان السوال عن غيره مما تخفى من احوال النفس كانه قيل عن اي احوال نفوسنا نسال فقيل تنبيها لهم على حالة تلزمهم
بالتوحيد او العناد الذي يصير في العلم به كالسوال عن رؤية النفس سوا ان اتاكم اي قبل مجيء الساعة كما اتى
من قبلكم عذاب الله اي المستجمع لمجامع العظمة فلا يقدر احد على كشف ما ياتي به او اتتكم الساعة اي القيمة بما فيها من الاهوال
ولما عجب منهم بما مضى كما مضى قال متجها للشرط موبخا منكرا عليهم عدم استمرارهم على دعائه ولزوم سواله ونداء يرجوه
ان يكون جواب الشرط محذوفا تقديره من تدعون ثم زادهم توبيخا وتبكيتا بقوله اغير الله اي الملك الذي له العظمة كلها تدعون
اي لشدة من تلك الشدائد ولا تدعون الله مع ذلك الغير ان كنتم صادقين اي في ان غير الله يغني شيئا حتى يستحق الالهية وجواب
الشرط محذوف تقديره فافهموا ذلك الغير وهذه حجة لا يسعهم معها غير التسليم فان عادتهم كانت مستمرة انهم اذا

إذا اشتد الأمر وضاق الخناق لا يدعون غير الله ولا يوجهون الهمم إلا إليه فإن سلكوا سبيل الصدق الذي لا يتخالجون فيه ويتناجزون
فقالوا لا ندعو غيره فقد لزمتهم الحجة في أنه لا يعدل به شيء ولا شريك له وإن عاندوا أنطق لسان الحال أنهم على محض الضلال وإن
سكتوا ثبت عليك الحساب وهي مع ذلك كما ترى دليل على ما أخبرت به الآية قبلها من أن الأمر كله لله أي إنكم كلكم مشتركون في
وضوح الأمر في أنه لا متصرف إلا الله ومع ذلك فتراكم تصدق بعض وكذب آخرون فلو أن الأمر موقوف على وضوح الدلالة فقط كان الكل
على نهج واحد هذا ونقل أبو حيان عن الفراء أنه قال للعرب في أرأيت لغتان ومعنيان أحدهما أن يسأل الرجل أرأيت زيدا أي بعينك
فهذه مهموزة وثانيهما أن تقول أرأيت وأنت تريد أخبرني فههنا تترك الهمزة إن شئت وهو أكثر كلام العرب وتومي إلى ترك
الهمزة للفرق بين المعنيين قال أبو حيان وكون أرأيت وأرأيتك بمعنى أخبرني نص عليه سيبويه وغيره من أئمة العربية وهو تفسير
معنى لا تفسير إعراب لأن أخبرني يتعدى بعن وأرأيت يتعدى للمفعول به صريح وإلى جملة استفهامية هي في موضع المفعول الثاني وقال
في سورة يس عليه السلام تقدم في سورة الأنعام أن العرب تضمن أرأيت معنى أخبرني وأنها تتعدى إذ ذاك إلى مفعولين وأن المفعول
الثاني أكثر ما يكون جملة استفهام ينعقد منها ومما قبلها مبتدأ وخبر تقول العرب أرأيت زيدا ما صنع المعنى أخبرني عن زيد ما صنع
وقبل دخول أرأيت كان الكلام زيد ما صنع انتهى قلت وحقيقة المعنى كما مر هل رأيت زيدا ولما استعمل عن رؤيته والمراد الخبر
لا البصر علم أن السؤال عن بعض أحواله فكأنه قيل ما له فقيل ما صنع ولما كان استفهام الإنكار بمعنى النفي كأنه قيل لا تدعون غيره
نعطف عليه قوله بل إياه أي خاصة تدعون أي حينئذ ولما كان يتسبب عن دعائهم تارة الإجابة وأخرى غيرها قال فيكشف
أي الله في الدنيا وفي الآخرة فإنه لا يجب عليه شيء ولا يقبح منه شيء ما تدعون إليه أي إلى كشفه إن شاء أي ذلك تفضلا عليكم كما هي عادته
معكم في وقت شدائدكم ولكنه لا يشاء كشفه في الآخرة لأنه لا يبدل القول لديه وإن كان له أن يفعل ما يشاء ولو كان يجيبكم في الدنيا إذا
دعوتموه تارة ويجيبكم أخرى ومع ذلك فلا تردكم عدم إجابته عن اعتقاد قدرته ودوام الإقبال عليه في مثل تلك الحال لما ركز في
العقول السليمة والفطر الأولى من أنه الفاعل المختار وعلى ذلك دل قوله عطفا على تدعون وتنسون أي تتركون في تلك الأوقات
دائما ما تشركون أي من معبوداتكم الباطلة لعلمكم أنها لا تغني شيئا كما هي عادتكم دائما في أوقات الشدائد رجوعا إلى حال الاستقامة
أفلا يكون لكم هذا زاجرا عن الشرك في وقت الرخاء خوفا من إعادة الضراء ولما أقام لهم بهذه الآية على توحيده الدليل حتى استنار
السبيل في تذكيرهم أن التضرع قد يكشف به البلاء أخبرهم أن تركه يوجب الشقاء ترغيبا في أداء أمره وترهيبا في مجانبته فقال مخاطبا
ولقد أرسلنا أي بما لنا من العظمة إلى أمم أي أناس يؤم بعضهم بعضا وهم أهل لأن يقصدهم الناس لما لهم من الكثرة والعظمة ولما
كان المراد بعض الأمم وهم الذين زاد الله اشتهارهم وفضل أخبارهم أدخل الجار فقال من قبلك أي رسلنا فخالفوهم وحسن هذا الحذف
كونه مفهوما فأخذناهم أي فكان إرسالنا إليهم سببا لأن أخذناهم بعظمتنا ليرجعوا عما زين لهم الشيطان إلى ما تدعوهم إليه الرسل
بالبأساء من تسليط القتل عليهم والضراء بتسليط الفقر والأوجاع لعلهم يتضرعون أي ليكون حالهم حال من يرجى خضوعه
وتذلله على وجه بليغ بما يرشد إليه مع صيغة التفعل الإظهار لأن مقصودها الاستدلال على التوحيد وعند الكشف للأصول
ينبغي الإلحاح في العبادة بخلاف ما في الأعراف ولما لم يقع منهم ما أوجبته الحال رجاء تسبب عنه الإنكار عليهم فقال معبرا بأداة
التحضيض ليفيد مع النفي أنهم ما كان لهم عذر في ترك التضرع فلولا أي فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولما كان معنى الإنكار أنهم
ما تضرعوا قال ولكن قست قلوبهم أي فلم يذكروا ربهم أصلا وزين لهم الشيطان أي بما دخل عليهم به من باب الشهوات
ما كانوا يعملون من العظائم والمناكر التي أوجبها النكس بما رد أسفل سافلين فلما نسوا ما ذكروا به أي فتسبب عن تركهم له
التذكر والأخذ بما دل به التي هي التخشع والتمسكن كما هو اللائق بهم لا سيما في تلك الحالة أنا فتحنا أي بما يليق بعظمتنا عليهم
أبواب كل شيء أي من الخيرات والأرزاق والملاذ التي كانت مغلقة عنهم ونقلناهم من الشدة إلى الرخاء وذلك استدراجا لهم ومدا
زمانهم وطولنا إبانه حتى إذا فرحوا أي تناهى بهم الفرح بما أوتوا أي معرضين عمن آتاهم هذا الرخاء بعد أن كان ابتلاهم بذلك
فعلم أنهم غاية في الغباوة لا يرتدعون بالتأديب ببساط البلاء ولا ينتفعون ببساط المنة والرخاء بل ظنوا أن البلاء عادة الزمان
والرخاء باستحقاقهم لا امتنان فعلم أن قلوبهم لا يرجى لها انتباه بحادث ولا بارد ولا رطب ولا يابس أخذناهم بعظمتنا وإنما أخذناهم
في حال الرخاء ليكون أشد لتحسرهم بغتة فلم نمكنهم من التضرع عند حقوق الأمر ولا أمهلناهم أصلا بل نزل عليهم من ثقال
العذاب وأناخ بهم من أحمال الشدائد وصروف البلايا ما أذهلهم وشغلهم عن كل شيء حتى بهتوا فإذا هم مبلسون أي م
تسبب عن ذلك البغت أن فاجأوا السكوت على ما في أنفسهم واليأس تحيرا وتخيرا واستمروا بعد أن سكتوا إلى أن همدوا
وختم وافي نفي التضرع عن المتقدمين بعد أن أثبته لمشركي هذه الأمة استعطاف لطيف وفي ذكر استدراج أولئك بالنعم
عند نسيان ما ذكروا به إلى أن أخذهم بغتة من قواصم النقم غاية التحذير ولما كان من عادة الغالب من أهل الدنيا أن يفوته
آخر الجيوش وشذاذهم لملل أصحابه من الطلب وتخوفهم من النصب والتعب وقصورهم عن الإحاطة بجميع الأرب أخبر تعالى أن أخذه
على غير ذلك وأن تناوله للآخر كتناوله للأول على حد سواء فقال مسببا عن الأخذ الموصوف مشيرا بالبناء للمفعول إلى تمام القدرة
وبالدابر إلى الاستئصال فقطع دابر أي آخر القوم الذين ظلموا أي بوضع الشيء في غير موضعه دأب الماشي في الظلام وضعوا
القسوة موضع الرقة التي تدعو إليها الشدة ووضعوا الفرح بالنعمة موضع الخشية من الرد إلى الشدة كما ظلمهم أنهم بدعاء الأصنام

وقت

وقت الرخاء وكان ذلك موضع دعائه من أفاض تلك النعم ودعوة الله وقت الشدة وكان ذلك موضع دعاء من عبدتموه وقت الرخاء
لئلا يقعوا فيما جرت عادتكم بالذم به وإذا تكون كريمة أدعى لها وإذا حاس الجيش بدعا جندب ولما كان استيصالهم من أجل
النعم على من عاداهم من الرسل عليهم السلام وأتباعهم رضي الله عنهم نبه على ذلك بالحمد مع ما يشير إليه من ظهور الاستحقاق
المطلق فقال والحمد أي فقطع أمرهم كله والحال أن الإحاطة بأوصاف الكمال لله المنعوت بنعوت الجلال والجمال رب العالمين
الموجد لهم أجمعين أي له ذلك كله بعد فناء الخلق على أي صفة كانوا من إيمان أو كفر كما كان له ذلك قبل وجودهم وعند خلقهم
على كل من حالاتهم كما أشير إليه بأول السورة فكأنه قيل الكمال لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون فقطع دابرهم والكمال له لم يتغير لأنه لا يزيده وجود موجود ولا ينقصه فقد مفقود فهو محمود في
حال الإعدام والمحق كما كان محمودا حال الإيجاد والخلق فلا تذهب نفسك عليك حسرات فإنه لا يخرج شيء من إيمانهم ولا
كفرانهم عن إرادته سبحانه فلا عليك منهم اقترحوا الآيات أو لا فإنه ليس عليك إلا البلاغ ولما قدم التنبيه بإتيان مطلق
العذاب في مطلق الأحوال وكان الإتيان بالكاف ثم مشيرا مع إفادة التأكيد إلى أن ثم نوع مهلة وأتبعه أن أخذ الأمم كان بغتة
أعقبه التنبيه بعذاب خاص تضور وشناعته بهد الأركان ويقطع الكبود ويبلي الجنان فإنه لا أشنع حالا من أصم أعمى مجنون
فقال مشيرا بإسقاط كاف الخطاب مع التعبير بالأخذ الذي عهد أنه للبطش بالسطوة والقهر إلى غاية التحذير من سرعة
الأخذ قل أرأيتم فكانت حقيقة المقترن بالكاف هل رأيتم أنفسكم وهذا هل رأيتم مطلق رؤية لما تقدمت الإشارة إليه
من الإيماء إلى طلب الإسراع بالجواب خوف المفاجأة بالعذاب وإن كان المراد في الموضعين أخبروني إن أخذ الله أي القادر
على كل شيء العالم بكل شيء سمعكم وأفرده لقلة التفاوت فيه لأنه أعظم الطرق لإدراك العقل الذي لا أعظم من المعاني وتنزيه
حتى للإنسان الواحد بالنسبة إلى الأحوال المختلفة ليكون ذلك أدل على الفعل بالاختيار وأبصاركم أي فأصمكم وأعماكم
عمى وصمما ظاهرين أو باطنين بسلب المنفعة وختم على قلوبكم فجعلها لا تعي أصلا أو لا تنتفع بالوعي من إله أي معبود حق لأن له
إحاطة العلم والقدرة ثم وصف هذا الخبر بقوله غير الله أي الذي له جميع العظمة يأتيكم به أي بذلك الذي هو أشرف معاني أشرف
أعضائكم أو بشيء منه ولما بلغت هذه الآيات من الإبلاغ في البيان في وحدانيته وبطلان كل معبود سواه أعلى المقامات
نبه على ذلك بالأمر بالنظر فيها وفي حالهم بعدها دالا على ما قدم من أن المقترحات لا تنفع من أراد الله سبحانه شقاوته فقال
انظر كيف نصرف بما لنا من العظمة الآيات أي نوجهها لهم ولغيرهم في كل وجه من وجوه البيان بالغ من الإحسان ما يأخذ
بالعقول ويدهش الألباب ويكون كافيا في الإيصال إلى المطلوب ولما كان الإعراض عن مثل هذا في غاية البعد عبر بأداة
التراخي فقال ثم هم أي بعد هذا البيان بصميم ضمائرهم يصدفون أي يعرضون إعراضا لازما لهم لزوم الصدف ولما بين أن
الأخذ بالبغت تارة صريحا وتارة إشارة بإسقاط الكاف كان ربما وقع في وهم السؤال عن حالة الجهر أتبع ذلك ذكره
مفصلا لما أجمل من الأحوال في الآيتين قبل فقال قل أرأيتكم ولما كان المعنى أخبروني وكان كأنه قيل عما ذا قيل إن أتاكم عذاب الله
أي الذي له جميع صفات الكمال فلا يعجزه شيء بغتة أي بحيث لا ترى الأسباب من غير أن يشعر به ويظهر شيء من أماراته أو جهرة
أي بحيث تروه مقبلا إليكم مقدما عليكم هل ولما كان المخوف بالذات هو الهلاك من غير نظر إلى تعيين الفاعل بني للمفعول
قوله يهلك أي في واحدة من الحالتين كلا كلا هو الهلاك وهو هلاك السخط إلا القوم أي الذين لهم قوة المدافعة وشدة
المقاتلة في دفعكم والمقاومة الظالمون أي بوضع الأشياء في غير مواضعها من إعطاء الشيء لمن لا يستحقه ومنع المستحق ماله
وأما المصلح فإنه ناج إما في الدارين وإما في الآخرة التي من فاز فيها فلا ثوى عليه وذكر أبو حيان أنه لما كان مطلق العذاب صالحا
لكل ما يعلم من تفاصيل أهواله وما لا يعلم كان التوعد به أهول فلذلك أكد فيه في الآيتين الخطاب بالضمير بحرف الخطاب
والتوعد بأخذ السمع وما معه من جملة الأنواع التي اشتمل عليها ذلك المطلق فاعرى من حرف الخطاب ولما كان ذلك كله من
مناصلة من كذب الرسل وأعرض عما أرسلهم به ربهم من الآيات التي ما منها إلا ما آمن على مثله البشر وطلب منهم ما لا يقدر
عليه إلا مرسلهم من الإتيان بغير ما أتوا به من الآيات بين لهم حقيقة الرسالة إشارة إلى ظلمهم في طلبهم من الرسل ما لا يطلب
إلا من الإله فقال عاطفا على ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك وما نرسل أي بما لنا من العظمة المرسلين أي نوجد هذا الأمر في
هذا الزمان وكل زمان من الماضي وغيره إلا مبشرين لمن أطاع ومنذرين لمن عصى غير مقتدرين في كل من الوصفين لا مجيبين
إلى ما تقترح الأمم ولا معذبين لمن يعاندهم ثم سبب عن ذلك غاية الرسالة من النفع والضر فقال فمن آمن وأصلح أي تصديقا
لإيمانه فلا خوف عليهم أي في الدنيا ولا في الآخرة أما في الآخرة فواضح وأما في الدنيا الفانية فلأن خوفهم فيها يزيد أمنهم في
الآخرة الباقية فهو إلى فناء آيل إلى سرور ودوام فهو عدم ولا هم يحزنون أي حزنا يضر نحيا تمام الأبدية ولما بين حال المصلحين تبعه
حال المفسدين فقال والذين كذبوا بآياتنا أي على ما لها بنسبتها إلينا من العظمة يمسهم العذاب أي الدائم التجدد وكنى
عن قوته بأن جعل له قوة المس كأنه حي مريد فقال بما كانوا أي جبلة وطبعا يفسقون أي يديمون الخروج مما ينبغي الاستقرار
فيه من الإيمان وما يقتضيه وأما الفسق العارض فإن صاحبه بصدد التوبة منه فيعفى عنه ولما بين وظيفة الرسل وقسم المرسل
إليهم أمره بنفي ما يتسبب عنه قولهم من أن البشر لا يكون رسولا وأنه أراحهم عليه الآيات من ظن قدرته على ما يريد وأن كل
ما يقدر عليه يفيد به لهم أو لزامه بذلك منبها لهم على وجه ظلمهم بغلطهم وعنادهم فقال قل أي في جواب قولهم لولا أنزل عليه آية

ونحوه ولما لم يكن لهم عهد بان بشرا يكون عنده الخزاين يتصرف فيها بما يريد وكان ياتيهم من الايات من انشقاق القمر ومشي الشجر وكلام الضب والحجر ونبع الماء والحراسة بشواظ النار وتحلب الجمال ونحو ذلك مما هو معلوم في دلايل النبوة مما ربما اوقع في ظنهم ان لازم دعوته انه يملك الخزاين فكانوا يقترحون عليه الايات الزاما له بذلك لقصد التكذيب نفى ما ظنوا انه يلزم من دعواه فقال لا اقول اي الان ولا فيما يستقبل من الزمان ولما كان الله تعالى قد اعطاه مفاتيح خزاين الارض فاباها تواضعا لله سبحانه قيد بقوله لكم اي انما اخبر المومنين من ذلك ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم واما الكفرة فان اخبارهم بذلك مما يغريهم على الاقتراحات استهزاء فلا فايدة له عندي خزاين الله اي الملك الاعظم الذي له الغنى المطلق والعزة البالغة فلا كقوله فاتيكم بما تقترحون من الايات وما تستهزون به من الكنوز وما تستهزون به من العذاب وانما الخزاين بيده يفعل فيها ما يشاء ولما كانوا يعهدون ان بعض البشر من الكهان يخبرون بشي من المغيبات وكان الكهان يخلطون الصدق بالكذب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخبرهم بمغيبات كثيرة فيكون كما قال لا خلف في شي منها ولا زيادة ولا نقص فصاروا يظنون انه يعلم الغيب ولكنهم يظنونه من باب الكهانة حتى اطلقوا عليه انه كاهن فكانوا يسالونه عن وقت العذاب الذي يتوعدهم به وعن غيره لعلهم يظفرون عليه بشي مما يقوله الكهان ولا يكون بعده ونفى عليه ما ظنوه غيرة على هذا المقام ان ينسب الى غير مالكه الذي لا يجوز ان يكون لغيره فقال نافيا له من اصله لا للقول فقط كما في سابقه ولاحقه عاطفا على لا اقول لا على عندي ولا اعلم الغيب اي فاخبركم بوقت الفصل بيني وبينكم من مطلق العذاب او قيام الساعة فان هاتين الحالتين ملكة الخزاين وعلم الغيب ليسا الا للرتبة الالوهية وانا لم ادع الالوهية كما الزمتموني به ولا اتصفت بالثاني مما ظننتم ولما كانوا يظنون ان الرسول لا يكون الا ملكا فكانوا يلزمونه بدعواه الرسالة دعوى الملكية ليلزموه بذلك دعا ما هو ظاهر البطلان قال ولا اقول اي بدعوى الرسالة ولما كان صلى الله عليه وسلم اعلى الانبيا اصفى وانورهم قلبا واشدهم في كل هدى اضاءة وانقاهم من نقايص البشر وكان هذا امرا من الله له قيد بقوله لكم انها ما انه يمتنع عليه ان يقول ذلك بل لو قاله كان صادقا ومثله كثير في مجازاتهم ومجاري عاداتهم في محاوراتهم واما اسقاط لكم في قصة نوح في سورة هود عليهما السلام فتواضعا منه لكونه من قوله من غير تصريح باسناد الامر فيه الى الله تعالى اني ملك فاقوى على الافعال التي تفعلها الملايكة من التجرد عن الماكل والمشرب وغيرهما من افعال الملايكة فلما انتفى عنه ما الزموه به وما ظنوه فيه من كونه الها او ملكا انحصر الامر في انه رسول واقف عند ما حده له مرسله فقال على وجه النتيجة ان اي ما اتبع اي بغاية جهدي الا ما يوحى الي اي ما دينكم الا امتثال ما يامرني به ربي في هذا القران الذي هو يعجزكم عن معارضته اعظم شاهد لي ولم يوح الي فيه ان اقول شيا مما تقدم نفيه واوحى الي لانذركم به خصوصا وانذر به كل من بلغه عموما وذلك غير منكر في العقل ولا مستبعد بل قد وقع الارسال لكثير من البشر وقد قام على نبوتي واضح الدلايل وثابت الحجج وقاطع البراهين فان كان لا فيه الا دليل بابراز خارق ابرزته وان كان فيه الاعلام بمغيب بدبيه والا اقتصرت على الابلاغ مع التحدي وهو مخبر بان الله الذي ثبت بعجزكم عن معارضته انه قوله شاهد لي بصحة الرسالة وصدق المقالة ولما ثبت بهذا انهم عمي الابصار والبصاير لا يهتدون الى ما ينفعهم ولا يقدرون على الحام خصم ولا التفصي عن وهم ولا وصم بل هم كالسالك بين المهالك يتبين بادي بدء في دعواه الحكمة بما يورده وكذبه وجحوده لاتباع الهوى الذي هو ادوا الداء وانه صلى الله عليه وسلم ابصر البصراء واحكم الحكماء لاتباعه علام الغيوب وكان موضع ان يقال ما يوحى اليك في هذا المقام قال على وجه التبكيت لهم قل اي لكل من يسمع قولك بعد هذا البيان الغاية لقوى الانسان هل يستوي اي يكون سوا من غير مزية الاعمى والبصير فان قالوا نعم كابروا الحس وان قالوا لا قيل لمن تبع هذه الايات الجليات فهو البصير ومن اعرض عنها فهو الاعمى ومن سوى بين الخالق وبين شي من خلقه فهو اعمى العمى ثم امره بعد الانكار للتسوية بينهما بان ينكر عليهم فساد نظرهم وعلى نكرهم بقوله افلا تتفكرون اي فيردكم نكركم عن هذه الضلالات ولما امره بتوبيخهم امره عاطفا على ما نزل قل بالانذار على وجه يخرجهم ايضا فقال وانذر به اي بما يوحى اليك وليس لتخصيص الانذار بالخايف بل للاشارة الى جلالتهم وعظيم بلادتهم وكثافتهم في عدم تجويز الجايز الذي هو اهل لان يخافه كل احد بقوله الذين يخافون اي يجوزون تجويز العقلا عادة ولما كان المرهوب الحشر نفسه لا بعينه لكونه من معين بني للمفعول قوله ان يحشروا اي يجمعوا وهم كارهون الى ربهم اي المحسن اليهم بالايجاد والتربية مع التقصير في الشكر حال كونهم ليس لهم واشار الى تحقير ما سواه وسفوله بالجار فقال من دونه اي من المنزلة التي تحت منزلته ومن المعلوم ان كل شي تحت قهر عظمته وسفال عن رتبته ليس لهم ذلك على وجه الاستقلال والتوسل ولي يتولى امورهم فيتقدم فيها بما يخافون ولا شفيع يتقدم بحسن سفارته وعظيم رتبته وتربيته لعلهم يتقون اي ليكون حالهم حال من يرجى ان يجعل بينه وبين عذاب الله وقاية ولما امره بدعا من عوض عنه ومجاهرته امره بحفظ من يتبعه وملاطفته فقال ولا تطرد الذين يدعون وهم الفقرا من المسلمين ربهم اي المحسن اليهم عكس ما عليه الكفار في من لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ثم بين من حالهم من الملازمة ما يقتضي الاخلاص فقال بالغداة والعشي اي في طرفي النهار مطلقا او بصلاتيهما او يكون كناية عن الدوام ثم اتبع ذلك النتيجة فقال معبرا عن الذات بالوجه لانه اشرف ما يعاد فيه وتذكره يوجب التعظيم ويورث الخجل من التقصير يريدون وجهه اي لانه لو كان ربا لا يضمحل على طول الزمان وتناوب الحدثان باختلاف الشان ولما كان اكابر المشركين واغنياوهم قد دعوه صلى الله عليه وسلم الى الاتباع ان طرد من تبعه ممن يانفون من مجالستهم وتهددوه فيهم بفقرهم وبانهم غير مخلصين في اتباعه انما دعاهم الى ذلك الحاجة بين تعالى انه لا حظ له في طردهم ولا في اتباع اوليك بهذا الطريق الا من جهة الدنيا التي هو مبعوث للتنفير عنها فقال معللا لما مضى او مستانفا ما عليك قدم الاهم عنده وهو تخليه من حسابهم واغرق في النفي فقال من شي اي ليس لك الا ظاهرهم وليس عليك شي من حسابهم حتى تعاملهم بما يستحقون في الباطن من الطرد ان كانوا غير مخلصين وما من حسابك قدم الاهم ما اليه ايضا عليهم من شي اي وليس عليهم شي من حسابك فتخشى ان يحيفوا عليك فيه على تقدير

عنهم

عنهم او ليس عليك من رزقهم شي فيثقلوا به عليك وما من رزقك عليهم من شي فيضعفوا عنه لفقرهم بل الرازق لك ولهم الله ثم اجاب النفي مسببا عنه فقال فتطردهم اي فيتسبب عن احد الشيين طردك لهم ليقبل عليك الاغنيا فلا يكلفوك ما كان اوليك يكلفونك وان كلفتهم ما كان اوليك عاجزين عنه اطاقوه والحاصل انه يجوز ان يكون معنى حسابهم ما عليك من حسابهم الى اخرهما راجعا الى اية الكهف ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا فيكون المعنى ناظرا الى الرزق يعني رد عاك الى الله اتماه مداده الامر الاخروي فليس شي من رزقهم اي ليس عليك حتى تستثقل بهم وترغب في الاغنيا ولا شي من رزقك عليهم فيعجزوا عنه وفي اللفظ من كلام اهل اللغة ما يقبل هذا المعنى قال صاحب القاموس وغيره الحساب الكافي ومنه عطا حسابا واحسب فلانا اطعمه وسقاه حتى يشبع ويروى وقال ابو عبيد الهروي يقال اعطيته فاحسبته اي اعطيته الكفاية حتى قال حسبي وقوله يرزق من يشا بغير حساب اي بغير تقتير وتضييق وفي حديث سماك ما حسبوا ضيفهم اي ما اكرموه وقال ابن فارس في المجمل واحسبته اعطيته ما يرضيه وحسبته ايضا واحسبني الشي كفاني ولما نهاه عن طردهم مبينا انه ضرر بغير فايدة سبب عن هذا النهي قوله فتكون من الظالمين اي بوضعك الشي في غير محله فان طردك هولا ليس سببا لايمان اوليك وليس هذا الا اليك وقد طلبوا امنا فيك لما فتناهم بتخصيصك بالرسالة ما لم يخف عليك من قولهم لولا انزل عليه ملك ونحوه مما ارادوا به الصرف عنك فكما لم تقبلهم فيك فلا تقبلهم انت في وليا بنا فانا فتناهم بك حتى سالوا فيك ما سالوا وتمنوا ما تمنوا وكذلك اي ومثل ما فتناهم بارسالك فتنا اي فعلنا فعل المختبر فتنة مما لنا من العظمة بعضهم ببعض بالتخصيص بالايمان والغنى والفقر ونحو ذلك ليقولوا اي انكارا لان يفضل غيرهم عليهم احتقارا لهم واستصغارا اهولا اي الذين لا يساوونا بل يقاربونا في خصلة من خصال الدنيا من الله اي على جلاله وعظمته عليهم اي وفقهم لاصابة الحق وما يسعدهم عنده وهم فيما نرى من الضعفا من بيننا فالاية ناظرة الى ما ياتي في هذه السورة من قوله تعالى حتى نوتى مثل ما اوتي رسل الله ولما كان الانكار لا يسوغ الا مع نهاية العلم بمراتب المفضلين وان المفضل لا يستحق التفضيل من الوجه المفضل به انكر انكارهم بقوله اليس الله اي الذي له جميع الامر فلا اعتراض عليه باعلم بالشاكرين اي الذين يستحقون ان يفضلوا لشكرهم على غيرهم لكفرهم ولما نهاه صلى الله عليه وسلم عن طردهم علمه كيف يلاطفهم فقال عاطفا على ما تقديره فاذا جاءك الذين يحتقرون الضعفا من عبادي فلا تحفل بهم واذا جاءك واظهر موضع الاضمار دلالة على الوصف الموجب لاكرامهم وتعميما لغيرهم فقال الذين يومنون اي هم وغيرهم اغنيا او فقرا واشار بمظهر العظمة الى انهم امنوا بما هو جدير بالايمان به فقال باياتنا اي على ما لها من العظمة بالنسبة الينا فقل اي لهم سلام ابتدا بالسلام اكراما لهم وتطييبا لخواطرهم عليكم اي سلامة مني ومن الله وتكره لما يلحقهم في الدنيا من المصايب ثم علل ذلك بقوله كتب ربكم اي المحسن اليكم على نفسه الرحمة ثم علل ذلك او استانف بما حاصله انه علم من الانسان النقصان لانه طبعه على طبايع الخسران الا من جعله موضع الامتنان فقال انه من عمل منكم سوا اي اي سو كان ملتبسا بجهالة اي بسفه وخفة وحركة اخرجته عن الحق والعلم حتى كان كانه لا يعلم شيا ثم تاب اي رجع بالندم والاقلاع وان طال الزمن ولذلك ادخل الجار في قوله من بعده اي بعد ذلك العمل واصلح بالاستمرار على الخير فانه اي ربكم بسبب هذه التوبة يغفر له لانه دايما غفور اي بالغ الستر والمحو لما كان من ذلك رحيم يكرم من تاب هذه التوبة بان يجعله كمن احسن بعد ان جعله بالعفو كمن لم يذنب ومن اصر فانه يعاقبه لانه عزيز حكيم وربما كانت الاية ناظرة الى ما فهم به المشركون من عدم الاخلاص ويكون حينيذ تنبيها لان المراد بالحساب المحاسبة على الذنوب ولما اتى في هذه السورة وما قبلها بما اتى من عجايب التفاصيل لجميع الاحوال متضمنة واضح الدلالات وباهر الايات البينات قال عاطفا على وكذلك فتنا عطفا للقصد على ضده فان في الاخبار نوع خفا وكذلك اي ومثل ذلك التفتين بايراد بعضها فيه دقة وخفا من بعض الوجوه ليضل من نشا فيتميز الضال من المهتدي نفصل الايات اي التي نريد بيانها ليتضح سبيل المصلحين فتتبع ولتستبين اي يظهر ظهورا بينا سبيل المجرمين فتجتنب وحصر هذا بالذكر وان كان يلزم منه بيان الاول لان دفع المفاسد اهم ولما كان تحقق حالهم في السوال في طرد الضعفا قصد اتباع اهوايهم امره تعالى بان يخبرهم انه مباين لهم لما بين له بالبيان الواضح من سو عاقبة سبيلهم مباينة لا يمكن معها اتباع اهوايهم وهي المباينة في الدين فقال قل اني نهيت اي ممن له الامر كله ان اعبد الذين تدعون اي تعبدون بنا منكم على محض الهوى والتقليد في اعظم اصول الدين وحقر امرهم بسفول رتبتهم من دون الله اي الذي لا اعظم منه فقد وقعتم في ترك الاعظم ولزوم الدون الذي هو دونه اعظم الجهل الموذن بعمى القلب مع الكفر بالمحسن فما يبنى مبناها على المقاطعة فكيف يطمع معها في متابعة ثم اكد ذلك بامر اخر دال على انه لا شبهة لهم في عبادتهم فقال قل لا اتبع اهواكم اي عوضا عما انا عليه من الحكمة البالغة المويدة بالبراهين الساطعة والادلة القاطعة ولما كان من المعلوم ان الهوى لا يدعو الى هدى بل الى غاية الردى حقق ما افهمته هذه الجملة بقوله قد ضللت اذا اي اذا اتبعت اهواكم ولما كان الضال قد يرجع بين ان هذا ليس كذلك لما لعراقتهم في الضلال فقال معبرا بالجملة الاسمية الدالة على الثبات وما انا اي اذ ذاك على شي من الهداية لاحد من المهتدين ولما كان طلبهم للايات اي العلامات الدالة على الصدق تارة بالرحمة في انزال الانهار والكنوز وازاحة الجبال وتارة بالعذاب من ايقاع السما عليهم كسفا ونحو ذلك ليس في يده ولا عنده تعيين وقت نزوله وامره هنا ان يصرح لهم بالمباينة ويوبخهم

من الملاينة مادام اموا على المداهنة امره بان يخبرهم بما هو متمكن فيه من النور وما هم فيه من العمى بقوله قل اني واشار الى تمكنه في الادلة الظاهرة والحجج القاهرة بحرف الاستعلا فقال على بينة اي ان العدو انما يصانع عدوه اما لعدم النصرة عليه وتكذيبه بعداوته واما لعدم وثوقه بانه على الحق واما انا فواثق بجلا الامرين من ربي اي المحسن الي بارسالي بعد الكشف التام لي عن سر الملك والملكوت والحال انكم كذبتم به اي بربي حيث رددتم رسالته فهو منتقم منكم لا محالة ولما قيل ذلك فرض ان لسان حالهم قال فايتنا بهذه البينة فقال ان ربي تام القدرة فلا يخاف الفوت فلا يعجل واما انا فعبد ما عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به اي في قولكم امطر علينا حجارة من السما ونحوه حتى احكم بينكم بما يقتضيه طبع البشر من العجلة ان اي ما الحكم في شي من الاشيا هذا وغيره الا لله اي الذي له الامر كله فلا كفو له ثم استانف قوله مبينا انه سبحانه ياتي بالامر في الوقت الذي حده له على ما هو الاليق به من غير قدرة لاحد غيره على تقديم ولا تاخير فقال يقضي اي يفصل وينفذ بالتقديم والتاخير وهو معنى قراءة الحرميين يقص اي يقطع القضا والقصص الحق ويظهره فينفصل من الباطل ويوضحه ليتبعه من قضى بسعادته ويتنكب عنه من حكم بشقاوته وهو خير الفاصلين لانه اذا اراد ذلك لم يدع لبسا لمن يريد هدايته وجعل في ذلك الظاهر شبها لمن يريد ضلالته ثم اكد ذلك لمن زاد ذلك في الجلالة مبينا ما في غيره من وخيم العاقبة فقال قل لو ان عندي اي على سبيل الفرض ما تستعجلون به اي من العذاب لقضي وبناه للمفعول لان المخوف انما هو الهلاك لا كونه من معين الامر بيني وبينكم اي لكنت اهلك من خالفني غضبا لربي لما ظهر لي منه من التكبر عليه وقد يكون فيهم من كتب في ديوان السعدا لكنه لم يكن الامر الي لاني لا اعلم الظالم عند الله من غيره فليس الامر الا الى الله لانه اعلم بالمنصفين فيختم والله اي الذي له الكمال كله اعلم بالظالمين اي المكتوبين في ديوان الظلمة فيهلكهم ولما كانت هذه الايات متينة لجزئيات من علم تعالى وقدرته وكان ختامها العلم بالظالم وغيره اتبعها الاختصاص بما هو اعم من ذلك وهو علم مفاتح الغيب الذي لا يصل اليه الا من جازها اذ لا يطلع على الخزاين الا من فتحها ولا يفتحها الا من حاز مفاتحها وعلم كيف يفتح بها فاثبات ذلك في هذا الاسلوب من باب الترقي في مراقي الاعتقاد من درجة كاملة الى اكمل منها فقال عاطفا على معنى ما سبق وهو نعنده خاصة جميع ذلك وعنده اي وحده مفاتح الغيب التي لا يدرك الغيب الا من علمها ولما كان معنى ذلك الاختصاص صرح به في قوله لا يعلمها الا هو وخصصها بالنفي دون الخزاين دال على ما فهمته من ان التقييد فيها يفهم انه يجوز ان يقول ذلك للمومنين ولما ذكر علم الغيب اتبعه علم الشهادة لان القضايا الحصنة يصعب تحصيل بها على سبيل التمام الا للكمل من الانام الذين تجردوا واتعودوا استحضار المعقولات المجردة والقران انما انزل لنفع جميع الخلايق الذي منهم والغبي فكان ذكر المحسوسات الداخلة تحت القضية العقلية الكلية معينا على تصور ذلك المعقول ورسوخه في القلب فقال موكدا لهذا المعقول الكلي المجرد بمثال داخل تحته تجري مجرى المحسوس وعطف بالواو عطف الخاص على العام اشارة الى تعظيمه فقال ويعلم ما في البر وقدمه لان الانسان اكثر ملابسة له بما فيه من القرى والمدن والمفاوز والجبال والتلال وكثرة ما بها من الحيوان والنبات وذي الساق والمعادن والبحر واخره لان احاطة العقل باحواله اقل وان كان الحس يدل على ان عجايبها اكثر وطولها وعرضها اعظم وما فيها من الحيوانات واجناس المخلوقات اعجب فكان هذا الامر المحسوس مقويا لعظمة ذلك الامر المعقول ولما ذكر ما يعم الثابت والمنتقل خص المنتقل منصيصا على الجزئيات وتعظيما للعلم بتعظيم المعلوم فقال وما تسقط واعرق في النفي بقوله من ورقة وذكرها انما ما للتعميم الا يعلمها ولما كان هذا مع عظمه ظاهرا ذكر ما هو ادق منه فقال ولا اي وما من حبة ودل على ان الارض ليس لها من نفسها نور تكشفها على ما اودع هذا الادمي المكون منها من الغرايب بقوله في ظلمات الارض اي ولو كانت في اقصى بطنها فكيف بما هو في النور وهو اكبر من الحبة وما حض رجع الى التعميم ورد الاخر على الاول فقال ولا رطب ولا يابس اي وجد ولم يوجد وسيوجد الا في كتاب مبين اي موضح لاحواله واعيانه وكل اموره واحيانه فتثبت انه قد علم جميع العالم بجواهره واعراضه على سبيل الاحكام والاتقان لانه وحده عالم بجميع المعلومات ومن اختص بعلم جميع المعلومات كان مختصا بصنع جميع المصنوعات وقادرا على جميع المقدورات ولما كان من مفاتح الغيب الموت والبعث الذي ينكرونه وكان من ادلته العظيمة النوم والايقاظ منه مع ما فيه من الاحسان المتكرر وكان فيه مع ذلك تقرير لكمال القدرة بعد تقريره لكمال العلم اتبع ذلك قوله وهو اي وحده الذي يتوفاكم اي يقبضكم ويحكم كاملة بحيث لا يبقى عندكم شعور اصلا فيمنعكم التصرف بالنوم كما يمنعكم بالموت وذكر الاصل في ذلك فقال بالليل ويعلم اي والحال انه يعلم ما جرحتم اي كسبتم بالنهار اي الذي تعقبه النوم من الذنوب الموجبة للاهلاك ويحاملكم فيها بالحلم بعد العلم ولا يعجل عليكم وهو معنى ثم يبعثكم اي يوقظكم بعد ذلك النوم المستغرق فيصيركم فيما يشا فيه اي في النهار الذي يعقب ذلك النوم بعد استحقاقكم للانتقام ليقضى اي يتم اجل مسمى كتبه للموتة الكبرى ولما تمهد بهذا النشر الذي في الموتة الصغرى الدال على مثل ذلك في الموتة الكبرى وكان فيه تقريب عظيم له فقال ثم يبعثكم من تلك الموتة كما بعثكم من هذه ويكون اليه اي وحده مرجعكم اي حسا بالحشر الى دار الجزا ومعنى بانقطاع الاسباب على ما عهد في الدنيا ثم بعد تلك المواقف الطوال والزلازل والاهوال ويمكن ان تشير اداة التراخي الى عظمة العلم بذلك واليه يرشد اكثر ما قبله من السياق ينبئكم اي يخبركم اخبارا عظيما جليلا مستقصى بما كنتم تعملون اي فيجازيكم عليه ولعله عبر بالعمل لان الحساب يكون على المكلفين الذين لهم اهلية العلم فقدر مع كمال قدرته سبحانه على اختراع هذه الاشيا والعلم بها استقلالا تحفظها في كل حال وتدبيرها على احسن وجه ولما اخبر

بتمام العلم والقدرة اخبر بغالب سلطنته وعظيم جبروته وان افعاله هذه على سبيل القهر لا يستطاع مخالفتها فلو بالغ احد في الاجتهاد في ان ينام في غير وقته ما قدر وان يقوم وقت النوم لعجز وان يحيى وقت الموت لم يستطع الى غير ذلك فقال وهو اي يفعل ذلك والحال انه وحده بماله من غيب الغيب وحجب الكبرا القاهر وصور ذلك بقوله فوق عباده اي في الحكم بالعلم والفعل اما قهره للعدم فبالتكوين والايجاد واما قهره للموجود فبالافنا والافساد بنقل الممكن من العدم الى الوجود تارة ومن الوجود الى العدم اخرى فيقهر النور بالظلمة والظلمة بالنور والنهار بالليل والليل بالنهار الى غير ذلك من ضروب الكائنات وصنوف الممكنات ويرسل ورجع الى الخطاب لانه اصرح فقال عليكم من ملائكته حفظة اي يحفظون عليكم كل حركة وسكون لتستحيوا منهم وتخافوا عاقبة كتابتهم وتقوم عليكم بشهادتهم الحجة على مجاري عاداتكم والا فهو سبحانه غني عنهم لانه العالم القادر فيحفظونكم على حسب مراده فيكم حتى اذا جا ولما كان تقديم المفعول احوف قال احدكم الموت اي الذي لا محيد له عنه ولا محيص توفته اي اخذت روحه كاملة رسلنا من ملك الموت واعوانه على ما لهم من العظمة بالاضافة الينا وهم لا يفرطون في نفس واحدة ولا ما دونه ولا ما فوقه بالتواني عنه لتقدم عنه او تاخر ولما اشار سبحانه الى قوته بالجنود التي تفوت الحصر وان كان غنيا عنهم غنيا بصفة القهر بصيغة المفعول الى استحضار عظمته وشامل جبروته وقدرته فقال ثم اي بعد حبسهم في تيه البرزخ ردوا اي ردهم رادهم لا يستطيعون دفاعه اصلا الى الله اي الذي لا حد لعظمته ولا تعد جنوده وخدمه مولاهم اي مبدعهم ومدبر امورهم كلها الحق اي الثابت الولاية وكل ولاية غيره ولاية من الحفظة وغيرهم عدم لان الحفظة لا يعلمون الا ما ظهر لهم وهو سبحانه يعلم السر واخفى ولما استحضر المخاطب عزته وقهره وتصور جبروته وكبره فتاهل قلبه وسمعه لما يلقى اليه ويتلى عليه فقال الا له اي وحده حقا الحكم ولما كان الانفراد بالحكم بين جميع الخلق امرا يحير الفكر ولا يكاد يدخل تحت الوهم قال محقرا له في جنب قدرته وهو اي وحده اسرع الحاسبين يفصل بين الخلايق كلهم في اسرع من اللمح كما انه يقسم ارزاقهم في الدنيا في مثل ذلك لا يبعد احدا ان يشغله من عقابه نمط وله في الحساب ولا مخالطة في ثواب ولا عقاب لانه سبحانه لا يحتاج الى تكرر روية ولا عقد وكتابة فلا يشغله حساب عن حساب ولا شي عن شي ولما تعرف بافعاله وشوونه حتى اتضحت وحدانيته وثبتت فردانيته ذكرهم احوالهم في الاقرار بتوحيده وقت الشدايد والرجوع عن ذلك وقت الانجا منها فكانوا كمن طلب من شخص شيا واكد له الميثاق على الشكر فلما احسن اليه باعطايه سوله نقض عهده وبا في الكفر وذلك عندهم في غاية من القبح لا توصف فقال قل اي لهولا الذين يدعون محاسن الاعمال من ينجيكم اي تنجيكم كثيرا وعظيما من ظلمات البر والبحر اي حيث لا هداية لكم بنجم ولا جبلة ولا غيرهما او عبر بالظلمات عن الكروب التي بلغت شدتها الى ان صاحبها كانه في اشد ظلام فهو بحيث انه لا يهتدي فيها الى وجه حيلة بنوع وسيلة تدعونه اي على وجه الاخلاص له والتوحيد والاعراض عن كل شرك وشريك لزوال الحظوظ عند احاطة الرعب واستيلايه على مجامع القلب فلا يبقى الا الفطرة السليمة قال الامام عبد الحق الاشبيلي في كتابه الواعي تضرعا اي مظهرين الضراعة وهي شدة الفقر وحقيقة الخشوع وتر وخفية اي تخفون في انفسكم مثل ما تخفون قال شمر يقال ضرع له وضرع وتضرع اي تخشع وذل ثم قال وضرع الرجل يضرع ضرعا اذا استكان وذل وهو ضارع بين الضراعة وهو قوم ضرع اي اذلا وهم ضرعا اي متضرعون والتضرع الى الله التخشع اليه والتذلل واذا كان الرجل نحيل الجسم قيل انه لضارع الجسم بين الضروع وفي الذل بين الضراعة انتهى ولما بين صفتهم وثنى الدعا بين قولهم اذ ذاك فقال لئن انجيتنا من هذه فاكدوا وخصوا وبينوا غاية البيان لنكونن من الشاكرين اي العريقين في الشكر ولما كانوا مقرين بان فاعل ذلك هو الله ولكنهم يكفرون نعمته غدرا مشركين قامره بالجواب غير منتظر جوابهم بقوله قل الله اي الذي له جميع العظمة ينجيكم منها اي تلك الشدة ومن كل كرب اي وغم فيه وما اعظم موقع قوله ثم انتم اي مع التزام الاخلاص في وقت الكرب ومع التزام الشكر تشركون مشيرا الى استبعاد نقضهم باداة التراخي مع ما فيه من الجنا لما كان ينبغي لهم من انهم يشكرون ولما كانوا باشراكهم كانهم يظنون ان الشدة زالت عنهم زوالا لا يعود وكان للابن بهم دوام التذلل اما وفا واما خوفا اخبرهم ترهيبا لهم من سطوته وتحذيرا من بالغ قدرته ان شدتهم تلك التي اذلتهم لم تزل في الحقيقة فان قدرة الملك عليها حالة الرخا كقدرته عليها في وقتها سوا فانه خالق الحالتين واسبابهما وما فيهما له ولكنهم عمي البصاير احلاف الطبايع فقال قل هو اي وحده القادر ولم يصفه صيغة مبالغة لانهم لم يكونوا ينكرون قدرته انما كانوا يدعون المشاركة التي نفاها بالتخصيص على ان التعريف يفيد المبالغة على ان يبعث اي في وقت يريده عليكم اي في كل حالة عذابا من فوقكم باسقاط السما قطعا او شي منها كالحجارة التي حصب قوم لوط واصحاب الفيل وبتسليط اكابركم او من تحت ارجلكم اي بالخسف او اثارة الحيات وغيرها من الارض كما وقع لبعض من سلف او بتسليط سفلتكم وعبيدكم عليكم او يلبسكم اي يخلط بينكم حال كونكم شيعا اي متفرقين كل شيعة على هوى فيكون ذلك سببا للسيف ويذيق بعضكم اي بعض تلك الشيع باس بعض فيتساوى في ذلك بين الحرم وغيره ويصير التخطف بالنهب والغارة عاما وسوق هذا الكلام هكذا يفهم ايضا عرفي وقت ما الناس ما لان كلام الملوك يصان عن ان لا يكون له صورة توجد وان كان على سبيل الشرط ونحوه فكيف بملك الملوك علام الغيوب وللتدريب على مثل العلم في كلام الله تعالى قال

قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي في التفسير عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد
وقال حسن غريب وسيأتي لهذا مزيد بسط وتحقيق في قوله تعالى في الفرقان تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك الآية ولما كان
هذا بيانا عظيما أشار إلى عظمه بقوله انظر وعظمه تعظيما آخر بالاستفهام فقال كيف نصرف الآيات أي نكررها موجهة في جميع
الوجوه البديعة النافعة البليغة لعلهم يفقهون أي ليكون حالهم حال من يرجى فهمه وانتفاعه بما كان هذا والحال أنه كذب به
أي بهذا العذاب والقرآن المشتمل على الوعد والوعيد والأسباب المبينة للحق جميع ما ينفعهم ليلزموه وما يضرهم ليحذروه قومك
أي الذين من حقهم أن يقوموا بجميع أمرك ويسروا بسببا ذلك فإن القبيلة إذا ساد أحدها عزت به فإن عزه عزها وشرفه شرفها
ولاسيما إذا كانت من بيت الشرف ومعدن السيادة وإذا أسفل أحدها اهتمت به غاية الاهتمام وسترت عيوبه مهما أمكنها فإن
عاره لاحق بها فهو من عظيم التوبيخ لهم ودقيق التقريع وزاد ذلك بقوله وهو أي والحال أنه الحق أي الثابت الذي لا يضره التكذيب
ولا يمكن زواله ولما كان الإنسان ربما حصل له اللوم بسبب قومه كان صلى الله عليه وسلم في هذا المقام بمعرض أن يخاف غائلة ذلك
ويقول لماذا أصنع بهم فقال تعالى معلما أنه ليس عليه بأس من تكذيبهم قل لست وقدم الجار والمجرور للاهتمام به معبرا بالأداة
الدالة على القهر والغلبة فقال عليكم بوكيل أي حفيظ ورقيب لا قهركم على الرد فيما أنتم فيه ولما كانوا بصدد أن يقولوا نحن ما كان
كذلك فلا علينا منك قال مهددا لكل وأشار إلى جلالة خبره بقوله نبأ أي خبر أخبرتكم به من هذه الأخبار العظيمة ومعنى مستقر
موضع قرار من صدق وكذب لا بد أن يحط الخبر على واحد منهما لا ينفك خبر من الأخبار عن ذلك وسوف تعلمون أي يحط خبره العظيم
بوعد صادق لا خلف فيه وإن تأخر وقوعه ولما أمره بما يقول جوابا لتكذيبهم تقدم إليه فيما يفعل وقت خوضهم في التكذيب فقال
وإذا رأيت خاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ليكون أردع الذين يخوضون أي يتكلمون في آياتنا أي بغير تأمل ولا
بصيرة بل طوع الهوى كما يفعل خائض الماء في وضعه لرجله على غير بصيرة لستر مواضع الخطا بغير تمام الاختبار لغلبة الماء فأعرض
عنهم بترك المجالسة أو ما يقوم مقامها ولما كان الخوض في الآيات دالا على قلة العقل قال حتى يخوضوا في حديث غيره لحكم
على حديثهم فيما سوى ذلك أيضا بالخوض لأن فيه العبث والسفه لأنه غير مقيد بنظام الشرع ولما كان الله تعالى وله الحمد قد رفع
حكم النسيان عن هذه الأمة قال مؤكدا وإما ينسينك الشيطان أي إنساء عظيما إشارة إلى أن مثل هذا الأمر جدير بأن لا ينسى
فلا تقعد بعد الذكرى أي التذكر لهذا النهي مع القوم الظالمين أظهر موضع الإضمار تعميما ودلالة على الوصف الذي هو سبب
الخوض وهو الكون في الظلام ولما كانت هذه الآية مكية وكانوا إذ ذاك عاجزين عن الإنكار بغير القلب قال وما على الذين يتقون
أي يخافون الله فلا يكذبون بآياته في مجالسته الكفرة من حسابهم أي الخائضين إذا كانوا أقوى منهم من شيء وما نهيناهم عن
المجالسة لأن عليهم فيها والحالة هذه إثما ولكن نهيناهم لتكون لمفارقتهم إظهارا للكراهة ذكرى للخائضين لا تستحيا بهم من
أذى الجليس لعلهم يتقون أي ليكون حالهم بذلك حال من ترجى منه التقوى فيجتنب الخوض في الآيات إكراها للجليس ولما أبرز
هذا الأمر في صيغة النهي أعاده بصيغة الأمر اهتماما به وتأكيدا له وأظهر لهم وصفا آخر هو غاية الوصف الأول مع ما ضم إليه من
الإرشاد إلى الإنقاذ من المعاطب فقال وذر أي اترك أي ترك كان ولو كان أدنى الوجوه الذين اتخذوا أي كلفوا أنفسهم في اتباع
الهوى بمخالفة العقل المستقيم والطبع الفطري السليم بأن اتخذوا دينهم على نمط الأسخف من دنياهم ولما كان الدين ملكة راسخة
في النفس لا شيء من كيفيات النفس أرسخ منها ولا أثبت ولا أشرف ما عند الإنسان وكان اللعب ضده لا شيء أسرع من انقضائه ولا
أوهى من بنائه قال ذاما لهم بأنهم أبدلوا مقصود هذه السورة الذي هو الاستدلال على التوحيد الذي لا أشرف منه مطلقا ولا
أعلى ولا أنفس بوجه ولا أعلى بما لا أدنى منه ولا أوهى ولا أمحق للمروءة ولا أردى لعبا ولما كان ربما قيل إنهم إذا انقضى اللعب
عادوا إلى الاشتغال بالدين فنجر الباعث عليه إشارة إلى أنه كلما ملوا اللعب بعثوا النفوس ليه باللهو كما ترى الراقص كلما
فتر في رقصه بعثوه عليه بشقوبة اللهو والانتقال من فن إلى آخر من فنونه وشأن بديع من شؤونه فقال ولهوا أي في الاستهزاء
بالدين الحق بالمكاء والتصدية وغرتهم أي خدعتهم الحياة الدنيا التي هي من أعرف الناس بزوالها وأن كل من بها هالك
فمنتهم النعم التي من عليهم سبحانه بها فيها الأباطيل ومن السعادة الإبائية أو اتباع أوامره واجتناب نواهيه ولما كان ربما أفهم ذلك
تركهم في كل حالة نفاه بقوله وذكر به أي بحديثنا الآيات وهي القرآن المجيد الذي أنزل والضمير في الحقيقة للآيات أي دعهم يفعلوا
ما أرادوا ولا تبال بشيء من ذلك ولا تترك وعظهم بهذا القرآن أي ما عليك إلا البلاغ لهم يكلفك في هذه الحالة أكثر منه
أن تبسل قال في الجمل البسل التخلي والبسلة أسلمه للهلكة فالمعنى كراهة أن تخلى وتسلم نفس بما أي بسبب ما كسبت في دنياها
كائنة ليس لها من دون الله أي المنفرد بالعظمة ولي أي ينصر بتولي نصرها ولا شفيع يشفع لها بشفاعته ولما كان الفداء من أسباب
الخلاص قال وإن تعدل أي تلك النفس لأجل التوصل إلى انفكاكها كل عدل أي كل شيء يظن أنه يعدلها ولو كان أنفس شيء ولما كان
الضار عدم الأخذ لا كونه من معين بني للمفعول قوله لا يؤخذ منها ولما أنتج هذا قطعا أن من هذا حاله هالك قال أولئك أي الذين
عملوا هذه الأعمال البعيدة عن الخير الذين أبسلوا أي أسلموا بما كسبوا ثم استأنف قوله لهم شراب من حميم أي هو في غاية
الحر يصهر به ما في بطونهم بما اعتقدوا في الآيات ما ظهر على ألسنتهم وعذاب أليم أي يعم ظواهرهم وبواطنهم بما ظهر عليهم من
ذلك بعدما بطن بما أي بسبب ما كانوا يكفرون أي يجددون من تغطية الآيات ولما تقرر أن غير الله لا يمنع من الله بنوع

منع

بحدم

منع لا آلهتهم التي زعموا أنها شفعاؤهم ولا غيرها ثبت أنهم في غاية البعد من أن كل ما سواه لا ينفع شيئا ولا يضر فكان في غاية
التبكيت لهم قوله قل أي تنبيها لما ثبت من الأدلة على أنه ليس لأحد مع الله أمر منكرا عليهم موبخا لهم أندعوا أي دعاء عبادة وبين حقارة
معبوداتهم فقال من دون الله المنفرد بجميع الأمور ولما كان السياق لتعداد النعم الذي خلق السموات والأرض خلقكم من طين
يطعم ولا يطعم ويرسل عليكم حفظة من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الله ينجيكم منها ومن كل كرب قدم النفع في قوله ما لا ينفعنا ولا
يضرنا أي لا يقدر على شيء من ذلك ليكونوا على غاية الناس من أتباع حزب الله لهم وهذا كالتعليل لقوله إني نهيت أن أعبد الذين
تدعون من دون الله ولما ذكر عدم المنفعة في دعائهم أشار إلى وجود الخسارة في رجائهم فقال ونرد أي برجوعنا إلى الشرك
وبناه للمفعول لأن المنكر الرد نفسه أي راد كان على أعقابنا أي فنأخذ في الوجه المخالف لقصدنا فنصير كل وقت في خسارة
بالبعد عن المقصود بعد إذ هدانا الله أي الذي لا خير إلا هو عنده ولا ضر إلا وهو قادر عليه إلى التوجه نحو المقصود ووفقنا له
وأنقذنا من الشرك ولما صور حالهم مثله فقال كالذي أي يرد من علو القرب إلى المقصود إلى سفول البعد عنه ردا كرد الذي
استهوته أي طلبت نزوله عن درجته الشياطين فأنزلته عن أفق مقصده إلى حضيض معطبه فشبه حاله بحال من سقط
من عال في مهواة مظلمة فهو في حال هويه في غاية الاضطراب وتحقق التلف والعمى عن الخلاص في الأرض حال كونه حيران
تائها ضالا لا يهتدي لوجهة ولا يدري كيف يسلك ثم استأنف قوله له أي هذا الذي هوى أصحاب أي عدة ولكنه لتمكن الحيرة
منه لا يقبل يدعونه إلى الهدى وبين دعاءهم بقوله ائتنا وهو قد اعتسف المهمه تابعا للشياطين لا يجيبهم ولا يأتيهم لأنه قد
غلب عن نفسه وحيل بين العير والنزوان ولما كان هذا مما يعرفونه ويشاهدونه مرارا وكانوا عالمين بأن دعاء أصحابه له في غاية
النصيحة والخير وأنه إن تبعهم نجا وإلا هلك هلاكا لا تدارك له فكان جوابهم أن دعاء أصحابه له هدى بين أنه مضمحل بأنه بحيث أنه
يجوز أن يقال ليس هدى بالنسبة إلى هذا الذي يدعوهم إليه بقوله قل إن هدى الله أي المجمع لصفات الكمال هو أي خاصة
الهدى أي لا غيره كدعاء أصحاب المستهوى بل ذاك الهدى مع إنقاذه من الهلاك إلى جنب هذا الهدى كلا شيء لأن الشيء هو الموصل إلى
سعادة الأبد ولما كان التقدير فقد أمرنا أن نلزمه ونترك كل ما عداه عطف عليه أمرا عاما فقال وأمرنا لنسلم أي ورد علينا
الأمر ممن لا أمر لغيره بكل ما يرضيه لأن نسلم لأن نوقع الإسلام وهو الانقياد التام بتخلي عن كل هوى وأن نقيم الصلاة بأن نوقعها
بجميع حدودها الظاهرة والباطنة فنتحلى بفعلها أشرف حلى لرب العالمين أي لإحسانه إلى كل أحد بكل شيء خلقه ثم نسق لها قوله
فكأنه قال أن أسلموا وأن أقيموا الصلاة لوجهه واتقوه مع ذلك أي افعلوها لا على وجه الهزء واللعب بل على وجه التقوى
والمراقبة ليدل ما ظهر منها على ما بطن من الإسلام للمحسن ولما كان التقدير فهو الذي ابتدأ خلقكم من طين فإذا أنتم بشر مصورون
وجعلكم أحياء فتقدرته على مر الأيام تنتشرون عطف عليه قوله وهو الذي إليه أي لا إلى غيره بعد بعثكم من الموت تحشرون فأتى
بالبعث الذي هم له منكرون لكثرة ما أقام من الأدلة على تمام القدرة في سياق دال على أنه مما لا مجال للخلاف فيه وأن النظر تمامه
فيما ورد ذلك وهو أن عملهم للباطل سوغ تنزيلهم منزلة من يعتقد أنه يحشر إلى غيره سبحانه ممن لا قدرة له على جزائهم فأخبرهم
أن الحشر إليه لا إلى غيره لأنه لا كلام هنالك لسواه فلا علق بين المحشورين ولا تناصر كما في الدنيا والجملة مع ذلك كالتعليل للأمر
بالتقوى وقد بان أن الآية من الاحتباك فإنه حذف الصلاة أولا لدلالة ذكرها ثانيا والإسلام ثانيا لدلالة ذكره أولا ولما كانوا
بعبادة غيره تعالى مع إقرارهم بأنه هو خالق السموات والأرض في حال من يعتقد أن ذلك الذي يعبدونه من دونه هو الذي
خلقهما أو شارك فيهما فلا قدرة لغيره على حشر من في مملكته قال تعالى منبها لهم من غفلتهم وموقظا من رقدتهم معيدا الدليل
الذي ذكره أول السورة على وجه آخر وهو أي وحده الذي خلق أي أوجد واخترع وقدر السموات والأرض على عظمهما وفوق
ما فيهما من الحكم والمنافع لحصر بالحق أي بسبب إقامة الحق وأنتم ترون أنه غير تام في هذه الدار ولا هو قريب من التمام فوجب
على كل من يعلم أن الله خبير أن يعتقد أنه لا بد من بعثة العباد بعد موتهم كما وعد بذلك ليظهر العدل بينهم فيبطل كل باطل
ويحق كل حق ويظهر الحكمة لجميع الخلق ولما قرر أن إقامة الحق هي المراد قرر قدرته عليها بقوله ويوم يقول أي للحق ولكل شيء
يريد في هذه الدار وتلك الدار كن فيكون أي فهو يكون لا يتخلف أصلا ولما قرر أنه لا يتخلف شيء عن أمره علله فقال قوله الحق
أي لا قول غيره لأن أكثر قول غيره باطل لأنه يقول شيئا فلا يكون ما أراد ولما كان في مقام الترهيب من سطوته قال معرفا القوم
وهو الذي إليه تحشرون وله أي وحده بحسب الظاهر والباطن الملك يوم ولما كان المقصود تعظيم النفخة بني للمفعول قوله
ينفخ في الصور لانقطاع العلائق بين الخلائق لا كما ترون في هذه الدار من تواصل الأسباب وقوله عالم الغيب وهو ما غاب
عن كل ما سواه سبحانه والشهادة وهو ما صار يطلع عليه الخلق مع كونه علة لما قبله من تمام القدرة كما سيأتي إن شاء الله تعالى
في طه من تمام الترهيب أي إنه لا يخفى عليه شيء من أحوالكم فاحذروا جزاءه يوم ينقطع الأسباب ويذهب التناصر والتعاون
وهو عادته سبحانه في أنه ما ذكر أحوال البعث إلا قرره بأصلين القدرة على جميع الممكنات والعلم بجميع المعلومات الكليات
والجزئيات لأنه لا يقدر على البعث إلا من جمع الوصفين وهو أي وحده الحكيم أي التام الحكمة فلا يضع شيئا في غير محله ولا على غير
إحكام فلا معقب لأمره فلا بد من البعث الخبير بجميع الموارد والمصادر فلا خفاء لشيء من أفعال أحد من الخلق عليه في ظاهر ولا باطن
ليسألهم عن الحساب ولما كان مضمون هذه الآيات الثلاث المفتتح بها السورة الهادمة لمذهب الثنوية وهم أهل فارس قوم

ابرهيم عليه السلام وكان ابرهيم عليه السلام يعترف بفضله جميع الطوايف لان اكثرهم من نسله كاليهود والنصارى والمشركين من العرب
والمسلمون لما يعلمون من اخلاصه لله تعالى وانتصابه لمحاجة من اشرك به واحتمال الاذى فيه سبحانه تلاها لمحاجته لهم بما ابطل مذهبهم وادحض
حجتهم فقال واذ اى اذكر ذلك المتقدم كله لهم فى الدلايل على اختصاصنا بالخلق وتمام القدرة ما اعظمه وما اجله واصحه وتفكر فى عجايبه وتدبر
فى دقايقه وغرايبه تجد ما لا يقدر على مثله الا الله واذكر اذ قال ابرهيم اى اذكر قوله وحكمة التذكير بوقته التنبيه على ان هذا لم يزل ثابتا
مقررا على السنة جميع الانبيا فى جميع الدهور وكان فى هذه المحاجة التصريح بما لوح اليه اول السورة من ابطال هذا المذهب والعطف
هنا على ذلك اى انعطاف وصار كانه قيل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون الاصنام والنجوم والنور والظلمة فنبههم برسول الله على تلك
بانه لا متصرف غيرنا اذكر لهم ان ربنا الذى خلقهم وخلقت جميع ما يشاهدون من الجواهر والاعراض فان تنبهوا فهو عظيم والا فاذكر لهم
لمحاجة خليلنا ابرهيم عليه السلام اذ قال لابيه ثم بينه فى قراة الجر بقوله ازر وناداه فى قراة يعقوب بالضم قال البخارى فى تاريخه الكبير
ابرهيم بن ازر وهو فى التوراة تارح انتهى وقد مضى فى ذلك علل التوراة فى البقرة فلعل احدهما لقب وكان اهل تلك البلاد وهم الكلدانيون
ويقال لهم ايضا الكسدانيون بالمهملة موضع اللام يعتقدون الهية النجوم فى السما والاصنام فى الارض ويجعلون لكل نجم صنما اذا
ارادوا التقرب الى ذلك النجم عبدوا ذلك الصنم ليشفع لهم زعموا الى النجم فقال عليه السلام لابيه منكرا عليه منبها له على ظهور فساد
ما هو مرتكبه اتتخذ اى اتكلف نفسك الى خلاف ما تدعو اليه الفطرة الاولى بان تجعل اصناما الهة اى تعبدها وتخضع لها ولا نفع فيها
ولا ضر تنبيها بهذا الانكار على ان معرفة بطلان ما هو متدين به لا يحتاج الى كبير تامل بل امر بديهى وتوبيخ منه فانهم يباشرونها
بجميع حواسهم ويعلمون انها مصنوعة ولعبت بصناعتهم وكثرتها تدل على بطلان الهيتها بما اشار اليه قوله تعالى لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا والماحض بالنصيحة اقرب الخلق اليه عم بقية اقاربه فقال انى اراك وقومك اى فى اتفاقهم على هذا فى ضلال
اى بعد عن الطريق المستقيم مبين اى ظاهر جدا بهذا العقل مع مخالفته لكل نبى نبا الله تعالى من ادم عليه السلام فمن بعده فهو مع
ظهوره فى نفسه مظهر للحق من ان الاله لا يكون الا كافيا لمن يعبده والا كان فقيرا الى تاله من يكفيه ولما كان كانه قيل بصرنا ابرهيم عليه السلام
هذا التبصير فى هذا الامر الجزى من بطلان الاصنام قال عاطفا عليه وكذلك اى ومثل هذا التبصير العظيم الشان وحكى الحال الماضية
بقوله نرى اى بالبصر والبصيرة على مر الزمان وكر الشهور والاعوام الى ما لا اخر له بنفسه والصلحا من اولاده ابرهيم ملكوت اى باطن ملك
السموات والارض اى ملكهما العظيم اجمع وما فيه من الحكم ليرسخ فى امر التوحيد فيعلم ان كل من عبد غير الله من صنم وغيره من قومه
وغيرهم فى ضلال كما علم ذلك فى قومه فى الاصنام وليكون من الموقنين اى الراسخين فى وصف الايقان من امر التوحيد كله بالنسبة الى جميع
الجزييات لما اريناه ببصره وبصيرته فتامل فيه حتى وقع بعد علم اليقين على عين اليقين بل حق اليقين ولما كانت امور السماوية مشاهدة
لجميع الخلق دانيهم وقاصيهم وهى اشرف من الارضية فاذا بطلت صلاحيتها للالهية بطلت الارضية من باب الاولى نصب لهم الحجاج فى
امرها فقال مسببا عن الاراة المذكورة فلما جن اى ستر واظلم وقصر وان كان متعديا دالة على شدة ظلام تلك الليلة ولذلك عداه
باداة الاستعلا فقال عليه الليل اى اوقع الستر عليه فحجب ملكوت الارض فشرع ينظر فى ملكوت السما راى كوكبا اى قد بزغ فكانه قيل
فماذا فعل فقيل قال هذا ربى فكان من بصره ان اتى بهذا الكلام الصالح لان يكون خبرا واستفهاما ليوهمهم انه مخبر فيكون ذلك انفى
للغرض وابعد من الشغب فيكون اشد استجلابا لهم الى انعام النظر وتنبيها على موضع الغلط وقبول الحجة ولمثل ذلك ختم الاية بقوله فلما افل
اى غاب بعد ذلك الظهور الذى كان له به سلطان قال لا احب الافلين لان الافول حركة والحركة تدل على حدوث المتحرك وامكانه ولا يجوز ان
يظن به انه قال ما قال لرا ولا عن اعتقاد ربوبية الكوكب لان الله تعالى قد دل على بطلان هذا التوهم بالاخبار بانه اراه ملكوت الخافقين
وجعله موقنا فاسند الامر الى نفسه تنبيها لهم واستدل بالافول لان دلالته لزوال سلطانه وحقارة شانه اتم ولم يستدل بالطلوع لانه
وان كان حركة دالة على الحدوث والنقصان شرف فى الجملة وسلطان فالخواص يفهمون من الافول الامكان والممكن لا بد له من موجد واجب الوجود
يكون منتهى الامال ومحط الرحال وان الى ربك المنتهى والاوساط يفهمون منه الحدوث للحركة فلا بد من الاستناد الى قديم والعوام يفهمون ان
الغارب كالمعزول لزوال نوره وسلطانه وان ما كان كذلك لا يصلح للالهية وحصل الافول ايضا ان قومه العرس كانوا منجمين ومذهبهم ان
الكوكب اذا كان صاعدا من المشرق الى وسط السما كان قويا عظيم التاثير فاذا كان نازلا الى المغرب كان ضعيف الاثر والاله هو الذى لا يتغير فهذا
الاستدلال برهان فى ان اصل الدين مبنى على الحجة دون التقليد ولما تقرر قصور صغير الكوكب رقى النظر الى اكبر منه فتسبب عن الاعراض
الكوكب لقصوره قوله فلما راى القمر بازغا اى طالعا اول طلوعه قال الازهرى كانه ماخوذ من البزغ الذى هو الشق كانه بنوره يشق الظلمة
شقا قال هذا ربى وابرنى الاول ولما كان تامل ان الكوكب محل للحوادث بالافول تطرق اسماعهم تحاج صدورهم قال فلما افل قال موكدا
غاية التاكيد لين لم يهدنى ربى اى الذى قدر على الاحسان الى بالايجاد والتربية لكونه لا يتغير ولا شريك له بخلق الهداية فى قلبى فدل ذلك
على ان الهداية ليست الى غيره ولا تحمل على نصب الادلة لانها منصوبة قبل ذلك ولا على معرفة الاستدلال فانه عارف به لاكونن اى بعبادة
غيره من القوم الضالين فكانت هذه اشد من الاول واقرب الى التصريح بنفى الربوبية عن الكوكب واثبات ان الرب غيرها مع الملاطفة
وابعاد الخصم عما يوجب عناده ولما كان قد بقى من الاجرام السماوية ما ربما يتعلق به الخصم قال فلما راى اى بعينه الشمس بازغة اى عند
طلوع النهار واشراق النور الذى ادعوا فيه ما ادعوا قال مبينا لقصور ما هو اكبر من النور وهو ما عنه النور هذا مذكرا اشارة لوجود
المسوغ وهو تذكير الخبر اظهارا لتعظيمها ابعادا عن التهمة وتنبيها من اول الامر على ان المونث لا يصلح للربوبية ربى كما قال فيما مضى

ثم علل

ثم علل ذلك بيانا للوجه الذى فارق فيه ما مضى فاورث شبهه فقال هذا اكبر اى مما تقدم فلما افلت اى غربت تحقق ظهورها مداه
وغلب نورها وهزمه جيش الظلام بقدرة الملك العلام قال يا قوم فصرح بان الكلام لهم اجمعين ونادى على رءوس الاشهاد ولما كانت
القلوب قد توعبت بما اتى من هذا الكلام المعجب للحجج وتهيات لقبول الحق ختم الاية بقوله انى برى مما تشركون اى من هذا وغيره من باب
الاولى فصرح بالمقصود لانه لم يبق فى المحسوس من العالم العلوى كوكب اكبر من الشمس ولا انور فلما ابطل بذلك جميع مذاهبهم اظهر
التوجه الى الاله الحق وانه قد انكشف له الصواب بهذا النظر والمراد هم ولكن شوقه على هذا الوجه ادعى لقبولهم اياه فقال مستنتجا لما
دل عليه الدليل العقلى فى الملكوت انى وجهت وجهى اى اخلصت قصدى غير معرج على شى اصلا فعبر بذلك عن الانقياد التام لان
من انقاد لشى اقبل عليه بوجهه ودل على كماله وتفرده بالكمال بمبدعاته وعبر باللام دون الى ليلا يوهم الحيز للذى فطر اى [illegible]
من شق واخرج السموات والارض بختم الدليل بما افتتح به السورة من قوله الذى خلق السموات والارض وادل دليل على ما
تقدم انى فسرت الحنيف به من انه الميل مع الدليل بسهولة واطاعة على ما هو داب الفطرة الاولى التى فطر الله الناس عليها قوله بعد نصب
هذا الدليل حنيفا اى سهلا هينا لينا لطيفا ميالا مع الدليل غير كز جاف جامد على التقليد دابا لغليظ البليد واكد البراة منهم
بقوله وما انا من المشركين اى منكم ولكنه اظهر الوصف المقتضى للبراة والتعميم اى لا اعد فى عدادكم بشى اقاربكم به ولما ابدى هذه
الادلة فى ابطال الضلال بالكواكب والشمس التى هى اوضح من الشمس عطف عليها الاخبار بانهم لم يرجعوا اليه بل حاجوه فقال
وحاجه قومه بانهم لا ينفكون عن عبادتها لانهم اباهم وجدوا كذلك وانه ان لم يرجع عن الكلام فيها اصابته بعضها لنوازل وذلك
من اعظم التسلية لهذا النبى العربى الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم ولما كان من المعلوم ان محاجتهم بعد هذه الادلة الواضحة فى غاية
من السقوط سفلت عن الحضيض نزه المقام عن ذكرها اشارة الى انها بحيث لا تستحق الذكر وبين جوابه لما فيه من الفوايد الجمة بقوله
قال اى منكرا عليهم موبخا لهم اتحاجونى وصرح باسم الرب لعلم الاعظم فى قوله فى الله اى شى مما يختص به المستجمع لصفات الكمال
لا سيما التوحيد وقد اى والحال انه قد هدانى اى ارشدنى بالدليل القطعى الى معرفة كل ما يجب له وينفى عنه لانه قادر فبين انه تعالى
قد احسن اليه فهو يرجوه لمثل ذلك الاحسان ويخاف عواقب العصيان لان من رجى خيره خيف ضيره ومن كان بيده النفع والضر
والهداية والاضلال فهو من وضوح الامر وظهور الشان بحيث لا توجه نحوه المحاججة واشعر بان معبوداتهم مسلوب عنها ما يوجب
الهيتها اليهم فقال عاطفا على ما تقديره فانا ارجوه واخافه لانه قادر ولا اخاف ما تشركون به ولا ارجوه لهداية ولا اضلال
ولا غيرهما لانه عاجز فاثبت لله القدرة بالهداية لانها اشرف وطوى الاضلال لدلالتها عليه ودلالة ما بعد فى جانب الشركا عليه واثبت
لالهتهم العجز بنفى الخوف المستلزم لنفى القدرة على الضر وذلك دال على ان الله تعالى اهل لان يخاف منه كل ذلك تلويحا لهم بان العاقل
لا ينبغى له ان يخالف الامن بامن ضره فهم فى مخالفتهم لله فى غاية من الخطر لا يرتكبها عاقل والاية من الاحتباك ولما نفى عن نفسه خوف الهتهم
ابدا فى الحال والاستقبال وكان من الامر البين فى الدين الحق انه لا يصح الايمان الا مع الانزاحفا العواقب على العباد واثبات العلم بها لله
تسليما لمفاتيح الغيب اليه وقصرها عليه قال مستثنيا من سبب النفى وهو انها لا تقدر على شى الا ان يشا ربى المحسن الى فى حال الضر كما هو
محسن فى حال النفع شيا اى من تسليطها بانفسها او باتباعها لانه قادر على ما يريد فان اراد انطق الجماد واقدره واخرس الناطق
الفصيح واعجزه فانا لا اخاف فى الحقيقة غيره ولما كان هذا فى صورة التعليق وكان التعليق وما شابهه من شانه اى لا يصدر الا من متردد
فيكون موضع اطماع للخصم فيه علله بما ازال هذا الخيال فقال وسع ربى كل شى علما اى فاحاط بكل شى قدرة فهو اذا اراد امرا قدر اراد لما
ازال عنه كل مانع من القدرة واثبت له كل مقتض لها وذلك بثمرة شمول العلم كما سياتى برهانه ان شا الله تعالى فى سورة طه فالمراد انى
ما تركت الجزم لشك عندى وانما تركته لعدم علمى بالعواقب علاما بان تلك رتبة لا تصلح الا لله الذى وسع علمه كل شى وادل دليل على هذا
اتباعه له بانكاره عليهم عدم الابلاغ فى التذكر بقوله مظهرا تا التفعيل اشارة الى انه فى جلايهم اصل التذكر الصادع عن الشرك
افلا تتذكرون اى يقع منكم تذكر فتميزوا بين الحق والباطل بان تذكروا ما لكم من انفسكم من ان من غاب عن مربوبه فسد او كاد وان
هذه الجمادات لا تنفع ولا تضر وانها مصنوعة لكم وتعجبه منهم فى ظنهم خوفه من معبوداتهم بقوله منكرا وكيف اخاف ما اشركتم
اى من دون الله من الاصنام وغيرها مع انها لا تقدر على شى ولا اى والحال انكم انتم لا تخافون انكم اشركتم بالله اى المستجمع لصفات
العظمة والقدرة على العذاب والنقمة ولما كان له سبحانه ان يفعل ما يشا قال ما لم ينزل به اى باشراكه ولما كان المقام صعبا لانه
اصل الدين ابتعث الجبار والجور وقدمه فقال عليكم سلطانا اى حجة تكون مانعة من نزول الغضب بكم والحاصل انه عليه السلام اوقع
الامن فى موضعه وهم اوقعوه فى موضع الخوف فتعجب منهم لذلك فبان ان هذا وقول شعيب عليه السلام فى الاعراف وما يكون لنا ان
نعود فيها الا ان يشا الله ربنا الاية وقوله تعالى فى الكهف ولا تقولن لشاى انى فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله من مشكاة واحدة ولما كان الحذر
المنفى هنا انما هو خوف الضرر من الهتهم وكان حصول الضرر لها الهتها بواسطة اتباعها او غيرهم من سنن الله الجارية فى عباده
اقتصر الخليل عليه السلام على صفة الربوبية المقتضية للرافة والرحمة والكفاية والحماية وقد وقع فى قصته الامران امكانهم من
اسباب ضرره بايقاد النار والقايهم له فيها ورحمته بجعلها عليه بردا وسلاما ولما كان الحذر فى قصة شعيب عليه السلام العود
فى ملتهم زاد الاثبات بالاسم الاعظم الجامع لجميع الكمالات المنزه عن جميع النقايص المقتضى لاستحضار الجلال والعظمة والتفرد والكبر
المانع من دنس ساحات الكفر والله الموفق ولما بان كالشمس بما اتم من الدليل انه احق لكن منهم قال مسببا عما مضى تعجيزا لهم فاى

الذين يعلمون اى حزب الله وحزب ما اشركتم به ولم يقل فاينا تعميما للمعنى احق بالامن والزمهم بالجواب حتما بقوله ان كنتم تعلمون اى ان كان
لكم علم فاخبروني عما سالتكم عنه ثم وصل بذلك دلالة على انه لا علم لهم اصلا يخبروا عما سيلوا عنه قوله مستانفا الذين امنوا اى وجدوا
هذا الفعل ولم اى وصدقوا دعواهم بانهم لم يلبسوا ايمانهم اى يخالطوه ويشوبوه بظلم ولما كان المعنى احق بالامن عدل عنه الى قوله
مشيرا اليهم باداة البعد تنبيها على علو رتبتهم اولئك لهم اى خاصة الامن اى لما تقدم من وصفهم وهم مهتدون اى وانتم ضالون
فانتم هالكون لا شك فكم على المهالك وتفسير النبي صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه الشيخان والنسائي والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه لهذا الظلم المطلق في قوله تعالى بظلم بالشرك الذي هو ظلم موصوف بالعظم في قوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم بتغيير الصحابة
رضوان الله عليهم على ان هذا التنوين للتعظيم ولانهم اهل اللسان المطبوعون فيه فتنبهوا لذلك واطمانوا اليه ولا شك ان البيان
كله في التنفير عن الشرك وانه دال على الحث على التبرؤ عن قليل الشرك وكثيره فال الامر الى ان المراد ولم يلبسوا ايمانهم بشيء من الشرك
فالتنوين حينئذ للتحقير كما هو للتعظيم فهو من استعمال الشيء في حقيقته ومجازه او في معنييه المشترك فيهما لفظه معا والله اعلم
ولما كان ابرهيم عليه السلام قد انتصب لاظهار حجة الله في التوحيد والذب عنها وكان التقدير تنبيها للسامع على حسن ما مضى تدبيرا
لتدبره هذه مقولة ابرهيم عليه السلام لابيه وقومه عطف عليه قوله معددا وجوه نعمه عليه واحسانه اليه دالا على اثبات النبوة بعد
اثبات الوحدانية وتلك اى هذه الحجة العظيمة الشان التي تلوناها عليكم وهي ما حاج ابرهيم عليه السلام به قومه وعظمه بتعظيمها فقال
حجتنا اى التي تحق لها بما فيها من الجلالة ان تضاف الينا لانها من اشرف النعم واجل العطايا اتيناها اى بما لنا من العظمة ابرهيم
واوقفناه على حقيقتها وبصرناه بها ونبه على ارتفاع شانها باداة الاستعلا مضمنا الاتيان انما فقال على قومه اى مستعليا عليهم
غالبا لهم قاهرا عليهم بالحجة التي نصبها ثم زاد في الاعلام بفضله بفضلها بقوله مستانفا نرفع اى بعظمتنا درجات من نشاء بما لنا من
القدرة على ذلك كما رفعنا درجة ابرهيم عليه السلام على جميع اهل ذلك العصر ولما كانت محاجته لهم على قانون الحكمة ان الملك الحق
لا يهين جنده فلا خوف عليهم وكان قبل ذلك في الاستدلال على البعث الذي هو محط الحكمة كان الانسب ان يقدم في ختم الاية وصف الحكمة
فقال ان ربك خاصا للنبي صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة باسم الاحسان تنبيها على ان حجة الدليل عمن يشاء الحكم ارادها سبحانه
ففيه تسلية له صلى الله عليه وسلم حكيم اى فلا يفعل بحزبه الا ما ظنه به خليله صلى الله عليه وسلم مما تقدم عنهم اما في الدنيا واما في الاخرة
واما فيهما عليم فلا يلتبس عليه احد من غيرهم فيفعل به ما يخل بالحكمة ولما اشار الى رفعته بالنصرة بالحجة حتى كان على بصيرة من امره
وانه علاه على المخالفين برفع الدرجات اتبع ذلك ما دل عليها وعلى حكمته بعلمه بالعواقب فقال معلما جعله عزيزا في الدنيا لان اشرف
الناس الانبيا والرسل وهم من نسله وذريته ورفع ذكره ابد الاجل قيامه بالذب عن توحيده ووهبنا له اى لخليلنا عليه السلام بما لنا من
العظمة اسحق ولدا له على الكبر حيث لا يولد لمثله ولا لمثل زوجته ويعقوب اى ولد ولده وابتدا استجابته بهما لان السياق للامتنان
على الخليل عليه السلام وهو اشد سرورا بابنه الذي متع به ولم يؤمر بفراقه وابن ابنه الذي كثر الانبيا الداعين الى الله من نسله ومن
خواصه وهو الموجب الاعظم للعداوة ان ابناءه طهروا الارض المقدسة التي هي مهاجر ابرهيم عليه السلام ومختاره للسكنى بنفسه ونسله
بل مختار الله له ولهم بعده بمدة طهروها من الشرك وعبادة الاوثان ودعوا الى الله وتودوا الارض بعبادته ولما كانت النعمة لا تتم
الا بالهداية قال مستانفا مقدما للمفعول ليشمل الكلام اباهما كلا اى منهما ومن ذريتهما هدينا ثم اتبع ذلك بالمهتدين قديما
وحديثا تاكيدا لان هذا المذهب لم يزل خلص العباد دعاة اليه في قديم الزمان وحديثه فكانه يقول ان كنتم تلزمون دينكم لانه عندكم
حق فقد تبين لكم بطلانه وان الحق انما هو التوحيد وان كنتم تلزمونه لقدمه فهو الدين الذي دعا اليه رسولي مع وضوح الدلالة على
حقيته هو القديم الذي دعا اليه نوح ومن تلاه من خلص ذريته الى ابرهيم ابيكم الاعظم ومن بعده من خلص ذريته الى عيسى ثم الى هذا الرسول
الذي هو دعوة ابرهيم وبشارة عيسى على الكل ابلغ الصلاة واتم التسليم فهو احق بالاتباع من جهة الحقيقة والاقدمية وان كنتم تلزمونه
لمجرد اتباع الابا فليس في ابائكم مثل ابرهيم وقد تلوت عليكم في كلامي الذي قام الدليل القطعي بجزم عنه على صحة نسبته الى ما حاج به اباه
وقومه في ابطال الاوثان التي اضلتكم فهو اولى ابائكم ان تقتدوا به والله الموفق ولما كان ربما في وهم ان هداية كل من اسحق وابنه بتربية
ابيه ذكر العاشر من اب الخليل وهو نوح عليهما السلام لدفع ذلك ولان السياق لانكار الاوثان وهو اول من نهى عن عبادتها وهو اجل ابا
للخليل عليه السلام فقال ونوحا هدينا اى بما لنا من العظمة من بين ذلك الجيل الاعوج ولما كانت لم تتجاوز زمنه وكان زمنه بعض الزمن
المتقدم اثبت الجار وقطعه عن الاضافة لتراخي زمانهم كثيرا عن زمانه فقال من قبل اى ولم تكن هدايته الابنا في زمان كان اهله من شدة
الضلال ولزوم الظلم في مثل استقبال الليل كلما امتد احلولك ظلامه واشتد وطال ما دعاهم الى الله ودعا بهم فلم يرجع منهم كبير احد
حتى لقد خالفه زوجه وبعض ولده ولمثل ذلك فصل بين اسمعيل وابيه ويوسف وابيه عليهم السلام اشارة الى ان فراق كل منهما لابيه
في الحياة وان كلا منهما على سنن الهدى طول المدى لا الاسلام ثم ابتدا المذكورين بعده بمن بني على يده وبدا ابنه مسجدا هو بعد المسجد الذي بناه
ابرهيم وولده اسمعيل عليهما السلام فقال ومن ذريته ولما كان السياق كله لمدح الخليل وكان المذكورون الا لوطا من نسله وكان له
التغليب مستعملا اسما يغا شايعا في لسان العرب لا سيما ولوطا ابن اخيه ومثل ولده حكم بان الضمير لابرهيم عليه السلام وقول من قال
ان يونس ليس من نسله غير صحيح لانه من بني اسرايل وهو احد من ذكر في سفر الانبيا وسيأتي خبره في السفر المذكور في سورة والصافات
ان شاء الله تعالى وقد صرح ابو الحسن محمد بن عبد الله الكسائي في قصص الانبيا انه من ذرية ابرهيم واقتضى كلامه انه من بني اسرايل كما اقتضى

كلام البغوي في سورة الانبيا عليهم السلام واما ايوب فروي من نسل عيص بن اسحق عليهما السلام داود اى هديناه وسليمن
اى اللذين بنيا بيت المقدس بامر الله داود بخطه وتاسيسه وسليمن باكماله وتشييده ولما كانا مع ذلك ملكين تلاهما بمن شابههما
في الملك او الحكم على الملوك فقال وايوب وقدمه لمناسبة ما بينه وبين سليمن في ان كلا منهما ابتلي بأخذ كل ما في يده ثم رده الله اليه
ويوسف وكل من هولا الاربعة ابتلي فصبر واعتنى فشكر وايوب ان لم يكن ملكا فكانت ثروته غير مقصرة عن ثروة الملوك على انه
بعض الطلبة اخبرني عن تفسير الهكاري فيما اظن انه صرح بانه ملك وايضا فالاثنان الاولان كانا سبب صلاح بني اسرايل بعد الفساد
واستنقاذهم من ذل الفلسطين والاثنان الباقيان كل منهما ابتلي بفراق اهله ثم ردوا عليه ايوب بعد ان ماتوا ويوسف قبل الموت
وايضا فداود عليه السلام شارك ابرهيم عليه السلام في انه كان سبب سلامته من ملك زمانه الاختفا في غار وذلك ان نمرود بن كنعان
كان ادعى الالهية واطيع فيها وقال له منجموه يولد في بلدك هذا العام غلام يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك على يده فامر بذبح كل
غلام في ناحيته في تلك السنة وامر بعزل الرجال عن النسا وحملت ام ابرهيم عليه السلام به في تلك السنة فلما وجدت الطلق خرجت
ليلا الى غار قريب منها فولدت فيه ابرهيم واصلحت من شانه ثم سدت الغار ورجعت ثم كانت تطالعه فتجده يمص ابهامه وكان يشب
في اليوم كالشهر وفي الشهر كالسنة واما داود عليه السلام لما قتل جالوت وزوجه طالوت ابنته وناصفه ملكه على ما كان شرط لمن قتل
جالوت مال اليه الناس واحبوه فحسده فاراد قتله فطلبه فهرب منه فدخل غارا فنسجت عليه العنكبوت فقال طالوت لو دخل
هنا لخرق بنا العنكبوت فانجاه الله منه وتلاه بسليمن لانه مع كونه من اهل الملك والبلا شارك ابرهيم عليهما السلام في ابطال
عبادة الشمس في قصة بلقيس رضي الله عنها وقصة يوسف عليه السلام في ابطال عبادة الاوثان شهيرة في قوله تعالى يا صاحبي
السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ولما كان يوسف عليه السلام ممن اعلا الله كلمته على كلمة ملك مصر واعز اهلها
وملكها واحياهم به اتبعه من اعلى الله كلمتهما على كلمة ملك مصر واهلها واهلكهم عمما فكان بين بعض قصتيهم وفاق وبعضها تقابل
وطباق فقال وموسى وهرون ولما كان التقدير هديناهم جزا احسانهم بما هدانا اليهم في انفسهم ودعائهم لغيرهم الى الهدى لتشغل
احدا منهم محنة السرا ولا محنة الضرا عطف عليه قوله وكذلك اى ومثل ما جزيناهم نجزي المحسنين اى كلهم نفي ذلك اشارة الى علو مقامهم
من هذه الجهة وهي انهم من اهل السرا المطغية والضرا المنسية ومع ذلك فقد احسنوا ولم يغيروا ولم ينبوا ولما كان المذكوران قبل ممن
سلطهما على الملوك اتبعهما من سلط الملوك عليهما بالقتل فقال وزكريا ويحيى ثم اتبعهما من عاندهما الملوك ولم يسلطوا عليهما
وادام الله سبحانه حياتهما الى ان يريد سبحانه فقال وعيسى والياس ولما كان هولا الاربعة من الصابرين قال مادحا لهم على وجه يعم
من قبلهم كل اى من المذكورين من الصالحين ثم اتبعهم من لم يكن بينهما وبين الملوك امر وهدى عمما من كانا بين ظهرانيه فقال واسمعيل
واليسع هذا ان كان اليسع هو ابن اخطوب بن العجوز خليفة الياس كما ذكر البغوي في سورة الصافات ان الله تعالى ارسل الى بعلبك
وهو من سبط لاوي من نسل هرون عليه السلام فرسا من نار فركبه فرفعه الله وقطع عنه لذة المطعم والمكسب وكساه الريش فكان
انسيا ملكيا ارضيا سمائيا وسلط الله على اخب يعني الملك الذي سلط على الياس عدوا فقتله ونبا الله اليسع وبعثه رسولا الى
بني اسرايل وايده فامنت به بنوا اسرايل وكانوا يعظمونه وان كان اليسع هو يوشع بن نون كما قال زيد بن اسلم فالمناسبة بينه
وبين اسمعيل عليهما السلام ان كلا منهما كان صادق الوعد لان يوشع احد النقيبين اللذين وفيا لموسى عليه السلام حين بعثهم يجسون
بلاد المقدس كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد اخذنا ميثاق بني اسرايل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقوله وقال رجلان من الذين يخافون
انعم الله عليهما الاية وايضا فكل منهما كان سبب عمارة بيت الله الاعظم بالتوحيد فاسمعيل سبب عمارة مكة المشرفة ويوشع سبب
عمارة البلاد المقدسة كما يأتي في سورة يونس ان شا الله تعالى ولما كان اسمعيل واليسع ممن هدى الله عمما قومهما من غير عذاب
اتبعهما من هدى الله قومه بالعذاب والجاهم بعد اتيانه مخايله فقال ويونس اى هديناه ولما انقضت ذرية ابرهيم عليه السلام
ختم بابن اخيه الذي ضل قومه فهلكوا بغتة فبين قصتي هذين الاخيرين طباق من جهة الهلاك والنجاة ووفاق من حيث ان كلا منهما
ارسل الى غير قومه فقال ولوطا ثم وصفهم بما يعم من قبلهم فقال وكلا اى ممن ذكرنا فضلنا اى بما لنا من العظمة بتمام العلم وشمول
القدرة على العالمين فكل هولا الانبيا ممن هداه الله بهداه وجاهد في الله حق جهاده وبدا بابرهيم عليه السلام وختمهم بابن اخيه
لوط عليه السلام على هذه المناسبة الحسنة وقيل ان الله تعالى اهلك قوم ابرهيم نمرود وجنوده بعد هجرته فان يصح ذلك تمت
المناسبة في هلاك كل من قومه وقوم ابن اخيه لوط بعد خروج نبيهم عنهم فيكون بينهما وفاق كما كان بين قصته وقصة يونس
عليه السلام طباق ومن لطايف ترتيبهم هكذا ايضا ان اسمعيل عليه السلام يوازي نوحا عليه السلام فانه رابع في العد لهذا العقد
اذا عددته من اخره كما ان نوحا عليه السلام رابع اذا عددته من اوله والمناسبة بينهما ان نوحا عليه السلام نشر الله منه الادميين
حتى كان منهم ابرهيم عليه السلام الذي جعله الله ابا للانبيا والمرسلين واسمعيل عليه السلام نشر الله منه العرب الذين هم خلاصة
الخلق حتى كان منهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي جعله الله خاتم الانبيا والمرسلين فهذا كان بداية وكان نهاية وان المذكورين قبل
ذرية ابرهيم عليه السلام وبعدها وهما نوح ولوط عليهما السلام اهلك الله قوم كل منهما عامة وغيب هولاء في جامد الارض كما
اغرق اوليك في مايع الما واشعر بكل من وجه بيانا ان الرسل كما يكونون للناس رحمة يكونون على قوم نقمة وانه لا نجاة بهم ولا شفاعة
الا بحسن الاتباع وان ابني عمران اشركا مع ابرهيم عليهم السلام في ان كلا منهما ما ليسك امر تقبل الختان خوفا من ان يغير دينه

وبسلبه ملكه وكما ان الله تعالى انجى ابرهيم عليه السلام وابن اخيه لوط عليه السلام من ملك زمانهما نمرود المدعي للالهية فكذلك انجى موسى واخاه
هرون عليهما السلام من ملك زمانهما المدعي للالهية وانجى ذرية ابرهيم منهما فاذا جعلت ابرهيم وابن اخيه لوطا لكونه تابعا له واحدا وموسى
واخاه هرون واحدا لمثل ذلك ونظمت اسما جميع ذلك الانبيا في سلك النظم لوط مع ابرهيم كموسى مع هرون وكان الاربعة واسطة
عقدة فبين ابرهيم وموسى حبيبة سبعة كما ان بين هرون ولوط سبعة واذا ضممت اليهم المقصود بالذات المخاطب بهذه الايات
المامور بقوله فبهداهم اقتده كان منزلة في السلك بين ابن عمه لوط وابيه ابرهيم ويكون من بين يديه تسعة ومن خلفه تسعة فمن ابرهيم
الى موسى تسعة ومن لوط الى هرون كذلك فكان صلى الله عليه وسلم واسطة العقد ومكمل العقد فانه العاشر من كل جانب فيه تكمل
الهدى والجناب الوردي وذلك طبق قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه مثلي ومثل الانبيا
من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا
وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين وللبخاري نحوه عن جابر هذا مع ان ترتيبهم باقرب اولي العزم رتبة ونسبا صاحب
القصة ابرهيم عليهما السلام وان جعلت موسى وهرون عليهما السلام كشي واحد كانا واسطة من الجانب الاخر فان عددت من
جهة ابرهيم عليه السلام كان بينه وبينهما ثمانية وان عددت من جهة لوط عليه السلام كان كذلك ولما نص سبحانه على هولا وختم
بتفضيل كل على العالمين اتبعه على سبيل الاجمال ان غيرهم كان مهديا وان فضل هولا هو على النص على اسمائهم فقال ترغيبا في
سلوك هذا السبيل بكثرة سالكه وحثا على منافستهم في حسن الاستقامة عليه والسلوك فيه ومن اي وهدينا او وفضلنا من ابائهم اي
اصولهم وذرياتهم اي فروعهم من الرجال والنسا واخوانهم اي فروع اصولهم وعطف على العامل المقدر قوله واجتبيناهم اي
واخترناهم ثم عقبه ببيان ما هدوا اليه حثا لنا على شكره على ما زادنا من فضله فقال وهديناهم اي بما تقدم من الهداية الى صراط مستقيم
واما الصراط المستقيم خصصناكم به وانتم عليه فاعرفوا نعمتنا عليكم واذكروا تفضيلنا لكم ولما كان ربما اوهم تنكيره نقصا فيه قال
مستانفا بيانا لكماله وتعظيما للفضل وافخاما له ذلك اي الهدى العظيم الرتبة هدى الله اي المستجمع لصفات الكمال يهدي اي يخلق الهداية
به اي بواسطته الانامة عليه من يشا من عباده اي سوا كان له اب يعلمه او كان له من يحمله على الضلال او لا ولما بين فضل الهدى ونص على
رؤس هله تهدد من تركه كائنا من كان فقال مظهرا للعزة الالهية بالغنى المطلق منزها نفسه عما لوحظ فيه غيره ولو بادنى لحظ ولو اشركوا
اي هولا الذين ذكرنا من مدحهم ما سمعت وبينا من اختصاصنا لهم ما علمت شيا من شرك وقد عاذهم الله من ذلك واقام بهم معوج المسالك
وانار بهم ظلام الارض بطولها والعرض لحبط عنهم اي فسد وسقط ما كانوا يعملون اي وان كان في غاية الاتقان بقوانين العلم وزاد
في الترهيب من التواني في السير والزيغ عن سوا القصد بقوله اولئك اي العالو الرتبة الذين تقدم ما ذكرهم واخبرنا انهم لو اشركوا
سقطت اعمالهم الذين اتيناهم اي بعظمتنا الكتاب اي الجامع لكل خير فمن ملك ما فيه من العلوم والمعارف حكم على البواطن وذلك ان
الناس يحبونه فينقادون له ببواطنهم والحكم اي العمل المتقن بالعلم ومنه نفوذ الكلمة على الظواهر بالسلطنة وان كرهت البواطن له
والنبوة اي العلم المزين بالحكمة وهي وضع كل شي في احق مواضعه فهي جامعة للمرتبتين الماضيتين فلذلك كان الانبيا يحكمون على البواطن
بما عندهم من العلم وعلى الظواهر بما يظهرون من المعجزات ثم سبب عن تعظيمها بذلك تعظيمها بانها لا تبور فقال تسلية عن المصيبة
بطعن الطاعنين فيها واعراض الجاهلين عنها وترجية عند ما يوجب الياس من نفرة اكثر المدعوين فان يكفر بها اي بهذه الاشيا
العظيمة هولا اي اهل مكة الذين انت بين ظهرهم وقد حببوناهم بها على اتم وجه واكمله واعلاه واجمله وانت تدعوهم الى ان يكونوا اسعد
بما اشتملت عليه من الهدى وهم عنه معرضون ولعل الاشارة على هذا الوجه لتحقيرهم فقد وكلنا اي بما لنا من العظمة في الماضي والحال
والاستقبال بها قوما اي ذوي قوة على القيام بالامور بالايمان بها والحفظ لحقوقها ليسوا وقدم الجار اهتماما فقال بها بكافرين
اي بساترين لشي مما ظهر من شموس دلائلها وهم الانبيا ومن تبعهم وقد صدق الله ومن اصدق من الله حديثا فقد جا في هذه الامة من العلما
الاحبار والراسخين الاخيار ممن لا يحصيهم الا الله ولما كان المراد لسوقهم هكذا والله اعلم ان كلا منهم بادر بعد الهداية الى الدعا الى الله
والغيرة على جلاله من الاشراك لم يشغل احدا منهم عن ذلك سترا ولا اضرار بملك ولا غيره من ملك او غيره بل لازموا الهدى والدعا اليه
على كل حال قال مستانفا للتذكير بامداحهم بما حمل على التحلي باوصافهم موكدا لاثبات الرسالة اولئك اي العالو المراتب الذين
هدى الله اي الملك الجامع لرتب الكمال الهدى الكامل ولذلك سبب عن مدحهم قوله فبهداهم اي خاصة في واجبات الارسال وغيرها
اقتده واشار بها السكت التي هي امارة الوقوف وهي ثابتة في جميع المصاحف الى ان الاقتدا بهم كاف غير محتاج الى شي ثم فسر الهدى
بمعظم اسبابه فقال قل اي لمن تدعوهم كما كانوا يقولون مما ينفي التهمة ويحصل النصيحة فيوجب الاتباع الا من شقي لا اسلكم
اي ايها المدعون عليه اي على الدعا اجرا فان الدواعي تتوفر بسبب ذلك على الاقبال الى الداعي والاجابة للمرشد ثم استانف قوله ان
اي ما هو اي هذا الدعا الذي ادعوكم به الا ذكرى اي تذكير بليغ من كل ما يحتاج اليه في المعاش والمعاد للعالمين اي من الجن والانس
والملئكة دايما لا ينقضي عاده ولا ينقطع نداوه وفي التعبير بالاقتدا ايما الى تبكيت كفار العرب حيث اقتدوا بمن لا يصلح للقدوة
من ابائهم وتركوا من تجب الاقتدا به ولما حصر الدعا في الذكرى وكان ذلك نفعا لهم ورفقا بهم لا تزيد طاعتهم في ملك الله شيا
ولا ينقص اعراضهم من عظمته شيا لان كل ذلك بارادته بين حالهم فقال تاكيدا لامر الرسالة بالانكار على من جحدها والزاما
بما هم معترفون به اما اهل الكتاب فعلا وقطعا واما العرب فتقليدا لهم ولانهم سلموا لهم العلم وجعلوهم محط سوالهم عن محمد صلى الله عليه

وسلم وما اي بجعلنا ذلك لهم خاصة والحال انهم ما قدروا اي عظموا الله اي المستجمع لصفات الكمال حق قدره اي تعظيمه
في تحدهم بذكرهم وصدهم عن بشرائهم ومقابلتهم للشكر عليه بالكفر قال الواحدي يقال قدر الشي اذا سبره وحزره واراد ان يعلم مقدا
بقدره بالضم قدرا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فان غم عليكم فاقدروا له اي فاطلبوه ان تعرفوه هذا اصله في اللغة ثم قيل لمن عرف
شيا هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته انه لا يقدر قدره اذ اي حين قالوا اي اليهود والاية مدنية وقريش في قبولهم لقولهم
ويمكن ان تكون مكية ويكون قولهم هذا حين ارسلت اليهم قريش تسليهم عنه صلى الله عليه وسلم في امر رسالته واحتجاجه عليهم
بارسال موسى عليه السلام وانزال التوراة عليه ما انزل الله اي ناسين ما له من صفات الكمال على بشر من شي لان من نسب
ملكا تام الملك الى انه لم يبعث او امره في رعيته بما يرضيه ليفعلوه وما يسخطه ليجتنبوه فقد نسبه الى نقص عظيم فكيف اذا كان
تلك النسبة كذبا وهذا وان كان ما قاله الا بعض العالمين بل بعض هل الكتاب الذين هم بعض العالمين اسند الى الكل لانهم لم يردوا
على قايله ولم يجاحلوه بالاخذ تعظيما للشان وتهويلا للامور بيانا لانه يجب على كل من سمع باية من ايات الله ان يسعى اليها ويعرف
امرها فاذا احقها لمن طعن فيها اخذ على يده بما يصل اليه قدرته كما انه كذلك كان يفعل او كان ذلك ناشيا عن ابيه او احد ممن
يكون لجزه به من ابنا الدنيا وفي ذلك اتم اشارة الى ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عماد الامور كلها من فرط فيه هلك واهلك روى
الواحدي في اسباب النزول بغير سند عن ابن عباس رضي الله عنهما ومحمد بن كعب القرظي ان اليهود قالوا ما انزل الله على بشر من شي
فانزل الله تعالى يعني هذه الاية فقال مشيرا الى ان اليهود قايلوا ذلك وملزما لهم بالاعتراف بالكذب والمساواة للاميين في العمل
بالهوى دون كتاب موبخا لهم ناعيا عليهم سو جهلهم وعظيم بهتهم وشدة وقاحتهم وعدم حيايهم قل اي لهولا السفها الذين تجرؤا
على هذه المقالة غير ناظرين في عاقبتها وما يلزم منها توبيخا لهم وتوقيفا على موضع جهلهم من انزل الكتاب اي الجامع للاحكام
والمواعظ وخيري الدنيا والاخرة الذي جا به موسى اي الذي انتم تزعمون التمسك بشرعه حال كون ذلك الكتاب نورا اي بيانا يمكن
الاخذ به من وضع كل شي في حاق مواضعه وهدى للناس اي ذا هدى لهم كلهم اما في ذلك الزمان فبالتقيد به واما عند انزال الانجيل
فبالاخذ بما ارشد اليه من اتباعه وكذا عند انزال القران فقد بان انه هدى في كل زمان تارة بالدعا الى ما فيه وتارة بالدعا
الى غيره ثم بين انهم اخفوا منه ما هو نص وصريح في الدعا الى غيره اتباعا منهم للهوى ولزوما للعمى فقال تجعلونه اي ايها اليهود له
قراطيس اي اوراقا مفرقة لتتمكنوا بها من اخفا ما اردتم منها ادتم تبدونها اي تظهرونها للناس وتخفون كثيرا اي منها مما
تريدون به تبديل الدين هذا على قراة الجماعة بالفوقانية وعلى قراة ابن كثير وابي عمرو بالغيبة هو التفات مودن بشدة الغضب
مشيرا الى ان ما قالوه حقيق بان يستحيى من ذكره فكيف بفعله ثم التفت اليهم للزيادة في تبكيتهم اعلاما بانهم مساوون للبقية الانسا
في اصل الفطرة بل العرب اذكى منهم واصح افهاما فلولا ما اتاهم به موسى عليه السلام ما فاقوا قومهم بفهم ولا زادوا عليهم في علم فقال
وعلمتم اي ايها اليهود بالكتاب الذي انزل على موسى ما لم تعلموا انتم اي ايها اليهود من اهل هذا الزمان ولا اباؤكم اي الاقدمون الذين
كانوا اعلم منكم ولما كانوا قد وصلوا في هذه المقالة الى حد من الجهل عظيم قال مشيرا الى عنادهم قل اي انت في الجواب عن هذا السوال
غير منتظر لجوابهم فانهم اجلف الناس واعناهم الله اي الذي انزل ذلك الكتاب ثم بعد ان تقول ذلك لا تسمع لهم شيا بل ذرهم
في خوضهم اي قولهم وفعلهم المنبيين على الجهل المنبيين على انهم في ظلام الضلال كالخايض في الما يعملون ما يعملون يلعبون اي
يفعلون فعل اللاعب وهو ما لا يجر لهم نفعا ولا يدفع عنهم ضرا مع تضييع الزمان ولما اثبت سبحانه انه انزل التوراة تكميلا لاثبات
الرسالة بدليل علم اليهود دون من لا كتاب لهم عطف على ذلك قوله تاكيدا لاثباتها وتقريرا وهذا اي القران الذي هو حاضر الان في
جميع الاذهان كتاب جامع لخيري الدارين وكان السياق لان يقال انزله الله ولكنه اتى بنون العظمة لانها ادل على تعظيمه فقال انزلناه
اي وليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم من نفسه وانما هو بانزالنا اياه اليه وارسالنا له به مبارك اي كثير الخير ثابت لا مرا بعد
احد من الخلق على انكاره لاعجازه لتعلم اهل الكتاب خصوصا حقيقته بتصديقه لكتابهم لانه مصدق الذي بين يديه اي كله من
كتبهم وغيرها فيكون احد لابما تم به ولتعلم جميع اهل الارض عموما ذلك بذلك وباعجازه ولتنذر اي به ام القرى اي مكة لانها
اعظم المدن بما لها من الفضايل ومن حولها ممن لا يومن بالاخرة فهولا يومن به من اهل الارض كلها من جميع البلدان والقرى لانها ام
الكل وهم في صلاتهم مفرطون والذين يومنون بالاخرة اي فيهم قابلية للايمان بها على ما هي عليه من اهل القرى ومن حولها لكل
خير يخشون يومنون به اي بالكتاب بالفعل لان الايمان بها داع الى كل خير بالخوف والرجا والكفر بها حامل على كل شر ولما كان
وصف المنافقين بالتكاسل عن الصلاة جعل المحافظة عليها علما على الايمان فقال وهم على صلاتهم يحافظون اي يحفظونها
غاية الحفظ فالاية من عجيب فن الاحتباك ذكر الانذار والام اولا دالا على حذفهما ثانيا واثبات الايمان والصلاة ثانيا دليل على
نفيهما اولا ولما كان في قولهم ما انزل الله على بشر من شي صريح الكذب وتضمن تكذيبه وحاشاه صلى الله عليه وسلم اما من اليهود
فبالفعل واما من قريش فبالرضى وكان بعض الكفرة قد ادعى الايحا الى نفسه ارادة الى الطعن في القران قال تعالى مهولا
لامر الكذب لا سيما عليه لا سيما في امر الوحي عاطفا على مقول قل في من انزل مبطلا للتنبو بعد تصحيح امر الرسالة واثباتها ابطالا
لا مرية فيه فكانت براهين اثباتها ادلة على ابطال التنبو وكذب مدعيه ومن اظلم ممن افترى اي بالفعل والرضى كقريش
على الله كذبا اي اي كذب كان فضلا عن انكار الانزال على البشر او قال اوحي الي ولم اي والحال انه يوح اليه شي فهذا تهديد على له

سبيل الاجمال كعادة القرآن المجيد يدخل فيه كل من تصف بشي من ذلك كمسيلمة والاسود العنسي وغيرهما ثم رايت في كتاب غاية المقصود في الرد
على النصارى واليهود للسموأل بن يحيى المغربي الذي كان من اجل علماء زمانه في حدود سنة ستين وخمسمائة ثم هداه الله للاسلام وكانت له طول في
الحساب والهندسة والطب وغير ذلك من العلوم فاظهر بعد اسلامه فضائحهم ان الربانيين منهم زعموا ان الله كان يوحي الى جميعهم في كل
يوم مرات ثم قال بعد ان قسمهم الى قرايين وربانيين وقال ان الربانيين اكثرهم عددا وقال وهم الذين يزعمون ان الله كان يخاطبهم في كل مسئلة
بالصواب قال وهذه الطائفة اشد اليهود عداوة لغيرهم من الامم **ومن قال ساانزل** اي بوعد لا خلف فيه **مثل ما انزل الله** كالنضر بن
الحرث ولما كان الجواب قطعا من كل منصف لا احد اظلم منهم بل هم اظلم الظالمين كان كانه قيل فلو رايتهم وقد حاق بهم جزاء هذا الظلم
ووجوههم مسودة يسحبون في السلاسل على وجوههم وجهنم تكاد تتميز عليهم غيظا وهم قد هدهم الندم والحسرة وقطع قلوبهم الاسف
والحيرة لرايت امرا يهول منظره فكيف يكون مذاقه ومخبره فعطف عليه ما هو اقرب منه فقال كالمفصل لاجمال ذلك التهديد مبرزا
بدل ضميرهم الوصف الذي دعاهم الى ذلك **ولو ترى** اي تكون منك رؤية فيما هو دون ذلك **اذ الظالمون** اي لاجل مطلق الظلم فكيف بما
ذكر منه واللام للجنس ليدخل فيه هؤلاء دخولا اوليا **في غمرات الموت** اي شدائده التي تغمرهم كما يغمر البحر الخضم من يغرق فيه فهو يرفعه
ويخفضه ويبلعه ويلفظه لا يدله معه **والملئكة** اي الذين طلبوا جهلا منهم انزال بعضهم على وجه الظهور لهم واخبرناهم انهم لا ينزلون
الا لفصل الامور وانجاز المقدور **باسطوا ايديهم** اي اليهم بالمكروه لنزع ارواحهم وسلها واعيه من اشباحهم كما يسل السفود ذي
المتشعب من الحديد من الصوف المتشبك المبلول لا يعسر عليهم تمييزها من الجسد ولا يخفى عليهم شي منها في شي منه فلا يلين تردهم لهم
وتصويرا للعنف والشدة في السياق والالحاح والتشديد في الازهاق من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملط
الملازم **اخرجوا انفسكم** فكانهم قالوا لما ذا يرسل ربنا فقالوا **اليوم** اي هذه الساعة وكانهم عبروا به لتصوير طول العذاب **تجزون
عذاب الهون** اي العذاب الجامع بين الايلام العظيم والهوان الشديد والخزي المديد بالنزع وسكرات الموت وما بعده في البرزخ الى ما لا نهاية له
بما كنتم تقولون اي تجددون القول دائما **على الله** اي الذي له جميع العظمة **غير الحق** اي غير القول المتمكن غاية التمكن في درجات الثبات
ولو قال بدله بالباطل لم يؤد هذا المعنى ولو قال الباطل لقصر عن المعنى الكثير وقد مضى في المائدة ما ينفع هنا واذا نظرت الى ان السياق
لاصول الدين ازداد المراد وضوحا **وكنتم** اي وبما كنتم **عن اياته تستكبرون** اي تطلبون الكبر للمجاوزة عنها ومن استكبر عن اية واحدة
كان مستكبرا عن الكل اي لو رايت ذلك لرايت امرا فظيعا وحالا هائلا شنيعا وعبر بالمضارع تصويرا لحالهم ولما كانوا ينكرون ان يحل
الميت شيئا بعد الموت او يحيى كلاما وكان التقدير كما دل عليه السياق فيتوفاهم الملئكة لا يقدر احد على منعهم فتقول لهم تقديرا بملائكتنا
الذين خبرناكم اول السورة انهم اذا انصروا كان القضاء الفصل والامر البت الحتم الذي ليس فيه مهل عطف عليه قوله مشيرا الى ما كان
سبب استكبارهم من الاجتماع على الضلال والتقوي بالاموال **ولقد جئتمونا** اي لما لنا من العظمة بالموت الذي هو دال على شمول
علمنا وتمام قدرتنا قطعا ودل على تمام العظمة وان المراد مجيئهم بالموت قوله **فرادى** اي متفرقين ليس لاحد منكم مع احد ومنفردين عن
كل شي صدكم عن اتباع رسلنا **كما خلقناكم** اي بتلك العظمة التي امتنا كم بها بعينها **اول مرة** في الانفراد والضعف والفقر فاين جمعكم
الذي كنتم به تستكبرون **وتركتم ما خولناكم** اي ملكناكم من المال ومكناكم من اصلاحه نعمة عليكم لتوصلوا به الى رضانا فظننتم انه لكم
بالاصالة واعرضتم عنا وبدلتم ما دل من عظمتنا بضد ذلك من الاستهانة بنا وباسوتنا **وراء ظهوركم** فما اغنى عنكم ما كنتم به تستكثرون له
ولما كانوا يعدون الاصنام الهة ويرجون شفاعتها اما استهزاء واما في الدنيا واما في الاخرة على تقدير التسليم لصحة البعث قال تهكما
بهم واستهزاء بشانهم **وما نرى معكم شفعاءكم** اي التي كنتم تقولون فيهما ما تقولون **الذين زعمتم** اي كذبا وجراءة وفجورا **انهم فيكم شركاء**
اي ان لهم فيكم نصيبا مع الله حتى كنتم تعبدونهم في وقت الرخاء وتدعونهم في وقت الشدة ادونا هم لعلمهم بسرهم عنا سافرا وحجبنا عنهم
حاجب ثم دل على علمهم في جواب هذا الكلام الهائل المرعب حيرة وعجزا ودهشا وذلا بقوله **لقد تقطع** اي تقطعا كثيرا ولما كان ذكره
البين ما شي يدل على قربه في الجملة وحضوره ولو في الذهن لانه يقال بيني وبين كذا كذا وكان فلان بيننا ونحو ذلك مما يدل على الحضور
قال منبها على زوال ذلك حتى بالمرور بالبال والخطور في الذهن لشدة الاشتغال **بينكم** فاسند القطع المبالغ فيه الى البين واذا انقطع
البين تقطع ما كان فيه من الاشياء التي كانت سبب الاتصال فلم يبق لاحد منهم اتصال بالاخر لان ما بينهما صار كالخندق بانقطاع نفس
البين فلا بيان في معنى الوصول هذا على قراءة الجماعة بالرفع وهذا المآل معنى قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على الظرفية
ولما رجع المعنى الى تقطع الوصل بين سبب ذلك وهو زوال المستند الذي كانوا يستندون اليه فقال **وضل عنكم** اي ذهب وبطل
ما كنتم تزعمون اي من تلك الاباطيل كلها ولما ثبتت الوحدانية والنبوة والرسالة وتفارع من تفاريعها وانتهى الكلام هنا الى ما تجلى به
مقام العظمة وانكشف له قناع الحكمة وتمثل نفوذ الكلمة فتهيا السامع للتامل وتفرغ فهمه لتدبره قال دالا عليه مشيرا اليه محلما
ان ما مضى انجزه واظهره لابد وان يرده مذكرا باية والذين يؤمنون بالاخرة ومحاجة ابرهيم عليه السلام مصرفا ما مضى اول السورة من
دلائل الوحدانية على وجه اخرى علاما بان دلائل الجلال تفوق عدد الرمال وتنبيها على ان القصد بالذات معرفة الله تعالى بذاته
وصفاته **ان الله** اي الذي له جميع صفات الكمال فهو قادر على كل ما يريد **فالق الحب** اي فاطره وشاقه عن الزرع والنبات وعبر بذلك
لان الشي قبل وجوده كان معدوما والعقل يتوهم ويتخيل من العدم ظلمة متصلة فاذا خرج من العدم المحض والفناء الصرف فكانه بحسب
التخيل والتوهم شق ذلك العدم **والنوى** اي وهو ما يكون داخل الثمار الماكولة كالتمر ولا يكون مقصودا لذاته بجعلها عن الاشجار وفي ذلك

حكم

حكم واسرار يدق عن الافكار وتدل على كمال الواحد المختار قال الامام الرازي ما حاصله ان النواة والحبة تكون في الارض الرطبة من
فيظهر الله في اعلاها شقا واخر في اسفلها ويخرج الشجرة من الاعلى فتعلو وتهبط من الاسفل شجرة اخرى في اعماق الارض هي العروق
وتلك الحبة او النواة سبب واصل بين الشجرتين الصاعدة والهابطة يشهد الحس والعقل بان طبع الصاعدة والهابطة معا
وليس ذلك قطعا بمقتضى الطبع والخاصية بل بالايجاد والاختراع والتكوين والابداع ولا شك ان العروق الهابطة في غاية
اللطافة والرقة بحيث لو دلكت باليد بادنى قوة صارت كالماء وهي مع ذلك تقوى على النفوذ في الارض الصلبة التي لا تنفذ فيها
المسلة والسكين الحادة الا باكراه عظيم فحصول هذا النفوذ لهذه الاجرام اللطيفة لا يكون قطعا الا بقوة الفاعل المختار
لا سيما اذا تاملت ظهور شجرة من نواة صغيرة ثم تجمع الشمس طبائع مختلفة في ثمرها ثم فيما تحته من جرم الخشبة وفي وسط
تدوير الخشبة تدوير ضعيف كالعهن المنفوش ثم يتولد من ساقها اغصانها ومن اغصانها اوراقها اولا ثم نوارها وازهارها
ثانيا ثم الفاكهة ثالثا ثم قد يحصل للفاكهة اربعة انواع من القشور مثل الجوز واللوز فقشره الاعلى ذلك الجرم الاخضر
وتحته الجرم الذي كالخشب وتحته الجرم الذي كالغطاء الرقيق المحيط باللبة وتحته اللب المشتمل على جرم كثيف هو ايضا
كالقشرة وعلى جرم لطيف هو الدهن وهو المقصود بالذات فتولد هذه الاجسام المختلفة طبعا وصفة ولونا وشكلا
وطعما مع تساوي تاثيرات الطبائع والنجوم والعناصر والفصول الاربعة دال على القادر المختار وقد يجمع الطبائع الاربع
في الفاكهة الواحدة كالاترج فقشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس وكذلك العنب
قشره وعجمه بارد يابس وماؤه ولحمه حار رطب مع انك تجد احوالها مختلفة بعضها لبه في داخله وقشره في خارجه كالجوز
واللوز وبعضه يكون المطلوب منه في الخارج وخشبه في الداخل كالخوخ والمشمش وبعضه نواه له لب كالمشمش وبعضه
لا لب لنواه كالتمر وبعضه يكون كله مطلوبا كالتين فاختلاف هذه الطبائع والاحوال المتضادة والخواص المتنافرة
حتى عن الحبة الواحدة لا يكون عن طبيعة بل عن الواحد المختار والحبوب مختلفة الالوان والاشكال والصور فشكل الحنطة كانه نصف
مخروط وشكل الشعير كانه مخروطان اتصلا بقاعدتيهما وشكل الحمص على وجه اخر واودع سبحانه في كل نوع منها خاصية ومنفعة
غير ما في الاخر وقد تكون الثمرة غذاء الحيوان وسم الحيوان اخر فهذا الاختلاف مع اتحاد الطبائع وتاثيرات الكواكب دال على انها انما
حصلت بالفاعل المختار ثم انك تجد في ورقة الشجرة خطا في وسطها مستقيما نسبته لتلك الورقة نسبة النخاع الى بدن الانسان
ينفصل عنه خيوط مختلفة وعن واحد منها خيوط اخرى ادق من الاولى ولا تزال على هذا المنهج حتى تخرج الخيوط عن الحس والبصر كما
ان النخاع ينفصل منه اعصاب كثيرة يمنة ويسرة في البدن ثم لا تزال تنفصل عن كل شعبة شعب اخرى ولا تزال تستدق حتى تلطف
عن الحس فعل ذلك سبحانه في الورقة لتقوى القوى المركوزة في جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري
الضيقة فهذا يعلمك ان عنايته سبحانه في ايجاد جملة تلك الشجرة اكمل فعنايته في تكوين جملة النبات اكمل وهو انما خلق جملة النبات
لمصلحة الحيوان فعنايته في تخليق الحيوان اكمل والمقصود من تخليق جملة الحيوان هو الانسان فعنايته في تخليقه اكمل وهو سبحانه انما
خلق الحيوان والنبات في هذا العالم ليكون غذاء ودواء للانسان بحسب جسده والمقصود من جسده حفظ تركيبه لاجل المعرفة
والمحبة والعبودية فسبيلك ان تنظر في ورقة الشجرة وتتامل في تلك الاوتار ثم تترقى منها الى وجه تخليق الشجرة ثم الى ما فوقها رتبة
رتبة لتعلم ان المقصود الاخير منها حصول المعرفة والمحبة في الارواح البشرية وحينئذ ينفتح لك باب من المكاشفات لا اخر له
ويظهر لك ان نعم الله في حقك غير متناهية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والله الهادي ولما كان فلقها عن النبات من جنس
الاحياء لما فيه من النمو فسر بمعنى الفلق وبينه اشارة الى الاعتناء به وقتا بعد وقت بقوله **يخرج** على سبيل التجدد والاستمرار وتنبيها
لامر البعث **الحي** اي كالنجم والشجر والطير والدواب **من الميت** اي من الحب والنوى والبيض والنطف فكيف تنكر قدرته على البعث ولما
انكشف معناه وبان مغزاه باخراج الاشياء من اضدادها ليلا يتوهم لو كان لا يخرج عن الشي الا مثله ان الفاعل الطبيعة والخاصية عطف
على فالق زيادة في البيان قوله معبرا باسم الفاعل الدال على الثبات لانه لا منازعة لهم فيه فلم تدع حاجة الى التعبير بالفعل الدال على
التجدد **ومخرج الميت** اي من الحب وما معه **من الحي** اي من النجم وما معه ولما تفردت له سبحانه هذه الاوصاف التي لا تقدر اصلا احد غيره على
شي منها قال منبها لهم على غلطهم في اشراكهم اعلاما بان كل شريك ينبغي ان يساوي شريكه في شي ما من الامر المشترك فيه ولا مكافئ
له سبحانه في شي من الاشياء فلا شريك له بوجه **ذلكم** اي العالي المراتب المنيع المراقي **الله** اي المستجمع لصفات الكمال وحده فلا تحق الالهية
الا له ولما كان هذا معنى الكلام سبب عنه قوله **فانى** اي فكيف ومن اي وجه **تؤفكون** اي تصرفون وتقلبون عما ينبغي اعتقاده ولما وصف
سبحانه نفسه المقدسة بفلق الجواهر بما اقتضى حتما اتصافه بصفات الكمال وقدمه لكونه من اظهر الادلة على القدرة على البعث
الذي هذا اسلوبه مع الالف له بتقريبه ومعالجته اتبعه ما هو مثله في الدلالة على الاحياء لكنه في المعاني وهو سماوي شارح لما اشار اليه
الخليل عليه السلام في محاجة قومه من ابطال الهية كل من النور والظلمة والكواكب التي هي منشا ذلك فقال ترقيا من العالم السفلي
الى العالم العلوي **فالق الاصباح** اي موجده وحقيقته فالق ظلمة الليل عن الصباح لكنه لما كثر استعماله وامن اللبس فيه اسند
الفعل الى الصبح كما يقال انفجر الصبح وانفجر عنه الليل ويمكن ان يراد بالفلق الكشف لانه يكشف من المفلوق ما كان مخفيا فعبر
عن المسبب الذي هو الاظهار بالسبب الذي هو الفلق وعبر عن الصباح بهذه الصيغة التي يقال للدخول في الصبح للفلق لارادة فلق

فلق السكون بالنوم او غيره عن التصرف بالحركة المترتبة على الدخول في الصبح فدلنا ذلك على وجاعل الاصباح حركة وسادل الليل
وجاعل الليل بما يكون من اظلامه سكنا يسكن الناس فيه واليه ويستريحون فيه فالاية من الاحتباك حذف من الاول الحركة ودل عليها بالسكن
وحذف من الثاني السدل ودل عليه بالفلق وهذا الفلق من اعظم الدلايل على قدرته سبحانه وفيه دلالتان لان الاصباح يشمل الفجر الكاذب
والصادق والاول اقوى دلالة لان الشمس اذا وصل الى دايرة نصف الليل فالموضع الذي يكون فيه تلك الدايرة افقا له تطلع الشمس
من شرقه فيضيء في ذلك الموضع نصف كرة الارض فيحصل الضوء في الربع الشرقي من بلدنا تلك ويكون ذلك الضوء منتشرا مستطيرا
في جميع الجو ويجب ان يقوى لحظة فلحظة فلو كان الاول من قرص الشمس لامتنع ان يكون خطا مستطيلا بل كان يجب ان يكون مستطيرا
في الافق منتشرا متزايدا لحظة فلحظة لكن ليس هو كذلك فانه يبدو كالخيط الابيض الصاعد حتى شبهته العرب بذنب السرحان
ثم يحصل بعده ظلمة خالصة ثم يكون الثاني الصادق المستطير فكان الاول ادل على القدرة لانه بتخليق الله ابتداء تنبيها على ان الانوار ليس
لها وجود الا بابداعه وان الظلمات ليس لها ثبات الا بتقديره ولما ذكر الضيا والظلمة ذكر منشاهما وضم اليه قرينه فقال عاطفا على
محل الليل لان جاعلا ليس بمعنى المضي فقط لتكون الاضافة حقيقية بل المراد استمراره في الازمنة كلها والشمس اي التي ينشا
عنها كل منهما هذا عن غروبها وهذا عن شروقها والقمر اي الذي هو اية الليل حسبانا اي ذوي حسبان وعلمين عليه لان الحساب
يعلم بدورهما وسيرهما وبسبب ذلك نظم سبحانه مصالح العالم في الفصول الاربعة فيكون عن ذلك ما يحتاج اليه من نضج الثمار
وحصول الغلات وعبر عنهما بالمصدر المبني على هذه الصيغة البليغة اشارة الى ان الحساب بهما امر عظيم كبير الدخول مع ما له
في الدنيا في ابواب الدين فهو جليل نفعهما الذي وقع التكليف به فكانه لما كان الامر كذلك كان حقيقتهما التي يعبر عنهما بها واما غير ذلك
من منافعهما فلا مدخل للعباد فيه ولما كان هذا امرا باهرا ووصفا قاهرا اشار اليه باداة البعد فقال ذلك اي التقدير العظيم
الذي تقدم من الفلق وما بعده تقدير العزيز اي الذي لا يغالب فهو الذي قهرهما على ما سيرهما فيه وغلب العباد على تدبير من امورهما
فلو اراد احد ان يجعل ما جعله من النوم يقظة او اليقظة نوما او يجعل محل السكون للحركة او بالعكس وغير ذلك مما اشارت اليه الاية
لاعياه ذلك العليم اي الذي جعل ذلك بعلمه على منهاج لا يتغير وميزان قويم لا يزيغ ولما ذكر ذلك اتبعه منفعة اخرى تعمهما مع غيرهما
مبينا ما اذن فيه من علم النجوم ومنافعها فقال وهو اي لا غيره الذي جعل ولما كانت العناية بنا اعظم قدم قوله لكم النجوم اي كلها سارها
وثابتها وان كان علمكم يقصر عنها كلها كما يقصر عن الرسوخ والبلوغ في علم التسيير للسيارة منها لتهتدوا اي لتكلفوا انفسكم
علم الهداية بها لتعلموا القبلة واوقات الصلوات والصيام وغير ذلك من منافعكم دينا ودنيا ولما كانت الارض والما لا ليس بهما من
يقسمهما الا الظلمة وانضمت الى ذلك ظلمة الليل قال في ظلمات البر اي الذي لا علم فيه وان كانت له اعلام فانها قد تخفى والبحر فانه لا
علم به والاضافة اليهما للملابسة او تشبيه الملتبس من الطرق وغيرها بالظلمة روى الحافظ ابو بكر الخطيب البغدادي في جزء جمعه
في النجوم من طريق احمد بن سهل الاشناني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم انتهوا
وتعلموا من الانساب ما تصلون به ارحامكم وتعرفون ما يحل لكم ويحرم عليكم من النسا ثم انتهوا وفيه من طريق عبد الله بن الامام احمد في
زياداته على المسند عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي اسبغ الوضوء وان شق عليك ولا تاكل الصدقة
ولا تنز الحمير على الخيل ولا تجالس اصحاب النجوم وفيه عن ابي ذر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسالوا
عن النجوم ولا تفسروا القران برايكم ولا تسبوا احدا من اصحابي فان ذلك الايمان المحض وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى عن النظر في النجوم رواه من طرق كثيرة وعن عايشة رضي الله عنها مثله سوا وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكرت النجوم فامسكوا رواه من طرق واسند عن قتادة في قوله
تعالى وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات قال هي النجوم قال ان الله عز وجل انما خلق هذه النجوم لثلاث خصال جعلها زينة للسما
وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد اخطا حظه وقال رايه واضاع نصيبه وتكلف ما لا
علم له به في كلام طويل حسن وهذا الاثر الذي عن قتادة اخرجه البخاري في صحيحه وقال صاحب كنز اليواقيت في استيعاب المواقيت
في مقدمة الكتاب واعلم ان العلم منه محمود ومنه مذموم لا يذم لعينه انما يذم في حق العباد لاسباب ثلاثة اولها ان يكون مودبا
الى ضرر كعلم السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القران به وانه سبب للتفرقة بين الزوجين وسحر النبي صلى الله عليه وسلم ومرض
بسببه حتى اخبره جبريل عليه السلام واخرج السحر من تحت حجر في قعر بير كما ورد في الحديث الصحيح ومعرفة ذلك من حيث انه معرفة ليس
مذموما ومن حيث انه لا يصلح الا للاضرار بالخلق يكون مذموما والوسيلة الى الشر شر الثاني ان يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر
كالقسم الثاني من علم النجوم الاحكامي المستدل به على الحوادث بالاسباب كاستدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض
وهو معرفة لمجاري سنة الله وعادته في خلقه ولكنه ذمه الشرع وزجر عنه لثلاثة اوجه احدها انه يضر باكثر الناس فانه اذا قيل هذا الامر بسبب
سير الكواكب وقع في نفس الضعيف العقل انه موثر فيمحي ذكر الله عن قلبه فان الضعيف يقصر نظره على الوسايط بخلاف العالم
الراسخ فانه يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات وفرق كبير بين من يقف مع الاسباب وبين من يترقى الى مسبب الاسباب ثم
ذكر ما حاصله ان السبب الثاني في النهي عنه انه تخمين لا يصل الى القطع والثالث انه لا فايدة فيه فهو خوض في فضول وان السبب
الثالث مما يذم به من العلوم انه مما لا تبلغه اكثر عقول الناس ولا تستقل به ولا يكون العلم ضارا لبعض الاشخاص كما يضر لحم الطير

بالوضع

بالوضيع انتهى وروى ابو داود وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتبس علما من
النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد وقال صاحب كتاب الزينة في اخر كتابه بعد ان ذكر العيافة والعرافة والزجر ونحوها
وياتي اكثره عند في سورة الصافات وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والنجوم فانها تدعو الى الكهانة قال وهذه الاشيا
كلها لها اصل صحيح لانها ما كانت من علوم الانبيا مثل النجوم والخط وغير ذلك ولولا الانبيا الذين ذكروا علم النجوم وعرفوا
مجاري الكواكب في البروج وما لها من السير في استقامتها ورجوعها وما قد ثبت وصح من الحساب في ذلك لما اهتدى فيه لما قد
الناس على ادراكه وذلك كله بوحي من الله عز وجل الى انبيايه عليهم السلام وقد روي ان ادريس عليه السلام اول من علم النجوم
وروي في الخط انه كان علم نبي من الانبيا ولولا ذلك لما ادرك الناس هذه اللطايف ولا عرفوها انتهى ولما كانت هذه الاية
قد بلغت في البيان جدا علا على طوق الانسان والملايك والجان لكونها صفة الرحمن فكانت نحوا يتوقع فيه التنبيه عليه قال
قد فصلنا اي بينا بيانا شافيا على ما لنا من العظمة الايات اي واحدة في اثر واحدة على هذا الاسلوب المنيع والمثال الرفيع
ولما كانت من الوضوح في حد لا يحتاج الى كبير تامل قال لقوم يعلمون اي لهم قيام فيما اليهم ولهم قابلية العلم ليستدلوا
بالشاهد على الغايب ولما ذكر سبحانه بعض هذا الملكوت الارضي والسماوي تبعه كما مضى في اول السورة الخلق المفرد الجامع
لجميع الملكوت وهو الانسان دالا على كمال القدرة على ما يريد مبطلا بما وقع اول الابداع واخر الحال ما اعتقدوا في النور
والظلمة والشمس والقمر وغيرهما لان واحدا منها لا اختيار له في شي يصدر عنه بل هو مسخر مقهور كما هو محسوس ومشهور فقال
وهو اي لا غيره الذي انشاكم اي وانتم في غاية التفاوت في الطول والقدر واللون والشكل وغير ذلك من الاعراض التي دبرها
على ما اقتضته حكمته من نفس واحدة ثم اقتطع منها زوجها ثم فرعكم عنهما ولما كان اغلب الناس في الحياة الدنيا يعمل عمل
من لا يحول ولا يزول لا يكون على شرف الزوال ما دامت فيه بقية حياة من حياة قال فمستقر اي بسبب عن ذلك انه منكم مستقر
على الارض هذا على قراءة ابن كثير وابي عمرو بكسر القاف اسم فاعل والمعنى في قراءة الباقين بفتحها اسم مكان ولكم في الارض
مستقر ومتاع الى حين ولما كان من في البرزخ قد كشف عنهم الغطا فهم موقنون بالساعة غير عاملين على ضد ذلك وكذا
من في الصلب والرحم عبر بما يدل على عدم الاستقرار فقال ومستودع اي في الاصلاب او الارحام او في بطن الارض فذلك
المفاوتة في كل منهما مع ان الكل من نفس واحدة على اقتدار المختار لا يقدر غيره ان يعكس شيا من ذلك وكل ذلك مضمون
الايتين في اول السورة وقدم الاصباح والليل ومتعلقهما لتقدمهما في الخلق ثم تلاه بخلق الانسان على حسب ما مر اول
السورة وذكر هنا انه جعل ذلك الطين نفسا واحدة فرع الانس كلهم منها مع نفخه وتمم فيما هناك وفي غيره ولما ذكر هذا
المفرد الجامع وفصله على هذه الوجوه المعجبة كان محلا لتوقع التنبيه عليه فقال قد فصلنا اي بعظمتنا الايات اي الدالة
بيانها في هذا المفرد الجامع في اطوار الخلقة وادوار الصنعة تارة بان يكون من التراب بشرا واخرى بان يخرج الانثى من الذكر
وتارة بان تفرع من الذكر والانثى ما لا يحيط به الحد ولا يجمعه الحصر من النطفة والى الولادة الى الكبر ولما كان الناس من نقل
وتصريفهم على تلك الوجوه المختلفة جدا الطف وادق صنعة فكان ذلك محتاجا الى تدبر واستعمال فطنة وتدقيق نظر قال
لقوم يفقهون اي لهم اهلية الفقه والفطنة ولما ذكر وجوه الابداع التفريعي من هذين الكونين واسباب البقا لهما بما ينشا عنه
الفصول وغيرها اتبعه سببه القريب وهو الما الذي جعل منه كل شي حي فقال مفصلا ما اجمل في الحب والنوى سابقا له بما
الاحسان كما فعل من الدلايل فان الدليل اذا كان على وجه الاحسان ومذكرا بالانعام كان تاثيره في القلب عظيما فينبغي
للمشتغل بدعوة الخلق ان يسلك هذا المسلك ليكون للقلوب املك وهو اي لا غيره الذي انزل اي بقدرته وعلمه وحكمته
من السما اي الحقيقية التي تعرفونها كما دل عليه صريح العبارة وما اشبهها من ذكر الحيوان المنبه عليه بطريق الاشارة
ما اي منهمرا ودافقا ولما كان تفريع الخلق من الما بمكان من العظمة لا يوصل اليه نبه عليه بالانتقال الى التكلم في مظهر
العظمة فقال فاخرجنا اي على ما لنا من العظمة التي لا يدانيها احد به اي الما نبات كل شي مختلفا طعومه والوانه وروايحه
وطبايعه ومنافعه وهو بما واحد فالسبب واحد والمسببات كثيرة متفننة كان ذلك النبات حقيقيا من النجم والشجر وكان
من الانثى والذكر مسبب عن الحقيقي لظهوره فقوله دالا على العظمة فاخرجنا منه اي النبات خضرا اي شيا اخضر غضا طريا
وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة ثم زاد في بيان عظمته بقوله نخرج اي حال كوننا مقتدرين ان نخرج منه اي
من ذلك الخضر حبا متراكبا اي في السنبل يركب بعضه بعضا ويحرسه من ان يلتقطه الطير بعد ستره بالقشر بحسك طويل
لطيف جدا كالابر يخشن بعد ان كان اصله حبة واحدة على صورتها او متغيرة في التراب بعد ان طوره سبحانه في عدة اطوار
فامل ذلك لعادة يختار ولما كرر نسبة الاخراج والابداع اليه سبحانه وحده في مظهر العظمة خصوصا وعموما فعلم ان الكل منه
وصار الحال في حد من الوضوح جدير بان يومن لمن نسبة شي الى غيره لا سيما الذين هم معالجون وبالعجز عن ابداعه عالمون
وبدا بما بدا به من اية الفلق من الحب شي بها من النوى مخبر الذلك الاسلوب ومن النخل وتقديم الحب عليه هنا وفيما قبل
يدل على ان الزرع افضل منه فانه قوت في اكثر البلاد لاغلب الحيوانات والغذا مقدم على الفاكهة ثم ابدل مما اجمل
من ذلك قوله مبينا من طلعها اي النخلة وهو اول ما يخرج منها في اكمامه قنوان جمع قنو وهو العذق بالكسر للشمراخ وهو الكباسة

والعرجون عوده الذي يكون فيه البسر **دانية** اي قريبة المتناول وان طال اصلها بما علمكم وسهل لكم من صنعة الوصول اليها
ولما لم يكن لهم من معالجة الاعناب وغيرها ما لهم من معالجة النخيل عطف على نبات منها لهم على انها كالنخيل هو سبحانه المنفرد
بابداعها وقدم النخيل لانها قوت للعرب وبينها وبين الانسان مشابهة في خواص كثيرة لا توجد في النبات ولهذا جاء في الحديث
اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من طينة آدم عليه السلام وليس من الشجر يلقح غيرها رواه ابو يعلى وابو نعيم في الحلية وابو الشيخ
عن علي رضي الله عنه فقال **وجنات** اي بساتين **من اعناب** وجمعها لكثرة انواعها وبدا بهاتين الشجرتين لفضلهما كما تقدم
على غيرهما لان ثمرهما فاكهة وقوت وقدم الاول لانهم له اكثر ملابسة وان كان العنب اشرف انواع الفواكه فانه ينتفع به من اول ظهوره
لانه يكون له خيوط خضر دقيقة حامضة لذيذة ثم يكون الحصرم وهو طعام شريف للاصحاء والمرضى وقد يتخذ منه رب الحصرم والاشربة
لطيفة المذاق نافعة لاصحاب الصفراء ويطبخ منه الذ الاطعمة الحامضة وهو عنبا الذ الفواكه واشهاها ويدخر عنبا وزبيبا من سنة
ويكون زبيبه غذاء ويكون منه الدبس والخل وغير ذلك واحسن ما فيه عجمه وهو يتخذ منه جوارشات عظيمة النفع للمعدة الضعيفة
الرطبة واتبعهما ما يليهما في الفضيلة فقال **والزيتون** اي اخرجناه وقدمه لكثرة نفعه وينفصل منه دهن عظيم النفع في الاكل
والضياء وسائر وجوه الاستعمال **والرمان** ختم به لحسنه وعظيم نفعه وهو مركب من ادلجة اشياء قشره وشحمه وعجمه وماؤه فالثلاثة
الاول باردة يابسة ارضية كثيفة عفصة قابضة جدا والماء بضدها وهو الذ الاشربة والطفها واقربها الى الاعتدال واشدها
مناسبة للطبع المعتدل وفي ذلك تقوية للمزاج الضعيف وهو غذاء من وجه ودواء من وجه ولما ذكر الاقوات من الثمار والحبوب
والادهان واشرف الفواكه واعمها وكانت اشبه شيء بالادمي في نشبه ولحمه وانفاقه واختلافه وكان اشتباه بعضها واختلاف
بعضها مع كونها تسقى بماء واحد وفي ارض واحدة دالا على القدرة والاختيار وكان السياق لاثبات الوحدانية ونفي الشريك باثبات
كمال القدرة التي هي منفية عن غيره فلا يصح ان يكون له شريك لانه لا يكون الا مشابها للشريك لكمال المشابهة فيها ونفعا للشركة
فيه وللبعث فكان المراد التفكر في ظواهرها وتقلباتها من العدم الى الوجود وبعد الوجود ولحاجة اهل الكتاب الموسومين بالعلم
المنسوبين الى حدة الاذهان وغيرهم من العرب وكان افتعل بابه للتصرف وهو المبالغة في اثبات اصل الفعل والاجتهاد في تحصيله
والاعمال فيه فكان حصوله اذا حصل اكمل قال بانيا حالا من كل ما تقدم **مشتبها** اي في غاية التشابه بعضه لبعض حتى لا يكاد
يتميز فلو قطع ثمرتا شجرتين منه لم يميز ثمرة هذه من ثمرة هذه فلا يقال حينئذ نفي التفاعل فانه لمجرد مشاركة امرين او اكثر
في اصل الفعل فعلم ان التقدير وغير مشتبه ومتشابها ثم لما كان ربما تمسك بالطبائع بهذه العبارة نفى ما ربما ظن من ان
لهذه الاشياء عملا في اشتباه بعضها ببعض فقال **وغير متشابه** اي غير طالب للاشتباه مع انه لا بد من شبه ما فالاية من
الاحتباك اثبت الاشتباه دلالة على نفي ضده وعدم التشابه كذلك ولاجل ان الاشتباه ابلغ من التشابه علق الامر بالنظر
الذي هو اثبت الحواس ودلالة على ان المراد بما هو ظاهر ذلك لانه كاف في الدلالة على البعث والتوحيد الذي هو اساس فقال **انظروا الى ثمره** وهذا بخلاف الحرف الثاني فانه في سياق الرد على العرب فيما يجعلون من خلقه لاصنامهم التي لا تدل
لها على شيء اصلا ولذلك ختم الاية بالاذن لهم بالاكل منه للاباحة عما كانوا يحرمونه على انفسهم وبالامر بالتصدق على من امر
بالصدقة عليه ثم نبه على تعميم النظر في جميع حالاته بقوله **اذا اثمر** اي حين يبدو من كمامه ضعيفا قليل النفع او عديمه **وينعه**
اي وانظروا الى ادراكه اذا ادرك وحان قطافه ويعلم من ذلك النظر فيما بين ذلك لانه يلزم من مراقبة الاول والاخر ليعلم
استحالة الوانه ومقاديره وطعومه واشكاله وغير ذلك من شؤونه واحواله ويلزم من ذلك ايضا النظر الى اشجاره ليعلم
تفاوت بعضها واشتباه البعض الاخر في الطول والقصر والصغر والكبر وغير ذلك من سائر الاحوال كما ان ذلك موجود
في الثمر فاستنادهذه التبدلات والتغيرات ليس الا الى الفاعل المختار لان نسبته الى الطبائع والفصول على حد سواء
فلو استندت اليها لم تتغير ولما كان اتحاد هذه المذكورات اولا والمخالفة بين اشكالها ومقاديرها والوانها ثانيا دالا
على كمال القدرة المستلزم للوحدانية دل على عظمته بقوله مستانفا مشيرا باداة البعد وميم الجمع **ان في ذلكم** اي الامر
العظيم العالي الرتبة **لايات** اي علامات على قدرة الصانع واختياره ولما كانت الايات لا تغني عمن اريدت شقاوته قال **لقوم يؤمنون** اي حكم بانهم يجددون ونشاطهم وقوتهم على ما يحاولونه يجددون الايمان كلما تاملوا في مصنوعات الله الدالة عليه
المشيرة بكل لسان اليه ولما كان المشركون على اصناف فمنهم عبدة اصنام شركوا في العبودية لا في الخلق ومنهم آزر الذي حاجه
ابرهيم عليه السلام ومنهم عبدة كواكب وهم فريقان منهم من قال هي واجبة الوجود ومنهم من قال ممكنة خلقها الله وفوض
اليها تدبير هذا العالم الاسفل وهم الذين حاجهم الخليل عليه السلام بالافول ومنهم من قال لهذا العالم كله الهان فاعل
خير وفاعل شر وقالوا ان الله وابليس اخوان فالله خالق الناس والدواب والانعام وابليس خالق السباع والحيات
والعقارب والشرور ويلقبون الزنادقة وهم المجوس لان الكتاب الذي زعم زرادشت انه من عند الله سمي بالزند فالمنسوب
اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق وكان هذا كله من قوله فالق الاصباح شرحا لاية ان الله فالق الحب دلالة على تمام القدرة
الدال على الوحدانية للدلالة على البعث حسن كل الحسن العود الى تقبيح حال المشركين بالتعجيب منهم في جملة حالية من
الضمير في فالق وغيره مما تقدم فقال تعالى شارحا امر هذا الصنف لان امر غيرهم تقدم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان

ان هذه الاية في الزنادقة **وجعلوا** اي هو سبحانه فعل هذا الذي لا يدع لبسا في تمام علمه وقدرته وكمال حكمته ووحدانيته والحال
انه لمن فعل ذلك لاجلهم قد جعلوا او غير بالاسم الاعظم وقدمه استعظاما لان تعدل به شيء **لله** اي الذي له جميع الامر ولما كان الشرك
في غاية الشناعة قدمه فقال **شركا** يعني وما كان ينبغي ان يكون له شريك مطلقا لان الصفة اذا ذكرت مجردة غير مجراة على شيء
كان ما يتعلق بها من النفي عاما في كل ما يجوز ان تكون له تلك الصفة وحكم الانكار حكم النفي ولما اهتز السامع من هذا التقديم الى
المعنى من غير زيادة اللفظ تشوف الى معرفة النوع الذي كان منه الشرك فبينهم بقوله **الجن** اي الذين هم اضر المخلوقات عليهم واغلاهم
لهم فاطاعوهم كما يطاع الاله فكان عبادة لهم وشريكا وقد ابيت ما للبيان بعد الابهام من الحسن الباهر **وخلقهم** اي والحال
انهم قد علموا ان الله خلقهم اي قدرهم بعلم وتدبير فلذلك كان خلقه لهم محكما **وخرقوا** اي العابدون **له بنين** اي كعزير والمسيح **وبنات**
اي من الملائكة فجمعوا بذلك جهالات هي غاية في الضلالات وصف الملائكة بالانوثة والاجتراء على مقام الربوبية بالحاجة والتخصيص
بعد ذلك بما لا يرضونه لانفسهم بوجه ومادة خرق تدور على النفوذ والاتساع والاطلاق والتقدير بغير علم ولا معرفة فيحدث
عنه الفساد ولذلك قيل من لا يحسن العمل اخرق وللمراة خرقا يعني انهم كذبوا واختلقوا وتسمحوا في هذا القول المكذب
فابعدوا به في المجاوزة عن حقيقته اتساع من سار في خرق الى برية واسعة يمينا وشمالا وتنوفة جوفا متباعدة الارجاء الى حيث لم يسبقه
اليه بشر يضل عن الجادة ضلالا لا يرجى معه هدايته الا على بعد شديد بل فصار حديرا بالهلاك والى ذلك يرجع معناها في تفسير الشاذ
وحرفوا بالمهملة والفاء ولما لم يكن لقولهم اصلا حقيقة ولا شبهة وكان الخرق التقدير بغير علم دل على ذلك مصرحا بما افهمه محققا
لتقبيحها على الدليل القطعي في احتياج قولهم من اصله وذلك انه قول لا حجة له ومسائل اصول الدين لا يصار الى شيء منها الا بقاطع
وذلك بنكرة في سياق النفي فقال **بغير علم** ثم نزه نفسه المقدسة تنبيها على ما يجب قوله على كل شيء من سمع ذلك فقال **سبحانه**
اي اسبحه سبحانا يليق بجلاله ان يضاف اليه ولما كان معنى التسبيح الابعاد عن النقص وكان المقام يقتضي كونه في العلو صرح به فقال **وتعالى**
اي تباعد امر علوه الى حد لا حد له ولا انتهاء **عما يصفون** ولما ختم بالتنزيه عما قالوه من الشريك والولد استدل على ذلك التنزيه بان
الكل خلقه محيط بهم علمه ولن يكون المصنوع كالصانع فقال **بديع السموات والارض** اي مبدعهما وله صفة الابداع اي القدرة على
الاختراع ثابتة ومن كان كذلك فهو غني عن التوليد فلذا احسن التعجب في قوله **انى** اي كيف ومن اي وجه **يكون له ولد** وزاد في التعجب بقوله
ولم اي والحال انه لم **تكن له صاحبة** والحال انه **خلق كل شيء** اي بمقدور ممكن من كل صاحبة تفرض وكل ولد يتوهم وكل شريك يدعى فكيف
يكون المبدع محتاجا الى شيء من ذلك على وجه التوليد او غيره ولما كانت القدرة لا تتم الا بشمول العلم قال **وهو** ولم يضمر تنبيها على انه
عموم العلم لا تخصيص فيه كالخلق فقال **بكل شيء عليم** اي فهو على كل شيء قدير لان شمول العلم يلزمه تمام القدرة كما ياتي برهانه ان شاء
في طه ومن كان له ولد لم يكن محيط العلم ولا القدرة بل يكون محتاجا الى التوليد ولما ثبت تنزهه لقوله بما ذكر من صفاته وافعاله وبين
فساد اقوال المشركين وفصل مذاهبهم على احسن الوجوه وبين فساد كل واحد منها بابين الحجج فثبت بذلك ما افتتح السورة به من
احاطته بصفات الكمال قال مشيرا الى ذلك كله بمبتدا اخبر عنه بعدة اخبار **ذلكم** اي العالي الاوصاف جدا الذي لا حاجة له الى شيء وكل شيء
محتاج اليه **الله** اي الذي له كل كمال **ربكم** اي الموجد لكم والمحسن بجميع انواع الاحسان فهي فذلكة ما قبلها وثمرته لان من اتصف بذلك
كان هو رب الكل وحده والخالق للجميع فاستحق العبادة وحده فلذا اتبع ذلك قوله **لا اله الا هو** لان المقام للتوحيد اللازم للاحاطة
بالاوصاف الكمال التي هي معنى الحمد المفتتح به السورة وساق قوله **خالق كل شيء** الذي هو مطلع ما بعده مساق التعليل دليلا على ذلك
فلما قام الدليل تسبب عنه الامر بالعبادة فقال **فاعبدوه** اي وحده لان من اشرك به لم يعبده لانه الغني المطلق ومن كان له الغنى المطلق
لا يحتاج الى ان يشرك شيئا اشارة الى ان الولد والشريك لا يحل له شيء مشركا وختم الاية بقوله **وهو** ولما كان المقام لنفي احتياجه الى شيء قدم قوله **على كل شيء وكيل**
انما يحتاج العاجز المفتقر واما هو فهو القادر ومن سواه عاجز وهو الغني ومن سواه فقير فكيف يحتاج القدير الغني الى العاجز الفقير
هذا مما لا يكون ولا ينبغي ان يخيله الظنون وفيه اشارة الى ان العابد ينبغي ان يتفرغ لعبادته ويقطع اموره عن غيره وكالته فانه يكفيه
بفضله عمن سواه ولما كان كل والعدو وكل شريك لا بد ان يكون مجانسا لوالده وشريكه بوجه وصل بذلك من وصفه ما اقتضاه
المقام من تنزيهه فقال **لا تدركه** اي حق الادراك بالاحاطة **الابصار** اي ان من جعلتموه ولده او شريكه هو مدرك بالابصار كعيسى
وعزير عليهما السلام والاوثان والنجوم والظلمة والنور واما الملائكة والجن فان كان حكمكم عليهم بذلك عن مشاهدة فهم كمن تقدم
وان كان عن اخبارهم فهو عن الانبياء لعن غيره وكل منهم مخبر بانهم عباد الله كغيرهم وانه منزه عن شريك وولد وهذه كتبهم كما
وصحاح اخبارهم شاهدة بذلك ووراء ذلك كله انهم بحيث لا يدركون بالابصار في الجملة لعل ادراككم مستحيلا واما هذا الاله
العزيز فهو غير مدرك لكم بالبصر كما يدرك غيره ادراكا تاما فليتنا ملها ناظره فيزينه ويتقلده بالخبرة بما فيه من رضى وغضب
وغيرهما بما ابديه الفراسة والصحة التوسم لانه سبحانه **وهو** مع ذلك يدركهم بل و**يدرك** ما لا تدركونه من انفسكم **الابصار**
وهو القوى المودعة في عصبة العين لتدرك بها المبصرات **وهو اللطيف** عن ان تحيط به الابصار لانه يمنع الاسباب عن ان تمتد
عنها مسبباتها ويوجد ادق الاسباب واعزها فلا يستغرب عليه ادراك المعاني لانه الذي اوجدها الا يعلم من خلق واصل اللطف
دقة النظر في الاشيا **الخبير** اي المحيط بالابصار فاحاطته باصحابها اجدر وبتحقيق معنى الاسمين يتحقق المعنى قال الحرالي في شرح الاسما
الاسماء اللطف اخفاء التوسل الى الشيء باظهار ما يضاده ولا يتم الا بخبرة ولذلك نظم باسمه الخبير لانه اخفا حكمه في ظاهر بضاد

فاللطف بخبرة في حكمة وباسمه تعالى اللطيف انقام امر حكمة ما بين الدنيا والاخرة وبذلك اقام امر اهل ولايته في الدنيا لما جمع لهم من امره فيها فيبعد عزمهم من ورا ذل ويتراى ذلهم ومن دونه عز فيسبق عزمهم الى القلوب مع بذلهم في الحواس ويبدو لمحسوسهم الى عز في عقبى الدنيا ومبادرة الاخرة مع تانس القلوب بهم اليه في لطيف لما يشا لما اراد ان يملكه مصر جعل وسيلة ذلك استعباده بها ولحصول معناه بتمام الخبرة والحكمة وملك ابدا الشي في ضده يتضح اختصاصه بالحق فهو الذي اطعم من جوع وامن من خوف الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فهو تعالى اللطيف الذي لا لطيف الا هو ثم قال الخبرة لادراك خبايا الاشيا وخفايا ها بحيث لا يبدو منه خبيئة امر الا كان ادراك الخبير سابقا لبدوها وذلك لا يتم الا لمبديها الذي هو يخرج خبيها وهو الذي يخرج الخب في السموات والارض وبخبرة الخلق لا بد فيها من اظهار بادي يبني عن الخب بمقتضى التجربة والا لم تصح لهم الخبرة كما قيل بخبرة المرفيما يبدو من نطقه وما يظهره البلوى والبلية من عمله والخبير بالحق خبير بالشي دون بادي يبدي الظاهر خبية امره فهو بالحقيقة الذي لا خبير الا هو ولما اكثر لهم من اقامة الادلة على وحدانيته وختمها بهذا الدليل المحسوس الذي معناه ان كل شي يكبر وكلا ابن يدرك شي بكبره واباه وهو متعال عن ان يدرك اي يحيط به احد ناسب ان يعظهم ويمدح الادلة حثا على تدبرها وجعل ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه لنور قلبه وكمال عقله وصفا لبه وغزارة علمه وشريف اخلاقه واستقامة غرايزه وبعد مرمى نعمته عن ان ينسب الى جور ادبري بعنا دحقيق بان يقول نعدا فانها من غير تلعثم تقرير الامر دعوته بعد تقرير المطالب الالهية قد جاكم ولما كانت الايات لقوتها وجلالها التي اشار اليها تذكير العقل توجب المعرفة فتكون سببا لانكشاف الحقايق الذي هو كالنور في جلا المحسوسات قال بصاير اي انوار هي للقلوب بمنزلة الضيا المحسوس لعيونكم من ربكم اي المحسن اليكم بكل احسان فلا احسان اصلا لغيره عندكم فاصعدوا اعين النظر بالابصار الى الاعتبار بالبصاير ولا تهبطوا في حضيض التقليد الى ان تصلوا الى حد لا تفهمون معه الا ما يحس بالابصار بل ترقوا في اوج المعرفة الى سموات الاجتهاد وجودوا القطاع الطريق صوارم البصاير فانكم ان رضيتم بالدون لم تضروا الا انفسكم وان نافستم في المعالي فاياها نفعتم ولذلك سبب عن هذا النور الباهر والسر الظاهر قوله فمن ابصر اي عمل بالادلة فلنفسه اي خاصة ابصاره لانه خلصها من الضلال المودي الى الهلاك ومن عمي اي لم يهتد بالادلة فعليها اي خاصة عماه لانه يضل فيعطب ولما كان المعنى انه ليس لي ولا لغيره من ابصاره شي ينقص شيا ولا عليه شي من عماه كان التقدير فانما انا بشير ونذير عطف عليه قوله وما انا واشار الى تحقق الادمي للتواضع والاسلام للجروت والقهر لله باداة الاستعلا فقال عليكم واعرق في النفي بقوله بحفيظ اي قودكم قسرا الى ما ينجيكم وامنعكم قهرا مما يرديكم ولما كان التذكر التفاتا الى مقام العظمة اعلاما بان القضا كله بيده لئلا يظن نقص في نفوذ الكلمة فانظروا ما صرفنا لكم في هذه السورة من الايات واوضحنا بها من شريف الدلالات لقد اتيناكم فيها بعجايب التصاريف وكشفنا عن غرايب المعاريف عطف عليه قوله وكذلك اي ومثل هذا التصريف العظيم نصرف اي ننقل جميع الايات من حال الى حال في المعاني المتنوعة سالكين من وجوه البراهين ما يفوت القوى ويعجز القدر ليحير الباب الماردين ويتطلس افكارا لما يقفن علما منهم بانهم عجزة عن الاتيان بما يدانيها فتلزمهم الحجة وليقولوا اعتذارا عن ظهور عجزهم دارست اي غيرك من اهل الكتاب او غيرهم في هذا حتى انتظم لك هذا الانتظام وتم لك هذا التمام فيا لها بهتان بين عواره ظاهرة اسراره مهتوكة استاره فيكونوا كانهم قالوا انك اتيت به عن علم ونحن جاهلون لا نعلم شيا فيعلم كل موفق انهم ما رضوه لانفسهم مع ادعا الصدق والمنافسة في البعد عن وصار الكذب الا لفرط الحيرة وتناهي الدهشة واعواز القادح والحاصل انا اتينا بها على هذا المنهاج الغريب والاسلوب العجيب ليهلك من هلك عن بينة ويبصر اخرون وهم المرادون بقوله ولنبينه اي القران لان المراد بالايات المسموعة لقوم يعلمون اي المراد من الابلاغ في البيان ان يزداد الجهلة به جهلا ويهتدي به من كان للعلم اهلا فلا يقولون دارست بل يقولون انه من عند الله فالاية من الاحتباك اثبات ادعا المدارسة اولا يدل على نفيها ثانيا واثبات العلم ثانيا يدل على عدمه اولا وهي من معنى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ولما انكشف بهذا في ابنا الادلة وتضاعيف البراهين ان القران كنز لا يلتقي مثله كنز وعز لا ينال بدانيه عز وانه في الذروة التي تتضائل دونها سوابح الافكار وتكلت عن التماعها نوافذ الافكار وختم بان المراد بالبيان العلما ناسب ان ينبه على ذلك لئلا يغتر عند طعنهم بقولهم دارست ونحوه فقال مخصصا له صلى الله عليه وسلم بالخطاب اعلاما بانه العالم على الحقيقة اتبع اي انت ومن تبعك ما اوحي اليك اي فالزم العمل به ثم امدحه بقوله من ربك اي المحسن اليك بهذا البيان ثم علل ذلك بقوله لا اله الا هو اي فلا يستحق غيره ان يتبع له امر ولا يلتفت اليه في نفع ولا ضر واعرض عن المشركين اي بغير التبليغ فانه ما عليك غيره ومزيد حرصك على ايمانهم لا يزيد من اريدت شقوته الا تماديا في اشراكه وايا كا في قبوله اشراكه ولما كان الحبيب شديد التحسر بما يريده حبيبه قال مسليا له صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به وردهم لقوله عاطفا على ما تقديره فلو شا الله ما خالفوك ولا تكلموا فيك ببنت شفة ولو شا الله اي الذي له الامر كله ما اشركوا اي ما وقع منهم اشراك اصلا فقد اراد ذلك من الوقوع فيه ما اراده فليكن لك في ذلك مسلاة ولما كان التقدير فانه سبحانه حفيظ عليهم عطف عليه قوله وما جعلناك اي بعظمتنا واشار الى انه لعلو ليس لغير الله سبحانه فقال عليهم حفيظا اي تحفظ اعمالهم لئلا يكون منها ما لا يرضينا فترد عنه قسرا وما انت وقدم ما هو اهم من نفي التحقق بالعلو المحيط القاهر الذي هو خاص بالاله فقال عليهم بوكيل اي فتاخذ الحق منهم قهرا وتعاملهم بما يستحقونه خيرا وشرا انما انت مبلغ عنا ثم الامر في هدايتهم واضلالهم الينا ولما طال النعي على الذين اتخذوا من دونه من الانداد والبيان لانها اقل من ذلك واحقر كان ذلك ربما كان داعية الى سبها فنهاهم عنه لمفسدة تجرها السبب كبيرة جدا فقال عاطفا على قوله واعرض عن المشركين غير مواجه له وحده

صلى الله عليه وسلم اكراما له ولا تسبوا ولما كانت الاصنام لا تعقل وكان المشركون يزعمون لها العقل والعلم ويسندون اليها الافعال اجرى الكلام على زعمهم لانه في الكف عنها فقال الذين يدعون اي دعا عبادة من الاصنام او غيرهم بذكر ما فيهم من النقص ثم بين دفعا لتوهم اكرامهم انهم في سفول بقوله من دون الله اي الملك الاعلى الذي لا كفوء له بعلم منكم بما لهم من المعايب بل اعرضوا عن غير دعائهم الى الله حتى يسب الهتهم بما تستحقه فانا زينا لهم اعمالهم فوقعوا مع غزارة عقولهم فيما لا يرتضيه عاقل وكذبوا بجميع الايات الموجبة للايمان فربما جرهم سبكم لها لما عندهم من حمية الجاهلية الى ما لا يليق فيسبوا اي فيتسبب عن ذلك ان يسبوا الله اي الذي يدعونه وله الاحاطة بصفات الكمال واظهر تصريحا بالمقصود واعظاما لهذا الامر وتهويلا له وتنفيرا منه ولما كان الحنق يوجب الاسراع اشار اليه سبحانه بقوله عدوا اي جريا الى السب ولما كان العدو قد يكون مع علم قال مبينا لانه يراد به مع الاسراع انه تجاوز للحد بغير علم لانا زينا لهم عملهم فالطاعة اذا استلزمت وجود منكر عظيم احترز منه ولو ادى الحال الى تركها وقتا ما ليحصل القوة على دفع ذلك المنكر فحكم الاية باق وليس بمنسوخ ولما كان ذلك شديدا على النفس ضايقا بالصدر اقتضى الحال ان يقال هل هذا التزيين مختص بهؤلا المجرمين ام كان لغيرهم من الامم مثله فقيل كذلك اي بل كان لغيرهم فانا مثل ذلك التزيين الذي زينا لهؤلا زينا لكل امة اي طايفة عظيمة مقصودة عملهم اي القبيح الذي اقدموا عليه بغير علم بما خلقنا في قلوبهم من المحبة له وداومنا لهم بعد العقل الرصين اسفل سافلين حتى راوا احسنا ما ليس بالحسن ليتبين قدرتنا فكان في ذلك اعظم تسلية وتاسية وتعزية والاية من الاحتباك اثبات بغير علم اولا دال على حذفه ثانيا واثبات التزيين له ثانيا دليل على حذفه اولا ولما كان سبحانه طويل الاناة عظيم الحلم وكان الاهمال ربما كان عن جهل بعمل العاصي نفى ذلك بقوله ثم اي بعد طول الامهال الى ربهم اي المحسن اليهم بالحلم عنهم وهم يتقوون بنعمه على معاصيه لا الى غيرهم مرجعهم اي بالحشر الاعظم فينبئهم اي يخبرهم اخبارا عظيما بليغا بما اي بجميع ما كانوا يعملون اي على سبيل الاستمرار بما في جبلاتهم من الداعية اليه وان ادعوا انهم عاملون على مقتضى العلم ولما نصب سبحانه هذه الدلالات في هذه الايات البينات حتى ختمها بما علم منهم من الاسراع الى سب من احسن اليهم بان اوجدهم واوجد لهم كل ما في الكون وما من نعمة عليهم الا وهي منه عجب منهم في لوعهم بالايمان على وجه التاكيد بما ياتيهم من مقترحاتهم اعلاما بان ذلك مما زين لهم من عملهم وهو امنية كاذبة ويمين حانثة فقال عاطفا على وجعلوا لله شركا الجن واقسموا اي المشركون بالله اي الذي لا اعظم منه جهد ايمانهم اي باذلين فيها جهدهم حتى كانها هي جاهدة ووطا للقسم فقال لئن جاتهم اية اي من مقترحاتهم وتلقى القسم بقوله ليؤمنن بها ولما كانوا بهذا ظالمين من اجل انهم طلبوا من الرسول ما ليس اليه بعدما اتاهم من المعجزات بما ازال معاذيرهم واوجب عليهم الاتباع نبه على ذلك بقوله مستانفا قل اي ردا لتعنتهم انما الايات اي هذا الجنس عند الله اي الحايز لجميع صفات الكمال وليس الي ولا الى غيري شي من هذا الجنس ليعيد الاقتراح شيا غير اعطانيه ولما كان العبد لعجزه لا قدرة له على شي اصلا فلا يصح له ان يحكم على ات اصلا لا من نحاله ولا من نحال غيره قال منكرا عليهم ملتفتا الى خطابهم اشارة الى انهم حقيقون بالمواجهة بالتبكيت وما اي واي شي يشعركم اي ادنى شعور بما اقسمتم عليه من الايمان عند مجيها حتى تشوهوه ادنى توهم فضلا عن الظن فكيف بالجزم ولاسيما على هذا الوجه ثم علل الاستفهام بقوله مبينا انه لا فايدة في الاتيان بالاية المقترحة انها بالفتح في قراة نافع وابن عامر وشعبة اذا جات لا يؤمنون بالخطاب في قراة ابن عامر في رواية عنه وحفص وحمزة والكسائي فكان كانه قيل انكرت عليهم لانها وحمزة والالتفات الى الغيبة في قراة غيرهم للاعلام بانهم بعيدون من الايمان فهم اهل للاعراض عنهم لما استحقوا من الغضب والتعليل عند من كسر انها واضح ولما كان التقدير فانا نطبع على قلوبهم ونزين لهم سوا عمالهم عطف عليه قوله ونقلب اي بما لنا من العظمة افئدتهم اي قلوبهم حتى لا يهتدوا بها وابصارهم حتى لا ينفعهم الابصار بها فلا يعتبرون فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به اي بمثل ذلك اول مرة اي عند اتيان الايات التي قبل تلك ونذرهم اي نتركهم في طغيانهم اي تجاوزهم للحدود يعمهون اي يديمون التحير على ان الحال لما فيه من الدلالة لا يقتضي تحيره بوجه ولما اخبر انهم لا يؤمنون عند اية مقترحة عم على وجه مفصل لاجمال ما قبله فقال ولو اننا اي على عظمتنا البالغة بما اشار اليه جمع النونات نزلنا اي على وجه يليق بعظمتنا اليهم الملئكة اي كلهم فراوهم عيانا وكلمهم الموتى اي كذلك وحشرنا عليهم اي بما لنا من العظمة كل شي قبلا جمع قبيل جمع قبيلة في قراة من ضم القاف والبا كرغيف ورغف اي جاهم ذلك المحشور كله قبيلة قبيلة نشرا او مواجهة ومعاينة ومنه اشلك قبلا لا دبرا اي من قبل وجهك لا من جهة قفاك مثل ان كان قميصه قد من قبل وهذا المعنى الثاني هو معنى القراة الثانية بكسر القاف وفتح البا وبه فسرها ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة غيره وقال المبرد وجماعة هي بمعنى جهة وناحية من قولهم لي قبل فلان دين ما كانوا ليؤمنوا اي على حال من الاحوال الا ان يشا الله اي الا حال مشيته لايمانهم لانه الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه فان لا عبرة الا بمشيته فالاية دامغة لاهل القدر ولا مدخل لاية ولا غيرها في ذلك فلا يطمع احد في ايمانهم بغير ذلك ويقرب عندي وان بعد المدى ان يكون واقسموا معطوفا على قوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه وهذا من المتعارف في كلام البلغا ان يحكي الانسان جملة من كلام خصمه ثم يشرع في توهينها ويخرج الى امور يجرها المقام كثيرة الانواع طويلة الذيول جدا ثم تحكي جملة اخرى فيقول معجبا منه وقال كذا وكذا ثم يشرع فيما يتعلق بذلك من النقد والرد وكما

وبما يؤيد ذلك توحيد ختمها بختم الاولى ولكن اكثرهم لا يعلمون وختم هذه ولكن اكثرهم يجهلون اي اهل جهل مطبوعون عليه فلذلك يقسمون على الايمان عند مجي آية مقترحة ولا يشعرون ان المانع لهم من الايمان انما هو المشية والا لآمنوا بما جاءهم من الايات فانه كفا في المبادرة الى الايمان والايات كلها متساوية الاقدام في الدلالة على صدق الداعي بخرق العادة والعجز عن الاتيان بمثلها ولما كان مضمون ما تقدم اثبات عداوة الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم كان كانه قيل تسلية له وتنبيها لعواده فقد جعلنا لهم اعداء لك لانك عالم والجاهلون لاهل العلم اعداء وكذلك اي ومثل ما جعلنا لك اعداء من كفار الانس والجن جعلنا لكل نبي اي ممن كان قبلك وعبر عن الجمع بالمفرد المراد به الجنس اشارة الى انهم يد واحدة في العداوة فقال عدوا وبين ان المراد بالجنس وانهم اهل الشر فقال مبدلا شياطين اي شرار الانس والجن المتمردين منهم وربما استعان شيطان الجن بشيطان الانس لقرب قلبه منه ثم يكون نوعا لابليس واشار الى هوان امرهم وسوء عاقبتهم بقوله يوحي بعضهم اي الشياطين من النوعين الى بعض اي يكلمه في خفاء زخرف القول اي تزيينه ومموهه ولما كان هذا يدل على انه لكونه لا حقيقة له لولا الزخرفة ما قبل زاده بيانا بقوله غرورا اي لاجل ان يغروهم بذلك اي يخدعوهم فيصيروا لقبولهم كلامهم كالغافلين الذين شانهم عدم التحفظ والمغرور هو الذي يعتقد فيه النفع وليس بنافع ولما كان اول الاية معلما ان هذا كان بمشية الله وجعله ايد ذلك ومكنه في اخرها بانه لو شا ما كان وكل ذلك غيرة على مقام الالهية وتنزيها لصفة الربوبية ان يخرج شي عنها فيدل على الوهن ويجر قطعا الى اعتقاد العجز فقال ولو شا ولما كان في بيان اعدائه صلى الله عليه وسلم والمسلطين عليه اشارة الى ان ذلك لاكرامه واعزازه لا لهوانه فقال ربك اي بما له عليك من حسن التربية وغزير الاحسان مع ماله من تمام العلم وشمول القدرة ان لا يفعلوه ما فعلوه اي هذا الذي ابتلاك به من عداوتهم وما تفرع عليها ولما تقرر ان هذا من باب التربية فعاقبته الى خير تسبب عنه قطعا قوله فذرهم اي اتركهم على اي حالة اتفقت وما يفترون اي يتعمدون كذبه واختلاقه واذكر ما لربك عليك من العاطفة لتعلم ان الذي سلطهم على هذا في غاية الرافة بك والرحمة لك وحسن التربية كما لا يخفى عليك فثق به واعلم ان له في هذا الطبق سريرة تدق عن الافكار وتجلا في الايات الاتية التي عبر فيها باسم الجلالة فانها في عظيم تجرؤهم على مقام الالهية ولما كان التقدير ذرهم ليتعرض عنهم قلوب الذين يؤمنون بالاخرة وليسخطوه وليعلموا ما هم له مبصرون وبه عارفون فترتفع بذلك درجاتهم عطف عليه قوله ولتصغى اي تميل ميلا قويا تغوص به اليه اي كذبهم وما في حيزه افيدة اي قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة اي الذين ليس في طبعهم الايمان بها لانها غيب وهم لبلادتهم واقفون مع الوهم ولذلك استولت عليهم الدنيا التي هي اصل الغرور وليرضوه اي بما يمكن من ميلهم اليه وليقترفوا اي يفعلوا بجهدهم ما هم مقترفون وهذه الجمل كما نبه عليه ابو حيان على غاية الفصاحة لانه اولا يكون الخداع فيكون الميل فيكون الرضى فيكون الاقتراف فكان كل واحد مسببا عما قبله ولما كان فيما تقدم الاخبار عن مغيب وهو انهم لا يؤمنون عند مجي الايات المقترحة وكانت عادة العرب دعا الاعدا والمخالفين الى حاكم يفصل بينهم وكانوا انما يفزعون في الامور المغيبة الى الكهان كما كانوا يكشفون لهم بما يلقي اليهم اخوانهم من الجان مما يسترقونه من السمع فيزيدونه كذبا كثيرا ثم لا يضرهم ذلك عندهم لذلك القليل الذي يصدقون فيه كما ابتلينا به في هذا الزمان من الافتتان بمن يفعل مثل ذلك من المجانين والمتشبهين بهم وكانت الايات التي نزع منها قد اثبتت ان اكثرهم غرور تسبب عن ذلك وجوب نفي اتخاذ غير الله حكما لما اتصف به من تحامي ما خالف احكامهم فكان القوي في اخباره عن حقائق الامور مفصلة احسن تفصيل في اساليب قصرت دونها سوابق الافكار وكعت عنها نوافذ الافهام فثبتت به نبوته وصحت رسالته فكان اقتراحهم ظاهرا في كونه تعنتا لانهم كذبوا باعظم الايات القرآن ولم يؤمنوا به وطعنوا فيه بما زادهم فضائح انه لا فائدة في اجابتهم الى مقترحاتهم فكان الجواب عما اقتضاه لسان حالهم من طلب التحاكم الى اوليائهم بتبليغ الانكار عليهم بقوله افغير الله اي الملك الاعظم على غاية من البلاهة لا تدرك والفا فيه للسبب وانما تقدمت عليها همزة الانكار لاقتضائها الصدر ابتغي اي اطلب حال كون ذلك الغير حكما اي يحكم بيني وبينكم ويفصل نزاعنا ثم استدل على هذا الانكار بتفصيل الكتاب هذا التفصيل المعجز فقال وهو اي والحال انه لا غيره الذي انزل اي بلطفه بكم اليكم اي خاصة نعمة علي بالقصد الاول وعليكم بالقصد الثاني الكتاب اي الكامل المعجز وهو هذا القرآن الذي هو تبيان لكل شي مفصلا اي مبينا فيه الحلال والحرام وغير ذلك من جميع الاحكام مع ما تفيده تواصل الايات من اللطائف والمعارف الكاشفة لحقائق البدايات والنهايات ولقد اشتد الاعتنا في هذه السورة بالتنبيه على التفصيل لوقوع العلم من ارباب البصائر في الصنائع بان من لا يحسن التفصيل لا يتقن التركيب ولما كان التقدير فانتم وجميع ارباب البلاغة تعلمون حقيقته بتفصيله والعجز عن مثله عطف عليه قوله والذين ويجوز ان يكون جملة حالية اتيناهم اي بعظمتنا التي يعرفونها ويعرفون بها الحق من الباطل الكتاب اي المعهود انزاله من التوراة والانجيل والزبور يعلمون اي لما لهم من سوابق الانس بالكتب الالهية انه منزل ولما تقدم ذكر الجلالة الشريفة في حال موضعه في سياق الحكم الذي لا يكون الا مع التفرد بالكمال وكان هذا المقام بسياق الانزال يقتضي الاحسان لم يضمر بل قال من ربك اي المحسن اليك بما خصك به في هذا الكتاب من انواع الفضائل بالحق اي الاكمل لما عندهم به من البشائر في كتبهم ولما له من موافقتها في ذكر الاحكام والحكمة والمواعظ الحسنة وكثرة ذكر الله على وجوه ترقق القلوب وتفيض الدموع وتصدع الصدور مع ما يزيد به عليها من التفصيل بما يفهم المعارف الالهية والمقامات الصوفية في ضمن الاحكام السياسية والاعجاز بكل اية ولما كان اهل الكتاب يخفون ما عندهم من العلم ويقولون للمشركين انهم اهدى سبيلا مما قد يوهم انهم يعتقدون بطلانه او ان الامر ملتبس عليهم سبب عن اخباره سبحانه قوله

على طريق التهييج والالهاب فلا تكونن اي انف نفيا موكدا جدا ان تكون في وقت ما من الممترين اي العاملين عمل الشاك فيما اخبرناك به وان زاد اخفاؤهم له واظهارهم لما يوهم خلافه واذا جاريتهم في ذلك وانت افطن الناس واعرفهم بما تظهره المحاورات من خفايا الاسرار تحققت ما قلناه وان اجتهدوا في الكتمان كما كشفت عنه قصة المناشدة في امر الزانيين وغيرها وقال ابو حيان قال مشركوا قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود وان شئت من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك فنزلت ولما دل على كونه حقا من عند الله بعلم اهل الكتاب صريحا واهل اللسان تلويحا دل عليه بوجه اخر شهودي وهو انه ما قال شيا الا كان على وفق ما قال وانه لم يستطع ولا يستطيع احد منع شي مما اخبر به ولا تعويقه ساعة من نهار ولا اقل ولا اكثر بقوله تعالى مظهرا في موضع الاضمار لتذكيره صلى الله عليه وسلم بما له سبحانه من الاحسان والتنبيه على ما يريد به من التشريف والاكرام وتمت اي نفذت وتحققت كلمات ربك اي المحسن اليك المدبر لامورك حال كونها صدقا اي لا يقدر احد ان يبدي في شي منها حدثا يتخلف ما عن مطابقة الواقع ولما كان الصدق غير مانع للجور قال وعدلا ولما كان هذا الصدق العدل قد لا يتم معه مراد القائل ولا ينفذ فيه كلام الامر لتمنع من هو اقوى منه اخبر انه لا راد لامره ولا معقب لحكمه تصريحا بما افهمه مطلع الاية من التمام واظهره موضع الاضمار تعظيما وتبركا وتلذذا فقال لا مبدل لكلماته اي من جهة انها كلماته مطلقا من غير تخصيص بنوع ما بل كل ما اخبر به فهو كاين لا محالة رضي من رضي وسخط من سخط ولما كان المخبر لشي انما يتم له ما يريد من التغيير بكون المخبر عليه لا يعلم الاسباب المنجحة لما اراد ليحكمها والموانع العايقة ليبطلها قال عاطفا على ما تقديره فهو العزيز الحكيم وهو اي لا غيره السميع اي البالغ السمع لجميع ما يمكن سمعه من الاقوال والافعال العليم اي البالغ العلم بجميع ذلك فهو اذن الكامل القدرة النافذ الامر في جميع الاسباب والموانع فلا يدع احدا يغير شيا منها وان دق وسبحه ولما اجاب عن شبهات الكفار وبين صحة نبوته عليه السلام شرع في الحث على الاعراض عن جهل الجهال والاقبال على ذي الجلال فكان التقدير فان اطعته فيما امرك به هداك الى صراط الله الذي يتم لك بسلوكه جميع ما وعدك به عطف عليه قوله وان تطع ولما كانت نفس الاكثر مقيدة بالاكثر اشار الى ان ذلك لا يفعله الا جاهل مخلد الى التقليد فقال اكثر من في الارض اي توجد طاعتك لهم في شي من الاوقات بعد ان علمت ان اكثرهم انما يتبع الهوى وان اكثرهم فاسقون لا يعلمون لا يشكرون يضلوك عن سبيل الله اي المستجمع لصفات الكمال ثم علل ذلك بقوله ان اي لانهم ما يتبعون في امورهم الا الظن اي كما يظن هو اجهلا ان اباءهم كانوا على الحق ولما كان اكثر كلام من يجزم بالامور بما دعاه اليه ظنه كذبا وكان الخارص يقال على الكاذب والمخمن والحازر قال وان هم اي بصميم ضمائرهم الا يخرصون اي يجزمون بالامور بحسب ما يقدرون فينكشف الامر على انها كذب فيعرف المفرق بينك وبينهم في تمام الكلام ونفوذه نفوذ السهام وتخلفه عن التمام ونكوصه كالسيف الكهام فلا يبقى شبهة في امر المحق والمبطل ولما كان المقام للعلم الكاشف للحقايق المبين لما يتبع وما يجتنب قال معللا لهذا الاخبار ان ربك اي المحسن اليك بانزال هذا الكتاب الكاشف للارتياب الهادي الى الصواب هو اي وحده اعلم لكون الحال شديد الاقتضا للعلم فقطع عما بعده ليسبق الى الفهم انه اعلم من كل من يتوهم فيه العلم مطلقا ثم قال من اي يعلم من يضل اي يقع منه ضلال يوما ما عن سبيله اي الذي بينه بعلمه وهو اي وحده اعلم بالمهتدين كما انه اعلم بالضالين فمن امركم باتباعه فاتبعوه ومن نهاكم عنه فاجتنبوه فمن ضل ارداه ومن اهتدى انجاه فاستمسكوا باسبابه حذرا من وبيل عقابه يوم حسابه ولما قدم سبحانه ما مضى من السوايب وما معها في المائدة مما يدين به اهل الجاهلية في كل الحيوان الذي جر اليه الشرك واتبعه بيان انه لا ضرر على اهل الايمان من دين اهل الضلال اذا اهتدوا واتبع ذلك ما لاءمه وانتظم في سلكه ولاحمه حتى ظهر اي ظهور ان الكل ملكه وملكه وانه لا شريك له فوجب شكره وحده وكانوا مع ذلك قد كفروا نعمه تعالى فاتخذوا مع ذلك شركا ولم يكفهم ذلك حتى جعلوا لها مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فكانوا بذلك مانعين الحق عن اهله ومانحين ما خولهم فيه من لا يملك الا بملك ضرا ولا نفعا وتاركين بعض ما انعم عليهم به صاحب الحق رعاية لمن لا حق له ولا حرمة وكانت سنة الله تعالى قد جرت بانه يذكر نفسه الشريفة بالوحدانية ويستدل على ذلك بخلق السموات والارض وما اودع فيهما للناس من المنافع وما ابدع من المرافق والصنايع ثم يعجب ممن اشرك به ثم يامر بالاكل مما خلق تذكيرا بالنعمة ليكون ذلك داعية لكل ذي لب الى الشكر كما قال تعالى في البقرة عقب والهكم اله واحد ان في خلق السموات والارض ثم قال ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا ثم يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا اجرى هذه السنة الجليلة في هذه السورة ايضا فقال ان الله فالق الحب والنوى بعد اني وجهت وجهي ثم وجعلوا لله شركا الجن ودل على انه لا شريك له في ملكه ولا ملكه وختم بانه لا حكم سواه بما ذكر في حكمه او يبادره في شي من امره وبين ان من الهدايات التي جعلها شرطا لعدم صد الحق من دين الشرك فسبب عن جميع ما ذكرت قوله فكلوا مما ذكر اي وقت الذبح اسم الله اي الملك الذي له الاحاطة الكاملة فله كل شي عليه اي كان قابلا لذلك سواء ذكر بالفعل او لا وعدل عن التعبير بما جعله المراد ليفهم ان الذكر بالفعل مندوب اليه ولا تكونوا ممن يتدين به على اتباع الاهوية والظنون الكاذبة فكانه قيل اتبعوا من يعرف الحق لاهله فانه مهتد غير معرضين على غيره فانه ضال والله اعلم بالمهتدين فكونوا من المهتدين فكلوا مما خلق الله لكم شاكرين لنعمته وانما طال هنا دون البقرة ما بين الجمل الكلام تقريرا لما فيها وما تستتبعه واحتجاجا على جميع ذلك لانها سورة التفصيل واتى بالذكر والمراد قبول الماكول له اي كلوا مما يقبل

ان يسمى عليه على مقتضى ما شرعه وذلك هو الذي احله من الحيوان وغيره سواكان مما جعلوه لاوثانهم اولا دون ما مات من الحيوان حتف
انفه او ذكر عليه اسم غير الله او كان مما حرم اكله وان ذبح وذكر عليه اسم الله فانه لا يقبل التحليل بالتسمية فالتسمية في غير موضعها لورود
النصوص بتحريمه ولا تتبعوا المشركين في منعهم انفسهم من جزء مما خلق الله لهم من الحرث والانعام بتسميتهم اياه لالهتهم التي لا غنا
عندها ويكون ذلك حثا على التسمية على جميع الماكول الحلال فتكون الاية كاية البقرة بزيادة ولما كان هذا امرا لا يقبله الا من له
ذل دين الشرك وجميع توابعه من قلبه قال ان كنتم اي بما لكم من الجبلة الصالحة باياته اي عامة التي منها ايات التحليل والتحريم مومنين
اي عريقين في وصف الايمان وقد لاح بذلك حسن انتظام قوله وما لكم اي اي شي يكون لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اي مما يقبل ان يذكر
اسم الله اي الذي له كل شي عليه فان التسمية قايمة مقام اذنه وقد اي والحال انه قد فصل لكم اي من قبل ذلك والخلق خلقه والامر
امره ما حرم عليكم اي مما لم يحرم تفصيلا واضح البيان ظاهر البرهان الا ما اضطررتم اليه اي فان الضرورة تزيل التفصيل
عنه برده الى ما كان عليه قبل التفصيل فيصير الكل حلالا لا تفصيل فيه والمراد في هذه الاية يختلف باختلاف المخاطبين فاما من
خوطب بها وقت الانزال فالمراد بالتفصيل الذي اتى الاية الاتية اخر هذه فانما نزلت جملة وكذا كلما شاكلها مما انزل بمكة
قبل هذه السورة وكذا ما اخبر به صلى الله عليه وسلم في وحي متلو اذ ذاك ولعله نسخت تلاوته وبقي حكمه او وحي غير متلو من جميع
الاحاديث التي تقدمت على هذه السورة واما من خوطب بها بعد ترتيبه على هذا الوجه فالمراد في حقه ما في البقرة والمايدة
وغيرهما من السور الماضية من الحلال والحرام ولما كان التقدير من عمل بهذه الاوامر اهتدى بها نال من العلم وهم قليل عطف عليه
قوله وان كثيرا اي من الناس ليضلون اي يقع منهم الضلال فيوقعون غيرهم فيه فنكوبهم عما دعت اليه اوامر الله وهدى اليه
بيانه فيكونون بمعرض العطب باهوايهم اي بسبب اتباعهم للهوى ولما كان الهوى وهو ميل النفس ربما كان موافقا لما ادى اليه
العلم بصحيح الفكر وصريح العقل قال بغير علم اي دعا الى ذلك من شريعة ماضية ممن له الامر ولما كانوا يبكرون هذا اثبت
لنفسه الشريفة ما هو مسلم عند كل احد فقال دليلا على صحة ما اخبر به ان ربك اي المحسن اليك بانزال هذا الكتاب شاهدا
لك باعجازه بالتصديق هو اي وحده اعلم وكان الموضع للاضمار فاظهر للتعميم والتنبيه على الوصف الذي وجب لهم ذلك فقال
بالمعتدين اي الذين يتجاوزون الحدود ويجتهدون في ذلك ولما كان مما يقبل في نفسه في الجملة ان يذكر اسم الله عليه ما يحرم لكونه
ملكا للغير او فيه شبهة نهى عنه على وجه يعم غيره فقال عاطفا على فكلوا وذروا اي اتركوا على اي حالة اتفقت وان كنتم تظنونها
غير صالحة ظاهر الاثم اي المعلوم الحرمة من هذا وغيره وباطنه من كل ما فيه شبهة من الاقوال والافعال والعقايد فان الله جعل له
في القلب علامة وهو ان يضطرب عنده ولا يسكن كما قال صلى الله عليه وسلم والاثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر اخرجه مسلم
عن النواس بن سمعان رضي الله عنه ثم علل ذلك بقوله ان الذين يكسبون الاثم اي ولو باخفى انواع الكسب بما دل عليه تجريد
الفعل وهو الاعتقاد ولما كان القايل من خاف من مطلق الجزا بني للمفعول قوله سيجزون اي بوعد لا خلف فيه بما اي بسبب ما
كانوا اي بما سد جبلاتهم يقترفون اي يكتسبون اكتسابا يوجب الغرق وهو اشد الخوف ويزيل الرفق وصيغة الافتعال
للدلالة على ان افعال الشر انما تكون بمعالجة من النفس للفطرة الاولى السليمة لما امرهم بالاكل مما ينفعهم وبعثهم على شكره
محذرا من كل ما يخلش من اي بصايرهم اتبعه نهيهم نهيا جازما عن الاكل مما يضرهم في ابدانهم واخلاقهم وهو ما ضاد الاول في
خلوه من الاسم الشريف فقال ولا تاكلوا مما لم يذكر اي مما يقبل ان يذكر اسم الله اي الذي لا يوخذ شي الا منه لان له الكمال كله فله
الاحاطة الكاملة واشار باداة الاستعلا الى الاخلاص ونفي الاشراك فقال عليه اي لكون الله قد حرمه فصار نجس العين والمعنى
فصار خبيثا للبدن والنفس مما ذكر عليه غير اسمه سبحانه بما دل عليه التسمية نسقا وتفسير الفسق في اية اخرى بما اهل به لغير
الله وكذا ما كان في معناه مما مات او كان حراما بغير ذلك واسمه تعالى منزه عن ان يذكر على غير الحلال فان ذكر عليه كان تلاعبا
فلم يطهره واما ما كان حلالا ولم يذكر عليه اسم الله ولا اسم غيره فهو حلال لما في الصحيح عن عايشة رضي الله عنها قالت قالوا يا رسول الله
ان هنا اقواما حديث عهد بشرك يا تونا بلحمان لا ندري يذكرون اسم الله عليها ام لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا قال البغوي
ولو كانت التسمية شرطا للاباحة كان الشك في وجودها مانعا من اكلها كالشك في اصل الذبح انتهى ولما كان التقدير فانه
خبيث في نفسه مخبث عطف عليه قوله وانه اي الاكل منه او هو نفسه لكونه السبب لفسق لجعله نفس الفسق وهو الخروج عما
ينبغي الى ما لا ينبغي لانه عريق جدا في كونه سببه لما تاصل عندهم من امره وانتشر من شره وهذا دليل على ما اولت به لان النسيان
ليس بسبب للفسق والذي ترك التسمية عليه نسيانا ليس بفسق والناسي ليس بفاسق كما قال البخاري والى ذلك
الاشارة بحديث عايشة رضي الله عنها الماضي فهذا كله يدل على ان المراد انما هو كونه مما لا تحل ذبيحته وليس المراد اشتراط
التسمية بالفعل ولما كانت الشبه ربما زلزلت ثابت العقايد قال تحذيرا منها وان الشياطين اي خابثي المردة من الجن والانس
البعيدين من الخير المهيئين للشر المحترقين باللعنة من مردة الجن والانس ليوحون اي يوسوسون وسوسة بالغة سريعة
الى اوليايهم اي المقاربين لهم في الطباع المهيئين لقبول كلامهم ليجادلوكم اي ليفتلوكم عما امركم الله به بان يقولوا لكم ما قتله الله
احق بالاكل مما قتلتموه انتم وجوارحكم ونحو ذلك واهل الحرم لا ينبغي ان يقفوا في غيره والغريب لا ينبغي ان يطوف في طواف
في ثيابه ونحو النذر للاصنام كالنذر للكعبة ونحو هذا من خرافاتهم التي سنوا امرهم فيها على الهوى الذي هم معترفون بانه مضل مضر

وبالغون

وبالغون في الزام باتباعه والميل اليه ويكفي في جميع شبههم اجمالا ان صاحب الدين ومالك الملك منع منها ولما كان التقدير
فان اطعتموهم تركتم الهدى وتبعتم الهوى وكان من المعلوم ان الهوى يقود الى الشرك عطف على هذا قوله وان اطعتموهم
اي المشركين قديما بما يقولونه في ترك الاكل مما ذكر اسم الله عليه والاكل مما لم يذكر اسم الله عليه او في شي مما جادلوكم فيه انكم لمشركون
اي فانتم وهم في الاشراك سوا لكم اذا سميتم غير الله على ذبائحكم على وجه العبادة لان من اتبع امر غير الله فقد اشركه بالله
كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه في قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
من ان عبادتهم لهم تحليلهم ما احلوا وتحريمهم ما حرموا فنبه صلى الله عليه وسلم بذلك على ان الاسما تتبع المعاني قال شيخ
الاسلام محيي الدين النووي الشافعي في باب الضحايا من كتاب الروضة حكى في الشامل وغيره عن نص الشافعي انه لو كان لاهل
الكتاب ذبيحة يذبحونها باسم غير الله كالمسيح لم تحل وفي كتاب القاضي ابن كج ان اليهودي لو ذبح لموسى والنصراني لعيسى
عليهما السلام او للصليب حرمت ذبيحته وان المسلم لو ذبح للكعبة او لرسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي ان يقال يحرم
لانه ذبح لغير الله تعالى قال وخرج ابو الحسن وجها اخر انها تحل لان المسلم يذبح لله ولا يعتقد في رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يعتقده النصراني في عيسى عليه السلام قال واذا ذبح للصنم لم توكل ذبيحته سواكان الذابح مسلما او نصرانيا وفي تعليقة
الشيخ ابرهيم المروزي ان ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا اليه افتى اهل بخارا بتحريمه لانه مما اهل به لغير الله واعلم ان
الذبح للمعبود وباسمه نازل منزلة السجود له وكل واحد منهما نوع من انواع التعظيم والعبادة المخصوصة بالله تعالى الذي
هو المستحق للعبادة فمن ذبح لغيره من حيوان او جماد كالصنم على وجه التعظيم والعبادة لم تحل ذبيحته وكان فعله كفرا كمن
سجد لغيره سجدة عبادة وكذا لو ذبح له ولغيره على هذا الوجه فاما اذا ذبح لغيره لا على هذا الوجه بان ضحى او ذبح للكعبة
تعظيما لها لانها بيت الله تعالى او لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا لا يجوز ان يمنع حل الذبيحة والى هذا المعنى يرجع قول
القايل اهديت للحرم او للكعبة ومن هذا القبيل الذبح عند استقبال السلطان فانه استبشار بقدومه نازل منزلة
ذبح العقيقة لولادة المولود ومثل هذا لا يوجب الكفر وكذا السجود لغير الله تذللا وخضوعا فعلى هذا اذا قال الذابح
بسم الله واسم محمد واراد اذبح باسم الله واتبرك باسم محمد فينبغي ان لا يحرم وقول من قال لا يجوز ذلك يمكن ان يحمل على ان
اللفظ مكروه لان المكروه يصح نفي الجواز والاباحة المطلقة عنه وحكى الرافعي انه وقعت في هذا منازعة بين اهل قزوين وبين فقها
الى فتنة في انه هل تحل ذبيحته وهل يكفر بذلك قال والصواب ما بيناه قال الشيخ محيي الدين ومما يويد ما قاله الرافعي ما ذكره
الشيخ ابرهيم المروزي في تعليقه قال حكى صاحب التقريب معناه ان يذبحها له فاما ان ذكر المسيح على معنى الصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجائز قال وقال الحليمي تحل مطلقا وان سمى المسيح والله اعلم ثم قال في المسايل المنثورة التي
قال ابن كج من ذبح شاة وقال اذبح لرضي فلان جازت الذبيحة لانه لا ينصرف اليه بخلاف من يتقرب بالذبح الى الصنم وقال الروياني
ان من ذبح للجن وقصد به التقرب الى الله تعالى ليصرف شرهم عنه فهو حلال وان قصد الذبح لهم فحرام ومما يوضح لك سر هذا
الانتظام ويزيده حسنا ان هذه الايات كلها من قوله تعالى ان الله فالق الحب والنوى الى اخر السورة تفصيل لقوله تعالى
في اول السورة قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض الاية فلما ذكر ابداعه السموات والارض بقوله ان الله فالق
الحب والنوى ونحوه وانكر اتخاذ من دونه بقوله وجعلوا لله شركا الجن وما في نحوه قال فكلوا اشارة الى وهو يطعم ولا
يطعم وقوله او من كان ميتا فاحييناه وقوله فمن يرد الله ان يهديه ونحوها اشارة الى قوله قل اني امرت ان اكون اول
من اسلم وقوله ويوم نحشرهم جميعا ونحوه مشير الى اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ولما انقضى التفصيل
عند قوله فسوف تعلمون الاية شرع في تفصيلها ثانيا بقوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا الى اخرها
والسر في الاعادة ان الشي اذا اثبت او نفي واقيمت الدلايل على اثبات ما ثبت منه ونفي ما نفي ثم اعيد ذلك في اسلوب
اخر كان اثبت في النفس والصق بالقلب لاسيما ان كان في الاسلوب الثاني كما هي عادة القران زيادة في البيان
وتنبيه على ما لم يتقدم اولا ولا سيما ان كانت العبارة فايقة والالفاظ عذبة رايقة وانت خبير بان هذا كله داب
القران في اساليب الافتنان قال الحرالي في اول كتاب الجواهر في الفصل الذي فيه اشتمال الفاتحة على ثمانية
اقسام وقوله ثانيا الرحمن الرحيم اشارة الى الصفة مرة اخرى ولا تظن انه مكرر فلا مكرر في القران اذ حد المكرر ما لا
ينطوي على مزيد فايدة وذكر الرحمة بعد ذكر العالمين وقبل ذكر مالك يوم الدين ينطوي على فايدتين عظيمتين في تفصيل
مجاري الرحمة ثم ذكر ما حاصله ان احدهما تلتفت الى خلق كل من العالمين على اكمل انواعه وافضلها وايتايه كل ما احتاج
اليه والثانية تلتفت الى ما بعده بالاشارة الى الرحمة في المعاد يوم الجزا عند الانعام بالملك المويد قال وشرح
ذلك والمقصود انه لا مكرر في القران وان رايت شيا مكررا من حيث الظاهر فانظر الى سوابقه ولواحقه لينكشف
لك مزيد الفايدة في اعادته انتهى وفي ذلك نكتة اخرى وهي ان الرحمن مشير الى ما قال من جهة الربوبية في الايجادين
الاول والثاني والرحيم مشير بخصوصه بما رضاه الالهية الى الايجاد الثاني والابقا الثاني بالرحمة الجزائية والى ما يعم
الخصوص من النعمة بمن لم تخصه الرحمة كما مضت الاشارة اليه في الفاتحة ولما كان معنى التحذير من طاعة المشركين انكم ال

فعلتم كنتم قد رددتم انفسكم الى ظلام الضلال بعد ان سخم نور الهداية فكان التقدير أفمن كان هكذا كمن نصح لنفسه باتباع
الادلة وتوقى الشبه عطف عليه قوله أو من كان ميتا اى بالغرق في امواج ظلام الكفر ليس لهم من ذواتهم الا الجمادية بل العدمية
فأحييناه اى بما لنا من العظمة باشراق انوار الايمان على قلبه الذي ان صلح صلح الجسد كله وان فسد فسد الجسد كله وجعلنا اى بعظمتنا
على وجه الخصوص له نورا اى بالهداية الى كل خير يمشي مستضيئا به في الناس يتعرفون افعاله واخلاقه واقواله كمن مثله اى الذي
يمثل به وهو ما يكشف بوجه الشبه روح لبه وخلاصة حال قلبه او يكون المعنى صفته انه في الظلمات اى بالرمن نفسه من ظلمة الجهل
وظلمة ما ينشأ عنه من الهوى وظلمة ما ينشأ عن الهوى من الكفر واذا كان المثل الذي هو اعلى من الممثول في شيء كان الممثول عريقا
فيه بطريق الاولى فلذلك قال ليس بخارج اى ذلك المثل منها اى الظلمات بما زين له من سوء عمله حتى صار احب اليه من نفسه
وماله واذا لم يخرج المثل من شيء لم يخرج الممثول منه والا لم تكن بينهما مماثلة وذلك لانه زين له عمله وهي ناظرة الى قوله اول السورة
انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله وقوله والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات ولما كان ايحاء الشياطين الى
اوليائهم بما يوجب لزوم العمى ليس الا تزيينا للقبائح فكان حالهم مما يشتد التعجب منه كان كانه قيل لولا رؤيتنا حالهم ما صدقنا
ان عاقلا يرضى بما فعلوه بانفسهم فهل وقع لاحد قط مثل حالهم فقيل نعم كذلك اى مثل ما زين لهم سوء اعمالهم زين للكافرين
اى كلهم ما كانوا بما جبلناهم عليه يعملون فهم ابدا في الظلمات فالاية من الاحتباك اثبت اولا كونه في الظلمات دليلا على تقديره
ثانيا وثانيا التزيين دليلا على تقديره اولا ولما كان معلوما ان عداوتهم له صلى الله عليه وسلم المشار اليها بقوله وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا الاية لا يقوم بها الا اكابر الناس لما كان عليه صلى الله عليه وسلم من جلالة المنصب وشرف العشيرة وكثرة الاقارب
وانه لا يتمادى عليها الا جاهل مطموس البصيرة مزين له قبيح اعماله عطف تعالى على التزيين للكافرين قوله وكذلك اى ومثل ما زينا
للكافرين سوء اعمالهم فكان اكابر اهل مكة يمكرون فيتبع غيرهم مكرهم جعلنا اى بما لنا من العظمة في اقامة الاسباب لما يعلي كلمة الانسان
او يجعله حقير الشان في كل قرية اى بلد جامع ولما كان الكبر يختلف الانواع باختلاف الاشخاص طابق بافعل التفضيل المقصود به
لها في الجمع على احدى اللغتين وعبر بصيغة منتهى الجموع على تناهيهم في الكثرة فقال اكابر مجرميها اى القاطعين لما ينبغي ان
يوصل ولما كان من شان الانسان استجلاب اسباب الرفعة لنفسه وكان لا يصل الى ذلك في دار ربط المسببات بحكمة الاسباب
الا بالمكر وكان الاكابر اقدر على انفاذ المكر وترويج الاباطيل بما لا غلب الناس من السعي في رضاهم طمعا فيما عندهم وكان الانسان
كلما تمكن من ذلك امعن فيه وكان الكبير انما يصل الى ما قدر له من ذلك بتقدير الله له كان بما قدر له من ذلك كانه خلقه له فقال
معبرا بالجعل لما فيه من التصيير والتسبيب ليمكروا فيها اى يخدعوا اصاغرهم ويغروهم بما يلبسون عليهم من الامور حتى يتبعوهم
فيعادوا بهم حزب الله ولما كان ذلك موجعا غائظا محزنا قال تصغيرا لشانهم وتحقيرا لامرهم وما اى والحال انهم ما يمكرون
الا بانفسهم لان عملهم بالمكر وبال عليهم موبق لهم ولان مكرهم باولياء الله انما هو مكر بالله وذلك غير متات ولا كاين بوجه
من الوجوه وكيف يتاتى مكر من لا يعلم شيئا من الغيب بمن يعلم جميع الغيب وما يشعرون اى وما لهم نوع شعور بان مكرهم عائد على
نفوسهم لان الله تعالى الذي يعلم سرهم وجهرهم يجعل بما يزين لهم تدميرهم في تدبيرهم وانما اجرى تعالى سنته الالهية بذلك لما
يشتمل عليه من اعلام النبوة فان غلبة شخص واحد بمفرده او مع اتباع كثير منهم ممن لا يؤبه لهم مع قلة العدد وضعف المدد لرؤساء الناس
واقويائهم مع طول مكثه بينهم منابذا لهم مناديا عليهم بان دينكم يمحى وديني يظهر وان كرهتم من خوارق العادات وبواهر الايات
تصديقا لقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون في امثال ذلك ولما قرر هذا انتج بمقالهم ما يدل على تخطيهم
ونكرهم فقال عاطفا على واقسموا بالله جهد ايمانهم تعجيبا من حالهم فيما زين لهم من ضلالهم وتصديقا لما تقدم من الاخبار بانهم لا
يؤمنون ولو جاءتهم كل اية الا ان يشاء الله وتحقيقا لما في الاية السالفة من مكرهم لغيرهم وعوده على انفسهم واذا جاءتهم اى الكافرين
من اكابر المجرمين واتباعهم اية قالوا حسدا لمن خصه الله بالنبوة لكونهم اكابر موكدين للنفي لما لمعجزات الانبياء عليهم السلام من القهر
الموجب لظن الاذعان لا عنى اهل الكفران لن نؤمن اى ابدا حتى نؤتى لما لنا من العلو والعظمة المقتضية لان لا يختص احد عنا
بشيء مثل ما ولما كان نظرهم مقصورا على عالم الحس من غير نظر الى جانب الله لكونه غيبا بنوا للمفعول قولهم اوتي رسل الله
يجوز ان يكون المراد حتى يوحى الينا لئلا يكونوا اعظم منا كما قال تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة وتقدم في اول السورة
عن ابي جهل انه قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف حتى اذا كنا كفرسي رهان قالوا منا نبي ياتيه الوحي من السماء فمتى
ندرك هذه والله لا نؤمن به ابدا او ان يكون المراد اتيانه صلى الله عليه وسلم بمثل ايات الاولين من شق البحر واليد والعصا واحياء الموتى
ونحوها وسموهم رسلا تنزلا او استهزاء وعبروا بالجلالة اشارة الى القدرة التامة فلا عذر ولما ذكر اسم الجلالة ايذانا بعظيم
ما اجترؤوا عليه لعماهم بما طمس على انوار قلوبهم من ظلمات الهوى عما للرسل من الجلال الذي تخضع له شوامخ الانوف اعادها ايضا
تهويلا للامر وتنبيها على ما هناك من عظيم القدر فقال ردا عليهم فيما تضمن قولهم من دعوى العلم بالحكمة والاعتراض على الله الله
اى بما له من صفات الكمال اعلم اى من كل من يمكن منه علم حيث يجعل اى يصير بما يسبب من الامور رسالاته اى كلها بالنسبة الى كل فرد
من افراد الخلق فهو لا يضع شيئا منها بالتشهي ولما كشف هذا النظم عن انهم اجترؤوا على ما لا ينبغي الاجتراء عليه وانهم اصروا على انتجه
المعاصي الكفر لا لطلب الدليل بل لداء الحسد تاقت النفس الى معرفة ما يحل بهم فقال جوابا سيصيب اى بوعد لا خلف فيه

واظهر

واظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال الذين اجرموا اى قطعوا ما ينبغي ان يوصل صغار اى رضى بالذل
لعدم الناصر ولما كان الشيء يعظم بعظمة محله ومن كان فيه ذلك الشيء قال عند الله اى الجامع لصفات العظمة وعذاب
اى مع الصغار شديد اى في الدنيا بالقتل والخزي وفي الاخرة بالنار بما اى بسبب ما كانوا يمكرون ولما تقدم انه تعالى
اعلم بمن طبع على قلبه فلا ينفك عن الضلال ومن يقبل الهداية في الحال او المآل وان مكر المجرمين انما هو بارادته ونافذ
قدرته علم ان الامر امره والقلوب بيده فتسبب عن ذلك قوله فمن يرد الله اى الذي له جميع الجلال والاكرام ان يهديه
اى يخلق الهداية في قلبه من اكابر المجرمين او غيرهم يشرح صدره اى يوسعه بان يجعله مهيئا قابلا بالنور للاسلام قال
الامام ابو جعفر النحاس روي ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال يا رسول الله وهل ينشرح الصدر فقال نعم يدخل
القلب نور فقال وهل لذلك من علامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود
والاستعداد للموت قبل الموت وفي رواية الفوت ومن يرد اى الله لم يظهر هنا اشارة الى ان الضلال على مقتضى الطبع
ان يضله اى يخلق الضلال في قلبه ويديمه يجعل صدره اى الذي هو مسكن قلبه الذي هو معدن الانوار ضيقا حرجا اى
اى شديد الضيق بتصيير موحشا اى مضطربا وروي ان عمر رضي الله عنه احضر اعرابيا من كنانة من بني مدلج فقال له ما الحرجة
فقال شجرة لا يصل اليها راعية ولا وحشية وساق البغوي القصة ولفظه قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار لا تصل اليها راعية
ولا وحشية ولا شيء فقال عمر رضي الله عنه كذلك قلب الكافر لا يصل اليه شيء من الايمان وزاد البغوي قال سيبويه الحرج
بالفتح المصدر ومعناه احرج وبالكسر الاسم وهو اشد الضيق وقال المهدوي هنا الحرج الشديد الضيق وقد تقدم
القول فيه وقال في النساء في قوله تعالى ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت اى ضيقا والى هذا المعنى يرجع قول مجاهد انه
الشك وقول الضحاك انه الاثم كانه ضيق شك او ضيق اثم وقال النحاس حرجا مما قضيت اى شكا وضيقا واصل الحرج الضيق
انتهى وتحقيق ذلك ان الاية زيادة على اصل الفعل وهي الشدة فيه لمعنى الفتح ضيقا ضيقا بكسر الضاد واسكان الياء
ومعناه ان كسرت حرجا ضيقا ضيقا باعادة اسم الفاعل ومادة حرج بخصوص هذا الترتيب تدور على المكان الضيق
الكثير الشجر ويلزمه التخوص على وجه الارض والارتفاع والمنع والشدة والحيرة والحر والبرد وهي باي ترتيب كان وهي خمسة
تجرح تحرج جرح حجر تدور على الحجر الذي هو الجسم المعروف فيلزمه الثقل والمنع والحدة والتخوص والصلابة التي هي القسوة
ويلزمها الضيق فيرجع الى الصلابة الحرج بمعنى الضيق والحرجة للغيضة والجرح للقلادة من الودع والحرجوج للريح الشديدة
الباردة والناقة الحرجوج للوقادة القلب ويجوز رجوعها الى الحدة والحرج لسرير الموتى لضيق الصدر من ذكره ولضيقه
عن سعة الاحياء ومنه ايضا حجر الضب ونحوه للثقب المحتفر في الارض ويرجع الى الثقل الجرح بمعنى الاثم وينشا عن ذلك التعب
المفضي الى الحيرة ومنه حرجت عينه اى حارت فلا تطرف ويلزم الثقل ايضا الجرح بمعنى الطعن النافذ في البدن ومن ذلك
اجترح اذا اكتسب مالا لانه من اثاره ومنه الرجحان بمعنى التفضيل والحكم الراجح الذي يوجب رزانة صاحبه ومنه الارجوحة
لان كلا من طرفيها يرجح بالاخر ويرجع الى المنع الحجر بمعنى العقل وبمعنى الحضن والحرام والفرس الانثى لانها قد تمنع من الركوب
للحمل او الولد والحجر في المال والحجرة للناحية الغريبة لان الشيء اذا بعد عنك ولو قد رباع امتنع منك وكان التانيث فيه
للغربة ويرجع الى التخوص الحرج للناقة الطويلة وقال الامام ابو الفتح ابن جني رحمه الله في كتابه المحتسب في توجيه القراءات
الشواذ عند قوله تعالى في هذه السورة وحرث حرج فمن قرا بتقديم الراء ان جميع تراكيب هذه المادة الخمسة تلتقي
معانيها في الضيق والشدة والاجتماع واذا التمعت تطرو تركت المال والفخر وحدث الامر كما قال والله اعلم نحو الحجر واستحجر
الطين والحجرة وبقيته وكلها الى التماسك والضيق ومنه الحرج الضيق والحرج مثله والحرجة ما التف من الشجر فلم يمكن دخوله
ومنه الحجر وبابه لضيقه ومنه الجرح لمخالطة الحديد اللحم وتلاحمه عليه ومنه رجح الميزان لانه مال احد شقيه نحو الارض فقرب
منها وضاق ما كان بينه وبينها فان قلت فانه اذا مال احدهما الى الارض فقد بعد الاخر قيل كلامنا على الراجح والراجح هو
الذي الى الارض فاما الاخر فلا يقال له راجح واذا ثبت ذلك وقد ثبت فكذلك قوله تعالى وحرث حرج معناه عندهم
انما هو ممنوعة محجورة لن يطعمها الا من يشاؤون ان يطعموه اياها بزعمهم انتهى ولما كان صاحب هذا الصدر لا يكاد
الهداية تصل اليه وان وصل اليه شيء منها على لسان واعظ ومن طريق مرشد ناصح لم يجد مسلكا فنكص وهكذا
الا يزال في اضطراب وتردد دائما كانت ترجمته قوله كانما يصعد اى يتكلف هذا الشخص في قبول الهداية الصعود
في السماء في حفا حيا من مزاولته ما لا يمكن بما اشارت اليه قراءة من ادغم التاء في الصاد فكلما اصعدته حركته الاختيارية
اهبطته حركته الطبيعية القسرية كما ترى بعض الحشرات يحمل شيئا ثقيلا ويصعد به في جدار املس فيصير يتكلف ذلك
فيقع فيتكلف الصعود ايضا فربما وصل الى مكانه الاول وسقط وربما سقط دونه فهو فيما يمتنع عادة فلا يزال مهجيا
اى مضطربا ويجامع الاضطراب عقبه بما بعده كما ياتي ولما كان ما وصف صدر الضال مما ينفر منه وكان الرجس في
الاصل لما يستقذر والمستقذر ينفر منه وكان هذا الكلام ربما اثار سؤالا وهو ان يقال هل هذا او هو جعل الضال
على هذه الصفة خاص باهل هذا الزمان اجيب بما حاصله لا كذلك اى مثل ما جعل الله الرجس على من اراد ضلاله من

ج

هنا فيها بعد التاكيد الاتيان بصيغة فيعل دون فاعل تاكيدا آخر اتما للمصدر او باسم الفاعل تا تا دهم

من اهل هذا الزمان يجعل الله اى بما له من القوة التامة والعظمة الباهرة الرجس اى الاضطراب والقذر على الذين لا يومنون
من اهل كل زمان لارادته سبحانه دوام ضلالهم فالاية من الاحتباك ذكرا ولا الضلال دليلا على حذفه ثانيا وذكرا لرجس ثانيا دليلا
على حذفه اولا والاية نص فى ان الله يريد هدى المومن وضلال الكافر ولما ذكرما الزمه لاهل الضلال بلفظ ما يستعد اركان فى
غاية الحسن تعقيبه بالصراط فانه لما يعشق لاستقامته واضافه الى الرب الذى له مع اجتماع المكملات كلها صفة العطف
والاحسان واللطف واضافة الرب الى هذا الرسول الذى يعشق خلقه وخلقه كل من يراه او يسمع به احسن من ذلك وامتان
مادة رجس يدور على الاضطراب الملزوم للعوج الملزوم للضلال المانع من الايمان فلما مثل سبحانه حال الضال بحال المضطرب
واخبرانه الزم هذا الاضطراب كل من لا يومن اتبعه وصف سبيله بالاستقامة التى هى ابعد شى عن الاضطراب الملزوم للعوج
وكان التقدير فهذه حال اهل الضلال تعطف عليه قوله وهذا اى الذى ذكرناه من الشرايع الهادية فى هذا القران التى حتمنا ما
بان الهادى المضل هو الله وحده لا الاتيان بالمقترحات والموجات كل اية صراط اى طريق ربك اى المحسن اليك حال كون هذا
الصراط مستقيما اى لا عوج فيه اصلا بل هو على منهاج الفطرة الاولى التى فى احسن تقويم بالعقل السليم الذى لم يتشبه
ولم يتشبث خلل فى ان الامر كله بيد الله لكيلا يزال الانسان خايفا من الله وراجيا له لانه القادر على كل شى واما غيره فلا قدرة له
الا بتقديره لانه خالق القوى والقدر عندنا وعند المنزلة فلمكن الجزئيات كذلك لان الخلق لا يتصور بغير علم وليس غيرالله
محيط العلم قال الامام فالاية التى قبلها من الحكمات فيجب اجراوهما على ظاهرها ويحرم التصرف فيها بالتاويل ولما كان جميع ما
فى هذا الصراط على منهاج العقل ليس شى منه خارجا وان كان فيه ما لا يستقل بادراكه العقل بل لا بد له فيه من ارشاد الهداة من الرسل
الاخذين عن الله قال مبينا لمدحه موشدا الى انتظامه مع العقل قد فصلنا اى على غاية التفصيل بما لنا من العظمة الايات
اى كلها تفصلا فصلا بحيث تميزت تميزا لا يختلط واحد منها بالاخر لقوم يذكرون اى يجهدون انفسهم فى التخلص من شوايب
العوايق للعقل من الهوى وغيره ولو على ادنى وجوه الاجتهاد بما يشير اليه الادغام ليذكروا انه ما من شى ذكرناه الا وقدا ودعنا
فى قلوبهم شاهدا عليه ولما كان التذكر عند الايات لا يكون الا من اهل العنايات فى طرق الهدايات قال مرغبا فى التذكر فانه سبب
الفيض الالهى على القلوب المهياة له لهم اى المتذكرين دار السلام اى الجنة اضافها سبحانه اليه زيادة فى الترغيب فيها وخص
هذا الاسم الشريف لانه لا يلم بها شى من عطب ولا خوف ولا نصب ثم زاد الترغيب فيها بقوله عند ربهم اى فى ضمان المحسن اليهم
وحضرته بما هيا هم له ويسره لهم وهو اى وحده وليهم اى المتكفل بتولى امورهم لا يكلهم الى احد سواه وهذا يدل على قربه منهم
بما شرح من صدورهم بالتوحيد ولما كان ذلك ربما قصر عن التذكرين ان المراد منه التادية الى الاعمال فانها معيار الصدق
وميزانه فقال بما اى بسبب ما كانوا اى كما جبلهم عليه لما كان ذلك الا بفضله يعملون ولما فصل سبحانه احوال الفريقين حصر
عن التذكر تنبيها على ان كل ما فى القران مما يهدى اليه العقل وذكر مال المتذكرين فافهم ان غيرهم الى عطب لانهم تولوا ما يضرهم
لانهم تبعوا اشهواتهم وكان من المعلوم انهم يصدون غير ما لكهم وانه ما من عبد يخدم غير سيده بغير امر سيده الا عاتبه او عاقبه
هذا امر كوز فى كل عقل ذكر سبحانه ما يتقدم ذلك المال من الاهوال فى الاجل المسمى الذى اخفاه عنده وجعله من اعظم سبا فى هذه
السورة وابهمه اولها وبين فى اثنائها بعض احواله مرارا فى وجوه من فانين البيان وهو يوم الحشر فذكر سبحانه هنا بعض
احوال الغافلين وبعض ما يقول لهم فيه وما يفعله معهم من عتاب وعقاب لطفا بهم واستعطافا الى المتاب فقال جامعا
الفريقين ويوم اى واذكر فى تذكر يوم نحشرهم اى اهل ولايتنا واهل عداوتنا جميعا لا نذر منهم احدا يا اى فنقول على
لسان من نشا من جنودنا لاهل عداوتنا تبكيتا وتوبيخا حين لا يكون لهم مدافعة اصلا معشر الجن اى المستترين الموحشين
مردة الشياطين المسلطين على الانس وهم يرونهم من حيث لا يرونهم قد استكثرتم اى طلبتم واوجدتم الكثرة من الانس اى
من عتوا المونسين الظاهرين حتى صار اكثرهم اتباعكم فالاية من الاحتباك عبر بما يدل على الستر اولا دلالة على ضده وهو الظهور
ثانيا وبما معناه الاستيناس والسكون ثانيا دلالة على ضده وهو الايحاش والنفرة اولا وقال هو عطف على جواب الجن المستتر
المسبب عن العامل فى يا معشر الذى تقديره كما تهدى اليه الايات التى تاتى فى السورة الاتية فى تفصيل هذه المحاورة فقالوا ربنا
هم ضلوا لانهم كانوا يستمتعون بها فى نفوسهم وسماعهم الاخبار الغريبة منا فاستوجبوا العذاب بمفردهم وستر جواب
الجن لانه مع كونه لا يخفى لدلالة المعطوف عليه مناسب لحالهم فى الاستتار مع شهوتهم وذكره بلفظ الماضى اشارة الى تحققه وقوعه
لانه خبر من لا يخلف الميعاد والمراد بهذه المحاورة ضرب مما ياتى تفصيله بقوله قال ادخلوا فى امم الاية لانهم ربنا هولاء اضلونا الاية
وقوله فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا الاية اولياؤهم اى الجن من الانس اى الذين تولوهم بالاتباع والطاعة
فيما دعوهم اليه من الضلال معترفين مستعطفين ربنا ايها المربى لنا المحسن الينا استمتع اى طلب المتاع واوجده بعضنا
ببعض نحن بهم فيما نالوا منا لوم بنا فى طاعتنا لهم وعيا ذنا بهم وبلغنا اى نحن وهم اجلنا واحالوا الامر على فقالوا الذى اجلت
لنا وهو الموت الذى كتبته علينا وسويت بيننا فى سوط قهره ويجرع كوس حره ومره ثم هذا اليوم الذى كنا مستركين فى التكذيب
به فاستوجبنا العذاب كلنا ولما ثم ذلك كان كانه قيل فما قال الله لهم بعد هذه المحاورة الغريبة التى هى ضرب من كلام اهل
الباطل فى الدنيا طلح مضطرب لا حاصل له فقيل قال اى المخاطب لهم عن الله النار مثواكم اى منزلكم جميعا من غير ان ينفعكم الاحالة

على القدر خالدين فيها اى الى ما لا اخر له لان الاعمال بالنية وقد كنتم على عزم ثابت انكم على هذا الكفر ما بقيتم ولو الى ما لا اخر له
فالجزا من جنس العمل ولما كان من المقرر انه لا يتم الملك من يجب عليه شى ويلزمه بحيث لا يقدر على الانفكاك عنه بين سبحانه
ان ملكه ليس كذلك بل هو على غاية الكمال لا يجب عليه شى ولا يمتنع منه شى بل كل فعله جميل وجميع ما يبدو منه حسن تخلوه
دوام عذابهم على المشية فقال الا ما شاء اى الذى له رداء الكبر فلا يستطيع احد ان يعترض عليه ولا ان يهم بذلك هيهات هيهات
هيهات تقطعت دون ذلك الامال وظلت ناكسة اعناق الرجال وبيده ازار العز فمن اختلج فى صدره ان يرفع ناكس عنقه
ضربه بمقامع الذل وانزله فى مهاوى الخزى وقد تقرر انه سبحانه لا يشا انقطاع شى من ذلك عنهم فى حال من الاحوال ونطق
الكتاب بذلك فى صرايح الاقوال وفى سوقه معلقا هكذا مع ما تقدم زيادة فى عذابهم بتعليق رجايهم من انقطاع بلا
بما لا مطمع فيه ولما كان فى اظهار الجلال فى هذا الحال من عظيم الاهوال ما لا يسعه المقال اتبعه اللطف بالمخاطب به
صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك اى المحسن اليك برفع اوليايك وخفض اعدايك ولما كان السياق فى مثل هذه المقاولة
فى جمع الحكم للحكمة والعلم وكان النظر الى الحكمة فى تنزيل كل شى منزله اعظم قدم وصفها فقال حكيم اى فلا يعذب المخلص براءة
المشرك ولا يعذب بعض من اشرك ويترك بعضا عليم اى بدقايق الامور وجلايلها من الفريقين فلا يخفى عليه عمل احد فيهملها
لذلك ولما استبان بهذا انه ولى الكفرة من ظالمى الجن ظالمى الانس وسلطهم عليهم اخبر تعالى ان هذا عمله مع كل ظالم
من اى قبيل كان سوا كان كافرا ولا فقال وكذلك اى ومثل تلك التولية التى سلطنا بها الجن على الانس بما زاد عذاب
الفريقين نولى اى نتبع فى جميع الازمان من جميع الخلق بعض الظالمين اى الفريقين فى الظلم بعضا اى بان نجمع بين الاشكال
والاوصاف الباطنة والخصال ونسلط بعضهم على بعض فى الضلال والاضلال والاوجاع والانكال بما كانوا جبلا ثم
يكسبون اى بسبب اجتماعهم فى الطباع التى طبعناهم عليها يجتمعون وينقاد بعضهم لبعض بحسب ما شينا من الاسباب
الملايمة لذلك الظلم الذى يسرناه لهم حتى صاروا عمالهم كلها فى غير مواضعها فيظلم بعضهم بعضا ويهلك بعضهم بعضا
وهم لا يزدادون الا الثبات حتى يستحق الكل ما كتبنا لهم من عذاب روى الطبرانى فى الاوسط عن جابر رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول انتقم بمن ابغض ممن ابغض ثم اصير كلا الى النار وعن مالك بن دينار
قرات فى بعض كتب الله المنزلة ان الله تعالى يقول افنى اعداى باعداى ثم افنيهم باوليائى ويقال فقد اخبرنا ان الله ولى المومنين
بسبب محاسن اعمالهم ومثل ما تولاهم ليعزهم يولى بعض الظلمة بعضا ليهينهم بسبب ما كانوا يتعاطون من مساوى الاعمال
وردى الخلال وغش الخصال فيقودهم الى مهالك الاوجاع والاوجال او يقال تفيد بان كلا من ظالمى الانس والجن كان
وليا للكل كما جعلنا بعضهم اوليا بعض فى الدنيا نفعل اذا احشرناهم فى النار فنجعل بعضهم اوليا اى اتباع بعض
ليستمتع بعضهم ببعض وينظر بعضهم بعضا ان قدروا وهيهات منهم ذلك هيهات شغلهم البكا والعويل والندم
والنحيب ولما انقضت هذه المحاورة وما اشتملت من نقيض الموالاة والمجاورة وكان حاصلها انها موالاة من ضرب موالاة ابتعها
سبحانه بمحاورة اخرى حاصلها معاداة من ضرب معاداته فقال مبدلا من الاول اتماما للتقريع والتوبيخ والتشنيع كما
قدمهم لان السياق لبيان غلبتهم والانس وبكتهم بقوله تحذيرا للسامعين ومستعطفا لهم الى التوبة الم ياتكم رسل ولما
صار القبيلان بتوجيه الخطاب نحوهم دفعة كالشى الواحد قال منكم وان كان الرسل من الانس خاصة ولما كان النظر فى هذه
السورة الى العلم غالبا لاثبات تمام القدرة الذى هو من لوازمه بدليل يعلم سركم وجهركم اليس الله باعلم بالشاكرين وعنده
مفاتح الغيب وغيرها ولذلك اكثر فيها من ذكر التفصيل الذى لا يكون الا لعالم كان القص الذى هو تتبع الاثر انسب لذلك فقال
يقصون اى بالتلاوة والبيان لمواضع الدلايل عليكم اياتى اى يتبعون بالعلامات التى يحق لها ما لها من الجلال والعظمة
ان تنسب الى مواضع شبهكم فيجلونها جلا مقطوعا به وينذرونكم اى يخوفونكم لقاء يومكم هذا اى بما قالوا لكم انه يطلبكم طلبا
حثيثا وانتم سايرون اليه فى سفن الايام ومراكب الاثام وانتم لا تشعرون سيرا سريعا قالوا معترفين من انفسهم بالذل والخضوع
شهدنا اى باتيان الرسل الينا ونصيحتهم لنا بدليل الاية الاخرى قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وبين انه لا ينفعهم
كان بارد الوجوه واسخفها الدنيا بحيث انهم اعتروا بها مع دناءتها لحضورها على الاخرة مع شرفها لغيابها وغرتهم اى
شهدوا هذه الشهادة والحال انهم قد غرتهم الحياة الدنيا اى الحاضرة عندهم اذ ذاك الدنية فى نفسها لعنايتها عن اتباع
الرسل دابا لجاهل فى الرضى بالدون والدانية فى الغناء بالحاضر فشهادتهم صادرة بهم ولكن لم يستطيعوا بل وشهدوا اى
فى هذا الموطن من مواطن القيمة الطوال على انفسهم ايضا بما هو اصرح فى الضرر عليهم من هذا وهو انهم كانوا جبلة وطبعا
كافرين اى عريقين فى وصف الكفر ويجوز ان يكون الغرور بانهم ظنوا احوال الاخرة تمشى على ما كانوا بالقوة فى الدنيا من ان
الاعتراف بالذنب والتكلم بها لصدق قد ينفع المذنب ويكف من سطوة المغضب حتى يترك العقاب ويصفح عن الجريمة فلذلك
شهدوا باتيان الرسل اليهم واقامة الحجة عليهم وشهدوا على انفسهم بالكفر فما زادهم ذلك الا وبالا وخزيا ونكالا ولما ذكر سبحانه
اقامة الحجة على الكافرين فى المعاد بالرسل عليهم السلام علل ارسالهم ترغيبا وحثا فى اتباعهم فى ايام المهلة بعد ترهيب وتنبيها
وارشادا فى صادع تخويف وتاديب فقال ذلك اى الامر العظيم الجدوى هو انا ارسلنا الرسل ان اى لاجل انه لم يكن ربك

ولما كان القصد فى هذه السورة الى الاظهار للغيرة على مقام الالهية عبر بالاسم الاعظم فقال
بهم
معشر الجن
٤

اي بمهمل لبيك بتشريف قومك **مهلك** اي ثابتا اهلاكه **القرى بظلم** اي بسبب ظلم ارتكبوه **واهلها غافلون** عن بعثون في
الغفلة عما يجب عليهم مما لا يستقل به عقولهم بما ركب فيهم من الشهوات وغلب عليهم من اللذات فاوقف عقولهم عن نافذ المعرفة بما
يرد ايهم فارسلنا اليهم الرسل حتى ايقظوهم من رقدتهم وانبهوهم من غفلتهم فصار تعذيبهم بعد تكذيبهم هو الحق الواجب والعدل
الصائب ويجوز ان يكون المعنى مهلكهم ظالما فيكون المنفي من الظلم كالمنفي في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ولما بين سبحانه ان لاحد
الفريقين دار السلام وللاخر دار الملام قال جامعا للفريقين عاطفا على قوله لهم دار السلام عند ربهم **ولكل** اي عامل من الفريقين
صالح او طالح من قبيلي الجن والانس في الدارين **درجات** اي يعليهم الله بها **مما** اي من اجل ما **عملوا** اي دركات يهويهم فيها كذلك
ولما تقدم انه تعالى لا يهلك المجرمين الا بعد الاعذار اليهم وتضمن ذلك امهالهم وختم احوالهم بانهم موضع لثبوت الغفلة ودوامها
نفى ان يلم شيء من ذلك بجناب عظمته على وجه اثبت له احاطة العلم بجميع اعمالهم فقال **وما ربك** اي المحسن اليك باعلاء اوليائك
واسفال اعدائك واغرق في النفي لاثبات مزيد العلم فقال **بغافل عما يعملون** اي عن شيء يعمله احد من الفريقين بل هو عالم
بكل شيء من ذلك وبما يستحقه العامل قادر على جزائه فلا يقع في وهم ان الامهال لخفاء الاستحقاق بخفاء الموجب له فالاية من النصوص
في اثابة الصالحين من الجن ولما كان طلب العبادة للايتمار والانتهاء ربما اوهم الحاجة اليها لنفع في الطاعة او ضرر بالجهة سبحانه من
المعصية وكان الامهال مع المبادرة ربما ظن انه عن عجز قال مرغبا مرهبا **وربك** اي المحسن اليك واليهم بارسالك وحصر الخبر
في المبتدا بقوله **الغني** اي وحده الغني المطلق عن كل عابد وعبادة فليعمل العامل لنفع نفسه او ضرها **ذو الرحمة** اي وحده له
والارسال المترتبة على ما يستحقه من الاعمال ولما ذكر اختصاصه بالغنى والرحمة فلا رحمة الا منه ولا غنى الا عنه وانه ما رتب الثواب
والعقاب الا رحمة منه وجودا استانف بيان ذلك واخبر عن هذا المبتدا بوصفيه عند من جعلهما وصفين بقوله مصرحا بما افاد
ان يشا يذهبكم اي جميعا بالاهلاك فلا يقع في ظن احد منكم ان الاهلاك متوقف على شيء غير مشيئته ولكنه قضى بابقائكم الى
اجالكم رحمة لكم واكراما لنبيكم صلى الله عليه وسلم ثم قال تحقيقا للغناء ايضا **ويستخلف** ولما كان لم يجعل لاحد الخلد دخل الجار فقال **من
بعدكم** اي بعد اهلاككم **ما يشاء** اي يبدع غيركم من الخلق من جنسكم او غير جنسكم كما ابدع اباكم ادم من التراب والتراب من العدم وفرعكم منه
كما انشاكم من ذرية اي نسل **قوم اخرين** اي بعد ان اهلكهم اجمعين وهم اهل السفينة وقد كنتم نطفا في اصلابهم لم يكن في واحدة منها
حياة ولما تقرر انه الموصوف بالوصفين الملزومين للقدرة انتج ذلك قوله جوابا لاستعجالهم بالعذاب استهزاء **ان ما توعدون** اي من البعث وغيره
لات اي لا بد من وقوعه لان المتوعد لا يبدل القول لديه ولا كفؤ له يعارضه فيه **وما انتم بمعجزين** اي بثابت لكم الاتيان بشيء يعجز عنه للخصم
فتمهد الامر من جهته ومن جهتكم لوجود المقتضي وانتفاء المانع وفي ذلك تقرير لامر رحمته لان القادر اذا اراد النقمة اخذ على غرة ولم
يهدد واذا اراد الرحمة تقدم بالوعيد ليحذر الفائزون ويستسلم الخاسرون ولما تقرر ذلك من التهديد على انكار البعث
وتحرر فانتج الاجتهاد للعاقل والابد في العمل وكان اكثر الخلق احمق امره سبحانه بالنصيحة بقوله **قل يا قوم** اي يا اقرب الخلق الي واعزهم علي
ومن لهم قيام في الامور وكفاية عند المهمات **اعملوا** واشار الى مزيد القوة بعد التعبير بالقوم بحرف الاستعلاء فقال **على مكانتكم**
اي على ما لكم من القدرة على العمل والمكنة قبل ان تاتي الدواهي وتسبقكم القواصم بحلول الاجل وفيه مع النصيحة تخويف اشد مما قبله لان
تهديد الحاضر على لسان الغير مع الاعراض اشد من مواجهته بالتهديد اي انكم ان لم تقبلوا ذلك التهديد الاول كنتم اهلا للاعراض
والبعد ولما كان ادل شيء على النصيحة مبادرة الناصح الى مباشرة ما نصح به ودعا اليه قال مستانفا او معللا **اني عامل** اي على مكانتي
وبقدر استطاعتي قبل الفوت بحادث الموت ويمكن ان يكون متمحضا للتهديد فيكون المعنى اعملوا بما انتم تعملونه الان من مخالفتي
بغاية ما لكم من القوة اي كذلك اعمل فيما جئت به ولما كان وقوع المتوعد به سببا للعلم بالعاقبة وكان السياق لعدم تذكرهم وغرورهم
وقلة فطنتهم حسن اثبات الفاء دون اسقاطها لان الاستيناف لا يكون الا لمصنع المقال متفطن للسؤال فقال **فسوف تعلمون**
اي يقع لكم بوعد لا خلف فيه العلم فكانه قيل اي علم فقيل **من تكون له** كونا كانه جبل عليه **عاقبة الدار** اي مني ومنكم وهذا في اثبات الفاء
بخلاف ما في قصة شعيب عليه السلام من سورة هود عليه السلام في حذفها ولما كان التقدير جوابا لما يقدر من سؤالهم عاقبة الدار
للعامل العدل استانف قوله **انه لا يفلح الظالمون** اي لا يظفرون في الظلم كائنين من كانوا فلا يكون لهم عاقبة الدار فالاية من
الاحتباك ذكر العاقبة اولا دليل على حذفها ثانيا وذكر الظلم ثانيا دليل على حذف العدل اولا ولما تمت هذه الايات في فتح طريقهم
في انكار البعث وحسن طريقة الاسلام على هذا الاسلوب البديع والمثال البعيد المنال الرفيع وختمت بحال الظالم شرع في تفصيل
قوله اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض على اسلوب اخر ابتداه ببيان ظلمهم وجهالاتهم واباطيلهم على سخافة عقولهم
تنفيرا عنهم بوضعهم الاشيا في غير مواضعها واخراجها عما هي له ونسبتها الى من لا يملك شيئا وقتل الاولاد وتسييب الانعام وغير
ذلك فقال عاطفا على وجعلوا لله شركا الجن **وجعلوا** اي المشركون العادلون بزعم الاوثان **لله** اي الملك الاعلى الذي لا كفو له **مما ذرا**
اي خلق وانشا وبث ولم يشركه في خلقه احد **من الحرث** اي من الحبوب وغيرها **والانعام نصيبا** اي وجعلوا لشركائهم نصيبا ولما
كان الجعل لا يعرف الا بالقول سبب عنه قوله **فقالوا** اي بالسنتهم لعدان قالوا ابا قيد تهم **هذا لله** اي الملك الاعلى **بزعمهم** اي ادعائهم
الباطل وتصرفهم بكذب دعائهم التخصيص بالله ولذا اسقط الزعم من قوله **وهذا لشركائنا** اي وليس سند في هذه القسمة الا
اهواؤهم ولما كان هذا اسعها بتسويتهم من لا يملك شيئا بمن يملك كل شيء بين من فعلهم ما هو اشد سفها منه بشرح ما لوح اليه التعبير

بالزعم فقال مسببا عن ذلك ومفرعا **فما كان لشركائهم** اي بزعمهم انهم شركا **فلا يصل الى الله** اي الذي هو الملك مع اتصافه
بصفات الجلال والجمال **وما كان لله** على ما له من الكبر والعظمة والجلال والعزة **فهو يصل الى شركائهم** فاذا هلك ما سموا
لشركائهم او اجدب وكثر ما لله قالوا ليس لالهتنا بد من نفقة فاخذوا ما لله فانفقوه على الهتهم واذا اجدب الذي لله وكثر
مال الهتهم قالوا لو شاء الله لازكى الذي له فلا يردون عليه شيئا مما للالهة ولما بلغ هذا غاية السفه قال **ساء ما يحكمون** اي
حكمهم هذا اسوا حكم ذكر الامام ابو الربيع سليمان بن سالم الكلاعي في سيرته في وفد خولان انه كان لهم صنم يسمى عم انس انهم
لما وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا له انهم كانوا يجعلون من انعامهم وحروثهم جزا له وجزا لله بزعمهم قالوا كنا نزرع
الزرع فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمي زرعا اخر حجرة لله عز وجل فاذا مالت الريح بالذي سميناه لله جعلناه لعم انس
واذا مالت الريح بالذي جعلناه لعم انس لم نجعله لله فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل انزل عليه
في ذلك وجعلوا لله الاية قالوا وكنا نتحاكم اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الشياطين تكلمكم قالوا فاصبحنا
يا رسول الله وقلوبنا تعرف انه كان لا يضر ولا ينفع ولا يدري من عبده ممن لم يعبده وقال ابن هشام في مقدمة السيرة انهم
كانوا يقسمون له فما دخل في حق عم انس من حق الله الذي سموه له تركوه وما دخل في حق الله من حق عم انس ردوه عليه
قال وهم بطن من خولان يقال لهم الاديم وقال عبد الرزاق في تفسيره اخبرنا معمر عن قتادة قال كانوا يجزلون من اموالهم
شيئا فيقولون هذا لله وهذا الاصنامهم فان ذهب بعير مما جعلوا لشركائهم فخالط شيئا مما جعلوا لله ردوه وان ذهب
شيء مما جعلوا لله فخالط شيئا مما جعلوا لشركائهم تركوه وان اصابتهم سنة اكلوا مما جعلوا لله وتركوا ما جعلوا لشركائهم
فقال عز وجل ساء ما يحكمون وقال البغوي كانوا يجعلون لله من حروثهم وانعامهم وثمارهم وسائر اموالهم نصيبا فما جعلوا
لله صرفوه للضيفان والمساكين وما جعلوا للاصنام انفقوه على الاصنام وخدمها فان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب
الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط شيء من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها
محتاجة وكان اذا هلك او انتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا هلك او انتقص شيء مما جعلوه للاصنام جبروه بما
جعلوه لله ولما كان هذا على ان ذلك بتزيين من اضلهم من الشياطين من سدنة الاصنام وغيرهم من الانس ومن الجن المتكلمين
من اجواف الاصنام وغيرهم قال منبها على انهم زينوا لهم ما هو ابين منه **وكذلك** اي ومثل ما زين لجميع المشركين تضييع
اموالهم والكفر بربهم شركاؤهم **زين لكثير من المشركين** ولما كان المزين لحسنه اهلا لان لا يقبل تزيينه ولا يلتفت اليه
لكان امتثال قوله تعويضا وكان الاقدام على فعل الامر المزين اشد غرابة قدمه تنبيها على ذلك فقال **قتل اولادهم** اي بالوئد
خشية الاملاق والنحر لالهتهم وشتان بين من يوجد لهم الولد ويرزقه والرزق ويخلفه وبين من لا يكون الا سببا في اعدامه
ولما كان هذا في غاية الغرابة تشوفت النفس الى فاعل التزيين فقال **شركاؤهم** اي وهم اقل منهم بما يخاطبون به من اجواف
الاصنام وبما يحسن لهم السدنة والاهوية بسبب الاصنام ولما كان هذا امرا معجبا كان الامر في قراءة ابن عامر المولود في زمان
النبي صلى الله عليه وسلم المشمول ببركة ذلك العصر الاخذ عن جلة من الصحابة الموصوف بغزارة العلم ومتانة الدين وقوة
الحفظ والضبط وصحة النقل في اسناد القتل الى الشركا باضافة المصدر الى فاعله اعجب وفصل بين المضاف والمضاف
اليه بالمفعول وهو الاولاد لان وقوع القتل فيهم كما تقدم اعجب ولما كان ذلك ربما كان لفايدة استهين لها هذا الفعل العظيم
ذكر انه ليس له فايدة الا الهلاك في الدنيا والدين الذي هو هلاك في الاخرة ليكون ذلك اعجب فقال **ليردوهم** اي ليهلكوهم
هلاكا لا فايدة تحته بوجه **وليلبسوا** اي يخلطوا ويشبهوا **عليهم دينهم** اي وهو دين ابراهيم الذي امره الله بذبح ولده اسمعيل
عليهما السلام فلما اقدم عليه الابا مر الله ثم انه فداه ولم يمض ذبحه لخالف هؤلاء عن امر الشركا الامرين معا فجمعوا لهم بذلك بين
الهلاك في النفس والدين فان القتل في نفسه عظيم جدا ووقوعه تدينا بغير اصل ولا شبهة اعظم فلا اضل ممن يتبع من كان
سبب الاهلاك نفسه ودينه ولما كان العرب يدعون الاذهان الثاقبة والافكار الصافية والاراء الصائبة والعقول الراجحة
التي تذكر لهم ذلك على سبيل التعليل استهزاء بهم يعني انهم فعلوا ذلك لهذه العلة ثم لم يفطنوا لها ولم تذكروا ما اذاعوا
مع انهم تجارة فانهم اسفل منهم ولما اثبت للشركا فعلا هو التزيين وكان قد نفى سابقا عنهم وعن سائر الاعداء الانبيا الاستقلال
ومناط الامر هنا لان السياق للاعدا بصفة الربوبية المقتضية للحياطة والكفاية وكان الكلام هنا في خصوص الشركا
علق الامر باسم الذات الدال على الكمال المقتضي للعظمة والجبروت والكبر وسائر الاسماء الحسنى على وجه الاحاطة والجلال
فقال **ولو شاء الله** اي بما له من العظمة والاحاطة بجميع اوصاف الكمال المقتضية للعلو عن الانداد والتنزه عن الشركاء
والاولاد ان يفعل المشركون **ما فعلوه** اي ذلك الذي زينه لهم بل ذلك انما هو بارادته ومشيئته احتراسا من ظن انهم
يقدرون على شيء استقلالا وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتخفيفا واكد التسلية بقوله **فذرهم وما يفترون**
اي يقولونه من الكذب ويتعمدونه ولما ذكر اقدامهم على ما قبحه الشرع ولامه على تقبيحه العقل من قتل الاولاد واتبعه تحاميهم عما حسنه
الشرع من ذبح بعض الانعام لنفعهم وضمه اليه بما منعوا انفسهم منه ودانوا به لمجرد اهوائهم فقال **وقالوا** اي المشركون
سفها وجهلا **هذه** اشارة الى قطعة من اموالهم عينوها لالهتهم **انعام وحرث حجر** اي حرام محجور عليه فلا يصل احد اليه

وهو وصف يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات لا يطعمها أي يأكل منها إلا من نشاء
أي من السدنة ونحوهم بزعمهم أي بقولهم بمجرد الهوى من غير سند عن الله الذي له ملك السموات والأرض وهم كاذبون في هذا
الزعم في أصل التحريم وفي تقييد المنع فلو أراد الله أن تؤكل لأكلت ولم يقدر أحد على منع وأنعام ولما كان ذمهم على مجرد التحريم لا على كونه
من معين بني للمجهول قوله حرمت ظهورها يعني البحائر وما معها فلا تركب وأنعام لا يذكرون أي هؤلاء المتقولون على الله اسم الله
الذي حاز جميع العظمة عليها أي في الذبح أو غيره افتراء أي تعمدا للكذب عليه ولما كان هذا العظم من جهة أنه تعمد للكذب على
ملك الملوك موضع تشوف السامع إلى ما يكون عنه استأنف قوله سيجزيهم أي بوعد صادق لا خلف فيه بما أي بسبب ما
كانوا أي جبلة وطبعا يفترون أي يتعمدون من الكذب ما بعد إظهار الحق فواضح وأما قبله فلكونه في غاية ما يكون من ظهور
الفساد ولما ذكر من سفههم ما فيه إقدام محض وما فيه إحجام خالص نحت شبه ما هو مختلط منهما فقال وقالوا أي
المشركون أو بعضهم وأقره الباقون ما في بطون هذه إشارة إلى ما اقتطعوه لآلهتهم وبينوه بقولهم الأنعام أي من الأجنة
خالصة أي خلوصا لا شوب فيه أنث للحمل على معنى الأجنة أو تكون التاء للمبالغة أو تكون مصدرا كالعافية أي ذو خالصة
لذكورنا ولما كان العادة في كل صفة أن بالواو فقال ومحرم وحذفها إما حملا على اللفظ أو تخفيفا لأن المراد بخالصة
المبالغة على أزواجنا أي إناثنا وكأنه عبر بالأزواج بيانا لموضع السفه بكونهن شقائق الرجال هذا إن ولد حيا وإن
يكن أي ما في بطونها ميتة وكأنه أنث لأن التأنيث مبالغة وأنث الفعل أبو جعفر وابن عامر وأبو بكر عن عاصم حملا
على معنى ما ورفع الاسم على التمام ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر وذكر ابن كثير لأن التأنيث غير حقيقي ونصب الباقون
على جعلها ناقصة مع التذكير حملا على لفظ ما فهم أي ذكورهم وإناثهم فيه أي في ذلك الكائن الذي في البطون شركاء
أي على حد سواء ولما كان ذلك كله وضعا منهم للأشياء في غير مواضعها التي جعلها الله قال سيجزيهم وصفهم أي بأن يضع العذاب
الأليم في كل موضع يكرهون وضعه فيه حتى يكون مثل وضعهم الذي لم يزالوا يتبعون الهوى فيه حتى صار خلقا لهم ثابتا فهو يرعاهم في
وصفهم أثره ثم علل ذلك بقوله إنه حكيم أي يجازي على الشيء بأمثله ويضعه في أحق مواضعه وأعدلها عليم أي بالمماثلة ومن
يستحقها وعلى أي وجه يفعل وعلى أي كيفية يكون أتم وأكمل وفي ذلك أتم إشارة إلى أن هذه الأشياء في غاية البعد عن الحكمة فهو متعال
عن أن يكون شرعها وهو سفه محض لا يفعلها إلا ظالم جاهل ولما ذكر تعالى تفاصيل سفههم وأشار إلى معانيها جمعها وصرح
بما أثمرته من الخيبة في سبع خلال كل واحدة منها سبب تام في حصول الذم فقال قد خسر وأظهر في موضع الإضمار تعميما وتعليقا
للحكم بالوصف فقال الذين قتلوا قراها ابن عامر وابن كثير بالتشديد لإرادة التكثير والباقون بالتخفيف أولادهم سفها
أي خفة إلى الفعل المذموم وطيشا تؤزهم الشياطين الذين يتكلمون على ألسنة الأصنام أو وسوستها إلى ذلك أزا ولما كان السفه منافيا
لرزانة العلم الذي لا يكون الفعل الناشئ عنه إلا عن تأن وتدبر وتفكر وتبصر قال مصرحا بما أفهمه بغير علم أي وأما من قتل ولده
بعلم كما إذا كان كافرا أو قاتلا أو محصنا زانيا فليس حكمه كذلك ولما ذكر عظيم ما أقدموا عليه ذكر جليل ما أحجموا عنه فقال
وحرموا ما رزقهم الله أي الذي لا مالك سواه رحمة لهم من تلك الأنعام والغلات بغير شرع ولا نفع بوجه افتراء أي تعمدا للكذب
على الله أي الذي له جميع العظمة ولما كانوا قد خسروا بالأولاد خسارات مع ادعائهم غاية البصر بالتجارات للنفس بقتل الأولاد
والمال بتحريم ما رزقهم الله فأفادهم ذلك خسارة الدين كانت نتيجته قوله قد ضلوا أي جاروا أو حادوا عن الحق وحاروا ولما كان
الضال قد يكون ضلاله فلتة عارضة له وتكون الهداية وصفا أصيلا فيه نبه على أن الضلال وصفهم الثابت بقوله وما كانوا
أي في شيء من هذا في خلق من الأخلاق مهتدين أي لم يكن في كونهم وصفا لهداية بل زادوا بذلك ضلالا قال البخاري في المناقب من صحيحه
حدثنا أبو النعمان ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ
ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها إلى قوله وما كانوا مهتدين وله في وفد بني حنيفة من المغازي
عن مهدي بن ميمون قال سمعت أبا رجاء العطاردي يقول كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجرا أحسن منه ألقيناه فأخذنا الآخر فإذا لم نجد
حجرا جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنا به فإذا دخل شهر رجب قلنا منصل الأسنة فلا ندع رمحا فيه حديدة
ولا سهما فيه حديدة إلا نزعناه فألقيناه شهر رجب ولما كان مدار القرآن على تقرير التوحيد والنبوة وتوابعهما والمعاد والقضاء
والقدر والفعل بالاختيار وانتقض تقرير هذه الأصول لا سيما في هذه السورة وانتهى إلى شرح أحوال السعداء والأشقياء وعجب سبحانه
ممن أشرك وأنكر البعث ونقل أفعال المشركين تعجيبا بعد تعجيب وختم توبيخا لهم بتوبيخ تكذيبهم للداعي من غير حجة وحكى أقوالهم
الباطلة ودعاويهم الفاسدة مع ادعائهم أنهم أنصف الناس ومخالفتهم للهادي بغير تثبت ولا بينة مع ادعائهم أنهم أبصر
الناس وبطلبهم للآيات تعنتا مع ادعائهم أنهم أعقل الناس وإخلاصهم في الشدة وإشراكهم في الرخاء مع ادعائهم أنهم أشكر الناس
وعبادتهم للجن وتعوذهم بهم مع ادعائهم أنهم أشجع الناس إلى أن عجب منهم فيما شرعوه لأنفسهم فيما رزقوه سبحانه من حيوان
وجماد ومضوا عليه خلفا عن سلف تنبيها على ضعف عقولهم وقلة علومهم تنفيرا للناس عن الالتفات إليهم والاغترار بأحوالهم
قال في موضع الحال من وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث الآية مبينا عظيم ملكه وشمول قدرته وباهر اختياره وعظمته زيادة في
التعجيب منهم في تصرفهم في ملكه بغير إذنه وشرعهم ما لم يأذن فيه في سياق كافل بإقامة الحجة على تقرير التوحيد عودا على بدء

وعلا

وعلا بعد تمهيد لأنه المدار الأعظم والأصل الأقوم وهو أي لا غيره الذي أنشأ أي من العدم جنات أي من العنب وغيره معروشات
أي مرفوعات عن الأرض على الخشب وغيره لا تصلح إلا معروشة ومتى لم ترفع عن الأرض تلف ثمرها وغير معروشات لأنه لا
تصلح إلا مطروحة على الأرض متقلة بما أحكم وصولها إليها ومتى ارتفعت عن الأرض تلفت فما ذلك لطبيعة ولا غيرها وإلا
لاستوت الجنات كلها لأن نسبتها إلى السماء والأرض واحدة فما اختلفت إلا بفاعل مختار واحد لا شريك له لا يكون إلا ما يريد
ولما ذكر الجنات الجامعة خص أفضلها تعالى وأدلها على الفعل بالاختيار وبدأ بأشهرها عند المخاطبين بهذه الآيات
فقال والنخل أي وأنشأ النخل والزرع حال كونه مختلفا أكله أي أكل أحد النوعين وهو ثمره الذي يؤكل بالنسبة إلى الآخر
وأكل كل نوع بالنسبة إلى الأشجار وغيرها في الحمل والطعم وغيره ويوجد في العذق الواحد الاختلاف وأما اختلاف مقداره
أن يكون هذا في غاية الطول وهذا في غاية القصر فأمر واضح جدا والزيتون والرمان ولما كان معظم القصد في هذا
السياق نفي الشريك وإثبات الفعل بالاختيار لم يدع الحال إلى ذكر كمال الشبه فاكتفى بأصل الفعل فقيل متشابها أي
كذلك وغير متشابه أي في اللون والطعم والفساد وعدمه والتفكه والاقتيات والدهن والماء إلى غير ذلك من أحوال
وكيفيات لا يحيط بها حق الإحاطة إلا بارئها سبحانه وعز شأنه ولعله جمع الأولين لأن كلا منهما للاقتيات ولا يسرع فساده
مع المقاربة في الشكل والاختلاف في النوع بالشجر والنجم والتفاوت العظيم في المقدار والآخرين لأن الأول لا يفسد بوجه والثاني
يسرع فساده ويدخر كل منهما بالعلاج على غير الهيئة التي يدخر عليها الآخر مع كونهما من الأشجار وتقاربهما في المقدار
وتفاوت ثمرتهما في الشكل والقدر وغير ذلك ولما كان قوله وهو الذي أنشأ من التمام في سياق الاستدلال على أنه لا
فاعل إلا الله أمر فيه بالنظر إلى الثمر والينع ليعتبر بحالهما وكانت هذه الآية في سياق التعنيف لمن حرم ما رزقه الله
والأمر بالأكل من حلال ما أنعم به والنهي عن تركه تدينا فقال تعالى هنا كلوا وقدم الأولى المستدل بها على وجود الباري
وتفرده بالأمر لأن اعتقاد ذلك سعادة روحانية أبدية وقال أبو حيان في النهر لما كانت تلك الآية في معرض الاستدلال
بها على الصانع وقدرته والحشر وإعادة الأرواح إلى الأجساد بعد العدم وإبراز الجسد وتكوينه من العظم الرميم وهو
عجب الذنب قال انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إشارة إلى الإيجاد وإلى غايته وهنا لما كان في معرض الامتنان وإظهار
الإحسان بما خلق قال لنا كلوا ودل على أن الرزق أكثر من الخلق بقوله من ثمره ولما كان هذا الأمر للإباحة لا للإرادة قيل
لئلا يقتضي إيجاد الثمرة في كل جنة في كل وقت فقال إذا أثمر لحصول مجموعهما الحياة الأبدية والحياة الدنياوية السريعة
الانقضاء وتقدم المنظور هو المتكرر على الأكل لهذا السبب وعبر بإذا دون إن تحقيقا لرجاء الناس في الخصب وتسكينا لأمانيهم
رحمة لهم ورفقا بهم إعلاما أنه إن وقع جدب كان في ناحية دون أخرى وفي نوع دون آخر وإباحة للأكل في جميع أحوال الثمرة
نضيجة وغير نضيجة ولما كان في الآيات الحاكية مذاهب الكفار تعجيب أن يجعلوا أشياء من أموالهم لأحد بأهوائهم أشار هنا إلى أنه
فرض فيها حقا وجعل له مصارف بقوله وآتوا حقه ولما أباح سبحانه أكله ابتداء وأنها بين أنه خفف عنهم الوجوب قبل
الانتهاء فقال يوم حصاده أي قطعه جذا إذا كان أو حصادا تنبيها لذلك أول وقت تصاب الأمر وهو موسع والحق أعم من الواجب
والمندوب فإن أريد الندب عم الأنواع الخمسة الماضية الغيب المشار إليه بالعرش وما بعده وإن أريد الوجوب فقد
أشير بالتعبير بالحصاد إلى أن الأصل في ذلك الحبوب المقتاتة وأما غيرها فتابع علم ببيان النبي صلى الله عليه وسلم له
فيطلق عليه الحصاد مجازا ولما أمر الله بالأكل من ثمره وبإيتاء حقه نهى عن مجاوزة الحد في البسط والقبض فقال ولا تسرفوا
وهذا النهي يتضمن أنواع الإسراف فيدخل فيه الإسراف في أكل الثمرة حتى لا يبقى منها شيء للزكاة والإسراف في الصدقة حتى لا
يبقي لنفسه ولعياله شيئا ويؤيده وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ولا تبسطها كل البسط ثم علله بقوله إنه لا يحب المسرفين
أي لا يفعل معهم معاملة المحب فلا يكرمهم وقيل لحاتم الطائي لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ولما كان السياق للأكل من الحرث
والأنعام من حلال وحرام وفرغ من تقرير أمر الحرث الذي قدم في الجملة الأولى لأنه مادة الحيوان قال ومن أي وأنشأ من
الأنعام حمولة أي ما يحمل الأثقال وفرشا أي وما يفرش للذبح أو للتوليد ويعمل من وبره وشعره فرش ولما استوفى القسمين
أمر بالأكل من ذلك كله على وجه يشمل غيره مخالفة للكفار فقال كلوا مما رزقكم الله أي لأنه الملك الأعظم الذي لا يسوغ
رد عطيته ولا تتبعوا ولعله شدد إشارة إلى العفو عن هفوة إذا ذكر الإنسان فيها رجع ولم يتماد في هواه خطوات
الشيطان أي طريقه في التحليل والتحريم كما قال في البقرة كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان
وعبر بذلك لأنه مع كونه من مادة الخطيئة دال على أن شرائعه سريعة الاندراس لولا مدد الاعتناء من الشيطان بالتتبع
في كل خطوة حال تأثيرها ليبادر إليها المحو لبطلانها في نفسها فلا أمر من الله يحييها ولا كتاب يبقيها وإنما أسقط هنا
حلالا طيبا لبيانه سابقا في قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ولاحقا في قوله قل لا أجد
فيما أوحي إلي ثم علل نهيه عن اتباعه فقال إنه لكم عدو أي فهو لذلك لا يأمركم بخير مبين أي ظاهر العداوة لأن أمره مع
أبيكم شهير ولما رد من المشركين وأثبت دينه وكانوا قد فصلوا الحرمة بالنسبة إلى ذكور الآدمي وإناثه ألزمهم تفصيلها
بالنسبة إلى ذكور الأنعام وإناثه تفصل أمرها في أسلوب بان فيه أن فعلهم رث القوى مهلهل النسج بعيد من قانون الحكمة

صح

فهو موضع للاستهزاء واهل للتهكم فقال مبينا للحمولة والفرش **ثمانية ازواج** اى اصناف لا يكمل صنف منها الا بالاخر فانثاها
يزاوج كل من الذكر والانثى الاخر ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون اخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون
فيها خمر ولما كان الزوج قد يطلق على الاثنين وعلى معا اخر من نوعه قال مبينا ان هذا هو المراد لا الاثنان مفصلا لهذه الثمانية
من الضان جمع ضائن كصاحب وصحب **اثنين** اى ذكرا وانثى كبشا ونعجة **ومن المعز** جمع ماعز وماعزة كخادم وخدم وفى قراءة
ابن كثير وابى عمرو وابن عامر ونافع ويعقوب وفى قراءة غيره **اثنين** اى زوجين ذكرا وانثى تيسا وعنزا ولما كان كانه قيل ما المراد
بهذا التفصيل قيل سوالهم عن دينهم **قل** اى لهم مستفهما ولما كان هذا الاستفهام بمعنى التوبيخ والتهكم والانكار اتى فيه بام
التى هى مع الهمزة قبلها بمعنى اى يستفهم بها عما يعلم ثبوت بعضه وانما يطلب تعيينه فقال معرضا بين المعمول وداله
تاكيدا للتوبيخ لان الاعتراضات لا تساق الا للتاكيد **االذكرين** ولما كان المستفهم عنه بنصبه ما بعده لا ما قبله قال **حرم**
اى الله فان كان لذلك لزمكم تحريم جميع الذكور **ام الانثيين** ليلزمكم تحريم جميع الاناث واستوعبت جميع ما يفرض من سائر
الاقسام فى قوله **اما** اى ام حرم ما **اشتملت** اى انضمت **عليه** وحملته **ارحام الانثيين** اى من الذكور والاناث ومتى كان ذلك
لزمكم تحريم الكل فلم تلتزموا شيئا مما اوجبه هذا التقسيم فلم تمشوا على نظام ولما علم انه لا نظام لهم فعلم انهم جديرون
بالتوبيخ زاد فى توبيخهم فقال **نبئونى** اى اخبرونى عما حرم الله من هذا اخبارا جليلا عظيما ولما كان هذا الاخبار الموصوف
لا يكون بشىء فيه شك قال **بعلم** اى امر معلوم من جهة الله اى لا مطعن فيه **ان كنتم صادقين** اى ان كان لكم هذا الوصف ولما
فصل الغنم الى الضان والمعز اغنى ذلك عن تنويع الابل الى العراب والبخت والبقر الى العراب والجواميس ولان هذه يتمايز
بعضها من بعض بخلاف الغنم فانها لا يطرق احد نوعيها الاخر نقله الشيخ بدر الدين الزركشى فى كتاب الوصايا من شرح
المنهاج عن كتاب الاضداد لابن سراقة فقال **ومن الابل اثنين** اى ذكرا وانثى **ومن البقر اثنين** اى كذلك **قل** اى لهولاء الذين قد
اختلقوا جهلا وسفها ما تقدم عنهم **االذكرين** اى من هذين النوعين **حرم** اى حرمهما الله **ام الانثيين** اى حرمهما **اما** اى الذى **اشتملت**
عليه اى ذلك المحرم على زعمكم **ارحام الانثيين** اى حرمه الله ولما كان التقدير اجاءكم هذا عن الله الذى لا حكم لغيره على لسان نبى عادله توبيخا
لهم وانكارا عليهم بقوله **ام كنتم شهداء** اى حاضرين **اذ وصاكم الله** اى الذى لا ملك لغيره فلا حكم لسواه **بهذا** اى كما جزمتم عليه به
او جزمتم بالحرمة فيما حرمتموه والحل فيما احللتموه ولا يحرم ولا يحلل غير الله فكنتم بذلك تاسين الحكم اليه ولما كان التقدير كما
انتجه السياق لقد كذبتم على الله حيث نسبتم اليه ما لم تاخذوه عنه لا بواسطة ولا بغير واسطة سبب عنه قوله معمما البعلم
ان هذا اذا كان فى التحريم والتحليل كان الكذب فى اصول الدين اشد **فمن اظلم** ووضع موضع منكم قوله معمما ومعلقا الحكم بالوصف
ممن افترى اى تعمد **على الله** اى الذى لا اعظم منه لانه ملك الملوك **كذبا** كعمرو بن لحى الذى غير شريعة ابرهيم عليه السلام وكل من فعل
فعله ولما كان يلزم من شرعهم لهذه الامور اضلال من تبعهم فيها عن الصراط السوى وكانوا يدعون انهم افطن الناس واعرفهم
بدقائق الامور فى بداياتها ونهاياتها وما يلزم عنها جعل غاية فعلهم مقصودا لهم تهكما بهم فقال **ليضل الناس** ولما كان
الضلال قد يقع من العالم الهادى خطا قال **بغير علم** ولما كان هذا الحال عجب ممن يتحلى به هذا الكشف سبحانه بقوله استينافا
ان الله وهو الذى لا حكم لاحد سواه لا يهديهم هكذا كان الاصل ولكنه اظهر تعميما بما هو اعم من وصفهم ليكون الحكم عليهم بطريق
الاولى فقال **لا يهدى القوم الظالمين** اى الذين يضعون الاشياء فى غير مواضعها فكيف بالاظلمين وما احسن هذا الختم لاحكامهم
وانسبه لما بناها عليه من قوله انه لا يفلح الظالمون ولما تضمن قوله افتراء عليه افتراء على الله والتعبير فى ذلك كله بالاسم الاعظم
ان كون التحريم ليس الا من الله امر معلوم وليس موضعا للشك لانه الملك الاعظم ولا حكم لغير الملك ومن حكم عن غير امره عذب
حسن بعد ابطال دينهم والبيان لان من حرم شيئا بالتشهى مضل وظالم قوله مبينا البيان الصحيح لما يحل ويحرم جوابا لمن يقول
فما الذى حرمه الله سبحانه وما الذى احله **قل** معلما ان التحريم لا يثبت الا بوحى الله **لا اجد** اى الان ولا انهما يستقبل من الزمان فان لا كلمة
لا تدخل على مضارع الا وهو بمعنى الاستقبال **فيما** ولما كان ما اتاه صلى الله عليه وسلم قد ثبت بالجزم عن معارضته انه من الله بنى
للمفعول قوله **اوحى الى** اى من القران والسنة شيئا مما تقدم مما حرمتموه مطلقا او على حال دون حال وعلى ناس دون اخرين طعاما
محرما على طاعم اى طاعم كان من ذكر وانثى **يطعمه** اى ياكله اكلا او شربا او دواء او غير ذلك **الا ان يكون** اى ذلك الطعام **ميتة**
اى شرعا والميتة الشرعية هى ما لا يعمل التذكية وهو كل ما زالت حياته بغير ذكاة شرعية **او دما مسفوحا** اى مراقا من شانه
السيلان لا ما من شانه الجمود كالكبد والطحال ولما كان النصارى قد اتخذوا اكل الخنزير دينا نص عليه وان كان داخلا فى قوله
ميتة على ما قرر انه فى المراد بها وقال **او لحم خنزير** ليفيد تحريمه على كل حال سواء ذبح ام لا ولو قيل او خنزير لا احتمل ان يراد تحريم
ما اخذ منه حيا فقط وقال **فانه** اى الخنزير **رجس** ليفيد نجاسة عينه وهى حى فلحمه وكذا سائر اجزائه بطريق الاولى وكل ما
وافقه فى هذه العلة كالنجس ولا يعاد الضمير على اللحم لانه قد علمت نجاسته من تحريمه لعينه فلو عاد عليه كان تكرارا ولما ذكر
المحرم لعينه ذكر المحرم لعارض فقال مبالغا فى النهى عنه بان جعله نفس المعنى الذى وقع النهى لاجله **او فسقا** اى او كان الطعام
خروجا عما ينبغى القرار فيه من نهج جناب الله الذى من تقطه احسن واهتدى وسلم الى الصنو الهوى فى ذكر الغير الذى من خرج اليه
خاف وضل وهلك قال مفسرا له مقدما ما هو داخل فى الفسق من الالتفات الى الغير **اهل لغير الله** اى الذى له كل شىء لان له الكمال

كلم

كله **به** اى ذكر غير اسمه عليه بان ذبح له تدينا ثم ذكر لطفه لهذه الامة فى اخذه لهم فى حال الضرورة كل محرم رحمة لهم وسترا له
لتقصيرهم فقال **فمن اضطر** اى حصل له جوع خشى منه التلف وبنى الفعل للمفعول لان المعتبر حصول الاضطرار لا كونه من معين
ومن التعبير بذلك توخذ حرمة ما زاد على سد الرمق لانه حينئذ لا يكون الا مضطرا **غير باغ** اى على غيره بمكيدة **ولا عاد**
اى على غيره بعقوبة ولا متجاوز سد الضرورة **فان ربك** اى المحسن اليك بارسالك والى امتك الضعيفة بجعل دينها
الحنيفية السمحة **غفور** اى محو الذنب اذا اراد **رحيم** اى يكرم المذنب بعد الغفران بانواع الكرامات فهو جدير بان يعفو
عن هذا المضطر اثر تلك الحرمة التى قربها ويكرمه بان يجعل له فى حفظه بذلك لنفسه اذا صحت فيه نيته اجرا عظيما
وقد تكفلت الاية على وجازتها بجميع المحرمات من الماكولات مع الاشارة بلفظ الرجس والفسق الى جميع اصناف المحرمات
والى ان ذلك بما يوجب الخبث والانسلاخ من الخير وذلك هو سبب تحريمها قال الاستاذ ابو الحسن الحرالى فى كتاب العروة
وجه انزال هذا الحرف اى حرف الحرام طهرة الخلق من مضار ابدانهم ورجاسة نفوسهم وجهلة قلوبهم فما اجتمعت فيه
كان اشد تحريما وما وجد فيه شى منها كان تحريمه بحسب تاكد الضرورة الى طهرته وكما اختلفت احوال بنى ادم بحسب
اختلاف طينتهم من بين خبيث وطيب وما بين ذلك اختلفت احوالهم فيما به يجد خلقهم من رزقهم فمن اغتذى بدنه
من شى طهرت اخلاق نفسه ذلك المغتذى به واوصافه فى نفسه ويرين على القلب وصفا لتقوته بما يسمى عليه من ذكر الله
او كفره بذكر غيره وجامع منزله على حده من اسنيا قليله من متسع الحلال قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على
طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا هذا الضرته بالبدن ولحم خنزير وهذا التخبيثه للنفس وترجيسها كما
قال تعالى فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به وهذا الرينه على القلب وهذه الاية مدنية واثبتها تعالى فى سورة
مكية اشعارا بان التحريم كان مستحقا فى اول الدين ولكن اخر الى حين اجتماع جمة الاسلام بالمدينة تاليفا للقلوب
المشركين وتيسيرا على ضعفاء الذين امنوا واكتفا للمومنين بتنزههم عن ذلك وعما يشبهه استبصارا منهم حتى ان الصديق
رضى الله عنه كان قد حرم الخمر على نفسه فى زمن الجاهلية لما راى فيها من نزف العقل فكيف باحوالهم بعد الاسلام والحق
بها فى سورة الذين امنوا ما كان قتله بسطوة من غير ذكر الله عليه من المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل
السبع الا ما ذكيتم بالتذكية المنهرة للدم الموصل فى التحريم لفساد مسفوحه بما هو خارج عن حد الطعام فى الابدان
والاعضاء فى الانتها المسند ركة ببركة التسمية اثر ما اصابها من مفاجاة السطوة والحق بها ايضا فى هذه السورة تحريم
الخمر لرجسها كالخنزير لما الحقت المقتولة بالميتة وكما حرم الله ما فيه جماع الرجس من الخنزير وجماع الاثم من الخمر حرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه حظ من ذلك فالحق بالخنزير السباع حماية من سورة غضبها لشدة المضرة فى
ظهور الغضب من العبيد لانه لا يصلح الا للسيد ثم وحرم الحمر الاهلية حماية من بلادتها وحرانها الذى هو علم عن بزة الحزق فى
الخلق والحق صلى الله عليه وسلم بتحريم الخمر التى سكرها مطبوع تحريم المسكر الذى سكره مصنوع وكما حرم الله ما يضر العبد
فى ظاهره وباطنه حرم عليه فيما بينه وبينه ما يقطعه عن اكل الربا الا ربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك له
وجامع منزله فى قوله تعالى الذين ياكلون الربا الى قوله واحل الله البيع وحرم الربا الى انتهاء ذكره الى ما ينتظم من ذلك فى قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة الاية الى ما يلحق بذلك فى قوله وما اتيتم من ربا الاية هكذا قال
ان هذه الاية مدنية وهو مع كونى لم اره لغيره مشكل بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم الاية ولما كان تحريم الربا لما بين الرب
والعبد كان فيه الوعيد بالايذان بحرب من الله ورسوله ولذلك ختمت الايمة درايته اشد الحماية وكان اشدهم فى ذلك
عالم المدينة حتى انه حمى من صورته مع التفقه بسلامة الباطن منه وعمل بمثل ذلك فى محرمات ما بين العبد ونفسه وكما
حرم الله الربا فيما بينه وبين عبده من هذا الوجه الاعلى كذلك حرم اكل المال بالباطل فيما بين العبد وبين غيره من الطرف
الادنى وجامع منزله فى قوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الاية الى ما ينتظم بذلك من قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم الى ما ينتظم به من قوله تعالى واتوا اليتامى اموالهم الايات
فى اموال اليتامى لحرمته تعالى من جهة الاعلى والمثل والادنى وانتظم التحريم فى ثلاثة اصول من جهة ما بين الله وبين عبده ومن جهة
ما بين العبد ونفسه ومن جهة ما بين العبد وبين غيره مما تستقر الجملة ايه فى القران واحاديثه فى السنة ومسايله فى فقه
الايمة ولما كان له متسع وقع فيما بين الحلال البين والحرام البين امور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس لانها تشبه
الحلال من وجه وتشبه الحرام من وجه فلوقوعها بينهما تختلف فيها الايمة ويجتنب جميعها الصالحون عملا من اتقى الشبهات
استبرا لدينه فى العقبى ولعرضه فى الاولى وعن حماية الله عباده عن وبيل الحرام تحقق لهم اسم الطيب فلم يتطيب
بطيب الله من لم يحتم عن محرماته ومتشابهاتها وهو الورع الذى هو ملاك الدين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال فيما
به تحصل قراءة حرف الحرام تماما فى العلم والحال والعمل اعلم ان الانسان لما كان خلقا جامعا كان فيه بزرتان بزرة للخير وبزرة
للشر وبحسب تطهره وتخلصه من مزاحمة نبات بزرة الشر ونموه فيه وتزكو بزرة الخير ولكل واحد من البزرتين منبت
فى جسمه ونفسه وفواده فاول الحروف فى الترتيب العملى والاساس لما بعده هو قراءة حرف الحرام لتحصل به طهرة البدن الذى

هو السابق في وجود الانسان فمن غذي بالحرام في طفولته لم يقدر على اجتناب الاثام في كهولته الا ان يطهره الله بما شاء من نار الورود في الدنيا من الامراض والفقر انه الاساس الذي ينبني عليه تطهير النفس من المناهي وتطهير الفؤاد من العمه والجاهل والذي تحصل به قراءة هذا الحرف هو الورع الحاجز عما يضر بالجسم ويؤذي النفس وما يكره الخلق وما يغضب الرب فمن اصاب شيئا من ذلك ولم يبادر اليه بالتوبة عذب بكل ابتلائها وهو تخالف حكمها من لم يبال من اي باب دخل عليه رزقه لم يبال الله من اي باب ادخله النار ولما كان هذا الورع كفا لليد ظاهرا عن الشيء الضار وكان للجوارح انقيادا على اثر من النفس لم يصح الورع ظاهرا الا ان يقع في النفس ما وضر باطنة من تناول ذلك الشيء ولما كانت النفس لا تتأثر الا عن تبصر القلب في الشيء الضار كما لا تمسك اليد الا عند تقذر النفس لما تدرك العين قذره حتى ان النفس الرضية تانف من المحرمات كما يانف المستنظف من المستقذرات فاكلة الحرام هم دود جيفة الدنيا تستقذرهم اهل البصائر كما يستقذرون هم دود جيف المزابل ولما كان الحرام ما يضر العبد في نفسه كالميتة تيسر على المستبصر كف يده عنها لما يدري من مضرتها لجسمه وكذلك الدم المسفوح لانه ميتة بانفصاله عن الحي ومفارقته لروح الحياة التي تخالطه في العروق فلذلك وسيأتي قريبا تعليله في التوراة بما يقتضي انه اكثر تعلقا في النفس وتطبيعا لها بخلق ما هو دمه من اللحم والله الموفق وكذلك ما يضر بنفسه كلحم الخنزير لانه رجس والرجس هو خبائث الاخلاط التي هي عند العقلاء انجس من خبائث الابدان وذلك لان من اغتذى جسمه بلحم حيوان اعتدت نفسه بنفسانية ذلك الحيوان وتخلق من اخلاقه وفي نفس الخنزير مجامع رذائل من الاباء والحران والمكر والاقدام على ما يعاين فيه الهلاك ومتابعة الهلاك والانكباب على ما يقبل عليه في ادنى الاشياء على ما ظهرت في خلقته ابائه فانه ليس له استشراف كذوات الاعناق وكذلك ما يضر بهما وبالعقل كالخمر فانها تزيلها للعقل وتصديعها للراس وايقاعها العداوة والبغضاء في خلق النفس ولذلك هي جماع الاثم فالمتبصر في المحرمات يانف منها لما يدري من مضرتها واذاها في الوقت الحاضر وفي معقبتها في يوم الدنيا الى ما اخبر به من سوء عقباها في يوم الدين ومن شرب الخمر ومات ولم يتب منها كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال وهي عصارة اهل النار ولو هدد شاربها في الدنيا من الاموات بسقيه من بوله وجيعه لوجد من الورع ما يحمله على الورع عنها واذا استبصر ذو دراية فيما يضره في ذاته فانف منه رعاية لنفسه حق له بذلك التزام رعايتها عما يتطرق له منه درك من جهة غيره فيتورع عن كل اموال الناس بالباطل لما يدري من المواخذة عليها في العاجل وما اخبر به عن المعاقبة عليها في الاجل ولها في ذاته مضرة في الوقت يتعرفها من موارد القران بنور الايمان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وان لم يحس بها وليس تاويله الوعد بالنار لان ذلك انبا عنه قوله تعالى وسيصلون سعيرا وكذلك اذا انف مما يضره في نفسه وخاف مما يتطرق اليه ضره في غيره اعظم ان يتعرض حمى ما يتطرق اليه السطوة من ربه لاجله وذلك فيما حرم عليه حماية لعظيم ملكه وعلم التفاوت في امر حمايته في تحريم الربا ولما فيه ايضا من مضرة وقته الحاضر التي يتقبلها بالايمان من تعريف ربه فانه تعالى لما عرف ان اكل مال الغير بالباطل نار في البطن عرف ان اكل مال الربا جنون في العقل وخبال في النفس الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس واعظم من ذلك ما حرمه الله لعوارته على اسمه عند اذهاق روحه لانه ماخوذ من غير الله وما اخذ من غير الله كان اكله فسقا وكفرا لانه تناول الروح من يد من لا يملكها ولذلك فرضت التسمية في التذكية وتعلقت فيما سوى ذلك فلا يصح قراءة هذا الحرف الا بتبصرة القلب فيه وورع النفس منه وورع اليد عنه والا فهو من الذين يقراون حروفه ويضيعون حدوده الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي امتي قراؤها ومن لم يصح قراءة هذا الحرف لم تصح له قراءة حرف سواه ولا تصح له عبادة وهو الذي لا تزيده صلاته من الله الا بعدا ولا يقبل منه دعا الرجل يطلب الله مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام يقول يا رب يا رب فانى يستجاب لذلك فهذه قراءة هذا الحرف وحروفه شروطه والله ولي التوفيق ولما كان قوله طاعم نكرة في سياق النفي يعم كل طاعم من اهل شرعنا وغيرهم وكان سبحانه قد حرم على اليهود اشياء غير ما تقدم اقتضى احاطة العلم ان قال مبينا لاحاطة علمه ومكذبا لليهود في قولهم لم يحرم الله علينا شيئا وانما حرمنا على انفسنا ما حرم اسرائيل على نفسه وعلى الذين هادوا اي اليهود حرمنا بما لنا من العظمة التي لا تدافع كل ذي ظفر اي على ما هو كالاصبع للادمي من السباع والطيور التي تتقوى باظفارها ومن البقر والغنم اي التي هي ذوات الاظلاف حرمنا اي بما لنا من العظمة عليهم شحومهما اي الصنفين ثم استثنى فقال الا ما حملت ظهورهما اي من الشحوم مما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما او الحوايا وهي الامعاء التي هي متقاطعة مثلوية جمع حوية فوزنها فعائل كسفينة وسفاين وقيل جمع حاوية او حاويا كقاصعاء فهي فواعل او ما اختلط اي من الشحوم بعظم مثل شحم الالية فان ذلك لا يحرم وهذا السياق بتقديم الجار وبناء الكلام عليه يدل على ان ما عدا المذكور من الصنفين حلال ولما كان كانه قيل لم حرم عليهم هذه الطيبات قيل ذلك اي التحريم العظيم والجزاء الكبير وهو تحريم الطيبات جزيناهم اي بما لنا من العظمة ببغيهم اي امورهم التي تجاوزوا فيها الحدود وفي ايلاء هذه الاية التي فيها ما حرم على اليهود لما قبلها مع الوفاء بالمقصود من حصر محرمات المطاعم على هذه الامة وغيرها ايذان بامرين جليلين احدهما بيان اطلاعه صلى الله عليه وسلم على تفصيل ما اوحي الى من تقدمه ولما يشام احدا من اتباعهم ولا دارس عالما ولا درس علما قط فلا دليل على صدقه على الله اعظم من ذلك والثاني تفضيل هذه الامة فانه احل لها الخبائث عند الضرورة رحمة لهم وازال عنها في تلك الحالة ضررها ولم يفعل بها كما فعل باليهود في انه حرم عليهم طايفة من الطيبات ولم

ولم يحلها لهم في حال من الاحوال عقوبة لهم وفي ذلك اتم تحذير لهذه الامة من ان يبغوا فيعاقبوا كما عوقب من قبلهم على ما انبه عليه في قوله غير محلي الصيد وانتم حرم فبان الصدق وحصحص الحق ولم يبق لمتعنت كلام تحقق جدا ختم ذلك بقوله وانا لصادقون اي ثابت صدقنا ازلا وابدا كما اقتضاه ما لنا من العظمة وتعقيبه بقوله فان اي وتسبب عن هذا الاعجاز الجامع الوجيز الدال على الصدق الذي لا شبهة فيه انا نقول لك ان كذبوك فقل والتعبير باداة الشك مشير الى ان الحال يقتضي ان يستبعد ان يقع منهم تكذيب بعد هذا ربكم اي المحسن اليكم بالبيان والامهال مع كل امتنان ذو رحمة واسعة اي فهو مع اقتداره قد قضى انه يحلم عنكم بالامهال الى اجل يعلمه ولما اخبر عن رحمته نوه بعظيم سطوته فقال ولا يرد باسه اي اذا اراد الانتقام عن القوم المجرمين اي القاطعين لما ينبغي وصله فلا يغتر احد بامهاله في سوء اعماله ولو تحقق ضلاله وفي هذه الاية من شديد التهديد مع لطيف الاستعطاف ما هو مستول على الحد الاقصى من البلاغة ولما تم ذلك فعلم ان اقدامهم على الاحكام الدينية بغير حجة اصلا اقتضى الحال ان يقال قد بطل بالعقل والنقل جميع ما قالوه في التحريم على وجه ابطل شركهم فهل بقي لهم مقال فاخبر سبحانه بشبهة يقولونها اعتذارا عن جهلهم على وجه هو وحده كاف في الدلالة على حقية ما يقول من الرسالة فوقع طبق ما قال عن اهل الضلال فقال مخبرا بما سيقولونه قبل وقوعه دالا له على صدق رسله وكذب المشركين فيما يجادلونهم فيه سيقول اي في المستقبل واظهره موضع الاضمار تنصيصا عليهم وتبكيتا لهم فقال الذين اشركوا تكذيبا منهم لو شاء الله اي الذي له جميع الكمال عدم اشراكنا وتحريمنا ما اشركنا اي نحن ولا غيره ولا اباؤنا اي ما وقع منا اشراك ولا حرمنا من شيء اي مما تقدم من البحائر والسوائب والزروع وغيرها ولكنه لم يشأ الترك وشاء الفعل ففعلنا طوع مشيئته وهو لا يشاء الا الحق والحكمة لانه قادر فلو لم يكن حقا يرضاه لمنعنا منه وهو لم يمنعنا منه فهو الحق ولما كان هذا اعتذارا منهم ظاهرا بعد وضوح الامر بما اقام على صدق رسله من البينات كان كانه قيل تعجبا منهم هل فعل احد غيرهم مثل فعلهم هذا او قال مثل ما قالوا فقيل نعم كذلك اي مثل ذلك التكذيب البعيد عن الصواب كذب الذين ولما لم يكن التكذيب عاما ادخل الجار فقال من قبلهم من الامم الخالية وتمادى بهم غرور التكذيب حتى ذاقوا باسنا اي عذابنا بما لنا من العظمة فان من له الامر كله لا يسئل عما يفعل فلم ينفعهم عنادهم عند ذوق الباس انحلت عزائم هممهم فخضعوا لنا وامنوا برسلنا فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فالاية من الاحتباك اثبت اولا الاشراك دليلا على حذفه ثانيا وثانيا التكذيب دليلا على حذفه اولا وسيأتي توجيه انه لا بد من تضليل احدى الطائفتين وان كان الكل بمشيئة الله لانه لا مانع من اتيان الامر على خلاف الارادة ولما كان ما قالوه شبهة بعيدة عن العلم اعلى درجاتها ان تكون من نوع الخطابة فتفيد الظن في اعظم مسائل علم الاصول الذي لا يحل الاعتماد فيه الا على القواطع امره ان يقول لهم ما يبين لهم على ذلك فقال قل اي لهؤلاء الذين لعبوا بما يلقيه الشيطان اليهم كما اشير اليه في سورة الحج تهكما بهم في تعديهم عن العلم وجدالهم بعد نهوض الحجج هل عندكم اي بها الجملة واعرق في السؤال فقال من علم اي يصح الاحتجاج به في مثل هذا المقام الضنك فتخرجوه لنا كما انهم في تعديهم عن العلم وجدالهم اي والا تبادر وان كان مما يجب ان يكون مكنونا مصونا به على غير اهل فخرجونا فهو تهكم بهم ولما كان جوابهم عن هذا السكوت لانه لا علم عندهم قال دالا على ذلك ان اي ما تتبعون اي في قولكم هذا وغالب اموركم الا الظن اي في اصول دينكم وهي لا يحل فيها قول الا بقاطع لم وان اي وما انتم الا تخرصون اي تقولون تارة بالحزر والتخمين وتارة بالكذب المحض اليقين ولما انتفى ان تكون لهم حجة وثبت ان الامر انما هو لله ثبت له المختص بالحجة الواضحة فقال مسببا عن ذلك قل فلله اي الاله الاعظم وحده الحجة البالغة اي التي بلغت اعلى درجات الحق قوة ومتانة وبيانا ووضوحا ورصانة بسبب انه شامل العلم كامل القدرة كما اقررتم بذلك حين قلتم لو شاء الله ما اشركنا وان كنتم قلتموه على سبيل الالزام والعناد لا لاجل التدين والاعتقاد فلو شاء اي الله هداكم اي انتم ومن لقيكم اجمعين ولكنه لم يشأ ذلك بل شاء هداية بعض وضلال اخرين فوقع ذلك على الوجه الذي اراده فلزم على قولكم ان يكون الفريقان محقين فيكون الشيء الواحد حقا غير حق في حال واحد وهذا لا يقوله عاقل ويلزمكم على ذلك ايضا ان تتولوا احضاكم ولا تعادوهم وان تعلموا ما فعلوا الا انه حق يرضي الله لانه بمشيئته وانتم لا تقولون ذلك فبطل قولكم فثبت انه قد يشاء الباطل لانه لا يسئل عما يفعل ويرسل الرسل لازالة ليقيم بهم الحجة على من يريد عقابه على ما يتعارفه الناس بينهم ويرد الامر على خلاف الارادة غير ممتنع ولما صدق الحق وانكسر جند الباطل واذن ببطلان جميع شبههم ونطقت الدلائل والخ الجادل فبان انه لا شاهد لهم بحق لانه لا حق لهم كان كانه قيل قل لهم ها انا قد شهد لي بما قلته من لا ترد شهادته وزكاني الذي لا تقبل الا تزكيته بهذا الكتاب الذي كان عجزكم عن الاتيان بشيء من مثله شاهدا بانه قوله فهل لكم انتم من شاهد يقبل ولما لم يكن لهم شاهد غير تخرصهم فان المبطل يظهر باطله عند المحاققة سنة من الله مستمرة فيظهر للمشهود لهم بما يلوح من لهجتهم انهم ليسوا على شيء امره سبحانه ان يامرهم بدعائهم ليظهر خزيهم وتشتهر فضيحتهم فقال قل هلم اي احضروا وهي كلمة دعوة يستوي فيها المذكر والمونث والواحد والجمع عند الحجازيين شهداءكم ولما كان كانه قيل اي شهداء قال الذين يشهدون اي يوقعون الشهادة على ان الله اي الذي لا حكم لغيره حرم هذا اي الذي ذكرتموه من قبل واضافة الشهداء اليهم ووصفهم بالذين دليل على انهم معروفون موسومون بنصرة مذهبهم بالباطل ولو قال شهداء من غير اضافة لافهم ان المطلوب من يشهد بالحق وليس كذلك لانه

انهم لا دليل لهم العقلي على انه لا حجة لهم وان الحجة لله على خلاف ما ادعوه فبطل قطعا ان يكون احد يشهد على ذلك بحق ولما كان كانه
قيل فانهم اذا حضروا لا يعدمون ان كان لهم عقلا او فيهم حيا على المنطق اذا سمعوا هذا الحق بنى عليه قوله فان اجترؤا وابوا
وشهدوا اي كذبا وزورا بذلك الذي ابطلناه بالادلة القطعية فلا تشهد معهم اي فاتركهم ولا تسلم لهم فانهم على ضلال
وليست شهادتهم مستندة الا الى الهوى ولا تتبع اهوا واظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف دلالة على ان الداعي
الى التكذيب وكل ردى انما هو الهوى وان من خالف ظاهر الايات انما هو صاحب هوى فقال الذين كذبوا اي اوقعوا التكذيب
باياتنا اي على ما لها من الظهور بما لها من العظمة باضافتها الينا ولما وصفهم بالتكذيب اتبعه الوصف بعدم الايمان ودل بالنسق
بالواو على العراقة في كل من الوصفين فقال والذين لا يؤمنون بالاخرة اي التي هي دار الجزا فانهم لو جوزوها ما اجترؤا على الجور
وهم بربهم اي الذي لا نعمة عليهم ولا خير عندهم الا وهو منه وحده يعدلون اي يجعلون غيره عديلا له وسيعلمون حين يقولون
لشركائهم وهم في جهنم يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ولما ابطل دينهم كله اصولا وفروعا في التحريم
والاشراك وبين فساده بالدلائل النيرة ناسب ان يخبرهم بالدين الحق بما حرمه الملك الذي له الخلق والامر من غيره فليس
لاحد غيره فقال قل تعالوا اي اقبلوا الى صاعدين من حضيض الجهل والتقليد وسوء المذاهب اوج العلم ومحاسن الاعمال
قال صاحب الكشاف هو من الخاص الذي صار عاما واصل القصد عموم كل احد بالتلاوة وانما خص المخاطبين بالذكر لاعتقادهم
خلاف ذلك ولما كان المحرم اهم قدمه فقال ما حرم ربكم اي المحسن اليكم بالتحليل والتحريم عليكم فخطه منكم وما وصاكم به افرادا
واجمالا نوضيه لكم من قبيل الاصول والفروع ثم فسر فعل التلاوة ناهيا عن الشرك وما بعده من مصحوب لا امرا بما عري عنها فقال
ان لا تشركوا به شيئا الايات مرتبا جملها احسن ترتيب فبدا بالتوحيد في صريح البراءة من الشرك اشارة الى ان التخلي عن الرذائل
قبل التحلي بالفضائل لان التنقية بالحمية قبل الدواء وقرن به البر لانهما من باب شكر المنعم وتعظيما لامر العقوق ثم اولاه القتل
الذي هو اكبر الكبائر بعد الشرك وبداه بقتل الولد لانه الخشية والخشية من مطلقه تعلة خوف العيلة فلما وصى بالولد واجب للمنعم
الاول الموجد من العدم اتبعه ما لاول منعم بعده بالتسبب في الوجود فقال ناهيا عن الاساءة في صورة الامر بالاحسان علما وكدوما
لما للنفوس من التهاون في حقهما وكذا لجميع المامورات ساقها هذا السياق المفهم لان اضدادها منهي عنها لتكون مامورا بها
منهيا عن اضدادها فيكون ذلك اوكد لها واضخم وبالوالدين اي افعلوا بهما احسانا ولما اوصى بالسبب في الوجود نهى عن
التسبب في الاعدام وبدا باشده فقال ولا تقتلوا اولادكم ولما كان النهي عاما وكان ربما وجب على الولد قتل خص ببيان الجهة فقال
من املاق اي من اجل فقر حاصل بكم ثم علل ذلك ولاجل ان الظاهر حصول الفقر تقدم الاباء فقال نحن نرزقكم بالخطاب اي ايها الفقراء
ثم عطف عليهم الابناء فقال واياهم وظاهر قوله في الاسراء خشية املاق ان الاباء موسرون ولكنهم يخشون من طعام الابناء الفقر فبدا
بالاولاد فقال نحن نرزقهم ثم عطف الاباء فقال واياكم نبه عليه ابو حيان ولما كان قتلهم الخشية الفواحش بعد الشرك اتبعه النهي
عن مطلق الفواحش وهي ما غلظت قباحته وعظم امرها بالنهي عن القربان فضلا عن الغشيان فقال ولا تقربوا الفواحش
ثم ابدل منها تاكيدا للتعميم قوله ما ظهر منها اي الفواحش وما بطن ثم صرح منها بمطلق القتل تعظيما له بالتخصيص بعد
التعميم فقال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اي الملك الاعلى عليكم قتلها الا بالحق اي الكامل ولا يكون كاملا الا وهو كالشمس
وضوحا لا شبهة فيه فصار قتل الولد منهيا عنه ثلاث مرات ثم اكد المذكور بقوله ذلكم اي الامر العظيم في هذه المذكورات
ولما كانت هذه الاشياء شديدة على النفس ختمها بما لا يقوله الا المحب المشفق ليتقبلها القلب فقال وصاكم به امرا ونهيا
ولما كانت هذه الاشياء لعظم خطرها وجلالة وقعها في النفوس لا يحتاج الى مزيد فكر قال لعلكم تعقلون اي لتكونوا على رجاء
من المشي على منهاج العقل لتعلم من ذكر الوصية ان هذه المذكورات هي الموصى بها والمحرمات اضدادها فصار شانها موكدا من
وجهين التصريح بالوصية بها والنهي عن اضدادها ولما كان المال عديل الروح من حيث انه لا قوام لها الا به ابتدا الاية التي تليها
بالاموال ولما كان اعظمها خطرا وحرمة مال اليتيم لضعفه وقلة ناصره ابتدا به فنهى عن قربه فضلا عن اكله او شربه فقال
ولا تقربوا مال اليتيم اي بنوع من انواع القربان على فيد او غيره الا بالتي هي احسن من الخصال من السعي في تنميته وتثميره
وليستمر ذلك حتى يبلغ اشده وهو سن يبلغ به او ان حصول عقله عادة وعقل يظهر به رشده ثم ثنى بالمقادير على وجه يعم
فقال واوفوا اي اتموا الكيل والميزان لانهما الحكم في اموال الايتام وغيرهم ولما كان الشيء ربما اطلق على ما قاربه نحو قامت
الصلاة اي قرب قيامها وهذا وقت كذا اذا قرب جدا ازيل هذا الاحتمال بقوله بالقسط اي ايفاء قائما به من غير افراط ولا تفريط
ولما كانت المقادير لا تكاد تتساوى لا سيما الميزان فانه ابعدها من ذلك واقربها الذرع وهو داخل في الكيل فانه يقال كال الشيء
بالشيء كاسمه اشار الى انه ليس على المكلف المبني امره على العجز بالضعف الا الجهد فقال لا نكلف اي على ما لنا من العظمة نفسا
الا وسعها وما وراء الوسع معفو عنه ثم ثلث بالعدل في القول لانه الحكم على الاموال وغيرها وقدم عليه الفعل لانه دال عليه فصار
الفعل موصى به مرتين فقال واذا قلتم اي في شهادة او حكم او توفيق بين اثنين او غير ذلك فاعدلوا اي توفيقا بين القول والفعل
ولما كانت النفوس مجبولة على الشفقة على القريب قال ولو كان اي المقول في حقه له او عليه بشهادة او غيرها ذا قربى ولا تحابوه
طمعا في مناصرته او خوفا من مضاررته ثم ختم بالعهد لجمعه الكل في القول والفعل فقال وبعهد الله اي الملك الاعظم خاصة اوفوا

يعني حتى صار بقوله الاسفل الاعلى
انك اي اقرا من التلاوة وهي
اتباع الحروف بعضا بعضا

وهذا

وهذا يشتمل كل ما على الانسان وله فان الله لم يهمل شيئا بغير تقدم فيه ثم اكد تعظيم ذلك بقوله ذلكم اي الامر المعتنى به وصا
اي ربكم المحسن اليكم ولما كانت هذه الافعال والاقوال شديدة على النفس لعدل فيها لكونها شهوات تقدم بالترغيب
فيها والترهيب منها بان كل من يفعل شيئا منها مع غيره يوشك ان يفعل معه مثله فلذلك حض على التذكر اي كونهم
بها ولانها خفية تحتاج الى مزيد تدبر فقال لعلكم تذكرون اي لتكونوا بحيث يحصل لكم التذكر ولو على وجه خفي بما اشار
اليه الادغام فيما جبلت عليه نفوسكم من محبة مثل ذلك لكم فتحكموا لغيركم بما تحكمون به لانفسكم ولما قرر هذه الشرائع
نبه على تعظيمها بالخصوص على وجه يعم جميع ما ذكر في السورة بل وفي غيرها فقال وان اي ولان على قراءة الجماعة بالفتح اي
اتبعوه لذلك على قراءة ابن عامر ويعقوب بالكسر هو ابتدا هذا اي الذي شرعته لكم صراطي حال كونه مستقيما فاتبعوه
اي بغاية جهدكم لانه الجامع للعباد على الحق الذي فيه كل خير ولما كان الامر باتباعه متضمنا للنهي عن غيره صرح به تاكيدا
لامره فقال ولا تتبعوا السبل اي المتشعبة عن الاهوية المفرقة للعباد ولذا قال مسببا فتفرق بكم اي تلك السبل الباطلة
عن سبيله على وجه خفي يلبس كما اشار اليه الادغام ولما مدحه امرا به ناهيا عن غيره مبينا للعلة في ذلك اكد مدحه فقال
ذلكم اي الامر العظيم من اتباعه وصاكم به ولما كان قد حذر من الزلل عنه وكان من المعلوم ان من ضل عن الطريق الاقوم
وقع في المهالك وكان كل من يخيل انه يقع في مهلك يخاف قال لعلكم تتقون اي اتبعوه واتركوا غيره لتكون حالكم حال
من يرجى ان يخاف من ان يزل فيضل فيهلك وهذا كما مدحه سبحانه سابقا في قوله وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا
الايات لقوم يذكرون وفصل ما هنا من الاحكام في ثلاث ايات وختم كل اية منها بالوصية ليكون ذلك اكد في القول فيكون
ادعى للقبول وختم كل واحدة منها بما ختم لانه اذا كان العقل دعا الى التذكر فحمل على التقوى ولما كانت هذه الايات الثلاث
وافية بالايات العشر التي كتبها الله لموسى عليه السلام على لوحي الشهادة في اول ما اوحى اليه في طور سيناء المشار اليها بقوله
وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم وبنى عليها التوراة وامره ان يودعها في تابوت العهد لتكون شهادة عليهم وعلى اعقابهم له
كما هو مذكور في وسط السفر الثاني من التوراة وقد مضى بيانه في البقرة وياتي في اخر هذه القولة وزايدة عليها من الاحكام
والمحاسن ما شاء الله حسن ان يذكر بعدها التوراة فقال مشيرا باداة التراخي الى كل من الترتيب والتعظيم ثم اتينا اي
بما لنا من العظمة التي تقتضي تعظيم ما كان من عندنا موسى الكتاب في المشار اليه بقوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به
موسى نورا وهدى للناس وهي والله اعلم معطوفة على قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر لانه تعالى اعطى موسى العشر
الايات واعده الى الجبل مواعدة ثانية فشرع له بعض الاحكام وامره بنصب قبة الزمان التي يوحي اليه فيها ويصلون اليها
وببعض ما يتخذ من الاتها كما مضى في البقرة ثم ذكر بعد ذلك بيسير تحريم الشحوم عليهم فقال في اوائل السفر الثالث
وهو سفر الكهنة وفيه تخليص امر القرابين دعا الرب موسى وكلمه في قبة الامد وقال له كلم بني اسرائيل وقل لهم كل انسان
منكم اذا قرب للرب قربانا من البهائم فليكن قربانكم من البقر ومن الغنم الى ان قال ويقرب قربانا للرب الحجاب المبسوط
على الاحشاء وكل الثرب الذي على الاكشاح والكليتين والشحم الذي عليهما وعلى الجنب الى ان قال وكل الشحوم للرب عهد الابد لا
تاكلوا دما ولا شحما ثم قال وكلم الرب موسى وقال له كلم بني اسرائيل وقل لهم لا تاكلوا شحم البقر ولا شحم الضان والماعز جميعا لان كل
من اكل شحم بهيمة تقرب قربانا للرب تهلك تلك النفس من شعبها ولا تاكلوا دما حيث ما سكنتم لا دم البهائم ولا دم
الطير واية نفس اكلت دما تهلك تلك النفس من شعبها وقال في السفر الخامس فاما الدم فلا تاكلوا ولكن ادفقوه
على الارض مثل الماء ثم قال بعده بقليل وكلوا في قراكم من كل شهوات انفسكم ولكن اياكم ان تاكلوا دما لان دم البهيمة هو
نفسها فلا تاكلوا النفس مع اللحم ليحسن اليكم والى اولادكم من بعدكم اذا عملتم الحسنات امام الله ربكم رجع الى السفر الثالث
ثم قال ودخل موسى وهرون الى قبة الزمان وخرجا ودعوا الشعب وظهر مجد الرب امام جميع الشعب ونزلت نار من قبل
الرب فاحرقت اللحم والذبيحة الكاملة لله على المذبح وعاين ذلك جميع الشعب وحمدوا الله وخر الشعب كله على وجهه
ثم ذكر عقب ذلك بيسير محرمات الحيوان وكذا ذكره في السفر الخامس وقد جمعت بينهما ومعظم السياق للخامس قال
لا تاكلوا شيئا نجسا هذا كلوا من جميع البهائم الثور والحمل والنعجة والمعز والايل والظبي والجودر واللبح والريم والوعل
والتيتل كل بهيمة ذات ظلف مقسوم ظلفها تجتر كلوها وحرموا من التي تجتر ومن التي لها ظلوف مقسومة ولا تجتر الجمل
والارنب والوبر التي تجتر وليس لها اظلاف هي نجسة لكم وفي الثالث وحرموا من البهائم التي ليست لها اظلاف والتي
تجتر الجمل الذي يجتر وليس له اظلاف هو نجس محرم عليكم والارنب الذي يجتر وليس له اظلاف نجس محرم عليكم ورجع للخنزير
الذي له اظلاف ولا يجتر هو نجس لا تاكلوا من لحوم هذه ولا تقربوا اجسادها وقال في الثالث منها وكلم الرب موسى وهرون
وقال لهما كلما بني اسرائيل وقولا لهم ان الذي تاكلونه من المواشي من جميع الانعام التي على الارض كل بهيمة قد شق ظلفها
وهي تخرج اظفارا في كلا ظلفيها وتجتر فذلك الذي تاكلونه من الانعام والذي لا يحل لكم اكله ما يجتر ولم يشق ظلفه الجمل
الذي يجتر وظلفه غير مشقوق فانه غير طاهر لكم واليربوع وفي نسخة السنجاب الذي يجتر فظلفه غير مشقوق فانه لا
يطهر لكم والارنب الذي يجتر وظلفه غير مشقوق فانه لا يطهر لكم والخنزير فانه مشقوق الظلف ويخرج اظفارا لبني

في ظلفه وهو الاخير فانه لا يطهر لكم فلا تاكلوا من لحومها ولا تمسوا اماماتها منها فان ذلك لا يطهر لكم ثم رجع الى نسختي ثم ذكر في الطير ودواب
البر شبيها بما في شرعنا الى ان قال ولا تاكلوا شيئا نجسة بل ادفعوها الى السكان الذين في قراكم يا كلونها او يبيعونها من الغربا
لانك شعب طاهر لله ربك لا تطبخوا احدا بلبن امه وقال في ترجمة الاسفار والسبعين ولا يطبخ الجروف بلبن امه وقال في
السفر الخامس وكلوا من الطير ما كان ذكيا وحرموا هذه التي اصف لا تاكلوا منها شيئا النسر والعقاب وذكر نحو ما عندنا وقال
في نسختي في الثالث من مس شيئا من هذه اي المحرمات يكون نجسا الى المسا ومن حمل منها شيئا فليغسل ثيابه ويكون نجسا
الى الليل انتهى الظبي بالمعجمة الغزالة معروف والجوذر بفتح الجيم والذال المعجمة ولد البقرة الوحشية والريم بكسر المهملة الظبي
الخالص البياض والثيتل مثلثين مفتوحتين بينهما بالتحتانية ساكنة بقر الوحش والايل بفتح الهمزة وكسر التحتانية
المشددة الوعل بفتح الواو وكسر المهملة وهو تيس الجبل والحمل بفتح المهملة الرضيع من اولاد الضان وقوله لا تطبخوا جديا
بلبن امه الظاهر ان معناه النهي عن اكله مادام يرضع وما بعد الذي في الثالث هو معظم التوراة والذي في الخامس بما هو
اعادة لما في الثالث فان الخامس تلخيص لجميع ما تقدمه من القصص والاحكام مع زيادات فصدق ان اتينا الكتاب اي معظمه
بعد تحريم ما حرم عليهم وتحريمه وهو احسن ان يكون معطوفا على محذوف تقديره ذلكم وصاكم به كما وصى بني اسرايل في
الفصل الذي نسبته من التوراة نسبة ام القران من القران وذلك هو العشر الايات التي هي اول ما كتبه الله لموسى عليه السلام وهي
اول التوراة في الحقيقة لانها اول الاحكام وما قبلها فهو قصص وحاصل هذه العشر انا الرب الهك الذي اصعدك من ارض
مصر من العبودية والرق لا يكونن لك اله غيري لا تقسم باسمي كذبا احفظ يوم السبت اكرم والديك لا تقتل لا تزن لا تسرق
لا تشهد بالزور لا تمدن عينيك الى ما في ايدي الناس فالمعنى ذلك وصيناكم به كما وصينا بني اسرايل به في العشر الايات
وبعض ما اتينا موسى من التوراة ويجوز ان يكون التقدير لكون هذه الايات محكمة في كل الشرايع لم تنسخ في ملة من الامم ولا تنسخ
وصاكم به يا بني ادم في الزمن الاقدم ولم يرد الامر بها في التوصية الاشد **ثم اتينا** اي بما لنا من العظمة **موسى الكتاب** اي جميعه
وهي فيه حال كونه **تماما** لم ينقص عما يصلحهم شيئا **على الوجه الذي احسن** اي اتى بالاحسان فاتى بالحسن وجمعه بما
بين من الشرع وبما حمى طوايف اهل الارض به من الاهلاك بعامه فانه نقل ان الله تعالى لم يهلك قوما هلاكا عاما بعد انزال
التوراة **وتفصيلا لكل شيء** من جملة ذلك الفصل المحتوي على الكلمات العشر الحاوية لكل شيء يحتاج اليه من امر الدين والدنيا
كما ان القران تفصيل لكل شيء من الجوامع السبع التي حوتها ام القران الحاوية لمصالح الدارين وفي هذين الاحتمالين المقتضيين
لكون ثم على حقيقتها من الترتيب والمهلة علم من اعلام النبوة وهو الاطلاع على ان العشر الايات وتحريم ما حرم عليهم بالبغي
اوايل ما اوحي الى موسى عليه السلام بعد اغراق فرعون وان معظم التوراة انزل بعد ذلك وهذا لا يعرفه الا احبارهم **وهدى**
اي بيانا **ورحمة** اي اكراما لمن يقبله ويعمل به **لعلهم** اي بني اسرايل **بلقاء ربهم** الذي اخرجهم من مصر من العبودية والرق له
بقوته العظيمة وكلماته التامة **يؤمنون** اي ليكون حالهم بعد انزال الكتاب لما يرون من حسن شرايعه وتمام كلامه وجلالة
امره حال من يرجى ان يجدد الايمان في كل وقت بلقاء ربه لقدرته على البعث الذي الايمان به نهاية تصديق الانبيا لانه لا تستقل
به العقول وانما يثبت بالسمع مع تجويز العقل له فيعلموا انه لا يشبهه شيء كما ان كلامه لا يشبهه كلام فلا يبغوا باتخاذ امر غايره
حولا بغيهم وتمردهم لا تقيد فلما بين ان انزال الكتب رحمة منه غايتها الدلالة على منزلها فتمتثل اوامره وتتقى مناهيه وزواجره
بين انه لم يخص تلك الامم بذلك بل انزل على هذه الامة كتابا ولم يرض لها كونه مثل تلك الكتب بل جعله اعظمها بركة وابينها
دلالة فقال **وهذا** اي عظيم **انزلناه** اي بعظمتنا اليكم بلسانكم حجة عليكم **مبارك** اي ثابت كل ما فيه من وعد ووعيد وخبر
وغيره ثباتا لا يمكن ازالته مع اليمن والخير ولما كان هذا معناه وكان داعيا اليه مجيبا فيه سبب عنه قوله **فاتبعوه** اي بجهدكم
ليكون جميع اموركم ثابتة ميمونة ولما امر باتباعه وكان الانسان ربما تبعه في الظاهر امر بايقاع التقوى المصححة للباطن ايقاعا
عاما ولذلك حذف الضمير فقال **واتقوا** اي ومع ذلك فاوقعوا التقوى وهي ايجاد الوقاية من كل محذور فان الخطر شديد
والسلامة على غير القياس فلا تزايلوا الخوف من منزله فان ذلك اجدر ان يحملكم على تمام الاتباع والخلاصة **لعلكم ترحمون**
اي ليكون حالكم حال من يرجى له الاكرام بالعطايا الجسام والاتيان باظهرنا الى قوله تعالى قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى الى
قوله وهم على صلاتهم يحافظون ثم بين المراد من انزاله وهو اقامة الحجة البالغة فقال **ان** اي لان لا **تقولوا** او كراهة ان تقولوا
ايتها الامة الامية **انما انزل الكتاب** اي الرباني المشهور **على طايفتين** وقرب الوصف وبعضه بادخال الجار فقال
من قبلنا اي اليهود والنصارى **وان** اي وانا او وان الشان **كنا عن دراستهم** اي قراءتهم لكتابهم قراءة مردودة ولما كانت
هي المخففة اتى باللام الفارقة بينها وبين النافية فقال **لغافلين** اي لا نعرف حقيقتها ولا نثبت عندنا حقيقتها ولا هي
بلساننا **او تقولوا** اي ايها العرب لم نكن عن دراستهم غافلين بل كنا عالمين بها ولكنه لا يجب اتباع الكتاب الا على
المكتوب اليه فلم نتبعه **ولو انا** اهلنا لما اهلوا له حتى **انزل علينا الكتاب** اي جنسه او الكتاب الذي انزل اليهم من
عند ربنا **لكنا اهدى منهم** اي لما لنا من الاستعداد بوفور العقل وحدة الاذهان واستقامة الافكار واعتدال الامزجة
والاذعان للحق ولذلك سبب عن هاتين العلتين قوله **فقد جاءكم** وذكر الفعل مدحا لهذا القران وتفصيلا وتشريفا لرتل

كل ما تقدم منه ونبههم على ان بيان هذه السورة في النهاية لانها سورة اصول الدين **بينة** اي حجة ظاهرة بلسانكم **من ربكم**
اي المحسن اليكم على لسان رجل منكم تعرفونه انه اولاكم بذلك **وهدى** اي بيانا لمن تدبره عظيم **ورحمة** اي اكراما لمن قبله فكذبتم
بها ولما قامت عليهم الحجة حسن كونه التقرير بقوله **فمن** اي فتسبب عن تكذيبهم انه يقال تبيانا لانكم اظلم الناس **من اظلم**
ممن كذب اي اوقع التكذيب **بايات الله** اي الذي لا اعظم منه فلا اعظم من اياته كان الاثر على قدر المؤثر **وصدف** اي اعرض اعراضا
صار به كانه في صدف اي بعيد عن سهولة الانقياد للدليل **عنها** بعدما عرف صحتها ولما كان الجواب قطعا لا احد اظلم منه فكان
الحال مقتضيا لتوقع ما يجازى به قال **سنجزي** اي بوعد صادق لا خلف فيه واظهر ما اصله الاضمار تعميما وتعليقا للحكم
بالوصف فقال **الذين يصدفون** اي يجددون الاعراض ولا يتوبون **عن اياتنا** اي على ما لها من العظمة **سوء العذاب** اي الذي
يسوءهم **بما كانوا يصدفون** اي بسبب اعراضهم الذي كان عادة لهم ولما كان سوء السوء حقوق العذاب وكان حقوقه بعدم
قبول التوبة فسره بقوله مهونا له ومسهلا بتجريد الفعل **هل ينظرون** اي ما ينتظر هؤلاء المكذبون او في انتظارهم وانزله
الا ان تاتيهم اي حال تكذيبهم **الملائكة** اي بالامر الفيصل من عذابهم كما هي عادتها في اتيانها المكذبين **او ياتي ربك** اي ظهور
امر المحسن اليك اتم ظهور بجميع الايات التي تحتملها العقول وذلك يوم الجزاء **او ياتي** وابهم تهويلا للامر وتعظيما فقال **بعض**
ايات ربك اي اشراط الساعة التي يكون فيها ظهوره التام واحسانه اليك الاعظم مثل دابة الارض التي تميز الكافر من المؤمن
وطلوع الشمس من مغربها والمؤذن باغلاق باب التوبة روى البخاري في التفسير وغيره عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا راها الناس امن من عليها فذلك حين لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل ثم قرا الاية ولما كان اتيان الملائكة اي كلهم امرا لا يحتمل العقول وصف عظمته ولا بشرى للمجرمين عند
رؤيته فانه لو وقع على صورهم انقطعت اوصالهم ولم تحمله قواهم تقضى الامر ثم لا ينظرون واما تجلي الرب سبحانه وعز اسمه
وجلت عظمته فالامر اعظم من مقالة قايل ان دق البلغا او ان نحوا ترك ما يترتب عليه وقال **يوم ياتي** اي ينكشف ويظهر
بعض ايات ربك اي المحسن اليك بالاتيان بذلك لتصديقك مقالك وتزويج حاودة ميز الخالفين **لا ينفع نفسا** اي كافرة ايمانها
اي اذ ذاك ولا نفسا مؤمنة كسبها الخير اذ ذاك في ايمانها المتقدم على تلك الاية بالتوبة لما وراها ولذلك بينه بقوله
واصفا نفسا **لم تكن** اي الكافرة **امنت** ويسر الامر ببعض زمان القبل ولم يكلف باستغراقه بالايمان فقال **من قبل** اي قبل
مجي الاية في زمن متصل بمجيها ولما ذكر الكافرة اتبعها المؤمنة فقال عاطفا على امنت **او** لم تكن المؤمنة العاصية **كسبت من قبل**
في ايمانها اي السابق على مجي الاية **خيرا** اي توبة وبعبارة اخرى نفسا كافرا ايمانها الجديد بعد مجي الاية وهو معنى لم تكن امنت من قبل
او نفسا مؤمنة كسبها الخير بعد مجي الاية ما لم تكن كسبت في ايمانها السابق على الاية خيرا والحاصل انه لا يقبل عند ذلك ايمان
كافر ولا توبة فاسق كما قاله البغوي لان المقصود من التصديق والتوبة الايمان بالغيب وقد فات بالاية الملجية فيكون فاعل
الفعل المقدر في كسبت محذوفا والتقدير لا ينفع نفسا لم تكن امنت من قبل او لم تكن كسبت في ايمانها خيرا ايمانها وكسبها
فالايمان راجع الى من لم يؤمن والكسب راجع الى من لم يكسب وهو ظاهر والتهديد بعدم نفع الايمان عند مجي الاية اعظم دليل
على ما ذكرته من التقدير والاية من الاحتباك ذكر ايمانها اولا دليل على حذف كسبها من الجملة الثانية وذكر جملتي امنت وكسبت
ثانيا دال على حذف كافرة ومؤمنة اولا ولما كان هذا التهديد كما ترى هايلا اتبعه ما هو اشد منه للتنبيه على ان اهل الايمان
سالمون من ذلك بقوله **قل انتظروا** اي بغاية جهدكم ايها المكذبون **انا منتظرون** بجهدنا وستعلمون لمن تكون العاقبة ولما
نهى عن اتباع السبل لانها سبب للتفرق عن الحق وكان قد ذكر في هذه السورة نصب الحجج واثارة الادلة وازاحة الشكوك
ومحو اثار الشبه واشرفت السورة على الانقضا وكان من المعلوم قطعا ان الحق من حيث هو حق شديد التاثير في اذهان
الباطل فكيف اذا كان كلام الملك الذي لا يخالف امره ولا يخرج عن ارادته اشتد استشراف النبي صلى الله عليه وسلم
الى رؤية ذلك الاثر مع ما عنده من الحرص على اسلام قومه لما طبعه الله عليه من الشفقة على جميع الخلق عموما وعليهم خصوصا
وانما يكون ذلك لا اثر باجادة هدايتهم ورجوعهم من امر كانه كان قبل ختم سبحانه بهذين التهديدين الدالين على غشاوتهم
فانه صلى الله عليه وسلم بما كان رجاه من هدايتهم امر كانه كان قد حصل وذلك موهن الشفوق من الاسف ما لا يدري قدره
ولا يوصف حره فسلاه سبحانه وسلاه بقوله **ان الذين فرقوا دينهم** اي بتكذيبهم ببعض ايات الله وصدوفهم عنها وايمانهم ببعضها
ففارقوه لان الكفر ببعضه كفر بكله واضيف الدين اليهم لشدة رغبتهم فيه ومقاتلتهم عليه **وكانوا شيعا** كل فرقة تشايع
وتشيع اماما كالعرب الذين تحزبوا احزابا بالاستكثار من الاصنام فكان في كل قطر لهم معبود واثنان فاكثر وكاهل الكتاب
الذين ابتدعوا في دينهم بدعا اوصلتهم الى تكفير بعضهم بعضا وامنوا ببعض الانبيا وكفروا ببعض وكالمجوس الذين فرقوا اله
دينهم باعتقاد ان الاله اثنان النور والظلمة وعبدوا الاصنام والنجوم وجعلوا لكل نجم صنما يتوسل به في زعمهم اليه **لست**
منهم اي من حسابهم ولا عقابهم ولا من خلق الهداية في قلوبهم **في شيء** وفي هذا غاية الحث على الاجتماع ونهاية التوعد على
الافتراق ولما خفف عنه صلى الله عليه وسلم بتبرئته منهم اسند الى نفسه المقدس ما يحوله في احاطة علمه وقدرته فقال
جوابا لمن يقول فالى من يكون امرهم **انما امرهم** اي في ذلك كله وفي كل ما يتعلق بهم بما لا يحصره حد ولا يحصيه عد **الى الله** اي الملك

الذي لا امر احد معه لا الى غيره فمن شا هداه ومن شا اعماه ومن شا ابقاه لان له كمال العظمة ولما كان الحشر متراخيا عن
ذلك كله في الرتبة وفي الزمان لا تبلغ كنه عظمته العقول نبه على ذلك بالتعبير باداة التراخي للتنبيه ثم بعد استيفا ما ضرب
لهم من الاجال ينبيهم اي يخبرهم عظة جليلة مستقصاة بعد ان يحشرهم اليه داخرين بما كانوا اي جبلة وطبعا يفعلون اي
من تلك الاشيا القبيحة التي كان لهم اليها اتم داعية غير متوقفين في اصدارها على علم معرفا للتدين بها والاية مع ما تقدم
من مقتضياتها تعليل لقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ولما اخبر ان امرهم ليس الا اليه كان كانه قيل فماذا يفعل
بهم حينئذ فاجيب بقوله من جا اي منهم او من غيرهم بالحسنة اي الكاملة بكونها على اساس الايمان فله من الحسنات عشر امثالها
كرما واحسانا وجودا وامتنانا يجازيه بذلك في الدنيا او في الاخرة وهذا المحقق لكل احد ويزاد البعض بحسب النيات وذكر
العشر لانه بمعنى الحسنة وهو مضاف الى ضميرها ولما تضمن قوله واوفوا الكيل والميزان بالقسط مع تعقيبه بقوله لا نكلف
نفسا الا وسعها الاشارة الى ان المساواة في الجزا مما تنقطع دونه اعناق الخلق اخبر ان ذلك عليه هين لان علمه شامل وقدرته
كاملة بقوله ومن جا بالسيئة اي اي شي كان من هذا الجنس فلا يجزى اي في الدارين الا مثلها اذا جوزي ويعفو عن كثير ولما كانت
المماثلة لا يلزم كونها من كل وجه وان كانت ظاهرة في ذلك ولا سيما في هذه العبارة صرح بما هو ظاهره لانه اطيب للنفس
واسكن للروع فقال وهم لا يظلمون اي بكونها مثلها في الواحدة وان كانت كبرا او من جنس اشد من جنسها ونحو ذلك بل
المماثلة موجودة في الكم والكيف فلا ينقص احد في ثواب ولا يزاد في عقاب ولما تضمن ما مضى تصحيح التوحيد بالادلة القاطعة
وتحقيق امر القضا والقدر وابطال جميع اديان الضلال ووصفها بتفرق اهلها الدال على بطلانها واعوجاجها بهذا التحرير
الذي لا شي اقوم منه ولا اعدل امره صلى الله عليه وسلم بالايمان بامره وان يصف دينه الذي شرعه له وهداه اليه بما فيه من المحاسن
تحبيبا فيه وحثا عليه ولان ذلك هو نتيجة هذه السورة فقال قل واكد لاتيان بالنونين فقال انني هداني اي بيانا وتوفيقا
ربي اي المحسن الي بكل خير لا سيما هذا الذي اوحاه الي وانزله علي الى صراط اي طريق واسع بين مستقيم ثم مدحه بقوله دينا قيما
اي بالغ الاعتدال والاستقامة تابعا على قراة ابن كثير ونافع وابي عمرو بفتح القاف وتشديد اليا المكسورة وهو في قراة الباقين
بكسر القاف وفتح اليا الخفيفة مصدر بمعنى القيام وصف به للمبالغة وزاده مدحا بقوله مذكرا لهم لتقليدهم الاباء بانه دين ابيهم
الاعظم ملة ابرهيم والملة ما اظهره نور العقل من الهدى في ظلم ما الزمه الناس من عوايد امر الدنيا افاده الحرالي ولذلك قال
حنيفا اي لينا هينا سهلا تابعا بلا للاستقامة بكونه ميالا مع الدليل غير جاف ولا كز واقف مع التقليد عمي عن نور الدليل كما تقدم
ذلك في البقرة وهو معنى قوله وما اي والحال انه ما كان من المشركين اي الجامدين معا وهامهم مع ادعا شركه معه مع دونهم له
في كونه لا يضر ولا ينفع ولا يصلح لشركه ادى فضلا عن غيره بوجه لا ينقادون لدليل ولا يصغون الى قيل فكان هذا مدحا لهذا الدين
الذي هدى اليه صلى الله عليه وسلم وبيانا لانه الذي اختاره سبحانه لخليله ابرهيم عليه السلام رجوعا الى واذ قال ابرهيم لابيه ازر
الذي نجبا السورة في الحقيقة عليه والقصد زمة اطرافها اليه وترغيبا في هذا الدين لان جميع المخالفين ينتسبون باب ال
ابرهيم عليه السلام العرب واهل الكتابين بنسبة الابوة والمجوس بنسبة البلد والاخوة واشار بذلك الى ان محمدا صلى الله عليه وسلم
فهم ما حاج به ابوه ابرهيم عليه السلام قومه وقبله ينسب كغيره الى جمود ولا عناد ولما كان كانه قيل فما هذه الملة التي
تكرر مدحها والدعا اليها اجاب بقوله لتتاسى به اهل الايمان فيلتزموا جميع ما يدعوا اليه على الاخلاص قل ان صلاتي اي التي هي لباب
الدين وصفاؤه ونسكي اي جميع عباداتي من الذبايح وغيرها ومحياي اي حياتي وكل ما يجمعه من زمان ومكان وفعل ومماتي لله اي الملك
الاعظم الذي لا يخرج شي عن امره ولما كان علم بالاسم الاعظم انه يستحق ذلك لذاته اعلم انه يستحقه من كل احد لاحسانه اليه وانعامه عليه
فقال رب العالمين الموجد والمدبر والمربي لهم ولما اعلم انه يستحقه لذاته ووصفه اعلم انه يستحقه وحده فقال لا شريك له
ليكون لشريكه على زعمكم شي من العبادة ان كان له شي من الربوبية فابان بهذا ان وجهه صلى الله عليه وسلم ووجه من تبعه واحد لا افتراق
فيه وهو قصد الله وحده على سبيل الاخلاص كما انه توحد بالاحيا والاماتة فينبغي ان يوحد بالعبادة ولما دل على ذلك ببرهان العقل
اتبعه بحازم النقل فقال عاطفا على ما تقديره الى ذلك ارشدني دليل العقل وبذلك اي الامر العالي من توجيه اموري اليه على وجه
الاخلاص ولما كان له سبحانه في كل شي اية تدل على انه واحد فكان كل شي امرا بالتوحيد بلسان حاله او ناطق مقاله بني للمفعول قوله
امرت يعني ان هذا الدين لو لم يرد به امر كان ينبغي للعاقل ان يدين به ولا يعدل عنه لشدة ظهوره وانتشار نوره بما قام عليه من الادلة
ودعوة على اتباعه من الافاضل والاماثل فكيف اذا برزت به الاوامر الالهية ودعت اليه الدواعي الربانية وانا اول المسلمين
اي المنقادين لما يدعوا اليه داعي الله في هذا الدين لا اختيار لي اصلا بل انا مسلوب الاختيار فيه منقادا تم انقيادا وهذه الاولية على
سبيل الاطلاق في الزمان بالنسبة الى امته صلى الله عليه وسلم وفي الرتبة بالنسبة الى من تقدمه من الانبيا وغيرهم وهذا ايضا من
باب الاحسان في الدعا بالتقدم الى ما يدعوا اليه وان يحب للمدعو ما يحبه لنفسه ليكون انفى للتهمة وادل على النصيحة فيكون ادعى
للقبول ولما حاجوه في الشرك في هذه السورة غير مرة كما حاج ابرهيم عليه السلام قومه وكان اخر ذلك ان دعاهم صلى الله عليه وسلم
الى تلاوة ما انزل عليه سبحانه في تحريم الشرك وشرح دينه القيم ثم كر هنا ذمهم بالتفرق الدال على الضلال ولا بد مدح دين الرسل
الذي تقدم انهم لم يختلفوا فيه اصلا وايس الكفار من موافقته صلى الله عليه وسلم لهم نوعا من الموافقة وميله معهم شيا من الميل

امره

امره سبحانه بعد ان ثبت باول السورة واثنايها واخرها انه لا رب غيره بالانكار على من يريد منه ميلا الى غير من تفرد بحباه
ونعمائه فكان له التفرد بما بينهما وما بعد ذلك من غير شبهة والتوبيخ الشديد فقال قل اي لهولا الذين يطمعون ان نطرد اصحابك
من اجلهم اغير الله اي الذي له الكمال ابغي اي اطلب واريد بالاشراك فان الغني المطلق لا يقبل ممن اشرك به شيا ربا اي متعاطيا
مصالحي كما تبغيهم انتم فهو لغو بعضهم وتكبيته لهم والاسناد اليه صلى الله عليه وسلم والمراد جميع الخلق من باب الانصاف في
المناظرة للاستعطاف وهو اي والحال انه كما ثبت بالقواطع وركز في العقول الثوابت وطبع في انوار الافكار اللوامع
رب كل شي اي موجده ومربيه فينبغي لا حد ان يدين لغير سيده وذلك الغير مربوب مثله لسيده هذا ما لا يرضاه عاقل
لنفسه ولما انكر على من يجنح الى غيره مع عموم بره وخيره اتبعه الترويع من لوم عدله في عظيم ضره فقال ولا اي والحال انه لا
تكسب كل نفس اي ذنبا وان قل مع التصميم والعزم المقوم اي الذي هو بحيث يصدقه العمل كما مضى في اية البقرة الا عليها
اي لا يمكن ان يكون باطلا الا عليها ولا على غيرها واذا كان عليها لا يمكن ان يحاسب سبحانه سواها لانه عدل حكيم فكيف ادعو غيره
دعا جليا او خفيا وذلك اعظم الذنوب وللتنفير من الشرك الخفي بالريا وكل معصية وان صغرت جرد العقل عن الانفعال
ليلا يتوهم انه لا يكون عليها الا ما يحنث فيه والسياق هنا واضح في ان الكسب مقيد بالذنب فانه في دعا غير الله وابتغا
للايما الى ان الذنب لا يقع الا بشهوة شديدة من النفس له لطبعها على النقايص فهي لا تنافي هذه لان ما كسبته من الذنوب
قد علم من ثم انه اكتساب واحق من هذا ان يقال ولما كان المعنى اني ان ابغيت ربا غيره وكلني الى ما توليته وانا انسان
والانسان مطبوع على النقايص فهلكت عبر عنه بقوله بجرد الفعل لقصد العموم ولا تكسب كل نفس ناظرة في نفاستها
معرضة عن دنايا موكولة الى حولها وقوتها الا عليها ولا يحمل عنها غيرها شيا من وزرها ولما كان ربما حمل احد عن غيره شيا
من ثقله مساعدة له نفى ذلك بقوله ولا تزر وازرة اي تحمل حاملة ولو كانت والدا او ولدا وزر اي اثم اخرى وان تدع مثقلة
الى حملها لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربى واذا كان الامر كذلك فلا احمل يجاءكم ان يعرض نفسه لحمل شي من غضب هذا الملك
الذي لا شريك له واليه المرجع وان طال المدى وما في الكسب وحمل الوزر دليلا يقول معنيه ان حصر هذا الملك لا نزاع في
المرجع ايضا لمثل ذلك فقال مهددا لهم بعد كمال الايضاح عاطفا على ما ارشد اليه الانكار من النفي من نحو ان يقال اي
لا افعل شيا من ذلك لا ابغي ربا غيره ربي اصلا واما انتم فافعلوا فان ربكم عالم به ثم اي بعد طول الامهال لكم لطفا منه بكم الى ربكم
اي الذي احسن اليكم بكل نعمة لا الى غيره مرجعكم اي بالحشر وان عمرتم كثيرا وبقيتم طويلا فينبيكم اي يخبركم اخبارا جليلا عظيما
مستوفي ولما كان قد تقدم انهم بزنوا دينهم قال بما كنتم اي جبلة وطبعا ولذلك قدم الجار ليفيد الاهتمام به لقوة داعيتهم
اليه من غير اكراه ولا ذهول ولا نسيان فقال فيه تختلفون اي مع رسولي وغيره ويدينكم على جميع ذلك بما تستحقونه
وحالكم جدير بان يعظم عقابكم لانكم كفرتم نعمه قال ابو حيان حكى النقاش انه روي ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
ارجع يا محمد الى ديننا واعبد الهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل ما تحتاج اليه في دنياك واخرتك فنزلت الاية
انتهى ولما قدم انه المحسن الى كل شي بالربوبية وختم بالتهديد بالحشر اتبعه التذكير بتخصيصهم بالاحسان فقال عاطفا على
وهو رب كل شي مستعطفا لهم اليه بالتذكير بنعمته وهو اي لا غيره الذي جعلكم اي ايها الانس خلايف الارض اي تفعلون
فيها فعل الخليفة متمكنين من كل ما تريدونه ويجوز ان يراد بذلك العرب ويكون ظاهر الكلام ان المراد بالارض ما هم فيه
من جزيرة العرب وباطنه البشارة باعلاديهم للاسلام على الدين كله وغلبتهم على اكثر اهل الارض في هذه الازمان وعلى
جميع اهل الارض في اخر الزمان ورفع بعضكم في مراقي العقل والعلم والدين والمال والجاه والقوة الحسية والمعنوية فوق
بعض درجات اي مع كونكم من نفس واحدة وربما كان الوضيع اعقل من الرفيع ولم ينفعه عقله فيدل ذلك دلالة واضحة
على ان ذلك كله انما هو فعل الواحد القهار لا العجز ولا الجهل ولا البخل ثم علل ذلك بقوله ليبلوكم اي يفعل معكم فعل المختبر ليقيم
الحجة عليكم وهو اعلم بكم منكم في ما اتاكم فينظر هل يرحم الجليل الحقير ويرضي الفقير بعطاية اليسير ويشكر القوي وينصر
الضعيف ولما ذكر علو بعضهم على بعض وكان من طبع الادمي التجبر اتبعه التهديد للظالم والاستعطاف للتايب بما
يشير بما له سبحانه من علو الشان وعظيم القدرة الى ضعف العالي منهم وعجزه عن عقاب السافل بمن يحول بينه وبينه من
شفيع وناصر وبما يحتاج اليه من تمهيد الاسباب محذرا من البغي والعصيان فقال موجها الخطاب الى اكمل الخلق تطييبا
لقلبه اعلاما بانه رباه سبحانه اجمل تربية وادبه احسن تاديب ان ربك اي المحسن اليك سريع العقاب اي لمن يريد
عقابه لمن يكفر نعمه لكونه لا حايل بينه وبين من يريد عقابه ولا يحتاج الى استحضار الات العقاب بل كلما يريد حاضر لديه
عتيد انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون وفي ذلك تهديد شديد لمن لا يتعظ ولما هدد وخوف رجى من اراد التوبة
واستعطف فقال وانه لغفور رحيم معلما بانه على تمام قدرته عليهم وانعامه لهم فيما يوجب الاهلاك بليغ المغفرة لهم عظيم
الرحمة ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة حثا على عفو الرفيع عن الوضيع وتاكيده الثاني دون الاول ناظر
الى قوله كتب على نفسه الرحمة ان رحمتي سبقت غضبي لانه في سياق التاديب لهذه الامة والتذكير بالانعام عليهم بالاستخلاف
وسياتي في الاعراف بتاكيد الاثنين لانه في حكاية ما وقع لبني اسرايل من اسراعهم في الكفر ومبادرتهم اليه واستحقاقهم على ذلك العقوبة

وجاء ذلك على طريق الاستئناف على تقدير ان قائلا قال حينئذ لسرعة العاقل الى عقوبة السائل فاجيب بان الله فوق الكل وهو اسرع له
عقوبة فهو قادر على ان يسلط الوضيع الاحقر منه على الوضيع فيهلكم ثم رغب بعد هذا الترهيب في العفو بانه على غناه عن الكل له
اسبل ذيل غفرانه ورحمته باهمال العصاة وقبوله اليسير من الطاعات بانه خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور منافع لهم ثم هم يعدلون ولولا غفرانه ورحمته لاسرع عقابه لمن عدل به غيره فاسقط عليهم السموات
وخسف بهم الارضين التي انعم عليهم بالخلافة فيها واذهب عنهم النور وادام الظلام فقد ختم السورة بما به ابتداها
فان قوله وهو الذي جعلكم خلائف الارض هو المراد بقوله هو الذي خلقكم من طين وقوله اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء
هو معنى قوله خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون والله الموفق

سورة الاعراف

مقصودها انذار من اعرض عما دعا اليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد والاجتماع على الخير والوفاء لما قام على وجوبه
من الدليل في الانعام وتحذيره بقوارع الدارين وهذا احسن مما كان ظهر لي وذكرته عند والوزن يومئذ الحق وادل
ما فيها على هذا المقصد امر الاعراف فان اعتقاده يتضمن الاشراف على الجنة والنار والوقوف على حقيقة ما فيهما
وما اعد لاهلهما الداعي الى امتثال كل خير واجتناب كل شر والاتعاظ بكل مرقق بسم الله المرتدي برداء الكبر وازار العظمة
والجلال الرحمن الذي من رحمته انتقامه من اهل الظلم والضلال الرحيم الهادي لاهل الاصطفاء الى لزوم طريق الوفاء المص
لما ذكر سبحانه في اواخر التي قبلها انه انزل اليهم كتابا مباركا وامر باتباعه وعلل انزاله وذكر ما استتبعه ذلك لما لا بد منه
من منهاج البلاغة وميدان البراعة وكان من جملته ان امر المدعوين برئيس الا اليه ان شاء هداهم وان شاء اضلهم واستمر فيما لا بد
في تتميم ذلك الى ان ختم السورة بما انعطف على ما افتتحت عليه فاشتد اعتناقه له حتى صارا كشيء واحد اخذ يستدل على ما ختم به
تلك من سرعة العقاب وعموم البر والثواب وما تقدمه فقال مخبرا عن مبتدا تقديره هو كتاب اي عظيم اوضح الطريق المستقيم
فلم يدع به لبسا ولا بد من خبر الا امره ولا شر الا نهى عنه فانزل من عظيم رحمته ثم وصفه بما اكد ما اشار اليه من رحمته به بقوله انزل
اليك اي وانت اكرم الناس نفسا واوسعهم صدرا واحلمهم قلبا واعرقهم اصالة واعرفهم باستعطاف المباعد واستجلاب
المنافر المباغض وهذا شيء يخصك به من فضلك على جميع الخلق درجات لا تحصى ومراتب لا حد لها تستقصى ولما كان المقصود
من البعثة اولا النذارة للردع عما هم عليه من الضلال وكانت مواجهة الناس بالانذار شديدة على النفوس وكان الاقدام عليها من
الصعوبة بمكان عظيم تقدم قوله مسببا عن تخصيصه بهذه الرحمة فلا يكن وعبر عن القلب بمسكنه الذي هو اوسع منه مبالغة في الامر
فقال في صدرك حرج اي شيء من ضيق بهم او خوف ونحو ذلك منه على ما تعلق بانزال من قوله لتنذر به اي تحذر لكل من بلغه او
للمخالفين من سرعة العقاب على نحو ما اوقع سبحانه بالقرون الماضية والامم السالفة كما اشار اليه آخر الانعام وسيفصل من اخبارهم
في هذه السورة ولتذكر به وذكرى اي عظيمة للمؤمنين اي بالبشر والمواعظ والغفران والرحمة على ما اشار اليه ختام الانعام
وحذف المفعول يدل على عموم الرسالة لكل من امكن انذاره وتذكيره من العقلاء ويجوز ان يتعلق لام لتنذر بمعنى النهي اي انتفا الحرج
لكذا فان من كان منشرح الصدر اقدم على ما يريد او بحرج اي يكن الحرج الواقع لاجل ان تنذر اي لاجل انذارك بل والنهي للنبي
صلى الله عليه وسلم حول الى الحرج مبالغة وادبا ويجوز ان يكون التقدير لتنذر به وتذكر به فانه تذكر للكافرين وذكرى للمؤمنين
والاية على كل تقدير من الاحتباك اثباته لتنذر به اولا دال على حذف لتذكر ثانيا واثبات للمؤمنين ثانيا دال على حذف للخالفين
اولا فان النفوس على قسمين نفوس بليدة جاهلة بعيدة عن عالم الغيب عريقة في طلب اللذات الجسمانية والشهوات
الحيوانية فبعثة الرسل في حقهم انذار وتخويف ونفوس شريفة مشرقة بالانوار الالهية فبعثة الرسل في حقهم تذكير لان
هذه النفوس بمقتضى جواهرها الاصلية وجبلتها الخلقية مستعدة للانجذاب الى عالم القدس الا انه ربما غشيتها غواش من
عالم الاجسام فيعرض لها نوع ذهول وغفلة فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصلت بها انوار ارواح رسل الله تذكرت مراكزها
وابصرت منشاها فاشتاقت الى ما حصل هناك من الروح والريحان فطارت نحوهم كل مطار فتمحضت لهما تلك الانوار
وقال ابو حيان واعتلاق هذه السورة بما قبلها هو انه لما ذكر تعالى قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واستطرد منه
لما بعده الى قوله في آخر السورة وهو الذي جعلكم خلائف الارض وذكر ابتلاءهم فيما اتاهم وذلك لا يكون الا بالتكاليف الشرعية
وذكر ما تكون به التكاليف وهو الكتاب الالهي وذكر الامر باتباعه لما امر في قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه انتهى وقال
شيخه الامام ابو جعفر بن الزبير لما قال تعالى ابتداء الاعتبار الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم
وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا آخرين ثم قال تعالى ولقد استهزئ برسل من
قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون ثم قال تعالى قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ثم
قال تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا الآية وقال تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء

وقال تعالى

وقال تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فوقعت الاحالة في هذه الآي على الاعتبار بالامم السالفة وما كان
منهم حين كذبوا انبياءهم وهلاك تلك القرون بتكذيبهم وعتوهم وتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم بجريان ما جرى له ممن تقدمه
من الرسل وقد تعلم انه ليحزنك الذي يقولون فاستدعت الاحالة والتسلية بسط اخبار الامم السالفة وتلك القرون الماضية والاعلام
بصبر الرسل عليهم السلام عليهم وتلطفهم في دعائهم ولم يقع في السور الاربع قبل سورة الانعام مثل هذه الاحالة والتسلية وقد تكررت
في سورة الانعام كما تبين بعد انقضاء ما قصد من بيان طريق المتقين احذا وتركا وحال من حاد عن سنتهم ممن رامه او قصده فلا اخذ
سوى قوله ولا ثم له امثلة من الفريقين المستتبع للسمع المشتملة المعملة النظر فحاد الاولون بطاري التغيير والتبديل وتنكب
الآخرون سوء التناول وقصور الافهام وعلى حد الفريقين السالفة الازلية فلما انقضى امر هؤلاء وصرف الخطاب الى تسليته
وتثبيت فؤاده بتذكير احوال الانبياء مع اممهم وامر الخلق بالاعتبار بالامم السالفة وقد كان تقدم لرسوله صلى الله عليه وسلم
عند ذكر الانبياء اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده بسط تعالى حال من وقعت الاحالة عليه واستوفى الكثير من قصصهم الى
آخر سورة هود الى قوله سبحانه وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك فتامل بما افتتحت به السورة من
المقصود بقصص الانبياء الامم وبما اختتمت يلح لك ما اشرت اليه مما اراده والله اعلم وتامل افتتاح سورة الاعراف بقوله
فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وختم القصص فيها بقوله فاقصص القصص لعلهم يتفكرون بعد تعقيب قصص بني اسرائيل
بقصة بلعام والتي عليهم نبا الذي اتيناه آياتنا الآية ثم قال ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فتامل هذا الايماء بعد ذكر القصص
وكيف الحوم من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وغيرهم ممن قصد ذكره من المكذبين وتامل افتتاح ذكر الانبياء
بقصة ابليس وختمها بقصة بلعام وكلاهما ممن كفر على علم وفي ذلك اعظم موعظة قال الله تعالى اثر ذلك من يهدي الله فهو المهتدي
الآية فبدا لاستجابة نبيه صلى الله عليه وسلم بذكر ما انعم عليه على من استجاب له فقال تعالى المص كتاب انزل اليك فاشار الى نعمته
بانزال الكتاب الذي جعله هدى للمتقين واشار هنا الى ما يحمله من التسلية وشرح الصدر وما جرى من العجائب والقصص من
كونه هدى ونورا فقال فلا يكن في صدرك حرج منه اي انه قد تضمن بما احللناه عليه ما يرفع الحرج ويسلي النفوس لتنذر به ثم كان
انذاره من قبلك ممن يتقص خبره من الرسل والتسلي في انذارك ودعائك وصبرك بسننهم ولتذكر المؤمنون ثم امر عباده بالاتباع
لما انزل له فقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم فان هلاك من نقص عليكم خبره من الامم انما كان لعدم الاتباع والركون الى اوليائهم
من شياطين الجن والانس ثم اتبع ذلك بقصة آدم عليه السلام ليتبين لعباده ما جرت سنته فيهم من تسلط الشيطان
وكيده وانه عدو لهم يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ووقع في قصة آدم هنا ما لم يتقدم في قصة
البقرة من بسط ما اجمل هناك كتصريح اللعين بالحسد وتصور خيريته بخلقه من النار وطلبه الانظار والتسلط على ذرية
آدم والاذن له في ذلك ووعيده ووعيد متبعيه ثم اخذه في الوسوسة لآدم عليه السلام وحلفه لهما وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين
وكل هذا مما اجمل في سورة البقرة ولم يتكرر قصة الا وهذا شانها اعني انها تفيد بما يتكرر ما لم يحصل منها اولا ثم انجرت الآي الى ابتداء قصة
نوح عليه السلام واستمرت القصص الى قصص بني اسرائيل فبسط هنا من حالهم واخبارهم شبه ما بسط في قصة آدم وما جرى من محنة
ابليس وفصل الكثير وذكر ما لم يذكر في البقرة حتى لم يتكرر الحقيقة والتعرض لقصص طائفة معينة فقط ومن عجيب الحكم ان الواقع
في السورتين من كلا القصتين مستقل شاف واذا ضم بعضه الى بعض ارتفع اجماله ووضح كماله فتبارك من هذا كلامه
ومن جعله حجة قاطعة وآية باهرة ولما اعقب تعالى قصصهم في البقرة بامره نبيه والمؤمنين بالعفو والصفح فقال
تعالى فاعفوا واصفحوا اعقب تعالى ايضا هنا بقوله لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن
الجاهلين وقد خرجنا عن المقصود فلنرجع اليه انتهى ولما تقدم سبحانه اليه صلى الله عليه وسلم في امر الانذار والادكار
بالكتاب تقدم الى اتباعه فامرهم باتباعه ونهاهم عن اتباع اهل الضلال او ما يوحي اليهم اولياؤهم من زخارفهم بعد ان اخبر
بكونه ذكرى انه سبب نعلو شانهم وعز سلطانهم فقال ملتفتا اليهم مقبلا بعد طلاله عليهم اتبعوا اي احملوا
انفسكم حملا عظيما بجد ونشاط على اتباع ما انزل اليكم اي خصصتم به دون غيركم فاشكروا هذه النعمة من ربكم اي الذي
لم يزل يحسن اليكم ولا تتبعوا ولعله عبر بالافتعال ايماء الى انه ما كان دون علاج بل هفوة وتنوع غفلة من مخالفة
العقول من دونه اي دون ربكم اولياء اي من الذين نهاكم عنهم في الانعام وبينا ضررهم لكم من شياطين الانس والجن
وعدم اعتنائهم وان الامر كله لربكم ولما كانوا قد خالفوا في اتباعهم صريح العقل وسليم الطبع وعندهم امثلة ذلك
لو تذكروا قال منبها لهم على تذكرهم ما يعرفون من تصرفاتهم قليلا واكد التقليل بما وبادغام تاء التفعل فقال
ما تذكرون اي تعالجون انفسكم على ذكر ما تدركون في نظركم الاول وانتم معترفون بان ربكم رب كل شيء فكل من تدعون
من دونه مربوب وانتم لا تجدون في عقولكم ولا طباعكم ولا استعمالا لكم ما يدل بنوع دلالة على ان مربوبا يكون شريكا
لربه ولما كان من اعظم ما يتذكر شار النعم وصار النعم للانقال على الله والاعراض عما سواه وعدم الاعتبار باسباب الامن
والراحة قال وكم اي قل تذكركم وخوفكم من سطواتنا والحال انه كم من قرية وان جلت ولما كان المراد المبالغة في الاهلاك
اسنده الى القرية والمراد اهلها فقال اهلكناها اي بما لنا من العظمة لظلمها باتباع من دون الله فلا تغتروا باوليائكم

من دونه وانتم غافلون بانهم لم ينفعوا من ضل من الامم السالفة وقت انزالنا بهم السطوة واحلالنا بهم النقمة • وتحقق المهلكون
اذ ذاك مع انهم كانوا اشد منهم بطشا واكثر عددا وامتن كيدا عدم اغنائهم عنهم فلم يوجبوا ما لهم نجوتهم • ولما كان
المعنى اردنا اهلاكها وحكمنا به سبب عنه قوله فجاءها باسنا اي عذابنا بما لنا من القوة والعظمة او الاهلاك على
حقيقته • وهذا تفصيل له وتفسير • ولما كان لا فرق في اتيان عذابه سبحانه بين كونه ليلا او نهارا • وكان احسن البأس
واشده ما كان في وقت الراحة والدعة والغفلة قال بياتا اي وقت الاسكان في البيوت ليلا كما جاء قوم لوط عليه السلام
الصبح • ولما كان المراد بالقرية اهلها بينه بقوله لانه اذا حذف المضاف جاز فيه اعتباران بحسب ما يحسن من المعنى ان لا
يلتفت اليه كما في اول الاية • وان يلتفت اليه كما في هذا الاخر لبيان ان الاهلاك المقصودون بالذات لانه موضع التهديد
اوهم قائلون اي نائمون وقت القائلة او مستريحون من غير نوم كما اهلك قوم شعيب عليه السلام يعني انهم كانوا
في كل من الوقتين غافلين بسبب انهم كانوا آمنين لم يتقوا ان شيئا من اعمالهم موجب العذاب • ولا كانوا مترقبين
لشيء منه • فالتقدير بياتا هم فيه بائتون ونائمون او قائلين هم فيها قائلون اي نائمون • فالاية من الاحتباك دل اثبات بياتا
اولا على حذف قائلة ثانيا واثبات هم قائلون ثانيا على حذف هم بائتون اولا • والذي ارشدنا الى هذا المعنى الحسن سوقهم من غير
وهذا قريب من قوله تعالى فيما ياتي افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون • فالاقرب ان يكون المحذوف
اولا نائمون • وثانيا نهارا • فيكون التقدير بياتا هم فيه نائمون او نهارا هم قائلون • وبين عظمة ما جاءهم وهوله
بانهم في كل من الوقتين لم يتسع فكر احد منهم التصويب الى مدافعته بما سبب عنه ذلك من قوله فما كان دعواهم
اي قولهم الذي ابتدعوه اذ جاءهم باسنا اي بما لنا من العظمة الا ان قالوا اي الا قولهم انا كنا اي بما لنا من الجبلة والطبع
ظالمين اي في انا لم نتبع ما انزل الينا من ربنا فلم يغن عنهم ذلك شيئا غير شدة التحسر • ثم سبب عما مضى من امر الرسول
والامم دفعا لتوهم من يظن ان الامر انقضى بما عذبوا به في الدنيا فلنسألن اي بما لنا من العظمة على جهة التوبيخ والتقريع
للعصاة والتشريف والتعظيم للمطيعين • واظهر موضع الاضمار تعميما فقال الذين • ولما كانت الملامة على تكذيب الرسل
لا بعيد كونه معينا بني للمفعول قوله ارسل اليهم اي وهم الامم هل امتثلوا اوامرنا واجمعوا عند زواجرنا كما امرتهم الرسل
ام لا ولنسألن المرسلين اي بعظمتنا اي هل كان في صدورهم حرج بما ارسلناهم به • وهل بلغوه ام لا ليوم
يكونون شهداء على الناس بما علم من شهادتي في هذا القرآن • ويكون الرسول عليكم شهيدا • فانا لا بد ان
نحييكم بعد الموت ثم نسألكم في يوم تظهر فيه السرائر وتكشف • وان اشتد خفاؤها الضمائر ولنزن الافعال
والاقوال • ولا نترك شيئا من الاحوال • ولما كان السؤال يفهم خفاء المسؤول عنه عن السائل سبب عن ذلك
ما يزيل هذا الوهم بقوله مؤذنا بانه اعلم من المسؤولين عما يسألهم عنه فلنقصن اي بما لنا من صفات العظمة
المستلزمة لصفات الكمال لكل كمال عليهم اي المسؤولين من الرسل والامم جميع احوالهم وما يستحقون من جزائها
بعلم اي مقطوع به لا مظنون فقد كنا معهم في جميع تقلباتهم وما كنا اي في وقت من الاوقات غائبين اي مطلقا
ولا عن احد من الخلق بل علمنا شامل لجميع الكليات والجزئيات لان ذلك مقتضى العظمة • ومقتضى ما لنا من صفات
الكمال • ومن لم يكن محيط العلم حتى يميز بين المطيع والعاصي لا يصلح ان يكون الها ولما تقدمت الاشارة بقوله تعالى
واوفوا الكيل والميزان بالقسط الاية الى ان المساواة الحقيقية في الميزان معجوز عنها • وانه ابعد المعاذير عنه
التساوي والنص في قوله تعالى من جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها على قدرة العذر على ذلك • وختم الاية السالفة باحاطة
العلم على الوجه الابلغ المقتضي لذلك على اعلى الوجوه اكد الامر ايضا وقصره على علمه هنا فقال والوزن بميزان
حقيقي بصحف الاعمال او الاعمال نفسها بعد تصويرها بما تستحقه من الصور او بغير ذلك بعد ان يقذف الله في القلوب
العلم به • ولعله خاطبهم بنون العظمة في الاية التي قبلها اي انا لا نكتفي بما يقضيه البرهان • فنبصر بحيث يظهر لكل احد انه على غاية ما يكون
من التساوي • قال ابو حيان وعلي بن الحسين النحوي الاصبهاني في اعرابه الوزن مبتدا يومئذ ظرف منصوب به
الحق خبر المبتدا اراد الاصبهاني فقال • واستضعف اعمال المصدر وفيه لام التعريف • وقد ذكرنا انه جاء في التنزيل
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم انتهى اي الوزن في ذلك اليوم مقصور على الحق مطابقة الواقع
مطابقة حقيقية لا فضل فيها اصلا • ولا يتجاوز الوزن في ذلك اليوم الحق الى شيء من الباطل زيادة ذرة ولا نقصها
ولا ما دون ذلك • فتحرر ان مقصود السورة الحث على اتباع الكتاب • وهو يتضمن الحث على اتباع الرسول
والدلالة على التوحيد والقدرة على البعث ببيان الافعال الهائلة في ابتداء الخلق واهلاك الماضين اشارة الى
ان من لم يتبعه ويوحد من انزله على هذا الاسلوب الذي استطاع والمنهاج الذي وقفت دونه العقول والطباع
لما قام من الدلالة على توحيده بعجز من سواه عن اقواله وافعاله اوشك ان يعاجله قبل البعث بعقاب مثل عقاب
الامم السالفة والقرون الخالية مع ما ادخر له في ذلك اليوم من سوء المنقلب واظهار الغضب • ولما اخبر
ان العبرة بالميزان على وجه يظهر انه لا حيف فيه بوجه تسبب عنه قوله فمن ثقلت اي رجحت ورسبت على ما يعهد في الدنيا

موازينه اي موزونات اعماله اي اعماله الموزونة • ولعله عبر عنها بها اشارة الى ان كل عمل يوزن على حدته ليسعى في اصلاحه فاولئك
اي لثقالتها هم اي خاصة المفلحون اي الظافرون بجميع مآربهم ومن خفت موازينه اي طاشت موازينه التي يوزن
فيها الاعمال الصالحة فاولئك المبعدون الذين خسروا انفسهم اي التي هي راس مالهم فكيف بما دونها بما كانوا باياتنا
اي على ما لها من العظمة يظلمون اي باستمرار يجحدون من وضعها في غير المحل الذي يليق بها فعل من يمشي في ظلام • قال
الحسن وحق لميزان يوضع فيه الحسنات ان يثقل • ولما امر الخلق الرسل وحذرهم من مخالفتهم فاتبع تحذيرهم بعذاب
الدنيا ثم بعذاب الاخرة • السفل الى تذكيرهم ترغيبا في ذلك باسباغ نعمه وتحذيرا من سلبها لان المواجهة اردع للمخاطب فقال
موضع الحال من خسروا انفسهم ولقد مكناكم اي خسروها • والحال انا مكناكم من ابحاثها خلق القوى والعدد وادرار
النعم وجعلنا مكانا يحصل التمكن فيه في الارض اي كلها ما فيها من نعمة الا وهي صالحة لانتفاعهم بها • ولو بالاعتبار وجعلنا
لكم اي بما لنا من العظمة فيها معايش جمع معيشة • وهي اشياء تحصل بها العيش • وهو التصرف ايام الحياة بما ينفع والياء اصلية
ولذا لا يهمز • وكذا ما ولي الف جمع حرف علة اصلي ولم يسبق قبل الف واو كاوائل • والحبائر جمع اول وحبر فانه لا يهمز الا شاذا كحبائر
ومصايب جمع منارة ومصيبة • ولما كان حاصل ما مضى انه سبحانه اوجدهم وقواهم • وخلق لهم ما يديم قواهم فالمواجهة
وعيد واعيد انتج قوله على وجه التاكيد قليلا ما تشكرون اي اسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة بما تحبون به انفسكم • وقال
ابو حيان انه راجع الى الذين خوطبوا باتبعوا ما انزل اليكم • وما بينهما اورد مورد الاعتبار والايقاظ بذكر ما آل اليه امر
في الدنيا • وما يؤول اليه في الاخرة انتهى • ولما ذكر سبحانه ما منحهم به من التمكين ذكرهم ما كانوا عليه قبل هذه المكنة من العدم تذكيرا
بالنعم في سياق دال على البعث الذي فرغ من تقديره وعلى ما خص به ابانا آدم عليه السلام من التمكين في الجنة بالخلق والتصوير واقامته
روح الحياة وروح العلم • وامر اهل سماواته بالسجود له والغضب على من عاداه وطرده من محل كرامته ومعدن سعادته
واسكانه من تلك المحل الاعلى والموطن الاسنى ما دونا له في كل ما فيه الا شجرة واحدة • فلما خالف الامر ازاله عنه واخرجه منه • وفي ذلك
تحذير لاهل المكنة من ازالة المنة في استدرار النقمة واحلال النعمة فقال ولقد خلقناكم اي قدرنا خلقكم ثم تصويركم
بان جعلنا منكم قابلية قريبة من ذلك بتخصيص كل جزء من المادة بمقدار معين بتخمير طينة آدم عليه السلام على حالة تقبل
ذلك كما يهيأ التراب بتخميره بانزال المطر ليكون منه شجرة • وقد تكون تلك الشجرة نهاية لقبول صورة الثمرة • وقد لا تكون
كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة
مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر • وقال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح عن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما • ثم يكون علقة مثل ذلك • ثم يكون مضغة
مثل ذلك • ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح • وعنه ايضا رضي الله عنه عند مسلم • قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول • اذا مر بالنطفة اربعون ليلة بعث الله اليها ملكا • فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها
وعظامها ثم قال يا رب اذكر ام انثى • فيقضي ربك ما شاء • ويكتب الملك الحديث • فظاهر هذا الحديث يخالف
اللفظ الذي قبله ولا انه • فيحمل على ان معنى صورها هيأها في مدة الاربعين الثانية لقبول الصورة تهيئة قريبة بالفعل وسهل
اولها بالتخمير على هيئة مخصوصة • بخلاف ما قبل ذلك • فانها كانت نطفة • فكانت بعيدة عن قبول الصورة • ولذلك اختلفوا
في احترامها • وهل يباح افسادها والتسبب في اخراجها • ومعنى خلق قدر اي جعل لكل شيء من ذلك حدا لا يتجاوزه في الجملة
والدليل على هذا المجاز شكه في كونها ذكرا او انثى • ولو كان ذلك على ظاهره لما حصل شك في كونها ذكرا او انثى • اذ الذكر
والانثى من جملة الصورة • وبهذا يلتئم هذه الاية مع قوله تعالى • واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين • فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين • فهذا خلق بالفعل • والذي في هذه السورة بابداعه القوة المقربة
منه • والمراد من الاية التذكير بالنعم استعطافا الى الموالفة • وتقطيعا لحال المخالفة اي خسروا انفسهم • والحال انا
انعمنا عليهم بنعمة التمكين بعد ان انشاناهم على الصورة المذكورة بعد ان كانوا عدما • واسجدنا ملائكتنا لابيهم • وطردنا
من تكبر عليه طردا لا طرد مثله • وابعدناه عن محل قدسنا بعد الاغترار منه • واسكنا اباهم الجنة دار رحمتنا وقربنا
فقال تعالى مترجما عن ذلك ثم قلنا اي على ما لنا من الاختصاص بالعظمة للملائكة اي الموجودين في ذلك الوقت
من اهل السموات والارض كلها بما دلت عليه السوى قلنا انها للاستغراق والجنس اسجدوا لآدم اي بعد كونه
رجلا قائما سويا ذا روح كما هو معروف من القصة • ثم سبب عن هذا الامر قوله فسجدوا اي كلهم بما دل عليه
الاستثناء في قوله الا ابليس ولما كان معنى ذلك لا اخراجه ممن سجد انه لم يسجد صرح به فقال لم يكن من الساجدين
اي لآدم • ولما كانت مخالفة الملك في محل العقاب تشوق السامع للخبر فاجيب بقوله قال اي لابليس انكارا عليه وتبكيتا
له واستخراجا لكفره الذي كان يخفيه بما يبدي من جوابه ليعلم الخلق سبب طرده ما منعك • ولما كانت هذه العبارة
قد صرحت بعدم سجوده • فكان المعنى لابليس بادخال لا في قوله ان لا تسجد اي تحمل النفي التاكيد بالدلالة على اللوم
على الامتناع من الفعل والاقدام على الترك لان مقصود هذه السورة الانذار فهو انسب بتاكيد هذا التهديد بخلاف

سورة ص فيكون كأنه قيل ما منعك من السجود وحملك على تركه إذ أي حين أمرتك أي حين حضر الوقت الذي يكون فيه أداء
المأمور به قال أي إبليس ناسبا ربه سبحانه وتعالى إلى الجور أو عدم العلم بالحق أنا خير منه أي فلا يليق لي السجود لمن هو دوني
ولا أمرني بذلك لأنه مناف للحكمة ثم بين وجه الخيرية التي تصورها بسوء فهمه أو بما قاده إليه سوء طبعه بقوله خلقتني من نار
أي فهي أغلب أجزائي وهي مشرقة منفعة عالية غالبة وخلقته من طين أي هو أغلب أجزائه وكدر مظلم سافل مغلوب
وقد غلط غلطا فاحشا فإن الإيجاد خير من الإعدام بلا نزاع والنار سبب الإعدام والمحق لما خالطته والطين سبب
النماء والتربية لما خالطه هذا لو كان الأمر في الفضل باعتبار العناصر والمبادي وليس كذلك بل هو باعتبار الغايات
ولما كان هذا أمرا ظاهرا وكان مجرد التكبر على الله كفرا على أي وجه كان أعرض عن جوابه بغير الطرد الذي معناه
نزول المنزلة الذي هو ضد ما طلب فاستأنف قوله قال مسببا عن إبايته قوله فاهبط منها مضمر الدار التي كان
فيها وهي الجنة فإنها لا تقبل عاصيا وعبر بالهبوط الذي يلزم منه سقوط المنزلة دون الخروج لأن مقصود هذه السورة
الإنذار وهو أدل عليه وسبب عن أمره بالهبوط الذي معناه النزول والحدور والانحطاط والانفصال في الوقوع
في شيء قوله فما يكون أي يصح ويتوجه بوجه من الوجوه لك أن تتكبر أي تتعمد الكبر وهو الرفعة في الشرف
والعظمة والتجبر ولا مفهوم لقوله لك ولا لقوله فيها لوجود الصارح بالمنع من الكبر مطلقا إنه لا يحب المستكبرين
كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر قال الذين استكبروا إنا كل فيها وإنما قيد بذلك لأنه هو محل الأمر فكأنه قيل لا ينبغي التكبر لأحد
وكلما قرب الشخص من محل القدس الذي هو مكان المطيعين تأكد تحريم الكبر عليه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة
من كبر رواه مسلم وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه وسبب عن كونها لا تقبل الكبر قوله فاخرج أي من الجنة دار
الرضوان فإنه ينبغي أن يكون المهبوط من موضع عال من الجنة إلى موضع منها أحط منه ثم علل أمره بالهبوط والخروج
بقوله مشيرا إلى أن كل من أظهر الاستكبار ألبس الصغار إنك من الصاغرين أي الذين هم أهل للطرد والبعد والحقارة
والهوان ولما علم أن الحسد قد أبعده ونزل به عن ساحة الرضى وأفهمه تمادي فيه فتسبب ما يتسبب به إلى إنزال
المحسودين عن درجاتهم العالية إلى درك السفلة ولم يبال لشقاوته بما يجلبه من دركه السافلة إلى درجاتهم
العالية وذلك بأن قال أي إبليس وهو استئناف ولما كان السياق للإسماح له بالصغار العاري عن تنبيه بأن
أن يكون سببا لسؤاله الإنظار وذكره بصفة الإحسان قال أنظرني أي بالإمهال أي اجعلني موجودا بحيث
أنظر وأتصرف في زمن ممتد إلى يوم يبعثون أي من القبور وهو يوم القيامة وكان اللعين طلب بهذا أنه لا يموت
فإن ذلك الوقت ليس وقتا للموت إنما هو وقت إفاضة الحياة الأبدية في شقاوة أو سعادة فأعلم سبحانه أنه حكم
له بالإنظار لكن لا على ما أراد ولا على أنه إجابة له ولكن هكذا سبق في الأزل في حكمه في قديم علمه وإلى ذلك
يرشد التعبير بقوله قال إنك من المنظرين أي في الجملة ومنعه من إجابته عن الموت بقوله كما ذكره في سورتي الحجر وص
يوم الوقت المعلوم وهو وقت النفخة الأولى التي يموت فيها الأحياء فيموت هو معهم وكان ترك هذه الجملة من هذه
السورة للإنذار وإبهام الأمر أشد من ذلك وأجابه إلى الإنظار وهو يريد به الفساد دلالة لا بعد وأمره فيه وتعذيبه
به ولأنه سبحانه لا يسأل عما يفعل ولتظهر حكمته في الثواب والعقاب ولما قد حكم عليه تعالى بالشقاوة قابل نعمة الإمهال
وإطالة العمر بالتمادي في الكفر وأخبر عن نفسه بذلك بأن قال مسببا عن إبلاغه في المعصية بسبب نوع الآدميين
فبما أغويتني أي بسبب إغوائك لي وهو إيجاد الغي وهي اعتقاد الباطل في قلبي من أجلهم والله لأقعدن لهم أي لأجل
قطعهم عن الخير فعل المتمكن المقبل بكليته المتأني الذي لا شغل له غير ما أقبل عليه في مدة إمهالك لي لقطعهم عنك بمنعهم من فعل
ما أمرتهم به وحملهم على فعل ما نهيتهم عنه كما يقعد قاطع الطريق على السابلة الحقيقية صراطك أي في جميع صراطك بما دل عليه
نزع الخافض المستقيم وهو الإسلام بجميع شعبه من أشد الأعوال عن الله بسبب اعتقاده أن ذلك بما قدره الله عليه فقد
وقع في شيء مما فر منه وهو أنه جعل في الوجود فاعلين تخالف أحدهما الآخر اختيار الأولى ولما كان قد أقام نفسه
في ذلك بغاية الجد فهو يفعل فيه بالوسوسة ما لا يفعله ومن أطاعه من شياطين الجن والإنس مما يفوت الحد
ويعجز العدو أشار إليه بحرف التراخي فقال مؤكدا ثم لآتينهم أي إتيانا لا بد لي منه كائنا ابتداؤه من بين أيديهم
أي مواجهة فأعلمهم على أن يفعلوا ما يعلمون أنه خطأ وكائنا من خلفهم أي مغافلة فيعملون ما هو فاسد في غاية
الفساد ولا يشعرون لهم بشيء من فساده حين تعاطيه وأدر بهم ذلك على تعاطي مثله وهم لا يشعرون وعن أي مجاوزا
للجهة التي عن أيمانهم إليهم وعن أي ومجاوزا لها عن شمائلهم أي بحاملة فيفعلونه وهو مشتبه عليهم وهذه هي الجهات التي
يمكن الإتيان منها ولعل فائدة عن المفهمة للمجاوزة وصل خطى القدام والخلف ليكون إتيانه مستوعبا لجميع الجهة المحيطة
وأفهمت الجهات الأربع كما نرى وملبسه فيما يعلمونه حق علمه وبما لا يعلمون شيئا منه وبما هو مشتبه عليهم اشتباها قليلا أو
كثيرا وفهم من تركه ذكر ما على أنه لا قدرة له على الإتيان منه لئلا يلبس أمره بالملائكة وقد ذكر ذلك في بعض الآثار كما ذكرته في ترجمة ورقة
ابن نوفل رضي الله عنه ولما عزم اللعين على هذا عن ما صاد فأرى إنشأته متيسرا من الإنظار ونحوه ظن بما رأى لهم من الشهوة

والحظوظ أنه يظفر بأكثر حاجته فقال عاطفا على ما تقديره فلأغوينهم ولتغنيني ولا تجد أكثرهم كما هي عادة الأكثر في الحث
شاكرين فأرديه الشقا فاعرف في الحسد ولو أريد بالشقي الحق لاستدرك بالحسد الغبطة فطلب أن يرتقي هو إلى درجاتهم
العالية بالبكاء والندم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبذل النصيحة خضوعا للمقام الربوبية وذلا لتعظيم شأنه ولما
كان كأنه قيل ماذا قال له قيل قال في جواب ما ذكر لنفسه في هذا السياق من الغواية والاقتدار وأبان عنه من الكبر والافتخار
ما دل على أنه من أهل الصغار لا يقدر على شيء إلا بأقدار العزيز الجبار مصرحا بما أريد من الهبوط الذي هو بما حمل عليه
النزول من موضع من الجنة عال إلى مكان منها أحط منه فاخرج منها أي الجنة مذءوما أي محقورا مخزيا بما يفعل قال
ابن القطاع وأمت الرجل خزيته وقال ابن فارس ذامته أي حقرته مدحورا أي منفيا مطردا عن كل ما لا يريده ولما
أعلم بعض حاله تشوفت النفس إلى حال من تبعه فقال مبتدئا مقسما مؤكدا بما يحق له من القدرة التامة والعظمة
الكاملة لمن تبعك منهم أي بني آدم وأجاب القسم بما أغنى عن جواب الشرط فقال لأملأن جهنم منكم أي منك ومن
قبيلك ومنهم أجمعين أي لا يفوتني منهم أحد فلم يرد من فعل ذلك منكم على أذى نفسه ولا أبالي بأبشيء ولما أوجب
له ما ذكر من الشقاوة بما أدى به في الحسد وكثرة كلامه في محسوده المتعب في محسوده الذي لم يتكلم فيه كلمة
واحدة بل اشتغل بنفسه بالبكاء على ذنبه والتوبة بفعل ربه بما يحجه من حبائل مكره التي نصبها بما ذكر ليكون ذلك به
سبب سعادته فقال عاطفا على اخرج منها ويا آدم اسكن ولما كان المراد بهذا الأمر هو نفسه لا التجوز به
عن بعض ما لابسه الذم أكد ضميره لتصحيح العطف ورفع التجوز فقيل أنت وزوجك الجنة ولما كان السياق
هنا التعريف بأنه مكن لا يباني الجنة أعظم من تمكينه لنا في الأرض بأن حياه فيها رغد العيش مقارنا بالوجود ثم خص في قوله
فكلا العطف بالفاء الدالة على أن المأكول كان مع الإسكان لم يتأخر عنه ولا منافاة بينه وبين التعبير بالواو في البقرة
لأن مفهوم الفاء نوع داخل تحت مفهوم الواو ولا منافاة بين النوع والجنس وقوله من حيث شئتما بمعنى رغدا أي
واسعا فإنه يدل على إباحة الأكل من كل شيء فيها غير المنهي عنه وأما آية البقرة فتدل على إباحة الأكل منها في أي مكان كان وهذا
السياق في أخيه مشير إلى أن من خالف أمره تعالى ثل عرشه وهدم عزه وإن كان في غاية المكنة ونهاية القوة كما
أخرج من أعظم له المكنة بإسجاد ملائكته وإسكان جنته وإباحة كل ما فيها غير شجرة واحدة أكد تحريمها بالنهي عن قربانها دون
الاكتفاء بالنهي عن غشيانها فقال ولا تقربا أي فضلا عن أن تتناولا هذه الشجرة مشيرا إلى الشجرة بعينها أو نوعها
ثم سبب عن القرب بأن العصيان فإن من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه فقال فتكونا أي بسبب قربها من الظالمين
أي بالأكل منها الذي هو مقصود النهي فتكونا بذلك فاعلين فعل من يمشي في الظلام ثم سبب عن ذلك بيان حال الحاسد
مع المحسودين فيما سبيل الانتظار بسببه وأنه وقع على كثير من مراده واستغوى منهم أنما بحاوزوا الحد وقصر عنهم
مدى العد ثم بين أنه أقل من أن يكون له فعل وإنما الكل بيد سبحانه هو الذي جعله المراد منهم ومنه وأن من يهد الله
فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون فقال فوسوس أي ألقى في خفاء وتزيين وتكرير واشتهما لهما
الشيطان أي بما مكنه الله منه من أنه يجري من الإنسان مجرى الدم ويلقي له في خفاء ما يميل به قلبه إلى ما يريد ثم بين علة
الوسوسة بقوله ليبدي أي يظهر لهما ما ووري أي ستر وغطي بأن جعل كأنه وراءهما لا يلتفتان إليه عنهما والبناء
للمفعول إشارة إلى أن السيئة تنبغي ألا تكلم عليها فيهما كما يأتي في قوله ينزع عنهما لباسهما من سوآتهما أي المواضع التي تسوءهما
انكشافها وفي ذلك أن إظهار السوء موجب للبعد من الجنة وأن بينهما منافية لجمع وكمال التباين ولما أخبر بالوسوسة
وطوى مضمونها فهما أنه أمر كبير وخداع طويل عطف عليه قوله وقال أي في وسوسته أيضا أي زين لهما ما حدث بسببه خواطرهما
هذا القول ما نهاكما وذكرهما بوصف الإحسان تذكيرا بإكرامه لهما على ما يريد منهما فقال ربكما أي المحسن إليكما بما تعرفانه
من أنواع إحسانه عن أي ما جعل مما يكماليه الإباحة للجنة متجاوزة عن هذه الشجرة جمع بين الإشارة والاسم زيادة في
الاعتناء بالتنصيص إلا أن أي كراهة أن تكونا أي في عدم الشهوة وفي القدرة على الطيران والتشكل وغير ذلك
من خواصهم أو تكونا أي بما يصير لكما من الجبلة من الخالدين أي الذين لا يموتون ولا يخرجون من الجنة أصلا
ولما أوصل إليهما هذا المعنى أخبرا أنه أكده تأكيدا عظيما كما يؤكد الحالف ما يحلف عليه فقال وقاسمهما أي أقسم لهما
لكن ذكر المفاعلة ليدل على أنه حصلت بينهما في ذلك مراوغات ومحاولات بذل فيها الجهد وأكد لمعرفته أنهما طبعا على النزه
من المعصية ما أقسم عليه أنواعا من التأكيد في قوله إني لكما فأفاد بتقديم الجار المفهم للاختصاص أنه يقول إن خصصتكما
بجميع نصحي لمن الناصحين وفيه تنبيه على الاحتراز من الحالف وأن الأغلب أن كل حلاف كذاب فإنه لا يحلف إلا عند ظنه
أن سامعه لا يصدقه ولا يظن ذلك إلا وهو معتاد للكذب ولما أخبر بغيض وسوسته لما سبب عنها عن مرتجيهما
مترجمة بأنها إهباط من أوج شرف إلى حضيض أدنى وشرف فقال فدلاهما أي أنزلهما عما كانا فيه من علو الطاعة بمثل ما فعل
بنفسه بالمعصية التي أوجبت له الهبوط من دار الكرامة بغرور أي بخداع وحيلة حتى نسي آدم عهد ربه وقوله فلما ذاقا
مشير إلى الإسراع في الخبر بالفاء والذوق الذي هو مبدأ الأكل الشجرة أي وجدا طعمها بدت أي ظهرت لهما سوآتهما أي

عورتهما اللاتي يسوؤهما ظهورها ونهاهم عنها لباسهما فابدى كل واحد ما كان مستورا عنه من عورة الاخر • وذلك قصد الحسود
فاستحييا عند ذلك وطفقا اي شرعا واقبلا يخصفان عليهما اي يفعلان فعل الخائط من ورق الجنة ورقة الى اخرى وناداهما
ربهما اي المحسن اليهما بامرهما ونهيهما ولم يفعلا شيا من ذلك الا بامر اي منه فقال منكرا عليهما ياعبدي الم انهكما اي اجعل لكما
نهاية فيما اذن لكما فيه متجاوزة عن تلكما الشجرة اي التي كان قربهما البعيد منها الموجبة للغربة عن هذا الموضع الشريف
احسانا اليكما واقل لكما ان الشيطان اي الذي تكبر عن السجود حسدا لك يا ادم ونفاسة عليك فاحترق بغضبي وطرد
وابعد عن رحمتي لكما اي لك ولزوجك ولكل من تفرع منكما ونسب اليكما عدو مبين ظاهر العداوة يأتيكم من كل موضع يمكنه الاتيان
منه بمجاهرة ومساترة ومماكرة فهو مع ظهور عداوته دقيق المكر بما اقدرته عليه من اقامة الاسباب فاني اعطيته
قوة على الكيد واعطيتكم قوة على الخلاص • وقلت لكم تغالبوا فان غلبتموه فانتم من حزبي وان غلبكم فانتم من حزبه
مع ماله اليكم من العداوة • فالاية منبهة على ان من غوى فانما هو تابع لاعدا اعدايه تارك لاولي اوليايه • ولما
كان هذا يشوق السامع الى جوابهما فاجيب بقوله قالا اي ادم وحوا عليهما السلام • واثر التحية والاكرام
قول الخواص باسقاط اداة النداء ربنا اي ايها المحسن الينا • والمنعم علينا ظلمنا انفسنا اي ضررناها بان اخرجناها
من نور الطاعة الى ظلام المعصية • فان لم ترجع بنا وتتب علينا لنستمر عاصيين فان لم تغفر لنا اي تمحو ما عملناه عينا
واثرا وترحمنا فتعلي درجاتنا لنكونن من الخاسرين فاعترفا لانه بانهما فزعا الى الانصاف بالاعتراف وسيما دينهما
وان كان انما خلاف الاولى لانه يبطر بنو الانسان كما في طه ظلما كما هي عادة الاكابر في استعظام الصغير منهم • ولم يجادلا
كما فعل ابليس وفي ذلك ارشاد الى ان البادرة الى الاقرار بالذنب من فعال الاشراف لكونه من معالي الاخلاق • وانه
لا مثل له في اقتضاء العفو وازالة الكدر • وان الجدال • من فعال الارذال • ومن مساوي الاخلاق وموجبات
الغضب المقتضي للطرد • ولما تشوفت النفس الى جواب العلي الكبير سبحانه اجيب بقوله قال اهبطوا اي الى دار المجاهدة
والمعاناة والمناكرة حال كونكم بعضكم لبعض عدو اي انتما ومن ولدتما اعداء ابليس ومن ولده وبعض اولادكم اعدا البعض
ولا خلاص الا باتباع ما منحتكم من هدى العقل وما انزلت اليكم من تاييده بالنقل • وفي ذلك تمهيد لمبادئ لمنزلة ادنى
منكم بالاشارة الى نقمة المخالفة ولزوم التوبة وحث على دوام المراقبة • خوفا من سوء المعاقبة ولكم في الارض اي جنسها
مستقر اي موضع استقرار بالسهولة لما شابهها ومتاع الى حين اي انقضاء اجالكم • ثم انقضاء اجل الدنيا • ولما علم
بهذا ان للكون في الارض اخرا وكان من الفلاسفة التناسخية وغيرهم ممن يقر بالوحدانية من يقول ان النفوس تجرد
عن الجسمية بعد لابتها وانه اذا هلك الجسد اتصلت بالعلويات • اما بكوكب او غيره وانخرطت في الملايكة • ويبطل تعلقها
بالبدن من كل وجه ولا يتصل به لا ببدنه ولا غيره • ولا بالبعث عند من قال منهم بالبعث كان كانه قيل فماذا يكون بعد
ذلك • فاجيب بقوله قال اي الله زادا عليهم ما يعتقدون من بطلان التعلق بالبدن مغيرا في الخطاب بالنعمة لكم
بعبيره عن هذا الهيكل المخصوص روحا وجسدا فيها اي الارض لا في غيرها تحيون اي اولا وثانيا على ما انتم عليه بظواهركم
وبواطنكم ابدانا وارواحا وفيها اي كذلك لا في غيرها كما انتم لذلك مشاهدون تموتون اي من الحياة الاولى وتحلل
فيكون للارواح تعلق بالابدان بوجه ما حتى تقعد الميت في القبر ويجيب سوال الملكين عليهما السلام وتلتذ الاجساد
بلذتها وتتالم بالمها • فاشير الى الحشر مع تفصيل حال الكون في الارض وختمت العصمة بما ابتدئت به من الاعلام بالبعث
بقوله ومنها اي لا من غيرها باحيائنا الصادق تخرجون اي روحا وبدنا بعد موتكم فيها • وعودكم الى ما كنتم عليه اولا
ترابا للجزاء • واظهار ثمرة الملك بانصاف بعضكم من بعض • والتحلي بصفة العدل فيما كان بعضكم يفعل مع بعض من
الفسق في الجور الذي لا يرضى اقل رؤسايكم ان يفعل عليه عبيدكم • وعلم هذا الدلالة على الحشر بدلالة العقل وهذا ابين من ذكره
فيما مضى في قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم الايات • ولما بين فيما مضى ان موجب الاخراج من الجنة هو ما اوجب كشف
السوات من المخالفة • وفرع بما استثنى منه حتى اخبرنا بانه حكم باسكاننا هذه الدار بعد تلك الدار شرع يحذرنا من عدونا
كما حذر ابانا عليهم السلام • وبدا بقوله منا بانه انعم علينا فيها بكل ما نحتاج اليه في الدين والدنيا وابدانا بما في كشف العورة
من الفضيحة • والابعاد عن كل خير • واشعارا بان الستر باب عظيم من ابواب التقوى يا بني ادم ولما كان الكلام في كشف
العورة • وان ادم عليه السلام عورة الستر حتى فزع الى الورق وكان موضع ان يتوقع ما يكون في ذلك • فقال معتنيا بحرف
التوقع قد انزلنا اي بعظمتنا عليكم من اثار بركات السماء • اما ابتدا بخلقه • واما بانزال اسبابه من المطر ونحوه لباسا اي
لم يقدر عليه ابوكم في الجنة يواري سواتكم ارشادا الى دواء ذلك الدا • واعلاما بان نفس الكشف نقص لا يصلح لحضرات الكمال
وقال وريشا اشارة الى انه سبحانه زادنا على الساتر ما به الزينة • والجمال استعارة من ريش الطاير تحبيبا فيما يبعد من الاذى
ويقرب الى حضرات الرب • ولما ذكر اللباس الحسي وقسمه الى ساتر ومزين اتبعه بالمعنوي • فقال مشيرا بقطعه في قراءة
الجمهور عما قبله الى كمال تعظيمه حثا عليه وندبا اليه ولباس التقوى فعلم ان ساتر العورات حسي ومعنوي فالحسي لباس
الثياب • والمعنوي التحلي على بما يبعث على المثاب ثم زاد في تعظيم المعنوي بقوله ذلك خير اي ولباس التقوى بنوعيه

من لباس

من لباس الثياب ولكنه فصل باسم الاشارة المقترن باداة البعد ايما الى علو رتبته وحسن عاقبته لكونه اعظم اللباسين لان نزعه
يكون بكشف العورة الحسية والمعنوية • فلو تجمل الانسان باحسن الملابس • وهو غير متق كان كله سوات • ولو كان متقيا
وليس عليه الا خرقة تواري عورته كان في غاية الكمال والستر والجمال • بل لو كان مكشوف العورة في بعض الاحوال • كما قال
صلى الله عليه وسلم ستر ما بين عورات امتي واعين الجن ان يقول احدكم اذا دخل الخلا باسم الله اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبايث
رواه الترمذي وابن ماجه عن علي رضي الله عنه • والذي يكاد يقطع به ان المعاصي تسبب احلال السوء الذي منه ضعف البدن وقصر
العمر حسا او معنى بمحو البركة منه لما نعلم من تقدم البركة في البقعة في بدء الخلق عن التوراة ان الله تعالى قال لادم عليه السلام
كل من جميع اشجار الفردوس • فاما شجرة علم الخير والشر فلا تاكل منها لانك اليوم الذي تاكل منها تموت موتا اي تمتهنا للموت
حسا ويقضى عليك بالاشتغال باسباب المعيشة فيقتصر عمرك لذهاب بركته والله اعلم • ولما كان في شرع اللباس تمييز يعني
للانسان عن بقية الحيوان وتهيئته اسبابه التي لم يجدها ادم عليه السلام في الجنة من الفضل والنعمة والدلالة على
عظمة المنعم ورحمته وقدرته واختباره ما هو معلوم قال ذلك اي انزال اللباس من ايات الله اي حاز صفات
الكمال الدالة على فضله ورحمته لعباده ولعل الالتفات من الخطاب الى الغيبة في لعلهم يذكرون ولو على ادنى
وجوه التذكر بما يشير اليه الادغام ليلا يقول المتعنت ان الحث على التذكر خاص بالمخاطبين ويدعي انه المسلمون
فقط اي انزلنا ذلك ليكون حالهم حال من يتذكر فيعرف انه يستقبح منه ما يستقبح من غيره • ولما كان المقصود
من ذكر القصص لا سيما قصص الانبيا الاعتبار بها فكان بيان ما وقع بين ادم عليه السلام وبين الشيطان من شديد
العداوة مقتضيا للتحذير من الشيطان • وكان المقام خطرا • والتخلص عسرا اشار الى ذلك بالتاكيد • وبيان
ما سلط الشيطان به من المكايد الخفية • والاسباب الدقيقة ليعلم الناجي انه انما جاه محض التوفيق • وتجرد اللطف
فيقتصر على الشكر متبريا من الحول والقوة • فقال مناديا لهم بما يفهم الاستعطاف والتراوف والتحنن والترفق
والاستضعاف يا بني ادم اي الذي خلقته بيدي واسكنته جنتي ثم انزلته الى دار محنتي ارادة الاعلا لكم الى الذروة
من عادني • والاشتغال الى الخصيص من معصيتي لا يفتننكم اي يخالطكم بما يميلكم ويحيلكم عن الاعتدال الشيطان اي البعيد
مني المحترف بالذنوب ليصدكم عما يكون سببا لردكم الى وطنكم بتزيين ما ينزع عنكم من لباس التقوى المفضي الى
هتك العورات الموجب لخزي الدنيا • فيمنعكم بذلك من دخول الجنة ويدخلكم النار كما اخرج ابويكم من الجنة بما فتنهما
به بعد ان كانا سكناها وتمكنا فيها وتوطناها وقد علم ان الدفع اسهل من الرفع فاياكم ثم اياكم • فالاية من الاحتباك ذكر
الفتنة اولا دليلا على حذفها ثانيا • والاخراج ثانيا دليلا على حذف ضده او نظيره اولا • ولما كان الشيطان قد تولى الجهد في اخراجهما
فسر الاخراج مشيرا الى ذلك باطالة الوسوسة وادامة المكر والخديعة بالتعبير بالفعل المضارع • فقال في موضع الحال
من ضمير الشيطان ينزع عنهما اي بالتسبيب بادامة التزيين والاخذ من المامن لباسهما اي الذي كان الله سبحانه قد ستر
به ما داما حافظين لانفسهما من مواقعة ما نهيا عنه ودل على منافاة الكشف للجنة بالتعليل بقوله ليريهما سواتهما
فان ذلك مبدا ترك الحيا • والحيا والايمان في قرن كما اخرجه الطبراني • وابو نعيم في الحلية عن ابن عمر رضي الله عنهما • والحيا
لا ياتي الا بخير كما رواه الشيخان عن عمران بن حصين رضي الله عنهما • ولما كان نهي الشيطان عن فتنتنا انما هو في الحقيقة
نهي لنا عن الافتتان به • فهو في قوة لتشتد حذركم من فتنته فانه دقيق الكيد بعيد الغور بديع المخاتلة علل ذلك
بقوله انه يراكم اي الشيطان هو وقبيله اي جنوده من حيث لا ترونهم عن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه
لشديد المؤنة الا من عصمه الله • ولما كان كانه قيل لم سلطوا علينا هذا التسلط العظيم الذي لا يكاد يسلم منه احد قال
مخففا لامرهم موهيا في الحقيقة لكيدهم انا اي فعلنا ذلك لانا بما لنا من العظمة جعلنا الشياطين اي المحترقين
بالغضب البعيدين من الرحمة اولياء اي اقرباء وقرناء للذين لا يؤمنون اي يجددون الايمان لان بينهم تناسبا في
الطباع يوجب الاتباع • واما اولياؤنا الذين منعناهم بقوتنا منهم او فتناهم بشرا بهم ثم خلصناهم بلطفنا
منهم فلبسنا لهم باوليا • بل هم لهم اعدا واسهم انهم يؤمنون • والمعنى انا مكناهم من مخالطتكم بتزيينهم عليكم
واظهار لكم لهم فسلطناهم بذلك على من حكمنا بانه لا يؤمن بتزيينهم وتسويلهم واستخفافهم بان تبصرونهم بعض
المواطن • ويوصلوهم الى شيء من المطالب • فعلنا ذلك ليتميز الرجل الكامل الذي يستحق الدرجات العلى ويزداد
اليه الملايكة بالسلام والتحية من غيره • فيحذر واحدكم فان الامر خطر • والخلاص عسر • وبعبارة اخرى انا سلطناهم
طريقا وجعلنا عقبتها عدوا يراكم ولا ترونه واقدرناهم على بعضكم • فمن سلك سوا السبيل نجى ومن شرد
العدو ومن دنا من الحامات بمواقعة الشهوات قارب العدو • ومن قاربه استغواه • فكلما دنا منه تمكن
من اسره • وكل من تمكن من اسره بعد من الخلاص • فاحذروا عدوكم رؤيتنا لهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم على انه
قد صح تصورهم في الاجسام الكثيفة • ورؤية بني ادم لهم في ذلك الاجسام كالشيطان الذي رآه ابو هريرة رضي الله
عنه حين امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ الصدقة • وكذا ابي بن كعب رضي الله عنه • وحديث خالد بن الوليد رضي الله

عنه في شيطان العزى معروف في السير، وكذا حديث سواد بن قارب رضي الله عنه في ارشاد رئية من الجن، وكذا حظر بن
مالك رضي الله عنه في مثل ذلك وغيرهما، وفي شرحي لنظمي للسيرة كثير من ذلك، وكذا حديث العفريت الذي تفلّت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعلة من نار ليقطع عليه صلاته، فاخزاه الله وامكن منه، وقال
النبي صلى الله عليه وسلم: لولا دعوة اخي سليمان عليه السلام لاصبح مربوطا بسارية المسجد يلعب به ولدان
اهل المدينة. قال ابو حيان: الا ان رؤيتهم في الصور زائدة كما ان الملائكة عليهم السلام ترى في صورة كحديث
جبريل عليه السلام. ولما جعل امارة توليهم في ولاية الشيطان عدم الايمان عطف على ذلك امارة اخرى فقال
واذا فعلوا فاحشة اي امرا بالغا في القبح كالشرك وكشف العورة في الطواف قالوا معللين لارتكابهم اياها
وجدنا عليها اي الفاحشة اباءنا ولما كانت هذه العلة ظاهرا عادها بينا عوارها ضموا اليها افت اما يصلح
للتعلية فقالوا معبرين بالاسم الاعظم غير محتشمين من جلاله وعظمته وكماله والله امرنا بها ولما كانت العلة
الاولى ملغاة وكان العلم ببطلانها بديهيا لازما للمعلوم انهم لو وجدوهم على صفة في غاية المالة لما تبعوهم
اعرض عنها اشارة الى ذلك وامر بالجواب عن الثانية التي افتروا على الملك الاعلى مع ادعائهم انهم ابعد
الناس عن مطلق الكذب واشدهم تحاميا بقوله قل ان الله اي الذي له الكمال كله لا يامر بالفحشاء اي بشيء من
هذا الجنس ولما كان الكذب قبيحا في نفسه وهو عندهم اقبح القبيح مطلقا فكيف به على كبير منهم فكيف
اذا كان على اعظم العظماء قال منكرا لهم مهددا اتقولون على الله اي الذي له جميع العظمة ما لا تعلمون
لانكم لم تسمعوا ذلك من الله بلا واسطة ولا نقل اليكم بطريق صحيح عن نبي من الانبياء عليهم السلام وفيه
تهديد شديد على الجهل والقول على الله بالظن ولما كان تعليلهم بامر الله مقتضيا لانه اذا امر بشيء اتبع
امر ان يبلغهم امره الذي جاءه به دليل العقل مؤيدا بحاكم النقل فقال قل اي لهؤلاء الذين نابذوا الشرع
والعرف امر ربي اي المحسن الي بالتكليف بمحاسن الاعمال التي يدعو اليها المحسن للعوالم بالقسط وهو الامر الوسط
بين ما فحش في الافراط صاعدا عن الحد وفي التفريط هابطا منه ولما كان التقدير فاقسطوا اتباعا لما امر
به او كان القسط مصدرا ينحل الى ان اقسطوا عطف عليه واقيموا وجوهكم مخلصين غير مشركين لشيء من الخلق
عند كل مسجد اي مكان ووقت وحال يصلح للسجود فيه ولا يتقيد لاحد بمكان ولا زمان بان يقول وقد
ادركته الصلاة اذهب واصلي في مسجدي وادعوه عند ذلك كله دعاء عبادة مخلصين له الدين
اي لا تشركوا به شيئا ولما كان المعنى فان لم يفعل ذلك عذبه بعد اعادته له بعد الموت ترجمه مستدلا عليه
بقوله معللا كما بداكم اي في النشأة الاولى فاخرجكم من بعد عدم بعد ما بعد الموت فانتم تعودون حال كونكم
فريقين فريقا هدى اي خلق الهداية في قلوبهم فجوز لهم ثواب لدنيه وفريقا اضل ثم فسر اضل لانه واجب
التعبير بالنصب بقوله حق عليهم الضلالة اي لانه اضلهم فيحشرون على ما كانوا عليه في الدنيا من الاديان
والابدان. وقد تبين انه هنا احتبك من اثبت في اولهما بدا دليلا على حذف بعينه وذكر تعودون دليلا على حذف
تبتدون وانت في الثاني هدى دليلا على حذف اضل وذكر حقوق الضلالة دليلا على حذف حقوق الهدى ولما
كرر سبحانه ذكر البعث كما تدعو اليه الحكمة في تقرير ما يكره المخاطب تبيينا له وكسر الشوكة وابهاتا للعقوبة
وفيما السورة الى ان ختم بها مواذا عليه مما قيل من قوله وفيها تحيون ومنها تخرجون ولنسئلن الذين ارسل اليهم على
ما ختم به هذا الدليل من حقوق الضلالة وحقوقها الى وجوب وبالها عليهم بقوله انهم اتخذوا اي كلفوا انفسهم ضد
ما دعتهم اليه الفطرة الاولى بان اتخذوا الشياطين اولياء اي اقرباء وانصارا من دون الله اي الملك الاعلى الذي
لا مثل له ويحسبون اي والحال انهم يظنون لغلبة عقولهم انهم مهتدون فاشار بذلك الى انهم استحقوا
النكال لانهم قنعوا في الاصول التي يجب فيها الانتهاء الى القطع بالظنون ولما امر سبحانه بالقسط وباقامة الوجه
عند كل مسجد امرهم بما ينبغي عند تلك الاقامة من ستر العورة الذي تقدم الحث عليه وبان يحسن الهيئة
وستر الشرم معبرا عنه بلفظ الزينة ترغيبا فيه واذانا في الزينة وبيانا لانها ليس مما يتورع عنه لقوله
صلى الله عليه وسلم ان الله يحب اذا بسط على عبد رزقه ان يرى اثر نعمته عليه رواه احمد والترمذي وابن منيع عن
ابي هريرة رضي الله عنه واتبع ذلك عظم ما ينبغي لابن ادم ان يعتبر فيه القسط من المأكل والمشرب فقال
مكررا النداء استعطافا واظهارا لعظيم الاشفاق وتذكيرا لقضية ابيهم ادم عليه السلام التي اخرجته من الجنة مع كونه
صفي الله ليشتد الحذر يا بني ادم اي الذي زناه فغره الشيطان ثم ذهبنا ستره بما انعمنا عليه به من حسن التوبة
وعظيم الرغبة خذوا زينتكم اي التي تقدم التعبير عنها بالريش لستر العورة والتجمل عند الاجتماع للعبادة عند
كل مسجد واكد ذلك كونهم كانوا قد شرعوا لزعم الحمس يطوفون عراة ولما امر بكسوة الظاهر بالثياب لان
صحة الصلاة متوقفة عليها امر بكسوة الباطن بالطعام والشراب لتوقف القدرة عادة عليها فقال

وكلوا

وكلوا واشربوا وحسن ذلك ان بعضهم كان يتحرج من في الحج التضييق في ذلك ولما امر بالملبس والمطعم نهى عن الاعتدا
فيهما فقال ولا تسرفوا اي في شيء من ذلك فيما لا يكون احق مواضعه ولو بالزيادة على الكفاء ومن ذلك ان يتبع
السنة في الشرب فيسمه لان العجز من سنته في الاناء فربما اذى من شربه ولذلك نهى عن التنفس في الاناء لانه ربما انتن فعافه من
النفس، واما الطعام فيلحس اناءه بالاصابع وتمتوا نظف ثم علل ذلك بقوله انه لا يحب المسرفين اي لا يكرمهم ولا شك ان
من لا يحبه لا يحصل له شيء من الخير فيحجبه كل شر ومن جملة السرف الاكل في جميع البطن والاقتصاد الاقتصار على الثلث كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس
وما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه والكافر ياكل في سبعة امعاء والمؤمن ياكل في معا واحد اخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله
عنهما قال الاطباء الامعاء سبعة فالمعنى ان الكافر ياكل شيئا فيملأ الامعاء السبعة والمؤمن ياكل تقوتا فياكل في
معا واحد وذلك شبع بطنه والى الاشارة بلقيمات فان لم يكن ففي معاين وشيء وهو الثلث والله اعلم
وسبب الاية انهم كانوا يطرحون ثيابهم اذا ارادوا الطواف يقولون لا نطوف في ثياب اذنبنا فيها او تعدى
منها لنتعرى من الذنوب الا الحمس وهم قريش ومن ولدوه وكانوا لا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما
فقال المسلمون يا رسول الله فنحن احق ان نفعل ذلك فانزلت ولما كان من المعلوم ان من كانوا اتقوه
واتخذوه دينا يستعظمون تركه لان الشيطان يوسوس لهم بانه توسع في الدنيا والتوسع فيها مما ينافي الزهد فيه
كاد على كثير من الايات اذن سبحانه الاذن في ذلك بالانكار على من حرمه فقال منكرا عليهم اعلاما بان الزهد
الممدوح ما كان مع صحة الاعتقاد في الحلال والحرام واما ما كان مع تبديل شيء من الدين بتحليل الحرام او عكسه فهو
مذموم قل منكرا موبخا من حرم زينة الله التي هي شرط في صحة العبادة على وجه عم غيرها من المراكب
وغيرها ابيعها الماكل والمشارب فقال والطيبات اي الحلال المستلذ من الرزق كالبحاير والسوايب
ونحوها ولما كان معنى الانكار لم تحرمها من يعتبر تحريمه بل احلها وكان ربما غلا في الدين غال تمسكا بالايات المنفرة
عن الدنيا المهونة لشأنها مطلقا فضلا عن زينة اللباس وطيبات الرزق قال مستأنفا جوابا لمن يقول
لمن قل هي اي الزينة والطيبات للذين امنوا وعين هذه العبادة ولم يقل ولغيرهم منبها على انها لهم بالاصالة
في الحياة الدنيا واما الكفار فهم تابعون لهم في التمتع بها وان كانت لهم اكثر فهي غير خالصة لهم وهي للذين امنوا
خالصة اي لا يشاركهم فيها احد هذا على قراءة نافع بالرفع والتقدير على قراءة غيره حال كونها خالصة يوم القيامة وفي هذا
تاكيد لما مضى من احلالها بعد تاكيد ومحو الشكوك ودافعة الباطل في التفصيل بين الفاسقين لبيان ان الزهد المامور به انما هو
بالقلب بمعنى انه لا يكون للدنيا عنده قدر ولا له اليها التفات ولا هي اكبر همه ولما كونها منتفعا بها فيما اذن الله فيه
وهي محفوفة غير مهتم بها فذلك من المحاسن ولما كان هذا المعنى من دقائق المعاني وتفاريس المباني تبعه تعالى قوله
جوابا لمن يقول ان هذا التفصيل يا ترى هل يفصل غيره هكذا كذلك اي مثل هذا التفصيل البديع نفصل الايات اي نبين
احكامها وتمييز بعض المشتبهات من بعض لقوم يعلمون اي لهم ملكة وقابلية للعلم ليتوصلوا به الى الاعتقاد الحق
والعمل الصالح ولما بين ان ما حرموه ليس بحرام فتقرر ذلك تقرر انه من التقوى ما كانت الغنية من حلاله
وتحمي من القلوب ما كانت اشربته من ضده كان كانه قيل فما حرم الله الذي ليس التحريم الا اليه فامره تعالى بان
يجيبهم عن ذلك ويريهم بانه لم يحرم عليه فقال قل انما حرم ربي اي المحسن الي بتعبدي بما حسن لا ادنا بي الفواحش
اي كل فرد منها وهي ما زاد قبحه ولما كانت الفاحشة ما تزايد قبحه فكان ربما ظن ان الاشارة بها غير مراد بالنهي قال
والاثم اي مطلق الذنب الذي يوجب الجزاء فان الاثم الذنب والجزاء ولما كان البغي من ابدع القبح مخصوصا فانه من
اسرع الذنوب عقوبة خصه بالذكر فقال والبغي وهو الاستعلاء على الغير ظلما لكنه لما كان قد يطلق على مطلق
الطلب حقق معناه العرفي الشرعي فقال بغير الحق اي الكامل الذي فيه شائبة باطل فمتى كان فيه شائبة باطل
كان بغيا ولعله خرج الغلو بالحق بالانتصار من الباغي فانه حق كامل الجنبه ويكون تسميته بغيا على طريق
المشاكلة تنفيرا بادخاله تحت اسم البغي من تعاطيه وندبا الى العفو كما تقدم مثله في لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
الا من ظلم ويمكن ان يكون تقييده تاكيدا للمنع بانه لا يتصور الا موصوفا بانه بغير الحق كما قال تخصيصا وتبعيضا
نفسهما على شدة الشناعة وان تشركوا بالله اي الذي اختص بصفات الكمال ما لم ينزل به سلطانا فانه
لا يوجد ما يسميه احد شريكا الا وهو مما لم ينزل به الله سلطانا بل ولا حجة به في الواقع ولا برهان ولعله انما قيده
بذلك ارشادا الى ان اصول الدين لا يجوز اعتمادها الا بقاطع فكيف باعظمها وهو التوحيد ولذلك عقبه
بقوله وان اي وحرم ان تقولوا على الله اي الذي لا اعظم منه ولا كفؤ له ما لا تعلمون اي ما ليس لكم به علم مخصوص
ولا مستند الى علم اعم من الاصول وغيرها ولما تقدم ان الناس فريقان مهتد وضال وتكرر ذم الضال ماله الى الله
بفعل ما منعه منه وترك ما امره به وكانت العادة المستمرة للملوك انهم لا يمهلون من تكرر مخالفته لهم كان كانه قيل

لنيل البركة

ما ظهر منها وما بطن

فلم يملك من خالقه فتيلاً وعظاً وتحذيراً انهم لا يضرون بذلك إلا أنفسهم ولا يفعلون شيئاً منه إلا بإرادته فسوّى
عنده بغاويهم وهداتهم إنما يستعجل من يخاف الفوت أو يخشى الضرر ولهم أجل لا بد من استيفائه وليس ذلك
خاصاً بهم بل لكل أمة أجل وهو معطوف على فيها تحيون وفيها تموتون فإذا جاء أجلهم ولما كان نظرهم إلى الفسحة
في الأجل وكان انقطاع رجائهم منه من خشية عذابهم قدمه فقال لا يستأخرون أي عن الأجل ساعة عبّر بها والمراد
أقل ما يمكن لأنها أقل الأوقات في الاستعمال في العرف ثم عطف على الجملة الشرطية بكمالها لا على جوابها قوله ولا يستقدمون
أي على الأجل المحتوم لأن الذي ضرب لهم ما ضربه إلا وهو عالم بكل ما يكون من أمرهم لم يتجدد له علم لم يكن بتجدد شيء من أحوالهم ويجوز
أن يكون معطوفاً على قوله ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ويكون الآية معلمة بأنهم سيتناسلون فيكثرون حتى يكونوا
أمماً ولا ينقرضون جملة بل يكون لكل أمة وقت ولما كان استشراف النفس في السؤال عما يكون بعد حين المستقر
والمتاع أشد من استشرافها إلى هذا لكونه حتماً منه فهو أبعد من خطوره في البال قدم قوله قال فيها تحيون الآية ولما كان ذكره
الدار الداهية السوءة أهم قدم قد أنزلنا عليكم لباساً ثم ما بعده حتى كان الأنسب لهذه الآية هذا الموضع فنظمت فيه ولما تقدمت
الإشارة إلى الحث على اتباع الرسل بآيات المقصد الأول من مقاصد هذه السورة كقوله كتاب أنزل إليك وقوله
واتبعوا ما أنزل إليكم وقوله فلنسألن الذين أرسل إليهم الآية وقوله قل أمر ربي بالقسط إنما حرم ربي الفواحش
والتحذير من الشياطين بقوله ولا تتبعوا من دونه أولياء وبقوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم لا يفتننكم الشيطان
وغيره فنتج ذلك أنه لا سبيل إلى النجاة إلا بالرسل وختم ذلك بالأجل حثاً على العمل في أيام المهلة اتبع ذلك قوله حاثاً على التعلق بأسباب
النجاة باتباع الدعاة الهداة قبل الفوت بحادث الموت ببيان أن الجزاء على حسن الاتباع في الدارين يا بني آدم
ولما كان له سبحانه أن يعذب من خالف داعي العقل من غير إرسال رسول وكان إرسال الرسول جائزاً له وفضلاً منه
سبحانه إذ لا واجب عليه أشار إلى ذلك بحرف الشك فقال إما هي إن الشرطية وصلت بها ما تأكيداً يأتينكم رسل
ولما كانت زيادة الحجة بالرسول أقطع للعذر وأقوى في الحجة قال منكم أي من نوعكم من عند ربكم ولما كان الأغلب
على مقصد هذه السورة العلم كما تقدم في فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وفي ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على
علم وغيرها كان القصص الذي هو تتبع الأثر كما تقدم في الأنعام أليق فقال يقصون عليكم آياتي أي يتابعون
ذكرها لكم على وجه مقطوع بها أثر بعض لا يخالفون في أصل واحد من الأصول ولما كان لقاء الرسل حتماً والهجرة إليهم
واجبة لأن العمل لا يقبل إلا بالإسناد إليهم مهما وجد إلى ذلك سبيل ربط الجزاء باللقاء فقال فمن اتقى أي خاف مقامي وخاف
وعيد بسبب التصديق للرسل في التلقي عنهم وأصلح أي عمل صالحاً باقتفاء آثارهم فلا خوف أي غالب عليهم أي بسبب
ذلك من شيء يتوقعونه ولا هم أي بضمائرهم يحزنون أي يتجدد لهم في وقت ما حزن على شيء فاتهم لأن الله يعظم
ما تقر به أعينهم وكأنه غاير في التعبير لأن إجلالهم لله تعالى وهيبتهم له يمكن أن يطلق عليها خوف ولما ذكر المصدق
اتبعه المكذب فقال والذين كذبوا بآياتنا أي بما لها من العظمة بإضافتها إلينا ولما كان التكذيب قد يكون عن شبهة
أو نوع كذب من العذر في ذلك بقوله واستكبروا عنها أي وجدوا الكبر إيجاد من هو طالب له عظيم الرغبة فيه متجاوزين عنها
إلى أضداد ما دعت إليه ولما كان ذلك ليس سبباً حقيقياً للتعذيب وإنما هو كاشف عن ذرء الله لهم لإقامة الحجة عليه
أغنى عن الفاء قوله أولئك أي البعداء البغضاء أصحاب النار ولما كان صاحب الشيء هو الملازم له المعروف به قال مصرحاً
بذلك هم أي خاصة فيخرج العاصي من غير تكذيب ولا استكبار فيها أي النار خاصة وهي تصدق بكل طبقة من طبقاتها
خالدون فقد تبين أن إثبات اللقاء أولاً للترغيب في الاتباع وتركه ثانياً للترهيب من شكاسة الطباع فالمقام
في الموضعين خطر ولعل من فوائد الإشارة إلى أنه إذا بعث رسول وجب على كل من سمع به أن يقصد لتحرير
أمره فإذا بان له صدقه تبعه وإن تخلف عن ذلك كان مكذباً والله الموفق ولما كان تكذيب الرسل تارة
يكون بتشريع شيء لم يشرعوه وتارة برد ما شرعوه قولاً أو فعلاً وأخبر أن المكذبين أهل النار علل ذلك
بقوله فمن أظلم أي أشنع ظلماً ممن افترى أي تعمد على الله أي الملك الأعلى كذباً أي كمن شرع في المطاعم والملابس غير
ما شرع أو ادعى أنه يوحى إليه فحكم بوجود ما لم يوجد أو كذب بآياته أي رد ما أخبرته الرسل فحكم بإنكار ما وجد
ولما كان الجواب لا أحد أظلم من هذا بل هو أظلم الناس وكان مما علم أن الظالم مستحق للعقوبة فكيف بالأظلم
قال أولئك أي البعداء من الحضرات الربانية ينالهم نصيبهم من الكتاب أي الذي كتب حين نفخ الروح أو من الآجال
التي خبرها سبحانه لهم وللأرزاق التي قسمها تأكيداً للرد اعتراض من قال إن كنا خالفنا فما له لا يهلكنا ثم غيّى نيل النصيب
بقوله حتى إذا جاءتهم رسلنا أي الذي قسمنا لهم من عظمتنا ما شئنا حال كونهم يتوفونهم أي يقبضون أرواحهم كاملة
من جميع أبدانهم قالوا أين ما كنتم عباداً لمن هو في جبلته تدعون أي دعاء عبادة من دون الله أي ترعون
أنهم واسطة لكم عند الملك الأعظم وتدعونهم حال كونكم معرضين عنه أبداً ادعوهم الآن ليمنعوكم من العذاب الموت
الذي نزل بكم قالوا ضلوا عنا أي غابوا عنا فلا نراهم ولما كان الإله لا يغيب فعلموا ضلالهم بغيبتهم عنهم قالوا

منزعجا

منزعجاً عن ذلك وشهدوا على أنفسهم أي بالغواية الاعتراف أنهم كانوا كافرين أي ساترين عباد الكشف
لم عنه نور العقل فلا مانع منه إلا حظوظ النفوس ولزوم البؤس ولما كان كأنه قيل لقد اعترفوا والاعتراف
كما قيل أيضاً هل ينفعهم فقيل فيها ما قاله بمحله بعنوان دار العمل لا جرم قال أي الذي جعل أدلة إليه أمرهم ادخلوا
كائنين في أمم في جملة جماعات وفرق أمم تتبع بعضها بعضاً ثم وصفهم دالاً بالتأنيث على ضعف
عقولهم فقال قد خلت ولما كان في الزمن الماضي من أين ادخل الحار فقال من قبلكم ولما كان الجن الأصل في الإغواء
قدمهم فقال من الجن والإنس ثم ذكر محل الدخول فقال في النار ولما جرت عادة الرفاق بتحامل المودة وحسن
الاجتماع بتساؤل تشوقت السامع إلى حالهم في ذلك فقال مجيباً له كلما دخلت أمة أي منهم في النار لعنت أختها أي
القريبة منها في الزمن والملة التي قفت آثارها واتبعت منارها بلعن اليهود اليهود والنصارى النصارى وهكذا
واستمر ذلك منهم حتى إذا اداركوا أي تداركوا وتلاحقوا بركب بعضهم بعضاً بما تشير إليه الإدغام فيها جميعاً أي
لم يتبق منهم أمة ولا واحد من أمة قالت أخراهم أي في الزمن والمنزلة وهم الأتباع والسفلة لأولاهم أي لأجلهم مخاطبين لله خطاب
المخلص ربنا أي الذي لم يقطع إحسانه في الدنيا عنا على ما كان منا من مقابلة إحسانه بالإساءة هؤلاء أي الأولون أضلونا
أي لكونهم أول من سن الضلال فآتهم أي أذقهم بسبب ذلك عذاباً ضعفاً أي يكون بعد عذاب غيرهم مرتين لأنهم
ضلوا وأضلوا لأنهم سنوا الضلال ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من يعمل بها إلى يوم القيامة ومنه لا تقتل
نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل ثم أكد رأسه العذاب بقولهم من النار ولما كان كأنه
لقد قالوا ما له وجه ثم أجيبوا قيل قال أي مجيباً لهم لكل أي من السابق واللاحق والمتبوع والتابع ضعف قال لم يكن ه
الضعفان متساويين لأن المتبوع وإن كان سبباً لضلال التابع فالتابع أيضاً كان سبباً لتمادي المتبوع في ضلاله وسعة
شكيمته فيه بتقويته بالاتباع وتأييده بالمناضلة عنه والدفاع ولما كانوا جاهلين باستحقاقهم الضعف لسبب هذه الدقيقة
قال ولكن لا تعلمون أي ذلك ولما ذكر كلام الآخرين على الأولين عطف عليه جواب الأولين فقال
وقالت أولاهم أي أولى العرف والأمم لأخراهم مستنين عن تسببهم لهم الضلال ودعائهم إليه فما كان لكم علينا أي بسبب
انقيادكم لنا واتباعكم في الضلال من فضل أي لم يحمل عنا بسببه شيئاً من العذاب لأنه لم يبعد علينا من ضلالكم نعم وقد شاركتمونا
في الكفر فذوقوا أي بسبب ذلك العذاب في سجين بما أي بسبب ما كنتم تكسبون لا بسبب اتباعكم لنا في الكفر
ولما جرت العادة بأن أهل الشدائد يتوقعون الخلاص أخبر بأن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم أنجاس فليسوا أهلاً للمواطن
الأقداس فقال مستأنفاً الجواب من كأنه قال أما لهؤلاء خلاص وأظهر موضع الإضمار تعميماً وتعليقاً للحكم
بالوصف إن الذين كذبوا بآياتنا أي وهي المعروفة بالعظمة بالنسبة إلينا واستكبروا عنها أي وأوجدوا الكبر متجاوزين
عن اتباعها لا تفتح لهم أي بصعود أعمالهم ولا دعائهم ولا أرواحهم ولا لنزول البركات عليهم أبواب السماء لأنها
طاهرة عن الأرجاس الحسية والمعنوية فإذا صعدت أرواحهم الخبيثة بعد الموت مع ملائكة العذاب أغلقت الأبواب
دونها ثم ألقيت من هناك إلى سجين ولا يدخلون الجنة أي التي هي أطهر المنازل وأشرفها حتى يكون ما لا يكون بأن يلج أي يدخل
ويحول الجمل على كبره في سم أي خرق الخياط أي الإبرة فهو تعليق على محال فإن الجمل مثل في عظم الجرم عند العرب
وسم الإبرة مثل في ضيق المسلك يقال أضيق من خرت الإبرة ومنه الماء الخريت للدليل الذي يهتدي في المضايق المشبهة
بأخراتيه الإبر وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالاً للسائل والإشارة إلى أنه
طلب معنى آخر غير هذا الظاهر ولما كان هذا للمكذبين المستكبرين أخبر أنه لمطلق القاطعين أيضاً فقال وكذلك أي ومثل ذلك
الجزاء بهذا العذاب وسواء دخولهم الجنة بمحال عادة نجزي المجرمين أي القاطعين لما أمر الله به أن يوصل وإن
كانوا إذ ذاك أنا مقلدين للمستكبرين المكذبين ثم فسر جزاء الكل فقال لهم من جهنم مهاد أي فرش من تحتهم جمع مهد
ولعل لم يذكره لأن المهاد كالصريح فيه ومن فوقهم غواش أي أغطية جمع غاشية تغشيهم من جهنم وصرح في هذا بالفوقية
لأن الغاشية ربما كانت عن يمين أو شمال أو كانت بمعنى مجرد الوصول والإدراك ولعله إنما حذف الأول لأن الآية من احتباك
تدعيهم أولاً دليلاً على إرادتها ثانياً وذكر الفوق ثانياً دليلاً على إرادة التحت أولاً ولما كان بعضهم ربما لا يكون
له أهلية قطع ولا وصل قال عاماً لجميع أهل أنواع الضلال وكذلك أي ومثل ذلك الجزاء نجزي الظالمين
ليعرف أن المدار على الوصف والمجرم المذنب ومادته ترجع إلى القطع والظالم الواضع للشيء في غير
موضعه كفعل من يمشي في الظلام ويجوز أن يكون نبه سبحانه بتغاير الأوصاف على تلازمها فمن كان
ظالماً لزمه الإجرام والتكذيب والاستكبار وبالعكس ولما أخبر عن أحوالهم ترهيباً أتبعه الإخبار عن
أحوال المؤمنين ترغيباً فقال والذين آمنوا في مقابلة الذين كذبوا ولما قال وعملوا أي تصديقاً
لإيمانهم في مقابلة الذين استكبروا الصالحات وكان ذلك مظنة لتوهم أن عمل جميع الصالحات لأنه جمع محلى
بالألف واللام شرط في دخول الجنة حل ذلك بجملة اعتراضية تدل على التخفيف فقال لا نكلف نفساً إلا وسعها

وترغيبا في الغياب بما لا يوصف من النعيم بما هو في الوسع اولئك اي العالوا الرتب اصحاب الجنة ولما كانت الصحبة تدل
على الدوام صرح به فقال هم فيها خالدون ولما كانت الدار لا تطيب الا بحسن الجوار قال ونزعنا اي بما لنا من العظمة
التي لا يعجزها شي ما كان في الدنيا في صدورهم من غل اي ضغينة وحقد وغش من بعضهم على بعض بغل اي يدخل ه
بلطفه الى صميم القلب. ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى الذنوب الدقيقة. وتغال غل بالشي وتغلغل فيه
اذا دخل فيه بلطافة كالحب يدخل في صميم الفؤاد حتى ان صاحب الدرجة السافلة لا يحسد صاحب العالية. ولما كان
حسن الجوار لا يطيب القرار الا باحكام الدار وكان الما سبب العمارة وطيب المنازل وكان الجاري منه اعم نفعا
واشد استجلابا للسرور قال تعالى تجري من واشار الى علوهم بقوله تحتهم الانهار فلما تمت لهم النعمة بالما الذي
به حياة كل شي فعرف انه يكون عنه الرياض والاشجار. وكل ما به حسن الدار اخبر عن تعاطيهم الشكر لله
ولرسوله المستجلب للزيادة بقوله وقالوا الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال لله اي المحيط بكل شي علما وقدرة
لذاته لا لشي اخر. ثم وصفوه بما يقتضي ذلك لدلالته اوصافه ايضا فقالوا معلمين انه لا سبب
لهم في الوصول الى النعيم غير فضله في الاولى والاخرة الذي هدانا اي بالبيان والتوفيق واوقفوا الهداية
الى ما وصلوا اليه اطلاقا للسبب على المسبب فقالوا لهذا اي للعمل الذي اوصلنا اليه وما اي والحال انا كنا لنهتدي ه
اصلا لشاجلابنا على خلاف ذلك لولا ان هدانا الله اي الذي له الامر كله. وقراة ابن عامر بغير واو على ان الجملة موضحة لما قبلها
والقراتان ذائعتان للتعدية. ولما كان تصديقهم للرسل في الدنيا ايمانا بالغيب من باب علم اليقين اخبروا في الاخرة
بما وصلوا اليه من عين اليقين سرورا وتبجحا لا تعبدا وثناء على الرسل ومن ارسلهم بقولهم مقسمين بحرف التوقع لانه محله
لقد جاءت رسل ربنا اي المحسن الينا بالحق اي الثابت الذي يطابقه الواقع الذي لا زوال له. ولما كان السار الاخبار
عن الايراث فلما غبطوا انفسهم وحمدوها وانبتوا الفضل لاهله عطف على قولهم فقوله ما نا عليهم بقبول اعمالهم
ولما كان السار الاخبار عن الايراث لا كونه من معين بني للمفعول قوله ونودوا اي اتماما للنعيم ان هي المخففة من
الثقيلة وهي المفسرة تلكم الجنة العالية اورثتموها اي صارت اليكم بغير تعب ولا منازع بما اي بسبب ما كنتم تعملون
لانه سبحانه جعله سببا ظاهرا لكرمه. والسبب الحقيقي هو ما ذكروه هم من توفيقه. ولما استقرت لهم الدار ه
ونودوا بدوام الاستقرار اخبر سبحانه انهم اقبلوا متبجحين على اهل النار شامتين بهم في احلالهم دار البوار
تلذذا لانفسهم بالنعيم وتكديرا على الاشقيا في قوله ونادى اصحاب الجنة اي بعد دخول كل من الفريقين
الى داره اصحاب النار يخبرونهم بما اسبغ عليهم من النعم ويقررونهم بما كانوا يتوعدونهم به من حلول النقم ثم
فسر ما وقع له النداء بقوله ان وهي مخففة من الثقيلة وذكر حرف التوقع لانه محله فقال قد وجدنا اي بالعيان
كما كنا واجدين له بالايمان ما وعدنا ربنا اي المحسن الينا بالدارين من الثواب حقا اي وجدنا جميع ما وعدنا وكنا ربنا
حقا كما كنا نعتقد فهل وجدتم كذلك ما وعد واثبت المفعول الاول في الاول تلذذا وحذفه هنا اعتقادا
للمخاطبين وليشمل المقربين. فيكون وجد بمعنى العلم. وبمعنى اللقي. وفي التعبير بالوعد دون الوعيد مع ذلك
تهكم بهم ربكم اي الذي احسن اليكم فقابلتم احسانه بالكفران من العقاب حقا لكونكم وجدتم ما توعدكم ربكم
حقا قالوا نعم اي قد وجدنا ذلك كله حقا. قال سيبويه نعم عدة اي في جواب انعطيني كذا وتصديق
في مثل قد كان كذا والاية من الاحتباك اثبت المفعول الثاني اولا دليلا على حذف مثله ثانيا وحذفه ثانيا دليلا على حذف
مثله اولا والله اعلم. ولما حبوا من النعم ما تقدم. وكان منه الجار الحسن. وكان العيش مع ذلك لا يهنا الا بابعاد
جار السوء تحيروا بابعدهم وزيدوا سرورا باهانتهم في قوله فاذن اي بسبب ما اقربه اهل النار على انفسهم
موذن بينهم اي بين الفريقين ان مخففة او مفسرة في قراة نافع وابي عمرو وعاصم وشددها الباقون
ونصبوا لعنة الله اي طرد الملك الاعظم والعادة على وجه الغضب على الظالمين اي الذين كانوا مع البيان الواضح
يضعون الاشيا في غير مواضعها كالذين لم يروا نورا اصلا الذين يصدون اي لهم فعل الصد لمن اراد الايمان
ولمن امن ولغيرهما بالاضلال بالارغاب والارهاب والمكر والخداعة عن سبيل الله اي طريق دين الملك الذي ه
لا كفو له الواضح الواسع ويبغونها اي يطلبون لها عوجا بالقا الشكوك والشبهات وقد تقدم
ما فيه في آل عمران وهم بالاخرة كافرون اي ساترون ما ظهر لعقولهم من ذلك ثم فتى وجدت هذه
الصفات الاربع حقت اللعنة وبينهما اي وحال للفريقين عند هذه المناداة ابنهما او بين الدارين ه
حجاب اي سور لئلا يجد اهل النعيم في دارهم ما يكدر نعيمها وعلى الاعراف جمع عرف وهو كل عال وهو مرتفع لانه
يكون اعرف مما انخفض وهي الشرفات من ذلك الحجاب رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم فوقفوا
هنالك حتى يقضي الله فيهم ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته كما جا مفسرا في مسند بن ابي خيثمة من حديث جابر
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يعرفون كلا اي من اصحاب الجنة واصحاب النار قبل دخول

كل منهم دارة بسيماهم اي علامتهم ونادوا اي اصحاب الاعراف اصحاب الجنة اي دخولهم اليها واستقرارهم فيها
ان سلام عليكم اي سلامة وامن من كل ضار. ولما كان هذا السلام ربما اشعر بانه بعد دخولهم اهل الاعراف
الجنة فكانه قيل الا انكم تداولوا بعد مقارنتهم الاعراف في دخولها فقيل لا لم يدخلوها اي الجنة بعد وهم اي والحال
انهم يطمعون في دخولها. وعبر بالطمع لانه لا سبب للعباد الا الله في نفسهم. وان كانت لهم اعمال افضلا
عن سوى الذين لا اعمال لهم. ولما ذكر ما لهم علم انهم مقبلون على الجنة والملها. قال مبرغا منهم واذا
صرفت بناه للمفعول لانه لم تحقق لهم الصرف الا بصرف صارف ابصارهم اي حرصا بها ضي قبل الله نعبد فتشال
منهم تلقا اي وجاه اصحاب النار اي بعد استقرارهم بها قالوا اي اصحاب الاعراف ذاكرت
كونهم لم يدخلوا الجنة وهم يخافون مستعيذين ربنا ايها المحسن الينا في الدنيا بالاحسان وفي الاخرة
بكوننا لم ندخلنا لهذا الوقت النار لا تجعلنا مع القوم الظالمين بان تدخلنا مدخلهم. ولما تقدم الاخبار باهل
الجنة بالسلام اخبر بانهم يخلون اهل النار بالتوبيخ والملام فقال ونادى اصحاب الاعراف
اي خاصة من وجوههم الجنة اهل النار رجالا اي من اهل النار يعرفونهم بسيماهم اي باعيانهم. ولما تمعر فيهم بانها كانت دم
وانهم قالوا هنا ما اغنى عنكم جمعكم اي في الدنيا وما كنتم تستكبرون اي تكرهون ومع ما كانوا حجوا فقالوا
نقتلوا واستخفوا بتوبيخ ونفرنا بهم بما كانوا يعادون ومبالغتهم في الجمع والسواد الوجوه وغطا الخشوع
وتتوعدونهم بانهم لا ينالهم الله برحمة الى حالهم وقلة التي وصلوا اليها واحاطتها بهم وتاسيسهم والانكار عليهم بقوله
مشيرين الى ناس كانوا يستضعفونهم من اهل الجنة ويحتقرونهم اهولا وكانه يكشف لهم عنهم حتى يزيدهم زيادة
في عذابهم الذين اقسمتم اي في الدنيا لا ينالهم الله اي الذي له صفات الكمال برحمة فكيف بهما في الرحمة. ولما كان الفرح
بامرهم بدخول الجنة انكا لاهل النار لانه انبى لما اقسموا عليه قالوا ادخلوا اي قال الله لهم او قال بعض قبله ادخلوا
الجنة لا خوف عليكم اي من شي تتوقعونه اذاه ولا انتم تحزنون اي يتجدد حزن في وقت من الاوقات على شي فات لما عندكم
من الخيرات التي لا تدخل تحت الوصف. ولما تقدم ندا اصحاب الجنة عند ما حصل لهم السرور بدخولها لاصحاب النار
بما يونهم ويبكيهم وختم بهذه الرحمة التي يطمع المحروم مرتح ما يسر ويرتجي اخبران اصحاب النار ينادون اصحاب الجنة عند ما حصل
لهم من الغم بدخولها لكن بما شانه ان يرقق ويبكي فقال ما يدل على ان الله عندهم كل ما نفي عن اهل الجنة في ختام الاية السالفة من الخوف
والحزن ونادى اصحاب النار اي بعد الاستقرار اصحاب الجنة بعد ان عرفهم اياها. وامر الجنة فتذكرت فكان
ذلك زيادة في عذابهم ثم فسر المناديه فقال ان افيضوا علينا من الما اي لانكم العلي منا فاذا افضتموه
وصل الينا. وهذا من فرط ما هم فيه من البلا. فان بين النار وبين الجنة امورا لا افراز لها ولا يمكن وصول شي من الدارين
الى الاخرى منهما. ولما كانت الافاضة تتضمن الانزال قالوا او انزلوا علينا مما رزقكم الله اي الملك الغني المطلق
من اي شي هان عليكم انزاله قالوا اي اصحاب الجنة ان الله اي جامع العظمة حرمهما اي منعهما بتلك الامنية وغيرها
من المتوانع على الكافرين اي الساترين لما دلهم عليه قويم العقل. وصريح النقل الذين اتخذوا اي تكلفوا
عنى ما دلهم عليه العقل الفطري حين نبه بالعقل الشرعي بان اخذوا دينهم بعد ما تحققوا صورته وحقيقته كما يحق
الطالب اذا اتخذه خرقا فصار الدين لهوا اي اشتغالا بما من شانه ان يشغل ويلهي عن كل ما ينبغي من الامور المحبة
للنفس من غير نظر في عاقبته فجوزوا من جنس عملهم بان لم ينظر لهم في اصلاح العاقبة. ولما قدم ما هو ادعى الى الاجتماع
على الباطل الذي هو ضد مقصود السورة من الاجتماع على الجد وادعى الى الغفلة. وكان من شان الغفلة عن الحزم
ان تجر الى انحلال الافراغ والاهمال في الهوى حقق ذلك بقوله ولعبا اي اتيانا على خلط السرور. وبعظم الوقت
الحاضر بالغرور. ولذلك اتبعه قوله وغرتهم اي في فعل ذلك الحياة الدنيا اي بما فيهما من الاعراض الزايلة من امله
طول العمر والبسط في الرزق ورغد العيش حتى صاروا بذلك يخجوبين عن نظر معانيها. وعماد غالية تعالى من الاعراض
عنها فلم يحسبوا حساب ما وراها. ولما كان تركهم من رحمته سبحانه موبدا اسقط الجار فقال فاليوم اي ه
فيتسبب عن ذلك انا في هذا اليوم ننساهم اي نتركهم ترك المنسي كما فعلوا بانفسهم بان نسوا اي تركوا
لقا يومهم هذا فلم يعدوا له عدته وما كانوا اي جبلة وطبعا باياتنا على ما لها من العظمة بنسبتها الينا
يجحدون اي ينكرون وهم يعرفون حقيتها لانها في غاية الظهور. والمذكرينسيانهم. وجحودهم ذكر حالهم
عند ذلك فقال ولقد اي فعلوا ذلك. والحال انا وعزتنا قد جيناهم اي على عظمتنا بانبيائهم رسلنا اليهم عنا
بكتاب ليس هو موضعا للجحد اصلا تحريض ذلك في سياق مرغب للموالف. مرهب للمخالف. فقال تعالى
فصلناه اي بيناه معانيه لم ندع فيها لبسا. وجعلنا لاياته فواصل حال كون ذلك التفصيل على علم اي عظيم
فجاء معجزا في نظمه ومعناه. وسائر علمه ومغزاه. وحال كونه هدى اي بيانا ورحمة اي اكراما ثم خص المنتفعين به
لان من لا ينتفع بالشي فهو كالمعدوم في حقه فقال لقوم يومنون اي فيهم قابلية ذلك. وفيه رجوع الى وصف الكتاب

الذي هو احد مقاصد السورة على ابدع وجه في احسن اسلوب • ولما وصف الكتاب وذكر المنتفع به تشوفت
النفس الى السؤال عن حال من لا يؤمن به وهم الجاحدون فقال منبها الى ان حالهم في وقوفهم عن المتابعة
بعد العلم بصدقه بعجزهم عنه كحال من ينتظر ان ياتي مضمونه وعيده هل ينظرون اي ينتظرون
ولكنه لما لم يكن لهم قصد في ذلك بغير ما نعمه الحال جرد الفعل والافادة انه لتحقيق اتيانه في غاية
القرب حتى كانه مشاهد لهم الا تاويله اي تصير ما فيه من وعد ووعيد الى مقاره وعواقب امره التي اخبر انه يصير
اليها • ولما كان كانه قيل ما يكون حالهم حال فقال التحسر والاذعان حيث لا ينفع والتصديق والايمان حيث لا يقبل
وعبر عن ذلك بقوله يوم ياتي تاويله اي بلوغ وعيده الى مبلغه في الدنيا او في الاخرة • ولما قدم اليوم اهتماما به
اتبعه العامل فيه فقال يقول الذين نسوه اي تركوه ترك المنسي • ويجوز ان يكون عد ذلك نسيانا لانه
ركز في الطباع ان كل ملك لا بد له من عرض جنده ومحاسبتهم • فلما اعرضوا عن ذلك وفيما هو من جانب الله عد نسيانا بنهم
لما ركز في طباعهم • ولما كان نسيانهم في بعض الزمان السابق ادخل الجار فقال من قبل اي قبل كشف الغطا محققين للتصديق
قد جاءت اي فيما سبق من الدنيا رسل ربنا اي المحسن الينا بالحق اي المطابق لهذا الواقع الذي نراه بما كانوا يتوعدوننا به
فما صدقوا حتى راوا فلم يومنوا بالغيب ولا اوقعوا الايمان في دار العمل فلذا لم ينفعهم • ولما وصفوه سبحانه
بالاحسان لما كشف الحال عنه من حلمه وطول اناته سببوا عن ذلك قولهم فهل لنا من شفعا اي في هذا اليوم وكانهم
جمعوا الشفعا لدخولهم في جملة الناس في الشفاعة العظمى لفصل القضا ثم سببوا عن ذلك فقالوا فيشفعوا
لنا اي سوا كانوا من شركائنا الذين كنا نرجو فيهم النفع او من غيرهم ليغفر لنا ما قدمنا من الجرايم او نرد اي الى ان
يغفر لنا الى الدنيا التي هي دار العمل والمعنى انه لا سبيل لنا الى الخلاص الا احد هذين الشيئين ثم سببوا عن جواب هذا
الاستفهام الثاني قولهم فنعمل اي في الدنيا غير الذي كنا اي بجبلاتنا بغير نظر عقلي نعمل لكن في الدنيا ولما كان من
المعلوم عند من صدق القران وعلم مواقع ما فيه من الاخبار انه لا يكون لهم شي من ذلك كان نتيجة قوله قد خسروا
انفسهم اي فلا احد اخسر منهم وضل اي غاب وبطل عنهم ما كانوا اي جبلة وطبعا لا يمكنهم الرجوع عنه الا عند
روية الباس يفترون اي يتعمدون في الدنيا من الكذب في امره لقصد العناد للرسل من ادعاء ان الاصنام تشفع لهم وغير
غير ذلك من اكاذيبهم • ولما كان مدار القران على تقرير الاصول الاربع • التوحيد • والنبوة • والمعاد • والعلم
وطال الكلام في اخباره سبحانه عن اوامره ونواهيه وافعاله باوليائه واعدائه الدالة على تمام القدرة والعلم
وختم بان شركاءهم لا تغني عنهم على ذلك بانه الرب لا غيره في سياق دال على الوحدانية التي هي اعظم مقاصد السورة
كمل باظهار الحجج عليهم • وعلى المقصد الثاني وهو الاعادة التي فرغ من تقرير احوالها بالابتدا الذي تقرر في العقول
انه اشد من الاعادة بادلة متكفلة بتمام القدرة والعلم فقال ان ربكم اي المحسن اليكم بالايجاد من العدم وتدبير
المصالح هو الله اي الملك الذي لا كفو له وحده لا صنم ولا غيره ثم وصفه بما حقق ذلك فقال الذي خلق السموات
والارض اي على اتساعهما وعظمهما • ولما كان ربما قال الكفار ما له اذا كان قادرا وانت محق في رسالتك لا يعجل
لنا الاتيان بما وعد ليبين ان عادته الاناة وان كان امره واحدة كلمح بالبصر اذا اراد فقال في ستة ايام اي في
مقدارها • ولما كان تدبير هذا الخلق امرا باهرا لا تسعه العقول • ولهذا كانت قريش تقول كيف يسع
الخلق اله واحد اشار الى عظمته وعلو رتبته باداة البعد فقال ثم استوى على العرش اي اخذ في التدبير لما اوجد
واحدث خلقه اخذا مستويا مستقصيا به مستقلا به ان هذا شان من ملك ملكا واخذ في تدبيره واظهاره لا منازع له في شي
منه ليكون خطاب الناس بما يعقلونه من ملوكهم ليستقر في عقولهم عظمته سبحانه • وركز في فطرهم الاولى من نفي
التشبيه • ويقال فلان جلس على سرير الملك وان لم يكن هناك سرير ولا جلوس • وكما يقال في ضد ذلك فلان ثل
عرشه اي ذهب عزه وانتقض ملكه وفسد امره فيكون هذا كناية لا يلتفت فيه الى اجزا التركيب • والالفاظ على ظواهرها
كقولهم للطويل طويل النجاد • وللكريم عظيم الرماد • ولما كان سبحانه لا يشغله شان عن شان ابتدا من التدبير
بما هو اية ذلك في تغطية الارض بظلامه في آن واحد • فقال دالا على كمال قدرته • المراد بالاستوا بامر يشاهد
كل يوم على كثرة منافعه التي جعل سبحانه بها انتظام هذا الوجود يغشي اي استوى حال كونه يغشي الليل النهار
قال ابو حيان وقرا حميد بن قيس يغشى الليل بفتح اليا وسكون الغين وفتح الشين وضم اللام كذا قال
عنه ابو عمرو الداني • وقال ابو الفتح بن جني عن حميد بنصب الليل ورفع النهار • قال ابن عطية وابو الفتح اثبت
هذا الذي ذكره من ان ابا الفتح اثبت كلام لا يصح اذ رتبة ابي عمرو الداني في القراءة وضبط رواياتها واختصاصه بذلك
بالمكان الذي لا يدانيه احد من ائمة القراءة فضلا عن النحاة الذي ليسوا مقريين ولا رووا القراءة عن احد ولا روى
عنهم القراءة احد هذا مع الديانة الزايدة والتثبت في النقل وعدم التجاسر ووفور الحظ من العربية • فقد
رايت له كتابا في ادغام ابي عمرو الكبير • وكتابا في كلا دالا على اطلاعه على ما لا يكاد يطلع عليه ائمة النحاة ولا المقريين

الى سائر تصانيفه • والذي نقله ابو عمرو الداني عن حميد امكن من حيث المعنى لان ذلك موافق لقراءة الجماعة اذ الليل في
قراءتهم وان كان منصوبا هو الفاعل من حيث المعنى اذ همزة النقل والتضعيف صيرته مفعولا ولا يجوز ان يكون
مفعولا ثانيا من حيث المعنى لان المنصوبين تعدى اليهما الفعل واحدهما فاعل من حيث المعنى • فيلزم ان يكون الاول
منهما كما لزم ذلك في ملكت زيدا عمرا اذ رتبة التقدم هي الموضحة انه الفاعل من حيث المعنى كما لزم ذلك في ضرب موسى
عيسى انتهى • ولما اخبر سبحانه ان الليل يغطي النهار دل على ان النهار كذلك بقوله مبينا لحال الليل يطلبه اي الليل يطلب النهار
دايبا طلبا حثيثا اي سريعا جدا لتغطيته الليل وذلك لان الشي لا يكون مطلوبا الا بعد وجوده • واذا وجد النهار كان مغطيا
لليل لانهما ضدان وجود احدهما ماح لوجود الاخر • وابتدا سبحانه بذكر الليل لان غشاه اولى بان يعد نقل الخلق وحركتهما
بواسطة حركة العرش ولذا ربطهما به وهي اشد الحركات سرعة واكملها شدة • وللشمس نوعان من الحركة احدهما بحسب ذاتها
تتم بقطع الدرج كلها في جميع الفلك وبسببه تحصل السنة • والثاني بحسب حركة الفلك الاعظم يتم في اليوم والليلة والليل
والنهار انما يحصلان بسبب حركة السماء الاقصى الذي يقال له العرش بسبب حركة النيرين • واجاز ابن جني ان يكون
يطلبه حالا من النهار في قراءة الجماعة وان كان مفعولا اي حال كون النهار يطلب الليل حثيثا ليغطيه وان يكون حالا
منهما معا لان كلا منهما طالب للاخر • وبهذا ينتظم ما قاله في قراءة حميد • فان كلا منهما يكون غاشيا للاخر • قال
في كتابه المحتسب في القراءات الشواذ • ووجه صحة القراءتين والتقا معنييهما ان الليل والنهار يتعاقبان • وكل
واحد منهما وان ازال صاحبه فان صاحبه ايضا مزيل له • وكل واحد منهما على هذا فاعل وان كان مفعولا ومفعول
وان كان فاعلا على ان الظاهر في الاستحثاث هنا انما هو النهار لانه بسفوره وشروقه اظهر اثرا في الاستحثاث
من الليل • ولما ذكر الملوين اتبعهما اياتهما فقال والشمس والقمر والنجوم اي خلقها او يغشي كل نير منها ما الاخرابه
حال كون الكل مسخرات اي السير وغيره بامره وبارادته وكلامه تقودها الملائكة كما روي ان لله ملائكة يجرون
الشمس والقمر • ولما صح ان جميع ما نراه من الذوات خلقه • وما نعلمه من المعاني امره انتج قطعا قوله الا له اي
وقدم المسبب على السبب ترقية كما هو مقتضى الحكم من المحسوس المعقول فقال الخلق وهو ما كان من الايجاد
بتسبيب وتنمية وتطوير • وقال الرازي فكلما كان جسما او جسمانيا كان مخصوصا بمقدار معين فكان من
عالم الخلق فعالم الخلق بتسخيره • وعالم الامر بتدبيره • واستيلا الروحانيات على الجسمانيات بتقديره
والامر وهو ما كان من ذلك اخراجا من العدم من غير تسبيب كالروح • وما كان حفظا وتدبيرا بالكلام كالهدى
وكل ما يلاحظ القيومية • وقال الرازي كل ما كان مبرا من الحجم والمقدار كان من عالم الامر • وعد الملكية من عالم
الامر • فانتج قوله قطعا على سبيل المدح الذي ينقطع دونه الاعلاق وتتقاصر دون علياه ذرى الافاق تبارك
اي ثبت ثبوتا لا ثبوت في الحقيقة غيره مع اليمن والبركة وكثرة الاثار الفاضلة • والنتايج الشريفة الله اي ذو الجلال
والاكرام • ولما دل على انه يستحق معنى الثنا لذاته دل على انه يستحقه لصفاته فقال رب العالمين اي مبدع ذلك كله ومربيه
خلقا وتصريفا بامره • وفي الجزء السادس من فوايد المخلص عن سفيان بن عيينة انه قال ما يقول هذه الدويبة
يعني بشر المريسي • قالوا يا ابا محمد يزعم ان القران مخلوق • فقال كذب • قال الله عز وجل الا له الخلق والامر
فالخلق خلق الله • والامر القران انتهى • وهذا الذي فسره مما تحتمله الاية بان يكون الامر هو المراد بقوله من
وهو الارادة • والكلام مع احتمال ما قدمته • ولما ذكر تعالى تفرده بالخلق والامر المقتضي لتفرده بالعبادة للتوجه
الى تحصيل المعارف النفسانية • والعلوم الحقيقية • امر بهذا المقتضي اللايق بتلك المعارف • وهو الدعا الذي
هو مخ العبادة فقال ادعوا ربكم اي الدايم الاحسان اليكم دعا عبادة وخضوع تضرعا اي تذللا ظاهرا وخفية
اي وتذللا باطنا • وقد اثنى على عبده زكريا عليه السلام فقال اذ نادى ربه ندا خفيا اي اجمعوا الى الخضوع الظاهر خضوع
الباطن اي اخلصوا له العبادة انه يحب المخلصين لان تفرده بان يدعى هو اللايق بمقام الربوبية • والتذلل على هذه
الصفة هو اللايق بمقام ذل العبودية • وهذا هو المقصود من الدعا لا تحويل العلم الازلي • وهو المقصود من جميع العبادات
فلهذا كان الدعا مخ العبادة • وقد جمع هذا الكلام على وجازته كل ما يراد تحقيقه وتحصيله من شرايط الدعا بحيث انه لا مزيد
عليه • ومن فعل خلاف ذلك فقد تجاوز الحد والى ذلك اوما بتعليله بقوله انه لا يحب المعتدين اي المتجاوزين لما امروا به
في الدعا وغيره قالوا فالمعنى ان من ترك هذا لا يحبه الله اي لا يثيبه البتة ولا يحسن اليه فالاية من الاحتباك اخرها يدل
على حذف ضده من صدرها • وصدرها يدل على انه حذف قبل الاخر ولا تتركوا الاخلاص فتكونوا معتدين • ولما كان
ذلك من الوفا بحق الربوبية والقيام بحق العبودية مقتضيا للاصلاح امر باد امته بالنهي عن ضده في قوله ولا تفسدوا
اي لا توقعوا افسادا في الارض اي بالشرك والظلم وهو منع من ايقاع ماهية الافساد في الوجود • وذلك يقتضي
المنع من جميع انواعه فيتناول الكليات الخمس التي اتفقت عليها الملل • وهي الاديان والابدان والعقول والانساب والاموال
بعد اصلاحها والظاهر ان الاضافة بمعنى اللام وهي اضافة الى المفعول اي لا تفسدوها بفساد بعد ان اصلحها لكم خلقا بما سوى

لان العبد لا بد عن الادب مستحضر من نعمه الذنب والضعف ومن ربه العلم والصحة والحاجة ... والعظمة ... وهذا جمع ... التعبد

بها من المنافع المشار اليها بقوله يغشي الليل النهار لاية الدالة على الوحدانية الداعي الى الحق اقامة للاديان وامرا عما انزل من كتبه على السنة رسله عليهم الصلاة والسلام اقامة للاديان • تجمع الى الايجاد الاول لا بعث الاول • ولما كان ذلك ربما اقتضى الاقتصار بكمالة التذلل على مقام الخوف نفى ذلك بقوله وادعوه خوفا اي من عدله • ولما كان لا سبب للعباد من انفسهم في الوصول اليه سبحانه غير بالطمع فقال وطمعا اي في فضله • فان من جمع بين الخوف والرجا كان في مقام الاحسان • وكانه يشاهد للرحمن مازجره زاجر الجلال بسياط سطوته الا دعاه داعي الجمال الى بساط رافته • ومن حاز مقام الاحسان كان اهلا للرحمة ان رحمة الله اي اكرام ذي الجلال والاكرام لمن يدعوه على هذه الصفة • وتحمل التذكير لاضافتها الى غير مونث فيما قال سيبويه فقال قريب وكان الاصل منكم • ولكنه اظهر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال من المحسنين ولما كان دوام الصلاح لا يكون الا بالغيث • وهو من اجل انواع الرحمة لا يكون الا بالسحاب • وهو لا يكون الا بالريح • قال تعالى عطفا على ان ربكم الله تنبيها بابتدا على تحقيق المبدا على تحقق المعاد وهو اي لا غيره الذي يرسل اي بالتحريك الرياح هذا في قراءة الجماعة وانواعها خمس • جنوب • وشمال • وصبا • ودبور • ونكبا • وهي كل ريح انحرفت فوقعت بين ريحين ووحدابن كثير • وحمزة • والكساي على ارادة الجنس نشرا بضمتين في قراءة اهل الحجاز • والبصرة اي منتشرة جمع نشور من النشر • وهو بسط ما كان مطويا وتفريقه في كل وجه لا لذات الريح بل الدام ذلك منها ولا بقوة فلك او نجم لان نسبتها الى الهوا واحدة بين يدي اي قبل رحمته اي المطر كما كان على قوم نوح • ثم غيا الارسال بقوله حتى اذا اقلت سحابا اي حملتها لقلتها عندها الخفها عليها ثقالا اي بالما ولما دل على الثقل بالجمع • وحقق الامر بالوصف افرد على اللفظ دلالة على عادته المحكمة لسوقه مجتمعا كانه قطعة واحدة لا يفرق جزء منه على سايره اذ لو تفرق لاختل امره فقال سقناه لبلد اي لاجله ميت اي لعدم النبات فانزلنا اي بما لنا من العظمة به اي بالبلد او بسبب ذلك السحاب الماء في هذا الجنس واشار الى عظمة الانبات بالنون فقال فاخرجنا به اي بالما من كل الثمرات اي الحقيقية على الاشجار في البحار والنبات وحبوبه ولما كان هذا مع ما فيه من التذكير بالنعمة المقتضية لتوحيده بالدعوة دليلا ثانيا في غاية الدلالة على القدرة على البعث قال تعالى كذلك اي مثل ما اخرجنا هذا النبات من الارض بعد ان لم يكن نخرج الموتى اي من الارض بعد ان صاروا ترابا لعلكم تذكرون اي فلتشاهد لتكون حالكم حال من يرجى تذكره بهذه الاية الشاهدة القريبة الماخذ • ولو على ادنى وجوه التذكر بما اشار اليه الادغام لانه سبحانه كما قدر على اعادة النبات بجمع الماء من جوف الارض بعد ان كان تفتت في الارض وصار ترابا • واحيى الشجرة بعد ان كانت لا روح لها بابداع الثمرة التي هي روحها • فهو قادر على اعادة الاشباح وابداعها الارواح كما كانت اول مرة لانه لا فرق بين الاخراجين • ولما كان الموت مونثين حسا ومعنويا كما اشير اليه في الانعام في انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم • وانه اومن كان ميتا فاحييناه كان كانه قيل لا فرق في ذلك عندنا بين اموات الايمان واموات الابدان • فكما انا فاوتنا بين حوامل الاراضي بخلق بعضها جيدا وبعضها رديا كذلك فاوتنا بين عناصر الاناسي بجعل بعضها طيبا وبعضها خبيثا فالجيد العنصر سهل ايمانه والخبيث الاصل يعسر اذعانه وبعد استقامته وايقانه والبلد الطيب اي الذي طابت ارضه فكانت كريمة منبتة يخرج نباته اي اذا انزل عليه الماء حزو جاكثيرا حسنا سهلا غزيرا باذن ربه اي بتمكين المكرم له • والذي طاب في الجملة ولم يصل الى الغاية يخرج له نبات دون ذلك • والخبيث لا يخرج له نبات اصلا بمنع ربه له والذي خبث اي حصلت له خباثة في جبلته بكون ارضه سبخة او نحوها بما لم يمنعه الله تعالى للانبات لا يخرج اي نباته الا حال كونه نكدا اي قليلا ضعيفا لمنفعته ومع كونه دالا على ان ذلك ما كان على ما وصف مع استوا الاراضي في الاصل واستوا المياه ونسبتها الى الافلاك والنجوم الا بالفاعل على المختار تمثيل ضربه سبحانه للمومن والكافر عند سماعهما للذكر من الكتاب والسنة والاية من الاحتباك • ولما استوت هذه الايات على الذروة من بدايع الدلالات كان السامع جديرا بان يقول على من صنع الايات هذا البيان فقيل كذلك اي نعم مثل هذا التصريف وهو الترديد مع اختلاف الانحاء واختلاف الدلالات فابرازها في قوالب الالفاظ الفايقة • والمعاني الرايقة • في النظوم المعجزة التي لا تكاد تدخل تحت الحصر نصرف الايات اي كلها • ولما تم هذا على هذا المنهاج الغريب • والنوال العجيب • المذكر بالنعم في اسلوب دال على التفرد وتمام القدرة كان انسب الاشيا ختمه بقوله مخصصا بالمنتفع لانهما بالنسبة الى غيرهم كانها لم توجد لقوم يشكرون اي يوجد منهم الشكر للنعم وجودا مستمرا فلا يشركون بل يستغفون بما انعم عليهم به وجذبه في عبادته وحده وينظرون بعقولهم انه اقدرهم بنعمه على ما هم عاجزون عنه فلا يستبعدون عنه شيا من قدرته على بعث ولا غيره • فانهم يزعمون انهم اهل معالي الاخلاق التي منها انه ما جزا الاحسان الا الاحسان ولما طال تهديده سبحانه لمن اصر على فساده • ولم يرجع عن غيه وعناده • بمثل مصارع الاولين • وبما للماضين ونوع في هذه الايات • محاسن الدلالات • على التوحيد والمعاد بوجوه ظاهرة • وبينات قاهرة • وبراهين قاطعة • وحجج ساطعة • ساق سبحانه تلك القصص دليلا حسيا على ان في الناس الخبيث والطيب مع الكفالة بالدلالة • على تمام القدرة • والعبرة • من الشرك على تلك الحضرة • بتفصيل احوال المرسلين للاشارة الى الملائكة • وبيان

مضارعهم

مصارعهم • وانه لم تغن عنهم قوتهم شيا • ولا كثرتهم بقوله تعالى وكم من قرية اهلكناها الاية • وقوله فاذا جاء اجلهم فلا هم يستاخرون ساعة الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم • وتقوية لصالحي اتباعه بالتنبيه على ان الاعراض عن الايات ليس من خواص هذه الامة • بل هو عادة الامم السالفة • وعلى ان النعم خاصة بالشاكرين • ولذا كانت النعم مقصورة على الكافرين فقال تعالى لقد ارسلنا اي بعظمتنا وافتتحه بحرف التوقع لما للسامع الفطن من التشوف الى ذكره لما تكرر من الاشارة اليه • ولان اللام المجاب بها القسم المحذوف لا ينطقون بها قالوا الا مقترنة بقد لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم نوحا يعني ابن لمك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس عليه السلام • وكان عند الارسال ابن خمسين ولما كان ارساله صلى الله عليه وسلم قبل تفرق القبايل باختلاف اللغات قال الى قومه اي الذين كانوا ملي الارض كما في حديث الشفاعة في الصحيحين وغيرهما عن انس رضي الله عنه انتوا نوحا اول نبي بعثه الله الى اهل الارض • وفيهم من القوة على القيام بما يريدون ما لا يخفى على من تامل اثارهم • وعرف اخبارهم • فقد حصل المراد وان كانت لمن بعدهم على حكم قياس الاستقرا انهم اقوى على مثلها واعلى منها • وسوق ذلك دليلا على ما ذكرنا تجردا عن ادوات العطف وهو مع ذلك كله منبه على ان جميع الرسل منطبقون على الدعوة الى ما دل عليه برهان ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض من التوحيد • والصلاح الى غير ذلك من بحور الدلايل والحجاج • المتلاطمة الامواج • والله الهادي الى سبيل الرشاد • وكون نوح عليه السلام رسولا الى جميع اهل الارض لانهم قومه لوحدة لسانهم لا يقدح في تخصيص نبينا صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة الى جميع الاقوام المختلفة باختلاف الالسن • والى الجميع من نبوس من الانس والجن والملائكة • وسياتي ان شا الله تعالى في سورة الصافات لهذا مزيد بيان • ولما كان من المقاصد العظيمة الاعلام بان الذي دعا اليه هذا الرسول لم تزل الرسل على جميعهم افضل الصلاة والسلام • والتحية والاكرام • تدعوا اليه وكان نوح اول رسول • ذكرت رسالته عقب ذكر رسالة من ذكر ما ارسل اليه بالفا بقوله فقال يا قوم يجب لهم هذه الاضافة اعبدوا الله اي الذي له جميع العظمة من الخلق والامر • فانه مستحق لذلك • وقد كلف عباده • ولما كان المقصود افراده بذلك علله بقوله موكدا باثبات الجار ما لكم واغرق في النفي فقال من اله غيره ثم قال معللا او مستانفا تخوفا موكدا لاجل تكذيبهم اني اخاف عليكم في الدنيا والاخرة ولعله قال هنا عذاب يوم عظيم وفي هود اليم • وقال في المومنون افلا تتقون لان ترتيب السور الثلاث وان كان الصحيح انه باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم فلعله جا على ترتيبها في النزول لانها مكيات • وعلى ترتيب مقال نوح عليه السلام • فالان لهم المقال من حيث انه اوهم ان العظم الموصوف به اليوم لا يستلزم العذاب بل الامر اخر فيصير العذاب مطلقا مبهما واي عذاب كان ولو قل فلما تمادى تكذيبهم بين لهم ان عظمه انما هو من جهة ايلام العذاب الواقع فيه • فلما لجوا في عتوهم قال لهم قول النادر زاهدا عند المخالفة عنه ان لا يفعل ما اقول لك اني قد خالفت بعد هذا غاجلك بالعقاب وانت تعرف قدرتي • ولما تم ذلك وكان الحال مقتضيا لسماع ما نصب من الادلة الواضحة على الوحدانية لان يجيبوا بالتصديق كان كانه قيل فماذا كان جوابهم فقال قال الملا اي الاشراف الذين تملا العيون مراءيهم عظمة وتتوجه العيون في المحافل اليهم • ولم يصفهم في هذه السورة لان ذلك ادخل في التسلية لانها اول سورة قص فيها مثل هذا في ترتيب الكتاب ولان من امن به مطلقا كان تواجب من لم يومن في غاية القلة فكيف عند تسيدهم بالشرف • واكد فيهم تسلية لهذا النبي الكريم بالتعريف بعزهم منه في النسب بقوله • وقابلوا رقته واديه بغلظه موكدا ما تضمنته من البهتان لان حاله مكذب لهم فقالوا انا لنراك اي كل واحد منا يعتقد اعتقادا هو في الثقة به كالروية انك في ضلال اي خطا وذهاب عن الصواب هو ظرف لك يحيط بك مبين اي ظاهر في نفسه حتى كانه يظهر ذلك لغيره • ولما قذفوه بضلال مقيد بالوضوح نفى الضلال المطلق الذي هو الاعم • وبنفيه ينتفي كل احسانه بل نفى اقل شي من الضلال فقال تعالى مخبرا عنه قال يا قوم تجدد الاستعطاف ليس بي ضلالة فنفى وحدة غير معينة • ولا يصدق ذلك الا بنفي كل فرد فهو انص من نفي المصدر ولم يصف الملا من قومه هنا بالذين كفروا ووصفهم بذلك في سورة هود • اما لانهما صفة ذم لم يقصد بها التعبيد فلا تخل بالمعنى باثباتها ولا نفيها او لانهم اجابوا بذلك مرتين • احدهما قبل ان يسلم احد من اشرافهم • والثانية بعد ان اسلم بعضهم • ولما نفى ما رموه به على هذا الوجه البليغ اثبت عند ضده باشرف ما يكون من صفات الخلق • فقال مستدركا بعد نفي الضلال اثبات ملزوم ضده ولكني رسول اي اليكم بما امركم به فانا على اقوم طريق من رب العالمين اي المحسن اليهم بارسال الرسل لهدايتهم بانقاذهم من الضلال فرد الامر اليهم بالطف اشارة ثم استانف الاخبار عن وظيفته بيانا للرسالة فقال ابلغكم وكان ابواب كفرهم كانت كثيرة فجمع باعتبارها او باعتبار تعدد معجزاته او تعدد نوبات الوحي

لعله بعد ان اسلم

في الأزمان المتطاولة والمعاني المختلفة أو أنه جمع له ما أرسل به من قبله كادريس جده وهو ثلاثون صحيفة وشيث وهو خمسون صحيفة عليهما السلام فقال رسالات ربي أي المحسن إلي من الأوامر والنواهي وجميع أنواع التكاليف من أحوال الآخرة وغيرها لا أزيد فيها ولا أنقص منها كما شأن كل رسول مطيع. ولما كان الضلال من صفات الفعل أتى بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث في قوله وأنصح وقصر الفعل وذلك على تخصيص النصح بهم ومحضه لهم فقال لكم والنصيحة إرشاد إلى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه. ولما كان الضلال من الجهل قال وأعلم من الله أي من صفاته الذي له صفات الكمال وسائر شؤونه ما لا تعلمون أي من عظيم أخذه لمن يعصيه وغير ذلك مما ليس لكم فابذلوا لعلمي بغيه سعادتي بحذوه غني نصيحتي وأعلمي ولا تتركوه بنسبتي إلى الضلال من ذا الضلال. ولما كان الحاصل لهم على هذا مجرد استبعاد أن يختص عنهم بفضيلة وهو منهم كما سيأتي في هذه السورة أنكر ذلك عليهم بقوله أوعجبتم أي أكذبتم وعجبتم أن جاءكم وضمن جاء معنى نزل ولذلك جعلت صلته على فقال ذكر أي رسالة من ربكم أي المحسن إليكم بالإيجاد والتربية منزلا على رجل أي كامل في الرجولية وهو مع ذلك بحيث لا تتهمونه فإنه منكم لقولهم ما سمعنا بهذا أي إرسال البشر في آبائنا الأولين لينذركم لتحذروا وأما ينذركم به ولتتقوا أي تجعلوا بينكم وبين ما تحذرونه وقاية ولعلكم ترحمون أي وليكون حالكم إذا اتقيتم الله حال من ترجى رحمته بأن يفعله الله في الدارين. ولما نسبوه أولا إلى الضلال وهو قد يكون خطأ عن ذهول ونحوه فأقام لهم الدليل على أنه على الصواب أخبر أنه لم يتسبب عن ذلك إلا أنهم تحققوا أنه أو أبا الضلال من التكذيب فقال فكذبوه أي الملأ ومن تبعهم من دونهم. ولما تسبب عن تكذيبهم له تصديق الله له بإهلاكهم وإنجائه ومن آمن به قال مقدما لإنجائه اهتماما به فأنجيناه بما لنا من العظمة من أهل الأرض كلهم ومن عذابنا الذي أخذناهم به والذين معه أي بصحبة الأعمال الدينية في الفلك وهو السفينة التي من الله على الناس بتعليمه عملها لنجيه من الطوفان وكانت آية ومنفعة عظيمة لمن أتى بعدهم وأغرقنا أي بالطوفان وهو الماء الذي طبق ظهر الأرض فلم يبق منها موضعا حتى أحاط بهم وأظهر موضع الإضمار تعليقا للفعل بالوصف إشارة إلى أن من فعل مع الرسول شيئا فإنما فعله مع مرسله فهو محاربه بما يستحقه فقال الذين كذبوا بآياتنا أي وهي من الظهور في حد لا خفاء به لما لها من العظمة بالنسبة إلينا. وعدى هنا فعل النجاة بالهمزة وهي الأصل في التعدية وقرنت بالذين لأنه أخلص الموصولات وأصرحها. ولما أعيدت القصة في سورة يونس عليه السلام كان الأليق بكلام البلغاء والأشبه بطريق الفصحاء التفنن في العبارة فعدي بالتضعيف مع ما فيه من الأبلغية بإفهام مزيد الاعتناء مناسبة لما قدم من مزيد التفويض في قوله فأجمعوا أمركم وشركاءكم الآية ونقل من أصلها للفرع إلى الفرع فأتى بمشترك بين الوصل والشرط وهي أيضا تطلق على ما لا يتعلق فناسب ذلك الحال وزيد هنالك وصف الناجين وجعلناهم خلائف نظرا إلى قوله تعالى أول السورة ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا الآية ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون. فلوح لهم بالإهلاك إن ظلموا ثم أشار لهم في قصة نوح عليه السلام بكونه أعلمهم أن الخلائف هم الناجون الباقي ذكرهم وذريتهم إلى أنه تفضل عليهم بالتوفيق إلى الإجابة ورحمهم بهذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام فقضى أنهم غير مهلكين. ولما اقتضت القصة بنسبتهم له إلى الضلال باطلا وهو ناشئ عن عمى البصيرة أو البصر ناسب أن يعلل الأمر عليهم على وجه الحق فقال مؤكدا لإنكارهم ذلك إنهم كانوا أي لما في جبلتهم من العوج قوما عمين أي مطبوعين على عمى القلب مع قولهم فيما تجاولونه ثابت لهم ذلك بما أشار إليه فعل دون أن يقال عامين. وختمت القصة في يونس بقوله فانظر كيف كان عاقبة المنذرين لقوله أولها إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري أي إنذاري لأنه أعلم أنه كبر عليهم. ولو كان بتشبيه الأمر عليهم ولما كان عاد بعدهم ولم يكن هنا ما يقتضي تشويش الترتيب أتبعهم بهم مقدما المرسل إليهم ليفيد تخصيص رسالته بهم وهم بعض أهل الأرض فقال وإلى عاد أي خاصة أخاهم أي في النسب لأنهم عنه أفهم وبحاله في الثقة والأمانة أعرف. ولما عطف على نوح عليه السلام بعد تقديم المرسل إليهم بينه بقوله هودا بخلاف قوم نوح فإنهم كانوا جميع أهل الأرض لأن القبائل لم تكن فرقت الناس ولا الألسنة إذ كان لسان الكل واحدا وهم بعد لم يفرقوا الألسنة إلا بعد الصرح ولهذا عم الغرق جميع أهل الأرض فكان المعنى لا يختلف في قصة بتقديم ولا تأخير فناسب تقديم الرسالة والمرسل لأنه أهم. ولما كانت قصة نوح عليه السلام أول قصص الأنبياء مع قومهم ولم يكن للعرب عهد بمحاورات الأنبياء ومن يرسلون إليه فأتى فيها بالأصل أرسلناه فقال سياقا واحدا أخذا لمن هو فارغ الذهن من كل جزء من أجزائها أتت قصة هود عليه السلام بعد علم السامعين بقصة نوح عليه السلام بما وقع من تبليغه لهم وردهم عليه فلما ذكر رسالة تشوف السامع إلى أنه هل قال لهم كما قال نوح وهل ردوا عليه كرده

قومه

قومه أو كان الأمر بخلاف ذلك فأجيب سؤال المتشوف بقوله قال كقول نوح عليه السلام سواء يا قوم مذكرا لهم بأنه أحدهم يهمه ما يهمهم اعبدوا الله أي لاستحقاقه ذلك لذاته ثم علل أو استأنف بقوله ما لكم وأغرق في النفي فقال من إله غيره ولما كانوا عارفين بما أصاب قوم نوح قال أفلا تتقون أي أفلا تجعلون بينكم وبين عذاب هذا الواحد الجبار وقاية. ولما تشوف السامع إلى جوابهم بعد هذا الترغيب الممزوج بالترهيب أجيب بقوله قال الملأ أي الأشراف الذين يملؤون العيون بهجة والصدور رهبة. ولما كان من عاد قليلا بالنسبة إلى قوم نوح عليه السلام وكان قد أسلم من أشرافهم من له غناء في الجملة قيد بقوله الذين كفروا أي ستروا ما من حقه الظهور من أدلة الوحدانية ووصفوا تسلية لهذا النبي الكريم فيما يرى من جفاء قومه بأن مثل ذلك كان لإخوانه من الأنبياء بقوله من قومه أكدوا ما واجهوه به من الجفاء لأنهم عالمون بأن حالة في علمه وحكمه تكذبهم بقولهم إنا لنراك أي نعلمك علما متقنا حتى كأنه محسوس في سفاهة أي مظروفا لخفة العقل فهي محيطة بك من جميع الجوانب لا خلاص لك منها فلذا أدتك إلى قول لا حقيقة له فالتنوين للتعظيم وإن قيل بل للتحقير كأنهم توقفوا في وصفه بذلك كما توقفوا في الجزم بالكذب فقالوا وإنا لنظنك من الكاذبين أي المتعمدين للكذب وذلك لأنه كان عندهم علم من الرسل فتأباك بخالفهم من العذاب من قصة نوح عليه السلام ولم يكن العهد بعيدا. وأما قوم نوح فجزموا بالضلال وأكدوه بكونه مبينا لأنه لم يكن عندهم شعور بأحوال الرسل وعذاب الأمم قبل ذلك ولهذا قالوا ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين. فلما لم يكن كذلك فقد ورد في جواب قوم نوح في سورة هود مثل هذا وهو قوله بل نظنكم كاذبين. قلت قيل إنما كان هذا بأي الحال بعد أن نصب لهم الأدلة وأقام البراهين على صحة مدعاه وثارت حظوظ الأنفس بالجدال فإنه يبعد أن يكون قومه أجابوه بذلك أول ما دعاهم. فلو الأمر كذلك في قصة هود عليه السلام سواء فإنه لم يقل له ذلك إلا الكفار من قومه فتقييدهم بالوصف يدل على أنه كان فيهم من اتبعه بل وإن منهم كان من أشرافهم وتعبيرهم بالظن في الكذب لا زاد بهم أنه يكفي في وصفه بالسفاهة التي زعموها إقدامه على ما يحتمل عند ظنهم لكونه أو يكون قوله غير الحق في زعمهم مترددا بين أن يكون قاله عن تعمد أو جهل عليه ما رموه به من السفه من غير تأمل. ولما قابلوا البنية لهم وشفقته عليهم بهذه الغلظة أعرض عن ذلك وعاملهم من الحلم بضد ما وسموه به بأن قال معلما الأدب في مخاطبة السفهاء يا قوم مذكرا بما بينهم من النسب الداعي إلى الود والمناصحة والعطف والملاطفة ليس بي سفاهة فنفى أن يكون به شيء من خفة حلم فانتفى أن يكون كاذبا لأن الداعي إلى الكذب الخفة والطيش فلم يحتج إلى تخصيصه بنفي ولما نفى السفاهة أثبت ما يلزم منه ضدها بقوله ولكني رسول وبين المرسل تعظيما للأمر بكونه من رب العالمين أي المحسن إليهم بعد نعمة الإيجاد والأرزاق بإرسال الرسل إليهم ليكسوهم معالي الأخلاق التي بها انتظام نعمة الانقياد أبلغكم وجمع الرسالة لما تقدم في قصة نوح عليه السلام فقال رسالات ربي أي المحسن إلي بتعليمي ما لم أكن أعلم وتأهيلي لما لم يكن في حسابي. ولما كانوا قد رموه بالسفه الذي هو من غرائب النفس لأنه ضد الحلم والرزانة عبر عن مضمون الجملة النافية له بما يقتضي الثبات فقال وأنا لكم ناصح أي النصح من صفتي وليس هو مما تكتسبه بل هو غريزة في قد تلو بهوي فيه قبل الرسالة. والإظهار هذه المقالة ذمة مراد بها ... وزما ناطوبلا. ولما قالوا إنهم يظنون كذبه زادهم صفة الأمانة فقال أمين ولما كان نعرف ما يعتقدون من أمانته وعقله وفطن أنه ما حملهم على هذا الأمر العجيب من أن يطلع على ما لم يطلعوا عليه أنكر عليهم ذلك ذاكرا الباطنة حاملا لهم ملوحا بالعطف إلى التكذيب فقال أوعجبتم أي أكذبتم وعجبتم أن جاءكم ذكر أي شرف وتذكير من ربكم أي الذي لم يقطع إحسانه عنكم قط منزلا على رجل منكم أي عزه عزكم وشرفه شرفكم فما أنكرتم شيء لينذركم أي يحذركم ما من كان على ما أنتم عليه من وخامة العاقبة. ولما كان التحذير فاحذروا عطف عليه تذكيرهم بالنعمة مشيرا به إلى التحذير من عظيم النقمة بقوله واذكروا إذ أي حين جعلكم خلفاء أي فيما أنتم فيه من الأرض. ولما كان زمنهم متراخيا بعدهم أتى بالجار فقال من بعد قوم نوح أو يكون المحذوف ما اقتضاه الاستفهام في قوله أوعجبتم من طلب الجواب أي أجيبوا واذكروا أي ولا تبادروا بالجواب حتى تذكروا ما أنعم به عليكم وفيه الإشارة إلى التحذير بما وقع لقوم نوح أو يكون العطف على معنى الاستفهام الإنكاري في أفلا تتقون أوعجبتم أي اتقوا ولا تعجبوا واذكروا. أو يكون العطف وهو أحسن على اعبدوا الله. وقوله خلفاء قيل إنه يقتضي أن يكونوا قاموا مقامهم. ومن المعلوم أن قوم نوح كانوا ملء الأرض وإن عادا إنما كانوا في قطعة منها يسيرة وهي الشحر من ناحية اليمن فقيل إن ذلك لكون شداد بن عاد ملك جميع الأرض فكأنه قيل جعل جدكم خليفة في الأرض. ولو حصل الشكر لتمت النعمة فأطيعوا ليرد لكم من فضله. فقيل إن في قصة ثمود مثل ذلك ولم يكن فيهم من ملك الأرض كأرض عاد. فأجيب بما يطرد وهو أن عادا لما كانوا أقوى أهل الأرض أبدانا وأعظمهم أجسادا وأشدهم خلقا وأشرهم قبيلة وذكر أن سائر الناس لهم تبعا وكذا ثمود فيما أعطوه من القدرة على نحت الجبال ونحوها بيوتا. وعندي أن السؤال من أصله لا يرد فإذا بين قولنا فلان خليفة وفلان خليفة

من بعد فلان من الشرف ما لا يخفى فالمخلوف في الثاني لم يذكر . وكأنه قيل جعلكم خلفا لمن كان قبلكم في هذه الارض التي انتم بها . وخص قوم نوح وعاد بالذكر تذكيرا بما حل بهم من العذاب . ولهذا بعينه خص الله هذه الامم التي وردت في القرآن بالذكر . والا فقد كانت الامم كثيرة العدد . زائدة على الحد . عظيمة الانتشار . في سائر الاقطار . ومعلوم ان الله تعالى لم يترك واحدة منها بغير رسول . وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . وفي قصة هود في سورة الاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه . وله سر آخر وهو ان هذه الامم كان عند العرب كثير من اخبارهم . فتفصلت لهم اخواتهم . وطوى عنهم من لم يكن عندهم شعور بهم . فلم يذكروا الا اجمالا لئلا يتسارعوا الى التكذيب بما تنزلت فيهم من عند ذلك شهود ذي لئام عليهم . ولما ذكرهم مطلق الابقاء بعد ذلك الاغراق العام اتبعه التذكير بالزيادة فقال **وزادكم** اي على من قبلكم او وهو على من هو موجود في الارض في زمانكم **في الخلق** اي الخاص بكم **بسطة** اي في الحس بطول الابدان . والمعنى بقوة الاركان . قيل كان طول كل واحد منهم اثني عشر ذراعا . وقيل اكثر ولما عظمت النعمة كثيرة عليهم التذكير فقال مسببا عن ذلك **فاذكروا آلاء الله** اي نعم الذي عليكم بها من الاستخلاف في العتو وغيرهما واذكروا الله لا نعمة عندكم لغيره اصلا فصار مستحقا لان تخصوه بالعبادة **لعلكم تفلحون** اي لتكونوا حالكم حال من يرجى فلاحه وهو ظفره بجميع مراده لان الذكر موجب للشكر الموجب للزيادة ولما كان هذا منه موجبا ولا بد لكل سامع منصف المبادرة الى الاذعان لهذه الحجة القطعية وهو استحقاقه للافراد بالعبودية للتفرد بالانعام ازداد تشوف المخاطب الى جوابهم فاجيب بقوله **قالوا** منكرين عليه معتمدين على محض التقليد **اجئتنا** من عند من ادعيت انك رسوله **لنعبد الله** اي الملك **وحده** ولما كان هذا منهم في غاية العجب المستحق للانكار اشعروا ما هو كالعلة لانكارهم عليه فاد عاءهم اليه فقالوا **ونذر** اي نترك على غير صفة حسنة **ما كان يعبد اباؤنا** اي هو الطين على عبادته بما دلوا عليه بكان وصيغة المضارع مع الاشارة بالاباء الى تصوير ابائهم في حالهم ذلك بتحسين في زعمهم انكارا لما لعتهم له . ولما كان معنى هذا الانكار انا لا نطيعك وكان قد لوح لهم بالتذكير بقوم نوح وقوله الى الاحذاء اصروا وتسببوا عن ذلك قولهم **فاتنا** اي عاجلا **بما تعدنا** اي من العذاب بما لوح اليه ايماؤهم الى التكذيب بقولهم **ان كنت من الصادقين** وتسميتهم للانذار بالعذاب وعدا من باب الاستهزاء . ولما كانوا قد بالغوا في السفه في هذا القول وكان قد علم من محاورته صلى الله عليه وسلم الحلم عنهم اشتد التطلع الى ما يكون من جوابه لهذا والتوقع له فشفى غلل هذا المتشوف بقوله **قال قد وقع** اي حق ووجب وقرب ان يقع **عليكم من ربكم** اي الذي عودكم بتواتر احسانه اليكم وطول املائه لكم **رجس** اي عذاب شديد الاضطراب في تتبيع افعالكم وادنائكم وهو موجب لشدة اضطرابكم **وغضب** اي شيء في ذلك العذاب لا يبلغون منتهاه . ولما اخبرهم بذلك بين لهم ان شبهتهم كلا شيء هذا في سياق الانكار فقال **اتجادلونني** ولما كانت الهتهم تلك التي يجادلون فيها لا تزيد على الاسماء لكونها خالية من المعنى والمتوقع له قال **في اسماء** . ثم بين انه لم يسمها المنة من يعتد به فقال **سميتموها انتم واباؤكم** ولما كان لله تعالى ان يفعل ما يشاء وان يامر بالخضوع لمن يشاء قال نافيا التنزيل فانه يلزم منه نفي الانزال **ما نزل الله** اي الذي ليس الامر الا له **بها** اي بتعبدكم لها او بتسميتكم اياها . واغرق في النفي فقال **من سلطان** ولعله اتى بصيغة التنزيل لان التفعيل ياتي بمعنى الفعل المجرد . وبمعنى الفعل بالتجريد فقصد لانه في سياق المجادلة وفي سورة مقصودها انذار من اعرض عما دعا اليه هذا الكتاب النازل بالتدريج الذي بكل اعتبار رسوا كان بتجريدا وتدريجا واشارة الى انه لو نزل عليهم في الامر بعبادتها شيء واحد لتوقفوا فيه لعدم فهمهم لمعناه حتى يكرر عليهم الامر فيه مرة بعد اخرى . فيعلموا ان ذلك امر حتم لا بد منه كما فعل بنو اسرائيل في الامر بذبح البقرة لاجل التقليل لاجل انهم لم يعقلوا معناه . فدل ذلك قطعا على ان الامر لهم بعبادتها انما هو ظلام الهوى لانه عمى محض من شان الانسان ركوبه بلا دليل الضلال . ولما اخبرهم بوقوع العذاب وسببه بين لهم ان الوقوع ليس على ظاهره في الايجاز . وانما معناه الوجوب الذي لا بد منه فقال **فانتظروا** ثم استانف الاخبار عن حاله بقوله **اني** واشار بقوله **معكم** الى انه لا يفارقهم لخشية منهم ولا غيرها **من المنتظرين** ولما كان هذا التمام لشانهم بقوله **فانجيناه** اي بما لنا من العظمة انجاء وحيا سريعا بما سللناهم به من ذلك العذاب كسل الشعرة من العجين **والذين معه** اي في الطاعة . واشار الى انه لا يجب على الله شيء بقوله **برحمة** اي باكرام وحياطة **منا** اي لا بعمل ولا غيره . ولما قدم الانجاء اهتماما بما يتبعه حالهم . فقال معلما بان اخذه على غير اخذ الملوك الذين يعجزون عن الاستقصاء في الطلب فيفوتهم اواخر العساكر وشذاذ الجنود والاتباع **وقطعنا** دابرهم اي اخرهم هكذا كان الاصل ولكنه اظهر تصريحا بالمقصود وبيانا لعلة اخذهم فقال **دابر** اي اخر اي استاصلنا وجعلنا ذلك الاستيصال معجزة لهود عليه السلام **الذين كذبوا باياتنا** اي ولم يرتضوا عظتنا بالنسبة الينا . وقوله **وما كانوا** اي خلقا وجبلة **مؤمنين** عطف على صلة الذين وهي كذبوا باياتنا وهي جارية مجرى التعليل لاخذهم مؤذنة بانه لا يحصل منهم صلاح كما ختم قصة نوح بقوله انهم كانوا قوما عمين تعليلا لاغراقهم اي انا قطعنا دابرهم وهم مستحقون لذلك لانهم غير قابلين للايمان لما فيهم من شدة العناد ولزوم الالحاد .

فالمعنى

فالمعنى وما كان الايمان من صفتهم اي ما امنوا في الماضي . ولا يؤمنون في الاتي . فيخرج منه من امن وكان قد كذب قبل ايمانه ومن لم يؤمنوا في حالة دعائه لهم وفي علم الله انه سيؤمن ويزيد حسنا انهم لما فتحوا كلامهم بان نسبوه الى السفاهة كاذبين تناسب ختم القصة بان يقطع الامر عليهم فيوصفوا بمثل ذلك صدقا بكلام يبين ان اتصافهم به هو الموجب لما فعل لهم ان الايمان لا يبعد الا عن كمال الثبات والرزانة . وترك التهور في رعونات النفس والانقياد لواضح الادلة فظاهر التنافر بين من تركه مع ذلك فهو في غاية الطيش والخفة . وعدم العقل وايضا فوصفهم بالتكذيب بالفعل الماضي لا يفهم دوامهم على تكذيبهم . فقال سبحانه ذلك لنفي احتمال انهم امنوا بعد التكذيب وان اخذهم انما كان لمطلق صدور التكذيب منهم وانهم لم يبادروا الى الايمان قبل التكذيب . ويحتمل ان تكون الجملة حالا . والمعنى على كل تقدير قطعنا دابرهم في حال تكذيبهم وعدم ايمانهم ولما اتم سبحانه ما اراد من قصة عاد اتبعهم ثمود فقال **والى ثمود** اي خاصة منع الصرف لان المراد به القبيلة وهو مشتق من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى ارسلنا **اخاهم صالحا** ثم استانف الاخبار عن قوله كما مضى في هود عليه السلام فقال **قال يا قوم** مستعطفا لهم بالتذكير بالقرابة وعاطف النسابة **اعبدوا الله** اي الذي لا اله الا هو **ما لكم** واكد النفي بقوله **من اله غيره** ولما دل على صدقه في ذلك انهم دعوا اوثانهم فلم يجبهم هو ودعا هو صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه فاخرج لهم الناقة على صحة ما دعا اليه بقوله **قد جاءتكم بينة** اي ظاهرة جدا على صدقي في ادعاء رسالتي وصحة ما امرتكم به وزادهم رغبة بقوله **من ربكم** اي الذي لم يزل يحسن اليكم ثم استانف بيانها بقوله **هذه** مشيرا اليها بعد تكوينها تحقيقا لها وتعظيما لشانها وشانه في عظيم خلقها وسرعة تكوينها لاجله . ولما اشار اليها سماها فقال **ناقة الله** شرفها بالاضافة الى الاسم الاعظم وذلك على تخصيصهم بها بقوله **لكم** حال كونها **اية** اي لمن شاهدها ولمن سمع بها وصح عنده امرها . ثم سبب عن ذلك قوله **فذروها** اي اتركوها ولو على ادنى احوال الترك **تاكل** اي من النبات **في ارض الله** اي مما انبت الله الذي له كل شيء . وهي ناقته كما ان الارض كلها مطلقا ارضه . والنبات رزقه . ولذلك اظهر لئلا تخص اكلها بارض دون اخرى . ولما امرهم بتركها لذلك اكد الامر بنهيهم عن اذاها فقال **ولا تمسوها بسوء** فضلا عما بعد المس **فياخذكم** اي اخذ قهر بسبب ذلك المس وعقبه **عذاب اليم** اي مؤلم ولما امرهم ونهاهم ذكرهم ترغيبا مشيرا الى الترهيب فقال **واذكروا** اي نعمة الله عليكم **اذ جعلكم خلفاء** اي فيما انتم فيه **من بعد عاد** اي اهلاكهم **وبوأكم في الارض** اي جعل لكم في جنسها مساكن تتبوءون اي ترجعون اليها وقت راحتكم سهل عليكم من عملها في اي ارض اردتم ما لم تسهله على غيركم . وفسر المراد بقوله **تتخذون** اي بما لكم من الصنائع **من سهولها قصورا** اي ابنية باللبن والطين والاجر واسعة عالية حسنة لتقصر امثال الامثال ونظر الناظر عليها بما فيها من المرافق والمحاسن **وتنحتون الجبال** اي اي جبل اردتم تقدرونها **بيوتا** ولما ذكرهم بهذه النعم من غنا من هنا اكثر ذلك اشارة وعبارة فقال مسببا عما ذكرهم به **فاذكروا** اي ذكر اذهان ورغبة ورهبة **الاء الله** اي نعم الله اي الذي له صفات الكمال فلا حاجة به الى احد . فاحسانه هو الاحسان في الحقيقة **ولا تعثوا في الارض** من العثي وهو الفساد وهو مقلوب عن العيث قاله ابن القطاع وح . يكون قوله **مفسدين** بمعنى متعمدين للفساد . ولما حصل الالتفات الى جوابهم قيل **قال الملأ** اي الاشراف وبين بقوله **الذين استكبروا** اي اوقعوا الكبر وانصفوا به فصار لهم خلقا فلم يؤمنوا . ونبه على النسبة بقوله **من قومه** ولما قال **للذين استضعفوا** كان ربما ظن انهم امنوا كلهم فنفى ذلك بقوله مبدلا منه **لمن امن منهم** اي المستضعفين فاوقع في النفس واروع للجنان من البيان في اول وهلة مع الاشارة الى ان اتباع الحق منهم هو الضعف وانه لم يؤمن الا بعضهم تنبيها على ان الضعف اجل النعم لملازمته لطرح النفس المؤدي الى الاذعان بالحق وتاولوه للمفعول دليل على انهم في غاية الضعف بحيث يستضعفهم كل احد **اتعلمون** نداوهم بالانكار صدا لهم عن الايمان **ان صالحا** سموه باسمه جفاء وغلظة واوردها بالمسئولين ليجيبوهم بما يرضيهم **مرسل من ربه** وكانهم قالوا لهم ليعلموا حالهم فيبنوا عليه ما يفعلونه لان المستكبرين لا يتم لهم كبرهم الا بطاعة المستضعفين . ولما علموا ذلك منهم اغلظوا لهم بالمنابذة اعتمادا على الكبير المتعال الذي يتضحل كل كبير عند كبره . ولا يعبا باحد امر منع امره بان **قالوا** منبهين لهم على غلطهم وغلطهم في توسمهم في حالهم معبرين بما دل على العلم بذلك والاذعان له **انا بما ارسل به** وبني للمفعول اشارة الى تعميم التصديق والى انه من عند الله امر مقطوع به لا يحتاج الى تعيين **مؤمنون** اي عريقون في الايمان . ولذلك **قال الذين استكبروا** اي في جوابهم معبرين بما يدل على المخالفة لهم والمعاندة **انا بالذي** ووضعوا موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما واخذوه مسلما **امنتم به** اي كائنا ما كان **كافرون** ثم سبب عن قولهم قوله **فعقروا الناقة** اي التي جعلها الله لهم اية . وعبر بالعقر دون النحر لشموله كل سبب لقتلها لان ابن اسحاق ذكر انه اجتمع لها ناس منهم فرماها احدهم بسهم وضرب اخر قوائمها بالسيف وغير ذلك اخر فاطلق اسم السبب على المسبب لكون قوله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وقوله اذ انبعث اشقاها . وقوله صلى الله عليه وسلم انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في قومه قالوا وهو قدار بن سالف جعلت له امراة من قومه ابنتها ان عقرها . فعقل فكان اشقى الاولين والاخرين عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل علي بن ابي [طالب]

طالب رضي الله عنه جعلت له قطام امراة من بني عجل حيلة نفسها ان قتله فالمناسبة بينهما ان كلا منهما التي نفسه بالمعصية العظمى لاجل شهوة فرجه في زواج امراة • وقوله صلى الله عليه وسلم اشقى الاولين عاقر الناقة يدل على ان عاقرها رجل واحد • وح يكون المراد به قطع القوائم • وحيث جمع اراد الحقيقة والمجاز معا • وحيث افرد اراد الحقيقة فقط • فالتعبير به لانه الاصل والسبب الاعظم في ذبح الابل • قال البغوي قال الازهري • العقر هو قطع عرقوب البعير • ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره انتهى • وكان هذا اشارة الى ان المراد بالعقر في الاية النحر • ولا ريب في ان اصل العقر في اللغة القطع ومادته تدور على ذلك عقر النخلة اذا قطع راسها والفرس ضرب قوائمها بالسيف • واكثر ما يستعمل العقر في الفساد • واما النحر فيستعمل غالبا في الانتفاع بالمنحور لحما ودما وجلدا وغيرها • فلعل التعبير به دون النحر اشارة الى انهم لم يقصدوا بنحرها الا اهلاكها عتوا على الله وعنادا وفعلا للسوء مخالفة لنبي صالح عليه السلام • ولا يشكل ذلك بما ورد من انهم اقتسموا لحمها لانه لم يبرح جنيا في العقر ان يشتركوا فيما نشا عنه بعد بنا بر ضا منه ومشاركتهم فيه بما يكنهم وعتوا اي تجاوزوا الحد في الغلظة والتكبر عن امر ربهم اي امتثال امر المحسن اليهم الذي اتاهم على لسان رسوله من تركها وقالوا زيادة في العتو يا صالح ائتنا ولما نزلوا وعيده لهم حيث لم يتو منوا به منزلة الوعد والبشارة قالوا بما تعدنا استخفافا منهم ومبالغة في التكذيب كانهم يقولون نحن على القطع بانك لا تقدر على ان تاتينا بشي من ذلك • وان كنت صادقا فافعل ولا تؤخره رفقا بنا وشفقة علينا فانا لا نتاذى بذلك بل نتلذذ به تلذذ من يلقى الوعد الحسن • وحاصله التهكم بهم • والاشارة الى عدم قدرته • واكدوا ذلك بقولهم باداة الشك ان كنت من المرسلين اي الذين سمعنا اخبارهم فيما مضى • ثم سبب عن عتوهم قوله فاخذتهم الرجفة اي التي كانت عنها او بها الصيحة اخذ من هو في القبضة على غاية من الصغار والحقارة • ولعل توحيد الدار هنا مع الرجفة في قصتي صالح وشعيب عليهما السلام في قوله تعالى فاصبحوا في دارهم اي مساكنهم • وجمعها في القصتين مع الصيحة في سورة هود عليه السلام للاشارة الى عظم الزلزلة والصيحة في الموضعين • وذلك لان الزلزلة اذا كانت في شي واحد كانت امكن • فيكون في المقصود من النكال اعظم • والصيحة من شانها الانتشار • فاذا عمت الاماكن المتباينة والديار المتباعدة فاهلكت اهلها ومزقت جماعتها وفرقت شملها كانت من القوة المفرطة والشدة البالغة بحيث تتزعزع من تامل وصفها النفوس وتجب له القلوب • وحاصله انه حيث عبر بالرجفة وحد الدار اشارة الى شدة العذاب بعظم الاضطراب • وحيث عبر بالصيحة جمع ايماء الى عموم الموت • لشدة الصوت • ولا مخالفة لان عذابهم كان بكل منهما • ولعل احدهما كانت سببا للاخرى • ولعل المراد بالرجفة اضطراب القلوب اضطرابا اقطعها وان الدار رجفت فرجفت القلوب ولم اوقف • وخصت الاعراف بما ذكر فيها لان مقصودها انذار المعرضين • والرجفة اغلظ في ذلك الا العدم الالف لها والله سبحانه وتعالى اعلم جاثمين اي باركين على ركبهم لازمين اماكنهم لا حراك باحد منهم • ولم يبق منهم في تلك الساعة الا رجل واحد كان في الحرم • فلما خرج منه اصابه ما اصاب قومه • وهو ابو رغال ومساكن الحجر من ارضهم تزيد على مسير عشرة ايام • ومن الايات العظيمة ان ذلك الذي خلع قلوبهم وازال ارواحهم لم يؤثر في صالح عليه السلام • والمستضعفين معه شيئا • وذلك مثل الريح التي زلزلت الاحزاب • وانالتهم اشد العذاب • ورمتهم بالحجارة والتراب حتى هزمتهم • وما نال النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه منها كبير اذى • وانجاهم الله عن حذيفة • ولذلك البر الذي كان ذلك زمانه لما ارسله النبي صلى الله عليه وسلم ليتعرف اخبارهم • ولما اصابهم ذلك سبب له الهجرة عن ديارهم ديار السوء والغضب واللعنة • فقال تعالى اعلاما لنا بذلك فتولى عنهم اي كلف نفسه الاعراض عنهم وقال اي لما ادركه من احوال البشر من الرقة على فوات ايمانهم وهم اصله ومنشؤه يا قوم الذين يعز علي ما يؤذيهم لقد ابلغتكم ولعله وحد قوله رسالة ربي لكون الاية واحدة ونصحت وقصر الفعل وعداه باللام فقال لكم دلالة على انه خاص بهم • وروي انه خرج عنهم في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي وكان قومه الفا وخمسمائة دار • وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم • ولما كان التقدير ففعلت معكم ما هو مقتض لان تحبوني لاجله عطف عليه قوله ولكن لم تحبوني هكذا كان الاصل • ولكنه عبر بما يفهم ان هذا كان دابهم وخلقا لهم مع كل ناصح فقال لا تحبون حاكيا للحال الماضية الناصحين اي كل من فعل فعلي من النصح التام • ولما اتم سبحانه ما اراد في مقصد هذه السورة في هذا السياق من قصتهم اتبعه من بعدهم ممن تعرفه العرب لما فعل فيما قبل فقال ولوطا اذ قال • ولما كانت رسالته الى مدن شتى وكانهم كانوا قبائل شتى • قيل كانوا خمسة • وهي المؤتفكات • وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة الشريفة قال لقومه وقد جوزوا ان يكون العامل فيه ارسلنا واذكر ولا يلزم من تقدير ارسلنا ان يكون ارساله في وقت قوله لهم بهذا القول غير سابق عليه لانه كان في ذلك الزمن المنطبق على اول قوله واخره وقت له • وكذلك ذلك اليوم الذي وقع فيه هذا القول وقت له بل في ذلك الشهر وتلك السنة وذلك القرن • فان من شان العرب تسمية الايام المشتركة في الفعل الواحد يوما فالوا يوم القادسية • وهو اربعة ايام ان اعتبرنا مدة القتال فقط • وعدة شهور ان اعتبرنا الاجتماع له • وكذا

يوم صفين وقال تعالى في قصة بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم الى ان قال اذ تستغيثون ربكم الى ان قال اذ يغشاكم النعاس امنة منه اذ يوحي ربك الى الملائكة وكلها ابدال من قوله واذ يعدكم احدى الطائفتين ولا ريب في ان زمان الكل لم يكن متحدا الا بنا وبل جميع الايام المتعلقة بالوقعة من سير وقتال وغير ذلك والله اعلم وعبر في قصة نوح عليه السلام بارسلنا نوحا الى قومه ثم نسق من بعده عليه فقال والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا والى مدين اخاهم شعيبا وعدل عن هذا الاسلوب في قصة لوط فلم يقل والى اهل سدوم وما اخاهم لوطا او والى اهل سدوم لوطا او وارسلنا لوطا الى قومه ونحو ذلك كما سنبين في قصة موسى عليه السلام لان من اعظم المقاصد سياق هذه القصص تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في مخالفة قومه له وعدم استجابتهم وشدة اذاهم وانذار قومه ان يحل بهم ما حل بهذه الامم من العذاب ونقص من عداه قوم لوط مشاكلة لقصة قريش في الشرك ما سواه والاذى لعباده المومنين واما قصة قوم لوط فان امرها عن ذلك بابر فظيع عظيم الشناعة شديد العار والفحش فعدل عن ذلك النسق تنبيها على تهويلا للامر وتبشيعا له ليكون في التسلية اشد وفي استدعا الحمد والشكر اشد اتم ويترجح ان يكون العامل اذكر لان ارسلنا اي واذكر لوطا وما حصل عليه من قومه زيادة على شركهم من رذيلة فيهم هذا الامر الذي لم يبق للشناعة موضعا فالقصة في الحقيقة تسلية وتذكير بنعمة معافاة العرب من مثل هذا الحال وانذار لهم بسوء المال مع ما شاركت فيه اخواتها من الدلالة على سوء مثلة هولاء القوم وسرايه جوهرهم المقتضي لتفردهم عن اهل الارض بذلك الامر الفاحش والدليل على انه اشنع الشنع بعد الشرك مع ما جعل الله تعالى في كل طبع سليم من النفرة عنه اختصاصه بمشاركته للشرك في انه لم يحل في ملة من الملل في وقت من الاوقات ولا مع وصف من الاوصاف وبقية المحرمات ليست كذلك فاما قتل النفوس فقد حل في الجهاد والقصاص وغير ذلك والوطء في القبل يحرم الا بقيد كونه زنا ولولا الوصف لحل واكل المال الاصل فيه الحل وما حرم الا بقيد كونه مالا باطلا وكذا غير ذلك قال ابو حيان ولما كان هذا الفعل معهودا قبحه وذكره في العقول لفحشه اتى معرفا اي في قوله بعد انكاره عليهم وتعريفه وتوبيخه لهم اتاتون الفاحشة اي تفعلون السيئة المتمادية في القبح ولما كان بينكم وبينها مسافة بعيدة ان تكون اي فيه بجنس او سبيل المبالغة فانه لشدة قبحه جعل جميع الفواحش المتمادية في القبح ولبعد العرب عن ذلك البعد التام وخلاف الزنا فانه قال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ولما كان غير مستبعد على صفاقة وجوههم ووقاحتهم ان يقولوا لم يكن فعلنا منكرا او تحاملها قال ما سبقكم بها واغرق في النفي بقوله من احد وعظم ذلك بتعميمه بقوله من العالمين فقد اخترعتم شيئا لا يكون مثل فحشه لتذكروا به اسوا ذكرا فان ذوي الهمم العالية والفضل والكمال يستنبطون من المحاسن والمنافع ما يبقى لهم ذكره وينفعهم اجره وفي ذلك اعظم اشارة الى تقبيح البدع والتشنيع على فاعليها لان العقول لا تستقل بمعرفة المحاسن ولما ابهم الفاحشة ليحصل التشوف الى معرفة عينها في استفهام الحركة الاولى في انكاره وتوبيخه ليكون ادل على تناهي الزجر ائنكم لتاتون الرجال اي تغشونهم غشيان النساء ولما اتى للتشوف جالا عين بقوله شهوة اي مشتهين او لاجل الشهوة لا حامل لكم على ذلك الا الشهوة كالبهائم التي لا داعي لها من جهة العقل وصرح بقوله من دون النساء فلم يدع لبسا وكان هذا ربما اوهم اقامة عذر لهم في عدم وجدان النساء او عدم كفايتهن لهم اضرب عنهم بقوله بل انتم قوم ولما كان مقصود هذه السورة الانذار كان اللائق بها الاسراف الذي هو غاية الجهل المذكور في سورة النمل مسرفون اي لم يحملكم على ذلك ضرورة لشهوة تدعو بها بل اعتياد المجاوزة للحدود ولم يسم قوم لوط في سورة من السور كما سميت عاد وثمود وغيرهم صونا للكلام عن نسبتهم واما قوم نوح فانما لم يسموا لعدم تفرق القبائل اذ ذاك فكانه لان جميع اهل الارض ولذا اعمهم الغرق والله اعلم ولما كان كانه قيل هذا التقريع يوجب غاية الاستحيا بل ان يذهب كل من يسمعه منهم الى مكان لا يعرف ستر الحالة فيا ليت شعري ما كان حاله حالهم عنه فقيل كانه كان نكانهم اجابوه بوقاحة عظيمة وجود زايد على الحد فما كان جوابهم الا اذى لوط عليه السلام والذين اتبعوه منهم به لشدة الانذار الذي هو مقصود السورة عطف عليه قوله وما كان جواب قومه اي الذين كانوا اهل قوة شديدة وعزم عظيم وقدرة على القيام بما يحاولونه الا ان قالوا ولما كان المقصود بيان انهم اسرعوا اجابته بما ينكيه اضمر ما لا يشكل الا اضمارا وانه لما كان لسياق لسان الخبث بين انه لما الخبث من هولاء الذين بلغ من رد النهم انهم عدوا الطاهرين المتطهرين مما يصان اللسان عن ذكره فقال تعالى مشيرا الى ذلك في حكاية قولهم اخرجوهم اي المحدث عنهم ومنهم لوط ومن انضم اليه من قريتكم والمراد بيان الاسراع في هذا التسلية النبي صلى الله عليه وسلم في رد قومه لكلامه ليبلا يكلم في صد دلك حرج من انذارهم ثم عللوا اخراجهم بقولهم انهم اناس اي ضعفا يتطهرون وبانهم قصدوا اما التعمل نسبتهم الى محبة هذا الفعل القبيح وان تركهم له انما هو تصنع وتكلف لنفوسهم بردها عما هي مائلة اليه واقبال على الطهر من غير وجهة وصرحوا بكلام في هذا المعنى المودي بهذا اللفظ الاية في اية العنكبوت القائلة فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله الاية لان اطلاق الجواب على هذا انجى والمعنى فما كان قولهم في جوابه الا اتيانهم بما لا يصلح جوابا وذلك مضمون هذا القول وغيره مما لا يتعلق بالجواب وان الجواب لما كان فيه من التكذيب والانذار والاضرار والاغلاظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستلزما للعذاب كان كانهم نطقوا به فقالوا ائتنا بعذاب الله فجعل نطقهم بالسبب نطقا بالمسبب وانهم استعملوا لكل مقام مقالا او يقال ان المعنى لما اتحد هنا وفي النمل حصر الجواب في هذا اي فما كان جوابهم لهذا القول الا هذا ولما زادهم في العنكبوت في التقريع فقال ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر اتوه بابلغ من هذا انكر تبا واستهزا فقالوا ائتنا بعذاب الله الاية ولما تسبب عن عنادهم اهلاكهم ونجاه وكان الاعلام بانجائه مع كونه يفهم اهلاكهم لهم قال فانجيناه واهله اي من اطاعه الا امراته ولما كان كانه قيل ما لها قال كانت من الغابرين اي الباقين الذين لحقهم العذاب لغيره والتذكير اشارة الى انها اما تعلقت بعذاب الرجال سواء لم ينقص

لانها كانت كافرة مثلهم ولما افهم هذا اهلاكهم بينه دالا على نوعه بقوله **وامطرنا** اي احجارة الكبريت بعد ان قلعت مداينهم ورفعت
وقلبت حتى احرقتها مساكنهم وشدائهم لانه عذاب الاستيصال الذي لا يبقى منه شيء واوضحه بتعدية الفعل وتعديته بحرف الاستعلاء فقال **عليهم**
واكد كونه من السماء لا من سطح او جبل ونحوه بقوله **مطرًا** واشار الى عظمه من تلك الحيثية بما سبب عنه من قوله **فانظر كيف كان عاقبة**
اي اخر امر **المجرمين** ولظهر موضع الاضمار لتعليق الحكم بوصف القطع لما حقه الوصل بوصل ما حقه القطع من فاحش المعصية دليله على ان
الرجم جزاء من فعل هذا الفعل تشرطه لان الحكم يدور مع العلة وسيأتي في سورة هود عليه السلام ساق قصتهم من التوراة بعد ان مضى في
البقرة عند اذ قال له ربه اسلم اوائل امرهم وهذا كما سومت الحجارة لقريش لما اجمعوا ان يرجعوا بعد نزوحهم عن غزوة احد من الطريق
ليغزوا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه على زعمهم كما قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا
كامس الذاهب ولكنه صلى الله عليه وسلم لما كان رسول الله رحمة لم يقدر الله رجوعهم فمضوا حتى اسلم بعد ذلك كثير منهم وكما ارسل الله الحجارة
على اصحاب الفيل سنة مولده صلى الله عليه وسلم حماية لبلده ببركته ولما انقضت هذه القصة العجيبة اعاد النسق الاول فقال **والى مدين**
اي ارسلنا وهي بلد وقيل قبيلة من اولاد مدين ابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم استانف قوله **اخاهم** اي من النسب
وبينه بقوله **شعيبا** وهو موصوف بانه خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه ثم استانف قوله على ذلك النسق **قال يا قوم**
دالا على النصيحة والشفقة بالتذكير بالقرابة وبدا بالاصل المعتبر في جميع الشرائع الماثورة عن الانبياء عليهم السلام فقال
اعبدوا الله اي الذي يستحق العبادة بذاته لما له من الاسماء الحسنى والصفات العليا ولما كان المراد افراده بالعبادة
لانه لا يقبل الشرك لانه غني علل ذلك بقوله **ما لكم** واغرق في النفي بقوله **من اله غيره** ثم استانف التذكير بما دل على صحة دعواه في نفسه
وصدقه في دعوى الرسالة بقوله **بينة** اي على يدي بينة ولما كنا عالمين من قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي اخرجه الشيخان عن ابي هريرة
رضي الله عنه ما من الانبياء نبي الا اوتي من الايات ما مثله امن عليه البشر ان هذه البينة معجزة مثلها كاف في صحة الدعوى ولم تدع ضرورة
الى ذكرها لتاملها بعينها ثم زادهم ترغيبا بقوله **من ربكم** اي الذي لم تروا احسانا الا منه ولما كان اتيانه بالبينات سببا لوجوب
امتثال امره قال مسببا عنه **فاوفوا الكيل** اي المكيال **والميزان** اي بذلوا ما تعطون كاملا وافيا فالانه من الاحتيال وكان
المحكي عنه هنا من اوائل قوله لهم نزل التاكيد الرافع لمجاز المقاربة بذكر القسط ولما كان الامر بالوفاء متضمن النهي عن البخس
به على وجه يعم غيره فقال **ولا تبخسوا** اي تنقصوا وتفسدوا كما تفسده الشحنة **الناس اشياءهم** اي شيئا من البخس في كيل او وزن
ولا غيرهما والناس قال في القاموس يكون من الانس والجن جمع انس اصله اناس جمع عزيز ادخل عليه ال وقال ابو عبد الله القزاز الناس
اصله عند السهيلي ناس ثم ادخلوا الالف واللام على ذلك وحذفوا الهمزة فبقي الناس وكان اصله نعالى من انست به فكانه
قيل الناس يعني الخلق قال لانه يونس اليهم انتهى اذا علم هذا علم ان نهيه صلى الله عليه وسلم عن بخس الجمع الذي فيهم القوة
المدافعة نهي عن بخس الواحد من باب الاولى لان الشرائع انما جاءت بتقوية الضعيف على حقه ولما نهى عن الفساد بالبخس عم كل
فساد فقال **ولا تفسدوا** اي توقعوا الفساد **في الارض** بوضع شيء من حق الحق او الخلق في غير موضعه ولما نهاهم عن هذه الرذائل
ذكر بنعمة الله تاكيدا للنهي بما في ذلك من التخويف وحثا على التخلق بوصف السيد فقال **بعد اصلاحها** اي اصلاحه واصلاحها بنعمة الايجاد
الاول لخلقه وخلق منافعهم وما نبه عليه هذا النظام البديع المحكم ثم بنعمة الابقاء الاول بانزال الكتب وارسال الرسل ونصب الشرائع التي
بها حصول النفع وتمام النعمة باصلاح امر المعايش والمعاد بتعظيم امر الله والشفقة على خلق الله وبجمع ذلك كله التنزه عن الاساءة
ولما تقدم اليهم بالامر والنهي اشار الى عظمة ما تضمنه حثا لهم على امتثاله فقال **ذلكم** اي الامر العظيم العالي الرتبة مما
في هذه القصة **خير لكم** ولما كان الكافر ناقص المدارك كالبهائم اشار الى ذلك بقوله **ان كنتم مؤمنين** اي فلا تفسدوا
او فانتم تعرفون صحة ما قلته واذا عرفتم صحته عملتم به واذا عملتم به افلحتم كل الفلاح ويجوز وهو احسن ان يكون التقدير فهو
خير لكم لان المؤمن يثاب على فعله لبنائه على اساس الايمان والكافر اعماله فاسدة فلا يكون فعله لهذه الاشياء الا من جهة
استفاده في الاخرة لانه لا ثواب له ولما كان للتعميم بعد التخصيص والتفصيل بعد الاجمال من الموقع في النفوس ما لا يخفى وكان النهي
عن الافساد بالصد عن سبيل الله هو المقصود بالذات لانه نهي عن كل فساد خصه بالذكر اشارة الى انه ربما المراد بعد التعميم
فقال **ولا تقعدوا** اي تفعلوا فعل المترصد المقبل بكليته **بكل صراط** اي طريق من طرق الدنيا والدين من الحلال والحرام
والاوامر والنواهي والحكم والمتشابه والامثال **توعدون** اي تهددون من يسلكه بكل شر ان لم يوافقكم على ما تريدون ولما
كان طريق الدين اهم خصه بالذكر فقال **وتصدون** اي توقعون الصد على سبيل الاستمرار **عن سبيل الله** اي طريق من
له الامر كله ولما ذكر الصد ودعته ذكر المصدود فقال **من امن به** اي بالله فسلك سبيله الذي لا امن منه ولما كانوا لا
يقنعون بمطلق الصد بالتهديد ونحوه بل يبدون للمصدود شبهة توهمه انه على ضلال قال عاطفا **وتبغونها عوجا** اي
وتطلبون للسبيل حال كونها ذات عوج اي تطلبون اعوجاجها بالقاء الشبهات والشكوك كما يقول ادير فلان ناسا لكا
اي ادير مسلكه وقد تقدم في ال عمران ان نصبه على الحال ارجح وان قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح الغني اجهادا تنتقض
بها يرجح نصبه على المفعولية والله اعلم ولما كان تنقيصهم نقص الناس اما في الاموال بالبخس واما في الايمان والنعم
بالصد ذكرهم ان الله تعالى فعل معهم ذلك من التكثير بعد القلة في شيء فقد يا حسنا لهم من وجه لا دفع ونحسهم

فقال

فضلا عن تقليلهم ونقصهم فقال عطفا على قوله اعبدوا الله وما بعده من الاوامر والنواهي **واذكروا اذ** اي حين **كنتم قليلا** اي في العدد
والمدد **فكثركم** اي كثر عددكم واموالكم وكل شيء حسن لديكم فلا تقابلوا النعمة بضدها فان ذكر النعمة مرغب في الشكر ولما رغبهم
بالتذكير بالنعمة حذرهم بالتذكير باهل النقمة فقال **وانظروا كيف كان عاقبة** اي اخر امر **المفسدين** اي في عموم الاهلاك بانواع
العذاب ليحذروا من ان يصيبكم مثل ما اصابهم كما صرح به في سورة هود لكون الحال هناك مقتضيا للبسط كما سياتي ان شاء الله
تعالى ولما حذرهم وخامة الفساد الذي نهاهم عنه وعلق انتهاءهم عنه بوصف الايمان رجع الى تتميم ما شرط به الانتهاء عن الافساد
فقال **وان كان طائفة منكم** اي جماعة فيهم كثرة بحيث يخلفون من يريدون **امنوا بالذي ارسلت به** وبناه للمفعول اشارة الى
ان الفاعل معروف بما تقدم من السياق وانه صار بحيث لا يتطرق اليه شك لما نصب من الدلالات **وطائفة** اي منكم **لم يؤمنوا**
بالذي اي بالذي ارسلني به من ايدي بما علمتم من البينات وحذرتم سطوته بقوله **فاصبروا** اي ايها الفريقان **حتى يحكم الله**
اي الذي له جميع العظمة **بيننا** اي بين فريقنا باعزاز المصلح واهلاك المفسد كما اجرى بذلك عادته اي في الحال **وهو خير الحاكمين**
لانه لا يفعل النزاع على اتم وجه واحكمه ولما انتهى كلامه عليه السلام على هذا الوجه البديع اخبر سبحانه انهم ان قومه لم يجدوا عنه
جوابا اصلا لانهم انتقلوا الى الدفاع بالفعل وهو امارة الانقطاع فقال مستانفا **قال الملا** اي الاشراف **الذين استكبروا**
اي اوجدوا الكبر ايجاد من هو طالب له بغاية الرغبة وخصهم ليحصل تمام التسلية بقوله **من قومه لنخرجنك** وبين غلظهم وجفاهم
بقوله **يا شعيب** من غير استعطاف ولا اجلال له **والذين امنوا** ويجوز ان يتعلق قوله **معك** بامنوا وبنخرجن **من قريتنا** اي من المكان
الجامع لنا لمفارقتكم ايانا **او لتعودن** اي الا ان تعودوا اي ليكونن احد الامرين اما الاخراج واما العود **في ملتنا** اي بالسكون عنا
كما كنتم ولم يريدوا انه بالعود الى الكفر لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن تلبس قبل النبوة كاخوانه من الانبياء عليهم السلام بل كانوا يظنون
سكوته عليه السلام قبل ارساله اليهم عن دعائهم وسبائهم وعيب دينهم كونا في ملتهم ويريدهم الان رجوعه عليه السلام الى تلك
الحالة والتباعة ممن اتبعه بذلك فيكون مرادهم بالعود حقيقة في الجمع ولما كان كل من الاخراج والرد مستقبحا اخبر تعالى انه انكره
بقوله **قال اولو** اي اتخرجوننا او نعيد ونحن ولو كنا راضين بالعود لذلك الخروج والعود **ولو كنا كارهين** ولما كان العرب ابعد الناس
من مطلق الكذب واشدهم له تحاميا ومنه نفرة فكيف بالكذب على الملوك فكيف به على ملك الملوك علق الكذب على الله تعالى
بالعود الى ملتهم بقوله مستانفا الاخبار لمن تشوف الى علم ما كان منه بعد هذا الكلام اللين وبوخ عنهم **قد افترينا** اي تعمدنا
الان بما نقوله لكم من ان دينكم الكفر والاقرار عليه **على الله** اي الذي له جميع العظمة **كذبا** ويجوز ان يكون تنوينه للتعظيم
ويجوز ان يكون للتحقير وكل وجه منهما على المقام لا يخفى **ان عدنا** اي ساعة من الدهر **في ملتكم** اي بسكوتنا او بسكوتي وكفى من كان معي كافرا
بعد اذ نجانا الله منها اي الملك الاعلى اي خارقا للعادة بما كنا جديرين بالانغماس فيه متابعة للاباء والاجداد والعشيرة بما له من الجلال
والعظمة **منها** اي زعلنا ذلك فقدرتنا اتم الشباع على بصيرة مشاهد للمنغر لتلق على حال العادة من وادي وهو من وادي
قول الاشتر النخعي

بقيت وفري وانحرفت عن العلى ولقيت اضيافي بوجه عبوس

ان لم اشن على ابن هند غارة لم تخل يوما من نهاب نفوس

غير ان المعلق تقديري وفي الاية تحقيق لانهم اخبر وبهم ان الله تعالى نهى عن الكفر واني نهاهم بما يذكر كل كافر فمتى تركوا ذلك لم يكلهم الكفر
حتما **وما يكون لنا** اي ما يصح وما ينبغي **ان نعود فيها** اي ملتكم ولما كان من شانه سبحانه ان يفعل ما يشاء لا واجب عليه ولا قبيح منه
الى غير ذلك بقوله **الا ان يشاء الله** فذكر اسم الذات اشارة الى ان له جميع الحمد لذاته ثم ذكر صفة الاحسان عادا من ان يريد بكم المعرفات
فقال **ربنا** اي خرق العادة فله ذلك لنفوذ مشيئته بالتذكير بالمخاوف والاشراف على امكان سوء العواقب للصدق في التضرع الى الله تعالى
والالتجاء اليه والاستعاذة منه من مكره ولذلك اتى باسم الجلالة الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنى وصفة الربوبية الملتمس منها فعل
ما يفعل المربي الشفيق فكانه قال الان عدنا الى ملتكم لغير ممكن عادة والمحال عادة لا يقدر عليه الا ما قدره من الله نوجه
الهمم اليه والله تعالى اكرم من ان نعود فيما وهبه لنا من هذا الامر الجليل ويبرعنا هذا اللباس الجميل وهو صريح في ان الكفر
يكون بمشيئة الله تعالى بل ولا يكون الا بمشيئته وقوله **وسع ربنا** اي المحسن الينا **كل شيء علما** زيادة في حث امته على الالتجاء والتجرد من
الحول والقوة اي لا علم لنا بخواتم الاعمال والعلم بها هو التام العلم الكامل القدرة فهذه الجملة كالتعليل للتعليق بالمشيئة قطعا
لما عساه ان يحدث من طمع المخاطبين في عودهم كانه قيل وانما علقنا العود بالمشيئة لنقص علومنا فربما كان في سعة علمه قسم ثالث
وهو ان يكون في القرية على ديننا وتكونون انتم او لا او توافقونا على ما نحن عليه وهكذا ينبغي للمربوب ولا ينبغي للحزم ما لم يستقبل
الامر بنا الاحاطة عليه والاية تدل على انه كان في الازل عالما بكل شيء في الكليات والجزئيات لان وسع ماض وقد تقدم في الانعام ان قول
الخليل عليه السلام وهذا وآية الكهف من بحر واحد والله اعلم ولما كان المراد من هذا اما ذكر كان من منح القلوب متعلقا للنفوس
من غوغا الخواطر من الله فكان من تامل هذه الاخطار المشفقة على غاية الاحسان فكان المؤمنين قالوا ما العمل وابن المفر
فقال **على الله** اي الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه وحده لا على غيره **توكلنا** اي فوضنا جميع امورنا اليه وهو اكرم من ان
يختار لنا غير الرشد وقد تبرانا من حولنا وقوتنا واعتصمنا بحوله وقوته وحملنا جميع امورنا كلها محمولة على قدرته

كما يجعل الوكيل امر موكله عنه ويريحه من همه وثقله منه ولما جرت العادة بان الموكل نحو الوكيل بما يريد ليفعله اتبع ذلك الدعا بما يقتضيه
ظاهر الحال من نصر المحق وخذل المبطل فقال ربنا اي ايها المحسن الينا افتح اي احكم بيننا ولما كان مريدا استعطافهم لا سعادهم كال
وبين قومنا وفيه اشارة الى سؤاله الى الدعا بهدايتهم وادب بعدم التصريح بما لم يوذن له فيه بالحق اي بالامر الفصل من معاملة
كل من المحق والمبطل بما يستحقه شرعا وعرفا بحيث يكون لكل فريق باب يصل به الى غاية امره وهذا استعمال الانصاف فقد علم من اشارة
قوله العناية بقومه من عبارته الانصاف من نفسه ولو اراد ترجيح نفسه ومتبعيه لدعا لهم ان يعاملوا بالفضل وان يعامل ضدهم
بالعدل ولو الانه معلمه بان له تعالى ان يفعل ما يريد من خذلان الظالم ونصر المظلوم وتعذيب العاصي واثابة الطايع وعكس ذلك
لا يسئل عما يفعل لانه التام الملك العظيم الكامل الملك الشامل القدرة الحكيم الخبير ويجوز ان يكون المراد لا نعود الى ما كنا عليه
من السكوت عن دعايكم الى الله ونهيكم عن افعال الضلال الا ان امرنا ما انذركم الا ان يشا الله بسكوتنا بان يجد لنا الناني ذلك المصلحة
انتضاها علمه فيقصر عنها علومنا فاذا اراد ذلك واي نابة فعلنا فله الخلق وله الامر ولما اشار الى الدعا القومه اثنا ربنا اللطف
على غير معطوف عليه ظاهرا الى ان التقدير فانت خير الراحمين وانت خير الفاتحين اي لكل من سدت عليه الابواب ولم يجد مخلصا
ولما انقضى جواب الفعل المبنى على اظهار الفضل واظهار العدل ذكر سبحانه قولهم بعده عاطفا له على ما مضى من قولهم او على قوله
وكان الاصل ان يقال وقالوا ولكنه اظهروا الوصف بالشرف الى انه الذى حملهم على نصيحة الاستكبار وهي الكفر ثم لم يرضوا غنى اضافوا
اليه تكفير غيرهم فقال وقال الملا اي الاكابر الذين يملوا العيون مراى والقلوب مهابة تحملهم التكبر على انهم كفروا ولما كان من
المستعد ان يكون اقاربه يتكبون عما اتاهم به من الخير الحسد او اتهام او غيرهما فكان ربما ظن ان هولا الذين ليعاملونه بهذه الغلظة
لجانب عنه قال من قومه بيانا لان الفضل بيد الله فقد يوتيه البغيض البعيد ويمنعه البعيد الحبيب القريب لانك لا تهدي من ٥
احببت ووطا فالقسم بقولهم لئن اتبعتم اي ايها الاتباع ممن لم يردون بعد شعيبا اي وتركتم ما انتم عليه مما ورثتكم اباوكم واجاب
القسم بما سد عن جواب الشرط بقوله انكم اذا اي وقت اتباعه لخاسرون اي لانكم ابتذلتم بدين الاباء غيره وحرمتم فوايد البخس والتطفيف
وقطع السبل ولما كمل اثمهم بالضلال والاضلال استحقوا الاخذ فقال فاخذتهم اي فتسبب عن قولهم هذا ضده وافعالهم انه اخذتهم
الرجفة اي الزلزلة العظيمة في القلوب والديار التي كانت سببا للصيحة او مسببة عنها فاصبحوا في دارهم اي مساكنهم وتقدم سر
توحيدها جاثمين اي باركين على الركب ولازمين امكنتهم لا حراك بهم وهذا دون ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم لما كان نزلت الملايكة
بحنين فكان الكفار يسمعون في اجوافهم شبه وقع الحصاة في الطست ودون ما كان يجده مخالفه من الرعب منه مسيرة شهر من
ورايه ومن امامه ولكونه كان نبي الرحمة ما اقتضى ذلك الاهلاك بالنجاه ولما اخبر سبحانه باهلاكهم وما سببه من اقوالهم وافعالهم
وكان التخلص من الغطة في القلوب بتصوير الملخص للاذهان ما لا يخفى اخذ ذلك ذاكرا انه حل بهم بالخصوص ما نسبوا الى المومنين من
الخسارة فقال الذين كذبوا شعيبا اي نسبوه الى الكذب فيما قاله عنا وادنياه فيه بالبينات كانوا اي هم المخصوصون بالهلاك حتى
كانهم كان لم يغنوا اي يتزلوا ويقيموا ويحل مقاصهم لاهمين بالافراح والغنا والاستغنا من المغاني وهي المنازل الاستغنا فيها اي
الدار بسبب تكذيبهم ولما كان التكذيب لصادق من الاسم الرسل في غاية الشناعة كرره اشارة الى ذلك واعلاما بانه سببهم اعظم من
هلاك الاشياخ ضد ما سبب التصديق للمومنين فقال الذين كذبوا شعيبا اي فكان تكذيبه سببا لهلاكهم كانوا اي بسبب التكذيب
انما هم اي خاصة الخاسرين اي حسبهم وارواحهم كما خسر والوحهم اشياخهم فهم لما سوى ذلك الخسر واما الذين اتبعوه
فما نالهم شى من الخسارة وفي هذا الاستيناف والابتدا والتكرير مبالغة في رد مقالة الملا لاشياعهم وتسفيه لارائهم واستهزا ٥
بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم ولما صارت تلك الدار محل الغضب سببت لذلك هاجرها كما كانت عادة من قبله من الانبيا
عليهم السلام فقال فتولى عنهم اي بعد نزول العذاب وقبله عنادا ونية محايلة ذاهبا الى مكان غيره لعبد ربه فيه
فقال متاسفا على ما فاته من هدايتهم يا قوم اي يا عشيرتي واقرب الناس الي لقد ابلغتكم ولعله جمع لاجل كثرة ما اتاه
به من المعجزات فقال رسالات ربي اي المحسن الي بما جاى من سعني عن عذابكم لتوفيقه لنا الى ما يرضيه ونصحت اي واوقعت
النصح لكم اي خاصة ولما كان زهد اهلها لما هو طبع البشر من الاسف على اهله وعشيرته سبب عنه منكرا على نفسه قوله
فكيف اسى اي احزن حزنا شديدا على قوم كافرين اي عريقين في الكفر نعوف انه اسف عليهم من اجل فوتهم وفوات الايمان لهم
غني اسرف عليهم من اجل كفرانهم وتخصيص تكرير هذه القصص الحسن على هذا الترتيب في كثير من سور القران دون قصة ابراهيم عليه السلام
فانه وقع النصح قوله اني ذاهب الى ربي سيهدين بانه خرج من بين قومه قبل عذابهم ولم يسلك بسببهم في افراد عينه باهلاك من كذب
بحضرته وهو افضلهم لانه لم يرد قصته اعظم في الاهلية وهو شبيه ما اتفق لولده افضل البشر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وانظر الى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم تعرف ما في هذا المقام من الاكرام وان الامر كما قيل لعين تجازى الف عين
وتكرم ولما قدم سبحانه وتعالى اجمال الانذار بما اشتركت فيه الامم من الاهلاك بقوله تعالى وكم من قرية اهلكناها الاية ثم اتبعه
بعد تقديم ما يحتاج اليه على النظم الذي سبق التنبيه عليه تفصيل ما انفردت به كل امة من العذاب البجات على سبيل الصواب اتبع
ذلك الاجمال الاخر بشيء من الادلة على نمط غريب دال على عادته المستمرة في شان هولاء الامم الذين ذكرهم وغيرهم ليلا يظن ان غيرهم
كان حاله غير حالهم فبين ان الكل على نهج واحد وهو التكذيب والاستكبار على الحق ليكون الاجمال على الضوابط والقواعد الكلية

الكلية لينطبق على الجزيبات وذلك الاستبصار بما يكون من نافع او ضار وعدم الاغترار باحوال المستدرجين الاشرار تسلية
لنبيه صلى الله عليه وسلم والناس متقدمة على قصة موسى وهرون عليهما السلام لطولها وتخللا بما في ذلك من صادع الانذار بقوله
تعالى وما اي وارسلنا فلانا فكان كذا وفلانا فكان كذا وما ارسلنا اي بما لنا من العظمة في قرية اي من قرى اولئك وغيرهم ٥
من نبي اي من الانبيا الذين يقدمون الا كان ما اخبر به من تربيتهم من سطوا سار هو انا اخذنا اي بعظمتنا اهلها اي لحدهم سطوع
لاجل استكبارهم عن الحق بالباسا اي بهم في الرجال والضرا اي المرض والفقر لعلهم يتضرعون اي ليكون حالهم عند المشاهدة حال من يرجى
تضرعه وتذلله وخضوعه لمن لا يكشف ذلك عنه غيره ولما كان التضرع في ادنى المراتب على ما اشار اليه الادغام لان ذلك كاف
في الانقياد من عذاب النار الذي هذه سورته بخلاف ما مضى في الانعام ولما لم يتضرعوا احاد منهم من تلو كلم معترفين بالحق ولاهله
كالحق له اسند دجهم بادرار النعم فقال مشيرا الى طول مدة الابتلا واستبعادهم بكشف ذلك البلا ثم بدلنا ومظهر العظمة يريد
الاحتمال الثاني كثروا اي حيث بدل مكان اي النعمة الحسنة اي النعمة وبين انه مد النقمة بقوله السيئة اي كثرت نعمهم فلم يشكروا
حتى عفوا مسند من الامر الى غيره الى اهله وقالوا قد مس اباءنا الضرا اي الشدة والسرا اي الرخا والنعمة معتقدين انه انه هذه عادة الدهر
لا فعل الفاعل المختار ولم يتنبهوا ويعلموا ان ذلك من بحيث لا يعد لعينه عن نابه ولا ينفك عن جانبه وظنوا ان ذلك دابا بالدهر
وفعل الزمان واستمروا على حالهم فسادهم في حال الشدة والرخا سبب عنه قوله فاخذناهم اي بعظمتنا اشد الاخذ واقبحه في
الظاهر والباطن بغتة اي فجاة حتى لا تنفعهم التوبة واكد معنى البغتة كشفا لامره بقوله وهم لا يشعرون حتى من سمع هذا ان يبادر الى
الرجوع عن كل مخالفة خوفا من الاخذ بغتة ولما بين تعالى ما كان قولهم سببا له من الاخذ بغتة بين ما كان يكون ضده قولهم سببا له من
البركات لو وقع بقوله ولو ان اهل القرى اي هذه الذي قصصنا اخبارها امنوا اي بما اتت به رسلهم واتقوا اي خافوا الى الله
وجعلوا بينهم وبين سخطه وقاية من طاعته واستمروا على ايمانهم لفتحنا عليهم بركات اي خيرات ثابتة لا يقدر احد على ازالتها
من السما اي بالمطر الذي يكون كافواه القرب وما شابهه والارض بالنبات الغليظ وما قاربه وقراة ابن عامر بالتشديد يدل على كثرة
تلك البركات واصل البركة المواظبة على الخير ولما كان الكلام بما فيه او في قوة الهو لم يومنوا عبر بقوله ولكن كذبوا اي كان التكذيب
ديدنهم وشانهم ولذلك لم يصدقوا رسلنا في شي ولما كان التكذيب موضع الجلافة والجمود الذي هو سبب لعدم النظر في الدليل
سبب عنه العذاب فقال فاخذناهم اي بما لنا من العظمة بما اي بسبب ما كانوا يكسبون اي بجعل كانهم الخبيثة من الاعمال المتابعة
لها ولما كانوا قد ضلوا ضلالا بعيدا في غلطهم في جعلهم السرا والضرا سببا للاشر من مكر الله قال منكرا عليهم امنهم عاطفا له على كذبوا
لانه سبب للغلط وهو سبب الامن فقال افامن اهل القرى اي كذبوا بما سبق من نعالنا المرهبة بالمضار المرغبة بالمسار فامنوا ان
ياتيهم باسنا اي اثر شي مما لنا من العظمة التي لا تناسبها الا خاسر بياتا اي ليلا وهم قد اخذوا في سوتهم ولما كان النوم شيا واحدا
يعم الحواس فيقتضي الاستقرار عبر بالاسم الدال على الثبات فقال وهم نايمون اي على غاية الغفلة عنه ولما كان ربما قال جاهل لو هجم
وبهم ايقاظ امكن ان يدافعوا قال او امن اهل القرى اي مجتمعين او منفردين فانه لا فرق عندنا في ذلك ان ياتيهم باسنا ضحى
في وقت ركضهم واجتماع قواهم ونشاطهم ولما كانت اليقظة موجبة للحركة عبر بالمضارع في قوله وهم يلعبون اي يتجدد لعبهم
شيا فشيا في ذلك الوقت وفيه تقريع لهم بنسبتهم الى انهم صاروا من ضعف العقول الالتفات لهم الى غير اللعب ولما كان عندهم
الذي نسبوا انه الامن الى عني اهله اشنع منه لتضمنه التعطيل وما يحواله اليه من الاباطيل كرر الانكار عليهم على وجه اشد من
الاول فقال منسيا الانكار عما اثبت هذا الكلام من العظمة التي لا يتمادى فيها ذو لب افامنوا مكر الله اي فعله الذي
يشبه المكر باخذ الانسان من حيث لا يشعر بالاستدراج بما يريد من النعم والنقم وسبب عن ذلك قوله فلا يامن مكر الله اي الملك
الاعظم منه نكالا يرد له امر الا القوم الخاسرون اي الذين كانت تولهم سببا لغراقتهم في الافعال الضارة والخصال المهلكة ولما
بان بما مضى حال الكفار مجملا ومفصلا وكان المقصود من ذلك عبرة السامعين وكان اخذهم بالباسا والضرا مع انتقامهم وحفظ
ارواحهم وانهامهم بعد اهلاك من قبلهم في بعض ما حكم في ذلك واثرا لهم الارض من بعد اهلكهم هم حالا تكون لها في حيكم من يرجى
منه الخوف المقتضي للتضرع والعلم قطعا بان الفاعل لذلك هو الله وانه لو شا اهلكهم بالذنوب او غطى افهامهم بحيث يصيرون
كالبهايم لا يسمعون الا دعا ونداء نسالهم حيث لا نفهم كالانسان فجعلوا اذ لك الاكرام سببا للامن انكر عليهم ذلك بقوله افامن الى اخره
ثم انكر عليهم عدم الاستدلال على القدرة فقال عاطفا على افامن اولم يهد اي يبين اخذنا للامم الماضية بالباسا والضرا ثم اهلاكهم
الى ان لم يتعظوا للذين يرثون الارض والمظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف واشارة الى بلادتكم لعدم البحث
عن الاخبار ليعلموا اسبابها ما يضر وما ينفع فلا يكونوا كالبهايم فانهم لو تاملوا احوال الماضين واحوال من ورثوا ارضهم واحوال الارض لكفاهم
ذلك في الهداية الى سوا السبيل ولما كان ارثهم ليس مستغرقا للزمان اتى بالجار فقال من بعد اهلها ثم ذكر مفعول يهد بقوله
ان اي انا لو نشا اي في اي وقت اردنا اصبناهم بذنوبهم اي اصابة تحقهم كما فعلنا بمن ورثوا ارضهم ولما كان هذا التخويف
للموجودين بعد المهلكين ومنهم قريش وسائر العرب الذي يخاطبون بهذا القران فكان المخوف به لم يقع بعد عطف على اصبنا بعد
نود ونطبع على قلوبهم اي بازالة عقولهم حتى يكونوا كالبهايم ولذلك سبب عنه قوله فهم لا يسمعون اي سماع فهم وعي عن الاصابة
بالمصائب الماضي اشارة الى سرعة الاهلاك لكونه مع كونه شيا واحدا اخرى وعن الطبع بالمضارع ايما الى التجدد بحيث لا يمر زمن الا كان نواتيه

في طبع جديد ولما انقضى ذلك على هذا الوجه الاعظم والنظم الابلغ الاحكم وكانت هذه القرى بحيث تعرفها العرب وترد كثيرا اشار اليها
حثا على الاعتبار بها ولما كان اهلها جديرين بالبعد عنهم والهرب عن امثالهم باداة البعد فقال تلك القرى اي بحال القبائل الخمس ويجوز
ان يكون البعد لعظمة ما حصل لاهلها من العذاب ويؤيده قوله مبينا لحالها نقص عليك ولما كان القائل من كلمة ادنى شيء هو الاسد
بان اخبارها بعوث الحصر وان ما قص منها يكفي المعتبر فقال من انبائها اي اخبارها العظيمة الهائلة المطابقة للواقع شيئا بعد
شيء كما ينقل من يتتبع الاثر واثبات القرى لان رؤية القرى نفسها مع ذلك ومعرفة اخبار اهلها ولما كان المقام مقام التعجب من التكذيب
بعد ذلك البيان كان ربما يخيل متخيل انهم لم يؤتوا بالبيان الشافي شهد الله تعالى للرسل عليهم السلام تصديقا لمن قال منهم قد جاءتكم
بينة بقوله ولقد اي والحال انه قد جاءتهم اي اهل القرى لانهم المقصودون بالذات رسلهم اي الذين ارسلناهم اليهم بالبينات فما بجبيتها
اي فما تسبب عن ذلك بسبب طبعنا على قلوبهم الا انهم ما كانوا موفقين ليؤمنوا اي عند مجيئهم وتذكر ... لله بيمان والكون هم تاكيد
بما اي بالذي كذبوا اي به وصرفها ادل على الزجر عن مطلق التكذيب او نفي المقصود السورة ولما كان تكذيبهم غير مستغرق للزمان
الماضي ادخل الجار فقال من قبل اي قبل مجيء الرسل اليهم او تكذيبهم الواقع منهم للرسل فيما اتوا به عن الله من قبل الاخذ لهم او من قبل
مجيء الرسل بالبينات فانهم اول ما جاءوهم فاجاؤهم بالتكذيب بجوزوا على ذلك بالحق من غير نظر في دليل بالطبع على قلوبهم فاتوهم بالمعجز
فاصروا على ذلك التكذيب ووقفوا لذلك الطبع حظوظهم وسفههم ... وشدة شكايتهم عن الايمان ليلا يقال انهم حقوا او لانها
وقع منهم من التكذيب فكانوا انه على غير بصيرة وانهم خافوا ثانيا ما زعمتهم الرسل من الوعيد فدخلوا احيانا فيما يعلمون بخلافه
فكان ترديد هذا المطبع على قلوبهم وكانه قيل ان هذا العجب هل يقع في مثل ذلك احد فقيل نعم مثل ما طبعنا على قلوبهم حتى صارت
مع الفهم لا تنتفع فكانها لا تفهم فكانها لا تسمع كذلك يطبع الله اي الجامع الصفات الكمالية نعوت الجلال بما يجمل من الذين لهم
له من العظمة على قلوب الكافرين اي كل من يغطي ما اعطاه الله من نور العقل بما تدعوه اليه نفسه من الهوى غير ناظر في الاتصاف بذلك
عن ايات الله ولما كان نقض العهد قطع شيء لا سيما عند العرب قال عاطفا على فما كانوا وما وجدنا اي في عالم الشهادة لاكثرهم اي الناس
واكد الاستغراق فقال من عهد طبق ما كان عندنا في عالم الغيب وهذا اما اشارة الى الميثاق يوم الست بربكم ان كان ذلك على حقيقته من عهدهم
او على ما يفعلون حال الشدائد من الالتزام عن المعاصي والمعاهدة على الشكر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين والى دلالة الحجة
باقامة العقول ونصب الادلة فصار شخصها وايضاحها للعقول كانه اخذ العهد على من عقل انه يبذل الجهد في التامل والا يتجاوز ما ابداه
له صحيح النظر وان اي وانا وجدنا اي علمنا في عالم الشهادة اكثرهم لفاسقين اي خارجين عن دائرة العهد مارقين منها او فيهم عنه الحد
غير متقين في ذلك طبق ما كنا نعلمه منهم في عالم الغيب وما ابرزناه في عالم الشهادة الا لنقيم عليهم الحجة على ما يتعارفونه بينهم في مجاري به م
عاداتهم ومدارك عقولهم ولما انقضى بيان هذا الاجمال الجامع لقلوب الرجال اتبعه الكشف عما كان بعد قصة شعيب عليه السلام من قصة
ظهوره موسى عليه السلام مع فرعون وقومه وهي كالدليل على ايات الاجمال كما كانت القصص الماضية كالدليل على ما في اول السورة من الاحسان
فان قصة فرعون مشتملة على الاخذ بالباسا والضراء ثم الانعام بالرخاء والسراء ثم الاخذ بغتة بسبب شدة الوقوع في الضلال بالكشف
والبيان فاطلع على قلوبهم من الطبع وما ادت اليه الحظوظ من الفسق وكانه فصلها عن القصص الماضية بما ذكرها وتنبيها على علو قدرها
لان معجزات صاحبها اعظم من معجزات من كان قبله وجهل من كان اعظم واخس من جهل تلك الامم ولذلك عطفها باداة البعد مع قرب زمنها
التي قبلها اشارة الى بعد رتبتها بما فيها من العجائب وما اشتملت عليه من الرغائب والغرائب ولذلك مد لها الميدان واطلق في سياقها الجواد
العنان فقال ثم بعثنا اي على عظمتنا من بعدهم اي الرسل المذكورين والامم المهلكين موسى باياتنا اي الحجج التي يحق لها العظمة
ما اضافتها الينا فتثبت بها النبوة الى فرعون هو علم جنس لملوك مصر ككسرى لملوك فارس وقيصر لملوك الروم وكان اسم فرعون موسى
عليه السلام قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان وملائه اي عظماء قومه وخصهم لانهم اذا اذعنوا اذعن من دونهم فكانهم المقصود
بالارسال اليهم ارسال الى الكل ولما تسبب لهم الظلم قال فظلموا اي وقعوا في مثل الظلام حتى وضعوا الاشياء في غير مواضعها
فوضعوا الانكار موضع الاقرار بها اي بسبب رؤيتها خوفا على رياستهم وملكهم ان يخرج من ايديهم ولما كان من ذلك من اعجب العجب
وهو ان سبب العدل يكون سبب الظلم وكان هذا الظلم اعظم اسناد سببه عنه قوله معجبا فانظر اي بعين البصيرة كيف كان عاقبة
اي اخر امر المفسدين فلخص في هذه الاية على وجازتها جميع قصتهم على طولها وقدم ذكر الايات اهتماما بها ولانها الدليل على صحة دعوى
البعث ولما كان النقد وعطفا على فظلموا بها وضعها موسى مواضعها عقب عنه بقوله وقال موسى يا فرعون خاطبه بما يجبه
امتثالا لامر الله تعالى له ان يلين في خطابه وذلك لان فرعون لقب مدح لمن ملك مصر ولما اتاهم عليه السلام وهم عارفون بامانته وصدقه
وعظم مكانته ومكارم اخلاقه وشريف عنصره وعظيم مخبره وفرعون اعظمهم معرفة به لانه ربي في حجره كان هذا حالا مقتضيا
لان يلقي اليهم الكلام غير مؤكد لكن لما كان الارسال من الله امرا عظيما جدا وكان المقصود به جليلا بني اسرائيل كان فرعون ضنينا
بذلك اكده بعض التاكيد فقال اني رسول ثم بين مرسله بقوله من رب العالمين اي المحسن اليهم اجمعين وانتم منهم بايجاد
وتربيتهم لفوت تنبيه لمن سعد على ان فرعون مربوب مقهور ولما ظهر لهذا الجاحد عنه من الربوبية ولا على تسويته ببقية
العالمين ناطقهم وصامتهم فكان كذلك بعيدا من ان لا دعا لهذا الكلام اتبعه قوله على وجه التاكيد مستانفا بما يلزم
الرسول اي بالغ في الحق وهي الشهادة الذي لا يملون ذو العلي الا اقول على الله الا الحق اي الذي له جميع الكمال والعظمة لسواه فلا حقيق

ولا جدال الا الحق اي الثابت الذي لا يمكن المماراة فيه اصلا لما تصدقه من المعجزات وحاصل العبارة وما الهاحق على قولي الذي احلفه
على الله ان لا يكون الا الحق اي غير الحق ولذلك عبر بالاسم الجامع الاعظم الجامع لجميع الصفات وقراءة نافع بالتشديد بالاضافة في حق
بمعنى هذا سواء الا ان من حق علي شيء حق علي كلامه ولما كان الحال اذ ذاك يقتضي توقع اقامة موسى عليه السلام البينة على صحة رسالته
كان كانه قيل ما دليل صدقك فقيل مفتتحا بحرف التوقع والتحقيق قد جئتكم اي كلكم لا اخص احدا منكم ببينة دليله على رسالتي
وقولي الحق من ربكم اي المحسن اليكم بكل نعمة ترونها لديكم من خلقكم ورزقكم وكفه الامم عن انتزاع هذا الملك منكم واهلاككم
وتلك البينة هي المعجزة فكرر البيان في هذا الكلام على ان فرعون ليس كما يدعي لانه مربوب لا فرق بينه وبين بقية العالمين في ذلك
ولما كان من المعلوم ان مثله تمام عقله في تمام عقله ولطف خلقه بقية لا يدعي في ذلك الجامع الاجتماع مما نبه عليه من البيان على تفرد الله
بالالهية كما تفرد بالاحسان كان كانه اظهروا البينة التي ولما كانهم عن اهلاكه واتبع ذلك نتيجتها النتيجة اعلاما بغاية ما يريد منهم بقوله
مسببا عن مجرد هذا الاخبار الذي كان او قع مضمونه فارسل اي يا فرعون معي بني اسرائيل اي تسبب عن اقامتي الدليل على صحة
ما قلت ان امتي بما جئت له وهو ارسالهم معي امر من صار له سلطان باقامة البينة ليذهب كلنا الى بيت المقدس مواطن ابائنا التي انعم
الله لهم ان يورثها ابناءهم وفي جعل ذلك نتيجة الارسال الى الله تنبيه على ان رسالته مقصورة على قومه فكانه قيل فما ذا قال فرعون
في جواب هذا الامر الواضح فقيل قال معرضا عنه معميا لذلك فانه علمه عنده من يعرف موسى عليه السلام حق المعرفة معبرا
باداة الشك انقا قالهم ان كنت جئت باية اي علامة على صحة رسالتك فأت بها فاوهم انه لم يفهم الا ان المراد اية مستقلة من غير
ق ان يكون في كلامه السابق دلالة على صدقه واكد الايهام والشك بقوله ان كنت اي جبلة وطبعا من الصادقين اي في عداد اهل الصدق
والدفع من فهمه ليعم دعواك عندي وثبت ولما ساق هذا الطلب مساق الاعلى انه شاك في انه اخبر تعالى انه فاجاه بما ظهرت الاية
والاعلى ذلك بالغاء المسببة المعقبة من غير مهلة فقال عن فعل موسى عليه السلام فالقى عصاه وعن فعله هو سبحانه فاذا هي اي العصا
ثعبان مبين اي ظاهر في كبره وسرعة حركته بحيث انه لشدة ظهوره كان ينادي للناس بظهوره اي وهو بوصف لصدق من تسبب عن فعله في جميع
مقالته روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه وهو الاسفل في الارض ولحيه
الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فوثب من سريره هاربا واحدث وحمل على الناس فانهزموا وصاحوا فمات منهم خمسة وعشرون
الفا قتل بعضهم بعضا وصاح فرعون يا موسى خذه وانا اومن بك فاخذه فعاد عصا ثم قال هل معك اية اخرى قال نعم ونزع يده
اي اخرجها من جيبه بعد ان اراه اياها تحت ترادها كما كانت وهو عنده فاذا هي بيضاء ونبه على ثبات بياضها وزيادة اعجابه بقوله
للناظرين قال ابو حيان اي للنظارة وفي ذلك تنبيه على عظم بياضها لانه لا يعرض العجب لهم الا اذا كان بياضها خارقا عن العادة وقال
ابن عباس صارت نورا ساطعا يضيء ما بين السماء والارض له لمعان مثل البرق فخروا على وجوههم وما اعجب امر هذين الخارقين العظيمين احدهما
في نفسه وذلك اليد البيضاء والاخر في غير نفسه وهي العصا التي يمسكها بيده وجمع بذلك تبدل الذوات من الخشبية الى الحيوانية
وتبدل الاعراض من السمرة الى البياض الساطع فكانا دالين على جواز الامرين ولما اتى بالبيان واقام واضح البرهان اقتضى الحال
قال الملاء السؤال عما ابرزه من المقال في جوابه فقال قال اي الا كابر من قوم فرعون مما تلقوه من فرعون واحدا بعد واحد تلقته اكابرهم اصاغرهم
ان هذا لساحر عليم اي هذا الذي رايتموه انما الناس من تخييله ما لا حقيقة له فلا تنادوا الى متابعته ولما كان هذا خارجا عما
الفوه من السحر قالوا عليم اي ماهو فيه بالغ في علم السحر غاية عظيمة فلذلك جاء ما رايتم منه فوق العادة فكان فرعون قال ذلك ابتداء كما
في سورة الشعراء فتلقفوه منه وبادروا الى قوله تقوله بعضهم لبعض اعلاما بانهم على غاية الطواعية له خوفا على نهايتهم بحيث نقلها لقوله
تعالى فاستخف قومه فاطاعوه واعتبر هنا اسناده اليهم لان السياق للاستدلال على فسق الاكثر واما هناك فالسياق لانه اراد بحاجته
اثر الاية خضعوا لها كما خضع فرعون عند رؤية ما راى من موسى عليه السلام حتى رضي لنفسه ان يخاطب عبيده على ما يزعم بما تقتضي
ان يكون لهم عليه امر فكذا كان اسناد القول اليه احسن لان النفرة في معارضته الراس اظهر وخضوع عنقه افخم واكبر ولما خيلوهم
حتى دفعوهم عما نهوا عنهم من المبادرة الى المتابعة بادعائه انه ساحر نفروهم من ذلك وخوفوهم بانه يريد ان يحكم فيهم قومه الذين
كانوا عبيدا لهم ويزيحوهم من ديارهم التي هي لاشياخهم مثل اشياخهم لا دواحهم بقولهم يريد ان يخرجكم اي ايها القبط من ارضكم
اي بهذه التي انتها لكم اباكم وبها قوامكم ولما كان السياق لبيان فسقهم اسقط قولهم في الموضع الاخر بسحره انما لخلهم ابرام
الارض في خبره اشارة الى تغالبهم في النسق ليعلمهم انه محق وليس بساحر ولما كان المقصود لهذا الكلام استعطاف المخاطبين ليستطعوهم بعد
ان او تعوهم ثم خوفوهم بما سبقوا عن الخطاب السابق من قولهم فماذا تامرون اي تقولون في هذه المشورة ايها السادة ليمتثل ولما
المداين كان كانه قيل فعل اي شيء استقر رايهم فقيل لا تاخير الامر الى حشر السحرة المعارضة فاخبر تعالى دلالة على ان اصل قوم الملاء منه لكم
ا تبلوا عليه مخاطبين له ملقين من ابلغهم عنه لعظمه له مسند الامر الى الله بقوله قالوا اي الملا لفرعون بعد ما استقر في اذهانهم ما
نسبوه اليه من الارادة ارجه اي موسى عليه السلام واخاه اي احدهما تنفيسا لنا من هذا الخناق الى وقت ما حتى ننظر في امرهما
وارسل في المدائن حاشرين اي من بلاد سحرة عشر من بلاد السحرة يجمعوا كلهم من كل فج وللحشر الجمع يكثر يأتوك ولما كانت دلالة السياق
هنا على رعب فرعون اتى بما في الشعراء لما اقتضاه الحال في كل منهما قرا الجمهور بكل ساحر عليم اي بالغ العلم في السحر وفي قراءة
حمزة والكسائي سحار زيادة مبالغة ايضا المراد من قلق فرعون في الجملة وهذا يدل على ان السحرة كانوا في ذلك الزمان عندهم في غاية

الكثرة ويدل على ان في طباع المعارضة فيهما امكنت تطلب دعوى النبوة واذا تعذرت حصلت دعوى الملك ان التعذر فاخوا همادكل
كما قالوا اجمعوا ان وجدوه منهم عطف عليه قوله وجاء السحرة فرعون ولما تشوف السامع الى خبرهم قال مجيبا له استئنافا قالوا اى
لفرعون عند ما حضروا بين يديه مستوثقين لنفع انفسهم متهمين له انهم غالبون لا مانع لهم من ذلك الا عدم انصافهم بما يعين للكلام
في قراءة الجماعة سياق الاستفهام ادبا معه في حمله على الاكرام ان لنا لاجرا فاكدوا وطلبوا الاكرام بالوعد على حال التاكيد ان كنا نحن
اى خاصة الغالبين ومن اخبر اراد الاستفهام وهم نافع وابن كثير وحفص عن عاصم قال اى فرعون نعم اى لكم لاجر موكد الخبر
وزاد بيان التاكيد بما زادهم به رغبة في قوله وانكم اى زيادة على ذلك لمن المقربين اى عندى في الحضرة ولما فرغوا من محاورته
تشوف السامع الى قولهم لموسى عليه السلام فاستانف قوله عليه السلام جوابا قالوا ناديين باسمه يا موسى مخيرين له ادبا معه كما هي عادة
عقلاء الخصام قبل وقوع الخصام في سياق منهم ان قصدهم الالقاء اولا وذلك قولهم اما ان تلقى اى انت اولا ما تريد ان تلقيه من المغالبة
في اظهار صحة دعواك واما ان نكون نحن اى خاصة الملقين اى لما معنا اولا ولما فهم موسى عليه السلام من ادبهم مما عبر هذا النظم عن
حقيقة معناه من تاكيدهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر واقحام الفصل كان ذا اتقان من الله تعالى بما وعده به جاريا مع مراده
لا فرق بين ان يتقدم او يتاخر اجابهم الى سؤالهم وهو اوقع في ازدراء شانهم فاستانف سبحانه الخبر عنه بقوله قال القوا
اى انتم ايها السحرة ما تريدون القاءه وهو امر تعجيز ولما اذن لهم بادروا الى ذلك كما افهمه العطف بالفاء في قوله فلما القوا اى ما اعدوه
سحروا اعين الناس اى عن صحة ادراكها حتى خيلوا اليها ما لا حقيقة له وهو ان حبالهم وعصيهم وكانت كثيرة جدا صارت
تتحرك ويلتوي بعضها على بعض ويثبوا جماعة يتنادون ايها الناس احذروا واسترهبوهم اى واوجدوا رهبتهم ايجادا كانه
فيه طالب لها غاية الطلب ولما قيل ذلك كان ربما ظن انهم خافوا مما لا يخاف منه من مثله فقال تعالى مبينا انهم معذورون
في خوفهم وجاءو بسحر عظيم قال صاحب كتاب الزينة والسحر على وجوه كثيرة منه الاخذ بالعين ومنه ما يفرق به بين المرء وزوجه
ومنه غير ذلك واصله ماخوذ من التعلل بالباطل وقلب الامر عن وجهه كما ذكرنا من لغة العرب ولما تناهى الامر واشتد التشوف
الى ما صنع موسى عليه السلام قال معطا عنه على جاءوا واوحينا اى بعظمتنا على ذلك الاثر بما لا يقدر احد ان يضاهيه
الى موسى ان الق عصاك اى فالقاها فاذا هي من حين القائه لها تلقف اى تلتقف التقافا عنيفا شديدا سريعا جدا
بما دل عليه حذف التاء ودل على كثرة ما صنعوا بقوله ما يافكون اى يجددون حين القائهم في تزويره وقلبه عن وجهه فامتلات
ما كان عليه وفي هذا السياق تعليم تهييب موسى عليه السلام بعد عظيم ما راى من سحره الى الالجاء الى بيان لا بد عليه السلام
في ذلك المقام وسكونه تحت المقادير مع توسله سبحانه الى بروز اوامره التى بعد ولما علم ان ما صنعوه انما هو خيال وما صنعه موسى
عليه السلام اثبت من الجبال سبب عنه معقبا قوله فوقع الحق اى الذى لا ابت منه فالواقع مطابقة لان باطن الامر مطابق لما
ظهر منه من ابتلاعها لامتعتهم فالاخبار عنه صدق وفيه تنبيه على ان فعلهم انما هو خيال ما بالنسبة الى ظاهر الامر واما في الباطن
والواقع فلا حقيقة له فالاخبار عن تحركها القوة كذب ولما اخبر عن ثبات الحق اتبعه زوال الباطل فقال وبطل بحيث عدم اصلا وقدا
ما كانوا يعملون فدل بمكان المضارع على انهم مع بطلان ما عملوا انسوا علمهم بحيث انه انسد عليهم باب العمل بعد ان كان لهم به
ملكة كما لك ما هو كالجبلة والله اعلم ثم سبب عن هذا قوله فغلبوا هنالك اى عند هذا الامر العظيم العالى الرتبة صاغرين
اى جزاء على قلبهم لتلك الحقائق عن وجوهها طال كونهم وانقلبوا اى بعد ان كانوا عند انفسهم ومن يقول بقولهم وهم الاغلب
عالين ولا ذل ولا صغار اعظم في حق المبطل من ظهور بطلان قوله على وجه لا يكون فيه حيلة ولما كان الادب وذل النفس لا ياتي
الا بخير لانه الذى لا يليق ما لعبيد قاد كثيرا منهم الى السعادة الابدية فلذلك قال والقى السحرة اى القاهم ملقى الخوف من سوء الشوق
الى الخضوع بين يديه والذل لديه حين عرفوا ان ما فعله موسى عليه السلام امر سماوى صدق الله به موسى عليه السلام في انه
رسوله ولم يتاخروا بعد ذلك اصلا حتى كانهم خروا من غير اختيار ساجدين شكرا لله تعالى واستسلاما عن الكفر ودليلا
على اقصى غايات الخضوع فعل الله ذلك حتى يبهر به فرعون وملاه ويحير عقولهم ولما كانوا بمعرض التشوق العظيم الى معرفة
قولهم بعد فعلهم اخبر عن ذلك سبحانه بقوله قالوا اى حال القائهم للسجود امنا اى كلنا برب العالمين اى الذى خلق فرعون
ومن قبله وما يعيشون به ثم خصوا من هداهم الله على ايديهما تفهيما بالمراد وتشريفا لهما فقالوا رب موسى ثم قالوا
الشبهة بحذافيرها لان فرعون ربما ادعى بتربية موسى عليه السلام انه المراد بقولهم وهرون وفي الاية دليل على ان ظهور الاية
موجب للايمان عند من ظهرت له ولو ان الرسول غير مرسل اليه ولما صرحوا بالذى امنوا به نصا حاسما فرعون ان يلبس معه بما
يخيل به على قومه شرع في تهديدهم على وجه يمكن فيه بقوله وتلبس عليهم انفا قالهم عن المبادرة الى الايمان كما بادر السحرة
الوقت ما فاستانف الخبر عنه سبحانه بقوله مصرحا لذلك في غير هذه السورة لان مقصود السورة الانذار وهو احق
الناس بالمناداة عليه في ذلك المقام وقصة سورته لبيان فسق الاكثر وهو افسق اهل ذلك العصر قال فرعون منكرا
عليهم موبخا لهم بقوله امنتم اى صدقتم به اى بموسى تصديقا امنه من رجوعكم عنه ومن اخبر اراد الاستفهام واوهم
فرعون من فهم عنهم من القبط ارادة الايمان لاجل ما راوا من دلائل صدق موسى عليه السلام واتباعا للسحرة بقوله قبل
ان اذن لكم ان هذا لتوقفهم عن خطر المخالفة لما رجاهم فيه من اذنه فلما خولكم وقفوا خيلهم عما يذهب عنهم ذلك الخاطر

الخاطر اصلا والله اعلم موكدا ونفيا لما على مضمون قوله من لوازم الكذب ان هذا لمكر اى عظيم جدا وطويل بينهما لما اراد
وتنبيه لخاطر الايمان فقال مكرتموه في المدينة اى على ميعاد بينكم وبين موسى وحيلة احتلتموها قبل اجتماعكم وليس لان
صدقه ظهر لكم ثم علل بما تعلق به نكوصهم وتشوش قلوبكم فقال لتخرجوا اى انتم وموسى عليه السلام منها اهلها وتسكنوا
انتم وبنو اسرائيل ولما استتب له ما اراد من ترويج المكر شرع في تهديدهم بما يمنع غيرهم ويردهم فقال مسببا عن ذلك
فسوف تعلمون اى توعد لا خلف فيه ما افعل بكم من عذاب لا يحتمل ثم فسر ما اجمل من هذا الوعيد بقوله لاقطعن ايديكم اى اليمنى
مثلا وارجلكم اى اليسرى ولذا للترتيب بقوله من خلاف اى يخالف الطرف الذى يقطع منه اليد الطرف الذى يقطع منه الرجل ولما كان
مقصود هذه السورة الانذار فذكر فيها ما وقع لموسى عليه السلام والسحرة على وجه تهويل ذكر ما كان من امر فرعون على وجه يقرب
من ذلك فعبر بحرف التراخي لان فيه مع الاطناب الذى يكون شاغلا لاصحابه عما ادهشهم مما راوه تفظيعا لامر الصلب فيكون اذهب
للشجاعة ولمن تزلزل كلامهم من قومه فقال ثم لاصلبنكم اى اعلقكم ممدودة ايديكم لتصيروا على هيئة الصليب وحتى تتفاخر
صليبكم وهو الدهن الذى فيكم اجمعين اى لا اترك منكم احدا الا جعلكم نكالا لغيركم ولما كان ما لا يشوق النفوس الى جوابهم اشار نفه
بقوله قالوا اى جميعهم لم يرتع منهم انسان ولا تزعزع من لزلهم عما منحه الله من رتبة الايمان انا الى ربنا اى الذى
ما زال يحسن الينا بنعمه الظاهرة والباطنة حتى جعل اخر ذلك اعظم النعم لا الى غيره منقلبون اى بالموت انقلابا ثابتا لا
انفكاك لنا عنه ان صلبتنا او تركتنا فلا طمع لنا في البقاء في الدنيا فنحن لا نبالى بعد علمنا ما متنا على حالة السعداء الموت على اى
حالة كان والمراد انا نتقلب اذا قتلتنا الى من يحسن الينا بما منه الانتقام منك ولذلك اتبعوه قولهم وما تنقم اى تنكر منا
اى في فعلك ذلك بنا وتعيب علينا الا ان امنا اى الا ما هو اصل المفاخر كلها وهو الايمان بايات ربنا اى التي عظمت بكونها
صادرة عنه ولم يزل يحسننا الينا فوجب علينا شكره لما اى حين جاءتنا لم نتاخر عن معرفة الصدق وهذا يوجب الاكرام لا الانتقام ٢
ثم ادنوه ما نهم مقدمون على كل ما عساه ان يفعل بهم فقالوا ربنا اى ايها المحسن الينا القادر على خلاصنا افرغ اى صب
غامرا علينا اى فيما تهددنا به هذا الذى توعدنا به علينا صبرا اى كثيرا نغمر به كما يغمر الماء من يفرغ عليه حتى لا يروعنا ما يخوفنا مسلمين
به وتوفنا اى اقبض ارواحنا وانعم حال كوننا مسلمين اى غريقين في الانقياد في الظاهر والباطن لدلائل الحق والظاهر ان
الله تعالى اجابهم فيما سالوه تلويحا بذكر الرب فلم يقدره عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون ولم يات في خبر يعتمد
انه قتلهم وسيأتي في اخر الحديد عن تاريخ ابن عبد الحكم ما هو صريح في خلاصهم ولما دبع فرعون في ذلك الوقت الذى كهوت قومه
تلك المعجزة الظاهرة بالانفصال عن هذا الوجه الذى لم يدع فيه حيلة الا حيل بها وخلص موسى عليه السلام بقوله متمكنا
منهم بعض التمكن وكان الشان وتبيانا لان اكثر الخلق فاسق خبر تعالى بما قال قوم فرعون بعد ما راوا من المعجز الباهر دليلا على
ذلك فقال عاطفا على والقى السحرة ساجدين وما بعده او على قول فرعون وقال الملا اى الاشراف من قوم فرعون ظانين ان
فرعون متمكن مما يريد بموسى عليه السلام من الاذى منكرين لما وصل اليه الحال من ابقاء موسى عليه السلام حين فعل ما فعل وامن به السحرة
وما فعل فرعون شيئا الا تتلمذ واحبسه لانه كان لا يقدر على ذلك ولا يعترف به لقومه اتذر موسى وقومه ولما كان ما كان من ذلك المجلس
من ايمان السحرة جديرا بان يجر اليه امثالهم من الحرة فسادا وجعلوه مقصود الفرعون انما قالوا استعظاما فقالوا ليفسدوا اى يوقعوا
الفساد وهو تغيير الدين في الارض اى التى هى الارض كلها وهى ارضنا هذه والارض كلها لكون مثل هذا الفعل جديرا بان يرد اهل الارض
كلهم عن عقائدهم ويذرك والهتك فقيل كان امر فرعون ان يعبدوا الاصنام تقربا اليه وقال الامام الاقرب انه كان دهريا
منكرا الوجود للصانع وكان يقول مدبر هذا العالم السفلى هو الكوكب وانه المخدوم في العالم للخلق او لتلك الطائفة
والملك لهم ثم قال واذا كان مذهبه ذلك لم يبعد ان يقال انه كان قد اتخذ اصناما على صور الكواكب ويعبدها على ما هو
دين عبدة الكواكب انتهى ولذلك قال انا ربكم الاعلى هكذا او هو ظاهر عبارة التوراة الاتية في اية الطور ويمكن ان اراد بغير ملائه
هذه المعاد لترك الظاهر انه كان سمى امرأة الهة وسمى لكل اسير قوما يسمونه الهة اى يطيعونه فانه نقل عنهم انهم كانوا يسمون
الحاكم بل وكبيرها الها كما سيأتي عن عبارة التوراة قريب وتقدم لموازنة بين موسى عليه السلام وقومه وبين فرعون وقومه
عبر بالالهة تعظيما للخاينة بالاشارة الى انه اله اى حاكم معبود ليس فوقه منتهى وملاؤه كلهم الهة اى حكام دونه وموسى
عليه السلام ليس بالدولة في قومه الذل هم محكوم عليهم فهم ضعفاء فلا يرهب منهم كون وحيث كفى الالهة عن غيره فيما نقل عن الله
خطابه لله ما علمت لكم من اله غيرى وحيث حشر الرعية ناداهم بقوله انا ربكم الاعلى وكان ذلك كما يطلق على الحاكم مجازا
يجعلونه حقيقة وصاروا يفعلون ما يحسن بداية من التحليل والتحريم كما قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله فكفروا وادعى الربوبية بمعنى المعبودية ونفى المعبود الحق بدليل انه ما علمت والحاصل انهم عيروه بالرضى
بان يكون دينا على القبط وموسى عليه السلام دينا على بنى اسرائيل فيكونوا بهذه المتاركة اكفاء للقبط ولما اعجزه الله سبحانه
ان يفعل بهم الذى كان يفعل قبل مجيء موسى عليه السلام لما يراد به من الاستدراج الى الهلاك اخبر سبحانه بما ينعم ذلك فقال
مستانفا قال اى فرعون سنقتل اى تقتيلا كثيرا ابناءهم اى كما كنا نفعل ونستحيى نساءهم اى نتركهم احياء اذلالا لهم وانا
من غايلتهم في المستقبل وانا فوقهم اى الان قاهرون ولا اثر لغلبة موسى لنا في هذه المناظرة لئلا يتوهم العامة انه المولود الذى

بحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده فلما طيرهم ذلك عن الطاعة موهما لهذا ان تركه لاذى موسى عليه السلام لعدم القدرة
عليه لا لعجزه عنه ولما كان هذا اى مريد من تلو بنى اسرائيل لما سمعوا من داعية العزم استانف سبحانه الخبر عن ما ابتلاهم به موسى عليه
السلام قائلا قال موسى لقومه اى بنى اسرائيل الذين لهم قوة ونمام فيما يريدون من الامور لو اجتمعت قلوبهم استعينوا اى اطلبوا العون
بالله الذى لا اعظم منه بما يرضيه من العبادة واصبروا ثم علل ذلك بما يقال له لما يريد لا اعتراض عليه ولا مغير من حكمه فقال ان الارض
اى كلها مصر وغيرها لله اى الذى لا امر لاحد معه كره ذلك بالخطة وتمهيدها وتيسرها ثم استانف قوله يورثها من يشاء من عباده
ولما اخبر ان نسبة الكل اليه واحدة اخبر بما يرفع بعضهم على بعض فقال والعاقبة اى الحال الاخرة الامر وان حصل بلاء للمتقين اى الذين
يتقون انفسهم سخط الله بعمل ما يرضيه فلا عبرة بما ترون فى العاجل فانه قد يكون استدراجا ولما تشوف السامع الى ما كان من جوابهم اشار
تعالى الى ان تكلمهم كان وصل الى حد الاضجر مع قوله مستانفا قالوا ولما كان الموجع هو الاذى لا كونه من معين بنى للمفعول قولهم اوذينا
اى بالقتل والاستعباد ولما كان اذاهم غير مستغرق ادخلوا الجار فقالوا من قبل ان تاتينا اى كما يعلم ومن بعد ما جئتنا اى فما الذى
افادنا مجيئك قال مسليا لهم وداعيا ومصرحا لما رمز اليه من قبل عسى ربكم اى الذى احسن الى ابائكم بما تعرفون واليكم بارسالى اليكم ان
يهلك عدوكم ذلك الذى تعرفون ما ترون ويستخلفكم اى ويوجد خلافتكم لهم تمكينا لا يحكم عليكم غيركم فى الارض اى جنسها اين كنتم متمكنين ثم
سبب عن الاستخلاف قوله مذكرا لهم محذرا من سطواته سبحانه فينظر اى وانتم خلفا متمكنون كيف تعملون اى يعاملكم معاملة المختبر
وهو فى الازل اعلم بما تعملون منكم بعد ايقاعكم للاعمال ولكنه يفعل ذلك ليقوم الحجة عليكم على مجارى عاداتكم ولهذا ولما رجاهم موسى عليه
السلام بذلك الخبر سبحانه انه فعل ما اخبرهم به فلم يذكر مقدماته فقال ولقد اى قال لهم ما قال والحال انا وعزتنا لقد اخذنا اى
قهرنا آل فرعون وليناء بطشكم وسهلنا تنكيبهم بالسنين اى بالقحط والجوع فان السنة تطلق بالعلية على ذلك كما تطلق على العام
ولما كانت السنة تطلق ويطلق على نقص الحبوب صرح بالثمار فقال ونقص من الثمرات اى بالعاهات وان كان الماء كثيرا او السنة للبادية
والنقص للحاضرة لعلهم يذكرون اى ليكون حالهم حال من يرجوا ناظره ان يتذكر فى نفسه ولو بادنى وجوه التذكر بما اشار اليه
الادغام فان الضر يزيل الشماخة التى هى مظنة الوقوف مع الحظوظ وتوجب للانسان الرقة فيقول هذا انما حصل لى بسبب تكذيبى
لهذا الرسول وعنادى لمن لا يكشف السوء عن نفسه ولا غيره ولما لم يهتدوا سبب عن اخذهم قوله معرفا لنا وكانهم معبرا فى الخبر باداة
التحقيق اشارة الى انه اغلب على الشكر فاذا اى فما سبب عن ذلك الا انهم كانوا اذا جاءتهم الحسنة اى الحالة الكاملة التى يحبونها من
الخصب وغيره وعرفها بعد تحققها اشارة الى كمالها قالوا لنا هذه اى نحن مستحقون لها ودل على ان الخير اكثر من غيره بقوله باداة
الشك مع التنكير وان تصبهم سيئة اى حالة يكرهونها ولما كانت الاصابة بالسيئة تخصهم ولا تلحق بنى اسرائيل منها شئ فكان ظاهرها ذم
للتطير بهم ظاهرا فى رده عليهم وتكذيبهم فيه اشار سبحانه بادغام التاء الى انهم كانوا انما يدسونه الى من يمكنهم اخفاؤه من الجهلة والاغبيا
على وجه الحيلة والخفاء بخلاف ما فى يس فقال يطيروا اى يتشاءموا بموسى ومن معه اى بان يقولوا ما حصل لنا هذا السوء الا بشؤمهم
وهو تفعل من الطير وهو بعد قصد الطير لان تطير التفاؤل به من خير وشر واصله ان العرب كانوا اذا امر الطائر من يسارهم قالوا انه
اى مشؤوم من الشؤم وهو الشدة واذا جاء من جهة اليسار الى جهة اليمين عدوه مباركا قالوا من لى بالسانح بعد البارح اى بالمبارك بعد
المشؤوم وعرف ان المراد هنا التشاؤم لاقترانه بالسيئة ولما ذموا فى الموضعين قال مستانفا على وجه التاكيد الا انما طائرهم
اى قدرهم الذى يسوق لهم الاذى من الخير والشر فلا يزاد ولا ينقص عند الله اى الملك الذى لا امر لغيره وقد قدر كل شئ فلا يقدر على
المجئ به غيره اصلا ولكن اكثرهم لا يعلمون اى لا علم لهم اصلا فهم لا يهتدون الى ما ينفعهم ويظنون ان للعباد مدخلا فى ذلك فلذلك تراهم
يضيفون الاشيا الى اسباب يتوهمونها ولما كان هذا الذى قالوه يدل على سوء المزاج وجلافة الطباع بما لا يقبل العلاج اتبعه ما هو شر
منه وهو انهم جزموا بانه كلما اتاهم بشئ فى المستقبل قابلوه بالكفر فقال وقالوا مهما هى مركبة من ما مرتين الاولى الشرطية والثانية
ما نافية للتاكيد الاولى ها استثقالا وقيل مه هى الصوت الذى يكون للكف وما الشرطية اى كف عنك ما انت فيه ثم استانفوا ما تاتنا به
اى فى اى وقت على اى حالة كان ثم بينوا الماتى به بقولهم من آية اى علامة على صدقك وهذا على زعمه ولذلك عللوه بقولهم لتسحرنا اى
لتحتال على عقولنا بها ولتلبسنا عما نحن عليه الى ما تريده فنحن نسميه سحرا وانت تسميه آية ثم اجابوا الشرط بقولهم فما نحن اى كلنا لك
اى خاصة بمؤمنين اى بمن يامن لذلك ولما بارزوا بهذه العظيمة استحقوا النكال فسبب عن ذلك قوله فارسلنا عليهم اى عذابا لهم
لما يفهمه حرف الاستعلاء الطوفان اى الرعد والبرق والريح والمطر والبرد الكبار الذى يقتل البقر فما دونها والظلمة والريح الشديد
التى عمت ارضهم وطافت بها ولما كان ذلك ربما اخصبت به الارض اخبر انه ارسل ما يفسده ذلك فقال والجراد ولما كان الجراد ربما طاف
فقد ابقى شيئا اخبر بما استوعب ما فى الارض حتى لا يدع بها شيئا فقال والقمل قال فى القاموس القمل كسكر صغار الذر والدبا الذى لا
اجنحة له وهو اصغر الجراد وشئ صغار بجناح احمر وشئ يشبه الحلم خبيث الرائحة او دواب صغار كالقردان تعنى القراد وقال
البخارى فى بنى اسرائيل من صحيحه القمل الحمنان يشبه صغار الحلم ولما كان ربما كان عندهم شئ محرز لم يصل اليه ذلك اخبر بما يسقط
نفسه فى الاكل فيفسده او ينغصه فقال والضفادع فانها عمت جميع اماكنهم وكانت تتساقط فى اطعمتهم وربما وثبت الى افواههم
حين يفتحونها للاكل ولما تم ما يضر بالماكل اتبعه ما افسد المشرب فقال والدم فان مياههم انقلبت كلها دما متنبها منتنا والدم
الشجر والحجارة وجميع الارض حتى النفط واما بنو اسرائيل فسالمون من جميع ذلك ولما ذكر تعالى هذه الآيات العظيمة نبه على عظمتها

عظمتها بذكر حالها فقال آيات اى علامات على صدقه عظيمات مفصلات اى ينفع بعضها بعضا وبين كل واحدة واختها حين يختبرون
فيه مع ان مغايرة كل واحدة لاختها فى غاية الظهور وكذا العلم بانها من آيات الله التى يعدد عليها غيره ولما كانت حقيقة بان تسبب
عنها توليد فاستكبروا مبينا ان الذى منعهم من الايمان مرض القلب بالكبر والطغيان وكانوا قوما مجرمين اى فى جبلتهم قطع ما ينبغى
وصله مع قولهم على ما يجاوزنه ولما كان هذا فى الحقيقة نقضا لما اخذه الله على العباد بعهد العقل ابتعه نقضا حقيقيا فقال مبينا
حالهم عند كل آية ولعله عبر بما يشملها ولم ينص على التكرار كان ذلك كان فيما دل من النقض وانسب ولما وقع عليهم الرجز يعنى العذاب
المفصل الموجب للاضطراب قالوا يا موسى ادع لنا ربك ولم يسمحوا كبرا وشماخة ان يعترفوا به فيقولوا ربنا بما عهد عندك اى من
النبوة التى سببها هذا البر الذى نراه تصنعه بك ثم اكدوا العهد بقولهم مستانفا فاعلمك لئن كشفت عنا الرجز اى العذاب
الذى اضطربت له قلوبنا وجميع احوالنا لنؤمنن لك اى لنجعل ايماننا من التكذيب باتقاع التصديق ويكون ذلك خالصا لاجلك وخاصا
بك ولنرسلن معك اى فى صحبتك لا نحبس احدا منهم عن الاخر بنى اسرائيل اى كما سالت ودل على قرب الاجابة بالفاء فى قوله فلما كشفنا
اى بعظمتنا عنهم الرجز كرره تصريحا وتهويلا وحددنا الكشف الى اجل اى حد من الزمان هم بالغوه اى فى علمنا اذا هم اى بغاية
التى يجرى ظواهرهم على حسبها ينكثون ولما اخبر انهم فاجاوا النكث وكرره سبب عنه قوله فانتقمنا منهم اى انتقاما ماليس لاحد
الذى كانوا يدركهم به بل استاهله لهم لوصولهم بعد كشف جميع الشبه الى محض العناد ثم شرحه بقوله فاغرقناهم بما لنا من العظمة
بما عرف من صحة نسبتها الينا ودل سبحانه على انهم كذبوا لا لشبهة عرضت لهم بل عنادا بقوله فى اليم اى جبلة وطبعا عنها غافلين
اى يكون حالهم بعدها كحال المعرض تلقيها فكانهم لما لم يتاهلوا اصلا استحقوا الاخذ لوقوع العلم بان الايات لا تنفعهم ولما اشار بهذه العبارة
التى معناها انه كانت ولما اخبر عن اهلاكهم عطف عليه ما صنع ببنى اسرائيل فقال واورثنا اى بما لنا من العظمة القوم
ولما اشار بهذه العبارة التى معناها انه كانت فيهم قوة وكثرة وشدة عزم على ما يحاولونه ويقومون به الى انهم هو الذى دلهم لا
فرعون اتبعه ما يدل عليه فقال الذين كانوا يستضعفون اى يطلب ضعفهم ويوجد بالشوكة واجتماع الكلمة بحاكم قد تمكنت عظمته
فى القلوب التى الوهم غالب عليها وهم بنو اسرائيل مشارق الارض اى الكاملة لبركاتها ومغاربها اى ارض الشام من الفرات الى بحر
سوف الموضع الذى خرجوا اليه من البحر وغرق فيه فرعون والدليل على ما مضى نقله فى المائدة عن التوراة يعنى حكمنا بارثهم ذلك
وانجزناه لاسباط الذين خرجوا من مصر بعد اهلاكهم فى التيه ثم وصفها تنشيطا بها بقوله التى باركنا فيها اى فى ارضها بالمياه
والاشجار والثمار والخصب فى ارزاقها بالكثرة والطيب فى رجالها بالعلم والنبوة وفى طباعهم بالاستقامة وفى عزائمهم
بالنجدة والشجاعة والمكارم وفى جميع احوالهم بانهم لا يسعهم ظالم الا عوجل بالنقمة وتمت اى وجدت صحتها بوجود مضمونها فى
عالم الشهادة وظهوره من ستور الغيب كلمة ربك اى المحسن اليك بانزال هذه الانباء على هذه الوجوه المفيدة مع اعجازها لغاية
العلم والحكمة الحسنى مستعلية على بنى اسرائيل اى التى هى احسن الكلام وهى وعده سبحانه لهم بالخلاص من العبودية وايراثهم مساكن ابائهم
كما كانوا يسمعون من اسلافهم واذا استعلت عليهم سنعت لنا لها اهم من الوصول اليهم بما صبروا اى بسبب صبرهم على الاستعباد وذبح الاولاد
وما حصل بعد ذلك من طول الانكاد ودمرنا اى اهلكنا اهلاكا عظيما جعل مدره كالرماد لا خير فيه اصلا ما كان يصنع اى صنعا
لغاية الاتقان عليه حتى كانهم طبعوا اله فرعون وقومه اى من الصنائع الهائلة المعجبة لكل من يراها ولسيما الهرم التى مرنوا عليها
فصادفت اسهل شئ عندهم وما كانوا اى بما هو كالجبلة والطبع يعرشون اى من الجنان والقصور العالية الاركان وكفى بهذا
الآية على النصر والمنة على كل حال للصبر بالترجح عن المظلوم ونصره واهلاك الظالم وقهره شرح ما يحتاج الى شرحه هنا من
التوراة الموجودة الان بين اليهود قال فى ترجمتها فى الاصحاح الثالث من السفر الثانى ما نصه وقال الرب لموسى عليه السلام
فى مدين انطلق راجعا الى مصر لان الرجال الذين كانوا يطلبون نفسك قد هلكوا جميعا فانطلق موسى بامراته وابنيه وحملهم على
حمارة واخذ بيده عصا الرب وقال الرب لموسى انظر كل آية اجريتها على يدك فاصنعها امام فرعون وانا اقسى قلبه فلا يرسل الشعب
وقل لفرعون هكذا يقول الرب ابنى بكرى بنى اسرائيل ارسل ليتعبد لى فان ابيت ان ترسل ابنى فانى اقتل بكرك فلما صار موسى فى
الطريق فى المبيت لقيه ملاك الرب فاخذت صفورا حجرا من حجارة المروة فختنت عليه ابنها واخذت برجله وفى نسخة السبعين
وقتنت بين رجليه وقالت ان اليوم غرس الدم يعنى الختان فقال الرب لهرون اخرج فتلقى اخاك فى القفر فخرج فلقيه فى
جبل الله فى حوريب فعانقه وقبله فاخبر موسى هرون بجميع قول الرب الذى ارسله به وما امره به من الايات وانطلق موسى وهرون
بجميع قول الرب فجمع اشياخ بنى اسرائيل فقص عليهم جميع ما قال الرب لموسى وخرج حراج وايات قدام الشعب وفى نسخة السبعين
فجمعا مشايخ بنى اسرائيل وتكلم هرون بجميع الكلام الذى كلم الله به موسى وعمل الايات قدام الشعب فامن الشعب وسمعوا ان الرب
قد ذكر بنى اسرائيل وابصر الى خضوعهم وجثا الشعب وسجد للرب من بعد هذه الايات والخطوب دخل موسى وهرون وقالا لفرعون
هكذا يقول الله رب اسرائيل ارسل شعبى يحجون الى القفر وفى نسخة السبعين ليعبدنى فى البرية عوض يحجون الى القفر فقال
فرعون من هو الرب حتى اطيعه لا اعرف الرب ولا ارسل بنى اسرائيل وقالا له الرب اله العبرانيين اعتلن لنا فنطلق مسيرة
ثلاثة ايام فى القفر ونذبح الذبائح لربنا لكيلا ينزل بنا الحزن والوبا وفى نسخة السبعين لكيلا يفاجينا موت وقتل
وقال فرعون ما لكما تعطلان الشعب من اعمالهم فامر فرعون ولاة الشعب وكتبتهم وقال لهم لا تعودوا ان تعطوا الشعب تبنا للبن

مترجمها

اللبن كما كنتم تعطونهم بل هم ينطلقون فيجمعون لانفسهم اللبن وخذ بهم حساب اللبن على ما كنتم تاخذونهم به امس واول من امس وفي نسخة السبعين
في كل يوم ولا تنقصوا منه شيا من عملهم لانهم بطالون لذلك يصيحون يقولون ننطلق فنذبح للرب الهنا فتشتد العمل على الرجال وفي
نسخة السبعين فلتضاعف عمل هولا القوم حتى يهتموا به ولا يهتموا بكلام الباطل فخرج ولاة الشعب وكتابهم ثم قال فرعون
فتفرق الشعب في جميع ارض مصر يجمع التبن وجعل ولاته يلحون عليهم ويقولون اتموا الينا العمل كما كنتم تزنعون من قبل حيث كنتم ٥
تعطون التبن فزادت كتبة بني اسرايل وعوقبوا من الذين ولاهم عليهم وقالوا لهم لم لا تزنتموا الينا حساب اللبن كما كنتم تزنعون فاتى
كتبة بني اسرايل فتسلوا الى فرعون وقالوا له لما تعبد لعبيدك هكذا هذا الصنع فقال فرعون انتم قوم بطالون تقولون ننطلق فنذبح ٦
لربنا فنظروا اي الكتبة في بني اسرايل وقالوا لهم لا تنقصوا من لبنكم شيا مثل زنتموا الدنا كما كنتم تزنعون فلقوا موسى وهرون وهما واقفان
امامهم وفي نسخة السبعين وهما يجيان نحوهم اذ خرجوا من بين يدي فرعون فقالوا لهما الله يحكم بيننا وبينكما لانكما خرجتما علينا فرعون
وعبيده حتى ضيق علينا ان وضع السلاح فينا فيقتلنا فرجع موسى الى الرب وقال يارب لم اسات لشعبك واضررت به لاني ساعة
ابتت فرعون فذكرت اسمك اسا لهذا الشعب وتسق عليهم وانت فلم تخلص شعبك فقال الرب لموسى الا ترى ما اصنع بفرعون لانه بيد
وفي نسخة السبعين سوف ترى ما اصنع بفرعون وكيف يرسلهم بيد منيعة وبذراع عظيم يخرجهم من ارض مصر انا الرب الذي اعتلنت
لابراهيم واسحق ويعقوب وسميت مالك المواعيد فلم اعلمهم باسم الرب وفي نسخة الرب بعينه واسمي الرب فلم اظهره وانت عهدي ايضا
ووعدتهم ان اعطيهم ارض كنعان ارض غربتهم التي سكنوها وقد سمعت صياح بني اسرايل من تعبد اهل والجيكم من اعمالهم واخلصكم بيد
منيعة وذراع عالية وباحكام عظيمة واختصكم شعبا واكون لكم الها وتعرفون اني انا الرب الهكم الذي اخرجكم من العبد لوبية
المصريين واخرجكم من تعبد المصريين وادخلكم الى الارض التي رفعت يدي لاعطيها اباكم ابراهيم واسحق ويعقوب واجعلها لكم ميراثا
الى الدهر انا الرب فقال موسى لبني اسرايل هذه الاقاويل فلم يسمعوا من موسى ولم تطيعوه من شدة حزنهم واستيعاف لمن
نعومهم من الكد الشديد وكلم الرب موسى وقال له انطلق الى فرعون ملك مصر وقل له ان يرسل بني اسرايل من ارضه فقال موسى للرب
ان بني اسرايل لا يسمعون ولا يطيعون وانا ارث المنطق ثقيل اللسان فكيف يطيعني فرعون ويسمع مني فقال الرب لموسى انظر
اني قد جعلتك الها لفرعون وهرون اخوك يكون نبيا عليك انت تقضي جميع ما امرك به وهرون اخوك يقول لفرعون وفي نسخة السبعين
وهرون اخوك يكون لك نبيا وانت تتكلم بجميع ما امرتك به وهرون اخوك يكلم فرعون ليرسل بني اسرايل من ارضه وانا اقسي قلب
فرعون فاكثر اياتي وعجايبي بارض مصر فلا يسمعكما فرعون ولا يسمع منكما فامد يدي على مصر واخرج جميع جنودي وشعبي بني اسرايل من
ارض مصر بالاحكام العظام فتعرف اهل مصر اني انا الرب فيصنع موسى وهرون كما امرهما الرب وانتهيا الى امره وكان قد اتى
على موسى ثمانون سنة وكان هرون ابن ثلاث وثمانين سنة اذ كلما فرعون فقال الرب لموسى وهرون ان قال لكما فرعون اظهرا لي اية
وحجة فقل لهرون خذ عصاك والقها بين يدي فرعون فتكون تنينا عظيما فاتى موسى وهرون الى فرعون فصنعا كما امرهما
الرب فالقى عصاه وفي نسخة السبعين فالقى هرون عصاه بين يدي فرعون وامام اجناده وفي نسخة السبعين وعبيده فصارت
تنينا عظيما فدعا فرعون بالحكما والسحرة فصنع سحرة مصر ايضا بسحرهم كذلك فالقى كل امرء منهم عصاه فصارت تنينا فابتلعت
عصا هرون عصيهم فقسي قلب فرعون وابى ان يرسلهم كما قال الرب وقال الرب لموسى ان قلب فرعون قد قسي وابى ان يرسل الشعب انطلق
الى فرعون بالغداة هو ذا يخرج ليغتسل بالنهر فتقف لقاه على شاطي النهر وخذ العصا التي تحولت في يدك ثعبانا وقل له ان الرب اله العبرانيين ارسلني
اليك يقول ارسل شعبي حتى يعبدني في البرية وانك حتى الان لا تسمع ولا تطيع هكذا يقول الرب بهذا تعلم اني انا الرب ها انا
اضرب ما النهر بعصاي فيصير دما ويموت الحيتان التي في النهر ويتن وفي نسخة السبعين ولا يقدر اهل مصر ان يشربوا الما من هذا النهر
وقال الرب لموسى قل لهرون ان ياخذ عصاه وارفع يدك على ما المصريين على انهارهم وعلى غدرانهم وعلى اجامهم وعلى كل البرك
مياههم وفي نسخة السبعين وقال الرب لموسى قل لهرون خذ عصاك ومد يدك على ميا مصر وعلى انهارها واجامها ونقايعها وعلى كل مايها
المستنقع فيتحول دما فيصير الدم في جميع اهل مصر في الارض وفي الخشب والحجارة فصنع موسى وهرون كما امرهما الرب فرفع هرون العصا
التي في يده فضرب بها ما النهر وفرعون وعبيده ينظرون اليه فتحول ما النهر فصار دما وماتت الحيتان التي في النهر فنتن ما النهر ولم
يقدر اهل مصر على شرب الما من النهر فصار الدم في جميع ارض مصر وقسا قلب فرعون فلم يطعهما كالذي قال الرب لموسى فانصرف
فرعون فدخل منزله ولم يفكر في شي من ذلك وتهاون به وكملت سبعة ايام من بعد ما ضرب النهر وقال الرب لموسى انطلق الى فرعون وقل
له هكذا يقول الرب ارسل شعبي حتى يعبدني فان ابيت ان ترسله فاني اضرب جميع حدودك بالضفادع فتدب الضفادع فتدب فتدخل
فتصعد فتدخل الى بيتك وفي مبيتك وعلى مضجعك واسرتك وفي بيوت عبيدك وشعبك ومخادعك وبيوت طعامك
وتدب الضفادع قبلك وعلى جميع شعبك فقال الرب لموسى قل لهرون اخيك ان يمد يدك بعصاك على الانهار وعلى الجداول
وعلى الاجام فاصعد الضفادع على ارض مصر فرفع هرون يده على مياه المصريين فاصعد الضفادع فغشت ارض مصر فدعا فرعون
موسى وهرون وقال لهما صليا بين يدي الرب فتنصرف الضفادع عني وعن شعبي حتى ارسل الشعب فيذبحوا بين يدي الرب فقال
موسى لفرعون سل وقتا اصلي عليك فيه وعلى عبيدك وشعبك فتنصرف الضفادع عنك وعن بيتك وفي نسخة السبعين عنك وعن
قومك وعن بيوتك وفي نسخة السبعين بيوتك وعن عبيدك وعن شعبك ما خلا الضفادع التي في النهر فخرج موسى وهرون من بين يدي فرعون

فرعون فصلى موسى بين يدي الرب كالخطاب الرب لموسى فماتت الضفادع في الدور والبيوت والرباع فجمعوها ابابين ابابين فامتلت الارض
واحت وفي نسخة السبعين فجمعوها صبرا صبرا فانتنت الارض فراى فرعون الفرج والراحة وجفا قلبه ولم يطعهما كالذي قال الرب
فقال الرب لموسى مر هرون فيرفع عصاه ليضرب ثرى الارض فيكون القمل في جميع ارض مصر فصنع مثل ذلك السحرة بسحرهم فلم يقدروا
ان يصنعوا القمل فدب القمل في الناس والبهايم فقالت السحرة لفرعون ان هذا فعل رب العالمين فقسي قلب فرعون ولم يطعهما كما قال الرب
فقال الرب لموسى ادلج باكرا وقف بين يدي فرعون وهو ذا يخرج ليغتسل وفي نسخة السبعين فانه يخرج الى الما فقل له هكذا يقول الرب
ارسل شعبي ليعبدني فان انت ابيت فها انا ذا ارسل وفي نسخة السبعين فاني مرسل عليك وعلى شعبك وعلى اهل بيتك هوام وحشرات
من كل جنس فيمتلي وفي نسخة ذباب الكلب فيمتلي بيوت المصريين من الهوام والحشرات مثل ثرى الارض التي هم عليها واميز بين شعبي وشعبك
وامن في ذلك اليوم ارض جاسان التي يسكنها شعبي فلا يكون فيها من الهوام والحشرات شي لتعلم اني انا الرب وامين بين شعبي وشعبك
ويكون هذه الاية غدا وفعل الرب كذلك وانزل الهوام على بيت وفي نسخة بيوت فرعون وعبيده وعلى جميع ارض مصر ففسدت الارض
بالهوام فدعا فرعون موسى وهرون وقال لهما انطلقوا فاذبحوا الذبايح لربكم في هذه الارض فقال موسى لا يحسن بنا ان نفعل
ذلك لانا انما نذبح للرب الهنا من نجاسة المصريين وندعهم فان نحن ذبحنا امام الهة المصريين رجمونا بل ننطلق مسيرة ثلثة ايام
في البر فنذبح هنالك للرب الهنا على ما يامرنا ويقول لنا فقال فرعون انا ارسلكم فتذبحوا الذبايح للرب الهكم في البرية ولكن لا تنطلقوا
فتنوا وابل صلوا علي ايضا وفي نسخة السبعين ولكن لا تبعدوا وصلوا علي ايضا الى ربكم فقال موسى لفرعون ها انا ذا اخرج من بين يديك
فاصلي بين يدي الرب فتنصرف الهوام والحشرات عن فرعون وعن عبيده وشعبه غدا ولكن لا يعود فرعون ان يكذب في قوله ويابى ان يرسل الشعب
ليذبحوا الذبايح فخرج موسى من بين يدي فرعون وصلى بين يدي الرب فقبل الرب صلاة موسى فصرف الهوام فلم يوجد منها ولا واحد
فقسي قلب فرعون بعد هذا ايضا ولم يرسل الشعب فقال الرب لموسى انطلق الى فرعون وقل له هكذا يقول الرب اله العبرانيين ارسل
شعبي حتى يعبدني فان انت ابيت ان ترسله وفي نسخة السبعين وتمسكت به حتى الان فهذه يد الرب وفي نسخة السبعين وتمسكت به فان يد
الرب تضرب ماشيتك التي في القفر من الحمولة والحمير والبقر والغنم فيقع فيها موتا عظيما الصعب الشديد ويميز الرب بين دواب
بني اسرايل وبين بهايم اهل مصر كيلا يموت من بهايم بني اسرايل ولا واحد ووقت الرب وقتا ليكمل فيه هذا القول على الارض فاكمل الرب
هذا الامر من غد ذلك اليوم فماتت جميع بهايم المصريين ولم يمت من دواب بني اسرايل ولا واحده وارسل فرعون فادى انه لم يمت من
دواب بني اسرايل ولا دابة فقسي قلب فرعون فابى ان يرسل الشعب فقال الرب لموسى وهرون خذا في حفنتيكما من رماد الاتون
فيذره موسى الى السما نحو فرعون فيكون الغبار في ارض مصر فيضرب الناس والبهايم جميعا قروح نابتة رخوة في ارض مصر كلها
فاخذا رماد الاخدود ووقفا بين يدي فرعون فذره موسى نحو السما امام فرعون فظهرت قروح نابتة رخوة فاستعلت في الناس
والبهايم فلم يقدر السحرة على الوقوف بين يدي موسى من كثرة القروح التي ظهرت في القروح السحرة وفي جميع اهل مصر فقسي
الرب قلب فرعون فلم يسمع لهما ولم يطعهما كالذي قال الرب لموسى فقال الرب لموسى ادلج باكرا وقف بين يدي فرعون وقل له هكذا
يقول الرب اله العبرانيين ارسل شعبي فيعبدني والا فاني مرسل في هذا الوقت عرتي على قلبك وعلى عبيدك وعلى شعبك لتعلم
انه ليس مثلي في الارض كلها لاني لو مددت يدي فاضربك وشعبك بالموت وينقطع ذكرك عن جديد الارض وانما نرسل هذا لا
لاظهر بك عزي وقدرتي وليناد باسمي في الارض كلها وانت حتى الان تمسك بالشعب وتابى ان ترسله وغدا في هذا الوقت اهبط
البرد الشديد الضخم الشديد ما لم يكن وفي نسخة السبعين الذي لم يكن مثله بمصر مثل الذي سست فيه قواعدها الى يوم الناس هذا
والان ارسل فادخل جميع دوابك وكل ما لك في الحقل لان كل بهيمة او انسان يلقى في الحقل ولا يدخل للبيت يهبط عليهم البرد فيموت
وكل من خاف كلمة الله من عبيد فرعون نقل عبيده ودوابه الى البيوت والذي لم يفكر في كلمة الله وتهاون بها ترك دوابه وعبيده
في الحقل وقال الرب لموسى ارفع يدك الى السما ليهبط البرد على جميع ارض مصر على الناس والبهايم وجميع الحمولة وفي نسخة السبعين
على الناس والدواب وجميع نبات الصحرا فرفع موسى عصاه فارجعهم الرب بالرعد والبرق وجعلت النار تضطرم على الارض
فاهبط الرب البرد وكان البرد يهبط والنار تضطرم في البرد وكان شديدا عظيما لم يكن مثله في جميع ارض مصر لكل من كان
في ارض مصر لكل من كان في الحقل من الناس والبهايم واهلك البرد جميع حمل عشب الحقل وحطم جميع اشجار العياض فاما ارض
جاسان التي كان بنو اسرايل يسكنونها فلم يهبط عليها البرد فارسل فرعون فدعا موسى وهرون فقال لهما قد خطيت في هذه
ايضا والرب بار وانا وشعبي منافقون وفي نسخة السبعين اني قد اخطات والرب بار وانا وشعبي فجار فصليا بين يدي الرب
فانه ذو مهل وانا ذو مهل فنصرف عنا الرجفة والرعد والبرد فارسلكم فلا تعودوا ان تتاخروا وفي نسخة السبعين
وانا ارسلكم ولا اعود ان اوخركم فقال لفرعون اذا ما خرجت من القرية ابسط يدي بين يدي الرب فتنصرف عنكم صوت العذاب
الرعد والرجفة ولا يعود البرد يهبط ايضا لكي تعلم ان الارض وما عليها لله وانا اعلم انك وعبيدك الى الان لم ترهبوا
الله ولا تخافوا عقابه وقد هلك الكتان والشعير وفي نسخة السبعين وضرب البرد الشعير والكتان لان الشعير كان قد بدا ان
يسبل والكتان قد بدا ان يبزر فاما زرع الحنطة والذرة فانه لم يضرهما لانهما كانا ابليسا وخرج موسى من عند فرعون خارج
المدينة فبسط يديه بين يدي الله نحو السما فانصرف عنهم البرد والرعد وانقطع المطر عن الارض فراى فرعون ان البرد

والرعد قد انقطع وسكن فعاد وخطا وقسّى قلب فرعون وعبيده وفي نسخة السبعين وقسا قلبه وقلب عبيده ايضا ولم يرسل
بني اسرائيل لرسالة الرب وفي نسخة السبعين على ما تكلم به الرب على يد موسى فقال الرب لموسى انطلق الى فرعون لاني انا الذي
قسّيت قلبه وقلوب عبيده فاظهر هذه الايات لاخبر بنيك وبني بنيك بما صنعت باهل مصر من الايات الكبيرة التي اظهرت فتعلموا اني
انا الرب فاتى موسى وهرون الى فرعون وقالا له هكذا يقول الرب اله العبرانيين حتى متى تابى ان تخافني وترهبني ارسل شعبي ليعبدني
فان ابيت ان ترسل شعبي فها انا ذا احدر اعلى جميع تخومك الجراد وفي نسخة السبعين فاني اجلب عليك غدا هذا الوقت جرادا
عظيما على جميع حدودك فتغطي عين الارض فلا يقدر انسان على النظر فيها ما ابقى لكم الارض كله ويأكل جميع الشجر الذي ينبت
لكم في الحقل ويمتلي منه بيوتك وبيوت عبيدك وبيوت جميع المصريين ما لم يرى مثله اباوك واجدادك من اليوم الذي استنبت
الارض الى يوم الناس هذا ورجع من بين يدي فرعون فقال له عبيده حتى متى يكون هذا العثرة ترسل القوم يعبدوا ربهم وفي
نسخة السبعين فقال عبيد فرعون لموسى حتى متى يكون لنا هذا ابتلا ارسل القوم يعبدوا الرب الههم اما تعلم وفي نسخة
السبعين وما علمت ان مصر قد خربت فردوا موسى وهرون الى فرعون فقال لهما انطلقوا فاعبدوا بين يدي الرب الهكم ولكن
من منكم ينطلق فقال له موسى انا ننطلق بشبابنا وشيوخنا وبنينا وبناتنا وغنمنا وبقرنا لانه عيد لنا للرب فقال
لهما ليكن كما قلتما والله يصحبكما اذا ما ارسلكما وحشمكم لعل ان يعرض لكم في الطريق افة ولكن ليس هكذا انطلقوا الان معاشر
الرجال اعبدوا بين يدي الرب لانكم انما تطلبون بذلك الواحد فاخرجوهما من بين يدي فرعون فقال الرب لموسى ارفع يدك على
ارض مصر فياتي الجراد فيصعد على ارض مصر فيأكل كل عشب الحقل وجميع ما نجي من البرد فرفع موسى عصاه على ارض مصر فاهب
الرب على الارض ريح السموم جميع ذلك اليوم وفي نسخة السبعين والرب جلب ريحا قتلته على الارض نهار ذلك
اليوم وتلك الليلة فلما كان بالغداة احتملت ريح السموم الجراد فصعد الجراد وفي نسخة السبعين اخذت الريح الجنوب الجراد
واصعدته على جميع ارض مصر فسقط على جميع تخوم ارض المصريين وكان منه عظيما جدا ولم يكن قبله جراد مثله ولا يكون مثله
فيما بعده فغطى جميع عين الارض فاظلمت الارض واكل جميع عشب الحقل وجميع الشجر التي نجت من البرد ولم يبق في الشجر غصن ولا
ولا ورق ولا في الحقل عشب في جميع ارض مصر فاستعجل فرعون ودعا موسى وهرون وقال لهما قد خطيت بين يدي الله الهكما
والان اعفوا عن ذنبي وجهلي هذه المرة وصليا بين يدي الرب الهكم فيصرف هذه الافة والموت فخرج موسى من بين يدي فرعون
وصلى بين يدي الرب فقاد الرب ريح السموم عاصفا فاحتملت الجراد فقذفت به في بحر سوف وفي نسخة السبعين فغير الرب
تلك الريح بريح من البحر شديدة فاخذت الجراد والقته في البحر الاحمر ولم يبق في جميع تخوم الارض المصريين شي من الجراد فقسى الرب
قلب فرعون فلم يرسل بني اسرائيل فقال الرب لموسى ارفع يدك الى السماء فليكن الدجا والحنادس على جميع ارض مصر فتتدلهم الظلمة فرفع
موسى يده الى السماء فكانت الظلمة والدجى وفي نسخة السبعين فصارت ظلمة وزوبعة على جميع ارض مصر ولم يرى الارض منهم المرء منهم
صاحبه ثلثة ايام فاما جميع بني اسرائيل فكان لهم الضيا والنور في مساكنهم فدعا فرعون موسى فقال لهم انطلقوا فاعبدوا ابين
يدي الرب الهكم فاما بقركم وغنمكم فدعوها ها هنا واما حاشيتكم فانطلقوا معكم فقال موسى لفرعون وانت ايضا قد
تعطينا من الذبايح فنذبح لربنا ولنا بهايمنا ايضا ستنطلق معنا ولا يبقى منها ها هنا ظلف على الارض فانا انما ناخذ منها
ما لنا لنذبح بين يدي الرب الهنا ولسنا نعلم بماذا نعبد الله اذا بلغنا هناك فقسى الرب قلب فرعون وابى ان يرسلهم فقال
فرعون لموسى اخرج من بين يدي واحذر ان تتراى لي ايضا لان اليوم الذي تتراى لي بين يدي تموت فيه قال له موسى ما
احسن قولك لست بعايد ان ارى وجهك قال الرب لموسى اني اعود ايضا فانزل بفرعون والمصريين ضربة واحدة وبعد
ذلك ارسلكم من ههنا فاذا ارسلتكم فاخرجوا كلكم وامر الشعب وقال لهم ليستعير المرء منكم من صاحبه والمرأة من جارتها
حلي ذهب وفضة وفي نسخة السبعين انية الفضة وانية الذهب والكسوة وجعل الرب للشعب في قلوب المصريين محبة
ورحمة وموسى كانت له هيبة وكرامة عظيمة في جميع ارض مصر وفي نسخة السبعين عند المصريين وعند فرعون وعند جميع
عبيده فقال موسى هكذا يقول الرب اني خارج نصف الليل فاجوز في ارض مصر وفي نسخة السبعين عند المصريين وعند
فرعون وعند جميع عبيده فقال موسى هكذا يقول الرب اني خارج نصف الليل فاجوز في ارض مصر فاتوفى جميع ابكار مصر من بكر
فرعون الجالس على منبره الى بكر الامة التي في بيت الرحى ويموت جميع البهايم فتسمع الولولة العظيمة والصراخ والانين العظيم
ما لم يسمع مثله ابدا وفي نسخة السبعين ولا يعود ايضا ان يكون مثلها فاما ال اسرائيل فلا يصاب منهم ولا الناس ولا البهايم
ولا الكلب بلسانه وفي نسخة السبعين ولا يعوي من جميع بني اسرائيل كلب بلسانه ليعلم ان الرب قد ميز بين بني اسرائيل والمصريين
فاهبط جميع عبيدك هولا فيسجدون لي ويقولون اخرج انت وجميع الشعب معك وعند ذلك اخرج فخرج موسى من بين يدي
فرعون بغضب شديد فقال الرب لموسى ان فرعون لا يطيعكم لكي تكثر اياتي وعجايبي بارض مصر وان موسى وهرون
خرجا هذه الجرايح واظهرا هذه الايات كلها بين يدي فرعون فقسى الرب وفي نسخة السبعين واقسى الرب قلب فرعون
فلم يرسل بني اسرائيل عن ارضه وقال الرب لموسى وهرون بارض مصر هذا الشهر اي نيسان يكون لكم راس الشهور ويكون
هذا اول شهور السنة قل لجميع جماعة بني اسرائيل في عشر من هذا الشهر فليأخذ الرجل منهم حملا وفي نسخة السبعين خروفا

خروفا لبيته وحملا لاهل بيته وان كان اهل البيت قليلا لا يحتاجون الى الحمل فليترك هو وجاره المقرب اليه بيته على عدة الناس
وعدد اكل من منهم على قدر اكله من الحمل حملا بلا عيب فيه ذكرا حتما يكون الحمل حوليا من الخراف والجدي وتاخذونه ويكون
محفوظا لكم حتى يوم الاربعة عشر من هذا الشهر ويذبحه كل جماعة من كنيسة بني اسرائيل اصلا وتاخذون من دمه وتضعون
العتبتين والعتبة من البيت الذي تاكلونه فيه اي علامة للملك الذين يومرون بقتل ابكار المصريين وتاكلون اللحم في
هذه الليلة مشويا بفطير ولا تاكلوا منه نيا ولا مطبوخا بالماء ولا تبقوا منه شيا للغد ولا تكسروا منه عظما وما فضل منه الى الغد
فاحرقوه بالنار وكلوه وانتم قيام وقد شددتم اوساطكم ونعالكم في ارجلكم وعصيكم في ايديكم وكلوه بعجلة فانه فصح للرب
واني اجتاز في ارض مصر في هذه الليلة واضرب كل بكر بارض مصر من الناس والبهايم واعمل نقمة من جميع الهة المصريين انا الرب
ويكون لكم هذا اليوم ذكرا وتعيدونه عيدا للرب لدهوركم الى الابد وتعيدونه سبعة ايام وتاكلون فطيرا وتنقون الخمير من
بيوتكم من اول يوم وكل من ياكل خميرا فان تلك النفس تهلك من اسرائيل من اول اليوم الاول الى اليوم السابع وكل عمل يعمل فلا تعملوه
فيها واحفظوا هذه الوصية ففي هذا اليوم خرج عسكركم من مصر فاحفظوا هذا اليوم لدهوركم سنة فاذا ابتدا يوم الاربعة عشر
من الشهر الاول من العشا كلوا فطيرا الى يوم الاحد وعشرين من الشهر الى العشا ولا يوجد خمير في بيوتكم سبعة ايام وكل من ياكل
خميرا فان تلك النفس تهلك من جماعة اسرائيل من الملة والذي من سكان الارض ما كان خميرا فلا تاكلوه وكلوا فطيرا في
جميع مساكنكم فدعا موسى جميع مشايخ بني اسرائيل فقال لهم عجلوا غنما لقبايلكم واذبحوا الفصح وخذوا حزمة من ريحان الارديان
واغمسوها بدم الحمل ورشوا على معاقم ابوابكم ومعاضدها وفي نسخة السبعة على العتبة وكلا القايمين من الدم الذي في الاناء
ولا يخرج احد منكم من باب بيته الى الغدوة وفي نسخة السبعين الى الصباح فتحفظون هذه السنة والوصية انتم وبنوكم الى الابد
واذا دخلتم الارض التي يعطيكم الرب كما وعدكم فاحفظوا هذا العهد واذا سالكم بنوكم فقالوا لكم ما هذا الفعل فقولوا لهم
هذه ذبيحة لفصح الرب اذ فصح على بيوت بني اسرائيل بمصر اذ قتل المصريين وخلص بيوتنا فركع الشعب كله ساجدا لله تعالى
وانطلق بنو اسرائيل فصنعوا كما امر الله موسى وهرون وفي بيوت اسرائيل فلما كان عند نصف الليل قتل الرب ابكار ارض
مصر وفي نسخة السبعين كل بكر بارض مصر من بكر فرعون الجالس على منبره وفي نسخة السبعين على كرسيه وحتى بكر المحبوس
المسكين في السجن وجميع ابكار البهايم فوثب فرعون في تلك الليلة هو وجميع عبيده وكل ارض مصر وفي نسخة السبعين وفي
وجميع المصريين وكانت ولولة عظيمة في جميع ارض مصر لانه لم يوجد فيه بيت فدعا فرعون موسى وهرون في تلك الليلة وقال لهما
انهضا فاخرجا من بين شعبي انتما وبني اسرائيل ايضا وانطلقوا فاعبدوا بين يدي الرب كقولكما وسوقوا غنمكم وبقركم انهضا كما قلتما
وانطلقوا فصلوا لي ايضا وادعوا لي فالح المصريون على الشعب ليخرجوهم عن الارض مسرعين لانهم قالوا انا جميعا سنموت فحمل الشعب عجينهم
قبل ان يختمر والبادي من فطيرهم مشدود في ثيابهم ملقى على اعناقهم وصنع بنو اسرائيل كما امرهم موسى واستعاروا من المصريين حلى
ذهب وفضة وكسوة وفي نسخة السبعين انية الذهب والفضة والكسوة وجعل الرب للشعب في اعين المصريين محبة ورحمة فاعاروهم
فخربوا المصريين وظعن بنو اسرائيل من رعمسيس وعلى حاشية نسخة السبعين الفاعين ثم يطلبون ساحوت نحو ستماية الف رجل سوى الحشم
والعيال وصعد معهم من مصر رعاع وفي نسخة السبعين العرب ايضا من كل خلط ومن البقر والغنم الماشية كثير جدا فاختبزوا العجين الذي
اخرجوه معهم من مصر رغفا وفي نسخة السبعين قرصا فطيرا لم يختمر وفي نسخة السبعين لم يختمر وذلك لان المصريين اخرجوهم فلم يقدروا
ان يلبثوا ولم يتزودوا زادا للطريق ايضا وكان مسكن بني اسرائيل في ارض مصر اربعماية وثلثين سنة في هذا اليوم وخرج جميع جنود
الرب من ارض مصر وفي نسخة السبعين ليلا لان الرب وقف في سابق علمه حفظ تلك الليلة التي اخرجوا فيها من مصر وكانت هذه الليلة
محفوظة ومقدسة الرب بهلاك ابكار مصر واخراج جميع بني اسرائيل ليكون ذكرى ذلك في جميع احقابهم وظعونهم وقال الرب لموسى وهرون
هذه سنة الفصح لا ياكل منه غريب وكل عبد لرجل اشتراه عند ذلك فاطعمه الفصح والاجير الساكن فلا ياكل منه غريب وكل عبد
في بيت واحد فليوكل وفي نسخة السبعين وكل عبد لرجل اشتراه فلتختنه ثم ياكل منه المقيم والاجير ولا ياكل في بيت واحد ولا تخرج
من اللحم خارجا من البيت شيا ولا يكسروا منه عظما واذا سكن معكم غريب فختن كل ذكر في بيته عند ذلك فليتقرب وفي نسخة السبعين
فليختن منهم كل ذكر ثم يدنوا من بعد ذلك الى اكل الفصح وليكن عند ذلك كمنزلة اهل الارض ولا ياكل منه اغرل وليكن سنة
واحدة لاهل الارض والغربا الذين يسكنون معكم وصنع جميع بني اسرائيل كما امر موسى وهرون في هذا اليوم اخرج الرب بني اسرائيل
من ارض مصر وجميع جنودهم وقال الرب لموسى طهر لي كل ذكر بكر فاتح كل رحم من بني اسرائيل من الناس والبهايم يكونون لي فقال
موسى للشعب اذكروا هذا اليوم الذي خرجتم فيه من مصر من العبودية والرق لان الرب اخرجكم من ههنا بيد منيعة الى اخر
ما مضى في سورة البقرة ثم ذكر في الخامس علة الفصح فقال احفظوا شهر ابيب واعملوا فصحا لله ربكم لانما اخرجكم من ارض
مصر في شهر ابيب ليلا فاذبحوا فصحا لله ربكم من البقر والغنم في الموضع الذي يختار الله ربكم فلا تاكلوا فيه خميرا بل كلوا الفطير
سبعة ايام خبز الذلة على التواضع لانما اخرجتم من ارض مصر بعجلة لتذكروا اليوم الذي خرجتم فيه من مصر كل ايام حياتكم ولا
يرى الخمير في حدودكم سبعة ايام ولا يحل لكم ان تاكلوا الفصح في قرية من القرى التي يعطيكم الله ربكم ولكن في الموضع الذي يختاره
الله ربكم ان يصير فيه اسمه فهناك اذبحوا الفصح عند غروب الشمس في الوقت الذي خرجتم من ارض مصر ثم قال واحصوا سبعة

سوابع من بعد عيد الفصح ثم اعملوا عيد السوابع وابتهجوا امن علاتكم للرب كما بارك الله ربكم في الموضع الذي يختار الرب ان يحل
اسمه فيه واذكروا انكم كنتم عبيدا بارض مصر فاحفظوا هذه السنن كلها واعملوا لها واعملوا عيد المظال سبعة ايام اذا ما ادخلتم
بيادركم وخزنتم معاصركم ليبارك الله ربكم لكم في جميع غلاتكم وفي كل عمل ايديكم وتكونوا فرحين ويرى ذكوركم امام الله ربكم في الموضع
الذي يختار ثلث مرات في السنة في عيد الفطر وعيد السوابيع وفي عيد المظال انتهى وفيه مما لا يجوز اطلاقه في شرعنا اضافة
الابن في قوله ابني بكري وهو مؤول بانه يكرمه اكرام الولد والحكاية لا تدل على غير الله سبحانه مرادا به الحاكم ولا يجوز هذا الاطلاق
عندنا ولما انقضى ما اراهم سبحانه من الافعال الهائلة التي استخلصهم بها من ذلك الجبار شرع يذكر ما قابلوه به من الجهل
وما قابلهم به من الحلم ثم ما آل امرهم بعد طول المهلة من ضرب الذلة والمسكنة المؤبدة فقال عاطفا على قوله فاغرقناهم في اليم
وقوله ثم بعثنا من بعدهم موسى وجاوزنا اي قطعنا بما لنا من العظمة وحسا ما على طريق المفاعلة لتعظيم الردى ان جوازهم كان
يوم عاشوراء وان موسى عليه السلام صامه شكرا لله تعالى على انجائهم واهلاك عدوهم ببني اسرائيل البحر وانما جعلته معطوفا
على اول القصة لان هذه القصص كلها بيان لان في الناس الجوهر الذي لا تغنيه الآيات كما مضى عند قوله والبلد الطيب وبيان
لقوله اخذنا اهلها بالبأساء والضراء الى اخرها ويدل على ذلك مع ما ابتدئت به القصص عنهم قوله لمثل القوم الذين كذبوا باياتنا
وقوله ولقد ذرانا لجهنم وختم قصتها بعد قوله وتمت كلمت ربك الحسنى لانه لما تمت بما صبروا تشوفت النفس الى تعلم حال الرخا
هل شكروا ام لا ان اكثرهم كفروا انصدقا لقوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد وما شاكله وما احسن تعقيب ذلك بقوله فاتوا
اي مروا ونقل التعقيب على قوم مرة اي ذوي قوة وقتل كانوا من لخم يعكفون اي يديرون ويحلقون ملازمين مواظبين على اصنام
لهم اي لا قوة فيها ولا نفع بينهم في عكوفهم عليها مثل العبادة وقيل انها كانت تماثيل بقر وكان ذلك اول امر العجل ولما اجرى
سبحانه بذلك علم السامع انهم بين امرين اما شكره واما كفر فتشوف الى ما كان منهم فاجاب سبحانه بقوله البحر واعراقه حتى
طلبوا الها غيره بقوله قالوا يا موسى كما ترى اسمه جفا وغلظة فتمادى على ما عمهم من بره وحلمه عمي متمادين بما اظهرهم من
جهله ان حظه من الله وشبه اجعل لنا الها اي شيئا نراه ونطوف به تقيدا بالوهم كما لهم آلهة وهذا منهم قول من لا يعرف الاله
الذي فعل معهم هذه الافاعيل شيئا ولا يقدره بوجه ولما كان هذا منهم عظيما استانف جواب من تشوف الى قول موسى عليه السلام
لهم ما هو بقوله قال انكم قوم مرة اي ذووا اقيام في شهوات النفوس وقال تجهلون مضارعا اشعارا بان ذلك ديدنهم كالطبع
والغريزة لا ينتقلون عنه في ماض ولا مستقبل واعلم انه لا تكرير في هذه القصص فالكل سياق منها امر لم يسبق مثله فالمقصود
من قصة موسى عليه السلام وفرعون عليه اللعنة والملائمة هنا الاستدلال الوجودي على قوله وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ومن هنا نعلم
ان سياق قصة بني اسرائيل بعد الخلاص من عدوهم لبيان اسراعهم في الكفر لاكثرهم من عهد وذكر في اولها التي تليها تماديهم في الانفاق
تحذيرا لهم من ان يكونوا من الاكثر المذمومين في هذه وهذا الخلاف المقصود من سياق قصص بني اسرائيل في البقرة فانه هناك
لاستجلاب الايمان بها لتذكر بالنعم لان ذلك في سياق خطابه سبحانه لجميع الناس بقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا فاحياكم وما شاكله من الاستعطاف بتعداد النعم ودفع النقم والله اعلم ولما استعظم من كلامهم غاية الانكار
عليهم علل هذا الانكار بقوله ان هؤلاء اي القوم متبر ما هم فيه اي مكسر مفتت مهلك على وجه المبالغة واذا افسد الظرف فسد
المظروف والى الاشارة بجعل هؤلاء اسما لان وايلاء وه به خبر الجملة الواقعة خبرا مقدما على مبتدايه ولما كان الشيء قد يهلك في
الدنيا وهو حق علمهم بان هذا الهلاك انما هو عند الله اعم من كونه في الدنيا او في الاخرة لبطلان ما هم فيه فقال معبرا بالاسمية اشارة
الى انه الان كذلك وان رئي بخلافه وباطل اي مضمحل زايل ما كانوا اي جبلة وطبعا يعملون اي مواظبين عليه من الاصنام
والعكوف وجميع احوالهم اعمالهم لاجل ان لا وزن لشيء منها اصلا ولا اعتبار وفيه اشارة الى ان العبادة لا تنبغي الا للباقي
الذي لا يجوز عليه التغير واذا كان كذلك كان العمل له ايضا ثابتا باقيا لا يجوز عليه البطلان وفي تعقيبها لتدمير آل فرعون
اشارة الى موجب ذلك وان كل من كان على مثل حالهم من عبادة غير الله كانت عاقبته الدمار ولما كان هذا استدلالا على ان مثل
هذه الاصنام التي مروا عليها لا تصلح لان تتبع كان ذلك غير كاف لهم لما تقرر من جهلهم فربما ظنوا ان غيرها مما سوى الله يجوز
عبادته فكانه قيل هذا الا يكفي جوابا لمثل هؤلاء فهل قال لهم غير ذلك فقيل نعم قال منكرا متعجبا اغير الله اي الذي له جميع
العظمة فهو المستحق للعبادة ابغيكم اي اطلب لكم الها فانكر ان يتأله غيره وهو وجه الامر فيه بين بقوله وهو اي
والحال انه هو وحده فضلكم دون غيركم ممن هو في زمانكم او قبله على العالمين اي لو لم يكن لوجوب اختصاصهم له بالعبادة سوى
اختصاصه لهم بالتفضيل على سائر عباده الذي يطلع عليهم ممن هو اقوى منهم حالا واكثر عددا واموالا لكان كافيا ولما ابتان
الالهة لا تصلح لغيره وان غيره لم يكن يقدر على تفضيلهم وكان المقام للعظمة وكان كانه قيل ايذانا بغلظ اكبادهم وقلة فطنتهم
وسوء مقابلتهم للنعم اذكروا ذلك اي تفضيله لكم باصطفاء ابائكم ابراهيم واسحق ويعقوب وما تقدم له عندهم وعند ابائهم
من النعم ولاسيما يوسف عليه السلام الذي حكمه في جميع الارض التي استذلكم اهلها عطفا له اشارة اليه قوله التفاتا الى مظهر
العظمة تذكيرا بالعظمة مدخولا واذ اي واذكروا اذ انجيناكم اي على ما عن عليه من العظمة التي انتم لها عارفون ولها كل وقت
في تلك الايات تشاهدون من آل فرعون وما افضناه عليكم بعد الانجاء من النعم الجسام وادنائكم من الايات العظام

شئوا له ٣
كالمرى لم يلبث ذكرهم لما اراهم
سبحانه من عظمته وشكرهم
لما افاض عليهم من نعمته
الا رثيما امنوا من
عدوهم نجا ونكم
صح

قالهم

العظام لتعرفوا انا فضلناكم على جميع الانام استانف بيان ما انجاهم منه بقوله يسومونكم اي يولونكم دائما سوء العذاب [illegible]

[illegible]

مرلهم

ابناءكم
ويستحيون
نساءكم

[illegible] وفي ذلكم اي الامر العظيم [illegible] بلاء من ربكم [illegible] عظيم [illegible]

[illegible] واعدنا موسى ثلثين ليلة [illegible] فتم ميقات ربه اربعين ليلة [illegible]

الوقت ثم ان الشيء سواء كان متعددا اولا وعبر بالرب اشارة الى اللطف به والعطف عليه والرحمة له والميقات هو الاربعون
قاله الفارسي في الحجة وقدر انتصاب اربعين بمعدود وهذا العدد كما تقول تم القوم عشرين اي معدودين هذا العدد واجمل سبحانه
الاربعين في البقرة لان المراد بذلك السياق تذكيرهم بالنعم الجسام والمن اليهم بالاحسان والاكرام ليكون ذلك ادعى الى رجوعهم
الى الايمان وانكى في نزوعهم عن الكفران بدليل ما سبق ومنهم من قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم كيف تكفرون بالله وما اكتنفها الى
واخرها من قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم الاية المبدو بها والمختوم بها وفصل هنا الاربعين الى ثلثين وعشر
لان المراد بهذا السياق كما تقدم بيان كفرهم وصدودهم على جرائمهم ومكرهم وانه لم ينفعهم تواتر المعجزات ولا اغنى منهم شيئا تواتر
النعم والايات كما كان ذلك في قصص الامم الخالية الذين اغرقوا الماضين ممن ذكر في هذه السورة استدلالا كما تقدم على ان المفسد
اكثر من المصلح المعني بذلك مما اعلم في قوله وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها الى اخره وتسلية لهذا النبي الكريم وترهيبا
لقومه مما وقع لهم من العقاب الاليم والفصل بين السياقين بذلك الا على اولى البصائر والله اعلم فيكون المراد بتفصيل الاربعين
هنا بيان ان ابطاء موسى عليه السلام عنهم مما عملوه عن الميعاد انما كان لعشرة ايام فما تمكنوا انتهاء هذه الجريمة التي هي اعظم الجرائم
واشار تعالى لمعظم جرائمهم وكفرانهم في السفر بقوله عاطفا على واعدنا وقال موسى اي لما واعدناه لاخيه ثم تبعه تعريفا
باسمه فقال هارون اخلفني اي كن خليفتي فيهم تفعل ما كنت افعل [illegible] بما يجره له بقوله في قومي واشار الى حثه على
الاجتهاد بقوله واصلح اي كن على ما انت عليه بان تتبع من اتباع الاصلاح اي استصلاحا لهم وخوفا من تغيرهم فاختلوا عن الطريق
ولما كان عالما بانه صلى الله عليه وسلم معبرا عن السوء غير ان عنده لينا قال ولا تتبع اي تكلف نفسك عند ما الجبلة عليه بان تتبع
سبيل المفسدين اي استصلاحا لهم وخوفا من تغيرهم فاختلوا عن الطريق كما تفرس فيهم موسى عليه السلام ولم يذكر واعاقبه
فلاهم خافوا بطش من بطش من كان يسومهم سوء العذاب ولا هم سمعوا الاخذ في الصلاح ولا هم انتظروه عشرة ايام فلا اخف
منهم احلاما ولا اشد على المعاصي اقداما ولما ذكر سبحانه مواعدته واحتياطه في اصلاح قومه شرع امره حال المواعدة
وحالهم بعد غيبته عنهم فقال ولما جاء موسى لميقاتنا اي عند اول الوقت الذي قدرناه للمناجاة وكلمه اي من غير واسطة
ربه اي المحسن اليه بانواع الاحسان المتفضل على قومه بانواع الامتنان والذي سمعه موسى عليه السلام عند اهل السنة من
الاشاعرة هو الصفة الازلية من غير صوت ولا حرف ولا بعد في ذلك كما لا بعد في رؤية ذاته سبحانه وهي ليست بجسم ولا
جوهر ولا عرض وليس كمثله شيء وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سبحانه كلمه في جميع الميقات وكتب له الالواح وقيل انما كلمه
في اول الاربعين والاول اولى ولما كلمه بصفة الربوبية الناظرة الى العطف واللطف وكانت الرؤية جائزة اشتاق
الى الرؤية شوقا لم يتمالك معه لما استحلاه من لذاذة الخطاب فسال لعلمه انها جائزة قال مسقطا الاداة كعادة
اهل القرب رب ارني اي ذاتك القدس بان ترفع الحجاب فتجلى لي فتمكنني من النظر وهو معنى قوله [illegible] ابن عباس [illegible]

نف

رؤية العين بقوله في جواب الامر انظر اي اصوب تحديق العين واشار الى عظمته سبحانه وعلو شانه علو العظمة في المسافة بالنسبة
بحرف النهاية بعدان الشان بحذف اداة النداء الى غاية القرب بالاحسان فقال اليك ولما كان سبحانه قد قضى انه
عليه السلام لا يراه في الدنيا قال نافيا المقصود وهو الرؤية لا مقدمتها وهو النظر الذي هو التحديق بالعين لن تراني ودل
سبحانه عن هذه العبارة على جواز رؤيته حيث لم يقل لن ارى ولن يراني احد ثم زاد ذلك بيانا بتعليقه بممكن فقال
ولكن انظر الى الجبل اشارة الى جبل بعينه وهو اعظم جبل هنالك وزاد في الاشارة الى امكان الرؤية بالتعبير باداة الشك
واتباعها ما هو ممكن فقال فان استقر مكانه اي وجد قراره وجودا تاما واشار الى بعد الرؤية ايضا وجلالة المطلوب منها
بقوله فسوف تراني اي بوعد لا خلف فيه فلما تجلى ربه اي المحسن اليه بكل عطا ومنع وبين تنفيسه بالامر انه تجلى بالكشف قربا
وخصوصية ولو عبر بعلي مثلا لكان امرا اخر فقال للجبل اي بان كشف للجبل عن ما شاء من حجب عظمته جعله دكا اي مدكوكا
والدك والدق اخوان وخر اي وقع موسى صعقا اي مغشيا عليه مع صوت هائل فعلم ان معنى الاستدراك انك لن تثبت لرؤيتي في
هذه الدار ولا تتوقف ذلك الان ولكن تتونه بمثال الدكه وهو الجبل فان الفاني كما نقل عن الامام مالك لا ينبغي له ان
يرى الباقي فلما افاق اي من غشيته قال سبحانك اي تنزيها لك عن ان اطلب منك ما لم تاذن فيه تبت اليك اي من ذلك وانا
اول المؤمنين اي مبادر غاية المبادرة الى الايمان بكل ما اخبرت به وبكل ما تضمنته هذه الايات فتعبيره بالايمان في
غاية المناسبة لعدم الرؤية لان شرط الايمان ان يكون بالغيب فتدود في نبينا صلى الله عليه وسلم اتيان احدهما يمكن ان
يشير الى الرؤية بالتعبير بالمسلمين دون المؤمنين في قوله وانا اول المسلمين والثانية توحي لعدمها وهي انه الرسول الى
قوله كل من بانسه والله اعلم وكل هذا التنكيت على قومه في عبادتهم وتبكيت لهم في عبادتهم العجل وردع لهم عن ذلك وتنبيه
لهم على ان الالهية مقرونة بالعظمة والكبر بعيدة عن ذوي الاجسام لما يعلم سبحانه انهم سيكونون عن عبادة الاصنام فاثبت
لله ذلك الحق الكلام والتردي عن الرؤية بحجاب الكبر والعظمة وانه كالجبل عند تجليه ونصب الشرع الهادي الى اقوم سبيل
تعريضا بالعجل والى ذلك الاشارة بقوله تعالى الم يروا انه لا يكلمهم الاية ولما منعه الرؤية بعد طلبه اياها وقابل ذلك
بمحاسن الافعال والاقوال تشوف السامع الى ما قوبل به من الاكرام فاستانف سبحانه الاخبار عما منحه تسلية له عما منعه
وامرا بشكره بقوله قال يا موسى مذكرا النعمة في سياق دال على عظم قدرها وايجاب شكرها مسقطا عنه مظهر العظمة
تانيسا له ورفقا به اني اصطفيتك اي اخترتك اختيارا بالغا كاختيار ما يصفى من الشيء عن كل دنس على الناس اي الذين في
زمانك برسالاتي اي الايات المستكثرة التي اظهرتها واظهرها على يدك من اسفار التوراة وغيرها وبكلامي اي من غير واسطة
وكانه اعاد حرف الجر للتنبيه على ذلك كما اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على الناس عامة في كل زمان برسالته العامة وبكلامه
المعجز وبتكليمه من غير واسطة في السماء الذي قدست داما وتنزهت عن التدنس بمعصية ولما كان ذلك مقتضيا لغاية الاقبال
والنشاط سبب عنه قوله فخذ ما اتيتك اي خصصتك به وكن من الشاكرين اي العريقين في صفة الشكر المجبولين عليها ولما انقضى
ما انسه سبحانه به لفت الكلام في الاخبار لما عن عظيم ما اتاه الى مظهر العظمة فقال مفصلا لتلك الرسالة ومبينا بعد ما كان
من الكلام وكتبنا اي بعظمتنا له في الالواح عرفها لعظمتها منبها على انها الجليلة بما اختصت به كانها المختصة بهذا الاسم
واعلم من هذا اجمل ثم بدل منه الالواح قابلا لما يليق به جامعا لعلوم الاولين والاخرين من كل شيء اي يحتاجه بنو اسرائيل
وذلك هو العشر الايات التي نسبتها الى التوراة نسبة الفاتحة الى القران فيها اصول الدين واصول الاحكام والتذكير
بالنعم والامر بالزهد والورع ولزوم محاسن الاعمال والبعد عن مساويها ولذا قال مبدلا موعظة وتفصيلا اي على وجازتها
بما كانت سببا لكل شيء اي لانها جوامع كلها امهات وجوامع منفصلة ترجع اليها بجودة العلم وتشتق منها سائرها ولما كان هذا هكذا
تسبب عنه حتما قوله تعالى التفاتا الى الخطاب لموسى عليه السلام بخطاب التانيس اشارة الى الزام التمسك بصعب
فخذها اي الالواح بقوة اي بجد وعزيمة في العلم والعمل وامر قومك اي الاقوياء على مجاولتهم بما يراد ياخذوا باحسنها كانه سبحانه
اطلق لموسى عليه السلام الاخذ بكل ما فيها لما عنده من الملكة الحاجزة له عن شيء من المجاوزة ولذلك قال له بقوة وقيد
بالاحسن ليكون بالحسن حداما لنفالهم من الوصول الى القبيح وذلك كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر ولما كان
كانه قيل وهل يترك الاحسن احد فقيل نعم الفاسق متمكر كل ويحا والحسن الى التساهل والى فعل القبيح ومن تركه
اهلكته وان جل الدوعظمت جنوده وامواله قال كالتعليل لذلك ساريكم دار الفاسقين اي الذين يخرجون عن اوامري
اليما الفاهم عنه فانصركم عليهم واسكنكم بعضهم من ديارهم واموالهم من الكنعانيين والحاماتيين وغيرهم من
سكان الاراضي المقدسة لتعلموا ان من اغضبني وترك امري امكنت منه وانما ذكر الدار لان الفوهم منها اذا استقروا
فيها فتنظروا ان الاغالب لهم فيها بوعورة ارضها وشهوق جبالها واحكام اسوارها اذا تاملت ما سياتي في شرح هذه
الايات من التوراة لاح لك هذا المعنى وكذا ما ذكر من التوراة عند قوله تعالى في المائدة قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله وفي هذه الجملة المختصرة بشارة باتمام الوعد بنصرهم عليهم بطاعتهم ونذارة على تقدير معصيتهم فكانه قيل
ان اخذوا بالاحسن اريتهم الفاسقين واتممت عليهم النعمة ما داموا على الشكر وان لم ياخذوا اهلكتهم كما اهلكت الفاسقين

الفاسقين من بني ادكانه لئلا يفعلوا افعالهم اذا استقرت لهم الدار وزالت عنهم الاكدار ويكون المراد القدس لا مصر لا مصر قد راه
من قبل اسا وذكر من الايات الادلة انما هي المقصودة ما خرج من مصر من بعث موسى عليه السلام ولا ينفي ذلك للاحتمال مصر ايضا
والله اعلم ولما انقضى ذلك كان كانه قيل فكيف يختار عاقل ذلك فكيف من راى الايات وشاهد المعجزات فقال ساصرف عن اياتي
اي المسموعة والمرئية على عظمتها بما اشارت اليه الاضافة الى عن فهمها واتباعها والقدرة على الطعن فيها بما يؤثر في
ابطالها الذين يتكبرون اي يطلبون الكبر بما ليس لهم ويعملون بقواهم فيه في الارض اي جنسها الذي امرت بالتواضع فيه ولما
كانت من رفعه الله بصفة فاضلة في موضع هو فيه نفسه موضعها ولم يعهد نظرا الى الله تعالى بما انعم الله به عليه ويتخذ اباه وربما
ذلك منه كبرا وربما سمي طلبه لذلك الاخلاق التي توجب رفعته تكبرا وليس له الدوان واقعه في الصورة لمفارقته له في المعنى
فانه صيانة النفس عن الذل وهو انزال النفس دون منزلتها ضعة لا تواضعا والكبر رد الحق واحتقار الناس فقيد المفسد هنا
اشارة خفية لاثبات العزة بالحق والوقوف على حد التواضع من غير انحراف الى الضعة وقوفا على شرط العزة المنصوب على
سنن منار الكبر قال الامام السهروردي وقال لا تؤبد في ذلك وثبتت عليه اقدام العلماء الراسخين قال تعالى احترازا عنه
ومدحا لكل كبر عن الحق الكامل بغير الحق اي لما يختاره بغير الاحسن من يختاره بمقتضاه الذي لا يردوا سوى لعال على
امر كل ذي جد فاذن من علمت جبانه ختمهم ورداه جوهرهم ما اراد حتى ترتكبوا كل قبيح ويتركوا كل سليم فينصرفون عن الايات
ويعمون عن الدلالات الواضحات ولما اخبر بتكبرهم في الحال عطف عليه تعليلهم في المال فقال وان يروا كل اية اي مرئية ومسموعة
لا يؤمنوا بها اي لتكبرهم عن الحق وان يروا سبيل اي طريق الرشد اي الصلاح والصواب الذي هو اهل السلوك وان يروا سبيل
اي فلا يسلكونه لتقصيرهم ونظرهم وتحدثهم ان سلكوه نفس غير قصد وان يروا سبيل الغي اي الضلال يتخذوه سبيلا اي لغاية
الشهوة والتعمد والاعتماد لسلوكه ولما كان هذا الحال عجبا جاب من يسال عنه بقوله ذلك اي الصرف العظيم الذي زاد عن مطلق
الصرف بالعمى عن الايمان واتخاذ الرشاد بانهم اي بسبب انهم كذبوا باياتنا اي على ما لها من العظمة وكانوا عنها خاصة جبلة وطبعا
غافلين اي كان دابهم وديدنهم معاملتهم لها بالاعراض عنها حتى كانها مغفول عنها فصرفهم لذلك يصرون على ما يقع منهم ولما ذكر الجواد
المتكبرين الذين اداهم كبرهم الى التكذيب في الدنيا ذكر احوالهم في الاخرة فقال والذين اي كذبوا بها والحال ان الذين كذبوا باياتنا
اي على ما لها من عظمتنا ولقاء الاخرة اي ولقائهم اياها اي ولقائهم ما وعدوا به فيها اللازم من التكذيب بالايات الحامل
التصديق بها على معالي الاخلاق حبطت اي فسدت فسقطت اعمالهم والاذى من الاحتباك اثبات المفعلة اولا يدل على ان الايات
واللقاء ثانيا يدل على ذاته اولا ولما كان ذلك كانه قيل لم بطل قال هل يجزون الا اي جزاء ما كانوا يعملون اي بابطال اعمالهم وان عملوا
كل حسن سوى الايمان بسبب انهم ابطلوا الايات والاخرة بتكذيبهم لها اي عدوها باطلة والجزاء من جنس العمل والحاصل انهم
لما عموا عن الايات لانهم لم ينظروا فيها وانقادوا واتبعوا ما دلت عقولهم عليه من تركها بالسد وابواب التكذب فيه زادهم الله عمى فختم
مداركهم فصادت لا ينتفع بها فصادوا الاعمون وهذه الايات اعظم زاجر عن التكبر قالها تثبت انه يوجب الكفر والاصرار عليه
والاهون في جميع الامور ولما كان في ذلك كله مما تسجيل به من اذكاه بما اعقبه تعالى بمثال له وتصورا وتحققا لو توعده
قوله عطفا على فانوا على قوم يعكفون بسبينا لاسراعهم في الكفر واتخذ اي بغاية الرغبة قوم موسى اي باتخاذ السامري
ورضاهم ولم يعتبر واشياعا اتاهم به من تلك الايات التي لم يرسل بها من بعده اي من بعد ابطائه عنهم بالعشر الايام التي
اتمها بها الاربعين من حليهم اي التي كانت عندهم من مالهم ولما كان ومما استعادوه من القبط عجلا ولما كان العجل اسما لولد
البقر مبينا انه انما يشبه صورته فقط فقال مبدلا منه جسدا ولما كان الاخبار بانه جسد منها لانه حال مما يشبه الناس
عن الروح قال له خوار اي صوت كصوت البقر والمعنى انه الاصل ولا اعمى من قوم كان معهم حتى اخذوه ممن كانوا يستبعدونهم
ويؤذونهم وهم مع ذلك الكفر الكفرة فكان جديرا بالنقص لكونه من اثار الخطا من الاعدا فاعتقدوا انه بالصوغ صار
الها وبالغوا في حبه والعبود بلد وهو جسد بروته ويلمسونه وبينهم الذي هداهم الله به واصطفاه لكلامه بسبيل
روحه فلا يصل اليه ولما لم يكن في السلام نص بانجاء الها دل على ذلك بانكاره عليهم في قوله الم يروا اي الذين اتخذوه
الها انه لا يكلمهم اي كما كلم الله موسى عليه السلام ولا يهديهم سبيلا كما هداهم الله تعالى الى سبيل النجاة منه سلوكهم في البحر
الذي كان سببا لاهلاك عدوهم كما كان سببا لنجاتهم قال ابو حيان سلب عنه هذين الوصفين دون باقي وصاف
الالهية لان انتفا التكليم يستلزم انتفا العلم وانتفا الهداية الى سبيل انتفا القدرة وانتفا هذين الوصفين يستلزم
انتفا باقي الاوصاف ولما كان هذا امرا عظيما جدا استبعد الوقوع ولا سيما من قوم فيهم نبيهم ولا سيما وقد انقذهم من النعم
والايات ما ملات انواره الافاق كان جديرا بالتاكيد فقال تعالى اتخذوه اي لغاية الجد والنشاط والشهوة وكانوا
اي جبلة وطبعا مع ما اتبعهم من الانوار ظالمين اي حالهم حال من يمشي في الظلام وان المقصود ذلك الظلم وصفهم
لازم فلا بدع اذا فعلوا امثال ذلك ولما كان هذا في سياق ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين وكان قد تقدم
فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين فانتج ذلك ان من كذب على هذه الصفة اهلك فانتظر السامع
مع الاخبار بتعجيل هلاكهم اخبر بانه منعهم من ذلك وحرسهم المبادرة بالتوبة ولما اشتد من تشوف السامع اليه قدمه

على سببه وهو رجوع موسى عليه السلام اليهم وانكاره عليهم ولان السياق في ذكر اسراعهم في التسرع لم يذكر قبول توبتهم كما في البقرة ولما كان من المعلوم انهم تبين لهم عن قريب سوء مرتكبهم تكون بذلك من ندمهم عقب بما افهم ان التقدير فسقط في ايديهم وعطف عليه قوله سابقا للسياق ما هو معروف **ولما سقط** اي سقطت اسنانهم **في ايديهم** لعضهم عليها ندما سقوطا كانه لكثرة احتياله لما غلب فيه من الوجد والاسف الذي اذاقهم تامله ولذا بناه للمفعول **ورأوا انهم قد ضلوا** اي عن الطريق الواضح **قالوا** توبة ورجوعا الى الله كما قال ابوهم ادم عليه السلام **لئن لم يرحمنا ربنا** اي الذي لم يقطع قط احسانه عنا فيكشف غضبه ويديم احسانه **ويغفر لنا** اي يمحو ذنوبنا عينا واثرا البلاء لنعم منا في المستقبل **لنكونن من الخاسرين** اي فينقص ما لنا ونسا ولما اخبر بالسبب في تأخير الانتقام عنهم مع مساواتهم لمن اوقعت بهم النقمة في موجبه مقام الخبر سبحانه بحال موسى عليه السلام معهم عند رجوعه اليهم من الغضب والحزن والتكبيت اي طلاقه لمن خالفه مع ما اشتمل عليه من الرحمة والتواضع فقال **ولما رجع موسى** اي من المناجاة **الى قومه غضبان** في حال رجوعه لما اخبره الله تعالى عنهم من عبادة العجل **اسفا** اي شديد الغضب والحزن **قال بئسما** اي خلافة خلافتكم التي **خلفتموني** اي قمتم مقامي وخلفتم خلفي ولما كان هذا ربما اوهم انهم فعلوه من ورائه وهو حاضر في طرف العسكر قال **من بعدي** اي حيث عبدتم غير الله الها العبد وحيث لم تكفوهم اما الموحدون بعد ذهابي الى الجبل للمواعدة الالهية وبعد ما سمعتم مني من التوحيد لله وافراده عن خلقه بالعبادة ونفي الشركاء عنه وقد رأيتم حين كففتكم وزجرتكم عن عبادة غيره حين قلتم اجعل لنا الها كما لهم الهة ومن حق الخلفا ان يسيروا سيرة المستخلف ولا يخالفوه في شيء ولما كان قد امرهم ان لا يحدثوا حدثا حتى يعود اليهم انكر عليهم عدم انتظاره فقال **اعجلتم** قال الصغاني في المجمع سبقتم وقال غيره عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم وضمن معنى سبق والمعنى سابقتم **امر ربكم** اي ميعاده الذي ما زال يحسن اليكم به اي فعلتم هذا قبل بلوغ الموعد الذي نادية ربي وهو العشر الاتمام رجوعي اليكم الى حده فظننتم اني مت فغيرتم كما غيرت الامم بعد موت انبيائها وقال الامام ابو عبد الله القزاز ان اعجلتم سبقتم ومنه تقول عجلت فلانا سبقته واسنده ابن الثاني الى الاصمعي **والقى الالواح** اي التي فيها التوراة غضبا سوارها بالتوحيد ودل هذا على ان الغضب بلغ منه حدا لم يتمالك معه في ذات الله **واخذ برأس اخيه** اي بشعره **يجره اليه** اي تنا على انه قصر واعلاما لهم بان الغضب من هذا الفعل قد بلغ منه مبلغا يجل عن الوصف لانه احتياط للدين من اصله ولما كان هرون عليه السلام غير مقصر في نهيهم في اعلام موسى عليه السلام بذلك مختصا الام وان كان شقيقه يذكره الرحم الموجبة للعطف والرقة ولا سيما وهي بوسنه وقد قاست شدة المخاوف فاستأنف سبحانه الاخبار عن ذلك بقوله **قال ابن ام** وحذف اداة النداء ويا الاضافة لما تقتضيه الحال من الايجاز وفتح الجمهور الميم تشبيها له بخمسة عشر وعلى حذف الالف المبدلة من يا الاضافة وكسر الميم ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم بتقدير حرف يا الاضافة تخفيفا **ان القوم** اي عبدة العجل الذين يعرف قيامهم فيما الامور التي يريدونها **استضعفوني** اي عدوني ضعيفا واوجدوا ضعفي بارادتهم لي **وكادوا يقتلونني** اي قاربوا ذلك لانكاري ما فعلوه فسقط عني الوجوب ولما تسبب عن ذلك الحال فخاف ان يفعل الغضب من شأنه ذلك في ذهنه وتنزره في قلبه فقال **فلا تشمت بي الاعداء** اي لا تسرهم بما تفعل بي فانهم ملوموا منهم ومنك ولما استعطفه بالتذكير بالشماتة التي هي شماته به ايضا ابتعد عن زاجر فقال **ولا تجعلني** اي بمؤاخذتك لي **مع القوم الظالمين** اي بمقاطعتك لي منهم وجعلي في زمرتهم عن اجنبه من الصالحين وتصلني بمن لعنته من الفاسدين الذين فعلوا فعل من هو في الظلام فوضعوا العبادة في غير موضعها من غير شبهة ولا لبس اصلا ولما تبين له ما هو اللائق بمنصب اخيه الشريف بعد انه لم يقصر في دعائهم الى الله ولا وني في نهيهم عن الضلال ورأى ان ما ظهر منه من الغضب مذهب لعقولهم وازع لهم عما ارتكبوه دعا له ولنفسه مع الاعتراف بالعجز وانه لا يسع احدا الا العفو وساق سبحانه ذلك مساق الجواب لسؤال بقوله **قال رب** اي ايها المحسن الي **اغفر لي** اي ما حملني عليه الغضب لك من ايقاعي باخي **ولاخي** اي في كونه لم يبلغ ما كنت اريده منه من جهادهم ولما دعا بمحو التقصير اتبعه الاكرام فقال **وادخلنا** اي انا واخي وكل من انتظم معنا **في رحمتك** لتكون غامرة لنا محيطة بنا ولما كان التقدير واستحيا الغافرين عطف عليه **وانت ارحم الراحمين** اي لانك تنعم بما لا يعلم الحد ولا يحصيه العد من غير نفع يصل اليك ولا اذى يلحقك بفعل ذلك ولا تركه ولما كان السؤال له ولاخيه وهما معصومان من الذنوب طوى ما يتعلق بالمتقدم وذكر ما يتعلق بالرحمة بخلاف ما ياتي في السؤال له وللسبعين من قومه فانه عكس فيه ذلك ولما صحت براءة الخليفة واشار الى انه مع ذلك مفتقر الى المغفرة التفتت النفس الى حال المفسدين فقال مخبرا عن ذلك **ان الذين اتخذوا العجل** اي دعبوا رغبة تامة في اخذهم الهامع المخالفة لما ذكر في الفطرة الاولى ودعاهم اليه الكليم عليه السلام **سينالهم** اي بوعد لا خلف فيه **غضب** اي عقوبة من طردوا العباد ولعله ما امروا به من قتل انفسهم واشار الى انه منه رفق بهم وحسن تربية لتوبة من بقي منهم بقوله **من ربهم** اي الذي لا محسن اليهم غيره يلحقهم في الدنيا ويتبعهم في الاخرة **وذلة في الحيوة الدنيا** اي جزاء لهم على افترائهم وكذا كل من رضي فعلهم ولا سيما ان من كان من اولادهم كقريظة والنضير واهل خيبر **وكذلك** اي ومثل جزائهم **نجزي المفترين** اي المتعمدين للكذب وهذا نص في ان كل مبتدع ذليل كما هو الآن هدوا ان اظهر الجاه بعضهم ولما ذكر المجترين على المعصية عطف عليه التائبين ترغيبا في مثل هذه حالهم فقال **والذين عملوا السيئات** عبر بالعمل اشارة الى العفو وان اقدموا عليها على علم وجمع اعلاما بانه لا يتعاظمه ذنب وان عظم كثر وان طال زمانه ولذلك عطف باداة البعد فقال **ثم تابوا** وحقق الامر ونفى المجاز بقوله **من بعدها** ثم ذكر الاساس الذي لا يقبل عمل لم يبن عليه على وجه يفهم انه لا فرق من ان يكون في السياق ردة

ردة اولا فقال **وامنوا** ثم اجاب المبتدا بقوله **ان ربك** اي المحسن اليك بقبول توبة التائب لما يسر لهم من ذلك كلهم رؤوف رحيم **من بعدها** اي التوبة **لغفور** اي محاء للذنوب التائبين عينا واثرا وان عظمت وكثرت **رحيم** اي فاعل بهم فعل الرحيم من البر والاكرام واللطف والانعام وكان المصرين هم الذين قتلوا لما امرهم موسى عليه السلام بقتل انفسهم فلما اهلك المصر وتاب الباقي وصحت براءة اخيه وتعاونه على دينه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاجتهاد في امر الله زال موجب الغضب فاخبر سبحانه عما تعقبه فقال **ولما سكت** اي كف شبه الغضب بمتكلم كان يحث موسى عليه السلام ويعوده على ما يوجبه ويقتضيه فلما اشتفى غيظه سكن وقطع كلامه فخلفه ضده وهو الرضا **عن موسى الغضب** وهو غليان القلب بما تتأذى به النفس **اخذ الالواح** اي التي جاء بها من عند الله بعدما القاها **وفي** اي والحال انه في **نسختها** اي الامر المكتوب فيها فعلة بمعنى مفعول وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما القاها صام للمناجاة اربعين يوما اخرى فردت عليه في لوحين مكان ما كسر **هدى** اي شيء موصل للمقاصد **ورحمة** اي سبب للاكرام **للذين هم لربهم** اي لا لغيره **يرهبون** اي هم اهل لان يخافوا خوفا عظيما مقطعا للقلوب موجبا للهرب ويستدل على ذلك بشيء مما في هذه الايات من عند قوله سأريكم دار الفاسقين من البدائع من التوراة قال المترجم في السفر الخامس منها بعد ان جلاهم ببعض ما فعلوه مما اوجب لهم الغضب المعنون بالتيه وحثهم على لزوم امر الله لينصرهم فاما الوصايا التي امركم بها فاحفظوا واعملوا بها لتحيوا وتكثروا وترثوا الارض التي اقسم الله لابائكم فتذكروا كل الطريق الذي سيركم الله ربكم فيه ودبركم منذ اربعين سنة في البرية ليواضعكم ويحزنكم ويعلم ما في قلوبكم هل تحفظون وصاياه ام لا فواضعكم واجاعكم واطعمكم منا لم تعرفوه انتم ولا اباؤكم ليبين لكم انه ليس انما يعيش الانسان بالخبز فقط بل انما يعيش بما يخرج من فم الله ولم تبل ثيابكم ولم تحف اقدامكم منذ اربعين سنة احفظوا وصايا الله ربكم وسيروا في طرقه واتقوه لان الله ربكم هو الذي يدخلكم الى الارض المخصبة ارض كثيرة الاودية والينابيع والعيون التي تجري في الصحاري والجبال ارض الحنطة والشعير فيها الكروم والتين والرمان والزيتون والدهن والعسل ارض لا تحتاجون فيها ولا تاكلون خبزكم بالقتر ولا يعوزكم فيها شيء ارض حجارتها حديد تستخرجون النحاس من جبالها فاحتفظوا لا تنسوا الله ربكم واحتفظوا وصاياه وشرائعه التي امركم بها اليوم لا تبطروا فاذا اكلتم وشبعتم وبنيتم بيوتا وسكنتموها وكثر غنمكم وبقركم وكثرت اموالكم فتتعظم قلوبكم وتنسوا الله ربكم الذي اخرجكم من ارض مصر وانقذكم من العبودية ودبركم في البرية المرهوبة العظيمة حيث الحيات الجواد والعقارب وفي مواضع وحش لم يكن لكم من ماء العطاش واطعمكم منا لم يعرفه اباؤكم ليواضعكم ويحزنكم ويحسن اليكم اخيرا لذلك وانظروا لا تقولوا في قلوبكم انا انما استفدنا هذه الامور بقوتنا وعزة قلوبنا ولكن اذكروا الله ربكم الذي قواكم ان تستفيدوا هذه الاموال ليثبت العهد الذي اقسم لابائكم وان انتم نسيتم الله ربكم وتبعتم الهة اخرى وعبدتموها وسجدتم لها اشهدت عليكم اليوم فاعلمتكم انكم تهلكوا اهلاكا سوء كما اهلكت الشعوب التي ابادها الرب بين ايديكم كذلك تهلكون واسمعوا يا بني اسرائيل انتم تجوزون نهر الاردن وتستطيعون ان تهلكوا الشعوب التي هي اقوى واعظم منكم وتظفروا بالقرى الكبار المشيدة الى السماء وبشعب كبير عظيم بني الجبابرة وقد علمتم وسمعتم انه ما يقدر انسان ان يقوم بين يدي الجبابرة وتعلمون اليوم هذا ان الله ربكم يجوز امامكم وهو نار محرقة وهو يهلكهم ويكسرهم امامكم ولا تقولوا في قلوبكم انه انما ادخلنا الرب لنرث هذه الارض من اجل برنا ولكن الله ربكم يورثكم هذه الارض المخصبة لانكم صلاب الرقاب اذكروا ولا تنسوا انكم اسخطتم الله ربكم في البرية منذ يوم خرجتم من ارض مصر حتى اتيتم الى هذه البلاد ولم تزالوا مسخطين لربكم وبحوريب ايضا اغضبتم الرب وغضب الرب عليكم واراد اهلاككم اهلا حيث صعدت الى الجبل واخذت لوحي العهد الذي عاهدكم الرب ومكثت في الجبل اربعين يوما بلياليها لم اذق خبزا ولم اشرب ماء واعطاني الرب لوحين من حجارة مكتوب عليهما ما صنع الله وكانت كل الايات التي كلمكم الرب بها من الجبل يوم الجماعة ومن بعد الاربعين واعطاني لوحي العهد قال لي الرب قم فانزل من ههنا سريعا لان شعبك الذي اخرجت من ارض مصر قد فسدوا وما لوا عن الطريق الذي امرتكم عاجلا وعملوا العجل الها مسبوكا وقال لي الرب رايت هذا الشعب فاذا هو شعب قاسي القلب دعني الان حتى اهلكهم وابيد اسماءهم من تحت السماء واصيرك مدبرا لشعب اعظم واعز منهم واقبلت فنزلت من الجبل والجبل يشتعل نارا ولوحا العهد بيدي فرايت انكم اذنبتم امام الله ربكم سريعا وعهدت الى لوحي الحجارة فرميت بهما من يدي وكسرتهما قدامكم وصليت امام الرب كما صليت اولا اربعين يوما بلياليها لم اذق طعاما ولم اشرب شرابا من اجل جميع الخطايا التي ارتكبتم وما عملتم من الشر بين يدي الرب واغضبتموه لاني فرقت وخشيت غضب الله وزجره اذا راد اهلاككم واستجاب الله لي في ذلك الزمان واما عجل خطاياكم الذي عملتموها فاخذته واحرقته بالنار ورضضته وطحنته جدا حتى صار مثل التراب وطرحت ترابه في الوادي الذي ينزل بالجبل وبالحريق والبلايا وبقبور اصحاب الشهوة اغضبتم الرب واذا ارسلكم ربكم من رقام الجي فقال لكم اصعدوا ورثوا الارض التي اعطيكم اجتنبتم قول الرب واغضبتموه ولم تؤمنوا به ولم تسمعوا قوله ولم تزالوا لله مسخطين منذ يوم عرفتكم وصليت امام الرب اربعين يوما بلياليها لان الرب امر باهلاككم وقلت في صلاتي يا رب لا تهلك شعبك وميراثك الذي خلصت بعظمتك واخرجتهم من ارض مصر بيد عزيزة ولكن اذكر عبيدك ابراهيم واسحق ويعقوب ولا تنظر الى معصية هذا الشعب واثمه وخطاياه لئلا يقول سكان تلك الارض التي اخرجتهم منها ان الرب لم يستطع ان يدخلهم الارض التي قال لهم وانما اخرجهم من عندنا بغضة لهم ليقتلهم في البرية وهو شعبك وميراثك الذي اخرجتهم بقوتك العظيمة وذراعيك العزيزة فقال

الرب في ذلك الزمان ان انقر لوحين من حجارة مثل اللوحين الاولين واصعد الى الجبل الي واعمل تابوتا من خشب الشمشار وفي نسخة الشط
وتقرب اللوحين من الحجارة مثل اللوحين الاولين وصعدت الى الجبل واللوحان في يدي وكتب على اللوحين الكتاب الاول وهي العشر الايات
التي كلمكم الرب بها من الجبل من النار يوم الجماعة ودفعها الرب الي فانقلبت نازلا من الجبل ووضعت اللوحين في التابوت الذي عملت
وتركتهما فيه كما امرني الرب وارتحل بنو اسرائيل من بروات بني يعقان وموسان وتوفي هرون هناك واوصاه العازار ابنه خلفا مكانه
وارتحلوا من هناك الى جدجد ومن جدجد الى يطبات ارض مسايل الماء في ذلك الزمان افرز الرب سبط لاوي ليحملوا تابوت عهد الرب
وان يقوموا ابدا امام الرب ويخدموه وان يبركوا باسم الرب الى اليوم ولذلك ليس لبني لاوي حصة مع بني اسرائيل مع بني
اسرائيل في ميراثهم لان ميراثهم الله ربهم كما قال لهم وانا قمت بين يدي الرب في الجبل فقال لي الرب قم فارتحل وسر امام الشعب
لتدخلوا وترثوا الارض التي اقسمت لابائكم ان اعطيهم والان يا بني اسرائيل ما الذي يطلب الله ربكم منكم ما يطلب الا ان
تتقوا الله ربكم ومن كل قلوبكم وتسيروا في طرقه وتحبوه وان تعبدوا الله ربكم من كل قلوبكم وانفسكم وان تحفظوا الله ربكم التي امركم
بها اليوم ليحسن اليكم الا ان السماء وسماء السماء هما لله ربكم والارض وجميع ما فيها وبابائكم وجدهم سر الرب واحبهم واختار نسلهم من
بعدهم وفضلهم على جميع الشعوب كاليوم اختنوا غلفة قلوبكم ولا تقسوا رقابكم ايضا لان الله ربكم هو اله الالهة ورب الارباب اله
عظيم جبار مرهوب لا يحابي ولا يرتشي ينتصب للايتام والارامل ويحب الذي يقبل اليه من الرزق طعاما ولبوسة فاحبوا الذين ينزلون
اليه واذكروا انكم كنتم سكانا بارض مصر فاتقوا الله ربكم واتبعوه واعبدوه واقسموا باسمه لانه الهكم ومرتجاكم وهو الذي
اكمل لكم العجائب التي رات اعينكم واعلموا انه انما انزل اباكم الى مصر سبعين رجلا والان فقد كثركم الله مثل نجوم السماء احبوا
الله ربكم واحفظوا سنته واحكامه كل الايام واعلموا اليوم هذا انه ليس بنيكم الذين لم يعرفوا ولم يبلوا ادب الرب وعظمته
وبدء المنيعة وذراعه المنيعة واياته والعجائب التي عمل بمصر وبفرعون ملك مصر وبكل ارضه وما صنع باجناده وما فعل بالخيل
والمراكب وفرسانها الذين قلب عليهم ماء بحر سوف حيث خرجوا في طلبكم واهلكهم الرب الى اليوم وجميع ما صنع بكم الرب
حتى انتهيتم الى هذه البلدة وما صنع بداثان وابيرم ابني اليآب من روبيل الذين فتحت الارض فاها وابتلعتهما وبيتهما
وخيامهما وكل شيء هو لهما اذ كانوا قياما على ارجلهم بين يدي جميع بني اسرائيل ولكن قد رات اعينكم جميع اعمال الله العظيمة التي عمل فاحفظوا
جميع الوصايا التي انا امركم بها اليوم لتدخلوا الارض الذين تجوزون اليها لترثوها وتطول اعماركم في الارض التي اقسم الله لابائكم
ان يعطيهم ونسلهم وستاتي تتمته ان شاء الله تعالى عند ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق ونحوه من المتشابه ولو قرا اسفار
واصنع اسفر والاولى مع كونه لا يجوز الطلاق في شرعنا مع ورود الكلام والثاني مع القدره ولما فرغ سبحانه من ذكر الوعد بالميقات المقصود
به سماع الكلام عليه السلام فيما يهديكم الى صراط الله وذكر ما سبقهم فيما اصلحهم من الطريق باتخاذهم العجل وكان ختام ذلك
ما بدا من موسى عليه السلام من الشفقة على اخيه ثم على الكافر باخذ الالواح عند الفراغ مما حمله من الغضب لله ورد الكلام
على ذكر شيء فعله في الميقات مراد به عصمتهم في صراط الله بنقلهم بمشاهدته في سماعهم له تعالى الكلام الله تعالى من علم
اليقين الى عين اليقين بل حق اليقين شفقة عليهم ورحمة لهم ليكون اخبارهم عمادا ومؤيدا لما يخبر به ليكون ذلك سببا
لحفظهم من مثل ما وقعوا فيه من عبادة العجل ومع ذلك وقع منهم العصيان بطلب ما لا ينبغي لهم من الرؤية على وجه التعنت
فقال واختار اي اجتهد في اخذ الخيار موسى قومه ثم ابدل منه قوله سبعين رجلا اشارة الى ان من عداهم عدم لا يطلق
عليهم اسم القوم في المعنى الذي اراده وهو نحو مما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما
الناس كالابل المائة لا يكاد تجد فيها راحلة ثم ذكر علة الاختيار فقال لميقاتنا اي لما اخترنا الامر واي انه يحصل
لما نريد من عظمتنا في الوقت الذي حددناه ودني كلمهم من الحضرة للخطابه في الجبل هو وهرون عليهما السلام واستخلف
على بني اسرائيل يوشع بن نون عليهما السلام كذلك عن امر الله له وهذا الكلام عطف على قوله وواعدنا موسى ثلثين ليلة
فيكون الميقات هو الاول وهو ظاهر التوراة كما مر بيانه في البقرة ويجوز ان يكون عطفا على قوله واتخذ قوم موسى و
على قوله اخذ الالواح ويكون هذا الميقات غير الميقات الاول ويؤيده ما نقل من ان هرون عليه السلام كان مات وكانهم
لما سمعوا الكلام الله طلب بعضهم الرؤية جاعلها شرطا لايمانهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كما قيل النقباء
الاثني عشر حين ارسلهم يجسون احوال الجبابرة فنقض اكثرهم فاخذتهم الرجفة فلما توفي موسى عليه السلام ان يتهم بنو
اسرائيل في موتهم لتفرقه واحده فلما اخذتهم اي اخذ قهر وغلبة الرجفة اي التي سببها الصاعقة التي تقدمت في البقرة
قوله لتقلبوكم فاماتتهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان هؤلاء غير السبعين الذين قالوا ارنا الله جهرة فاخذتكم الصاعقة
وان اولئك كانوا قبل هؤلاء فالظاهر ان سبب الرجفة ما راوا عند سماع الكلام من جلال الله وعظيم هيبته من الغمام
الذي يغشى الجبل والعشار والبروق واصوات القرون وغير ذلك بحيث كادت الرجفة وهي رعدة كادت تفرق
اوصالهم بعضها من بعض قال اي موسى متلطفا لربه سبحانه رب ايها المحسن الي لو شئت اهلكتهم اي اماتتهم ولما كان
الاهلاك مستغرقا للماضي ادخل الحال فقال من قبل واياي اي قد دللت علي وعليهم قبل ان نقترب من هذه الحضرة
المقدسة ونحن بحضرة قومنا لمعدرتك علينا حين تشرفنا بها وقد اوسعت علينا ذيل عفوك واسبغت علينا نعمتك

نعمك ونحن في غير هذه الحضرة فلم تهلكنا فانما ملكت علينا ونحن في حضرة القدس وبساط الانس واولى لما كان الحال يقتضي الان يقال
الم تر الى ما لجهر او العلم وكان كانه قال لما قال ذلك قوم منهم سفها دل على ذلك بقوله استعطافا اتهلكنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان رجفتهم كانت بسبب انهم لم ينهوا عن عبادة العجل مع انهم لم يرضوا بذلك وكان موسى عليه السلام عبر بهذه العبارة المقتضية لاهلاك
الجميع لانه جوز انه كما اهلك هؤلاء يهلك غيرهم لتقصيرهم في سبب ذلك لعدم الجهاد مثلا حتى يعمهم الهلاك بما فعل السفهاء منا
فكانه صلى الله عليه وسلم رضي انه ان لم يشملهم العفو ان يخص العقوبة لمن تلبس بالفعل ويعفو عمن قصر بالسكوت وعلى تقدير كون الميقات
غير الاول يجوز ان يكون بعد اتخاذهم العجل كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما فيكون موسى عليه السلام خاف ان يكون اهلاكهم
فتنة لبني اسرائيل وسببا لكفرهم كما كان ابطاؤه عنهم بزيادة عشرة ايام على الثلاثين في الميقات الاول سببا لاتخاذهم العجل
ويجوز ان يراد بفعل السفهاء اتخاذ العجل ويؤيده التعبير بالفعل دون القول وقد تقدم نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما ولما كان
قوله هذا ربما افهم رضاه باهلاك المذنبين قال معرضا بالسؤال في العفو عن الجميع ان هي اي الفتنة التي اوقعها السفهاء
الا فتنتك اي ابتلاؤك واختبارك تضل بها من تشاء اي يظهر في عالم الشهادة من ضلاله ما كان معلوما لك في عالم الغيب
وتهدي من تشاء اي يظهر ما في علمك من ذلك ولما اثبت ان الكل بيده استانف سؤاله في ان يفعل بهم الاصلح فقال انت اي وحدك
ولينا اي تعتقد انه لا يقدر على عمل مصالحنا غيرك وانت لا ينفعك شيء من الاشياء ولا يضرك والكل بالنسبة اليك على حد
سواء ونحن على بصيرة من ان فعالك لا تعلل بالاغراض وعفوك عنا ينفعنا وانتقامك منا يضرنا ونحن في حضرتك فقد انقطعنا
اليك وحططنا رحالنا افتقارا لديك ولما اثبت انه الفعال لما يشاء وانه الولي لا غيره وكان من شان الولي جلب النفع ودفع الضر
سبب عن كونه الولي وحده قوله بادئا بدفع الضر فاغفر لنا اي امح ذنوبنا وارحمنا اي ارفعنا ولما كان التقدير فانت خير الراحمين
عطف عليه قوله وانت خير الغافرين اي لان غيرك يتجاوز عن الذنب طلبا للثناء او الثواب او دفعا للصفة الخسيسة وهي صفة
الحقد ونحوه وانت منزه عن ذلك وكانه لحسن العفو عنهم فقال عاطفا على سؤاله فيه واكتب لنا اي مدا جسامك لنا في
هذه الدنيا اي الحاضرة والدنية حسنة وفي الحياة الاخرة اي لذلك ثم علل ذلك بقوله انا هدنا اي تبنا اليك عما لا
يليق بجنابك كما امرتنا ان نحرم ما عساه ان يقع منا بالمبادرة الى التوبة فهذا اذكر غرة الربوبية وثنى بذلة العبودية وهما
اقوى اسباب السعادة وهذا ايليق وهذا التلقين لهم ولغيرهم وتحذير من مثل ما وقعوا فيه وحث على التسليم وكانه لما كان
ذنبهم الجهر بما لا يليق كلهم به سبحانه من طلب الرؤية عبر بهذا اللفظ وما يدل على معناه تنبيها لهم على ان اسمهم يدل على التوبة
والرجوع على الحق والصبر ورده الى الصلاح واللين والضعف في الصوت والاستكانة في الكلام والسكون عما لا يليق وان
اليهود الذي اخذ اسمه من ذلك انما سموا به ونسبوا اليه تناولا لهم ليبادروا الى التوبة ولما كان في كلامه عليه السلام انكار اهلاك
الطائع بذنب العاصي وان كان ذلك انما كان على سبيل الاستعطاف منه والتملق مع العلم بانه عدل منه تعالى وله ان يفعل
ما يشاء بدليل قوله لو شئت اهلكتهم من قبل واياي استانف سبحانه الاخبار عن الجواب عن كلامه على وجه مبين للجماهير على ان له التصرف
المطلق بقوله قال عذابي اي انتقامي الذي من حل به عذوبة عمن وتم به اصيب به اي في الدنيا والاخرة من اشاء اي اذنب
او لم يذنب ورحمتي اي انعامي واكرامي ولما كان الايجاد من الرحمة فانه خير من العدم قال وسعت كل شيء
اي هذا شانها وصفتها في نفس الامر وان بلغ في اقتاح ما عساه ان يبلغ وهذا هو معنى حديث ابي هريرة ان رحمتي سبقت وفي رواية
غلبت سواء قلنا ان السبق بمعنى الغلبة او قلنا انه على بابه لما سبق الاول خلافا للعلو الرحمة اكثر لان كل من تعلق به الغضب تعلقت
الرحمة بايجاده وافاضة الرزق عليه ولا عكس كالحيوانات العجم والجمادات واهل السعادات من المؤمنين والملائكة والحور وغيرهم
من جنود الله التي لا تحصى ولما اعلم ان رحمته واسعة وقد رتبه شاملة وكان ذلك موسعا للطمع سبب عن ذلك قوله ذاكرا شرط
اتمام تلك الرحمة ترهيبا لمن يتوانى عن تحصيل ذلك الشرط فساكتبها اي اخص بدوامها توعدا لا خلف فيه لاجل تحلي تمام القدرة
بما اريد مبتوتا امرها ما لحكمة للذين يتقون اي يوجد لهم هذا الوصف الحامل على كل خير ولا يخل بوسعها ان امنع دوامها بعد
الايجاد من غيرهم فان الكل لو دخلوا فيها دائما لما صار كلهم في نعيم نفسها واسعة تكفي مثل ما اشاء ولما ذكر نظرهم الى الخالق
ما لا تهامها عما نهي عنه والايمان بما امر به اتبعه النظر الى الخلائق فقال ويؤتون الزكوة ولعله خصها لان فرضها كان في هذا الميثاق
كما تقدم في البقرة ولانها امانة فيما بين الخلق والخالق كما ان صفات النبي صلى الله عليه وسلم التي كتمها لهم وشرط قبول اعمالهم
ما ابتليهم لذلك ثم عمم بذكر ثمرة التقوى فقال محرجا لمن توعد منه ذا ابل الوصفان في الجملة على غير جهة العموم والذين هم باياتنا
اي كلها يؤمنون اي يصدقون مع القلب ويقرون باللسان ويعملون بصدقها بالاركان فلا يكفرون ببعض ويؤمنون ببعض
ولما كان اليهود ربما ادعوا ذلك مكابرة او وضع غاية الايضاح بقوله الذين يتبعون اي بغاية جهدهم الرسول ولما كان هذا الوصف
وصفا غير مبين للمراد ولا صريح في الرسالة عن الله ولا في كونه من البشر قال النبي اي الذي ينبئه الوحي من الله فبدا بالاشرف وثنى
بما خصه برسالة الله وكونه من الادميين لا من الملائكة ولما لم يتم المراد قال مبينا اعظم المعجزات وهو ان علمه لم يعلم من البشر
الامي اي الذي هو مع ذلك العلم المحيط على صفة الام وامة العرب لا يكتب ولا يقرا ولا يخالط العلماء للتعلم منهم بل للتعليم لهم
فانطبق الوصف على الموصوف مع التنويه بجلالة الاوصاف والتشويق الى الموصوف ولم يعطف لئلا يوهم تعداد الموصوف

ولقضى الى الخفه لا احد من بني اسرائيل ولا من غيرهم الان ابتع محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا الاتباع تارة يكون بالقوة فقط لمن تقدم موته على زمانه
وتارة يخرج من القوة الى الفعل لمن لحق زمان دعوته فمن علم الله منه انه لا يتبعه اذا ادركه لم يغفر له ولو عمل جميع الطاعات غير ذلك لا عرفه
لهم بجميع خواصه حتى لا يتطرق اليه عند مجيه ريب ولا يشكل في امره بعلة ولا اشتباه فقوله الذي يجدونه اي علماء بني اسرائيل ولما
اشتد تشوق السامع مذكر الوجدان قال مكتوبا ثم قرب الامر بقوله عندهم ثم بين انه لا يدخله شك بقوله في التوراة والانجيل اي الذين يعلمون
انهما من عند الله بصفته البينة كما تقدم بيانه عما غفلوا عن تبديله منهما في البقرة عند واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات وفي آل عمران
عند ان الله اصطفى آدم ونوحا الايات وفي النساء عند وما قتلوه يقينا وفي التوراة ايضا من ذلك في الفصل الحادي عشر من السفر
الخامس واذا دخلتم الارض التي يعطيكم الله ربكم فلا تعملوا مثل اعمال تلك الشعوب ولا يوجد فيكم من يطلب تعلم العرافين ثم قال ان
هذه الشعوب التي ترثونها كانت تطيع العرافين والمنجمين فاما انتم فليس هكذا يعطيكم الله ربكم بل يقيم لكم نبيا من اخوتكم مثلي
فاطيعوا ذلك النبي كما طلبتم الى الله ربكم في حوريب يوم الجماعة وقلتم لا نسمع صوت الله ربنا ولا نعاين هذه النار العظيمة كيلا نموت
فقال الرب ما احسن ما تكلموا اني سأقيم لهم نبيا من اخوتهم مثلك اجعل كلامي في فيه ويقول لهم ما آمره به والذي لا يقبل قول ذلك
النبي الذي يتكلم باسمي انا انتقم منه ومن سبطه انتهى هكذا رايته مترجما في بعض نسخ التوراة ثم رايت السموأل بن يحيى المغربي ترجمه
في كتابه الذي ذكر فيه كيف كان سبب اسلامه وكان من اكابر علمائهم بل العلماء فقال نبيا اقيم لهم من وسط اخوتهم مثلك به فليؤمنوا
انتهى فهو يعين ان يكون هذا النبي محمدا صلى الله عليه وسلم لانه من بني اسمعيل وقد اتى بشريعة مستقلة لا تعلق لها بشريعة قبلها ولا توقف
لها عليها وذلك ان في العبارة كلمتين مثل ونحوه وحقيقة الاخ ابن احد الابوين وهو لا يتاتى في احد من انبيائهم فاقرب المجاز الى حقيقته
الحمل على اخي الاب وهو اسمعيل عليه السلام والتابع في الاسعاد في نحو ذلك لا يعتقد برادة احد منهم ان يقال من انفسهم لانهم من
اخوتكم وحقيقة المثل المشارك في اخص الصفات واخص صفات موسى عليه السلام الرسالة والكتاب بشريعة مستقلة ولم يات
منهم بعده من هو بهذه الصفة لان عيسى عليه السلام لم ينسخ من شريعة موسى عليه السلام الا بعض الاحكام وعلى تقدير دعوى
ذلك فيه لكونه نسخ في الجملة وتسليم ذلك لا يتاتى قصده بهذا النص لوجهين احدهما انه ليس من رجالهم الا بواسطة امه فخرج العبارة
فيه من بني اخوانكم جمع اخ واذا اريد انا امة كان المجاز فيهم ابعد من المجاز في بني اسمعيل لما تقدم ولا ينتقل الى الابعد
الا بقرينة تصرف عن الاقرب والله اعلم وقال السموأل بن يحيى احد احبارهم في سبب اسلامه ان اليهود يقولون ان هذه البشارة
نزلت شموال احد انبيائهم الذين بعد موسى لانه كان مثل موسى عليه السلام في انه من سبط لاوي وقال انه راى شموال
عليه السلام في المنام وانه دفع اليه كتابا فوجد فيه هذه البشارة فقال له هنيئا لك يا نبي الله ما خصك الله به فنظر مغضبا وقال
اواياي اراد الله بهذا اياك ما اما رايت البراهين الهندسية فقلت بلى يا نبي الله فمن اراد الله بهذا فقال الذي اراد في قوله هو نبع بهاء
فاران وتفسيره اشارة الى نبوة وعد نزولها على جبال فاران فعرفت انه يعني المصطفى صلى الله عليه وسلم لانه المبعوث من جبال
فاران وهي جبال مكة ثم قال اوما علمت ان الله ما بعثني بنسخ شيء من التوراة وانما بعثني اذكرهم بها واحيي شرايعها واخلصهم من اهل
فلسطين قلت بلى يا نبي الله قال فاي حاجة بكم الى ان يوصيهم ربكم بما شاع من لم ينسخ دينهم ولم يشرع لهم شريعة اذا رايتهم احتاجوا الى ان
يوصيهم بقبول نبوة دانيال وارميا او حزقيل قلت لا لعمري واخذ الكتاب من يدي وانصرف مغضبا فارتعبت لغضبه وارحمني
لموعظته واستيقظت مذعورا وقال في كتابه غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود ان الله تعالى يطلق الاخوة على غير بني
اسرائيل كما كان بنو العيص اخوة لبني اسرائيل لان العيص واسرائيل ولدا اسحق فكذلك بنو اسمعيل اخوة لجميع ولد ابراهيم عليهم السلام
قال وفي الجزء الثالث من السفر الاول من التوراة في ذكر البشارة لابراهيم عليه السلام ما تفسيره واما في اسمعيل فقد قبلت
دعاك ها قد باركت فيه واثمره واكثره جدا جدا قال ان جدا جدا باللسان العبراني منسر بماد ماد وهاتان الكلمتان اذا عددنا
حروفهما بحساب الجمل كان اثنين وتسعين وذلك عدد حساب حروف اسم محمد صلى الله عليه وسلم ليبين تعين ان يكون مراد الله الاهاني
البشارة بتكثير اسمعيل عليه السلام وليس في اولاده من كثره الله به وعد باسمه هذا العدد غير محمد صلى الله عليه وسلم وانما جعل ذلك
في هذا الموضع ملغزا لانه لو صرح به لبدلته اليهود واسقطته من التوراة كما عملوا في غيره انتهى وفي اخر فصول التوراة
دعا موسى عبد الله لبني اسرائيل قبل وفاته وقال انا بارك يا رب سيناء واشرق لنا من جبل ساعير وظهر لنا من جبل وفي نسخة
جبال فاران معه ربوات الاطهار على يمينه وحببهم الى الشعوب وبارك على جميع الطهارة وهم يتبعون اثارك ويقبلون
كلامك وفي نسخة بدل معه ربوات الاطهار الى اخره واتى ربوات القدس بشريعة نوره من يمينه لهم واصطفى ايضا
شعبا بجميع خواصه في طاعتك وهم يقفون اثارك ويتناقلون كلماتك انتهى فالذي ظهر من جبال فاران هو محمد صلى الله عليه وسلم
لانهم معترفون ان الفاران مكة ومعه ربوات اي جماعات الاطهار وانه حببت الى الشعوب بان كل من دني اهل الكتاب تقدم كلهم
على الرتق الاخر ولم يتبدل احد جميع كلام موسى عليه السلام وبتبع جميع اثاره في بشارته ممن ياتي بعده غيرهم هذا واما الانجيل
فالبشارة فيه اكثر وقد تقدم كثير منه وهي تكاد ان تكون صريحة في صورة النساء في قصة دفنه عليه السلام ومما فيه ايضا
مما في انجيل متى وغيره واغلب كثيرا اولون تصيرون اخرين واخرون يصيرون اولين كشبه ملكوت السموات انسانا رب
بيت خرج بالغداة ليستاجر فعلة لكرمه فشارط الاكرة على دينار واحد في اليوم فارسلهم الى كرمه ثم خرج في ثالث ساعة

ساعة فابصر اخرين قياما في السوق بطالين فقال لهم امضوا انتم الى كرمي وانا اعطيكم ما تستحقون فمضوا وخرج ايضا في الساعة
السادسة والتاسعة فصنع كذلك وخرج في الحادية عشرة فوجد اخرين قياما فقال لهم ما قيامكم كل النهار بطالين فقالوا
لم يستاجرنا احد فقال لهم امضوا انتم بسرعة الى الكرم وانا اعطيكم ما تستحقون فلما كان المسا قال رب الكرم لوكيله ادع الفعلة
واعطهم الاجرة وابدأ بهم من الاخرين الى الاولين فجا اصحاب الساعة الحادية عشرة فاخذوا دينارا كل واحد فجا الاولون فظنوا انهم
ياخذون اكثر فاخذوا دينارا كل واحد فلما اخذوا تقمقموا على رب البيت وقالوا ان هولا الاخرين عملوا ساعة واحدة جعلتهم اسوة
ونحن عملنا ثقل النهار وحره فقال لواحد منهم يا صاحب ما ظلمتك الست بدينار شارطتك خذ مالك وامض اريد ان اعطي هذا
الاخر مثلك ومالي ان افعل ما اردت بمالي وانت عينك شريرة لذلك يكون الاخرون اولين والاولون اخرين ما اقل المدعوين
واقل المنتخبين ثم قال فدخل الى الهيكل فجاء اليه روسا الكهنة وشيوخ الشعب قالوا له وهو يعلم باي سلطان تفعل هذا ومن اعطاك
هذا السلطان اجاب يسوع وقال لهم انا اسالكم عن كلمة واحدة فان انتم قلتم لي قلت لكم باي سلطان افعل هذا اسمعوديه يوحنا
من اين هي من السما او من الناس ففكروا في نفوسهم قايلين ان قلنا من السما قال لنا لماذا لم تؤمنوا به وان قلنا من الناس خشينا
من الجمع وقالوا لو قال ان قلنا من الناس فان جميع الشعب يرجمنا لانهم قد تيقنوا ان يوحنا نبي وقال متى لان يوحنا كان عندهم
مثل نبي وقال مرقس لان جميعهم كان يقول ان يوحنا نبي وقال متى فقالوا لا نعلم فقال ولا انا ايضا اعلمكم باي
سلطان افعل هذا قال مرقس وبدا يكلمهم بامثال قال ماذا تظنون بانسان كان له ابنان فجا الى الاول
فقال له يا بني اذهب اليوم واعمل في الكرم فاجاب وقال ما اريد وبعد ذلك ندم ومضى وجا الى الثاني وقال له مثل هذا فاجاب
وقال نعم يا رب انا امضي ولم يمض فمن منهما فعل ارادة الاب فقالوا له الاول فقال لهم يسوع الحق اقول لكم ان العشارين والزناة
يسبقونكم الى ملكوت الله جاءكم يوحنا بطريق العدل فلم تؤمنوا به والعشارون والزناة امنوا به فاما انتم فرايتم ذلك
ولم تندموا اخيرا لتؤمنوا به اسمعوا مثلا اخر انسان رب بيت غرس كرما واحاط به سياجا وحفر فيه معصرة وبنى فيه
برجا ودفعه الى فعلة وسافر قال لوقا زمانا كثيرا فلما جا زمان الثمار ارسل عبيده الى الفعلة لياخذوا ثمره فاخذ
الفعلة عبيده ضربوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا فارسل عبيدا اخرين اكثر من الاولين فصنعوا بهم كذلك وفي الاخر
ارسل اليهم ابنه وقال لعلهم يستحيون من ابني فلما راى الفعلة الابن قالوا هذا هو الوارث تعالوا نقتله ونأخذ ميراثه
فاخذوه واخرجوه خارج الكرم وقتلوه فاذا جاء رب البيت ما يفعل بهولا الفعلة قالوا انه يهلكهم ويدفع الكرم الى فعلة
اخرين ليعطوه ثمرته في حينه قال لهم يسوع اما قراتم قط في الكتب ان الحجر الذي رذله البناؤون صار راس الزاوية
هكذا هذا كان من قبل الرب وهو عجب في اعيننا من اجل هذا اقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة يصنعون ثمارها ومن سقط على
هذا الحجر يترضض ومن سقط عليه يطحنه فلما سمع روسا الكهنة والفريسيون امثاله علموا انه يقول من اجلهم فهموا ان يمسكوه وخافوا من الجمع
لانه كان عندهم مثل نبي وقال ايضا يشبه ملكوت السما ملكا صنع عرسا لابنه فارسل عبيده ليدعوا المدعوين الى العرس
فلم يريدوا ان ياتوا ثم ارسل عبيدا اخرين وقال قولوا للمدعوين ان طعامي معد وعجولي المعلوفة قد ذبحت وكل شي معد تعالوا الى
العرس فتكاسلوا وذهبوا فمنهم الى حقله ومنهم الى تجارته والبقية امسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم فلما بلغ الملك غضب
وارسل جنده واهلك هولايك القتلة واحرق مدينتهم وقال لعبيده اما العرس فمستعد والمدعوون فغير مستحقين اذهبوا الى
مسالك الطرق وكل من وجدتموه ادعوه الى العرس فخرج اولئك العبيد الى الطرق فجمعوا كل من وجدوا اشرارا وصالحين
فامتلا العرس من المتكئين فلما دخل الملك لينظر الى المتكئين راى هناك رجلا ليس عليه لباس العرس فقال يا هذا كيف دخلت
ههنا وليس عليك لباس العرس فسكت حينئذ قال الملك للخدام شدوا يديه ورجليه واخرجوه الى الظلمة البرانية هناك
يكون البكاء وصرير الاسنان ما اكثر المدعوين واقل المنتخبين وعبارة لوقا عن ذلك ان انسانا صنع وليمة عظيمة ودعا كثيرا فارسل
عبده يقول للمدعوين ياتون فهوذا كل شي معد فبداوا جميعهم يستعفون فالاول قال اني اشتريت كرما والضرورة تدعوني الى الخروج
فاسالك الان تعفيني فما اجي وقال الاخر قد تزوجت امراة لاجل ذلك ما اقدر اجي وقال الاخر قد اشتريت خمسة ازواج بقر وانا ماض لاجربها
اسالك الان تعفيني فما اجي فاتى العبد فاخبر سيده بذلك فغضب رب البيت وقال لعبده اخرج مسرعا الى الطرق وسواق المدينة
وادع المساكين والعور والعميان والمقعدين اخرج الى الطرق والسياجات والح عليهم حتى يدخلوا ويمتلي بيتي ولا احد من
هولاك يذوق من عشاي وقال يوحنا الحق اقول لكم ان من لا يدخل من الباب هو راعي الخراف فالبواب يفتح له والخراف تسمع له وكباشه
تتبعه لانها تعرف صوته والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف فاما الاجير الذي ليس براع وليست الخراف
له فاذا راى الذيب قد اقبل يدع الخراف ويهرب فياتي الذيب فيخطف ويبدد الخراف وانما يهرب الاجير لانه مستاجر وليس
يشفق على الخراف انا الراعي الصالح ولي خراف اخر ليست من هذا القطيع فينبغي لي ان اتي بهم ايضا ويكون الرعية واحدة
فوقع ايضا بين اليهود خلف من اجل هذا القول وقال كثير منهم ان به شيطانا وقد جن فما استماعكم منه وقال اخرون ان هذا
ليس كلام مجنون وفي اوايل السيرة الهشامية قال ابن اسحق وقد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله في الانجيل
من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما اثبت يحنس الحواري لهم حين نسخ لهم الانجيل انه قال من ابغضني فقد ابغض الرب ولولا اني

صنعت بحضرتهم صنايع لم يصنعها احد قبلي ما كانت لهم خطية والان من الان نظروا وظنوا انهم يعرفوني وايضا الرب ولكن لا بد
من ان يتم الكلمة التي في الناموس انهم لا بعضوني مجانا اي باطلا فلو قد جا المخلص هذا الذي يرسله الله اليكم من عند الرب
روح القسط هذا الذي من عند الرب يخرج فهو يشهد علي وانتم ايضا لانكم قديما كنتم معي هذا قلت لكم لكيما تشكوا فالمخلص
بالسريانية محمد وهو بالرومية البارقليط فسل بهي ولما دل سبحانه عليه صلى الله عليه وسلم باوصافه في نفسه وفي الكتب الالهية
دل عليه بشريعته فقال يأمرهم بالمعروف اي بكل ما يعرفونه من التوراة والانجيل وما يعرفونه فيهما انه سينسخ شرعهم ويأتي من
عند الله لهذا المذكور وينهاهم عن المنكر اي عن كل ما ينكرونه فيهما فيثبت بذلك رسالته فانه لكونه اميا لا يعرف المعروف
والمنكر فيهما الا وهو صادق عن علام الغيوب ثم شرع بعد ثبوت رسالته يبين لهم ما في رسالته من المنة عليهم بالتخفيف عنهم
باباحة ما كانوا قد حملوا ثقل تحريمه فكانوا لا يأتون يخصون اسبابها لحرمانه والاعراض عن تبعاته فقال ويحل لهم الطيبات
اي التي كانت حرمت عليهم عقوبة لهم كالشحوم ويحرم عليهم وعبر بصيغة منتهى الجموع اشارة الى ان الخبيث اكثر من الطيب في كل
ما في الارض تعالى الخبائث اي كلما يستخبثه الطبع السليم او يؤدي الى الخبث كالخمر المودية الى الاسكار والرشى المودية الى النا
بعد قبح العاد ويضع عنهم اصرهم اي ثقلهم الذي كان عمل عليهم يجعلهم النقلة كالمحبوس الممنوع من الحركة والاغلال التي كانت
عليهم اي جميع ما عملوه من الاثقال التي هي لثقلها وكراهة النفوس لها كالغل الذي يجمع اليد الى العنق فتذهب القوة ٥
والذين امنوا به اي اوجدوا بسببه الامان من التكذيب بشيء من آيات الله وعزروه اي منعوه من كل من يريده بسوء وقووا يداه
تقوية عظيمة على كل من يكيده قال في القاموس والتعزير ضرب دون الحد وهو اشد الضرب والتفخيم والتعظيم ضد والاغاثة
كالعود والتقوية والنصر انتهى وقال عبد الحق العزر المنع يقول عزرت فلانا عن كذا اي منعته انتهى فالمادة كلها تدور على هذا
المعنى والضرب والمنع ضد والتعظيم وما في معناه منع من يكيده ونصروه اي ايدوه وقووا الخالفة واتبعوا النور اي الوحي من القرآن
والسنة الذي انزل معه اي مصاحبا انزال الرسالة سمي نورا لانه يجلي المقتضي به ببيان طريق الحق كالماشي في ضوء النهار اولئك هم
اي خاصة المفلحون اي الفايزون بكل مامول ولما تم اسلفت الاي وطال الذي في اقاصيص موسى عليه السلام وبيان منابذ العظام
وماثره الجسام كان ذلك ربما اوقع في بعض النفوس انه اعلى المرسلين منصبا واعظمهم رتبة فساق سبحانه هذه الايات هذا
السياق على هذا الوجه الذي يبين ان اعلاهم مراتب وازكاهم منا قب الذي خص بحمده من نوهن بأسه من خلقه قوة او فعلا وجعل
سبحانه ذلك في اثنا قصة بني اسرائيل اهتماما به وتبجيلا له مع مناسبة كرامته لظهور فضيلته ويوضح الكلمته بتصديع قومه في
مبدا امره واوسطه ومنتهاه في سورة الانفال وبراءة بجاهدة كثير من الاصار التي كانت عليهم لو دخلوا في الاسلام ببركته صلى الله عليه وسلم
غير ما اسلفته في سورة البقرة عند قوله تعالى ولا تحمل علينا اصرا وفي المائدة عند قوله تعالى وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله
قال في السفر الثاني من التوراة وقال الرب لموسى احمد فخذ طينا الى ان قال ولكن طينا يجيء نا الفقدس ورقة واسحقه وخذ منه
قدام تابوت الشهادة هي قبة الزمان لله واعدل لك هنالك ويكون عندكم طهرا مخصوصا وايما رجل اتخذ مثله ليتبخر به فليهلك
ذلك الرجل من شعبه وقال في الثالث ثم كلم الرب موسى قال له كلم هرون وبنيه وجماعة بني اسرائيل وقل لهم هذا ما امرني
به الرب ان اخبركم اي رجل من بني اسرائيل يذبح في محلة بني اسرائيل او يذبح خارجا من العسكر ولا يجيء بقربانه الى باب قبة ليقربه
ليهلك ذلك الرجل عقوبة من قتل قتيلا وكلم الرب موسى وقال له كلم هرون وقل له من كان فيه عيب من نسلك اي من الاحبار
في جميع الاحقاب لا يدنون من مقدسي لا يقرب قربانا مثل الرجل الاعرج والاعمى والافطس والاصم الاذن او رجل مكسور اليد او رجل
قصيرا ومنحنيا او رجل قد انتثر حاجباه او احول العين او من في عينيه بياض او ابرص او اجرب او رجل له خصية واحدة او من كان
فيه عيب من نسل هرون الكاهن لا يدنون من المذبح ليقرب قربانا للرب لان فيه عيبا وقال في السفر الرابع وهو من الحجج على ان التوراة
لم تنزل جملة وكلم الرب موسى في برية سينا في السنة الثانية لخروج بني اسرائيل من مصر في الشهر الاول وقال ليعمل بنو اسرائيل
الفصح في وقته في اربعة عشر يوما من هذا الشهر الى ان قال ويعملوه الفصح والقوم الذين نجسوا بانفس الناس لم يقدروا ان
يعملوا الفصح فقالوا انا قد نجسنا بانفس الناس اي مسسنا ميتا فهل نحرم علينا عمل الفصح فقال لهم موسى قوموا في مواضعكم
حتى تسمعوا ما يأمر الرب فيكم وكلم الرب موسى وقال له قل لهم الرجل اذا انجس منكم بميت او كان في مكان بعيد فليعمل الفصح من بني
اسرائيل وقال قبل ذلك وكلم الرب موسى وقال له مر بني اسرائيل ان يخرجوا من عسكرهم كل من به برص وسلس وكل من كان نجسا
بنفس ذكرا او انثى يخرجوا كلهم خارج العسكر ولا ينجسوا عساكرهم لاني نازل بينكم ثم ذكر الرجل اذا غار على امراته واتهمها انه
ياتي الكاهن فيقيمها ويلعنها لعنا فاذا قالت كذبت واخذ ما مقدسا في وعا فخار ووضع فيه من التراب الذي في اسفل المذبح ٥
وسقاه لها فان كانت خانت انتفخ بطنها وتسد فخذاها وتصير لعينة في شعبها وان كانت لم تخن فطهرت وولدت
ذكرا ثم امرهم بذبح بقرة واحراقها حتى تصير رمادا وينسل الحبر الذي في جحاتها به وبدنه فكل من تقرب ميتا او مسه يكون
نجسا سبعة ايام ويتنضح عليه من ما الرش فلذلك يكون نجاسة لذلك الماء في اليوم الثالث واليوم السابع ويتطهر وان لم يرش
عليه لذلك فلا يتطهر وكل من دنا من انسان ميت ولا ينضح عليه من ذلك الما فقد نجس خبا الرب فليهلك تلك النفس لانه لم
ينضح عليه من ما الرش فلذلك يكون نجسا ولا مفارقته نجاسته وهذه سنة الانسان اذا مات في قبة الزمان كل من كان هناك

هناك في القبة وكل من يدخلها يكون نجسا سبعة وكل وعا يكون مكشوفا غير مغطى يكون نجسا وكل من دنى من قتيل او لمس عظم
انسان او بدمل القبر يكون نجسا سبعة ايام ويوخذ للمتنجس من رماد البقرة ويصب وعا ما عذب وينضح منه على كيفية ذكرها
ليكون زكيا ومن نجس ولم يرش عليه من ذلك الما تهلك نفسه من جماعتها ويزيد انه من ما الرش يكون نجسا الى الليل ثم قال ثم كلم الرب
موسى وقال له مر بني اسرائيل وقل لهم قرابيني يكون محفوظة في وقتها ثم ذكر له كثيرا من القرابين ثم ذكر من اوقاتها يوم
السبت ورؤوس الشهور ثم قال وفي اربع عشرة ليلة من الشهر الاول هو فصح الرب وهو خمسة عشر اتخذوه عيدا وكلوا الفطير
سبعة ايام وصيروا اول يوم من السبعة مميزا مطهرا لا تعملوا فيه عملا واليوم السابع يكون مميزا مطهرا لا تعملوا فيه عملا واول
يوم من الشهر السابع يكون مخصصا مطهرا لا تعملوا فيه شيئا مما يعمل بل صيروه يوما تهتف فيه بالقرآن وتزيدوا ذباح كاملة ثم وصف
وكذا عشرة من الايام ثم قال ولذلك فعلوا في اول الشهر ابدا وفي عشر من الشهر السابع ويكون مدعوا لا تعملوا فيه عملا بل
اتخذوه عيدا للرب سبعة ايام ثم قال حتى اذا كان يوم الثامن فاجتمعوا اجمعكم ولا تعملوا شيئا مما يعمل وقربوا قرابين كاملة
واطال في ذلك جدا على كيفيات حفظها فضلا عن العمل فيها في غاية المشقة ثم قال وقربوا للرب في ايام اعيادكم غير نذوركم وغير
خواصكم التي تخصصون للرب ثم قال للمحاطبين المجاهدين في مدين واما انتم فانزلوا خارجا من العسكر سبعة ايام ثم قال كل من
قتل نفسا او مس قتيلا ينضح عليه من ما التطهر في الثالث والسابع وامرهم باشيا من الاصار ثم قال وتطهروا بالماء في اليوم
السابع ثم بعد ذلك تدخلون العسكر ثم قال في الخامس هذه السنن والاحكام التي يجب عليكم ان تعملوها وتحفظوها في الارض
التي يعطيكم الله ربكم ميراثا كل ايام حياتكم خربوا كل البلدان التي تريثوها والالهة التي عبدها اهلها منها على الجبال
الرفيعة والاكام وتحت كل شجرة كبيرة بطلوا واستاصلوا مذابحهم وكسروا انصابهم واحرقوا اصنامهم المصنوعة وكسروا
اوثانهم المنحوتة ولا تصنعوا انتم مثل ما فعلوا ولكن في عبادتكم الله ربكم ولكن المواضع التي يختارها الله ربكم ان تصيروا اسمه
فيها من جميع قبايلكم واحضروا عن محلته وانطلقوا اجمعكم بقرابينكم الكاملة وكلوا هناك امام الله ربكم انتم واهاليكم
ولا تعملوا كما نعمل ههنا اليوم اي قبل الوصول الى ارض الميراث ثم قال انظروا لا تقربوا قرابينكم في المواضع التي تريدون لكن
في المواضع التي يختارها الرب في حد سبط من اسباطكم ثم قال واذا بنيت بيتا جديدا فحوط على البيت لئلا يقع انسان من
فوقه فيلزمك دمه ولا تزرعن في كرمك خلطا لئلا تفسد غلة زرعك وكرمك لا يحرث بالثور والحمار جميعا ولا تلبس ثوبا
من قطن وصوف جميعا اعمل خيوطا في اربعة اطراف ردايك الذي تلبس ثم قال وان وجد رجل فتاة عذرا لم تملك فتخطفها
ويضاجعها ويوجد يدفع الى ابيها خمسين مثقالا من فضة وتصير امراته لانه افتضها ولا يقدر ان يطلقها حتى يموت ولا يدخل ولد الزنا
الى بيت الرب ولا يدخل نسله من بعده الى عشرة احقاب ولا يدخل عمونيا ولا موابيا الى بيت الرب ولا يدخل نسلهما من بعدهما
الى عشرة احقاب لانهم لم يضيفوكم ولم يلقوكم بالخبز والماء حيث خرجتم من ارض مصر ولانهم اكتروا بلعام بن بعور من
فتوراء آرام من بين النهرين وهي حران ليلعنكم ولم يحب الرب ان يسمع قول بلعام بن بعور وقلب الله لعنه الى الدعاء لان الله
ربكم احبكم فلا تريدوا لهم الخير ايام حياتكم لا تدنوا الادومي عنكم لانه اخوكم ولا تبعدوا المصري ايضا لانكم كنتم
سكانا بارض مصر وان كان في معسكركم رجل ما تنتة جنابة يخرج خارج العسكر ولا يجلس بين اصحابه في العسكر
واذا كان المسا فليستحم بالماء واذا غابت الشمس واسى يدخل العسكر وليكن لكم موضع معروف خارج العسكر تخرجون اليه
الى الخلاء ويكون على سلاحكم وتد من حديد فاذا اجلستم الى الخلاء احفروا امو ضعا للخلاء وغطوا رجيعكم لان الله ربكم معكم في
العسكر لينقذكم ويدفع اليكم اعداكم فليكن عسكركم مطهرا زكيا لئلا يرى فيكم امرا قبيحا فترتفع عنكم ولا يصحبكم
ثم قال واذا سكن اخوان جميعا ومات احدهما ولم يخلف ولدا لا يتزوج امراته من رجل غريب ولكن يتزوجها وارثه ويقيم
زرعا واول ولد تلد ينسب الى ابيه الذي مات ويقال انه ابن ذلك الذي مات ولم يخلف ولدا لئلا يبيد اسمه من بني اسرائيل
وان لم يحب الرجل ان يتزوج امراة اخيه ترتفع امراة اخيه الى المشيخة فيدعونه فان ثبت على قوله يتقدم اليه المراة بين يدي
المشيخة وتخلع خفه من قدميه وتبصق في وجهه وتقول لذلك يصنع بالرجل الذي لا يحب ان يبني بيتا لاخيه ويدعى اسمه
من بني اسرائيل صاحب خلع الخف وان تشاجر الرجال جميعا جاحد فدنت امراة احدهما تخلص زوجها من الذي يقاتله فتمديدها
الى مذاكير الرجل تقطع يدها ولا يشفق عليها ولا ترحم انتهى وكل هذه الاصار على النصارى لانهم لم يرد في الانجيل نسخه
ولما تم ما نظمه تعالى في اثنا هذه القصص من جواهر اوصاف هذا النبي الكريم حثا على الايمان به واعجابا بالله على وجه علم
منه انه رسول الله الى كل مكلف تقدم زمانه او تاخر عنه سبحانه بصريح ما تقدم التلويح اليه ويصدح بما اخذ ميثاقا والرسل
عليه تحقيقا لعموم رسالته وشمول دعوته فقال قل واتى باداة البعد لانه محل ما يا ايها الناس وتقدم في الانعام
ان استغنا قريش النور وان الامام السبكي قال ان ذلك لا يقتضي دخول الجن والملائكة فيهم وتقدم عند ولا يحسبوا الناس
اشباههم في هذه السورة ما ينفع هنا اني رسول الله اي الذي له جميع الملك اليكم جميعا اي لا فرق بين من ادركني ومن تاخر
عني او تقدم علي في ان الكل يشترط عليهم الايمان بي والاتباع لي وهذا المراد بقوله صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه الشيخان
وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه حين دفع اليه الذراع فنهس منها فقال انا سيد الناس يوم القيامة وللدارمي في رواية

في اوايل مسنده عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا قائد المرسلين ولا فخر وانا خاتم النبيين ولا فخر وانا اول شافع ومشفع
ولا فخر وللترمذي في المناقب عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم
اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا مستشفعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم
ولد ادم على ربي ولا فخر وقال حديث حسن غريب وله في المناقب ايضا عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر وقال حسن صحيح غريب وللترمذي والدارمي عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته ادم فمن
دونه ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وللترمذي وقال حسن
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا
فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن دونه الا تحت لوائي اي لا فخر ادعيه بالعظمة والكبر والشرف الا اقوله تبجحا ولكن
شكرا وتحدثا بالنعمة وما اجتمع كلهم في مجمع الا كان اماما لهم قبل موته وبعده اجتمع لهم ليلة الاسرا في بيت المقدس فصلى بهم اماما
ثم اجتمع كلهم في السما فصلى بجميع اهل السما اماما واما يوم الجمع الاكبر والكرب الاعظم فحصل لكل عليه ويومئون بالرياسة
اليه وما احال بعض لاكابر الى بعض الاعلا منهم بان الختام به ليكون اظهر للاعتراف بامامته والانقياد لطاعته لان الحمل
على الحبل في التي يحيل على ذلك النبي ولو احال احد من قبل عيسى عليه السلام عليه لطرقه احتمال والحاصل انه صلى الله عليه وسلم
يظهر في ذلك الموقف رسالته بالفعل الى الخلق كافة فيظهر سر هذه الاية الذين يتبعون الرسول واشار الى فوقه ولما دل بالاضافة
الى اسم الذات الدال على جميع الصفات على عموم دعوته وشمول رسالته حتى للجن والملائكة ايد ذلك بقوله الذي له اي وحده
ملك السموات والارض اي فلا بدع ان يرسل الى جميع من فيهما بل ومن فيهما ولما كان مما يالفه في الدنيا انه ربما كان في مملكة
الملك من يناظره او يقرب منه من نحو ولي عهد او نحوه فربما رد بعض امره في صورة نصح او غيره نفى ذلك بقوله مبينا تمام
ملكه لا اله الا هو اي فالكل منقادون لامره خاضعون لذلك موجود بالفعل ولا بالامكان من يصلح للالهية سواه ثم علل ذلك
بقوله يحيي ويميت اي له هاتان الصفتان مختصا بهما ومن كان كذلك كان منفردا بما ذكر واذا راجعت ما ياتي ان شا الله تعالى
في اول الفرقان مع ما مضى في اول الانعام لم يبق عندك شك في دخول الملائكة عليهم السلام في عموم الدعوة ولما تقرر انه
لا منازع له بسبب عن ذلك توجيه الامر بالانقياد لرسوله فقال فامنوا بالله اي لما ثبت له من العظمة والاحاطة باوصاف
الكمال وبكل شي فان الايمان به اساس لا ينبني شي من الدين الا عليه ولما كان اقرب الفروع الى الاصلية الرسالة قال ورسوله
اي لانه رسوله ثم وصفه بما دل على قربه فقال النبي اي الذي يخبره بما يريد من الامور العظيمة غيبا وشهادة ويعلمه عن كل
مخلوق باخباره بارساله ولما كان علوه على كل عالم مع انه لم يتعلم من ادمي ادل شي على صدقه قال الامي اي الذي هو مع كونه
لا يحسن كتابة ولا قراءة على هو على الفطرة الاولى السليمة التي لم يخالطها هوى ولا دنسها حظ ولا شهوة بحيث يوم ويقصد
الاقتدا به لما حوى من علوم الدنيا والاخرة والتخلق باوصاف الكمال ولما اشار بهذه الصفة الى ان سبيل الايمان الخلاص من
الهوى بالكون على الفطرة الاولى قال منبها على وجوب الايمان به لكونه اول فاعل لما يدعوا اليه الذي يومن بالله اي لاجل ما
تستحقه ذاته سبحانه من التعبد له لما له من العظمة وكلما يجدد له علم من علوم الذات بحسب ترقيته في درجة الكمال من رتبة
كاملة الى اكمل منها الى ما لا نهاية له يجدد له ايمانا بحسبه لا يعتريه غفلة ولا يخالطه سهو ولا شائبة فتور وكلماته
لذلك ايضا كلما تجدد له علم بعضها منه جدد لها ايمانا ومنها المعجزات الذي جرت على يديه كل واحدة منها كلمة لان ظهورها
بالكلمة كما سمي عيسى عليه السلام كلمة لذلك ولما تقرر ذا امتثل ما امر به ثبتت بذلك رسالته استحق ان يكون قدوة فقال واتبعوه
اي في كل ما يقول ويفعل مما ينهى عنه وما يامر به او ياذن فيه لعلكم تهتدون اي ليكون حالكم حال من يرجى له حصول
ما سيق في الفاتحة من الاهتدا اي خلق الهداية في القلب مع دوامه ولما كثر عد مساوي بني اسرائيل وختم بتخصيص المتبع
لهذا النبي الكريم بالهداية والرحمة المسببة عنها وكان فهم المستقيم على ما شرع له ربه من التشدد ربما لم يخص اهل طاعته
وحزبه سوا كان من صفات النبي صلى الله عليه وسلم او غيرها مع الادعان لذلك الرشد عليه عايد لوجه سوا كان من
الى تتميم اخبارهم ثم ما وقع في ايام موسى عليه السلام وبعدها من شرارهم تعريه لهذا النبي الكريم وتسلية وتطييبا للنفس
الذكية وتاسية وهو مع ما بعده من ادلة سأصرف عن اياتي الاية فقال تعالى عاطفا على واتخذ قوم موسى من بعده ومن قوم
قوم موسى امة اي قوم يستحقون ان يوموا لانهم لا يتكبرون في الارض بغير الحق بل يهدون اي يوقعون الهداية
والبيان بالحق وبه اي خاصة يعدلون اي يجعلون الرضا بالحق المتنازع فيه معادلة لينقطع الرضى بما لا يقع منهم
جور في شي منها ومنهم الذين اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام ومخيريق رضي الله عنهما ولما مدحهم شرع يذكرهم
شيئا مما اسبغ عليهم من النعم لاجل هولاء المهتدين من الكثرة بعد القلة والاعزاز بعد الذلة بجعلهم كل يوم استعطافا لغيرهم
ويذكر بعضهم بعض عتوا باكلهم ترهيبا فقال وقطعناهم اي فرقنا بينهم بالاشخاص بعد ان كانوا ماما واحدا ابن شخص واحد وهو
اسرائيل عليه السلام وصرح بالكثرة بعد ان لوح لها بالتقطيع بقوله اثنتي عشرة ومميزه موضع المفرد الذي هو مميز العشر

العشرها جمع للاشارة الى ان كل سبط يشتمل لكثرته على عدد قبايل بقوله اسباطا والسبط بالكسر ولد الولد والقبيلة من اليهود وهذه
المادة تدور على الكثرة والبسط ومن عظمهم وكثرة انتشارهم وسعتهم بقوله امما اي انهم اهل لان تقصدهم الناس لما لهم من الكثرة
والقوة والدين وان كل امة منهم يوم خلاف ما تومه الاخرى وذكر نعمة خارقة للعادة في الما وبدا به لانه الاصل في الحياة وهي من
نوع تقسيمهم من نفس واحدة مشيرة الى ظلمهم واسراعهم في المروق فقال واوحينا الى موسى اذ اي حين استسقاه قومه
اي طلبوا منه في برية لا ما بها ان يسقيهم وذلك في التيه والتعبير بالقوم اشارة الى تبكيتهم بكونهم اهل قوة ولم يتاسوا بموسى
عليه السلام في الصبر الى ان ياتيهم الله الذي امرهم بهذا المسير بالفرج بل طلبوا منه ذلك على الوجه المذكور في البقرة من ظاهر
التعلق والدمدمة ان اضرب بعصاك اي التي جعلناها لك اية وضربت بها البحر فانفلق الحجر اي اي حجر اردته من هذا الجنس
وبين سبحانه وتعالى سرعة امتثال موسى عليه السلام وسرعة التاثر عن ضربه بحذف فضربه وقوله مشيرا اليه فانبجست اي
فانشقت فظهرت ونبعت وذلك كاف في تعنيفهم وذمهم على كفرهم بعد المزية في هذا السياق الذي هو لبيان اسراعهم في الكفر
وهو لا ينافي ان يكون على وجه الانفجار ويكون التعنيف بحسبه اشد منه اثنتا عشرة عينا على عدد الاسباط واشار الى شده
تمرهما بقوله قد علم كل اناس اي من الاسباط مشربهم ولما لم يتقدم ما لا كل ذكر ولا كان هذا اسياق الامتنان لم يذكر ما اتم
هذه الاية به في البقرة ولما ذكر تبريد الاكباد بالما اتبعه تبريدها بالظل فقال وظللنا اي في التيه عليهم الغمام اي لئلا يتاذوا
بالشمس ولما اتم تبريد الاكباد اتبعه غذا الاجساد فقال وانزلنا عليهم المن اي خبزا والسلوى اداما وقال الشمول بن يحيى هو
طاير صغير يشبه السمان وخاصيته ان اكل لحمه يلين القلوب القاسية يموت اذا سمع صوت الرعد كما ان الخطاف يقتله البرد
فيلهمه الله عز وجل ان يسكن جزاير البحر التي لا يكون فيها مطر ولا رعد الى انقضا اوان المطر والرعد فيخرج من الجزاير وينتشر في الارض
ولما ذكر عظمته في ذلك ذكر نتيجته فقال كلوا من طيبات ما رزقناكم اي بعظمتنا الظاهرة لما لم تعالجوه نوع معالجة
ودل على انهم قابلوا هذا الاحسان بالعصيان والظلم والعدوان بقوله عطفا على ما تقديره فعدلوا عن الطيبات الماذون فيها
واكلوا الخبايث التي حرمناها عليهم بالاصطياد يوم السبت كما ياتي وفعلوا غير ذلك من المحرمات فظلموا انفسهم بذلك وما ظلمونا
اي بشي مما قابلوا فيه الاحسان بالكفران ولكن كانوا اي دايما جبلة وطبعا انفسهم اي خاصة يظلمون وهو مع كونه من ادلة
سأصرف عن اياتي الاية دليل على صحة وصف هذا الرسول بالنبي فان من علم هذه الدقايق من اخبارهم مع كونه اميا لم يخالط احدا
من احبارهم كان صادقا عن علام الغيوب من غير مرية ولذا اما بعده ولما ذكر ما حباهم به في القفار اتبعه عليهم انعامه
عليهم عند الوصول الى الدار فقال واذ اي اذكر لهم هذا لينصدقوا او يبصروا في غاية الظلمة كاصحاب السبت فيتوقعوا مثل
عذابهم واذكرهم ما لم تكن حاضره ولا اخذته عنهم وهو قريب وعدل عن الاكرام بالخطاب ونون العظمة لان السياق للاسراع في
الكفر فقال قيل لهم اسكنوا اي ادخلوا مطمئنين على وجه العظمة الاقامة ولا يسمى ساكنا الا بعد التوطن بخلاف الدخول
فانه يكون لمجرد الولوج في الشي على اي وجه كان هذه القرية هو دليل على الامر من الشرف والصدق وعبر هنا بالمجهول فقال
في قيل اعراضا عن بل لذمهم بالخطاب ايذانا بان هذا السياق للغضب عليهم منتسا فطهم في الكفر واعراضهم عن الشكر
من اي قايل كان وباي صيغة ورد القول وعلى اي حالة كان ولظهار العظمة حيث كانت ادنى اشارة منه كافية في سكناهم
في البلاد واستقرارهم فيها قاهرين لاهلها الذين ملاوا قلوبهم هيبة حتى قالوا انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها ولما طلبت نعمة
الاكل في هذا السياق عما دعى اليه سياق البقرة من التعقيب وهو الانبساط ذكرها بالواو الدالة على مطلق الجمع وهو لا ينافي
ذلك فقال وكلوا منها اي القرية حيث شئتم واسقط رغدا لذلك وقدم وقولوا حطة ليكون ادل قادح للشيمه
مما امروا به من العبادة مشعرا بعظيم ما يحملوه من الايام اذانا بما سبقت له هذه القصص في هذه السورة من المقام ولما امروا
بالحطة قولا امروا ان يسبقوها بفعل ليحط عنهم به ذنوبهم ولا ينافي التقديم هنا التاخير في البقرة لان الواو لا ترتب
فقال وادخلوا الباب اي باب المقدس حال كونكم سجدا نغفر لكم ولما كان السياق هنا لبيان اسراعهم في الكفر ناسب
ذلك جمع الكثرة في قوله خطاياكم في قراة ابي عمرو واما قراة ابن عامر خطيئتكم بالافراد وقراة غيرهما خطيئاتكم جمع قلة
للاشارة الى انها قليلة في جنب عفوه تعالى ولذا اتبعا بغفر للمجهول تانيثا وتذكيرا كل ذلك ترجية لهم واستعطافا الى التوبة
وكذا ساق سبحانه ما بعده مساق السوال كانه قال هذا الرجا فقد حصل فما مع المغفرة من كرامة فقال سنزيد
اي بوعد لا خلف فيه عن قريب وهو لا ينافي اثبات الواو في البقرة المحسنين اي العريقين في هذا الوصف والسياق والذي
وصف به فقوله فبدل الذين ظلموا بقوله منهم ليلا يتوهم انهم من الدخلة فيهم قولا غير الذي ولما كان من المامور ان
القايل من له الزام بناه للمجهول فقال قيل لهم وقال فارسلنا اي بما لنا من العظمة عليهم بالاضمار لكونه لاحتمال العموم
بالعذاب رجزا من السما ولفظ الظلم في قوله بما كانوا يظلمون بما تقتضيه من انهم لا ينفكون عن الكون في الظلم اما مطلقا
واما مع تجديده فعل كفعل من هو فيه اهول من لفظ الفسق المؤذن المقتضي لتجديد الخروج مما ينبغي الاستقرار فيه كما ان لفظ الارسال
المعدى بعلى لذلك بالنسبة الى لفظ الانزال ولما فرغ من هتك استارهم فيما عملوه امام موسى عليه السلام وما يليها اتبعه
خزيا اخر اشد مما قبله كان بعد ذلك بدهر لا يعلمه اهل الاعلى من صحتهم او من الله واذا انتفى الاول ثبت الثاني فقال واسالهم اي

سال
هتك

اى بنى اسرائيل مبكتا لهم و مقررا عن القرية اى البلد الجامع التى كانت حاضرة البحر اى على شاطيه وهى ايلة ولعله عبّر
بالسؤال ولم يقل واذ يعدو و القرية التى لها اخوه لان كوا اهتمامهم للاطلاع على هذه الفضيحة اشد مما مضى وهو دليل على الصرف
والصدق ولما كان السؤال عن خبر اهل القرية قال مبدلا بدل اشتمال من القرية اذ اى حين يعدون اى يجوزون الحد الذى
امرهم الله به فى السبت اى الذى وحين تاتيهم وزاد فى التبكيت بالاشارة الى المسارعة فى الكفر بالاضافة فى قوله حيتانهم
اى الى الفا المخلوقة لهم فلو صبروا وانا لوها وهم مطيعون كما فى حديث جابر رضى الله عنه رفعه بين العبد وبين رزقه
حجاب فان صبر جرى اليه والا هتك الحجاب ولم ينل الا ما قدر له يوم سبتهم اى الذى يعظمونه بترك الاشتغال فيه
بنى غير العادة شرعا اى ترتفع سترفه لهم ظاهرة على وجه الماء بكثرة جمع شارعة وشارع اى دان ويوم لا يسبتون
اى لا يكون سبتهم لعله عبر بهذا السياق اشارة الى انهم لو عظموا الاحد على انه سبت جاءتهم فيه وهو من سبتت اليهود
اذا عظمت سبتها لا تاتيهم اى بلاء من الله لهم فلو انهم صبروا لازال الله هذه العادة فاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
ولما كان هذا بلاء عظيما قال مجيبا السوال من كانه قال لشدة ما نالهم من هذا الامر هل وقع مثل هذا لاحد سبقهم الى انه وقع ولم
يكشف به بل وقع لهم امثاله لاظهار ما فى عالم الغيب منهم الى عالم الشهادة كذلك اى مثل هذا البلا المعظم نبلوهم
اى نجدد اختبارهم كل قليل بما اى بسبب ما كانوا جبلة وطبعا يفسقون اى يجددون فى علمنا من الفسق وهو الخروج
مما هو اهل للتوطن من الطاعات ولما اخبرهم ان الفسق ديدنهم اكده بقوله عطفا على اذ يعدون واذ اى واسالهم عن
خبرهم حين قالت امة منهم اى جماعة ممن يعتمد ويقصد من الواعظين الصالحين الذين وعظوا حتى ايسوا لامة اخرى
منهم لا يقلعون عن الوعظ خوفا للموعوظين مما يتحاذرون له لم تعظون قوما اى معتمدين على قولهم الله اى الذى
له الملك كله مهلكهم اى استيصالا لانهم لا ينتهون عن الفساد ولا يتعظون بالمواعظ او معذبهم عذابا شديدا اى تعظيم ما يرتكبونه
وتماديهم فيه قالوا اى الامة الاخرى من الواعظين وعظنا معذرة الى ربكم اى المحسن اليكم بالحفظ عما وفوائنا به من الذنب
والاقبال على الواعظ حتى اذا اسئلنا عن امر نافى عصيانكم نقول فعلنا فى امرهم جهدنا هذا ان لم يرجعوا ولعلهم يتقون
اى وليكون حالهم حال من يرجى خوفه لله فيرجع عن غيه ولما ترجعوا انهذا الكلام ليكون زاجرا للعاصين فلم يرجعوا
اخبر انه صدق ظنهم بايقاع الامرين معا العذاب الشديد والاهلاك فقال فلما نسوا ما ذكروا به اى فعلوا فى اعراضهم
عنهم فعل الناسى وتركوه ترك المنسى وهو ان الله لا يكلمهم كما ان الانسان لا يمكن ان يحمل احد اختبره لينفعل ما يشاء من عنه
غير اعتراض انجينا اى لعظمتنا الذين ينهون اى استمروا على النهى عن السوء اى الحرام واخذنا اى اخذ غلبة وقهر
الذين ظلموا اى بالعدو فى السبت بعذاب بئيس اى شديد جدا بما كانوا اى جبلة وطبعا يفسقون اى بسبب استمرارهم
على تجديد الفسق ولما ذكر ما هددوهم به من العذاب الشديد اتبعه الهلاك فقال فلما عتوا اى تكبروا اجلادة وتبسا عن الانتهاء
عن ما نهوا عنه اى بعد الاخذ بالعذاب الشديد وتجاوزوا الى الاجتراء على جميع المعاصى عنادا او تكبرا بغاية الوقاحة
وعدم المبالاة كان ما فتهم لذلك الذنب واحملهم مع الوعظ اكسبهم ذلك وغلظت اكبادهم عن الخوف بزاجر
العذاب من عتى يعتو عتوا اذا اقدم على الاثام نعوعات قال عبد الحق فى كتابه الواعى وقيل اذا اقدم على كل امود
ومنه هذه الاية وقيل العاتى هو المبالغ فى ركوب المعاصى المتمرد الذى لا ينفع فيه الوعظ والتنبيه ومنه قوله سبحانه
فعتوا عن امر ربهم اى جاوزوا المقدار والحد فى الكفر انتهى وحقيقته جاوزوا الامر الى النهى او جاوزوا الايتمار بامره
والمادة ترجع الى الغلظ والشدة والصلابة قلنا لهم اى بما لنا من القدرة العظيمة كونوا قردة اى بخضوع
القردة حال كونكم خاسئين اى صاغرين مطرودين بعيدين عن الرحمة كما يبعد الكلب ولما تبين بما مضى من جراءتهم
على المعاصى واسراعهم فيها استحقاقهم لدوام الخزى والصغار لغير الهم انه فعل بهم ذلك على وجه يوجب القطع بانهم
مرتكسون فى الضلال لم يكونوا من سى الاهانات ما دام عليهم ذلك النكال فقال واذ وهو عطف على واسالهم اى واذكر لهم
حين تاذن اى علم اعلاما عظيما جهرا معتنى به ربك اى المربى لك والمهد لادلة شريعتك والناصر لك على من خالفك
ولما كان ما قبل جاريا مجرى القسم تلقى بلامه فى كانه قيل باذن مقسما بعزته وعظمته وعلمه وقدرته ليبعثن اى من كان
بعيدا وانهم انه بعث عذاب مادة الاستعلا المفهمة ان المعنى ليسلطن عليهم اى اليهود ومر دما ان التسليط فقال
الى يوم القيامة اى الذى هو الفيصل الاعظم من يسومهم اى يذيقهم دائما سوء العذاب بالاذلال والاستعباد
وضرب الجزية والاحتقار وكذا فعل سبحانه فقال فقد سلط عليهم الامم وفرقهم فى الارض كل ممزق من حين انكروا
رسالة المسيح عليه السلام كما اتاهم به الوعد الصادق فى التوراة وترجمة ذلك موجودة بين ايديكم الان فى قوله
فى اخر السفر الاول لا يزول القضيب من آل يهودا الا لعدم سبط يهودا سلطا ولا الجادة بين ماهم حتى ياتى
الذى له الملك وفى نسخة الكل واياه منتظر الشعوب مربطا بالحبلة جحشه وقال السموال فى كتابه غاية المقصود يقول
لعمر اليسع فى التوراة التى فى ايديكم ما ينصرم الملك من آل يهودا والراسم بين ظهرانيهم الى ان ياتى المسيح
فلا تقدرون على جحده فقولهم انما علمتم انكم كنتم اصحاب دولة وملك الى ظهور المسيح ثم انقضى ملككم اتانى من اباكم

ومن ايام رسالة المسيح عليه السلام سلط الله عليهم الامم وفرقهم فى الارض فكانوا مرة تحت حكم اليانيين والاخرى تحت
حكم ايدى المجوس وكرة تحت قهر الروم من بنى العيص واخرى فى اسر غيرهم الى ان اتى صلى الله عليه وسلم فضرب عليهم الجزية
هو وامته من بعده ولما كان السياق للعذاب وموجباته علل ذلك بقوله ان ربك اى المحسن اليك باذلال اعدائك
الذين هم اشد الامم للاولين ابن يك عداوة لسريع العقاب اى بعذاب عقب الذنب بالانتقام بالنكتة السودا فى القلب
وظاهرا ان اراد بما يريد وهو تخالف ما فى الانعام فانه فى سياق الانعام بجعلهم خلايف ولما رهب رغب بقوله وانه
لغفور اى محاء للذنوب عينا واثرا لمن تاب وامن رحيم اى مكرم منعم بالتوفيق لما يرضاه ثم ما يكون سببا له من الاعلاء
فى الدنيا والاخرة ذكر شى مما هو رد وابه فى التوراة على العصيان والبغى والعدوان غير ما تقدم فى المايدة عند من
لعنه الله وغضب عليه وغيرها من الايات قال فى السفر الخامس وان لم تحفظ وتعمل بجميع الوصايا والسنن التى كتبت فى هذا
الكتاب وتتقى اسم ربك ولقاب اسمه المحمود المرهوب يخصك الرب بضربات موجعة ويبليك بها ويبتلى نسلك من بعدك
وتدوم عليك وتبقى من نسلك عدد قليل من بعد كثرتكم التى كانت قد صارت مثل نجوم السما وتحلون عن الارض
التى تدخلونها لترثوها وينفيكم الرب بين الشعوب وتعبدون هناك الالهة الاخرى التى عملت من الحجارة والخشب
ولا تسكنون ايضا بين تلك الشعوب ولكن يصير الله قلوبكم هناك فزعة بالغداة تقولون متى نمسى وبالعشى تقولون
متى نصبح وذلك من فزع قلوبكم ومن خوفكم وقلة حيلتكم ويردكم الله الى ارض مصر فى الطرق التى قال الرب
لا تعودوا وان تروه وتباعون هناك عبيدا واماء ولا يكون من يشتريكم هذه اقوال العهد التى امر الله بها موسى وان
تعاهد بنى اسرائيل فى ارض مآب سوى العهد الذى عاهدهم بحوريب ثم دعا موسى جميع بنى اسرائيل وقال لهم قد رايتم ما
صنع الله بارض مصر بفرعون وجميع عبيده وكل شعبه والبلايا العظيمة التى رات اعينكم والايات والاعاجيب
التى شهدتموها ولم يعطكم الرب قلوبا تفهمون وتعلم ولا اعينا تبصر ولا اذانا تسمع الى يومنا هذا ودبركم فى البرية اربعين
سنة لم تبل ثيابكم عليكم ولم تخلق خفافكم ايضا ولم تاكلوا خبزا لتعلموا انى انا الله ربكم وانا الذى اتيت بكم الى هذه
البلد فاحفظوا وصايا هذه التوراة واعملوا بها وانواجحوا الاعمال فى طاعة الله واكملوها لانكم قد عرفتم جميعا انا
كنا سكانا بارض مصر وجزنا بين الشعوب ورايتم نجاستهم واصنامهم لعل فيكم اليوم رجلا او امراة او قبيلة
او سبطا يميل قلبه عن عبادة الله ربنا ويطلب عبادة الهة تلك الشعوب فيسمع اقوال هذا العهد فيقول يكون لى السلام
فاتبع مسيرة قلبى هذا لا يريد الرب ان يغفر له ولكن هناك يشتد غضب الرب وزجره عليه وينزل به كل اللعن الذى فى هذا
الكتاب ويستاصل الرب اسمه من تحت السما ويفرزه الرب من جميع اسباط بنى اسرائيل للشر والبلايا ويقول الحقب
الاخر بنوكم الذين يقومون من بعدكم والغرباء وينظرون الى ضربات تلك الارض والاوجاع التى انزل الله بها ويقول
الشعب لماذا امتنع الرب هكذا ولماذا اشتد غضبه على هذا الشعب العظيم ويقولون لانهم تركوا عهد الله اله ابائهم
واشتد غضب الرب على هذه الامة وامر ان ينزل كل اللعن الذى كتب فى هذا الكتاب ويحلهم الرب عن بلادهم بغضب
وزجر شديد ويبعدهم الى ارض غريبة كما ترى اليوم فاما الخفايا والسرائر فهى للرب ربنا والامور الظاهرة المكشوفة
هى لنا ولما اخبر سبحانه بالتاذن كان كانه قيل فاسرعنا فى عقابكم بذنوبكم وبعثنا عليهم من سامهم سوء العذاب
بالقتل والسبى فعطف عليه قوله وقطعناهم اى بسبب ما حصل لهم من السبى المرتب على العذاب بما لنا من العظمة ٥
تقطيعا كثيرا ابان الكثرة تفريقهم فى الارض حال كونهم امما يتبع بعضهم بعضا فصار فى كل بلدة قليل منهم ليست
لهم شوكة ولا يدفعون عن انفسهم ظلما ولما كان كانه قيل فهل اطبقوا بعد هذا العذاب على الخبث قيل لا بل فرقتهم الاديان
نحو فرقة الابدان منهم الصالحون اى الذين ثبتوا على دينهم الى ان جاء النبى صلى الله عليه وسلم فتبعوه امتثالا لدعوة كتابهم
ومنهم دون ذلك اى بالفسق تارة وبالكفر اخرى وبلوناهم اى عاملناهم معاملة المبتلى ليظهر للناس
ما نحن به منهم عالمون بالحسنات اى النعم والسيات اى النقم لعلهم يرجعون اى ليكون حالهم حال من يرجى رجوعه عن عنده رغبة
او رهبة ولما كان العذاب الذى وقع التاذن تسبيبه ممتدا الى يوم القيمة سبب عنه قوله فخلف اى انشا ولما كان نواعى
يستغرق زمان البعد اتى بالجار فقال من بعدهم خلف اى قوم هم اسوا حالا منهم ورثوا الكتاب اى الذى هو نعمة
وهو التوراة فكان لهم نقمة بتهاونهم علمهم بتبعا لنعالهم لانه بقى فى ايديهم بعد اسلافهم يقرؤونه ولا يعملون بما فيه
قال ابن فارس والخلف ما جاء من بعد اى سواء كان محركا او ساكنا وقال ابو عبيد الهروى فى الغريبين ويقال خلف
سوء اى بالسكون وخلف صدق وقال الزبيدى فى مختصر العين والخلف خلف السوء بعد ابيه والخلف الصالح وقال ابن
القطاع فى الافعال وخلف خلف سوء صاروا بعد قوم صالحين وخلف سوء قال الاخفش بها سواء منهم من يسكن
ومنهم من يحرك فيهما جميعا ومنهم من يقول خلف صدق اى بالتحريك وخلف سوء اى بالسكون يريد بذلك الفرق بينهما
وكل ذلك اذا اضفت يعنى فاذا لم يضف كان السكون للفساد والتحريك للصلاح وقال فى القاموس خلف نقيض قدام والقرن
بعد القرن ومنه خلف سوء والردى من القول والتحريك الولد الصالح فاذا كان فاسدا اسكنت اللام وربما استعمل كل منهما

مكان الاخر فقال هو خلف صدق من ابيه اذا قام مقامه او الخلف بالسكون وبالتحريك سوا اللذين خلف للاثر ارضا صنة
وبالتحريك ضده والمادة ترجع الى الخلاف الذي هو نقيض قدام كما بينت ذلك في نظم المضطرب من حاشيتي على العقد الكرامة
ولما كان المظنون بمن يرث الكتاب الخير وكان كانه قيل ما فعلوا فيما ورثوه قال مستانفا ياخذون اي بجد ودون
الاخذ ايما وحيوما اخذوه بالاعلام بانه مما العرض لا يثبت فقال عرض وزاده حقارة باشارة الحاضر فقال
هذا وصرح بالمراد بقوله الادنى اي من الوجودين وهو الدنيا ويقولون اي دايما من غير توبة ولما كان النافع الغفران من غير نظر
الى معين بنوه للمفعول قولهم سيغفر لنا اي من غير شك فاقدموا على السوء وقطعوا ابو توع ما بعد وقوعه في المستقبل حكما على
من يحكم ولا يحكم عليه وصرح بما انهوه ذلك من اصرارهم معجبا منهم في جزمهم بالمغفرة مع ذلك بقوله وان اي والحال انه
ان ياتهم عرض مثله اي في الدناة والخسة والحرمة كالرشا ياخذوه ولما كان هذا اعظما انكر عليهم مسددا للتبكيت
بقوله مستانفا الم يوخذ عليهم بناه للمفعول لاشارة الى ان العهد حيث لو فابه على كل حال ثم عظمه بقوله ميثاق الكتاب
اي الميثاق الموكد في التوراة ان لا يقولوا اي قولا من الاقوال وان قل على الله اي الذي له كمال العظمة الا الحق اي المعلوم ثباته
وليس من المعدوم شانه اثبات المغفرة على القطع لغير توبة لذلك خروج عن ميثاق الكتاب ولما كان ربما وقع في الوهم انه
اخذ على اسلافهم ولم يعلم هولا به نفي ذلك بقوله ودرسوا ما فيه اي ما في ذلك الميثاق الذي في الكتاب والكتاب بتكرير
القراة للحفظ والدار الاخرة اي فعلوا ما تقدم من مجانبة التقوى والحال ان الاخرة خير اي مما ياخذون للذين يتقون
اي وهم يعلمون ذلك اخبار كتابهم ولذلك انكر عليهم بقوله افلا يعقلون اي حين اخذ واما شغلهم ويبني بدلا مما يسعد
وبقي على قراة نافع وابن عامر وحفص بالخطاب بكون المراد بالاعلام بتناهي الغضب ولما بين ما للمفسدين من كونهم قالوا على الله
غير الحق فلا يعقلهم بين ما للصالحين المذكورين في قوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق ومنهم الصالحون فقال عاطفا على ما
تقديره اوليك حبطت اعمالهم بما درسوا من الكتاب ولا يغفر لهم ما تواهن الفساد والذين يمسكون اي يمسكون امساكا
شديدا ويتجدد على وجه الاستمرار وهو اشارة على ان التمسك بالسنة في غاية الصعوبة لا سيما عند ظهور الفساد بالكتاب اي فلا
يقولون على الله الا الحق ومن جملة تمسكهم بالكتاب عند نزول هذا الكلام المتجدد اتفاقهم عن ذلك الكتاب عند اتيان
الناسخ لانه ناطق اي فلا يقولون على الله الا الحق ومن جملة تمسكهم المتجدد بالكتاب عند نزول هذا الكلام اتباعهم عن
دينهم الى الاسلام كما وقع الامر به في المواضع التي تقدم شانها عن اقامة الصلاة المعهودة لهم بلفظ الماضي دون المضارع لئلا
يجعلوه حجة في الثبات على دينهم فيعتمد ضد المراد فقال واقاموا الصلاة وخصها اشارة الى ان الاولين تركوها كما هو
به في اية مريم وتولها بشانها بيانا لانها من اعظم شعار الدين ولما كان التقدير اخبارا عن المبتدأ استونهم اجرهم كاملا
وضع موضعه للتعميم قوله انا لا نضيع اي بوجه من الوجوه اجر المصلحين ولما ذكر الكتاب وانه رغبهم من مخالفته ورغبهم
في موافقته وكان عذاب الاخرة مستقبلا وغايبا وكان من هذا اشانه لا يوثر في الجامد من امره ان يذكرهم بترهيب دنيوي
مضى ايقاعه كاملهم لياخذوا مواثيق الكتاب بغاية الحدمع انه لا يعلمه الا علماؤهم فيكون علم الامي له من اعلام نبوته الظاهرة
فقال واذ اي اذكر لهم هذا فان لم يتعظوا اذكرهم اذ نتقنا اي قلعنا ورفعنا واتى بنون العظمة لزيادة الترهيب
الجبل عرفه لمعرفتهم به وعبر به لدلالته العظمة على الصعوبة والشدة دون الطور كما في البقرة لان السياق لبيان تكدهم
اسراعهم في المعاصي الدالة على غلظ القلب ولما كان مستغرقا لجميع الجهة الموازلة لعساكرهم حذف المراد للجار فقال
فوقهم ثم بين انه كان اكبر منهم بقوله كانه ظلة اي سقف وحقق انه صار عليهم موازيا لهم من جهة الفوق كالسقف بقوله
وظنوا بنوعلى حقيقته انه واقع ولما كان ما تقدم قد حقق العلو ولم يحتج الى حرف الاستعلا فقال مشيرا الى السرعة
واللصوق بهم اي ان لم ياخذوا عهود التوراة قالوا لما راوا ذلك خر كل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وصار ينظر
بعينه اليمنى الى الجبل فزعا من سقوطه ولاي سنة في سجودهم الى الان يقولون هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما
كان كانه قيل فقالوا اخذنا يا ربنا عهودك قال مشيرا الى عظمته ليشتد اتيانهم عليه اشارة الى انه علة رفع الجبل خذوا
ما اتيناكم اي اعطيناها هو جدير بالاقبال عليه وان يعتقد فيه الكمال واكد ذلك بقوله بقوة اي عزم عظيم على ميثاق احتمال
مشاقه ولما كان الاخذ للشي بقوة ربما نسيه في وقت ما قال واذكروا ما فيه اي من الاوامر والنواهي وغيرها فلا تنسوه
لعلكم تتقون اي ليكون حالكم حال من ترجى تقواه فذل سبحانه لهذا على تاكيد المواثيق عليهم في احد جميع ما في الكتاب
الذي من جملته ان لا يقولوا على الله الا الحق ولا يكتموا اشيا منه قالوا ولما قرا موسى عليه السلام الالواح وفيها كتاب الله
لم يبق على الارض شجر ولا جبل ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يسمع التوراة الا اهتز وانتفض راسه ولما ذكر انه
الزمهم احكام الكتاب على هذه الهيبة الملجية القاهرة القاسرة التي هي من اعظم المواثيق عند اهل الاخذ وانه اكد عليهم
المواثيق في كثير من فصول الكتاب وكان ذلك كله خاصا بهم اتبعه ان يذكرهم انه ركبهم في عموم هذا النوع الادمي من العقول
ونصب من الادلة الموضحة للامر ايضاح المشهود للشاهد ما لو عذب تاركه والمتهاون به لكان تعذيبه جاريا على المناهج
المعقول ولكنه لسبق رحمته وغلبة رافته لم يواخذهم بذلك حتى ضم اليه الرسل وانزل معهم الكتب واكثر فيها من المواثيق فاد

وزاد في الكشف والبيان والى ذلك الاشارة باسم الرب فكان من عنده اشد ملامة من الجاهل فقال واذ اي واذكر
لهم اذا اي خلق يتواتر وعظمه اخذ ربك اي المحسن اليك بالتهديد لرسالتك كما يوخذ النحل بالمشط من الراس ولما كان السياق
لاخذ المواثيق وللاخذ بقوة ذكر اخذ الذرية من اقوى نوعي الادمي وهم الذكور فقال من بني ادم وذكر انه جعلها من اشق
الاعضا فقال من ظهورهم كل واحد من ظهر ابيه ذرياتهم اشارة الى انه لما اكد عليهم المواثيق وشددها وامرهم بالقوة في
امرها اعطاهم من القوى في التركيب والمزاج ما يكونون به مستطيعين لذلك فهو تكليف بما في الوسع وجعل لهم عقولا عند
من قال انه على حقيقته كنملة سليمان عليه السلام واشهدهم على انفسهم اي اوضح لهم من البراهين من الانعام بالعقول
مع خلق السموات والارض وما فيها على هذا المنوال الشاهد له بالوحدانية وتمام العلم والقدرة ومن ارسال الرسل المويدين
بالمعجزات ما كان بمنزلة كالشهود بانه لا رب غيره وقد ذكر معنى هذا الامام حجة الاسلام الغزالي في الكلام على العقل في باب
العلم من الاحيا فانه قال في معنى هذه الاية والمراد اقرار نفوسهم لا اقرار السنتهم فانهم انقسموا في اقرار الالسنة حيث
وجدت الالسنة والاشخاص ثم ذكر ان النفوس فطرت على معرفة الاشيا على ما هي عليه لقرب الاستعداد للادراك ولما تبين انه فرد
لا شريك له فلا راد لامره وانه رب فلا ارأف منه ولا ارحم كان ذلك ادعى الى طاعته خوفا من سطوته ورجا لرحمته فكانوا
بذلك بمنزلة من سيل عن الحق فاقر به فلذلك قال الست بربكم اي المحسن اليكم بالخلق والتربية بالرزق وغيره
قالوا بلى اي كان علمنا بذلك اعلا شهودا وذلك لانهم وصلوا بعدا لبيان الى حد لا يكون فيه الجواب الا ذلك فكانهم قالوه
فهو والله اعلم من وادي قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها الاية ولله يسجد ما في السموات وما في الارض
من دابة والاية والملايكة وهم لا يستكبرون ولما كان كانه قيل لم نعل ذلك قيل دلالة على ان المتقدم انما هو على طريق التمثيل
بجعل تمكينهم من الاستدلال لهم كالاشهاد فعل كراهة ان تقولوا يوم القيامة اي انا لم ينصب لهم الادلة انا كنا عن هذا
اي وحدانيتك وربوبيتك غافلين اي لعدم الادلة فلذلك اشركنا او تقولوا اي لو لم نرسل اليهم الرسل انما اشرك اباونا من
اي قبل ان يوجد افتهلكنا بما فعل المبطلون فلم يعرف لنا مربيا غيرهم فكنا لهم تبعا فشغلنا اتباعهم عن النظر ولم ياتنا رسول
منبه فنتسبب عن ذلك انكارهم في قولهم افتهلكنا بما فعل المبطلون اي من ابائنا قال ابو حيان والمعنى ان الكفرة لو لم
ياخذ عليهم عهدا ولا جاءهم رسول مذكر بما تضمنه العهد من توحيد الله وعبادته لكان لهم حجتان احدهما كنا غافلين والاخر
كنا تبعا لاسلافنا فالكفر والذنب انما هو لمن طرق لنا واضلنا انتهى ومما يرد معنى التمثيل حديث انس في الصحيح يقول
الله لاهون اهل النار عذابا لو ان لك ما في الارض من شي كنت تفتدي به فيقال نعم قال فقد سالتك ما هو اهون من
هذا وانت في صلب ادم ان لا تشرك بي شيا فابيت الا الشرك وذلك لان التعريج بالاباية في كون الاقرار على حقيقته
والاخذ وهو في الضلالة انما هو نصب الادلة وتقرير الخلق على وجه مبني للاستدلال مركبا للعقل على القانون الموصل
الى المقتضي عند التخلي من الحظوظ والشوائب وهذا الذي رفع تاويل الاية لا يعارضه حديث الاستنطاق في عالم الذر الذي
تعذر صحته فانه روي من طرق كثيرة ذكرها في كتابي سر الروح منها في الموطا ومسند احمد واسحق بن راهويه
ومحمد بن نصر المروزي وابي يعلى الموصلي ومستدرك الحاكم وكتاب الماتين لابي عثمان الصابوني عن صحابة وتابعين مرفوعا
وموقوفا منهم عمر وابي بن كعب وابو هريرة وحكيم بن حزام وعبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو وابن عباس وابن مسعود رضي الله
عنهم وعن محمد بن كعب وعطاء بن يسار وسعيد بن المسيب وابي العالية رحمهم الله فانما كان لا يعارضه لان في بعض طرقه عن ابي بن
كعب رضي الله عنه انه سبحانه قال ان استنطقكم فاني اشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع واشهد عليكم اباكم ادم ان
يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فلا تشركوا بي شيا فاني ارسل عليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وانزل عليكم
كتبي فقالوا نشهد انك ربنا والاهنا لا رب لنا غيرك فالاستنطاق في الحديث على بابه غيره لا سيما ادم عليه السلام و
حضر ذلك من المخلوق واشفاقهم على بديع قدرته وعظيم علمه واشهاده ما شهده من المخلوقات بمعنى انه نصب فيها من الادلة بما يكون
اقامة الحجة به عليهم بالنقص ان اشركوا كتبها دها الشاهد الذي لا يرد وليس في شي من الروايات ما ينافي هذا والحاصل انه اخذ
علينا عهدا ان احدهما طابق لهدى اليه المعقول وهو نصب الادلة والاخر سمعي اخبرت به الرسل كل ذلك اعلاما لمن بدا الا
لهذا النوع البشري لماله من الشرف الكريم ويراد به من الامر العظيم والله الموفق ولما كان كانه قيل تنبيها على جلالة هذه
الايات انظر كيف فصلنا هذه الايات هذه التفاصيل الفايقة وابرزناها في هذه الاساليب الرايقة قال وكذلك
اي ومثل ذلك التفصيل البديع الجليل الرفيع نفصل الايات اي كلها ليتدبروا فيقولوا ما لا يليق بجنابنا جهلا لعدم الدليل
ولعلهم يرجعون اي ليكون حالهم حال من يرجى رجوعه عن الضلال الى ما تدعوا اليه الهداة من الكمال عن قرب ان حصلت
غفلة فواقعوه وذلك من ادلة والذي حث لاخراج الابل وما وصرنا لاكثرهم من عهد وسامر فعن اياتي ولما ذكرهم ما اخذ
عليهم في كتابهم من الميثاق الخاص الذي انسلخوا منه واتبعه الميثاق العام الذي قطع الاعذار اتبعه بيانا بما يعرفونه
من حال من انسلخ من الايات فاستحطه الله من ديوان السعدا ناصره صلى الله عليه وسلم ان يتلو ذلك عليهم لانه مع الوفا بتبكيتهم من
ادلة نبوته الموجبة عليهم اتباعه فذكرهم ما وقع له في نبذ العهد والانسلاخ من الميثاق بعد ان كان تداعى الايات واقرع عليه

علمه من الروم فقال **واتل** اي اقرأ شيئا بعد شيء **عليهم** اي اليهود وساير الكفار بل الخلق كلهم **نبأ الذي** وعظم ما اعطاه
بمظهر العظمة ولفظ الايتا بعد ما عظم خبره بلفظ الانبا فقال **آتيناه** ولما كان تعالى قد اعطاه من اجابة الدعا وصحة
الرؤيا وغير ذلك مما شاء سبحانه امرا عظيما بحيث دل على الله تعالى دلالة لا شك فيها وكانت الايات كلها متساوية في الاقدام
في الدلالة وان كان بعضها اقوى من بعض قال **آياتنا** وهو بلعام بن باعورا من بني مدين على السياق والتحاق وقيل هو رجل بعثه موسى
عليه السلام الى ملك مدين فرشاه فتبع دينه فافتتن به الناس وقيل هو امية بن ابي الصلت الثقفي الذي قال فيه النبي
صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه قاله عبد الله بن عمرو وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وقيل هو ابو عامر الراهب
الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق وقيل نزلت في منافقي اهل الكتاب كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم فانكروه
ولما كان الذي جرأهم على عظمته سبحانه ما انعم عليهم به من اعطا الكتاب بظنهم انه لا يشقيهم بعد ذلك ذهبهم بيان ان الذي
سبب لهذا الشقا هو ايتا الايات فقال **فانسلخ منها** اي خارقها بالكلية كما ينسلخ الحية من قشرها وذلك انه بسبب انه
لما كان مجاب الدعوة سأله ملك زمانه الدعا على موسى وقومه فامتنع فلم يزل به حتى خالف امر الله اتباعا للهوى فخسه فتمكن
منه الشيطان فاشار عليه ان يرسل عليهم النسا مزينات ويامرهن ان لا يمتنعن من احد فاشقاه الله وهذا معنى **فاتبعه**
الشيطان اي فادركه بمكره فصار قرينا له **فكان** اي فتسبب عن ادراك الشيطان له ان كان **من الغاوين** اي الضالين الذين
هوى روسهم وعمي في هذه القصة بقوله اتل دون واسأل على نحو ما مضى في القرية لان هذا الخبر مما يحبون ذكره لان
سلخه من الايات كان لاجلهم فهو شرف لهم فلو سألهم عنه لبادروا الى الاخبار به ولم يتلعثموا فلا يكون تلاوته صلى الله عليه
وسلم لهذه لما اتى لخاشية واقعا موقع ما لو اخبرهم به قيل ولعل المقصود الاعظم من هذه الاية والتي قبلها الاستدلال
على كذب دعواهم في قولهم سيغفر لنا بما كانهم قايلون به فيكون من باب الالزام وكانه قيل انتم قايلون بان من اشرك لا يغفر له
لتركه ما نصب له من الادلة حتى انكم لتقولون ليس علينا في الاميين سبيل لكونهم اشركوا فما لكم توسعوا المغفرة لكم في ترك ما اخذ عليكم به
الميثاق الخاص وقد ضيعتموها على غيركم في ترك ما اخذ عليهم به الميثاق العام ما ذلك الا مجرد هوى فان تلك الامور في النور
اعظم فلا يقاس عليه قيل لكم ولعل المقصود الاعظم من هذه الاية اليهود وقد حرم الجمع وعلى التنزيل فمن المسطور
في كتابكم امر بلعام وانه ضل وقد كان اعظم من احادكم فانا اتيناه الايات من غير واسطة رسول وكان سبب هلاكه كما تعلمون
وخروجه من رتبة الدين واحلاله دمه مشورته على ملك زمانه بان يرسل النسا الى عسكر بني اسرائيل متزينات غير ممتنعات
ممن ارادهن وذلك من الفروع التي هي اخف من باب الاموال فقد تحتم كذبكم في قولكم سيغفر لنا وانكم لم تتبعوا ابدا الا الهوى
كاتباع بلعام فانظروا ما فعل به ولما كان هذا السياق موهما لمن يرسخ قدمه في الايمان ان الشيطان له تاثير مستقل
في الاغوا نفى ذلك عبره على هذا المقام في مظهر العظمة فقال **ولو شئنا** ان نرفعه على ما الناس العظمة التي من دنا من ساحتها
بغير اذن محق **لرفعناه** اي في المنزلة رفعة دايمة **بها** اي بالايات حتى لا يزال بها ولما علق الامر بالمشيئة تنبيها على الهاجس الشبب
الحقيقي وان ما لم يشا سبحانه لا يكون وكان التقدير ولكنا لم نشأ ذلك وشينا له الكفر فاخلدناه الى الخوم عبر عنه فعله للادب
في اسباط الخير الى الله والشر الى غيره وان كان الكل خلقه حفظا لعقول الضعفا من ايهام نقص وادخال لبس فقوله مسندا
نقصه اليه **ولكنه اخلد** اي فعل فعل من اوقع الخلد وهو الدوام واوجده **الى الارض** اي دنى بنفسه الى الدنيا وما فيها لما على ما
فيها من الملاذ الحيوانية والشهوات النفسانية **واتبع** اي اتباعا شديدا **هواه** فاعرض عن التمسك بما اتاه الله من الايات
مقدما لداعي نفسه على داعي روحه لان العقل الذي هو نتيجتها في عالم الامر له وجهان وجه الى الروح العلوي والروحاني
الذي هو الاب وله الذكورة المناسبة للعلوم ووجه الى النفس التي هي الروح الحيواني التي هي الام ولها المناسبة للارض والانوثة
وبان اصلها من التراب الذي له الرسوب بوضع الجبلة فانقاد بخط نفسه حتى اعظمها الا انا لم نشا رفعه بما اعطيناه من الايات
وانما جعلناه وبالا عليه فلا يغتر احد بما اوتي من المعارف وما حاز من المفاخر واللطايف فان العبرة بالخواتيم ولنا
بعد ذلك ان نفعل ما نشا ولما كان هذا احالة تسبب عنها ان قال تعالى **فمثله** اي مع ما اوتي من العلم في اتباعه لمجرد هواه
من غير دليل بعد الامر بمخالفة الهوى **كمثل الكلب** اي في حال دوام اللهث لما كان ان هلك لما حاول من ذلك التعقيد
دل عنده لهثه في الدعة فتعلم انه ليس له سبب الا اتباع الهوى فتابع الهوى مثله فبعد الانسلاخ منها اولى فقد وضح تشبيه
مثله بمثل الكلب لا بشيء مثله بالكلب وهذه القصة تدل على ان من كانت نعم الله عليه اكثر كان بعده عن الله اذا اعرض اعظم واكبر
ولما تقرر المثلان وكان كل منهما منطبقا على حال كل مكذب كانت النتيجة قوله **ذلك** اي كل من المثلين **مثل القوم** اي الاقويا
على ما يحاولونه **الذين كذبوا بآياتنا** اي في ان تركهم لها انما هو لمجرد الهوى لان لها من الظهور والعظمة بنسبتها الينا ما لا يخفى على
من له ادنى بصيرة **فاقصص القصص** اي فاخبر الاخبار العظيم الذي تتبعت به مواقع المواقع وآثار الاعتبار حتى لم تدع في شيء منها
لبسا على كل من يتبع لها من اليهود وغيرهم وهو مصدر قص الشيء اذا اتبع اثره واستقصى في ذلك **لعلهم يتفكرون** اي ليكون
حالهم حال من يرجى تفكره في هذه الايات فيعلمون انها لا تاتي مثلها من غير معلم من الناس الا نبي فيردهم ذلك الى الصواب
حذرا من مثل حال هذا او لما ظهر بهذا ان مثل الكلب الذي اكتسب من شموله من السوء والقذارة ما لا يعلم حق علمه الا الله تعالى

الا الله تعالى مثل المكذبين بالايات انتج ذلك قوله تأكيدا لذمهم وزجرهم **ساء مثلا القوم** اي مثل القوم **الذين كذبوا بآياتنا** اي فلو لم
يكن عليهم درك في فعلهم الا تركهم هذا المثل عليهم لكان اعظم زاجر لمن له ادنى مروة لانهم نزلوا انفسهم من شهيق العظمة الى ما
لمن يهدا المثل من الخسة فكيف وهم يضرون انفسهم بذلك ولا يضرون الا اياها وذلك معنى قوله **وانفسهم** اي خاصة **كانوا يظلمون**
اي كان ذلك في طبعهم جبلة لهم لا يقدر غير الله على تغييره ولما كان ذلك محل عجب ممن يحيد عن المنهج بعد اتضاحه هذا الايضاح الشافي
فاجاب على كانه قال لما لهم لا يومنون منفصلا لقوله ولو شينا لرفعناه بها **من يهد الله** اي يخلق الهداية في قلبه الملك الاعظم الذي
لا امر لاحد معه **فهو المهتدي** اي لا غيره ولما كان في سياق الاستدلال على ان اكثر الخلق هالك بالفسق ونقض العهد وحد المهتدي
نظرا الى لفظ من وجمع الضال نظرا الى معناها فقال **ومن يضلل فاولئك** اي البعدا البغضا خاصة لا غيرهم **هم الخاسرون**
اذ لا نيل لغيره اصلا والاية من تذكرة ما مضى ومما احسن ختمها بالخسران في وعظ من ترك الاخرة بما تناله على ادبار الدنيا
واعراضها الفانية ثم تعقيبها بذرء جهنم الذين لا اخسر منهم ذكر قصة بلعام من التوراة قال في السفر الرابع منها ما بعد ان ساق
قتالهم لسيحون ملك الاموريين وعوق الموابيين من الشعب فاشتد ذلك لانهم راوه شعبا عظيما فاضطرب الموابيون وخشيت قلوبهم خوفا
من بني اسرائيل وقال ملك مواب لاشياخ مدين اعلموا ان هذا الجمع يرعى حولنا ولا يدع احدا الا اهلكه ويرعى كل من حولنا كما يرعى الثور
عشب الارض وكان ملك الموابيين في ذلك الزمان بالاق بن صعور فارسل رسلا الى بلعام بن فعور العراف المعبر للاحلام الذي كان
ينزل على شاطي النهر قريبا من ارض بني عمون ليدعوه اليه ليستعين به اخبره انه قد خرج شعب من بني ارض مصر فغشي وجه الارض
كلها وقد نزل اهاتنا فاطلب اليك ان تاتي وتلعن هذا الشعب لانه اقوى واعز منا لعلنا ان نحاربه ونهلكه عن حد الارض لاني
عارف ان الذي تباركه هو مبارك والذي تلعنه هو ملعون وانطلق اشياخ مواب واشياخ مدين ومعهم هدايا وجوايز
فاتوا بلعام فقال لهم الرسل بالاق فقال لهم بيتوا هاهنا الليلة هذه فاخبركم بما يقول لي الرب فاقام اشراف مواب عند
بلعام فاتى ملاك الله بلعام وقال له من القوم الذين اتوك قال بلعام للملاك بالاق بن صعور ملك مواب ارسل الي وقال
قد خرج شعب من ارض مصر فملا وجه الارض فاقبل الينا حتى تلعنه لعلي اقدر ان احاربه واهلكه وقال الملاك لبلعام
لا تنطلق مع القوم ولا تلعن الشعب لانه مبارك فقال بلعام بكرة لعظما بالاق انطلقوا الى صاحبكم لان الرب لم يحب
ان تدعني انطلق معكم ونهض عظما مواب فاتوا بالاق وقالوا له لم يقبل بلعام ان ياتي معنا فعاد بالاق ايضا فارسل رسلا
اعظم واكرم من الاولين فاتوا بلعام وقالوا له هكذا يقول بالاق بن صعور لا تمتنع ان تاتيني لاني ساعظمك واكرمك جدا
وما قلت لي من شي فعلته واقبل الينا هذا الشعب فرد بلعام على رسل بالاق قايلا لو ان بالاق اعطاني ملء بيته ذهبا
وفضة لم اقدر ان ابدل قول ربي كبيرا ولا صغيرا ولا احيد عن قوله صغيرا ولا كبيرا فاقيموا هنا ايضا انتم ايضا عندي الليلة
هذه حتى انظر ما يخبرني ملاك الله من امركم فنزل وحي الله على بلعام ليلا وقال ان كان هولا القوم انما اتوك ليدعوك فقم فانطلق
معهم وكن اياك ان تقول الا ما اقول فنهض بلعام بكرة واسرج اتانه وانطلق مع عظما مواب فقام ملاك الرب في الطريق
ليكون له ضدا فرات الاتان ملاك الرب قايما في الطريق مخترطا سيفه ممسكا في يده فحادت من الطريق وسارت
في الحرث فضربها بلعام ليردها الى الطريق فقام ملاك الرب في سبيل ضيق بين كرمين بينهما حايط فلما رات الاتان ملاك الرب
زحمت الحايط وضغطت رجل بلعام في الحايط فعاد وضربها ايضا ثم عاد ملاك الرب وقام في موضع ضيق حيث ليس
لها موضع تحيد يمنة ولا يسرة فلما رات الاتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام فاشتد غضب بلعام وضرب الاتان بالعصا
وفتح الرب فم الاتان وقالت لبلعام ما الذي صنعت بك حتى ضربتني ثلاث مرات قال بلعام لانك سخرت بي ولو انه كان في
يدي سيف كنت قتلتك الان فقالت الست اتانك التي ركبتني منذ صباك الى اليوم هل صنعت مثل هذا الصنيع
قط قال لها لا وجلى الرب عن بصر بلعام فراى ملاك الله قايما في الطريق مخترطا سيفه ممسكه بيده فجثا وخر على
وجهه ساجدا فقال له ملاك الرب ما بالك ضربت اتانك ثلاث مرات انا الذي خرجت لاكون لك ضدا لانك اخذت في
طريق خلاف امري فلما راتني الاتان حادت عني ثلاث مرات ولو انها لم تحد عني لكنت قتلتك واحييتها قال بلعام
لملاك الرب اسات واجرمت لم اعلم انك قايم بازاي في الطريق الان ان كان انطلاقي مما تكرهه رجعت فقال ملاك
الرب لبلعام انطلق مع القوم واياك ان تقول شيا الا ما اقول لك فانطلق بلعام فسمع بالاق فخرج ليتلقاه وقال بالاق
كيف لم تاتني قال قد اتيتك الان لعلك تظن اني قدر ان اقول شيا الا القول الذي يجريه الله على لساني به انطق فلما كان
الغد عمد بالاق الى بلعام واصعده الى بيت لعلا الصنم فراى من هناك اقاصي مباركي شعب اسرائيل وقال بلعام لبالاق
ابن لي هاهنا سبع مذابح وهيئ لي سبع ثيران وسبع كباش وفعل بالاق كما قال له بلعام ورفع بالاق الكباش والثيران
على المذبح قربانا وقال بلعام لبالاق قم هاهنا عند قربانك حتى انطلق انا لعل الرب يوحي الي ما اهواه وانا
مظهر لك ما يوحي به الي فانطلق فظهر الله له والهمه قولا وقال له انطلق الى بالاق وقل له هذا القول فاتاه
وهو قايم عند قربانه وجميع قواد مواب معه ورفع بلعام صوته بما شاء له وقال ساقني بالاق ملك الموابيين
من ارام التي في المشرق وقال لي تعال حتى تلعن يعقوب وتهلك اسرائيل كيف العن من لم يلعنه الله وكيف اهلكه

والرب لا يريد هلاكي داته من دون الجبال ونظرت اليه من فوق الاكام واذا هو شعب وحده لا يعد مع الشعوب ومن يعد ريحيي
جميع الشعوب عدد لعقوب ومن يقدر يحصي عدد ربع بني اسرائيل يموت نفسي موتا ويكون اخرى الى اخراهم فقال بالاق لبلعام دعوتك
لتلعن اعداي فاذا انت تباركهم وتدعو لهم فرد بلعام فقال الذي يلهمني الرب ويجري على لساني اياه احفظ وبه انطق قال
له بالاق سر معي الى موضع اخر لتراهم من هنالك وانما اسوقك لترى اخرهم ولا تراهم اجمعين وانطلق به الى حقل الربيه واتاه
على راس الاكمة وابتني هنا سبع مذابح وقرب عليها الثيران والكباش وقال بلعام تقف هاهنا هاهنا عند قربانك حتى انطلق
الان فانظر ما الذي يقال وتجلى الرب على بلعام واجرى على فمه قولا وقال له انطلق الى بالاق فاخبره بهذا القول فاتاه وهو
قايم عند قرابينه ومعه اشراف مواب فرفع بلعام صوته بامثاله وقال له انهض يا بالاق واسمع قولي واصغ لشهادتي يا ابن صفور
اعلم ان الله ليس مثل الرجل يخلف ويكذب اذا قال الرب قولا فعله وكلامه دايم الى الابد سانتني كي ادعو وابرك ولا ارد البركة
ولا اخالف ما امرت به لست ارى في ال يعقوب اثما ولا عذرا عند بني اسرائيل ولا ظلما لان الله ربه معه الله الذي اخرجهم
من مصر بعزه وعظمة قوته ولست ارى في ال يعقوب طيرة ولا حساب نجوم او عراف بين بني اسرائيل كيف اقول والشعب
قايم مثل الضرغام لا يربض حتى يفترس فريسته ويشرب دم القتلى فقال بالاق لبلعام اطلب ان لا تلعنه ولا تدعو له فرد
بلعام على بالاق قايلا الست قلت لك اني انما انطق بما يقوله لي الرب فقال يا بالاق انطلق بنا الى موضع اخر لعل الله يرضى بغير
هذا فتلعنه لي هنالك فاصعده المدارس فعور الذي بازا استمون فامره بمثل ما تقدم من الذبح والقربان فراى بلعام
ان الرب يحب ان يدعو لبني اسرائيل ولم ينطلق كما كان ينطلق في كل وقت ليطلب الوحي لكن اقبل بوجهه الى البرية ومد
بصره فراى بني اسرائيل نزولا قبايل قبايل فحل عليه روح الله ورفع صوته بامثاله وقال قل يا بلعام بن بعور قل ايها الرجل
الذي سمع قول الله وراى رويا الله وهو ملقى وعيناه مفتوحتان ما احسن منازلك يا يعقوب ومنازلك يا اسرائيل وخيمك كالاودية
كاربه ومثل الفراديس التي على شاطي النهر ومثل الخبا الذي ذكره الله ومثل شجر الارز على شاطي النهر يخرج رجل من بيته ذريته
اكثر من الما الكثير ويعظم على الملك ويرفع الله ملكه الذي اخرجهم من ارض مصر بعزه قد رته ياكل خيرات شعوب اعدايه
ويكسر عظامهم ويقطع ظهورهم ربض ورقد كالاسد ومثل شبل الليث ومن يقدر ان ينبهه مبارك مباركوك وملعون لاعنوك
فاشتد غضب بالاق على بلعام وصفق بيديه متلهفا وقال دعوتك للعن اعداي فاذا انت تباركهم وتدعو لهم ثلاث مرات
انصرف الان الى بلادك قد كنت عزمت على اكرامك واجازتك فاذا الرب قد حرمك ذلك فرد بلعام على بالاق قايلا قد كنت
قلت لرسلك الذين ارسلتهم الي انه لو وهب لي بالاق ملء بيته من ذهب وفضة لم اقدر ان اتعدى عن قول الرب ولكن انما انطق
بما يلهمني الرب فانا منطلق الان الى ارضي فاسمع ما اشير اليك واخبرك ما يصنع هذا الشعب بشعبك اخر الايام
ثم رفع صوته بامثاله وقال قل يا بلعام بن بعور قل ايها الرجل الجلي عن بصره قل ايها الذي سمع قول الله وعلم العلي وراى
رويا الله وهو ملقى وعيناه مفتوحتان قال اراه واذا ليس ظهوره الان وان كان منتهى العالم ذكرته ونظرت
فاراه واذا ليس بقريب يشرق نجم من ال يعقوب ويقوم رئيس من بني اسرائيل ويهلك جبابرة من مواب ويستعبد
جميع بني شيث ويصير ادوم ميراثه وساعير وراثه اعداوه بصيرا له ويستعبد بنو اسرائيل قوة معقوه ونحو ذلك
من الكلام الذي فيه ما يكون سببا لانسلاخه من الايات لكن ذكر المفسرون انه اشار عليه باختلاط نسا بلاده
ببني اسرائيل متزينات غير ممتنعات ممن اراد منهم ليزنوا بهن فيحل عليهم الرجز فوقع كلهم ذلك وهو الصواب لانه
سياتي له الاشارة في التوراه عند فتح مدين بقوله لماذا ابقيتم على الاناث وهن كن عثرة لبني اسرائيل عن قول بلعام
ومشورته وسياتي ذلك قريبا وما فيه من ذكر الوحي فهو محمول على المنام او غير ذلك مما يليق ثم قال ثم قام بلعام فرجع منصرفا
الى بلاده وبالاق رجع ايضا الى بيته وسكن بنو اسرائيل شاطيم وبدا الشعب ان يصبو بنبات مواب ودعين الشعب
الى ذبايح الهتهم واكل الشعب من ذبايحهم وسجد لالهتهم وكمل بنو اسرائيل العباده لمعبود الصنم واشتد غضب الله على بني اسرائيل
فقال الرب لموسى اعمد الى جميع بني اسرائيل فافضحهم فقال موسى لهم يقتل كل رجل منكم كل من اخطا وسجد لبعل فعور
واذا رجل من بني اسرائيل قد اتى بحراه امام اخوته من غير ان يستحي يدخل على امراه مدينية وموسى وبنو اسرائيل يبكون
في باب قبة الامد فراه فنحاس بن العازر بن هرون الحبر فنهض من الجماعة غضبا لله واخذ بيده رمحا ودخل الى البيت
الذي كانا فيه فطعنهما بالرمح فقتلهما فكف الموت الغاشي عن بني اسرائيل وكان عدد الذين ماتوا في الموت البغتة
اربعة وعشرون الفا وكلم الرب موسى وقال له فنحاس صرف غضبي عن بني اسرائيل وغار غيرة الله بينهم وطهر بني اسرائيل
وكان اسم القتيل الذي قتل مع المدينية زمري بن سلو وكان رئيسا في قبيلة شمعون وكانت المراه المدينية كزبي بنت
صور وكان ابوها رئيسا من رؤسا اهل مدين وقال بعض المفسرين ان فنحاس رفعهما بحربته الى السما قد اعتمد بمرفقه
على خاصرته واسند الحربة الى لحيته فمن هنالك يعطي بنو اسرائيل ولد فنحاس من كل ذبيحة القبة والذراع واللحي والبكر
كل من اموالهم وانفسهم لانه كان بكر العيزار بن هرون عليه السلام انتهى ثم كلم الرب موسى وقال له ضيق على اهل
مدين واهلكهم كما ضيقوا عليكم ونجسوكم ثم قال موسى للشعب يتسلح منكم قوم للحرب لينتقموا ثم كلم الرب موسى وقال له

وقال له اني لمنتقم من المدينين ما صنعوا ببني اسرائيل ثم تضيف الى شعبك ثم قال موسى للشعب يتسلح منكم قوم للحرب
لينتقموا للرب من المدينين وليكونوا اثني عشر الفا فانتخب موسى من بني اسرائيل الفا من كل سبط اثني عشر الفا ابطالا
متسلحين وارسلهم وصير قايدهم فنحاس بن العازر ومعه ادعيه وقرون ينفخ بها وتقدموا على مدين كما امر الرب موسى
وقتلوا ملوك مدين مع القتلى وقتل بلعام بن بعور معهم في الحرب وسبا بنو اسرائيل نسا مدين وانتهبوا مواشيهم وسلبوا
جميع دوابهم واموالهم واخربوا جميع قرى مساكنهم واتوا بما انتهبوه الى موسى وخرج موسى وجميع عظما الجماعة فتلقوهم خارج
العسكر وغضب موسى على رؤسا الاحبار ورؤسا الالوف والمئين الذين اتوه من الحرب فقال لهم لماذا ابقيتم على الاناث
وهن كن عثرة لبني اسرائيل عن قول بلعام ومشورته وفتنوا وغدروا وتمردوا على الرب في امر فعور وفي سحرة السبتين
فان هولا كن شينا لبني اسرائيل لقول بلعم ان يتساعدوا ويتهيا وتوا بكلمة الرب من اجل فعور فوقعت السخطة جماعة الرب
وفي النسوة الاخرى وتسلط الموت على جماعة الرب بغتة فاقتلوا الان جميع الذكوره من الصبيان وكل امراة ادركت وعقلت
وعرفت الرجال فاقتلوها وابقوا على جميع النسا اللواتي لم يعرفن الرجال واما انتم فانزلوا خارجا من العسكر سبعة ايام
الى اخر ما مضى من قريبا في الاعصار ولما انقضت هذه القصص فاستقرت عن ان اكثر الخلق هالك مع ذلك فقال منبها
بذلك كيلا يصدق ان الانسان يكون اهلا من الهاليم عاطفا على ما تقديره هولا الذين قصصنا عليهم اخبارهم ذرأناهم
لجهنم **ولقد** عزتنا وجلالنا **ذرأنا** اي خلقنا بعظمتنا وانشانا وبثثنا ونشرنا **لجهنم كثيرا** اي ولجاناهم اليها ولم نجعل
بينهم وبينها حايلا ولما كانوا يعظمون الجن ويخافونهم ويصلون كلهم بذلك كلهم فقال **من الجن** اي بتصعبهم انفسهم الهة
فاضلا لهم الانس في تزيين عبادة غير الله لهم في الحقيقة المعبودون لا الحجارة ونحوها **والانس** اي لعبادتهم من لا يعيها علم
ان الاية صالحة لان يكون معطوفة على الجملة التي تبلها من قد لكن ما تقدم ولما كان كانه قيل ما لهم دخلوا لا نفسهم
بطريق جهنم قيل **لهم** ولما كان السياق للتفكر بدا بالقلوب فقال **قلوب لا يفقهون بها** اي لانتفا الذي كلفوا به وهو
النظر في دلايل التوحيد وثبوت النبوة وما يتفرع عن ذلك وهو الفقه المستعد عدم غيره عدما لانه لم ينفعهم النفع المقصود
في الحقيقة وما احسن التعبير بالفقه في سياق اقامة الادلة التي منها ارسال الرسل وانزال الكتب ولما كان البصر اعم من
السمع لانه ينتفع به الصغير الذي لا يفهم القول وكذا من في حكمه قدمه فقال **ولهم اعين** ولما لم يترتب عليها الابصار النافع
في الاخرة الباقية نفى ابصارهم وان كان ناحدا لهم ابصارا فقال **لا يبصرون بها** اي الايات المرئية ابصار تفكر واعتبار
ولهم اذان يسمعون ولما لم يترتب على سمعها ما ينفعهم نفاه على نحو ما مضى فقال **لا يسمعون بها** اي الايات المسموعة وما يدل عليها
سماع اذكار وافتكار ولما سلبت عنهم هذه المعاني كانت النتيجة **اولئك** اي البعداء من المعاني الانسانية **كالانعام** اي في عدم
الفقه ولما كانوا قد زادوا على ذلك بتعقد نفع السمع والبصر قال **بل هم اضل** لانهم اما معاند واما جاهل بما يضره وينفعه
والانعام تهرب اذا سمعت صوتا منكرا او رات بعينها انه يترتب عليه ضرها وتنظر ما ينفعها من الما والمرعى فتقصده والا
لا قدرة لها على ما يترتب على هذه المدارك من الفقه وهولاء مع قدرتهم على ذلك اهملوه فنزلوا عن رتبتها درجة كما ان من طلب الجلال
وسمي له سعيد مع نزاع الشهوات علا عن درجة الملايكة بما قاسى من الجهاد ولما شاركوا الانعام لهذا في الغفلة وزادوا
عليها انتج ذلك قطعا على طريق الحصر **اولئك** اي البعداء البغضاء **هم** اي خاصة **الغافلون** لا الانعام فانها وان كانت غافلة عما
يراد لها غير خالده في العذاب فلم تشاركهم في العمى والصمم عما ينفعها ولا في الغفلة عن الخسارة الدايمة فقد اشارت الاية
الى تفضل الانسان على الملايكة كما اقتضته سورة الزيتون لانه جمع في خلقه وسطا بين الملك الذي هو عقل صرف والحيوان
الذي هو شهوة مجردة فان غلب عقله كان اعلا بما عالجه من جهات الشهوات فكان في احسن تقويم وان غلبت شهوته كان اسفل
من الحيوان بما اضاع من عقله فكان اسفل سافلين ولما انتج هذا ان لهم الاسما الحسنى دائما اسوانها عطف عليه دفعا لوهم
يتوهم بالحكم ما للضلال والدرك على ما لا يليق وتنبيها على ان الموجب لهم حجفهم الغفلة عن ذكر الله ودعا به قوله **ولله** اي الملك
الاعلى المحيط بجميع صفات الكمال وحده **الاسما** ولما كان الاسم اذا حظيت فيه المناسبة كان بمعنى الصفة انث في قوله **الحسنى**
اي كلها لا تصافه دون غيره بصفات الكمال التي كل واحد منها احسن شي واجله وتنزهه عن شوايب النقص وسمات الحدوث
فكل افعاله حكمة وانما كان مختصا بذلك لان الاشيا غير ممكنة لتغيرها وكل ممكن محتاج وادنى ما يحتاج الى مرجح يرجح وجوده
وذلك يعلم وجود المرجح ونعلم ان ترجيحه على سبيل الصحة والاختيار لا الوجوب والا لزم الجامع العالم معه ازلا ولذلك
تمت قدرته ويكون افعاله محكمة ثبت علمه فثبتت حياته وسمعه وبصره وكلامه وارادته ووحدانيته والالوهية التنازع فوقع
الخلل فالعلم بصفاته العلى ليس في درجة واحدة بل مترتبا وعلم لهذا ان الكمال لله لذاته واما غيره فكماله به وهو ذاته
غرق في بحر الفنا واقع في حضيض النقصان **فادعوه** اي فصفوه وسموه واسالوه **بها** لتنجوا من جهنم دنيا لو اكلها ما يحمل
عاقبته فان القلب اذا غفل عن ذكر الله اقبل على الدنيا وشهواتها فوقع في نار الحرص وجهنم الحرمان ولا يزال من رغبة
الى رهبة حتى لا يبقى له مخلص واذا اقبل على الذكر تخلص عن نيران الافات واستنار بمعرفة الله حتى يتخلص من رق الشهوة
فيصير حرا فيسعد بجميع المرادات وكثرة الاسما لا يقدح في التوحيد بل يدل على عظم المسمى **وذروا** اي اتركوا على حالة ذريته

الذين يلحدون اى يميلون عما حد لهم بزيادة فيشبهوا او نقص فيعطلوا في اسمائه اى فيطلقوها على غيره بان يسموه
الها فيلزمهم ان يطلقوا عليه جميع اوصاف الاله فقد الحدوا في النقص بالفعل وفي الباقي باللزوم او بان يسموه بما لم
ياذن فيه وما لم ياذن فيه فتارة يكون ماذونا فيه في الجملة كالضار فلا يجوز ذكره الا مع النافع وتارة لا مثل اطلاق
الاب عليه والجسم وكذا كل ما اوهم نقصا فلم يكن احسن ولو ورد اطلاق بعض مشتقا فانه عكسه مثل علم لا يجوز ان
يقال له عاجز معلم وكذا الحبيب لا يجوز ان يقال الاجل محب وكذا الخالق لا يجوز ان يقال الاجل يا خالق الديدان والقردة
مثلا وكذا لا يجوز ان يذكر اسم لا يعرف الذاكر معناه ولو كان الناس يفهمون منه مدحا كما يقول بعض البدو يا ابيض
الوجه يا ابا المكارم فان ذلك كله الحاد وهذا الفعل يستعمل مجردا ومزيدا يقال لحد في كذا والحد فيه بمعنى والحد
وهو العدول عن الحق والدخول فيه ما ليس فيه نقله ابو حيان عن ابن السكيت وقال الامام ابو القاسم على بن جعفر
ابن القطاع في كتاب الافعال لحد المستلحد او الحده شق له في جانب القبر والى الشيء وعنه وفي الدين مال وترك
كما لذلك فلما كان كانه قيل فما يفعل بمن الحد وكان المرهب ايقاع الجزاء لا كونه من معين قال بانيا للمفعول
سيجزون اى في الدنيا والاخرة بوعد لا خلف فيه ما كانوا اى بجبلاتهم يعملون اى فيفعل بهم من انواع الاهانة العقوبة ما
يوجبه وصفهم بائم الاوصاف حذو ما كانوا يسمونه في الدنيا بمن براهم ولما اخبر تعالى عن ذرئه جهنم من القبيلين
تشوف السامع الى معرفة حال الباقين منهما فقال مصرحا بالخبر عنهم عطفا على ولقد ذرانا مشيرا بمن التبعيضية
الى قلتهم تصديقا لقوله وان وجدنا اكثرهم لفاسقين وممن خلقنا اى بما لنا من العظمة امة اى جماعة عظيمة من هو
اهل لان يؤم ويقتدى به يقصدونه فاقتبست من انواره فصارت هي اهلا لان تقصد ويؤم لها ولما افهم لفظ الامة
هذا صرح به في قوله يهدون بالحق اى الثابت الذي يطابقه الواقع وبه اى الحق خاصة يعدلون اى يجعلون الامور
متعادلة لا زيادة في شيء منها على ما ينبغي ولا نقص لانا وفقناهم فكشفنا عن بصائرهم حجاب الغفلة التي الزمناها اولئك
قال اكثر المفسرين هم امة محمد صلى الله عليه وسلم ورواه بعضهم عن النبي صلى الله عليه وسلم والاهم الامر لبعد
تعين قوم موسى لعظمها لهو ولما بين حال الهادين المهتدين وكان اهل السياق للضالين المضلين اتبعه تفتيد الحديث
عنهم على وجه ملوح بان عليه الهداية التوفيق تعالى علاحقا على ما تقدم من فجئ نغل امرهم وتطيب ذكرهم والذين كذبوا
اى نسبوا الرسل الى الكذب بسبب اتيانهم بآياتنا على ما لنا هذه من عظمة سنستدرجهم اى نستنزلهم ونستدنيهم بوعد
لا خلف فيه الى ما نريد كانهم من اعلى المظم درجة درجة بسبب انهم كلما احدثوا جريمة استفتنا عليهم نعمة واذا عملوا طاعة
قصرنا عنهم في الانعام او مرضناهم لسقوط الانتقام فيظنون ان المعاصي سبب النعم فينسلخون من الدين وعلى ذلك قال
من حيث لا يعلمون اى نوتكون ما تعجب من مدانأته فضلا عن مباشرته ومعنا ناتي من لدنى بصيرتهم حتى تكامل ما نريد منهم
من المعاصي وهو من ادلة ... اتى في الاستدراج باداة العظمة وفي الاملاء بضمير الواحد فقال واملي لهم
اى امهلهم بوعد جازم زمانا طويلا وامد لهم وهم يعصون حتى يظنوا ان اسعيهم حتى يزيدوا في ذلك لانهم لا يفعلون
شيئا الا بارادتي ولا يفوتني ولم يات بها على كله ولعله لان الاستدراج يكون بواسطة وبغيرها فكانه قال سنستدرجهم سنتي
من غير واسطة تارة ومن ابتغ لهم النعم على ايدي من عبيدي وجنودي اخرى واما الاملاء وهو تطويل الاجل فلا يقصدون ان
يكون الا من الله تعالى ولما كان هذا موجبا لهم ولا بد الاصرار على المعاصي حتى يصلوا الى ما حكم عليهم به من النار قال
مستانفا ان كيدي اى فعلي الذي ظاهره رفقه وباطنه صعقة ظاهره احسان وباطنه خذلان متين اى شديد قوي لا يمكن
احد قطعه قال الامام بعد تاويل للمعتزلة حملهم عليه الحاجة اجماعهم رعاية الاصل وانا شديد التعجب من المعتزلة
يرون القرآن كالبحر الذي لا ساحل له مملوا من هذه الايات والدلائل القطعية العقلية القاهرة مطابقة لها ثم انهم يكتفون
في تاويلها اى على انه تعالى يوجد البشر بهذه الوجوه الضعيفة الا ان علمي بان ما اراده كائن يزيل هذا التعجب ولما كان
السياق من اول السورة لانذارهم وكان لا بد في صحة الانذار من تصحيح الرسالة وختم باهم الوسائل الاستدراج وكانوا
قد افنوا من المعاصي بما لا يجوى عليه الا مطموس البصيرة وكان عندكم ان من قال انهم على حال سيء مع ما هم فيه
من النعم الظاهرة مجنون وكان التفكر دالة على مكر الاستدراج لم يروا انهم يقدمون على ما لا يرضاه لنفسه عاقل
من عبادتهم الحجر ونهاهم على اكل البشر ووصفه بالجنون ووصفهم افضل الكلام بالسحر والكذب المعتذر ذلك فيما ينقص
من لبس النفع والقرار الابدية وموقع ذلك توالى عليهم النعم ويدفع عنهم النقم هل ذلك الا استدراج قال منكرا عليهم عطفا
على ما ارشد السياق والعطف على غير معطوف عليه الى تقديره اولم يتفكروا اى يعملوا افكارهم ويمعنوا في ترتيب المقدمات
ليعلموا انه لا متوجه لمهر طعن بوجه شبهة بوجه من الوجوه وبين المراد من هذا التفكر وعينه بقوله ما بصاحبهم اى الذي طالت
خبرتكم به لانه امتنهم عقلا وافضلهم شمائل ولم يقل ما برسول ونحوه لئلا يقولوا حقيقتهم ما لا يخفى واغرق في النفي فقال
من جنة اى حالة من حالات الجنون ولما نفي ان يكون به شيء مما نسبوه اليه وافتروه عليه ثبتت رسالته حصر امره
في النذارة لانها النافعة لهم مع ان المقام لها في هذه السورة فقال ان اى ما هو الا نذير اى بالغ في نذارته مبين

مبين اى موضح للطريق ايضا مما لا يصل اليه ومن ادلة ذلك عجز الخلق عن معارضته شيء مما اتى لعده به مع انه احسن
الناس خلقا واعلاهم خلقا وافضلهم عشيرة وارضاهم طريقة واعدلهم سيرة واطهرهم سريرة واظهرهم براهين واشهرهم واشرفهم
عملا واحكمهم علما وارصنهم رايا واعظمهم عقلا واسعدهم امانة واطهرهم نبلا ولما كان النظر في امر النبوة مفرعا على
تقرير ادلة التوحيد وكان المقصود من الانذار الرجوع عن الالحاد قال منكرا عليهم في عدم النظر في دلائل التوحيد الواضح
كل ما ادعى اولم ولما كان الامر واضحا قال ينظروا اى نظر تامل واعتبار ودل على انه بالبصيرة لا بالبصر بالصلة فقال
اشارة الى ان كل ذرة فيها دلالة بل جهة في ملكوت وعظم الامر بقوله السموات والارض اى ملكها البالغ من حد العظمة
بظاهره الذي يعرفونه وباطنه الذي يلوح لهم ويكاد دكونه ولما كانت ادلة التوحيد تفوت الحصر نفى كل ذرة برهان قاهر
ودليل ساطع باهر قال وما اى وفي ما خلق الله اى على ما له من الجلال والجمال من شيء اى عز او هان ليعلموا انه لا يقدر على شيء من
ذلك فضلا عن ذلك غيره ويتحققوا ان كتابه سبحانه مباين لجميع مخلوقاته فيعلموا انه صفته سبحانه وكلامه فلا يلحدوا في اسمائه
فلا يسموا شيئا منها غيره لما ظهر لهم من تمام قدرته وتمام عجز غيره عن كل شيء وعن شمول علمه وتناهي جهل غيره بكل شيء الى
غير ذلك حتى يعلموا بعظمة هذا الكون انه سبحانه عظيم وبقهره لكل شيء انه قهار شديد وبعجز كل شيء عن كل شيء من امره
عزيز وباسباغه النعم انه رحيم كريم الى غير ذلك من اسمائه الحسنى وصفاته العليا التي تنطق الاشياء بها بالسنة الاحوال
وتحدث لقاصد ورد الكائنات وان لم يكن لها مقال وليس هو كلام الله بمماثلة من ذلك وان عسى اى وينظروا في امكان
والخوف من انه يمكن وخليق وجدير ان يكون قد اقترب اى دنا دنوا عظيما اجلهم اى الذي لا شك عندهم في كونه
بموته من موتات هذه الامم التي اسلفنا اخبارها لنفس واحدة او بالتدريج فيبادروا الايمان به خشية انخرام الاجل
للنجاة من اعظم الوجل فان كل عاقل اذا جوز خطرا ينبغي ان ينظر في عاقبته ويجتهد في الخلاص منه ولما كان قد تقدم في
اول السورة النهي عن التحرج من الانذار بهذا الكتاب وبان هذه الايات انه صلى الله عليه وسلم اتصف بالانذار به حق الاتصاف
وبان ان القرآن مباين لجميع المخلوقات فثبت انه كلام الله تسبب عن ذلك الانكار على من توقف عن الايمان بعد هذا البيان
مما لا يسوغ التوقف فيه الا لانتظار كلام اخر فقال فباي حديث اى كلام يتجدد له في كل وقت بيان الخلاص منه بعده اى
بعد هذه الاية الرتبة العظيمة يؤمنون فقد دلت هذه الاية العظيمة على ان لله بها من طريقان احدهما سمعي والاخر عقلي قال
الحرالي في كتاب له في اصول الفقه الحكم انما يتلقى من كتاب الله البالغ على السنة رسله وقد اتضح واشتهر ان السمع من طريق بينهم
خطاب الله الذي بلغته الرسل ولذلك ايضا قد تحقق لقوم من اولي الالباب ان الرؤية وسائر الحواس طريق من طرق بينهم خطاب
الله ايضا يعي منه اللبيب العقل معنى ارسال في كتابه المخلوق كما يعي العقل معنى الارسال من مفهوم كلامه المنطوق
وقوم ممن تفهم من مرى كتاب الله المشهود دار الادلة لحكام يسمون الحنفيين كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل
وقد شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان كل واحد منهم يبعث امة وحده لانه اتى من نفسه من غير رسالة هاد
جاءه عنه بل من رسول موجد به واحتاسه العالم ولانه انما اخذ بكلية حكم حكم الايمان ووجوب لما صفته من الخلق
المشهود خلق الله وصار من ذلك بترتيب تاخذ ما يحصل له عقلا من مسموع خطاب الله وعلى نحو هذه الحال والتمام هي حال
الانبياء والصديقين قبل ورود الوحي على النبي وقبل سماع صديقه داره وحيه وهؤلاء هم الذين لا يتوقفون عن الايمان
بالنبي عند ابتداء ذاته وكان النبي لا يلزم ولا يحكم بل يبلغ عن الله ولذلك نظر العقل لا يلزم ولا يحكم بل يبلغ عن الله فيكون
الحكم الذي هو تصرف الحق في افعال الخلق لهذا على قسمين شرعي اى ماخوذ من الارسال الشرعي وعقلي اى ماخوذ من
الارسال العقلي وحاصل ذلك ان العالم المشهود مبين عن امر الله وكل سمع مبلغ فالعالم مبلغ اى بما فيه الفاهم
من كلامه عن الله فان النحاة قالوا كما ذكره ابن عصفور في شرح الايضاح لابي علي ولذا غيرهم ان الكلام في الاصطلاح لا يقع
الا على اللفظ المركب وجودا وتقديرا المفيد بالوضع قال احترزوا باللفظ عما يقال له كلام لغة وليس بلفظ كالخط
والاشارة وما في النفس وما يفهم من حال الشيء وقال الحرالي نحو حال الخجل والغضبان وبالفعل نحو الاشارة باليد والنقد
بالانامل وباشارة الفعل كالصنائع والاعمال وباللفظ الذي يلفظ به القلب لظاهر اللسان وبالمثار نوم تحادك
نواحذو مفهوم اللفظ وهو الخط والمنتهى ولما كان ذلك كله من اعجب العجب كانت نتيجته قطعا تعليله لما قبله
من اعراضهم عما لا ينبغي الاعراض عنه دليلا على ان الامر ليس الا بيده فنزله سبحانه قوله من يضلل الله اى الذي له جميع العظمة
فلا هادي له بوجه من الوجوه ولما دل بالافراد على ان كل فرد في قبضته وكان التقدير فمن يستمر على ضلالته
عطف عليه بضمير الجمع دلالة على ان جمعهم لا يغني من الله شيئا فقال ويذرهم اى تركهم على حالة بتيجة وعبر بالظرف اشارة
الى احاطة حكمه بكم فقال في طغيانهم اى تجاوزهم للحدود حال كونهم يعمهون اى يتحيرون ويترددون في الضلال
لا يعرفون طريقا ولا يفهمون حجة ولما بين التوحيد والنبوة والقضاء والقدر اتبعه المعاد ليكمل المطالب الاربعة التي هي
مطالب القرآن مبينا ما اشتمل عليه هذا الكلام من تبلدهم فيما لعله وتلددهم في اشراك الشبه بقوله يسألونك اى مكررين
لذلك عن الساعة اى عن وقتها سؤال استهزاء ايان مرساها اى اى وقت ثبات ثقلها واستقرارها والمرسى يكون مصدرا او زمانا

ومكانا من دست لسفينة اذا ثبتت ما حدده المتشعبة وانما كان هذا بيانا لعهدهم لانهم وتعوا به في الضلال من وجهين ٥
السؤال عما غيره اهم وجعله على طريق الاستهزاء مع ما قام عليه من الادلة وسنكرره في هذه السورة وكان اللائق بهم ان يجعلوا بدل
السؤال عنها اتقاها بالاعمال الصالحة ولما كان السؤال عن الساعة عاما لهم فاهتا بالسؤال عن وقتها جا الجواب عموما عنها
بقوله **قل انما علمها** اي علم وقت ارسائها وغيره **عند ربي** اي المحسن الي بما قامه لينعم على من يتبعني وينتقم ممن تركني لم يطلع
على ذلك احدا من خلقه ولا يبينها الا في احسن الاوقات وانفعها واخفاها انفع للخلق لانه اعظم لشانها واهيب فيكون ادعى الى الطاعة
وازجر عن المعصية واقرب الى التوبة ثم خصصت من حيث الوقت بقوله مشيرا الى ثقل الساعة ما لا رسا وكان الشي اذا جهل من
بعض الوجوه اشكل واذا اشكل ثقل قال **ثقلت** اي الساعة نفاصيل حيث لم يطلع الله علم العباد فاهمهم كلهم شانها ولذلك
عبر بالظرف فقال **في السموات والارض** اي نسبة اهلها الى خفائها والخوف منها على حد سوا لان مالكها قادر على ما يشا
ولذا ان يفعل ما يشا ثم قرر خفاها على الكل فقال **لا تاتيكم** اي في حالة من الحالات **الا بغتة** اي على حين غفلة ولما كانوا قد الحفوا
في سؤاله صلى الله عليه وسلم عنها وكانت حقيقة الروية المذكورة في الجملة الاولى ربما حملت على سؤاله طمعا في تعرفها من الحق الذي
قطع الاطماع بقوله مؤكدا للمعنى **يسئلونك** اي عن الساعة مطلقا في وقت وقوعها وما يحصل من امورها وحدث من شدايدها
اي ويلحون في سؤالك الخبير كلهم انه لا يعلمها الا الله **كانك حفي** اي عالم بامرها مستقص مبالغ في السؤال عنها **قل** اي قطعا
لسؤالهم **انما علمها عند الله** اي الذي له جميع العزة والعظمة والكبريا فلا يستطيع علم شي مما عنده الا باذنه ولم ياذن في
علمها لاحد من الخلق **ولكن اكثر الناس** اي الذين غلبت عليهم صفة الاضطراب **لا يعلمون** اي ليسوا من اهل العلم فهم بالسؤال عنها
يستهزون ولو كانوا من اهله ما كذبوك فواتقوا ما لا يغنيهم عن السؤال عنها وعن غيرهم من انواع التعنت وتركوا ما ينجيهم وتعنيهم
من المبادرة الى الايمان بهذا القران خوفا انخرام الاجال وهم يهيمون في اودية الضلال ولما كان علم الغيب سلما الجلب الخير ودفع
الضر وكانت الساعة ادق علم الغيب امره بنفي هذا اللازم فيلتفي الاخص فلتفي بانتفايه الاخص وقدم النفع لانه اهم الى النفس ٥
وليس في السياق ما يوجب تاخيره بخلاف ما في سورة يونس عليه السلام فقال اي اظهارا للعبودية **قل لا املك** اي في وقت من الاوقات
املك **لنفسي نفعا** اي شيئا مما جلب النفع قليلا ولا كثيرا **ولا ضرا** لذلك فان قدرتي قاصرة وعلمي قليل وكل من كان عبدا كان كذلك ولما كان من
المعلوم بل المشاهد ان كل حيوان يضر وينفع العلم ان ذلك انما هو باذن الله فقال **الا ما شا الله** اي الذي له الامر كله ولا امر لاحد سواه ان يقدر
عليه ولما بين لهم بهذا ان سؤالهم عن الساعة وغيرها من المغيبات جهل منهم لان حاله واضح في انه لا يعلم من ذلك الا ما علمه الله الذي
اختص بعلم الغيب اكده بقوله **ولو كنت** اي من ذاتي **اعلم الغيب** اي جنسه **لاستكثرت** اي وجدت لنفسي كثيرا **من الخير** باستجلاب
المنافع بنصب اسبابها ولما كان الضر لا يحتمل منه شي قال **وما مسني السوء** اي هذا الجنس بافامة الموانع لدفعه لان من لازم احاطة العلم
شمول القدرة كما سيقرر ان شا الله تعالى في سورة طه ولما بين ان علم الغيب دنيه الا لمن ختم الالهية بيان رتبته فقال قالبا ما ادعوه
فيه من الجنون لما مات يقول يا بني عبد مناف انقذوا انفسكم يا بني فلان وكذا اما لزمهم عن الزامهم له بعلم الساعة من انه يكون الها
ان انا الا ولما كانت السورة للانذار قدمه فقال **نذير** اي مطلقا للكافر ليرجع عن كفره والمومن ليثبت على ايمانه **وبشير لقوم
يومنون** اي خاصة او انهما لهم خاصة بالنظر الى النفع واما لا نفع فيه فنعم ولما ذكر سبحانه الساعة هنا كما ذكرها اول
السورة بما لم نذكره هنا لان تفكرهم واستهزاهم وحكم هنا بحصر العلم والقدرة في الله تعالى الموجب لتفرده ما لا هيبة كان الذي
جرهم الى ذلك الاستهزا اشراكهم ذكر ما ذكر قبلها اول السورة من ابتدا الخلق على وجه الحصر لتستلزم لتمام القدرة الموجب لنفي
الشريك واعتقاد القدرة على الساعة وغيرها والصدق في كل ما وقع الاخبار به من امرها وغيره الموجب لذلك ستفاده في قبول البشارة
والنذارة والاقبال بالكلية على الخالق فقال معززا للتوحيد **هو** اي وحده **الذي خلقكم** اي ولم تكونوا شيا **من نفس واحدة** اي خلقها
ابتدا من تراب وهي ادم عليه السلام كما كرر بيانه ومن قدر على اختراع حي من شي ليس له اصل في الحياة كان على اعادته حيا من
ذلك الشي بعد ان صار له اصل في الحياة اقدر ولما كان ادم عليه السلام بعد صيرورته لحما ودما اقرب الى السكينة الخلق
ذات لحم ودم منه قال معبرا اما بالواو لانه كاف في نفي الشرك الذي السياق للتحذير منه بخلاف الروم فانه للقهر وتاخير المسببات
عن الاسباب مدرج ادل على الامر او لانه خلاف الاصل **وجعل** لان الجعل كما قال الحرالي اظهار امر عن سبب وتصيير **منها** اي لا من غيرها
زوجها اي حوا من لحمها ودمها وعظمها ولما كان المراد بالنفس ادم عليه السلام وكان الزوج يقال على الذكر والانثى استخدم ضميره
في المذكر اذا علة الجعل بقوله **ليسكن** اي ادم لانه هو المراد بالنفس هنا ولما كان الزوج هنا هو المراد انث الضمير فقال
اليها ويتعلق بذلك السكون منه اليها لان النفس الى الجنس اميل وعليه اقبل ولا سيما ان كان بعضا الا ترى الى محبة الوالد لولده ٥
والقريب لقريبه وانما منع سبحانه من نكاح الاصل والفرع لما في ذلك من الفساد وغيره من الحكم الجياد فتعشاها عندما يسكن اليها
ليحصل الحبل والولادة فتنفرع النفوس من تلك النفس ولما كان السكون هنا كناية عن الجماع اعاده بلفظ اقرب منه الى الدلالة
على ذلك فقال موذنا بقرب غشيانه بعد جعلها او تاسفا له على ما تقدم وهو ذكره فسكن اليها فالت نفسه اليها فلم يتمالك ان غشيها
فلما تغشاها اي غشيها ادم عليه السلام المعبر عنه بالنفس كلمة عظيمة **حملت حملا خفيفا** اي لانه نطفة **فمرت به** اي
فعالجت به اعمالها وقامت وتعددت لحركتها عن شي عرض لها اعلاما بان امرها فيه كان على عادة النسا التي يعرفنها **فلما اثقلت**

فلما اثقلت اي صارت ثقيلة بكبره وتحركه في بطنها **دعوا الله** اي ادم وحوا عليهما السلام ولما ذكر الاسم الاعظم استحضارا لانه المدعو هو الذي
له جميع الكمال فهو قادر على ما هو ادعوا به لانه قادر على كل ما يريده ذكر صفة الاحسان رجا القبول والامتنان فقال **ربهما** اي الذي احسن اليهما
مقسمين **لين اتيتنا صالحا** اي ولدا لا عيب فيه **لنكونن من الشاكرين** اي نحن واولادنا في نعمتك علينا وذلك انهما جوزا ان يكون
غير سوي لقدرة الله كل ما يريد لانه الفاعل المختار لا الطبيعة ولا غيرها واشار بالفا الى قرب الولادة من الدعا فقال **فلما اتاهما** اي
ابواكم ادم وحوا **صالحا** اي جنس الولد الصالح في تمام الخلق بدنا وقوة وعقلا وكثروا في الارض انتشروا في بولجتها ذكورا واناثا **جعلا**
اي النوعان من اولادهما الذكور والاناث لان صالحا صفة لولد وهو جنس يشمل الذكور والاناث والقليل والكثير فكانه قيل فلما
اتاهما اولادا صالحي الخلقة من الذكور والاناث جعل النوعان **له شركا** اي بعضهم اصناما وبعضهم نارا وبعضهم غيرها هذا على قراءة
الجماعة وعلى قراة نافع وابي بكر عن عاصم بكسر الشين واسكان الرا والتنوين لنقتهم ذوي شرك **فتعالى الله** اي بما له من صفات الكمال التي
ليست لغيره تعاليا كبيرا والدليل على اراده النوعين قوله **عما يشركون** بالجمع وكذا ما بعده من عيب عبادة الاصنام ولما ذكر
علوه سبحانه شرع بذكر من وصف عبادة واشارة ما يدل على ذلك ويتم الادلة على عدم صلاحية ما اشركوا به للشرك لعجزها لانها من جملة
خلقه ولا تقرب لها يستحق به وجها من التعظيم فقال منكرا على عبادتها ولا على ان الشرك المراد الشرك الحقيقي لا ما ذكر من قصة ابليس في
تسميته بالتسمية بعبد الحارث ونحوه **ايشركون** اي المشركون اولادهما في العبادة **ما لا يخلق** اي من الاصنام والطبائع والكواكب وغيرها
شيا اي يوجده من العدم كما يفعل الله الذي اشركوها به ولما كان يلزم ان يكون ما لا يخلق شيا مخلوقا لانه لا ينفك عن عاجز بغير قادر اوجده
صرح به في قوله مجريا لهم وثان مجرى اولي العلم لتنزيلهم منزلتهم في الاعتقاد والعبادة **وهم** ولما كان المصنوع لا يكون صانعا الكفر
بالبنا للمفعول فقال **يخلقون** اي يتجدد خلق اعراضهم وذواتهم وامثالهم **ولا يستطيعون لهم** اي للمشركين الذين يعبدونهم ولما ٥
نصرا وهو المعونة على العدو ولعله عبر بصيغة العاقل اشارة الى انهم لو كانوا يعقلون وكانوا بهذه الصفات الخسيسة ما اهلوهم لان
يكونوا امثالهم فضلا عن ان يجعلوهم اربابهم ولما كان من لا ينصر غيره قد ينصر نفسه نفي ذلك بقوله **ولا انفسهم ينصرون** اي في وقت من الاوقات
عند ما يصيبهم بسوء بل عند ما يدا فعون عنهم ولما تبين من هذا الاستفهام الانكاري المعجب من حالهم في ضلالهم في اسلوب الغيبة ان
من اشركوه ليس فيه نوع قابلية لما اهلوه له فان المعبود يجوز ان يكون قادرا ومن كان عاجزا نوع عجز كان مربوبا وكان للتنبيه بالخطاب
ما ليس له بالغيبة اتبع ذلك في اسلوب بجيبا اخر منهم اشد منه اولا وذلك لان معبوداتهم التي اشركوا انها كما انها لا تفعل شيا من تلقا
انفسها لا تفعل عند دعا الداعي ولا تقتدي اليه فقال **وان تدعوهم** اي وان تدعوا ايها المشركون اصنامكم دعا استهم البحر **الى الهدى**
اي الذي يدل الداعي اليه قطعا على ان المتخلف عنه سيئ الراي محتاج الى العلاج لكونه تخلف عما لا تخلف عنه نوع صلاح لكونه اشرف الاشيا
فالمتخلف عنه راض بالدون **لا يتبعوكم** اي في ذلك الهدى الذي دعوتموهم اليه ولو بالغتم في الاستبلاغ ولعله عبر بصيغة الافتعال
اشارة الى انها لا تتصور منها قصد التبع فضلا عن ايجاده ثم بين ان ذلك ليس لامر عارض بل هو مستمر دائم بقوله مستانفا تاكيدا للمعنى
سوا عليكم ولما كان السوا لا يكون الا بين امرين تشوف السامع اليهما معا فقال **ادعوتموهم** اي وجد منكم ذلك الدعا الذي اشير الى استمراره
وعبر بالاسمية اشارة الى انكم لا يدعونكم في وقت الشدائد بل يدعون الله فقال **ام انتم صامتون** اي عن ذلك على الدوام على
عادتكم في الاعراض عن دعائكم في اوقات الملمات فالذين يدعون معتقدكم في وقت الضر وذات اقبح حالا في ذلك من المشركين ويجوز ان
تكون الاية من الاحتباك فيكون نظمها ادعوتموهم مرة ام انتم دائمون اما صمتم عن دعائكم في وقت ما انتم صامتون عن دعائكم
دائما حالكم في كل هذه الاحوال سوا في عدم الاجابة لا اختلاف فيه بوجه دل بالفعل اولا على حذف مثله ثانيا وبالاسم ثانيا على حذف
مثله اولا ولما كان اتباع من يدعي انه اعقل الناس اعقلهم عن النقايص واعرقهم في معالي الاخلاق وازاحهم عن سفسفها فالى
هذا السبيل خزي الخزي وانهم العار كانوا امع العلم بهذا الذي وصفت به معبوداتهم يبغلون في الاشراك كانهم في خوفهم ورجا
ما هو عين الجهل كرر تبكيتهم بابتاحهم في سلوب اخر اوضح مما قبله في بيان النقايص والتنبيه على المعايب ملجيا الى الاعتراف او
التصريح بالعناد والجنون فقال موكدا **ان الذين تدعون** اي ايها المشركون دعا عبادة ملازمين لذلك وانه اطلق الدعا على العبادة
اشارة الى انه لا يصح عبادة من ليس فيه قابلية ان يدعى والحاصل ان الدعا لازم المعبود ولما كان دعاوهم لهم انما هو على سبيل الاشراك
فاشير الى سفول رتبتهم باثبات الجار **من دون الله** اي الذي له صفات الكمال والعظمة والجلال **عباد امثالكم** اي في العجز عن كل شي لا سيما
عما وقع به التحدي من معارضة القران وغيرها وانتم تزيدون عليها بالحياة والعقل والمعبود لا يصح ان يكون مثل العابد فكيف اذا
كان دونه ولما كانوا لا يسلمون انهم امثالهم سبب عن ذلك امرهم بدعائهم البيان دعوى المثلية بل الدونية فقال **فادعوهم** الى شي من
الاشيا ولما كان الاله الحق يجب له عند التحدي من غير تخلف اشار الى ذلك بالربط بالفا فقال **فليستجيبوا لكم** اي يوجدوا الكم اجابة
بينة في الاتيان بسورة تماثل شيا من القران او في شي من المنافع ولما كان المقام محتاجا الى مزيد توبيخ والهاب قدم منه ما دابت
ثم زاد في الالهاب فقال **ان كنتم** اي جبلة وطبعا **صادقين** اي في دعوى انهم الهة فان رتبة الالهية تقتضي ذلك وقرا سعيد بن
جبير ان حقيقة وعباد امثالكم بنصب الدال واللام واتفق المفسرون على تخريجها على ان هي النافية اعملت عمل ما الحجازية فرفعت
الاسم ونصبت الخبر واعمالها هذا العمل فيه خلاف اجازه الكسائي واكثر الكوفيين ومن البصريين ابن السراج والفارسي وابن جني ومنع منه
الفرا واكثر البصريين واختلف النقل عن سيبويه والمبرد والصحيح ان اعمالها لغة ثبت ذلك في النظم والنثر ذكر ذلك كله ابو حيان وذكر

ثم فيما آتاهما اي من القوى والعباد ... وما
والرزق بالنذر ونحوه من الاشراك
لم يبق المشركون بالاشراك
الا انفسهم بسبب
عن ذلك
قوله
صح

انه اشبع الكلام فيه في شرح التسهيل واعترض على هذا التخريج بانه يلزم منه منافاة للقراءة المشهورة وانما يسلم لو كانت الواو واو النفي والاثبات على شيء واحد وليس الامر هنا كذلك فان الاثبات لمماثلتهم في مطلق العجز والنفي لمساواة الهتهم فيه لو ادعاهم عنها بالبطش ونحوه او يكون الامر كما قال الزمخشري ان الاثبات على سبيل التنزل والنفي على الحقيقة ولما اثبت عجزهم وانهم امثالهم دل عليه وعلى انهم دونهم باسلوب انكار وتعجيب مفصلا لبعض ما نفاه عنهم فقال مقدما الارجل لانها اول ما يخشى على الشيء فقال **الهم ارجل** ولما كانت لهم جوارح مصنوعة بين انها لا يعتد بها فقال **يمشون بها** ولما كان الخشي بعد الانتقال بعد اليد قال **ام لهم ايد** اي موصوفة بانهم **يبطشون** اي نوعا من البطش ولما كان الخوف بعد البطش باليد البصر خوفا من الدلالة قال **ام لهم اعين** اي متعوذة بانهم **يبصرون بها** اي ضربا من الابصار وربما كان الانسان ربما خاف مما يقصده فيغيب عنه فلا يصل الى بعده الا بالسمع قال **ام لهم اذان** اي موصوفة بانهم **يسمعون بها** اي شيئا من السمع ولما سواها بهم ونفى عنها ما تقدم لزم نقصها عنده وانه في الحقيقة مسلوب عنهم لانهم ليس لهم من ذواتهم الا العدم والقدرة فيما يقدرون عليه انما هي بما القصانع لهم اشركهم معها وقال الآتي ذلك مستانفا **قل** اي لهؤلاء المشركين **ادعوا شركاءكم** اي هذه التي تقدمت ومهما شئتم غيرها واستعينوا انها في عداوتي ولما كان هذا اخبار بالعظيم احق لفا على التمادي به بنيه عليه بالداة التراخي فقال **ثم كيدون** اي جميعا انتم وهم وانتم اكثر من حصى البطحاء ودمل القضا وانا وحدي ولما كان المعنى وعجلوا عطف عليه التسبب قوله **فلا تنظرون** اي تمهلون لحظة فما فوقها فيلا تستوي الى الانظار بعلة وعلى عدم المبالاة بكيدهم بتقوي هم ولا على اتصاف معبوده بما نفاه عن شركائهم من الاحاطة بمنافع الدارين فيما يتعلق بالاديان والابدان وقدم الدين اشارة الى انه الاهم فقال موكدا في مقابلة انكارهم **ان وليي** اي ناصري ومتولي جميع اموري **الله** اي الجامع لصفات الكمال **الذي نزل** اي بحسب التدريج شيئا فشيئا بحسب الوقائع لو قابلته بالاصل **الكتاب** اي الجامع لعلوم الاولين والاخرين وامر المعاش والمعاد واحوال الدارين وكلما فيه صلاح لكن احوال القلوب وغيرها الذي عجزتم بما جمعكم ومن ادعيتم شركته عن معارضة شيء منه ولما تكفل هذا التنزيل بجميع الصفات وهي الحياة التامة المستلزمة للارادة والقدرة والعلم والسمع والبصر والكلام وكان عجزهم عن المعارضة للكتاب قلما شهود بينا قولها على انكم اتبع ذلك دليلا اخر شهوديا فعليا فقال **وهو** اي وحده **يتولى** اي يلي ولاية تامة **الصالحين** اي كلهم بنصرهم على كل مناو لهم لكل من لهم وقد علمتم ما قدمه في هذه السورة من قابعه من كذب انبياءه واستهزا برسله وانه انجى من كل من والاه واهلك جميع من عاداهم لا لكثرة عددهم ولا ام لهة وهو وما بعده وما قبله ملتفت الى قوله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء بالشرح وهو دال على انه هو الذي فعل ما تقدم لاجل اوليائه بدليل ان اعجزهم عن معارضة شيء من كتابه وعن الوصول الى جميع ما يريدون من اوليائه واحبائه ولما صور لهم هذا الجلال وقرر عظمته وكماله باتصافه بجميع الصفات العلى التي منها القدرة التي من عن التي النظر من غير ابصار مع ان الاول للتقريع وهذا للفرق بين من يعبد حقا ومن يعبد باطلا ليرجعوا عن غيهم وعنادهم فقال مبينا انهم لسوا في شيء من صفاته مصرحا بنفي ما اثبتها له عنهم مع المواجهة بالخطاب الذي هو اقطع في الجواب **والذين تدعون** اي تدعون دعاءكم **من دونه** فانهم يدعونه سبحانه في بعض الاوقات او تدعوكم تاركين له **لا يستطيعون نصركم** اي بوجه من وجوه النصر بدليل عجزكم عني وانا وحدي وانتم اهل الارض **ولا انفسهم ينصرون** بدليل ان الكلب يبول عليهم فلا يمنعونه ولما كان دعاء الجماعة اقرب الى السماع من دعاء الواحد نسق على ما قبله قوله **وان تدعوهم** اي يا من هم اضل منهم واعجز **الى الهدى** اي الذي هو اشرف الخلال ليهتدوا الى نفع انفسهم او غير ذلك **لا يسمعوا** اي شيئا من ذلك الدعاء ولا غيره ولما كان حالهم في البصر بالنسبة الى كل احد على حد سواء افرد المخاطب **وتراهم** اي ايها الناظر اليهم **ينظرون اليك** اي كانهم ينظرون لما صنعوا لهم من الاعين **وهم لا يبصرون** اي نوعا من الابصار وما اشبه مضمون هذه الايات بما في سفر انبياء بني اسرائيل في نبوة اشعياء هكذا يقول الرب ملك اسرائيل ومخلصها انا الاول وانا الاخر وليس اله غيري ومن مثلي يدعي ويظهر قوته وخبر بما كان منذ بسطت الدنيا الى الابد والايات المزمعة يظهر للشعوب فلا يفزعون ولا يخافون الم اسمعكم منذ اول الدهر واظهرها لكم وابين لكم الامور وانتم شهداء اي ان ليس اله غيري وليس عزيز منيع الا وانا اعلمه لان جميع الصناع الذين يعملون الاصنام انما عملهم باطل وليس في اعمالهم منفعة وان الصناع الذين يعملون لها هم يشهدون عليها انها لا تسمع ولا تبصر ولا تعلم لذلك يخزى جميع صناع الاوثان المسبوكة لان جميع ما صنعوا الا عمل له فيخجلون كلهم ويخزون ويفتضحون لان النجار نحت بحديدة وهيا صنما بمنقاره وسدده بقوة ساعده وجاع وعطش في عمله والنجار اختار خشبة وقدرها والعمق بعضها الى بعض وركبها وعملها خشبة ابن الانسان اقام خشبة من الخشب الذي قطع من الغيضة كشبه رجل الذي نبت من شرب المطر ليصير للناس للوقود فعملوه لهم الها وعبدوه وسجدوا له الذي نصيبه لهم خبزا وشوا اللحم لحما على جمر وكلوا وشربوا واصطلوا وقالوا اقد حمينا لانا اوقدنا نارا او اصلينا والذي بقي منه اتخذوه الها ليخبرنا وسجدوا له وصلوا وقالوا نجنا لانك الهنا ولم يخطر على بالهم فكر ان يقولوا انا قد اوقدنا نصفه بالنار وخبزنا خبزه وشوينا على جمره اللحم واكلنا ولم يبلوا بباقيه قد عمل منه صنم وسجدوا له لان قلوبهم سمجة غوتهم زيارة وصلت عقولهم فلا يقدرون ان ينجون انفسهم ولا يقولون ان ايادينا التي عملت الباطل واتخذت الكذب ثم قال اليس انا الرب منذ اول وليس اله غيري ولا مخلص سوائي ادنوا الي يا جميع الذين في اقطار الارض لتنجوا واني انا الرب ليس اله غيري حلفت بيميني واخرجت كلمة صدق ولست ارجع عنها لانه لي يجثو كل ركبة وبي يحلف كل انسان ويقول انما بالرب البر والعزة وبه يفتخر ويجزى جميع المبغضين وبي يحلف كل انسان ويمتدح ويفتخر من شبهتموني

شبهتموني والى من تشبهوني يا ضالين اخرجوا الذهب من اكياسهم ووزنوا الفضة بالميزان واكثروا الصناع حتى عملوا لهم الهة يسجدون لها ويحملونها على اكتافهم ويمشون بها ثم يصلون لها ويدعونها ولا تجيبهم ولا تخلصهم من شدائدهم ثم يحملونها ايضا ويردونها الى مواضعها اذكروا هذه الاشياء واعقلوا الها الاثمة واخطروها على قلوبكم واذكروا الاثام التي كانت في الابتداء اني انا الله الخالق وليس اله غيري ولا مثلي انا المظهر العتيدات والمخبر بالذي يكون قبل ان يكون واثبت رايي واكمل ارادتي وهو اي ادعو من المشرق فياتوك اشرع من الطير واتي بالرجل الذي قد عمل مسرتي من الارض البعيدة لاني انا اذا تكلمت بشيء فعلته انا خلقت وانا الخالق وفي الزبور في المزمور الثالث عشر بعد المائة الهنا في السماء وفي الارض كلما يشاء يصنع اوثان الامم ذهب وفضة عمل ايدي البشر لها افواه ولا تتكلم لها اعين ولا تنظر لها اذان ولا تسمع ولها اناف ولا تشم وايدي ولا تلمس وارجل ولا تمشي ولا صوت بحناجرها ولا روح في افواهها فليكن صانعوها مثلها وجميع من يتوكل عليها انتهى ولما كان محصل امرهم الاعراض عما اتاهم بالتكذيب والاقبال على ما لم ياتهم بالطلب والتعنت كالسؤال عن الساعة والامر بها المنكر من الشر وما يلزم عنه من مساوي الاخلاق والنهي عن المعروف الذي هو التوحيد وما يلزمه من محاسن الشرع وذلك هو الجهل وختم ذلك بالاخبار بانه سبحانه اصلح له الدين بالكتاب والدنيا بالحفظ له من كل ما ينتاب وكان حالهم بما كان موئسا من فلاحهم مغيرا على دعائهم الى صلاحهم كان الداعي لهم صلى الله عليه وسلم كانه قال فما اصنع لهم في امرهم فاجابه بالتحذير من مثل حالهم والامر بقصد نفعهم وفاتهم والابلاغ في الرفق لهم فقال **خذ العفو** اي ما اتاك من الله والناس بلا جهد ومشقة وهين وهذه المادة تدور على السهولة وتارة تكون من الكثرة وتارة من القلة نفعا المال اي كثر فصار سهل اخراجه وتيسر به لزيادته على الحاجة وعفى المنزل اي درس فسهل امره حتى صار لا يلتفت اليه ولما امره بذلك في نفسه امره به في غيره فقال **وامر بالعرف** اي كلما عرفه الشرع واجازه فانه من العفو سهولة وشرفا وقد تضمن ذلك النهي عن المنكر فاغتنى به لانه عن ذكره لان السياق للمساهلة فلما امره بالفعل في نفسه وغيره اتبعه الترك فقال **واعرض عن الجاهلين** اي فلا تكافئهم بجهلهم وسفههم ولا تمادهم فان ذلك اسهل من غيرهم وذلك بعد نصيحتهم بالدعاء وذلك لان محط حالهم اتباع الهوى فتدعوهم الى تكلف ضد هذه الخصال وفيه اشارة الى النهي عن ان يذهب نفسه عليهم حسرات مبالغة في الشفقة عليهم وعن جعفر الصادق انه ليس في القران اية اجمع لمكارم الاخلاق منها ولما كان الشيطان بعداوته لبني ادم يجتهد في التنفير من هذه المحاسن والترغيب في اضدادها وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نزع منه حظ الشيطان طرح تلك العلقة السوداء من قلبه اذ شق جبريل عليه السلام صدره وغسل قلبه وقال هذا حظ الشيطان منك شرع لامته ما يعصمهم منه عند نزغه مخاطبا له بذلك ليكون ادعى لهم الى القبول واحذر باشتداد الخوف المقتضي للفرار المتمم للنجاة لانهم اذا علموا قصد الشيطان لمن نزع منه حظه وعصم من كل محنة علموا انه لهم اشد قصدا واعظم كيدا وصدا فقال موكدا بانواع التاكيد اشارة الى شدة قصد الشيطان للفتنة وافراطه في ذلك للتبالغ في الحذر منه وان كان قصده بذلك في محل الانكار لعلمه بالعصمة ولذلك عبر باداة الشك اشارة الى ضعف كيده للنبي صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اعانه على قرينه فاسلم **واما** اي وان واكدت بما اثباتا للمعنى ونفيا لضده **ينزغنك** اي ينخسنك نخسا عظيما **من الشيطان نزغ** اي نخس بوسوسة من شانه ان يزعج فيستفز وطلب خلاف ما تقدم من المحاسن ونحو غضب من جهل الجاهل وسفه السفيه او ازاحة في بعض ما وجب كابقاء لدابة بما تنخس به فيفسد ونحو ذلك النخس بالحسنا اشارة الى شدته **فاستعذ** اي فاوجد واطلب العوذ وهو الاعتصام والاستصحاب **بالله** اي الذي له جميع العز والعظمة والقدرة والقهر لانقطاعك عن الاخوان والانصار اليه فلا ولي لك ولا ناصر الا هو فانه اذا اراد اعاذك ذكر من عزيز لغة وشديد نقمة ما يردعن الفساد رغبا ورهبا ناظرة الى قوله تعالى ولما لاقعدن لهم صراطك المستقيم ولما ابطل تعالى ان يكون لشركائهم سمع او علم صار لثبات ذلك له كافيا في اختصاصه به من غير حاجة الى الحصر المقتضي لنفيه من غيره لتقدمه صريحا بخلاف ما في فصلت فقال معللا **انه سميع** اي بالغ السمع فهو يسمع استعاذتك فيجيبك ان شاء **عليم** شامل العلم بما تريد ويريد منك عدوك فلا يعجزه شيء وختم بصفة العلم في الموضعين لان الوسوسة من باب ما يعلم وختمها في سورة المؤمن بالبصير لمناسبة من السمع والبصير لان المستعاذ منه امر الذين منه ما يبصر ولما كان لا يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم الا شيء خفيف جدا كما نبه عليه بالنزغ وهو لين محقق كما نبهت عليه اداة الشك وكان لا يستعيذ بالله الا المتقون فكان كانه قيل فعل ذلك اعتدادا ولينزعه لتكون من المتقين علله بقوله **ان الذين اتقوا** اي حصل لهم هذا الوصف وحقق اداه لهم باداة التحقيق بخلاف ما مضى عند افراد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فقال **اذا مسهم طيف** اي طواف على انه مصدر ويجوز ان يكون تخفيف طيف كميت وهو بمعنى قراءة طائف على انه فاعل كميت ومايت ويجوز ان يكون مصدرا ايضا وهو اشارة الى ان الشيطان دائر حولهم لا يفارقهم فتارة يؤثر فيهم طوافه ليكون قد مسهم شيئا هو اكبر من النزغ لكونه اطاف بهم من جميع الجوانب وتارة لا يؤثر **من الشيطان** اي البعيد من الرحمة المحترق باللعنة **تذكروا** اي كلفوا انفسهم ذكر الله بجميع ما ينفعهم في ذلك اقداما واحجاما ولما كانوا باسراع التذكر كانهم لم يمسهم شيء من امره اشار الى ذلك بالجملة الاسمية موكدا السرعة البصر باذا الفجائية **فاذا هم** اي بنور بصائرهم **مبصرون** اي ثابت ابصارهم فلا يتابعون الشيطان فان المنفي يشتهي فيتذكر ويبصر فيقصر وفي ذلك تنبيه على ان من تمادى مع الشيطان عمي لانه ظالم والظالم هو من يكون كانه يمشي في الظلام ولما وصف المتقين الذين هم العلماء ملوحا الى نفعهم ولينهم لهم وعرف من حالهم انهم اعداء الشيطان وعرف ان اضدادهم اولياؤه اتبعهم وصف الجاهلين وغيّ اوليائهم وانهماكهم في تغيير

فقال {وإخوانهم} اي وإخوان الجاهلين من شياطين الجن والانس {يمدونهم} اي يمدون الجاهلين من المد وهو الامهال والاطالة على قراءة
اهل المدينة بالضم من الامداد وقال الواحدي ان هذا اكثر ما ياتي فيما يحمل كامددناهم بفاكهة وهو من استعمال الشي في ضده نحو
فبشرهم بعذاب وكانه يشير الى ان الشيطان اكثر ما ياتي الانسان في صورة الناصح الشفيق والاوجه ان يكون الاخوان الجاهلين
لانهم في مقابلة الذين اتقوا ويكون الضمير للشيطان المراد به الجنس اي واخوان الشياطين وهم الجاهلون الذين لا يتقون يمدهم
اولياؤهم من الشياطين {في الغي} وهو ضد الرشاد واشار الى تزايد اعتنائهم بالاغواء ومثابرتهم على الاضلال بالاغواء اداة
التراخي فقال {ثم لا يقصرون} اي لا يتركون اغواءهم ولا لحظة لجهلهم وشرهم ولما تقرر ما شرعه من التعقب في عدم السطوع والتكلف وكان
قد اخبر ان من عمههم تكلفهم السؤال عن الساعة وان الشياطين لا يفترون عن اغوائهم اخبره عن مطلق تكلفهم تعجيبا منهم
واشهادا للتمادي كلهم مع اغواء شياطينهم وامره صلى الله عليه وسلم بما يجيبهم به فقال عاطفا على يمدونهم {وإذا لم تأتهم بآية}
اي على حسب اقتراحهم {قالوا لولا} اي هلا {اجتبيتها} والجبي الجمع والاجتباء الجمع تؤكد الاجتباء الجد في الجمع ويلزم منه الاصطفا
والاختيار فمعنى اجتبيتها اجتلبتها اي تكلفت من عند نفسك الاتيان بها مختارة ولما كان المقام داعيا الى السؤال في تعليم
الجواب سعف بذلك بقوله {قل} اي اذا قالوا ذلك {إنما أتبع} اي اتعهد واتكلف اتباع {ما يوحى إلي} اي ياتيني به الملك {من ربي} اي المحسن
بتعليمي ما ينفعني لا اني اتي بشي من عند نفسي ولا اقترح على ربي ولما حصر حاله في اتباع الوحي كان كانه قيل ما هذا الذي يوحى اليك
فقال وجوز ان يكون تعليلا للاتباع لانه كاف في اثبات نبوته مغن عن الايات المقترحة قاهر في وجوب اتباعه {هذا} مشيرا
الى ما يوحى اليه تنبيها على انه يجب ان يكون مستحضرا في سائر الاذهان حاضرا بين عيني كل انسان {بصائر} اي اشياء هي على حسب ما
تلتمسه مجتباة بل هي خيار الخيار يكون لها نور القلب فيبصر كالعيون ايضا بصرا يعرف به مما تحب الكتاب على نظره من الايات المرئيات
الى علوم لم يكن لها قبل ذلك وهي حجج بينة قاهرة على قبول كل ما جئت به وسماه بذلك لانه سبب لبصر العقول بدلائل التوحيد والنبوة
والمعاد وجميع الشرائع اصولا وفروعا فهو تسمية للسبب باسم المسبب واعلى مدحها بقوله {من ربكم} اي الذي لم يقطع احسانه عنكم
اصلا فهو جدير بان يبلغ ما اتى منه بكل جميل ولما كانت البصائر جمعا وكانت العادة جارية بان مفردات الجمع تكون متفاوتة
اكدها بما يشير الى انها خارقة للعادة في انها على حد سوا في اعلا طبقات الهداية فقال {وهدى} اي بيان ولما كان البيان قد لا يكون
على وجه الاكرام قال {ورحمة} اي اكرام ولما كان من لا ينتفع بالشي يصح ان ينفى عن الشي النافع النفع بالنسبة اليه قال {لقوم يؤمنون}
اي يوجدون هذه الحقيقة ويستمرون على تجديدها في كل وقت واما غيرهم فقد يكون عليهم عذابا ولما عظم الله شان القرآن فكان
التقدير فامنوا به تفلحوا اعطف عليه قوله {وإذا قرئ القرآن} اي وهو هذا الذي يوحى الي تنادبوا وتواضعوا لانه صفة
ربكم {فاستمعوا له} اي القوا اليه اسماعكم مجتهدين في عدم شاغل يشغلكم عن السمع ولما كان بعض الفهم يسمع وهو يتكلم اشار الى ان
هذا الكتاب اعلى قدرا من ان ينال ممن يشتغل عنه بادنى شغل فقال {وأنصتوا} اي للتامل والتدبر لتنجلي قلوبكم فتعلموا حقيقته
فتعملوا بما فيه ولا يكون في صدوركم حرج منه ولما كان ظاهر الاية وجوب الانصات لكل قارئ على كل احد رغب فيه تعظيما لشانه فقال
{لعلكم ترحمون} اي ليكون نوالكم رجاء ان يكرمكم ويفعل بكم كلما يفعله الراحم مع المرحوم ولما تقدم الامر بالذكر مع عند نزغ
ومر الى ان امر بالاستماع لاعظم الذكر وكان التالي ربما بالغ في الجهر ليكثر سامعه وربما اسر لئلا يوجب على غيره الاصغا علمهم ادب
القراءة واطلق ذلك في كل حال لانه ربما فهم فاهم الاقتصار على الذكر في حالة النزغ ورد الخطاب منهم الى امامهم ليكون ادعى
لقبولهم مع الاشارة الى انه لا يكاد يقوم بهذا الامر حق قيامه غيره صلى الله عليه وسلم فقال {واذكر} اي بكل ذكر من القران وغيره {ربك}
اي الذي بلغ الغاية في الاحسان اليك {في نفسك} اي ذكرا يكون راسخا فيك سرا وحالا لتتعهد معانيه وتخلقك بما فيه وليكن سرا
لان ذلك اقرب الى الاخلاص واعون على التفكر وكونه مرادا على اشرف الاحوال وهو المناجاة مع تحقق القرب واذا كان كذلك ثم قوله
{تضرعا} اي حال كونك ذا تضرع بالظاهر {وخيفة} اي لتدعو الخائف الى تذلل قلبك ليجمع بين تضرع السر والعلن وهذا ليكمل ذل العبودية
لعز الربوبية ولما امر بالسر قال مقابلا له {ودون الجهر} اي لانه ادخل في الاخلاص لانه من المعلوم انه فوق السر والام بعد الجملة ثانيا
ولما كان الجهر قد يكون في الانسان اكده بقوله {من القول} اي فان ذلك يشعر بالتذلل والخضوع من غير صياح كما يناجي الملوك ويستجلب
منهم الرغائب وكما قال صلى الله عليه وسلم للصحابة وقد جهروا بالدعا فوق المقدار انكم لا تدعون اصم ولا غائبا فان المقصود
حصول الذكر اللساني ليعين الذكر القلبي والمقصود حاصل باسماع النفس فانه يتاثر الخيال فيتقوى الذكر القلبي ولا يزال الانوار
تتزايد فينعكس تراجع بعضها الى البعض حتى يزداد الترقي من ظلمات عالم الاجسام الى انوار مدبر النور والظلام ولما امر بالذكر
مكتفيا له بكيفيته اللائقة بدا امره صلى الله عليه وسلم بالمداومة عليه ذاكرا احسن الاوقات له واحقها به لكونها مظنة
الشغل ادل على اشارة لمزيد الجد والتعظيم فقال {بالغدو} اي اوقات البكر ولعله افرده على جعله مصدرا لانه ما ثم
الا صلاة الصبح وجمع ما بعده للعصر من والمغرب فقال {والآصال} اي اوقات العشي وقيل الغد وجمع غدوة فيزداد مع الصبح
الذكر الضحى والاخر كل نهار متصل باول ليلة اليوم الثاني فيسمى اخر اليوم اصيلة لانه متصل بما هو اصل اليوم الثاني وخص
هذين الوقتين وان كان المراد الدوام بتسمية كل من اليوم والليلة باسم جزئه ليذكر بالغدو والانتشار من الموت وبالاصل
السكوت بالموت والرجوع الى حال العدم مستحضرا بذلك جلال الله فيكون ذلك حاديا على تعظيمه حق تعظيمه ولما كان ربما اوهم هذا

هذا الخصوص بهذين الوقتين وان كان ظاهرا في الدوام قال سبحانه {ولا تكن من الغافلين} اي في وقت غيرهما بل كن ذاكره في كل وقت على كل
حال ثم علل الامر بالمراقبة الدالة على اعظم الخضوع بانها وظيفة المقربين فقال {إن الذين} وزاد ترغيبا في ذلك بقوله {عند ربك}
اي المحسن اليك بتقريبك من جنابه وجعلك اكرم احبابه وهم الملائكة الكرام اولوا العصمة والقرب دنو مكانة لا مكانا {لا يستكبرون}
اي لا يوجدون ولا يطلبون الكبر {عن عبادته} اي الخضوع له والتلبس بانحاء التذلل مع مزيد قربهم وغاية طهارتهم وحبهم {ويسبحونه} اي
ينزهونه عن كل ما لا يليق مع خلوهم عن دواعي الشهوات والحظوظ ولما كان هذا يرجع الى العادة وقدمه دلالة على ان الاصل في العبادة
اعمال القلوب اردفه بقوله {وله} اي وحده {يسجدون} اي يخضعون باتيانهم له بكل الكمال وبالمباشرة لمحاسن الاعمال وقد تضمنت الاية
الاخبار عن الملائكة الابرار بثلاثة اخبار عدم الاستكبار الذي هو اصل انواع العبادة اذ هو الحامل على الطاعة كما ان ضده حامل
على المعصية والتسبيح الذي هو التنزيه عن كل ما لا يليق وتخصيصه بالسجود ولما كانت العبادة ناشئة عن انتفاء الاستكبار وكانت
على قسمين قلبية وجسمانية اشار الى القلبية بالتنزيه والى الجسمانية بالسجود وهو الحال الذي يكون العبد به عند ربه كالملائكة قربا
وذلك اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد نبه عليه ابو حيان على ان العبادة يكون مرجعها القلب احدهما مدلول عليها بالقول والاخرى
بالفعل وقد رجع اخر السورة في الامر باتباع القران الى احسن رجوع ولوصف المقربين بعدم الاستكبار والمواظبة على وظائف الخضوع
الى وصف ابليس بعصيان امره في السجود لادم عليه السلام على طريق الاستكبار اي التفات بل شرع في رد المقطع على المطلع حين ختم
قصص الانبيا بقوله ولقد ذرانا هو قوله والذي خبث لا يخرج الا نكدا انصف لذلك اذا راجعت ما قدمته في المراد منه ولله الاسماء
الحسنى فادعوه بها هو ادعوا ربكم تضرعا وخفية وممن خلقنا امة هو والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها
اولئك اصحاب الجنة والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها وان يكون قد اقترب اجلهم هو اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ويسالونك
عن الساعة هو كما بداكم تعودون ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وهو الذي خلقكم من نفس واحدة هو ولقد خلقناكم ثم صورناكم
وانما اتبع ما يوحى الي من ربي الى اخرها بعد التنفير من الانداد هو كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه الى قوله ولا تتبعوا من دونه
اولياء قليلا ما تذكرون ⁕ فسبحان من هذا كلامه ⁕ وتعالى جنابه وعز مرامه ⁕ وعلى من انزل عليه صلاته وسلامه ⁕ وتحيته واكرامه ⁕

⁕ سورة الانفال وتسمى الجهاد ⁕

{بسم الله} الذي له جميع الحول والقوة والطول {الرحمن} الذي احاطت دائرة العقل لشموس دلالته من كل منقول {الرحيم} الذي من على من
شاء من الاتباع بحسن الاتباع مقصود هذه السورة تبرء العباد من الحول والقوة وحثهم على التسليم لامر الله واعتقاد ان الامور
ليست الا بيده وان الانسان لا يسلم ليتم له ذلك الاعتصام بامر الله المثمر لاجتماع الكلمة المثمر لنصر الدين واذلال المفسدين المثمر
لكل خير والجامع لذلك كله انه لما ثبت في السور الماضية وجوب اتباع امر الله والاجتماع عليه لما ثبت من تفرده واقتداره كان منطوق
هذه الجاب اتباع الداعي الى ما نعته الايقان والتسليم والرضى والتبري من كل حول وقوة الا من الله بذلك ولو شا سلبه وادل ما فيه
على هذا قصة الانفال التي اختلفوا في امرها وتنازعوا قسمها فنزعها الله منهم وكف عنهم حظوظ الانفس والزمهم الاخبات والتواضع
واعطاها نبيه صلى الله عليه وسلم لانه الذي هزمهم بما رمى من الحصيات التي خرق الله فيها العادة بان بثها في اعين جميعهم وبما ارسل من
جنوده فكان الامر له وحده يخص من يشاء ثم لما صار له صلى الله عليه وسلم رده فيهم منة منه عليهم واحسانا اليهم واسمها الجهاد
لذلك لان الكفار ارادوا اضعاف المسلمين وما جاهدوهم اي اهل الاسلام فخذلهم الا الرضى منهم وبحبه مصابرة الضعف فلو كان النظر
الى غير قوته سبحانه ما احيق ذلك وبهذه المقاصد سبب قراءتها في الجهاد لتنشط المؤمنين للجلاد وان كثرت من الاعادي الجموع
والاعداد وتوالت اليهم من الامداد من سائر العباد كما ذكره الحافظ ابو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي المغربي
في فتوح البلاد من كتابه الاكتفا في سيرة المصطفى واصحابه الثلاثة الخلفا وكذا شيخه الخطيب ابو القاسم عبد الرحمن بن
محمد بن حبيش في كتابه الذي جمعه في الفتوح قالا في وقعة اليرموك من فتوح الشام عن حديث سيف بن عمر وهذا لفظ ابن سالم
قال وكان القارئ يومئذ المقداد قالوا ومن السنة التي سن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر ان يقرأ سورة الجهاد
عند اللقاء وهي سورة الانفال ولم يزل الناس بعد على ذلك وقالا في قصة القادسية من فتوح فارس واللفظ لابن فارس ايضا
قالوا فلما صلى سعد يعني ابن ابي وقاص رضي الله عنه الظهر امر غلاما كان عمر رضي الله عنه الزمه اياه وكان من القراء بقراءة سورة
الجهاد وكان المسلمون كلهم اذ ذاك يتعلمونها فقراها على الكتيبة التي تليه وقريت في كل كتيبة فهشت قلوب الناس وعرفوا السكينة
مع قراءتها قال مصعب بن سعد وكانت قراءتها سنة يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الزحوف ويستقرئها فعمل الناس بذلك
انتهى ومناسبتها للاعراف انه لما ذكر تعالى كما تقدم قصص الانبيا عليهم السلام مع اممهم في تلك ناسب ان يذكر قصة هذا النبي
الكريم صلى الله عليه وسلم مع قومه وتقدم انه لما اطنب سبحانه في قصة موسى عليه السلام كان ذلك ربما اوهم تفضيله على
الجميع فاقتضت المخاطبة بهذا القران في سورتين كاملتين الانفال اول امره وانتاييد براءة في ختام امره واتهاييه ونزوله بين
القصتين وذلك ان قوم موسى عليه السلام كانوا في سوء العذاب وكانوا يعلمون عن اسلافهم ان الله سيذكرهم وينجيهم من ايدي
القبط فلما اتاهم موسى عليه السلام وبين لهم الايات التي امره الله بها لم يشكوا في انه الموعود به من رحمة الله لهم واستبشروا بعاجل
مع ما فيه من النفع الاجل فاطبقوا على اتباعه وكانوا الكثير سماية الفقها ومع ذلك فقد كانوا يحتاجون عليه في كل قليل

ولا يجرون قلوبًا ايواجهون بها الشيطان الا باعن امتثالهم امرهم واما محمد صلى الله عليه وسلم فاتى قومه ولا حسن عندهم من نبوته
ولا علم لهم بها ولم يكونوا اتخذوا احدًا بل كانوا املوا ان لرب يعبدهم الله جا يسلبهم عزهم ويصيرهم له تبعًا فخالفوا اشد المخالفة ولم
يدعوا اكيد الحتى باشروه في جهده رده عما جاله ومع ذلك فنصره الله عليهم ولم يزل يويده حتى دخل الناس فيه وغيرهم في دين الله افواجًا
واظهر دينه على الدين كله كما وعده سبحانه ثم ايد امره من بعده ولم يزل اتباعه ظاهرين ولا يزالون الى يوم الدين فيين لقصتين وقال
لاولي البصائر والايقان واما مناسبتها اولها لاخر تلك فقد تبين ان اخر الاعراف اخر قصة موسى عليه السلام المختتمة بقصة بلعام
وانما بعد ذلك انما هو تتمات لما هو تقدم لا بد منه وتتمات للتتمات حتى كان اخر ذلك المدح من اهلهم لعند بيته سبحانه بالادعان وتمام
الخضوع فلما اصغوا الى تلك الحزمة العالية اقتضى ذلك سوالا عن حال الذين عند الخاطب صلى الله عليه وسلم فاجيب بقوله تعالى يسالونك
اي الذين عند ربك هم الذين هزموا الكفار في الحقيقة كما علمتم ذلك وسياتي بيانه فهم المستحقون للانفال وليس همهم اليها التفات
وانما همهم العبادة والذين عندك انما جعلناهم آلة ظاهرة ومع ذلك هم يسالونك عن الانفال التي نوالكم اياها بايدي جنود كذ
سوال المنازعة بنفي الاستعاذة باسمها كما نبه عليه اخر الاعراف لان ذلك يفضي الى افتراق الكلمة والضعف عن مقاومة الاعداء
وهو جمع نفل بالتحريك وهو ما يعطاه الغازي زيادة على سهمه والمراد بها هنا الغنيمة وهي المال المأخوذ من اهل الحرب قهرًا سميت
بها لانها اصلها في اللغة الزيادة وقد فضل المسلمون بها على سائر الامم ولما كان السوال عن حكمها كان كانه قيل فماذا يقال
فقال دالا على انهم سألوا عن مصرفها وحكمها ليطابق الجواب السوال قل اي لهم في جواب سوالهم الانفال لله اي الذي له الغنم الذي من
عنده لما له من صفات الكمال والرسول اي الذي كان جازمًا بامر الله مسلمًا لقضائه ماضيًا فيما ارسله به غير متخوف من مخالطة الردى
بمواقعة العدى قال ابو حيان ولا خلاف ان الاية نزلت في يوم بدر وغنائمه وقال ابن زيد لا نسخ انما اخبر ان الغنائم لله من حيث
انها ملكه ورزقه وللرسول عليه السلام من حيث هو مبين لحكم الله والصادع فيها بامره ليقع التسليم من الناس وحكم الغنيمة نازل
خلال ذلك انتهى ولما اخبر سبحانه انه لا شيء لهم فيها الا عن امر الله ورسوله وكان ذلك متوقفًا موجبًا لتوقفهم الى بر وزامره سبحانه
على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وكانت التقوى موجبة للوقوف خوفًا حتى ياتي الدليل الذي يحسن على المشي وراه سكت عن ذلك
قوله فاتقوا الله كانوا اخوفًا عظيمًا في جميع احوالكم من الذي له عظمة لغيره ولا امر لسواه فلا تطلبوا شيئًا بغير امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا تخاصموا فان الله تعالى الذي رحمكم بارسال رسول لنجاتكم وانزل الكتاب لعصمتكم غير مهمل ما يصلحكم فهو
يعطيكم ما سبق في علمه الحكيم بانه لكم ويمنعكم ما ليس لكم واصلحوا ذات بينكم اي الحال التي هي صاحبة افتراقكم واجتماعكم
فان اغلب امورها البين الذي هو القطيعة وقد اشتمل الفساد بطلب كل فريق الاثرة على صاحبه فاقبلوا على رعايتها بالتسليم
لامر الله ورسوله الامرين بالاعراض عن الدنيا ليقسمها بينكم على سوا القوي والضعيف سواء انكم انما ترزقون وتنصرون بضعفائكم
لتجتمع كلمتكم فيشتد امركم ويقوى ازركم فتقعدوا على اقامة الدين وقمع المفسدين واطيعوا الله اي الذي له جميع العظمة ورسوله
اي الذي عظمته من عظمته في كل ما يامر به من تنفيل من يراه وانفاذ شرط لمن شرط وابقاء عهد لمن عاهده ولما امر ونهى وهيج والهب
فقال مبينًا كون الايمان مستلزمًا للطاعة ان كنتم مومنين اي صادقين في دعوى الايمان فليس كل من يدعي شيئًا يكون صادقًا في دعواه
حتى يحصل البيان بالامتحان ولذلك وصل به قوله موكدًا غاية التاكيد لان التخلص من الاعراض الدنيوية عسر انما المومنون اي الراسخون
في وصف الايمان الذين اذا اي يعمون الدليل على دعوى الايمان بصدق اقوالهم لا توالهم فيكونون اذا ذكر الله اي الجامع لصفات
الكمال من الجلال والجمال مجرد ذكر في نحو قوله الا قال الله وجلت اي خافت خوفًا عظيمًا تتخلل صميم عظامهم ويجول في سائر معانيهم
واجسامهم قلوبهم اي بمجرد ذكره استعظامًا لله واذا تليت اي من تال ما كان عليهم اياته اي كما ياتي في
اقامة الادلة على ذلك الحكم الذي ورد ذكره بعد زادتهم ايمانًا اي بايمانهم فيه لما وبما حصل لهم من نور العلم وطمانينة اليقين بسببها
فانها هي الدالة على الله بما يتبين من عظم افعاله ونعوت جلاله وجماله وبظاهر الادلة اقوى لذلك عليه وكما اقدره الله تعالى انما يعرف
بواسطة اثار حكمته في مخلوقاته وذلك بحر لا ساحل له ولما كانت المراتب لا نهاية كانت مراتب التجلي والمعرفة لا نهاية لها بحدود
فالزيادة في اشخاص التصديق وعلى اي والحال انهم على ربهم اي الدائم الاحسان اليهم وحده يتوكلون اي يجددون اسناد امورهم اليه
بها وسوس اليهم الشيطان ما لفقر وغيره ليكفيهم من حيث لا يحتسبون فان خزائنه واسعة ويده سحا الليل والنهار كما انهم
لما توكلوا عليه في القتال نصرهم وقد كانوا في غاية الخوف من الخذلان وكان حالهم جديرًا بذلك لقلتهم وخوفهم وقلتهم وضعفهم ولما
وصفهم بالايمان الحامل على الطاعة والتوكل الجامع للهم الدافع للمانع منها قال منتقلًا من عمل الباطن الى عمل الظاهر مبينًا
ان نتيجتهم انما هي العبادة والمكارم الذين يقيمون الصلوة اي لا يفترون عن تجديدها ولما كانت صلة بين الخلق والخالق
اتبعها الوصلة بين الخلائق فقال ومما رزقناهم اي على عظمتنا وهو لنا دونهم ينفقون ولو كانوا مقلين اعتمادًا على ما عندنا
فالانفاق واهانة الدنيا سيماتهم لا الحرص عليها فيكونون كالذين عند ربك في التحلي بالعبادة والتخلي من الدنيا اعراضًا وزيادة
وهو تذكير بوصف المتقين المذكور اول الكتاب بقوله الذين يومنون بالكتاب بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون
ولما حققوا ايمانهم باعمال القلوب والجوارح فاستوفوا لذلك جميع شعب الدين عظم سبحانه شانهم بقوله اولئك اي العالو الهمم
هم اي خاصة المومنون واكد مضمون الجملة بقوله حقا ولما كانت صفاتهم الحسنى المذكورة المشتملة على الاخلاق والاعمال لها تاثيرات

تاثيرات في تصفية القلوب وتنويرها بالمعارف الالاهية وكلما كان المؤثر اقوى كانت التاثيرات اعلا فلما كانت لهم درجات كان جزاؤها
لذلك فلهذا قال تعالى في جواب من كانه قال فما جزاؤهم على ذلك لهم درجات ولما كثرها بجمع السلامة بما دل عليه سياق الامتنان عظمها
بقوله عند ربهم اي بتسليمهم لامره ولما كان قد راه عظيمًا وكان الانسان عن بلوغ ما يجب عليه من ذلك ضعيفًا حقيرًا وكان ما دنى شيء من اعمال
يستنفرم الاعجاب اشار سبحانه الى انه لا يسعه الا العفو ولو بذل فوق الجهد فقال ومغفرة لذنوبهم ان رجعوا عن المنازعة في الانفال
وغيرها ورزق كريم اي لا ضيق ولا كدر بوجه ما من منازعة ولا غيرها تعويضًا لهم عن هذه الانفال ومما ابدلهم من الاموال من غنائم
فارس والروم وغيرها لاهذا في الدنيا واما في الاخرة فما لا يحيطه الوصف قال ابو حيان لما تقدمت ثلاث صفات قلبية وهي الوجل
وزيادة الايمان والتوكل وبدنية ومالية ترتب عليها ثلاثة اشيا فقوبلت الاعمال القلبية بالدرجات والبدنية الغفران وقوبلت المالية
بالرزق الكريم وهذا النوع من المقابلة من بديع علم البديع انتهى ولما كان الايمان عند الشافعي رحمه الله الايمان والاقرار والعمل جوز
ان يقول مومن ان شاء الله لان استيفاء الايمان مشكوك فيه وان كان الاعتقاد والاقرار يقينًا وعند ابي حنيفة رحمه الله الايمان الاعتقاد
والاقرار فقط فلم يجز الاستثناء فالخلاف لفظي هذا اذا كان الاستثناء للشك وان كان لغيره كان لكسر النفس عن التمدح والشهادة بالجنة
التي هي للمومن وللحكم على حال الموت على ان هذه الكلمة لا تنافي الجزم فهي لمجرد التبرك لقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين
ذكر ذلك الامام فخر الدين ولما كان ترك الدنيا شديدًا على النفس وترك النزاع بعد الانتساب فيه اشد نوع مذكرهم ما كانوا له كارهين ففعله
بهم وامرهم به لعلمه بما لعواقبه محمود اثره ليكون ادعى لتسليمهم لامره وازدجارهم بزجره تشبيهًا حال كراهتهم لخروجهم معه
ثم بحال كراهتهم للقاء الجيش دون العير ثم الهم ذا واحسن العاقبة في كلا الامرين فقال كما اي حالهم في كراهة تسليمهم الانفال
مع كون التسليم هو الحق والاولى لهم كما كانت حالهم اذا اخرجك ربك اي المحسن اليك بالارشاد الى جميع مقاصد الخير من بيتك بالحق
اي الامر المنفصل الفارق بين الثابت والمزلزل وان اي والحال ان فريقا عبر به لان اراهم كانت تؤول الى الفرقة من المومنين
اي الراسخين في الايمان لكارهون ثم ذكر دليل كراهتهم فقال يجادلونك اي يكررون ذلك ارادة ان يفتلوك عن القتال للجيش
الى الرجوع عنه ولما كان لقاء الجيش انما قد حبه الله فلا بد منه وقوعه مع انه مرضيه قال في الحق اي الذي هو ارشاد الجهاد بعد ما تبين
اي وضح وضوحًا عظيمًا من غير كلفة نظر بقرائن الاحوال بفوات العير وتيسر امر النفير وباعلام الرسول صلى الله عليه وسلم
تارة تصريحًا وتارة تلويحًا بقوله والله لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وذا مصرع فلان ولما كان سبحانه قد
حكم باللقاء والنصرة تاييدًا لدينه واعلاء لكلمته مع شدة كراهتهم لذلك شبه سوقه لهم الى مراده فقال بانيًا للمفعول لان المكروه
اليهم السوق لا كونه من معين كانما يساقون اي يسوقهم سائق لا قدرة لهم على ممانعته الى الموت وهم ينظرون لانها كانت اول
غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيها لقاء وكانوا غير متاهبين للقتال الى غاية التاهب انما خرجوا للقاء العير هذا
مع انهم عدد يسير وعدد اهل النفير كثير وكانوا في غاية المهابة للقاء لهم والرعب من قتالهم وكل هذا تذكير لهم بانه لحمد
بينهم الا الله بلا صنع منهم لانهم كانوا في بدء قدرته كالات في يد احدهم ليتنبهوا لذلك انه ليس لهم ان ينازعوا في الانفال
ولما لانوا لهذا الخطاب واقبلوا على المراد اقبل عليهم فقال واذ اي اذكروا هذا الذي ذكر الله لكم وقد كان حالكم
فيه ما ذكره ثم افضى الى سعادة عظيمة وعز لا يشبهه عز واذكروا اذ يعدكم الله اي الجامع لصفات الكمال احدى الطايفتين
العير او النفير وابدل من الاحدى ليكون الوعد بها مكررًا قوله انها لكم اي فتكرهوا لقاء ذات الشوكة وتودون اي والحال انكم تحبون
محبة عظيمة ان ذات الشوكة اي السلاح والقتال والكفاح الذي به تعرف الابطال ويميز بين الرجال من ذوات الجمال
تكون لكم اي العير لكونها لم يكن فيها ناس قليل بقتال لانهم اربعون رجلا جهلا منكم بالعواقب ثم تبين لكم ان ما فعله الله خير
لكم بما لا يبلغ كنهه فسلموا له الامر في السر والجهر تنالوا الغنى والنصر وقال الامام ابو جعفر بن الزبير العاصمي في مناسبة تعقيب
الاعراف بهذه السورة ومناسبة اخرها لاولها ولكن ما نصه لما قص سبحانه على نبيه عليه السلام في سورة الاعراف اخبار الامم
وقطع المومنين المومنون من مجموع ذلك بانه لا يكون الهدى الا بسابقة السعادة لا نتاج السورة من ذكر الاشقيا بقصة بقصة
ابليس وختمها بقصة بلعام وكلاهما كفر على علم ولم ينفعه ما قد كان حصل عليه وبتدبر تعالى عباده على الباب الذي اتى منه على
بلعام بقوله سبحانه ولكنه اخلد الى الارض فاتبع هواه فاشار سبحانه الى ان اتباع الاهوا اصل كل ضلالة بنهوا على ما فيه الحزم
من ترك الاهوا جملة فقال تعالى يسالونك عن الانفال الاية فكان قد قيل لهم اتركوا ما ترون انه حق واجب لكم وفوضوا
في امره لله والرسول فذلك اسلم لكم والحزم في ردع اغراضكم وقمع شهواتكم وترك اهوائكم وقد الف في هذه الشريعة السمحة
البيضا حسم الذرائع كثيرًا واقامة مظنة الشي مقامه لتحريم الجرعة من الخمر والقطرة والخطبة في العدة واعتداد النوم
الثقيل ناقضًا فهذه مظان لم يقع الحكم فيها على ما هو لا نفسها ولا انما هي كذا بل بما هي مظان ودواع لما منع من عينه او استوجب
حكمًا لعينه وعلة للخاصة به ولما امر المسلمون بجعل ايديهم عن الانفال يوم بدر اذ كان المقاتلة قد هموا باخذها وصدقوا انفسهم
بالانفراد بها وراوا انها من حقهم وان من لم يباشر قتالًا انما الشيوخ ومن انحاز فيهم فلا حق له فيها وراى الاخرون ان حقهم
فيها ثابت لانهم كانوا فيه للمقاتلين وعدة وملجاوردا ظهورهم كان ما امرهم الله به من تسليم الحكم في ذلك الى الله ورسوله
من باب حسم الذرائع لان لمشاجراتهم في ذلك وان تعلق كل من الفريقين بحجة مظنة لرياسة النفوس واستسهال اتباع الاهوا

فامرهم الله بالتنزه عن ذلك والتفويض لله ورسوله فان ذلك اسلم لهم واوفى لدينهم وابقى في اصلاح ذات البين واحرى في الاتباع ٥
فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم الاية ثم ذكر وانما ينبغي لهم ان يلتزموا فقال تعالى انما المؤمنون الى قوله زادتهم ايمانا ثم نبههم على
ان اعراض الدنيا من نفل وغيره لا ينبغي للمؤمن ان يعتمد عليه اعتمادا يدخل عليه ضررا من الشهادة والتفات الى غير الله سبحانه بقوله
وعلى ربهم يتوكلون ثم ذكر وانما وصف به المتقين من الصلاة والانفاق ثم قال اولئك هم المؤمنون حقا تنبيها على ان من فقد شيء من
هذه الاحوال ولم ياتها على كمالها لم يخرج عن الايمان ولكن ينزل عن درجة الكمال بحسب تقصيره وكان في هذا اشعار بتقدم لهم في
كلامهم في الانفال واتهم قد كانوا في سبيلهم على حالة من الصواب وشهيد من التمسك والاتباع لهم اعلى الدرجات ما بين لهم ومنحو ٥
وانه الكمال والفوز ثم نبههم سبحانه بكيفية اتى هم في الخروج الى عدوهم ودعاهم الى ذات الشوكة يكون لهم وهو سبحانه يريد لهم حسن العاقبة
فيما اختاره لهم فقد كانوا تمنوا لقاء العير واختار واذلك على لقاء العدو ولم يعلموا ما ورا ذلك ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع
دابر الكافرين الى ما قصد تعالى عليهم من اكتنافهم برحمته وشمول الطمانينة والامنة وبسط نفوسهم وبنهم على ما ثبتت به عقبهم ويزيد في ايمانهم
ثم اعلم ان الخير كله في التقوى فقال يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا الاية وهذا الفرقان هو الذي حرمه ابليس وبلعام
فكان منهما ما تقدم من اتباع الاهوا القاطعة لهم عن الرحمة وقد تضمنت الاية حصول خيري الدنيا والاخرة بنعمة الاتقا ثم اجمل الخيرين
معا في قوله والله ذو الفضل العظيم بعد تفصيل ما ابدأ اسبغ المؤمنين من الفرقان والتكفير والغفران ولم يقع التصريح بخير الدنيا الخاص
لهم مع اقتضا الاية اياه تنزيها للمؤمن في مقام اعطا الفرقان وتكفير السيئات والغفران عن ذكر متاع الدنيا التي هي لهو ولعب فلم يجر ذكر متاعها ٥
الفاني لتذكر متصلا مع ما لا يجانسه ولا يشاكله وان الدار الاخرة لهي الحيوان ثم التحق الاي وجرى اخره وهو انه سبحانه لما قال واذا قرئ القران فاستمعوا
له وبين لهم كيفية الاستماع وما الذي يتصف به المؤمن من ذلك بقوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله الاية فقولا لم يسمعوا اياه اذ ليكم فقط ولا كانت
لهم اذان لا يسمعون لها ولا قلوب لا يفقهون بها ولو كانوا كذا لما وجلت وعمهم الفزع والخشية وزادتهم الايات ايمانا فاذا انما يكون سماع المؤمن
هكذا ولا يكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ولما كان هولا انما اتى عليهم من اتباع اهوائهم والوقوف مع اغراضهم وشهواتهم باخزون
عرض هذا الادنى وكذا اخلد الى الارض واتبع هواه وهذه بعينها كانت اخذ ابليس راى لنفسه المزية واعتقد لها الحق ثم ابيع هذا الهوى
حين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون فلما كان اتباع الهوا اصلا في الضلال وسببا لغط المستقيم امر المؤمنون بحسم باب
الاهوا والتسليم فيما لهم به تعلق وان لم يكن هوى يجر الكتة سلطنة بتيسير اتباع الهوى فافتتحت السورة بسؤالهم عن الانفال واخبروا انها لله
ورسوله يحكم فيها ما يشا فاتقوا الله واحذروا الاهوا التي اهلكت من قص عليكم ذكره واصلحوا ذات بينكم برفع التنازع واطيعوا الله ورسوله ولا
والا لم تكونوا سامعين ويدام ثم السماع الذي عنده ترجى الرحمة وبيانه في قوله انما المؤمنون الايات ووجه اخر وهو ان قصص بني اسرائيل عقيب ثواب
المؤمنين وخصوصا بالتقوى على حسب ما يكون الغالب فيما ذكر من اي بني اسرائيل في البقرة ابتع قصصهم بقوله يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
وقولوا انظرنا ولما كان قصصهم مفتتحا بذكر تفضيلهم يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين فختم
هذه الاية بما يشير بتفضيلهم وتامل ما بين بني اسرائيل وما بقيا الذين امنوا واولئك بالايمان وامنوا بما انزلت واسرهم لا يستبدحتى
قيل وقولوا انظرنا واسمعوا ثم اعقبت لمعرفة بال عمران وانتقت بيان المحكم والمتشابه الذي من جهته اتى على بني اسرائيل في كثير من
من كتابهم ولما ضمنت سورة ال عمران من ذكرهم ما ورد فيها اعقب بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب
يردوكم بعد ايمانكم كافرين ثم اعقبت السورة بقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وعدل عن الخطاب
باسم الايمان للمناسبة وذلك ان اهم سورة ال عمران حضت من مرتكبات بني اسرائيل الجرائم كقولهم في الكفار هولاء اهدى من
الذين امنوا سبيلا هذا بعد قولهم ان الله فقير ونحن اغنيا الى ما يجلل هاتين من الايات المنبية عن تعمدهم الجرائم فعدل
عن يا ايها الذين امنوا الى يا ايها الناس ليكون اوقع في الترتيب واوضح مناسبة لما ذكر ولما ضمنت سورة النسا قوله تعالى فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واكلهم اموال الناس بالباطل اعقبت بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود ثم ذكر لهم
ما احل لهم وحرم عليهم ليحذروا مما وقع فيه اولئك فعلى هذا ما انضمنت سورة الاعراف من قصصهم جملة وبين فيه اعتداهم
وبني على اتباع الاهوا والهجوم على الاغراض طلب هولا باتقاد ذلك والبعد عما يشبهه جملة فتسل في اخر السورة ان الذين اتقوا
اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ثم افتتحت السورة الاخرى بصرفهم عما لهم به تعلق والبد لست بقيم عدهم شرعا فيما كان منهم
فكان قد قيل لهم تنزهوا هذا اسلم وابعد عن اتباع الاهوا فسلموا في ذلك الحكم لله ورسوله واتقوا الله ثم تناسخ السياق والتحمت الاي
وقد بين وجه اتصال الانفال بالاعراف من وجوه والحمد لله انتهى ولما اخبر تعالى بما هو الحق من ان ارادتهم بل ودادتهم انما كانت
مشتبهة متغشية الى الدنية الى النفوس تبين انه لا صنع لهم فيما وقع اذ لو كان لكان على ما ارادوا فلا احظ لهم في الغنيمة الا ما يسهم
الله لهم لان الحكم لما دة لا لمراد غيره فقال تعالى عاطفا على وتودون ويريد الله اي بما له من العز والعظمة والعلم اي يثبت في عالم الشهادة
الثابت عنده في عالم الغيب وهو هنا اصابة ذات الشوكة بكلماته اي القرآن وما فيها الى نبيه صلى الله عليه وسلم انهم يهزمون ويقتلون
ويوسرون وان هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان ليعلي دينه ويظهر امره على كل امر ويقطع دابر اي اخر الكافرين اي كما يقطع اولهم
اي ليستاصلهم حتى لا يبقى منهم احد لينا قوا اهل العبد من بمقطع ابرهم من هزمهم بدبر امرهم على ما يريد فلذلك اختار لكم ذات الحد
والشوكة ليكون ما وعدكم به من اعلا الدين وقمع المفسدين بقطع دابرهم ليحق الحق الذي هو دينه القيم ويبعدوذ الدارين ويبطل الباطل

ويبطل الباطل وهو كل ما خالفه ولو كره اي ذلك المجرمون اي الذين يقطعون ما امر الله به ان يوصل ويكسر شوكتهم بجمعكم
ونفي كثرتهم بقلتكم ومحي غيرهم بذلك لتظهر علوكم امره ويخضع الاعناق لذكره اذ ظرف ليحق الحق تستغيثون ربكم اي تطلبون اغاثته
المحسن اليكم وهو بدل من اذ يعدكم تهوين البيان لكراهتهم لقاء ذات الشوكة لشدة جزعهم الموجب لهم الاستغاثة مع اسفار العاقبة
ان الخير فيما كرهوه وانه احق الحق واظهر الدين واوهن امر المشركين ولما اسرع سبحانه الاجابة دل على ذلك بقوله فاستجاب اي فاوجد الاجابة
الجادين هو طالب لها شديد الرغبة فيها لكم بشارة ما يريدون تثبيتا لقلوبكم اني اي باني ممدكم اي بوجد المدد لكم اي ما امدادكم
ولعله حول العبارة لما في النصح بضميره من العظمة والبركة بالف من الملائكة حال كونهم مردفين اي متبعين بامثالهم ولما كانت نصرة
المسلمين في هذه الغزوة ظاهرة جدا قال وما جعله الله اي الامداد والوعد به على ما له سبحانه من العظمة التي من دانها الا بشرى
اي لتستبشر به نفوسكم ولم يحتج الى تقييده بان يقال لكم اما في قصة احد فقد كان المقتول منهم اكثر من المقتول من الكفار فلولا قوله
لكم لربما طرق بعض الاوهام حين سماع اول الكلام ان الامداد بشرى للكفار ولما كان الذي وقع الحكم به الطمانينة لذلك كان اصل الكلام
الا بشرى هو وطمانينة هو فلذلك وجب تقديم ضميره في قوله به على القلوب تاكيدا لامره وتفخيما لشانه واشارة الى انه على عادة العرب
في تقديمهم ما هو عندهم اهم فقال ولتطمئن اي وطمانينة لتطمئن به اي وحده من غير نظر الى شيء من قوتكم ولا غيرها قلوبكم فلا بد من الاحتياط
واما في قصة احد فلما قيدت البشرى بالامداد لكم لما تقدم على ان الطمانينة لذلك كان الانسب تاخير ضميره وتقديم القلوب
الملابسة لتغييرهم موازنة لقوله لكم ولما كان ذلك ربما اوهم ان النصر ليس الا بيده فان شيئا من الامداد وغيره لا يوجب النصر به انزل
به في قوله وما النصر اي حاصلا او موجودا بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله اي لان له صفات الكمال فما عنده ليس منحصرا
في الامداد بالملائكة فالنصر ان كان لها فليس من عندها فلا تعتمدوا على وجودها ولا تفتنوا لفقدها اعتمادا عليه سبحانه خاصة
فان ما عنده من الاسباب كانت هذه الغزوة في اول الامر وكانوا لا يحاط به علما هذا اذا اراد النصر بالاسباب وان اراد النصر
ذلك بالفعل فكان التعبير بعند الافهام ذلك ولما كانت هذه الغزوة في اول الامر وكانوا يوازرون الوعد الصادق لهم باحرى الطا
كارهين للقاء ذات الشوكة جدا ثم وقع لهم ما وقع من النصر كان المقام مقتضيا لاثبات عزة الله وحكمته على سبيل التاكيد
اعلاما بان صفات الكمال ثابتة له دائما فهو ينصر من خاصمه وانفى لعزته ويحكم امره على اتم وجه بحكمته هذا فعله دائما كما فعل في
هذه الغزوة فلذلك قال معللا لما قبله مؤكدا ان الله اي الملك الاعظم عزيز هو في غاية الامتناع والقهر لمن يريد قهره ان لا ادا
الا يغالب ولا يحتاج وليه الى زيادة العدد ولا مقاساة العدو حكيم اي اذا اقضى امرا كان في غاية الاتقان والاحكام فلا يستطيع
احد نقض شيء منه هذا دائما فهو يفعل في نصركم هكذا دائما استانستم الى نشراه ولم تنظروا الى قوتكم ولا غيرها مما سواه فلا تقلقوا
اذا امركم بالهجوم على الناس ولو كان فيه لتدا جميع الناس ولما كان هنا لم يحتج الى اعادة تاكيده في ال عمران فقيل العزيز الحكيم الذي
اخبركم عن عزته وحكمته في غزوة بدر بما يليق به تذللا لمقام من التاكيد والحصر كم انكم ان ثابتم الاسهى نيل منكم في العام ٥
المقبل مثل عددهم فوقوع على ما قال مغن عن التاكيد ولم امر المسلمين في احد متورد في اللقا ولا هابيل الا ما وقع من الهزم
بالقتل من الطاعنين والعصمة منه في الحال وقد مضى في ال عمران لهذا مزيد بيان ولما ذكر البشرى والطمانينة بالامداد ناسب
ان يذكر لهم انه ابتع القول بالفعل فالبيع فكونهم بعزته وحكمته الطمانينة والامن والسكينة بدليل النعاس الذي غشيهم في ٥
موضع هو ابعد الاشيا عنه وهو موطن الجلاد ومصاولة الانداد والتيقظ لمخابلة اهل الصاد ولذا المطر واثره فقال مبدلا
ايضا من اذ اذ يعدكم او معلقا بالنصر وما في الظرف من رائحة الفعل بصور القربه وحكمته اذ يغشاكم بفتح حرف المضارعة في قراءة
ابن كثير وابي عمرو فالفاعل النعاس وضم الباقون اليا واسكن نافع الغين وفتحها الباقون وشددوا الشين المكسورة
فالفاعل في القراءة الاولى مفعول هنا والفاعل ضمير يعود على الله تعالى ولما ذكر هذه التغشية الغريبة الخارقة للعوائد
ذكر ما فعلت لاجله فقال امنة ولما كان ذلك لرضا في العادة جا الوصف بقوله منه اي بحكمته لانه لا ينام في مثل تلك الحال الا
الامن ويمنع عنكم العدو وانتم نايمون بعزته ولم يختلف فاعل الفعل المعلل في القراءات الثلاث لان كون النعاس اية الموت ذكر
بعده اية الحياة فقال وينزل عليكم وحقق كونه مطرا بقوله من السما ما وقع في البيضاوي واصله ولذا انتسها حبان ان المشركين
سبقوا الى الما وغلبوا عليه ولسك الدليل الذي سبق الى بدر وغلب على ما بها المؤمنون كما ثبت في صحيح مسلم وغيره فيكون شرح القصة
انهم بطروا وانى المنزل الذي سار واسنده الى بدر ليحصل للمسلمين منه ما ملاوا منه اسقيتهم فنظروا وامن حدث او خبابه وابدلهم الرمل
الرمل وسهل عليهم المشي واصاب المشركين ما زلق اقدامهم حتى منعهم المسير فكان ذلك سببا لسبق المسلمين لهم الى المنزل وتمكينهم
من بنا الحياض وتغوير ما ورا الما الذي نزلوا عليه من القليب كما هو مشهور في السيرة وكون زجر الشيطان ووسوسته لهم بالقلة والضعف
والتخويف بكثرة العدو والربط على القلوب طمانينتهم وطيب نفوسهم لما اراهم من الكرامة كما وضح ذلك جميعه قول ابن هشام
وينزل عليكم ما المطر الذي اصابهم تلك الليلة فحبس المشركين ان يسبقوا الى الما وخلي سبيل المؤمنين اليه ليطهركم به اي من كل
درن وابتدا من فوايد الما بالتطهير لانه المقرب من صفات الملائكة المقربين من حضرات القدس وعطف عليه بقوله ويذهب عنكم
اي لا عن غيركم رجز الشيطان بغير لام ما هو لازم له وهو البعد الذي كان مع الحدث الذي منه الجنابة المقربة من الخبايث الشيطانية
بضيق الصدور والشك والخوف لابعادها من الحضرة الملكية لانه لا تدخل الملائكة بيتا فيه جنب والرجز يطلق على القذر وعبادة

اي

بذلك المقام

فلا علاجا زاد يبيح عند
نعاسا على الحال ولما
كان النعاس

لكين

الاوثان والعذاب والشرك فقد كان الشيطان وسوس لهم ولا شيء ان وسوسته اعظم الاقذار لانها تجر من تمادى معها الى كل
ما ذكر ثم عطف عليه ما هيأ له التطهير من الحكم الالهية وهو ازاغ السكينة فقال وليربط اي بالصبر واليقين ولما كانت للربط
ربطا محكما على القلوب عبر فيه باداة الاستعلاء فقال على قلوبكم اي بعد اسكانها الوثوق بلطفه عند كل ملمة حتى اسلمها
من كل خير وثبت فيها الربط فشبهها بجراب ملئ شيئا ثم ربط راسه حتى لا يخرج من ذلك الذي ربط فيه شيء واعاد اللام اشارة الى انه
المقصد الاعظم وما قبله وسيلة اليه وعطف عليه قوله لازمه من التثبيت فقال ويثبت به اي بالربط والمطر الاقدام اي لعدم
الخوف فان الخائف لا يثبت قدمه في المكان الذي يقف به بل تضطرب رجله فتنتقل من غير اختياره او بتلبيد الرمل ولما ذكر حكمة الامداد
وما تبعه من الاسرار المثبتة القلوب والاقدام ذكر ما امر به المدد من التثبيت بالقول والفعل فقال اذ بدلا ثانيا من اذ يعدكم او
ظرفا ليثبت يوحي ربك اي المحسن اليك بجميع ذلك الى الملائكة وبين ان النصر منه لا من المدد بقوله اني معكم اي ومن كنت معه كان
ظافرا بجميع ما يوله فثبتوا اي بسبب ذلك الذين امنوا اي بانواع التثبيت من تكثير سوادهم وتقوية قلوبهم وقتال اعدائهم
وتقليلهم في اعينهم وتحقير شانهم ثم بين المعية بقوله سألقي اي بوعد لا خلف فيه في قلوب الذين كفروا اي اوجدوا الكفر الرعب فلا يكون
لهم ثبات فاضربوا اي ايها المؤمنون من الملائكة والبشر بما بين بسبب ذلك ولما كان ضرب العنق والراس وحي مهلك لذلك الانسان وكان
العنق يستر في الحرب دائما غالبا عبر بقوله فوق الاعناق اي الرؤوس واعالي العنق منهم لانه مفاصل ومذابح ولما كان انساد الا
انكى ما يكون بعد ذلك قال واضربوا منهم كل بنان اي فانه لا مانع من ذلك لكوني معكم ثم علل تسليطهم عليهم بقوله ذلك اي التسليط
العظيم واخبر عنه بقوله بانهم اي الذين لبسوا الايمان بالكفر ولو كانوا ممن يقضي بايمانه لعد شاقوا الله اي الملك الاعلى الذي لا
يطاق انتقامه ورسوله اي طلبوا بان يكونوا لهما في الاوامر والنواهي في شق غير الشق الذي شرعوا به الهدى ومكروا منهم وخداع
وشاقوه بانها دالشق جمع انه بين ما الفاعل اذ للاقتال عاطفا على ما تقرره لمن شاق الله ورسوله فا فعلوا به ذلك فاني فاعل به
ما فعلت ظهورا واظهر الادغام في المضارع لان القصة للعرب واي هم اعداوكم كان بعد الهجرة شديدا او مجاهرة وادغم في الماضي
لان ما مضى قبلها كان ما بين مساترة بالحاكرة ومجاهرة بالمقاهرة وعبر بالمضارع ندبا الى التوبة تقييد الوعيد بالاستمرار وادغم
في الحشر الموضعين لان القصة لليهود وامرهم كان ضعيفا ومساترة فيما كره ومن يشاقق الله اي الذي له الامر كله فلا امر لاحد معه
ويشاققه سرا او جهرا اورسوله بان يكون في شق غير الشق الذي يرضيانه فان الله اي الذي له جميع صفات الكمال شديد العقاب اي له
هذه الصفة فليتوقع مشاققه عذابه فلا بد من الاحتياط لذكر الفعل المدغم اولا دليلا على حذف المظهر ثانيا والمظهر ثانيا
على حذف المدغم اولا ولما ختم الاية ببيان السبب الموجب لاهانة الذين كفروا وبما له من الوصف المعظم اتبعه ما يقولهم لسان الحال
عند ذلك بقوله التفاتا اليهم لمزيد التغليظ والتوبيخ ذلكم اي الامر العظيم من هذا الوصف القابل به فتقدوه من عذابه ما لا طاقة لهم به ولا
يدان فهعنيه لسان الحال مخاطبا لهم نيابة عن المقال الامر الذي صدر بكم منه للرسل وانكم بنا الكتب فهم يستهزؤن بدا بها الكفرة فهو هذا
الامر الشديد وقعه البعيد على من يتركه عليه دفعه قد دهمكم فانكم لا تدفعونه كلا واسرع شغل كلاما قابله ولم يقدر ان يزاوله ولما كان ما وقع لهم
في دفعة بدر من القتل والاسر والقهر يسير جدا بالنسبة الى ما هم في الاخرة سماه ذوقا لانه يكون بالقليل ليعرف به حال الكثير فقال
فذوقوه اي باشروه مباشرة الذايق واعلموا انه بالنسبة الى ما تستقبلونه كالمذوق بالنسبة الى المذوق لاجله وان اي والامر الذي
اتيكم بالرسل والكتبان لكم مع هذا الذي دفعتموه في الدنيا هكذا كان الاصل ولكنه اظهر تعميما وتعليقا بالوصف فقال للكافرين
اي على كفرهم وان لم يظهروا المشاققة عذاب النار وهو سوا فتكم وهو اكبر وستردون لما قد راها لهم في الدنيا والاخرة ما حسمه عليهم القلوب حسن
ان يتبع ذلك النهي لمن ادعى الايمان عن الفرار منهم ولقد يدسن تكعس عنهم بعد هذا البيان وهو يدعي الايمان فقال يا ايها الذين امنوا اي بما اتاهم
به عند كلهم اذا لقيتم الذين كفروا اي باتات ركم لشاققوه وعبر عن حال لقائهم بالمصدر مبالغة في تشبيهه فقال زحفا اي حال كونكم زاحفين
متحاربين وهم من الكثرة بحيث لا يدرك من حركتهم وان كانت سريعة الا مثل الزحف فلا تولوهم الادبار اي هربا منهم وان كنتم اقل منهم ومن
يولهم ولما كان الاغلب في وقوع القتال النهار وكانت التولية مما لا يكون الظرف معيارا له لانها لا يمتد زمنها فالعصيان بمجرد الالتفات
بقصد الفرار والتمادي تكرير امثال الاشرطة في صحة اطلاق الاسم عبر باليوم وجوده عن أي ندبا الى الكر بعد الفر مع عدم الالتباس فان الظرف
لا يكون معيارا للفعل الا اذا كان ممتد الزمان كاليوم فقال يومئذ اي اذ لقيتموهم على هذه الحالة اي وقت كان من اوقات القتال من ليل
كان او نهار دبره اي يجعل ظهره اليهم لشيء من الاشياء تولية لا يريد الاقبال الى القتال بها الا حال كونه متحرفا اي مائلا التحرف وهو
الزوال عن جهة الاستوا لقتال اي لا يستهل له الا بذلك او يخيل الى عدوه انه منهزم خداعا له ثم يكر عليه او متحيزا اي منتقلا من حيز الى حيز
وسبقا الى فئة اي من جماعة اخرى من اهل حزبه هم اهل لان يرجع اليهم ليستعين بهم او يعينهم ولما كان هذا محل التوقع الشامع بجواب
وتفرغ ذهنه له اجاب رابطا له اعلاما بان الفعل الحدث منه سبب لهذا الجزا فقال فقد باء اي رجع بغضب من الله اي الجابر لجميع صفات
الكمال ومأواه جهنم اي تجهمه كما اذهب بجهم الكفار ولقاء الوجوه العابسة بوجه كالح عابس وبئس المصير هذا اذا لم يجد الكفار عن الضعف
كما سيأتي التقريب ولما تقدم اليهم في ذلك غلظ تقرير عزة وحكمته وان النصر ليس الا من عنده فمن ضعف ايمانه لم يتوقف عن امتثال اوامره
فقال مسببا عن تحريم الفرار وان كان العدو وكثر اتذكروا ما صنع لهم في بدر لتحركهم على مثل ذلك وسيقطعهم عن الاعجاب بما كان على ايديهم في ذلك
اليوم من الخوارق فلم تقتلوهم اي حال ظهوركم المدبر المنصبه لانه قد تبين لكل مؤمن انه تعالى هو الذي لاحدا من الاهاهوت داوه سبحانه على نحو يعد له فانه قد وضح

قد وضح مما يجري على قوانين العوائد انكم لم تقتلوا قتلى بدر وان تعاطيتم اسباب قتلهم لانكم لم تدخلوا قلوب ذلك الجيش العظيم
الرعب الذي كان سبب هزيمتهم التي كانت سبب قتل من قتلتم لضعفكم عن مقاومتهم في العادة وبذلك زجرهم عن ان يقول احد منهم
على وجه الافتخار قتلت كذا اكذا رجلا وفعلت كذا ولكن الله اي الذي له الامر كله فلا يخرج شيء عن مراده قتلهم اي بان هزمهم لكم لما راوا الملائكة
وامتلأت اعينهم من التراب الذي رماهم به صلى الله عليه وسلم وقلوبهم جزعا حتى تمكنتم من قتلهم خرق عادة كان وعدكم فصدق مقاله وثمت
افعاله ولما رد ما باشروه اليه سبحانه ابتعد ما باشر بنبيه صلى الله عليه وسلم دالا على ذلك لانه صلى الله عليه وسلم لما راى قريشا مقبلة
قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك فقال جبريل عليه السلام خذ قبضة من تراب فارمهم بها
ففعل فامتلأت اعينهم فانهزموا فقال وما رميت اي يا سيد المؤمنين الرمل في اعين الكفار اذ رميت اي اوقعت صورة قذفه من كفك لان
هذا الاثر الذي وجد عن رميك خارق للعادة فمن الواضح انه غير فعلك وهذا هو الجواب عن كونه لم يقل فلم تقتلوهم اذ قتلتموهم لان زهوق
النفس عن الجوارح المثخن هو العادة فلم الذين قتلوهم حين باشروا اضرابكم فلا يصح نفي تقتلوهم حين قتلتموهم والمنفي انما هو السبب
المتقدم على القتل الممكن من القتل وهو تمكين قلوبهم الناشئ عنه اقدامهم واقدامهم وارعاب الكفار الناشئ عنه ضعفهم وانهزامهم
الممكن منهم فالمنفي عنهم البداية والمنفي عنه صلى الله عليه وسلم الغاية او ان الملائكة عليهم السلام لما باشرت قتل بعضهم صح ان ينفي
عنهم قتل الجموع مطلقا او انهم لما افتخر بعضهم بقتل من قتل نفاه سبحانه عنهم مطلقا لان مباشرتكم لقتل من قتل في جنب ما اعد
لهم من الاسباب وانذلهم به من الجنود عدم واما النبي صلى الله عليه وسلم فانه فعل ما امر به من رمي الرمل ولم يعد فعله ولا ذكره فاثبته
سبحانه له مع نفي تاثيره عنه واثباته لمن اليه ترجع الامور تاديبا منه سبحانه لهذه الامة لئلا ينظروا اصلا الى شيء من طاعتهم واثاقه نفيا
هذا الفعل العظيم عن اكمل الخلق مع انه عالم مقر بانه منا فليحذر والذي لم يفعل وزلة فعلا من عظيم سطوتنا ولكن لينسب جميع
افعاله الحسنة الى الله تعالى كما نسب ذلك الى الله بقوله ولكن الله رمى اي الذي لا راد لامره لانه الذي اوصل اثره بما كان عازما لذلك
فعل ذلك كله ليبلي الكفار منه بايدي من اراد من عباده بلاء عاقبته سيئة وليبلي المؤمنين اي الراسخين في الايمان منه اي وحده بلاء حسنا من
النصر والغنيمة والاجر ومادة بلا بالية بأي تمكنات نه ودو على الخلطة وتارة تكون مطلقة ابلاوه عذا وتارة يكون
بكثرة ومحاولة وعنا وهو اغلب احوال المادة وتارة تكون للامتحان واخرى لغيره وما ابا ليه بالة اظنه من البال الذي هو الخاطر فهو من
بول لا بلو لحوف لام من ذوات الاربعة ومعناه ما القى عليه بالا اي ما اكترث له به فما امر خاطري الى مخالطته احواله حيث لم
هو خاطره الى اي ما اكترى امره لهوانه علي وسيأتي بسط معاني المادة ان شاء الله تعالى في سورة يوسف عليه السلام عند قوله تعالى
ما بال النسوة وهذه المادة معناها هنا الرمي لان هذه يلزمها شغل الخاطر الذي عنه ينشأ التعب ما نعمه المدد من والرعب وما بهما
هدو السر وفراغ البال الذي هو منشأ الراحة لمعنى الاية انه تعالى فعل ذلك من الامكان من ذلك للكفار ليخالطهم من شؤونه
ما يكون لهم في حد انفسه عاقبة سيئة وليخالط المؤمنين من ذلك ما يكون لهم في براوته عاقبة حسنة بل احسن من الراحة لانه يقضي بهم
الى راحة دائمة والدعة تفضي الى التعب طويل والله الموفق ولما ثبت بما مضى انه له تعالى الافعال العظيمة والبطشات الجسيمة ودلت
اقوال من قال من المؤمنين انا لم نتاهب للقا ذات الشوكة على ضعف العزايم ختم الاية بقوله ان الله اي الذي له الاحاطة بصفات الكمال
سميع اي لاقوالكم من استغاثة في المعونة على النصر وغيرها عليم اي بعزايمكم وان لم تتكلموا بها فهو يجازي المؤمن على حسب ايمانه
والكافر على ما يبدي وما يخفي من كفرانه الامر ذلكم اي الامر العظيم الشان البعيد المتنال الذي امركم فيه بالاوامره ونهاكم به عن مناهيه
وابلاكم فيه البلاء الحسن واراكم باعينكم توهينه لهذه الطائفة التي قصدتكم وانتم عندها اكلة جزور وعصفور بين يدي صقور
وبين لكم من علل ذلك وعجائب مقدوره ما لم يبق معه عذر لمؤمن فالزموا طاعته وتسابقوا في طاعة رسوله ولا تنظروا الى عاقبة
شيء مما يأمر به فانه ما ينطق عن الهوى بل انما يأمر عنا ونحن لم نأمر بشيء الا بعد تدبيره على احكم الوجوه واتقنها وان اي والامر ايضا
ان الله اي الحاوي لجميع صفات العز والعظمة والكبر موهن اي مضعف ضعفا فاشدا ثابتا دائما ابدا كيد الكافرين اي الراسخين
في الكفر جميعهم فلا تهنوا في ابتغا القوم وان نالكم قرح فانما يجعله لكم تطهيرا وللكافرين تدميرا والعاقبة للتقوى فيطلعكم
على عوراتهم ويلقي الرعب في قلوبهم ويرق كلمتهم وينقض ما ابرموه ولما تضمن ذلك ايقاع الاهانة بالكفار بهذه الوقعة والوعيد بامثالها
الاهانة فيما ياتي كان ذلك مفصلا للالتفات اليهم بقدر بمهم في قالب استخلائهم والاستهزاء بهم وتحتيم امر المؤمنين فقال ان تستفتحوا
اي تسألوا الفتح ايها الكفار وبعد هذا اليوم كما استفتحتم في هذه الواقعة عندما اخذتم استار الكعبة وقت خروجكم بقولكم اللهم انصر اهدى
الحزبين واكرم الجندين واعلى الفئتين وافضل الدينين ووقت تراءى الجمعين بقول ابي جهل اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما
لا نعلم فاحنه الغداة اتاكم الفتح كما اتاكم في هذا اليوم فقد جاءكم اي في هذا اليوم بنصر المؤمنين الفتح اي الذي استفتحتم به لانهم اهدى
الفئتين واكرم الطائفتين وان تنتهوا اي بعد هذا عن مثل هذه الاقوال والافعال المتضمنة للشك والعناد فهو خير لكم وقد رايتم
دلائل ذلك وان تعودوا الى المقالة لانكم لم تنتهوا نعد اي الى هذا لانكم ولن تغني عنكم اي ابدا فئتكم اي جماعتكم التي ترجعون اليها
لله عن ادنا شيئا اي من الاغنا ولو كثرت لان الله على الكافرين وان الله اي الملك الاعظم مع المؤمنين اي الراسخين في الايمان ولعله عبر بالمستقبل
في الشرط والماضي في الجزا اشارة الى انكم استنصرتم في بدر وجاءكم من النصر ما رايتم فان كان اعجبكم فالزموه في المستقبل فاني لا اجيبكم ابدا ما دمتم
على ما انتم الا بما اجبتكم به يومئذ والفتح يحتمل ان يكون بمعنى النصر فيكون تهكما بهم وان يكون بمعنى القضا ولما كانت سبب ما اهلك الكفار من الاعراض

عن اجابتهم فيما قصدوا من دعائهم ومن هذا انهم في هذه الوقعة والجاب مثل هذه ذلكم ابدا هو عصيانا لهم للرسول وتوليهم عن قبول ما سمعوه
منه من الروح حذر المؤمنين من مثل حالهم بالتمادي في التنازع في الغنيمة او غيرها فقال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله اي الذي له جميع العزة
والعظمة ورسوله نصيحة لما دعواكم الى الايمان ولما كانت طاعة الرسول هي طاعة الله لانه انما يدعو الى الله وانما طاعته القرآن وحد الضمير
فقال ولا تولوا عنه اي عن الرسول في حال من الاحوال في امر من الامور من الجهاد وغيره من الغنايم وغيرها خفيا وثقيل سهل وصعب وانتم
اي والحال انكم تسمعون اي لكم سمع لما يقوله او وانتم تعقلونه تصدقونه لانكم لان ارتكاب شي من ذلك يكذب دعوى الايمان وينطق على
احوال الكفار والى ذلك اشار بقوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي بادينا وهم لا يسمعون اي لا يستجيبون فكانهم لم يسمعوا لما انتفت
الثمرة عند المثمر عدما ولما كانت حال من هذا شانه مشابهة لحال الاصم في عدم السماع لعدم الانتفاع به والابكم في عدم كلامه لعدم
تكلمه بما ينفع والعادم للعقل في عدم عقله لعدم انتفاعه به قال معللا لهذا النهي معبرا بما نسب الى شيئا لما وصفهم به ان شر الدواب
اي التي تدب على وجه الارض جعلهم من جنس الحشرات والبهايم ثم جعلهم شرها ولما كان من تفضيلهم وكانت العبرة بما عند الله سبحانه قال
عند الله اي الذي له جميع الكمال من احاطة العلم والقدرة وغيرهما الصم البكم اي الطرش اي الخرس طرشا وخرسا بالغين الذين لا يعقلون اي لا تجدد
لهم عقل ومن لم ينتفع بسماع الداعي كان له ذلك ولما كان ذلك ربما دعا السامع الى ان يقول ما للقادر لم يقبل من هذا شانه الى الخير اجاب بانه
جبلهم من اول الامر وله ان يفعل في ملكه وملكه ما يريد جبله عريقة في الفساد وجعل جواهرهم شريرة كجوهر العقرب التي لا تقبل التاديب
بوجه ولا تمر بشي الا لسبته فعلم سبحانه انه لا خير فيهم فتركهم على ما علم منهم ولو علم الله فيهم اي الذي له الكمال كله خيرا اي قبولا
للخير لاسمعهم اي اسماعا هو الاسماع وهو ما يعقبه الاجابة المستمرة ولما كان علم الله تعالى محيطا وجب ان يعلم كل ما كان حاصلا فكان
عدم علمه بوجود الشي من لوازم عدمه فلا جرم كان التقدير هنا لكنه لم يعلم فيهم خيرا بل علم ان لا خير فيهم فلم يسمعهم هذا الاسماع
ولو اسمعهم وهم على هذه الحالة من عدم القابلية للخير اسماعا ثم فيه على الخير لتولوا اي بعد اجابتهم وهم معرضون اي ثابت اعراضهم
مرتدين على اعقابهم ولم يستمروا على اجابتهم لما جبلوا عليه من ملازمة الشر ومباعدة الخير فلم يريدوا الاسلام واصله بعد اتباعهم الا وهنا
كما كان لاهل الردة الذين قتلوا مرتدين بعد ان كانوا دخلوا في الاسلام خوفا من السيف او رغبة في المال ونحو من ذلك ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه فان علم الله بعد انقسام جملة الموجودات وجملة المعدومات وان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما
كيف يكون حاله وان كل واحد من المعدومات لو كان موجودا كيف يكون حاله والقسمان الاولان علم بالواقع والاخيران علم بالمقدر
والاية من القسم الاخير ولعمري انا دفعنا الى زمان اغلب من فيه على قريب من هذا الامر اجرا الناس في الباطل واثبتهم في المصادمة
فيه واوسعهم حيلة في التوصل اليه واجبنهم عند الدعوة الى الحق واسرعهم نكوصا عند الاقدام بعد جهد عليه واكثرهم عند الجدال
له فسادا ما كان معدوما امرا وضاحا حاصلا وموجودا وكلمة لو هنا تحتمل ان تكون هي التي تعلق بها امر على اخر وهو ضده اولي فيكون المراد
المعلق وهو الثاني موجودا بما مثل قول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فالمراد هنا على هذا انهم اذا
كانوا يتولون مع الاسماع والاجابة فتوليهم مع عدمهما اولى فنبه على ذلك الوصفي ويحتمل ان يكون على بابها من ان الخبر بعدها معصان وانتفا
التولي انما يكون خيرا اذا انشاء عن الاسماع المترتب على علم الخير فيهم واما لعدمه لعدم اسماعهم الاسماع الموصوف لانه لا خير فيهم فليس من الخير في
شي بل هو شر محض والتولي المنتفي عنهم ليس هو الموجود منهم بل هو الناشي عن الاسماع الموصوف فلا ينافي دعاوه تحقق عنادهم وعدم
انقيادهم وتحقيق ان المنفي انما هو زيادة التولي الناشية عن الاسماع فالمعنى ولو اسمعهم لزادوا اعراضا فالمنفي في هذا السياق تلك
الزيادة والله الموفق ولما كان ما مضى من نكال الكافرين سببا عن عدم الاستجابة اي الموسين لما تحذيرا من الكون مع الكفرة في مثل حالهم
فحشوا واما معهم في مالهم فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان بالسنتهم استجيبوا اي صدقوا دعواكم ذلك باتخاذ الاجابة اجادة من هو في
غاية الرغبة فيه لله اي واجعلوا اجابتكم هذه خاصة للذي له جميع صفات الكمال وللرسول اي ارسله الى جميع الخلق ولما كان صلى الله عليه وسلم
يدعوهم لا محالة لان الله تعالى امرهم بدعايهم وكان لا يدعوهم الا الى ما امرهم الله به وكان سبحانه لا يدعو الا الى صلاح ورشد عبر باداة
التحقق ووحد الضمير وسوق بانه لمادة الحياة فقال اذا دعاكم اي الرسول لما الندب والتحريض لما كان اجتنابا ثمرة الطاعة في غاية الرغب بنكته
على ذلك الا ما الامر دون الى فقال لما يحييكم اي يشغلكم من الايمان والعلم عن حال الكفرة من الصمم والبكم وعدم العقل الذي هو الموت المعنوي
الى الحياة المعنوية ولا يعوقكم عن الاستجابة تجاوزا من الاموران تقولوا انا استجبنا الى الايمان وكفى من شرابه فلولا ان ربنا علم فينا
الخير ما اسمعنا فنحن ناجون روى البخاري في التفسير وغيره عن ابي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال كنت اصلي فدعاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدعاني فلم اته حتى صليت ثم اتيته فقال ما منعك ان تاتي فقلت كنت اصلي فقال الم يقل الله يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله الاية
ثم قال لاعلمنك اعظم سورة في القران قبل ان اخرج من المسجد فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج فذكرت له فقال الحمد لله رب
العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وللترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على ابي
ابن كعب رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي وهو يصلي فالتفت ابي فلم يجبه وصلى ابي فخفف ثم انصرف الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك يا ابي ان
تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله اني كنت في الصلاة قال افلم تجد فيما اوحى الله الي ان استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم
قال بلى ولا اعود ان شاء الله تعالى قال تحب ان اعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها قال نعم

يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقرا في الصلاة قال فقرا ام القران فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده ما انزلت في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها وانها سبع من المثاني والقران العظيم الذي اعطيته
هذا حديث حسن صحيح ولما كان الانسان اذا كان على حالة يستبعد جدا ان يصير على غيرها قال تعالى مرغبا مرهبا واعلموا ان الله اي الذي له جميع
العظمة يحول اي بشمول علمه وكمال قدرته بين المرء وقلبه فيرده الى ما علم منه فيصير كما كشف الحال الكافر امنا بعد ان كان في ظاهر الحال
مومنا مستسلما فيكون ممن علم الله انه لا خير فيه وقسر على الاجابة فلم يستمر عليها ويرد الكافر بعد عناده الى الايمان بغاية ما يرى من سهولة
قيادة فكنى سبحانه بشدة القرب اللازم لحيلولته عن شدة الاقتدار على تبديل العزائم والمرادات وهو تحريض على المبادرة الى اتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم ما دامت القلوب مقبلة على ذلك خوفا من تغييرها ولما خوفهم عاقبة الحال حذرهم شان المال فقال وانه اي واعلموا انه
تعالى اليه تحشرون لا الى غيره فيحشر المستجيبين في زمرة المرسلين والمومنين وعدا والكافرين دار ابو احكما واعدا لان الذي لا يتجزى وقد علم
ان اذا البيت قيدا انما هي تنبيه على وجوب اتباعه في كل ما يدعوا اليه للعصمة وحكمة الاتيان لها الاعلام بانه ما نزل خيرا الا دعا الله البرهان
الحرالي في او احركتا بالة في اصول الفقه ولها اي العصمة معنيان احدهما عصمة الحفظ وهو معنى تتناول من التزام الحكم عليه بما شرعه وهي العصمة
العامة للانبيا وفي هذه الرتبة يقع الكلام في الحفظ من الصغاير وبعدها لاتفاق على الحفظ عما يخل بالتبليغ ويحط الرتبة من الكباير
وعصمة الصغاير مقدمات الذنوب التي لم تتم فيكون تمامها كبيرة وعلى ذلك يبني قوم احتمال وقوع الفعل المحظور من نبي وكل ذلك
وان كان من احوال الانبيا فالمحقق من امر النبي عليه السلام انما هو علو عن هذا المحل المعنى الثاني من العصمة رفع الحكم عن النبي صلى الله
عليه وسلم بما حفظه الحافظ بما هو ظاهر شرعته وبما بلغ اليه فقه من سابق لتتشوف سننه واتخاذ فعله سببا للاحكام في كل اوان
من غير الثقات لما تقرر في ما قبلها لزمان وهذه هي العصمة الخاصة بالنبي الجامع فلا يكون لفعله حكم الا ما يوجبه ابتداء من حال وتوقعه ويكون
الاحكام تبعا لفعله لان حكمه تبع حكما فعله اوجه عصمة الخاصة الممتنع عليه جواز الخروج عنها ثم كان يسبق اليه من اكابر الصحابة نحو من هذا
المعنى لا يتوقف من شي من امره كالصديق رضي الله عنه وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في اقتدائه حتى في ادارة راحلته وصبغته
بالصفرة ولبسه النعال السبتية ونحو ذلك من امره صوامر من صرامتهم هذا الحد ومن كان يتوهم الحكم عليه تقتضي حكمه عليه ونفيه
من ابي شرعته لا يكاد يسلم في وقوع في امر يرد عليه المخالفة كما حكم ابي رضي الله عنه لما كان يصلي بامضا ما حمل الصلاة اذ دعاه حتى
بين له قصور فهمه عن الله في حقه اي بقوله الم تسمع الله يقول استجيبوا لله وللرسول وكالذي قال له اذا نزل فاجدح لنا فقال ان
علينا نهارا فقال له انزل فاجدح لنا فقال الله فقال انزل فاجدح لنا وبلالا وجلسا فاذا وضح ان فعله سيد الحكم ومعلم الاثبات
الناشي به في جميع احواله اما على بيان من بعين رتبة الحكم من وجوب او ندب او اباحة او على مطلق التاسي مع ابهام رتبة الحكم والا
على ما عنده هو صلى الله عليه وسلم مع العلم فتنبه التاسي به على ابهام في الحكم ربما كان اتم العمل بما تبين حكمه لحوم على رضي الله عنه وهو
باليمن موجهه الحكمة باحوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ولا يتطرق لشي من امره صلى الله عليه وسلم مما وقع من كونه يفتي بامر ثم يوافق
في غيره لان الاخذ في ذلك من قصور في العلم بمكانته من علم رحمانيته الله وامضا كلمته وتنزيله الى موافقة امر سنة الله وحكمته نحو الذي
افتاه بتكفير الجهاد كل ذنب بناء على علمه برحمانية الله وامضا كلمته ثم ذكر له ما قال جبريل عليه السلام من استثناء الدين بما انزل
على امر حكم الله في محكم شرعته وسنته يعني والله اعلم ان من صح جهاده يكفر كل ذنوبه وان توقف الدين على رضا الله لخصمه فالاجابة
بالكفارة ناظر الى المثال والاخبار بنفيها ناظر الى الابتدا ولذلك لا فتي متنزلا لتتلعثم بنا على انفاذ كلمة الله وردهم الى عادة دنياهم
حين لم يستحصوا الصبا الى ظهور كلمة الله على مستمر عادته فقد حمل باولى نتاجه غيره واحد ممن لم يرب في نفاذ حكمه وصحته فاخفق
ثمرات ثلاث سنين ثم عاد في غنى عن التلقيح الى الحسن من حاله في متقدم عادته ولا يتقاصر عن ادراك ذلك من امره في كل ما ذلك
من نحوه الا من لم يسم بالتاييد الى معرفة حظه من مكانته فاذا وضح ذلك كل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان بيانا للواجب
فهو منج من عقاب الله وان كان تعلما للمزيني من الله فهو وصلة الى محبة الله كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وان لم يتبين
له محل منهما فالتاسي به على الابهام بعينه محمله وتعلق به بنيته وما كان مختصا به فلا بد من اظهار اختصاصه بخطاب من الله سبحانه او منه عليه السلام
كما قال تعالى خالصة لك من دون المومنين فلا بد من انتهاء ولما كان المجيب ربما قال ليس علي الا الاجابة في خاصة نفسي وليس علي تعويض نفسي
للاذى بالاخذ على يد غيري نبه سبحانه على ان ذلك مسايد للدين والاجتناب لدين اصله لان ترك العاصي على عصيانه كترك الكافر
على كفرانه وذلك موجب لعموم البلاء ويزيد القضا فقال تعالى واتقوا فتنة اي بلاء مميلا محيلا ان لا تتقوه يعمكم هكذا كان الاصل لكن
لما كان كل الفتنة عن اصابتهم اروع من سوق ذلك مساق الشرط وهو نهيهم عن التعرض لها بما فيه من تقصير حضورها وتمنها للنهي انه
ولما كان نهيهم عن تخصيص الظالم اشد روعا نفاه امرها بان نعم قال مجيبا للامر لا تصيبن وحذف نون التوكيد لان فيه معنى النهي
الذين ظلموا اي تلبسوا بواقعة المعصية مما لا يفعله الا من لا له نور منكم اي ايها المدعون بالتقوى خاصة اي بل يعمكم فقوله للفتنة
والمراد بها مباشرتها اي لا يفعل احد منكم الذنب تصيبكم اثره عموما اوليا باشر اسبابا لعذاب بعضكم والبعض الاخر موهم ليعمكم الله
به وذلك مثل لا ديك ههنا والمعنى يكره هنا فاذا فالتقدير واجعلوا بينكم وبين البلاء العام وقاية باصلاح ذات بينكم واجماع
كلمتكم على امر الله ورد من خالف الامر الله ولا تختلفوا كما اختلفتم في امر الغنيمة فتنتقلوا فيتسلط عليكم عذاب عام من اعدائكم او غيرهم
فان كان الطايع منكم اقوى من العاصي ولبس ضعفه منه فلم يرده فقد اشترك الكل في الظلم ذاك بفعله وهذا برضاه فيكون العذاب

عذاب تتقام بجميع روى اصحاب السنن الاربعة وحسنه الترمذي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال في خطبة ايها الناس انكم
تقرؤن هذه الآية وتتأولونها على خلاف تأويلها يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده
وللترمذي وحسنه عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر
او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم وللامام احمد عنه رضي الله عنه انه قال لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن
المنكر ولتحاضن على الخير او ليسحتنكم الله جميعا بعذاب او ليؤمرن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم
وهو في حكم المرفوع لانه لا يقال من قبل الرأي فان كان الطايع اضعف من العاصي نزل على رواية ابي داود والترمذي وحسنه وابن
ماجه عن ابي ثعلبة الخشني رضي الله عنه انه قيل كيف يقول في هذه الآية عليكم انفسكم فقال اما والله لقد سألت عنها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي
رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك امر العوام فان من ورائكم ايام الصبر صبر فيهن مثل قبض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر
خمسين رجلا يعملون مثل عمله قال يا رسول الله اجر خمسين منهم قال اجر خمسين منكم والاحاديث في مثله كثيرة و
يكون العذاب للعاصي نقمة وللطايع رحمة ويبعثون على نياتهم ولما حذرهم سبحانه عموم البلاء اتبعه الاعلام بانه في ذلك مرهوب ليلازموا
سبيل الاستقامة فقال **واعلموا ان الله** اي الذي له الاحاطة بصفات العظمة **شديد العقاب** ولما كان من اشد العقاب الاذلال حذرهموه
بالتذكير بما كانوا فيه من الذل لانه ابعث على الشكر وازجر عن الكفر فقال **واذكروا** وذكر المفعول به فقال **اذ انتم** اي في اول الاسلام
قليل اي عددكم ولما كان وجود مطلق الاستضعاف دالا على غاية الضعف بنى المفعول قوله **مستضعفون** اي لا منعة عندكم **في الارض**
اهلها والمراد مكة لانها لعظمها كانها هي الارض كلها ولان حالهم كان في بقية البلاد كحالهم فيها او قريبا من ذلك ولذلك عبر بها الناس في
قوله **تخافون** اي حال اجتماعكم فكيف عند الانفراد **ان يتخطفكم** اي على سبيل التدريج **الناس** اي كما يتخطف الجوارح الصيود فحذر علم
سبحانه بالتنبيه على انه قادر على ان يعيدهم الى ما كانوا عليه من هذه الاحوال بالمخالفة وبين كلمتهم وترك التسبب الى اجتماعها بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ذلك ايضا اشارة الى انهم لما كانوا في تلك الحالة التي هي في غاية الضعف وكانت كلمتهم مجتمعة على امر
الذي هو توحيده وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم اعقبهم الايواء في دار منيعة وايدهم بالنصر واحسن رزقهم وذلك معنى قوله تعالى
مسببا عما قبله **فآواكم** اي في دار الهجرة رحمة لكم **وايدكم بنصره** اي بأهل مع الملائكة **ورزقكم من الطيبات** اي الغنائم الكاملة الطيب
بالاحلال وعدم المنازع التي لم تحل لاحد قبلكم وغيرها **لعلكم تشكرون** اي ليكون حالكم حال من يرجى شكره فيكون بعيدا من المنازعة زلة
في الانفال وذلك اشارة الى انهم مهما استمروا على تلك الحالة كان باقيا لهم على مثل ما آتاهم به وزادهم من فضله ان جعلهم
سادة في الدارين بما يعقب لهم من الفرقان الآتي في الآية بعدها والتوفيق عند ابتدائه فالآية منعطفة الى الصحابة رضي الله عنهم بالقصد
الاول وهي صالحة للعرب كافة تنصرف اليهم بالقصد الثاني قال قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واجوعهم
بطونا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم تردى في النار معكوفين على رأس الحجرين الشديدين فارس
والروم يؤكلون ولا يأكلون وما في بلادهم شيء عليه يحسدون حتى جاء الله بالاسلام فمكن لهم من البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم
وجعلهم ملوكا على رقاب الناس وبالاسلام اعطى الله ما رأيتم فاشكروا الله على نعمه وان ربكم يحب الشكر واهل الشكر في مزيد من الله ولما
ختم الآية بما هو في غاية المقتضية منه تعالى لهم من الايواء والنصر والرزق الطيب المشار به الى الاستنان باحلال المغنم وختم ذلك بالحث
على الشكر ناسب تضييع الشكر بما في ذلك بالخيانة في ولوعه بغلول او غيره فقال **يا ايها الذين آمنوا** تذكيرا بما الزموا به انفسهم من
الوفاء **لا تخونوا الله** اي تنقصوا من حقوق الملك الاعظم فان اصل الخيانة النقص ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء فصارت نقصا
خاصا **والرسول** بغلول ولا غيره بل ادوا الامانة في جميع ذلك ولعله كرر العامل في قوله **وتخونوا اماناتكم** من الفرائض والحدود
والنوافل وغيرها اشارة الى الجنايتين مختلفات فخيانتهم لله حقيقة وخيانتهم للامانة استعارة لان حاملها لما اخل بها كان كانه
خانها وخفف عنهم بقوله **وانتم تعلمون** حال الغفلة ونحوها ويجوز ان يكون المفعول غير مراد فيكون المعنى وانتم علماء والعالم هو
العارف ويكون ذلك مبالغة في النهي عنه بانهم جديرون بان لا يقبل منهم عذر بجهلهم لانهم علماء والعالم هو العارف به
لا ينبغي ان يغفل عن المراقبة ولما كان سبب الخيانة غالبا محبة المال او الولد وكان سبب التنازل المسبب عنه انزال هذه السورة
كما سلف بيانه اولا اولها الاموال من الانفال وكان من اعظم الخيانة في الانفال الغلول الغلول
وكان الحامل على الغلول المحبة بحب جمع المال اما استلذاذا به او لانفاقه على محبوب وكان الولد اعز محبوب بحسن كل الحسن ايلاء ذلك
كله **واعلموا** وهي كلمة منبهة ينبه بها السامع على ان ما بعدها مهم جدا **انما اموالكم** قلت وجلت هانت او عزت **واولادكم** كذلك **فتنة** اي سببها
ليعمل الله بها فعل المختبر لينكشف للعباد من يختص بالعاجل الفاني ممن يسمو نفسه عن ذلك فلا يحملكم ذلك على مخالفة امر الله فيهلكوا
وان الله اي المحيط بكل كمال **عنده اجر عظيم** عاجلا وآجلا لكل من وقف عند حدوده فيحفظ له ما له ويثمر ويولاده ويبارك له فيهم مع
ما يدخره له في دار السعادة وعنده عذاب اليم لمن ضيعها فانقلوا بجميع هممكم اليه تسعدوا او تزادوا ومنه هذا حسنا سبب نزول
التي قبلها من قصة ابي لبابة رضي الله عنه الحامل له عليها ماله وولده وكانت قصته في قريظة سنة خمس وغزوة بدر السنة الثانية

الثانية ولما ذكرهم ما كانوا عليه قبل الهجرة من الضعف وامتن عليهم بما اعزهم به وختم هذه بالتحذير من الاموال والاولاد الموقعة
في الردى وتعظيم ما عنده الحامل على الرجا بلاها بالامر بالتقوى الناهية عن الهوى وبالاشارة الى الخوف من سطوته اشارة الى
انه يجب الجمع بينهما وبين تعالى انه يتسبب عنها الامن من غيره في الاولى والنجاة من عذابه في الاخرى فقال تعالى **يا ايها الذين آمنوا** مكررا لهذا
الوصف تذكيرا بما يلزم مراعاته **ان تتقوا الله** اي الذي له الامر كله بامتثال ذلك الحامل لامر الدين كله **يجعل لكم فرقانا** اي نورا لان
مادة فرق ترجع الى الذي له الفصل وكان الشيء اذا كان متصلا كان كل جزء منه مشهودا الى ملازمة صاحبه فاذا جعل له قوة الفرق قدر على
الاتصال والانفصال فحقيقته يجعل لكم عزا تنصرون به بحيث تفترقون ممن اردتم متى اردتم وتتصلون بمن اردتم متى اردتم لما عندكم
من عزة المانعة وتفرقون بين من اردتم متى اردتم لما لديكم من قوة المدافعة تحمل لكم ما يصيبكم به قوة التصرف فيما تريدون من الفصل
والوصل الذي هو وظيفة السادة المرجوع الى قولهم عند التنازع لا كما كنتم في مكة لا تأمنون في المقام ولا تقدرون على الكلام فضلا
عن الخصام الا على تقية منه ومع ذلك لا يؤثر كلامكم اثرا يسمى به فارقا والفاروق من الناس الذي يفرق بين الامور ويفصلها وبه
سمي عمر رضي الله عنه لانه اظهر الاسلام بمكة اظهارا دانيه عزة وقوة جعل فيه الايمان مفارقا للكفر لا يخالطه وفرق بالكسر بمعنى خاف يرجع الى ما
دارت عليه المادة فان المراد به تفرقت همومه من اتساع الخوف والفرق الذي هو المكيال الكبير كانه هو الفارق بين الغني والكبير والفقير
قال الهروي هو اثنا عشر مدا وافرق من علته اذا برأ اي صارت له حالة فرقت بين صحته ومرضه الذي كان فيه ومنه الفريقة وهي تمر وحلبة
يطبخ للنفساء وقرفت الشيء بتقديم القاف قشرته والقرف للخلط كانه من الازالة لانهم قالوا ان فعل يدل على في كل باب ومنه قرف الشيء
واقترفته والاقتراف بمعنى الاجتماع الجامع ويمكن ان يرجع الى الوعا لان القرف الوعا لانه ينفصل مظروفه عن غيره وفلان قرفي اي
موضع ظني منه كانه صار وعا لذلك وفرس مقرف اي بين القرفة اي هجين لانه واضح التمييز من العربي وقرف بسوء رمى به اي جعل وعا
له او فرق همومه والقفر بتقديم القاف المكان الخالي لانفصاله من الناس واقفر المكان خلا واقفر الرجل من اهله انفرد عنهم واقفر خلا
من الادم ورجل قفر الرأس لا شعر عليه لانفصاله عنه وقفر الجسد لا لحم عليه والقفار الطعام لا ادام له واقتفرت الاثر اتبعته
لينفصل من غيره والفقرة بتقديم الفاء والفقارة ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العجب لتميز كل واحدة عن اختها
وفقرت الارض فقرا حفرتها حفرا فصارت كل واحدة منفصلة عن الاخرى والفاقرة الداهية الكاسرة للفقار ومنه الفقر والافتقار ر
الحاجة وافقرني دابته اعارني ظهرها وركابه من ادنى فقرة من ادنى معلم لان المعالم منفصل بعضها عن بعض والتفقير في رجل الدابة بياض لانفصاله له
عن بقية لونها ورفقت بالامر لطفت به ويكون ذلك لانفصاله عما يضره ومنه الرفيق للصاحب من الرفقة والمرتفق من ذلك لما يحصل به من
اللطف ولما كان الانسان محل النقصان فلا يخلو من زلة او هفوة اشار الى ذلك بقوله **ويكفر عنكم سيئاتكم** اي يسترها ما دمتم على التقوى
ويغفر لكم اي يمحو عنكم ما كان منها عينا واثرا وفيه تنبيه لهم على ان السادات على خطر عظيم لانهم مامورون بالمساواة بين الناس
والنفس مجبولة على ترجيح من لا يمنعها على من نازعها واشار الى ان الحكم بالعدل في اعلى الدرجات لا ينشأ الا لافراد النادر وقوله **والله** اي
المحيط بجميع صفات الكمال **ذو الفضل العظيم** مرجح على الزيادة على الكفارة والمغفرة من فضله ومعلم بانه لا يمتنع عليه شيء من الممكن
ان يلزمكم منهج طريق العدل وان كانت من خرق العادة في اعلى محل وفي الآية اعظم مناسبة لقصة ابي لبابة رضي الله عنه لانه لما كان
الحامل له على ما فعل بنفسه من العقوبة التقوى فكفرت عنه خطيئته وغفر له عقبت تفاخرا غيبا العفو في الاسراع بالتوبة عند
مواقعة الهفوة وختم هذه الآية بالفضل على ما كان من نقص اشارة الى تفضله سبحانه بما رزق اهل الاسلام من علو المنزلة وانتشار
الهيبة وفخامة الامر في قلوب المخالفين كما هو مشاهد وختم الآية المحذرة من المداهنة بشديد العقاب اشارة الى ما البسهم من
الاحوال المذكورة في التي تليها من قلة منعتهم واستضعافهم وخوفهم من تخطف المخالفين لهم ونكبة تعالى رحمهم بان جعل ذلك
من بعضهم ممن يشمله اسم الاسلام لبعض لا من غيرهم فلبسهم شيعا واذاق بعضهم باس بعض فكل خايف من الآخر وصار المتقي من كثرة
المخالف لا من المعاطف والمتالف خايفا يترقب ومباعدا لا يقرب على انهم لا يعدمون انصارا تؤيدهم اسالقا ولا يزال اهل الظلم
يختلفون فيما بينهم فيرجع الفريقان اليهم ويعولون عليهم فمن نصروه فهو المنصور فكلامهم عند المضايق هو الفرقان ولهم في قلوب
الظالمين هيبة وان نزلت لهم الحال اكثر مما للظلمة في قلوبهم من الهيبة لتنفذ الكلام انهم على الحق الذي امر به واهل الشر على الباطل
الذي اسرخا ذلك قال الحسن البصري رحمه الله في حق العالمين في الارض اما والله ان للمعصية في قلوبهم لذلا وان طقطقت بهم البغال
انقسم الخوف بينهم نصفين وشتان ما بين الحزبين تخوفهم من ربهم اسرعوا وبحمله لهم ذخرا وخوف اهل الباطل يزيدهم
به وزرا ويجعله لدينه ازرا فهذه حقيقة الحال في وصف اهل الحق والحال ولما ذكر سبحانه هذا الفضل العظيم والنبأ الجسيم
ذكرهم من احوال داعيهم وقائدهم وهاديهم عليهم الصلاة والسلام والتحية والاكرام ما يدعوهم الى ملازمة استجابته في
سياق المخاطبة له صلى الله عليه وسلم تذكيرا بنعمته واشارة الى دوام نصرته فقال تعالى عاطفا على اذ انتم **واذ يمكر بك**
اي يدبر في ذلك على وجه الستر **الذين كفروا** اي اوجدوا هذا الوصف وفيهم من لم يكن راسخ القدم فيه ثم بين غاية مكرهم فقال
ليثبتوك اي ليمنعوك من التصرف بالحبس في بيت يسدون عليك بابه كما هو واضح من قصة مشاورتهم في دار الندوة في امره صلى
الله عليه وسلم ومن قراها بالموحدة ثم التحتانية من البيات الذي معناه اهلاك العدو ليلا انعطفنا **ويقتلوك** عنده بمعنى القتل نهارا في التيسير
جهارا وكانه عد البيات لاستخفائه عدما بالنسبة الى المجاهرة **او يخرجوك** اي من مكة **وهم يمكرون** اي والحال انهم يمكرون باخفا ما يريدون

بك من ذلك وغيره من الكيد ويمكر الله اي يفعل المحيط بكل شيء علما وقدرة وعلما اي بهم فعل من يمكر باخفا ما يفعل بهم به والله خير الماكرين
لانه لا يمكن احد علم ما يريد اخفاه ولانه الملك الاعلى المحيط بالجلال والكمال فالنافذ انما هو مكره والعالي انما هو نصره فكانه تعالى
تعالى يقول انظروا الى مصداق ما وعدتكم به في احوال نبيي صلى الله عليه وسلم فانه كان وحده وجميع الناس يخالفونه فثبت على اداء
الرسالة اليهم وابلاغ النصيحة لهم على ما يتصل منهم من الاذى ولا يزيده اذاهم له الا اجتهادا في اداء ما ينفعهم اليهم ولما ذكر مكرهم
بالرسول ذكر مكرهم بما ارسل به فقال عاطفا على اذ انتم واذا تتلى اي من اي تال فرض عليهم اياتنا اي التي هي الفرقان جلالة وعظما
لم يدعوها نوثر في تلك الحالة بل قالوا اظهارا للعناد هم ونسبعا بما لم يعطوا وادعا لما لم ينالوا قد سمعنا ولما لم يتاثروا عن سماعهم
الاذعان تشوف السامع الى علة اعراضهم فقال معللا او مستانفا لو نشا اي في اي وقت اردنا لقلنا مثل هذا اي لانه ليس قول
الله كما يزعم محمد ان اي ما هذا اي الذي يتلى الا اساطير جمع سطور واشطار وجمع سطر الاولين اي من بني ادم سطروا فيها علومهم
واخبارهم فهو من جنس كلامنا وقابله من جنسنا وهذا غاية المكابرة لانه قد تحداهم بقطعة من مثله ان كان كما يزعمون مثل وبالغ
في تقريعهم فما منعهم من ابرازه ثم ما يدعون وليس منهم وبينه نزحهم الا ان يبيتوا وامع انتقالهم الى اشد الامور السيف الماحق على لقا الكلم
على نقره صلى الله عليه وسلم وعلى ما لهم على فرط الانفة من العار والبعد مما يعفى عليهم بالتغلب وان يوصفوا بالكذب لما حق الاعلام
بان ذلك فاضحهم ومخزيهم مدى الدهر وقابحهم والمعنى انا نثبت هذا النبي الكريم على صبره على ذلك ومثابرته على اداء الامانة الاجتهاد
في النصيحة على ما يلقى ان نجينه منهم ومنعته من جميع ما كادوه به وكنت لا ازال اويده باتباع من اعلم فيه الخير لما ان هيات له دارا
وخبات له انصارا وجعلت داره بالاصحاب وبيت لها اعزة بصوارم الاجياب ثابتة رفيعة ونقلته الى ذلك مع اجتهاد اهل العنا
وبهم جميع اهل الارض في المنع فلم يوثر كيدهم ولا افادهم مع ايدي الله كلهم وجعلت نفس نقلته له فرقانا يفرق لها بين الحق والباطل
وصار الى ما ترون من نبول الامر وجلاله العد ونفاد الفصل بين الامور وظهور دينه اي ظهور فلا زموا التقوى ملاذا منه وداوموا
على الطاعة مداومته اهب لكم من سيا ذنه واجلكم مثلا بسراماته ولما كان ذلك موضع عجب من عدم اعجال الضلال بالعذاب
واتمها لهم الى ان وقع كلهم في غزوة بدر لا سيما مع قوله ان تستفتحوا فقد جاكم الفتح بينا كسرهم في ذلك وان بالغوا في استعجاله فقال
واذ قالوا اي ارادة المكابرة بالتضليل الناس انهم على القطع من انه باطل الا لما دعوا بهذا الدعا اللهم اي يا من له تمام
القدرة وعموم الملك ان كان هذا اي الامر الذي اتانا به محمد هو اي لا ما نحن عليه الحق حال كونه منزلا من عندك وقال الزجاج انه
لا يعلم احد قرا الحق بالرفع افاده ابو حيان فامطر علينا حجارة ولعل تقييده بقوله من السما مع ان الامطار لا تكون الا منها
لازالة وهم من يتوهم ان الامطار مجاز عن مطلق الرجم وانه انما ذكر ليبان ان الحجارة المرجوم بها في الكثرة مثل المطر او ائتنا
بعذاب اليم اي غير الحجارة ولعل مرادهم بقولهم ذلك الاشارة الى ان مجي الوحي اليك من السما خارق كما ان اتيان الحجارة منها
لاصحاب الفيل صونا من الله لبيته الذي اراد الجيش انتهاك حرمته واعظاما له اشار الى ذلك ابو حيان وهذه الاية والتي قبلها
في النضر بن الحرث اسره المقداد يوم بدر فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد رضي الله عنه اسيري يا رسول الله فقال
انه كان يقول في كتاب الله ما يقول فعاد المقداد لقوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغن المقداد من فضلك فقال
ذاك الذي اردت يا رسول الله فقتله النبي صلى الله عليه وسلم فانشدت اخته قتيلة ابياتا منها ما ضرك لو مننت وربما من
الفتى وهو المغيظ المحنق فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو بلغني هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه وعن معوية رضي الله عنه انه قال
لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا ان كان هذا هو الحق الاية وما قالوا فاهدنا
به والسر الذي يبيننا في هذه الاية انهما لهم هو انه ما منعه من الاسراع في اجابة دعائهم كما فعل في وقعة بدر الا اجلال مقامه
صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم فقال تعالى وما كان الله اي مع ما له من صفات الكمال والعظمة والجلال واكد النفي بقوله ليعذبهم
اي ليجدد لهم ذلك في وقت من الاوقات وانت اي يا اكرم الخلق فيهم فانه لعين تجازى الف عين وتكرم ولما بين بركة وجوده
اتبعه ما يخلفه صلى الله عليه وسلم في الذهاب اذا غاب في العباد من العذاب فقال وما كان الله اي الذي له الكمال كله معذبهم اي
شيئا وصف تعذيبهم بحيث يدوم وهم يستغفرون اي يطلبون الغفران بالدعا او يوجدون هذا اللفظ فيقولون استغفر الله
فان لفظه وان كان خبرا فهو دعا وطلب فوجوده صلى الله عليه وسلم في قوم ابلغ في نفي العذاب عنهم وهذا الكلام ندب
لهم الى الاستغفار وتعليم لما يدفع العذاب عنهم كما يقول ما كنت لاضربني وانت تطيعني اي فاطعني نبه عليه الامام ابو جعفر
النحاس وفي ذلك حث عظيم لمن صار صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم من المسلمين صادقهم ومنافقهم على الرغبة في مواصلته
والرهبة من مفارقته ولتعريف لهم بما لهم في حلول ذاته المشرفة في ساحتهم من جليل النعمة ترغيبا في المحبة لطول عمره
والاستمساك بغرزه في لقيه وامره اذ المراد والله اعلم بالاستغفار طلب المغفرة بشرطه من الايمان والطاعة وعن ابي موسى
الاشعري رضي الله عنه انه كان في هذه الامة امانان اما النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى قال واما الاستغفار فهو كاين فيكم
الى يوم القيامة ولما كان هذا السر نصا في حرمانهم استحقاقهم العذاب قال تعالى عاطفا على ما تقديره وليعذبهم الله اذا هاجر
عنهم ولم يومنوا فيستغفروا وما لهم قال ابو حيان الظاهر ان ما استفهامية اي اي شيء لهم في انتفا العذاب وهو استفهام
معناه التقرير اي كيف لا يعذبون وهم متصفون بهذه الصفة المقتضية للعذاب وهم صدهم المومنين عن المسجد الحرام

الحرام وليسوا بولاة البيت انتهى وتقدير الكلام واي حظ لهم في ان لا يعذبهم الله اي الذي له كمال العز والعظمة على الظالم والاكرام
والرفق بالطايع عاجلا وهم اي والحال انهم مستحقون للعذاب لعودائع لهم لا محالة وان تاخر مدة ابانه وابطا عنهم اوانه
وتوعا ينسيهم ما نالوه من اللذات وان عظم عندهم شانها واشتد طولها زمانها لانهم يصدون اي يوجدون الصد عن المسجد اي من اراد
تعظيمه بالصلاة التي وضع المسجد لها وغيرها الحرام اي العظيم حرمته عند كل احد فلا اختصاص لهم به لشخص دون شانهم اي اخس
في شانهم فعل حقيقة الصد في الماضي والحال والمال لا ينفكون عن ذلك كما كانوا يمنعون من شاوا من دخول البيت ويقولون نحن ولاته
نفعل ما نشا ويصدون المومنين عن الطواف به بالتعذيب في الفتنة وصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه بالاحرام صدهم عام
الحديبية عن الوصول الى البيت وعام عمرة القضية عن الاقامة بعد الثلاثة الايام وما اي والحال انه لم يكن لهم ذلك لانهم ما كانوا اولياءه
اي اهلا لولايته بحيث ان صدهم يتبع موافقتهم روى البخاري في التفسير عن انس رضي الله عنه قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ائتنا بعذاب اليم فنزلت وما كان الله ليعذبهم الى عن المسجد الحرام ولما نفى عنهم الولاية ذكر اهلها
فقال ان اي ما اولياوه اي بالاستحقاق الا المتقون اي العريقون في هذا الوصف بما يجعلون بينهم وبين ما يسخط الله من وقايات الطاعات
لا كل من امن بل خاصة المومنين وهم ليسوا كذلك لتلبسهم الان بالكفر ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ليس لهم علم بالامور ليميزوا بين الحق والباطل
والمتقي والفاسق وخير العواقب وشرها ولعله عبر بالاكثر اعلاما بان فيهم المعاند لانه كان منهم من امن بعد ذلك فصار من اولي العلم ولما كانوا
يفعلون عند البيت ما ينزه البيت عنه مما هو غاية في الجهل قال مبينا لجهلهم واختصاصهم للنكال وبعدهم عن استحقاق ولايته وما كان
صلاتهم اي التي ينبغي ان تكون مبنية على الخشوع وزاد في التشنيع عليهم بقوله عند البيت اي فعلهم الذي يعدونه صلاة او بدل نهاية
الا مكاء اي صفيرا يشبه صفير الطيور والديرير الحرث صوت قال ابو حيان وجا مكا على فعال من مكا يمكو مكوا ومكا اذا صفر بفيه
او شبك اصابعه وصفر فيها ومكت الشجرة بريحها صوتت والديريرة الحرث صوت وقال ابو حيان وجا مكا على فعال اي بالضم
ويكثر فعال في الاصوات كالصراخ انتهى وتصدية اي وتصفيقا كان اهل الجاهلية يطوفون عراة ويصفرون بافواههم ويصفقون بايديهم
فيكون تصويتهم ذلك يشبه الصدى الذي هو ترجع الصوت في المكان الخالي فهو كناية عن ان صلاتهم لا معنى لها واصله صدد مضاعف اذا
اعرض ومال مثل التقضي من تقضض لهذا اللهو لا عبادة وهزء لا جد مع ان الامر جد واي جد كما قال تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا
تبكون وانتم سامدون ولا تبكون في حال جدكم بدابكم في العمل الصالح فهذا الذي يعملونه مثال البيت فهو خرب لا تعمير قال مقاتل كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى في المسجد قام رجلان من المشركين عن يمينه يصفران ويصفقان ورجلان كذلك عن يساره ليخلطوا عليه
صلاته وتقدير الكلام على قراءة الاعمش صلاتهم بالنصب وما كان شيا الا مكاء وتصدية صلاتهم فنفى ما يجعلونه صلاة كل شي الا المكا
والتصدية فالصلاة مقصورة عليهما بهذا الاعتبار فقد صارت لهذا الطريق بمعنى القراءة المشهورة سوا فتامله فانه نفيس جدا
وخرج عليه الخلاف في اية الانعام ثم لم تكن فتنتهم وغيره وقد مضى هناك ما ينفع هنا ومما يجب ان يعلم ان هو لا لم يذمهم بهذا الفعل
لكونه مذموما لان الكفرا به التبيح وهو يكفي في ذمهم لانه اهل لذم لان ذمهم لكونهم اتخذوا العبادة لعبا ليتنبه بذلك على خطر من
اشبههم في ذلك فتعمد الى ما هو مباح في اصله فاتخذوه دينا فكيف اذا كان مكروها ام كيف اذا كان حراما فقبح الله قوما ادعوا
انهم اعرضوا عن الدنيا ثم اتخذوا الطبول والغنا والتصدية شعارهم ثم ضربوا به حتى يفعلوه في المساجد وزادوا على فعل
الجاهلية الرقص الذي ابتدعه قوم السامري لما عبدوا العجل فاخذوا انواعا من انواع الكفرة وجعلوها عادتهم وشعار
دياناتهم فقد انتهكوا حرمات الشريعة وبدلوها واستهانوها واستذلوها ولما كان مساق الكلام لبيان استحقاقهم العذاب
وانه لا مانع لهم منه وكان تقدم وقوعه في هذه الغزوة مباذنة وكانت المواجهة بالتعنيف وقت ايقاع ما لا يطابق بالعدو
انكا قال مسببا عن قبيح ما كانوا يرتكبونه فذوقوا العذاب اي الذي يتوعدكم الله به والذي رايتموه ببدر فطلبتموه في استعجالا
الاستهانة به بما كنتم تكفرون اي انكم تدعون بتم بهذا الفعل اهلا لذوقه بما تسترون مما دلتكم عليه عقولكم من هذا الحق الواضح
لها فلما اخبر سبحانه عن احوال الكفار في الاعمال البدنية وكان عليهم مع كثرتهم وقوتهم مستبعدا احبن بما يقربه
مبينا لاعمالهم المالية فقال ان الذين كفروا اي مع كثرتهم لا كانهم ستروا مرائي عقولهم التي هي الانسان بالحقيقة فتعقوا
بذلك لا يدرك كنهه ينفقون اموالهم اي يعزمون على انفاقها فيما ياتي ليصدوا اي ليحملوا انفسهم وغيرهم عن سبيل الله اي عن
سلوك طريق الذي كل بدا في عظمته مع اتساعه ووضوحه وسهولته فسينفقونها اي بحكم قاهر لهم لا يقدرون على الانفكاك
عنه ثم تكون اي بعد انفاقها بمدة وعبر بعبارة ظاهرة في حصرها فقال حسرة اي لضياعها وعدم تاثيرها ثم يغلبون اي كما
اتفق لهم في بدر سوا فانهم انفقوا مع الكثرة والقوة ولم يغن عنهم شي من ذلك شيا مما اراد الله لهم بل كان وبالا عليهم فانه
كان سببا لجرائتهم حتى تدموا انظروا الى الخافي وقصروا عن العواقب كالبهايم فهلكوا وكان ذلك قوة للمومنين فما كان في الحقيقة
الا لهم وهذا الكلام منطبق على ما كان سبب نزول الاية وعلى كل ما شاكله وذلك انهم لما فروا في بدر قال لهم ابو سفيان ينبغي
ان تنفقوا مال تلك العير يعني التي كانت معه وبجب على حرب محمد فاجابوا وانفقوه على غزوة احد فحصل لهم فيها بعض ظفر ثم تعقبه
الحسرة والمغلوبية في بدر الموعد وكل ما بعدها ثم اظهر وصفهم الذي استحقوا به ذلك تعليقا للحكم به وتعميما منذ دائهم بما هو
الله من ذلك فقال والذين كفروا اي حكم بدوام كفرهم عامة سوا ازدادوا على الكفر فعلا ما تقدم ام لا الى جهنم اي لا الى غيرها ولما كان

المنكى هو الحشر لكونه من معين بني للمفعول قوله يحشرون اى بعد الموت لهم في خزى دائم دنيا واخرى ويجوز ان ينجوز بجهنم عن اسبابها
فيكون المعنى انهم يستدرجون بمباشرة اسبابها اليها ويحملون في الدنيا عليها وهذه الايات مع كونها معلقة بما لهم في الدنيا وما لهم في
الاخرة من ان اخزاهم في الدنيا التى كما كشف عنه الزمان عظائم من اعلام النبوة وفي الاخرة جهنم هي مبينة لكذبهم في قولهم لو نشاء
لقلنا مثل هذا فانهم لو كانوا صادقين في دعواهم لقالوا امثاله ثم قالوا لو كان هذا هو الحق لاغيرهم لما تلنا مثله موضع توهمهم ان كان هذا
هو الحق الى اخره واما ابتداء المكاء والتصدية فكانها تقول لهذا القران في اعلى درج البلاغة ولم تؤهلوا انتم مع ادعائكم السبوغ في البلاغة
لان تعارضوه بشيء منه له اهلية شيء من البلاغة بل تركتم الى اصوات الحيوانات العجم حقيقة فلا اخلى من هذا البيان على ما ادعيتم
من الزور والبهتان ● واما اية الانفاق فقابلة لو قدرتم في معارضته على اتفاق الاقوال ● لما عدلتم عنه الى انفاق الاموال
المفضي الى معاسات الاهوال ● وفساد الاشباح ● ونفوق ما جوت من الارواح ● المودى الى الذل السرمد ● ما لعذاب المويد ● ولما ذكر
حسر الكافرين ذكر علته فقال معلقا بحشرون ليميز الله اى الذى له صفات الكمال بذلك الحشر الخبيث من الطيب اى انما جعل للكفار د
دار تخصهم وحصولها لاظهار العدل والفضل بان يميز الكافر من المومن بجعل لكل دار تتميز بها عدلا في الكافرين وفضلا على المومنين ويجعل
الطيب في مكان واسع حسن ويجعل الخبيث اى الفريق المتصف بهذا الوصف بعضه على بعض والركم جمع الشيء بعضه فوق بعض فكان
قوله فيركمه جميعا عطف تفسير مؤكد الذى قبله في ارادة الحقيقة مع افهام شدة الاتصال حتى يصير الكل كالشيء الواحد كالسحاب
المركوم والنتيجة قوله فيجعله في جهنم اى دار الضيق والغم والتجهم والهم ولما كان هذا امر الافلاح معه استانف قوله جامعا
تصريحا بالعموم اولئك او البعداء البغضاء الذين افهمهم اسم الجنس في الخبيث هم الخاسرون اى خاصة لتناهى خسرانهم
لانهم اشتروا باموالهم اهلاك انفسهم ولما بين ضلالهم في عباداتهم البدنية والمالية وكان ذلك في كثير من العبارات السالفة القاطع
للذين كفروا بالمفظ الماضى بالشقاء كان ذلك ربما اوهم ان كان يراد من وقع الكفر في الزمن الماضى وان تاب فيكون مويسا من التوبة فيكون موجبا
للثبات على الكفر قال تعالى متلطفا بعباده مرشدا لهم الى طريق الصواب مبينا لهم المخلص مما هم فيه من الوبال في جواب من كان قال ما
لهم من حيلة يتخلصون بها من الخسارة قل للذين اى لاجل الذين كفروا انما قبل توبة من تاب منهم لمجرد انتهائه على حاله ان ينتهوا اى
بتجدد لهم وقتا ما الانتهاء عن مغالبتهم بالانتهاء عن كفرهم فيذلوا لله ويخضعوا لاوامره يغفر لهم بناه للمفعول لان النافع من الغفران
وهو محو الذنب ما قد سلف اى مما اجترحوه كائنا من كان فيمحى عينا واثرا فلا عقاب عليه ولا عتاب وان يعودوا اى ثبتوا على كفرهم
اى الى المغالبة فقد مضت سنة اى طريقة الاولين اى جرت وانقضت ونفذت فلا مرد لها فلينظروا ما سمع من اخبار الماضين وشوهد
من حال اهل بدر مما اوجب القطع بان الله مع المومنين وعلى الكافرين ومن كان معه نصر ومن كان عليه خذل واخذ وقد كتب الله لاغلبن انا
ورسلي ولينصرن الله من ينصره والعاقبة للمتقين وان كانت الحرب سجالا ولما اشار ختم الاية الى قتالهم ان امروا وكان التقدير فاقدموا
عليهم حيث ما عادوا وكم اقدام اللبوث الحوبة غير هايبين كثرتكم ولا قوتكم فان الله اخذهم خاذلهم عطف عليه قوله مصرحا بالمقصود وقاتلوهم
اى دائما حتى لا تكون فتنة اى سببا يوجب ميلا عن الدين اصلا ويكون الدين ولما كانت هذه الوقعة قد سرت كآبة الله بعينها في
القلوب فوجبت بما وجب فضاقت وضعفت صدور الكافرين وانشرحت وقويت قلوب المومنين اقتضى هذا السياق
التاكيد فقال كله لله اى الملك الاعظم خالصا غير مشوب بنوع خوف واغضا على قذى وصل الفتنة الخلطة المحيلة ولزوم
ذلك ان تكون التسبب عظيما لان الشيء لا يحول عن حوله الا لامر عظيم لان مخالفة المالوف عسرة ومنه الفتن وكذا فتنت الفضة
وهو ان تعلى المرق فيلزق بجوانبها والتوبة الفقر لانه موضع ذلك ويلزمه الاخلاص من فتنت الذهب اذا دبته فتميز جيده
من رديه وتارة يكون الميل الى جهة الردى وهو الاغلب وتارة الى الجيد ومنه وفتناك فتونا ولما كان لهم حال اللقاء حالان
اسلام واقبال وكفر واعراض واخلال قال مبينا لحكم القسمين فان انتهوا اى عن قتالكم بالمواجهة بالاسلام فاقبلوا
منهم وانتهوا عن سبهم بسوء ولا تقولوا انهم متعوذون بذلك غير مخلصين تمسكا بالتاكيد بكله فانه ليس عليكم الا درهم
عن المخالفة الظاهرة واما الباطنة فالى الله فان الله اى المحيط علما وقدرة وقدم الجر ودل اهتماما به اتفاما لان العلم به
كالمختص فقال بما يعملون اى وان دق بصير فيجازيكم واما انتم فلستم عالمين بالظاهر والباطن معا فنقبلكم ثبوت
الظاهر والله بما تعملون انتم ايضا من كف عنهم وقبول لهم لله او لحظ نفس بصير فيجازيكم على حقايق الامور وبواطنها
وان اظهرتم للناس ما يقيم عذركم ويكل لكل منكم اجر ما كان عزم على مباشرته من قتالهم ان لم ينتهوا وان لم ينتهوا بل اذبروا
على قتالكم هكذا كان الاصل ولكنه سبحانه عبر بقوله وان تولوا اى عن الاجابة تبشيرا لهم لعز لمتهم وقلة ثباتهم لما القى
في قلوبكم من الرعب يؤيد ذلك قوله فاعلموا ان الله اى الذى له الاحاطة الكاملة بكل شيء مولاكم اى متولي اموركم فيفعل
لكل معكم ما يفعل من يتولى امر من يحبه من الاجتهاد في تحصيل ما ينفعه ودفع ما يضره فهو لا محالة ناصركم ثم استانف مدحه
بما هو اهله تعريفا بقدرة وترغيبا في توليه فقال نعم المولى ولم يدخل فا السبب هنا لان المامور به العلم واعتقاد
كونه مولى واجب لذاته لا لشيء آخر بخلاف ما في آخر الحج فان المامور به هناك الاعتصام ونعم النصير اى فلا تخافون اصلا
فان زادت كثرتهم وقويت شوكتهم فلا تبادروهم حتى لا تكون الا كلمة الله ولما كان التقدير فاذا اعانكم مولاكم عليهم وغلبتموهم
وغنمتم منهم فلا تنسبوا الا نفسكم فعلا بل اعلموا انه هو الفاعل وحده لان جميع الافعال متلاشية بالنسبة الى فعله فلا

فلا يتنازعوا في المغنم تنازع من اخذه بقوته وحازه بقدرته عطف عليه قوله واعلموا انتدابا لهذا الامر اشارة الى ان ما بعدها
من المهمات ليبذلوا الجهد في تعرفها اذ انهم لو عيه وتنزيله منازله ودعيه انما اى الذى غنمتم والغنيمة لغة الفوز بالشيء
وشرعا ما دخل في ايدي المسلمين من مال الكفار وقهرا بالخيل والركاب واذا في التعميم حتى لا يقل بما يمكن بقوله من شيء اى حتى الخيط
والمخيط فانه كله له لانه هو الناصر وحده وانما انتم آلة لا قدرة لكم على مقاومة الاعداء الا بانهم جميع اهل الارض لا نسبة لكم منهم
في عدد ولا قوة اصلا فالجارى على منهاج العدل المتعارف عندكم ان ياخذه كله ولا ينيلكم من شيء منه فالخمس نسماه لنفسه ورده عليكم
وهو معنى قوله فان لله اى الذى له كل شيء خمسه ولما كان من المعلوم ان الله تعالى اجل من ان ينال الذى ينفع او ضر كان من المعلوم ان ذكر الله
سبحانه انما هو للاعلام بان اسلام هذا الخمس والتخلى عنه لاحظ للنفس فيه وانما هو لمحض الدين تقربا الى الله سبحانه فذكر مصرفه بقوله
وللرسول اى يصرف اليه خمس هذا الخمس ما دام حيا ليصرفه في مصالح المسلمين ويصرف بعده الى القايم مقامه فيفعل فيه ما كان صلى الله عليه وسلم
يفعله ولذي القربى اى من الرسول لدهم الا الذين حرم عليهم الزكاة بنو هاشم وبنو المطلب واليتامى اى لضعفهم والمساكين لعجزهم وابن السبيل
اى المسافر لان الاسفار مظنات الافتقار فالحاصل انه سبحانه لم يرد اكم من المغنم شيئا فاعرفوا فضله عليكم اولا بالانعام بالنصرة ثانيا
بحل المغنم وثالثا بالاسكان من الاربعة الاخماس ورابعا برد الخمس الخامس فيكم فاشتغلوا بشكره فضلا عن ان تعفلوا عن ذلك فضلا عن
ان تتوهموا ان لكم فعلا تستحقون به شيئا فضلا عن ان يفعلوا من المنازعة في المغنم فعل القاطع بالاستحقاق اعلموا ذلك كله علم
المتصدق المومن المذعن لما علم ليفنا عند ثمرة العمل ان كنتم صادقين في انكم امنتم بالله اى الذى لا امر لاحد معه وما اى وبالذى انزلنا اى انزله
ولصاحبها الا من التفرح عنكم من القران والجنود والسكينة في قلوبكم وغير ذلك مما تقدم وصفه على عبدنا اى الذى يرى ان يمان الاتفاق
كله لنا فلا ينسب لنفسه شيئا الا بنا يوم الفرقان اى يوم بدر الذى جعلنا لكم فيه عزا استنقذ فيه اقوالكم وافعالكم في فصل الامور
ولما وصفه سبحانه بالفرقان تذكيرا لهم بالنعمة فيه بما صور حالهم فيه ايماما لذلك وابدا لسنه فقال يوم التقى اى عن غير قصد من الفريقين
بل بمحض تدبير الله الجمعان اى اللذان احدهما انتم وكنتم حين التراءي لولا فضلنا قاطعين بالموت وثانيهما اعداؤكم وكانوا على اليقين
بانكم في قبضتهم وذلك هو الجارى على مناهج العوايد ولو قيل يوم بدر لم يفد هذه الفوائد ولما كان انعكاس الامر في التعبير محل العجب
ختم الاية بقوله والله على كل شيء اى من نصر القليل على الكثير وعكسه وغير ذلك من جميع الامور قدير فكان ختمها بذلك كاشفا للسر
ومزيلا للعجب ومبينا ان ما فعل هو الجارى على سنن سننه المطرد في قديم عادته عند من تعلم ايامه الماضية ● في جميع الاعصر
الخالية ● ولما ذكر لهم يوم ملتقاهم صور لهم حالتهم الموضحة للامر المبينة لما كانوا فيه من اعترافهم بالعجز تذكيرا لهم بذلك
وصرفا وردعا عن المنازعة ● وردا الى المطاوعة ● فقال مبدلا من يوم الفرقان اذ انتم نزول بالعدوة الدنيا اى القربى
الى المدينة وهم اى المشركون نزول بالعدوة القصوى اى البعدى منها القريبة الى البحر القاصد الى الوادى يا ونجد الذلك
الا ان هذا اكثر استعمالا والقصوى اقل استصحابا والعدوة بالكسر في قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وبالضم في قراءة غيرهم جانب الوادى
وشطه وما دلها ابن توسعب كان يدل على الاضطراب ويلزمه المجاوزة والسكون والاقبال والرجوع والاستيثاق والمحل القابل
كذلك فكانها الموضع الذى علا عن محل السيل فكان موضعا للعدو والركب اى العير الذى فيه المتجر الذى خرجتم لاجله وقائده وبه يوحنا
ابو سفيان ونصب على الظرفية قوله اسفل منكم اى ايها الجمعان الى جانب البحر على مدى من ثريه تقعون عليه وتمدون ايديكم اليه
مسافة ثلاثة اميال كما قال البغوى وهو كان نصحكم وسوقكم فلو كانت بكم قوة على طرده واخذه لمدتم اليه الطرف ● وغالبتم عليه
لحتف ● ولكن منعكم من ادراكه ما مو لكم منه من كان جاثما بتلك العدوة جثوم الاسد ● وانتم ايها هو فيه من القوى والعدد
كما قال صلى الله عليه وسلم لسلمة بن سلامة بن وقش رضي الله عنه لما قال في تحقيرهم بعد قتلهم وتدميرهم ان وجدنا الا عجايز
صلعا ما هو الا ان لقيناهم فمنحونا اكتافهم جوابا له اولئك يا ابن اخي الملأ لو رأيتهم لهبتهم ولو امروك لاطعتهم ثم استصغارا
لانفسكم عن مقاومتهم لولا رسولنا يبشركم وجنودنا تثبتكم والى مثل هذه المعاني اشار تصوير مكانهم ومكان الركب ايماء الى
ما كان فيه العدو من قوة الشوكة وتكامل العدة وتمهد اسباب الغلبة وضعف حال المسلمين وان ظفرهم في مثل هذا الحال ليس
الا صنعا من الله وما في البيضاوي تبعا للكشاف من ان العدوة الدنيا كانت تسوخ فيها الاقدام ولا ماء بها يتقدم رده اول
السورة بان المشهور في صحيح مسلم والسير وغيرها ان المومنين هم السابقون الى الماء وان جميع ارض ذلك المكان كانت رملا تسوخ
فيه الاقدام فاني المسلمون بوس المطر ما لبد لهم الارض وان المشركين منه ما لم يقدروا معه على الحركة ولو تواعدتم انتم وهم
على الموافاة الى تلك المواضع في آن واحد لاختلفتم في الميعاد اى لان العادة قاضية في ذلك الامر من احدها بعد المسافة التى كنتم
بها وتعذر توقيت كل سير كل فريق منهم بسير صاحبه والثاني كراهتهم للقاء بهم لما في انفسهم من قوتكم وضعفكم وقد
كان الذى كره اليكم لقاءكم قادر على ان يكره اليهم لقاءكم فيقع الاخلاف من جهتهم كما كان في بدر الموعد واما في هذه الغزوة
فدعاهم من حماية غيرهم داع لم يستطيعوا التخلف معه وطمس الله بصائرهم وثنى فلوكانهم مع قول ابي جهل لما كان
السبب لاعظم في اللقاء لمن عزم عليه الكلاب المهددة بالسلاح والرجال ان كنا نقابل الناس فما بنا ضعف عنهم وان كنا نقابل
كما يزعم محمد الله فما لاحد بالله من طاقة وقوله ايضا في هذه الغزوة للاخنس بن شريق ان محمدا صادق وما كذب قط فعل الله ذلك
لما علم في ملاقاتهم لكم من اعلاء كلمته واظهار دينه ولكن اى دبر ذلك سبحانه حتى توافيتم الى موطن اللقاء كلكم في يوم واحد على

غير ميعاد ولم تختلفوا في موافاة ذلك الموضع مع خروج ذلك عن العادة لكونه اتفق اسبابه فاطمعكم في العير ولا مع ما انتم فيه من الحاجة
ثم وعدكم احدى الطائفتين منهما ولخوف قريش على تجارتهم عيرهم لم يجدوا انه بدا ولما يحبون غيرهم ادوذهم الرؤيا فالسعة والبطر بما
هم فيه من الكثرة والقوة كما قال ابو جهل لا نرجع حتى نرد بدرا فننحر بها الجزور ونشرب الخمور وتعزف علينا القيان ● ويطعم من حضرنا
من العرب فلا تزالون تهابوننا مدى الزمان **ليقضي الله** اي الذي له جميع الامر باعزاز دينه باعزازكم واذلالهم **امرا كان** كما يكون
الجبلات والطبايع في التمكن والاتمام **مفعولا** اي مقدرا في الازل من لقائكم وما وقع فيه من قتلهم واسرهم على ذلك الوجه العظيم
فهو مفعول لا محالة ليتبين به ايمان من امر باعتماده على الله وتصديقه بموعوده وكفر من كفر ولما علل ذلك التدبير باللقا في قوله
ليقضي علل تلك العلة بقوله **ليهلك** اي بعد رؤية ذلك اللقا المتضمن الخارق للعادة **من هلك** اي من فريق الكفار في حالة القتال
وبعدها والمسلمين هلاكا مجاوزا وناشيا **عن** حالة **بينة** لما بان من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الوقعة وكلما وعد به وكذ
الكفار في كل ما كانوا يقولونه قاطعين به مع ان ظاهر الحال يقتضي لهم فكان ذلك من اعظم المعجزات **ويحيى من حيي** اي بالاسلام حياة هي
في اعلى الكمال بما يشير اليه قراءة نافع والبزي عن ابن كثير وابي بكر عن عاصم باظهار اليائين او في دني الكمال بما يشير اليه ادغام الباقين
تخفيفا حياة متجاوزة وناشية **عن** حالة **بينة** اي كاينة بعد البيان في كون الكافرين على باطل والمومنين على حق لما سياتي من انهم
كانوا يقولون غر هولاء دينهم ثم تبين المغرور ● وكشفت عجايب المقدور ● عن اعين القلوب المستور ● ولما كان التقدير فان الله على
فعل ذلك لعزيز حكيم عطف عليه قوله **وان الله لسميع** اي لما كنتم تقولونه وغيره **عليم** لما كنتم تضمرونه وغيره فاستكينوا لعظمته
وارجعوا عن منازعتكم لخشيته ● ثم اتم سبحانه تصوير حالتهم بقوله مبينا ما اشار اليه من لطف تدبيره **اذ** اي اذكروا اذا اردت علم
ذلك حين **يريكهم الله** اي الذي له صفات الكمال فهو يفعل ما يشا **في منامك قليلا** تاكيدا لما تقدم الاعلام به من ان المصادمة فضلا
عما نشا عنها ما كان الا منه وانهم كانوا كالالة التي لا اختيار لها وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم راهم في منامه قليلا فحدث اصحابه
رضي الله عنهم بذلك فاطمانت قلوبهم وتجرءوا ذلك وغيرها ما كان يحصل من الفساد لولا ذلك فقال **ولو اراكهم** اي في منامك او غيره **كثيرا**
ولما كان الاخبار لعدد الوقعة بغتة مما وقع فيها مما يقتضي طبع البشر التوقف فيه اكد قوله **لفشلتم** اي جبنتم **ولتنازعتم** اي اختلفتم فنزع
كل واحد منزعا خلاف منزع صاحبه **في الامر** اي فوهنتم فزادكم ذلك ضعفا وكراهة للقايهم **ولكن الله** اي الذي احاط بكل شي قدرة وعلما
سلم اي ولكن لم يركهم كذلك فحصلت السلامة مما كان يترتب عنها من النكوص ثم بين العلة في ترتيبه ذلك واخباره بهذا الامر المؤذن
بقوله **انه عليم** اي بالغ العلم **بذات الصدور** اي ضمايرها من الجراة والجبن وغيرهما قبل حظورها في القلوب ولما بين ما نشا عن رويته
صلى الله عليه وسلم من تقليلهم وما كان ينشا عن روية الكثرة لو وقعت لانه صلى الله عليه وسلم لما هو من النصيحة والشفقة كان يخبرهم بما راى
كما اخبرهم في غزوة احد البقر المذبحة اتبعه ما فعل من اللطف في رويتهم بانفسهم بقعة فقال **واذ** اي واذكروا ايضا واذ **التقيتم** اي
بعضكم اياهم **واذ** اي حين **يريكموهم** ونبه على ان الروية ليست على حقيقة ما هم عليه بقوله **في اعينكم** اي لا في نفس الامر حال كونهم
قليلا اي عددهم ليتيسر امرهم مصدقا لما اخبركم به النبي صلى الله عليه وسلم عن روياه ليجترءوا عليهم روي عن ابن مسعود رضي الله
عنه انه قال لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال
الفا قال الحرالي فقللهم حين لم يرهم اياهم على الحقيقة العشرية ولا اراهم اياهم على الصورة الحسنة فكان ذلك اية للمومنين على قراءة يا
الغايب اي في ال عمران وكانت اية للكفار على قراءة ترونهم بتا الخطاب فكان في ذلك اظهار الاراة في اعين العينين نحو ما كان من
الاراتين الواقعة بين موسى عليه السلام والسحرة في ان موسى عليه السلام ومن معه خيل اليهم من سحرهم انها تسعى وان فرعون ومن معه
راوا ثعبانا مبينا يتلقف ما يافكون روية حقيقية فتناسب ما بين الايات الماضية والايات القايمة لهذه الامة بوجوه من ما وكل
هذه الاية اشرف والطف ما هي في مدافعة بغير الة من عصا ولا حبل في ذوات الفئتين واحساسهم انتهى ولما ذكر ما احاله سبحانه على
من احساس الفئتين علله بقوله **ليقضي الله** اي الذي له العزة البالغة والحكمة الباهرة من نصركم وخذلانهم بان تفاجيهم كثرتكم
بعد رويتكم قليلا فيفجاهم ذلك ويهزمهم **امرا كان مفعولا** اي من اعجاجهم بما فجاهم من الكثرة بعد القلة عن الحذر والاستعداد وعما
فعل بايديكم في هذه الغزوة من القتل والاسر والهزيمة المثمر لذل جميع اهل الكفر كان مقدرا في الازل فلا بد من وقوعه على ما حده
لانه لا راد لامره ولا مبدل القول لديه فعل ذلك كله وحده ولما كان التقدير فبيده سبحانه ابتدا الامور بتقديره اياها في الازل
لا بيد احد غيره عطف عليه قوله **والى الله** اي الملك الذي بيده وحده كل امر **ترجع الامور** اي كلها فلا ينفذ الا ما يريد انفاذه فلا تجري
الامور على ما يظنه العباد وهو من قولك هذا الامر راجع اليك اي بما اردته فيه مضى ولو فرض ان غيرك عالجه لم يوثر فيه ولا يزال
كذلك حتى يرجع اليك فيمضي فالحاصل ان فيه قوة الرجوع بهذا الاعتبار وان لم يكن هناك رجوع بالفعل وفي هذا تنبيه على ان امور
الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يصلح ان يكون زادا ليوم المعاد ولما تقرر ذلك وتم على هذا السبيل الاحكم ● والمنهاج
الاقوم كان علة لمضمون قوله **يايها الذين امنوا** الايتين فكانتا نتيجته لانه اذا علم ان الامر كله له ولا اثر لقلة ولا كثرة الحق
لمن هو في ادنى درجات الايمان فضلا عن غيره قلة المبالاة بالظالمين فان تجاوزن قواهم الحد ● وزادوا اكثرة على العد ● ٥
والايتان تذكير لهم بحالتهم التي اوجبت نصرهم ليلزموها في كل معترك ولا يتنازعوا كما تنازعوا في المغنم **اذا لقيتم** اي قاتلتم لان
اللقا اسم للقتال غالبا **فئة** اي طايفة مستحقة للقتال كما اغنى عن وصفها بذلك وصفهم بالايمان **فاثبتوا** اي في لقايها نفسا لها

بشا لما كنتم في بدر ولا تحدثوا انفسكم بفرار **واذكروا الله** اي الذي له كل كمال فكل شي يطلب فهو عنده يوجد **كثيرا** اي كما صنعتم ثم لان ذلك
امارة التصديق في الاعتماد عليه وحده وذلك موجب للنصر لا محالة كما في الحديث القدسي ان عبدي كل عبدي الذي يذكرني عند لقاء قرنه ولما
امر بذلك علله باداة الترجي ليكون ادل على انه سبحانه لا يجب عليه شي فيكون ابعث للايمان فقال **لعلكم تفلحون** اي ليكونوا على رجاء من الفلاح وهو
الظفر بالمراد من النصر والاجر كما كنتم اذ ذاك **واطيعوا الله** اي الذي له الغنى المطلق فلا يقبل الا الخالص والكمال الاكمل فلا يفعل الا ما يريد
ورسوله اي في الاقدام والاحجام لحملكم بالعواقب وتلك الطاعة امارة اخلاصكم في الذكر **ولا تنازعوا** بان يريد كل واحد نزع ما لصاحبه من
راي وغيره واثبات ما له واشار الى عظيم ضرر التنازع بتبيين ثمرته المرة فقال **فتفشلوا** اي تضعفوا قال في القاموس فشل كفرح فهو فشل
كسل وضعف وتراخى وجبن انتهى والمادة راجعة الى الفيشلة وهي الحشفة ومن لازمها الرخاوة وتنشا عنها الرخاوة الجبن مع الصلف
والخفة والطيش ولما كان الفشل بما كان معه الظفر يفشل العدو واكثر منه وغيره لذلك عطف بما يلزمه غالبا بالواو دون الفاء فقال
وتذهب ريحكم اي غلبتكم وقوتكم واصله ان الريح اذا كانت في الحرب من جهة صف كانت في وجوه اعداهم فمنعتهم مما يريدون فتخذ
نصارت كانها قوة من انت من عنده فصارت تكنى بها عنها ثم ختم هذه الاشياء بالجامع ليشملها الناظم لمقاصد اهلها فقال **واصبروا**
اي على ما يكون من تلك المشاق فانكم ان تكونوا تالمون فان اعداكم كذلك وانتم ترجون من الله ما لا يرجون ثم علل عنه النصر في الحقيقة
فقال **ان الله** اي المحيط بصفات الكمال **مع الصابرين** اي لانهم لا يصبرون الا اعتمادا عليه ومن كان معه عز وهذه الجملة جميع
ما كما قال الامام شمس الدين محمد بن قيم الجوزية في اخر كتاب الفروسية المحمدية قد بين لحرب احسن جمع على اتم وجه لجمع فيها فامر فيها
بخمسة اشيا ما اجتمعت قط في فئة الا انتصرت وان قلت في جنب عدوها وخامسها ملاك ذلك وقوامه واساسه وهو الصبر فعلى
هذه الدعايم الخمس تبنى قبة النصر ومتى زالت او بعضها زال من النصر بحسبه واذا اجتمعت قوى بعضها بعضا وصار لها اثر عظيم ٥
لما اجتمعت في الصحابة رضي الله عنهم لم يقم لهم امة من الامم ففتحوا البلاد شرقا وغربا ودانت لهم العباد سلما وحربا ولما تفرقت
في من بعدهم وضعفت الى الامر فلذلك نقله الى ما ترى فلا قوة الا بالله والجامع لذلك كله طاعة الله ورسوله فانها موجبة لتايد المطيع
بقوة من هو في طاعته وذلك قول ابي الدردا رضي الله عنه الذي رواه البخاري في باب عمل صالح قبل الجهاد انما تقاتلون الناس
باعمالكم شرح قدمه قال لي انا السفر الخامس من التوراة وان انتم سمعتم قول الله ربكم وحفظتم وعملتم بكل هذه الوصية التي امركم
بها اليوم يمنا لبارك الله ربكم كما قال لكم وترثون ان تعرضوا شعوبا كثيرة ولا ترقنوا وتسلطون على شعوب كثيرة ولا يتسلطون عليكم
ولما ذكرهم سبحانه ما اوجب نصرهم امرهم بالثبات عليه فذكرهم ما للاعداء الذي اوجب قهرهم ناهيا عنهم تعريضا بحال المنازعة في الا
والعناجال من يريد الدنيا فيوشك ان تمادت ان تجر الى مثل ما لهولا الذين محط نظرهم الدنيا فقال **ولا تكونوا** اي يا معشر المومنين ٥
كالذين وصور قبح عملهم من اوله الى اخره فقال **خرجوا من ديارهم** اي كل واحد من داره وهم اهل مكة وكل من عمل مثل عملهم كان مثلهم وكذا
عبر بالوصف لبقيهم **بطرا** اي طغيانا وتكبرا على الحق ومادة بطر اي ترتيب تعنق تدور على اللين القابل للعمل حتى بطرقانه لولا الضعف
ما استوثق من المربوط ومنه بطر الجرح وهو شقه والبيطار وتارة يكون ذلك اللين عن دهش ومنه ابطرت حلمه اي ادهشته عنه فذهب
ومنه بطرا اي باطلا للضعف عنه للتحيرة في الامر الموصل اليه وتارة يكون عن تجاوزة الحد في الصلابة ومنه بطر النعمة اذا لم يشكرها فيها
الحد في المرح فان فاعل ذلك ممكن الحكيم من مقابلة نيا خذه وهو يرجع الى عدم احتمال القوى للشكر ففاعل ذلك ضعيف وان ظهر منه خلاف
ذلك كما قال عمر رضي الله عنه العدل وان رئي لينا اكف عن الظلم من الجور وان رئي شديدا او كما قال رضي الله عنه واقرب من ذلك ان كون
المادة دايرة على الخلطة الناقلة من حال الى حال ولما ذكر الحامل لهم على الخروج من انفسهم ذكر ما اوجد لهم من غيرها فقال **ورئا الناس**
اي خرجوا يرون الناس خروجهم وما ينشا عنه ليروهم ما يقولون فيه قد نجى الله عيركم فارجعوا ابطروا النعمة تنحالا الى محل حيث
قال والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنشرب الخمور وننحر الجزور وتعزف فينا القيان فتسمع بنا العرب فلا تزال تهابنا ابدا فسقوا مكان
الخمر كوس المنايا الحمر وناحت عليهم نوايح الزمان مكان العزف والقيان ولما ذكر نفس الخروج وما فيه من الفساد ذكر ثمرته الخبيثة
الناشية عن ذينك الخلقين وعبر عنها بالاسم اشارة الى الثبات كما هو شان الاخلاق وعن الثمرة بالمضارع تنبيها على انهم لا يزالون
يجددونها فقال **ويصدون** اي يوجدون الصد وهو المنع لانفسهم وغيرهم **عن سبيل الله** اي الملك الاعظم في ذلك الوجه وهم
عازمون على تجديده لذلك في كل وقت فلما كانت طرق مقاصدهم كان نسخهم هيلا وبنايهم واهيا فانها من عمل الشيطان وكل عمل لا يكون
لله اذا اصدم بما هو لله اضمحل لانه سبحانه اجرى سنته ولن تجد لسنة الله تحويلا ويكون ذلك سقوطا على ما تقدم فابطل الله بجلاله
وعظمته اعمالهم **وهو بما يعملون محيط** فهم في قبضته فاوذهم اذ خرجوا يحاربونه بدرا نحر مكان الجزور رقابهم وسقاهم مكان
الخمر كوس المنايا واصاح عليهم مكان القيان صوايح النوايح ولعله قدم الجار اشارة الى انه بشدة اعمالهم كانه لا نظر له الى غيرها
فلا اشتغال له عنها ولما بين لهم فساد اعمالهم لفساد نياتهم كتغيرا منها زاد في التنفير بالاشارة الى الامر بذكرها بعطفها على غير
معطوف عليه مذكور فقال **واذ** تعلم ان التقدير فتلقا اذكروا ذلك واذكروا اذ وزاد في التنفير بذكر العدو المبين والتنبيه
على ان كل ما يامر به انما هو خيال لا حقيقة له كما كان ما سول لهم من هذا الامر فقال **زين لهم الشيطان** اي العدو المحترق البعيد من الخير
اعمالهم التي اتقنوها بزعمهم ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه تبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني
حين خافوا من قومه بني كنانة ان يخلفوهم في اهلهم لسوء ما كان بينهم مما يوجب ذلك فكاد ذلك ان يثبطهم عن المسير **وقال**

عادا هم فمن خلفوه بقوله في انفسهم لا غالب لكم والجار خبر لا والا لانتصب اسمها لكونه يكون اذ ذاك شبيها بالمضاف اليوم من الناس
وعادا هم فمن خلفوه بقولهم واني جار لكم من ان يخلفكم كنانة بشيء تكرهونه وسار معهم الى بدر ينشطهم ويشدد همهم ويثبطهم لهذا
القول الظاهر الى ما يوسوس لهم به في الصدور فلما تراءت الفئتان اي اذا كل فئة الاخرى اي جبريل عليه السلام في جنود الله
نكص اي رجع يمشي القهقرى وبطل كيده وانار وسوسته على عقبيه اي الى وراءه فقالوا ابن ابي سراقة ولا يظنونه الا سراقة
فمر ولم يجبهم ولا عرج عليهم وقال اي بلسان الحال او القال وهم يسمعونه او لا يسمعونه اني بريء منكم ثم علل براءته منهم بقوله اني
ارى اي بعيني بصري ما لا ترون اي من الملائكة والغضب الذي هو نازل بكم فقال له الحارث بن هشام وكانت يده في يده والله ما نرى
الا جواسيس يثرب فاستأنف قوله موكدا لانكارهم ذلك اني اخاف الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما ان يهلكني معكم بالمعالجة
بالعقاب والله اي الملك الاعظم شديد العقاب فكانوا يقولون انهزم بنا سراقة فقال بلغني انكم تقولون كذا والله ما علمت بمسيركم
الا عند ما بلغني انهزامكم فكانوا يكذبونه حتى اسلموا فعلموا ان الذي غرهم الشيطان وذلك مشهور في السير وهو اولى من ان يحمل
على مجرد الوسوسة وفي الحديث ما رئي ابليس اصغر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة لما يرى من تنزل الرحمة الا ما رئي يوم بدر ولما استوفى في
ما كان يتعلق به في حقهم من سبب الجهل حتى اوليك بما هو من انفسهم وبما هو من تزيين الشيطان ابدل منه ما كان يتعلق به في حقهم
من اهل الجهل بالله وبايامه الماضية وآثاره عنده واوليائه واعدائه فقال اذ يقول المنافقون اي من العرب وبني اسرائيل قولا يجددونه
كل وقت لما لهم فيه من الرغبة والذين في قلوبهم مرض اي ممن لم يرسخ الايمان في قلبه ممن امن ولم يهاجر ام من اليهود المصافحين بالكفر حين
يرون الكفار وقوتهم وكثرتهم والمؤمنين وضعفهم وقلتهم غر هؤلاء مشيرين اليكم دينهم اي في اقدامكم على ما يقطع فيه بهلاككم ظنا ه
منهم ان الله ناصرهم وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف هم ملوك العرب فيغبطكم ذلك فكذبهم الله وصدق ام كونكم توكلكم ه
عليه وصبركم على دينكم ومن اي قالوا ذلك عالمين بانكم متوكلون على من تدينون له والحال انه من يتوكل على الله اي الذي له
الاحاطة الشاملة فهو ينيل ما بشاشكم ومن غيركم بشرطه من الايمان والسعي في الطاعة كما علمتم فعلمتم فانه معز ومكرم ولما
كان سبحانه محيطا بكل صفة كمال على الاطلاق من غير قيد بتوكل ولا غيره اظهر فقال عاطفا على ما تقديره فان الله قادر على نصرهم فان الله
اي الذي له الكمال المطلق عزيز اي غالب لكل من يغالبه فهو جدير بنصرهم حكيم اي متقن لافعاله فهو حقيق بان ياخذ عدو المتوكل عليه من
الموضع الذي لا ينفعه فيه حيلة ولما ذكرهم ما سرهم من حال اعدائهم المجاهدين والمتأثرين في الدنيا فرضعا ذلك بجواهر الحكم وبدائع
الكلم التي بملازمتها تكون السعادة وبالاخلال بها تحل الشقاوة اتبعه ما يسرهم من حال اعدائهم عند الموت وبعده فقال مخاطبا لمن لو
كشف الغطاء لم يزدد يقينا حاديا بتخصيصه بالخطاب كل سامع على قوة اليقين ليؤهل لمثل هذا الخطاب حكاية لحالهم في ذلك الوقت
ولو اي يقولون ذلك والحال انك لو ترى يا اعلى الخلق اذ يتوفى اي يستوفي اخراج نفوس الذين كفروا اي من هؤلاء القائلين ومن غيرهم
ممن تقدمهم ببدر ومن غيرهم بعد ذلك وقبله الملائكة اي جنودنا الذين وكلناهم به حال كونهم يضربون ولما كان مزيد الوجه
والدبر ادل ما يكون على الذل والخزي قال وجوههم وادبارهم اي على اقبالهم وادبارها فتغيره اولى حال كونهم يقولون لهم ذوقوا ما كنتم
به تكذبون وذوقوا عذاب الحريق اي لو رايتهم متغيرا حالها بلا وامرا فظيعا لسرك ذلك غاية السرور وما اثر كله كهم في غيظكم فانهم لو
حينئذ من الذي عزه دينه ولو وان كانت تقلب المضارع ماضيا فلا تخلو التعبير بالمضارع في حيزها من فائدة وهي ما ذكر من
الاشارة الى ان هذا لا يخص ميتا منهم دون ميت بل لا فرق بين متقدمهم ومتاخرهم من مات ببدر او غيرها وليس في الكلام ما يقتضي ل
ان يكون القائلون غير هؤلاء ديانهم حضر وابعد بل الظاهر ان قائليه كانوا المدينة وتعبيرهم بهؤلاء التي هي اداة القرب للتحقير واستهانة
اصلحهم كما ان اداة البعد تستعمل للتعظيم ببعد المرتبة وعلى مثل هذا انزل قول فرعون بعد ان سار بنو اسرائيل زمانا اقله ليلة وبعض
يوم كما حكاه الله عنه ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ان البغوي قد نقل في تفسير قوله تعالى يرونهم مثليهم راي العين ان جماعة من اليهود
حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة واذا تاملت هذا مع قوله تعالى كما اخرجك ربك علمت ان جل المقصود من هذه الايات
الى قوله ذلك بانهم قوم لا يفقهون اليهود وفي تعبيره بلا يفقهون تبكيت شديد لهم كما قال تعالى في اية الحشر لانتم اشد رهبة في صدورهم
من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون ولما عزبوا هم قولا وفعلا علموا ان هذا لهم يعقبه لهم زيادة في تاسيتهم ذلك اي هذا الامر العظيم الذي
يفعله بكم من العذاب الاليم بما قدمت ايديكم اي من الجراءة على الله وان اي وبسبب ان الله ان تعمل ذلك وان لم تقدموا شيئا فان الله
الذي له صفات الكمال ليس بظلام اي بذي ظلم للعبيد فان ملكه لهم تام والمالك التام المطلق ما يملكه الذي لا يخرج شيء عن دائرة
ملكه وهو الذي جبلكم هذه الجبلة الشريرة التي تاثرت عنها هذه الافعال القبيحة وهو لا يسأل عما يفعل من الذي يسأله ويجوز ان تكون
المعنى وليس بذي ظلم لانه لا يترك الظالم يبغي على المظلوم من غير جزاء لكم على حكمكم لاهل طاعته وسياتي في فصلت حكم التعبير بصيغة فعال
المبالغة ولما بين ما يعني ما يوجب الاجتماع عليه والرجوع في كل امر اليه وبين ان من خالف ذلك كان اتبعه بما بين ان هذا سنة القوم
والاطراد بحيث لا يخص زمانا دون زمان ولا مكانا سوى مكان فقال تعالى كداب اي عادة هؤلاء الكفار ودأبهم الذي داوموا عليه وداو موا
دوا واظبوا فمرنوا عليه كعادة آل فرعون ان الذين هؤلاء اليهود من اعلم الناس باحوالهم والذين ولما كان المهلكون لاجل تكذيب الرسل
بعض اهل الزمان الماضي ادخل الجار فقال من قبلهم وهو مع ذلك من دلكن لم يتقدموا لان هؤلاء الذين اشار اليهم كان هلاكهم بغير
قتال بل بعضهم بالريح وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالغرق وبعضهم بالخسف الذي هو غرق في الجامد فكانه يقول لا ينسب احد لنفسه فعلا

هكذا كان بياض من ام

فعلا فانه لا فرق عندي في اهلاك اعدائي بين ان يكون اهلاكهم بتسليط من قتال او غيره الكل بفعلي لولا انا ما وقع وهو زاجر عظيم لمن افتخر
بقتل من قتله الله على يده او نازع في النفل وهو راجع الى قوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وفي ذلك حث على التمرن
على عدم الاكتراث بشيء يكون للنفس فيه ادنى حظ ذلك اطلاقا كما هو داب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضيف شيئا من محاسنه الا الى خالقه
الا ان كان مامورا فيه بالتشريع بل يقول قتلهم الله هزمهم الله نصرهم الله نصرنا الله كفى الله فاذا صار ذلك للمستمسكين به خلقا افضى بهم الى
مدح الخالق والمخلوق لهم كما قال كعب بن زهير رضي الله عنه في مدحهم ليسوا مفاريح ان نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا
اذا نيلوا ثم بين تعالى الحال الذي شاكلوا فيه من قتلهم بقوله كفروا اي بآيات الله اي ستروا ما دلتهم العظمة عليه انوار تلوكهم
من دلالات الملك الاعلى وعظوها لانهم لم يجلوها وصدوا عن ذلك من تبعهم فكان جزاؤهم ما تسبب عن ذلك من قوله فاخذهم الله
اي الذي له جمع مجامع الكبر ومعاقد العز اخذ قهر وغلبة وعقوبة بذنوبهم كما اخذهم لانهم تجرأوا على رتبة الالوهية التي سادون
شوامخها نوافذ الابصار وتظلم عند بوارق اشعتها الانوار ويضمحل عن ادراك قربها القوى وتنقطع بتوهم الدنو من فيافيها
الاعناق ونزلت بهم صواعق هيبتها وانا خت عليهم صروف غلظتها فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ولا تحس الا ملاعبهم ه
واماكنهم ولما اخبر باخذهم علله بقوله ان الله اي الذي له الاحاطة الشاملة قوي اي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء شديد
العقاب ولما كان كانه قيل فما له يمهلهم ولا يعاجلهم بالاخذ قبل النكاية في اوليائه واهل وده واصفيائه قال ذلك اي الاخذ
على هذه الحالة بان الله اي بسبب انهم غيروا ما في انفسهم وقد كان له سبحانه ان ياخذهم قبل ان يغيروا العلم بما في ضمائرهم ولكنه
تعالى اجرى سنته الالهية لتمام علمه وكمال قدرته واحاطته بجميع صفات الكمال بانه لم يك هكذا كان الاصل ولكن حذف لاختصار ا
تقريبا لبيان تعميم العلة انقيادا للتابع من مثل ذلك وحذف نون يكون ارشادا الى ان هذه الموعظة خليقة بان يوخر عليها غاية
الايجاز فيبادر الى العمل بها لما في حسن تلقيها من عظيم المنفعة لان من خالفها جدير بتعجيل الانتقام مغيرا نعمة اي قلت او جلت
ومن انه لا نعمة على احد الا منه انعمها على قوم اي من اي طائفة كانوا حتى يغيروا اي يبدلوا ما يعتقدونه بانفسهم بغيره
مما هو غريزة لهم وهو خفي عنهم يظنون اتصافهم بضده مما هو ظاهر لهم اتصافا فاغرنا وان اي وبسبب ان الله اي الذي له
الكمال كله سميع اي لما يكذبون له الرسل ولاقوالهم ان ما يظهرونه وصفهم الحقيقي عليم اي بما يكن ضمايرهم من غيرهم وان جهلوه
هم فيبتليهم ببلاء يظهر به ذلك المكنون ويبرز كل سر مصون فاذا تعلق به العلم ظاهرا علق به الحكم فاقعل التام قيام الحجة
ولتمام علمه بحالهم امهلهم وانما يستعجل من يخاف ان يخيب فراسته او يتغير علمه واما الذي علمه بالظواهر والضماير على حد سواء ه
فالحالتان عنده سيان فهو يمهل لتمام الحكمة ولا يهمل من استحق النقمة وذلك التغيير الذي اظهره البلاء هو التكذيب بما الحق عندنا داه
والبعد عما كانوا يدعون من العدل والمشي على مناهج العقل والاستحياء من العناد والتنزه من طريق الفساد هكذا كانت كل
امة ارسلت اليها الرسل تدعي ما عندها من خلاف ذلك المستور في ضمايرها مكنون في سرايرها لا يعلمها كما يشاهد اكثر من لما
يظن في نفسه ما ليس فيها وعند الامتحان تكذبه العيان فلما جاءتهم الرسل واوضحوا لهم الامر اعتقدوا ما ليس بحق لبس فكذبوهم
غيروا ما كان في نفوسهم مما كانوا يزعمونه ثم كرر قوله كداب آل فرعون اي فرعون وقومه فانهم اتباعه فلا يتخيل انهم يفعلون
شيئا الا وهو قائدهم فيه والذين من قبلهم لرقيقة وهو انه قد تقدم انه ما من امة الا ابتليت بالضراء والسراء فالاولى بنظر الى
مقام الالهية الناظر الى العظمة والكبرياء والقهر والانتقام والثانية الى مقام الربوبية الناشئ عنه التودد والرحمة
والرافة والاكرام وكذا عبر في الاولى باسم الذات الجامع لجميع الصفات التي لفظه عن من يقول باشتقاقه موضوع لمعنى الالهية
اشارة الى انهم اعرضوا في حال الضراء عن التصديق وعاملوا بالتجلد والاضراب وكذا عبر في الاولى باسم الذات هذه الثانية باسم
الرب فقال كذبوا اي عنادا وزيادة على تغطية ما دل عليه العقل بالتكذيب بالنقل بآيات ربهم خاصا وذلك الى بطرهم
بالنعمة وتكذيبهم بسبب دعاء الرسل ولما اشار بالتعبير به الى انه غره معاملته لهم بالعطف والاحسان قال فاهلكناهم اي جميعا
بذنوبهم واغرقنا وفي نون العظمة اشارة الى انهم نسوا ان الرب كما انه يتصرف بالرحمة فلا بد ان يتصرف بالعظمة والنقمة
والالم يتم ربوبيته وهذا او منه مما تقدم في الاعراف عن التوراة في شرح فارسلنا عليهم الطوفان الى اخرها من ان فرعون
كان يسأل موسى عليه السلام عند كل نازلة الدعاء برفعها معترفا بان الرب ذو حلم واناة ورحمة وقدم الاولى اشارة الى انهم بلغوا
الغاية في الجراءة والتعبير فيه بكفروا ويؤيد ذلك اي ان جحود التسول للآيات للاعراض عنها كاف في ايجاب الانتقام ولو لم يصرح
ملفوظ بلفظ تكذيب لعظم المقام ومادة كفر باي ترتيب كان تدور على الخلطة للبلية المحلة بخصوص هذا الترتيب تدور
على الستر اي غطوا التصديق بآيات ربهم ويجوز وهو الاحسن ان يكون دورانه مطلقا لا بقيد ترتيب على الفكر وهو ارشاد
عن البصيرة في قلب امر ويلزمه الكشف والستر لانه تارة يرفع اذيال الشبه عن ذلك الشبه الامر فينجلي وتارة يسلط قوالع
الادلة عليه فيعدم ويمحق وربما ارخى اذيال الشبه عليه فاختفى بعد ان كان جليا كما كان سترها عنه فالذي قد كان جليا خفيا ولما اخبر سبحانه
بهلاكهم اخبر بالوصف الجامع لهم في الهلاك فقال وكل اي من هؤلاء ومن تقدمهم من آل فرعون ومن قبلهم كانوا اي جبلة وطبعا ظالمين
لانفسهم وغيرهم اي واضعين الآيات في غير مواضعها وهم يظنون بانفسهم العدل ثم علل اتصافهم بالظلم او استانف بقوله ان شر الدواب
اي الذين خلطوا الايمان كفروا بآيات ربهم الذي تفرد بالاحسان اليهم وشر الدواب عند الله اي في حكم الحكم العدل الذي له الامر كله وفي علمه الذين كفروا

اى منهم ومن غيرهم اى حكم عليهم بلزوم الكفر لما ركب فيهم من فساد الامزجة لعدم الملاءمة للخير فكانوا بذلك قد نزلوا عن رتبة الانسان
الى رتبة مطلق الحيوان ثم الى دركة الحشرات فالدبيب اى من الجعلان لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون
للعهود منهم فهم اى تسبب عن ذلك انهم لا يؤمنون اى لا يتجدد منهم ايمان يستمرون عليه لما سبق من عند الله علم الله فيهم فلم ينتفعوا بما اتاهم من صفة
الربوبية لختمهم صفة الالهية ولهذا ناخص الفرعون سد كر لاكثر من كان يقول بعز هولاء منهم وهم اليهود بانهم كانوا بالنسبة الى فرعون واله
اضعف من الصحابة رضوان الله عليهم بالنسبة الى قريش واتباعهم قال اليهود مع قلتهم عندهم كانوا قد دانوا لهم من الجبابرة لوالهم من اعظم
ومع ذلك فانهم بجنهم واعلمهم لما كان الله معهم واعلاء ما لهم بانهم الان كالفرعون في العناد مع ما هم فيه من القلة والذلة قد جمعوا المكر كل نوع
اخس صفاتهم وازداد احالانهم وكذلك ابدل من عموم الذين كفروا الذين عاهدت منهم وهم اليهود بلا شك اما بنوا قينقاع او
النضير او قريظة او الجميع بحسب التوزيع فكل منهم نقض ما كان اخذ عليه صلى الله عليه وسلم من العهود واخلف ما كان الله من الوعود ولما
كان العهد جديرا بالوفاء ولا سيما من الاكابر بقوله ثم ينقضون عهدهم اى يجددون نقضه كلما لاح لهم طمع برق او ذر ذر بطل بغير
في وجه الحق ثم عظم الشناعة عليهم بقوله في كل مرة ثم نبه على دناءتهم من رتبة الشرف العدد هراة السفه والسرف لعدم الخوف من عاقبة
الغدر بقوله وهم لا يتقون اى الناس في الذم لهم على ذلك ولا الله لهم في الدنيا بان يمكن منهم ولا في الاخرة بان يجزيهم ثم بركسهم بعد المناداة
بالعار في النار ولما ابانه من نقوائهم ما علموا اعلم من تكرير النقض الناشى عن غاية الحسد وصلابة الرقاب وقساوة القلوب والقساوة
على الكفر امرهم بما يوهن قواهم ويحل عراهم من البأس اللابس ما بين الباس كما جرت عادته سبحانه ان يوصيه بالرفق بعض الناس لعلمه انه
عليه ركبوا بنيانه على احسن اساس فقال ليؤكد الاجل ما جبل صلى الله عليه وسلم من محبة الرفق فاما تثقفنهم اى تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب
اى التي من شانها ان يحرب فيها المحل ويرجح ويوجب لحق المحمل فشرد بهم من خلفهم اى فنكل بهم تنكيلا يصدق ويرفق عن محاربتك
من وراهم ممن هو مثل دابهم في المناوم ولا تكرهم اصلا لان اتباعك امهر منهم واصدق فعملك الدابثة واكن فاذا او نفث كلمه ذلك لم يحسن
عليك احد لعدم انغاظهم واعتياد احالهم ومادة شرد تجل ترتيب ترد على النفود فانكان على قصد وسنن وجامع استقامة فبوش و د
[illegible]
لعلهم يذكرون [illegible]
[illegible]
وإما تخافن من قوم خيانة [illegible] فانبذ اليهم على سواء [illegible]
[illegible]
ان الله لا يحب الخائنين [illegible]
[illegible]
ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا [illegible] انهم لا يعجزون [illegible]

عن مرادنا ولا بد ان تمسكهم فانهم في قبضتنا لم يخرجوا منها ولا يخرجون فضلا عن ان يفوتوها فاصبر ولما كان هذا ربما ادخل في ترك
المناصبة والمحاربة والمغالبة اعتمادا على الوعد الصادق والوعيد بما وقع لهم في بدر من عظيم النصر من نقض العهد والعهد اتبعه ما بين
عنكم ان اللازم ربط الاسباب بمسبباتها وليبين الصادق في دعوى الايمان من غيره فقال واعدوا لهم اى للاعداء ما استطعتم اى دخل في طاقتكم
وكان بعود عهدكم معدودكم وطاقتكم من قوة اى قوة كانت وفسرها النبي صلى الله عليه وسلم بالرمي اشارة الى انه اعظم عدده
على نحو الحج عرفه وفي امرهم بقوله ومن رباط الخيل اما الى باب من الامتنان بالنصر في بدر لانه لم يكن معهم فيه غير فرسين والرباط هو
الخيل التي تربط في سبيل الله الحسن منها فما فوقها وخصها مع دخولها فيما قبل اشارة الى عظيم غنائها والرباط ايضا ملازمة ربط
العدو وربط الخيل به اعدادا للعدو ثم اجاب من كانه قال لم يفعل ذلك وما النصر الا من عند الله بقوله ترهبون اى تخوفون تخويفا عظيما
تاثيرا يؤدي الى الهرب على ما اجرت من العوائد اى بذلك الذي امرتكم به من المستطاع او من الرباط به عدو الله اى الذي له العظمة كلها لانه الملك
تعلمهم الاعلى وعدوكم اى المجاهرين والاليق بقوله وآخرين اى وترهبون به لذلك اخرين من دونهم اى يحمل على المنافقين لوصفهم بقوله لا تعلمونهم
كما قال تعالى ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم ولانهم لا يكونون دونهم الا اذا لم يكونوا الى
العداوة مثلهم وكل من ترض غير المنافقين مظهرون للعداوة واما المنافقون فانهم مدعون باظهار الاسلام انهم اولياء لا اعداء الله
اى المحيط بكل شي قدرة وعلما يعلمهم اى فهو يكفيكم ما بطن من امرهم وليس عليكم الا الجهد بحسب ما تعلمون والاية ما بالنسبة الى ما
تقدمها من باب اعقلها وتوكل والمعنى لا تظنوا ان الكفار فاتونا وافلتوا من عذابنا ما متناهم منكم فانهم في قبضتنا اين ما توجهوا
وحيثما حلوا فسوف نمكنكم ولا يعجزوننا ومع ذلك فلا يحملنا الاتكال على قوتنا على ترك اسباب مقاتلتهم بما اعطيناكم من القوى بل
ابذلوا جهدكم وطاقتكم في اعداد مكايد الحرب وما يتعلق بالرمي من القوة وما الخيل من الطعن والضرب والفروسية لتلقى بذلك رعبكم
في قلوب عدوكم القريب والبعيد من تعلمونه منهم ومن لا تعلمونه ولما كان اغلب معاني هذه الاية الانفاق لان مبنى اعداد القوة عليه
رغب فيه بقوله وما تنفقوا من شيء اى من الاشياء وان قل في سبيل الله اى طريق من له صفات الكمال من الجهاد وغيره يوف اليكم اى اجره
كاملا في الدنيا والاخرة او فيما يكون مضاعفا احوج ما يكونون الى الله وانتم لا ولما كان الخوف مطلق النقص بني للمفعول قوله تظلمون
اى لا تنقصون شيئا منه واما الزيادة فلا بد منها وهي على قدر النية ولما كان ضمان النصر والخلف في النفقة موجبا لدوام المصادمة فالبعد
من المسالمة اتبعه قوله امرا بالاقتصاد وان جنحوا اى مالوا واقبلوا في نشاط وطلب جازم للسلم اى المصالحة والتعبير باللام دون الى
لا يخلوا عن ايماء الى انها المالية لذلك لينتفى صدق الميل فاجنح ولما كان السلم مذكرا ويجوز تانيثه قال لها اى المصالحة ويكون تانيثه تانيث
ضده الحرب وكانه اختير التانيث اشارة الى انه ينتقص فيه على اقل ما يمكن من المدة بحسب الحاجة هذا اذا كان الصلاح للمسلمين
في ذلك بان يكون بهم ضعف واقصى مدة الجواز عشر سنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الزيادة ولما كان ذلك مظنة
ان يقال انه قد علم منهم من الخداع ما علم انهم مطبوعون منه على ما لا يؤمنون معه لمسالمتهم خطرا لغير نفع لوم الى ما ينافي
ذلك بقوله وتوكل على الله اى الذي له مجامع العظمة فيما تعهد من خداعهم فانه يكفيك امرهم ويجعله سببا لدمارهم كما وقع في
صلح الحديبية فان غدرهم فيه كان سبب الفتح وحرف الاستعلاء في هذا وامثاله معلم بانه يفعل مع المتوكل فعل الحامل لما
وكل اليه المطيق لحمله ثم علل الامر بالتوكل الذي معناه عدم الخوف من عاقبة امرهم في ذلك بقوله انه هو اى وحده السميع
اى للتابع في السمع فهو يسمع كلما ابرموه في ذلك وغيره سرا كما يسمعه علانية العليم اى البالغ العلم وحده فهو يعلم كلما اخفوه
كما يعلم كلما اعلنوه ثم صرح بالاستهانة بكيدهم فقال وان يريدوا اى الكفار ان يخدعوك اى بما يوقعون من الصلح او لغيره فان حسبك
اى كافيك الله اى الذي له صفات العز كلها ثم علل كفايته او استانف بيانها بقوله هو اى وحده الذي ايدك بنصره اى اذ كنت
وحدك وبالمؤمنين اى بعد ذلك في هذه الغزوة اي التي كانت العادة قاضية فيها بان من معك لا يقومون للكفار فواق ناقة ولعل
روا هذا تذكير بما كان من الحال في اول الاسلام اي ان الذي ارسلك مع وحدتك في مكة بين جميع الكفار وعزمتك فيهم وان كانوا بني عمك
هم بسبب دعوتك الى هذا الدين وعلوك عن احوالهم البهيمية الى الاخلاق الملكية هو الذي قواك وحدك وحده بالنصر عليهم حتى لم يقدر
احد منهم على اذى يردك عن الدعا الى الله مع نصب جميعهم لك وتتبعهم شيئا لك العذر ومدهم اليك ايدي الكيد ثم سلكم من بين اظهرهم
كما تسل الشعرة من العجين مع اجتهادهم في منعهم من ذلك وايدكم بالانصار وجمع بين كلمتهم بعد شديد العداوة والف بين قلوبهم
بعد غاية التباغض فصار البعيد منهم قريبا والبغيض حبيبا والعدو صديقا وكانوا على قلب واحد ثم استانف الاخبار بما دل
على ان هذا تعذر الفتهم لولا هو فقال لو انفقت اى وانت اتقن الخلق لما تصنعه ما في الارض جميعا اى في ارادة ذلك ما الفت بين قلوبهم
ثم اكد ذلك بقوله ولكن الله اى وهو الذي له جميع صفات الكمال الف بينهم ثم علل نفوذ امره فيه بقوله انه عزيز حكيم اى انه
لولا عزته التي تغلب كل شيء ولا يغلبها شيء وحكمته التي يتقن بها ما اراد بحيث لا يمكن لاحد ان يغير شيئا منه لما تالفوا بعد ان كان
قتل كل احد من قبيلتهم للاخر اشهى من لذيذ الحياة وصافي العيش لما بينهم من الاحن التي لا تزال تثور فتغلي لها الصدور وحتى تفور بقتل
الاحباب من الوالدين والاولاد والقهر بانواع الاذى مع التجاوزة المقتضية لدوام التحاسد واثارة الضغاين وكذا فعل سبحانه
بجميع العرب بعد ما كان بينهم من القتل المتتابع مع ما لهم من الحمية والانفة الحاملة على الانتقام والذي ادى الى لهذه الالطاف
حتى تاتى على ما كان عليه من القدرة والقوة فهو الكفيل بحراستك ممن يريد خداعك فاذا امركم بامر فامتثلوه غير منكرين في غا
قتبه

فانه قد بينه بعزته واتقنه بحكمته وستعلمون ولما صرح بان الله كافيه وكانت كفاية الله للعبد اعظم المقاصد التفتت
الانفس الى انه هل يكفيه مطلقا وهل يفعل مع المؤمنين ايضا مثل ذلك فاتبعها بقوله معبرا بوصف النبوة الذي معناه الرفعة والاطلاع
من جهة الله على ما لا يعلمه العباد لانه في سياق الاخبار ببعض المغيبات والتصرف في القلوب **يا ايها النبي** اي العالي القدر الذي يعلمه
بعواقب اموره **حسبك الله** اي كافيك الله اي الذي بيده كل شيء **ومن** اي مع من **اتبعك من المؤمنين** فيجوز ان تكون المعية من ضميره صلى
الله عليه وسلم فيكون المؤمنين مكفيين وان يكون من الجلالة فيكونوا كافين حتى يكون المعنى فهو كافيهم ايضا وهم كافوك لانه معهم وساق
سبحانه هذا هكذا تطييبا لقلوبهم وجبرا لخواطرهم وبالمعنى الثاني العصمة لتضمنه الاول وزيادته عليه قال ابن زيد والشعبي حسبك
الله وحسبك من اتبعك وساقها سبحانه على وجه مكرر لكفاية نبيه صلى الله عليه وسلم محتمل لان يكون فيمن كان على اتباعه في ذلك الوقت
كفاية لئلا يستقلوا بالنسبة الى كثرة اعدائهم ولما بين سبحانه انهم كافون مكفيون وكان ذلك مشروطا بفعل الكيس والحزم وهو الاجتهاد
بحسب الطاقة امره ان يأمرهم بما يكونون به كافين من الجد في القتال وعدم الهيبة للابطال في حال من الاحوال فقال معبرا بالوصف
الناظر الى جهة التلقي الى الاستاذ ووثوق السامع بما يسمعه **يا ايها النبي** اي الرفيع المنزلة عندنا المنبأ من اخبارنا بكل ما يقر عينه
وعين اتباعه **حرض المؤمنين** اي الغريقين في الايمان **على القتال** اي بالغ في حثهم عليه وندبهم بكل سبيل اليه ومادة حرض باي ترتيب
كان حرض حضر رحض رضح ضرح ترجع الى الحضور ويلزمه الخفة والدعة ويلزمه الكسل فيلزمه الضعف فيلزمه الفساد ومنه الحرض
الذي اشفى على الهلاك اي حضر هلاكه وحضر هو موضعه الذي هو فيه فصار لما به لا يزايله ما دام حيا ورحض الثوب اي غسله من الدعة
التي بين مثان الحضور وغير المسافرين والرعضاء وفي الحاشية بالمغسول المرحاض الحجر الذي لا يبرح الحاضر الوضع الثوب والضرح شق مستطيل
يوضع فيه الميت فيكون حاضرا لانما له [illegible] الى الوقت المعلوم ويلزمه الرمي والطول ومنه الضرح للطويل الجناح من الصقور ولان كل عند معاد
لقوة طيرانه والرمل الطويل [illegible] واحضرت الدابة عدت فجعلت الغائب حاضرا والتحريض الحث على حضور الشيء فالحرض على القتال حث على
الطيران اليه بتعاطي اسبابه والاستعداد لحضوره حتى يصير الحضور كانه حاضر حتى قيل يا صباحاه طار الى المنادي وكان ولحاق الى المنادي
لا نقلا مانع له لشيء من الاشياء لاستعداده استعداد الحاضر في الصف وقال الامام ابو الحسن علي بن عيسى الرماني في تفسيره والتحريض الدعاء الوكيد
لتحريك النفس على امر من الامور والحث والتحريض والتحضيض نظائر ونقيضه التفتير والتحريض ترغيب في الفعل بما يبعث على المبادرة اليه مع الصبر
عليه انتهى فهذه حقيقته لا ما قال في الكشاف وتبعه عليه البيضاوي ولما ندبهم الى القتال اعلمهم بانهم منصورون فيه ان لازموا التقوى تعالى
استيئنا فاجوا بالحق فالما اذا رغبوا تبادروا الى ذلك **ان يكن** ولما كانت لغة الخطاب تثير الهمم وتبعث العزائم وتوجب غاية الوثوق
بالوعد عدل عن الغيبة فقال **منكم عشرون** اي رجلا **صابرون** اي الصبر المتقدم **يغلبوا مائتين** اي من الكفار والاية من الوعد
الصادق الذي حققه وقائع الصحابة رضي الله عنهم **وان يكن منكم مائة** اي صابرة **يغلبوا الفا** اي كائنين **من الذين كفروا** فالاية
من الاحتباك اثبت اولا وصف الصبر دليلا على حذفه ثانيا وفي الثاني الكفر دليلا على حذفه اولا ولعل ما اوجبه عليهم من هذه المصابرة
علة للامر بالتحريض اي حرضهم لاني اعنت كلا منهم على عشرة فلا عذر لهم في التواني فلا وعلل علوهم عليهم وعللهم على هذا الوجه بقوله **بانهم**
اي هذا الذي اوجبته ووعدت بالنصر عنده بسبب انهم اي الكفار **قوم لا يفقهون** اي ليس لهم فقه يعلمون به علم الحرب الذي دربه
اهل الايمان وان كنتم ترونهم اقوياء الابدان فهم كفاية للقيام بما ينوبكم من امر الدنيا لانهم ابدان بغير معان كان الدنيا كلها صورة بلا روح
لانهم لم يبنوا امصادمتهم على الدعائم الخمس التي قدمتها لكم والحكمة [illegible] فمن لم يجمعها لم ينفعه الحرب لان الجيش ان لم يكن له رئيس يرجع اليه
لم يفلح وذلك الرئيس ان لم يكن امره مستندا الى ملك الملوك كان قلبه ضعيفا وعزمه وان كثرت جموعه مضطربا فانهم يكونون صورا لا معاني لها
والصور منفعلة لا فاعلة والمعاني هي الفعالة والمعتمد على الله صورته مقترنة بالمعنى قابل بما يكون في مقابلة اثنين من اعدائه كما حط
الامر في الجهاد ولعل هذا هو السر في استعباد الخوارج من تاب شئت وانتصاره على قليلهم على الجيوش التي كانوا يلقونها عن ملوك زمانهم على كثرتها
فان الخوارج معتقدون ان قتالهم لله مستندين في هذا الاعتقاد الى ظلم اولئك الملوك وخروجهم عن امر الله والذين يلقونهم عن اولئك
الملوك وان اعتقدوا انهم على طاعة لطاعتهم الامام الواجب طاعته لكنهم يعلمون ان استناد امامهم الى الله ضعيف لمخالفته
لمنهاج الاستقامة وذلك الرئيس نفسه معتقد لذلك وان ولايته مفسدة وان تحريم النبي صلى الله عليه وسلم لقتاله انما هو
درء لاعظم المفسدتين فصار استناد الخوارج الى ملك الملوك اعظم من استناد اولئك ولهذا انشاع عن استناد الخوارج الزهد
الذي هو اعظم اسباب النصر وشاع عن استناد اولئك الملوك الاخلاد الى الدنيا الذي هو اعظم الموجبات للخذلان مصداق ذلك انهم لما
خرجوا على علي رضي الله عنه ونشاد بهم لسنة الله من اللطف بهم وتقدم وعظهم والاعذار اليهم وذرهم الى الله فلما لم يقبلوا قصدهم
في ساعة قال له بعض من كان يعتني بالنجوم انها ساعة نحس ان سرت فيها خذلت فقال سيروا فيها فانه ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم
منجمون فلما لقي الخوارج لم يوافقوه حلب ناقة ولا افلت منهم احد ولا قتل من جماعته انسان وتم الاعجاز في قوله تعالى ان يكن منكم عشرون
الاية وان كان خبرا فيه معنى الامر من قوله **الان خفف الله** اي الملك الذي له الغنى المطلق وجميع صفات الكمال **عنكم** اي رحمة لكم
ورفقا بكم **وعلم** اي قبل التخفيف وبعده **ان فيكم ضعفا** اي في العدد والعدد ولكنه اوجب عليكم ذلك ابتلاء فبعد التخفيف
علم ضعفكم واقعا وقبله علم انه سيقع وتصديره هذه الجملة بالان يشير الى ان النسخ كان قبل ان يمضي مدة يمكن فيها غزو وفائدة
الامر المعقب بالنسخ حيازة الاجر بقبوله والعزم على امتثاله وقيل ما كان النسخ الا بعد مدة لعدان سالوا في التخفيف وروى البخاري في

وروى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين حين
فرض عليهم ان لا يفر واحد من عشرة فجاء التخفيف الان خفف الله عنكم الاية فلما خفف الله عنهم من العدد نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم
والمعنى انه كان كتب مقدار اثر الصبر بكل مؤمن فلما خفف زال ذلك بالنسبة الى المجموع وهذا لا يمنع استمرار البعض على ما كان كما نقل مثله
بالصحابة رضوان الله عليهم في غير موضع منها غزوة مؤتة فقد كانوا فيها ثلاثة الاف وكان من لقوا من جموع هرقل مائتي الف مائة
من الروم ومائة من العرب المتنصرة فصبروا لهم ونصرهم الله عليهم كما في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مخبرا عنهم في هذه الغزوة
ثم اخذ الراية عن غير امرة سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عامة
الناس حتى لم يثبت على الاسلام غير العشر فصبر الصحابة رضوان الله عليهم لهم ونصرهم الله عليهم وكان الذي صبر في الحقيقة ابو بكر رضي الله
عنه وحده ثم افاض الله من صبره ونوره على جميع الصحابة رضي الله عنهم فصبروا ثم جهز الجيش واميرهم الذي سماه النبي صلى الله عليه
وسلم سيف الله فاخمد الله به نار الشرك وقطع بصبره وحسن نيته جادرة الكفر فلم تمض سنة وفي بلاد العرب مشرك فلما جمع الله العرب
لهذا الدين على قلب رجل واحد قصدوا الاعاجم من الفرس والروم والقبط فقاتلوا اهل فارس في عدة وقائع منها القادسية وكان
الصحابة رضي الله عنهم فيها دون اربعين الفا وكان المجوس اكثر من اربعمائة الف وقاتلوا الروم كذلك فكانوا في اليرموك دون اربعين
الفا وكان الروم نحو اربعمائة الف الى غير ذلك من الوقائع وقد صبروا في اكثرها ونصروا وانهم كانت لهم العاقبة فطردوا الشرك
واهله واظهر الله كلمة دينه كما وعد به سبحانه وما اجتمع اهل الاسلام واهل الضلال قط في معركة الا كانت قتلى الكفار اضعاف قتلى
المسلمين غير ان الله تعالى جده وتبارك اسمه وتمت كلمته لطف بالعرب علما منه بانهم خلاصة الناس لما طبعهم سبحانه عليه من الخصال
الجيدة والاخلاق السديدة فاسلم كل من اشتملت عليه جزيرتهم بعد وقائع كثيرة في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وزمان الردة ولم
تبلغ قتلاهم فيما اظن عشرة الاف انسان ولما جاهدوا الاعاجم من فارس والروم وغيرهم كانت قتلى الكفار تبلغ في المعركة الواحدة
مائة الف ومائتي الف كما هو مشهور في كتب الفتوح للمدائني وسيف وابن عبد الحكم والبلاذري وغيرهم وقد جمع اشتات ذلك الحافظ ابو الربيع
ابن سالم الكلاعي وشيخه ابن حبيش ولعله حذف في الثانية التقييد بالكفار ليشمل كل من استحق القتال من البغاة وغيرهم فقال تعالى مسببا
عن التخفيف المذكور اداء الامر من ايجاب مصابرة عشرة الى الامر بمصابرة الضعف فان زاد العدد على الضعف جاز الفرار والصبر احسن
فان يكن منكم مائة صابرة اي الصبر الذي تقدم التنبيه عليه **يغلبوا مائتين** اي من غيركم باذن الله **وان يكن منكم الف**
اي على النعت المذكور وهو الصبر **يغلبوا الفين** ثم ارشد الى ان المراد بالصبر هو كل المأمور به في قوله اذا لقيتم فئة فاثبتوا فقال
باذن الله اي بارادة الذي له جميع الامر فلا بد من اباحته لكم وتمكينه فان لم يقع الاذن لم يقع الظفر فالاية من الاحتباك ذكر في الاول
صابرة دلالة على حذفه ثانيا وذكر ثانيا الاذن دليلا على حذفه اولا ثم نبه على عموم الحكم بقوله **والله** اي المحيط بصفات الكمال **مع الصابرين**
اي بنصره ومعونته ومن ثم قال ابن شبرمة وانا ارى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كذلك ومادة اذن مهموزة وغير مهموزة
واوية ويائية بتقاليبها الاربعة اذن ذان ذون ذين ترجع الى العلم الناشي عن حاسة السمع المتعلق بجارحة الاذن وتارة
يتم الاباحة وتارة المنع فاذن بالشيء كسمع علم به فاذنوا بحرب من الله اي كونوا على علم من ان حربكم اياه واذن له بالشيء اي كسمع ايضا
اباحه اذنه واذنه رده عن الشرب فلم يسقه كان التعجيل به للازالة واذن النعل وغيرها جعل لها اذنا ونعله باذني يعلى
وتكيني واذنا لبيه وله كفرح استمع ماذنه اي باذن له سمعه وقلبه واذن لرائحة الطعام اشتهاه كانه اباحه لنفسه واذناه
لبذ اعا اعجمية مثل ذلك سواء واذنه ايضا منعه كان الهمز للازالة والاذن الجارحة المعروفة نعمة وضمتين والمغيف
والعروة من كل شيء وحبل لان كلا من ذلك سبب للتمكن من حمل ما هو فيه والاذن الرجل المستمع القائل كلما يقال له كانه لما تقبله اباحه
قلبه ومكنه منه والاذان النداء الى الصلاة لانه اعلام باباحتها والمكنة منها وتارة تنازعه اباحة وتمكنه
من الشيء وتارة منع وحرمة فيكون من الازالة واذن العشب بدا يجف فبعضه رطب وبعضه يابس كانه امكن من جزه وجمعه
ببده وصلاحه والاذن الحاجب لانه للتمكين والمنع والاذنة حركة صغار الابل والغنم كانها تنتج كل احد ما يريد منها وطعام
اذن له لا شهوة لريحه وكانه ممنوع منه لعدم اشتهائه وتاذن الامير في الناس نادى فيهم بتهدد نحو يرجع الى المنع والزجر عن
شيء لمعز واو الذي بالكسر والباء العنب وكذا الذان بالالف منقلبة عن واو العنب كانه لسهولة تناوله ولذة مطعمه امكن من نفسه
والذون بالواو مشددة الغنى والنعمة لانها سبب للامكان مما يشتهى والذونون كحلزون نبت من نبات الارض والمعنى
انه انما اذن لكم في ذلك اذا تعلمتم الشرط المذكور لانكم فقهتم علوم الحرب وبنيتم امركم فيه على دعائمه الخمس التي ملاكها والدال
في كل منها الصبر فكان الله معكم وهو مع كل صابر وهذا الصبر المثبت في الدعائم الخمس في كل اوان ومما يسال عنه في الاية انه ابتدا
في العشرات بثاني عقودها وفي المئات والالاف باولها سالت شيخنا الامام الرابح المحقق زمانه شمس الدين محمد بن علي القاياتي قاضي
الشافعية بالديار المصرية ما حكمته فقال الاصل الابتداء باول العقود لكن لو قيل ان يكن منكم عشرة صابرة يغلبوا مائة
لربما توهم انه لا يجب مصابرة الواحد العشرة الا عند بلوغ المؤمنين هذا العقد فعدل الى الابتداء بثاني عقود هذه المرتبة
لينتفي هذا المحذور فلما انتفى وعلم انه يجب مصابرة كل واحد لعشرة ذكر في المراتب الباقية على الاصل المعتاد واما تكرير
المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده فللدلالة كما قال في الكشاف على ان الحال مع القلة والكثرة

له واذنت الامر وبه اعلمه وزنا
ومعنى جعله مباحا له او ممنوعا منه
واذنت الاناء اذنا جعلت له عروة [illegible]

لايتفاوت وان كان ذو نظر تفاوته وكانه لم يذكر الاحاد بشارة بكثرة هذه الامة واجتماعها وبدأ بالعشرات وختم بالالوف ليستوفي
مراتب الاعداد الاصلية والله اعلم وما نفذ من الاثخان فشرع كلهم ثم باعداد القوة ثم بالتحريض على القتال بعد الاعلام بالكفاية ثم
ايجاب ثبات الواحد لعشرة ثم التخفيف الى اثنين كان ذلك مقتضيا للامعان خص عتاب الاحباب في اختيار غير ما نهى له الخطاب
لكون ذلك امعن في الامتنان عليهم بالعفو والغفران بسبب ان اكثرهم مال الى فدا الاسارى فان النبي صلى الله عليه وسلم استشارهم
فيهم فاشار ابو بكر رضي الله عنه بالمفاداة ومال معه الاكثر واستشار عمر رضي الله عنه بضرب اعناقهم وروي انه قال صلى الله عليه
وسلم لو نزل من السما عذاب اي في هذا ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ رضي الله عنهما فقال تعالى استينافا واستنتاجا ما كان
اي ما صح وما استقام لنبي اي في شرع نبي من الانبيا مستقل ولا مقرر ولعله عبر بوصف النبوة لتعم مع العموم ان كلا من رفعة
القدر والاخبار من الله تمنع من الاقدام على فعل بدون اذن خاص ان تكون له اسرى اي ان يباح له اسر العدو حتى يثخن في الارض
اي يبالغ في قتل اعدايه فهو عتاب لمن اسر من الصحابة غير من نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله من المشركين او رضي بذلك وانما اسنده
الى النبي وقرى شاذا بالتعريف ولم يقل في شرع نبي تهويلا للامر وتعظيما للعفو للمبالغة للقيام بالشكر وهذا كان يوم بدر والمسلمون
يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله تعالى فاما منا بعد واما فدا قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومادة ثخن تدور
على الضخامة وتارة يلزمها اللين والضعف وتارة الصلابة والقوة فحقيقته يبالغ في القتل فيغلظ امره ويقوى ويلين
له اعداوه ويضعفوا ثم بين لهم ان الميل عن ذلك انما هو لارادة الاعراض الدنيوية المبكت به اليهود في اخر التي قبلها بقوله تعالى
ياخذون عرض هذا الادنى كما ان النزاع في الانفال ميل الى الدنيا وكل ذلك بمعزل عن معالي الاخلاق وكرائم السجايا مع ان لام
الكون المذكور بما تقديره لان الاسر انما يراد به الدنيا هكذا الاصل ولكنه ابرز في سلوك الخطاب لانه اوقع في النفس فقال
تريدون اي ايها المومنون المرغوبون في الانفاق لا في الجمع باستفاكم عرض الدنيا قال الراغب العرض ما لا ثبات له ومنه
استعارة المتكلمون لما لا ثبات له الا بالجوهر كاللون وقال ابن هشام في تهذيب السيرة اي المتاع الفدا باخذ الرجال والله اي
الذي له الكمال كله يريد اي لكم الاخرة اي جوهرها لانه ثابت فاتى به ابرا هو في تاكيده لتمثل الارادة التي لا تتخلف مرادها
وذلك بالاثخان في قتلهم لظهور الدين الذي تريدون اظهاره والذي به تدرك الاخرة انتهى ولا يبقى للجهاد بوبد الاماير بحيلته
والله اي الملك الاعظم عزيز اي منزه جنابه الغني عن لحاق شي مما فيه ادنى نقص حكيم اي لا يصدر عنه فعل الا وهو في غاية
الاتقان فهو يامر بالاثخان عند ظهور قوة المشركين فاذا اضعفت وقوي المسلمون فانتم بالخيار ولا يصد ادعا ولاية الامر في
في معارج صفاته فيكون عزيزا في نفسه فلا يدنسها بالاطماع الفانية وتعلله فلا يحطه عن اوج المعالي الى حضيض الهاوي وحكيما
فلا يبتاع عنه حكما الا وهو في غاية الاتقان ولما علم من الاية ما اشارت اليه فكان كانهم قالوا رضي الله عنهم فما تقتضي عزته وحكمته
سبحانه من يطهرنا عما يدنسنا به استانف تعالى الجواب عن ذلك ممتنا غاية الامتنان ومحذرا من التعرض لمواقع الخشية فقال
لولا كتاب اي قضاء حتم ثابت مبرم من الله اي الذي له الاحاطة الكاملة بكل شي قدرة وعلما سبق اي في ام الكتاب من الحكم باسعادكم
ومن انه لا يعذب احدا الا بعد التقدم اليه بالنهي ومن انه سيحل لكم الفدا والغنائم التي كانت حراما على من قبلكم تشريفا لكم كما قاله ابن عباس
رضي الله عنهما لمسكم فيما اخذتم اي من الاسرى المراد كالفدا عذاب عظيم ولكن سبق حكمي بان المغانم ولو بالفدا لكم حل وان تعجلتم
فيه امري فلما ساق سبحانه هذه البشارة في النذارة سبب عنها قوله فكلوا مما غنمتم اي من الفدية وغيرها حال كونه حلالا اي لا درك
ولا تبعة فيه من جهتي طيبا اي شهيا لكم ملايما لطباعكم وهذا اذا كان مع الشروط التي اتيتها لكم من عدم الغلول والخيانة بوجه من الوجوه
والاستيثار وشدة الرغبة السابقة الى ما لا يليق من التنازع وغير ذلك مما تقدمت فيه اليكم واتقوا الله اي الذي له جميع صفات
الكمال وجميع ذلك فلا تغلوا ولا تنازعوا ولا تفعلوا ولا تقدموا الا على ما يبيحه لكم الرسول صلى الله عليه وسلم ان الله اي المتصف
بالجلال والاكرام غفور اي لمن يعلم من قلبه انه من اهل التقوى رحيم اي له فلاجل ما علم في قلوبكم من الخير غفر لكم فلم يعذبكم بتسرعكم
الى امر لم يامر به الرسول صلى الله عليه وسلم للمفاداة دون توقف على اذنه ورحمكم واحسن اليكم فاحل لكم الغنائم انظر الى قوله
تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم تعرف حسن تعليل الامر بالتقوى بالمغفرة والرحمة ويجوز ان يكون علة
الاكل اي كلوا فان الله قد غفر لكم ما عاتبكم عليه وتابع الامر بالتقوى التحذير من العود اعتمادا على سعة الحلم وايضا فقد تقدم تهديد
ومغفرة فناسب ان يدلهم على ان علة المغفرة التقوى فكان ترجمة ذلك انه لما رهبهم من مس العذاب اخذ الفدا لولا سبق الكتاب رغبهم بانه
كلما صدهم عن جنابه صادف ذنب تردهم اليه عاطف تقوى تسبل عليهم ذيل المغفرة والرحمة ولما علم من هذا اباحة ما يوخذ من الاسرى
من الفدا وكان ربما يوخذ منهم يعظم مشقته عليهم اقبل عليهم مستعطفا لهم ترغيبا في الاسلام فاقبل على نبيه صلى الله عليه وسلم بالامر
بمخاطبتهم تنبيها على انهم ليسوا اهلا لخطابه سبحانه مما ابعدوا انفسهم عنه من اختيارهم للكون في زمرة الاعدا على الكون في عداد الاوليا
فقال معبرا بالوصف الناظر الى تلقي العلم ترغيبا في التلقي منه صلى الله عليه وسلم يايها النبي اي الذي ننبيه بكل معنى جليل يطهر به
وتزكو امته مع رفع مقداره واتمام انواره قل لمن في ايديكم اي في ايدي اصحابك واهل دينك فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
من الاسارى ترغيبا لهم فيما عند الله بما له من صفات الجلال والكمال ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اي شيئا من تقواه الحاملة على الايمان الذي
راس الخير وعلى كل خير يوتكم خيرا مما اخذ منكم اي مما يعينه به عليكم من المغانم في الدنيا ويدخره لكم من الثواب في الاخرى ويغفر لكم

ويغفر لكم اي ما سلف من ذنوبكم والله اي الذي بيده كل شي غفور رحيم اي من شانه ذلك والمعنى على ما علم من قصة العباس الاية رضي الله
عنه انه سبحانه يعلم ما لكم وامثالكم في غير ما ياخذه منكم ضده بالكرم واما انه يحكم باسقاط الفدا عنكم ويامركم بتركه واطلاقكم مجانا بما
يعلم في قلوبكم من خير وايمان كنتم تكتمونه فلا تطمعوا فيه لان ذلك يفتح باب الدعاوى الباطلة المانعة من الغنائم الموهنة للدين قال الحافظ
ابو عمر بن عبد البر في سيرته قال ابن عباس وسعيد بن المسيب كان العباس رضي الله عنه في الاسرى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
افد نفسك وابن اخيك عقيلا ونوفلا وحليفك فانك ذو مال فقال يا رسول الله اني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الله اعلم باسلامك ان كان حقا ما تقول فالله يجزيك به واما ظاهر امرك فقد كان علينا قال ليس لي مال فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم واين المال الذي وضعت عند ام الفضل حين خرجت والذي بعثك بالحق ما علم بهذا احد غيري وغيرها ففدى
نفسه بمائة اوقية وكل واحد باربعين اوقية وقال تركتني اسال الناس واسلم وامر عقيلا فاسلم ولم يسلم من الاسارى غيرهما ولما كان
التقدير فان صدقوك وقبلوا البشرى اسعدهم عطف عليه قوله وان يريدوا اي الاسرى او الكفار كلهم او احد منهم كائنا من كان خيانتك
اي وانت اعلى الخلق في عهد من اسلام او غيره يوثقونه لك ترضى به في المن على احد منهم بغير فدا يريد اسران يكون وبال ذلك راجعا اليهم
فيمكن منهم فلا تخش من امرهم فقد خانوا الله اي الملك الاعظم ولما كانت خيانتهم غير مستغرقة للزمان ادخل الجار فقال من قبل اي
من قبل هذا الوقت بالكفر وغيره من انواع الفسق فامكن اي فاوجد الامكان منهم ونصره ليدل على انهم صاروا اسلما لكل احد منهم اي يوم
بدر بسبب خيانتهم فمثل ما امكن منهم عنده وقوع الخيانة يمكنك منهم اذا ارادوا الخيانة فان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون والله
اي الذي له الاحاطة بكل شي عليم اي بالغ العلم مطلقا فهو يعلم الاشيا كلها التي منها احوالهم حكيم اي بالغ الحكمة فهو متقن كل ما يريده
فهو يوهن كيدهم ويتقن ما يقابلهم به فيسلطكم عليهم لا محالة وكذا فعل سبحانه في ابي عزة الجمحي فانه سال النبي صلى الله عليه وسلم في المن عليه لفقره لتبرز
بني لفقرهم وعياله وعاهده على ان لا يظاهر عليه احدا ومدحه ثم خان فظفر به في غزوة حمرا الاسد عقب يوم احد اسيرا فاعتذر له وساله
في العفو عنه فقال لا تمسح عارضيك وتقول سخرت بمحمد مرتين لا يلدغ المومن من جحر واحد مرتين وامر به فضربت عنقه وقال ابو حيان
في الخيانة بتركهم ما اظهر بعضهم من الاسلام ثم رجعوا الى دينهم ولما بين للاسرى ان الخير الذي لم يطلع عليه من قلوبهم غير الله لا ينفعهم في
اسقاط الفدا عنهم لانه لا دليل عليه وكل ما لا دليل عليه فحكمه حكم العدم لان مبنى الشرع على ما يمكن المكلف معرفته وهو الظواهر
وختم بصفتي العلم والحكمة شرع يبين الخير الذي لا يطلع عليه من يعقد الولاية الذي ينبني عليه المناصرة وكل خير فقال مقسما اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم اربعة اقسام قسم جمع الايمان والهجرة اولا والجهاد وقسم اوى وقسم امن ولم يهاجر وقسم هاجر من بعد ان الذين امنوا
اي بالله ورسوله وهاجروا اي واوقعوا الهجرة من بلاد الشرك وهم المهاجرون الاولون هجروا اوطانهم وعشايرهم واحبابهم وجاهدوا
ورسوله صلى الله عليه وسلم وجاهدوا اي واوقعوا الجهاد وهو بذل الجهد في توهين الكفر واهله ولما كانت الايات المتقدمة في الات
الجهاد من النفس والمال تارة بالحث على انفاقه واخرى بالنهي عن جبنه وتارة بالتسلية للاسرى عن فقده كان الانسب تقدم قوله
باموالهم اي بانفاقهم لها في الجهاد وبتضييع بعضها بالهجرة من الديار والنخيل وغيرها وانفسهم باقدامهم على القتال مع شدة الاعدا
وكثرتهم وقدم المال لانه سبب قيام النفس وكان في غاية العزة في اول الامر واخر قوله في سبيل الله اي الملك الاعظم لذلك وفي
سببيته اي جاهدوا بسببه حتى لا يصد عنه صاد فتظهر محاسنه ويسهل الى ورديه من يريد قاطع ولعله عبر بفي اعلاما بانه
ينبغي ان يكون متمكنا من السبيل تمكن المظروف من ظرفه حتى يكون له الدين غالبا عليه لا يخرج عنه بوجه من الوجوه واما في سورة براءة
فلما كان السياق في تفضيل الاماكن بها التفضيل تقدم كما سياتي وايضا فان هذه السورة نزلت في اوايل الامر بعد وقعة بدر في السنة الثانية
من الهجرة وكان الحال اذ ذاك شديدا جدا والاموال في غاية القلة والاعدا لا يحصون فناسب الاهتمام بشان المال والنفس
تقديما ترغيبا في بذلها واما براءة فنزلت في غزوة تبوك في اواخر سنة تسع وكان المال قد اتسع والدين قد عز ومنحهم وقوي وعظم
واسلم غالب الناس فبعدت مواضع الجهاد فعظمت المشقة وتواكل الناس بعضهم على بعض ورغبوا في الاقبال على اصلاح الاموال
فناسب البداة هناك بالسبيل ولما ذكر اهل الهجرة الاولى اتبعهم اهل النصرة وهو القسم الثاني من المومنين الذين كانوا على زمنه
صلى الله عليه وسلم فقال والذين اووا اي من هاجر اليهم من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم فاسكنوهم في ديارهم
وقسموا لهم من اموالهم وعرضوا لهم ان ينزلوا لهم عن بعض نسائهم ليتزوجوهن وانما قصر الفعل اشارة الى تعظيم فعلهم بحيث
كانه لا ايواء في الوجود غير ما فعلوا وكذا قوله ونصروا اي الله ورسوله والمومنين وهم الانصار رضي الله عنهم حازوا هذين الوصفين
الشريفين وكانوا في الذروة من كلتي الحسنيين ولولا ايواوهم ونصرهم ما تم المقصود والمهاجرون الاولون اعلى منهم لسبقهم
في الايمان الذي هو رئيس الفضايل وتحملهم الاذى من الكفار زمانا طويلا وصبرهم على فرقة الاوطان والعشاير واشار الى
الشرفين باداة البعد لعلو مقامهم وعز مراتبهم اولئك اي العالو المرتبة بعضهم اولياء بعض اي في الميراث دون القرب
العاري عن ذلك تبيينا ان الايمان ان لم يقترن بشهيدين هما الهجرة والجهاد من الغزو بعد عن المدينة وشهيدين هما الايوا والنصر
من اهل المدينة كان عاجزا عن تحقيق القرب بل مانعا من نفوذ لحمة النسب كل النفوذ فكان من امن ولم يهاجر لم يرث بمن هاجر
قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومادة ولي بجميع تصاريفها ترجع الى الميل ويلزم منه القرب والبعد وربما نشا عن كل منها الشدة والرتب
والولي بخصوصه يدور على القرب ومن لوازمه النصرة فالمعنى ان بعضهم اقرب الى بعض يلزم كلا منهم في حق الاخر من المناصرة وغيرها ما يلزم

القرب لقربه ففي جمعهم وصف جعلهم شركا فيما يغنم فوصف الحضور في غزوة سُلّ بينهم في الغنائم لأن أنواع الجهاد لكثرة وكل واحد منهم باشر بعضها من حضور الكل لثبات النصر والمجاهدة والمهاجرة لها الأصل من فارق الكفار بقلبه ولا واهم ووالى المؤمنين بحبه ولبه والأهم لكن لما كان هذا قد يخفى نيط الأمر بالمظنة وهي الدار لأنها أمر ظاهر فصار المهاجر من فارق دار المشركين فراد ابدونه ثم صار شرط ذلك بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون النقلة إلى دار الهجرة المدينة الشريفة هذا حكم كل مهاجر إلا ما كان من خزاعة فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد علم من مؤمنهم وكافرهم حبه ونصحه وبغض عدوه فلم يلزم مؤمنهم النقلة قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب المدخل إلى الاستيعاب ويقال خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفاء بني هاشم ونداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب لعصمة عام الحديبية إلى أن قال وأعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم منزلة لم يعطها أحدا من الناس أن جعلهم مهاجرين بأرضهم وكتب لهم بذلك كتابا انتهى وقال شاعرهم بجيد بن عمران الخزاعي يفخر بذلك وغيره مما خصهم الله به على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وثناء الله تقسما السحاب بنصرنا دكام سحاب الهيدب المتراكب * وهجرتنا في أرضنا عندنا بها كتاب أتى من خير ممل وكاتب * ومن أجلنا حلت بمكة حرمة لندرك ثأرا بالسيوف القواضب * ذكر ذلك الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعي في غزوة الفتح من سيرته والذي تولى حلفهم أولا هو عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم قال الواقدي في أول غزوة تبوك وقبل غزوة الفتح وكانت خزاعة حلفاء لعبد المطلب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك عارفا لقد جاءته يومئذ يعني يوم الحديبية خزاعة بكتاب عبد المطلب فقرأه وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة إذ قدم عليهم سرواتهم وأهل الرأي غائبهم مقر بما قضى عليه شاهدهم أن بيننا وبينكم عهد الله وعقوده ما لا ينسى أبدا اليد واحدة والنصر واحد ما أشرف ثبير وثبت حراء وما بل بحر صوفة لا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجددا أبد الأبد الدهر سرمدا فقرأه عليه أبي ابن كعب رضي الله عنه فقال ما أعرفني بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف وكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلا شدة ولا حلف في الإسلام قال الواقدي وجاءته أسلم وهو بغدير الأشطاط جاءهم بريدة بن الحصيب فقال يا رسول الله هذه أسلم وهذه محالها وقد هاجر من هاجر منها وبقي قوم في مواشيهم ومعاشهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم مهاجرون حيث كنتم ودعا العلاء ابن الحضرمي فأمره أن يكتب لهم كتابا فأمر فكتب هذا كتاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم لمن آمن بالله وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فإنه آمن بأمان الله وله ذمة الله وذمة رسوله وأن أمرنا وأمركم واحد على من دهمنا من الناس بظلم اليد واحدة والنصر واحد ولأهل باديتهم ما لأهل قرارهم وهم مهاجرون حيث كانوا وكتب العلاء بن الحضرمي فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله نعم الرجل بريدة بن الحصيب لقومه عظيم البركة عليهم مررنا به ليلة مررنا ونحن مهاجرون إلى المدينة فأسلم وأسلم معه من قومه من أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الرجل بريدة لقومه وغير قومه يا أبا بكر إن خير القوم من كان مدافعا عن قومه ما لم يأثم فإن الإثم لا خير فيه وأسلم شعب من ادلعة شعوب من خزاعة ولما فتحت مكة انقطعت الهجرة لظهور الدين وضعف المشركين وقام مقام الهجرة النية الخالصة المدلول عليها بالجهاد كما قال صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه فإن كان المؤمن لا يتمكن من إظهار دينه وجبت عليه النقلة ولما بين سبحانه أمر من جمع الشروط شرع يبين حكم من قعد عن بعضها وهو القسم الثالث فقال **والذين آمنوا** أي أظهروا إيمانهم **ولم يهاجروا** أي قبل الفتح بل استمروا في بلادهم **ما لكم من ولايتهم** وأغرق في النفي فقال **من شيء** أي لا في التوارث ولا في غيره ورغبهم في الهجرة بقوله **حتى يهاجروا** أي يوقعوا الهجرة لدار الشرك ومن فيها **وإن استنصروكم** أي طلبوا نصركم **في الدين** أي بسبب أمر من أموره متمكنون من الدين لكن المخوف من الطرف **فعليكم النصر** أي واجب عليكم أن تنصروهم على المشركين فالمعنى أنهم ليس لهم عليكم حق القريب إلا في الانتصار في الدين فإن ترك نصرهم يجر إلى مفسدة كما أن موالاتهم تجر إلى مفاسد ثم استثنى من الوجوب فقال **إلا على قوم** وقع وكان **بينكم وبينهم ميثاق** أي لأن استنصارهم يوقع بين مفسدين ترك نصر المؤمن ونقض العهد وهو أعظمهما فقدمت مراعاته وتركت نصرتهم فإن نصرهم الله على الكفار فهو المراد من غير أن تدنسوا أنفسكم وإن نصر الكفار حصل لمن قتل من إخوانكم الشهادة ولمن بقي الضمان بالكفاية وكان ذلك داعيا لهم إلى الهجرة ومن ارتد منهم أبعده الله فلن يضر إلا نفسه والله غني حميد فقد وقع كما ترى تقسيم المؤمنين إلى ثلاثة أقسام أعلاها المهاجر ويليه الناصر وأدناها القاعد القاصر وبقي قسم رابع يأتي قال أبو حيان فبدأ بالمهاجرين الأولين لأنهم أصل الإسلام وأول من استجاب لله فهاجر قوم إلى المدينة وقوم إلى الحبشة وقوم إلى ابن ذي يزن ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا قدوة لغيرهم في الإسلام وسبب تقوية الدين من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة وثنى بالأنصار لأنهم ساووهم في الإيمان وفي الجهاد بالنفس والمال لكنه عادل بالنصر الإيواء والنصر وانفرد المهاجرون بالسبق وذكر ثالثا من آمن ولم يهاجر ولم ينصر ففاتهم هاتان الفضيلتان وحرموا الولاية حتى يهاجروا ثم قال آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فكان المهاجري يرثه أخوه الأنصاري إذا لم يكن بالمدينة ولي مهاجري ولا توارث بينه وبين قريبه المسلم غير المهاجر قال ابن زيد واستمر أمرهم كذلك إلى فتح مكة انتهى لكن ما ذكر ابن عبد البر كما سأبين من أن حكم ذلك زال بوقعة بدر أولى للآية آخر السورة مع ما يوجد ذلك من آية الأحزاب ولما كان التقيد ناسخا لحكم خبير وكانت النفوس ورأى المشاحة الأقارب الأحباب ومعاداة غيرهم خفية ولعادة أنه لا يترك حذرا من ذلك التقيد عاطفا على هذا المقدر **والله** أي المحيط علما وقدرة ولما كان السياق لبيان المصالح التي تنظم الدين وتقدم ما أداه وكان للنفوس كما تقيد أحوال لا تتغير تأكيد العلم بالخفايا تقدم الجار الدال على الاختصاص الذي هو هنا كناية عن إحاطة العلم فقط فقال مرهبا **بما تعملون بصير**

وفي ذلك أيضا ترغيب في العمل بما حث عليه من الإيمان والهجرة والنصرة والإنفاق والتحري في جميع ذلك وترهيب من العمل بأضدادها وفي النص إشارة إلى أن العلم بما يكون من ذلك خالصا أو مشوبا فقيه زيادة حث على الإخلاص ولما بين سبحانه موالاة المسلم بين موالاة الكافر وما يجب من مناصرتهم ومباراتهم فيها وأنه لا شرط لها غير مطلق الكفر فإنه وإن اختلفت أنواعه وتباعدت أنحاؤه يجمعه عداوة ولاية الشيطان فقال **والذين كفروا** أي وجد منهم هذا الوصف على أي حال كان نوعيه **بعضهم أولياء بعض** أي في الميراث والنصرة وغيرهما وهو خبر محض يشير إلى نهي المسلم عن موالاتهم وأما الذي مضى في حق المؤمنين فهو أمر في صورة الخبر وصيغته يعني أن في كل من الكفار قوة الموالاة للآخر عليكم والميل العظيم الحاث لهم على المسارعة في ذلك وإن اشتدت عداوة بعضهم لبعض لأنكم حزب وهم حزب يجمعهم داعي الشيطان بوصف الكفران كما يجمعكم داعي الرحمن بوصف الإيمان قال أبو حيان كانوا قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعادي أهل الكتاب منهم قريشا ويتربصون بهم الدوائر فصاروا بعد بعثته صلى الله عليه وسلم يوالي بعضهم بعضا ألبا واحدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وما ذكره مذكور في السير مشهور عند أهل الأثر **إلا تفعلوه** أي مثله من تولي المؤمنين ومعاداة الكافرين كما يفعل الكفار بالتعاضد والتعاون بالنفس والمال حتى أرصدوا مال العير الذي فاتكم حتى استعانوا به على قتالكم في أحد فلا يليق بكم أن تكونوا أعظم منهم في ذلك لأنهم يريدون بذل الدنيا وهي دنياهم الفانية وأنتم تبتغون آخرتكم الباقية وداعيكم ولي غني وداعيهم عدو دني فضلا عن أن تنزلوا إلى حضيض التنازع في الغنائم **تكن فتنة** أي عظيمة **في الأرض** أي خليطة ممتلئة للمقاصد عن وجوهها **وفساد كبير** أي ينشأ عن تلك الفتنة والكبر ناظر إلى العظم وذي شاذا المثلثة فتكون عظمة حينئذ مخصوصا بالأنواع وبيان الفساد أنه إذا قارب المؤمن الكافر والكافر المؤمن وتناصروا وترك المؤمنون التناصر فيما بينهم اختل النظام فاختل كل من النقض والإبرام فاختلف الكلام فتباعدت القلوب منها فتزايدت الكروب فالواجب عليكم أن تكونوا إلبا واحدا ويدا واحدة في الموالاة وتقاطعوا الكفار بكل اعتبار ليقوم أمر كبير وتطيب حياتكم وتصلح غاية الصلاح دنياكم وآخرتكم والآية شاملة لكل ما يسمى توليا حتى في الإرث وقتال الكفار ومداهنة المبطلين بالأمر والإنكار ولما ترك بعض العلماء الإعانة لبعض فيه حصل ما خوف الله تعالى منه من الفتنة والفساد حتى صار الأمر إلى ما ترى من علو المفسدين وضعف أهل الدين فالآمر بالمعروف بينهم في غاية الذل والغربة يرد عليه أدنى الناس فلا يجد له ناصرا ويجد ذلك الآخر على الرد أعوانا كثيرة وصار أحسن الناس حالا لا مع الآمر وأعظمهم له محبة من يقنع بلومه على فعله ظنا منه أن ذلك الشفقة عليه والله المستعان ولما تقدمت أنواع المؤمنين المهاجر والناصر والقاعد وذكر أحكام موالاتهم أخذ يبين تفاوتهم في الفضل فقال **والذين آمنوا** أي بالله وما أتى منه **وهاجروا في** أي فيه من بلاد به سابقين مع نبيه صلى الله عليه وسلم **وجاهدوا** أي بما تقدم من المال والنفس وأحدهما **في سبيل الله** أي الذي له صفات الكمال فبذلوا الجهد في ذلك لهم ولم يذكر آلة الجهاد لما تقدم ذكرها الآية **والذين آووا** أي من هاجر إليهم **ونصروا** أي حزب الله وأعلم بقوله **أولئك** أي العالون الأولين خاصة **هم المؤمنون حقا** أي حق الإيمان لأنهم حققوا إيمانهم المهاجر بالإنسلاخ من كل ما يحبه من الأمور الدنيوية والناصر من جميع أهل الكفر بإيواء أهل الله ونصرتهم ولما بين وصفهم بين ما حباهم به بقوله دالا على أن الإنسان محل النقصان فهو وإن اجتهد حتى كان من القسم الأعلى لا ينفك عن مواقعة ما يحتاج فيه إلى الغفران **لهم مغفرة** أي لزلاتهم وهفواتهم لأن مبنى الآدمي على العجز اللازم عنه التقصير وإن اجتهد والدين متين فلن يشاده أحد إلا غلبه ولما ذكر تطهيرهم بالمغفرة ذكر تزكيتهم بالرحمة فقال **ورزق** أي من الغنائم وغيرها في الدنيا والآخرة **كريم** أي لا كدر فيه بوجه لا في قطعه ولا في نقصانه ولا في شيء من شأنه ولما حصر المؤمنين حقا في الموصوفين بين أن من ترك ما هو عليه من لزوم دار الكفر والقعود عن الجهاد لحق بمطلق درجتهم وإن كانوا أعلى منه فقال ذاكرا القسم الرابع **والذين آمنوا** ولما كانوا قد تأخروا عن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم مدة أدخل الجار فقال **من بعد** أي من بعد تأخر إيمانهم عن السابقين **وهاجروا** أي لاحقين للسابقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم من هاجر بعد الحديبية قال وهي الهجرة الثانية **وجاهدوا معكم** أي من يجاهدونه من حزب الشيطان **فأولئك منكم** أي لهم ما لكم وعليهم ما عليكم من المواريث والمغانم وغيرها لأن الوصف الجامع هو المدار للأحكام وإن تأخرت رتبتهم عنكم بما أفهمته أداة البعد ولما بين المفرد بين أنه متى جمعهم الوصف المحصل للولاية كان القرب في الرحم أولى من غيره فقال **وأولوا الأرحام** أي من المؤمنين الموصوفين **بعضهم أولى ببعض** أي في الإرث وغيره من المتعصبين بولاية الدين الخالية عن الرحم **في كتاب الله** أي القرآن وفي حكمه وشرعه الذي أنزله الحكيم الملك الأعظم في آيات الإرث وهي مقيدة بالعصبات فسخت الدلالة على توريثهم وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة المنذر بن عمرو أن بدرا قطعت المؤاخاة بين الصحابة رضي الله عنهم يعني فتكون هذه الآية ناسخة لأنه لبعضهم أولياء بعض ويكون ذلك حينئذ مبينة أمر ما كان قبل غزوة بدر وهو حسن والآية التي في سورة الأحزاب موطئة له ثم علل سبحانه ما ذكر بما يرغب فيه فقال **إن الله** أي الذي له صفات الكمال كلها **بكل شيء عليم** فهو يعلم أن كل هذا هو الذي تدور عليه المصلحة وتدوم به الألفة كما علم في أول الأمر أن نوط الإرث وغيره من لوازم القرب بالأخوة الإسلامية أولى لما في ذلك للدين من كثير قلتكم وتصدع شملكم وجمع شتاتكم وجعل ما بينكم من الأخوة كلحمة النسب فأما الآن فقد ضرب الدين بجرانه وثبت بعمود أعمدته وأركانه وولى الكفر بشيطانه ونكص مدبرا بأعوانه فتوارثوا بالإسلام والقرابة واقطعوا الكفار تولوا أو بعدوا والحذوا عنهم أن اتخذوا أعيانكم وتبرأوا منهم كائنا من كانوا فقد انطبق آخر السورة بالإعراض عن الدنيا وإصلاح ذات البين وبيان المؤمنين حقا وتقلد العلم في

في جميع الاعمال من غير اعتراض على اولها وبيان من يوالي ومن يعادي على اول براءة والله الموفق سورة براءة مقصودها معاداة من اعرض عما دعت
اليه السور الماضية من اتباع الداعي الى الله في توحيده واتباع ما يرضيه وموالاة من اقبل عليه وادل ما فيها على الابلاغ في هذا المقصد
قصة المخلفين فانهم لاعترافهم بالتخلف عن الداعي لغير عذر في غزوة تبوك المحتمل على وجه بعيد منهم رضي الله عنهم للاعراض بالقلب
هجروا واعرض عنهم بكل اعتبار حتى بالكلام فذلك معنى تسميتها بالتوبة وهو يدل على البراءة لان البراءة منهم بهجرانهم حتى في رد السلام كان
سبب التوبة فهو من اطلاق المسبب على السبب وتسميتها ببراءة واضح ايضا فيما ذكر من مقصودها وكذا الفاضحة لان من افتضح كان اهلا للبراءة
والبحوث لانه لا يبحث الا عن حال البغيض والبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والخاذرة والحزنة والمهلكة والمشردة والمدمدمة والمنكلة
لانه لا ينفر الا عن حال العدو وكذا ما بعده كالمشردة عظيمة المناسبة مع ذلك لما اشارت اليه الانفال في نسخ ذكر من خلفهم وسورة العذاب
ايضا واضحة في مقصودها وكذا المقشقشة لانهم قالوا ان معناه المبرئة من النفاق من تقشقشت قروحه اذا انتشرت للبرء وتوجيهه
ان من عرف ان الله برئ منه ورسوله والمؤمنون لا مرية فهو جدير بان يرجع عن ذلك الا مرد عندي انه مضاعف لقش الذي معناه الجمع لانها
جمعت اصناف المنافقين واحوالهم وعليه خرج ما سمى ما في وصف ابي جهم بن حذيفة لمن اراد نكاحها اخاف عليك قشقاشته اي تتبعه
لمذاق الامور اخذا من القش الذي هو تطلب من ههنا وههنا وعصاه التي هي غاية ذلك ومادة قش ومقلوبها شق ومضاعفها قشقش وشقشق
تدور على الجمع وللملازمة الفرقة فانه لا يجمع الا ما كان متفرقا ولا يفرق الا ما كان مجتمعا وقد اقتسم هذا ان المثال لان المعنيين الاقتلال افتقر
القوم صلحوا واحتوا بعد الهزال الجمع المحكم والرمل الكل من ههنا وههنا ولف ما قدر عليه مما على الخوان واضح في ذلك واقشوا وانقشوا
اذا انطلقوا فجلوا ومروا ذاهبين وتذا انقشوا اذا مروا وذهبوا عن الاجتماع على جهتهم وذلك وجمعهم ما قدروا عليه من متاعهم والقش
والاقتشاش طلب الماكول من ههنا وههنا وجمعه والقشة بالكسر القردة كانها جمعها ما ذان مما يوكل فيها والصبية الصغيرة المتصدرة والحبة
لا تكاد تنبت كانه لاجتماعها في نفسها ولذا القشيش للصغير من الصبيان ودويبة كالجعل اما لاجتماعها في نفسها او لجمعها القاذورات والقشيش
كامير للقطاعة كانها تجمع اللقاطة لانها تجمع اللقاطون وصوت جلد الحية يحك بعضه ببعض لانه لا يكون الا عند التلوي والتجمع واقش من الجدري
برئ منه كتقشقش يصلح ان يكون من الفرقة لانه فارقه ومن الجمع لان البرء جمعه كله فازاله ويمكن ان يكون همزته للازالة وتقشقشت الجروح القروح
وتقشقشت اذا تقشرت للبرء اما من الجمع للاجتماع القوى كالحصر واما من الفرقة والزوال وكذا تقشقش البعير اذا برئ من الجرب وتقال
تقشقشهم بكلام بقيم واذا هم اي جمعهم فهو ملكهم على بغضة او معاينهم وكذا اقش الشئ جمعه والناقة اسرع حلبها اي جمع الزمان الطويل
بل جمع ما في ضرعها والشئ حكه بيده حتى ينجاب اي فتم جميعه فهو يصلح للفرقة والجمع وقش مشى مشي المهزول اي اضطرب وهو يوجب الاسراع والتثني
فيصلح للجمع والفرقة وقش اكل مما يلقيه الناس على المزابل او اكل كسر الصدقة لان ذلك غاية في الجمع وقش النبات يبس واستحق ان يجمع والقش ردي
النخل كالدقل ونحوه لانه يجمع في نفسه والدلو الضخم لكثرة ما يجمع وفي الحديث انه قال يا ايها الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان المبرئتان من الشرك
لما في الحديث انهما يا ايها الكافرون عند ما ام فانها براءة من الشرك فالمعنى انهما يجمعان كل شرك ونفاق وذنق وعليل فيزيلانه والشقشقة
يحكى بها الصوت فيل الهدير في لحن المشقشقة بقال ان توعد بالهدير زائد الضخامة فكانه جامع لكذا ما يحكيه والتشقاشة العصا يجمعها
ما يراد بها اولانها تقشر عنها لحاها كما تقشر جلد الحية واما مقلوبه فيقال انه شقة صديقه اي فرقته وقال الخليل الصدع ربما كان
في احد الوجهين غير نافذ والشق لا يكون الا نافذا وشق ناب البعير طلع لانه فرق اللحم وشق العصا فرقها اثنين وفرق بين الجماعة وشق عليه
الامر صعب فتفرق نفسه وشق عليه او وقعه في مشقة وشق بصر المحتضر نظر الى شئ لا يرتد اليه طرفه لانه لتصويبه الى جهة واحدة معبر
من بقية الجهات والشق واحد الشقوق والصبح لانه يفرق جيش الظلام وجوبه ما بين السفرين من جهاز المراة والتوزيق ومنه شق عصا
المسلمين واستطالة البرق الى وسط السماء من غير ان ياخذ يمينا وشمالا لانه يشق السحاب مستقيما كما يشق اللوح والعصا
والشق بالكسر الجانب لانه مفارق للجانب الاخر والاسم لما نظرت اليه لانه في جانب واحد وجنس من اجناس الجن لانه فرقة منهم ومن كل
شئ نصفه وبفتح بيني وبينك شق الشعرة وبفتح نصفان سوا والشقة بالكسر شظية من لوح ومن العصا والثوب وغيره ما شق مستطيلا
والشقة ضرب من الحمام كانه على شق واحد والشقة بالضم والكسر البعد والناحية تقصدها المسافرة والسفر البعيد وكله واضح في الفرقة
والمشقة ايضا لانها تاخذ شق النفس والفرس الاشق البعيد ما بين الفروج والطويل كان اجزاءه تفرقت فطال عند ما تقدم في الصبية الصغيرة
والاشق ايضا النخل اذا استحكم كانه لما تاهل من شق الارض بالحراثة وكل ما اشتق نصفين والشقيقة كسفينة الفرجة بين الجبلين تنبت
العشب لانها فرقت بين الجبلين وفرق عشبها بين ملتئم ارضها والمطر والابل المنتشر لان الغيم كشقق عنه ومن البرق ما انتشر من الافق لانه
يشق السحاب ووجع ياخذ نصف الراس والوجه وشقائق النعمان معروف سميت بها لحمرتها تشبيها بشقيقة البرق كذا قالوا وعندي انها سميت
لتفرق اوراقها وتعقيفها فكانها مشققة مع الجمع والشقاق كغراب تشقق صب ارساغ الدواب والشقشقة بالكسر كما لو به يخرجه
البعير من فيه اذا هاج كانه يشق حلقه بخروجه ويوجب هديره الذي يشق انطباق جوفه بصوت ومنه شقشق الفحل اذا
هدر هدور العصفور صوت وشقق الكلام اخرجه احسن مخرج وشقق الحطب ذا فرق كلا واحد منها بنتين او اكثر وانشقت العصا
تفرق الامر والاشتقاق اخذ شق الشئ والاخذ في الكلام وفي الخصومة يمينا وشمالا مع ترك القصد لانه تشقق جهات المعاني
وهو ايضا اخذ الكلمة من الكلمة فكانه فرق بين اجزائها وهذا امر وشق نفسي وشقيقي كانه يشق لبنه من نفسه او كانه شق منه
وهذه السورة اخر سورة نزلت روى البخاري في التفسير وغيره من صحيحه عن البراء رضي الله عنه قال اخر اية نزلت يستفتونك

يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة واخر سورة نزلت روى البخاري في التفسير وغيره براءة ولما كانت مناسبة اولها الدعي الى البراءة
ممن يخشى نقضه لاخر الانفال المبين لمن يصلح للولاية المختتم بشمول العلم في حد عظيم من الظهور مع ما تقدم من بيان مناسبة اخر الاعراف
لاول الانفال قدمت الانفال مع قصرها على براءة مع طولها واشتباه امرها على الصحابة في كونها سورة مستقلة او بعض سورة كما قدمت
الحجر ان مع قصرها على النساء المتكفل بذلك من المناسبة فكان ما ذكر في براءة من البراءة والتولي شرط الاخر الانفال روى الامام احمد في
المسند وابو داود في السنن والترمذي في الجامع وحسنه وابن ماجة وابن حبان في صحيحه واسحق بن راهويه وابو يعلى والبزار
والبيهقي والامام ابو جعفر النحاس بغير سنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه ما حملكم على ان عمدتم
الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المبين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطول
ما حملكم على ذلك فقال عثمان رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ياتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور
ذوات العدد فكان اذا نزل عليه الشئ دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال
من اوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من اخر القران نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت انها منها فقبض رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها قال النحاس وذهب علي ان اساله عنها فمن اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر
بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتها في السبع الطوال زاد ابن راهويه وكانتا تدعيان القرينتين انتهى فتبين انه اشتبه عليه وانه
وضعها في الطول لمناسبتها لها على تقدير كونها سورة واحدة قال في القاموس والسبع الطول كصرد من البقرة الى الاعراف
والسابعة سورة يونس او الانفال وبراءة جميعا لانهما سورة واحدة انتهى وقال في الكشاف وقيل سورة الانفال والتوبة سورة
واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مايتان وست فهما بمنزلة
احدى الطول وقد اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان
فتركت بينهما فرجة لقول من يقول هما سورتان وتركت بسم لقول من يقول هما سورة واحدة انتهى وعن ابي بن كعب رضي الله عنه
انه قال انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود فوضعت احداهما بجنب الاخرى والمراد بالمثاني ههنا ما دون المئين وفوق
المفصل قال ابو عبيد الهروي قيل لها مثاني لان المئين اول لانه جامع للسور لاعتبار العدد وفوقه المثاني ثم المئون ثم الطول
جعلت مبادي والتي يليها مثاني انتهى والاحسن كون ذلك بالنسبة الى المفصل من وجهين اولا لان المفصل اول لانه جامع للسور باعتبار
القصر وفوقه المثاني ثم المئون ثم الطول فالمثاني ثانية له حقيقة وما هو ثانية للمئين الا ان لفظ البداءة بالطول من الطرف
الاخر الثاني انها ماذا دخل على المفصل كانت قسمة السورة منها في ركعتين من الصلاة كقراءة سورتين من المفصل فكانت مثاني
لتثنيتها في مجموع الصلاة باعتبار قراءة بعضها في كل من الركعتين قال ابو جعفر النحاس قال ابو اسحق حدثني بعض اصحابنا عن صاحبنا
محمد بن يزيد انه قال لم يكتب في اول سورة براءة بسم الله الرحمن الرحيم لان بسم الله الرحمن الرحيم افتتاح خير وبراءة اولها وعيد ونقض
للعهود فلذلك لم يكتب في اولها البسم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سالت عليا رضي الله عنه لم لم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم ههنا
قال لان بسم الله الرحمن الرحيم امان وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهود وليس فيها امان انتهى وبهذا اخذ الامام
ابو القاسم الشاطبي في قصيدته حيث قال ومهما تصلها او بدات براءة لتنزيلها بالسيف لست مبسملا وقال في الكشاف وسئل
ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست
مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم
الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ودعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو
البراءة واللعنة انتهى ولا يعارض هذا اخبار ابن عباس عن عثمان رضي الله عنه بل هو سببه لما نزلت من غير بسملة للمعنى المذكور
اشتبه امرها على الصحابة رضي الله عنهم ولم يقع السؤال عنها حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت بموافقتها للسور
في تسميتها باسم يخصها دليلا على انها سورة براسها ومخالفتها في ترك انزال البسملة في اولها مع احتمال انها تركت للمعنى
المذكور او لغيره دليلا على انها بعض سورة فقد روى ابو داود والحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة وفي رواية لا يعلم انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم قال
الحافظ ابو شامة هذا حديث صحيح للحاكم في المستدرك عن ابن عباس ايضا رضي الله عنهما قال كان المسلمون لا يعلمون انقضاء
السورة حتى ينزل بسم الله الرحمن الرحيم فاذا انزل علم ان السورة قد انقضت فلما اشتبه امرها تركوا كتابة البسملة في اولها
وفصلوها عن الانفال قليلا والله الموفق هذا وقد مضى بيان تشابه قصتها في اول الانفال واثناء الاعراف اجمالا واما تفصيلا
فلان كل منهما بين نبذ العهد الى من خيف نقضه وان المسجد الحرام لا يصلح لولايته الا المتقون واما المشركون نجس لا يصلا
فيهم لترابه وان قل حزب الله لا يضرهم اذا لزموا دعائم النصر الخمس وكثرتهم لا تغنيهم اذا حصل في نياتهم لبس والحث على الجهاد
في غير موضع وضمان الغنى كما اشار اليه في الانفال بقوله لهم مغفرة ورزق كريم وذكر من احكام الصدقات التي هي من
واد الغنائم وعد اصناف كل من الامر بالانفاق المشار اليه في الانفال بقوله والذين كفروا بعضهم اولياء بعض اي بالتنا
في الانفاق وغيره كما فعلوا في مال التجارة الذي ارصدوه حتى استعانوا به على غزوة احد المشار اليه بآية الذين كفروا ينفقون

امرالهم مع انه ان لا تفعلوه وبيان احوال المنافقين اشار اليه في الانفال بقوله اذ يقول المنافقون الاية والامر الجامع للكل
انهما معا في حال النبي صلى الله عليه وسلم في اول امره واثنايه ومنتهاه وقال الامام ابو جعفر بن الزبير في كتابه اتصالها بالانفال
اقصد من ان يتكلف توجيهه حتى ان شدة المشابهة والالتيام مع ان الشارع عليه السلام لم يكن بين انفصالهما اوجب ان لا يفصل بينهما
ببسم الله الرحمن الرحيم وذلك ان الانفال تضمنت الامر بالقتال وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وبين احكام الفرار من الزحف وحكم النسبة
المطلوب فيها بالثبوت ولحوق الثابتين للكفار وانفاعلي الضعف وحكم الاسرى وحكم ولاية المومنين وما يدخل تحت هذه الولاية
ومن يخرج عنها ثم ذكر في السورة الاخرى حكم من عهد اليه من المشركين والبراءة منهم اذا لم يوفوا وحكم من استجار منهم الى ما يتعلق
بهذا وكله باب واحد واحكام متواردة على قصة واحدة وهو تحرير حكم المخالف فالتحمت السورتان اعظم التحام ثم عاد الكلام
الى حكم المنافقين وهتك استارهم انتهى واما تطابق اخر الانفال من اولها فقد ظهر مما مضى وايضا فلما ذكر في اخر التي قبلها
امر العهد تارة بنبذه الى من خيفت خيانته كما بينا من كان في قوله فانبذ اليهم على سواء وتارة بالتمسك به عند الامن من ذلك
في قوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق وبين من يصلح للموالاة ومن لا يصلح وختمت بالامر بالاجتهاد لشمول علمه ابتدئت هذه السورة بالامر
بالنبذ الى الناس عامة لانهم نقضوا او خيف منهم ذلك وذلك التصريح بما افهمته اية الموالاة في التي قبلها من ان احدى الفرقتين لا تصلح لموالاة
الاخرى فقال تعالى براءة اي عظيمة وصفها بقوله من اي واصلة وواصله من الله اي المحيط بصفات الكمال فهو العالم بمن يستحق الولاية
ومن يستحق البراءة ورسوله اي المتابع لامره لعلمه به ولما كانوا قد توقفوا في الحديبية او كثير منهم تارة في نفس العهد وتارة في التاخر
عن الامر بالحلق ثم بادروا الى كل منهما وكان الكفار محل البعد من كل خير اشار الى ذلك بالاداة الغاية وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم
مع الله اشارة الى انه لا يخالفه اصلا واسند المعاهدة اليهم اشارة الى ذلك التوقف تحذيرا من ان يقع مثله فقال مخبرا عن المبتدا الموصوف
الى الذين عاهدتم اي اوقعتم العهد بينكم وبينهم من المشركين اي وان كانت معاهدتكم لهم انما كانت باذن من الله ورسوله فلا تعلموا
باذنهما فافعلوا المتقضي بعلمهما ودل سياق الكلام وما حواه من بديع الانتظام ان العهد انما هو لاجل المومنين واما الله ورسوله فغنيان
عن ذلك اما الله فبالغنى المطلق واما الرسول صلى الله عليه وسلم فبما لديه اختاره للرسالة لانه ما فعل ذلك به الا وهو قادر على نصره بسبب
وبغير سبب علما ان ذلك ليس بتقصير وقادر من قوله بعد الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا الاية قال البغوي لما خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم فامر الله بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم الاية انتهى وذكر ذلك ابن اسحق وغيره ولعله اطلق
هنا ولم يقيد بمن خيف نقضه ليكون اول السورة موذنا بان الخائن والهم بالنقض كان شان اكثرهم ولا سيما مشركو العرب لكون قريش رووس
الناس والناس تبع لهم في الخير والشر يستحقون ان يبعد عنهم لما يفهمه الكل وبنى هذه السورة على البراءة من المشركين والموالاة للمومنين الدالة
على ايمانهم طاعة الله بالصلاة والزكاة والجهاد ولهذا امر بالبراءة منه قل او كثر قرب او بعد في المنشط والمكره والعسر واليسر ولما كان
ظاهر الحال ان قد تكامل نزولها وهو شوال اذو القعدة او ذو الحجة سنة تسع بعد مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك ان الحرب
قد وضعت اوزارها واطفات نارها بتبسط الاسلام في الخاص والعام ما بين اليمن والشام وانتشار الوثنية واعلاء وتابد بيسه
واماته بتبر جيوش الكفار وقصد الناس له بالمبايعة من جميع الامصار اكد امر الجهاد ومصادمة الانداد في هذه السورة تاكيدا لم يوكد
في غيرها ذكر الواقدي في اواخر غزوة تبوك كلاما مهما قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يعني من غزوة تبوك في رمضان
سنة تسع ثم قال وجعل المسلمون يبيعون اسلحتهم ويقولون قد انقطع الجهاد فجعل القوي منهم يشتريها لفضل قوته فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن ذلك وقال لا تزال عصابة من امتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال وانما قلت انما
تكامل نزولها كان في شوال او في ذي القعدة او في ذي الحجة لان البغوي نقل عن الزهري ان اولها نزل في شوال له وقال ابن اسحق
ونقله عنه البيهقي في دلائل النبوة ثم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منصرفه من تبوك بقية شهر رمضان وشوال
وذا القعدة ثم بعث ابا بكر رضي الله عنه اميرا على الحج سنة تسع ليقيم للمومنين حجهم والناس من اهل الشرك على منازلهم
من حجهم واسند البيهقي في دلائل الى عروة قال فلما انشا الناس الحج تمام سنة تسع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر اميرا على الناس
وكتب له سنن الحج انتهى فخرج ابو بكر والمومنون رضي الله عنهم ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين من العهد
الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم ان لا يصد عن البيت احد جاءه ولا يخاف احد في الشهر الحرام وكان ذلك عهدا عاما بينه وبين الناس
من اهل الشرك ونقل ابو محمد البستي عنه انه قال فكانت هذه المدة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين العرب
انه لا يصد احدا عن البيت ولا يتعرض لحاج ولا معتمر ولا يقاتل في الشهر الحرام وكان امانا مستفيضا من بعضهم لبعض على غير
مدة معلومة رجع الى ما رايته في سيرته وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص
الى اجال مسماة فنزلت فيه وفي من تخلف من المنافقين في تبوك وفي قول من قال منهم فكشف الله فيها سرائر اقوام كانوا يختفون
بغير ما يظهرون ثم قال ابن هشام قال ابن اسحق وحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن ابي جعفر محمد بن علي انه
قال لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد بعث ابا بكر الصديق رضي الله عنه ليقيم للناس الحج قيل له يا رسول
الله لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل من اهل بيتي ثم دعا علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال اخرج بهذه القصة

القصة من صدر براءة فاذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى انه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له الى مدته فهذا فيه انها نزلت بعد سفر ابي بكر رضي الله عنه وانما نبهت على تكامل
نزولها لانه ورد ان الذي نزل في النفير فبعث به عليا رضي الله عنه انما هو عشر ايات او تسع وفي بعض الروايات التصريح بنزولها قبل
سفر ابي بكر رضي الله عنه ففي زيادات مسند الامام احمد عن علي رضي الله عنه قال لما نزلت عشر ايات من براءة على النبي صلى الله عليه وسلم
دعا ابا بكر رضي الله عنه فبعثه بها ليقراها على اهل مكة ثم دعاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادرك ابا بكر فحيث ما لحقته فخذ الكتاب
منه فاذهب به الى اهل مكة فاقراه عليهم فذكره وفيه ان ابا بكر رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما رجع انزل في شيء قال
لا ولكن جبريل عليه السلام جاءني فقال لن يودي عنك الا انت او رجل منك ونقل البغوي عن ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم لما بعث مع
ابي بكر بار بعين اية من صدر سورة براءة ليقراها على اهل الموسم ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرا على الناس براءة وامره
ان يوذن بمكة وبمنى وعرفة وفيه ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله انزل في شيء قال لا ولكن لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الامر الا
رجل من اهلي فتبين ان الاول من اطلاق الكل على الجزء لا سيما وهو الذي فيه البراءة وما سميت السورة براءة الا به وان المعنى لا يودي عني في
العهود لا مطلقا فقد ارسل بسلا للعطاء عنه من غير اهل بيته وقال المهدوي في تفسيره نسبحوا في الارض وروي ان هذه الاية نزلت
على النبي صلى الله عليه وسلم بعد خروج ابي بكر بالناس للحج كان سنة تسع فبعث بها النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه ليتلوها
على الناس بالموضع الذي يجتمع فيه الفريقان وهو منى وامره ان ينادي ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فنادى علي
واعانه ابو هريرة وغيره رضي الله عنهم وكان على مكة حينئذ عتاب بن اسيد رضي الله عنه استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح
وهو عام ثمان وكان حج عتاب وابي بكر رضي الله عنهما سنة تسع في ذي القعدة كذا قال وسياتي بيان بطلانه وتقدم رد كونه عن ابن اسحق
ودلائل النبوة وقال الامام ابو محمد اسحق بن ابراهيم البستي القاضي في تفسيره حدثنا قتيبة ثنا الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من تبوك فاراد الحج فقال انه يحضر البيت المشركون يطوفون عراة فلا احب ان احج حتى لا يكون
ذلك فارسل ابا بكر وعليا رضي الله عنهما فطافا في الناس بذي المجاز وبامكنتهم التي كانوا يتبايعون بها كلها وبالموسم كله واذنوا
اصحاب العهد بان يامنوا اربعة اشهر يعني اشهر الحرم المسلحات المتواليات عشرين من اخر ذي الحجة الى عشر يخلون من ربيع الاخر
ثم لا عهد لهم فاذن الناس كلهم بالقتال الا ان يومنوا فامن الناس اجمعون وفي سيرة ابن اسحق حدثنا يونس يعني ابن بكير عن اسباط
ابن نصر الهمداني عن اسمعيل بن عبد الرحمن السدي فسيحوا في الارض اربعة اشهر قال عشرين من ذي الحجة الى عشر من ربيع الاخر ثم لا
امان لاحد ولا عهد الا السيف والاسلام وقال ابن هشام حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاذن في الناس
بالذي امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم واجل الناس اربعة اشهر من يوم اذن فيهم ليرجع كل قوم الى مامنهم وللترمذي
عن زيد بن اثيع قال سالت عليا رضي الله عنه باي شيء بعثت قال باربع لا يدخل الجنة الا نفس مومنة ولا يطوف بالبيت عريان
ولا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته ومن لا مدة
له فاربعة اشهر ونقل ابن سيد الناس عن ابن عايذ انه لما ضرب للمشركين هذا الاجل قالوا بل الان لا يبغي تلك المدة تبرا منك
ومن ابن عمك الا من الضرب والطعن فحج الناس عامهم ذلك فلما رجعوا ارعب الله المشركين فدخلوا في الاسلام طوعا وكرها
وصدق الله ورسوله فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان وقد ورد نصوص وظواهر في كثير من سورة
براءة انه نزل قبل الرجوع من تبوك او قبل الاعتذار فمن النصوص قوله تعالى لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك
ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم وقوله فان رجعك الله الى طايفة منهم فاستاذنوك
للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا الايات يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نومن لكم قد نبانا الله
من اخباركم الى ان قال سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم الايات واما الظواهر فان الواقدي قال في
سيرته مما نزل من القران في غزوة تبوك ثم ذكر اكثر سورة براءة وقال هو وغيره من اصحاب السير وكان رهط من المنافقين
يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك منهم وديعة بن ثابت فذكر القصة التي فيها ان بعضهم قال ترهيبا للمومنين
اتحسبون قتال بني الاصفر كقتال غيرهم والله لكانا بكم غدا مقرنين في الحبال وقال كل منهم شيئا الى ان قال فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر ادرك القوم فانهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فان انكروا فقل بل قلتم كذا وكذا الى ان
قال انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله فيهم ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله بانهم كانوا مجرمين ثم قال
وجاء الجلاس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف ما قال من ذلك شيئا وكان قد قال ان كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فانزل
الله عز وجل فيه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الى اخرها فاعترف الجلاس حينئذ وتاب وحسنت توبته وذكر
مسجد الضرار وان اهله سالوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو متجهز الى تبوك ان يصلي لهم فيه فاعتذر اليهم بشغله بالسفر ووعدهم
ان يصلي فيه اذا رجع فلما نزل صلى الله عليه وسلم بذي اوان قال ابن هشام بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار اتاه خبر
وخبر اهله من السماء فدعا اثنين من اصحابه فامرهما به فاحرقاه وتفرق اهله ونزل فيه من القران ما نزل والذين اتخذوا
مسجدا ضرارا وكفرا الى اخر القصة قال الواقدي وكان عاصم بن عدي يقول كنا نتجهز الى تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم

فرايت عبد الله بن نبيل وثعلبة بن حاطب قايمين على مسجد الضرار الى ان قال فوالله ما رجعنا من سفرنا حتى نزل القران بذمه وذم اهله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الى اخرها ومن ذلك تسميتها بالفاضحة فلولا تر و لها افضل معرفة اخبارهم لم تكن فاضحة وهي في الظاهر للمعاهدين وفي الباطن مشيرة الى اهل الردة وان لا يقبل منهم ايمان ما لم يجمعوا بين الصلاة والزكاة كما فهم ابو بكر رضي الله عنه وانتمت على ذلك قرائن منها تكرير الجمع بين الصلاة والزكاة في سياق الامان تكريرا لم يكن في غيرها من السور وهي من اعلام النبوة وروى ابو اسحق بن ابراهيم القاضي البستي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان هذا الاسلام ثلثون سهما عشر منها في براة وعشر منها في الاعراف وعشر في المومنين وسال سايل ولما اعلمهم سبحانه بانه رد اليهم عهدهم وكانوا مختلطين بهم مع اهل الاسلام جعل لهم مخلصا ان ارادوا البقاء على الشرك مع اعلامهم بانه لا خلاص لهم في تبعتهم فقال مخاطبا لهم ومكاشفا لهم تشييعا عن البراة **فسيحوا** والسياحة الاتساع في السير والبعد عن المدن ومواضع العمارة عن الاقلال من الطعام والشراب ولذلك يقال للصائم سايح والمراد هنا مطلق السير ولما كانت السياحة تطلق على غير حقيقة المعنى بقوله **في الارض** اي في اي جهة شيتم **اربعة اشهر** اي من ايام الحج فتكون اخرها عاشر شهر ربيع الاخر تامنون فيها منا لا نعرض لكم بسوء بل تذهبون فيها حيث شيتم او ترون حصونكم وتهيئون سلاحكم وتتلون شعثكم لا نغدركم لان ديننا مبني على المحاسن ولولا ان الامر يتعلق بنفوسنا ما نبذنا عهدكم ولا نقضنا عقدكم ولكن الخطر في النفس قد ظهرت منكم امارات الغدر ولوايح الشر وعن اي نفس بعد نفسي اقاتل فاذا انقضت الاربعة الاشهر فتهيئوا لقتالنا وقد رعوا التنا ولما كان الاسلام قد ظهر بعد ان كان خفيا وقوي بعد ان كان ضعيفا افتتح وعظهم بالكلمة التي يقال لها لمن يراد تفريغ سمعه وايقاظ قلبه وتنبيهه على ان ما بعدها امر مهم ينبغي مزيد الاعتناء به **واعلموا انكم** اي ايها الكفرة وان كثرتم **غير معجزي الله** لان علمه محيط بكل شي فهو قادر على كل ممكن **وان الله** اي الملك الذي له من الاحاطة بالجلال والاكرام **مخزي الكافرين** اي كلهم منكم ومن غيركم في الدنيا والاخرة لان قوله قد سبق بذلك ولا يبدل القول لديه والاخزا الاذلال مع الخجل والافتضاح والعار واظهر الوصف موضع الضمير تعميما وتعليقا للحكم بوصل الالتفات الى الخطاب اشارة الى ترك امر اسحرها على قرب او عن بعد فهو منهم وتدريب منه الذمة فليهن بعضه ولا بحالها او يكون الالتفات الاستعطاف الكفار بلذيذ الخطاب وترهيبهم بزواجر العقاب ولما انزل البراة امر بالاعلام بها في الجمع الاعظم ليقطع الحج فقال عاطفا لهذه الجملة التي معنوها الاخبار بوجوب الاعلام بما ثبت بالجملة الاولى المعطوف عليها من البراة **واذان** اي وهذا اعلام واعلان واقع وواصل **من الله** اي المحيط بجميع صفات الكمال **ورسوله** اي الذي عظمته من عظمته فلا يوجه الى شي الا علاه عليه ولما كان المقصود الابلاغ الذي هو وظيفة الرسول عداه بحرف الانتها فقال **الى الناس** اي كلهم من اهل البراة وغيرهم **يوم الحج الاكبر** قيد لان العمرة تسمى الحج الاصغر ولما كان كانه قيل ما هذا الاعلام قال معبرا له مصرحا بما هو المقصود لئلا يقع فيه نوع لبس لاحد في الغفلة اعلاما بان هذا استئناف على تقدير سوال سايل لا معمول للاذان **ان الله** اي الذي له الغنى المطلق والقوة الباهرة **بري من المشركين** اي الذين لا عهد لهم خاص فلا مانع من قتالهم قبل الزمن وتحت البراة منهم صنفان احدهما كانت مدته دون اربعة اشهر فرفع اليها والاخر مدته لم يحد فقصر عليها ومن لم يكن له عهد فهو اولى ومن كان عهده محدودا باكثر من اربعة اشهر ولم يحدث شرا امر باتمام عهده الى مدته **ورسوله** اي بري منهم فهو مرفوع عطفا على المنوي في بري او على محل ان المكسورة واسمها عند من كسرها وقري بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع وبالجر على الجوار وقيل على القسم قاله في الكشاف قال ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقراها فقال ان كان الله بريا من رسوله فانا منه بري فلبّبه الرجل الى عمر رضي الله عنه فحكى الاعرابي قراته فعندها امر عمر بتعلم العربية وروى الامام ابو بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري في مقدمة كتاب الوقف بسنده عن ابن ابي مليكة قال قدم اعرابي في زمان عمر رضي الله عنه فقال من يقريني مما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم فاقراه رجل براة فقال ان الله بري من المشركين ورسوله بالجر فقال الاعرابي او قد بري الله من رسوله ان يكن الله بري من رسوله فانا ابرا منه فبلغ عمر رضي الله عنه مقالة الاعرابي فدعاه يعني فساله فاخبره فقال عمر رضي الله عنه ليس هكذا يا اعرابي قال فكيف هي يا امير المومنين فقال ان الله بري من المشركين ورسوله فقال الاعرابي وانا والله ابرا مما بري الله ورسوله منه فامر عمر بن الخطاب ان لا يقري القران الا عالم باللغة وامر ابا الاسود فوضع النحو ونحو ذلك في الاهتمام بشان العربية ما حكاه الشريف محمد بن اسعد الجواني النسابة في كتابه في الانساب في ترجمة ابي الاسود الدولي بسنده اليه انه قال دخلت على امير المومنين علي رضي الله عنه فرايته مطرقا متفكرا فقلت فيم تفكر يا امير المومنين فقال اني سمعت ببلدكم هذا لحنا فاردت ان اضع كتابا في اصول العربية فقلت له ان فعلت هذا ابقيت فينا هذه اللغة ثم اتيته بعد ايام فالقى الي صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما انبا عن المسمى والفعل ما انبا عن حركة المسمى والحرف ما انبا عن معنى ليس باسم ولا فعل ثم قال تتبعه وزد فيه ما وقع لك واعلم ان الاشيا ثلثة ظاهر ومضمر وشي ليس بظاهر ولا مضمر وانما يتفاضل الناس في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر قال ابو الاسود الدولي فجمعت اشيا فعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها ان وان وليت ولعل وكان ولم اذكر لكن فقال لي لم تركتها فقلت اعتقد انها ليست منها فقال بلى هي منها فزدها فيها وقال ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي في طبقات النحويين وقال ابو العباس محمد بن يزيد سيل ابو الاسود الدولي عمن فتق الطريق الى الوضع في النحو فقال تلقيته من علي بن ابي طالب ونحوت اخر القى الي اصولا احتذيت عليها وفي مختصر طبقاتهم للحافظ محمد بن عمران المرزباني كان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قد رسم لابي الاسود بن الدولي حروفا

حروفا فنقطها الناس لما انسدت السنتهم فكان لا يحب ان يظهر ذلك ضنا به لعهد علي رضي الله عنه بذلك فلما كان زياد وجه اليه ان اعمل شيا يكون فيه اماما وينتفع به الناس فقد كنت شرعت فيه ليصلح السنة الناس فدافع بذلك حتى مر يوما بكلا البصرة واذا قارئ يقرا ان الله بري من المشركين ورسوله وحتى سمع رجلا قال سقطت عصاتي فقال لا يحل لي بعد هذا ان اترك الناس فجا الى زياد فقال انا افعل ما امر به الامير فليبغ لي كاتبا حصيفا ذكيا يعقل ما اقول فاتي بكاتب من عبد القيس فلم يرضه فاتي باخر من ثقيف وقال ابن الانباري في كتاب الوقف حدثني ابي انا ابو عكرمة قال قال العتبي كتب معوية الى زياد يطلب عبيد الله ابنه فلما قدم عليه كلمه فوجده يلحن فرده الى زياد وكتب اليه كتابا يلومه فيه ويقول امثل عبيد الله يضيع فبعث زياد الى ابي الاسود فقال يا ابا الاسود ان هذه الحمرا قد افسدت من السن العرب فلو وضعت شيا يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله فابى ذلك ابو الاسود وكره اجابة زياد الى ما سال فوجه زياد رجلا وقال له اقعد في طريق ابي الاسود فاذا مر بك فاقرا شيا من القران وتعمد اللحن فيه ففعل ذلك فلما مر به ابو الاسود رفع الله صوته يقرا ان الله بري من المشركين ورسوله فاستعظم ذلك ابو الاسود وقال عز وجه الله ان يبرا من رسوله ثم رجع من فوره الى زياد فقال يا هذا قد اجبتك الى ما سالت ورايت ان ابدا باعراب القران فابعث الي ثلثين رجلا فاحضرهم زياد فاختار منهم ابو الاسود عشرة ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس فقال خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد فاذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف واذا ضممتها فاجعل النقطة الى جانب الحرف واذا كسرتها فاجعل النقطة في اسفله وان اتبعت شيا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين فابتدا بالمصحف حتى اتى على اخره ثم وضع المختصر المنسوب اليه بعد ذلك انتهى ويوم الحج الاكبر المذكور هنا للجنس اي في جميع الحج قاله سفين الثوري كيوم صفين ويوم الجمل يراد به الحين والزمان الذي كان فيه ذلك ولهذا نادى علي رضي الله عنه بنفسه ومن ندبه لذلك في جميع تلك الايام وقال ابو حيان الظاهر انه يوم واحد فقال عمر رضي الله عنه وجماعة هو يوم عرفة وروي مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو موسى رضي الله عنه وجماعة هو يوم النحر وقيل ايام النحر كلها قاله سفين بن عيينة والذي تظافرت به الاحاديث ان عليا رضي الله عنه اذن بذلك الايام يوم عرفة اثر خطبة ابي بكر رضي الله عنه ثم راى انه لم يعم الناس بالاسماع فتتبعهم بالاذان به يوم النحر وفي ذلك اليوم بعث ابو بكر رضي الله عنه من يعينه بها كابي هريرة وغيره رضي الله عنهم انه يوم النحر وقال في تفسيره ايضا اخبرنا معمر عن الحسن قال انما سمي الحج الاكبر لانه حج ابو بكر رضي الله عنه الحجة التي حجها واجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق ذلك ايضا عيد اليهود والنصارى ولما اعلم سبحانه بالبراة سبب عنها ترغيبا وترهيبا قوله التفاتا الى الخطاب **فان تبتم** اي عن الكفر والغدر **فهو** اي ذلك الامر العظيم وهو المتاب **خير لكم** اي لانكم تفوزون في الوفا بالامان في الدنيا وفي الاسلام بالسلامة في الدارين ولما كانت التوبة محبوبة بالطبع لما فيها من النفع قال **وان توليتم** اي كلفتم انفسكم خلاف ما يشتهي من التوبة موافقة للفطرة الاولى واصررتم على الكفر والغدر اتباعا للهوى المكتسب من خباثة الجبلة ورداة الاخلاط التي تغذت بالروح عن اوجها الاول الى الحضيض الاسفل **فاعلموا** اي علما لا شبهة فيه **انكم غير معجزي الله** اي لان له صفات الكمال من الجلال والجمال والالتفات هنا مثله في فسيحوا والاشارة به الى ما ذكر في اول وما واجههم بالتهديد اعرض عنهم ووجه الخطاب بتحقيرا لهم بخطابه الاعلى خلقه مبشرا له في اسلوب التهكم بهم فقال عاطفا على ما تقديره فبشر العائدين بالخذلان او فبشر التائبين بنعيم مقيم **وبشر الذين كفروا** اي اوقعوا هذا الوصف **بعذاب اليم** اي في الدنيا او الاخرة او فيهما ولما اعلمهم بالبراة وبالوقت الذي يودنها فيه وكان معنى البراة منهم انه لا عهد لهم استثنى بعض المعاهدين فقال **الا الذين عاهدتم** اي اوقعتم بينكم وبينهم عهدا **من المشركين** اي بعد طول المدة انضعفوا انهم **لم ينقصوكم شيا** اي من الامارات الدالة على الوفا في انفسهم كما نقض بنو الديل من بني بكر في قتالهم لخزاعة حلفا للنبي صلى الله عليه وسلم **ولم يظاهروا** اي يعاونوا معاونة تظهر **عليكم احدا** اي من اعدائكم كما ظاهرت قريش حلفاهم من بني الديل على حلفايكم من خزاعة **فاتموا** واشار الى بعدهم عن الخير بحرف الغاية فقال **اليهم عهدهم الى مدتهم** اي وان طالت قال البغوي وهم بنو ضمرة حي من كنانة وكان قد بقي من عهدهم تسعة اشهر وكان السبب فيهم انهم لم ينقضوا وقال النحاس ويقال ان هذا مخصوص يراد به بنو ضمرة خاصة وقال ابو محمد البستي حدثنا قتيبة نا حجاج عن ابن جريج عن ابن مجاهد قال كان بين بني مدلج وخزاعة عهد وهم الذين قال الله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ولما كانت محافظتهم على عهدهم من افراد التقوى وكان الامر بالاحسان الى مخصوص من افعال المحب قال تعالى معللا **ان الله** اي الذي له صفات الكمال **يحب المتقين** اي يفعل بكم افعال المحب فهو قوي جار للكل على التقوى وكل ينزله على ما يفهم لفوسن الاعجاز الباهر ولما قرر امر البراة ابتداء وانتهاء امر بما يصنع بعد ما ضرب لهم من الاجل فقال **فاذا** اي فتسبب عن ذلك انه اذا **انسلخ** اي انقضى وانجرد وخرج ومضى **الاشهر الحرم** اي التي حرمت عليكم فيها قتالكم وضربتها اجلا لسياحتكم والتعبير فيها مثله في فارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول **فاقتلوا المشركين** اي الناكثين الذين ضربتم لهم هذا الاجل احسانا وكرما قال البغوي قال الحسين بن الفضل هذه الاية نسخت كل اية في القران فيها ذكر الاعراض والصبر على اذى الاعدا انتهى ومعنى **حيث وجدتموهم** اي في حل وحرم في شهر حرام او غيره **وخذوهم** اي بالاسر **واحصروهم** اي بالحبس عن اتيان المسجد والتصرف في بلاد الاسلام وكل مقصد **واقعدوا لهم** اي لاجلهم خاصة فان ذلك من افضل العبادات **كل مرصد** اي ارصدوهم وخذوهم بكل طريق يمكن ولو على

على غرة اغتيالا من غير دعوة وانتصابه على الظرف لان معنى اقعدوا لهم ارصدوهم ومتى كان العامل في الظرف المختص من لفظه
او من معناه جاز ان يصل اليه بنفسه بغير وساطة في فكما يتعدى الفعل الى المصدر من غير لفظه اذا كان بمعناه فلذلك الى الظرف ذكره ابو
حيان والتعبير بالقعود للارشاد الى التاني في الترصد والاتزار والتمكن واتصال الفعل الى الظرف اشارة الى ان تشغلوا في الترصد
كل جزء من اخر كل مرصد ان قدرتم على ذلك بخلاف ما لو عبر بفي فانه انما يدل على شغل كل مرصد الصادق بالكون في موضع واحد منه
اي موضع كان ولما امر تعالى بالتضييق عليهم بين ما يوجب الكف عنهم فقال فان تابوا اي عن الكفر واقاموا اي وصدقوا دعواهم التوبة
بالبينة العادلة بان اقاموا الصلاة واتوا الزكاة اي على الوجه الذي امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا وجد هذان الشاهدان ان
العدلان فخلوا اي سبيلهم سبيلهم اي بان لا تعرضوا لهم بشيء مما تقدم لان الله يقبل ذلك منهم ويغفر لهم ما سلف ان اي لان الله
اي الذي له الجلال والاكرام غفور رحيم اي بليغ المحو للذنوب التي تاب صاحبها عنها والاسباغ له بالاكرام ولما نبذ عليهم طريق مخالطتهم
ما لم يتصفوا بالتوبة المدلول عليها بالشاهدين المذكورين سدا مطلقا وفتحه عند الاتصاف بها فتحا مطلقا عطف على ذلك طريقا اخر
وسطا مقيدا فقال وان احد من المشركين اي الذين امرناكم بقتالهم استجارك اي طلب ان تعامله في الاكرام معاملة الجار بعد انقضا
مدة السياحة فاجره اي فامنه ودافع عنه من يقصده بسوء حتى يسمع كلام الله اي الملك الاعظم بسماع التلاوة الدالة عليه فيعلم
بذلك ما يدعوا اليه من المحاسن ويتحقق انه ليس من كلام الخلق ولما ذكر اجارته وكان له بعدها توبة واصرار فكان حال التايب قد ذكر بين
ما يفعل به ان اصر فقال ثم ابلغه اي ان اراد الانصراف ولم يسلم مامنه اي الموضع الذي يامن فيه ثم قاتله بعد بلوغه المامن ان شيت
من غير غدر ولا خيانة قال الحسن هي محكمة الى يوم القيامة علل ذلك بما سبق عذرهم ولا رسالة ولا كتاب فاذا علموا ذلك اوشك ان
ينفعهم العلم ولما كان الامر بالنبذ مظنة لان يعجب منه عجيب بقوله ذلك بانهم اي الامر بالاجارة للغرض المذكور بسبب انهم قوم لا يعلمون اي لا
علم لهم لانه لا عهد لهم بنبوة ولا رسالة ولا كتاب فاذا علموا ذلك اوشك ان ينفعهم العلم ولما كان الامر بالنبذ مظنة لان يعجب منه عجب
ممن يعجب منه وانكر عليه فقال كيف يكون للمشركين اي اهل العراقة في الشرك الذين توجب عراقتهم فيه وتجنبهم للمعهود نكثوا العهد
الذي لا ابتر منه عند العرب ولا اشنع عهد عند الله اي المستجمع لصفات الكمال فهو لا يحب المنتقص من اوليائه فكيف بمن اعدايه
وعند رسوله اي الذي هو اكمل الخلق واوفاهم واحفظهم للعهود [illegible]
[illegible] ولما كان استفهام الانكار في معنى النفي صح الاستثناء [illegible] الا الذين عاهدتم [illegible]
عند المسجد الحرام اي الحرم يوم الحديبية [illegible]
[illegible] قال البغوي قال السدي والكلبي وابن اسحاق هم بنو ضمرة بن بكر [illegible]
[illegible] يوم الحديبية [illegible]
[illegible] فقال فما استقاموا لكم [illegible] فاستقيموا لهم [illegible] ان الله يحب
المتقين [illegible]
[illegible] فقال كيف [illegible] وان يظهروا عليكم [illegible]
[illegible] لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة [illegible]
ابن عباس في المادة تدور على الالة وهي حربة في نصلها عرض ويلزمها الصفاء والرقة والبريق ويشبه به الاسراع في العدو
والثبات في نفسها ومنه القرابة والعهد والعرق وصلة ومنه تغير رائحة الاناء وفساد الاسنان والصوت ومنه الانين
والحوار في الدعاء والبكا وخرير الماء والطعن والنخوة والقهر ومنه ان هذا الكلام مستهله ما خرج من ال اي من ربوبية وفي ذلك
اشارة الى قدرته والاجتبول ان ذلك مظنة لان يقال فقد اكدوا لنا الايمان ونقضوا العهود ولم يدعوا بابا من ابواب
الاستعطاف قال العلل الماضي مجيبا لمن استبعد يرضونكم وعبر بالمضي ليكون الكلام به من القلوب بخفيف
لانه لم يرسخ في قلوبكم شيء منه فقال بافواههم اي بذلك لتاكيد وصرح بالمقصود بقوله وتابى قلوبهم اي العمل بما ابدته السنتهم وقليل
منهم من يحمله الخوف ونحوه على الثبات او يرجع عن هذا الفسق ويتوب واكثرهم فاسقون اي راسخون الاقدام في الفسق خارجون لمخالفة
الفعل للقول عما يريدونه واذا انفصل الاكثر اضطر الاول الى موافقتهم ولما تقدم ما يرى من كشف سرايرهم شرح سبحانه بقصتهم الدال
على فسقهم وخيانتهم تذكيرا لهم ما يريد به ان بعضهم من لم ينقض بعد ان اثبت فيما مضى انهم شرح ولعد نقضهم او كلها بعض وفيها تالي
الهم بعضهم من بعض فقال معبرا بما يفيد انهم تمكنوا من الايمان تمكنا ما دبه كانه في حوزهم اشتروا اي لجوا في اهوائهم بعد تمام
الدليل الذي لا يشكون فيه فاخذوا بايات الله اي الذي لا شيء مثله في جلال ولا جمال على ما لها من العظيم في انفسها وما اضافها
اليه ثمنا قليلا من اعراض الدنيا فرضوا بها مع مصاحبة اللوم وذلك ان ابا سفيان اطعمهم اكلة فنقضوا بها عهودهم فصدوا
اي فتسبب لهم ذلك وادا هم الى ان صدوا عن سبيله اي من يريد السير عليه ومنعوا من الدخول في الدين انفسهم ومن قدروا
على منعه ولما دل على ما اخل به من فساد قلوبهم استانف بيان ما استحقوه من عظيم الذم بقوله معجبا منهم انهم ساء ما ومن عوائدهم فيهم
في التقاطع وانها في جبلتهم بذكر الملول فقال كانوا يعملون اي يجددون عمله في كل وقت وكانه سبحانه يشير بهذا الى ما فعلت عصام

عصام والقارة لعاصم بن ثابت وخبيب بن عدي كما ذكر ابن اسحاق في السيرة عن عاصم بن عمر والبخاري في الصحيح عن ابي هريرة رضي
الله عنه كل منهما على صاحبه وقد جمعت بين حديثهما انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد احد رهط من عضل والقارة فقالوا
يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئونا القران ويعلمونا شرائع الاسلام فبعث
معهم نفرا ستة وقال البخاري عشرة وامر عليهم عاصم بن ثابت فخرجوا معهم حتى اذا كانوا بالرجيع ماء لهذيل غدروا بهم فاستصرخوا
عليهم هذيلا فلما اتوهم اخذوا اسيافا ثم ليقاتلوهم فقالوا انا والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد ان نصيب بكم شيئا من اهل مكة ولكم عهد
الله وميثاقه ان لا يقتل منكم احد فاما عاصم فلم يقبل وقاتل حتى قتل هو وناس من اصحابه ونزل منهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق فلما
استمكنوا منهم اطلقوا اوتار قسيهم فربطوهم بها فقال رجل منهم هذا اول الغدر والله لا اصحبكم ان لي بهؤلاء اسوة يريد القتلى فجروه
وعالجوه فابى ان يصحبهم فقتلوه فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة فقتلوهما وقصة العرنيين الذين قدموا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاظهروا الاسلام ثم خرجوا الى لقاح النبي صلى الله عليه وسلم فقتلوا الراعي واستاقوا اللقاح بعد ما راوا من
الايات فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في اثارهم فقتلهم وفي تاريخ ابن الفرات عن العتبي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله
ابن عوسجة البجلي الى بني حارثة بن عمرو بن قرط بكتاب فرقعوا دلوهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لهم اذهب الله عقولهم فهم اهل
رعدة وكلام مختلط ولما فتح اهل مكة بعد ان عاملهم صلى الله عليه وسلم بغاية الاحسان اعتقهم وعفا عنهم بعد نيل الحروب والاذى
في المبالغة في النكايات التي لا يعفوا عن مثلها الا الانبيا اخرجوا معه الى حنين غير مرتدين النصر ولا محبين لعلو امره بل لهم
الذين اقعدوا بالناس كما نقله البغوي عن قتادة وقال ابو حيان ويقال ان الطلقاء من اهل مكة فروا وقصدوا القا الهزيمة
في المسلمين وبلغ فلهم مكة انتهى قال الواقدي وخرج رجال من مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يغادر منهم على غير دين ركبانا ومشاة
ينتظرون لمن تكون الدبرة فيصيبون من الغنائم ولا يكرهون ان تكون الصدمة لمحمد واصحابه وقال هو وغيره فلما كانت الهزيمة
حيث كانت والدرع على المسلمين تكلم قوم بما في انفسهم من الكفر والضغن والغش وذكروا انه عزم ناس منهم على قتل النبي صلى الله
عليه وسلم وكف الله منعه منهم هذا بعض ما غدر فيه كفار العرب واما اليهود فكلهم نقضوا اسوا انتقاض ثم النضير ثم قريظة
ثم اهل خيبر حتى كان ذلك سبب اخراجهم منها واجلاهم الى بلاد الشام ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى انهم قد تبين لهم مثل
الصبح جميع ما اخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم فلما لم يرجعوا لمجرد اهوائهم كانوا قد اشتروا بذلك ثمنا قليلا وهو التمتع
بما هم فيه مدة حياتهم على ما صاروا اليه من سفول الحال كما نوا دبار الامر فمن قاده هواه الى ترك السعادة العظمى لهذا
للعوض الزائل اليسير كان غير مامون على شيء لانه رهينة داعي الهوى وامر الشيطان واول بادر بنفسه وقد رتها وغششها
غير ناظر في مصلحة ولا ناظر في عاقبة ولما اخبر تعالى بعواقبهم في الفسق دل عليه بان خيانتهم ليست خاصة بالمخاطبين
بل هي عامة لكل من اتصف بصفتهم من الايمان فمدار خيانتهم على الوصف فقال لا يرقبون في مؤمن الا اي قرابة واصلا جيدا
ثابتا ولا ذمة اي عهدا اكيدا واولئك اي البعداء من كل خير هم اي خاصة لتناهي عدوانهم المعتدون اي عادتهم المبالغة في حمل
انفسهم على ان تعدوا الحدود لعدم ما يردهم عن ذلك من دين وازع المروءة ورادع شرعي كما فعل عامر بن الطفيل باهل بير معونة
مع انهم في جوار عمه وكان من خبرهم ان عمه ابا براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له لو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اخشى عليهم اهل نجد
قال ابو براء انا لهم جار فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو اخا بني ساعدة المعنق ليموت في سبعين رجلا
من اصحابه من خيار المسلمين فلما نزلوا بير معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن
الطفيل فلم ينظر في كتابه وعدا عليه فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فابوا وقالوا لن نخفر ابا براء فاستصرخ عليهم قبائل من
سليم عصية ورعلا وذكوان فقتلوهم فلم يفلت منهم الا عمرو بن امية الضمري اسروه فعظم ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا
على قاتليهم شهرا قال البغوي وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان اهل الطائف امدوهم يعني قريشا بالاموال ليقووا وهم على حرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا الذي احكمه تعالى لمن نبذ العهد اليهم نظر للدين لانه نظر لجميع اهل الدين لا يوصل الاذى
ولما بين ما اوجب نبذهم منهم ويعاد انهم لهم بين ما يعصم به اهلا فقال فان تابوا اي بالايمان بسبب ما ابديتم لهم من الغلظة
واقاموا اي ايدوا ذلك بان اقاموا الصلاة اي بجميع حدودها واتوا الزكاة اي كما امره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخوانكم
اي هم وبين انها ليست اخوة النسب فقال في الدين لكم ما لهم وعليكم ما عليهم فلا تؤذوهم بما يكرهونه ولما كان كانه قيل فما نحو نيفا
على تامل ما فصل فقد فصلت لكم امورهم في هذه الايات تفصيلا عطف عليه قوله ونفصل اي في كل امر يحتاجونه جميع الايات وعظم
هذه الايات وحثهم على تدبرها بقوله لقوم يعلمون اي صار العلم لهم صفة فلهم ملكة يتصرفون بها فيما هولهم وفيه وعيد
لا يعتدون بجود من شانه الرداءة والمخالفة بين القول والعمل والاعتراض بهذا بين هذه الجمل المتلاحمة اشارة الى عظم الامر كم
الذي نبه عليه وتحريض على انعام النظر فيه ليعلم ان مدخوله جليل الامر عظيم القدر لئلا يظن انه تكرار ولما بين السبب
الموجب لجهادهم بجنس حملهم وهو الباه منهم وما يتبع ذلك الى ان ختم بتقدير توبتهم رجع الى قسيم قوله فما استقاموا لكم فقال
وان نكثوا ايمانهم اي التي حلفوها لكم ولما كان النقض ضارا او دون نقض ذمته اتى بالجار فقال من بعد عهدهم اي الذي

عقدوه **وطعنوا** اي ونتوا الطعن **في دينكم** اي بقول او فعل ولما كان هذا الفعل لا يستقل به في الاغلب الا الرؤسا اشار الى ذلك
بقوله **فقاتلوا** ووضع موضع ضميرهم تحريضا على قتالهم واشارة الى انهم ما نكثوا واقدموا على جحد الدين ولم يستحيوا
الخروج عن عادات الكرام الا وقد رسخوا في الكفر فقال **ائمة الكفر** ثم اشار بقوله معللا لجواز المقاتلة **انهم لا ايمان لهم** اي اذ ذلك
ولو كثر الاتباع ولم يكن لهم الرؤسا نوع عن قتالهم فابدوا وابالرؤس فاقطعوها ينقطع الاذناب وقراءة ابن عامر بالكسر معناها لا
امان لهم لانهم قد نقضوا العهد الموجب له بما وقع منهم ومن طعن من اهل الذمة في الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله فان العهد ماخوذ عليه
ان لا يطعن ثم علل المقابلة بقوله **لعلهم ينتهون** اي اجعلوا قصدكم بقتالهم ان يكون حالهم حال من ينتهي عنه عما يرجى منكم من مراد
الجد بما مضى الحد روى البخاري في التفسير عن حذيفة رضي الله عنه قال ما بقي من اصحاب هذه الاية الا ثلاثة ولا من المنافقين الا
اربعة احدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده وكانوا انما هم شرع منهم الدليل على ذلك ليرابو ودا ونكبوها كل منهم
سبب باعث على الاقدام عليهم وحث على قتالهم في صورة التعجب ممن يتوانى فيه فقال **الا** وهو حرف عرض ومعناه هنا الحض
لدخوله همزة الانكار على النفي فنفته فصار مدخولها مثبتا على سبيل الحث عليه فهو ابلغ مما لو ابتدئ بغير هذا الاسلوب **تقاتلون قوما**
اي وان كانوا ذوي منعة عظيمة **نكثوا ايمانهم** اي في نقضة عامهم واصحابه والمنذر واصحابه والاعانة على خزاعة وغير ذلك فكان النكث
لهم عادة وخلقا وهذا يدل على ان قتال الناكثين اولى من قتال غيرهم ليكون في ذلك زاجرا عن النقض وكانت قصة خزاعة انه كان
بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة قتل في الجاهلية وكانت خزاعة قد دخلت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية لما كان لهم قديما
من الحلف مع سليم وكانوا لما بينهم من الحلف كما تقدم اخر الانفال ودخلت بنو بكر في عهد قريش فخرجت على ذلك الرعية ثم ان انسا من الهم
الديلي هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعه غلام من خزاعة فوقع به فشجه فخرج الى قومه فاراهم شجته فثار الشر مع ما كان بينهم
وما يطلب بنو بكر من خزاعة من دمائها فكلمت بنو نفاثة من بني بكر اشراف قريش فوجدوا القوم الى ذلك سراعا فاعانوهم بالسلاح
والكراع والرجال فخرجوا نوفل بن معوية الديلي وهو يومئذ قائدهم قال ابن اسحق وليس كل بني بكر تابعه وقالوا لو الواقدي واعتزلت
بنو مدلج فلم ينقضوا العهد حتى بيتت خزاعة وهم على الوتير ماء لهم فاصابوا منهم رجلا وتحاوزوا واقتتلوا وقاتل معهم من قريش
من قاتل بالليل مستخفيا منهم صفوان بن امية ومكرز بن حفص بن الاخيف وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن ابي جهل
فاجابوا معهم ارقاءهم وكانت خزاعة لسنة لمكان العهد والموادعة ولما ذكرهم بمطلق نكثهم في حقهم عامة ذكر لهم ما خصوا به سيدهم
بل سيد الخلق كلهم فقال **وهموا باخراج الرسول** اي من مكة في عمرة القضاء بل امروه بالخروج عند انقضاء الثلاثة الايام والحوا
في ذلك وهو وان كان قاضاهم على ذلك لكن قد نقل ابن اسحق وغيره في قصة الفتح بسورة براءة انه كان في القصة والعهد الذي كان
بينه وبينهم ان لا يمنع من البيت احد جاءه زائرا ولعلهم هموا باخراجه قبل الثلاثة الايام لما داخلهم من الحسد عند ما عاينوا من نشاط
اصحابه وكثرتهم وحسن حالهم وذلك غير بعيد من افعالهم واظهارهم التبرم به صلى الله عليه وسلم حتى اجترؤا وهو اعلى الخلق منزلة
واظهرهم رسوما واقدارا على الالحاح عليه في الخروج من بلد ابائه واجداده الذين هم احقهم بها ومسقط راسه وموضع مرباه ولكن لم
ار مصرحا به وهو عندي على مانبه او لا بما ذكروه من الهم باخراجه عند الهجرة على ما لا يخفى او يكون المراد انهم به ابن ابي المنافق من تابعه
من اصحابه من اخراج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة حيث قال في غزوة المريسيع لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل بعد
اعطائهم العهود على الايواء والنصرة والاسلام وذلك لتذكير المؤمنين بمسارعتهم الى النقض لما ثبت انهم في الا نعام في كيد الاسلام كالجسد
الواحد فكانه يقول اذا تركتم هؤلاء ايمانهم فاوليك احرى ان ينقضوا ايمانهم وهو بعث للمؤمنين على التبرؤ من الكافرين منافقين كانوا او مجاهرين
متقاربين كانوا او متباعدين ولما ذكرهم بالخيانة مطلقا عامة وخاصة ابتغها ما حققها بالقتال فقال **وهم بدؤكم** اي بنقض نوع من ضيارهم
وحلفاءهم **اول مرة** اي بالقتال والصد في الحديبية بعد اخباركم اياهم بانكم لم تجيئوا للقتال وانكم ما جئتم الا زوارا للبيت الحرام الذي الناس
فيه سواء وانتم احق به منهم وذلك اولى بالنسبة الى هذا الثاني مثل تولدا نكم رضيتم بالقعود اول مرة وقال بعضهم لعله من المراد
باول مرة قتالهم خزاعة وهو واضح لانه بعد عقد الصلح وقتل في بدر بعد ما سلمت عيرهم فقالوا لا نرجع حتى نستاصل محمدا واصحابه
وقيل المراد مطلق القتال لان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم بالكتاب المنير ودعاهم بغاية اللين وتحداهم به عدلا لتكذيب
فعدلوا عن ذلك الى القتال فهم البادؤن والبادي اظلم ولما امرهم بالقتال وكان مكروها الى النفوس على كل حال شرع يبين الاسباب
الحاملة على التواني على قتالهم وحصرها في الخشية والعاطفة وقسم العاطفة ما سببه القرب في محاسن الافعال والى ما سببه القرب
في النسب والقرب والقضية ونقض الكل وبين انه لا شيء منها يصلح للسببية فقال بادئا بالخشية لانها السبب الاعظم في ترك
المصادمة منكرا عليهم موبخا لهم ليكون ابلغ في الحث على قتالهم منبها على ان التواني عنهم مع الوصف بالخير وثقه الذين
اتخشونهم اي اتخافون ان يظفروا بكم في القتال ان يكونوا على باطلهم اشد منكم على حقكم **فالله** اي الذي له مجامع العظمة **احق**
اي منهم **ان تخشوه** اي بان يكون مخشيا لكم لما تعلمون من قدرته في اخذ من خالفه ولو بعد طول الاناة **ان كنتم مؤمنين** اي فان من صدق
بانه الواحد الذي تفرد بصفات العظمة لم ينظر الى غيره هيبته ولما كنت في التواني عنهم وعدهم بما يزيل خشيتهم منهم بل يوجب
اقدامهم عليهم ودعتهم فيهم فقال مصرحا بما تضمنه الاستفهام الانكاري في الا تقاتلون من الامر **قاتلوهم** شرط لغرض غيره **يعذبهم
الله** اي الذي انتم مؤمنون بانه المنفرد بصفات الجلال والجمال **بايديكم** اي بان تقتلوهم وتاسروهم وتهزموهم **ويخزهم** اي بالذل في الدنيا

في الدنيا والفضيحة والعذاب في الاخرى ولما كان ذلك قد لا يقتضي النصر الذي هو علو العاقبة قال **وينصركم عليهم** اي فترضوا ربكم بذل من يعاديه بكم
ولما كان نكالهم بما ذكر يشفي بعض المؤمنين من وراهم فنحظ بين تعالى انه لا يؤثر في العمل بعد بنائه على اساس الاخلاص فقال **ويشف** اي بذلك **صدور
قوم مؤمنين** اي راسخين في الايمان استلفوا اليهم مساوي واوجبت ضغاين واحنا كخزاعة وغيرهم ممن اعانوا عليه واسآوا اليه
ولما كان الشفا قد لا يراد به الكمال اتبعه تحقيقا لكماله قوله **ويذهب غيظ قلوبهم** اي بتثبيتها من اللذة ضد ما لقوا منهم من المكروه
وينفي عنها من الالم بقتل من يريد بجاهد من اعداهم وذلك الباقين ما كان كذا قد برح بها ولقد وفي سبحانه بما وعد به فكانت الاية من ظواهر
الدلايل ولما كان التقدير قاتلوهم فانكم ان قاتلتموهم كان كذا عطف سبحانه على اصل هذه الجملة قوله **ويتوب الله** اي الملك الذي له صفات
الكمال **على من يشاء** اي منهم فيصيروا اخوانا لكم اولياء والمعنى قاتلوهم يكن القتال سببا لحصول الحسنة الاشيا واما التوبة فتارة يتسبب
عنه وتارة عن غيره ولاجل احتمال السبب عنه قرئ شاذا بالنصب على ان الواو للصرف ولما كان ما تضمنه هذا الوعد الصادق يدور
على القدرة والعلم وكان العلم يستلزم القدرة فكان التقدير والله على كل شيء قدير عطف عليه قوله **والله** اي الذي له الاحاطة بكل شيء علما
وقدرة **عليم** اي بكل شيء ولمن يصلح للتوبة ومن لا يصلح وما في قلوبكم من الاقدام والاحجام لو برز الى الخارج كيف كان يكون **حكيم** اي لحكم
جميع اموره ولم تعلق الاحكام الشرعية من افعالكم الكسبية الا بما تعلق العلم به في حال ظهوره ولما كان التقدير لما ارشد اليه
تقاعدهم عن القتال ادخال اليهم المرشد الى ان مدخوله وسط الكلام فان الابتداء له الالف وصدرها وهل احسبتم انه تعالى لا يعلم ذلك
او لا يقدر على نصركم نهى عليه قوله موبخا لمن تثاقل عن ذلك نوع تثاقل **ام حسبتم** اي لضعف في العقل انه ينتهي الامر فيه على غير
الحكمة وذلك هو المراد بقوله **ان تتركوا** اي فارين على ما انتم عليه من غير ان تبتلوا بما يظهر به المؤمن من المنافق **ولما** عبر بها الدالة
مع استغراق الزمان الماضي على ان ما بعدها متوقع كاين **يعلم الله** اي المحيط بجميع صفات الكمال **الذين جاهدوا منكم**
اي علما ظاهرا تقوم به الحجة عليكم في مجاري عاداتكم على مقتضى عقولكم بان يقع الجهاد في الواقع بالفعل ولما كان المعنى
جاهدوا مخلصين من حمته وبسطه بقوله **ولم** اي ولما يعلم الذين لم **يتخذوا** ويجوز ان يكون حالا ودل على تراخي الرتبة من كاشر
سبحانه بقوله **من دون الله** اي الذي لا يعدل عنه ويرغب في غيره من له ادنى بصيرة كما دل عليه الافتعال لانه المنفرد بالكمال
وأكد النفي بتكريره فقال **ولا رسوله** اي الذي هو خلاصة خلقه **ولا المؤمنين** اي الذين اصطفاهم من عباده **وليجة** اي بطانة تباطنونها
وتسكنون اليها فتبلغ اسراركم اليها فان الوليجة كل شيء ادخلته في شيء ليس منه والرجل يكون في قوم وليس منهم وليجة فوليجة
الرجل من تختصه بمداخلة امره دون الناس يقال هو وليجتي وهم وليجتي للواحد والجمع نقل ذلك البغوي عن ابي عبيدة وقال ابن هشام
وليجة دخيلا وجمعها ولايج يقول لم يتخذوا دخلا من دونه يسرون اليه غير ما تظهرون نحو ما يصنع المنافقون تظهرون
الايمان للذين امنوا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم والحاصل انه لا يكون الترك بدون علم الامرين حاصلين والمراد بنفي
العلم نفي المعلوم فالمعنى ولما يكن مجاهدون مخلصون ولما كان ذلك ظاهرا للمظنة ان يتمسك به من لم يرسخ قدمه في المعارف
ختم بقوله **والله** اي الذي له الاحاطة الكاملة **خبير بما تعملون** اي سواء برز الى الخارج او لا ولما حذرهم من اتخاذ وليجة من
دونه شرع يبين ان الوليجة التي يتخذها بعضهم لا تصلح للعاطفة بما اتصفت به من محاسن الاعمال ما لم توضع تلك المحاسن على
الاساس الذي هو الايمان المبين بدلايله فقال سابقا له مساق جواب تامل لمن فهم من فعال الخير ما يدعوا الى الكف عنهم من
عمارة المسجد الحرام وخدمته وتعظيمه **ما كان للمشركين** عبر بالوصف دون الفعل لان جماعة ممن اشرك اسلم بعد ذلك
فصار اهلا لما نفي عنهم **ان يعمروا مساجد الله** وهو المنزه ما حاطته بصفات الكمال قال البغوي قال الحسن ما كان للمشركين ان
يتركوا فيكونوا اهل المسجد الحرام ثم قال في توجيه قراءة الجمع قال الحسن انما قال مساجد الله لانه قبلة المساجد كلها يعني فعامره
عامر للمساجد كلها ويجوز ان يراد الجنس واذا لم يصلحوا العمارة الجنس دخل المسجد الحرام لانه صدر الجنس وذلك اكد لانه بطريق
الكناية قال الفراء وربما ذهب العرب بالواحد في الجمع والجمع الى الواحد الا ترى ان الرجل يركب البرذون فيقول اخذت في ركوب
البراذين ويقال فلان كثير الدرهم والدينار انتهى وتحرر ان المعنى منعهم من اقامة شعايره بطواف او زيارة او غير ذلك
لانهم نجس كما سياتي **شاهدين على انفسهم** اي التي هي معدن الارجاس والاهوية **بالكفر** اي باقرارهم انه بيت الله وهم
يعبدون غير الله وقد نصبوا فيه الاصنام بغير اذنه وادعوا انها شركاؤه فاذن عمارتهم لتخريب لنا في عقدهم ونقلهم
قال البغوي قال ابن عباس رضي الله عنه شهادتهم سجودهم للاصنام وذلك انهم كانوا نصبوا اصنامهم بخارج البيت
عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا شوطا سجدوا لاصنامهم ولما نفى تبع ما يفعلون حسن ما يعتقدون
اشار الى بعدهم عن الخير بقوله **اولئك حبطت اعمالهم** اي من العمارة والحجابة والسقاية وغير ذلك فسدت بطلان
معانيها لبنائها على غير اساس **وفي النار هم** اي خاصة ومن فعل كفعلهم لنفوسهم **خالدون** اي بجعلهم الكفر مكان الايمان
فلما نفى عنهم اهلية العمارة بين من يصلح لها فقال **انما يعمر مساجد الله** اي انما يؤهل لذلك القرب ممن له الاسماء الحسنى
والصفات العليا باصلاح الذات ومعنى بالتعظيم ما لقربات من فهمها وتنظيفها ورم ما يعدم منها وتنويرها بالمصابيح الحسية
وبالمعنوية من الذكر والقراءة ودرس العلم اهل ذلك وصيانتها بما لم تبن له من احاديث الدنيا **من امن بالله** اي الملك الاعلى
الذي له الامر كله **واليوم الاخر** اي فكان من اهل المعرفة الذين تقدم عبادتهم وتعبدهم فانما يعبد في ذلك اليوم ولم يزل الا

بالرسول لان هذه البراءة عن لسانه اخذت فالايمان بها ايمان به لا محالة لتقدم ذكره فقد في ايجاب الايمان به واقام الصلاة وآتى
الزكاة اي وابدى دعواه الايمان بهذين الشاهدين وذلك لان عمارة المسجد ليست مقصودة لذاتها بل للدلالة على رسوخ الايمان
والصلاة اعظم عمارتها والزكاة هي العين لعمرانها على عمارتها ولما كان ربما نفهم من قوله امن انه يكفي في الايمان مجرد الاقرار
باللسان اعلم انه لا بد مع ذلك من ايجاد التصديق حقيقة المثمر لخشية الله فلذلك قال ولم يخش اي في الاعمال الدينية الا الله اي ولم يعمل
بمقتضى خشية غير الملك الاعظم من كف عما يرضي الله بما انه سخطه بل تقدم على ما اخبر رضا الله فيه ولو ان فيه تلفه وحاصله انه
تقدم خشيته من الله على خشيته من غيره فهو يرجع الى قوله فالله احق ان تخشوه لكن هذا ابلغ لكونه نفي لنفس الخشية والكاف
الى ادنى لازمها عادة وفيه تعريض بانهم لا يصلحون لخدمة المسجد لانهم يخافون الاصنام ويفعلون معها بعبادتها فعل من يخافها
ولما نسب عما مضى نفيا واثباتا ان المتصف بهذه الاوصاف يكون جديرا بالهداية وحقيقا بها قال تعالى فعسى اولئك اي العالوا
المقام ان يكونوا اي جبلة ورسوخا من المهتدين فافهم مع ما قدم لهم من الكمال من المعارف والافعال بين الرجا والخوف مع الاشارة
بادراك الخشية الى ترجيح الخوف على الرجا ابدا فانما يعلوا احوه وعظيم كبره اشار الى انه لا حق لاحد عليه وانه ان شا اثاب وان اراد
حكم وهو الحكم العدل بالعقاب لا يسال عما يفعل وكرر الاسم الاعظم لمزيد الترغيب لخطر المقام وعزة المرام ومادة عسى بجميع
تصاريفها تدور على الحركة وهذه مخصوصة للاطماع فالحاصل ان من اتصف بالاوصاف الاربعة كان خالصا صالحا وخليقا وجديرا
وحقيقا بان يتحرك طمعه ويمتد امله الى ان يكون من جملة اهل الهدى فكيف تحسبون انتم لمن لم يتصف بواحد منها ما يخص به
المهتدون من الموالاة هكذا كان ظهر لي اولا في مدار المادة ثم ظهر ان ذلك في اكثر تقاليبها مع امكان ان يكون غيره للدلالة
وان التشاكل لها باديه وداوية تقاليبها العشرة عسى عسن سعي سيع عشو عوس سعو سوع وسع وعس انها لما يمكن
ان يكون وهو جدير وخليق بان يكون من قولهم اعتسى به اي اخلق وبالعسى ان يفعل اي بالحري وانه لمعساة بكذا اي مخلقة وبهذا
فسرها سيبويه قال ابن هشام الخضراوي في برح الانعام لابي علي وقال سيبويه ان عسى بمنزلة اخلولق والمعساء كمسال الجارية
المراهقة لانها جديرة بقبول النكاح ومن ثم ابت للطمع والاشفاق وقد يرد بمعنى الرجاء فيطلق على القريب فيكون مثل كاد
وقد يشتد فيصل الى اليقين فيستعمل بمعنى كان ومنه عسى الغوير ابؤسا لكن قال الرضي واني لا اعرف عسى في غير كلامه
تعالى لليقين وقد يضعف الرجا فيصير شكا ومنه المعسية بحسبه للناقة تشك اهلها البرام لا وعسى البنات لغزه
ودعا علظ ويبس اي صار خليقا لان يرعى وان يقطع والبدن العمل مثله اي فصارت جديرة بالصبر على المشاق والعالي
النخل لانه جدير بكمال لما يطلب منه من المنافع وعسى الشيء كرضي عسا وعسى كدعا يبس وكبر اي صار خليقا بالموت وبان
لا يتعلم مالم يكن في غريزته وكذا اعسى وعسا الانسان عن الاداب اي كبر عنه والعود يبس وصلب واشتد اي فصار خليقا
لما يراد منه والليل اشتدت ظلمته فصار خليقا بالمطابقة اسمه لمسماه وتتغطى الامور والعسو الشمع كانه لا زال الشبه
ظلمة الليل بنوره اذا احرق وعسى بالشيء كرضي لزمه اي فصار جديرا بما ضافه اليه والعيس بالفتح ضراب الفحل ويقال مادة
لانه جدير بالانتاج والعيس بالكسر الابل البيض يخالطها شقرة وجمل وظبي اعيس وناقة عيسا لانها خليقة بكل
محمدة لحسن لونها وتعيست الابل صارت ضهابيا ضا في سواد لذلك ايضا وعيسا امراة والانثى من الجراد لشبهها بلون
العيس واعيس الزرع اذا لم يكن فيه رطب لانه صار حقيقا بالحصاد والعوس بالفتح والعوسان الطوفان بالليل
لانه جدير ببلوغ المقاصد وبالضم ضرب من الغنم وهو كبش عوسي الحاقا لها بالعيس لكنها لصغرها اختير لها الضم
جبرا لها وتقوية وتفاولا بالكبر واختير لذلك بل الكسر تفاولا بسهولة القيادة بالتحريك دخول الشدقين عند الضحك
وغيره تشبيها بالغنم فكانه جدير بان يترك لما يحدث عنه ذلك من الضحك وغيره والنعت اعوس وعوسا وعاس على عياله
كد عليهم وكدح وعياله قام بهم وماله عوسا وعياسة احسن القيام عليه فعمل بما هو الا ليق به في كل ذلك والعواسة بالضم
الشربة من اللبن وغيره لانها جديرة بالري والاعوس الصيقل والوصاف للشيء لانه جدير باظهار الحسن والعواسا كبرا كا
الحامل من الخنافس لانها في تلك الحالة اخذت بما يغيبه بارتقا من الكراهة فانه يقال الخنفس عن القوم كرههم وعدل عنهم
والخنانس بالضم الاسد لانه جدير بان يكره والتيعس عدو دون الشديد وكل عمل سعي قال في القاموس سعى كرعى
قصد وعمل ومشى وعدا ونم وكسب كل ذلك يكون به جديرا ان يدرك حاجته والسعاية مباشرة عمل الصدقات التي بها يدرك
الامام اخذ الحقوق فيكون خليقا بان ما غنا الفقرا وسعت الامة بغت فكانت خليقة بعمل لا ما عند العرب وساعا
لميلها للبغا واسعاه جعله يسعى والمسعى والمسعاة المكرمة والمعلاة في انواع المجد لانها جديرة بذلك والسعاية بالكسر ما كلف
بين ذلك والسيع الما الجاري على وجه الارض وقد انساع ليعتق بما بقي لانه جدير بذلك والسعاية من العمل ما يؤدي به
عن نفسه اذا اعتق بعضه ليعتق به ما بقي لانه جدير بذلك والسعاية بالكسر ما كلف من ذلك والسيع الما الجاري
على وجه الارض وقد انساع اذا جرى لان الماء خليق بالجري والحركة ساع الماء والسراب اضطرب على وجه الارض
وسيعا من الليل وكسيرا قطع منه كانه ينتظر الساعة وهي جزؤ وهو كنفاسة خليق بان يحفظ ولا يضيع وان يتدارك
ان ضيع والسياع بالفتح ما يطين به والشجر يطلى به المزاده كانه يمنع ما هو خليق بالجري وقد سيعت الجب اذا طينته

طينته بطين او جص لذلك الزرق والسفن اذا طليت بالقار والمسيعة خشبة مملسة يطين بها يكون مع الحراق الطيانين والتسييع والتطيين
والتدهين وقال القزاز والسياع تطيينك بالجص والطين والقير تسيع به السفن والسياع يجري مجرى الفضاء له ثم كيمة المستوى وتجر
اللبان وكل منها خليق بالرغبة فيه والمسياع الناقة تذهب في المرعى كانها شبهت بالماء الجاري وهي ايضا خليقة بالسمن والتي تحمل
الضيعة وسوء القيام عليها والتي تساء اليها وتبادر لانها خليقة بان يرغب عنها واساعه اهمله اي ازال ما هو خليق به من الحفظ فصار
خليقا بالهلاك والسعوة بالكسر الساعة كالسعوا بالكسر والضم وقد تقدم تخريجها والمرأة البذية الخالعة
كانها جديرة بسرعة الفراق كالساعة والساعي الوالي على اي امر وقوم كان واليهود والنصارى رئيسهم لانه يسعى بان يكون خليق بان
يسعى عليهم ويذب عنهم والسعاة المتصرف لان الانسان جدير به ويسعيه علم الغيب لانها خليقة بالسعو والسعاوي بالضم الصبور على
السهر والصور والسفر لنسبه الى السعي على وجه بليغ وهو خليق بان يرغب فيه واسعوا به اي طلبوه تقطع همتهم والساعة جزء
من اجزاء الجديدين والوقت الحاضر والقيمة لان كلا لذلك جدير وحقيق بالاحتفاظ من اضاعته والهالكون كالجاعة بالجياع
كانهم اضاعوا ساعتهم فكانوا جديرين بما حصل لهم وساعة سوعا شديدة وساعت الابل تسوع بقيت بلا راع وصارت
جديرة بالهلاك والضياع واساعها اهملها واضاعها فصار لذلك ومنه ناقة مسياع بدع ولدها حتى ياكله السباع وبعد سوع
من الليل وسواع اي هداه واسوع انتقل من ساعة الى ساعة فصار جديرا بان يستحفظ فيتدارك في الثانية ما فاته في الاولى
واسوع الحمار ارسل غرموله فصار جديرا بالتروان وسواع اسم صنم في عهد نوح عليه السلام غرقه الطوفان فاستثاره
ابليس حتى عبد ايضا لانه كان خليقا عندهم وفي زعمهم بما اهلوه له تعالى الله عن ذلك والوسع مثلثة الجدة والطاقة
كالسعة ومعناها الجدة بالاحة لها والسعة الشي بالكسر بسيطه ليضعه سعة كدعه وزنه كان جديرا باحتماله واللهم سع
علينا اي وسع وليسعك بيتك امر بالقرار فيه وهذا الاناء يسع عشرين كيلا اي يتسع لها والواسع ضد الضيق كالوسيع
ومن الاسماء الحسنى الكثير العطاء الذي يسع لما يسال والمحيط بكل شيء الذي وسع رزقه جميع خلقه ورحمته كل شيء والوساع
كسحاب الندب وهو الخفيف في الحاجة الظريف النجيب لانه جدير بما يندب له ومن الخيل الجواد والواسع الخطو والذرع
كالوسيع وقد وسع ككرم وساعة وسعة واوسع صار ذا سعة واوسع الله عليه واغناه وتوسعوا في المجلس تفسحوا فصار واحد منهم
باحتمال الداخل بينهم ووسعه توسيعا ضد ضيقه ورحمة الله وسعت كل شيء اي ما طت به ووسع كل شيء علما اي احاط
به واحصاه والوعس كالوعد بحر يميل منه البراطيط والميدان لانه احق الاشجار بذلك والرمل السهل يصعب فيه المشي لانه
يرى لسهولته خليقا بان يمشي فيه واذا حقق النظر كان خليقا بصعوبة المشي لكونه رملا والعسر ركنه والوعسا به
من رمل لينة ينبت احرارا البقول كالمتنة حقيقة بين بين واني الرجل بالبيت ومكان اوعس واسكنه وعسر والمعسا
ما تنكب من الغلظ فهو جدير بالمشي فيه والارض لم توطا فهي جديرة بالكف عن سلوكها والطريق لانه جدير بان يسلك قال
في القاموس كانه ضد والمواعسة ضرب من سير الابل كانه وسط فهو جدير بالخير والمباراة في السير ولا يكون الا ليلا وقال
القزاز تواعست في وجهه حمرة او صفرة اي كانت خليقة بالظهور قال اذا ذكروا الرمل قالوا اوعسا واذا ذكروا
الرمل قالوا اوعس هذا ما في تنزيل الجزئيات من اللغة على مدار هذه المادة واما كلام اهل العربية في قواعد عسى الكلية
فقال ابو عبد الله القزاز هو فعل لا ينصرف فلا يقول لعسى ولا هو عاس وقال عبد الحق الاشبيلي ولا يأتي منه مستقبل
ولا فاعل ولا مفعول ولا مصدر وقال القزاز ويصحبه ان ويجوز حذفها وان وما بعدها بمعنى المصدر وهي في موضع نصب ولا
يقع بعدها المصدر ولا اسم الفاعل وانما جاء هذا في مثل العرب عسى الغوير ابؤسا وابؤس جمع باس وهذا يدل على ان خبر عسى
المنونة في موضع نصب وقال في القاموس والابؤس الداهية ومنه عسى الغوير ابؤسا اي داهية وقال ابو عبيد في
المزيد كانه اراد عسى الغوير ان يحدث ابؤسا او ان يأتي بابؤس فهذا طريق النصب فيما بينه قول الكميت قالوا اسا
بنو بكر فقلت لهم عسى الغوير باب و اغوار وقال شارح الجزولية ابو محمد بن الموفق ولما كانت للرجا دخلها معنى الانشا فلم
يتصرف لان تصرفها ينافي الانشا لانها اذا اقترنت دلت على الخبر فيما مضى او الحال او الاستقبال وذلك ينافي معنى الانشا
الذي لا يصلح لماض ولا مستقبل وقال بعض المتاخرين عسى موضوعة لفعل متوهم كونه في الاستقبال وهو في لفظ الماضي
فاحتيج الى ان هذه اذا استقبل له وذهب بعضهم الى ان عسى حرف لعدم تصرفها ولان معناها في غيرها والصحيح انها فعل لفظا
ومعنى اما لفظا فظاهر اي لحاق الضمائر وتاء التانيث الساكنة واما معنى فلانه اخبار عن طمع وقع للمتكلم وجعل لفظها
بلفظ الماضي لان الطمع قد وقع وانما المطموع فيه هو الذي يتوقع وينتظروا دخل ان على المطموع فيه لانه لم يقع بعد وجردت
احوال الفاعل ان لان خبرها متحقق في الحال اذ قد شرع فيه الا كاد فانها للمقاربة في الجملة وقال ابن هشام المصري في توضيح
ويجب كون خبرها جملة وشذ كونه مفردا نحو عسى الغوير ابؤسا ويكون الاسم مرفوعا بعسى وان والفعل في موضع نصب على الخبر وقال
الرضي انما لم يتصرف عسى لتضمنه معنى الحرف اي انشاء الطمع والرجاء وقوله ابؤسا وصابا لتضمن عسى معنى كان فاجري مجراه ومذهب
المتاخرين ان عسى ترفع الاسم وتنصب الخبر ككان وقال ابو طالب العبدي في شرح الايضاح للفارسي الافعال موضوعة للتصرف من
حيث كانت مقسمة باقسام الزمان ولولا ذلك لاغنت المصادر عنها ولهذا قال سيبويه فاما الافعال فامثلة اخذت من لفظ

احداث الاسما فبنيت لما مضى ولما يكون ولما هو كائن لم ينقطع ولما خالفت هذه الافعال لمعنى عسى ونعم وبئس وفعل التعجب سائر
الافعال في الدلالة ترك تصرفها ابدا بما اريدت له من المخالفة بما جعلت له دالة عليه فمعنى عسى الطمع والاشفاق كذا قال
سيبويه ولما اختصت بهذا المعنى ترك تصرفها وقال الرومانى منعت ذلك حملا على لعل كما حملت ما على ليس والاولى الاول
لانه ليس ينبغى ان يحمل باب الافعال على الحروف لان الافعال في بابها بمنزلة الحروف في بابها في لزوم البنا وانما الاسما تحمل عليها
كما تقول في نظام وحذام انه بنى لوقوعه موقع الفعل وان اسما الاستفهام بنيت لوقوعها موقع الحرف ولا تقول للافعال انها بنيت
حملا على الحروف ولا الحروف بنيت على الافعال بل كل منها اصل فلذلك التصرف ليس امتناعه لحمله على الحرف وجريه مجراه وعسى
من اخوات كان وانما لم نذكرها معها للمخالفة بترك التصرف وبلزوم ان الخبر وبكونه فعلا ويدل على انها من اخوات كان عسى الغوير ابؤسا
فقد انكشف الاصل كما انكشف اصل اقام واطال ونحوه بقوله صددت واطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم
ولزوم الفعل الخبر لها لجعله عوضا من التصرف الذى كان ينبغى ان يكون لها واما لزوم ان فلما اريد من صرف الكلام الى تاويل
الاستقبال ان يخلص اليه والبيت الممثل به فيه شى ظريف وهو مصدر مجموع واقع موقع فعل والمصادر في اصلها لا تجمع ولكنه
ضرورة وشبه فالاصل ان ساس يؤسا ابوسا انتهى كلام العبدى وعنده انه عندما يقوى المعنى الذى سيقت له من طمع
او اشفاق يجعل جرها اسما بينها على انها الان بمنزلة كان لما اشتدت من شبهها بها لذلك قال ابو طالب اذا وليها ان والفعل كان
في موضع رفع وشذ طول الكلام سد الخبر ومعناها الذى هو الاشفاق والطمع قريب من المقاربة فى كان فلذلك حذف ان من خبرها
حملا لها على كاد وحملا لها على عسى وقال شارح الجزولية وحذف ان من خبر عسى اكثر من لحاق ان في خبر كاد لان الفعل وان بنا في
ذلك قالوا من الفرق بينهما ان عسى لا يضمن فيها ضمير الشان والقصة لشبهها بالحرف لعدم تصرفها ونضمن في كاد لتصرفها ثم رجح ان
يضمن فيها وان لم يتصرف كما اضمر في نعم وبئس وقال ابن هشام الخضراوى في شرح الايضاح ايضا ان سيبويه قد دعى بتقارب اى نحو
وتنصب لان تقارب متعد وقدرها بقرب اى فلا تنصب لعدم تعديه قال ولا تدخل عسى على الماضى قال ابو على الانها للاستقبال
المحض وكذلك وقع بعدها ان فلا تصلح للماضى بوجه وقال شارح الجزولية عسى لها مع الظاهر مذهبان احدهما ان يكون ناقصة بمعنى كان
الناقصة تحتاج الى اسم وخبر الا انه يشترط في خبرها ان يكون فعلا واصله ان يكون اسما مثل خبر كان الا انه عدل عنه الى
الفعل تنبيها للدلالة على ما هو المقصود من الرجا وتقوية لما يفيده الرجا من الاستقبال وشبهت في هذا الوجه بقارب زيد
الخروج تحقيقا لبيان الاعراب لا في المعنى لان اصلها ان يكون كذلك وانما طرا عليها انشا الرجا كما كان ذلك في التعجب ونعم وبئس وعسى
والمذهب الثانى ان تاتى تامة فتستعمل استعمال قرب فتدخل على ان مع الفعل فتقول عسى ان يقوم زيد واستغنى فيها بان
والفعل عن الخبر كما استغنى في تمنيت ان يقوم زيد عن المفعولين وذلك لاشتماله على مسند ومسند اليه وهو المقصود بهذه
الافعال فاذا قلت زيد عسى ان يقوم احتمل ان يكون الناقصة فيكون فيها ضمير يعود على زيد هو اسمها وان مع الفعل خبرها ويحتمل
ان تكون التامة فلا يكون فيها ضمير ويكون ان مع الفعل فاعله وقال ابن الخباز الموصلى في كتابه النهاية في شرح كتابه الكفاية
عسى للطمع والمبالغة في الطمع فلا يكون خبرها ماضيا لان معناها الرجا والطمع والماضى لا يطمع فيه ولا يرجى حصوله فاسند
على انها لا تستعمل الا في المستقبل • تقول شعر الحماسة • عسى طى من طى بعد هذه • ستطفى غلات الكلا والجوانح
فاتى بالسين لانه لم يمكنه الاتيان بان في الشعر وقال شارح الجزولية ما معناه انه التزم في خبرها الفعل للدلالة على الاستقبال
والزم ان تقوية لذلك ولهذا لم يات خبرها اسما وان كان اصله ان يكون اسما اذ لا دلالة للاسم على الزمان ولم يوضع مكانها
السين وسوف لانها يدلان على تنفيس في الزمان والغرض هنا تقريبه وقد تجى في الشعر قليلا وانشد البيت المذكور وقال ابن الخباز
ودخول الاستفهام عليها يوذن بانها ليست للطمع لان الاستفهام لا يدخل على الطمع ولا على ما ليس بخبر ندخول هل عليها
مما لا يوذن بانها خبر انتهى فتفسيرها بما ذكرته من انها لما يمكن ان يكون وهو خليق بان يكون اولى ان يكون الطمع لازم المفهوم
الكلام لانه مدلول لها بالمطابقة والله الموفق ولما بين سبحانه الصالح لذلك من غيره انكر على من لم يفرق بين الصنفين فقال
اجعلتم سقاية الحاج اى مجردة عن الايمان وعمارة المسجد الحرام اى لذلك الايمان بالله واليوم الاخر والجهاد
واجل السقاية والعمارة من غير ايمان في موالاتهم والكف عن معاداتهم كمن امن بالله اى الحامل اعتقاد كماله على كل كمال واليوم
الاخر اى الحاث خوفه على كل خير وجاهد في سبيل الله اى الملك الاعلى المحيط بكل شى فالاية على قراة الجماعة من الاحتباك
حذف اولا المشبه به لدلالة المشبه عليه وثانيا المشبه لدلالة المشبه به عليه واما على رواية عيسى بن وردان عن ابى جعفر
شاذا سقاة وعمرة فلا يحتاج الى تقدير ولما كان كانه قيل كنا نظن ذلك فما حالهم قال لا يستوون عند الله اى الذى له الكمال
كله لان المشركين ظلموا بترك الايمان والله اى الذى له الامر كله ولا امر لاحد معه لا يهدى القوم الظالمين اى الذين وضعوا
الاشيا في غير مواضعها والكفر اعظم الظلم فلا توجبوا لهم الهداية ولا المساواة بالمهتدين وان باشروا جميع افعال المهتدين
ما عدا الايمان به ومن فعل ذلك منكم كان ظالما وخيف عليه سلب موجب الهداية ولما نفى عنهم المساواة من غير تصريح باهل
التصريح ليشتد التشوف الى التصريح فيكون اثبت في النفس واوقر في القلب كان كانه قيل فمن الراجح فقال الذين امنوا اى
اوقعوا هذا الفعل وهو ايمان المخاطب من ان يكذبوه بشى مما يخبر به عن الله وهو في الفعل متعد ليفيد انه لا ايمان

لا ايمان غير هذا وان وجد غيره فهو عدم بالنسبة اليه وكذا كل فعل تقرا فهو على هذا المنوال يشار به الى انه لعظيم نفعه
لا فعل من جنسه غيره وهاجروا وجاهدوا ولما كان المحدث عنه فيما قبل المجاهد في سبيل الله اقتضى المقام تقديمه على
الاله بخلاف ما في اخر الانفال فان المقام اقتضى هناك تقديم المال والنفس لما تقدم من موجبه في غير اية كما سلف بيانه
وايضا ففى هذا الوقت كان المال قد كثر ومواضع الجهاد قد بعدت فناسب الاهتمام بالسبيل فلذا قدم في سبيل الله اى المخلصين
له لانه الملك الذى لا كفوله ثم اتبعه قوله باموالهم وانفسهم فصرح بالنفس ترغيبا في المباشرة ثم اعظم درجة اى من جهة
ارتفاع الدرجة وهى الفضيلة المرتقية الى اسفالى ولما لم يكن العبرة الا بما عنده سبحانه لا بما عند الناس قال عند الله اى الملك
الاعظم من اهل السقاية وما معها من غير ايمان مدلول عليه بشواهده وانما لم يذكر المفضل عليه ليفيد ان فضيلتهم على الاطلاق
فيكون المفضل عليه من جملة المدلول عليه وكرد الاسم الاعظم لمزيد الترغيب بحظ المقام وصعوبة المرام وانهم بهذا ان تلك الافعال
شريفة في انفسها ممن باشرها كان على درجة عظيمة بالنسبة الى من لم يباشرها ومن بناها على الاساس كان اعظم ثم بين ما يختص اهل حزبه
فقال واولئك اى العالو المرتبة هم اى خاصة لا انتم انها المفاخرون مع الشرك الفائزون اى بالخير الباقى في الدارين دون
من عداهم وان فعل من الخيرات ما فعل لانهم ترقوا من العبدية الى العندية ولما بين ان جزا اولئك الخلود في النار بين ما لهولا
فقال مفسرا لفوزهم يبشرهم ربهم اى المحسن اليهم بهدايتهم واجتبائهم وتأهيلهم لهذه البشارة الدالة على علو مقامهم لانها
وكونا البشارة على ماض ساض الدال على ان هذه البشارة لا نهاية لها ولا يحاط بمعرفة مقدارها برحمة
اى عظيمة وزادها عظما بقوله منه وذلك اشارة الى انه لا نجاة بدون العفو ثم اخبر بان الرحمة كما اثمرت العفو الذى هو ادنى
المنازل اسعدت باعلاها فقال ورضوان اى بان يكون راضيا عن الله للرضا بقضا الله وذلك يكون اذا قصر نظره على الله فانه لا يتغير
ابدا بمقتضا من اقتضية كما انه الله الذى هو راحمه لا يتغير ومن كان نظره لطلب حظ له كان ابدا في تغير من الفرح الى الحزن ومن
السرور الى الغم ومن الراحة الى الجراحة ومن اللذة الى الالم فثبت ان الرحمة التامة لا تحصل الا للراضى بقضا الله ويكون الدنية
الخاصة بالدار التى فيها النعيم فقال وجنات اى بساتين كثيرة الاشجار والثمار لهم فيها نعيم اى عظيم جدا خالص عن كدر ما ودل
على الخلود بقوله مقيم ثم صرح بخلودهم فيها بلفظ الخلود ليكون اقر للنفس فقال خالدين فيها وحققه بقوله ابدا ثم استانف
المدح لذلك موذنا بالمزيد بقوله ان الله اى الذى له الغنى المطلق والقدرة الكاملة عنده اجر عظيم وناهيك بما يصفه
المعظم بالعظم وخص هولا المومنين بهذا الثواب المعبر عنه دون ما بهذه العبادات الثلاث المقرونة بالتعظيم والاسم الاعظم فكان
اعظم الثواب لان ايمانهم اعظم الايمان ولما فرغ من العاطفة بمحاسن الاعمال شرع بالعاطفة بالانساب والاموال وقدم الاولى
اشارة الى ان المجانسة في الاثنيا لعقدته على جميع الاحوال العظيمة كان محط الموالاة المناصرة وكانت النصرة بغيرهم لا من يرجع الى
كثرة الاعوان والاخوان اقتصر عليهما فقال يا ايها الذين امنوا اى اقروا بالسنتهم بالايمان بربهم معرضين عما سواه من الانداد الظاهرة
صدقوا ادعاكم ذلك فقال بان لا تتخذوا اى تجهدوا وتتكلفوا ان تاخذوا اباكم واخوانكم اولياء اى على ما تدعوا اليه الطباع وتقويه
الاطماع فتلقوا اليهم اسراركم وتوثروا رضاهم والمقام عندهم ان استحبوا اى طلبوا واجدوا ان احبوا الكفر وهو تغطية الحق
والتكذيب به على الايمان نبه بصيغة الاستفعال على ان الايمان لكثرة محاسنه وظهور دلائله معشوق بالطبع فلا يتركه احد
الا بنوع معالجة ومكابرة لعقله ومجاهرة ولما كان اعز الاشيا الدين وكان لا ينال الا بالهداية وكان قد تقدم سلبها عن الظالم وتهددهم
من انتزاعه بقوله ومن يتولهم اى يتكلف ان يفعل معهم ما يفعل القريب بقريبه منكم اى بعد ان اعلمكم الله في امرهم بما اعلم
فاولئك اى المبعدون عن الحضرات الربانية هم الظالمون اى لوضعهم الموالاة في غير موضعها بعد ان تقدم اليهم سبحانه بمثل هذه الزواجر
وهذا رجوع بالاحتراس الى اولى الارحام بعضهم اولى ببعض الاية الوالية لبيان ان المومنين حقا والاشارة الى انه يخشى عليهم ولا يجد لهم
لما تقدم من الخبر بانه لا يهدى الظالمين ولما كانت الانفس مختلفة الهمم متباينة السجايا والشيم كان هذا غير كاف في التهديد لكلها
فاتبعه تهديدا اشد منه بالنسبة الى ملا النفوس فقال منتقلا من اسلوب الاقبال الى مقام الاعراض الموذن بزواجر الغضب قل
اى يا اعظم الخلق شفقة ودنيا ونصيحة لمن لم يرعه ما تقدم من الزواجر انه يجب تحمل جميع هذه المضار في الدنيا ليبقى الدين
سالما ولا يتثلم ان كان اباوكم اى الذين انتم اشد شى توقيرا لهم وابناوكم اى الذين هم اعز الناس لديكم واحبهم اليكم واخوانكم اى
الذين هم من اصولكم فهم كانفسكم وازواجكم اى اللاتى هن سكن لكم وعشيرتكم اى التى بها تمام الراحة وتمام العز والمنعة
وهم اهل الانسان الادنون الذين يعاشرونه ولما قدم سبحانه ما هو مقدم على المال عند اولى الهمم العوال قال واموال اقترفتموها
اى كسبتموها بالمعالجة من الاسفار وغيرها للمعاش وتجارة تخشون كسادها اى لفوات اوقات نفاقها بسبب اشتغالكم
بما ندب الله سبحانه اليه فتفوت على ما يتوهمون مما به قوامكم ومساكن ترضونها اى لانها تجمع لذلك كله ولقد رتبها سبحانه
احسن ترتيب فان الاب احب المذكورين لما هناك من شائبة النصر ولعدها الابن لحم الاخ ثم الزوج لحم العشيرة الجامع للذكور والاناث
ثم المال الموجود في اليد ثم المتوقع ربحه بالمتجر وختم بالمسكن لانه الغاية التى كل ما تقدم اسباب للاستراحة فيه والتجمل
احب اليكم من الله اى الجامع لصفات الكمال الذى انعم عليكم بجميع ما ذكر ومتى شا سلبكموها ورسوله اى الذى اتاكم بما
به حفظ هذه النعم في الدارين وجهاد في سبيله اى لرد الشاردين عما دعا اليه وجمعهم عليه وفي قوله فتربصوا اى انتظروا

بالآبا والاخوان اعظم
من النصح صح

متربصين وهو تهديد بليغ حتى ياتى الله اى الذى له الاحاطة بكل شى بامره اى الذى لا تبلغه اوهامكم ولا يحتمله قواكم ولما كان من آثر حب شى من ذلك على حبه تعالى كان مارقا من دينه راجعا الى دين من آثره وكان الفقد بر فيصيبكم بقارعة لا تطيقونها ولا تهتدون الى دفعها بنوع حيلة لانكم اخترتم منابذة الهداية ومعلوم ان من كان كذلك فهو مطبوع فى الفسق عطف عليه قوله والله اى الجامع لصفات الكمال لا يهدى القوم اى لا يخلق الهداية فى قلوب الفاسقين اى الذين استعملوا ما عندهم من قوة القيام بما يريدون فى الفساد حتى صار الفسق وهو الخروج عما حقه المكث فيه والتعبد به وهو هنا الطاعة خلقا من اخلاقهم ولازما من لوازمهم بل يكلهم الى نفوسهم فيخسروا الدنيا والاخرة ولما كان فى بعض النفوس من الغرور بالكثرة ما يلبسها سكرة تعاقبها من بعض العدد ساق قصة حنين دليلا على الذى من التهديد جوابا لسايل كانه قال ماذا لك الامر الذى تتربص لاتيانه ونخشى من عظيم شانه فقيل الذل والهوان والانكسار فكانه قيل كيف يكون ذلك فقيل بان يسلط عليكم وان كنتم كثيرا اوليا غيركم وان كانوا اقل لا ضعفا كما سلطكم وقد كنتم كذلك حتى صرتم الى ما صرتم اليه لقد نصركم الله اى الملك الاعلى مع شدة ضعفكم فى مواطن اى مقامات ومواقف واماكن توطنون فيها انفسكم على لقاء عدوكم كثيرة اى الغزوات التى تقدمت لكم كبدر وقريظة والنضير وقينقاع والحديبية وحنين وغيرها من مخاصمات الكفار وكنتم من الذلة والقلة والانكسار بحال لا يحتمل معها نصركم وظهوركم على جميع الكفار وانتم فيها كالشعرة البيضاء فى الثور الاسود وما وكلكم الى مناصرة من تقدم امره اليكم بمقاطعتهم فدل ذلك على ان من اطاع الله ورجح الدين على الدنيا اتاه الله الدين والدنيا على احسن الوجوه وان عاداه الناس اجمعون ودل بما بعدها من قصة حنين على ان من اعتمد على الدنيا فاته الدين والدنيا الا ان يتداركه الله برحمة منه فيرجع به فقال تعالى ويوم اى ونصركم بعد ان تولوا لعدوه لا كثرتكم وقوتكم يوم حنين وهو واد بين مكة والطايف الى جانب ذى المجاز وهو الى مكة اقرب وهو وراء عرفات الى الشمال ولما كان سلمة بن سلامة بن وقش الانصارى رضى الله عنه قد قال حين التقى الجمعان واعجبته كثرة الناس لن نغلب اليوم من قلة نسا النبى صلى الله عليه وسلم كلامه وان يعتمد الا على الله وكان الاعجاب سما قاتلا للاسباب اذ نبا الله سبحانه فى هذه الغزوة بذكر ما آثره لحذره ثم عاد سبحانه بالانعام بكون الذى قاله شخصا واحدا كره غيره مقالته فقال اذ اى حين اعجبتكم كثرتكم اى قطعتم لذلك انه لا يغلبها واحد غالب والله سبحانه الفعل للجميع اشارة الى انهم لعلو مقامهم ينبغى ان لا يكون منهم من يقول مثل ذلك فلم تغن عنكم شيا اى من الاغنا وضاقت عليكم الارض اى الواسعة بما رحبت اى مع اتساعها فصرتم لا ترون ان فيها مكانا يحصنكم مما انتم فيه لفرط الرعب فما ضاق فى الحقيقة الا ما كان من الامال التى سكنتم الى الاموال والرجال ولما عطفه لتوليهم لاداة التراخى فى قوله ثم وليتم اى تولية كثيرة ظهوركم الكفار وحقق ذلك بقوله مدبرين اى انهزاما مع ان الفرار كاين حين القتال بيتا اخر اشارة الى ما كان عندهم من استعادة اعتمادا على القوة والكثرة ثم انزل الله اى الذى له الاحاطة بصفات الكمال سكينته اى رحمته وهى الامر الذى يسكن القلوب عن ان تنازلها بدهمها من البلاء من الوثوق به سبحانه ومشاهدة جنابه الاقدس والغنا عن غيره ولما كان المقام للرسالة وكان تاييد مدعيها من امارات صدقه فى دعوى انه رسول وان مرسله قادر على ما يريد لاسيما ان كان تاييده على وجه خارق للعادة عبر به دون وصف النبوة فقال على رسوله اى زيادة على ما كان فيه به من السكينة التى لم يجد مثلها احد ثبت بها الثلاثين الفا او عشرين الفا او اربعة الاف على اختلاف الروايات فى عشرة انفس او مائة او ثلاث مائة على الاختلاف ايضا لم يكن ثباتهم الا به ثم لم يزد ذلك الا تقدما حتى ان كان العباس عمه وابو سفين بن الحارث بن عمه رضى الله عنهما ليكفان بغلته عن بعض التقدم ولعل العطف بثم اشارة الى علو رتبة ذلك الثبات واستبعاد ان يقع مثله فى مجارى العادات وعلى المومنين اى اما من كان منهم ثابتا فزيادة على ما كان له من ذلك واما غيره فاعطى ما لم يكن فى ذلك الوقت له وذلك انه صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس رضى الله عنه بعد ما فر الناس ناديهم يا عباس فنادى وكان صيتا يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ويحتمل ان يكون ذكر الرسول عليه السلام لمجرد التبرك كما فى ذكر الله فى قوله فان لله خمسه وزيادة فى تعظيم الامتنان به لان النفوس لما اعطى منه الرسول اميل والقلوب له اقبل لاعتقاد جلاله وعظمته وكماله وانزل اى من السما جنودا لم تروها اى من الملايكة عليهم السلام وعذب اى بالقتل والاسر والهزيمة والسبى والنهب الذين كفروا عبر بالفعل لانه فيهم من امن بعد ذلك ولما كان ما عذب به من اوجه مطلق هذا الوصف عظيما اتبعه ببيان جزاء الفريق فى ذلك ترهيبا لمن آثر حب شى مما مضى على حب الله فقال وذلك اى العذاب الذى منه ما عذب به هولا وغيره جزاء الكافرين اى الراسخين فى وصف الكفر الذين اثروا حب من تقدم من الابا وغيرهم على الله فثبتوا على تقليد الابا فى الباطل بعد ما راوا من الدلايل ما بهر الشمس ولم يدع شيا من لبس اما الذين لم يكن كفرهم راسخا فكان ذلك صلاحا لهم لانه قادهم الى الاسلام فقد تبين ان المقصود من نصر الله قليلا كان او كثيرا وان القلة والكثرة والقوة والضعف بالنسبة الى قدرته سوا فلا تغتروا بما الزمكم من النعم فانه قادر على نزعها لا يستحق عليه احد شيا ولا يقدر احد على رد قضايه وفى ذلك اعلام بانه لا يرتد بعد ايمانه الا من كان كفره عريقا فى الكفر وفيه ابلغ تهديد لانه اذا عذب من اوجد الكفر وثبتا كيف من رسخ فيه ولما بين ان العذاب جزاء الكافرين بين انه يتوب على من يريد منهم وهم كل من علم منهم قابليته للايمان وان كان

وان كان شديدا فى وصف الكفر ان فقال عاطفا على وعذب ثم يتوب الله اى الذى له الاحاطة علما وقدرة ولما لم يكن احد لستغرق توبته زمان البعد ادخل الجار فقال من بعد ذلك اى العذاب العظيم على من يشا اى فيهديه الى الاسلام ويغفر له جميع ما سلف من الاثام والله اى الذى له صفات الكمال غفور رحيم اى يمحو الخطايا ويعظم الاكرام لمن تاب وفى ذلك اشارة الى انه جعل هذه الوقعة لحكمته التى تقتضيه ربط المسببات باسبابها للاسلام من حضرها من كفار قريش وكفادهم وغيرهم من المولفة بما قسم فيهم صلى الله عليه وسلم من غنايم هوازن وبما راوا من عز الاسلام فكان فى ذلك ترغيب لهم بالمال وترهيب بسطوات القتال وللاسلام وفد هوازن بما حصل لهم من القهر وما شاهدوا للنبى صلى الله عليه وسلم من عظيم النصر وللاسلام غير من العرب بسبب علم كل منهم بهذه الوقعة انهم اضعف ناصرا واقل عددا فكل ذلك رحمة منه سبحانه ورفقا بهم وقد كان جميع ذلك كما اشار اليه سبحانه فاسلم الطلقا وحسن اسلامهم وقدم وفد هوازن وسالوا النبى صلى الله عليه وسلم جبرهم بردما اخذ لهم فقال لهم انى استانيت بكم فلما ابطاتم قسمت بين الناس فيهم فاختاروا المال او السبى فاختاروا السبى فشفع لهم عند الناس فاجابوه فرد اليهم ابناهم ونساهم رحمة منه لهم وذلت العرب لذلك فدخلوا فى الدين افواجا وختم هذه الاية بالمغفرة والرحمة على ما هو الانسب لسياق التوبة فدل ذلك على انه عدل الى ختم الاول بعليم حكيم الالما قدرته من جعل ام فى ام حسبتم معادلة لهمزة والله اعلم ولما تقدم من الاوامر والنواهى وبيان الحكم المرغبة المرهبة ما لم يبق لمن عنده ادنى تمسك عن الدين شيا من الالتفات الى المفسدين بين ان العلة فى مداناتهم وسد مقالطتهم انهم نجس وان المواضع التى ظهرت فيها انوار عظمته وجلاله واشرقت عليها شموس نبوته ورسالته فيها بروق كبره وجالت صوارم لطفه وامره مواضع القدس ومواطن الانس من دنى اليها من غير اهلها احترق بنارها وقصرت بصيرته اشعة انوارها فقال مستخلصا مما تقدم ومستنتجا يا ايها الذين امنوا اى اقروا بالسنتهم بالايمان وهم ممن يستقيم الكذب انما المشركون اى العريقون فى الشرك بدليل استمرارهم عليه ولما كانوا متصفين به وكانوا لا يغتسلون ولا يغسلون ثيابهم من النجاسة بولغ فى وصفهم بان جعلوا عينها فقال نجس اى وانتم تدعون انكم ابعد الناس عن النجس حسا ومعنى نجب ان تقذروا وتبعدوا وتحذروا كما يفعل بالشى النجس لما اشتملوا عليه من خلال الشر واتصفوا به من خلال السوء واما ابدانهم فاتفق الفقها على طهارتها لان النبى صلى الله عليه وسلم شرب من اوانيهم ولم ينه عن مواكلتهم ولا امر بالغسل منها ولو كانت نجسة ما طهرها الاسلام ولما تسبب عن ذلك ابعادهم قال فلا يقربوا اى المشركون وهذا نهى للمسلمين عن تمكينهم من ذلك عبر عنه بنهيهم مبالغة فيه المسجد الحرام اى الذى اخرجوكم منه وانتم اطهر الناس واستغرق الزمان فادخل الجار ونبههم على حسن الزمان واتساع الخير فيه بالتعبير بالعام فقال بعد عامهم وحقق الامر وازال اللبس بقوله هذا وهذا اخر سنة تسع سنة الوفود برجعه صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك نبه بغربانه لا باتيانه بعد التقدم اليهم بان لا يقبل من مشرك الا الاسلام والقتل اشارة الى اخراج المشركين من جزيرة العرب وانها لا يجتمع بها دينان لانها محل النبوة العربية ومواطن الاسرار الالهية فمن كان فيها ولو فى اقصاها فقد قارب جميع ما فيها ويكون بالنسبة الى الحرم كافنية الدور ورحاب المساجد وفى الصحيح عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم ارسل ابا بكر رضى الله عنه اميرا على الحج بعد رجوعه من تبوك ثم اردفه عليا رضى الله عنه فامره ان يوذن ببراة قال ابو هريرة فاذن معنا على يوم النحر فى اهل منى ببراة وان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وهذه سنة قديمة فقد امر الله تعالى بنى اسرايل فى غير موضع من التوراة بان لا يبقوا فى جميع بلاد بيت المقدس احدا من المشركين فضلا عن غيرها من البلاد التى يفتحها الله عليهم منها ما قال المترجم فى اخر السفر الخامس واذا انتهيتم الى قرية او مدينة لتقاتلوا اهلها ادعوهم الى الصلح فان قبلوه وفتحوا لكم من كان فيها من اهلها من الرجال يكونوا عبيدا لكم يودوا اليكم الخراج وان لم يقبلوا الصلح وحاربوكم فحاربوهم وضيقوا عليهم فان الله ربكم يدفعها اليكم وتظفرون بمن فيها فاذا ظفرتم بمن فيها فاقتلوا الذكور كلهم بالسيف لذلك اصنعوا بجميع القرى البعيدة النايية التى ليست من قرى هذه الشعوب فاما قرى هذه الشعوب الذى يعطيكم الله ميراثا فلا تبقوا احدا من اهلها احدا ولكن اقتلوهم قتلا كالذى امركم الله ربكم لكيلا يعلموكم النجاسة التى يعملونها لالهتهم ومثل ذلك كثير فيها وقد مضى بعضه فيما ذكرته عن التوراة والله الموفق وجملة بلاد الاسلام فى حق الكفار ثلاثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ظاهر هذه الاية الثانى الحجاز وما فى حكمه وهو جزيرة العرب فيدخله الكافر بالاذن ولا يقيم اكثر من مقام السفر ثلاثة ايام لان النبى صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب وهى من اقصى عدن ابين وهى فى الجنوب الى اطراف الشام وهى فى الشمال طولا ومن جدة وهى اقصى الجزيرة غربا على شاطى بحر الهند الى ريف العراق وهو فى المشرق عرضا الثالث ساير بلاد الاسلام يجوز للكافر الاقامة فيها بذمة وامان ماشا ولكن لا يدخل المساجد الا باذن مسلم ذكر ذلك البغوى قال ابن الفرات فى تاريخه عند غزو بخت نصر لبنى اسرايل ولا دخل العرب دائما بميت بلاد

جزيرة لاحاطة البحار والانهار بها فصارت مثل الجزيرة من جزائر البحر وذلك ان الفرات اقبل من ناحية الروم وظهر
من ناحية قنسرين ثم انحط على الجزيرة وسواد العراق حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والابلة وامتد البحر من ذلك
الموضع مطيفا ببلاد العرب فاتى منه عنق على كاظمة ونفذ الى القطيف وهجر وعمان والشحر ومال منه الى حضرموت
وناحية ابين وعدن واستطال ذلك العنق من اعلى بلاد السودان مستطيلا معارضا للبحر معه حتى دفع في نحو مصر والشام
ثم اقبل ذلك البحر منه حتى بلغ بلاد فلسطين فمر بعسقلان وسواحلها واتى على بيروت ونفذ الى سواحل حمص وقنسرين حتى
خالط الناحية التي اقبل منها الفرات منحطا على اطراف قنسرين والجزيرة الى سواد العراق واقبل جبل السراة من قعر
اليمن حتى بلغ اطراف الشام فسمته العرب حجازا لانه حجز بين الغور ونجد فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيه الغور وهو
تهامة وما دونه في شرقيه نجد انتهى ولما كان ما والاها من ارض الشام ونحوها كله الفلا وجرداء جرد كانه بحر لانه
في حكم شاطيه ولما كان قوام معايشهم بالمتجر وكان قوام المتاجر باجتماعهم في اسواقهم وكان منعهم من تلك الارض مظنة لخوف
انقطاع المتاجر وانعدام الارباح المفضي الى الحاجة وكان تدارك منعهم دعامة لامر الدين وكان سبحانه عالما بان ذلك يشق
على النفوس لما ذكر من العلة ولا سيما وقد قال بعضهم لما قرا علي رضي الله عنه ايات البراءة على اهل الموسم يا اهل مكة ستعلمون
ما تلقونه من الشدة بانقطاع السبل وبعد الحمولات وعد سبحانه وهو الواسع العليم بما يغني عن ذلك لان من ترك الدنيا
لاجل الدين اوصله سبحانه الى مطلوبه منها لما تسامع ما سعد به من امر الدين من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه فقال
وان خفتم اي بسبب منعهم من قربان المواطن الالهية **عيلة** اي فقرا او حاجة **فسوف يغنيكم الله** اي وهو ذو الجلال
والاكرام **من فضله** وهو ذو الفضل والطول والقوة والحول ولما كان سبحانه الملك الغني القادر القوي الذي لا يجب
لاحد عليه شيء وتجب طاعته على كل شيء نبه على ذلك بقوله **ان شاء** ولما كان ذلك عندهم مستبعدا علله تقريبا له بقوله **ان الله**
اي الذي له الاحاطة الكاملة **عليم** اي بوجوه المصالح **حكيم** اي في تدبير انجاحها وتقديرها ادراكها ولقد صدق سبحانه
ومن اصدق من الله قيلا فانه اغناهم بالمغانم التي اكتسبوها بايديهم بعد نحو ثلاث سنين من اثر الهاء من كنوز كسرى (لاختلاط)
وقيصر غنى لم يطرق اوهامهم قط ثم جعل ذلك سببا لاخلائهم من بعض الخوف من جميع الناس بعض لصيه ودخولهم افواجا في الدين
الذي كان سببا لان يجمع في سوق منى وغيره في ايام الحج كل عام من المتاجر جميع العرب والعجم ما لا يكون مثله في بقعة من الارض
والعيلة الفاقة والافتقار ومادتها لهذا الترتيب تدور على الحاجة وانسداد وجوه الحيلة وقد تقدم اول النساء انها
لا تنفك ترتبت بدور تقاليبها الثمانية على الارتفاع ويلزمه الزيادة والميل ومنه تاتي الحاجة وتوهن على ذلك في جميع الجزئيات
ولما كان ذلك موضع العجب ليكون سببا لان يقال من ان يكون ذلك الغنى اجاب بقوله **قاتلوا** اي اهل الاموال والغنى **الذين لا**
يؤمنون بالله اي الذي له جميع صفات الكمال ايمانا هو على ما اخبرت به عنه رسله ولو امنوا هذا الايمان ما كذبوا رسولا من
الرسل وايضا فالنصارى مثلثة وبعض اليهود مشبهة **ولا باليوم الاخر** اي لذلك واقل ذلك انهم لا يقولون بحشر الاجسام ثم
ولا يحرمون ما حرم الله اي الملك الاعلى الذي له الامر كله **ورسوله** اي من الشرك واكل الاموال بالباطل وغير ذلك
وتبديل التوراة والانجيل **ولا يدينون** اي يفعلون ويتيممون اشق من الدين فعلا لو اوضا فيه الى صفته اغراقا في
اتحاده بذلك الوصف **دين الحق** اي الذي اخذت عليهم به الرسل العهود والمواثيق باتباعه ثم بين الموصول مع صلته فقال
من الذين ودل على استهانته سبحانه بهم وبراءته منهم بان بني للمفعول قوله **اوتوا الكتاب** اي من اليهود والنصارى ومن
الحق بهم **حتى يعطوا الجزية** اي وهي ما تقرر عليهم في نظير سكناهم في بلاد الاسلام امنين فعلة من جزى يجزي اذا قضى
ما عليه **عن يد** اي قاهرة ان كانت يد الاخذ او مقهورة ان كانت يد المعطي من قولهم فلان اعطى بيده **وهم صاغرون** ففي ذلك (نخرج)
غنى لا يشبه ما كنتم فيه من قتال بعضكم لبعض ليغنم ما في يده من ذلك المال الحقير ولا ما كنتم تعدونه من المتاجر
التي لا يبلغ اكبرها اصغر ما ارشدناكم اليه مع ما في ذلك من العز الممكن في الاصلاح والطاعة وسترون وعبر
باليد عن السطوة التي ينشا عنها الذل والقهر لانها الالة الباطشة فالمعنى عن يد قاهرة لهم اي عن قهر منكم لهم
وسطوة بانيا لكم التي اصغرتهم عظمتها واذلتهم شدتها قال ابو عبيدة يقال لكل من اعطى شيئا كرها من غير طيب
نفس اعطاه عن يد انتهى وعبر بلفظ التي هي للمجاوزة لان الاعطاء لا يكون الا باليد الدليل لهذا اذا اريد
باليد يد الاخذ ويمكن ان يراد بها يد المعطي ويكون كناية عن النفس لان مقصود الجزية المال واليد اعظم اسبابه والمعنى
حتى يعطي كل واحد منهم الجزية عن نفسه ولما كان المراد التعميم اتى بها نكرة لسند ذلك ويؤيد هذا ما نقل العلماء عن
الرواة لفتوح البلاد منهم الحافظ ابو الربيع بن سالم الكلاعي قال في كتابه الاكتفاء في وقعة جلولاء من بلاد فارس
قالوا قال لهم فكان الفلاحون للطرق والجسور والاسواق والحرث والدلالة مع الجزية عن ايديهم على قدر
طاقتهم وكانت الدهاقين للجزية عن ايديهم والعمارة وانما اخذوا الجزية من المجوس لان النبي صلى الله عليه وسلم
اخذها من مجوس هجر واخذها منهم لانهم اهل كتاب في الاصل قال الشافعي في باب المجمل والمفسر من كتاب اختلاف
الحديث والمجوس اهل كتاب غير التوراة والانجيل وقد نسوا كتابهم وبدلوه فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخذ

ها الجزية منهم اخبرنا سفيان عن ابي سعد سعيد بن المرزبان عن نصر بن عاصم قال قال فروة بن نوفل الاشجعي علام تؤخذ الجزية من المجوس
وليسوا باهل كتاب فقام اليه المستورد فاخذ بتلبيبه فقال يا عدو الله تطعن على ابي بكر وعلى عمر وعلى امير المؤمنين
يعني عليا وقد اخذوا منهم الجزية فذهب به الى القصر فخرج علي رضي الله عنه عليهما فقال البدا البدا فجلسا في ظل القصر
فقال علي انا اعلم الناس بالمجوس كان لهم علم يعلمونه وكتاب يدرسونه وان ملكهم سكر فوقع على ابنته او اخته
فاطلع عليه بعض اهل مملكته فلما صحا جاؤوا يقيمون عليه الحد فامتنع عليهم فدعا اهل مملكته فقال تعلمون دينا خيرا من دين
ادم وقد كان ادم ينكح بنيه من بناته وانا على دين ادم فما يرغب بكم عن دينه فتابعوه وقاتلوا الذين خالفوهم حتى قتلوهم فاصبحوا وقد
اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم وذهب العلم الذي في صدورهم وهم اهل الكتاب وقد اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما منهم الجزية ولما امر بقتالهم ووصفهم بما هو السبب الباعث على ذلك عطف
عليه بعض اقوالهم المبيحة لقتالهم الموجبة لنكالهم فقال **وقالت اليهود** اي قاتلوا اهل الكتاب لانهم كفروا بما
وصفناهم به وقالت **اليهود** منهم كذبا ولعنا **عزير** وتنوين عاصم والكسائي له مع منعه لكونه مبتدا والباقون
منعوه نظرا الى عجمته مع العلمية وليس فيه تصغير والخبر في القراءتين قولهم **ابن الله** اي الذي له العلو المطلق فليس كمثله
شيء وعزير هذا هو المسمى عندهم في سفر الانبياء ملاخيا ويسمى ايضا العازر وهو الاصل والعزير تعريبه واما الذي جمع
لهم هذه التوراة التي بين ايديهم فقال السموأل بن يحيى المغربي الذي كان يهوديا فاسلم انه شخص اخر اسمه عزرا
وانه ليس بنبي ذكر ذلك في كتابه غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود وهو كتاب حسن جدا وكان السموأل
هذا مع تمكنه من المعرفة بشريعة اليهود واحبارهم متمكنا من علوم الهندسة وغيرها وكان فصيحا بليغا وكان حسن
الاسلام يضرب المثل بعقله ورايت اليهود في غاية النكاية منه ورايت بعضهم رسالة اليه لبعض احبارهم يسفه
فيها رايه في اسلامه ويشبه عليه باشياء خطابية وسفسطية فاجابه بجواب بديع انتجه بقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس (س)
ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ثم رد كلامه احسن رد ثم قال له ما حاصله دع عنك مثل هذا الخرافات
وابحث عن الامور التي ارشدتكم اليها في كتاب غاية المقصود فما اجاروا جوابا ثم القائل لهذا القول منهم روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انهم اربعة ونسب قائله واحد واسند الى الكل كما يقال فلان يركب الخيول وقد لا يكون له الا فرس واحد
وهو كقوله تعالى الذين قال لهم الناس الاية وقيل كان فاشيا فيهم فلما عابهم الله به تركوه وهم الان ينكرونه والله
تعالى اصدق حديثا **وقالت النصارى** اي منهم افكا وعدوانا **المسيح** واخبروا عنه بقولهم **ابن الله** مع ان له الغنى
المطلق والكمال الاعظم والمسيح هذا هو ابن مريم بنت عمران ثم استانف قوله متوجها قول نوعيهم **ذلك** اي القول
البعيد من العقول الكذب للقول **قولهم بافواههم** اي حقيقة لم يحتشموا من قوله مع سخافته وهو مع ذلك قول
لا مجاز وحقيقته الافواه الى العقول لانه لا مقصوده معقول بل هو قول مهمل كاصوات الحيوانات العجم لا يتحقق له معنى
قال ومعناه الحاصل ان قايله لا عقل له ليس له معنى وراء ذلك وابعده عن ان يكون مقصودا لعاقل عبر عنه بالافواه التي
هي ابعد من الالسنة الى القلوب ولما كان كانه قيل فما لهم اذا كان هذا حالهم قالوه ما حاصله انهم قوم مطبوعون
على البشر من يفعل المفاسد كما انهم يشبهون بعبدة الاوثان تعبدوها غير مرة والانبياء بين اظهرهم يدعونهم الى
الله وكتابهم ينادي بمثل ذلك وينذرهم اشد الانذار **يضاهئون** اي حال كونهم يشابهون بقولهم هذا **قول الذين كفروا**
اي بمثله وهم العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله كما انهم لما راوا الذين يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى
اجعل لنا الها كما لهم الهة ولما كان لا يمتنع ان يكون الذين شابهوهم انما كانوا بعدهم او في زمانهم من قبل ان
يبين فساد قولهم نفى ذلك بقوله مثبتا الجار لان كفرهم لم يستغرق زمن القبل **من قبل** اي من قبل ان يحدث
منهم هذا القول وهذا دليل على ان العرب غيروا دين اسمعيل عليه السلام واجترؤوا على مثل هذا القول قبل
ايقاع بخت نصر باليهود او في حدوده وليس ذلك ببعيد مع طول الزمان واغواء الشيطان فقد كان بين زمان ابراهيم
وعزير عليهما السلام نحو الف وخمسمائة سنة هذا على ما ذكره بعض علماء اهل الكتاب عن كتبهم وايده ما ذكره
المسعودي في مروج الذهب في تاريخ ملوك بابل من نمرود الى بخت نصر وذكر بعض المؤرخين ان بين الزمانين زيادة
على الفي سنة على انهم قد نقلوا ما هو صريح في تغيير العرب في ذلك الزمان فرووا عن هشام بن الكلبي انه
قال كانت مدة نزول العرب الى ارض العراق ان الله عز وجل اوحى الى برخيا من ولد يهودا ان ائت بخت نصر
فمره ان يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم ويطا بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلتهم ويسبي ذراريهم ويستبيح
اموالهم واعلمهم بكفرهم واتخاذهم الالهة دوني وتكذيبهم انبيائي ورسلي وعن غير ابن الكلبي انه نظم ما بين ايلة
والابلة خيلا ورجالا ثم دخلوا على العرب فاستعرضوا كل ذي روح قدروا عليه واوحى الله برخيا وارميا بمعد بن
عدنان الذي من ولده محمد المختوم به النبوة وكان ذكر سيا بكانتهم لاهل الشرك مخبرا لشانهم على الاقدام عليهم
اذ جعلوا اشيا بغير حق ودروا قتالهم وضربوا عليهم فاذلوهم بعد ان كانوا في عزة لا يخشون زوالها وعز ايم شديدة

لا يخافون اجلالا لكل من لا يعظمه الله في قتالهم وطلب مرضاته لانهم شدا لهم لانكم عليهم ومن كان عليه لم يفلح والى مثل ذلك
اشار بقوله في حق هؤلا قاتلهم الله اي اهلكهم الملك الاعظم لان من قاتله لم ينج منه وقيل لعنهم روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال وكل شي في القران من مثله فهو لعن انى يؤفكون اي كيف ومن اين يصرفون عن الحق مع قيام الادلة القاطعة
عليه ثم زادهم جراة عليهم بالاشارة الى ضعف مستندهم حيث كان مخلوقا مثلهم بقوله اتخذوا اي كلفوا انفسهم العدول
عن الله القادر على كل شي و اخذوا احبارهم اي من علما اليهود والحبر في الاصل العالم من اي طايفة كان ورهبانهم اي من
زهاد النصارى والراهب في الاصل من تمكنت الرهبة من قلبه فظهرت اثارها على وجهه ولباسه فاختص في العرف
بعلما النصارى اصحاب الصوامع اربابا اي الهة لكونهم يفعلون ما يختص به الرب من تحريم ما حرموا وتحليل ما حللوا
واشار الى سفول امرهم بقوله من دون الله اي الحاوي لجميع صفات الجلال فكانوا يعولون عليهم ويسندون امورهم
حتى ان كانوا ليتبعونهم في الحلال والحرام والمسيح اي المبارك الذي هو اهل لان يمسح بدهن القدس وان يمسح غيره
ابن مريم اي اتخذوه لذلك لكونهم جعلوه ابنا فاهلوه للعبادة بذلك مع كونه ابن امراة فهو لا يصلح للالهية بوجه
لمشاركته للادميين في الحمل والولادة والتربية والاكل والشرب وغير ذلك من احوال البشر الموجبة للحاجة المنافية
للالهية ومع تصريحهم له بانه عبد الله ورسوله فتطابق العقل والنقل على انه ليس باله ولما قبح عليهم ما اختاروه
لانفسهم قبحه عليهم من جهة مخالفته لامره تعالى فقال وما اي فعلوا ذلك والحال
انهم ما امروا اي من كل من له الامر من ادلة العقل والنقل الا ليعبدوا اي ليطيعوا على وجه التعبد الها واحدا اي لا
يقبل القسمة بوجه لا بالذات ولا بالمماثلة ولا بالمعنى ووصفه بانه لا اله الا هو اي لا يصلح ان يكون معه اله
اخر فلما تعين ذلك للواحد وكانت رتبته في ابرع البعد عما اشركوا به نزهه بقوله سبحانه اي بعدت رتبته وعلت
عما يشركون في كونه معبودا او مشرعا ذكر ابو محمد اسحق بن ابراهيم البستي القاضي في تفسيره وغيره عن عدي بن حاتم
رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال اقطعه فقطعته ثم اتيته
وهو يقرا سورة براة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا
الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون قلت يا رسول الله انا لم نكن نعبدهم قال اما كانوا يحلون لكم
ما حرم فتستحلونه ويحرمون عليكم ما احله فتحرمونه قلت بلى قال تلك عبادتكم ولما وهى سبحانه امرهم
من جهة استنادهم زاده توهية من جهة مرادهم بالاعلام بانهم نقضا لهم لا لاهل الطاعة انما يقاتلون الله وانه
لا ينفذ غرضهم بل يريد غير ما يريدون ومن المقرر انه لا يكون الا ما يريد فقال مستانفا او معللا لما مضى من
اقوالهم وافعالهم يريدون ان يطفئوا اي بما مضى ذكره من احوالهم نور الله اي دين الملك الاعلى الذي له الاحاطة
المطلق وشرعه الذي شرعه لعباده على السنة الانبيا والرسل كلهم ليستكنوا من العمل بالاعراض والاهوية فان
اتباع الرسل حاسم للشهوات وهم ابعد الناس عن ذلك ولما حقروا شانهم هدمه بالكلية بقوله بافواههم اي بقول
خال عن شي يثبته او يمضيه وينفذه وفي تسمية نوره دينه نورا ومعاندتهم اطفا بالافواه تمثيل حالهم بحالة
من يريد اطفا نور الشمس بنفخه ويابى اي والحال انه يفعل فعل الابي وهو انه لا يرضى الله اي الذي له جميع العظمة
والعز ونفوذ الكلمة الا ان يتم نوره اي لا يقتصر على مجرد اشراقه بل وعد وقوله الحق بانه لا بد من كماله والحفاظ
لكل ما عداه واحراقه ولما في يابى من معنى الجحد نقل عليها الاستثنا اي انه يابى كل حالة الا حالة اتمامه نوره على التجدد
والاستمرار ولو كره الكافرون اي الغريقون في الكفر فكيف بغيرهم ولما اخبر بانه يفعل لقوله ومكمله ومبطل
لقولهم ومستقل على ذلك بما حاصله انه شان الملوك وهو انهم اذا برز لهم امر بشي لم يرضوا ان يرده احد فان ذلك
دون الملك الذي لا يجازى الطاعن فيه الا بالهلاك فقال هو اي وحده الذي ارسل رسوله اي محمدا صلى الله عليه وسلم
بالهدى اي البيان الشافي بالمعجزات القولية والفعلية ودين الحق اي الكامل في بيانه وثباته كالاظاهرا لكل عاقل
ثم زادهم جراة على العدو بقوله معللا لارساله ليظهره اي الرسول صلى الله عليه وسلم والدين ادام الله ظهوره على الدين كله
وساق ذلك كله مساق الجواب لمن كانه قال كيف نقاتلهم وهم في الكثرة والقوة على ما لا يخفى فقال لم لا تقاتلونهم وانتم
لا تعتمدون على احد غير من كل شي يحب قهره وهم انما يعتمدون على الخلايق مثلكم كيف لا تجسرون عليهم وهم في قتالكم
انما يقاتلون ربكم الذي انتم في طاعته ام كيف لا تصادمونهم وهو الذي امركم بقتالهم لينصركم ويظهر امانته
ولعل الختم بقوله ولو كره المشركون ابلغ لان الكفر قد لا يكون فيه عناد والشرك معناه على العناد باتخاذ
الانداد اي لا بد من نصركم فالعز من خالف بمجرد المخالفة او ضم الى ذلك العناد بالاستعانة بمن اراد ولما حقر امرهم
بتقسيم اعتمادهم على من سماهم وقال لهم معروف في انه لا ينفع عندهم ولا ضر على امر اهل الله باجتماعهم عليه وهو القادر
على كل شي وكان الاقبال على الدنيا اعظم امارة على الخذلان ولو انه بحق فكيف اذا كان بالباطل اقبل سبحانه وعز
شانه على اهل وده مستعطفا متلطفا مناديا باسم الايمان الذي سنى امرهم فقال ولهذا ذكر كتاب على الانفاق لا على التفضل

التفضل ولو كان بحق فكيف اذا كان بباطل ويوتون الزكاة ويمادون رتبتهم ينفقون منها على سفه من ترك من لا يسال له على بدل
الهدى والدعوة على دين الحق اجرا وهو سعد محض لا ينطق عن الهوى ولم يعتقده رسولا ولا يجزى بواسطة وهو يا خذ
ماله بالباطل وياء ذلك مقتض لتحقيرهم لا لمطلق تعظيمهم فضلا عن الرتبة التي انزلوهم فيها واهلوهم لها مع الترفع
عليهم لقصد اكل اموالهم بالباطل فقال يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان دايهم من التلذذ ويما يؤول اليه ان
كثيرا من الاحبار اي علما اليهود والرهبان اي من زهاد النصارى لياكلون اي تبنا وليود ولكنه عبر به لانه
معظم المراد من المال واشارة الى تحقير الاحبار والرهبان بانهم يفعلون ما ينافي مقامهم الذي اقاموا انفسهم فيه
اموال الناس بالباطل اي يا خذونها بالرشى وانواع التعبد باظهار الزهد والمبالغة في الدين المستجلب لها
بالتودد ونحوها فيكنزونها ولا ينفقونها في سبيل الله من اتاهم بها بالاتيان بقلوب عباده اليهم ولما اخبر عن اقبالهم
على الدنيا اتبعه الاخبار عن اعراضهم عن الاخرة فقال ويصدون اي يحتالون في صرف من ياتيهم ببذل الاموال وغيرها
عن سبيل الله اي دين الملك الاعلى الذي له الامر كله بابعادهم عنه باخفا الايات الدالة عليه عنهم خوفا على انقطاع
دنياهم بزوال رياستهم لو تبعوا ولبثوا على الحق ولما كان اكثرهم يكنزون تلك الاموال شرع سبحانه يهدد على
مطلق الكنز فيفهم منه من باب الاولى الصد الذي هو سبب الكنز فقال والذين اي يفعلون ذلك والحال انهم يعلمون
ان الذين يكنزون اي يجمعون تحت الارض وفوقها من قولهم للمجتمع اللحم مكتنز الذهب والفضة اي منهم ومن
غيرهم من غير تزكية ولما كان من المعلوم انهما اجل اموال الناس وكان الكنز دالا على المكاثرة فيها اعاد الضمير
عليها بما يدل على الانواع الكثيرة فقال ولا ينفقونها اي ينفقون ما وجب عليهم من هذه الاموال التي جمعوها من
هذين النوعين مجتمعين ومنفردين ولو ثنى لاوهم ان اجتماعهما شرط للترهيب وانما اعاد الضمير عليها من غير
ذكر من وهي مراده لمزيد الترغيب في الانفاق والترهيب من تركه وجوز ان يعود الضمير الى الفضة لان الذم على
تركها كنزها والحاجة اليها لكثرتها اقل فالذم على كنز الذهب من باب الاولى لانه اعلى منها واعز بخلاف الذم
على كنز الذهب وقال الحرالي في العمران فاوقع الانفاق عليها ولم يخصه من حيث لم يكن ولا ينفقون منها كما قال
في المواشي خذ من اموالهم لان هذين الجوهرين حواتم ينال بها اهل الدنيا منافعهم وقد صرف عنهم الانتفاع بهما
فلم يكن لوجودهما فايدة الا بانفاقهما لانهما صنما هذه الامة فكان كسرهما بانفاذهما كما انتهى في سبيل الله اي الوجه الذي
امر الله بانفاقها فيه فبشرهم اي يقول فهم بسبب ذلك نفقا كانهم لبشرهم بعذاب اليم عوضا عما ارادوا بالهما من السرور
بانجاح المقاصد ولما كان السياق دالا على انه واضحة على ان هذا العذاب يحصل لهم ويقع كانهم نصب لذلك قوله
يوم يحمى اي يحصل الاحما وهو الايقاد الشديد عليها اي الاموال التي جمعوها في نار جهنم اي التي لا ايقاد لنار كنارها
وتلقي داخلها بالتجهم والعبوسة كما كان يلقي بذلك الفقرا وغيرهم من اهل الله لا سيما من منعه ما يجب له من النفقة فتكوى
بها اي بهذه الاموال جباههم اي التي هي اشرف اعضاهم لانها مجمع الوجوه والرؤوس وموضع الجاه الذي جمع المال لاجله
ولتعبيسهم لها في وجوه الفقرا وجنوبهم التي يحوونها لملذتها بالماكل المشتهاة والمشارب المستلذة وللازورار بها
عن الفقرا وظهورهم التي يحوونه لتقويتها وتحملها بالملابس وتحليتها ولتوليتهم بها اذا اجتمع مع الفقرا في مكان ثم
يقال لهم هذا ما كنزتم واشار الى الحامل الى الجمع المنافي للعقل بقوله لانفسكم اي لتنتفعوا به ولم تلتذ
فلم ينفقوه فيما امر الله فذوقوا ما كنتم اي وبال وعذاب ما كنتم تكنزون اي تجددون جمعه على سبيل الاستمرار
حريصين التواشاد يتعلل الكون الى انهم مجبولون على ذلك روى البخاري في التفسير عن زيد بن وهب قال مررت
على ابي ذر رضي الله عنه بالربذة فقلت ما انزلك بهذه الارض قال كنا بالشام فقرات الذين يكنزون الذهب والفضة قال معوية ما هذه فينا
ما هذه الا في اهل الكتاب قلت انها فينا وفيهم وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال هذا قبل ان تنزل الزكاة
فلما نزلت جعلها الله طهرا للاموال يعني فما اعطي صاحبه ما وجب عليه فليس بكنز ولما تقدم كثير مما ينبني على
التاريخ الحج في غير موضع والاشهر واتمام عهد من له مدة الى مدته والزكاة والجزية وختم ذلك بالكنز الذي
لا يحل شرعا الا على ما لم يود زكاته وكان مشركوا العرب الذين تقدم الامر بالبراة منهم والتاذين بهذه الايات
يوم الحج الاكبر منهم قد احدثوا في الاشهر بالنسي الذي غيروا به ما ارادوا في الحج بارطاله ما غيروا السنين عن موضوعها
الذي وضعها الله عليه فضاهوا به فعل اهل الكتاب بالدين بتحليل الاحبار وتحريمهم كما ضاهوهم اولئك قوله اهل الشرك
في البنوة والابوة قال تعالى ان عدة الشهور اي منتهى عدد شهور السنة عند الله اي حكم وعلم الذي خلق
الزمان وحده وهو الاله وحده فلا امر لاحد معه اثنا عشر شهرا اي لا زيادة عليها ولا يعتبر لها كما يفعلونه في
النسي في كتاب الله اي كلام الملك المحيط بكل شي قدرة وعلما وحكمه الذي هو نهج الهدى فهو الحقيق بان يكتب
وليست الشهور ثلاثة عشر ولا اكثر كما كان يفعل من امركم بالبراة منكم كما بينه من كان يواتي النسي يوم اي كان
ذلك وثبت يوم خلق الله السموات والارض اي اللذين نشا عنهما الزمان والمعنى ان الحكم بذلك كان قبل ان يخلق

الزمان منها اى الشهور اربعة حرم اى يا عينها لا يجوز العدد ذلك اى الامر العظيم والحكم العالى الرتبة فى
الاتقان خاصة الدين القيم اى الذى لا عوج فيه ولا مدخل للعباد وانما هو بتقدير الله تعالى للقمر روى البخارى
عن ابى بكرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
الله السموات والارض السنة اثنى عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان ولما بين الامر سبب نبه فيه قوله فلا تظلموا فيهن اى الاشهر الحرم انفسكم اى بسبب
انسائها بعضها وتحريم غيره مكانه لتواطئوا العدد لا المعنى للالزام عنها حلالا لكل منها ما يقع الظلم فيه وتحريم كل
من غيرها قال قتادة العمل الصالح والفاسد فيها اعظم منه فى غيرها وان كان ذلك فى نفسه عظيما فان الله
يعظم من امره ما شاء وقال ابو حيان ما حاصله ان العرب تعيد الضمير على جمع الكثرة كالواحدة المؤنثة فلذا قال
قال منها اربعة اى من الشهور وعلى جمع القلة لما لا يعقل بنون جمع المؤنث فلذا قال فلا تظلموا فيهن انفسكم اى
فى الاربعة ولما كان انساؤهم لتحل لهم المقاتلة على زعمهم قال وقاتلوا المشركين كافة اى كلهم فى ذلك
سوا فى الاسلاف واجتماع الكلمة كما يقاتلونكم كافة اى كلهم فى ذلك سواء وذلك الحكم فى جميع السنة لا انما لكم عن
قتالكم فى شهر منها فانكم لا تحتاجون الى تغيير حكم منها لقتال ولا غيره ان اتقيتم الله فلا تجاوزوهم وان زادت
جموعهم وتضاعفت قواهم لان الله يكون معكم واعلموا ان الله اى الذى له الاحاطة بجميع العظمة معكم هكذا كان الاصل
ولكنه اظهر الوصف تعليقا للحكم به وتعميما فقال مع المتقين اى جميعهم وهم الذين يتقون تقواهم على ما شرعه لهم
لهم لا على النسىء ونحوه ومن كان الله معه نصره لا محالة ولما فهم من هذا ابطال النسىء لانه فعل اهل الجاهلية فلا يعو
فيه لانه كانه قيل انما فى النسىء تقوى فان سببه انما هو الخوف من انتهاك حرمة الله بالقتال فى الشهر الذى
حرمه وذلك انهم كانوا اصحاب غارات وحروب وكانوا يحترمون الاشهر الحرم عن القتال حتى لو راى الانسان
قاتل ابيه لا مانع منه لم يعرض له فكان اذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم تركه وكان يشق عليهم ترك
ذلك ثلاثة اشهر متوالية فجعلوا النسىء لذلك فقيل نحو محاكما فهو ما مضى ليس فيه شى من ذلك انما النسىء اى تاخير
الشهر الى شهر آخر على انه مصدر نساه نسيا اذا اخره او هو اسم مفعول اى الشهر الذى يوخره العرب حرمته من الاشهر
الحرم عن وقتها زيادة فى الكفر اى لانه خلاف ما شرعه الله ونه ستر تحريم ما اظهر الله تحريمه ولما بين ما فى
النسىء من القباحة وتقرر انهم وقعوا على ضد مرادهم فانهم كانوا لو قاتلوا فى الشهر الحرام قاتلوا وهم معتقدون
الحرمة خايفون عاقبتها فكانوا خارجين عن دايرة التقوى بالكلية فاذا هم بتحليله قد صاروا عن داعى لقائهم اهل
لا دنكالهم فيه كل عظيمة مع الامن لاعتقاد الحل بتحليل ذلك الذى اعتقدوه ربا فكان يقول انى لا اخاف
الذى هو النسىء
ولا اعاب وانه لا يرد لقضائى اى احللت المحرم وحرمت صفر الى غير ذلك من الكلام الذى لا يليق الا بالالهية
وذلك معنى قوله تعالى بيانا لما قبله يضل به اى بهذا التاخير الذين كفروا اى يحصل لهم به الضلال لما
شرعه الله هذا على قراءة الجماعة والمعنى على قراءة حمزة والكسائى وحفص بالبناء للمفعول لفاعله مفعل من قبل الله
وعلى قراءة يعقوب بالضم يضلهم الله ثم بين مثلا لهم بقوله يحلونه عاما اى ذلك الشهر وعبر عن الحول بلفظ يدور
على معنى السنة اشارة الى انهم ينقلونه ولو لم يضطرهم الى ذلك ضرب سنة ولا عصر ربما زمن الجود التشهير فقال
عاما ويحرمونه عاما هكذا دايما كلما ارادوا وليس المراد انهم كل سنة يفعلون ذلك من غير اخلال السنة
من السنين وهكذا الفعل النسىء منهم مع انهم يحللون النسىء من عنا لذلك ليواطئوا اى يوافقوا عدة ما حرم
الله اى المحيط بالجلال والاكرام فى كون الاشهر الحرم اربعة فيحلوا اى فيتسبب عن هذا الفعل ان يحلوا ما
حرم الله اى الملك الاعظم منها كلها فلا يدع لهم هذا الفعل شهرا الا انتهكوا حرمته فارادوا بذلك عدم انتهاك
الحرمة فانهم لم يدعوا حرمة الا انتهكوها لما ابعده من ضلال ولما انتهكت بهذا البيان قباحة فعلهم كان
كانه قيل ان هذا العجب ما حملهم على ذلك فقيل زين اى زين مزين وهو شياطينهم وذا ما اسناد الفعل الى الله لهم
سوء اعمالهم اى حتى راوا احسنا ما ليس بحسن فضلوا ولم يهتدوا انعل الله بهم ذلك لما علم من طبعهم على الكفر
فلم يهدكم والله اى الذى له صفات الكمال لا يهدى اى يخلق الهداية فى القلوب القوم الكافرين اى الذين
طبعهم على الكفر فهم عريقون فيه لا ينفكون عنه والنسىء قال فى القاموس الاسم من نسا الشىء بمعنى زجره
وساقه واخره قال هو شهر كانت توخره العرب فى الجاهلية فنهى الله عز وجل عنه وقال ابن الاثير فى النهاية
والنسىء فعول بمعنى مفعول وقال ابن فارس فى المجمل والنسىء فى كتاب الله التاخير وكانوا اذا صدروا عن منى
يقوم رجل من كنانة فيقول انا الذى لا يرد لى قضاء فيقولون انسئنا شهرا اى اخر عنا حرمة المحرم واجعلها فى
صفر انتهى ومادة نسا تدور على التقهقر وسبب فعلهم هذا انهم كانوا ربما ارادوا قتالا فى شهر حرام فيحلونه
ويحرمون مكانه شهرا من اشهر الحل ويوخرون ذلك الشهر قال ابن فارس وذلك انهم كانوا يكرهون ان يتوالى عليهم

عليهم ثلاثة اشهر لا يغيرون فيها لان معاشهم فى الغارة فيحل لهم الكنانى المحرم انتهى وكان النساة من بنى فقيم من كنانة وكان
اول من فعل ذلك منهم القلمس وهو ابن حذيفة بن عبد بن فقيم واخرهم الذى قام عليه الاسلام ابو ثمامة
جنادة بن عوف بن امية بن قلع بن عباد بن حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث
ابن مالك بن كنانة بن خزيمة نسوا اربعين سنة كانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فحرم الاشهر
الحرم الاربعة فاذا ارادوا ان يحل منها شيا احل المحرم فاحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه ليواطئوا
عدة الاربعة الاشهر الحرم فاذا ارادوا الصدر قام فيهم فقال اللهم انى احللت احد الصفرين الصفر الاول ونسات الاخر
العام المقبل ذكر ذلك اهل السير وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان اول من نسا عمرو بن لحى ويحتمل معنى ما كانت
تفعله اختلاف اسما الشهور به حتى يوجب دوران السنين فلا تصادف اسما الشهور مسمياتها الا الحين بعد الحين
عسى كل من اتى فيه بما ينغص به قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع كما مضى ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وها انا اذكر فيه ما لا يبقى بعده لبس ان شاء الله تعالى فيعنى قوله ونسات
الاخر للعام المقبل انه اذا احل المحرم وسماه صفرا ابتدا السنة بعده بالمحرم ثم صفر الى اخرها فيصير
صفر وذى الحجة الذى وقع النسىء فيه شهران وقد كان ينبغى ان يكون بينهما شهر واحد فاخر هذا الذى ينبغى
الى العام المقبل فالمعنى واخرت الصفر الاخر عن محله الى العام المقبل فاذا جا العام المقبل انتهى تاخره
واذا انتهى رجع الى محله ويمكن ان يتنزل على هذا قول ابى عبيد فى غريب الحديث قال بعد النصف من الجزء
الثالث منه فى شرح الاستدارة ان بدو ذلك والله اعلم ان العرب كانت تحرم الشهور الاربعة وكان هذا
مما تمسكت به من ملة ابراهيم عليه السلام فربما احتاجوا الى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم فيكرهون
ان يستحلوه ويكرهون تاخيرهم حربهم فيوخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم
وهذا هو النسىء الذى قال الله انما النسىء الاية وكان ذلك فى كنانة هم الذين كانوا ينسئون الشهور على
العرب والنسىء هو التاخير فيمكثون بذلك زمانا يحرمون صفرا وهم يريدون به المحرم ويقولون
هذا احد الصفرين وقد تاول بعض الناس قول النبى صلى الله عليه وسلم لا صفر على هذا ثم يحتاجون ايضا
الى تاخير صفر الى الشهر الذى بعده لحاجتهم الى تاخير المحرم فيوخرون تحريمه الى ربيع ثم يمكثون
بذلك ما شاء الله ثم يحتاجون الى مثله ثم كذلك فكذلك يتدافع شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها
فقام الاسلام وقد رجع المحرم الى موضعه الذى وضعه الله به وذلك بعد دهر طويل فذلك قول النبى صلى
الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يقول رجعت الاشهر الحرم الى
مواضعها وبطل النسىء وزعم بعض الناس انهم كانوا يستحلون المحرم عاما فاذا كان من قابل ردوه الى تحريمه
قال ابو عبيد الاول احب الى لقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار وليس فى التفسير الاخير
استدارة وعلى هذا التفسير الذى فسرناه قد يكون قوله يحلونه عاما ويحرمونه عاما مصدقا له لانهم اذا
حرموا العام المحرم وفى قابل صفرا ثم احتاجوا بعد ذلك الى تحليل صفر ايضا احلوه وحرموا الذى
بعده فهذا تاويل قوله فى التفسير يحلونه عاما ويحرمونه عاما وقال ابو حيان فى النهر ما حاصله
كانت العرب لا عيش لاكثرهم الا من الغارات فيشق عليهم توالى الاشهر الحرم وكان بنو فقيم اهل دين
وتمسك بشرع ابراهيم عليه السلام فانتدب منهم القلمس وهو حذيفة بن عبيد بن فقيم فنسا الشهور
للعرب ثم خلفه على ذلك ابنه عباد ثم خلفه ابنه قلع ثم خلفه ابنه امية ثم خلفه ابنه عوف ثم ابنه
جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام كانوا اذا فرغوا من حجهم جا اليه من شاء منهم مجتمعين فقالوا انسئنا
شهرا فيحل المحرم ثم يلتزمون حرمة صفر ليواطئوا عدة الاشهر الاربعة ويسمون ذلك الصفر المحرم ويسمون
ربيع الاول صفرا وربيعا الاخر ربيعا الاول وهكذا سائر الشهور فيسقط على هذا حكم المحرم الذى حلل لهم
وتجئ السنة من ثلاثة عشر شهرا اولها المحرم الذى هو الحقيقة صفر وقال البغوى قال مجاهد كانوا يحجون فى
كل شهر عامين فحجوا فى ذى الحجة عامين وحجوا فى المحرم عامين ثم حجوا فى صفر عامين وكذلك الشهور فوافقت
حجة ابى بكر السنة الثانية من ذى القعدة ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم فى العام المقبل حجة الوداع فوافق
حجه شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة وقال عبد الرزاق فى تفسيره اخبرنا معمر عن ابن ابى نجيح عن مجاهد فى
قوله انما النسىء زيادة فى الكفر قال فرض الله الحج فى ذى الحجة فكان المشركون يسمون الاشهر ذا الحجة والمحرم
وصفر وربيع وربيع وجمادى وجمادى ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذا القعدة وذا الحجة ثم
يحجون فيه مرة اخرى ثم يسكتون عن المحرم ولا يذكرونه فيسمون احسبه قال المحرم صفر ثم يسمون رجب جمادى
الاخرة ثم يسمون شعبان رمضان ورمضان شوال ثم يسمون ذا القعدة ثم يسمون المحرم ذا الحجة ثم يحجون فيه

واسمه عندهم ذو الحجة ثم عادوا لمثل هذه الصفة فكانوا يحجون في كل شهر حتى وافق حجة ابي بكر الآخرة من
العامين في ذي القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجته التي حج فوافق ذلك ذا الحجة فلذلك يقول النبي صلى الله عليه
وسلم في خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقال ابن اسحق في السيرة سالت ابن ابي
نجيح عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت قريش يدخلون في كل سنة شهرا وانما كانوا يوافقون ذا الحجة
كل اثنتي عشرة سنة مرة فوفق الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في حجته التي حج ذا الحجة فحج فيها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فقلت لابن ابي نجيح
كانوا يحجون في الحجة ثم العام المقبل في المحرم ثم صفر ثم بلغوا اثني عشر شهرا انتهى وقوله هذا يوهم ان في حج ابي بكر
وعتاب رضي الله عنه اختلالا وتقدم عن المهدوي وغيره التصريح بانه كان في ذي القعدة وفيه نظر لان السنة
التي حج فيها ابو بكر رضي الله عنه نودي فيها بتحريم النسيء وغيره من امور الجاهلية فلا شك انه لم يكن في ذلك العام
انساء لما مضى من الشهر الذي حج فيه عشرة اشهر وكان الحادي عشر وهو ذو القعدة سار النبي صلى الله عليه وسلم
في اوله الى الحج موافيا لهلال ذي الحجة فلما وقف بعرفة اخبر ان الزمان قد استدار فعلم قطعا ان استدارته
كانت في حجة ابي بكر ولذا في سنة ثمان وهي السنة التي حج فيها عتاب بالمسلمين وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه رضي الله عنهم لم يكونوا يعتبرون حساب اهل الجاهلية لا نساءهم ولا غير نساءهم لانه يلزم من القول
بانهم اعتبروا امر النساء انهم اعتبروا ما هو زيادة في الكفر وهذا مما لا يقوله ذو مسكة وقد تقدم النقل
ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل ابا بكر رضي الله عنه الى الحج في اواخر ذي القعدة او بعد انقضائه من سنة تسع ووافا
العرب في ذي الحجة الكفار وغيرهم ووقع اعلامهم ببراءة في ايام الحج واما كونه فلو كان حصل في سنة عتاب
اختلال في العدد بنسيء لكان ذو الحجة بحساب الكفار هو المحرم بحساب الاسلام فكان تاخير الكفار للحج عن محله
ثبت لهذا ان حجه رضي الله عنه كان في ذي القعدة فحفظ الله اهل الاسلام من ان يقع في حجهم اختلال في سنة من
السنين وما في باول نعمه عليهم والله الموفق وقال الامام ابو العباس احمد بن احمد المشهور بابن القاص من اكابر متقدمي
اصحاب الشافعي رحمه الله في كتابه دلائل القبلة في باب معرفة عدد ايام السنة فالسنة اثنا عشر شهرا اما لا هلة
وربما كان الشهر ثلاثين وربما كان تسعا وعشرين فتبلغ السنة الهلالية ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وثمان
ساعات واربعة اخماس ساعة وقالت الهند السنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وست ساعات وخمس ساعة
وجزء من اربعمائة جزء من ساعة وذلك من دخول الشمس راس الحمل الى ان تدخل فيه من قابل فيفصل ما بين السنة
الهلالية والسنة الشمسية عشرة ايام واحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة فاذا زيدت عليها هذه الساعات
والايام استقام حسابه مع دوران الشمس كانت العرب تزيده في الجاهلية وكان الذي لا يدع لهم ذلك رجل من كنانة
يقال له القلمس وذلك انه يجمع هذه الزيادة فاذا اتمت شهرا زاده في السنة وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا وسماها
نسيئا ويحج بهم تلك السنة في المحرم فانزل الله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر فلما كانت السنة التي حج فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم حجة الوداع وافق الحج في تلك السنة ذا الحجة لما اراد الله تعالى ما شاء الحج في تلك السنة فخطب النبي صلى
الله عليه وسلم فقال ايها الناس الا ان السنة قد استدارت كهيئتها يوم خلق الله السموات والارض منها اربعة حرم ذلك
الدين القيم يعني به الحساب القيم فالحرم رجب بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم يعني ذلك الاقوم
وقال الشاعر وابطل ذو العرش النسيء ونكسا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاز رسول الله بالحج الاقوم انتهى والقلمس
بفتح الميم اللام وتشديد الميم فالنسيء في الحديث يروى بالهمز ليصح الوزن والا فهو منقول لحركة الهمزة وقوله
ان علة النسيء التطبيق بين الشمسية والقمرية فيه نظر والظاهر ان علته ما ذكرنا من اضطرارهم الى القتال واما الاستدارة
في كل من هذه الاقوال الواضح الاستدارة وليس المراد بها مصادفة كل فصل من فصول السنة موضعه من الحر والبرد ومصادفة
اسم كل شهر لمسماه بحسب اشتقاقه حتى يكون رمضان في شدة الحر مثلا ولذلك غيره وان كان الواقع ان الامر كان في هذه
الحجة كذلك لما تقدم من غزوة تبوك كان ابتداؤها في شهر رجب وكان ذلك في شدة الحر وحين طابت الثمار وانما المراد
الاعظم بالاستدارة مصادفة اسم كل شهر لمسماه لا لمسمى شهر اخر لاجل الدوران بالنسيء بدليل انه صلى الله عليه وسلم ما
ذكرها الا لاجله فقال في بعض طرق حديث جابر الطويل رضي الله عنه ان النسيء زيادة في الكفر وان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض والسنة اثنا عشر شهرا فانظر الى تعقيبه بحصر الشهور في الاثني عشر نفيا لجعلهم
اياها سنة النسيء ثلاثة عشر شهرا وقال منها اربعة حرم وعينها وقال اي شهر هذا فسكتوا قال ذو الحجة شهر حرام كل
هذا البيان ان المراد بالاستدارة رجوع كل شهر عما غيره اهل الجاهلية الى موضعه الذي وصفه الله به موافقا
اسمه لمسماه وجعلت شهورنا هلالية مع المنع من النسيء لتحصل الاستدارة فتحصل بسببها كل عبادة تتعبد بها من صوم
وعيد وحج وغيره في كل فصل من فصول السنة بخلاف من شهوره بالحساب فان عباداتهم خاصة بوقت من السنة

من السنة لا يتعداه والله الموفق وقال ابو محمد اسحق بن ابراهيم البستي في تفسيره حدثنا ابن ابي عمر ثنا سفيان عن عمرو
ابن دينار عن طاوس قال الشهر الذي انتزعه الله من الشيطان المحرم والحاصل انه لا شك ان النسيء لم يكن قط الا في المحرم
لما تقدم وان الحج لم يكن قط في جاهلية ولا اسلام الا في شهر يسمى ذا الحجة لما قاله نقلة اللغة والحديث والاخبار قال ابن
الاثير في النهاية ونشوان اليمني في شمس العلوم والقزاز في ديوانه وابن مكتوم في ترتيب العباب والمحكم ذو الحجة
بالكسر شهر الحج زاد المحكم سمي بذلك للحج وقال القزاز ان الحج فيه اشهر وفي النهاية يوم التروية وهو الثامن من ذي
الحجة سمي به لانهم كانوا يرتوون فيه من الماء لما بعده ان يستقوا ويسقون وقال المجد في القاموس يوم عرفة التاسع من ذي
الحجة وفي كتاب اسواق العرب لابي المنذر هشام بن محمد الكلبي رواية ابي سعيد السكري ان عكاظ كانت من اعظم اسواق
العرب فاذا اهل اهلها هلال ذي الحجة ساروا باجمعهم الى ذي المجاز وهي قريب من عكاظ وعكاظ في اعلى نجد فاقاموا
بها حتى يوم التروية ووافاهم بمكة حجاج العرب ورؤوسهم ممن اراد الحج ممن لم يكن شهد تلك الاسواق وقال الازرقي
في تاريخ مكة فاذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا الى ذي المجاز فاقاموا بها ثماني ليال اسواقهم قائمة ثم
يخرجون يوم التروية من ذي المجاز الى عرفة فيتروون ذلك اليوم من الماء بذي المجاز وانما سمي يوم التروية لترويهم
الماء بذي المجاز ينادي بعضهم بعضا ترووا من الماء انه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة يومئذ ثم ذكر انه لا يحضر ذلك الا
التجار قال ومن لم يكن له تجارة فانه يخرج من اهله متى شاء ومن كان من اهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة
يوم التروية وروى البيهقي في دلائل النبوة باسناده عن عروة وموسى بن عقبة عن الزهري قالا واهل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالعمرة من الجعرانة في ذي القعدة ثم اسند عن ابن اسحق انه قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم من عمرته انصرف راجعا الى المدينة واستخلف عتاب بن اسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في
الدين ويعلمهم فكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة او في ذي الحجة وحج الناس تلك السنة على ما كانت
الناس العرب تحج عليه وحج الناس تلك السنة عتاب بن اسيد في سنة ثمان وحديث اعتماده صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة
رواه الشيخان ومعنى على ما كانت العرب من الطواف عراة ونحوه وذكر الواقدي عن شيخه قالوا وانتهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة فاقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة فلما
اراد الانصراف الى المدينة خرج من الجعرانة ليلة الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلا فاحرم
فذكر عمرته ثم قال واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن اسيد على مكة وخلف معاذ بن جبل وابا موسى الاشعري
رضي الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه في الدين واقام للناس الحج عتاب بن اسيد رضي الله عنه تلك
السنة وهي سنة ثمان وحج ناس من المسلمين والمشركين على مدتهم وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم
الجمعة لثلاث بقين من ذي القعدة قال الواقدي واقام بقية ذي القعدة وذي الحجة فلما راى هلال المحرم بعث
المصدقين انتهى اذا تقرر هذا علم ان الحج لم يكن قط الا في شهر يسمونه ذا الحجة وهو مما لا يرد ولا يقع في
وهم فيه تردد ولا يحتاج الى تطويل بذكره ولا اطناب في امره وتارة يوافق اسمه مسماه وتارة لا يوافقه لاجل النسيء
وعلم ايضا ان حج عتاب بن اسيد كان في ذي الحجة بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة الى المدينة الشريفة
وانه ما تاخر عن ذي الحجة والا لنقل وان حج ابي بكر رضي الله عنه سنة تسع كان في ذي الحجة لذلك ولما تقدم من ان
سيره له من المدينة الشريفة كان في اخر ذي القعدة واول ذي الحجة ولقولهم ان الاربعة الاشهر التي ضربت
للمشركين يوم النحر كان اخرها عاشر ربيع الاول ولو علم ان ذا الحجة تلك السنة لو كان وافق مسمى ذي القعدة لم يقع
ذي الحجة سنة عشر التي حج فيها النبي صلى الله عليه وسلم في موضعه الذي وصفه الله به الا بان يكون تلك
السنة ثلاثة عشر شهرا بنسيء او غيره وكل من الامرين باطل اما الاول فلان الله تعالى ابطل النسيء في تلك السنة
فيما ابطله من امور الجاهلية في هذه السورة وارسل النبي صلى الله عليه وسلم بالمناداة بها كما مر والثاني فهو
امر خارق للعادة لم يكن مثله من حين خلق الله السموات والارض والخارق اما تتوفر الدواعي على نقله ولا نقل
لهذا اصلا فبطل واذا بطل بيان سنة عشر كانت اثني عشر شهرا ولا سيما بعد انزال الله تعالى في ذلك ما انزل
في هذه السورة واذا كان الامر كذلك كان الشهر الذي وقف فيه النبي صلى الله عليه وسلم في موضع الشهر الذي وقف
فيه الصديق رضي الله عنه سواء بسواء وقد ثبت ان الزمان فيه كان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض فثبت من غير مرية ان شهر الصديق رضي الله عنه كذلك كان وثبت ايضا ان سنة عتاب بن اسيد رضي الله
عنه كذلك كانت بما تقدم من انه لم يكن فيها نسيء ليوافق حج المسلمين والمشركين في سنة تسع فدل ذلك على انها
كانت اثني عشر شهرا فكان ذو الحجة فيها في موضعه الذي وصفه الله به كما كانت سنة تسع بل ظاهر قول ابي عبيد
فقام الاسلام ورجع المحرم الى موضعه كما مضى ان الله حفظ زمن الاسلام كله عن نسيء وهو الذي اعتقده وقد تقدم
بذلك ان السبب في قول من قال ان حج الصديق رضي الله عنه وافق ذو القعدة انه فهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم

ان الزمان قد استدار ان الاستدارة لم تكن الا في تلك السنة وليس ذلك مدلول هذا التركيب كما لا يخفى والله الموفق
ثم وجدت النقل الصريح في زوائد معجمي الطبراني الاوسط والاصغر للحافظ نور الدين الهيثمي بمثل ما فهمته
قال في تفسير براءة حدثنا ابراهيم يعني ابن هاشم البغوي ثنا الصلت بن مسعود الجحدري ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي دى
ثنا داود بن هند عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده يعني عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال كانت العرب يحلون عاما
شهرا وعاما شهرين ولا يصيبون الحج الا في كل ست وعشرين سنة مرة وهو النسيء الذي ذكره الله سبحانه عز وجل في كتابه
فلما كان عام حج ابي بكر رضي الله عنه بالناس وافق ذلك العام الحج فسماه الله الحج ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام
المقبل فاستقبل الناس الاهلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض لم يروه عن عمرو الا داود وتفرد به الصلت انتهى وهو حديث حسن ان شاء الله وانما اطلت هذا لما قدمته من الاحتياج
في ايضاحه الى كثرة جدال المجادلين المعاندين ومحال المحادين ولما اوعز سبحانه وتعالى في امر الجهاد وازاح ام
جميع عللهم وبين ان حسنه لا يختص بشهر دون شهر وان بعضهم كان يحل لهم ويحرم فيتمونه بما يؤدي الى تحريم الشهر
الحلال وتحليل الشهر الحرام بالقتال فيه عاتبهم الله سبحانه على تخلفهم عن رسوله صلى الله عليه وسلم الامر لهم بالنفر
في غزوة تبوك عن امره سبحانه وكان ابتداؤها في شهر رجب سنة سبع فقال تعالى على سبيل الاستعطاف والتذكير
بنعمة الايمان بعد ختم التي قبلها بانه لا يهدي الكافرين الذي نعم الحرب وغيره الموجب للجراة عليهم لان من لا هداية
له اعمى والاعمى لا يخشى يا ايها الذين امنوا اي ادعوا ذلك ما لكم اي ما الذي يحصل لكم في انكم اذا قيل لكم اي من اي قائل كان
انفروا اي اخرجوا مسرعين بجد ونشاط جماعات ووحدانا امدادا لحزب الله ونصرا لدينه تصديقا لدعواكم الايمان
والتربية … مكان الى مكان لا … على ذلك في سبيل الله اي بسبب تسهيل الطريق الى الملك الذي له جميع صفات
الكمال وقال ابو حيان بني قيل للمفعول والفاعل النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر اغلاظا وتحاشيا لهم وصونا لذكره
اذا خالف الى الهوينا والدعة من خالف امره انتهى اثاقلتم اي تثاقلتم تثاقلا عظيما دنيه ما لم تذكر واله سببا ظاهرا
بما اشار اليه الادغام اخلادا وميلا الى الارض اي لبرد ظلالها وطيب هوائها ونضج ثمارها فلنتم … امنين في سفور
اهلكم لاسيما … بطهارة الشيم ولما لم يكن في الاسباب التي تقدم انها كانت تحمل على التثاقل على الجهاد ما يحمل القدام
بهم في هذه الغزوة الا الخوف من العدو والميل الى الاموال الحاضرة وثوقا بها فالاعراض عن الغنى الموعود به
الذي ربما يلزم من الاعراض عنه التكذيب تؤدي الى خسارة الاخرة هذا ما يلزم على ذلك ولا بد من الزهد
في الاجر المثمر لسعادة العقبى لهذا الدني الخسيس قال مبينا خسة ما اخلدوا اليه تزهيدا فيه وشرف ما اعرضوا عنه
ترغيبا فيه منبها على ان ترك الخير الكثير لاجل الشر اليسير شر عظيم منكرا على من تثاقل موبخا لهم ارضيتم بالحياة الدنيا
اي بالخفض والدعة في الدار الدنية الفانية من الاخرة اي الفاخرة الباقية قال ابو حيان ومن تظافرت اقوال
المعربين انها بدل واصحابنا لا يثبتون ان من تكون للبدل انتهى والذي يظهر لي انهم لم يريدوا انها موضوعة للبدل
بل انه يطلق عليها لما قد يلزمها في مثل هذه العبارة من ترك ما بعدها لما قبلها فانها لابتداء الغاية فاذا قلت
رضيت بهذا من زيد كان المعنى انك اخذت ذلك اخذا مبتدا منه غير ملتفت لما عداه فكانك جعلت ذلك بدلا
كل شيء يعتد انه منال منه من غير ذلك الماخوذ ولما كانوا قد اعطوا الاخرة مع الاعراض عنها فكانك قيل
ارضيتم بالميل الى الدنيا من الاخرة ويؤيد ما فهمته ان العلامة علم الدين ابا محمد القاسم بن الموفق الاندلسي ذكر
في شرح الجزولية انهم عدوا من قسمه معان كلها ترجع الى ابتداء الغاية عند المحققين وبين كيفية ذلك حتى في البيانية
نحو فاجتنبوا الرجس من الاوثان لان الرجس جامع للاوثان وغيرها ولما كان الاستفهام انكاريا فان معناه
النفي فكان التقدير لا ترضوا بها فان ذلك سفه رأي وفساد فقال تعالى معللا لهذا النفي فما اي بسبب انه ما متاع
الحياة الدنيا في اي مغمورا في جنب الاخرة الا قليل والذي يدركهم المتخرد بدعي التعزية ويحاذر الخلل
منه بعد ما علم ذلك منهم ولما كان طول الاستعطاف ربما كان مدعاة للخلاف وترك الانصاف توعدهم بقوله
الا تنفروا اي في سبيله يعذبكم على ذلك عذابا اليما اي في الدارين ويستبدل اي يوجد بدلا منكم قوما غيركم اي ذوي
باس ونجدة مخالفين لكم في الخلال التي كانت سببا للاستبدال لولايته ونصر دينه ولما توعدهم بما يضرهم
اخبرهم انهم لا يضرون بفقودهم غير انفسهم فقال ولا تضروه اي الله ورسوله شيئا لانه متم امره ومنجز وعده
ومظهر دينه ولما اثبت بذلك قدرته على عدوه لهم وقصورهم عن الوصول الى غيره كان التقدير لانه قادر على نصر
دينه ونبيه بغيركم فعطف عليه تعميما لقدرته ترهيبا من عظيم سطوته قوله والله اي الملك الذي له الاحاطة الكاملة
على كل شيء قدير ولما وصف سبحانه نفسه الاقدس بما هو له اهل من شمول القدرة وعظيم الباس والقوة
اتبع ذلك بدليل تضمن ان المستنفر لهم وهو نبيه صلى الله عليه وسلم غير محتاج اليهم ولا متوقف نصره عليهم كما لم يحتج
اليهم بحياطة القادر له فيما مضى من الهجرة التي ذكرها وان نفع ذلك انما هو لهم باستجلاب ما وعدوه واستدفاع

الاخرة على الاتباع فاستبدلوا به الامتناع بكان اقبالهم على الدنيا كانه مستبدي بها كانوا فاقد … من الاخرة صح

بلغ مقابلة

واستدفاع ما اوعدوه في الدارين المشار الى ذلك كله بقوله فما متاع الاية وقوله الا تنفروا الاية فقال الا تنصروه اي انتم طاعة
لامر الله والنصر للنبي صلى الله عليه وسلم اما على طريق الاستخدام من سبيل الله لانه الموضح له الداعي اليه او لتقدم اسمه
الشريف اضمارا في قوله اذا قيل لكم اي من رسول الله صلى الله عليه وسلم استنصارا منه لكم والاظهار في قوله تعالى هو
الذي ارسل رسوله الاية وتوقع ما في كل جملة من المناسبة المقتضية لان تعانق التي بعدها ولا تنفك عنها فقرا النحل
بين الظاهر وضميره وذكر الغار والصاحب وضح الامر وذلك انه سبحانه لما عابهم باتخاذ الرؤساء اربابا اشد في الحال قه
الى بيان انهم في البعد عن ذلك على غاية لا تخفى على متامل فوصفهم بالاكل المستلزم للجسمية المستلزمة للحاجة وبان
ماكولهم اموال غيرهم باطلا وبانهم يستنونكم لصدهم اياهم عن السبيل التي لا يخفى حسنها على من له ادنى نظر ولما
كان ذلك شديد الاثارة لتشوف السامع لعلهم النفوس الى السؤال عن العرب هل فعلوا فعلهم واتبعوا سنتهم
اجاب بان عملهم في تحليل النسأة لم يعم الاشهر الحرم وتحريم بعض اشهر الحل والزيادة في عدد اشهر السنة
لعلهم سوا ولما امر بقتال المشركين كافة وحثهم على التقوى وكان بعضهم قد توانى في ذلك اشد اتصال الحال بالمعاتبة على التثاقل
عن النفر فلما تم ذلك في هذا الاسلوب البديع والطراز الرفيع حث على نصر الرسول الذي ارسله ليظهره على الدين كله فقال
جوابا للشرط فقد اي ان لم تجددوا منكم له نصرا فان الله قادر على نصره وسينصره ويغنيه عنكم ولا تضرون الا انفسكم فقد
نصره الله اي الملك الاعظم وحده والامر في غاية الشدة ولا شك عند عاقل ان المستقبل عنده كالماضي اذ اي حين اخرجه
الذين كفروا وعبر بالماضي لان منهم من اسلم بعد ذلك فقال الذين كفروا اي من مكة وهم في غاية التمالؤ عليه حين تشاوروا في قتله
او اخراجه او اثباته فكان ذلك سببا لاذن الله له في الخروج من بينهم حال كونه ثاني اثنين اي احدهما ابو بكر رضي الله
عنه ولا ثالث لهما ينصرهما الا الله اذ هما في الغار اي غار ثور الذي في اعلا الجبل المواجه للركن اليماني باسفل مكة
على مسيرة ساعة منها لما كمنا به ثلاث ليال ليفتر عنهما الطلب وذلك قبل ان يصلا الى المدينة او يلوذا في النصر بكم اذ
يقول اي الرسول صلى الله عليه وسلم لصاحبه اي ابي بكر الصديق رضي الله عنه وثوقا بربه غير منزعج من شيء لا تحزن
والحزن هم غليظ متوجع يرق له القلب حزنه واحزنه بمعنى وقال في القاموس او احزنه جعله حزينا وحزنه جعل
فيه حزنا ثم علل نهيه لصاحبه بقوله مشيرا بالاسم الاعظم مستحضرا لجميع ما جمعه من الاسماء الحسنى والصفات العليا
التي تخضع دونها صلاب الرقاب وتندك لعظمتها شوامخ الجبال الصلاب ان الله اي الذي له الامر كله معنا اي
بالقوة والنصرة وهو كاف لكل مهم قوي على دفع كل ملم فالذي تولى نصره بالحراسة في ذلك الزمان كان قادرا على ان يامر
الجنود التي ابرم بها ان تهلك الكفار في كل موطن من غير ان يكون لكم في ذلك الزمان باسمائه الحسنى وصفاته
العلا هو على ذلك في هذا الزمان وكل زمان فتبين كالشمس ان النفع في ذلك انما هو خاص بكم وانه سبحانه ما دبر هذا
كله على هذا المنوال الا لعودكم وفي هذه الاية من التنويه بمقدار الصديق وتقدمه وسابقته في الاسلام وعلو
منصبه وفخامة امره ما لا يعلمه الا الذي اعطاه اياه قال ابو حيان وغيره قال العلماء من انكر صحبة ابي بكر رضي الله عنه
فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة ولما كان رضي الله عنه نافذ البصيرة في المعارف … راسخ القدم
في ذلك المقام ولذلك لم يسلفهم في اول ذلك الامر في عبادة جميع العباد بخلع الانداد ثم تدرب فيه مترقيا ثلاث عشرة
سنة وكان الذي به من القلق انما هو الخوف من ان يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم اذى يتداركه من الحزن لذلك
ما يهلكه … وظهور الدين وقمع المعتدين ولم يكن حزنا ولا سوء ظن لما كان في ذلك لذلك كان رضي الله
عنه حقيقا بحصول السكينة له عند سماع الاسم الشريف الاعظم الدال على ذلك المقام المذكور تلك العظمة التي يتلاشى سل
عندها كل عظيم ويتصاغر في جنبها كل كبير ولذلك ذكر هذا الاسم الاعظم وقدم واشرك الصديق في المعية وبدئ
بالنهي عن الحزن لانه المقصود بالذات وما بعده علة له واما بنو اسرائيل فلم يكن عندهم من المعرفة الا ما شاهدوه
من احسانه تعالى الى موسى عليه السلام باظهار تلك الايات على يده حتى استنقذهم فلما كانوا اتبعه ومنع موسى عليه
السلام مع وحدته من سطوات فرعون على عظمته وما كان يواجهه به من المكروه فلما راوا الجموع مقبلة كان حالهم
مقتضيا للسؤال عن ذلك الحس باظهار تلك الايات هل هو مع موسى عليه السلام على ما كان عليه فيمنعهم ام لا فلذلك قدم
انكار الادراك ثم اثبات المعية على سبيل الخصوص بربه وعبر عن الاله بالاسم الرب الدال على ذلك الاحسان المذكور به
فقال كلا ان معي ربي فكانه قيل ماذا يفعل فالبحر امامنا والعدو وراءنا فقال سيهدين اي الى ما افعل ليعرف
ذلك من كان متضلعا بالسير وقصص بني اسرائيل على ما ذكرته في الاعراف عن التوراة … الصديق رضي
الله عنه كان في صعودهما الى الغار يذكر الرصد فيتقدم النبي صلى الله عليه وسلم ليفديه بنفسه ثم يذكر الطلب فيتاخر
ثم يذكر اليمين والشمال فينتقل اليهما ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم ان اقتل انا فانا رجل واحد وان قتلت انت هلكت
الامة وان كان عارفا بان الله تعالى تكفل باظهار الدين على يد رسوله صلى الله عليه وسلم المقتضي لحراسة نفسه الشريفة
قبل ذلك وكذلك كان به هذا اليوم من القلق ما ذكر وكان عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اثبت الناس ولذلك انى

بالغا المعقبة في قوله فانزل الله اي الملك الاعظم سكينته اي السكون المبالغ فيه الموثر للسكينة عليه اي الصديق رضي الله
عنه كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما لان السكينة لم تفارق النبي صلى الله عليه وسلم ثم عطف على نصره الله قوله وايده
اي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف الضمائر هنا لا يضر لانه غير مشتبه بجنود لم تروها اي الملائكة الكرام وجعل كلمة
اي دعوة الذين كفروا اي وقعوا الكفر من اين منهم بعد ذلك وغيره السفلى فخيب سعيهم ورد كيدهم ابتدا الاخبار بما له
سبحانه على الدوام من غير انقطاع اصلا في وقت من الاوقات فقال وكلمة الله اي الذي له الاحاطة الكاملة بكل شي
ونصبها يعقوب عطفا على ما سبق هي العليا اي وحدها لا يكون الا ما يشاء وهي دايما ابدا فان الله قادر على ذلك والله
اي المحيط بكل شي قدرة وعلما عزيز اي مطلقا يغلب كل شي من ذلك وغيره لا يمكن ان ينقص شي من مراده لما ينصب
من الاسباب التي لا مطمع لاحد في مقاومتها فلا محيص عن نفوذها ولما بلغت هذه المواعظ من القلوب الواعية
بلغا هيا هابه للتسول اتبل عليها سبحانه بالامر فقال انفروا خفافا وثقالا والمراد بالخفة كل ما يكون سببا له
لسهولة الجهاد ولم يكن بصعوبة واما من لا يمكنه كالاعمى ونحوه فخارج عن هذا انتهى قال البغوي قال الزهري
خرج سعيد بن المسيب رحمه الله الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله
الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وروى ابو يعلى الموصلي في مسنده بسند
صحيح عن انس ان ابا طلحة رضي الله عنه قرا سورة براة فاتى على هذه الاية فقال الا ارى ربي يستنفرني شابا وشيخا
جهزوني فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها الا بعد سبعة ايام وجاهدوا اي اوقعوا جهدكم ليقع جهد
الكفار ولما كانت هذه الاية في سياق المعاتبة لمن تثاقل الى الارض عن الجهاد عند الاستنفار في غزوة
تبوك وكان سبب التثاقل ما كان في ذلك الوقت من العسرة في المال والشدة بالحر وما كان من طيب الظلال
في اراضي الجنان ووقت الاخذ في استوا الثمار كما هو مشهور في السير اقتضى المقام هنا تقديم المال
والنفس بخلاف ما مضى فان الكلام كان في المفاضلة بين الجهاد في سبيل الله وخدمة البيت ومن يحجه
في هذه السورة التي صادف وقت نزولها بعد مواطن الجهاد وطول المفارقة للاموال والاولاد وتقدم المال
لان النظر اليه من وجهين قلته وصحة الوجهين الاقامة في الحدائق اشارا للتمتع بها وخوفا من ضياعها
ان لها قوام الانفس فصار النظر اليها هو الحامل على الشح بالانفس فقال تعالى باموالكم وانفسكم اي كما
معا على ما امكنكم او باحدهما في سبيل الله اي الملك الاعلى حتى لا يبقى منه مانع ذلكم اي الامر العظيم خير اي
في نفسه حاصل لكم اي خاص بكم ويجوز ان يكون افعل تفضيل بمعنى ان لحظة عبادة المجاهد بالجهاد خير
من عبادة القاعد بغيره كائنا ما كان كما قال صلى الله عليه وسلم لمن ساله هل يمكن بلوغ درجة المجاهد
فقال هل تستطيع ان تقوم فلا تفتر وتصوم فلا تفطر وختم الاية بقوله ان كنتم تعلمون اشارة الى ان
هذا الامر وان كان عاما فانما ينتفع به ذو الاذهان الصافية والمعالم الوافية فان العلم ولا يعد
علما الا النافع يحث على العمل وعلى احسانه باخلاص النية وتصحيح المقاصد وتقوية العزم وغير ذلك
ومده نور صدره ولما كان هذا العتاب مؤذنا فهم من تقاعد عن الجهاد اشتغالا بنحو الاموال
والاولاد وكان ما اشتملت عليه هذه الايات من الاوامر والزواجر والمواعظ جديرا بان يخفف كل
متثاقل وينشط كل متكاسل تشوفت النفوس الى ما اتفق بعد ذلك فاعلم سبحانه في اساليب البلاغة
المخبرة عن احوال القاعدين وان ميسر الحامدين المفهمة هناك من غلب عليه الشقا فلم ينتفع بالمو
فالتفت من لطف الاشارة الى نكتة المتثاقلين باسلوب الاعراض المؤذن بالغضب المحقق للسخط
المبين لفضاحتهم المعتبر لقبايحهم المخرج لهم مما دخلوا فيه من عموم الدعا باسم الايمان فقال لو كان
اي ما تدعون اليه عرضا اي متاعا دنيويا قريبا اي سهل التناول وسفرا قاصدا اي وسطا عدلا مقاربا
لاتبعوك اي لاجل رجا العرض مع سهولة السفر لان همتهم قاصرة منوطة بالحاضر ولكن اي لم يتبعوك
تثاقلا الى الارض ورضا بالفاني الحاضر من الباقي الغايب لانها بعدت عليهم الشقة اي المسافة التي تطوى
بردع الادهل بالمسير فتحصل فيها الكلال والمشقة فلم يوالوا بما يحصل لهم بها من التعب مما يرجونه من العوض
فاستاذنوك وفي هذا اشارة الى ذمهم بسفول الهمم ودناة الشيم بالعجز والكسل والنهم والثقل والى
ان هذا الدين متين لا يحمله الا صافي الهمم صادق العزم اذا هم القى بين عينيه عزمه واعرض عن ذكر العواقب
جانبا فلله در اولي العزائم والصبر على الشدايد والمكارم ولما ذمهم بالشح بالدنيا اتبعه وصمهم بالسماح بالدين
فقال مخبرا عما سيكون منهم علما من اعلام النبوة وسيحلفون اي المتخلفون اخبارا متحققا لا خلف فيه بالله
اي الذي له العظمة كلها سندرجو علمه اليهم جميعا الى ما انتهكوا من حرمتك بالتخلف عنك لا نتهاك حرمة الله
بالكذب قايلين والله لو استطعنا اي الخروج الى ما دعوتنا اليه لخرجنا معكم حالفين حال كونهم يهلكون

انفسهم اي بهذا الحلف الذي يرون به حياتهم لانهم لم يزالوا انه فانتهكوا حرمة اسم الله والله اي والحال ان
الملك الاعظم المحيط قدرة وعلما سبحانه يعلم انهم لكاذبون فقد جمعوا بين اهلاك انفسهم والفضيحة
عند الله بعلمه في كذبهم في انهم غير مستطيعين وجزا الكاذب في مثل ذلك الغضب المؤبد الموجب للعذاب الدايم المخلد
ولما بكتهم على وجه الاعراض لا بل التخلف والحلف عليه كاذبا اقبل اليه صلى الله عليه وسلم بالعتاب في الاذن للخطاب
على الاسترسال في اللين لهم والاستئلاف واخذ العفو وترك الخلاف الى هذا الحد فقال مؤذنا بانهم ما تخلفوا
الا باذنه صلى الله عليه وسلم لا عذارا دعوها كاذبين فيها كما كذبوا في الحلف معبرا بالدعا على العتاب لعظمة الاعتنا
بشانه والتلطف به صلى الله عليه وسلم عفا الله اي ذو الجلال والاكرام عنك وهذا كما كانت عادة العرب في
مخاطبتهم لاكابرهم بان يقولوا اصلح الله الامير والملك ونحو ذلك ولما كان من المعلوم انه لا يأذن الا لما يرى انه يرضي
الله من يالفهم ونحوه بين انه سبحانه يرضى منه ترك الاذن فقال كناية عن ذلك لم اذنت لهم اي في التخلف عنك تمسكا
بما تقدم من الامر باللين لهم والصفح عنهم فوافقا لما جبلت عليه من محبة الرفق وهذا انما كان في اول الامر لخوف
التنازع والفتنة واما الان فقد علا الدين ومكن الله المؤمنين والمامور به الاغلاظ على المنافقين فهلا تركت
الاذن لهم حتى يتبين لك اي غاية البيان الذين صدقوا اي في التزام الاوامر بما اتوا به من كلمة التوحيد وتعلم
الكاذبين اي فيما اظهروا من الايمان باللسان فانك لو لم تاذن لهم لقعد وا بلا اذن غير مراعين شيئا مما الزك
وانقوك عليه بالطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره قال ابو حيان وحتى غاية الاستفهام انتهى وذلك
لانه وان كان داخلا على فعل مثبت فمعناه النفي اي ما لك لم تحملهم على الغزو معك ليتحقق بذلك الحمل من يطيع
ومن يعصي فالحاصل ان الذي فعله صلى الله عليه وسلم حسن موافق لما امره الله به فانه لا ينطق عن الهوى بل عن امر الله
اما باتباع واصل صريح او استناد الى وحي سابق حاصل عنده والذي اشار اليه سبحانه احسن فهو مثل ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك من باب حسنات الابرار سيات المقربين ومن باب الترقية من مقام عال الى مقام اعلى تشهير
بهم بالعدل لما انكشف انهم ليسوا اهلا للفضل فان الاستاذ ابو الحسن الحرالي في اخر كتاب العروة في تفاوت
وجه الخطاب فما من ما انزل على وفق الوعيد او انزل على حكم الكتاب علم ان الله سبحانه بعثه صلى الله عليه
وسلم بالرحمة لجميع العالمين وخلقه بالعفو والمعروف كما ورد في الكتب السابقة من قوله تعالى واجعل
العفو والمعروف خلقه وبذلك وصاه كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اوصاني ربي من غير ترجمان
ولا واسطة بسبع خصال بخشية الله في السر والعلانية وان اصل من قطعني واصفح عمن ظلمني
واعطي من حرمني وان يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة فكان فيما اوصاني به ربه تبارك
وتعالى من غير ترجمان ولا واسطة ان يصل من قطعه ويصفح عمن ظلمه والوصل لمن قطعه لا ينقطع له مما كونه
وصد عنه فكان هو صلى الله عليه وسلم بحكم ما بعث به وجبل عليه ووصي به ملتزما للعفو عمن ظلمه والوصل لمن
قطعه الا ان يعلم عليه بالاكراه على ترك ذلك والرجوع الى حق العدل والاقتصاص والانتصاف للمخالف لسعته وصيغته
الموافق لما نقل من احكام ستة الاولين ذلك والرجوع الى حق العدل في مواخذتهم بالحق والعدل للجامع شرعته
ليوجد فيها نحو مما تقدم من الحق والعدل وانتقل وليفضل شرعته بما اختص هو به صلى الله عليه وسلم من البعثة
لسعة الرحمة والفضل والله يأمر بالعدل والاحسان وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فمن القران ما انزل على الوصف
الذي بعث له وجبل عليه ووصي به نحو قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف
عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل وقوله تعالى فاصفح عنهم
وقل سلام واصل معناه في مضمون قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
فما كان من المنزل على هذا الوجه فقد ظهرت فيه الوصية والكتاب وتلاه هو صلى الله عليه وسلم جبلة
وحالا وعملا ولم يكن له عنه وقفة لتظاهر الامر وتوافق الحظا بين خطاب الوصية وخطاب الكتاب وهذا
الوجه من المنزل خاص بالقران العظيم الذي هو خاص به صلى الله عليه وسلم لم يؤته احد قبله ولقد اتيناك
سبعا من المثاني والقران العظيم ومن القران ما انزل على حكم العدل الحق المتقدم فضله في سنن
الاولين وكتب المتقدمين واستعمل الله سبحانه في المواخذين والاكتفا بوصل الواصل وابعاد المستغني
والاقبال على القاصد والاهتمام بالشارد وذلك خلاف ما جبل الله عليه نبيه وما وصى به حبيبه صلى
الله عليه وسلم فكان صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه اي من الكتاب على مقتضى الحق وامضا العدل
ترتب بتحققه وترجى تيسيره حتى يعلي عليه بالاكراه في اخذه والتزام حكمه فيقوم لله به ويظهر عذره
في امضايه فيكون له في خطاب التشديد عليه في اخذه اعظم مدح وابلغ ثنا من الله عنده بما توهمه الجاهلون فيما
انزل ابتنا عن مدحه بتوقفه على امضا حكم العدل والحق دعا تدارك الخلق واستعطاف الحق بما هو نحو قوله تعالى

فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا ونحو قوله تعالى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين ونحو قوله تعالى فلعلك تارك
فلم اتك لضيق صدرك بما يقولون ومما انزل على وجه الاعلان عليه مما هو عليه من الرحمة وتوقفه عن الاخذ بسيرا الا ولكن حتى يكره
عليه لنكون ليقوم عذره في الاقتصار على حكم الوسعة وحال الحسد فيما هو نحو قوله تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده
فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ونحو قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين
ونحو قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك الكتاب فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا
تكونن من الممترين اي لا تتوقف لطلب الرحمة لهم كما يتوقف الممتري في الشيء او الشاك فيه لما قد علم انه لا بد لامته من حط
من امضا كلمة العدل فيهم وحق كلمة العذاب عليهم واجرا بعضهم دون كلهم على سنة من تقدمهم من اهل الكتب الملامسة في الموا
بذنوبهم وانفاذ حكم السطوة فيهم فاخذهم الله بذنوبهم نكالا اخذا بذنبه ولم ينفعهم الرجوع عند مشاهدة الآيات الآن
وقد عصيت قبل لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم وذلك ان كل مطالع بالعذاب راجع ولا بد عن باطله حين
لا ينفعه وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا لما
ابطن تعالى في قلب نبيهم عليه السلام عزما على هلاكهم اظهر تعالى الرحمة عليهم ولما ملأ نبيهم صلى الله عليه وسلم رحمة لامته
كافرهم ومومنهم ومنافقهم اشار بالى من اظهار سوا فركهم واعلم بكف نبيه صلى الله عليه وسلم عن تالفهم واحتسبه لمومنهم
دون كافرهم ومنافقهم يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين وكل ذلك معلوم عنده صلى الله عليه وسلم قبل وقوع
مضمون قوله تعالى سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا سنة الله التي قد خلت من قبل فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل
كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يومنون به وقد خلت سنة الاولين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حين انزل عليه
فان كنت في شك مما انزلنا اليك ما انا فلا اشك ولا اسأل لانه قد علم جملة امر الله في ان منهم من تداركه امر الرحمة
ومن حق عليه كلمة العذاب ولكنه لا يزال يلتزم التالفهم واستحلابهم حتى نزه على ترك ذلك بمثل خطاب نحو قوله
تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك
الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره ونحو قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون
له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
اخذتم فيه عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم فهذه الآي ونحوها يسمعها
العالم موقعها على اكراه للنبي الرحمة حتى يرجع الى عدل الملحمة من جملة امداد القرآن له والشهادة له بوفاته بعهده وميثاقه
حتى تحقق له تسميته بنبي الرحمة ثباتا على الوصية ونبي الملحمة ايضا في وقت حكم الحق واظهار العدل فهو صلى الله عليه
وسلم بكل القرآن محمود وهو موصوف بالخلق العظيم جامعا لما تضمنته كتب الماضين وما اختصه الله به من سعة القرآن
العظيم فهذا وجه تفاوت ما بين الوصية والكتاب في محكم الخطاب والله سميع عليم انتهى ولما فاته صلى الله عليه وسلم معرفتهم
لهذا الطريق شرع العالم بما في الضماير يصفهم له بما يميزهم عن ذلك فقال على طريق الجواب للسؤال لا يستاذنك
لغاية الرغبة فيه الذين يومنون بالله اي يجددون الايمان كل وقت حقا من انفسهم بالملك الذي له صفات الكمال
واليوم الآخر اي الذي يكون فيه الجزاء بالثواب والعقاب ان اي في ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم بل يبادرون الى
الجهاد عند اشارتك اليه وبعثك عموما عليه فضلا عن ان يستاذنوك في التخلف عنه فان الخلص من
المهاجرين والانصار كانوا يقولون لا نستاذنه صلى الله عليه وسلم ابدا في الجهاد فان ربنا ندبنا اليه مرة بعد مرة
فاي فائدة في الاستيذان ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا وكانوا بحيث لو امرهم صلى الله عليه وسلم بالقعود شق عليهم
كما وقع لعلي رضي الله عنه في غزوة تبوك حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون
من موسى ولما كان التقدير فمن اتصف بذلك فاعلم انه متق باخبار الله عطف عليه قوله والله اي الذي له الاحاطة الكاملة
عليم بالمتقين اي الذين يخافون الله كلهم ولما اخبر بالمتقين عرف لغيرهم على وجه الحصر تاكيدا لتحقيق صفة العلم بما
اخبر به سبحانه انه فصل الاستيذان منفيا عن المومنين مرتين ثبت للمنافقين على ابلغ وجه انما يستاذنك
اي في مثل ذلك فكيف بالاستيذان بالتخلف الذين لا يومنون اي يجددون لهم ايمانا بالله اي الملك الاعلى الذي له نهاية
العظمة ايمانا مستجمعا للشرايط واليوم الآخر لانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا وان ادعوا ذلك بالسنتهم
ولما كانت هذه صفة المصارحين بالكفر بين ان المراد المنافقون بقوله وارتابت قلوبهم اي تابعت الوساوس
وتعدت الشيء فيها حتى تحلقت بالشك ولما كان الشاك لا يزال يجاذبه حسن الفطرة وسوء الوسوسة قال فهم اي فتسبب
عن ذلك انهم في ريبهم يترددون بين النفي والاثبات وان الخبر لا يجزمون بشيء منها وان صدقوا ان الله موجود فان
المشركين يصدقون بذلك ولكنه لا ينفعهم الاخلال بشرطه وليس استيذانهم في ان يجاهدوا او الارادة الجهاد بل يوطئنه
لان يقولوا اذا امرهم به انه لا عدة لنا في هذا الوقت فاذن لنا في التخلف حتى نستعد وقد كذبوا ما ذلك بهم انما
بهم انهم لا يريدون الخروج معك ولو ارادوا الخروج لاعدوا له اي قبل حلوله عدة اي قوة واهبة فيكونون

من المتاع والسلاح والكراع بحيث يكونون متصفين بما قدمت اليهم من التحريض على نحو ما وقع الامر به في الانفال فتكونون كالجازمين
في صلب الحرب لو اتفق في الصف قد استعدوا لها الجمع عدتها ولكن لم يريدوا ذلك قط فلم يعدوا له عدة فلما امرت كلهم شرعوا
يعتلون بعدم العدة وما ذلك بهم انما لغيتهم كراهتهم للخروج وذلك بسبب ان كره الله اي ذو الجلال والجمال ما نشل لفعل
الكاره فلم يرد انبعاثهم اي سيرهم معك مطاوعة لامرك بذلك لما علم من عدم صلاحيتهم له فثبطهم اي حبسهم عنه
حبسا عظيما بما شغلهم بما حبب اليهم من الشهوات وكره اليهم من ارتكاب المشقات بسبب انهم لا يرجون ثوابا ولا يخشون
غير السيف عقابا فقصروا هممهم الدنية على الصفات البهيمية فلما استولت عليهم الشهوات وملكتهم الانفس الدنيات
نودوا من قبلها الى اين تخرجون وقيل اي لهم لما اسرعوا الاتباع اليها اقعدوا اي عن جند لا تصحبوهم وفي قوله
مع القاعدين اي الذين شانهم ذلك كالمرضى والزمنى والصبيان والنساء من التبكيت ما لا يعلم مقداره الا اولو الهمم
العلية والانفس الابية وعبر بالمجهول اشارة الى انهم يطيعون الامر بالقعود حقيقة ومجازا كائنا من كان كما انهم
يعصون الامر بالنفر كائنا من كان لان انفسهم قابلة للدنايا غير قابلة للمزايا بوجه ولما كان كانه قيل ما له ثبطهم وقد
كنا قاصدين سفرا بعيدا وعدوا كثيرا شديدا فنحن نحتاج الى الاسعاد ولو بتكثير السواد قيل لو اي فعل بهم ذلك
لانهم لو خرجوا فيكم اي وان كانوا قليلا معدودين بجماعاتكم ما زادوكم اي بخروجهم شيئا من الاشيا الا خبالا اي ما
اتوكم بشي زايد على ما عندكم من الاشيا غير الخبال والاستثنا مفرغ والمستثنى منه المقدر الثابت لهم للاتصاف
به هو الشي وذلك لا يقتضي اتصاف احد منهم بالخبال قبل خروج المنافقين والخبال الفساد وهو ينظر الى الخذاع ولا
على غيره يبغونكم اي اوقعوا الايضاع حذف المفعول اشارة الى ان مرادهم الايضاع نفسه لا بقيد دابة وعبر بالا
لانه للراكب وهو اسرع من الماشي الفتنة اي لاسرعوا في السير ذهابا وايابا بينكم في تتبع عوراتكم وانتظار
زلاتكم ليجدوا بينها مدخلا الى الفساد بالنميمة وغيرها ان لم يجدوها والايضاع في السير يكون برفق ويكون
باسراع والمراد به هنا الاسراع ومادة وضع بجميع تراكيبها تدور على الحركة وتارة يكون الى علو وتارة سفول
ويلزم ذلك السكون والمحل القابل لذلك وعلى ذلك الايتمشي الحضو والعوض عوض الذي هو بمعنى الدهر وضوع الريح
والتصويت بالبكا والضعة الشجرة في البادية والوضيع للطرح في مكان والشبه اللين والشرايع والخلال جمع خلل
وهو الفرجة يبغونكم اي حال كونهم يريدون لكم الفتنة اي بتشتيت الشمل وتفريق الاصحاب وتقدم عند
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة انها الخلطة المميلة المحيلة اي يريدون لكم الشي الذي يصبكم فيغير حالتكم الى ما
يسوءكم فيسرهم وفيكم اي والحال انه فيكم سماعون لهم اي في غاية القبول لكلامهم لضعف نفاقهم وارائكم وربما
كان سماعهم منهم مؤديا الى مطلوبهم والله اي الذي اخبركم بهذا من حالهم وله الاحاطة بكل شي عليم فثقوا باخبار
خباره هكذا كان الاصل وانما قال بالظالمين اشارة الى الوصف الذي وجب لهم الشقا منعهم عن موطن الخير وتعميما للحكم
بالعلم كلهم ولمن يسمع لهم وبكل ظالم والحاصل انه شبه سعيهم فيهم بالفساد بمن يوقع بغيره في ارض فيها اجرام
شاخصة متقاربة فهو في غاية الالتفات الى معرفة ما فيها من الفرج والتامل لكل حذرا من ان يصيبه شي من
تلك الاجرام فيسقيه كاس الحمام فلا يسعل لهم الا بغتة فسادكم بعدم وصولكم الى شي من مرادكم ولما اخبر سبحانه
وحث على قبول اخباره بما وصف ذاته الاقدس من احاطة العلم شرع يقيم الدليل على ما كان ستذكيرهم باشيا
تقدمت مشاهد نفاقهم فقال معللا لما اخبر به لقد ابتغوا الفتنة اي طلبوا طلبا عظيما كلهم لكم الفتنة اي لتشتيتكم
من قبل اي قبل هذه الغزوة في يوم احد بكسر قلوب العسكر بالرجوع عنه حتى كان بعضهم ان يفشل وفي المريسيع
بما قال ابن ابي لنخرجن الاعز منها الاذل وفي غزوة الخندق بما وقع منهم من التكذيب في اخذ كنوز كسرى وقيصر
والارجاف بكم في نقض بني قريظة وغير ذلك كما صنعوا قبله في غزوة بني قينقاع والنضير في قصدهم بقوته
كل منهم عليكم وفي غير ذلك من ايام الله التي عكس فيها قصودهم وانفس جدودهم وقلبوا اي تقليبا كثيرا
لك الامور اي الدنيئة اي في ظهر البطن باحالة الارا وتدبير المكايد والحيل لعلهم يجدون فرصة في بعض
امرك ينتهزونها ولم يزالوا كذلك في حال يوسعونها وامتد بهم الحال في هذا المجال حتى جاء الحق اي الثابت الذي لا مرام
في مزاولته مما تقدم به وعده سبحانه من اظهار الدين وقمع المفسدين وظهر امر الله اي المتصف بجميع صفات الكمال
من الجلال والجمال حتى لا مطمع لهم في ستره وهم كارهون اي لجميع ذلك فلم يبق لهم مطمع في نجاح وله بمواجهة
ولا مخايلة فصار همهم الان الاعتزال والمبالغة في اخفاء الاحوال وستر الافعال والاقوال ولما اعلم في هذا الحكم
وكان قد اشار الى ان منهم من كان قد استاذن في الخروج توطية للاعتذار فيه شرع يفضلهم وبدا بالمفضلين بمن
صرح بالاستيذان في القعود فقال عاطفا على لقد ابتغوا ومنهم من يقول اي في جملته بتجديد هذا القول
من غير احتشام ائذن لي اي في التخلف عنك ولا تفتني اي تكن سببا في فتنتي بالجزم بالامر بالسفر فانتز انما
بان اتخلف فاكون مصادما بالمعصية او اسافر فاميل الى نساء بني الاصفر فارتدع عن الدين فانه لا اصبر عن النساء وقال

وقابل هذا هو الحذر بن قيس كان من الانصار منافقا ولما اظهروا انهم قصدوا البعد من شي فاذا هم قد ارتكبوا ادنيه
انتهزت فرصة الاخبار فرضه بذلك على ابلغ وجه بادخال الفاء على ان لتحصل الثبوت الاكيد باثر المسؤل فقيل
الا في الفتنة سقطوا اى بما قالوا او فعلوا فصارت ظرفا لهم فوضعوا انفسهم بذلك في جهنم وفي التعبير بالسقوط
دلالة على انتشابهم في ادراك الفتنة انتشابا سريعا بقوة ولعسر خلاصهم معه وان جهنم لمحيطة اى بسبب احاطة
الفتنة التى اسقطوا انفسهم فيها بهم وانما قال بالكافرين تعميما وتعليقا على الوصف الذى حملهم على الوصف الذى
حملهم على ذلك ولما كان قيل كانه قيل ما الفتنة التى سقطت فيها فاحاطت بهم جهنم بسببها قيل ان اى هى
كونهم ان وجدوا ان يكون علة لاحاطة جهنم بهم وكانهم لاصل انهم من الاوس والخزرج فالانصار اقاربهم خصوا
النبى صلى الله عليه وسلم بالعداوة وشدة الحنق وكذا انضا كان لا يسوءهم ويسرهم من الحسنة والسيئة الا ما له
وقع مما اذن به التعبير بالاصابة دون المس لاما دونه حفظا لقلوب اقاربهم ودعيا الاسرار نسابتهم فقال
اشارة الى ذلك ان تصبك اى تتعمد براسه حسنة اى بنصر وغيره تسؤهم اى لما في قلوبهم من الضغن والمرض وان
تصبك مصيبة اى نكبة وان صغرت كما وقع يوم احد يقولوا اى سرورا وتبجحا بحسن ارائهم قد اخذنا امرنا اى
عصمنا الذى امرنا ولم نسلم قياده لاحد فيكون كالامعة لان الامر الحادثة وهذا النهى ومنه الامير ورجل امر
وامرة بتشديد الميم المفتوحة بكسر الهمزة وفتحها ضعيف الراى يوافق كل احد على ما يريد من امره كله وهو الامعة
وزنا ومعنى من قبل اى قبل ان يكون هذه المصيبة فلم يكن موتمرين بامره فيصيبنا ما اصاب من تبعه فكان امرهم لو كانوا
مطيعين كان شيا متحققا بعد الامر فلما عصوه كانوا كانهم قد اخذوه منه ولما كان قولهم هذا بعيدا عن الاستقامة
فكان جديرا بان لا يقال وان قيل كان حقيقا بان يستقال بالمبادرة الى الرجوع عنه والاستغفار منه اشار تعالى
الى تماديهم فيه فقال ويتولوا اى عن مقامهم هذا الذى قالوا فيه ذلك وان طال الى اهاليهم وهم فرحون اى بمصيبتكم
لكفرهم وخلاصهم منها ولما كان قولهم هذا مستفهما لتوهمهم القدرة على الاحتراس من القدر قال تعالى معلما لجواب
مخاطبا للراس لعلو المقام قل اى انا نحن لا نقول مقالتكم لمعرفتنا بانا لا نملك ضرا ولا نفعا بل نقول لن يصيبنا اى من الخير والشر
الا ما كتب اى قدر الله اى المحيط بكل شي قدرة وعلما ولما كان قضاء الله كله خيرا للمؤمن ان اصابته سرا شكر وان اصابته
ضر صبر عبر باللام فقال لنا اى لا نقدر على رده عنا الا هو سبحانه هو اى وحده مولانا اى القريب منا المتولى لـ
جميع امورنا الاقرب منا سواه فلو اراد لدفع عنا كل مصيبة لانها اقرب الينا بدون علمه وهو قادر ونحن نعلم ان له في ذلك
لطيف سر بسره سنصاله ونفائق اقبل لا نكاد ونحشى عن تحققها فوافق الابصار فنحن لا نتهمه في قضائه لانا قد توكلنا
عليه وفوضنا امورنا اليه والموكل لا يتهم الوكيل وعلى الله اى الملك الاعلى الاعلا لا غير فليتوكل المؤمنون اى كلهم توكلا عظيما
جازما لا معدل عنه فالفيصل بين المؤمن والكافر هو استسلام النفس الى الله وحده بلا اعتراض عليه يعلمها كيف شاء يحكم
فيها بما يريد ولما تضمن ذلك ان سراهم وضراهم لهم خير من حيث ان الرضا بالقضاء موجب لاقبال القاضي على المتقضى عليه
بالرافة والرحمة صرح بذلك في قوله قل هل تربصون اى تنتظرون انتظارا عظيما بنا الا احدى الحسنيين اى وهى ان
تصيب اعداينا فنحظى ونغنم ونواجر ويصيبونا بقتل او غيره فنوجر كلا الامرين جزاء اما السراء التى توافقونا على
حسنها فامرها واضح واما الضراء فموجبة لرضا الله عنا ومثوبة لنا بالصبر لها ورضانا بها اجلالا له وتسليما
لامره فهى حسنى كالتى لا سواى كما يتوهمون ونحن نتربص بكم اى ننتظر احدى السوايين وهى ان يصيبكم الله اى الذى
له جميع القدرة ونحن من حزبه بعذاب من عنده اى لا تسبب لنا فيه كما اهلك القرون الاولى بصاير للناس او بايدينا
او تسبيبا من قتل ونهب واسر وضرب وغير ذلك لان حذركم لا ينفعكم الله وكل ذلك مكروه عندكم ولما تسبب عن
هذا البيان ان السواى خاصة بحزب الشيطان حسن ان يومروا تفكيكا لهم بما اداهم الى ذلك تحسينا لنا ثانيهم
فقال فتربصوا اى انتم بنا انا اى نحن معكم متربصون اى بكم نفعل كما تفعلون والتقسيم مخالف لا انه من الاحتباك
حذف اولا الاصابة للدلالة عليها ثانيا واثبت ثانيا وثانيا احدى السوايين للدلالة عليها باثبات الحسنيين اولا
ولما كان من جملة ما يصيبهم منهم من العذاب الانفاق بتزكيته ما طهر من اموالهم وما الاعانة في سبيل الله خوفا من
القايهم بالنفاق في توالهم ليفيدوا انفسهم به من الشغر قال قل انفقوا اى اوجدوا الانفاق لكل ما يسمى
انفاقا طوعا او كرها اى مظهرين الطواعية او مظهرين الكراهة ولما كان الاعراض عنهم انما سببه كفرهم لا انفاقهم
لم يربط الجواب بالعامل قال لن يتقبل منكم اى نوع تقبل لشي يأتي من قبلكم اصلا من احد له ان يتقبل كائنا من شاء
من كان ولذلك البناء للمفعول لان قلوبكم كارهة ليست لها نية صالحة في الانفاق ولا في غيره فانقسام انفاقكم
الى طوع وكره انما هو باعتبار الظاهر وكانه عبر بالتقبل اشارة الى قبول له منهم ظاهرا ولما كان غير مقبول للمنا
على حال من الاحوال علله بقوله انكم كنتم قوما فاسقين اى عريقين في الفسق بالمعنى الكاعي انا
ولما علل بالفواقة في الخروج من الطاعة بينه في قوله وما منعهم ان تقبل ايا لمنا ولذا عبر بالمجرد وبناه للمفعو

للمفعول لان النافع المقبول في نفس الامر لا كونه من معين منهم نفقاتهم اى وان جلت الا انهم كفروا بالله اى الذى له جميع
صفات الكمال من الجلال والجمال لفساد جبلاتهم وسوء غرائزهم ولما كان قبول النفقات مسببا للطهارة التى توثر نفا
الصلاة كان السياق لعدم قبولها ليتسبب عنه النهى عن الصلاة عليهم ابلغ لانه ادل على الخبث فالكفرهم بزيادة الجبا
اشعارا بان الكفر بكل منهما على شاكلة مانع فقال وبرسوله اى فسقهم بانهم غير مومنين وهو السبب المانع لموزده من النبو
ثم تقدم في شاهد ما يظهرون من الايمان وهما الصلاة والزكاة وغيرهما من الانفاق من الخيرات بما هو لازم للكفر
ودال عليه فقال ولا ياتون الصلاة اى المفروضة وغيرها الا وهم كسالى اى في حال كسلهم لا ياتونها قط بنشاط ولا
ينفقون اى نفقة من واجب وغيره الا وهم كارهون اى في حال الكراهة وان ظهر لكم خلاف ذلك وذلك كله لعدم
النية الصالحة واعتقاد الاخرة وهذا الاتيان طوعا لان ذلك بحسب الرمز الظاهر وهذا بحسب الواقع ولما انتفى
عن اموالهم النفع الاخروى الذى هو الدوم تسبب عن ذلك الزهد فيها الموجب لعدم الالتفات اليها وعدم اعتقاد ان
فيها تركه ودلالة على خير فقال مبينا ما فيها من الفساد الذى يظن انه اصلاح فلا تعجبك فالسياق ابلغ من ساق
الاية بعد النهى عن الصلاة عليهم تعجبك اموالهم اى وان انفقوها في سبيل وجه واهل الغزاة فان ذلك عن غير اخلا
منهم ولا حسن نية ولا جميل طوية وانما هو لما لهم من عزة الاسلام واخافهم من سطوة الانتقام نفوس جملة العذاب
وعطف عليها الاولاد لمشاركتها في الملاذ والقوة والاستعمال في الجهاد فقال مولدا للنفي باعادة النافي ولا اولادهم
فكانه قيل فما يراد باعطائهم ذلك ولو منعوها واعطيها المخلصون لكانت قوة للدين فقال انما يريد الله اى بوقع الارادة لهم
بها الملك الذى له الاحاطة بجميع الحكمة كما ان له الاحاطة بتمام القدرة وابلغ في الحصر بادخال اللام في قوله ليعذبهم اى
لاجل ان يعذبهم بها في الحياة اى وان كانت يتراءى انها لذيذة لان ذلك من شان الحياة فانما هى لهم موت في الحقيقة الدنيا
اى تارة بجمعها وترتيبها وتارة ببذلها كرها في سبيل الله او في تزكيتها وتارة لغير ذلك وتزهق اى وانما يريد بتمسكهم منها
لاجل انه خرج وقت الموت بغاية الصعوبة انفسهم اى بسببها وهم اى والحال انهم كافرون اى عريقون في الكفر وهكذا
كل من اراد استدراجه سبحانه فانه في الغالب كثر اموالهم واولادهم لنحو هذا لانهم اذا ارادوا واذا بادكتهم تقاعل لبعض
المخلصين ظنوا ان ذلك انما هو لكرامتهم وحسن حالتهم فيستمرون عليها حتى يموتوا لفوسجانه لم يرد بها منحتهم بل فتنتهم
ومحنتهم واما الدين فان القادر يقويه لغير ذلك ليكون اظهر لدليله واوضح لسبله فالحاصل انه اظهر لهم الخير
اكرموا بها وخفي عنهم الغاسب لعذابهم في الحياة باتكالهم عليها وفي الممات بصعوبته عليهم المشار اليه بالزهوق وفي الاخرة
بسبب موتهم على حال الكفر باستدراجهم بها واما المؤمن فلا يموت حتى يرى من الثواب ما يسليه عن كل شي فيشتاق الى لقاء الله
ويخرج نفسه وهو في غاية المحبة لخروجها لان البدن عائق له عما يرى ولما وطن لهذه الامور مبانيهم للمؤمنين وخروجهم
من ربقة الدين الصحيح لوصفهم بالفسق ادخل لبسا آخر من احوالهم يتعمونه بالايمان الكاذبة فقال ويحلفون اى يطلبوا لكم الفتنة
والحال انهم يحدون كان الايمان بالله اى على ماله من تمام العظمة انهم اى المنافقين لمنكم ايها المؤمنون على اعتقادكم باطنا
كما هو ظاهر وما اى والحال انهم ما هم مصادقين في حلفهم انهم منكم ولكنهم قوم اى مع ان لهم قوة دنيا ما شديدا ما يلحاو
يفرقون اى يخافون منكم على دمائكم خوفا عظيما يفرق همومهم فهو الملجي لهم الى الحلف كذبا على التظاهر بالاسلام
فكانه قيل فما لهم يقيمون بيننا والمنقص لا يعاشر من يبغضه فقيل لانهم لا يجدون لهم الى الحلف ما يحميهم منكم لو
يجدون ملجا اى شيئا يلجئون اليه من حصن او جبل او قوم يمنعوكم منكم او مغارات في الجبال يسعهم جمع مغارة
مفعلة من غار في الشي اذا دخل فيه والغور ما انخفض من الارض ولما كانت الغيران وهى الثقوب في الجبال واسعة
والوصول اليها سهلا قال او مدخلا اى مكانا يدخلونه بغاية العسر والصعوبة لضيقه او لمانع في طريقه او قوما يدخلو
وان كانوا يكرهونهم لما ارشد اليه التشديد لولوا اليه اى لاشتدوا في التوجه اليه متولين مرتدين عنكم على اعقابهم
وهم يجمحون اى حالهم حال الدابة التى كانت مسرعة في طواعية راكبها فاذا هى قد نكصت على عقبها ثم اسرعت في غير مرادها
بغاية الاسراع ونهاية الرغبة والداعية لا يردها شي ونقع منه ولا مهلكة ولا شي ولما نزه حال من تخلف عن الجهاد و
بذل ماله فيه ابتدا كسوه شرع في ذكر من شاركه في النفاق وخالفه في الانفاق فقال ومنهم من يلمزك اى يعيبك
عند شياطينك على طريق الملازمة في تستر وخفا او تظاهر وقلة حيا في الصدقات اى التى يوتونها للاتباعك ولما اخبر
عن لمزه اخبر انه لحظ نفسه لا للدين فقال فان اعطوا منها رضوا اى عنك وان لم يعطوا منها فاجاوا بالسخط الذى
يتجدد في كل لحظة ولم يتخلفوا عنه اصلا وعبر عن ذلك بقوله اذا هم يسخطون فوافقوا الاولين في جعل الدنيا
همهم وخالفوا في ان اولئك انفقوا ليتبعوا التخلف وهولا طلبوا ليتبعوا بنفس المال الذى ياخذونه قيل الاية نزلت
في ذى الخويصرة لما قال للنبى صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنايم حنين اعدل يا محمد فانى لم ارك تعدل فقال النبى
صلى الله عليه وسلم ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل وسياتى حديثه ولما اخبر تعالى عن حالهم السي الدنى الذى لا يحدهم
في الدنيا ويهلكهم في الاخرة نبههم على ما هو الاصلح لهم من الحال الاشرف لسبى فقال ولو انهم اى المنافقين رضوا

ما آتاهم الله اى المنعم بجميع النعم لان له جميع الكمال ورسوله الذى عظمته من عظمته قل ذلك المالى او كثر حالا زمنا او قصر وقالوا
اى مع الرضا حسبنا الله اى كافينا لان له جميع العظمة فهو الغنى المطلق ولما كانت الكفاية تارة بالتنجيز العاجل وتارة بالوثوق
بالوعد الآجل بين ان الثانى هو المراد لانه ادل على الايمان فقال سيؤتينا الله الملك الاعظم بوعد لا خلف فيه ه
واعتقدوا ان لا حق عليه لاحد فقالوا من فضله ورسوله اى الذى لا يخالف امره ما قدر لنا فى الازل ثم علل ذلك
بقولهم انا الى الله اى المستجمع لصفات الكمال وحده راغبون اى عريقون فى الرغبة فلذلك يكفينا ما يأتى من قبله
كائنا ما كان اى لكان ذلك خيرا لهم لانه لا يأتيهم الا ما قسم سبحانه لهم شاءوا او أبوا ولما اخبر عن لمزهم فى الصدقات وقرر
ما هو خير لهم ارشادا لهم الى النجاة علل ذلك بتفضيل رسوله صلى الله عليه وسلم فيها وبين انه لا يفعل غيره
لانه الحق الذى لا يجوز فى شرعه الاكمل غيره لمزوا او تركوا او زهدوا او رغبوا فقال معبرا باداة القصر على كل
من ذكر انما الصدقات اى هذا الجنس بجميع ما صدق من زاده والظاهر انه قدم الاهم فالاهم فلذا قال الشافعى رضى الله
عنه ان الفقراء اشدهم حاجة لكونه ابتدأ به فقال للفقراء اى الذين لا شئ لهم او لهم شئ لا يقع موقعا من كفايتهم
والمساكين الذين لا كفاية لهم بدليل اما السفينة الاية واما مسكينا ذا متربة فتقييده على ان المطلق بخلافه
والعاملين عليها اى المؤتمنين فى السعاية والولاية على جمعها والمؤلفة قلوبهم اى ليسلموا او ليسلم بسببهم غيرهم
او يثبتوا على اسلامهم روى البخارى فى التفسير وغيره عن ابى سعيد رضى الله عنه قال بعث الى النبى صلى الله عليه
وسلم بقسمة بين اربعة وقال لأتألفهم فقال رجل ما عدلت فقال يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين وفى
رواية فاستأذنه رجل فى ضرب عنقه فقال لا دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاته الحديث
وفيه لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد ولا يقال ان العلة مقتضية لقتالهم لا للكف عنهم فانهم فانه عمل فى المقام
الحرم على ما تقرر انه ما من كرامة لنبى الا وله صلى الله عليه وسلم مثلها او اعلا منها بنفسه او باحد من امته ولما فرغ
من الاصناف الاربعة الذين يعطون الصدقة فى ايديهم يتصرفون فيها كيف شاءوا كما دل عليه التعبير باللام اتبعهم
من يعطى فى حاجة معينة لا يصرف ما يعطاه فى غيرها كما دل عليه التعبير بفى فقال وفى الرقاب اى فى المكاتبين بسبب فك
رقابهم من الرق والغارمين اى الذين استدانوا فى غير معصية بصرف ما يعطونه الى قضاء ديونهم فقط وفى اى
والمجاهدين فى سبيل الله اى الذى له الامر كله بالنفقة والحمل والاعانة بالسلاح وغير ذلك ونقل الثعالبى عن
بعض الفقهاء انه عمم السبيل فاجاز صرف الصدقة الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وعمارة المساجد ونحوها
وابن السبيل وهو المسافر المنقطع عن بلده يعطى ما يوصله اى ان رسولنا صلى الله عليه وسلم لم يفعل ما ادى الى لمزهم
له بسببه الا بامرنا فانا قد عينا له اهل الصدقات فهو لا يعدل عنهم لشئ من الاشياء لانه واقف عند ما يرضينا فان
كانوا منهم اعطاهم والا منعهم رضى من رضى وسخط من سخط وقد فرض ذلك وكائنه للفقراء حال كونها فريضة كائنة
من الله اى المحيط بكل شئ قدرة وعلما لعلمه بان فى ذلك اعظم صلاح وهذا كالزجر عن مخالفة الظاهر والله اى
الذى له جميع صفات الكمال عليم اى بالغ العلم بما يصلح الدين والدنيا ويؤلف بين قلوب المؤمنين حكيم اى فهو محكم
افعاله من الاحكام بحيث لا يقدر غيره على نقضها قال ابو حيان انما ان كانت وضعت للحصر فالحصر مستفاد من الاوصاف
اذ مناط الحكم بالوصف يقتضى التعليل به والتعليل بالشئ يقتضى الاقتصار عليه وحكمة الزكاة من جهة المال ان المال
محبوب لانه يحصل المحبوب والتمادى فى حبه الاعراض عن الله المعطى له فكان من الحكم تذكير المالك له بالمالك الحقيقى
فانه اوجب عليه اخراج طائفة منه ليكف ذلك انصباب النفس بالكلية اليه ويطهر النفس عن محبته له ويطهرها عن
محض الانفاق فى الشهوات ومن جهة الاخذ انه لما اجتمعت حاجته اليه وحاجة المالك ولو احتملا الا كان هناك سببان
للتسلط على المال احدهما اكتساب المالك له والثانى احتياج الاخذ اليه فروعى السببان بقدر الامكان ورجح المالك
بابقاء الكثير وصرف الى الاخذ اليسير واجرى الشافعى رحمه الله الاية على ظاهرها فقال ان اخرجها رب المال سقط سهم
العامل مع سهم المؤلفة وصرف الى الستة الاصناف وان قسم الامام فعلى سبعة ويجب ان يعطى من كل صنف ثلاثة
انفس ومن لم يوجد من الاصناف رد نصيبه على الباقين ويسوى بين الاصناف لا بين آحاد الاصناف وهو قول
عمر بن الخطاب وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وابى العالية وميمون بن مهران ولما بين الصنفين الشاكين
وختم امرهما بصفتى العلم والحكمة اتبعهما بصنف آخر يؤذى بما يجعله نقصا فى صفات الرسول صلى الله عليه وسلم
فيلزم الطعن فى علم مرسله وحكمته فقال ومنهم الذين يؤذون النبى اى الذى اعلا الله مقداره فهو
ينبئه بما يريد سبحانه من خفايا الاسرار ولما اخبر بمطلق الاذى الشامل للقول والفعل عطف على قوله
ويقولون هو اى من فرط سماعه لما يقال له اذن ومرادهم انه يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد كما سمى
الجاسوس عينا قال ابو حيان كان خذام بن خالد وعبيد بن هلال والجلاس بن سويد فى آخرين يؤذون رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه فيوقع بنا فقال الجلاس بل نقول ما شئنا فانما

محمد اذن سامعة ثم نأتيه فيصدقنا فنزلت ونقل عن ذلك يقال للرجل اذن اذا كان يسمع مقال كل احد يستوى فيه الواحد
والجمع انتهى ومرادهم انه صلى الله عليه وسلم لا يعرف مكر من يمكر به ولا خداع من يخادعه وكذبوا هو اعرف الناس بذلك
ولكنه يعرض عنه لمصالح لا يليق بمحاسن الدين لغيرها فنبيها لقوله تعالى قل اذن خير ثم بين ان نفع ذلك عائد اليكم بقوله
لكم ثم فسر ذلك بقوله يؤمن اى يوقع الايمان لا لاجل الذين يأتونه عن الله من التكذيب بان يصدقهم معترفا بالله اى
بسبب ما يجدونه عنه به حق الايمان لما له من كمال العلم بما له سبحانه من صفات الجلال والاكرام والحاصل ان فعل
الايمان فعل التصديق ثم صرف وانتزعت منه حال فثبتت مقامه ثم حذفت واتى بصلة تدل عليها كما قالوا فى قوله تعالى
ولتكبروا الله على ما هداكم ان التقدير حامدين على ما هداكم فالتقدير هنا يؤمن مصدقا بالله فقد حققته وهو
محبة وولايتهم وكذا اتبعه قوله ويؤمن للمؤمنين اى الراسخين يوقع الايمان لهم من التكذيب بان يصدقهم
كلما اخبروه بما يحتمل التصديق وذلك لاجل مصالحهم والتألف جنبهم مع ما ثبت من صدقهم فانه لو حملهم على عمله
وسبيل علمه قصد الكاذب عاتب الحاذر بجرد وتفهيمه لعريتهم عن ذلك غالبا لا فهام وتاهب بتنبيه اكثرا الا وهام
فنفرت القلوب ومنع من الاعلم الا فهام ولما كان التصديق يورد له على ما له من صفات الكمال المقتضى للامر والنهى
عند عدى بالباء وهنا لما كان التصديق انما هو فى الاخبار باى شئ كان عدى باللام واشير بقصر الفعل وهو متعد
الى المبالغة الى التصديق بحيث انه لا تصديق غيره ولما بين سبحانه ان تصديقه ظاهرا وباطنا انما هو للراسخين
فى الايمان بين ان تصديقه لغيرهم انما هو فى الظاهر فقال ورحمة اى وهو رحمة للذين آمنوا اى اظهروا الايمان
بالسنتهم منكم فهو والله اعلم اشارة الى المنافقين ومن فى حكمهم ممن حرم لسانه وقلبه متزلزل اى ان اظهار
تصديقهم بقبول ما اظهروه منهم وستر قبائح اسرارهم سبب للكف عن دمائهم واظهار المؤمنين لمقتهم وربما كان
ذلك سببا لصدق ايمانهم بما يرون من محاسن الايمان بتمادى الزمان ولا يستبعد كون التعبير بالماضى اشارة
الى المنافقين لا سيما بعد التعبير باسم الفاعل فقد قال الامام ابو الحسن الحرالى فى كتاب المفتاح ما نصه الباب
الرابع فى رتب البيان عن تطور الانسان بترقيه فى درج الايمان وترديه فى درك الكفران اعلم ان الله محيط
بكل شئ خلقا وامرا اولا واخرا ظاهرا وباطنا وهو حرمه وله علو فى ظهور امره وكثرة خلقه واحتجاب فى مقابل
ذلك من خلقه وامره بما ابداه من حكمته واسباب هداه وفتنته وذلك هو العلو هو المسمى والاحتجاب هو
ملكه وسننه اقامة كل خلق لما خلق له وتأييد كل امر من الامر لما انتم له وذلك هو رحمانيته ولكل متقن من خلقه
وامره رتق سابق ولكل تفاوت سواء وذلك هو رحمانيته ولكل اقرب فى مدد الحجاب اختصاص وذلك هو رحيميته
ولكل ابعد فى مدد الحجاب بطش منه شديد فى رده الى القرب ولكل نقمته ولكل من تنزلاته ظاهرا وباطنا امر
خاص ولكل امر وخلق بروز بيان القرآن لكل خلق بحسب كنه ذاته واختصاص مرتبته قربه ومحل بعده وان الله
سبحانه جعل آدم وذراه خليفة له فى جميع امره وتنصيبه له وانزل القرآن مبينا عن جملة ذلك فادرج الاحوال
لهذا المستخلف المحل الذى يسمى فيه بالانسان وهو حيث آنس بنفسه وغيره ونسى عهد ربه فيرد
لذلك نباؤه بالذم فى القرآن فقتل الانسان ما اكفره ان الانسان لفى خسر لربه لكنود ثم المحل الذى تداركه
فيه نسيه لسماع الزجر من ربه وهو له بمنزلة سن التمييز لابن سبع ولا يقع الا عن اجتماع وتزاور وذلك
هو اسم الناس فيه بالناس لنوسهم اى ترددهم بين سماع الزجر من ربهم وغلبة اهوائهم عليهم
فيرد لذلك الذنبا وهم بمذر اكثرهم فى القرآن ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولا يشكرون ثم المحل الذى يتحقق لهم
قبول وسماع وايمان الغالب الامر والخلق ولكنهم يتزلزلون فيه كثيرا عند كل عارضة نيل وخادعة
رفقه وكفوفهم بمنزلة سن المحتلم الذى قد ذاق طعم بدء لشطعه من باطنه للناجم العقل الناظر
فى حقائق المحسوسات وذلك هو السن الذى يسمون فيه الذين آمنوا وهو اول سن التلقى بلذ للجمع ه
آداب القرآن وتقلبه انما مورده اهل هذا السن كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول اذا سمعت الله
عز وجل يقول يا ايها الذين آمنوا فارعها سمعك فانه خير يأمر به او شر ينهى عنه وكما ان ما يخص
البالغ العاقل من الخطاب لا يدخل فيه الصبى المميز وما يخص المميز لا يدخل فيه البالغ كذلك خطاب
الذين آمنوا لم يصل اليه الناس بعد وخطاب الناس قد جاوزه الذين آمنوا لانهم قد انزجروا بما قبلت
قلوبهم عما ينزجر عنه الناس قد ائتمروا بما لم يأتمر به الناس وهذه الاسنان الخالية عند اولى الخطاب
وخاص خطابها اشد ظهورا من اسنان الانذار عند اصحاب الاعتبار وعدم التبصر لهذه المراتب فى
الاحوال والبيان عندهم اقفال القلوب المانعة عن تدبر القرآن ولذلك ما فوق سن الذين آمنوا والناس فى
مدد حد البعد ولذلك يخاطبون بحرف يا المرسلة للحد البعيد يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من
عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله ويفوق ذلك سن المؤمنين وادنى قربا ولذلك لم يرد فى القرآن فى خطابهم باليا البعد

وهذا السن بمنزلة الاكتهال وسن الشيب وتمام سنهم الموصوفون حقا ولذلك الى سن الحنين الى عيب سن الموقنين
الى ما وراء ذلك فان اسنان الجسم اسابيع واسنان القلب اسابيع يعرفها من تطور فيها وجهلها من ثبت
قلبه على الجهل وتطور سن جسمه الى الهرم تهرم ابن ادم ويشب معه اثنتان الحرص والامل فالحرص
فقره والملك الدنيا والامل همه وتعبه فمن لم يتحقق اسنان القلب وتفاوت خطابها لم ينفتح له الباب
الى فهم القران ومن لم يتضح له تنزلات الخطاب لم يبن له خطاب الله من خطاب الرحمن من خطاب
الملك الديان انتهى ولما بين ما لمن صدقه باطنا او ظاهرا من الرحمة بين ما على من كذب به فاذاه من النقمة
فقال والذين يؤذون رسول الله اى من هو ولا عنهم رسول الله اى الذى لظهوره هو الملك الاعلا شرفه
وعظمته بالجمع بين الوصفين واعلاه باضافته اليه وزاد في التعبير باسمه الاعظم الجامع وهو واسطة
بين الحق والخلق في اصلاح احوالهم وانما يستحق منهم الشكر والاكرام لا الاذى والايلام ولما اذاهم
سوء جزائهم من جنسه فقال لهم عذاب اليم ثم علل ذلك باستهانتهم بالله ورسوله واخبر انهم يحلفون
على دمائهم فيصلحون ظواهرهم حفظا لها بالايمان الكاذبة فقال يحلفون بالله اى الذى له تمام العظمة
لكم اى انهم ما اذوا النبي صلى الله عليه وسلم خصوصا ولا اذوكم بالمخالفة عموما وبين غاية مرادهم
بقوله ليرضوكم ولما كان الرسول عليه الصلاة والسلام ليس باذن بالمعنى الذى ارادوه بين انه لم يكن
راضيا بايمانهم لعدم وقوع صدق تام في قلبه ولكنه اظهر تصديقهم لما تقدم من الاصلاح فقال
والله اى الذى له الامر كله ولا امر لاحد معه ورسوله اى الذى هو اعلا خلقه وبلغ النهاية في تعظيمه بتوحيد
الضمير الدال على وحدة الراضي لان كل ما يرضي احدهما يرضي الاخر فقال احق ان اى بان يرضوه ولما كان
مناط الارضا الطاعة ومدار الطاعة الايمان قال معبرا بما لوصفه انه بحرزه ان كانوا مؤمنين اى فهم
يعلمون انه احق بالارضا فيجتهدون فيه وذلك اشارة الى انهم ان جددوا ارضاه كل وقت كان دليلا على
ايمانهم وان خالفوه كان قاطعا على كفرانهم ولما اقام الدليل على ذلك في استفهام انكار وتوبيخ انهم مبينا
انهم فروا من خزي منقطع فسقطوا في خزي دائم والخزي استحيا في هوان فقال الم يعلموا اى الم يعلم من
الذين بالضرورة ولما كان ذكر التي بينها ثم مفسرا افخم مضمرا للشان فقال انه اى الشان العظيم من يحادد الله
اى الملك الاعظم ويظهر المحادة بما اشار اليه الفك ورسوله اى الذى عظمته من عظمته بان يفعل معهما فعل
من يخاصم في حد ارض فيريد ان يغلب على صاحبه ويلزمه ان يكون في حد غير حده فان له نار جهنم اى تكونها
جزاء له على ذلك الحق لا ريب فيه خالدا فيها اى دائما من غير انقضا لما كانت نيته المحادة ابدا ثم نبه على
عظمة هذا الجزا بقوله ذلك اى الامر البعيد الوصف العظيم الشان الخزي العظيم ولما علل فعل المستهزئين
اتبعه تعليل ما صنعت لخشيتهم نفاقا بما عندهم مما يقارب التصديق فقال يحذر المنافقون وعبر بالوصف
الدال على الرسوخ تحذيرا لهم من ادنى النفاق فانه يجر الى اعلاه ان تنزل ولما كانت السورة الفاضحة لهم داهية
ونائبة من نوائب الدهر وشدائده عدى الفعل بعلى فقال عليهم سورة اى قطعة من القران شديدة الانتظام
تنبئهم اى تخبرهم اخبارا عظيما مستقصى بما في قلوبهم لم يظهروا عليهم احدا من غيرهم او احدا ما لعل
ولعل هذا الصنف كانوا يسلفون الايمان لعلها تشكك بعض الناس او تخفف عنهم اذا انزل ما يفضحهم روى
انهم كانوا يقولون ما يؤذي ويدل على النفاق ويقولون عسى الله ان لا يفشي علينا سرنا وقال بعضهم بعد كلام
قالوه والله اني لاراني شر خلق الله ولوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وانه لا ينزل فينا شيء يفضحنا ولما
كان حذرهم مع العمل بما ينافيه من كلام النفاق فعل المستهزئ قال مهددا قل استهزءوا اى افعلوا فعل
المستهزئ بغاية الرغبة ان الله اى المحيط بكمال العلم وتمام القدرة مخرج اى ثابت له وصف اخراج
ما تحذرون اى اخراجه من نبا بحكم وعن الحسن كان المسلمون يسمون هذه السورة الحفارة حفرت ما في قلوب
المنافقين واظهرته ولما وصفهم بالنفاق حققه بعدم ثباتهم دركهم الى المتوبة التي هي فعل المؤمنين واخبرهم
على الانكار مع كون ذلك ابلغ لهم من مبلغ الاية في الجلال والوقار وقال فقال ولئن سالتهم اى وانت من تحب ان
يصدق مسؤله عما اخرجت السورة مما اظهروا بينهم من الكفر وذلك حين قال بعضهم انظروا الى هذا
الرجل يظن انه يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاعلم الله تعالى فقال احبسوا على الركب ليقولن
ليقولن انما اى ما كنا فيما بين ذلك الا نخوض اى نتحدث على غير نظام ونلعب اى بما لا حرج علينا فيه ونحل عقدنا
ثقل الطريق فكانه قيل فماذا يقال لهم اذا حلفوا على ذلك الحلف العادة فقال قل اى لهم تقريرا على استهزائهم
متوعدا لهم معرضا عما اعتذروا اعلاما بانه غير اهل لان يسمع حلفا لهم كانهم معترفون بالاستهزاء حتى جعل
المستهزئ به على حرف لتقريره وذلك لانما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته تكذيبا لهم في قولهم انه اذن

اذن بالمعنى الذى ارادوه وسانا لما اظهاره بقصد بعثهم من الرفق كانه ابالله اى وهو المحيط بصفات الكمال
واياته اى التي لا يمكن تبديلها ولا يخفى على ذى بصر ولا بصيرة ورسوله اى الذى عظمته من عظمته وهو مجتهد في
١ اصلاحكم وتشريفكم واعلائكم كنتم اى دايما تستهزءون ولما حقق استهزاءهم انتج قوله لا تعتذروا اى لا تبالغوا
في اثبات العذر وهو ما ينفي الملام فان ذلك لا ينفعكم وان اجتهدتم فيه لان القطع حاصل بانكم قد كفرتم اى
بقولكم هذا ودل على ان كفرهم احبط ما كان لهم من عمل بنزع الخافض تشديدا على من تاب منهم تخويفا له
وتخفيفا لحال من امره فقال بعد ايمانكم اى الذى ادعيتموه بالسنتكم صدقا من بعضكم ونفاقا من غيره
ولما كان الحال مقتضيا لبيان ما صاروا اليه بعد اكفارهم من توبتهم او اصرارهم بين انهم قسمان مطبوع
على قلبه ومقتضي توبته وحبه وهذا الاشرف هو المراد بقوله بانيا للمفعول اعلاما بان المقصود الاعظم هو
الفعل لا بالنظر الى فاعل معين ان يعف لان كلام الملك وان جرى في مضمار الشرط فهو مرشد الى تحققه ليحصل
الفرق بين كلام الاعلى والادنى عن طائفة منكم اى لصلاحيتها للتوبة نعذب طائفة اى قوم ذو عدد فيهم
اهلية الاستدارة وقرا عاصم ببنا الفعلين للفاعل على العظمة بانهم اى بسبب انهم كانوا مجرمين اى كسبهم الذنوب
القاطعة عن الخير وصفة لهم ثابتة لا تنفك لهم غير متساهلين للعفو وشرح هذه القصة انه كان يسير
بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالقران والرسو
والاخر يضحك قيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما ابعده من ذلك وقيل كانوا
يقولون ان محمدا يزعم انه نزل في اصحابنا المقيمين بالمدينة قران وانما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه
على ذلك فقال احبسوا الركب على فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما نتحدث ونخوض في الكلام كما
يفعل الركب نقطع الطريق بالحديث واللعب قال ابن اسحق والذى عفى عنه رجل واحد وهو مخشى ... الآية
ابن حمير الاشجعى يقال هو الذى كان يضحك ولا يخوض وكان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فلما نزلت
تاب وقال اللهم لا ازال اسمع اية تقرا تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في
سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف
مصرعه غيره رضي الله عنه ولعل اطلاق الطائفة عليه تعظيما له وسترا عليه وتبشيرا بتوبة غيره
ولعل مخشيا كان مؤمنا ولكن كان ايمانه مزلزلا فلذلك عبر بقوله الفريق بعد ايمانكم والتعبير بذلك ابلغ
في الذم ولا سيما عند العرب لانهم يتمادحون بالثبات على اى امر اختاروه ويتذامون بالطيش ولعل الحال
المعنى بالقصة الاتية وهذه او مع غيره لم يكن امر لغيره ممن عفا عنه وما امر الاخير تاب فلذا عبر هناك
بقوله وكفروا بعد اسلامهم قال ابو حيان قال ابن عمر رايت وديعة ابن ثابت متعلقا بحقب ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يماشيها والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه
وسلم يقول ابالله واياته الاية ولما بين سبحانه وتعالى اقوال الطوائف من المنافقين منهم من كان
معه صلى الله عليه وسلم في العسكر وهي في غاية الفساد كان ذلك ربما اقتضى ان يسال عن المتخلفين لو خرجوا ما
كان يكون حالهم فقال جوابا عن ذلك واستدلالا على ان اجرام الذين لم يعف عنهم منهم خلق لازم المنافقون
والمنافقات اى الذين اظهروا الايمان وابطنوا الكفران بعضهم ولما كان رجوعهم الى الجمود على الهوى
والطبع والعادة والتقليد من التابع منهم للمتبوع قال من بعض اى في صفة النفاق هم فيها كالجسد الواحد
امورهم متشابهة في اقوالهم وافعالهم والتضاد ان حالهم بضد حال اهل الايمان وذلك نبه بقوله يامرون (وجميع أحوالهم)
بالمنكر اى مما تقدم من الخبال والايضاع في الخلال وغير ذلك من سيء الخصال وينهون عن المعروف اى من كل ما يكون
فيه تعظيم الاسلام واهله ستعون بذلك الفتنة ويقبضون ايديهم اى يشحون فلا ينفقون الا وهم
كارهون ولما كان كانه قيل كانهم خافوا بذلك من معاجلة العقاب جاب بقوله نسوا الله اى الملك الاعلا
الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه ويصلح ان يكون علة لما تقدم عليه ولما اقدموا على ذلك سبب عنه قوله
فنسيهم اى فعل بهم فعل الناسي لما استهان به بان تركهم من رحمته فكان ذلك الترك سببا لحلول نقمته
ولما تطبعوا بهذه النقايص كلها فخصوا بكمال الفسق فسر ذلك في اسلوب التعجب من حالهم فقال مظهرا
موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف ان المنافقين هم اى خاصة الفاسقون اى الخارجون عن دائرة
ما ينفعهم من الطاعة الراسخون في ذلك فقد علم بهذا انهم لو غزوا لفعلوا فعل هؤلاء سوا لان الكل معطنته
واحدة ولما بين كثيرا من احوالهم واشتد التشوف الى ما لهم وكان مقصودهم باظهار الايمان والاعتذار عن
النقايص بابداء الايمان انما هو التقرب الى المؤمنين والتخلط بهم للعيش في اكنافهم وفرقا من المعاجلة بما يستحقون
بين بلائهم بين ان لهم على هذا الخداع العذاب الاليم الدائم والطرد اللازم فجمع معهم المصارحين بالكفر

اعلاما بانهم ان لم يكونوا اعظم عنادا منهم لم يسوا فقال وعد الله وساقه بصيغة البشارة تهكما بهم وابلاغا في مساءة
المنافقين والمنافقات اي المتاونين باعتقادهم والكفار اي المجاهرين بعنادهم ولما كانوا يحبون لن على تجهم المكروه
والانتقام منهم وان اظهروا خلاف ذلك لهم بصنع قال نار جهنم اي الدار التي من شانها تجهم اهلها ولقاؤهم
بالعبوسة والزبانية خالدين فيها اي لا براح لهم عنها هي حسبهم اي كافيتهم في العذاب لكن لما كان الخلود قد يجوز به عن
الزمن الطويل فيكون بعده فرج قال ولعنهم الله اي طردهم وابعدهم من رحمته وهو الملك العليم الحكيم الذي لا امر
لاحد معه فانهم انه لا فرج لهم ثم نفي كل احتمال بقوله ولهم اي بالامر عذاب مقيم اي لا ونعله عنه الاقامة
في الدنيا بما هم مقهورون به من سطوة الاسلام وجنوده الكرام الاعلام وفي الاخرة بما لا يعلمه حق علمه الا الملك
العلام ولما كان حالهم في الاقبال على العاجلة لكونها حاصلة والاعراض عن العاقبة لانها غايبة مشابها لحال من
كان قبلهم من الامم الخالية والقرون الماضية بين لهم ذلك وختمه ببيان سوء احوالهم وقبح اما لهم تلافيا لاعمالهم
فقال ملتفتا الى اسلوب الخطاب لانه اد خل في باب العقاب وادعى الى استجلاب الصالح للمتاب كالذين اي حالكم لما
مضى من امركم ايها المنافقون انكم مثل الذين ولما كان قابل ماذكرانما هو لبعض من مضى احتج الى قال من قبلكم
اي من الامم الخالية ثم شرح في شرح حالهم وذكر وجه الشبه فقال كانوا اشد منكم قوة لان الزمان كان
اذ ذاك اقرب الى سن الشباب واكثر اموالا واولادا وهذا انا ظر الى قوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
فاستمتعوا اي طلبوا المتاع والاستمتاع في الدنيا بغاية الرغبة معرضين عن العقبى بخلاقهم اي نصيبهم الذي قدره
الله وخلقه لهم وكان الاليق بهم ان يبلغوا به في السفر الذي لا بد منه الى الاخرة فاستمتعتم بخلاقكم اي المعتنقين
لاتاذهم والتراصد في انادهم كما استمتع اي في الاتيان بقوله الذين ولما كانوا قد استغرقوا الزمن الماضي اثبت
الجار فقال من قبلكم بخلاقهم ظاهرا عنهم بسبه على ذمهم بغفلة النظر لانفسهم المستلزم لقلة عقولهم حيث
كانوا دونكم في العقوبة ابدا انا واموالا واولادا ولم يكفوا عن الاستمتاع والخوض جوزنا بما محق اولئك الاحزاب
على قوتهم من العذاب من اغيران سعهم سبب من الاسباب وخضتم اي ذهبتم في اقوالكم وانما لكم خوضا على
غير سنن قويم كالذي اي كالخوض الذي خاضوا وهو ناظر الى قولهم انما كنا نخوض ونلعب قال ابو حيان وهو مستفاد
من الخوض في الماء ولا يستعمل الا في الباطل لان التصرف في الحق انما هو على ترتيب ونظام وامور الواسور للباطل
في خوض ومنه قوله رب متخوض فيما اشتهت نفسه له النار يوم القيامة ولما اذن هذا النظم لهم بالخسار حصل التشوف
الى عاقبة امرهم فاخبر عن ذلك بقوله اولئك اي البعداء من الخير والظاهر انه اشارة الى الذين وصفهم بالشدة
وكثرة الاموال والاولاد حبطت اي فسدت فبطلت اعمالهم في الدنيا اي بزوالها عنهم ونسيان لذاتها
والاخرة اي وفي الدار الباقية لانها لم يسعوا لها سعيها وزاد في التنبيه على بعدهم بما قصد والانفسهم فلا اخسر ممن اشبههم
بهم ولعله لاجل الالتفات الى مقام الخطاب نصا اشارة الى تحذير كل سامع من مثل هذه الحال فصح ان يكون مراد الهذا
المقال فان من اسرار القرآن في اعجازه ان تكون عبارته متوجهة الى شيء واشارته شاملة لغيره من حيث تصافر
بطليه لتلك الحال او غيره للدين الخلاف قال الامام ابو الحسن الحرالي في اخر غزوة الفتح في بيان تناول كلمة
القرآن لكلية الامة ولكل قاري يقراه من اهل الفهم والامتحان اعلم ان الله سبحانه انزل القرآن منبيا عن جميع الاكوان وان
جميع ما ابتاعه من امر ادم الى زمان محمد عليهما الصلاة والسلام من امر النبوات والرسالات والخلافات واصحاب الملوك
والملوك والطغاة واصناف الجناة وجميع ما اصابهم من المثوبات والمثلات في يوم ادم عليه الصلاة والسلام الى زمان
محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ستة الاف سنة ونحوها كل ذلك سيتكرر بجملته في يوم محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو
الف سنة ونحوها اعداد اباعداد واحوالا باحوال من خير وشر فلكل من الماضين مثل سيكون في هذه الامة
الخاتمة كما قال صلى الله عليه وسلم لكل نبي نظير في امتي نظير ثم ذكر صلى الله عليه وسلم نظراء مثل ابراهيم الى بكر ومثل
موسى لعمر ومثل هارون لعثمان ومثل نوح لعلي ومثل عيسى كابي ذر وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعرف النظراء
من امتي باسمائهم واسماء ابائهم وعشائرهم كا عرفهم وبوسمهم ممن كان وممن هو كاين وممن سيكون بعد ولو شئت
ان اسميهم لسميت فمما غاب اكثر هذه الامة عن فهم القرآن ظنهم ان الذي فيه من قصص الاولين ولخبار
المثابين والمنافقين من اهل الاديان اجمعين ان ذلك انما مقصوده الاخبار والتقصص فقط كلا وليس
كذلك انما مقصوده الاعتبار والتنبيه لمشاهدة ما سيكون في هذه الامة من نظائر جميع اولئك الاعداد
وتلك الاحوال والاثار حتى يسمع السامع جميع القرآن من اوله الى خاتمته منطبقا على هذه الامة وايمتها وهداتها
وضلالها فينفتح له باب الفهم ويضيء له نور العلم ويتجه له حال الخشية ويرى في اصناف هذه الامة ما سمع من
الاقران الماضين على كلية الامة فكان بذلك عالما بينفتح له باب ترق في ترقي سمعه الى ان يجد جميع كلمة
القرآن المنطبق على كلية الامة منطبقا على ذاته واحوال نفسه وتقلباته وتقربات احواله وادركها خواطر

خواطره حتى استمع القرآن منطبقا عليه فينتفع بسماع جميعه وامتحن باية سمعها منه فيطلب موقعها في نفسه
فيجدها بوجه ما رغبة كانت او رهبة تقريبا كانت او تبعيدا الى ارفع الغايات او الى انزل الدركات فيكون
بذلك عارفا بهذا المقصود الى ارفع الغايات التنبيه في هذا الفصل بجملته ولينتبه لذلك مشا لا يرشد الفهم لذلك
على كلية الامة عما او على خصوص ذات القاري السامع عرفانا فاعلم ان اصول الاديان المذكورة التي لم ترتق الى
ثبات حقائق المؤمنين فمن فوقهم من المحسنين والموقنين التي حملها تحت حياطة الملك والجزاء والمداينة الذين
تروعهم رائعة الموت او لائم رابعة القيامة ثانيا الى ما يشتمل عليه يوم الدين من اهوال المواقف الخمس التي كل موقف منها
الف من السنين في يوم كان مقداره خمسين الف سنة تعدد هذه الاديان سبعة ما من دين منها الا ويوجد منه صنف
من اصناف هذه الامة وبجده المعتبر في نفسه في وقت ما بغلبة او كثرة بدوام او خطرة تضعفا وشده على اشد
دين غالبا وعن الطعين زايل فهذه الاديان السبعة هي دين الذين امنوا من هذه الامة ولم يتحقق بحقيقة الايمان
فيكونوا من المؤمنين الذين صاروا الايمان وصفا ثابتا في قلوبهم المؤمنين المتبرين من الحول والقوة المتحققين امضا
اقدار الله عليهم بما شاء الا بما يشاؤون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون
اولئك هم المؤمنون حقا واما الذين امنوا فهم الذين لا يثبتون على حال ايمانهم ولكن تارة وتارة ولذلك هم المنادون
والمامورون في جميع القرآن الذين يتكرر عليهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه الى ما بين ذلك
من نحو قوله ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا فهولاء هم اهل دين ثابت ينتظرون بوعد لمن لهم تثبيت
من اصل الادنى المنتظمين مع من له اصل في الصحة من الاديان الملة في نحو قوله تعالى ان الذين هادوا والذين امنوا
والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر المنتظمين انضمام المعتبرين لادياتهم المعتز
لدين لم ينزل الله به من سلطان في نحو قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين
اشركوا فهذا هو الدين الاول واما الدين الثاني فهو دين الذين هادوا والذين منهم الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها
والذين ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله
ياخذوه والذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله والذين يحسدون الناس
على ما اتاهم الله من فضله والذين ياكلون الربا ويقولون وقد نهوا عنه والذين اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم واما الدين الثالث فدين الذين قالوا انا نصارى
الذين منهم الذين ضلوا عن سبيل سواء السبيل الذين غلوا في دينهم وقالوا على الله غير الحق واتخذوا
رهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم واما الدين الرابع فدين الصابئة الذين منهم متالهوا
النجوم عباد الشمس والقمر والكواكب وغيرهم بالتي ثبت اول من عبد محسوسا سماويا واما
الدين الخامس فدين المجوس الثنوية الذين جعلوا الهين اثنين نورا وظلمة وعبدوا محسوسا فانيا
واما الدين السادس فدين الذين اشركوا وهم الذين عبدوا محسوسا ارضيا غير مصنوع وهم
الوثنية او مصنوعا وهم الصنمية فهذه الاديان الستة الموقنة احدا لسبب لما جاءه واما الدين
السابع فاعلم ان الله سبحانه جعل ابدا جامعا لستة خيرا كان او شرا فالدين السابع هو دين المنافقين
الذين ظاهرهم مع الذين امنوا وباطنهم مع احد سائر الاديان الخمسة المذكورة الى ادنى دين من شركين
الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم فهذه الاديان
متكررة بكليتها في هذه الامة نحو ما وقع تنزلها في الامم الماضية وهو مضمون الحديث الجامع
لذكره للمعنى في قوله صلى الله عليه وسلم لتاخذن كما اخذت الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا
بشبر وباعا بباع حتى لو ان احدهم دخل في جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله كما
صنعت فارس والروم قال فهل الناس الا هم وما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
هو من مضمون قوله كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا
بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا واهل هذه الاديان السبعة
هم ومن عمهم دركات جهنم السبع على ترتيبهم والناجون بالكلية الفائزون هم المؤمنون
فمن فوقهم من المحسنين والموقنين ومن يد تفصيل في ذلك وتتمة قول بما ننبه عليه على الله تعالى
من جهات سبع طوائف من هذه الامة ممن يعتد بهم في ذلك اما وجه تكرار دين الذين اشركوا في
هذه الامة فباتخاذهم اصناما والهة تعبد لهم من دون الله محسوسة جمادية كما اتخذ المشركون
الاصنام والاوثان من الحجارة والخشب واتخذت هذه الامة بوجه الطف واخفى اصناما واوثانا
فانها اتخذت الدينار والدرهم اصناما والسبائك والنقد اوثانا من حيث ان الصنم هو ما له صورة والوثن

والوثن ما ليس له صورة قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم وقال صلى الله عليه وسلم لكل امة
عجل وعجل امتي الدينار والدرهم فلا فرق بين ظن المشرك ان الصنم الذي بيده ينفعه وظن المفتون
من هذه الامة ان ما اكتسبوا من الدينار والدرهم ينفعهم حتى انه يوسع لهم ما ينفعهم الا درهم
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم فما من اية نزلت في المشركين في ذكر
احوالهم وتشبيهم مثلا لهم وتفصيل سرهم واعلانهم الا وهي منطبقة على كل مفتون بديناره ودرهمه
فموقع قول المشركين في اصنامهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى مثاله موقع مظنونه من قول المرائين
المفتونين بحب المال انا لا نعمل الخير ونستعين به على وجوه البر الا كان ترك التلبس والتوصل به الى
قال صلى الله عليه وسلم انما اهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم وهما مهلكاكم فكل من احبهما واحب جمعهما
فهو مشرك هذه الامة وهما الاله وعراه اللسان ببطلان علمه قول لا اله الا الله الا انه قاله ما قاله قال
صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله نجاة للعباد من عذاب الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم
فمن وجد من هذا مسه فليجمع جميع ما نزل في المشركين من القران منطبقا عليه ومنزلا اليه وجا فانه
فليخلصه الله حتى يخلصه الله من ظاهر شركه كما خلص من اخرجه من الظلمات الى النور من الاولين فيخلص
هذا المشرك حاله من ظلمته التي غشيت ضعيف ايمانه الى صفا نور الايمان في معنى قوله تعالى يخرج
الذين امنوا من الظلمات الى النور فهذا وجه يتفصل بين يدي من تكرر دين الشرك في هذه الامة واما وجه
وقوع المجوسية ونظيرها في هذه الامة فباطباق الناس على رؤية الافعال من انفسهم خيرها وشرها
واسنادهم افعال الله الى خلقه حيث انتجت عقائدهم على ان فلانا فاعل خير وفلانا فاعل شر وفلانا
يعطي وفلانا يمنع وفلانا حرمني وفلانا اعطاني حتى ملاوا الدواوين من الاشعار والخطب والرسل
امداحا للخلق على ما لم يفعلوا وذما لهم على ما لم يمنعوا يحمدون الخلق على رزق الله ويذمونهم على ما لم يؤته
الله ويلحدون في اسمائه حتى كتب بعضهم لبعض سيدي وسندي واسمي عبدي عبدك وسموا كما ابطلوا ن
بذلك اخوة الايمان ويكونون تسوية خلق الرحمن ويدعون لانفسهم انما الامر فيقولون فعلنا وصنعنا
واحسنا وعاقبنا كله كفر ودعوة ان اتاهم ما لم تشعروا اختصا من الله فيه بالمرء كالذي حاج ابراهيم في ربه
ان اتاه الله الملك حين قال انا احيي واميت وهذه هي المجوسية الصرف والقدرية المحضة التي لا تجمع دين
الاسلام معها لان المسلم من اسلم الخلق والامر لربه اسلمت وجهي لمن استغنى الا له الخلق والامر فما سوى
ذلك قدرية هي مجوسية هذه الامة حيث جعلوا للعبد شركة في فعل الرب وجعلوا معه تعالى قدرة وقوة ومشيئة
واختيارا وتدبيرا ولم يعلموا ان المقتدر وسع التدبير وانه تعالى هو يدبر الامر من السما الى الارض قال
صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة فكل ما انزل الله عز وجل في القران الجامع لذكر جميع الملل
والاديان مما عزاه لمن وزع الانفا بين الحق والخلق من كلام ذي فرعونيه او نمروديه او ذي سلطان
فللمعتقد لتنوع المدح والذم حظه منه على حسب توغلهم واستغراقهم في الذين زعموا انهم فيهم شركا فخافوهم
ورجوهم فكل خايف من الخلق او راج فيهم من عدا الذين امنوا او الذين اسلموا في هذه الامة فيهم سهم مجوس هذه
الامة بحسب الدايم ما يتراوه من ذلك الحجة عليه بما الله تعالى التخلص منها وليعلم ان ذلك لم يزل لحجة عليه
وان كان لم يشعر به فهذا وجه من وقوع المجوسية من هذه الامة واما وجه وقوع الصابية ونظيرها
في هذه الامة فما غلب علما لانهم وحققوا بما علموه وسلطنهم وذوو الرياسة منهم من البحث في النجوم والطوالع
بحسب ما يظهر هيئة عندهم من سعد ونحس والاستمطار بالنجوم والاعتداد على الانواء واقبال القلب على الامداد
الفلكية قضاء وحكما بحسب ما جرى عليه المحليون الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
من الغفلة بها قال صلى الله عليه وسلم اربعة من امتي من امر الجاهلية ليس بتاركهن فذكر منهن الاستمطار بالنجوم فالمتعلق
خوفهم ورجاؤهم بالاثار الفلكية هم صابية هذه الامة كما ان المتعلق خوفهم ورجاؤهم بانفسهم وغيرهم من الخلق
هم مجوس هذه الامة وكما ان المتعلق خوفهم ورجاؤهم بدرهمهم ودينارهم هم مشركوا هذه الامة وما انطوى عليه
سر كل طايفة منهم مما يتعلق به خوفهم ورجاؤهم فهو الههم ومعبودهم الذي اليه تنصرف جميع اعمالهم واسم كل امرئ
مكتوب على وجه ما اطمأن به قلبه فكل ما انزل في القران من تسفيه راي الصابية فهو متوجه عليه حيث يقراه
او يسمعه من حيث لا يشعر حتى يقرا قوم القران وهو نذير لهم بين يدي عذاب اليم شديد وهم لا يشعرون ويحسبون
انهم يرحمون به وهم الاخسرون ولا يزيد الظالمين الا خسارا ثم يختص هذه الطائفة المتصابية مما هو نحو
قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين الايات في ذكر الكوكب والشمس
والقمر الى ايات ذكر المستخبر لهن نحو قوله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر والشمس

والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره وسخر لكم الشمس والقمر دائبين هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وانه هو رب الشعرى
كل ذلك ليصرف تعالى خوف الخلق ورجاهم عن الافلاك والنجوم المسخرة الى المسخر الخالق القاهر فوق
عباده الذي استوى على جميعها فهذا وجه من وقوع الصابية في الذين امنوا والذين اسلموا في هذه الامة
واما وجه وقوع ما غلب على هذه الامة وكثرته وتنشأ في اعمالها واحوالها من تمادي طوائف منهم على
نظير ما كان عليه اليهود والنصارى في اختلافهم وغلبة احوال ملوكهم وسلاطينهم على احوال انبيائهم
وعلمائهم واوليائهم فهو الذي حذرته هذه الامة واشعر اولوا الفهم بوقوعه فيهم نحو ما في معنى قوله
تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وما انبا به صلى الله عليه وسلم لتتبعن
سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم وفي بعض طرقه حتى لو كان فيهم
من اتى امه جهارا لكان فيكم فقلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وانما وقع وكثر في هذه الامة
ما وقع في الملتين لما اتاهما الله من الكتاب والعلم والحكمة فاختلفوا فيها بالاغراض والاهواء واثار
عرض الدنيا وسامحوا الملوك والولاة وحللوا لهم ما حرم الله وحرموا لهم ما احل الله وتوصلوا بهم
الى اغراضهم في الاعتداء على حسب من حسدوه من اهل الصدق والعلوم وكثر البغي فيهم فاستغرق
حالهم على سنن حالهم وسلطت عليهم عقوبات سنن عقوباتهم وتمادى ذلك فيهم منذ تبدلت الخلافة
ملكا الى ان تضع الحرب اوزارها وتصير الملل كلها ملة واحدة ويرجع الافتراق الى الفة التوحيد
فكل من انتظم واقتصر من هذه الشريعة الجامعة المحمدية الجامعة للظاهر والباطن خطا مختصا
من ظاهر او باطن ولم يجمع منهما في علمه وحاله وعرفانه فهو بما لزم الظاهر الشرعي دون حقيقته الباطنة
ممن يهود هذه الامة كالمعتنين بظواهر الاحكام الظاهرة التي بها يستقيم الدنيا على حسب ما
يرضي ملوك الوقت وسلاطينهم المضيعين لاعمال السرائر المبدلين لاحوال اهل الحقائق الشاهدة
عليهم بتعلق خوفهم ورجائهم باهل الدنيا المؤثرين لعرض هذا الادنى فقد ظهرت احوال اليهود
في هذه الامة من الاعراب مع النبي صلى الله عليه وسلم بسدرة خضراء فمر وكان لاهل الجاهلية
سدرة يعظمونها ويجتمعون عندها وينيطون بها اسلحتهم ويسمونها ذات انواط فقالوا يا رسول
الله اجعل لنا هذه السدرة ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال صلى الله عليه وسلم قلتموها
ورب الكعبة كما قالت بنو اسرائيل اجعل لنا الها كما لهم الهة انها السنن بحيث ظهرت امثال
اليهود من البغي والحسد وتعظيم ما عظموه من حيث الدنيا واحتقار ضعفاء المؤمنين
فهذه لاعلام اليهودية ظاهرة ولذلك ايضا انقسم من هذه الشريعة الجامعة المحمدية
على باطن من صلاح حال وقلب مع تضييع ظاهر الامر ومجامع الخير وتعاضد الاسلام والتقى
بما استبطن وتهاون بما استظهر فهو ممن نصارى هذه الامة ليس بها جبر فرقان فلذلك
ان يكون نصاحب قران وذلك ان هذا الدين الجامع انما يقوم بمعالم اسلام ظاهرة وشعائر
ايمان في القلوب واحوال نفس باطنة وحقائق احسان شهودية لا يشهد المحسن مع الله سواه
لم ولا يؤمن المؤمن مع الله غيره ولا يخضع المسلم الى شيء من دونه فبذلك يتم وبما التزم بمعالم
ى الاسلام طوائف يسمون المتفقهين والتزم بشعائر الايمان طوائف يسمون الاصوليين والمتكلمين وترا
الى الاحسان طوائف يسمون المتصوفة فمتى كان المتفقه منكر الصدق احوال المتصوفة لما لعله
يراه من خلل في احوال المتصوفة فقد تسنن بسنن اليهودية ومتى كان المتصوف غير محل للفقه لما لعله
يراه من خلل في احوال المتفقهة فقد تسنن بسنن النصارى وكذلك حال المتكلم بين الفرقتين لا بهما
مال وانما ايمة الدين اصحاب الدين جمع الله لهم اقامة معالم الاسلام وايمان اهل الايمان وشهود اهل
بهات الاحسان فلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله فاتم لهم الصوفية ويظهر انوار قلوبهم على ظاهر المتشا
فيا تم لهم اهل الايمان وتبدو في اعمالهم معالم الاسلام تامة فيا تم لهم اهل الاسلام عباد الرحمن
الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما افضل الناس مؤمن في خلق
حسن وشرار الناس كافر في خلق سيئ فاولوا الوفاق جامعون ومستتبعون على امم فمن اقتصر على
ظاهر وانكر باطنا لزمه مذام اليهود فيما انزل من القران فهو بحسب توغله وانتصاره ومن
اقتصر على باطن دون ظاهر لزمه مذام النصارى فيما انزل من القران فيهم ويذكر ان رجلا
من صلحاء المسلمين دخل كنيسة فقال للراهب فيها دلني على موضع طاهر اصلي فيه فقال الراهب

قلبك مما سواه وبه من حيث شئت قال ذلك العالم الصالح المسلم فخلت منه فاعلم ان كل واحد من هذين الحالين ليس حال
صاحب فرقان ولا حال صاحب قران لان صاحب القران لا يجعل لهذا العقول كانه حاله وقلبه مطهر
مما سوى الله ومع ذلك لا بد ان ينطق ظاهره لان الله سبحانه كما انه للباطن فيجب صفا البواطن فانه الظاهر
يجب صلاح الظواهر فصاحب القران اذا دعي الى صفا باطن اجاب ولم يتلعثم واذا دعي الى صلاح ظاهر
اجاب ولم يتلكا لقيامه بالفرقان وحق القران يذكر ان مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد العصر وهو ممن
لا يرى الركوع بعد العصر فجلس ولم يركع فقال له صبي يا شيخ قم فاركع فقام وركع ولم يحاجه بما راه مذهبا
فقيل له في ذلك فقال خشيت ان اكون من الذين اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ووقف النبي صلى الله
عليه وسلم على سقاية زمزم وقد صنع العباس رضي الله عنه احواضا من شراب فضيخ التمر والمسلمون يردون
عليه وقد خاضوا فيه بايديهم فاهوى النبي صلى الله عليه وسلم ليشرب من شرابكم فقال له العباس رضي الله
عنه يا رسول الله الا اسقيك من شراب لنا في اسقية فقال صلى الله عليه وسلم اشرب من هذا التمس
بركة ايدي المسلمين فشرب منه صلى الله عليه وسلم فصاحب القران لعبد الله سبحانه وتعالى بقلبه وجسمه
لا يقتصر على ظاهر دون باطن ولا على باطن دون ظاهر ولا على اول دون اخر ولا على اخر دون اول قال
صلى الله عليه وسلم امتي كالمطر لا يدرى اوله خير ام اخره فمن حق القارئ ان يعتبر القران في نفسه
ويلحظ مواضع مذامه للفرق ويزن به احوال نفسه من هذه الاديان الستة في هذه الامة وامام
وقوع النفاق واحوال المنافقين فهي داهية العرا وافة الخليقة قال صلى الله عليه وسلم اكثر
منافقي امتي قراؤها وقال بعض كبار التابعين ادركت سبعين ممن راى النبي صلى الله عليه وسلم
كلهم يخاف النفاق على نفسه واصل مداخله على الخلق من ايثار حرمة الحق بجلال الله عز وجل اغترارا
بالناس فيلزم لذلك محاسنة اولي البر والصدقة ظاهرا وتكرههم بقلبه باطنا ويتبع ذلك من
الترديد بين الحالين لما وصف الله تعالى من احوالهم وما نبه النبي صلى الله عليه وسلم من علاماتهم
حتى قال صلى الله عليه وسلم بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وكما قال
تبارك وتعالى لا ياتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فينظر المنافق الى ما يستسقط
به فضائل اهل الفضل ويتعامى عن محاسنهم كما روي ان الله يعفو للتائب الحسنة المومن الاخذ
لسيئته والمومن الصادق يتغافل عن مساوي اهل المساوي فليتق بمعايب اهل المحاسن ومن اظهر
علامات المنافق تبرمه باعمال الصادق كما ذكر ما كان مومن فيما مضى ولا مومن فيما بقي الا وله جنبة
منافق يكره عمله وعن ذلك المنافق عمله اذا لم يخل جنان من تاع مستثقل في مجامع الخير اجنبي منها
مستخف في مواطن الشر متقدم فيها طلق اللسان بالغيبة والبهتان ثقيل اللسان عن مداومة
ذكر الله تبارك وتعالى عظم عواء الله عز وجل في طالبا ناظرا الى الناس بكل وجه وهو مع ذلك يصانعهم
ولا يصادقهم ياخذ من الدين ما ينفع في الدنيا ولا ياخذ ما ينفع في العقبى ويجتنب من الدين ما يضر في الدنيا
ولا يجتنب ما يضر في العقبى مما لا يضر في الدنيا فهذا اوجه من وقوع شناع النفاق في هذه الامة
فلذلك من حق القارئ ان يستشعر مواقع اي القران من نفسه في ذات قلبه وفي احوال نفسه واعمال
بدنه وفي سره مع ربه وفي علانيته مع خلقه فانه بذلك لا يجد القران كله منطبقا عليه خاصا به
حتى كان جميعه لم ينزل الا اليه حتى اذا رهبه امر رغب هو فيه ولا يقول هذا انما انزل في كذا
وان ارهبه القران من وجه او رهبه وجه ما اذا اعلا فلذلك واذا اسفل فلذلك ولا يقول هذا انما
انزل في كذا حتى يجد لكل القران موقعا من عمله اي عمل كان ومحلا في نفسه اي حال كان ومشعرا لقلبه اي
ملحظ كان فيستمع القران بلاغا من الله سبحانه وتعالى اليه بلا واسطة بينه وبينه فعند ذلك يوشك
ان يكون ممن يقشعر له جلده ابتدا ثم يلين له جلده وقلبه انتهاء وربما يجد من الله سبحانه وتعالى نفح رحمة
يفتح له بابا الى التخلق بالقران اسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم سالت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران وبذلك هو الخلق العظيم والله اعلم انتهى ولما تقرر
سبحانه لفرع اية تشابههم بالتمتع بالعاجل وختمها بهذا الختام المؤذن بالانتقام اتبع ذلك
تخويفهم من مثل نقمتهم فيما حل بطوائف منهم ملتفتا الى مقام الغيبة لانه اوقع في الهيبة فقال
موذنا بخسارتهم **الم ياتهم** اي هولاء الخائبين من اهل النفاق **نبا الذين من قبلهم** اي خبرهم العظيم
الذي هو جدير بالبحث عنه ليعلم ما يقتضيه حين عصوا رسلنا ثم ابدل منه ذلك قولنا **قوم نوح**
اي في طول اعمارهم وامتداد اثارهم وطول قرارهم بحسن التمتع في ارضهم وديارهم اهلكهم بالطوفان

بالطوفان لم يبق من عصاتهم انسان وعطف على قوم الفتلة فقال **وعاد** اي في قوة ابدانهم وعظيم
شانهم ومصانعهم وبنيانهم وتجبرهم في عظيم سلطانهم اهلكهم بالريح الصرصر لم يبق
ممن كفر منهم بشرا **وثمود** اي من تمكنهم من بلاد الحجر عرضها وطولها جبالها وسهلها اهلكوا
بالرجفة لم يبق من الكفار منهم ديار **وقوم ابراهيم** اي في ملك جميع الارض بطولها والعرض سلب الله
منهم الملك بعد شديد الهلاك **واصحاب مدين** اي في جمع الاموال وسد الامال الى اخذها من حلال وحرام
ونقص الميزان والمكيال فعمهم الله بالنكال ولما حصل لمداين قوم لوط من العذاب ما حصل لهم من الخسف
والتقلب والغمر بالماء الخبيث عطفها بدون ذكر الاصحاب فقال **والمؤتفكات** اي في اعراضهم عن صيانة
اعراضهم في اتباع لذاذ اغراضهم فاتم لهم فعلهم بعد الخسف عموم انقراضهم ولما كان كانه قيل ما
نباوهم قال **اتتهم** اي جميع المذكورات **رسلهم** اي اتى كل امة منهم رسولها **بالبينات** اي بالمعجزات
الواضحات جدا بسبب انهم ارتكبوا من القبائح ما اوجب دمارهم **فما** اي فتسبب عن ذلك انه ما **كان الله**
اي مع ما له من صفات الكمال لم يرد **ليظلمهم** اي لان يفعل بهم في الاهلاك قبل الانذار واثارة البينات
فعل من تعدونه فيما بينكم ظالما ولكنه ارسل اليهم الرسل فكذبوا ما اتوهم به من البينات فصار الفعل
بحالهم اذا اسرع باهلاكهم وزوال لم يقول ما ظلمهم الله **ولكن كانوا** اي دائما في طول اعمارهم **انفسهم** اي لا غيرهم
يظلمون اي بفعل ما سبب هلاكها فان لم ترجعوا انتم فنحن نجدد لكم مثل عذابهم ولعله خص هولا بالذكر
من بين بقية الامم لما عند الامم من اخبارهم وقرب ديارهم من ديارهم مع انهم كانوا اكثر الامم عددا
وانبياهم اعظم الانبيا نبه على ذلك ابو حيان ولعله قدم اصحاب مدين على قوم لوط وهم بعدهم في الزمان
لان هذا في شان من وصف بانهم لم يجدوا ما يحميهم مما هم فيه من العذاب بمشاهرة النبي صلى الله عليه
وسلم من ملجا او مغارات او مدخلا لان من قبل المؤتفكات جمعهم هذا الوصف فقوم نوح عليه السلام
لم يمنعهم لما اتاهم الماء منقل سعي ولا جبل رفيع مع انه يقال لهم الذين امنوا الا هو امات منها ما هو
بالحجارة ليمنعهم من الحادث الذي هددوا به ان كان ما وما هو بالطوب الني ليحميهم منه ان كان نارا
وعاد لما اتتهم الريح بادروا الى البيوت فقلعت الابواب وصرعتهم في اجواف بيوتهم ولم يغنهم ما كانوا
يبنون من المصانع المتقنة والقصور المشيدة والحصون المنيعة وحال ثمود معلوم في توسعهم في البيوت
جبالا وسهولا فما منعتهم من الصيحة التي اعقبتها الرجفة وقوم ابراهيم عليه السلام بنوا الصرح ارتفاعه
خمسة الاف ذراع او فرسخان ليتوصل به نمرود الى السما فاتى الله بنيانهم من القواعد فقلبت الريح
راسه في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون واصحاب مدين لما اتاهم
العذاب فاخذتهم الرجفة لم تغن عنهم مدينتهم وان كانوا هم اصحاب الايكة فانهم لما اشتد عليهم الحر
يوم الظلة قصدوا المغارات فوجدوها احر من وجه الارض فخرجوا منها ودبر عليهم الظلة بنسيم
بارد فحملته اليهم ولبست به عليهم فلما اجتمعوا عليها حرقتهم نارها ونعق عليهم عارها واما قوم لوط فاتاهم
الامر بغتة لم يشعروا حتى قلبت مداينهم بعد ان رفعت الى عنان السما واتبعت حجارة الكبريت تضطرم
نارا ولعله خص قوم لوط بالذكر من بين من لبس لهم هذا الوصف لان العرب كانوا يمرون على مواضع مداينهم
ويشاهدونها وعبر عنهم بالمؤتفكات لان المقصص للمنافقين الذي مبنى امرهم على الكذب وقلب
الامور عن ظواهرها وتقليبها عن وجوهها فالمعنى ان اولئك لما قلبوا فعل النكاح عن وجهه عوقبوا
بقلب مداينهم فهولا جديرون بمثل هذه العقوبة لقلبهم القول عن وجهه ومادة افك بكل ترتيب
تدور على القلب فاذا افكت الرجل فكانك قلبت فعله فرددته اليه وصرفته عنك والافاق الدابة
شبيه بالانا المقلوب والكذب صرف الكلام عن وجهه فهو افك لذلك والله اعلم ولما بين سبحانه
ان المنافقين بعضهم من بعض وما توعدهم به وما استتبعه من تهديدهم باهلاك ما شابهوه وختم
بما سبب هلاكهم من اصرارهم وعدم اعتبارهم عطف بيان حال اهل الايمان ترغيبا في التوبة
طمعا في مثل حالهم فقال **والمؤمنون والمؤمنات** اي بما جاهم عن ربهم **بعضهم اولياء** ولم يقل كما في
المنافقين من **بعض** دلالة على ان اصرارهم لم يقلدوا احدا في اصل الايمان ولا وافقوه لحكم الهوى
بل هم كلهم مصوبون بالذات وبالقصد الاول الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدليل القطعي
على حسب تفهم كل واحد منهم فلذلك الدليل على صحة ايمانهم ورسوخهم في تسليمهم واذعانهم توبيخ ولايتهم
بانهم يد واحدة على من سواهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر
فقال **يامرون** اي كلهم على وجه التعاضد والتناصر **بالمعروف** وهو كل ما عرفه الشرع واجازه لذلك **وينهون**

لذلك عن المنكر لا يحابون احدا ولما ذكر الدليل القطعي على صحة الايمان اتبعه افضل العبادات ويقيمون الصلاة
اى يوجدونها على صفة تقتضي قيامها بجميع اركانها وشروطها وحدودها من مراقبة ربهم واستعانته
بذلك على جميع ما ينوبهم ويؤتون الزكاة اى مواساة منهم لفقرائهم صلة للخلائق بعد خدمة الخالق وذلك مواز لقوله
في المنافقين ويقبضون ايديهم ولما خص امهات الدين عمم بيانا لانهم لا ينسون الله طرفة عين بل يذكرونه في كل
حال فقال ويطيعون الله اى الملك الاعظم الذي لا ملك سواه ورسوله اشارة الى حسن سيرتهم وجميل عشرتهم
ولما ذكر مكارم اعمالهم اتبعه حسن ما لهم بقوله في المنافقين نسوا الله فنسيهم وهو اشارة الى ان الطريق وعر
والامر شديد عسر فالسائر مضطر الى الرحمة وهي المعاملة بعد الغفران بالاكرام لا قدرة له على قطع مفاوز الطريق
لا نفا ولا وصول له اصلا الى غير سبيها ولما بين ان حال المؤمنين مبني على الموالاة فعبره الى الاعانة قال ان الله
اى الذي له الاحاطة الكاملة عزيز اى غالب غير مغلوب بوجه فهو قادر على نصر من والى حزبه وان ينيله من
ثمرات الرحمة ما يريد من غير ان يقدر احد على ان يحول بينه وبين شيء من ذلك حكيم اى فلا يقدر احد على نقض
ما يحكمه ونقل ما يبرمه في ذلك الاشارة الى ان المؤمنين لا يزالون منصورين على كل مفسد ما داموا على هذه
الخلال من الموالاة وما معها من ضد الخصال ولما ختم الاية بوصف العزة والحكمة المناسبة لختامها بالموالاة
تعقبها باية الجهاد وذلك بعد الوعد بالرحمة اجمالا اعقبها بما هو اشد بيانا للرحمة وتفضيلا لها ترغيبا للمؤمنين
بالانعام عليهم بكل ما ادامه المنافقون بنفاقهم في الدنيا وزادهم بانه دايم واخبر بان ذلك هو الفوز لا غيره
فقال وعد الله اى الصادق الوعد الذي له الكمال كله المؤمنين والمؤمنات جنات اى الراسخين في التصديق
بكل ما اتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم تجري من تحتها الانهار اى فهي لاجل الخضرة ذات كلمة نضرة ولما كان
النعيم لا يكمل الا بالدوام قال خالدين فيها ولما كانت الجنان لا تروق الا بالمنازل والدور الفسيحة والمنازل
قال ومساكن طيبة ولما كان بعض الجنان اعلى من بعض وكان اعلاها ما شرف بوصف لعدنية المؤذن
مع بنايه بما يؤكد معنى الدوام قال في جنات عدن اى اقامة دايمة وذلك كما لفي حق اضدادهم عذاب مقيم
وما انسب ذكر هذه الجنة في سياق التقصير بالوصف المؤذن بالرسوخ فانه ورد في الحديث انها خاصة بالنبيين
والصديقين والشهدا والصالحين ولما كان ذلك لا يصفو عن الكدر مع تجويز نوع من الغضب قال مبتديا اشارة
الى انكى التعظيم ورضوان اى رضا لا يبلغه وصف واصف بما يشير اليه صيغة المبالغة ولو كان على ادنى
الوجوه بما افاده التنوين من الله اى الذي لا اعظم منه عنهم اكبر اى مطلقا فهو اكبر من ذلك كله لان رضاه
سبب كل فوز ولا تعرف السرور الذي هو اعظم النعيم الا برضا السيد واذا كان القليل منه اكبر فما ظنك بالكثير
ولما تم ذلك على احسن مقابله بما وصف به اضدادهم قال يصفه زيادة في الترغيب فيه ذلك اى الامر العالي الرتبة
هو اى خاصة لا غيره الفوز العظيم اى الذي يستصغر دونه كل شيء من امور الدنيا والاخرة وفي كون ذلك
وعدا لمن اتصف لاجل ما اتصف به ترغيب في الجهاد المامور به بعدها لكونه من افراد الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والداعي الاعظم الى الموالاة ولما اثبت موالاة المؤمنين ومقاطعتهم للمنافقين والكافرين
وكان ما مضى من الترغيب والترهيب كافيا في الابانة وكان من لم يرجع بذلك عظيم الطغيان عريقا في الكفر
ان ابتع ذلك الامر بجهادهم بما لا يليق بعنادهم فقال امرا لاعظم المتصفين بالاوصاف المذكورة مفخما المقدار
لاجل انواد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يا ايها النبي اى العالي المقدار بما نوحي اليه ونجدد له مناسبة
الانبيا وفيناهن المعارف ولما كان الجهاد اعرف في المصارحين وكانوا اولى به لشدة شكائمهم وقوة نفوسهم
وعزائمهم بدأ بهم فقال جاهد الكفار اى المجاهرين والمنافقين اى المساترين كلا بما يليق به من السيف
واللسان ولما كان صلى الله عليه وسلم مطبوعا على الرفق موصى به قال تعالى واغلظ عليهم اى في الجهادين
ولا تعاملهم بمثل ما عاملتهم به من اللين عند استيذانهم في القعود وهذا خلاف ما مضى في وعيد المنافقين
حيث قدمهم فقال المنافقين والمنافقات والكفار فقدم في كل سياق الاليق به ولما كان المعنى فانك
ظاهر عليهم وقاهر لهم وهم طعام السيف وطوع العصا عطف عليه قوله وماواهم اى في الاخرة جهنم وبئس
المصير ولما اتى بالدليل العام على اجرامهم اتبعه الدليل الخاص عليه وهو ايضا دليل على الدليل فقال
يحلفون بالله اى الملك الاعلى الذي لا شيء اعظم قدرا منه ما قالوا اى ما وقع منهم قول نقصوا الفعل نعيما
للمقول علاما بانهم مهما عتقوا على قول كاينا ما كان بادروا الى الحلف على نفيه كذبا لانهم مردوا على النفاق
فتطبعوا بالكذب ومرنوا على سيء الاخلاق فصار حاصل هذا انهم طغوا في العقوق وصدوا من عذاب
الباقين بسبب اجرامهم لانهم يامرون بالمنكر وما يلابه متنفقين انا دين قبلهم في الانهماك في الشهوات غير
متلقين خوفا من الله ان يصيبهم بمثل ما اصابهم ولا رجا له ان ينيلهم مما اعد للمؤمنين محتجين على الايمان الباطلة

الباطلة باعظم الحلف على اى شيء فرض سواء كان يستحق اليمين اولا غير خايفين من الله ان يبعث لهم كما فعل
غيرهم بمن نقل مثل ايمانهم ثم دل على عظيم اجرامهم وما تقضيه قوله المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض الاية من كنايتها بايمانهم ويجوز ان يكون هذه الاية واقعة موقع التعليل للاية التي قبلها بانهم
يعدمون على ما يستحقون به الجهاد والغلظة والنار من الحلف كذبا على نفي كل ما ينقل عنهم اتخاذا
بالله وباسمايه اتخذوا ايمانهم جنة فيكون جوابا لمن كانه قال اما جهاد الكفار فالامر فيه واضح
واما المنافقون فكيف يجاهدون وهم يتكلمون بلفظ الايمان ويظهرون انفا لاهل الاسلام فقال
لانهم يحلفون ولقد اى والحال انهم كاذبون لقد قالوا كلمة الكفر اى الذي لا اكبر في الكفر منه وهي تكذيب
النبي صلى الله عليه وسلم ولما كان هذا السياق يصف بجدون الاستخفاف بالله تعالى بما دل عليه المقادع
دل على ان اقرارهم بالايمان كذب وانما لهم صورة لا حقايق لها تفيد بالاسلام فقال وكفروا اى اظهروا
الكفر بعد اسلامهم اى بما اظهروا من افعالهم واقوالهم وذلك غاية الفجور ولما كان على سعف الانسان يثني
ان يحدثه نفسه فيه بما لا يصل اليه فيكون ذلك اضربا من الهوس قال وهموا بما لم ينالوا اى من قتل
الرسول صلى الله عليه وسلم او اخراجه من المدينة فجمعوا بين انواع الكفر القول والفعل والاعتقاد ويجوز
ان يكون حال الامر الضمير في ما ولهم والتقدير على هذا يحلفون جهنم حالفين بالله ما قالوا كلمة الكفر ولقد
قالوها فيكون كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ولما بين من احوالهم التي
لا تحمل على فعلها الا امر عظيم وما اى قالوا وفعلوا والحال انهم ما نقموا اى كرهوا شيئا من الاشياء التي
اتتهم من الله الا ان اغناهم الله اى الذي له جميع صفات الكمال وهو غني عن العالمين ورسوله اى الذي هو
احق الخلق بها بان يحوز عظمة الاضافة الى الله سبحانه وكان اذا اهمهم هذا النبي صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله
مع اعطايه لهم ما اغناهم بخلاف الامة السابقة فكان الانتقام عنهم في ذمتهم تاخيره فوقه من فضله
ذنوبا بابا ولا عيب فيهم ولما بيند ان هذه المساوي قابلوا بها الحق اليهم رغبهم بان قابل المتاب
عليهم ورهبهم بانه لا مرد لما يريد من العذاب بقوله فان يتوبوا ولما كان المقام جديرا بان تشتد
تشوف السامع الى معرفة ما لهم فيه حذف نون الكون اختصارا تنبيها على ذلك فقال يك اى ذلك
خيرا لهم من اصرارهم ولما كان للنفوس من اصل الفطرة الاولى داعية شديدة الى المتاب
وكان القران في وعظه زاجرا مستقبلا للعباد باعظم الاعذار للقلوب والعطف للالباب اشار الى
ذلك بصيغة التفعل فقال وان يتولوا اى يكلفوا انفسهم الاعراض عن المتاب يعذبهم الله اى المحيط
بكل شيء قدرة وعلما بحوله وقوته عذابا اليما اى لا صبر لهم عليه في الدنيا اى بما هم فيه من الخوف
والخزي والكلف وغيرها والاخرة اى بالعذاب الاكبر الذي لا خلاص لهم منه وما لهم في الارض اى التي
لا يعرفون غيرها يسعون لهم من ولي اى يتولى امورهم فينصحهم ما انسدا العذاب منهم اى يشفع لهم من ولي
ينقذهم واما السما فهم اقل من ان يطمعوا منها بشيء بامر او غيره واغلظ كبادا من ان يرتقي فكرهم
الى ما لها من العجايب وما لها من الجنود وسبب نزول الاية على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان جالسا في ظل حجرة فقال انه سيأتيكم انسان ينظر اليكم بعيني شيطان فاذا جا
فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني انت
واصحابك فانطلق الرجل فجا باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فانزل الله الاية وقال الكلبي نزلت
في بعض الجلاس بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين
فسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب
علي يا رسول الله فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس بعد العصر
فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر وقام عامر وحلف بالله الذي لا اله الا هو
لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر رضي الله عنه يديه الى السما فقال اللهم انزل على نبيك
الصادق منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون امين فنزل جبريل عليه السلام قبل ان
يتفرقا بهذه الاية حتى بلغ فان يتوبوا يك اى التوب خيرا لهم فقام الجلاس فقال
يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قال لقد قلته وانا استغفر الله
واتوب اليه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته ولا مانع
ان يكون كل ذلك سببا لها كما تقدم وياتي والادنى لها في التشبيه الخبر الاول للتعبير في الكفر

بالموادعة ما كان لو من شيم نبينا صلى الله عليه وسلم فقد اوكب كل كبر ونالاية دليل على قبول
توبة الزنديق لا سيما لكفر المظهر الايمان كما قاله ابو حيان وقاله وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي
وقال مالك رضي الله عنه لا يقبل فان جاء تائبا من قبل نفسه من قبل ان يعثر عليه قبلت توبته ولما
اقام سبحانه الدليل على ما ذكر من الادلة الى ختم بانواع اغناهم من فضله انهم ما قاموا بالدليل
عليها وعلى انهم ينقضون العهود على اجتراحهم على ابهج الكذب فقال ومنهم من عاهد الله اي الذي
لا اعظم منه لئن آتانا اي من خير ما عنده لا حق عليه لاحد عليه بقوله من فضله اي باي
طريق كان من تجارة وغنيمة او زراعة او غيرها وكذا لا كذب شيطان ان الناس يكذبونه وهكذا
كل كاذب فقال لنصدقن اي مما آتانا من غير ما يشير اليه الادغام ولنكونن اي كونا هو الدال
على انا مجبولون على الخير من الصالحين اي بالخير الذي يرشد اليه فلما آتاهم من فضله تقريرا
لما قاله المعاهد وتاكيدا انا لا اعلام لانه لا حق لاعلمه لاحد ولا صنع فيما ينعم به ولا قدرة عليه بوجه
بخلوا به اي لذنوا فيما عاهدوا عليه والدوه غاية التاكيد فكم يتصدقوا بل منعوا الحق الواجب
الظاهر زه فضلا عن صدقة السر وتولوا اي كلفوا انفسهم الاعراض عن الطاعة لمن يفضل عليهم مع
معرفتهم بقبح نقض العهد ولما كان التولي قد يحمل على ما بالجسد نفط قال وهم معرضون اي بقلوبهم
والاعراض وصف لهم لازم لم يتجدد لهم بل كان غريزة فيهم ونحن عالمون لهم لمن حين انعوا العهد
قال ابو حيان قال الضحاك هم نبتل بن الحارث وجد بن قيس ومعتب بن قشير وثعلبة بن حاطب
وفيهم نزلت الاية انتهى وحسن تعقيبها لها انصا ان في الاول ذكر ان نعمة الله لغني من غير عهد وفي
هذه لمن انما مع العهد فهو ترق من الادنى الى الاعلى ودل على عظم شان العهد بتعظيم الجزاء
على خيانته بقوله فاعقبهم اي الله او التمادي على البخل جزاء لهم ذلك نفاقا متمكنا في قلوبهم اي بان لا
يزالوا يقولون ما لا يفعلون الى يوم يلقونه اي بالموت عند فوت الفوت بما اخلفوا الله اي وهو
الملك الاعظم ما وعدوه لان الجزاء من جنس العمل ولما كان اخلاف الوعد شديد القباحة فكان مرتكبه
غير متحاش من تعاطي الكذب قال وبما كانوا يكذبون اي يجددون الكذب دايما مع الوعد ومنفكا
عنه فقد استكملوا النفاق عاهدوا فغدروا ووعدوا فاخلفوا وحدثوا فكذبوا ولما كانت
المعاهدة سببا للاغتناء في الظاهر وكان ذلك ربما كان مظنة لان يتوهم من لا علم له ان ذلك لخفاء
امر البواطن عليه سبحانه وكان الحكم هنا واردا على القلب بما للنفاق الذي هو انجح الاخلاق
مع عدم العقدة لصاحبه على التخلص منه كان ذلك ادل دليل على انه تعالى اعلم بما في كل قلب
من صاحب ذلك القلب فعقب ذلك بالانكار على من لا يعلم ذلك والتوبيخ له والتقريع فقال
الم يعلموا ان الله يعلم اي الذي له صفات الكمال سرهم وهو ما اخفته صدورهم ونجواهم
اي ما فاوض فيه بعضهم بعضا لا يخفى عليه شيء منه وان الله اي الذي له الاحاطة الكاملة علام الغيوب
اي كلها الم يعلموا انه تعالى لا فادح لعلمه بالعواقب تخشوا عاقبته فيتوبوا بعهده وفادح الاطلاع
عليه بالخيانة اقامة الحجة قال ابو حيان وقرا علي وابو عبد الرحمن والحسن الم تعلموا بالتاء وهو خطاب
للمؤمنين على سبيل التقرير انتهى وفائدة الالتفات الاشارة الى ان هذا العلم انما ينفع من هيئ للايمان
ولما اخبر تعالى انه لم يكفهم لكن انه نعمة الغنى من غير معاهدة حتى ارتكبوا الكفران بمنع الواجب
مع المعاهدة اخبر انهم لم يكفهم ان ضادوا الحق بنقضه الى العيب لكن بالباذلين تصدقه خيرهم لدنائتهم
مالم يوجبه عليهم فقال تعالى معبرا بصيغة تصلح لجميع ما مضى من اوقاتهم افهاما لانهم كما كانوا
متحلفين بذلك وان لم يعلمه الا بعضهم الذين يلمزون اي يعيبون في خفاء المطوعين اي الذين ليست عليهم
واجبة في اموالهم فهم يتصدقون ويحثون اخفاء صدقاتهم بما يشير اليه الادغام من المؤمنين اي الراسخين
في الايمان في الصدقات ولما كان ما مضى شاملا للموسر والمعسر نص على المعسر لزيادة فضله والاشارة الى ان
الحث على قليل الخير كالحث على كثيره فقال عاطفا على المطوعين والذين لا يجدون اي من المال
الا جهدهم اي طاقتهم التي اجهدوا انفسهم فيها حتى بلغوها ولما كان اللمز هو العيب وهو ينظر الى
الخفاء كالغمز وكان ذلك بكل ترتيب تدور على اللزوم والمعنى يلمزون المطوعين عينا ولا يظهرون
ذلك لكل احد وانما يتخافتون به فيما بينهم وهو يرجع الى الهزء والسخرية سبب عنه قوله فيسخرون
منهم ولما كان لا شيء اعظم شرا من ان يتولى العظيم الانتقام له من ظالمه قال سخر الله اي وهو الذي
له الامر كله ولا امر لغيره منهم اي جازاهم على فعلهم باهل جزوه وزادهم قوله ولهم عذاب

اليم اي بما كانوا يقولون يولمون القلوب من ذلك واذا حوققوا عليه دفعوا عن انفسهم ما يودعهم عنه بالايمان الكاذبة روى
البخاري في التفسير عن ابي مسعود رضي الله عنه قال لما امرنا بالصدقة كنا نتحامل فجاء ابو عقيل بنصف صاع وجاء
انسان باكثر منه فقال المنافقون ان الله لغني عن صدقة هذا وما فعل هذا الاخر الا رياء فنزلت الذين
يلمزون الاية ولما كان صلى الله عليه وسلم معروفا بالاستغفار لهم تارة بكثرة الاحتمال وشدة
اللين المشير اليه عفا الله عنك لم اذنت لهم للمبالغة في استجلابهم والحرص على نجاة جميع الخلق
فكان معروفا بالاستغفار لهم تارة على وجه الخصوص بسؤالهم عند اعتذارهم وحلفهم وتارة
على وجه العموم واستغفاره على وجه العموم عند استغفاره لجميع المسلمين اخبره تعالى ان عاقبة
امره بما يزيده فيهم ليعرض عنهم اصلا وراسا لانهم تجاوزوا حق الله في ترك الجهاد ومنع الصدقة
وصفه صلى الله عليه وسلم في لمزه في الصدقات ووصفه بما لا يحل عنه الى حقوق المجاهدين الذين هو
سبحانه وتعالى خليفتهم في انفسهم واهليهم واموالهم مع ما سبق في علمه للمنافقين من انه لا يغفر لهم
فقال تعالى استغفر اي اطلب الغفران لهم او لا تستغفر لهم اي استوى في امرهم استغفارك لهم
وتركه ان تستغفر اي تسال الغفران لهم سبعين مرة اي على سبيل الحقيقة او المبالغة ولما كان
الاخبار باستواء الامرين الاستغفار وتركه ربما كان مسببا عن الغفران عينه في هذا الثاني
فقال فلن يغفر الله اي الذي قضى بشقائهم وهو الذي لا يرد امره لهم وهو يحتمل ان يكون جوابا للامر
وجواب الشرط محذوف لدلالته عليه والمراد بالسبعين على ما ظهر في المثال المبالغة في انه
لا يغفر لهم في شيء من الاشياء ولو غفر لهم لشيء لكان لقبول شفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم والعرب
تبالغ بما فيه لفظ السبعة لانه غاية مستقصاه جامعة لاكثر اقسام العدد وهي تتمة عدد
الخلق كالسموات والارضين والبحار والاقاليم والاعضاء ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد
الحرص على رشدهم ونفعهم وكان حقيقة نظم الاية التخيير في الاستغفار وتركه
ونفي المغفرة بالاستغفار بالعدد المحصور في سبعين حمل صلى الله عليه وسلم هذه الاية مفيدة
لما في سورة المنافقين فاستغفر لابن ابي وصلى عليه وقام على قبره وصرح بانه لو يعلم انه لو زاد على السبعين
قبل لزاد واستعظم عمر رضي الله عنه ذلك منه صلى الله عليه وسلم وشرع يمسكه بثوبه ويقول اتصلي
عليه وقد نهاك الله عن ذلك لانه لم يفهم من الاية غير الحال لما عنده من البغض للمنافقين واما النبي صلى
الله عليه وسلم فراى التمسك بالحقيقة لما في الرفق بالخليقة من جميل الطريقة وتحصيل الائتلاف
الرافع للخلاف وغيره من الفوائد وجليل العوائد ولذلك كان عمر رضي الله عنه يقول لما نزل
النهي الصريح فعجبت بعد من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بعدما نزل هذا الصريح ان ذلك
الاول كان محتملا ولا اعلم الا الصلاة عليه وفي موافقة الله تعالى لعمر رضي الله عنه منقبة شريفة
له وتذوا انفعه الله تعالى بهذا في اشياء كثيرة روى البخاري في التفسير وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال لما توفي عبد الله بن ابي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فساله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه فاعطاه ثم ساله ان يصلي عليه وفي رواية في اللباس
فاعطاه قميصه وقال اذا فرغت فاذنا فلما فرغ اذنه فجاء وفي رواية فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه
وقد نهاك الله ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله فقال استغفر لهم او لا تستغفر
لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وساريده على السبعين وفي رواية لو اعلم اني لو زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال انه
منافق فصلى عليه صلى الله عليه وسلم قال فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد مات منهم ابدا الى وهم فاسقون
فترك الصلاة عليهم قال فعجبت بعد من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله اعلم وله في اواخر
الجهاد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما كان يوم بدر اتي بالاسارى واتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب
فنظر النبي صلى الله عليه وسلم كسوته الذي البسه قال ابن عيينة كانت له عند النبي صلى الله عليه وسلم
له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن ابي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى
الله عليه وسلم قميصه الذي البسه قال ابن عيينة كانت له عند النبي صلى الله عليه وسلم يد فاحب ان يكافيه
وفي رواية عنه في اللباس انه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم ابن ابي بعدما ادخل قبره فامر به
فاخرج ووضع على ركبتيه ونفث عليه من ريقه والبسه قميصه انتهى فكان ابنه رضي الله عنه استحيى
ان لا يؤذن النبي صلى الله عليه وسلم به لما كان يعلم من نفاقه او اذنه صلى الله عليه وسلم فصادف منه

شغلا لذنبه فجاء صلى الله عليه وسلم بعد إدخاله القبر وقبل تمام الدفن فأخرجه تطييبا لخاطر ابنه
الرجل الصالح ودفعا لما قد يتوهمه من أحسنه عليه وتألفا لغيره فقد روي أنه قال صلى الله عليه وسلم
إني أومل من الله أن يدخل في الإسلام كثير لهذا السبب فأسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء
بثوب النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات أنه هو الذي طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يكفنه
في قميصه ويعطفه عليه أدعى لتراحم المسلمين ولعطف بعضهم على بعض وقوله وألبسه قميصه بالواو
لا ينافي الرواية الأولى على أنه وعده إعطاء القميص لما كان من التخيير وقت السؤال فحمل
الجزم بالإعطاء على الوعد الصادق ثم أنجزه بعد إخراجه من القبر والله أعلم وورد هذه الآية على طريق الجواب
لمن كأنه قال لما تقدم من أحوال المنافقين كان إما أنها كالحرمة لله أو لحق الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يرد
فيه أنه لعنهم عن الإماتة على النفاق فكان يكفي فيه استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وأما هذان القسمان
فأمرهما أخبر بأنه يتمهم منافقين والثاني انتهاك حرمة المخلصين من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فهل
ينفعهم الاستغفار لهم فكأنه قيل استوى الاستغفار وعدمه في أنهم لا ينفعهم وختمها بعلة المغفرة في قوله
ذلك أي الأمر الذي يبعد فعله من الحليم الكريم بأنهم كفروا بالله أي وهو الملك الأعظم ورسوله أي أنهم
لا يستأهلون الغفران لأنهم لا يهتدون لإصرارهم على الفسق وهو معنى قائم في الزيادة على السبعين كما هو
قائم بهم في الاقتصار على السبعين والله أي المحيط علما وقدرة لا يهدي القوم الفاسقين أي أنه لا يهديهم
لأنه جبلهم على الفسق فكل من لا يهديه لأنه جبله على الفسق لا يغفر له فهو لا يغفر لهم لما علم منهم مما لا يعلمه
غيره فهو تمهيد لعذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره قبل العلم بالطبع الذي لا يمكن معه رجوع
ولما علل سبحانه عدم المغفرة بفسقهم وأتى بالظاهر موضع المضمر إشارة إلى تعليقها به وتعليقا للحكم
بالوصف علل رسوخهم في الفسق بعد أن قدم أن المنافقين بعضهم من بعض فهم كالجسد الواحد بقوله
فرح المخلفون أي الذين وقع تخليفهم بإذنك لهم وكراهة الله انبعاثهم بمقعدهم أي بقعودهم عن غزوة
تبوك ولعله عبر بهذا المصدر لصلاحيته لموضع القعود ليكون دلالته على الفرح أعظم دلالة بدلالته على
الفرح بالموضع وهو يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما وأظهر الوصف بالتخلف موضع الضمير زيادة في التحسر
ما رضوا به لأنفسهم وزاد التعجب أيضا بقوله خلاف أي بعد وخلف ولأجل خلاف رسول الله أي الملك
الأعظم ذي السخط تحريما إلى تحريمها وتارة ينتقض ليدعن بذلها وتارة بالاستمتاع الذي هو الخلاف الذي
هو التغيب أعم من أن يكون بالمال كالذي يخلف عن حزبه مالا وكرهوا أن يجاهدوا ولما كان هذا في سياق
الأموال تارة بالرضا ببذلها والسخط تحريما لها وتارة ببعضها ليدعن بذلها وتارة بالاستمتاع بالخلاف الذي هو التغيب
أعم أن يكون بالمال أو النفس وتارة بعيب الباذلين وغير ذلك من شأنها قدم قوله بأموالهم وأنفسهم على قوله
في سبيل الله أي طريق الملك الذي له صفات الكمال لأنه ليس فيهم باعث بعيب الباذلين وغيره لذلك من شأنها
تدم قوله الإيمان وداعي الانفعال الذي نعت المؤمنين ودل ذلك على عراقتهم في الفسق بأن الإنسان قد يفعل
المعصية ويحزن على فعلها وهو لا يسر وإنها مع ما فيها من اللذات وقد يسر الإنسان بالمعصية ولا يكره أن يكون بذلها
أو منها طاعة وهو لا يفتن إلى شر ودهم لما لكراهية الطاعة وقد يكرهه ولا ينهى غيره وهو لا منتوا إلى ذلك
كلفه في غيرهم ففعلوا ذلك كله وقالوا لغيرهم لا تنفروا في الحر بعدا من الإسلام وحمى عن سد الأحكام
لأن غزوة تبوك كانت في شدة الحر ولما كان هذا قول من لم يخطر الآخرة على باله أمره تعالى بأن يجيز من يصغي
إليهم أو يقبل عليهم بقوله قل أي لما علم فلعنا باستحبها لا لهم نار جهنم أي التي أعدها الله لمن خالف أمره
أشد حرا الكلام إلى الغيبة يدل على أن أعظم المراد بها هذا الوعظ ضعفاء المؤمنين
لئلا يتشبهوا بهم طمعا في الحلم فقال تعالى لو كانوا أي المنافقون يفقهون أي لو كان لهم فهم يعلمون به
صدق الرسول وقدرة مرسله على ما توعد به لعلموا ذلك فما كانوا يفرون من الحر إلى أشد حرا منه لأن من
فر من حر ساعة إلى حر الأبد كان أجهل الجهال وقال أبو حيان لما ذكر تعالى ما ظهر من النفاق والهزء
من الذين خرجوا معه إلى غزوة تبوك من المنافقين ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه يعني في
قوله فرح المخلفون انتهى وتكون الآية حينئذ جوابا لمن كأنه قال من جرح بما حال من تعد وقد جرح بما
في هذه الآية من الأوصاف لكعب بن مالك ورفقائه رضي الله عنهم ونحوهم ممن لم يفرح بالقعود ولا انفك
بما ذكر معه من أوصافهم ولما كان غاية السرور الضحك وكان اللازم لهم في الآخرة البكاء في دار الشقاء الذي
هو غاية الحزن لهم فيها زفير وشهيق وهم يصطرخون فيها قال تعالى مهددا لهم مسببا عن تيهم ما ذكر من فعلهم
مخبرا في صورة الأمر إيذانا بأنه أمر لا بد من وقوعه فليضحكوا قليلا أي فليتمتعوا في هذه الدار

بفرحهم بمقعدهم المتبع الذي غايته السرور وزبده الضحك يسيرا فإنها دار قلعة وزوال وانزعاج
وارتحال وليبكوا كثيرا أي في نار جهنم التي أعملوا أنفسهم في الفرار من حرها وأهملوا الاتقاء من شديد
سعيرها أبدا لذلك الضحك القليل كما ابتدلوا حرها القليل بحر الشمس الحقير جزاء بما كانوا يكسبون
أي من الفرح بالمعاصي والسرور بالشهوات والانهماك في اللذات ولما كان السرور والبشر الكاره لضد
الناهي عنه لا يفعل الضد إلا تكلفا ولا قلب له إليه وكان هذا الدين مبنيا على العزة والغنى أتبع
ذلك تعقيبه متسببا عن فرحهم بالتخلف فإن رجعك الله أي الملك الذي له العظمة كلها فله الغنى المطلق
من سفرك هذا إلى طائفة منهم وهم الذين يمد الله في أعمارهم إلى أن ترجع إليهم وهذا يدل على أنه أهلك
سبحانه في غيبته بعضهم فأرادت الخروج إلى سفر آخر فاستأذنوك أي طلبوا أن تأذن لهم للخروج أي معك
في سفرك ذلك فقل عقوبة لهم غنى عنهم وعزة عليهم ناهيا لهم بصيغة الخبر ليكون صدقك فيه
علما من أعلام النبوة وبرهانا من براهين الرسالة لن تخرجوا معي أبدا أي في سفر من الأسفار لأن الله
قد أغناني عنكم وأحوجكم إلي ولن تقاتلوا معي عدوا لأنكم جعلتم أنفسكم في عداد ربات الحجال فلا
تصلحوا للقتال والتقيد بالمعية كأنه يؤذن بأنه ستنقل لهم بخروج ما كان بعده صلى الله عليه وسلم مع أصحابه
صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم من سفرهم وقتالهم ولما أخزاهم سبحانه بما أخزوا به أنفسهم علله بقوله
إنكم رضيتم بالقعود أول مرة أي عن الشرف بمصاحبتي ولما كانت الأوليات أدل على تمكن الغرائز من الإيمان
والكفران من غيرهما قال أول مرة أي في غزوة تبوك ومن فاتنا مغنمه أنا نفوته قال أبو حيان فعلل
بالمسبب وهو الرضا الناشئ عن السبب وهو النفاق انتهى ولما كان الحكم والعلة سبب عنه قوله فاقعدوا
مع الخالفين أي الذين رضوا لأنفسهم بهذا الوصف الذي من جملة معانيه الفاسد فهم لا يصلحون
للجهاد ولا يكونون في مواطن الأمجاد وقال بعضهم المراد كلهم الذين يخلفون بغير عذر في غزوة تبوك أو
النساء والصبيان أو أدنياء الناس أو المخالفون أو المرضى والزمنى أو أهل الفساد والأولى الحمل على
الجميع أي لأن المراد تبكيتهم وتوبيخهم ولما أتم سبحانه الكلام في الاستغفار وتعليله إلى أن ختم بأنها
المتخلفين وكان القتل المسبب لترك الصلاة إهانة عن الجهاد سببا لترك الصلاة على الشهيد تشريفا
له جعل الموت الواقع في القعود المرضي به عن الجهاد سببا لترك الصلاة إهانة لذلك القاعد فقال
عاطفا على ما أفهمته جملة استغفر لهم أو لا تستغفر لهم الآية من نحو فلا تستغفر لهم أصلا ولا تصل أي
الصلاة التي شرعت لتشريف المصلى عليه والشفاعة فيه على أحد منهم ثم وصف الأحد
بقوله مات وقوله أبدا متعلق بالنهي لا بالموت ولا تقم على قبره أي لأن تأملك رحمة وهم غير أهلها
ثم علل ذلك بقوله إنهم كفروا بالله أي الذي له العظمة كلها ولما كان مطلق الموت على الكفر مانعا من الصلاة
على الميت بجميع معانيها لم يحتج إلى التأكيد بإعادة الجار فقال ورسوله أي الذي هو أعظم الناس نعمة
عليهم بما له من نصائحهم بالرسالة والمعنى أنهم لعظيم ما ارتكبوا من ذلك لم تعد منهم أهلا
الضلال حتى ماتوا على صفة من وقع النهي عن الاستغفار لهم المشار إليها بقوله والله لا يهدي القوم
الفاسقين وذلك المراد من قوله معبرا بالماضي فالمعنى على المضارع تحقيقا للخبر وأنه واقع لا محالة
وماتوا وهم أي والحال أنهم بضمائرهم وظواهرهم كافرون أي عريقون في الفسق ولما كان ابن
أبي سببا للنهي عن الاستغفار لهم وكان ابنه عبد الله بن عبد الله من خيار المؤمنين ومخلص المحسنين
وكان لبعض المنافقين أبناء مثله وكان من طبع البشر أن يذكر في كثير من مقاله غلطا ما يندم عليه
وكان شديد الوقوف لما حف به من العلائق البدنية وشمله من العوائق بالأوهام النفسانية مع أوهامه
وعوائقه قاصرا على تعوده وعلائقه فكان لإعادة الكلام وتكريره وترديده ومزيد تقريره تأكيد في النفوس
وتقوية وتثبيت في القلوب كراهية الإعجاب بهذه الأسباب ولأن يكون حكمها على بال من المخاطب
لا ينساه لاعتقاده أن العمل به مهم جدا يفتقر إلى فضل عناية وأن ذلك شبيه بما أهم صاحبه فهو يتكلم
فيه ثم ينتقل إلى غيره لغرض صحيح ثم يرجع إليه في أثناء حديثه لشدة اهتمامه به تنبيها على ذلك
ولا يرجع إليه إلا على غاية ما يكون من حسن الربط وبداعة التناسب وعطفها بالواو دون الفاء لأن ذلك
ليس مسببا عما قبله كما سبق في الآية الأولى أي لا تستغفر لهم ولا تصل عليهم ولا يعجبك قولهم مستعطفين
لك في طلب صحبتك وإن زخرفوه وأكدوه بالأيمان التي اتخذوها جنة فلا تعجبك أموالهم وأسند
النهي إليها إبلاغا فيه ولما لم يكن هنا ما اقتصر فيه اقتضى تأكيد النهي بما مضى في الآية الأولى لم يعد النافي
ولا أثبت اللام ولا الحياة وقال ولا أولادهم أي وإن ظهروا أنهم يجاهدون بها معك ويتقربون بها إلى الله

فان الله لا يريد بكم ذلك فلا يتيسره لهم لما علم من مباعدتهم للخير وعدم قابليتهم له فلا يحملك الاعجاب لشي من ذلك على فعل شي مما تقدم النهي عنه تالفا لامثالهم للمساعدة او لاولادهم واموالهم او تطييبا لقلوب المومنين من اولادهم فانهم ان كانوا مومنين لم يضرهم ترك ذلك والا فبعدا لهم وسحقا انما يريد الله اي بعزه وعظمته وعلمه واحاطته ان يعذبهم اي تعذيبهم بها فالفعل واقع بخلافه في الاية السابقة في الدنيا اي بجمعها ومحبتها والاخلاد اليها والى الاولاد ان كانوا امثالهم في الاعتقاد والا كانوا زيادة عذاب لهم في الدارين وتزهق اي تخرج بغاية العسر انفسهم لاغترارهم بها وهم كافرون ولا شك ان خطاب الراس بشي اوقع في قلوب صحابه فلذلك وقع الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره من اتباعه وجماعته واشياعه ممن تدعو الى الاسباب وتقف عندها كما هو طبع النفوس في تاميل ما شهد ونسيان ما غاب وعهد ندرتهم على الحب في الله والبغض فيه لانه من ادق ابواب الدين فهما واجلها قدرا وعليه ينبني غالب ابوابه ومنه يجتنى اكثر ثمراته واذابه وذلك انه ربما ظن الناظر فيمن بسطت عليه الدنيا انه من الناجين بزيادة حسن قوله غافلا عن سوء فعله او يظن ان اهل الدين فقرا الى مساعدته لهم في جهاد وغيره بماله وذويه فيداريه فاعلم تعالى ان ما هذا سبيله مقطوع البركة منهيا عن النظر الى الصورة ونبه على قصر الانظار على المعاني قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث الاية واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم ولما انتهت قصتهم بان المتقين لا يتوقفون في الانتداب الى الجهاد على امر جديد ولا استئذان بل يكتفون بما سبق من عموم الحث عليه والندب اليه فيبادرون اليه الطوف ولا يحاذرون الحتف وان من المنافقين من يستاذن في الجهاد عاجلا استاذنه فيه بابا للاستئذان في التخلف عنه ومنهم من صرح بالاستئذان في القعود ابتدا من غير تستر وعقب ذلك بالنهي عن الاعجاب باموالهم واولادهم ثم من في ذكر امثالهم وما لزمهم من فضائحهم واثامهم الى ان ختم القصة بان اموالهم انما هي لفتنتهم لا لرحمتهم ولمحنتهم لا لمنحتهم اتبع ذلك بتسلية من انهم لا يتوصلون بها الى الجهاد ولا يتوسلون الى دار المعاد فقال عاطفا على ما افهمه السياق من نحو تعالى انهم لا يعقلون بها خيرا ولا يكسبون بها اجرا وثناء الاس الكاف في يعجبك واذا انزلت سورة اي وقع انزال قطعة من القران ولما كان الامر الدال على المنزل حقا شرع بقوله ان امنوا بالله اي الذي له الكمال كله وجاهدوا اي اوقعوا الجهاد مع رسوله استاذنك اي في التخلف من لا عذر له وهم اولوا الطول اي اهل الفضل من الاموال والسعة والثروة في غالب الاحوال منهم وخصهم بالذكر لان الذم لهم الزم ولا سيما بعد سماع القران ويجوز ان يكون معطوفا على خبر ان في قوله ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله هذا مع ما تضمن استئذانهم من رذائل الاخلاق ودنا ما الهم المحكي عنهم بقوله وقالوا ذرنا اي اتركنا ولو حالة شبيهة نكن اي بما يوافق جهلاتنا مع القاعدين اي لعذر المتضمن لا سيما مع التعبير بذرنا الذي مادته تدور على ما يكره دون دعنا لما استانف به او بين من قوله رضوا بان يكونوا اي كونا كانه جبلة لهم مع الخوالف اي النسا وطبع اي ووقع الطبع المانع على قلوبهم اي حتى رضوا لانفسهم بالتخلف عن سبب السعادة مع الكون في عداد المخدرات بما هو عار في الدنيا ونار في العقبى ولما انهم فاعل الطبع بعد تدقق العلم فقال فهم اي بسبب هذا الطبع لا يفقهون اي لا فقه لهم يعرفون به ما في الجهاد من العز والسعادة في الدارين وما في التخلف من الشقا والعار فلذلك لا يجاهدون فلا شي اضر من هذه الاموال والاولاد التي ابعدت عن المحامد والزمت المذام والعوائد فقد اكتنفا ذكر الاموال في اول القصة واخرها ما يدل على مضمونها ولما انتهت القصة بمدح المتقين لمسابقتهم الى الجهاد من دون استئذان ختمها بذلك وذكر ما اعد لهم فقال معلما بالغنى عنهم بمن هو الخير المحض تبكيتا لهم وتقريعا لكن الرسول اي الذي بعثته لرد العباد عن الفساد الى السداد والذين امنوا اي ايمانا عظيما كائنا او كائنين معه اي مصاحبين له ذاتا وحالا في جميع ما ارسلناه اليهم به جاهدوا باموالهم وانفسهم اي بذلوا الكل من ذلك في حبه صلى الله عليه وسلم فحققوا الشرط الايمان ويكون واقعة موقعها بين متنافيين لان ما مضى من حالهم كله ناطق بانهم لم يجاهدوا ولما كان السياق لتخلفهم بالنفس والمال ولسلب النفع من اولادهم واموالهم اقتصر في مدح اوليائه على الجهاد بالنفس والمال لم يذكر السبيل قال واولئك الا على انه معطوف على ما تقديره فاولئك الذين نورت قلوبهم فهم يفقهون وقوله لهم اي لا لغيرهم الخيرات تعريض بذوي الاموال من المنافقين لان الخير يطلق على المال وتحليته بال يدل على استغراقه لجميع منافع الدارين والتعبير باداة البعد اشارة الى علو مقام اوليائه وبعد مناله الا بفضل منه تعالى وكذا التعريض بهم بقوله واولئك هم اي خاصة المفلحون اي الفائزون بجميع مرادهم لا غيرهم ثم بين الفلاح الاعظم بقوله اعد الله اي الذي له صفات الكمال لهم اي الان ليتنعموا بها بعد موتهم وانتقالهم من هذه الدار التي هي معدن الاكدار جنات تجري اي دائما من تحتها اي مع ارتفاعها الانهار ثم عرض بقصر الدنيا الساعة الزائلة فقال خالدين فيها ثم رغبهم بقوله ذلك اي الامر العالي الرتبة الفوز العظيم اي لا غيره ولما ختم فضح اهل المدينة بذم اولي الطول منهم بتخلفهم وكان ذمهم انما هو لكونهم قادرين على الخروج في ذلك الوجه وتدكهم لكثرة سماعهم للحكمة وكان اهل الوبر اقدر الناس على السفر لان مبنى امرهم على الحمل والارتحال ثم اجدر بالذم لانهم في غاية الاستعداد لذلك بلا علم هم فقال وجاء المعذرون اي المبالغون في اثبات الخفا بامر من الاعذار المانعة لهم من الجهاد بما اشار اليه الادغام وحقيقته

المعتذر ان يوهم ان له عذرا ولا عذر له والعذر اتساع الحيلة في وجه يدفع ما ظهر من التقصير من الاعراب قيل هم رهط عامر بن الطفيل من بني عامر وقيل اسد وغطفان وقيل رهط من غفار ليوذن اي ليقع الاذن من اي اذن كان في تخلفهم عن الغزو لهم اي فاعتذروا بما كذبوا فيه وقعدوا عن الغزو معك هكذا كان الاصل فوضع موضعه وقعد الذين كذبوا الله اي وهو المحيط علما وقدرة ورسوله تنبيها على وصفهم وليكون اظهر في شمول الاعراب وغيرهم ولما كان منهم المختوم بكفره وغيره قال سيصيب اي بوعد لا خلف فيه الذين كفروا اي حتم بكفرهم منهم عذاب اليم اي في الدارين ولما كان من القاعدين من اهل المدر والوبر من له عذر استثناهم وساق ذلك مساق النتيجة من المقدمات الظاهرة فقال ليس على الضعفا اي نحو الهرم ولا على المرضى اي نحو الحمى والرمد ولا على الذين لا يجدون ولو بمن يودونه في المستقبل ما ينفقون اي لحاجتهم وفقرهم حرج اي اثم يميل اليهم عن الصراط المستقيم ويخرج دينهم ولما كان ربما كان احد من المنافقين فانهم يحسنون في بعضهم لعزمه العفة احترز عنه بقوله اذا نصحوا اي في تخلفهم وجميع احوالهم لله اي الذي له الجلال والاكرام ورسوله اي سرا وعلانية فانهم محسنون في نصحهم الذي منه تحسرهم على القعود من هذا الوجه وعزمهم على الخروج متى قدروا وقوله ما على المحسنين في موضع ما عليهم لبيان احسانهم بنصحهم مع عذرهم من سبيل اي طريق الى ذمهم او لومهم والجملة كلها بيان لنصحهم لله ورسوله وقوله والله اي الذي له صفات الكمال غفور اي محا للذنوب رحيم اي محسن بجميل اشارة الى ان الانسان محل التقصير والعجز وان اجتهد فلا يسعه الا العفو ثم عطف على ذلك قوله ولا على الذين اذا ما اتوك والمعنى بقوله ما اتوك اي ولم ياتوا لغير قصدك راغبين في الجهاد معك لتحملهم وهم لا يجدون محملا قلت اي اتوك قائلا وحال قولك وقدم مقنعهم كما قالوا في حصرت صدورهم لا اجد ما اي شيئا احملكم عليه واجاب اذا بقوله ويجوز ان يكون استئنافا وقلت هو الجواب تولوا اي عن سماع هذا القول منك واعينهم تفيض اي تمتلي فتسيل واسناد الفيض اليها ابلغ من حيث انها جعلت كلها دمعا مما من الفائض بقوله من الدمع اي دمعا والامل يفيض دمعها ثم علل فيضها بقوله حزنا ثم علل حزنهم بقوله الا يجدوا اي لعدم وجدانهم ما ينفقون فحزنهم في الحقيقة على فوات مرافقتك والكون في حزبك وهذه قصة البكائين ولما وان كانوا داخلين في الذين لا يجدون اظهارا للشرف بهم وتقريرا لان الناصح وان اجتهد لا غنى له عن العفو حيث بين انهم مع اجتهادهم في تحصيل الاسباب وتحسرهم عند فواتها ما افاض عينهم مما لا سبيل اليه البتة او ممن احوج اليه المغفور له ولما نفى السبيل عن وصف كرر على ذم من انتفى عنه الوصف فقال تعالى انما السبيل اي باللوم وغيره على الذين يستاذنونك اي يطلبون اذنك في التخلف عنك راغبين فيه وهم اغنيا اي فلا عذر لهم في التخلف عنك وعدم مواساتك وتضمن قوله مستانفا رضوا بان يكونوا اي كونا كانه جبلة مع الخوالف انتفا الضعف والمرض عنهم من حيث انه علل فعلهم برضاهم بالتخلف فافهم ذلك انه لا علة لهم سواه وانهم ايضا ان كل من كان كذلك كان مثلهم ولو انه ضعيف او مريض وكرر ذلك ذكر الخوالف تكريرا لعيبهم برضاهم بالكون في عداد النسا اذ كان ذلك من اعظم المعايب عند العرب وسمى الفاعل للطبع حيث صرفه من الاول لما ذكره عظم الامر فاقتضى ذلك عظم الطبع فانتفى مطلق العلم فقال عاطفا على رضوا وطبع الله اي الذي له القدرة الكاملة والعلم المحيط على قلوبهم ثم سبب عن ذلك الرضا والطبع قوله فهم لا يعلمون اي لا علم لهم فلذلك جهلوا ما في الجهاد من منافع الدارين فلذلك رضوا بما لا يرضى به عاقل وهو ابلغ من نفي الفقه في الاول وزاد المناسبة حسنا ضم الاعراب في هذه الايات الى اهل الحاضرة وهم بعيدون من الفقه جديرون بعدم العلم ثم اخبر عن اشيا تقع منهم عند الرجوع دلالة على ان هذا الكلام وانه عالم بالمغيبات كلها وجزئيها يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون فقال مبينا لعدم علمهم يعتذرون اي يثبتون الاعذار لانفسهم واشار الى بعدهم بالقلوب بقوله اليكم اي عن التخلف اذا رجعتم اليهم اي من هذه الغزوة فكانه قيل فما يقال في جوابهم فقال للراس الذي لا ماخذ في سلوكه لهم قل لا تعتذروا اي فان اعذاركم كاذبة ولذلك علل النهي بقوله لن نؤمن لكم اي نصدقكم في شي منها ثم علل عدم تصديقهم بما اوجب لهم القطع بذلك فقال قد نبانا الله اي علمنا الملك الذي له الاحاطة الكاملة بكل شي اعلاما جليلا من اخباركم اي التي خلتم جهلا بالله انها تخفى فعند علمنا لها ثم هددهم بقوله وسيرى الله اي لانه عالم بكل شي وانه قادر على كل شي عملكم اي بعد ذلك اتتوبون ام تثبتون على حالكم هذا الخبيث كما راى الذي قبل ورسوله اي بما يعلمه به سبحانه وحيا او تفرسا ولما كان الكلام في المنافقين فكانت الروية لنفاقهم الذي يجتهدون في اخفائه وكان المومنون لا اطلاع لجميعهم عليه لم يذكرهم بخلاف من ياتي بعد فانهم مومنون ولما كان هذا ربما اوهم انه لا يعلم الا ما او نحوه بالفعل نفى ذلك بالاظهار وصفه في موضع الاضمار وهدد بقوله مشيرا باداة التراخي الى استبعادهم لقيا المعاد ثم تردون اي براد قاهر لا يقدرون على دفاعه اي بعد استيفاء اجالكم والموت وان طالت بالبعث

الى عالم الغيب وهو ما غاب عن الخلق والشهادة وهو ما اطلع عليه احد منهم فصار بحيث يطلعون عليه وهذا ترجمة
عن الذي يعلم الشي قبل كونه كما يعلمه بعد كونه فينبئكم اي يخبركم اخبارا عظيما جليلا مستوعيا بما كنتم اي بجبلاتكم
تعملون اي مما ابرز نموه الى الخارج وما كان في جبلاتكم ولو ناصرا لم يبرز وهو تهديد عظيم ووقع توبيخهم للاعتذار
على الاسهل فالاسهل على تلك مراتب الاولى مطلق الاعتذار وقد مضى ما فيها الثانية تاكيد ذلك بما الحلف للاعراض عنهم
فقال سبحانه سيحلفون بالله اي الذي لا اعظم منه لكم اذا انقلبتم اليهم اي جهد ايمانهم انهم كانوا معذورين
في التخلف كذبا منهم ارادة ان يقلبوا قلوبكم عما اعتقدتم فيهم لتعرضوا عنهم اي اعراض الصفح عن معاتبتهم
فاعرضوا عنهم اعراض المعتب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم ثم علل وجوب
الاعراض بقوله انهم رجس اي لا يطهرهم العتاب فهو عبث ولما كان من المقرر انه لا بد لهم من جزا وان النفس
تتشوف الى معرفته قال وماواهم اي في الاخرة جهنم جزا اي لاجل جزائهم بما كانوا يكسبون اي فلا تتكلفوا لهم
جزا غيره للتوبيخ ولا غيره المرتبة الثانية الحلف للرضا عنهم فقال يحلفون لكم لترضوا اي يجتهدون في
الحلف لمن تقدم انهم يحلفون به وهو الله لترضوا عنهم خوفا من غائلة غضبكم فان ترضوا عنهم اي
لمجرد ايمانهم المبني على عدم ايمانهم فان الله اي الذي له الغنى المطلق لا يرضى عنهم هكذا كان الاصل ولكنه قال
عن القوم الفاسقين اشارة الى تعليق الحكم بالوصف وتعميما لكل من اتصف بذلك والمعنى انه لا ينفعهم ذلك
رضاكم ويكونون به مخالفين لله فهو في الحقيقة نهي للمومنين عن الرضا عنهم ابرز في هذا الاسلوب العجيب الرائض
وفي ذلك رد على من يتوهم ان رضا المومنين لو رضوا عنهم يقتضي رضا الله فان ذلك نزعة مما يفعل الاحبار والرهبان
في رضاهم وغضبهم وتحليلهم وتحريمهم الذي يعتقد اتباعهم انه عن الله ولما رتب سبحانه الاستيذان في القعود والرضا
بما فيه من الدناة على عدم الفقه تارة والعلم اخرى وختم نصف الاعراب بين ان الاعراب اولى بذلك لكونهم اعرق
في هذا الوصف واجرا على الفسق لبعدهم عن معدن العلم ومهم فهم افكارهم في غير ذلك من انواع المجاري لتحصيل
المال الذي كلما داروا عليه طار منهم فابعد نفرة لا يزالون في همه قد شغلهم ذلك عن كل مهم وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا فقال تعالى الاعراب اي اهل البدو اشد اي من اهل المدر كفرا ونفاقا لبعدهم عن دار الهجرة ومعدن
العلم وجفايهم بان مراي قلوبهم لم يصقل بانوار الكتاب والسنة واجدر اي واحق بان لا يعلموا ولما كان الاحجام
اصعب من الاقدام واطراف الاشيا المختلطة في غاية الالتباس قال حدود ما انزل الله اي المحيط علما وحكمة
بكل شي على رسوله اي الذي هو اعلم الخلق من القران والشرايع والاحكام لعدم اقبالهم عليه شغلا بغيره فان الله يعلم
ذلك منهم والله اي الذي له جميع صفات الكمال عليم اي بالغ العلم بكل شي حكيم اي بالغ الحكمة فهو يضع الاشيا في اتم
محالها ولما اثبت هذا الوصف لهذا الصنف بين ان افراده انقسموا الى من ثبت على ما هو الاليق بحالهم والى من ترقى
الى ما هو الاليق باهل المدر كما انقسم اهل المدر الى مثل ذلك وبدا بالخبيث لانه الاصل فيهم فقال ومن الاعراب اي المذكورين
من يتخذ اي يتكلف غير ما تدعوا اليه الفطرة الاولى من الاريحية والهمم العلية بان لعدما ينفق مغرما اي نقلا يبذله
الاكراه ولا يرى له فايدة اخروية بل يراه مثل الضايع بالنهب ونحوه فلا يتخلص منها وذلك لتستزع من الانفاق
وغيره مما الزمه به الدين ولما تربصوا هذا التربص دعا عليهم بمثل ما تربصوا به فقال عليهم دايرة السوء
اي دايما لا ينفك اما بذلا لا الاسلام واما بعذاب الاصطلام فهم فيما ارادوه بكم على الدوام وقراة ابن كثير
بضم السين على معناه الشر والضر وقراة الباقين بالفتح على انه مصدر فهو ذم للدايرة ولما كان الانتقام من الاعدا
وايقاع الباس بهم لا يتوقف من القادر غالبا الا على سماع اخبارهم والعلم بها جرت سنته تعالى في ختم مثل
ذلك بقوله والله اي الملك الاعلا الذي له الاحاطة الكاملة سميع فهو يسمع ما يقولون عليم فهو يعلم ما يضمرون
عطفا على نحو فالله على كل شي قدير ونحوه قوله انني معكما اسمع وارى ولما افتتح الاية الثانية بقوله ومن الاعراب
من يومن بالله اي لانه الحد دايمانه يتجدد اثابادالدين واليوم الاخر علم ان القسم الاول غير يومن بذلك وانما وقع
الاقرار منهم باللسان من غير اذعان والايمان هو الاصل الذي يترتب عليه الانفاق عن طيب نفس لا يرجى من ثوابه
في اليوم الاخر الذي لولا هو انتفت الحكمة من هذا الخلق على هذا الترتيب ثم عطف عليه ما يثمر الايمان فقال ويتخذ
اي بحث نفسه لما يقربها اليه سبحانه ما ينفق اي الذي لا اشرف من القرب منه لانه الملك الاعظم قربات اي دعوات
عند الله اي الذي وظيفته التبليغ فهو لا يقوم له شيا الا عن الله واطلق القربة والصلاة على سببهما ولما اخبر
عن نفاق اهل خبرهم عن عاقبتهم وما لهم فقال مستانفا محققا لرجاهم ترغيبا في الصدقة بابلغ تاكيد لما لاعداهم من التكذيب
الا انها اي نفقاتهم قربة لهم اي كما ارادوا واتى بين ثمرة كونها قربة بقوله سيدخلهم الله اي الذي له صفات الكمال
بوعد لا خلف فيه في رحمته اي اكرامه فيكون محيطة بهم ثم علل ذلك بقوله معبرا بالاسم الاعظم تنبيها على
انه لا يسع الانسان الا العفو وان اعظم الاجتهاد ان الله اي الذي لا يقدر احد على ان يقدره حق قدره غفور اي بليغ الستر

الستر لقباح من تاب رحيم اي بليغ الاكرام ذلك الوصف له ثابت محاله لكل من يستأهله ولما ذكر القسم الصالح منهم
وكانوا متفاوتين فمنهم السابق والكثرهم للتابع اللاحق ابتعه ذكر السابقين على وجه شامل حاضر لصنفي البادي والحاضر
اشارة الى انه وان اخره اصله فقد قدمه وصفه بحيث ساوى اهل الكمال في مطلق الانخراط في سلكهم والفوز
بدرجتهم لاحسانه في اتباعهم ترغيبا لاهل المغفرة والرحمة في اتباع اهل الرضوان والنعمة فقال السابقون ولما دل
على سبقهم بالعلو في مراتبه على قدم دخولهم فيه فقال الاولون اي الى هذا الدين القيم من المهاجرين اي لدار الكفر
فضلا عن اهلها والانصار اي الذين اووا ونصروا والذين اتبعوهم اي المزينين باحسان اي في اتباعهم فلم يحولوا
عن شي من طريقتهم رضي الله اي الذي له الكمال كله عنهم اي بافعالهم هذه التي هي وفق ما امر به ورضوا عنه اي بما
اتاهم عنه من البشرى قذف في قلوبهم من النور وبلطف الوعظ والذكرى واعد لهم اي جزا على فعلهم جنات تجري
ونبه على عموم ريها وكثرة مائها بنزع الجار على قراة الجماعة فقال تحتها الانهار اي فهي كثيرة المياه فكل موضع
اردته نبع منه ما يجري منه نهر ولما كان المقصود من الما انما هو السهولة في انباحه بقربه وليس جريه وانبساطه
اثبته ابن كثير دلالة على ذلك كساير المواضع ولعل تخصيص هذا الموضع بالخلاف لانه تخص هذه الامة فلعلها
تخص بجنة هي اعظم الجنان ريا وحسنا وزيا ولما كان اعظم العيوب الانقطاع نفاه بقوله خالدين فيها
واكد المراد من الخلود بقوله ابدا ثم استانف مدح هذا الذي اعده لهم بقوله ذلك اي الامر العالي المكانة
خاصة الفوز العظيم ولما استوفى الاقسام الاربعة قسمي الحضر وقسمي البدو ثم خلط بين قسمين منهم تشريفا
للسابق وترغيبا للاحق خلط بين الجميع على وجه اخر ثم ذكر منهم فريقا منهم من يجزى الحكم بجزايه بامر راو ومنابه
ومنهم من اخر امره الى يوم الحساب وابتدا الاقسام بالمستور عن غير عليه ليعلم اهل ذلك العلم انه سبحانه عالم
بالخفايا فلا يزال الوالخوفا مما تهددهم به فقال تصريحا بما لم يتقدم التصريح به من نفاقهم وممن حولكم اي حول
بلدكم المدينة من الاعراب اي الذين قدمنا انهم اشد كفرا لما لهم من الجفا منافقون اي راسخون في النفاق فقال
وكانه قدمهم لجلافتهم وعتوهم واتبعهم من هو اصنع منهم في النفاق فقال ومن اهل المدينة اي منافقون ايضا
ثم بين انهم لا يتوبون فوصفهم بقوله مردوا اي صلبوا ودادوا وعتوا وعسوا وعصوا وصار لهم به دربة عظيمة
ومرانة حتى دلت لهم فيه جميع اعضائهم الظاهرة والباطنة وصار لهم طبعا على النفاق اي استعملوا على هذا
الوصف بحيث صاروا في غاية المكنة منه ثم بين مهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اي باعيانهم مع ما لك من عظيم الفطنة
وصدق الفراسة لفرط توقيهم وتحاميهم ما يشكل من امرهم ثم هددهم وبين خسارتهم بقوله نحن اي خاصة نعلمهم ثم
استانف جزاهم بقوله سنعذبهم اي بوعد لا خلف فيه مرتين اي احدهما برجوعك سالما وسفول امرهم وعلو
شانك شانه وضخامة اركانه وعز سلطانه وظهور برهانه فانهم تقطعوا انياب ادكامهم وجلافتهم وتشاوكهم كما اشير
اليه بقوله ويتربص بكم الدوائر ما لا نرجع هذه المرة من هذه السفرة لما يعرفون من ثبات الاقران وتدامك
على البوت الشجعان واقتحامك للاهوال الاذاعاف المحال ونكص الضاغية الابطال ومن عظمة الروم وقوتهم
وتمكنهم وكثرتهم وغاب عن الاغبيا وعمي عن الاشقيا الاعتيا ان الله الذي خلقهم اعظم منهم قوة واكبر وجنوده
اقوى من جنودهم واكثر والثانية لعدوفاتك بقتل اهل الردة وحجبهم ورجوع ما اصلته خليفتك الصديق
رضي الله عنه الى ما كان عليه في امامك من الظهور وانتشار الضيا والنور والحكم على من خالفه بالويل والثبور
وسياتي انه يمكن ان يكون المرة الثانية لخراب مسجد الضرار والاخبار بما اضمروا وانى شانه من خفي الاسرار ثم يردون
اي بعد الموت الى عذاب عظيم اي لا يعلم عظمته حق علمه الا الله تعالى وهو العذاب الاكبر الدايم الذي لا ينفك اصلا ولما
ذكر هذا القسم المارد الجافي ثنى بمقابله اللين الصافي وهي الفرقة التي نحوا المتاب عليها والنظر بعين الرحمة
اليها فقال واخرون اي ومن حولكم من الاعراب ومن اهل المدينة اخرون اعترفوا بذنوبهم اي كلفوا انفسهم ذكرها
توبة منهم ندما واقلاعا وعزما ولم يفزعوا الى المعاذير الكاذبة وهم المتصدون ولما كان الخلط جمعا في
امتزاج كان بمجرد ذكره يفهم ان المخلوط امتزج بغيره فالاتيان بالواو في اخرى يفهم ان المعنى خلطوا عملا صالحا
سيا واخر سيا بصالح فهو من الطف شاهد لنوع الاحتباك ولعل التعبير بما افهم ذلك الاشارة الى تساوي العملين
وانه ليس احدهما باولى من الاخر ان يكون اصلا وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم في اناس راهم في المنام شطر منهم
حسن وشطر منهم قبيح كما رواه البخاري في التفسير عن سمرة رضي الله عنه ثم اوجب تحقق توبتهم الملزومة للاعتراف
بقبولها بقوله عسى الله اي بما له من الاحاطة باوصاف الكمال ان يتوب عليهم فان عسى منه سبحانه واجبة لانها
داب الملوك ولعل التعبير بها يفيد مع الاذان بانه لا يجب عليه لاحد شي وان كل احسان يفعله فانما هو على سبيل
الفضل اشارة الى انهم صاروا الى برهم من خلص المومنين غير المعصومين وتوقع الرحمة من الله بالرجوع بهم الى
المراقبة فكان اولئك معدودون في حزب الله مع هذا التقصير المرجو له العفو فكذلك هولا ثم علل فعله ذلك بهم ترحيبا

للمريد بقوله ان الله اى ذو الجلال والاكرام غفور رحيم اى لم يزل موصوفا بقبول العرض اذا اقبل وابدال
سيئه بحسن فضلا منه واكراما روى البخارى فى صحيحه فى التفسير عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال لى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لنا اتانى الليلة اتيان فابتعثانى فانتهينا الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر
من خلقهم كاحسن ما انت راء وشطر كاقبح ما انت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا
قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى احسن صورة قالا لى هذه جنة عدن وهذاك منزلك قالا اما القوم الذين
كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عفى الله عنهم ولما كان من شان الرضوان
قبول القربان امره صلى الله عليه وسلم بتطهيرها لهم وتطييبا لقلوبهم بقوله خذ ورحمهم بالتبعيض فقال من اموالهم صدقة
اى تطييبا لنفسهم باخراجها تطهرهم اى تمحو ذنوبهم وتجرى لهم مجرى الكفارة وتزكيهم اى انت تزيدهم وتنميهم بها بتكثير
حسناتهم وصل اى اعطف عليهم واظهر شفقتك بدعائك لهم ثم علل ذلك بقوله ان صلواتك اى دعواتك التى تصلهم بها اى
فتكون موصولة لهم الى الله سكن لهم اى تطمئن لها قلوبهم بعد قلق الخوف من عاقبة الذنب لما يعلمون من ان القبول
لا يكون الا ممن حصل الرضا منهم عنه ومن ان الله يسمع قولك اجابة لك ويعلم تصدقك فى صلاحهم والله اى المحيط بكل
شى سميع عليم اى بكل ما يمكن ان يسمع وما يمكن ان يعلم منك ومنهم ومن غيركم فيوجد بذلك الاجابة والاثابة وكذا الاخذ
الصنف لما اشتد ندمهم على التخلف وثقوا انفسهم بسوارى المسجد فسيل عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم
فقيل ندموا على التخلف عنك فحلفوا الا يحلهم الا انت فقال وانا لا احلهم حتى اومر بذلك فانزل الله هذه الايات
فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق وقلها فقال ما امرت بذلك فلما انزل الله هذه الاية
اخذ الثلث فتصدق به ولما ساق توبتهم سبحانه فى حيز عسى وكان الاصل فيها الترجية فى المحبوب والاشفاق فى
المكروه وامر سبحانه بالاخذ من اموالهم لذلك وكان اخراج المال شديدا على النفوس لا سيما فى ذلك الزمان كان ربما استوقف
السلطان من لم يرسخ قدمه فى الايمان عن التوبة وما يترتب عليها من الصدقة لعدم الجزم بها فاستبعد ذلك سبحانه
بقوله الم يعلموا اى المعترفون بالذنوب حتى سمحوا انفسهم بالصدقة او غيرهم حتى يرغبوا فى التوبة والصدقة ان الله اى الذى له
الكمال كله هو اى وحده يقبل اى من شانه ان يقبل التوبة عن عباده اى التائبين المخلصين ويأخذ الصدقات اى ممن يتقرب بها
اليه بنية خالصة وان الله اى المحيط بصفتى الجلال والاكرام هو اى وحده التواب الرحيم اى لم يزل التجاوز والاكرام من شانه
وصفته وفى ذلك انكار على غيرهم من المتخلفين فى كونهم لم يفعلوا مثل فعلهم من الندم الحامل على ان يعذبوا انفسهم بالايثاق
فى السوارى ويتبرعوا ببعض اموالهم كما فعل هؤلاء او نحو ذلك مما يدل على الاعتراف والندم ولما امره من تطهيرهم بما يعيدهم
الى ما كانوا عليه قبل الذنب عطف عليه قوله خذ قوله تحذيرا لهم من تشاغلوا وتوانوا فيه وقل اعملوا اى لعلها ربكم ان
فسيرى الله اى الذى له الاحاطة الكاملة عملكم اى بما له من احاطة العلم والقدرة فاعملوا اعمال من يعلم انه بعين الله
ورسوله اى باعلام الله ولما كان هذا القسم من المؤمنين فكانت اعمالهم لا تخفى فيها قال والمؤمنون فزينوا اعمالكم
جهدكم واخلصوا وفى بعض الاحاديث ولو ان رجلا عمل فى صخرة لا باب لها لاظهر الله عمله للناس كائنا ما كان ولما كان
هذا السياق للمؤمنين صرف منهم لكنه لما كان للمؤمنين ابدا لبس فقال وستردون اى بوعد لا خلف فيه الى عالم
الغيب والشهادة اى بعد الموت والبعث فينبئكم اى يعلمه بكل شئ بما كنتم تعملون اى ما اظهرتم عمله وما كان فى عزم
فلم تاخرتم اظهره ثم يجازيكم على حسنه ويزيدكم من فضله وعلى سيئه عدلا ان شاء ولا يظلم مثقال ذرة ولما ذكر القسمين المنجز
عذابهم ومثابهم ذكر الموخر امرهم وهم القسم الظالم لنفسه الذى بدا به فى سورة فاطر سورة الحشر الاخرة ولا يبعد
ان يكون هذه سورة الحشر الاول لانه صلى الله عليه وسلم ساق الناس الى ارض اليمن فقال واخرون اى ومنهم اخرون
مرجون اى موخرون بين الرجا والخوف لامر الله اى لما يامره فيهم الملك الاعظم الذى له الامر كله لا يدرون ايعذبون
او يرحمون وقدم قوله اما يعذبهم ان اصروا تخويفا حملا الى المبادرة الى التوبة وتصفيتها والاخلاص فيها وحثا
على ان يكون الخوف مادام الانسان صحيحا اغلب وثنى بقوله واما يتوب عليهم اى ان تابوا ترجية لهم وترفقا
لقلوبهم ما لتذكير بمنزلة الاتيان الذى خرجوا انفسهم منه ومنعوها من حلوله وطيب مستقره ومقيله وطلق
اوقاته وعلى مقاماته ومشتهى اقواته ولما كان ربما قال قايل ما فايدة التاخير وما المانع من التنجيز قال والله اى المحيط
بكل شئ قدرة وعلما عليم حكيم ترهيبا وترغيبا وتبعيدا وتقريبا واحترازا مما قد يتوهم الترديد من الشك
وتدربا وقراءة غفور رحيم للزيادة فى الترجية ولما ذكر الذين اقامهم من مقام الخطر اتبعه لتبيين طايفة من القسم
الاول المستور الموصوف بالمرود فالحق كلهم الضرر فقال والذين وهو معطوف فى قراءة من اثبت الواو على قوله واخرون
وخبره على ما يليق بالقصد منا فعلون ماردون واما على قراءة المدنيين وابن عامر بحذفها فيكون على تقدير سوال
سايل وذلك انه لما قال تعالى لا تعلمهم نحن نعلمهم تشوفت النفس الى الاعلام بهم فلما قال واخرون اعترفوا بذنوبهم
يستقل السامع بتفهمه وربما ظن انه ياتى فى اخر الكلام من تسميتهم ما يغنيه عن السوال فلما اشتمل بقوله واخرون مرجون

مرجون الى قسم اخر وختم الاية بصفتى العلم والحكمة ليعلم ان الترديد للتقسيم وانه ان كان شانا فهو بالنسبة
الى العباد واما الله تعالى فمنزه عنه فذكر السامع بالصفتين ما كان دار فى خلده ومال اليه قلبه مع الاعلام بالماردين على
النفاق فاشتد تشوفه اليه فكان كانه قال من من الماردين منهم فقال تعالى الذين اتخذوا مسجدا اى من الماردين وهم من اعظم
مهارة فى النفاق واخفا الكيد والشقاق لانهم توصلوا الى الخذلان كلفوا انفسهم الاخذ لاعظم عرى الدين مع المنازعة
للفطرة الاولى فكان ختام هذه الاية من بديع الختام فانه احتراس عما يتوهم فيما قبله ودليل على ما بعده ولذلك ختم
قصتهم ايضا بصفتى العلم والحكمة ولاح من هذا ان قوله سنعذبهم مرتين يمكن ان يراد به مرة بوجوعك ومرة بخراب
مسجدهم وتفريقات لشملهم بعد هتك سرايرهم بكشف ضمايرهم وبين سبحانه علة اتخاذهم بقوله ضرارا لاهل مسجد قبا
او لحزب الله عامة وكفرا اى بالله لاتخاذ دينه هزؤا وتفريقا اى بما يبيتونه من المكايد وباستجلابهم لبعض من يخدعونه
من المؤمنين ويطمعون فيه ليأتى مسجدهم ويترك المسجد المؤسس على التقوى بين المؤمنين اى الراسخين فى الايمان بما جاء من عند
الله لانهم كانوا يجتمعون فى مسجد قبا فيغيض ذلكهم وارصادا اى اعدادا وانتظارا لمن حارب الله اى الملك الاعظم ورسوله
ولما لم تكن محاربتهم مستغرقة للزمن الماضى ادخل الجار فقال من قبل اى قبل اتخاذهم لهذا المسجد من قريب وهو ابو عامر
الفاسق ليأتى اليهم ليؤيدهم قوة على نفاقهم بان يصير كهفا يأوون اليه وراسا لهم يجتمعون عليه وذلك انه كان من
بنى غنم بن عوف وهو والد حنظلة الغسيل الذى كان من خيار الصحابة رضى الله عنهم وكان ابو عامر قد ترهب فى الجاهلية
ولبس المسوح فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم قال له ما هذا الدين الذى جئت به قال الحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر
انا عليها قال صلى الله عليه وسلم لست عليها قال بلى ولكنك ادخلت فيها ما ليس منها قال ما فعلت ولكنى جئت بها بيضاء نقية
قال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا شريدا وحيدا غريبا فقال صلى الله عليه وسلم امين وسماه الفاسق ثم خرج
الى قريش وقاتل النبى صلى الله عليه وسلم معهم يوم احد وقال لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلما قاتل يوم حنين
مع هوازن وانهزموا ايس وهرب الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا فانى ذاهب الى قيصر فات بجنود ومخرج
محمدا وكانوا قد حسدوا اخوانهم بنى عمرو بن عوف على مسجد قبا لما بنوه وكان النبى صلى الله عليه وسلم ياتيه فيصلى
فيه فبنوا مسجد الضرار وارسلوا اليه صلى الله عليه وسلم ليأتيهم فيصلى فيه وكان يتجهز لتبوك فقال انا على جناح
سفر وحال شغل واذا قدمنا صلينا فيه ان شاء الله فلما قدم فكان قريبا من المدينة نزلت الاية فدعا مالك بن الدخشم
وجماعة وقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله واهدموه واحرقوه ففعلوا وامر صلى الله عليه وسلم ان تتخذ
مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام وحيدا غريبا طريدا وقيل كل مسجد بنى مباهاة او لغرض لبس فيه
اخلاص او بمال خبيث فهو لاحق بمسجد الضرار ولما اخبر عن سرايرهم اخبر عن نفاقهم فى ظواهرهم بقوله وليحلفن اى
جهدا ايمانهم ان اى ما اردنا اى باتخاذنا له الا الحسنى ثم كذبهم بقوله والله اى الذى له الاحاطة الكاملة يشهد
اى يخبر اخبار الشاهد انهم لكاذبون وقد بان بهذا الكلام ان سبب فضيحتهم ما تضمنه فعلهم من عظيم الضرر للاسلام
واهله ثم قال ناهيا عن اجابتهم لما ارادوا به من التلبيس ابلغ انتهاء عن هذا الكلام الذى هو امضى من السهام
لا تقم فيه اى مسجد الضرار ابدا اى سواء تابوا اولا واراد بعض المخلصين ان ياخذه اولا اى لا بد من اخرابه ومحو
اثره عن وجه الارض ولما ذمه وذم اهله مدح مسجد النبى صلى الله عليه وسلم اما الذى بالمدينة الشريفة
واما الذى بنى عمرو بن عوف بنا على الخلاف فى ذلك وهو الذى اتخذ فى اول الاسلام مسجد احتسابا وايمانا وجمعا بين
المؤمنين واعدادا لمن صادق الله ورسوله ومدح اهله ارشادا لكل من كان مايله من المؤمنين لقربه وغيره الى العوض
عنه ولعله ابهمه لتبيينه وذكر وصفه ليكون صالحا لكل من المسجدين ولما انتفى بهذا الامر من غيرهما فقال موكدا
تعريضا بما له من الحق ولما للمنافقين من التكذيب لمسجد اسس اى وقع تاسيسه على التقوى اى فاطاعت التقوى به
لانها اذا احاطت باوله احاطت باخره ولما كان التاسيس قد يطول مدة ايامه فيكون اوله مخالفا لاخره قال من اول يوم
اى من ايام تاسيسه وفيه اشارة الى ما تقدم من احتمال ان يريد احد من اهل الاخلاص ان يتخذه مصلى فبين انه لا يصلح
لذلك لان تاسيسه كان لما هو مساعد له احق ان تقوم فيه اى بالصلاة والوعظ وغيره من مسجد لم يقصد به التقوى على
تعد يوم من محال الا فى ثانى الحال ولما مدحه مدح اهله بقوله فيه رجال اى لهم كمال الرجولية يحبون ان يتطهروا
اى فى ابدانهم وقلوبهم كما ان الطهارة لما اشار اليه الاطهار دينهم وانما فى جهاد انفسهم فى ذلك فاحبهم الله والله اى الذى له
صفات الكمال يحب اى يفعل ما يفعل المحب من الاكرام بالفضل والاحسان ولا اثبات ما انهم الاحبها وحصل الغنى
عن اظهار تا التفعل والندب الى الطهارة ولو على ادنى الوجوه الحرفية فقال المطهرين اى قاطبة منهم ومن غيرهم
ولما علم من هذا بطريق الاشارة والتلويح ان التاسيس مثل ابتدا خلق الحيوان فمن جبل من اول مرة جبلة شر لا
يصلح للخير ابدا ولا يقبله كما قال تعالى ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون ذكره على سبيل النتيجة فسبب عن ما مضى قوله ممثلا
الباطل ببنائه على حرف واد واه صار على شفير جهنم افمن اسس بنيانه اى كما اشرت اليه فى المسجد المحثوث بالاثبات

عله على تقوى من الله اى الملك الاعلا ورضوان كان كمن بنى بنيانه على جبل لا يهدمه الامطار ولا تؤثر فيه السيول
خير ام من اسس بنيانه على فسق وفجور وعدم اكتراث بالامور فكان كمن كان بنى بنيانه على شفا اى حرف ومنه
الشفه جرف اى مكان حفرة السيل وجرفه فصار مشرفا على السقوط ولذلك قال هار اى هائر من هار الجرف اذا اشرف
لنهر بق السيول على السقوط فانهار اى فكان بناؤه كذلك سببا لانه سقط سقوطا لا يتماسك معه به اى وهو فيه امنا
من سقوطه بقلة عقله وسفاهة رايه في نار جهنم فالجواب لاثبات الاول خير والاخير في الثاني املا والتعجب كل
التعجب من كونه بناه هكذا فاجيب بانه لا عجب لان الامر بيد الله لا معزل من قضائه وهو قد هدى الاول الى ما فيه
صلاحه ولم يهد الثاني لما علم فيه من عدم قابلية الخير والله اى الذى له صفات الكمال لا يهدى القوم اى الذين لهم قوة
المحاولة لما يريدون الظالمين اى المطبوعين على ظلام البصائر فهم لا يضعون شيئا الا في غير موضعه وعلى غير نظام
كخطوات الماشي في الظلام وقد علم ان الاية من قبيل الاحتباك اثبت اولا التقوى لان اهل الاسلام احق بها فدلت
على حذف ضدها ثانيا واثبت ثانيا ضعف البنا حسا لان مسجد الضرار اولى به فدل على حذف ضده اولا فذكر النهاية
المعقوله لاهلها والبداية المحسوسة للناظرين لها وروى عن جابر رضى الله عنه قال رايت الدخان يخرج من
مسجد الضرار وحكى عن خلف بن يسار انه راى فيه حجرا يخرج منه الدخان في اول دولة بنى العباس ولما
كان ما تقدم غير قاطع في خرابه لما ثبت للمساجد من الحرمة استانف الاخبار عن انه لا بعد في عداد
المساجد بوجه وانما هو في عداد بيوت الاصنام فهو واجب الاعدام فقال لا يزال بنيانهم اى نفس المبنى
وهو المسجد الذى بنوا ريبة اى شكا ونفاقا في قلوبهم كما ان بيوت الاصنام كذلك لاهلها فكان حثا على خرابه
ومحوه وقطع اثره والمعنى انه جامع لهم على الريبة في كل زمان الى الا زمانا يوجد فيه القطع البليغ الكثير
لقلوبهم وعزائمهم وتباعد بينهم وتفرق شملهم باخرابه وقراة يعقوب بالى الجارة واضحة في المراد وكون
المراد انه لا يزال حاملا لهم على التصميم على النفاق الى ان يموتوا وهو كناية عن عدم توبتهم ولما كان التقدير
فالله عليم بما اخبركم به فلا تشكوا فيه عطف عليه تعظيما للحكم وتعظيما للامر قوله والله اى الذى له الاحاطة
بكل شئ الآن اى بالغ العلم بكل معلوم حكيم فهو متقن ما يامره ولما تقدم الانكار على المتثاقلين عن
النفر في سبيل الله في قوله ما لكم اذا قيل لكم انفروا الاية ثم الحزم بالامر بالجهاد بالنفر والدال في قوله
انفروا خفافا وثقالا الاية وكان امره تعالى كافيا للمومن الذى صدق ايمانه بالاسلام في امتثاله
لذلك في منشطه ومكرهه وكان كثير منهم قد فعلوا ابتنا قبلهم ما وقع بقدح في ايمانهم طعنا في ستره لمعاذيرهم واما
اقتضى المقام تبكيت المتثاقلين وبان المنافقين على وجه يهتك لاستارهم مكشف لاسرارهم فلما استوفى تعالى
في ذلك اقسامهم ونكس الويتهم واعلامهم وختم بهذه الطايفة التى ظهر فيها امتثاله صلى الله عليه وسلم لقوله
تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم بان هدم مسجدهم وحرقهم بالنار وازال بنيانه وتوته وقد
وقد ادبه عن حد يده الارض ومزقه اتبع ذلك سبحانه تذكير المومنين بما امرهم به في قوله تعالى قاتلوا الذين لا
يومنون بالله ولا باليوم الاخر وقوله انفروا خفافا وثقالا ليفعلوا انه ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما امره به فساق الجواب لسوال من كان قال لقد طال المدى وعظم الخطب في هذه السورة في ابانة الفضائح
وهتك السراير واظهار القبائح فلم نزل ذلك وقد جرت عادته بالامر بالستر واخذ العفو فقوله ان الله اى الملك الذى
لا مالك في الحقيقة غيره ولا يخشى الا عذابه ولا يرجى الا خيره اشترى اى بعهود اكيده ومواثيق غليظة شديدة
ولذلك عبر بما يدل على اللجاج فيها فقال من المومنين اى بالله وما جاء من عنده وقدم النفس اشارة الى ان المبالغة
سابقة على الكتاب لما تقال مقدما للاعز انفسهم اى التى تفرد بخلقها واموالهم اى التى تفرد برزقها وهو
تملكها دونهم ولما ذكر المبيع اتبعه الثمن فقال بان لهم الجنة اى خاصة كم مقصودة عليهم لا يكون لغير مومن
تميز لهم حتى يعامل كلا بما يستحقه فكانه قيل اشترى منهم ذلك لماذا فقيل يقاتلون في سبيل الله اى الملك الاعلا
بسبب دينه الذى الذى لا يرضى غيره بما لا يكون الدين محيطا به وظرفا له فلا يكون فيه شائبة لغيره ثم سبب
عن ذلك ما هو حقيق به فقال فيقتلون ويقتلون اعم من ان يكون ذلك بالقوة او بالفعل فخصهم بالجنة
كما وعدهم وقراة حمزة والكسائى بتقدم المبنى للمفعول امدح لان من يطلب الموت لا يقف له خصم فيكون المعنى يطلبوا
ان يكونوا مقبولين فيقتلوا اثر اكثر ويجوز ان يكون النظر الى المجموع فيكون المعنى انهم يقاتلون بعد رؤية مصارع
اصحابهم من غير ان يوهنهم ذلك وعن بعض الاعراب انه لما سمع هذه الاية قال بيع والله مربح لا نقيل ولا نستقيل
فخرج الى الغزو فاستشهد ولما كان القتل لكونه سببا للجنة بشارة ووعدا اكد ذلك بقوله وعدا وزاده
تحريكا للايجاب فقال عليه واتم التاكيد بقوله حقا ولما اكد هذه المبايعة الكريمة هذه التاكيدات العظيمة
زاد ذلك بذكره في جميع الكتب القديمة فقال في التوراة كتاب موسى عليه السلام والانجيل كتاب عيسى عليه السلام والقران

والقران اى الكتاب الجامع لكل ما تقدمه ولكل خير وهولا المذكورون في هذه السورة كلهم ممن ادعى الايمان وارتدى به حلل
الايمان ثم انهم فعلوا تخلفهم عن الانبعاث وتوقفهم عن الاسراع والانفاض وغير ذلك من اقوالهم ومساوى افعالهم فعل الكاذب
في دعواه او الشاك اعم من ان يكون كذب بالاخرة المشتملة على الجنة او يكون شك في وعد الله بها ابائهم اياها او بتخصيصهم
بها وجوز ان يدخلها غيرهم وطمع ان يكون هو ممن يدخلها مع المذبذب والله تعالى منزه عن جميع ذلك وهو في بعضه ومن
اى وعد بذلك والحال انه اوفى المعاهدين فهو معقول فيه على طريق الاستفهام الانكاري من اوفى بعهده من الله
اى الذى له جميع صفات الكمال لان الاخلاف لا يقدم عليه الكرام من الناس فكيف بخالقهم الذى له الغنى المطلق ولما
كان ذلك سببا للبشر لانه لا ترغيب في الجهاد احسن منه قال مسببا لهم فاستبشروا اى فاوجدوا في نفوسكم غاية البشر
بامحتنا المجاهدين ولما ذكره في ابتدا العقد بلفظ يدل على التاكيد ذكره في اخره بلفظ يدل على السعة اشارة الى سعة الجزا
فقال ببيعكم الذى بايعتم به اى وقعتم المبالغة لله به فانه مونيكم لا محالة فذلك هو الاجر الكريم وذلك
اى بيع ايام لكم الجنة وتخصصكم لها هو اى خاصة لا غيره الفوز العظيم فالحاصل ان هذه الاية واقعة موقع التعليل
للامر بالنفر بالنفس والمال ولما تبث المعاقدة واحكامها ووصف المعاقدين على طريق المدح للحث عليها ووصفهم فقال التائبون
مبتديا باوصافهم بالتوبة التى هى اساس العمل الصالح ثم اتبعها المسوسين بمطلق العبادة الشاملة لجميع انواع الدين من
العلم وغيره فقال العابدون اى الذين اقبلوا على العبادة فاخلصوها لله ولما كان التزام الدين لا يعرف الا بالاقرار
باللسان اتبع ذلك الحمد الذى تردد ويما دته على بلوغ الغاية الذى من جملته الثنا اللساني بالجميل الشامل للتوحيد وغيره
فقال الحامدون اى المثنون عليه سبحانه ثناء عظيما تطابقت عليه السنتهم وقلوبهم فتبعته اثاره ولما كان الاقرار باللسان
لا يتقبل الا عند مطابقة القلب تلاه بالسياحة التى تردد بكل ترتب على الاتساع الذى منه اصلاح القلب لينسع
المتجرد من ضيق المالوفات الى فضا الحضرات الالهيات فقال السائحون ولما كانت الصلاة نتيجة ذلك لكونها جامعة
لعمل القلب واللسان وغيرهما من الاركان فهى اعظم موصل الى بساط الانس في حضرات القدس واعلى محرك عن الوقوف مع المالوف
مخصصا لها بالذكر تنبيها على ان المراد من الصلاة نهاية الخضوع اشار اليها بقوله الراكعون مبين ان تمام هذا
البشرى لهذه الامة لان صلاة غيرهم لا ركوع فيها وتممها بقوله الساجدون ولما كان الناصح لنفسه تهذب لسانه
وقلبه وجميع جوارحه لا يتم الا اذا ابذل الجهد في نصحهم كما صرح به مثال السفر في السفينة ليحصل المقصود من الدين
وهو جمع الكل على الله المقتضى للتعاضد والتناصر الموجب لدوام العبادة والنصر وبذلك يتحقق الجروح للتجرد عن كل
مالوف مجانس وغير مجانس تبع ذلك قوله الامرون بالمعروف اى بالسنة ولما كان الدين متينا فلن يشاده احد
الا غلبه كان المراد من المامورات منها ما دون تمامها ومنتهاها اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم والمراد من
المنهيات تركها كلها ومن الحدود الوقوف عندها من غير مجاوزة واذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه رواه البخاري
في الاعتصام من صحيحه ومسلم ايضا عن ابى هريرة رضى الله عنه وكانت الواو كما تقدم في البقرة عند قوله تعالى
والصلاة الوسطى وفي ال عمران عند قوله الصابرين والصادقين عن الاستاذ ابى الحسن الحرالى اذا اتت بعض الصفات بعضا
من غير عطف علم انها غير تامة واذا عطفتها اردت التمكن فيها والعراقة والتمام فاعلم سبحانه ان المراد فيما تقدم من الاوصاف
الاتيان بما امكن منها فاتى بها اتباعا ومن عطف لذلك واشار الى ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والوقوف عند الحدود
لا يغنى منه الا بالتمام لان المقصر في شي من ذلك اما راض بهدم الدين واما هادم بنفسه فيجب التجرد التام فيه لان النهى اصعب
اتمام العبادة لانه متعلق بالغير وهو مثير للغضب موجب للحمية وحضور وظهور الخصومة فربما كان عنده ضرب وقتل فلذلك
ولم يتبعها فقال والناهون اى لغاية الجهد عن المنكر اى البدعة ولما كان فاعل الخير لا ينفعه فعله الا باستمراره عليه
الى الموت اتبعه قوله والحافظون اى بغاية الحزم والقوة لحدود الله اى الملك الاعظم التى حدها في هذا الشرع
القيم فلم يتجاوزوا شيئا منها مختتم تمامه بدائم قيد الدوام بالورع والقوة والحاصل انه لو صفه الاول التجرد عن دبقة
مالوف خاص وهو شرك المعصية بشرك او غيره والثانى التجرد عن قيود العادات الى فضا العبادات والثالث لبلوغ الغاية
في تهذيب الظاهر والرابع للتوسع الى التجرد عن قيود الباطن والخامس والسادس للجمع بين كمال الباطن والظاهر والسابع
للسعي الى فاضلة ذلك على الغير والثامن للدوام على تلك الحدود بترك جميع القيود لمقصود الاية الغزو من الخفض
الجسماني الى الشرف الروحاني بتمام امره صلى الله عليه وسلم منشيرا المتخلف لهذه الاوصاف علا حقا الاتي على محذوف
تقديره والله اعلم فاندرس بحلى منها بكل ما نسوه بعد بحده في دار الشقاوة فانه كانو لبشارهم اى هولا المومنون فمن هكذا كان
الامثل الاضمار ولكنه اظهر حثنا ما تمامه بدا وتعليقا بالوصف وتعميما فقال وبشر المومنين اى المتخلقين بها بكل ما يسرهم
بعد تحصيلهم بدار السعادة وفي ختم الايتين بالبشارة نادره من الخالق ونادره من اكمل الخلايق اعظم مرتبة للمومنين وفي
جعل الاولى من الله اعظم ترغيب في الجهاد واعلى حث على خوض غمرات الجلاد وفي ابتدا الايتين بالوصف المشعر بالرسوخ
في الايمان الذى هو الوصف المنتج للعشق وختمها بمثله اشارة الى ان هذه مرتبة لا يجلس عليها طمعا في الثناء وان من عند الراسخين

في درجة الاهمال لا كلام معهم ولا التفات بوجه اليهم ولما كثرت في هذه السورة الاوامر بالبراءة من احيا المشركين
وجا الامر ايضا بالبراءة من اموات المنافقين بالنهي عن الدعا لهم جاءت هذه الاية مشيرة الى البراءة من كل مشرك
فوقع التصريح بعدها بما اشارت وذلك انه لما ثبت بهذه الاية بعد بهم الجاران المبايعة وقعت على تخصيص الجنة
بالمومنين الوفين من عاهد ثبت انه لا يجوز ان يدخل غيرهم الجنة وان غيرهم اصحاب النار لانه قد علم ان الاخرة داران
جنة ونار ولما ثبت هذا كله علم قطعا علم النتيجة من المقدمات الصحيحة انه ما كان اي في نفس الامر للنبي اي الذي
لا ينطق الا بما عنده فيه بيان من الله والذين امنوا اي اقروا بانهم صدقوا بدعوته فلا يفعلون الا ما عندهم فيه علم
ان يستغفروا اي يطلبوا المغفرة ويدعوا بها للمشركين اي الراسخين في الاشراك في عبادة ربكم ولو كانوا اي المشركون
اولي قربى اي للذين امنوا من بعد ما تبين لهم اي بموتهم على الشرك وانزال هذه الاية الحكم بالتخصيص بالجنة انهم اصحاب
الجحيم اي لا اهلية لهم بالجنة فان الاستغفار يمحو الذنوب حتى ينجو صاحبها من النار ويدخل الجنة وما ينبغي لهم ان يكون لهم
اليهم التفات فان ذلك ربما جرا الى ملاينة تفتر من القتال او انم عليه المبالغة فيما ينبغي الا محض المقاطعة والمجاسنة والمنازعة
وتقييد النهي بالتبيين يدل على جواز الدعا للحي فان القصد بالاستغفار الاتباع به الى الايمان الموجب للغفران ولما انكر ان يكون
لهم ذلك وكان الخليل عليه السلام المامور باتباعه واللزوم لملته قد استغفر لابيه بين انه كان ايضا قبل العلم بما في نفس
الامر من استحقاقه للتابيد في النار فقال دالا بالواو العطف على ان التقدير فما استغفر لهم بعد العلم بما في نفس الامر احد من
المومنين وما كان استغفار ابرهيم اي خليل الله لابيه اي بعد ان خالفه في الدين الا عن موعدة اي وكان قوله لاستغفرن لك
وما املك لك من الله من شي واكد صدور الوعد بقوله وعدها اياه اي الخليل لابيه قبل ان يعلم انه ابدي الشقاوة وقيل
الضمير لابيه كان وعده انه يسلم فاستغفر له ظنا منه انه صدق في وعده فاسلم والذي يدل على انه كان قبل علمه
بذلك قوله فلما تبين له اي بيانا شافيا قاطعا انه عدو لله اي الملك الاعلا موبد العداوة له بموته على الكفر
او بالوحي بانه يموت عليه تبرا اي اكره نفسه على البراءة منه ثم علل ما افهمته صيغة التفعل من المعالجة بقوله ان ابرهيم
لاواه اي شديد الرقة الموجبة للتاوه من خوف سرو من الشفقة على العباد قال الزجاج والتاوه ان يسمع للصدر
صوت من تنفس الصعدا حليم اي شديد احتمال الاغضاء عن الموذي له فهكذا اخلاقه في حد ذاته فكيف في حق ابيه
ولو قال له لارجمنك واهجرني في اضعاف ذلك قال الامام ابو محمد اسحق بن ابرهيم بن اسمعيل البستي القاضي في تفسيره
حدثنا حرملة ثنا ابن وهب اخبرني ابن جريج عن ايوب بن هاني عن مسروق بن الاجدع عن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وخرجنا معه حتى انتهى الى المقابر فامرنا فجلسنا ثم تخطى القبور
حتى انتهى الى قبر منها فجلس اليه فناجاه طويلا ثم ارتفع نحيب رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا فبكينا لبكا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم اقبل الينا فتلقاه عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فقال يا نبي الله ما الذي ابكاك يا نبي الله فقد ابكانا وافزعنا فاخذ بيد عمر رضي الله عنه ثم اقبل الينا فاتيناه فقال
افزعكم بكاي قلنا نعم يا رسول الله قال ان القبر الذي رايتموني اناجي قبر امنة بنت وهب واني استاذنت ربي في الاستغفار
لها فلم ياذن لي فنزل علي ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين حتى ختم الاية وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا
عن موعدة وعدها اياه فاخذني ما ياخذ الولد من الرقة فذلك الذي ابكاني وهذا اسناد حسن ولمسلم وابي داود والنسائي
وابن ماجة في الجنائز عن ابي هريرة رضي الله عنه قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وابكى من حوله
وقال استاذنت ربي في ان استغفر لها فلم ياذن لي واستاذنته ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر
الموت وللبخاري في التفسير وغيره ومسلم في الايمان عن ابن المسيب عن ابيه رضي الله عنه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة
دخل النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اي عم قل لا اله الا الله
احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب وفي رواية فكان
اخر ما كلمهم ان قال هو على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك فنزلت ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وانزل الله في ابي طالب انك لا تهدي من احببت الاية ولعله استمر
يستغفر له ما بين موته وغزوة تبوك حتى نزلت وروي في سبب نزولها غير هذا ايضا وقد تقدم انه يجوز ان
يتعدد الاسباب ولما كان الاستغفار للمشركين امرا عظيما وكان فيه نوع ولاية لهم اظهر سبحانه للمومنين
ما من عليهم به من عدم المواخذة بالاقدام عليه لقوله لاذن لهم وقطعا لما بين ذوي الايمان وحضيض الكفران
بكل اعتبار فقال تعالى داما وما كان الله اي الذي له صفات الكمال ولما كان الضلال سبب الهلاك
وكان من شرع شرعا ثم عاقب على تركه من غير بيان كمن دل على طريق غير موصل فضل صاحبه فكان الدال
بذلك معتديا قال ليضل قوما اي يفعل بهم ما يفعل بالضالين من العقوبة لاجل ارتكابهم ما نهى عنه بناسخ
نسخه بعد اذ هداهم اي شرعة نفعها لهم حتى يبين لهم اي بيانا شافيا الداعي التي ما يتقون او مما هو

هو جدير بان يحذروه ويجتنبوه خوفا من غائلته بناسخ ينسخ حال الاباحة التي كانوا عليها ولما كان الذي يامر بسلوك
طريق ثم يترك منها يحتاج الى البيان انما يوتى عليه من الجهل او النسيان نفى ذلك سبحانه عن نفسه فقال
معللا لعدم الاضلال ان الله اي المحيط بصفات الكمال بكل شي عليم اي بالغ العلم فلا يتطرق اليه
خفا بوجه من الوجوه في حين من الاحيان فهو يبين لهم جميع ما ياتون وما يذرون مما يتوقف عليه الهدى وما تركه
فهو انما يتركه رحمة لكم لا يضل ربي ولا ينسى فلا تبحثوا عنه ثم علل علمه بكل شي بان قدرته شاملة وهو قادر
على نصر من يريد والانتقام ممن ينبغي بريد فلا ينبغي لاحد ان يحب الا فيه ولا يبغض الا فيه ولا يهتم بعداوة احد ممن
عاداه فقال ان الله اي بكل اعتبار لعدوته من اعتبارات الكمال له ملك السموات والارض فلا يخفى عليه شي
فهو خبير بكل ما تفعلونا ويجزيهم وهو وليكم عنه لكم ومن كان له جميع الملك كان بحيث لا يستعصي على امره
شي علم ولا غيره لان العلم من اعظم القوى والقدر ولا يكون الملك الا عالما تام القدرة ثم علل قدرته وعلمه بما شاهد
متكررا من فعله في الحيوان والنبات وغيرهما فقال يحيي ويميت اي بكل معنى فهو الذي احياكم وغيركم الحياة
الجسمانية وخصكم انتم بالحياة الايمانية وكما جعل غيركم بعضكم اوليا لبعض وجمعهم كلهم على ولاية عدوهم
الشيطان جعلكم انتم اوليا ربكم الرحمن فهو وليكم وناصركم وما اي والحال انه ما لكم ولما كان الرب لا احدا ان يكون
كل ما دون رتبته سبحانه اثبت الجار فقال من دون الله اي الذي له الامر كله والعزة الغني بقوله من ولي
اي قريب يفعل معكم من الحياطة والنصر ما يفعل القريب من النصر وغيره ولما كان الانسان قد ينصره غير قريب
قال ولا نصير اي فلا تتوالوا الا من كان من حزبه واهل حبه وقربه وفيه تهديد لمن اتخذ عليها ما ينبغي
ان يتقي لا سيما الملاينة لاعدا الله من المشاققين والمعارضين فان غاية ذلك الموالاة ثم وهي لا تغني من الله شيا
ولما اشار الى انه هو وليهم احياهم بروح منه مبين لهم ما يصلحهم وانه لا ولي لهم غيره اقام الدليل على ذلك
بقوله لقد تاب الله اي الذي له الجلال والاكرام على النبي اي الذي لا يزال عنده من الله خبر عظيم يرشده الى
ما يوذن بتوبته حياته برفع درجاته فما من مقام برقيه اليه الا وانه لم يزد علوه توبة للمقام الذي
كان دونه فهو في كل لحظة في ازدياد من كامل الى اكمل الى ما لا نهاية له ولما اخبر تعالى بعلو رتبة النبي صلى الله
عليه وسلم بترقيه في درجات الكمالات والاكملات الى ما لا نهاية له على وجه هو في غاية البعث لكل مومن على المبادرة
الى التوبة اكد ذلك بقوله والمهاجرين والانصار لمحو هفواتهم ورفع درجاتهم الذين اتبعوه اي النبي
صلى الله عليه وسلم في ساعة العسرة اي ازمنة غزوة تبوك كانوا في عسرة من الزمان في الجدب والضيقة
الشديدة والحر الشديد وعسرة من الظهر يعتقب العشرة على البعير واحد وعسرة من الزاد تزود والتمر والشعير المسوس
والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الما وفي عسرة من الما
حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وسماها ساعة تقويتا لارتقات الكروب وتشجيعا على مواقعة المكاره فان
امدها يسير واجرها عظيم خطير فكانت حالهم باتباعه في هذه الغزوة اكمل من حالهم قبلها واشار
سبحانه الى نقاوتكم في الثبات على مقامات عالية ترقوا بالتوبة الا اعلا منها وفي تبوك وما وسعه كلهم
التوبة عن قبولها بقوله من بعد ما كاد اي قرب قربا عظيما تزيغ اي تميل وتعدل عن اماكنها الموجبة لصلاحها
واشار بمن الى تقارب ما بين كون ودة الزيغ والتدارك بالتوبة ولما كان المقام لا يزال يناسب التعبير
بما فيه الانقلاب والفرقة فقال قلوب فريق اي منهم بحيث يحصل منهم الفرقة لما هنالك من الزلازل المهيلة
منهم اي من عظيم ما نالهم من الشدائد فيتمل لذلك عن الحق كابن خيثمة ومن احب الراحة وهاب السفر في
ذلك الحر الشديد الى بني الاصفر الملوك الصيد الابطال الصناديد ملا الارض كثرة وقدر الحصى عددا وشكل
الجبال شدة ثم عزم الله لهم فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع سبحانه بالجميع الى ما كانوا عليه قبل مقاربة
الزيغ من مباعدته ولما صاروا في لم يقارب الزيغ اعلاهم الى مقام اخر عبر عن عظمته باداة التراخي فقال
ثم تاب عليهم اي كلهم تكرير للتوفقة اي على من كاد يزيغ بالثبات على مباعدة الزلات وبالترقي في اعالي
الدرجات الى الممات ونقل ابو حيان عن الحسن ان ذ يراهمهما بالانصراف الى المدينة من المشقة قال
ونيل ساطتها بما داخله من شدة العسر وقلة الوفر وبعد الشقة وقوة العدو والمقصود انه تاب ويجوز ان يكون
عبر بثم لو مولهم الى الحالة يبعد معها الثبات فضلا عن مباعدة مواقعة الزلات تنبيها حتى عادت كالحديد
من غير سبب ظاهر من جيش او غيره فثبت بذلك ان مالك الملك متمكن من فعل كل ما يريده وان لا ولي لهم
سواه ثم علل لطفه بهم بقوله انه بهم رءوف رحيم والرافة شدة الرحمة فقدم الابلغ فقال فيه ما قيل
في الرحمن الرحيم فالمعنى انه يرحمهم اعلا الرحمة باسباغ جلائل النعم ودفع جلائل النقم ويرحمهم ايضا باسباغ
دقائق النعم ودفع دقائق النقم وقيل الرافة ازالة الضر والرحمة ايصال النفع ومادة راف تدور على النعمة

اي الملك الاعظم له

على ما اشير اليه في سورة سبحان على شدة الوصلة فالرافة كما قال الحرالي في البقرة عطف العاطف على من يجد
عنده منه وصلة فهي رحمة ذي الصلة بالراحم والرحمة تعم من لا وصلة له بالراحم انتهى فيكون الرافة في التائبين
والرحمة لمن تاد با لزيغ فيصير الثابت مرحوما مرتين لانه منظور اليه بالصفتين وقدم عند الجمع بين
الصفتين ما ينفع هنا ولما صرح بالتوبة على من تاد با لزيغ وفاطبعهم اهل الثبات اشارة الى ذكل واحد فعبر
الى المعنى الكبير ولكون افتراقهم باهل المعاني وجعلهم في حيز ما لم تشر فيه لهم وثانيا لئلا يشتد انكسارهم
اتبعه التوبة على من وقع منه الزيغ فقال مغيرا لهم بالزيغ تعليما للادب وجبرا لخواطر المنكسرة وعلى اي
ولقد تاب الله على الثلاثة الذين ولما كان الجامع للقلوب مطلق التخلف بنى للمفعول قوله خلفوا اي خلفهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجران ونهى الناس عن كلامهم واخر الحكم فيهم ليالي امر الله في بيان امرهم
واسمهم بخليفهم حتى اذا ضاقت عليهم واشار الى عظيم الامر باداة الاستعلاء فقال عليهم الارض اي كلها بما
رحبت اي مع شدة اتساعها اي ضاقت عليهم نفسها وواسعها ولما كان هذا قد يراد به الحقيقة وكان ضيق
المحل قد لا يستلزم ضيق الصدر اتبعه الدلالة على ان المراد المجاز فقال وضاقت عليهم بالهم المزعج والغم المقلق
انفسهم اي من شدة ما لاقوا من الهجران حتى بالكلام حتى برد السلام ولما كان ذلك لا يقتضي التوبة الا بالنظر
اتبعه بيان التخلف بها قوله وظنوا اي ايقنوا او لعله عبر بالظن اذانا بانهم لشدة الحيرة كانت قلوبهم لا تستقر
على حال فكان يقينهم لشدة الخواطر كانه ظن او يقال وهو احسن ان التعبير به عن يقين المخلصين اشارة الى
ان اعلا اليقين في التوحيد لا يبلغ الحقيقة على ما هي عليه لا يقدر احد ان يقدر الله حق قدره كما قال اصدق
الخلق صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وهذا من الغايس في استعماله في اشا لد
ان لا ملجا اي مهرب ومفزع من الله اي الذي له الاحاطة الكاملة الا اليه اي بما يرضيه وهو شمل لتخيرهم
في امرهم وجواب اذا محذوف دل عليه صدر الكلام تقديره تداركهم بالتوبة نردهم الى ما كانوا
عليه قبل مواقعة الذنب ولما كان ما عملوه من التخلف عن امر الرسول صلى الله عليه وسلم خطيها لمجرد
المخالفة ثم بترك المواساة ثم بالرغبة عنه صلى الله عليه وسلم مقرونا بموعظة شديدة النفع وخيمة
فكان ببعد معه الزيادة عن رتبة التوبة اعلم سبحانه انه ردهم في رتبة كمال بان جعل ذلك سببا
ليطهرهم من جميع الادناس وتنقيتهم من سائر الاكدار وان لمزيد القرب بالعروج في مصاعد المعارف كما اشار
اليه قوله صلى الله عليه وسلم لكعب رضي الله عنه ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك اتبع ذلك سبحانه
الاعلام به بقوله مشيرا الى بعده لولا فضل الله باداة الاستبعاد ثم تاب عليهم اي رجع لهم بعد التوبة الى مقام
من مقامات سلامة الفطرة الذي هو احسن تقويم بعد لعلوه بالنسبة الى ما دونه توبة ليتوبوا اي ليرجعوا
الى ما تقتضيه الفطرة الاولى من الثبات على ما كانوا عليه من الاحسان في الدين والتخلق باخلاق السابقين ولعله
عبر بالظن موضع العلم اشارة الى انه يكفي في الخوف من خلاله الا لانقطاع اليه مجرد الظن بانه لا سبب اليه الا منه
لانه محيط بكل شيء فلا يعجزه شيء ويمكن ان يكون التعبير به ثم اشارة الى عظيم ما قاسوا من الاهوال وما ترقوا اليه
من مراتب الخوف وامتنانا عليهم بالتوبة من عظيم ما ارتكبوا وانما خصوا عن رفقائهم بان ارجى الامر
لقلوبهم بما لهم من السابقة ورسوخ القدم في الاسلام فالمخالفة اليسيرة منهم اعظم من الكبير من غيرهم
لانهم ائمة الهدى ومصابيح الظلم ومن هذا الباب حسنات الابرار سيئات المقربين ثم علل التوبة بامر يعم
غيرهم ترغيبا فقال معبرا بما يشعر باعلامهم الى نزوله عن مقام من قبلهم ان الله اي الذي له الكمال كله
هو اي وحده التواب اي البليغ للتوبة على من تاب وان عظم جرمه وتكررت توبته لتكرر ذنوبه الرحيم
اي المكرم لمن اراد من عباده بان يحفظه على ما يرضيه فلا يزيغ ويبالغ في الانعام عليه ولما كان الذي تابوا بسببه
الابتلاء من بولاهم عليهم بما وصفهم به من الضيق وما معه هو النصوح والصدق في الايمان كما كان ما بعده للانسان
في نفسه مما الموت عنده والقذف في النار احب اليه من التلفظ به وصح بان نشهادة المصطفى صلى الله عليه
وسلم رغب سبحانه في الصدق فقال يا ايها الذين امنوا اي ادعوا ذلك اتقوا الله اي خافوا سطوته من
له العظمة الكاملة تصديقا لدعواكم فلا تفعلوا الا ما يرضيه وكونوا اي كونا صادقا بجميع الطبع والجبلة
مع الصادقين اي في كل امر يطلب منهم ولعله اخرج الامر مخرج العموم ليشمل كل مومن وهو من كان مقصرا كانت
امرة له بالالحاق ومن كان سابقا كانت حاثة له على حفظ مقام الاستباق ولعله عبر بمع ليسهل ادنى الدرجات
وهو الكون بالجثة وتردد البخاري توبة لعباد هو الثلاثة رضي الله عنهم في مواضع في صحيحه منها
التفسير ولفظ رواه عنه عن كعب نفسه رضي الله عنه انه لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
غزاها قط غير غزوتين غزوة العسرة يعني هذه وغزوة بدر وان تخلفه ببدر انما كان لان النبي صلى الله عليه وسلم

لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يندب الناس اليها ولا حتم عليهم الا انه انما خرج اولا الا لاجل العير قال فاجمعت صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان قل ما تقدم من سفر سافره الا ضحى وكان يبدا بالمسجد فيركع ركعتين ونهى النبي صلى
الله عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام احد من
المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال علي الامر وما من شيء اهم الي من ان اموت فلا يصلي علي النبي
صلى الله عليه وسلم او تلموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني احد منهم ولا يصلي علي
فانزل الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حتى بقي الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند
ام سلمة رضي الله عنها وكانت ام سلمة محسنة في شاني معنية في امري فقال صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة تيب على كعب قالت
افلا ارسل اليه فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعوكم النوم سائر الليلة حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
الفجر اذن بتوبة الله علينا وكان اذا استبشر استنار وجهه حتى كانه قطعة من القمر وكنا ايها الثلاثة
الذين خلفوا خلفنا عن الامر الذي قبل من هولاء الذين اعتذروا حين انزل الله لنا التوبة فلما ذكر الذين كذبوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم من المتخلفين واعتذروا بالباطل ذكروا بشر ما ذكر به احد قال الله عز وجل يعتذرون اليكم
اذا رجعتم اليهم الاية ولما كان ما نالهم من الاهوال انما نالهم بتخلفهم عن اشرف الخلق والذي لعمت كلهم عن مراتع
الاتباع انما هو الصدق قال نعم ناهيا بصيغة الخبر ليكون ابلغ جامعا اليهم من كان على مثل حالهم في مطلق التخلف ما كان اي ما
صح وما انتهى بوجه من الوجوه لاهل المدينة اي التي هي مسكن الرسول صلى الله عليه وسلم وهي دار الهجرة ومعدن النصرة
ومن حولهم اي في جميع نواحي المدينة الشريفة من الاعراب اي سكان البوادي الذين اشتهروا بالاسلام ان يتخلفوا اي في امر
من الامور عن رسول الله اي الملك الاعلى ومن شان المرسل اليه ان لا يبرح عن جناب الرسول لاسيما وهو اس الصلاح دون الذي
الذي وقع الامر بالكون معهم ولا يرغبوا اي وما كان لهم ان يرغبوا ولعله قللهم بصيغة العلة بالنسبة الى من ايده به صلى الله
عليه وسلم من جنوده فقال بانفسهم عن نفسه اي التي هي اشرف النفوس بطلبها ان يصونوها عما باشره صلى الله عليه وسلم بل يلقوها
في المتالف دونه وصيانة لنفسه الشريفة على ادنى الادنى نهيا للتعلل للامر بالتقوى اي خافوا الله واصدقوا كما صدق
هولاء ليتوب عليكم كما تاب عليهم فانه لم يكن لكم التخلف فهو نهي بليغ مع تقبيح وتوبيخ والهاب وتهييج ولما علل الامر
بالتقوى علل في هذا الاسلوب النافي للكون النهي عن التخلف بما يدل على صدق اي عطش شديد الايمان فيصير اي تعب بالغ
نقيضه فقال ذلك اي النهي العظيم عن التخلف في هذا الاسلوب النافي للكون بانهم لا يصيبهم ظما اي عطش شديد
ولا نصب اي تعب بالغ ولا مخمصة اي شدة مجاعة في سبيل الله اي طريق دين الملك الاعظم المتوصل به الى جهاد
اعدائه ورتبت هذه الاشياء ترتيبها في الوجود فان مطلق الحركة ينشا عنها الحرارة فتنشا العطش وتماديها يورث التعب
والاغلب ان يكون قبل الجوع ولما كان المقصود من الجهاد النفس بما ذكر ارغام الكفار باقتحام ارضهم المتوصل به
الى العالمهم بالنيل منهم اتبع ذلك قوله ولا يطؤن موطئا اي وطئا او مكانا وطئ يغيظ الكفار اي
وطئهم له بكوارجلهم او دوابهم ولا ينالون من عدو نيلا اي كائنا ما كان صغيرا او كبيرا الا كتب لهم به
اي في صحائف الاعمال بني للمفعول لان القصد اثباته لا من معين عمل صالح اي يرتب لهم عليه اجر جزيل ولما كان نائل
هذه الاشيا مقدما على العاطب في نفسه ومحصلا ارضا الجهاد اشير على وجه التاكيد في جملة اسمية الى انه محسن
اما في حق نفسه فباقامة الدليل بطاعته على صدق ايمانه واما في حق غيره من المومنين فبحمايتهم عن حيف الكافرين واما
في حق الكافر فبحملهم على الايمان بغاية الامكان فقال تعالى معللا للجزاء ان الله اي الذي له صفات الكمال
لا يضيع اي لا يترك ترك المهمل شيئا من الاهمال اجر المحسنين واظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا بالوصف
ولما كانت المشقة بالانفاق العاري ضرورة الى الا المال ووطئ مطلق الارض الذي لا قتال فيه لا يلزم منه وصول
الى ما يغيظ العدو دون المشقة الحاصلة في النفس بالظما وما معه بالفعل بما يغيظ العدو ونفقته تدور ذلك
على قوله ولا ينفقون ولما كان القليل قد يحتقر ابتدا به ترغيبا في قوله نفقة صغيرة ولما كان ربما
ينعت متعنت بجعل ذكرها قيدا قال ولا كبيرة لعلانا بانه مقيد به لئلا يترك وفيه اشارة الى انه اللمز المطوعين
في الصدقات ولا يقطعون واديا اي من الاودية بالسير في الجهاد والوادي كل منفرج بين جبال واكام ينفذ
فيه السيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال الا كتب لهم اي ذلك الانفاق والقطع بناه للمفعول لان
القصد الحفظ بالكتابة مطلقا ليجزيهم الله اي ذو الجلال والاكرام فذلك من فضله احسن ما
كانوا اي جبلة وطبعا يعملون مطابقا مضاعفا على قدر النيات والدرجات فاصله الاولى دون هذه لم
لزيادة تلك في المشقة والنفع واذا صح نفيها لاجرواز العمل الصالح بنيه على ذلك الامام ابو حيان
ومن هنا بل من عندان الله اشترى شرع في عطف الاخرى على الاولى الذي مضمونه البراءة من المتخلفين
والاجتهاد في نفيا لهم بعد القضاء مدتكم حيث وجدوا الى ان قال قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم

باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله الى ان قال ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض
ثم قال انفروا خفافا وثقالا ثم اتبع ذلك قصص المنافقين كما انه فعل هنا كذلك الى ان ختم بقوله قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار الآية ثم ابتها ذكر المنافقين ولما تواترت النواهي للمتخلفين وتواصلت الزواجر وتعاظم التبكيت
والتهديد طارت القلوب واشفقت النفوس وكان ذلك مظنة ان لا يتخلف بعدها احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحمى يقوم مقامه ممكن الاعداء من الاموال والذراري والعيال فاتبع ذلك قوله تعالى وما كان المؤمنون اي الذين
حثهم على النفر الرسوخ في الايمان لينفروا كافة اي جميعا فان ذلك يخل بكثير من الاغراض الصالحة وهو تعليم
لما هو الانسب للدين والدنيا من انقسام الناس قسمين قسما للجهاد وقسما للتفقه وحفظ الاموال والاولاد وكل
ذلك يأجره عليه الله ويرضى والعمل بما يرضي ولا يخفى ذلك على المخلص ولعل التعبير بالفعل الماضي في قوله مسببا
عما قبله فلولا نفر ليفهم تبكيت من قصد بتلبيسه من المتخلفين في جميع هذه السورة بانه كان عليهم ان ينفر
مع النبي صلى الله عليه وسلم من كل فرقة اي ناس كثير يسهل افتراقهم فالواو هم اسم يقع على بلد منهم طايفة
اي ناس لا يتقاعدون حافين بالنبي صلى الله عليه وسلم يلزمونه قيل والطايفة واحد واثنان فالآية حجة على
قبول خبر الواحد ووجوب العمل وكأنه عبر بها للاشارة الى الحث على كثرة النافرين كما هو اصل مدلولها
ليتفقهوا اي ليتكلف النافرون انفسهم الفهم منه صلى الله عليه وسلم شيئا فشيئا في الدين اي بما يسمعونه من اقواله
ويروغه من جميل افعاله ويصل الى قلوبهم من مستنير احواله وهذا غاية الشرف للعلم حيث جعل غاية الملازمة
له صلى الله عليه وسلم لا الجهاد هذا اذا كان هو صلى الله عليه وسلم النافر في تلك الغزاة وان كان غيره كان خيرة
ليتفقهوا الباقون معه صلى الله عليه وسلم ولما كان من العلم بشارة ومنه نذارة وكان الانسان لما فيه من النقصان اما
احوج شيء الى النذارة خصها بالذكر فقال عاطفا على نحو ليجاهدوا في انفسهم ليبهلوا في خلاصها ولينذروا قومهم
اي يحذروهم ما امامهم من المخاوف ان فرطوا في جانب التقوى اذا رجعوا اليهم اي ما انذرهم به الرسول صلى الله عليه
وسلم ويبشروهم بما بشرهم به صلى الله عليه وسلم ثم بين غاية العلم مشيرا الى ان من جعل له غاية غيرها من ترفع وافتخار
فقد ضل ضلالا كبيرا فقال موجبا لقبول خبر من بلغهم لعلهم اي كلهم يحذرون اي ليكونوا لهم حال اهل
الخوف من الله كما حصلوا من الفقه لانه اصل كل خير به تخلي القلوب فتقبل على الخير وتعرض عن الشر فان
الحذر تجنب الشيء لما فيه من الضرر والمراد بالفقه هنا حفظ الكتاب والسنة وفهم معانيهما من الاصول
والفروع والآداب والفضائل وقال الرماني الفقه فهم موجبات المعاني المتضمنة لها من غير تصريح بالدلالة
عليها ولما علمت المقاصد ومهمات القلوب لقبول الفوائد وامر بالانذار بالفقه وكان من الناس من لا يرجع الا
بشديد الباس اقبل على الكل مخاطبا لهم بادنى اسنان القلوب ليتوجه الى الادنى دينا والاعلى منه من باب
الاولى فقال يا ايها الذين آمنوا اي ادعوا بالسنتهم الكمال الايمان قاتلوا اي تصديقا لدعواكم ذلك الذين يلونكم
اي يقربون منكم من الكفار فالذين يلونكم ان لم ترتدوا عنه اصلح لمعنى لعوض لما في ذلك من حسن الترتيب ومقتضى
الحكمة ولان الجهاد معروف واحسان والاقربون اولى بالمعروف ولتبعدوا العدو عن بلادكم فيكثر صلاحكم ويقل
فسادكم وتكونوا اذا جمعتم بالنفقة والقتال من القتال الجهادين جهاد الحجة وجهاد السيف مع الاحتراس
بهذا الترتيب من ان يبقى وراءكم اذا قاتلتم من تخشون كيده ولما كانت الملاينة اولى بالمسالمة والخاشنة اولى
بالمحاربة قال وليجدوا من الوجدان فيكم غلظة اي شدة وحمية لان ذلك انسب لصدورهم واكف عن نحورهم
وحقيقة الغلظ في الاجسام استعيرت هنا للشدة في الحرب وهي تجمع الجراءة والصبر على القتال وشدة العداوة
واذا فعلوا ذلك كانوا جامعين بين جهاد الحجة والسيف كما نقل من لا يعد له القرآن كان له من الصغار وبعض الهند
تعديل نبه عليه ابو حيان ولما كان ذلك للتعذر ولكن كل ذلك مع التقوى لا بسبب مال او لاجاه فانما ملاك الامر
كله قال منبها على ذلك بقوله واعلموا ان الله اي الذي له الكمال كله مع المتقين فلا تخافوا ان يودي شيء من
مصاحبتها الى وهن فان العبرة لمن كان الله معه ولما ذكر في هذه السورة اي الطائفة الخاصة بصيغة لولا على النفر
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل جهاد الكفار والغلظة عليهم وكان لا يحمل على ذلك الا ما اشار اليه
ختم الآية السابقة من التقوى بتجديد الايمان كلما ذكر شيء من القرآن وكان قد ذكر سبحانه المخالفين لامر الجهاد
بالتخلف دون امر الايمان قال واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا
الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين التفت الى ذلك ليذكر القسم الآخر وهو القاعد عن الايمان فقال
واذا واذا الزايدة الثاني منبها على فضل الايمان فقال ما ولما كان المنكي لهم مطلق الانزال بني للمفعول قوله انزلت سورة
اي قطعة من القرآن فيها معنى من المعاني فمنهم اي المنزل اليهم من يقول انكارا واستهزاء وهم المنافقون ايكم
اعلى ما العصابة المنافقة زادته هذه ايمانا انما قالوا لانهم منقصون باصل الايمان لان الزيادة ضم الشيء الى غيره

غيره مما يشاركه في صفته هذا ما يظهرون تسترا واما حقيقة حالهم عند امثالهم فالاستهزاء استبعادا لكونها
ترد احدا الى حال لم يكن عليها وسبب شكهم واستهزائهم ان سامعها انقسموا الى قسمين مؤمنين ومنافقين ولذلك اجاب تعالى
سببا عن انزالها فاما الذين آمنوا اي اوتوا الايمان حقيقة لخصائص امزجة قلوبهم فزادتهم اي تلك السورة ايمانا اي بايمانهم
بها الى ما كان لهم من الايمان بغيرها لغيرها وتدبيرها ودقة القلوب لها وتفهم ما فيها من المعارف الموجبة لطمانينة
القلوب وثلج الصدور ولما كان المراد بالايمان الحقيقة وكانت الزيادة مفهمة للمزيد عليه استغنى عن ان يقول الى ايمانهم
لذلك الدلالة الذين آمنوا عليه وهم يستبشرون اي يحصل لهم البشر بما زادتهم من الخير الباقي الذي لا يعدله
شيء واما الذين ومن ان اشرف ما فيهم مسكن الآفة في قلوبهم مرض فيهم الايمان وابت لهم الكفران فلم يؤمنوا ولما
كان المراد بالمرض الفساد المعنوي المؤدي الى خبث العقيدة عبر عنه بالرجس فقال فزادتهم رجسا اي اضطرابا
موجبا للشك وزاد للامر بيانا بان المراد المجاز بقوله الى رجسهم اي شكهم الذي كان في غيرها وماتوا اي
واستمر لهم ذلك لتمكنه عندهم الى ان ماتوا وهم كافرون اي غريقون في الكفر وسمي الشك في الدين مرضا لانه فساد
في الروح يحتاج الى علاج كفساد البدن في الاحتياج ومرض القلب اعضل وعلاجه اعسر واشكل ودواؤه اعز
والاطباء اقل ولما ازداد الكفار بالسورة رجسا من اجل كفرهم بها كانت كانها هي التي زادتهم وحسن وصفها بذلك كما
حسن كفى بالسلامة داء وكما قال الشاعر ● اري بصري قد رابني بعد صحة ● وحسبك داء ان تصح وتسلما ●
قاله الرماني فالمؤمنون يخبرون عن زيادة ايمانهم وهو لا يخبرون عن عدمه في وجدانهم فهذا موجب شكهم
وتماديهم في غيهم وافكهم ولو انهم رجعوا الى حاكم العقل لا زال شكهم دعوتهم صدق المؤمنين بالفرق بينهما لتباينهم
فان ظهور الثمرات مزيل للشبهات والآية من الاحتباك اثبات الايمان اولا دليلا على حذف ضده ثانيا واثبات
المرض ثانيا دليلا على حذف الصحة اولا ولما كان ذا التقدير تسببا عما جزم به من الحكم بعواتهم في الرجس وازد يادهم
منه فلا يرون الى تماديهم في النفاق وثباتهم عليه عطف عليه تعزيرهم لعزائب الرشاد والانكار عليهم في قوله
اولا يرون اي المنافقون قال الرماني الرؤية هنا قلبية لان رؤية العين لا تدخل على الجملة لان الشيء
لا يرى من وجوه مختلفة انهم اي المنافقين ولما كان مطلق وقوع الفتنة من العذاب بني للمفعول قوله
يفتنون اي يخالطون من حوادث الزمان ونوازل الحدثان بما يضطرهم الى بيان اخلاقهم باظهار د
سرايرهم نفاقهم في كل عام اي وان كان الناس اخصب ما يكونون وارفهه عيشا مرة او مرتين فيفضحون بذلك
وذلك موجب للتوبة للعلم بان من علم سرايرهم التي هم مجتهدون في اخفائها عالم بكل شيء قادر على كل شيء فهو
جدير بان يمتثل اوامره ويخشى زواجره ولما كان عدم توبتهم مع فتنتهم على هذا الوجه مستبعدا اشار اليه
باداة التراخي فقال ثم لا يتوبون اي لا يجددون توبة ولا هم يذكرون اي ادنى تذكر بما اشار اليه
الاداة غام فلولا انهم حصلت لهم زيادة في الرجس والشك تكرار الفتنة ان يوهي رجسهم الى ان يزيله ولكن كلما
اوهى شيا طغيه مثله او اكثر بسبب الزيادات المترتبة على وجود نجوم القرآن والتذكر طلب الذكر للمعنى
بالفكر فيه فالآية ذامة لهم على عدم التوبة باصابة المصائب لعدم انه سبحانه ما اصابكم بها الا بذنوبكم
ويعفوا عن كثير كما ان احدهم لا يعاقب فتاه الا بذنب وما لم يتب يهوي الى عقابه ولما ذكر ما يحدث منهم من
القول استهزاء اتبعه تالله الزيادة لغيرهم وتوضيحا لتصويره ما يحدث من فعلهم استهزاء من الايماء والتغامز
بالعيون فقال واذا او الدالة الثاني فقال ما ولما كان الغرض نفس الانزال لا تعيين المنزل بني للمفعول قوله
انزلت سورة اي طائفة من القرآن نظر بعضهم اي المنافقين الى بعض اي بما فيه من سخرية
واستهزاء قائلين هل يراكم والدوا العموم فقالوا من احد اي من المؤمنين ان انصرفتم فانه ليشق علينا
سماع مثل هذا ولشق علينا ان يطلع المؤمنون على هذا السر منا ولما كان انصرافهم عن مثل هذا
المقام مستهجنا اشار الى شدة قبحه باداة التراخي فقال ثم انصرفوا اي ان لم يكن احد يراهم وان راهم احد من المو
يحسوا المشقة ويثقلوا ولما كانوا مستحقين كل سوء خبر عنهم في اسلوب الدعاء بقوله صرف الله اي الذي له
الغنى المطلق قلوبهم بانهم قوم اي وان كانوا ذوي قوة على ما يحاولونه فانهم لا يفقهون اي قلوبهم مجبولة
على عدم الفهم لما فيها من الغلظة وهذا دليل على ختام الآية قبلها وهاتان الآيتان المختتمتان بلا
يفقهون الباقيتان للامر بالجهاد في قوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار الموازي لانفروا خفافا
وثقالا الآية تداخلتا تاما مع وجازتهما على ما حصل وصفات المنافقين التالية لآية انفروا المختتم
ما هو العام منها في اهل الحاجة في قوله استاذنك اولو الطول منهم بلا يفقهون لهم عند اعادة ذكر هم
بلا يعلمون وتصويب ما تم الآيتين الى اهل الحاجة ظاهر لكونهم ممن تخفى نزول ما لذكر كثير ما يع
احتمالها العموم والختم هنا بلا يفقهون انسب لان المقام وهو النظر في زيادة الايمان بالنسبة لبعضهم

تنتفي نكرا وتاسلا وان كان بالنظر الى المومنين في قوة الوضوح ولما امر صلى الله عليه وسلم ان يبلغ
هذه الاشيا الشاقة جدا من امر هذه السورة وكان من المعلوم انه لا يحتمل ذلك الا من وفقه
الله واما المنافقون فيكرهون ذلك وكان ايضا انهم ربما لا يحتمل لكراهة عرفهم ان الامر كان من
المعلوم انه لا يحتمل ذلك الا من وفقه الله تولوا واعلمهم على محبة هذا الداعي لهم المنتفي للملاز
والبعد عما يفعلونه من الاعراض عنه ان احواله الداعية لهم الى محبته اعظم من احواله ايديهم
التي اوجبت لهم من المحبة وعليهم من الحقوق ما هم متحرزون بالتلبس به والمنافاة له وان كل ما
يحصل لهم هذا القران من العز والشرف في الدنيا فهو لكل من امن به فقال لقد جاءكم رسول
ولما كان الرسول يجب اكرامه والوقوف في خدمته لاجل مرسله ولو تجرد عن غيره ذلك الوصف
شرع يذكر لهم من اوصافه ما يقتضي لهم مزيد اكرامه فقال من انفسكم اي يرجعون معه الى نفس
واحدة بانكم كاب قريب وذلك اقرب الى الالفة واسرع الى فهم الحجة وابعد عن المحك واللجاجة
عزيز اي شديد جدا عليه ما عنتم والعزة امتناع الشي بما يتعذر معه ما يحاول منه بالقدرة او بالقلة
او بالصعوبة والعنت لحاق الاذى الذي يضيق الصدر به ولا يهتدي للمخرج منه حريص اي بليغ الحرص
عليكم اي على نفعكم والحرص شدة طلب الشي على الاجتهاد فيه وقدم الجار للافادة الاختصاص فقال
بالمومنين اي خاصة كافة ولما ذكر الوصف المقتضي للرسوخ قدم ما يقتضي العطف على ما يتسبب له
بما يقتضي الوصلة فقال رءوف اي شديد الرحمة لمن له منه عاطفة وصلة لما تقدم من ان معنى الرافة قوبا
ولما كان المومن يطلق بمجاز الاول على من يكون منه الايمان فوصلته الان ليست بالفعل بل بالامكان قال
تتميما للرحمة صلى الله عليه وسلم هو اللائق لشريف منصبه وعظيم خلقه رحيم ولا جل مثل هذه
الاغراض لتفسيره رتب سبحانه هذين الوصفين هكذا ولكن المعاني المرادة تامة يظهرها الله تعالى لعبد
منحة له واكراما وتارة يخفيها اظهارا لعجزه ونقصانه ثم يظهرها له في وقت اخر ان صدق في التضرع
والظها للافتقار والتذلل وادام الطلب ولغيره ممن هو اقل منه علما واضعف فهما ممن نظر فيها واذا
تاملت كتابي هذا ظهر لك ان لكثير من الايات فسرها على غير المراد منها فحولها اكابر العلماء فحق الانسان
اذا خفي عليه امر ان يقول لا اعلم ولا يظن انه مرتب شي من هذا الكتاب العزيز لاجل الفواصل فذلك امر لا يليق
بكلام الله تعالى وقد عاب النبي صلى الله عليه وسلم السجع لان الساجع يكون محط نظره الالفاظ فيدبر
المعاني عليها ويتبعها اياها فربما عجز اللفظ عن توفية المعنى وروى البخاري في الطب وغيره من صحيحه
ومسلم في الديات وابو داود والنسائي وغيرهم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى
في الجنين يقتل في بطن امه بغرة عبد او وليدة فقال الذي قضي عليه كيف اغرم ما لا شرب ولا اكل
ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك بطل فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما هذا من اخوان الكهان من اجل سجعه
الذي سجع وفي رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم سجع كسجع الاعراب وذلك والله اعلم انه لو كان نظره الى
المعنى وتصحيحه لاغنى عن هذا السجع ان يقال كيف اغرم من لا حياة له ولو قصد السجع وتهذيب المعنى لاتى
بما يدل على نفي الحياة التي جعلها محط امره فانما اتى به لا يستلزم نفيها ولو قصد بالصحة لاغنى بنفي النطق
عن نفي الاستهلال فعلم بهذا انه دائر مع تحسين اللفظ صح المعنى ام لا ولا يستطيع في عقل عاقل ان يكون
النبي صلى الله عليه وسلم يذم السجع وهو ياتي به ويقصده في القران او في السنة ولو كان ذلك لما لا يسرعوا
للرد عليه وذكر اصحاب فتوح الكتاب في فتح مكران من بلاد فارس ان الحكم بن عمرو لما فتحها ارسل بالاخماس
مع صحار العبدي فلما قدم على عمر رضي الله عنه سأله عن مكران وكان لا ياتيه احد الا سأله عن الوجه الذي يجي
منه فقال يا امير المومنين ارض سهلها جبل وماؤها وشل وتمرها دقل وعدوها بطل وخيرها قليل وشرها
كثير طويل والكثير بها قليل والقليل بها ضايع فقال اسجاع انت ام مخبر فقال لا بل مخبر قال لا والله لا
يغزوها جيش لي ما اطعت فقد جعل الفاروق السجع فيما للخبر فدل على ان التسبيد به عيب لاجل انه
بالغابرة او بتمام الفائدة ولعله انما جوز ان يكون مخبرا لانه انفذ عن السجع في اخر كلامه وكرر لفظ
قليله فكان ما ختمه لانه لو اراد السجع لا ممكنه ان يقول والكثير بها ذليل والقليل بها ضايع كليل وما
وراها شر منها يا قوم قيل وقد نفى سبحانه عن هذا القران المجيد تصويب النظر الى السجع كما نفي عنه
الشعر فانه تعالى قال وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون فكما ان
قول الشاعر اتيانه بالكلام موزونا فلذلك قول الكاهن اتيانه بالكلام مسجوعا والقران ليس
من هذا ولا من هذا وان وقع فيه كل من الامرين فغير مقصود اليه ولا معول عليه بل لكون المعنى انتظم به

به على اتم الوجوه فنوفي به لذلك ثم تبين انه غير مقصود بالانفكاك عنه في كثير من الاماكن مقرونة ليس لها مجانس
في اللفظ لتمام المعاني المرادة عندها فتعلم قطعا ان ذلك غير مقصود اصلا لان مثل ذلك لا يرضى به اقل الشا جعين
قبل يراه سجاعا عجزا وضعفا عن تكميل المشاكلة ونقصا تعالى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ومما يوجب لك
القطع بان ترتب هذين الاسمين الشريفين هكذا لغير مراعاة الفواصل قوله تعالى في سورة الحديد وجعلنا
في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة وسياتي ان شاء الله تعالى في سورة طه عن الفخر الرازي والقاضي
ابي بكر الباقلاني منع النظر الى السجع في الكتاب العزيز نقلا عن جميع الاشاعرة واذا تاملت الفواصل
في الاتيان بها تارة بكثرة وتارة بقلة وتارة تترك بالكلية ويوتى في كل اية بفاصلة لا توافق الاخرى
علمت ان هذا المذهب هو الصواب ولا سيما اخر سورة اقرا واذا تاملت كتب اهل العدد واتقنت علم هذا المسند
واذا تاملت ما قلته في هذا النحو من كتابي مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور لم يبق عندك شك في شي من
هذا فاياك ان تجنح لهذا القول فتكون قد وقعت في امر عظيم وانت لا تشعر ولما وصفه سبحانه بهذه الاية ايراد
المخاطب المتلطف المزيل لما عندهم من الريب بالقسم فكانه قال ما لكم تتصرفون عن حضرته الشماء وشمائله
العالية والله لقد جاءكم الى اخره ثم اقبل عليه مسليا له متفائلا لا عراضهم ان اعرضوا بالاعراض عنهم والبراءة
منهم ملتفتا الى اول السورة الامرة بالبراءة من كل مخالف قائلا مسببا عن النصيحة بهذه الاية التي لا
يشك فيها عاقل في مضمونها فان تولوا اي اجتهدوا في تكليف فطرهم الاولى ان ولوا عنك بالاعراض اف
المذكور وغيره بعد النصيحة لهم بهذه الاية فقل استغناء بالله وتفويضا اليه حسبي اي كافي وقال
الروماني وهو من الحساب لانه جل ثناؤه يعطي بحسب الكفاية التي تغني عن غيره ويزيد من نعمته
ما لا يبلغ الى حد ولنهاية اذ نعمه دايمة ومننه متظاهرة الله اي الملك الاعلى الذي لا كفو له ولما كان
كافيا لانه لا اله الا هو فلا مكافي له فلا راد لامره ولا معقب لحكمه ولما قام الدليل على انه لا كفو له وجب
قصر الرغايب عليه فقال عليه اي وحده توكلت لان امره نافذ في كل شي وهو رب اي مالك ومخترع ومدبر
ولما كان في سياق التهدد الكبرياء بالبراءة من الكفار والكفاية للاحزاب كان المقام بالعظمة انسب كاية
النمل فقال العرش العظيم المحيط بجميع الاجسام الحاوي لساير الاجرام الذي ثبت باية الكرسي وغيرها
ان ربه اعظم منه لان عظمته على الاطلاق فلا شي الا وهو في قبضته وداخل في دايرة مملكته واذا كان كافي
ها
فانا بري ممن تولى عني وبعدني كاينا من كان في كل زمان ومكان فقد عانوا اخر السورة اولها وصافحت منتهاها
مبتداها وتاكدما تضمنته من البراءة لمناسبات في نسيخوا في فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي
الله ولما اسند تعالى علم سورة يونس عليه السلام دهيا ولما المبين ان جعلنا براءة مع الانفال من الطوال
ولا نبراءة ولا هي مقصودها وصف الكتاب بانه من عند الله لما اشتمل عليه من الحكمة وانه ليس الا من
عنده سبحانه لان غيره لا يقدر على شي منه وذلك دال بلا ريب بانه واحد لا شريك له في شي من امره
وتمام الدليل على هذا قصة قوم يونس عليه السلام بانهم لما امنوا عند المخايل كشف عنهم فدل قطعا
على ان الاتي بتلك العذاب هو الله الذي امنوا به اذ لو كان غيره لكان ايمانهم به موجبا للايقاع بهم
ولو عذبوا لغيرهم لعقل هذه عادة الدهر كما قالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء ودل ذلك على ان عذاب
غيرهم من الامم انما هو من عند الله لكفرهم لما اتسق ذلك واطرد ابد احوال ساير الامم من انه كلما وجد
الاصرار على التكذيب وجد العذاب وعكسا من انه كلما انتفى وقت بقبول التوبة انتفى والله الموفق
بسم الله اي الذي لا امر لاحد سواه فلا كلام يشبه كلامه فلا كفو له الرحمن الذي عم بكلامه جميع خلقه
باوضح البيان الرحيم الذي اتم لمطيعهم نعمة الامتنان الر فخم الف را ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم والمالة
وورش عن نافع بين بين والباقون بالامالة المحضة والاصل في ذلك الفتح ولذا اما كان من امثالها تحالفا
لها ليست منقلبة عن يا نحو ما ولا واما لتها للتنبيه على انها اسما الحروف وليست حروف فقل ذلك عن الواحدي
لما تقدم في اول الاعراف الحث على بلاغ النصيحة بهذا الكتاب ونوع مما اقتضاه السياق من التحذير
من مثل وقايع الاولين ومصارع الماضين ومما استتبع ذلك من تواصل القول في ترجمة هذا النبي الكريم
مع قومه في اول السورة واثنايه واخره في سورتي الانفال وبراءة وختم ذلك بان سور الكتاب تزيد كل احد
مما هو ملايم له مناسب لقبوله وتبعده عما هو منافر له بعيد عن قبول ملايمته وان الرسول صلى الله عليه وسلم
بذلك تدعو من الاوصاف والحلي والاخلاق العلا ما يوجب الاقبال عليه والاسراع اليه والاجتناد
بان توليهم عنه لا يضره شيا لان ربه كافيه لانه لا مثيل له فانه ذو العرش العظيم فلما كان ذلك كذلك
اعاد سبحانه القول في شان الكتاب الذي افتتح به الاعراف وختم به سورة التوبة وزاده وصفا

الحكمة واشار باداة البعد الى ان رتبته فيها بعيدة المنال بديعة المثال فقال تلك الايات العظيمة جدا
التي اشتملت عليها هذه السورة والسور التي تقدمت هذه السورة او هذه الحروف المقطعة المشيرة الى
ان القران كلام الله والا لما عجز القادرون على التلفظ بهذه الاحرف ايات الكتاب اي الذكر الجامع لكل خير
وهو هذا القران الذي وافق كلما اتى به من القصص كلما في التوراة والانجيل من ذلك فدل ذلك على صدق الاتي
به قطعا لانه لم يكن يعرف شيئا مما في الكتابين ولا جالس احدا يعلمه الحكيم فكان مما مضى ان كونه من عند الله
كاف في وجوب اتباعه وفي ما هنا تاكيدا لوجوب كونه مع ذلك حكيما والاية العلامة التي تنبئ عن مقطعه
الكلام من جهة مخصوصة والحكيم الناطق بالحكمة وهي معرفة ما يجتمع عليه مما يمنع الفعل من الفساد
والنقص استغفر له ذلك لانه دليل كالناطق بالحكمة لانه يودي الى المعرفة التي تميز بها طريق النجاة
من طريق الهلاك وهو حاكم بين الحق من الباطل في الاصول والفروع ويحكم بالعدل الذي لا جور فيه
بوجه في كل نازلة ويحكم لما اتى به مانع له من الفساد لا تمحوه الماء ولا تحرقه النار ولا تغيره الدهور هذا اما
ظهر لي في اتصالها بما قبلها وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تضمنت سورة براءة قوله تعالى الا تنصروه فقد
نصره الله وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله ورحمة للذين امنوا منكم والذين يؤذون رسول الله
لهم عذاب اليم وقوله لقد جاءكم رسول الى اخر السورة الى ما تخلل اثناء هذه السورة الكريمة مما شهد لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بتخصيصه بمزايا السبق والقرب والاختصاص والملاطفة في الخطاب ووصفه بالرافة
والرحمة هذا مع ما انطوت عليه والانفال عليه من نصره اعداه وتاييده ونصره عليهم وظهور دينه وعلو دعوته
واعلاء كلمته المعنى هذا من نعم الله سبحانه عليه كان ذلك كله مظنة التعجب المرتاب وتوقفا لكي ومثير التحرك
ساكن الجسد من العدو وتعظيم مما منحه الله عليه السلام قال تعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر
الناس الى قوله لسحر مبين ثم قال ان ربكم الله الايات فبين انفراده تعالى بالربوبية والخلق والاختراع
والتدبير فكيف تعترض افعاله او يطلع البشر على وجه الحكمة في كل ما يفعله ويبديه واذا كان الكل
ملكه وخلقه فيفعل في ملكه ما يشاء ويحكم في خلقه بما يريد ذلكم الله ربكم فاعبدوه ما خلق الله ذلك الا
بالحق ثم توعد سبحانه الغافلين عن التفكر في عظيم اياته حتى ابدكم الغفلة الى مرتكب سبيلهم في العجب
والانكار حتى قالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى
ربنا وهذه مقالات الامم المتقدمة قالوا ان انتم الا بشر مثلنا ما نراك الا بشرا مثلنا قالوا انؤمن
لبشرين مثلنا ان هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم فقال تعالى متوعدا للغافلين ان الذين
لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا الاية ثم وعد المعتبرين فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بايمانهم الايات وكل هذا بين الالتحام جليل الالتئام ثم تناسبت اي السورة بعد انتهاى
ولما كان كونه من عند الله تعالى مع كونه حكيما موجبا لقبوله بادي بدء والسر ورده لما تقود في
العقول وجبلت عليه الفطر من انه تعالى الخالق الرازق كاشف الضر ومدبر الامر كان ذلك
موضع ان يقال ما كان حال من تلي عليهم فقيل لم يؤمنوا فقيل ما شبهتهم هل قدروا على معارضته
والطعن في حكمته فقيل لا بل تعجبوا من انزاله على محمد صلى الله عليه وسلم وليس باكثرهم مالا ولا باقدمهم
سنا فوقع حاصل تعجبهم الى ما قاله تعالى انكارا عليهم فانه لو ارسل ذا سن قالوا مثل ذلك وهل ذلك
محل التعجب اكان بوجه من الوجوه للناس اي الذين فيهم اهلية التحرك للمعالي والعجب عجبا والعجب
تغير النفس بما لا تعرف سببه مما خرج عن العادة ثم ذكر الحامل على العجب وهو اسم كان فقال لقد ما
حصل اعظم شوق اليه ان اوحينا اي القينا او امرنا بما لنا من العظمة بواسطة رسلنا في خفاء منهم الى
رجل اي هو في غاية الرجولية وهو مع ذلك منهم بحيث انهم يعرفون جميع امره كما فعلنا لمن قبلهم والملك
المعظم الملك المالك التام الملك لا اعتراض عليه فيما به تظهر خصوصيته من اعلا من شاء ولما كان من الايحاء
معنى القول فسره بقوله ان انذر الناس اي عامة وهم الذين تقدم ندا وهم اولا لنبين ما امامهم
من البعث وغيره ان لم يؤمنوا اصلا او ايمانا خالصا ينفي كل معصية صغيرة او كبيرة وكل هفوة جليلة
او حقيرة على اختلاف الرتب وتباين المقامات وبشر اي خص الذين اي اوجدوا هذا الوصف امنوا
تصديقا لدعواهم له وعملوا الصالحات اي من الاعمال اللسانية وغيرها بالبشارة بقبول حسناتهم وتكفير سياتهم
والتجاوز عن هفواتهم وترفع درجاتهم كما كان ارسال الرسل قبله وكما هو مقتضى العدل في اثابة
الطائع وعقاب العاصي والانذار الاعلام بما ينبغي ان يحذر منه والتبشير التعريف بما فيه
السرور واضاف القدم الذي هو السابقة بالطاعة الى الصدق في قوله تعالى موصلا بفعل البشارة

البشارة الى المبشر به دون حرف جر ان لهم اي خاصة قدم صدق اي اعمالا صالحة ثابتة قدموها لانفسهم صدقوا
فيها واخلصوا بما يسرنا والله لانهم خلقوا له وكان مما يسعى اليه بالاقدام وزاد في البشارة بقوله عند ربهم
في اضافة القدم تنبيه على انه يجب ان تخلص الطاعة كاخلاص الصدق من شوائب الكذب وفي التعبير
بصفة الاحسان اشارة الى المضاعفة ولما ثبت ان الرسول وما ارسل به على وفق العادة انتفى ان يكون
عجبا من هذه الجهة فصار الحال قابلا لان يتعجب منهم فقال ما قالوا حين ظهوره العجب من اي وجه او
عجبا فقيل قال الكافرون اي الراسخون في هذا الوصف منهم وتبعهم غيرهم مولدين لما يحق لقولهم من الانكار
ان هذا اي القول وما تضمنه من الاخبار بما لا نعرف من البعث وغيره لسحر اي محل لساحر وفي قراءة ابن
كثير وحمزة والكسائي لساحر مبين اي ظاهر في نفسه وهو من شدة ظهوره مظهر لكل من تامله لذلك نفاه
بما هو في غاية البعد عن وصفه فان السحر قد تقرر لكل ذي لب انه مع كونه تمويها لا حقيقة له
شر محض ليس فيه شيء من الحكمة فضلا عن ان يتعاطى الذروة منها مع ان في ذلك ادعاءهم امرا متناقضا
وهو انه من قول البشر كما في العادة في السحر وانهم عاجزون عنه لان السحر فعل يخفى الحيلة فيه
حتى يتوهم الاعجاز به فقد اعترفوا بالعجز عنه وكذبوا في ادعاء انه سحر لانه لا يأتي به منهم لم يقاربهم
قط وما خالط علماء السحر ولا غيره حتى يخالطهم فيه شبهة فهم يعلمون ان قولهم في غاية الفساد
فشرع سبحانه يقيم الدليل على بطلان قولهم من انه مع ما تضمنه من البعث سحر وعلى حقيقته انه من
عنده من غير شبهة وعلى ان ارسال الرسل لا عجب فيه لانه سبحانه خلق الوجود كله وهو نافذ الامر كله فيه
وقد ابتلي من فيه من العقلاء ليردهم اليه ويحاسبهم فانه لم يخلقهم سدى لانه حكيم فلا بد من رسول يخبرهم
بما يرضيه وما يغضبه لتقوم بذلك الحجة فقال ان ربكم اي الموجد لكم والمربي والمحسن الله اي الذي
من رب شيئا ينبغي ان يكون حكيما وقادرا على اسباب صلاحه فانفضوا انفسكم من سنة غفلتها لتعلموا
ان هذا الكتاب من عند من له العظمة كلها قطعا وانه قادر على بعثكم لانه ربكم الذي بدأ الخلق بان
خلق اي قدر واوجد السموات والارض على اتساعها وكثرة ما فيها من المنافع في ستة ايام لحكمة ارادها
على ان ذلك وقت الاقطار الواسع لسعة لا يفعل مثل ذلك في مثله الا من لا يعجزه شيء ولما اوجد سبحانه
هذا الخلق الكبير المتباعد الاقطار الواسع الانتشار المفتقر الى عظيم التدبير ولطيف التصريف
والتقدير غيره سبحانه عن حمله فيه حمل الملوك في ممالكهم بقوله مشيرا الى عظمته باداة التراخي ثم استوى
اي عمل في تدبيره واتقان ما فيه واحكامه عمل المعتني بذلك على العرش المتقدم وصفه بالعظمة وليست
ثم للترتيب بل كناية عن علو الرتبة وبعد منالها ثم بين ذلك الاستواء بقوله يدبر لان التدبير
اعدل احوال الملك فالاستواء كناية عنه الامر اي كله فلا يخفى عليه عاقبة امر من الامور ليحصل الامر
منه ان يفعل شيء يعسر عليه لان التدبير تنزيل الامور في مراتبها على احكام عواقبها وهو مع ذلك
منزه عما تعرفونه من احوال الملوك من انه يلون في ممالكهم من يقضي بعض الامور لغيرهم ذلك
منهم وان علموا به لعجزهم عن المجاهرة بالامر دونه بل هو متصرف بانه ما من شفيع اي وان
كان بليغ الاتصاف بذلك ولما كان تمام تقرره وعظم سلطانه لا يفيد احرا عند اذنه له اذنا عاما
لجميع الازمان والاماكن اتى بالجار فقال الا من بعد اذنه فاذا لم يقدر شفيع على الكلام في الشفاعة
الا باذنه فكيف يقدر احد ان ياتي بشيء من الاشياء بغير اذنه فكيف ياتي بكتاب حكيم ليس من عنده
يعجز الخلق عن معارضته فحصل الامن من ان يكون غيره قاله او شفع فيمن ابلغه فابلغه من غير اراده ه
منه سبحانه فتحرر انه ليس الا من عنده وانه امر بابلاغه وقد عرف من هذا ان ما من شفيع في موضع
الدلالة على انه لا يخرج عن تدبيره امر من الامور ولا يغلبه شيء اصلا فبطل ما كانوا يقولون في الاصنام من
الشفاعة وغيرها والشفيع السائل في غيره ليبلغ منزلة من عفو او زيادة منزلة وقد وقع ذكر الكتاب
والرسول والعرش مرتبا وذهن على ما دار ات اخر تلك فلما تقرر ما وصف به من العظمة التي لم
يشاركه فيها شيء نبه على ذلك بقوله ذلكم اي العظيم الشان العالي المرتبة الله اي الملك الاعلى ربكم
اي الذي تفرد له من العظمة والاحسان والايجاد والتربية ما لا يبلغه وصف فاعبدوه اي فخصوه
بالعبادة فان عبادتكم مع الاشراك ليست عبادة ولولا فضله لم يكن لمن ذل ادنى ذلة طاعة ولما سبب
سبحانه عن وصفه العلا ما وجب له من الامر بالعبادة تسبب عن ذلك الانكار عليهم في التوقف عنها
والاحتياج فيها الى بروز الامر بها لما قام على استحقاقه لذلك قد دلها من الادلة التي فيهم شواهدها فقال
افلا تذكرون اي ولو بادنى انواع التذكر لما اشار اليه الادغام ما اخبركم سبحانه به وتعالمكم وبهتكم عليه

عليه بما يعلمه كل احد من نفسه من انه لا يقدر احد ان يعمل كلما يريده ويعمل كثيرا مما لا غرض
له فيه وليعلم انه نحرم الى غير ذلك من الامور ليعلم قطعا ان الفاعل الحقيقي غيره وانه لا بد لهذا
الوجود من مؤثر فيه هو في غاية العظمة لا يصح بوجه ان شاركه شي ولو كان اعظم ما يعرف من الاشيا
فكيف بجماد لا يضر ولا ينفع فلما تقرر انه هو الذي بدا الخلق تقرر بذلك انه قادر على اعادته
فقال اليه اي خاصة مرجعكم جميعا اي رجوعكم وموضع رجوعكم ووقته حال كونكم جميعا
لا يتخلف منكم احد تقدم وعده لكم بذلك وعد الله اي الذي له الكمال كله حقا فهو فعيل لعبادته
بوحدانيته فيحيون بعد الموت ويحشرون الى موضع جزا الاسلم في زمانه الذي قدره له ويرتج
ما كان لهم من الحكم في الدنيا فظلم قطعا انه لا بد من الرسول فاستعدوا اللقا هذا الملك الاعظم
بكل ما امر به رسوله صلى الله عليه وسلم ثم اوضح التنبيه على قدرته متضمنا له بيان حكمته فقال
معللا الوجوب المرجع اليه مؤكدا اعداهم في عدهم منكرا الابتدا لاجل انكارهم ما يلزم عنه من تمام
القدرة على البعث وغيره انه يبدا الخلق اي بنشيه النشاة الاولى له هذه الصفة
متجددة التعلق على سبيل الاستمرار ثم يعيده ليقيم العدل في خلقه بان ينجز لمن عبده وعده بان
يعزه ويذل عدوه وذلك معنى قوله ليجزي ولما كان في سياق البعث قدم اهل الجزا وبدا
باشرفهم فقال الذين امنوا اي اوجدوا هذا الوصف الذي هو الاساس المتقن لكل عمل صالح
وعملوا اي وصدقوا ايمانهم بان عملوا الصالحات جزا كاينا بالقسط واقتصر على العدل دون الفضل
ليفهم ان ترك الحشر مخل بالعدل الذي هو محط الحكمة التي هي اعظم مطالع السورة والجزا الاعلى
بالعمل ما تقتضيه من خير او شر فلو كان العطا ابتدا لم يكن جزا ولو كان ما لا تقتضيه العمل لم يكن جزا
مطلقا والقسط العدل والذين كفروا اي اوجدوا هذا الوصف لهم اي في الجزا على جهة الاستحقاق
شراب من حميم اي مسخن بالنار اشد الاسخان وعذاب اليم اي بالغ في الايلام بما كانوا اي جبلة وطبعا
يكفرون فان عذابهم من اعظم نعيم المومنين الذين عادوهم فيه سبحانه فالذين فاليوم الذين امنوا
من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون وكانه قال يبدا
مضارعا لاكما قال في اية اخرى كما بداكم تعودون حكاية للحال وتقريرا لها تنبيها على تامل ما يتجدد
انشاوه ليكون ادعى لهم الى تصور القدرة على الاعادة قال الرماني وقد تضمنت الاية البيان كما يوجبه
التمكين في الدنيا من تجديد النشاة للجزا لانه لا بد مع التمكين من الحسن والقبيح من ترغيب وترهيب
لا يوس معه العذاب على الخلود لتخويف المكلف بالزجر عن القبيح بالحال عن حال الاباحة له بما يرفع النعمة
التبعة عليه انتهى فقد عاد ذكر مع ما يعتني في اثنا السورة بتكريره لتوضيحه وتقريره ان مقصودها وصف
الكتاب بما يدل قطعا على انه من عنده سبحانه وبا ذنه لانه لا غايب عن علمه ولا مداني لقدرته
ولا مجتري لعظمته وانه تام القدرة منفرد بالخلق والامر فهو قادر على الاعادة كما قدر على الابتدا
وان المراد بالكتاب البشارة والقدرة للفوز عند البعث والنجاة من غوايل يوم الحشر مع انه سبحانه
نافذ القضا فلا تغني الايات والدلالات البينات عن من حكم بشقاوته وقضى بغوايته وان ذلك
من حكمته وعدله فيجب التسليم لامره وقطع الهم عن سواه ثم شرع سبحانه يقرر ابديته للخلق واعادته
في سياق مذكر بالنعم التي يجب شكرها ويسمى المعرض عن شكرها كافرا فقال هو اي لا غيره الذي جعل اي
هيا من الاسباب الشمس ولما كان النور كيفية قابلة للشدة والضعف خالف سبحانه في الاسم بما
يدل على ذلك فقال في نور الشمس ضيا اي ذات نور قوي ساطع وقدرها منازل هكذا التقدير لكن لما كانت
في تنقلها بطيئة بالنسبة الى القمر ذكره دونا فقال والقمر اي وجعل القمر نورا اي ذا نور من نورها وقدره
وقدره اي وذا دعلها بان قدر مسيره منازل يسرعا تنقله فيها وباختلاف حاله في زيادة نوره
ونقصانه تختلف باحوال الرطوبات والحرارات التي دبر بها هذا الوجود الى غير ذلك من الاسرار
التي هي فروع وجود الليل والنهار لتعلموا بذلك علما سهلا عدد السنين اي المتضمنة الفصول
الاربعة وما يتصل بذلك من الشهور وغيرها ليمكن لكم تدبير المعايش في احوال الفصول وغيرها والحساب
والحساب اي في غير ذلك مما يدل على بعض تدبيره سبحانه ولما كان ذلك مشاهدا لا مرية فيه وصل به قوله
ما خلق الله ذلك اي الذي له الكمال كله ذلك الامر العظيم جدا الا بالحق اي خلقا ملتبسا بالحق الكامل
بالحجة لا مرية فيه فيعلم انه قادر على ايجاد الساعة لذلك اذ لا فرق واذا كان خلقه لذلك فكيف
يكون امره الناشي عنه الخلق غير حق بان يكون من السحر الذي مبناه على التمويه والتخييل الذي

هو عين الباطل او ما خلقه الا بسبب اظهار الحق العدل بين العباد ما عز از الطايع واذلال
العاصي فانه لا نعيم كالانتصار على المعادي والانتقام من المنادي والجعل وجودها به يكون الشي
على صفة لم يكن عليها والشمس جسم عظيم النور مشاهد ضيا النهار والقمر جسم نير يبسط نوره على
جميع الظاهر من الارض ويكشفه نور الشمس والنور شعاع فيه ما ينافي الظلام والحساب عدد يحصل به
مقدار الشي من غيره ولما كان النظر في هذه الايات من الوضوح بحيث لا يحتاج الى اكثر من الانصاف
بقابلية العلم ختم الاية بقوله يفصل اي الله في قراءة ابن كثير وابي عمرو وحفص عن عاصم بالياء التحتية
وبالالتفات الى اسلوب العظمة تفخيما للبيان في قراءة الباقين بالنون الايات اي يبين الدلايل
الباهرة واحدة في اثر واحدة متفاصلة بيانا شافيا ولما كان البيان لمن لا علم له كالعدم قال لقوم
اي لهم قوة المحاولة لما يريدون يعلمون اي لهم هذا الوصف على سبيل التجدد والاستمرار ولما
كانت لهم المعرفة التامة والنظر الثاني من منازل القمر عدت من الجلي ولما اشار سبحانه الى الاستدلال
على فنا العالم بتغيره والى القدرة على البعث بايجاد كل من المكونين بعد اعدامه في قوله مؤكدا له
لانكارهم ان يكون في ذلك دلالة ان في اختلاف الليل اي على شان اوصافه والنهار اي لذلك وما
اي وفيما خلق الله اي الذي له الاحاطة الكاملة في السموات والارض اي من احوال السحاب والامطار
وما يحدث من ذلك من الخسف والزلازل والنبات والمعادن والحيوانات وغير ذلك من احوال
الكل التي لا يحيط البشر باحصايها لما اشار الى ذلك ختمها بقوله لايات اي دلالات بينات جدا
لقوم يتقون اي ان من نظر في هذا الاختلاف وتامل تغير الاجرام الكبار كان جديرا بان يخاف
من ان تتغير احواله ويضطرب امره فيتقي الله بعلمه قطعا بان اهل هذه الدار غير مهملين فلا
بد لهم من امر ونهي وثواب وعقاب والاختلاف ذهاب كل من الشيئين في غير جهة الاخر فاختلاف
الملوين ذهاب هذا في جهة الضياء وذلك في جهة الظلام والليل ظلام من غروب الشمس الى طلوع
الفجر الثاني وهو جمع ليلة كتمرة وتمر والنهار اتساع الضياء من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس
والخلق فعل الشي على ما تقتضيه الحكمة واصله التقدير ونبه بما خلق في السموات والارض على وجوه
الدلالات لان الدلالة في الشي قد تكون من جهة خلقه او اختلاف صورته او احسن منظره او كثرة
نفعه او عظم امره او غير ذلك ولما اشير بالاية الى انقراض الدنيا بان الحادث لا ثبات له وقام
الدليل القطعي على المعاد بسبب تعقيبها بعيب من اطمان اليها في سياق مبين ان سبب الطمانينة انكار
الطمانينة اعتقادا او حالا ولما كان ختم تلك يتقون لان المرء يتقي من لا يتقي ولما كان المعروف
اكثر ما يدعو به تنفيرا عن حالة لان درء المفاسد اولى من جلب المصالح فقال مؤكدا لاجل انكارهم ان الذين
ولما كان الخوف والرجا معدين للسعادة وكان الرجا اقرب الى الحث على الاقبال قال ذكرها بالرجا
ملوحا الى الخوف لا يرجون لقاءنا بالبعث بعد الموت ولا يخافون ما لنا من العظمة ورضوا اي عوضا
عن الاخرة بالحياة الدنيا اي فعملوا لها عمل المقيم فيها مع ما اشتملت عليه مما يدل على احتقارها واطمانوا
اليها راضين بها طمانينة من لا يزعج عنها مع ما شاهدوه من سرعة زوالها والذين هم اي خاصة
عن اياتنا اي على ما لها من العظمة لا على غيرها من الاحوال الدنية الفانية اولئك اي غريقون في
الغفلة ونقض قوله تعالى الى سبيلنا فاولئك اي البعدا البغضا ماواهم النار بما اي بسببها
كانوا اي جبلة وطبعا يكسبون فان كسبهم كله ضلال لانه لا يحاطهم بالعقاب على تاخير المتاب
وجعلت ملاقاة ما لا يقدر عليه الا الله ملاقاة لله تفخيما لشانها كما جعل اتيان ملائكة ايات الله
في قوله الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام ونحوه والاطمينان الركون الى الشي عن تمكن فيه وهولاء
سكنوا الاحوال الدنيا فصار فرحهم وسخطهم لها والغفلة ذهاب المعنى عن القلب بما يضاده وحقه
اياه والغفلة نقيض ولما اقتضى هذا الاسم حالا وما لا اتبعه سبحانه القسم الاخر مؤكدا لانكار الكفار
هدايتهم ان الذين امنوا وعملوا اي اوجدوا هذا الوصف بما لهم من القوة النظرية التي كمالها
معرفة الاشيا وسلطانها معرفة الله وعملوا اي وصدقوا دعواهم الايمان بان عملوا الصالحات
بالقوة العملية التي سلطانه عبودية الله تعالى والصالح ما جا بالحث عليه الانبيا عليهم السلام يهديهم
اي على سبيل التجدد والاستمرار ربهم اي المحسن اليهم بايمانهم اي بسبب تصديقهم وادعاكم المعرفة
الايات التي غفل عنها الذين يومنون البقا ولا يرجون اللقا فيقادكم الى دار السلام وهذا كما
كان لكثير من الصحابة رضي الله عنهم بعد اسلامهم ليشتد تعجبهم مما كان من قبل طوعهم عن الاسلام وكانوا كـ

انك تحنق على بعض نكته فلا بد على حظ النفوس ترى له حسنة ثم انك قد ترضى عنه فتراه كله محاسن ولما ذكر
ان مال القسم الاول الثارد كر ما لهذا القسم فى معرض سؤال من يقول ماذا اتوذكم هدايتهم فقيل له تجرى
واشار الى ترتب منال المياه وانكشافها عن كل ما ينتفع به فى غير ذلك باثبات الجار فقال تجرى من تحتهم اى تحت
غرفهم واسرتهم وغير ذلك من مستنهياتهم وقوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وكذا قول فرعون وهذه الانهار تجرى
من تحتى الانهار كاينين فى جنات النعيم اى التى ليس فيها شئ غيره ولما كان ذلك اوجب على العباد ولا تنزهه تعالى عن
النقائص التى اعظمها الاشراك وكان من فعل ذلك اسلم من غوايل الضلال فرح نفسه فعرف ربه وفاز فى شهود حضرته
بمشاهدة اوصاف الكمال اشار الى التسلك فى ذلك بقوله دعواهم فيها اى دعاؤهم العظيم الثابت الكثير الذى
يقولونه فيها لا على وجه التكليف بل يلهمونه الهام النفس فى الدنيا نفسها واشار الى مجامع التنزيه عن كل شائبة
نقص فقال سبحانك اللهم اشاره الى الامر الاول الذى هو الاساس وهو المعراج فى الاخرة وتحيتهم اى لله
ونيما بينهم فيها سلام اشارة الى اول نتائج الاساس فانه لا عطب معه بوجه وهو نزول عن المعراج بالنظر فى
احوال الخلق واخر دعواهم اى دعائهم العظيم فهو المعراج الكمالى ان الحمد اى الكمال لله اى المحيط بجميع اوصاف
الجلال والجمال يعنى ان التنزيه عن النقص اوجب لهم السلامة ولما سلموا من كل نقص وصلوا الى الحضرة فغرقوا
فى بحار الجلال وانكشفت لهم سمات الكمال والدعوى قول يدعو به الى امر والتحية التكرمة بالحال الجليلة واصلها
من قولهم احياك الله حياة طيبة واشار بقوله رب العالمين اى نعمة الايجاد ارشادا ابدلا الى لقدرة على
المعاد وانه هبوط عن المعراج الكمالى الى الخلق وذلك اشارة الى ان الانسان لا ينفك عن الحاجة والنقصان
ولما اشير فى هذه الاية الى تنزهه تعالى وعلوه وتفرده بنعوت الكمال ودل ختمها بالحمد على احاطته وبرب
العالمين على تمام قدرته وحسن تدبيره فى ابتدائه واعادته اتبعت بما يدل على ذلك من لطفه فى معاملة من
انه لا يفعل شيئا بتلاوته لان الاستعجال من سمات الاحتياج بل وروى ابو يعلى واحمد بن منيع عن انس رضى الله
عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال التانى من الله والعجلة من الشيطان قال شيخنا ابن حجر وفى الباب عن سهل
وسعد رضى الله عنهما فقال تعالى عاطفا على قوله يدبر الامر ما معناه انه تعالى يفعل فعل من ينظر فى ادبار
الامور فلا يفعل الا ما هو فى غاية الاحكام فهو لا يعاجل العصاة بل يمهلهم ويسبغ عليهم النعم وهم فى حال
عصيانهم له اطل من النعم يطلبون خيراته ويستعجلونه فيها ولو يعجل الله اى المحيط بصفات الكمال للناس
اى الذين اتخذوا القران عجبا لما لهم من صفات الاضطراب الشر استعجالهم اى عاملا فى ارادته لا بقاع الشر لهم
مثل عجلهم فى ارادتهم وطلبهم العجلة بالخير لقضى اى حتم وبت وادى بناه للمفعول فى قراءة الجماعة دلالة
على هو انه عنده ولانه المجد ود بحود فراغه لا كونه من معين وبناه ابن عامر للفاعل ونصب الاجل اليهم اى الناس
خاصة اجلهم اى حتمهم او اخر لحظة تكون منه فاهلك من فى الارض فاختل النظام الذى دبره ولكنه لا يفعل
الا ما تقدم من احالته لهم الى ما سمى من الاجال المتفاوته وذلك سبب ضلال من يريد ضلاله ولعل التعبير بنون
العظمة فى فنذر اشارة الى ان الامر فى غاية الظهور فكان الناس هداهم بكثرة ما عليه من الدلايل الظاهرة
ولكنه تعالى اراد ضلالهم وهو من العظمة بحيث لا يعجزه شئ ويجوز ان يكون معطوفا على قوله او لئك ماواهم النار لان
معناه اولئك نمهلهم ابدا الى انقضا ما ضرب لهم من الاجال مع مبالغتهم فى الاعراض فيدخلون با واهم النار ولا نعجل لهم
ما يستحقونه من الشر ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم اى ولو يريد عجلة الشر للناس اذا خالفوه او اذا استعجلوه
به فى نحو قولهم امطر علينا ودعا الانسان على ولده وعبده بمثل استعجالهم اى مثل ارادتكم تعجيل الخير وعدل عن ان
يقال ولو يستعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير اى يعجل دفعا لايهام النقص بان من يستعجل الشئ ربما يكون
طالبا عجلته من غيره لعدم قدرته وتنبيها على ان الامر ليس الا بيده لقضى اليهم اجلهم فانه اذا اراد
شيئا كان ولم يتخلف اصلا ولما كان التقدير لان لو امتناعية ولكنه سبحانه لا يفعل ذلك لانه لا يفوته شئ بل يمهل الظالم
ويدر لهم النعم ويضحكهم بشئ من النعم حتى يقولوا هذه عادة الدهر قد مس اباءنا الضراء والسراء تسبب عنه قوله
فنذر اى على اى حالة كانت ووضع موضع الضمير تخصيصا وتنبيها على ما اوجب لهم الاعراض والجراة قوله الذين
واشار بنفى الرجا الى نفى الخوف على الوجه الابلغ فقال لا يرجون لقاءنا اى بعد الموت لهذا الاستدراج
على ما لنا من العظمة التى من شانها كان اضل من الانعام فى طغيانهم اى تجاوزهم للحد وتجاوز الا بفعله منزله
ادنى دونه يعمهون يحكم مشيئتنا السابقة فى الازل عميا عن رؤية الايات صما عن سماع البينات والتعجيل
تقديم الشئ على وقته الذى هو اولى به والشر ظهور ما فيه الضر واصله الاظهار من قولهم شررت الثوب اذا
اظهرته للشمس ومنه شرار النار لظهوره بانتشاره والطغيان الغلو فى ظلم العباد والعمه شدة الحيرة ولما
بين تعالى ان دابهم استعجال الخير وكان منه استكشاف الضر بين ان حالهم عنده الاعتراف وشكرهم على

وشكرهم على النجاة منه الانكار فدابهم الطغيان والعمه وذلك غاية المنافاة لما يدعونه من رجاحة العقول واصالة
الاراء وسلامة الطباع فالحاصل ان الانسان عند البلاء غير صابر وعند الرخاء غير شاكر فكانه قيل فاذا مس
الانسان منهم الخير كان فى غفلة بالفرح والاشر والبطر واذا مس الانسان الضر وان كان من جهة يتوهمها
لطغيانه هو فيه ولا يزوع عنه خوفا مما يتوقعه من حلول الضر لشدة طغيانه وجهله دعانا مخلصا معترفا
بحقنا عالما بما لنا من كمال العظمة عاملا له لذلك معرضا عما ادعاه شريكا لنا كائنا لجنبه اى مضطجعا مال ارادته
للراحه وكانه عبر باللام اشارة الى ان ذلك اسر احواله اليه او قاعدا اى متوسطا فى احواله او قائما اى فى رعاية
السعى فى مهماته لا يشغله عن ذلك شئ فى حال من الاحوال بل يكون ظرف المس بالضر ظرف الدعاء بالكشف ويجوز ان يكون
عبر بالاحوال الثلاثة عن مراتب الضر فقال لجنبه اشارة الى استحكام الضر وغلبته بحيث لا يستطيع
جلوسا كما يقال فلان لما به واشار بالفاء الى قرب زمن الكشف فقال فلما كشفنا اى بما لنا من العظمة عنه ضره
اى الذى دعانا لاجله مر اى فى كل ما يريده لا هناء عنا بكل اعتبار كان اى كانه لم يدعنا اى على ما كان يعترف به
وقت الدعاء من عظمتنا ولما كان المدعو يأتى الى الداعى يفعل ما دعاه لاجله قال الى كشف ضر مسه اى كان لم يكن له
بنا معرفة اصلا فضلا عن ان يعترف بانا نحن كشفنا عنه ضره فهذه الاية فى بيان ضعف الانسان وسوء عبوديته
والتى قبلها فى بيان قدرة الله وحسن ربوبيته والمس لقاء من غير فصل والدعاء طلب الفعل من القادر
عليه والضر ايجاب الالم بفعله والتسبب المودى اليه ولما كان هذا من فعل الانسان من اعجب العجب كان كانه
قيل لم يفعل ذلك فقيل لما يزين له من الاحوال التى يتبع لها الاستدراج لاسرافه وهذا ابنا ابدا كذلك
اى مثل هذا التزيين العظيم الرتبة ولما كان الضار مطلق التزيين بنى للمفعول قوله زين للمسرفين
اى كلهم الغريقين فى هذا الوصف ما كانوا اى بجبلاتهم يعملون اى يتعملون عليه على سبيل التجديد
والاستمرار من المعصية بالكفر وغيره مع ظهور فساده ووضوح ضرره والاسراف الاكثار من الخروج عن
العدل ولما كان يحط نظرهم الدنيا وكان هذا امهالا فى الامهال للظالمين والاحسان الى المجرمين اتبعه
بقوله تعالى مهددا لهم رادعا عما هم فيه من اتباع الزينة موكدا لانهم ينكرون ان هلاكهم لاجل ظلمهم
ولقد اهلكنا اى بما لنا من العظمة القرون اى على ما لهم من الشدة والقوة ولما كان المهلكون هلاك العذاب
المستاصل بعض من تقدم اثبت الجار فقال من قبلكم لما ظلموا اى تكامل ظلمهم اهلاكا عم اخرهم واولهم كنفس
واحدة دفعا لتوهم انه سبحانه لا يعم بالهلاك وقال تعالى عطفا على اهلكنا وجاءتهم رسلهم اى فى كل امة
رسولها بالبينات اى التى ثبتت بمثلها الرسالة وما اى والحال انهم ما كانوا اى بجبلاتهم واكد النفى لمن ينكر ان يتأخر
ايمانهم عن البيان فقال ليؤمنوا ولو جاءتهم كل اية تنبيها لمن قد يطلب انه سبحانه يركمهم بوادر العذاب وما اقترحوه
من الايات ليؤمنوا فبين سبحانه ان ذلك لا يكون سببا للايمان من قضى بكفره بل يستوى فى التكذيب حاله قبل مجى
الايات وبعدها ليكون سببا لهلاكه فكانه قيل هل تختص ذلك بالامم الماضية فقيل بل كذلك اى مثل ذلك
الجزاء العظيم نجزى القوم اى الذين لهم قوة على محاولة ما يريدونه المجرمين لان السبب هو القوة فى الاجرام
وهو قطع ما ينبغى وصله فحيث ما وجد وجد جزاؤه والاهلاك الايقاع فيما لا يتخلص منه من العذاب والقرن
اهل العصر لمقارنة بعضهم لبعض ولما صرح بان ذلك عام لكل مجرم اتبعه قوله ثم جعلناكم اى ايها المرسل
اليهم اشرف رسلنا خلائف فى الارض اى فيها خصوصا كانوا انفسه ولما كان زمانهم لم يستغرق ما بعد
زمان المهلكين ادخل الجار فقال من بعدهم اى القرون المهلكة اهلاك الاستيصال لننظر ونحن بما لنا من
العظمة اعلم بكم من انفسكم وانما ذلك لنراه فى عالم الشهادة لاقامة الحجة كيف تعملون فيتعلق نظرنا باعمالكم
موجودة تخويفا للمخاطبين من ان يجرموا فيصيبهم ما اصاب من قبلهم ولما تقدم ان من قضى بشقاوته لا ياتى ايمانه
باية من الايات حتى ينزل به سطوته ويذيقه باسه ونقمته وكان القران اعظم اية اتت الى الناس لما لا
يخفى اتبع ذلك عطفا على قوله قالوا لكافرون ان هذا لسحر مبين مقوله بيانا لذلك واذا تتلى بناه للمفعول
ايذانا بتكذيبهم عند تلاوة اى تال كان ولو ابدا اه بمضادة اشارة الى انهم يقولون ذلك ولو تكررت التلاوة
عليهم اى على هؤلاء الناس اياتنا اى على ما لها من العظمة باسنادها الينا بينات فانهم مع ما اشتملت عليه مما الزمهم
به الاقرار بحقيته قالوا نية ما لا معنى له الا التلاعب والعناد ويجوز عطفه على ثم جعلناكم فى خلال الاية
والالتفات الى مقام الغيبة للايذان بانهم اهل الاعراض لاساءتهم تنبيها على ان هذا الوصف علة قولهم ولعله
الخلافه والموصول بصلته فى قوله قال الذين لا يرجون لقاءنا فى موضع الضمير تنبيها على ان هذا الوصف
علة قولهم ولعله عبر بالرجاء ترغيبا لهم لان محط امرهم فى طلب تعجيله للخير ودفعه للضير فكان من حقهم
ان يرجوا لقاءه تعالى رغبة فى مثل ما اعده لمن اجابه ولوح الى الخوف بنون العظمة ليكون ذلك ادعى لهم الى الاتباع

ايت اى من عندك بقران اى كلام مجموع جامع لما تريد غير هذا فى نظمه ومعناه او بدله اى بالفاظ اخرى والمعانى باقية وقد كانوا عالمين بانه صلى الله عليه وسلم مثلهم فى العجز عن ذلك ولكنهم قصدوا انه ان اخذ فى التغيير حرصا على اجابة مطلوبهم فبطل مدعاه او يهلك ولما كان كانه قيل فماذا اقول لهم قال قل ما يكون اى يصح وينبغى بوجه من الوجوه لى ولما كان التبديل يعم الماضين قال ان ابدله وقال من تلقاء اى عند وقبل نفسى اشارة الى الرد عليهم فى انكار تبديل الذى انزله بالنسخ بحسب المصالح كما انزل اصله لمصلحة العباد مع نسخ الشرائع الماضية به فانتج ذلك قطعا قوله ان اتبع لغاية جهدى الا ما ولما كان قد علم ان الوحى اليه الله قال يوحى الى اى سواء كان بدلا او اصلا ثم علل ذلك بقوله موكدا لانكارهم مضمونه انى اخاف اى على سبيل التجدد والاستمرار ان عصيت ربى اى المحسن الى والموجد لى والمربى والمدبر بفعل غير ما شرع لى عذاب يوم عظيم فانى مؤمن به غير مكذب ولا شاك كغيرى ممن تكلم من الهذيان بما لا يخاف عاقبته فى ذلك اليوم واذا اخفته مع استحضار صفة الاحسان فهذا الخوف فكيف يكون خوفى مع استحضار صفات الجلال ولما تم ما دفع به مكرهم فى طعنهم اتبعه بعذره صلى الله عليه وسلم فى الابلاغ على وجه يدل قطعا على انه كلام الله وما تلاه الا باذنه فيجتث طعنهم من اصله ويزلزله بحذافيره فقال قل اى لهم معلما انه سبحانه اما ان يشا الفعل واما ان يشا عدمه وليست ثم حالة سكوت اصلا لو شا الله اى الذى له العظمة كلها ان لا اتلوه عليكم ما تلوته اى قرائته الا عليكم ولا ادراكم اى اعلمكم على وجه المعالجة هو سبحانه به على لسانى ولما ذكر ذلك اتبعه السبب المعرف به فقال فقد لبثت فيكم عمرا ولما كان عمره لم يستغرق زمان القبل قال من قبله مقدار اربعين سنة بغير واحد من الامرين لكون الله لم يشا واحدا منهما اذ ذاك ثم اتيتكم بهذا الكتاب الاحكم المشتمل على حقائق علم الاصول ودقائق علم الفروع ولطائف علم الاخلاق واسرار قصص الاولين فى عبارة قد عجزتم وانتم افصح الناس وابلغهم عن معارضة اية منها فوقع بذلك العلم القطعى الظاهر جدا انه من عند الله فلذلك سبب عنه انكار العقل فقال افلا تعقلون اشارة الى انه يكفى فى معرفة ان القران من عند الله وان غيره عاجز عنه كون الناظر فى امره من اهل العقل اى افلا يكون لكم عقل فتعرفوا به حقية القران بما ارشدكم اليه فى هذه الاية من هذا البرهان الظاهر والسلطان القاهر القائم على انه ما يصح لى بوجه ان ابدله من قبل نفسى لانى مثلكم وقد عرفتم انكم عاجزون عن ذلك مع التظاهر فانا لو وحدى مع كونى اميا اعجز ومن انه تعالى لو شا ما بلغتكم ومن انى مكثت فيكم قبل ان ياتى به زمنا طويلا لا اتلو عليكم شيا ولا ادعى فيكم علما ولا اتردد الى عالم او تعرفوا ان قايل ما قلتم مكذب بايات الله فاعل ما فعلتم كاذب على الله وكل من ذلك ظلم الظلم فمن اى فهو سبب لان يقال من اظلم ممن افترى اى تعمد على الله اى الذى حاز جميع العظمة كذبا اى كذب كان وكان الاصل مبنى على تقدير ان لا يكون هذا القران من عند الله ولكنه وضع هذا الظاهر مكانه تعميما للحكم بالوصف او كذب باياته كما فعلتم انتم وذلك لاجل انكارهم انه لا يفلح اى بوجه من الوجوه المجرمون فقد وضح ان المقصود نفى الكذب عن نفسه صلى الله عليه وسلم والحاق الوعيد حيث كذبوا بالايات بعد ثبوت انها من عند الله بالاعلام بانه لا احد اظلم منهم لانهم كذبوا على الله فى كل ما ينسبونه اليه مما نهى عنه وكذبوا باياته والاتيان بالقسم قد يكون مع وجود الاولى والتنزيل لا يكون الا برفع الادون غيره مكانه والتلقا جهة مقابلة الشى وقد يجعل ظرفا والتلاوة اتباع بعض الحروف بعضا فى التكلم بها ومنه تلا الشى اتبعه بجيد بعده والمشية خاصة تكون سببا موديا الى وقوع الشى وتبينا له على وجه قد يمكن ان يقع على خلافه والارادة نظيرها والعقل العلم الغريزى الذى يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب وجوز ان يكون ويعبدون حالا من الذين لا يرجون لقانا اى قالوا ذلك عابدين من دون الله اى الملك الاعلا الذى له جميع صفات الكمال الذى ثبت عندهم ان هذا القران كلامه لعجزهم عن معارضة شى منه وهو ينهاهم عن عبادة غيره وهم يعلمون قدرته على الضر والنفع ولما كان السياق للتهديد والتخويف قدم الضر لذلك وتنبيها لهم على انهم مغرورون فى نفيه الى شى قدرة لغيره على منع شى منها تعليما ان يعتدوها بالشكر فقال ما لا يضرهم اى اصلا من الاصنام وغيرها ولا ينفعهم فى معارضة القران بتبديل او غيره ولا فى شى من الاشيا ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية والا كانت عبادته عبثا معرضين عما جاءهم من الايات البينات من عند من يعلمون

انهم يعلمون انهم بفضله وينفعهم ولا يملك شيا من ذلك الا هو سواه وقد اقام الادلة على ذلك غيرمرة وفى هذا غاية التبكيت لهم بمنابذة العقل مع ادعائهم رسوخ الاقدام فيه وتمكن المحال منه والعبادة خضوع بالقلب فى اعلا مراتب الخضوع ثم عجب منهم تبجيلا آخر فقال ويقولون اى لم يزلهم قول ذلك الاسوة من الدهر حتى يجدد وا قوله مستمرين عليه هولاء اى الاصنام وغيرها شفعاونا اى ثابتة شفاعتهم لنا عند الله اى الملك الاعظم الذى لا يدانى الدنو من شى من حضراته الا باذنه وقد مضى ابطال ما تضمنته هذه المقالة فى قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه وفيه لو تخيلهم فى العجز عن تبديل القران اذ الاتيان بشى من مثله حيث لم ينفعهم من ذلك نصاحتهم ولا اغنت عنهم شيا بالاغتنام واعجزهم فى شانه نصحاوهم ومثل عنهم شفعا وهم فدل ذلك قطعا على انه ما من شفيع الا من بعد اذنه فكانه قال بماذا اجيبهم فقال قل منكرا عليهم هذا العلم اتنبيون اى تخبرون اخبارا عظيما الله وهو العالم بكل شى المحيط بكل كمال بما لا يعلم اى لا يوجد له به علم فى وقت من الاوقات فى السموات ولما كان الحال مقتضيا لغاية الايضاح كرر النافى نصيحا فقال ولا فى الارض وفى ذلك من الاستخفاف بعقولهم بما لا يقدرون على الطعن فيه بوجه ما يجل الجماد فان ما لا يكون معلوما لله لا يكون له وجود اصلا فلا نفيا ابلغ من هذا كما انك اذا بالغت فى نفى شى عن نفسك تقول هذا شى ما علمه الله منى ولما بين تعالى هنا ما هم عليه من سخافة العقول وركاكة الاراء ختم ذلك بتنزيه نفسه بقوله سبحانه اى تنزه عن كل شائبة نقص تنزيها لا يحاط به وتعالى اى وفعل ما له من الاحاطة باوصاف الكمال فعل المبالغ فى التنزه عما يشركون اى يوجدون الاشراك به ولما بين شركهم بعبادة غير الله وختم بتنزيهه وكان بين ان هذا الدين الباطل حادث وبين نزاهته وكان له بيان ان الناس كانوا اولا على طاعته ثم خالفوا امره فلم يقطع احسانه اليهم بل استمهم فى امهالهم مع تماديهم فى سوء اعمالهم على ما سبق فى علمه ومضى به تقديره فقال تعالى وما كان الناس اى كلهم مع ما لهم من الاضطراب الا امة ولما ذهم ذلك وجدتهم فى المقصد حققه واكده فقال واحدة اى حنفا متفقين على طاعة الله فاختلفوا فى ذلك على عهد نوح عليه السلام كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فعتب وحدتهم بسبب ما لهم من النوس كانهم استحقوا تعجيز العقاب ولولا كلمة اى عظيمة سبقت اى فى الازل من ربك اى المحسن اليك بربوبيته امتك بامهالهم وبين التاكيد باللام لاجل انكارهم ان يكون تاخيرهم لاجل ذلك فقال لقضى بينهم اى عاجلا بايسر امر فيما ولما لم يبين الكلام على الاتحاد الذى يحط امره معالجة بالباطل لم يذكر الضمير بخلاف ما فى هذا الاسم الذى الزمر فقال فيه اى لا فى غيره بان يحل جزا وهم عليه يختلفون واشار ذلك الى ان هذا الامر الذى دعوا الله ليس امرا طاريا حادثا فيكون بحيث يتوقف فيه للنظر فى عواقبه والتامل فى مصادره وموارده بل هو مع ظهور دلائله واستقامة مناهجه وصحة مذاهبه والقائه العقل ازمة الانقياد الى الاصل ما كان العباد عليه وما هم فيه الان هو الطارى الحادث مع ظهور فساده ووضوح سفهه وهو ناظر الى قوله تعالى اكان للناس عجبا الاية وقوله قال الكافرون ان هذا لسحر مبين دال على انهم نسبوا كل مومن والامة الجماعة على معنى واحد فى خلق واحد كانها توم اى تقصد شيا واحدا ثم قال والامة الجماعة على معنى واحد فى خلق واحد ثم قال تعالى عطفا على قوله ويعبدون ويقولون اى انهم لما اتتهم البينات قالوا ايت بقران غير هذا كانوا من منزلها عابدين من دونه ما لا يرضى عاقل بنسبته لنفسه فكيف بعبادته قايلين لفرط عنادهم وتماديهم فى الشقاوة لولا اى هلا ولم لا انزل اى باى وجه كان عليه اية اى واحدة كائنة ما كانت من ربه اى المحسن اليه غير ما جاء به وذلك اما لطلبهم اية ملجية لهم الى الايمان او لكونهم لم يعدوا ما انزل الله عداد الايات فضلا عن كونها بينات وكفى بالقران وحده اية باقية على وجه الدهر مدعوة فى الايات دونه المسلا من المعجزات مع عجزهم عن معارضته بتبديل او غيره فاى عناد اعظم من ذلك المشوب من الاستهزا ثم قال مسببا عن قولهم فقل قاصرا قصرا حقيقيا انما الغيب اى الذى عناه عيسى عليه السلام بقوله ولا اعلم ما فى نفسك وهو ما لم يطلع عليه مخلوق اصلا لله اى الذى له الاحاطة الكاملة وحده لا علم لى بعلة عدم انزال ما تريدون وهل تجابون اليه ام لا ولما خصه سبحانه بالعلم وكان انزال الايات من الممكنات سبب عنه قوله فانتظروا ثم اجاب من كانه يقول فما تفعل انت بقوله انى معكم اى فى هذا الامر مع المخالف لكم فى التشوف الى انه يحصل نعما هدانيكم ثم حقق المعنى واكده بقوله من المنتظرين اى لما يرد على من اية وغيرها ولما كان طلبهم لذلك محركا النفوس الخيرين الى ترجى اجابة سوالهم اتبعه سبحانه بما بين ان ذلك غير نافع لهم لانه محض تعنت فقال تعالى عاطفا على قوله قال الكافرون

ان هذا لسحر مبين او على قوله واذا مس الانسان الضر بينا ان رحمة الله بحقيقة الوجود كثيرة الورود
اليهم مبينا ان لهم اية عظمى من انفسهم لا يحتاجون معها الى التعنت بطلب اية وهو دال له على النتيجة
مقصود السورة الذي هو الوحدانية ودعلى ان اثرا انهم انما هو بما لهم من نقص الغرائز الموجب لكفران الاحسان
وذلك انهم عامة اذا اكرموا بنعمة قابلوها بكفر جعلوا ظرفه على مقدار طرف تلك النعمة بما اشار اليه
التعبير باذا ثم اذا استرهم الضر الجاهم الى الحق فاخلصهم لم يختلف حالهم في هذا قط وهذا الاجماع
من الجانبين دليل واضح على كلا الامرين الكفر ظلما بما جرا اليه من البطر والتوحيد حقا بما دعا اليه
من الفطرة القويمة الكائنة في احسن تقويم بما ازال عنها عائق الحظ من الحظوظ والشهوات والقيود
وهذا كما وقع في سورة الروم الموافقة لهذه في الدلالة على الوحدانية فلذا اعبر في كل منها بالناس لكون
اجماعهم دليلا كافيا عليها وسلطانا جليلا مضطرا اليها والله الهادي واذا اذقنا اي على ما لنا من
العظمة الناس اي الذين لهم وصف الاضطراب رحمة اي نعمة رحمناهم لها من غير استحقاق ولما كان وجود
النعمة لا يستغرق الزمان الذي تعقب النقمة ادخل الجار فقال من بعد ضراء اي قحط وغيره مستهم فاجئوا
المكر وهو معنى اذا لهم مكر اي عظيم بالمعاصي التي يفعلون في الاستخفاف بالعلها فعل الماكر في اياتنا اشارة
الى انهم لا ينفكون عن اياته العظام فلو كانوا منتفعين بالايات اهتدوا وانها اذا اتتهم رحمة من بعد نقمة
لم يعدوها اية دالة على من ارسلها لهم تحرقنا لما كانوا فيه من عادة النقمة مع انهم يعترفون بانه لا
يقدر على ارسالها وصرف الشدة الا هو سبحانه بل يعملون فيها عمل الماكرين بان يصرفوها عن ذلك بانواع
الصوارف كانوا ينسبوها الى الاسباب كنسبة المطر للانواء ونحو ذلك غير خائفين من اعادة مثل
تلك الضراء وما هو اشد منها ولما كانت هذه الجملة دالة على اسراعهم بالمكر من ملائمة اوجه التعبير بالذوق
الذي هو اول المخالطة وبلفظ من التي هي الابتداء واذا الفجائية كان كانه قيل اسرعوا جهدهم في المكر
فقيل قل الله اي الذي له الاحاطة الكاملة بكل شيء اسرع مكرا ومعنى الوصف بالاسرعية انه قضى عقابكم
قبل تدبيرهم مكايدهم نبه عليه ابو حيان ولما كان المكر اخفا الكيد بين لهم سبحانه انهم غير قادرين
على مطلق المكر من جهته عز شانه وتعالى كبرياؤه وسلطانه لانه عالم بالسر واخفى بل لا يمكرون مكرا الا
ورسله سبحانه مطلعون عليه فكيف به سبحانه وعز شانه فقال تعالى مؤكدا لاجل انكارهم ان رسلنا اي على
ما لهم من العظمة بالاضافة الينا يكتبون اي كتابة متجددة على سبيل الاستمرار باستمرار المكتوب ما يمكرون
لانهم قد وكلوا بكم قبل كونكم نطفا ولم يوكلوا بكم الا بعد علم موكلهم بكل ما تفعلونه ولا يكتبون مكركم
الا بعد اطلاعهم عليه واما هو سبحانه فانه اذا قضا قضا لا يمكن ان يطلع عليه رسله الا باطلاعه فكيف
بغيرهم واذا تبين انه عالم بامورهم وهم جاهلون بامره علم انه لا يدعهم يدبرون كيدا الا وقد سبب
له ما يحله في نحورهم والمكر نقل الشيء الى غير وجهه على طريق الحيلة فيه والسرعة عمل الشيء في وقته الذي
هو احق به وقد تضمنت الاية البيان عما يوجبه حال الجاهل من تضييع حق النعمة والمكر فيها وان حلت منزلتها
وانت على فاقة اليها وشدة حاجة الى نيلها ومع الوعيد بعايد الوبال على الماكر فيها ثم اخذ سبحانه
يبين ما ينقض به امر عبيد مكره في مثال دال على ما في الاية قبلها من نقله سبحانه لعباده من الضر الى
التنعم بالنعمة ومن سرعة تقلبهم فقال هو لا غيره الذي يسيركم اي في كل وقت تسيرون فيه سيرا عظيما
لا تقدرون على الانفكاك عنه في البر والبحر اي بسبب لكم اسبابا توجب سيركم فيهما ويقدركم على ذلك
ويهديكم من بين سائر الحيوانات الى ما فيه من اصناف المنافع مع قدرته على اصابتكم في البر بالخسف
وما دونه وفي البحر بالغرق وما اشبهه ولما كان العطف باهوال البحر مع ان السير فيه من اكبر الايات
واوضح البينات بينه معرضا عن ذكر البر فقال حتى اذا كنتم اي كونا لا براح لكم منه في الفلك اي
السفن يكون واحدا وجمعا واعرض عنهم بعد الاقبال لما سياتي فقال وجرين اي السفن بهم ولما ذكر
جريها وهم فيها ذكر سببه فقال بريح طيبة ثم اوضح لهم عدم علمهم بالعواقب بقوله وفرحوا بها اي تلك الريح
والفلك الجارية جاءتها ريح عاصف فازعجت سفنهم وساكنهم وجاءهم الموج اي المعروف لكل احد
بالرؤية او الوصف من كل مكان اي بيننا دالاتيان منه فارجف قلوبهم وظنوا انهم ولما كان الخوف فالهلاك
لكونه من معين شيء للنعول ما هو كناية عنه لان العدو اذا احاط بعدوه ايقن بالهلاك فقال احيط
بهم ولما كان ما تقدم من حالهم العويصة التي تجب لها القلوب وتضعف عندها القوى مقتضيا لان
يسال عما يكون منهم عند ذلك الى المقال على مقتضى هذا السؤال مخبرا عن تركهم العناد واصلاحهم الدال
على عجزهم عند سطواته والخلال عزائمهم في مشاهدة مرءاته وعبادة الرماني القضاء دعوا اتصال

انفصال الاجوبة كانه قيل لما ظنوا انهم احيط بهم دعوا الله اي الذي له صفات الكمال بالرغبة اليه في الخلاص
والعبادة له بالاخلاص مخلصين اي عن كل شرك له الدين اي التوجه والقصد بالظاهر والباطن وقد تضمنت الاية
البيان عما يوجبه بديهة العقل من الفزع عند الشدة الى واهب السلامة ومسبغ النعمة في كشف تلك البلية ثم
اتبع سبحانه ذلك حكاية حالهم في وعدهم الشكر على النجاة ثم لذكرهم في ذلك مع ادعائهم مع انهم اظهر الناس دبولا
عن الكذب وانهم اشقيا ماله وابعد الناس من كفران الاحسان فقال تعالى حاكيا قولهم الذي لو ابتا كدهم
له انهم قالوه لغاية الرغبة نافين ما ظن كلهم من الرجوع الى ما كانوا فيه قبل تلك الحال من الكفر لئن انجيتنا
اي ايها الملك الذي لا سلطان لغيره من هذه اي الفادحة لنكونن اي كونا لا ينفك عنه من الشاكرين
اي المديمين لشكرك الغريقين في الاتصاف به ولما علم سبحانه انه اكدوا هذا الوعد هذا التاكيد اتبعه بيان
انهم اسرعوا في نقضه غاية الاسراع فقال فلما انجاهم ولما ابانت الفا عن الاسراع في النقض اكده مفاجاتهم لذلك
بقوله اذا هم يبغون اي يتجاوزون الحدود في الارض اي جنسها بغير الحق اي الكامل فلا يزال الباغي مذموما
حتى يكون على الحق الكامل الذي لا باطل فيه بوجه وجا الخطاب ولا في سيركم ليعم المومنين لان التسيير يصلح
للامتنان ثم التفت الى الغيبة عند صدور ما لا يليق كما نبه على ذلك ابو حيان واحسن منه ان يقال انه
سبحانه اقبل عليهم تنبيها على انه لها هيأه فيهم من القوى اهلا لخطابه ثم اعرض عنهم اشارة الى انهم استحقوا الاعراض
لاعراضهم اغترارا بما هم من اللوح الطيبة في محل يجب فيه الاقبال عليه والغناء عن كل ما سواه لعظم الخطر
وشدة الامر وكانه يذكر لغيرهم من حالهم ما يعجبه منه لينكر عليهم ويقبح حالهم والتسيير التحريك في جهة
يمتد كالسير والبر الارض الواسعة التي تقطع من بلد ومنه البر لاتساع الخير فيه والبحر مستقر
الما الواسع حتى لا يرى من وسطه حافتاه والفلك السفن التي تدور في الما واصله الدور فمنه فلكة
المغزل والفلك التي تدور فيه النجوم والنجاة التخلص من الهلاك والبغي قصد الاستعلا بالظلم واصله
الطلب والحق وضع الشيء في موضعه على ما يدعو اليه العقل ثم بين ان ما هم فيه من الاعمال انما هو متاع
الدنيا وانه داثر زائل فقال تعالى يا ايها الناس اي الذين غلب عليهم وصف الاضطراب انما بغيكم
اي كل بغي يكون منكم على انفسكم لعود الوبال عليها خاصة وهو على تقدير استنفاعكم به عرض زائل متاع
الحياة الدنيا ثم يبقى عاره وخزيه بعد الموت ثم الينا اي خاصة مرجعكم بعد البعث فننبئكم
على ما لنا من العظمة انباء عظيما بما كنتم اي كونا هو كالجبلة تعملون ونجازيكم عليه ولما كان السياق
لاثبات البعث وتخويفهم به وكانوا ينكرونه ويعتقدون بقاء الدنيا والفنا انما هي ارحام تدفع وارض
تبلع دائما بلا انقضاء فهي دار يرضى بها ويطمان اليها وللتنفير من البغي والتعزز بغير الحق وكانت الامثال
اجلى للمحال الاشكال قال تعالى ممثلا لمتاعها تاجرا امرها على الفنا رادا عليهم في اعتقادهم وانها من غير
بعث انما هو قصر قلب مثل الحياة الدنيا التي تنافسون فيها في سرعة انقضائها وانقراض نعيمها
بعد عظم اثباله كما انزلناه اي بما لنا من العظمة وحقق امره وبينه بقوله من السما تشبيها
بامر النبات وانه مما قليل يبلغ منتهاه فتصبح الارض منه بلاقع بعد ذلك الاخضرار والتنوع وفي
ذلك اشارة الى البعث والى انه تعالى قادر على ضربه قبل نهايته او بعضه ببعض الافات كما يوجد
في الفصل للسنين فيعقرون منه ويفتقرون اليه وفي ذلك تحذير عظيم فاختلط اي بسبب انزالنا
له به اي بسبب تليينه ولطافته نبات الارض عموما في بطنها مما ياكل الناس اي كانه والانعام
من الحبوب والثمار والبقول فظهر على وجهها ولم يزل كذلك ينمو ويزيد في الحسن والجرم حتى ولما كان
الخصب هو الاصل عبر باداة التحقق فقال اذا ولما كانت بهجة النبات تابعة للخصب كان لما كانه
يعطيها اياها فتاخذه قال اخذت الارض زخرفها اي التي لها اهلة النبات زينة منها الجلي ومنها
الخفي بما يفيده الادغام وازينت وظن اهلها اي ظنا موكدا جدا بما افاده العدول عن قدرهم الى انهم قادرون
اي ثابتة قدرتهم عليها ماجنا الثمر من ذلك النبات وغاب عنهم لجهلهم علم العاقبة فلما كان
ذلك اتاها امرنا اي الذي لا يرد من البرد والحر المفرطين ليلا او نهارا فجعلناها اي زرعها
وزينتها بما لنا بسبب ذلك الامر ويعقبه بالاهلاك حصيدا وعبر عما افهم فعيل من المبالغة
والثبات بقوله كان اي كانها لم تغن اي لم تكن غانية اي ساكنة حسنة غنية ذات وفر مطلوبة
مرغوبا فيها اي زرعها وزينتها نبات الارض من خفائه وذهابه حطاما بعد ما التف وزين الارض
بخضرته والوانه وبهجته ولما كان هذا المثل في غاية المطابقة للساعة هز السامع له فازداد
عجبه من حسن تفصيله بعد تاصيله فقيل جوابا له كذلك اي مثل هذا التفصيل الباهر نفصل

اي تفصيلا عظيما الآيات لقوم اي ناس اقوياء لهم قوة المحاولة لما يريدون يتفكرون اي يجددون الفكر على وجه الاستمرار والمبالغة والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بالاول والاختلاط تداخل الاشياء بعضها في بعض والزخرف حسن الالوان ولما نفر سبحانه بهذه الآيات التي حذر فيها من انواع الآفات وبين ان الدار التي دعوا اليها واطمانوا اليها دار المصائب ومعدن الهلكات والمعاطب الفاضل زائل تحذيرا منها وتنفيرا عنها بين تعالى ان الدار التي دعا اليها سالمة من كل نصب وهم ووصب ثابتة بلا زوال فقال تعالى عاطفا على قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض ترغيبا في الآخرة وحثا عليها والله اي له الجلال والاكرام يدعوا اي يعلق دعاءه على سبيل التجدد والاستمرار بالمدعوين الى دار السلام عن قتادة انه سبحانه اضافها الى اسمه تعظيما لها وترغيبا فيها يعني بانها لا عطب فيها اصلا والسلامة فيها فاشية من بعضهم على بعض ومن الملائكة وغيرهم والدعاء طلب الفعل بما يقع لاجله والدواعي الى الفعل خلاف الصوارف عنه ولما علم بالدعوة ان الهداية بالبيان وافهم ختم الآية بقوله ويهدي من يشاء اي بما يخلق في قلبه من الهداية الى صراط مستقيم اي من الناس من تهديه ومنهم من يضله وان الكل فاعلون لما يشاء كان موضع ان يقال هل هم واحد في جزائه كما هم واحد في الانقياد لمراده فقيل لا بل هم فريقان للذين احسنوا اي الاعمال في الدنيا منهم وهم من هداه الله الحسنى اي الخصلة التي هي في غاية الحسن من الجزاء وزيادة اي عظيمة من فضل الله فالناس فريق خرجت هدايته من الجهاد والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وفريق خرجت هدايته من المشيئة فالدعوة الى الجنة بالبيان عامة والهداية الى الصراط خاصة لانها الطريق الى النعيم ولما كان النعيم لا يتم الا بالدوام والامن من المضار قال ولا يرهق اي يغشى ويلحق وجوههم قتر اي غبرة كغبرة الموت وكربه وهو تغير في الوجه معه سواد وعبوسة تركبها غلبة ولا ذلة اي كآبة وكسوف يظهر منه الانكسار والهوان ولما كان هذا واضحا في انهم اهل السعادة وصل به قوله اولئك اي العالو المرتبة اصحاب الجنة ولما كانت الصحبة جديرة بالملازمة صرح بها قوله هم اي لا غيرهم فيها اي خاصة خالدون اي مقيمون لا يبرحون لانهم لا يريدون ذلك لطيبها ولا يراد بهم ولما بين حال الفضل فيمن احسن بين حال العدل فيمن اساء فقال والذين كسبوا اي منهم السيئات اي المحيطة بهم جزاء سيئة اي منهم بمثلها بعدل الله من غير زيادة وترهقهم ذلة هي من جملة جزائهم فكانه قيل اما لهم انفكاك عن ذلك فقيل جوابا ما لهم من الله اي الملك الاعظم واعرق في النفي فقال من عاصم اي يمنعهم من شيء يريده بهم ولما كان من المعلوم ان ذلك مغير لاحوالهم وصل به قوله كانما ولما كان المكروه مطلق كونها الظ السيء بني للمفعول قوله اغشيت وجوههم اي اغشاها مغش لشدة سوادها لما هي فيه من السوء قطعا ولما كان القطع بوزن عنب مشتركا بين ظلمة آخر الليل وجمع القطعة من الشيء بين واكد فقال من الليل اي هذا الجنس حال كونه مظلما ولما كان ذلك ظاهرا في انهم اهل الشقاوة وصل به قوله اولئك اي البعداء البغضاء اصحاب النار ولما كانت الصحبة الملازمة بينها بقوله هم فيها اي هم خاصة خالدون اي لا يمكنون من مفارقتها والرهق لحاق الامر ومنه راهق الغلام اذا لحق حال الرجال والقتر الغبار ومنه الاقتار في الانفاق لتقليله والذلة صغر النفس بالاهانة والكسب الفعل لاجتلاب النفع الى النفس او استدفاع الضرر ولما بين سبحانه مآل الفريقين نبه على بعض مقدمات ذلك المانعة من ان يشفع احد من غير اذنه بقوله ويوم اي ونوقفهم بينهم لانه لا انساب هنالك ولا اسباب فلا تناصر يوم نحشرهم اي الفريقين الناجين والهالكين العابدين منهم والمعبودين حال كونهم جميعا ثم تقطع ما بين المشركين وشركائهم فلا يشفع لهم شيء مما يعتقدون شفاعته ولا ينفعهم بنافعة بل يظهرون الخصومة ويبارزون بالعداوة وهو ناظر الى قوله تعالى انه يبدؤا الخلق ثم يعيده والى قوله ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم والحشر الجمع بكره من كل جانب الى موقف واحد واشار سبحانه الى طول وقوفهم بقوله ثم نقول للذين اشركوا اي منا من لم يشارك في خلقهم وقوله مكانكم نقل ابو حيان عن النحويين انهم جعلوه اسما لاثبتوا ورد على الزمخشري تقديره بالزموا لانه متعد ويجب ان يساوي بين الاسم والمسمى في التعدي واللزوم اي نقول لهم قفوا وتوقفوا انتم وشركاؤكم حتى ننفذ فيكم امرنا اظهارا لضعف معبوداتهم التي كانوا يرجونها وتحسيرا لهم فلا يمكنهم مخالفة ذلك ولما كان التقدير فتوقفوا فنفذ لله امره لانه على

لانه على حسب الارادة عطف عليه مسببا عنه قوله فزيلنا اي ازلنا ازالة كبيرة مفرقة ما كان بينهم في الدنيا من الوصلة والالفة حتى صارت عداوة ونفرة فقالوا لكفادنا هؤلاء الذين كنا ندعوا من دونك وقال شركاؤهم لهم متبرئين منهم مما خلق لهم سبحانه من النطق ما كنتم اي ايها المشركون واضاف الشركاء اليهم لانهم هم الذين نصبوهم بغير امر ولا دليل ولانهم جعلوا نصيبا من اموالهم ايانا تعبدون اي تخصوننا بالعبادة لانا لا نستحق ذلك اشارة الى انه لا يعبد الا من يستحق الاخلاص في ذلك بان يعبد وحده من غير شريك ومن لا يستحق ذلك لا يستحق مطلق العبادة ولا يصلح لها وكل عبادة فيها شرك لا تعد اصلا ولا يرضى بها جماد لو نطق فثبت بنفي المقيد بالخلوص نفي المطلق لانه لا اعتداد به اصلا ومن المعلوم ان ما كان بهذه الصفة لا يقدم عليه احد فنحن نظن انه لم يعبدنا احد فضلا عن ان تخصنا بذلك والشخص يحق له ان ينفي ما يظن نفيه ونحن لم نعلم شيئا من ذلك ولما نفوا ذلك عطفوا عليه مسببين عنه قولهم فكفى بالله اي المحيط علما وقدرة شهيدا اي هو يكفينا كفاية عظيمة جدا من جهة الشهادة التي لا غيبة فيها بوجه ولا ميل اصلا بيننا وبينكم في ذلك يشهد لنا وعلينا ثم استانفوا ما يصح نفيهم فقالوا مؤكدين لانهم كانوا يعتقدون علمهم ان اي انا كنا اي كونا هو جبلة لنا عن عبادتكم لنا او لغيرنا مخلصة او مشوبة ولما كانت ان هي المخففة من الثقيلة تلقيت باللام الفارقة بينها وبين النافية فقيل لغافلين اي لانه لا ارواح فينا فلم نكن بحيث نامر بالعبادة ولا نرضاها فاللوم عليكم دوننا وذلك تبرؤ من موقف الذل وانهم لما تخيلوا في الشركاء صفات عبدوها لاجلها وكانت خالية عنها صح النفي لانهم عبدوا ذوات موصوفة بصفات لا وجود لها في الاعيان وايضا فانهم ما عبدوا الا الشياطين التي كانت تزين لهم ذلك وتغويهم او يكون التقدير على ما دل عليه السياق فزيلنا بينهم اي منعناهم مما كانوا فيه من التواصل والتواد المقتضي للتناصر بعبادة الاوثان فقال المشركون لشركائهم لما ابطا عنهم نصرهم انا كنا نعبدكم من دون الله فاغنوا عنا كما كنا نذب عنكم وننصر دينكم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون اي كشف لنا اليوم بتنبيه الله انه ليس الامر كما زعمتم وانكم لم تخصونا بالعبادة حتى يلزمنا منعكم على انكم لو خصصتمونا ما قدرنا على ذلك كما قال الشيطان ما انا بمصرخكم فكفى اي فتسبب عن بغيكم بعبادتنا انه لما كشف لنا من العلم كنتم مذبذبين وهذا كله اشارة الى ان العبادة ان تقول فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم في ذلك يشهد انكم لم تخصوا احدا منه ومنا بعبادة بل كنتم مذبذبين وهذا كله اشارة الى ان العبادة المشوبة لا اعتداد بها ولا يرضاها جماد لو نطق وان من استحق العبادة استحق الاستخلاص فيها وان لا يشرك به احد وانه لا يستحق ذلك الا القادر على كشف الكرب والمنع من ان يقطع بينه وبين متوليه وعابده قاطع ولما كانت فائدة الشاهد ضبط ما قد ينساه المتشاهدان ملكه علموا اكتفاهم بشهادة الله بقولهم ان كنا عن عبادتكم في تلك الازمان لغافلين فاقروا لهم بما هو الحق مما كان يعلمه كل من له تامل صحيح انهم لم يشعروا بعبادتهم ساعة من الدهر قبل ساعتهم هذه فهم اجدر بالخالق بالاكتفاء بشهادة الشهيد لانهم اسوا حالا ممن يعلم المشهود به ويخشى النسيان او يقال فقال المشركون لشركائهم انا كنا نعبدكم فهل انتم نافعونا او شافعون لنا فتنجوننا مما وقعنا فيه وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون اي ما كنتم تخصوننا بالعبادة حتى يلزمنا ان نخلصكم كما اعلمنا بذلك الله ربنا وربكم المحيط بكل شيء علما فكفى اي فتسبب عن ذلك انه كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم في ذلك فكان المشركين قالوا قد نقضتم كلامكم انا عبدناكم على غير منهج الاخلاص فليس قد عبدناكم افلا تغنون عنا شيئا فاجاب الشركاء بقولهم ان كنا عن عبادتكم خالصة كانت ومشوبة لغافلين فلا نفرق لكم بعبادة اصلا وان نفعنا الاخلاص لسلب لكم عنا بما كنا فيه من الجمادية فضلا عن ان نامركم او نرضى بعبادتكم على انه لا غنى عندنا على تقدير من التقادير ويقال هو احسن مما مضى وقال شركاؤهم لما تحققوا العذاب طلبا لان يخفف عنهم منه بتوزيعه عليهم وعلى كل من عبدوه من غيرهم ما كنتم ايها العابدون ايانا اي خاصة تعبدون بل كنتم تعبدون ايضا غيرنا وهذا يعم والله كل من يرائيه فيغتره ولا ينكره عليه ولما انهموا ابتغى العبادة بقيد الخصوص انهم كانوا يعبدون معهم غيرهم وكان المخلوق قاصر العلم غير محيطة بوجه بما حوله نفسه فكيف بما حوال غيره سببوا عن ذلك قولهم فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم اي في انا كنا عن عبادتكم اي في الجملة لغافلين والحاصل ان هذا ترجمة كلام الكفادة وهو ناشيء منهم عن محض غلبة ودهش وفرط غم وكذب وقلق فلا يشترط ان يكون معناه على الوجه

الاسد والطريق الابلغ فالايجاز في نظمه ومرادهم به ان يخفف عنهم من العذاب ولو بمثقال ذرة من
كانوا يعبدونه وكلهم معهم فهو من وادي قوله تعالى فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء
فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار فاتهم عذابا ضعفا من النار ونحوه فما كان لكم علينا
من فضل فذوقوا العذاب والله اعلم اخبر عن حال المشركين تشوفت النفس الى الاطلاع
على حال غيرهم فقال مستانفا مخبرا عن كلا الفريقين هنالك اي في ذلك الموقف من المكان والزمان
العظيم الاهوال المتوالي الزلزال تبلو كل نفس اي تخبر وتخالط مخالطة مميلة محيلة ما اسلفت
طايعة وعاصية ما اسلفت اي قدمت من العمل فتعرف هل كان خيرا او شرا وهل يودي الى السعادة
او شقاوة ولما كان مطلق الرد وهو صرف الشيء الى الموضع الذي ابتدا منه كافيا في الرهبة
لمن له لب بني للمفعول قوله وردوا اي بالبعث بالاحياء كما كانوا اولا الى الله اي الملك الاعظم مولاهم
الحق فلم يكن لهم قدرة على قصد غيره ولا الالتفات الى سواه من تلك الاباطيل بل انقطع رجاؤهم
من كل ما كانوا يدعونه في الدنيا وهو المراد بقوله وضل عنهم اي بطل وذهب وضاع
ما كانوا اي كونا هو جبلة لهم يفترون اي يتعمدون كذبه من ان معبوداتهم شركاء ويتقنوا
في ذلك المقام ان توليهم لغير الله ما كان باطلا غير حق والتزييل تفريق يزول به كل واحد عن
مكانه وهو من تفريق الجثث وليس من الواوي بل من اليائي تقول زلته عن الشيء ازيله
اذا فرقته بينه وبينه والكفاية بلوغ مقدار الحاجة في دفع الاذية او حصول المنفعة
والاسلاف تقدم امر لما بعده والرد الذهاب الى الشيء بعد الذهاب عنه كالرجع والمولى من يلي
تولي امر مولاه ولما تقرر سبحانه ان شركاءهم مربوبون مقهورون لا قدرة لهم الا على ما يقدرهم
الله عليه وانه وحده المولى الحق وثبت بذلك فضائحهم اتبعه ذكر الدلايل على فساد مذهبهم
موبخا لهم ان وجه السوال اليهم عما هم معترفون بانه مختص به ويدل قطعا على تفرده بتفرده
بجميع الامر الموجب من غير توقف لاعتقاد تفرده بالالهية فقال قل اي يا اكرم خلقنا وارفقهم
بالعباد من يرزقكم اي يجلب لكم الخيرات ايها المنكرون للبعث المدعون للشركة من السماء اي بالمطر
وغيره من المنافع والارض بالنبات وغيره لتعيشوا امن يملك السمع والابصار اي الذي تسمعون به الايات
ووحد للتساوي فيه في الغالب والابصار التي تبصرون بها ما انعم عليكم به في خلقها ثم حفظها في
المدد الطوال على كثرة الافات فيعطيها عليكم لتكمل حياتكم الحسية ببقاء الروح والمعنوية بوجود
العلم رضنا عن علي رضي الله عنه انه قال سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم فلما سالهم
عن ادوم ما هم فيه واقربه نبههم على ما قبله من بدء الخلق فقال ومن يخرج الحي من
الحيوان والنبات من الميت اي من النطفة ونحوها ويخرج الميت اي النطفة ونحوها مما لا ينمو
من الحي اي فينقل من النقص الى الكمال ثم عمم فقال ومن يدبر الامر اي كله التدبير العام ولما
كانوا مقرين بالرزق وما معه من الخلق والتدبير اخبر عن جوابهم اذا سئلوا عنه بقوله
فسيقولون الله اي مسمى هذا الاسم الذي له الكمال كله بالحياة والقيومية بخلاف ما سياتي من
الاعادة والهداية فقل اي فتسبب عن ذلك انا نقول لك قل لهم مسببا عن جوابهم هذا
الانكار عليهم في عدم التقوى افلا تتقون اي تجعلون وقاية بينكم وبين عقابه على اعترافكم
بتوحده في ربوبيته واشراككم غيره في الالهية ثم علل انكار عدم تقواهم بقوله فذلكم
اي العظيم الشان الله اي الذي له الجلال والاكرام فكانت هذه قدرته وافعاله ربكم اي
الموجد لكم المدبر لاموركم الذي لا احسان عندكم لغيره الحق اي الثابتة ربوبيته ثباتا
لا ريب فيه لاجتماع الصفات الماضية له لا غيره لانه لا تكون الربوبية حقيقة لمن لم يجتمع
له تلك الصفات فما اي فتسبب عن ذلك ان يقال لكم ماذا بعد الحق اي الذي له اكمل الثبات
الا الضلال فانه لا واسطة بينهما بما ابانه اسقاط الجار ولا يعدل عاقل عن الحق الى الضلال
ولذلك تسبب عنه قوله فانى اي فكيف ومن اي جهة تصرفون اي انتم من صارف ما كائنا ما كان
عن الحق الى الضلال ولما كانوا جديرين عند تعرفهم هذه الاية واقرارهم بمضمونها بان
يقولوا اسلمنا فاسلمنا ولا نصرف عن الحق ابدا فلم يكونوا كانوا مستحقين بان يقال لهم حقت
عليكم كلمة الله لفسقكم ودعانكم عن الحق فقيل هل خصوا بذلك فقيل بل كذلك اي مثل ذلك
الحقوق العظيم حقت كلمة ربك اي المحسن اليك باهلاك اعدايك الكلمة الواحدة النافذة التي لا تردد فيها

فيها ومعنى الجمع في قراءة نافع وابن عامر انه لا شيء من كلماته مناقض للكلمة التي اوجبت عذابهم بل كلها توافقها
فالمراد واحد ويكون ذلك كناية عن ان عذابهم دايم فان كلماته لا تنفك على كل الذين فعلوا فعلهم لانهم فسقوا
اي وقعوا الترك لاوامر الله واجدوا واعصيانه وفعلوا الخروج عن طريق الحق والخروج من دايرة الملة
وهو كونهم امة واحدة على دين ابراهيم ادم صلى الله عليه وسلم ثم علل ذلك الحقوق بقوله انهم لا يؤمنون
اي لا يتجدد منهم ايمان اصلا وعبر بالفسق المراد به الكفر لان السياق للخروج عن دايرة الدين الحق
في قوله وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وهذا المعنى احق بالتعبير بالفسق الذي اصله
الخروج عن محيط من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اي خرجت ويكون المعنى حقت الربوبية
له سبحانه لهذا الدليل وهو فعل هذه الامور المحكمة بالتدبير المقتضي للوحدانية قطعا لانه
لو كان قادر يساويه في مقدوره لامكن ان يمانعه وبطل ان يكون قادرا وحق ان من زاغ عن الحق
كان في الضلال كما حق هذا انه لذلك حقت اي ثبت ثباتا عظيما كلمة ربك على الذين فسقوا فقضى بفسقهم
منهم انهم لا يؤمنون تفسير لكلمته التي حقت والرزق جعل العطا الجاري ولما علم انهم يقرون
بامر البداية وما تبعها من الرزق والتدبير اعاد سبحانه السوال عنها مقرونا بالاعادة تنبيها
لهم على ما يعترفون به من ان الاعادة اهون فانكارهم مع ذلك اما جحود او عناد وانكار المسلمات
كلها اهله او سوقه على طريق الاستفهام ابلغ واوقع في القلب فقال قل اي على سبيل الانكار عليهم
والتوبيخ لهم هل من شركائكم اي الذين زعمتموهم شركاء واشركتموهم في اموالكم من انعامكم وزرعكم
من يبدا الخلق كما بداه ليصح لهم ما ادعيتم من الشركة ثم يعيده ولما كان الجواب قطعا من غير
توقف ليس فيهم من يفعل شيئا من ذلك وكان لجاجتهم في انكار الاعادة وعنادهم لا يدعهم ان
يجيبوا بالحق امره بجوابهم بقوله قل الله اي الذي له الامر كله يبدا الخلق اي مهما اراد ثم يعيده واتى
هنا بجزئي الاستفهام ردا لما ماتى في السوال عن الهداية تاكيدا للالزام بخلاف ما اعترفوا به فانه
اكتفى باحد الجزئين في قوله فسيقولون الله ولم يقل ثم رزقنا الى اخره ثم زاد في تبكيتهم على
عدم الاذعان لذلك بالتعجيب منهم في قوله فانى تؤفكون اي كيف ومن اي جهة تصرفون بافحش
الكذب عن وجه الصواب من صارف ما وقد استنارت جميع الجهات ورتب هذه الجمل احسن ترتيب
وذلك انه سالهم اولا عن سبب دوام حياتهم وكمالها بالرزق والسمع والبصر وعن بدء
الخلق في اخراج الحي من الميت وما بعده وكل ذلك تنبيها على النظر في احوال انفسهم مرتبا على الاوضح
فالاوضح فلما اعترفوا به كله اعاد السوال عن بدء الخلق ليقرن به الاعادة تنبيها على انهما بالنسبة
الى قدرته على حد سواء فلما فرغ من احوال الجسد امره ان يسالهم عن غاية ذلك والمقصود
منه من احوال الروح في الهداية التي هي سبب السعادة امعانا في الاستدلال بالمصنوع على
الصانع على وجه مشيرا الى التفضيل فقال قل اي يا افهم العباد واعرفهم بالمعبود هل من شركائكم
اي الذين زعمتم انهم شركاء لله فلم يكن شركتهم الا لكم لانكم جعلتم لها حظا من اموالكم واولادكم
من يهدي اي بالبيان او التوفيق ولو بعد حين الى الحق فضلا عن ان يهدي للحق على اقرب
ما يكون من الوجوه واعلاها ولما كانوا جاهلين بالجواب الحق في ذلك او معاندين امره ان يجيبهم
معرضا عن انتظار جوابهم اتباعا لجزئ الاستفهام ايضا فقال قل الله اي الذي له الاحاطة الكاملة
يهدي ولما كان قادرا على غاية الاسراع عبر باللام فقال للحق ان اراد ويهدي الى الحق من
شاء لا احد ممن زعموهم شركاء فالاشتغال بشيء منها بعبادة او غيرها جهل محض واختلال في
المزاج كبير فالاية من الاحتباك ذكر الى الحق اولا دليلا على حذفه ثانيا وللحق ثانيا دليلا
على حذفه اولا ونتسبب عن ذلك انكار اتباعهم لهم فقال افمن يهدي اي منتهيا في هدايته
ولو على بعد الى الحق اي الكامل الذي لا زيغ فيه بوجه ولو على ابعد الوجوه احق ان يتبع اي بغاية
الجهد امن لا يهدي اي يهتدي فضلا عن ان يهدي غيره الى شيء من الاشيا اصلا وراسا وادغام
تا الافتعال للايما الى انتفا جميع اسباب الهداية حتى ادانيها فان التاء عند ارباب القلوب
معناها انتها التسبب الى ادناه الا ان يهدى اي يهديه هاد غيره لا يقال من كان كانه
قيل وهذا يعم كلما عبد من دون الله ممن يعقل ومما لا يعقل فلما اتم ذلك على هذا المنهج
القويم كان كانه قيل اتجيبون ام تسكتون واذا اجبتم اتوثرون الحق فترجعوا
عن الضلال ام تعاندون فتسبب عن ذلك السوال لهم على وجه التوبيخ بقوله فما اي اي شيء

ثبت لكم في فعل غير الحق من كلام او سكوت ثم استانف تبكيتا اخر فقال كيف تحكمون فيما سالناكم عنه مما
لا ينبغي ان يخفى على عاقل بالباطل ام بالحق فقد تبين الرشد من الغي وان البدء الفعل الاول والاعادة الايجاد
الثاني ثانيا والهداية التوفيق بطريق الرشد ولما اخبر تعالى بالزامهم عن بعض ما يسالون عنه ثم
عقبه بما الجاهم الى انكاره او سكوتهم عن بعضه مما يتعلق بشركائهم كانهم عطف على ما صرح
به من قولهم فسيقولون وما الجاهم اليه من فهل يتكلمون او فسيسكتون قوله وما يتبع اي بغاية
الجهد اكثرهم اي في نطقه او سكوته في عبادته للاصنام وقوله انها شفعاء وغير ذلك الا ظنا تنبيها
على انهم انما هم مقلدون وتابعون للاهوا ولما كان الظن لا ينكر استعماله في الشرايع نبه على ان محله
انما هو حيث لا يوجد نص على المقصود فيقاس حينئذ على النصوص بطريقه واما اذا وجد
القاطع في حكم فانه لا يجوز العدول عنه بوجه من الوجوه فقال تعالى في جواب من يقول
او ليس الظن مستعملا في كثير من الاحكام ان الظن لا يغني اي اصلا من الحق اي الكامل شيئا
اي بدله ولا يكون بدل الحق الا اذا كان تابعه بمخالفه لقاطع يبطله ولما صار ظهور الفرق
ضروريا ادى نفع تهديد المتمادي في غيه في جواب من كانه قال ان ذلك لا يخفى عنهم ولكنهم يستكبرون رن
فلا يرجعون فقال ان الله اي المحيط بكل شي عليم اي بالغ العلم بما يفعلون فاصبر فلسوف
يعلمون ولما تقدم في هذه السورة قولهم لولا انزل عليه اية من ربه واتى فيها رد عليهم ووعظا
لهم من الايات البالغة في الحكمة جدا المتجاوز قوى البشر المضمحل دونه من الخلق القدر وكان
اخر ذلك التنبيه على ان شركاهم لا يهتدون الا ان يهداهم الهادي فضلا عن ان يهدوا واقامة
الدليل على ان مذاهبهم ليست مستندة الى علم بل هي تابعة للهوى اتبع ذلك الدليل قطعيا في
ان القران من الله لا يصح اصلا ان يوتى به من دون امره سبحانه ردا لقولهم انه مفترى لانه
من وادي ما ختم به هذه الايات من اتباعهم للظنون لانه لا سند لهم في ذلك بل ولا شبهة اصلا
وانما هو مجرد هوى بل واكثرهم عالم بالحق في امره فنفى ذلك لما يرفع الظنون ويدمغ الخصوم ولا يدع
شبهة المفتون واثبت انه هو الاية الكبرى والحقيق بالاتباع لانه هدى فقال تعالى
وما كان عاطفا له على قوله ما يكون لي ان ابدله الى اخره فهو حينئذ معمول القول اي قل لهم ذلك
الكلام وقل لهم ما كان اي قط بوجه من الوجوه وعنه نفيا لا يمكن معه لبس فقال هذا القران
اي الجامع لكل خير مع التادية باساليب الحكمة المعجزة لجميع الخلق ان يفترى اي يقع في وقت من الاوقات ت
تعمد نسبته كذبا الى الله من احد من الخلق كاينا من كان وعرف بتضاول رتبتهم دون شامخ رتبته
سبحانه بقوله من دون الله اي الذي تفرد انه يدبر الامر كله فما من شفيع الا من بعد اذنه وما يعزب
عنه شي فسبحان المتفضل على عباده بايضاح الحجج وازالة الشكوك والدعا الى سبيل الرشاد مع
غناه عنهم وقدرته عليهم والافترا الاخبار على القطع بالكذب لانه من فرى الاديم وهو قطعه
بعد تقديره ولما كان اتيان الامي الذي لم يجالس عالما بالاخبار والقصص الماضية على التحرير دليلا
قطعيا على صدق الامي في ادعائه انه لا معلم له الا الله لا الشرع عن اباه الا العناد فقال ولكن كان كونا لا يجوز
غيره تصديق الذي تقدم بين يديه اي قبله من الكتب والدليل على المصادقة شاهد الوجود مع
ان القوم كانوا في غاية العداوة له صلى الله عليه وسلم وكان اهل الكتابين عندهم في جزيرة العرب
على غاية القرب منهم مع انهم كانوا يتجرون الى بلاد الشام وهم متمكنون من السوال عن كل ما ياتي
به فلو وجدوا مغمزا اما لقدحوا به فدل عدم قدحهم على التصادق قطعا ولما كان ذلك سلطانا نا
قاهرا على صدقه صلى الله عليه وسلم زاده ظهورا بما اشتمل الكتاب الاتي به عليه من التفصيل الذي
هو نهاية العلم فقال وتفصيل الكتاب اي الجامع المجموع فيه الحكم والاحكام وجوامع الكلام من جميع
الكتب السماوية في بيان مجملاتها وايضاح مشكلاتها فهو ناظر الى قوله افمن يهدي الى الحق الاية
فهو برهان على انه هو الهادي وحده فهو الحقيق بالاتباع والتفصيل تبيين الفصل بين
المعاني الملتبسة حتى يظهر كل معنى على حقه ونظيره التقسيم ونقيضه التخليط والتلبيس
وبيان تفصيله انه اتى من العلوم العليا الاعتقادية من معرفة الذات والصفات باقسامها
والعملية التكليفية المتعلقة بالظاهر وهي علم الفقه وعلم الباطن ورياضة النفوس بما لا مزيد
عليه ولا يدانيه فيه كتاب وعلم الاخلاص كثير في القران مثل خذ العفو الاية ان الله يامر
بالعدل الاية وامثالهما ولما كان مع الشهادة لنفسه بالصدق بتصديق ما ثبت حقيقته معجزا بالجمع

بالجمع والتفصيل لجميع العلوم الشريفة عقليها ونقليها اعجازا لم يثبت لغيره بين انه مما تقصر للافترا
حال كونه لا ريب فيه من رب العالمين اي موجدهم ومدبر امرهم والمحسن اليهم لانهم لانه مع الجمع لجميع
ذلك لا اختلاف فيه بوجه وذلك خارج عن طوق البشر ولما كان هذا موضع ان يدعوا الا ان هذا
القران ليس الا باهر الله من عند الله وبامره قطعا كان كانه قيل ارجعوا عن غيهم فامنوا واستقاموا موا
ام استمروا على ضلالهم يقولون على سبيل التجديد والاستمرار عنادا افتراه اي تعمد نسبته كذبا الى الله
فكانه قيل تمادوا على عتوهم فقال ولذلك فكانوا كالباحث عن حتفه بظلفه لانهم اضلوا ضلالا لا
فاسد الزمهم عليه قطعا امكان ان ياتوا بمثله لانهم عرب مثله بل منهم من قرا وكتب وخالط العلما
واشتد اعتناؤه بانواع البلاغة من النظم والنثر والخطب وغير ذلك خلافه صلى الله عليه
وسلم في جميع ذلك فلذلك امره في جوابهم بقوله قل اي لهم يا ابلغ خلقنا واعرفهم بمواقع الكلام
بجميع انواعه واتى بالفا السببية في قوله فاتوا اي انتم تصديقا لقولكم هذا الذي تبين فيه
انكم معاندون ولما كانوا قد جزموا في هذه السورة بانه افتراه وكان منفصلا الى سور كل سورة
منها لها مقصد معين يستدل فيها عليه ويكون خاتمتها من نمطه بفاتحتها متحدة بها اكتفى في تحديهم
بالاتيان بقطعة واحدة غير منفصلة الى مثل سورة لكن يكون مثل جميع القران في الطول والبيان ن
وانتظام العبارة والتيام المعاني فلذلك قال بسورة قال الرماني والسورة منزلة محيطة بايات
من اول الفاتحة والخاتمة كحايطة سور البنا وهذا نظر الى ان المتحدى به سورة اصطلاحية
والصواب انها لغوية وهي كما قال الحرالي تمام جملة من المسموع يحيط بمعنى تام بمنزلة احاطة
السور بالمدينة ووصفها بقوله مثله اي في البلاغة وحسن النظم وصحة المعاني ومصادقة
الكتب وتفصيل العلوم لانكم مثله في العربية وتزيدون بالكتابة ومخالطة العلما من غير
اتيان بمن لما تقدم من ان المراد كونها مثل القران كله ولذلك وسع لهم في الاستعانة
بجميع من قدروا عليه ووصلت طاقتهم اليه ولم يقتصر بهم على من يخصومهم فقال وادعوا اي لمعاو نكم
من استطعتم اي قدرتم على طاعته ولو ببذل الجهد من الجن والانس وغيرهم وحقق ان هذا
القران من عنده سبحانه باستثنايه في قوله من دون الله اي الذي له الكمال كله ونبه على انهم
متعمدون لما نسبوه اليه وحاشاه من تعمد الكذب وانهم معاندون بقوله ان كنتم اي جبلة وطبعا
صادقين اي في اني اتيت به من عندي لان العاقل لا يجزم بشي الا اذا كان عنده منه مخرج وذلك
لا يكون الا عن دليل ظاهر وسلطان قاهر وقد مضى في البقرة وياتي في هود ان شا الله تعالى
ما يوضح هذا المعنى والاستطاعة حالة تنطاوع بها الجوارح والقوى للفعل لانه ماخوذ من
الطوع ثم كانه قيل فقال لهم ذلك فلم ياتوا العقل لهم بشبهة توجب شكا فضلا عن
مصدق لانه معجز لكونه كلاما في اعلا طبقات البلاغة حسن النظام والجزالة منزلا من عند
الله المحيط علما وقدرة فهو مشتمل من كل معنى على ما علا كل العلو عن مدان بل واحسن من ذلك
انه لما اقام الدليل على ان القران كلامه وكان الدليل انما من شانه ان يقام على من عرض
له غلط او شبهة وكان قولهم افتراه لا عن شبهة وانما هو بمجرد عناد نبه سبحانه على انه وعلى انه
انما اقام الدليل لاظهار عنادهم لا لان عندهم شبهة في كونه حقا بالاضراب عن قولهم فقال
بل اي لم يقولوا افتراه عن اعتقاد منهم لذلك بل كذبوا اي اوقعوا التكذيب الذي لا تكذيب اشنع
منه مسرعين في ذلك من غير شبهة اصلا بل عنادا وطغيانا فاستهينين بما لم يحيطوا بعلمه اي في نظمه
او معناه من شبهة اصلا بل عنادا وطغيانا ونفورا مما يخالف دينهم وسرا دانفوس باب من جهل
شيا عاداه والاحاطة ادارة ما هو كالحايط حول الشي فاحاطة العلم بالشي العلم به من جميع وجوهه هه
ولما كان لا بد من وقوع تاويله وهو اتيان ما فيه من الاخبار بالمغيبات على ما هي عليه قال
ولما ياتهم اي الى ذلك تكذيبهم تاويله اي ترجيعنا لاخباره الى مراجعها وغاياتها حتى يعلموا اصدق
هو ام كذب فانه معجز من جهة نظمه ومن جهة صدقه في اخباره والتاويل المعنى الذي يؤول اليه
التفسير وهو منتهى التصريح من التضمين ولما كان كانه قيل ان فعلهم هذا العجب في اصلهم عن
التمادي فيه فهل سبقوا في ذلك من قبلهم لوافقتهم في سوء الطبع فاقصد الهم وسليا له
صلى الله عليه وسلم كذلك اي مثل تكذيبهم هذا التكذيب العظيم في الشناعة قبل تدبر المعجزة
كذب الذين ولما كان المكذبون بعضا لسابقين اثبت الجار فقال من قبلهم اي من كفار الامم

الخالية فظلموا انا هلكناهم بظلمهم ولما كان التكذيب خطرا لما يثمر من السر ورستك عنه
تحذيرا منه النظر في عاقبته فقال فانظر اى بعيناك ديارهم وبقلبك اخبارهم ولما كان من
نظر لولا النظر وجدته اجل معتبر واعلى مزدجر وجه السوال اليه بقوله كيف كان عاقبة اى اخر
امر الظالمين اى الذين رسخت اقدامهم في وضع الاشيا في غير مواضعها حتى كذبوا من لا يجوز عليه
الكذب بوجه ومن المقطوع به ان هذا المسوق بقول من غير تلعثم ولا تردد عاقبة وخيمة تامة
ذميمة والعاقبة سبب تودي اليه البادية فالذي ادى الى هلاكهم بعذاب الاستيصال
ماتقدم من ظلمهم لانفسهم وعتوهم في لغزهم ولما ذم سبحانه تكذيبهم كان ذلك ربما اياس من
اذعانهم وتصديقهم واذن باستيصالهم لتكمل المشابهة للاولين وكان صلى الله عليه وسلم
شديد الشفقة عليهم والحرص على ايمانهم فاتبعه تعالى بيانا بقوله لان علمه بانقسامهم
اوجب عدم استيصالهم عاطفا على كذبوا ومنهم اى قومك من يومن به اى في المستقبل
ومنهم من لا يومن به اى القران اصلا ولو راى كل اية وربك اى المحسن اليك بالرفق بامتك اعلم
بالمفسدين اى الذين هم عريقون في الافساد تسبيعا ملامهم بما يشفي صدرك ولما قسمهم تقسيم
هذه الاية قسمين وثلث بذكر القسم الثاني بالواو عرف انه معطوف على مطوى للقسم الاول
فكان كانه قيل فان صدقوك فقل الله ولي هداكم ولي بذل اجودكم بتسبيبي منها فضلا
من ربي وان كذبوك فقل قول منصف معتمد على قادر عالم لي عملي بالايمان والطاعة
ولكم عملكم ما لا احد منا ولا عليه من جزا الاخر شي ثم صرح بالمقصود من ذلك بقوله محذرا
انتم بريئون مما اعمل اى فان كان خيرا لم يكن لكم منه شي وان كان غيره لم يلزمكم منه شي
وانا بري مما تعملون لا جناح علي في شي منه لاني لا اقدر على ردكم عنه والبراة قطع العلقة التي
توجب رفع المطالبة ولا حاجة الى ادعا نسخ هذه الاية باية السيف فانه لا منافاة بينهما
لان هذه في رفع لحاق الاسم وهو لا ينافي الجهاد ولما قسمهم الى هذين القسمين قسم الاسم القسم
الاخير الى قسمين فقال ومنهم اى المكذبين من ولما كان المستمع اليه اكثر لانهم اشهى الناس
الى تعرف حاله وكان طريق ذلك السمع والبصر وكان تحديق العين اليه لا يخفى فكان اكثرهم
يتركه اظهارا للبغضة وخوفا من انكار من يراه عليه وكان الغا السمع لغاية الجهد يمكن اخفاوه
بخلاف الابصار عبر هنا بالاجتماع فقال وجمع دلالة على كثرتهم نظرا الى معنى من وافرد في
النظر اعتبارا للفظها ودلالة على قلة الناظر لما ذكر فقال يستمعون ومعنى الاستماع الاصغا صغا
ليودي موديا للغماين ودل على الاصغا بصلة معلقة بحال انتزعت منه فكانه قال
مصغين اليك اى عند قراة القران وبيانه بالسنة الى الاستماع والنظر فهم قسم واحد
ولكنهم وان كانوا قسمين بالنسبة الى الاستماع والنظر فهم قسم واحد بالنسبة الى الضلال فكان
يعقب ذلك بحشرهم لعدم قصدهم للهداية عليه سبحانه لذكر حشرهم فيما مضى بعد تقسيمهم الى
قسمين بعد قوله ويهدي من يشا الى صراط مستقيم ولما كان صلى الله عليه وسلم يريد باسماعه
لهم ما انزل الله هدايتهم به سبب عن استماعهم انكار اسماعهم الاسماع المترتب عليه الهدى
فقال افانت اى وحدك تسمع الصم اى من اذان قلوبهم لانهم يستمعون الكلام وقد ختم على اسماعهم
فهم لا ينتفعون باستماعهم لان ثمرة السمع للدلالة للسمع والفهم والسمع ادراك الشي بما به يكون
مسموعا فكانوا بعدم انتفاعهم كانهم صم مجازين لان الاصم العاقل ربما فهم بالتفرس وتحريك
الشفاه ونحوها فلذا قال ولو كانوا اى جبلة وطبعا لا يعقلون اى لا يتجدد لهم عقل اصلا فصاروا
بحيث لا يمكن اسماعهم لانه لا يمكن الا اسماع الصوت الدال على المعنى وتفهيم المعنى والمانع من الاول
الصمم ومن الثاني عدم العقل فصاروا اشرا من البهايم لانها وان كانت لا تعقل فهي تسمع والاصم
المنسد السمع بما يمنع من ادراك الصوت ومنهم من ينظر محدقا او راميا ببصره من بعد
اليك فهو من التضمين كما سبق في يستمعون نقل عن التفتازاني انه قال في حاشية الكشاف
حقيقة التضمين ان يقصد بالفعل معناه الحقيقي مع فعل اخر يناسبه وهو كثير في كلام العرب
وذلك مع حذفها ماخوذ من الفعل الاخر بمعونة القرينة اللفظية وتعين جعل الفعل
المذكور اصلا والمذكور له تبعا لان صرفه والدلالة عليه بصلته يدل على اعتباره في الجملة لا على
زيادة القصد اليه ومن امثلته احمد اليك حمده ومقلب كفيه على كذا اى نادما

اى نادما عليه ولا تعد عيناك عنهم الى غيرهم ولا تاكلوا اموالهم ضامتها الى اموالكم الرفث
مفضين الى نسائكم ولا تعزموا اى على النكاح وانتم تنوون عقدته ولا تسعون مصغين الى الملا
الاعلى سمع الله لمن حمده اى مستجيبا لمن حمده والله يعلم المفسد اى يميزه من المصلح والذين يولون ممتنعين
من وطء نسائهم ولما كان المعنى انك ما اكرم الخلق تريد بنظرهذا الناظر اليك ان ينظر الى ما
تاتي به من باهر الايات فيهتدي وهو غير منتفع بنظره لما جعل عليه من الغشاوة فكان كالا عمى
الذي زاد على عدم بصره عدم العقل فلا بصر ولا بصيرة قال منكرا لذلك افانت تهدي العمي
اى عيونا وقلوبا ولو كانوا اى بما جبلوا عليه لا يبصرون اى لا يتجدد لهم بصر ولا بصيرة فلا يمكن
هدايتهم لان هداية الطريق الحسي لا تمكن الا بالبصر وهداية الطريق المعنوي لا تكون الا بالبصيرة
والنظر طلب الروية بتقليب البصر ونظر القلب طلب العلم بالفكر والعمى افة تمنع الروية
عن العين والقلب والابصار ادراك الشي بما به يكون مبصرا فكانه قيل ما له فعل بهم هذا
والامر بيده فقيل لانه تام الملك والملك وهو متفضل في جميع نعمه لا يجب عليه لاحد شي فهو لا يسل
عما يفعل ومبنى عليه قوله ان الله واحسن منه ان يقال ولما كان التقدير واذا علمت ذلك خففت
عنك بعض ما انت فيه فانك لا تقدر على اسماعهم ولا هدايتهم لان الله تعالى اراد ما هم عليه
منهم لا ستحقاقهم ذلك لظلمهم انفسهم علله بقوله ان الله اى المحيط بجميع الكمال لا يظلم الناس
شيا وان كان هو الذي جبلهم على الشر ولكن الناس اى لما عندهم من سرعة الاضطراب
والتقلب انفسهم اى خاصة يظلمون بحملهم لها على الهوى الى الشر وصرف قواهم فيه باختيارهم
مع زجرهم عن ذلك وحجبهم عما جبلوا عليه وان كان الكل بيده سبحانه ولا يكون الا بخلقه
ولما كان في هذه الايات ما ذكر من انكار من صدالهم في ابا طيلهم وضلالهم وكان فعل ذلك فعل من
لا يرى حشرا ولا جزا ولا نعيما ودارا نعيم هو هذه الدار فعل خارج الى ما يستطيل الزمان ابن من
نوازل الحدثان حتى تعقيبه بانهم يرون يوم الحشر من الاهوال ما يستقصر وزمنه
مدة لبثهم في الدنيا فقد خسروا واذا دنياهم بالتراخ واخرتهم بالعذاب الذي لا يستطاع
وليس له انقطاع فقال تعالى مهددا لهولا الكفار الذين يعاندون فلا يسمعون ولا يبصرون
عاطفا على ويوم يحشرهم الاولى ويوم يحشرهم اى واستقصر واحدة لبثهم في الدنيا يوم الحشر
لما يستقبلهم من الاهوال او الزلازل الطوال فكانه قيل الى اى غاية فقيل كان اى كانهم
لم يلبثوا اى في دنياهم او الجملة في موضع ابطال الحال من ضمير يحشرهم البارز اى المشبهين بمن لم
يلبثوا الا ساعة اى حقيرة من النهار وقوله يتعارفون بينهم حال اى لم تقدهم تلك الساعة الكثر
من ان عرف فيها بعضهم بعضا لم يزداد وابذلك حسرهم في تلك اليوم بعدم القدرة على التناصر
والتعاون والتظاهر كما كانوا يفعلون في الدنيا ولما كانت حالهم هذه هي الخسارة التي ليس
معها تجارة فكان السامع متوقعا للخبر عنها قال معجبا عنهم موضع ما احشرهم قد خسر اى حقا
الذين كفروا اظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف مستهينين بلقا الله اى الملك
الاعلى بما اخذوا في الدنيا من الخسيس الفاني وتركوا ما الشرف لهم عنه البعث من النعيم الشريف
الباقي ولما كان الذي وقع منه تكذيب مرة في الدهر قد يفيق بعد ذلك فيهتدي قال عاطفا على
الصلة وما كانوا اى جبلة وطبعا مهتدين مشيرا الى تشبيههم فيما يدعون البصر فيه من امر
المتجر والمعرفة بانواع الهداية ولما كان اخبار الصادق بهلاك الاعدا امرا اللعين وكانت
مشاهدة هلاكهم اقر لها عطف على قوله قد خسر واما نرينك اى باداة عظيمة بتكل وفائك بعض الذي
الذي نعدهم اى في الدنيا بما للناس لعظمة فهو اقر لعينك او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم
فنريك فيهم هنالك ما هو اقر لعينك واستهلك فالاية من الاحتباك ذكرا ولا الاداة دليلا
على حذفها ثانيا والوفاة ثانيا دليلا على حذفها اولا وثم قالي في قوله ثم الله اى المحيط بكل شي شهيد
اى بالغ الشهادة على ما يفعلون في الدارين يمكن ان يكون على بابها فتكون مشيرا الى التراخي بين
ابتدا رجوعهم بالموت واخره بالقيامة وليس الى ادعوا لهم شهيد ظاهره بل العذاب الناشي
عن الشهادة في الاخرة اى ان امرنا قبهم بعد رجوعهم فنريك ما نعدهم لانه عالم بما يفعلون
ولما كان في هذه الاية التهديد بالعذاب اما في الدنيا او في الاخرة غير معين له صلى الله عليه
وسلم واصرحها ابتعها بما هو صالح للامرين بالنسبة الى كل رسول اشارة الى ان احوال الامم

على غير نظام واحد فلذلك لم يجزم بتعيين واحدة من الدارين للجزاء وجعل الامر منوطا بالعشرة الى
اي داركان احكم جعله فيها فقال تعالى دالا على انه تشرح ذكر الاسلام وهو الايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الاخر من عهد ادم عليه السلام الى اخره لم يزل على وجه لم يحصل له ابدا من في دهر
من الدهور فمن تركه استحق العذاب سوا كان ممن بين عيسى ومحمد عليهما السلام ام لا فلا يغتر بما قال
من غير هذا ﴿ولكل امة﴾ اي من الامم التي خلت قبلك ﴿رسول﴾ مدعوهم الى الله ثم سببه عن اتيان رسولهم
بيان القضاء فيهم فقال ﴿فاذا جا﴾ اي اليهم ﴿رسولهم﴾ في الدنيا بالبينات والهدى وفي الاخرة في الموقف
بالاخبار بما صنعوا به في الدنيا من تكذيب او تصديق ﴿قضي بينهم﴾ اي في جميع الامور بما افاده تنوع
الجار على اسهل وجه من غير شك بما افاده البنا للمفعول ولما كان السياق بالترهيب اجدر
قال ﴿بالقسط﴾ فاظهرما كان خفيا من استحقاقهم في القضا بالعدل والقسمة المنصفة بينهم
كلهم بالسوية فاعطى كل واحد منهم مقدار ما يخصه من تعجيل العذاب وتاخيره كما نفعل معك
ولما كان ذلك لا يستلزم ذلك الدوام قال ﴿وهم لا يظلمون﴾ اي لا يتجدد لهم ظلم منه سبحانه ولا من غيره
ولما تقدم في هذه الايات تهديدهم بالعذاب في الدنيا او في الاخرة حكى سبحانه جوابهم عن ذلك
عطفا على قوله ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه فقال ﴿ويقولون﴾ اي هولا المشركون تجددون
لهذا القول مستمرين على ذلك استهزا ﴿متى هذا الوعد﴾ اي بالعذاب في الدنيا او في الاخرة
والمبو ويجوابقولهم ﴿ان كنتم﴾ اي انت ومن قال بقولك ﴿صادقين﴾ والقول كلام متضمن في
ذكره بالحكاية وقد يكون كلام لا يعبر عنه فلا يكون له ذكر متضمن بالحكاية فلا يكون قولا
لانه انما يكون قولا من اجل تضمين ذكره بالحكاية قاله الرماني والتمني جعل الشي وعا
والوعد خبر بما يعطي من الخير والوعيد خبر بما يعطي من الشر وقد يراد الاجمال كما هنا فيطلق
الوعد على القسمين وعد المحسن بالثواب والمسي بالعقاب والصدق الخبر عن الشي على ما هو
به والكذب الخبر عنه على خلاف ما هو به ولما تضمن قولهم هذا استعجاله صلى الله عليه وسلم
بما توعدهم به امره بان يتبرا من القدرة على شي لم يقدره عليه معبوده الله عليه بقوله ﴿قل﴾
اي لقومك المستهزئين ﴿لا املك لنفسي ضرا﴾ فضلا عن غيري ولما كان السياق للنقمة
قدم الضر مبينا على ان نعمه اكثر من نعمه وانكم في نعمة عليكم ان يعيد وها بالشكر خوفا من
زوالها فضلا عن ان يتمنوه فقال ﴿ولا نفعا﴾ ولما كان من المشاهد ان كل حيوان يتصرف
في نفسه وغيره ببعض ذلك قال ﴿الا ما شا الله﴾ اي المحيط علما وقدرة ان املكه من ذلك فكانه
فكانه قيل فما لكم لا تدعوه بان يشا ذلك او يقدرك عليه فقيل ﴿لكل امة اجل﴾ فكانه
قيل ماذا يكون فيه فقيل ﴿اذا جا اجلهم﴾ هلكوا ولما كان قطع رجا لهم من الفسحة في
الاجل من اشد عذابهم قدم قوله ﴿فلا يستاخرون﴾ اي عنه ﴿ساعة﴾ ثم عطف على الجملة الشرطية
بكمالها ﴿ولا يستقدمون﴾ فلا تستعجلوا فان الوفا بالوعد لا بد منه والسين فيهما بمعنى الوجدان
اي لا يوجد لهم المعنى الذي صيغ منه الفعل مثل استشكل الشي واستثقله ويجوز ان يكون
المعنى لا يوجدون التاخر ولا التقدم وان اجتهدوا في الطلب فيكون في السين معنى الطلب
والملك قوة يتمكن بها من تصريف الشي اتم تصريف والنفع اجتلاب اللذة بفعلها والتسبب
المودي اليها والضر اجتلاب الالم بفعله والتسبب اليه والاجل الوقت المضروب لوقوع امر
ولما كان جل قصدهم بذلك الاستهزا وكان وقوعه امرا ممكنا وكان من شان العاقل ان يبعد
عن كل خطر ممكن امره صلى الله عليه وسلم بجواب اخر حذف منه واو العطف لئلا يظن انه
لا يكفي في كونه جوابا الا بضمه الى ما عطف عليه فقال ﴿قل﴾ اي لمن استبطا وعيدنا بالعذاب
في الدنيا اعلاما بان الذي يطلبونه ضرر لهم محض لا نفع فيه بوجه فهو مما لا يتوجه اليه
قصد عاقل ﴿ارايتم﴾ وهي من روية القلب لانها دخلت على الجملة من الاستفهام ﴿ان اتاكم
عذابه﴾ في الدنيا ولما كان اخذ الليل انكا واسرع قدمه فقال ﴿بياتا﴾ اي في الليل بغتة
وانتم نايمون كما يفعل العدو ولما كان الخوف ليلا يستلزم الخوف نهارا مجاهرة قال ﴿او نهارا﴾
اي مكاشفة وانتم مستيقظون اتستمرون على عنادكم فلا تومنوا فكانهم قالوا لا فلم يعجل به
ليرى فقيل انكم لا تقدرون ما تطلبون انه لا طاقة لمخلوق بنوع منه ولا يجتري على مثل
هذا الكلام الا المجرم ﴿ماذا﴾ اي ما الذي ويجوز ان يكون هذا جواب الشرط ﴿تستعجلون﴾ اي بطلب العجلة

العجلة ﴿منه﴾ اي من عذابه وعقابه كله مكروه لا يحتمل شي منه ﴿المجرمون﴾ اي سنة الله قد استمرت
بان المكذب لا يثبت الا عند مخايلة واما اذا برك بكلكله واناخ بثقله فانه يومن حيث لا
ينفعه الايمان ولن تجد لسنة الله تحويلا وهذا معنى التراخي في قوله ﴿اثم اذا ما وقع امنتم
به﴾ اي عذابه وانتفى كل ما يضاده ﴿امنتم به﴾ وذلك انه كانت عادتكم كمن قبلكم الاستعجال
بالعذاب عند التوعد به وكانت سنة الله قد جرت بان المكذبين اذا اتاهم العذاب تراخى
ايمانهم لعدم تحقق معدمات ونيل احتشا لهم لعظا بوصدما نه لشدة عنادهم فيه وتوطنهم
عليه كما وقع لملا ولين من الامم بغيا وعتوا كقوم صالح لما تغيرت وجوههم بالوان مختلفة
في اليوم الاول ثم الثاني ثم الثالث وايقنوا الهلاكة وودع بعضهم بعضا ولم يومنوا وجوت
بانهم اذا اذاقوا اس العذاب واخذتهم فواجيه الصعاب شغلتهم دواعيه عن العناد واضطر
اهواله الى سهل الانقياد فكان في غاية الحسن وضع تعنيفهم عن الاستعجال عقبه الوعيد
ثم وضع التراخي عن الايمان بالعناد بعد الاشراف على الهلاك ومعاينة التلف فكان كانه قال
اخبروني على تقدير ان ياتيكم عذابه الذي لا عذاب اعظم منه كما دل عليه ذلك واضافته اليه
فيتنكم او كاشفكم ماذا تفعلون الا تومنون فقالوا انما نستعجل به ليرى فناسب لما كان استعجالهم
بعد هذا الانذار تسفيههم على ذلك فقيل ماذا اي اي نوع منه يطلب تعجيله المجرمون ولا نوع
منه الا وهو فوق الطاقة وورا الوسع ان هذا المنكر من الاراء بعد تراخي ايمانكم عن مخايل
صدمته ومشاهدة مبادي عظمته وشدته اوجدتم الايمان به عند وقوعه فيقال لكم حين
اضطرتكم فواجيه الى الايمان وجلتكم قوارعه على صهوة الاذهان ﴿الان﴾ تومنون به
اي بسببه بعد ان ازال بطشنا قوى اكم وحل عزايم همكم واوهاكم ﴿وقد كنتم﴾ اي كونا كانكم مجبولون
عليه ﴿به تستعجلون﴾ اي تطلبون تعجيله طلبا عظيما حتى كانكم لا تطلبون عجلة شي غيره تكذيبا وعزما
على الثبات على العناد لو وقع فلم تقبل ايمانكم هنا منكم ولا كف عذابنا عنكم بل صيركم كامس
الدابر ولما كان ما ذكروه العذاب الدنيوي اتبعه ما بعده اعلاما بانه لا يقتصر عليه في جزائهم
فقال ﴿ثم قيل﴾ اي من اي قايل كان استهانة ﴿للذين ظلموا﴾ وبعد ازكم في الدنيا والبرزخ
بالعذاب وهونكم بشديد العقاب قيل لكم يوم الدين لظلمكم بالايات وبما امرتم به ونهيتم بوضعكم
كلا من ذلك في غير موضعه ﴿ذوقوا عذاب الخلد﴾ فالاتيان بثم الاشارة الى تراخي ذلك عن
الاهلاك في الدنيا بالمكث في البرزخ او الى ان عذابه ادنى من عذاب يوم الدين ﴿هل تجزون﴾
بناه للمفعول لان الخوف متعلق الجزاء ولما كان الاستفهام الانكاري بمعنى النفي وكان المعنى لشي
استثني منه فقال ﴿الا بما كنتم﴾ اي جبلا لكم ﴿تكسبون﴾ اي في الدنيا من العزم على الاستمرار على
الكفر ولو طال المدى لا ينفكون عنه لشي من الاشيا وان عظم فكان جزاوكم الخلود في العذاب
لحبوق الفعل بالفعل والعذاب الالم المستمر واصله الاستمرار ومن العذوبة لاستمرارها
في الحلق والبيات اتيان الشي ليلا والذوق طلب الطعم بالفم في ابتدا الاخذ ولما انتفى
ما اشتملت عليه الاية من التهديد ومصادع الوعيد اخبر تعالى انهم صاروا الى ما هو
جدير بما مع ذلك من النزول عن ذلك العناد الى مبادي الانقياد بقوله تعالى ﴿ويستنبئونك﴾
عطفا على قوله يقولون متى هذا الوعد اي ويطلبون منك الانباء وهو الاخبار العظيم
عن حقيقة هذا الوعيد الجسيم ويمكن ان يكون ذلك على طريقة الاستهزا كالاول فيكون التعجيب
والتوبيخ فيه بعد ما مضى من الادلة اشد ﴿احق هو﴾ اي ثابت هذا الذي يتوعدنا به ام هو كالسحر لا
حقيقة له كما تقدم انكم قالوه ﴿قل﴾ اي في جوابكم ﴿اي وربي﴾ اي المحسن الي المدبر لي المصدق لجميع ما اتى
به ولما كانوا ينكرون اكده قوله فقال ﴿انه لحق﴾ اي كاين ثابت لا بد من نزوله بكم ولما كان الشي قد يكون
حقا ويكون الانسان قادرا على دفعه فلا يهوله قال نفيا لذلك ﴿وما انتم﴾ اي لمن توعدكم ﴿بمعجزين﴾ فيما
يراد بكم ولما اخبرهم بحقيقته اخبرهم بما يكون منهم من الظلم ايضا عند معاينته بالسماح ببذل
جميع ما في الارض حيث لا ينفع البذل بعد ترك الماحوربه وهو من ابسر الاشيا واحسنها فقال
﴿ولو ان لكل نفس ظلمت﴾ اي عند المعاينة ﴿ما في الارض﴾ اي كلها من خزاينها ونفايسها ﴿لافتدت﴾
اي جعلته فدية لها من العذاب لكنه ليس لهم ذلك ولو كان ما قبلت منهم فاذا ادرك ما يوعدون
استسلموا واسروا ﴿الندامة﴾ اي اشتد ندمهم ولم يقدروا على الكلام ﴿لما راوا العذاب﴾ لانهم بهتوا العظم

مادهم فكان تعلقهم فعل المسيء لانهم لم يطيقوا بكا ولا شكاية ولا شيا مما يفعله الجازع والاستفتا
طلب الفتيا كما ان الاستفهام طلب الفهم والفتيا خبر عن يقين في امر كبير والحق عقد على المعنى
على ما هو به تدعو الحكمة اليه وكل ما بني على هذا العقد فهو حق لاجله والحق في الدين ما شهد به
الدليل على الثقة فيما طريقه العلم والقوة فيما طريقه غالب الامور للدنيا محملا امرين احدهما
اشبه بالاصل الذي جاء به الزمر والافتدا ايقاع الشي بدلا عن غيره لدفع المكروه وفداه فدية
وافتدا وفداء وافتداه افتدا وفاداه مفاداة وفداه تفدية وتفادا منه تفاديا والاسرار
اخفا الشي في النفس والندامة الحسرة على ما كان يتمنى انه لم يكن وهي حال معقولة يتاسف صاحبها
على ما وقع منها ويود انه لم يكن اوقعها ولما اشتملت الايات الماضيات على تحتم انجاز الوعد
والعدل في الحكم ختمت بقوله **وقضي** اي اوقع القضا على ايسر وجه واسهله ولما استغرق القضا
جميع وقايعهم دل عليه بنزع الجار فقال **بينهم** اي الظالمين والمظلومين والظالمين والاظلمين
بالقسط اي العدل ولما كان وقوع ذلك لا ينفي الظلم في وقت اخر قال **وهم** اي والحال انهم **لا يظلمون**
اي لا يقع فيهم ظلم من احد اصلا كاينا من كان في وقت ما ولما كان السبب الحامل للملوك
الدنيا على الذنب والجور والظلم العجز او طلبا لتزيد في الملك اشار الى تنزهه عن ذلك بقوله
موكدا لسوق قالهم مساق المنكر لان فعلهم في عبادة الاصنام فعل من ينكر مضمون الكلام **الا ان لله**
اي الملك الاعظم وحده **ما في السموت** بدأ بها لعلوها معنى وحسا وعظمتها ولما كان المقام للغنى عن
الظلم لعدم الحاجة الى تاكيد باعادة النافي فقال **والارض** اي من جوهر وعرض صامت
وناطق فلا شي خارج عن ملكه يحوجه الى الظلم او اخلاف وعد لحيازته والحاصل انه لا يظلم الا
ناقص الملك وانا من له الملك كله فهو الحكم العدل لان جميع الاشيا بالنسبة اليه على حد سوا ولا
يخلف الوعد العدل الحكم وفي الاية زيادة تحسير وتنديم للنفس الظالمة حيث اخبرت
بان ما تود ان تفتدي به ليس لها منه شي ولا تقدر على التوصل اليه ولو قدرت ما قبل
منها وانما هو لمن رضي منها بالقليل منه فضلا منه عليها على ما امر به على لسان رسله
وعلى هذا فيجوز ان يكون التقدير لو ان لها ذلك لافتدت به لكنه ليس لها بل لله فلما ثبت بذلك
حكمه بالعدل وتنزهه عن اخلاف الوعد صرح بمضمون ذلك بقوله موكدا لانكارهم **الا ان وعد الله**
اي الذي له الكمال كله **حق** لانه تام القدرة والغنى فلا حامل له على الاخلاف **ولكن اكثرهم** اي الذين
تزعم وهم يدعون دقة الافهام وسعة العقول **لا يعلمون** اي لا علم لهم فهم لا يتدبرون ما نصبنا
من الادلة فلا ينقادون لما امرنا به من الشريعة فهم يا توون على الجهل معدودون مع البهايم
والا مركبة من همزة الاستفهام ولا وكانت تقريرا وتذكيرا فصادفت تنبيها وكسرت ان بعدها لانها
استيناف فيه نبه بها على معنى يبتدا به وكذا يقع بعدها الامر والدعا بخلاف لو والا التي للاستفتاح
فلم يجز بعدها الا كسر ان واما اذ تكون بمعنى حقا في قولهم اما انه منطلق وهي للحال فيجوز فيها
الوجهان ذكره الرماني والسموات طبقات مرفوعات ولها سقف مزين بالكواكب وهو من
سما بمعنى علا ولما تقرر انه لا شي خارج عن ملكه وانه تام القدرة لانه منجاس عذابه شامل
العلم لتقيده بالعدل صادق الوعد لانه لا حامل له على غيره وثبت تفرده بانه يحيي ويميت
ثبت انه قادر على الاعادة كما قدر على الابتدا فثبت انه لا يكون الرد الا اليه فنبه على ذلك
بقوله **هو** اي وحده **يحيي** اي كما انتم به معترفون **ويميت** كما انتم له مشاهدون **واليه** اي لا الى
غيره **ترجعون** لانه وعد بذلك في قوله اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا وفي قوله فالينا مرجعهم
وفي قوله اي وربي انه لحق وغير ذلك والرد مانع منه والحياة معنى يوجب صحة العلم والقدرة
يضاد الموت وهو يحل ساير اجزا الحيوان فيكون بجميعه حيا واحدا والحي هو الذي يصح ان
يكون قادرا والقادر هو الذي يصح ان يقدر ويحدث ما فعل والموت معنى يضاد الحياة على
البنية الحيوانية وليس كذلك الجمادية ولما ثبت ان ذلك كله حق مباين للسحر الذي مبناه على
التخييل اقبل على الذين تقدم الاخبار عنهم في اول السورة في قوله اكان للناس عجبا انهم
قالوا ان هذا والاخبار به سحر ولما كان بين الارواح والابدان حب عزيزي بالتعلق
والتزاوج لذلك استهيات هذه الحياة الدنيا الدنية لا تستطيع نفسه بمظاهرها الحسن فلم يا انه
نور العقل حتى تعود النفس بقوة التعلق فحدث له اخلاق ذميمة هي امراض روحانية

روحانية فارسل ربه الذي اوجده ودبره واحسن اليه طبيبا حاذقا هو الرسول صلى الله
عليه وسلم لعلاج هذه الامراض وانزل كتابه العزيز لوصف الادوية فكان احكم الطب
منع المريض عن اسباب المرض قال تعالى **قد جاءتكم موعظة** اي زاجر عظيم عن التخلي عن كل
ما يشغل القلب عن الله من المحظورات وغيرها من كل ما لا ينبغي وذلك هو الشريعة ولما
كان تناول المودي شديد الخطر وهو لذيذ الى النفس لما بينهما من ملايمة النقص كان الانكفاف ف
عنه اشق شي عليها ورغبها في القبول بقوله **من ربكم** اي المحسن اليكم المدبر لمصالحكم لهذا القرآن
ولما كان اليق ما يعمل بعد الحمية تعاطي الدوا المزيل للاخلاط الفاسدة من الباطن قال
وشفا اي عظيم **لما في الصدور** من ادوا الجهل وذلك الشفا يحصل بتطهير الباطن
بعد التخلي عن الاخلاق الذميمة بالتحلي بالصفات الحميدة ليصير الباطن سالما عن العقايد
الفاسدة والاخلاق الناقصة كما سلم البدن من الافعال الدنية وهذا هو الطريقة
ولما كانت الروح اذا انصقلت بسوابقها فصادفت قابلة لتجلي الانوار عليها تفيض عليها
البروق الالهية والنفحات القدسية والمواهب الملكوتية لا لقابلية العيان كما قال
صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه ان لربكم في ايام دهركم
نفحات الا فتعرضوا لها الحديث وليس المانع من نزولها في كل قلب الا عدم القابلية
من بعضها لتراكم الظلمات فيها من صدا المخالفة ورين الاعراض والغفلة فيكون بذلك
كالمراة لعدم جلائها لا تقبل انطباع الصور لها قال تعالى **وهدى** اي الى الحق لانه نور عظيم يقود
صاحبه ولا بد الى الطريق الاقوم وهذا للصديقين وهو الحقيقة ولما كان لهذا النور اذا
زاد عظمه وانتشر اشراقه يفيض بعد الوصول الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية
على ارواح الناقصين فيضا كنور من جوهر الشمس على اجرام العالم فينتفع كل قابل له متقبل
عليه قال تعالى **ورحمة** اي اكرام عظيم بالامامية بالغ في الكمال والاشراف الى حد لا مزيد عليه وهذا
للانبيا عليهم السلام ولما كان لا ينتفع بانوارهم الا من توجه اليهم ثم ان الانتفاع بكم متفاوت
متفاوت درجات التوجه اليهم والاتباع عليهم قال **للمؤمنين** الذين اتبعوه وهم راسخون
في التوجه الى المرشدين والاستسلام لهم فكان ذلك سببا لنجاتهم اشارة الى هذا الاحكام وقال
فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية لا مدلول عليها بهذه الكلمات الاربع القرانية على وجه
لا يمكن تاخير شي منها عن موضعه ولا تقديمه وهذا بخلاف ما نسبوه اليه صلى الله عليه وسلم
من السحر فانه داء كله وضلال يجر الى الشقا والموعظة بانه تدعو الى الصلاح بطريق
الرغبة والرهبة والوعظ ما دعا الى الخشوع والنسك وصرف عن الفسوق والاثم والشفا ازالة له
الداء وداء الجهل اضر من داء البدن وعلاجه اعسر واطباؤه اقل والشفا منه اجل والصدر موضع
القلب وهو اجل موضع في الحي لشرف القلب والهدى بيان عن معنى يودي الى الحق وهو دلالة
تودي الى المعرفة والرحمة نعمة على المحتاج ولما ثبت ذلك ختم عليه لبعده عن السحر بثباته
وعدم القدرة على ازالته فضلا عن ازالته وبانه شفا وموعظة وهدى ورحمة فهو جامع
لمراتب القرب الالهي كلها وزهدهم فيما هم عليه منقلون من الحطام لمشاركته للسحر في سرعة التحول
والتبدل بالفنا والاضمحلال فهو اهل للزهد فيه والاعراض عنه فقال تعالى **قل بفضل الله**
الاية وحين كل الحسن تعقيب ذلك بقوله هو يحيي ويميت لما ذكر من سرعة الرحيل عنه ولان
القران محيي لميت الجهل من اقبل عليه افاده العلم والحكمة فكان للقلب كالحياة للجسد ومن اعرض
عنه صادق ضلال وحبط فوصل الى الضلال الدايم فكان اعرض عنه مميتا له وجعل
ابو حيان متعلق الباء في بفضل محذوفا تقديره **قل** ليفرحوا **بفضل الله** اي الملك الاعلى **وبرحمته**
ثم عطف على ذلك **فبذلك** اي الامر العظيم جدا وحده ان فرحوا يوما ما بشي **فليفرحوا** فتم جملتان وكان
ان ذلك ظهر وفايدة الثانية قصر الفرح على ذلك دون ما يفرحون به من الحطام فان السعادات
الروحانية افضل من السعادات الجسمانية فرح بسبب الفرح فقال **هو** اي المحدث عنه
من الفضل والرحمة **خير مما يجمعون** اي من حطام الدنيا وان كان اشرف ما فيها من المتاع دابين
فيه على تعاقب الاوقات والعاقل يختار لتعبه الافضل والفضل الزيادة في النعمة
والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى ولما وصف القران العظيم بالشفا وما معه المقتضي لاستقامة

لاستقامة المناهج وسداد الشرايع ووضوح المذاهب واشار الى ان العاقل ينبغي له ان يخصه بالعزم
لبقاء اثاره ولا يدعوا اليه وزهد بما يجمعون لفنائه ولانه يدعوا الى رذايل الاخلاق فيحط من
المعالي اشار الى انهم كما خبطوا في النوع خصوه بما يفني معرضين عما يبقى كذلك خبطوا في طريق الجمع
فوزعوها على انفسهم بان حرموا بعض ما احله فمنعوا انفسهم ما هم به فرحون دون امر من الله تعالى
فنقصوا انفسهم حظهم في الدنيا فهذا المنع وفي الاخرة بكذبهم على ربهم في تحريمه حيث جعلوه شرعا مرضيا
وهو في غاية الفساد والبعد عن الصواب والقصود عن مراقي السداد فقال تعالى قل اي لهولاء الذين يستهزءون
بك استهزا قاضيا عليهم بانهم لا عقول لهم مستهزيا بهم وموبخا لهم توبيخا هو في احكم مواضعه وسايقه
على طريق السؤال لحيث انهم لا يقدرون على الجواب اصلا بغير الاقرار بالافترا فقال ارايتم اي اخبروني
وعبر عن الخلق بالانزال تنبيها على انه شي لا يمكن ادعاوه لا صنامكم لنزول اسبابه من موضع لا تعلق
لهم به بوجه فقال ما انزل الله اي الذي له صفات الكمال التي منها الغنا المطلق لكم اي خاصا بكم من رزق
اي اي رزق كان فجعلتم منه اي ذلك الرزق الذي خصكم به حراما وحلالا على النحو الذي تقدم في الانعام
وغيرها فقرر وبيان فساده على انه مبني على الفساد ظاهر الموضوع ثم ابتدا امرا اخر تاكيدا للانكار عليهم فقال
قل اي من اذن لكم في ذلك الله اي الملك الاعلا اذن لكم فتوضحوا المستند به ام لم ياذن لكم فيناه
مع نسبتكم اياه اليه لانكم تفصلونه الى حرام وحلال ولا محلل ومحرم الا الله فانتم على الله اي المحيط بكل شي
عظمة وعلما تفترون مع نسبتكم الافترا الى محمد هذا القران الذي اعجز الافكار والشرايع الذي كسر العقول
وادعايكم انكم ابعد الناس عن مطلق الكذب واطهرهم ذيولا منه وتقديم الجار للاشارة الى زيادة التشنيع
عليهم من حيث انهم اشد الناس تبروا من الكذب وقد خصوا الله بتقديرا التسليم لهم بانه تعدوا الكذب
عليه ولما كان قد يفضي من ادلة المعاد ما صيره كالشمس وكان افتراوهم قد ثبت بعدم قدرتهم على مستند
باذن الله لهم في ذلك قال مشيرا الى ان القيامة مما هو معلوم لا يسوغ انكاره وما ظن الذين يفترون
اي يتعمدون على الله اي الملك الاعظم الكذب انه نازل بهم يوم القيمة اي ءيعلم انكم تستضعوا منه ولم تخافوا عواقبه
في الدنيا فانتم تظنون انه يكون ذلك اليوم اتظنون انه لا يحاسبكم فتكون حينئذ انه قد فعل ما لا يفعله
رب مع مربوبه ولما كان تعالى يعاملهم بالحلم وهم يتمادون في هذا الفسوق قال ان الله اي الذي له
الكمال كله لذو فضل اي عظيم على الناس اي بنعم منها انزال الكتب مفصلا لهم ما يرضاه وما يسخطه وارسال
الرسل عليهم السلام لبيانها بما تحتمله عقول الخلق منها ومنها طول اجمالهم على سوء اجمالهم فكان شكره
واجبا عليهم ولكن اكثرهم اي الناس لاضطراب مناظرهم لا يشكرون اي لا يتجدد منهم شكر فهم لا يتبعون رسله
ولا كتبه فهم يخبطون خبط عشوا فيفعلون ما يغضبه سبحانه والتحريم عقد معنى النهي عن الفعل والتحليل
حل معنى النهي بالاذن والشكر حق يجب بالنعمة من الاعتراف بها والقيام بما تدعوا اليه على قدرها وافترا الكذب
تزويره وتنميقه ثم لما فرغ من مطلق الكذب ولما وصف القران بما وصفه به من الشفا وما معه بعد اقامة
الدليل على اعجازه واشار الى ان ما قد ينوابه في غاية الخبط وانه مع كونه كذبا بعتقد كل احد على تغييره
باحسن منه لكونه غير مبني على الحكمة وختم ذلك بتهديدهم على افترا الكذب في شرع ما لم ياذن به مع ادعايهم
ان القران مفترى وهم عاجزون عن معارضته وبانهم لم يشكروه على نعمه التي اجلها تخصيصهم بهذا الذكر
الحكيم والشرع القويم وكان قد اكثر في ذلك كله من الامر له صلى الله عليه وسلم بمحاجتهم قل لا املك لنفسي
قل ارايتم ان اتاكم عذابه قل اي وربي انه لحق قل بفضل الله الاية قل ارايتم ما انزل الله لكم قل الله
اذن لكم قال تعالى ناظرا الى قوله وما كان هذا القران ان يفترى الاية تسلية له صلى الله عليه وسلم
وتقوية لهمته وزيادة في تهديدهم عطفا على ما تقديره فقد انزلت اليهم على لسانك ما هو شرف لهم
ونعمة عليهم وهو في غاية البعد عن مطلق الكذب فان كل شي منه في احكم مواضعه واحسنها لا يتطرق
اليه الباطل بوجه وهم يقابلون نعمته بالكفر وما تكون انت في شان اي اي شي كان وما تتلوا منه اي من
القران المحدث عنه في جميع هذه السورة الذي تقدم انهم كذبوا به من غير شبهة لهم من قران اي قليل
او كثير ولا تعملون اي كلكم خاليكم وعاصيكم واغرق في النفي فقال من عمل اصغيرا او كبيرا الا كنا اي بما لنا
من العظمة عليكم شهودا اي عالمين باحاطة علمنا وكالة جنودنا الحملة الشاهدة اذ تفيضون فيه الاية ايذانا
بانك تعيني في جميع هذه المراجعات وغيرها من شؤونك وانا العالم بما يريدك والقادر على نصرك
وهي كلها من كتابي الذي تتقاصر القوى دونه وتقف الافكار عن مجازاته لانه حكيم لكونه من عندي
يجل عن مطلق المعارضة لفظا ومعنى فضلا عن التغيير فضلا عن الاتيان بما هو مثله فكيف بما هو احسن

بما هو احسن منه لاستقامة امره وتناسب احكامه وكونها شفا وهدى وما كان كذلك فهو من عندي قطعا
وبالذي جزما لاني عالم بالافاضة فيه والانفصال عنه وجميع الامور الواقعة منك ومنهم ومن غيرهم ولما
كان ربما ظن ظان من انهام كنا وشهود الجنود انه سبحانه يحتاج اليهم نفي ذلك بقوله وما اي والحال انه
ما يعزب اي يغيب ويخفى عن ربك المربي لكل مخلوق بعام افضاله وللاخلاص نعمه واشرف نواله واعرف
في النفي فقال من مثقال ذرة اي وزن نملة صغيرة جدا وموضع وزلفا وزمانه ولما كان في شوون اهل
الارض كان تقديمها اولى فقال في الارض ولما لم يدع السياق الى الجمع كما سياتي في سبا قال اكتفا بالمزداد الدال
على الجنس ولا في السما اي ما علا عن الارض كاينا ما كان ولما كان ربما ادى الجمود ببعض الاغبيا الى ان
يحمل المثقال على حقيقته ويجهل ان المراد به المبالغة قال عاطفا على الجملة من اولها وهو على الابتدا سوا
رفعنا الرائين على قراءة حمزة ويعقوب ونصبنا هما عند الباقين ولا اصغر من ذلك اي من مثقال الذرة
ولا اكبر ولما اتى لهذا الابتدا الشامل الحاصر اخبر عنه بقوله الا اي لا شي من ذلك الا موجود في كتاب مبين
اي جامع مبين اي ظاهر في نفسه مظهر لكل ما فيه وسياتي في سبا ما يتم به هذا المكان وفي ذلك تهديد لهم
وتثبيت له صلى الله عليه وسلم ولاح بهذا ان ما بعد الا حال من الفاعل اي ما تفعل شيا الا وانت باعيننا فثبت
ان القران بعلمه فلو افتراه احد عليه لا مكن منه ولا فاضة الدخول في العمل على وجه الانصباب اليه
وهو الانبساط في العمل اضدادا من ضعف لانا اذا لم نضبط ما فيه من جوانبه وافضتم تفرقتم كتفرق الماء
الذي ينصب عن الاناء والعزوب انصبابا فيه ذهاب المعنى عن العلم وضده الحضور والذرة صغار النمل
وهو خفيف الوزن جدا ولما تقدم انه سبحانه شامل العلم وعلم من وضع احوال الا الا نسع ومن لا نشع بمجرد
اسماكم الارض في كتاب مبين اي بما كشف منه وجد من غيرها خفا ولا احتياج الى تفتيش انه كامل القدرة
بعد ان تقدم الغفور فعلما انه صادق في امره ومعين عليه وانه متفضل على الناس لعدم المعاجلة والتاخير
الى القيامة وخوف المفترى عواقب امره عاجلا واجلا ورجا المطيع كان موضع ان يقال ليت شعري ما ذا
يكون تفضيل حال الفريقين في الدارين على الجزم فاجيب بان الاوليا فايزون والاعدا ها لكون ليتشمر كل
مطيع عن ساعد جده ويبذل غاية جهده في لحاق المخلصين وتجانب جانب المفترين بقوله تعالى موكدا
لاعتقادهم انهم يهلكون حزب الله وانكارهم غاية الانكار ان يغوتوهم الا ان اوليا الله اي الذين يتولون
بالطاعة من لا شي اعز منه ولا اعظم ويتولاهم لا خوف اي ثابت عال عليهم اي من شي يستقبلهم ولا هم
اي بعضهما يرتهم يحزنون اي يتجدد لهم حزن على فايت لان قلوبهم معلقة بالله سبحانه فلا يوثر فيهم خوف لذلك
ولا حزن اثرا يقطع قلوبهم كما يعرض للكفرة ثم فسرهم بقوله الذين امنوا اي اوجدوا هذا الوصف المصحح للاعمال
وبه كمال القوة العلمية وكانوا اي كونا صار لهم جبلة وخلقا يتقون اي يوجدون التقوى هي كمال القوة العملية
في الايمان والاعمال ويجددونها فانه لا يتقدر احد ان يؤدي الله حق قدره وانتهى الجواب بقوله ان الذين
يفترون على الله الكذب الاية وهذا الذي فسرهم به الاوليا لا مزيد على حسنه وعن علي رضي الله عنه هم قوم
صفر الوجوه من السهر عمش العيون من العبر خمص البطون من الخوى وقيل الولي من لا يراي ولا ينافق وما اقل
صديق من هذا خلقه وصح عن الامامين ابي حنيفة والشافعي كما نقل ذلك عنهما الشيخ محي الدين النووي في مقدمة
شرح المهذب والتبيان ان كلا منهما قال ان لم يكن العلما اوليا الله فليس لله ولي وهذا في العالم العامل بعلمه كما بينته
عنه قوله تعالى في سورة الزمر قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولما نفي عنهم الخوف والحزن
زادهم فقال مبينا لتوليته له بعد ان شرح توليهم له لهم اي خاصة البشرى اي الكاملة في الحياة الدنيا
اي بان دينهم يظهر وحالهم يشهد وعد وهم يخذل وعمله لا يتقبل وبالرويا الصالحة وفي الاخرة بانهم هم السعدا
واعدا وهم الاشقيا وتتلقاهم الملايكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ولما كان الغالب على احوال اهل الله في
الدنيا الضيق ولا سيما في اول الاسلام كان السامع لذلك الامر جديرا ان يقول يا ليت شعري هل يتم هذا البشر ود
نقيل نعم واكد بنفي الجنس لان الجبابرة ينكرون ذلك لهم لما يرون من ان عزمهم من وراء ذل لمن فيه ما لباطل
المنكر من التسوية والارجاف والمقولة لا تبديل اي بوجه من الوجوه لكلمات الله اي الملك الاعلا الذي
له الاحاطة بكل شي علما وقدرة وقوله ذلك اي الامر العالي الرتبة هو اي خاصة الفوز العظيم في موضع البيان
والكشف لمضمون هذه السورة والخوف انزعاج القلب بما يتوقع من المكروه ونظيره الجزع والفزع ونقيضه
الامن والحزن انزعاجه وغلظ همه بما وقع من المكروه من الحزن للارض الغليظة ونقيضه السرور وهما يتعاقبان
على حال الحي الذاكر للمحبوب والبشرى الخبر الاول بما يظهر سروره في بشرة الوجه ولما تقدمت البشرى بنفي الخوف والحزن
نفيا عن الاوليا علم ان المعنى بهذه البشرى لك ولهم وانت راسهم فلا تخف فعطف عليه قوله ولا يحزنك قولهم

اي في نحو قولهم انهم يغلبون وفي تكذيبك والاستهزاء بك وتهديدك فان ذلك لا قول يراد به تبديل كلمات الله
الغني القدير وهيهات ذلك من الضعيف العقير فكيف بالعلي الكبير ولما ارشد التعليل لهذا
النهي بقوله ان العزة العلية والقهر تمام العظمة لله اي الملك الاعلى حال كونها جميعا اي فسيعزك هو
ويعز دينه والمراد بذلك التسلية عن قولهم الذي يؤذي وكأنه به ولما بديت الاية بقولهم ختمها بالسمع
له والعلم به وقصرهما عليه لان صفات كل موصوف متلاشية بالنسبة الى صفاته تعالى فقال هو اي وحده
السميع اي البليغ السمع لاقوالهم العليم المحيط العلم بضمائرهم وجميع احوالهم فهو البالغ القدرة على كل
شي فيجازيهم بما يقتضيه وهو تعليل للتفرد بالعزة لانه تفرد بهذين الوصفين فانتفيا عن غيره ومن
انتفيا عنه كان دون الحيوانات العجم فانى تكون له عزة والعزة قدرة على كل جبار بما لا يرام والانضاع
والمعنى انه يعزك على من ناواك والنهي في ولا يحزنك في اللفظ للقول وفي المعنى للسبب المودي الى التاذي
بالقول وكسرت ههنا للاستيناف بالتذكير بما ينفي الحزن لا لانها بعد القول لانها ليست حكاية عنهم ولو
فتحها على معنى لان ولما ختمت لعموم سمعه وعلمه بعد قصر العزة عليه كان كانه قيل ان العزة لا تتم الا والقدرة
ثابتة اختصاصه بالملك الذي لا يكون الا لها فقال موكدا لما يستلزمه اشراكهم من الانكار لمضمون هذا الكلام
الا ان لله اي الذي له الاحاطة الكاملة ولما كان بعض الناس قد اشركوا بعض النجوم جمع تعالى معبرا باداة
العقلاء نصا لتحا بما افهمه التعبير سابقا باداة غيرهم من في السموات اي كلها وابتدائها لان ملكها يدل
على ملك الارض بطريق الاولى ثم صرح لمعاني قوله موكدا لما تقدم ومن في الارض اي كلهم عبيده ملوكهم ومن
دونهم نافذ فيهم تصرفه منقادون لما يريده وهو ايضا تعليل ثان لقوله ولا يحزنك قولهم او للتفرد
بالعزة وعبر بمن التي للعقلاء والمراد كل ما في الكون لان السياق لنفي العزة عن غيره والعقلاء بها
اجدر فنفيها عنهم نفي عن غيرهم بطريق الاولى ثم غلبوا لشرفهم على غيرهم وكذا اطلق ما التي هي لغيرهم في
سياق هو لغيرهم لانها احق ثم براد لها العموم تغليبا للاكثر الذي لا يعقل على الاقل ثم نفى ان يكون له شريك
يشركه بقوله عاطفا على ما تقديره فما له شريك مما ادعاه المشركون منها او من احدهما وما يتبع اي بغاية
الجهد الذين يدعون اي على سبيل العبادة من دون الله اي الذي له العظمة كلها شركا على الحقيقة ويجوز
ان تكون ما موصولة تحقيرا للشركا بالتعبير باداة ما لا يعقل ومعطوفه على من ان اي ما يتبعون في ذلك
الذي هو اصل اصول الدين بحيث فيه القطع وهو دعاوهم لهم شركا الا الظن اي الخطا على انه لو كانوا موافقا
كانوا مخطئين فيه حيث تبعوا في الاصل بالظن ثم نبه على الخطا بقوله وان اي وما هم الا يخرصون اي يحزرون
ذلك ويقولون ما لا حقيقة له اصلا والاتباع طلب اللحاق بالاول على تصرف الحال فهو لا اتبعوا الداعي الى
عبادة الوثن وتصرفوا معه فيما دعا اليه وظنهم في عبادتها انما هو بشبهه ضعيفه كقصد زيادة التعظيم
لله وتعظيم تقليد الاسلاف ويجوز ان يكون شركا مفعولا نازعه يتبع ويدعون ثم اثبت سبحانه اختصاصه
بشي جامع للعلم والقدرة تاكيدا لاختصاصه بالعزة وتفرده بالوحدانية وان من اشرك به خارس لا علم
له بوجه لكثرة الدلائل على وحدانيته ووضوحها فقال هو اي وحده الذي جعل اي بسبب دوران
الافلاك التي اتقنه لكم اي نعمة منه الليل اي مظلما لتسكنوا فيه راحة لكم ودلالة على قدرته
سبحانه على الايجاد والاعدام وانشا للحين لربكم والنهار واعار السبب وصرف المسبب فقال مبصرا
اي لتنتشروا فيه فحذف وصف الليل وذكرت علته عكس ما فعل بالنهار دليل ثابت على ما حذف فالاية من الاحتباك
ولما كانت هذه الايات من الظهور بحيث لا يحتاج الى اكثر من سماعها قال ان في ذلك اي الامر العظيم لايات
لقوم اي لهم قوة المحاولة على ما يريدونه يسمعون اي لهم سمع صحيح وفي ذلك ادلة واضحة على انه مختص
بالعزة فلا شريك له لان الشريك لا بد وان يقاسم شريكه شيا من الافعال او الاحوال او الملك واما عند
انتفا جميع ذلك فانتفا الشركة اوضح من ان يحتاج فيه الى دليل ويجوز ان يكون المعنى لايات لقوم يبصرون
ابصار اعتبار ويسمعون سماع تامل وادكار ولكنه حذف يبصرون لدلالة مبصرا عليه ويزيد ذلك حسنا كون
السياق لنفي الشركا فهو اشارة الى انها لا تسمع ولا تبصر اصلا فكيف بالاعتبار ورد الانكار لمن عبد وهم اكمل
حالا منهم ولما لم يكن شبهة على ادعا الولد لله سبحانه ولا وهم اطلاع عليه بوجه ساق قوله قالوا اتخذ اي تكلف
الاخذ بالتسبب على ما نعهد الله اي المسمى بهذا الاسم الذي يقتضي تسميته به ان يكون له الكمال كله فلا يكون
محتاجا الى شي بوجه ولدا مساق البيان لقوله ان يتبعون الا الظن وهذا اصلح لان يكون تعجيبا ممن ادعى في
الملائكة او عزيرا او المسيح او غيرهم ولما عجب منهم في ذلك لمنافاته لما يدل عليه من النقص لما ثبت لله تعالى
من الكمال كما ترى نزه نفسه الشريفة عنه فقال سبحانه اي تنزه عن كل شائبة نقص التنزه كله ثم علل تنزهه

تنزهه او بينه بقوله هو اي وحده الغني اي عن الولد وغيره لانه فرد منزه عن الابعاض والاجزاء والمجانسة
ثم بين غناه بقوله له ما في السموات ولما كان سياق الاستدلال يقتضي التاكيد اعاد ما فقال وما في الارض
من صامت وناطق فهو غني بملك ذلك عن ان يكون شي منه ولدا له لان الولد لا يملك وعدم ملكه نقص مناف للغنا
ولعله عبر بما لان الغنا محط نظره الصامت مع شمولها للناطق ولما بين بالبرهان القاطع والدليل الباهر
الساطع امتناع ان يكون له بذلك نوع حجة فقال ان اي ما عندكم واغرق في النفي فقال من سلطان اي حجة
بهذا اي الاتخاذ وسميت الحجة سلطانا لاعتلاء يد المتمسك بها ثم زادهم تبكيتا بالانكار عليهم بقوله اتقولون
اي على سبيل التكرير على الله اي الملك الاعظم على سبيل الاستعلاء ما لا تعلمون لان ما لا برهان عليه في الاصول نوع
جهل فكيف بما قام الدليل على خلافه والسلطان البرهان القاطع لانه يتسلط به على صحة الامر ويقهر
به الخصم واصله القاهر للرعية بعقد الولاية ولما تقدم ان قولهم كذب وبكتهم عليه بمواجهة اتبعه
بما يشير الى انهم اهل الاعراض في سياق تهدد على الكذب فقال معرضا عن خطابهم مولدا لان اجتراهم على
ذلك دال على التكذيب بالمواخذة عليه قل اي للذين ادعوا الولد لله وحرموا ما رزقهم من السائبة ونحوها
ان الذين يفترون اي يتعمدون على الله اي الملك الاعلى الكذب لا يفلحون ثم بين عدم الفلاح بقوله متاع
اي لهم ونكره اشارة الى قلته كما قال في الاية الاخرى متاع قليل واكد ذلك بقوله في الدنيا اي لانها دار ارتحال
وما كان الى زوال وتلاش واضمحلال كان قليلا وان تباعد امده وتباعدت وتطاولت مدده وجل مدده
وزاد على الحصر عدده وبين حالهم بعد النقلة بقوله ثم اي بعد ذلك الابلا لهم وان طال الينا اي على ما لنا
من العظمة لا الى غيرنا مرجعهم بالموت فنذيقهم عذابا شديدا لكنه دون عذاب الاخرة ثم نذيقهم يوم القيمة
العذاب الشديد بما اي بسبب ما كانوا اي كونا هو جبلة لهم يفترون ووجب كسر ان بعد القول لانها لانه
حكاية عما يستانف الاخبار به كما فعل في لام الابتدا لذلك ولما تقدم سوالهم الاتيان بما يقترحون من الايات
ومضت الاشارة الى ان تسييرهم في الفلك من اعظم الايات وان كانوا لا يفهمون له قد نسوا له وتناسبت الايات
كما سلف الى ان مر هنا ان متاع المفتري للكذب قليل خوفهم من شديد السطوة وعظيم الاخذ عقب ذلك
بقصة قوم نوح عليه السلام لانهم كانوا اطول الامم الظالمة مدة واكثرهم عدة ثم اخذوا اشد اخذ فزالت اثارهم
وانطمست اعلامهم ومنارهم فصاروا كانهم لم يكونوا اصلا واظهروا قولا ولا فعلا فقال تعالى عاطفا على قوله
قل ان الذين تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم لان المصيبة اذا عمت خفت وتخويفا للكفار
ليرجعوا او يخفوا من اذاهم واتل اي اقرأ قراة متتابعة مستعلية عليهم نبا نوح اي خبره العظيم مذكرا
باول كون الفلك وانه كان اذ ذاك اية غريبة خارقة للعادة عجيبة وان قوم نوح لم ينفعهم ذلك ولا اغنى
عنهم افتراوهم وعنادهم مع تطاول الامد وتباعد المدد بل صار امرهم الى زوال واخذ عنيف ونكال كان
لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم مع نجاة رسولهم وخيبة مأمولهم وقد لبث فيهم ما لم
يلبثه نبي في قومه ولا رسول في امته الف سنة الا خمسين عاما وما امن معه الا قليل اذ قال لقومه
اي بعد ان دعاهم الى الله فطال دعاوه لهم وشقوا في الدنيا كثيرا واملى لهم طويلا فما زادهم ذلك الا نفورا
يا قوم اي يا من يعز علي خلافهم ويشق علي ما يسوءهم ليهنا ويهم حتى دعاهم مع قوتهم على الطاعة ان كان كبر
اي شق وعظم مشقة صارت كالجبلة عليكم ولما كانت عادة الوعاظ والخطبا ان يكونوا حال الخطبة
واقفين قال مقامي اي قيامي ولعله خص هذا المصدر لصلاحيته لوضع القيام وزمانه فيكون الاخبار
بكراهته لاجل ما وقع فيه من القيام ادل على كراهة القيام وتذكيري بآيات الله اي الذي له
الجلال والاكرام فان ذلك لا يصدني عن تجاهري بما يكبر عليكم من ذلك خوفا منكم لان الله امرني به وانا اخاف
عذابه ان تركت ولا ابالي بكراهتكم لذلك خوف عاقبة قصدكم لي بالاذى فعلى اي فاني على الله اي الذي له
العزة كلها وحده توكلت فانا مدد لك مقام الجزاء من اطلاق السبب الذي هو التوكل على المسبب الذي هو
انتفا الخوف مجازا مرسلا اعلاما لهم بعظمة الله وحقارتهم بسبب انهم اعرضوا عن الايات فهم لم يرونها
بما دل عليه التعبير بالتذكير فدل ذلك على عنادهم بالباطل والمبطل لا يخشى امره لان الباطل لا ثبات له
ودل على ذلك بقوله فاجمعوا امركم اي في اذاي بالاهلاك وغيره اعرضوا عليه داووه واجزموا به والواو
بمعنى مع في قوله وشركاكم ليدل على انه لا يخافهم وان كان شركاؤهم احيا كايس من كانوا وكانت كلمتهم واحدة
لا فرقة فيها بوجه ولما كان الذي يستبد بالامور بما يعوقه لبعض المقاصد لاستتار الاستتار اخبرهم انه لا يمانع
سوا ابدوا او اخفوا فقال ثم لا يكن اي بعد التاني وطول زمان المجاورة في المشاورة امركم اي الذي
تقصدونه بي عليكم غمة اي خفيا يستتر عليكم شي منه بسبب لذلك عن لذلك اسعي في معارضتكم فلا تفعلوا ذلك

ذلك بل جاهروني به مجاهرة فانه لا معارضة لي لغير الله الذي يستوي عنده السر والعلن والتعبير بثم اشارة الى التاني واتقان الامر للامان من معارضته بشيء من حول منه او قوة ثم اقضوا ما تريدونه اي بتوه بت المقضي به وامضوه الي ولما كان ذلك ظاهرا في الانجاز ليس صريحا صرح به في قوله ولا تنظرون اي ساعة ما وكل ذلك لاظهار قلة المبالاة بهم للاعتماد على الله لانه لا يعجزه شيء ومعبوداتهم لا تغني شيئا ثم سبب عن ذلك قوله فان توليتم اي كلفتم انفسكم الاعراض عن الحق بعد عجزكم عن اهلاكي ولم ينفعكم علمكم بان الذي منعني وانا وحدي منكم وانتم ملاء الارض له العزة جميعا واني من اوليائه الذين تقدم وعده الصادق بانه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فما اي فلم يكن توليكم عن تفريط مني لاني سقت الامر على ما يجب ما سألتكم اي ساعة من الدهر واغرق في النفي فقال من اجر اي على دعائي لكم يفوتني بتوليكم ولا تتهمونني به في دعائكم ولما كان من المحال ان يفعل عاقل شيئا لا لغرض بين غرضه بقوله مستأنفا ان اي ما اجري الا على الله اي الذي له صفات الكمال ثم عطف عليه غرضا اخر هو اتباع الامر خوفا من حصول ضر فقال وامرت اي من الملك الاعلى الذي لا امر لغيره وبناه للمفعول للعلم بانه هو الامر لمزيد في الترغيب في المامور به وتعظيمه بجعله عمدة الكلام مرفوعا منه مقام الفاعل فقال ان اكون اي كونا يتخلق به فلا انفك عنه ولما كان في مقام الاعتذار عن مفاجاته لهم بالانذار عبر بالاسلام الذي هو الانحلال الظاهر فقال من المسلمين اي الراسخين في صفة الانقياد بغاية الاخلاص لما دعاهم وعلى ما عليهم انا وهم في الاسلام سواء لا مزية لي فيه الا انهم نهاهم فان استسلم لكل ما يصيبني في الله لا يردني ذلك عن انقياد امره والحاصل انهم لم يكن بدعائه اياهم في موضع تهمة لا سالهم عرضا دنيويا يزيده ان اقبلوا ولا ينقصه ان ادبروا ولا اتى بشيء من عند نفسه ليحطوا انه اخطأ فيه ولا سلك به مسلكا يظن به استبعاده اياهم في اتباعه بل علمهم بانه اول مؤمن بما امرهم به مستسلم لما دعاهم اليه ولكل ما يصيبه في الله ولما لم يردهم كل هذا عن غيهم سبب عنه قوله مخبرا بتماديهم فكذبوه اي ولم يزدهم شيء من هذه البراهين الساطعة والدلائل القاطعة الا ادبارا او كانوا في اخر المدة على مثل ما كانوا عليه من التكذيب فنجيناه اي تنجية عظيمة بما لنا من العظمة الباهرة بسبب امتثاله لاوامرنا وصدق اعتماده علينا ومن معه اي من العقلاء وغيرهم في الفلك كما وعدنا اولياءنا وجعلنا ذلك اية للعالمين وجعلناهم اي على ضعفهم بما لنا من العظمة خلائف اي في الارض بعد من اغرقناهم ممن نفعل في الطاعة فعلهم كان جديرا بان يجازيك بما جازيناهم واغرقنا اي بما لنا من كمال العزة الذين كذبوا باياتنا اي مستخفين مستهزئين باياتنا كما توعدنا الذين يفترون على الله الكذب ولما كان هذا امرا باهرا يتعظ به من له بصيرة سبب عنه امرا على الخلق فهما بنظره اشارة الى انه لا يعتبر به حق الاعتبار غيره فقال فانظر واشار الى انه اهل لان يبحث عن شانه باداة الاستفهام وزاد الامر عظمة بذكر الكون فقال كيف كان اي كونا كان كانه جبلة عاقبة اي اخر امر المنذرين اي العريقين في هذا الوصف وهم الذين انذرتهم الرسل فلم يكونوا اهلا للبشارة لانهم لم يؤمنوا ليعلم ان من ينذرهم لذلك لا ينفع من اردنا شقاوته منهم اتيان الاية ولا انصاح الحجة والتوكل تفويض الامر الى من يدبره للتقدير في تدبيره والغمة ضيق الامر الذي يوجب الحزن والتولي الذهاب عن الشيء والاجر النفع المستحق بالعمل والاسلام الاستسلام لامر الله وطاعته بانها خير ما يكتسبه العباد ولما لم يكن في قصص من بينه وبين موسى عليهما السلام مما يناسب مقصود هذه السورة الا ما شاركوا فيه قوم نوح عليه السلام من انهم لم تنفع الايات من اريدت شقاوته منهم ذكره سبحانه طاويا لما عداه فقال تعالى ثم اي بعد مدة طويلة بعثنا اي نوح عليه السلام من بعده رسلا كهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام ولما كان ربما ظن ان قوم الانبياء لا يكذبونه وان كذبوه لم يتمادوا على التكذيب لا سيما ان اتاهم بما يقترحونه من الخوارق قال رسلا الى قومهم اي فجاء قومهم بالتكذيب فجاءوهم اي فتسبب عن ارسالنا اياهم الى عظمتنا ان جاءوهم بالبينات ليزول تكذيبهم فيؤمنوا فما اي فتسبب عن ذلك انهم ما امروا به وتمت دلالته وهو انهم ما كانوا اي بوجه من وجوه الكون ليؤمنوا اي معترفين بما كذبوا اي مستهينين به اول ما جاءهم ولما كان تكذيبهم في بعض الزمن الماضي ادخل الجار فقال من قبل اي قبل مجيء البينات لانا طبعنا على قلوبهم قال ابو حيان وجاء النفي مصحوبا بلام الجحود ليدل على ان ايمانهم في حيز الاستحالة والامتناع انتهى ويجوز ان يكون المقدر من قبل مجيء الرسل اليهم ويكون التكذيب اسند اليهم لان اباهم كذبوا لما بدلوا ما كان عندهم

عندهم من الدين الصحيح الذي اتاهم به الرسل ورضوا اباهم بما احدث اباؤهم استحسانا له اولا لانهم كان بين ظهرهم بقايا على بقايا مما شرعته الرسل فكانوا يعظونهم فيما يبتدعون ولا يعون ولا يسمعون كما كان قس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لكن المعنى الاول اولى ولما افرد عدم انتفاعهم بالايات بني ما بعده على سؤال من لعله يقول هل استمر هذا الخلق فيمن بعدهم فكانه قيل نعم كذلك اي مثل ما طبعنا على قلوبهم هذا الطبع العظيم نطبع اي نوجد الطبع ونجدده متى شئنا بما لنا من العظمة على قلوب المعتدين في كل زمن لكل من تعمد العدو وما الاجل له وهذا كما اتى موسى عليه السلام الى فرعون فدعاه الى الله فكذبه فاخبره ان معه اية تصدقه فقال له ان كنت جئت باية فأت بها ان كنت من الصادقين فلما اتاه بها استمر على تكذيبه وكان كلما رأى اية ازداد تكذيبا وكان فرعون قد قوي ملكه وعظم سلطانه وعلا في كبريائه وطال تجبره على الضعفاء فطمست امواله واثاره وبغتت احاديثه واخباره ولهذا افصح سبحانه بقصته فقال دالا على الطبع ثم بعثنا اي وبعد زمن طويل من اهلاكنا اياهم بعثنا ولعدم استغراق زمن البعد ادخل الجار فقال من بعدهم اي بعد اولئك الرسل موسى ولذا بعثنا هرون تأييدا له لان اتفاق اثنين لما تعتوره انه اوكد لما يذكرانه ولما استقر في الاذهان بما مضى ان ديدن الامم تكذيب من هو منهم حسدا له ونفاسة عليه كان ربما ظن ان الرسول صلى الله عليه وسلم لو اتى غير قومه كان الامر على غير ذلك فبين ان الحال واحد في القريب والغريب فقال مقدما لقومه الى فرعون وملائه اي الاشراف من قومه فان الاطراف تبع لهم باياتنا اي التي لا تكتنه عظمتها لنسبتها الينا فطبعنا على قلوبهم فاستكبروا اي طلبوا الكبر على قبول الايات واوجدوا ما يدل عليه من الرد بسبب ابتعاثهم اليهم وعقب ذلك وكانوا اي جبلة وطبعا قوما مجرمين اي طبعهم قطع ما ينبغي وصله ووصل ما ينبغي قطعه فلذلك اجترؤوا على الاستكبار مع ما فيها ايضا من شديد المناسبة لما تقدم من قول الكافرين هذا لسحر مبين في نسبة موسى عليه السلام اليه وبيان حقيقة السحر في زواله وخيبة متعاطيه لافساده الى غير ذلك من الاسرار التي تدق عن الافكار هذا الى ما فيه اليه من مناسبة ما بين اهلاك القبط وقوم نوح بآية الغرق وانه لم ينفع احدا من الفريقين معاينة الايات ومشاهدة الدلالات البينات بل ما امن لموسى عليه السلام الا ذرية من قومه بعد تلك المعجزات الباهرة والبراهين الظاهرة ثم اتبعهم فرعون بعد ان كانت انحلت عن حبسهم عراه وتلاشت من تجبره قواه وشاهد من الضربات ما يهد الجبال ودخل في طلبهم البحر بجراءة لا تقرب ساحتها الابطال لما قدره عليه ذو الجلال ولم يؤمن حتى اتاه الباس حيث يفوت الايمان بالغيب الذي هو شرط الايمان فلم ينفعه ايمانه مع اجتهاده فيه وتكريره لفوات شرطه اجابة لدعوة موسى عليه السلام ثم ان بني اسرائيل كانوا قبل مجيء موسى عليه السلام على منهاج واحد فما اختلفوا الا بعد مجيء العلم اليهم وبيان الطريق واتضاح الحكم والمراد ذكر هرون عليه السلام لان من اعظم مقاصد السورة المنع من طلب الايات لمن يعد الايمان عند الاتيان بها اشارة الى ان القول من الاثنين اولى ومع ذلك فلم يصدق من حكم القدير بشقاوته كل ذلك حثا على الرضا والتسليم وكل الامر الى الرب الحكيم فيهما امر به فعل وما اعرض عنه ترك السؤال فيه رجاء تدبيره باحسن التدبير وتقديره الطف المقادير ولما اخبر سبحانه باستكبارهم بين انه تسبب عنه طعنهم في معجزاته من غير تامل بل بغاية المبادرة والاسراع بما اشعرت به الفاء والسياق فقال تعالى فلما جاءهم اي فرعون وملأه الحق اي البالغ في الحقية ثم زاد في عظمته بقوله من عندنا اي على ما لنا من العظمة التي عرفوا بها انه منا لا من الرسولين قالوا اي غير متأملين له ولا ناظرين في امره بل عنادا ودلالة على استكبارهم مؤكدين لما علموا من تصديق الناس به ان هذا لسحر مبين كما قال الناس الذين اخبر عنهم سبحانه في اول السورة في هذا القران وما اتاه من البعث فما قالوا ذلك كانه قيل فماذا اجابهم فاخبر انه انكر عليهم بقوله قال موسى ولما كان تكريرهم لذلك القول جديرا بالانكار عبر بالمضارع الدال على انهم كرروا ليتبعهم اما بعث في قلوب الناس من عظمته اتقولون للحق ونبه على انهم بادروا الى التكذيب من غير نظر ولا توقف بقوله لما جاءكم اي هذا القول الذي قلتموه وهو انه سحر ولا حذف فان القول يطلق على المقول وتعرف فلانا قال في فلان يعني ذمه وفلان يخاف القالة وبين الناس تقاول ثم كرر الانكار بقوله اسحر هذا اي الذي هو في غاية الثبات والمخالفة للسحر في جميع الصفات حتى تقولون فيه ذلك فالاية من الاحتباك ذكر القول في الاول دال على حذف مثله في الثاني وذكر السحر في الثاني دال على حذف مثله في الاول ولما كان التقدير اتقولون هذا والحال انكم قد رأيتم فلاحه بني عليه قوله ولا يفلح اي يظفر بما يريد في وقت من الاوقات الساحرون اي العريقون في السحر لان حاصل امرهم تخييل

وتمويه في الاباطيل فالظفر بعيد عنهم ويجوز ان يجعل هذه الجملة معطوفة على قولوا اسحر هذا لا انه انكار
بمعنى النفي فلما انكر عليهم عليه السلام بما ظهر به الفرق الجلي بين ما اتى به في كونه اثبت الاشيا وبين
السحر لانه لا ثبات له اصلا عدلوا عن جوابه الى الاخبار بما يتضمن انهم لا يقرون بحقيته لانه يلزم على ذلك
ترك ما هم عليه من العلو وهم لا يتركونه واوهموا الضعفا ان مراده عليه السلام الا الاستكبار مسلطين لاستكبار دهم
عن اتباعه بما دل على انهم لا ايمان لهم منه الا اذا ذكر فقال تعالى حكاية عنهم قالوا اي مشكوين عليه معللين
بامرين التقليد والحرص على الرياسة ولما كان هو الاصل في الرسالة وكان اخوه له تبعا وحد الضمير
فقالوا اجئتنا اي انت يا موسى لتلفتنا اي لتقلبنا وتصرفنا عما وجدنا عليه وقال مستندين الى
التقليد غير مستحيين من ترك الدليل اباءنا من عبادة الاصنام والقول بالطبيعة لتحققي بذلك
وتكون لكما اي لك انت ولاخيك دوننا الكبريا اي الملك في الارض اي ارض مصر التي هي لما فيها من المنافع
كانها الارض كلها وما اي وقالوا ايضا ما نحن لكما وبالغوا بالنفي وغلب عليهم الدهش فعبروا بما دل على انهم
غلبهم الامر فعرفوا انه صدق ولم يذعنوا فقالوا بمومنين اي عريقين في الايمان فهو عطف على اجئتنا
اي قالوا ذلك وقالوا هذا او يكون عطفا على نحوفا نحن لمو صلين الى هذا الغرض ابدوه اولا بالانكار ر
عليه في الحج لضعف وتكفا اخوه عن مساعدته واشركوه معه ثانيا تاكيدا لذلك الغرض وقطعا لطمعه والبعد
الاطلاق في امر المضي فيه وهو خلاف الاطلاق من عقال الملا الجماعة الذين هم وجوه القبيلة
لان هيبتهم تملا الصدور وعند منظرهم والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق والجرم اكتسبه
كبيره من جرم النجم اذا قطعه فالجرم يوجب قطع الخير عن صاحبه والسحر ايهام المعجزة على طريق الحيلة
ويشبه به البيان في خفا السبب والحق ما يجب الحكم عليه ويستند دعا الحكم اليه ويفتخر المتنبه والغرر
بتركه والكبريا استحقاق صفة الكبر في اعلا المراتب وهي صفة مدح لله وذم العباد لا تقاسنا فيه
لصفة العبودية ولما لبسوا بوصفه بما هم به متصفون ارادوا الزيادة في التلبيس بما يوهم
ان من اتى به سحر يمكن معارضته اتقافا للناس عن اتباعه فقال تعالى حكاية عطفا على قوله
قالوا اجئتنا وقال فرعون ارادة المناظرة لما اتى به موسى عليه السلام ائتوني بكل ساحر عليم
اي بالغ في علم السحر لئلا يفوته شي من السحر ساحرا حذق الشغف وقراه حمزة والكسائي بصيغة فعال الدالة
على زيادة فلوق فرعون وقراة الجماعة بصيغة فاعل انسب بهذا السياق لان دلالته على زيادة رغبته
اقل من سياق الشعرا كما مضى في الاعراف ولما مضى كان التقدير فامتثلوا امره وجمعوهم دل على قرب اجتماعهم
بالفا في قوله فلما جاء السحرة كل من في ارض مصر منهم قال لهم موسى منزلا لهذا الايهام القوا
جميع ما انتم ملقون اي دا سحون في صنعة القارية اشارة الى ان ما جاوا به ليس اهلا لان يلقى اليه
بال فلما القوا اي وقع منهم الالقا لحبالهم وعصيهم على اثر مقالته وخيلوا بسحرهم بعيون الناس ما زلزل ل
عقولهم قال موسى منكرا عليهم ما جئتم به مبينين انه ما استفهم عنه جهلا بل احتقارا وانكارا او زاده
في بيان كل من الامرين بقوله السحر لانه استفهام انصاسوا قطعيا لهم ومدت كان في قراة ابي عمرو وابي
جعفر او جعلت همزة وصل كما في قراة الباقين فان همزة الاستفهام مقدرة والتعريف اما للعهد واما للحقيقة وهو
ببطله وهو اقرب ويجوز في قراة الجماعة ان يكون خبرا لما يعتقده الحصر اي هو السحر لا ما تنسبونه الى
استانف بيان ما حقره به فقال ان الله اي الذي له احاطة العلم والقدرة سيبطله اي عن قريب بوعد
لا خلف فيه ثم علل ذلك بما بين انه فساد فقال ان الله اي الذي له الكمال كله لا يصلح اي في وقت من الاوقات
عمل المفسدين اي العريقين في الفساد بان لا ينفع بعملهم ولا يديمه ثم عطف عليه ما ما صلاحه عمل
المصلحين فقال ويحق اي يثبت اثباتا عظيما الله اي الملك الاعظم الحق اي الشيء الذي له الثبات صفة
لازمة ولما كان في مقام تحقيرهم دل على ذلك بذكر الاسم الجامع الاعظم واشار الى ماله من الصفات
العلا بقوله بكلماته اي الازلية التي لها الثبات الاعظم وزاد في العظمة
بقوله ولو كره المجرمون اي العريقون في قطع ما امر الله به ان يوصل فكان كما قال عليه السلام فبطل
سحرهم واضمحل مكرهم وحق الحق كما بين في سورة الاعراف ولما حكى سبحانه ان موسى عليه السلام ابان ما ابان
من بطلان السحر وكونه افسادا فثبت ما اتى به لمخالفته له اخبر تعالى تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وقطعا عن الطلب الاجابة للمقترحات انه ما تسبب عن ذلك في اول الامر عقب ابطال سحرهم مع عظمه
مهلة الا ايمان ناس ضعفا من كثير فقال تعالى فما امن اي متبعا مصدقا لموسى اي بسبب ما اتى
ليعلم ان الايات ليست سببا للهداية الا لمن اراد الله ذلك له وبين ان الضعفا اسرع الى القبول بقوله

بقوله الا ذرية اي شبان هم اهل لان تذوقهم البركة من قومه اي قوم موسى عليه السلام الذين لهم قدرة على
القيام في المحاولة لما يريدونه والظاهر انهم كانوا ايتاما او اكثرهم كما قال مجاهد على خوف
ز اي عظيم من فرعون وملائهم ان اي اشراف قوم الذرية ولما كان انكار الملا انما هو بسبب فرعون
اي يسلبهم رياستهم لخص الخوف فيه فاشار الى ذلك بتوحيد الضمير فقال ان يفتنهم واتبعه ما
يوضح عذرهم بقوله موكدا تنزيلا لغيرهم منزلة من يكذب بعلو فرعون لتلذذهم لان ينص عليهم الضعفا
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لعلوهم وان فرعون لعال اي غالب قاهر متمكن بما تقتضيه من ياه
من طاعة الناس له في الارض اي ارض مصر التي هي بكثرة ما فيها من المرافق كانها جميع الارض وانه لمن المسرفين
اي العريقين في مجاوزة الحدود بظاهره وباطنه واذا ضممت هذه الاية الى قوله تعالى وان
المسرفين هم اصحاب النار كان قياسا بديهيا منتجا انتاجا صريحا قطعيا ان فرعون من
اصحاب النار مكذبا لاهل الوحدة في قولهم انه امن ليهونوا المعاصي عند الناس فيحلوا انحلال
عقائد اهل الدين ولما ذكر خوفهم وعذرهم اتبعه ما يوجب طمانينتهم وهو التوكل على الله الذي من
راقبه تلاشى عنده كل عظيم فقال وقال موسى اي لمن امن به موطنا لهم على ان الجنة لا تنال
الا بمشقة عظيمة يبتلي الناس على قدر ايمانهم يا قوم فاستعطفهم بالتذكير بالقرب وهزهم الى
ى المعالي بما فيهم من القوة ثم هيجهم والهبهم على الثبات بقوله ان كنتم اي كونا هو في ثباته كالخلق الذي
لا يزول امنتم بالله ونبههم بذكر الاسم الاعظم وما دل عليه من الصفات واجاب الشرط بقوله
فعليه اي وحده لما علمتم من عظمته الذي لا يدانيها شي سواه توكلوا وليظهر عليكم اثر التوكل من
الطمانينة والثبات والسكينة ان كنتم اي كونا ثابتا مسلمين جامعين الى تصديق القلب دعاء
الجوارح وجواب هذا الشرط ما دل عليه الماضي من قوله فعليه توكلوا فقالوا اي على الفور كما تقتضيه
الفا على الله اي الذي له العظمة كلها وحده توكلنا اي فوضنا امورنا كلها اليه ربنا اي ايها الموجد لنا
ن المحسن الينا لا تجعلنا فتنة اي موضع مخالطة بما يسل ويحيل للقوم الظالمين اي لا تصيبنا انت بما يظنون
به لقاونا بنا فيزدادوا نفرة عن دينك لظنهم انا على الباطل ولا تسلطهم علينا بما يفتنا
بن عن ديننا فيظنوا انهم على الحق ونجنا برحمتك اي اكرامك لنا من القوم الكافرين
اي العريقين في تغطية الادلة وفي دعائهم هذا اشارة الى ان امر الدين اهم من امر النفس ولما
اجابوه الى اظهار الاعتماد على الله سبحانه وفوضوا الامور اليه اتبعه ما يزيدهم طمانينة من التوطن في
ارض العدو واشارة الى عدم المبالاة به لانه روي انه كانت لهم متعبدات يجتمعون فيها فلما بعث موسى
عليه السلام اخربها فرعون فامر الله تعالى ان يجعل في بيوتكم لئلا يطلع عليهم الكفرة فقال تعالى
عاطفا على قوله وقال موسى واوحينا اي بما لنا من العظمة البالغة الى موسى واخيه اي طلب معاونته
ومعاضدته ان تبوا اي اتخذا لقومكما بمصر وهي ما بين البحر الى اقصى اسوان بيوتا تكون لهم مرجعا
يرجعون اليه ويأوون اليه واجعلوا اي انتما ومن معكما من قومكما بيوتكم قبلة اي مصلى لتعبدوا انها
مستقرين على الاعدا لخفتها من اسباب الخلاف واقيموا الصلاة اي بجميع حدودها واركانها مستخفين
مع خوفكم جمعا بين التي الندب الصبر والصلاة وتمرنا على الدين وتثبيتا له في القلب ولما كان الاجماع
ره فيما تقدم اصحهم واعز واعظم وكان واجبا على الامة لوجوبه على الامام جمع فيه وكان اسناده البشارة
عن الملا الى صاحب الشريعة اثبت لامره واظهر لشر لتعظيمه واثبت في قلوب اصحابه
واقر لاعينهم افرد في قوله وبشر المؤمنين ثم قال اي الراسخين في الايمان من اخيك وغيره
ولما ختم بشارة من دل على ايمانهم اسلامهم بفعل ما يدل على هوان امر العدو وكان هلاك
الشاني من اعظم البشائر وكان ضلال فرعون وقومه بالزينة والمال اضلالا لغيرهم
سال موسى عليه السلام ان الله ذلك كله للواحد من شرهم فقال تعالى حاكيا عنه وقال موسى
اي بعد طول دعايه لفرعون واظهار المعجزات لديه وطول تكبره على امر الله وتجبره على
المستضعفين من عباده ولما كان من اعظم اهل الاصطفا اسقط الاداة تسنينا بهم
واشار بصفة الاحسان الى ان هلاك اعداهم اعظم احسان اليهم فقال ربنا اي ايها المحسن
الينا انك اكد لما للجهال من انكار ان يكون عطا الملك الاعظم سببا للاهانة اتيت فرعون
وملاه زينة اي اشراف قومه على ما هم فيه من الكفر والكبر زينة اي عظيمة يتزينون بها
من الحلية واللباس وغيرهما واموالا اي كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما في الحياة الدنيا

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت لم تبين غايتها لهم فقال مستغنيا بالندا باسم الرب ليعيذه واتباعه من مثل حالهم ربنا اي ايها الموجد لنا المحسن الينا والمدبر لامورنا ذلك ليضلوا في انفسهم ويضلوا غيرهم عن سبيلك اي الطريق الواسعة التي نهجتها للوصول الى رحمتك ولما بين ان ما لهم الفتنة لا دعا عليهم فقال مستغنيا ايضا بالندا باسم الرب نا لنا لان ذلك من امارات الاجابة كما اشعر اليه في اخر ال عمران واشاره الى انه لا صلاح لهم يسرون بهلاكهم وهلاكها ربنا اطمس اي اوقع الطمس وهو التسوية بين المطموس وبين غيره مما ليس له نفعه على اموالهم ولما كان قد راى منهم من التكبر على الله والتكذيب لاياته والتعذيب لاوليائه ما لا يشفي غيظه منه الا ادامة شقائهم دنيا واخرى وكان عالما بان قدرة الله تعالى على ابقائهم على الكفر مع تحسيرهم بسلب المال كقدرته على ذلك باستدراجهم اليه بالمال قال واشدد اي شد الخاصرة لكل احد بما اشار اليه الفك مستعليا على قلوبهم قال ابن عباس رضي الله عنهما اطبع عليها وامنعها من الايمان واجابه لدعائه بقوله فلا يؤمنوا اي ليتسبب عن ذلك الشد عدم ايمانهم اذا راوا مبادي العذاب بالطمس حتى يروا اي باعينهم العذاب الاليم حيث لا ينفعهم الايمان فيكونوا جامعين ذل النفوس المطلوب منهم اليوم ليفيدهم العز الدايم الى شدة الغضب بوضع الشي في غير موضعه المنتج لدوام ذلهم بالعقاب وهذه الاية منبهة على ان الرضا بكفر خاص لا يستلزم استحسان الكفر من حيث هو كفر قال الامام الحليمي في كتب شعب الايمان المسمى بالمنهاج واذا تمنى مسلم كفر مسلم فهذا على وجهين احدهما ان يتمناه له كما يتمنى الصديق لصديقه الشي ليستحسنه فيحب ان يكون له فيه نصيب فهذا كفر لان استحسان الكفر كفر والاخر ان يتمناه له كما يتمنى العدو لعدوه الشي يستفظعه فيحب ان يقع فيه فهذا ليس بكفر تمنى موسى صلوات الله عليه وسلامه بعد ان اجهده فرعون ان لا يؤمن فرعون وملاؤه وان لا يحق عليهم العذاب وزاد على ذلك ان دعا الله تبارك وتعالى فلم ينكر الله تعالى ذلك عليه لعلمه ان شدته على فرعون وغلظته عليه لما راه من عتوه وتجبره هي التي حملته على ذلك فمن كان في معناه فله حكمه وقد نقل ذلك عنه الزركشي في حرف التا من قواعده مرتضيا له ونقل عنه ايضا انه قال ولو كان في قلب مسلم على كافر فاسلم فحزن المسلم لذلك وتمنى لو عاد الى الكفر لا يكفر لان استقباحه الكفر هو الذي حمله على تمنيه واستحسانه الاسلام هو الحامل له على كراهته ونقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه لو قتل عدو للانسان ظلما ففرح هل يأثم ان فرح بكونه عصى الله فيه فنعم وان فرح بكونه خلص من شره فلا باس لاختلاف سببي الفرح انتهى ويؤيده ما رواه البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن مقسم مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن ابي وقاص يوم احد حين كسر رباعيته ودمى وجهه فقال اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافرا الى النار ومسئلة ان الرضا بالكفر كفر نقلها الشيخان عن المتولي وسكتا عليه لكن قال الشيخ محيي الدين في شرح المهذب ان ذلك افراط فما تقدم من التفصيل عن الحليمي وابن عبد السلام هو المعتمد والمسئلة في اصل الروضة فانه قال لو قال لمسلم سلبه الله الايمان او لكافر لا رزقه الله الايمان فليس بكفر لانه ليس رضا بالكفر لكنه دعا عليه بتشديد الامر والعقوبة قلت ذكر القاضي حسين في الفتاوى وجها ضعيفا انه لو قال لمسلم سلبه الله الايمان كفر والله اعلم وحكى الوجهين عن القاضي في الاذكار وقال ان الدعا بذلك معصية ولما اخبرنا سبحانه عن دعائه عليه السلام اخبر باجابته بقوله مستانفا قال ولما كان الموضع محل التوقع للاجابة افتتحه بحرفه فقال قد اجيبت دعوتكما والبنا للمفعول دال على القدرة واوقع في النفس من صحة الدلالة على الفاعل بالاستدلال وثنى للاعلام بان هرون عليه السلام مع موسى عليه السلام في هذا الدعا لانه معه كالشي الواحد لا خلاف منه له اصلا وان كان غايبا وذلك كما بايع النبي صلى الله عليه وسلم عن عثمان رضي الله عنه في عمرة الحديبية فضرب باحدى يديه على الاخرى وهو غايب في حاجة النبي صلى الله عليه وسلم وكذا ضرب له في غزوة بدر بسهمه واجره وكان غايبا ولما كانت الطاعة والانتظار للفرج وان طال زمنه اعظم اسباب الاجابة سبب عن ذلك قوله فاستقيما اي فاثبتا على التعبد والخضوع لربكما كما ان نوحا عليه السلام ثبت على ذلك وطال زمانه جدا واشتد اذاه ولم يضجر ولما كان الصبر شديدا

الصبر شديدا اكد قوله ولا تتبعان بالاستعجال والفترة عن الشكر سبيل الذين لا يعلمون ولما امرنا بالتاني الذي هو نتيجة العلم عطف على ذلك الاخبار بالاجابة فقوله وجاوزنا اي فعلنا بعظمتنا في اجازتهم فعل المناظر لاخر المبادي له ودل بالالصاق الباكم على مصاحبته سبحانه لهم دلالة على رضاه بفعلهم فقال ببني اسرائيل اي عبدنا الخالص لنا البحر اعلاما بانه امرنا بالخروج من مصر وانجز لهم ما وعد فاهلك فرعون وملاه باتباعهم سبيل من لا يعلم بطيشهم وعدم صبرهم ونجى بني اسرائيل بصبرهم وخضوعهم والالتفات من الغيبة الى التكلم لما في هذه المجاوزة ومقدماتها ولواحقها من مظاهر العظمة ونفوذ الاوامر ومضا الاحكام وبين سبحانه كيفية اهلاكهم واستجابة الدعوة بقوله مسببا عن المجاوزة فاتبعهم اي بني اسرائيل فرعون وجنوده اي ونفوا اتبعهم اي حملوا نفوسهم على تبعهم وهو السير في اثرهم واتبعه اذا سبقه فلحقه ويقال تبعه في الخير واتبعه في الشر ولما افهم ذلك الاصرار به قال بغيا اي تعديا للحق واستهانة بكم وعدوا اي ظلما وتجاوزا للحد ولما كان فاعل ذلك جديرا بان يرجع عما سلكه من الوعدم بعجب منه في تماديه فقال عاطفا على ما تقديره واستمر يتمادى في ذلك حتى ولو كانت رؤية انفراج البحر عن مواضع سيرهم مظنة تحقق رجوع الملا الى مواضعه فيغرق عبرا للداه التحقق فقال اذا ادركه اي قهره واحاط به الغرق اي الموت بالما كما سال موسى عليه السلام في انه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم قال امنت اي اوقعت ايمان الداعي من التكذيب ثم علل ايمانه بقوله مبدلا من امنت في قراة حمزة والكسائي بالكسر موكدا لما من شدة الجزع انه وعلى تقدير اللام تعليلا في قراة الجماعة اي معترفا بانه لا اله الا الذي امنت ويجوز ان تكون اوقع امنت على انه وما بعدها اي امنت نفي الالهية عن كل شي غيره مستثنيته من ان اغيره او ارجع عنه ولما كان قد تحقق الهلاك وعلم انه لا نجاة الا بالصدق اراد الاعلام لغاية صدقه فقال امنت اي اوقعت التصديق معترفه به بنو اسرائيل فعينه لتعيينا ازالة الاحتمال ثم قال وانا من المسلمين فكرر بقول ما كان دعي اليه فاباه استكبارا وعبر بما دل على ادعا الرسوخ فيه بيانا لانه ذل ذلا لم يبق معه شي من ذلك الكبر ولم ينفعه ذلك لفوات شرطه فاتصل ذلك بذلك الخزي في البرزخ وما بعده وقد كانت المرة الواحدة كافية له عند وجود الشرط وزاده تعالى ذلا بالاياس من الفلاح بقوله على لسان الحال او جبريل عليه السلام او ملك الموت او غيره من الجنود عليهم السلام الان اي اتجيب الى ما دعيت اليه في هذا الحين الذي لا تنفع فيه الاجابة لفوات الايمان بالغيب الذي لا يتصور بقع اسم الايمان الا عليه وقد اي والحال انك قد عصيت اي بالكفر قبل اي في جميع زمان الدعوة الذي قبل هذا الوقت ومعصية الملك توجب الاخذ والغضب كيف كانت فكيف وهي بالكفر وكنت اي كونا جبلتنا من المفسدين اي العريقين في الفساد والافساد ثم اكده بذكر شماتة الاعداء به الذين كانوا عنده اقل شي واحقره بقوله مسببا عما تضمنه ذلك الانكار من الاذلال بالاهلاك اشارة الى ان الما احاط به ومنا ربه فيخفع قليلا قليلا حتى امتد زمان التوبيخ فاليوم ننجيك اي تنجية عظيمة ولما كان ذلك اسارة وكانت المساة تما يفهم زمامه التوبيخ السرورا نكا قال دالا على ان ذلك بعد نزع روحه ببدنك اي في غير روح وهو كامل لم ينقص منه شي حتى لا يدخل في معرفتك لبس لتكون اي كونا هو في غاية الثبات لمن خلفك اي تاخر عنك في الحياة من بني اسرائيل وغيرهم اية في انك عبد ضعيف حقير لست برب فضلا عن ان تكون اعلى ويعرفوا ان من عصى الملك اخذ وان كان اقوى الناس واكثرهم جنودا وقد ادعى بعض الملحدين ايمانه لهذه الاية ارادة لما يعيذ الله منه حل العقد الموجب من ان فرعون من اكفر الكفرة باجماع اهل الملل ليهون للناس الاجترا على المعاصي وادعى انه لا نص في القران على انه من اهل النار وضل عن الصراح التي في القران في ذلك في غير موضع وعن ان قوله تعالى وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين مع قوله وان المسرفين هم اصحاب النار قياس قطعي الدلالة بديهي النص على انه من اهل النار والاية كما ترى دليل على قوله قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا الاية لو كان فرعون مثل قريش فكيف ولا نسبة لهم منه في شدة الاستكبار التابعة لكثرة الجموع ونفوذ الكلمة بفخامة الملك وعز السلطان والقوة بالاموال والاعوان وقد روي ان جبريل عليه السلام كان قد اتاه بفتيا في عبد نشا في نعمة سيده فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون جزا العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق في البحر فلما الزمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه ولما لم يعمل فرعون ما ملاوه له بمقتضى ما راوا من الايات

كان حكمهم حكم الغافلين عنها فكان التقدير لقد غفلوا عما جاهم من الايات وان كثيرا اكد لان مثله
ينبغي لبعده عن الصواب ان لا يصدق ان احدا يقع فيه من الناس اى وهم من لم يصل الى احد اود
اسنان اهل الايمان لما عندهم من التوسع هوى الاضطراب والانس بانفسهم عن اياتنا اى على ما
لها من العظمة لغافلون اى لا صلاح بعقوابهم العمل على ما ينفع بدلا مما يضر واحقاق الحق اظهار
وتكونه بالدلايل الواضحة حتى يرجع الطاعن عنه حسيرا ولما اصب له معلولا والاسراف
الابعاد في مجاوزه الحق والعسه السلة ولهى معاملة تظهر الامور الباطنة والنجاة الخلاص مما
منه المخافة ونظيرها السلامة وعلقوا النجاة بالرحمة لانها انعام على المحتاج بما يطلع عليه
الله نفوس العباد فهو على او كدما يكون من الدعا الى الصلاح والوحى القاء المعنى الى النفس في خفاء
والايحا والايما والاشارة نظاير ولا يجوز ان تطلق الصفة بالوحى الا للنبي وتبوا اتخذ واصله
الرجوع فالمتبوء المنزل لانه يرجع اليه للمقام فيه والطمس محو الاثر فهو لغيبو الى الدثور والدروس
والاجابة موافقة الدعوة في الطلب لها لوقوعها على تلك الصفة والدعوة طلب الفعل بصيغة الامر
وقد تكون بالماضي والمجاوزه الخروج عن الحد من احد الجهات والبحر مستقر الماء الواسع بحيث
لا يدرك طرفيه من كان في وسطه وهو ماخوذ من الاتساع والاتباع اللحاق بالاول والبغي
طلب الاستعلا بغير حق والان فصل الزمانين الماضي والمستقبل مع انه اشارة الى الحاضر
ولهذا بني كاجنى اذ البدن مسكن روح الحيوان على صورته ولما ذكر تعالى عاقبة امر فرعون
وقومه وانهم لم ينتفعوا بما جاهم من الايات مع ما كان فيها من جلي البيان وفي بعضها من الشدايد
والامتحان حتى كان اخرها انه لما راى مبدا الهلاك من انغراق البحر لم يزعه عن لجاجه
غفلة منه عن عاقبته وختمها بالاخبار بكثرة الغفلة اشارة الى ان هذا الخلق في غير
النبط ايضا اتبع ذلك ذكر خاتمة امر بني اسرايل فما اخولهم فيه بعد الانجا من النعم المقتضي
للعلم القطعي بانه لا اله غيره وان من خالفه كان على خطر الهلاك وانهم مع مشاهدتهم الايات ت
الاتية بسبيهم الى فرعون اتاهم من الايات الخاصة بهم المنجزة لصدق وعده سبحانه لابائهم
ما فيه غاية الاحسان اليهم والاكرام لهم وانهم كانوا تحت يد فرعون على طوق واحد ليس بينهم
خلاف وما اختلفوا فصاروا افرقا في الاعتقادات واحزابا في الديانات حتى جاهم العلم الواقع
من الله فكان المقتضي لاجتماعهم على الله مفرقا لهم على سبل الشيطان تحت سرابرهم وسوء ضمايرهم
ووقوفهم مع الشاهد الزايل وجمودهم مع المحسوس الفاني ونسيانا للغايب الثابت والمعلوم المتيقن كل
ذلك لا نافعينا به فالامر تابع لما نريد لا لما نامر به وينهى عنه فكان اعظم زاجر عن طلب
الايات وطوق الغانوجب للردع عن الغوايات فقال تعالى ولقد بوانا اى اسكنا بما لنا من العظمة
التي تنقطع الاعناق دون علياتها ونخصها لتوانب لا فكار عن احصابها بني اسرايل مسكنا هو اهل
لان يرجع اليه من خرج هو وهو المراد بقوله مبوا صدق اى في الارض المقدسة لان وعدنا قد تقدم لهم
بها ومن عادت العرب انها اذا امدحت الشي باضافته الى الصدق لانه مع ثباته حبيب الى كل نفس
ويصدق ما ظن به من الخير ولما كان المنزل لا يطيب الا بالرزق وكان التعبير عنه بالمبوا دالا
على الرزق بدلالة الالتزام صرح به فقال ورزقناهم اى بما لنا من العظمة من الطيبات اى
الحسية حلالا واشتهاها من الفواكه والحبوب والالبان والاعسال وغيرها والمعنوية من الشريعة
والكتاب والمعارف كما تقدم وعدنا لابايهم بذلك ولما كانوا الغيرهم اذا كانوا على امور ستوا صنعون
عليها بقاربوا نيها ونوافقوا واذا كانوا على حد وردها لهم المحسن اليهم وحده لم يكيدوا
ان يختلفوا عاتبهم الله بذلك فقال فما اى فتسبب عن صدقنا لهم في الوعد انهم ما اختلفوا اى ما
اوقعوا الخلف المفضى الى جعل كل منهم صاحبه خلفه وورا ظهره واستهان به حتى جاهم العلم
الموجب للاجتماع على كلمة واحدة لما له من الضبط حتى يكون اتباعه على قلب واحد فكانه قيل
فماذا يفعل بهم لاجل انهم لعقولهم ينتفعون ولا بما جاهم من الحق يرجعون فقيل موكدا لانكار العرب
البعث ان ربك الى المحسن اليك باتيان الانبيا بك وصفاتك في كتبهم وجعلك صاحب لواء
الحمد في القيمة يقضي بينهم ولما كان هذا القضا عظيما زاده هولا وعظمه بقوله يوم القيمة اى الذى
هو اعظم الايام فيما كانوا اى باخلاقهم الجبلية فيه يختلفون فيميز الحق من الباطل والصديق
من الزنديق ويسكن كلا داره ذكر بعض ما في التوراة من المن عليهم بالارض المقدسة قال في اثنا السفر

السفر الخامس قد رات اعينكم جميع اعمال الله العظيمة التي عمل فاحفظوا جميع الوصايا التي امركم الله
بها اليوم لتدخلوا الارض التي تجوزون اليها لترثوها وتطول اعماركم في الارض التي
اقسم الله لابايكم ان يعطيهم ويرثها نسلهم الارض التي تغل السمن والعسل لان الارض
التي تدخلونها لترثونها ليست مثل ارض مصر التي خرجتم منها التي كنتم تحتاجون ها
فيها ان تسقوا بارجلكم وتسقوها مثل بساتين السقى ولكن الارض التي تجوزون اليها لترثو
في ارض الجبال والصحاري وانما تشرب من مطر السما تتعاهدها الله ربكم في كل حين وعينا
الله ربنا فيها من اول السنة الى اخر السنة فان انتم سمعتم الاحكام التي امركم بها اليوم
وتتقون الله ربكم وتعبدونه من كل قلوبكم وانفسكم يديم نزول المطر عليكم ويمطر لكم في الخريف
والربيع جميعا وتستغلون طعاما وشرابا وزيتا وينبت في حرثكم عشبا لمواشيكم وتاكلون
وتشبعون احفظوا ان لا تخدع قلوبكم وترجعوا الى الالهة الاخرى وتسجدوا لها وتعبدوها
فيشتد غضب الرب عليكم ويمنع السما من المطر والارض من غلاتها وتهلكون سريعا من
الارض التي يعطيكم الله ربكم بل اجعلوا هذه الايات في قلوبكم وضميركم وهاميسا بين اعينكم
وعلموها بنيكم ان يتكلموا بها في حضوركم وفي سفركم واذا رقدتم واذا قمتم واكتبوها على معاقم بيوتكم
وابوابكم لتطول اعماركم واعمار اولادكم في الارض التي اقسم الله لابايكم ان يعطيهم وان انتم
حفظتم هذه الوصايا كلها وعملتم بها واحببتم الله ربكم وسرتم في طرقه ولحقتم بعبادته يهلك
الرب الملوك من بين ايديكم وترثون شعوبا اعظم واعز منكم وكل بلاد تطاها اقدامكم تكون
لكم من البرية ولبنان ومن النهر الى الفرات النهر الاكبر وتكون تخومكم عند البحر الاخر ولا يقدر
احد ان يقاومكم ويلقى الله ربكم خوفكم وفزعكم على كل الارض التي تطاونها كما قال لكم الرب
انظروا اني اتلو عليكم دعا ولعنا اما الدعا فتصيرون اليه ان انتم حفظتم وصايا الله ربكم
واما اللعن فيدرككم ان انتم لم تسمعوا وصايا الله ربكم وزغتم عن الطريق الذي امركم به
اليوم وتبعتم الهة اخرى لم تعرفوها واذا ادخلكم الله ربكم الى الارض التي تدخلونها لترثوها
اتلوا الدعا على جبل جوريب واللعن على جبل يرجبا لها في مجاري الاردن خلف الطريق عند
مغارب الشمس في ارض الكنعانيين الذين يسكنون الجبل المغرب بازاء الجبال وجبال بلوط
وفي نسخة مرج ممرى لانكم تجوزون الاردن لتدخلوا وترثوا الارض التي يعطيكم الله ربكم
وتسكنونها وتحفظون وتعملون بجميع الوصايا التي امركم بها اليوم انتهى وفي سفر يوشع بن نون عليه
السلام ولما كان بعد موسى عبد الله قال الله ليوشع بن نون خادم موسى عليهما السلام موسى عبدي
مات والان فقم فاعبر هذا الاردن انت وكل هذا الشعب الى الارض التي انا معطيها لبني
اسرايل كل موضع تطاه ارجلكم لكم اعطيته كما قلت لموسى عبدي من البر وهذا اللبنان والى
النهر الكبير نهر الفرات كل ارض الذاعرين لا يقف احد قدامك طول ايام حياتك كما كنت مع موسى
اكون معك لا ادعك ولا اتركك اشتد وتايد فانك انت تنحل هذا الشعب الارض التي قسمت
لابايهم لاعطاها لهم لا يزول درس كتاب هذه الشريعة من فيك وتلهج به نهارا وليلا
لكي تحفظ العمل بجميع المكتوب فحينيذ تنجح طرقك وحينيذ ترشد الست قد اوصيتك اشتد وتايد
ولا ترهب ولا تنزعج لان معك الله ربك في جميع ما تسلك فيه ووصى يوشع عرفا القوم قايلا جوزوا في وسط
العسكر ووصوا القوم قايلين لهم اعدوا الكم زادا فانكم بعد ثلاثة ايام عابرون هذا الاردن
للدخول لارث الارض التي الله ربكم معطيها لكم اذكروا واذكروا القول الذي امركم به موسى عبد الله قايلا
الله ربكم مريحكم بما اعطاكم هذه الارض نساكم واطفالكم ومواشيكم تجلسون في مدنكم التي اعطاكم
موسى في مجاز الاردن مشرق الشمس فاجابوا يوشع وانتم تجوزون تجرزوا في اخوانكم الى ان يريح الله
اخوتكم كما اراحكم فيرثوا ايضا الارض التي الله ربكم معطيهم حينيذ ترجعون الى ارض حوزتكم
التي اعطاكم موسى عبد الله في مجاز الاردن مشرق الشمس فاجابوا يوشع قايلين جميع ما اوصيتنا به
نعمل وكل موضع تامرنا نمضي كجميع ما قبلنا من موسى لذلك نقبل منك اذ كان الله معك كما كان مع موسى كل
انسان يخالف امرك ولا يقبل كلامك لجميع ما تامره به يقتل فاشتد وتايد فبعث يوشع بن نون من العزين
رجلين جاسوسين في خفية قايلا امضيا انظرا الارض كلها مع اريحا فمضيا ودخلا الى بيت امراة سارقة
اسمها راحاب واضطجعا ثم قيل لملك اريحا هوذا اناس من بني اسرايل قد جاوا الى هنا الليلة لجس البلد

فارسل ملك اريحا الى راحاب قايلا اخرجي القوم الجاسوسين اليك الذين دخلوا دارك فانهم لجسّ
جميع البلد جاوا فاخذت المراة الرجلين فاخفت امرهما وقالت كذلك كان القوم جاوا الي ولم اعلم
من اين هم وكان عند انغلاق الباب في الظلام ثم خرج القوم ولم اعلم اين مضوا اطلبوهم سرعة فانكم
تجدونهم ثم اصعدتهما الى السطح وطمرتهما في قش الكتان والقوم طلبوهما في طريق الاردن الى المعابر
وفي نسخة الى المخاضات والباب اغلقوا بعدما خرج الطالبون خلفهما وهما قبل ان يناما صعدت
اليهما راحاب الى السطح فقالت لهما قد علمت ان الله سلم اليكم البلد وانه قد وقعت هيبتكم علينا
وقد ماج جميع سكان البلد من قبلكم وانا سمعنا ان الله ايبس لكم بحر القلزم عقيب خروجكم من
مصر وما علمتم بملكي الاموريين اللذين في مجاز الاردن سيحون وعوج اللذين اصطلمتموهما فمنذ
ما سمعنا ذابت قلوبنا ولم تثبت ايضا روح في واحد منا من هيبتكم فان الله ربكم هو الاله من فوق
السموات من فوق ومن على الارض من تحت والان فاحلفوا باسم الله اذ قد عملت معكما فضلا فتعملان
انتما ايضا مع اهل ابي فضلا وتعطياني علامة هي حق لتستبقوا ابي وامي واخوتي وجميع من اتصل
بهم وتخلصوا انفسنا من القتل فقالا لها نبذل انفسنا دونكم بالموت ان لم تخبري واخبرنا
بهذا فنكون عند تسليم الله لنا البلد نعمل معك فضلا وامانة فاحدرتهما بالحبل من داخل الطاقة
اذ منزلها في حايط السور وفي السور هي ساكنة وقالت لهما سيرا الى الجبل لئلا يلقاكما الطالبون
وبعد ذلك سيرا لطريقكما فقالا لها ابريا نحن من قسمك هذا الذي استقسمتنا ان لم تفعلي ما نقول
لك هوذا نحن داخلون الى البلد فاعقدي خصلة خيط من القرمز في الطاقة التي احدرتنا منها
وابوك وامك واخوتك وكل بيت ابيك تضمين اليك الى المنزل فيكون كل من يخرج من ابواب
منزلك الى خارج دمه في عنقه ونحن ابرياء اليك وكل من يكون معك في المنزل دمه في اعناقنا
ان بطشت به يد وان اخبرت بخبرنا هذا فنحن ابريا من قسمك الذي استقسمتنا به فقالت كما
قلتما فاطلقتهما ومضيا وعقدت خصلة القرمز في الطاقة فمضيا الى الجبل وجلسا ثم ثلثة
ايام الى ان رجع الطالبون ولم يجدوهما ورجع الرسولان وانحدرا من الجبل وجازا الاردن وجاا
الى يوشع بن نون وقصّا له كلما وافاهما وقالا ليوشع ان الله دفع بايدينا كل الارض وقد ماج جميع سكانها
منا وادلج يوشع بالغداة ورحلوا من الكفرين وجاوا الى الاردن هو وجميع بني اسرايل وباتوا
ثم قبل ان يجوزوا فلما كان من بعد ثلاثة ايام جاز النقباء في وسط العسكر وامروا القوم
قايلين لهم عند نظركم صندوق عهد الله ربكم والايمة اللاويين حاملين له انتم ترحلون من موضعكم
وتمشون خلفه لكن ليكن بينكم وبينه بعد مقدار الفي ذراع بالمساحة لا تقربوا منه لاجل ان
تعرفوا الطريق التي تمشون فيها اذ لم تمشوا فيها امس واول امس وقال يوشع للقوم استعدوا
فان غدا يعمل الله في وسطكم عجايب وقال يوشع للايمة احملوا صندوق العهد وجوزوا قدام
القوم فحملوا صندوق العهد وساروا قدام القوم وقال الله ليوشع بهذا اليوم ابتدي بتعظيم
اسمك بحضرة جميع اسرايل لكي يعلموا انني كما كنت مع موسى اكون معك وقال يوشع للايمة احملوا صندوق ق
العهد وجوزوا قدام القوم لبني اسرايل تقدموا ههنا واسمعوا الله ربكم قال يوشع بهذه الخلة
تعرفون ان قادرا حيا الاه في وسطكم وان طاردا يطرد من قدامكم قبايل الامم الكنعانيين والذاعرين
وفي نسخة الحايتين المنسوبين الى حايث جدهم والجذويين اي الفصحا البلغا وفي نسخة الجهجهين الى الحي
والربضيين والفلاحين والاموراتيين اي الروسا واليبوسيين اي الجبابرين القاهرين هاهوذا صندوق ق
العهد سيد كل الارض جايز قدامكم في الاردن والان خذوا لكم اثني عشر رجلا من اسباط اسرايل رجلا
واحدا من كل سبط ويكون عند قرار قدام ارجل الايمة حاملي صندوق العهد سيد كل الارض في مياه
الاردن من الامر العظيم انه تنقطع مياه الاردن المنحدرة من فوق وتقف طردا واحدا كالتل
في زق محصوره ولما ارتحل الشعب وقلعوا اخبيتهم ليجوزوا الاردن سار الكهنة الذين حملوا
التابوت امام الشعب فلما انتهوا الى الاردن وكان ممتليا يفيض كل ايام الحصاد انشق الاردن
وقام الما الذي كان ينحدر من فوق كانه في زق ناحية وتباعد عن نوبه ادام التي عند برتيم
جدا والذي كان يجري الى البحر العزوي الذي يدعى بحر الملح انشق وجار وانقطع وجاز
الشعب حيال اريحا وقام الكهنة الذين حملوا تابوت العهد في الاردن يابسا حتى عبر جميع
الشعب بحر الاردن فلما جاز الشعب جميعا قال الرب ليوشع احمد الى اثني عشر رجلا من الشعب

الشعب من كل سبط رجل واحد وقل لهم خذوا من ههنا من جوف الاردن من تحت اقدام الكهنة
اثني عشر حجرا وعبروها معكم وانصبوها في موضع المبيت الذي تبيتون فيه الليلة فامرهم يشوع
بذلك وان يحمل كل رجل حجره على عاتقه فاخذوها الى موضع مبيتهم ونصبوها هنالك فمكثت الحجارة التي
اخذوها من الاردن من تحت اقدام الكهنة الذين حملوا التابوت موضوعة هنالك الى اليوم
والكهنة الذين حملوا التابوت كانوا اتيا ما حتى تمت جميع الاقوال التي امر الرب يشوع ان يقص
على الشعب كما اوصى موسى يشوع وعجل الشعب على الجواز وجازوا فلما جاز جميع الشعب وجاز الكهنة
الذين كانوا حاملين التابوت امام الشعب وجاز بنو راوبيل وبنو جاد ونصف سبط منسا وهم
متسلحون امام اخوتهم كما امر موسى اربعون الفا ذوو قوة جازوا امام الرب الى قاع اريحا للحرب
في ذلك اليوم عظم يشوع عند جميع بني اسرايل ونوتوه كما تهيبوا موسى طول ايام حياته وقال
الرب ليشوع مر الكهنة الذين حملوا تابوت الشهادة يصعدوا من الاردن في عشر خلت من الشهر
الاول تلك فامرهم فلما صعدوا رجع ما الاردن الى مواضعه اول ما استقرت اقدام الكهنة في الشط
وجرى في سواحل الاردن كما كان اولا فصعدوا من الاردن في عشر خلت من الشهر الاول ولنذو بعمو
نيسان على ما قال بعض فضلا اليهود ونزلوا الجلجال في مشارق اريحا فاما الاثني عشر حجرا التي
اخذوها من الاردن فنصبها يشوع في الجلجال وقال يشوع لبني اسرايل اذا سالكم بنوكم غدا وقالوا
ما هذه الحجارة فقولوا لهم ان بني اسرايل فلق لهم هذا الاردن لجازوه يابسا لان الله ربكم يبس ما الاردن
امامكم حتى جازوه كما فعل الله ربكم ببحر سوف الذي يبسه امامنا حتى جزناه ليعلم جميع شعوب
الارض ان يد الرب قوية ولتتقوا الله ربكم كل الايام فلما سمع جميع ملوك الاموراتيين الذين في
جانب الاردن الغربي وجميع ملوك كنعان الذين على شط البحر ان الرب يبس ما الاردن امام
بني اسرايل حتى جازوا انزعجت قلوبهم ولم يبق فيهم رمق فزعا من بني اسرايل في ذلك الزمان قال
الرب ليشوع اتخذ سيفا من صوان واختن بني اسرايل ثانية في الاكمة فختن بني اسرايل ثانية في اكمة
القلف والذي ختن يشوع هم جميع الذكورة الذين كانوا ولدوا في البرية لانهم لم يطيعوا الله ربكم
وكانوا كلهم مختتنين فاقسم الرب عليهم ان لا يريهم الارض الذي وعد اباهم ان يعطيهموها الارض التي
تغل السمن والعسل فبنوهم الذين كانوا من بعدهم هم الذين ختن يشوع لانهم كانوا غلفا فلما ختن جميع
الشعب مكثوا مواضعهم في العسكر حتى برأوا وقال الرب ليشوع اليوم صرفت عنكم عار اهل مصر ودعا
اسم ذلك الموضع جلجالا ونزل بنو اسرايل الجلجال وعملوا فصحا في اربعة عشر يوما من الشهر الاول
عند المسا في قاع اريحا واكلوا من بر الارض بعد الفصح واكلوا في ذلك اليوم فطيرا وسنبلا مقلوا
وارتفع المن عن بني اسرايل منذ ذلك اليوم حيث اكلوا من بر الارض ولم ينزل المن لبني اسرايل بعد ذلك
اليوم واكلوا من بر الارض وغلات ارض كنعان في تلك السنة وبينا يشوع في قاع اريحا اذ
نظر رجلا قايما ازاءه مخترطا سيفه ممسكه في يده فاقبل يشوع اليه وقال له انت منا ام من اعدائنا
قال انا سيد اجناد الرب الان اتيتك فخر يشوع ساجدا على وجهه على الارض وقال ما الذي يقول
السيد لعبده قال اخلع خفك عن قدميك فان الموضع الذي انت قايم فيه طاهر ففعل يشوع ذلك
وكان بنو اسرايل قد حاصروا اريحا ولم يكن يقدر احد من اهلها يدخل ولا يخرج قال الرب ليشوع
انظر اني قد دفعت في يدك اريحا وملكها وكل اجنادها فليحط بالمدينة جميع الرجال المقاتلة
ودوروا حول المدينة مرة في اليوم وافعلوا ذلك ستة ايام ويحمل سبعة من الكهنة سبعة ابواق ق
ويهتفون امام التابوت حتى اذا كان يوم السابع دوروا حول المدينة سبع مرات وليهتف الكهنة
بالقرون فاذا هتفوا بالابواق وسمعتم اصواتها ليهتف جميع الشعب بالاعلا برفعوا كلهم صوتا شديدا فيقع
سور المدينة مكانه ويصعد الشعب كل انسان حياله فدعا يشوع الكهنة وقال لهم احملوا تابوت
عهد الرب ويحمل سبعة من الكهنة سبعة قرون وينفخون فيها امام تابوت الرب ثم قال للشعب
دوروا حول المدينة والمتسلحون يعبرون يجوزون امام تابوت الرب ثم قال للشعب يحمل سبعة
من الكهنة سبعة قرون وهتفوا امام تابوت الرب فلم يزالوا ينفخون في القرون والذين كانوا
يحملون التابوت يتبعون اصحاب الابواق والمتسلحون يسيرون امام الكهنة الذين يهتفون بالقرون
ويسيرون التابوت وقال يشوع للشعب لا تهتفوا ولا تسمعوا اصواتكم ولا يخرج كلام من افواهكم الى
اليوم الذي امركم ان تهتفوا فدارت الجماعة بالتابوت كل يوم مرة كما امرهم يشوع فلما كان اليوم السابع

فلما كان اليوم السابع ادلجوا سحرا واحاطوا بالمدينة كسنتهم ولكن في ذلك اليوم السابع داروا حولها سبع
مرات وفي المرة السابعة هتف الكهنة بالقرون وقال يشوع للشعب اهتفوا الان الرب قد دفع المدينة
في ايديكم ولكن صيروا هذه المدينة وكل ما فيها حرمة للرب لا يمسه انسان منكم وابقوا على راحاب الزانية
يعني الفندقانية كما اخبرني بعض فضلائهم ويوجد التعبير عنها فيما مضى بالسواقة والله اعلم وعلى كل
من معها في بيتها لانها غيبت الرسولين اللذين ارسلنا فاما انتم فاحتفظوا من الحرام ولا تنجسوا
انفسكم باخذ الحرام فتصيروا عسكر بني اسرائيل حراما فنفخوا في القرون فلما سمع الشعب صوت
الابواق ضجوا كلهم ضجة شديدة جدا فوقع سور المدينة فصعد الشعب الى المدينة كل انسان حيال وجهه
فافتتحوها وقتلوا كل من فيها رجالها ونساءها والمشيخة والصبيان والثيران والحمير والغنم
قتلوها بالسيف واما الرجلان اللذان اجتسا الارض فقال لهما يشوع ادخلا الى بيت المراة الزانية
يعني الفندقانية كما مضى فاخرجاها واخرجا كل من معها في البيت كما حلفتما لها ففعلوا وانزلوهم
خارج عسكر بني اسرائيل واحرقوا المدينة وكل من فيها بالنار واحيا يشوع الزانية ووالديها وكل من لها
واقسم يشوع في ذلك الزمان ولعن وقال ملعونا يكون امام الرب الرجل الذي يقوم ويبني مدينة
اريحا هذه وكان الرب بعونه مع يشوع ونصره وشاع خبره في الارض كلها واثم بنو اسرائيل
وتناولوا من الحرام وذلك ان عاجار بن كرمي بن زيدي بن زارح من قبيلة يهوذا تجرأ واخذ من الحرام
وغيبه في خيمته فاشتد غضب الرب على بني اسرائيل ثم ارسل يشوع رجالا الى عاي الذي عنده
بيت اون من مشارق بيت ايل ليجسوها فقالوا له انه يجزي في اخذها الفان او ثلاثة لان اهلها
قليل فصعدوا اليها فاخذوا بهم عند باب المدينة فانهزم بنو اسرائيل وجرح منهم جرحى كثير فذكر
القصة في سجود يشوع وانزعاجه واخبار الله تعالى ان قومه غلوا ثم امره بالقرعة حتى يخرج الذي
عنده الغلول وهو عاجار وكان غلوله طنفسة بابلية ومايتي مثقال فضة وسبيكة من ذهب
فيها خمسون مثقالا فاخرجه يشوع مع كل شي هو له وقد مضى ذلك في البقرة عند اولئك الذين اشتروا
الحيوة الدنيا بالاخرة وتقدم في المائدة فتح بلاد بيت المقدس باعجوبة اخرى واستمروا هكذا
يفتحونها بلدا بعد بلد ويقتلون من جبابرتها عددا بعد عدد ويرون في ذلك من عجائب
الامور وبدائع المقدور ما يبعث على كمال الايمان ودوام الرهو وهم في اثناء ذلك كل قليل يلوون
وينقضون العهود ولا يشكرون كما هو مبين في سفر يوشع بن نون وقد مضى شي منه في المائدة عند
قوله تعالى ثم عموا وصموا الاية كل ذلك بعد ان جاءهم من العلم ما لا يدخله ريبة ولا يخالطه شك
ولا يدنو منه لبس فتبارك من له الامر كله لا مضل لمن هدى ولا هادي لمن يضله ولما كان ما مضى
من ايات هذه السورة المبينة ان من اريدت شقاوته لا تنفعه مشاهدة الايات سببا لنفي الشك
عنها واثبات اليقين بمضامينها بما سلف من الادلة على تلك المضامين الى ان ختم ذلك بذم من عمل
عمل الشاك بعد ان جاءه ما يوجب اليقين من العلم وكان صلى الله عليه وسلم كما مضى في اخر التي قبلها
اشفق الخلق لا سيما على العرب لا سيما على قومه منهم وكانت الوصية قد برزت من الجناب
الالهي له بما يوافق طبعه من بذل الجهد في ملاطفتهم كان ذلك جديرا بان يحرك طبع البشر في
الاجابة لما يقترحون وكان طلب ذلك ابعد العظام عنه من ابتغاء الشك في الجملة فاريد حسما لنفس
عنه بالكلية ولو بالخطور في البال فقيل مسببا عما قبله فان كنت يا ارحم الخلق في شك ولم يرد بهذا
الكلام حقيقته والله اعلم بل تقوية اليقين وتاكيده ورسوخه وتابيده بان هذا امر قد عزم عليه
وفرغ منه فلا يحتمل مراجعة وذلك لان المعنى ان شقاءهم على الشقاوة امر لا يعلم الا من قبلنا وذلك
باحد امرين اما بواسطة الامين جبريل عليه السلام بما ياتي به من الوحي غضا طريا محفوظا من
الغير فلا تحريف فيه ولا تبديل واما بواسطة اهل الكتاب عن انبيائهم وفي ذلك نزول درجتين مع
تجويز التحريف والتبديل وهذا اما لامر ما ذوهمه علية ونفيه فالمعنى انا قد اخبرناك بان الايات
لا تزيد المقضي بشقاوته الا ضلالا وانا خبير بذلك ولا ينبئك مثل خبير فلا تطلب اجابتهم الى
ما يقترحون عليك رجاء ايمانهم فانهم لا يؤمنون بذلك فان كنت اي وقتا من الاوقات في شك اي ولو
قل مما انزلنا اي بعظمتنا واصلا على لسان الواسطة اليك في ذلك فاسأل اي بسبب ذلك الشك الذين
يقرءون اي يوالين لذلك الكتاب اي السماوي من اليهود والنصارى فانهم من الاحاطة بصحة ما انزل
اليك على امر عظيم ومن امن منهم او كان منصفا جدير بان يزداد من فاوضه في ذلك ايمانا ولما كان نوابعض

لبعض من اوتي الكتاب في الزمن السالف ثبت الجار فقال من قبلك وهم عن ذلك الخبر بمراحل فلا
يحتاج الى سؤال غيري وهذا المضمون قوله تعالى مؤكدا اياه بحرف التوقع لان كلا من الامرين
في الخلق من اخترعه لقد جاءك الحق اي الثابت الكامل ثباته وهو امضا العدل فيهم وزاده تشريفا
فيه بقوله من ربك اي المحسن اليك باصطفائك لذلك فلذا اسبق سياق البيان له من غير واو فاذا
ثبت انه الثابت اعلا الثبات تسبب عنه البعد من تزلزل من جاءه فناسب اتباعه بقوله فلا تكونن
اي اكد لانه حقيق بان لا ينشى عنه احد بوجه من الوجوه من الممترين اي العالمين عن ايات الله فتطلب
التفضل لاهل العدل والله ما يشك طرفة عين ولا سال احدا منهم ولما نهى عن ذلك لم يبق مما اقتضته
القسمة العقلية الا العناد ومن يكن منه كما فعل بنو اسرائيل بعد مجيء العلم فاتبعه النهي عن مثل حالهم
بقوله ولا تكونن اي بوجه من الوجوه والمراد هذا اتباعه من الذين كذبوا اي فعلوا فعل المكذب
مستهينين بايات الله اي التي لا اعظم منها باضافتها الى من لا اعظم منه فتكون اي كونا راسخا من الخاسرين
بل اثبت على ما انت عليه من اليقين والطمأنينة والثقة بما اسدى السكينة وهذا ونحوه مما غلظت
فيه العبارة دلالة على مزيد قرب المخاطب وان كان المراد غيره وعظيم منزلته ولطيف خصوصيته
كما مضى بيانه عن الامام ابي الحسن الحرالي في سورة براءة عند قوله تعالى عفا الله عنك الاية وتغليظ
العبارة فيه تاديب عظيم لتابعيه والشك الوقوف بين النقيضين وهو من شك العود فيما ينفذ فيه لانه
يقف بذلك الشك بين جهتيه والامتراء نقل الشيء من علو الى سفل والامتراء طلب التشكك مع ظهور الدليل
من مري الضرع وهو مسحه ليدر ولما كان ما مضى من هذه الايات وما كان من طرازها قاضيا بانه لا تغني
الايات عنهم صرح به في قوله تعالى ان الذين حقت اي وجبت وثبتت عليهم اي بانهم اشقياء وعيدا لا اشد
المنهم للاحسان اعلاما بانه ما اوجب عليهم العذاب الا احسانا الله بما يقاسي من معالجتهم وغير ذلك
من الحكمة كلمت ربك اي المحسن اليك في جميع امرك لا يؤمنون اي لا يتاتى لهم تجدد الايمان ولو جاءتهم كل اية
ونسبتها الى قوله لقد جاءك الحق نسبة لقد جاءك الحق الى فان كنت في شك الاية في البيان المستفاد من
حذف العاطف واذا كان الكلام في معنى واحد كان بمنزلة الكلمة الواحدة شيء بها حتى يروا العذاب الاليم
اي حين لا ينفعهم الايمان لفوات شرطه كما لم ينفع فرعون لان ذلك سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد
لسنة الله تحويلا ولما كان هذا موضع ان يقال انما تطلب الايات لما يرجى من تسبب الايمان عنها
تسبب عنه ان يجاب بقوله تعالى فلولا اي فهلا كانت قرية اي واحدة من قرى الامم الماضية التي
اهلكناها امنت اي من قومها عند اتيان الايات او عند رؤية اسباب العذاب فنفعها اي
تسبب عن ايمانها ذلك انه نفعها ايمانها ولما كان معنى لولا النفي كان التقدير لم تؤمن قرية منهم لا
عند صدمة العذاب كما فعل فرعون لو امن عند رؤية البحر على حال الفلق او عند توسطه وقبل انطباقه
عليه فقبل ولكنه ما امن الا بعد انطباقه ومشيه وذلك حين لا ينفع لفوات شرطه من الايمان بالغيب الا قوم
يونس فانهم امنوا عند المخايل وقت بقاء التكليف فنفعهم ذلك فانهم لما امنوا ودل على انه
كان قد اظلهم بقوله كشفنا اي بعظمتنا عنهم اي حين ايمانهم ودل على انه لم يبق بينهم وبين
العذاب الا قدر ميل عذاب الخزي اي الذي كان يوجب لهم لو ترك عليهم هوان الدارين في الحيوة
الدنيا اي فلم ياخذهم وقت دونهم له ومتعناهم اي تمتيعا عظيما الى حين وهو انقضاء اجالهم مفرقة
كل واحد منهم في وقته المضروب له وما ذكرته في معنى الاية نقله القاضي ابو محمد اسحق بن
ابراهيم البستي في تفسيره المسند عن ابن ابي عمر قال قال سفين الثوري فلولا كانت قرية امنت
قال فلم تكن قرية امنت وهذا التفسير معنى الكلام واما لولا فهو بمعنى هلا وهي على وجوه تخصيص وتانيب
اي توبيخ وهي هنا للتوبيخ ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى لم لا ويلزم كلا من المعنيين النفي والنفع
ايجاب اللذة بفعلها او ما يودي اليها كالدواء الكريه المودي الى اللذة والخزي هو ان ينقص صاحبه
وهو وضع من القدر للغم الذي يلحق به واصله التعب ولما كان ما مضى ربما اوجب اعتقادا ان
ايمان مثل اولئك محال جاءت هذه الاية في مقام الاحتراس منه مع البيان لان حرص الرسول
صلى الله عليه وسلم على ايمانهم لا ينفع ومبالغته في ازالة الشبهات وتقرير الدلائل لا يفيد الا لمشيئة
الله تعالى ولو شاء اي ايمان الناس ربك اي المحسن اليك باتباع من اقبل لسماع الخير فيه وادبار من ادبر
لعدم قابليته للخير لامن من في الارض من الثقلين ولما كان هذا ظاهرا في الكل صرح به مؤكدا الا ان المقام
يقتضيه فقال كلهم جميعا اي مجتمعين على ان واحدا لا يختلفون في شي منه ولكنه لم يشا ذلك وانت لحرصك

على امتثال اوامري ووصيتي لك بالتلطف بخلقي الموافق لما جبلتك عليه من الخير تريد ذلك افانت
تكره الناس اي الذين لم يرد الله ايمانهم مع ما طبعتهم عليه من الاضطراب حتى يكونوا اي كونا جبليا
مومنين اي راسخين في الايمان واولا الاستفهام الاسم مقدما على الفعل للاعلام بان الفعل وهو هنا
الاكراه ممكن من غيره ولذلك الاسم وهو هنا الله وحده القادر على تحويل الطباع فان قدرته قاهرة لكل شي
ومشيئته نافذة في كل شي مع الدلالة على ان وقوع خلاف المشيئة مستحيل لا يمكن لغيره تعالى باكراه ولا
غيره والمشيئة معنى يكون به الفعل مرادا اخذت من الشي والمراد بالاية تخفيف ما يلحق النبي صلى
الله عليه وسلم من التحسر الحرص على ايمانهم وما كان اي وما ينبغي وما يتاتى لنفس اي واحدة فما فوقها
ان تومن اي يقع منها ايمان في وقت ما الا باذن الله اي بارادة الملك الاعلا الذي له الخلق والامر
وتمكينه فيجعل الثبات والطمانينة اللازمين للايمان الذي هو ابعد شي عن السحر على الذين يعقلون
بعقولهم فيلزمون معالي الاخلاق التي هي ثمرات الايمان ويجعل الرجس اي الاضطراب والتزلزل
الذي يلزمه التذبذب الذي هو اشبه شي بالسحر لانه تخييل ما لا حقيقة له والقذر والنتانة والغضب
والعقاب الناشي عنه ولما كان ما في هذه السورة من الدلائل قد وصل في البيان الى حد لا يحتاج فيه
الى غير مجرد العقل قال على الذين لا يعقلون اي لا يوجد لهم عقل فهم لذلك لا ينتفعون بالايات وهم
يدعون انهم اعقل الناس تتنشا قطون في مساوي الاخلاق وهم يدعون انهم ابعد الناس عنها فلا
تذهب نفسك عليهم حسرات والنفس خاصة الشي التي لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشي ونفسه
وذاته واحد ولما تقرر ما مضى من النهي عن الاصغا اليهم في طلب الايات وختم بتعليق الامر
بمجرد المشية كان كانه قيل فماذا طلبوا فقال قل اي يا اشرف الخلق لهم غير مهتم بامرهم ومنبها
لهم على ابطال مذهب الجبر المتعلق اصحابه بنحو هذه الاية لان المشية مغيبة والعبد مامور
ببذل الجهد في الطاعة بما له من القدرة والاختيار ولما امر بهذا الفكر فكان ربما ظن لاجله
ان للانسان قدرة مستقلة نبه على مذهب اهل السنة القايل بالكسب الذي هو كما قال الامام
علي رضي الله عنه امر بين امرين لا جبر ولا تفويض فقال معلما ان من حكم بشقاوته لا ينفعه
شي انظروا اي بابصاركم وبصايركم لتخرجوا بالانتفاع بالعقل عن عداد البهايم قال الامام ولو ان
الانسان تفكر في كيفية حكمة الله تعالى في خلق جناح بعوضة لانقطع فكره قبل ان يصل الى اول
الى اول مرتبة من مراتب تلك الحكم والفوايد فلذلك ابهم في قوله ماذا اي الذي في السموات
والارض اي من الايات وواضح الدلالات التي اخرجتموها بالعلم بها عن عداد الايات وهي عند
التامل من اعظم خوارق العادات قال الامام فكانه سبحانه نبه على القاعدة الكلية حتى تنبه
لاقسامها وقال ابو حيان اخذ ابن الامام السبيل الى معرفته تعالى هو بالتفكر في مصنوعاته
ففي العالم العلوي في حركات الافلاك ومقاديرها واوضاعها والكواكب وما يختص بذلك
من المنافع والفوايد وفي العالم السفلي في احوال العناصر والمعادن والنبات والحيوان وخصوصا
حال الانسان انتهى ولما كان ما فيهما من الايات في غاية الدلالة نبه سبحانه على ان المتوقف
عن الايمان بعد التنبيه على كيفية الاستدلال معاند فقال وما وهي نافية او استفهامية
تغني الايات اي وان كانت في غاية الوضوح والنذر اي الانذارات او والرسل المنذرين
عن قوم اي وان كانت فيهم قوة لا يومنون اي الحكم بشقاوتهم فكان ذلك سببا لتهديدهم بقوله
فهل ينتظرون اي بجميع قواهم في تكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم وتخلفهم عن الايمان الا اي ايا ما
اي وقايع مثل ايام اي وقايع الذين خلوا ولما كان اهل الايام الهايلة بعض من كان قبل اتى بالجار فقال
من قبلهم اي من مكذبي الامم وهم النبط وقوم نوح ومن طوي بينهما من الامم من حقوق الكلمة عليهم
بحلول كلمهم باسنا ثم تنجيتهم لايمانهم كما كنا نفعل باوليك اذا كذبوا رسلنا ثم ننجي الرسل ومن امن بهم حقا
علينا ذلك للعدل بين العباد ولما تقدمت الاشارة الى ان الكلمة حقت على الكافرين لعدم الايمان الرجس
الذي هو العقاب زاد في تهديدهم بالاعراض عما سببه عن فعلهم فقيل من ينتظر العذاب
بقوله قل فانتظروا اي بجميع جهدكم ما تريدونه واتعابكم بسبب ما تقرر عندكم مما كان يقع بالماضين
في ايام الله وزاد التحذير باستينافه بقوله موكدا لما لهم من التكذيب اني واعلمهم بالرفعة بقوله
معكم من المنتظرين ولما كان التقدير فانا كنا في ايام الذين خلوا نوقع الرجس بالمكذبين عطف عليه
بيانا لما كان يفعل بالرسل عليهم السلام واتباعهم اذا اهلك الظالمين قوله ثم ننجي اي تنجية عظيمة

عظيمة وننجيهم النجاة عظيما وجاء به مضارعا حكاية للاحوال الماضية وتصويرا لها تحذيرا لهم من مثلها
واعلاما بانه كذلك يفعل بهذا الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه رضي الله عنهم واشار باداة
التراخي الى طول زمان الابتدا وعظم رتبة التنجية وحذف مقابل الانجا لان المقام لعداية الا
ان اوليا الله ناظر الى البشارة اكثر من النظر الى النذارة رسلنا اي الذين عظمتهم من عظمتنا والذين
امنوا اي بالرسل وهم معهم في زمانهم ولو كانوا في ادنى درجات الايمان تشريفا للرسل فانهم
بصدد الرسوخ بملازمتهم ثم وصل بذلك تشريفا للراسخين ترغيبا في مثل حالهم قوله كذلك اي كما حق
علينا اهلاك الكافرين بهذا الاهلاك العظيم حقا علينا اي بما اوجبناه على جنابنا الاعظم ننجي
المومنين اي العريقين في الايمان ولو كانوا بعد موت الرسل تنجية عظيمة وننجيهم انجاء عظيما فالاية
من الاحتباك لما اشارت اليه القراءتان بالتخفيف والتثقيل او يكون ذلك مبنيا على سوال من لعله يقول
هل حقوق النجاة مختص بالرسل ومن معهم فقيل لا بل كذلك الحق وحقا علينا على ما لنا من العظمة
ننجي المومنين في كل زمن وان لم يكن بين ظهرانيهم رسول لان العلة الاتصاف بالايمان الثابت
فيكون الكاف مبتدا وننجي خبره والنظر طلب المعنى بالقلب من جهة الذكر كما يطلب ادراك المحسوس
بالعين والغني حصول ما ينافي الضر وصفة النقص وينقضه الحاجة والنذر جمع نذير من النذارة
وهي الاعلام بمواضع المخافة ليتقى به السلامة والانتظار الثبات لتوقع ما يكون من الحال والمثال اذا
كان من الجنس فهو ما سد مسد غيره في الجنس وان كان من غيره فالمراد ما كان فيه معنى يقرب به
من غيره كقربه من جنسه كتشبيه اعمال الكافر بالسراب والنجاة من النجوة وهي الارتفاع من
الهلاك ولما تقدم ما انتظام عن الميل في طلب الايات وكان طلبهم لها انما هو على وجه الشك وان
لم يكن على ذلك الوجه فانه فعل الشاك غالبا وتقدمت اجوبة لهم وختم ذلك بتهديدهم وبشارة المومنين
الموجبة لثباتهم ناسب كل المناسبة ان ابتعث بالامر بجواب اخر دال على ثباته صلى الله عليه وسلم
وانه مظهر دينه رضي من رضي وسخط من سخط لان البيان قد وصل الى غايته في قوله تعالى قل
قل يا ايها الناس اي الذين هم في حيز الاضطراب لم ترقهم هممهم الى رتبة الثبات ان كنتم اي كونا
هو كالجبلة منغمسين في شك كاين من جهة ديني فتطلبون لزواله بعد تكفل العقل بالدلالة عليه انزال
الايات فانا لست على شك من ثلم صحة ديني وبطلان دينكم فاعرضوه على عقولكم وانظروا ما فيه
من الحكم ليتخلص من ما لدينكم من الوهي الذي تقدم بيانه في قوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من
رزق ونحوه فلا اعبد اي الان ولا في مستقبل الزمان الذين تعبدون اي الان او بعد الان من دون الله
اي الملك الاعظم لعدم قدرتهم على شي من ضيري فلا تطمعوا في انه يحصل لي شك بسبب حصول الشك لكم
فانا لا اعبد غير الله اصلا ولما كان سلب عبادته عن غيره ليس صريحا في اثباتها له قال ولكن اعبد الله
اي الجامع لاوصاف الكمال لعبادة مستمرة ثم وصفه بما يوجب الحذر منه ويدل على كمال قدرته الذي
يتوفيكم بانتزاع ارواحكم التي لا شي عندكم تعدلها فلا تطمعون عند ارادته لنزعها في المحاولة
كتوجيه دفاع عن ذلك وفي هذا الوصف مع ما فيه من الترهيب اشارة الى الدلالة على الابتداء
والاعادة فكانه قيل الذي اوجدكم من عدم كما انتم به مقرون ويعدمكم بعد هذا الايجاد وانتم
مما عرفون ثبت قطعا انه قادر على اعادتكم بعد هذا الاعدام بطريق الاولى فاحذروه لتعبدوه
كما اعبده فانه تدامر في ذلك وانتم تعرفون غاية الحذر اذ احولف وقال ان كنتم في شك مع القطع بفرحون
في بطلان دينه لا تعم في حكم الشك لاضطرابكم عند ورود الايات او لان نعم الشك تغلب لانه
اقرب الى الخير والشك وتوقف بين المعنى ونقيضه وضده الاعتقاد فانه قطع بصحة المعنى دون
نقيضه وعبر بمن اشارة الى ان تعلقهم لذلك ابتداء من الدين ولو عبر بفي لافهم انهم دخلوا فيه لا ذهاب
في الشك والشك في الدين والظرف لظرف الشي ظرف لذلك الشي وترك العطف اشارة الى ان
كل جواب منها كاف على حياله ولما قرر ما هو الحق بطريق العقل اتبعه بما ورد من النقل تاييدا
واجابة بقوله وامرت اي بامر جازم ماض ممن لا امر لاحد معه وعظم المامور به بجعله عمدة الكلام
باقامته في مقام الفاعل فقال ان اكون اي دايما كونا جبليا ولما كان السياق لما يحتمل الشك من الامر
الباطني عبر بالايمان الذي هو للقلب فقال من المومنين اي الراسخين في هذا الوصف وان اقم ايها
الرسول وجهك اي كليتك على سبيل الاخلاص الذي لا شوب فيه للدين فوصل ولا كلة ان بمعنى
الامر ومانبا بلفظه جمعا بين الاسلوبين وكلاهما بمعنى المصدر وخص الثاني بذلك لطوله لانه كالتفصيل

للاول فالخطاب فيه اوكد والذ وقوله حنيفا حال من فاعل اقم ومعناه مسلما ميلا لا مع الدليل كما
اوضحته في البقرة اي اجمع بين الايمان بالقلب والاستسلام بالجوارح ولا تكونن اي في وقت من الاوقات
من المشركين الذين هم على ضد صفة الاسلام من الجفا والغلظة والجمود والقسوة ولما نهاه عن الشرك
اكده بما هو كالتعليل له بما يلزم من العبث بالخضوع لما لا ضر فيه ولا نفع بقوله ولا تدع اي في رتبة من
الرتب لكاينة من دون الله اي الذي بيده كل شي ما لا ينفعك اي ان فعلت شيا من ذلك فكان كالاساس
ولا يضرك اي ان اقمت على طاعتنا مع نصرنا فان فعلت اي شيا مما نهيناك عنه فانك اذا اي اذا دعوت
ذلك الغير لسببه الذي من الظالمين اي العريقين في وضع الدعوة في غير محلها لان ما هو كذلك في غاية البعد
عن منصب الالهية قال تعالى عاطفا على قوله فان فعلت وان يمسسك الله اي الذي لا راد لامره بضر
ه اي ضر كان على اي وجه كان وان كان ظاهرا جدا بما انبا عنه الاظهار فلا كاشف له اي اصلا بوجه
من الوجوه الا هو لانه اراده وما اراده لا يكون غيره فلا شريك سواه في ان يبدله بخير وعبر بالمس
لانه اخوف وان يردك اي مطلق ارادة بخير فلا اي اصابك لا محالة فانه لا راد وبنه على
انه لا يجب عليه سبحانه شي بان وضع مكان الضمير قوله لفضله اي عن ان يريده به كما يفعل بعض العا تثن
من اتباع ملوك الدنيا في رد بعض ما يريدون بل هو بحيث لا يستطيعون اصلا لا بانه فلا تخش غيره ه
فالاية من الاحتباك ذكر المس اولا دليلا على ارادته ثانيا والارادة ثانيا دليلا على مثلها
اولا ولم يستثن في الارادة كما استثنى في الكشف لان دفع المراد محال وعبر بالارادة في الخير
وبالمس في الضير تنبيها على انه صلى الله عليه وسلم مراد بالخير بالذات وبالضر بالعرض تطييبا
لقلبه لما تكرر في هذه السورة من الاخبار باحقاق العذاب على الفاسقين والايئاس من الظالمين
فلما تقرر ذلك احسن موقع قوله مبينا لحال ذلك الفضل يصيب به اي ذلك الفضل او ما
تقدم من الخير والضير من يشاء اي كاينا من كان من ادنى واعلى وبين العلة في كونهم مقهورين
بقوله من عباده وهذا كله اشارة الى انه ما اوجب الاعراض عن معبوداتهم بالسلب عنها او جب الاقبال
عليه بثبوته له واختصاصه به وختم الاية بقوله وهو الغفور اي البليغ الستر للذنوب الرحيم
اي البالغ في الاكرام اشارة الى ان اصابته بالخير لا تكون الا فضلا منه بعد الستر للذنوب والرحمة
للضعيف فهو الحقيق بان يعبد والمس اجتماع الشيئين من غير نقصان ونظيره المطابقة والمجامعة
ونقيضها المباينة والكشف رفع الساتر جعل الضر كانه مانع من ادراك الانسان وساتر له ولما
كثرت في هذه السورة الاوامر والنواهي والاجوبة بسبب ما يقترحونه على وجه التعنت وختم
بان من دعا غيره كان راسخا في الظلم لا مجير له منه ختم ذلك بجواب معلم بان فائدة الطاعة ليست
راجعة الا اليهم وضرر النفوس ليس عايدا الا عليهم فقال تعالى قل يايها الناس اي عامة كل من له قابلية
التحرك والاضطراب قد جاءكم الحق اي الكامل هذا الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الكتاب
وذلكم خير عظيم اصابكم الله به وزاد الترغيب فيه بقوله من ربكم اي المحسن اليكم فمن اي فتسبب
عن ذلك انه من اهتدى اي اتبع محمدا صلى الله عليه وسلم وعمل بما في الكتاب فانما يهتدي لنفسه لانه تبع الحق
الثابت وترك الباطل الزايل فانقذ نفسه من النار واوجب لها الجنة ومن ضل اي كره ها او بشي منه فانما
يضل عليها لانه ترك الباقي وتمسك بما ليس في يده منه شي لانه فان فقد غر نفسه وما انا ولما كان
السياق لنفي تصرفه فيهم وان ذلك انما هو الى الله تعالى كان تقديم ضميرهم اهم فقال عليكم بوكيل
فتطلب مني حفظكم مما يودي الى الهلاك ومنعه منكم كما يطلب من الوكيل ولما كان اكثر ذلك
وعظا لهم وتذكرا ختمه بامره صلى الله عليه وسلم بما يفعله في خاصة نفسه اجابوا او لم يجيبوا فقال
عاطفا على قوله قل يايها الناس واتبع ما اي بجميع جهدك ما يوحى اليك وبناه للمفعول لان ذلك كان بعد ان
تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم وعلم ان كل ما ياتيه من عند الله فكان ذلك امكن في امره باتباع كل ما
ياتيه منه سبحانه وفي الايذان بانه لا ينطق عن الهوى واصبر في تبليغ الرسالة على ما لو اصابك
من عظيم الضرر وبليغ الخطر من ضلال من لم يهتد واعراضه وجفوته واذاه حتى يحكم الله
اي الملك الاعظم بين من ضل بنزاعك ومن اهتدى وصواي وحذ وهو خير الحاكمين لانه يوقع الحكم في اول
مواقعه واحقها واحسنها واعدلها وهو المطلع على السراير فاعمل انت بما تومر به وبشر وانذر
واخبر وادع الى الله جميع ما امرك به واترك المدعوين حتى يامرك فيهم بامره قال البخاري وروي
انها لما نزلت الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا

فاصبروا حتى تلقوني وتبعه على ذلك ابو حيان وغيره فان صح فالسر فيه والله اعلم انه لما اعلمت هذه
الاية ان من اتبع الوحي ابتلي بما ينبغي الصبر عنه وافهمت ان من كان له اشد اتباعا كان اشد بلاء وكان
الانصار رضي الله عنهم اجمعين احق بهذا الوصف من غيرهم من حيث انهم كانوا اول قبيلة جمعها
الايمان ومن حيث كانوا له اسهل قيادا والين عريكة مع كونهم لم يتقدم لهم عشرة بالنبي صلى الله عليه
وسلم ولا خبرة باحواله توجب لهم من اتباعه ما يوجب لمن كان من بني عمه قريش لمخالطته وبا تبين
ويرى منه من معالي الاخلاق وكريم الشمايل ما يوفر داعيته على اتباعه فلما كان ذلك كذلك اخص
النبي صلى الله عليه وسلم الانصار رضي الله عنهم بهذا الامر تفضيلا لهم في ذلك من الجهتين المذكورتين
فلا يتوهم تفضيلهم على المهاجرين بل المهاجرون افضل لانهم جمعوا الى النصرة الهجرة مع ان اكثرهم
له من قرب النسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم والسبق في الاسلام حظ وافر بعد اما ظهرت
مناسبته على تقدير الصحة والذي في الصحيحين عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
اراد ان يقطع الانصار من البحرين فقالت الانصار حتى تقطع لاخواننا من المهاجرين مثل الذي
تقطع لنا فقال ستروني بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني فهذا كما ترى ان السبب حرصهم على الانصاف
وهو يدل على ان المنصف يقل انصاف الناس له فهذا ابنه ان السبب حرصهم على وهو مستقر او الوحي
القاء المعنى الى النفس في خفا وهو هنا ما يجي به الملك الى النبي عليهما السلام عن الله الى فيلقيه الله
على اختصاصه به من غير ان يرى ذلك سواه من الناس والصبر تجرع مرارة الامتناع من المشتهى
الى الوقت الذي ينبغي فيه تعاطيه وتهون عليه غلبة العلم بما فيه وكثرة الفكر في الخير الذي يناله
به واعتياد الصبر في خصلة يسهل الصبر في خصلة اخرى لان الخير يدعو الى الخير فتمكن الانسان
في خصلة يصير له ملكة دعوة الى ما شاكلها وقد ختم سبحانه السورة بما ابتداها به من امر الكتاب
والاشارة الى الارشاد لما ينفع من ثمرة اتباعه وهو الحال بما دل عليه واشار اليه ان يتجلى الحكم الذي
اتى له بالحكم في الدنيا او في الاخرة بما لا مرد له مما بررت به مواعيده الصادقة في كلماته التامة
وهذا بعينه هو اول التي بعدها فكان ختم هذه السورة وسطا بين اولها واول التي تليها فنبه
ردا للقطع على المطلع وشبع لما استتبع والله الموفق سورة هود عليه السلام مقصودها وصف
الكتاب بالاحكام والتفصيل في حالتي البشارة والنذارة المقتضي ذلك للعلم سبحانه ووضع كل شي في اتم
محاله وانفاذه مما اريد الموجب للقدرة على كل شي وانسب ما فيها لهذا المقصد ما ذكر في سياق قصة
هود عليه السلام من احكام البشارة والنذارة بالعاجل والاجل والتصريح بالجزم بالمعالجة بالمنابذة
الناظر الى اعظم مدارات السورة فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك والمنابذة بكل دابة والقدرة
على كل شي من البعث وغيره المقتضي للعلم بكل معلوم اللازم منه التفرد بالملك وسياتي في الاحقاف
وجه اختصاص كل منها باسمها بسم الله اي الذي له تمام العلم وكمال الحكمة وجميع القدرة الرحمن لجميع
خلقه بعموم البشارة والنذارة الرحيم لاهل ولايته بالحفظ في سلوك سبيله الر لما ختمت السورة
التي قبلها كما ترى بالحث عن اتباع الكتاب ولزومه والصبر على ما يتعقب ذلك من مرائر الصبر المودية
الى صفا وذا الخبر اعتمادا على المتصف بالجلال والكبرياء والكمال ابتدئت هذه بوصفه بما يرغب فيه فقال
بعد الاشارة الى اعادة القرع بالتعدي بالتحدي على ما سلف في البقرة كتاب اي عظيم جامع لكل خير
ثم وصفه بقوله احكمت بناه للمفعول لان بيانا لان احكامه امر قد فرغ منه على ابسر وجه عنده سبحانه
اياته اي اتقنت اتقانا لا نقض معه فلا ينقضها الذي انزلها بنسخها كلها بكتاب اخر ولا غيره ولا يستطيع
غيره نقص شي منها ولا الطعن في شي من بلاغتها او فصاحتها بشي يقبل والمراد المحكمات في ال عمران عدم
التشابه ولما كان للتفصيل رتبة هي في غاية العظمة اتى باداة التراخي فقال ثم اي وبعد هذه الرتبة العالية
التي لم يشاركه في مجموعها كتاب جعلت له رتبة اعلى منها جدا بحيث لم يشاركه في شي منها كتاب وذلك
انه فصلت اي جعلت لها مع كونها مفصلة الى حلال وحرام وقصص وامثال فواصل ونهايات
تكون بها مفارقة لما بعدها وما قبلها تفهم منها علوم جمة ومعارف مهمة واشارات الى احوال عالية ومواد
عذبة صافية ومقامات من كل علة شافية كما تفصل القلايد بالفرايد وهذا التفصيل لم يشاركه
في شي منه شي من الكتب السالفة بل هي مدرجة ادماجا لا فواصل لها كما يعرف ذلك من طالعها ويكفي في
معرفة ذلك ما سقته منها في تضاعيف هذا الكتاب وما انسب هذه ختام هذه الاية للاحكام والتفصيل
بقوله من لدن تولت ايات محكمة مفصلة حال كونها مبتداة من حضرة هي اغرب الحضرات لكاينة من لدن حكيم خبير

خبير منتهية الملك وانت اعلى الناس في كل وصف فلذلك لا يلحق احكامها ولا تفصيلها ارسلناك به قايلا
ان لا تعبدوا اي بوجه من الوجوه الا الله اي الاله الاعظم ولما كان هذا اعظم ما ارسل به صلى الله عليه وسلم
ومداره استانف الاخبار بانه ارسله سبحانه موكدا لاجل انكارهم فقال انني ولما كان ارساله صلى الله
عليه وسلم بقوله مقدما ما هو لاجل رحمة العالمين قدم ضميرهم فقال لكم منه اي خاصة ثم اجمل القران كله
في وصفيه صلى الله عليه وسلم بقوله مقدما ما هو انسب لختام التي قبلها بالصبر نذير وبشير كامل في كل من
الوصفين غاية الكمال وهذا التقدير يرشد اليه قوله تعالى اول التي قبلها اكان للناس عجبا ان اوحينا الى
رجل منهم ان انذر الناس الاية مع ايضاحه لما عطف عليه قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير
عليه واظهاره لفايدة عطفه كما سياتي ان شا الله تعالى ويرجح ان لا ناهية جازمة لتعبدوا عطف ان استغفروا
عليه فقد ظهر من تلويح هذا وتصريحه وتصريح ما في بقية السورة ان مقصودها وصف الكتاب بالاحكام
والتفصيل بما اعجز الخلق لانه من عند من هو شامل العلم كامل القدرة فهو بالغ الحكمة يعيد الخلق للجزا
كما بداهم اول مرة فوجب افراده بالعبادة وان يمتثل جميع امره ولا يترك شي منه رجا اقبال احد ولا خوف ادباره
ولا يخشى غيره ولا يركن الى سواه على ذلك مضى جميع النبيين ودرج ساير المرسلين صلى الله وسلم عليهم اجمعين ولما
تقدم انه نذير وبشير اتبع ذلك بما يشتمل الامرين بقوله عطفا على ان لا تعبدوا الا الله لانه لا يقدر احد ان يقدر الله
حق قدره وان استغفروا ربكم اي اطلبوا الاخلاص في العبادة ان يغفر لكم المحسن اليكم ما فرطتم فيه
واشار باداة التراخي الى علو رتبة التوبة وان لا سبيل الى طلب الغفران الا بها فقال ثم توبوا اليه اي
ارجعوا بالظاهر والباطن رجوعا لا رجعة فيه وان كان المراد بها الدوام فلجليل رتبته غير خفي يمتعكم
اي يطول في تلذذكم بالعيش مدة من منع النهار وارتفع والضحى بلغ غايته وامتعه الله بكذا ابقاه وانساه الى ان يبلغ
شبابه ولما كان التمتيع وهو المتاع البالغ فيه حتى لا يكون فيه كدر لا يكون الا في الجنة حذف المصدر ووضع مكانه
اسم المصدر فقال متاعا ووصفه بقوله حسنا ليدل على انه اللايق بهذه الدار ولقد كان ما اوتيه
الصحابة رضي الله عنهم في زمن عمر رضي الله عنه من الظفر بالاعدا وسعة الدنيا ورغد العيش لذلك الى اي يمتد
الى اجل مسمى اي في علمه اما بالموت لكل واحد او بانقضا ما ضرب من الاجل للنعمة التي اشار اليها ويوت كل ذي
فضل اي عمل فاضل فضله اي جزا ما قصد بعمله على وجه التفضل منه سبحانه فانه لا يجب لاحد عليه شي وهو مع ذلك
على حسب التفضل الحسنة بعشر امثالها قال ابن مسعود رضي الله عنه هلك من غلبت احاده عشراته ولما انقضى التبشير
بجزو ما به اتبعه التحذير بخوفا منه لحقا بالعبادة واستعطافا لهم فقال وان تولوا اي تكلفوا انفسكم ضد
ما طبعها الله عليه من سلامة الفطرة في سهولة الانقيا د من الاعراض لو بادني درجاته بما اشار اليه حذف التا
فاني اخاف عليكم عذاب اي والعاقل من ابعد عن المخاوف عذاب يوم كبير اي بكبر ما فيه من العذاب ممن قدر
على اثابتكم وخص اسم الرب تذكيرا بما له من النعم في الايجاد والانشا والتربية وفي التعبير عن العمل بالفضل
اشارة الى انه لم يقع التكليف الا بما فيه الوسع مع انه من معالي الاخلاق لان الاصل في الفضل لما فضل عن
الانسان وتعانيه من كريم الشمايل وما كان كذلك دنوفي الذروة من الاحكام لانه منع الفعل من الفساد وحكيم
من الحكمة وهو العلم بما يجمع عليه مما يمنع الفعل من الفساد والنقص بميز الحسن من القبيح والفاسد من الصحيح
وقد اشارت الاية الى ان الاستغفار والتوبة سبب للسعة ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وان الاعراض سبب للضيق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليحرم الرزق
بالذنب يصيبه وفي ذكر الفضل اشارة الى ثواب الاخرة فالتوبة سبب حسبا للعيش في الدنيا والاخرة وقال
الامام ابو جعفر بن الزبير ولما كانت سورة يونس عليه السلام قد تضمنت من اي التنبيه والتحريك للنظر ومن
العظات والتخويف والتهديد والترهيب والترغيب وتوبيخ المشركين والجاحدين والقطع بهم والاعلام بالجريان
على حكم السوابق ووجوب التفويض والتسليم ما لم تشتمل على مثله سورة لتكرر هذه الاغراض فيها وسبب
تكرر ذلك فيها والله اعلم انها اعقبت بها السبع الطوال وقد مر التنبيه على ان سورة الانعام فيها وقع استيفاء
بيان حال المتنكبين عن الصراط المستقيم على اختلاف احوالهم ثم استوفت سورة الانعام ما وقعت الاحاطة عليه
من احوال الامم السالفة كما تقدم وبسطت ما اجمل من امورهم ثم اتبع ذلك بخطاب المستجيبين لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وحذروا وانذروا وكشف عن حال من تلبس بكلمهم من عدوهم من المنافقين وتم المقصود من هذا
في سورتي الاعراف وبراءة ثم عاد الخطاب الى طريقة الدعا الى الله والتحذير من عذابه بعد بسط ما تقدم فكان
مظنة التاكيد والتخويف والترهيب ليتبين ذلك بعد بسط حال وايضاح ادلة فلهذا كانت سورة يونس عليه
السلام متضمنة من هذا ما لم يتضمن غيرها الا ترى افتتاحها بقوله ان ربكم الله الايات ومناسبة هذا الافتتاح دعا

الخلق الى الله تعالى في سورة البقرة بقوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم ثم قد نبهوا هنا كما نبهوا هناك فقال تعالى ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة
مثله ثم تاكدت المواعظ والزواجر والاشارات الى احوال المكذبين والمعاندين في التنبيه ان ربكم الله هو الذي جعل الشمس ان في اختلاف الليل والنهار
قل هل من شركايكم من يبدا الخلق ثم يعيده قل هل من شركايكم من يهدي الى الحق قل انظروا ماذا في السموات والارض الى غير هذا الى غير هذا وعلى
هذا السنن تكررت العظات والاغراض المشار اليها في هذه السورة الى قوله تعالى يا ايها الناس قد جاكم الحق من ربكم فحصل من سورة الانفال والاعراف
وبراءة ويونس تفصيل ما كان اجمل فيما تقدم بعدها كما حصل بما تقدم تفصيل احوال الناكبين والمتنكبين فلما تقرر هذا كله تبع الجموع بقوله كتاب احكمت
اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير وتامل مناسبة الاتيان بهذين الاسمين الكريمين وهما الحكيم الخبير ثم تامل تلاوة صدر السورة بقوله يا ايها الناس
قد جاكم الحق من ربكم وقد كان تقدم قوله تعالى قد جاتكم موعظة من ربكم فاتبع قوله يا ايها الناس قد جاكم الحق من ربكم بقوله في صدر سورة هود
كتاب احكمت اياته ثم فصلت فكانها في معرض بيان الحق والموعظة واذا كانت محكمة مفصلة فحق لها ان تكون شفا لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين
وحق توبيخهم في قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه والبحث في عمههم من احكامه وتفصيله ولكن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يومنون وتامل قوله سبحانه
اخر هذه السورة وكلا نقص عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك وجاك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمومنين فكل الكتاب حق وموعظة وذكرى
وانما الاشارة والله اعلم بما اراد الى ما تقرر الايما اليه من كمال بيان الصراط المستقيم وملتزمات متبعيه اخذا وتركا وذلك احوال المتنكبين على
شتى طرقهم واختلاف اهوايهم وعداياتهم وشرهم ابليس فانه يجمعهم والقايل لجميعهم في اخبار الله تعالى ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم
فاخلفتكم وقد بسط من امره وقصته في البقرة والاعراف ما يشير الى المومنين الحذر منه وعرفهم به وذكر اليهود والنصارى المشركون والصابون
والمنافقون وغيرهم وفصل مرتكب كل فريق منهم كما استوعب ذكر اهل الصراط المستقيم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وفصل من
احوالهم ابتدا وانتها والتزاما وتركا وذكر احوال المتنكبين بما اوضح طرقهم وعين حزبهم وفريقهم اوليك الذين هدى الله وذكر احوال الامم مع
انبيايهم واخذ كل من الامم بذنبه مفصلا وذكر ابتدا الخلق في قصة ادم عليه السلام وحال الملايكة في التسليم والاذعان وذكر تنا الجن
من مومن وكافر ودوام الاخرة وانتهاء حال الخلق في واستقرارهم الاخروي وتكرر دعا الخلق الى الله تعالى لطفا فيه ورحمة والعلام للخلق بما هو عليه
سبحانه وما يجب له من الصفات العلا والاسما الحسنى ونبه العباد على الاعتبار وعلى طرق الاستدلال ورغبوا ورهبوا وبشروا وانذروا
واعلموا بافتقار المخلوقات بجملتها اليه سبحانه كما هو المنفرد بخلقهم الى ما تخلد ذلك مما يعجز الخلق عن حصره والاحاطة به والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل فلما تقدم هذا كله في السبع الطوال وما تلاها اعقب ذلك بقوله كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ثم اتبع هذا بالايما الى فصول
ثلاثة عليها مدار اي الكتاب وهي فصل الالهية وفصل الرسالة وفصل التكاليف اما الاول فاشار اليه قوله سبحانه الا تعبدوا الا الله واما فصل
الرسالة فاشار اليه قوله سبحانه انني لكم منه نذير وبشير واما فصل التكاليف فاشار اليه قوله سبحانه وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وهذه
وهذه الفصول الثلاثة هي التي تدور عليها اي القران وعليها مدار السورة الكريمة فلما حصل استيفا ذلك كله فيما تقدم ولم يبق وجه شبهة
لمعاند ولا تعلق لجاحد واتضح الحق وبان تمامه سبحانه وتعالى وجاك في هذه الحق اشارة الى كمال المقصود وبيان المطلوب واستيفا التعريف
بوضوح الطريق وقد وضح من هذا الذي في السورة الكريمة لما تقدمها وما يشهد لهذا والله اعلم قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه ويتلوه
شاهد منه وقوله تعالى فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا فقد وضح طريقك وبان بالفلاح حزبك وفريقك ولا تركنوا الى الذين ظلموا
فقد عرفتم سبيلهم ومصيرهم فقد بان طريق الحق وكيف ينكب مرتجو من سلوكه من الخلق وتنطبق قوله سبحانه وجاك في هذه الحق عقبه ما ذكر
سبحانه لمن الملك اليوم وقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيا والامر يوميذ لله فتامل ذلك والله المستعان انتهى ولما خوفهم المنذر وذا اليوم الكبير
كانوا كانهم قالوا ما هذا اليوم فكان الجواب يوم يرجعون اليه ولما كانوا ربما حملوا الرجوع على مجرد الموت والصيرورة ترابا نبههم على انه
بغير المعنى الذي يتوهمونه بل بمعنى اعادتهم كما كانوا فقال الى الله اي الملك المحيط بكل شي قدرة وعلما وحده مرجعكم اي رجوعكم ووقته
ومكانه لاجل الحساب لا الى التراب ولا غيره وهو بكل شي عليم ومنه مبدؤكم لا الى التراب للمعاد وجعل فاصلة الاية حكما على المراد فقال
وهو اي وحده على كل شي قدير اي ممكن قدير اي بالغ القدرة لانهم يعتقدون على اشيا هي اعظم من الاعادة فهو قادر على الاعادة كما قدر على البداة
فالاية من الاحتباك ذكر المرجع اولا دليلا على المبدا ثانيا والقدرة ثانيا دليلا على تمام العلم اولا وانهم استكبروا زمانا فلما تقدم من التخويف
والاطماع ما هو مظنة لاقبالهم وردهم على التولي بخصوصه فكان موضع ان يقال اهل اقبلوا فقيل لا فقال مبينا ان التولي باطنا كالتولي
ظاهرا لان الباطن هو العمدة موكدا لانه امر لا يكاد يصدق والتاكيد تعدد في تكبيتهم الا انهم اي الكفار المعاندين يثنون صدورهم
اي يطوونها ويحرفونها عن الحق على حال من غير اقبال لان من اقبل على الشي اقبل عليه بصدره ليستخفوا منه اي يريدوا ان يوجد لهم
اخفاوهم على غاية ما يكون من امره فان كان مرادهم بالشي الاستتار من الله تعالى فالامر في عود الضمير اليه سبحانه واضح وان كان من النبي صلى
الله عليه وسلم فالاستخفا منه استخفا ممن ارسله ثم اعلم ان ذلك غير مغن عنهم لانه يعلم سرهم وعلنهم فاخرجوا لهم عندهم وهو حين استغشا
ثيابهم فيغطون الوجوه التي تسفر عن بعض ما في القلوب للمتوسمين فقال الا حين يستغشون ثيابهم اي يوجدون غشيانا لها اي
تغطيتها لرووسهم للاستخفا كراهة لسماع كلام الله واخبار رسوله صلى الله عليه وسلم يعلم ما يسرون اي يوقعون اسراره في اي وقت كان ومن
اي نوع كان من غير بطء التدبر وتامل فلما لم يكن علم السر والعلن ملازمة لاختصاص العلن بخفا يكون لغيبه او اختلاط باصوات ولغط

ولفظ او اختلاف لغة ونحو ذلك قال تعالى قصرا عليها وما يعلنون اى يوقعون اعلانه لا تفاوت فى علمه بين ايسرارهم واعلانهم فلا وجه لاستخفائهم نفعا
فان سوق نفيا تهم غير نافع عنده سبحانه ثم علله بما هو ادق من ذلك كله مع شموله للنوعين فقال انه عليم اى بالغ العلم جدا بذات الصدور
اى بضمايرها قلوبهم التى فى داخل صدورهم والذى يتنوع منها قبل ان يقع لهم من اضمارها بل من قبل ان يخلقهم واصل الثنى العطف وثنى الانثا
لعطف احدهما على الاخر والثنا العطف المناقب فى المدح ولهذا لما قال العبد فى الفاتحة الرحمن الرحيم بعد الحمد قال الله تعالى اثنى على عبدى
كما فى حديث قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين والاستثنا لعطف الثانى على الاول بالاستخراج منه والاستخفا طلب خفا الشى
ثم اتبع ذلك بما يدل على شموله العلم والقدرة معا فقال وما واغرق فى العموم بقوله من دابة ودل على ان الانتفاع بالاموال مخصوص
باهل العالم السفلى بقوله فى الارض اى صغرت او كبرت الا على الله اى الملك الاعلى الذى له الاحاطة وحده لا على غيره رزقها اى قوتها
وما تنتفع وتعيش به بمقتضى ما اوجبه على نفسه تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه لان الافتقار على كل شى بما لا تعيش الا به وكل
بلايمنا الا هو مرة حين تعالما دق جدا معنى فى العلم مع تضمنه لتمام القدرة والاية مع ذلك ناظرة الى ترغيبك فى قوله استغفروا ربكم كلام اد
اخلصوا العبادة له ولا تنتبروا عن عبادته للاشتغال بالرزق فانه ضمنه لكم وهو عالم بكل شى فلا تخشوا من انه ينسى احدا
وقال فى الارض ليعم ما يمشى على وجهها وما فى الجبال وقامن الديوان ونحوها مما لا يعلمه الا هو ولقد شاهدت مثل حصاة من شاطئ
بحر فيرس شدرة الصلاة بدكا فها العقيق الا بيضر ودة عندها ما تاكل واخبرنى الفاضل عز الدين محمد بن احمد التكرورى الكتبى
انه شاهد غير مرة فى حجارة تقطع من جبل مصر الدود وعنده ما ياكل من الحشيش الاخضر وما يشرب من الما ونبه بقوله ويعلم مستقرها
اى مكانها الذى تستقر فيه ومستودعها اى موضعها الذى تودع فيه قبل الاستقرار من صلب ورحم او بيضة او بعده من قبر
او فلاة او ما يحيط به علمه من تفاصيل السكنات والحركات وما كان منها وما يكون من كل ذلك مما يحير الفكر ويدهش الالباب
ثم جعل فاصلة الاية ما هو فى غاية العظمة عند الخلق وهو كل اى من ذلك فى كتاب مبين فانه ليس كل ما يعلمه الحفيظ يقدر على كتابه
ولا كل ما يكتبه يكون بينا بحيث انه كلما اراد الكشف منه وجد ما يريد واذا وجد كان منهما له والدابة الحى الذى من شانه الدبيب
والمستقر الموضع الذى يقر فيه الشى وهو قراره ومكانه الذى ياوى اليه والمستودع المعنى المجعول فى قرار كالولد الذى يكون
فى البطن والنطفة التى فى الظهر وقد جعل سبحانه فى كتابه ما ذكر كاينا منها ما للملايكة فيه اتم لعبرة عند المقابلة بما يكون من
الامور المكتوبة قبل وجودها ولما كان خلق ما فيه الرزق اعظم من خلق الرزق وتوزيعه فى شمول العلم والقدرة معا تلاه بقوله
وهو اى وحده الذى خلق اى اوجد وقدر السموات والارض لم يشركه فى ذلك احد كما انتم به معترفون فى ستة ايام ولما كان
خلق العرش اعظم من ذلك كله فان جميع السموات والارض بالنسبة اليه كحلقة ملقاة فى فلاة واعظم من ذلك ان يكون محمولا على الما
الذى لا يمكن حمله فى العادة الانى وعامنا بطهايكم تلاه بقوله وكان اى قبل خلقه لذلك عرشه مستعليا على الما ولا يلزم
من ذلك الملاصقة كما ان السما على الارض من غير ملاصقة وقد علم من هذا السياق انه كان قبل الارض حين ثباته وما تحته
محوا لان يحصل لقدرته من غير سبب اخر قريبا وبعيد فثبت بذلك ان قدرته فى درجات من العظمة لا تتناهى وهذا زيادة تفصيل
لما ذكر فى سورة يونس عليه السلام من امر العرش لان هذه سورة التفصيل ونبه بقوله تعالى معلقا بخلق ليبلوكم اى
خلق ذلك كله لكم سكنا كاملا بمهده وسقفه ورزقه من اكله وشربه وكل ما يحتاجون فيه وما يصلحكم وما يفسدكم
ومكنكم من جميع ذلك والحكمة فى خلق ذلك على هذا الوجه انه يعاملكم معاملة المختبر ودل على شدة الاهتمام بذلك بسوقه
مساق الاستفهام له فى قوله ايكم اى ايها العباد احسن عملا على انه فعل هذه الافعال الهايلة لاجل هذه الامور التى هم لها مستهينون
وفيها مستهونون وعلق فعل البلوى عن جملة الاستفهام لما فيه من معنى العلم لانه طريق اليه وروى البخارى فى التفسير عن ابى هريره
رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل انفق انفق عليك وقال يد الله ملاى لا يغيضها نفقة سحا الليل
والنهار وقال ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما فى يده وكان عرشه على الما وبيده الميزان يخفض ويرفع
وفى الاية حث على محاسن الاعمال والترقى دايما فى مراتب الكمال من العلم الذى هو عمل القلب والعمل الظاهر الذى هو وظيفة الاركان
ولما ثبت بدء الخلق الذى هم به معترفون القدرة على اعادته وثبت بالابتلا انه لا يتم الحكمة فى خلق المكلفين الا باعادتهم
ليجازى كلا من المحسن والمسى بما فعل وانهم ما خلقوا الا لذلك عجب من انكارهم له واكده لذلك فقال ولين قلت اى لهولا
الذين ما خلقت هذا الخلق العظيم الا لابتلايهم انكم مبعوثون اى موجود بعثكم ثابت قطعا لا بد منه ولما كان زمن البعث
بعض الزمن قال من بعد الموت الذى هو غاية الابتدا ليقولن اكده دلالة على العلم بالعواقب وهذا من اعلام النبوة الذين
كفروا ان هذا اى ما هذا اى القول بالبعث الا سحر مبين اى شى مثل السحر تخييل باطل لا حقيقة له او خداع لصرف الناس عن
الانهماك فى اللذات للدخول فى طاعة الامر ولما كان ما تقدم عنهم من الاقوال ومضى من الافعال مظنة لمعاجلتهم بالاخذ
وكان الواقع انه تعالى يعاملهم بالامهال فضلا منه وكرما حكى قولهم فى مقابلة رحمته لهم فقال ولين اخرنا اى بما لنا من العظمة
التى لا يفوتها شى عنهم اى الكفار العذاب المتوعد به الى امة اى مدة من الزمان ليس فيها كدر معدودة اى محصورة الايام

الايام اى قصيرة معلومة عند فاحتى بعد الانفاس ليقولن على سبيل التكرار ما يحبسه اى العذاب عن الوقوع استعجالا له تكذيبا واستهزاء
وهو تهديد لهم بانه ياتيهم عن قرب فليعتدوا لذلك ولما كان العاقل لا ينبغى ان يسال عن مثل ذلك الا بعد قدرته على الدفع لما عرض عن
جوابهم وذكر لهم انهم عاجزون عن دفاعه عند ايقاعه اعلاما بانهم عكسوا فى السؤال وتحقيقا لان ما استهزوا به لاحق بهم لا محالة فقال
مؤكدا للتشديد انكارهم الا يوم ياتيهم وهو منصوب بخبر ليس لدلالة على جواز تقدم الخبر ليس مصروفا عنهم العذاب
اى بوجه من الوجوه ووضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التهديد فقال وحاق بهم اى ادركهم اذ ذاك على سبيل الاحا طة
ما كانوا اى جبلة لهم وطبعا لهم وقدم الظرف اشارة الى شدة تقريعهم على المهزء به حتى كانهم لا يهزءون بغيره فقال به ولما
كان استعجالهم استهزاء وضع موضع يستعجلون قوله يستهزءون اى يوجدون الهزء به ايجادا عظيما حتى كانهم يطلبون ذلك ولما كان قولهم
ذلك ناشيا عن طبع الانسان على الوقوف مع الحالة الراهنة والعمى عن الاستضاءة بنور العقل فيما يزيلها فى العاقبة بين ذلك ليعلم
ان الطبع مناف لما تضمنته معظم السورة من الاحكام الذى هو ثمرة العلم وبعلم ذلك يعلم مقدار نعمته على من حفظه على ما فطره
عليه من احسن تقويم بقوله مؤكدا لان كل احد ينكر ان يكون طبعه لذلك ولين اذقنا اى بما لنا من العظمة الانسان اى هذا النوع المستانس
بنفسه ولما كان من انفع الخلال استملاك المستفاد وكانت النعم عوارى ذكر الله تعالى منحها من شاء من عباده قدم القبلة دليلا على العارية
فقال منا رحمة اى نعمة عظيمة تفضلا منا عليه لا بحوله ولا بقوله من جهة لا يرجوها بما دلت عليه اداة الشك ومكانه من التلذذ بها
تمكين الذايق من الذوق ثم نزعناها اى بما لنا من العظمة وان كره ذلك منه اخذا منا انه ليوس اى شديد الياس من ان
يعود له مثلها كفور اى عظيم الستر لما سلف له من الاكرام لان شانه ذلك وطبعه الا من رحم ربك ولين اذقناه نعماء
من فضلنا ولما كان استلاكه العارية مجلبا له لا ينفك عنه الا بمعونة شديدة من الله دل عليه بما افهم انه لو كان طول عمره فى الضر ثم نال
حالة يرضاها عقب ذلك الضر سواباد الى اعتقاد انها هى الحالة الاصلية له وان الانفكاك عنها اصلا ولا يشوبها نوع ضرر ولا يخالطها
شعور ما شى من كدر فقال دالا على اتصال زمن الضر بالقول بنزع الخافض من الظرف بعد ضرا اى فقر شديد مضر ببدنه ولم
يسند المس اليه سبحانه كما فعل فى النعما تعليما للادب فقال مسته اى بما كسبت يداه ليقولن مع قرب عهده بالفرحة وطيشا
ذهب السيات اى كل ما يسوءنى عنى وقوله انه الضمير فيه للانسان فالمعنى ان الانسان فهو كلية مسورة بمستغرق اى
ان كل انسان لفرح فخور اى خارج عن الحق فى فرحه شديد الافراط فى فخره على غيره بكل نعمة تفضل الله عليه بها الا من ضبط نفسه
ومنعها من ذلك فلذا اتصل بها قوله مستثنيا من الانسان المراد به اسم الجنس الا الذين صبروا فى وقت الشدايد
وزوال النعم رجا لمولاهم وحسن ظن به لتسببهم بانهم الموجب لتقييدهم بالشرع وعملوا الصالحات من اقوال الشكر وافعاله
عند طول النعم فهم دايما مشغولون بمولاهم شكرا وصبرا وهم الذين اتم عليهم سبحانه نعمة خلقهم فى احسن تقويم وهم اقل من القليل
لغلبة جمادهم لنفوسهم فيما جبلت عليه من الحظوظ والشهوات وغيرها وشياطينهم ولما كان كانه قيل فما لهم لم يكونوا كذلك انتج
السياق مدحهم فقال اولئك اى العالوا المراتب لهم مغفرة اذا وقعت منهم هفوة واجر كبير على صبرهم وشكرهم والذ
تناول الشى بالفم لادراك الطعم كما ان الشم ملابسة الشى بالانف لادراك الرايحة والنزع رفع الشى عن غيره مما كان مشابكا له كا
والنشط واليايس القاطع بان الشى لا يكون وهو ضد الرجا ويوس كثير اليأس وهو كفر لانه تجاهل لسعة الرحمة الموجبة لقوة الامل
فى كل ما يجوز فى الحكمة فعله والنعما انعام يظهر اثره على صاحبه كما ان الصفر احمرار يظهر لحالة لما اخرجت حمرة الاحوال الظاهرة
من حمرا وعور وامع ما فى فهم منهو معا من المبالغة والسيئة ما يسوء من جهة نفور طبع او عقل وهى هنا المرض والفقر ونحوه والفرح
انفتاح القلب بما يلتذ به وعبارة البغوى هو لذة فى القلب بنيل المشتهى وهو اعظم من ملاذ الحواس والفخر التطاول بتعديد
المناقب الصبر حبس النفس عن المشتهى من المحارم ونحوها والعتبى على تر الحق يودى الى الفوز فى الاخرة مع ما فيه من الجمال فى الدنيا
والكبير واحد يقصر مقدار غيره عنه والمكثر جمع يزيد على عدد غيره ولما استثنى سبحانه من الجارين مع الطبع والطايشين بالهوى
من تخلى من افة الصبر الناشى عن وقار العلم المثمر لصالح العمل وكان صلى الله عليه وسلم راس الصابرين وكان ما مضى من اقوالهم وافعالهم
مثل قولهم ما يحبسه مع ما يحبه من تركه وهم صدورهم اسبابا لضيق صدره صلى الله عليه وسلم فربما كانت مظنة لرجاهم تركه صلى الله عليه وسلم
بعض ما يوحى اليه من عيب الهتهم وتضليل ابايهم وتسفيه احلامهم وغير ذلك مما يشق عليهم طمعا فى اقبالهم او خوفا من ادبارهم
فانهم كانوا يقولون ما تراه يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذى يذكرنا به من الشر قال تعالى مسببا عن ذلك ناهيا
فى صيغة الخبر فلعلك تارك اى اتسع فانا اطمعنا بعض ما يوحى ولما كان الوحى فى نفسه معلوما انهم وان تاذعوا فيه
بنى للمفعول قوله اليك كالانذار وتسفيه احلام ابايهم وضايق به اى بذلك البعض صدرك مخافة ردهم له اذا بلغته
لهم ثم علل بقوله ان اى مخافة او لاجل ان يقولوا تعنتا ومخالفة اذ كانوا استرشدين لكفتهم اية واحدة لولا اى هلا ولم لا
انزل عليه كنز ليستغنى به ويتفرغ لما يريد وينوه للمتبوع لان المقصود مطلق حصوله وكانوا ابتهادونها بالقران لعلمهم انه الاية
العظمى فكانوا لا يعدونه اية عنادا منهم ومكابرة او جاء معه ملك اى ليوئيده كما يريد ويشهد له فكان النبى صلى الله عليه وسلم

يضيق صدره لمثل اقوالهم هذه ويثقل عليه ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه نحو كونه الله لهم الا ادا الرسالة كما نبا فيها ما كان ان
فكان المعنى فاذا تقرر ان الانسان مطبوع على نحو هذا من التقلبات فلا تكن موضع رجائهم في ان تكون تاركا ما يغيظهم مما انزل اليك بل
كن من الصابرين قال اهل السير فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسلام وصدع به كما امره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا
عليه حتى ذكر الهتهم وعابها فلما فعل ذلك اعظموه وناكروه واجمعوا خلافه الا من عصم الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المشركين قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم ايتنا بكتاب ليس فيه سب الهتنا ولما افهم السياق الانكار ولما يعتبر عن الانذار وكان كانه قيل هذا التركا والمزج
والمقصود الاعظم من الرسالة النذارة لانها هي الشاقة على النفوس واما البشارة فكل من قام يعتقد ولحى ابلاغها فلذا قال
انما انت نذير فبلغهم ما ارسلت به فيفعلون ذلك لا ما قدره الله لهم فلا يهلك بهمك فليس عليك الا البلاغ وما انت عليهم بوكيل
تتوصل الى ردهم الى الطاعة بالقهر والغلبة بل الوكيل الله الفاعل لما يشا والله اي الذي له الاحاطة الكاملة ولما كان السياق
لاحاطته سبحانه قدم قوله على كل شي منهم ومن غيرهم ومن قبولهم وردهم من حفظك منهم ومن غيرهم وكيل فهو يدبر
الامور على ما يعلمه من الحكم فان شا جابهم بما سالوا وان لم يشا لم يات به ولا اعتراض عليه فتوكل عليه في كل امر صعب لعله اقتصر على
النذارة لان المقام يقتضيها من اجل انهم اهل لها وانما هي التي يطمعون في تركها باطماعهم في الموافقة بالاعراض عما يوجب الحا لعله
والصدر وسكون القلب تشبيه به وسيل القوم والعالي المجلس لشرف منزلته على غيره من الناس والكنز المال المدفون وقد
صار في الدين صفة ذم لكل ذي مال لم يخرج منه الواجب من الزكاة وان لم يكن مدفونا ولانه من الاحتمال نفي اولا قدرته
صلى الله عليه وسلم على الاتيان بما سالوه دليلا على قدرة مرسله على ذلك وغيره ثانيا واثبت الوكالة ثانيا دليلا على نفيها
اولا ولما كان ذوو الهمم العوال لا يصبون الى الكنوز والاموال وكان الملك انما يراد لتطيب النفس بتثبيت الامر وكان فيما اتيهم
به اعجاز القران ببديع نظمه وباهر حكمه وحكمه وزاجر غرائبه ووافر علمه ما يغني عن ذلك وكان في كل اية منه ما يبين للفهم
سفساف قدحهم في الرسالة كان موضع الانكار له فكان كانه قيل ايقولون ذلك تعنتا منهم واقتصارا واعراضا عن معجز
القران فاعرض عنه فانه لا ينبغي في وجه الدليل ام يقولون اي سكروه افتراه فكان ذلك موضع ان يقال نعم انهم ليقولون ذلك
فيقدحون في الدليل فماذا يقال لهم فقيل قل اي لهم على سبيل التنزل فاتوا انتم يا معاشر العرب فانكم مثلي في العربية واللسان والمولد
والمربى وفيكم من يزيد علي بالكتابة والقراءة ومخالطة العلماء والتعلم من الحكماء ونظم الشعر واصطناع الخطب والنثر وتكلف الاساليب
وكلما يكسب الشرف بعشر سور اي قطع كل قطعة منها محيط بمعنى تام يستدل فيها عليه مثله اي تكون العشر مثل جميع القران في
طوله وفي مثل احتوائه على اساليب البلاغة وافانين العذوبة والمتانة والجلالة والرشاقة حال كونها مفتريات اي انكم قد عجزتم
عن الاتيان بسورة اي قطعة واحدة اية وايات من مثله فيما هو عليه من البلاغة والاخبار بالمغيبات والحكم والاحكام والوعد والوعيد
والامثال وادعيتم مكابرة انه مفترى فاتوا انتم بعشر مثله في مجرد البلاغة غير ملتزمين بحقائق المعاني وصحة المباني
ذكره البغوي عن المبرد وقد مضى في البقرة عند فاتوا بسورة من مثله عن الحافظ وغيره ما يؤيده قال ابو حيان وشان من يريد
تعجيز شخص ان يطالبه اولا بان يفعل امثالا ثم يطالبه بفعل مثل اذا تبين عجزه قالوا فعل مثلا لا ولهذا انتهى فكانهم تحدوا اولا
بجميع القران في مثل قوله فليأتوا بحديث مثله اي في التنجيم والتطبيق على الوقائع سورا وايات بحدث وتجدد شيئا اثر شي ثم
تحطط بعد عجزهم بهذه ام عجزهم في قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية تبكيتا لهم واخزاء وبنا على ذلك ادعى انهم تحدوا
في سورة يونس عليه السلام بسورة واحدة مثل جميع القران غير معتنين فيها بالتفصيل ولم يخلهم من التخفيف اشارة الى
السر وتخفيفا لهم على علمهم واستهانة بامرهم فلما عجزوا تحداهم بعشر مفتريات ولما خفف عنهم فيها التقييد بصدق المعنى وحقيقة
المعاني الزمهم ما خففه عنهم في يونس من التفصيل ولم يخلهم من التخفيف اشارة الى هوان امرهم واحتقارا لهم بان جعلها
العشر فقط فلما عجزوا العيدو الى المدينة الشريفة لاجل اهل الكتاب تحداهم بسورة اي قطعة واحدة سورة وذلك لان الاخبار بدوام
عجزهم عن ذلك في قوله تعالى في البقرة فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الاية فالتحدي به في كل سورة غير المتحدى به في الاخرى وقد مضى في
يونس والبقرة وياتي في سبحان والطور ان شا الله تعالى ما يتم به فهم هذا المقام والبلاغة ثلاث طبقات فاعلاها معجز واوسطها
وادناها ممكن والتحدي وقع بالعليا وليس هذا امرا بالافترا لانه تحد فهو للتعجيز وادعوا من استطعتم اي طلبتم ان يطيعكم فيفعل
ولما كانت الرتب كلها تحت رتبته تعالى العرب مرة بذلك قال من دون الله اي الملك الاعلى واشار الى عجزهم بقوله ان
كنتم صادقين وفي ذلك زيادة بيان وتثبيت لكل ليل فان كل ظهير من سواهم دونهم في البلاغة نعجزهم عجز لغيرهم بطريق
الاولى ولما كان ادنى درجات الافترا اتيان الانسان بكلام غيره من غير علمه وكان عجزهم عن المعارضة دليلا قاطعا على انهم
لم يعلموا المثنى من كلام الله تعالى لغير علمه ولا وجد واسكانيا لهم باتيهم بمثله ثبت قطعا ان هذا القران غير مفترى فقال تعالى مخاطبا
للجمع بخلاف ما في القصص اشارة الى وضوح الامر لا سيما في الافترا عند كل احد وان المشركين قد وصلوا الى التبكيت بالتحدي
حد لعدة ودوزهم لانفسهم في ذلك الافتخار كره في ابركه المحدث من العجز لا يقدرون معه على النطق في ذلك لا ينبسون شفه

شفه فاعلموا انما انزل اي الاملاء ملتبسا بعلم الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما بمقتضى ان محمدا واحد منهم تمنع العادة ان يقعدوا دون جميع اهل
الارض على ما لم ياذن فيه ربه من كلامه فضلا عن ان يكون مخترعا له وتجوز ان يكون ضمير يستجيبوا للرحمن من استطعتم ولكم للمشركين
وكذا في فاعلموا ان انتم وان اي واعلموا ان لا اله الا هو فانه لو كان معه اله اخر لكافاه في الاتيان بمثل كلامه وفيه تهديد واقناط
من ان يجيرهم من باس الله الهتهم ولما كان هذا دليلا قطعيا على ثبوت القران تسبب عنه قوله مرغبا مرهبا فهل انتم ايها الناس كافة
او القايلون انه افتراه مسلمون اي منقادون انتم انقيادا ولما كان في هذا من الحث على الثبات على الاسلام والدخول فيه والوعيد
على التقاعس عنه ما من حق السامع له ان يبادر اليه فكان من حق المسلم الاعراض عن الدنيا لسوء عاقبتها وكان اعظم الموانع للمشركين
من التصديق استيلاء احوال الدنيا عليهم ولذلك تعنتوا بالكنز اشار الى عواقب ذلك بقوله من كان يريد اي بقصده واعماله
من الاحسان الى الناس وغيره الحياة الدنيا اي دناءتها مع دنوها من الاخرة على علوها وشرفها وزينتها فاطلاها بالحظوظ
وبني ما يوجب الاعراض عنها من فنائها وكدرها نوف موصلين اليهم اعمالهم اي جزاءها فيها اي الدنيا بالجاه والمال ونحو
ذلك وهم فيها اي الاعمال والدنيا لا يبخسون اي لا ينقص شي من جزائهم فيها واما ابدانهم واديانهم فكلها نحس في الدار في
معا في الجملتين بيان سبب حبس العذاب عنهم في مدة حياتهم مع سوء اعمالهم ولما بين حالهم في الدنيا بين حالهم في الاخرى مشيرا
باداة البعد الى انهم اهل البعد واللعنة والطرد في قوله نتيجة لما قبله اولئك اي البعدا البغضاء الذين ليس لهم اي شي من الاشيا
في الاخرة الا النار اي لسوء اعمالهم واستيفائهم جزاءها في الدنيا وحبط اي بطل وفسد ما صنعوا فيها اي مصنوعهم او صنعهم
لبنائه على غير اساس ولما كان تقييد الحبوط بالاخرة ربما اوهم انه شي في نفسه قال وباطل اي ثابت البطلان في كل من الدارين ما كانوا
يعملون اي عملهم او عملهم وان داوموا فيه داب من هو مطبوع عليه لانه صورة لا معنى لها لبنائه على غير اساس والزينة تحسين
الشي لغيره من لبسة او حلية او هيئة والتوفير تادية الحق على تمام وحبوط العمل بطلانه من قولهم حبط بطنه اذا فسد بالمأكل
الرديء ولما اتضح الحق وانتصب وانتهضت له الادلة فاعترتهم عوالي الحجج كان ذلك موضع الانكار على من يسوي بين المهتدي والمعتدي
فكيف بمن يفضل اما باعتبار النظر الى الرياسة الدنيوية غفلة عن حقائق الامور او عنادا والمبين فاكثر من اليهود والمشركين انتم اهدى
منهم فقال افمن كان على بينة اي برهان وحجة من ربه بما اتاه من نور البصيرة وصفاء العقل فهو يريد الاخرة ويبني اعماله على
اساس ثابت ويتلوه اي ويتبع هذه البينة شاهد هو القران منه اي من ربه ثابت اكد الى البرهان برسالة رسول عربي بكلام معجز
وكان من قبله اي هذا الشاهد مؤيدا له كتاب موسى اي شاهدا ايضا وهو التورية حال كونه اماما يحق الائتمام به ورحمة لكل من
اتبعه ولما كان الجواب ظاهرا حذفه وتقديره والله اعلم كمن هو الضلالة فهو يريد الدنيا فهو يعمل من المكارم ما ليس مبنيا على اساس
صحيح فيكون في دار البقا والسعادة هبا منثورا ولما كان هذا الذي على البينة عظيما ولم يكن يراد به واحدا بعينه استانف المقام [illegible]
مشاكله باداة الجمع بشارة لهذا النبي الكريم بكثرة امته فقال اولئك اي العالو الرتبة بكونهم على هدى من ربهم وتايد هداهم بشاهد
من قبله وشاهد من بعده مصدق له يؤمنون به اي لهذا القران الذي هو الشاهد ولا ينسبون الاتي به الى انه افتراه ومن يكفر به
اي لهذا الشاهد من الاحزاب من جميع الفرق واهل الملل سوا كانوا من الفريقين جهلا او عنادا فالنار موعده اي وعيده وموضع
وعيده يصلى سعيرها ويقاسي زمهريرها ولما علم بوعيد النار اشتد تشوف النفس لما تسبب عنه فرتب ازالة ما حملت من ذلك
بالايجاز فاقتضى الامر حذف نون تكن فقيل فلا تك ايها المخاطب الاعظم في مرية اي شك ووهم منه اي من القران ولا يضيق
صدرك عن ابلاغه او من الوعد الذي هو النار والجنة وان المعاقب المتوعد بذلك وتعميمه في الدنيا نائم عليه النهي انه اي
القران او الموعد الحق اي الكامل وزاد في الترغيب فيه بقوله من ربك اي المحسن اليك بانزاله عليك ولما كان كونه حقا سببا
لعلوق الاسلام بايمان كل من سمعه قال ولكن اكثر الناس اي الكائنين في حين الاضطراب لا يؤمنون بانه حق لا لكون الريب تتطرق اليه
م بل لما علا قلوبهم من الرين ويؤولون اليه من العذاب لعدلهم بعمل لا يبدل القول لديه ولا ينسب الظلم اليه والقصد بهذا الاستفهام
الحث على ما حث عليه الاستفهام في قوله فهل انتم مسلمون من الاقبال على الدين الحق على وجه يبين سخافة عقول الممترين وركاكة
ارائهم ولما كان الكافرون قد كذبوا على الله بما اصرنوه من الدين من غير دليل وما نسبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من الافترا
اتبع ذلك الاستحالة قوله ومن اظلم اي لا احد اظلم ممن افترى اي تعمد ان اختلق متكبرا على الله اي الملك الاعظم كذبا الاية وهو موضع
ضمير ولو اتى به لقيل لا يؤمنون ظلما منهم ومن اظلم منهم اي هم اظلم الظالمين فاتى بهذا الظاهر منبها على المكر وابه لانه اذا علق
الحكم بالوصف دل على انه علته ولما بين انهم اظلم اتبعه جزاءهم بقوله استينافا اولئك اي المستحقون البعد ولما كان
نفس العرض مخوفا بني للمجهول قوله اي لذلك يعرضون اي لذلك وللدلالة على انهم على صفة الهوان وستسلمون لكل عارض نعرضهم
في غاية السهولة على ربهم اي الذي لم يحسن اليهم فلم يشكروه العالم بالخفايا فيفتضحون بين يديه بما قابلوا به احسانه من اللوم
ويقول على سبيل التكرار الاشهاد وهم الذين امنوا بالكتب لشاهد بعضها لبعض المشار اليها بقوله ويتلوه شاهد منه والملائكة ملكه
الذين شهدوا اعمالهم واعضاؤهم حين يختم على افواههم هؤلاء اشارة باداة القرب الى تحقيرهم الذين كذبوا متكبرين

على ربهم في ادعاء الشريك والولد والتحليل والتحريم وغير ذلك بما غرهم من احسانه وطول حلمه دون الاتيان بصفة الربوبية غاية التشنيع عليهم فتكون دت لهذا القول فضيحتهم عند جنسهم وبعدهم عن كل من سمع هذا الكلام لانه لا ابعد عن القلوب من الكاذب فكيف بالمجترى كما الكذب على الروسا فكيف بملك الملوك الذى رباهم وكل من اهل الموقف يرتعب بره ضايف من انتقامه فكانه قيل فما لهم بعد هذا العذاب العظيم لهم من الفضيحة فقيل الا لعنة الله وهي طرد الملك الاعظم وابعاده وانظر الى تعويل الامر باسم الذات ما اشده على الظالمين فكرهم بالظلم الظالمين ثم فصل ظلمهم بقوله الذين يصدون اي يعرضون في انفسهم ويمنعون غيرهم عن سبيل الله اي دين الله اي الملك الذى له الكمال كله مع انه الى الجنة ويبغونها اي يريدون الطريق الدين السهلة الواسعة عوجا بالقاء الشبهات والطعن في الدلايل مع كونها في غاية الاستقامة ولما كان النظر شديدا الى بيان كذبهم وتكذيبهم بولغ في تاكيد قوله وهم اي بضمايرهم وظواهرهم ولما كان تكذيبهم بالاخرة شديدا اقدم قوله بالاخرة واعاد الضمير تاكيدا لتعنتهم واثبات غاية الفساد لبواطنهم واختصاصهم بمزيد الكفر فقال هم كافرون اي عريقون في هذا الوصف الموصل اظهارا لشئ بحيث يرى للتوقيف على حاله والصد المنع بالاغوا الصارف عن الامر والبغية طلب اي من الامور وهي ارادة وجدان المعنى بما يطمع فيه والعوج العدول عن طريق الصواب وهو في المعنى كالدين بالكسر وفي غيره كالعود بالفتح فرقا بين ما يرى وما لا يرى جعلوا السهل للسهل والصعب للصعب روى البخاري في التفسير عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في النجوى يدني المومن من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا يقول اعرف يقول رب اعرف مرتين ويقول سترتها عليك في الدنيا واغفرها لك اليوم ثم يطوى صحيفة حسناته واما الاخرون او الكفار فينادى على رؤس الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ولما هددهم بامور الاخرة اشار الى بيان قدرته عليهم في الدارين بقوله اولئك اي البعداء عن حضرات الرحمة لم يكونوا اي بوجه من الوجوه معجزين واشار الى عجزهم بانهم لا يقدرون على بلوغ العالم العلوي بقوله في الارض اي ما كان لا اعجاز وهو الامتناع من مراد الله لهم ولا هو في قدرتهم لان قدرته على جميع الممكنات على حد سوا ولما نفى التفرد بانفسهم نفاه من جهة غيرهم فقال وما كان لهم ولما كانت الرتب التي دون عظمته سبحانه متكاثرة جدا بين انهم معزولون عن كل منها باثبات الجار فقال من دون الله اي الملك الاعظم واغرق في النفي بقوله من اولياء اي يفعلون معهم ما يفعل القريب من تولي المصالح والحماية من المصايب ومن لم يقدر على الامتناع وهو حي لم يمتنع بعد موته فكانه قيل ماذا يفعل بهم فقيل يضاعف اي فيه فعل من ساطر الخرفا الزيادة وبناه للمفعول لان المرجع وجود المضاعفة مطلقا لهم العذاب بما كانوا يضاعفون المعاصي ثم علل سبب المضاعفة بانه خلق لهم سمعا وبصرا فضيعوهما بتصامهم عن الحق وتعاميهم عنه فكان لا فرق بينهم وبين فاقدهما فقال ما كانوا اي بما لهم من فساد الجبلات يستطيعون اي يجددون لما غلب على فطرتهم الاولى السليمة بانقيادهم للهوى من التخلق بنقايص الشهوات عليهم على ان توجد طاعة لهم فما كانوا يسمعون وما كانوا يستطيعون الابصار فما كانوا يبصرون حتى يعرضوا عن الشهوات فتوجد استطاعتهم للسمع والابصار وهو كناية عن عدم تبعهم للحق وان شدة اعراضهم عنه وصلت الى حد صارت فيه توصف بعدم الاستطاعة كما تقول الانسان لما اشتد كراهته له هذا مما لا استطيع ان اسمعه ويكون المضاعفة بالكفر النفي والصد ونفي الاستطاعة اغرق في النفي وادل على النقص وانكا من نفي السمع لانهم قد يحملونه على الاجارة واما نفي البصر فنفي منفك عن النقص سوا كان من العين او للقلب هذا ان اخر الاية على الاحتباك وان خرجت على استوى الامران وصار نفي الاستطاعة اولا دالا على نفيها ثانيا ونفي الابصار ثانيا يدل على نفي السمع اولا ولما ثبت انهم لا سمع ولا بصر ثبت انهم لا شئ فقال اولئك اي البعداء البغضا الذين خسروا انفسهم اي بتضييع الفطرة الاولى التي هي سهولة الانقياد للخير وصعوبة لما منقاد للشر ولما كان العاجز ربما نفعه من كان يخدمه فيكسبه قوة بعد الضعف ونشاطا بعد العجز نفى ذلك بقوله على احسن وجه وضل عنهم ما كانوا اي كونا جبلوا عليه فصاروا لا ينفكون عنه يفترون اي يتعمدون كذبه مما ادعوا كونهم الهة ولاشك انهم ان من خسر نفسه ومن خسرها من اجله ما دعا انه شريك لخالقه ويجود للسكاه اخسر الناس فلذلك قال لا جرم اي لا شك انهم اي هؤلاء الذين بالغوا في انكار الاخرة في الاخرة ولما كان المقام جديرا بالمبالغة في وصفهم بالخسارة اعاد الضمير فقال هم اي خاصة الاخسرون اي الاكثرون خسرانا من كل من يمكن وصفه بالخسران والاعجاز الامتناع من المراد بما لا يمكن معه ايقاعه والمضاعفة الزيادة على المقدار مثله والاكثر والاستطاعة قوة ينطاع بها الجوارح للفعل واما لا جرم فقد اضطرب بسببها العربية في تفسيرها فقال الرضي في شرح الحاجبية والبرهان السفاقسي في اعرابه ما حاصله والغالب بعد لا جرم القسم اي ان فلا امارد للكلام السابق على ما هو مذهب الخليل وتابعيه كاني لا اقسم لان في جرم معنى القسم فهي فعل ماض عند سيبويه والخليل مركبة مع لا وجعلها سيبويه فعلا بمعنى حق فان فاعله وقيل جرم بمعنى حق وهو اسم لا وانهم خبره وقال الكسائي معناها لا صد ولا منع وعن الزجاج ان لا غير مركبة ولا نفي لما قيل من ان لهم اصناما تنفعهم وجرم فعل ماض بمعنى كسب وفاعله مضمر معبر به عن فعلهم وانهم مفعوله وقال الفراء هي كلمة كانت في الاصل بمعنى لا بد ولا محالة لانه يروى عن العرب لا جرم بفتح ثم سكون والفعل بمعنى ولا ا والفعل بفتح كانه كان من المصادر كالرشد والرشد والبخل والبخل والجرم القطع اي لا قطع من هذا كما انه لا بد بمعنى لا قطع فكثرت وجرت على ذلك حتى صارت بمعنى القسم فلذلك اجيب بما يجاب به القسم فقالوا لا جرم لآتينك ولا جرم انك قائم فمن فسر فلتلحظ الى اصل لا جرم ان تفعل كذا وانك لا تفعل اي

اي من ان لا بد انك تفعل ومن كسر فلمعنى القسم العارض في لا جرم انتهى بتفسيره لها بالقطع نظرا منه الى ان مادة لا جرم بخصوصها دايرة على والاصح تفسيرها بالظن نظرا الى ما تدور عليه المادة من حيث هي باي ترتيب كان من جرم ومجر ورجم ورمج وجمر ومرج وانما جعلتها لذلك لانهم قالوا جرم النخل خرصها واجرم النخل ايضا خرصها ورجم اي ظن والحجر المثل ويلزم الظن انتقاد الذهن ومنه جامر النار والجرم الارض الشديدة الحر ويلزم الظن ايضا اجتماع الفكر ومنه الجمرة للقبيلة وكل ما اشتعلها في الجمع ومنه الجرم بالكسر هو الجسد فانه بالنظر الى جميعه والصوت وجهارته فانه يجمع فيه الحلق لقطعه ويلزم الاجتماع ايضا العظم ومنه اجرم اذا اعظم والجمير كامير مجتمع القوم ومن الجمع الربا والعقل فينشا منه الضعف ومنه ما رج من نار اي دخان فيه ومنه اجرم لونه صفا ومن الاجتماع الحجر بالتحريك وهو ان يملا بطنه من الماء ولم يرو والكسب جرم لاهله اذا اكسب ومنه الذنب فانه كسب خاص ويمكن ان يكون من القطع لانه يقطع صاحبه عن الخير ويلزم الاجتماع ايضا العظمة ومنه اجرمت الليلة اشتد فيها الظلال والحجر كالقطع الحواصل من الابل والغنم ويحمل هذا انما يلزم نفس الظن من الخفا ومن الاجتماع الضمور واجمر الخيل اضمرها وشاة مجرة مهزولة ويلزم الاجماع الصلابة والتمام ومنه حول مجرم كمعظم تام فينشا الافتراق ومنه تجرم الليل ذهب وابنا جمير كامير الليل والنهار او يكون ذلك من لوازم القطع كما ياتي ومن الاجتماع الرجم الذى هو الخليل والنديم ويلزم الظن الفصل بين الاشيا ومنه جرام النخل اطرامها والجمر للحصاة فيلزم مطلق الرمي فيكتنا الرمي بالجمار وهي الحجارة فينشا القتل للرجوم وهو يرجع ايضا الى نفس القطع فانه قطع النفس عما كانت عليه ويلزم الفصل القذف والعيب والرماج كسحاب كموب الرمح لانفصاله بعضها عن بعض والرمح بالفتح وهو الفاء الطير ذرقه ويلزم الظن المبالغة في النظر فتاتي المبالغة في الكلام والعرزمة ومنه المرجام للماد اعنقه في السير من الابل واجم اسرع في السير وقد يلزم الظن الحيرة ومنه حديث مرجم كمعظم لا يوقف على حقيقته تخليط الذنب والفساد والتعلق والاضطراب ومنه امرج العهد لم يف به اي جعله مارجا مرتلالا والريبه افسد وسطور بعد كتبتها ويلزم الظن الاختلاط ومنه الجرم للون لانه لا يخلوا عن شوب واجوم الدم به لصق والاجرام تتابع الراعي وهي من الكسب والجوام كرمان التمك والمزع موضع الرعي وقد علم من هذا ان جميع تصاريف المادة تدور على الاضطراب وهو بين في غير العقل واما فيه فانه يقدر العقل يكون الاضطراب الراى لان العاقل كلما انعم النظر انفتح له ما كان مغلقا فيعدل اليه فاذا ظهر هذا ظهر ان معنى لا جرم وانهم لا ظن ولا اضطراب في انهم ويكون نفي الظن في مثل هذا السياق نفيا لجميع ما يقابله الا العلم الذى هو بمعنى القطع كما اذا قيل لا شك في كذا ولا ريب فالمعنى ان تعيينهم لها حقا فتفسير معنى لحجوع الكلمتين لانه اذا انتفى في مثل هذا السياق الظن ثبت اليقين والقطع واليه يرجع تفسير سيبويه بلا حق لانه يريد والله اعلم ان الاصل وموضوعها في الاصل النفي فهي نافية لضد ما دخلت عليه فكانه قيل حق وثبت انهم كذا واستغنى كما ينفيه دون هذا وجعلوا لها جملة مؤكدة وقرب من ذلك ما قيل في انما نحو انما زيد قايم اي ان زيدا قايم ما هو الا فعدنا بان الثاني في شك ذلك مؤكد واسم المرتوبة ولما توعد الكافرين والخبر عن مآلهم بسببه كان موضع ان يسال عن حال المومنين فقال ان الذين امنوا اي اوجدوا اهون الحقيقة وعملوا الصالحات ولما كان حاصل ما مضى من وصف الكافرين بعد مطلق الاعمال السية الاعراض عن ربهم والنفرة من التحول اليه جلافة وغلظة وصف المومنين بالاقبال عليه والطمانينة اليه فقال واخبتوا اي خشعوا واستوحشين منقطعين الى ربهم اي المحسن اليهم شكرا له فوقهم لاستطاعة السمع والابصار ولما ذكر وصفهم ذكر جزاهم عليه بقوله اولئك اي العالو الرتبة اصحاب الجنة ولما كانوا مختصين بها وبالخلود من اول الامر اعاد الضمير فقال هم فيها اي خاصة لا في غيرها خالدون ولما استوفى اوصاف الحزبين وجزاهم ضرب للكل مثلا بقوله مثل الفريقين اي الكافرين والمومنين وهو من باب اللف والنشر المرتب فان الكافر ذكر فيما قبل اولا كالاعمى اي العام العمى في بصره وبصيرته والاصم في سمعه كذلك فهذا للكافرين والبصير بعينيه وقلبه والسميع على اتم احوالهما وهذا للمومنين وفي افراد المثل الحباق مرتب ايضا هل يستويان اي الفريقان مثلا اي من جهة المثل ولما كان الجواب قطعا لمن له ادنى تامل لا يستويان مثلا فلا يستويان ممثولا حسن تسبيب الانكار عنه في قوله افلا تذكرون اي يحصل لهم ادنى تذكر بما اشار اليه الادغام فتعلموا صدق ما وضعوا به بما تروونه من احوالهم وذلك ما قدم في حق الكفار من قوله ما كانوا يستطيعون السمع الاية الاخبات الخشوع المستمر على استوا فيه واصله الاستوا من الخبت وهي الارض المستوية الواسعة ولعله وصله بالى في موضع اللام اشارة الى الاخلاص اي اخباتا ينتهي الى ذكائهم من غير ان يحجب عنه والمثل قول ساير تشبه فيه الحال الثاني بحال الاول والامثال لا تغير عن صورتها ولما تم ذلك على اوضح المسالك وختم بالحث على التذكر وكان تقدم ذكر كتاب موسى عليه السلام محركا لتوقع ذكر نباته ونبا غيره من الرسل عطف مقرونا بحرف التوقع على العامل الذى قدرته في قوله ان لا تعبدوا الا الله او على قوله انما انت نذير وهو احسن واقرب قوله ولقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة نوحا الى قومه اي الذين هم على لسانه ولذا ذكر ما بعد ذلك من القصص فعبر المقصود هذا هذا المثل وتثبيتا وتسلية وتابيدا وتعزية لهذا النبي الكريم لئلا يضيق صدره بشي مما امر بابلاغه حرصا على ايمان امره وان كان اقرب الخلائق اليه واعزهم عليه كما تقدمت الاشارة اليه في قوله تعالى فلا يكن في صدرك حرج منه وقوله وضايق به صدرك وبا

في قوله وكلا نقص عليك ما نثبت به فؤادك فوضح ان هذه القصص لهذا المعنى سيقت وان سياقها في الاعراف وغيرها كان لغير
ذلك كما تقدم وان هذا الغرض بيان اهلاك من كانوا اشد من العرب قوة واكثر جمعا واسكن امرا واقوى عنادا واعظم
فسادا واصر شوكة وما اتفق في دمارهم من العلامات والاهوال المنقطعات تحذيرا من مثل طالهم وارتكاب فعالهم تفرقا بين ماسيق
للشيء وما يلزم منه الشيء ولهذا الغرض المقصود هنا طولت قصة نوح في هذه السورة ما لم تطول له في غيرها وصدرت بقوله اني اي قائلا
على قراءة الجمهور بالكسر والتقدير عند ابن كثير وابي عمرو والكسائي ملتبسا باني لكم اي خاصة نذير مبين اي مخوف بليغ التحذير ابين
ما ارسلت به غاية البيان وذكر فيها الحالات التي جادلته لهم وانه لما دعا له امر ابنه بعوده من السوال فيه وفي كل ما يشبهه
وختمت قصته بقوله ام يقولون افتراه خطابا لهذا النبي الكريم وختمت بقوله فاصبر ان العاقبة للمتقين وذكرت قصة ابراهيم
عليه السلام لما تضمنته من انه بشر بالولد بما لم يجر بمثله عادة فلم يرد دفيه وانه جادل الرسل في ابن اخيه لوط عليه السلام
وانه لما تحقق حتم الامر وبت الحكم سلم لربه مع كونه حليما اواها منيبا الى غير ذلك مما يومي اليه سياق القصص فكانه
قيل انما انت نذير ارسلناك لتبلغ ما ارسلت به من الانذار وان شق عليهم وعزتنا لقد ارسلنا من قبلك رسلا منذرين
تدعوا الى ما امرت بالدعوة اليه والنذر وهم ما يشق عليهم من باسنا امتثالا لامرنا وما تركوا شيا منه خوفا من اعراضهم او رجاء في
اقبال على ان اممهم قالوا لهم ما قالت لك امتك كما يشير اليه قوله تعالى عن نوح عليه السلام ولا اقول لكم عندي خزاين الله
الاية وقد كان في المخاطبين من اممهم القريب منهم نسبه والعزيز عليهم امره من ابن وصاحبة وغيرهما هذا مع ان قصصهم دليل
لقوله ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وغير ذلك مما تقدم فقد علم من هذا الوجه في تكرير هذه القصص انه في كل سورة
لمقصد يخالف المقصد في غيرها وان كان يستفاد من ذلك فوايد اخر منها اظهار القدرة في بيان الاعجاز بتصريف المعنى
في الوجوه المختلفة لما في ذلك من علو الطبقة في البلاغة لانه ربما قال متعنت عند التحدي قد استوفى اللفظ البليغ على الاكمل
الاكمل البليغ البديع في هذه القصص فلم تبق لنا الفاظ نعبر بها عن هذه المعاني حتى ناتي بمثل هذه القصة فاتى بها ثانيا اظهارا
لعجزه وقطعا لحجته وربما كررت ثانيا وثالثا وربما توكيدا للانذار وتمكينا للعبارة وضروب البيان وتصبيرا للنبي صلى الله عليه وسلم
على اذى قومه ومنها الامر انه قيل فربما اتى تارة في غايتها البسط ثم توجز في غيرها غاية الايجاز ويوفى فيها بما لم يوف
في المبسوطة كما في العنكبوت فانه عين فيها مقدار لبثه وانه كان الف سنة الا خمسين عاما فلم لا استوعبت جميع المعاني
في الموضع المبسوط كما هو الاليق بمقام البسط لا سيما لمن لا يخفى عليه شيء ولا ينسى واذا وقع صرف كان في الموجزة قيل قال شيخنا
حافظ العصر ابو الفضل بن حجر ان الامام ابا حاتم بن حبان البستي ذكر في كتابه التقاسيم والانواع انه انما لم يرتبه ليحفظ اذ لو رتبه
ترتيبا سهلا لاتكل من يكون عنده على سهولة الكشف منه فلا يحفظه واذا وعر طريق الكشف كان ادعى الى حفظه ليكون
على ذكر من جميعه وذكر انه فعل ذلك لانه اقتدى بالكتاب العزيز فانه ربما اتى بالقصص غير مرتبة قال شيخنا ومن هنا يظهر ان
من اسرار تخصيص بعض المعجزات بالبعض المبسوط الحث على حفظ الجميع انتهى وهذه فوايد لا ينبغي اهمالها فالمعول عليه حيث
امكن والعمدة في المناسبة الوجه الاول وهو ان في كل سورة لمناسبة تخص تلك السورة تقديرا مع مراعاة الشرط وغيره المعاني
المناسبة للقصد الذي سيقت له القصة واما الموثوق واللام في لقد للقسم قال الامام ابو الحسن علي بن عيسى الرماني لا تدخل
على الفعل والحرف الذي يختص بالفعل مما يصح معناه معه ولام الابتدا للاسم خاصة ومعنى قد توقع الخبر للتقريب من الحال يقال
قد ركب الامير لقوم يتوقعون ركوبه فعلى هذا العقد جرى ولقد ارسلنا والابانة اظهار المعنى للنفس بما يمكن ادراكه واصله القطع
فالابانة تقطع المعنى من غيره ليظهر في نفسه انتهى والمقصود من الرسالة قوله سبحانه ان اي نذير لاجل ان لا تعبدوا
اي شيا اصلا الا الله اي الملك الاعظم ومعنى النذارة هو قوله اني اخاف عليكم وعظم العذاب المحذر منه بقوله
عذاب يوم اليم واذا كان اليوم مولما في الظن بما فيه من العذاب فهو اسناد مجازي مثل نهاره صايم ولم يذكر البشارة
كما تقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انني لكم منه نذير وبشير ارشادا الى ما سيقت له القصة من تقرير معنى انما
انت نذير ولذلك صرح بالالم بخلاف الاعراف ولذا امر به النبي صلى الله عليه وسلم اول هذه من عذاب يوم كبير وهما
متقاربان ثم ساق سبحانه جواب قومه على وجه هو في غاية التسلية والمناسبة للسياق بقوله فقال اي فتسبب عن
هذا النصح المعظم ان قال ولما كان هذا بعد ان تبعه بعضهم قال الملا وبين ان الجدال مع الضلال بعد ان بين انهم هم
الاشراف زيادة في التسلية بقوله الذين كفروا وبين انهم اقارب اعزه بقوله من قومه اي الذين هم في غاية
القوة لما يريدون محاولة القيام به ما نراك اي شيا من الاشيا الا بشرا اي ادميا مثلنا اي في مطلق البشرية
ليست فيك خصلة لا يصلح له من الرسالة وهذا قول البراهمة وهو منع نبوة البشر على الاطلاق وهو قول من يحسد
على فضل الله ويعمى عن جلي حكمته فيمنع ان يكون النبي بشرا ويجعل الاله حجرا ولما كانت العظمة عندهم منحصرة في عظمة الاتباع
قالوا وما نراك ولما نفوا الرويه عنه فتشوف السامع الى ما يقع عليه من المعاني بينوا ان مرادهم رؤية من اتبعه فقالوا

فقالوا اتبعك اي تكلف اتباعك الا الذين هم اي خاصة اراذلنا اي كالحايك ونحوه وليس منا رذل غيرهم وهو جمع ارذل
كما كلاب الرذل الخسيس الدني وهذا يفهم انه لم يتبعك احد له قدر فلو اتبعك عامل في قوله بادي الراي وهو ظرف اي
اتبعوك بديهة من غير تامل فاتباعهم لا يدل على سداد ما لهم لما اتبعوه من وجهين رذالتهم في انفسهم وانهم تفكروا فيه لكن يضعف
ايراد الاتباع بصيغة الافتعال التي تدل على علاج ومجاذبة فالاحسن اسناده كما قالوه ايضا الى اراذل اي انهم بحيث لا يتوقف ناظرهم
عند اول وقوع بصره عليهم انهم سفلة اسقاط ويجوز ان يكون المراد بادي ما رايك اي انك تظن انهم اتبعوك ولم يتبعوك
ولما كانوا لا يعظمون الا بالتوسع في الدنيا قالوا وما نرى لكم اي لك ولمن اتبعك علينا واغرقوا في النفي بقولهم من فضل اي في جاه
ولا مال وهذا مع ما مضى من قولهم قول من يعرف الحق بالرجال ولا يعرف الرجال بالحق وذلك انه يستدل على كون الشيء حقا بعظمة
متبعه في الدنيا وعلى كونه باطلا بحقارته فيها ومجموع قولهم يدل على انهم يريدون لو صح كون النبوة في البشر لكانت في واحد ممن اقروا
له بالعلو في الارض وعمل اتبعك في بادي بمنعه تمادي الاتباع على الايمان فانتفى الطعن بعدم التامل بل نظنكم كاذبين اي لكم
هذا الوصف لا زيادة ايمانا لانكم لم تتصفوا بما جعلناه فطنة الاتباع مما يوجب العظمة في القلوب والانقياد للنفوس بالتقدم في الدنيا
بالمال والجاه فكان داوهم بطر الحق وغمط الناس وهو احتقارهم وهذا قد سرى الى اكثر اهل الاسلام فصاروا لا يعظمون
الا بذلك وهو اجهل الجهل لان الرسل عليهم السلام اتوا للتزهيد في الدنيا وانظر الى رضاهم لانفسهم بالعدول عن البينة الى اتباع
الظن ما اداه وهذا افظع مما حكى هنا من قول قريش لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك والشعر والبشرة الانسان لظهور بشرته
اي ظاهر جلده لان الغالب على غيره من الحيوان سترها بالصوف او الشعر او الوبر او الريش والمثل الشاذ مسة غيره في الحس ابكلم
بمعنى انه لو ظهر للناظرة لستر سوءه والفضل الزيادة من الخير والافضال مضاعفة الخير التي توجب الشكر ولما كان ختام جو
اشده بدا في جوابه برده مبينا لضلالهم مغضيا عن شناعاتهم شفقة عليهم ومحبة لنجاتهم فقال تعالى حكاية عنه
قال يا قوم وشرع يكرر هذه اللفظة كل قليل تذكيرا لهم انه منهم لتعطفهم الارحام وترد لهم القرابات عن حسده او
المقامة المقبول ما يلقي اليهم من الكلام واشار باداة البعد مع قربهم الى تباعدكم فيما يقتضي غاية القرب ارايتم اي اخبروني
ان كنت على سبيل الفرض منكم والتقدير على بينة اي برهان ساطع وزاد ترغيبا فيه بقوله من ربي اي الذي اوصلني وحسن
الي بالرسالة وغيرها تشهد بصحة دعواي شهادة لا يتطرق اليها عند المنصف شبهة فلذلك بالظن واتاني تفضلا منه علي لا
لمعنى في اوجب عليكم به بل رحمة اي اكراما بالرسالة بعد النبوة وعظمها بقوله من عنده فيها فضل عظيم النور واضح الظهور ر
ولما كانت البينة من الرحمة وحد الضمير فقال فعميت اي فتسبب عن تخصيصي بها ان اظلمت ووقع خفاوها عليكم اي فعميتم انتم
عليها لضعف عقولكم ولم يقع عليكم شيء من نورها وذلك ان الدليل اذا كان اعمى عاد ضرره على التابع بالحيرة والضلال وهو معنى
قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالبناء للمفعول مشددة انلزمكموها وقوله وانتم لها كارهون مع تسميتها بينة
اشارة الى انها لم تعم ولا خفيت عليهم لقوة نورها وشدة ظهورها وانما انهم معاندون في نفيهم لفضله وفضل من تبعه والتعبير عن
ذلك بالجملة الاسمية واسم الفاعل اشارة الى ان انفالهم من كراهيته لها ثابتة مستحكمة وكانه لم يكن مامورا بالقتال كما كان
نبينا صلى الله عليه وسلم في اول الامر والاية ناظرة الى قوله تعالى افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين ويجوز ان يكون ذلك كناية
عن انهم معاندون مع قطع النظر عن الجهاد وغيره فان الانبيا عليهم السلام مامورون بالمجادلة للمعاندين الى ان يلزموهم الحجة
وهي لا تفيد الا الالزام في الظاهر مع الانكار والكراهة في الباطن والدعوة الى سبيل الله بالحكمة للكاملين وبالموعظة
علكم والخطابة للدنيا قصاص الذين لا يعاندون ويحسنون الظن في الداعي فيكون المعنى ان البينة لم تنفعكم لشكاسة واعوجاج في طباع
فلم يبق الا الموعظة وهي لا تفيد الا مع حسن الظن واما مع الكراهة فلا تنفعكم النصح فلا فايدة في المجادلة الا الالزام
وهو مع الكراهة غير نافع لكم ولما كان نفي ذلك ادعاما للفضل الدنيوي وكان الانصاف بفعله ما في اليد انما يلوم ضا واذا كان
صاحبه يسال غيره نفى عنه لهذا اللازم العايب فقال مجيبا عن نفيهم الفضل عنه وعن اتباعه بانه قد يريد منهم على ذلك
ثوابا دنيويا ويا قوم استعطافا لهم لا اسالكم اي في وقت من الاوقات عليه اي الانذار كما يا خذ منكم من يبذر لكم
امر من يريد بكم بعض ما تكرهون في امور دنياكم حتى يكون عاقبة ذلك ان تتهموني مالا ان اي ما اجري الا على الله وما
اي الذي له الجلال والاكرام فيبذل الخزاين كلها ونبه بهذا على انه لا غرض له من عرض دنيوي ينفر المدعو عنه فوجب
تصديقه وفيه تلقين لجواب عن قول قريش لولا القي عليه كنز كما سياتي ما بين من ذلك عقب قصة يوسف عليه السلام
ا في قوله وما تسالهم عليه من اجر لان هذه القصص كالشيء الواحد متتابعة في بيان حقية هذا القران والتاسية في الاقتدا
بالرسل في الصبر على ادا جميع الرسالة مع ما يلزم ذلك من جليل العبر وبدايع الحكم فلما اتحد الغرض منها مع توالها
اتحدت متفرقا لها ولما كان التعبير برذالة المتبع مما ينفر اهل الدنيا عن ذلك التابع بين لهم ان شانه غير شانهم
وانه رفيق على من امن به رفيق به رحيم له وان كان متاخرا في الدنيا محروما منها خوفا من الله الذي بعثوه فيه فقال

وما أنا واغرق في النفي بقوله بطارد الذين آمنوا اي اقروا بالسنتهم بالايمان ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لانكارهم انهم
ملاقوا ربهم اي المحسن اليهم بعد ايجادهم وتربيتهم بانقيادهم فلو طردهم لشكوني اليه فاني اراكم وحققا في الاشارة
الى طردهم ولاي شيء مما اجبتموني به ولكني اراكم اي اعلمكم علما هو كالرؤية قوما تجهلون اي تفعلون افعال اهل الجهل
فتكذبون الصادق وتعيبون المؤمنين بما لا يعيبهم وتنسون لقاء الله وتوقعون الاشياء في غير مواقعها في تعبيره بتجهلون
بتجهلون دون جاهلين اشارة الى ان الجهل متجدد لهم وهو غير عادتهم استعطافا لهم الى الحكم ثم عطف المنتج للاستعطاف في
سياق محذر من سطوات الله فقال ويا قوم اي الذين هم اعز الناس علي من ينصرني من الله اي الذي له جميع العظمة ان
طردتهم ولو لم يشكوني اليه لاطلاعه على ما دق وجل ولما تم الجواب عن ازدرائهم تسبب عنه الانكار لعدم تذكرهم لما قاله لهم
بما يجدونه في انفسهم فقال افلا تذكرون ولو ادنى تذكر بما يشير اليه الادغام فتعلموا ان من طردهم صديقا لكم عاد عدوا لكم
وقصد مولي بالاذى فترجعوا عما طرأ لكم من الجهل الى عادتكم من الحكم الباعث على التأمل الموقف على الحق والطرد الابعاد
الشيء على جهة الهوان والقوم الجماعة الذين يقومون بالامر اسم جمع لا واحد له من لفظه والتذكر طلب معنى قد كان حاضرا للنفس
والتفكر طلبه وان لم يكن حاضرا ولما كان نفيهم للفضل شاملا للاموال وعلم الغيب قررهم على ذلك منبها على خطائهم فيه
بانه لم يجعل بينهم قط ما يكون سببا له فقال عاطفا على قوله لا اسألكم عليه اجرا ولا اقول لكم اي في وقت من الاوقات
عندي خزائن الله اي الملك الاعظم فاتفضل عليكم منها ولما كان من الجائز ان يمكن الله من يشاء من خزائن الارزاق ونحوها
فيسوغ له ان يطلق ملك ذلك مجازا ولا يجوز ان يمكنه من علم الغيب وهو ما غاب عن الخلق كلهم لانه خاصته سبحانه قال عاطفا
على اقول لا على المقول ولا اعلم الغيب لا حقيقة ولا مجازا فاعلم وقت ما توعدون به او ما في قلوب المؤمنين مما قد تتهمونهم به من
السوء واعلمهم انه لا مانع من ارسال البشر بقوله فتكونون انتم افضل من قوتكم او فضلي خلقي اعظم قدرا من خلقكم والخوض
الفضل الصوري الذي جعلتموه هو الفضل فلا تكون الآية دليلا على افضلية الملائكة وتقدم في الانعام سر اسقاطه لكم هنا
ولما كان لعوتهم ينفي الملكية له عنه من باب الاولى اتبعه تاكيدا قبوله لمن امن كائنا من كان وان ازدروه بقوله
ولا اقول للذين تزدري اي تحتقر وتستصغر اعينكم اي تقصرون به عن الفضل عند نظركم له وتعيبونهم
لن يؤتيهم الله اي الذي له الكمال كله خيرا ولما كان كانه قيل ما لك لا تقول ذلك اجاب بما تقديره لاني لا اعلم ضمائرهم
ولا احكم الا على الظاهر الله اي المحيط بكل شيء اعلم اي حتى منهم بما في انفسهم ومن المعلوم انه لا يظلم احدا فمن كان في
نفسه خير جازاه عليه ويجوز ان يكون هذا راجعا الى بادي الراي بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم بما تقدم ثم علل كفه عن ذلك
بقوله مؤكدا لانكارهم ظلمه على ذلك التقدير اني اذا اي اذا قلت لهم ذلك لمن الظالمين اي العريقين في وضع الشيء في غير
موضعه والخزائن اخبية المتاع الفاخر وخزائن الله مقدوراته لانه يوجد منها ما يشاء ووصفها بذلك بلاغة والغيب ذهاب
ذهاب الشيء عن الادراك ومنه الشاهد خلاف الغائب واذا قيل علم غيب كان معناه علم من غير تعليم والازدراء الاحتقار وهو
افتعال من الزراية زريت عليه اذا عبته وازريت عليه اذا قصرت به والملك اصله من الرسالة من الالوكة والرسالة فلما استوفى ما
نقضوا ابرموه في زعمهم من جوابهم على غاية الانصاف واللين والاستعطاف والاستعطاف استانف الحكاية عنهم
بقوله قالوا اي قومه ليس له تجد في رده شبهة بدلالة ولا امرا يعني به يا نوح قد جادلتنا اي اردت قتلنا وصرفنا عن
آرائنا بالحجاج واردنا صرفك عن رايك بمثل ذلك فاكثرت اي فتسبب عن ذلك انك اكثرت جدالنا اي كلامنا على صورة
الجدال فأتنا اي فتسبب عن ذلك تضجرنا وعن تضجرنا انا نقول لك الزم نفسك عندنا دعواك اتنا فصرحوا بالعناد بما تعدنا
من العذاب ان كنت اي كونا هو جبلة لك من الصادقين اي العريقين في الصدق في انه ياتينا فصرحوا بالعناد المبعد من الانصاف الانصاف
والانصاف من السداد وسموه باسمه ولم يسموا بان يقولوا يا ابن عمنا مرة واحدة كما كرر لهم يا قوم فكان المعنى انا غير قابلين
لشيء مما تقول وان اكثرت واطلت بغير حجة منهم بل عنادا واكبارا فلا تتعب بل فقر الامر بما تتوعدنا به وسموه وعدا سخرية
به اي ان هذا الذي جعلته وعيدا هو عندنا وعد حسن سار باعتبار انا نخشاه والمعنى انك لست قادرا على ذلك
ولا انت صادق فيه فان كان حقا فأتنا به فان كان فكانه قيل ماذا قال لهم فقيل قال جريا على سنن قوله ولا
اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب انما ياتيكم به الله اي الذي له الاحاطة بكل شيء فتبرأ من الحول والقوة
وردهما الى ذلك الى من هو له واشار بقوله ان شاء الى انه مختص باتباعه وان كان قد تقدم قوله به ارشادا
الى انه سبحانه لا يجب عليه شيء ولا ينبغي منه شيء بل ولا يسأل عما يفعل وان كان لا يقع الا ما اخبر به ثم بين عجزهم وخطاهم
في تعرضهم للهلاك فقال وما انتم بمعجزين اي في شيء من الاوقات لشيء مما يريده بكم سبحانه والاكثار الزيادة
على مقدار الكفاية والمجادلة المقابلة بما يفتل الخصم عن مذهبه بحجة او شبهة وهو من الجدل وهو شدة الفتل والمطلوب
به الرجوع عن المذهب المطلوب بالحجاج ظهور الحجة فهو قد يكون مذموما كالمراء للريبة يكون للتشكيك في الحق بعد

ظهوره وحيث قيد الجدال بالتي هي احسن فالمراد به اظهار الحق ولما بين المفسر انما هم في قبضته سبحانه زاد في بيان عظمته
وان ارادته تضمحل معها كل ارادة في سياق دال على انه بذلك ناصح لهم وان نصحه خاص بكم فقال جوابا لما اهوا وهموا ان
جدالهم لهم بالاباطيل وذكرا ارادته لما يريدان يذكره من ارادة الله تعالى فقال ولا ينفعكم نصحي اي مصحت الى فعل النصح ارادة ان اردت
باعلام موضع الغي ليتقي والرشد ليتبع وجزاؤه محذوف تقديره لا ينفعكم نصحي ان اتوكم ان كان الله اي الامر كله يريد ان يغويكم اي
يضلكم ويركبكم غير الصواب فان ارادته سبحانه تغلب ارادتي وفعلي معا ولا ينفعكم شيء اشارة الى انكم لا تقدرون على دفع العذاب
بقوة فتكونوا غالبين ولا بطاعة فتكونوا المحبوبين مقربين ان كان الله يريد اهلاككم بالاغواء وان اردت انا نجاتكم واشارة الى
اني لا املك الا ارادتي لنصحكم فاذا اردته فغايته ما يترتب عليه من فعلي وقوع النصح واخلاصه لكم واما النفع به فذلك شيء منه الى
بل هو تابع لارادة الله تعالى فان اراد غوايتكم حصلت لا محالة ولا يقع ما قد يترتب على النصح من عمل المنصوح بمقتضاه المستجاب
للنفع المستدفع للضر ثم رغبهم في احسانه ثم رهبهم من انتقامه بقوله معللا لعدم ما لا يريد هو ربكم اي الموجد لكم المدبر لاموركم
فهو يتصرف فيكم وحده بما يريد ولما كان التقدير فمنه مبدؤكم عطف عليه قوله واليه اي لا الى غيره ترجعون اي باسيرها هونا
بالموت ثم البعث فيجازيكم بما عملتم كما هي عادة الملوك مع عمالهم ولما كان مضمون هذه الآية نحو مضمون قوله انما انت نذير والله على كل
شيء وكيل فان النذير من نصح المنذر والوكيل هو المرجوع اليه في امر الشيء والموكول اليه وما قبلها لترغيبنا بنسبة نوح عليه السلام الى الافتراء
تلاه بما تليه ذلك من التنبيه الى الافتراء اشارة الى ان هذه القصص كلها للتسلية في امر النذارة والتاسية فكانه قيل افتقولون
لك مثل هذه الاقوال فقد قالوها لنوح كما ترى ثم والى عليهم من الانذار ما لم يطيقوا معه في ترك شيء مما امر به فعجزهم وفضحهم
فلك به اسوة وحسبك به قدوة في ان تعد كلامهم عدما وتقبل على ما ارسلناك به من بذل النصيحة بالنذارة ام يقولون
في القرآن افتراه اصرارا على ما تقولون قد دمغه الدليل وادحضته الحجة فكانه قيل انهم لم يقولون ذلك فقيل لا علمت
انه قول يقصدون به مجرد العناد وهم يعلمون خلافه بعدما قام عليهم من الحجج التي وصلوا بها الى عين اليقين قل لهم قولهم
هذا فانهم يجعلونه وسيلة الى تركك لبعض ما يوحى اليك فلا تفعل بل قل في جواب قولهم هذا ان افتريته اي قطعت كذبه
فعلي اي خاصا بي اجرامي اي وباله وعقابه دونكم واذا استعلى على الاجرام وعلم ذلك ارباب العقول وظهر ظهورا اقتضيه به
وانتم اعرف الناس باني ابعد من ذلك مما بين اجتماع الضدين وارتفاع النقيضين لما تعلمون مني من شهادة الشيم وعلو
الهمم وطيب الذكر وشريف القدر وكريم الامر هذا لو كنت عادرا اليه فانا وانتم عنه في التجرس وانا بريء اي غاية البراءة مما تجرمون
اي توجدون اجرامه ليس علي من اجرامكم عائد ضرر بعدان وضحته وكشفت عنكم غطاء الشبه انما ضرره عليكم فاعملوا على تدكر
هذا المعنى فان سوق جوالهم على هذا الوجه انكالهم من قامت حجته اخرى لانهم يعلمون منه انه الزام لهم بالفضيحة لا تقطاعهم
لدى من له وعي ويمكن ان يكون التقدير هل انبئه قومك بانهم يعلموا بهم مثل هذه الحالة والنقاط المعاندين فرجعوا كرها عن ذنوب منها واستحيا
ام يقولون افتراه اي كذبه متعمدا استمرارا على العناد وتماديا في العناد كما تمادي قوم نوح فيحل بهم ما حل بهم اي هل رجعوا لهذا المقدار من
قصة قوم نوح ام هم مستمرون على ما ينسبونه اليه في اوائل السورة من افترائه فيحتاجون الى تكميل القصة بما وقع من عذابهم ليخافوا مثل مصابهم
وافتراء الكذب افتعاله من قبل النفس فهو اخص من مطلق الكذب لانه قد يكون تقليدا للغير ولما فرغ من هذه الجملة التي هي المقصود بهذا السياق
كله وان كانت اعتراضية في هذه القصة رجع الى اكمالها بيانا لان نوحا عليه السلام كان يكاشف قومه بجميع ما امر به وان عظمت مشقته عليهم حسب
لم يكن تطر موضع رجائهم فان يترك شيئا منه وتحذيرا لكل من سمع قصتهم من ان يحل به ما حل بهم فقال واوحي اي من الذي لا يوحي الا هو وهو الملك
الملوك الى نوح بعد تلك الخطوب انه لن يؤمن بما جئت به من قومك الا من قد امن ولما كان الذي يحبب للانسان الى ما يسأله به نلوم فيه
وفيما يحدث بتبدل الاجابة يتوقع السايل لها الاجابة قال فلا اي تسبب عن علمك بانه قد تم شقاوهم انا نقول لك لا تبتئس
اي يحصل لك بؤس اي شدة يعظم عليك خطبها بكثرة تاملك في عاقبتها بما كانوا اي بما جبلوا عليه يفعلون فانا ناخذ لك بحقك منهم قريبا
وكانه كان اعلمه انهم لم يجيبوه اغرقهم وانجاه ومن تبعه في فلك يحملهم فيه على متن الماء فقال واصنع ملابسا لحفظنا الفلك فحفظك ان
تزيغ في عملها وانت تعلم ما لنا من العظمة التي تغلب كل شيء ولا يتعاظمها شيء فلا تكون كانك لا تعرف صنعها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله اوحى اليه
ان يصنعه مثل جؤجؤ الطائر اي صدره واشار الى شفقته على قومه وحبه لنجاتهم كما هو حال هذا النبي الكريم مثل الله فقال باعيننا ووحينا
اي بنوع مخاطبة وان قلت ولا تخاطبني اي اوجدوا الظلم واستمروا عليه في ان انجيهم ثم علل النهي بان الحكم فيهم قد ابرم فقال في الذين
ظلموا انهم مغرقون تدفع من ذلك والابتئاس من حزن في استكانة لان اصل البؤس الفقر والمسكنة والوحي القاء المعنى الى النفس في خفاء وقد يكون
ايضا من غير كلام باشارة ونحوها وقد يكون بكلام خفي والفلك السفينة يؤنث ويذكر واحده وجمعه سواء واصله الادارة من الفلكة ولما
امره تعالى بما نهاه اخبر انه امتثل لذلك بقوله عاطفا على ما تقديره فايس من ايمان احد منهم فترك دعاءهم وشرع يسلي نفسه معرضون اي صنعه
ما هو صدد له ملكة عظيمة بذلك الصنع ويصنع فحكى نسله حال علمه بانه سبحانه ثبت الامر بانه كان يعمل بالامر به سبحانه ولم يخاطبه فيهم
ولا اسف عليهم واشار الى انهم ازدادوا بغيا بقوله الفلك اي والحال انه كلما مر عليه ملأ اي اشراف من قومه واجاب كما يقول سخروا منه

اي علم بنعيم شوتهم من ذلك وذلك انهم رأوه يعاني ما لم يروا قبله مثله ليجري على الما وهو في البر وهو على صفة من الملوك عظيمة فنن
الحسن انها ان طولها الف ذراع وماتا ذراع وعرضها ستماية فقالوا يا نوح ما تصنع قال ابني بيتا على الما فعجبوا ان يكون سخروا واصفية
الملا وجوابكما قال ولما اباته ادسن خبثهم ترك ما كانت من لينه لهم واستقصاطهم نعلم ان ذلك ما كان الا له سبحانه فقال حاكيا عنه
ولما كانوا يظنون انه عابث في عمله كان عندهم موضعا للخزي والسخرية وكان هو صلى الله عليه وسلم عالما بالحم بان عملهم سبب لخزيهم بالعذاب
المستاصل فكان المعنى ان تسخروا منا اي مني ومن يتابعني لظن ان عملنا غير مثمر فانا نسخر اي نوجد السخرية منكم جزاكم كما تسخرون منا الان لان
علمنا بنا وعلمكم ليس مقتصرا على الصلاح بل هو موجب لما توعدون من العذاب فانتم الخزيون دوني ولما كان قوله نسخر منكم واقعا موقع هذا الاخبار
حسن الاتيان بالفا المؤذنة بتسبيب العلم المذكور عنه في قوله فسوف تعلمون اي بوعد لا خلف فيه من يأتيه عذاب يخزيه اي يفضحه
وكان المراد به عذاب الدنيا ويحل عليه اي حلول الدين الذي لا محيد عنه عذاب مقيم وهو عذاب الاخرة وقد مضى نحوه في الانعام عند
قوله فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار والسخرية اظهار ما يخالف الابطان على جهة تفهم استضعاف العقل من التسخير وهو التذليل
استضعافا بالتهي وهو تفارق اللعب بان فيها خديعة استنقاص فلا يكون الا بحيوان واللعب قد يكون بجماد لانه تطلب طلب الفرح والخزي العيب
الذي يظهر فضيحته والعار به ونظيره الذل والهوان واستمر ذلك دابه ودابهم حتى اذا جا امرنا اي وقت ارادتنا لاهلاكهم وفار
اي غلا وطفح التنور روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد انه الحقيقي الذي يخبز فيه وهذا هو الظاهر فلا يعدل عنه الا بدليل
لا انه صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل عبث كما قاله اهل الاصول قلنا بعظمتنا احمل ولما كان الله تعالى قد اراه ان يجعل لها غطا
قال اهل التفسير لئلا تبتل من شدة الامطار وكانت الطوفيه فهلك غيرها من السفن واصحه قل لا ثالا فيها اي السفينة من كل زوجين
من الحيوانات والزوج فرد يكون معه اخر لا يكمل نفعه الا به اثنين ذكرا وانثى واهلك اي احملهم والاهل العيال الا من سبق عليه القول باني
اغرقه وهو امراته وابنه كنعان ومن اي واحمل من امن قال ابو حيان وكانت السفينة ثلاث طبقات والسفلى للوحوش والوسطى للطعام والشراب
والعليا له ولمن امن معه ثم سلى الخاطب لهذه القصص صلى الله عليه وسلم وذكر نعمته بكثرة من ابتعه مع صد عهم بولم الانذار على قصر الزمان دون
نوح عليه السلام مع تطاول الزمن فقال وما اي والحال انه ما امن كاينا معه اي بانذاره الا قليل بسبب تعد من الا باغضابهم بما كانوا به من
الانذار والتنور قال ابو حيان ووزنه فعول عند ابي علي وهو اعجمي وقال ثعلب وزنه تفعول من النور واصله تنوور وهمزت الواو ثم
خففت وشدد الحرف الذي قبلها والزوج تذكر على الرجل الذي له امراة قال الرماني وقال الحسن في ومن كل شي خلقنا زوجين اثنين السما زوج
والارض زوج والشتا زوج والصيف زوج والليل زوج والنهار زوج حتى يصير الامر الى الله الفرد الذي لا يشبهه شي ومعنى ذلك في صحيح البخاري
واختلف فيمن كان في السفينة ثمانية نوح وامراته له وثلاثة بنين سام وحام ويافث ونساوهم واكثر ما قيل انهم ثمانون روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ولما اتاه الامر بذلك بادر الامتثال فجمع من امره الله به الى السفينة بعد ان هياها لهم وقال اي لمن امر بحمله اركبوا ولما كانت
الظرفية اغلب على السفينة قال فيها اي السفينة ولما امرهم بالركوب فركبوا استانف قوله وامرهم بالركوب قايلين بسم الله اي الذي له الاحاطة
الكاملة مجريها ومرسيها اي اجراؤها وارساؤها ووقتها ومحلها وقرا الحسن وقتادة وحميد الاعرج واسماعيل بن مجالد عن عاصم بكسر الرا
والسين كسرا تابعا لما بعده ما ان فالصفتان على ان الاسمين صفتان للجلالة ثم علل نجاتهم بالاجرا والارسا اعترافا بانه لا نجاة الا بعفوه بقوله
اي المحتمل لان يبادر من هذا الامر وغيره وزاد في التاكيد تطييبا لقلوب من معه معرفا لهم بان الله لن يعدو ما سبق تقديره وان العبد لا يسعه الا العفو
فقال ان ربي اي بالغ الستر للذنوب المعفوات لغفور اي بليغ الاكرام لمن يريد فركبوها واستمروا سايرين فيها يقولون باسم الله رحيم اي والحال انها
وهي تجري بهم ولما كان الما سببا للاغراق فكان الشيء على ظهره من الخوارق اشار الى ذلك بالظرف فقال في موج ونبه على علوه بقوله كالجبال
اي في عظمه وتراكمه وارتفاعه فالجملة حال من فركبوها المقدر لانه لظهوره في قوة الملفوظ وكان هذه الحال مع انها ستدامة الركوب دكوب اشارة
الى سرعة امتلا الارض من الما وصيرورته فيها امثال الجبال عقب ركوبهم السفينة من غير كبير تراخ قالوا وكان اول ما ركب معه الذر
واخر ما ركب الحمار وتعلق ابليس بذنبه فلم يستطع الدخول حتى قال له نوح عليه السلام ادخل ولو كان الشيطان معك كذا قالوا وقيل انه منع الحية
والعقرب وقالتا انما سبب الضرر فقال لا احملنا ولكما ان لا نضر احدا ذكرك فمن قال سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المومنين لم نضراه ولما كان ابتدا الحال في تنجر الموج كالجبال لا ينجي منه الا السبب الذي اقامه سبحانه تلذذ بالاداب من ابن نوح فقال عاطفا على
قوله وقال اركبوا ونادى نوح ابنه اي كنعان وهو لصلبه نقله الرماني عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وكان اي الابن في معزل
اي من ابيه في مكانه وفي دينه لانه كان كافرا وبين ان ذلك المعزل كان على بعض البعد بقوله يا بني صغره تحننا وهو تعطفا اركب كاينا
معنا اي في السفينة لتكون من الناجين ولا تكن اي بوجه من الوجوه مع الكافرين اي في دين ولا مكان اشارة الى ان حرص الرسل
عليهم السلام وشفقتهم وان كانت مع روية الايات العظام والامور الهايلة ليست سببا لتلين القلوب وخضوع النفوس ما لم ياذن الله انظر الى
استعطاف نوح عليه السلام بقوله يا بني مذكرا له بالبنوة مع تصغير التحنن والتراوف وغلاظة الابن في عدم سماحه بان يقول يا ابة
ولم يكن مع ما راى من الايات العظام ولا تناهي لين منطقها عن تخيم الجهل بدلا من العلم وتعسف الشبهة بدلا من الحجة ولما كان الحال حال دهش واختلاف
كان الكلام جديرا بان لا يعين بل يبادر الى السوال فيقول فما قال فقيل قال قول من ليس له عقل يتعقل به ساوي الى جبل يعصمني اي يلوه

اي يعلوه من الما اي فلا اغرق قال اي نوح عليه السلام لا عاصم اي مانع من جبل ولا غيره موجود اليوم اي لا احد من امر الله اي الملك الاعظم
المحيط امره وقدرته وعلمه وهو حكمه بالغرق على كل ذي روح لا يعيش في الما الا من رحم اي الا مكان من رحمه الله فانه مانع من ذلك وهو السفينة او لكن
من رحمنا الله فان الله يعصمه ولما ركب نوح عليه السلام ومن امره الله به واراده ولم يبق حاجة في تدرج ارتفاع الما فعلا وطمى وغلب وعتى فطال
الامر وزال على الحد العقد قال الله تعالى عاطفا على ما تقديره فلم يسمع ابنه ذلك منه بل عصى اباه كما عصى الله ناوي الى الجبل الذي اراده
فعلا الما اليه ولم يمكنه بعد ذلك اللحاق بابيه ولا الوصول اليه وحال بينهما اي بين الابن والجبل او بينه وبين ابيه الموج المذكور في قوله
موج كالجبال فكان اي الابن باهون امر من المغرقين وهم كل من لم يركب مع نوح عليه السلام من جميع اهل الارض قال ابو حيان قيل كان يتراجعان
الكلام فما استتمت المراجعة حتى جات موجة عظيمة وكان راكبا على فرس قد بطر واعجب بنفسه فالتقمته وفرسه وحيل بينه وبين نوح عليه السلام
فغرق انتهى والركوب العلو على ظهر الشيء كركب الدابة والسفينة والبر والبحر والجري مر سريع فقال هذه الحالة تجري في احكامها الحمر من غير
مانع والموج جمع موجة لقطعة عظيمة من الما الكثير ترتفع عن جملته واعظم ما يكون ذلك اذا اشتدت الريح والجبل جسم غليظ النا لطش شاخص من
الارض هو لها كالوتد والعصمة المنع من الافة وقيل اي بادني اشارة لبعد هلاك اهل الارض وخلوها من الكافرين وتدميرهم في السهول
والجبال من الخاسرين وهو من اطلاق المسبب وهو الارادة لتصوير امر وما مور هو في غاية الطاعة فانه ادخل في النفس ولما كان كل شيء
دون مقام الجلال والكبريا والعزة بامر لا يعلمه الا الله دل على ذلك باداة البعد فقال يا ارض ابلعي اي اجذبي من غير مضغ الى مكان خفي بالتدريج
وعين البلوع ليدل انه لم يبتلع كل شي على ظهرها من جبل وغيره ولذلك افرد ولم يجمع فقال ماءك اي الذي تجدد على ظهرك للاغراق
ليكون للكلاعذا اللاكل الذي يتقوى به بدنه به فتقوى به على الانبات وساير المنافع وجعله ماءها لاتصاله بها اتصال الملك بالمالك
ويا سما اقلعي اي امسكي عن الامطار ففعلتا ابتدارا ثم ن لامر الملك الذي لا يخرج عن مراده شي وغيض الما اي المعهود وحكم
عليه بالرسوب في اعماق الارض من المتعدي فانه يقال غاض الماء وغاضه الله كما يقال نقص الشي ونقصته انا وقضي الامر اي فرغ وابتُّ
وانبرم في اهلاك من هلك ونجاة من نجا كما اراد الجليل على ما تقدم به وعده نوحا عليه السلام لم يقدر احد ان يحبسه عنهم ولا ان
يحرفه ولا ان يوخره ثانية ولا اصغر منها فليحذر الله من اخر عنه العذاب ولا يقل ما يحبسه ليلا يايته مثل ما اتى هولا او من
بعدهم واستوت اي استقرت واعتدلت السفينة على الجودي اشارة باسمه الى ان الانتقام العام قد مضى وما بقي الا الجود
بالنما والخير والخصب والرحمة العامة وهو جبل بالموصل بعد خمسة اشهر قال قتادة استقلت بهم لعشر خلون من رجب وكانت في الما
خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشورا وقيل اي علا ما بعوان المهلكين والراحة منهم بعدا
هو من بعد بالكسر اراد به البعد من حيث الهلاك فان حقيقته الدالة بعد بعيد لا يرجى منه عود ثم استعير للهلاك وخص بدعا السو
وعبر بالمصدر لتعليقه باللام الدالة على الاستحقاق والاختصاص للقوم اي المعهودين في هذه القصة الذين كان فيهم من شدة القيام فيما حاولوه
فيما لا يعلمه الا الله الظالمين اي العريقين في الظلم وهذه الاية تسع عشرة لفظة فيها احد وعشرون نوعا من البديع عدها ابو حيان وقال ورد
ان اعرابيا سمعها فقال هذا كلام القادرين وذكر الرماني عدة من معانيها منها اخراج الامر على جهة التعظيم لفاعله من غير معاناة
ولا لغوب ومنها حسن الايجاز من غير اخلال ومنها تقبل النظم على اتم الكمال والبلع اجرا الشي في الحلق الى الجوف والاقلاع اذهاب
الشي من اصله حتى لا يبقى له اثر والغيض غيبة الما في الارض على جهة النشف وابراز الكلام على البنا للمفعول ادل على الكبريا والعظمة للفاعل
للاشارة الى انه معلوم لانه لا يقدر على مثل هذه الافعال غيره ونقل الاصبهاني عن صاحب المفتاح فيها كلاما اغلى من الجوهر ولما كان
الاستثنا من اهله في قوله الا من سبق عليه القول يجوز ان يراد به امراته فقط فتكون نجاة ابنه جايزة وكان ما عند الانبيا عليهم
السلام من فرط الشفقة على الخلق لا سيما الاقارب يحملهم على السعي في صلاح جميع ما كان لذلك وجه كما تقدم مثل ذلك في قوله تعالى ان
تستغفر لهم سبعين مرة ثلو تغفر الله لهم لان اجنحة الخلق كسيرة وايديهم قصيرة وامرهم ضعيف وحالهم رث فادنى شيء يوذنهم
الخيران ولا جناب الحق ففسيح وشانه عظيم وامره على فلا يلحقه نقص بوجه ولا بداينه ضرر ولا يعتري امره وهن ولما كان ذلك
لذلك سال نوح عليه السلام نجاته ولدهم كما اخبر عنه تعالى في قوله ونادى نوح ربه اي الذي عوده بالاحسان الجزيل ولسجانه
بالعطف بالفا دون ان ياتي بالاستيناف المشير للندا على ان باذ كرهنا من ندا نوح عليه السلام بعض ندايه وان هذا المذكور مرتب معقب
على شي منه اريد ان يكون ما ارشد اليه سبحانه في سورة المومنين ويشعر به قوله تعالى بعد هذا جوابا له يا نوح اهبط بسلام منا فيكون
تقدير الكلام فقال رب انزلني منزلا مباركا وما قدر له من الكلام فقال اي عقيبه لما حمله عليه الابن رحمة البنوة وشفقة
الابوة وسجية البشر متعرضا لنفحات الرحمة وعواطف العفو والنا تفصل الجملة التي يشملان نوحا فقال رب ان ابني اي الذي
غرق من اهلي اي وقد امرتني بحمل اهلي وذلك الامر يحتمل للاشارة الى ارادة نجاتهم وان وعدك الحق اي الكامل في نجاتهم
الا من سبق عليه القول وقد علمت ذلك في المراة الكافرة وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم ومن كان اعلم كان احكم فتعلم ان
قولك الا من سبق عليه القول نصح ما استثنيتها وحدها فان كان ابني ممن نجا فما بقي به وان كان هذا الدعاء عند حيلولة الموج بينهما
فالمعنى فلا تفلكني قال يا نوح حاكما فنفى ما تقدم منه اثباته فقال انه ليس من اهلك اي المحكوم بنجاتهم لانهم وكونه

ولهذا علل بقوله انه عمل اي ذو عمل وكونه جعله نفس العمل في قراة الجماعة مبالغة في ذمه وذلك لان الجواهر متساوية الاقدام في نفس الوجود لا تشرف الا بآثارها فبين انه ليس فيه اثر صالح اصلا وثبت قراءة يعقوب والكسائي بالفعل ان من باشر السوء على سبيل المباشرة وجبت البراءة منه ولا سيما الكافر فلا يواصل الا بالاذن وعبر بالعمل دون الفعل لزعمه اعماله مبنية على العلم ذكره لما كان سؤال نوح عليه السلام هذا غير صالح بعلمه قد حكمت في هذا الامر اي الا انجيته الا من اتصف بالصلاح وانا اعلم بذات الصدور وانت تخفى عليك كثير من الامور فربما ظننت الايمان بمن ليس بمؤمن لمناباة الامر على ما تراه من ظاهره وقد تقبل الزمان في حق الحق انه كان منافق باطنها ولا ايمان وهذا يدلك على ان الموافق في الدين الحق ما يكون وان كان في غاية البعد في النسب اي المخالف فيه لبعد ما يكون وان كان في غاية القرب في النسب لما تسبب عن هذا الجواب ترك السؤال كان اولى ذكر ان الكليا ينذر فيه فقال فلا تسالني اي بنوع من انواع السؤال ما ليس لك به علم فلا تعلم اصواب السؤال فيه ام لا اللائق بامثالك لا تردوا لي الرب بنا العبود على التحقيق وانتظار الاعلام بما انظر الى قول موسى عليه السلام في حديث الشفاعة في الصحيح من حديث ابي هريرة رضي الله عنه واني قتلت نفسا لم اومر بقتلها ومن المعلوم ان تلك النفس كانت كافرة من آل فرعون اني اعظك اي مواعظ كراهية ان تكون اي كونا تتخلق به من الجاهلين اي في عداد الذين يجهلون ما لطف الا انهم لا سبيل لهم الى التوقف على حقائق الامور من قبلنا فتسل مثل ما تسال ولما انجلى للسامع ما هو فيه صلى الله عليه وسلم بهذا اثر بقوله علوم اي مبادرا على حسب من علو المقام وعظم الشأن الموجب للعتاب على يسير من الصواب فتشوف لجوابه ستانف الحق الى ذكر ولاية للسامعين على عظم رغبته فقال قال رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس اي في شيء من الاشياء ما ليس لي به علم تادبا بادبك واقتداء بمغفرتك وان تعاملي تكتني البديهي علو الدرجة ورتبة المنزلة والا تغفر لي اي الان وفي المستقبل وترحمني اي تستر زلاتي وتجعلها تكرمني اكن من الخاسرين اي العريقين في الخسارة فكانه قيل ماذا اجيب عن ذلك فقيل قيل بالبنا للمفعول دلالة على العظمة والجلال الذي يكون الامور العظيمة له بادنى اشارة يا نوح اهبط اي من السفينة بسلام اي عظيم منا اي ومن سلمنا عليه فلا هلك يلحقه وبركات اي خيرات نامية صالحة عظيمة عليك اي خاصة بك وعلى امم اي ناشئة ممن معك لكونهم على ما يرضينا ولا تمتعهم في الدنيا الا قليلا ولهم اذا رجعوا الينا نعيم مقيم وقد دخل في هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وامم اي منهم سنمتعهم في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش على وفق علمنا وارادتنا ولا بركات عليهم بتلو السلام فالانه من الاحتباك ذكر البركات والسلام اولا دليلا على نفيهما ثانيا والمتاع والعذاب ثانيا دليلا على حذف ضدهما اولا ثم يمسهم منا اي في الدارين او في الاخرة عذاب اليم بجرمهم على غير هديتنا وجراءتهم علينا بسخطنا ويجوز ان يكون وامم مبتدا من غير تقدير صفة محذوفة فيكون المسوغ للابتدا كون المقام مقام التفصيل والعباد طلب النجاة مما منع من الشر والبركة ثبوت الخير غاية ما لا يبعد حالة واصله الثبو ومنه البئر والبركة لثبوت الماء فيها ذكر قصة نوح عليه السلام من التوراة وهو نوح بن لمك بن متوشلح بن خنوخ بن ياود بن مهلاليل بن قينان بن انوش بن شيث ابن ادم عليه السلام وذلك انه في اوائل السفر الاول منها ان ادم طاف بحوا حليلته فحبلت وولدت له ابنا فسماه شيث وقال الان اخلف الله علي نسلا اخر بدل هابيل الذي قتله قابيل وذلك بعد ان عاش ادم مائة وثلثين سنة وكان جميع حياة ادم تسعماية وثلثين سنة وعاش شيث مائة وخمسين سنة فولد له انوش وكان جميع حياة شيث تسعماية واثنتى عشرة سنة فعاش انوش تسعين سنة فولد له قينان وكان جميع حياة انوش تسعماية وخمس سنين وعاش قينان سبعين سنة فولد له مهلاليل وكان جميع حياة قينان تسعماية وعشر سنين وعاش مهلاليل خمسا وستين سنة فولد له ياود وكانت جميع حياة مهلاليل ثماني ماية سنة وخمسا وتسعين سنة وعاش ياود ماية واثنتين وستين سنة فولد له خنوخ فكانت جميع حياة ياود تسع ماية سنة واثنتين وستين وعاش خنوخ خمسا وستين سنة فولد له متوشلح وكانت جميع حياة خنوخ ثلثماية وخمسا وستين سنة وعاش متوشلح ماية وسبعا وثمانين سنة فولد له لمك وكانت جميع حياة متوشلح تسعماية وتسعا وستين سنة وعاش لمك ماية واثنتين وثمانين سنة فولد له ابن فسماه نوحا قال هذا يعزينا من اعمالنا وكد ايدينا من الارض التي قد لعنها الله وكانت جميع ايام حياة لمك سبعماية وسبعا وسبعين سنة وتوفي ونوح ابن خمسماية سنة فولد لنوح بنون سام وحام ويافث فلما بدا الناس ان يكثروا على وجه الارض وولد لهم البنات نظر بنو الاشراف منهم بنات العامة حسانا جدا فاتخذوا منهن النساء على ما اختاروا واحبوا فقال الله عند ذلك لا تحل سنابتي وشفقتي على هولاء الناس لانهم يتبعون اهوا الجسد واللحم وكان على الارض جبابرة في تلك الايام ومن بعدها لان بني الاشراف دخلوا على بنات العامة فولد لهم جبابرة مذكورون فراى الرب ان شر الناس قد كثر على الارض وان هوى فكرهم وحسدهم ردي في جميع الايام فقال الرب امحق الذين خلقت وابيدهم عن جديد الارض من الناس الى البهائم حتى الهوام وطير السماء فظفر نوح من الله برحمة ورافة وكان نوح رجلا بارا تقيا حقيقيا فارضى الله وفسدت الارض بين يدي الله وامتلات اثما وفجورا فراى الرب الاله ان الارض قد فسدت فقال الله لنوح قد دنا الي اجل جميع الناس وسوء اعمالهم لان الارض قد امتلات اثما وفجورا ابسبهم فها انا ذا مبيدهم مع الارض فاتخذ لذاتك تابوتا من خشب الساج وفي نسخة [illegible]

السمار واجعل لي في التابوت علالي واطلها بالقار من داخلها وخارجها وليكن طوله ثلثمائة ذراع وعرضه خمسين ذراعا وسمكه ثلاثين ذراعا واجعل في التابوت كوى وليكن عرضها من اعلاها ذراعا واحدا واجعل باب الفلك في جانبه واجعل فيه منازل اسفل واوساط وعلالي وها انا ذا انجد بما الطوفان على الارض لانسد به كل ذي لحم فيه نسمة الحياة من تحت السماء ويبيد كل ما على الارض وانبت عهدي بيني وبينك وتدخل التابوت انت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك ومن كل حي من ذوي اللحوم من كل صنف اثنان لتحيا معك وليكن ذكرا وانثى من كل الطيور لاجناسها ومن كل الانعام لاصنافها ومن كل الهوام التي تدب على الارض لجواهرها اثنين اثنين ادخل معك من كلها لتستحييها ذكرا وانثى واجعل من كل ما يوكل فاخزنه معك وليكن ماكلا لك ولها فصنع نوح عليه السلام كل شي كما امره الله قال الله لنوح ادخل انت وكل اهل بيتك الى التابوت لاني اياك لا وجدت بارا تقيا في هذا الحقب ومن كل الانعام الزكية ادخل معك سبعة سبعة من الذكور والاناث ومن الانعام التي ليست بزكية ادخل معك اثنين اثنين ذكورا واناثا ومن الطيور الزكي سبعة سبعة ذكورا واناثا ومن الطير الذي ليس بزكي اثنين اثنين ذكورا واناثا لتحيا منها نسل على وجه الارض لاني من الان الى سبعة ايام امطر على وجه الارض اربعين يوما ولياليها وابيد كل ما خلقت على وجه الارض فصنع نوح كما امره الرب الاله فلما كان بعد ذلك بسبعة ايام نزلت مياه الطوفان تفجرت مياه الغمر وتفتحت شاعب السماء واتبلت الامطار على وجه الارض اربعين نهارا واربعين ليلة وفي هذا اليوم دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامراة نوح ونساء بنيه الثلاث معه الفلك هم وجميع السباع لاجناسها وجميع الدواب لاصنافها وكل حشرة تدب على الارض لجواهرها وجميع الطيور لاجناسها ودخل مع نوح التابوت من كل عصفور وكل ذي جناحين اثنان اثنان ومن كل ذي لحم فيه روح الحياة فكل من دخل من ذوي اللحوم دخلوا ذكورا واناثا كما امر نوحا ثم اغلق الله الرب الباب عليه وكان الطوفان على الارض اربعين يوما واربعين ليلة وكثرت المياه حتى احتملت التابوت فارتفع عن الارض من المياه وكثرت على الارض جدا وجعل التابوت يسير على وجه الماء واشتدت المياه على وجه الارض جدا جدا وتوارت جميع الجبال العالية الشاهقة التي تحت السماء وارتفعت المياه من فوق كل جبل خمسة عشر ذراعا وباد كل ذي لحم على الارض من الطيور اجمع والسباع والدواب وجميع الحشرة التي تدب على الارض وجميع الناس والبهائم ومات كل شيء كان فيه نسمة الحياة مما في اليبس وبقي نوح ومن معه في الفلك واشتدت المياه على الارض مائة وخمسين يوما وان الله ذكر نوحا وكل السباع والدواب وجميع الطيور التي معه في التابوت فاهاج الله ريحا على وجه الارض فسكنت المياه والامطار وانسدت ينابيع الغمر وميازيب السماء وغاضت المياه بعد مائة وخمسين يوما وسكن التابوت ووقف في الشهر السابع لثلاث عشرة ليلة بقيت من الشهر على جبال قردى وجعلت المياه تنصرف وتنقص الى الشهر العاشر فجعلت وظهرت روس الجبال في اول يوم من الشهر العاشر فلما كان بعد ذلك باربعين يوما فتح نوح الكوة التي عملها في التابوت فارسل الغراب فخرج الغراب من عنده فلم يعد اليه حتى يبست المياه عن وجه الارض ثم ارسل الحمامة من بعده ليرى هل قلت المياه عن وجه الارض فلم تجد الحمامة موضعا لموطئ رجليها فرجعت الى التابوت لان المياه كانت بعد على وجه الارض فمد يده فاخذها وادخلها اليه وانتظر سبعة ايام اخرى ثم عاد فارسل الحمامة فعادت عنده المساء وفي منقارها ورقة زيتون فعلم ان الما قد غاض عن وجه الارض فصبر ايضا سبعة ايام اخر ثم ارسل الحمامة فلم تعد اليه ايضا ففتح نوح باب الفلك فراى ان قد جف وجه الارض قد ظهر وجفت الارض فكلم الرب الاله نوحا وقال له اخرج من التابوت انت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك وكل السباع التي معك من كل ذي لحم والطيور والدواب واخرج كل الهوام التي تدب على الارض معك ولتتوالد وتنموا وتكثر وتزداد على الارض فخرج نوح ومن ذكر وبنى للرب مذبحا واخذ من جميع الدواب والطيور الزكية فاصعد منها على المذبح قربانا للرب الاله فقال الرب الاله لا اعود العن الارض بعد اليوم من اجل اعمال الناس لان هوى قلب الانسان وحقده ردي منذ صباه ولا اعود ايضا ابيد كل حي كما فعلت ومن الان جميع ايام الارض يكون فيها الزرع والحصاد والبرد والحر والقيظ والشتاء فبارك الله على نوح وبنيه وقال لهم انموا واكثروا واملاوا الارض وليخش عنكم وخوفكم جميع السباع وبهائم الارض وكل طيور السماء وكل دابة تدب على الارض وجميع حيتان البحر يكون تحت ايديكم وكل الدواب الطايرة الحية تكون لكم ماكلا وقد جعلت الاشيا كلها حلالا لكم مثل عشب البرية وخضرها واما المخنوق الذي دمه فيه فلا تاكلوه فان دمه نفسه وانا مطالب من انفسكم فاطلبه بالانتقام من يد جميع الحيوان ومن يد جميع الناس اي انسان قتل اخاه طالبته بدمه ومن سفك دم الانسان سفك دمه لان الله خلق ادم بصورته وانتم فانموا واكثروا وتوالدوا في الارض واكثروا فيها وقال الله لنوح ولبنيه معه ها انا ذا اثبت عهدي بيني وبينكم ومع انسالكم من بعدكم ومع كل نفس حية معكم ومع الطيور والدواب ومع كل سباع الارض مع الذين خرجوا من الفلك واثبت عهدي بيني وبينكم فلا يبيد كل ذي لحم ايضا بماء الطوفان ولا يهبط الطوفان ايضا ليفسد جميع الارض وقال الله لنوح هذه علامة العهد الذي اجعله بيني وبينكم وبين كل نفس حية معكم في جميع احقاب العالم قد اظهرت قوسي في السحاب فيكون امارة ذكر العهد الذي بيني وبينكم وكان بنو نوح الذين خرجوا معه من التابوت سام وحام ويافث وحام يكنى ابا كنعان هولا الثلاثة

وبنوه وتفرق الناس من هؤلاء في الارض كلها ثم ذكر ان نوحا عليه السلام نام فرأى حام عورته فاظهر ذلك لاخوته فتناول سام ويافث ردآ فالقياه على اكتافهما ثم مشيا على اعقابهما مدبرين فواريا عورة ابيهما فلما علم نوح ما صنع ابنه الاصغر دعا عليه ان يكون عبد الاخوته وكانت جميع ايام حياة نوح تسعمائة سنة وخمسين سنة ثم توفي عليه الصلاة والسلام والتحية والاكرام ثم ذكر بعده ان الناس ارادوا ان يبنوا صرحا لاحقا بالسما واجتمع جميعهم على ذلك لان لغتهم كانت واحدة ورايهم واحد ففرق الله السنتهم وفرقهم من هنالك على وجه الارض ولم يبنوا القرية التي هموا بها ولذلك سميت بابل وبوبال معناه بالعبراني الكثرات ومن تفسير البغوي وغيره من ان عوج بن عوق بضمها كما في القاموس كان في زمن نوح عليه السلام وسلم من الطوفان وان الما لم يجاوز ركبتيه ونحو هذا كذب بحت منابذ لقوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ونحوها فان كل من ذكر ذلك ذكر ان موسى عليه السلام قتله كافرا ولما تمت هذه القصة على النحو الذي بيّنا ان اجتهاد نوح عليه السلام في ابلاغ الانذار من غير مراعاة اقبال ولا ادبار وكانت مع ذلك ذكر ان موسى عليه السلام دالة على علم تام واطلاع على دقائق لا سبيل اليها الا من جهة الملك العلام مبنية على ازالة اللبس عن النبي صلى الله عليه وسلم اوضح من الشمس قال تعالى منبها على ذلك تلك اي هذه الانبا البعيدة الشان الغريبة الامر البعيدة عن طوق المعارض العلية الرتبة عن يد المتناول من انبا الغيب اي اخباره العظيمة ثم اشار الى انه لا يزال يجدد له امثالها بالمضارع في قوله نوحيها اليك فكانه قيل ان بعض اهل الكتاب يعلم بعض تفاصيلها فاشار الى ان ذلك لمجموعه غيب بما يعلمونه غيب نسبي بقوله ما كنت تعلمها اي على هذا التفصيل انت وما كان خفاؤها عن قومه دليلا على اخفائها عنه لانه لم يخالط غيرهم قال ولا قومك اي وان كانوا اهل قوة في القيام على ما يحاولونه وعددا كثيرا ومنهم من يكتب ويخالط العلما ولما كان زمان خفائها عنهم وان كان عاما لهم بعضا لزمان الماضي ادخل الجار فقال من قبل هذا اي من قبل ايحائي اليك حتى يطرق الوهم حينئذ انك تعلمتها من احد منهم وان كان يعلم كثيرا منها اهل الكتاب كما دلت عليه نص التوراة فتبان ان لا غرض لقومك الا العناد فاصبر على ذلك ولا تفتر عن الانذار فستكون لك العاقبة كما كانت لنوح لان امل تقواه ان العاقبة اي اخر الامر في الفوز كما يوجبه حال اهل الخير والايمان واهل الشر والطغيان من الاعتبار بما لكون التي بحيث يجري حال هؤلاء ويتبع حالا ولبيك لسوء العاقبة في الدنيا والاخرة ولما تم من ذلك ما هو كفيل بغرض السورة وختم بان العاقبة للنصر والسعادة للمتقين اي العريقين في مخافة الله في كل زمن وقد تضمنت القصة البيان عما يوجبه حال اهل الخير لسوء العاقبة في الدنيا والاخرة ولما تم من ذلك ما هو كفيل بغرض السورة وختم بان العاقبة دائما للمتقي تبع بالدليل على ذلك من قصص الانبيا مع اولياء ما سبقت له قصة نوح على جميعهم السلام من الحث على المجاهرة بالانذار فقال تعالى والى اي ولقد ارسلنا الى عاد اخاهم وبينه فقال هودا ولما تقدم امر نوح عليه السلام مع قومه استشرف السامع الى معرفة ما قال هود عليه السلام هل هو مثل قوله اولا فاستانف الجواب بقوله قال يا قوم اي الذين هم اعز الناس لدي اعبدوا الله اي ذا الجلال والاكرام وحده ثم صرح وعلل فقال ما لكم واغرق في النفي فقال من اله غيره اي معبود بحق ان فدعا الى الاصل الذي هو دأب سائر النبيين والمرسلين ثم ختم ذلك بما يحجهم مما يشوبهم من الحق وما نشأه عن ذلك من رجا ولا خوف فقال ان انتم اي ما الا مفترون اي متعمدون الكذب على الله من اشراككم به سبحانه لان ما على التوحيد من ادلة العقل غير خاف على عاقل فكيف مع تنبيه النقل وذلك مكذب لمن اشرك اي فاحذروا عقوبة المفتري ثم نفى ان يكون له في ذلك غرض غير نفعهم بقوله يوضح اني ناصح لكم في هذا الامر ليسوقهم الى ما هو اجدى لكم فيه بما تكرهون يا قوم مكررا للاستعطاف لا اسالكم اي في المستقبل كما لم اسالكم في الماضي عليه سبحانه بما يدل على الكفاية وعلى وجوب شكره فقال ان اجري الا على الذي فطرني اي ابتدا خلقي ولم يشاركه فيه احد فهو الغني المطلق لا اوجه رغبتي الى غيره كما يجب على كل احد ذلك لكونه فطره ولما كان الحال فيه الذي لا حظ فيه من جهة الدنيا لا يحتاج الانسان في الدلالة على ان صاحبه مجاز الى من جعة اسواه لا نجاة الا به الى غير العقل سبب عن قوله هذا الانكار عليهم في قوله افلا تعقلون ولما دعاهم شيئا الى ترهيبهم مستدلا على الصدق بنفي العوض رغبهم في دائرة الخوف مما مضى بقوله ويا قوم ودين لهم امر الناس على ولهم قدرة على طلبهم استغفروا ربكم اي اطلبوا غفرانه بجانبكم له لما يجب له باحسانه اليكم واشار الى علو رتبة التوبة باداة التراخي فقال ثم توبوا اليه اي تسموا الى هذه الرتبة بان تطلبوا ستر الله لذنوبكم ثم ترجعوا الى طاعته بالندم والاقلاع والاستمرار يرسل السماء اي الماء النازل منها او السحاب بالماء عليكم مدرارا اي حاطلة بمطر غزير متتابع ويزدكم قوة اي عظيمة مجموعة الى قوتكم ثم عطف على قوله استغفروا قوله ولا تتولوا اي تكلفوا انفسكم غير ما جبلت عليه من سلامة الانقياد ذنبا لنوازع الاعراض بما اشار اليه ادابات الثاني مجرمين اي قاطعين لانفسكم بمثابة الظنون الفاسدة عن خيرات الدنيا والاخرة ولما تحصل لهم النصح على غاية البيان ما كان جوابهم الا ان قالوا اي عاد بعد ان اظهر لهم هود عليه السلام من المعجزات ما مثله امن عليه البشر قالوا يا هود نادوه باسمه غلظة وجفا ما جئتنا ببينة فاوضحوا لكل ذي لب انهم مكابرون لعدم العقل وصريح النقل فهم مفترون كما كان العرب يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان اتاهم من الايات ما يبهر العقول لولا انزل عليه اية من ربه وما نحن واغرقوا في النفي فقالوا بتاركي الهتنا مجاوزين لها اي صادرين عن قولك وتركهم للعطف ما قبلها

بالكلية الموذنة بان الاول سبب للثاني الى ان ونوا قولهم وما نحن لك اي خاصة واغرقوا في النفي فقالوا بمؤمنين دليل على انهم تركوا اتباعا عنادا الا انهم يعتقدون انهم لم يات ببينة والى ذلك يرشد ايضا تعبيرهم بالاسمية التي تدل على الثبات فاذا انفي لم ينتف الا اصل والبينة الحجة الواضحة في الفصل بين الحق والباطل والبيان فصل المعنى من غيره بما يظهر للنفس تحرزا مما سواه والحامل على ترك البينة بعد ظهورها صد الشبهة عنها وتقليد الرؤسا في دفعها او القاء مورودها او اعتقادا فاسدا تدعو الى جحدها والعناد للحسد ونحوه والجامع لذلك كله وجود الشبهة ولما قالوا هذا الكلام البين الفساد من غير تعرض لنقض ما قاله لهم بنوع شبهة كان كانه قيل لهم هذا الذي قلته لعمر ربك وهو لا ابين منه ولا اعدل فرضوا اليه انه ما ظهر لكم صحته فما تقولون انه حملني عليه مع ان فيه مباينتكم منا بكم دانتم او لا دعي او عزا لنا الناس على فقالوا ان نقول الا اعتراك اي اصابك وغشيك غشيانا التصق العروة بما هي فيه من التعهد والعقوم بعض الهتنا بسوء من نحو الجنون والخبل فذاك الحامل لك الى التنهي عن عبادتها ولما كان الطبع البشري قاضيا بان الانسان يخشى ممن مسه بسوء وهو يتوهم انه قادر على مسه فلا يواجهه بما يكره وكان قولهم محركا للسامع الى الاستعلام عن جوابه لهم استانف سبحانه الاخبار عنه بقوله قال نافيا لما قالوا مبينا ان الهتهم لا شي ضامنا لهم سبيلا او ذلك انهم بحيث لا يظنون ان احدا يقول ما قال له اني اشهد الله اي الملك الاعظم ليقوم عذري عنده وعدل ادبا مع الله عن ان يقول واشهدكم لئلا يسويهم بتسوية الى منعه الا ترفقا وتاهم فقال واشهدوا اي انتم ليقوم الحجة عليكم لا بكم وبيني عجزكم ويعرف كل احد انكم بحيث تتهاون بكم وبدينكم ولا بالي بكم دلالة اني بري مما تشركون وبين شوبها بقوله من دونه كائنا ما كان ومن كان فكيف اذا لم يكن جمادا فكيدوني حال كونكم جميعا اي فرادى ان شيتم او مجتمعين انتم والهتكم وما كانت المعاجلة في الحرب اهول وكان شانها اصعب واخطر بين عظمها باداة التراخي فقال ثم لا تنظرون والكيد طلب الغيظ بالسر في مكر وهذه الاية من اعلام النبوة الواضحة لهود عليه السلام فكانه قيل هب ان الهتنا لا شي فما حملك على الا على تحقير الهتنا ونحن وانت تعلم كثرتنا وقوتنا وانت لا تزيد على ان تكون واحدا منا فقال اني اي جسرت على ذلك لاني توكلت معتمدا على الله الملك المرهوب عقابه الذي لا ملك سواه ولا رب غيره وبين احاطة ملكه بقوله ربي وربكم اي الذي اوجدنا ودبر امورنا قبل ان يخلقنا فعلم ما يصلح كل منا في حق الاخرة لانه ما من دابة اي صغرت او كبرت الا هو اخذ اي اخذ قهر وغلبة بناصيتها اي قادر عليها وقد صار الاخذ بالناصية عرفا في القدرة لان المجاذب من مع مراده لا مع مرادهم بل لا يتلفت احد عن كراهة لبعض ما هو فيه فدل ذلك قطعا على انه بغير مراده وانما هو مراد قاهر قهره على ذلك وهو الملك الاعلى سبحانه والناصية شعر مقدم الراس ومن اخذ بناصيته فقد انقاد لاخذه لا يستطيع بذلك ان اي لان ربي اي المحسن الي بما اقامني فيه على صراط اي طريق واسع بين مستقيم ظاهر امره لكل احد لا لبس فيه اصلا ولا خلل ولا اضطراب ولا اعوجاج بوجه فلذلك كان كل من في الكون بيده ويدعوه ويرجوه ويخافه وان اتخذ بعضهم من دونه شركا واما ما يعبد من دونه فلا يعظمه الا عابده واما غير عابده فانه لا يعبأ به وذلك نص في هذا انه غالب على كل شي غلبة يعلمها كل موجود من غير خفا اصلا فهو جدير مرهوب باجماع العقلا بخلاف معبوداتكم والحاصل انه يلزم الصراط المستقيم الظهور فيلزم عدم الاختلاف فلا ينتفي اللبس فمن كان عليه كان على القدرة شاهدا للامر بصيرا بما يريد مع الثبات والتمكن مرهوب العاقبة مقصودا بالاتباع والمحبة من لم يتقبل اليه ضل ومن اعرض عنه اخذ لكثرة اعوانه وعز سلطانه فظهرت قدرته على عصمة من توكل عليه وعجز معبوداتهم فظهرت قدرته على عصمة من يتوكل عليه وعجز معبوداتهم معهم لان نواصي عبيده وهو رب لها دونكم ورب كل شي فقد انطبق ختام الاية على قولهم ما جئتنا ببينة ورد الله لان من كان على صراط مستقيم لم يكن شي ابين من امره وعلى جوابه في توكله ما في حينئذ من انطباق والناصية اصلها الاتصال من قولهم مفازة تناصي مفازة اذا كانت متصلة بها ولما استوفى تشييد امره وهدم قولهم امره بحذرهم فقال مبينا ان العدول عما جابه لا يكون الا مع المعالجة للطبع السليم فان تولوا ولو ادنى تولية بما يشير اليه حذف التاء فعليكم اللوم دوني لاني فعلت ما علي فقد ابلغتكم ما اي كل شي ارسلت اي تقدم ارسالي من عند من ارسل في الحقيقة غيري به اليكم كاملا لم ادع منه شيا ولا ابالكم ولا حرفا من اعراضكم فابيتم الا التكذيب والاستكبار عما جيت به فالذي ارسلني ينتقم منكم فيهلككم ويستخلف ربي اي يوجد المحسن الي بما تامني فيما يرضيه قوما غيركم يخلفونكم في دياركم واموالكم فتكونون اعداءه ويكون المستخلفون متقين لان يكونوا اولياءه مع كونهم ذوي باس وقوة فتختصوا الذي دبكم ولا تضرونه اي انتم باعراضكم شيا ثم علل وعيده لهم بقوله موكدا لان العاصي فاعل بعصيانه فعل من يظن ان الله غافل عنه ان ربي اي المحسن الي المدبر لمصالحي ولما كان الاهم من هذا السياق بيان استعلائه وقدرته قدم قوله على كل شي صغيرا وكبيرا جليلا او حقيرا حفيظ اي عالم بكل شي وقادر على كل شي وبالغ الحفظ له فيعلم ما يعمل محفوظه من قبيح وذنب ما يستحق من ثواب وعقاب فهو يعلم [illegible] الحفظ الحراسة ويلزمها العلم والقدرة [illegible] والحفيظة للحمية والغضب ومنها معا المحافظة للمواظبة على الشي والقول [illegible]

جبرا

عن الشيء والذهاب الى غيره جهة اعراضا عنه والابلاغ الحاق الشيء بانتهائه والاستخلاف جعل الثاني بدلا من الاول يقوم مقامه والضر
ايجاب الالم بفعله والتسبب له ولما تم ذلك كان كانه قيل فلم يرجعوا ولم يرعووا للبينة ولا رغبة ولا رهبة فانزلنا بهم امرنا ولما جاء امرنا
اي وقت ارادتنا لاهلاك عاد نجينا اي تنجية عظيمة بما لنا من العظمة هودا والذين امنوا كائنين معه في الايمان والنجاة من قومهم فلم
يعتدوا ان يصلوا اليهم بسوء مع اجتهادهم في ذلك واحاطتهم بهم وقيل ان المؤمنين كانوا اربعة الاف ولما كان سبحانه بحيث
لا يجب لاحد عليه شيء لانه لا يعتد احد ان يؤدي حق قدره وان اجتهد في طاعته كان طاعته نعمة منه عليه اشار الى ذلك بقوله برحمة
منا تحقيقا لتوكل عبدنا ولما بين انجاءهم من قومهم بين انجاءهم مما اهلكهم به فقال مكررا ذكر التنجية دلالة على ان عذابهم
كان في غاية الغلاظة ونجيناهم اي بما لنا من العظمة وبين فظاظة ما اهلك به اعداءهم بقوله من عذاب غليظ اي اهلكنا به
مخالفيهم وهو الريح وهذا اولى من حمله على عذاب الاخرة لما ياتي من قوله ومن خزي يومئذ كانهم كانوا اذا ادخلوا الغار قصدوا
نبيهم ومن امن به ليهلكوهم قبلهم كما صرح به في قصة صالح والنجاة والسلامة من الهلاك وحقيقة الغلظ عظم الجثة فاستعير
للعذاب لثقله على النفس وطول مكثه ولما تمت قصتهم على هذا الوجه البديع والاسلوب المطرب قال تعالى عاطفا على قوله تلك
من انباء الغيب وتلك عاد اي قصة القوم البعداء البغضاء ما كنت تعلمها على هذا التفصيل انت ولا قومك ولا اهل الكتاب
وانما نفيت عن اهل الكتاب لانهم لا يعلمون الا ما له اصل عن انبيائهم وهذه وقصة ثمود ليستا في التوراة ولا شيء من اسفار
انبيائهم وسالت بعض علمائهم فلم اجد عنده شيئا من علمها ولا حرفا واحدا ولا سمع بعاد ولا هود وتلخيص من قصتهم انهم جحدوا
اي كذبوا عنادا واستهانة بايات ربهم المحسن اليهم وعصوا رسله فان من عصى واحدا منهم فقد عصى الكل لاتفاقهم على امر واحد
مع التساوي في مطلق المعجزة واتبعوا اي بغاية جهدهم امر كل جبار اي قاهر بليغ القهر يجبر غيره على ما يريد وهذا يدل
على انه لا عذر في اصل الدين بوجه فان الضعفاء تبعوا الا انه فيمكن كل احد مخالفة الحساب الجبار فيه وهو لا يعلم عنيد اي
طاغ باغ لا يقبل الحق بوجه فاهلكوا ولم يغنهم تجبرهم ولا اغنى عنهم عنادهم وتكبرهم واتبعوا جمعا بعد اهلاكهم بايسر وجه لعظيم
قدرة المتبع في هذه الدنيا حقرها في هذه العبارة بما اشارت اليه الاشارة من التصغير وبما دل على دنوها وبان من اغتر بها
فهو ممن وقف مع الشاهد لما له من الجمود لعنة اي طردا وبعدا وهلاكا ويوم القيامة اي لزمهم ذلك لزوما اشتد فكان قيل انما حقيقتهم من
من تلاف فقيل الا ان افتتاحا للاخبار عنهم بهذه الاداة التي لا تذكر الا بين يدي كلام لعظم موقعه وجليل خطبه والتاكيد
في الاخبار بكفرهم تحقيقا لحالهم لمعرفته من ادلة النبوة واعلام الرسالة الرد على طائفة قد حدثت بالقرب من زماننا
يصوبون جميع الملل وخصوا عادا هؤلاء بكونها اعتاهم بان قالوا انهم من المقربين الى الله وانهم بعين الرضا منه كانهم المسول
في الادلة عليهم وشفا الصدور منهم وهم اتباع ابن عربي الكافر العنيد اهل الاتحاد المجاهرون بعظيم الالحاد المستهون
برب العباد فليحذر مثل ذلك قال تعالى مبينا لحالهم بيانا لا خفاء معه عادا كفروا ولم يعط الفعل بتعديه اعظاما لطغيانهم
فقال ربهم اي غطوا جميع انوار الظاهر الذي لا يصح اصلا خفاؤه ولا نعمة على المخلوق الا منه فكان كفرهم اغلظ الكفر مع
ذلك هو عليه السلام من ابلاغهم جميع ما امر به ولا ترك شيئا مما اوحي اليه فلكم لكم اسوة وفيهم قدوة ومن كفر من احسن اليه الاحسن
الجليلة فقال الا بعدا لعاد هو من بعد كقرب لعنا اذا كان بعده بالهلاك وبينهم بقوله قوم هود تحقيقا لهم لانهم عادان الاولى
والاخرى واما الى ان استحقاقهم للابعاد بما جرى لهود عليه السلام معهم من الانكار والدعاء عليهم بعد الهلاك الا كناية عن الاخبار
بانهم كانوا مستحقين للهلاك والجحد الخبر عما يعلم صحته انه لا يعلمها وهو ضد الاعتراف كما ان النفي ضد الاثبات فهو خبر بجحد
العدم فهو اثم والعصيان خلاف ما امر به الداعي الى طريق الايجاب واللعنة الدعاء بالابعاد واصلها الابعاد من الخير والاتباع
طلب الثاني على اثر الاول والابلاغ اخص منه والمراد بلوغها لهم لان الذي يقضي بذلك قادر قد حق لهم عذاب الدنيا المبعد
لهم من سلطان الرحمة ولما انقضت قصة عاد على ما اراد سبحانه اتبعها قصة من كان اعقبهم في الزمن ومثلهم في سكنى ارض العرب
وعبادة الاوثان والمناسبة في الاتي العذيب به لان الموصل للصيحة الى الاسماع هو الريح وفي خفائهم موصلة على اهل ذلك
الزمان فقال والى اي ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم وبينه بقوله صالحا ثم اخبر ... صلى الله عليه وسلم على تقدير
سؤال فقال قال يا قوم اي يا من يعز علي ان يحصل لهم سوء اعبدوا الله اي الملك الاعظم وحده لان عبادتكم له مع غيره
ليست بشيء ثم استانف تفسير ذلك فقال ما لكم واغرق في النفي فقال من اله غيره جريا على منهاج الدعاة الراسخين في اصل الدين
وهو ازالة المانع بالعبادة ولما امرهم بذلك ذكرهم قدرته ونعمته عليهم فقال هو اي وحده انشاكم اي ابتدا خلقكم من الارض
بخلق ادم عليه السلام منها بغير واسطة وبخلقكم من المني من الدم وهو من الغذاء وهو من النبات وهو من الارض كما انشاكم اولا
منها ودنو منه ادكم عليها بانه واستعمركم فيها اي اهلكم لما لم تؤهل له الاوثان من ان تكونوا عمارا فيها فلا تنسوا حق
اهلكم وما فضلكم به من حق نفسكم بخضوعكم لما لا يساويكم فكيف بمن انشاكم واياها والانشاء الابتداء بالايجاد من غير استعانة بشيء من
الاسباب ولما بين لهم عظمته سبحانه وكان الشيطان قد شبه عليهم انه لعظمته لا يوصل اليه الا بوسيلة كما هو حال الملوك والقى اليهم ان الاد

الاوثان وسائل نحو ذلك سبب مبينا طريق الرجوع اليه بقوله ثم توبوا اي فاقبلوا بكل قلوبكم عليه طالبين ان تستروا ذنوبكم وذكر
شرط المغفرة بقوله مشيرا باداة البعد الى عظيم المنزلة اليه اي ارجعوا بجميع قلوبكم اليه ثم علل ذلك بلطفه وعطفه
ترغيبا في الاقبال اليه فقال مؤكدا لان من يرى امهاله للعصاة يظن الظنون ومن عصاه كان عمله عمل من ينكر قربه
واجابته ان ربي الذي اخلصت له العبادة لاحسانه الي وادعوكم الى الاخلاص له لاحسانه اليكم احسانا لكم قريب
من كل من اقبل اليه من غير حاجة الى معاناة مشي ولا حركة جارحة مجيب لكل من ناداه لا كمعبوداتكم في الامرين معا ولما دعاهم
الى الحق ونصب لهم عليه من الادلة ما هو بمعنى ينوب ذكرهم نعمه مومئا الى التحذير من نقمه وسهل لهم طريق الوصول اليه
ما كان جوابهم الا ان سلموه من طور البشرية لحصول التقليد فلذلك استانف الاخبار عن جوابهم بقوله قالوا اي ثمود يا صالح
نادوه باسمه قلة ادب منهم وجفا قد كنت فينا اي فيما بيننا اذا تذاكرنا امرك مرجوا اي في حيز من يرجى ان يكون فيه
خير وسؤدد وشرف وصلاح واستغرقوا الزمان فحذفوا الجار وقالوا قبل هذا اي الذي دعوتنا اليه فاما بعد هذا
فانسلخت من هذا العد ثم بينوا ما اوجب سقوطه عندهم بقولهم منكرين انكار محترق اتنهانا اي مطلقا في ان نعبد
اي دايما ما يعبد اباؤنا وعبروا بصيغة المضارع تصويرا للحال كان اباهم موجودين فلا تمكن مخالفتهم اجلالا لهم فاطلوا
يرونه سببا قربانيا وجودهم ولم يعانوا من اوجدهم واباؤهم ادلاء من الارض وثانيا من النطف ثم حولهم فيما هم فيه ثم زعموا
في اصل الدين بعد ذكر الحامل لهم على الكفر المانع لهم من تركه الى البهتان ما يوجب القطع لكل عاقل بحيث ان الباهوة
لم يوثر عندهم الا ما هو دون الظن في ترك اجابته فقالوا مؤكدين لان شكهم حقيق بان ينكر لانه في امر واضح جدا لا يحتمل
الشك اصلا وانا لفي شك وذلك دعوا التاكيد بالنون فقالوا واللام وبالاشارة بالظرف الى احاطة الشك بهم مما ولما
كان الداعي واحدا وهو صالح عليه السلام لم يحتج الفعل غير نون واحدة في ضميرهم بخلاف ما في سورة ابراهيم عليه السلام فلذلك
قالوا تدعونا اليه من عبادة الله وحده مريب اي موقع في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين في الرجا
قلق النفس لتجلي الحبس على جهة الظن ونظيره الامل والنهي والمطع المنع من الفعل بصيغة لا تفعل ولما ابرز والهاء مهم
في قالب الشك على سبيل الجزم قابلهم بمثله على سبيل الفرض انصافا في الكلام وليلاين الخطاب حال المخاطبين فاستانف سبحانه
الاخبار عنه بذلك في قوله قال اي صالح ناديا لهم الى النظر في امرهم برفق يا قوم ارايتم اي اخبروني ان كنت ذا يقين
واستعلاء على بينة من ربي المحسن الي لا شك عندي فيها واتاني منه رحمة اي ادلة هي سبب الرحمة فمن ينصرني واظهر
موضع الاضمار وعبر بالاسم الاعظم لاقتضاء المقام التهويل فقال من الله اي الملك الاعظم ان عصيته اي وانا على ثقة من امري
على زعمكم حاكم على هيبة الاتيان في التلبيس بما لكم من ذرية الهم واصحابه اللهو ولو كانوا موجودين وعصيتموهم لم يبالوا ابكم واما انا
فلذلك قال الذي امرني بعبادته حق قادر على جزاء من يطيعه او يعصيه واقل ما يجب على طاعته الشك في عقوبته وهو كاف للعاقل
في ترك الخطر فما اي فتسبب عن ذلك انكم ما تزيدونني بذلك الشك في عملي بما يؤمنني من عطف عنه
ما تاملتم في حالكم او الكف عنكم لاصيري عدادي من يرجع عنه ثم يحيا او عقل غير تخسير اي ايقاع في الخسارة على هذا التقدير
فلا تطمعوا في تركي لشيء من مخالفتكم ما دمتم على ما انتم عليه والاية كما ترى ناظرة الى قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
ولما اخبرهم ان معصية الله خسران ذكرهم ان امر الناقة التي اخرجها سبحانه لهم من الارض شاهدا على كونهم مساوين
لله وثان في كونهم منها معتضلين عليها بالحياة فحذرهم العاقبة بشديد انتقامه فقال ويا قوم هذه اشارة الى حاضر وذلك
بعد ان اخرجها لهم سبحانه عند ما دعاه صالح عليه السلام وبين الاشارة بقوله ناقة الله اي الملك الاعلى ثم بين حالها بانه
مسقطها على انها تكون صفة لها فقال لكم اي خاصة لتنظروا اياها عند ما خرجت ولكل من سمع بها عندكم وليس الخبر كالمعاينة
اشير اليها حال كونها اية بكونه اخرجها لكم من صخرة وهي عشراء على حسب ما اقترحتم وانتم تشاهدون وبكونها تنفرد بالشرب
يوم وتنفردون كلكم بالشرب يوم وبتنفرد برعي يوم وتنفر جميع الحيوانات من دوابكم ووحوشها ذلك برعي يوم المعنى
ذلك مما انتم له مبصرون وبه عارفون فذروها اي اتركوها على اي حالة كان تركها لها تاكل اي مما ارادت في ارض الله اي الملك
الذي له الامر كله التي خلقها منها ولا تمسوها بسوء والاكل مضغ يتبع عنه بلع والمس مطلق الاصابة ويكون بين الحيوان
وغيره واللمس اخص منه لما فيه من الادراك فياخذكم اي فيتسبب عن ذلك ان ياخذكم عذاب قريب اي من زمن
اصابتكم لها بالسوء اشار الى قرب مخالفتهم لامره فيها بقوله سببا عن اوامره ونواهيه ومعقبا فعقروها اي الناقة
فقال اي عند بلوغه الخبر تمتعوا اي انتم تعيشون في داركم اي مدن وقرى بلدة الحجر ثلاثة ايام اي تغيير زيادة عليها
فانظروا ماذا يغني عنكم تلذذكم وترفهكم وان اجتهدتم فيه ولما كان كانه قيل هل في هذا الوعيد مثنوية فاجيبنا
ذلك اي الوعد العالي الرتبة في الصدق والغضب وعد غير مكذوب اي فيه والتمتع التلذذ بالمدركات
الحسان من المناظر والاصوات وغيرها مما يدرك بالحواس وسمي البلد دارا لانها جامعة لاهلها كالجمع الدار ويدار فيها

ولما كان كأنه قيل هل في هذا الوعيد مثنوية قال مجيبا مشيرا الى تعقب العذاب للايام وتسببه عن الوعيد المعين بقوله
فلما جاء امرنا بالفاء خلاف ما في قصة هود وشعيب عليهما السلام اي مع مضي الايام كان اول ما فعلنا ان نجينا بما لنا من العظمة
اولياءنا صالحا والذين معه من كيد قومهم وبين احسانه سبحانه لا يكون الا فضلا منه بقوله برحمة منا وذلك انه عليه السلام
قال لهم تصبحون غدا يوم مونس يعني الخميس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم عروبة يعني الجمعة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار يعني السبت
ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم اول اي الاحد فقال التسعة الرهط الذين عقروا الناقة فلنقتل صالحا فان كان صادقا
عجلناه قبلنا وان كان كاذبا كنا قد الحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في اهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطأوا على
اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا
السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه ابدا فقد وعدكم ان العذاب نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا
غضبا وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا فلما اصبحوا وجوههم مصفرة عرفوا انه قد صدق فطلبوه ليقتلوه فجاء
الى بطن منهم يقال لهم غنم فنزل على سيدهم نفيل عنده فغدوا على اصحاب صالح عليه السلام يعذبونهم ليدلوهم عليه
فقالوا يا نبي الله انهم ليعذبوننا لندلهم عليك افندلهم قال نعم فدلوهم عليه فقال الغنمي نعم عندي ولا سبيل لكم اليه
فتركوه وشغلهم عنه ما انزل الله بهم ذكر ذلك البغوي عن ابن اسحق ووهب وغيرهم مطولا ولما ذكر نجاتهم من كل هلكة ذكر نجاتهم
من خصوص ما عذب به قومهم فقال ومن اي ونجيناهم من خزي اي ذل وفضيحة يومئذ اي يوم اذ جاء امرنا باهلاكهم بالصيحة
وحل بكم دونكم فرقا بين اوليائنا واعدائنا وحذف نجينا هنا يدل على ان عذابهم دون عذاب عاد ثم علل ذلك بتعليله
اهلاكا وانجاء باختصاصه بصفات القهر والغلبة والانتقام فقال ان ربك اي المحسن اليك كما احسن الى الانبياء من قبلك هو
اي وحده القوي فهو يغلب كل شيء العزيز اي القادر على منع غيره من غير ان يقدر احد عليه او على الامتناع منه من عز
الشيء اي امتنع ومنه العزاز للارض الصلبة الممتنعة بذلك عن التصرف فيها والخزي العيب الذي تظهر فضيحته ويستحيى من مثله
ثم بين ايقاعه باعدائه بعد انجائه لاوليائه فقال معظما للامر بتذكير الفعل واخذ الذين ظلموا الصيحة وسبب عنها
قوله فاصبحوا في ديارهم جاثمين اي ساقطين على وجوههم وقيل جاثين على الركب موتى لا حراك بهم وتقدم سر التعبير بالديار مع الصيحة
والدار مع الرجفة في الاعراف وخصت هود بما ذكر منهما لان مقصودها اعظم نظرا الى التفصيل وكل من الديار والصيحة اكثر
من ذلك ولما كان الجثوم كناية عن الموت اوضحه بقوله لعله يغفل فيسال بقوله مفتتحا بالاداة التي لا تقال الا عند الامور
الهائلة كان لم اي كانهم لم يغنوا اي يقيموا اغنياء لاهين بالغناء فيها ثم نبه على ما استحقوا به ذلك لمن لعله يغفل فيسال
بقوله مفتتحا بالاداة التي لا تقال الا عند الامور الهائلة الا ان ثمودا قراءة الصرف دالة على الاستخفاف بهم لطيشهم في المعصية
كفروا ربهم اي وتغوا التغطية والستر على المحسن اليهم بالخلق والرزق والارسال وهو الظاهر بصفاته وافعاله وكلا
على اصل الفعل فايصال الفعل دون قصره كما في اكثر اضرابه بيان لفظاعة كفرهم ثم كرر ذلك تاكيدا له واعلاما بتابيد هلاكهم بقوله الا بعدا
لثمود في قراءة غير حمزة اي اذا بادوا امرهم في الطرد والبعد والصيحة صوت عظيم من فم حي وقال اصبحوا زيادة
في التخويف والتاسف بما وقع لهم من التحسر لو ادركه احد منهم لان الانسان يفرح اذا اصبح بقيامه من نومه مستريحا قادرا على
ما يريد من الحركات للاستمتاع بما يشتهي من التصرفات فاصبح هؤلاء بعد عزم الصيحة على ما تقدم اسخفوا اجمعين كنفس واحدة
رجالا ونساء صغارا وكبارا كانهم لم يكونوا اصلا لا صدروا ولا وردوا ولا وصلوا كانهم لم يكونوا للعيون قرة ولم يعدوا في الاحياء مرة كان
يتمنوا الانقطاع اثارهم الا ما بقي من اجسامهم الدالة على الخزي والمغاني المنازل واصل الغنا الاكتفاء ومعنى الا للتنبيه قال
الرماني وهي الف الاستفهام دخلت على لا فالالف تقتضي معنى ولا تنفي معنى فاقتضى الكلام مركبا معنى التنبيه مع نفي الغفلة انتهى
وكان حقيقته والله اعلم ان لا دخلت على ما بعدها فنفته ثم دخلت عليها همزة الانكار فنفتها ومن المعلوم ان نفي النفي اثبات
توجه المعنى كان على اتم وجوه التاكيد لان اثبات المعنى بعد نفيه اكد من اثباته عريا عن النفي ولا سيما اذا كان المفيد لذلك الانكار
وهذا المعنى سار في الا العرضية وهلا التحضيضية ونحوهما ويمشي في كل صلة بان تردها الى الاصل مدلولها اللغوي ثم تتعرف ما
يقتضيه الحال والله الهادي ولما انقضت القصة على هذا الوجه الرابع اتبعها قصة لوط عليه السلام اذ كانت اشهر الوقائع بعدها
وهي اقطع منها واروع وقدم عليها ما يتعلق بها من امر ابراهيم عليه السلام وذكر البشرى لما في ذلك كله من التنبيه لمن تعنت بطلبه
انزال الملائكة في قولهم او جاء معه ملك على ان ذلك ليس عزيزا عليه وقد اكثر من فعله ولكن نزولهم مهيب وامرهم عند المكاشفة
مرعب واما مع الستر فلا يقطع بتعنتهم هذا مع ما في ذلك من مناسبة امر هذا الولد لامر الناقة في تكون كل منهما خارقا للعادة
اشارة الى تمام القدرة وكمال العلم المبني عليه امر السورة في احكام الكتاب وتفصيله وتناسب جميع الى نوح وابراهيم عليهما
السلام في ان كلا منهما شفقة على الكافرين رجاء انجائهم من العذاب بحسن المتاب ولعله سبحانه كرر لقد في صدرها عطفا على ما في قصة
نوح للتنبيه على مثل هذه الاغراض ولان قد للتوقع فجاءت لتؤذن بان السامع في حال توقع لذلك لانه اذا انقضت قصة توقع الخبر

عما بعدها فقال تعالى ولقد قال الرماني دخلت اللام لتاكيد الخبر كما يؤكد القسم جاءت رسلنا اي الذين عظمتهم من عظمتنا قيل
كانوا جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام ابراهيم هو خليل الله عليه السلام بالبشرى اي التي هي من اعظم البشائر وهي اكرامه باسحق
عليه السلام ولدا له من زوجته سارة ومن اسحق يعقوب جاؤوه في الصفة التي يحبها وهي صفة الاضياف فلم يعرفهم مع انه الخليل بل انكرهم
كما قال تعالى في الذاريات قال سلام قوم منكرون فيحمل انكاره اولا على الاستغراب بمعنى انه لم ير عليهم زي اهل تلك البلاد ولا اثر السفر
فكانه قيل ما كان من امرهم فقيل قالوا سلاما اي سلمنا عليك سلاما عظيما قال سلام اي ثابت دائم عليكم لا زوال له ابدا فالرفع
مزية على النصب لانه اخبار عن ثابت والنصب تجديد ما لم يكن فصار مندرجا في فحيوا باحسن منها ثم اكرم نزلهم وذهب يفعل ما طبعه الله
عليه من سجايا الكرم واتقا لما للكرام في ادب الضيافة من التعجيل مع الاتقان فما لبث اي تسبب عن مجيئهم وتعقبه انه ما تاخر ان
جاء بعجل حنيذ اي مشوي على حجارة محماة في اخدود وفوقه حجارة محماة ليشتد نضجه فكان ابدا الشيء يتقطر دسمه لانه سمين كل ذلك
وهو لا يعرف انهم ملائكة بل هو قاطع بانهم ممن ياكل وهذا ناظر الى قول قوم نوح عليه السلام وما نرى لكم علينا من فضل وقوله ولا اقول
للذين تزدري اعينكم الاية اي انا سجعل المعاني في القلوب وناظرها السعادة والشقاوة وقد تخفى تلك المعاني كما خفي على اكمل اهل ذلك
الزمان ان ضيفه ملائكة حتى خاف منهم وقد اتوه بالبشرى فلا ينبغي لاحد ان يحتقر احدا الا بما اذن الله فيه فلما وضع الطعام بين ايديهم
لم يلموا به فلما راى ايديهم اي الرسل عقب الوضع سواء لا تصل اليه اي العجل الذي وضعه لياكلوه نكرهم اي اشتدت نكارته لهم
وانفعل لذلك وهذا يدل على ما قال بعض العلماء ان نكر ابلغ من انكر واوجس اي اضمر مخفيا في قلبه منهم خيفة اي عظيمة لما راى من احوالهم
وشاهد من جلالهم واصل الوجوس الدخول والدليل على ان خوفه كان لعلمه بالتوسم انهم ملائكة نزلوا لامر يكرهه من تعذيب من يعز عليه
او نحو هذا انهم قالوا لا تخف ثم عللوا ذلك بقولهم انا ارسلنا اي ممن لا يرد امره الى قوم لوط فانهم نفوا الخوف عنه بالاعلام بمن ارسلوا
اليه لا بكونهم ملائكة قالوا ذلك وبشروه بالولد وامراته اي جاءته الرسل بالبشرى اي ذكروها له والحال ان زوجة ابراهيم عليه السلام التي هي
كاملة المروة وهي سارة رضي الله عنها قائمة قيل على باب الخيمة لاجل ما لعلها تعوز به من المعاونة على خدمتهم فسمعت البشارة بالولد التي دل
عليها ما مضى قوله بالبشرى فضحكت اي تعجبت من تلك البشرى لزوجها مع كبره وربما ظنته من غيرها مع انها كانت عقيما عجوزا فهو من الحال
المسبب على السبب اشارة الى انه تعجب عظيم فبشرناها اي تسبب عن تعجبها انا اعدنا لها البشرى مشافهة بلسان الملائكة تشريفا
لها وتحقيقا انه منها باسحق تلده ومن وراء اسحق يعقوب اي يكون يعقوب عليه السلام ابنا لاسحق عليه السلام والذي يدل على ما
قدرته من انهم بشروه بالولد قبل امراته فسمعت فتعجبت ما ياتي من نص التوراة والحكم العدل على ذلك كله قوله تعالى في الذاريات قالوا
لا تخف وبشروه بغلام عليم فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها الاية ولما تشوفها بذلك صرحت بوجه التعجب من انه جامع بين عجبين في كونه
منه ومنها بان قالت يا ويلتى وهي كلمة تؤذن بامر فظيع تخف على افواه النساء ويستعملنها الى اليوم لكنهن غيرن في لفظها كما غيره
كثير من الكلام والويل حلول الشر والالف في اخره بدل عن ياء الاضافة كنى بها هنا عن العجب الشديد لما فيه من الشهرة ومراجعة الظنون
وقال الرماني ان معناها الايذان بورود الامر الفظيع كما تقول العرب يا لله ولهي اي تعالين فانه من احيانك فحضورك حضور من اشكالك
ولما كان ما بشرت به منكرا في نفسه بحسب العادة قالت االد وانا اي والحال اني عجوز وهذا اي من هو حاضر بعلي
شيخا ثم ترجمت ذلك بما هو نتيجته فقالت مؤكدة لانه لما له من خرق العوائد في حيز المنكر عند الناس ان هذا اي الامر المبشر به لشيء عجيب
فكانه قيل فماذا قيل لها فقيل قالوا اي الملائكة متعجبين من تعجبها اتعجبين من امر الله اي الذي له الكمال كله وهو لا ينبغي لك لانك
معتادة من الله بما ليس لغيرك من الخوارق والعجب انما يكون مما خرج عن اشكاله وخفي سببه وانت لثبات علمك بالسبب الذي هو قدرة
الله على كل شيء وحضوره لديك مع اصطفاء الله لكم وتكرر خرقه للعوائد في شؤونكم لست كغيرك ممن ليس كذلك ثم عللوا انكارهم لتعجبها
بقولهم رحمت الله اي كرامة الذي له الاحاطة بصفات الجلال والاكرام وبركاته اي خيراته النامية الثابتة عليكم وبينوا خصوصيتهم
باسقاط اداة النداء مدحة لهم فقالوا اهل البيت قد تمرنتم على مشاهدة العجائب لكثرة ما ترون من اثاره مثل ذلك وغيره ثم عللوا احسانه
اليهم موكدا تثبيتا لاصل الكلام الذي انكرته فقالوا انه اي بخصوص هذا الاحسان حميد مجيد اي كثير التعرف الى من يشاء من جلائل النعم وعظيم
المقدور بما يعرف انه مستحق الحمد على المجد وهو الكرم الذي ينشا عنه الجود فلما سمعوا ذلك واطمانوا اخذ في قص ما كان بعده فقال مشيرا بالفاء
الى قلة زمن الانكار الذي هو سبب الفزع فلما ذهب بانكشاف الامر عن ابراهيم الروع اي الخوف والفزع الشديد وجاءته
البشرى فامتلا سرورا يجادلنا اي اخذ يفعل معنا فعل المجادل بان يجادل رسلنا الذي يكثر كلامه اشارة ارادة لنقل مخاطبة
عما يقوله الفعل ووضع المضارع موضع الماضي اشارة الى تكرر المجادلة مع تصور الحال اي جادلنا فيهم جدالا كثيرا ثم علل مجادلته
بقوله ان ابراهيم لحليم اي بليغ الحلم وهو احتمال صاحب الذنب على ما يقتضيه العقل اواه اي رجاع للتاوه خوفا من التقصير منيب
اي رجاع الى الله بالسبق في ارتقاء درج القرب فهو لما عنده من هذه المحاسن لا يزال يتوقع الاقلاع من العصاة ولما اكثر المجادلة لما
عنده من الشفقة على عباد الله لما له من هذه الصفات الجليلة اعلمه الله ان الامر قد حتم بقوله حكاية ان الرسل قالت له بعد طول
المجادلة مناديا بالاداة التي هي ام الباب اعلاما بان ما بعدها عظيم الشان على عالي المنزلة يا ابراهيم اعرض اي بكليتك

من هذا اى يحوف التوقع لانه موضعه انه قد جاء امر ربك اى الذى عودك باحسانه الجم فلولا انه حتم الامر بعذابهم لا مهلهم لاجلك وكذا
عطف على العلة قوله موكدا اعلاما بانه امر قد ابرم ومضى وانهم اتيهم اى اتيانا ثابتا عذاب غير مردود اى بوجه من الوجوه
من احد كائنا من كان والاعراض الانصراف وحقيقته الذهاب عن الشى فى جهة العرض والرد ارجاع الشى الى ما جاء منه كالرجع والدفع
اعم لانه قد يكون الى جهة القدام فلما اعلم مراد الله تعالى فيهم قدمه على مراده ولم ينطق بعده ببنت شفه ذكر هذه القصة من التورية قال
فى السفر الاول واستعلن الله لابراهيم فى مرج وفى نسخة بين بلوط ممرى الاموراني وكان جالسا على باب خيمته اذا اشتد الحر
النهار فرفع عينيه فنظر فاذا هو بثلاثة رجال وقوف على راسه فلما راهم احضر اليهم من باب الخيمة وسجد على الارض وقال يا رب وفى نسخة
يا ولى الله ان كان لى عندك مودة فلا تبعد عن عبدك حتى اتى بما اغسل به ارجلكم واتكيوا تحت الشجرة واصيبوا شيا من الطعام
تقرون به انفسكم ثم حينئذ تجوزون لانكم قد ردتم لعبدكم بغتة فقال له اصنع كما قلت فاستعجل ابراهيم فاحضر الى الخيمة الى سارة وقال
عجلى بثلاثة اصع من درمك وفى نسخة دقيق سميد فاعجنيه واخبزى منه مليلا وسعى الى قطيع البقر فاخذ عجلا سمينا شابا
فدفعه الى الغلام وامره ان يعجل بصنعته واخذ سمنا ولبنا والعجل الذى صنع له ايضا فقربه اليهم وكان هو واقفا بين ايديهم
تحت الشجرة وقالوا له اين سارة امراتك فقال هى فى الخيمة فقال له انى ارجع اليك فى مثل هذا الحين من قابل وهى فى الحياة ولها منك
ابن فسمعت سارة وهى على باب الخيمة مستترة وكان هو خلفها وكان ابرهم وسارة قد شاخا وتقدم سنهما وانقطع عن سارة سبيل النساء فضحكت
سارة فى قلبها وقالت اانا بعدما بليت ارجع شابة وسيدى قد شاخ فقال الله لابراهيم لم ضحكت سارة وقالت انى لى بالولد وقد شخت ايعسر
على الله انى ارجع اليك فى هذا الحين من قابل وهى حية ولها ابن فجحدت سارة وقالت كلا ما ضحكت لانها فزعت فقال كلا لكنك قد ضحكت
ثم قام الرجال وتعمدوا طريق سدوم وعامورا وانطلق معهم ابراهيم ليشيعهم وقال الله اكتم عبدى ابراهيم شيئا مما اصنع وابراهيم
يكون ذرية الشعب عظيم كبير وتتبارك به شعوب الارض لانى عالم انه يوصى بنيه واهل بيته من بعده ان يحفظوا طرق الرب
ليعملوا بالبر والعدل لان الرب يكمل لابراهيم جميع ما وعده به فقال له الرب لابراهيم لقد وصل الى حديث سدوم وعامورا
وقد كثرت خطاياهم جدا ثم ولى القوم ومضوا الى سدوم وكان ابراهيم بعد واقفا قدام الرب فدنا ابراهيم وقال يا رب اتهلك
الابرار مع الفجار بغضب واحد حاشاك يا رب ان تصنع هذا الصنع وتهلك البرى مع السقيم ويكون البرى بحال السقيم حاشاك يا حاكم
الارض كلها لا يكون هذا من صنيعك فقال الرب ان وجدت بسدوم خمسين بارا اغفر للقرية عفوت عن جميع البلد من اجلهم فاجاب
ابراهيم وقال اى تعديت بالكلام بين يدى الرب وانما انا تراب ورماد فان نقص من الخمسين بار خمسة تخرب القرية كلها
من اجل القرية الخمسة فقال لا اخربها ان وجدت فيها خمسة واربعين بارا فعاد ابراهيم وقال له فان وجدت فيها اربعون
فقال لا اخربها ان وجدت فيها اربعين فقال لا يملن الرب كلامى فاتكلم فان كان هناك ثلاثون فقال لا اخربها ان وجدت
فيها ثلاثين فقال انى قد امعنت فى الكلام بين يدى الرب فان وجدت فيها عشرون فقال لا اخربها من اجل العشرين فقال لا يشق
على الرب فاتكلم هذه المرة يا رب فقط فان وجدت فيها عشرة رهط فقال لا افسدها من اجل العشرة فارتفع استعلان الرب
عن ابراهيم لما فرغ ابراهيم من كلامه ورجع ابراهيم الى موضعه انتهى وقد مضى امر حبل سارة وولادها فى البقرة ولما انقضى
امر انبائهم ببشارة الاولياء وهلاك الاعداء وعلم من ذلك انهم لا ينزلون الا للامور الهائلة والاهوال المحيجة اخذ يقص امرهم
مع لوط عليه السلام فقال عاطفا على ما تقديره فعلوا مع ابراهيم عليه السلام ما ذكر ثم فارقوه نحو لوط ولم يذكر الحرف
المصدرى لان السياقة ومقصود السورة لا يقتضى ذلك كما اشير اليه فى العنكبوت ولما جاءت رسلنا على ما لنا من العظمة
لوطا بعد انفصالهم عن ابراهيم عليه السلام وبين البلدين ثمانية اميال وقيل اربعة فراسخ استضافوه فلم يجد بدا من قبولهم
على ما اوصى الله به لضيف مطابقا للعوايد اهل المكارم فقبلهم وازمع المقاتلة عنهم لما راى من حسن اشكالهم ورونق
جمالهم مع ما يعلم من قبح افعال قومه وخبث سرايرهم فلما جاءوه على هذه الصفة سىء بهم اى حصلت له المساءة بسبب مجيئهم
المقرونة لما يعلم من لؤم اهلها والتعبير عن هذا المعنى بالمبنى للمفعول اخصر واوقع فى النفس وارشق وضاق بهم ذرعا
اى ذرعه اى اتساعه فى كل قوة اوتيها وهو مثل يقال لمن لم يجد من المكروه مخلصا ومادة ذرع باى ترتيب كان تدور على الاتساع
لانه لا يذرع الا الكثير وذرع الرجل اتسع وموت ذريع فاش والمذرع الذى امه عربية وابوه غير عربى فهو اكثر انتشارا
ممن انحصر فى احدهما والذريعة ما يختل به الصيد فهو توسع له من الاصل ما يحمله على الاقدام وحلقة يتعلم عليها الرمى لاتساع
السهم او لان مصيبها واسع الامر فى صناعة الرمى والوسيلة لانها توصل المتوسل والذعو الخوف لاتساع الفكر فيه ويجوز ان يكون
احتمال العذر باتساع الحيلة فى وجه يزيل ما ظهر من التقصير من العذر والجدار الواسع الجوف وهو ايضا الملك لسعته والعذار
اوسع ما فى الوجه واعذرت الغلام ختنته اوسعت نكرته والاعذار الطعام للختان ونحوه منه وعذرة الجارية موجبة لعذرها
فى النفرة للخوف على نفسها والعذرة وجع فى الحلق وهو سقوطه حتى يغمز كانه شبه لعذرة البكر من شدة الحلق بما يوجب الغمز وكذا
العذرة للناصية لبذل الجهد فى المدافعة عنها والعذرا النجم اذا طلع اشتد الحر فانسع انبساط الارض والعذرة بفتح ثم كسر فناء

الدار وبه سمى الحدث والعذراى من حديد يعذب به الانسان كانه سمى لانه يوسع الخوف مما يجنب ما يوجب الاعتذار فلذا ترك
تلك الحديدة بكر لا يوجد من يعذب بها واما عذر بالتشديد اذا قصر فهو للسلب اى فعل ما لا يوجد له عذر ولذا العذر الامر اى صعب
يعنى انه تجنب لعذر فلم يبق لسهولته وجه واعذر اذا كثرت عيوبه اى دخل فيما يطلب له العذر كانجد ولما ذكر حاله ذكر قاله بقوله
وقال اى لوط عليه السلام هذا اى اليوم يوم عصيب اى جديد شديد جدا لما علم من حالهم من انا بين ظهرانيهم وهو مشتق من العصب
وهو اطناب المفاصل وروابطها ومداره على الشدة وجاءه قومه اى الذين فيهم قوة المحاولة يهرعون اى كانهم يحملهم على
ذلك حامل لا يستطيعون دفعه اليه اى فى غاية الاسراع فعل الطامع الخائف فوت ما يطلبه فهو يضطرب لذلك او لاجل الرعب
من لوط عليه السلام او من الملائكة عليهم السلام ولما كان وجدانهم فكيف عصيبا لكنهم لم يستغرق زمن القبل دخل الجار فقال
ومن قبل اى قبل هذا الحين كانوا اى جبلة وطبعا يعملون اى مع الاستمرار السيئات اى الفواحش التى تسوء غاية المساءة فضروا بها
ومرنوا عليها حتى زال عندهم استقباحها فهو يعرف ما يريدون وكانهم كانوا لا يدعون مليحا ولا غيره من الغربا فلذلك لم يذكر ان
الرسل عليهم السلام كانوا على هيئات المرد الحسان ولا يعد الزكران فى قصتهم فى موضع من المواضع فكانه قيل فما قال لهم فقيل قال
يا قوم مستعطفا لهم هؤلاء بناتى عاد بالمعنى الى الحيا والكرم ولما كان كانه قيل ما نفعل بهن فقال هن ولما كان فى مقام المدا
باللين قال ارخا للعنان فى تسليم طهارة ما يفعلونه على زعمهم مشيرا بلطافة الى خبث ما يريدونه اطهر لكم وليس المراد من
هذا حقيقته بل تنبيه القوم على انهم لا يصلون اليهم الا ان وصلوا الى بناته لان الخزى فيهما على حد سواء او فى الضيف اعظم ومثل
هذا ان يشفع الانسان فيمن يضرب فاذا عظم الامر القى نفسه عليه فصورته انه فعله ليقيه الضرب بنفسه ومعناه احترامه
باحترامه وعلى هذا يدل قوله فى الاية الاخرى ان كنتم فاعلين وهنا قوله فاتقوا الله اى الملك الاعظم الذى فى هذا الامر الذى تريدونه
ولا تخزون اى توقعوا بى الفضيحة التى ينحاها الذل والهوان والعار فى ضيفى اذ لا يشك ذو مسكة من امره فى ان التعرى اذا حصلت
سمعت من الامرين وان الخزى على تقدير عدم تعاطى البنات لعظم لانه عار لازم للزوم البنات للابد فكل هذا دليل على انه لا
يشك انهم ادميون ولم يلم بخاطره انهم ملائكة فهو تنبيه للكفار على انه لا ينتفع بالزاهو الملائكة الا البار الراشد التابع للحق
ثم انكر اشد الانكار طالعمرين انهم لا يكون منهم رشيد حثا على الاقلاع عن الغى ولزوم سبيل الرشد فقال اليس منكم رجل رشيد
اى كامل الرجولية رشيد كامل الرشد ليكفكم عن هذا القبيح فلم يكن منهم ذلك بل قالوا لقد علمت اى يا لوط مجوزين الكلام
على حقيقته غير معرجين على ما كنى به عنه ما لنا فى بناتك واغرقوا فى النفى فقالوا من حق اى حاجة ثابتة ولم يريدوا به ضد الباطل
لان البنات والضيف فى حقهم نفى حقهم عنهم فيه سواء واكدوا مغلبين بما لهم من الرغبة فى الفجور وقاحة وجراة فقالوا وانك
لتعلم اى علما لا شك فيه ما نريد وهو اتيان الذكور للتطرف والتظرف فحملوا عرضه لبناته على الحقيقة خبثا منهم وشرعوا
يبنون على ذلك الابو قاحة وعدم مبالاة بالعظايم فاخبر تعالى عن قوله لهم على طريق الاستيناف بقوله قال اى متمنيا
ان يكون لهم به طاقة ليرد ما يصنع من الايتاح بكلم متفجعا على فوات ذلك لو ان لى بكم اى فى دفعكم قوة بنفسى او لو
انى اوى من الاعوان والانصار الى ركن شديد اى جماعة هم كالركن الموصوف بالشدة لحلت بينكم وبين ما جئتم له وحذفه ابلغ
لذهاب النفس فيه كل مذهب والسوء ما يظهر مكروهه لصاحبه والعصيب الشديد فى الشر خاصة كانه التف شره والتوى صعبه
يمكن ان يخرج بها النمل وان لا يقع والركن معتمد البنا بعد الاساس والركن هنا من هو مثله والشدة مجمع يصعب معه الامكان ووصف
الركن بالشدة وهو يتضمنها تاكيد يدل على ان قومه كانوا فى غاية القوة والجلادة وانه كان يود معاجلتهم لو قدر وذلك ان مادة
ركن بكل ترتيب تدور على الذواية من ركن بالضم بمعنى رزن ويلزمها القوة ومنه الركن للجانب الاقوى والامر العظيم وما يتقوى
به من ملك وجند وغيره والعز والمنعة ومن ذلك النكر بالضم للدها والفطنة والنكر للمنكر والامر الشديد وما يخرج من
الزحير من دم او قيح ونكر الامر صعب وطريق منكور على غير قصد والمنكر ضد المعروف لان الشى اذا جهل صعب وتناكر القوم
تعادوا والتنكر التغير من حال تسر الى حال تكره والمكثر لحدث الفخم البجح ويلزمها الرزانة ايضا الميل والسكون ومنه ركن
اليه بالفتح مال وسكن وركن بالمنزل بالكسر اقام والكنادة بالكسر والتشديد الشقة من ثياب الكتان لانه يمال اليه لبهجته وكذا
الكنادات للعيدان والطبول والكران كتاب للعود والصنج او يكون ذلك من الشدة لقوة اصواتها والله اعلم فلما عظم الشقا
وضاق الخناق كان كانه قيل فما قالت له الرسل فقيل قالوا ودلوا بحرف النداء الموضوع للبعد على انه كان قد خرج من الدار واغلق
بابها وان الصياح كان شديدا يا لوط انك لتاوى الى ركن شديد ثم عللوا ذلك بقولهم انا رسل ربك اى المحسن اليك باحسانك وكل
ما ترى مما يسوءك ويسرك ثم لما ثبت له ذلك كان من المحقق انه سبب فى ان لا يدانيه معه سوء فاوضحوه بقولهم لن يصلوا اليك
من غير احتياج الى الربط بالفا اى ونحن نهلكهم ولما قالوا ما كلهم بكم فاسر اى سر بالليل ماضيا باهلك موقعا ذلك السير
والاسرا بقطع اى طائفة او الحال انه قد بقى عنده جزء وطرف جانب من الليل ولا يلتفت اى ينظر الى ورائه ولا يتخلف منكم احد
اى لا يلتفت انت ولا تدع احدا من اهلك يلتفت الا امراتك استثناء من احد ما الرفع والنصب لان النهى كالنفى فى جواز الوجهين

والنهي له صلى الله عليه وسلم فالفعل بالنسبة اليه منهي وبالنسبة اليهم منفي ويمكن ان يكون اخرجها معه لان معنى لا يستثنى انه غير مامور بالامر
لها الا انه منهي عنه واستثنيا وهاهنا من الالتفات منهم انه لا حجر عليه في الاسرا بها او انه ظنها تتبعهم فيكون قراه النصب من اهلك
وقراة الرفع من احد كما لزم من ذلك امرها بالالتفات بل يخالفها المستثنى منه في عدم النهي ولذلك عللوا اما انه امها من الاسرا والنهي
من انها تلتفت يعني لهم موكدين لان تعلق الامل بها لما رحمة لها شديد انه اي الشان مصيبها لا محالة ما اصابهم سوا التفتت او لا تخلفت
او لا ثم ظهور لي من التعبير عن حقها باسم الفاعل وفي حقهم بالماضي انه حكم باصابة العذاب لهم عند هذا القول للوط عليه السلام لان ذنوبهم تمت
واما هي فانها بعد الحكم بذلك لم تحرها عندنا تمام ذنوبها الذي رتب عليها الاصابة وذلك عند الالتفات ولما عبر وابا الماضي تحققا
للوقوع وتنبيها على انه تقدم دخولها معهم في اسباب العذاب كان سببها لان يقال كان الايقاع بهم قد دنى جدا فقيل لهم واكد تحققا للوقوع
تلذيذا به ولانه لقرب الوقت بحيث ينكر ان موعدهم اي لابتدا الاخذ الصبح وكان لوط عليه السلام رابطا في جميع اهله وما يصلحهم فكان
نسله فضل من ليستبعد الصبح فانكروا ذلك بقولهم اليس الصبح بقريب اي فاسرع الخروج بمن معك والاسرا سير الليل كما لسريت
ولما انتفى تسكين لوط عليه السلام ورد التقدم اليه بما يفعل اخبر تعالى عن حال قومه فقال فلما جا امرنا بالفا لما مضى في قصة
صالح عليه السلام من التسبيب والتعقيب اي فلما خرج منها لوط باهله جاها امرنا ولما جا امرنا الذي هو عذابنا او الامر به جعلنا
بما لنا من العظمة عاليها اي عالي مدنهم وهم سبعها سافلها وامطرنا عليها اي على مدنهم بعد قلبها من اجلهم وستاتي في سورة
الحجر سر الاتيان هنا بضميرها دون ضميرهم حجارة من سجيل اي مرسلة من مكان هو في غاية العلو منضود بالحجارة في فيه
متراكبة بعضها على بعض حال كونها مسومة اي معلمة بعلامات تدل على المساعدة للعذاب من السيما والسومة وهي العلامة تجعل
للابل السائمة لتتميز اذا اختلطت في المرعى وفي الذاريات حجارة من طين وذلك لان الحجارة اصلها تراب يجعل الله فيه بواسطة
الما قابلية للاستحجار كما جعل فيه قابلية التحول الى المعدن من الذهب والفضة والحديد وغيرها فباعتبار اصله هو طين وباعتبار ما
اول له حجر كبريت ونار ولعل حجر الكبريت اثقل الحجارة مع ما فيه من قوة النار ... ثم فخمها بقوله عند ربك وعبر بالرب
اشارة الى كثرة احسانه اليه صلى الله عليه وسلم وانه انما امره صلى الله عليه وسلم بالانذار رحمة لامته التي جعلها خير الامم
وسيجعلها اكثر الامم ولا يهلكها كما اهلكهم ومادة سجل باي ترتيب كان تدور على العلو من الجلس لما ارتفع عن الغور وهو النجد
ويلزمه الغلظ والعلو ومن الغلظ الجلس للغليظ من الارض والجمل الوثيق ويلزم العلو التصوب ومنه جلس
اذا قعد والسجل للدلو العظيمة ويكون غالبا من مقابلتها اخرى كلما نزلت واحدة طلعت الاخرى فتاتي المساجلة والسجل بالكسر
وشد اللام الكتاب لانه تذكر فيه ما يكون به المفاخرة والمغالبة وسجل الطعام بلعه والسحاب نبات ... وكانه سمي بذلك لانه
اغصانه تاخذ الى اسفل لرخاوتها وقد دل على هذا المعنى في غاية العلو بعظم ... ثم احسن كل الحسن اتباع ذلك قوله
وما هي على شدة بعد مكانها من الظالمين اي من احد من الموصوفين بالظلم في ذلك الزمان ولا هذا ولا زمن من الازمان
ببعيد ليلا يتوهم الاحتياج في وصولها الى المرمي لها الى زمن طويل ذكر هذه القصة من التوراة قال في السفر الاول بعد ما مضى في
بشرى ابراهيم عليه السلام فاتى الملكان الى سدوم عشا وكان لوط جالسا على باب سدوم فنظر اليهما لوط فتلقاهما ثم خر على
وجهه ساجدا على الارض وقال اني طالب اليكما يا سيدي اعدلا الى منزل عبدكما فبيتا فيه واغسلا اقدامكما وبكرا فانطلقا في
طريقكما فقالا كلا ولكنا نبيت في السوق فالح عليهما لوط الحاحا شديدا فانصرفا معه ودخلا منزله فاعد لهما طعاما ومن قبل وقت
الهجوع اذا اهل القرية اهل سدوم قد احاطوا بالباب من الشبان الى المشائخ جميع الشعب باسرهم فدعوا بلوط وقالوا له
اين الرجلان اللذان اتياك ممسيين اخرجهما الينا فنعرفهما وفي نسخة حتى نواقعهما فخرج لوط اليهم واغلق الباب خلفه فقال
لهم لوط لا تسيئوا الي يا اخوة هذان ابنتان لم يمسهما رجل اخرجهما اليكم فاصنعوا بهما ما حسن في اعينكم ولا ترتكبوا من هذين الرجلين
شيئا لانهما دخلا في ظلال بيتي فقالوا له تنح عنا ان واحدا اتى ليسكن بيننا فصار يحكم فينا فالان نسيء اليك اكثر منهما فجاهدوا
لوطا القوم جدا فدنوا ليكسروا الباب فمد الرجلان ايديهما فادخلا لوطا اليهما الى منزلهما ثم ان القوم الذين كانوا بالباب ضربوا
بالعشا من كبيرهم حتى صغيرهم فاعيوا في طلب الباب فقال الملكان للوط ما تصنع هاهنا اعمد الى اختانك وبنيك وبناتك
وجميع ما لك في هذه القرية فاخرجهم من هذه البلدة لانا نريد الخسف بالبلدة لان فعالهم وخبث صنيعهم قد بلغ الرب
فارسلنا الرب لنفسدها فخرج لوط وكلم اختانه وازواج بناته وقال لهم قوموا فاخرجوا من هذه القرية فان الرب مزمع
لخرابها وكان عند اختانه كالمستهزئ بهم فلما كان عند طلوع الصبح الح الملكان على لوط وقالا له قم فاخرج امراتك وابنتيك
اللتين معك لكيلا تبتلي بخطايا اهل هذه القرية فابطا لوط فاخذ الملكان بيده وبيد امراته وابنتيه لان الله رحمه فاخرجه
وصيراه خارجا عن القرية فلما اخرجاهم خارجا قالا له انج بنفسك ولا تلتفتن الى خلفك ولا تقف في شي من جميع القاع والتجئ الى
الجبل وخلص نفسك فقال لهما لوط اطلب اليكما يا سيدي ان الظفر الان عندكما برحمة ورافة وكثرت نعمكما الي لتحيي نفسي
لست اقدر ان الجا الى الجبل لعل الشر يرهقني فاموت وهذه القرية هي قريبة للهرب اليها وهي صغيرة ائذنا لي بالهرب اليها

اليها الا انها حقيرة فلتحيا نفسي فقال له قد شفعتك في هذه ايضا فلا اقلب هذه القرية التي سالت اسرع فنج نفسك الى هنا لانا لسنا
نقدر ان نعمل شيا حتى تدخلها ولذلك سميت تلك القرية صاغار وفي نسخة زغر فشرقت الشمس على الارض وقد دخل لوط صاغار
وفي نسخة زغر فاهبط الرب على سدوم وعامورا نارا وكبريتا من بين يدي الرب من السما فقلب هذه القرى والقاع باسره واهلك
جميع سكانها وجميع من فيها وجميع نبت الارض فالتفتت امراته الى خلفها لتنظر فصارت نصبة ملح فادلج ابراهيم باكرا الى الموضع
الذي كان يقف فيه بين يدي الرب فتطلع نحو سدوم وعامورا والى جميع ارض القاع فنظر فاذا دخان القرية يرتفع كدخان الاتون
فلما خسف الله قرى القاع ذكر الله ابراهيم فارسل لوطا من المنقلبة اذ قلب الله القرى التي كان ينزلها لوط فطلع لوط من صاغار وفي
نسخة زغر فسكن الجبل هو وبنتاه معه لانه تخوف ان يسكن صاغار فجلس في مغارة ولما انتهت القصة معللة بما قام به لوط عليه السلام
من امر الله غير وان فيه لرغبة ولا رهبة وبما في ارسال الملائكة من الخطر اتبعت اقرب القصص الشهيرة اليها في الزمن فقال تعالى والى
اي ولقد ارسلنا الى مدين وهم قبيلة ابوهم مدين بن ابراهيم عليه السلام اخاهم شعيبا فكان قايلا قال لما قال لهم فقيل قال ما قال
اخوانه من الانبيا من البداة باصل الدين يا قوم مستعطفا لهم مظهرا غاية الشفقة اعبدوا الله اي الملك الاعلى غير مشركين به شيا لانه
واحد ما لكم واغرق في النفي فقال من اله غيره فلقد اتفقت كما ترى كلمتهم واتحدت الى الله وحده دعوتهم وهذا اوضح قطعي الدلالة
على صدق كل منهم لما علم قطعا من تباعد اعصارهم وتنادي ديارهم وان بعضهم لم يلم بالعلوم ولا عرف اخبار الناس الا من الوحي المعلوم فالامام
شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي في كتابه رشف النصائح الايمانية وكشف الفضائح اليونانية في ذكر الانبيا اتحدت مصادرهم كانهم بنيان
مرصوص عبروا بالسنة مختلفة تنتهي الى بحر متصل بالقلوب متحد لما يستمد من البحر المحيط بعالمي الشهادة والغيب واختلفت الموارد من الشرائع
بحسب ما اقتضت الحكمة الالهية من مصلحة اهل كل زمان وكل ملة فاختلاف اختلافهم في الفروع مع اتحادهم في الاصول وقال قبل ذلك ان
الفلاسفة لما لم يتعرفوا من بحار الانبيا وقفت بهم افهامهم في عالم الشهادة فلما حاولوا الخوض في الالهيات انكشفت عورة جهلهم
وافتضحوا بانظارهم واخطاهم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى انقطع كلامهم سيرا لينكر في منتهى عالم الملك والشهادة ولم يدخل اسكندر نظرهم
ظلمات عالم الغيوب حتى يظفر واعين الحياة التي من شرب منها لا يموت انتهى ولما دعى الى العدل فيما بينهم وبين الله دعاهم الى العدل
فيما بينهم وبين عبيده في اقبح ما كانوا اتخذوه بعد الشرك ديدنا فقال ولا تنقصوا اي بوجه من الوجوه المكيال والميزان
لا الكيل ولا الته ولا الوزن ولا الته والكيل لتعديل الشي بالاله في القلة والكثرة والوزن لتعديله في الخفة والثقل فالكيل للعدل
في الكمية والوزن للعدل في الكيفية ثم علل ذلك بقوله اني اراكم بخير اي بسعة تغنيكم عن البخس مرهبا ومرغبا بالاشارة الى ان
الكفر موجب للنقمة كما ان الشكر موجب للنعمة ولما كانه كان كانه قيل فاني اخاف عليكم الفقر بالنقص عطف عليه موكدا لانكارهم
واني اخاف عليكم بعد ما بالشرك عذاب يوم محيط بكم صغارا وكبارا وباموالكم طيبا وخبيثا اي مهلك كقوله واحيط بثمره
واصله من احاطة العدو ووصف اليوم بالاحاطة ابلغ لانه يحيط بما فيه من عذاب وغيره والعذاب محيط بالمعذب فذكر المحيط
بالمحيط اهل لهول وهو الداير بالشي من كل جانب وذلك يكون بالتقاطر فيه والنقصان اخو شي من المقدار كما ان الزيادة شي اليه
وكلاهما خروج عن المقدار ومن الاحاطة ما رواه ابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لم ينقص قوم المكيال والميزان الا اخذوا
بالسنين وشدة المونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة اموالهم الا منعوا القطر من السما ولولا البهايم لم يمطروا ولما
كان عدم النقص قد يفهم منه التقريب تبعه ما ينفي هذا الاحتمال وللتنبيه على انه لا يكتفي الكف عن تعمد التطفيف بل يلزم السعي
في الايفا ولو بزيادة لا يتاتى بدونها ولان التصريح بالامر بالشي بعد النهي عن ضده اوكد فقال مستعطفا لهم بالتذكير بانه منهم
يسوؤه ما يسوؤهم وبانه لما اعطاهم من القوة جديرون بان يعرضوا عن تعاطي سفساف الاخلاق ورذايلها ويا قوم اي الذين
لهم قوة في القيام بما يحاولونه اوفوا اي اتموا اتماما حسنا المكيال والميزان اي الكيل والوزن والتهما واكد بقوله
ولا تبخسوا الناس اشياءهم
بالقسط اي العدل السوي فصار الوفا مامورا به في هاتين الجملتين مرادا تاكيدا له وحرصا عليه واظهارا لعموم نفعه
وشمول بركته فزال ما بالجوع توهم الجواز على ابلغ وجه وقد مضى في الانعام وياتي في هذه السورة عند عيب منقوص ان الشي
يطلق مجازا على ما قارب ثم اكد ايضا بتعميم النهي عن كل نقص بذلك وغيره في جميع افعالهم لمرة الملجوم من غير فكر لا لعاليست
ناشية عن شرع تاولها سفه واخرها فساد فقال ولا تعثوا في الارض اي تضطربوا وتخبطوا فيها عن غير بصيرة ولا تامل
حال كونكم مفسدين اي فاعلين ما يكون فسادا في الدعا فهو صورة دعا تقدم التامل والتروي على كل فعل وذلك ان
مادة عثي بكل ترتيب دايرة على الطلب عن غير بصيرة من العينة للارض السهلة فانها لسهولتها يغتر بها فيسلكها النبي بلا
دليل فياتي الخنا والجهل ومنه التغيث لطلب الاعمى الشي والاعثى الاحمق الثقيل ولون الى السواد والكثير الشعر ويلزمه الاتباع
الهوى فياتي الافساد والمسارعة فيه وذلك هو معنى العثي قال ائمة اللغة عثي وعاث افسد وفي مختصر العين للزبيدي عثي
في الارض بمعنى عاث يعيث عيثا وهو الاسراع في الفساد فالمعنى على ما قال الجمهور ولا تفعلوا الفساد عمدا وهو واضح وعلى ما قدرته
من اصل المعنى الذي هو المدار على ملاقاة ومنه وعلى ما قال الزبيدي ولا تسرعوا فيه فلا يظن انه يكون الاقدام بلا تامل الا لذلك الملائمة

للشهوة والله اعلم والوفا تمام الحق والبخس النقص فهو اخص من الظلم لانه وضع الشي في غير موضعه ولما كان نظرهم بعد الشرك
مقصورا على الاموال وكان نهيه عما نهى عنه موجبا لحقوقها في زعمهم كانوا كانهم قالوا انا اذا اتبعناك فيما قلت نقصت
اموالنا او قلت فتضعضعت احوالنا فلا يبقى لنا شي فقال بقيت الله اي فضل الملك الاعلى المحيط بصفة الكمال وبركته
في اموالكم وجميع احوالكم وابقاؤه عليكم ونظره لكم والكلم الموجب لعفوه الذي هو ثمرة اتباع امره خير لكم مما تظنونه زيادة
بالنقص والظلم وذلك ان بقية الشي ما فضل منه وتكون ايضا بمعنى البقيا اسم ابقى عليه يبقي ابقاء واستبقيت فلانا اذا عفوت
عن ذنبه كان ذلك الذنب اوجب قتله ونحوه او فناه عندك فاذا استبقيته فقد تركت ما كان وجب ويقولون ارا لا تبقي هذا ابو
اذا كان ينظر اليه قاله الامام ابو عبد الله القزاز في ديوانه الجامع وسياتي في اخر السورة بيان ما تدور عليه المادة ولما كانت
خيرية ما يبقيه العدل من الظهور لحل الخير على ذي لب تركها وبين شرطها بقوله ان كنتم اي جبلة وطبعا مؤمنين اي راسخين
في الايمان اشارة الى ان خيريتها لغير المؤمن بالنسبة على غير اساس فهي غير مجدية الا في الدنيا فهي عدم لسرعة الزوال
والنزوح عنها والارتحال وذلك لان الواو العاطفة على غير مذكور ان المعنى فامنوا فاعلين بما امرتكم لتنتفعوا بالخير فانما انا
نذير حفيظ وقدم ما يتوهمونه من قصده للملك مستعلا نافيا له فقال وما انا واغرق في النفي فقال عليكم اعلم جميع اعمالكم
واقدر على كفكم عما يكون منها فسادا ولما كان حاصل ما دعاهم اليه ترك ما كان عليه اباؤهم من الشفقة في حق الخالق بالشرك والخلق
بالخيانة وكان ذلك الترك عندهم قطيعة وسفها كان ذلك بحكم المعقول وبحز الادا يعرف به ما ينذرها من جامدها فكاد
كانه قيل ما قالوا فقيل قالوا يا شعيب سموه باسمه جفا وغلظة وانكروا عليه مستهزئين بصلاته اصلواتك تامرك
اي تفعل معك فعل من يامر ايانا بتكليفنا ان نترك ما يعبد اي على سبيل المواظبة اباؤنا او نترك ان نفعل اي دائما
في اموالنا ما نشا من قطع الدرهم والدينار وافساد المعاملة والمقامرة ونحوها مما يكون افسادا للمال ويعنون
ان ما تامرنا به لا يمشي على منهاج العقل فما يامرك به الا امر لك تفعله من هذا الذي تسميه صلاة اي انه من وادي
فعلك للصلاة ومادة صلا واويه ويائيه مهموزة وغير مهموزة بجميع تقاليبها تدور على الوصلة فالصلاة وسط الظهر
ومجمعه وما حول الذنب ايضا والمصلي من الخيل التابع للسابق وصال الفحل اذا حمل على اتانه وصوت الرجل ولصيته عبثه
كانه كانت الصقت به العيب والوصلة واضحة في ذلك وكانها الحقيقة التي تفرعت منها جميع معاني المادة وسياتي شرح
ذلك عند قوله تعالى بالغدو والاصال في سورة الرعد ان شا الله تعالى فمعنى الاية حينئذ اما تعاتبه من الصلاة الحقيقية ذات
الاركان المنوية من الدعا والاستغفار وجميع افعالك التي اشتملت على انواع الوصل الناهية عن كل قطيعة تامرك بجفوتنا لا
تالنا باننا بالقطيعة مع تقدير حضورهم ومشاهدتكم لما لا نفعل مما يخالف اغراضهم وبترك التنمية لاموالنا بالبخس وهو مع مخالفة
امثالك لا تبذير في سفهه فقد ادرت شبهتهم في الامرين على تقليد الاباء وتعللهم عن الغلط لاحتمال ان يكون لافعالهم
وجه من الصواب خفي عنهم وزادت في الاموال بطول التبذير فقد مرت بدعاتنا الى كل من الامرين حينئذ داعيا الى ضد
ما انت متلبس به انك اذن لانت وحدك الحليم في دفاك بما يغضب منه ذوو الارحام الرشيد في تضييع الاموال
يريدون تهزا ازعموا سلخه من كل ما هو متصف به وكلم من هاتين الصفتين العاليتين ما خيل اليهم سفههم انه دليل عليه
قاطع وعنوا بذلك نسبته الى السفه والغي على طريق التهكم ولما اتهموه بالقطيعة والسفه شرع في ابطال ما قالوا ونفي التهمة
فيه واخرج مخرج الجواب لمن كانه قال ما اجابهم به فقيل قال يا قوم مستعطفا لهم بما بينهم من عواطف القرابة منبها
لهم على حسن النظر فيما ساقه على سبيل الفرض والتقدير ليكون ادعى الى الوفاق والانصاف ارايتم اي اخبروني ان كنت
اي كونا هو في غاية الثبات على بينة اي برهان من ربي اي احسن الي بما هو احسان اليكم وعطف على جملة الشرط المستفهم عنه
قوله ورزقني وعظم الرزق بقوله منه رزقا حسنا جليلا وما الا ما طلالا لم اظلم فيه احدا والجواب محذوف لتذهب النفس
فيه كل مذهب ويمكن ان يقال فيه هل يسع عاقلا ان يقول ينسبني الى السفه بتبذير المال بترك الظلم او يسعني ان اكتم عن
عند غيره واترك دعاكم الى ما اعتقد بان هذا ان ما امرتكم مما يسوءكم من ترك ما الفتم وتعرضت لغضبكم كلكم وتركت مثل افعالكم
الا خوفا من غضبه ورجا لرضاه فظهر ان لا تهمة في شي من امري ولا خطا فاما فعلت قط ما نهيتكم عنه فيما مضى وما اريد اي وقت
من الاوقات ان اخالفكم اي بان اذهب وحدي الى ما انهاكم عنه في المستقبل وما نقص مالي بتركي مثل افعالكم فهو ارشاد
الى النظر في باب • لا تنه عن خلق وتاتي مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم • فابدا بنفسك فانهها عن غيها • فاذا
انتهت عنه فانت حكيم • وقد نبهت هذه الاجوبة الثلاثة على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما ياتي ويذر احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها
حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق العباد على وجه الاخلاص في ذلك فثبت بعده عن التهمة مع سداد الافعال وحسن المقاصد
حاله صلى الله عليه وسلم ورشده فلذلك اتبعه ما تضمن معناه مصرحا به فقال ما استطعت اي مدة استطاعتي للاصلاح وهو كما اردت
فان حالي مع اجتنابي ما انتم عليه صالح ليس فيه دون ما احدثكم فانتم شاهدة الا ابتدى في العدل واما التوحيد فهو مع انتفا التهمة

النهمة عنه فيه دعا الى القادر على كل شي الذي لا يعجزه شي فقال وما توفيقي اي فيما استطعت من فعل الاصلاح الا بالله اي الذي له الكمال كله ثم بين
انه الاهل لان يرجى فقال مشيرا الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا عليه اي وحده توكلت ولما طلب التوفيق لاصابة
الحق فيما ياتي ويذر من الله والاستعانة به في مجامع امره واقبل عليه بكليته وحسم اطماع الكفار عنه واظهر الفراغ عنهم وعدم المبالاة
بهم وكان في قوله ما استطعت اقرار دانه بمحل التقصير اخبر بانه لا يزال يجدد التوبة لعظم الامر وعبر عن ذلك بعبارة صالحة
للتحذير من يوم البعث لعدة المعمر فقال منبها على معرفة المعاد ليكمل الايمان بالله واليوم الاخر واليه اي خاصة انيب اي ارجع معنى
بنيتي للتوبة وحسا بنفسي بعد الموت والتوثق خلق قدره ما هو فوق الامر من الطاعة من الموافقة للطاعة والتوكل على الله تفويض
الامر الى الله على الرضا بتدبيره مع التمسك بطاعته ولما بين لقومه عذره بما انتفت به كلمة اتبعه بما يدلهم على انه الحق ودفع لهم
وضوحا لم يبق معه الا المعاندة تحذيرهم عواقبها وذكرهم امر من ارتكبها فقال ويا قوم واغرا الناس على لا يجرمنكم اي يحملنكم
شقاقي اي شقاقكم لي على ان يصيبكم من العذاب مثل ما اي العذاب الذي اصاب قوم نوح بعد طول اعمارهم وتناهي
اقطارهم او قوم هود على شدة ابدانهم وتمادي مالكم او قوم صالح مع نحتهم البيوت من الصخور وتشييدهم عوالي القصور ولما كان
للمقاربة اثر في المشاكلة والمناسبة غير الاسلوب تعظيما للتهويل فقال وما قوم لوط اي على قبح اعمالهم وسوء حالهم وقوة
اخذهم ووبالهم منكم ببعيد اي لا في الزمان ولا في المكان فانتم اجدر الناس بتذكر ما لهم لله تعالى فانما افرس جرم بحل لان ان التطاع
نقل عنه انه يقال جرمت الرجل جريمته حملته على الشي وقد عزا الرماني تفسيرها بذلك للحسن وقتادة ويجوز ان تفسر بما تدل عليه
المادة من القطع اي لا يقطعنكم شقاقي عن اتباع ما ادعوكم اليه خوف ان يصيبكم وقد حرر ما الرماني ولما رهبهم اتبعه الترغيب
في سياق مؤذن بانهم ان لم يبادروا الى المتاب بادرهم العذاب بقوله عاطفا لهذا الامر على ذلك النهي المتقدم واستغفروا ربكم
اي اطلبوا ستر المحسن اليكم ونبه على علو مقدار التوبة باداة التراخي فقال ثم توبوا اليه ثم علل ذلك ترغيبا في الاقبال عليه بقوله
ان ربي اي المحسن الي بما ترون من الاحسان دينا ودنيا رحيم ودود اي بليغ الاكرام لمن يرجع اليه بان يحفظه على ما يرضاه بليغ
التحبب اليه ولم يبداه بالاستعطاف على عادته بقوله يا قوم اشارة الى انه لم يبق لي وقت امن فيه وقوع العذاب حتما اشتغل فيه
بالاستعطاف فربما كان الامر اعجل من ذلك فاطلبوا المغفرة بان تجعلوها غرضكم ثم توصلوا اليها بالتوبة فثم على بابها في الترتيب
واما التراخي فباعتبار عظم مقدار التوبة وعلو رتبتها لان الغفران لا يحصل بالطلب الا ان اقترن بها هذا الشان وكل كبيرة من
افعالا تكفر الا بالتوبة وذلك لان الطاعة المفعولة بعدها تكون مثلها كبيرة في جنس الطاعات كما ان تلك كبيرة في جنس المعاصي
فلا تقوى الطاعة على محوها وتكرر الطاعات يقابله تكرر المعاصي بالاصرار الذي هو بمنزلة تكرير المعصية في كل حال فلما رادوه
لا يتزع عنهم ولم يقدروا الكلام سهل جواب ايا سوه من الرجوع اليه بان انزلوا انفسهم عنادا في الفهم لهذا الكلام الواضح بدل
المعتاد البهايم وهددوه فاخبر تعالى عنهم بذلك استينافا فان جواب من يقول ما قالوا بعد هذا الدعا الحسن قالوا يا شعيب
منادين له باسمه جفا وغلظة ما نفقه اي الان لان ما نحن بالحال كثيرا مما تقول واذا لم يفهم الكثير من الكلام لم يفهم مقصوده
يعنون خفض عليك واترك كلامك فانا لا نفهمه لقا ونابذه كما يقول الانسان لخصمه اذا نسبه الى الهذيان انا لا ادري
ما تقول ولما كان غرضهم مع العناد قطع الامر خصوا عدم الفهم بالكثير ليكون اقرب الى الامكان وكانهم والله اعلم اشاروا الى
انه ضعيف العقل كلام غير منتظم فلا حاصل له ولا لمضمونه وجود في الخارج ولما كان في ذلك اشارة الى انه ضعيف العقل
لان كلامه مثل كلام المجانين اتبعوه قولهم وانا لنراك اي رؤية تجدد مستمرة فينا ضعيفا اي في البدن وغيره
فلا تتحرز من سطوتنا فانك لا تقدر على الامتناع من مكروه يحل بك بقوة عقل ولا جسم ولا عشيرة واشاروا الى ضعف
العشيرة بتعبيرهم بالرهط في قولهم ولولا رهطك لرجمناك اي قتلناك شر قتلة فان الرهط من ثلاثة الى عشرة
واكثر ما قيل الى اربعين فما انت علينا بممتنع لضعفك وقلة قومك وما انت اي خاصة لان لنفي الحال والحال
لاختصاص بالزمان والقياس ان يكون مدخولها فعلا او شبهه وحيث اوليت الاسم لا سيما الضمير دل على ان التقديم
للاهتمام والاختصاص علينا بعزيز بكريم مودود تقول اعززت فلانا اذا كان له عندك ود بل قومك هم الاعزة عندنا
لموافقتهم لنا ولو كان المراد ما عززت علينا لكان الجواب لم لا اعز وقد شرفني الله ونحو هذا وبعيد ان يراد بالعزيز القوي
الممتنع ويصير المعنى لامتناع رهطه نحو لا على ان المانع لهم موافقتهم لهم لا قولهم والفقه فهم الكلام على ما تضمن من
المعنى وقد صار اسما لضرب من علوم الدين واصل الرهط الشدة من الترهيط لشدة الاكل ومنه الراهطا حجر اليربوع
لشدته وتوثقه ليخبا فيه ولده ولما كان تخصيصهم نفي العزة به بينهم ان رهطه عليهم اعزه انكر عليهم ذلك في سياق
مهدد لهم فقال تعالى حاكيا عنه استينافا قال اي شعيب يا قوم ولم يخل الامرين جذب واستعطاف بذكر الرحم العاطفة
ارهطي اي اقاربي الاقربون منكم اعز عليكم من الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما حتى نظرتم اليهم في قرابتي منهم
ولم تنظروا الى الله في قربي منه بما ظهر علي من كرامته واتخذتموه اي بما كلفتم به انفسكم مما هو خلاف الفطرة الاولى

وراءكم اى عرضتم عنه اعراض من جعل الشيء وراءه وحقق معنى الوراء بقوله ظهريا اى جعلتموه كالشيء الغائب عنكم المنسي
عند كبراء الذى لا يعبأ به ولم تراقبوه في نسبتي اليه بالرسالة والعبودية ولما كان معنى الكلام لاجل الانكار انكم عكستم في
الفعل فلم تنزلوا الحق منزلته اذ كان ينبغي لكم ان لا تنسوا الله بل تراقبوه في كل اموركم حسن تعليل هذا المفهوم بقوله ان ربي
اى المحسن الي من جليل وحقير فهو مقتدر ولما كان المراد المبالغة في احاطة علمه تعالى باعمالهم قدم قوله بما تعملون محيط
من جليل وحقير فهو مقتدر في كل فعل من افعالكم على انفاذه وابطاله فهو محيط بكم لا يرده عن نصرتي منكم والايقاع بكم
مراعاة احد لعزكم لعزه ولا قوة الا بل لكم عنده اجل هو موخركم اليه لانه لا يخشى الفوت والاتخاذ اخذ الشيء لامر يستمر في المستانف
كاتخاذ البيت والمحيط المدير على الشيء كالحائط المحيط بحيث لا يفوته منه شيء ولما ختم الآية بتهديدهم بما بين ان تهديدهم
لعدم لا يبالي به اتبعه بما يصدقه من انه ليس بتارك شيئا من عمله لشيء مما خيلوا به وزاد في التهديد فقال ويا قوم اعملوا
اى اوقعوا العمل لكل ما تريدون كادين مستعلين على مكانتكم اى حالكم الذى تتمكنون به من العمل انى عامل على ما صار
لى مكانة اى حالا لا تكون به من العمل لا انفك عنه ما انا عامل من تحذيري لمن كفر وتبشيري لمن امن ودينا اى بكل ما
اوجبت على الملك غير هايب لكم ولا خايف منكم ولا طامع في نوالكم ولا معتمد على سواه ولما كانت ملازمتهم لاعمالهم
سببا لوقوع العذاب المتوعد به ووقوعه سببا للعلم بمن يخزى لم يأت اى بهذين الامرين مراد ذكره بعد هذا التهديد
فحسن حذف الفاء من قوله سوف تعلمون اى بوعد لا خلف فيه وان تاخر زمانه وسوقه مساق الجواب لمن كانه قال
ما المراد بهذا الامر بالعمل المبالغ فيه في النهي عنه وقد تقدم في قصة نوح عليه السلام ما يوضح ولحسن هذا انهم لما
قالوا ما نفقه كثيرا مما تقول كذبكم في اخراج الكلام على تقدير سؤال من هو شبيه الفكر كله الكلامية قائل ماذا يكون
اذا عملنا وعملت فهذا وصل خفي مشيرا الى تقدير السؤال لو ذكر الفاء لكان وصلا ظاهرا وقد ظهر الفرق بين كلام اسلس العالم
بالاسباب وما يتصل بها من المسببات المأمور به اشرف خلقه صلى الله عليه وسلم في سورتي الانعام والزمر والكلام المحكى
عن نبيه شعيب عليه السلام في هذه السورة من اى اينا او الذى يأتيه عذاب يخزيه ولما كان من مضمون قولهم ما نفقه
كثيرا مما تقول النسبة الى الكذب لان التكلم بالبين له لنسبة في الواقع تطابقه قال ومن هو كاذب اى منى ومنكم
فالتقدير ان كانت من موصولة ستعلمون المخزى بالعذاب والكذب انا وانتم وان كانت استفهامية اينا يأتيه عذاب
يخزيه واينا هو كاذب فالزموا مكانتكم لا تتعدوا عنها وارتقبوا اى انتظروا ما يكون من عواقبها ولما كانوا يكذبونه
وينكرون قوله اكده فقال انى معكم رقيب لمثل ذلك وانما قدرت هذا المعطوف عليه لفصل الكلام في قوله سوف وجوز
عطفه على اعملوا وجود ولم يقل من تعب اشارة الى ان هم كانه قيل فاحذروا الكلام الا حينها دون العمل بالامر اشارة لانه
لا يبالي في اى تعاقب عاقبته معهم استهانة بهم ولما كان من التنبيه الى ان الامر في الاجل المضروب وجل قال عاطفا عليه
وكان العطف بالواو لانه لم يتقدمه وعيد بوقت معين كما في قصتي صالح ولوط عليهما السلام يتسبب عنه المجيء ويتعقبه
ولما جاء امرنا اى تعلق ارادتنا العذاب نجينا بما لنا من العظمة شعيبا اى تنجية عظيمة والذين امنوا كائنين معه من قومهم
ومما عذبناهم به وكان انجاؤنا لهم برحمة منا ولما ذكر نجاة المؤمنين اتبعه هلاك الكافرين فقال واخذت الذين ظلموا
اى اوقعوا الظلم ولم يتوبوا الصيحة وكانها كانت دون صيحة ثمود لانهم كانوا اضعف منهم فلذلك ابرز علامة التأنيث
في هود دون ثمود ولما ذكر الصيحة ذكر ما تسبب عنها فقال فاصبحوا اى في الوقت الذى يتوقع الانسان فيه السرور
وكل خير في ديارهم جاثمين اى ساقطين لازمين لمكانهم ولما كان الجثوم قد لا يكون بالموت اوضح المراد بقوله كأن لم يغنوا
فيها اى لم يقيموا في ديارهم اغنياء متصرفين مترددين مع الغواني لاهين بالغناء ولما كان مضمون ذلك الابعاد اكده بقوله
الا بعدا لمدين كما بعدت لعله اشار الى انه بمعنى ضد القرب معه هلاك نفوسهم لعبد الكسر وايد ما فهمته من ان امرهم كان اخف من
امر ثمود بقوله ثمود ولما كان شعيب ختن موسى عليهما السلام وكان ذكر قصته هنا سوق ما حرك المتوقعها من ذكر كتابه
اول السورة ومأتى عصى موسى من مناسبة ناقة من ختم بالتشبيه بحالهم فذكرها بعدها مفتتحا لها بحرف التوقع فقال
موكدا تنبيها على ان فرعون ممن فعل قريش في الادبار عن الايات العظيمة ولم يترك موسى عليه السلام شيئا مما ادمى البرين
انذاره ولقد ارسلنا اعاد الفعل وابرزه في مظهر العظمة اشارة الى باهر معجزاته موسى باياتنا اى المعجزات
التى اظهرها وسلطان اى امر قاهر للقبط والظاهر انه حماية موسى عليه السلام منه على ما كان له من السطوة والتحرق
عليه مبين اى بين في نفسه وهو في قوة بيانه كانه مبين لغيره ما فيه من الاسرار والاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان
يخص القاطع والمبين يخص ما فيه جلاء الى فرعون طاغية القبط وملايه اى اشراف قومه الذين يتبعهم الاذناب لان الفعل
الاكبر رفع ايديكم عن بني اسرائيل ولما كان الشأم لنفسه من لا يتبع امرا الا اذا علم انه صواب قال معجبا من المبادرة
شيئا الى سرعة تكذيبهم بالبينات واتباعهم فيما ضلاله لا يخفى على من له مسكة فاتبعوا اى فتسبب عن هذا الامر الباهر ان

الباهر ان عصى فرعون وحمل ملاوه انفسهم على ان تبعوا الارادتنا ذلك منهم امر فرعون اى كل ما يامرهم به عندنا انه لهواه وبامر به
وتبعهم السفلة فاطبقوا على المنابذة الا من شاء الله منهم وما اى والحال انه ما امر فرعون برشيد اى سديد مع ان في هذا التعقيب
مع ذكر ثمود من التذكير بآيتي الناقة والعصى اشارة الى القدرة على البعث المذكور اول السورة الموجب خوفه لكل خير كان ذلك ايضا
كان من فوايد تعقيب قصة ابراهيم بقصة صالح عليهما السلام واقتصر هنا على ذكر فرعون وقومه لان المقصود من هذه القصص كما تقدم
التثبت في المكافحة بابلاغ الانذار وان اشتدت كراهية المبلغين وقل المتبع منهم وان لا يترك شيء منه خوف اصرارهم او
ادبارهم ولا رجاء اقبالهم وكثرة مؤمنيهم وهذه حال آل فرعون واما بنو اسرائيل فانهم لم يتوقفوا الا خوفا من فرعون في اول
الامر ثم اطبقوا كلهم على الاتباع ثم صاروا بعد ذلك كل قليل يبدلون لا كراهية للانذار بل لغير ذلك من الامور وعجائب العنود كما بين
في قصصهم والملأ الاشراف الذين تملأ الصدور هيبتهم عند رؤيتهم والاتباع طلب الثاني للتصرف بتصرف الاول اى
جهة اخذ وقد يكون عن كره بخلاف الطاعة والامر الايجاب بصيغة افعل وهو متضمن ارادة المأمور به في الجملة وقد لا يراد امتثال
عين المامور والرشيد القائد الى الخير الهادي اليه ثم اوضح عدم رشد امر فرعون بقوله يقدم قومه اى الذين كان لهم قوة المدافعة
يوم القيامة ويكونون له تبعا كما كانوا في الدنيا واشار بالماضي لحقه للمضارع ماضيا الى تحقق وقوعه تحقق ما وقع ومضى فقال
فاوردهم النار اى اوردهم في الدنيا غطاها وهو البحر ولما كان التقدير فبئس الورود عطف عليه بيان الفعل والمفعول
وبئس الورد المورود كما كان البحر اذ وروده اقبح ورود ورده انسان لان الورد يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد
وهذا يفيد ضد ذلك ولما كان فرعون موصوفا بعظم الحال وكثرة الجنود والاموال وضخامة المملكة حقر تعالى دنياه
تحقيرا جمع الدنيا التى هي منحها باسقاطها في الذكر اكتفاء بالاشارة اليها ولم يثبتها كان في قصة عاد فقال واتبعوا
بنايه للمفعول لان المنكى الفعل لا كونه من معين في هذه اى الحياة الخسيسة لعنة فهم يلعنون فيها من كل لاعن حتى الملوك
وغيرهم من اهل الملل فلعنته على من حسن حالهم وارتضى ضلالهم لاضلال العباد من اهل الالحاد بغيته
الاتحاد ويوم القيامة ايضا يلعنهم الله عنون حتى اهل الالحاد الاخلاء توصيد بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم بين
ما يحق ان يقوله سامع ذلك بقوله بئس الرفد المرفود اى التابع المتبوع والعون المعان فان اللعنة تابعة لعنا بهم في الدنيا ومتبوعة
باللعنة في الاخرة والعذاب رفد لها وهي رفد له ومادة رفد قد تدور على التبع ويكون المراد ان لعنهم لا تزال متزايدا فانا بعا
بعضها لبعض فكل لعنة تابعة لشيء من الخزي عذابا او لعن متبوعة بلعنة مضافة اليها وسمى ذلك رفدا وهو حقيقة
العون من باب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ومعنى يقدمهم انه يكون قدامهم على سابق لهم بل هم على اثره ساقه حتى يتلون
بهم الى النار معا والقيامة القومة بعد الموت للحساب والاتباع طلب الثاني اللحاق للاول وكيف تقرف واللعن من الله
الابعاد من الرحمة بالحكم بذلك ومن العباد الدعاء ولما كانت هذه الاخبار على غاية من التحرر لا يعرفه الا راسخ في العلم كان من
المعلوم قطعا انه صلى الله عليه وسلم لم يأت بها الا من عند الله للعلم المشاهد بانه لم يعان علما قط ولا الم بعلم يوما هذا مع ما اشتملت
عليه من انواع البلاغة وتضمنته من انحاء الفصاحة ولوامات البديع سيما ما تقابل من حروف الحكم وافادته تفصيله من فنون
المعارف فلذلك استحقت ان يشار اليها باداة البعد ايماء الى بعد الرتبة وعلو الامر فقال تعالى ذلك اى النبأ العظيم والخطب
الجسيم من انباء القرى واكد هذا المعنى بلفظ النبأ لانه الخبر بما فيه عظم الشان ومنه النبي واشار بالتعبير
بالمضارع في قوله نقصه عليك الى انا كما قصصناها عليك في هذا الحال للقصد المتقدم سنقصها عليك لغير ذلك
من الاغراض في فنون البلاغة ومقاديرها الحكم كما سترى عند قصة ثم اشار بما اخبر من حالها بقوله منها اى القرى
قائم وحصيد الى انك بشك ما سمعت مما قصصنا عليك من اخبارها باذنك ووعيته بقلبك تحسها بعينك بمشاهدة
ابنيتها واثارها قائمة ومستحصدة اى متهدمة لم يبق من بنيانها الا بعض جدرانها ولما كان فيما تقدم في هذه السورة
من القصص اشد تهديد واعظم وعيد لمن له تبصر صرح لئلا يغلط الاكباد بان الموجب للايقاع بهم انما هو الظلم فقال تعالى
عاطفا على نحو ان يقال فعلنا بهم ما انبأناك به وما ظلمناهم في شيء منه ولكن ظلموا انفسهم واعتمدوا على اندادهم
معرضين عن جنابنا امنين من عذابنا فاخذناهم فما اغنت عنهم اى فتسبب عن اعتمادهم على غيرنا انه ما الهتهم التى
اى بوجه من الوجوه الهتهم التى وضوح حالهم الماضية فقال يدعون اى دعوها واستمروا على دعائها لما الحق الكاذبة
وبين خستها ورتبتها فقال من دون الله اى الذى له جميع صفات الكمال وذكر مفعول اغنت مغرقا في النفي فقال
من شيء اى وان قل لما جاء امر ربك اى عذاب ربك اى المحسن اليك بتاخير العذاب عن امتك وجعلك نبي الرحمة وما
زادوهم في احوالهم التى كانت لهم كانت قبل عبادتهم اياها غير تتبيب اى اهلاك وتخسير فانهم كانوا في عداد من يرجى
فلاحه فلما تورطوا في عبادتها وتنبروا على عوائدها لبعدوا عن الاستقامة بضلالتهم خسروا انفسهم التى هي راس المال فكنا
لهم بعد ذلك بالادبار والعقر لاتباع الاثر وهنا الاخبار بالامور التى يتلوا بعضها بعضا والدعاء طلب الطالب لفعل من غيره ويدل

وندا الشي باسمه بحرف النداء وكلا الامرين مراد ان دون من دون من منزلة ادنى من منزلة عبادة الله لانه من الادون وهو
الاقرب الى المال فلطف لهم ليعد ذلك ما لا ربح والفضل بتاع جهة السفل ولما كان المقصود من ذلك الردع لقلوب العرب
بما فيه من سهام التهديد ليقلعوا عما تمكنوا فيه من عمى التقليد قال تعالى معلما بان الذي اوقع باولئك لظلمهم هو لكل ظالم
بالمرصاد سواء ظلم نفسه او غيره **وكذلك** اي ومثل ذلك الاخذ العظيم **اخذ ربك** ذكره بوصف الاحسان مالها اليه من الترغيب
لئلا يخاف على قومه من مثل هذا الاخذ **اذا اخذ القرى** اي اهلها وان كانوا اغنى من تقدم والاخبار عنهم وان عظموا وكثروا
وكون الاخبار عنها اهول لانه ميهم انه ربما يعمها الهلاك لاجلهم لشدة الغضب من فعلهم لقرى قوم لوط عليه السلام **وهي ظالمة**
روى البخاري في التفسير عن ابي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا
اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى الاية ولما كان مثل هذا لا يكاد يدانيه مخلوق ولا يقدر عليه ملك
حسن كل الحسن اتباع ذلك قوله **ان اخذه اليم** اي مولم قاطع للامال بالي للابدان والروح والنفس بالنكال **شديد** اي
صعب ممتنع للقوى ولعله عبر هنا باسم الرب مضيفا له الى المنبا لهذه الانبيا مكررا كذلك في هذا المقام الذي ربما سبق
فيه الوهم الى انه ماسم الجبار والمنتقم مثلا اليق اشارة الى انه سبحانه يربيك احسن تربية في اظهار دينك على الدين كله وانتيا
النظا لا مرك وذل الاعزة لسطوتك وخضع الروس لعلو شانك فلا تتكلف انت شيا من قصد اجابتهم الى انزال
اية او نزول ما ينبسط من ابذار ونحو ذلك الاوامر الرفق ولما كان ما جرى من هذه القصص وهذه المواعظ بكذبهم لما يوعدون من
العذاب الناشي عن انكار البعث المذكور في قوله تعالى ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت الايات اشار تعالى
الى تحقق امر الاخرة وانه مما ينبغي الاهتمام بردد التقطع على المطلع واعلاما بانه لا فرق بينه وبين ما تحقق ايقاعه من
عذاب هذه الامم في القدرة عليه معقولا سوكدا لاجل جحودهم ان يكون في شي مما مضى دلالة عليه بوجه من الوجوه **ان في ذلك**
اي النبا العظيم والقصص والوعظ بابذكر **لاية** اي لعلامة عظيمة ودلالة بينة ولما كان وجود الشي عدما بالنسبة الى
من لا ينتفع له به قال **لمن خاف عذاب** يوم الحياة **الاخرة** لانه ينتفع به واما كان اية له لانه اذا نظر الى اهلاكه للظالمين
اهلاكا عاما بسبب ظلمهم وانجائه للمومنين علم انه قادر على ما يريده انه لا بد ان يجازي كلا بما فعل فاذا راى ان ظلم الذين
يموتون نعمهم استقامتهم انه لا بد من يوم يجازيهم فيه وهو اليوم الذي اخبرت به عنه رسله فزاد سبحانه في الاشارة
الى التهويل باعادة اسم الاشارة في قوله **ذلك** اي اليوم العظيم الذي يكون فيه عذاب الاخرة **يوم مجموع له** واشار الى يسر
البعث في قوله وسهولته عليه وانه سوقا بث لا بد منه باسم المفعول من قوله **الناس** اي لاجل اظهار العدل فيه والفضل
وذلك اي كل من فيه اهلية التحرك والاضطراب دائما يوم عظيم يكون لهذه الصفة اصلا والعالم ليسعه يوما يجمع فيه جميع
الخلق من الجن والانس والملائكة وجميع الحيوانات احياكان ذلك امسوغا لان تعد شهادة غيره عدما فقال تعالى
يوم اي اليوم العظيم **يوم مشهود** اي هو نفسه لهم ولغيرهم من جميع الخلق فكون تنوينه للتعظيم بدلالة المقام او يكون
المعنى انه اهل لان يشهد وتتوفر الدواعي على حضوره لما فيه عجايب الامور والاهوال العظام والمواقف الصعبة فلا يكون
ثم شغل الا النظر اليه والاحاطة بجواذبه خوف الذلاف ورجا الخلاص والخوف انزعاج النفس بتوقع الشر وضده الامن
وهو سكون النفس بتوقع الخير والعذاب استمرار الالم ولما تقدم قولهم ما يحبسه كان كانه قيل في الرد عليهم نحن قادرون
على تعجيله وهو كما اشرنا اليه في هذه الاية عند ناسخ شيئا في غاية السهولة **وما نوخره** اي اليوم او الجزاء مما لنا من العظمة والقدرة
التامة على ايجاده لشي من الاشيا **الا لاجل** اي الاجل انها اجل **معدود** سبق في الازل تقديره مما لا يبدل القول لديه وكل شي
في حكمه فهو لا يجتنى الفوت ومادة اجل بتراكيبها الاربعة اجل وجال وجلا وجائد وعلى المدة المضروبة للشي فالاجل بحركة
مدة الشي وغاية الوقت في الموت وحلول الدين من تسمية الجزء باسم الكل والتاجيل تحديد الاجل ويلزمه التاخير
ومنه اجل الشي كفرح تاخر والاجلة الاخرة واجل الشي بالفتح حبسه ومنعه لان الاجل حابس ومانع للموجل ومنه اجل
لحمه وهو مما هم معروف كانه لحسنه يحبس الرائي فيه واجل الشر عليهم جناه او اثاره وهيجه والاهل كسب
وجمع واحتال لان ذلك كله من لوازم ذي الاجل بالموجل واجله فيه تاجيلا جمعه فتاجل والمعنى انه او صدفلك
وكمقعد ومعظم مستنقع الماء لانه محيط بطائفة الاجل بالموجل واجله فيه تاجيلا جمعه فتاجل والموجل الحوض يحبس فيه
الماء واجلوا مالهم حبسوه في المرعى والاجل بالكسر القطيع من بقر الوحش تشبيها لها في اجتماعه من حيث انه احصن لها بالاجل
انه كا قيل حصن حصين والاجل بالكسر ايضا وجع في العنق كانه من اسباب حلول الاجل واجل داواه منه وبالضم جمع
اجيل للتاخير وللمجتمع من الطين يجعل حول النخلة لاحاطته بها احاطة الاجل وتخصيصه لها وتاجل القوم تجمعوا الاول
البحجر احصن لهم واجل بتخفيف نم تكون جواب كنعم وزنا ومعنى الا انه احسن منه في التصديق ونعم احسن منه في الاستفهام
وحقيقة ذلك الاخبار بان اجلاء اي قصد لذلك القول الموجب له المستفهم عنه فقد حصر وفعلت ذلك اجلك من اجلك من

ومن اجلك ومن اجلالك ويكسر اي الكل اي من جلالك قاله في القاموس وقال في فعل الجيم وفعلته من جلالك بالضم وجلالك محركة
محركا وتجلتك واجلالك بالكسر ومن اجل جلالك ومن اجلك بمعنى انتهى وحقيقته ان فعل مبتدئ من اجلك بالتحريك او
تكون من سببيته اي اجلك سبب فيه ولولا وجودك ما فعلته ثم قولهم تخيلت والملجا والالجا محركة المعقل والملاذ كانه يتبعه بالاجل
ومنه لجا اليه كمنع وفرح لاذ ولجا امره الى الله اسنده والجاه فالجا الى كذا اضطره والتلجئة الاكراه واللجا محركا الضفدع
لالتجائها الى الماء ومن ذلك الجبال كمبيقل وجبال وجيالة ممنوعين وجبل بلا همز كلها اسم الضبع لكثرة التجائها الى وجارها
ومنه جيئل كفرح جالا ناعور كانه يتشبه تشبيها لان من اسمائها العرجا او تشبيه بمشية الراقي في درج الملجا اي الحصن وكذا الاجل
كتنبة وقبي وهو ذكر الاوعال لان قرونه كالحصن له وجيالة الجرو عشيته وهو من قرنه لانه من اسباب قرب الاجل وكذا الاجيلا
اي الفزع ربما كان سببا للهلاك وربما كان سببا للمبادرة الى الحصن وجال كمنع ذهب وجاء والصوف جمعه واجتمع لانه مستعد كله من
لوازم الاجل بمعنى المدة وجلا بالرجل كمنع صرعه وبثوبه رماه كانه يحمله في قوة من حصر اجله وان شئت قلت في ضبط ذلك ان المادة
مع دوران ها على المدة تارة ينظر الى نفس المدة وتارة الى اخرها وتارة الى امتدادها وتاخرها وتارة الى ما يدني منه وتارة
الى منفعتها وتارة الى ما يلزم فيها فمن النظر الى نفس المدة التاجيل بمعنى تحديد الاجل وهو مدة الشي وفعلته من اجلك اي لولا
وجودك ما فعلته واجل بمعنى نعم اي حضرت مدة الفعل ومن النظر الى اخره الاجل في الموت والدين ومن النظر الى التاخر
اجل الشي اذا تاخر والاجلة الاخرة ومن النظر الى السبب له في الاجل بالكسر لوجع في العنق وجيالة الجرو لعثيثه اي مرثه
وجلا بالرجل صرعه وبثوبه رماه واجل الشر عليهم جناه او اثاره وهيجه والاجلا الفزع ومن النظر الى المنفعة وهي ان
التاجيل الذي هو تاجيل تحديد الاجل للشي مانع من اخذه دون ما ضرب له من المدة الاجل بالكسر للقطيع من بقر الوحش
واجل الشي حبسه ومنعه واجل لحمه من عمله معروف وتاجل القوم تجمعوا وجال الصوف جمعه والالجا والملجا المعقل
والملاذ والضفدع للزومها سلحاها من الماء والجبال للضبع للزومها وجارها ولذلك تسمى ام عامر وجيئل كفرح
من كانه شبه بمشيتها لانها تسمى العرجا والاجل كتنبة وقبي لذكر الاوعال لتحصنه بقرونه والاجل بالضم الجمع من الحين
يجعل حول النخلة والماجل الحوض يحبس فيه الماء ومستنقع الماء سطلقا واجله تاجيلا جمعه ومن النظر الى ما يلزم
في المدة اجل لاهله كسب وجمع وجلب واحتال وجال كمنع ذهب فقد تبين ان المراد بالاجل هنا الحين ولما كان كانه
قيل ماليت شعري ماذا يكون حال الناس اذا اتى ذلك الاجل وفيهم الجبابرة والرؤسا وذوو العظمة والكبرا اجيب
بقوله **يوم ياتي** اي ذلك الاجل لا يقدرون على الامتناع ولا على مطلق الكلام وحذف ابن عامر وعاصم وحمزة اليا اجتزا
عنها بالكسرة كما هو فاش في لغة هذيل وكان ذلك اشارة الى ان شدة هوله تمنع اصل الموقف الكلام اصلا في مقصدها
لشدة شمر يوذن لهم في الكلام في الثلث الاخير لالة الحذف وقرينة الاستثنا فان العادة ان يكون المستثنى اقل
من المستثنى منه **لا تكلم** ولو اقل كلام بدلالة حذف التا **نفس** من جميع الخلق في ذلك اليوم الذي هو يوم الاخرة وهو
طرف هذا الاجل وهو يوم طويل جدا ذو الوان وفنون واهوال شوون تارة يوذن فيه في الكلام وتارة يكون على
الافواه الختام وتارة يسكنهم الخوف والحصر والالام وتارة ينطقهم الجدال والخصام **الا باذنه** اي باذن ذي الجلال
المكرر ذكره في هذه الايات اشارة الى حسن التربية واحكام التدبير ولما علم من هذا انه يوم عظمة وقهر سبب عن
العظمة تقسيم الحاضرين فقال **فمنهم** اي الخلائق الحاضرين لامره **شقي** ثبتت له الشقاوة فيسر في الدنيا لاعمالها
وسعيد ثبتت له السعادة فمشى على منوالها والتاخير للاذهاب من جهة الشي بالابعاد منه وضده التقديم واللام تدل
على العلة والغرض والحكمة بخلاف الى والشقا قوة اسباب البلا ولما كان اكثر الخلق هالكا مع ان المقام مقام تهديد
وتهويل بدا تعالى بالاشقيا مرتبا للتقسيم على ترتيب التفريق فقال **فاما الذين شقوا** اي ادركهم العسر والشدة
ففي النار اي محكوم لهم بانهم سيدخلون النار التي هي النار لو علمتم **لهم فيها زفير** اي عظيم جدا **وشهيق** من زفر اذا
اخرج نفسه بعد مده اياه وشهق اذا تردد البكاء في صدره قاله في القاموس وقال ابن كثير في تفسير سورة الانبيا الزفير
خروج انفاسهم والشهيق الصوت الضعيف وعن الضحاك ومقاتل الزفير اول نهيق الحمار والشهيق اخره حين
يفرغ من صوته اذا رده في جوفه وسياتي كلام الرماني في ذلك **خالدين فيها** اي بلا انقطاع وعبر عنه بقوله
جريا على اساليب العرب **ما دامت السموات والارض** ولما كان له كل شي لا يتم منه كل شي وهو قادر على كل شي دل
على ذلك بقوله **الا ما شا** اي مدة شاها فانه لا يجب لهم بذلك منها فلا يدخلونها ولما كان الحال في هذه السورة مقتضيا
كما تقدم للتسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما اضمر به في قوله سبحانه في قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الاية من ضيق
صدره ولذلك اتى بهذه القصص كاملة بيان ذلك عبر باسم الرب اشارة الى انه يحسن اليه بكمال السرور قلبه وبشرح صدره
فقال **ربك** وقد جرى الناس في هذا الاستثنا على ظاهره ثم اطالوا الاختلاف في تعيين المدة المستثناة والذي ظهر لي

واسد اعلم انه لما تكرر الجزم بالخلود في الدارين وان الشرك لا يغفر ولا يمان موجب للجنة فكان ربما ظن انه لا يمكن غير ذلك
كما ظنه المعتزلة لا سيما اذا تومل القطع في مثل قوله ان اسد لا يغفر ان يشرك به مع تقييد غيره بالمشية في قوله ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا جاهم هذا الاستثنا معلما ان الامر فيه الى اسد كغيره من الامور له ان يفعل في كلها ما يشا وان جزم القول فيه لكنه لا يقع غير ما اخبر به
وهذا الا نقول اسكن هذه الدار عمرك الا ما شا زيد وقد لا يشا زيد شيا فكان التعلق بدوام السموات والارض غير مراد
الظاهر كذلك الاستثنا لا يشا اسد قطع الخلود لاحد من الفريقين وسوقه هكذا ادل على القدرة واعظم في تقليد المنة
ثم رايت الامام ابا محمد البغوي قد ذكر معنى هذا اخر ما اورده في تفسيره من الاقوال في الاية وحكى نحوه عن الفرا ومثله بان
تقول واسد لاضربنك الا ان ارى وعزيمتك ان تضربه وعزاه الطحاوي في بيان المشكل الى اهل اللغة منهم الفرا ولما كان
تخليد الكفار من الحكم بالقسطين الفريقين كانه من اكبر نعيم المومنين الذين عادوهم في اسد كما تقدم التنبيه عليه اول
سورة يونس عليه السلام عند قوله ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط كان ربما توهم ان الاستثنا لو اخذ على ظاهره
لم يكن اخراجهم من النار حسنا فنفى هذا التوهم بقوله ان ربك اي المحسن اليك فعال لما يريد اي لا يجوز عليه البدا
بالرجوع عما اراد ولا المنع عن مراده ولا يتعذر عليه شي منه مع كثرة المرادات فلا اعتراض عليه ولا علة لا مره بل له ان
يخلد العاصين في الجنة ويخلد الطايعين في النار لكنه لا ثبت ذلك ليعتقد لكونه من صفة الكمال ثبت انه
لا يفعل ذلك سبحانه ولا يبدل القول لديه لان ذلك من صفات الكمال ايضا ان في ختم الاية بذلك ترجية لاهل
النار في اخراجهم منها زيادة في عذابهم ولما تم امر الاشقيا عطف عليه قسيمهم فقال واما الذين سعدوا
اي فازوا بمطالبهم وتيسرا موهم ففي الجنة اي التي صارت معلومة من الدين بالضرورة خالدين فيها دايما ابدا ما
دامت السموات والارض على ما جرت به عادة العرب في ارادة التابيد بلا اخر بمثل هذا الا ما شا ربك وادت
دليل على ما قلت في الاستثنا قوله عطا هو نصب على المصدر غير مجذوذ اي مقطوع ولا مكسور ولا مفصول
لعطا من الاعطية ولا ممزق ولا مستهان به لانهم لو انفكوا منه لنعيم حقيقة او معنى و لو لحظة لكان مقطوعا او منقوصا
وفي الختم بذلك من الجزم بالدوام وطمانينة لاهل الجنة زيادة في نعيمهم عكس ما كان لاهل النار قال ابو الحسن الرماني
والزفير ترديد النفس مع الصوت حتى تنتفخ الضلوع واصله الشدة من المزفور الخلق والزفر الحمل
على الظهر لشدته والزفر السيد لانه يطيق حمل الشدايد وزفرت النار اذا سمعت لها صوتا في شدة توقدها والشهيق
صوت فظيع يخرج من الجوف بمد النفس واصله الطول المفرط من قولهم جبل شاهق اي ممتنع طولا والخالد الكاين
في الشي ابدا والدايم الباقي ابدا ولهذا يوصف اسد تعالى بالدايم دون الخالد ولما اخبره تعالى بوقوع القضا
بتميز الناس في اليوم المشهود الى القسمين المذكورين على الحكم المشروح مرهبا ومرغبا كان ذلك كافيا في
الثبات على امره والمضي لانفاذ جميع ما ارسل به وان شق اعتمادا على النصرة في ذلك اليوم بحضرة تلك الجموع
فكان ذلك سببا للنهي عن التعلق بشي من الاشيا وان جل وقعه وتعاظم خطبه فقال تعالى فلا ولما كان ما تضمنه
هذا القسم امرا عظيما وخطبا جسيما اقتضى عظيم تشوف النفس وشديد شوقها لعلم ما سبب عنه فاقتضى ذلك
حذف النون من تكن ايجازا في الكلام للاسراع في الايقاف على المراد والابلاغ في نفي الكون على اعلى الوجوه فقال تك
اي بحالة من الاحوال في مرية والمرية الشك مع ظهور الدلالة للتهمة قاله الرماني مما يعبد هولاء اي لا تفعل فعل
من هو في مرية فان تضطرب من اجل ما يعبدون من الخبين على عبادتهم بجحد من ذلك اكل حين فتجتنب نفسك في ارادة
ردهم الى امتثال الاوامر في النزوع عن ذلك او بالكف عن مكاشفتهم لتخاطبهم بالانذار والطلب للاجابة متمرحا لقصد
رجا الازدجار كما مضى في قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الاية وذلك ان مادة مري باي ترتيب
كان تدور على الاضطراب وقد يلزمه الطرح والنصل رمى يرمي رميا والمرماه ظلف الشاة لانه يطرح والرمي
قطع من السحاب رقاق والريم البراح ما بريم مفعل كذا ما يزال والريم الدرج للاضطراب فيها والقبر لنبذه في
جانب من الارض وطرح الميت فيه وريم فلان بالمكان اقام به مجاوز الغير منفصلا عنه كانه رمى بنفسه فيه
وديمت السحابة اذا دامت فلم تقلع لان من شانها ذي القطر ومري الفرس مسحه للحلب والرم تمري السحاب
والمري العدة لتقذفها ما فيها والمرية الشك اي تزلزل الاعتقاد والمرية جلب الطعام ثم استانف تعالى خبرا
هو بمنزلة العلة لذلك فقال ما يعبدون اي يوقعون العبادة على وجه الاستمرار الا كما يعبد اباوهم ولما كانت
عبادتهم في قليل من الزمن الماضي ادخل الجار فقال من قبل اي انهم لم يفعلوا ذلك لشبهة اذا كشف عنها انزاح رجعوا بل
بمحض تقليد الابا مع استقصادهم لتلبسهم بالعبادة كانهم حاضرون لديهم بشاهدونهم مع العمى عن النظر في الدلايل والحجج
كما كان من قصصنا عليك اخبارهم من الامم في تقليد الابا سوا بسوا مع عظم شكيمتهم وشدة عصبيتهم لله بانب تكيف الاداب

بالا قادب نكيف الابا فاقم عليهم الحجة بالبلاغ بجميع ما امرك به كما تفعل من قصصنا عليك انباهم من اخوانك من الرسل
غير مختطرين البالة شيا مما قد يترتب عليه الى ان ينفد ما نريد من اوامرنا كما سبق في العلم فلا تستعجل فانا نذير الاسد
في سنو لشانهم وعلو شانك كما نريد وانا بما لنا من العظمة لموفوهم نصيبهم من الخير والشر من الاجال وغيرها وفا هو
ثابت ثبا تالا يفارق اصلا ولما كانت التوفيه قد تطلق على مجرد الاعطا وقد يكون ذلك على التقريب نفى هذا الاحتمال
بقوله غير منقوص والنصيب القسم المجعول لصاحبه كالحظ والمنقوص المنقدار الماخوذ جزء منه والنقص اخذ جزء من
المقدار ولما ذكر في هذه الاية اعراضهم عن الاتباع مع ما اتى به من المعجزات وانزل عليه من الكتاب سلاه باخيه موسى
عليهما السلام لان الحال اذا عم خف وابتدا ذكره بحرف التوقع لما دعا الى توقعه من قرب ذكره مع فرعون مع ذكر كتابه اول
السورة فقال تعالى ولقد اتينا اي بما لنا من العظمة موسى الكتاب اي التوراة الجامعة للخير ولما كان الضار والمسلي
نفس الاختلاف بنى للمفعول قوله فاختلف فيه فامن به قوم وكذب اخرون مع انه امام ورحمة وكتب سبحانه له فيه
من كل شي موعظة وتفصيلا لكل شي وكان عجيبا لاهل ذلك الزمان كما اختلف في كتابك مع اعجابه لاهل هذا الزمان وبيانه
للهدى كاتم بيان اشارة الى ان الخلق مهما خلاهم اسد وهواهم لا يكون الا مختصموا بالادلة القاطعة نا واعنته ولخلفوا انه
دينهم تلقفوه عن ابايهم تلقوه بالقبول فما ضلوا عنه وسمحوا فيه بالمهج وان كان منابذا للعقول فكان قوم موسى في اختلاف
في الكتاب كل قليل بابي فريق منهم بعض احكامه ويريدون نقض ابرامه كما سلف بيانه غير مرة عن نص التوراة وسفر يوشع
الى ان الامر هم الان الى ان صار والثلاث فرق ربانيين وقرايين وسامرة يضلل بعضهم بعضا ومع ذلك فلم يعاجلهم بالاهلاك
مع قدرته على ذلك كما نقل عن قبلهم من الامم لما سبق من حكمه بتاخيرهم الى الاجل المعدود وفصل بين هذا وبين قصة
موسى عليه السلام مع فرعون ليكون مع ما دعا اليه التقديم ما تقدم من الايات اوقع في التسلية وابلغ في التعزيه والتاسية
كما هو شان كل ما القي الى المحتاج شيا فشيا ولولا كلمة اي عظيمة لا يمكن تغييرها لانها من الكلام الازلي الملك الاعظم سبقت
من ربك اي المحسن اليك والمهم بارسالك رحمة للعالمين لقضي اي لوقع القضا بينهم اي بين من اختلف في كتاب
موسى عاجلا ولكن سبقت الكلمة ان القضا الكامل انما يكون يوم القيمة كما قال في سورة يونس عليه السلام فما اختلفوا
حتى جاءهم العلم الاية ولما كان الاختلاف قد يكون نفيا للكذب بين انه به فقال موكدا لان كل طايفة من اليهود تنكره
شكهم انه وفعلها فعل الشاك وانهم لفي شك اي عظيم محيط بهم منه اي من القضا او الكتاب مريب اي موقع
في الريب والتهمة والاضطراب مع ما راوا من الايات التي منها سماع كلام اسد ورويته ما كان يتجلى في جبل الطور من الجلال
ويتيد الهم في تيه الزمان من خوارق الاحوال وان كلا من المختلفين في حق من قوم موسى عليه السلام وغيرهم ممن هو الحق ومن هو
على الباطل وان عند نافع وابن كثير وابي بكر عن عاصم عاملة مع تخفيفها من الثقيلة في قراة غيرهم اعتبارا باصلها لما هي
في قراة ابن عباس عامر وحمزة وعاصم بالتشديد الجازمة حذف فعلها قال ابن الحاجب هو سايغ فصيح وفي قراة غيرهم
بالتخفيف مركبة من لام الابتدا وما الموكدة بنفي نقيض ما اثبته الكلام ليكون ثبوته مع نفي نقيضه على ابلغ وجه
ولما كان الشرطي حذف الفعل بعد لما الجازمة ان يكون مما يتوقع بوقوع فعل قبلها يدل عليه كان التقدير فنقض
بينهم وسيقضي هو مع ما اتى بعدها بلام القسم بقوله ليوفينهم ربك اي المحسن اليك باقامتك على المنهاج الاعدل
والفصل بين العباد اعمالهم لا يدع منها شيا لانه لا يخفى عليه منها شي انه بما يعملون قدم الظرف لتاكيد
الخبر خبير فان علمت ان شانك في امتك شان الرسل في اممهم وانه لا فرق لا بدمن الاختلاف في شان الرسول
والكتاب كما جرت بذلك السنة الالهية وان الجزا بالاعمال كلها لا بد منه فاستقم اي اوجد القوم لغاية جهدك
بسبب انك لا تكلف الانفسك وان الذي ارسلك لا يغفل عن شي ومن استقام استقيم له ولما كان من المقطوع
به ان الامر له صلى الله عليه وسلم من اله الامر كله بني للمفعول قوله كما امرت اي كما استقام اخوانك من الانبيا في جميع
الاصول والفروع سوا كان في نفسك او في تبليغ غيرك معتدلا لا بين الافراط والتفريط ولا يضيق صدرك من
استهزايهم وتعنتهم واقتراحهم الايات وارادتهم ان تترك بعض ما يوحى اليك من التشنيع عليهم والسب
لالهتهم بل صادعهم بالامر واترك اهواهم تجويد الامر كما نريد على حسب ما تعلم ولما كان الفاصل بين المعطوف
والمعطوف عليه مقوما مقام تاكيد الضمير المستتر عطف عليه قوله ومن اي وليستقم ايضا من تاب عن الكفر
مومنا معك على ما امروا تاركين القلق من استبطا كم للنصرة كما روى البخاري وابو داود والنساي عن
خباب بن الارت رضي الله عنه قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة
وقد لقينا من المشركين شدة فقلنا الا تدعوا الله لنا فقعد وهو محمر وجهه فقال كان الرجل فيمن كان قبلكم
يحفر له في الارض فيجعل فيه فيجا بالميشار فيوضع فوق راسه فيشق باثنين وما يصده ذلك عن دينه واسد ليتمن الله

هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم اية اشد ولا اشق من هذه الاية والاستقامة الاستمرار
جهة واحدة ولما كانت وسطا بين افراط وتفريط وكان التفريط لا يكاد يسلم منه الا الفرد النادر وهو في الاغلب
يورث انكسار النفس واحتقارها والخوف من الله وكان الافراط يورث اعجابا وربما افضى بالانسان الى ظن انه
شارع فينسلخ لذلك من الدين وكان الافراط من الدين طوى التفريط ونهى عن الافراط فقال ولا تطغوا اي تتجاوز
الحد فيما امرتم به او نهيتم عنه بالزيادة افراطا فان الله تعالى انما امركم ونهاكم لتهذيب نفوسكم لا لحاجته الى ذلك
ولن تطيقوا ان تقدروا الله حق قدره والدين متين ان يشاده احد الا غلبه فقد رضي منكم سبحانه ما لا تقتحا
في العمل مع حسن المقاصد ويجوز ان يكون المعنى ولا تبطركم النعمة فتخرجكم عن طريق الاستقامة يمنة او يسرة ولما
نهى عن الافراط وهو الزيادة تصريحا فافهم النهي عن التفريط وهو النقص عن المامور تلويحا من باب الاولى علل ذلك
موكدا تنزيلا لمن يفرط او يفرط منزلة المنكر فقال انه بما تعملون وقدم المظروف لما تقدم من تاكيد الايقاع بصير
ومادة طغى واويا ويائيا بكل ترتيب تدور على مجاوزة الحد مع العلو فالعطاما يستر به الشيء عاليا عليه ولا يكون
ساترا لجميعه الا اذا افضل عنه فيجاوزه وعطى الليل اذا اغشي وكل شيء ارتفع فهو غاط وطغى السيل ذا جا بما
كثر والبحر هاجت امواجه والطغيان مجاوزة الحد في العصيان والطاغية الغيط الطويل من الادم لان ماكان
لذلك وكانت ارضه طيبة كانت لاتزال ندي فيعلوا ما ينبت فيها ويخصب فيجاوز الحد في ذلك ومنه الغوطة
لموضع بالشام كثير الماء والشجر ولما نهى عن الافراط والتفريط على وجه عام وكان الحب في الله والبغض فيه اوثق
عرى الايمان اشار الى حده الذي هو من اوثق عرى الشيطان فقال ولا تركنوا اي شيئا من ركون وقال الى الذين ظلموا
اي وجد منهم الظلم ولم يقل الظالمين اي بالميل اليهم بان تثنوا قلوبكم نحوهم بالميل الى احوالهم ولو بالرضا بها والتشبه
بهم والتزيي بزيهم وحاصل الاية لا تظلموا بانفسكم ولا تستحسنوا فعال الظالمين وفسر الزمخشري الركون بالميل
اليسير وهو حسن من جهة المعنى لكني لم اره لغيره من اهل اللغة وقال الرماني وهو اقرب الركون السكون الى الشيء
بالمحبة والانصباب اليه ونقيضه النفور عنه وهو على التفسير الثاني في تطغوا من عطف الخاص على العام ولاية
ملتفتة الى قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك فتمسكم النار اي فيتسبب عن ركونكم اليهم مسها لكم فلا
تقدروا على التخلص منها بنوع حيلة من انفسكم من اجلال النبي صلى الله عليه وسلم افراده بالخطاب في الامر
بافعال الخير والاتيان بضمير الجمع في النهي عن افعال الشر نبه على ذلك الامام ابو حيان ولما كان كل موجود سوى
الله في قهره ويختار وقال تعالى وما لكم ولما كان دون رتبته تعالى من الرتب والذوات ما لا يحصيه غيره
سبحانه ادخل الجار تبعيضا فقال من دون الله اي الملك الاعظم واغرق في النفي فقال من اولياء اي يخلصونكم من عذابه
لما تقرر ان دون من الادون وهو الاقرب الى جهة السفل والولي المختص بان من شانه تولي المعونة عند الحاجة واشار
الى ان نصرهم لا نافع لهم من الله محال باداة البعد وبنا الفعل للمفعول فقال ثم لا تنصرون اي ثم اذا اتاكم هذا
وذلك في غاية البعد لكم من النصرة ولما كان العلم حاصلا بما سبق من الحكم من ان الادمي محل العجز والتقصير تبع ذلك
بما يكفر ما يوجبه العجز ويقتضيه الفتور وهو من الصغاير واعمه واجليه للاستقامة وذلك بعد تلك ان دلت على انما
بعد الايمان افضل العبادات فقال تعالى واقم الصلاة اي قمها على استواء طرفي النهار بالصبح والعصر كما كان مفروضا
بمكة في اول الامر قبل الاسراء ويمكن ان يراد مع ذلك الظهر لانها من الطرف الثاني وزلفا اي طوائف ودرجات
واوقات جمع زلفة من الليل يمكن ان يراد به التهجد فقد كان مفروضا في اول الاسلام ويمكن ان يراد المغرب والعشا
مع الوتر والتهجد ثم علل ذلك بقوله ان الحسنات يذهبن اي الطاعات كلها الصلاة وغيرها المبنية على اساس
الايمان السيئات اي الصغاير واما الكبائر التي يعبر عنها بالفواحش ونحوه فقد تقدم في قصة شعيب عليه السلام
عند قوله ثم توبوا اليه انه لا يكفرها الا التوبة لما فيها من الاسعاد بالتها ون بالدين واجتنابها لا يكفر الا اذا كان
عن نية صالحة كما افهمه صيغة الافتعال من قوله ان تجتنبوا وروى البخاري في التفسير عن ابن مسعود رضي الله
ان رجلا اصاب من امراة قبلة فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فانزل الله عليه اقم الصلاة طرفي النهار
الاية قال الرجل الي هذه قال لمن عمل بها من امتي وهذا الحديث يويد قول ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية
من هذه السورة المكية مدنية ولما تم هذا على هذا الوجه الاعلى والترتيب الاولى قال تعالى مادحا له ليوقف مقداره
فيلزم ذلك اي الامر العالي الرتبة الذي تقدم من الترغيب والترهيب والتسلية وتعليم الداء والدواء والخلاص من الشقا
ذكرى اي ذكر عظيم للذاكرين اي لمن فيهم اهلية الذكر والانتباه به بحضور القلب وصفا الفكر ونفوذ الفهم ولما كان الصبر

الصبر لله على المكاره اعلى الطاعة اتبع ذلك قوله واصبر اي ليكن منك صبر على الطاعات وعن المعاصي ولا تترك انذارهم
بما امرت به كما كان ولا تخفهم فان العاقبة لك اذا فعلت ولما كان مقام الصبر صعبا والاستقامة على المحمود منه
خاصة خطرا وكانت النفس لما لها من الجزع في كثير من الاحوال كالمنكر لذلك اكد قوله فان اي اصبر فهو الاحسان كل
الاحسان وان الله اي المحيط بصفات الكمال لا يضيع اي بوجه من الوجوه اجر المحسنين اي العريقين في وصف الاحسان
بحيث انهم ليعبدون الله كانهم يرونه فلذلك لا يهون عليهم الصبر وذلك لان الطاعة كلفة فلا تكون الا بالصبر وكل ما
عداها فهو هوى النفس لا صبر فيه فالدين كله صبر حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات وكذا افضل ثواب الصابر
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصبر المحمود حبس النفس عن الخروج الى ما لا يجوز من ترك الحق ونقيضه
الجزع قال الشاعر ان تصبر فالصبر خير مغبة وان تجزع فالامر ما تريان وهو من الصبر الذي هو المر
المعروف لانه تجرع مرارة الحق بحبس النفس عن الخروج الى المشتهى مع الزاجر المعتبر من الشرع والعقل فهو
اكره شيء الى النفس والمعين عليه مع استشعار الامر الحق من العز والاجر بالطاعة والعلم بما يعقب من الخير في
كل وجه وعادة النفس له وقد غلب الملائكة على الحق حتى لا يجوز الملائكة الا انه قاله الرماني ولما كان ما تقدم كله مشيرا
الى استبعاد ايمان المعاندين بني من تقديما وكما يكاد القصص تنطق به وكذا الاعلام بان عبادتهم انما هي للتقليد
وباختلاف قوم موسى في كتابه الذي هو هدى ورحمة وكل ذلك قاطع عن طلب ما قد يلجى في الخاطر من تمني اجابتهم الى ما يقترحون
او الكف عن بعض ما يغيظهم من الانذار وكان من طبع البشر البعد عن الانتهاء عن الخواطر الا بعد التجربة كان ذلك ربما
اوجب لمن يقال لو اجيبوا الى سؤلهم لربما رجعوا عن كثير مما هم فيه فدعاهم ذلك الى الرشاد فتسبب عنه ان يقال
دفعا له ويجوز ان يكون مناسبتها انه لما ذكر اهلاك القرون الماضية والامم السالفة بما معنى الى
ان ختم بالامر بالصبر على الاحسان من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كان من الجائز ان يقع في فكر الاعتراض
بان يقال ما الموجب لذلك فبين ان سبب الهلاك الاعراض عن كف سفهائهم عن الحرمات والتجري على هتك
الاستار الجليلة والرتع في الحمى مع تمكنهم بما اودع فيهم سبحانه من القوى والقدر عن اجتناب جانب الخير والاعراض
عن جانب الشر فقال تعالى فلولا بصيغة تحتمل التحضيض وفيها معنى التعجب والتاسف كان على مثل حالهم
من القرون اي المهلكين الاشد الكائنين في زمان ما ولما كان المراد القرون التي تقدم ذكر اهلاكها وكانت ازمنتهم
بعض الزمان الماضي اتي بالجار فقال من قبلكم اولوا اي اصحاب بقية اي حفظ وخير ومراقبة لما يصلحهم لان مادة
بقي تدور على الجمع وتلزمه القوة والثبات والحفظ من قولهم ابقه بقوتك مالك وزن ادعه اي احفظه حفظك
مالك ويلزمه النظر والمراقبة بقيت الشيء اذا انظرت اليه ورصدته ويلزمه الثبات بقاء بقاء اذا دام والخير
والجودة قال الزمخشري كان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله ويقال فلان من بقية قومه اي من خيارهم
وسياتي شرح ذلك مستوفى عند قوله تعالى وجعلنا بينهم موبقا ان شاء الله تعالى ينهون اي يجددون النهي
في كل حين اشارة الى كثرة المفسدين الكائنين عن الفساد ولولا هنا كالتي في يونس توبيخية او استفهامية كما جوزها
الرماني ويجوز ان تكون تحضيضية كما قال الزمخشري ويكون التحضيض للسامع لا للمهلكين لان الاية لما تضمنت اهلاك
المصرين على الفساد كان نحو ذلك اقوى حث لغيرهم على الامر والنهي او في تهديد اجر عن ارتكاب مثل حالهم
الموقع في اضعاف نكالهم وفي تعقيب هذه الاية لاية الصبر اشارة الى ان الصبر على الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر في الذروة العليا والاية ناظرة الى قوله تعالى انما انت نذير ولما كانت المعاني الثلاثة متضمنة للنفي
كان المعنى لم يكن من يفعل ذلك فاتصل الاستثناء في قوله الا قليلا اي صالحين ممن انجينا منهم والظاهر ان من بيانية
اي هم الذين انجينا فانهم نهوا عن الفساد وعبر بالانجا لانه الدال على الخير الحامل للنهي عن الفساد دون التنجية
الدالة على التدريج والابلاغ في الانجا فلو عبر بها انسد المعنى لاكثرهم واتبع الذين ظلموا اي اوقعوا الظلم بترك النهي عن
الفساد وما احسن اطلاقه على المتعبد منهم ما ولما كان المبطر لهم نفس الترف بني للمفعول قوله ما اترفوا فيه
فابطرتهم النعمة حتى طغوا وتجبروا وكانوا مجرمين اي متصفين على سبيل الرسوخ بالاجرام وهو قطع حبل الله على الدوام
فاهلكهم ربك لاجرامهم ولولا ذلك لما فعل فان اهلاكهم على تقدير الانفكاك عن الاجرام يكون ظلما على ما يتعارفونه
والملاح بما مضى ان العبرة في الاهلاك والانجا للاكثر قرره واكده وبينه بقوله وما كان ربك ذكر سبحانه بالوصف
المنبه للاحسان تثبيتا له وتاسينا ليهلك القرى اي اهلاكا عاما بظلم اي في حال ظلم واهلها مصلحون بان يوقع اهلاكهم
في حال اصلاحهم الذي هم عريقون فيه فيكون الاهلاك في غير موقعه على ما يتعارف العباد مع العلم بان له ان يفعل
ذلك في نفس الامر لانه لا يسئل عما يفعل والاهلاك ايجاب ما يبطل به الاحساس واهلاكه ضياع الشيء وهو حصوله

بحيث لا يبدي ابن هو والاصلاح اجاب ما يستعهم به الامر ولما كان مثل هذه الايات ربما اوهم ان ايمان مثل هولاء مما يدخل
تحت المشيئة نفى ذلك الوهم مبينا انفكاك المشيئة عن الامر بقوله ولو شاء ربك اى المحسن اليك بكل احسان بزيادة رفعتك
لجعل الناس اى كلهم امة واحدة على الاصلاح فهو قادر على ان يجعلهم كلهم مصلحين متفقين على الايمان فلا يهلكهم ولكنه لم يشأ ذلك
بل شاء اختلافهم لكونهم على اديان شتى ولا يزالون مختلفين اى الحسن اليك مالتالفين فيجعلهم من اهل طاعتك
فانهم لا يختلفون فى اصول الحق ولما كان ما تقدم ربما اوجب ان يقال لم لم يقتل بعقولهم الى الهوى وبعدهم
عن موجبات الردى اذا كان نادرا قال تعالى مجيبا عن ذلك ولذلك اى الاختلاف خلقهم اى اخترعهم واوجدهم
من العدم وقدرهم وذلك انه لما طبعهم سبحانه على طبايع من الخير والشر تقتضي الاختلاف لتفاوتهم فيها جعلهم
كانهم خلقوا له بحر وابع القضا والقدر ولم يمكنهم الجرى على ما تدعوا اليه العقول من ان الاتفاق رحمة والاختلاف
نقمة فاستحق فريق منهم النار وفريق الجنة وليس ذلك مخالفا لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
بل هو من شكله اى انه تعالى الجاركهم على العجز ومنحهم العقول مع نصب الادلة كان ذلك مهيئا للعبادة فكانوا
كانهم ما خلقوا الا لها اى ما خلقتهم الا ليعرفون بنفوذ قضيتى وتصاريفى فيهم فيعبدون اى يخضعوا الى فمن كان
منهم طايعا فهو عابد حقيقة ومن كان عاصيا كان عابدا مجازا اى خاضعا للامر لنفوذه فيه وعجزه عن الامتناع
كما قال تعالى ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها الاية فتنال ان خلقهم للعبادة فقط لا ينافى خلقهم
للاختلاف لان جريهم فى قضايه بالاختلاف عبادة وسجود له وذلك ان ما فى عبد وسجد يقتدر وان على الخضوع
والذل والانقياد وبذلك كان الكل عبيدا لله والاشارة الى بحر الاتفاق والاختلاف ليظهر فضله على من
ثبتهم ويظهر عدله فيمن خذلهم ولما كان هذا الاختلاف سببا للكفر الذى ارسل رسله بالقتال عليه كان ربما ظن انه
لغير مشيئته فبين انه انما هو بارادته ولا اعتراض عليه فقال وتمت اى فبادروا الى ما خلقهم له معرضين عن اوامره ولم
تغن عنهم عقولهم وتمت حينئذ كلمة ربك اى المحسن اليك بعقر اعدائك التى سبقت فى الازل وهى وعزتى لاملان جهنم
اى التى تلقى المعذب فيها بالتجهم والعبوسة من الجنة اى قبيل الجن قدمهم لانهم اصل فى الشر ثم عم فقال والناس
اجمعين فمشوا على ما اراد ولم يمكنهم مع عقولهم الجيدة والاستعداد وقواهم الشداد غير ما الانقياد فى ان انه
خلق فعله اوله قدرة على شى فليفعل غير ذلك بان يخبر ما تقافهم ثم يفعله ليتم قوله والا فليعلم انه مربوب
مقهور ونبسع رسالات ربه وينتل اليه بقالبه وقلبه ولما اخبر سبحانه بما فعل بالقرى الظالمة وحذر كل من فعل
افعالهم بسطواته فى الدنيا والاخرة وامر باتباع امره والاعراض عن اختلافهم الذى حكم به واراده عطف
على قوله نقص عليك قوله وكلا نقص اى ونقص عليك كل نبأ اى خبر عظيم جدا من انباء الرسل مع اممهم صالحهم
وفاسدهم نعم تخبيرا للقص ولما كان الذى جر هذه القصص ما مضى من قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضايق به
صدرك الاية وكان ساكن الصدر القلب وهو الفواد الذى به يقوم قوام الانسان بل الحيوان وهو احر ما فيه ولذا
عبر عنه بما اشتق من الفواد وهو الحرق وكان من لازم الحرارة الاضطراب والتقلب الذى اشتق منه القلب تضييق
به الصدر ابدل من كلا قوله ما نثبت اى تثبيتا عظيما به فوادك اى فيسكن فى موضعه ويطمين ويزداد يقينه فلا
يضيق الصدر من قولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك ونحوه وبهذا تبين ان المراد بذلك العام خاص الخصوص
المقصود به وهو التسلية نظرا الى قوله تعالى وضايق به صدرك لان المشاركة فى الامور الصعبة تهون على الانسان
ما يلقى من الاذى والاعلام بعقوبات المكذبين فيها تانيس للمكروب والتثبيت تمكين اقامة الشى والفواد العضو
الذى من شانه ان يحمى بالغضب الحال فيه من المغتاظ وهو المشتوى ولما بين ان كل ما قصه عليه من اخبارهم
يستلزم هذا المقصود بين انه ليس كما يعلل به غالبا من الاخبار الفارغة الاحاديث المزخرفة الباطلة لا ما
ينقله المورخون مشوبا بالتحريف فقال وجاءك فى هذه اى الاخبار الحق اى الكامل فى الثبات الذى لا مرية
فيه وفايدة الظرف التاكيد لعظم المقصود من اية عظمته وصعوبته ولما كان الحق حقا بالنسبة الى كل احد
عرفه ونكر ما هو خاص بقوم دون قوم فقال وموعظة اى مرقق للقلوب وذكرى اى تذكير عظيم جدا للمؤمنين
اى الراسخين فى الايمان وقد تضمنت الاية الاعتبار من قصص الرسل بما فيها من حسن صبرهم على اممهم واجتهادهم
على دعائهم الى عبادة الله بالحق وتذكير الخير والشر وما يدعوا اليه كل منهما من عاقبة النفع والضر والتثبت على ذلك
جميعه اقتداء بهم ولما ذكر نفع هذا الحق كان كانه قيل فما لهم لا ينفعهم ذلك وذكرهم به فعطف عليه قوله وقل ويجوز ان
يكون معطوفا على قوله واصبر اى اصبر على ما امرنا لا يمر من تبليغ وحينا وامتثالهم وقل للذين اى لم تؤثر فيهم هذه
الموعظة فهم لا يؤمنون اى لا يتجدد منهم ايمان منذ الآن اعملوا متمكنين على مكانتكم اى طريقتكم التى تتمكنون من العمل عليها ولما

ولما كان العمل واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى كل من تبعه عاملون لا محالة سوا عمل الكفار او لا قال مؤكدا لاجل
انكار الكفار ان يدوموا على العمل المخالف لهم مع ما يصل اليهم لاجله من الضر معريا له عن فاء السبب لذلك ولانا
انا اى انا ومن معى عاملون اى ثابت عملنا لا يحول عنه لان ما كان به فهو دايم بدوامه سبحانه وحذف النون الثانية
اكتفا بمطلق التاكيد لانه كاف فى الاعلام بالجزم فى النية وفيه تادب بالاشارة الى ان المستقبل لا اطلاع
عليه لغير الله فينبغى ان لا يبلغ فى التاكد فيه غيره وهذا بخلاف ما فى سورة فصلت مما هو جار على لسن الكفرة
وانتظروا اى بنا انتم ستنتظرون له من فرينا انا منتظرون اى ما وعدنا الله فى امركم فان الله ممهلكم وسيجلى الاشيا
عالم بغيبه حالك وما لتهم وقادر عليكم والانتظار طلب الادراك لما ياتى من الامر الذى يتوقع والنظر اليه
والتوقع طلب ما يقدر انه يقع وهما يكونان فى الخير والشر ومع العلم والشك والترجى لا يكون الا فى الخير والشك
ولما تضمن هذا التهديد العلم والقدرة قال عاطفا على ما تقديره فلله كل ما شوهد من امرنا وامركم واسد
عالم الشهادة كله وما كان من ابتدا امورنا ولله اى المحيط وحده بكل شى مع ذلك غيب السموات والارض واليه
اى جميع ما غاب علمه عن العباد فهو تام العلم ومنه ما يرى عنه وان ظن الجهلة انه خارج عن قدرته اظهر
بما لا يرجع عنه ومن كراهية ولما كان السياق هنا لانه سبحانه خلق الخلق ذوا ثلم ومعاييهم للاختلاف
وكان تهديدهم على المعاصى ربما اوهم انه بغير ارادته فكان ربما قال جاهل انا نرى الحال بخلاف ذلك وكثيرا
جدا وعادة للخلق ان من خالفهم خارج عن امورهم كان الجواب على تقدير التسليم لهذا الامر الظاهرى فله كان
الامر كله ابتدا ظاهرا وباطنا واليه اى وحده يرجع بعد ان كان ظهر للجاهل انه خرج عنه والرجوع ذهاب
الشى الى حيث ابتدا منه الامر كله فى الحال على لبس وخفا وفى المال على ظهور وانكشاف وحاله تعوش كامل القدرة
كما هو شامل العلم فلا بد من ان يرجع اليه امرك وامر اعدائك اى يعمل فيه عمل من رجع اليه الامر فيجازى المحسن
باحسانه والمسى باساته ولذا لا يسبب عن اسناد الامور كلها اليه قوله فاعبده اى وحده عبادة لا شوب فيها وتوكل
متبرءا من امورك كلها عليه فانه القوى المتين وفى تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد
ولما كانت العادة جارية بان العالم قد يغفل نزه عن ذلك سبحانه نفسه فقال ترغيبا وترهيبا وما ربك اى
المحسن اليك بما يعمله من احاطة علمه احسانا واغرق فى النفى فقال بغافل عما يعملون ولا تهديد ابلغ من
العلم وهذا بعينه مضمون قوله تعالى كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ان لا تعبدوا الا الله اننى
لكم منه نذير وبشير ۞ سورة يوسف عليه السلام ۞ مقصودها وصف الكتاب بالابانة لكل ما يوجب
الهدى لما ثبت فيما مضى وياتى فى هذه السورة من تمام علم منزله غيبا وشهادة وشمول قدرته قولا وفعلا وهذه
القصة كما ترى انسب الاشيا لهذا المقصود ادل عليه مما فى اخرها فلذلك سميت سورة يوسف والله اعلم بسم الله
الذى وسع كل شى قدرة وعلما الرحمن الذى لم يدع لبسا لمؤمن رحمته فى طريق الهدى الرحيم الذى خص حزبه
بالابعاد عن موطن الردى لما ختم سبحانه تلك بما طلعا به من القصص الايات القاطعة بان القران من عنده
وباذنه نزل وانه لا يوسر للامر شا ايمانه وانه يهدى من شاء كان وبين عظيم قدرته على مثل ما عذب به الامم
وعلى التاليف بين من اراد وايقاع الخلاف بين من شا واشار الى انه حكيم بالنصح لعابديه بلذة بدان يكون
ما ادا دلانه اليه يرجع الامر كله تلاها بهذه السورة لبيان هذه الاغراض بهذه القصة العظيمة الطويلة التى لقى
فيها يوسف عليه السلام ما لقى من اقرب الناس اليه ومن غيرهم ومن الغربة وشتات الشمل ثم كانت له العاقبة
فيها تم الوجوه لما تدعو اليه من الصبر على شديد البلا والتفويض لامر الله جل وعلا تسلية لهذا النبى الامين
وتاسية بمن مضى من اخوانه المرسلين فيما يلقى خصيصا انه من اقاربه الكافرين وبعد وفاته ممن دخل منهم فى الدين
فى البيته كما وقع ليوسف عليه السلام من تعذيب بعقبيه وعتب اخوته ثم بالغ فى الاحسان اليهم وقد وقع ليوسف
عليه السلام بالفعل ما هم الكفار من اقارب النبى صلى الله عليه وسلم بفعله به كما حكاه سبحانه فى قوله ليثبتوك او
يقتلوك او يخرجوك فنجاه منهم ان يكون شى منه بايديهم الا ما كان من الخروج شعب ابى طالب ومن الهجرة بامر
الحكيم العليم ثم نصر الله يوسف عليه السلام على اخوته الذين تغلوا به ذلك وملكه قيادهم فكان من سوق قصته عقب
الاخبار بان المراد بهذه القصص تثبيته صلى الله عليه وسلم وتسلية فواده اشارة الى البشارة بما وقع له صلى الله
عليه وسلم يوم الفتح من ملك قيادهم ودخولهم فى دينه عليهم والاحسان اليهم وفى اشارة لطيفة ببشارة بان الحسود يهلك
ويعلى ان عمل ما هو الاحرى به والاولى ومن فوايد ذكرها التنبيه على ان الحسد داء عظيم شديد التمكن فى النفوس
حتى انه يعظم تمكنه وكثرة مكابده ونعقد كما ينه ربما غلب اهل الصلاح الاخيار بادرهم بالتوبة داعى الفلاح وتركت

اعادتها دون غيرها من القصص صونا للاكابر عن ذكرها بما اوجب اعتقاد نقص او توجيه طعن او غمض او هون
دا الحسد عنده ذوى نفوذ و لدد و ظلالها سبحانه ببليغ الحكم وختمها بما انتجت من ثبوت امر القران ونفى التهمة عن هذا
النبى العظيم هذا مناسبة ما بين السورتين واما مناسبة الاول للاخر فانه تعالى لما اخبر فى اخر تلك بتمام علمه وشمول
قدرته دل على ذلك لاهل السبق فى الفصاحة والعرق فى البلاغة فى اول هذه بما فعل فى كلامه من انه تعالى يقدر على
ان ياتى بما اذهب الافهام والعقول على كر الازمان وتعاقب الدهور وتوالى الاعصار وتمادى الليالى فى معناه كل مذهب
ونطى كل سطاء مع توافر الدواعى واجتماع القوى ولا تقف من ذلك الا على امر محقق وامر ادمعلوم على ان ياتى بما فيه من اوايل
النظر ادانى معناه فما نوثق بانه مراده ثم لا يزال يبرز منه من دقايق المعانى كلما كرر التامل وتغلغل الفهم الى ان يعلم
انه معجز عن كل ما فيه من جليل معانيه ولطيف مبانيه فقال تعالى الر قال الرمانى لم تعد من الفواصل لانها الا تشاكل
رؤس الاى لانها على حرفين فاجريت مجرى الاسما الناقصة وانما يوخذ بالفواصل التمام والماطة فيها لانها تشبه دون
ايها انتهى وهذا قول من ذهب بها الى السجع مقصود فى القران وهو قول مرذول غير معتد به كما مضى القول فيه فى
اخر سورة براءة فانه لا فرق بين نسبته الى انه شعر وبين نسبته الى انه سجع لان السجع صنع الكهان فيود ى ذلك
الى ادعا انه كهانة وذلك كفر لا شك فيه وقد اطنبت فيه فى كتاب مصاعد النظر وبينت مذاهب العادين للايات
وان مرجعها التوقيف مثل نقل القراات سوا واسرار البادى ولما ابتديت السورة الماضية بان هذا الكتاب محكم
وختمت بالحكمة المقصودة من قص انبا الرسل وكان السياق للرد عليهم فى تكذيبهم به فى قولهم يقولون افتراه ودل
على انه انزل بعلمه ابتديت هذه لا تام تلك الدلالة لما بالاشارة الى ماله من علو المحل وبعد الرتبة فعقب سبحانه هذه المشكلة
التى افتتحها بالاحرف المقطعة وبان الخاص اشكالها عند التامل واضحة بقوله مشيرا الى ما تقدم من القران او الى
هذه السورة تلك اى الايات المعظمة العالية ايات الكتاب اى الجامع لجميع المرادات ولما تقدم اول سورة يونس
وهود وصفه باحكمه والاحكام والتفصيل وصف هنا باخص من ذلك فقال تعالى المبين اى البين فى نفسه انه جامع معجز لا
يشتبه على العرب بوجه والموضح لجميع ما حوى وهو جميع المرادات لمن امعن التدبر وادام التفكر ولانه من عند الله ما كان
حديثا يفترى ولكنه موعظة وذكرى للمؤمنين والبيان اظهار المعنى للنفس بما يفصله عن غيره وهو غرض كل
كل حكيم فى كلامه ويزيد عليه البرهان بانه اظهار صحة المعنى بما يشهد به وابان لا دم متعد بم على المبين بقوله
معبرا لما ترك الانزال لانه فى سياق تكذيبهم به بخلاف ما عبر فيه بالجعل كما يانى فى الزخرف انا انزلناه بنون العظمة اى الكتاب
المشير بهذه السورة او بالقران كله قرانا سمى بعضه بذلك لان القران اسم جنس يقع على الكل والبعض عربيا وعلل انزاله
لذلك بقوله لعلكم تعقلون اى لتكونوا على رجاء من ان تكونوا من ذوى العقل او من ان تعقلوا ما يراد منكم قال ابو حيان
ولعل ترجى فيه معنى التعليل وهذه الاية تدل على ان اللسان العربى افصح الالسنة واوسعها واقواها دا على المعانى لان
المنزل القول وان خص خطابه قوما يكون عاما لمن سواهم ولما بين انه يقص عليه من انبا الرسل ما يثبت به فواده قال
مثبتا وسليا الايات الكتاب بعلة اخرى مشاهدة هى اخص من الاولى نحن نقص عليك وعظم هذه القصة بمظهر العظمة
واكد ذلك بقوله احسن القصص اى الاقتصاص والمقصوص لان تتبع بعض الحديث كما نعله بعضنا فنبينه احسن البيان
لانه من قص لاثر تثبيتا لفوادك وتصديقا لنبوتك وتاييدا لرسالتك على احسن ترتيب واحكم نظام واكرم اسلوب
واوفى تحرير وابدع طريقة مع ما تفصلها به من جواهر الحكم وبدايع المعانى من الاصول والفروع وهى قصة يوسف
عليه السلام قصة طويلة هى فى التوراة فى نيف وعشرين ورقة لا يضبطها الا حذاق احبارهم من تامل اقتصاصها
فيها او فى غيرها من تواريخهم فاق معنى قوله تعالى احسن القصص حتى لقد اسلم قوم من اليهود لما راوا من حسن
اقتصاصها روى البيهقى فى اواخر الدلايل بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما ان حبرا من اليهود دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم وكان قاريا للتوراة فوافقه وهو يقرا سورة يوسف كما انزلت على موسى فى التوراة فقال يا محمد من علمكها قال الله علمنيها فرجع الى اليهود فقال
لهم اتعلمون والله ان محمدا ليقرا القران كما انزل فى التوراة فانطلق بنفر منهم حتى دخلوا عليه فعرفوه بالصفة ونظروا
الى خاتم النبوة بين كتفيه فجعلوا يستمعون الى قراءته لسورة يوسف فتعجبوا منه وقالوا يا محمد من علمكها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنيها الله فاسلم القوم عند ذلك وقد ضمنها سبحانه من النكت والعبر والحكم امرا
عظيما وذكر فيها حسن مجاورة يوسف عليه السلام لاخوته وصبره على اذاهم وحلمه عنهم واغضاه عند لقياهم عن تبكيتهم
وكرمه فى العفو والانبيا والصالحين والملايكة والشياطين والانس والجن والانعام والطير وسير الملوك والممالك
والتجار والعلما والجهال والرجال والنسا ومكرهن والتوحيد والنبوة والاعجاز والتعبير والسياسة والمعاشرة
وتدبير المعاش وجميع الفوايد التى تصلح للدين والدنيا وذكر الحبيب والمحبوب ولم يدخل فيها شيا من غيرها دون ساير القصص

القصص وكان عقباها الى خير سلامة واجتماع شمل وعفو من الله وتجاوز عن الكل بما اوحينا اى بسبب ايحاينا اليك
ولما كان سبب انزال القران جمع الخيرات عين المراد بالاشارة والاسم العلم فقال هذا القران الزيا لوانيه انه متى
نقص تتابع فيه النقل لقصة بعد قصة من الحكم حكمة فى اثر حكمة حتى لا يشك شاك ولا يمترى ممتر فى انه من عندنا وباذننا
ويكون امره فى البعد من اللبس اظهر من الشمس ولما كانوا مع معرفتهم به صلى الله عليه وسلم عارفين بانه كان بعيدا عن العلم
والعلما وكان فعلهم فى التكذيب فعل من ينكر ذلك لا منقاد قال وان اى وان الشان والحديث كنت ولما كان كونه لم يستغرق
الزمان الماضى اثبت الجار فقال من قبله اى هذا الكتاب وايحاينا اليك به لمن الغافلين اى عن هذه القصة وغيرها
موكدا له بانواع التاكيد ونحوه ناظر الى قوله اخرها وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون لعد النفاة عن كتب
الى اخره التى نبلها الجيل زيادة عقل بكل ترتيب يلوح على الستر والحجب من الغافل المطلب المتصف به الشى فلا ينظر
منه ومنه بعل عقل لا حسب عنده لان ذلك اقرب الى حمله والتفعل ثا بعد الحكمة والتفصيل بالابانة عن جميع المقاصد
المنزل لها قال الامام ابو جعفر ابن الزبير هذه السورة من جملة ما قص عليه صلى الله عليه وسلم من انبا الرسل واخبار
من تقدمه مما فيه التثبيت الممنوح فى قوله سبحانه وكلا نقص عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك وما وقعت الاحالة
عليه فى سورة الانعام كما تقدم وانما افردت القصص لاى كان تلك تقص على صدقها ولم تنسق على قصص الرسل
مع اممهم فى سورة واحدة لمفارقة مضمونها تلك القصص الا ترى ان تلك قصص ارسال من تقدم ذكرهم عليهم السلام
وكيفية تلقى قومهم لهم واهلاك مكذبيهم اما هذه القصة فحاصلها نوع ابتلاء وتعريف بحسن عاقبة الصبر فانه
تعالى امتحن يعقوب عليه السلام بفقد ابنيه وبصره وشتات بنيه وامتحن يوسف عليه السلام بالجب والخبت
والبيع وامراة العزيز وفقد الاب والاخوة والسجن ثم امتحن جميعهم بشمول الضر وفهولهم تلك ذات الية
مسنا واهلنا الضر وجينا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل ثم تدارك الله بالفرج وجمع شملهم وذو بعد ابيهم
واستيلاف قلوبكم ودفع ما نزغ به الشيطان وخلاص يوسف عليه السلام من كيد من كاده واكتنافه بالعصمة
وبرانه عند الملك والنسوة وكل ذلك ثمرة الصبر وعقبه جميل الصبر وملازمة التقى وحسن تلقى الاقدار بالتفويض
والتسليم على توالى الامتحان وطول المدة ثم انجر فى اثناء هذا القصة الجليلة انابة امراة العزيز ورجوعها
الى الحق وشهادتها ليوسف عليه السلام بما منحه الله من النزاهة عن كل ما تشين واستخلاص العزيز ابانة الى ما
انجر فى هذه القصة الجليلة من العجايب والعبر لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب فقد انفردت هذه
القصة بنفسها ولم تناسب ما ذكر من قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام وما جرى لاممهم
فلهذا فصلت عنهم وقد اشار فى سورة براسها الى عاقبة من صبر ورضى وسلم ليعتنبه الى المومنون على ما
فى طى ذلك وقد صرح بهم بما اجملته هذه السورة فى هذه السورة من الاشارة فى قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم فى الارض الى قوله امنا وكانت قصة يوسف عليه السلام بجملتها اشبه شى بحال المومنين
فى مكابدتهم فى اول الاسلام وهجرتهم وتشتيتهم مع قومهم وقلة ذات ايديهم الى ان جمع الله شملهم اذكروا نعمة الله عليكم
اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا واورثكم الارض وايدهم ونصرهم ذلك بجليل ما ذهبهم
وعظيم صبرهم فهذا اما اوجب تجرد هذه القصة عن تلك القصص والله اعلم واما تاخر ذكرها عنها فمناسب
لحالها لانها اخبار بعاقبة من امن واتقى وتخلص عند ما حل له فلم يقره ما كان ولم يذكر اثر قصص الاعراف
لما بقى من استيفا تلك القصص الحاصل ذلك فى سورة هود ثم ان ذكر احوال المومنين مع من كان معهم من الكفار
وصبرهم عليهم مما يوجبان يتقدم ويعقب بهذه القصة من حيث عاقبة الصبر والحض عليه كما ورد فاخر
المعقب سورة هود عليه السلام بمجموع هذا والله تعالى اعلم ثم نابت سورة يوسف ايضا ان تذكر اثر قوله
تعالى ان الحسنات يذهبن السيات وقوله واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله ولو شا ربك لجعل
الناس امة واحدة الاية وقوله وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون
فتدبر ذلك اما نسبتها الاولى فان ندم اخوة يوسف واعتذارهم بخطاهم وفضل يوسف عليهم لقد اثرك
الله علينا وان كنا لخاطئين وعفوه عنهم لا تثريب عليكم اليوم وندم امراة العزيز وقولها الان حصحص الحق
الاية كل هذا من باب اذهاب الحسنة السيئة وكان ذلك الزنتا لما عرف المومنون من اذهاب الحسنة السيئة
واما نسبة السورة لقوله تعالى واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين فان هذا امر منه سبحانه لنبيه عليه السلام
بالصبر على قومه فاتبع بحال يعقوب ويوسف عليهما السلام وما كان من صبرهما مع طول المدة وتوالى المحن
يوسف عليه السلام بالجب ومفارقة الاب والسجن حتى خلصه الله اجل خلاص بعد طول تلك المشقات الا ترى قوله

فقيتين

الاترى قول نبينا وقد ذكر يوسف عليه السلام فسبحان الله جلاله الحال وعظم الصبر فقال ولو لبثت في السجن ما لبث اخي يوسف لاجبت الداعي فتأمل عذره له عليهما السلام وشهادته بعظيم قدر يوسف وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك لما قيل له عليه السلام واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين اتبع بحال يعقوب ويوسف من المحسنين ووهبنا له اسحق ويعقوب الى قوله وكذلك نجزي المحسنين وشملت الاية ذكر يعقوب ويوسف عليهما السلام ونبينا عليه الصلاة والسلام فقد امرنا بالاقتداء في الصبر كلهم وقيل له فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ويوسف عليه السلام من اولي العزم ثم ان حال يوسف ويعقوب عليهما السلام في صبرهما وحسن عاقبة الصبر في الدنيا مع ما اعد الله لهما من عظيم الثواب انسب شيء بنبينا عليه الصلاة والسلام في مكابدة قريش ومفارقة وطنه ثم تعقب ذلك بظفره بعدوه واظهار دينه واعزاز دينه واظهار كلمته ورجوعه الى بلده على حالة قرت بها عيون المؤمنين وما فتح الله عليه وعلى اصحابه تسلية له ويوضح ما ذكرناه ختم السورة بقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا الاية فتأمل هذا كله الامر بالصبر وحسن عاقبته وليأمن منه وامثاله التشبيه لقوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين فلا انسب لهذا ولا اعجب من حال اخوة يوسف الالباب واحدة من انبياء الله وصالحي عباده جرى بينهم من التشتت ما جعله الله عبرة لاولي الالباب واما التشبيه لاية التهديد فبينه وكان الكلام في قوة اعملوا على مكانتكم وانتظروا فلن نصبر عليكم مدة صبر يعقوب ويوسف عليهما السلام فقد وضح بفضل الله وجه ورود هذه السورة عقب سورة هود والله اعلم انتهى ثم شرع تعالى من التعليل الموصوف بالمبين بدلا من قوله احسن القصص قوله اذ اي نقص عليك وخبراه اي خبر يوسف اذ قال يوسف اي ابن يعقوب اسرائيل الله عليهما السلام لابيه وبين ادبه بقوله مشيرا باداة البعد الى ان اباه عالي المنزلة جدا والى ان الكلام الاتي مما له وقع عظيم فينبغي ان يهتم بسماعه والجواب عنه وغير ذلك من امره يا ابت تاؤه للتأنيث لانه يوقف عليها عند بعض القراء بالهاء وكثرتها عند من كسر دالة على ياء الاضافة التي عوض عنها تاء التأنيث واجتماع الكسرة منها لاجتماعهما مع التاء وفتحها عند من فتح عوض عن الالف القائمة مقام ياء الاضافة ولما كان صغيرا وكان المنام عظيما حفظها اقتضى المقام التأكيد فقال اني رأيت اي في مناي فهو من الرؤيا التي هي رؤية في المنام يرى بين حال النوم واليقظة في ذلك بالف التأنيث احد عشر كوكبا اي نجما كبيرا ظاهرا مضيئا برا قادني عدم تكرار هذه القصة في القرآن رد على من قال كررت قصص الانبياء عليهم السلام تمكينا لفصاحتها بترادف السياق دون تكرير قصصهم رد على من قال ان هذه لم تكرر ليلا تعتري فصاحتها فكان عدم تكريرها لان مقاصد السور لم تقتض ذلك والله اعلم ولما كان للنيرين اسمان يخصانهما في غاية الشهرة قال معظما لهما والشمس والقمر ولما تشوفت النفس الى الحالة التي رآهم عليها فكان كانه قيل على اي حالة وكانت الرؤية باطن البصر الذي هو باطن النظر فكان التعبير بها للاشارة الى المراد هذا الاتي نادت الاشارة الى ذلك باعادة الفعل والحقه ضمير العقلاء لتكون دلالته على كل من عجيب الرؤيا ومن نقل المرئي الذي لا يعقل فعل العقلاء من وجهين فقيل رايتهم لي اي خاصة ساجدين فكانه قيل فماذا قال له ابوه فقيل قال عالما بان اخوته سيحسدونه على ما دل عليه هذه الرؤيا ان سمعوها يا بني فبين شفقته عليه وكد النهي باظهار الادغام فقال لا تقصص رؤياك اي هذه على اخوتك ثم سبب عن النهي قوله فيكيدوا اي فيوقعوا لك كيدا اي يحتالوا فاللام للاختصاص وفي الاية دليل على انه لا نهي عن الغيبة للنصيحة بل هي مما يندب اليه قال الرماني والرؤيا تصور المعنى في المنام على توهم الابصار وذلك ان العقل مغمور بالنوم فاذا تصور الانسان المعنى توهم انه يراه وقال الامام الرازي في اللوامع هي ركود الحواس الظاهرة عن الادراك والاحساس وحركة المشاعر الباطنة الى الادراك فان النفس الانسانية حواس ظاهرة ومشاعر باطنة فاذا سكنت الحواس الظاهرة استعملت الحواس الباطنة في ادراك الامور الغائبة فربما تدركها على الصورة التي هي عليها فلا تحتاج الى تعبير وربما تراها في صورة محاكية مناسبة لها فيحتاج الى التعبير مثال الاول رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم انه دخل المسجد الحرام والثاني كرؤيا يوسف عليه السلام هذه وقال الرماني الرؤيا الصادقة لها تأويل والرؤيا الكاذبة لا تأويل لها انتهى وهذا الكمن بنام قلبه ومن سوى الانبياء عليهم السلام ولما كانت العادة جارية بان شفقة الاخوة تمنع من مثل ذلك علله تقريبا له بقوله ان الشيطان اي المحترق والمبعد للانسان اي عامة لاسيما الاخوة منهم عدو مبين اي واضح العداوة وموضحها لكل واع فيوقع العداوة بما يخيل من فوت الحظوظ بتركها وفي الاية دليل على ان امر الرؤيا مشكل فلا ينبغي الا ان تقص الا على شفيق ناصح عالم بتعبير عليه السلام من هذه الرؤيا ما سيصير اليه ولده من النبوة والملك قال وكذلك اي كما اجتباك ربك للاطلاع على هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز ومثل اجتبائك لها يجتبيك ربك اي يختارك ويجمع لك

معالي الامور ربك المربي لك بالاحسان للملك والنبوة ويعلمك من اي بعض تأويل الاحاديث من الرؤيا وغيرها من كتب الله وسنن الانبياء وغوامض ما تدل عليه المخلوقات الروحانية والجسمانية لان الملك والنبوة لا يقومان الا بالعلم والتأويل المنتهى الذي يصير اليه المعنى وذلك فقه الحديث الذي هو حكمه لانه اظهار ما يؤول اليه امره بما عليه معتمد فائدته واكثر استعماله في الرؤيا ويتم نعمته بالنبوة عليك بالعدل ولزوم المنهج السوي وعلى آل يعقوب اي جميع اخوتك ومن اراد الله من ذريتهم بتجمل النعم في الدنيا موصولة بنعمة الاخرة لانه عبر عنهم بهذه الرؤيا بالنجوم المهتدى بها ولا يستعمل الال الا فيمن له خطر وشرف واضافته مقصورة على اعلام الناطقين قال الراغب واما الال فقيل انه من نعله فشاذ ويستعمل فيمن لا خطر له الا اهل كما اتمها على ابويك ولما كان وجودهما لم يستغرق الماضي ادخل الجار فقال من قبل اي قبل هذا الزمان ثم بين الابوين بجده وجد ابيه تعالى ابراهيم اي بالخلة وغيرها من الكرامة اي قبل هذا الزمان ثم بين الابوين من الكرامة وولده اسحق بالنبوة وجعل الانبياء والملوك من ولده واتمام النعمة الحكم بدوامها على خلوصها من شوائب فيها ينقصها ولما كان ذلك لا يقدر عليه الا العالم المحيط بجميع الاسباب ليقام منها ما يصلح والحكمة التي بها يحكم ذلك التسبب عن ان يقاومه سبب غيره وكان السياق بالعلم اولى لما ذكر من علم التأويل مع ما تقدم من قوله اخر تلك ويعلم السموات والارض مما شاكل ذلك الا ان هذه قال ان ربك عليم اي بليغ العلم حكيم اي بليغ الحكمة وهي وضع الاشياء في اتقن مواضعها ولما كان ذلك توقع السامع لما يكون بينه وبين اخوته هل يكتمهم الرؤيا او يعلمهم بها وعلى كلا التقديرين ما يكون فقال تعالى جوابا لمن كانه قال ما كان من امرهم منتجا له بحرف التوقع والتحقيق بعد كلام المقسم تأكيدا للامر واعلاما بانه على اتقن وجه لقد كان اي كونا في احكم مواضعه في يوسف واخوته اي بسبب هذه الرؤيا وما كان من تأويلها واسباب ذلك آيات اي علامات عظيمة دالات على وحدانية الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما تضمنته القصة للسائلين الذين يسألون عنها من قريش واليهود وغيرهم وآيات على عظمة الله وقدرته في تصديق رؤيا يوسف عليه السلام ونجاته ممن كاده وعظمته والعلاء امره والمراد باخوته هنا العشرة الذين هم من ابيه وهم روبيل وشمعان بمعجمة اوله ولاوي ويهوذا وزبلون بزاي موحدة وايسا خر بهمزة مكسورة وتحتانية وسين مهملة وخاء معجمة ودان بمهملة وجاد بجيم بينها وبين الكاف واشير بهمزة ثم واو وشين معجمة ثم تحتانية ومهملة ونفتالي بنون مفتوحة وفاء ساكنة ومثناة فوقانية فلام وبعدها ياء وشقيقه بنيامين بضم الموحدة هكذا ذكرهم في التوراة وحررت التلفظ بهم من العلماء بهم وقد تقدم ذلك في البقرة بزيادة والاية الدالة على ما كان من الامور العظيمة ومثلها العلامة والعبرة والحجة اخص منها لانها معتمد البينة التي توجب الثقة بصحة المعنى الذي فيه اعجوبته ولما تقرر ذلك ابتدأ بذكر الايات الواقعة في ظرف هذا الكون فقال اذ قالوا اي كان ذلك حين قال الاخوة لبعد ان قص الرؤيا عليهم وسول لهم الشيطان كما خاف يعقوب عليه السلام مقسمين دلالة على غاية الاهتمام بهذا الكلام وانه مما حركهم غاية التحريك اوهي لام الابتداء المؤكدة المحققة لمضمون الحكمة ليوسف واخوه اي شقيقه بنيامين احب وحدوا لان افعل من يستوي فيه الواحد وما فوقه مذكرا كان او مؤنثا اذا لم يعرف او يضف الى ابينا منا اي يحبهما اكثر مما يحبنا والحب ميل يدعو الى ارادة الخير والنفع للمحبوب بخلاف الشهوة فانها ميل النفس ومنازعتها الى ما فيه لذتها ولهذا انا نحن عصبة اي اشد في انفسنا وليشد بعضنا بعضا واما هما فضعيفان لا كفاية عندهما والعصبة من العشرة الى الاربعين فكانه قيل فكان ماذا اي على تقدير ان يكونا الحب اليه فقالوا او كرمن لان حال ابيهما في الاستقامة والهداية حيث فضلهما علينا والقرب داع الى تكذيبهم ان ابانا لفي ضلال مبين اي ذهاب عن طريق الصواب في ذلك مبين حيث فضلهما علينا والقرب المقتضي للحب في كلنا واصلنا في النبوة سوا والمازنية تقتضي تفضيلنا ولما انا عصبة لنا من النفع له والذب عنه والكفاية ما ليس لهما قال الامام ابو حيان واحب افعل التفضيل وهو مبني من المفعول شذوذا ولذلك عدي بالى لانه اذا كان ما تعلق به فاعلا من حيث المعنى عدي اليه بالى واذا كان مفعولا عدي اليه بفي تقول زيد احب الى عمرو من خالد فالضمير في احب مفعول من حيث المعنى وعمرو هو المحب واذا قلت زيد احب في عمرو من خالد كان الضمير فاعلا وعمرو هو المحبوب ومن خالد في المثال الاول محبوب وفي الثاني فاعل قال والضلال هنا هو الهوى قاله ابن عباس رضي الله عنهما انتهى ولما كان ذلك وكان عندهم ان الشاغل الاعظم لابيهم عنهم انما هو حب يوسف عليه السلام وحب اخيه انما هو تابع كانهم تراجعوا فيما بينهم فقالوا قد تقرر هذا فانتم صانعون فقال قائل ومن شاء الله منهم اقتلوا يوسف اصل القتل اماتة الحركة بالسكون او اطرحوه ارضا او صلوا الفعل بدون حرف ونكروها دلالة على انها تكون منكورة مجهولة بحيث يهلك فيها وعني قائلهم بذلك ان تورعتم عن مباشرة قتله بايديكم ولما كان التقدير ان تفعلوا ذلك اجابه بقوله يخل لكم اي خاصا بكم وجه ابيكم اي قصده لكم وتوجهه اليكم وقصدكم ونيتكم له ولما كان اهل الدين لا يهملون اصلاح دينهم لانه بخطر امرهم قالوا وتكونوا اي كونا هو في غاية التمكن ولما كانوا عالمين بان الموت لا بد منه

فهو مانع من استغراقهم للزمان الآتي ادخلوا الجار فقالوا من بعده اي يوسف عليه السلام قوما اي ذوي نشاط
وقوة على محاولة الامور صالحين اي عريقين في وصف الصلاح مستقيمين على طريقة تدعوا الى الحكمة بوقوع الالفة
بينكم واستجلاب محبته اولاً بالمبالغة في بره وبالتوبة من ذنب واحد يكون سببا لزوال الموجب لذلك الحسد الملزوم لذنوب
متصلة من البغضاء والمقاطعة والشحنا فعزموا على التوبة قبل وقوع الذنب فكانه قيل ان هذا لمن العجب العجيب من مطلق
الاوقات فضلا عن الاخوة فماذا قالوا عند سماعه فقيل قال ولما كان السياق لان الامر كله سر فهو يتحقق من شاء بما
يشاء لم يتعلق القصد ببيان الذي كان تسبب عنه النجاة فقال ابهما اشعارا بانه يجب قبول النصح من اي قائل كان وان
الانسان لا يحقر نفسه في بذل النصح على اي حال كان قائل ثم عينه لبعض التعيين فقال منهم اي اخوة يوسف عليهم السلام
لا تقتلوا يوسف بايديكم ولا بالالقاء في المهالك فان القتل اكبر الكبائر بعد الشرك وكانه لم يكن في ناحيتهم تلك
غير جب واحد فعرفه فقال والقوه وكانه كان فيه ما ومكان يمكن الاستقرار فيه ولا ما به فاراده بقوله في غيابة
الجب اي غوره الغائب عن الاعين فان ذلك كاف في المقصود وانكم ان تفعلوا نلتقطه بعض السيارة جمع سيار
وهو المبالغ في السير هذا ان كنتم ولا بد فاعلين ما اردتم من تغييبه عن ابيه ليخلوا لكم وجهه والجب البئر
التي لم تطو لانه قطع عنها ترابها حتى بلغ الماء وعن ابي عمرو ان هذا كان قبل ان يكونوا انبيا فكانه قيل ان هذا الحسن من
حيث انه صرفهم عن قتله فهل استمروا عليه او قام منهم قايم في استنزالهم عنه بعاطفة الرحم وذوي القرابة فقيل بل
استمروا لانهم قالوا اعمالا للحيلة في الوصول اليه مستفهمين على وجه التعجب لانه كان قد احس منهم الشر فكان يحذرهم
عليه قالوا يا ابانا ما لك اي اي شيء لك في حال كونك لا تامنا على يوسف والحال انا له لناصحون والنصح دليل
الامانة وسببها ولهذا قرنا في قوله ناصح امين والامن سكون النفس لما تنتفي التهمة وسببه لطول الاهمال في الامر
الذي يجوز قطعه بالمكروه فمنع الاغترار بذلك الاهمال من الجهال وضده الخوف وهو انزعاج النفس لما يتوقع من
الضرر والنصح اخلاص العمل من فساد يتعمد وضده الغش واجمع القرا على حذف حركة الرفع في تامنا وادغام نونه بعد اسكانها
تبعا للرسم لبعضهم ادغاما محضا ولبعضهم مع الاشمام ولبعضهم مع الروم دلالة على نفي سكون قلبه عليه السلام بامنه
عليه منهم على ابلغ وجه مع انهم اهل لان يسكن اليهم بذلك غاية السكون ولو ظهرت ضمة الرفع عند احد من القراء فاتت
هذا الايماء الى هذه النكتة البديعة ولما كان هنا موضع ان يقال لاي غرض يكون ذلك قالوا في جوابه ارسله معنا غدا
الى مراعينا ان ترسله نرتع اي ناكل ونشرب في الريف ونتسع في الخصب ونلعب اي نعمل ما تشتهي الانفس من المباحات
تاركين الجد وهو كل ما فيه كلفة ومشقة فان ذلك له مستحسن وانا له لحافظون اي بليغون في الحفظ قال ابو حيان
وانتصب غدا على الظرف وهو ظرف مستقبل يطلق على اليوم الذي يلي يومك وعلى الزمن المستقبل من غير تقييد واصل
غد غدو فحذفت لامه انتهى فكانه قيل ماذا قال لهم فقيل قال ما زاد صدورهم توغرا الا ان ما قالوه لم يكن بحيث
يعترف به لسنه ورد يوسف عليه السلام ربه اني ليحزنني اي حزنا ظاهرا محققا بما اشار اليه اظهار النون واثبات
لام الابتدا ان تذهبوا به اي تجدد الذهاب به مطلقا لاني لا اطيق فراقه ولا لحظة وفتح لهم بابا يحتجون به
عند فعل المراد بقوله جامعا بين مشقتي الباطن والبدن كما قالوا ان البلا موكل بالمنطق واخاف اي اذا ذهبتم به واشتغلتم
بما ذكرتم ان ياكله الذئب اي هذا النوع كانه كان كثيرا بارضهم وانتم عنه اي خاصة غافلون اي عريقون في الغفلة لاقبالكم
على ما يهمكم من مصالح الرعي والحزن الم القلب بما كان من فراق المحبوب ويعظم اذا كان فراقه الى ما يبغض الاهل تقليبا نطفة
بالدغ الذي يعده البلع فكانه قيل ان تلقيهم لمثل هذا العجب فماذا قالوا فقيل قالوا مجيبين عن الثاني بما يليق الا
الاول لانه مؤكدين ليطيب خاطره دالين على القسم بلامه لئن اكله الذئب ونحن اي والحال انا عصبة اي اشدا
يغضب بعضنا لبعض واجابوا القسم بما اغنى عن جواب الشرط انا اذا اي اذا كان هذا لخاسرون اي كاملون في الخسارة لانا اذا
ضيعنا اخانا فنحن لما سواه من اموالنا اشد تضييعا واعرضوا عن جواب الاول لانه لا يكون الا بما يوغر صدره ويعرف منه انهم
من تقدمه في الحب على غاية من الحسد لا توصف واقله ان تقولوا اما نواجه الشيخ بفراقه يوما واكسبناه بفراقنا كل يوم وقد
مما يجول بينهم وبين المراد فكانه قيل ان هذا الكيد عظيم وخطب جسيم فما فعل ابوهم فقيل اجابهم الى سؤالهم فارسله
معهم فلما ذهبوا ملتصقين ذهابهم به واجمعوا اي كلهم اجمع كل منهم بان عزم عزما صادقا ولا اجماع على الفعل العزم
عليه باجتماع الدواعي كلها ان يجعلوه والجعل ايجاد ما به يصير الشيء على خلاف ما كان عليه ونظيره التصيير والعمل في غيابة
الجب فعلوا ذلك من غير مانع ولكن لما كان هذا الجواب في غاية الوضوح لدلالة الحال عليه ترك لانهم اذا اجمعوا عليه علم انه
لا مانع لهم منه ثم عطف على هذا الجواب المحذوف لكونه في قوة الملفوظ قوله واوحينا اي بما لنا من العظمة اليه اي الى يوسف
عليه السلام لما كان في حال النجاة منها بعيدة جدا اكد قوله لتنبئنهم اي لتخبرنهم اخبارا عظيما على وجه يقل وجود مثله في

في الجملة بامرهم هذا الذي فعلوه بك وهم لا يشعرون لعلو شانك وكبر سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد
المبدل للهيات المغير للصور والاشكال انك يوسف قاله ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وابن جريج على ما نقله الرماني
والشعور ادراك الشيء بمثل الشعرة في الدقة ومنه المشاعر في البدن وكان يوسف عليه السلام حين القي في الجب ابن اثنتي
عشرة سنة قال الحسن قالوا وتصديق هذا انهم لما دخلوا عليه ممتارين دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال
انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان ابيكم يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه
في الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب ولما كان من المعلوم انه ليس بعد هذا الفعل الا الاعتذار عطف على الجواب المقدر قوله
وجاءوا اباهم دون يوسف عشاء في ظلمة الليل ليلا يتفرس ابوهم في وجوههم اذا راها في ضيا النهار ضد
ما جاءوا به من الاعتذار وقد قيل لا تطلب الحاجة بالليل فان الحيا في العينين ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار
ولانه كالدال على ان البكا لا يدل على الصدق لاحتمال التصنع يبكون والبكا جريان الدمع من العين عند حال الحزن فكانه
قيل انهم اذا بكوا حق لهم البكا خوفا من الله وشفقة على الاخ ولكن ماذا يقولون اذا سالهم ابوهم عن سببه فقيل قالوا يا ابانا
ولما كانوا عالمين بانه عليه السلام لا يصدقهم لما له من نور القلب وصدق الفراسة وما لهم من الريبة اكدوا فقالوا
انا ذهبنا نستبق اي نوجد المسابقة بغاية الرغبة من كل منا في ذلك وتركنا يوسف اخانا عند متاعنا اي ما كان معنا
مما نحتاج اليه في ذلك الوقت من ثياب وزاد ونحوه فاكله اي فتسبب عن فراده ان اكله الذئب وما انت
اي والحال انك ما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لنا لتكذيب وتصدق ولو كنا اي كونا هو جبلة لنا صادقين اي من اهل
الصدق والامانة بعلمك لانك لم تجربه علينا قط كذبا ولا حفظت عنا شيا منه صرفا للعبا ولما علموا انه لا يصدقهم لتهم
من وجوه منها ما هو عليه من صحة الفراسة لنور القلب ووقوع الجدير ومنها ان الكذب في نفسه لا يخلوا عن دليل على
بطلانه ومنها ان المرتاب يكاد يعرب عن نفسه اعملوا الحيلة في التاكيد بما يقرب قولهم فقال تعالى حاكيا عنهم
وجاءوا على قميصه اي يوسف عليه السلام بدم كذب اي مكذوب الحلق عليه المصدر مبالغة لانه غير مطابق
للواقع لانهم ادعوا انه دم سخلة ذبحوها ولطخوه بها نقله الرماني عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مجاهد قالوا والدم جسم احمر سيال
من شانه ان يكون في عروق الحيوان وللخواص تمسك بالعيان من ترجرجه وتلونه وسهولته وروي ان يعقوب عليه السلام اخذ القميص
منهم والقاه على وجهه وبكا حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق
قميصه فكان في القميص ثلاث ايات دلالته على كذبهم والقاوه على وجهه ودلالته على صدق يوسف عليه السلام في قده من
دبر وعود البصر على ابيه به فكانه قيل هل صدقهم فقيل لا لان العادة جرت في مثله انه لا ياكله كله فلا بد ان يبقى منه
شيء يعرف معه انه هو ولو كان كذلك لاتوا به تبرية لساحتهم وليدفنوه في جبانتهم مع بقية اسلافهم وقد كان
قادرا على مطالبتهم بذلك ولكنه علم انهم ما قالوا ذلك الا بعد عزم صادق على امور لا تطاق يخاف من ان يفتح
البحث من الشر ما هو اكثر مما جاءوا به من الحذر ويدل قوله بعد ذلك فتحسسوا من يوسف واخيه ونحو ذلك فكانه
قيل فماذا قال فقيل قال بل اي لم ياكله الذئب بل سولت اي زينت وسهلت من السول وهو الاسترخا لكم انفسكم
امرا اي عظيما ابعدتم به يوسف فصبر اي فتسبب عن ذلك الفادح العظيم انه يكون صبري صبر جميل مني وهو الذي
لا شكوى معه للخلق والله اي المحيط علما وقدرة المستعان اي المطلوب منه العون على احتمال ما تصفون من هلاك
يوسف عليه السلام ولا يقال انهم لهذا جمعوا اوصاف المنافق اذا وعد اخلف واذا حدث كذب واذا ائتمن خان
لان هذا وقع منهم مرة والمنافق يكون ذلك ديدنه دايما او في اغلب احواله ومادة سول بتقاليبها الخمسة ولس وسلو وسول
ولوس وسول وسيل بتقاليبها الخمسة لسي ويسل وسيل ونسل وليس تدور على ما يطلع فيه من الماء ويلزمه رغد العيش
والزينة وبرد القلب الشدة والرخاوة والعلاج والمخادعة والملازمة من الرجال اذا اسولا با لها وترتكمن
وهو المطلوب والوسيلة الدرجة والمنزلة عند الملك قال القزاز وقيل توسلت وتوصلت بمعنى والوسيلة الحاجة
ووسل فلان اذا طلب الوسيلة واللوس الطعم ومن العلاج توسل بكذا اي تقرب واللوس الاكل والاس الشيء
في فيه بلسانه اذا اداره ولاست الناقة في شيتها تليس ولسانا يضرب من العنق ومن رغد من العيش فلان في سلوة
من العيش اي رغد بسليه الهم ومنه السلوى وهي طاير معروف وهي ايضا العسل واسلى القوم اذا سمنوا الشبع ومن الشد
سولته نفسه لذا اي زينته فطلبه ومن برد القلب سلوت عن الشيء اذا تركته قلبك وكان قد صباه وسقيتني بنك
سلوة اي طيبت نفسي عنك والليس محركا الغفلة والالبس الذي لا يبارح الخلق وتلايرعنه اغمض من الرخاوة والسلا
الذي يكون فيه الولد وهو يقول منه سليت الشاة كرضي سلا انقطع سلاها ومنه السول وهو استرخا في مفاصل الشاة والسحاب
الاسول الذي فيه استرخا لكثرة مايه والاسول المسترخي ومنه ليس احتكاك ان الشيء اذا زاد في الرخاوة ربما عدم عدما ومنه سال

بمعنى جرى والسايلة من الغرد المعتدلة في نصبة الانف واسا لغوار النصل اطاله والسيلان بالكسر تايم السيف
دبنات له شوك ابيض طويل اذا نزع خرج منه اللبن او ما طال من السمن ومن المخادعة الولس وهي الخيانة والموالسة الملا
والتوسل الرشوة ومن اللزوم اللبس محركا والمتلابس البطي وهو ايضا من الرخاوة والالبس من لا يبرح منزله ومن الشدة
اللبس محركا وهو الشجاعة وهو اليبس والالبس البعير يحمل ما يحمل والاشد وتعوا في سلا جمل امر صعب لان الجمل الاسلا لعو انقطع
السلا في البطن مثل لمبلغ السكين العظم ويمكن ان يكون من الشدة ايضا البيتسل بغم وسكوت وهم نبذا اي جماعة من قريش الخطو
والبشل بالبا الموحدة اليد الاخرى ولسا الكل اكلا شديدا ولما تم امرهم هذا وشبوا على ابيهم نار الحزن التغتت النفس الى الخبر
عن يوسف عليه السلام فما اشار الى قوله لتنبئنهم الاية فقال تعالى مخبرا عن ذلك في اسبابه **وجاءت سيارة** اي قوم يبلغوا
السير الى الارض التي القوا يوسف عليه السلام في جبها **فارسلوا واردهم** اي رسولهم الذي يرسلونه لاجل الاشراف على الما الى
الجب ليستقى لهم **فادلى** فيه **دلوه** اي ارسلها في البير ليملاها واما دلا فاخرجها ملاى فاستمسك بها يوسف عليه السلام فاخرجه
فكانه قيل ماذا قال حين ادلى لما فتعلق يوسف بالحبل فلما خلفه فاذا هو بانسان اجمل ما يكون فقيل **قال** اي الوارد يعلم اصحابه
بالبشرى **يا بشراي** اي هذا اوانك فاحضري فكانه قيل بم تدعو البشرى فقال **هذا غلام** فاتى به الى جملته فشرت دابه
كاسرت **واسروه** اي الوارد واصحابه **بضاعة** اي حال كونه متاعا بزعمهم يتجرون فيه **والله** اي المحيط علما وقدرة **عليم**
اي بالغ العلم **بما يعملون** ولن اسره قال ابو حيان ونعم ما قال وتعلقه بالحبل يدل على صغره اذ لو كان ابن ثمانية عشر او سبعة
عشر لم يحمله الحبل غالبا ولفظة غلام ترجح ذلك اذ تطلق عليه ما بين الحولين الى البلوغ حقيقة وقد تطلق على الرجل الكامل
انتهى ولما كان سرورهم به مع ما هو عليه من الجمال والهيبة والجلال يقتضيا لان يبالغوا في امره وينالوا بثمنه اخبر تعالى
انهم لم يفعلوا ذلك ليعلم ان جميع اموره على نسق واحد في خرقها للعوايد فقال **وشروه** اي تمادى السيادة وجوا في اسرادهم
اياه بفضلة حتى يلكوه من الحوز ولمعنى التمادي عبر بشرى دون باع ويمكن ان يكون شرى هنا بمعنى اشترى على ويا اشتراه
السيادة من اخوته **بثمن** وهو البدل من الذهب والفضة وقد يقال على غيره تشبيها به **بخس** اي قليل ومادة شرى بيانية
بتقاليبها الثلاثة شرى وشير وريش واوية بتراكيبها الستة شور وشرو ووشر وورش ووشور ورشو مهموزة بتراكيبها
الثلاثة ارش واشر ورشا تدور على الحاجة وهي التمادي في الانتشار وتلزمه تبيين ذلك الامر ويلزمها القوة تارة والضعف
اخرى فمن مطلقه شريت الشي بمعنى ملكته بالبيع وشريته بمعنى ازلت بابيه ملكي عنه به وكذا اشتريته ولاسم الشرا
بالمد ويقتضي فحصل التمادي في الانتشار تارة بالازالة وتارة بالتحصيل وكل من ترك شيا وتمسك بغيره فقد اشتراه وشاراه
شاراة بايعه وشروى الشي مثله واوه من يا كانه ماخوذ من بدل البيع لانه يتحرى فيه المماثلة وهو واسع ثم لم يوجد له مثل وشرى
البرق استطار وزيد غضب حتى استطار غضبا والفرس سير بالحاح واستشرى الرجل لج والبرق لمع والمشاراة الملاحة
والمجادلة والمبايعة والشرية كغنية الطريقة والطبيعة وكان هذا اصل المعنى الذي عنه تفرعت اغصانه لانها
مظنة اللجاج وشرى الثوب واللحم واشترهما اي وضعها على خصفة او غيرها منشورة ليجف وشرى فلانا سخره
او ارغمه كانه تمادى معه حتى قهره وشرى بنفسه عن القوم تقدم بين ايديهم فقاتل عنهم او الى السلطان فتكلم عنهم
والشرى كغنى الحبل لانتشاره علوا والطريق لانتشار فيه وطريق بسلمى كثيرة الاسد وجبل بتهامة كثير السباع
لانتشارها فيه اولان السائر فيه اقوى الناس والجهم وجبل بنجد لطي والناحية ويقو اشراه ملاه واماله لماجل
من انتشار ما فيه واشرى الجمل تغلقت عقيقته اي حثونه وخيلهم اعزى وشرى البعير في سيره اسرع وشرى الفرس
لجامه اذا جذبه والشرية كغنية من النسا التي تلد الاناث كانها تمادت في الميل مع ابيها الانوثة فلجت فيه او هو
راجع الى الضعف اللازم للحاجة والمشترى نجم لتلالوه وطاير للحه بجناحه وانتكاده والشوذي المضطرب
وشرى زمام الناقة كثر اضطرابه وهو من الانتشار او من الضعف واستشرت الامور تفاقمت وعظمت وشريت
جلده اصابه بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالبا وتشتد ليلا كانها سميت لانتشارها في جميع البدن وتو
وتشرى القوم افترقوا وتشرى السحاب تفرق والشرا شجر الحنظل او الحنظل نفسه والنخل نبت من النواة كانه
لقوته ولشرع اليها مراد ادميت لنباته بقي شبب من ادى الجرح والشريان من شجر القسي كانه لقوته ولشرع السهام
ان ادميت عنه وواحد الشرايين للعروق النابضة انتشرت عنه لقوتها وانتشارها وسيار بالكسر يوم السبت كانه
اول يوم ابتدى بت فيه الخلايق فكانها انتشرت عنه والريش بالكسر من الطاير معروف كالراش لانه منتشر في جسمه وبه
وله قوة نشرع سير متى شا وهو سبب صلاحه وقوته على الانتشار في الهوا ومنه الريش والرياش للباس الفاخر وللخصب
والمعاش وذات الريش نبات كالقيصوم وراش الصديق اطعمه وسقاه وكساه وعطاه واصلح حاله وكلا ذو ريش كثير
دهين كثير الورق والريش محركا كثرة الشعر في الاذنين والوجه والمريش كمعظم البعير الازب وريشت السهم فوقته اي

اي الزقت عليه الريش عند فوقه فكان له بذلك قوة الانتشار ورمح اراش خوار يشبه بالريش ضعفا والمريش الرجل الضعيف
الصلب وهو ايضا المرشي البرد المرشي لتلونه كالريش هو ايضا القليل اللحم وناقة مريشة قليلة اللحم لان ذلك اقوى
لها على السير والمريش ايضا العود المصلح للقدح لان ذلك سبب قوته وهو له كالريش والعصب والشوار والشورة
والشارة الحسن والجمال والهيئة واللباس والسمن والهيبة والزينة واستشار فلان لبس لباسا حسنا كانه من الريش
ولانها ملزومة اللجاج والانتشار غالبا او اشتشارت الابل او اخذت شوارها سمنت والمشوار بالكسر المكان تعرض فيه
الدواب وشارها اراهها اي انشرها لتقوى على ما يراد منها وشار العسل واستشاره استخرجه من الوقبة للمبالغة في
ذلك والشرى وتقدم الدابالفتح وبكسر العسل والمشوار ما شاره به وما ابقت الدابة من علفها معرب كانها شبه بما يبقى من شار
العسل مما لا يعتد به او اصله نشوار بالنون فابدلت منها الميم لتقاربهما فان كان لذلك فهو من نشر والشوار شلة
متاع البيت لانتشاره فيه وذكر الرجل وخصياه واسته لما ينتشر لكل منها وشور بفلان فعل به فعلا يستحي منه كانه
لج في ذلك حتى قطع انتشاره في الاعتذار او تشور الرجل خجل كانه تطاول شورته وشور الرجل اليه او ما كاشار لتنشر ما اشار به
واشار النار رفعها والشورة ان العصفر للعه وجبل قرب عقيق المدينة فيه مياه سما كثيرة لقوته على امتناعها وقوم من
يقيم فيه لها على الانتشار فيه وجبل شياد سمان حسان والشورة بالضم الناقة السمينة لقوتها على الانتشار وبالفتح الخجلة
لانتشارها وعلوها واشرت عليه بكذا امرته للانتشار في الكلام قبل الاشارة للوقوع على الراي والاسم المشورة او هو من
الاشارة التي هي تحريك اليد او الحاجب ونحوهما نحو المشار اليه والرشوة مثلثة الجعل ورشاه اعطاه اياه فشرع للنعل
نيل ولا يفعل ذلك الامرخ في الامر وثكل رده الى الضعف والرايش السفير بين الراشي والمرتشي واسترشى طلب الرشوة والفصيل
طلب الرضاع وارشية اليقطين والحنظل خيوطها لانتشارها وتشبهها بالرشا بالكسر المد وهو الحبل والرشي كغني الفصيل
او البعير يعف فينصح الراعي ارشه ارشه فيمد خوارته اي مبعره بيده فيعد ورنا لابن فارس للجوذان يجري الروث
من الدابة وارشى فعل ذلك والقوم في دمه شركوا لان ذلك انتشار وبيده جهم فيه اسرعوا والرشا نبت يشبه الشي
ومن مهموزه رشا جامع والاجر من المنهي الجماع ومنه الانتشار ايضا ورشات الظبية ولدت والرشا بالتحريك اسم للظبي
اذا قوي ومشى مع امه فيكون حينئذ اهلا للانتشار واللجاج في الجري والرشا ايضا شجرة تسمو فوق القامة وعشبة
كالقرنوة يدبغ بها انتهى المهموز وشر الخشبة بالميشار غير مهموز لغة في اشرها كالقرنوة بالقاف كانها شديدة الحرافة
فشبهت باللجوج لان القرنوة يدبغ بها انتهى المهموز وشر الخشبة بالميشار غير مهموز لغة في اشرها اذا نشرها اي فرقها
باثنين او اكثر والوشر ايضا تحديد المراة اسنانها وترقيقها وهو من القوة والطغيان والتفريق والموتشرة التي تسال
ان يفعل بها ذلك وموشر العضدين كمحسن الجعل لان اعضاده كالميشر حزوزه ومن مهموزه الاشر بالكسر اي المرح اي اذرد
الخلق وعاملهم معاملة المستهين بهم فظلمهم ولج في عتوه وناقة ميشير نشيطة واشر الاسنان تحزيزها تشبيها
لها باسنان الميشار الذي يقطع به الخشب ونحوه قطعا سريعا فهو كفعل اللجوج انتهى المهموز وورش الطعام تناوله
واكل شيئا حريصا وطمع واستقلداق الامور لان ذلك لا يكون الاعن تمادي ولجاج وورش فلان بفلان اغراه وورش
عليهم دخل وهو يا كلون ولم يدع وورش اسم شي يصنع من اللبن لانه انتشر من اصل خلقته والورش التحريك وجع في الجوف والكتف
وكلتفا النشيط الخفيف من الابل وغيرها وهي بها والتوردش الحريص والورشان طاير ومن مهموزه الارش وهي الدية لانها
يلج في طلبها والرضا بها وكل ما يتعلق بتعاطي من امرها وهي ايضا الرشوة وما نقص من العيب من الشي قال في القاموس لانه
سبب للارش للخصومة وبينهما اراش اي اختلاف وخصومة والارش الاغرا والاعطا لانها لعطي تغلب نفسه وكانه خاصمها
فلج حتى غلبها والارش الخلق لانه ينشأ اللجاج يقال لما ادري اي الارش هو اي الخلق والماروش المخدوش وآرش كصاحب جبل
انقضى المهموز والروش الاكل الكثير والاكل القليل ضد فهو من التمادي والضعف الذي ربما نشا من التمادي مع شبه بالرش
وجمل اراش كثير شعر الاذن ومن النسيين شار الدابة اذا ركبها عند العرض على مشتريها وشور بها نظر كيف شوارها
الى سيرها او بلاها ينظر ما عندها او قلبها وكذلك الامتن واستشار الفحل الناقة كرمها فنظر اليها الاقح هي ام لا واستشار
امر فلان تبين والمستشير من يعرف الحايل من غيرها وهو راجع الى التمادي لانه لولاه ما عرف الامر ومن الضعف اشاه
حاباه وصانعه ورشاه لانه وانت لمسترش لغدان سطيع له كمسر بقوه وهو من الرشوة وجمل ارش ضعيف الصلب وكذا رمح
ارش لهي لغاو راشة الريض جنعه كانه من الريش وكل ذلك لا يرجع بعد التامل الى التمادي والله اعلم ومادة بخس بكل تقلب
من بخس وخبس وسخ وسحب تدور على القلة ويلزمها الاذى والكلف فبخسه حقه نقصه فجعله اقل مما كان والبخس فقو
العين فهو نقص ظاهر والبخس ارض تنبت بلا سقي كانه لقلة ما ينبت لها بالنسبة الى المسقي والبخس النقص وبخسته
عن فلان خففته عنه والسبخة ارض مالحة لقلة نبتها ونفعها وسبخت القطن اذا قطعته فهو فصار جملته قليلة

والتسعون ما سقط من ريش الطائر لنقصه منه والتسعة النوم الشديد لنقصه صاحبه وتخفيفه ما عنده
من الثقل ومن ذلك الخبس وهو الاخذ بالكف وهو لازم للقلة ومنه قيل للاسد الخابس لاخذه ما يريد بكفه والسخاب
قلادة من قرنفل ليس فيها جوهر ولا لؤلؤ ولما كان البخس القليل الناقص ابدا منه تاكيدا للمعنى تسفيها لرايهم وتعجيبا
من حالهم قوله دراهم اى لا دنانير معدودة اى اقل لان تعد لانه لا كثرة لها يعسر معها العد روى عن ابن عباس رضى الله
عنهما انها كانت عشرين درهما وكانوا اى كونا هو كالجبلة فيه اى خاصة دون بقية متاعهم انتهازا للفرصة فيه
قبل ان يعرف عليهم فينتزع من ايديهم من الزاهدين اى كمال الزهد حتى رغبوا عنه حتى فيما يعوه بالطف والزهد
انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه عند الزاهد وهذا يعين ان الضمير للسيارة لان حال الاخوة فى امره فوق الزهد
بمراحل فلو كان لهم لقيل ولو كانوا له من المبعدين واله المبغضين ونحو ذلك ولما كانت العادة جارية بان الغنى تهان اخبر تعالى
انه اكرمه عن هذه العادة فقال منبها على ان اشتراه كان بمصر وقال الذى اشتراه من اى اخذه برغبة عظيمة ولو توقفوا
عليه غالى فى ثمنه من مصر اى البلدة المعروفة والتعبير بهذا دون ما هو اخص منه للتنبيه على ان بيعه ظلم وانه لم يدخل فى
ملك احد اصلا لامراته آثرها لما يكرامه عمل ابلغ وجه اكرمى مثواه اى موضع مقامه وذلك اعظم من الامر باكرامه نفسه
فالمعنى اكرميه اكراما عظيما بحيث يكون حسن يكرم كل ما لابسه لاجله ليرغب فى المقام عندنا ولما كانت كانها قالت ما سبب
ايصائك فى هذا دون غيره استانف قوله عسى ان اى ان حاله خليق وجدير بان ينفعنا اى وهو على اسم المشترى او نتخذه
اى برغبة عظيمة كما ... ولدا فانا طامع فى ذلك ولما اخبر تعالى بمبدا امره وكان من المعلوم ان هذا انما هو لما سكن له
فى القلوب مما اوجب توقيره واجلاله وتعظيمه اخبر تعالى بمنتهى امره مشبها له بهذا الامر الضمون للعلم به فقال وكذلك
اى ومثل ما مكنا ليوسف بتنزهنا السيارة اهل البدو تارة واكرام مشتريه ومنافسته فيه لخرى مكنا ليوسف فى الارض
اى ارض مصر التى هى كالارض كلها لكثرة منافعها بالملك فيها التمكنه من الحكم بالعدل وبالنبوة لنعلمه بما لنا من العظمة من تاويل
الاحاديث اى بتوجيهها من ظواهرها الى بواطنها فاشار تعالى الى المشتبه به مع عدم التصريح به لما دل عليه من السياق
واثبت التمكن فى الارض ليدل على لازمه من الملك والتمكين من العدل وذكر التعليم ليدل على ملزومه وهو النبوة
فدل اولا بالملزوم على اللازم وثانيا باللازم على الملزوم وهو كقوله تعالى فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى
كافرة فهو احتباك وهو قريب منه ولما كان من اعجب العجب ان يتم التمكين ممن ان يفعل به مثل هذه الافعال ليتمكن
من ارض وهو مضاع كونه غريبا مستعبدا افردا لا عشيرة له فيها ولا اعوان قال تعالى نافيا لهذا العجب والله اى
الملك الاعظم غالب على امره اى الامر الذى يريده غلبة ظاهرة لكل من له بصيرة امر يعقوب عليه السلام يوسف عليه
السلام ان لا يقص رؤياه حذرا عليه من اخوته فغلب امره سبحانه حتى وقع ما حذره فاراد اخوته قتله فغلب امره عليهم
وارادوا ان يلتقطه بعض السيارة ليندرس اسمه فغلب امره سبحانه وظهر اسمه واشتهر ثم باعوه ليكون مملوكا
فغلب امره تعالى حتى صار ملكا وسجدوا بين يديه ثم ارادوا ان يغروا اباهم ويطيبوا قلبه حتى يخلو لهم وجهه
فغلب امره تعالى فاظهره على مكرهم ولما تالت عليه امراة العزيز لتخدعه عن نفسه فغلب امره سبحانه فعصمه حتى لم تكلمه ليبوح
بل هرب منها غاية الهرب ثم بذلت جهدها فى اذلاله والغالبة عليه فابى الله الا اعزازه ورياسته ثم اراد يوسف
عليه السلام ذكر الساقى له فغلب امره سبحانه فانساه ذكره حتى تقضى الاجل الذى قضى به سبحانه وكم من اسرار
كان فى هذه القصة وفى غيرها مرشدا الى ان الامر لغيره سبحانه ولكن اكثر الناس اى الذين هم اهل الاضطراب لا يعلمون
لعدم التامل انه تعالى غالب على كل امر وان الحكم له وحده لاشتغالهم بالنظر فى الظواهر للاسباب التى يعنيها الهو
سبحانه بحجب عنهم بحجاب الاسباب ذكر ما معناه من قصة يوسف عليه السلام من التوراة قال فى اوائل السفر
الثانى منها كان يوسف بن يعقوب بن سبع عشرة سنة وكان يرعى الغنم مع اخوته وكان اسرائيل يحب يوسف اكثر من جميع
اخوته لانه ولد على كبر سنه فاتخذ له قميصا ذا كمين فراى اخوته ان والدهم احبه اشد حبا له منهم فابغضوه ولم
يستطيعوا ان يكلموه بالسلام فراى رؤيا فقصها على اخوته فقال لهم اسمعوا هذه الرؤيا التى رايت رايت كانا
نحزم حزما من الزرع فى المزرعة فاذا حزمتى قد انتصبت وقامت واذا حزمكم قد احاطت بها تسجد لها قال له
اخوته اترى تملكنا وتتسلط علينا وازدادوا له بغضا لرؤياه وكلامه فراى رؤيا اخرى فقال لهم انى رايت رؤيا اخرى
رايت كان الشمس والقمر واحد عشر كوكبا يسجدن لى فقصها على ابيه واخوته فزجره ابوه وقال له ما هذه الرؤيا هل ابلغ
انا وامك واخوتك فنسجد لك على الارض فحسده اخوته وكان ابوه يحفظ هذه الاقاويل وانطلق اخوة يوسف يرعون غنمهم
فى نابلس فقال اسرائيل ليوسف هو ذا اخوتك يرعون فى نابلس هلم ارسلك اليهم فقال له هانذا فقال له ابوه انطلق فانظر
كيف اخوانك وكيف الغنم وائتنى بالخبر فارسله يعقوب عليه السلام من قاع حبرون فاتى الى نابلس فوجده رجل وهو يطوف

وهو يطوف فى الحقل فسأله الرجل وقال ما الذى تطلب فى الحقل فقال اطلب اخوتى دلنى عليهم اين يرعون قال له الرجل
قد ارتحلوا من ههنا وسمعتهم يقولون ننطلق الى دوثان فتبع يوسف اخوته فوجدهم بدوثان فراوه من بعيد من
قبل ان يقترب اليهم بقتله فقال بعضهم لبعض هوذا صاحب الاحلام قد جاء تعالوا نقتله ونطرحه فى بعض الجباب
ونقول قد افترسه سبع خبيث فننظر ما يكون من احلامه فسمع روبيل فانقذه من ايديهم وقال لهم لا تقتلوا نفسا
ولا تسفكوا دما بل القوه فى هذا الجب الذى فى البرية ولا تمدوا ايديكم اليه واراد ان ينجيه من ايديكم ويردوه الى ابيه
فلما اتى يوسف اخوته خلعوا عنه القميص ذا الكمين الذى كان لابسه واخذوه فطرحوه فى الجب فارغا لا ماء فيه
جلسوا ياكلون خبزا فمدوا ابصارهم فراوا قافلة من العرب مقبلة من جلعاد وفى صحبة من الجرش وكانت ابلهم موقرة
سمنا ولبنا وبطما فكانوا متوجهين الى مصر فقال يهوذا لاخوته ما منفعتنا فى قتل اخينا وستر دمه تعالوا نبيعه
من العرب ولا نبسط ايدينا اليه لانه اخونا ولحمنا ودمنا فاطاعه اخوته فمر بهم قوم تجار مديانيون فاصعدوا
يوسف من الجب وباعوه من الاعراب بعشرين درهما فاتوا به الى مصر فرجع روبيل الى الجب فاذا ليس فيه يوسف
فشق ثيابه ورجع الى اخوته وقال لهم ان الغلام ليس اين اذهب انا الان فاخذوا قميص يوسف فذبحوا عنودا من الغنم
المعز ولوثوا القميص بدمه وارسلوا به مع من اتى به اباهم وقالوا وجدنا هذا انظر هل هو قميص ابنك ام لا فعرفه
وقال القميص قميص ابنى سبع خبيث افترس ابنى يوسف افتراسا ثم ناح على ابنه اياما كثيرة فاراد بنوه ان يسلوا العزا
فقام جميع بنيه وبناته ليعزوه فابى ان يقبل العزاء وقال انزل الى القبر وانا حزين على يوسف فبكى عليه ابوه وباع
المديونيون يوسف من قوطيفير الاسفهسلار صاحب شرطة فرعون انتهى وفيه ما يخالف ظاهر القرآن ويمكن تاويله والله اعلم ولما
اخبر تعالى عما يريد بيوسف عليه السلام باختتامه بالاخبار عن قدرته اتبعه الاعلام بايجاد ذلك الفعل دلالة على تمام
القدرة وشمول العلم فقال ولما بلغ اشده اى مجتمع قواه آتيناه اى اعطيناه حكما اى نبوة او ملكة يكف بها النفس
عن هواها من حكمة الفرس تمنع بقول ولا يفعل الا ما ينبغى انفصاله تدعو اليه الحكمة قال الرمانى والاصل فى الحكم تبيين
ما يشهد به الدليل لان الدليل حكم من اجل انه يعود الى المعرفة وعلما اى تبيينا للشيء على ما هو عليه الا انه يحسن وكذلك
اى ومثل ذلك الجزاء الذى جزيناه به نجزى المحسنين اى العريقين فى الاحسان كلهم الذين دابهم محمد صلى الله عليه وسلم
الذى استوى به فاعطاه ما لم يعط غيره وعن الحسن من احسن عبادة الله فى شبيبته آتاه الحكمة فى اكتهاله والاشد كمال
القوة وهو جمع شدة عند سيبويه مثل نعمة وانعم وقال غيره جمع شد وقال ابن فارس فى المجمل وبعضهم يقول لا واحد لها وبعضهم
ويقال واحدها شد انتهى قيل وهذا البناء قليل نحو ضب واضب وصك واصك وخط واخط وضرس واضرس وشد
وابتر قال الرمانى قال الشاعر • هل غير ان كثر الاشر واهلكت حرب الملوك اكاثر الاموال • انتهى
واختلفوا فى حد الاشد فقيل هو من الاشد الحلم وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه من عشرين سنة وروى غير ذلك
والمادة تدور على الصعوبة وهى ضد الرخاوة ويلزمها القوة فالشد على العدو ومنها شد الحبل وغيره احكم فتله
والشديد والمتشدد البخيل لصعوبة البذل عليه والشدة صعوبة الزمان وشد النهار ارتفاعه وهو قوته وشددت فلانا
قويت يده ودبرت امره واشد القوم اذا كانت دوابهم شدادا فهم مشدون ضد مضعفين ولما اخبر تعالى ان سبب النعمة
عليه احسانه اتبعه دليله فقال وراودته اى راجعته للخطاب ودارت عليه بالحيل فهو كناية عن المخادعة التى
هى لازم معنى راد يرود اذا جاء وذهب التى هى متمكنة منه غاية التمكنة بقوله هو فى بيتها وهو فى عنفوان الشباب
عن نفسه اى مراودة لم يكن لها سبب الا نفسه لان المراودة لا يمكن ان تتجاوز نفسه الا بعد مخالطتها كما تقول كان هذا
عن امره وذلك بان دارت عليه بكل حيلة ونصبت له اشراك الخداع واتت حينا تتنزل له فى الذروة والغارب وذلك لان
مادة راد واوية ويائية بجميع تقاليبها الستة رود ودور وورد وردو ودرو ودرى تدور على الدوران
وهو الرجوع الى موضع الابتداء ويلزم منه القصد والاتيان والاقبال والادبار والرفق والمهلة واعمال الحيلة
وحسن النظر وما يكون عن غير قصد فتاتى منه الحيرة فيلزم الفساد والهلاك يقال حار فلان تدور اذا اشتكى
على هيئة الحلقة والدهر دوار ودوارى لدورانه باهله بالرفع والحط والدوار شبه دوران الراس ودارة القمر معروفة
والدوار والدارة الحلقة والدار تجمع العرصة والبناء لدوران بنائها وللدوران فيها وللذهاب منها والرجوع اليها
والدارى الملاح الذى يلى الشراع وهو القلع لانه يديره على عمود المركب او لانه يلزم دار السفينة والرائد الذى
يرتاد الكلا اى يذهب ويجيء فى طلبه والمكلى يتقصد من الارض معينين كانه يدور فيها والذى لا يبرح بيته ولا يطالب
حاجة قاله ابن دريد ودارا [illegible] الرحل ادرته على فعل وادات الرحى يدها اى العود الذى تدار به وتقبض عليه
الطاحن والرياد تحلف فى الابل فى المرعى مقبلة ومدبرة وراد المراة اذا اختلفت الى بيوت جاراتها [illegible] وسادة

اذا لم يستقر والرود الطلب والذهاب والمجيء والمشي على رود بالضم اي مهل وتصغيره رويد والمي والذي يكحل به لانه يدار في العين وحديدة تدور في اللجام ويجوز البكرة من حديد والدير معروف ويقال للرجل اذا كان رأس اصحابه هو رأس الدير كأنه من ادارة اصحابه به وترديت بالرداء وارتديت كأنه من الادارة والرداء السيف لانه يتقلد به في موضع الرداء والرديان نحو كالمشي الحمار بين ارتيه وتمعكه ورادت فلانا مثل داوديته وردت الجارية اذا دفعت احدى رجليها وتفرت بواحدة لان مشيها حينئذ يشبه الدوران والرئد بالكسر الترب لانه يراودك ان يمشي معك من اول زمانك ومن الاتيان الورود وهو اتيان المورد من ماء وطريق والوارد الصابر الى الماء للاستقاء منه وهو الذي ينزل الى الماء ليستقي ولسنة والورد معروف ونور كل شجرة ورد لانه يقصد للشم وغيره ويخرج هو منها فهو وارد اي آت وهو ايضا مع ذلك مستدير والورد بالكسر يوم الحمى اذا اخذت صاحبها لوقت لانها تأتيه وهو من الدوران ايضا لانها تدور في ذلك الوقت بعينه وهذا كله يصلح للاتيان وسنة ارنبة واردة اي مقبلة على الشفة والرئد انف الجبل قاله ابن فارس وقال ابن دريد والرئد الحيد الناتي من الجبل والجمع ريود وفي القاموس الحيد من الجبل شاخص كأنه جناح ويسمى الشجاع الوارد لانه يأتي كل ما يريد ويستعد به عليه والوريدان عرقان مكتنفا صفحتي العنق مما يلي المقدم غليظان والورد النصيب من القرآن لانه يقصد بالقراءة ويقبل عليه ويداوم عليه ودريت الشيء علمته فانت مقبل عليه وارد اليه والدرية كمهموزة حلقة يتعلم عليها الطعن والرمي والدرية كمهموزة وغير مهموزة دابة يستتر بها رأى الصيد فيختله فهو من الاقبال الخداع وان بني فلان ادروا اسحانا اي اعتمدوا بالغزو والغارة والمدرى شبيه بمدرى الثور وهو قرنه لانه يقصد به الشيء ويقبل به على مراده فيصلحه به وما ادري اين ردى اي ذهب والارواد والمهلة في الشيء وامش رويدا على مهل والارادة والرويدة السهلة من الرياح فكأنها تأتي على مهل ومن الحيدة والنساء والهلاك ردي الرجل اذا هلك وارداه الله وتردى في هوة تقودتها وردبته بالحجارة رميته والمرداة الصخرة بكسرها الشيء المرادي المواه ومن حسن النظر اديت على الخمسين زدت لانه يلزم حسن النظر الزيادة واراد الشيء على غيره اي ربا عليه وسياتي بيان المهموز من هذه المادة في سبا او في هذه السورة ان شاء الله تعالى وغلقت اي تغليقا كثيرا الابواب زيادة في المكنة قالوا وكانت سبعة والاغلاق اطباق الباب بما يعسر معه فتحه وقالت هيت اي تهيات وتصنعت لك خاصة فاقبل الي وامتثل امري ومادة على تقدير اصالة التاء وزيادتها بجميع تقاليبها يائية وواوية مهموزة وغير مهموزة تدور على ارادة امتثال الامر هيت لك مثلثة الاخر وقد يكسر اوله هلم وهيت به تهييتا صاح ودعاه وهاهات بكسر التاء اعطني قاله القاموس والمهاباة مفاعلة هيه والمهيت المطمئن من الارض كأنه يدعو ذا الهمة الى الوقوف على حقيقته والتيه بالكسر الكبر والصلف فالتايه داع بالقوة الى امتثال امره والمتابة فانها تقتضي الكمادا [illegible] المفازة تسمية للشيء باسم موضعه ومنه تهيه يعني يتغلب ونيه مضى لهو اسير الليل بالكسر طايفة منه انما يحل الغفلة او لانها تدعو سامرها النوم ونا بها الى الانتباه هذا على تقدير اصالة التاء واما على تقدير اصالة [illegible] ففها نفسه الى المعالي رفعها فوتر اها اهلا لان تمتثل امرها لعلو المهمة والاثي الماضي والموهد ايضا الظن وتقدم وهومت به فرحت ولا يكون ذلك الا لنيل ما يشتهي فكأنه امتثل امرك وهو على البه كرجل هنم وهاه كلمة التي اي امتثل الامر وهاء بالكسرات وبها كالحاء اي هات بمعنى خذ والهيئة حال الشيء وكيفيته الداعية الى تركه او لزومه ونهايوا اتوا فتواوهاء اليه اشتاق فكأنه دعاه الى رؤيته وتهيئة للشيء اخذ له اهبته فكأنه صار قابلا للامتثال ممتثل امره وهياه اصلحه والهيء بالفتح والكسر الدعاء الى الطعام والشراب ودعاء الابل للشرب وايهيه بكسر الهمزة كلمة استزادة واستنطاق وباسكان الهاء زجر بمعنى حسبك واما قهقهة في ضحكه ولا يكون ذلك الا امتثل مراده ولما قالت ما قالت وفعلت ما فعلت مع ما لها عليه من المقدرة في نفسها ولها عليه من التسلط وهو عليه من الحسن والشباب كان كأنه قيل ان هذا الموطن لا يكاد ينجو منه احد فماذا كان منه فقيل قال اي يوسف مستعملا الحلم بالعلم معاذ اي اعوذ من هذا الامر معاذا الله اي الزم حصن الذي له صفات الكمال وهو محيط بكل شيء علما وقدرة وملجأ الذي ينبغي الاعتصام به والالتجاء اليه ثم علل ذلك بقوله انه اي الله ربي اي موجدي ومدبري والمحسن الي في كل امري فانا ارجوا احسانه في هذا احسن مثواي انه بان جعل لي في قلب سيدي مكانة عظيمة حتى خولني في جميع ما يملك وائتمنني على كل ما لديه فان خنت خالفت امره في خيانة من جعلني موضعا للامانة كنت ظالما واضعا الشيء في غير موضعه وهذا التقدير مع كونه اليق بالصالحين المراقبين احسن لانه يستلزم نصح العزيز ولو اعدنا الضمير على العزيز لم يستلزم التوكل لما كان من المعلوم ان لسان حالها يقول واذا كان ظالما كان ماذا قال بتقدير الى اذن لا افعله وعلله بقوله لا يفلح اي لا يظفر بمراده

اصلا الظالمون اي العريقون في الظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه الذين صرت في عدادهم على تقدير الفعل فيا له من دليل على احسانه وحلمه فانه لما رأى المقام الدحض بادر الى الاعتصام الى من بيده ملكوت كل شيء ثم استحضر احسانه اليه الموجب للشكر عليه المباعد من الهفوات ثم [illegible] الظلم وما يوجب لصاحبه من الحرمان بعدم الفلاح ولما كان هذا الفعل لا يتم حسنه الا اذا كان عند غلبة الهوى وتوالي الشهوة كما هو من شأن الرجولية قال تعالى مرددا على من يتوهم ضد ذلك ولقد همت به اي اوقعت الهم وهو القصد الثابت والعزم الصادق المتعلق بمواقعته ولا مانع لها من دين ولا عقل ولا عجز فاشتد طلبها وهم بها كما هو شأن الفحل عند توفر الاسباب لولا ان رأى برهان ربه بعين قلبه برهان ربه اي الذي اتاه اياه من الحكم والعلم اي لهم بها لكنه كان البرهان حاضرا لديه حضور من يراه بالعين لم يغفله وفي شهوة ولا غلبة هوى فلم يهم اصلا مع كونه في غاية الاستعداد له لما اتاه الله من القوة مع كونه في سن الشباب فلولا المراقبة لهم بها لتوفر الدواعي غير ان نور الشهود محاها اصلا وهذا التقدير هو الذي يليق بمقامه مع انه هو الذي تدل عليه اساليب هذه الايات من جعله من المخلصين والمحسنين المصروف عنهم السوء وان السجن احب اليه من ذلك مع قيام القاطع على كذب ما تضمنه قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الاية من مطلق الارادة وما يحتم تقدير ما ذكر بعد لولا في خصوص هذا التركيب من اساليب كلام العرب فانه يجب ان يكون للمقدر بعد كل شرط من معنى ما دل عليه ما قبله وهذا مثل قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها اي لابدت به واما ما ورد عن السلف مما يعارض ذلك فلم يصح منه شيء عن احد منهم مع ان الاقوال التي رويت عنهم اذا اجمعت تناقضت فتكاذبت ولا يساعد على شيء منها كلام العرب لانهم قدروا جواب لولا المحذوف بما لا دليل عليه من سابق الكلام ولا لاحق نبه على ذلك الامام ابو حيان وتبعه على ذلك الامام الرازي وقال ان هذا قول المحققين من المفسرين واتبع على هذا بما يطرب الاسماع وتقدم ما يدل على جواب الشرط ليكون اول ما يقرع السمع ما يدل على انه كان في غاية القدرة على الفعل وانه ما منعه منه الا العلم بالله فكأنه قيل ان هذا التثبت عظيم فقيل اشارة الى انه لا زلة له كما هو شان العصمة كذلك اي مثل ذلك التثبيت نثبت في كل امر لنصرف عنه السوء والفحشاء اي الهم بالزنا وغيره انه من عبادنا اي الزنا وغيره فكأنه قيل لم فعل به هذا فقيل المخلصين اي الذين عظمناهم بما لنا من العظمة المخلصين اي هو في عداد الذين هم خيص صرف لا يخالطهم غش ومن ذريتهم ايضا وهذا مع قول ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين شهادة من ابليس ان يوسف عليه السلام بريء من الهم في هذه الواقعة قال الامام فمن نسبه الى الهم ان كان من اتباع دين الله فليقبل شهادة ابليس بطهارته قال ولعلهم يقولون كنا تلامذة ابليس ثم [illegible] ابليس وجنوده [illegible] عليه كما قيل

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى ... بي الامر حتى صار ابليس من جندي

فلو مات قبلي كنت احسن بعده ... طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

ثم ذكر سبحانه مبالغته في الجد في الهرب دليلا على اخلاصه وانه لم يهم اصلا فقال واستبقا الباب اي اوجدا المسابقة بغاية الرغبة من كل منهما هذا للهرب منها وهذه لمنعه فاوصل الفعل الى المفعول بدون الى دليلا على ان كلا منهما بذل الجهد في السبق فلحقته عند الباب لانه قصير مع انه كان قد سبقها بقوة الرجولية وقوة الداعية الى الفرار الى الله ولكن غاقه ان اغلاق الابواب كانت مغلقة فكان يشتغل بفتحها فتعلقت باذياله [illegible] اليه من خلفه وهو ما كان من ورائه خوف فواته فاشتد تعلقها به مع اعراضه عنها وهربه منها فجذبته وهو اراد الخروج فمنعته ولم تزل تنازعه حتى وقدت قميصه وكان القد من دبر اي الناحية الخلف منه وانقطعت منه قطعة فبقيت في يدها والفيا اي وجدا مع ما كانا فيه من الغبار والمشقة التي لا تليق بهما سيدها اي زوجها ولم يقل سيدهما لان يوسف عليه السلام لم يدخل في رق كما مضى لان المسلم لا يملك وهو السيد لدى اي عند ذلك الباب اي الخارج على كيفية غريبة جدا هكذا ينبغي ان يفهم هذا المقام لان السيد لا يقعد على فتحه فضلا عن الوصول الى غيره لتغليق الحجر [illegible] انما الفناء وما على هذه الحالة كان كأنه قيل فما اتفق فقيل قالت مبادرة من غير حياء ولا تلعثم ما نافية ويجوز ان يكون استفهامية جزاء من اراد اي منه ومن غيره كائنا من كان لما لك من العظمة باهلك سوءا اي ولو انه عظيم [illegible] الا ان يسجن اي يودع في السجن الى وقت ما لحكم فيه بما يليق او عذاب اليم اي وايم ثابت غير السجن والجزاء [illegible] بالمواجهة هذا كان حالها عند المفاجاة واما هو عليه السلام فجرى على سجايا الكرام بان سكت سترا عليها وتنزها عن ذكر الفحشاء فكأنه قيل فماذا قال حين قذفته بهذا فقيل قال دافعا عن نفسه لا هتكا لها هي لضمير الغيبة لاستحيائه عن مواجهتها باشارة او صريح خطاب راودتني عن نفسي وما قال ذلك الا حين اضطر اليه بنسبته الى الخيانة وصدقه لعمري فيما قال لا يحتاج الى بيان اكثر من الحال الذي كانا فيه وهو انهما عند الباب ولو كان الطلب منه لما كانا الا في محلها الذي تجلس فيه وهو صدر البيت واشرف موضع فيه وشهد ولما كان كل من الشهادة كافيا لم يدع ضرورة الى تعيينه قال شاهد اي عظيم من اهلها لان الاهل اعظم في الشهادة [illegible] الرماني عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم وسعيد بن جبير

كان شهد للنبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع صبي من اهل اليمامة يوم ولد بانه رسول الله فكانه يدعى مبارك اليمامة فقال ذلك الشاهد ان كان اي حال المراودة قميصه اي فيما ابيّن لكم قُدّ اي شق شقا مستاصلا من قبل اي من جهة ما اقبل من جسده فصدقت ولا بد من تقدير فعل اليقين لان الشروط لا تكون معانيها الا مستقبلة وان كانت الفاظها ماضية ولما كان صدقها ليس قاطعا في منع صدقه قال وهو من الكاذبين لانه لولا اقباله دهي تدفعه عنها او قرب منه وهو يتبعها ويعثر في قميصه ما كان القد من القبل وان كان اي فيما يظهر لكم قميصه اي يوسف عليه السلام قُدّ من دبر اي من جهة ما ادبر منه وبني قد للمجهول للاتساع في العبارة فكذبت ولما كان كذبها في ارادتها السوء لا يعين صدقه في ارادتها له قال وهو من الصادقين لانه لولا ادباره عنها واتباعها له لما تقدت للانحراف سيدها صحة ذلك بلا شبهة لان معنى هذا ان هذا الشرط في جهة التقرير للمعنى الذي يوجب غلبة على الشك وقدم امارة صدقها لانه صاحبة سيدها تقوى الظاهر اهتماما بها وفي الحقيقة تقرير للاخيرة من الاولى لها للزوم والثانية بالمطابقة ولما كان المعنى فتنظر بني عليه قوله فلما راى اي سيدها قميصه اي يوسف عليه السلام قد من دبر قال وقد قطع بصدقه وكذبها مؤكدا لاجل انكارها انه اي هذا القذف له من كيدكن اي معشر النسا والكيد طلب الانسان بما يكرهه ان كيدكن عظيم والتعظيم بانتقاص مقدار غيره عنه حسا او معنى فاستعظمه لانه ادق من مكر الرجال والطف واخفى لان الشيطان عليهن لنقصهن اقدر وكيدهن الذي هو من كيد الشيطان اضعف ضعيف بالنسبة الى ما يدبره الله عز وجل في ابطاله ثم قال العزيز امرا له عليه السلام مسقطا حرف النداء لانه دال على قربه من قلبه على حاله يوسف اعرض اي انصرف بكليتك مجاوزا عن هذا اي اجعله بمنزلة ما تصرف وجهك عنه الى جهة العرض بان لا تذكره لاحد ولا تهتم به فاني لم اتاثر منك بوجه لان عذرك قد بان واقبل اليها فقال واستغفري اي اطلبي الغفران لذنبك في ان لا يحصل لك عقوبة مني ولا من الله واستانف بيان ما اشار اليه بقوله انك كنت اي كونا جبليا من الخاطئين اي العريقين في الخطا بغاية القوة يقال خطئ خطأ اذا اذنب متعمدا ولما كان في هذا من شرف العفة ما يدل على كمال العصمة اتبعه تعالى بما يدل على تناهي حسنه وتعالي جماله ولطفه لان العادة جرت بان ذلك اذا كان مستعملا حدا كان مظنة لميله لتوفر الدواعي الى الميل اليه فقال تعالى وقال نسوة اي جماعة من النسا لما شاع الحديث ولما كانت البلدة كلما عظمت كان اهلها اعقل واقرب الى الحكمة قال في المدينة اي التي فيها امراة العزيز ساكنة امراة العزيز فاضفتها الى زوجها ارادة الاشاعة للخبر لان النفس الى سماع اخبار اولي الاخطار اميل والعزيز المنيع بقدرته من ان يضام فالعزة اخص من مطلق القدرة وعبرت بالمضارع في تراود فتاها اي عبدها نازلة من افق عز العزيز الى افتراشه عن نفسه افهاما لان الاصرار على المراودة صار لها كالسجية والفتى الشاب وتبع الرماني بالقوي قال وقال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى شيخا كان او شابا ففيه اشتراك على هذا قد شغفها ذلك الفتى حبا اي من جهة الحب قال الرماني شغاف القلب غلافه وهو جلدة عليه يقال دخل الحب الجلد حتى اصاب القلب عن السدي وابي عبيدة وعن الحسن انه باطن القلب وعن ابي علي وسط القلب انتهى والذي قال في الجمل وغيره انه غلاف القلب اجمل واحسن من توجيه ابي عبيدة له انحجبه صار شغافا لها اي حجابا اي ظرفا محيطا بها واما شعفها بالمهملة فمعناه غشي شعفة قلبها وهي راسه عند معلق النياط وقال الرماني اي ذهب بها كل مذهب من شعف الجبال وهي رؤسها ولما قيل ذلك كان كانه قد قيل فكان ماذا انفعل ما اكثر ان من ورا عذرها وقطع بانهن لو كن في محلها لعلمن عملها ولم يضللن فعلها انا لنراها اي نعلم امرها علما هو كالروية في ضلال اي محيط بها مبين ورضاها لنفسها بعد عز السيادة بالسفول عن رتبة ٥
العبيد ودل بالفا على ان كلامهن نقل اليها بسرعة فقال فلما سمعت اي امراة العزيز بمكرهن وكانهن ارادن بهذا الكلام ٦
ان يتاثر عنه ما فعلت امراة العزيز ليرينه فلذلك سماه مكرا ارسلت اليهن لتريهن ما يعذرنها بسببه فتسكن عنها لومهن واعتدت اي هيات واحضرت لهن متكأ اي ما يتكئن عليه من الفرش اللينة والوسايد الفاخرة فاتيتها فاجلستهن عليها ما اعدت لهن واتت كل واحدة منهن سكينا ليقطعن لها ما يحتاج الى القطع مما حضر مما لا حاجة في هذا المجلس قال ابو حيان فقيل كان لحما وكانوا لا ينهشون اللحم انما ياكلونه حزا بالسكاكين وقال الرماني ليقطعن فاكهة قدمت اليهن انتهى فهذا الظاهر من علة ايتائهن وباطنه اقامة الحجة عليهن بما يجدنه مدفعا مما يتاثر عن ذلك وقالت ليوسف ثناؤها عليه السلام اخرج عليهن فامتثل ما امرته به كما هو دابه في كل ما لا معصية فيه وبادر الخروج عليهن فلما رأينه اي النسوة اكبرنه اي اعظمن يوسف عليه السلام صدا اعظاما كربهن وقطعن اي جرحن جراحا كثيرة ايديهن وعاد لومهن عذرا والتضعيف يدل على التكثير فكان السكين كانت تقع على يد احدهن فتجرحها فترفعها عن يدها بطبعها ثم تعيدها الدهش فتقع على موضع اخر وهكذا وقلن حاش اي تنزيها عظيما جدا لله اي الملك الاعلى الذي له صفات الكمال التي خلق بها مثل هذا ولما كان المراد بهذا التنزيه تعظيمه بينه بقولهن ما هذا بشرا لانه فاق البشر في الحسن جدا واعرض عن الشهوة من غير علة نراها مانعة لانه في غاية القوة والفحولية فكانه قيل فما هو فقلن ان اي ما هذا الا اي في هذا الحسن والجمال والعفة

واعدن الاشارة دفعا لامكان الغلط الا ملك كريم وذلك مما ركز في الطباع من نسبة كل معنى فائق الى الملئكة من الحسن والعفة وغيرهما وان كانوا غير مرئيين كما ركز فيها نسبة ضد ذلك الى الجن والشياطين فكانه قيل فما قالت لهن امراة العزيز فقيل قالت فذلكن اي الفتى العالي المرتبة جدا الذي لمتنني فيه ولما علمت انهن عذرنها قالت موكدة استلذاذا بالتهتك في حبه ولقد اي اقول هذا والحال اني والله لقد تحقق اني راودته عن نفسه اي لاصل اليه بما اريد فاستعصم اي فاوجد العصمة والامتناع على فاشتد اعتصامه وما انا براجعة عنه ثم توعدته وهو يسمع ليلين فقالت لهن موكدة لان حال حبها يوجب الانكار لان تفعل ما يوذي المحبوب ولئن لم يفعل اي هذا الفتى الذي قد تام عذري عندكن فيه ما امره اي الذي ليسجنن اي ليمنعن من التصرف بالحبس بالسجن مني ولما كان عزمها على السجن اقوى من العزم على ايقاع الصغار به اكدته بالنون الثقيلة وقالت وليكونا بالنون الخفيفة من الصاغرين اي الاذلا او ان الربا في تاكيد السجن لانه يلزم منه ابعاده وابعاد الحبيب اولى بالانكار من اهانته فقال له النسوة اطعها لئلا تسجنك وتقبنك فكانه قيل فما قال فقيل قال لتعفف من فتي تشهوده عن كل شهود فانا عن نفسه ما ورد عليه من وسوسة الشيطان في اي مما لها وامي ورياستها وما لها من مكر النسوة اللاتي نوعن لها القول في الترغيب والترهيب عالما بان القوة البشرية تضعف عن حمل مثل هذا الابتلا بتاييد عظيم مسقطا الاداة على عادة اهل القرب رب السجن وهو محيط مانع من الاضطراب فيما خرج عنه احب الي اي اقل بغضا مما يدعونني اي هولا النسوة كلهن اليه لما اعلم من سوء عاقبة المعصية بعد سرعة انقضا اللذة وهذه العبارة تدل على غاية البغض لما دعينه فان السجن لا يتصور حبه عادة وانما المعنى انه لو كان يتصور الميل اليه كان ميلي اليه اكثر لانه لا يتصور الميل اليه لانه شر محض مع ذلك فانا اوثره على ما دعو اليه لانه اخف الضررين والحاصل انه انه اطلق المحبة على ما يضاد هواي هذا السياق من البغض ولا له الا لالتزام فكانه قيل السجن اقل بغضا الي وذلك هو ضد احب الذي معناه اكثر حبا ولكن حولت العبارة ليكون كدعوى الشي مقرونا بالدليل وذلك انه لما فوضل في المحبة بين شيين امرهما مقطوع ببغضه فهم قطعا ان المراد انما هو ان بغض هذا البغيض دون بغض المفضول فعلم قطعا ان ذلك الذي يظن حبه ابغض من هذا المقطوع ببغضه وكذا كلما فوضل حسنا في وصف بين مثله على الحقيقة كون المفضل متحققا بضده واسا الموفق والدعا طلب الفعل من المدعو وصيغته كصيغة الامر والا تصرف عني اي انت يا رب الان وفيما يستقبل من الزمان تجاوزا عني كيدهن اي ما قدرن ما قدرا لتلبسني من مكرهن وتدبيرهن الذي يردن به الخبث احتيالا على الوصول الى قصدهن ضربة وغزوا اصب اي امل ميلا عظيما اليهن المجبول الادمي عليه من الميل النفساني الى مثل ذلك والوصي اخر وسياج صيانته بواحدة تبعها امثالها واتسع الخرق على الراقع ولذلك قال واكن اي كونا هو كالجبلة من الجاهلين اي العريقين في الجهل بارتكاب مثل افعالهم فاستجاب له ربه اي اوجد المحسن اليه الجياد اعظم الاجابة دعايه الذي تضمنه هذا الثنا لان الكريم يغنيه التلويح عن التصريح ٥ كما قيل
٥ اذا اثنى عليك المرء يوما ٥ كفاه من تعرضه الثناء ٥
وفعل ذلك سبحانه اكراما له وتحقيقا لما سبق من وعده في قوله كذلك لنصرف عنه السوء الاية فصرف عنه كيدهن ثم علل ذلك بقوله انه هو السميع اي للاقوال العليم بالضمائر والنيات فيجيب ما صح فيه القصد وطاب منه العزم ولما كانت هذه الامور موجبة لرفعته فكان حينئذ ابعد شي عن السجن لو الناس متمكنين من جري امورهم على حسب المشية بدون عقولهم اخبر تعالى انهم خالفوا داعي السداد واستبدلوا الغي بالرشاد لحكمهم بالسجن بسبب عظيم لصرف كيدهن عنه واثبات العز والمكنة له ففعلوا مع علمهم بان ذلك ظلم وسعه اجابة لغالب الراي واظهارا للعلي قدرة بمخالفة العوايد مرة بعد مرة وهدم شداد الاسباب كرة اثر كرة فقال مثيرا لهذا المعنى وهو انهم كانوا ينبغي ان يكونوا من سجنه في غاية البعد بدا اي ظهر بعد الخفا كما هي عادتكم لهم والبدا الى الراي المتلون فيه لظهوره ما لم يكن ظهر منه ولما كان الظهور في حين من الدهر تلونوا بعده الى راي اخر ادخل الجار دالا عليه على ذلك فقال من بعد ما راوا اي روسهم الايات القاطعة ببراته القاضية بنزاهته من قد القميص وشهادة الشاهد وغير ذلك ولما كان فاعل بدا ابدلا اي راي فسره بقوله موكدا لانه لا يصدق ان الانسان يفعل ما ظهر له المانع منه ليسجننه فيمكث في السجن حتى حين اي الى ان تنسى تلك الاشاعة ويظهر للناس انها لو كانت تحبه ما سعت في سجنه وقيل ان ذلك الحين سبع سنين قيل كان سبب ذلك انها قالت للعزيز ان هذا قد فضحني في الناس وهو يعتذر اليهم ويصف الامر كما يحب وانا محبوسة فاما ان تاذن لي فاخرج فاعتذر كما يعتذر واما ان تسويه في السجن قال ابو حيان قال ابن عباس فامر به فحمل على حمار وضرب امامه الطبل ونودي عليه في اسواق مصر ان يوسف العبراني اراد سيدته فهذا جزاوه ان يسجن قال ابو صالح ما ذكر ابن عباس رضي الله عنه هذا الحديث الا بكى انتهى وهذا دليل على قوله ان كيدهن عظيم قال الامام فخر الدين الرازي في كتاب اللوامع وعلى الجملة فكل احوال يوسف عليه السلام لطف في عنف ونعمة في نقمة ويسر في عسر ورجا في ياس وظفر بعد

وخلاص بعد ان لات مناص وسابق القدر ربما يسوق القدر الى المقدور بعنف وربما يسوقه بلطف والقهر والعنف احمد عاقبة
واقل تبعة انتهى ولما ذكر السجن وكان سببًا ظاهرًا للاهانة شرع سبحانه يقص من امره فيه ما حاصله انه جعله سبب الكرامة كل ذلك
بيان للغلبة على الامر والاتصاف بصفات الكمال مع ما في ذلك من بيان تحقق ما تقدم به الوعد الوفي ليوسف عليه السلام وغير ذلك
من الحكم فقال تعالى ودخل اي فسجنوه كما بدا لهم ودخل معه السجن فتيان خبازا الملك وساقيه رفع اليه ان الخباز اراد ان
يسمه وظن ان الساقي مالاه على ذلك ومع تدل على الصحبة واستحدا انها تدل على دخول الثلاثة السجن في ان واحد قاله ابو حيان
فلما دخلوا السجن كان يوسف عليه السلام يحسن الى اهله فيسلي حزينهم ويعود مريضهم ويسال لفقيرهم ويهديهم الى الخير
باسه فمالت اليه القلوب وكلفت به النفوس لحسن حديثه ولطف تانيه وما حباه الله به من الفضل والنبل وحسن الخلق
والخلق وكان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم فلم يزل يرفق بهم حتى قالوا بارك الله فيك ما احسن وجهك
واحسن خلقك واحسن حديثك لقد بورك لنا في جوارك ما نحب انا كنا في غير هذا منذ حبسنا لما تخبرنا به من الاجر
والكفارة والثواب والطهارة من انت يا فتى فاخبرهم بنسبه الشريف فقال عامل السجن لو استطعت لخليت
سبيلك ولكن ساحسن جوارك وايثارك واحبه الفتيان ولزماه فقال انشدكما الله ان تحباني فوالله ما احبني
احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء
ثم احبتني زوجة صاحبي هذا فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني فابيا الا حبه فكانه قيل اي شيء اتفق لهما بعد
الدخول معه فقيل قال احدهما ليوسف عليه السلام ولعل التاكيد اما لانه كانت عادتهما المزح واما لانهما
ما رايا شيئا كما قال الشعبي وانما صنعا هذا ليختبراه اني اراني حكى الحال الماضية في النوم اعصر والعصر الاعتماد على ما
فيه مائية ليحلب منه خمرًا اي عنبا يؤول الى الخمر وقال الاخر موكدا لمثل ما مضى اني اراني احمل والحمل رفع
الشيء بعاد بثقله فوق راسي خبزا اي طعاما مهيا للاكل بالخبز وهو عمل الدقيق المعجون بالبسط والالزاق في حامي
بالنار حتى يصلح للاكل تاكل الطير منه وسياتي شرح الرويا من التوراة فكانه قيل فماذا تريدان من الاخبار
بهذا فقالا نبئنا اي اخبرنا اخبارا عظيما بتاويله اي بما يرجع امره ويصير اليه فكانه قيل وما يدريكما
اني اعرف تاويله فقالا انا نراك اي على حالة علمنا بها علما هو كالرؤية انك من المحسنين اي العريقين في وصف
الاحسان لكل امر تعانيه فلذلك لنا انك تحسن التاويل قياسا فلما راهما بصيرين بالامور قال اشارة الى انه
يعرف ذلك وادق منه ليقبلا نصحه فيما هو اهم اليهما لكل احد وهو ما خلق العباد له من الاجتماع على الله لتفريغهما
للفهم لكلامه والقبول لكل ما يلقيه لاحتياجهما الى افتائهما مولها اما وصفاه به من الاحسان بما اتبعه من وصف
نفسه بالعلم انتهازا للفرصة النصيحة عند هذا الاذعان باعظم ما يكون النصح به من الامر بالاخلاص في عبادة
الخالق والاعراض عن الشرك فعلى كل ذي علم اذا احتاج الى سواله احد ان يقدم على جوابه نصيحة بما هو الاهم ويصف
له نفسه بما يرغبه في قبول علمه ان كان الحال محتاجا الى ذلك فلا يكون ذلك من باب التزكية بل من باب الارشاد
الى الائتمام به بما يقرب الى الله فيكون له مثل اجره لا ياتيكما اي في اليقظة طعام وبين انه خاص بكما دون اهل السجن
بقوله ترزقانه بناه تعميمًا الا نباتكما اي اخبرتكما اخبارا جليلا عظيما بتاويله اي به وبما يؤول ويرجع اليه امره
ولما كان البيان في جميع الوقت الذي بينه وبين الطعام الذي قبله نزع الخافض فقال قبل ان ياتيكما
اي اخبرتكما ان ادعيتما انه ياتيكما طعام كذا فيكون سببا لكذا فكان المتسبب للناشئ عن التسبب هو المثال
ولما وصف نفسه من العلم بما يدعو كل ذي همة الى السعي في الاسباب التي يحصل له ذلك بها ليصير مثله او يقرب
منه وكان يحل ان يقال من علمك ذلك قال مرشدا الى الله داعيا اليه احسن دعاء بما تميل اليه النفوس من الطمع
والفضل ذلكما اي الامر العظيم ونبه على غزارة علمه بالتبعيض في قوله مما علمني ربي اي الموجد لي والمربي
لي المحسن الي ولم اقله عن تكهن ولا تنجيم فكانه قيل ما لغيرك لا يعلم مثل ما علمت فقيل قال معللا له مطمعا
كل من فعل فعله في فضل الله مولدا العلماء بان ذلك امر عظيم يحق لمثله ان يفعل اني تركت ملة قوم لا يؤمنون اي وان كانوا
اقوياء على محاولة ما يريدون فلذلك لا يقدروا على اذاي ويجني بعد رؤية الايات الشاهدة لي ونبه على ان ذلك
لا يتقدم عليه الا من لا يحسب الملك الاعظم الذي لا يخفى امره على ذي لب من اهل مصر وغيرهم ثم لوح الى التحذير من يوم
الجزاء الذي لا يغني فيه احد عن احد منبها على ان الكفر به هو القاطع عن العلم عن كل خير فكان فقال مولدا تاكيدا عظيما
اشارة الى ان امرهم ينبغي ان ينكره كل من يسمعه ولا يصدقه لما على الاخرة من الدلائل الواضحة جدا الموجبة لئلا يكذب
بما اصدوهم بالاخرة اي الدار التي لا بد من الرجوع اليها لانها محط الحكمة هم اي بضمائرهم كما هم بظواهرهم وفي تكرير الضمير
تنبيه على ان هؤلاء اختصوا بهذا الجهل وان غيرهم وقفوا على الهدى كافرون اي عريقون في التغطية لما قاله الاظهر قولهم

تلويحهم فكانت صورة الاتفاق لها والملة مذهب جماعة يحمى بعضها لبعض في الديانة واصله من المليلة وهي حمى تلحق الانسان
قاله الرماني وفي القاموس ان المليلة الحر الكامن في العظم وعبر بتركت موضع تجنبت مثلا مع كونه لم يلابس تلك
الملة قط تانيسا لهما واستدراجا الى تركها ثم اتبع ذلك ما يدل على شرف اصله وقدم فضله بانه من بيت النبوة ومعدن
النبوة ليكون ذلك ادعى الى قبول كلامه واصابة سهامه اقصى مرامه فقال واتبعت اي بغاية جهدي ورغبتي ملة
ابائي ابراهيم خليل الله وهو جد ابيه واسحاق ابنه نبي الله هو جده ويعقوب ابنه اسرائيل الله وهو ابوه حقيقة وتلك هي
الحنيفية السمحة التي هي الميل مع الدليل من غير جمود مع هوى بوجه من الوجوه روى البخاري في التفسير وغيره عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن
هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب
تسالوني قالوا نعم قال فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا فكانه قيل ما تلك الملة فقال ما كان لنا اي ما صح
وما استقام بوجه من الوجوه لما عندنا من نور العلم الذي لم يدع عندنا لبسا بوجه اصلا ان نشرك اي نجدد في وقت ما
شيئا من اشراك بالله اي الذي له الامر كله واغرق في النفي فقال من شيء اي بما شرعه لنا ابائي لدين القويم كانت ملتنا التوحيد
ومن التاكيد العموم في سياق النفي ليعم ذلك كل شيء من عاقل ملك او نبي او جني وغيره ثم علل ذلك بما يعرف به انه كان واجب
عليهم ذلك وجب على كل احد فقال ذلك اي كان هذا الانتفا او ذلك التشريع للملة الحنيفية وتسهيلها وجعل الفطر
الاولى منقادة لها مستقبلة عليها العلي الشان العظيم المقدار من اجل فضل الله اي المحيط بالجلال والاكرام علينا
خاصة وعلى الناس الذين هم اخوانا في البشرية نحن ويفضل لنا شكرنا الله فتقبلنا ما تفضل به علينا فلم
نشرك به شيئا والفضل النفع الزايد على مقدار الواجب فكل عطاء الله فضل فانه لا واجب عليه فكان لذلك واجبا
على كل احد اخلاص التوحيد له شكرا على تفضله لما تظافر عليه دليل العقل والنقل من ان شكر المنعم واجب ولكن اكثر الناس
اي بما لهم من الاضطراب مع الهوى عموا عن هذا الواجب فهم لا يشكرون فضله باخلاص العمل له ويشكرون به اكرامًا
لنظرهم الاول فالاية من الاحتباك ذكر نفي الشرك اولا يدل على وجوده ثانيا وذكر نفي الشكر ثانيا يدل على حذف اثباته
اولا ولما المهم الدليل على ما هو عليه من الدليل الحنفي بمخالصة الخلق مما تقرر في الاذهان من ان الله تعالى هو المنعم
وصح سبحانه يجب شكره بعد ان قرر لهم امر نبوته واقام دليلها بما اخبرهم به من المغيبات ودعاهم الى ما يجب عليهم من التوحيد
وهو الاسلام وكان اكثر الخلق الا الفذ النادر يقرون بالاله الحق ولكنهم يشركون به بعض خلقه اتبعه برهان التمانع على
فساد كل ملة غير الاسلام الذي تطابق عليه الانبياء والرسل كلهم تاييدا الادلة النقل بقاطع العقل فقال مناديا لهما
باسم الصحبة بالاداة التي تقال عند ما له وقع عظيم في النفوس في المكان الذي تخلص فيه المودة وتمحض فيه النصيحة وتصفو
فيه القلوب ويتعهد الاخلاص رجاء الخلاص يا صاحبي السجن والصحبة ملازمة اختصاص كاصحاب الشافعي مثلا للملازمة
الاختصاص بمذهبه وهو خلاف ملازمة الاتصال لما فرغ افهامهما بالنداء لما يلقيه فرغ اسماعهما بالانكار مع التقرير
فقال ارباب اي الهة متفرقون متباينون بالذوات والحقائق تشاهدونهم محتاجين الى المكان مع كونهم جمادا او
ولو كانوا احياء لامكن تمانعهم فادى الى امكان عجز كل منهم التابع لعدم صلاحيته للالهية خير اي اعظم في وصف
المدح واولى بالطاعة ام الله اي الملك الاعلى الواحد بالذات فهو لا يحتاج الى شيء اصلا القهار لكل شيء لا يزال تفرد
بتكرر ابدا كلها هذا البرهان الا خطابة كاظن وابرزه صلى الله عليه وسلم على وجه الاستفهام استجلابا للسامع برد العلم اليه
وسماها اربابا لمثل ذلك للابتناء على زعمهم وكذا المشاركة في افعال التفضيل لان ذلك اقرب الى الانصاف لكونه الين في القول
فيكون ادعى الى القبول ولما كان الجواب لكل من يسئل الله خيرا شاد الى ذلك لجزمها لعقول بعد ذلك الاستفهام في طلب
صلاحيتهم قبل هذا الامكان بعدم حياتهم وعلى تقدير حياتهم بعجزهم فقال ما تعبدون والعبادة خضوع
بالقلب في اعلى مراتب الخضوع ويبين حقارة معبوداتهم وسفولها بقوله من دونه اي الله الذي قام برهان
التمانع الذي هو البرهان الاعظم على الاهيته وعلى اختصاصه بها لانها لا ارواح لها فضلا الا اسماء وبين ما يريد واوضح
بقوله الا اسماء اي ذوات اوجدتم لها اسماء انتم واباؤكم لا معاني لها لانه لا ارواح لها فضلا عن ان يتحقق معنى ما يسميه
به من الالهية وان كان لها ارواح فهي منتفية عنها خاصة الالهية وهي الكمال المطلق الذي يستلزم احاطة العلم والقدرة
ولما كان مقصود السورة وصف الكتاب بالابانة للهدى وكان نفي الاثر الكافي الابانة لان عبادة الاصنام باطلة
ولم يكن في السياق كالاعراف مجادلة توجب مماحكة ومماطلة ومسلحة متطاولة قال نافيا الاثر الدال اي وصف كان
ما انزل الله به اي المحيط علما وقدرة فلما لا احد معه بها واغرق في النفي فقال من سلطان اي برهان يتسلط على
تعظيمها فانتفى تعظيمها لذاتها او لغيرها وصار حاصل الدليل لو كانوا احياء يحكمون لم يصلحوا للالهية لامكان تمانعهم المؤدي

الا سكان عجز كل منهم الملزوم لانهم لا صلاحية فيهم للالهية لكنهم ليسوا احيا فهم احدر بعدم الصلاحية فعلم قطعا انه لا حكم
لمتهور وان كل من يمكن ان يكون له ثان متهور فانتج هذا قطعا ان الحكم انما هو لله الواحد القهار وهو لم يحكم بتعظيمها وذلك
معنى قوله ان اى ما الحكم الا لله اى المختص بصفات الكمال والحكم فصل الامر بما تدعوا اليه الحكمة ولما انتفى الحكم عن غيره وكان
ذلك كافيا في وجوب توحيده رغبة فيما عنده ورهبة فيما بيده اتبعه تاكيدا لذلك والزاما به انه حكم به فقال
امر ان لا تعبدوا اى ايها الخلق في وقت من الاوقات على كل من الاحوال الا اياه اى وهو النافذ الامر المطاع
الحكم ولما تم الدليل على هذا الوجه البين كان جديرا بالاشارة الى فضله فاشار اليه باداة البعد تنبيها على علو مقامه
وعظيم شانه فقال ذلك اى الشان الاعظم وهو توحيده وافراده عن خلقه الدين القيم اى الذى لا عوج فيه ولا ثباته
الخلل من جهة عوجه الظاهر لمن كان له قلب ولكن اكثر الناس اى لما لهم من الاضطراب مع الحظوظ لا يعلمون اى ليس لهم علم
لانهم لا ينتفعون بعقولهم فكانهم في عداد البهايم العجم فلذلك جلى للذهن لا يفردون اسبابا للعبادة ولما تم نصحهم دعلا قدحه
بالقايه اليهما ما كان اهم لهما لو علما ماله في الحياة الابدية والرفعة السرمدية اجمل على حاجتهما بمكنا لما ذكره وتاكيدا
للذى قرره فناداهما بالاداة الدالة على ان ما بعدها كالامر له موقع عظيم لتجمع انفسهما لسماع ما يلقى اليهما من التعبير فقال
يا صاحبى السجن اما اى الذى تردد فيه الحظوظ ويحصل الانكسار للنفس والرقة في القلب فتخلص فيه المودة ولما كان
في الجواب ما يسوء الخباز ابهم ليجوز كل واحد انه الفائز فان لجاه الى التعيين كان ذلك عذرا له في الجزوع عن الاليق فقال
اما احدكما وهو الساقى فيخلص ويقرب فيسقى ربه اى سيده الذى كان في خدمته خمرا كما كان واما الآخر وهو الخباز ولما
كان الذى له قوة ان يصلب انما هو الملك بنى للمفعول قوله فيصلب ويعطب فتاكل اى فيتسبب عن صلبه انه تاكل الطير من
والاية من الاحتباك ذكر ملزوم السلامة والقرب اولا دليلا على العطب ثانيا وملزوم العطب ثانيا دليلا على السلامة
اولا وسياق شرح تعبيره من التوراة فكانه قيل انظر جيدا ما الذى تقول وروى انهما قالا ما راينا شيا انما كنا نلعب
فقال مشيرا بصيغة البنا للمفعول الى عظمة الله وسهولة الامور عليه قضى الامر وبينه بقوله الذى فيه اى لا في غيره
تستفتيان اى تطلبان الافتاء فيه عملا بالفتوة فيما التماس تاويله وهو تاويل رؤياكما كذبتما او صدقتما لم اقله عن جهل
ولا غلط وما احسن ايلاء هذا العلم الثابت بختم الاية السابقة بنفى العلم عن الاكثر والاحد المختص من المصاف
اليه يبهم له بمثل صفة المصاف ولذلك البعض فلم يصدق راى احد الرجلين الا برجل منهما خلاف بعض والقنيا الجواب
بحكم المعنى وهو غير الجواب بعلته ذكره الرمانى ولعل رؤيتهما تشير الى ما تشير اليه رؤيا الملك فالعصر يشير الى
السنابل الخضر والبقر السمان لانه لا يكون الا عن فضل والخبز الذى طارت به الاطيار وسارت برؤوس صاحبه الاقدار
تشير الى اليابسة والعجاف والله اعلم ولما كان كل علم بالنسبة الى علم الله سبحانه عبر عن علمه بالظن ويمكن ان يكون الظن
على بابه لكونه قال ما قال باجتهاد وتبرئته فيوجد منه انه يسوغ الجزم بما ادى اليه الظن فقال وقال اى يوسف عليه السلام
للذى ظن مع الجزم مع الجزم بانه اراد به العلم لقوله قضى الامر ويجوز ان يكون ضمير ظن للساقى فهو حينئذ على بابه
انه ناج منهما وهو الساقى اذكرنى عند ربك اى سيدك ملك مصر بما رايت منى من معالى الاخلاق وطهارة
الشيم الدالة على بعدى مما رميت به والمراد بالرب هنا غير المراد به الارباب متفرقون فنجا الساقى وصلب صاحبه
وفق ما قال لهما يوسف عليه السلام فانساه اى الساقى الشيطان اى البعيد من الرحمة المحترق باللعنة ذكر يوسف
عليه السلام عند ربه اى بسبب اعتماده عليه في ذلك فلبث اى يوسف عليه السلام بسبب هذا النسيان في السجن من حين
دخل الى ان خرج بضع سنين ليعلم ان جميع الاسباب انما اثرها بالله تعالى وحقيقة البضع من الثلاث الى التسع والمروى
هنا انه كان سبعا ذكر ما مضى من هذه القصة من التوراة قال بعد ما مضى فاهبط المدينيون يوسف الى مصر فاشتراه
فوطيفرع الامير صاحب شرطة فرعون رجل مصرى من يد الاعراب الذين اهبطوه الى هنالك فكان الرب بعونه مع يوسف
وكان رجلا منجحا واقام في منزل المصرى سيده فراى سيده ان الرب بعونه معه وان الرب ينجح جميع اعماله فحظى يوسف
منه برحمة ورانه يخدمه وسلطه على بيته وخوله جميع ماله ومن اليوم الذى سلطه على بيته وخوله جميع ماله
بارك الرب في بيت المصرى من اجل يوسف وفي سببه فحلت بركة الرب في جميع ماله في البيت والحقل وخول كل شئ له
فلم يكن يعلم بشئ ماله في يده لثقته به ما خلا الخبز الذى كان ياكله وكان يوسف حسن المنظر صبيح الوجه فلما كان بعد هذه
الامور لحظت امراة سيده بنظرها الى يوسف فقالت له ضاجعنى فابى ذلك وقال لامراة سيده ان سيدى لثقته به
لا ليس يعلم ما في بيته وقد سلطنى على جميع ماله وليس في هذا البيت اعظم منى ولم يمنعنى شيا ما خلاك انت لانك امراته فكيف
ارتكب هذا الشر العظيم واخطى بين يدى الله واذ كانت تراوده كل يوم ولم يطعها ليضاجعها ويصير معها فبينما هو ذات
يوم دخل يوسف الى البيت ليعمل عمله ولم يكن احد من اهل البيت هناك فتعلقت بقميصه وقالت له ضاجعنى فترك قميصه

قميصه في يدها وهرب فخرج الى السوق فلما رات انه قد ترك قميصه في يدها وخرج هاربا الى السوق دعت باهل بيتها وقالت
لهم انظروا انه اتانا رجل عبرانى ليفضحنا لانه دخل على يريد مضاجعتى وهتفت بصوت عال فلما راى انى قد رفعت
صوتى وهتفت ترك قميصه في يدى وهرب الى السوق فصيرت قميصه عندها حتى دخل سيدها البيت فقالت له مثل هذا
الاقاويل دخل على هذا العبد العبرانى الذى جلبته علينا يريد يفضحنى فلما رفعت صوتى فتحت ترك قميصه في يدى وخرج الى
السوق فلما سمع سيده كلام امراته استشاط غيظا فامر به سيده فقذف في الحبس الذى كان اسرى الملك فيه محبوسين فمكث هناك
في السجن وكان الرب سنطره ورزقه المحبة والرحمة والقبول في قلب السجان رحمة فولى يوسف جميع المسجونين الذين في الحبس وكل
فعل كانوا يفعلونه هنالك كان عن امره ولم يكن رئيس السجن يضرب على يديه في شئ لان الرب كان بعونه معه وكل شئ كان معه
ينجحه الرب فلما كان بعد هذه الامور اذنب صاحب شراب ملك مصر والخباز وفى نسخة موضع الخباز ورئيس الطباخين بين
يدى سيدهما ملك مصر فغضب فرعون على خادميه على رئيس اصحاب الشراب ورئيس الخبازين وفى نسخة الطباخين فامر بحبسهما
في سجن صاحب الشرطة في الحبس الذى كان فيه يوسف فسلط صاحب السجن يوسف عليهما يخدمهما فلبثا في السجن اياما فرايا
رؤيا جميعا كل واحد منهما رؤيا كل في ليلة واحدة وكل واحد منهما احب تعبير حلمه الساقى وخباز وفى نسخة وطباخ ملك
مصر فدخل عليهما يوسف بالغداة فراهما عابسين مكتئبين فسالهما وقال ما بالكما يومكما هذا عابسين مكتئبين فقالا له
انا راينا رؤيا وليس لها معبر فقال لهما يوسف ان علم التعبير عند الله فقصا على فقص رئيس اصحاب الشراب على يوسف وقال
له انى رايت في الرؤيا كان حبلة بين يدى في الحبلة ثلاثة قضبان فيها هى لما اذ فرعت ونبت ورقها وانبعت عناقيدها
فصارت عنبا وكان كاس فرعون في يدى فتناولت من العنب فعصرته في كاس فرعون وناولت الكاس فرعون فقال له
يوسف هذا تفسير رؤياك الثلاثة قضبان هى ثلاثة ايام ومن بعد ثلاثة ايام يذكرك فرعون فيردك على عملك وتناول
فرعون الكاس في يده على العادة الاولى التى لم تزل تسقيه فاذكرنى حينئذ اذا انعم عليك وانعم على بالنعمة والقسط
فاذكرنى بين يدى فرعون واخرجنى من هذا الحبس لانى انما سرقت من ارض العبرانيين سرقة وحصلت في الحبس ههنا
ايضا بلا جرم جنيته فراى رئيس الخبازين وفى نسخة الطباخين انه قد فسر تفسيرا حسنا فقال ليوسف رايت انا
ايضا في منامى كان ثلاثة اطباق فيها خبز ورمك على راسى وفى الطبق الاعلى من كل ما ياكل فرعون مما يصنعه الخباز
وفى نسخة عمل طباخ حاذق وكان السباع والطير تاكلها من الطبق من فوق راسى فاجاب يوسف وقال له هذا
تفسير رؤياك تلك الثلاثة الاطباق هى ثلاثة ايام وبعد ثلاثة ايام يامر فرعون بضرب عنقك وصلبك على خشبة وتاكل
الطير لحمك فلما كان اليوم الثالث هو يوم مولد فرعون اتخذ فرعون وليمة لجميع عبيده وافتقد رئيس اصحاب الشراب
ورئيس الخبازين وفى نسخة الطباخين فامر برد رئيس الشراب على موضعه وسقى فرعون الكاس على عادته وامر بصلب
رئيس الخبازين وفى نسخة الطباخين وامر بصلب رئيس الطباخين كالذى فسر لهما يوسف فلم يذكر رئيس اصحاب الشراب
يوسف ونسيه ولما بطل هذا السبب الذى امر به يوسف فلم يذكر عليه السلام وهو تذكير الشرابى به اثار الله سبحانه
سببا ينقذه به مما اراد من رياسته وقضى به من سجود من دلت عليه الكواكب فقال دالا على ذلك وقال الملك
وهو مختص قابوس واسع الملك المقدر اليه السياسة والتدبير للملاء وهم السحرة والكهنة والحزاة والقافة والحكماء الدالين
انه محق في كلامه غير ممتحن انى ارى عبر بالمضارع حكاية للحال لشدة ما هاله من ذلك سبع بقرات سمان والسمن زيادة
البدن من اللحم والشحم ياكلهن سبع اى بقرات عجاف والعجف يبس الهزال وانى ارى سبع ولما كان تاويل المنام الجدب
والقحط والشدة اضاف العدد الى جمع القلة بخلاف ما كان في سياق المضاعفة في قوله انبتت سبع سنابل فقال سبع سنبلات
خضر وانى ارى سبع سنبلات اخر يابسات التوت على الخضر فغلبت عليها وكانه حذف هذه الدلالة العجاف
عليه والسنبلة نبات كالقصبة حمله حبوب كما منتظمة فكانه قيل فكان ماذا فقيل قال الملك يا ايها الملا اى الاشراف
النبلاء الذين تملا العيون مناظرهم والقلوب مخابرهم وماثرهم افتونى اى اجيبونى وبينوا الى كرما منكم بقوة
وفهم ثاقب ولما كان مراده ان لا يخرجوا الجواب عن القصد ولا يبعدوا به عنه بما يغم الحرف فقال في رؤياى وسمهم
من الكلام بغير علم بقوله ان كنتم للرؤيا تعبرون اى جنسها وعبارة الرؤيا تعبيرها تاويلها بالعبور من علنها
الى سرها كما تعبر من عبر النهر اى شطه الى عبره الاخر ومثله اولت الرؤيا اذا ذكرت مالها ومرجعها المتضمن ذلك
المثال والمادة بتراكيبها الستة عرب وعبر ورعب وربع ولعب وبرع تدور على الجواز من محل الى محل ومن حال الى حال
واكثر ذلك الى اجود فالعرب جموا لان سبيل امرهم على الارتحال لاستجادة المنازل واعرب اذا افصح اى تكلم بكلام العرب
فابان عن مراده اى اجازه من العجمة والابهام الى البيان واعرب العرس اذا خلصت عربيته فكانه جاز مرتبة اللحن الى
الصواب وكذا الابل العرابية العروبة يوم الجمعة لعلو قدرها عن بقية الايام والعروب المراة الضاحكة العاشقة لزوجها

المحببة اليه المظهرة له ذلك وهي ايضا العاصية لزوجها لان كل ذلك من افعال العرب فهم اعشق الناس واكثرهم
على الاستمالة بالكلام العذب وهم اعصى الناس واجفاهم اذا ارادوا العرب وحرك النشاط لانه انتقال عن الكسل
وتدعرب كفرح اذا انشط واذا ورم لان الوارم يتجاوز هيئة غيره وعربت البير كثر ماؤها فارتفع وعرب كضرب اكل العرب
محركة النهر الشديد الجري والنفس لكثرة انتقالها بالفكر والعربون ما عقد به المبايعة من الثمن تنتقل السلعة من حال
الى حال واستعربت البقر اشتهت الفحل اما من العروب العاشقة لزوجها واما لتنقل الشهوة لها من حال الى اخرى والعرب اسم
بالبادية مع الاعراب الذين لا يوطنون سكانا وانما هم الربيع وعروبا اسم السما السابعة لارتفاعها عن جميع السموات فكانها
حازت للكل ولان حركتها حركة للكل والعرب بالكسر يبيس البهمى لانه صار اهلا للنقل ولو بتطيير الهوا والعربي شعير ابيض
سنبله حرفان كانه نسب الى العرب لجودته والاعراب اجرا الفرس ومعرفتك بالفرس العربي من الهجين للانتقال حال
الجهل بذلك الى حال العلم وان لا يلحن في الكلام لانه انتقل بذلك من العجمة الى العربية وعرب الرجل بالكسر اذا اتخم
وكذا الفرس من العلف ومعدته فسدت وجرحه بقي به اثر بعدا البرء كل ذلك ناقل من حال الى غيرها والتعريب
تهذيب المنطق من اللحن كانه رفع نفسه الى العرب وقطع سعف النخل لانه نقلها عن حالها الى اصلح منه وان تكوى
الدابة على اشاعرها ثم تنزع بمبزغ في التعريب ايضا والاعراب ما قبح من الكلام وتقبيح قول القائل كانه حكم برد
عربيته وهما ايضا الرد وذلك ادخاله في خصال العرب التي هي تعالى الاخلاق وهما ايضا النكاح او التعريض به
لانه نقله من حال الى حال ونقل الى نقل قولا وعملا والتعريب الاكثار من شرب الماء الصافي واتخاذ فرس عربي
وما بها عريب اي احد يعرب وعبر الرؤيا اذا فسرها واخبر بما يؤول اليه امرها لانه جاز ظاهرها الى ما بطن منها وعبر
الكتاب اعتبره عبرا تدبره ولم يرفع به صوتك وعبر النهر قطعه من عبره اي شطه المعبر والعبر ايضا
الجانب لانه يعبر منه واليه والمعبر سفينة يعبر عليها وشط هيئ للعبور وعبر القوم ماتوا والعبرة بالكسر العجب
وبالفتح الدمعة قيل ان تفيض كان لها قوة الجري او هي تردد البكاء في الصدر او الحزن بلا بكاء لان ذلك استدراء
سخنة العين والكثير من كل شي جرى الدمع وفي مختصر العين وعبرة الدمع جريه والعبرة الجري نفسه والعبر بالضم
ويحرك سخنة العين والكثير من كل شي والجماعة لان ذلك جاوز عن حد القلة ولانهم يجيئون ماشا واو مجالس
عبر بالكسر والفتح كثير الاهل من ذلك وايضا هو اهل لان يعبر بجماعته من حال الى حال وامراة مستعبرة وتيح
الباغي خطيئة اي هي اهل لجري العبرة وناقة عبر اسفار ومثلثة قوية وعبرت الدنانير تعبيرا وزنتها ولم تبالغ
في وزنها عن الرجل تكلمت عنه لانك عبرت عن خاطره الى خاطر المخاطب وعبرت الدنانير تعبيرا وزنتها ولم تبالغ
في وزنها كانك عبرت من الجملة بمقدارها الى الطرز وعابر سبيل اي مار والشعرى العبور نجم خلف الجوزا والعبور الجذعة
من الغنم لانها جازت سنة وتاهلت للعبور مع الغنم وكانت في عدادها والعبور الاقلف لان كمرته عارية في قلفته
والغلام عبري لم يختن ورجل عبري كاد ان يحتلم ولم يختن لعدائه كاد ان يصير الى حد البالغين على هذه الحالة ولان كمرته عابرة
في قلفته وعبر به الامر تعبيرا اشتد عليه كانه جاز به من حالة الرخاء الى الشدة وعبرت به اهلكته والمعبر بالتخفيف ناقة لم تجز
ثلاث سنين فيكون اصلب لها لانها صارت اهلا لان يعبر عليها في الاسفار والعبير ضرب من الطيب او بعض رياحينه
والزعفران لعبور لونه وريحه العبري السدر والنهري لثباته في عبر النهر والمعبى من الجمال الكثير الوبر ومن الشاء التي
لم تجز كانه لجواز الصوف عن حد جلدها وسهم عبير وعبير كثير الريش كانه عبر عن حد العادة والعبري بالضم
التكلي لانها اهل لارسال العبرة والسحاب التي تسير شديدا والعقاب لقوتها على قطع المسافات وبنات عبر
الكذب والباطل لسرعة زواله ورعبت فلانا افزعته فهو مرعوب كانك اجزته من الامن الى الخوف وسيل راعب
اي يملا الوادي وراعب ارض منها الحمام الراعبيه والحمام ايضا لها قوة العبور بالرسايل من مكان الى مكان
ورعبت الحمامة في صوتها ترعيبا رفعته ورعبت السنام قطعته والرعبوبة قطعة منه لانها جازت مكانها
وجارية رعبوبة ورعبوب حسنة القوام تامة كانها جازت اقرانها حسنا والرعب القصار واحدهم رعيب وارعبت
لشبيه بالقطعة من السنام والبعور جميع الخف والظلف الا البقر الاهلية لانها تخثي والوحشية تبعر لانه
يجوز من مكانه من غير ان يلوثه فلا يبقى منه به شي والمبعر مكانه والبعير الجمل البازل والجذع وقد يكون للحمار
وكل ما يحمل وفي مختصر العين واذا رات العرب ناقة او جملا من بعيد قالوا هذا بعير فاذا عرفوا قالوا للذكر جمل وللانثى
ناقة والبعرة بالتحريك الكمرة لشبهها بها والربع المنزل والدار بعينها والمحلة لانها تخرج منها وتدخل اليها ولذلك
سميت متبوا لانك تبوء اليها اي ترجع وربع يربع اقام واربع على نفسك انتظر كانه من الربع اي المنزل لانه يقام فيه وربع
لجوهر الضعيف الذي كان ذلك يلزم من الاقامة في المنزل وقد ما داعا او قصر لعرقوب والرجل القصير كانه تشبيه بالربعة

بالربعة في مطلق القصر عن الطويل وربع الحجر رفعه والحمل رفعه على الدابة والمربوع المنعوس المنتفش عنه لتحول الحال في كل ذلك
والمربعة خشبة يرفع بها العدل والمرابعة ان تاخذ بيد صاحبك وترفعا الحمل على الدابة كانه مع النقل ماخوذ من الاربعة وهي
ايضا المعادلة بالربع ومنه تربعت سناما طويلا اي حملته وربيع الشهور شهران بعد صفر وربيع الفصول الذي فيه النور
والكماة والذي يدرك فيه الثمار للانتقال في كل منها والربع كصرد الفصيل ينتج في الربيع وناقة مربع ذات ربع واربع
القوم صاروا اربعة ودخلوا في الربيع واقاموا في الربع وربعت الارض اصابها مطر الربيع والمرابع اول الامطار اول الربيع
واربع الرجل اذا ولد له في شبابه لشبهها الشباب بالربيع وناقة مرباع اذا كانت عادتها ان تنتج في ربعية النبط والربعية
اول النتاج والربيع الجدول لحركته وانبات ما حوله وجمعه اربعا والحجر يشيلونه لتجربة القوى والرابع تلو الثالث لانه جاز
الجمع وتروحبل مربوع مفتول على اربع قوى واربعت القوم اربعهم صرت رابعهم والارتعا يوم والمرباع ربع الغنيمة كان
ياخذها الرئيس والرباعية كثمانية السن بين الثنية والناب وعدتها اربع وكل ما بلغ الاربعة رباع كثمان
ويقول للغنم في الرابعة وللبقر والحافر في الخامسة وللخف في السابعة اربعت كانه لا يجوز في كل نوع من حد الصغر
الى حد الكبر الا بذلك واربع الرجل الفرس القى رباعيته وحمى ربع تاتي في اليوم الرابع وقد ربع الرجل واربع وهو
معنى ما قال في القاموس وربعته الحمى اخذته الحمى يوما بعد يومين لانها يومها الثاني هو رابع يومها الاول
والربعة بالفتح جونة العطار لتضوع ريحها والرجل بين الطويل والقصير ويحرك كالمربوع لجوازه حد كل منهما هذا
الى الطول وهذا الى القصر وارتبع صار ربعة والربعة محركة اشد عدو الابل والمسافة بين الاثافي القدر لعبور كل
منها عن عبور صاحبها واربع ماء الركية كثر لتجاوزه عن محله الاول وعلى فلان ساله ثم ذهب ثم عاوده وعلى المراة كرر
على جماعها والقوم ابلهم كان كذا رعوها وارسلوها على الماء ترده متى شاءت ويجوز ان يكون هذا ايضا من الربيع
وارتعبت الناقة اذا استغلقت رحمها ثم تقبل الماء كانها ازالت العبور اي الانتقال من حال الى حال اخرى والربيعة
البيضة من السلاح لنقلها صاحبها الى الحصانة والروضة لجواز النبت فيها عن حد الارض والمربع شراع السفينة
لانه الذي يسيرها وكذا تربع الرجل لكثرة النكاح لعبوره عن حاله الاولى لجلوسه بين الشعب الاربع وتربع في جلوسه ضد جثا
اما لانه صار على شكل المربع واما اخذا من الربع اي المنزل لانها جلسة المقيم في منزله وتربعت النخيل خرفته وصرمت
لتحول حالها واسترتع الرمل تراكم اما لجوازه عن حاله الاولى واما من الاقامة في الربع واسترتع النبات ارتفع والبعير للسير
قوي عليه وصبي والرجل بالامر استقل وصبر وفلان يقيم رباعة قومه اي شانهم وما لهم اي يجيزهم من حال الى اخرى
ومضى من بني فلان ربوع بعد ربوع اي احيا بعد احيا اما لان ذلك لجوازه من دار الى دار ومال الى حال واما على حذف
مضاف اي اهل ربوع اي منازل واليربوع دابة كالفار اما لشدة جريها واما لجعلها نافقاء تهرب من ابوابها شان فهي عابرة
ناستقلة بالقوة وان كانت ساكنة واليربوع لحمة المتن كانت مشبهة بالدابة وبرع الرجل مثلثة فاق اصحابه في علم او غيره
او تم في كل فضيلة وجمال وهذا ابرع منه افخم لانه جاز مقداره والبارع الاصيل الجيد الراي وتبرع بالعطا تفضل
بما لا يجب عليه من عند نفسه لانه جاز رتبة الواجب والله اعلم وفي الاية ما يوجبه حال العاملين حاجة الملوك اليهم
فكانه قيل فما قالوا انتقيل **قالوا** هذه الرؤيا **اضغاث** اي اخلاط جمع ضغث بكسر الضاد واسكان الغين المعجمة وهي
قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس **احلام** مختلفة مختلطة مشتبهة جمع حلم بضم الحاء واسكان اللام وضمه وهو
الرؤيا فقيدوها بالاضغاث وهو ما يكون من الرؤيا باطلا لكونه من حديث النفس ثم قالوا او وسوسة الشيطان
لكونها تشبه اخلاط النبات التي لا تناسب بينها لان الرؤيا تارة تكون من الملوك وهي الصحيحة وتارة تكون من
تحزين الشيطان وتخليطاته وتارة من حديث النفس ثم قالوا **وما نحن** اي باجمعنا **بتاويل** اي بترجيع
الاحلام اي مطلقا الاضغاث وغيرها واغرقوا في النفي بقولهم **بعالمين** فدلسوا من غير وجه جمعوا وهو حلم
واحد ليجعلوها اضغاثا لا مدلول لها ونفوا عن انفسهم العلم بالمطلق المستلزم لنفي العلم بالمقيد بعد ان اتوا بالكلام م
على هذه الصورة ليوهموا انهم ما جعلوها الا لكونها اضغاثا والله اعلم والقول كلام متضمن بالحكاية في البيان عنه
فاذا ذكر انه قال اقتضى الحكاية لما قال واذا ذكر انه تكلم لم يقتض حكاية لما تكلم به ومادة حلم بجميع تقاليبها تدور على
على صرف الشي عن وجهه وعادته وما تقتضيه الجبلة كما ياتي في الرعد في قوله شديد المحال ولما كان هذا حالا مذكرا
للساقي بيوسف عليه السلام اخبر سبحانه بانه ذكره بعد نسيانه فقال عاطفا على قال ايذانا بانه من الملا
وقال الذي نجا اي تخلص من الهلاك **منهما** اي من صاحبي السجن وهو الساقي **و** الحال انه **ادكر** بالمهملة اي
طلب الذكر بالمعجمة وزنه افتعل **بعد امة** من الازمان اي ازمان مجتمعة طويلة **انا انبئكم** اي اخبركم اخبارا
عظيما **بتاويله** اي بتفسير ما يؤول اليه معنى هذا الحلم وحده كما هو الحق وتسبب عن كلامه قوله **فارسلون** اي الى يوسف عليه السلام

فانه اعلم الناس فارسلوه اليه قال ابن عباس رضي الله عنهما ولم يكن السجن في المدينة فاتاه فقال الساقي المرسل بعد
وصوله مناديا له نداء القرب تحببا اليه يوسف وزاد في التحبب بقوله ايها الصديق اي البليغ في الصدق والتصديق
لما يحق تصديقه بما جربناه منه ورايناه لايجا عليه افتنا اي اذكر لنا الحكم في سبع وميز العدد بجمع السلامة
الذي هو للقلة كما مضى لما مضى فقال بقرات سمان اي راهن الملك ياكلهن سبع اي من البقر عجاف اي مهازيل
جدا وفي سبع سنبلات جمع سنبلة وهي مجمع الحب من الزرع خضر وفي سبع اخر اي من السنابل يابسات وساق جواب
السؤال سياق الرؤيا على عوايد العقلاء في عدم البت في الامور المستقبلة واما لانه ندم بعد ارساله خوفا من
ان يكون التاويل شيئا لا يواجه به الملك فعزم على الهرب على هذا التقدير واما استحياء الى يوسف عليه السلام بالاقتصار
لسوء الرجوع فان الناس في غاية التلفت اليه فقال لعلي ارجع الى الناس قبل مانع يمنعني ولما كان تصديقهم ليوسف
عليه السلام وعلمهم بعد ذلك بفضله وعلمهم بما امرهم به من خير وشر فيعملوا الكل حال ما يمكنهم عمله فكانه قيل ما قال
فقيل قال تاويله انكم تزرعون اي توجدون الزراعة فهو اخبار بغيب فهو تعدد في معنى الكلام ويمكن ان يكون خبر
بمعنى الامر سبع سنين دابا اي دائبين مجتهدين والداب استمرار الشي على عادته كما اشارت اليه رؤيا البقر الحمر الذي لا يكون
الابعد الكفاية ودلت عليه رؤيا الملك للبقرات السمان والسنابل الخضر والتعبير يدل على ان هذا السبع تكون كالعروف
من اغلب احوال الزمان في توسطه خصب ارض وجدب اخرى وعجز الماء عن بقعة واغراقه لاخرى كما اشار اليه الداب
ثم ارشدهم الى ما يتقون به ما ياتي من الشر فقال فما حصدتم اي من شي بسبب ذلك الزرع والحصد قطع الزرع بعد استوائه
في تلك السبع الخصبة فذروه اي اتركوه على كل حال في سنبله لئلا يفسد بالسوس او غيره الا قليلا مما تاكلون
قال ابو حيان اشار برأي نافع بحسب طعام مصر وحنطتها التي لا تبقى عامين بوجه الا بحيلة ابقائها في السنبل انتهى
ولما تم المشورة رجع الى بقية عبارة الرؤيا فقال ثم ياتي ولما كانت مدة الاتيان غير مستغرقة لزمان البعد اتى
بالجار فقال من بعد ذلك اي الامر العظم وهو السبع التي تعملون فيها هذا العمل سبع اي سنون شداد بالقحط العظيم
وهو ما اشارت اليه رؤيا صاحبك الذي طار برزقه الطيور وسار بروحه غالب المقدور ودلت عليه رؤيا
الملك من البقرات العجاف والسنابل اليابسات ياكلن اسند الاكل اليهن مجازا عن اكل اهلهن بحقيقة الله كل ما
قدمتم اي بالادخار من الحبوب لهن والتعبير بالتقديم للترتيب بحمية المقدام ولبشرهم بان الشدة تنقضي ولم يفرغ ما
اعدوه فقال الا قليلا مما تحصنون والاحصان الاحراز وهو القاء الشي بما هو كالحصن لمنيع هذا التعبير للرؤيا ثم
زادهم على ذلك قوله ثم ياتي وعبر بالجار بمثل ما مضى فقال من بعد ذلك اي الجدب العظيم عام وهو اثنى عشر شهرا
ونظيره الحول والسنة وهو ماخوذ من العوم لما لاهله فيه من السبح الطويل قاله الرماني والتعبير به دون مرادفاته
اشارة الى انه يكون فيه من السعة بعموم الري وظهور الخصب عن سالف البركة امر عظيم وكذا اتبعه بقوله فيه ولما
كان المشوف اليه الاغاثة على انه من المعلوم انه لا يقدر على تحصيلها الا الله قال بانيا للمفعول يغاث الناس من الغيث وهو
المطر او من الغوث وهو الفرج ففي الاول يجوز بناؤه من ثلاثي ومن رباعي يقال غاث الله الارض واغاثها امطرها وفي
الثاني هو من رباعي خاصة يقال استغاث به فاغاثه من الغوث وهو واوي ومعناه النفع الذي ياتي على شدة حاجة
بنفي المضرة والغيث يائي وهو المطر الذي ياتي في وقت الحاجة وفيه اي ذلك العام الحسن ولما كان العصر للادهان وغيرها
لا يكون الاعن فضله قال يعصرون اي يخرجون عصارات الاشيا وخلاصتها وكانه اخذ من انتهاء الجدب ابتداء الخصب الذي يدل
عليه العصر في رؤيا السنابل والخضر والسمن في رؤيا الملك فانه ضد القحط وكل ضد من انتهى احدهما ابتدا الاخر لا محالة فجاء
الرسول فاخبر الملك بذلك فاعجبه ووقع في نفسه صدقه وقال الملك اي الذي العزيز في خدمته ايتوني به لاسمع ذلك
منه واكرمه فاتاه الرسول لياتي به الى الملك فلما جاءه اي يوسف عليه السلام عن قرب من الزمان الرسول بذلك وهو الساقي
قال له يوسف ارجع الى ربك اي سيدك الملك فاسأله بان تقول له مستفهما ما بال النسوة ولوح بمكرهن به ولم يصرح
ولا ذكر امراة العزيز كرما وحياء فقال اللاتي قطعن ايديهن اي ما خبرهن في مكرهن الذي فاكهني فاشتد به بلائي
فانهن يعلمن ان امراة العزيز ما دعتهن الا بعد شهادتهن بالفاد او دينني ثم اعترفت لهن بالفاد او دينني واي عصمتها انه
اشد عصيانا فاذا سالهن بان الحق فان ربك جاهل بامرهن ولما كان هذا موطنا يسيل فيه عن علم ربه سبحانه لذلك
قال مستانفا موكدا لانهم عملوا في ذلك الامر بالجهل عمل المكذب بالحساب الذي هو نتيجة العلم ان ربي اي المدبر
والمحسن الي بكل ما انقلبت فيه من شدة ورخا بكيدهن لي حين دعونني الى طاعة امراة العزيز عليم واناالا اخرج
من السجن حتى يعلم ربك ما خفي عنه من امرهن الذي علمه ربي لتظهر براءتي على دوس الاشهاد دما وصموني به من السجن الذي
من شانه ان لا يكون الا عن جرم وان لم تظهر براءتي لم ينقطع عني كلام الحاسدين ويوشك ان يسعوا في حط منزلتي عند

عند الملك ولئلا يقولوا ما لبث هذه المدة في السجن الا لذنب عظيم فيكون في ذلك نوع من العار وفي هذا دليل على ان
السعي في براءة العرض حسن بل واجب واخرج الكلام على سؤال الملك عن امرهن لا على سؤاله ان يفحص عن امرهن لان سؤال
الانسان عن علم ما لم يعلم يهيجه ويلهب له البحث عنه بخلاف سؤاله في ان يفتش لغيره ليعلم ذلك الغير فاراد بذلك حثه
لان يجد في السؤال حتى يعلم الحق ليتقبل بعد ذلك جميع ما اخبر به واكد الاحتياط لما بينا للنصر وانما قدرت بال
بدلا لان مادته بتراكيبها الخمسة بل وبيل وبلي ولب ويلب و واويه بتراكيبها الستة بول وبلو ولب وبلو لوب ولبو
ومهموزه بتراكيبها الاربعة لباء وبال وابل والب تدور على الخلطة المحيلة المميلة وكان حقيقتها البلاء بمعنى الاختيار ولا
التجربة ويكون في الخير والشر اي خالطه بشي ليعرف منه خفي امره قال الفراء والفتنة تكون في الشر خاصة والبلاء النعمة
من قولك ابليته خيرا اذا اصطنعته عنده وقد تقدم في سورة الانفال شي من معاني المادة وناقة بلو سفر وبلي
اذا انضاها السفر واذا كانت قوية عليه والبلوى البلية وابليت فلانا عذرا اي جيت فيما بيني وبينه ما لا لوم
فيه اي خالطته بشي ازال اللوم والبلية دابة كانت تشد في الجاهلية عند قبر صاحبها ولا تعلف ولا تسقى حتى تموت
وتعالى الناس بدل وبدي بليان اي تفرقوا من كان حقيقته انه مل بهم صاحب خلطة شديدة فرقت بينهم وبلي
الشي كالكسر بلى مقصور وبلاء ممدودا اذا فني وعطب وبلي فلان بكذا بلينا للمفعول وابتلي به اذا اصابه ذلك والبو
ولد الرجل والعدد الكثير والانفجار وضد الغايط ولا ريب ان كلا من ذلك اذا خالط الحيوان احاله والبال
الاكتراث والفكر والهم ومن ذلك عندي ما باليت به لم اكترث به ولذا ما ابالي به بالة وهي مصدر منه ولم ابال به ولم
ابل ولكنهم قلبوه من باولت به لئلا يلتبس بالبول والله اعلم وحقيقتهما ما استعملت بالي الذي هو فكري فيه وان الحمل
هو فكره في امري اي انه اهل من ان يفكر في امره ومن المعلوم ان الفكر محل الخلطة المحيلة والبال المر الذي يعمل به
في ارض الزرع لمشقة العمل به والبال سمكة غليظة تسمى جمل البحر لانه من امام خالطته احالت امره والبال
رخا العيش والحال والبالة القارورة كانها من البول والجراب ووعاء الطيب والوبال الوخم ولبث الشي
وصلته ولب هو وصل ودخل واسرع والوبال لذاهب في وجهه كانه خالطه من الهم ما حمله على ذلك وول
الزرع اذا صارت له وابلة وهي افراخ تولدت من اصوله والوابلة نسل الماء والوالية سريع
النبات ولاب يلوب اذا عطش واللابة الحرة وهي سكان ذو حجارة سود كثيرة متصلة صلبة خشنة فمن خالطها
اتعبته واعطشته وبها سميت الابل السود المجتمعة والضان واللابة مشقة البعير وهي شي كاللوية يخرجه البعير
من فيه اذا هاج كانها هي التي اهاجته والملاب ضرب من الطيب والزعفران والملوب كمعظم من الحديد الملوى
واللوب بالضم البضعة التي تردد في القدر لانها تغير بانها القدر بيديه وانها واللوب ايضا اللعاب ولاب
عطشت ابله واللبوة انثى الاسد والوابل المطر الكثير الشديد الوقع الضخم القطر والوابلة نسل الابل والغنم وراس
الذي في الحق وما النقص من لحم الفخذ والموابلة المواظبة والمبيل صغيرة من قدح كبة في عود تضرب به الابل
ووبل الصيد طرده ووبيل خبيث شديد وما لبيعة وبلة شديدة اذا ارادت الفحل والوبال الشدة وسوء العاقبة وهو من
الشدة والثقل واصابه وبل الجوع اي جوع شديد والوبيل المرعى الوخيم واستوبلت الارض اذا لم توافقك في
مطعمك وان كنت تحبها وهو من الوبيل للطعام الذي لا يشتهى والوبيل من العقوبة الشديد وهو ايضا العصى وخشبة
القصار التي تدق بها الثياب بعد الغسل وخشبة صغيرة يضرب بها الناقوس والحزمة من الحطب وبل حرف
يجاب بها الاستفهام الداخل على كلام منفي فتحيله الى الاثبات بخلاف نعم فانه يجاب بها الكلام الموجب وتاتي بل في النفي
من غير استفهام يقال لما اعطيتني درهما فتقول بلى وبلي من الطعام كرضي اكثر منه واللبابة بالضم شجر الاسطي
واللباب بتقديم التحتانية وزن سحاب اقل من مل الفم والبلب حركة الترسة ويقال الدرق والدروع من الجلود
او جلود يخرز بعضها الى بعض تلبس على الرؤوس خاصة والعظم من كل شي والجلد والابيل كامير العصي والحزين
والكن باليه وربين النصارى او الراهب او صاحب الناقوس صنيع مختص العين يقتضي ان همزته زايدة وصنيع القاموس
انها اصلية وعلى كلا التقديرين هو من مدار المادة فان من خالطته العصي عنيته وكذا الوبيس ومن مهموزه اللبا
كضلع اول اللبن وهو احق الاشيا بالاحالة وكبا القصيل شدة المدراس الخلف اي حلة ضرع الناقة ليدع
اللبا ولبات وهي ملبئ دنا اللبا في ضرعها ولا يكون ذلك الا بما خالطه فيحيل ذلك منها واللبث بالفتح اوك
السقي وهو اشد بما في الاتيان الخلطة والاحالة وبها الاسدة وخلطتها محيلة للذكور من نوعها ولغيرها بالنفرة منها
وكذا اللبوة بالواو وعار ملك اي كلاء في دنا نتاجها وهو واضح من الاحالة ولبأت الشاة ولدها اي البائنة ارضعته
اللبا ولبأت الشاة والنبأ ما حلبت لباها والبثيل كامير الضعيف بؤل ككوم ويقال ضئيل بئيل والابل

والابل بكسرتين وتسكن البا معروف واحد يقع على الجمع ليس بجمع ولا اسم جمع جمعه آبال الاحالة في خلطتها بالركوب والحمل وغيره
والابل السحاب الذي يحمل ماء المطر وهو ظاهر في ذلك وتابل عن امرأته امتنع من غشيانها من الازالة ونسك اي امتنع عن خلطة
الدنيا المحيلة وبالعصي فالطته العصا احالته وابل العشب ابولا طال فاستمكن منه الابل وهو ظاهر في الامالة والاهالة كالاجا
المقطعة من الطير والخيل والابل المتتابعة منها من نظر شيئا من ذلك احاله عن حاله وكاسر العصا وبيت النصارى والزا
اوصاحب الناقوس وكل ذلك واضح في الاحالة والابل بضم الباء الحزمة من الحشيش وخلطتها محيلة لمايا كلها والابالة ككتاب
السياسة وهي غاية الاحالة لمن خولطها والابلة كفرحة الحاجة والطلبة وهي معروفة في ذلك والمباركة في الابل
لا يابل لا يثبت على رعية الابل ولا يحسن على هيئتها ولا يثبت عليها راكبا اي انه سريع التأثر والاحالة من خلطتها وتابيل
الابل تسمينها اي يخالطها باطعامها والابلة بالكسر العداوة واما لتها معروفة وبالضم العاهة وهي كذلك وبالفتح
اوبالتحريك الثقل والوخامة والاثم كذلك وتابيل الميت تابينه اي الثنا عليه بعد موته وهو يهيج الحزن عليه
وجاني بالته بالكسر وابلته بضمتين اشد اصابه ولا شك ان من جا كذلك احال من اتاه وضعت على ابالة
كاجانه وتخفف بلية على اخرى وخصب على خصب كانه ضد وهو واضح الاحالة وابلت الابل تابل وتابل ابولا وابلا جز
اي اكتفت بالرطب عن الماء والرطب بضمتين الاخضر من البقل والشجر او جماعة العشب الاخضر والابول الاقامة في
المرعى ولا شك ان من خالط ذلك احاله والبت اليه القوم اتوه من كل جانب وذلك يحيل والابل شاتها والابل
انساقت وانضم بعضها الى بعض والحمار طريدته طردها شديدا وجمع وامتنع وعاد والاحالة في كل ذلك ظاهرة
والسماء دام مطرها اي فاحال الارض واهلها والتالب كثعلب الجمع منا ومن مكرها الوحش والوعل وفي هاو ماكان الله
احاله ما خالطه والالب بالكسر النبع وشجرة كالاترج سم وذلك ظاهر في الاحالة وبالفتح نشاط الساقي وميل النفس
للهوى والعطش والنزيين على العدو من حيث لا يعلم وشك السخلة والشهوة الطرد الشديد وشدة الحمى والحر
وابتداء برء الدمل وكل ذلك ظاهر الاحالة ودفع الوب باردة تسفي التراب ورجل الوب سريع اخراج الدلو والنشيط
فمن خالطه احاله وهم عليه الب واحد يجمعون عليه بالظلم والعداوة وذلك يحيل لا شك فيه
والالبة بالضم المجاعة وبالتحريك البلية والتاليب التحريض والافساد وكل ذلك ظاهر في الاحالة وكذا التلبب
للسير والالب الصغو وهو يحيل والالب بالتحريك البلب وتقتضي ايها التربية والله اعلم ولما قال يوسف
عليه السلام ذلك وابى ان يخرج من السجن قبل تبين الامر رجع الرسول الى الملك فاخبره بما قال عليه السلام فكانه
قيل فما فعل الملك فقيل **قال** للنسوة بعد ان جمعهن **ما خطبكن** اي شانكن العظيم وقوله **اذ راودتن** اي خادعتن
بمكر ودوران ومراوغة **يوسف عن نفسه** دليل على ان براءته كانت محققة عند كل من علم القصة وكان الملك وبعض
الناس ان علموا امرها وجملن وعفته ما كانوا يعرفون المراودة هل هي لهن كلهن او لبعضهن فكانه قيل فما قلن
فقيل سكرن في جوابهن اذ سالهن عما عملن من النسوة معه فاعرضن عنه واجبن بنفي السوء عنه عليه السلام ودل
لهن **قلن حاش لله** اي عياذا بالملك الاعظم وتنزيها له من هذا الامر فاوهمن بذلك براءتهن منه ثم فسرن هذا
العياذ بان قلن تعجبا من عفته التي لم يرين مثلها ولا وقع في اوهامهن ان تكون كذلك دون ان يبلغ ما بلغ **ما علمنا عليه**
اي يوسف عليه السلام واغرقن في النفي فقلن **من سوء** فخصصنه بالبراءة وهذا كما تقدم عند قوله الله اصغاث
احلام هذا وهو جواب للملك الذي تبهره دونه ويخشى سطوته فكان من طبع البلاء عدم الانصاح في المقال حتى
لا ينفك عن طروق احتمال يكون للتفصي منه مجال وغباوة الملوك الامن شاء الله منهم ولما تم ذلك كانه
قيل فما قالت التي هي اصل هذا الامر فقيل **قالت امرأة العزيز** مصرحة بحقيقة الحال **الآن حصحص الحق**
اي حصل على مكن وجوهه وانقطع عن الباطل بظهوره من حص شعره اذا استاصل قطعه بحيث ظهر ما تحته ومنه
الحصة القطعة من الشيء ونظيره كب واكب وكف وكفكف فهو زيادة تضعيف دل عليه الاشتقاق وهو قول الزجاج
قاله الرماني ووافقه الرازي في اللوامع وقال الازهري هو من حصحص البعير اثرت ثفناته في الارض اذا برك حتى تستبين
اثارها فيه **انا راودته** اي خادعته وداورته **عن نفسه** واكدت ما افصحت به مدحا ونفيا لكل سوء بقولها
مؤكدا لاجل ما تقدم من انكارها **وانه لمن الصادقين** اي العريقين في هذا الوصف في نسبة المراودة
اليّ وتبرئة نفسه فقد شهد النسوة كلهن ببراءته وانه لم يقع منه ما ينسب به شيء من السوء اليه فمن نسب
اليه بعد ذلك هما او غيره فهو تابع لمجرد الهوى في نبي من المخلصين ولما انجلى الامر اما الملك باحضاره ليستعظمه
به بنيا اليه من الملك لكن لما كانت براءة الصديق اهم من ذلك وهي المقصود من رد الرسول قدم بقية الكلام فيها
عليه وليكون كلامه في براءته متصلا بكلام النسوة في ذلك والذي دل على ان ذلك كلامه ما فيه من الحكم التي لا
يعرفها في ذلك الزمان غيره فكانه قيل فما قال على ما تقدم من خبره فلما رجع الرسول الى يوسف عليه السلام فاخبره بشهادتهن ببراءته قال

ذلك اي الخلق العظيم في تثبتي في السجن الى ان تبين الحق **ليعلم** العزيز علما مؤكدا **اني لم اخنه** اي في اهله ولا في غيرها **بالغيب**
اي والحال ان كلا منا غائب عن صاحبه وليعلم باقرارها وهي في الامن والسعة وتثبتي وانا في محل الضيق والخوف
ما من شانه الخفاء عن كل من لم يرد الله بروح منه من **ان الله** اي الذي له الاحاطة باوصاف الكمال **لا يهدي** اي يسدد ويحج
بوجه من الوجوه **كيد الخائنين** اي العريقين في الخيانة بل لا بد ان يقيم سببا لظهور الخيانة وان اجتهد الخائن في التعمية والمخا
لفة للحق بنقض العهد العام وضدها الامانة والعذر نقيضه فاضاف المعنى اني لما كنت بريئا سددني الله الى ان جعل
عاقبتي الى خير كبير وبراءة تامة ولما كان عنها انما خطيئا انطقه الله بالاقرار بها ولما كان ذلك ربما جر الى الاعجاب
قال وما **وما ابرئ** اي تبرئة عظيمة **نفسي** عن مطلق الزلل وان غلب التوفيق والعصمة اي لم اقصد بالبراءة عاقبة مجرد التزكية
للنفوس وعلل عدم التزكية بقوله مؤكدا لما لاكثر الناس من الانكار او لان اتباعها لا هو منهم فعل من ينكر فعل الامارة **ان النفس**
اي هذا النوع **لامارة** اي شديدة الامر **بالسوء** اي هذا الجنس دائما لطبعها على ذلك في كل وقت **الا ما** اي وقت ان **رحم ربي** بكفها عن الامور
او بستر قبحها عن فعله بعد الطلاقها على الاتيان الاولاد الامارة هي من النفوس فلا تامر بسوء ثم علل ذلك بقوله مؤكدا دفعا لظن من يظن
انه لا توبة له **ان ربي** اي المحسن الي **غفور** اي بليغ الستر للذنوب **رحيم** اي بليغ الاكرام لمن يريد ولما اتم ما قدمه مما هو الاهم
من نزاهة الصديق وعلم الملك براءته وما يتبعها على ما كان في نسقه من قوله قال ما خطبكن فقال **وقال الملك**
صرح به ولم يستغن بضميره كراهة الالباس لما تخلل بينه وبين جواب امرأة العزيز من كلام يوسف عليه السلام ولو كان الكل
من كلامها لاستغني بالضمير ولم يحتج الى ابرازه **ائتوني به استخلصه** اي اطلبوا وجد خلوصه **لنفسي** اي فلا يكون لي فيه
شريك قطعا لطمع العزيز عنه ودفعا لتوهم انه يرده اليه ولعل هذا مراد يوسف عليه السلام بالتلبث في السجن الى
انكشاف الحال خوفا من ان يرجع الى العزيز فتعود المرأة الى حالها الاولى فيزداد البلاء ولما كان التقدير فرجع رسول
الملك اليه فاخبره ان الملك سأل النسوة فقلن ما مضى وامر باحضاره ليستخلصه لنفسه فقال يوسف عليه السلام
ما تقدم من تلك الحكم البالغة واجاب امر الملك فاتى اليه بعد ان دعا لاهل السجن فقال اللهم اعطف عليهم قلوب
الاخيار ولا تعم عنهم الاخبار وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وبيوت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة
الاعداء ثم اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا وقصد اليه عطف عليه بالفاء ليدل على اسراعه في ذلك قوله
فلما كلمه وشاهد الملك فيه ما شاهد من جلال النبوة وجميل الوزارة وخلال السيادة ومخايل السعادة **قال**
مؤكدا تمكينا لقوله دفعا لمن يظن انه لعدا السجن وما قارنه لا يرفعه هذه الرفعة **انك اليوم** وعبر بما هو للشدة
الغرابة تمكينا للكلام ايضا فقال **لدينا مكين** اي شديد المكنة من المكانة وهي حالة يتمكن بها صاحبها من
مراده **امين** من الامانة وهي حال يؤمن معها نقض العهد وذلك انه قيل ان الملك كان يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها
فعرفها كلها ثم دعا للملك بالعبرانية فلم يعرفه الملك فقال له ما هذا اللسان قال لسان آبائي فعظم عنده جدا فكانه
قيل فما قال الصديق فقيل **قال** ما يجب عليه من السعي في صلاح الدين والدنيا **اجعلني** قيما **على خزائن الارض**
اي ارض مصر التي هي لكثرة خيرها كانها الارض ثم علله بما هو مقصود الملوك الذين لا يكادون يقعون عليه فقال **اني**
حفيظ اي قادر على ضبط ما الي من فيه **عليم** اي بالغ العلم بوجوه صلاحه واستثمار فاخبر بما جمع الله له من اداتي
الحفظ والفهم مع ما يلزم الحفظ من القوة والامانة لنجاة العباد مما يستقبلهم من السوء فيكون ذلك سببا لردهم عن الدين
الباطل الى الدين الحق ولما سأل ما تقدم قال معلما بانه اجيب بتسخير الله له **وكذلك** اي ومثل ما مكنا ليوسف
في قلب الملك من المودة والاعتقاد الصالح وفي قلوب جميع الناس ومثل ما سأل من التمكين **مكنا** اي بما لنا من العظمة
ليوسف في الارض اي مطلقا لا سيما ارض مصر بتوليته ملكها ايام عليها **يتبوأ** اي يتخذ منزلا يرجع عليه من بلد اذا اراد
منها حيث يشاء بانجاح جميع مقاصده لدخولها كلها تحت سلطانه لقوله لينفي نفس اهل المملكة ومما ولاها على يده فيجول
الاجر وجميل الذكر مع ما يريد به من علو الشأن وفخامة القدر فكانه قيل لم كان هذا فقال لا بد من امرهما ان لنا الامر
كله **نصيب** على وجه الاختصاص **برحمتنا** بما لنا من العظمة **من نشاء** من يستحق بما يزرون وغيره لا يسئل عما يفعل وقد شئنا
اصابة يوسف بعز او الثاني انه محسن يعبد الله فانيا عن جميع الاغيار **ولا نضيع** بوجه **اجر المحسنين** اي العريقين
في تلك الصفة وان كان لنا ان نفعل غير ذلك روى ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم في اول فتوح مصر من طريق
الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فاتاه الرسول فقال الق عنك ثياب السجن والبس ثيابا جددا وهو يومئذ ابن
ثلثين سنة فلما اتاه رأى غلاما حدثا فقال ايعلم هذا رؤياي ولا يعلمها السحرة والكهنة واقعده قدامه ثم قال له
عثمان بن صالح يعني ابن صالح وغيره في حديثهما فلما استنطقه وسايله عظم في عينه وجل امره في قلبه فدفع اليه خاتمه
وولاه ما خلف بابه رجع الى ابن عباس قال وضرب بالطبل بمصر ان يوسف خليفة الملك وعن عكرمة ان فرعون قال ليوسف

قد سلطتك على مصر غير اني اريد ان اجعل كرسي اطول من كرسيك باربع اصابع قال يوسف نعم ولما كان هذا انما يستغطه
الناس في الدنيا وكان عزها لا يعد في الحقيقة الا ان كان موصولا بنعيم الاخرة نبه على ما له في الاخرة بما لا يعد هذا في جنبه
شيا فقال مؤكدا لتكذيب لكفره بذلك **ولاجر الاخرة خير** فلما كان سببا ولما كان بيان الاحكام على وجه عام لتعليقها بالاوصاف
يكون السابق في رغبانيها او مرهبا فيها احسن وابلغ قال **للذين امنوا** اي اوجدوا هذا الوصف **وكانوا** اي بجبلاتهم
يتقون اي يوجدون الخوف من الله واتخاذ الوقايات منه ايجادا مستمرا وهو من اجلهم حظا واعلاهم كعبا كما تقدم من انه
مما يدل على كمال ايمانه وتقواه ولما كان من المعلوم ان من هذه صفاته يقوم بما وليه اتم قيام وينظر فيه احسن نظر
كان كانه قيل فجعله الملك على خزائن الارض فدبرها بما اراه الله به وعلمه حتى صلح الامر وجا الخير وذهب الشر وانما
طوي هذا الدلالة عليه بلوازمه من قصة اخوته التي هي المقصودة بالذات كما قد فهم سياقي وتقدم من هذه القصة ان
الغالب على طبع مصر الرداءة بغض الغريب استذلال الضعيف والخضوع للقوي فانهم اساؤوا اليه اولا بالسجن بعد تحقق
البراءة ثم عفى عنهم واحسن اليهم بما استغنى به كلهم ثم اعتقهم بعد ان استرقهم وردا اليهم اموالهم بعد ان استاصلها
بما عنده من الغلال فجزوه على ذلك بان استعبدوا اولاده واولاد اخوته بعده وساموهم سوء العذاب واد ذلك
دليل على ان هذا طبع البلد ان بني اسرايل لما خرجوا مع موسى عليه السلام وخلصهم من جميع ذلك الذل وشرفهم
شرفهم الله به من الايات العظام والكتاب المبين كانوا كل قليل يتكئون بحيثين على ما لا يطاق الاجتراء عليه
واذا الى هم عن اسبابه يرجعوا عنه كما مضى ذلك عن نص التوراة في الاعراف والبقرة وغيرهما تعاقبهم اسباب التيه
وكان يسيرهم الجيل المعوج لما علم من سوء طباعهم حتى مات كل من نشا بارض مصر وصار اولادهم يتسلون الاواخر
حتى ملكوا ما وعد اسريه اباوهم من البلاد وقد ذكر ذلك في زبور داود عليه السلام في غير موضع
منها في المزمور الرابع والتسعين هلموا نسجد ونركع ونخضع امام الرب خالقنا لانه الهنا ونحن شعب
رعيته وضان ماشيته اليوم اذا سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم وتسخطوه كمثل السخط يوم التجربة حيث
جربني اباوكم فاحصوا اعمالي ونظروها اربعين سنة مقت ذلك الجيل وقلت هو شعب في كل حين يطغون
بقلوبهم فلم يعرفوا السبيل كما اقسمت برجزي انهم لا يدخلون راحتي اباونا بمصر لم يفهموا اعاجيبك ولم يذكروا
كثرة رحمتك حين اغضبوك وهم صاعدون من البحر الاحمر فنجيتهم باسمك لتظهر عجايبك زجر البحر الاحمر
فجف اجازهم في اللجج كانهم في البر خلصهم من ايدي الاعدا وانقذهم من ايدي المبغضين واطبق الما على مبغضيهم
فلم يبق منهم واحد فامنوا بكلامه ومجدوا وسبحوه ثم نسوا فاسرعوا اعماله ولم ينتظروا ارادته اشتهوا شهوة في
البرية جربوا الله حيث لا ماء فاعطاهم سولهم وارسل شبعا لنفوسهم اغضبوا موسى في العسكر وهرون
قديس الرب انفتحت الارض وابتلعت داثان وانطبقت على جماعة ابيرون واشتعلت النار في محافلهم واحرق
اللهيب الخطاة صنعوا عجلا في حوريب وسجدوا للمنحوت وبدلوا مجدهم بشبه عجل ياكل عشبا ونسوا الله الذي نجاهم وصنع
العظائم بمصر والعجايب في ارض حام والمهولات في البحر الاحمر قال انه يهلكهم لولا موسى صفيه قام بين يديه
ليصرف سخطه لئلا يستاصلهم ورذلوا الارض الشهية ولم يومنوا بكلمته وتقمقموا في مضاربهم ولم يسمعوا قول الرب
فرفع يده عليهم ليهلكهم في البرية ويفرق ذريتهم في الامم ويبددهم في البلدان لانهم قربوا البعل فاعور واكلوا
ضحايا ميتة واسخطوا باعمالهم وكثر الموت فيهم بغتة فقام فنحاس واستغفر لهم فارتفع الموت عنهم فحسبت ذلك
بر الجيل بعد جيل الى الابد ثم اسخطوه على ماء الخصام ونال موسى لاجلهم اغضبوا روحه وخالفوا الكلام بشفتيه ولم
يستاصلوا الامم الذين امرهم الرب واختلطوا بالشعوب كعملوا اعمالهم وكانت عثرة لهم ذبحوا بنيهم وبناتهم
للشياطين وضحوا لاصنام كنعان ودنسوا الارض بالدما وتنجسوا باعمالهم وزنوا بافعالهم فاشتد غضب الرب على
شعبه ورذل ورثه واسلمهم في ايدي الشعوب وسلط عليهم شناتهم واستعبدهم اعداوهم وخضعوا
تحت ايديهم مرارا كثيرة نجاهم وهم يسخطونه بافكارهم وذلوا بسياتهم انتهى على انك اذا تاملت وجدت
ان الله تعالى يعلي كعب الغريب الذي يستذلونه ويعجل سعده ويؤثل مجده كما فعل بيوسف عليه السلام بعد
السجن وببني اسرايل بعد الاستعباد وهو نعم المولى ونعم النصير فليحذر ذو الساكن بها من ان يغلب عليه طبعها
فيتصف بكل ذلك من قلة الغيرة وبغض الغريب والجراة في الباطل استضعافا وتداهنا والجبن عن الحق
وكمال الذل للجبارين والجمجمة في الكلام بان لا يزال يتعهد نفسه باوامر الله وحملها على طاعته واتباع رسوله
ومحبته والنظر في سيرته وسير اتباعه والتقلل من الاكل حتى يصير له طبعا يسلخه من طبع البلد كما فعل عبادها
واهل الورع منها وزهادها اعاذنا الله من شرور انفسنا وسيات اعمالنا اذكر ما مضى بعد ما تقدم من هذه القصة

من التوراة قال فلما كان بعد سنتين راى فرعون رؤيا كانه واقف على شاطئ البحر وكان سبع بقرات صعدن من بحر
النيل حسنات المنظر سمينات اللحوم يرعين في المرج وكان سبع بقرات صعدن خلفهن من النيل قبيحات المنظر وحشات
مهزولات اللحوم فوقفن الى جانب البقرات على شاطئ النهر فابتلع البقرات القبيحات الحسنات المنظر السمينات
فهب فرعون من سنته ورقد ايضا فراى ثاني مرة كان سبع سنبلات طلعن في قصبة واحدة ممتلية سمانا وكان سبع
سنبلات مهزولات ضربهن ريح السموم وفي نسخة القبول نبتن بعدهن فبلع السنبل المهزول السبع سنبلات الممتليات
فاستيقظ فرعون فاذا هو رؤياه فلما كان بالغداة كربت نفس فرعون فارسل فدعا جميع السحرة وكل حكمائه فقص
عليهم رؤياه فلم يوجد انسان يفسرها لفرعون فتكلم رئيس اصحاب الشراب بين يدي فرعون وقال اني ذكرت اليوم ذنبي عند
غضب فرعون على عبده فقذفني في محبس صاحب الشرطة فحبست انا ورئيس الخبازين وفي نسخة الطباخين فراينا
جميعا رؤيا في ليلة واحدة اي كل مرء منا كتفسير رؤياه وكان معنا هناك في الحبس فتى عبراني عبد صاحب
الشرطة فقصصنا عليه ففسر احلامنا وعبر لكل منا على قدر رؤياه وكل الذي فسر لنا كذلك اصابنا اما انا فردني الملك
الى موضعي واما ذلك فامر بصلبه فارسل فرعون فدعا يوسف فاحضروه من السجن فحلق شعره وغير ثيابه فدخل يوسف
بين يدي فرعون فقال فرعون ليوسف اني رايت رؤيا وليس من يفسرها وقد بلغني عنك انك تسمع الرؤيا فتفسرها
فاجاب يوسف فقال لفرعون العالم الخالق الذي اجيب فرعون بسلامة من غير اني اسه فقال فرعون ليوسف اني رايت
في الرؤيا كاني واقف على شاطئ البحر وكان سبع بقرات طلعن من النهر بعدهن سمجات قبيحات المنظر مهزولات اللحم ما
لم ار على هذه الهاني جميع ارض مصر فابتلعت البقرات المهزولات الضعيفات القبيحات اوليك السبع بقرات السمان
فدخلن اجوافهن فلم يتبين دخولهن وكان منظرهن قبيحا كالذي كان من قبل فانتبهت فاضطجعت فرايت ايضا في الرؤيا كان
كان سبع سنبلات حسنات في قصبة واحدة ممتلية سمانا حسانا وكان سبع سنبلات مهزولات ضربتهن ريح السموم نبتن
خلفهن فابتلع السنبل المهزول الضعيف السبع سنبلات الممتليات الحسان فقصصت ذلك على السحرة فلم اجد من يبين
فقال يوسف لفرعون الرؤيا يا فرعون واحدة الحلم اسد فرعون على ما هو مزمع ان يفعله السبع البقرات الحسان والسبع
سنبلات الحسان هي سبع سنين خير الرؤيا واحدة والسبع بقرات الضعيفات اللاتي صعدن بعدهن والسبع
سنبلات المهزولات اللاتي ضربتها ريح السموم تكون سبع سني جوع وهذا القول الذي قلت لفرعون ان الله اظهر ما هو مزمع
عتيد ان يفعله وها هو سبع سنين ياتي الشبع والخصب العظيم جميع ارض مصر ويأتي بعدها سبع سنين اخر يكون فيها الجوع
وينسى جميع الشبع والخصب الذي كان في جميع ارض مصر فيبيد اهل الارض من الجوع من اجل القحط الذي ياتي من بعد
لكثرته وشدته واما اعيدت الرؤيا لفرعون ثاني مرة لان الامر معتد بين يدي الرب والله معجل بفعله والان فلينظر
فرعون رجلا حكيما فيعاونه فيوليه ارض مصر فيقاسم اهل مصر على الخمس معجلا فليعمله فعله والان في السبع سنين فيجمعوا جميع
هذه السنين الخصب الاتية ويخزنوا الاقفال تحت يدي فرعون ويحفظوا القمح في القرى ويكون القمح معدا للجوع
لاهل مصر لسبع سني الجوع والمزمع ان يكون في جميع ارض مصر ولا يبيد اهل الارض بالجوع فحسن هذا القول عند فرعون
وعند عبيده فقال فرعون لقواده هل يوجد مثل هذا الرجل الذي روح الله حال فيه فقال فرعون ليوسف
اذا اطلعك الله على هذا كله ليس احد فهيم مثلك هذا الرجل انت المسلط على بيتي وعن امرك وقولك يقبل
جميع الشعب وانما انا اعظم منك بالمنبر فقط وقال فرعون ليوسف انظر فقد وليتك جميع ارض مصر وخلع فرعون
خاتمه من خنصره فوضعه في خنصر يوسف والبسه ثياب كتان وطوقه بطوق من ذهب وحمله على بعض مراكبه ونادى
بين يديه هذا اب وسلط وسلطانه على جميع ارض مصر ثم قال فرعون ليوسف اني قد اليت ان لا يكون احد يشير
بيديه او يخطو بقدميه دون امرك في جميع ارض مصر ودعا فرعون اسم يوسف موضع الخفايا وزوجه باسنة وفي نسخة
باسنات بنت فوطيفرع امام اسكندرية وفي نسخة حين وان تخرج يوسف والياعل جميع ارض مصر وكان قد اتى على يوسف
ثلاثون سنة اذ وقف بين يدي فرعون فطاف في جميع ارض مصر وكان واغلت الارض في السبع السنين الخصب ملي
الخزاين وجمع الاقفال في القرى جمع قمح حقول كل قرية وما احاط بها فخزنه فيها وخزن يوسف من الاقفال
مثل كثيب وفي نسخة رمل البحر كثيرا جدا حتى اعيا احصاد ذلك فصار عن يحصى فولد ليوسف ابنان قبل دخول
سنة الجوع ولدت له اسنة وفي نسخة اسنات بنت فوطيفرع حبر وان وفي نسخة امام اسكندرية فدعا يوسف اسم
ابنه بكره منشا لانه قال ان الله انساني جميع تعبي وفي نسخة شقاي وما كان منه في بيت ابي وسمى الاخر افرايم وقال لان
الله كثرني في ارض تعبدي فنفدت سنو السبع الذي كان في ارض مصر وبدات سنو الجوع لياتي كما قال يوسف فكان
الجوع في جميع ارض مصر ولم يوجد الخبز في جميع الارض مصر فجاع جميع اهل مصر فضج الشعب الى فرعون من اجل الخبز فقال

فقال فرعون لجميع المصريين انطلقوا الى يوسف فافعلوا جميع ما يأمركم به ولما كان المعنى كما تقدم فجعل اليه خزائن
الارض فجاءت السنون المخصبة فدبرها بما علمه الله ثم جاءت السنون المجدبة فاجدبت جميع ارض مصر وما والاها
من بلاد الشام وغيرها فاخرج ما كان ادخره من غلال سبع سنين بالتدريج اولا فاولا كما حده العليم الحكيم فتسامع به
الناس فجاؤا للاستيار منه من كل اوب العشرة لذلك وخلف ابوهم بنيامين اخا يوسف **وجاء اخوة يوسف**
لامه عنده ودل على تسهيله اذنه لهم بالفاء فقال **فدخلوا عليه** اى لانه كان يباشر الامور بنفسه كما هو فعل الكفاة
الحزمة لا يثق فيه بغيره **فعرفهم** لانه كان مترقبا لحضورهم لعلمه بجدب بلادهم وعقد همته بهم مع كونه يعرف هيئاتهم
في لباسهم وغيره ولم ينغص عليه كبير حال لهم لمفارقته اياهم رجالا **وهم له منكرون** ثابتا انكارهم عريق فيهم وصفهم به
لعدم حظوره ببالهم لطول العهد مع ما تغير عليه من هيئته بالسن وانضاف اليه من الحشم والحذر والدار والباس وهيئة
البلد وهيبة الملك وعز السلطان وغير ذلك مما ينكر معه المعروف يستوحش لاجله من المالوف وفق ما قال تعالى
لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون والدخول الانتقال الى محيط والمعرفة تبين الشيء بما لو شوهد لفرق بينه
وبين غيره مما ليس على خاص صفته ولما كان المعنى في قوة ان يقال فطلبوا منه الميرة فباعهم بعد ان استخبرهم
عن امورهم وقال لهم لعلكم جواسيس وسالهم عن جميع احوالهم فاخبروه فاخبروه بابيهم واخيهم منه لتعلم
صلاحهم ولا يظن انهم جواسيس عطف عليه قوله **ولما جهزهم** اى يوسف عليه السلام **بجهازهم** الذي جاؤا له
وقد احسن اليهم والجهاز فاخر المتاع الذي يحمل من بلد الى بلد **قال** اى لهم **ايتوني** ايها العصابة **باخ لكم** كائن
من ابيكم باي بنيامين لان ابكم الرجل الصالح حتى اصدقكم او انهم طلبوا منه لاخيهم حملا فاظهر انه لم يصدقهم وطلب
احضاره ليعطيه فانه كان يوزع الطعام على قدر الكفاية ثم رغبهم باطماعهم في مثل ما فعل بهم من الاحسان
وكان قد احسن نزلهم فقال **الا ترون** اى تعلمون علما هو كالرؤية **اني اوفي الكيل** اى اتمه
دائما على ما يوجبه الحق **وانا خير المنزلين** اضيع الشيء في اولى منازله ولما رغبهم رهبهم فقال **فان لم تاتوني به**
اى باخيكم اول قدمة تقدمونها **فلا كيل لكم** **عندي ولا تقربون** وعرفهم انه لا يظلمهم بانه لا يمنعهم من غيرهم فقال
ومع ذلك فلم يخطر ببالهم انه يوسف فكانه قيل فما قالوا فقيل **قالوا سنراود** او يوعد لا خلف فيه حين فصل **عنه اباه**
اى نكلمه فيه وننازعه الكلام ونحتال فيه ونتلطف في ذلك ولا ندع جهدا ثم اكدوا ذلك بعد الجملة الفعلية
المصدرة بالسين بالجملة الاسمية المؤكدة بحرف التاكيد فقالوا **وانا لفاعلون** اى ما امرتنا به والتزمناه وقد مضى
عند وراودته ان المادة واوية ويائية مهموز وغير مهموز تدور على الدوران ومن لوازمه القصد والاقبال
والادبار والرفق والمهلة وقد مضى بيان غير المهموز واما المهموز فمنه درأه اى دفعه لان المدفوع يرد الى الموضع
الذي اتى منه والمداراة المدافعة والمنازعة مطلقا اى سواء كانت برفق او بعنف ثم كثرت فغلبت على الملاينة
ويلزم من الدفع طول المدفوع في موضع لا يزيد بغتة ومنه درأ علينا اى خرج مفاجأة قال الفراز واصله من قولهم
جاء السيل درأ اى يدرأ بعضه بعضا وهو الذي ياتي من مكان لا يعلم به واندرأ فلان علينا بالشر اذا اندفع به
من حيث لم ندر ودرأ الدرء النشوز وهو من الدفع وكوكب دريء متوقد متلألئ كانه نوره يدفع بعضه بعضا ومنه درأت
النار اضاءت واندرأ الحريق انتشر ودرأ الشيء بسطه لان المبسوط لا يخلو عن دفع وتدارأ واندرأ فعوا في الخصومة
ودرأ البعير اغد مع الغدة ودمر ظهره وناقة دارئ مغدة وذلك لان الغدة ملزومة للدفع لا تنفك عنه
بالعتب والراكب وغيرهما وكل ناتئ في الجسد هذا شانه ومنه الدرء لقطعه في الجبل مشرفة وناقة مدرئ
انزلت اللبن وادخنت ضرعها عند النتاج كانها دفعته والدارات الصيبعلى فنقلبا اتخذت له دريئة وقد تورد
الدريئة في الوادي ومنه ادارات فلانا اذا اعتمدته والدرء الميل والعوج لانه اهل لان يدفع ليقوم وطريق
ذو درء اى كسور واخاقيق اى شقوق كانها تدفع صاحبها عن القصد وتدروا عليهم تطاولوا لان ذلك لا يخلو
عن مدافعة كالنشوز ويلزم الدفع القوة ومنه رجل ذو تدرأ اى منعة وقوة ودرأته بكذا بتقويم الراجعلته
قوة له وعماد يدافع عنه والودء العون والمادة والعدل المثل لانه يدافع لمثله ودرأ الحائط دعمه
ودراه الحجر رماه به لانه اذا اصابه دفعه والابل احسن القيام عليها لان ذلك لا يكون الا بمدافعة وادراء
السير ارخاه بدفعه له من المكان الذي كان به وادرا الولد سكنه وانسه تدفع اليم عنه وادرا الشيء قومه
كانه لتسلك الدفع وكذا ادراه اى افسده اما بانه لم يدافعه باحسان القيام عليه فافسده اما بانه لم يدافعه
او انه زاد في الدفع حتى فسد ومن ذلك ادرأ اذا افعل رديا اى فعلا فاسدا ليس بجيد وكان من ذلك الادرة
بالضم ساكنة ويحرك وهي عظم الخصيتين في الناس والخيل ومن الذرائع تراءادب الحية اهترت في انسيابها

في انسيابها ورفعت راسها والريح اضطربت فكان بعضها يدفع بعضا ومنه زاد الضحى ارتفاعه وتراءد الضحى
ارتفع ولذلك الجارية الرادة والرأد بالضم اى الناعمة وقال الفراز السريعة الشباب مع حسن غذاء وقال ابن دريد
جارية رادة غير مهموز كثيرة المجيء والذهاب فاذا قلت جارية رؤد فهي من الاضطراب الناعمة فاذا اشربت بالذهاب
والمجيء فهو من الدوران الذي هو المدار واذا اشربت بالناعمة فهو من الاضطراب لملازمه له وغصن رؤد بالضم رطب
ذلك قال الفراز ولعب الجارية الناعمة انما سميت رؤدا من هذا وتراد اهتز نعمة وزيد قام فاخذته رعدة وتفيا
العنق الفقرات التوى كله من الدوران وما يلزمه من الاضطراب وزيد الانسان صديقه لانه يراوده ويساوره
والراد اصل اللحي وهو اصول منبت الاسنان وهو العظم الذي يدور ونه طرفا اللحيين مما يلي الصدغين ومن الرفق
والمهلة الرودة بالضم وهي التؤدة ولما اعلمنا سبحانه انه رغبهم في شان اخيه ورهبهم بالقول اعلمنا بانه رغبهم فيه بالفعل
فقال عاطفا على قوله الماضي **لفتيته** **وقال** اى يوسف عليه السلام مشفقة على اخوته واراده لنصحهم تمامات لهم فيه
اى غلمانه واصل الفتى الشاب القوي وسياتي شرحه عند قوله تعالى تفتؤ تذكر يوسف **اجعلوا بضاعتهم في**
رحالهم اى ما بضعوه اى قطعوه من مالهم للتجارة واخذناه منهم ثمنا للطعام الذي دفعناه لهم اى عدولهم والرحل
ما اعد للرحيل من وعاء او مركب **لعلهم يعرفونها** اى بضاعتهم وعبر باداة الترجي تفاولا لهم بالسلامة او ظنا او علما
بالوحي فقال **اذا انقلبوا** راجعين **الى اهلهم** اى يعرفون انها هي بعينها رددناها عليهم احسانا عليهم ويجزمون بذلك ولا يظنون
ان الله اخلف عليهم مثلها نظرا الى حالهم وكرامة لابيهم ويعرفون هذه النعمة لي **لعلهم يرجعون** اى ليكون حالهم حال
من يرجع الينا اذا عرفوها لردها تورعا او للميرة تماما ان لم يكن عندهم غيرها او طمعا في مثل هذا او انا لم يبادر الى
تعريفهم بنفسه والتعجيل باذكار السرور على ابيه لان ذلك لعله يكون عادة لما ياتي من الحكم البالغة والتدبير المتين
ودل على اسراعهم في الرجوع بالفاء فقال **فلما رجعوا** اى اخوة يوسف عليه السلام **الى ابيهم** حملهم ما راوا من الاحسان
والصديق وحاجتهم اليه ونبي بهم لانفسهم على ان يكونوا جواسيس على ان **قالوا يا ابانا** ولما كان الضار لهم
مطلق المنع بنوا للمفعول قولهم **منع منا الكيل** لاخينا بنيامين على تغيره لغيبته ولئلا كلنا بعد هذه المرة
ان لم نذهب به معنا ليظهر صدقنا والمنع ايجاد ما يتعذر به على القادر الفعل وضده التسليط واما العجز فضد
القدرة **فارسل** اى بسبب هذا المنع **معنا اخانا** الذي ان ترسله معنا **نكتل** اى لنفسه كما نكتال الكل واحد منا
لنفسه هنا على قراءة حمزة والكسائي بالتحتانية ولما دل على قراءة الجماعة بالنون من الميرة ما وظفه العزيز
وهو لكل واحد حمل واكد والما تقدم من فعلهم بيوسف عليه السلام مما يوجب الارتياب بهم فكانه قيل فقالوا **وانا له**
اى خاصة **لحافظون** اى عن ان يناله مكروه حتى نرده اليك عن يقين في هذا الوصف فكانه قيل بما فعل في هذا بعد
ما فعلوا اذ لا ارسل معهم يوسف قيل عزم على ارساله معهم ولكنه اظهر الجلال الياس في امره عنى قانعا بوعدهم
المؤكد وحفظه لما سبق منهم من مثله في يوسف عليه السلام بان **قال هل امنكم** اى اقبل منكم الان وفي
مستقبل الزمان ما يامنكم لحفيه بما يسوني تأمينا مستعليا **عليه** اى بنيامين **الا كما امنتكم** اى في الماضي **على**
اخيه اى يوسف عليه السلام ولما كان لم يطلع لهم في يوسف عليه السلام على خيانة قبل ما فعلوا به وكان ايمانه
لهم عليه انما هو في زمان يسير نبت الجار فقال **من قبل** فانكم الذكم اكدتم غاية التاكيد فلم تحفظوه لي ولم تردوه
الي والامن اطمينان القلب الى سلامة النفس فانا في هذا الامن عليه الا اسف **فالله** اى المحيط علما وقدرة **خير**
حافظا منكم ومن كل احد **وهو** اى باطنا وظاهرا **ارحم الراحمين** فهو ارحم لي من ان يفجعني به بعد مصيبتي
باخيه فاراد وانتقد نوما بدوا به من الميرة **ولما فتحوا** اى اولاده **متاعهم** اى اوعيتهم التي حملوها من مصر **وجدوا**
بضاعتهم اى ما كان معهم من كنعان كثمرا الغوث ولما كان المفرح مطلق الرد بني للمفعول قوله **ردت اليهم**
والوجدان ظهور الشيء للنفس بحاسة او ما يغني عنها فكانه قيل ما قالوا فقيل **قالوا** اى كل منهم **يا ابانا** اى اي شيء
نبغي اى نريد فكانه قال لهم ما الخبر فقالوا ايا ما لك ذلك وتاكيد اللسوال في استعطاف اخيهم **هذه بضاعتنا**
ثم بينوا مضمون الاشارة بقولهم **ردت الينا** هل فوق هذا من اكرام ولما كان التقدير فترجع بها اليه باخينا فيظهر
له نصحنا وصدقنا **ونمير اهلنا** اى نجلب اليهم الميرة برجوعنا اليه والميرة الاطعمة التي تحمل من بلد الى بلده
ونحفظ اخانا فلا يصيبه شيء مما يخشى عليه تاكيدا للحفظ للوعد بحفظه وبيانا لغرض في سفره وبدل على ما
في التوراة من انه كان يسجن احدهم لياتوا باخيهم الاصغر قوله **ونزداد كيل بعير** اى فيكون حمله ما ناتي به
بعد الرجوع اليه اثني حمله لكل منا حمل وللمسجون حملان لكرته الاولى والثانية وذلك انه كان لا يعطي الا حملا
لكل راس فكانه ما اعطاهم لما جهزهم غير تسعة احمال فكانه قيل هل يجيبكم الى ذلك في هذه الازمنة فقالوا

نعم لان ذلك كيل يسير بالنسبة الى ما رايناه من كرمه وتمام وضخامة ملكه وفخامة همته فكانه قيل فما قال لهم فقيل قال
اى يعقوب عليه السلام لن ارسله اى بنيامين كائنا معكم اى فى وقت من الاوقات حتى تؤتون من الابناء وهو الاعطا
اى ايصال الشى الى الاخذ موثقا وهو العقد المؤكد ولما كان مراده موثقا بالغا كان الموثق الربانى وهو ما كان باسماء الله تعالى
لكونه اذن سبحانه فيه وامر بالموثوق به كانه منه قال من الله اى الملك الاعظم بايمان عظيمة والله لتاتننى كلكم به من الاتيان
وهو المجى فى كل حال الا فى حال ان يحاط اى يحصل الاحاطة بمصيبة من المصائب لا طاقة لكم لها بكم فتهلكوا من عند اخركم كل ذلك
زيادة فى التوثق لما حصل له من المصيبة بيوسف وان كان الاعتماد فى حفظه انما هو على الله وهذا من باب اعقلها وتوكل
فاجابوه الى جميع ما سال فلما اتوه اى اعطاه بنوه موثقهم قال الله اى الذى له جميع صفات الكمال على ما نقول وكيل
هو القادر على الوفاء به المرجو للتصرف فيه بالقسطة لا انتم ولما سمح لهم بخروجه معهم اتبع تعالى ذلك الخبر عن امره لهم
بالاحتياط من المصائب لانهم احد عشر رجلا اخوة اهل جمال وبسطة وكانوا قد شهروا اعند المصريين بعض الشهرة بسبب
ما دار بينهم وبين يوسف عليه السلام من الكلام فى المرة الاولى وكانوا اسطنه لان ترمقهم الابصار وتشار اليهم بالاصابع
فتصابوا بالعين ولم يوصهم فى المرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مع شغل الناس بما هم فيه من القحط فقال حكاية عنه وقال
اى يعقوب عليه السلام لبنيه عندما ارادوا السفر يا بنى محذرا لهم من شر الحسد والعين لا تدخلوا اذا قدمتم الى مصر
من باب واحد من ابوابها او الواحد على الاطلاق الذى لا ينقسم واما المقيد باجرائه على موصوف كباب واحد فمعناه ما لا
ينقسم فى معنى ذلك الموصوف وادخلوا من ابواب واحترز من ان تكون متلاصقة او متقاربة جدا فقال متفرقة
اى تفرقا كبيرا وهذا احكم التكليف لئلا تصابوا بالعين كما نقله الرمانى عن ابن عباس رضى الله عنهما والحسن وقتادة
والضحاك والسدى قال العين حق وهى من قدر الله وقدور ورد شرعنا بذلك ففى الصحيحين وغيرهما عن ابى هريرة
رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال العين حق وفى رواية عند احمد وابن ماجة يحضرها الشيطان وحسد ابن ادم ولمسلم
ولمسلم والترمذى والنساى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شى سابق القدر
لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا ولابى نعيم فى الحلية عن جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان
العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر ولاحمد وعن اسما بنت يزيد رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
وانها لتدرك الفارس فتدعثره ولاحمد والترمذى عن اسما بنت عميس رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال لو كان شى سابق القدر لسبقته العين قال الامام الرازى ومنشا اصابة العين توهم النفس الخبيثة هلاك
من تصيبه وقد تقدم معنى ذلك فى رواية احمد وابن ماجة من حديث ابى هريرة مع انضمام حضور الشيطان وهذا الا
من باب الاخذ بالاسباب المامور بها لا ان فيه اغنا من القدر ولا من باب التحرز من القدر كما روى مسلم واحمد وابن ماجة
عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال المومن القوى خير واحب الى الله من المومن الضعيف وفى
كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك شى فلا تقل لو انى فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله
وما شا فعل فان لو تفتح عمل الشيطان معناه والله اعلم افعل الا قويا ولا تفعل فعل العجزة وذلك بان تعم النظر وتمعن
فى التامل وتتانى حتى تعلم المصادر والموارد فلا تدع شيا يحتمل ان ينفعك فى الامر الذى انت مقبل عليه ولا تترك الا
تفعله ولا تدع امرا يمكن ان يضرك الا تركته واحترزت منه جهدك فانك اذا فعلت ذلك فانك لم تترك شيا واما
اذا انقلب ذلك الواقى امر من عند الله بخلاف مرادك كنت جديرا بان لا تقول فى نفسك لو انى فعلت كذا فانك لم
تترك شيا واما اذا فعلت فعل العجزة وتركت الحزم فما اوشك ان تقول من قبل ترك الاسباب فما ازيدك
الى ان تقول ما يفتح عمل الشيطان من لو ولما خاف ان يسبق من امره هذا الى بعض الاوهام ان الحذر يغنى من القدر نفى
ذلك مبينا انه لم يقصد غير تعاطى الاسباب على ما امر الله وان الامر بعد ذلك اليه ان شا سبب عن الاسباب
مسبباتها وان شا ابطل تلك الاسباب واقام اسبابا باضدادها وسيا ترعنها المحذور فقال وما اغنى اى اجزى واسد
واتوب عنكم من الله اى بعض امر الملك الاعظم وعم النفى فقال من شى اى ان اراد بكم سوا كنتم متفرقين او مجتمعين وهذا احكم
التقدير ثم علل ذلك بقوله ان اى ما الحكم اوهو فصل الامر بما تدعوا اليه الحكمة الا لله اى الذى له الامر كله لا يقدر احد
سواه على التفصى عن شى من مراده او التزام شى من قدره ولهذا المعنى وهو انه لا ينفع اصلا سبب الا باسباب الله
التسمية مقرونة بما السبب ولكتابه وانزلها ولكل شى روى ابو نعيم فى الحلية فى ترجمة امامنا الشافعى بسنده اليه
ثم الى على بن ابى طالب رضى الله عنه انه خطب الناس يوما فقال فى خطبته واعجب ما فى الانسان قلبه وله مواد
من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجا اذله الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه الياس قتله
الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان اسعد بالرضا نسى التحفظ وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابته

وان اصابته مصيبة قصمه الجزع وان افاد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة شغله البلا وان اجهده الجوع قعد به
الضعف وان افرط به الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد قال فقام اليه رجل ممن كان شهد معه
الجمل فقال يا امير المومنين اخبرنا عن القدر فقال بحر عميق فلا تلجه فقال يا امير المومنين اخبرنا عن القدر فقال بيت
مظلم فلا تدخله فقال يا امير المومنين اخبرنا عن القدر فقال سر الله فلا تتكلفه فقال يا امير المومنين اخبرنا عن القدر
فقال اما اذ ابيت فانه امر بين امرين لا جبر ولا تفويض قال يا امير المومنين ان فلانا يقول بالاستطاعة وهو حاضر
فقال على به فاقاموه فلما راه سل من سيفه قدر اربع اصابع فقال الاستطاعة تملكها مع الله او من دون الله واياك
ان تقول احدهما فترتد فاضرب عنقك فقال فما اقول يا امير المومنين قال قل املكها بالله الذى ان شا ملكنيها
وسياتى ان شا الله فى سورة الجمعة ان الله يفعل عند ما ياتينا ما يتصل بهذا ولما قصر الامر كله عليه سبحانه وجب رد كل
امر اليه وقصر النظر عليه فقال مثبتا على ذلك عليه اى على الله وحده الذى ليس الحكم الا له توكلت اى جعلته وكيلى
فرضيت بكل ما يفعل وعليه اى وحده فليتوكل المتوكلون اى الثابتون فى باب التوكل فان ذلك من اعظم الواجبات
من تعلمه فاز ومن اغفله خاب ثم انه سبحانه صدق يعقوب فيما قال مؤكدا لما اشار اليه اعتقاده فقال ولما
وعطفه بالواو يدل على انهم ما اسرعوا الكرة فى هذه المرة خوفا من ان يقول لهم لم يفرغ ما عندكم حتى تضطروا
الى الاستبدا ان به ذا الزمان زمان دقيق لا زمان تبسط دخلوا اى اخوة يوسف عليه السلام عند وصولهم الى مصر من
حيث امرهم اى به ابوهم من ابواب متفرقة قالوا وكان لمصر اربعة ابواب ما كان ذلك الدخول يغنى اى يدفع
ويجزى عنهم من الله اى الملك الاعلى الذى لا راد لامره واغرق فى النفى فقال من شى كما تقدم من قول يعقوب
عليه السلام الا حاجة اى شيا عظيما لهم حاجة فى نفس يعقوب وهى الدخول على ما امر به شفقة عليهم قضاها يعقوب
وابرزها من نفسه الى اولاده فعملوا فيها بمراده فاغنى عنهم ذلك الخلاص من عقوق ابيهم فقط فانهم ابتلوا فى هذه
السفرة بامر عظيم عند امة ظلما وهو نسبتهم الى السرقة وانتزاع اخيهم منهم قال ابو حيان وفيه حجة لمن
زعم ان لما حرف وجوب لوجوب لا ظرف زمان بمعنى حين اذ لو كان ظرف زمان ما جاز ان يكون معمولا لما بعد ما النافية
انتهى ولما كان ذلك ربما اوهم انه لا فائدة فى الاحتياط اشار تعالى الى رده بمدح يعقوب عليه السلام حثا على الاقتدا
به فى التسبب مع اعتقاده ان الامر بيد الله فقال وانه اى يعقوب عليه السلام مع امره لبنيه بذلك لذو علم اى معرفة
بالحكمين حكم التكليف وحكم التقدير والاطلاع على الكونين عظيم لما اى للذى علمناه اياه من اصول الدين وفروعه
ويجوز ان يكون المعنى لذو علم لاجل تعليمنا اياه فانتدوا به فى الاحتياط فى تعاطى الاسباب مع اعتقاد انه لا اثر لها
الا ان امضاها الواحد القهار وبهذا التقدير تبين ان الاستثنا متصل وفائدة ابرازه فى صورة الاستثنا عند من
جعله منقطعا الاشارة الى تعظيم يعقوب عليه السلام وانه جدير بان يكون ما يامر به مغنيا لانه من امر الله فلو
كان شى يغنى من قدر الله لاغنى ما اشار به وانما فسرت يغنى بيدفع لان مادة غنى باى ترتيب كان تدور على الاقامة
فيكون اغنى للسلب وهو معنى الدفع بيانه ان غنى بمعنى اقام وعاش ولقى ومعنى الدار موضع الحلول ويلزم من الاقامة
الكفاية والتمول لان الفقير منزعج مضطرب والغنى كالمتزوج واذا فقد والاسم الغنية بالضم وذلك لان التزوج
لازم الاقامة والغانية المراة تطلب ولا تطلب والغنية بحسنها عن الزينة والشابة المتزوجة والشابة العفيفة
ذات زوج كانت ام لا وشانها يلزم المنزل وتغض فى الحيام واغنى عنه غنا فلان ناب عنه مناب واجراه مجراه
وحقيقته جعل اقامة له امتحاوزة عنه فالمفعول محذوف فاذا قال مثلا فلان اغنى عنى فى الحرب كان المعنى اغنى
ضراب الابطال او شدة الحرب اى ازال الاقامة ذلك اى جعله متجاوزا ولا شك ان معنى تلك الدفعة عنى وكذا كل ما كان
بمعنى من ذلك وما فيه غنا ذاك اى اقامته والاضطلاع به ويلزم ايضا من الاقامة التى هى المدار والكفاية التى هى
سببها الغنا بالكسر والمد وهو التطريب بالصوت والغنا ايضا الرمل لاقامته وغنى بالمراة تغزل اى فغلم فيها
الغزل وغنى بزيد مدحه او هجاه من لوازم الاقامة والكفاية ومنه غنى الحمام صوت ولعى كرى تكلم تكلاصه منهم لان
ذلك يسكن الخاطر عن القلق ومنه المناغاة وهى تكليم الصبى بما يهوى وتغنيت اليه تغنية اى لغيت اليه كلمة والتغنية
كالنغمة والحبير قيل ان يستنبت من تسمية الجزء باسم الكل وناغاه داناه ومنه الموج يناغى السما اذا ارتفع وناغاه
باراه اى عارضه والمراة غازلها اى حادثها كل ذلك من لوازم الاقامة والغين حرف مجهور يستعمل الما المولهاه
سقيه فى مخرجها فتى معرعة عنه كالنار والحروف الهوائية وغيرها والغين العطش لانه الاصل لا منتفا الحرارة
له والدماث والغين الغيم لاقامته فى الهوا والغينة ارض لانها موضع الاقامة والاشجار الملتفة بلا ماء هى الغيما
موضع لذلك لانها طيلة ولا ماء بارض ما يمنع من الانتفاع بشى من طاهاء الغينا الخضرا من الشجر وبير وبالعم قرية بناميرين

من الابثرة السبعة لان ذلك كله موضع للاقامة ولعل قنته هذا الجبل كثيرة الشجر فرجع الى الشجرة والاعين الطويل
اما تشبيه بقنة الجبل او بالشجرة والغابة حلقة راس لو ترى القوس وغين على قلبه غطي عليه اذا لغشيته الشهوة
والبس او غشي عليه او احاط به الرين وهو الطبع والدنس والغينة بالكسر الصديد وماء الرين الميت كانه من سلب
الاقامة وكذا العين بالكسر لموضع كثير الحمى غانت نفسي تغين غثت والابل غامت اى حصل لها ذلك كالعلاب غيرانه
لا يقتل ولما كان قد يظن ان كل احد يكون لذلك اى ليعلم ما علمه نفى ذلك سبحانه ولكن اكثر الناس اى لاجل ما لهم من الاضطرا
لا يعلمون اى ليسوا بذوي علم لما علمناه لاعراضهم عنه واستفراغ قولهم في الاهتمام بما وقع التكلف لهم به من احوال
الدنيا ومنا لبة فطرهم القويمة السليمة بردها الى ما تدعوا اليه الحظوظ والشهوات حتى لا يكون فيها طب لمخلوق
ولما اخبر تعالى عن دخولهم الى البلد اخبر عن دخولهم لحاجتهم الى يوسف عليه السلام فقال ولما دخلوا اى بنوه
عليه السلام على يوسف في هذه القدمة الثانية آوى اليه اخاه شقيقه بنيامين بعد ان قالوا له هذا اخونا
الذي امرتنا به قد احضرناه فقال اصبتم وستجدون ذلك عندي والايواء ضم النفس بالتصيير الى موضع الراحة وسبب
ايوائه اليه انه امر كل اثنين منهم ان يأكلوا على حدة فبقي بنيامين بلا ثان فقال هذا يأكل معي ثم قال للملوك كل اثنين منكم
في بيت من خمسة ابيات افردها لهم وهذا الوحيد يكون معي في بيتي وهذا التفريق موافق لما امرهم به ابوهم من
تفريق الدخول فكانه قيل ماذا قال له هل اعلمه بنفسه او كتم ذلك عنه كما فعل بسائر اخوته فقيل بل قال معلما له لانه
لا سبب يقتضي الكتم كما سياتي بيانه مؤكدا لما للاخ من انكاره لطول غيبته ولتغير احواله وقطع الرجاء منه اني انا اخوك
يوسف ثم سبب عن ذلك قوله فلا تبتئس اى تجتلب البوس وهو الكراهة والحزن بما كانوا اى سائر الاخوة كونا هم راسخون
فيه يعملون بما اسوءنا ان زعموا انهم بنوا ذلك العمل على علم وقد جمعنا الله على خير ما يكون عليه الاجتماع ولا تعلمهم بشيء
من ذلك لانهم الحكم مله لهم او عيبهم كما ارادوا وكانه في المرة الاولى ابطأ في تجهيزهم لتعرف اخبارهم في طول المدة من حيث
لا يشعرون ولذلك لم يتلطف بالفاء واسرع في تجهيزهم في هذه المرة قصدا الى انفراده باخيه من غير ان يفتن بالحيلة
التي دبرها فلذلك اتت الفاء في قوله فلما جهزهم اى عجل جهازهم واحسنه بجهازهم وتوبدهم فلما جاء امرنا في قصتي صالح
ولوط عليهما السلام كما مضى في سورة هود عليه السلام جعل اى بنفسه او بمن امره السقاية التي له وهي اناء يسقى به في رحل
اخيه شقيقه ليحتال بذلك على ابقائه عنده مع علمه بان التصنيع لا تقضي بسرقته بذلك مع احتمال ان يكون الصواع
دس في رحله بغير علمه كما فعل ببضاعتهم في المرة الاولى اما غير التصنيع فهو ثبوت ذلك لاني ذهنه منفردا لانه
ليس لها بالنسبة الى ما يترتب عليه من النفع من الفاحوية بيوسف وزوال وحشتهم منه باقامته عنده كما سياتي
مع مزيد بيان هذا مع تحقق البراءة عن قرب فهو من باب ارتكاب اخف الضررين ثم امهلهم حتى انطلقوا ثم ارسل
اليهم فحبسوا ثم اى بعد انطلاقهم وامعانهم في السير اذن اى اعلم نهم بالنداء مؤذن قايلا برفع صوته
وان كانوا في غاية القرب منه بما دل عليه اسقاط الاداة ايتها العير اى يا اهلها واكد لما لهم من الانكار انكم
لسارقون اى ثابتكم ذلك لا محالة حقيقة بما فعلتم في حق يوسف عليه السلام او مجازا بانكم فاعلون فعل السارق
كما ياتي بيانه انفا مع ان هذا النداء ليس من قول يوسف عليه السلام ويحتمل ان لا يكون بامره حتى يحتاج الى تصحيح بل يكون
قايله نفسه لذلك من قوله عليه السلام صواعي مع الركب وكانهم اخذوا صواعي فاذهب فايتني بهم او به ونحو ذلك مما
هو حق في نفسه والعير القافلة التي فيها الاحمال والاصل فيها الحمير ثم اطلق حتى كثر حتى اطلق على كل قافلة
لشبهها بها وقد تضمنت الاية البيان عما يوجبه التلطف في بلوغ المراد من اتقاع الاسباب التي تودي اليه وتبعث
عليه للطف بظاهر جميل وباطن حق مما يخفى على كثير من الناس موقعه ويشكل عليه وجهه لانه انفذ له وانجح للمطلوب
منه فكانه قيل ان هذه لتهمة عظيمة فما قالوا في جوابها فقيل قالوا في جواب الذين لحقوهم والحال انهم اى اسرائيل اقبلوا
ودل على ان الذين لحقوهم كانوا جماعة المؤذن احدهم كما هو شان ذوي الرياسة اذا ارسلوا في مهم بالجمع في
السقاية كان لها اسمان فعبروا هنا بقولهم تولى عليهم اى على جماعة الملك المنادي وغيره ماذا تفقدون حتى
تتهمونا بما يكتنا اخذه قالوا نفقد وكان السقاية كان لها اسمان فعبر هنا بقولهم صواع الملك والصواع الجام يشرب
به ولمن جاء به اى اظهره ورده من غير تفتيش ولا عناء حمل بعير وهو بالكسر قدر من المتاع معتاد لان يحمل على
الظهر واما دليل على ان القايل واحد وانه نسب الى الكل لرضاهم به وفي الاية البيان عما الحامل البطن بالتقوى
وانا به زعيم اى ضامن وكفيل اوديه اليه وافراد الضمير تارة وجمعه اخرى دليل على ان القايل واحد وانه
نسب الى الكل لرضاهم به وفي الاية البيان عما يوجبه حال تهمة الانسان للتثبت في الامر وترك الاسراع الى ما لا يجوز
من القول فكانه قيل فما قال اخوة يوسف فقيل قالوا مؤكدا للبراءة تالله اى الملك الاعظم فاقسموا متعجبين بالتاء لانها

لانها يكون فيها التعجب غالبا قال الرماني لانها لما كانت نادرة في ادوات القسم جعلت للنادر من المعاني والنادر من المعاني
يتعجب منه وقال انها بدل من الواو والواو بدل من الباء فهي بدل من بدل فلذلك ضعفت عن التصريف في سائر الاسماء ثم
اكدوا بانهم بقولهم لقد علمتم اى مما جربتم من امانتنا قبل هذا في كرتي مجيئنا ما جئنا واكدوا النفي باللام فقالوا لنفسد
اى نوقع الفساد في الارض ولقد علمتم وما كنا اى بوجه من الوجوه سارقين اى موصوفين بهذا الوصف قطعا وانتم من لحوم الانا
من ردنا بضاعتنا التي وجدناها في رحالنا وغير ذلك مما عاينتم من شرف فعالنا مع علمنا بانها خلق لنا لا نصنع بطمع
بعض الازكياء بادني تامل فكانه قيل فما قال الذين من جهة العزيز فقيل قالوا قول واثق بانه في رحالهم فما جزاؤه اى
الصواع ان كنتم كاذبين في تبريكم من السرقة والجزاء مقابلة العمل بما يستحق عليه من خير او شر قالوا وثوقا منهم بالبراءة
واجبارا بالحكم عندهم جزاؤه اى الصواع من ولما كان العبرة بنفس الوجدان بنوا للمفعول قولهم وجد في رحله
ولتحققهم البراءة علقوا الحكم على مجرد الوجدان لا السرقة ثم اكدوا ذلك بقولهم فهو جزاؤه اى ليس غيره فكانه قيل هل هذا
امر احدثتموه الان او هو مشروع لكم فقالوا كذلك اى بل هو سنة لنا مثل ذلك الجزاء الشديد نجزي الظالمين اى بالظلم
ذا بانوقه في سرقته فحينئذ فتش اوعيتهم وفتح وعاء اخيه فبدأ اى فتسبب عن ذلك انه بدأ المؤذن او غيره
ممن امر بذلك باوعيتهم فحينئذ فتش اوعيتهم وبعده وعاء اخيه فاصل بعد فاصلة فكانت بداءته باوعيتهم مستغرقا
لما بينهما من الزمان بملايات بجار فقال قبل وعاء اخيه اى اخي يوسف عليه السلام شقيقه ابعادا عن التهمة
ثم اى بعد تفتيش اوعيتهم والتاني في ذلك استخرجها اى وجد اخراج السقاية التي تقدم انه جعلها في وعاء اخيه
من وعاء اخيه ولما فلما كان هذا كيدا عظيما في اخذ اخيه بحكمهم مع ما يوثق منهم ابوهم عظمه تعالى بالاشارة
اليه باداة البعد والاسناد اليه فقال كذلك اى مثل هذا الكيد العظيم كدنا ليوسف خاصة بان علمناه
اياه جزاء لهم على كيدهم بيوسف عليه السلام ولذلك صنعنا جميع الصنائع التي علت يوسف عليه السلام والجأت اخوته
الذين كادوه بما اخذوا انه ابطل امره الى المجيء الى ان كان اخرها حكمهم على انفسهم بما حكموا ثم علل ذلك بقوله ما كان
او هو استئناف تفسير للكيد واكد النفي باللام فقال ليأخذ اخاه ولما كان الاخذ على جهات مختلفة قيد بقوله
في دين الملك يعني بل يصبر على حاله من الحالات لان جزاء السارق عندهم غير هذا الا ان يشاء الله اى الذي له الامر
كله ذلك بسبب يقيمه كهذا السبب الذي هو حكم السارق واهله على انفسهم فلا يكون حينئذ من الملك الا تخليتهم
وما حكموا به على نفوسهم ومادة سرق بتراكيبها الاربع سرق وسقر وقسر وقرس تدور على الغلبة الحرقة الموجعة
وتارة تكون بحر وتارة ببرد وتارة بغير ذلك ويلازمها القوة او الضعف والكثرة والقلة والمخادعة فيأتي
الخفاء والليل فمن مطلق الغلبة القسر وهو الغلبة والقهر وقال ابن دريد القسر الاخذ بالغلبة والاضطهاد
والقسورة الاسد والعزيز كالقسور والرماة من الصيادين واحده قسور ونبات سهلي كانه يكثر فيه الصيد فينتشا به
القساورة وقسور النبت كثر وركز الناس اى صوتهم الخفي وحسهم لان الصيادين يتخافتون والقسورة في العقر
لطير يصيد ونفرجبل السراة كانه موضع الصيد والقسر الغلبة والقيسري الكثير لانه ملزوم للغلبة وضرب من العالم
كانه سمي لطلق الكثرة والاداة بما يعانيه من النجاسات والقيسري بضا من الابل العظيم او الصلب والضخم الشديد
وجمل قراسية بالضم تخفف الياء ضخم والقرس بالكسر صغار البعوض والقسور الضاري من الغلمان الشاب القوي والراعي
لانه اصل لان يقلب والقسور ايضا الصياد ليطلقه ويلزم المخادعة والاستخفاء ومنه القسورة نصف الليل واوله
او معظمه لانه محل الاستخفاء والمقاهرة ومنه السرق وهو الاخذ في خفية وعبارة القزاز ختل وغفلة وسرق لغة
خفي والسوارق الزوايد في قرائن القتل لغرابتها وخفاء امرها ولسلبها السرقة بمعناها السارق من فتح القفل والمسترق
المستمع مختفيا والسرق سهام ضخم ليذهب ويلزم المخادعة والاختفاء نوع ضعف ومنه سرقت مفاصله لغة
ضعفت والمسترق الناقص الضعيف الخلق والسرق فتر وضعف امامه وامامنا للسليكان من ضعف فكأنه
يكفيه عن السرقة والاذى ويسود الرجل اسن وكان سيد العادة والقريس اى العديم ومسترق اللبن فصيرها كانه
سرق ثمانيه وهو بسار دق النظر الذي يطلب غفلته لينظر اليه وتسرق سرق شيئا فشيئا وسرق كسكر كان اسمه الحباب
فابتاع من بدوي راحلتين ثم اجلسه على باب دار ليخرج اليه بثمنهما فخرج من الباب الاخر فهرب كما فسماه النبي صلى الله
عليه وسلم سرقا وكان لا يسمى بغيره والسرق محركا اجود الحرير او الحرير الابيض او الحرير عامة فارسي معرب اصله
سره قال القزاز ومعناه جيد لانه اهل لان يقصد بالسرقة لخفة محمله وكثرة ثمنه والسرقين معرب سركين يمكن ان يكون
من الضعف ولعل المعرب يكون خارجا عن اصل المادة لانه لا اصل له في العربية ومن الاذى بالحر السعر حر الشمس
واذاه يقال سقرته الشمس بالسين والصاد اذا المت دماغه ومنه اشتقاق سقر وهو اسم لاحدى طبقات النار

والسفر الغبادة على الحوم والسفر ما يسيل من الرطب من التسمية باسم للسبب لان الحر سببه والعوسرم الغوصرة وتخفف
لانه يوضع فيه التمر الذي قد يكون منه السفر والساقر الكافر واللعان لغير المستحق من لكثرة الاذى والاستحقاق
الكون في سقر والساقور الحر والحديدة يكوى بها الحمار ومن الاذى بالبرد القرس وهو البرد الشديد وهو البارد والقرس
ويحرك ابرد الصقيع والبقة والبرد والقرس بالتحريك الجامد واقرس العود حمد ماؤه ومنه القرس لسمك طخ وترك
حتى جمد وقرس الماء جمد والبرد اشتد كقرس كفرح والقراس ويقال نبات قراس كسحاب اجبل باردة او هضاب
بناحية السراة وقرسنا الماء بردناه اذا تقرر ذلك فتصحيح قول المؤذن انكم لسارقون ان نظر الى الغلبة
في خفا فلا شك انكم متصفون بذلك لاخذهم يوسف من ابيه عليهم السلام علينا على هذه الحالة وان نظر الى
مطلق الاخذ في خفية فيكون اطلاق ذلك عليهم مجازا لان معهم في حال بذايه لهم وهم سائرون شيا ليس هو لهم هم
ذاهبون به في خفا اي انتم في هذه الحاله فاعلون فعل السارق ويقوي ارادة الاول قوله تعالى لتنبئنهم
بامرهم هذا وهم لا يشعرون وقوله من وجدنا متاعنا عنده كما ياتي ولما كان يوسف عليه السلام انما تمكن من ذلك
بعلو درجته وتمكنه ورفعته وبين ما كان فيه عندهم من الصغار كان ذلك محل عجب فقال تعالى التفاتا
الى مقام التكلم تقوية للكلام بمقابلة الغيبة والتكلم وزاده اشعارا بعظمة هذا الفعل بصوغه في مظهر
العظمة منبها لمن قد يغفل نرفع اي بما لنا من العظمة وكان الاصل درجاته ولكنه عمم لانه ادل على العظمة
فكان اليق بمظهرها فقال منبها على انه كان حصل ليوسف عليه السلام من الهضم ما ظن على ظن انه لا يرتفع
بعده درجات من نشا اي بالعلم ولما كان سبب الرفعة هو الاعلمية بالاسباب وذلك ان الخلق لو اجتهدوا
في خفض احد فنصبوا له في كل سبب علوه وقدروا اعلنه واراد الله ضد ذلك بغتهم بعلمه سببا واحدا ان شا فابطل
جميع تلك الاسباب وقضى برفعته نبه تعالى على ذلك بقوله وفوق كل ذي علم عليم اي من الخلق عظيم
العلم لا تكتنه عظمة علمه العقول ولا تتخيلها الفهوم فهو يتسبب من الاسباب ما تطيح له اسباب العلما وتحير له
الباب العقلا البحرا وهو الله تعالى كما نقله الرماني عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وسعيد بن جبير فالتنوين
للتعظيم ولما تم ذلك كان كانه قيل ان انتزاع اخيهم منهم بعد تلك المواثيق التي اكدوها لابيهم لداهية تطيش
لها الحلوم فماذا كان فعلهم عندها فقيل قالوا تسلية لانفسهم ودفعا للعار عن خاصتهم ان يسرق فلم يجزموا
بسرقته لعلمهم بامانته وظنهم ان الصواع دس في رحله وهو لا يشعر كما دست بضاعتهم في رحالهم وانما اوقع ظنهم هذا
سكوت اخيهم عن الاعتذار به على الله قدر ذلك بردا كانهم لاموه فقال لهم وصنعه في رحل الذي وضع البضاعة في رحالهم
فقد سرق اخ له من اي شقيق ولما كان ما ظنوه لذلك في زمن يسير ادخلوا الجار فقالوا من قبل يعنون يوسف
عليه السلام وذلك انه قيل ان عمته كانت لا تصبر عنه وكان ابوه لا يسع بمكثه عندها لانه لا يصبر عنه فحزمته من
تحت ثيابه بمنطقة ابيها اسحق عليه السلام وكانت عندها ثم قالت فقدت منطقة اي فاكشفوا عندها فاسرها
اي اجابتهم عن هذه المقالة العظيمة يوسف في نفسه على تمكنه مما يريد بهم اهلا لا انتقام ولما كان ربما ظن ان
الله بكيتهم لها بعد ذلك نفى هذا الظن بقوله تعالى ولم يبدها اي اصلا لهم فكانه قيل فما قولته التي اسرها في نفسه
فقيل قال انتم شر مكانا اي من يوسف واخيه لان ما نسبتموه اليهما من السرا انما هو ظاهر الامر بحسب اقتضائه واما انتم
ففعلتكم بيوسف شر مقصود منكم ظاهرا وباطنا ونسبة الشر الى مكانهم اعظم من نسبته اليهم وانما قدم الاخبار
بالاسرار مع اقترانه بالاضمار قبل الذكر ليدل على انه يظن بادي منكم وانه ليس كلاما قاله والوصف كان مشتقة من اصل من
الاصول لتجري على مذكور يفرق بينه وبين غيره بطريق التنقيص كالفرق بين العالم والجاهل ونحوهما فكانه
قيل ان ذلك القول على نحته ليس مغنيا عنهم ولا عن ابيهم شيا فهل اتتم واعليه فقيل لا بل قالوا التماسا لما لقيهم
يا ايها العزيز تحببوه بما يليق بالاكابر ليرق لهم ان له اي هذا الذي وجد الصواع في رحله ابا شيخا كبيرا اي في سنه
وقدره وهو مغرم به لا يقدر على فراقه ولا يصبر عنه فخذ احدنا مكانه واحسن الى ابيه بارساله اليه انا نراك
اي نعلمك علما هو كالرؤية او نحسب ما راينا من المحسنين اي العريقين في صفة الاحسان فاجر لنا على عادة احسانك
فكانه قيل فما اجابهم قيل قال معاذ الله اي نعوذ بالله الذي لا مثل له معاذا عظيما ان ناخذ اي لاجل هذا الامر الا من الشخص
الذي وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق متاعنا لانه كما انه لم يفعل في الصواع فعل السارق لم يقع منه قبل
ذلك ما يصح اطلاق الوصف عليه ثم علل ذلك بقوله انا اذا اي اذا اخذنا احدا مكانه لظالمون اي عريقون في الظلم
في دينكم فلا تطلبون ما هو ظلم عندكم ذكر ما بعد ما سلف من هذه القصة من التوراة قال وكان النهم وفي نسخة الجوع
والاوجهات على جميع وجه الارض ففتح يوسف الاهرا واقبل بيع المصريين واشتد الجوع بارض مصر واقبل جميع اهل

الارض يأتون للامتيار من يوسف فبلغ يعقوب ان بمصر طعام ميرة فقال يعقوب لبنيه لا خوف عليكم لانه قد بلغني
ان بمصر ميرة فاهبطوا الى هناك فامتاروا والتمسوا الحياة ولا تموت فهبط بنو يعقوب لعشرة ليمتاروا ميرة من مصر
فاما بنيامين اخو يوسف فلم يرسله يعقوب مع اخوته لانه قال لعله ان يعرض له عارض فاتى بنو اسرائيل
ليمتاروا مع الذين كانوا ينطلقون لان الجوع اشتد في ارض كنعان وكان يوسف هو المسلط على الارض
وكان يمير جميع شعب الارض فاتى اخوة يوسف فخروا له سجدا على الارض فراى يوسف اخوته فاثبتهم وتنكر
عليهم وكلمهم بغلاظة وقساوة وقال لهم من اين انتم فقالوا انا اتينا من ارض كنعان لنمتار ميرة فذكر
يوسف الرؤيا التي قصها عليهم وقال لهم انكم جواسيس وانما اتيتم لتفحصوا وتطلعوا الارض
فقالوا كلا يا سيدنا انا عبيدك انما اتوا لنمتار ونحن اجمعون بنوا رجل واحد ونحن ابرار وليس عبيدك
بطلائع فقال لهم يوسف ليس الامر كما تقولون بل انما اتيتم لتجسسوا ارضنا فقالوا له نحن اثنا عشر رجلا اخوة
عبيدك بنو رجل واحد بارض كنعان والاخر هو عند ابينا ويوسف هذا والاخر فقدناه فقال لهم يوسف الى
انما قلت لكم جواسيس من اجل هذا بهذه تمتحنون وحق فرعون لا اخرجنكم من ههنا حتى ياتي اخوكم الاصغر
الى ههنا فتفحص عن اقاويلكم ان كنتم نطقتم بالحق والقسط والا وحق فرعون انكم طلائع فقذفهم في الحبس
ثلاثة ايام ودعاهم يوسف في اليوم الثالث وقال لهم افعلوا ما امركم به فتحيوا فاني اراقب الله
ان كنتم ابرارا فليحبس احدكم في محبسكم وانطلقوا انتم بالميرة للجوع الذي في بيوتكم فاتوني باخيكم الاصغر فاصدق
قولكم ولا تموتوا ففعلوا كذلك اي هم فقال كل امرئ منهم لصاحبه حقا انا قد استوجبنا السجن على اخينا اذ راينا
كرب نفسه اذ كان يتضرع الينا فلم نرحمه ولم نتراف عليه فمن اجل ذلك انزلت بنا هذه البلية والشر فاجاب روبيل
وقال لهم الم اقل لكم لا تاثموا بالغلام فلم تقبلوا وهو ذا الان نحن مطالبون بدمه ولم يعلموا ان يوسف يفهم
كلامهم لانه اوقف ترجمانا بينه وبينهم فتنحى وامر بدورق كل امرئ منهم في وعائه وان يزودوا عنهم فبكاهم رجع
اليهم يكلمهم ثم اخذ منهم شمعون فاوثقه تجاههم وامر يوسف بملء اوعيتهم ميرة وامر برد ورق كل امرئ
منهم في وعائه وان يزودوا زادا للطريق ففعل ذلك بهم كما امر يوسف فحملوا ميرتهم على حميرهم وانطلقوا
ففتح بعضهم وعاءه ليلقي قضيما لحماره في مبيتهم فراى ورقه موضوعا على طرف حمولته فقال لاخوته رد
الي ورقي وهو ذا على طرف حمولتي فارتجفت قلوبهم وفزعت نفوسهم وتعجب كل امرئ منهم فقالوا يا ليت
شعري ما هذا الذي صنعه الله بنا فاتوا يعقوب اباهم الى ارض كنعان فاخبروه بجميع ما عرض لهم وقالوا ان
الرجل سيد الارض كلمنا بغلاظة وقساوة وحبسنا بمنزلة الجواسيس اتينا لنطالع الارض فقلنا انا ابرار
عدول فلسنا طلائع فنحن اثنا عشر اخا بنوا اب واحد فقد واحد منا والاخر عند ابينا يوسف هذا بارض
كنعان فقال لنا الرجل سيد الارض ورئيسها بهذا اعلم انكم ابرار عدول خلفوا عندي احد اخوتكم واحملوا
ميرة للجوع الذي في بيوتكم وانطلقوا فاتوني باخيكم الاصغر معكم فاعلم حينئذ انكم لستم بطلائع بل انتم ابرار
عدول وارد اليكم اخاكم وتتجرون في الارض فبينما هم يفرغون اوعيتهم فاذا هم بصرة كل امرئ منهم على
طرف وعائه فراوا ورقهم مصرورة ففزعوا هم وابوهم فقال لهم ابوهم انكم قد اثكلتموني ولدي وافقدتموني
اياهما لان يوسف فقدته وشمعون محبوس وتنطلقون ببنيامين ايضا وقد كلت على المصائب كلها فقال
روبيل لابيه اقتل ابني جميعا ان لم اتك به ادفعه الي وانا اردده اليك فقال لا يهبط ابني معكم لان اخاه
يوسف توفي وهو وحده الباقي لامه فيعرض له افة في الطريق الذي تسلكونه فتنزلون شيبتي الى الحدث
بالشقاء والنحب فاشتد الجوع على الارض فلما اكلوا الذي اتوا به من مصر وافنوه قال لهم ابوهم يعقوب اهبطوا
فامتاروا لنا شيئا من قمح فقال له يهوذا ان الرجل انذرنا وتقدم الينا وقال لا تعاينوا وجهي الا واخوكم
معكم فان انت ارسلت اخانا معنا فانا نهبط فنمتار وان لم تبعثه لم ننطلق فقال لهم ابوهم ولم اساتم الي
فاخبرتم الرجل ان لكم اخا فقالوا ان الرجل سالنا عنا وعن رهطنا وقال اتعلم ان اباكم في الحياة بعد وهل لكم اخ
فاخبرناه من اجل هذا الكلام اكنا نعلم انه يقول اهبطوا معكم باخيكم وقال يهوذا لاسرائيل ابيه ارسل
الغلام فننطلق فنحيا ولا نموت نحن وانت ايضا وحشمنا انا اكفل به فان لم اته به فاقمه بين يديك فانا مخطئ
بين يدي الى جميع الايام فقال لهم ابوهم اسرائيل اذا كان الامر هكذا فافعلوا ما امركم به احملوا في اوعيتكم
من ثمار هذه الارض شيئا من صنوبر وعسل وعلك البطم وخروب وحبة السمن ودد بطم ولوز وضرو لمر
الورق ضعفا الذي في اوعيتكم لعل ذلك ان يكون وهما منهم وانطلقوا باخيكم الى الرجل وارجعوا الى كلكم والى

المواعيد بطلب كرس الرجل برانه درهم فيرسل باخيكم الاخر معكم وبنيامين ايضا فاخذوا القوم هذه الهدية
وضعفا من الفضة وانطلقوا معهم ببنيامين واتوا يوسف فوقفوا بين يديه فرأى يوسف بنيامين معهم
فقال لحاجبه ادخل القوم الى المنزل واذبح ذبيحا وهيئ الغدا لان القوم يتغدون معي ظهرا ففعل العبد
كما امره يوسف وادخل القوم الى منزل يوسف وقالوا انهم انما يدخلونا بسبب الورق الذي وجدنا في اعدالنا من
قبل فيريدون ان يتطاولوا علينا ويكروا بنا فيجعلونا عبيدا ودوابنا ملكا فدنوا من الرجل حاجب وفي نسخة
خازن يوسف فكلموه على باب المنزل وقالوا له انا نطلب اليك يا سيدنا انا هبطنا اولا الى ههنا فامترنا
فلما انطلقنا وصرنا الى البيت اذا كل ورق كل امرئ منا في عدله فقد رددنا او واتينا بورقنا معنا واتينا
معنا بورق اخر لنمتار بها ولا نعلم من الذي صيّر او رد في اوعيتنا فقال لهم السلام لكم لا تخافوا ولا تبتئسوا
الهكم اله المواعيد اله ابيكم دخر لكم هذه الذخيرة في اوعيتكم لان ورقكم قد صار في قبضتي واخرج اليهم شمعون
فادخل العبد القوم الى منزل يوسف واتاهم بما فغسلوا ايديهم واقدامهم والقى قضيما لدوابهم فاعد القوم
هديتهم لدخول يوسف وقت القايلة لانه بلغهم ان غداهم يكون هناك فدخل يوسف الى منزله فادخلوا هديتهم
فوضعوها بين يديه في منزله وخروا له سجدا على الارض فسالهم عن سلامتهم وقال اسالم هو ابوكم الذي اخبرتموني عنه
انه في الحياة هو بعد فقالوا ان ابانا عبدك سالم ثم جثوا فسجدوا له فنظر فابصر بنيامين اخاه ابن امه فقال لهم
هذا اخوكم الذي اخبرتموني عنه فقالوا نعم فقال له الله يتراف الله عليك يا بني فاستعجل يوسف لانه رق له وتحنن عليه
فاراد البكا فدخل الى مكانه فبكا هناك ثم غسل وجهه وخرج فصبر نفسه فامر ان ياتوهم بالغدا فوضعوا بين يديه وحده
وقربوا اليهم وحدهم لانه لا يستطيع اهل مصر ان ياكلوا مع العبرانيين لان هذه نجاسة عند المصريين فامر فاتكا الاكبر على قدر
سنه والاصغر على قدر سنه فتعجب القوم وملئوا الحنين من مسد ولهن فاعطى كل امرئ منهم من بين يديه جزءا واعطى بنيامين
اكثر منهم خمسة انصبة فشربوا فامر خازنه وقال له اوقر اوعية القوم من البر ما امكنهم وصير ورق كل امرئ منهم
على طرف وعايه وخذ طاسي الفضة وصيره في وعا الاصغر مع ورق ميرته ففعل العبد كما امر يوسف فلما كان من الغد سرح
القوم كي ينطلقوا هم وحميرهم فخرجوا من القرية وقبل ان يخرجوا منها قال يوسف لخازنه قم فاسرع في طلب
القوم والحقهم وقل لهم لم كافيتم الشر بدل الخير فاخذتم الطاس الذي يشرب فيه سيدي ويعتاف فيه اعتيافا
فاساتم فيما جنيتم فلحقهم وقال لهم هذه الاقاويل فقالوا له لم يقول يا سيدنا هذه الاقاويل معاذ الله ان يفعل
عبيدك هذه الفعال نحن رددنا الورق التي وجدنا في اوعيتنا من ارض كنعان فكيف نسرق من بيت
سيدك ذهبا او فضة من وجد عنده من عبيدك فليمت ونحن عبيدا لسيدنا قال لهم فهو على ما تقولون من وجد
عنده هو يكون لي عبدا وانتم تكونون فلحين طاهرين فاستعجل كل منهم وعاه ففتشوا ابتدا بالاكبر وانتهى الى الاصغر
فوجدوا الطاس في وعا بنيامين فمزقوا ثيابهم وخرقوها وحمل كل منهم وعاه على حماره ورجعوا الى القرية فدخل
يهودا واخوته على يوسف وكان في منزله بعد فخروا بين يديه على الارض فقال لهم يوسف ما هذا الفعل الذي كان
منكم اما تعلمون ان رجلا مثلي يعتاف وفي نسخة يمتحن بكاس من اعتنا فالم تتعدون عليه وتاخذونه فقال لهم يهودا بما
ذا نكلم سيدنا وبما ذا ننطلق وبما ذا نتعلل وفي نسخة نحتج من عند الله نزل بهذه الخطية بعبيدك هو ذا نحن عبيد
لسيدنا نحن ومن اصيب الكاس عنده فقال معاذ الله ان افعل هذا بل الرجل الذي وجد الكاس عنده يكون لي عبدا
وانتم فاصعدوا بسلام الى ابيكم فدنا منه يهودا فقال انا اطلب اليك يا سيدي ان تاذن لعبدك بالكلام
بين يديك يا سيدي ولا تشعل غضبك على عبدك لانك مثل فرعون سال سيدي عبيده فقال لهم هل لكم اب او اخ
فقلنا لسيدنا ان لنا ابا شيخا وابنا له صغيرا ولد على كبر سنه وان اخاه مات وهو الباقي وحده لامه وابوه
يحبه وانت قلت لعبيدك اهبطوا به الي حتى اعرفه واعاينه فقلنا لسيدنا لا يقدر الغلام على مفارقة ابيه لانه
لانه ان فارقه ابوه توفي فقلت لعبيدك انه ان لم يهبط اخوكم الاصغر معكم فلا تعودوا ان تعاينوا وجهي فلما صعد
الى عبدك ابينا اخبرناه بقول سيدنا فقال لنا عبدك ابونا ارجعوا فامتاروا شيئا من بر فقلنا لا يمكننا
لا نقدر على الهبوط الا ان يهبط اخونا الاصغر معنا لانا لا نقدر على معاينة وجه الرجل ان لم يكن اخونا معنا
فقال لنا عبدك ابونا انتم تعلمون ان امراتي ولدت لي اثنين فخرج واحد من عندي فقلتم انه قتل قتلا فلم اعاينه
الى يوم الناس هذا فتحملون ايضا هذا من عندي فيعرض له حدث فتهبطون بشيخوختي بحزن وشر الى القبر
والان اذا نحن انطلقنا الى عبدك ابينا وليس الغلام معنا ونفسه حبيبة اليه فاذا علم ان الغلام ليس هو
معنا يموت فيهبط عبدك شيبة ابينا بالشقا والتشجب لان عبدك ضمن الغلام لابينا وقلت اني اذا لم اتك به

به اخطي بابي جميع الايام والان فليبق عبدك بدل الغلام عبدا لسيدي وليصعد الغلام مع اخوته لاني افكر
كيف اصعد الى ابي وليس الغلام معي وكيلا اعاين الشر الذي ينزل بابي ولما ايسوا اياسهم كما قال عن اطلاق بنيامين
حكى الله تعالى ما اثمر لهم ذلك من الراي فقال فلما دال الفا على قرب زمن تلك المراجعات استيأسوا منه اي تحولوا
رجاوهم لتخلية سبيله لما راوا من احسانه ولطفه ودهشتهم يأسا شديدا بما راوا من ثباته على اخذه بعينه وعدم
استبداله خلصوا نجيا اي انفردوا من غيرهم حال كونهم نجيا اي ذوي نجوى يناجي بعضهم بعضا من المناجاة
وهي رفع المعنى من كل واحد الى صاحبه في خفا من النجوة وهو الارتفاع من الارض قاله الرماني وخصوا مناجيا لانهم
فيه بجد كانهم صورة التناجي وكانه قيل فما قالوا فقيل قال كبيرهم في السن وهو روبيل الم تعلموا مقررا لهم
بما يعرفونه مع قرب الزمان ليشتد توجيههم في بذل الجهد في الخلاص من غضب ابيهم ان اباكم اي الشيخ الكبير الذي فجعتموه
في احب ولده اليه ولما كان المقام للتقرير ومعرفته صورة الحال للتوثق بما ياتي من الكلام قال قد اخذ عليكم
اي قبل ان يعطيكم هذا الولد الاخر موثقا ولما كان الله تعالى هو الذي شرعها مضى كانه منه فقال من الله اي
الملك الاعظم لتاتننه به الا ان يحاط بكم ومن قبل اي قبل هذا ما فرطتم اي قصرتم بترك التقدم بما يحق لكم في
ظن ابيكم او فيما ادعيتم لابيكم تفريطا عظيما فان زيادة ما تدل على انه اراده لذلك في ضياع يوسف فلم
يصدقكم ابوكم اصلا بل يتهم هذه المرة ويعلم لما جئناكم قطعا واصل معنى التفريط التقدم من قوله صلى الله عليه
وسلم انا فرطكم على الحوض ولما كان الوقت موضع التاسف والتفجع والتلهف اكد بما النافية لنقيض المثبت كما
سلف غير مرة اي ان فعلكم في يوسف كان الامر ثكلا لا شك فيه فلن ابرح اي افارق هذه الارض بسبب هذا
وايصاله الفعل بدون حرف دليل على انه صار دليلا لالتصاق بها حتى ياذن لي ابي في الذهاب منها او يحكم الله
اي الذي له الكمال كله وتغنا به لي بخلاص اخي او بالذهاب منها بوجه من الوجوه التي يعلمها ويقدر على التسبب لها
ولو اي ظاهرا او باطنا وهو خير الحاكمين اذا اراد امرا بلغه باحاطة علمه وشمول قدرته وجمله على احسن الوجوه واتقنها
فكانه قيل هذا ما راى في نفسه فما راى لاخوته فقيل امرهم بالرجوع ليعلموا اباهم لامكان ان يرد
القدوم الى مصر ليري ابنه او يكون عنده راي فيه فرج فقال ارجعوا الى ابيكم اي ذوي فقولوا اي له متلطفين
في خطابكم يا ابانا واكدوا معا لتالم فانه ينكرها فقولوا ان ابنك اي شقيق يوسف عليه السلام الذي هو اكملنا
في النبوة عندك سرق ولما كانوا في غاية النفرة من ان احدا منهم لا يلم بمثل ذلك اشاروا اليه يقولهم وما شهدنا
اي في ذلك الا بما علمنا ظاهرا من رؤيتنا الصواع يخرج من وعايه والشهادة الخبر عن احساس قول او فعل يجوز
الشهادة بما ادى اليه الدليل القطعي وما كنا للغيب اي الامر الذي غاب عنا حافظين فلعل حيلة دبرت في ذلك
غاب عنا علمها كما صنع في رد بضاعتنا واسأل القرية التي كنا فيها اي اهلها وجدرانها ان كانت تنطق وهي مصر كما اخبر
به تخبرك بصدقنا فان الامر قد اشتهر عندهم والعير اي اصحابها اي اصحابها وهم قوم كنعان جيران يعقوب عليه السلام
التي اقبلنا فيها والسؤال طلب الاخبار باداته من الهمزة وهل ونحوها والقرية الارض الجامعة للحدود فاصلة
واصلها من قريت الما اي جمعته وياتي شرح لفظها اخر السورة والعير قافلة الحمير من العير بالفتح وهو الحمار هذا
الاصل كما تقدم ثم كثر حتى استعمل في غير الحمير ولما كان ذلك جديرا بالانكار لما تحقق من كرم اخيهم اكدوه بقولهم وانا
اي والله لصادقون فكانه قيل فرجعوا الى ابيهم وقالوا اما قال لهم كبيرهم فكانه قيل فما قال لهم فقيل قال بل اي
ليس الامر كذلك لم تصح نسبة ابني الى السرقة ظاهرا ولا باطنا اكم با ضرنا ابا من صاحبه في خفا بل سولت اي
زينت انه غني لكم انفسكم امرا اي حدثتكم بانه ترتب عليه ذلك والامر الشي الذي من شانه ان يامر النفس
به وكلا الامرين صحيح اما النفي فواضح لان بنيامين لم يسرق الصواع ولا هم بذلك ولذلك لم ينسبه يوسف عليه السلام
ولا مناديه الى ذلك بمجرده واما الاثبات فواضح لانه لولا فعلهم بيوسف عليه السلام لما سولت لهم فيه انفسهم
لم يقع هذا الامر لبنيامين عليه السلام فصبر جميل مني لان ظني في الله جميل وفي قوله عسى الله اي المحيط بكل شي قدرة
وعلما ان ياتيني بهم اي يوسف وشقيقه بنيامين وروبيل جميعا ما يدل الفطن على انه تفرس من هذه الافعال
نشاتت عن يوسف عليه السلام وان الامر الى السلامة والاجتماع ثم علل ذلك بقوله انه هو اي وحده العليم اي البليغ العلم
فهو عالم من ذلك ان يعلم اسبابه الموصلة الى المقاصد الحكيم اي البليغ في احكام الامور في ترتيب الاسباب بحيث لا يقدر
احد على نقض ما ابرمه منها وترتيب الوصفين على غاية الاحكام كما ترى لان الحال داع الى العلم بما غاب من الاسباب الذي من
دعايه الى معرفة حكمها في هذه المقالة وتولى اي انفرد بوجهه عنهم لما تفاقم عليه من الحزن وبلغ به من الجهد وهاج
باجتماع حزن الى حزن من الحرق داهية لما جاء به واتبا لا الى من اليه الامر وقال مشتكيا الى الله لا غيره فقولي نطق واسف

باشد التصبح والدعاء يا اسفا يا اشد حزني والالف بدل عن ياء الاضافة لتدل على بلوغ الاسف الى حال لا مرد له وخبا
الاسف مع يوسف ثم لم يتعد فيكون مطبوعا فيتصل الى نهاية الابداع وامثاله في القران كثير على يوسف هذا او انك
الذي ملاني بك فنادمني كما انادمك وخصه لانه قاعدة احزانه التي ابتنى عليها وتفرع منها ما بعدها وابيضت
عيناه اي انقلب سوادهما الى حال البياض بكثرة الاستعبار فعمي البصر من الحزن الذي هو سبب البكاء الدائم الذي
هو سبب البياض فذكر السبب الاول ويقال بلغ حزنه عليه السلام حزن سبعين ثكلى وما ساء ظنه قط ثم علل ذلك
بقوله فهو اي بسبب الحزن كظيم اي شديد الكظم لامتلائه من الكرب مانع نفسه من عمل ما يقتضيه ذلك
من الوعونات بما اتاه الله من العلم والحكمة وذلك اشد ما يكون على النفس واقوى ما يكون للحزن فهو فعيل بمعنى
مفعول وهو ابلغ منه من كظم السقا اذا شده على ملئه ومادة كظم تدور على المنع من الاظهار ويلزمه الكرب لانه
من شان الممنوع بما قد امتلا منه ويلزمه الامتلاء لان ما دونه ليس فيه قوة الظهور وكظم غيظه اذا اسكت بعد امتلائه
منه وكظمت السقا اذا ملاته وشددته وكظم البعير جرته اذا اردها وكفه الكظم مخرج النفس لانه به يمنع من الجري
في هواه والكظامة حبل يشد به خرطوم البعير لمنعه مما يريد وايضا يوصل بوتر القوس العربية ثم يدار بطرف السية
العليا منعا له من الانحلال وايضا قناة في باطن الارض يجري فيها الما لانه يمنع الما من ان ياخذ في هواه فيرتفع في
موضع النبع فيظهر على وجه الارض وخرق يجري فيه الما من بير الى بير لانه لا يصنع الا عند ضعف احدى البيرين فلولاه
لفاضت القوية فهو فرق لمايها في غير وجهه وكظامة الميزان المسمار الذي يدور فيه اللسان لانه يربطه فيمنعه
من الانفكاك ويقال ما زلت كاظما يومي كله اي ممسكا عن الاكل وقد امتلك تجوعا وقد يطلق على مطلق المنع
ومنه كاظمة لقربه على شاطى البحر لان الحرير كظمها من صلاح الحال مع ايتهم بقصر الاقبال عليهم ووقع لابيهم
هذا القادح العظيم تشوفت النفس الى ما لهم له فاستانف الاخبار عنه بقوله قالوا اي عنقا من ذلك تالله
اي الملك الاعظم مبينا بها تعجب تفتؤ اي ما تزال تذكر يوسف حريصا على ذكره مواظبا عليه حرص الفتى الشاب الجلد
الصبور على مراده حتى اي الى ان تكون حرضا اي حاضرا لهلاك مشرفا عليه متهيئا له بدنف الجسم وخبل العقل
كالمضي بيانه في الانفال عند حرض المومنين او تكون اي كونا لازما هو كالجبلة من الهالكين قال بالفعل
ولما تشوفت النفس الى ما كان عنه بعدما راى من غلظة بنيه شفي غيضها بقوله قال انما اي لم لا ازال
لذلك لانه من صفات الكمال للانسان لدلالته على الرقة والوفا وانما يكون مذموما اذا كان على وجه الشكاية الى
الخلق وانا لا اشكو الى مخلوق انما اشكو بثي والبث اشد الحزن سمي بذلك لانه من صعوبته لا يطاق حمله فيباح به
وينشر وحزني مطلقا وان كان سببه خفيفا فقدر الخلق على ذاته الى الله اي المحيط بكل شي علما وقدرة تعرضا
لنفحات كرمه لا الى احد غيره وهذا الذي سمعتموه مني فقلتم له قليل من كثير ولما كان يجوز ان يكونوا صادقين في انهم
لم يجدوا الا قميص يوسف ملطخا وان يكون قطعهم باكل الذيب له مستندا الى ذلك وكان يعقوب عليه السلام يغلب
على ظنه ان يوسف عليه السلام حي ويطمع في اسراع جمع شمله به قال واعلم من الله اي الملك الاعلى من اللطف
بنا اهل هذا البيت ومن التصح عن المكروبين والتفرج للمغمومين ما لا تعلمون ومادة فتا يائية وواوية مهموزة
وغير مهموزة بكل ترتيب هي فتا وفات وتفاوت وفتي وفوت وتوف وتفو تدور على الشباب وتلزمه
القوة وشدة العزيمة وسلاسة الانقياد ما فتي يفعل كذا اسلته العين ما زال كما افتي اي انه ما زال فاعلا في ذلك
فعل الشباب الجلد الماضي العزم وما فتي ان فعل ما بين اي انه بادر الى ذلك بسهولة انقياد وشدة عزيمة
وحقيقته ما فتي عن فعل كذا اي ما جاوزه الى غيره وما نسيه بل قهر فتاه وهمته وجلده عليه وعن ابن مالك
في جميع اللغات المشكلة وعزاه للفرا وصححه في القاموس فتا كمنع كسرا واطفا وهو واضح في القوة وفتي عنه
كسع كسيه وانقدع عنه اي انكف وخامر بالجدا بان تبدله حرف نفي ومعناه ان قوته تجاوزته فلم تخالطه
ومن ماتيه للغتي كسا الشباب وكانه اصل المادة والفتي يا لعتر السخي والكريم اي الجواد الشريف النفس والفتى
السيد الشجاع لان ذلك يلزم الشباب غالبا والفتى المملوك وان كان شيخا او شيخا لانه غالبا لا يشترى الا الشباب
والفتى التلميذ والتابع لذلك والفتي كغني الشاب ايضا والفتوة الكرم وقد تفتى وتفاتى وتفتوتهم غلبتهم
فيها وافتاه في الامر ابانه له والفتيا بالضم والفتوى ويفتح ما افتى به الفقيه وهو يرجع الى الجود وحسن
الخلق والفتيان الليل والنهار لدولتهما لا يسنما ان جديدين وافتيت كبيت تفتية منعت اللعب مع الصبيان
فهو من سلب للشباب من ثمرته ومن مقلوبه كمود افتات على الباطل اختلقه وبرايه استبد وكلاهما يدل على
جراة وطيش وهو باب الشباب الذي لم يحنكه الدهر اجدر وافتيت ذهبت فسبق فلم يدرك على البنا للمفعول مات فجاءة

فجاة كان ذلك اشد الموت ومن واويه فات الشي فوتا وفواتا ذهب وذلك يدل على قوة السابق وبينهما فوت
اي بون كان كلا منهما سابق للاخر وتفاوت الشيان وتفوتا تباعد ما بينهما ويلزم ذلك الاختلاف والاضطراب اب
ويلزمه العيب فما ترى في خلق الرحمن من تفاوت من عيب يقول الناظر لو كان كذا كان احسن وموت الفوات
الفجاة وهو فوت نحوه وبيده اي حيث يراه ولا يصل اليه والفوت الفرجة بين اصبعين وافتات عليه برايه
سبقه به وفاته به وعليه غلبه ولا يفتات عليه اي لا يعمل دون امره اي لا احد اشد منه فيسبقه ومر افتات
الكلام ابتدعته كما تقدم في المهموز وافتات عليه حكم لقوته والفوت كزبير المتفرد برايه للذكر والمونث
وذلك لعدة نفسه شديدا وتفوت عليه في ماله فاته به ومن مقلوبه مهموزا تفيع كفوع احتد وغضب وذلك لشدته
وتفيئة الشي حينته به ومن مقلوبه ربانه وذلك احسن احواله ودخل على تفيئته اي اثره ان لم يسبقه بكثير وذلك
اشد له ومن واويه التفه كثبة عناق الارض وهي تصيد وفيها خلاف بين ان شا الله تعالى لكن قوله جزاء
موفورا من سورة سبحان ومن مقلوبه واويا تاف بحرم يتوف تاه كانه لسلب الشدة والمعنى انه وقع في توفة
اي شدة وما فيه توفه بالضم ولا تافه عيب او فريد الحاجة وابطاء وكل ذلك يدل على شدته وغلب على توفه
بالفتح عثرة وذنب من ذلك لان العثرة والذنب لا يصيبان شيئا الا عن شدة وضعفه ومن مقلوبه مهموزا الافت فت
بالفتح الناقة التي عندها من الصبر والبقاء ما ليس عند غيرها والشريع الذي يغلب الابل على السير والكريم من الابل
ويكسر والداهية والعجب وكل ذلك واضح في القوة والافت بالكسر الاول والافته اصل كل معدود واوفته عن كذا صرفه
ولما اخبرهم عليه السلام ان عنده توقعا من الله ابتعه اشتينا فاما يدل عليه فقال يا بني اذهبوا ثم سببه عن الذهاب
وعقبه به قوله فتحسسوا اي بجميع جهدكم من يوسف واخيه اي اطلبوا من اخبارهما بحواسكم لعلكم تظفرون
بهما وهذا يؤكد ما تقدم من احتمال ظنه ان فاعل ذلك يوسف عليه السلام ولما لم يكن عندهم من العلم ما عنده قال
ولا تياسوا اي تقنطوا من روح الله اي الذي له الكمال كله والروح قال الرماني نفع بريح تلذ وكان هذا اصله فالمراد
من رحمته وفرجه وتيسيره ولطفه في جميع الشتات وتيسير المراد ثم علل هذا النهي بقوله انه لا يياس اي يقنط
من روح الله اي الذي له جميع صفات الكمال الا القوم اي الذين لهم قوة المحاولة الكافرون اي العريقون في الكفر
فاجابوه الى ما اراد فتوجهوا الى مصر لذلك ولقصد الميرة لما كان اشتد بهم من القحط وقصدوا العزيز وقوله فلما
دخلوا عليه بالفاء يدل على انهم اسرعوا الكرة هذه المرة قالوا مناديين بالاداة التي تنبه على ان ما بعدها له وقع
عظيم يا ايها العزيز ولما تلطفوا استعطفوه ترفقوا بقولهم مسنا اي ايها العصابة التي تراها واهلنا اي الذين تركناهم هم
في بلادنا الضر اي الاساية الذي يحسنها وجينا ببضاعة مزجاة اي تافهة غير مرغوب فيها بوجه ثم سببوا عن هذا
الاعتراف لانه اقرب الى رحمة اهل الكرم قولهم فاوف لنا الكيل اي شفقة علينا بسبب ضعفنا الكيل وتصدق
اي تفضل علينا زيادة على الوفا كما عودتنا بفضل تتجاوز به ولما ارادوا انحا له تدل لي تمسكه بدين ابيهم عللوا
ذلك بقولهم ان الله اي الذي له الكمال كله يجزي المتصدقين قال اي مطلقا وان اظهرت مما افاده الا ظهار
وان كانت على غنى قوي فكيف اذا كانت على اهل الحاجة والضعف فلما راى ان الامر بلغ الغاية ولم يبق شي يتخوفه
عرفهم بنفسه فاستانف تعالى الاخبار عن ذلك بقوله حكاية قال هل علمتم مقررا لهم بعد ان اجترا واعليه
واستاسوا به والظاهر ان هذا كان بعض ترجمان ما اي قبح الذي فعلتم بيوسف اي احتيكم الذي جلبتم
بينه وبين ابيه واخيه في جعلكم اياه فريدا منه ذليلا بينكم ثم زيد لكم له لما وجد الصواع في رحله لا يزال
يايتنا البلا من قبلكم يا بني راحيل واعلمهم بان ظنه فيهم الان جميل تسكينا لهم فقال اذ اي حين انتم
جاهلون اي فاعلون فعلهم تلويحا لهم الى معرفته وتذكيرا بالذنب ليتوبوا وتلطفا معهم في هذا المقام الذي يتنفس
فيه المكروب وينفث فيه المصدور ويشتفي فيه المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور بتخصيص جهلهم بمقتضى ذلك
بذلك الزمان ايضا ما دعوا انهم الان على خلاف ذلك فكانه قيل انه تدرب لهم الكشف عن امره لانه لا ينفعهم
ملك مثله لم يتشابه ولا تتبع احوالهم وليس منهم هذا الاستفهام ولا سيما وقد روي انه لما قال هذا تبسم فكان
في تبسمه امر من الحسن لا يجهله معه من راه ولو مرة واحدة فقل عرفوه فقيل ظنوه ظنا غالبا ولذلك قالوا مستفهمين
اانك واكدوا بقولهم لانت يوسف ولما كان الموقع من مثله فيما هو من العظمة ان يجازيهم على سوء صنيعهم
اليه استانف بيان كرمه فقال قال انا يوسف وزادهم قوله وهذا اخي اي شقيقي لذكره نعمة الله في قوله
ولحيدلن بدهشة للمعرفة له وتثبتا في امره بتصديقه له مع مكنه عنده مدة ذهابكم وايابكم وليبني عليه قوله قد
من الله علينا اي الذي له الجلال والاكرام علينا بان جمع بيننا على خير حال تكون ثم علله بقوله انه من يتق وهو مجزوم

لانه فعل الشرط وابت قيل بحذف عنه باء في الحالين معاملة له معاملة الصحيح اشارة الى وصف التقوى بالصحة الكاملة والمكنة الزائدة والملازمة لها في كل حال ويصبر اي يوقف اسرا جره لاحتماله فان الله اي الذي له الاحاطة باوصاف الكمال لا يضيع اي ادنى اضاعة اجره هكذا كان الاصل ولكنه عبر بما يعرف ان التقوى والتقوى والصبر من الاحسان فقال اجر المحسنين والتقوى دفع البلاء بسلوك طريق الهدى والصبر حبس النفس بتجرع مرارة المنع عما تشتهي ولعله انما ستر امره عنهم الى هذا الحد لانه لو ارسل الى ابيه يخبره قبل الحال لم يامن كيد اخوته ولو تعرف اليهم بعده اول ما اتاهم لم يامن من ان يقطع افيدتهم عند مفاجاتهم بانكشاف الامر فهو بما هو فيه من الخزانة فعلوا به فعل القاتل من غيته ذنب قدمه اليهم فهم لا يشكون في انه اذا اقدر عليهم يهلكهم لما تقدم اليه من سوء الصنيعة وعلى تقدير سلامتهم لا يامنونه وان بالغ في اكرامهم فان الامور العظام ان لم تكن بالتدرج عظم خطرها وتعدى ضررها فان ارسلهم لياتوا بابيهم خيف ان يخيلوا اياهم من سلامة مصر ويحسنوا الابعاد عن بلده فيذهبوا الى حيث لا يعلمه وان ارسل معهم ثقات من عنده لم يامن ان يكون منهم شر وان سجنهم وارسل الى ابيه من ياتي به لم يحسن موقع ذلك من ابيه ويحصل له وحشة بحبس اولاده ولتعظم المقالة بين الناس من اهل مصر وغيرهم في ذلك فيفعل معهم ما تقدم ليظهر لهم احسانه وعدله ودينه وخيره وكفه عنهم وعفوه عن فعلهم بالتدريج ويقفوا على ذلك منه ثم لا ويفيده من اخيه الذي نبئ معهم وهم به السوء وله اكفون فتسكن روعتهم ويهون لديهم ومما يدل على ذلك انه لما انتفى عن اخيه بذنيا من ما اتصفوا به مما ذكر وتعرف اليه حين قدم عليه ولهاه ان يخبرهم بحقيقة الامر وشرع بعد في ذلك لتستحكم الاسباب التي ارادها فلما ظن ان الامر قد بلغ مداه لوح لهم فعرفوه وقد انسهم حسن عشرته وبديع جماله وشكله ورائع قوله وفعله فكان موضع الرجل الجد وموضع الباس الرجاء فحصل المراد على وفق السداد والله الموفق وذلك تنبيه لمن قيل لهم اول السورة لعلكم تعقلون على الاقتدا بافعال الهداة المهديين في التاني والاتئاد وتفويض الامر الى الحكيم وان لا يستعجلوه في امر وان يعلموا ان سنته الالهية جرت بان الامور الصعاب لا تنفذ الا ما المطاوله لتترتب الاسباب شيا فشيا على وجه الاحكام وفي ذلك فوايد من اجلها امتحان اولي الطاعة والعصيان كما سياتي الاشارة اليه اخر السورة بقوله حتى اذا استياس الرسل الاية والله اعلم ولما كان ما ذكر كانه قيل لقد اتاهم ما لم يكونوا يحتسبون فما قالوا فقيل قالوا متعجبين غاية التعجب ولذلك اقسموا بما يدل على ذلك تالله اي الملك الاعظم لقد اثرك الله علينا اي الذي له الامر كله علينا اي جعل لك اثرا بفوق اثارنا بعلوه فالمعنى فضلك علينا اي بالعلم والعقل والحلم والحكم والحسن والملك والتقوى وغير ذلك وان خففوها من الثقيلة تاكيدا بالايجاز للدلالة على الاهتمام بالابلاغ في الاعتذار اشرع وتمكنا اي كونا هو جبلة لنا لخاطئين اي عريقين في الخطا وهو تعمد الاثم فكانه قيل بما قال لهم على قدرته وتمكنه مع ما سلف من اساتهم فقيل قال قول الكرام اقتدا باخوانه من الانبياء والرسل عليهم السلام لا تثريب اي لا لوم ولا تعنيف ولا اهلاك عليكم اليوم وان كان هذا الوقت مظنة اللوم والتانيب فاذا انتفى ذلك فيه فما الظن بما بعده ومادة ثرب تدور على البرث بتقديم الموحدة وهو اسهل الارض احسنها والثبرة بتقديم المثلثة ارض ذات حجارة بيض فانه يلزمه الاخلاد والدعة ومنه تابر على الامر داوم والمثبر كمنزل لمسقط الولد اي موضع ولادته والمتقطع والمنفصل فياتي الكسل والليل فياتي الفساد ومنه الثبور للهلاك والبثر بتقديم الموحدة خراج معروف والبثر الذي يبقى منه على الارض شيء قليل والرث بتقديم الموحدة ايضا حبس الانسان وهو يرجع الى الاقامة والدوام ايضا والتثريب يقرب ما للزبب فقوا ذلك ما على الانسان من شائر العفو من الثرب وهو شحم يغشى الكرش والامعا ويسترهما وهو من لوازم الارض السهلة لما يلزم من خصبها فالتثريب ازالة ذلك للتحاط الناشي عنه الهلاك فاغلب مدار المادة الهلاك ولما اعفاهم من التثريب كانوا في مظنة السوال عن كمال العفو المزيل للعقاب من اسفا تبعه الجواب عن ذلك بالدعا لهم بقوله يغفر الله اي الذي له صفات الكمال لكم اي ما فرطتم وما لعله يكون بعد هذا ولعله عبر في هذا الدعا بالمضارع ارشادا لهم الى اخلاص التوبة ورغبهم في ذلك ورجاهم بالصفة التي هي سبب الغفران فقال وهو اي وحده ارحم الراحمين اي لجميع العباد لاسيما التايب فوجد بروادر النعم بعد الاعادة من النقم وروي انهم ارسلوا اليك لتدعونا الى طعاماتك وكرامتك بكرة وعشية ونحن نستحيي لما فرط منا فقال ان اهل مصر ينظرون الي وان ملكت فيهم بعين العبودية فيقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من ذرية ابراهيم عليه السلام ولما امنهم بعد اجتماع شملهم بانه لا يخشونه دنيا واخرى بقي ما يحزن اباهم من ذلك فكانه وقع السوال عنه فاجيب بقوله اذهبوا بقميصي ولما كان قوله هذا ربما اوقع في افهامهم انه قميصه الذي

سلبوه اياه احترز عن ذلك بقوله هذا فالقوه اي عقب وصولكم على وجه ابي يات اي يرجع الى ما كان بصيرا اي بات الى حال كونه بصيرا فانه اذا زاد اليه بصره وعلم العادة ادخل في الغرابة وادل على الكرامة ولعل القميص الصوق البنا بالجسم فاظهار الكرامة به ادل على كمال دين صاحبه وعزابته في ابواب الايمان وهو يكون من المنام بالدين وذلك ادخل في كمال السرور ليعقوب عليه السلام بصيرا اي اتي وانتم باهلكم اي مصاحبين لهم اجمعين لا يتخلف منهم احد ثم رجعوا بالقميص لهذا القصد قيل ان يهودا هو الذي حمل قميصه لما لطخوه بالدم فقال لا يحمل هذا غيري كما فرحته كما احزنته فحمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما ثمانون فرسخا ولما فصلت العير من العريش اخر بلاد مصر الى اول بلاد الشام قال ابوهم لولد ولده ومن حوله من اهله مؤكدا لعلمه انهم ينكرون قوله اني لاجد اي لا تزال اجد ريح يوسف وصدهم عن مواجهته بالانكار بقوله لولا ان تفندون لقلت غير مستحي ولا متوقف لان التفنيد لا يمنع الوجدان وهذا كما تقول لولا اصاحبك لولا ان تنسبني الى الخفة لقلت كذا اي لي قائل به معي على بابك لا انك تغني عليه فصل هنا الارتقاء الفصل من السبب لي فيصل نحوا والفصل القطع بين الشيئين تحاجزا لولا ان ظهور دعوى جهة ادراك يستحيل معه انتقال الشيء او الريح عن مدرك بحاسة الانف اي الشم والتفنيد تضعيف الراي بالنسبة الى الفند وهو الحزب انكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فيفند في كبرها ثم استانف حكاية جوابهم فقال قالوا اي الحاضرون له ما ظننه لهم مقسمين بما دل على تعجبهم وهو تالله اي الملك الاعظم واكدوا بعد فهمهم انه ينكر كلامهم وكذا كل من لم يعرف كلامه انك لفي ضلالك اي بحيث صار ظرفا لك القديم اي خطائك في ظن حياة يوسف فقال لو تمادى الضلال الذهاب عن جهة الصواب فصح الله قوله وحقق وجدانه وعجلوا اليه بشيرا ناسخ بعد الفصول ولذلك عبر بالفا فقال فلما وزيدت ان لتاكيد بحينه على تلك الحال ودلالة بعد ما قياس نطق فلما ان جا البشير وهو يهودا ذلك معه القميص القاه اي القميص حين وصل الى يعقوب عليه السلام من غير فاصل بين الحي او لا الحي وبينه كما افادته زيادة ان لتاكيد ما تقيده لما من وقوع الفعل الثاني وهو فيما الا لتعقب الاول وترتبه عليه وهو هنا المجي على وجهه اي يعقوب فارتد من حينه بصيرا والارتداد انقلاب الشيء الى حال كان عليها فالتفت الخاطر الى حاله مع من فندوه فاخبر تعالى عن ذلك بقوله مستانفا قال اي يعقوب عليه السلام الم اقل لكم اني اي اجد ريحه ثم علل هذا التقرير بقوله مؤكدا لان قولهم قول من ينكر اعلم من الله اي المختص بصفات الكمال ما لا تعلمون لما خصني تعالى به من انواع المواهب فهو عام لاخبار يوسف عليه السلام وغيرها وهو من التحدث بنعمة الله ولما كان ذلك تشوفت النفس الى علم ما يقع بينه وبين اولاده في ذلك تدفع عنها هذا المعنى بقوله قالوا يا ابانا منادين بالاداة التي تدل على الاهتمام العظيم بما بعدها لما له من عظيم الوقع استغفر اي اطلب من الله ان يغفر لنا ذنوبنا وردكل ضمير من هذه الضماير الى صاحبه في غاية الوضوح فلذلك لم يصرح لصاحبه ولما سالوه الاستغفار لذنوبهم عللوه بالاعتراف بالذنب لان الاعتراف شرط التوبة كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فقالوا مؤكدين تحقيقا لاخلاصهم في التوبة انا كنا خاطئين اي متعمدين للاثم بما ارتكبنا في امر يوسف عليه السلام ثم حكى جوابه بقوله مستانفا قال اي ابوهم مؤكدا لكلامه سوف استغفر اي اطلب ان يغفر لكم ربي الذي لم يزل يحسن الي في تربيته فهو الجدير بان يغفر لبني حتى لا يفرق بيني وبينهم في دار البقاء والربوبية سلك لقوائم الملك على الاطلاق وهو ملك الله تعالى لانشاء الانفس باختراعها وتصريفها اتم التصريف من الايجاد والاعدام والتقليب من حال الى حال في جميع الامور من غير تعب ثم علل ذلك بقوله انه هو اي وحده الغفور الرحيم كل ذلك تسكينا لقلوبهم وتصحيحا لرجائهم لتقوى املهم فيكون تعالى عند ظنهم بتحقيق الاجابة وتنجيز الطلب لعله عبر بسوف لتقديم هاتين الجملتين على المسالة لما ذكرته من الاعراض وقيل لانه اخر الدعا الى صلاة الليل وقيل الى ليلة الجمعة وقيل هو ضرب ما ان طلب الحوائج الى الشباب اسهل منه الى الشيوخ ولما وقع ما ذكر وكان قد ارسل معهم من الدواب المال والالات ما يتجهزون به اقبلوا على التجهيز كما امرهم يوسف عليه السلام ثم توجهوا الى مصر وهم اثنان وسبعون نفسا ما بين الذكور والاناث وكان اسرعوا في ذلك فلذلك قال فلما بالفا دخلوا على يوسف في المكان الذي تلقاهم اليه في وجوه اهل مصر وضرب به مضاربه اوى اليه ابويه اكراما لهما بالتمييز به قيل هو المعانقة والظاهر انها امه حقيقة وبه قال الحسن وابن اسحق كما نقله الرماني وابو حيان وعن ابن عباس رضي الله عنه انها خالته وغلب الاب في هذه التثنية لذكورته كما غلب ما هو مفرد في اصله على المضاف في العمرين وقال شكرا للكل ادخلوا مصر اي البلد المعروف داعيا بالشرط لله من الا للدخول فقال ان شاء الله اي الملك الاعلى اي الذي له الامر كله امنين من جميع ما ينوب حتى مما فرطتموه في حقي وحق اخي ولما ذكر الامر الذي هو ملاك العاقبة

التي بها لذة العيش ابتهجة الرفعة التي بها كمال النعم فقال ورفع ابويه اي بعد ما استقرت كلهم الدار بدخولهم مصر
على العرش اي السرير الرفيع فالله لو شاني اصله الرفع وخروا اي انحطوا له سجدا الابوان والاخوة تحقيقا لرؤياه ممن هو
غالب على كل امره السجود واصله الخضوع والتذلل كان مباحا في تلك الازمنة وقال اي يوسف يا ابت ملذذا له بالخطاب
بالابوة هذا اي الذي وقع من السجود تاويل رؤياي التي رايتها وذلك على قصر الزمن الذي رآها فيه بالحجاز فقال
من قبل ثم استانف قوله قد جعلها ربي اي الذي رباني بما اوصلني اليها حقا اي مطابقة الواقع لتاويلها وتاويل
ما اخبرتني به انت تحقق من اجتبائي وتعليمي واتمام النعمة علي والتاويل تفسير ما يؤول اليه معنى الكلام وعن سلمان
رضي الله عنه ان ما بين تاويلها ورؤياها اربعون سنة وقد احسن اي اوقع احسانه بي تصديقا لما بشرتني به من تمام النعمة
وتعدية احسن بالباء ادل على القرب من الحسن من التعدية بالى وغيرها بقوله اذ اخرجني من السجن معرضا عن لفظ الجب
صدرا من ان يخاطب اخوته مع ان اللفظ يحتمله لكن احتمالا خفيا وجاء بكم وقيل انهم كانوا اهل عمد واصحاب مواشي ينتقلون في المياه
والمناجع فلذلك قال من البدو من اطراف بادية فلسطين وذلك من اكبر النعم كما ورد في الحديث من يرد الله به خيرا
ينقله من البادية الى الحاضرة والبدو بسيط من الارض يرى فيه الشخص من بعيد واصله من الظهور وانس اخوته ايضا
بقوله مثبتا للجار لان مجيئهم في بعض زمان البعد من بعد ان نزغ عبر بالماضي لعلمهم انه انقضى الشيطان اي افسد
البعيد المحترق بوسوسته التي هي كالنخس بيني وبين اخوتي حيث الخبيث قسم النزغ بينه وبينهم ولم يفصل احد من الفريقين
فيه ولم يثبت الجار اشارة الى عموم الافساد للبلدين كل ذلك اشارة الى التحقق ما بشر به يعقوب عليه السلام من تمام النعمة
وكمال العلم والحكمة ثم علل الاحسان اليهم اجمعين بقوله ان ربي اي المحسن الي على وجوه يخفى لطيف اي يعلم دقائق المصالح
وغوامضها ثم يسلك في ايصالها الى المستصلح سبيل الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الادراك
تم اللطف قال الرازي في اللوامع وهو سبحانه فاعل اللطف في تدبيره ورحمته لما يشاء لا يعسر عليه امر ثم علل هذه العلة
بقوله انه هو اي وحده العليم اي البليغ العلم للدقائق والجلائل الحكيم اي البليغ الاتقان لما يصنعه طبق ما اعلم
به يعقوب عليه السلام لبشراه في اول السورة اي هو متفرد بالاتصاف بذلك لا يرد انه احد في علم ليتعرض الى ابطال
ما يقيمه من الاسباب ولا في حكمه ليتوقع الخلل في شي منها ولما ذكر هاتين الصفتين تذكر ما وقع له كما من الاسباب فتقلب
مقام الشهود وازدادت نفسه عن الدنيا وفا صفا لخالقها رب قد اتيتني والتعبير بعد لان الحال حال توقع التام لشرح
ما للرؤيا من الملك اي بعضه لعد بعدي منه جدا وهو معنى روضه تمام القدرة وعلمتني وقصر دعواه تواضعا بالاتيان بالجار
فقال من تاويل الاحاديث طبق ما بشرني به ابي واخبرت به انت من التمكين والتعليم قبل قولك والله غالب على امره
ثم ناداه بوصف جامع للعلم والحكمة فقال فاطر السموات والارض ثم اعلم بما هو اعلم به منه من انه لا يعول على غيره
في شي من الاشيا فقال انت وليي اي الاقرب الي باطنا وظاهرا في الدنيا والاخرة اي لا ولي غيرك والولي يفعل بمولاه
الاصلح والاحسن فاحسن لي في الاخرة اعظم ما احسنت الي في الدنيا ولما كان توليه سبحانه لا يتم الا بتولي اسرار اتبعه بما يفيده
فقال توفني اي اقبض روحي وافيا تاما في جميع امري حسا ومعنى حال كوني مسلما ولما كان المسلم حقيقة من كان نعرتا في
الاخلاص حققه بقوله والحقني بالصالحين فتوفاه الله كما سال وقالوا وتخاصم اهل مصر فيه كلهم يرجو ان يدفن في محلته
يرجوا بركته ثم اصطلحوا على ان حملوا له صندوقا من رخام ودفنوه في وسط النيل ليفترق الما على جميع الاراضي فتنتالها
بركته وتخصب كلها على حد سوا ويكونوا كلهم في الماء سوا اذكر ما بقي من القصة عن التوراة قال بعد ما مضى فلم يقدر يوسف
على الصبر يعني على ترفق اخوته فامر باخراج من كان عنده احد حيث ظهر يوسف لاخوته ثم رفع صوته بالبكى حتى سمع
فاخبر واتى الفرعون فقال يوسف لاخوته انا اخيكم يوسف هل ابي باق فلم يقدر اخوته ان اجابته لانهم رهبوه فقال
يوسف لاخوته ادنوا مني فقال لهم انا يوسف الذي بعتموني لمن ورد الى مصر والآن فلا تحزنوا ولا يشق عليكم ذلك
ولا يشتدن عليكم بيعكم اياي الى ما هاهنا لان الله ارسلني امامكم لاعد لكم القوت لان الجوع منذ آلى سنتين وستاتي خمس سنين
اخر ايضا لا يكون فيها زرع ولا حصاد فارسلني الرب امامكم لاصير لكم بقايا في الارض واخلصكم واستنقذكم ليحيوا
وتستبشروا على الارض والآن فلستم انتم الذين بعثتموني الى هاهنا بل الله ارسلني وجعلني اباً لفرعون وسيدا لجميع
اهل بيته ومسلطا على جميع ارض مصر فاصعدوا الآن عجلين على ابي وقولوا له هكذا يقول ابنك يوسف ان الله جعلني
سيدا لجميع اهل مصر فاهبط الي ولا تتاخر وانزل الى ارض السدير وفي نسخة خشان فكن قريبا مني انت وبنوك واهل
بيتك وغنمك وبقرك وجميع مالك فامونكم هناك لانه قد بقي خمس سنين جوعا لئلا تقل انت واهل بيتك وكل مالك
وهذه اعينكم تبصر وعينا اخي بنيامين اني اكلمكم مشافهة واخبروا ابي بجميع كرامتي ووقاري في ارض مصر وجميع ما رايتم
واسرعوا واهبطوا بابي الى هاهنا فاعتنق اخاه بنيامين ايضا وبكا وقبل جميع وبكا ومن بعد ذلك كلمه اخوته فبلغ ذلك

فبلغ ذلك فرعون وقيل له ان اخوة يوسف قد اتوه فسر بذلك فرعون وعبيده وفي نسخة وجميع قواده فقال فرعون
ليوسف قل لاخوتك ليفعلوا هكذا اوقروا دوابكم ميرة وانطلقوا الى ارض كنعان واقبلوا اباكم واهل بيوتاتكم
واتوني فاخولكم خيرات ارض مصر وخصبها وكل خصب الارض وهذا انت المسلط فامر اخوتك ان يفعلوا هذا الفعل
واحملوا من ارض مصر عجلا لنسائكم وحشمكم واظعنوا اباكم فاقبلوا ولا تشفقن على متاعكم لان جميع خيرات مصر
وارضها وخصبها هو لكم ففعل بنو اسرائيل كما امر فرعون ودفع اليهم يوسف عجلا عن امر فرعون وزودهم جميع ازواد
الطريق وخلع على كل امرء منهم خلعة فاما بنيامين فاجازه بثلثمائة درهم وفي نسخة مثقال فضة وخلع عليه خمس
خلع وبعث الى ابيه بمثل ذلك ايضا وعشرة حمير موقرة من البر والطعام وازودة لابيه للطريق فارسلهم
فانطلقوا فتقدم اليهم وقال لهم لا تقع المشاجرة فيما بينكم في الطريق فظعنوا من مصر فاتوا ارض كنعان الى يعقوب
ابيهم فاخبروه وقالوا له ان يوسف بعد في الحياة وهو المسلط على جميع ارض مصر وراى يعقوب العجل الذي بعث
يوسف لحمله فاطمانت نفسه وقال ان هذا العظيم عندي اذ كان ابني يوسف بعد في الحياة انطلق الآن
فانظر اليه قبل الموت فظعن اسرائيل وجميع ماله فاتى بير السبع وقرب قربانا لاله اسحق ابيه فكلم الله اسرائيل
في الرؤيا وقال له يا يعقوب فقال ها انا ذا فقال اني انا ايل اله ابيك لا تخف من الحدور الى مصر لاني اجعلك
هناك الى شعب عظيم وفي نسخة لاني مصير منك امة عظيمة انا اهبط معك وانا اصعدك ويوسف يضع يده
على عينيك فنهض يعقوب من بير السبع وظعن بنو اسرائيل بيعقوب ابيهم وبحشمهم ونسائهم على العجل الذي بعث
فرعون لحمله وساقوا دوابهم ومواشيهم التي استفادوها بارض كنعان فاتوا مصر يعقوب وجميع نسله ثم سماهم
واحدا واحدا ثم قال الجميع وبنوه معه وبنو ابنيه وبناته وبنات بنائه وادخل الى مصر كل نسله ثم سماهم واحدا واحدا
ثم قال الجميع بني يعقوب الذين دخلوا مصر سبعون انسانا ثم بعث يعقوب يهودا بين يديه الى يوسف ليدله على
السدير وفي نسخة خشان فالجم يوسف مراكبه وصعد للقا اسرائيل ابيه بخشان وفي نسخة السدير فتلقاه واعتنقه
وبكا اذ اعتنقه فقال اسرائيل ليوسف اميتوني الآن بعد نظري اليك يا بني فانت في الحياة بعد فقال يوسف
لاخوته وال ابيه اصعد فاخبر فرعون واقول ان اخوتي وال ابي الذين كانوا بارض كنعان قد اتوني وان القوم رعاة
غنم اصحاب مواشي وقد اتوا بغنمهم وبقرهم وبكل شي لهم فاذا دعاكم فقولوا له انا عبيدك اصحاب ماشية منذ
صبانا وحتى الآن نحن واباؤنا من قبل ايضا لكي تنزلوا ارض خشان وفي نسخة السدير لان رعاة الغنم هم مرذولون
عند المصريين فاتى يوسف فاخبر فرعون وقال له ان ابي واخوتي قد اتوني وغنمهم وبقرهم وجميع ما لهم من ارض كنعان
وهوذا هم حلول بارض السدير وحمل من اخوته خمسة رهط فادخلهم على فرعون فوقفوا بين يديه فقال فرعون لاخوة
يوسف ما مهنتكم فقالوا ان عبيدك رعاة غنم نحن منذ صبانا نحن وآباؤنا ايضا من قبل وقالوا لفرعون اتينا
لنكون لنسكن هذه الارض لانه فقد العشب والكلا من مراعي غنم عبيدك وذلك لان الجوع اشتد في ارض كنعان
فامر عبيدك ان ينزلوا بارض السدير فقال فرعون ليوسف ان اباك واخوتك قد اتوا وهذه ارض مصر بين يديك فاسكن
اباك واخوتك في احسن الارض واخصبها لينزلوا ارض السدير وان كنت تعلم ان فيهم قوما ذوي قوة وبطش ونفاذ
فولهم جميع مالي فادخل يوسف اباه يعقوب على فرعون فاقامه بين يديه فقال فرعون ليعقوب كم عدد سني حياتك
فقال يعقوب لفرعون مبلغ حياتي مائة وثلثون سنة وان ايام حياتي لناقصة ولم تبلغ سني حياة ابائي في ايام حياتهم
فبارك يعقوب فرعون وودعه وخرج من بين يديه فاسكن يوسف اباه واخوته واعطاهم وراثة في ارض مصر في
اخصب الارض واحسنها في ارض رعمسيس وفي نسخة ارض عين شمس كما امر فرعون فعال يوسف اباه واخوته وجميع اهل
بيته بالميرة على قدر الحشم ولم تكن ميرة في جميع الارض لان الجوع اشتد جدا فخربت جميع ارض مصر وارض كنعان فصار
المال ليوسف كل الورق الذي في ارض مصر وارض كنعان وذلك من البر الذي كانوا يبتاعونه فادخل يوسف الورق بيت
مال فرعون ونفد الورق من ارض مصر وارض كنعان فاتى جميع المصريين الى يوسف وقالوا له اعطنا من البر فانا نحيا
فيها ولا نموت لان ورقنا قد نفد فقال لهم يوسف ائتوا الي بمواشيكم ان كان الورق قد نفد فاتوا بمواشيهم
فاتوه بمواشيهم فاعطاهم يوسف من الميرة بخيلهم ومواشي الغنم وماشية البقر والحمير فاكلهم سنتهم تلك بجميع مواشيهم
فاتوه في السنة الاخرى وقالوا له لسنا نكتم سيدنا امرنا لان ورقنا وماشيتنا ودوابنا قد نفدت وصارت
عند سيدنا ولم يبق بين يدي سيدنا غير انفسنا وارضنا فلم نهلك بين يديك فابتعنا وارضينا بالطعام ابتعنا
الخبز فنصير نحن عبيدا لفرعون وارضنا ملكا له واعطنا البذر فنحيا ولا نموت ولا تخلو الارض ولا تخرب فابتاع
سكانها وابتاع يوسف لفرعون جميع ارض مصر فصارت الارض لفرعون فنقل الشعب من قرية الى قرية وحولهم من اقاصي

الارض نحو مصر الى اوطانها ما خلا ارض الاحبار فى نسخة ايمتهم فانه لم يبعها لانه كانوا اجرى على الاحبار وفى
رواية ايمتهم وظيفة ونزلا من عند فرعون وكانوا ياكلون من برهم الموظف لهم من قبل فرعون ولذلك لم يبيعوا
ارضهم وقال يوسف للشعب انى قد اشتريتكم اليوم وارضكم لفرعون وهاءنذا معطيكم البذر لتزرعوا الارض فاذا دخلت
الغلة فاعطوا فرعون الخمس منها ويكون لكم لزراعة الحقل اربعة اخماس لماكل اهل بيوتاتكم والطعام حشمكم فقالوا له لقد احييتنا
فلنظفر من سيدنا برحمة ورافة ونكون عبيدا لفرعون فسن يوسف هذه السنة على ارض مصر الى يوم الناس هذا ان الخمس لفرعون
ما خلا ارض ايمتهم وفى رواية الاحبار فانها لم تكن لفرعون فسكن اسرايل ارض مصر وارض السدير فعظموا واعتزوا وانموا واستكثروا
وانموا جدا وعاش يعقوب فى ارض مصر سبع عشرة سنة وكانت جميع ايام حياة يعقوب مائة وسبعة واربعين سنة ودنت ايام وفاة
اسرايل فدعا يوسف ابنه وقال له ان ظفرت منك برحمة ورافة فضع يدك تحت ظهرى حتى استحلفك بالله وانعم عليك
به والنعم على بالنعمة والنشط لا تدفننى بمصر فانى مضطجع مع ابائى احملنى من مصر فادفنى فى مقبرتهم فقال يوسف انا فاعل ذلك
كقولك او امرك فقال له اقسم لى فاقسم له فتوكا اسرايل على عصاه وسجد شكرا فلما كان بعد هذه الايام بلغ يوسف ان اباه
قد مرض فانطلق بابنيه معه منشا وافرايم فبلغ يعقوب وقيل له ان ابنك يوسف قد اتاك فتقوى اسرايل وجلس على
اريكته فقال اسرايل ليوسف ان الاله الواحد تجلى لى بلوزا التى فى ارض فرعون بها كنعان فبارك فى وقال لى هانذا امبارك
ومكثرك واجعلك ابا لجميع الشعوب واعطى نسلك من بعدك هذه الارض ميراثا الى الابد وانا اذ اقبلت متبدلا من فدان
ارم توفيت عنى راحيل امك فى ارض كنعان فى الطريق وكان بينى وبين الدخول الى افرات قدر مسيرة ميل وفى نسخة فرسخ
فدفنتها هناك فى طريق افرات وهى بيت لحم ونظر اسرايل الى ابنى يوسف فقال له من هذان فقال ابناى اللذان
رزقنيهما الله هاهنا فقال ادنهما منى فقبلهما واعتنقهما وقال ما كنت ارجو النظر الى وجهك فقد ارانى الله نسلك ايضا
وقال اسرايل ليوسف هانذا متوفى ويكون الله معكم ويردكم الى ارض ابائكم وهانذا قد فضلتك على اخوتك
بسهم من الارض التى غلبت عليها الاموريين بسيفى وقوسى ثم ان يعقوب دعا بنيه وقال لهم اجتمعوا الى فابين لكم ما هو
كاين من امركم فى اخر الايام فذكر ذلك ثم قال اما اخرهم به يعقوب ابوهم فباركهم بدلا وبارك عليهم كل امرئ منهم
على قدره ثم اوصاهم وقال لهم انى انتقل الى شعبى فادفنونى الى جانب ابائى فى جانب المغارة التى ابتاعها ابرهيم ومعه
من عفرون الحيثانى وراثة المقبرة هناك دفن ابرهيم وسارة حليلته وهناك دفنا اسحق ورفقا حليلته وهناك دفنت
ليا فى الروضة المبتاعة والمغارة التى بها المبتاعة من بنى حات فلما فرغ يعقوب من وصيته لبنيه بسط
رجليه على اريكته فمات وانتقل الى شعبه فوقع يوسف عليه فقبله وبكى عليه فامر عبيده الاطبا بتحنيطه فحنط الاطبا
اسرايل وتمت له اربعون ليلة لانه هكذا اتكمل ايام المحنطين وناح المصريون عليه سبعين يوما فقال يوسف لال
فرعون ان ظفرت منكم برحمة ورافة فاخبروا فرعون ان ابى احلفنى واقسم على وقال لى هانا متوفى فادفنى فى
القبر الذى ابتعته فى ارض كنعان فياذن لى فاصعد فادفن ابى ثم ارجع فقال له فرعون اصعد فادفن اباك كما اقسم اباك
فصعد يوسف ليدفن اباه وصعد معه جميع عبيد فرعون واشياخ بيته وجميع اشياخ مصر وجميع اهل بيت يوسف واصعد الراكب
والفرسان ايضا فصار فى عسكر عظيم منيع فاتوا الى بيادر اطراد وفى نسخة السدير وصعد معه اخوته وال ابيه
فاما حشمهم وبقرهم وغنمهم فخلفوها بارض جشان وفى نسخة السدير واصعد الراكب الرماة ايضا فصار فى عسكر عظيم
منيع فاتوا الى بيادر اطراد وفى نسخة اندر العوسج التى فى مجاز الاردن فرنوا هناك وناحوا نوحا عظيما مرا فنظر سكان
ارض كنعان الى المناحة عظيم للمصريين ولذلك دعى ذلك الموضع نايل مصر الذى فى مجاز الاردن ففعل بنو اسرايل كما امرهم وحملوه
وانطلقوا به الى ارض كنعان فدفنوه ثم فى المغارة المبتاعة التى فى الروضة التى ابتاعها ابراهيم وراثة المقبرة
من عفرون الحيثانى وهى امام ممرى ثم رجع يوسف الى مصر هو واخوته وجميع من صعد معه فى دفن ابيه ولما بعد ما دفن
اباه نظر اخوة يوسف الى ابيهم قد توفى ففرقوا وقالوا لعل يوسف ان يوذينا ويكافينا ولعله ان يكافينا
على جميع الشر الذى ارتكبنا منه فدنوا من يوسف وقالوا له ان اباك اوصى قبل وفاته وقال هكذا قولوا ليوسف
نطلب منك ان تعفو عن جهل اخوتك وعن خطاياهم باذ نكاهم الشر بك فالان نطلب اليك ان تغفر عن ذنب
عبيد لاله ابيك فبكى يوسف لما قالوا ذلك فدنا اخوته فخروا بين يديه سجدا وقالوا له هؤلاء نحن لك
عبيد فقال لهم لا تخافونى لانى اخاف الله اما انتم فتمنيتم لى شرا فقضى الله لى خيرا كما تعاينون يومنا هذا فاحيى
على يدى خلقا عظيما والان فلا تخوف عليكم انا اقوتكم وحشمكم فعزاهم وكلمهم خيرا ثم اقام يوسف بمصر هو
وال بيته فعاش يوسف مائة وعشر سنين وراى يوسف ولد ولده فقال يوسف لاخوته هانذا متوفى والله سيذكركم
ويخرجكم من هذه الارض الى الارض التى اقسم بها لابراهيم واسحق ويعقوب فاقسم يوسف على بنى اسرايل وقال ان الله سيذكركم فاصعدوا

عظامى معكم فتوفى يوسف وهو ابن مائة وعشر سنين فحنطوه ووضعوه فى صندوق بارض مصر وسياتى ما
بعد ذلك من استعبادهم وما يتبعه فى سورة القصص ان شاء الله تعالى وهذا الذى ذكر من القصة فى التوراة مصدق لما فى
القرآن وشاهد باعجازه غير انه لم يذكر فيه قوله تعالى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فى انه بعد اخذ الصواع من رحل
اخيه تركهم من غير تعريف لهم بنفسه فمضوا الى ابيهم فاخبروه بذلك ثم عادوا مرة اخرى للميرة والطلب ليوسف واخيه
فعرفهم يوسف عليه السلام بنفسه وجاءهم الحال لامر فى هذه القصة الثانية فكانهم اسقطوا ما فى التوراة من ذلك تدليسا
وتلبيسا وهو لا يضرهم فان ما صار فى كتابهم لا يمشى على قوانين العقل لمن تدبر فلم يفدهم ذلك الا الخزى المحقق لخيانتهم
وجهلهم والله الهادى ولما اتم الذى كان من امرهم على هذا الوجه الاحكم والصراط الاقوم من ابتدايه الى نهايته قال
مشيرا الى انه دليل كاف فى تصحيح دعوى النبوة مخاطبا لمن لا يفهم هذا حق فهمه غيره تسلية له وتثبيتا لفواده وشارحا لصدره
منبها على انه مما ينبغى السوال عنه ذلك اى النبا العالى الرتبة الذى قصصناه فعجز البلغا من جملته ودواته
فكيف بغيرهم من انباء الغيب اى اخباره التى لها شان عظيم نوحيه اليك وعبر بصيغة المضارع تصويرا للحال
الاجمالى الشريف واشارة الى انه لا يزال معه يكشف له ما يريد والحال انك ما كنت لديهم اى عند اخوة يوسف
عليه السلام فى هذا النبا المعرب جدا اذ اى حين اجمعوا امرهم على راى واحد فى العذاب ليوسف عليه السلام
فى الجب بعد ان كان متقسما وهم يمكرون اى يدبرون الاذى بخفية من المكر وهو الفتل ليتعرف ذلك المحقق لذى كل ذى
لب انه لا علم لك الا بتعليم ثبت انه لا معلم لك الا الله بالمشاهدة وانتفا تعلمك لذلك من البشر مثل انتفاء كونك لديهم فى ذلك
الحين ومن المحقق لدى كل ذى لب انه لا علم الا بتعليم فثبت انه لا معلم لك الا الله فعلم اخبارك من الانبيا بانه من دليل مثل
عن مثيل وهذا من المذهب الكلامى وهو ايجاد ابرا حجة يكون بعد تسليم المقدمات مستلزمة للمطلوب وهو لهم عظيم
من كذب النبى صلى الله عليه وسلم ولما سالت قريش واليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نقله ابو حيان عن ابن الانبا
عن قصة يوسف عليه السلام فنزلت مشروحة هذا الشرح الشافى مبينة هذا البيان الوافى فامل صلى الله عليه وسلم
ان يكون ذلك سبب اسلامهم فخالفوا تاميله عزاه الله بقوله وما اى يوجب لك على هذا الوجه المقتضى لايمانهم
والحال انه ما اكثر الناس اى كلهم مع ذلك الاصل ما لهم من الاضطراب ولو حرصت اى على ايمانهم بمؤمنين اى بمخلصين
فى ايمانهم واصفين الله بما يليق به من التنزه عن شوائب النقص فلا تظن انهم يؤمنون لانزال ما يقترحون من الايات
ولترك ما ينيطهم من الانذار والكثير قال الرمانى العدة الزايدة على مقدار غيرها والاكثر القسم الزايد على القسم الاخر
من الجملة ونقيضه الاقل والناس جماعة الانسان وهو من ناس ينوس اذا تحرك يمنة ويسرة لانه لا يحفظ نفسه لا بحر غيره ولما
ذكر تعالى ما هم عليه من الكفر ذكر ما يعجب منه فقال وما اى تفعل ذلك والحال انك موجب بانهم موجود وذلك
انك مع دعائهم الى الطريق الاقوم واتيانك عليه باوضح الدلايل ما تسالهم عليه اى هذا الكتاب الذى وحيناه اليك
واغرق فى النفى فقال من اجر حتى يكون سوالك سببا لان يتهموك او يقولوا لولا انزل عليه كنز ليستغنى به عن سوالنا
والمانع عنه سوالهم الاخر نفى عن هذا الذكر كل غرض دنيوى فقال ان هو اى هذا الكتاب الا ذكر اى تذكير وشرف
للعالمين قال الرمانى والذكر حضور المعنى للنفس والعالم جماعة الحيوان الكثيرة التى من شانها ان تعلم لانه اخذ من العلم
وفيه تعنى التكثير وتدقيقه علم الفلك وما حواه على طريق التبع للحيوان الذى ينتفع به وهو مجعول لاجله ولما كان القرآن
اعظم الايات بما انبا فيه عن الاخبار الماضية والكوائن الاتية على ما هى عليه متضمنة من الحكم والاحكام فى اساليب
البلاغة التى لا ترام وغير ذلك مما لا يحصى نظاما كما اشار اليه اول السورة كان ربما قيل ان هذا مما لا يعلمه الا الراسخون
فى العلوم الالهية عطف عليه الاشارة الى ان له تعالى غيره من الايات التى لا يحتاج لوضوحها الى كثير من العقل
ما لا يحيط به الحصر ومع ذلك فلم ينتفعوا به فقال وكاين من اية اى علامة كبيرة عظيمة دالة على وحدانيته فى
السموات اى كالنيرين وساير الكواكب والسحاب وغير ذلك والارض من الجبال والشجر والدواب وغير ذلك مما لا
يحصيه العد كما سياتى بيانه منفصلا فى سورة الرعد يمرون عليها مشاهدة لها حتى ظاهرة غير خفية وهم عنها اى
خاصة لا عن ملك ذاتهم وشهواتهم معرضون اى عن دلالتها على السعادة من الوحدانية وما يتبعها ولما كان ربما قيل كيف
يوصفون بالاعراض وهم يعتقدون ان الله فاعل تلك الايات بين ان اشراكهم يسقط ذلك فقال وما يؤمن اكثرهم
اى الناس بالله اى الذى لا شى الا وهو داع الى الايمان به لانه المختص بصفات الكمال الا وهم مشركون به من لا يقدر على
شى فضلا عن ان ياتى باية كانوا يقرون بان الله خالقهم ورازقهم ويعبدون غيره ولذا المنافقون يظهرون الايمان
ويبطنون الكفران وكذا اهل الكتابين يؤمنون بكتابهم ويقلدون علماهم فى الكفر بغيره فعلم ان ادعاءهم لهذا الايمان
غير تابع لدليل وهو محض تقليد لمن زين له سوء عمله فراه حسنا لما سبق فيه من علم الله انه لا صلاحية له فانسده بما

بما شابه من الشرك والاية صالحة لارادة الشرك الخفي الذي اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الشرك اخفى في امتي
من دبيب النمل وهو شرك الاسباب التي قدرها الله وصولا لما وصل الى العبد بواسطتها فقل من يتخطى من الاسباب
الى مسببها قال الرازي في اللوامع وقال الامام محمد بن علي الترمذي انما هو شك وشرك فالشك ضيق الصدر
عند النوائب ومنه ثوب مشكوك والشرك تعلق القلب بالشيء وانما يوسع الصدر نور اليقين وانما يتخلص من الشرك بنور
التوحيد فنفدها بتولاه الله تعالى عن ارتباكهم في اشراك اشراكهم والتماسهم عن الادلة في الدنيا وكان الاكثر اليهم
لا يمنع القطع بعدم ايمانهم من توجه الامر الى النهي الحث والزجر الى الجميع وهم في غمارهم وكان بعض الناس
كالحمار لا ينقاد الا بالعذاب قال تعالى أفأمنوا انكارا فيه معنى التوبيخ والتهديد أن تأتيهم غاشية اي شيء يغطيهم ويترك
عليهم ويحيط بهم من عذاب الله اي الذي له الامر كله في الدنيا كالذي ذكرنا قصصهم من الامم ولما كان العاقل ينبغي
له الحذر من كل ممكن وان كان لا يقربه قال تعالى أو تأتيهم الساعة واشار الى اشد ما يكون من ذلك على القلوب
بقوله بغتة اي وهم عنها في غاية الغفلة لعدم توقعها اصلا قال الرماني قال يزيد بن مقسم الثقفي وهم * ولكنهم بانوا ولم ادر د
بغتة * واقطع شيء حين يفجؤك البغت * ولما كان هذا المعنى يحصل لا كرم بقوله وهم لا يشعرون اي نوعا من الشعور
ولو انه كالشعرة اعلاما بشدة جهلهم في ان حالهم حال من هو في غاية الامن مما اقل احواله انه ممكن لان الشعور ادراك
الشيء بما يلطف كدقة الشعر وانما قلت انه تاكيد لانه يعني البغتة قال الامام ابو بكر الزبيدي في مختصر العين البغتة
المفاجاة وقال الامام ابو عبد الله القزاز في ديوانه فاجات الرجل مفاجاة اذا جئته على غفلة معاكفة ثم وفاجاته
مفاجاة اذا لقيته ولم يشعر بك وفي ترتيبها المحكم بحيثيته الامر كالحجاه وفاجاه مفاجاة هجم عليه من غير ان يشعر به ويلزم
ذلك الاشعار وهو مدار هذه المادة لانه يلزم ايضا البغت بتقدم المثناة تحركا وهو الهلاك لانه اقرب
شيء الى الانسان اذ هو الاصل في حال الحدوث والشدة فيه هي الجبة التعب كالقيد والربقة وكل ذلك اسرع الى
الانسان من اضداده للحظ لغيبة التحريك والتعب الا من عصم الله وما ال الا لان هذه الدار مبنية عليه ولما وصف
سبحانه له صلى الله عليه وسلم اكثر الناس بما وصف من سوء الطوية للتقليد الذي منشاؤه الاعراض عن الادلة الموجبة
للعلم امره ان يذكر طريق الخلص فقال قل اي يا اعلى الخلق واصفاهم واعظمهم نصحا واخلاصا هذه
اي الدعوة الى الله على ما دعا اليه كتابه وسنته صلى الله عليه وسلم سبيلي القريبة الى اخذ الجليلة الامر الجليلة
المصدر الواسعة الواضحة بمن يرى بنظر الادلة القاطعة جدا فكانه قيل ما هي فقال ادعو كل من يصح دعاوه
الى الله الحائز جميع الكمال حال كوني على بصيرة اي حجة واضحة من امري بنظري الادلة القاطعة والبراهين الساطعة
وترك التقليد الدال على البلادة والجمود لان البصيرة المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل دينا ودنيا بحيث يكون
كانه يبصر لمعنى بالعين ولما كان الموضع في غاية الشرف اكد الضمير المستتر تعيينا وتنبيها على التاهل لظهور الامامة
فقال انا ومن اي ويدعو اليه ايضا من اتبعني لاجل هو على حجة بزعن القصد حائر في ضلال التقليد فهو لا يزال في غفلة
هدفا للحتوف والاتباع طلب الثاني اللحاق بالاول للموافقة فكانه ادنى امره الذي دعا اليه ماداخل تحت قل عطفا على ادعو
قوله منبها على ان شرط كل دعوة الى الله سبحانه اتقى لله بتنزيهه عن كل شائبة نقص وسبحان الله اي واسبح الذي اختص بصفات
الكمال سبحانا اي ابعده عن قدره فاثبت له من صفات الكمال ما يليق بجلاله وانزهه عما هو متعال عنه تنزيها يعلم
انه هو يليق بجلاله ويرضى به وفي تخصيص الله تعالى لي بذلك عقب ما اثبت له ولاتباعه تلويح بنسبة النقص اليهم تواضعا
اعتذارا عما يلحقهم من الوهن وطلبا للعفو عنه وما انا وعدل عن مشركا الى ابلغ منه فقال من المشركين
اي في عداد من يشرك به شيئا بوجه من الوجوه لاني علمت بما اتاني من البصيرة انه منعوت بنعوت الكمال منزه عن
سمات النقص متعال عنها وان ذلك اول واجب لانه الواحد الذي جل عن المجانسة القهار الذي كل احد تحت مشيئته
وقرب سبحان بما تقدم من ان مادة سبح بكل ترتيب تدور على الفرد والشدة والاتساع وتارة يقتصر على الكفاية
فيلزمها الحصر ومنه احسبني الشيء كفاني واحتساب الاجر الاكتفاء به والحساب معرفة المقدار والحسب بمعنى
الظن راجع الى ذلك ايضا والاحسب الذي ابيضت جلدته من داء وفسدت شعرته يعني ان ذلك الداء كفاه في الفساد
على كل داء كانه ما بقي يسع معه داء والتحسيب التكفين بما يسع الميت وهو كفاية ولا يحتاج بعده الى شيء ومنه الحبس وهو المنع
من مجاوزة الكفاية وتارة يتجاوز الكفاية فيتسع ويتسع مداه فلا ينحصر ومنه الحسب بالتحريك وهو الشرف ومنه السحب وبه
سمي السحاب لانسياحه في الجو ومنه السبح في الماء ومنه التزيد في الجري والسبح صلاة التطوع لانه لا حد لغاية لاحصرها
ولانها تجاوزت اللزوم والسبح الفراغ للتمكن معه من الانبساط والتسبيح التنزيه لانه الابعاد عن النقص قال الرماني واصله
البراءة من الشيء وقال ابن مكتوم في الجمع بين العباب والمحكم وسبحان الله معناه تنزيها لله عن الصاحبة والولد وتبرئة من السوء

السوء بهذا معناه في اللغة وبذلك جاء الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيبويه زعم ابو الخطاب ان سبحان الله كقولك براءة الله من
السوء كانه يقول ابرئ الله من السوء وزعم ان مثل ذلك قول الاعشى * اقول لما جاءني فخره * سبحان من علقمة الفاجر * اي براءة منه
ولهذا استدل على ان سبحان معرفة اذ لو كان نكرة لانصرف قال وقد جاء في الشعر منونا نكرة * قال امية *
* سبحانه ثم سبحانا يعود له * وقبلنا سبح الجودي والجمد * وقال ابن جني سبحان اسم علم لمعنى البراءة والتنزيه بمنزلة
عثمان وعمران اجتمع في سبحان التعريف والالف والنون كلاهما علة تمنع من الصرف انتهى وقال الزجاج جاء عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان قوله سبحان الله تبرئة لله من السوء واهل اللغة كذلك يقولون من غير معرفة بما فيه من الرواية عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ولكن تفسيره يجمعون عليه ولكن وقد سبح الرجل قال سبحان الله وفي التنزيل كل قد علم صلاته وتسبيحه وسبح
لغة في سبح وحكى ثعلب سبح تسبيحا وسبحانا قال ابن سيده وعندي ان سبحانا ليس مصدر سبح انما هو مصدر سبح وقال النضر سبحان
الله معناه السرعة اليه والخفة في طاعته وسبوحة بقعة السين البلد الحرام وسباح علم الارض فلسا عند عمر معدن بني سليم
وسبحات وجه الله انواره والسبحة الدعاء وايضا صلاة التطوع انتهى وكله راجع الى الابعاد عن السوء والسبحان التنزه وكل
امر يبرئ نفسه وينزهها عن السوء ولما اوضح ارتباط ما التفتوا به من قولهم لولا القي عليه كنز بتحكه ما يوضح لعنتهم في قولهم
وجاء معه ملك بذكر المرسلين اهل السبيل المستقيم الداعين الى الله على بصيرة فقال وما ارسلنا اي بما لنا من العظمة ولما كان
الارسال للشريك لا يتاتى على ما جرت به الحكمة في كل زمن كان انكا يصلح للرسالة كل احد وكان السياق لانكار التابيد بملك
في قوله وجاء معه كالذي في النحل الا نكاد رسالة البشر ادخل الجار تنبيها على ذلك فقال من قبلك اي الا لحاقين الا رجالا لا
مثلا بالانس ولا ملائكة والا ثم ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما والرجل ماخوذ من المشي على الرجل نوحي اليهم اي بواسطة
الملائكة بمثل ما نوحي اليك من اهل القرى مثل ما انك من اهل القرى اي الاماكن المبنية بالمدر والحجر ونحوه لانها متهيئة للاقامة
والاجتماع واسباب اهل الفضائل وذلك اجدر لغزارة العقل واصالة الراي وصفاء الذهن ويولد العارف من البوادي و
ام القرى في قولك الا انها تجمع لجميع الخلائق لما امروا به من حج البيت وكان العرب كلهم يا بونها قال الرماني وقال الحسن لم يبعث
الله نبيا من اهل البادية ولا من الجن ولا من النساء انتهى وذلك لان المدن مواضع الحكمة والبوادي مواطن لظهور الكلمة ولما
ولما كانت مكة ام القرى مدينة وهي مع ذلك في بلاد البادية جمعت الامرين وفازت بالامرين لاجل ان المرسل اليها جامع لكل
ما تفرق في غيره من المرسلين وخاتم لجميع النبيين صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ومادة قرا بايانية ووايه مهموزة وغير مهموزة
بتراكيبها الخمسة عشر تدور على الجمع ويلزمه الامساك وربما كان عنه الانتشار فالقرية بالفتح وتكسر المصر الجامع والقري لزم
الوزن والقاري ساكنها والقرية الحاضرة الجامعة وطرح اخرها الزوجها واما الجع لونه للنجم والقريتان [illegible] اكثر ما تلقط
به الماسكة والطائف وقرى النمل مجتمع ترابها وقريت الماء في الحوض جمعته والمقراة شبه حوض ونجع وكل ما اجتمع فيه ماء والقر
ما استجمع والمدن تقرى في الجهاء اي تجتمع والقراي الشهود لجمعهم الامور والقواري الناس الصالحون كانه مخفف من المهموز
وقريت الضيف قرى بالكسر والقصر وبالفتح والمد اضفته كاقتريته والمقراة جفنة يقرى فيها الضيف والقاري العذ و
وقرى البعير وكل ما اجتر جمع جرته في شدقه وقرت الناقة ودم شديد هامه من وجع الاسنان كانها لا تدرمع ذلك على جمع الجرة
فيكون من السلب وقرى البلاد تتبعها يخرج من ارض الى ارض كاقترها او استقراها لجمعه بينها وقرى الماء في حوضه [illegible]
القلاع او موقعه من الوزن الى الروضة لانه مكان اجتماعه وقرى الخيل واديا لما اجتمعت فيه والقرية لغتين العصا لان
الراعي يجمع بها ما يرعاه وتعاجم كل ما يراد جمعه واعواد فيها قرص يحمل منها عمود البيت لانه بها يقام فيجمع ما يراد جمعه
الشراع الذي في عرضه من اعلاه لانه يجمع الشراع ملفوفا ومنشورا وقريت الصحيفة لغة في قراتها اذا تلوتها فجمعت
عليها وتلك معها والقارية اسفل الرمح لانه يجمع زجته او اعلاه لانه يجمع اعاليه وحد الرمح لانه مراد صاحبه وكذا حد السيف وال
بالسند طائر اخضر اذا اراده استبشروا بالمطر كانه رسول الغيث ومقدمة السحاب جمعه قوارى كانه سمي بذلك لانه سبب جمع
اهل المطر والقير والقاري شيء اسود تطلى به السفن والابل والحباب والزفات او هما الزفت وعلى كل تقدير هو تساؤ للشعوب
والمسام فكان الجامع بين اجزاء السفينة وغيرها او هذا الامر هذا اشد مراره لتشبيهه بالعيب الطعم والمر الذي يجمع الفم ونحوه
بالتعمر والعيبور كتنور الحامل التي شبه به اصلا لان الذين ما قل احتماله اكثر الناس الذين كثير من الاوقات [illegible]
قليل الذكر ونحوها ومعنى الخول والعباد كشداد صاحب القير وبني لسين عجل ثرب واسطه كانها سميت جمعها اياهم وقيارا شد
فرس كانه [illegible] بجمع لصاحبه ما يريد والقارة الدابة كالاو والقارة حي من العرب سموا لان الشداخ اراد ان يفرقهم في
كنانة * فقال شاعرهم * دعونا قارة لا تجفلونا فنجفل مثل اجفال الظليم * ذكره مختصر العين هنا وغيره في الواو
واقتار الحديث اقتيارا بحث عنه لان ذلك سبب جمعه والقيس كحسين الاسوار من الرماة الحاذق لانه يجمع بذلك ما يريد ودنت الرجل
بالعود رقية عود يده ونفثت في عود ومنه الراقي يجمع دعيد وبنفث ودنت الشر دقيا اذا صعدت عليه كانك جمعت بينه وبينه

درجة المرقاة بالفتح وبكسر الدرجة لان العلو من آثار الجمع وَرَقا عليه بكلام ارتقيه دفع لانه جمع علمه ومرتبا الالف حرفاه
لانها الحاجبان له وَالرائق من الماء الخالص لانه اذا خلص اشتد تلاصق اجزايه لزوال ما كانت يتخللها من الغير وَرَاق الماء يريق اذا انصب
الا انه اجتمع الى المحل الذى انصب اليه او يكون من السلب كانه يعنى صب وَرَاق الشراب يروق وترويق تمر توق اذ انحط اى تردد
فوق الارض اى تردد اما من الكب واما التشبيه بالجمع والريق تردد الماء على وجه الارض من العطش اى اليسير ونحوه لانه لا يتردد الا وهو
مجتمع والريق اول كل شى وافضله من الرايق بمعنى الخالص لان الاول يجمع الصغير والافضل يجمع ما يراد والريق ايضا الباطل كالرهوق
كتنور تشبيها بالسراب وريق الفم معروف لاجتماعه والريق القوة لجمعها المراد والريق الخالص وكلما ما اكل او شرب على الريق
ليس فى بطنه شى كانه خلص من العلايق فاجتمع همه ومن هو على الريق كريق كتكيس وهو يريق بنفسه يجود بها عند الموت ومن داق الماء انصب
والريق كمعظم من الابل العجيبة شى لعله من داق يروقه اذا اعجب لجمع همة اليه والبادق ضرب من الاسورة لانه يجمع المعصم والتراق
ويسكن الاستقامة والطريقة وآفة الزرع ومرض معروف وسيذكر فى اد ق من اول سورة الحجرات ان شا الله تعالى ولما كان
الاعتبار باحوال من سلف للنجاة مما احل بهم اهم المهم اعترض بالحث عليه بين الغاية ومتعلقها فقال افلم يسيروا اى
يوقعوا السير هولاء المكذبون فى الارض اى فى هذا الجنس الصادق بالقليل والكثير ولما كان المراد سير الاعتبار سبب عنه قوله
فينظروا اى عقب سيرهم وبسببه ونبه على ان ذلك امر عظيم ينبغى الاهتمام بالسؤال عنه بذكر اداة الاستفهام فقال
كيف كان عاقبة اى اخر امر الذين ولما كان الذين يعتبر بحالهم لما لهم من الامور العظام فى بعض الازمنة الماضية
وكان المخاطبون بهذا القرآن لا يمكنهم الاحاطة باهل الارض وان كان فى ما كل منهم عظة اتى بالجار فقال من قبلهم فى الرضا
بما هو كائن فى تقليد ابائهم وهذا كما تقدم فى سورة يونس من ان الايات لا تغنى عن ختم على قلبه . التذكير باحوال الماضين وكان
من هلاك العاصين ونجاة الطايعين والاعراض بين ذلك بقوله قل انتظروا انى معكم من المنتظرين وهو يدل على انه تعالى
يغضب ممن اعرض عن تدبر اياته والسير المرور الممتد فى جهة ومنه اخذ السير واصل السيود من الجلد والنظر طلب ادراك
المعنى بالعين والقلب واصله مقابلة الشى بالبصر لادراكه ولما كان من الممكن ان يدعى مطموس البصيرة انه كان لهم
نوع خير قال على طريقة ارخاء العنان ولدار اى الساعة او الحالة الاخرة اى التى وقع التنبيه عليها بامور تفوت الحصر
نهادارا لدنيا فانه لا تكون دنيا الا تعصا خير للذين اتقوا الله اى حملهم الخوف على جعل الايتمار والانزجار وقاية
من حياة اهون ما لها الموت وان فرض فيها من الحال ما انما استدت النعام وكان عيشها كله رغدا من غير الام ولما كان تسليم
هذا الاحتجاج فيه الى الكثير من العقل قال مسببا عنه منكرا عليهم مبكتا لهم افلا يعقلون اى فيتبعوا الداعى الى هذا
السبيل الاقوم ولما كان المغنى يعلوما من هذا السياق تقديره فدعا الرجال المرسلون الى الله واجتهد وانى انذروا قومهم
لخلاصهم عن الشقاء توعدوهم على السفر بانواع العقوبات ان لم يتبعوهم وطال عليهم الامر وتراخى النصر وهم يكذبونهم
فى تلك الايعادات ويكتبونهم ويستهزءون بهم واستمر ذلك من حالهم كالمعروف المشير الى ذلك حتى اذا استيأس الرسل
اى يئسوا من النصر ياسا عظيما كانهم اوجدوه او طلبوه واجتلبوه من انفسهم وظنوا انهم قد كذبوا اى فعلوا فعل اليائس
العظيم اليأس الذى ظن انه تداخلف وعد من الاقبال على التحذير والتبشير والجواب لمن استهزأ بهم وقال
ما يحبسه وعد تمونا به بان ذلك امره الى الله ان شا نجزه وان شا اخره ليس علينا من امره شى ويجوز ان يراد انهم
لما استبطئوا النصر وضجروا انما يقاسون من اذى الاعدا واستبطا الاولياحتى يقول الرسول والذين امنوا معه كما
يقول الا بشر الرسول متى نصر الله مع علمهم بان الله تعالى له ان يفعل ما يشاء عن حالهم ذلك بما هنا نقل الزمخشرى
فى الكشاف والرازى فى اللوامع معناه عن ابن عباس رضى الله عنهما هذا على قراة التخفيف واما على قراة التشديد فالتقدير
وظنوا انهم قد كذبوهم اتباعهم حتى لقد انكرت عايشة رضى الله عنها قراة التخفيف روى البخارى فى التفسير وغيره عن عروة
ابن الزبير انه سالها اهى بالتشديد ام بالتخفيف فقالت انها بالتشديد قالت فقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم فما هو
بالظن قالت اجل لعمرى لقد استيقنوا بذلك فقلت لها وظنوا انهم قد كذبوا اى بالتخفيف قالت معاذ الله لم يكن الرسل
تظن ذلك بربها قلت فما هذه الاية قالت هم اتباع الرسل امنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستاخر عنهم النصر
حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك جاءهم نصرنا لهم
بخذلان اعدائهم فنجى من نشاء منهم ومن اعدائهم ولا يرد باسنا اى عذابنا لما له من العظمة عن القوم اى وان
كانوا فى غاية القوة المجرمين الذين حتمنا دوامهم على القطيعة كما قلنا لا يؤمنون بانهم ليس بصارفا عنهم وختمنا بذكر
تعادعهم من الامم وكل ذلك احدامرنا سنته جرت بانه يطيل الامتحان ويمد زمان الابتلاء والاعتبار حثا على الله
على الصبر وزجرا للكذابين عن التمادى فى الاستهتار ومادة كذب تدور على ما لا حقيقة له واكثر تصاريفها واضح فى
ذلك وتستعمل فى غير الانسان قالوا كذب البرق والحلم والرجاء والطمع والظن وكذبت العين خانها حسها وكذب الراى توهم

تبين الامر بخلاف ما هو به وكذبته نفسه منته غير الحق والكذوب النفس لذلك وكذبت الناقة اذا ضربها الفحل فتشولت
اى ترفع ذنبها ثم ترجع حائلا لانها اصلفت خلو حملها ولذا اذا ظن لها لبن وليس لها ويقال للمرء صياح بدوه وهو شال فلن يرى انه
نايم فقد كذب اى عند ذلك الصياح عدما والمكذوبة من النساء الضعيفة لانه لما اجتمع فيها ضعف النسا وضعفها عدمت عدما
والمذكوبة على القلب المراة الصالحة كما لها العزة الصلاح فى النساء جعلت عدما وكذب لوحشى اذا جرى ثم وقف ينظر
ما وراه كانه لم يصدق بالذى انفره ومنه كذب عن كذا اذا احجم عنه بعد ان اراده ولانه لذب باطنه عنه الحمله من قتل الاقران
وكذلك الحر اى انكلت وكذبك الصيد مثله وهو مو ولى الحث لان المعنى ان الحر لعظم مشقته وطول شقته تنفر
النفس عنه فيكاد ان لا يوجد وكذا الصيد لشرده قراره وسرعة نفاره وعزة احترازه يكاد ان لا يتمكن منه فيكون
صيده كالكذب لا حقيقة له فقد تبين حينئذ وجه كون كذب بمعنى الاغراء ولا ان قوله تلاثة اسفار كذبن عليكم الحج والعمرة
والجهاد معناه انها الشدة الصعوبة لا تكاد تمكن من ارادها فاسمع انه لعنوة واعتيد لكثرة ما يرى فيها من التعب لا
يكون كالظافر بها ويبعدها قال ابن الاثير فى النهاية عن الاخفش الحج مرفوع ومعناه نصب لانه يريد ان يامره بالحج يقال امكنك
الصيد يريد ارمه وقال ابو على الفارسى فى الحجة فى قول عنترة . كذب العتيق وماء شن بارد . ان كنت سايلتى غبوقا
فاذهبى . وان شئت قلت ان الكلام لما كثر استعماله فى الاغراء بالشى والبعث على طلبه ولحاده صار كانه قال بقوله
لما علمك العتيق اى الزمية ولا يريد نفيه ولكن اضربها عن ما عداه فيكون العتيق فى المعنى مفعولا به وان كان
لفظه مرفوعا مثل سلام عليكم ونحوه مما يراد به الدعا واللفظ على الرفع وحكى محمد بن السرى عن بعض اهل اللغة
فى كذب العتيق ان مضر تنصب به وان اليمن ترفع به وقد تقدم وجه ذلك انتهى واقرب مرد للاجداد واسهل تنازلا ولئن
ان الاتيان لا يزال المنيع الجناب مصون الحجاب ما كان الا زما للصدق فاذا كذب فقد اسكن من نفسه وهان امره فمعنى
اسفار كذبن عليكم امكنتهم من انفسها الحج كل سنة بزوال مانع الكفار عنه والعمرة كل السنة بزوال المنتدين
بالسلب وغيره فى اشهر الحل والجهاد كل السنة ايضا لاباحته فى الاشهر الحرم وغيرها وتخرج مثل كذبتك الظهاير
وغيره بين الظهور ولا وقعة فيه ولكون الكاذب يبادر الى المعاذير ويحاول التخلص كان التعبير بهذا من باب الاغرا
اى ابتهزوا الفرصة وبادروا بغير هذا الامكان ولما ذكر سبحانه هذه القصص كما كانت وحث على الاعتبار بها بقوله افلم
يسيروا واشار الى انه تلك اجرى سنته وان طال المدى اتبعه الجزم بان فى احاديثهم اعظم عبرة فقال حثا
على تاملها والاستبصار بها لقد كان اى لونا هو فى غاية المكنة فى قصصهم اى الخبر العظيم الذى تلى عليك
تتبعا لاخبار الرسل الذين طال نعيم البلا حتى استياسوا من نوح الى يوسف ومن بعده على جميعهم افضل الصلاة والسلام
والتحية والاكرام عبرة اى عظة عظيمة وذكرى شريفة لاولى الالباب اى لاهل العقول الخالصة عن شوايب الكدر يعبرون
بها الى ما يسعدهم بعلم ان من قدر على ما قص من امر يوسف عليه السلام وغيره قادر على ان يعز محمدا صلى الله عليه وسلم ويعلى
كلمته وينصره على من عاداه كاينا من كان كما فعل بيوسف وغيره الى غير ذلك مما ترشدنا اليه قصصهم من الحكم وتفوق
اليه من نفايس العبر والقصص الخبر بما يتلو فيه بعضه بعضا من قص الاثر والالباب العقول لان العقل انفس ما
فى الانسان واشرفه ولما كان من اجل العبرة فى ذلك القطع بحقية القرآن لما اتى به من حقايق احوالهم وخبايا امورهم
ودقايق اخبارهم على هذه الاساليب الباهرة والتفاصيل الظاهرة والمناهج المعجزة القاهرة نبه على ذلك بتقدير
سؤال فقال ما كان اى هذا القران العربى المشتمل على قصصهم وغيرهم حديثا يفترى كما قال المعاندون على ما اشير
اليه بقوله ام يقولون افتراه والافترا القطع بالمعنى على خلاف ما هو به فى الاخبار عنه من قريب الاديم ولكن كان
تصديق الذى من الكتب وغيرها بين يديه اى قبله اى الذى هو كاف فى الشهادة بتصديقه وحقيته فى نفسه ودال
على ذلك بكونه تفصيل كل شئ اى يحتاج اليه من امور الدين والدنيا والاخرة والتفصيل تفريق الجملة باعطا كل قسم حقه
وهدى ورحمة وبيانا واكراما ولما كان الذى لا ينتفع بالشى لا يتعلق به شيئه قال لقوم يؤمنون اى يقع الايمان منهم وان
كان يمكن ايمانهم فهو عام وما جمع هذه الاخلاق فهو ابين البيان فقد انطبق هذا الاخر على اول السورة فى انه
الكتاب المبين وانطبق ما بين هذه القصص من الشهادة بحقية القرآن وان الرسل ليسوا الا ملايكة ولا معهم ملايكة
للتصديق يظهرون للناس وانهم لم يسالوا على الابلاغ اجرا على سبب ما تبعته هذه القصص وهو مضمون قوله
تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الاية من قولهم لولا القى عليه كنز او جاء معه ملك ومن قولهم انه افتراه على ترتيب
مع اعتناق هذا الاخر لاول التى تليها فسبحان من انزله معجزا باهرا وقاضيا بالحق لا يزال ظاهرا وكيف لا وهو العليم
الحكيم . سورة الرعد مقصودها وصف الكتاب بانه الحق فى نفسه وتارة بتاثر عنه مع ان له صوتا وصيتا
وادعا بانا وادها با ما الهدى بالنعل وتارة لا يتاثر بل يكون سببا للضلال والعمى وانسب ما فيها لهذا المقصد الرعد فانه

فانه مع كونه حقاني نفسه يسمعه الاعمى والبصير والبارز والمستتر وتارة ببشائر عنه البرق والمطر وتارة لا واذا انزل
المطر فتارة ينفع اذا اصاب الاراضي الطيبة وسلمت من عاهة وتارة يخيب اذا انزل على السباخ وتارة يضر بالاغراق
والصواعق او البرد وغيرها والله اعلم بسم الله الحق الذي كل ما عداه باطل الرحمن الذي عم بالرغبة والرهبة بعموم
رحمته الرحيم الذي خص من شاء بتوفيقه عظيم الوهبة المر لما ختم التي قبلها بالدليل على حقية القران وانه هدى
ورحمة لقوم يؤمنون بعد ان اشار الى كثرة ما يحتونه من اياته في السموات والارض مع الاعراض بتداها هذه بذلك
على طريق اللف والنشر المشوش لانه افصح للبداة في نشره بالاقرب فالاقرب فقال تلك اي الانبا المتلوة والاقاصيص
المجلوة المفصلة بدرر المعاني وبديع الحكم وثابت لقواعد المباني العالية المراتب ايات والاية الدالة البهجة
في التادية الى المعرفة الكتاب المنزل اليك وجميع الذي ولما كان تحقق ان هذا الكتاب من عند الملك امرا
لا يطوقه مرتبة لما له من الاعجاز وكذا ما تبعه من بيانه بما لسنة لما له من الحق الذي لا يخفى على عاقل وكان ما تحقق انه
كذلك يعلم ان الاتي به لا يكون الا عظيما ينبغي للعقول قوله انزل اليك كائنا من ربك فثبت حينئذ قطعا انه هو الحق
اي الموضوع كل شي منه في موضعه على ما تدعوا اليه الحكمة الواضحة التي لا يتخلف شي منه عن مطابقة الواقع من بعث
ولا غيره فهو ابعد شي عن قولهم ان وعده بالبعث سحر فوجب لثبوت حقيته على كل من اتصف بالعقل ان يؤمن به
ولكن اكثر الناس الانسيين بانفسهم المضطربين في اراءهم لا يعلمون اي لا يتجدد منهم ايمان اصلا بانه حق في نفسه وانه
من عند الله بل يقولون انه من عند محمد صلى الله عليه وسلم وانه تخييل ليست معاينة ثابتة كما قلنا وما اكثر الناس
ولو حرصت بمؤمنين فليس هدى لهم كاملا ولا رحمة تامة هذا التقدير محتمل ولكن الذي يدل عليه قوله تعالى افمن
يعلم انما انزل اليك من ربك الحق ان الذي مبتدا ومن ربك صلة انزل والخبر الحق والمقصود من هذه السورة
هذه الاية وهي وصف المنزل بانه الحق واقامة الدليل عليه وذلك لانه لما تم وصف الكتاب بانه حكيم محكم
مفصل مبين عطف الكلام الى تفصيل اول سورة البقرة والايما الى انه كان اجتنا الثمرة في هذه السورة والتي
بعدها وتلتحم بذلك وصف المصدقين بذلك كما ستقف عليه وقال الامام ابو جعفر بن الزبير في برهانه هذه السورة
تفصيل لمجمل قوله سبحانه في خاتمة سورة يوسف عليه السلام وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها
معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون قل هذه سبيلي ادعوا الى الله افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله
او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما
انا من المشركين فبيان اي السموات في قوله الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس
والقمر كل يجري لاجل مسمى وبيان اي الارض في قوله وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وزوجين اثنين فهذه اي
السموات والارض وقد زيدت بيانا في مواضع ثم في قوله تعالى يغشي الليل النهار وما تكون من الايات عنهن لان الظلمة عن
جرم الارض والضياء نور الشمس وهي سماوية ثم زاد تعالى ايات الارض بيانا وتفصيلا في قوله تعالى وفي الارض قطع
متجاورات الى قوله لقوم يعقلون ولما اخرج الثمر بالماء النازل من السماء اعظم اية ودليل واضح على صحة المعاد
ولهذا قال تعالى في الاية الاخرى كذلك نخرج الموتى وكاف قد ورد هنا على اعظم حجة في الاعتبار من اخراجها مختلفات
في الطعوم والالوان والروائح مع اتحاد المادة تسقى بماء واحد وتفضيل بعضها على بعض في الاكل لذا ما اعقب قوله
تعالى وفي الارض قطع متجاورات الاية بقوله وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد ثم بين سبحانه وتعالى
الصنف القائل لهذا وانهم الكافرون اهل الخلود في النار ثم اعقب للبيان عظيم حلمه وعفوه فقال منذر ولكل
قوم هاد ثم بين عظيم ملكه واطلاعه على دقائق ما اوجده من جليل صنعه واقتداره فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى الايات
الى قوله وما لهم من دونه من وال ثم خوف عباده وانذرهم ورغبهم هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا الايات وكل ذلك
راجع الى ما اودع سبحانه في السموات والارض وما بينهما من الايات وفي ذلك اكثر اي السورة ونبه تعالى على الاية
الكبرى والمعجزة العظمى فقال ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى والمراد لكان هذا
هذا القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والتنبيه بعظيم هذه الايات مناسب لمقتضى السورة
من التنبيه لما اودع تعالى من الايات في السموات والارض كانه جل وتعالى لما بين لهم عظيم ما اودع في السموات
والارض وما بينهما من الايات وبسط ذلك واوضح اردف ذلك باية اخرى جامعة للايات ومتسعة للاعتبارات
فقال تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال فهو من نحو ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وفي انفسكم اي لو فكرتم في
ايات السموات والارض لا قلتكم وكفتكم في بيان الطريق اليه ولو فكرتم في انفسكم او ما اودع تعالى فيكم من العجائب
لاكتفيتم من عرف نفسه عرف ربه فمن تبيك هذا القرب من الاعتبار وهو الواقع في سورة الرعد من بسط ايات السموات

السموات والارض ثم ذكر القران وما يحمل فهذه اشارة الى ما تضمنت هذه السورة الجليلة من بسط الاية المودعة
في الارضين والسموات واما قوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون فقد اشار اليه قوله تعالى ولكن اكثر
الناس لا يؤمنون انما يتذكر اولوا الالباب وقوله الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب
فالذين تطمئن قلوبهم بذكر الله هم اولوا الالباب المتذكرون اهل الايمان وهم القليل المشار اليهم في قوله تعالى
وقليل ما هم وقوله فيهم اولئك هم المؤمنون حقا ودون هؤلاء طوائف من المؤمنين لم يسبقوا الى درجاتهم ولا لحقوا
ولا بلغوا يقينهم واليهم الاشارة بقوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال عليه الصلاة والسلام الشرك
في امتي اخفى من دبيب النمل فهذا بيان ما اجمل في قوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون واما قوله تعالى افامنوا
ان تاتيهم غاشية من عذاب الله فما عجل لهم من ذلك في قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة
او تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله القاطع دابرهم والمستاصل لامرهم واما قوله تعالى قل هذه سبيلي ادعو
الى الله على بصيرة الاية فقد اوضحت اي سورة الرعد الى سبيله عليه السلام وبينته بما حملته من عظيم التنبيه
وبسط الدلائل بما في السموات والارض وما بينهما وما في العالم بجملته وما تحمله الكتاب المبين كما تقدم ثم قد تعرضت
السورة لبيان حال سالكي تلك السبيل الواضحة المنجية فقال تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون
الميثاق الى اخر ما حلاهم به اضدادا وتركا ثم عاد الكلام بعد الى ما بنيه من التنبيه والبسط وتعويد الكفار
وتوبيخهم وتسليته عليه السلام في امرهم انما انت منذر ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا
وذرية فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ويقول الذين كفروا لست مرسلا والسورة بجملتها غير خارجة
عن تلك الاغراض المجملة في الايات الاربع المذكورات من اخر سورة يوسف ومعظم السورة وغالب اايها
في التنبيه وبسط الدلالات وتذكير بعظيم ما اودعت من الايات ولما كان هذا شانها اعقبت بمفتتح سورة
ابراهيم عليه السلام انتهى فلما اثبت سبحانه لهذا الكتاب انه المختص بكونه حقا ثبتت انه اعظم الادلة على الايات
شرع يذكر ما اشار اليه بقوله وكاين من اية من الايات المحسوسة الدالة الظاهرة الدلالة على كون ايات الكتاب
حقا بما لها في انفسها من الثبات والدلالة لما الفاعلها من القدرة والاختيار على انه قادر على كل شي قدير وان ما اخبر
به من البعث حق لما له من الحكمة والدلالة لما له من التنبيه عنها من الاعجاز على كونها من عند الله وبدا بما بدا به
في تلك من ايات السموات لشرفها ولانها ادل فقال الله اي الملك الاعظم الذي له جميع صفات الكمال
وصح الذي رفع السموات بعد ايجادها من عدم كما انتم بذلك مقرون والرفع وضع الشي في جهة العلو سواء كان
ذلك بالنقل او بالاختراع كاينة بغير عمد جمع عماد كاهاب واهب او عمود والعمود جسم مستطيل يمنع المرتفع ان يميل
واصله منع الميل ترونها اي مرئية حاملة لهذه الاجرام العظام التي مثلها لا تحمل في مجاري عاداتكم الا بعد تناسبها
في العظم فهذا اعلى ان ترونها صفة ويجوز ولعله احسن ان يكون على تقدير سؤال من كانه قال ما دليل انها بغير عمد
فقيل المشاهدة التي لا اجلى منها ولما كان رفع السموات بعد خلق الارض قيل تسويتها ذكر انه شرع في تدبير
ما للكونين من المنافع وما فيهما من الاعراض والجواهر واشار الى عظمة ذلك التدبير باداة التراخي فقال
ثم استوى على العرش قال الرازي في لوامع البرهان وخص العرش لانه اعلى خلقه وصفوته ومنظره الاعلى وموضع تشريعه
ومظهر ملكه ومبدأ وحيه ومحل قربه ولم ينسب شيئا من خلقه كنسبته فقال ذو العرش كما قال ذو الجلال
وذو كله الحق واتصال ظهوره ومبدأ وقال الرماني والاستوا الاستيلا بالاقتدار ونفوذ السلطان واصله
استوا التدبير كما ان اصل القيام الانتصاب ثم يقال قام بالتدبير انتهى وعبر بثم لبعدهم هذه الرتبة عن الاطلاع
وعلوها عن ان يستطاع علينا هنالك ترتيب لا يحمله حتى يفهم ان ما قيل كان على غير ذلك والمراد انه اخذ في التدبير
لما خلق كما هو شان الملوك اذا استووا على عروشهم اي لم يكن لهم منازع وان لم يكن هناك جلوس اصلا وذلك لان دوام
الملك التدبير وهو اعدل احواله والله اعلم وسخر اي ذلل اذلالا عظيما الشمس اي التي هي اية النهار والقمر اي الذي هو
اية الليل لما فيهما من الحكم والمنافع التي بها صلاح البلاد والعباد ودخلت اللام فيهما وكل واحد منهما لا ياتي لمثاني الاسم
من معنى الصفة اذ لو وجد مثل لهما لم يتوقف في اطلاق الاسم عليه ولذلك لا يدخل زيد وعمرو والتسخير التهيئة لذلك المعنى المسخر
له ليكون بنفسه من غير معاناة صاحبه فيما يحتاج اليه كتسخير النار للاسخان والماء للجريان كل اي من الكوكبين يجري
ولما كان السياق للتدبير علم ان المراد يجري كما لذلك وهو تنقلها في المنازل والدرجات التي تتم بها الفصول وتتغير النبات
وتنضبط الاوقات ولما كان التدبير دائما راسخ علم ان صاحبه اعلم ولا سيما ان كان احكم فكان الموضع للام الا للى فعلل بقوله
لاجل اي لاجل اختصاصه باجل مسمى هذا اجلها سنة وذلك اجله شهر والاجل الوقت المضروب لحدوث امر وانقطاعه

ولما كان كل من ذلك مشتملا من الآيات على ما يجل عن الحصر مع كونه في غاية الإحكام استأنف خبرا هو كالنتيجة على ما في ما مضى من الحكمة فقال مبينا لذلك الاستواء على العرش بعد أن أشار إلى عظمة هذا الخبر بها في صلة الموصول من الأوصاف العظيمة **يدبر الأمر** أي في المعاش والمعاد وما ينظمهما بأن يفعل فيه فعل من ينظر في أدباره وعواقبه لئلا يدخله خلل يجل عن أن يرام بنقص بل هو بالحقيقة الذي يعلم أدبار الأمور وعواقبها ولا يشغله شأن عن شأن مع أن هذا العالم من أعلى العرش إلى ما تحت الثرى يحتوي على أجناس وأنواع وفصول وأصناف وأشخاص لا يحيط بها سواه وذلك دال قطعا على أنه سبحانه في ذاته وصفاته متعال عن مشابهات المحدثات واحد أحد صمد ليس له كفوا أحد ولما كان هذا بيانا عظيما لا لبس فيه قال **يفصل الآيات** الذي برز إلى الوجود تدبيرها الدالة على وحدانيته وكمال حكمته الدالة المشتملة عليها مبدعاته فيفرقها ويباين بينها مباينة لا لبس فيها تقريبا لعقولكم وتدريبا لفهومكم لتعلموا أن الفاعل الواحد المختار لا فعل الطبائع ولا غيرها من الأسباب التي أبديتموها وإلا لكانت على نسق واحد وجمعها لما تقدم من الإشارة إلى كثرتها بقوله وكأي من آية في السماوات والأرض فكان هذه الألف واللام لذلك المنكر هنالك ولما كان هذا التدبير وهذا التفصيل دالا على تمام القدرة وغاية الحكمة علل بقوله **لعلكم بلقاء ربكم** أي ليكون حالكم حال من يرجى له بما ينظر من الدلالات الإيقان بلقاء الموجد له المحسن إليه بجميع ما تحتاجه التربية **توقنون** أي تعلمون ذلك من غير شك استدلالا بالقدرة على ابتداء الخلق على القدرة على ما جرت به العادة بأنه أهون من الابتداء وهو الإعادة وأنه لا تتم الحكمة إلا بذلك ولما انقضى ما أراد من آيات السماوات ثنى بما في ما يأتي به في آية يوسف من الدلالات فقال **وهو** أي وحده **الذي مد الأرض** ولو شاء لجعلها كالجدار أو الأزج لا يستطاع القرار عليها وهذا لا ينافي أن تكون كرية لأن الكرة إذا عظمت كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح كما أن الجبال أوتاد والحيوان يستقر عليها **وجعل فيها** جبالا شامخة تقارب **رواسي** أي ثوابت واحدها راسية أي ثابتة باقية في حيزها غير منتقلة عن مكانها لا تتحرك فلا يتحرك ما هي راسية فيه ولما غلب على الجبال وصفها بالرواسي صارت الصفة تغني عن الموصوف فجمعت جمع الاسم كحائط وكاهل قاله أبو حيان ولما كانت طبيعة الأرض واحدة كان حصول الجبل في جانب منها دون آخر ووجود المعادن المختلفة فيها تارة جوهرية وتارة نفطية وتارة كبريتية إلى غير ذلك دليلا على اختصاصه تعالى بتمام القدرة والاختيار لأن الجبل وأصل الطبع كما أن تأثير الشمس وأصل فقال تعالى **وأنهارا** أي وجعل فيها أنهارا جارية منها وأكثر ما يكون الأنهار من الجبال لأنها أجسام صلبة عالية وفي خلال الأرض أبخرة فتتصاعد تلك الأبخرة المتكونة في قعر الأرض ولا تزال تخرق حتى تصل إليها فتحتبس بها فلا تزال تتكامل حتى يعظم تكاثفها فإذا بردت صارت ماء يحصل بسببها مياه كثيرة لانعقاد الأبخرة البخارية المتكاثفة في عالي الجبال إذا بردت وتقاطرت فإذا تكامل انعقاد تلك المياه وعظمت شقت أسافل الجبال وغيرها إلى الأماكن التي تستضعفها لقوتها وقوة الأبخرة المصاحبة لها فإن كان لتلك المياه مدد من جهة الفواعل والقوابل بحيث كلما نبع منها جزء نبع جزء عقيبه وهكذا على الاتصال فهي النهر والنهر المجرى الواسع من مجاري الماء وأصله الاتساع ومنه النهار لاتساع ضيائه ولما ذكر الأنهار ذكر ما ينشأ عن المياه فقال **ومن كل الثمرات** ويجوز أن يكون متعلقا بما قبله ثم يكون كأنه قيل لمن ينتفع بهذه الأشياء فقيل **جعل فيها** أي الأرض **زوجين اثنين** ذكرا وأنثى من كل صنف من الحيوان ينتفع بها ويجوز أن يكون متعلقا بما بعده فيكون التقدير وجعل فيها من كل الثمرات زوجين اثنين ذكرا وأنثى ينتج الأنثى بلقاحها من الذكر أو قريبة منها يجود ثمرها والثمرة طعمة الشجرة والزوج شكل له قرين من نظير أو نقيض فكأنه قيل ما الذي ينضجها فقال **يغشي الليل النهار** أي والنهار الليل فينضج هذا بحره ويمسك هذا ببرده فيعتدل فعلهما على ما قدره تعالى لهما في السير من الزيادة والنقصان للحر والبرد للإخراج والإنضاج إلى غير ذلك من الحكم النافعة في الدين والدنيا الظاهر لكل ذي عقل أنها بتدبيره بفعله واختياره وقهره واقتداره ولما ساق سبحانه هذه الآيات مفصلة إلى أربع وكان فيها دقة جمعها وناطها بالتفكر فقال **إن في ذلك** أي الذي وقع التحديث عنه من الآيات متعاطفا **لآيات** أي دلالات واضحات عجيبات باهرات على أن ذلك كله مستند إلى قدرته واختياره ونبه على أن المقام يحتاج إلى تعب بتجريد النفس من الهوى وتحكيم العقل صرفا بقوله **لقوم** أي ذوي قوة زائدة على القيام بما يحاولونه **يتفكرون** أي يجتهدون في الفكر قال الرماني وهو تصرف القلب في طلب المعنى ومبدأ ذلك معنى يخطره الله تعالى على بال الإنسان فيطلب متعلقاته التي فيها بيان عنه من كل وجه يمكن فيه والختم بالتفكر إشارة إلى الاهتمام بإعطاء المقام حقه والرد على الفلاسفة فإنهم يسندون حوادث العالم السفلي إلى الاختلافات الواقعة في الأشكال الكوكبية وهو كلام ساقط لمن تفكر فيما قرره

فرده سبحانه في الآية السالفة من إسقاط ورده من أنه سبحانه هو الذي أوجد الأشياء كلها من عدم ثم أتقن تدبيرها فاختصاص كل شيء من الأجرام العلوية بطبع وصفة وخاصية إنما هو بتخصيص المدبر الحكيم الفاعل بالاختيار فصار وجود الحوادث السفلية لو سلم أنه متأثر عن الحوادث العلوية إنما يكون مستندا إليها باعتبار السببية والمسبب مستند إلى الصانع القديم المدبر الحكيم ولما كان هذا الدليل مع وضوحه فيه بعض غموض شرع تعالى في شيء من تفصيل ما في الأرض من الآيات التي هي أبين من ذلك دليلا ظاهرا جدا على بطلان قول الفلاسفة فقال **وفي الأرض** أي التي أنتم سكانها تشاهدون ما فيها مشاهدة لا تقبل الشك **قطع متجاورات** في متحدة البقعة مختلفة الطبع طيبة إلى سبخة وكريمة إلى زهيدة وصلبة إلى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر وعكسها مع انتظام الكل في الأرضية **وجنات** جمع جنة وهي البستان التي تجنه الأشجار **من أعناب** وكأنه قدمها لأن أصنافها ظاهرة بأن صانعها إنما هو الفعال لما يريد لا تكاد تنحصر حتى كأنه في الأصل لو أحد يحصل تنوع الزرع ولذا لا أجمعها ولما كان تفاوت ما أصله الحب أعجب فقال **وزرع** أي منها دانية قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحفص عن عاصم بالرفع وفي خلل الجنات في قراءة الباقين بالجر ولما كان ما جمعه أصل واحد ظاهرا أغرب أخر قوله **ونخيل صنوان** فروع متفرقة على أصل واحد **وغير صنوان** باعتبار افتراق منابتها وأصولها قال أبو حيان والصنف الفرع يجمعه وآخر أصل واحد وأصله المثل ومنه قيل للعم صنو وقال الرماني والصنوان المتلاصق يقال هو ابن أخيه صنو أبيه أي لصيق أبيه في ولادته وهو جمع صنو وقيل الصنوان النخلات التي أصلها واحد وعن البراء بن عازب وابن عباس ومجاهد وقتادة وقال الحسن الصنوان النخلتان أصلهما واحد انتهى وهو تركيب لا فرق بين مثناه وجمعه إلا بكسر النون من غير تنوين وإعرابها مع التنوين وسيأتي في قول إن شاء الله تعالى سر تسمية الكرم بالعنب ولما كان الماء بمنزلة الأب والأرض بمنزلة الأم وكان الاختلاف مع اتحاد الأب والأم أعجب وأدل على الإسناد إلى الموجد المسبب لا إلى شيء من الأسباب قال **يسقى** أي ما ذكر كلها **بماء واحد** فتخرج أغصانها وثمراتها في وقت معلوم لا يتأخر عنه ولا يتقدم لعلمه بصعود الماء فيها على واحد ما في جبعه من التسفل ثم يتفرق في كل من الورق والأغصان والثمار بقسطه مما فيه صلاحه **ونفضل** أي بما لنا من العظمة المقتضية للطاعة **بعضها** أي بعض تلك الجنات بعض أشجارها **على بعض** ولما كان التفضيل على أنحاء مختلفة بين المراد بقوله **في الأكل** أي الثمر المأكول وتخالف في الطعوم مع اتحاد الأرض وبعض الأصول وخص الأكل لأنه أغلب وجوه الانتفاع وهو منبه على اختلاف غيره من اللطف والشعف واللون للمأكول والطعم والطبع والشكل والرائحة والمنفعة وغيرها مع أن نسبة الطبائع والاتصالات الفلكية إلى جميع الثمار على حد سواء لا سيما إذا رأيت العنقود الواحد جميع حباته حلوة نضيجة كبيرة إلا واحدة منها فإنها حامضة صغيرة يابسة ولما كان المراد في هذا السياق كما تقدم تفصيل ما نبه على كثرته بقوله وكأين من آية في السماوات والأرض الآية قال **إن في ذلك** أي الأمر العظيم الذي تقدم **لآيات** بصيغة الجمع فإنها بالنظر إلى تفصيلها ما لعطف جمع وإن كانت بالنظر إلى مفرده وهذا بخلاف ما يأتي في النحل لأن المحدث عنه هناك الماء وهنا ما ينشأ عنه فلما اختلف المحدث عنه كان الحديث بحسبه فالمعنى دلالات واضحات على أن ذلك كله فعل واحد مختار عليم قادر على ما يريد من ابتداء الخلق ثم تنويعه بعد ابتداعه فهو قادر على إعادته بطريق الأولى ولما كانت هذه المفصلة أظهر من تلك المجملة فكانت من الوضوح بحال لا يحتاج ناظره في الاعتبار بها إلى غير العقل قال **لقوم** أي ذوي قوة على ما يحاولونه **يعقلون** فإنه لا يمكن التعبير في وجه هذه الدلالة إلا بأن يقال هذه الحوادث السفلية صدرت بغير محدث فيقال للقائل دائرة لا عقل لك لأن العلم بافتقار الحادث إلى المحدث ضرورة فعدم العلم بالضروري يستلزم عدم العقل ولما ثبت قطعا بما تم من الدليل على عظيم قدرته بما أودعه من الغرائب في ملكوته الذي لا يقدر عليه ما سواه أن هذا إنما هو فعل واحد قهار مختار يوجد المعدوم ويفني ويبين ما تقتضي الطبائع إيجاده كان إنكار شيء من قدرته عجبا فقال عطفا على قوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون مشيرا إلى أنهم يقولون إن الوعد بالبعث سحر لا حقيقة له **وإن تعجب** أي يوما من الأيام أو ساعة من الدهر فاعجب من إنكارهم البعث **فعجب** عظيم لا تتناهى درجاته في العظم **قولهم** بعد ما رأوا من الآيات الباهرة والدلالات الناطقة بعظيم القدرة على كل شيء منكرين **أئذا كنا ترابا** واختلط التراب الذي تحولنا إليه بالتراب الأصلي فصار لا يتميز ثم كرروا التعجب والإنكار بالاستفهام ثانيا فقالوا **أئنا لفي خلق جديد** هذا قولهم بعد أن فصلنا من الآيات ما أوجب لهم بلقاء ربهم يوقنون وهذا الاستفهام الثاني معنا لما تضمن الأول بما فيه من معنى أتبعث والعجب تغير النفس بما خفي سببه عن العادة والجديد المقطوع إلى التكوين قبل التوسع في الإعمال وأصل الصفة القطع قال الرماني وقد قيل الأخير فيمن لا يتعجب من العجب وأذل منه من تعجب من غير عجب انتهى يعني أن الكفار تعجبوا من غير عجيب ومن تعجب من عجبهم فقد تعجب من العجب ولما كان هذا إنكار الخصوص من القدرة

احتجوا عليه ما يستحقوا من يطعن في ملك الملك فقال اولئك اي الذين جمعوا انواعا من البعد من كل خير الذين كفروا بربهم اي غطوا اكلما يجب اظهاره بسبب الاستهانة بالذي تفاضلهم ثم رباهم بانواع اللطف فاذا انكروا اعادتهم فقد انكروا ابتداءهم واولئك اي البعداء البغضاء الاغلال اي الحدايد التي تجمع ايدي الناس الاسرى الى اعناقهم ومنها الجوامع وتارة تكون في الاعناق فقط يجذب بها الناس ولما كان طرفا العنق غليظين فلا تكون احاطة الجامعة بها اذا كانت ضيقة الا بالوسط جعل الاعناق ظرفا باعتبار انها على بعض منها وذلك كناية عن ضيقها فقال في اعناقهم اي بكفرهم وان لم تكن الاغلال مشاهدة الان فهي لقدرة المهددة بها على الفعل كانها موجودة وهم منقادون لما قدر عليهم من اسبابها كانقياد المغلول لها الى ما يريد قايده والغل طوق تقيد به اليد في العنق واصله الخلل في الشيء اذا انتشب فيه وغل اذا خان بانتشابه في المال الحرام واولئك اي الذين لا خسارة اعظم من خسارتهم اصحاب النار ولما كانت الصحبة تقتضي الملازمة صرح بها فقال هم اي خاصة فيها اي مختصة لا يخلطها نعيم خالدون اي ثابت خلودهم دايما ولما تضمنت هذه الاية اثبات القدرة التامة مع ما سبق من ادلتها المحسوسة المشاهدة كان ايضا من العجب العجيب والنبا الغريب استهزاؤهم بها فقال معجبا منهم ويستعجلونك اي استهزاء وتعجيزا وتكذيبا والاستعجال طلب التعجيل وهو تقديم الشيء قبل وقته الذي يقدر له بالسيئة من العذاب المتوعد به من عذاب الدنيا وعذاب الاخرة جراة منهم تشير الى انهم لا يبالون بشيء منه ولا يوهن قولهم شيء قبل الحسنة من الخير الذي تبشرهم به والحال انه قد خلت ولما كان الحدث عنه انما كان في بعض الزمان ادخل الجار فقال من قبلهم المثلات جمع مثلة بفتح الميم وضم المثلثة كصدقة وصدقات سميت بذلك لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وهي العقوبات التي تجوز ان تزجر عن مثل ما وقعت لاجله في الامم الذين اتصلت بهم اخبارهم وخاطبتهم بعظيم ما اتفق لهم اثارهم وديارهم وما يؤخرهم الله الا استيفاء لاجالهم التي ضربها لهم مع قدرته التامة عليهم ولما كانوا ربما قالوا انا نرى التهديد لا يتحقق شيء منه فاكد لانكارهم واعتقادهم ان الاسراع والمضارة انما هي عادة الاذى عطفا على ما تقديره فان ربك حليم لا يخاف الفوت فلا يستعجل في الاخذ وان ربك اي المحسن اليك بجعلك نبي الرحمة لذو مغفرة اي عظيمة ثابتة للناس حال كونهم ظالمين متمكنين في الظلم مستعلين على ظلمهم وهو ايقاع الاشيا في غير مواضعها فلا يؤاخذهم بجميع ما كسبوا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة فلذلك يقيم الناس دهرا طويلا يكفرون ولا يعاقبون حلما منه سبحانه ولانه ستيده بانه النسا وليغفر ما دون ذلك لمن يشا وان لم تكن توبة فان التايب ليس على ظلمه ولما كان يمهل سبحانه ولا يهمل ذكر امهاله ذكرا ضخما مؤكدا المثل ما مضى فقال وان ربك الموجد لك المدبر لامرك بغاية الاحسان لشديد العقاب للكفار ولمن يشا من غيرهم فلذلك بالاخذ اخذ عزيز مقتدر اذا جاء الاجل الذي قدره ولما بين سبحانه انهم غطوا ايات ربهم المتفضل عليهم بتلك الايات وغيرها عجب منهم عجبا اخرى في طلبهم انزال الايات مع كونها متساوية الاقدام في الدلالة على الصانع وما له من صفات الكمال فعلم انكارهم وابتاءهم كانوا جديرين بالكفر بما ياتيهم فقال ويقول اي على سبيل الاستمرار الذين كفروا استهزاء بالقدرة لولا اي هلا ولم لا انزل اي بانزال اي كاين كان عليه اية حاصرين عنادا لما اتاه من الايات من ربه اي المحسن اليه تصديقا له ولما كان النبي عليه الصلاة والسلام راغبا في اجابة مقترحاتهم لشدة التفاته الى ايمانهم كان كانه سال في ذلك ليحصل لهم النجاة فاجيب بقوله تعالى معتمدا ما السياق له لانه لبيان ان الامر لا يؤمن انما انت منذر اي نبي منذر هاد لهم شديكم ببيان ما انزله عليك مما يوقع في الهلاك او يوصل الى النجاة سايرا فيهم على حسب ما اظهره لك واصل الانذار الاعلام بموضع المخافة لتتقى لا انك مثبت للايمان في الصدور ولكل قوم ممن ارسلنا اليهم نبي هاد اي داع يهديهم الى ما لديه ومنذر ينذرهم من مغاويهم اي يبين لهم ما ارسلناه به من النذارة والبشارة واعطي كل منذر وهاد ايات تليق به ويقومه على شكلها يؤمن البشر فيهدي الله من يعلم فيه قابلية الهدى بما نصب من الايات المشاهدات على مثلها يؤمن فلا يحتاج الى شيء من المقترحات ويضل من يعلم فيه دواعي الضلال ولو جاءته كل اية لانه الذي جبلهم على طبايع الخير والشر الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فهو كقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وكقوله في هذه السورة ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشا ويهدي اليه من اناب والاية من الاحتباك ذكر المنذر اولا يدل على حذفه ثانيا وذكر الهادي ثانيا دال على حذف مثله اولا ولما كان ما تقدم مشيرا الى العلم والقدرة ولاسيما ختم هذه بهاد وكان انكارهم للبعث انكارا للنشاة الاولى وكان سبحانه يعلم ان اجابتهم الى ما اقترحوا غير نافع لهم لانهم متعنتون لا مسترشدون شرع سبحانه بعد الاعراض عن اجابة مقترحاتهم يقرر من العالم المحسوسة لهم المتضمنة لامور من العلم والقدرة بما هو كالاعادة سوا اشارة منه تعالى الى ان انكار البعث ان كان لاستحالة الاعادة فهي مثل البداة وان كان لاستحالة تمييز التراب الذي كان منه الحيوان بعد اختلاطه بغيره وتفرق اجزايه فتمييز الما الذي

الذي يكون منه الولد من الما الذي لا يصلح لذلك اعجب لان الما اشد اختلاطا واخفى امتزاجا ومع ذلك فهو يعلمه فقال الله اي المحيط بكل شيء علما وقدرة يعلم اي علما قديما في الازل بما سيوجد وعلما يتجدد تعلقه بحسب حدوث الحادثات على الاستمرار ما تحمل اي الذي تحمله في رحمها كل انثى اي الما الذي يصلح لان يكون حملا وما تغيض اي تنقص الارحام من الما فتنشفه فيضمحل لعدم صلاحيته لان يكون منه ولد واصل الغيض كما قال الرماني ذهاب الماء في العمق الغامض وفعله متعد ولازم وما تزداد اي الارحام من الماء على الما الذي قدر لها لكونه حملا فيكون توءما فاكثر في جماع اخر بعد حمل الاول كما صرح بامكان ذلك ابن سينا وغيره من الاطبا وولدت في زماننا اتان حمارين ولغلك والزيادة ضم شيء الى المقدار وكثرته شيا فبعد شيء يتعدد ذلك فلا يكون اصرا بالزيادة ولا نقصانه وذلك كله يستلزم الحكمة فلذا ختمه بقوله وكل شيء اي من هذا وغيره من الايات المقترحات وغيرها عنده اي في قدرته وعلمه بمقدار في كيفيته وكميته لا يتجاوزه ولا يقصر عنه لانه عالم بكيفيته كل شيء وكميته على الوجه المفصل المبين فامتنع وقوع اللبس في تلك المعلومات وهو قادر على ما يريد منها فالاية تبيان لقوله تعالى الذين كفروا بربهم من حيث بين فيها تربيته لهم على الوجه الذي هم له شاهدون وبه معترفون ولما كان هذا غيبا وكان علمه مستلزما لعلم الشهادة وكان العلم المتصرح مرتبة لا تخفى صرح به على وجه كلي يعم تلك الجزئيات وغيرها فقال عالم الغيب وهو ما غاب عن كل مخلوق والشهادة قال الرماني الغيب كون الشيء بحيث يخفى عن الحس والشهادة كونه بحيث يظهر له ولما كان العلم في الحكمة لا يتم الا بكمال القدرة والعظمة قال الكبير اي الذي تتضاءل عنده كل ما فيه صفات تقتضي الكبر قال الامام ابو الحسن الحرالي الكبر ظهور التفاوت في ظاهر الامر وباطن القدر الذي لا يحتاج الى فكر ولذلك كان فطرة للخلق ان الله اكبر ولما كان لا ظاهر قدر للخلق لما عليهم من بادي الضرورات والحاجات المعلنة بصغر القدر ومن حاول منهم ان يكبر بسطوة او تسلط وفساد زاد صغار قدره بما اكتسب في اعين ارباب البصاير في الدنيا ويبدو ذلك لاسيما لعيون جميع الخلق في الاخرى يحشر المتكبرون يوم القيامة كامثال الذر يطاهم الناس باقدامهم فلذلك اختصاص معنى انه لا كبير الا الله انتهى المتعال اي الذي لا يدنو من اوج علوه في ذاته او صفته او فعل عال واخرجه بخروج التفاعل ليكون ادل على المعنى وابلغ فيه وقال ابو الحسن الحرالي والتعالي فوت التناول والمنال بحكم او حجة واشعر التفاعل بما يجري من توهم المختصمين في امره باوهام وحجج داحضة حجتهم داحضة عند ربهم فهو تعالى باذن في الاحتجاج والجدل ثم يتعالى بما له من الحجة البالغة قل فلله الحجة البالغة فهو المتعالي علما وحلما وحجة وحقيقة المتعالي الذي لا يتعالى الا هو انتهى والحاصل انه لما وصف نفسه بما تقدم اشار الى ان ذلك على ما تحتمله العقول فان الحق في وصفه الكبر المطلق والتعالي المطلق لان العقول لا تحتمل اكثر من ذلك ولما كانت العادة قاضية بتفاوت العلم بالنسبة الى السر والجهر والقدرة بالنسبة الى المتحفظ بالحرس وغيره اتبع ذلك سبحانه ما ينفي هذا الاحتمال عنه على وجه الشرح والبيان لاستوا الغيب والشهادة بالنسبة الى علمه فقال سواء منكم اي في علمه من اسر القول اي اخفى معناه في نفسه ومن جهر به في علمه وقدرته ومن هو مستخف اي موجد الخفا وطالب له اشد طلب بالليل في اخفى الاوقات فساذب او كامن فيه يظن ان ذلك الاستخفا ينجيه من القدرة ومن هو وسارب اي ذاهب على وجهه في الارض ومتوجه جار في توجهه الى قصده بسرعة بالنهار متجاهر بسره وبدنه فالاية من الاحتباك ذكر مستخف اولا دال على ضده ثانيا وذكر سارب ثانيا دال على ضده اولا وسلبه اولا له اي لله الذي المستخفي او السارب كما قال ابن عباس رضي الله عنهما معقبات اي اعوان وانصار يتناوبون في امره بان يخلف كل واحد منهم صاحبه ويكون بدلا منه ولما كان حفظ جهتي القدام والخلف يستلزم حفظ اليمين والشمال وكان يلي كلا من الجهتين من الحفظة على المخلوق يتعدد قال اتيانا بالجار من بين يديه اي من قدامه ومن خلفه واستانف بيان فايدة المعقبات فقال يحفظونه اي في زعمه من كل شيء يخشاه من امر الله اي الذي له الاحاطة الكاملة ولما دل هذا على غاية القدرة وجرت عادة المتمكنين من ملوك الارض بالتعدي على جيرانهم واستلاب ممالكهم والعسف في شانهم زيادة في المكنة وتوسعا في الملك ولاسيما اذا كان ذلك الجار ظالما مع ضعفه وعجزه ان يحفظه مانع من اخذه اخبر تعالى من كانه سال عن ذلك انه على غير هذا لغناه عنه فقال ان الله اي الذي له الكمال كله لا يغير ما بقوم اي خيرا كان او شرا حتى يغيروا ما اي الذي بانفسهم مما كانوا يتلبسون به من التحلي بالاعمال الصالحة والتخلي من اخلاق المفسدين فاذا غيروا ذلك غيره كما اذا ارادوا وان كانوا في غاية القوة ولما كان ملوك الدنيا لا يتمكنون غالبا من جميع مرادهم لكثرة المعارضين من الامثال الصالحين للملك قال تعالى عاطفا على ما تقديره فاذا غيروا ما بانفسهم انزل بهم السوء واذا اراد الله اي الذي له صفات الكمال بقوم اي وان كانوا في غاية القوة سوءا فلا مرد له من احد سواه وقد تقدم لهذه الاية في الانفال

مزيد وبيان ولما كان على احد دونه في الرتبة لا امكان لهان يقوم مقامه بوجه قال وما لهم وبين سفول الرتب كلما
عن رتبته فقال من دونه واغرق في النفي فقال من ولما كان السياق ظاهرا في انه لا منقذ لهم مما اراده اي بصيغة
فاعل منصوص اشارة الى نفي ادنى وجوه الولاية فكيف بما فوقها فقال وال اي ملجا يعيذهم بان يفعل معهم من الاعجاز والنصرة
ما يفعل القريب مع ولد الاقرب اليه ثم اخبر تعالى بامر هو من ادلة ما قبله جامع للعلم والقدرة وهو الطف من ذلك كله
معلم بجليل القدرة في انه اذا اراد سوا فلا مرد له ودقيق الحكمة لانه مظهر واحد ترجى منه النعمة وتخشى منه
النقمة فقال هو اي وحده الذي يريكم اي على سبيل التجديد دايما البرق وهو لمع كعمود النار خوفا اي لاجل
ارادة الخوف من قدرته على جعله صواعق مهلكة والخوف انزعاج النفس بتوهم وقوع الضر ولما لم يكن لهم تسبب في
انزال المطر لم يعتبر بالرجا وقال وطمعا اي ولاجل ارادة طمعه في رحمته بان يكون غيثا نافعا ولا بد من هذا التقدير
ليكونا فعل فاعل الفعل المعلل ويجوز ان يكون المعنى يريكم ذلك اخافة واطماعا فتخافون خوفا وتطمعون طمعا فتكون
الاية من الاحتباك فعل الاراءة دال على الاخافة والاطماع والخوف والطمع دالان على تخافون وتطمعون ويجوز
ان يكونا حالين من ضمير المخاطبين اي ذوي خوف وطمع وينشئ والانشا فعل الشي من غير سبب مولد السحاب
وهو غيم ينسحب في السما وهو اسم جنس جمعي واحده سحابة الثقال بالماء للما محمولة في الهوى على متن الريح والثقل
الاعتماد على جهة السفل بكثافة الاجزا ويسبح الرعد اي ينزه عن صفات النقص تنزيها ملتبسا بحمده اي بوصفه
بصفات الكمال وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرعد ملك وان لم يصح انه ملك فتسبيحه دلالة على انه
موجد محكم منزه عن النقص محيط باوصاف الكمال والملائكة اي تسبح من خيفته قال الرماني والخيفة متضمنة
بالحال كقولك الا هو ركبة اي حال من الركوب حسنة ولذا لاهو خيفة شديدة والخوف مصدر غير متضمن بالحال
ويرسل الصواعق المحرقة الحرقة من تلك السحايب المسحوبة بالمياه المغرقة والصاعقة قال الرازي نار لطيفة
تسقط من السما بحال هايلة فيصيب بها اي الصواعق من يشا كما اصاب بها اربد بن ربيعة وهم اي والحال انهم مع ذلك
الذي تقدم من احاطة علمه وكمال قدرته يجادلون والجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج في الله اي الملك
الاعظم بما يؤدي الى الشك في قدرته وعلمه ولما كان لا يغني من قصده ما لعذاب شي قال وهو شديد المحال
لان المحال الكتاب الكيد وروم الامر بالحيل والتدبير والمكر والقدرة والجدال والعذاب والعقاب والعداوة
والمعاداة والقوة والشدة والهلاك والاهلاك ياتي اعداه بما يريد من انزال العذاب بهم من حيث لا يحتسبون
وكلها صالح هنا حقيقة او مجازا وقال الرماني والمحال الاخذ بالعقاب من قولهم ماحلت فلانا اذا فتلته الى الهلكة
انتهى ومادة محل بجميع تقاليبها تدور على حرف الشي على وجهه وعادته ما تقتضيه جبلته وذلك يستلزم القدرة والقوة
والشدة فالحامل يمسك المحمول بقوته عن ان يهوي الى جهة السفل والحملة الكرة في الحرب ويلزم الحمل المشقة ومنه
حمل الشي وحمل عليه اي حلم فهو حمول ذو حلم والحميل كامير الدعي والغريب كانهما محمولان لحاجتهما الى ذلك والكفيل لانه
حامل لكل المكفول واحتمل لونه للمفعول غضب وامتنع كان التغضب غيره كان من عادته والمحمل كمجلس للمراة يعزف
لبنها من غير حبل لان ذلك دني على غير وجهه والحمل محركا لسهولة حمله والحمول والحليم من يحبس غيظه بقوة حلم اكد
عقله عن ان يستخفه الغضب والحلم بالكسر الاناة والعقل والحلم بالضم وبضمتين الرويا لانها حرى النفس عما
هي عليه وهو من شانها من الغفلة ومنه الحلم بالضم الاحتلام للجماع في النوم ولاسم الحلم كعنق وذلك لا يكون غالبا عند
فراغ البال عن الهموم والبرموج حلم الدال بالضم سمن والاولى الصبي وغيره اقبل شحمه او هو من الحلمة محركة للحمة النابتة
وسط الثدي كالثؤلول لحرفها لون الثدي وهيئته عما كان عليه وشجر السعدان لانه مرعى جيد يسمن والصغيرة من القردان
او الضخمة لشبهها بحلمة الثدي ودود يقع في الجلد فيأكله لان ذلك يغيره عن هيئته والحالوم ضرب
من الاقط لانه خرافته لغير اللبان ودم حلام هدر لانه خرج عما عليه عادة الدما والملح بعرف المملوح عن الفساد واما
المال الملح فتشبه به في الطعم وكذا الملح محركا للون كالبياض يخالطه سواد والمماحجره سقط ورقها شبهت
بارض الملح في عدم الانبات والماعرف المحل ما لصداه شبه به العلم فسمي محلا وللاء الرضاع والحسن والنحو والسمن
والحرمة والذمام وخفقان الطاير بجناحيه يصلح بذلك طيرانه ويملح به استوا البدو مله الشاة سمنها
والملاح ككتاب الريح تجري بها السفينة وهي بضاعة فقاعا تقتضي طلعها من عدم الستر ومعالجة حبال الناقة
منه وملحه على ركبتيه اي كلا وفاله لان الملح لا ينبت هنالك او هو سمين او صديد في غضبه بمعنى انه لا يصلح وله
وملحة اعتابه شبه بمن يتطعم الملح ليعدل من لحمه وكذا الملاح ككتاب وهو صوت الجنوب عقب الشمال وكذا الملاح
كغرابي وقد يشدد وهو عنب ابيض طويل ونوع من التين ومن الاراك ما فيه بياض وحمرة والملح بضم الميم وفتح

وفتح اللام من الاحاديث وامتلح خلط كذبا بحق والملح محركا ورمن في عرقوب الفرس صرفه عن هيئته المعتادة والملا
كمكنات سنان الريح لتهيئته له بعد الوقوف للنفوذ والسترة لصرفها البصر عن النفوذ الى ما وراها وبرود الارض حين
ينزل الغيث لانه يصرف حالها التي كانت عليها الى اخرى والملحمة بالعلم المهابة لصرفها المجترئ عن قصده ولان سببها
صرف النفس عن هواها والملحا الكتيبة العظيمة ومنه البركة لمنعها الماشي عن حاله في المشي ومنه الملحمة بالفتح
للجهة البحر وملحان الكانون الثاني لصرفه بقوة برده الزمان عما كان عليه والناس عما كانوا عليه والملحا لحم في الصلب
من الكاهل الى العجز لمنعه من دوية عظام الصلب ورؤس الاصلاع والمحل صرف ما في الزمان عن عادته لعدم المطر
والانبات ورفاهة العيش وكذا المحل للكيد والمكر والغبار والشدة والمحال لما تقدم من تفسيره ومنه ماحله
فاواه والمتماحل الطويل المضطرب الخلق لخروجه عن العادة ويحل له احتال والمحل كمعظم من اللبن الاخذ لطعم
حموضة والمحالة البكرة العظيمة لصرفها بفتلها الشي عن وجهه والفقرة من فقر البعير لمشابهتها والخشبة
التي يستقر عليها الطيانون لحملها اياهم ومنعها لهم من السقوط والحل كالكتف من طول حتى اعيى لانه صرف عما كان من
عادته ورايته متماحلا متغيرا البدن واللحم صرف البصر عما كان عليه ولحا البرق لمع بعد كمونه واللحم من لحمة الثوب
بالضم كانه سد ما حصل بالهزال من فرج ومنه لحم كل شي لبه ولحم الامر كمنع احكمه والصائغ الفضة الصقها ولذا اكل صدع
ولحم كعلم نشب في المكان كانه وقع فيما يشبه اللحم فالتصق به فا وطلب شغله وهذا الحيم هذا اي وفقه وشكله وهو
يرجع الى لحمة الثوب والتلحم الطريق المتسع كانه طلب ما يلحمه اي يسده وجبل متلاحم ضيق لحا شديد العقل لانه
سدة فرجه كما تسد المتعوج الثوب ونبي الملحمة من القتال لانه ضرب اللحم بالسيف ومن التالف كما يكون عن لحمة
الثوب لان غاية قتاله صلى الله عليه وسلم اعظم جبر والفة والتحم الجرح للبرء التام من ذلك ومن اللحم ايضا لانه
به التام ولما بين تعالى تصديقا لقوله وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ما له
من الايات التابعة لصفات الكمال التي منها التنزه عما لا يليق بالجلال وانه شديد المحال شرع يبين ضلالهم
في اشراكهم المشار اليه في قوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون بما هو علة ختم ما قبلها من انه لا كفؤ له فقال
له اي الله دعوة الحق ان دعاه احد سمعه فاجابه ان شا بما يشا او ان دعا هو احدا دعوة امر بين الصواب بما يكشف
الارتياب او دعوة حكم لبى مسارعا واجاب والذين يدعون اي يدعوا الكافرون وبين سفول رتبتهم بقوله من دونه
اي الله لا يستجيبون اي لا يوجدون الاجابة لهم اي الكافرين بشي والاستجابة متابعة الداعي فيما دعا اليه بموافقة
ارادته الا كاستجابة اي الاجابة كاجابة الماء الباسط كفيه تثنية كف وهو موضع القبض من اليد واصله من كفه
اذا جمع اطرافه الى الماء ليبلغ اي الماء فاه دون ان يصل كفاه الى الماء بادلك عليه التعدية بالى فما الماء بحيث
في بلوغ فيه وما دعا وهو مظهر التمنيا وتعليقا وما هو وما هو اي الماء ببالغه اي فيه فكذا الكافرون بل لا دعوة الباطل كما
ان الماء لا يحس بدعوة هذا فلا يجيبه فاصنامهم كذلك ولما كان دعاوهم وهو صرحا في الباطل قال لي موضع وما
دعاوهم مظهرا للنعيم وتعليقا للحكم بالوصف وما دعا الكافرين اي الساترين لما دلت عليه انوار عقولهم معبودا
او غيرها الا في ضلال لانه لا يجيبهم فعبادة ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا والله لا يجيبهم لتضييعهم الاساس ولما
كانت دعوة الامر واضحة السبل جلية المنار في جميع كتبه وكلها الى الناظرين وبين دعوة الحكم بقوله ولله اي الملك
الاعلى يسجد اي يخضع وينقاد ويتذلل كاين عند قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك من في السموات والارض
بجميع احكامه النافذة واقضيته الجارية طوعا والطوع الانقياد للامر الذي يدعى اليه من قبل النفس وكرها
قال الرازي والكافر في حكم الساجد وان اباه لما به من الحاجة الداعية الى الخضوع واعلم ان السجود كل صنف
بحسب ما لله يوتسخيره وانقياده لما اريد له وكل موجود جماد وحيوان عاقل وغير عاقل وحاني وغير ذي حاني
مسخر لامر من الخلق والامر وقال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح المهذب اصله اي السجود الخضوع ولما كانت
الظلال مسخرة لما اراد منها سبحانه لا قدرة لها على تغيير ذلك بوجه قال وظلالهم اي ايضا تسجد بامتدادها على الارض
تقصر تارة بارتفاع الشمس وتطول اخرى بانحطاطها لا يقدرون على منع ظلاله لهم من ذلك حيث يكون لهم ظلال وذلك
بالغدو جمع غداة وهي البكرة اول النهار والاصال جمع اصيل اي في جميع البلاد ووسط النهار في بعض البلاد
والظل ستر الشخص ما بازائه والفي الذي يرجع بعد ذهاب ضوئه والاصيل العشي ما بين العصر الى المغرب كانه اصل
الليل الذي ينشا منه ومادة صلة واوية ويائية بمهموزة وغير مهموزة بتراكيبها الاحد عشر وهي صلو وصول ولصو
لوص وصل صلي صيل لصي ليص اصل صلا تدور على الوصلة فالصلاة وصلة بين العبد وربه سوا كانت دعا او
استغفارا ورحمة او حسن الثنا من الله على رسوله او ذات الاركان وصلوات اليهود لمتعبدهم من ذلك والاصل

والصلاة وسطا لظهر او من كل ذي اربع او ما انحدر من الوركين او الفرجة بين الجاعرة والذنب ويجوز ان يكون من ذلك
لانه يقرب من غيره من الاعضاء اذا انثنى الحيوان ويجوز ان يكون شبهه بالعود المعوج الذي يقوم باصلابه النار واصلت
الناقة وصلت اذا استرخى صلواها لقرب نتاجها والمصلي من خيل المصلي الذي يجيء على اثر السابق فانه يواصله ولي
الحمار اتنه اي طردها ونحاها الطريق فكانه بذلك نوكها بعد ان كانت معوجة او اراد مواصلتها او من الرجل صولة
اذا قابلها العير اذا حمل على العانة فسلها وصل لي فعل كذا وثب وصاوله واثبه والتصويل اخراجك الشيء بالماء
لان ذلك سبب الخلوص اذا اختلط شيء بتواصلت اجزاءه لان ذلك الجزء كان حائلا بينها والتصويل ايضا كنس نواحي
البيدر لانه سبب لتواصل ما كان متفرقا ومن ذلك المصول كمنبر لشيء ينقع فيه الحنظل لتذهب مرارته
ولعلها المكنسة والصيلة بالكسر عقدة العذبة لتواصل تحل العقد بعضه ببعض وبه يتماسك اتصال بعض العمامة
ببعض والجواد يصول في مشواه من التصويل اي يساط بمعنى يخلط بالتقلب فيتواصل منه ما كان متفرقا وصا العبل لغة
في يصول وصيل له كذا بالكسر فيض واتيح لانه صار مقارنا له ولصوت الرمل عينه وقد فنه لانك وصلت به العيب
وفلان لا يلصو الى ريبة لا ينضم اليها ولا ينضاف واللوص اللحم من ظلل بابه ونحوه كالملاوصة كانه وصله بالنظر من موضع
غير معهود او لانه سبب لوصله الى ما يراد ولا من نظر كانه يحتال لمن دمراما والشجرة اراد ان يقطعها بالفاس فلاوص
في نظره يمنة ويسرة كيف يأتيها وكيف يضربها لان ما حصل ذلك الا المواصلة على وجه الشدة كما تقدم في وصا العلية وتلوص
طوى وتغلب ومنه الميصل في دعش والاصة على الشيء اداره واراده منه كانه طلب منه مواصلته والكوامن كسحاب
الفالوذ كالملوص كمحظم والعسل الصافي لانه اهل للمواصلة ولوص اكل واللوص وجع الاذن والنحر واللوصة وجع الظهر
كانه لشدته لا مواصل للبدن سواه ولا صوجاد اي سلبا لوصلة والوصلة التي هي مدار المادة وكانها الحقيقة
التي تشعبت منها فروعها هي الضم وهي التئام الشيء بالشيء وكل ما اتصل بشيء فالذي بينهما وصلة وضدها الفرقة
والوصل ضد القطع والاوصال المفاصل ومجتمع العظام لانها موضع اتصال العظم بالاخر والوصلاني بالكسر
والضم طبقا الظهر ويقال لهما العجز والفخذ والوصيلة الشاة تلد ذكرا ثم مثلا انثى فتصل اخاها وفيها خلاف ف
كثير كله يدور على الوصلة ووصل الشيء بالشيء لامه ووصل الشيء والى الشيء بلغه وانتهى اليه واتصل به واوصله
واتصل لم ينقطع ووصله وواصله كلاهما يكون في عفاف الحب ودعارته والوصائل جمع وصيلة لثياب
حمر مخططة يمنية يتخذها الناس دروعا يشق من جانبيها كانها لا نفا توصل بغيرها او يقطع لغيرها ثم يوصل بعد التفصيل
درعا والوصيلة العمارة والخصب والرفقة والسيف لان ذلك اهل لان يوصل والوصيلة كبينة الغزل الشديدة
التباس بعضها ببعض والارض الواسعة لان اتصالها لم يحل بينها جبال وليلة الوصل اخر ليالي الشهر لانها
تصل بين الشهرين وحروف الوصل الذي بعد حروف الروي لانه وصل حركة حرف الروي ووصل لامن يقول ويخرج
معك ويفصل بين بلاد هذيل واتصل الرجل اذا انتسب لانه وصل نفسه ممن انتسب اليهم والموصول وابنه
كالمدبر وتلسع الناس كانه من السلب وصليت اللحم شويته لانك وصلته بالنار ووصلته القيته في النار
للاحراق والهلاك كصلسا السوا والنار كالصلي فيها وكان منه صلا عصاه على النار اداها ليقومها لان كلا منها
وصله بالنار للاصلاح اصليته النار ادخلته النار اياها واتويته فيها وصلي بها بالنار سخنها لانه وصلها بالنار
وصلي النار كرضي قاسي حرها وصليت فلانا داريته وخاتلته وخادعته كل ذلك لارادة مواصلته لامر والهلاك
وتمكن الجبهة لكثرة مباشرتها الارض في الصلاة ومدق الطيب لمواصلة الدق وصليت للصيد نصبت له شركا اذا انصبت
له شركا ليقع فيه فتصل اليه ومنه الحديث ان للشيطان مصالي وفخوخا مصلاة وفخ والصليان بكسر ثم تشديد
قال في مختصر العين نبت معروف وقال القزاز هو ان يضيفه الى ريبة ولصي اليه انضم اليه لريبة ولاص
يلتقط جاد ولعينه البصر والصيد اذا ازعجته وحركته لتنزعه كانه من السلب والصيد عن لذا اذا اراد وحده
عنه يكن ان يكون سلبا وان يكون ايجابا والاصل اسفل كل شيء لان جميع الاشياء واصلة اليه واصل ككرم صار
ذا اصل والعاقب الثابت الرأي وقد اصل ككرم كانه اجتثه من اصله ومنه الاصيل للهلاك والموت كالاصيلة
والاصيل العشي لانه اوصلة ما بين النهار والليل ولانها اذن بتصرم النهار كانه اجتثه من اصله ومنه الاصيل
للهلاك والموت كالاصيلة فيهما ولقيتهم موصلا اي بالاصيل واخذ ما صلة محركا واصيلته اي كله باصله واصيلاك
جمع مالك او نخلك والاصل كتعتعا لمستاصل واصله علما قتله كانه دام مواصلته حتى اتقنه والاصلة محركة
حية قصيرة تساور الانسان قاله في مختصر العين وفي القاموس حية صغيرة او عظيمة تهلك بنفخها فان نظرت الى
المساورة فهو من المواصلة كما تقدم في صال عليه وان نظرت الى الهلاك فهو من الاستيصال كاصل المأكول

كون اسن من حماة واللحم تغير ويجوز ان يكون من الرملة اي لشدة مواصلة الحماة للما والهوا اللحم وان يكون من الاصيل
اي الهلاك بجملته واصله وان يكون من سلب المواصلة وصول العبير ككرم صار له وا ثب الناس من وصال ويقتل
الناس في بعد وعليهم وصئل الفرس صهيله لمواصلته نغما نه هذا وقد مضى عند قوله تعالى في سورة هود وعليه اللهم
اصلواتك تامرك اشارة المعهد انما تبين قطعا انه سبحانه المدبر للسموات والارض القاهر لمن فيهما تبين قطعا
انه المختص بربوبيتها فامره تعالى ان يوجه السؤال اليهم عن ذلك ردا على عبدة الاصنام وغيرهم من الملحدين بقوله
قل اي بعد ان اقمت هذه الادلة القاطعة منكرا لهم من رب اي موجد ومدبر السموات والارض اي وكل ما فيهما ولما
مضى في غير آية انهم معترفون بربوبيته بتوفيقه وتخلقه ورزقه لم يدعهم ذلك عن الاشراك جعلوا هنا كانهم
سيكرون لذلك الاعتداد فلم ينتظر جوابهم امره ان يجيبهم بما يجيبون به اشارة الى انهم لا يتحاشون من التناقض
في اتباع الهوى ولا تصوكم عقولهم الجليلة وارادهم الاصيلة بزعمهم عن التساقط في مهاوي الردى فقال
قل الله اي الذي له الامر كله فثبت حينئذ ان لا اله الا هو فتسبب عن انفراده بربوبيتكم ان او جد ثم الاخذ
بغاية الرغبة فسببتم الاخذ الاشراك عما يجب ان يكون سبب لتوحيده بين سفول وتبكتهم بقوله قل افاتخذتم
لايسا وتكم في التسبب في الضر والنفع بل من دونه اولياء تكيف بقولهم بغيرهم نفعا وتكره ليعم وقدمه لان السياق ق
لطلبهم منهم والانسان انما يطلب ما ينفعه ولما كان من المعلوم انه لا قدرة لاحد على ان يوثر في اجراء الا يقدر
على مثله في نفسه قال ولا ضرا فثبت ان من سواهم باساضل لضالين لانه يلزمه ان يسوى بين المتضادات
فكان معنى قوله قل هل يستوي والاستوا استمداد الشيء في جهة واحدة الاعمى في عينه او في قلبه والبصير لذلك ام هل
تستوي بوجه من الوجوه الظلمات والنور هل ادكم عقولهم الى ان سووا بين هذا المتضادات الشديدة ٥
الظهور لغباوة او عنادا حتى سووا بين الخالق بمن لا يخلق فجعلوا له شريكا لذلك الغباوة او عنادا ام جعلوا لله
اي الذي له مجامع العظمة شركا ثم بين ما يمكن ان يكون به الشبهة فقال واصفا لهم خلقوا كخلقه وسبعنو ذلك
بقوله فتشابه والتشابه التشاكل بما يلتبس حتى لا يفصل فيه بين احد الشيئين والاخر الخلق عليهم فكان ذلك الخلق
الذي خلقه الشركا سبب غرور من شبهة لهم وساق ذلك في اسلوب الغيبة اعلاما بانهم اهل للاعراض عنهم لكونهم
في عداد البهائم لقولهم ما لا يعقل بوجه من الوجوه وهذا اقرب مما ياتي قريبا في قوله تعالى ام بظاهر من القول
اي بشبهة يكون فيها نوع ظهور لبعض الاذهان ولما كان من المعلوم قطعا ان جوابهم ان الخلق كله لله ولم ينعهم
ذلك من تاله سواه امره ان يجيبهم معرضا عن جوابهم بقوله قل الله اي الملك الاعلى خالق كل شيء اشارة الى
انهم في احوالهم كالمنكر لذلك عنادا وخرقا لسياج الحيا وهتكا لجلباب الصيانة وادفع ثبت انه المنفرد بالخلق وجب
ان ينفرد بالتاله فقال وهو الواحد الذي لا يجانسه شيء وكل ما سواه لا يخلو عن مجانس يماثله وان رتبته من
يماثل من رتبته من لا مثل له القهار الذي كل شيء تحت قهره بانفسهم وظلالهم وهو القادر بما لا يمكن ان يغلبه غالب
وهو لكل شيء غالب هذا اشارة كما مضى في مثله غير مرة في سورة يوسف وغيرها الى برهان التمانع فان اربابهم متعددون ن
فلو كانت لهم حياة وكانوا متصرفين في الملك لامكن بينهم تمانع وكان كل منهم معرضا ان يكون مقهورا لكنهم جماد فثبت
قطعا انه لا شيء منهم يصلح لله لهية على تقدير من التقادير قال الرماني والواحد على وجهين شيء لا ينقسم وشيء لا
ينقسم في معنى كالدينار ولما كان حمل المعاني المعقولة لا يمكن الا من قهر وا تراه في وقت دون غيره لذلك التابع هذا
الختم قوله دليله مشاهدا عليه انزل ولما كان الانزال قد ينحو زبه عن ايجاد ما يعظم ايجاده حقق امره بقوله
من السما ولما كان المنزل منه انواعا شتى قال ما فسالت اي فتسبب عن انزاله بكثرته ان سالت اودية اي مياهها
منها الكبير والصغير والوادي شعب الجبل العظيم الذي يقابله جبل او تل فيجتمع فيه المطر فيجري في قضابه ومنه
اضيفت الدية لجمع المال العظيم الذي يودي عن القتيل بقدرها والقدر اقتران الشيء بغيره من غير زيادة ولا نقصان
فالمعنى ان المياه ملأت الاودية مع ما في ذلك من الدلالة على التفرد بالربوبية مما هو مثال للحق والباطل وهو قوله
فاحتمل والاحتمال رفع الشيء على الظهر بقوة الحامل له السيل وهو ما المطر الجاري اسفل الوادي بعظم زبدا رابيا
اي عاليا بانتفاخه والزبد الرغوة التي تعلو الماء ومدار المادة على الخفة ويلزمها العلو ومنه زبد البحر والبعير
للرغوة الخارجة من شدقه والغضبان وزبدت المرأة القطن اذا نفشته والزيادة كرمان ضرب من النبت تنفرش اغصانا له
وشاة مزبدة اي سمينة ومنه الزبا والطيب لمع وقد هو وسخ يشبه الرغوة يجتمع تحت ذنب نوع من السنانير
ومنه الزبد بضم وسكون لخالص اللبن فانه اخف ما يقال منه زبدت فلانا ازبده اذا اطعمته الزبد ثم اتسع
فيه حتى قيل لمطلق العطية ومنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن زبد المشركين ومنه الزرب بكسر ثم سكون وهو

وهو النصيب ويمكن ان يكون من زبد اللبن اى الزبد للنبت فانه من عرعر ناجح كانه شبه به ولانه شبهه وكذا اشاة من زبدة
اى سمينة ويلزم الخفة الاسراع بعالية تزيد اليمين اذا اسرع اليها والهاشبت بالزبد فى سهولة التقامه ولما كان الزبد
احسن شئ لعبوديتهم وكان لاخفى … الذى هو ابلغ بطيعه يعم الاوضار والاقذار تجريه ذكر معه ما يشبهه فى النفع
الجواهر الاصلية التى تزيد عند الاذابة مع كونها فى حال الجمود فى غاية الصفا والخلوص عن الشوائب على ما يظهر فقال
ومما توقدون اى ايقادا مستعليا عليه اى للاذابة فى النار من المعادن استعلية تخلصون من الاوساخ والخلائق
ونحوهما ابتغاء متاع تتمتعون به من الدراهم والدنانير والسيوف والاوانى واصل المتاع التمتع الحاصل هذا انقسم
طاهر لانواع الفلز المنوع … الابهام اظهار التهاون بعد ان تنافس الناس فيه كما هو شأن المخلوق يظهرون الجد
والخيار … زبد مثله اى مثل زبد الماء … ويعلق باطراف الاناء فيذهب
وسبق ذلك الجوهر خالصا كالحق اذا التبعة الشكوك والترهات الشبه ولما كان هذا فى غاية الحسن والاخذ بالقلب
المقصود كان سامعه جديرا بان يهتز فيقول هذا مثال بديع … فاجيب
بقوله كذلك اى مثل هذا الضرب العجيب … يضرب الله اى الذى له الامر كله الحق والباطل
اى مثلهما وضرب المثل تسييره فى البلاد … شرح فى شرحه فقال
مبتدئا بما هو الاهم فى هذا المقام وهو ابطال الباطل الذى ضل به وهو بتعقيبه على طريق النشر المشوش فقال
فاما الزبد اى الذى هو مثل الباطل المطلق فيذهب متعلقا … لانه … ويخففه و… تعلق
بالاشياء الكثيفة … جفاء قال ابو حيان … الانبار
… جفات الرجل صرعته … الباطل من الشكوك والشبه وما
اثاره اصل الفساد … جال جولة … لم يتحقق … وقال
الزمانى والخطابى … وامّا ما ينفع الناس منهما … فيمكث فى الارض
ينتفع الناس بالماء الذى به حياة كل شئ … مثل القران لانه من حياة القلوب
وكذلك الشرع … العيش وتنظيم المعاملات المقتضية لاختلاط بعض الناس
ببعض … على قدر وسعة القلب وضيقه وبحسب
الطهارة وقوة الناهمة ولما انتقى هذا المثل على هذا البيان الذى يحجزونه الثقلان لانه احسن شئ معنى واوجز
عبارة واوضح دلالة كان كانه قيل هل يبين كل شئ هذا البيان فقيل نعم كذلك اى مثل هذا الضرب يضرب الله اى الذى
له الاحاطة الكاملة علما وقدرة الامثال فيجعلها فى غاية الوضوح وان كانت فى غاية الغموض ومادة جفا واوية وبائية
مهموزة وغير مهموزة بكل ترتب وهى جفا جاف نجا جفى جيف فيج جفو جوف فوج نجو وجف تدور على الطرح جفاء
الوادى والقدر رميا ما لجفا اى لزبد وجفا القدر والوادى مثل غثاه فطرحه وجفاه صرعه والبرمة فى القصعة
كفاها اى طرح ما فيها والباب اغلقه وفتحه ضد لانه فى كليهما كالمرمى به والبقل قلعه من اصله والجفاء كغراب
الباطل لانه اهل للقذف به والطرح والسفينة الخالية لانها بعرض قذف الما لها والجفا ماشية اتعبها بالسير ولم
يعلفها اى تركها سيرا كانه يقذف لها وجفا به طرحه وجفات البلاد ذهب خيرها فكانت كالطارحة له او صارت
هى اهلا لان تطرح وتبعد والعام جفات ابلنا وهو ان يلم اكثرها لانها طرحت اجنتها ومن بابه جنبته اجنبته
صرعته والجفاية بالضم السفينة الفارغة والجفى المجفو ومن واوية جفاء الشئ يجفوا اذا لم يلزم مكانه كانه
فصل من مكانه فطرح به والجفا والجفوة ترك الصلة ولجتنيته ازلته عن مكانه وجفا عليه ذا اثقل فصار
اهلا للطرح والانفصال منه ورجل جافى الخلقة والخلق كز غليظ لان السواد اغلظ لم يلتصق التصاق اللطيف
ولجفا الماشية اتعبها ولم يدعها تاكل وفيه جفوة اى هو جاف فان كان مجفوا قيل به جفوة ومن مقلوبه مهموز
جافه صرعه وذعره اى قذف فى قلبه رعبا والشجرة قلعها من اصلها والجاف كشداد الصياح كانه يقذف بصوته
ورجل مجاف لا ثبات له كانه يقذف به من مكانه والجوف الجائع والمذعور كانه من الجوف وانما ضمنت واوه
الاولى لانضمامها مع انه يمكن تنزيله على انه قذف فيه ذلك ومن بابه الجيفة جثة الميت وقد اراح والجياف
كشداد النباش وجافت تجيف انتنت فصارت متهيئة للطرح والتغيب وجيفه ضربه اداه اهلا للبعد وجيف
اى فزع وانزع اى طرح فى قلبه رعب فصار لا تسعه ارض بل يقذف بنفسه من مكان الى اخر ومن واوية الجوف
المطمئن من الارض لانه يسع ما يطرح فيه ويمسكه ومما طرح من الجبال من شئ استقر به والجوف منك بطنك
لاقتناده المطروح الغذائية واهل الاغوار يسمون نسطا حبطا عما لهم الاجواف لطرح انفسهم واستحيتهم فيها

فيها وجوف الليل وسطه لتشبيهه بالجوف والاجوفان البطن والفرج والجوف بحركة السعة والجوفاء من الدلاء الواسعة ومن القنا والشجر
الفارغة والجائفة جراحة تبلغ الجوف وتلعه جايفة قعيرة لانها لعمقها بالجوف اشبه منها بالجبل وجوائف النفس ما يعقر من الجوف
فى ستارا الروم والجوف كمعظم من لا قلب له كان قلبه طرح من جوفه فصار خاليا والجوفان بالفتح ابر الحمار لسعة جوفه ولجفت
الباب رددته كانه من السلب لانك سددت جوف البيت او انه شبه الاغلاق بطرح الباب ومن مقلوبه مهموز الجئة الاثر
كسمعة ومنعة لجم علته من غير ان يشعر به كانه قذف به اليه وجئت الناقة كفرح عظم بطنها لانه قذف فيه بشئ وفجأ كمنع جاء
لانه طرحها وطرح نفسه عليها والمفاجئ الاسد لانه يخرج بغتة فيثب من غير توقف ومن مقلوبه واويا الفجوة المتسع من الارض
والفرجة لتهيئوهما لما يطرح فيهما والفجوة ايضا ساحة الدار وما بين حوالى الحوار اى قياسها ومياسرها وفجاء قوسه رفع وترها عن
كبدها فهى فجوا وفجاها به فتحه فصار كالجوف والفجا تباعد ما بين الركبتين او الفخذين او الساقين او ع وفى البعير فجى كرضى وهو
افجاء وعظم بطن الناقة والفعل كالفعل والتفجية الكشف لانك طرحت الغطاء والبجئة الكشف ايضا التنحية وهو واضحة
فى الطرح والفجو سعة النفقة على عياله كانه يقذف لها قذفا ومن مقلوبه بائيا افاج الرجل اذا اسرع ومنه الفيج لرسول
السلطان على رجله كانه لسرعته يطرح به فى الارض هذا هو الصحيح الذى صححه صاحب العباب لانه معرب پيك وقيل انه وادى
اصله فيرج ثم قيل فيوج فيج ككيس ثم خفف وجمعه فيوج وقيل الفيوج الذين يدخلون السجن ويخرجون ويحرسون وافاج فى
الارض ذهب القوم ذهبوا وانتشروا كانه قذف بهم والفيج الواحد المطمئن من الارض لانه موضع لطرح ما فى الاعالى ومن
مقلوبه واويا الفوج الجماعة كانهم اختطفوا من الجمهور فقذف بهم وفاج المسك فاح وسطع اى تكسرت رائحته والنهار
برد اما بمعنى طرح برده على ما فيه واما لاحواجه الحيوان الى ان يطرح عليه ما يدفيه وافاج اسرع عدا وارسل الابل على الحوض
قطعة والفائج البساط الواسع من الارض لتهيئوه لما يطرح فيه من تسمية المحل باسم الحال وافاج فى عدوه ابطا فهو للسلب
وفاجت الناقة برجلها نفحت كانها من غلها والفايجة متسع ما بين كل مرتفعين كانه محل طرح ما بين اليهما ومن مقلوبه وجف
يجف وجفا اضطرب والوجيف ضرب من سير الابل والخيل كوجف واوجفته واستوجف الحب فؤاده ذهب به كانه
طرحه منه ولما تم ما للحق والباطل فى انفسهما من الثبات والاضطراب ذكر ما لاهلهما من الثواب والعقاب جوابا لمن كان قال بالى
تدبر هذه الامثال او ابعد عما اشارت اليه من الضلال وحاد عما دعت اليه ومال فاجيب بقوله للذين استجابوا اى طلبوا من
انفسهم الاجابة واوجدوها لربهم اى المحسن اليهم شكرا له الحالة الحسنى اى العظيمة فى الحسن وهى القرار فى الجنة فهو جزاء
قال ابو حيان وذلك هو النصر فى الدنيا وما اختصوا به من نعمه تعالى ودخول الجنة فى الاخرة انتهى وقد تقدم فى سورة
يونس عليه السلام انهم ازدادوا ما لا يعلم قدره الا الذى يعلوا اذ لك لخوف عقابه ورجاء ثوابه ولما ذكر ما للطائعين
اتبعه جزاء العاصين فقال مبتدئا والذين لم يستجيبوا اى يرغبوا فى ايجاد الاجابة له واخبر عن هذا المبتدأ بقوله
معلما بان استعجالهم بالعذاب باستعجالهم بالسيئة قبل الحسنة جراءة منهم ناشئة عن جهل صرف تزول عند رؤيتهم عذابه
سبحانه فيبلغون حينئذ بالافتداء غاية الذل فلا يقبل منهم لو ان لهم اى فى ملكهم وتحت قدرتهم ما فى الارض ولما كان قوله
جميعا ومثله واوضح بقوله معه لافتدوا به اى جعلوه فكاك انفسهم بغاية جهدهم واكده لان دعاء الكفرة ه
انهم لا يذلون لشئ ولا يوهن قواهم شئ والافتداء جعل احد الشيئين بدلا من الاخر على مهنة الاتقابه فكانه قيل ما الذى دعاهم
حتى كان هذا حالهم فقيل دلالة على انه لا يقبل منهم الفداء ولو عظم اولئك اى البعداء البغضاء لهم سوء الحساب والحساب
احصاء على العبد من وله وسوء المواخذة وعدم العفو عن شئ وماواهم اى مستقرهم جهنم اى الطبقة التى تلقى داخلها
بالتجهم والعبوسة ولما كان المأوى ان يأوى اليه صاحبه للراحة فيه بالاتكاء على فرش ونحوه قال معبرا بجمع المهاد وبئس المهاد
ولما انتهى حال من اجاب ومن اعرض فى الجزاء وكان ما تقدم مستوفيا لطرف البيان بايضاح الامر ما جزئيات والامثلة مع الترغيب
والترهيب فكان جديرا بان يترتب الانكار عليه تسبب عنه الانكار على من سوى بين الحق والباطل المتغافل المقول وعنده
التغافل المتغافل هل يستوى الاعمى والبصير وسوى بين الحق والباطل المتغافل المتقول لذلك يضرب الله الحق والباطل
فحسن قوله افمن بغير التشبيه يعلم علما نافعا هو عامل به انما اى الذى انزل اى وجه انزاله وفرغ منه اليك من ربك
اى المحسن اليك باحسن التدبير الحق اى الكامل فى الحقية فهو بنور العين للبصر القلب المستبصار والاعتبار يهتدى بما
يعلم الطريق الرشد فيسلكها والطريق الغى فيتنكبها ويفهم الاشارات وينتفع بالامثال الاشارات كالبصر بالبصر طريق النجا
من طريق الهلاك كمن هو اعمى لا بصر ولا بصيرة لانه لا يعلم وان كان عالما فهو لا ينتفع بالامثال فكانه قيل لا يستويان شيء
اصلا ثم علل هذا الانكار بقوله انما اى لانه انما يعلم ذلك بالتذكر وانما يتذكر اى يطلب الذكر طلبا عظيما فيعلم فيعمل
اولوا اى اصحاب الالباب اى العقول الصافية الخالصة القابلة للتذكر بالتفكر فى ان ما انزل من عند الله ثابت
الاركان راسى القواعد لاقدرة لاحد على ازالة معنى من معانيه ولا هدم شئ من مبانيه وان حاد عنها اهل الشيخ ربما يقوى

درب القوى مختل الأركان دارس الرسم منطمس الأعلام مجهول المسالك مظلم الأرجاء موحش الملاذ وأما القلب الذي لا يرجع عن غيه
لمثل هذا البيان فكأنه عدم قابل للذكرى فاستحق أن يعد عدماً وأن يخص المتذكر بالقلب فمن المعلوم أنه لا يستوي من له لب ومن لا
لب له واللب هو القلب لجعل باقي الشيء وخلاصته وأجوده ولما مدح سبحانه من فيهم أهلية التذكر بالعقول الدالة على توحيده والاتباع
لأوامره كان كأنه عهد في ذلك فقال يصفهم لمتذكرين بما يدل قطعاً على أنه لا لب لسواهم الذين يوفون أي يوجدون
الوفاء بكل شيء بعهد الله أي بالعقد المؤكد من الملك الأعلى بأوامره ونواهيه فيفعلون كل ما رسمه لهم ولا يوقعون
شيئاً منها بمكان الآخر والعهد العقد المتقدم على الأمر بما يفعل أو يجتنب والإيفاء جعل الشيء على مقدار غيره من غير زيادة
ولا نقصان ولما كان الدليل العقلي محتماً للثبات عليه كما أن الميثاق اللفظي موجب للوفاء به قال تعالى ولا ينقضون
الميثاق أي الإيثاق والوثاق فلا مكانه ولا أمكانه ولا زمانه والنقض حل العقد بفعل ما ينافيه ولا يمكن أن يعم معه
والميثاق العقد المحكم وهو الأوامر والنواهي المؤكدة بحكم العقل ولما كان أمر الله جارياً مع على منهاج العقل وإن
كان قاصراً عنه لا يمكن نيله له من غير مرشد قال والذين يصلون ما أي من كل شيء على سبيل الاستمرار ما أمر الله أي الذي
له الأمر كله وقال به أن يوصل دون يوصله ليكون مأموراً بوصله مرتين وليفيد تجديداً للوصل كلما قطعه قاطع على الاستمرار
لما تطابق على ذلك من دليل العقل والنقل والوصل ضم الثاني إلى الأول من غير فرج ولما كان الدليل يرشد إلى الله
تعالى كرجو مرهوب قال ويخشون ربهم أي المحسن إليهم من أن ينتقم منهم إن قاطعوا ولو بنوع الإحسان ولما كان العقل
لا يهتدي بعد تنبيه الرسل على القدرة بالمعاد بالقدرة على المبتدأ وكان الخوف منه أعظم الخوف قال تعالى ويخافون
أي يوجدون الخوف إيجاداً مستمراً سوء الحساب وهو المناقشة فيه من غير عفو ومن أول السورة إلى هنا تفصيل
لقوله تعالى أول البقرة ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب مع نظره إلى قوله آخر يوسف
ما كان حديثاً يفترى ولما كان الوفاء بالعهد في غاية المشقة على النفس قال مشيراً إلى أنه لا بد منه سموا لعقوه والذين صبروا
أي على طاعات الله وعن معاصيه في كل ما ينبغي الصبر فيه والصبر الحبس وهو تجرع مرارة المنع للنفس عما تحب مما
لا يجوز فعله ابتغاء أي طلب وجه ربهم أي المحسن إليهم وكأنه ذكر الوجه إشارة للحياء وحثاً عليه لا ليقال ما
أجلده ولا لأنه يعاب بالجزع ولا لأنه لا طائل تحت الهلع ولا خوف الشماتة ولما كان متاق أداء الشيء قد تفاوتت في
الشرف خص بالذكر أشياء مما دخل في العهد والميثاق تشريفاً لها فقال وأقاموا الصلاة لأنها في الوصلة بالله كالميثاق
في الوصلة بالموثوق لديه وقال وأنفقوا وخفف عنهم بالبعض فقال مما رزقناهم لأن الإنفاق من أعظم سبب يوصل إلى
المقاصد وقصد الإنفاق من المال وتلك الإنفاق من القوى وقال سراً وعلانية إشارة إلى الحث على استواء الحالتين
تنبيهاً على الإخلاص ويجوز أن يكون المراد بالسر ما ينبغي فيه الإسرار كالنوافل وبالعلانية ما يندب إلى الإظهار كالواجب
إلا أن يمنع مانع وهذا انفصل قوله تعالى ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون واستعينوا بالصبر والصلاة وقال
ويدرءون أي يدفعون بقوة وفطنة بالحسنة أي من القول أو الفعل السيئة إشارة إلى ترك المجازاة أو
يتبعونها إياها فيمحوها خوفاً ورجاء وحثاً على جميع الأفعال الصالحة فهي نتيجة أعمال البر ودرجة المتقين والملاحظ لما يأتي
على ما بعد الموت ترهيباً ختم هذه بمثل ذلك ترغيباً فقال أولئك أي العالو الرتبة لهم عقبى الدار وبينها بقوله
جنات عدن أي إقامة طويلة ومنه المعدن ثم استأنف بيان تمكنهم فيها فقال يدخلونها ولما كانت الدار لا تطيب بدون
الحبيب قال عاطفاً على الضمير أي نوع إشارة إلى أن النسب الخالي غير نافع ومن صلح والصلاح استقامة الحال على ما يدعو
إليه العقل والشرع من آبائهم أي الذين كانوا سبباً في إيجادهم وأزواجهم وذرياتهم أي الذين تسببوا عنهم ثم
زاد في الترغيب بقوله والملائكة يدخلون عليهم لأن الإكثار من تردد رسل الملك الأعظم أعظم في الفخر وأكثر في السرور
والنوم ولما كان إتيانهم من الأماكن المعتادة مع القدرة على غيرها أدل على الأدب والإكرام قال من كل باب يقولون سلام
عليكم والسلام التحية بالكرامة على انتفاء كل شائبة من ضيرهم وبين أن سبب هذا السلام الصبر فقال بما صبرتم أي بصبركم
والذي صبرتم له والذي صبرتم عليه إشارة إلى أن الصبر عماد الدين كله ولما تم ذلك تسبب عنه قوله فنعم عقبى الدار
وهي المسكن في قرار المهيأ بالأبنية التي يحتاج إليها والمرافق التي ينتفع بها والعقبى الانتهاء الذي يؤدي إليه الابتداء
من خير أو شر ولما ذكر الناجين ذكر الهالكين فقال والذين ينقضون عهد الله أي الملك الأعلى فيعملون
بخلاف موجبه والنقض التفريق الذي ينفي تأليف البناء ولما كان النقض ضاراً ولو كان في أيسر جزء أدخل الجار فقال
من بعد ميثاقه أي الذي وثقه عليهم بما أعطاهم من العقول وأودعها من القوة على ترتيب المقدمات المنتجة
للمقاصد الصالحة الدالة على صحة جميع ما أخبرت به رسله عليهم الصلاة والسلام والنجحة والإلزام والميثاق إحكام
العقد بأبلغ ما يكون في مثله ويقطعون ما أي الشيء الذي أمر الله أي غير ناظرين لما له من العظمة والجلال وتعدياً عن توصله

عن توصله لما تقدم مرتبها فقال به أن يوصل أي لما له من المحاسن الجليلة والحقيقة التي هي عين الصلاح ويفسدون
أي يوقعون الإفساد في الأرض أي في أي جزء كان منها بوصل ما أمر الله به أن يقطع اتباعاً لأهوائهم معرضين
عن أدلة عقولهم مستهينين باستعظام الكبير المتعال ولما كانوا لذلك استحقوا ضد ما تقدم للمتقين وذلك هو الطرد
والعقاب فقال أولئك أي البعداء البغضاء لهم اللعنة أي الطرد والبعد ولهم سوء الدار أي أن تكون دارهم الآخرة ٥
سيئة بلحاق ما يسوء فيها دون ما يسر ولما تقدم الحث العظيم على الإنفاق وأشير إلى أنه من أوثق الأسباب في الوصلة
لجميع ما أمر الله وختم بأن للكافر البعد عن كل خير والسوء كان موضع أن يقول الكفار ما لنا يوسع علينا بعدم نعلنا ويضيق
على المؤمن وصله وإنفاقه وما لا يبسطه دون فقه بعقد رضاه وربما فيصير ليتمكن من إنفاذ ما أمر به إن كان ذلك حماه
فقيل الله أي الذي له الكمال كله يبسط الرزق ودل على تمام قدرته بقوله لمن يشاء فيطيع في رزقه أو يعصي ويقدر
على من يشاء فيجعل رزقه بقدر ضيق ربما فنقصه أو يجزع لحكم ومتى عن الأفكار ثم يجعل ما للكافر سبباً في خذلانه
وفقر المؤمن موجباً لعلو شأنه فليس الغنى مما يمدح به ولا الفقر مما يذم به وإنما يمدح ويذم بالآثار ولما كانت السعة مظنة
الفرح إلا عند من أخلصه الله وهو أقل من القليل قال عاطفاً على ما أحوجه إطمان إليها وفرحوا أي بسط لهم الرزق فبطروا
وكفروا وفرحوا بالحياة الدنيا والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى ولما كانت الدنيا متلاشية في جنب الدار التي حتم
لها للمتقين قال زيادة في الترغيب والترهيب وما الحياة الدنيا أي بكمالها في الآخرة أي في جنبها إلا متاع أي حقير
متلاش قال الرماني والمتاع ما يقع به الانتفاع في العاجل وأصله التمتع وهو التلذذ بالأمر الحاضر ولما كان العقل
أعظم الأدلة وتقدم أنه سبحانه قصر على المتذكرين إشارة إلى أن غيرهم بقر سارحة وعرف أن ما دعا إليه الشرع
هو الصلاح وضده الفساد وكان العقل إنما هو لمعرفة الصلاح فيتبع والفساد فيجتنب كان الطالب لآية
آية غير تلك الأشياء بعد آيات متكاثرة ودلالات ظاهرة موضعاً لأن يتعجب منه فقال على سبيل التعجب عطفاً على
قوله وفرحوا مظهراً لما من شأنه الإضمار تنبيهاً على الوصف الذي أوجب لهم التعنت ويقول الذين كفروا
أي ستروا ما دعتهم إليه عقولهم من الخير وما رأوا من الآيات عناداً لولا أي هلا ولم لا ولما كان ما تحقق أنه من عند
الملك لا يحتاج عن السؤال عن الآتي به بنى للمفعول قوله أنزل عليه أي هذا الرسول آية أي علامة بينة من ربه
أي المحسن إليه بالإجابة لما يسأله لنهتدي بها فنؤمن به وأمره بالجواب عن ذلك بقوله قل أي لهؤلاء المعاندين ما أشد
عنادكم حيث قلتم هذا القول الذي تضمن إنكاركم لأن ما يكون نزل إليه آية مع أنه لم يؤت أحد من الآيات مثل ما
أوتيت فعلم قطعاً أنه ليس إنزال الآيات سبباً للإيمان بل أمره لله إن الله أي الذي لا أمر لأحد معه يضل من يشاء إضلاله
ممن لم ينب بل أعرض عن دلالة العقل ونقض بإحكامه من ميثاق المقدمات المنتجة للقطع بحقية ما دعت إليه الرسل
لما جبل عليه قلبه من الغلظة فصار بحيث لا يؤمن ولو نزلت عليه كل آية لأنها كلها متساوية في الإقدام في الدعوة إلى ما
دعا إليه العقل لمن له عقل وقد نزل قبل هذا آيات متكاثرة دالة أعظم دلالة على المراد ويهدي عند دعاء
الداعين إليه أي طاعته بمجرد دليل العقل من غير طلب آية من أناب أي من كان قلبه ميالاً مع الأدلة رجاعاً إليها
لأن شأنه الإنابة كأبي بكر الصديق وغيره ممن تبعه من العشرة المشهود لهم بالجنة وغيرهم ثم أبدل منهم الذين آمنوا
أي أوجدوا هذا الوصف وتطمئن قلوبهم أي تسكن وتستأنس إلى الدليل بعد الاضطراب بالشكوك
لإيجادهم الطمأنينة بعد صفة الإيمان إيجاداً مستمراً دالاً على ثبات إيمانهم لترك العناد وبعد المضارع في هذا
التركيب مما لا يراد به حال ولا استقبال إنما يراد به الاستمرار على المعنى مع قطع النظر عن الأزمنة بذكر الله أي الذي
هو أعظم الآيات فإن المذكور مستجمع لصفات الكمال فالآية من الإحسان ذكر المشيئة أولاً دال على صفاته إنما
دال على صرف ضدها أولاً ولما كان ذلك موضع أن يقول المعاند من يطمئن بذلك قال ألا بذكر الله أي الذي له الجلال
والإكرام لا بذكر غيره تطمئن القلوب فتسكن عن طلب غيره والذكر حصول المعنى للنفس وذلك إشارة إلى أن من
لم يطمئن به فليس له قلب فضلاً عن أن يكون في قلبه عقل بل هو من الجمادات أو إلى أن كل قلب يطمئن به فمن أخبر عن
قلبه بخلاف ذلك فهو كاذب معاند ومن ادعى وعمل بموجب الطمأنينة فهو مؤمن ثم أخبر عن مآل هذا القسم
بقوله الذين آمنوا أي أوجدوا وصف الإيمان وعملوا أي تصديقاً لدعواهم الإيمان الصالحات لطمأنينة قلوبهم
إلى الذكر طوبى لهم أي خير وطيب وسرور وقرة عين وحسن مآب فكان ذلك مفهماً لحال القسم الأول
فكأنه قيل ومن لم يطمئن أو اطمأن قلبه ولم يذعن بؤسى لهم وسوء مآب ولما كان في ذلك فطم عن إنزال
المقترحات وكان إعراضه للمقترحين قد طال وطال إلى الإيمان والصبر على أذاهم كان موضعاً أن يقال
كأنه أي سلم عن صبرهم أو ليست من سنة الله استجاب للرسل فقيل كذلك أي مثل إرسال الرسل الذين

الذى قدمنا الاشارة اليه فى اخر سورة يوسف عليه السلام فى قولنا وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم
الاية وفى هذه السورة فى قولنا ولكل قوم هاد وبمثل هذا الارسال البديع الامر البعيد الشأن والذى دربناك
عليه غير مرة من ان المرجع الى الله وانه لا قدرة لغيره على هدى ولا ضلال الا باذنه ولا غيرها ارسلناك
اى بما لنا من العظمة فى امة وهى جماعة كثيرة من الحيوان ترجع الى معنى خاص بها دون غيرها قد خلت ولما كانت
الرسل لم تعم بالفعل الزمان كله قال من قبلها امم طال اذاهم لانبيائهم ومن امن بهم واستهزاؤهم بهم فى عدم
الاجابة الى المقترحات وفى كل امة لنبيها عنادا بعدما جاءهم من الايات لولا انزل عليه اية حتى كانهم تواصوا بهذا
القول حتى فعل الرسل واتباعهم فى ابتلائهم على الدعاء واعراضهم عمن يستهزئ بهم فعل الايس من الاتباع لتتلوا اى ارسلناك
فيهم لتتلوا عليهم اى تقرا والتلاوة جعل الثانى تلو الاول [illegible] فصل الذى اوحينا اليك من ذكر الله الذى هو
اعظم الايات وهم اى والحال انهم يكفرون لا يرتابون [illegible] عليهم فى تلك الحال فان الثانى هذا احكاما وان خفيت وما ارسلنا
ومن قبلك من الرسل الا لتتلو ما يوحى لا لطلب الاجابة الى ما يقتضيه الامم من الايات ظنا انها تكون سببا لايمان
احد نحن اعلم بهم وهذا كله تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بالرحمن اشارة الى كثرة حلمه وطول اناته
وتصوير لتناهى حالهم فى مقابلتهم للاحسان والعدهم من الكفران ولما تضمن كفرهم بالرحمن كفرهم بالقران ومن
انزل عليه وكان الكفر بالمنعم فى غاية القباحة كان كانه قيل فماذا افعل حينئذ انى ومن اتبعنى لا نتمنى اجابتهم الى
مقترحاتهم الا رجاء ايمانهم وكان جوابهم عن الكفر بالوحى هو مبدا به فقال قل عند ذلك ايمانا به هو اى الرحمن
الذى كفرتم به ربى المربى بالايجاد وادرار النعم المحسن الى لا غيره لا اكفر احسانه كما كفرتموه انتم بل اقول انه
لا اله الا هو انابة وانق بالربوبية والنصرة وغيرها ولما كان تفرده بالالهية علة لقصر الهمم عليه قال عليه اى وحده
توكلت والتوكل التوثق فى تدبير النفس برده على الله على الرضى بما يفعل واليه اى لا الى غيره متاب
اى مرجعى بالتوبة وحسابا بالمعاد وهذا تعريض بهم فى ان سبب كفرهم انكار يوم الدين ولما فرغ عن الجواب
عن الكفر بالمرجع عطف على هو ربى الجواب عن الكفر بالوحى فقال ولو اشارة الى انه لعنتهم فى القران ما هو اهله
بعدما اخبر عن اعتقاده فى الرحمن اى وقل لو ان قرانا كانت به الايات المحسوسات بان سيرت اى بادنى اشارة
من مشير به الجبال اى فاذهبت على ثقلها وصلابتها عن وجه الارض او قطعت اى على الاله به الارض اى على كثافتها فتشققت
فتفجرت منها الانهار او كلم به الموتى فسمعت واجابت لكان هذا القران لانه اية لا مثل لها فكيف يطلبون اية
غيره او يقال ان التقدير لو كان شى من ذلك بغير القران لكان بدا اولا عسلم اجابة الى ما تريدون لكنه
لم تجر عادة القران تبتله بان يكون به ذلك فلم يكن بغير القران لان الله لم يرد ذلك الحكمة علمها وليس لاحد غير الله
فى خرق شى من العادات لا لولى ولا لنبى ولا غيرهما حتى يفعل لاجلكم بشفاعة وغيرها شيا لم يرده الله فى الازل
بل ويجوز ان يكون التقدير لو وجد نبى من هذا بغير القران يوما ما لكان بهذا القران فكان حينئذ يصير كل من حفظ
منه شيا فعل ما شاء من ذلك فيسير به ما شاء من الجبال الى ما اراد من الاراضى لما رام من الاغراض ويقطع به
ما طلب من الارض انهارا وجنانا وغيرها ويكلم به من اشتهى من الموتى ثم اذا افتح هذا الباب فلا فرق بين القدرة
على هذا او القدرة على غيره فيصير من حفظ منه شيا قادرا على كل شى فبطلت حينئذ الحكمة اختصاص الله سبحانه
بذلك من اراد من خلص عباده وادى ذلك الى ان يدعى من اراد من المعجزة وان اخر ذلك بيده يفعل به ما شاء
متى شاء فيصير دعاوى مقرونا بالفعل بشبهة فى الشرك ويعلم قطعا انه ليس فى يد احد امر لله اى الذى له صفات
الكمال وحده الامر وهو الذى ما يصح ان يؤمر به فيدبر به جميعا فى ذلك وغيره لا الى ولا لاحد من الانبياء الذين قلم الى
است ادنى منزلة منهم واما الخوارق التى كانت لهم فلولا ان الله شاءها لما كانت فالامر اليه وحده بما شاء كان
وما لم يشا لم يكن وكان هذا جوابا لما حكى فى السيرة النبوية ان الكفار تعنتوا به قال ابن اسحق ثم ان الاسلام
جعل يفشو بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء فاجتمع اشرافهم فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه فى الكف
عنهم دعوا بما علمه ان يلكوه عليهم وعنه ذلك فابى وقال ان الله بعثنى اليكم رسولا وانزل على كتابا وامرنى ان
اكون لكم بشيرا ونذيرا فقالوا فانك قد علمت انه ليس احد من الناس اضيق بلدا ولا اقل ماء ولا اشد عيشا
منا فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا
وليخرق فيها انهارا كانهار الشام والعراق زاد البغوى فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث
سخر له الجبال تسبح معه او سخر لنا الريح فنركبها الى الشام لميرتنا ونرجع فى يومنا فقد سخرت الريح لسليمان
كما زعمت رجع الى ابن اسحق وليبعث لنا من مضى من ابائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب فانه شيخ

فانه شيخ صدوق فنسئلهم عما تقول احق هو ام باطل فان صدقوك وصنعت ما سالناك صدقناك وعرفنا به
منزلتك من الله وانه بعثك الينا رسولا كما تقول زاد البغوى فان عيسى كان يحيى الموتى ولست باهون على
ربك منه فكان سؤالهم هذا متضمنا لادعائهم ان دعواه انزال القرآن لا تصح الا ان نفعل هذه الاشيا
ولما كان هذا كله اقناطا من حصول الايمان لاحد بما يقترح تسبب عنه الانكار على من لم يفد فيه ذلك
فقال تعالى افلم بفا التسبب ييأس الذين امنوا من ايمان مقترحى الايات بما يقترحون لعلمهم ان اى بانه
لو يشاء الله اى الذى له صفات الكمال هداية كل حد مشية مقترنة بوجوده لهدى الناس وبين ان اللام
للاستغراق بقوله جميعا اى باليأس خشية والعلم بالشى يوجب الياس من خلافه لكنه لم يهدهم جميعا فلم يشا ذلك
ولا يكون الا ما شاءه لكن تنزل فريق منهم كانوا انعقد وضوان يياس على بابها وان الذى اللبث الذى استشهدوا به
على انها بمعنى علم يمكن ان يكون معناه افلم تياسوا عن الذى او عن قتلى علما منكم بانى ابن فارس فى هدم فلا يتعين
لى ثار وكذا قراءة على ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم افلم يتبين الذين امنوا اى اهل الفضل
لا يومنون لاية من الايات علما منهم بان لله الامر جميعا وان ايمانهم ليس موقوفا على غير مشيئته ولما علم من
ذلك ان بعضهم لا يؤمن فما فتصدوا والمؤمنين لذلك لما يعاينوه من اذى الكفار فابتعوه ما بينا لهم عاطفا على
ما قدرته من نتيجة عدم المشية فقال ولا يزال الذين كفروا اى ستروا ضياء عقولهم تصيبهم بما صنعوا اى بما
مرنوا عليه من الشر حتى صار لهم طبعا قارعة اى داهية ترجمهم بالقتل من باسه على يدك من دينا وهو من الضرب بالمرعة
او تحل اى تنزل نزولا ثابتا تلك القارعة قريبا من دارهم اى فتوهن امرهم حتى ياتى وعد الله
اى الملك الاعظم بفتح مكة بما النصر على جميع الكفرة فى زمن عيسى عليه السلام فينقطع ذلك لانه لا يبقى على
الارض كافر او فى غير ذلك من الازمان كزمن فتح مكة المشرفه يلون المعنى خاصا بالبعض ان الله لا يخلف الميعاد
اى الوعد وكان زمانه ولا مكانه والوعد عقد الخبر يتضمن النفع والوعيد عقده بالزجر والضرب والاخلاف
نقض ما يتضمن الخبر من خير او شر ولما تم الجواب عن كفرهم بالوحى وما اوحاه اليه وما استدل تعلقه به عطف
على ذلك تاسيه الموحى اليه صلى الله عليه وسلم لان الحاث على تمنى الاجابة الى الايات المقترحات استهزا الكفار
فقال تعالى ولقد استهزئ اى من ادنى الخلق وغيرهم برسل ولما كان الارسال لم يعم جميع الازمان فضلا عن
الاستهزاء ادخل الجار فقال من قبلك لعدم اتيانهم للمقترحات والاستهزاء طلب الهزء وهو اظهار خلاف
الاضمار للاستصغار فامليت اى فتسبب عن استهزائهم ذلك انى امليت للذين كفروا اى امهلتهم فى خفض
وسعة كالبهيمة يملى لها اى يمد فى المرعى ولم اجعل ذلك سببا لاجابتهم الى ما اقترحوا ولا لمعاجلتهم بالعذاب نفعل
الضيق العطن ثم بعد طول الاملاء اخذتهم اى اخذ قهر وانتقام فكيف اى فكان اخذى لهم سببا لان يسئل
من كان يستبطئ رسلنا ويظن بنا لغا ونائلهم فيقال له كيف كان عقاب فهو استفهام معناه التعجيب مما حل بالمكذبين
والتقرير فى ضمنه وعيد شديد فلما تقرر بما مضى من قدرته تعالى على الثواب والعقاب وخفض الارض
ورفع السموات ونصبه الدلالات بباهر الايات البينات ان ليس لاحد غيره امر ما وتحرر ان كل احد
فى قبضته تسبب عن ذلك ان يقال افمن هو قائم ولما كان القيام دالا على الاستعلاء وضحه بقوله على كل نفس
اى ذات حياة وغيرها بما كسبت يفعل بها ما يشاء من الاملاء والاخذ وغيرهما كمن ليس له الا مثل شركائهم التى ليس لها
قيام على شى اصلا ولما كان الجواب قطعا ليس كمثله شى لانه كائن مثل استغناء ما لهذا السؤال من الذى توهم
ان له مثلا فيقبل الذين كفروا ابه وجعلوا اى الملك الاعظم شركاء وبجوز ان يقدر لمن خبر معناه لم يوحدوه ونحوه وعطف
عليه وجعلوا فكانه قيل ماذا يفعل بهم فقيل قل سموهم باسمائهم الحقيقية فانهم اذا سموهم وعرفت حقائقهم انها جماد
او غير ذلك مما هو مركز العجز ومحل النقص عرف ما هم عليه من سخافة العقول ولو كانت الا داعم قل لهم ارجعتم عن
ذلك الى الاقرار بانهم من جملة عبيده ام تنبؤنه اى تخبرونه اخبارا عظيما بما لا يعلم اى محيط بكل شى
فى الارض من كونها الهة ببرهان قاطع ام بظاهر من القول اى بحجة اقناعية فقال بالفم وكل ما لا يعلمه فليس
بشى وهذا قريب مما صنع فى قوله ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم انه لو كان لذلك كان شبهة فيها ظهور وهذه
الاساليب منادية على الخلق بالعجز وصادحة بانه ليس من كلام الخلق ولما كان التقدير ليس لهم على شى من ذلك
برهان قاطع ولا قول ظاهر بنى عليه قوله بل زين اى وقع التزيين بامر من لا يرد امره على يديهم كان للذين كفروا
اى لهم وعبر بذلك تنبيها على الوصف الذى دلاهم الى اعتقاد الباطل وهو ستر ما ادى اليه برهان العقل المويد
بالنقل مكرهم اى الوهم الذى اراد وابه ما يراد بالمكر من اظهار شى وابطان غيره وذلك انهم اظهروا ان شركاءهم

الهة حقا وهم يعلمون بطلان ذلك وليس لهم في الباطن الا تقليد الآبا واظهروا انهم يعبدونها ليقربوهم الى
الله زلفى ولتشفع لهم وهم لا يعتقدون بعثا ولا نشورا فصار كل ذلك من تعلمهم نقل المكر وانهم عمي وان وجه
الحق بما خيلوا به الضعفا وتمادى بهم الحال حتى اعتقدوه حقا ومادة مكر باي ترتيب كان مكر ودكر ورمك كرم كمر
تدور على التغطية والستر فالمكر الخديعة قالوا وهو الاحتيال بما لا يظهر فاذا ظهر فذلك الكيد ويلزم منه
الاجتماع في ضم اشتات الامر وستره بما يراد من الضم المكر الذي هو حسن خدالة الساق اي امتلاؤها ويلزم منه خصب
البدن ونعمته وكان منه المكر وهو ضرب من النبات والواحدة مكرة وسميت مكرة لارتوائها ابو حنيفة المكر من عشب
القيظ وهي عشبة غبرا ليس لها ورق وهو ينبت في السهل والرمل كانه شبه بالساق لخلوه من الورق ولانه
لغبرته وتجرده كالمستور والمكر طين احمر يشبه بالمغرة كانه سمي بذلك لما فيه من الكدرة والمكرة من العنبة
التي ليست رطبة ولكنها لين كانها سميت به لكونها حينئذ باطنه الكدرة والركم القا الشي بعضه على
بعض وذلك مظنة الخفا والركمة الطينة المجموعة وكذا التراب المجموع ومقال وجوعن بركم الطريق
يريد المحجة لان ترابها تلبد فاشتد تلبده والرمك والرمكة بالضم من الوان الابل وهو اكدر من الورقة
وهو لون خالطت غبرته سواد فهو ارمك لانه مظنة لخفا ما فيه ومنه اشتقاق الرامك وهو اخلاط
تخلط بالمسك فتجعل مسكا ورمك الرجل بالمقام اذا اقام به لانه يستره بنفسه وبامتعته ويستر هو فيه
وارمكت غنمي اذا اسمنت مكانا يقيم به والرمكة الانثى من البراذين فارسي معرب لانها تستر اصل له
الولد اذا ولدته ورمكان موضع معروف ويقال رمك الرجل اذا هزل وذهب ماله فستر عنه
او صار هو مستورا بالعدان كان يخرجه مشهورا ودمكت البازي والصقر تمسكا اذا اسرت اليه
بالطير لانك سلبت عنه الستر والدموك مكان به لعب عظم نسبة ما يكون فيه والكريم ضد اللئيم وهو
البخيل المهين النفس الخسيس الابا فاذا كان سمحا ولم يجتمع له هذه الخصال قيل له بخيل ولم يقل لئيم له
فالكريم اذن من ستر مساوي الاخلاق باظهار معاليها وتكرم اذا تنزه عن الدناءة ورفع نفسه عنها واصل
الكرم في اللغة الفضل والرفعة فاذا قالوا فلان كريم فانما يريدون رفيعا فاضلا فيلزم الكرم ستر العيوب
والله الكريم اي الفاضل الرفيع كذا قال بعض اهل اللغة وقيل الصفوح عن الذنوب وقيل الذي لا يبر اذا
اعطى واذا قلت فلان اكرم قومه فانما يريدون ارفعهم منزلة وافضلهم قدرا وكل هذا يلزمه السخا وستر
الذنوب ومن هذا قيل فرس كريم وشجرة كريمة اذا كانت ارفع من نظايرها وافضل وقيل في كتاب كريم اي رفيع
شريف كانه اطلق هنا على ما ليس بمجرد فضل تشبيها بالكريم في مجرد المعنى وكارمت الرجل فاخرته فهو صاحبه
تقتضي الكريم والكرم شجر العنب ولا يسمى به غيره والكرم قلايد يتخذها النسا كالمخانق لانها على صدر صاحبتها
والكرامة طبق يوضع على راس الحب لانه غطاؤه ولا يغطى الا ماله فضل ومنه يقولون لك الحب والكرامة
والكرم القصير من الرجال لانه شبه بطبق الحب والكمرة محركة طرف قضيب الانسان خاصة سميت بذلك لسترها
بالغلفة ورجل مكمور اذا قطع الختان كمرته وتكامر الرجلان اذا تكايرا ايهما اكبر وقال في القاموس وتكامرا نظرا
ايهما اعظم كمرة والكمري الرطب ما لم يرطب على نخله بل سقط بسرا فارطب في الارض كانه سمي بذلك لانه يكون اكره مما
يرطب على الشجر وهو ايضا يشبه الكمرة في لونها والكمري عن ابن دريد الرجل القصير كانه شبه بالرطبة وقال
غيره هو اسم مكان ولما ذكر تزيين مكرهم اتبعه لازمه فقال **وصدوا** اي بلزوم ما زين لهم او بمكروا به
حتى ضلوا في انفسهم وصدوا غيرهم **عن السبيل** الذي لا سبيل غيره سبيلا وهو المستقيم فان غيره هو وشبه
وجيوب نفوعد بل العدم احسن منه فلم يسلكوا السبيل ولا تركوا غيرهم يسلكه فضلوا واضلوا وليس ذلك بعجب
فان الله اضلهم **ومن يضلل الله** اي الذي له الامر كله بارادة ضلاله فكانه قيل فما لهم على ما فعلوا من ذلك فقيل
لهم اي الذين كفروا **عذاب** وهو الالم المستمر ومنه العذب لانه يستمر في الحلق **في الحياة الدنيا** بما قل لما آنفه
حزب الله لهم في صدهم عن السبيل الى ما يفضحه الا من تقيلوا واسرا في الاخرة ان ما تواعد للاعداب **ولعذاب**
ولعذاب الآخرة اشق اي اشد لمشقتها وهي تغلظ الامر على النفس بما يكاد يصدع القلب **وما لهم من الله من واق**
اي الملك الاعظم **من واق** اي مانع يمنعهم اذا اراد ذلك بهم سوا في الدنيا ولا في الاخرة والواقي فاعل الوقاية وهي الحجز
بما يدفع الاذية ولما توعدهم على تفريطهم في جانب الله تشوقت النفس الى ما لاضدادهم فكان كانه قيل ما لمن عاداهم
في الله فقيل الجنة فكانه قيل وما هي فقيل انها في الجلالة وعلو الجمال واكرم الجلال بما تعالى عن المثال الا ان ضرب
الامثال فقيل ما مثلها فقيل **مثل الجنة التي** ولما كان المقصود حصول الوعد الصادق ولا سيما وقد علم ان الواعد

ان الواعد هو الله بني للمفعول قوله **وعد المتقون** والخبر محذوف تقديره ما اقص عليكم وهو انها بساتين تضحو
واشجار وقال الزجاج الخبر جنة تخبر عنها بما ذكر ليكون تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد **تجري** ولما كانت لو عدمها الما
الجاري تحول الا بساتين ادخل الجار للدلالة على انه خاص ببعض ارضها فقال **من تحتها** اي قصورها واشجارها **الانهار**
وقيل هذا المذكور هو الخبر كما تقول صفة زيد اسمر ولما كان هذا دينا حقيقيا في ارض هي في غاية الخلوص والطيب
كان سببا لدوام ثمرها واستمساك ورقها فلذلك اتبعه قوله **اكلها** اي ثمرها الذي يوكل **دائم** لا ينقطع ابدا **وظلها**
ليس كما في الدنيا لا ينسخ بشمس ولا غيرها قال ابو حيان تقول مثلت الشي اذا وصفته وقربته للفهم ليس هنا ضرب مثل
فهو كقوله ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا كذا قال ويمكن ان يكون ذلك حقيقة ويكون هنا محذوف وهو جنة
ها من جنان الدنيا تجري من تحتها الانهار الى اخره وهو معنى قول الزجاج ثم ابتدا اخبارا اخر تعظيما لشانها وتفخيما لامر
في قوله **تلك** اي الجنة العالية الاوصاف **عقبى** اي اخر امر **الذين اتقوا وعقبى** ثم كرر الوعيد للكافرين فقال
اي منتهى امر **الكافرين** بالرحمن المتضمن للكفر بالوحي والموحى اليه **النار** ولما وصف العالمين بان المنزل اليه هو الحق
برجاحة العقول واصالة الارا المودية للتصديق الموجب لكل سعادة والكافرين به بضعف العقول الداعي الى الفساد
الموصل الى سوء الدار وربما بلاية الى ان ختمه بمثل ما ختم به ذلك عطف على ذلك قوله ويمكن ان يكون اتصاله بما قبله
انه معطوف على محذوف هو علة لختم الاية السابقة على ذلك تقديره ولانهم شاهدوا ما انزل اليه حسدا وجهلا
والذين اتيناهم اي بما لنا من العظمة التي استنقذتهم من الضلال **الكتاب** ولم يكفروا بالرحمن ولا بما انزل
ولا بمن ارسل **يفرحون بما** ولما كان المنزل دالا باعجازه على المنزل بني للمفعول قوله **انزل اليك** اي من هذا
الكتاب الاعظم لموافقته لتلك الكتب لان كلام الله كله من مشكاة واحدة وتخصيصهم لانهم هم المنتفعون
بالكتاب دون غيرهم فكانه ما انزل الا اليهم وهذا العطف يرجح ان يكون الموصول هناك مرفوعا بالابتدا
ومن الاحزاب من اهل الاوثان واهل الكتاب الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم **من ينكر بعضه**
كالتوحيد ونعت الاسلام ونبوة النبي صلى الله عليه وسلم وما يتبع ذلك مما حرفوه وبدلوه ويريدون ان
يكون الامر بما فيه لعزمه فالمشركون يريدون ان يترك الهتهم في بعض الايات وان يسقط وصفها بالعيب واليهود
يريدون ان ينزل ما يوافق فروع التوراة كما انزل ما وافق الاصول وينكرون النسخ واهل الانجيل يريدون ان ينزل
في المسيح ما يهوون ونحو ذلك قال المفسرون كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في
كتبهم غير محرف فكفرهم بذلك البعض مع ان ليعلمهم باعتقاده كفروا او شكروا فقال **قل انما امرت** اي وقع الي
الامر الجازم الذي لا شك فيه ولا تغيير لمن له الامر كله **ان اعبد الله** اي الذي لا شي مثله وحده ولذلك قال
ولا اشرك به لا افعل الا ما يامرني به من غير نظر الى سواه دينا مقصورا على ما انكرتموه **اليه** وحده **ادعوا واليه**
خاصة **مآب** اي ايابي ومكانه وزمانه مغنيا بالتوبة عند الفتور على القيام بحقه وحسبا بالبعث للجزا والكتاب
الصحيفة التي فيها الخط وهو الكتابة وهي تاليف الحروف التي تقرا في الصحيفة والفرح لذة القلب التي تجلي الهم
بنيل المشتهى والحزب الجماعة التي تقوم بالنائبة ولما بينت هذه الايات من مراتب الاعجاز ما بينت تبع تعالى
ذكرها انزل قوله **وكذلك** اي ومثل هذا الانزال البديع المثال البعيد المنال ولا يبعد ان يكون عطفا على كذلك
ارسلناك او مثل انزال الكتب اهل الكتاب **انزلناه** بما لنا من العظمة حال كونه **حكما عربيا** اي ممتليا حكمة تقضي بالحق
فايقا لجميع الكتب لهذا الوصف والحكم القطع بالمعنى على ما تدعوا اليه الحكمة وهو ايضا فصل الامر على الحق
فالمعنى انه لا يقدر احد على نقض شي منه فان ذلك في الحقيقة هو الحكم وما ليس كذلك فليس بحكم والعربي
الجاري على مذاهب العرب في كلامها فلا تلتفت الى ما يدعونهم اليه اهواوهم فيقترحونه في تاييدك بملك وانحا ذلك
بكنز او تركك لبعض ما يوحى اليك من سب الهتهم وتسفيه احلامهم وتضليل ابائهم او غير ذلك من طلباتهم
التي لو اتيتهم بها لم يكونوا ليومنوا الا ان يشا الله هذا في عبادة الاوثان وكذا في اهل الكتاب فيما يدعون اليه من العود
الى قبلتهم ونحوه **ولين اتبعت اهواهم** في شي من ذلك من النسخ او غيره في القبلة او غيرها ولا سيما بما
يطلبونه من الايات المقترحة كما قال تعالى ولين اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما
انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولين اتبعت اهواهم الاية ولما كان المراد التعميم في الزمان نزع
الجار واتى بما لانها اعم من الذي واشد ابهاما فهي اخفى معنى فناسب سياق الوحي الذي هو غيب ومعناه غالب
الا لبعض الافراد في الاعصار بخلاف اية البقرة الاولى فانها في الملة الابراهيمية المدركة بنور العقل الناشي
عن نظر المحسوسات فقال **بعد ما جاءك** ولما كان قد انعم عليه صلى الله عليه وسلم باشاعة العلم بين المراد بقوله **من العلم**

اى يا لوحى بان ذلك الاتباع لا يردهم سوا كان ذلك الاتباع فى اصول الشريعة او فروعها خفية كانت او جلية ولما كان المراد
استغراق جميع زمان البعد باتباع الاهوا قال ما لك حينيذ من الله اى الملك الاعلى واغرق فى النفى فقال من ولى اى ناصر
يتولى من نصرك وجميع امورك ما يتولاه القريب مع قريبه ولما كان تدل ما اعم من مدلول الذى لشمولها الظاهر والخفى وكان من طا
الحق اعذر ممن خالف الظاهر ونفى الاخص من النظير فقال ولا واق اى يقيك بنفسه فيجعلها دون نفسك وقد يوجد من
الانصار من لا يسمح بذلك وهذا بعث للامة وتهييج على الثبات فى الدين والتصلب فيه والهوى مقصودا اسيل الطباع الى
الشى بالشهوة والعلم تبيين الشى على ما هو به ولما حسمت الاطماع عن اجابتهم رجاء الاتباع او خشية الامتناع وكان بعضهم قد
قال لو كان نبيا لشغلته نبوته عن كثرة التزوج كان موضع توقع للخبر عما كان للرسل فى نحو ذلك فقال تعالى ولقد ارسلنا
اى بما لنا من العظمة رسلا ولما كانت ازمان الرسل غير خاصة لزمان القبل ادخل الجار فقال من قبلك اى ولم نجعلهم
ملائكة بل جعلناهم بشرا واتفق لنا اظهورهم ما يدعوا الى المداراة والمسالمة بارضاء الامم فى بعض اهوائهم او فعل الامر على نحو
المصادمة باعجاز الوعيد بان جعلنا اى بعظمتنا لهم ازواجا اى نسا ينكحوهن والزوج القرين من الذكر والانثى وهو هنا
الانثى وذرية وهى الجماعة المتفرقة بالولادة عن اب واحد فى الجملة وفعل بهم ارحمهم ما يفعل بك من الاستهزا فما ابعد
منهم شيا من اهوا امته ولم نجعل اليهم الاتيان بما يقترح المتعنتون من الايات تالفا لهم بل ما كان لرسول اى رسول
كان ان ياتى باية مقترحة او اية ناسخة لحكم من احكام شرعه او شرع من قبله او غير ذلك الا باذن الله اى المحيط
بكل شى علما وقدرة فان الامور عنده ليست على غير نظام ولا امرها فرطا ولا ضائعا شى منها بل لكل اجل اى غاية امر قدره وحده
لا ان يكون عنده امر من الامور كتاب قد اثبت فيه ان امر كذا يكون فى وقت كذا من الثواب والعقاب والاحكام والاتيان
بالايات وغيرها اثباتا ونسخا على ما تقتضيه الحكمة والحكمة اقتضت ان النبوة يكفى فى اثباتها معجزة واحدة وما زاد على
ذلك فهو الى المشية ثم علل ذلك بقوله يمحوا الله اى الملك الاعظم ما يشا اى محوه من الشرايع والاحكام وغيرها بالنسخ وغيره
ويثبت ما يشا اثباته من ذلك بان يقره ويمضى حكمه كما قال تعالى ما ننسخ من اية الى قوله وكهو الفعال لما يريد لا اعتراض
عليه وقال الشافعى الم تعلم ان الله على كل شى قدير كل ذلك بحسب المصالح التابعة لكل زمن فانه العالم بكل شى وهو الفعال
لما يريد لا اعتراض عليه وقال الشافعى فى الرسالة يجوز فرض ما يشا وينسخ فرض ما يشا واثبات والمحو فى جميع المصا
ستيرباد كاهل الله من ان الواو معناه العلو والرفعة الى ان بعض المحرات تبقى اثارها عالية فانه قد يمحو جسم الشخص
بعد ان كانت له اثار جميلة فيبقيها سبحانه وينشرها ويليها وقد يمحو شريعة بجنسها ويبقى منها اثارا صالحة لعله
تدل على ما اثبت من الشريعة الناسخة لها واما صرفنا باتفاق المصاحف ايضا فى يمحو الله الباطل فى الشورى مع انه
مرفوع ايضا للبشارة بازهاق الباطل ازهاقا هو النهاية كما سياتى ان شا الله تعالى وذلك لبداية الفعل بالامر المقتضى
لتحتم الايقاع لغاية الاتقان والدفاع وقال وعنده مع ذلك ام اى اصل الكتاب لمن وهمه مقيد بان الحفظ بالكتابة
وهو اللوح المحفوظ الذى هو اصل كل كتاب وقد تقدم غير مرة انه الكتاب المبين الذى هو بحيث يبين كلما طلب علمه منه
كلما طلب قال ابن عباس رضى الله عنهما هما كتابان كتاب سوى ام الكتاب يمحو منه ما يشا ويثبت وام الكتاب الذى لا يغير منه
شى انتهى والمراد والله اعلم انه يكون فى ام الكتاب انا نفعل كذا ان كان فى اللوح على غير ذلك فاذا بالنسبة الى شريعة
دون اخرى فاذا انقضت الشريعة الاولى فانا نمحوه فى اجل كذا ويكون المعنى يمحو ما يشا من ذلك الكتاب بان يعدم
مضمونه بعد الايجاد ويثبت ما يشا بان يوجده من العدم وعنده ام الكتاب قال الرازى فى اللوامع وقد اكثروا القول
فيها وعلى الجملة فكلما يتعلق به المشية من الكاينات فهو بين محو واثبات محو بالنسبة الى الصورة التى ارتفعت
اثبات ما بالنسبة الثانية والقضا الازلى والمشية الربانية مصدر هذا المحو والاثبات فذلك هو القضا وهذا هو القدر
فالقضا مصدر القدر والقدر مظهر القضا والله تعالى وصفاته منزه عن التغير ولما تم ما اراد مما يتعلق بما لهم وختمه
بانه سبحانه يفعل ما يشا من تقديم وتاخير ومحو واثبات وكان من مقترحاتهم وطلبا كهم استهزا استعجال السية بما توعد
به وكان منتا للنفس بما تمنت وقوع ذلك للبعض واثباته لبوس من غير تقريبا لتفصل النزاع قال تعالى واما نرينك
اكده لتاكيد الاعلام بانه لا حرج عليه فى ضلال من ضل بعد بلاغه تنبيها الى جملة ما طبع صلى الله عليه وسلم من شدة رحمته
لهم وشفقته عليهم من ظن ان عليه ان يردهم الى الحق حتما بعض الذى نعدهم وانت حى حاضر بيدك او بيد
اصحابك فصل الامر بين ثبت وتوعد ام اراد الاعين كم قبل وقالت والوعد الخبر عن خير مضمون والوعيد الخبر
عن شر مضمون والمعنى هاهنا عليه وسماه وعدا التنزيلهم اياه فى طلب نزوله منزلة الوعد او نتوفينك قبل ان نريك
ذلك وهو محو الاثر لم يتحقق ما الذى عليك والذى الينا مستو بالنسبة الى كلتا الحالتين فانما عليك البلاغ
وهو ايرا الشى الى منتهاه وهو هنا الرسالة وليس عليك ان تحادثهم ولا ان تاتيهم بالمقترحات وعلينا الحساب وهو

٣٩١
وهو جزا كل عامل بما عمل فى الدنيا والاخرة ولنا القوة التامة عليه والاناة من الاحتياط لكما مضى بيان ذلك فى مثلها فى
سورة يونس عليه السلام ولما ارشد السياق الى ان التقدير فى تحقق انه سبحانه قادر على الجزا لمن اراد الم يروا انا
اهلكنا من قبلهم وكانوا اقوى منهم شوكة واكثر عدة عطف عليه قوله اولم يروا انا اى بما لنا من العظمة نأتى الارض
التى هو لا الكفرة بها نتكاثر قيل ان اتيان فعل ايتان الباس اذا اردنا واذا اردنا ننقصها والنقص اخذ الشى من الجملة
تكون به اقل من اطرافها بما نفتح الله على المسلمين مما يزيد به فى ارض الاسلام ويقتل بعض الكفار واستسلام الارض حتى
يبيد اهلها على حسب ما نعلمه حكمة من تدبير الامور وتقليبها حالا الى حال حتى تنتهى الى مستقرها بعد الحساب فى دار
ثواب او عقاب وذلك ان المسلمين كانوا يغزون ما يلى المدينة الشريفة من اطراف بلاد الكفار كما ارشد تعالى اليه
بقوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فيفتحونها اولا فاولا حتى دان العرب كلهم طوعا او كرها بعد قتل السادة
ذل القادة واستغالب على امره والطرف المنتهى وهو موضع من الشى ليس وراه منه شى واطراف الارض جوانبها
وكان نقص الاطراف منازل الاشراف يطلبون الغرب على الاضياف ثم اثبت لنفسه تعالى امر كليا يندرج ذلك
فيه فقال لافتا الكلام من اسلوب التكلم بالعظمة الى الغيبة فى اعظم العظمة بالاسم الاعظم والله اى الملك
الاعلى يحكم ما يريد لانه لا معقب اى راد لان التعقيب رد الشى بعد فصله لحكمه وقد حكم للاسلام بالغلبة والاقبال
وعلى الكفر بالانتكاس والادبار وكل من حكم على غير هذه الصفة فليس بحاكم وذلك كاف فى الخوف من سطوات
قدرته وهو مع تمام القدرة سريع الحساب جزاوه محيط بكل عمل لا تصور ان يفوته شى فلا بد من لقا جزاوه وكل
ما هو آت سريع وهو مع ذلك يمهل لكل عمل جزاوه على ما تقتضيه الحكمة من عدل وفضل حين صدوره لا يحتاج
الى زمان ينظر فيه ما جزاوه ولا اهل عمل اولا لانه لا يخفى عليه خافية والسرعة عمل الشى فى قلة المدة على ما تجده
الحكمة والابطا عمله فى طول مدة خارجة عن الحكمة والسرعة محمودة والعجلة مذمومة وهو تعالى قادر على
الكثرة وان كانوا كالقاطعين بانهم يغلبون لما لهم من الكثرة والقوة مع جودة الاراء وحدة الافكار والقدرة
على الاموال وان اشتد مكرهم فهو لا يغنى عنهم شيا فقد مكروا بك غير مرة ثم لم ازدك الا علوا وقد مكر الذين
ولما كان المراد بالمكرة انما هو بعض الناس فى بعض الزمان قال من قبلهم اى بالرسل واتباعهم فكان مكرهم وبالا
عليهم فطوى فى هذه الجملة مكرهم الذى اجمعوا عليه غير مرة واتقنوه بزعمهم فكان سبب الرفعة للاسلام واهله
ودل على ذلك المطوى بوا العطف فى قوله وطوى فى الكلام السابق اهلاك الامم الماضية فى الاستدلال فى قدرته
على الجزا الذى هو روح الحساب ودل عليه بواو العطف فى اولم يروا فتناسل بهذا الابراز فى قوالب الاعجاز ولما
كان ذلك لذلك تسبب عنه ان يقال فلله اى الملك الاعظم المحيط علمه وقدرته خاصة المكر جميعا والمكر الفتل
عن البغية بطريق الحيلة وملزمه السية كما مضى بيانه ولا شى استر عن العباد من افعاله تعالى فلا طريق لهم الى علمها
الا من جهته سبحانه ويحى فعله مكرا مجازا لانه ناشى عن مكرهم جزا لهم ثم علل ذلك بقوله يعلم ويجوز ان يكون تفسيرا
لما قبله لان علم المكر من الماكر حين لا يشعر ادق المكر ما تكسب كل نفس اى من مكر وغيره فيجازيهم اذا اراد
ان ينتج عن كل سبب اقاموه سببا يكون ضد ما ارادوا ولا تكنهم ارادة شى الا بارادته فستنظرون ما ذا يحل بهم
من بالمه بواسطتكم او بغيرها حتى تظفروا بهم فتبيد وهم اجمعين وسيعلم الكفار اى كل كافر بوعد لا خلف فيه ان
كان من الجهل بحيث لا يعلم الاشيا الا بالتصريح او الحس لمن عقبى الدار حين ياتيهم ضد مرادهم والكسب الفعل
لاجتلاب النفع او دفع الضر ولما تقدم قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية عطف عليه بعد شرح ما
استتبعه قوله ويقول الذين كفروا اى اوجدوا الكفر ولو على ادنى المراتب قولا على سبيل التكرار لست مرسلا
لكونك لا تاتى بمقترحاتهم مع انه لم يقل يوما انه قادر عليها فكانه قيل فما اقول لهم فقال قل كفى والكفاية
وجود الشى على مقدار الحاجة ومعنى الباء فى بالله اى الذى له الاحاطة الكاملة التاكيد لان الفعل المتجاوز الى
ان يضاف الى غيره فاصله اذا اقترب ازيل هذا الاحتمال من وتحقيق جهة الفاعل وجهة صرف الاضافة شهيدا اى
بليغ العلم في شهادته بالاطلاع على ما ظهر وما بطن بينى وبينكم يشهد بتاييد رسالتى وبصحة مقالتى بما اظهره من الاية
واوضح من الدلالة بهذا الكتاب وليشهد بتكذيبكم بافعالكم القدرة على المعارضة وتركها لها عجزا وهذا على مراتب الشهادة
لان الشهادة قول يفيد غلبة الظن بان الامر كما شهد به والمعجزة فعل مخصوص يوجب القطع بان ما جاء لاجله كما هو ومن
ومن عنده علم الكتاب بما انزله فيه من الاصول والفروع والخبر عما كان ويكون على نحو من الاساليب وعظ
من المناهج اخرس الفصحا وابكم البلغا وابهت الحكما وهو الله تعالى تاييدا للقول تحقيقا لدعواى ويويد ان المراد
به الله قراة من على انها جارة وفى سوقه هكذا على طريق الابهام من ترويع النفس لعزها الى تطلب المتصف بهذا الوصف

ما ليس في التعيين فهو اذن كدعوى الشي مفردا بدليله فقد انطبق هذا الاخر على اول السورة في ان المنزل حق من
عنده وانهم لا يومنون والله الموفق

سورة ابراهيم عليه السلام

بسم الله اي الذي تفرد بالكمال وعز ان يكون له كفوا او مثال الرحمن لجميع خلقه بكتاب هو الغاية في البيان الرحيم الذي
اختار من عباده من الزمهم روح وداده الر مقصود السورة التوحيد وبيان ان هذا الكتاب غاية البلاغ الى الله
لانه كافل ببيان الصراط الدال عليه المودي اليه بما فيه من الارشاد للخلق من طور الى طور بما يشير اليه حروف
الر وادل ما فيها على هذا المرام قصة ابراهيم عليه السلام اما التوحيد فواضح واما امر الكتاب فلانه من جملة دعائه
لذريته الذين اسكنهم عند البيت المحرم من ذرية اسمعيل عليه السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ولما ختم الرعد بانه لا شهادة تكافي شهادة من عنده علم الكتاب اشارة الى
ان الكتاب هو الشاهد باعجازه ببلاغته وما حوى من فنون العلوم واتى به في ذلك السياق معرفا لما تقدم
من ذكره في البقرة وغيرها فانه لتكرر وصفه في سورة يونس وهود ويوسف والرعد بانه حكيم محكم مفصل مبين وانه
الحق الثابت الذي تزول الجبال الرواسي وهو ثابت لا يتعتع شي منه ولا يزول معنى من معانيه ذكره في اول
هذه السورة منكرا تنكير التعظيم فقال كتاب اي عظيم في درجات من العظمة لا تحتمل عقولكم الاخبار عنها بغير
هذا الوصف ودل تعليل وصفه بالمبين لانه عربي على ان التقدير انزلناه اي بما لنا من العظمة اليك بلسان قومك
لتبين لهم ولما اسمع التعريف بالاوصاف الموجبة للفلاح المذكورة اول السورة المستدل عليها بكل برهان منير
وسلطان مبين فصار بحيث لا يتوقف عن اجتناء ثمرته من وقف على حقايق تلك النعوت شوقا الى تلك الثمرة بعد
تفصيل ما في اول البقرة من التي تبلغها كما مضى بما يحث عليه ويقبل بقلب كل عاقل اليه نقال لتخرج الناس اي عامة
قومك وغيرهم بدعايك اياهم به وان كانوا ذوي اضطراب من الظلمات التي هي انواع كثيرة من الضلالات التي
اليها الجهالات الى النور الذي هو واحد وهو سبيل الله المدعو اليها بالفاتحة اي لتبين للعرب قومك لانه
بلسانهم بيانا شافيا فتجعلهم بما تقيم عليهم من الحجج الساطعة وتوضح لهم من البراهين القاطعة وتنصب لهم من الاعلام
الظاهرة وتحكم لهم من الادلة الباهرة في مثل ضوء النهار بما تكشف من مقفل ابصارهم وكشف من اغطية قلوبهم
فيكونوا متمكنين من ان يخرجوا من ظلمات الكفر التي هي طرق الشيطان الى نور الايمان الذي هو سبيله ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله وشبه الايمان وما ارشد اليه بالنور لانه عصمة للعقل من الخطا في الطريق الى الله
كما ان النور عصمة للبصر من الضلال عن الطريق الحسي واذا اخرجوا الى النور كانوا اجدرين بان يخرجوا غيرهم من الناس ٥
باذن ربهم اي المحسن اليهم والاذن الاطلاق في الفعل بقول يسمع بالاذن هذا اصله قاله الرماني ولما كان
النور مجملا بينه على سبيل الاستيناف او البدل بتكرير العامل فقال الى صراط العزيز الذي تعالى عن صفات
النقص فعز عن ان يدخل احد صراطه الذي هو ربه او يتعرض احد الى ما لكه بغير اذنه الحميد المحيط بجميع الكمال فهو
المستحق لجميع المحامد لذاته وبما يفيض على عباده من النعم التي يربيهم ويحمد اليهم بها على كل حال فكيف اذا اسلكوا سبيله
الواضح الواسع السهل ولما اضاف طريق النجاة الى وصفين يجوز اطلاق كل منهما على الخلق بينها باسمه الشريف
العلم على الاستيناف في قراءة نافع وابن عامر بالرفع وعلى انه عطف بيان في طريق الباقين بالجر لانه جرى مجرى الاسماء
الاعلام لاختصاصه بالمعبود بحق ووصفه بما اقتضى توحيده فقال الله اي المحيط علما وقدرة الذي له ما في السموات
اي الاجسام العالية من الاراضي وغيرها ولما كان في سياق الدالة على الخالق واثبات توحيده اكد باعادة الموصول
مع صلته فقال وما في الارض اي فويل لمن اشرك به شيئا منها او فيها فانه لا ابين من ان ما كان مملوكا لا يصلح لان يكون
شريكا ويجوز ان يكون التقدير فوالاول نجاة وسلامة لمن اهتدى به فخرج من ظلمات الكفر وويل مصدر بمعنى الهلاك
ينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها للافادة ان معنى الهلاك وهو ضد الرالا الذي هو النجاة ثابت للكافرين الذين
ستروا ادلة عقولهم من عذاب شديد تتضاعف الامه وقوته والشدة تجمع يصعب معه التفكك ولما
اشار الى ان الكافرين وصفهم بما عاقهم عن قبول الخير وتركهم في اودية الكثر فقال الذين يستحبون
اي يطلبون ان يحبوا اي يوجدون المحبة بغاية الرغبة متابعة للهوى الحياة الدنيا وهي النشاة الاولى التي هي
دار الارتحال موثرين لها على الاخرة النشاة الاخرى الذي هي دار المقام وذلك بان يتابعوا انفسهم على جهة حتى
يكونوا كانهم طالبون لذلك وهذا دليل على ان المحبة قد تكون بالارادة والمحبة ميل الطباع الى الشي بالشهوة فهم
يشتغلون حرصا على دنياهم التي ينهار باسهم عن سلوك الصراط وهم يصمون الى ذلك انهم يصدون اي يعرضون
بانفسهم ويمنعون غيرهم عن سبيل الله اي طريق الملك الاعظم والسبيل المذهب المهيا للسلوك ويزيدون على ذلك

ذلك انهم يبغونها اي يطلبون لها حذف الجار واوصل الفعل تاكيدا له عوجا والعوج ميل عن الاستقامة
وهو بكسر العين في الدين والامر والارض وبالفتح في كل ما كان قايما كالحايط ونحو الرمح ونحوهما اولئك اي البعداء البغضاء
في ضلال بعيد اي عن الحق اسناد مجازي لان البعيد اهل الضلال يميلهم عن الباقي الى الفاني ويطلبهم العوج بما قومه
الله المحيط بكل شي قدرة وعلما ولما قدم ما يلزمهم انه ارسله صلى الله عليه وسلم بلسان قومه الى الناس كافة لان اللسان
العربي اسهل الالسنة واجمعها وافصحها وابينها فكان في غاية الهداية وختم بان السبيل اليه في غاية الاستقامة والاعتدال
دل على شرف هذا اللسان لصلاحيته لجميع الامم وخفته عليهم بخصوص ان كل من الرسل بقومه فلذلك اتبعه قوله وما
ارسلنا اي بما لنا من العظمة والعزة في النبي نقال من رسول اي في زمن من الازمان الا بلسان اي لغة قومه اي الذين
فيهم قوة المحاولة لما يريدون ليبين اي بيانا شافيا لهم كما تقدم انا ارسلناك بكتاب عربي بلسان قومك لتبين لهم
ولجميع الخلق فان لسانك اسهل الالسنة واعذبها وهو معطوف على انزلناه بالتقدير الذي تقدم فاذا تقرر ذلك وعلم ان
لا مانع حينئذ لامة من الامم عن الاستقامة على هذا الصراط الا اذن الله ومشيته فيضل اي فتسبب عن ذلك انه يضل
الله اي الذي له الامر كله من يشاء اضلاله وقدم سبحانه هذا اهتماما بالدلالة على انه سبحانه خالق الشر كما انه خالق الخير
مع ان السياق لذم الكافرين الذين هم رؤوس اهل الضلال ويهدي من يشاء هدايته فانه سبحانه هو المضل الهادي
واما الرسل فمبينون ملزمون للحجة بتمييز الضال من المهتدي وهو اي وحده العزيز الذي لا يرام ما عنده الا به ولا يمتنع
عليه شي اراده الحكيم الذي لا ينقض ما دبره فلذلك دبر بحكمته ارسال محمد صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة باللسان
العربي لان المقصود جمع الخلق على الحق بجمعهم على لسان واحد اشبه ما يكون لذلك ولو انزل بالسنة الخلق كلها لكان منافيا
لهذا المقصود وان كان مع الاعجاز لكل لسان كان ربما من الاجال تفوت الايمان بالغيب ويودي ايضا الى ادعاء اهل
كل لسان الى التعبير عنه بلسانهم اعظم فيودي ذلك الى المفاخرة والعصبية المودي الى اشتداد الوزر والسبب الالسنة
لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فيكون فهمهم لاسرار شرايعه ووقوفهم على حقايقها اسهل ويكونون عن الغلط
والخطا ابعد فاذا فهموا عنه دعوا من يليهم بالتراجم وهلم جرا فانتشر الامر وعم وسهل وكان مع ذلك ابعد من
التحريف واسلم من التنازع وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما كانت سورة الرعد على ما تمهد بان كانت تلك الايات
والبراهين التي سلفت فيها لا يبقى معها شك لمن اعتبرها لتعظم شانها وايضاح امرها قال تعالى كتاب انزلناه
اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور اي ليذكروا به ويستبصروا ويتبرؤا هيبته ويتدبروا اياته ولو ان
قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض ولما كان هذا الهدي والضلال كل ذلك موقوف على مشيته سبحانه
وسابق ارادته وقد قال لنبيه عليه السلام انما انت منذر ولكل قوم هاد قال تعالى هنا باذن ربهم
انما عليك البلاغ وكما قال تعالى وكاي من اية في السموات والارض ثم بسطها في سورة الرعد اعلم هنا ان ذلك
كله له وملكه فقال الله الذي له ما في السموات وما في الارض فالسموات والارض بجملتها وما فيهما من عظيم ما اودعهما
الاعتبار به كل ذلك له ملكا وخلقا واختراعا وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها وويل للكافرين من
عذاب شديد لعنادهم مع وضوح الامر وبيانه ويصدون عن سبيل الله مع وضوحه وانتهاض ذلك الدليل ثم قال
تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وكان هذا من تمام قوله سبحانه ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم
ازواجا وذرية وذلك ان الكفار لما حملهم الحسد والعناد وبعد الفهم بما جبل على قلوبهم وطبع عليها على ان انكروا
كون الرسل من البشر حتى قالوا ابشرا منا واحدا نتبعه ما انتم الا بشر مثلنا وحتى قالت قريش لولا انزل عليه ملك مال هذا
الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقالوا لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم فلما كثر هذا منهم وتبع
خلفهم في هذا سلفهم رد تعالى ادعاءهم وابطل توهمهم في ايات وردت على التدريج في هذا الغرض شيئا فشيئا فاول
الوارد من ذلك في معرض الرد عليهم وعلى ترتيب سور الكتاب قوله تعالى اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم الاية
ثم اتبع ذلك بانفراده تعالى بالخلق والاختراع والتدبير والربوبية دفعا لما يقع في ذلك انه يفعل ما يشاء الا ان الكل خلقه
وملكه وانه العليم بوجه الحكمة في ارسال الرسل وكونهم من البشر فارغم الله تعالى بمضمون هذه الاية كل جاحد
ومعاند ثم ذكر تعالى في سورة هود قول قوم نوح ما نراك الا بشرا مثلنا الاية وجوابه عليه السلام ارايتم ان كنت على بينة
من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون اي اني وان كنت في البشرية مثلكم فقد خصني
الله بفضله واتاني رحمة من عنده وبرهانا على ما جيتكم به عنه وفي هذه القصة اعظم عظة ثم جرى هذا القصص من غيب
عليهم السلام وديدن الامم ابدا مع انبيايهم ارتكاب هذه المقالات وفيها من الحيد والعجز عن سداد فهمهم ما لا يخفى وما
هو شاهد على تعنتهم ثم زاد تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم تعريفا باحوال من تقدمه من الانبياء عليهم السلام ليسمع ذلك

من جرى له فقال مثل ما قالتهم فقال تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية واعلم سبحانه ان هذا لا يحط شيئا من مناصبهم بل هو واقع في تمام الحجة على العباد ثم تلا ذلك بقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي ليكون ابلغ في الحجة واقطع للعذر ربما كانوا يقولون عند اختلاف الالسنة لا نفهم عنهم اذ قالوا ذلك مع اتفاق اللغات فقد قال قوم شعيب عليه السلام ما نفقه كثيرا مما تقول هذا وهو عليه السلام يخاطبهم بلسانهم فكيف لو كان على خلاف ذلك بل لو خالفت الرسل عليهم السلام الامم في التبتل وعدم اتخاذ الزوجات والاولاد واستعمال الاغذية وغير ذلك مما لوفات البشر لكان منفرا فقد بان وجه الحكمة في كونهم من البشر لو كانوا من الملائكة لوقع النفار والشرود لافتراق الجنسية واليه الاشارة بقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون اي ليكون اقرب اليهم لئلا يقع تنافر فكونهم من البشر اقرب واقوم للحجة ولما كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عامة كان عليه الصلاة والسلام يخاطب كل طائفة من طوائف العرب بلسانها ويكلمها بما تفهم وتامل كم بين كتابه صلى الله عليه وسلم لانس رضي الله عنه في الصدقة وكتابه الى وائل بن حجر مع اتحاد الغرض والكتابين نظاير يوقف عليها في مظانها وكل ذلك لتقوم الحجة على الجميع ولما تم باقي سورة ابراهيم عليه السلام على التعريف بحال مكذبي الرسل ووعيد من خالفهم وبيان تعطل هوالك الاخرة وعذابها انتهى ولما ذكر سبحانه الرسل بما ذكره توقع السامع مفصل شيء من الاخبار هم فابتدا بذكر من كتابه اجل كتاب بعد القران هدى للناس دليلا على انه يفعل ما يشا من الاضلال والهداية وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتا وتصبيرا على اذى قومه وارشادا الى ما به الصلاح في مكالمتهم فقال مصدرا بحرف التوقع ولقد ارسلنا اي بعظمتنا موسى باياتنا اي البينات ثم فسر الارسال بقوله ان اخرج قومك اي الذين فيهم قوة على مقابلة الامور من الظلمات اي انواع الجهل الى النور بتلك الايات وذكرهم اي تذكيرا عظيما بايام الله اي الذي له الجلال والاكرام من وقايعه في الامم السالفة وغيرها ذلك من المنح لاوليائه والمحن لاعدائه كما ارسلناك لذلك ان في ذلك اي التذكير العظيم لايات على وحدانية الله وعظمته لكل صبار اي بليغ الصبر على الطاعة الله قال في العوارف وقال ابو الحسن بن سالم هم ثلاثة متصبر وصابر وصبار فالمتصبر من صبر في الله فمرة يصبر ومرة يجزع والصابر من يصبر في الله ولله لا يجزع ولكن يتوقع منه الشكوى وقد يكون منه الجزع فاما الصبار فذلك الذي صبره الله ولله وبالله فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يجزع ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة لا من جهة الرسم والخليقة واشارته فهنا ظهور حكم العلم بينه مع ظهور صفة الطبيعة شكور اي عظيم الشكر للغاية فان ايامه عندا وليائه لا تخلو من نعمة او نقمة وفي صيغة المبالغة اشارة الى ان عادته تعالى جرت بانه انما ينصر اولياءه بعد طول الامتحان لعظيم البلاء ليتبين الصادق من الكاذب حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله حتى اذا استياس الرسل الم احسب الناس ان يتركوا الاية وذلك لانه لا شيء اشق على النفوس من مفارقة المالوف لا سيما ان كان دينا ولا سيما ان كان قد درج عليه الاسلاف فلا يقوم بالدعاء الى الدين الا من بلغ الذروة في الصبر ولما ذكر ما امر به موسى عليه السلام وكان قد تقدم امره الشريف اليه صلى الله عليه وسلم بالاقتدا بالانبيا الذين هو من رؤسهم واولي عزمهم كان كانه قيل بين انت للناس ما نزل اليهم وذكرهم بايام الله اقتدا باخيك موسى عليه السلام واذكر لهم خبره فان ايامه من اعظم ايام الله اشدها محنة واجلها منحة اذ قال موسى لقومه امتثالا لما امرناه به مذكرا بايام الله معهم ثم ايامه مع غيرهم ولما كان المراد بالتذكير بالايام زيادة الترغيب والترهيب اشار الى ان مقام الترهيب هنا اهم لكثرة المكذب على تركهم الضلال بترك عادته في الترفق لمثل ما في البقرة والمائدة من الاستعطاف بما طفة الرحم بقوله يا قوم فاسقطها اشارة الى ان المقام تقتضي الابلاغ في الايجاز في التذكير للخوف من معاجلتهم بالعذاب فقال اذكروا نعمة الله اي ذي الجلال والاكرام وعبر بالنعمة عن الانعام حثا على الاستدلال بالاثر على المؤثر عليكم ثم ابدل من نعمة قوله اذ او هو ظرف للنعمة ولما كانوا قد طال صبرهم جدا بما طال من بلاء كلهم من فرعون على وجه لا يكون في العادة خلاصهم منه وان امكن على بعد لم يكن الا في ازمنة طوال جدا تتعب تشديد اشار الى اسراعه بخلاصهم بالنسبة اليه لو جرى على مقتضى العادة جزاء لهم على طول صبرهم فعبر بالافعال دون التفعيل والذي اقتضاه سياق البقرة فقال انجاكم من ال فرعون اي فرعون نفسه واتباعه واستعمال الال للمشترك في معنييه فان الال يطلق على الشخص نفسه وعلى اهل الرجل واتباعه واوليائه قال في القاموس ولا يستعمل الا فيما فيه شرف غالبا فكانهم قالوا من اي بلاء نجاهم فقال يسومونكم اي يكلفونكم ويولونكم على سبيل الاستهانة والقهر سوء العذاب بالاستعباد ولما كان السياق للصبر البليغ اقتضى ذلك العطف في قوله يذبحون

ويذبحون اي تذبيحا كثيرا مجددا بما افاده تعبير الاعراف بالقتل ومعرفا باعادة التعبير بالذبح ان الموت بالسكين ابناءكم ويستحيون اي يطلبون ان يحيوا نساءكم لا فادة ان ذلك بلاء اخر وللحال ان في ذلكم اي الامر الشديد المشقة من العذاب المتقدم او الانجاء او هما بلاء من ربكم اي المحسن اليكم المدبر لاموركم عظيم ولما ذكرهم نعمة الانجاء رغبهم فيما يزيدها وهيبهم مما يزيلها فقال واذ اي اذكروا اذ تاذن ربكم اي اعلم المحسن اليكم اعلاما عظيما بليغا ينتفي معه الشكوك قائلا لئن شكرتم واكرم لما للملة نفس من التكذيب بمثل ذلك لا عتقادها ان الزيادة بالشح في الرزق والنقص بالبذل وفيه لازيدنكم من نعمي فان الشكر قيد الموجود وصيد المفقود من اعطاء لحيد فارجوه ولئن كفرتم النعمة فلم تقيدوها بالشكر لا نقصنكم ولا عذبنكم ان عذابي بازالتها وغيرها لشديد فخافوه فالاية كما ترى من الاحتباك ولما كان من حث على شيء واثاب عليه او نهى عنه وعاقب على فعله يكون لغرض له بين ان الله سبحانه متعال عن ان يلحقه ضر او نفع وان ما قدمه من ذلك وتبعه خاص بالعبد فقال تعالى حاكيا عنه وقال موسى مرهبا لهم معلما ان وبال الكفر لاحق بصاحبه ان تكفروا والكفر تضييع حق النعمة بجحدها او ما يقوم مقام الجحد ومقامه انتم ومن في الارض واكد بقوله جميعا فضر ذلك لاحق بكم خاصة غير عايد على الله شيء منه فان الله اي الملك الاعظم لغني اي في ذاته وصفاته عن كل احد والغني هنا المختص بما ينفي لحاق الضرر او النقص والمختص بانه قادر ولا يعجزه شيء عالم لا يخفى عليه شيء وذلك بنفسه لا بشيء سواه ومن لم يكن كذلك لم يكن غنيا حميد اي بليغ الاستحقاق للحمد بما له من عظيم النعم وبما له من صفات الكمال وكل مخلوق يحمده بذاته وافعاله وجميع احواله كاينة ما كانت لان ايجاده لها ناطق بحمده سبحانه ذكر الشارح ان ذلك المذكور به من التوراة وقال في السفر الخامس واختاركم الله ربكم ان تكونوا شعبا حبيبا من جميع الشعوب احبكم الرب واختاركم ولكن ليثبت الايمان التي اقسم لابائكم لذلك اخرجكم الرب بيد منيعة وانقذكم من العبودية وخلصكم من يدي فرعون ملك مصر لتعلموا ان الله ربكم هو الذي الاله الحق الاله الامين يحفظ النعمة والعهد لاوليائه الذين يحفظون وصيته لالف حقب يكافي شناته في حياتهم ويخزيهم بالهلاك والتلف احفظوا السنن والاحكام والوصايا التي امرتكم بها اليوم فان فعلتموها يحفظ الله الرب لكم العهد والنعمة التي اقسم لابائكم ويحبكم ويبارك عليكم ويكثركم ويبارك في اولادكم وفي ثمر ارضكم وفي بركم وخبزكم وزيتكم وفي اقطاع بقركم وحولات غنمكم وتكونون مباركين من جميع الشعوب ولا يكون فيكم عاقر ولا عقيم ولا في بهايمكم ويصرف الله عنكم كل وجع وجميع الضربات الذي انزل الله باهل مصر كما تعلمون لا ينزلها بكم بل ينزلها بجميع شناتكم وتاكلون جميع خيرات الشعوب التي يعطيكم الله ربكم ولا يشفق اعينكم عليهم ولا تعبدوا الهتهم لانهم فخ لكم وان تقلتم في قلوبكم ان هذه الشعوب كثيرة منا فكيف نقدر ان نهلكها فلا تفرقوا ولكن اذكروا جميع ما صنع الله ربكم بفرعون ملك مصر وكل اصحابه والبلايا العظيمة التي رايتم باعينكم والايات والاعاجيب المنيعة والذراع العظيمة وكيف اخرجكم الله ربكم لذلك يفعل الله ربكم بجميع الشعوب التي تخافونها ويسلط الله ربكم عليهم غاهات حتى يهلكهم والذين يبقون ويختفون منكم لا تخافوهم لان الله ربكم معكم الاله العظيم المرهوب يهلك الله ربكم هذه الشعوب من بين ايديكم رويدا رويدا لا تقدرون ان تهلكوهم سريعا لئلا يكثر عليكم السباع ولكن يدفعهم الله ربكم اليكم وتضربونهم ضربة شديدة حتى تهلكوهم ويدفع ملوكهم في ايديكم وتهلكون اسماءهم من تحت السماء لا يقدر احد ان يقيم بين ايديكم حتى تهلكوهم وتحرقوا الهتهم المنحوتة بالنار ولا تشتهوا الفضة والذهب التي عليها وتاخذوه منها لئلا تتنجسوا بها لانها رجز وله عند الله ربكم فلا تدخلوا نجاسة الى بيوتكم لئلا تكونوا منفيين مثلها ولكن ارذلوها ونجسوها وصيروها نفاية نجسة لانها حرام ثم انظروا الى ما تلوا عليكم دعاء ولعنا اما الدعاء فتصيبون ان انتم حفظتم وصايا الله ربكم واما اللعن فيدرككم ان انتم لم تسمعوا وصايا الله ربكم وزغتم عن الطريق التي امركم به اليوم وقد مضى كثير من امثال هذه عن التوراة ولا ريب ان هذا الترغيب والترهيب والتذكير للتحذير كما انه كان لبني اسرائيل فهو لكل من سمعه من المكلفين ولما حذرهم انتقام الله ان كفروا واذكرهم ايامه في الامم الماضية وعين منهم الثلاثة الاول لانهم كانوا اشدهم ابدانا واكثرهم اعوانا واقواهم اثارا واطولهم اعمارا لان البطش اذا ابرز الى الوجود كان اهون لان النفس للمحسوس اشد الالفا ما ارشدهم اليه من غناه سبحانه وحمده وخوفا لهم من سطوات الله سبحانه الم ياتكم اي يا بني اسرائيل نبا الذين ولما كان المراد قوما مخصوصين لم يستغرقوا الزمان قال من قبلكم ثم ابدل منهم فقال قوم اي نباء قوم نوح وكانوا ملء الارض ونباء عاد وكانوا اشد الناس ابدانا وابدعهم جنانا ونبا ثمود وكانوا اقوى الناس على نحت الصخر وبناء القصور ونبا الذين ولما كان المراد البعض ادخل الجار فقال من بعدهم اي في الزمان حال كونهم في الكثرة بحيث لا يعلمهم اي حق العلم على التفصيل الا الله اي الذي له الاحاطة الكاملة كفروا فاهلكهم الله ولم يزل غنيا حميدا عن عبادتهم

كان المراد البعض ولعله كما كان قبله وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون ثم فصل سبحانه
خبرهم فقال جوابا لمن كأنه قال ما كان نبأهم جاءتهم رسلهم بالبينات وترك عطفه لشدة التباسه بالمستفهم عنه
فردوا اي الامم عقب مجيء الرسل من غير تأمل جامعين في تكذيبهم بين الفعل والقول أيديهم في أفواههم وهو اشارة
الى السكوت عن ذلك والتسكيت كأنه لا يليق ان يتفوه به ولو على سبيل الرد قال الرازي في اللوامع حكى ابو عبيد كلمته
وحاجني فرد يده في فيه اذا اسكت ولم يجب وبعد ان فعلوا ذلك لهذه الاغراض الفاسدة قالوا اي الامم إنا كفرنا اي
غطينا مرأى عقولنا مستهينين بما ولما كان رد الرسالة جامعا للكفر وكانوا غير مسلمين ان الرسل لهم رسالة بنوا للمفعول قولهم
أرسلتم اي انكم لم تأتونا بما يوجب الظن فضلا عن القطع فلذا كان لا يحتاج رده الى تأمل ولما كان ما اتى به الرسل يوجب
القطع بما يعلمه كل احد فكانوا ابما قالوه في مظنة الانكار اكدوا فقالوا وإنا لفي شك اي محيط بنا وهو وقوف بين الضدين
من غير ترجيح احدهما بتعاقب مثل حال الذكر وتضاد العلم والجهل ولما كان الدعاء مسندا الى جماعة الرسل اثبت نون الرفع مع
ضمير المتكلمين بخلاف ما مضى في هود فقالوا مما اي شيء تدعوننا ايها الرسل إليه اي من الدين مريب اي موجب للتهمة والوقوع
في الشك والاضطراب والفزع من رابه الرجل صار ذا ريبة اي قلق وتزلزل ولما كان سامع هذا الكلام يشتد تشوفه
الى جوابه وكان اصل الدعوة من كل ملة التوحيد وكان الشك فيه شكا في الله وكان امر الله من الظهور بحيث لا يشك
فيه عاقل حكم عقله مجردا عن الهوى ساغ الانكار وايراد الكلام على تقدير سؤال معرى من التقييد بلهم في قولهم
قالت رسلهم ولما كان ما شكوا فيه من الظهور بحيث لا يتطرق اليه ريب انكروا ان يكون فيه شك لان ذلك
تضمن انكار شكهم وشك غيرهم فقالوا أفي الله اي الذي له جميع صفات الكمال شك ولما كان الجواب عاما لا يخص
ناسا دون ناس لم يأت بصلة لهم الخلاف قوله ان نحن الا بشر ثم نبهوهم بالمصنوع على موضوع الدعوة من
وجود الصانع وتفرده وظهوره في قولهم فاطر السموات ولما كان المقام لادعاء انه في غاية الظهور لم يحتج
الى تأكيد باعادة العامل فقال والأرض اي على هذا المثال البعيد والنمط الغريب المنتظم الاحوال الجميل
العوائد المتسق الفصول فلما اوضحوا لهم الادلة على وحدانيته بينوا لهم بان ثمرة الدعوة خاصة بهم انه لا ياباها
من ادنى بصيرة فقالوا يدعوكم اي على السنتنا ليغفر لكم ولما كان الكافر انما يدعى اولا الى الايمان وكان الايمان
انما يجب ما كان قبله من الذنوب التي بينهم وبينه دون المظالم قال من ذنوبكم ولو عمم بالغفران لا فهم ذلك
انهم لا يدعون بعد الايمان الى عمل اصلا ولا يفعل بكم فعل من تعهدون من الملوك في المعاجلة بالاهلاك لمن
خالفهم بل يؤخركم وان اخطأتم او تعديتم وتبتم إلى أجل مسمى عنده سبق علمه به وهو اجالكم على حسب
التفريق ولا يستأصلكم بالعذاب فان واحدكما فعل بمن ذكر من الامم فلما بين لهم الاصل بدليله وفرع عليه ما لا ريب
فيه في قصر نفعه عليهم علموا انه لا يتهيأ لهم عن ذلك جواب فاعرضوا عنه الى ان قالوا عنادا إن اي ما أنتم ايها
الرسل إلا بشر واكدوا لما ارادوا من نفي الاختصاص فقالوا مثلنا يريدون فما وجه تخصيصكم بالرسالة
دوننا ثم كان كأنه قيل فكان ماذا فقالوا تريدون أن تصدونا اي تلفتونا وتصرفونا عما كان اي كونا
هو كالجبلة واكدوا هذا المعنى للتذكير بالحال الماضية بالمضارع فقالوا يعبد آباؤنا اي انكم لكونكم
من البشر الذين يقع منهم التحاسد حسدتمونا على اتباع الآباء وقصدتم تركنا له لنكون لكم تبعا فأتونا اي فتسبب
عن كوننا لم نر لكم فضلا وابدائنا من ارادتكم ما يصلح ان يكون مانعا ان نقول لكم ائتونا لنتبعكم بسلطان مبين
اي حجة واضحة تلجئنا الى تصديقكم مما نقترحه عليكم وهذا انما نستحضر انهم جديرون بان يعرضوا عن كل سلطان
ياتونهم به كاينا ما كان كما الغوا ما اتوهم به من البينات فلم يعتدوا به فكأنه قيل فما اجاب الرسل فقيل
قالت ولما ارادوا تخصيصهم برد ما قالوا قيده بقوله لهم رسلهم مسلمين اول كلامهم غير ناعلين فعلهم
في الحيدة عن الجواب إن اي ما نحن إلا بشر مثلكم ما لنا عليكم فضل بما تقتضيه ذواتنا غير ان التماثل في
البشرية عن بعض بعض الفضايل والمثل ما يسد مسد غيره حتى لو شاهده ثم شاهد الآخر يقع فصل ولكن الله
اي الذي له الامر كله فضلنا عليكم لانه يمن على من يشاء اي ان يمن عليه من عباده رحمة منه له بان يفعله
امثاله بما يمنحه له من المزايا كما انتم به عارفون فلم يصرحوا بما تميزوا به من وصف النبوة ولم يخصوا انفسهم
بمن الله بل ادرجوها في عموم من يشاء الله كل ذلك تواضعا منهم واعترافا بالعبودية والمن يقع بقطع بدعن بوس
واصله القطع ومنه غير ممنون والمنية قاطعة عن الدنيا ولما بينوا وجه المفارقة عطفوا عليه بيان العذر
فيما طلبوه منهم فقالوا وما اي فما كان لنا ان نتفضل عليكم بشيء من الاشياء لم يؤذن لنا فيه وما كان اي صح
واستقام لنا أن نأتيكم بسلطان مما تقترحونه تعنتا وهو البرهان الذي يتسلط به على ابطال مذهب

مذهب المخالف للحق غير المعجزة التي تثبت بها النبوة إلا بإذن الله اي باطلاق الملك الاعظم وتشريفه فنحن
نتوكل على الله في تركهم ان اذن لنا في الاتيان بسلطان او لم ياذن وافقتم او خالفتم وعلى الله اي الذي له الامر كله
ولا امر لاحد معه وحده فليتوكل اي بأن يحتم المؤمنون فكيف بالانبياء ثم بينوا سبب وجوب التوكل بقولهم وما اي واي شيء
لنا في ألا نتوكل على الله اي ذي الجلال والاكرام والحال انه قد هدانا سبلنا بنبين لنا كل ما ناتي وما نذر فلا يخيص
لنا عن شيء من ذلك فلنفعلن جميع اوامره ولننتهين عن جميع مناهيه ولنصبرن اكدوا الانكار الكفار ان يصبر الرسول
مع وصرته على اذاهم مع كثرتهم وقوتهم على ما وعبر بالماضي اشارة الى انهم عفوا عن اذاهم في الماضي فلا يجازوكم
به فهو استجلاب الى توبة اوليك المودين وعدلوا عن المضارع لانهم ينتظرون امر الله في الاستقبال فقد يامرهم بالجهاد
وقد يامرهم بالصبر فقال آذيتمونا اي في ذلك الذي امرتونا به كاينا فيه ما كان لانا توكلنا على الله ونحن لا نتهم في قضائه
وعلى الله اي الذي له جميع صفات الكمال وحده فليتوكل المتوكلون الذين علموا من انفسهم العجز سواء كانوا مؤمنين اولا فوكلوا
امرا من امورهم الى غيرهم ليكفيهم اياه فانه محيط العلم كامل القدرة وكل من عداه عاجزوا لعبد مفتاح الفرج
ومطلع الخيرات المطلق من الكرب والحق لا بد وان يصير مغلوبا مقهورا وان طال الابتلاء ولما انقضت هذه المحاورة
وقد علم منها كل منصف ما عليه الرسل من الحلم والعلم والحكمة وما عليه مخالفهم من الضلال والجهل والعناد وكان
في الكلام رمز بما اشعر بانقضائه ابتدأ تعالى عنهم بمحاورة اخرى عاطفا لها على ما مضى فقال وقال الذين كفروا لهم
لرسلهم مستهينين بمن قهر الجأهم عليه موكدين لاستبعادهم بانكار من رأى مدافعة الله عن اوليائه لعو
والذي نحلف به ليكونن احد الامرين لنخرجنكم من أرضنا اي التي لنا الغلبة عليها أو لتعودن في ملتنا بان تكفوا
عن معارضتنا كما كنتم قبل دعوى الرسالة فاطلاق بدلهم على السكوت عنهم من اطلاق اسم الكل على الجزء وعلى زعمهم
مثل جعلوا اصابعهم في اذانهم وهو مجاز مرسل فصبروا على ذلك كما اخبروا به توكلا على ربهم واستمروا على
نصيحتهم لهم بدعائهم الى الله فأوحى إليهم اي كلهم في خفاء بسبب توعدهم لهم ليس مختصا لهم بذلك ربهم المحسن
اليهم الذي توكلوا عليه تسكينا لقلوبهم وتسلية لنفوسهم واكد لما لمن ينظر كثرة الكفار وقوتهم من التوقف
في مضمون الخبر ولا سيما ان كان كافرا قايلا لنهلكن بما لنا من العظمة المتضمنة لنفوذ الامر والاهلاك اذهاب
الشيء الى حيث لا يقع عليه الاحساس الظالمين اي العريقين في الظلم ربما تبنا على بعض من اخبرنا عنه بانه كفر
وهو من لم يكن عريقا في كونه الذي هو اظلم الظلم ولنسكننكم اي دونكم الأرض اي مطلعها وخصوص ارضهم
واشار الى عدم الخلود بما جاد فقال من بعدهم بان نورثكموها سواء قدرنا هم على اخراجكم ام لا فكانه قيل هل ذلك
خاص بكم فقيل لا ذلك اي الامر العالي المرام لمن خاف مقامي اي المكان الذي يقوم فيه من احاسبه
ماذا تكون عاقبته فيه وهو ابلغ من خافني وخاف وعيد لا بد ان اهلك ظالمه واسكنه ارضه بعده بعد
فاستبشروا وابدلك الوعد من الله واستفتحوا على اعدائهم فافلحوا وانجحوا وخاب كل جبار عنيد من اهلكناهم
كلهم وكان لنا الفتح والحمد بعد اهلاكهم كما كان قبله والعناد الامتناع من الحق مع العلم به كبرا وبغيا من
عند عن الحق عنودا والجبر به طلب علو المنزلة بما ليس وراءه غاية في الصفة فهو ذم للعبد من حيث
انه طالب ما ليس له ثم اتبعه ما هو كالدليل على خيبته من ان سيره الى ما امامه من العذاب فهو واقع فيه
لا محالة وهو لا يشعر وعبر عن غفلته عنه بقوله من ورائه جهنم اي لا بد انه يتبوأها ولما كان الزعج
وجود السقي للتهديد مطلقا بنى للمفعول قوله ويسقى اي فيها من ماء صديد وهو غسالة اهل النار لقيحهم
ودمائهم يتجرعه اي يتكلف بلعه شيئا فشيئا لمرارته وحرارته فيغص به ويلقى منه من الشدة ما لا يعلم قدره
الا الله ولا يكاد يسيغه ولا يقرب من اساغته فان الاساغة جر الشيء في الحلق على تقبل النفس ويأتيه الموت
اي اسبابه التي لو جاءه سبب منها في الدنيا لمات من كل مكان والمكان جوهر ممتد لاستقرار غيره كانه عين
انه يحصل له من الشدائد ما يميت من تعني بموته وما هو بميت اي بثابت له الموت اصلا لانا قضينا بدوام حياته
زيادة في عذابه والموت عرض يضاد الادراك في البنية الحيوانية ومن ورائه اي هذا الشخص بعد ذلك في يوم
الجزاء الذي لا بد منه وما خلقنا السموات والارض الا من اجله عذاب غليظ يأخذه في ذلك اليوم مع ما قدمته
له في الدنيا وهو غافل عنه اضر ما يكون من وراء فيكون اشد كما هو حال الاتي بغتة او يكون المعنى ان من بعد هذا
العذاب في جهنم عذابا آخر يحمل عقولكم وصفه بأكبر من الغلظ فلما فرغ من محاورتهم وما تبعها من مما بين فيه
انه لا يغنيهم من بطشه شيء ضرب لهم في ذلك مثلا فقال مثل وهو مستعار هنا للصفة التي فيها غرابة
الذين كفروا مستهينين بربهم مثل من قصد امرا لم ينظر لنفسه في السلوك السبيل اغتر من جاذبه عن الطريق

فابعد كل البعد حتى وصل الى شعاب لا يمكن فيها المقام ولا يتاتى منها الرجوع فهلك ضياعا ولما كان الفرق بين الانسان
والعدم انما هو بالعمل ذكر ما علم منه ان المثل لاعمالهم على طريق الجواب لمن كانه قال ما مثلهم فقال اعمالهم اى المكارم
التى كانوا يعملونها فى الدنيا من الصلة والعتق وفدا الاسارى والجود ونحو ذلك فى يوم الجزاء ويجوز ان يكون مبتدا
ثانيا كما قال الحوفى وابن عطية وهو وخبره خبر المبتدا الاول ولا يحتاج الى رابط لانه نفس المثل الذى بمعناه الصفة كرماد
وهو ما سحقه الاحراق سحق الغبار اشتدت به الريح فى اى اسرعت الحركة على عظم القوة والريح جسم رقيق منبث
فى الجو من شانه الهبوب والرياح خمس شمال وجنوب وصبا ودبور ونكبا فى يوم عاصف اى شديد الريح فاطارته
فى كل صوب فصار ذروا بحيث لا يقدرون اى يوم الجزاء لما كان الامر هنا متمحضا للاعمال قدم قوله على شىء فى الدنيا من
اعمالهم فى ذلك اليوم مما كسبوا على شىء بل ذهب هباء منثورا لبنايه على غير اساس فثبت بمقتضى ذلك ان الذين كفروا بربهم واستحبوا
الحياة الدنيا على الاخرة فى ضلال بعيد بل ذلك اى الامر الشديد الشناعة هو اى خاصة الضلال البعيد الذى
لا يقدر صاحبه على تداركه ولما ذكر السورة فى الاخرة فى اول السورة ذكر ما هو ثابت لا نزاع فيه ثم جر الكلام فيه
اليه هنا على هذا الوجه الغريب واتبعه مثل اعمال الكفار فى الاخرة اتبع ذلك الدليل عليه وعلى انه لا يسوغ فى الحكمة
فى اعمال الضلال الا الابطال فقال الم تر ان الله اى الذى احاط بكل شىء علما وقدرة خلق السموات على عظمها وارتفاعها
والارض على تباعد اقطارها واتساعها بالحق بالامر الثابت بالوضع كل شىء منهما فى موضعه على ما تدعو اليه الحكمة
لا بالخيال والتمويه كالسحر من المعلوم ان الظرف لا يكون المظروف الذى هو المقصود بالذات الا مثل ظرفه او اعلى
منه فكيف يظن انه يخلق شيئا فيهما سدى بان يكون باطلا فلا يبطله او حقا فلا يحقه ام كيف يتوهم انه مع القدرة
على اخراجهما من العدم وهما اكبر خلقا واعظم شانا انه لا يقدر على اعادة الناس اعادة يثبتون لها ويبقون
بقاء لا فناء بعده فتسبب عن ذلك انه عظيم القدرة فهو بحيث ان يشأ يذهبكم اى بنوع من انواع الاذهاب
الموت او غيره ويات بخلق جديد غيركم او ياتكم بعد ان تبليكم بحيث تعودون كما كنتم خلقا جديدا او الجديد
المقطوع عنه العمل فى الابتداء واصله القطع ذا لجواب فالجد اب الاب انقطع عن الولادة ما لاب والجد ضد الهزل
ينقطع به المسافة حسا ومعنى وما ذلك الاذهاب والاتيان على عظمه على الله اى الملك الاعلى بعزيز وهو الممتنع
بوجه من وجوه الامتناع لانه ليس مثل خلق السموات والارض فضلا عن ان يكون اعظم منه فلا وجه
لقولكم هل ندلكم على رجل ينبئكم الاية لان من قدر على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور
تثبت لهذا ابعادهم فى الضلال الموجب لهلاك اعمالهم التى هى اسبابهم الموجب لهلاكهم ولما ثبت بهذا
البرهان قدرته على الاعادة بعد الموت عطف عليه قوله لا يقدرون مما كسبوا على شىء قوله بيانا لهوان
البعث عنده وسهولته عليه وبرزوا اى فى ذلك اليوم وعبر بصيغة المضى الذى وجد وتحقق لان اخبار
بحيث تحققها لقدرته وعناهم عن الذنب تكريف ملك الملوك وفيه من هز النفس وروعها ما ليس فى
العبارة بالمضارع لمن تامل المعنى حق التامل لله اى الملك الاعظم جميعا فكانوا بحيث لا يخفى منهم خافية
على ما هو متعارفهم لانه لا ساتر لهم فان البروز خروج الشىء عما كان متلبسا به الى حيث يقع عليه الحس فى
نفسه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون من العذاب فتقطعت بهم الاسباب فقال الضعفاء اى الاتباع
من اهل الضلال بسبب علمهم انهم فى القبضة لا ملجا لهم تبكيتا لرؤسائهم وتوبيخا تصديقا لقوله تعالى الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين للذين استكبروا اى طلبوا الكبر وادعوه فاستتبعوهم به حتى تكبروا على
الرسل واتباعهم ولم يكن لهم ذلك اى كونهم كالجبلة انا كنا اى تاسيا او ذوى تبع لكم تبعا بسبب ضلالنا وقد جرت
عادة الاكابر بالدفع عن اتباعهم المساعدين لهم على اباطيلهم فهل انتم مغنون اى دافعون عنا من عذاب الله
اى الذى له العظمة كلها فلا يطاق انتقامه وابلغوا بعدا التبعيض من الاولى والتعليل فقالوا من شىء كان العذاب
كان محتاطا الى ما ضدهم فاعتقوه بشىء عنهم حتى يجاوزوه لو دفعوه عنهم فكانه قيل ان ذلك لعادة الرؤسا فماذا
قالوا فقيل قالوا علما منهم بانه لا طاقة لهم على نوع من انواع التصرف لا نغنى عنكم شيئا بل كل مجزى بما فعل علينا
انتم صلدتم لنا فى انفسنا واضللتمونا لكم وعليكم منه لكم وذنبكم عنا وتقويتكم لجانبنا حتى استكثرنا فاستمررنا
فى الضلال ولو ان الله هداكم حتى تبعتم الادلة التى سمعتموها كما سمعناها وتركتموها الكبر لذلك من سددنا وابعد
من شوكتنا فكان ربما يكون سببا لهدايتنا وهدايتنا لكم وكلم جزاء هدايتكم وتقويتكم لنا على ذلك وكنت
لم تهدنا فضللنا وكنتم لنا تبعا فاضللناكم ولما كان الموجب لقولهم هذا الجزع قالوا لو هدانا الله اى نحن وانتم
لهديناكم ... والجزع انزعاج النفس بورود ما يغم امر صبرنا لا فايدة لنا فى ... لان الامر اعظم من ذلك فانه مالنا

مالنا من محيص يصلح للمصدر والزمان والمكان اى محيد وروغ عن المكروه على كلا التقديرين فلم يبق فى الجزع
الا زيادة العذاب بسوء المقالة وانتشاد الشية وهذا الاستفهام ليس على بابه بل المراد به التنبيه على انه لم
مما ينبغى السؤال عنه وترديد الامر فيه لينتهى عن مثله ولما كان الشيطان اعظم المستكبرين اخص بالافراد
بالجواب فقيل وقال اول المتبوعين فى الضلال الشيطان الذى هو راس المضلين المستكبرين المتفق يبعده واحترا
لما قضى الامر بتعيين قوم للجنة وقوم للنار رجوا بالقول الاتباع مدعيا حيث لا ينفع الاذعان ومونسا حيث فات
نفع الايمان ان الله اى الذى له صفات الكمال وعدكم وعد الحق بان ارسل اليكم رسلا وانزل معهم براهين
وكتبا اخبركم فيها بانه ربكم اولواصل لقاؤها روعاكم لعدان اخضالتكم الشياطين ولشرين اجاب وحذر من انى
بما هو قادر عليه اتم القدرة فكلما قاله طابقه الواقع كما تروى فصدقتكم فيه ووفى لكم ووعدتكم انا بما زينت
لكم به المعاصى من الوسواس وترغيب الباطل فاخلفتكم فلم اكن شيئا الا كان زيفا فاتبعتمونى مع كونى عدوكم وتركتم
ربكم فهو وليكم والاية من الاحتباك ذكر وعد الحق اولا دليلا على حذف ضده ثانيا والخلف ثانيا دليلا على حذف
ضده اولا ولما بين غروره بين سهوله اغتراره بهم زيادة فى تنديمهم فقال وما كان لى اليكم فى ذلك من ذنبه
سلطان لى عليكم وابلغ فى النفى فقال من سلطان اى تسلط كبيرا ومعنى البشر من الاشيا الا ان اى بان دعوتكم
بالوسوسة التى كانت سببا لمعونة دواعيكم الى الشر فاستجبتم اى وجد تم الاجابة ايجاد من هو طالب له راغب فيها
لى مكنين الشهوات معرضين عن مناهيم العقول ودعا النصحا ولو حكمتم عقولكم لتبعتم الهداة لما فى سبيلهم من النور الرائحة
الهاديا ما فى سبيل غيرهم من الظلام الكاذبها والمهالك الزاجرة عنها دنيا واخرى وساقه على صورة الاستثنا وان لم يكن دعاؤه
من السلطان فى شىء لان السلطان اخص من البرهان اذ معناه ثم برهان يتسلط به على ابطال مذهب الخصم اشارة الى انهم
تبعوه ولا قدرة له على غير هذا الدعا الذى لا سلطان فيه وتركوا دعا من انزل اليهم من كل سلطان مبين مع تقويدهم
بما هو قادر عليه ومن كلهم ببعضه وفاعل مثل ذلك لا لوم له على غير نفسه فلا اى فاذ قد تقرر هذا تسبب عنه اقول لكم
لا فلا تلومونى ولوموا انفسكم لانكم مواخذون بكسبكم لانه كانت لكم قدرة واختيار فاخترتم الحيز على الشر وعلمه
منه قطعا ان كلا منا مشغول عن صاحبه بما جرى به قلم انى ما انا بمصرخكم اى بمغيثكم فيما خصكم من العذاب
فاتيكم بما يزيل من اخكم منه وما انتم بمصرخى فيما يخصنى منه لتقطع الاسباب بما دهى من العذاب ثم علل ذلك
بقوله انى كفرت شبههينا بما اشركتمون اى باتخاذكم لى شريكا مع الله ولما كان اشراكهم لم يستغرق الزمان اتى
بالجار فقال من قبل لان ذلك ظلم عظيم ثم علل هذه العلة بقوله ان الظالمين اى العريقين فى هذا الوصف لهم
عذاب اليم مكتوب لكل منهم مقداره لا يغنى عنه احد منهم عن الاخر شيئا بل كل مقصور على ما قدر له وحكاية هذه
المحاورة لتنبيه السامعين على النظر فى العواقب والاستعداد لذلك اليوم قبل ان لا يكون الا الندم وقرع السن
وعض اليد ولما ذكر الظالمين اتبعه ذكر المؤمنين فقال بانيا للمفعول لان الدخول هو المقصود بالذات وادخل
والادخال لنقل الى محيط هذا امثله الذين امنوا اى اوجدوا الايمان وعملوا الصالحات اى تصديقا
لدعواهم الايمان جنات تجرى وبين ان الماء غيرى عام لجميع ارضها بادخال الجار فقال من تحتها الانهار خالدين فيها لا
تزال زيادها لا يسقط ورقها ولا ثمرها اذ اخلها لا يبغى بها بدلا ولما كانت الاقامة لا تطيب الا باذن المالك قال
فالدين فيها باذن ربهم الذى اذن لهم بتربيته واحسانه فى الخروج من الظلمات الى النور وترى ادل على التكلم
عدل عن ان يكون يقول باذنى الى باذن ربهم للاعلام بالصفة المقتضية للرحمة كما قال تعالى انا اعطيناك
الكوثر فصل لربك ولم يقل فصل لنا سوا ومن شكل انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله فلا تنبغى المبادرة
الى انكار شىء بكون توجيهه بل يتعين معاد النظر فان الامر كما قال الامام ابو الفتح بن جنى فى كتابه المحتسب فى توجيه
لما يلعط من خشية الله ان كلام العرب لمن عرفه وسر الذى يعرفه الطف من السحر وانقى ساحة من مشوف
الفكر واشد تساقطا بعضا على بعض وامس تساندا نقلا الى فرض تحيتهم اى تحية بعضهم وتحية الملائكة والتحية التلقى بالكرامة
فى المخاطبة فهى اظهار شرف المخاطب فيها سلام اى عافية وسلامة وبقاء وقول من كل منهم للاخر ادام الله سلامتك
ونحو هذا من الاخبار بدوام العافية كان حال اهل الباطل فى النار عطب الام ولما تقرر بما مضى ان الحق ما قاله الله وفعله
او اذن فيه وان الباطل ما كان على غير امره مما ينسب الى الشيطان او غيره من قول او فعل وانه لا يفلح فى الحكمة ان يمحق
الحق ولا ان يبقى الباطل لان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ليحق الله الحق ويبطل الباطل وقص سبحانه كلام اوليائه
الذى هو من كلامه فهو ابلغ الاشارة واحسنها واعظمها ثم وكلام اعدائه الذى هو من كلام الشيطان فهو ابطل الاشياء واخبثها
ترتب على ذلك بمثل متعارفه المخاطبون فقال الم تر اى يا من لا ابهم عنده هذا المثل حتى انهم سواه كيف ضرب الله اى المحيط

بكل شي قدرة وعلما مثلا اي سيره بحيث يعم نفعه والمثل قول سائر يشبه به حال الثاني بالاول ثم بينه بقوله كلمة طيبة
اي جمعت انواع الكرم فليس فيها شي من الخبث وتلك الكلمة كشجرة طيبة ولما كانت لا تثمر الا بالثبات قال اصلها ثابت
اي راسخ في الارض امن من الاجتثاث بالرياح ونحوها وفرعها عال صاعد متشعب في جهة السماء لحسن منبتها وطيب عنصرها فالاية
من الاحتباك ذكر ثابت اولا دالا على عال صاعد ثانيا وذكر السماء ثانيا دالا على الارض اولا ولما ذكرها لها ذكر ثمرتها فقال
تؤتي اكلها اي ثمرها بحسن ادمها ودوام رعيها كل حين على احسن ما يكون من الايتاء لان علوها منعها من عفونات
الارض وقاذورات الابنية فكانت ثمرتها نقية من شوائب الادناس ولما كان الشي لا يكمل الا بكمال مربيه قال باذن ربها
فهي بحيث لا يستجيز عاقل ان يتسبب في افسادها ومن سعى في ذلك منعه اهل العقول ولو وصلوا الى بذل النفوس وروى
البخاري في التفسير وغيره لا يتحات ورقها عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبروني
بشجرة تشبه او كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا تؤتي اكلها كل حين قال ابن عمر رضي الله عنهما فوقع في نفسي
انها النخلة ورأيت ابا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت ان اتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة
فلما قمنا قلت لعمر يا ابتاه والله لقد كان وقع في نفسي انها النخلة فقال ما منعك ان تكلم قال لم اركم تكلمون فكرهت ان
اتكلم قال عمر لان تكون قلتها احب الي من كذا وكذا ثم نبه سبحانه على عظم هذا المثل ليقبل على تدبره فيعلم المراد منه فيلزم
فقال ويضرب الله اي الذي له الاحاطة الكاملة الامثال للناس اي الذين يحتاجون الى ذلك الا الاضطراب لا
لان في ضربها زيادة افهام وتصوير للمعاني لان المعاني الصرفة انما تدرك مناسبتها من المحسوسات ان تشبهت فالحس
والخيال والوهم وتصورت فتركت هذه القوى والمنازعة فيها فيحصل الفهم التام والوصول الى المطلوب
لعلهم يتذكرون اي ليكون حالهم حال من يرجى له غاية التذكر بما اشار اليه الاظهار وهذا مثل كلام الاولياء
فكلمتهم الطيبة كلمة التوحيد التي لا اطيب منها وهي اصل كل سعادة راسخة في قلوبهم معرقة في كل عرق منهم اوجب
اعراقها ان بسقت عروقها التي هي الاعمال الدينية من اعمال القلوب والجوارح فصارت كلما هزت اجتنى المعارف ثمراتها
التي لا نهاية لها عالما بانها من ثمر مولاه لا صنع له فيها بوجه بل له سبحانه المن عليه في جميع ذلك
وكان ان الشجرة لا تتم الا بعرق راسخ واصل قائم وفروع عالية فكذلك الايمان لا يتم الا بمعرفة القلب وقول اللسان وعمل الاركان
ثم اتبعه مثل حال الاعداء فقال ومثل كلمة خبيثة اي عريقة في الخبث لا طيب فيها كشجرة خبيثة ولما كان من انفع
الاشياء الهدم امحاؤها او الراحة من وجودها على اي حالة كانت بني للمفعول قوله اجتثت اي استوصلت بقلع جثتها من اصلها
من فوق الارض براي كل من له راي ثم علل ذلك بقوله ما لها واغرق في النفي بقوله من قرار اي عند من له ادنى
لب لانه لا نفع لها بل وجودها ضار ولو تشغل الارض فلذا الكلمة الخبيثة الباطلة لا بقاء لها اصلا وان علت وقتا لان حجتها
داحضة فجنودها منهزمة فلما برز الكلام الى هذا المثال حصل التعجب ممن يترك ممثول الاول ويفعل ممثول الثاني
فوقع التنبيه على ان ذلك بفعل القاهر فقال جوابا لمن كانه قال ان هذا الفرع الحق ثم انا نجد النفوس مائلة الى الضلال
وطائشة في اودية المحال فكيف لنا بالامتثال يثبت الله اي الذي له الجلال والجمال الذين امنوا اي اوجدوا هذه الحقيقة
ولو على اقل درجاتها بالقول الثابت اي الذي هو سنابه الدليل في الحياة الدنيا بمثل ما تقدم من محاورات انبيائه
وفي الاخرة ولعد بكم عند كل سؤال الى احسن الاقوال حيث تطيش العقول وتدهش الافكار لشدة الاهوال ويضل
الله اي الذي له الامر كله الظالمين اي الراسخين في الظلم وترك ما لهم لتقلبهم في الظلمات التي من شان صاحبها الضلال
والخبط فيفعلون ما لا يرضاه عاقل فالاية من الاحتباك ذكر التثبيت اولا دليلا على ضده ثانيا والضلال ثانيا دليلا على الهدى
اولا ويفعل الله اي الذي له الامر كله ما يشاء لان الحكم الكل بحكمه وقضائه وهو القادر القاهر
فلا يتعجب من شي ومن هذا ارشاد الى الابتهال اليه والافتقار منه للافتقار اليه وروى البخاري في التفسير وغيره ومسلم
في اواخر صفة الجنة والنار عن البراء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل في القبر يشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الاية ولما اخبر سبحانه انه هو الفاعل وحده اتبعه الدليل عليه وعلى
اضلال الذين بدلوا الكلمة الطيبة من التوحيد بالاشراك وزلزلتهم واجتثاث كلمتهم فقال الم تر واشار الى بعدهم عن
مقامه صلى الله عليه وسلم بقوله الى الذين بدلوا والتبديل جعل الشي مكان غيره نعمة الله اي الملك لصفات الكمال
التي اسبغها عليهم من كلمة التوحيد وملة ابيهم من دين ابيهم اسمعيل عليه السلام ومن جميع النعم الدنيوية من الحرم البلد
وتيسير الرزق وغير ذلك بان جعلوا مكان شكرها كفرا وهم يدعون انهم اشكر الناس لله احسانا واعلاهم همة
في الوفا وابعدهم عن الجفا واحلوا قومهم بذلك دار البوار اي الهلاك مع ادعائهم انهم ابعد الناس عن الجار فضلا
عن الاحلال روى البخاري في التفسير انهم كفار اهل مكة والبوار الهلاك الزايد والاحلال جعل الشي في محل فان كان جوهرا

جوهرا فهو احلال لمجاورة وان كان عرضا فهو احلال لمداخلة ولما كان احلالها مفككة بينها بما يفهم انها الفاتة
بالعبودية كما كانوا يفعلون اوليا الله من الرسل وغيرهم بذلك فقال جهنم حال كونهم يصلونها اي يباشرون حرها مع
انغماسهم فيها بانعطافها عليهم ولما كان التقدير فبئس الاحلال احلوه انفسهم وقومهم عطف عليه قوله وبئس القرار
ذلك المحل الذي احلهم به ولما كان هذا فعل من لا عقل له بينه بقوله وجعلوا لله اندادا الذين يعلمون انه لا شريك له
في خلقهم ولا رزقهم لان لهذا الكمال كله اندادا وقال ليضلوا اي بانفسهم على قراءة ابن كثير وابي عمرو ويضلوا غيرهم
على قراءة الباقين عن سبيله لانهم ان كانوا عقلا فهم يعلمون ان هذا لازم لفعلهم فهم قاصدون له والا فلا عقول لهم لانه
لا يقدم على ما لا يعلم عاقبته الا ابله وهم يقولون انهم بطل الناس قلوبا واصفاهم عقولا وانفذهم افكارا واسدهم
اراء فمن الزمهم ومن احذرهم لطرق الهلاك مع ما وقعوا انفسهم فيه من هذا الداء العضال فلما تقرر انهم
على الضد من جميع ما يدعونه فكانوا بذلك اهلا للاعراض عنهم وكان صلى الله عليه وسلم يعرض ان يقول فاذا افعل بهم وقد
امرتني باخراجهم الى حلك امره ان يدق اعناقهم باخبارهم انما امهلهم من النعم انما هو استدراج فقال قل اي لهم
لهم فانهم لا يشكرون في قولك وان عاندوا تمتعوا وبالغوا في نيل الرغائب مهما قدرتم فان ذلك صادكم عنا فعلكم فان
مصيركم اي صيرورتكم الى النار بسبب تمتعكم على هذا الوجه ولما ذكر كفرهم وضلالهم عن السبيل وما امره صلى
الله عليه وسلم بان يقول لهم وكان ذلك محركا للنفس للتشوف الى الوقوف على ما يقال لمن خلع الانداد وكان او نوعا من السبيل
لمحل الايمان واخصه الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر والنفقة الحاملة لوجوه البر امره تعالى ان يندب اوليائه
الى الاقبال الى ما اعرض عنه اعداؤه والاعراض عما اقبلوا بالتمتع عليه من ذلك فقال قل لعبادي فوصفهم باشرف
اوصافهم واضافهم الى ضميره الشريف تحبيبا لهم فيه ثم اتبع هذا الوصف ما يناسبه من اذعانهم لسيدهم فقال
الذين امنوا اي اوجدوا هذا الوصف ولما كان قوله صلى الله عليه وسلم احسن قول فهو جلاء لصدا القلوب وموجب
لتهذيب النفوس فكانهما يقيموا الصلاة اي التي هي زكاة القوة وصلة العبد بربه وينفقوا وخفف عنهم بقوله مما رزقنا
اي بعظمتنا فنولنا لهم من انواع النفقات المتينة لشرايعه من الصدقات وغيرها اتقانا لما بينهم وبينه من الاسباب
لينقذوا انفسهم من النار واقتصر على هاتين الخصلتين لانه لم يكن فرض في مكة غيرهما مع ما تقدم من فضلها وعمومها
ولعله تشير سياق الشرط بينهما لهم على ان يجددوا قوله صلى الله عليه وسلم اقوى الاسباب فيجب عليهم ان لا يتخلفوا عنه اصلا
ثم اشار الى المداومة على هاتين الخصلتين بقوله سرا وعلانية ويجوز ان يراد بالسر النافلة وبالعلانية الفرض
ثم رهب من تفاوت في خدمته من اليوم الذي كان الاعراض عنه سببا للضلال فقال مشيرا بالجار الى
قصر مدة اعمالهم من قبل ان ياتي يوم اي عظيم جدا ليس هو كشي من الايام التي تعرفونها لا بيع فيه ولا خلال
لا سير بعد اخلاف اي مخالات ومودات يكون عنها شفاعة وهو جمع خلة كقلة وقلال وهو مصدر وذلك اشارة
الى انه لا يكون شي منها سببا لحصول شي ما ولما نفى جميع الاسباب النافعة في الدنيا ذلك اليوم كان كانه قيل
من الحكم فيه حتى انه ليس يسير لا ينفع فقيل الله اي الملك الاعلى المحيط بكل شي ثم اتبعه بصفات تدل على ما دعا
اليه الرسل من وحدانيته وما اخبر وابدي من قدرته على كل شي فله يعتد احد على بعثا لبنته وعلى المعاد وعلى غناه فلا
يتابع فقال الذي له ما في السموات والارض وهما اكبر خلقا منكم واعظم شانا ثم عقبه بادلة الامور على الاعادة مع ما فيه
عظم المنة بان به الحياة فقال وانزل من السماء ماء ولما كان ذلك سببه اليمين فقال فاخرج به اي بالماء الذي جعل
منه كل شي حي من الثمرات اي الشجرية وغيرها رزقا لكم بعد يبس الارض وجفاف نباتها وليس للايدون احيا الموتى
ثم اتبعه ما ادخره في الارض من سياه البحار والانهار وذكر اعم ما يظهر من منافع البحار فقال وسخر لكم الفلك
لتجري في البحر
وعلل ذلك بقوله بامره ولما كانت الانهار من النعم الكبار بعد نعمة البحار قال وسخر لكم الانهار ثم اتبعه ما جعل
سببا لكمال التصرف وانضاج الثمار المستقية بالماء النازل من السما والنابع من الارض فقال وسخر لكم الشمس والقمر
حال كونهما دائبين اي في سيرهما واناراتهما وما ينشا عنهما من الاصلاح بالطبخ والانضاج في المعادن والنبات والحيوان
قال الرماني والدؤوب مرور الشي في العمل على عادة جارية فيه ثم ذكر تعالى ما ينشا عن وجود الشمس وعدمها فقال وسخر
لكم الليل اي الذي فيه لغير ايته والنهار اي الذي للشمس ايته يوجد كل منهما بعد تقدمه ولو كان احدهما سرمدا لاختل الحال
بعدم النبات والحيوان كما هو في الاماكن التي تقرب الشمس في الجنوب بحيث لا تطلع في الشمال ثم عمم بعد ان خص فقال
واتاكم ولما كان الكل لا يكون الا في الجنة قال من كل ما سألتموه اي بانكم محتاجون اليه فانتم سائلوه بالقوة ثم حقق وجه
العظم موضع ما يوجب العجز فقال وان تعدوا ايها الناس الكلمة نعمة الله اي تريدوا عدا نعمة الملك الاعلى الذي له الكمال
المطلق او تاخذوا في عده وعبر عنه بالنعمة ارشادا الى الاستدلال بما لا نعم على المؤثر لا تحصوها اي لا تحيطوا بها فلا تعرفوا

ولا تعرفوا عد الحصا المقابلة ان عدد نعمها لما كانت عادت العرب ان لا يجدوا من الحصى ما يوفي بعدد ما قصدوا في النعمة
الواحدة فكيف بما زاد فهذا شرح قوله اول السورة الله الذي له ما في السموات وما في الارض وقد ظهر به انه لا يوجد شي الا وهو
ملك الله فضلا عن ان يوجد شي في ذاته فضلا عن شي يماثله فثبت انه لا شي ولا خلاف يوم دينونة العباد وتقريب العجز
عن العد للافهام ان السلامة من كل دا ذكره الاطبا في كتبهم عن كثرتها وطولها نعمة على البعد وذلك متعسر الحصر فكلا
ذكروه من معاني جنب ما دخل تحت كليا تهم تلويحا قليل فكيف بما لا يطلعهم الله عليه ولم تهتد اهم بوجه اليه هذا في الجسم
واما في العقل فالسلامة عن كل عقد زايغ ودين باطل وضلال مايل وذلك لا يحصيه الا خالق الفكر وفاطر الفطر سبحانه
ما اعزه واعظم شانه ولما كان اكثر هذه السورة في بيان الكفرة وما لهم وبيان ان اكثر الخلق هالك لا معرض عما يا تيه من
نعمة الهداية على ايدي الرسل الدعاة الى من له جميع النعم للحياة الطيبة بسعادة الدارين ختم الاية ببيان ما اقتضى ذلك
من صفات الانسان فقال ان الانسان لظلوم اي لهذا النوع لما له من الانس بنفسه والنسيان لما ينفعه ويضره والاضطراب
بسبب ما يغمه ويسره لظلوم كفار اي بليغ الظلم والكفر حيث يهمل الشكر ويتعداه الى الكفر وختم مثل ذلك في سورة
النحل بغفور رحيم لان تلك سورة النعم بديت بالنهي عن استعجال العذاب لان الرحمة اسبق ومن الرحمة امهال
الناس وامتاعهم بالمنافع فالتقدير اذن هناك وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ولكن
ربه لا يعاجله بالعقوبة لانه غفور رحيم واما هذه السورة فبديت بان الناس في الظلمات ولما انتفت المانع
به من العقول لكفر النعمة وشاكرها وسبق لك ذا الدليل عليه وبان انه خالق الموجودات كلها وربها فلا يصح
اصلا ان شي منها شريكا امره صلى الله عليه وسلم ان يذكر بايام الله عند ابيهم ابراهيم عليه السلام للدلالة على تبديلهم
النعمة خلفا منهم وكونها في اسلوب دال على البحث مشير الى وجوب برائتهم من الاصنام حيث كان تحطم حالهم فيها تقليد
الاباء وهو اعظم ابائهم والى مناسبة لهم من اقامتهم الصلاة وكرمهم وشكرهم لنعمه بالاتفاق وغيره فقال ناعيا عليهم مع المخالفة
لصريح العقل وقاطع النقل عقوق ابيهم الاعظم عطفا على قل لعبادي الذين امنوا او على واذ قال موسى لقومه واذ
اي واذكر لهم مذكرا بايام الله خبر ابراهيم قال ابراهيم رب اي ايها المحسن الي باجابة دعائي في جعل النفر الذي وضعت به
ولدي بلدا اعظيما ولما كان السياق لاخراج الرسل من بلادهم وكان ذلك منهما ان المحل الذي يتم الاخراج منه بلدا
يسكن فيه واتبعه بحانه بان المتوحشين بدلوا نعمة الله بما اسكن فيه من الامن بعد جعله له بلدا ابلا صرفوا فيه من
الاخافة لحين اهله ومن الانداد لمن انعم عليهم بكل ما فيه من الخير كان الانسب تعريفه فقال هذا الدعا صدر منه
بعدان اسكن الناس مسكنه وصارت مدينة والذي في البقرة كان حيث وضع ابنه بها مع امه وهي خالية عن ساكن اي
اجعل هذا البلد اي الذين يريدون اخراج الرسول منه آمنا اي ذا امن بالحال اصله وكان هذا الدعا صدر منه بعدان
سكن الناس مسكنه وصارت مدينة والذي في البقرة كان حيث وضع ابنه بها مع امه وهي خالية عن ساكن فدعا ان يجعلها
الله بلدا وان يجعلها بعد ذلك موصولة بالامن وهو سكون النفس الى زوال الضر ولما دعا بالامن من فساد الاموال
والابدان اتبعه الدعا بالامن من فساد الاديان فقال واجنبني اي اجعلني في جانب وبني اي لصلبي اسقط البنات اشارة الى
الاستقلال وانما هن تابعات دايما ان نعبد اي عبادة مستمرة يكون موجبة للنار الاصنام اي اجعلنا في جانب غير جانب
عبادتها والصنم المنحوت على خلقة البشر وما كان منحوتا على غير خلقة البشر فهو وثن قاله الطبري عن مجاهد ثم بين
زيادة الاهتمام بامر الاصنام باعادة النداء واسقط الاداة زيادة في التملق بكونه من اهل القرب والانقطاب اليه
سبحانه معللا لما قبله في قوله رب بافراد المضاف اليه لكون الرجاء على نظام واحد انهن اضللن اسناد مجازي
علاقته السببية كثيرا من الناس فمن تبعني اي فتسبب عن بغضي لهن اني اقول تبعني من جميع الناس في تجنبها فانه
مني اي من حزبي لكونه على طريقتي وديني فاتني جا وعد تني فيه من الفوز ومن عصاني فضل بها فاتعدا استحق النار
فان عذبته فهو عبدك وان غفرت له فانت اهل لذلك لان لك ان تفعل ما تشا فانك غفور اي بليغ الستر رحيم اي
بليغ الاكرام بعد ستر الذنوب واكد الاعلام بزيادة رغبته في العفو لانه لا ينتقص به شي من عزته سبحانه ولا حكمته كما اشار
اليه دعا عيسى عليه السلام في المائدة ولما دعا بدرء المفاسد الناشية من نوعي الانسان والشيطان عن البلد واتبع
ذكر السبب الحامل له على تخصيصه بذلك مستجلبا للمصالح فقال ربنا اي يا رب ورب من قضيت انه يتبعني بتربيتك
لنا احسن تربية اني اسكنت وكان الله سبحانه قد اخبره انه يكثر نسله حتى يكونوا كالنجوم وذلك بعد البشارة باسحق
عليه السلام فقال من ذريتي وساقه مؤكدا تنبيها على انه لكونه على وجه لا يسمح به احد الا يكاد يصدق والاعلام بانه
راغب فيه بواد هو مسلك المشقة لكونها في فضا منخفض بين جبال تجري فيه السيول غير ذي زرع ولما نفى عنه الرفد
الدنيوي اثبت له الاخروي اشارة الى ان الدارين ضرتان لا يجتمعان وكان هذا الدعا كان بعد بنائه البيت كما تقدمت

كما تقدمت الاشارة اليه ايضا بتعريف البلد فقال عند بيتك المحرم اي الذي حرمت التعرض اليه ومنعته بالهيبة فلم
يملكه احد سواك وجعل له حريما يامن فيه الوحش والطير والسكني اتخاذ ماوي يسكن اليه متى شاء والوادي سفح الجبل العظيم ومنه قيل
للانهار اودية لان كانا لها كالجبال لها والزرع نبات ينفرش من غير ساق ثم بين غرضه من اسكانهم هناك فقال ربنا اي ايها المحسن
الينا ليقيموا الصلاة ما اسكنتهم في هذا الوادي امرين بعيدين عن البيت المتوجه بها اليه ولما كان اشتغالهم بالعبادة
وكونهم في ذلك الوادي الموصوف لا لهذا الغرض المنافي لعبادة غيرك ولان اولى الناس باقامتها من هو الى البيت المتوجه بها اليه
ولما كان اشتغالهم بالعبادة وكونهم في ذلك الوادي امرين بعيدين عن اسباب المعايش تسبب عنه قوله فاجعل افئدة اي
قلوبا محترقة بالاشواق من الناس اي من افئدة الذين هم اهل للاضطراب لكون احتراقها بالشوق ناشيا من احتراقها تهوى
اي تقصدهم فتسرع نحوهم برغبة وشوق اسراع من ينزل من عال وزاد المعنى وضوحا واكده بحرف الغاية الدال على بعد
لان الشي كلما بعد مرماه اشتد وقعه فقال اليهم ولما دعا لهم بالدين دعا لهم بالرزق المتضمن للدعا بحياتهم فقال
وارزقهم اي على يد من يهوي اليهم من الثمرات ابا التي انبتها في بلادهم وبين العلة الصالحة بقوله لعلهم يشكرون اي ليكون
حالهم حال من يرجى شكره لما يرون من نعمك الخارقة للعوايد في ذلك الموضع البعيد عن الفضل لولا عناياتك فيشتغلوا
بعبادتك لا غنايك لهم واحسانك اليهم وقد اجاب الله دعوته فانه لبذ لهم من رتب هذه النعم الجليلة عليهم ببركة
ابيهم الاعظم الذي نهى عن عبادة الاوثان والمانع من الدعا بالاهم من الابقا على الفطرة الاولى المسوقة للعزايم الى العكوف
في دارة الانس ومن الكفاية لهم المعايش المنتج للشكر بانفاق الفضل وتبين من ذلك انهم خالفوا اعظم ابائهم في جميع
ما قصده لهم من المصالح اتبعه ما يحث على الاخلاص في ذلك وغيره له ولغيره ليكون ابلغ للمراد بضمان الاسعاد ولا سيما مع تكرير
النداء الدال على مزيد التضرع فقال ربنا اي ايها المحسن الينا المالك لجميع امورنا انك تعلم ما اي جميع ما نخفي وما نعلن
ثم اشار الى عموم علمه فقال وما يخفى على الله اي الذي احاط بكل شي علما وقدرة وبالغ في النفي فقال من شي من ذلك ولا
غيره في الارض ولما كان في سياق المبالغة اعاد النافي تاكيدا فقال ولا في السما اي في نوع غيرها يحتاج الى التعريف بالدعا
فالدعا انما هو لاظهار العبودية واسم الجنس شامل لما فوق الواحد ومن فوايد التعبير بالافراد الدلالة على ان كان يحيط
بكل ما في المتقابلين من غيران يحجبه احدهما عن الاخر كان محيطا بغيرهما لذلك من غير فرق ولما تم ما دعا به من التنزه عن
رجاسة الشرك وتبين بتقديمه ان اهم المهمات البراة منه اتبعه الحمد على ما رزق من النعم وما تبع ذلك من الاشارة الى
وجوب الشكر فقال الحمد لله اي المستجمع لصفات الكمال الذي وهب والهبة عطية تمليك من غير عقد مثامنة لي حال كوني
مستحليا على الكبر ومتمكنا منه على ياس من الولد اسمعيل الذي اسكنته هنا واسحق وهذا يدل على ما تقدم فهي له
من ان هذا الدعا كان بعد بنا البيت وطابقته باسحق عليه السلام عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان عند ولادة
اسمعيل عليه السلام كان ابن تسعا وتسعين سنة وعند ولادة اسحق عليه السلام كان ماية سنة واثنتي عشرة سنة ولما كان اتيان
الولد له في سن لا يولد فيه لمثله وجميع ما دعا به من الخوارق فوجوده لا يكاد يصدق اشارة الى ذلك ابتاكيد قوله ان ربي
اي المحسن الي لسميع الدعا اي من شانه اجابة الدعا على الوجه الابلغ لتعريضنا بالانداد واشارة الى ما تضمنه تاسفه على العقم
فقد تقدم في سورة البقرة عن التوراة انه لما خلص ابن اخيه لوطا من الاسر قال له الله يا ابراهيم انا اكانفك واسلطك
لان ثوابك قد جزل فقال ابراهيم اللهم ربي ما الذي تعطيني وانا خارج من الدنيا بلا نسل ويرثني العبد اي غلامي الدمشقي فقال له
الرب لا يرثك هذا بل يرثك ابنك الذي يخرج من صلبك فهو يرثك وقال له انظر الى السما واحص النجوم ان كنت تقدر ان
تحصيها فكذلك يكون في ذريتك فامن ابراهيم بالله ولما تم الحمد على النعمة بعد الدعا بالتحلي بما في السعادة وختمه بالحمد على
اجابة الدعا انتهز الفرصة في اتباعه الدعا بالتحلي بحلية العبادة التي اخبر انها قصده باسكانه من ذريته ثم اقامتها اشارة
الى صعوبتها على النفس الا بمعونة الله فقال رب اي ايها الموجد لي المالك لامري اجعلني مقيم الصلاة اي بهذا النوع الدال
على غاية الخضوع دائم الاقامة لها وكان الله تعالى اعلمه بانه يكون من ذريته من يكفر فقال ادبا ومن ذريتي ولما كانت الصلاة اعظم
الاركان بعد الايمان افرد التضمن للدعا بها متلقيا بالله تعالى ما عليه من النعم التي لو ضيعها على احد كان في ذلك الزمان غيره
ثم اشار الى ذلك باسم الرب ثم زاد في التضرع بقوله ربنا اي ايها المحسن الينا وجميع الضمير المضاف اليه بالنظر الى من تبعه
من ذريته لان ما بعده كلام احرى برب وربه من وثقته بتربيتك واحسانك لاقامة الصلاة من ذريتي وتقبل دعاي
كله بذلك وغيره بان تجعله مقبولا لا جعل من كانه راغب فيه مثبت به ولما كان الانسان ولو اجتهد كل الاجتهاد محل التقصير الموجب
للتقصير المفتقر للتسلية للستر قال مشيرا الى ذلك ربنا اي ايها المالك لامورنا المدبر لنا اغفر لي ثم اشرك معه اقرب الناس
اليه واحقهم بشكره فقال ولوالدي وقد كان استغفاره لهما قبل ان يعلم ان اباه مات كافرا وقد علم من السياق انه اذا كان
وحده اضاف الى ضميره واذا تقدم ما يحسن جمعه معه جمع ان كان ما بعده مستقلا ثم كل من تبعه في الدين من ذريته وغيرهم فقال

و للمؤمنين اى الفريقين فى هذا الوصف يوم يقوم اى يظهر ويتحقق على اعلى وجوهه الحساب ولما ختم دعاءه بيوم الحساب
الموجب لتحمل ذكره لكل سعادة ونسيانه لكل شقاوة ذكر بعض ما يتفق فيه رجوعا الى ما مضى من احوال القيمة على احسن وجه
فقال عاطفا على قوله قل لعبادى وبل المقصد تهديدا اهل الظلم بالاشراك وغيره وخاطب الراس الذى لا يمكن ذلك منه ليكون
اوقع فى قلب غيره ولا تحسبن الله اى الملك الذى هو احكم الحاكمين ولما كان اعتقاد ترك الحساب يلزم منه نسبة الحاكم الى العجز
او السفه او الغفلة وكان قد اثبت قدرته وحكمته فى هذه السورة وغيرها نزهه عن الغفلة ليذهب به المنكرون للبعث
من غفلتهم فقال غافلا والغفلة ذهاب المعنى عن النفس عما يعمل الظالمون الذين بدلوا نعمة الله كفرا فكانوا عريقين فى الظلم وان
استندوا ظلمهم بشبهها علمية تقيمونها فكانه قيل فما الذى يفعل بهم فقال انما يؤخرهم اى يؤخر حسابهم على النقير والقطمير سواء
عذبوا فى الدنيا او لا ليوم تشخص اى تنفتح فيكون بحيث لا تطرف فيه منهم الابصار حال كونهم مهطعين اى مسرعين غاية
الاسراع الى حيث دعوا خوفا وجزعا مع الاقبال بالبصر نحو الداعى لا يلتفتون الى غيره مقنعى رؤسهم اى رافعيها وناظريها
وناصبيها ناظرين فى ذل وخشوع الى جهة واحدة وهى جهة الداعى لا يلتفتون يمينا ولا شمالا لان هذا كناية عن اشد الذل
والصغار ثم اتبعه ما يؤكده فقال بطرحها بمعنى الشخوص لا يرتد اليهم ولما كان نوادى هيئة الاعين فى الطرف والسكون قريبا
من السواء وصد فقال طرفهم بل اعينهم شاخصة دائمة الفتح لا تطرف كالمحتضر لما يتحققه من الهول وافئدتهم جمع فؤاد
وهو العضو الذى من شانه ان يحمى بالغضب قال فى القاموس والتفؤد التحرق والتوقد ومنه الفؤاد للقلب مذكر جمعه افئدة
هواء اى عدم فارغة لا شئ فيها من الجراءة والانفة التى يظهرونها الان كما قال حسان بن ثابت رضى الله عنه
الا ابلغ ابا سفيان عنى * فانت مجوف نخب هواء * والهواء الخلاء الذى لم تشغله الاجرام والنخب الجبان وكذا الهواء
قال فى القاموس فكذهم الهواء لذلك اليوم فانه لا يبقى معهم فيه شئ مما هم فيه من الاباء والاستكبار وانذر اى
يا محمد الناس جميعا ما يحل بهم يوم ياتيهم العذاب وينكشف عنهم الغطاء بالموت او بالبعث ولما كانوا عند اتيان العذاب
قبل الموت لا ينكسرون بالكلية بين لهم انهم اذ ذاك على غير هذا فقال عاطفا على ياتيهم فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا
اى اوجدوا هذا الامر ولو على ادنى الوجوه منهم ومن غيرهم بسبب اتيانه اياه سراعا بلا مهل وقد زال عنهم ما يفتخرون
به من الانفة والحمية والشماخة والكبر لما دار من الاهوال التى لا قبل لهم بها ولا صبر عليها ربنا اى ايها المحسن الينا بالخلق
والرزق والتربية اخرنا اى امهلنا الى اجل قريب فاننا ان تؤخرنا اليه نجب دعوتك اى استدراكا لما فرطنا فيه والاجابة
القطع على موافقة الداعى بلا اراده ونتبع اى بغاية الرغبة الرسل فيقال لهم ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو تكونوا تقولون انك
عن صبر كم لا يحل وعد ايكم لا يفعل او لم تكونوا اى كونا انتم فيه فى غاية الكبر اقسمتم اى جهلا وسفها واشرا وبطرا ولما
لم يكن وقت اقسامهم مستغرقا للزمان قال من قبل وبين الجواب المقسم عليه بقوله حاكيا معنى قولهم لا لفظه ليكون فرجا
فى المراد من غير احتمال التعنت لو قيل ما لنا ما لكم وأكد النفى فقال من زوال عما انتم عليه من الكون وعدم الاذعان للايمان
او من هذه الدار الى الدار الاخرة او من نفاذ لكم التى انتم لها كناية عن ثبات الامر وعدم المبالاة بالمخالف كانهم من كان
والحال انكم سكنتم اى فى الدنيا فى مساكن الذين ظلموا اى بوضع الاشياء فى غير مواضعها كما فعلتم انتم انفسهم فاهلكوا
قومهم سكنكم دار البوار وتبين اى غاية البيان لكم بالخبر والمشاهدة ولما كان حالهم فى غاية العجب نبه مستفهما
على انه اهل لان يسأل عنه فقال كيف فعلنا اى على عظمتنا بهم حين انتقمنا منهم فلم يعتبروا باحوالهم وضربنا لكم
اى على ما لنا من العظمة لكم الامثال المبينة ان سنة الله قد جرت ولن تجد لسنة الله تبديلا ان الظالمين كما جمعهم اسم الظلم
جمعهم مسم الهلاك فجمعنا لكم بين طريقى الاعتبار السمع والبصر ثم لم ينتفعوا بشئ منها والحال انه بان لكم انهم حين فعلنا
بهم ما فعلنا قد مكروا مكرهم اى الشديد العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم بحيث لم يبق لهم مكر غيره فى تائيد الكفر
وابطال الحق والمكر الفتل الى الضر على وجه الحيلة والحال انه عند الله اى المحيط علما وقدرة مكرهم فهو محيط به عالم
به من جميع وجوهه وان دق وعلى ابطاله قادر فلن يحل وان كان مكرهم من القوة والضخامة لتزول اى لاجل ان تزول منه
الجبال والتقدير على قراءة فتح اللام الاولى ورفع الثانية وان كان بحيث انه تزول منه الجبال والمعنيان متقاربان
وقيل ان نافية واللام مؤكدة لما انفى الجبال الايات والشرائع بل هى اثبت ولما تقرر ذلك من علمه سبحانه وقدرته تسبب
عنه ان يقال وهو كما تقدم فى ان المراد الامة لبلوغ الامر منهم كل مبلغ خوطب به الراس ليكون اوقع فى قلوبهم فلا تحسبن الله
اى الذى له الكمال كله فان من ظن ذلك كان ناقص العقل مخلف وعده رسله فى انه يعز اولياءه ويذل اعداءه ويهلكهم بظلمهم
ويسكن اولياءه الارض من بعدهم ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لان كثرة المخالفين وقوتهم على تمادى الايام تقتضى لصاحبها الانكار
ان الله اى ذا الجلال والاكرام عزيز اى يقدر ولا يقدر عليه ذو انتقام ممن يخالف امره ولما تقررت عظمة ذلك اليوم الذى
تشخص فيه الابصار وكان اعظم يوم يظهر فيه الانتقام منه بقوله يوم تبدل اى تبديلا عزيزا عظيما الارض اى هذا الجنس غير

غير الارض اى التى يعرفونها والسموات بعد انتشار كواكبها وانفطارها وغير ذلك من شؤونها والتبديل تغيير الشئ او صفته
الى بدل وبرزوا اى الظالمون الذين كانوا يقولون انهم لا يعرضون على الله للحساب والبروز ظهور الشخص بما كان مستلبسا به لله اى الذى
له صفات الكمال الواحد الذى لا شريك له القهار الذى لا يدافعه شئ عن مراده فضلا عن ان يؤذى او يدبرهم بحيث لا يشكون انه لا يخفى منهم
خافية واما المؤمنون فلم يزالوا يعلمون ذلك روى مسلم والترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوله تعالى يوم تبدل الارض الاية قلت يا رسول الله اين يكون الناس يومئذ قال على الصراط ولما ذكر بروزهم ذكر ما لهم فى ذلك
البروز فقال وترى المجرمين اى وتراهم ولكنه اظهر الوصف تعميما للحكم الذى اوجب الخزى والاجرام قطع ما يجوز من العمل بفعل ما لا يجوز
يومئذ اى اذ كانت هذه الامور العظام مقرنين اى مجموعا كل منهم الى نظيره او مجموعة ايديهم الى اعناقهم مع شياطينهم شدة وضيق فى الاصفاد
والمراد هنا الاغلال اى السلاسل التى تجمع الايادى فيها الى الاعناق ويقرنون فيها مع اشكالهم ثم بين لباسهم بقوله سرابيلهم اى قمصهم السابغة
من قطران وهو ما يتلطخ به الابل ومن شانه انه يسرع اشتعال النار وهو اسود اللون منتن الريح ولما كان هذا اللباس مع نتنه وفظاعته شديد
الانفعال بالنار بين انه يسلطها عليهم فقال وتغشى ولما كان الوجه اشرف ما فى الحيوان فاهانته اهانة عظيمة لصاحبه ذكره وقدمه تعجيلا له
لاتمام الاهانة فقال وجوههم النار اى تعلوها باشتعالها فعلم انه يلزم من غشيانها لها اضطرامها فيها بالقطران من باب الاولى ثم بين علة هذه
الافعال فى ذلك اليوم فقال معبرا بالجزاء والكسب الذى يحط التكليف وظن النفع لا يقتضيه سياق القهر لها ليجزى الله اى الذى
له الكمال كله كل نفس طائعة او عاصية ولما عظم الامر باسناد الجزاء الى الاسم الاعظم الجامع لجميع صفات الكمال يقتضى ذلك ان يكون نفس
الكسب هو الجزاء لان ذلك ابدع وادق فى الصنع وابرع بان يصور ما يجئ من الصور المليحة عند ارادة الثواب والقبيحة عند ارادة العقاب
فلذلك اسقط الباء التى تذكر فى حم المؤمن وقال ما كسبت والجزاء مقابلة الجزاء بما يقتضيه من خير وشر والكسب فعل ما يجتلب به نفع او
يستدفع به ضرر من جزاء المؤمن عقوبة من عاداه فى الله ولما كان حساب كل نفس جديدا بان يستعظم قال ان الله اى الذى له الاحاطة
المطلقة سريع الحساب اى لا يشغله حساب نفس عن حساب اخرى ولا شان عن شان ولما اشتملت هذه السورة على ما ترى وسمعت من هذه
المواعظ والحكم التى ابكمت البلغاء واخرست الفصحاء وكحرت العقول ترجمها سبحانه بما يصلح عنوانا لجميع القرآن فقال هذا اى الكتاب الذى
يخرج الناس من الظلمات الى النور بلاغ اى كاف غاية الكفاية فى الايصال للناس ليصلوا به الى الله بما يتحلون به من المزايا فى سلوك طريق
القوم فان مادة بلغ بأى ترتيب كان تدور على الوصول وتارة يلزمها القوة وتارة الاعياء الناشئ عن الضعف والبلاغ كسحاب
الكفاية لانها توصل الى القصد وبالغ مبالغة اذا اجتهد ولم يقصر وتبلغت به العلة اشتدت والغلباء الحديقة المتكاثفة ومن القبائل العزيزة
الممتنعة والاغلب الاسد ولغب اعيى لاجتهاده فى البلوغ واللغب ما بين الثنايا من اللحم واللغب ككتف الكلام الفاسد يرجع الى
الاعياء واللغب الضعيف الاحمق والسهم الذى لم يحسن بريه كاللغاب بالضم والتلغب طول الطرد والبغل من اشد الحيوان وابلغها
للقصد وبغل تبغيلا بلد واعيى والابل مشت بين الهملجة والعنق ولما كان متعلق البلاغ الذى قدرته بالوصول يتضمن البشارة
عطف عليه النذارة بانيا للمفعول لان النافع مطلق النذارة وكل احد متاهل لان يكون واعظا به منبها لان من يسمعه فكانما
سمعه من الله لتميزه باعجازه عن كل كلام فقال ولينذروا به اى من اى منذر كان فتقوم عليهم الحجة به فيحذروا عقاب الله فيتخلوا
عن الدنيا ولما اشار الى جميع الفروع فعلا وتركا مع اشارته الى اصل التوحيد لانه اول الوصول صرح به على وجه التحقيق فقال
وليعلموا انما هو اى الاله اله واحد فيكون همهم واحدا ولما تمت الاشارة الى الدين اصلا وفرعا نبه على المواعظ والامثال
بتذكر امثاله من الامثال والمصنوعات والبطش عن خالفه من الامم واشار الى ان ادلة الوحدانية والحشر لا تحتاج الى كبير
لانها فى غاية الوضوح ولا سيما بعد تنبيه الرسل فادغم تا التفعل فقال وليذكر اى منهم اولوا الالباب اى الصافية والعقول
الوافية فيتخذوا عيون بصائرهم فيعلموا انه لا وصول لهم مع الغفلة فيلزموا المراقبة فلا يزالوا فى رياض القاربة ويعلموا بما ركز فى
طباعهم وجرى من عوائدهم ان اقل الحكام لا يرضى بان يدع رعيته يتهارجون لا ينصف بينهم ولا يجزى احدا منهم بما كسب فيكون
ذلك منه انسلاخا من رتبة الحكم التى هى خاصته فكيف يدعون ذلك لاحكم الحاكمين فقد تكفلت هذه الاية على وجازتها
بجميع علم الشريعة اصولا وفروعا وعلم الحقيقة نهايات وشروعا على سبيل الاجمال وقد انطبق اخر السورة على اولها ولما لان
هذا عين الخروج من الظلمات الى النور لهذا الكتاب الحامل على كل صواب والله الموفق * سورة الحجر *
مقصودها وصف الكتاب بانه الذروة من الجمع للمعانى الموضحة للحق من غير اختلاف اصلا واشكل ما فيها وامثله فى هذا المعنى قصة
اصحاب الحجر فان وضوح اياتهم عندهم وعند كل من شاهدها او سمع بها كوضوح ما دل عليه مقصود هذه السورة فى امر الكتاب عند جميع
العرب لا سيما قريش وايضا انهم فى غاية الايضاح للحق والجمع لمعانيه الدائرة على التوحيد المقتضى للاجتماع على الداعى ومن هنا
ينضم ويتايد ما اخترته من الاعراب لقوله تعالى كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين لكانوا اعرضوا عن المقتضى للسداد
الملائمة بين شانهم فى كفرهم وشان قريش فى مثل ذلك كما ستراه ان لفظ الحجر يدل على ما دل عليه مقصود السورة من الجمع والا
التى دعا الاحاطة المميزة للمحاط به من غيره بلا لبس اصلا بسم الله الواحد الاحد الجامع لما تشتت من بعد الرحمن الذى جمع خلقه

في دعة البيان **الرحيم** الذي خص الابرار بما اباحهم الرضوان لما ختم التي بدلها بعنوان الكتاب ابتدا هذه بشرح ذلك العنوان واوله
وصفه بانه جامع والجنة كلمتى الجمع والشتا كلمة في العزة فقال تعالى **الر تلك** اى هذه الايات العالية المقام النفيسة المرام
ايات الكتاب اى الكامل غاية الكمال الذى لا كتاب على الحقيقة غيره الجامع لجميع ما يقوم به الوجود من الخيرات العالمين في قضايه
من غير شك ولا تردد الغالب بما حكاسا القاهرة في تعدوه ووعيده واحكامه في اعجازه لجميع من تعانده ولما كان الغالب في هذه
السورة التقطع الذى هو من لوازم الكتاب قدمه وذلك انه قطع بامر الاجل والملائكة وحفظ الكتاب والرمي بالشهب وكفاية المستهزئين
المستهزئين فكان كما قال سبحانه وابات **قران** اى قران جامع ناشر منفصل واصل اذا التنوين للتعظيم **مبين** لجميع ما جمع الهم على الله فيوصل
الى السعادة وهذه الابانة التى لم تدع لبشا هو منصف تعاضع كونه جامعا للاصول ناشرا للفروع لا ضلالة يدخل منه علة ولا فهم يوقى منه
الله فاعجب الامر جامع جمع وفرق وفصل ووصل الابانة اظهار المعنى للنفس بما يميزه بلاغا جامعا الا ان اصل الابانة عن غيره لان اصل الانا
الفصل فهذا اشرح كونه بلاغا فمقصود هذه السورة اعتقاد كون القرآن بلاغا جامعا للامور الموصلة الى الله مغنيا عن جميع الاسباب فلا ينبغي
الالتفات الى شى سواه ذرهم ياكلوا الاية ان عبينك واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وكان الجمع بين الوصفين اذا الكل منهما على الجمع اشارة الى
الرد عليهم في جعلهم القرآن عضين وان لم يرد المباعدة لمعناه من ان المنهوسين مع تضادهما على شى واحد متغايران فالكتاب ما يدون
في الطروس والقران ما يتر باللسان فكان الاول اشارة الى حفظه في الطروس بالكتابة والثاني الى حفظه في الصدور بالدراسة وسيأتي قوله
وانا له لحافظون مؤيدا لذلك وكل من مادتى كتب وقرا لجميع التقاليب يدور على الجمع اما كتب وتقلبها الى كبت وبتك فقال في المحكم
الكتاب الكتبة وهو من الجمع والكتاب ايضا الدواة تسمية للشى باسم الته والمكتب كمعظم اكل سعف مكتب تشبيها له بالمكتوب والكتيبة الجيش
والجماعة المتحيزة من الخيل اذا اغارت من المائة الى الالف اسمها كتبت البغلة اذا جمعت بين شفرى رحمها بحلقة وقال القزاز وامثاله
اى الكتاب ضمك الشى الى الشى فكانه سمى بذلك بضم الحروف بعضها الى بعض وكتبت المزادة اذا خرزتها يعنى فضممت بعضها الى بعض والكتبة
بالضم السير يخرز به وما يكتب به حيا الناقة لئلا ينزى عليها والاكتاب شد راس القربة والكتيبة جماعة تكتبوا اى تجمعوا وتكتب
الرجل بتقديم الموحدة اذا انقبض ومنه الكتاب بضم الكاف وتخفيف التاء الفوقانية لسهم صغير يتعلم به الصبيان الرمى قال القزاز
انه مخفف وفي القاموس وزنه كرمان وزاد انه مدور الراس وكتبنا الناقة تكتيبا صررتها واكتبت بطنه امسك والمكتوب
الممتلى والمتسغ ويلزم الجمع القطع والغلبة التى هى من لوازم القدرة ومن القطع الكتاب بمعنى الفرض والحكم والقدر والبتك القطع
وله للقتل بالسيف بالتاء اى فاطع ومن الغلبة والقدرة الكتاب بمعنى القدر وقال ابن الكتاب الاعرابي والكاتب عندهم العالم وقال
القزاز والكاتب الحافظ والعالم المعلوم كبتا سرا لعدو بتقديم الموحدة صرفه وليله وهو من تكبت الرجل اذا انقبض وعبارة القزاز كبت
اعداءه وذلهم بغيظهم اى فانقمعوا وانجمعوا كما نوا انتشروا له وكبت الرجل اذا صرعه على وجهه وبكته تبكيتا اذا انبته اوضربه بعصى
او سيف او نحوهما الما يلزمه من تصاغر نفسه وتقبضه واما قرا فتهموزا وينقلب الى رقا وارق واقر وغيرها مهموزا ياتيا وتراكيبه خمسة
قرى وقير ورقى وريق وبرق وقد اوباو تراكيبه ستة قرو وقور ورقو ووقر وقرو وقرق فهو للجمع ايضا ويلزمه الامساك
وربما كان عنه الانتشار فمن الجمع قرات القرآن اى تلونه فجعلت بعض حروفه وكلماته واياته تاليا لبعض متصلة به مجموعة ويلزم
القراة النسك ومنه المتاديك المتعرى والقراكرمان اى الناسك ويلزم عنه الفقه وكذا قيل تقرا اذا تفقه وهو من الجمع نفسه
ايضا لان الناسك جمع النسك الى القراة والمجمع همه والفقيه جمع الفقه اليها قال في المجمل والقران من القرء وهو الجمع وزنا ومعنى
القاموس وقرا عليه للسلام ابلغه كاقراه ولا يقال اقراه الا اذا كان السلام مكتوبا وقال الزبيدي في مختصر العين وقرات المراة قوا اذا رات
دما واقرات اذا حاضت فهى مقرى انتهى فكانه عبرا بذلك لعندذ وية الدم لانه لا يعرف ان المراة جمعته الا برويته وهو من الانتشاد الذى
يلزم الجمع او يكون فعل هنا للازالة فمعناه ازالت امساك الدم كانه هذا اعنى اقرات فان فعل فخفته وكثرة دوره يتصرف في معانى
جميع الابواب وقال في المجمل واقرات المراة خرجت من طهر الى حيض او حيض الى طهر قلت فالاول يكون فيه افعل للازالة والثاني للدخول
في الشى كانجد الرجل وانجد اذا دخل في تهامة اونجد والقرء وقت يكون للطهر مرة وللحيض مرة قلت فالاول للجمع نفسه والثاني لانه
دليل الجمع قال والجمع قروء وقيل القروء هو الطهر وذلك ان المراة الحامل كان الدم اجتمع في بدنها فهو من قريت الما وقرى الاكل
الطعام في شدقه وقد يختلف للدنكان بينهم ان احدهما ولا يعز الاخروا لمعنى واحد اذ كان الاصل واحدا وقوم يذهبون الى ان القرء الحيض
وفي القاموس القرء ويضم الحيض والطهر ضده وقد تقدم تخريج ذلك والوقت لانه جامع ما فيه والقافية لانها جامعة لمثل الابيات
جمعه اقراء وقروء واقرؤ وجمع الحيض قرا وكان العلة في ذلك انه لما كان جمع الكثرة هو الاصل في نحو لما لجمع كان احق بمدلول الكثرة الذى هو
في الجمع ولما كان القرء بمعنى الحيض مما كان له جمع القلة الذى هو نوع في باب الجمع واقرات حاضت وطهرت واقرات الرياح هبت لوقتها لانا
هبوبها دال على اجتماعها كالطهر ودم الحيض وقرات الشى جمعته وضممته والحامل ولدت لان ظهور الولد هو المحقق لجمعها اياه في بطنها واقرا رجع ودنا واخر
واستاخر وغاب وانصرف وتنسك كتقرا لبعضه للايجاب وبعضه للسلب والمقراة كمعظمة التى ينتظر بها انقضا اقرايها وقد قربت حيضتها
لذلك واقرا الشعر انواعه واتحاده لانها جامعة للاجزاء والقراة بالكسر الوبا لجمعه الهم واستقرا الجمل الناقة باركها لتنظر القح ام لا من التبع

٤٩٩

التبع والبر وهو بمعنى جمع الادلة وقرات الناقة اذا حملت فهى قارى اى جمعت في بطنها ولدا وقرات اذا استقر الماء في رحمها ومن الامساك رقا
الدم والدمع رقوءا اذا انقطعا قال ابو زيد والرقوء اى بالفتح ما يوضع على الدم فيسكن ورقا بينهم اصلح وافسد وفي الدرجة صعد وهى
المرقاة وتكسر ورقا العرق ارتفع منه ما هو بمعنى الجمع ومنه ما هو بمعنى الانتشار والعلم الذى ربما لزماه وتشك وتكسر ورقا العرق ارتفع
ومن الامساك الارق وهو السهر لانه يمسك النوم والارقان ودء يكون في الزرع فكانه يوجب لهم الذى يكون عنه الارق ويمكن ان يكون من
الانتشار الذى ربما يلزم الجمع ويمكن ان يكون من الجمع نفسه لانه يجمع الهم والله اعلم وفي القاموس الارقان ما الكسر شجر احمر والحنا والزعفران
ودم الاخوين كانه سبب للعكوف عليه بالاستراحة اليه او انه سبب جمع يصبغه لونا الى لون والارقان ايضا افة تصيب الزرع والناس
كالارقان محركة وبكسرتين وبفتح الهمزة وضم الراء والادق والارقان بفتحهما والاداق كغراب والبرقان محركة وهذا اشهر داء يتغير منه
لون البدن فاحشا الى صفرة او سواد كان ذلك لما كان سبب الارق كان هو الارق البليغ وزرع ماروق وميروق مؤوف والاورق بتمييز
واد واسع مملوحمضا ومياها وهو واضح في معنى الجمع وهو وقد مضى من هذه المادة في اخر سورة يوسف عليه السلام عند قوله تعالى
الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى وباقى معينها ان شاء الله تعالى في سورة سبحان عند قوله تعالى وفي اذا الكم وقرا ولما وصف سبحانه هذا
القران بما وصفه من العظمة والابانة لجميع التى منها سؤال الكفرة عند دوية العذاب التاخير للطاعة في قوله تعالى وانذر الناس يوم
يأتيهم العذاب كان كانه قيل ما له لم يبين للكفرة سوء عاقبتهم بيانا يردهم فقال سبحانه باسطا لقوله وليتذكروا به **ربما يود** اشار تعالى
بكونه مضارعا الى ان ودهم لذلك يكون كثيرا جدا مستمرا وابلاوه كربما وانما يليها في الاغلب الماضى معلم بانه مقطوع به كما يقطع بالماضى الذى
تحقق وقوعه **الذين كفروا** اى لو بانما والود التمنى وهو تعديرا لمعنى في النفس للاستمتاع واظهار دليل الطباع اليه وفيه مع
بين التمنى والحب قاله الرمانى وهو هنا للتمنى فانه بين ودهم بقوله **لو كانوا** اى كونا جبليا **مسلمين** اى عريقين في وصف الاسلام
من اول امرهم الى اخره قال الرمانى والاسلام اعطا الشى على حال سلامة كاسلام الثوب الى من يقصره واسلام الصبى الى من يعلمه فالاسلام
الذى هو الايمان اعطا معنى الحق في الدين بالاقرار والعمل به انتهى وقد كان ما اخبر الله به فقد ندم كل من اسلم من الصحابة على تاخيرهم اسلامه
لما علم افضل الاسلام وذا وافضائل السابقين كما هو مذكور في السير وفتوح البلدان وسيكون ما شاء الله من ذلك في القيمة وما قبلها فالمعنى
انكم ان لم تتم في التقطع في نحو قوله فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الاية بانكم ترجعون عن هذا الشمم وتتبراون من هذه الشجايا وانهم فتسلمون
في الطاعة وقد فات الفوت بحلول حادث الموت المغيرة فلا اقل من ان يكون عندكم شك في الامور التى يجوز كونها ولا ينبغى حينئذ للعاقل
ترك الاهتمام بالاستعداد على تقدير هذا الاحتمال هذا اعنى التقليل مدلول رب وقال بعضهم انها ترد للتكثير وقال الجمال ابن هشام
انها في كتابه المغنى انه اغلب احوالها واستدل بشواهد لا تدل عند التامل ولا بصم قول من نسب الى الكشاف ذلك فان كلامه ماخوذ من الزجاج
وعبارة الزجاج كما نقلها الامام جمال الدين محمد بن المكرم في كتابه لسان العرب ومن خطه نقلت من قال ان رب يعنى بها التكثير فهو ضد
ما تعرفه العرب فان قال قائل فلم جازت في قوله ربما يود الذين كفروا ورب للتقليل فالجواب ان العرب خوطبت بما تعلمه في التهدد والرجل يتهدد
الرجل فيقول لعلك ستندم على فعلك وهو لا يشك انه يندم ويقول ربما ندم الانسان على ما صنعت وهو يعلم ان الانسان يندم كثيرا ولكن
مجازه ان هذا لو كان مما يود في حال واحدة من احوال العذاب او كان الانسان يخاف ان يندم على الشى لوجب عليه اجتنابه والدليل انه على معنى
التهدد قوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا انتهى فقد علم من هذا انهم يطلقونها بمعنى القلة فيما يعلمون انه كثير ارخا للعنان وتنبيها على وجوب
الاخذ بالاحوط وقد للشوائع في التهدد وفرق كبير بين ما يعلم انه كثير من امر خارج عن العبارة المخبر بها عنه وبين ما تعرف كثرته من تلك
العبارة وزيدت ما فيها تاكيدا من حيث انها تفهم ان الامر لا يكون الا كذلك ولتهيئها لمجى الفعل بعدها قال الامام ابو حيان والظاهر ان
ما في رب مهيئة وذلك انها من حيث هى حرف جر على خلاف فيه لا يليها الا الاسماء فجى بما مهيئة لمجى الفعل بعدها وعلى كثرة مجى رب
في كلام العرب لم تجى في القران الا في هذا الموضع انتهى ودخلت ههنا على المضارع وهى للماضى لصدق الوعد كانه عيانى قد كان ولان تمام
اذا الحقتها سوغت دخولها على المستقبل كما تدخل على المعرفة قاله الرمانى ولما طرقى نفهم سبحانه الاحتمال كان كانه قيل هل جوزه فاحذوا
في الاستعداد فقيل بل استمروا على عنادهم فقال مسيا عنها سلتفتا الى ما اشار اليه في اول سورة ابراهيم في قوله الذين يستحبون
الحياة الدنيا على الاخرة من المانع لهم عن الاذعان **ذرهم** يا اعز الخلق عندنا كالبهائم **ياكلوا ويتمتعوا** والتمتع التلذذ وهو
طلب اللذة حالا بعد حال كالتقرب في انه طلب القرب حالا بعد حال **ويلههم** اى يشغلهم عن اخذ حظهم من السعادة **الامل** اى رجا
طول العمر وبلوغ ما يقدره الوهم من الملاذ من غير سبب صحيح لذلك ولما كان هذا امرا لا يشتغل به الا احمق تسبب عنه التهديد بقوله
فسوف يعلمون اى ما يحل بهم بعد ما قصصنا لهم من زمن التمتع وقال الامام ابو جعفر بن الزبير في برهانه لما تقدم من وعيد الكفار
ما تضمنه الاى المختتم بها سورة ابراهيم من لدن قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون الى خاتمتها اعقب ذلك بقوله ربما
يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين اى عند مشاهدتهم تلك الاهوال الجلائل ثم قال تعالى تاكيدا لذلك الوعيد ذرهم ياكلوا ويتمتعوا
ويلههم الامل فسوف يعلمون ثم اعقب هذا ببيان ما جعله سنة في عباده من ارتباط الثواب والعقاب بمجلة وموجلة باوقات ولاحيان لا
انفكاك لها عنها ولا تقدم ولا تاخر اذا استعجال المعاصى في الغالب انما يكون ممن يخاف الفوت والعالم بجملتهم بيد تعالى وفى قبضته لا يفوت

احد منهم ولا يعجزه وقال تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وكان هذا تزيدا ايضا على قوله عز وجل انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقوله وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب وقوله ويوم تبدل الارض غير الارض الاية وتامل نزول قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين على هذا وعظم موقعه في اتصاله به ووضوح ذلك كله واما افتتاح السورة بقوله الر تلك ايات الكتاب وقران مبين فلما له على امرين واضحين احدهما ما نبه به سبحانه من الدلائل والايات كما بينته والثاني ما بينه القران المجيد واوضحه وانطوى عليه من الدلائل والنبوة والوعد والوعيد وتصديق بعض ذلك لبعض فكيف لا يكون المتوعد به في قوة الواقع المشاهد لشدة البيان في تحقق الوقوع فالعجب من التوقف والتكذيب ثم اعقب هذا بقوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين انتهى ولما هددوا بانه التمتع والهاء الامل وكان من المعلوم جدا ان من احوالهم الاستعجال بالعذاب تكذيبا واستهزاء كان الكلام في قوة ان يقال فما لواما بها الذي نزل عليه الذكر عجل لنا ما نتوعد به وكان هذا اغايظا موجعا حاملا على تمني سرعة الايقاع كم فقال في الجواب ان لهم اجلا بكتاب معلوم لا بد من بلوغهم له لان المتوعد لا يخاف الفوت فهو يمهل ولا يهمل لانه لا يبدل القول لديه فلا تستعجلوا فان الامر عتيد فما من لحظة له الا وهي صالحة لان يقع فيها العذاب فانا لا نهلككم الا اذا بلغوا كتابهم المعلوم وما جعلنا هذا خاصا بكم بل هو عادتنا فما اهلكنا اي على ما لنا من العظمة واكد النفي فقال من قرية اي من القرى ولما كان السياق للاهلاك واستعجالهم واستهزائهم به وكان تقديره سبحانه وكتبه من عالم الغيب اقتضى الحال التاكيد بما يدل على انه محتوم مفروغ منه سابق تقديره على زمن الاهلاك فاتى بالواو لان الحال بدون الواو كالجزء من سابقها كالخبر والنعت الذي لا يتم المعنى بدونه والتي بالواو وهي زيادة في الخبر السابق ولذلك احتيج الى الرباط بالواو وكما يربط بمعاني العطف فقال الا ولها اي والحال ان لها في الاهلاك او لاهلاكها كتاب معلوم اي اجل مضروب مكتوب في اللوح المحفوظ او كون التقدير فسوف يعلمون اذا جاءهم العذاب في الاجل الذي كتبناه لهم هل يودون الاسلام ام لا بين الاية السابعة بقوله اي الذي قدرناه لها واكد الاستغراق اي عنه شيئا من الاشياء بقوله ما تسبق واكد الاستغراق بقوله من امة وبين ان المراد بقوله بالكتاب الاجل بقوله اجلها اي الذي قدرناه لها وما يستاخرون اي عنه شيئا من الاشياء ولم يقل تستاخر حملا على اللفظ كالماضي ليدل بضمه الى الخطاب صلى الله عليه وسلم تثبيتا ثم لما اجابهم لهذا الجواب الدال على تمام القدرة وكمال العلم الدال البين على الوحدانية عطف على ما تقدم انه في قوة الملفوظ قوله دالا على تركهم الجواب الى التعنت والسفه وقالوا اي لم يجوزوا انهم يودون ذلك بل استمروا على العناد وقالوا يا ايها الذي ولما كان تكذيبهم بالتنزيل نفسه بنى للمفعول قوله نزل عليه اي بزعمه الذكر ودينوا انهم ما سموه تنزيلا الا تهكما فقالوا موكدين لمعرفتهم بان قولهم منكر انك لمجنون اي بسبب اعتقادك انه نزل عليك ذكر والذي تراه جني يلقي اليك تخليطا فكان هذا دليلا على عنادهم فانهم اقاموا الشتم مقام الجواب كما يعني صنعة المغلوب المقطوع في المناظرة ثم اتبعوه ما زعموا انه دليل على قولهم وقالوا لوما اي هلا ولم لا تاتينا بالملائكة دليلا على صدقك اما للشهادة لك واما للاهلاك من خالفك ان كنت اي جبلة وطبعا من الصادقين فما نعول اي ما وجه اختصاصك عنا بنزول الملائكة عليك وذويك اياهم وانت مثلنا في الانسانية والنسب والبلد هذا بعد ان قامت على صدقه الادلة القاطعة والبراهين الساطعة التي اعظمها القران الداعي لهم الى المبارزة كل حين المبكت لهم بالعجز عن المساجلة كل وقت ولما كان في قولهم امران اجاب عن كل منهما على طريق الاستئناف على تقدير سؤال من كانه قال فماذا اجابهم فقيل اجاب عن الثاني لانه اقرب بقوله ما ننزل الملائكة اي هذا النوع الا تنزيلا متلبسا بالحق اي بسبب عمل الامر الثابت وهو معنى ما قال البخاري في كتاب التوحيد قال مجاهد بالرسالة والعذاب اما على الرسل فبالحق من الاقوال واما على المنذرين فبالحق من الافعال من الهلاك والنجاة فلو نزلوا عليهم كما اقترحوا لقضى الامر بينك وبينهم فهلكوا وما كانوا اي الكفار اذا اي اذ تاتيهم الملائكة منظرين اي حاصلا لهم الانظار على تقدير من التقادير لان الامر الثابت يلزمه نجاة الطائع وهلاك العاصي في الحال من غير امهال ولو كان حينئذ يفوت ما قضينا به من تاخيرهم واخراج من اردنا ايمانه من اصلابهم واجاب سبحانه عن الاول بقوله موكدا لتكذيبهم انا نحن اي على ما لنا من العظمة لا غيرنا من جن ولا انس نزلنا اي بما لنا من التدريج على لسان جبريل عليه السلام الذكر اي الموعظة والشرف وانا له اي بعظمتنا وان رغمت انوف الجاحدين لحافظون اي دائما بقدرتنا وعلمنا لما في سورة هود من ان ذلك لازم للحفظ فانتفى حينئذ جواز ان ينزل على مجنون مخلطا لا سيما وهو على هذه الاساليب البديعة والمناهيج الرفيعة فكان المعنى ارسلناك به حال كونك بشرا لا ملكا قويا سويا يعلمون انك اكملهم عقلا واغلاهم همة واثقبهم فكرا وانفذهم امرا واوثقهم رايا واصلبهم عزيمة روى البخاري في التفسير وفي الفتن عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال ارسل الي ابو بكر رضي الله عنه مقتل اهل اليمامة وعنده عمر رضي الله عنه فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وفي رواية بقراء القران واني اخشى ان استحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القران الا ان تجمعوه واني ارى ان تجمع القران قال ابو بكر فقلت لعمر كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورايت الذي راى عمر قال زيد بن ثابت وعمر جالس عنده لا يتكلم فقال ابو بكر انك رجل شاب عاقل ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القران فاجمعه فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما امرني به من جمع القران قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو والله خير فلم ازل اراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله صدر ابي بكر وعمر فقمت فتتبعت القران اجمعه من الرقاع والاكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة ايتين مع خزيمة او ابي خزيمة الانصاري لم اجدهما اي مكتوبتين عند احد غيره لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخرها وكانت الصحف التي جمع فيها القران عند ابي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم وساق هذا الاثر ايضا في فضائل القران وروى بعده عن انس رضي الله عنه ان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قدم على عثمان رضي الله عنه وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية واذربيجان مع اهل العراق فافزع حذيفة رضي الله عنه اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان رضي الله عنهما يا امير المؤمنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل عثمان الى حفصة رضي الله عنها ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها ثم نردها اليك فارسلت بها حفصة الى عثمان فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف وقال عثمان رضي الله عنه للرهط القرشيين الثلاثة اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القران فاكتبوه بلسان قريش فانما انزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سواه من القران في كل صحيفة او مصحف ان يحرق وله عن خارجة بن زيد بن ثابت انه سمع زيد بن ثابت رضي الله عنه قال لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت اية من سورة الاحزاب كنت كثيرا اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها لم اجدها مع احد الا مع خزيمة الانصاري وفي رواية فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها في المصحف وفي الاثر الاول دلالة على انه كان لما امره الصديق رضي الله عنه لا يكتب شيئا الا اذا وجدها كان قد كتب منه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وامره وقابله مع ذلك على المحفوظ في صدور الرجال وفي الاخير دليل من قوله نسخنا الصحف في المصاحف الى اخره انه اعاد التتبع كما فعل ولا ليعم قوله فقدت اية من سورة الاحزاب لان اتقنا وهو فوق العلم بها ومن البعيد البعيد ان يكون سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤها ولا يحفظها ولا سيما وهو مذكور ممن جمع القران في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه البخاري من غير وجه عن انس رضي الله عنه والظاهر ان مثل هذا التتبع الذي لا يجوز لمن مارس امثال هذه الهمم ان يتوهم غيره ان يكون لا ينقل اية الا اذا وجد من حفاظها على حسب ما هي مكتوبة عدد التواتر والله اعلم ولما كان هذا الكلام الذي قالوه عليه صلى الله عليه وسلم شاقا وله غائظا موجعا قال سبحانه تسلية له على وجه رادع عليهم وما ارسلنا اي على ما لنا من العظمة والجلال والهيبة ولما كان الارسال انما لتعم غيره عام للزمان كله قال من قبلك اي كثيرا من الرسل في شيع اي فرق متوافقين متابعة بعضهم لبعض في الاحوال التي يجتمعون عليها في الزمن الواحد من مملكة او عمارة او ديانة او نحو ذلك من الامور الجارية في العادة الاولين كلهم فما ارسلنا الا رجالا من اهل القرى مثلك يوحى اليهم ولم نرسل مع احد منهم ملائكة يراها قومهم بل جعلنا كشف الملائكة امرا خاصا بالرسل فكذبوا رسلهم وما ياتيهم عبر بالمضارع تصويرا للحال لانه انما يوجب من الغضب فان ما يجعل المضارع كالماضي قريبا منه واكد النفي فقال من رسول اي على اي وجه كان الا كانوا به اي جبلة وطبعا يستهزءون مكررين لذلك دائما فكانوا تواصوا بمثل هذا ولم ينقص هذا من عظمتنا شيئا فلا يحزنك ما يفعلون بك والاستهزاء في الاصل طلب الهزء والمراد هنا والله اعلم الهزء وهو اظهار ما يقصد به العبث على ايهام المدح كاللعب والسخرية ولعله عبر عنه بالسين المنبهة للطلب اشارة الى ان رغبتهم فيه لا تنقضي كما هو شان الطالب للشيء مع انهم لا يقفون على مرادهم في حق اهل الله اصلا لانهم لا ينقلون من ذلك فعلا الا كان ظاهر البعد عما يريدون لظهور ما يدعوا اليه حزب الله وثباته فكانوا لذلك كطالب ما لم يقع وانما كان الناس الى ما يوجبه الجهل من الاستهزاء ونحوه اسرع منهم الى ما يوجبه العلم من الاخذ بالحزم والنظر في العواقب لما في ذلك من تعجيل الراحة واللذة واسقاط الكلفة بالزام النفس بالاتباع لمن ما لك حالها قاله الرماني ولما كانت قلوب اهل الضلال موصوفة بالضيق والحرج كان الداخل اليها لا يدخل الا بغاية العسر فلذلك قال جوابا لمن كانه قال هذا امر يهول فمن يقبل الا بل كذلك اي مثل هذا السلك العجيب الشان وعبر بالمضارع الدال مع التجدد على الاستمرار لاقتضاء المقام له كما تقدم في اولها فقال نسلكه اي الذكر في قلوب المجرمين اي العريقين في الاجرام في كل زمن كما يسلك الخيط والرمح ونحوه فيما ينظم فيه من مخيط وغيره بغاية العسر فلما تسع له الحال فلا ينفع حال كونهم لا يؤمنون به لشيء من الاشياء لان صدورهم لا تنشرح كما رايت سنتنا بذلك في قومك وقد خلت اي مضت من قبل هذا سنة اي طريقة الاولين لك ونحن قادرون على فعل ما نريد من تلك السنة لهذه الامة من اهلاك او تيسير ايمان وغير ذلك فصونا ظاهر الى قوله وقران مبين والغرض بيان انه تعالى يعمي بعض الابصار عن الجلي ويبصر بعضها بالخفي اظهارا للقدرة والاختيار ربانفاذ الامر على خلاف العوائد لما اخبره بهذه الاسرار شنيعة عن احوالهم وكانت النفس اشد شيء طلبا لقطع حجة المتعنت باجابة سؤله قال تعالى مخبرا بتحقيق ما ختم به من انهم لا يؤمنون بالخوارق ولو كان اعجب من الاتيان بالملائكة ولو فتحنا اي بما لنا من العظمة عليهم اي على من قال لوما تاتينا بالملائكة بابا مناسبا لعظمتنا من السماء واشار الى ان ذلك كالم

ولو كانوا في اجلا الاوقات وهو النهار بقوله فظلوا اي الكفار فيه اي ذلك الباب العالي يعرجون اي يصعدون ماشين في الصعود
مشية العروج لقالوا عنادا وابعادا عن الايمان انما سكرت اي سدت وغشيت ابصارنا اي ظننا ما ليس بنائم واقعا بل نحن قوم
اي ان كان لنا غاية القوة على ما نزيد محاولته مسحورون اي ثابت وقوع السحر علينا حتى صرنا نرى الاشيا على خلاف ما هي عليه وثبت
ما لا حقيقة له والسكر السد بادخال اللطيف في التمام حقيقة ولما ذكر هذه الاية السماوية على سبيل الفرض في الجواب على انكارهم
النبوة دليلا على تمردهم على الكفر وكان من المعلوم ان ثبوت النبوة مترتب على ثبوت الوحدانية توجه السامع الى تلقي الاخبار عما
له تعالى من الايات المحققة الوجود المشاهدة الدالة على قدرته فابتهاها ذلك استدلالا على وحدانيته بالله من المصنوعات شرحا لقوله
وليعلموا انما هو اله واحد ودليلا على عدم ايمانهم بالخوارق وابتدا بالسماويات لظهورها لكل احد وشرحها وظهورها فيها من الخوارق
بعد ملابستها والوصول اليها فقال مفتتحا بحرف التوقع ولقد جعلنا في اي بما لنا من العظمة التي لا يقدر عليها سوانا نحما هو معنى
عن فتح باب ونحوه في السماء بروجا اي منازل للقمر جمع برج وهو في الاصل القصر العالي قالها الحمل واخرها الحوت سميت بذلك
للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها وهي مختلفة الطبائع فسير الشمس والقمر بكل منها يؤثر ما لا يؤثره الاخر فاختلافها في ذلك
مع ان نسبتها الى السما واحدة دليل على الفاعل المختار الواحد والعرب اعرف الناس بها وباختلافها ومادة برج بكل تقليب تدور
على الظهور الملزوم للعلو الملزوم للقوة وقد يعرض فيلزمه الضعف فمن مطلق الظهور بروج السما قال القزاز سميت بروجا لانها بيوت
الكواكب فكانها بمنزلة الحصون لها وقيل سميت لارتفاعها فكل حصن مرتفع فهو برج والبرج اي محركا سعة بياض العين فلا
ومتقا سوادها وقيل البرج في العين هو ان يكون البياض محدقا بالسواد فيظهر في نظر الانسان فلا يغيب من سواد العين شي وتبرجت
المراة ابدت محاسنها والجربيا الشمال لعلوه والجرب الوادي لظهوره والجرب بكيال رابعة اقفزة وجريب الارض معروف وهو ساحة
مربعة كل جانب منها ستون ذراعا ومنه الجراب لوعاء من جلود والجورب للفافة الرجل لانهما ظاهران بالنسبة الى ما فيهما وكذا الجربان لقراب ف
السيف وجراب البير جوفها والارجاب الامعاء تشبيها بالجراب والبارجة سفينة من سفن البحر تتخذ للقتال والبجرة كل عقدة في البطن
والبجرة كل عقدة في الجسد والبجرة السرة الناتئة وسرة البعير عظمت او لا والبجر والبجري الامر العظيم وجاءنا بالبجاري وهي
الداهية وفيه ما يرجع الى الظهور القوة ومن ذلك الارجاب اسم شهر ورجبت الرجل عظمته والرجبة من وصف الاودية والرجب الحيا
والعقو والرجب الهيبة والجرب الذي بلي بالشدائد ورجبت النخل ترجيبا بنيت من جانبها بناء ليلا يسقط والجبر خلاف الكسر والملك
لوجود الجبر به لقوته وجبرت العظم والجبارة ما يوضع على الكسر ليتجبر وجبرت الرجل احسنت اليه واجبرته حملته الى ما يريد
واجبرته على كذا قهرته عليه اي ازلت جبره والجبرية العانة من الجبر وهي ايضا الاقويا من الناس والجبار من النخل الطويل
والمتكبر الذي لا يرى لاحد عليه حقا والمتجبر الاسد وجبار بالضم مخففا يوم الثلاثا لان الله تعالى خلق المكروه فيه كما في الصحيح ومن
الضعف الجبار بالضم مخففا وهو الهدر من الدما وهو الجروب وغيرها وقد يكون من جبر الكسر لانه يجبر به المهدر عنه ويقوى به
واحسن اليه وكلما اشتد واصلت فهو جبار كانه شبه بالجبيرة التي تشد لاصلاح الكسر والجبر العبد لضعفه واحتياجه الى التقوية
ومن الضعف ايضا الجرب بالنسبة الى من يحل به وهو من القوة بالنسبة الى نفسه ومن الظهور والانتشار ايضا الجربا السما تشبيها
بالاجرب وارض جربا ممحوطة والبرج التحير والروبج درهم صغير قال الزبيدي وهو دخيل ومادة جبي منها بخصوص ترتيبها تدور
على النفع وتارة ينظر الى ما يلزمه من عدم الضر من اكل الجبار بالضم مخففا لما هدر وتارة ينظر الى ما يلزم النفع من التكبر والقهر
ولما ذكر البروج وصف سبحانه السما المشتملة عليها فقال وزيناها اي السما لانها المحدث عنه بالكواكب للناظرين اي لكل من له
اهلية النظر في دلايل الوحدانية لا عايق له عن معرفة ذلك الا عدم صرف النظر اليه بالبصر وبالبصيرة وحفظناها اي بما
لنا من العظمة من كل شيطان اي بعيد من الخير محترق رجيم مستحق الرجم وهو الرمي بالاعتماد من عتو اله سميناه للاصابة
كالقوس فانها للرمي لا للرجم ومستحق للشتم لانه قوال بالظن وما لا حقيقة له الا من استرق السمع منهم فانا لم نرد تمام الحفظ
منه فاتبعه اي تبعه تبع من هو جاد لينتهي سابق له شهاب وهو عمود من نور يسند لشدة ضيائه كالنار مبين يراه من فيه اهلية
الروية حين يرجم به روى البخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السما
ضربت الملايكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان ينفذه ذلك فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي
قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا واحد فوق اخر ووصف سفين بيده ففرج بين اصابعه اليمنى
نصبها بعضها فوق بعض فربما ادرك الشهاب المستمع قبل ان يرمي بها الى صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها الى الذي يليه الى
الذي هو اسفل منه حتى يلقوها الى الارض وربما قال سفين حتى تنتهي الى الارض فيلقى على فم الساحر فيكذب معها مائة كذبة
فيصدق فيقولون الم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقا للكلمة التي سمعت من السما قال المفسرون كانت الشياطين
لا تحجب عن السموات فيلقون ما يسمعون منها الى الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله
عليه وسلم منعوا من السموات كلها هكذا رايت ولد ولعله بعث فان في الصحيح ان الذين منعهم نزول القران ولما ذكر اية السماء باية

باية الارض فقال والارض مددناها اي بما لنا من العظمة في الابعاد الثلاثة الطول والعرض والعمق على الما والقينا اي
بعظمتنا فيها اي الارض جبالا رواسي اي ثوابت ليلا تميل باهلها ولتكون لهم علامات ثم نبه على احيا الموتى بما انعم به في الارض تنبيها
جليا بقوله وانبتنا فيها اي الارض ولا سيما الجبال بقوتنا الباهرة من كل شي موزون اي مقدر على مقتضى الحكمة في المعادن
والنبات وجعلنا لكم اي انعاما منا عليكم فيها معايش وهي بيا صريحة من غير مد جمع معيشة وهي ما يحصل به العيش من المطاعم
والملابس والمعادن وغيرها ومن لستم اي ايها الاقويا الرؤسا له برازقين شاملا من في ذلك جعلنا له فيها معايش من العيال
والخدم وساير الحيوانات التي تنتفعون بها وان ظننتم انكم ترزقونهم فان ذلك باطل لانكم لا تقدرون على رزق انفسكم فكيف
بغيركم فلما ظهر كالشمس كمال قدرته وانه واحد لا شريك له بين انه كما كانت هذه الاشيا عنده بحساب قدره على حكمة دبرها كان غيرها
كذلك فذلك هو المانع من معاجلتهم بما يعدون به من العذاب فقال وان اي وما من شي اي مما ذكر وغيره من الاشيا الممكنة
ولا نهاية لها الا عندنا اي لما لنا من القدرة الغالبة خزاينه اي كما تعرف عندكم لا تنازعون فيه قال في الكشاف ذكر
الخزاين تمثيل وما ننزله اي نخلق ذلك الشي لا بتقييد عدم التناهي فان كلما يبرز الى الوجود متناه فهو باستخدام الا بقدر معلوم
على حسب التدريج كما ترونه وعن ابن مسعود رضي الله عنه ليس عام بامطر من عام ولكن الله تعالى يقسمه ويقدره في الارض كيف
يشا عاما هاهنا وعاما هاهنا وربما كان في البحر فهذا دليل قطعي على ان الفاعل المختص لكل شي بوقت دون وقت وارض دون
اخرى فاعل واحد مختار فلما تم ما اراد من ايتي السما والارض وختمه بشمول قدرته لكل شي اتبعه بما ينشا عنهما مما هو فيهما مودعا
في خزاين قدرته فقال وارسلنا اي بما لنا من التصرف الباهر الرياح جمع ريح وهي جسم لطيف منبث في الجو سريع المر
لواقح اي حوامل تحمل الندى ثم تمجه في السحاب التي تنشيها فهو حوامل لكما لواحق بالجو قوته على ذلك الفعالية حسا ومعنى والريح
هو المتحرك وحركته بعد ان كان ساكنا لا بد لها من سبب وليس هو نفس كونه هوا والا لما انفك من ذاته والا لدامت حركته
فليثبت الابتدا للفاعل الواحد المختار فانزلنا اي بعظمتنا بسبب تلك السحاب التي حملتها الرياح من السما اي الحقيقة
او جهتها او السحاب لان الاسباب المترابطة يسند الشي تارة الى القريب منها وتارة الى البعيد واخرى الى الابعد ماء وهو
جسم ساير سيال به حياة كل حيوان من شانه الاغتذا فاسقيناكموه جعلناه لكم سقيا يقال سقيته ما يشربه واسقيته اي مكنته
منه ليسقي به ماشيته ومن يريد ونفى سبحانه عن غيره ما اثبته اولا لنفسه فقال وما انتم له اي ذلك الما بخازنين والخزن وضع
الشي في مكان مهيا للحفظ فثبت ان القادر عليه واحد مختار ومادة لقح تقاليبها الست تدور على الحلق وتلزمه القوة والتحت
لقاحا حملته والملقوح ما تلقحت من النخل اي اخذته وهي الملاقيح يعني الاجنة واللقحة الناقة الحلوب لانها اهل لان يلقحها الجانح والع
التوم النخل ولقحها اذا الحقوها بالحالة فعلقوها عليها والقاحل اليابس من الجلود لان اجزاه تلاحق بعضها بعضا فضمرت ومنه
شيخ قاحل والحق كل شي لحق شيا اي ادركه والملحق الدعي لانه ملحق بمن يلحقه كل من يريده والملحاق الناقة التي لا يفوتها الابل
قال الزبيدي في مختصر العين وفي القنوت ان عذابك ما لكفار ملحق بالكسر اي لاحق لهم والحلقل القوام الطيب لتمييزها لمن يلحقها
وقيل هو الزرع اذا انشعب ورقه وهو من ذلك ايضا من لحوقه بالحصاد فيصير كالحلوق والحقيل نبت والحبيلة لما الرطب
الاخضر من البقل والشجر في الامساك والحقيلة حشانة التمر والحاق كل من اراده به والحوقلة العرمول الليل كانه مشتبه ما نبت الاخضر
او الامكان تثبيته كل وقت ولحوق بعض اجزايه ببعض والحوقل الشيخ الضعيف لنكاح كانه منه والحوقلة سرعة المشي وحقل الر
اذا وجع من اكل التراب كانه ماخوذ من الحقل وحوقل الشيخ اعتمد بيديه على خصره اذا امشى كانه لحق بيديه خصره والحلق مساغ الطعام والشراب
وحلوق الارض اوديتها ومجاريها والحلاق المياه لما انه يشبهها بالحلوق والحلق حلق الشعر بالموسى من اللحاق والقوة والحالق الاكسية الخشنة
التي تحلق الشعر من خشونتها والحالق المشووم الذي يحلق قومه والحلق ضرب من النبات لورقه حموضة كانه لسرعة لحاق الماشية به لانه
كالفاكهة لها والحلقة للخاتم بلا فص لتلاحق اجزايها بعضها ببعض ومنه حلقة القوم والحلقة السلاح كله اما من هذا لان منها
الدرع وذات الحلق تسمية للشي باسم جزئه واما من القوة والعلو المعنوي لما يلزم عنها والحلقي المال الكثير اما من ذلك واما من لحاق
صاحبه بركة والحالق الجبل المنيف لظهوره وعلوه ولحاقه بالجو والحوقلة القارورة الطويلة العنق وحلق الطاير ارتفع في الهوا
من هذا او اللحية الغراب والحالق من الكرم والشري ما تعلق منه بالقضبان فهو ظاهر في اللحاق وحلق الضرع اذا ارتفع الى البطن
وانضم فهو من اللحوق واللحاق وقيل اذا كثر لبنه فهو اذا من اللحاق وحلق القمر صارت حوله دارة وحلق قضيب الفرس حلقا اذا انتشر
كانه شبه بما حلق شعره وحمى لقاح لم يلقحوا قط كانه من القوة والعلو المعنوي والقلح صفرة تعلو الاسنان فهو من اللحاق مع العلو وسمي
الجعل اقلح من هذا لما تقرر وتفصيل الخبر بما هو سبب للاحيا في الجملة نبه بان النفس لله تنتقل منه الى الاحيا الحقيقي فقال
تعالى وانا لنحن نحيي اي لنا هذه الصفة على وجه العظمة فنحيي لها ما نشا من الحيوان بروح البدن ومن الروح بالمعارف من النبات
بالنمو وان كان احدهما حقيقة والاخر مجازا لان الجمع بينهما جايز ونميت اي لنا هذه الصفة فنبرز لها من عظمتنا ما نشا ونحن
الوارثون الارث التام اذا الوحدانية بالفعل من الاختيار ممات الخلايق الباقون بعد كل شي كما كنا ولا شي ليس فينا تصرف بامانة

ولا احيا فثبت بذلك الوحدانية والفعل بالاختيار فلما ثبت لهذا كمال قدرته وكانت اشارة القدرة لا تكون محكمة الا بالعلم قال تعالى ولقد علمنا اى بما لنا من الاحاطة المعجزة المستقدمين منكم وهو من تقضينا بموته او لا تكون فى موته كانه يشارع الى التقدم اليه وان كان هو وكل من اهله مجتهد بالعلاج فى تاخيره ولقد علمنا بعظمتنا المستاخرين اى الذين نمد فى اعمارهم فنوخر موتهم حتى يكونوا كانهم يسابقون الى ذلك وان عالجوا الموت بشرب سم وغيره او عالجه لهم غيرهم بضربهم بالسيف او غيره نعرف بذلك قطعا ان الفاعل واحد مختار وكذا كل متقدم ومتاخر فى وصف من الاوصاف غير الموت والمعنى على الاول فنحن لا نميت احدا قبل اجله فلا تستعجلوا بالوعيد و نفيا والدفاعه ان كنتم كذا فانه لا بد ان ستاتى لانه لا بد له ل القول لدى ولما اتم الدليل على تمام القدرة وشمول العلم ثبت قطعا احيا الموتى لانتفا المانع من جهة القدرة واقتضا الحكمة له من جهة العلم للعدل بين العباد بالمقابلة على الصلاح والفساد فقال موكدا لانكارهم وان ربك اى المحسن اليك بالانتقام للرحمن بنا دينك وان اوعسنا من مخالفيك هو اى وحده يحشرهم اى يجمعهم الى ارض القيامة بعد اعادتهم قال الرمانى واصله جمع الحيوان الى مكان ثم علل ذلك فقال موكدا لاجل اعتقادهم ما يستلزم الانكار انه حكيم اى يفعل الاشيا فى اتم مواضعها بحيث لا يقدر احد على نقضها عليم بالغ العلم فلا يخفى عليه شى وهو يريد ان ترى حكمته وعلمه بكشف الغطا عنه تميز اهل السعادة والشقا والحكمة والعلم الذى يمنع فعل ما لا ينبغى واصلها المنع ولما جرت سنته الالهية انه ينظر ابتدا الخلق دليلا على الاعادة سابقا او لاحقا وابتدا هنا بذكر الحشر لما قام عليه من الدليل باحيا الارض وتوقع السامع تفصيل ابتدا الخلق الذى هو اول دليل على البعث بعد اجماله فى قوله وانا لنحن نحيى قال منبها بحرف التوقع ولقد خلقنا اى بالعظمة الباهرة الانسان اى الانس نفسه الناشى لغيره من صلصال اى طين يابس له عند النقر صلصلة اى صوت شديد متردد فى الهوا ان كان فيه مد من غير ترجيع فهو صليل فالمراد شديد يبسه ولكنه غير مطبوخ واما المطبوخ فهو فخار ثم بين اصل الصلصال فقال من حما اى طين اسود متنن مسنون اى مصبوب مهيا لعمل سائر ادمنه بالدلك والتحسين من الذهاب والاضطراب والجبل على طبع وطريقة مستوية وكل ذلك على غاية السهولة والطواعية بالهوان فذكر اصل الانسان وما وقع له مع ابليس الذى هو اصل الجن كما ان ادم عليه السلام ابو البشر من الكبد حين اخرجه من دار الصفا الى دار الكدر ليحذره ابعد العلاء من بنى ادم وفى التنبيه بابتدا الخلق على وصول البشر الى اصل كان بمحض القدرة مخالف لهم فى التكوين بين ابوين وانتها الجن الى اصل ليس خلقه كخلقهم تنبيه عظيم على انتها الموجودات الى موجود لا يجانسهم بل هو فاعل غير مخلوق فاعل بالاختيار واحد لا شريك له ولا اعتراض عليه قادر على ما يريد سبحانه وفى خلقه من الماء الذى هو كالاب والطين الذى هو كالام بمساعدة النار والهوا من الحكمة ان يكون ملايما لما فى هذا العالم فيكون بقاوه بذلك الذى خلق منه فى ماكله ومشربه وملبسه وسائر اموره وذلك ادل على حكمة الخالق وعلمه ووحدانيته ومادة صلصل تدور على القعقعة الذى هو الطين مطلقا او الطين الحر يخلط بالرمل والطين ما لم يجعل خزفا وتفرع جميع معانى المادة منه لان من لوازمه فى اوله الماء واللين بندا وته وسهولة خلطه لغيره فيانى الخفا لانه يغرز فيه لغير صوت ومنها تحول التصفية من الشى ومنها فى اخره القلاقة لشدة اليبس فيلزم تضام الاجزاء وتضايقها على انتظام او غير انتظام والصوت وشدة الانفصال بالتشقق ومن لوازمه شدة الاختلاط بحيث اذ التبس شى عسر خلاصه ومن لازمه تميزه بالنتن فيانى الخبث والفساد ومن لوازمه تميزه عما عداه وحل يصنع فيه فمن الصوت واليبس صليل الحديد والابل ونحو ذلك يقال صل الحديد والابل ونحو ذلك يقال صل الحديد واللجام اشتد صوته فان توهم ترجيع الصوت قيل صلصل وصل البيض سمع له حنين عند القراع والمسمار صليلا ضرب فاكره ان يدخل فى الشى والابل صليلا يبست امعاؤها من العطش فسمع لها صوت عند الشرب ومن الصوت صلصل الرعد وقعقع وتتل سيد السكر لظهور العيب بذلك وصلصل الرعد صفا صوته والكلمة اخرجها متحذلقا وطائرا والفاختة والراعى الحاذق والصلصل محدث بيت السيد الكريم الحسيب الخالص النسب والاسكفة وهو الاسكاف عند العامة وتصلصل الغدير جفت حماته فتهيا لان يصوت بيبسه والحلى صوت وحمار صلصل وصلاصل نصيحا وصلصال ومتصلصل مصوت ومن النتن صلول اللحم والصلة بالضم الريح المنتنة ومن اليبس الصلة وهى الجلد اليابس قبل الدباغ والنعل والارض اليابسة وصل السقا صليلا او ارض لم تمطر بين ممطورتين والصل بالكسر المقول ونحو السيف القاطع ومن الندا وة الصلة وهى التراب الندى ومن الماء اعم من ان يكون كثيرا او قليلا القلة للمطرة الواسعة والمتفرقة القليلة والصلة بالضم بقية الماء وغيره وكذلك الصلصلة والصلاصل بقيتها بقية الماء فى الغدير ولذا من الدهن والزيت واما النزق فمن التشقق والقلة القطعة من الشيب سميت باسم المطر تشبيها للمسبب باسم السبب من اللين الصلالة من بالكسر لبطانة الخف او ساقها والصلصل لمقدم ناصية الفرس ويقتم او سياض فى شعر معرفته وما ابيض من شعر ظهره وهذا من التميز ايضا ومن المحل القدح او الصغير يتبدد والمصلة بالكسر الاناء يصفى فيه الشراب ومن الخبث الصل بالكسر الحية مطلقا والرقعة الصفرا والداهية والشيخ القاطع متشبه بذلك باهلاكه وانه لصل اصلال داهية منكر فى الخصومة وغيرها وصلتهم الصالة اصابتهم الداهية وهذا ايضا من شرح الاختصاب ومن التشقق الصال وهو الماء يقع على الارض فتشقق ومن التصفية صللنا الحب المختلط بالتراب صببنا فيه ما نعزلنا كالاعلى حيالها وصلا التراب صلا صفاه والمصلة بالكسر الاناء يصفى فيه ومن تضام الاجرام تضا وقد يكون مع الانتظام ومنه النص بمعنى النزق والدرع هو تقارب لنكبين وتقارب الاضراس وتضام مرفقى الفرس المذكوره

الى ذوره واللقاء من الحيا الضيقة والمرأة الملتزقة المخذين لا فرجة بينهما والزنجى الصك لا لتيين واغلاق الباب ومن الملاقة على ما لبس منتظما وان لم يكن تقارب اللصاء من الغنم وهى ما اقبل احد قرنيها وادبر الاخر ومن الخفا الذى هو من لوازم الطين وهو ندى اللص بالفتح وهو فعل الشى فى ستر والسارق ويثلث ومادة سن تدور على الدلك ويلزمه التحسين فمن الدلك السن بالكسر نحو الضرس والحية من الثوم تشبيه به والثور الوحشى وسنان الرمح وسنان البرى من القلم والاكل الشديد والقرن وشعبة المنجل وسعدا العمر لانه لما تراع صاحبه كان كانه دلكه والسنان من الابل الكماد وسن السكين وغيره فهو مسنون والمسن بالكسر الة السن ويحه اليه تسدده وسن الاضراس سوكها والابل ساقها سيرا فيا لتدراكها عند الازدحام وسن الامر بينه فكانه هيا ء لان يركب فيه بلا فكر او غيرها وسن الطين عمله فخارا وفلانا طعنه بالسنان او عضه بالاسنان والفحل الناقة ركبها على وجهها وغليه الذرع او الناصيه اى الطريقة سارها واستن استاك والفرس قمرع المراب مضطرب والسنة بالكسر للناس لها حلقان والسنة بالضم السيرة والطبيعة كانها عولجت حتى انقادت والسنة من الله حكمه وامره ونهيه وسنن الطريق مثلثة وبضمتين نهجه وجهته وجاء الريح سنائن على طريقة واحدة والحما المسنون المنتن لانه تهيأ لان ذلك بالاله جبلا حتى يعمل لما يستعد فيه والفحل يسان الناقة يكدمها ويطردها حتى ينوخها ليسعدها والسنن بالكسر البطن كانه كامن ما يسقط من الجراد اى كلنه والارض التى اكل نباتها كالمسنونه والسنن بالكسر العطش كانه سن الامعاء حتى احرقها وراس المحالة اى البكرة العظيمة وحرف فقار الظهر كالسن والسنسنة وعظام الظهر او طرف الضلع التى فى الصدر والسنن الطريق المسلوك والسنن الاسد والسنن محركة الابل تستن فى عدوها والسنينة كسفينة الرمل المرتفع المستطيل على وجه الارض وهو السنون بمعنى المصبوب وسنى هذا الشى شهى الى الطعام كانه سن المعدة حتى تلحت بعد كلالها وتسانت الفحول تكادمت والسن سرعة الذهاب ويلزمه تلك الاعضاء ونسيس الانسان مجهوده لان ذلك لا يكون الا بعد اشد الاضطراب والسيسة الخسانة وهى بقية الروح من المرض والجوع كانها صدمت حتى ذهب اكثرها ونس اللحم ذهب بلله من شدة الطبخ لان احراق النار اعظم ذلك ولذا نس الحطب الى اخرجت النار زبده لقيام الاحراق مقام الرمح فيما يستخرج دهنه ونس من العطش جف ومن ذلك ومن التحسين سن المنطق اذا حسنه وسن الامر بينه والطين عمله فخارا والمال ارسله فى الرعى او احسن القيام عليه حتى كانه صقله والشى صوره والسنة بالضم الوجه وحره او دائرته والصورة او الجبهة ورجل مسنون الوجه مملسه حسنه سهله او فى وجهه وانفه طول وكل ذلك يرجع الى الدلك ايضا والله اعلم وقال ابو حيان قال ابن عباس رضى الله عنهما المسنون الرطب ومعناه المصبوب لانه لا يكون مصبوبا الا وهو رطب وقال الرازى فى اللوامع وهذا اشارة المدرجات خلق ادم عليه السلام وترابيه واشار الله تعالى الى ذلك فى مواضع مختلفة حسبما اقتضته الحكمة فقال فى موضع خلقه من تراب اشارة الى المبدا الاول وفى اخر من طين اشارة الى الجمع بين الماء والتراب وفى اخر من حما مسنون اشارة الى الطين المتغير المستقر على حالة من الاعتدال تصلح لقبول الصورة وفى اخر من صلصال اشارة الى يبسه وسماه صلصلة فيه وفى اخر من صلصال كالفخار وهو الذى تداخله اثر من النار فصار كالمحترق وهذه القوة النارية حصل فى الانسان اثر من الشيطنة انتهى وقال الرمانى وقد تضمنت الايات البيان عما يوجبه تقليب الحيوان من حال الى حال من جاهل قادر تقلبه من اصل هو البعد شى من حال الحيوان الى الحيوان وقال ان الحكمة فى جعله من الحما العبرة فى انه تقلب من تلك الحقيقة الحقيرة فى القيمة الى هذه الحال الجليلة ولما ذكر سبحانه خلق الانسان ذكر ما خلقه قبله من الجان فقال والجان اى الذى هو الجن كما ادم عليه السلام للناس وقيل هو ابليس خلقناه وعبر عن تقليل زمان سبق خلقه وتعريبه باثبات الجار فقال من قبل اى قبل خلق الانسان من نار السموم اى الحار الشديد قيل هى نار لا دخان لها تكون منها الصواعق وهى بين السما وبين الحجاب فاذا اراد الله خرقت الحجاب نفذت الى ما امرت به فالهدة التى تسمعها الناس هى خرق ذلك الحجاب وقال الرازى فى اللوامع نار لطيفة تنافت فى الغليان فانى الهوا وهى الاضافة الى النار التى جعلها الله تعالى متاعا كالجمد الى الماء والحجر الى التراب انتهى وقال الرمانى وقال عبد الله هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التى خلق الله منها الجان وهى ماخوذة من دخولها بلطفها فى مسام البدن ومنه السم القاتل انتهى ولما كانت نعمة الايجاد كانه فى اخلاص العبادة للموجد ثم لم يعتبر بها اهل الضلال اشار تعالى الى نعمة الحاكي بها وهى على جميع المخلوقات على وجه مبين لمسبب الضلال فقال عاطفا على ما تقدير اذكر هذا انه كاف فى المراد لكل ذى لب واذ اى واذكر قولك قول ربك اذ قال ربك اى المحسن اليك بتشريف ابيك ادم عليه السلام لتشريفك للملائكة ولما كان لما يتوقف فيه اكده فقال انى خالق بشرا اى حيوانا غير ملبس البشرة بما جعله عليه من الطبيعة على الصورة الانسانية من صلصال اى طين شديد اليبس من حما اى طين اسود متنن مسنون اى مصور بصورة الادمى فى تجويفه واعضائه كانه مصبوب فى قالب قال الرمانى وامثله الاستمرار فى جهة قولهم على سنن واحد فاذا سويته اى عدلته واتممته وهياته لنفخ الروح لقيته قريبة من الفعل ونفخت فيه من روحى اى خلقت الحياة فيه كما تعلق النار بالفتيلة بالنفخ وهو تمثيل واضاف الروح اليه تشريفا وهو ما يصير به الجسم واشرف منه ما يصير به الروح عالما واشرف منه ما يصير به العالم اعلى لما خاشعا فقعوا له اى تعظيما حال كونكم ساجدين اى اسجد له سجود من كان فى عبادته به وسهولة انقياده كانه وقع من غير اختياره فسجد الملائكة اى بسبب هذا الامر من غير توقف لما جاء الوقت

الذي امرتهم فيه لذلك البشر وهو ابوكم آدم عليه السلام وانتم في صلبه كلهم اجمعون ولما ابلغ في تاكيدها انهم اجمع استثنى فقال
الا ابليس قيل هو من قوم من الملائكة وقيل بل لكونه كان واحدا بينهم منضما اليهم عاملا باعمالهم كان معدودا بينهم فكان كانه منهم
فهو استثناه ولذلك فكانه قيل ما فعل فقيل استعظم المخالفة ابى ان يكون اي استكاسته في جملته مع الساجدين او انه لم يقل
نالي بالعطف لان الاستثناء منقطع فان ابليس من نار والملائكة من نور وهم لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون بخلافه فكانه قيل فما فعل
به الملك قيل لم يعاجله العقوبة بل اخره الى اجله المحكوم به في الازل كما انه لم يعاجلكم لذلك فكانه قيل فما قال له فقيل قال له ليقيم
الحجة عليه عند الخلائق ظاهرا كما قامت عليه الحجة في العلم باطنا يا ابليس اختار هذا الاسم هنا لان الابلاس معناه الياس من كل خير
والسكون والانكسار والحزن والتحير وانقطاع الحجة والندم ما لك اي شيء لك من الاغراض في ان لا تكون مع اي بتلبك وقالبك الساجدين
لمن امرتك بالسجود له وانت اعلم بما انا عليه من العظمة والجلال مما لا يعلمه كثير من الخلق قال لم اكن واكد اظهار الاصرار والاضرار بالكبر
فقال لاسجد لبشر اي ظاهر البدن لا قدرة له على التشكل والتطور خلقته من صلصال اي طين يابس لا منعة فيه بل اذا نقر اجاب
بالتصويت من حما اي طين اسود متغير كدر مسنون اي مصبوب بصورة الفخار منتهي الى ذلك لا تردد لا من انا خير منه لانك خلقتني من
نار نافعة بالاشراق ممتنعة ممن يريدها بالاحراق خضوعي له مناف لحالي ممتنع من الزاحله جو فكانه قيل بماذا اجيب فقيل
قال فاخرج اي تسبب عن كبرك اني اقول لك اخرج منها اي دار القدس محل السماء قيل الجنة فانك رجيم مطرود اذ الرجم
لا يكون الا لمن هو بعيد مرادا لزيادة في ابعاده بل اهلاكه وعلة الاخراج الفاء دار لا يقيم بها متكبر عاص مخالف امري فان لي الحكم
النافذ والعظمة التامة المقتضية لوجوب الطاعة لا ينبغي لمن امرته بامر ان يتخلف عن امري بالاجتهاد باستمراره فقال وان عليك اي خاصة
اللعنة اي الكاملة بالقضاء بالمباشرة لاسباب البعد الى يوم الدين اي الى يوم انقطاع التكليف وطلوع صبح الجزاء ببعثنا الخلق اجمعين
وفوات الامد التي تصح فيه التوبة التي هي سبب القرب فذلك ايذان بدوام الطرد وتوالي البعد المقت فلا يتمكن في هذا الامد
من عمل يكون سببا للقرب من حضرة الانس وجناب القدس ومن منع من التوبة عن الكفر في وقتها يعلم قطعا انه لا يغفر له فهو معذب ابدا ولما
علم من هذا دوام لعنه لانه منع التقرب في دار العمل وما بعد ذلك محل الجزاء لا العمل وكان ذلك منهما الانظار الى ذلك الجد وكان ظاهره
ان لعنه مغيى به كان كانه قيل فماذا قال حين سمع ذلك فقيل قال ذاكرا صفة الاحسان والتسبيب في سؤال الانظار رب فاعترف
بالعبودية والاحسان اليه ولم يحمله ذلك على التوبة للحكم بدوام لعنه فلا يطمع طامع في ايمان من حتم بكفره بالاجابة الى ما يقتضي واتى
بفاء التسبيب فيما فهم من الاملاء فقال فانظرني والانظار تنفيس المحتاج للنظر في امره الى يوم يبعثون فحمل يوم الدين على حقيقته واراد
التصريح بالانظار الى ما بعد الموت فكانه قيل ماذا قيل له فقيل قال له ربه فانك اي بسبب ما تقدم من الحكم من المنظرين وقطع
عليه ما ويخيبه من المكر فقال الى يوم ولما كان اليوم ما يتم فيه امر ظاهر وكانت الايام الحايلة ثلاثة زمان موت الاحياء الخارجين
عن دار الخلد ثم بعث الاموات ثم الفصل بينهم باحلال كل فريق في داره قال الوقت ولما كان قد وقع نسوا له هذا توبيخا او هم
تجاهله بتحتيم الموت على كل مكلف بين تعالى انه مما لا يجهل فقال المعلوم اي الذي قدرت عليك الموت فيه وهو النفخة
الاولى وما تبعها من موت كل مخلوق لم يكن في دار الخلد ولما انهم كما تقدم كما قلنا باغوايه كان السامع كانه قال فماذا قال فقيل
قال مستويا نفسه بالمعبود العلي الذي لا يسال عما يفعل وكل انما له عدل وحكمه بعد ان رفع نفسه على العبد البشري رب اي ايها
الموجد والمدبر لي وعزتك بما اغويتني اي بسبب اغوائك لي من اجلهم وللاهتمام بهذا السبب قدمه على جواب القسم الدال على
المقسم به وهو قوله لازينن لهم اي تزيينا عظيما المعاصي والمباحات الجارة اليها الشاغلة عن الطاعة الصارفة عنها في الارض
اي التي هي محل الغفلة وهم منها والشيء الى ما هو منه اميل فهي لهذا التقدير مساوية لاية من فبعزتك والتزيين جعل الشيء متقبلا
في النفس من جهة الطبع والعقل بحق او بباطل ولاغوينهم اي بالاضلال عن الطريق الجيدة اجمعين انتقاما لنفسي الا عبادك
منهم اي المشرفين بالاضافة اليك فهم لذلك لا يميلون عنك الى شيء سواك فلذلك ابدل منهم المخلصين فدل هذا الكلام
في الضلال ولم يقدر ان يقول بدل ذلك رب تب علي ونحوه من الاستعطاف كما قال آدم لما حنه اللطف وداركه العفو
فادعوا هذه النعمة والاخلاص افراد الشيء عما يشوبه من غيره فكانه قيل فبماذا اجيب فقيل قال الله في جوابه زادا ما اوهمه
كلامه من ان له فعلا يستقل به ممكنا بالله هذا اي الذي ذكرته من حال المستثنى والمستثنى منه صراط علي مستقيم لا في تحتيت
به ولو لم تقله انت وحكمت به عليك وعليهم فلا محيص لكم عنه فكل قيل على ما قاسيا وهو وارد على الاعوج لصاكيه عن الرجوع
الى والورود علي يعني انه لا يقدر احد ان ينال شيئا بغير ارادتي فاني بالمرصاد ثم شرح ذلك بقوله مضيفا جمع العباد اليه كما هو
الحقيقة نافيا ما قد توهمه الكلام من ان لابليس فعلا مستقلا ان عبادي اي عامة ليس لك اي بوجه من الوجوه عليهم سلطان
اي لتردهم كلهم عما يرضيني الا من اتبعك اي بتعمد منه ورغبة في اتباعك من الغاوين ومات عن غير توبة فاني جعلت لك
عليهم سلطانا للتزيين والاغواء وقيل وهو ظاهر ان الاضافة للتشريف فلا تشمل الا الخلص فلن حينئذ يكون الاستثناء منقطعا
وفايدة سوقه بصورة الاستثناء على تقدير الانقطاع الترغيب في رتبة التشريف بالاضافة اليه والرجوع عن اتباع العدو الى الاتبال

الاقبال عليه لان ذوي الانفس الابية والهمم العلية يتنافسون في ذلك المقام ويرونه كما هو الحق اعلى مرام وان جهنم لموعدهم اي
الغاوين من ابليس ومن شايعه اجمعين ثم بين انهم متفاوتون فيها فقال لها سبعة ابواب قال السراني وهي اطباق بعضها فوق
بعض عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن وقتادة وابن جريج رحمهم الله لكل باب منهم اي الغاوين خاصة لا يشاركهم فيه
مخلص جزء مقسوم معلوم لنا من القدم لتقديرنا اياه لا نزيد شيئا ولا ننقص شيئا فلا نعل فيه لغيرنا بغيرا التسبيب الذي اظهرناه لتربط
به الاحكام على ما تقتضيه عقولكم وتجاري عاداتكم وعن ابن جريج ان اعلاها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم
الهاوية وفي نسخة تقديم سقر على لظى وعن الضحاك ان العليا لاهل التوحيد ثم يخرجون والثانية للنصارى والثالثة لليهود والرا بعة
للصابية والخامسة للمجوس والسادسة لمشركي العرب والسابعة للمنافقين والسبب في تصاعدها اختلاف انواع الكفر في الغلظ
والخفة ولا يظلم ربك احدا رحمة منه سبحانه ولعلها كانت سبعة باعتبار اصناف الكفار لانهم اما معطلة او مشبهة والمشبهة
اما يهود او صابية او نصارى او مجوس او عباد وثن والكل اما مصارحون او منافقون ولما كان المنافق لا يعرف ظاهر امره الا الها
هو عد قسما واحدا وكل امره في ميزه الى العليم الخبير ولما كان الكل عاملين بما لم ياذن به الله كانوا في حكم المعطلة لوصفهم
الله بغير صفته فرجعت الاقسام الستة فاضيفت اليها العصاة من كل فرقة فجعلت جزء الطبقة العليا من النار مقابلة
لقسم المنافقين من كل امة لعملهم اعمال الكفار مع الايمان كما ان عمل المنافقين عمل المومنين مع الكفران فكانوا احق الكفار فكان
لهم الدرك الاسفل من النار ثم رايت في رشفة النصايح الايمانية وكشف الفضايح اليونانية للعارف بالله شهاب الدين عمر بن
محمد السهروردي انها جعلت سبعة على وفق الاعضاء السبعة من العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لانها
مصادر السيئات فكانت مواردها الابواب السبعة وهو ماخوذ من كتاب المحاسبة من كتاب الاحياء للامام الغزالي ولما كانت
هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النية والنية من اعمال القلب زادت الاعضاء واحدا فجعلت ابواب الجنان ثمانية هذا معنى
قوله قال واعمال القلوب من السيئات غير مواخذ بها ولما ذكر الكافرين وما جرهم الى الضلال وجزاءهم على قبايح الاعمال ذكر المخلصين
فقال مؤكدا لانكار المكذبين بالبعث ان المتقين اي العريقين في هذا الوصف والمتقي من جعل الايمان باخلاصه حاجزا بينه وبين
العقاب في جنات وعيون ولما كان المنزل لا يحسن الا بالسلامة والانس قال تعالى ادخلوها اي يقال لهم ذلك بسلام
اي سالمين من كل آفة مرحبا بكم ومسلما عليكم حال الدخول امنين من ذلك دايما ولما كان الانس لا يكمل الا بالجنس مع كمال المودة
وصفاء القلوب عن الكدر قال ونزعنا اي بما لنا من العظمة ما في صدورهم من غل اي حقد يتغلغل اي ينغرز في القلب حال كونهم
اخوانا على اي متصافين حال كونهم على سرر جمع سرير وهو مجلس رفيع موطا للسرور ورد متقابلين لا يرى بعضهم قفا بعض في اخبر
المتقربات عن الجنيد انه قال ما احلى الاجتماع مع الاصحاب وما امر الاجتماع مع الاضداد ولما كان النظر في الدوام والمال
بعد ذلك قال لا يمسهم فيها نصب اي اعياء وتعب وجهد ومشقة وما هم منها ولما كان المشكي في كل شيء انما هو الاكراه بني للمجهول
قوله بمخرجين ولما كان المفهوم من هذا السياق ان الناجي انما هو المتقي المخلص الذي ليس للشيطان عليه سلطان وكان منهو
الخلص من الاشابة فيه وكان الانسان محل النقصان وكان وقوعه في النقص منافيا للوفاء بحق التقوى والاخلاص وكان ذلك ربما
ايياسه ذلك من الاسعاد فاوجب له التمادي في الابعاد قال سبحانه جوابا لمن كانه قال فما حال من لم يقم بحق التقوى نبئ عبادي
اي اخبرهم اخبارا جليلا اني انا اي وحدي الغفور الرحيم اي الذي احاط محوه للذنوب اكرامه لمن يريد لا اعتراض لاحد عليه
ولما كان ذلك ربما كان سببا للاغترار الموجب للاضرار قال وان عذابي هو اي وحده العذاب الاليم اي الكامل في الايلام فعلم
ان الاول لمن استغفر والثاني لمن اصر وعرف من ذلك ان المتقين انما دخلوا الجنة بعفوه والغاوين انما عذبوا بعدله فهو لف
ونشر مرتب مشوش على ما هو الافصح ولما اتم سبحانه شرح قوله وليعلموا انما هو اله واحد وما تبعه من الدلالة على البعث شرع في تمام
وليذكر اولوا الالباب بقصة الخليل عليه السلام وما بعدها مع الهم فانذكر المعاد تارة تصريحا والزجر عن الاجترا على طلب الاتيان بالملايكة
عليهم السلام والالتفات الى قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق في اسلوب شارح لما تعقبته هذه القصة فاخبر
القنوط سبيلا له المغفرة والاخبار بعذاب الامم تمثيل لاية العذاب ليزدجر المخاطبون وافرد لهم ذكر من هو اقرب الى بلادهم
ممن يعرفونه من المعذبين لانه اوقع في النفس فقال تعالى ونبئهم اي اخبرهم اخبارا عظيما عن ضيف ابراهيم والضيف
هو المنضم الى غيره لطلب القرى لقوة سموا بهذا الاسم لانهم على صورة الضيف فهو من دلالة التضمن اذ دخلوا عليه اي ابراهيم
عليه السلام فقالوا على عقب الدخول سلاما ولما كان حالهم في هذه السورة الملايكة على وجه او كما في سورة هود عليه السلام
اشار لهم الى ما في رويته الملايكة من الخوف ولو كانوا مبشرين وفي احسن صورة من صور البشر في قوله قال بلسان الحال او المقال
انا اي انا ومن عندي منكم وجلون واسقط ذكر جوابه بالسلام ولا يعارض ذلك ما في سورة هود وغيرها من ذكره فان
اذ ظرف زمان بمعنى حين والحين قد يكون واسعا فيذكر فيه تارة جميعه على ترتيبه واخرى على غير ذلك وتارة بعضه مع
اسقاط البعض مع صدق جميع وجوه الاخبار لكونه كان مشتملا على الجميع وتكون هذه التعريفات على هذه الوجوه لمعان يستخرجها من

من اراد اسد ولما اخبر انه اخبرهم بوجله منهم تشوف السامع الى جوابهم فقال قالوا مريدين لامنه لا توجل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما يكره ثم عللوا ذلك بقولهم مؤكدين لقلع ما في نفسه من الوجل المنافي للبشرى انا نبشرك بغلام عليم اي ولد ذكر هو في غاية القوة وليس كاولاد الشيوخ ضعيفا ولما كان خوفه لخفا امرهم عليه كان للوصف بالعلم في هذا السياق مزيد مزية فقالوا عليم فكانه قيل فما قال فقيل قال سنظهرا للتعجب لزيادة تحقيق الامر وتاكيده ابشرتموني اي بذلك على ان مسني الكبر اي الذي لا حركة معه ياتي منها ولد فدام على ان اعود شابا ولذلك سبب عنه قوله فبم تبشرون بينوا الى ذلك بيانا شافيا قالوا بشرناك بالحق اي الامر الثابت المقطوع به الواقع لا محالة الذي يطابق خبرنا فلا تكن اي بسبب تبشيرنا لك بالحق من القانطين اي الايسين الذين ركنوا الى ياسهم لعوائد علم خوارقهم فلما الهبوه لهذا النبي قال منكرا لان يكون من القانطين ومن يقنط اي بياس هذا الياس من رحمة ربه اي الذي لم يزل احسانه دارا الا الضالون اي المخطئون طريق الاعتقاد الصحيح في ان كل من تمام القدرة وانه لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة وهذا اشارة الى انه ما كان ما نطقا ولما كان مريدا التحقيق الخبر وفي هذا تلويح الى امر المعاد فلما تحقق البشرى ورأى اتيانهم مجتمعين على غير الصفة التي ياتي عليها الملك للوحي وكان هو وغيره من العارفين بالله عالمين بانه ما ينزل الملائكة الا بالحق كان ذلك سببا لان يسألهم عن امرهم لينزل وجله كله فلذلك قال فما بغا السبب خطبكم قال ابو حيان والخطب لا يكاد يقال الا في الامر الشديد انتهى وقال الرماني انه الامر الجليل ايها المرسلون فانكم ما جئتم الا لامر عظيم يكون فيصلا بين هالك وناج قالوا انا ولما كان عالما بهم بنوا المفعول قولهم ارسلنا اي بارسال العزيز الحكيم الذي انت اعرف الناس به في هذا الزمان به الى قوم اي ذوي منعة مجرمين اي عريقين في الاجرام كلهم ولما كان ارسالهم للعذاب قالوا مستثنين من الضمير في مجرمين اي قد اجرموا كلهم اجراما عظيما الا آل لوط فاستثنوهم من ان يكونوا المجرمين المستلزم لكونهم ما ارسلوا لتعذيبهم فكان ذلك محركا للنفس الى السؤال عن حالهم فانهم ممن وقع الارسال بسببه فاجابوا بقولهم انا لمنجوهم اي تنجية عظيمة بتدريج الاسباب على العادة اجمعين الا امرأته فلما استثنوها من منجوها فكان اي هالكا لان يعذب ولان ينجيها الله لسبب غيرهم تشوفت النفس للوقوف على ما قضي به من ذلك فقيل باسناد الفعل الى انفسهم لما لهم من الاختصاص بالمقتدر سبحانه قدرنا ولما كان فعل التقدير متضمنا للعلم علقه عن قوله انها اي امراته واكدوا جل ما اشير اليه هنا من عظيم تشوف الخليل عليه السلام الى معرفة امرهم وشديد سؤاله في نجاة لوط عليه السلام وجميع آله كما مضى التصريح به في هود فطاله عن السؤال في نجاتها تحذف ما في الفعل فان سببا تعارض عن ذلك لمن الغابرين اي الباقين الذين لا ينجون مع لوط عليه السلام بل تكون في الهلاك والعبرة والآل قال الرماني اهل من يرجعون الى ولايته ولهذا قيل لاهل البلد ولا يقال لاهل البلد التقدير جعل الشي على مقدار غيره ليظهر المساواة او المباينة والغابر الباقي فيمن يهلك فلما اتم ما اريد الاخبار عنه من محاورتهم مع ابراهيم عليه السلام اخبر عن امرهم مع لوط عليه السلام فقال فلما بالفا الدالة على سرعة وصولهم اليه وكانه ما اشتد انكاره لهم الا بعد الدخول الى منزله اما لخوفه عليهم وهم لا يخافون او غير ذلك من احوال لا تشتبه احوال البشر فلذا قال جا آل لوط اي في منزله المرسلون اي لاهلاك قومه قال انكم قوم اي اقوياء منكرون لابد ان يكون عن اتيانكم الى هذه البلدة شر كبير لاحد من اهل الارض وهو معنى قوله سيء بهم الاية فتقدم حكاية انكاره اياهم واخبارهم عن العذاب بمثل ما تقدم في قصة ابراهيم عليه السلام من الزجر عن قولهم لوما تاتينا بالملائكة المحتمل لارادة جميع الملائكة ثم ان كنت من الصادقين تعريفا لهم بان بعض الملائكة اتوا من كان اكثر اهل ذلك الزمان على اجمل صورة للبشر مبشرين لهم ومع ذلك فما كل منها فكيف لو كان منهم جمع كثير امر كيف لو كانوا على صورهم امر كيف لو كان الرائي لهم غيرهما امر كيف لو كانوا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا ويجوز ان يكون قولهم لهم هذه المقالة انما كان عن عدم اخبارهم له بانهم رسل الله ويكون المعنى حينئذ انكم لستم على صفة الاتي بالوحي فقد اشتد على امركم لكوني لا اعرفكم مع الاستيحاش منكم وذلك لمحاورته لقومه ثم مفارقتهم عنهم فكان خائفا عليهم فلما اخبروه انهم ملائكة خاف منهم ان يكونوا اتوا بشي يكرهه وقد تقدم انفا ان الاخبار عما كان في حين من الاحيان لا يضر تقدم بعضه على بعض ولا اسقاط بعضه وذكر اخر ولم يرد هنا الحرف الذي اصله المصدر وهو ان كما في العنكبوت لان استنكاره لهم وان كان مرتبا على مجيئهم الا انه ليس متصلا باوله بخلاف المساءة ولما كانت حقيقة المنكر ما خرج عن عادة اشكاله ولم يكن على طريقة امثاله اضربوا عن قوله وكان جوابهم ان قالوا بل اي لسنا منكرين لانا جئناك لنفرج عنك بما اي بسبب ايقاع ما كانوا اي جبلة وطبعا فيه يمترون لما جرت عادتنا ان ناتي بمثله من العذاب الذي كانوا يشكون فيه شكا عظيما يحملون نفوسهم عليه ويكذبون به والجاهل يوصف بالشك وان كان مكذبا بانه مجتهد ما يعرض له منه من حيث انه لا يرجع المنعة فيما هو عليه واتيناك بالحق وانا الفاصل بينك وبينهم الرائع لكلهم مطابقا لاخبارنا والاتيان الانتقال الى جهة الشي والذهاب الانتقال عنه وانا لصادقون في الاخبار بما يطابق الواقع ولما اخبر بوقوع العذاب بهم امروه بما يكون سببا فيما امروا به من النجاة فقالوا فاسر فاتوا بالفا لان ما بعدها مسبب عما قبلها باهلك بقطع اي طائفة من الليل واتبع اي كلف نفسك ان تتبع ادبارهم لتكون امرهم الينا والى محل العذاب لانك اثبتهم قلبا واعرفهم باسرار الشرع من ورائكم وقد جرت عادة الكبرا ان يكونوا الذين خلفا الى الامر المخوف سماحا بانفسهم ونباتا وتثبيتا لغيرهم وعلما منهم بان مداناة ما فيه وجل لا يقرب من اجل وجهده لا يغني من قدر ولا

ولا يباعد من هؤلاء وليلا يشتغل قلبك بمن خلفك ولتخشوك فلا يلتفتوا او يتخلف احد منهم وغير ذلك من المصالح والدبر جهة الخلف وهو ضد القبل ولا يلتفت اي اصلا منكم احد اذ لا فائدة فيه لان الملتفت غير ثابت لانه اما غير مستيقن لخبرنا او متوجع لهم فربما ناله العذاب وذلك ايضا اجد في الهجرة واسرع في السير وادل على اخراج ما خلفوه من سنان لهم واستفراغهم من قلوبهم وعلى انهم لا يرقون لمن غضب الله عليهم مع انكم ربما رأوا ما لا تطيقه انفسهم وامضوا حيث ولتعبيره بالمضارع يشعر بانه يكون معهم بعض الملائكة عليهم السلام في قوله تؤمرون ولما تقرر ذلك هذا امر اهلكهم من غير تصريح ولا تعيين لوقت قال تعالى وقضينا اي بما لنا من العظمة موحين اليه اي خاصة ذلك الامر فاشار الى تعظيمه بالاشارة اليه باداة البعد ثم فسره بقوله ان دابر اي آخر هؤلاء اي الحقيرين عند قدرتنا واتيانا بصيغة المفعول الى عظمته سبحانه وسهولة الامر عنده فقال مقطوع حال كونهم مصبحين ولا يقطع الدابر حتى يقطع ما دونه لان العدو يكون مستقبلا لعدوه فهو كناية عن الاستيصال بان آخرهم واولهم في الاخذ سوا لان الاخذ قادر لا كما يفعل بعض الناس مع بعض انهم يملون في اخر الوقائع فيعفو كثيرهم البعض فلما دلهم ما دار بينه وبين الرسل سقدما لما بين ابتعكه البيان عن حال قومه اشارة الى ان الملائكة ان كانوا بصفة البشر لم يعرفهم الكفرة وان كانوا بصفاتهم او باظهار شي من هوادقهم لم يحتمل قواهم فذلك نفع لاهوه فبكاشفتهم في حالة من الحالات فسوا لهم الاتيان بهم جهل عظيم فقال وجا اهل المدينة اي التي كان هذا الامر فيها قالوا وهي سدوم ولا رادة عمل الفاحشة بالاضياف يستبشرون اي يلوح على بشراتهم السرور فهو يوجد ومن لا يفتشهم ايجاد من هو شديد الرغبة في طلبه فكان حال لوط عليه السلام ان قال لهم ان هؤلاء اي الذين رأيتموهم ضيفي ولما كان اكرام الضيف اكراما لمن هو عنده واهانته اهانته سبب عن ذلك ما اشار اليه الكلام فقال فلا تفضحون في اصحابهم بفاحشة وكان ذلك قبل معرفته انهم ملائكة واتقوا الله اي الذي له جميع العظمة ولا تخزون اي باهانة ضيفي فيكون ذلك عارا على مدا الدهر فلم يكفهم ذلك بل قالوا بفظاظة عاطفين على ما تقديره الم تعلم انا لا نترك هذا الامر لشي من الاسباب اولم ننهك اي من قبل هذا عن العالمين اي تجير علينا احدا منهم فلما وصلوا الى هذا الحد من الوقاحة ذكر لهم الحريم ليحملهم ذلك على الحيا لانه داب من له ادنى مروة ولا سيما ذكر الابكار في سياق يكاد يصرح بمراده بان قال هؤلاء مشيرا الى بيته الذي فيه بناته صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن بناتي ان كنتم ولابد فاعلين اي تدعو منهم عزما ماضيا على هذا الفعل اشارة باداة الشك الى ان هذا الفعل مما لا ينبغي ان يفعل بعنى وانتم عالمون باني لا اسلم بناتي ابدا فنعلم من ذلك انه وصولهم الى اضيافي دون هلاكي محال ولما ذكر من امورهم وعظيم فجورهم وهم قد فرغ من امرهم وقضى باستيصالهم كان كل من يعلم ذلك تامنيا بانهم لا عقول لهم فاتبع سبحانه ذلك ما يدل عليه بقوله لعمرك اي حياتك يا اكرم الشمائل والدلائل الخالص واضح ذلك الحين باستبعادهم ولتحقق ان ذلك الضلال منهم صرف وتعنت محض فقال انهم لفي سكرتهم اي غوايتهم الجاهلة يعمهون اي يتحيرون لا بصر ولا طريق الرشد فلذلك لا يقبلون قول الناصح فان كان المخاطب لوطا عليه السلام كان ضمير الغيبة لقومه وان المخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر كان الضمير لقومه وكان المعنى انهم في خبط بعيد عن السنن في طلبهم شان الملائكة كما كان قوم لوط عليه السلام يقصدون الالتذاذ بالفاحشة من مكن من هلاكهم فشتان ما بين القصدين وهيهات لما بين الفعلين فصار المعنى انما قذفوك بما اول السورة كلهم لا بك لان من طلب اتيان الملائكة مع جواز ان يكون حاله حال قوم لوط مع جواز عندنا انتم هو المجنون والعمه بالعم العمى ما العمى وهو مدة بقاء الشي حيا لكنه لا يقال في القسم ولما تم ذلك الا بالفتح لخفته مع كثرة دور القسم لذلك حذف فقال الذي تقديره قسمي والسكرة غمور السهو للنفس ولما تم ذلك سبب عنه القضا نتيجة دابرهم قوله فاخذتهم اي اخذ انتقام وتغلبة الصيحة التي تعظمها وهولها هي الصيحة وغيرها عدم بالتشبيه والاخذ نقل الشي الى جهة الاخذ والصيحة صوت يخرج من الفم بشدة وقوله مشرقين اي داخلين في الاشراق وهو ضيا الشمس عند كل بزوغها ونتبين به ان وقته فيها لغة فان الصبح والصباح والاصباح اول النهار ولعله يطلق على وقت الغدا والزوال او تكون الصيحة وقت الاشراق اخرابهم وقلع المداين من اماكنها وقت الصبح ابتدا امرهم ثم بين سبحانه ما تسبب عن الصيحة متعقبا لها فقال فجعلنا عاليها اي مداينهم سافلها وامطرنا ولما كان الزجر في هذه السورة اعظم من الزجر في سورة هود عليه السلام لطلبهم لان ياتي بجميع الملائكة اعاد الضمير على المعذبين لا على مدنهم كما مضى في سورة هود عليه السلام لان هذا اصرح فقال عليهم اي اهل المداين التي قلبت المداين لاجلهم حجارة من سجيل ثم حقق ان ذلك كله شرح لقوله وليذكر اولوا الالباب بقوله ان في ذلك اي الامر العظيم جدا لايات اي عدة من جهة غمرها بالما بعد خسفها ومن جهة كونه مخالفا لمياه الارض له بالنتن والخباثة وعدم عيش الحيوان فيه وعدم النفع به ومن جهة فظاظة منظره وغير ذلك من اموره للمتوسمين جمع متوسم وهو الناظر في السمة الدالة وهي الاثر الدال على الوجه والقراين الناصة بالحدود والشر وكانوا يدعون انهم ابصر الناس بمثل ذلك لانهم اهل هاب لهم وتنكيت ثم بين ان عبرة ذلك عند خسف بهم ولا يبعد عمن اراد الاتعاظ به فقال مخالا لهم لعدم اعتبارهم الطامع رويتهم اياها في كل حين في عناد المنكرين وانها اي هذه المداين لبسبيل مقيم اي ثابت وهو مع ذلك مبين فلا عذر لهم في عدم

السهولة لقومك وكانوا يمرون اليها في بعض اسفارهم الى الشام ولما اشار سبحانه الى الاستدلال بالتوسم الدال بما هي عليه
من المخالفة لسائر مياه الارض لعذوبة الواردة اليها عن كثرتها ومع ان البلاد التي هي بها من ابهج البلاد في عذوبة
المياه وطراوة الارض وحسن الاشجار وغير ذلك علل ان لها ابنا هو في غاية الغرابة وابدع ذلك غاية الوصول اليها حثا ايها
بقصد نظرها والاعتبار بها والسؤال عن سبب كونها لذلك قال مشيرا الى زيادة الحث بالتاكيد ان في ذلك اي
الامر العظيم من حالها لاية اي علامة عظيمة في الضلالة علينا للمؤمنين الراسخين في الصدق والتصديق فاذا
اخبروا ان سبب كونها هكذا ان اسرا بعض جنده فرفعها ثم قلبها ثم اتبعها الحجارة ثم خسف بها وغمرها بهذا الماء الذي
هو في القذارة وعدم الثمرة مناسب لافعال اهلها لاجل عصيانهم رسوله صلى الله عليه وسلم امنوا حذرا من مثل هذا
العذاب ايمانا بالغيب ولما ذكر هذه القصة ضم اليها ما هو على طريقها مما عذب قومه بنوع اخر من العذاب
يشابه عذاب قوم لوط في كونه نارا من السما فقال موكدا لاجل انكار الكفار ان يكون عذابهم لاجل التكذيب او
عذابهم لاجل تماديهم على الغفلة مع العلم به عنادا المنكرين وان اي وانه كان اي جبلة وطبعا اصحاب الايكة وهم
قوم شعيب عليه السلام والايكة الشجرة عن الحسن وجمعه الايك كشجرة وشجر وقيل الايكة الشجر الملتف لظالمين
اي عريقين في الظلم فانتقمنا منهم اي بسبب ذلك ثم اخبر عن البلدين لتقاربهما في العذاب والمكان وكونهما
على طريق واحدة من طرق متاجر قريش وانهما اي قرى قوم لوط ومحال اصحاب الايكة لبامام اي طريق يؤم ويتبع وتقصد
به مبين واضح لمن اراده بحيث انه من شدة وضوحه موضح لعظمة الله وانتقامه لا يندرس ولا تحفى نمسه لم يكن كانهم فقوم ونقوحه
سنيهم في مكانه لم تندرس علامه ولم تنطمس اثاره فالاية من الاحتباك ذكري الاول مقيم دالا له على حذف مثله ثانيا
وفي الثانية مبين دالا له على حذف مثله اولا ولما كان ربما قيل انه لو كان اصحاب الايكة ببيوت متقنة لمنعتهم من العذاب
عطف عليهم من هم على طريق اخرى من متاجرهم الى الشام وكانوا انظار الاعتبار ارهم بالامل حتى تخذوا الجبال
بيوتا وكانت ايتهم في غاية الوضوح فكذبوا بها تحقيقا لان المتقين لو راوا كل اية لما لو الما سكرت ابصارنا فقال
ولقد كذب ولما كان السياق للمكذبين وما وقع لهم تكذيبهم قدم الفاعل فقال مشيرا الى اتقان بيوتهم اصحاب
الحجر وهم ثمود قوم صالح عليه السلام ودمارهم بين المدينة الشريفة والشام المرسلين اي كلهم بتكذيب رسولهم كالذب
هولا المرسلين بتكذيبك لان الرسل يشهد بعضهم لبعض بالصدق فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الجميع وهم في اثبات الرسالة
بالمعجزة على حد سوا ثم اتبع ذلك قوله واتيناهم اي بعظمتنا على يد رسولهم صالح عليه السلام اياتنا اي كلها باياتنا الناقة
وسقيها وردها وشربها لان الممكنات كلها بالنسبة الى قدرته على حد سوا فمن كذب بواحدة منها فقد كذب بالجميع فكانوا
اي كونا هو كالجبلة عنها اي الايات كلها خاصة لا عن روية الدنيا التي تجر الى الباطل معرضين اي راسخين في الاعراض
لم يومنوا بها التفاتا الى قوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السما الايتين وتمثيلا له ورد اللمقطع عن المطلع ثم اخبر
انهم كانوا امثل هولا في الامن من العذاب والغفلة عما يراد بكم مع انهم كانوا اشد منهم فقال وكانوا ينحتون والنحت قلع
جزء بعد جزء من الجسم على سبيل السهو من الجبال التي تقدم انا جعلناها رواسي بيوتا امنين عليها من الانهدام وغيرها من
الحدثان ما يكره لا كبيوتكم التي لا بقا لها على ادنى رجة فاخذتهم اي فتسبب عن تكذيبهم ان اخذتهم اخذ العذاب والانتقام
الصيحة حال كونهم مصبحين اي داخلين في الصبح فما اي فتسبب عن الصيحة انما اغنى اي اجزا عنهم ما كانوا اي بجهلا
اي بجبلاتهم يكسبون من البيوت والاعمال والعدد والالات الجبنية لانها لا نوالا يعجزنا شي لانه لا كلفة علينا فيما له
نفعل انما نقول له كن فيكون وفعلنا بهم ذلك لانهم كانوا على باطل فكان تكذيبنا لهم حقا ولما كان المتعنت ربما قال
ماله خلقهم ثم اهلكهم وهو عالم حين خلقهم انهم مكذبين وكانت هذه الاية ملتفتة مع ما فيها من ذكر الارض الى قوله التي
اتبعها ذكر الخافقين استدلالا على الساعة قال على ذلك النمط وما خلقنا اي على عظمتنا السموات اي على ما لها من العلو
والسعة والارض على ما بها من المنافع والغرائب وما بينهما من هولا المكذبين وعذابهم ومن المياه والرياح والسحاب المسبب عنه النبات
وغير ذلك الا بالحق اي خلقا ملتبسا بالحق فيتفكرون فيه من وفقه الله فيعلم النشاة الاخرة نحو النشاة الاولى او بسبب الحق
من اثبات ثواب الامور ونفي تزلزلها لتظهر عظمتنا بانصاف المظلوم من الظالم واثابة الطائع وعقاب العاصي في يوم
الفصل الى غير ذلك من الحكم كما قال تعالى ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا
بالحسنى فمن امهلناه في الدنيا اخذنا منه الحق بعد قيام الساعة فلا بد من فعل ذلك وان الساعة لاتية لا جل اقامة
الحق لا شك في اتيانها لحكم علمها سبحانه فتظهر فيها كل ذلك ويمكن ان يكون التقدير فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما فعلنا ذلك
الا بالحق من الابالي ولكن هو الحق وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي بالامر لا له الخلق والامر يعني انه لا مشقة
علينا في شي من ذلك وسنعمد ذلك الا بالحق اذا اردنا قيام الساعة وان الساعة لاتية لانا قد وعدنا بذلك ولين حيكم ونيز كرته

كونها الا ان نزيدها فتكون كما كان غيرها بما اردناه فاصفح الصفح اي فاعرض بسبب الاخذ بذلك الاعراض الجميل بالحلم والاغضا وسعة
الصدر في مثل قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فانه لا بد من الاخذ لك منهم بالحق ولو لم يكن لك نصر الا في ذلك اليوم لكانت كافية فيه
ثم علل هذا الامر بقوله ان ربك الا اي المحسن اليك الامر لك بهذا هو اي وحده الخلاق المكرر منه لهذا الفعل بهذا الوصف لجود
الامر فلا يعجب في ايجاد ما ينسب اليه من ابداع الساعة او غيرها وهو لذلك عالم باحوال الكل اجمعين وما يكون منها صلاحا لك على غاية الحكمة
لان المصنوع اعلم بالمقصود من ناظرها والمتبصر فيها وصانع الشي ادرى به من مشتريه وباني البيت اخبر به من ساكنه وهو الذي يخلق كل
ما تراه منهم فهو فعله فسلم له ولما كان احكام المصنوعات لا يتم الا بالعلم قال العليم اي البالغ العلم بكل المعلومات فلا تر انما لهم
واقوالهم الا منه سبحانه لانه خالقها وقد علمت انه لا يضيع مثقال ذرة فاعتمد عليه في اصلاحك فانه نعم المولى ونعم النصير ولا يخفى عليه شي
منه ويدل على ما قلته اية يس اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم او يقال فما اغنى عنهم ما
كانوا يكسبون شيا مما اردنا لانا ما خلقنا هذا ثم الا بالحق كما خلقناهم بالحق فلم يمتنع علينا شي من ذلك وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق اي بسبب اقامة الحق واظهار دارنا في العدل ولولا سلطنا بعض الناس على بعض لم يظهر لهم منا هذه الصفة حق
غاية الظهور فنحن نفعل من الحق الذي خلقنا ذلك بسببه على قيام الساعة ما شئنا من الابتلاء والانتقام كما فعلنا لمن قصصنا امرهم ونحو
من ذلك ما يقال في قيام الساعة وان الساعة لاتية لا شك فيها فلا ندع هناك شيا من الحقوق الا اتيناه فاصفح الصفح الجميل فلا تقد
من الاخذ لك بحقك اما في الدنيا واما في الاخرة ان اي لان ربك هو الخلاق اي الفاعل للخلق مرة بعد مرة لا يتعذر قدرته ولا يقصر كلمته
العليم التام العلم فهو قادر على ذلك عالم بوجه الحكمة فيه في وقته وكيفيته فهو لعيد الخلائق في الساعة كما ابداهم ويستوفي
اذ ذاك جميع الحقوق ويوتيك في ذلك اليوم ما تقر به عينك ولما وصف ذكر صفة العلم بصيغة المبالغة اتبعها ما اتاه في هذه الدار من
مادة العلم بصيغة العظمة فقال عطفا على ما قدرته مما دل عليه السياق ولقد اتيناك مما يدل على علمنا سبعا من المثاني
وهي الفاتحة الجامعة على وجازتها جميع معاني القران فتثنى في النزول فانها نزلت مرتين وتثنى في كل ركعة من الصلاة وهي ثنا على الله و
والصالحين من عباده وهي مقسومة بين الله وعبده وتثنى فيه مقاصدها ويورد كل معنى من معانيها فيه بطرق مختلفة في ايضاح الدلالة
عليه في قوالب الالفاظ وجواهر التراكيب لعادته اليه وغير ذلك من التثنية والقران العظيم اي الحاوي لجميع علوم الاولين والاخرين
بما في جميع الكتب السالفة وغيره ولما كان ما اوتيه وما سيوتاه اعظم ما اوتيه مخلوق اتصل به قوله لا تمدن عينيك اي مدا عظيما
بالتمني والاشتها المصمم ولذلك ثني العين احتى ارا عن حديث النفس الى ما متعنا اي على عظمتنا به ازواجا اي اصنافا منهم اي اهل
الدنيا او يقال انه لما كان المقصود لكل ذي لب انما هو التبليغ بدار البقا الى دار البقا الموكد اتفاقها في الاية السابقة وكان
القران كما تقدم كفيلا بذلك وتسلاه صلى الله عليه وسلم عما يوذونه به من اقوالهم وتبين ذلك من علو درجة بوقع السامع ذكر ما اسبغ
عليه من النعم فقال تعالى ويقال انه لما امره سبحانه بالصفح على اذاهم علل بامتنانه انهم خلقه وانه منفرد بالخلق وهو بليغ العلم
بافعالهم مريد لها فليس الفعل في الحقيقة الا له وعلى المحب ان يرضى بفعل حبيبه من حيث انه فعله ولما كان التقدير فهو الذي
خلقهم وعلم قبل خلقهم ما يفعلون عطف عليه لتسلية له صلى الله عليه وسلم قوله ولقد اتيناك اي بما لنا من العظمة كما اتينا صالحا ما تقدم
سبعا من المثاني تكون كل سبع منها كفيلا باغلاق باب من ابواب النيران السبعة وهي ام القران الجامعة لجميع معاني القران ن
التي امرنا باعادتها في كل ركعة زيادة في حفظها وتبركا بلفظها وتذكرا بمعانيها تخصيصا لها عن بقية الذكر الذي تكفلنا له
بحفظه واتيناك القران العظيم الجامع لجميع معاني الكتب السماوية المتكفل بخيري الدارين مع زيادة في حفظها وتبركا زيادات
لا تحصى الى المنار العظيمة او لما لسورة بالتنوين ووصفه بانه مبين للبراهين الساطعة على نبوتك والادلة القاطعة على رسالتك
الدالة على اسد الموصلة اليه والاية مع ذلك دليل على العلم المحتفم لها قبلها فكانه قيل فاذا اعمل فقيل في معنى ذرهم ياكلوا لا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم اكتفا بهذا البلاغ العظيم الذي من تحلى به واشرب به قلبه راه معايب هذه الدار فبغضه
فيها واشرف به على ما امامه ولا تحزن عليهم لكونهم لم يومنوا فيخلصوا انفسهم من النار ويقوى بهم جانب الاسلام وكا ل
هذا هو الصفح المامور به وهو الاعراض عنهم اصلا ورأسا الا في امر البلاغ ولما امره في غيرهم بما امر اتبعه بعشرة اصحابه
بالرفق واللين فقال واخفض اي طاطئ جناحك للمومنين اي الراسخين في هذا الوصف واصبر نفسك معهم واكتف بهم فان الله
جاعل فيهم البركة وناصرك ومعز دينك بهم وغيرهم حرج الى غيرهم ممن اراد شقوته فلا تلتفت اليهم وهذا الجناح كناية عن اللين
واصله ان الطائر اذا ضم الفرخ اليه بسط جناحه ثم يضمه اليه قاله ابو حيان وفي الجزء العاشر من الثقفيات عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المومن لين حتى تخاله من اللين احمق ولما كان الغالب على الخلق التقصير قال له وقل
اي للغريقين موكدا للكفار مزيدا للتكذيب ولما للمومنين به من طيب النفس اني انا اي لا غيري من المنذرين بالاعدا الدنيوية النذير المبين
لمن لم تقصروا انذاري بمنعة له من ورطته لانه تختف بالادلة الساطعة ولما ذكر ما التحر تثبيتهم بقصة اصحاب الحجر المقتسمين على
قتل رسولهم وختمه بالانذار الذي هو اصله عاد الى تتميم امرهم فشبههم بمن كذب من هذه الامة فقال كما اي كذب اولئك واتباعهم

واتيناهم اياتنا فاعرضوا عنها نفعلنا بكم من العذاب ما هم اهله مثل ما انزلنا اى بغضبنا من الايات على المقتسمين اى مثلهم من قريش حيث اقتسموا انجر شعاب مكة ينفرون الناس عنك ويفرقون القول فى القران فلا تاس عليهم لتكذيبهم وعنادهم مع رويتهم الايات البينات فان سنتنا جرت بذلك فيمن اردنا شقوته كقوم صالح ثم قال الذين اى مع انهم تقاسموا على تلك واقتسموا طرق مكة للتنفير عنك جعلوا القران باقوالهم عضين اى قسموا القول فيه والحال انه جامع المعانى لا متفرق المبانى منتظم التاليف اشد انتظام متلائم الارتباط احكم التيام كما قدمنا الاشارة اليه بتسميته كتابا وقرانا وختمنا بان ذلك على وجه الابانة لا خفا فيه فقولهم كله عناد فقالوا سحر وقالوا شعر وقالوا كهانة وقالوا اساطير الاولين وغير ذلك انزلنا عليهم اياتنا البينات وادلتنا الواضحات فاعرضوا عنها واشتغلوا بما لا ينفعهم من التعنت وغيره داب اوليك فليرتقبوا مثل ما حل بهم ومثلهم كل من تكلم فى القران بمثل ذلك مما لا ينبغى من العرب وغيرهم وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما جعلوا القران عضين قال هم اهل الكتاب اليهود والنصارى جزاوه فامنوا ببعضه وكفروا ببعضه وسياتى معنى هذه اللفظة فوربك اى فتسبب عن تلك هذا انا نقسم بالموجد لك المدبر لامرك المحسن اليك بارسالك لنسئلنهم اجمعين هولا واوليك عما كانوا اى كونا هو جبلة لهم يعملون من تعضيتهم القران وغيرها لانا نسال كلا عما صنع فاصدع اى اجهر بعلو وشدة فارقا بين الحق والباطل لسبب ذلك بما تومر به من القران وكتاب مبين واعرض اى اعرض من لا يبالى عن المشركين بالصفح الجميل عن الاذى والاجتهاد فى الدعا ويريدان قوله كما راجع الى قصة صالح ومتعلق بها وان لم ار من سبقنى اليه ذكرا لوصف الذى تناسب الايتان وهو الا تقسام ثم وصف المقتسمين بالذين جعلوا القران عضين ليلا يظن انهم الذين تقاسموا فى بيات صالح اى اتينا اوليك الايات المقتضية فى الايمان فما كان منهم الا التكذيب والتقاسم كما انزلنا على هولا الايات فما كان منهم الا ذلك وانما عبر واتى اوليك باتيناهم لان ايتهم الناقة وولدها والبير وهى معطاه محسوسة لا تنزله معقوله وقال فى هولا انزلنا اشارة الى القران الذى هو اعظم الايات او الى الجميع وغلب عليها القران لانه اعظمها والى انهم مبطلون فى جحدهم وانهم لا ينبغى لهم ان يتداخلهم نوع شك فى انه منزل لانه اعظم من تلك الايات مع كونها محسوسات واما اعتراض ما بينهما من الايات فمن اعظم افانين البلاغة فانه لما اتم قصة صالح عليه السلام علم ان المتعنتين ربما قالوا الا تتى تخلفهم ثم يهلكهم مع علمه بعدم اجابتهم فرد عليهم بانه ما خلق السموات والارض وما بينهما من هولا المعاندين ومن افعالهم واعمالهم وغير ذلك الا بالحق وان الساعة لاتية فيعلم ذلك كله بالعيان من يشك فيه الان وذلك حين ينكشف الغطا عن البصاير والابصار فاصفح عنهم فانه لا بد من الاخذ لك بحقك ان لم يكن فى الدنيا ففى يوم الجمع ثم اكد التصرف بالحكمة بقوله ان ربك هو الخلاق العليم ثم سلاه عما يضيقون به صدره من التكذيب بالساعة وان الوعد بها انما هو سحر ونحو ذلك من القول من افتخارهم باموالهم ونسبته الى الحاجة الى المشى بالاسواق بما اتاه من كنوز القران وامره بان يزيد فى التواضع واللين للمومنين لتطيب نفوسهم فلا ياسوا على ما فاتهم من الدنيا وان ينذر الجميع ويحذرهم من سطوات الله امثال ما انزل بالاقدمين ثم عاد الى نشبيههم تعويلا فى التلذيب ليعلم انهم اجدر منهم بالعذاب لانهم مشبه بهم والمشبه به اعلى من المشبه وذلك لكونهم اشد كفرا لان ايتهم اعظم واياته اجل واكثر واجلى ولعلهم فيكون ذلك سبب اشتداد حذرهم وللك ان تقول ولعله احسن انه تعالى لما ذكر ان ثمود سكنوا الارض سكنى الامنين فاخذتهم عنها صيحة سكبت ارواحهم وتكبت اشباحهم كما سيكون لاهل الارض تالية نفخة الصور عند نفوذ المقدور وكان قد تقدم ذكر كثير مما فى السموات والارض من الايات والعبر بقوله تعالى ولقد جعلنا فى السما بروجا وما بعد ذلك من الجن والانس وغيرهما مما جعل ذكر اختراعه دليلا على الساعة اتبع ذلك ان سبب خلق ذلك كله وما حواه من الخافقين انما هو الساعة فقال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما اى بالامر الثابت لا بالتمويه والسحر كما انتم تشاهدون او بسبب اقامة الحق وابانته من الباطل ابانة لا شك فيها يوم الجمع الاكبر من اقامة الحق تنعيم الطايع وتعذيب العاصى وذلك بعد اتيان الساعة بنفخة الصور الا بالحق وان الساعة لاتية بالحق ايضا وليست سحرا كما تظنون ولما كان اتيانها لهذا الغرض مما يشفى القلب لادراك الثار وهو حق لا بد منه تسبب عنه قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل ولما كانت النفس تحب الاعلم اوثق وكان صانع التى اعلم به من غيره فكيف اذا كان مع ذلك تام العلم قال تعالى معللا لذلك ان ربك اى المحسن اليك هو الخلاق اى التام القدرة على الايجاد والاعدام الفعال لذلك العليم البالغ العلم ولما ختم بهذا من الوصفين بعد تعدد الاخبار عما اوتى اهل الحجر من الايات وانه خلق الوجود بالحق لا بالتمويه وكان ذلك موجبا لتوقع الاخبار عما اوتى هذا النبى الكريم منها لارشاد امته وكانت الايات اما ان تكون من قسم الخلق كاية صالح او من قسم الامر الذى هو مدار العلم اشار الى تفضيله صلى الله عليه وسلم بفضل ايته فقال عاطفا على ذلك ولقد اتيناك اى ان كنا اتينا صالحا او غيره اية مضت فلم يبق الا ذكرها فقد اتيناك سبعا من المثانى وهى الفاتحة التى خصصت بما تثنى فيها البسملة للمبادى والحمدلة للكمالات والرحمانية والرحيمية فيها للابداع الاول والمرضى من الاعمال وملك الدنيا المسمى بالربوبية لكونه مستورا وملك يوم الدين وفيها رحمانية الايجاد الثانى بالمعاد ورحيمية الثواب للمرضى من الثواب الاسباب والعبادة التى لا تكون الا مع القدرة والاختيار والاستعانة الناظرة الى العجز عن كمال الاتيان والهداية بالهادى والمهدى والضلال بالمضل والضال وفى ذلك اسرار لا تسعها الافكار والقران العظيم الجامع لجميع الايات مع كونه حقا ثابتا لا سحرا وخيالا بل هو اية باقية على وجه الدهر مستمرا الى ما هو ايا تلاوة ذكرها

ذكرها تعنى الجبال الرواسى وهى باقية وتزول السموات والاراضى وهى جديدة اذا اصطفت عساكر المجرة قالت كل اية منها هل من مبارز وان رام عدو مطاولة لتحققه بالضعف صاحت لدوام فوقها انا الحاجز فلا يقوم لها قايم ولا يحوم حولها حايم ولا يروم خوض بحرها راكم ولما كانت هذه الاية لصاحبها سنية وملن فاز بقبولها مجبة مرضية حسن كل الحسن اتباعها بقوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولما كان كفرهم بعد بيانها انما هو عناد قال تعالى ولا تحزن عليهم ولما كان الغنى لما ربما ظن حسن ابقيه الغنى عتبته قوله واخفض جناحك للمومنين ولما كان ربما ظن ان تلاوتها تغنى عن الدعا بها لا سيما لمن اعرض نفى ذلك بقوله وقل انى انا النذير المبين تحريضا على الاجتهاد فى التحذير تبشيرا للمومنين وارغاما للمعاندين واستجلابا لمن اراد الله اسعاده من الكافر اعلاما بان القلوب بيد الله فلا وثوق مع ذلك بمقبل ولا ياس عن مدبر ولما تم ذلك على هذا النظم الرصين والربط الوثيق المتين النته الخاطر الى حال من نبذ دهره وكان كفار قريش فى تعضيتهم القول فى القران واقتسامهم طرق مكة لاشاعة ذلك البهتان تنفيرا لمن اراد الايمان اشبه شى بالمقتسمين على صالح عليه السلام قال تعالى كما اى اتينا اوليك المقتسمين اياتنا فكانوا عنها معرضين مثل ما انزلنا اياتنا على المقتسمين اى الذين تقاسموا برغبة كثيرة واجتهاد فى ذلك الذين جعلوا القران عضين اى ذا اعضا اى اجزا استغاصلة متباينة مثل اعضا الجزور اذا قطعت جمع عضة مثل عدة واصلها عضوة عما كانوا يعملون فاصدع اى لا يمتنع علينا منهم احد فوربك لنسئلنهم اجمعين بسبب امرنا لك بالظاهر بالانذار واخبارك انا نسال كل واحد عما عمل بما تومر واعرض عن المشركين ولما كان هذا الصدع فى غاية الشدة عليه صلى الله عليه وسلم لكثرة ما يلقى عليه من الاذى خففه عنه سبحانه بقوله معللا له انا كفيناك اى بما لنا من العظمة المستهزءين اى شر الذين هم عريقون فى الاستهزا بك وبما جيت به فاقرر ناعيك باهلاكهم فزال عنك ثقل ما اذوك به وبقى لك اجره وسنكفيك غيرهم كما كفيناك هم ثم وصفهم بقوله الذين يجعلون مع الله اى مع ما دلوا من اياته الدالة على جلاله وعظم احاطته وكماله الها ولما كانت المعية تفهم الغيرية لا سيما مع التعبير بالجعل وكان ربما تعنت منهم متعنت باحتمال النهى بدعا على تالهه سبحانه على سبيل التجريد اى على دعايه باسم غير الجلالة لما ذكر المفسرون فى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية اخرجهان زاد فى الصراحة بنفى كل احتمال بقوله اخر قال البغوى قال ابن عباس رضى الله عنهما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده يا رحمن فقال ابو جهل ان محمدا ينهانا عن الهتنا وهو يدعو الهين فانزل الله هذه الاية يعنى اية سبحان وتسبب عن اخزانا للمستهزءين وكانوا اعتاهم ان الهة دالبا قوله فسوف يعلمون اى يحيط علمهم بشدة بطشنا وقدرتنا على ما نريد ليكون وازعا لغيرهم او يعلم المستهزءين وغيرهم عاقبة امورهم فى الدارين ولما كان صدعه صلى الله عليه وسلم بذلك على حد من المشقة عظيم وان ادخ من المستهزءين لكثرة امن بقى ممن هو على مثل دابهم قال تسليه وتسليه بنفسه فيه ولقد نعلم اى نحقق ونوقع علمنا على ما لنا من العظمة انك اى على ما لك من الحلم وسعة البطان يضيق صدرك اى توجد ضيقه وتجدد بما يقولون عند صدعك لهم بما تومر فى حقك من قولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر الى اخره وفى حق الذى ارسلك من الشرك والصاحبة والولد وغير ذلك فسبح بسبب ذلك ملتبسا بحمد ربك اى نزهه عن صفات النقص التى منها الغفلة عما يعمل الظالمون مثبتا له صفات الكمال التى منها اعزاز الولى واذلال العدو وكن اى كونا جبليا لا انفكاك له من الساجدين اى المصلين اى العريقين فى الخضوع الدايم له بالصلاة التى هى اعظم الخضوع له وغيرها من عبادته لتكفيك ما اهمك فانه لا كافى غيره فلا التجا الى سواه وعبر عنها بالسجود اشارة الى ما ينبغى من الدعا فيه لا سيما عند الشدايد فقد قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ذكره البغوى بغير سند وهو فى مسند احمد وسنن ابى داود عن حذيفة رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر صلى وفى سنن النساى الكبرى ومسند احمد عن على رضى الله عنه قال لقد راينا ليلة بدر وما منا انسان الا نايم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يصلى الى شجرة ويدعو حتى اصبح وفى لفظ لاحمد لقد رايتنا وما منا الا نايم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلى ويبكى حتى اصبح ولاحمد ومسلم وابى يعلى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ولما امره بعبادة خاصة اتبعه بالعامة فقال واعبد ربك اى دم على عبادة المحسن اليك بهذا القران الذى هو البلاغ بالصلاة وغيرها حتى ياتيك اليقين بما يشرح صدرك من الموت او ما توعدون به من الساعة او غيرها مما يود الذين كفروا معه لو كانوا مسلمين قال الرازى فى اللوامع وهذا دليل على ان شرف العبد فى العبودية وان العبادة لا تسقط عن العبد بحال ما دام حيا انتهى وقال البغوى هذا معنى ما فى سورة مريم عليها السلام واوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا فقد انطبق اخر السورة فى الامر باتخاذ القران بلاغا لكل خير والاعراض عن الكفار على اولها تمام انطباق وتحقق كل من الطرفين الاخر والاول اى اعتناق والله الموفق

سورة النحل

وتسمى سورة النعم مقصودها الدلالة على انه تعالى تام القدرة والعلم فاعل بالاختيار منزه عن شوايب النقص وادل ما فيها

وادل دليلنا على هذا المعنى امر النحل لما ذكر من شانها فى دقة الفهم فى ترتيب بيوتها ورعيها وسائر امرها من اختلاف الوان ما يخرج منها من اعسالها وجعله شفاء مع اكلها من الثمار النافعة والضارة وغير ذلك من الامور ووسمها بالنعم واخفى ذلك والله اعلم بسم الله المحيط بدايرة الكمال فما شاء فعل الرحمن الذى عمت نعمته جليل خلقه وحقيره صغيره وكبيره الرحيم الذى خص من شاء بنعمة النجاة مما يسخطه مما يرضاه لما ختم الحجر بالاشارة الى اتيان اليقين وهو صالح لموت الكل ولكشف الغطا باتيان ما يوعدون بما يستعجلون استهزا من العذاب فى الاخرة بعد ما يلقون فى الدنيا ابتدا هذه بمثل ذلك سوا غير انه ختم تلك باسم الرب المفهم للاحسان لطفا بالمخاطب افتتح هذه بالاسم الاعظم الجامع لجميع معانى الاسما لان ذلك الين بمقام التهديد ولما استغرقه من المعانى المتنوعة فى اثنا السورة وسيكرر هذا الاسم فيها تكريرا تعلم منه صحة هذه الدعوى وعبر عن الاتى بالماضى اشارة الى تحققه تحقق ما وقع ومضى والى ان كل ات ولا بد قريب فقال اتى امر الله اى الملك الاعظم الذى له الاسما الحسنى والصفات العلا بابذال الاعدا وبعز الاوليا ويشفى صدورهم ويقر اعينهم ولما كانت العجلة نقصا كان مسببا عن هذا الاخبار فلا تستعجلوه ايها الاعدا استهزاوا ايها الاوليا استكفا واستشفا وذلك مثل ما انتهى العطف فى قوله وما اهلكنا من قرية الاولها كتاب معلوم كما تقدم والضمير يجوز ان يكون لله وان يكون للامر ولما كان الجزم بالامور المستقبلة لا يليق الا عند نفوذ الامر ولا نفوذ الا لمن لا كفو له وكانت العجلة وهى الاتيان بالشى قبل حينه الاولى به نقصا لما لها من الاحمل عليها الا ضيق الفطن وكان التاخير لا يكون الا عن منازع مشارك نزه نفسه سبحانه منزها مطلقا جامعا بقوله سبحانه اى تنزه عن الاستعجال وعن جميع صفات النقص وتعالى اى تعالى تعاليا عظيما جدا عما يشركون اى يدعون انه شريك له فلا مانع له مما يريد فعله وساقه فى غير قراه حمزة والكسائى فى اسلوب الغيبة اظهار اللاعراض الدال على شدة الغضب فهى ناظرة الى قوله اخر التى قبلها واعرض عن المشركين وقوله الذين يجعلون مع الله الها اخر وقد الا امر فى نظم الاية الى ان صار كانه قيل انه لا يعجل لانه منزه عن النقص ولا بد من انفاذ امره لانه متعال عن الكفو او يقال لا تستعجلوه لانه تنزه عن النقص فلا يعجل وتعالى عن ان يكون له كفو يدفع ما يريد فلا بد من وقوعه فهو واقع فى موقع التعليل لصدر الاية كما ان صدر الاية تعليل لاخر الحجر ولما تقرر بذلك تنزهه عن كل نقص شرك وغيره شرع يصف نفسه سبحانه بصفات الكمال من الامر والخلق ولما كان الامرا قدموا على ندائه به ولما كان من امره انزال الملائكة على الصورة التى طلبوها فى قولهم لوما تاتينا بالملائكة الاية وقص عليهم فى سورة ابراهيم ولوط عليهما السلام ما ترتب على انزالهم مجتمعين وفهم منه ان لهم فى نزولهم حالة اخرى لا تنكرها الرسل وهى حالة الاتيان ليتم بالعلم الذى نسبته الى الارواح نسبة الارواح الى الاشباح وكان ذلك ادلهما نالهم اعز ما يطلبون به الفرق بينهم وبين الرسل فى انزالهم عليهم دونهم كما تقدم فى الحجر وكان ما يشكون به لا تقبل ذلك اصلا بانزال ولا غيره قال تعالى مشيرا الى ذلك والى ان الوحى بواسطة الملك والى ان النبوة عطائية لا كسبية ينزل الملائكة الذين هم الحملة الاعلا بالروح اى المعنى الاعظم الذى هو لاروح منزلة الارواح للاشباح من امره الذى هو كلامه المشتمل على الامر والنهى الا له الخلق والامر وهو مما تميز به حقيته والحجازه عن جميع المخلوقات بتكليف بما لا يعقل منها كالاصنام على من يشا من عباده دون بعض لان ذلك نتيجة فعله بالاختيار وابدل من الروح او فسر الانزال بالوحى لانه متضمن معنى القول تعالى ان انذروا اى الناس سطوتى فانها لا محالة نازلة بمن اريد انزالها به بسبب انه لا اله الا انا وعبر بضمير التكلم لانه ادل على المراد لكونه اعرف وسبب عن وحدانيته التى هى منتهى كمال القوة العلمية قوله امرا بما هو اقصى كمال القوة العملية فاتقون اى فليشتد خوفكم منى واخذكم لما يكون وقاية لكم من عذابى فانه لا مانع مما اريد بمن علمت انه اهل للنقمة اتى لها به ومن علمته اهلا لتلقى الروح يختصه اياه ولما وحد نفسه دل على ذلك بقوله شارحا لاعجازه اصول العالم وفروعه على وجه الحكمة خلق السموات اى التى هى السقف المظل والارض اى التى هى البساط المقل بالحق اى بالامر الحق الثابت لا بالتمويه والتخييل الا له الخلق والامر ولما كان ذلك من صفات الكمال المستلزمة لنفى النقايص وكان من المعانى التنزه عن الشريك لانه لو كان لزم امكان الممانعة فلزم العجز عن المراد ووجود الضدين المرادين لها وكل منها محال فاسكان الشريك محال ولانها وكل ما فيها ملكه فى تصرفه لا نزاع لمن ابتنا الا له فى ذلك تلاه بقوله نتيجة لذلك دالة على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام تعالى اى تعالى البالغات الوصف عما يشركون عريا عن افتتاحه بالتنزيه كالاولى لما كان خلق السموات والارض غنيا لتقدمه وكان خلق الانسان على هذه الصفة شهادة مع كونه ادل على ذلك من حيث انه اشرف من كل ما يعبده من دون الله وان يكون الرب ادنى من العبد اصلا قال معلاد خلق الانسان اى هذا النوع الذى خلقه ادل ما يكون على الوحدانية والفعل بالاختيار لانه اشرف ما فى العالم السفلى من الاجسام لمشاركته للحيوان الذى هو اشرف من غيره بالقوى الشريفة من الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب واختصاصه بالنطق الذى هو ادراك الكليات والتصرف فيها بالقياسات من نطفة اى ادم وعلله لان ادم من سلطة الماء ومن تفرع منه بعد زوجه من ماء مقيد بالدفق ولما كان مع مشاركته لغيره من الحيوان فى كونه من نطفة متميزا بالنطق المستند الى ما فى نفسه من عجايب الصنع ولطايف الادراك كان ذلك ادل دليل على كمال قدرة الفاعل واختياره فقال فاذا هو اى الانسان المخلوق

المخلوق من الماء المهين خصيم اى منطبق عارف بالمجادلة مبين اى بين القدرة على الخصام وموضح لما يريده غاية الايضاح بعد ان كان ماء لا حس به ولا حركة اختيارية عنده بوجه فلا يبعد الذى ابتدا ذلك على اعادته ولما صار التوحيد بذلك كالشمس وكان كل ما يكون فى الكون مع انه دال على الوحدانية نعمة على الانسان يجب عليه شكرها شرع يعدد ذلك منبها له على وجوب الشكر بالبرى من الكفر فقال مقدما للحلو لانها اشرف من غيرها وقدم منها ما ينتفع الانسان لانه اجل من غيره بلبسها ثم والانعام اى الازواج الثمانية الضان والمعز والابل والبقر خلقها غير ناطقة ولا مبينة مع كونها اكبر منكم خلقا واشد قوة ولما كان اول ما يمكن ان يلقى الشيطان عادة من نعمها ما يباشر به ابه فقال على طريق الاستيناف لكم فيها دفء اى ما يدفا به فيكون منه حر يعتدل من حر البدن الكاين بالدثار يمنع البدن البرد ويثنى بما يعم جميعها التى منها اللبن فقال ومنافع ثم ثلث بالاكل لكونه بعد ذلك فقال ومنها تاكلون وقدم الظرف دلالة على ان الاكل من غيرها بالنسبة الى الاكل منها لا يعتد به ثم تلاه بالجمل لانه النهاية لكونه للرجال فقال ولكم اى ايها الناس خاصة فيها اى الانعام جمال اى عظيم لما كان العقه ومن اجل نعمة وابهج من البروج قدمه فقال حين تريحون بالعشى من المراعى وهى عظيمة الضروع طويلة الاسنمة بها لون وحين تسرحون بالغداة من المراح الى المراعى فيكون لها فى هاتين الحالتين من الحركات بينها ومن رغايها ومن الحلب الذى دلا جله وجا الثقا واذا رعاها امر عظيم وانس لاهلها كبير ولما كانت الاسفار بعد ذلك تلاه بقوله وتحمل اى الانعام اثقالكم اى امتعتكم مع المشقة الى بلد اى غير بلدكم اردتم السفر اليه لم تكونوا اى كونا انتم مجبولون عليه قادرين على حملها اليه وتبلغكم محملها لكم الى بلد يكم تكونوا بالغيه بغير الابل الا بشق اى بجهد ومشقة وكلفة الانفس ويجوز ان يكون المعنى لم تبلغوه بها فكيف لو لم تكن موجودة والشواهد تقضى انه كانه كناية عن ذهاب نصف القوة لما يلحق من الجهد والاية من الاحتباك ذكر حمل الاثقال اولا دليلا على حمل الانفس ثانيا وذكر مشقة البلوغ ثانيا دليلا على مشقة الحمل اولا ولما كان هذا كله من الاحسان فى التربية لا يجيزه للضعيف الا البليغ فى الرحمة وكان من الناس من لمنه اعماله سببه لرضاه ومنهم من اعماله كلها فاسدة قال ان ربكم اى الموجد لكم والمحسن اليكم لرؤف اى بليغ الرحمة لمن يتوسل اليه بما يرضيه رحيم اى بليغ الرحمة بسبب وبغير سبب ولما كانت الانعام اكثر اموالهم مع ان منافعها اكثر ابدا ثم ثنى بما هو دونها مرتبا له على الاشرف فالاشرف فقال والبغال اى المتولدة بينها وبين الحمير والحمير اى الناهقة ولما كان الركوب فعل المخاطبين وهو المقصود بالمنفعة ذكره باللام التى هى الاصل فى التعليل فقال لتركبوها ولما كانت الزينة تابعة للمنفعة وكانت فعلا لفاعل الفعل المعلل نصبت عطفا على محل ما قبلها فقال وزينة ولما دل على قدرته بما ذكر فى شان الاشنان دل على انها لا تتناهى فى ذلك السياق فنبه على انه خلق لهم امورا لو عدها لهم لم يفهموا المراد منها لجهلهم بها ولعلها اجل منافع مما ذكر فقال ويخلق اى على سبيل التجديد والاستمرار فى الدنيا والاخرة ما لا تعلمون فلا تعلمون له موجدا غيره ولا مدبرا سواه ولما كان فى ان اسفارهم واضطرابهم فى المنافع هذه الحيوانات وغيرها يقصدون اسهل الطرق واقربها واوصلها الى الغرض ومن عدل عنه للاكان عندهم مثلا سخيف العقل غير مستحق للعد فى عداد النبلا نبههم على ان ما تقدم فى هذه السورة قد بين الطريق الاقوم الموصل اليه سبحانه بتكلفه ببيان انه واحد قادر عالم مختار وانه هو المنعم فوجب اختصاصه بالعبادة واخبرهم سبحانه انه اوجب هذا البيان على نفسه فضلا منه فقال وعلى اى قد بين لكم الطريق الاهم وعلى الله الذى له الاحاطة بكل شى قصد السبيل اى بيان الطريق العدل وعلى الله بيان الطريق الجاير حتى لا يشك فى شى منها فان الطريق الحسية منها ما يستقيم من سلكه اهتدى ومنها جاير من سلكه ضل عن الوصول فلذلك وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم الاية وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فالاية من الاحتباك ذكر ان عليه بيان القصد اولا دلالة على حذف ان عليه بيان الجاير ثانيا وذكر ان من الطريق الجاير ثانيا دلالة على حذف ان منها المستقيم اولا وتغيير الاسلوب لبيان ان المقصود بالذات انما هو بيان النافع ومادة قصد تدور على العدل السوا ومنه القصد اى الاستقامة واستقامة الطريق من غير تعرج وضد الافراط كالاقتصاد ورجل ليس بالجسيم ولا بالضئيل وذلك لا يكون الا عن ارادة وتوجه فالحالات القصد على العزم مستقيما كان او جايرا اذا اتيت قصدته بمعنى ايته اوامته وقوله من دلالة الالتزام وكذا القصد بمعنى الكسر باى وجه كان دليلا لايقال قصد الا اذا كان بالنصف والقصيد ما تم شطرا ابياته لان ذلك اعدل حالاته قال فى القاموس ثلثة ابيات فصاعدا او ستة عشر فصاعدا قال الامام ابو الفتح عثمان بن جنى فى اخر كتابه المعرب فى شرح القوافى فالبيت على ثلثة اضرب قصيد ورمل ورجز فاما القصيد فالطويل التام والبسيط التام والكامل التام والمديد التام والوافر التام والرجز التام والخفيف التام وهو كل ما تغنى به الركبان ومعنى قولنا المديد التام والوافر التام يريد اتم ما جاء منها فى الاستعمال اعنى الضربين الاولين منها فاما ان يجيا على اصل وضعها فى داير تيهما فذلك مرفوض مطرح والقصيد المخ السمين او دونه والعظم المخ والناقة السمينة بها نقى والسمين من الاسنمة لان هذا الحال الاستقامة على ما ذكر وكذا القاصد القريب وبيننا وبين الماء ليلة قاصدة اى هينة السير لانه اقرب الى الاستقامة ومنه قصدت له اذا اعتمدته وامممته وتوجهت اليه سوا كان ذلك عدلا او جورا وانقصد الرمح اذا انكسر على السوا كانه مطاوع قصده والواحدة من تلك الكسر قصدة بالكسر ورمح قصد ككتف منكسر والقصد بالتحريك العوسج لانه سريع التكسر والجوع لان الجايع قاصد لما ياكل متوجه اليه والقصدة مثمرة العضاة وتخرج فى ايام الخريف لدنة تنتشى فى اطراف الاغصان وهى خوصة تخرج فيها وفى كثير من الشجر فى تلك الايام وهى الاغصان الرطبة

بل ان يتلون بلون ويشبه بيت بزال الحزوجعا ونومهما الى منظر العين او توجه النظر اليها للبشر ودلها دالقصيد العصي لانها تقصد وبقصد لها
والقصد السهم اصاب فقتل مكانه واقصد فلانا الحية فلم يخطيه والحية لذعت فقتلت يمكن ان يكون ذلك من الاستقامة لان قصد فاعله
القتل فكانه استقام قصده بنفوذه ويمكن ان يكون من السلب اى انه ازال الاستقامة لان من مات فقد زالت استقامة حياته ومنه المقصد
كمعظم وهو من يمرض ويموت سريعا والقصيد بمعنى اليابس من اللحم فعل بمعنى مفعل اى قصد فزالت استقامته بان هلك جفافا ويبسا والصدق
ضد الكذب وهو من اعدل العدل لاستوائه لمقصد والصدق الشدة اذ لها يتميز الصادق من الكاذب ومنه رجل صدق اى يصدق ما يعزم عليه او
يقول انه يفعله فهو شديد العزم سديد الامر والصدق كالمر الجيد لذى يصدق قوله فى الحب بفعل والمصادقة والصداق بالكسر الخالة
كالتصادق والصديق كسكيت الامين لانه مصدق فى قوله والملازم لان محله متقضى الصدق لان لعدم حاجته الى الكذب والنطب لانه
اصدق النجوم دلالة لثباته وقال ابو عبد الله القزاز هو اسم للسها وهو النجم الخفى الذى مع بنات نعش والصدق بالفتح الصلب المستوى
من الرماح لانه يصدق طعن الطاعن به ولذا من الرجال الكامل من كل شىء ورجل صدق اللقاء والنظر ومصداق الشىء ما يصدقه وشجاع
ذو مصدق كمنبر صادق الحملة اى شديدها والصدقة محركة ما اعطيته فى ذات الله لانها تصدق دعوى الايمان لدلالتها على شدة العزم
فيه والصدقة بضم الدال ما اعطيته فى المراة بكسر وسكونها مهر المراة لانه يصدق العزم فيه وكسكيت الكثير الصدق وصدقته
اسم من شأن الم افعل كذا اى يمين لهم اى لا صدقت وفعله عنه صادقة اى بعد ما تبين له الامر وصدقة تصدقا ضد كذبه والوحشى
عداولم يلتفت لما حمل عليه والمصدق كمحدث اخذ الصدقات والمتصدق معطيها ولما كان اكثر الخلق منا لا كان ربما توهم متوهم
انه خارج عن الارادة فهذا التوهم بقوله عطفا على ما تقديره فمن شاء هداه قصدا لسبيل ومن شاء اسلكه الجاير دعوى كادعا ما يريد
من الهداية والاضلال **ولو شاء** هدايتكم **لهداكم اجمعين** بخلق الهداية فى قلوبكم بعد بيان الطريق القصد ولكنه لم يشا ذلك لانحالكم
تبين فى الكشاف فى سياق معدد للنعم منذكرا بها داعيا الى شكرها فقال بعدما دل به من ان الانسان وما يليه فى الشرف من
الحيوان مبتديا بما يليها فى الشرف من النبات الذى هو قوام حياة الانسان وما به قوام حياته من الحيوان **هو** لا غيره مما تدعى
فيه الالهية **الذى انزل** اى بقدرته الباهرة **من السماء** قيل نفسها وقيل جهتها وقيل السحاب كما هو شاهد **ماء** اى واحدا
تحسونه بالذوق والبصر **لكم منه** اى خاصة **شراب** ظاهر على وجه الارض من العيون والانهار والغدران وغيرها ولما كان
اول ما يعم الادمى شراب اللبن الناشى عن الماء فقدمه اتبعه ما نشأ منه اشرف اغذيته وهو الحيوانى فقال **ومنه شجر** اى نبات
فى الارض الواحدة واختلاف طعومها فتعتقد من ذلك النبات **فيه تسيمون** اى ترعون على سبيل الاطلاق ليلا ونهارا ما خلق لكم
من البهائم والشجر هنا ما انبته الاسامة عام لما يبقى فى الشتاء حقيقة ولغيره مجازا قال القزاز الشجر ما يبقى له ساق فى الشتاء
الى الصيف ثم يورق والبقل ما لا يبقى له ساق قال الخليل جل الشجر عظامه وما يبقى منه فى الشتاء ونبت فى الربيع ودفنه
صنفان احدهما يبقى له ارومة فى الارض فى الشتاء وينبت فى الربيع ومنها ما ينبت من الارض كما ينبت البقلة والفرق بينه وبين
البقل ان الشجر يبقى له ارومة على الشتاء ولا يبقى للبقل وعن ابى حنيفة ان النبات ثلاثة اقسام شجر وهو ما يبقى فى الشتاء ولا يذهب
فرعه ولا اصله وما ينبت من بزر ولم ينبت فى ارومة ثابتة فهو البقل وما ينبت فى ارومة اى اصل وكان مما يهلك فرعه فى الشتاء
فهو الجنبة لانه فارق الشجر الذى يبقى فرعه واصله والبقل الذى يبيد فرعه واصله فكان جنبه بينهما ولما كان الشجر عاما شرح سبحانه
بفصله تنويها بالنعم وتذكيرا بالتفاوت اشارة الى ان الفعل بالاختيار فقال مبتديا بالانفع فى القوتية والابتدام والتفكه **ينبت**
اى هو سبحانه **لكم** اى خاصة **به** مع كونه واحدا والارض واحدة **الزرع** الذى تشاهدونه من اقل الشجر مكثا واصغره قدرا **والزيتون**
الذى ترونه من اطول الاشجار عمرا واعظمها اثرا ولما كانت المنافع كثيرة فى شجر التمر سماه باسمه فقال **والنخيل** ولما كانت المنفعة
فى الكرم بغير ثمرته تافهة قال **والاعناب** وهما من اوسط ذلك **ومن كل الثمرات** واما كلها فلا يكون الا فى الجنة وهذا الذى
فى الارض بعض من ذلك الكل مذكر به ومشوق اليه **ان فى ذلك** اى الماء العظيم الحدث عنه وعن فروعه او فى انزاله
على الصفة المذكورة **لاية** بينة على ان فاعل ذلك تام القدرة يقدر على الاعادة كما قدر على الابتدا وانه مختار يفعل ما يشاء
الذى يريده ولما كان ذلك النحو وكان شغل الحواس منفعته لغزبه وسهولته ملابسته ربما شغل عن الفكر فى المراد به فكان التنطق
لا لله يحتاج الى فضل تامل ودقة نظر قال تعالى **لقوم يتفكرون** اى فيه ان وحدته وكثرة ما تفرع عنه دليل على وحدة صانعه
وفعله بالاختيار وافرد الاية لوحدة المحدث عنه وهو الماء قال تعالى فى اية تسقى بماء واحد وسيأتى فى اية النحل كلام الامام ابى
الحسن الحرالى فى هذا وقال الامام ابو جعفر من الزبير هذه السورة فى التحامها لسورة الحجر مثل الحجر لسورة ابراهيم من غير فرق
بين غير فرق لما قال تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال يعبد لله فى وعيد المستهزئين فسوف يعلمون لعقب
هذا تبيان لتعجيل الامر فقال تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وزاد هذا بيانا قوله سبحانه وتعالى عما يشركون فنزه
سبحانه نفسه عما نسبوا اليه فى استهزائهم وشركهم وعظم بخمهم اتبع ذلك تنزيها وتعظيما فقال خلق السموات والارض بالحق تعالى عما
يشركون ثم اتبع ذلك بالتذكار ابتدا خلق الانسان من نطفة ثم ابلغه تعالى حدا يكون فيه الخصام والحاجة

والحاجة كل ذلك للابتلاء واختبار ليميز الخبيث من الطيب واعتبر هذا لما بعض بعض لطائف فى خلق الانعام وما جعل فيها
من المنافع المختلفة وما هو سبحانه عليه من الرافة والرحمة اللتين كما اخر العقوبة عن مستوجبها وهدى من لم يستحق الهداية بذاته بل كل
هدايته فبرافة الخالق ورحمته ثم اعقب ما ذكره بعد ما خلقه من خلق الخيل والبغال والحمير وما فى ذلك كله بقوله ولو شاء لهداكم
اجمعين فبين ان كل الواقع من هداية وضلال بخلقه وفعله وانه اوجد الكل من واحد وابتدا وتمم ابتداء واحدا خلق الانسان من نطفة
فلا تعد فى اختلاف غاياتهم بعد ذلك فقد اراكم سبحانه مثال هذا الفعل ونظيره فى قوله هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب
ومنه شجر الى قوله لاية لقوم يتفكرون انتهى ولما كان ربما قال بعض الضلال ان هذه الاشياء مستندة الى تاثيرات الافلاك بنبه على انها
لا تصلح لذلك بكونها متغيرة فلا بد لها من تاثير فيها التغير ولا يزال الامر كذلك الى ان ينتهى الى واحد قديم فاعل بالاختيار
لما تقرر من بطلان التسلسل فقال تعالى **وسخر لكم** اى لصلاح احوالكم **الليل** للسكن **والنهار** للابتغاء ثم ذكر اية
النهار فقال **والشمس** اى لمنافع اختصاصها ثم اية الليل **والقمر** لامور علقها به **والنجوم** اى لايات نصبها لها ثم نبه على تغيرها بقوله **مسخرات**
اى بانواع التغير لما خلقها له على اوضاع دبرها **بامره** شيئا لصلاحكم وصلاح ما به قوامكم دلالة على وحدانيته وفعله بالاختيار ولو شاء
لا قام اسبابا غيرها او اغنى عن الاسباب ولما كان امرها مع كونه محسوسا ليس فيه من المنافع القريبة الامر السهلة الملابسة ما يشغل
عن التفكر فيه لم يحل امره الى غير مطلق العقل اشارة الى وضوحه وان كان لا بد فيه من استعمال القوة المفكرة ولان الاثار العلوية
ادل على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة فقال **ان فى ذلك** اى التسخير العظيم **لايات** اى كثيرة متعددة عظيمة **لقوم
يعقلون** وجمع الايات لظهور تعددها بما لحدث عنها مفصلة ولما كان ما يفضى موضعا للتفكر المثمر للعلم بوحدة الصانع واختياره
وكان التفكر فى ذلك مذكرا بما بعده من سر التفاوت فى اللون الذى لا يمكن ضبط اصنافه على الحصر وكان فى ذلك تمام ابطال القول بتاثير
الافلاك والطبائع لان نسبتها الى جميع اجزاء الورقة الواحدة والحبة الواحدة واحدة قال تعالى عطفا على الليل **وما ذرا** اى خلق
وبث وفرق من التراب والماء **لكم** اى خاصة فاشكروه واعلموا انه ما خصكم بهذا التدبير العظيم الا لحكم كبيرة اجلها اظهار جلاله
يوم الفصل **فى الارض** اى مما ذكر ومن غيره حال كونه **مختلفا الوانه** حتى فى الورقة الواحدة فترى احد وجهيها بل بعضه فى
غاية الحمرة والاخرى غاية السواد والصفرة ونحو ذلك فلو كان المؤثر موجبا بالذات لامتنع حصول هذا التفاوت فى الاثار فعلم قطعا
انه انما هو قادر مختار ولم يذكر اختلاف الصور لان دلالتها لاجل اختلاف اللون ولما كان ذلك اشكال النجوم من السماء
وصور الجبال والروابى والوهاد من الارض لنبت على ابطال الطبيعة لدلالة اختلاف اللون ولما كان ذلك وان كان خارجا
عن الحد فى الانتشار واحدا من جهة كونه لونا وحد الاية فقال **ان فى ذلك** الذى ذراه فى هذه الحال على هذا الوجه العظيم
لاية ولما نبه فى التى قبلها على ان الامر وصل فى الوضوح الى حد لا يحتاج معه الى غير بديهة العقل نبه هنا على ان ذلك معلوم
طرا عليه النسيان والغفلة حثا على بذل الجهد فى تامل ذلك واشارة الى ان دلالته على المقصود فى غاية الوضوح فقال **لقوم
يذكرون** ولو لم ينعوا انما افادة الادغام والتذكر طلب المعنى بالتفكر فى متعلقه فلا بد من حضور معنى يطلبه به غيره وقد
رتب سبحانه ذلك ابدع ترتيب فذكر الاجسام المركبة عموما ثم خص الحيوان ثم مطلق الجسم النامى وهو النبات ثم البسائط من الماء
ونحوه ثم الاعراض من الالوان ولما دل على قدرته واختياره سبحانه دلالة على القدرة على كل ما اخبر به لا سيما الساعة بخلق السموات
والارض وهو الذى هو اكبر من خلق الناس ثم ذكر بعض ما فى الكشوف من الارض المحيط به الهواء من التفاوت الدال على تفرد الصانع
واختياره وختمه باللون اتبع ذلك بالمغمور بالماء الذى لا لون له فى الحقيقة اشارة الى انه ضمنه من المنافع والحيوانات التى
لها من المعادن والكيفيات والاشكال والالوان البديعة والتخطيط الغريبة الصياغ ما هو ادل من ذلك فقال **وهو** اى لا
غيره **الذى سخر البحر** اى ذلله وهياه لعيش ما فيه من الحيوان وتلون الجواهر وغير ذلك من المنافع والمراد به السبعة ابحر
الكائنة فى الربع المرتفع عن الماء وهو المتكون من كرة الارض المادة من البحر المحيط الغامر لثلاثة ارباع الارض بجملته
بالتسخير بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به بالركوب والغوص وغيرهما **لتاكلوا منه** اى بالاصطياد وغيره من لحوم الاسماك
لحما طريا لا تجد امسنه ولا الين وهو ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيبادر الى اكله عذبا لذيذا مع نشئه فى
ملح زعاق **وتستخرجوا منه** اى بجهدكم فى الغوص ما يتبعه **حلية تلبسونها** اى نساؤكم وهن بعضكم لكم فكان اللابس
انتم وهم من الحجارة التى لا ترى اصلب منها ولا اصفى من اللؤلؤ وكذا من المرجان وغيره مع نشبه هذا الصلب ذلك الطرى
الى الماء فلولا انه فاعل بطبعه لاستويا ولما ذكر المنافع العامة بحال الجبال لم يعادكان البحر وهو ان تجرى السفينة مستقبلة الريح
فتشق الماء فيسمع لجريها صوت معجب وذلك مع الحمل الثقيل انه عظيمة لا يتاملها الا ارباب القلوب خص بالخطاب اهل ولى الالباب
ومن قاربهم فى ابتغاء الصواب فقال **وترى الفلك** ولما كان النظر الى تعداد النعم هنا اتم منه فى سورة فاطر قدم المخر فى
قوله **مواخر فيه** اى جوارى تشق الماء مع صوت لمن ركبوها فتستدلوا بالهدم رسوها به مع وقوع هبوبه ودقته وشدة لطافته
على وحدانية الاله وقدرته ولما علل التسخير بمنفعة البحر نفسه من الاكل وما تبعه عطف على ذلك النعم به فقال **ولتبتغوا** اى

اى تطلبوا اطلبا عظيما بركوبه من فضله اى الله بالتوصل بها الى البلدان الشاسعة للمتاجر وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم
التى انتم عاجزون عنها لولا تسخيره والمخر شق الماء عن يمين وشمال وهو ايضا صوت هبوب الريح اذا اشتد هبوبها وقد ابتدئ به
بالغوص تارة ويطف اخرى بالاختيار وثنى بما طبعه الرسوب وثلث بما من طبعه الطفو ولما ذكر الاغوار الهابطة الضابطة
للبحار اتبعها الانجاد الشداد التى هى كالاوتاد تذكيرا بما فيها من النعم فقال والقى فى الارض اى وضع فيها وضعا كانه قذفه
فيها قذفا جبالا رواسى ثابتة له ومزينة لنواحيها كراهة ان تميد اى تميل مضطربة يمينا وشمالا اى فيحصل لكم الميد وهو دوار
يعترى راكب البحر بكم فهى ثابتة لاجل ذلك الا انها ثابتة مع اقتضائها بالكرية التحرك كما ذكر الاوهام واتبعها الا وتادلالها
بما يخرجه غالبا منها عاطفا على رواسى لما تضمنه العامل من معنى جعل فقال وانهارا وادل دليل على ثبات الارض ما سبق من ذكر
البحار وجعلها من الحرث عن الانهار فانها لو تحركت ولو مقدار شعرة فى كل يوم لاغرقت البحار من الى جانب الانخفاض وتعاكست
مجارى الانهار فعادت منافعها اشد المضار ولو زادت البحار بما تصب فيها الانهار على مر الليل وكر النهار لاغرقت الارض ولكنه تعالى
دبر الامر بحكمته تدبيرا يعجز عن الاطلاع على كنهه افكار الحكماء بان سلط حرارة الشمس على الارض فى حمى مدة الصيف وبعض غيره
من الفصول فسرت فى اغوارها تحميا عماقها فى الشتا فاسخنت مياه البحار وغيرها فتصاعدت منها بخارات كما تصاعد من القدر
المغلى بعد ما صبت فيها الانهار فانعقدت تلك البخارات فى الجو سحابا لما دبرت فنزل منها المطر فاحيا الارض بعد موتها
وتخلل اعماقها سنة ما شا الله فامد الانهار ولذلك تزيد بزيادة المطر وتنقص بنقصه وهكذا فى كل عام فاوجب ذلك ابقاء
البحر على حاله من غير زيادة فسبحان المدبر الحكيم العزيز العليم ولما ذكر ذلك اتبعه ما يتوصل به الى منافع كل منه فقال وسبلا
ولما كانت الجبال والبحار والانهار دالة على السبل الحسية والمعنوية قال لعلكم تهتدون اى ليحصل لكم الاهتدا فتهتدوا
الى مقاصدكم ولما كانت الادلة فى الارض غير محصورة فيها قال وعلامات اى من الجبال وغيرها جمع علامة وهى صورة يعلم
بها المعنى من خط او لفظ او اشارة او هيئة وقد تكون علامة وضعية وقد تكون برهانية ولما كانت الدلالة بالنجم انفع الدلالات
واعمها واوضحها برا وبحرا ليلا ونهارا نبه على عظمها بالالتفات الى مقام الغيبة لافهام العموم ولئلا يظن ان الخطاب خصوص
وان الامر لا يتعداه فقال وبالنجم هم اى اهل الارض كلهم واولى الناس بذلك اول المخاطبين وهم قريش وائم العرب كلها لكثرة
لزوم معرفتهم بالنجوم يهتدون وقدم الجار تنبيها على ان دلالة غيره بالنسبة اليه سافلة ولما لم يبق بعد ذكر الدلائل على الوحدانية
على الوجه الاكمل والترتيب الاحسن والنظم الابلغ شبهة ان الخالق انما هو الله لما ثبت من وحدانيته وتمام علمه وقدرته
وكمال حكمته لجملة تلك الدلائل لها عامة ومنها تامة مع اتضاح العجز فى كل ما يدعون فيه الالهية من دونه وانفراده سبحانه
فى جميع صنعه مختار للمتفاوتة فى الوجود والكيفيات بين ما لا مقتضى للتفاوت فيه غير الاختيار فثبت بذلك انه قادر على
الاتيان بما يريد قال متسببا عن ذلك افمن يخلق كمن اى يجدد ذلك حيث اراد ومتى اراد فلا يمكن عجزه بوجه لتمكن شركته ممكنة
وهو اصيل فى ذلك بسبب انه لا يخلق اى لا يقع ذلك منه وهنا ما بين الاصنام وغيرها فى العجز عن الاتيان بما يقوله المستلزم لان
يكون ممكنا مخلوقا ولو كان التشبيه معكوسا كما قيل لم يفد ما افاده هذا التقدير من الابلاغ فى ذمهم بانزال الاعلى عن رتبته
وعن يمين لانهم سموها الهة وانحى امرها ان تكون عاقلة فاذا انتفى عنها وصف الالهية معه لعدم القدرة على شئ انتهى بدونه
من باب الاولى ولما سبب عن هذه الادلة انكار تسويتهم الخالق بغيره فى العجز سبب عن هذا الانكار انكار تذكرهم حثا على التذكر
التذكر المفيد لترك الشرك فقال افلا تذكرون بما شاهدتم من ذلك ولو من بعض الوجوه بما افاده الادغام لتذكر واما بحق
اعتقاده ولما كانت المقدورات لا تحصر واكثرها النعم على العباد ومذكرة لهم بخالقهم قال مستنا عليهم بالاحاطة من غير سبب منهم
وان تعدوا اى كلكم نعمة الله اى انعام الملك الاعظم الذى ما دبت غير عليكم وان كان فى واحدة كان منه نعوت الحصر لا تحصوها
اى لا تضبطوا عددها ولا تبلغه عادتكم مع كفرها واعراضكم جملة عن شكرها فلو شكرتم لزادكم من فضله ولما كانوا مستحقين لسلب النعم
بالاعراض عن التذكر والعمى عن التبصر اشار الى سبب ادرارها فقال ان الله اى الذى له صفات الكمال لغفور رحيم فلذلك هو يدر
عليكم نعمه وانتم منهمكون فيما يوجب نقمه ولما جرت العادة بان المكفور احسانه يبادر الى قطعه عند علمه بالكفر وكان ربما توهم متوهم
ان سبب هو ابرة الاحسان عدم العلم بالكفران او عدم العلم بالكفران لا يدخل تحت المغفرة قال جامدا مشيرا للتعبير بالاسم الاعظم
الذى ثبت عليه السورة للتصل بالفرق بين الخالق وغيره ولئلا يتوهم تقييد التهديد لحيثية المغفرة اياها الى ان ذلك لا يتيحه
ما معنى والله اى الذى له الاحاطة الكاملة بجميع صفات الاكرام والانتقام يعلم ما اى على الاطلاق تسرون اى كلها ولما كان
الاسرار ربما حمل على حالة الخلوة فلم يكن علمه لا على الاعلان قال وما تعلنون ليعلم مقدار المضاعفة لموجبات الشكر وقباحة
الكفر واما الاصنام فلا تعلم شيئا فكذا اسفه من عبدها ولما اثبت لنفسه تعالى كمال القدرة وتمام العلم وانه المتفرد بالخلق
شرع يقيم الادلة على بعد ما يشركونه به من الالهية بسلب تلك الصفات فقال والذين تدعون اى دعا عبادة من دونه
اى الذى له جميع صفات الكمال لا يخلقون شيئا ولما كان ربما ادعى مدع فى شئ انه لا يخلق ولا يخلق قال وهم يخلقون ولما كان من

من المخلوقات الميت والحى وكان الميت ابعد شئ عن صفة الاله قال نافيا عنها الحياة بعد ان نفى القدرة والعلم المستلزم لان تكون
عبدها اشرف منها المستلزم لانهم بخضوعهم لها فى غاية السفه اموات ولما كان الوصف قد يطلق على غير المتلبس به مجازا عن عد
نفعه بصدده وان كان قابله غير بقا فيه قال غير احياء مبينا ان المراد بذلك حقيقة سلب الحياة على حد ما علمه الله الاله
الحى من كونه حيا لا يموت ولعله اقتصر على وصفهم مع انهم اموات بانهم اموات لان ذلك مع كونه كافيا فى المقصود من السياق
وهو ابعادهم عن الالهية يكون صالحا لكل مخلوق ادعى فيه الالهية وان اتصف بالحياة لان حياته زايلة يعقبها الموت
ومن كان كذلك كان بعيدا عن صفة الالهية ولما كانوا مع علمهم بان الاصنام حجارة لا حياة لها يخاطبون من اجوافها
بالسنة الشياطين كما هو مذكور فى السيرة وغيرها من الكتب المصنفة فى هواتف الجان فصاروا يظنون ان لها
علما يجدى الاعتبار ولذلك كانوا يطلبون المعاقد وينفع احتيج الى نفى العلم عنها ولما كانوا يخبرون على السنتها ببعض
ما يسترقونه من السمع فيكون كما اخبروا لم ينف عنها مطلق العلم بل نفى ما لا علم لاحد غير الله به لانهم لا يخبرون عنه بخبر
الا بان كذبه فقال تعالى عادا البعث عدا المتفق عليه وما يشعرون اى هذا الحال كما هو مدلول ما ايان اى اى حين
يبعثون فنفى عنهم مطلق الشعور الذى هو اعم من العلم فينتفى بنفيه كل ما اخص منه ولما كانت دلالة البعث قد ثبتت فيما
وانقضت اعلامها وعلا منارها وانتشرت انوارها فساق الكلام فيها مساق ما لا خلاف الا فى العلم بوقته مع الاتفاق على انه
لابد من لوازم التكليف ولما انتهى بذلك كله عجز شركائهم اشار الى ان منشا العجز قبول التعدد ارشادا الى برهان التمانع
فقال على طريق الاستنتاج لانه نتيجة ما مضى قطعا الهكم اى الخلق كلهم المعبود بحق اله اى متصف بالالهية على الاطلاق
بالنسبة الى كل واحد وكل زمان وكل مكان واحد لا يقبل التعدد الذى هو مثار النقص بوجه من الوجوه لان التعدد دليله
امكان التمانع المستلزم للعجز المستلزم للبعد عن رتبة الالهية فالذين اى فتسبب عن هذا ان الذين لا يؤمنون بالاخرة اى دار
الجزاء ومحل اظهار الحكم الذى هو ثمرة الملك والعدل الذى هو مدار العظمة قلوبهم منكرة اى جاهلة بانه واحد لما لهم من القسوة
لاشتباه الامر ولما تقدم فى هود من ان مادة نكر تدور على القوة وهى تستلزم الصلابة فتاتى القسوة وهم اى والحال انهم بسبب
انكار الاخرة مستكبرون اى صفتهم الانكار الاستكبار عن كل ما لا يوافق هواهم وهو طلب الترفع بالامتناع من قبول الحق انفة من اهله
تعنتا وابتدالا الى ضرب علمهم معه النفس كما قال تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ود بادل مستكبرون على ان منكرة
بمعنى جاحدة ما هى به جازمة ولما كانوا لكون الانسان اكثر شئ جدلا ربما انكروا الاستكبار وادعوا انه لو ظهر لهم الحق لما ابوا قال
على طريق الجواب لمن كانه قال انهم لا يابون استكبارا ما لا يشكون معه من ان هذا الكلام ان لا جرم اى لا ظن فيه ان الله اى المحيط
بكل شئ قدرة وعلما يعلم على غيبنا وشهادتنا ما يسرون اى يخفون مطلقا او بالنسبة الى بعض الناس ولما كان علم السر لا يستلزم
علم الجهر كما مضى غير مرة قال وما يعلنون فلو ما اخبر بذلك الا عن امر قطعى لا يقبل المراجعة ولما كان فى ذلك معنى التهديد لان المراد فليجازيهم على
ذلك وعلم من غير ان يعرف منه شيئا كما يأتى التصريح به فى قوله ليحملوا اوزارهم كاملة علل هذا المعنى بقوله انه اى العالم بالسر والعلن لا يحب
المستكبرين اى على الحق لا ينا ما كان ولما كان الاعجاز فى القران بما ثبت عن عجزهم عن معارضته دليل الاستكبار قال تعالى عاطفا على قلوبهم
منكرة واذا قيل اى من اى قائل كان فى اى وقت كان ولو تكرر لهم اى لمنكرى الاخرة ماذا اى اى شئ انزل ربكم اى المحسن الكامل المدبر
لامورهم قالوا مكابرين فى انزال الدعا فاذا ابو مفعولة لا مؤكدة للاستفهام الذين يعتنون انه منزل ليس منزلا بل هو اساطير الاولين
مع عجزهم بعد تحديهم عن معارضته سورة منها مع علمهم بانهم افصح الناس وانه لا يكون من احد من الناس متقدم او متاخر قول
الا قالوا ابلغ منه ولما كان الجواب هو الصراط المستقيم المنقذ من الهلاك وكان قولهم هذا صدا عنه فكان مع كونه ضلالا اضلالا
ومن المعلوم ان من ضل كان عليه اثم ضلاله دون من اضل كان عليه وزر اضلاله هذا ما لا يخفى على ذى عقل صحيح فلما كان هذا
بينا وكانوا يدعون الحكم ابصر الناس بالخفيات فكيف بالجليات حسن جدا قوله ليحملوا فانهم يعلمون ان هذا لازم لهم فتعليل ان
قالوا بالسنتهم غيره او يقال انه قيل غيرهم لانه مع ان الجعل اولى لهم شدا حف احوالهم لانهم اما ان يعلموا انهم فعلوا هذا الفعل
ليس لهم او لا فعلى الثانى هم اجهل الناس وعلى الاول فاما ان يكونوا ظنوا انهم يظنون يؤخذون به او لا فعلى الثانى يكون
للخلق سدى وليس هو من الحكمة فى شئ فيعتقد هذا من الجهل بمكان عظيم وعلى الاول فهم يشاهدون كثيرا من الظلمة لا يجازون فى
الدنيا فيلزمهم فى الحكمة اعتقاد الاخرة ليجازى فيها المحسن والمسئ وبهذا الحق لاحوال المتقدمة ولا يخفى ما فى الاقدام على مثله
من المنابذة المناقضة لادعائهم انهم ابصر الناس فيه اللام الى التهكم بهم لانهم نسبوا الى علم الجهل خيبينا وزادهم التى
باشروها لنكوصهم عن الحق تكبرا لا عن شبهة ولما كان الله من فضله يكفر بالتكذيب بالحجاب قال كاملة لا ينقص منها وزر شئ ما اسروا
ولا مما اعلنوا الخفاء لا ذهول متكبر ولا غيره من دون خلل لو صف من الا وصاف هو ابلغ من تامة لان التمام قد يكون فى العدد
مع خلل فى بعض الوصف يوم القيمة الذى لا شك فيه ولا محيص عن اتيانه وليحملوا من مثل اوزار الجهلة الضعفا الذين يضلونهم
فيضلون بهم كائنين اولياء الذين ضلوا بغير علم يحملون مثل اوزارهم من غير ان يباشروها لانهم نهاهم من التسبب من غير ان ينقص من

من او زارا الضالين كلهم شي وان كانوا جهلة لان لهم عقولا هي بحيث لو قدتهم الى سوال اهل الذكر ونظرا اولى تنفرهم من الباطل اول ما يمر من عليها فضيعوها ثم استانف التنبيه على عظيم ما يلحق لهم من موبكهم من الضرر وعيد الهم فقال الا ساما يزرون
فادخل الهمزة الانكار على حرف النفي فصار اثباتا على ابلغ وجه ولما كان المراد من هذا الاستكبار محوا الحق واخفا امره من غير تعرض
بالعناد بل مع اقامة شبهة ربما راجت وان اشتد ضعفها على عقولهم اضعف منها وكان هذا احتيقة المكر الذي هي التغطية
والستر كما بين في الرعد عند قوله تعالى بل زين للذين كفروا مكرهم شرع يهدد الماكرين ويحذرهم وقوع ما وقع بمن كانوا اكثر
منهم عددا واقوى يدا ويرجى المومنين في نصرهم عليهم بما له من عظيم القوة وشديد السطوة فقال قد مكر الذين من قبلهم ولما
كان المقصود الاخبار بان ناسا مخصوصين لم يستغرقوا زمان القبل ادخل الجار فقال من قبلهم اي من قد راوا اثارهم ودخلوا ديارهم
فاتي الله اي بما له من مجامع العظمة بنيانهم اي اتيان باس وانتقام من القواعد التي بنوا عليها مكرهم فخر اي سقط مع صوت
عظيم لهدته عليهم السقف ولما كانت العرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حائط اذا كان يملكه وان لم يكن وقع عليه
كما نقله ابو حيان عن ابن الاعرابي قال تعالى صرفا عن هذا الحقيقة السقوط المقيد بالجار من فوقهم وكانوا تحته فهلكوا كما هو
شان البنيان اذا زالت قواعده ولما كان المكر هو الضرر خفية لانه الفتل بالحيلة المبهمة سكره بين ان ما حصل لهم من
من العذاب من هو من باب ما فعلوا بقوله واتاهم العذاب اي انقضت كلمة الرسل على الوعيد به لمن ابى من حيث لا يشعرون لان السبب
الذي لعدوه لنصرهم كان بعينه سبب قهرهم وهذا على سبيل التمثيل وقيل انه على الحقيقة فيما بناه نمرود من الصرح وذكر
قصته من التوراة قال في السفر الاول منها في تعداد اولاد نوح عليه السلام وكوش يعني ابن حام بن نوح ولد نمرود وكان اول
جبار في الارض وهو كان يحوما فاصيد بين يدي الرب ولذلك يقال لهذا مثل نمرود الجبار فكان مبدا ملكه بابل والكوس
والعواز والكونه التي بارض شنعار ومن تلك الارض خرج الموصلي فبني نينوى ودحبوت القرية ونسيرو وقرية الرحبة
والايلة والداين ثم قال بعد ان عد احفاد نوح عليه السلام ومما لكهم هولا قبايل بني نوح واولادهم وطولهم وشعوبهم
ومن هولا تفرقت الشعوب في الارض بعد الطوفان وان اهل الارض كلهم كانت لغتهم واحدة ومنطقهم واحدا فلما ظعنوا
في المشرق انتهوا الى قاع في ارض شنعار وهي بسيط العراق فسكنوه فقال كل امرئ منهم لصاحبه هلم نبني لبن اللبن ونحرقه
بالنار فصير اللبن مثل الحجارة ونصير الحمر بدل الطين للملاط ثم قالوا هلموا ابني لنا قرية نتخذها وصرحا مشيدا الاجعا
بالسما ونخلد لنا اشيا نذكر به لعلنا ان لا نتفرق على الارض كلها فنظر الرب لقرية والصرح الذي يبنيه الناس
فقال الرب اري هذا الشعب ايهم واحدا ولغتهم واحدة وقد هموا ان يصنعوا هذا الصنيع فهم الان غير مقصرين فيما
هموا ان يفعلوه فلا ورد امرا اشتت به لغتهم حتى لا يفهم المرء منهم لغة صاحبه ثم فرقهم الرب من هناك على وجه
الارض كلها ولم يبنوا القرية التي هموا ببنائها ولذلك سميت بابل لان هنالك فرق الرب لغة اهل الارض كلها انتهى قال
بعض علما اليهود ان بابل معرب بوبال ومعنى بوبال بالعبراني التشتت هذا ما في التوراة واما المفسرون فذكروا ان الصرح
بني على هيئة طويلة في الطول والاحكام وان الله تعالى اهدمه فكانت له رجة تفرقت لعظم هولها لغة اهل الارض
الى اللغات كثيرة لا يحصيها الا الله والله اعلم ولما بين سبحانه حال المكرة المنهزمين عليه في الدنيا اخذ يذكر ما لهم في الاخرة
تقريرا للاخرة وبيانا ان عذابهم غير مقصور على الدنيوي فقال ثم يوم القيمة يخزيهم اي الذي يفعل بهم في الدنيا
ما تقدم خزيا يشهده جميع الخلائق الموقف في ذلك اليوم فيحصل لهم من الذل جزا على تكبيرهم ما يجل على الوصف ويعظم
بهم لاستبعادهم لزوالها لهم من الهول والعظمة التي يستصغر لها هول ويقول اي لهم في ذلك الجمع تبكيتا وتوبيخا اين شركاي
على ما كنتم تزعمون واضاف سبحانه الى نفسه المقدس لانه اقطع في توبيخهم وادل على تناهي الغضب الذين كنتم اي كونا
لا تنفكون عنه تشاقون فيهم او لاجلهم تكونون مخالفتهم في شق غير شقهم فتخضعون لما لا ينبغي الخضوع له وتكبرون
على من لا ينبغي الاعراض عنه ما لهم لا يحضرونكم ويدفعون عنكم في هذا اليوم وقرئ بكسر النون لان مشاقة الماموز
مشاقة الامر ولما كان المقام للجلال والعظمة المستلزم لزيادة الهيبة التي يلزم عنها غالبا الخرس المخزي عن جواب
لو كان له جواب وكان من اجل المناهل في تعذيبهم العدل تشريح الاوليا واشماتهم بهم كما جرى الملكانوا يعاملون بهم في الدنيا
وكانت الشماتة اعلى محبوب للشامت واعظم مرهوب للمشموت فيه واعظم مسلى للمظلوم دل على سكوتهم وغيبتهم
بالجواب بتاخير الخبر عنه وتقدم الخبر عن شماتة اعدايهم فيهم في سياق الجواب عن سوال من قال هل علم بذلك
المومنون فقيل قال الذين ولما كان العلم شرفا للعالم سلطانا على المفعول قال اوتوا العلم اي انتفعوا به في سلوك
سبيل النجاة من الانبيا عليهم السلام ومن اطاعهم من اممهم اشارة الى ان الهالك بهم سلب العلم عنه وان كان اعلى
الناس وعدل عن ان يقول اعداوهم او المومنون ونحوه احلالا لهم بوصفهم بالعلم الذي هو اشرف الصفات للدلالة
منشا كل فضيلة وتعريضا بان الحامل للكفار على الاستكبار الجهل الذي هو سبب كل رذيلة ان الخزي اي الهلاك الذل اليوم

اليوم اي يوم الفصل الذي تكبروا في غير موضع التكبر لا على غيرهم ثم رغبهم في التوبة بقوله والسوء على الكافرين ما لفوقانية
في قراءة الجمهور لان الجمع مونث وبالتحتانية في قراءة حمزة لان الجموع غير مونث وكان وفاتهم على وجهين وجه خفيف بما اشار اليه
التانيث خفة كفر صاحبه واخر ثقيل شديد لشدة كفر صاحبه ولم يحذف شي من التاين للاشارة الى نقصان ظاهرها لانه لا يمكن
جبرها لموتهم على الكفر بخلاف ما تقدم في قاله الهجرة في النسا الملائكة اي الموكلون بالموت حال كونهم ظالمي انفسهم بوضعهم
الاستكبار على الملك الجبار غير موضعها فلم تم ذلك على هذا الوجه البديع والاسلوب الرفيع المنيع ابتدا الخبر عن جوابهم على وجه
معلوم حالهم فقال فالقوا اي من انفسهم عقب قول الاوليا وبسبب سوال الذي الحكم بالسلم اي المقادة والخضوع بدل
ذلك التكبر والعلو قايلين ارتكابا للكذب من غير احتشام ما كنا نعمل واغرقوا في النفي فقالوا من سوء فكانه قيل ان هذا
لبهتان عظيم في ذلك اليوم الجليل فماذا قيل لهم فقيل بلى قد علمتم اعظم السوء ثم علل تكذيبهم بقوله ان الله اي بالغ العلم من كل
وجه عليم بما كنتم اي جبلة وطبعا تعملون اي من الضلال والاضلال فلا يسعكم الانكار فما آن لكم ان تنزعوا عن الجهل
فيما بغركم ولا ينفعكم ويخضعكم ولا يرفعكم ولما كان هذا النقل مع هذا العلم سببا الدخول جهنم من غير ان يقوم لهم وزن
لانه لا وزن لما فتيع اشاسه قال معقبا مسببا فادخلوا اي ايها الكفرة ابواب جهنم اي الابواب طبقا لما قد وكلها
خالدين اي مقدرين الخلود فيها اي في جهنم التي دابها تجهم من دخلها ولما كان هذا المقام للكافة وكان امرها ابدا
العباحة كان هذا الدخول اتم دخول وكان سببا لان يقال فلبئس بلام القسم مع الاداة الجامعة لجامع الذم مثوى المتكبرين
على وجه التاكيد وبيان الوصف الذي استحقوا به ذلك لتقدم انكارهم في قولهم ما كنا نعمل من سوء تعريضا بانهم جديرون بغاية
ما لهم من البلادة ان يحسنوا النار كذبوا مع العلم التام بانه لا يروج في ذلك اليوم كذب ولما تم الخبر عن المنكرين اثر
ما لهم من البلادة ان يحسنوا الخبر عن المتقين اسعد السنة الملائكة من الروح من امره على الانبيا عليهم السلام انكار لفضلهم وتكبر بما ليس لهم بالا عتراض على ما لقيهم ابتدا
على المقربين تصديقا لهم واعترافا بفضلهم وتسليما لما هم عليه من تفضيل من يشا منهما على الوصف الذي اوجب لهم
الاعتراف بالحق فقال حاد قالا اذا دلالة على الرضا بما يشاهى من الخبر والمدح عليه ولم يتكرر وقيل للذين اتقوا اي خافوا اغتفا
اسماذا اي اي شي انزل ربكم اي المحسن اليهم من روحه المحيي لله رواح على رسوله قالوا معترفين بالانزال غير متوقفين في المقال
فاهين ان ذا مولدة للاستفهام لا بمعنى الذي انزل خيرا وانما الخبر بالقراءة على نصب هذا ورفع الاول فرقا بين جوابي المقر والجاحد
بمطابقة المقرين الجواب والسوال وعدول الجاحد بجوابه عن السوال ثم اخذ يرغب ما لهم من حسن الحال على وجه الجواب
والسوال من كانه قال ما لهم عن ذلك فقيل سلطوا موضع الاضمار مدحا لهم وتعميما لمن اتصف بوصفهم للذين احسنوا فبين ان
اعراقهم بذلك احسان في هذه الدنيا حسنة اي جزاؤهم على احسانهم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ولما كانت هذه الدار جامعة
سريعة الزوال اخبر عن ما لهم في الاخرة فقال ولدار الاخرة خير اي جزاء ومصيرا ثم مدحها ومدحهم بقوله ولنعم دار
المتقين اي هي بعينا في الوصف الذي كان سبب حيازتهم وهو الخوف المثاني لما وصف به الاشراف في الاستكبار ما لجهاد
موضع الاضمار وحذف المخصوص بالمدح لتقدم ما يدل عليه وهو صالح للتقدير الدنيا اي لمن عمل فيها بالتقوى وللتقدير الاخرة وهو
واضح ولما كان هذا المدح مشوقا للتفصيل ذلك قيل جنات عدن اي اقامة لا ظعن فيه يدخلونها حال كونها تجري من تحتها اي من
تحت غرفها الانهار ثم اجيب من كانه سال عما فيها من الثمار وغيرها بقوله لهم فيها اي خاصة لا لغيرهم سواها من غير اي عجاب
اليهم من غيرها ما يشاؤون ثم زاد في الترغيب بقوله كذلك اي مثل هذا الجزاء العظيم يجزي الله اي الذي له الكمال كله المتقين
الى الراسخين في صفة التقوى ثم صرح على جلاد زمنا التقوى بالتنبيه على ان العبرة بالحال الموت فقال الذين تتوفاهم اي تقبض
ارواحهم وافية من نقص في سن الروح او المعاني بما اشار اليه اثبات التاين والاظهار الملائكة طيبين اي طاهرين من ظلم
انفسهم بالكفر متحلين على حلية الايمان فكانه قيل ماذا تقول لهم الملائكة فقيل يقولون اي مكررين لهم لتاكيد تمسكهم لا جلوا
عليهم من تعظيم سلام اي اسبابا التقوى عليكم ويقال لهم لتحقق فوزهم ادخلوا الجنة اي دار التفكه التي لا مثل لها بما كنتم
اي جبلة وطبعا تعملون ترغيبا لهم في الاعمال التي لا يستطيعون لها الا بما اسبابهم تعرفتهم لها ولما اخبر تعالى عن احوال
الكفار السايلين في نزول الملائكة بعدما وهي سبيلهم ولكن على توفي الملائكة لهم ولا ضداد لهم المومنين مسببا بذكرهم
بذلك الى ان شيمته جرت بانهم لا ينزلون الا بالروح من امره على من يختص له الا او الامر فيصل لا مهلة فيه قال منكرا عليهم هل ينظرون
اي هولاء الكفار في تقاعسهم عن تصديق الرسل في الاخبار بما انزل ربهم وجود الفعل اشارة الى قرب ما ينتظرونه الا ان تاتيهم
اي باليد الملائكة وهم لا يانتوهم الا بمثل ما اتوا به من قبلهم من نقصهم ارواحهم من الظالمين انهم لم يتوبوا او ياتي امر ربك اي المحسن
اليك المدبر لامرك بما يرتفع النزاع من غيره واسطة ملك او غيره ولما كان هذا الا فنزعا كان موجبا لمن له نفوذ هل فعل
هذا احد غير هولا فقيل نعم كذلك اي مثل هذا الفعل البعيد للشاعة عن مناهج العقلا وكانوا في تدبير الاذى واعتقاد
قول وفعل فعل الذين ولما كان الفاعلون مثل افعالهم في التكذيب لم يستغرقوا الزمان ادخل الجار فقال من قبلهم وما

اى الحال انه ما ظلمهم الله اى الذى له الكمال كله فى تقديره ذلك عليهم لانه المالك المطلق التصرف والملك الذى لا يسئل
عما يفعل ولكن كانوا اى جبلة وطبعا انفسهم اى خاصة يظلمون فاستحقوا العقاب لتمام الحجة عليهم على السنن الذى
جرت به عوايدكم فيمن باشر سوا من غير ان يكره عليه اكراها ظاهرا وهذا بعينه هو العلة فى ارسال الرسل ونصب الشرايع والملل
فاصابهم تسبب عن ظلمهم لانفسهم ان اصابهم سيئات اى عقوبات او جزا سيئات ما عملوا وحاق اى احاط احاطة ضابطة
بهم من العذاب والمرسل به كرم الملك الاية ما كانوا به اى خاصة يستهزءون تكبرا عن قبول الحق ومادة حاق واويه ويائيه بتراكيبها
الست حوق حقو قحو وقح وحيق قيح تدور على الاحاطة ويلزمها ضابطة المحيط ولين المحاط به حاق بدا الشى اذا نزل به فاحاط
والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وحاق فيه السيف حاك اى عمل عليهم من التسمية باسم الجزء ولانه فى الاغلب يكون فى
تهله الموت المحيط بالامل وحاق بهم الامر لزمهم ووجب عليهم ونزل بهم والحيقة شجر كالشبرم يوكل بها الشمر كانه يحيط بالشرة وحاق
وطابقه حسده والبغضه لاحاطة ذلك والحوق بالضم ما احاط بالكمرة من حروفها وبالضم والفتح معا استدارة فى الذكر
والحوق بالفتح فرط الاحاطة والاحوق والحوق كمعظم العظيم الكمرة كانها مختصة بذلك لكبرها ومنه فيسلم حوقل عظيمة
كانها لعظمها هى التى ظهر حرفها دون غيرها وارض محوقة بالضم لحاقلية النبت لقلة المطر كانه بالكمرة فى ملاستها وترك
النخلة حوقا اذا اشعل فى الكرانيف لاستدارة النار بها او لبسها بعد حرق السعف بالذكر او براسه والحوقة بالفتح الجماعة
المحرقة لان الجماعة لها قوة الاستدارة والمخرق ان كان من الذهب فهو لازمه العوج وان كان من المخراق وهو المنديل الذى
يلف للعب بعلى هيئة الاستدارة وحوق عليه تحويقا عوج عليه الكلام والحوى بالفتح ايضا الكنس والدلك والتمليس لان كلا منهما
يردد فيه اليد الى ما بين سكانها بنسبه الاحاطة ولونا للنعوج والحقو الكشح وهو ما بين عظم راس الورك الى الضلع الخلف
لانه موضع احاطة الازار والازار نفسه حقو لانه الته والحقو معقد الازار والحقو موضع غلظ مرتفع عن السيل من الملك
والاستدارة لان السيل يحيط به او يكاد ومن السهم موضع الريش لانه يشبه الحقو فى استدارته وغلظ العجز ومده مصدر فى
احاطة الريش به ومن الثنية جانباها من الاحاطة او لحقو التوع والحقوة وجع البطن فى اكل اللحم للحوق وجه الحقو والحقوان
بنت يستر به زهره داما فى الاربعاشيره لانه يحيط به غالبا ويحاف المال الاخرة لما يلزمه من الاحاطة والاقاحة والقحاة الجحرفة
لانها تحيط بالجرف ومن اللبن قاح الجرح يقوح صارت فيه مرة خالصة لا يخالطها دم كقاح يقيح واويه ويائيه ولما يلزمه
من الاستدارة غالبا وقوح الجرح انتبرا ما من الوضع الغليظ المرتفع عن التشكل واما من استدارته وقاح البيت كنسه
كقوحه والقاحة الساحة لاستدارتها غالبا واقاح منع على الحسن لجعل السوال اما من لازالقا وازال اللين واما من القلادة
ومن الصلابة الوقاح للحافر الصلب وهو من الاستدارة ايضا ورجل وقاح الوجه قليل الحيا منه والموقح كمعظم المجرب ونوع
الحوض الخلاصة بالمدر والصفاح للاستدارة والصلابة ولما تم ما هو عجب من مقالهم وما لهم فى سوء حالهم وختم تهديدهم عطف
على قوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا موجبا اخر للتهديد معجبا من حالهم فيه فقال وقال الذين اشركوا اى الراسخون
منهم فى هذا الوصف والتابع له على سبيل الاعتراض على من يدعوهم الى التوحيد من نبى وغيره محتجين بالقدر لعنادا انهم مستكبرين
على الاسئل عن ان لا سبيل لنا بفعل بخلاف ما فعلنا بانه لقدرته على كل شى غير محتاج الى بعث الرسل فارسالهم عبث تعالى الله الحكيم
عن قولهم هذا قول من يطلب العلة فى احكامه تعالى فى افعاله وهو قول باطل لانه سبحانه الفعال لما يريد سوا اطلع العباد
على حكمته ام لا لو شاء الله اى الملك الاعظم المحيط بكل شى قدرة وعلما عدم عبادتنا لغيره ما عبدنا ولما كانت كلها مستغرقة من
رتبته وكانت متفاوتة وكان ما يعبدونه من الاصنام ونحوها ادنا هاد بنه ادخلوا الجار فقالوا من دونه والمز فوانى النكى
فقالوا من شى اى من الاشيا نحن ولا اباؤنا من قبلنا ولما ذكروا الاصل تبعوه الفرع فقالوا ولا حرمنا اى على
انفسنا من دونه اى دون امره من شى لان ما شاءه لا يتخلف على زعمهم لكنه لم يشا العدم فقد شا وجود ما نحن عليه
فنحن نتبع ما شاءه لا نتعوعنه لانه لا شا الا ما هو حق وضل عن الاستقبا بكلمتهم هذه الحق الذى اراد وانما الباطل لان
مدار السعادة والشقاوة انما هو موافقة الامر لا موافقة الارادة فما كان من الفعل والكف على وفق الامر سعد فاعله وما
خالفه قامت به الحجة على فاعله على ما جرت به عوايد الناس فيما بينهم فلما الفت هذه الشبهة من المقالة الموهمة كان كانه قيل استبعادا
لها هل قالها غيرهم فقيل نعم كذلك اى مثل الفعل البعيد من السداد والقول الخارج عن الهداية والرشاد وهو الاعتراض على حكم فى
ارسال الرسل ما بين جواز الارسال لهذه الشبهة الضعيفة فانه تعالى يريد اظهار فرع الملك بالحكم على ما يتعارفه العباد من
اقامة الحجة بالافعال الاختيارية وان كانت بقضايه لان ذلك مستقر عند العباد فعل اى الذب بدليل الابهام الذين ودل على عدم
الاستغراق للزمان بقوله من قبلهم وكان تكذيبا لان قولهم اقتضى ان يكون ما هم عليه مما يرضاه الله والرسل يقولون لا يرضاه ولا يرضى الا
الامر الحق ولمان صاحبه مشابه لعله او غير مطابق فكان ذلك سببا للانكار عليهم بقوله فهل اى فما على الرسل اى الذين لا ارسل الخيرة
غيرهم وهم الذين ارسلهم الله لتعليم العباد مطلقا عن خلف ولما كان الاستفهام بمعنى النفى كما تقدم الا انه صور بصورته ليكون لدعوى

لدعوى الشى بدليلها فقال الا البلاغ المبين وقد بلغوكم واوضحوا لكم نصا وبالمعصيان فاصابكم ولما كان جميع الرسل عليهم لتوزيعهم
على الامم كان موضعا لتوقع التصريح بذلك فقال ذاكرا لذلك هذا الاستغراق بانيا الطريق احتمالا دالا على ان هذا القول السابق منصب
انكاره بالذات الى اعتراضهم على الارسال تسلية للنبيه صلى الله عليه وسلم وحالا لهم على الاعتبار عطفا على ما تقديره فلقد بعثناك فى
امتك هذه ليعبدوا الله وحده ويجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدينا ومنهم من حقت عليه الضلالة فكان من غير شك بعضهم مرضى لله
وبعضهم مغضب له فانه لا يكون حكم المتنافيين واحدا ابدا ولقد اى والله لقد بعثنا اى على ما لنا من العظمة التى من اعترض عليها
اضل فى كل امة من الامم الذين قبلكم رسولا فما بقى فى الارض احد لم تبلغه الدعوة لان الاصل ان الرسل قد تكون من غير اهل المرسل اليهم
كلوط وشعيب عليهما السلام فى اصحاب الايكة وسليمان عليه السلام فى غير بنى اسرائيل من سايرهم ومثل اليه مكه من اهل الارض لم تفيد
منهم ولما كان البعث متضمنا معنى القول كان المعنى فذهبوا اليهم قايلين ان اعبدوا الله اى الملك الاعلى وحده واجتنبوا
اى بكل جهدكم الطاغوت كما ذكر رسولنا فمنهم فتسبب عن ارسال الرسل ان كانت الامم قسمين منهم من هدى الله اى الذى له الاحاطة
الكاملة للمحو فخفت له الهداية فابصر الحق وعمل به باتباع الدعاة الهداة فيما امروا به عن الله فحقت له الجنة ومنهم من حقت
اى ثبت غاية الثبات عليه الضلالة بان اضله الله فنابذ الامر فلم يعمل به وعمل بمقتضى الارادة فان الامر قد لا يكون ما تعلق به
والارادة لا بد ان تكون ما تعلقت به وقد تكون لو افقه عاملا بالضلالة فحق عليه عذابها فحقت له النار فعلك لانه لم تعوله
مجبر يدفع بما عن نفسه فلو كان كل ما شاء حقا كان الفريقان محقين فلم يعذب احدهما لكنه لم يكن الاولة للاول عذب العاصى
ونجى الطايع فى كل امة على حسب ما بان الرسل وهذا هو معنى رضى الله الحاكم الاسم الملزوم على الله زمر فدل ذلك قطعا على صدق
الرسل وكذب مخالفيهم فالاية من الاحتباك ذكر فعل الهداية اولا دليلا على فعل الضلال ثانيا وحقوق الضلالة ثانيا دليلا
على حقوق الهداية اولا ثم التفت الى مخاطبتهم اشارة الى انه لم يبق بعد هذا الدليل القطعى فى نظر البصير الا الدليل المحسوس
للبصر فقال فسيروا اى فان كنتم ايها المخاطبون فى شك من اخبار الرسل فسيروا فى الارض اى جنسها فانظروا اذا اسرتم ومروا ثم
بديار المكذبين واثارهم وعبر هنا بالفا المسيرة الى التعقيب دون ثم لان المقام لله ستدلال المنقذ من الضلال الذى يجب
المبادرة الى الاقلاع عنه بخلاف ثم انظروا فى الانعام لما تقدم واشار ما لا استقوا مرالى ان احوالهم مما يجب ان يسال عنه
لله تعاظ به فقال كيف كان اى كونا لا قدرة على الخلاص منه عاقبة اى اخر امر المكذبين اى من عاد ومن بعدهم الذين بلغتهم
اخبارهم حتى من قلدتموهم فى الاقرار كالكفر من اسلافكم فانهم كذبوا الرسل فيما امرتم بابلاغه مخالفة لا ترى وعملا بمشيئة فاوقعت
لانهم خالفوا الرسل باختيارهم مع جعلهم بادرا فى نفاذ حمت عليهم الحجة على ما يتعارفه الناس بينهم ولما بين الحق انه ليس بعد الا
فى الاستدلال الى الامر المحسوس الا العناد اعرض عنهم ملتفتا الى الروف بهم الشفيق عليهم فقال مسليا له صلى الله عليه وسلم
ان تحرص على هداهم فتطلبه بغاية جهدك واجتهادك فان الله اى الملك الاعظم لا يهدى اى هو يخلق الهداية فى القلب
هذا على قراءة الكوفيين بفتح اليا وكسر الدال ومن هذا الوجه من الوجوه على قراءة الجمهور بالبنا للمفعول من يضل اى من يحكم
بضلاله وهو الذى اضلهم فلن يكن غيره ان يهديهم لانه لا غالب لامره وقرى شاذا بفتح اليا من ضل بمعنى نسى اى لا تمكن هداية من
نسيه اى تركه من الهداية ترك المنسى فانه ليس فى يد غيره شى ونقل الصغانى فى مجمع البحرين انه يقال ضل فلان البعير اى اضله
والضلال عند العرب سلوك غير سبيل القصد فالمعنى انه كان سببا لسلوك البعير غير المقصود فعنى الاية لا يهدى من ضلله الله
بفتح اليا اى يكون سببا لسلوك غير سبيل القصد فلا يحزن ولا يضق صدرك من عدم تاثرهم بنصحك واجتهادك فى الدعاوى
يتبع فى ذلك ان فى دعايك نقصا انما النصح من ايمانهم العصيان وليس عليك الا البلاغ وقوله وما لهم اى هولا الذين اضلهم الله
وصح من يضله من ناصرين اى شيء وكلهم عند مجازاتهم على الضلال لينقذوهم مما حقتهم عليه من الوبال كما فعل بالمكذبين من
قبلهم عطف على نتيجة ما قبله وهو فلا هادى لهم بما اراد الله ضلالهم وتبكيت لهم وتقريع وحث وتهييج على ان يتقوا بانفسهم
ويستعينوا بمن شاوا على نقيض دليل على ما يدعونه من انهم ابتعوا الناس للحق اما بان يرجعوا على صحة معتقدهم او نعينوهم
على الرجوع عنه عند العجز عن ذلك او يكفوا عنهم العذاب اذا حاق بهم ولما كان من حقهم بعد تمام الادلة على كمال القدرة وشمول
علمه وبلوغ حكمته فى ابداع جميع المخلوقات مما يعلم ومما لا نعلم على ابدع ترتيب واحسن نظام تصديق الهداة فى اعلامهم بانه سبحانه
يعيدهم للبعث وانهم لم يفعلوا او لا طرقوا لذلك احتمالا بل حلفوا على نفيه من غير شبهة عرضت لهم ولا اجا دليل علم وصل
اليهم فعل الحالف الجافى الغبى العاصى اتبع ذلك سبحانه تعجيبا اخر من حالهم فقال عاطفا على وقال الذين اشركوا كان كلا من الجملتين
لبيان تكذيبهم الرسل والتعجيب منهم فى ذلك دالا على ان اعتقادهم مضمون هذه الجملة هو الذى جراهم على قولهم الاول وما تفرع
منها واقسموا بالله اى الملك الاعظم جهد ايمانهم جعلت الايمان جاهدة لكثرة ما بالغوا فيها لا يبعث الله اى الذى له الاحاطة
بكل شى من يموت اى لا يحيى احد بعد موته استنادا منهم على مجرد استبعاد ما لم يجربه نفسه عنده عادة جمودا منهم حتى
طلبوا بان النشاة الاولى كانت من غير عادة مع ادعائهم انهم اعقل الناس واجودهم اذهانا واثبتهم الهاما ورد عليهم قوله

بلى اى يبعثهم لانه لا مانع له من ذلك وقد وعد به وعدا وبين انه لا بد منه بقوله عليه وزاده تاكيدا فى مقابلة اجتهادهم
فى ايمانهم بقوله حقا اى لا بهم لانه قادر عليه وهو لا يبدل القول لديه نصا وواجبا فى الحكمة كونه وامر البعث معلوم عند
كل عاقل سمع اقوال الهداة تاركا لهواه ولكن اكثر الناس اى لما لهم من الاضطراب لا يعلمون اى لا علم لهم يوصلهم ذلك
لانه من عالم الغيب لا يمكن عقولهم الوصول اليه بغير ارشاد من اسرارهم يتبعون اقوال الدعاة اليها الذين ايدهم بروح منه
لتقيدهم بما توصلهم اليه عقولهم وهى محصورة على عالم الشهادة لا يمكنها الترقى منه الى عالم الغيب بغير وساطة منه سبحانه
فلذلك ترى الانسان منهم يابى ذلك استبعادا الا ان يكون شى معقول لا يصل اليه بمجرد عقله وهو خصيم مبين ولما بين انه لا بد من ذلك
لسبق الوعد به من القادر بين حكمته بامر مبين انه لا يسوغ تركه بوجه وهو انه لا يجوز فى عقل عاقل ان امرا ملكا فادونه يامر
عبيده بشى ثم يهملهم فلا يسالهم ولا سيما ان اختلفوا ولا سيما ان ادى اختلافهم الى المقاطعة والمقاتلة فكيف ان كان حاكما
فكيف اذا كان حكيما فكيف وهو احكم الحاكمين فقال معلقا بما دل عليه بلى ليبين اى نفعله ووعد به فهو يبعثهم ليبين لهم
اى للناس الذى يختلفون اى يوجد اختلافهم فيه من البعث وغيره ويجزى كلا بما عمل لان ذلك من العدل الذى هو فعله
وليعلم الذين كفروا اى جحدوا الايات الدالة عليه فكانهم ستروها لانها لظهورها لا تجهل انهم كانوا اى جبلة
وطبعا كاذبين اى عريقين فى الكذب فى انكارهم للمعاد وزعمهم انهم المختصون بالفاز علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ولما
بين تحكمه وتحتمه وحكمته بين امكانه ويسره عليه وحقيته لديه فقال انما قولنا اى بما لنا من العظمة لشىء ابدا واعادة
اذا اردناه اى اردنا كونه ان نقول له ثم ذكر المحكى القول المثبت لقاد ما بيناه كان التامة ما دل على موافقة الاشيا
لمراده موافقة المامور للامر المطاوع كن اى احدث فيكون اى فيتسبب عن ذلك القول انه يكون حين تعلق القدرة به
من غير مهلة اصلا فنحن خلقنا الخلق لنامرهم وننهاهم ولما كان التقدير فعصاه فريق المبين لهم وتم غيبا فى الهجرة
لاهلها بعد الايمان او لكون عرى الاسلام فالذين كفروا واغتروا بما شاهدوه من الغرض الفانى لنجزيهم فى الدنيا والاخرة
ولنجازيهم بجميع ما كانوا يعملون عطف عليه قوله والذين هاجروا اى اوقعوا المهاجرة فرارا بدينهم فهجروا اباءهم
واتباعهم واقاربهم من الكفار وديارهم وجميع ما الفوا عنه فى الله اى الملك الاعلى الذى له صفات الكمال لبعد ما تمادى
المكذبون بالبعث على ايذائهم فتركوا لهم بلادهم ولما كانت الهجرة لم تستغرق زمان البعد الموت لبعض من هاجر واسلام
اخرين بعد احتمالهم لظلمهم ما شاء الله قال من بعد ما ظلموا اى وقع ظلمهم من الكفار بناه للمفعول لان المحذور وقوع الظلم
لا كونه من معين لنبوئنهم اى نوجد لهم منزلا هو اهل لان يرجع اليه بما لنا من الملكة وغيرهم من الجنود وجمع العظمة فى
الدنيا مباءة حسنة كبيرة عظيمة جزا لهم على صبرهم بان نعلى امرهم وان كره المشركون كما يراه من يتدبر بمعنى ولياى على
قلبهم وسينكشف الامر عما قريب تكسيرا فلا يجمله اصرا ما لانه دليل على ما قبلها ولما كان التقدير ولنوتينهم فى الاخرة اجرا كبيرا
عطف عليه قوله ولاجر الاخرة المعد لهم اكبر مما جعلنا لهم فى الدنيا لو كانوا يعلمون اى لو كان الكفار لهم جبلا انهم
علم بان يكون لهم عقل يتدبرون به لعلموا باحسانى المادليك فى الدنيا من سنى لهم فى الدنيا عنادهم مع كثرتهم وقلتهم واتباعا
لنعمى عليهم لاسيما فى الاماكن التى هاجروا اليها من الحبشة والمدينة وغيرهما مع اجتهادهم فى منعها عنهم انى اجمع لاوليائى الدارين
وان احسانى اليهم فى الاخرة اعظم وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا اعطى الرجل من المهاجرين عطا قال له خذ
بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله فى الدنيا وما ذخر لك فى الاخرة اكثر وافضل ثم تلا هذه الاية ولما نبه على احسانه
اليهم وكان فيه من اول الامر نوع غموض لظهور الكثرة فى بادئ الراى وصغرهم بما يحتاج اليه فى الاستجلاب لتمام حسنا
والهاما فقال واصفا للمهاجرين بيانا لاصل ما حملهم على ما استحقوا به هذا الاجر الجزيل الذين صبروا اى استعملوا الصبر
على ما نالهم من المكاره من الكفار وعنهم فى الاقامة بين اظهرهم مدة ثم فى الهجرة بمفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبب
حبه لكل قلب فكيف بقلوب من هو مسقط رؤسهم وموطن ابدانهم ونفوسهم وفى بذل الارواح فى الجهاد وغير ذلك ولفت
الكلام الى وصف الاحسان تنبيها على ما يحمل على التوكل فقال وعلى ربهم اى المحسن اليهم بايجادهم وهدايتهم وحده يتوكلون
فى كل حالة يبدون ولما رمى بما يقتضيه السعداء الخبر تعالى الى انه بعث الرسل وكانت عاقبة من لم يجبهم الهلاك بدلالة اثارهم وكانوا قد
قدحوا فى الرسالة بكون الرسول بشرا ثم بكونه ليس معه ملك يؤيده رد ذلك بقوله مخاطبا لاشرف خلقه لكونه انهم عنه
مع انه اجل من توكل وصبر عايدا الى مظهر الجلال بيانا لانه يظهر من يشاء على من يشاء وما ارسلنا اى بما لنا من العظمة ولما
كان الارسال بالفعل انما كان فى بعض الازمنة دل عليه بالجار فقال من قبلك اى الامم من طوايف البشر الا رجالا اى
لا ملايكة بل ادميين هم فى غاية الاقتدار على التوكل والصبر الذى هو محط الرحلة يوحى اليهم بواسطة الملائكة وما احسن تعقيب
ذلك للصابرين لان الرسل اصل الصابرين ولما كانوا قد فزعوا الى سؤال اهل الكتاب فى بعض الامور وكانوا قد دنوا علما من عند الله
سبب عن هذا الاخبار الامر بسؤالهم عنه لا اقتصار بخالطهم ولكل من اراد الاستثبات من غيرهم فاسالوا اى ايها المكذبون

ايها المكذبون ومن اراد من سواهم اهل الذكر اى العلم بالكتاب سمى ذكرا لان الذكر الذى هو ضد السهو يعنى له السبب المؤدى
اليه فاطلق عليه كان الجاهل ناسيا وان لم يكن ساهيا ولذلك الذكر الذى هو الكلام المذكور سببا للعلم ولما كان عندهم
حس من ذلك لسماع الامم قبلهم اشار اليه بقوله ان كنتم اى جبلة وطبعا لا تعلمون او هو للتعبير من الرضا بالجهل ولما كان
رسل الملوك تعتبرون بما يعرف بصدقهم قال جوابا لمن كان قال باى دليل ارسلوا بالبينات المعرفة بصدقهم والزبر اى الكتب
الهادية الى امرهم ولما كان القران العظيم اعظم الادلة اشار الى ذلك بذكره مدلولا على غيره ومن المعجزات مؤولا والعطف
فقال عاطفا على ما تقديره وكذلك ارسلناك بالمعجزات الباهرات وانزلنا اى بما لنا من العظمة اليك اى وانت اشرف الخلق
الذكر اى الكتاب الموجب للذكر العلى القدر الموصل الى منازل الشرف لتبين للناس كافة بما اعطاك الله من الفهم الذى فقت فيه
جميع الخلق واللسان الذى هو اعظم الالسنة وافصحها دينا وملكا اسند الى ربه لم يصل اليها احد ما نزل اى وقع تنزيله اليهم من
هذا الشرع الهادى الى سعادة الدارين بتبيين المجمل وشرح ما اشكل من علم اصول الدين الذى راسه التوحيد ومن البعث وغيره وهو
شامل لبيان الكتب القديمة لاهلها ليدلهم على ما نسخ وعلى ما بدلوه فسخ ولما كان التقدير لعلهم يحسن بيانك يعلمون عطف عليه بيانا لشرف
العلم قوله ولعلهم يتفكرون اذا انظروا اساليبه الفائقة ومعانيه العالية الرايقة فيصلوا بالتفكر فيه بسبب ما فتحت لهم
من ابواب البيان الى حالات الملائكة بان تغلب ارواحهم على اشباحهم فيعلموا انه تعالى واحد قادر فاعل بالاختيار وانه يقيم الناس
للجزا فيطيعونه رغبة ورهبة فيجمعون بين شرفى الطاعة الداعية اليها الارواح والانكفاف عن المعصية الداعية اليها النفوس
بواسطة الاشباح ولما نبه سبحانه على التفكر وكان داعيا للعاقل الى التحرز من الهلاك والبعد من الخطر سبب عنه انكار الامن
من ذلك فقال افامن اى اتفكروا فتابوا واستحيوا وامن عتوهم فامن الذين مكروا بالاحتيال فى قتل الانبياء واطفاء
نور الله الذى ارسلهم به المكرات السيئات مجاوزا من جنس عملهم بان يخسف الله اى المحيط بكل شى بهم اى خاصة الارض
فاذا هم فى بطنها لا يقدرون على نوع تقلب بمدافعة ولا غيرها كما فعل بقارون واصحابه وبقوم لوط عليه السلام ومن قبلهم
او ياتيهم العذاب على غير تلك الحالة من حيث لا يشعرون به من حالة فى هاتين الحالتين شعورا اما وهم حال سكون
ودعة بنوم او غفلة او ياخذهم اى الله بعذابه فى حال تقلبهم وتصرفهم ومشاعرهم حاضرة وقواهم مستجمعة ولما كانت
هذه الاحوال الثلاثة متعددة ومتنافية كان المهم من العذاب وكان الامن من العذاب ويكون على ظن عدم قدرته عليه علل ذلك بقوله
فما هم بمعجزين اى لهم حالة من هذه الاحوال يعلمنا غفلتهم وتيقظهم ولم يعلل ما بعده بذلك لان المتخوف يحوز للعجز
فقال او ياخذهم اى الله اخذ غضب على تخوف منهم من العذاب وتحفظ من ان يقع لهم بما وقع لمن قبلهم من عذاب الاستيصال
ويجوز ان يراد بما مضى عذاب الاستيصال وبهذا الاخذ شيا فشيا فان التخوف التنقص عند هذيل روى ان عمر سال الناس عنها
فسكتوا فاجابه شيخ من هذيل بانه التنقص فقال عمر رضى الله عنه هل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم
قال شاعرنا ابو كبير الهذلى يصف ناقة • تخوف الرحل منها تامكا قردا • كما تخوف عود النبعة السفن
فقال عمر رضى الله عنه ايها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم
ومعانى كلامكم ولما كان التقدير لم يامنوا ذلك فى بعض الامر ويكون جحيمهم باسه لطول اناته وحلمه عليهم سبب عنه قوله
التفاتا الى الخطاب استعطافا فان ربكم اى المحسن اليكم باهلاك من يريد وابقاء من يريد لرءوف اى بليغ الرحمة لمن يتوسل
اليه بنوع وسيلة ولذا لم تاخذه انهم معا طعته والبراشا بقوله رحيم اى يتسبب عن احسانه لهم فى كرمهم وحلمه انهم مع القدرة
عليهم العلم بان يركه لعاجلهم بما هو الا لرافته ورحمته ولما خوفهم ذلك على غامر قدرته على ذلك وغيره بقوله له تعالى منا على ما تقدر
الم يروا الى مجرمهم بما يرجون وفسح لهم على ما لا يريدون فيعلموا انه للاقتدار وعجزهم فيعلموا ان عفوه عن جرائمهم احسان منه
اليهم ولطف بهم اولم ولما كان حصر المبادرة بالتوبة فلم يفعلوا اعرض عنهم فى قراءة الجماعة محرضا فقال يروا بابصار المختفية
وقراءة حمزة والكسائى بالخطاب على نسق ما قبله اى سنظروا ويبصروا الابصار متفكرين بالبصائر بين بعدهم على المعارف الالهية
حرف الغاية فقال الى ما خلق الله اى الذى له جميع الامر من شى اى له ظل تتفيؤا اى ترجع الى جهة اى ناحية ظلاله وهو ما ستره
ستره الى ناحية الشخص بجاوزه عن اليمين وهى ما يلى بين المستدبر للشمال المستقبل للجنوب الذى هو ناحية الكعبة لمن فى بلاد
الشام التى هى مسكن الانبياء عليهم السلام وازد لان الظل يكون اول ما تشرق الشمس مستقبلها الى تلك الجهة على استواء وجمع قوله
والشمايل لان الشمس كلما ارتفعت تحولت ذلك الظل راجعا الى جهة مادرا الى الاخرى ولا يزال له الى ان ينسحب عند
الغروب الى جهة يساره قصدا الى ضد ما كان انسحب اليه عند الشروق فلما كان بعد انسحابه الى جهة اليمين طالبا فى
نفوذه جهة اليسار سميت تلك الجهات التى يتفيأ فيها باسم ما هو طالبه تنبيها على ذلك والرد ضد اشارة الى قلة الجيد المستقيم وكثرة
المنحرف الردى ولما كانت كثرة للخاضعين ادل على القهر واهيب جمع بالنظر الى معنى ما فى قوله سجدا اى حال كونهم خضعا
لله اى الملك الاعلى لما فيهم من الحاجة الى مدبرهم ولما كان امتداد الظل قريبا لا يكن احد الانفصال عنه قال جامعا بالواو والنون

تغليبا وهم داخرون ذلا وصغارا لا يمتنع شيء منهم على تصريفه وخص الظل بالذكر لسرعة تغيره والتغير دال على المغير ولما حكم
على الظلال بما عم اصحابها من جماد وحيوان وكان الحيوان اشرف من الجماد وادق الحكم اليه بخصوصه فقال ولله اي الذي
له الامر كله يسجد اي يخضع بالانقياد للمقادير والجري تحت الاقضية وعبر بما هو ظاهر في غير العقلاء مع شموله لهم فقال ما في السموات
ولما كان المقام للمبالغة في اثبات الحكم على الطايع والعاصي اعاد الموصول فقال وما في الارض ثم بين ذلك بقوله من دابة اي عاقلة
وغير عاقلة ولما كان المقرب قد يستثنى من يقربه قال مبينا الخضوع المقربين تخصيصا لهم وان كان الكلام قد شملهم والملايكة ولما
كان الخاضع قد يحكم بخضوعه وان كان باطنه مخالفا لظاهره قال دالا على ان في غيرهم من يستكبر فيكون انقياده للارادة كرها
وعبر عن السجود بين الموافق للامر والارادة طوعا والموافق للارادة كرها بلفظ واحد لانه يجوز الجمع بين معنيي المشترك
والحقيقة والمجاز بلفظ وهم اي الملايكة لا يستكبرون ثم علل خضوعهم بقوله دلالة على انهم كغيرهم في الوقوف بين الخوف والرجا
يخافون ربهم اي الموجد لهم المدبر لامورهم المحسن اليهم خوفا مبتديا من فوقهم اشارة الى علو الخوف عليهم وغلبته
لهم اولا لكون ذلك مع احسانه اليهم له العلو والجبروت فهو المخوف والمرهوب فهم عما نهوا عنه ينتهون ويفعلون اي بداعية
عظيمة علما منهم بما عليهم لربهم من الحق مع عدم منازع من حظ او شهوة او غير ذلك ودل على انهم مكلفون بقوله ما يؤمرون فهم
لرحمته لهم يرجون فلا بد من الاجتناب ذكر الخوف اولا والاد الى الرجا ثانيا وذكر الفعل ثانيا دالا على الانتها اولا ولما كان
التوحيد اعظم المامورات وكان العصيان فيه اعظم العصيان وكان سبحانه قد اكثر التخويف من عصيانه وابلغ الامر الى الغاية
بالاخبار بان الملايكة تخافه وكان الملايكة من اعظم الموحدين كما كانوا من اعظم الساجدين من اهل السموات والارضين وكا ت
هذه الايات من اعظم ادلة التوحيد اتبعها عطفا على وانزلنا اليك الذكر لتنتظم على ذلك ادلة العقل والنقل تسليكا
باحوال الملايكة قوله وقال الله تعبيرا لاجل تعظيم المقام بالاسم الاعظم الحاضر الذي يليق عليه السورة لا تتخذوا اي تكلفوا
فطركم الاولى السليمة المجبولة على معرفة ان الاله واحد الى ان تاخذ في اعتقاد الهين ويجوز ان يكون معطوفا على ما علم من
المقدمات المذكورة اول السورة الى قوله وما يشعرون ايان يبعثون من التنبيه وهي ان الحكم لله واحد لاحتمال ان يقول متعنت
انه لم يامرنا بذلك وان دلت عليه الادلة ويجوز وهو اقرب ان يعطف على قوله وقال الذين اشركوا تبكيتا لهم بانهم احتجوا بحكمه
ولم يبادروا الى امتثال امره ولما كان قد فهم المراد من التثنية وكان ربما قال متعنت ان المنهي عنه تكثير الاسما
قال مؤكدا ومحققا اثنين تنبيها على ان مطلق العدد مناف للالوهية لانه موضع لامكان التنازع المستلزم للعجز المنافي لتلك
الرتبة المنيفة الشماء وفي ذلك ايضا مع كون معبوديهم كانت كثيرة اشارة الى ان ما يسمى الهة وان زاد عدده يرجع
بالحقيقة الى اثنين خالق ومخلوق ومن المعلوم لكل ذي لب ان المخلوق غير صالح للالوهية فانحصر الامر في الخالق وان لم يكن
فيه الخالق كان منقسما لا محالة واقل ما ينقسم اليه اثنين وباب الاتخاذ اذا كان مفعوله نكرة اكتفي بواحد كما تقول
اتخذت بيتا واتخذت زوجة ونحو ذلك ثم علل ذلك بما اقتضاه السياق من الوحدانية فقال انما هو اي الاله المفهوم
من لفظ الهين الذي لا يستحق غيره ان يطلق عليه هذا الضمير الا مجازا لانه لا يطلق اطلاقا حقيقيا الا على ما وجوده
من ذاته اله اي يستحق هذا الوصف على الاطلاق ولما كان البيان منها للوحدانية من النهي عن التثنية وكان ربما تعنت
متعنت بان المراد اثبات الالهية الدال على الجنس قال رافعا لكل شبهة واحد لا يمكن ان يثنى بوجه ولا ان يجزأ الغناء
المطلق عن كل شيء واحتياج كل شيء اليه فكونوا ممن يسجد له طوعا ولا تكونوا ممن لا يسجد له الا كرها ولما كان اسلوب الغيبة
لا يعين الاله في المتكلم التفت الى اسلوب التكلم فقال فاياي اي ولا الا واحدا وحدي لا شريك لي لاني لم يوحدني وثقت
به بقوتي بما لا يطيقه لعجزه ولما كانت الوحدانية مما لا يخفى على عاقل وكانت مركوزة في كل فطرة بدليل الاضطرار عند المحن
والشدايد والفتن وكانت الرهبة كما مضى عن الحرالي في البقرة خاصة بالخوف مما خالف العاصي فيه العلم عنها فقال
فارهبون مختصا بذلك ولا تخافوا شيئا غيري من صنم ولا غيره فانه لا شيء من ذلك قدرة وان ادعيت قدرة فانه لا تمكن من
انفاذها الا باذني فالامر كله الي وحدي ولما كان اسلوب الغيبة من الحاضر دالا على التردي عجائب لكبرياء المؤذن لشدة البطش
وسرعة الانتقام وبعد المقام رجع اليه فقال وله فاعاد الضمير على اسم العلم الجامع لجميع الاسما الحسنى ما في السموات
ولما كان الامر قد تاكد تاكيدا وظهر المراد منه غاية الظهور ولم يحتج الى تاكيد باعادة الثاني فقال والارض اي مما تعبدونه
وغيره فكيف يتصور ان يكون شيء من ذلك الها وهو ملكه مع كونه محتاجا الى الزمان والمكان وغيرهما وله الدين اي الخضوع والتذلل
من كل ما فيهما ومن فيهما بالطوع والكره بانفاذ القضاء والقدر بالصحة والسقم والغنى والفقر والحياة والموت والايجاد والاعدام
والاذلال والاعزاز والاقبال والاعراض كما يرى انفاذه وله الديونية بالمجازاة واصبا اي دايما ثابتا عاما لا كالملوك الذين
تنقطع ممالكهم مع خصوصها والمعبودات التي تنقطع عبادتها في وقت من الاوقات فتصير كاسدة بعد ان كانت رايجة وان طال
المدى مع خصوصها بناس دون غيرهم ولا يخلو احد من الايام لا غيره من جرى امور على غير مراده وان عظم سلطانه وعلا شانه

وعلا شانه وكثرت اعوانه فكيف يتصور من له ادنى بصر ان يكون غيره الها وقد تقدم في ان ربي على صراط مستقيم في هود ما
ينفع استحضاره هنا ولما تقرر هذا الدليل على هذه الصفة وكان من بديهيات الدين الجزا الناظر للاتيان بالوحدانية مما
يجب للتسبيب عنه الانكار الشديد على من يلتفت لشيء من افعاله الى غيره بعد علمه بانه دايم لا يزول وان كل ما سواه زايل فقال
معبرا بالتقوى التي هي نتيجة الرهبة افغير الله اي الذي له العظمة كلها تتقون ثم اتبع ذلك ما يوجب تعظيم الانكار عليهم
فقال مبينا انه لا ينبغي ان يتعلق خوف ولا رجا الا به وما بكم اي البشر بكم ايها الناس عامة مؤمنكم وكافركم من نعمة
اي جليلة او حقيرة فمن الله اي المحيط بكل شيء وحده لا من غيره ولما كان اخلاصهم لهم من ادعائهم الوهية غيره امرا مستبعدا
عبر باداة التراخي والبعد في قوله ثم اذا مسكم اي ادنى مس الضر بزوال النعمة كما انعم به عليكم فاليه اي وحده تجارون اي
ترفعون به اصواتكم بالاستغاثة لما ركز في نظركم الاولية السليمة من انه لا ملجا ولا منجا منه الا اليه ولما كان الرجوع الى الاشراك ك
بعد الاخلاص مستبعدا ايضا لا سيما حالكم سرعة لا استحالة قال ثم اذا كشف سبحانه كما تشكون الضر اي الذي مسكم عنكم
ونبه على مسارعة الانسان في الكفران فقال اذا فريق اي جماعة هم اهل فرقة وضلال منكم ايها العباد بربهم الذي تفرد
بالانعام عليهم يشركون اي يوقعون الاشراك بعبادة غيره لنفيرا منهم عما كانوا عليه عند الاستغاثة به في الشدة فكان
منطبقا عليهم ما ضربوا المثل بكراهيتهم بقوله ٥ واذا تكون كريهة ادعى لها ٥ واذا يحاس الحيس يدعى جندب ٥
وهذا اجهل الجهل ولما كان هذا ابلغ وما الجحد النعمة وكان من شان العاقل البصير بالامور كما يدعونه لانفسهم ان لا يعمل
عن شيء من لوازمه يقدم عليه قال ليكفروا اي يوقعوا التغطية لادلة التوحيد التي دلتهم عليها غرايز عقولهم بما اتيناهم اي
من النعمة تنبيها على انهم ما اقدموا على ذلك الشرك الا لهذا الغرض الا لهم بحال العقلا الذين يزعمون انهم اعلاهم ودفعا
لهم عن احوال من يقدم على ما لا يعلم عاقبته ولا اخزى اعظم من هذا لانه انتج ان الجنون حتى من عقل يكون هذا ماله
فهو من باب التهكم فتمتعوا اي فتسبب عن هذا ان يقبل على هذا الغرور اقبال عالم به قادر عليه قابلا تمتعوا فسوف
اي فان تمتعكم على هذا الحال سيبلكم بقال لكم لقد بذا اسوف تعلمون غب تمتعكم نفوا قبال الغضب والتهديد بسوء
المنقلب وحذف المتهدد به ابلغ واهول بالذهاب النفس في تعيينه كل مذهب لما هددهم باشراكهم المستلزم لكفر النعمة اتبعه
عجبا اخر من امرهم فقال عاطفا على قوله واقسموا بالله جهدا ايمانهم ويجعلون اي على سبيل التكرر لما لا يعلمون
مما يعبدونه من الاصنام وغيرها لكونه في حيز العدم في نفسه وعدما محضا بما وصفوه به كما قال تعالى الم تنبئونه بما
لا يعلم نصيبا مما رزقناهم بما لنا من العظمة من الحرث والانعام وغيرها ذلك تقربا اليها كما مضى شرحه في الانعام
وذلك ان لعطفه وهو اقرب على يشركون فيكون داخلا في حيز اذا اي فاجاوا ابتغا بلة نعمته في الاخبار بالاشراك والتقرب
برزقه الى ما الجهل به خير من العلم به لانه عدم لانه لا قدرة له ولا نفع في المقام الذي اقاموه فيه ثم التفت اليهم
التفاتا موذنا بما يستحق على هذا الفعل من الغضب فقال تالله اي الملك الاعظم لتسيلن يوما لجمعهم انتم اي كونا هو في
جبلتكم تفترون اي تتعمدون في الدنيا من هذا الكذب سوال توبيخ وهو الذي لا جواب لصاحبه الا بما فيه فضيحته
ولما بين سفههم في حرمهم مما اتاهم الى ما هو عدام العدم الذي لا يعلم بين لهم سفها هو اعظم من ذلك بجعلهم لمالك
الملك وملكه احترا بما يعدونه مما وجده لهم لانتفادهم اليه وغناه عنه على وجه التوالد المستحيل عليه مع كراهته
لانفسهم فصار ذلك اعجب العجب فقال ويجعلون لله اي الذي لا تعلوم على الحقيقة سواه لا جماعه لصفات الجلال
والاكرام ولما كان المراد تقريعهم وكانت الانوثة ربما اطلقت على كرايم الاشجار نص على المراد بقوله البنات فلله العجب
منهم حيث يجعلون الموجود للمعدوم والمجهول ويجعلون العدم للموجود المعلوم ثم نزه نفسه عن ذلك معجبا من وقوعه من
عاقل بقوله سبحانه ولما ذكر ما جعلوا له مع الغنى المطلق بين ما ينبوا لانفسهم مع لزوم الحاجة والضعف فقال ولهم
ما يشتهون من البنين وذلك في جملة اسمية مدلولها الثبات ليكون منا ديا عليهم بالفضيحة لانهم لا يبقون لا بنا لهم
لا يبقى ابنا وهم لهم وقد يكونون اعدى اعدائهم ثم بين حالهم اذا حصل لهم نوع ما جعلوه له سبحانه فقال واذا اي جعلوا له ذا
والحال انه اذا بشر احدهم ولما تعين المراد ذرا المحذور جمع بين الخساستين كما بين في اخر الصافات فقال بالانثى
اي قابل هذه البشرى التي يستحق السرور وحصول نسمة تكون سببا لزيادة هذا النوع وقد تكون سبب سعادته الاعلى عظمة
اسه بضد ما تستحق بما لا يفيد شيئا بان ظل وجهه وكنى عن العبوس والتكدر والغبرة بما يعود فيه من الغيظ بقوله
مسودا اي من الغم والكراهة ولعله اختير لفظ ظل الذي معناه العمل نهارا الا كان المراد العمو في النهار وغيره لا لة
على شهرة هذا الوصف شهرة ما يشاهد نهارا وهو كظيم ممتلئ غيظا على المراة ولا ذنب لها بوجه والبشارة
في اصل اللغة الخبر الذي يغير البشرة من حزن او سرور ثم خص في عرف اللغة بالسرور ولا تكون الا بالخبر الاول ولعله
عبر عنه بهذا اللفظ تنبيها على تعكيسهم للامور في جعلهم سرورهم وحزنهم وغير ذلك من امرهم ولما كان سواد الوجه والكظم

فلا يصحبه الحزن وصل به قوله يتوارى اى يستخفى بما يجعله فى موضع كانه الوارد الاطلاع لاحد عليه من القوم اى الرجال
الذين هو فيهم من سوء ما بشر به لعده له خزيا ثم بين ما يلحقه من الحيرة فى الفكر عند ذلك بقوله ايمسكه على هون اى ذل
وسفول امر ولما كانوا يغيبون الموؤدة فى الارض على غير هيئة الدفن عبر عنه بالدس فقال ام يدسه فى التراب قال
ابن ميلق قال المفسرون كانت المراة اذا ادركها المخاض حفرت حفيرة وجلست على شفيرها فان وضعت ذكرا اظهرته
وظهر السرور على اهله وان وضعت انثى استاذنت مستولدها فان شاء امسكها على هون وان شاء امر بالقائها فى الحفيرة ورد
التراب عليها وهى حية لتموت انتهى قال وكان ذلك فى مضر وخزاعة وتميم ولما كان حكمهم هذا بالغا فى القباحة وصفه
بما يستحقه فقال مؤكدا التقبيحه الا ساء ما يحكمون اى يجعلوا ما يكرهون لمولاهم الذى لا نعمة عندهم الا منه وجعل ما يحبون دونه
لهم خاصا بهم ولما كان شرح هذا انهم تكلموا بالباطل من غير خوف فى جانبه تعالى وجانبهم بين ما هو الحق فى هذا
المقام فقال على تقدير الجواب لمن كانه قال فما يقال فى ذلك مظهرا فى موضع الاضمار تنبيها على الوصف الذى اوجب
الاقدام على الاباطيل من غير خوف للذين لا يؤمنون اى لا يوجدون الايمان اصلا بالاخرة مثل اى صريحا السوء من
الضعف والحاجة والذل والدعونة ولله اى الذى له الكمال كله المثل اى الحديث او المقدار او الوصف والقياس الاعلى من
الغنى والقوة وجميع صفات الكمال بحيث لا يلحقه حاجة ولا ضعف ولا شائبة نقص اصلا واعدل العبارات عن ذلك
لا اله الا الله وستاتى تتمة تنزيل المثل على الحقيقة كاشفا فى ايضاحه ان شاء الله تعالى فى سورة الروم ولما كان امره
سبحانه اجل مما تدركه العقول وتصل اليه الافهام اشار الى ذلك بقوله وهو لا غيره العزيز الذى لا يمتنع عليه
شئ فلا نظير له الحكيم الذى لا يوقع شيئا الا فى محله فلو عاملهم بما يستحقونه من هذه العظايم التى تقدمت عنهم لاخلى
الارض منهم ولو يؤاخذ الله اى الملك الاعظم الذى له صفات الكمال الناس كلهم ولما كان السياق للحكمة وكان
الظلم الذى هو ايقاع الشئ فى غير موقعه شديد المنافاة لها وكان الشرك الذى هذا سياقه اظلم الظلم قال مبعدا لهم
القائل لما وقع فهمه منه بالفعل وما هم منطوون عليه وهو وصف لهم لم يباشروه الى الان بالفعل قلت قال بظلمهم
اى بعاملهم معاملة الناظر لحصه المعامل له بمحض العدل من غير نظر الى الفضل وعبر بصيغة المفاعلة لان دلالتها
على المناقشة ابلغ ما ترك اى اقتضى الحال ذكر الظلم فكان سياق هذه الاية ابلغ من سياق فاطر عبر بما يشمل كل محو
للارض سواء كان على الظهر او فى البطن معمورا سالما او لا فقال عليها اى الارض المعلوم انها مستقرهم المدلول عليها
بالتراب واعرق فى النفى فقال من دابة اى نفس تدب على وجه الارض لان الكل اما ظالم يعاقب بظلمه ولما من مصاحب
الظالم فيهلكه عقوبة للظالم ولانه ما خلقهم الا للبشر فاذا اهلكهم كما وقع قريب منه فى زمن نوح عليه السلام
ولكن لا يفعل بكم ذلك فهو يؤخرهم امهالا بحكمته وحلمه الى اجل مسمى ضربه لهم فى الازل ولما قطع الحكم بالغاية عما
يكون سبب عن ذلك الاعلام بما يكون فيه فقال فاذا جاء اجلهم الذى حكم بانقراضهم عنده لا يستاخرون اى عنه ساعة
اى وقتا هو اقل الاوقات عاما التعارف بينكم ثم عطف على جملة الشرط من اولها قوله ولا اى عن الاجل شيئا ولما كان ما تقدم ولا يستقدمون
امارة على كراهتهم لما نسبوه الى الله تعالى اتبعوه التصريح بعد التلويح بقوله ويجعلون لله اى وهو الملك الاعظم ما يكرهون
اى لانفسهم من البنات والاموال والشركاء فى الرياسة ومن الاستخفاف برسلهم وتجنودهم والتهاون برسالاتهم
ثم وصف جراتهم مع ذلك الكاينة فى محل الخوف المتنفية لعدم التامل اللازم لعدم العقل فقال وتصف اى تقول
معتقدة مع القول وصفا ولما كان قولا لا حقيقة له بوجه اسنده الى اللسان فقال السنتهم اى مع ذلك الامر انه
قول لا ينبغى ان يتخيله عاقل الكذب ثم بينه بقوله ان لهم الحسنى اى عنده ولا جهل اعظم ولا حلم اوسع من
ان تقطع بان من يجعل له ما تكره يجعل لك ما تحب فكانه قيل فما لهم عنده فقيل لا جرم اى لا ظن ولا تردد فى ان لهم
النار التى هى جزاء الظالمين وانهم مفرطون اى مقدمون معجلون اليها بتقدمهم من سبقهم واعجالهم لهم وقال الرمانى
متروكون فيها من قول العرب ما افرطت ورائى احدا اى ما خلفت ولا تركت وقرا نافع بالتخفيف والكسر اى مبالغون
فى الاسراف والجراة على الله ولما بين انهم كانوا يقولون ان لهم من يشفع فيهم بين لهم ما يكون من حالهم بالقياس على
اشكالهم تهديدا وتسلية للنبى صلى الله عليه وسلم فقال تالله اى الملك الاعلى لقد ارسلنا اى بما لنا من العظمة رسلا
من الماضين الى امم ولما كان الارسال بالفعل لم يستغرق زمان القبل قال من قبلك كما ارسلناك الى هؤلاء فزين
لهم الشيطان اى المحترق بالغضب المطرود باللعنة اعمالهم كما زين لهؤلاء فضلوا كما ضلوا فاهلكناهم فهو لا غير
وليهم اليوم بعد اهلاكهم حال كونهم فى النار ولا قدرة له على نصرهم ولهم عذاب اليم فلا ولى لهم لانه لو قدر على نصرهم
لما اسلمهم للهلاك وقد اطاعوه بل لو عدموا ولايته كان ذلك اولى لهم فهو نفى لان يكون لهم ولى على ابلغ الوجوه ولما
كان حاصل ما مضى الخلاف والضلال والنقمة كان كانه قيل فبين لهم وخوفهم ليرجعوا فانا ما ارسلناك الا لذلك وما انزلنا

وما انزلنا اى بما لنا من العظمة من جهة العلو عليك الكتاب اى الجامع لكل الهدى ولما كان فى سياق الدعاء والبيان عبر
بما يقتضى الايجاب فقال الا لتبين اى غاية البيان لهم اى لمن ارسلت اليهم وهم الخلق كافة الذى اختلفوا فيه
من جميع الامور دينا ودنيا لكونك اغزرهم علما واثقبهم فهما وعطف على موضع لتبين ما هو فعل المنزل فقال وهدى
اى بيانا شافيا ورحمة اى واكراما بالحجة ولما كان ذلك ربما شملهم وهم على ضده نفاه بقوله لقوم يؤمنون والتبيين
معنى يؤدى الى العلم بالشئ منفصلا عن غيره وقد يكون عن المعنى نفسه وقد يكون عن حجة والبرهان لا يكون الا عن صحته
فهو اخص والاختلاف ذهاب كل الى غير جهة صاحبه والهدى بيان طريق العلم المودى الى الحق ولما انقضى الدليل على
ان قلوبهم منكرة استكبارا وما يتعلق به وختمه بما احيى به القلوب بالايمان والعلم بعد موتها بالكفر والجهل وكان المقصود
الاعظم من القرآن تقرير اصول اربعة الالهيات والنبوات والمعاد واثبات القضاء والقدر والفعل بالاختيار وكان
اجل هذه المقاصد الالهيات والنبوات والمعاد واثبات القضاء والقدر والفعل بالاختيار المستلزم للقدرة على البعث
على وجه غير المتقدم لنعلم ان ادلة ذلك اكثر من اوراق الاشجار واجلى من ضياء النهار فعطف على قوله والله يعلم ما
تسرون وما تعلنون قولا جامعا معانى الدليل بين العالم العلوى والعالم السفلى والله اى الذى له الامر كله انزل من السماء اى
الوقت الذى يريده ماء بالمطر والثلج والبرد فاحيا به الارض الغبراء ولما كانت عادته بذلك مستمرة وكان السياق
لاثبات دعائم الدين وكان الاحياء بالماء الاثر الاتم قايما فى زرع او شجر فى بعض الاراضى لعرى الطرفين الا ان الفعل
به ابلغ فقال بعد موتها باليبوسة والجدب وتفتت النبات اصلا وراسا ولما كان ما اقامه على ذلك فى هذه السورة
من الادلة قد صار المعتد لا يحتاج معه السامع العاقل الى اكثر من السماع قال ان فى ذلك اى الامر العظيم المؤثر تدبيره وهذا
الاثر العظيم لاية لقوم يسمعون هذا التنبيه فى هذا الاسلوب المتضمن لما مضى من التنبيه فيعلمون انه منزل
من امره ما يريد فيحيى به اجساد العباد بعد موتها كما احيى اجساد النبات بالماء بعد موتها وارواح الاشباح بالعلم بعد
موتها والحاصل ان هذه الادلة لا تحتاج مع الحس الى كبير عمل بالقلب غير الانقياد الى الحق وترك العناد والجهل فهو من
سماع الاذن وما ينشا عنه من الاجابة استعمالا للشئ فى حقيقته ومجازه ولعله لم يختمها ببصرون لئلا يظن ان ذلك من
البصيرة فيظن انه يحتاج فيها الى كبير فكر فتفوت ما اريد من الاشارة الى شدة الوضوح ولما ذكر سبحانه هذا الامر العام
ونبه على ما فيه من غريب الصنع الذى غفل عنه لشدة الالف به اتبعه بعض ما ينشا عنه من تفاصيل الامور المحتوية
على عجائب المقدور وبدا باخصها واشدها ملابسة لهم واكثرها فى نفسه واعظمها منفعة ودخلا فى قوام عيشهم فقال
وان لكم فى اى ايها المخاطبون المغمورون فى النعم الانعام ولما كانت الادلة يعبر بها من الجهل الى العلم لعبرة فكانه
قيل ما هى فقيل نسقيكم بضم النون فى قراءة الجماعة من اسقاه اذا اعده له ما يشربه دايما من نهر او لبن وغيرهما وبالفتح
فى قراءة نافع وابن عامر وعاصم فى رواية شعبة من سقاه اذا ناوله شيئا فشربه ولما كان الانعام اسم جمع فكان مفردا
كما نقل ذلك عن سيبويه وذكر المسقى وهو اللبن لما اقتضاه سياق السورة من تعداد النعم فتعينت ارادة الاناث
لذلك فانتفى الالباس مع تذكير الضمير قال مما اى من بعض الذى فى بطونه فذكر الضمير لامن الالباس والدلالة على قوة المعنى
لكونها سورة النعم بخلاف ما فى المؤمنين ولما كان فى موضع العبرة تخليص اللبن من غيره قدم قوله من بين فرث وهو الثفل
الذى ينزل الى الكرش فاذا اخرج منه لم يسم فرثا ودم لبنا خالصا من مخالطة شئ من غيرهما مما يبغى عليه بلونه ورائحة
عن ابن عباس رضى الله عنهما اذا اكلت البهيمة العلف واستقر فى كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه
دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضرع ويبقى الفرث فى الكرش
سائغا اى سهل المرور فى الحلق للشاربين ثم عطف عليه ما هو انفس منه عندهم واقرب اليه فى المعانى
المذكورة فقال معلقا بنسقيكم ومن ثمرات النخيل والاعناب ولما كان لهم مدخل فى اتخاذ ما ذكر بخلاف ما سبقه من
اللبن الذى لا صنع لهم فيه اصلا اسند الامر اليهم وليكون اشارة الى كراهة السكر وتوطية للنهى عنه فى قوله
مستانفا تتخذون اى باصطناع منكم بعلاج ولاجل استيناف هذه الجملة كان لا بد من قوله منه اى من ما به وعبر عن السكر
بالمصدر ابلاغا فى تقبيحه وزاد فى الابلاغ بالتعبير بافعل المصدر وهو المحرك يقال سكر سكرا وسكرا مثل رشد
رشدا ورشدا ونحل نحلا ونحلا فقال تعالى سكرا اى ذا اسكر منشا مطربا سالبا للجارى العقل قبيحا غير مستحسن للرزق
ورزقا حسنا لا ينشا عنه فساد فى بدن ولا عقل من الخل والدبس وغيرهما ولا يسد شيئا من المجارى بل ربما فتحها كالحلاوات
الطيب فانه ينير القلب ويوسع العقل والاذهان تعمم سدة البدن وهذا كما احكم سبحانه العقل الذى لا احسن منه
فاستعمله قوم على صوابه فى الهداية وعكس اخرون فدنسوه بالاشراك قال الرمانى قيل السكر ما حرم من الشراب
والرزق الحسن ما احل منه عن ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وابراهيم والشعبى وابى رزين والحسن ومجاهد

وقتادة والسكر في اللغة على اربعة اوجه الاول ما اسكر الثاني ما اطعم من الطعام الثالث السكون الرابع المصدر من سكر
واصله انسداد المجاري بما يلقى فيها ومنه السكر يعني بكسر ثم سكون ومن حمل السكر على المسكر قال انها منسوخة باية
المائدة والتعبير عنه بما يفهم سد المجاري يفهم كراهته عنده وان كان حلالا فالاية من الاحتباك ذكر السكر اولا دال
على القبح ثانيا وذكر الحسن ثانيا دالا على القبح اولا فالاية ادل ما في القران على المعتزلة في ان الرزق يطلق على الحرام ولتفاوت
ايتي الانعام والاشجار جمعهما سبحانه فقال ان في ذلك اي الامر العظيم من هذه المنافع لاية ولوضوح امرهما في كمال قدرة
الخالق ووحدانيته قال لقوم يعقلون ولما كان امر النحل في الدلالة على تمام القدرة اعجب مما تقدم وانفس ثلث به
واخره لانه اقل الثلاثة عندهم وغير الاسلوب وجعله من وحيه ايماء الى انه من غريب الامور وبديع الشان فقال
واوحى ربك اي المحسن اليك بجعل العسل في سقاوة البوادي المقفرة المفرطة الحرارة وغيرها من الاماكن وبغير ذلك
من المنافع الدال على الفعل بالاختيار وتمام الاقتدار الى النحل اي بالالهام قال الرازي في اللوامع فان الله اعطى كل شيء
خلقه ثم هدى فبعضها بالتسخير المجرد كالجمادات وبعضها بالالهام والتسخير كالنحل والارضة اي بفتح وسكون وهي دويبة تتخذ
بيتا من دقاق العيدان تتدخله وتموت والعنكبوت وبعضها بالتسخير والالهام والعقل المتفق على نظام واحد
كالملائكة وبعضها بكل ذلك والفكر والتمييز والاعمال المختلفة المبنية على الفكر كالانسان ولما كان في الايحاء معنى
القول اتى بان المفسرة فقال ان اتخذي اي افعلي ما يفعله المتكلف في ان يأخذ من الجبال بيوتا اي بيوتا ما الجبال
ومن الشجر اي الصالحة لذلك في التماس د الجبال والصحاري ومما يعرشون اي يرفع الناس من السقوف والجدر
وغيرها وبدا بالبيوت لانها من عجيب الدهر في حسن الصنعة وبداعة الشكل وبراعة الاحكام وتمام التناسب
ولما كان اهم شيء للحيوان بعد الراحة من هم المقيل الاكل اتبعه به ولما كان عاما في كل ثمر ذكره بحرف التراخي اشارة
الى عجيب الصنع في ذلك وتيسيره لها فقال ثم كلي واشار الى كثرة الرزق بقوله من كل الثمرات قالوا من اجزاء الطينية
تقع على اوراق الاشجار من الطل وقال بعضهم من نفس الازهار والاوراق ولما اذن لها في ذلك كله وكان من المعلوم
عادة ان تعاطيه لا يكون الا بالمشقة عظيمة في معاناة السير اليه نبه على خرقه للعادة في تيسيره لها فقال
فاسلكي اي فتسبب عن الاذن في الاكل الاذن في السير اليه سبل ربك اي المحسن اليك في هذه التربية العظيمة
لاجل الاكل ذاهبة اليه وراجعة الى بيوتك حال كون السبل ذللا اي موطية للسلوك مسهلة كما قال هو الذي جعل لكم
الارض ذلولا واشار باسم الرب الى انه لولا عظيم احسانه في تربيتها لما اهتدت الى ذلك اتبعه نتيجة ذلك جوابا لمن
كانه قال ماذا يكون من هذا الاكل فقال يخرج من بطونها لفتا للكلام لعدم قصدها في هذه النتيجة شراب
اي شراب وهو العسل لانه مع كونه من اجل الماكل هو مما يشرب مختلف الوانه من ابيض واحمر واصفر وغير ذلك
اختلافا دالا على ان فاعله مع تمام قدرته مختار ثم اوضح ذلك بقوله فيه اي مع كونه من الثمار النافعة والضارة
شفاء للناس قال الرازي في اللوامع اذ الهمنا فكلها بالعسل وقال امام الاولياء محمد بن علي الترمذي انما كان ذلك
لانها ذلت لله مطيعة واكلت من كل الثمرات حلوها ومرها محبوبها ومكروهها تاركة لشهواتها فلما ذلت لامر الله صار هذا
الاكل لها فصار ذلك شفاء للاسقام فكذلك اذا ذل العبد لله مطيعا وترك هواه صار كلامه شفاء للقلوب السقيمة انتهى
وكونه شفاء مما ذكر ادل على القدرة والاختيار من اختلاف الالوان لاجرم وصل به قوله ان في ذلك لاية اي الامر
العظيم من امرها اشار الى مثل ذلك في الختم بقوله لقوم يتفكرون اي في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة
واللطائف الخفية بالبيوت المسدسة والاهتداء الى تلك الاجزاء اللطيفة من اطراف الاشجار والاوراق وغير ذلك
من الغرائب بحيث ناطقة بالفكر المبالغ فيه من الاقوياء تاكيدا لنجابته وتعظيما لدقته وغرابته في دلالته
على تمام العلم وكمال القدرة وقد كثر في هذه السورة اضافة الايات الى المخاطبين تارة بالافراد وتارة بالجمع ونوطها
تارة بالعقل وتارة بالفكر وتارة بالذكر وتارة لغيرها وقد جعل الامام الرباني ابو الحسن الحرالي في كتابه المفتاح لذلك
بابا بعد ان جعل اسنان الالباب مثل اسنان الاجساد مابين تمييز واحتلام وشباب وكهولة وغيرها كما تقدم
نقله عنه في سورة براءة عند ومنهم الذين يؤذون النبي فقال الباب الثاني في وجوه اضافات الايات
واتساق الاحوال تضاف وتتسق لمن انقضى نابه ادرك معناها ويونب عليها اعلم ان الايات والاحوال الاسنان
القلوب في القران اي ظان لذلك مراتب في العلم والافهام اعلم ان الايات والاحوال تضاف وتتسق لمن انقضى نابه
ادرك معناها ويونب عليها من تقاصر عنها وينفى سنا لها عمن لم يصل اليها وهي اطوار اظهرها ايات الاعتبار البادية
لاولى الابصار لان الخلق كله انما هو علم لله علميا دنيه لا انه موجود لله فتنتاح به ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها والذين هم
عن اياتنا غافلون اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون اتخذوا ما ظاهره للعبرة به الى ربه كسبا لانفسهم حتى صار كعدمهم

عندهم وعند ابناء عمهم اياتهم لا اية خالقه اتبنون بكل ريع اية تعبثون والله خلقكم وما تعملون ثم يلي اية الاعتبار ما ينال
ادراكه انتبه العقل الادنى ببداهة نظره وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات
لقوم يعقلون جمع الايات لتعدد وجوهها في مقصد البيان ثم يلي ما يدرك ببداهة العقل ما يحتاج الى فكر يشير به العقل
الادنى لشغل الحواس بمنفعته عن التفكر في وجه ايته هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت
لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون افرد الاية لاستناد كثرته الى
وحدة الماء ابتداء ووحدة الانتفاع انتهاء ثم يلي ما يدرك ببداهة العقل ما يحتاج الى فكر يشير به العقل الادنى لشغل
الحواس بمنفعته عن التفكر في وجه ايته هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون افرد الاية لاستناد الكثرة الى وحدة
الماء ابتداء ووحدة الانتفاع انتهاء ثم يلي ما يدرك بفكر العقل الادنى ما يتبدل بالايمان ويكون انه امر قائم على خلق وهو ما يدرك
سمعا لان الخلق مرئي والامر مسموع وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون
والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون هذه اية حياة القلوب بنور العلم
والحكمة الذي اخذ سمعا عند تقرر الايمان وعند هذا الحد يتناهى العقل الى فطرة الابتداء وتعلو بداهته وتترقى
فطرته الى نظر ما يكون اية في نفس الناظر وكان الماء اية حياة القلوب صار الشراب اللبن والخمر اية على احوال تخص
القلوب بما يغذوها من امر الله بهذا اللبن وينشيها بنشوة السكر سبحانا من بين فرث ودم يتبرز الخلق المقام من
الامر القائم عليه وان لكم في الانعام لعبرة الايتين الى قوله ان في ذلك لاية لقوم يعقلون وهذا هو العقل الاعلى واول
الاية لا تزاد ونورده هادي وجد القلب كما للعقل الادنى فكرة تنبني على بداهته فلذلك للعقل الاعلى فكرة تنبني على
فطرته واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا الى قوله لاية لقوم يتفكرون وهذا العقل الاعلى هو اللب
الذي عنه يكون التذكر للادنى من الخلق الاعلى من الامر وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم
يذكرون وفي مقابلة كل من هذه الاوصاف اضداد يرد البيان فيها بحسب مقابلتها ولذلك الحكم وصف المسلمين فيما يظهر
ان لا الجا للعبد من اسلامه نفسه لربه ووصف المحسنين فيما يظهر قيام ظاهر العبد لربه ووصف الموقنين فيما
وجد بعينه العبد من نفسه او عاين ابتداه بظاهر حسه الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين من استغنى بما عنده
من وجد لم يتفرغ لقبول غيب يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات
ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين
وجملة هذه الاوصاف ايضا اضداد يرد القران فيها بحسب تقابلها ويجري نحوها افهامه وما وصله خفا السمع والرائي
القلب هو فقهه ومن تعدد ذلك وصف سمعه بالصمم وعينه بالعمى ونفى الفقه عن قلبه ونسب الى البهيمة ومن لم
ينل بكونه اعلام ما غاب عنه عيانه نفي عنه العلم الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا
لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون
يقولون لئن رجعنا الى المدينة الى قوله ولكن المنافقين لا يعلمون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا الاية
الى قوله ولكن المنافقين لا يفقهون نفي العلم فيما ظهرت اعلامه والفقه فيما خفي امره ومراد البيان عن اضداد تلك
الاوصاف بحسب تقابلها وهذا الباب لمن يستفتحه من انفع فواتح الفهم في القران انتهى ولما اوعظهم من دنياهم
على عظيم غفلتهم عن عموم القدرة وشمول العلم المقتضي للفعل بالاختيار المحقق للبعث وغيره من كل ما يريد سبحانه
ببعض اياته المبثوثة في الافاق من جماد ثم حيوان وختم ذلك بما هو شفاء ثنى ببعض ما في انفسهم من الادلة على ذلك
مذكرا لهم بانتهاء عمر الانسان الى اربع سن الطفولية والنمو ثم سن الشباب الذي يكون عنده انتهاء الوقوف ثم
سن الكهولة وفيه يكون الانحطاط مع بقاء القوة ثم سن الانحطاط مع ظهور الضعف وهو الشيخوخة مضمنا ما لا يغني عنه
دوا الحث على التفكر في اياته والتفعل لها بتنبيه طول ذلك الحادث فقوت القوت وشدة الحث لا ينفع الندم فقال
والله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما خلقكم فجعلكم بعد العدم احياء فهما خصما ثم يتوفاكم على اختلاف الاسنان فلا
يقدر الصغير على ان يؤخره ولا الكبير على ان يقدمه فمنكم من يموت حال قوته ومنكم من يرد اي بايسر امر لا يقدر
على مخالفته بوجه الى ارذل العمر لانه يهرم فيصير الى مثل حال الطفولية في الضعف مع استعداد عجزه له ولا يرجى
بعده لكيلا يعلم ولما كان مقصود السورة الدلالة على تمام القدرة وشمول العلم والتنزه عن كل شائبة نقص وكان
السياق هنا لذلك ايضا بدليل ختم الاية نزع الخافض للدلالة على استغراق الجهل لزمن ما بعد العلم فيتصل بالموت فلا ينفع

ولا ينفع فيه دوا ولا تجدي معه حيلة فقال لكي لا يعلم بعد علم شيئا لا يوجد في شي من ذلك عند احلاله شفا ولا يمنعه دوا ابدا دوا والى
التفكر والاعتبار وقيل حلول احد هذين ثم علل ذلك بقوله ان الله اي الذي له الاحاطة الكاملة عليم قدير اي بالغ العلم
شامل القدرة فيما اراد كان ومهما اراد غيره ولم يرده لهوا احاط به علمه فسبب له فقدرته ما يمنعه ولما ذكر المفاوتة
في الاعمار المنادية بابطال الطبائع الموجبة للسابقة المال الاعتبار لاولي الابصار للخوف كل لحظة من مصيبة الموت
ثنى بالمفاوتة في الارزاق فقال والله اي الذي له الامر كله فضل بعضكم ايها الناس على بعض ولما كانت وجوه التفضيل
كثيرة وكان التفضيل في المعائش الذي يظن الانسان ان له قدرة على تحصيله وكانت المفاوتة فيه ادل على تمام القدرة
والفعل بالاختيار الذي السياق له قال في الرزق اي ولربما جعل الضعيف العاجز الجاهل اغنى من القوي المحتال
العالم فاتقوا الله واجملوا في الطلب واقبلوا بجميع قلوبكم على ما ينفعكم من الاستبصار قال ابو نعيم في الحلية حدثنا سليمان
بن احمد ثنا احمد بن عمرو الخلال سمعت ابن ابي عمر يقول كنا عند سفين بن عيينة فذكروا الفضيل بن الربيع ودهاه فانشا
سفين يقول ۞ كم من قوي قوي في تقلبه ۞ مهذب الراي عنه الرزق منحرف ۞
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط ۞ كانه من خليج البحر يغترف ۞ وعن نوادر ابي علي القالي انه قال
قال ابو بكر الانباري وحدثني ابي قال بعث سليمان المهلبي الى الخليل بن احمد بماية الف درهم وطالبه بصحبته
فرد عليه الماية الالف وكتب اليه هذه الابيات ۞

ابلغ سليمان اني عنه في سعة ۞ وفي غنى غير اني لست ذا مال
سخي بنفسي اني لا ارى احدا ۞ يموت هزلا ولا يبقى على حال
فالرزق عن قدر لا العجز ينقصه ۞ ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه ۞ ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

ولما كان جعل المملوك في رتبة المالك مما يتعاظمهم في حقوقهم مع انه في الحقيقة لا ملك ولا ملك فلا يدينون لذلك
ولا يدانونه وان جل الخطب ادى الى ذهاب الازواج بين كانت امه مملوكة خطوا رتبته وان كان ابوه من كان وان كانت
العبرة عندهم في النسب للاب وهذا هو الذي احوج عنترة الى قوله ۞
۞ اني امرؤ من خير عبس منصبا ۞ شطري واحمي سايري بالمنصل ۞ المعنى ذلك مما كان يعتذر به
عن جمعة احمر بهم سبحانه على ما وقعوا فيه في حقه من ذلك بسبب الاشراك مع انه مالك الملك ومالك الملوك
بعدما اجترؤا عليه في تفضيل انفسهم في نسبة البنات اليه فقال فما الذين فضلوا اي في الرزق برادي رزقهم
اي الذي اختصوا به على ما ملكت ايمانهم وان جل نفعهم وتعاظم عندهم وتحتهم فهم فيه سوا اي فيكونون بذلك الرد المالك
والمملوك سوا فهو جواب للنفي نقله الرماني عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة ولما وضح ذلك وضوح الشمس وظهر
حتى ما به اصلا نوع لبس تسبب عنه الانكار في قوله على وجه الاعراض عن خطابهم المؤذن بالمقت افبنعمة الله اي
الذي لا رب غيره يجحدون في جعلهم له شركا يضيفون اليهم بعض ما انعم به عليهم فيسوون بينهم وبينه في ذلك ويمنعهم
بعضا مما لها يحتظون في ابدالها ملكتا بما كانهم في المراتب والاموال ولما ذكر الخلق والرزق اتبعهما الالذ اذ بالناس بالجنس
من الازواج والاولاد وغيرهما اللازم لها القيام بالمصالح فقال والله اي الذي له تمام القدرة وكمال العلم جعل لكم ولما كان
الازواج من الجنس قال من انفسكم لان الشي الف لنوعه واقرب الى جنسه ازواجا اي تتوالدون بها وتكون السكون اليها سببا
لبقاء نوعكم وجعل لكم اي ايها الناس الذين يوجهون رغباتهم الى غيره من ازواجكم بنين ولعله قدمهم للشرف ثم عطف على
ذلك ما هو اعم فقال وحفدة اي من البنات والبنين واولادهم والاصهار والاختان جمع حافد يخفون في اعمالهم
ويسرعون في عملكم خدمتكم طاعة وموالاة لا كما يفعل الاجانب وبعض العاقين وهذا معنى ما نقله الرماني عن ابن عباس رضي
الله عنهما من انه فسرهم بالخدام والاعوان وهو الصواب لان مادة حفد تدور على الاسراع والخفة حفد حفدا في العمل
واسرع والحفد محركة الخدم لخفتهم ومشي دون الخبب والحفدة البنات واولاد الاولاد والاصهار لذلك ومتاع
الوشي لاسراعهم فيه واسراع لابسه الى لبسه فينبسط النفس والمحفد كمجلس شي يعلف فيه الدواب لاسراعها اليه
وكسر طرف الثوب لاسراع حركته وقدح يكال به لخفته ومجلس لاصل للادوات اليه واسراعها اليه وسيف محتفد
سريع القطع واحتفده حمله على الاسراع والعادحة النازلة ونوادح الدهر خطوبه لاسراعها بالمكروه واسراع المنزول
به ومن كلمه شانه الى مدافعتها ومن ذلك الافتقده الامر انتقله لان المكروه يسرع فيثقل فيكلفه اضطراب المنزول به ولما
ذكر ذلك سبحانه اتبع ما لا يطيب العيش الا به فقال ورزقكم اي لا قامة ذواتكم واصلاح احوالكم ولما كان كل النعم انما هو
في الجنة بعض قال من الطيبات بجعله ملايما للطباع شهيا للارواح نافعا للاشباح فعلم من هذا قطعا ان صاحب هذه

هذه الانفال هو المختص بالجلال ومن انكر شيا من حقه فقد ضل ابعد الضلال فكيف بمن انكر حقه وعبد غيره
وهو باسم العدم احق منه باسم الموجود فلذلك تسبب عنه قوله معرضا عنهم خطابهم اعراض المغضب افبالباطل اي
من الاصنام وما جعلوا لهم من النصيب يؤمنون اي على سبيل التجديد والاستمرار وبنعمة الله اي الملك الاعظم هم
وله عليهم خاصة غير ما يشاركون فيه الناس من المسائل الحسن ماله يكفرون حتى انهم يجعلون مما انعم به عليهم من السايبة
والوصيلة والحامي وغيرها للاصنام مع ذلك متضمن لكفران النعمة الكاينة منه ومتضمن لنسبتها الى غيره لانه لم ياذن لهم في
شي مما حرموه ولا يحل التصرف في مال الملك الا باذنه قال تعالى عطفا على ما انكره عليهم هنا لك ويعبدون واشار الى
سفول المراتب كلها عن رتبة سبحانه فقال من دون الله اي من غير من له الجلال والاكرام مما هو في غاية السفول
من الاصنام وغيرها ما لا يملك اي بوجه من الوجوه لهم رزقا تاركين من بيده جميع الرزق وهو ذو العلو المطلق الذي رزقهم
من الطيبات ثم بين جهة الرزق فقال من السموات والارض ثم اكد تعميم هذا النفي بقوله مبدلا من رزقا مبينا
ان تنوينه للتحقير شيا ثم اكد خسارهم بقولهم جامعا لان ما يعجز عند الاجتماع فهو عند الانفراد اعجز ولا يستطيعون اي وليس
لهم نوع استطاعة احد ذلك ان يجعله معطوفا على ما مضى من التحجير منافيا لهم وانما لهم في قوله ويجعلون مما يكرهون
ونحوه والخص لهذه الحجة جميع ما اتوه من الشبه وطن بوهم من الاشبال فيما ارتكبوه من قولهم ان الملك لا يتوصل الى اليه
الا بالكون من حاجب ونايب ونحو ذلك ولا يتوصل اليه الا باعوان القربان فتعبد الاصنام ونعلوا لها ما يفعل له تشبيها
به عن شانه وتعالى سلطانه لان الملوك ان الرزق ان ملوك الدنيا المقيس عليهم انما اقاموا من ذكر لحاجتهم وضعف ملكهم
وتملكهم لحالهم تخالف لوصف من لا تاخذه سنة ولا نوم ولا يشغله شان عن شان وكل شي في قبضته وتحت قهره وعظمته
فلذلك تسبب عنها قوله فلا تضربوا لله اي الذي له الاحاطة كلها الكاملة الامثال فتشبهوه بسببها بغيره وان ضرب
لكم الامثال قال ابو حيان وغيره قال ابن عباس رضي الله عنهما اي لا تشبهوه بخلقه انتهى وهو كما قال في الكشاف تمثيل
للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة انتهى وهذا النهي عام في كل مثل لخطره الا من
خشية ان يكون ذلك المثل غير لايق بمقداره وقد تقرر ان درا المفاسد اولى من جلب المصالح لاسيما في هذا لان الخطا فيه
كفر ويدل على ذلك تعليل الحكم بقوله ان الله اي الذي له الامر كله ولا امر لغيره يعلم اي له جميع صفة العلم فاذا ضرب مثلا اتقنه
باحاطة علم بحيث لا يعتقد غيره ان يبدي فرقا ما بين الممثل والمثل له وانتم لا تعلمون اي ليس لكم به علم اصلا فلذلك تعمون عن
الشمس وتلبس عليكم ما ليس فيه لبس وهذا المقام غالب وشكله وعر ومسالكه على غاية من الخطر ولما ختم سبحانه بذلك
تاكيدا لابطال مذهب عبدة الاصنام ببطلان العلم الذي هو مناط السداد عنهم حسن ان يتصل به قوله اقامة للدليل
على علمه بان امثاله لا يتطرق عليها الطعن ولا يتوجه نحوها الشكوك ضرب الله اي الذي له كمال العلم وتمام
القدرة مثلا بالاحرار والعبيد له ولما عبدتموه معه ثم ابدل من مثلا عبدا ولما كان العبد يطلق على الحر بالنسبة الى
الله تعالى قال مملوكا لا مكاتبا ولا فيه شايبة من حرية لا يقدر على شي باذن سيده ولا غيره وهذا مثل شركايهم ثم عطف
على عبدا قوله ومن رزقناه منا من الاحرار رزقا حسنا واسعا طيبا فهو ينفق منه دايما وهو معنى سرا وجهرا
وهذا مثل الاله وله المثل الاعلى ثم بكتهم انكارا عليهم بقوله هل يستوون اي هذان الفريقان المثل بهما لان المراد الجنس
فاذا كان لا يسوغ في عقل ان يسوى بين مخلوقين احدهما متعذر والاخر مملوك عاجز فكيف يسوى بين حجبوات او غيره
وبين الله الذي له القدرة التامة على كل شي ولما كان الجواب قطعا لا وعلم ان الفاضل ملكا كان مثالا له سبحانه علم ان من
سوى بينهما او فعل ما يؤول الى التسوية اجهل الجهلة فثبت مضمون ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وان غيره تعالى لا يساوي شيا
فثبت بلا ريب انه المختص بالمثل الاعلى فعبر عن ذلك بقوله الحمد لله اي الذي له الاحاطة بالعلم وجميع صفات الكمال التي
منها اختصاصه بالشكر لكونه هو المنعم وليس لغيره احاطة بشي من ذلك ولا غيره فكانهم قالوا الحق تعلم ذلك فقيل بل
اكثرهم لا يعلمون اي ليس لهم علم بشي اصلا لانهم يعملون في هذا بالجهل فنسبتهم الى الغباوة احسن في حقهم من نسبتهم
الى الضلال على علم وسياتي في سورة لقمان ان شا الله تعالى ما يكون نافعا في هذا المقام نافيا لحمد بما تقدم لانه قد مضى
في سورة الفاتحة ان مادة حمد تدور على بلوغ الغاية ويلزم منه الاتساع والاحاطة والاستدارة فيلزمها مطالحاة الراس
وقد يلزم الغاية الرضا فيلزمه الشكر وبيانه ان الحمد بمعنى الرضا والشكر لانهما يكونان عن البلوغ غاية الاحسان ويرجع
الى ذلك الحمد بمعنى الجزا وقضا الحق وحماداك بالضم اي غايتك ويوم محمد شديد الحر وحمد النار محركة صوت التهابها
واما يحمد على بمعنى يمتن فاصله يذكر ما يلزم منه حمده ومنه الذم وهو حسن الثنا وتحمد بمعنى تكلف ان تحمد وانحو تشبع
بما ليس عنده فانه في كل ذلك لابد له من حمده وحمه كمنع دفعه شديدا والمراة نكحها لما في ذلك من بلوغ الغاية في الشهوة وما
يلزمها من الدفع ونحوه والحمم بالكسر الاصل لانه غاية الشي الذي ينتهي اليه وطرد النار وتحول شدة الحر الماء حميما والحمام

واحتدم الدم اشتدت حمرته حتى يسود والحذمة لحركة النار لانها غاية الحر والحذمة ايضا صوتها لدلالته على قوة
التهابها ومن ذلك الحذمة ايضا لصوت جوف الحية او صوت في الجوف كانه تغيظ لانه يدل على غاية التهاب الباطن
والحذمة كفرحة السريعة العلي في العدو ومن الانشاح تمد تحت الارض اي تسعى ومن الاستدارة الداحوم لحبالة
الثعلب لانها بلغت الغاية في مراد الصايد ولانه لما لم يقدر على الخلاص منها كانت كانها قد احاطت به والدحم المسند
الململم ودحم تدحيما طاطا راسه لان الانعطاف مبدا الاستدارة واسد الموثق ولما انقضى هذا المثل كافيا في المراد
ملزما لهم لاعترافهم بان الاصنام عبيد الله في قولهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما
ملك وكان ربما كابر مكابر فقال انهم ليسوا ملكا له اتبعه مثلا اخر لا تمكن المكابرة فيه فقال وضرب الله اي الذي له الاحاطة
الكاملة ايضا مثلا ثم ابدل منه رجلين ثم استانف لبيان لما اجمل فقال احدهما ابكم اي ولد اخرس ثم ترجم بكمته التي
اريد بها انه لا يفهم ولا يُفهم بقوله لا يقدر على شيء اي اصلا وهو كل اي ثقل وعيال والاصل فيه الغلظ الذي هو من النقود
كلت السكين كلولا اذا غلظت شفرتها فلم تقطع وكل لسانه اذا لم ينبعث في القول لغلظه وذهاب حدّه قاله الرماني
على مولاه الذي يلي امره ثم بين ذلك بقوله اينما يوجهه اي يرسله ويصرفه ذلك المولى لا يات بخير وهذا مثل شركا كم
الذين هم عيال ووبال على عبدتهم ولما انكشف ضلالهم في تسويتهم الانداد الذين لا قدرة لهم على شيء بالله الذي له
الاحاطة بكل شيء قدرة وعلما حسن كل الحسن توبيخهم والانكار عليهم بقوله هل يستوي اي هذا المذكور هو اي ورجل اخر
ضد صفته فهو عالم نطق قوي خير مبارك الامر ميمون النقيبة يامر بما له من العلم والقدرة بالعدل اي بهذه
النقيصة لغيره وهو في نفسه ظاهرا وباطنا على صراط اي طريق واضح واسع مستقيم اي عامل بما يامر به فهذا مثل
للمعبود بالحق الذي يكفي عابده جميع المؤن وهو دال على تمام علمه وكمال قدرته ولما تم هذان المثالان الدالان على تمام علمه
وشمول قدرته القاضيان بان غيره عدم عطف على قوله ان الله يعلم قوله مصرحا بتمام علمه وشمول قدرته ولله اي هذا علم
اسني المشاهدات التي علم من هذه الادلة انهم يختص به ولذي الجلال والاكرام وحده غيب السموات والارض وما
كان له وحده شهادتهما فاراد من ذلك كانت قدرته عليه كقدرته على الشهادة ومن الساعة التي تنكرونها استبعادا
لها ومن غيرها بما فصله لكم من اول السورة الى هنا من خلق السموات والارض وما فيهما وما امر الساعة وهي الوقت الذي
يكون فيه البعث على اعتقادكم انها لا تكون استبعادا لها واستصعابا لامرها في سرعته عند الناس لو ارادوه ولذا عبر
عنه بالساعة الا كلمح البصر اي كرجع الطرف المنسوب الى البصر اي بل كان او هو اقرب واذا الخلق قد قاموا من
قبورهم مهطعين الى الداعي هذا بالنسبة الى علمهم وقياسهم واما بالنسبة اليه سبحانه فامره في الجلالة والعظم والسرعة
والاتقان يجل عن الوصف ويقصر عنه العقول ولا شك فيه ولا تردد ولذا علله بقوله ان الله اي الملك الاعظم
على كل شيء اي يمكن قدير ولما انقضى توبيخهم على ايمانهم بالباطل وكفرانهم بالحق وما استتبعه وختم بامر الساعة عطف
على قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا ما هو من ادلة الساعة وكمال القدرة والفعل بالاختيار من النشاة الاولى
فقال والله اي الذي له العظمة كلها اخرجكم بعلمه وقدرته من بطون امهاتكم والذي اخرجكم منها قادر على اخراجكم
من بطن الارض بلا فرق بل بطريق الاولى حال كونكم عند الاخراج لا تعلمون شيئا من الاشياء قل او جل وعطف على
اخرجكم قوله وجعل لكم بذلك ايضا السمع والابصار والافئدة الات لازالة الجهل الذي وقعت الولادة عليه
وفتق مواضعها وسواها وعدلها وانتم في البطون حيث لا يصل اليه يد ولا يتمكن من شق شيء منه بالة فالذي قدر
على ذلك في البطن ابداعا قادر على اعادته في بطن الارض بل بطريق الاولى ولعله جمعهما دون السمع لان التفاوت فيهما
اكثر من التفاوت فيه بما لا يعلمه الا الله والافئدة هي القلوب التي هياها للفهم واصلاح البدن بما اودعها من الحرا ره
اللطيفة القابلة للمعاني الدقيقة لعلكم تشكرون اي لتصيروا بمعارف القلوب التي وهبكموها اذا استعملتم الحوا عظ
والبصيرة الايات في حال من يرجى منها شكركم لما افاض عليكم من لطايف صنعه بان توفوا ما له من العلم والقدرة وحسن
التعرف فتعرفوا له بجميع ما اتتكم به رسله واهم الذي تبنى عليه جميع مقاصد الاصول ان المنعم عليكم بهذه النعم الله واحد
عالم بكل شيء قادر على كل شيء فاعل بالاختيار وان الطبايع من جملة مقدوراته لا فعل لها الا بتصريفه ولما كان المقصود
من تعداد هذه النعم الاعلام بلوازمها بانه الفاعل بالاختيار وعدم الطبايع ولا غيرها دلهم على ذلك معموما الى
ما مضى بقوله مقررا لهم الم يروا بالخطاب والغيبة على اختلاف القراءتين لان سياق الكلام وسياقه يحتمل المقبل والمعرض
بخلاف سياق الملك فانه للمعرض فقط فلذا اختلف القراء هنا واجمعوا هناك الى الطير مسخرات اي مذللات للطيران
بما اتاحها الله فيه من المصالح وللحكم بالطيران وغيره في جو السماء في الخافقين بما لا يقدرون عليه بوجه من
الوجوه مع مشاركتكم لها في الشم والبروز بادئكم عليها بالعقول فعلم قطعا ما وصل بذلك من قوله ما يمسكهن اي في الجو

اي في الجو عن الوقوع ولما كان للسياق مدخل عظيم في الرد على اهل الطبايع وهم الفلاسفة ولهم وقع عظيم في قلوب الناس عبّر
بالاسم الاعظم اشارة الى انه لا يقوى على ردّ شبههم الا من احاط علما بمعاني الاسماء الحسنى وكان متمكنا من علم اصول الدين فقال الا الله
اي الملك الاعظم لان نسبتكم واياها الى الكيفية واحدة فلو كان ذلك فعلها لاستويتم ثم نبههم على ما في ذلك من الحكم فقال ان في ذلك
اي الامر العظيم من اخراجكم على تلك الهيئة والانعام عليكم بما ليس لها وتقديرها على ما لم تعهد ذو اعليه مع نقصها عنكم لايات ولما كان
من لم ينتفع بالشيء كانه لم يملكه قال لقوم يؤمنون اي هيأهم الفاعل المختار للايمان ولما ذكرهم سبحانه بنعمة الادراك بعد ابتداء
الخلق واتبعه ما يمر به على الطير من الارتفاع الحاني لها من الحر اتبعه ما يسكنون اليه فيظلهم ويجمعهم لانه اهم الاشيا للحيوان
قال والله اي الذي له الحكمة البالغة والقدرة الكاملة جعل لكم اي ايها الغافلون من بيوتكم اي البيوت الماوى لياتكم التي فيه
سكنا هو مصدر بمعنى مفعول فلم يسلط عليكم فيها الحشرات والوحوش كما سلطكم ثم اتبع ما يخص الحضر ما يصلح له وللبدو بما ميزهم
به عن الطير وغيرها من ساير الحيوان فقال وجعل لكم اي انعاما عليكم من جلود الانعام التي سلطكم عليها ولما كانت الخيام
التي من جلود الانعام في ظلها الظليل تقارب بيوت القرى جمعها جمعها فقال بيوتا فانهم قالوا ان هذا الجمع بالسكن اخص
والابيات بالشعر اخص تستخفونها اي تطلبون ما لا اصطناع خفتها فتجدونها لذلك يوم ظعنكم اي وقت ارتحالكم وعبر به
لانه في النهار اكثر ويوم اقامتكم ثم اتبعه ما به كمال السكن فقال ومن اصوافها اي الضان منها واوبارها وهي للابل كالصوف
للغنم واشعارها وهي ما كان من المعز ونحوه من المساكن والملابس والمفارش والاخبية وغيرها اثاثا اي متاعا من متاع البيت
كثيرا من قولهم شعر اثيث اي كثير واثت النبت اذا كثر ومتاعا تتمتعون به الى حين اي وقت غير معين بحسب كل انسان في
فقد ذلك واعرض عن ذكر الحرير والكتان والقطن لانها لم تكن من صناعتهم واشارة الى الاقتصاد وعدم الاسراف ولما ذكر
ما يخصهم اتبعه ما يشاركون فيه ساير الحيوان فقال والله اي الذي له الجلال والاكرام جعل لكم اي من غير حاجة منه سبحانه
مما خلق ظلالا من الاشجار والجبال وغيرها وجعل لكم اي مع غناه المطلق من الجبال اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به اي يستتر
من الكهوف ونحوها ولو كان للخالق غير مختار لكانت على سنن واحد لا اظلال ولا اكنان ثم اتبع ذلك ما هو اهم اليه عوضا عما جعله
لساير الحيوانات فقال وجعل لكم اي منا منه عليكم سرابيل اي ثيابا تقيكم الحر وهي كل ما لبس من قميص وغيره كما قال
الزجاج ولما كانت السرابيل نوعا واحدا لم يكرر جعل فقال وسرابيل اي دروعا ومغافر وغيرها تقيكم باسكم اضافة اليهم
افهاما لانه الحرب وذلك كما جعل لبقية الحيوان من الاصواف ونحوها والانياب والاظفار ونحوها ما هو نحو ذلك يمنع من الحر
والبرد ومن سلاح العدو ولم يذكر سبحانه هنا وقاية البرد لتقدمها في قوله لكم فيها دفء ولما تم ذلك كان كانه قيل لقد تم
سبحانه تعدّا الكلام على تمام نعمة الايجاد فهل بعدها من نعمة فقال نعم كذلك اي كما اتم نعمة الايجاد عليكم فهذا الاتمام العظيم
بهذه الامور وتنبيهها عليها يتم نعمته عليكم في الدنيا والدين بالبيان والهداية والمنافع والتنبيه على دقايق ذلك بعد جلايله
لعلكم تسلمون اي ليكون حالكم بما ترون من كثرة احسانه بما لا يقدر عليه غيره مع وضوح الامر حال من يرجى منه اسلام
قياده لربه فلا يسكن ولا يتحرك الا في طاعته فلما صار هذا البيان الى اجلى من العيان كان ربما وقع في الوهم انهم ان لم يجيبوا الحق
الداعي بسبيل اعراضهم حرج فقال تعالى نافيا لذلك معرضا عنهم اعراض المغضب مقبلا عليه صلى الله عليه وسلم اقبال المسلي معبرا
بصيغة التفعل المفهمة لان الفطر الاولى داعية الى الاقبال على الله فلا يعرض صاحبها عما يرضيه سبحانه الا بنوع معالجة فان تولوا
اي كلفوا انفسهم الاعراض وتتابعوا فيه الاهوا فلا تقصير عليك بسبب توليهم ولا حرج فانما اي فتسبب عنه انه انما عليك البلاغ
المبين وليس عليك ان تردهم عن العناد فكانه قيل فهل كان اعراضهم عن جهل او عناد فقيل منهم وفيهم يعرفون نعمة الله
اي الملك الاعظم التي تقدم بعضها في هذه السورة وغيرها ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها او بتكذيبهم الى ما التنبيه عليها
بعضهم وبعضهم عنادا وكان بعضهم يقول هي من الله ولكن بشفاعتنا واكثرهم اي المدعوين بالنسبة الى جميع اهل الارض الذين ادركتهم
دعوته صلى الله عليه وسلم الكافرون اي المعاندون الراسخون في الكفر ولما كان من اجل المقاصد بعد هذه الاساليب التخويف من البعث
وكان من المعلوم انه ليس بعد الاعراض عن البيان والاصرار على كفران المعروف من الاحسان الا المجازاة لان الحكيم يمهل ولا يهمل قال
عاطفا على ثم ما فانما عليك البلاغ المبين وهي تبلغهم وتبين لهم ولا تياس من رجوعهم ويوم اي وخوفهم يوم نبعث بعد البعث من
كل امة شهيدا يحكم بقوله الملك اجرا للامر على ما يتعارفون وان كان غنيا عن شهيد ولما كان الاذن لهم في الاعتذار في بعض المواقف
الطويلة في ذلك اليوم متعذرا عبر عنه سبحانه باداة البعد فقال ثم لا يؤذن اي لا يقع اذن على تقدير من التقادير للذين كفروا
اي بعد شهادة الشهيد في الاعتذار كما يؤذن في هذه الدار للمشهود عليه عند السؤال في الاعذار لانه لا عذر هناك في الحقيقة ولا هم اي
خاصة يستعتبون اي لا يطلب منهم اعتاب اي الاعتاب المؤثر للرضا وهو ازالة العتب وهو الموجدة المعبر بها عن الغضب المعبر به عن
اثارة السطوة والانتقام واظهر العذاب باهل الاجرام من تبعة ما ارتكبوه لان تلك الدار ليست بدار تكليف ووصل به اي ما يوجبه
الغضب ويوم عليهم في ذلك اليوم فقال عاطفا على ما بعده واذا راى واظهر موضع الاضمار تعميما فقال الذين ظلموا

تعبيرا بالوصف الموجب للعذاب العذاب بعد الموقف وشهادة الشهدا وجزا الشرط محذوف لدلالة ما قرن بالفا عليه تقديره لا بهم فلا يخفف اى يحصل تخفيف بنوع من الانواع ولا باحد من الخلق عنهم شى منه ولا هم ينظرون بالتاخير ولا لحظة بوجه من الوجوه على تقدير من التقادير من احد ما ولما بين سبحانه حاصل امرهم فى البعث وما بعده وكان من اهم المهم امرهم فى الموقف مع شركائهم الذين كانوا ايرجونهم عطف على ذلك قوله واذا راى اى بالعين يوم القيمة الذين اشركوا فاظهر ايضا الوصف المناسب للمقام شركاءهم اى الالهة التى كانوا ابدعوا لها شركا قالوا ربنا يا من احسن الينا وربانا هولاء شركاونا اضافوهم الى انفسهم لانه لا حقيقة لشركتهم سوى تسميتهم لها الموجب لضرهم ثم بينوا المراد بقولهم الذين كنا ندعوا اى نعبد ولما كانت المراتب متكثرة دون رتبته سبحانه لان علوه غير منحصر ادخل الجار فقال من دونك لتقربونا اليك فاكرمنا لاجلهم جريا على منهاجهم فى الدنيا فى الجهل والغباوة فخاف الشركا من عواقب هذا القول الازار عليه سطوات الغضب فالقوا اى الشركا اليهم اى المشركين القول اى بادروا به حتى كان اسراعه اليهم اسراع شى ثقيل ملقى من علو واكدوا قولهم لانه مطاعنة لقول المشركين فقالوا انكم لكاذبون فى جعلنا شركا وانا استحققنا العبادة او نشفع او يكون لنا امر يستحق به ان نذكر والقوا اى الشركا الى الله اى الملك الاعلى يومئذ اى يوم القيمة اذ نبعث من كل امة شهيدا السلم اى الانقياد والاستسلام بما عمل به الكفار انهم من جملة العبيد لا امر لهم اصلا فاصلد زندهم وخاب قصدهم وقيد بذلك اليوم لانهم كانوا فى الدنيا بتزيين الشياطين لا مورهم ونطقهم على السنتهم بحيث يظن عابدوهم ان لهم منعة ولهم قوة ويجوز ان يكون ضمير القول للمشركين وضل عنهم اى الكفار ما كانوا اى بجبلاتهم يفترون اى يتعمدون من دعوى النفع لهم والضر كذبا وفجورا فكانه قيل هذا الذين اشركوا فما للذين كانوا دعاة الى الشرك مانعين من الانتقال عنه فقال الذين كفروا اى اوجدوا الكفر فى انفسهم وصدوا اى مع ذلك غيرهم عن سبيل الله اى الذى له الاحاطة كلها زدناهم اى بما لنا من العظمة بصدهم غيرهم عذابا فوق العذاب الذى استحقوه على مطلق الشرك بما كانوا اى كونا جبليا يفسدون اى يوقعون الفساد ويجددونه ثم كرر التحذير من ذلك من ذلك اليوم على وجه يزيد على ما افهمته الاية السالفة وهو ان الشهادة تقع على الامم لا لهم وتكون بحضرتهم فقال ويوم اى وخوفهم يوم نبعث اى بما لنا من العظمة فى كل امة من الامم شهيدا اى هو فى اعلى رتب الشهادة عليهم من ولما كانت بعثة الانبيا السالفين عليهم السلام خاصة بقومهم قال من انفسهم وهو نبيهم ولما كان ذلك اليوم من التحقق بما لا شبهة فيه بوجه وكذا استشهاده النبى صلى الله عليه وسلم عبر بالماضى اشارة الى ذلك والى انه صلى الله عليه وسلم لم يزل من حين بعثته متصفا بهذه الصفة العلية فقال تعالى وجئنا اى بما لنا من العظمة بك شهيدا اى شهادة هى مناسبة لعظمتنا على هولاء اى الذين بعثناك اليهم وهم اهل الارض واكثرهم ليس من قومه صلى الله عليه وسلم ولذلك السلم بعقيد بعثته بشى ثم بين انه لا اعذار فى شهادته فانه لا حجة فى ذلك اليوم لمن خالف امره اليوم لانه سبحانه ازاح العلل وترك الامر على بيضا نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك فقال عاطفا قوله وما انزلنا عليك الكتاب الاية المتعقبة لقوله لا جرم الايتين ونزلنا اى بعظمتنا بحسب التدرج والتنجيم عليك الكتاب الجامع للهدى تبيانا اى لاجل البيان التام قالوا وهو اسم وليس بمصدر كتلقا لكل شى وردت عليك من اسئلتهم ووقايعهم وغير ذلك وهو اعلا طبقات البيان كما انه فى اعلى طبقات البلاغة لان المعنى به اسرع الى الافهام واظهر فى الادراك والنفس اشد تقبلا له لما عليه من حسن النظام والقرب الى الافهام وانما احتيج الى تفسيره مع انه فى نهاية البيان لتقصير الانسان فى العلم بمذاهب العرب الذين هم الاصل فى هذا اللسان وتقصيرهم عن جميع مقاصده كما قصروا عن درجته فى البلاغة فرجعت الحاجة الى تقصير الذهن لا تقصير البيان فى الكلام ولهذا تفاوت الناس فى فهمه لتفاوتهم فى درجات البلاغة ومعرفة طرق العرب فى جميع اساليبها قال الشافعى فى اخر خطبة الرسالة بعد ان دعا الله ان يرزقه فهما فى كتابه ثم فى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فليست تنزل باحد من اهل دين الله نازلة الا وفى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها واحتج بايات منها هذه وذلك لانه سبحانه بين فيه التوحيد والمبدا والمعاد والنبوة والامر والنهى والحلال والحرام والحدود والاحكام بالنص على بعضها وبالاحالة على السنة فى الاخر وعلى الاجماع فى نحو قوله تعالى ويتبع غير سبيل المومنين وعلى الاقتدا بالخلفا الراشدين فى قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتى وسنة الخلفا الراشدين من بعدى وعلى الاقتدا بجميع اصحابه رضى الله عنهم فى قوله صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا الطرق الاجتهاد والقياس ولم يخرج احد منهم عن الكتاب والسنة فهو من دلائل النبوة فى كونه صلى الله عليه وسلم شهيدا لكونه ما اخفى عنهم الا ما هم اهله ولما كان البيان قد يكون للضلال قال وهدى ولما كان الاكرام قد لا يكون اعلى طبقات السرور به قال ورحمة وبشرى اى بشارة عظيمة جدا للمسلمين ويجوز ان يكون المقدر فى كل امة شهيدا عليهم وهو رسولهم الذى ارسلناه اليهم فى الدنيا وجئنا بك شهيدا على هولا لكوننا ارسلناك اليهم وجعلناك امينا عليهم ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شى فلا عذر لهم فيكون معطوفا على ما دل الكلام السابق ولا له والحجة على تقديره ولما بين تعالى

ولما بين تعالى فضل هذا القران بما يقطع حجتهم وقد كان قد قدم فضل من يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم اخذ يبين انه القران يبيان لكل شى وتضمنه لذلك الطريق الاقوم فقال جامعا لما يتصل بالتكاليف فرضا ونفلا وما يتصل بالاخلاق والاداب عموما وخصوصا ان الله اى الملك المستجمع لصفات الكمال يامر بالعدل وهو الانصاف الذى لا يقبل عمل بدونه وادل درجاته التوحيد الذى نبيت السورة عليه والعدل لعبو تارة فى المعنى فيراد به هيئة فى الانسان تطلب بها المساواة وتارة فى الفعل فيراد به التقسيط القائم على الاستوا وتارة يقول هو الفضل كله من حيث انه لا يخرج شى من الفضائل عنه وتارة يقال هو من اكمل الفضائل من حيث ان صاحبه يقدر على استعماله فى نفسه وفى غيره وهو ميزان الله المبرا من كل زلة وبه يستتب امر العالم وبه قامت السموات والارض وهو وسط كل طرفاه جور وبالجملة الشرع يجمع العدل وبه تعرف حقايقه ومن استقام على نهج الحق فقد استتب على نهج العدل ذكره الرازى فى لوامعه وفيه تلخيص فى اخر الجزء الخامس عشر من الثقفيات ان عمر بن عبد العزيز قال لمحمد بن كعب القرظى صف لى العدل فقال كن لصغير الناس ابا ولكبيرهم ابنا وللمثل منهم اخا وللنسا كذلك وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر احتمالهم ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتعتدى فتكون من العادين انتهى والاحسان وهو فعل الطاعة على اعلى الوجوه فالعدل فرض والاحسان فضل وهو مجاوزة النصفة الى التحامل على النفس لانه وقع فى الفرض ينقص يجبر بالنفل وهو فى التوحيد الارتقاء عن الاستدلال الى درجات ومن اعلاه الفنا عن الاكوان وتكون الاكوان فى غيبتها عنده انبساط نور الحق كالنجوم انطماسها عند انبساط نور الشمس وغايته الفناء عن هذا الفنا وشهود الله وحده وهو التوحيد على الحقيقة كما فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه المتفق عليه للاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهو دوم الانسانية ففى الجزء الثامن من الثقفيات عن عاصم بن كليب الجرمى قال حدثنى ابى كليب انه شهد مع ابيه جنازة شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وانا غلام اعقل وافهم قال فانتهى بالجنازة الى القبر ولما تمكن لها فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سووا اوخذا قال حتى ظن الناس انها سنة فالتفت اليهم فقال اما ان هذا لا ينفع الميت ولا يضره ولكن الله تعالى يحب من العامل اذا عمل ان يحسن وايتاء ذى القربى فانه من الاحسان وهو اولى الناس بالبر وذلك جامع للاحسان فى صلة الرحم ولما امر بالمكارم نهى عن المساوى والملايم فقال وينهى عن الفحشاء وهو ما اشتد تقصيره عن العدل فكان ضد الاحسان والمنكر وهو ما قصر عن العدل فى الجملة والبغى وهو الاستعلاء على الغير ظلما وقال البيضاوى فى سورة الشورى هو طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية وكيفية وهو من المنكر صرح به اهتماما وهو اخر قطيعة الرحم وشارك لما فى تعجيل العقوبة ما من ذنب احرى ان يعجل الله لصاحبه العقوبة مع ما يدخر له فى الاخرة من البغى وقطيعة الرحم رواه احمد وابو داود والترمذى عن ابى بكرة رضى الله عنه رفعه واصل البغى الارادة كانه صار بظلمهم هذا المعنى المحذور وعند حذف مفعوله لان الانسان لكونه مجبولا على النقصان لا تكاد تصلح منه ارادة فعليه ان يكون مسلوب الاختيار مع الملك الجبار الواحد القهار فتكون ارادته تابعة لارادته واختياره محو وذا طاعته وعن الحسن ان الخلقين الاولين ما ترك طاعة الا جمعاها والاخريين ما تركا معصية الا جمعاها ولما دعا هذا الكلام على وجازته الى امهات الفضائل التى هى العلم والعدل والعفة والشجاعة وزاد من الحسن ما شا فان الاحسان من ثمرات العفة والنهى عن البغى الذى هو من ثمرات الشجاعة المذمومة اذ فيما سواه منها ولا يقوم شى من ذلك الا بالعلم وكان هذا ابلغ وعظ نبه عليه سبحانه بقوله يعظكم اى يامركم بما يرقق قلوبكم من مصاحبة ثلاثة ومجانبة ثلاثة لعلكم تذكرون اى ليكون حالكم حال من يرجى تذكره لما فى ذلك من المعالى بما وهب الله من العقل الداعى الى كل خير الناهى عن كل ضير فان كل احد من الخلق وغيره يكره منه ما يكره هو منه ويعلم انه ان لم يكف عن فعل ما يكره اخوه وقع التشاجر فيحصل الفساد المودى الى خراب الارض هذا فى الفعل مع امثاله من المخلوقين فكيف بالخالق بان يصفه بما لا يليق به سبحانه وعز اسمه وتعالى جده وعظم امره ولما تقررت هذه الجمل التى جمعت بجمعها للمامورات والمنهيات ما تضيق عنه الدفاتر والصدور وذلك هدلها المعاندون من بلغا العرب انها بلغت ناموس البحور تعالت عن طوق البشر عطف على ما افهمه السياق من نحو فتذكروا او فالزموا ما امرتم به وتاندوا ما نهيتم عنه بعدما اجمله وبداعها هو مع جمعه اهم وهو الوفا بالعهد الذى يفهم منه العلما بالله ما دل عليه العقل من الحج القاطعة بالتوحيد وصدق الرسل ووجوب اتباعهم فكان شاملا لما عقدوه العهود ويفهم منه غيرهم ما يتعارفونه مما يجرى بينهم من المواثيق فاذا شاروا اليها بما امر الله سبحانه وتحروا رضاه علما منهم بانه العدل تادبهم ذلك الى رتبة الاولين فقال تعالى

لمحة

واوفوا اى وتعوا الوفا الذى هو فى الحقيقة عزم بعهد الله اى الملك الاعلى الذى عاهدكم عليه بادلة العقل والنقل من التوحيد وغيره من اصول الدين وفروعه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضونه اى الملك الاعلى الذى عاهدكم عليه بادلة العقل والنقل من التوحيد وغيره من اصول الدين وفروعه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق

وما يتصل به الا المنافقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه اذا عاهدتم بتقبلكم له باذعانكم لامثاله من الادلة
فيما عرف من عوائدكم وصرحتم به عند شدائدكم ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم عطف عليه ما هو من جنسه واخص منه فقال
ولا تنقضوا الايمان واحترز عن لغو اليمين بقوله بعد توكيدها وحذف الجار لانه المنهي عنه انما هو استغراق
زمان البعد بالنقض وذلك لا يكون الا بالكذب الشامل له كله لبعضه بالقوة وبعضه بالفعل ولعله جمع اشارة الى ان المذموم استهانتها
من غير توقف على كفارة لان من فعل ذلك ولو في واحدة كان فاعلا ذلك في الجميع بخلاف من ينقض ما نقضه جبر بالكفارة فانه
ناقض للبعض لا للكل لانه دائر مع الخير والاول دائر مع الهوى ثم حذرهم من النقض بانه مطلع قادر فقال معجبا حالهم اذ ذاك وقد
جعلتم الله اي الذي له العظمة كلها عليكم كفيلا اي شاهدا ورقيبا ولما كان من شان الرقيب حفظ احوال من راقبه
قال مرغبا مرهبا ان الله اي الذي له الاحاطة الكاملة يعلم ما تفعلون فلم تفعلوا شيئا الا بمشيئته وقدرته فكانت كفالته
بجعوله نافذة الاعتبار وان لم يصرح بالجعل فمتى حلتم نقضتم فعل بكم فعل الكفيل القادر بالمكفول المماطل من اخذ الحق
والعقوبة ولما امر بالوفا ونهى عن النقض شرع في تاكيد وجوب الوفا وتحريم النقض وتقبيحه تنفيرا منه فقال ولا تكونوا
اي في نقضكم في هذا الامر المعنوي كالتي نقضت غزلها ولما كان النقض لم يستغرق زمان البعد قال من بعد قوة
عظيمة حصلت له انكاثا اي انقاضا جمع نكث وهو كل شي نقض بعد الفتل سوا كان حبلا او غزلا فهو مصدر مجموع من نقضت
لانه بمعنى نكثت قال في القاموس النكث بالكسر ان تنقض اخلاق الاكسية لتغزل ثانية ويكون مثل جلست قعودا اي تنكثوا
بفعلكم ذلك كهذه المراة التي ضرب المثل بها في الخرق مع ادعائكم انه يضرب بكم المثل في العقل ثم وصل به ما يعرف
انهم اسفه من تلك المراة بسبب ان ضررها لا يتعداها واما الضرر بفعلهم فانه متعد لذات البين فقال تتخذون
اي تكلف الفطرة الاولى حين ما تدعوا اليه من الوفا ايمانكم دخلا اي يتحمل كونها ايمانا الى كونها ذريعة الى الفساد
بالخداع والغرور بينكم من حيث ان المحلوف له يطمين فيفجاه الضرر ولو كان على حذر لما نيل منه ولا جسر عليه وكل ما
ادخل ان اي تفعلوا ذلك بسبب ان تكون امة وهي الجماعة الخادعة او المخدوعة لاجل سلامتها هي اي خاصة اربى اي ازيد
واعلا من امة في القوة او العدد فاذا وجدت نفاذ الزيادة غدرت ولما عظم عليهم النقض وبين ان من اسبابه
الزيادة حذرهم غوائل البطر فقال انما يبلوكم اي يختبركم الله اي الذي له الامر كله به اي يعاملكم معاملة المختبر بالامهال
والزيادة ليظهر للناس تمسككم بالوفا او انخلاعكم منه اعتمادا على كثرة انصاركم وقلة انصار من نقضتم عهده
من المومنين او غيرهم مع قدرته سبحانه على ما يريد فيوشك ان يعاقب بالمخالفة فيضعف القوي ويقلل الكثير وليبينن لكم
اي اذا تجلى لفصل القضا يوم القيمة مع هذا كله ما كنتم اي بجبلاتكم فيه تختلفون فاحذروا يوم العرض على ملك الملوك
بحضرة الروسا والملوك وجميع المعبودات والكل بحضرة الاشهاد داخرون ولديه صاغرون ومن نوقش الحساب هلك ولما
امر ونهى وخوف من العذاب في القيمة وكان ربما ظن من لا علم له وهم الاكثر من كثرة النقض بالحوالة على القيمة نقص القدرة
في هذه الدار صرح بنفي ذلك بقوله ولو شاء الله اي الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه ان يجعلكم امة واحدة لا اختلاف بينكم
في اصول الدين ولا فروعه لجعلكم امة واحدة متفقة على امر واحد لا تؤمرون منفيا عنها اسباب الخلاف ولكن لم يشا ذلك
وشا اختلافكم فهو يضل من يشاء عدلا منه فيكم لانه تام الملك ولو كان الذي اضله على احسن الحالات من يشاء بفضله
ويهدي ولو كان على اخس الاحوال فبذلك يكونوا مختلفين في القصد يوم هذا غير يوم يومئذ هذا فياتي الخلاف مع تادية
العقل الى ان الاجتماع خير من الافتراق فالاختلاف مع هذا من قدرته الباهرة ولما تقرر ان الكل فعله وصح فلا فعل لغيره
اصلا كان ربما اوقع في الوهم انه لا حرج على احد في شي يفعله بين ان السوال يكون عن المباشرة ظاهرا على ما يتعارف الناس
في اسناد الفعل الى من ظهر اكتسابه له فقال مرغبا مرهبا موكدا لانكارهم البعث فضلا عما ينشا عنه ولتسئلن عما كنتم
اي كونا انتم مجبولون عليه تعملون وان دق فيجازى كلا منكم على عمله وان كان غنيا عن السوال فهو بكل شي عليم ولما بين ان الكذب
وما جر اليه من الدنايا القبائح وابعد الاشيا عن المكارم وكان من اعظم اسباب الخلاف فكان امره جديرا بالتاكيد اعاد الزجر
عنه بابلغ مما مضى بصريح النهي مرتبا ما يترتب على ذلك فقال معبرا بالافتعال اشارة الى ان ذلك لا يفعل الا بعلاج
شديد من النفس لان الفطرة السليمة تشتد نفارا منه ولا تتخذوا ايمانكم دخلا اي فسادا ومكرا وخداعا وخديعة
بينكم اي في داخل عقولكم واجسامكم فتزل اي فيكون ذلك سببا لان تزل قدم لكم عن غاية العظمة بسبب الثبات
بعد ثبوتها عن مركزها التي كانت به من دين او دنيا فلا يصير لها قرار فتسقط عن مرتبتها وزلل القدم تقوله العرب
لكل مبتلى وقع في بلية بعد سلامة وتذوقوا السوء مع تلك الزلة بما صددتم اي بانفسكم ومنعتم غيركم بايمانكم التي
اردتم بها الافساد لاخفا الحق عن سبيل الله اي الملك الاعلى بتجددكم هذا الفعل بادمتم على هذا الوصف ولكم
مع ذلك عذاب عظيم ثابت غير منفك اذا اسمتم على ذلك ولما كان هذا خاصا بالايمان اتبعه النهي عن الخيانة في عموم العهد

العهد تاكيدا بعد تاكيد الدالة على عظم النقض فقال ولا تشتروا اي تكلفوا انفسكم لجاجا وتركا للنظر في
العواقب ان تاخذوا وتستبدلوا بعهد الله اي الذي له الكمال كله ثمنا قليلا اي من حطام الدنيا وان تم ترونه كثيرا
ثم علل قلته بقوله انما عند الله اي الذي له الجلال والاكرام من ثواب الدارين هو خير لكم ولا يعدل عن الخير الى ما دونه
الا مجنون ناقص العقل ثم شرط علم خيريته من ذوي العلم فقال ان كنتم اي بجبلاتكم تعلمون اي ممن يتجدد له علم ولم
تكونوا في عداد البهائم فصار العهد اشمل للايمان مبتدا في هذه الايات بالامر بالوفا به ومحتويا بالنقض عنه بالنهي عن
نقضه والايمان التي هي اخص منه وسط بين الامر والنهي المتعلقين به فصار الحث عليها على غاية من التاكيد عظيمة ودنيته
التوثيق جليلة ثم بين خيريته وكثرته بقوله على سبيل التعليل ما عندكم اي من اعراض الدنيا وهو الذي تتعاطونه بطباعكم
ينفد اي يفنى فصاحبه منغص العيش اشد ما يكون به اغتباطا بانقطاعه او بتجويز انقطاعه ان كان في عداد من يعلم وما
عند الله اي الذي له الامر كله من الثواب باق فليوتينكم منه ان ثبتم على عهده ثم لوح بما في ذلك من السعة عطفا على
هذا المتقدم فقال موكدا لاجل تكذيب الكاذبين ولنجزين اي الله على قراءة الجماعة بالياء ونحن على قراءة ابن كثير وعاصم بالنون
التفاتا الى التكلم للتعظيم الذين صبروا على الوفا بما يرضيه من الاوامر والنواهي اجرهم ولما كان كرما الملوك
يوتون الاجر بحسب الاعمال من الاحسن وما دونه اخبر بانه يعدل الى الاحسن فيرفع الكل اليه ويسوي الادون به
فقال باحسن ما كانوا اي كونا هو جبلة لهم يعملون ولما وعد لعدل الوعد اتبعه ما بين ان ذلك لا يخص شريفا ولا
وضيعا وانما هو دائر مع الوصف الذي ذكر اليه فيما مضى بالعدل تارة وبالعهد اخرى وهو الايمان فقال جوابا لمن كانه
قال هذا خاص بالصدور من احد من عباده عموم شرايع الاسلام من عمل صالحا ولما كانت من عامة وكانت ربما خصت الذكور
بين المراد من عمومها فقال من ذكر او انثى نعم ثم قيد سبيلا للافراد المحتملة الراسخين بقوله وهو مومن ولما كان
الانسان كلما علا في درج الايمان كان جديرا بالابتلا والامتحان بين تعالى ان ذلك لا ينافي سعادته ولذلك اكد قوله فلنحيينه
دفعا لما يتوهمه المستدرجون بما يجعل لهم من طيباتهم في الحياة الدنيا حياة طيبة اي في الدنيا بما نوتيه من ثبات القدم
وطهارة الشيم ولنجزينهم اي كلهم اجرهم في الدنيا والاخرة باحسن ما كانوا اي كونا جبلتا يعملون قال العلما المومن
في عيشة هنية ان كان موسرا فذلك كان مرتبه وان كان معسرا فبالقناعة والرضا بحكم النفس المطمينة والفاجر
بالعكس ان كان معسرا فواضح وان كان موسرا فحرصه لا يدعه يتهنا فهو لا يزال في عيشة ضنك ولما تقررت هذه الاحكام
على هذه الوجوه الجليلة واشارت بحسن الفاظها وشرف سياقها الى اغراض هي مع جلالتها غامضة دقيقة فلاح بذلك ان
القران تبيان لكل شي في حق من سلم من غوائل الهوى وحبائل الشيطان وختم ذلك بالحث على العمل الصالح وكان القران
تلاوة وتفكرا وعملا بما ضمن اجل الاعمال الصالحة تسبب عن ذلك الامر بانه اذا قرئ هذا القران المنزل على مثل تلك
الاساليب الفائقة يستعاذ من الشيطان لئلا يحول بوساوسه بين القاري وبين مثل تلك الاغراض والعمل بها
وحاصله الحث على التدبر وصرف جميع الفكر الى التفهم والالتجا الى الله تعالى في كل عمل صالح لئلا يفسده الشيطان
بوساوسه او يحول بين الفهم وتبيينه بيانا لعدد الاعمال الصالحة وحثا على الاخلاص فيها وتنبيها لذلك عند قصدها
لاسيما افعال القلوب التي هي اغلب ما تقدم هنا وحثا على الاخلاص فيه فقال تعالى مخاطبا لاشرف خلقه ليفهم
غيره من باب الاولى فيكون ابلغ في حثه وادعى الى اتباعه فاذا قرات اي اردت ان تقرا مثل وكم من قرينة امكنا الحاقها
باشبا القران الذي هو قوام العمل الصالح والداعي اليه والحاث عليه مع كونه تبيانا لكل شي وهو اسم جنس يشمل القليل منه
والكثير فاستعذ اي ان شئت جهرا وان شئت سرا قال الشافعي والاسرار اولى في الصلاة وفي قول يجهر كما يفعل خارج الصلاة
بالله اي سل الذي له الكمال كله ليعيذك من الشيطان اي المحترق باللعنة الرجيم اي المطرود عن الرحمة من ان يصد
بوساوسه عن اتباعه فانه عايق عن الاذعان لاساليبه الحسان الاخذة الرحمن بوساوس الشيطان فقل اعوذ بالله من
الشيطان الرجيم لان ذلك اوفق للقران وقد ورد به بعض الاخبار عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا وهو المشهور
ونص عليه الشافعي والصارف لهذا الامر عن الوجوب احاديث كثيرة فيها القراة بدون ذكر تعوذ كحديث البخاري
وغيره عن ابي سعيد بن المعلى رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما منعك ان تجيبني قال كنت اصلي قال الم
يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القران الحمد لله رب العالمين وفي
رواية الموطا انه صلى الله عليه وسلم نادى ابيا فقال انه قال له كيف تقرا اذا افتتحت الصلاة قال ابي فقرات الحمد لله
رب العالمين حتى اتيت على اخرها ومن طالع كتابي مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور راى مثل هذا احاديث كثيرة
جدا من احسنها نزول حديث سورة الكوثر وقيل التعوذ بعد القراة لظاهر الاية وختام القران بالمعوذتين موافق لهذا
القران بالنسبة الى الحال والقول الاول الصحيح بالنسبة الى ما ندب عليه المرتحل من قراءة الفاتحة واول البقرة ولما كان

ولما كان ذلك ربما اوهم تسلطه نفى ذلك بقوله جوابا لمن كانه قال هل له سلطان انه ليس له سلطان اى بحيث لا يقدر المتسلط عليه على الانفكاك عنه على الذين امنوا بتوفيق ربهم لهم وعلى ربهم اى وحده يتوكلون ويجوز ان يكون المعنى انه لما تورد فى الاذهان انه لا نجاة من الشيطان لانه سلط علينا بانه يرانا بحيث لا نراه ويجرى فينا مجرى الدم وكانت فايدة الاستعاذة الاعاذة اشير الى حصولها بقوله على سبيل التعليل انه اى استعذ بالله يعذك منه لانه ليس له سلطان على الذين امنوا بالله ليدبهم كلهم عما يرضى الله وعلى ربهم وحده يتوكلون ثم وصل بذلك ما افهمه من ان له سلطانا على غيرهم فقال انما سلطانه اى الذى يتمكن به غاية التمكن باسكان الله على الذين يتولونه اى يتولوه وامروا على ذلك بتجديد ولايته كل حين والذين هم اى بظواهرهم وبواطنهم به اى بالشيطان مشركون دايما لانهم اذا اتبعوا وساوسه واطاعوا اوامره فقد عبدوه فجعلوه بذلك شريكا فهم لا يتاملون دقايق القران بل لا يفهمون ظواهره على ما هى عليه لما اعماهم به الشيطان من وساوسه وحبسهم به عن هذه الاساليب من حبايسه فهم لا يزالون يطعنون فيه بقلوب عمية والسنة بذية ثم عطف على هذا المقدر الذى دل عليه الكلام وما انتجه تسلط الشيطان عليهم فقال واذا بدلنا اى بعظمتنا بالنسخ اية سهلة كالعدة باربعة اشهر وعشر وقتال الواحد من المسلمين لاثنين من الكفار او شاقة كتحريم الخمر وايجاب صلوات خمس فجعلنا مكان اية شاقة كالعدة بحول ومصابرة عشرة من الكفار او سهلة كالايات المتضمنة لاباحة الخمر وايجاب ركعتين اول النهار وركعتين اخره فكانت الثانية مكان الاولى وبدلا منها ويكون المعنى نسخنا اية صعبة فجعلنا مكانها اية سهلة والتدبير والتبديل رفع الشى مع وضع غيره مكانه والله اى الذى له الاحاطة الشاملة اعلم بما ينزل من المصالح بحسب الاوقات والاحوال نسخا وتبديله قالوا اى الكفار انما انت اى يا محمد مفتر اى فانك تامر اليوم بشى وغدا تنهى عنه وتامر بضده وليس الامر كما قالوا بل اكثرهم وهم الذين يستمرون على الكفر لا يعلمون اى لا يتجدد لهم علم بل هم فى عداد البهايم لعدم انتفاعهم بما وهبهم الله من العقول لانهماكهم فى اتباع الشيطان حتى ان كلهم فى هذا الامر الواضح لعد اقامة البرهان بالاعجاز على ان كل ما كان معجزا كان من عند الله سوا كان ناسخا او منسوخا او لا فصار ذلك معرفة ان هذا القران وهذا غير قران لمن معه على هذا البرهان من اوضح الامور وانه ما هاتوا لو اراد ذلك منهم او من غيرهم من فرسان البلاغة فكانه قيل فما اقول فقال قل لمن واجهك بذلك منهم نزله اى القران بحسب التدريج لاجل اتباع المصالح لا لامر لا احاطه علم المتكلم به روح القدس الذى هو روح كله ليس فيه داعى الهوى فكيف يتوهم فيما ينزله افتى الاسماء ثم اضافته الى الطاهر البالغ فهو ينزله من ربك ايها المخاطب الذى احسنه اليك بما نزله ثم يبدله بحسب المصالح كما احسن تربيتك بالنقل من حال الى حال لا يصلح فى واحدة منها ما يصلح فى غيرها من الظهر الى البطن ثم من الرضاع الى الفطام فما بعده فكيف تنكر تبديل الاحكام للمصالح ولا تنكر تبديل الاحوال له لذلك حال كون ذلك الانزال بالحق اى الامر الثابت الذى جل عن دعوى الافترا بانه لا يستطاع نقضه ليثبت اى تثبيتا عظيما الذين امنوا فى دينهم بما يرون من اعجاز البدل والمبدل مع تضاده الاحكام وما فيه من الحكم والمصالح بحسب الاحوال الشايقة وليتمرنوا على حسن الانقياد وليعلم بسرعة انقيادهم فى ترك الالف تمام استسلامهم وخلوصهم عن شوايب الهوى ثم عطف على محل ليثبت قوله وهدى اى بيانا واضحا وبشرى اى بما فيه من تجدد العهد بالملا الاعلى وتردد الرسول بينه وبينهم بواسطة نبيهم صلى الله عليه وسلم للمسلمين المنقادين من المتبعين من الكبر لطاعة الله فقام المعنى للاحلام ولولا مثل هذه الفوايد لفاتت حكمة نجيبه ولما نقض شبهتهم هذه اشارة وعبارة بما تضمنهم نقض شبهة اخرى لهم باوضح من ذلك وافحم فقال الاخرى عطفا باوضح من ذلك وانهم وهم يعلمون ان ذلك سفساف من القول اى علما مستمرا انهم يقولون اى ايضا قولا مستمرا الا ان الوان يلجون به انما يعلمه بشر وهم يعلمون ان ذلك سفساف من القول ثم استانف الرد عليهم فقال لسان اى لغة وكلام الذى يلحدون اى يميلون او يشيرون اليه بانه علمه اياه مايلين عن القصد جابر بن عاد لين عن الحق ظلما لمبين اعجمى اى غير لغة العرب وهو مع ذلك الكن فى الثانية غير بين وهو غلام كان نصرانيا لبعض قريش اختلف فى اسمه وهذا التركيب وضع فى لسان العرب للابهام والاخفا ومنه عجم الزبيب للاستتارة والعجماء البهيمة لانها لا تقدر على ابانة ما فى نفسها واما اعجمت الكتاب فهو لازالة ذلك وهذا اى القران لسان عربى مبين اى هو من شرفه بيانه ظاهر لمن له ذو بيان عظيم فلو ان المعلم عربى لما كان له ان يعجز وانتم اهل البيان مثل ما علم فكيف وهو اعجمى فطا بانت لهذا فضيحتهم كان كانه قيل ان من العجب اقدامهم مثل هذا العار وهم يدعون النزاهة فاجاب بقوله ان الذين لا يؤمنون اى يصدقون كل تصديق معترفين بايات الله اى الذى له العظمة كلها لا يهديهم الله اى الملك الاعلى الذى له الغنى المطلق بل يضلهم عن القصد فلذلك ياتون بمثل هذه الخرافات فابشر لمن بالغ فى العناد بسد باب الهدى والسداد ولما كان ربما توهم انه لكونه هو المضل لا يتوجه اللوم عليهم نفى ذلك بقوله ولهم عذاب اليم اى لذلك المباشرتهم مع حجب المراد عنهم وخلق القدر لهم اجرا على عوايد بعض الخلق مع بعض لما زيف شبهتهم اثبت لهم ما قذفوه به وهو برى منه ستفصولوا اعلم فقال انما يفترى

انما يفترى اى يتعمد الكذب الذين لا يؤمنون بايات اى لا يتجدد منهم الايمان بايات الله اى الذى له الكمال كله فان ردهم اقام الدليل على انه حق وعجزوا عنه لعدم منهم الكذب ثم قصر مطلق الكذب عليهم واولئك اى البعدا البغضا هم اى خاصة الكاذبون اى العريقون فى الكذب ظاهرا وباطنا ولما ذكر الذين لا يؤمنون مطلقا اتبعهم صنفا منهم هم اشد منهم كفرا فقال من اى اى مخلوق وقع له انه كفر بالله اى الذى له صفات الكمال بان قال او عمل ما يدل على الكفر ولما كان الكفر كله ضارا وان فرض منه ابتسال الجبار فقال من بعد ايمانه بالفعل او بالقوة لما قام من الايمان بالادلة التى وصلته الى حد الايلبس فصار استكباره عن الايمان ارتدادا عنه وجواب الشرط دل ما قبله وما بعده على انه فهو الكاذب او فعليه غضب من الله الا من اكره اى وقع اكراهه على قول كلمة الكفر وقلبه اى والحال ان قلبه مطمين بالايمان فلا شى عليه وندخل امع اباحة ذلك له لانه لا يجب عليه التكلم بالكفر بل ان ثبت كان ذلك ارفع درجة والاية نزلت فى عمار بن ياسر رضى الله عنه اكرهوه فتابعهم وهو كاره فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بانه كفر فقال صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا املى ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول ان عادوا فعد لهم بمثل ما قلت ولكن من شرح اى فتح ووسع بالكفر صدرا اى منه او من غيره بالتكسيب فيه لان حقيقة الايمان والكفر متعلق بالقلب دون اللسان وانما اللسان معبر وترجمان معرف بما فى القلب لتوقع الاحكام الظاهرة فعليهم لرضاهم به غضب اى غضب بين جهة عظمة بكونه من الله اى الملك الاعظم ولهم اى بظواهرهم وبواطنهم عذاب عظيم لارتدادهم على اعقابهم ولما كان من يرجع الى الظلمات بعد خروجه منها الى النور جديرا بالتعجب منه كان كانه قيل لم تفعلون او يفعل كلهم ذلك فقال ذلك اى الارتداد او الوعيد العظيم بانهم اى بسبب انهم استحبوا اى احبوا حبا عظيما الحياة الدنيا اى الدنية الحاضرة الفانية فاثروها على الاخرة الباقية الفاخرة لانهم راوا امانته الموسر من الضيق والكافر من السعة وبسبب ان الله لا يهدى القوم الكافرين الذين علم استمرارهم عليه بل يخذلهم ويسلط الشيطان عليهم تخبطا لهم عن دينهم ولما كان استمرارهم على الكفر اعجب من ارتدادهم اتبعه سببه فقال اولئك اى البعدا البغضا الذين طبع اى ختم ختما هو كفعل بالعطف الله اى الملك الذى له الامر كله معه على قلوبهم ولما كان التفاوت فى السمع نادرا وحده فقال وسمعهم وابصارهم فصاروا لعدم انتفاعهم بهذه المشاعر كانهم لا يفهمون ولا يسمعون ولا يبصرون واولئك الا باعد من كل خير هم الغافلون اى الكاملون الغفلة ثم اتبع ذلك جزاءهم عليه فقال لا جرم اى لا شك انهم فى الاخرة هم الخاسرون اى اكمل الناس خسارة لانهم خسروا راس المال وهو نفوسهم فلم يكن يرجع يرجعون اليه ولما قدم الفاتن والمفتون اتبع ذلك ذكر حكمهما على الترتيب فقال بحرف التراخى اشارة الى بعد رتبتها عن رتبة من لم يفعل ذلك ثم ان ربك اى المحسن اليك بالعفو عن امتك وتخفيف الاصار عنهم فى قبول توبة من ارتد بلسانه او قلبه للذين هاجروا اصل الكفر بالتروح من بلد دارهم توبة الى الله تعالى مما كانوا فيه ولما كان سبحانه يقبل اليسير من العمل فى اى وقت كان اشار الى ذلك بالجار فقال مثبتا ان الفتنة بالاذى ان كان بالقا عنها كادحة فى الهجرة وما تبعها فيفيد ذلك فى الهجرة بدونها من باب الاولى من بعد ما فتنوا بالبنا للمفعول على قراة الجماعة لان المراد هو الفتنة مطلقا وللفاعل على قراة ابن عامر اى خلوا بان فتنوا امرا من بالترجين كانوا كفارا واعطوا الفتنة من انفسهم ففتنوها بان اطاعوا فى كلمة الكفر او فى الرجوع مع من ردهم اى بلاد الكفر بعد الهجرة من بعد ايمانهم ثم جاهدوا اى اوقعوا جهاد الكفار مع النبى صلى الله عليه وسلم توبة الى الله تعالى وصبروا على ذلك الى ان ماتوا عليها ان ربك اى المحسن اليك بتخليص من هذه صفاتهم للذين لما كان له سبحانه ان يغفر الذنوب كلها ما عدا الشرك وان يعذب عليها كلها وعلى بعضها وان يقبل الصالح كله وان يرد بعضه اشار الى ذلك بالجار فقال من بعدها اى هذه الاعمال الصالحة الواقعة بعد تلك الفاسدة وهى الفتنة لغفور اى بليغ المحو للذنوب رحيم اى بليغ الاكرام فهو يغفر لهم ويرحمهم ولما تقدم كثير من التحذير والتبشير وتقدم انه لا يؤذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون وختم ذلك باخسار الحساد فى الكفار بين اليوم الذى تظهر فيه تلك الاثار ووصفه بغير الوصف المتقدم باعتبار المواقف فقال مبدلا من يوم نبعث من كل امة شهيدا يوم تاتى اى فيه كل نفس اى انسان وان عظم جرمها تجادل اى تعتذر وتعتبر ما لجدال له لانها ما للدفع باقتر ما تقدر عليه واظهر فى قوله عن نفسها اى ذاتها بمفردها لا يهمها غيرها ذلك لما يوهم الاضمار من ان كل احد يجادل عن جميع الانفس ولما كان مطلق الجزاء مخوفا تعلقا بنى للمفعول قوله وتوفى كل نفس ما عملت اى جزاءه من جنسه وهم ولما كان الربو مطلق الظلم وكان البنا للمفعول ابلغ فى نفيه قال لا يظلمون اى لا يتجدد عليهم ظلم لا ظاهرا ولا باطنا ليعلم بذلك تحريم ذلك المقدر ان الخسارة باقامة الحق عليهم لا بمجرد اسكاتهم ولما عقب سبحانه ما ضرب سابقا من الامثال لقوله تعالى قل رزق المقدر من الطيبات وتلاه بذكر الساعة بقوله وما امر الساعة الا كلمح واستمر فيما مضت مناسبته اخذ بعضه بحجز بعض حتى ختم بالساعة وما من الظلم فيها وبين ان لاعمال العباد فى مناط الجزاء عطف على ما مضى من الامثال المعروضة المقدرة

الرغبة مثله محسوسا موجودا بينا ان الاعمال في هذه الدار ايضا مناط الجزاء ترهيبا من المعاجلة فيها بسوط من العذاب فقال وضرب الله اى الملك المحيط بكل شئ قدرة وعلما لكم ايها المعاندون مثلا قرية من قرى الماضين التى تعرفونها قرية هود او صالح او لوط او شعيب عليهم السلام كان حالها كحالكم وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها مكة كانت آمنة ذات امن يامن به اهلها في زمن الخوف مطمئنة اى قارة باهلها لا يحتاجون فيها الى نجعة وانتقال بسبب زيادة الامن بكثرة العدد وقوة المدد وكف الله الناس عنها ووجود ما يحتاج اليه اهلها ياتيها اى على سبيل التجدد والاستمرار رزقها رغدا واسعا طيبا برا وبحرا بتيسير الله لهم ذلك ولما كانت السعة تجر الى البطر غالبا نبه تعالى على ذلك بالفاء فقال من كل مكان فكفرت وبنيه سبحانه وتعالى على سعة فضله بجمع القلة الدال على ان كثرة فضله عليهم تافهة بالنسبة الى ما عنده سبحانه فقال بانعم الله اى الذى له الكمال كله كما كفرتم فاذاقها الله اى المحيط بكل شئ قدرة وعلما لباس الجوع بعد رغد العيش والخوف بعد الامن والطمانينة حتى صار لهم ذلك لشموله لهم لباسا وبشرة غيركم ذوا فكان النظر الى المستعار له وهو هنا ابلغ لدلالته على الاحاطة والذوق ولو نظر الى المستعار وهو هنا ابلغ لدلالته لقال فكساها فكان يفوت الذوق وذلك كما نظر اليه كثير في قوله

• غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا • غلقت لضحكته رقاب المال • استعار الرداء للمعروف لانه يصون العرض صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذى وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء الذى هو المستعار ولو نظر اليه لوصفه بالسعة والطول مثله كما نظر اليه من قال ذكر الشيء الذى يصون به الانسان نفسه

• ينازعنى ردائى عبد عمرو • رويدك يا اخا بكر بن عمرو •

• لى الشطر الذى ملكت يمينى • ودونك فاعتجر منه بشطر •

فنظر الى المستعار وهو الرداء في لفظ الاعتجار فبانت فصاحة من الراوندى في زندقته اذ قال لابن الاعرابي هل يذاق اللباس فقال له لا باس يا ايها النسناس هب ان محمدا ما كان نبيا اما كان عربيا بما كانوا اى جبلة لهم يصنعون من الكفر والكبر بتدربهم عليه بكثرة المداومة من الانسان على صنعته ولما كان تعالى لا يعذب حتى يبعث رسولا حقق ذلك بقوله ولقد جاءهم اى اهل هذه القرية رسول كما وقع لكم فكذبوه كما فعلتم فاخذهم العذاب كما سمعتم وان كان المراد بها مكة فالمراد به الجوع الذى دعا عليهم به النبى صلى الله عليه وسلم لما قال اللهم اعنى عليهم بسبع كسبع يوسف واما الخوف فما كان من جهاد النبى صلى الله عليه وسلم لهم وهم ظالمون اى عريقون في وضع الاشياء في غير مواضعها لانهم استمروا على كفرهم مع الجوع وسالوا النبى صلى الله عليه وسلم في الاغاثة فدعا لهم ولما تقرر بما مضى من ادلة التوحيد ثبت ثباتا لا يتطرق اليه شك ان الله هو الاله وحده كما انه هو الرزاق وحده ونبههم على دقائق في تفرده بالرزق تدل على عظمته وشمول علمه وقدرته واختياره فثبت انهم ظالمون فيما جعلوا للاصنام من رزقه انه ليس لاحد ان يتحرك الا بامره سبحانه وختم ذلك بهذا المثل المحذر من كفران النعم عقبه بقوله مبادا لهم عن افعال الجاهلية فكلوا اى فتسبب عن جميع ما مضى ان يقال لكم كلوا مما رزقكم الله اى الذى له الجلال والجمال مما عدده لكم في هذه السورة وفي غيرها حالا لكونه حلالا طيبا اى لا شبهة فيه ولا مانع بوجه واشكروا نعمة الله اى الذى له صفات الكمال حذرا من ان يحل بكم ما احل بالقرية الممثل بها ان كنتم اياه اى وحده تعبدون كما اقتضته هذه الادلة لانه وحده هو الذى رزقكم ولا عاجلكم بالعقوبة لانه ليس بعد العناد عن البيان الا الانتقام فصار الكلام في الرزق والتزهيد على عدم الشكر مكتنفا الامثال قبل وبعد ولما كان الاذن انما هو في بعض الرزق في الحال المذكور فاجتنبوا المعرفة وكانت المباحات اكثر من المحظورات حصر القليل ليعلم منه الكثير لان كل ضدين معروفين اذا لا يعين احدهما عرف من تعيينه الاخر فقال انما حرم اى الله الذى لا امر لاحد معه عليكم الميتة التى بينت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم انها ميتة وان ذكيت والدم ولحم الخنزير خصه بالذكر بعد دخوله في الميتة لاتخاذ النصارى اكله كالدين وما اهل اى بلى هلالا كان من اى بعل كان ولما كان مقصود السورة لبيان الكمال كان تقديم غير التقديم حال المعتنى به اولى فقال لغير الله اى الملك الاعظم الذى لا ملك سواه به ولما كان الانسان قد يضطر الى اكل كل ما يمكن اكله بين لهم انه دفع كلما اباح لهم سد الرمق من الحرام فقال فمن اضطر اى كيفما وقع له الاضطرار غير باغ على مضطر اخر ولا عاد سد الرمق ولما كان الاذن في الاكل من هذه الاشياء للضرورة انما هو رخصة وكانت الشهوة داعية الى ما فوق المادون فيه قال فان الله اى المختص بصفات الكمال بسبب تناوله منها على ما امره غفور رحيم فمن زاد على ما اذن فيه فهو جدير بالانتقام ولما تبين من هذه الاية كما مضى تقريره في الانعام جميع المحرم اكله من الحيوانات فعلم بذلك جهلهم فيما حرموه على انفسهم لاجل اصنامهم صرح بالنهى عنه ابلغ في التاكيد ذلك الحجر فقال ولا تقولوا اى بوجه من الوجوه في وقت من الاوقات ولما كان تحليلهم وتحريمهم قولا فارغا لم حقيقة اصلا لانه لا دليل عليه عبر عنه انه وصف باللسان كما يستحق ان يدخل الى القلب فقال لما تصف اى لاجل الذى تصفه السنتكم اى من الانعام والحرث والزروع وما حرك الفتن الى معرفة ما يقال

مايقال لاجل ذلك بين مقول ذلك القول فقال الكذب اى القول الذى هو عين الكذب ولما اشتدت التشوف الى تعيين ذلك المقول ابدل منه فقال هذا حلال وهذا حرام ويجوز ان يكون الكذب مفعول تصف فتكون ما مصدرية اى لوصفها اياه فكان حقيقة الكذب كانت مجهولة فلم تعرف الا بوصف السنتهم لها فهو مبالغة في وصف كلامهم بالكذب وما بعده مقول القول ولما كانوا كما تقدم يدعون انهم اعقل الناس وكان العاقل لا يقول كلاما الا قاصدا لمعناه التنبيه الى معرفة اللوازم عند الاقدام على الملزومات قال لتفتروا على الله اى الملك الاعلى الكذب لامر تابع على امر مالم ياذن فيه كان قوله لذلك كذبا وكان كذبه لقصد افتراء الكذب ولا لكان في غاية الجهل فيرادا قرهم في مثل هذا بين الغباوة المفرطة او قصدها لا يقصده عاقل وهذا باب من التهكم عجيب فكانه قيل فما يستحقون على ذلك فاجاب بقوله ان الذين يفترون اى يتعمدون عمدا على الله الذى له الامر كله الكذب منكم ومن غيركم لا يفلحون ولما كان الفلاح عندهم هو العيش الواسع في هذه الدنيا اجاب من كانه قال فانا نشاهدهم وقد فاتهم متاع قليل الى ما هم فيه لتخالفه وان امتد الف ولهم بعده عذاب اليم ومن الله العظيم فاى متاع هذا وما بين لعمر لعمته بتوسعته عليهم بما ضيقوا به على انفسهم بين لهم نعمة اخرى حيث تحينهم على بنى اسرائيل فقال وعلى الذين هادوا اى اليهود حرمنا اى تعظيما عقوبة لهم بعدوانهم وكفرانهم ما قصصنا اى مما لنا من العظمة الذى كانوا المقصودين لها معجزا عليك ولما لم يكن قص ذلك عليه صلى الله عليه وسلم مستغرقا زمان القبل ادخل الجار فقال من قبل اى في الانعام وما ظلمناهم اى لذنب وقع منهم المقصود بتحريمنا عليهم ما حرمنا ولكن كانوا اى دائما طبعا لهم وخلقا مستمرا انفسهم اى خاصة يظلمون بالبغى والكفر فضيقنا عليهم معاملة بالعدل وعاملناكم انتم حيث ظلمتم بالفضل فاشكروا النعمة واطردوا عوامل النقمة ولما بين هذه النعمة الدنيوية عطف عليها نعمة هى اكبر منها جدا فقال ثم ان ربك اى المحسن اليك للذين عملوا السوء بجهالة وهو كل ما استحق بالكل فالم وبين عظمها بحرف التراخى فقال ثم تابوا كما علمتم وان عظم فعلهم وتفاحش جهلهم ثم تابوا ولما كان سبحانه يقبل من شانه ان يستر وهو ما لا ينبغى فعله ثم تابوا اى الذنب لو كان عظيما فاقتصروا على ما اذن فيهم خالقهم واصلحوا العمل ادخل الجار فقال من بعد ذلك اى الحق اليك بتسهيل ذنبك وتيسيره ولما كان انما يغفر بعد التوبة ما عدا الشرك بالاستمرار على ذلك ان ربك اى المحسن اليك بتسهيل من بعدها اى التوبة وما تقدمها من اعمال السوء لغفور اى بليغ الستر لما عملوا من الواقع بعدها ادخل الجار فقال من بعدها اى التوبة وما تقدمها رحيم اى محسن بالاكرام فضلا ونعمة ولما دعاهم الى مكارم الاخلاق ونهاهم عن مساويها بقوله لمن اتبع الهوى والسوء عظم جرمه اجابة لدعوة ابيهم ابراهيم عليه السلام في قوله فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم اتبع ذلك ذكر ترغيبا في اتباعهم في التوحيد والميل مع الامر والنهى قدما واحجاما ان كانوا ممن يتبع الحق او يقلد الاباء فقال سبيل التعليل لما قبله ان ابراهيم اى اباكم الاعظم امام الموحدين كان امة فيه من المنافع الدنيوية والاخروية ما يوجب ان يؤمه ويقصده كل احد يمكن انتفاعه به قانتا اى مخلصا لله اى الملك الذى له الامر كله ليس فيه شئ من الهوى حنيفا ميالا مع الامر والنهى بنفسه او بغيره فكونوا حنفاء اتباعا للحق لما قام عليه من الادلة واستنانا باعظم ابائكم ولما كان السياق لاثبات الكمال لابراهيم عليه السلام وكان الانسان لا يثبت له الكمال شرعية الوصول الى النعم والى بعدها وصف سلبى بجملة حذف نون يكن منها ايجازا فقيل ولم يك ولما كانوا اشركين وكنوا مشركين ولم يك من المشركين الوافقين مع الهوى تبعا لهم فلذلك بان اعظم من يعتقدون عظمته من ابائهم ليس من ذلك التقليل فقال ولم يك من المشركين فلم يكونوا منهم واعلم ما بان الفعل نفى عنه عليه السلام على ابلغ وجوه النفى لا ينسب اليه شئ منه ولو قل ثم بين حاله فقال شاكرا ولما كان شعلى من جعله امة من النعم ما لا يحصى بين ان ذلك كله قليل في جنب فضله فقال لانعمه فهو لما يزيد من مشيرا الى ذلك بجمع القلة والى ان الشاكر على القليل يشكر اذا اتاه الكثير من باب الاولى نفضله وقد دعاكم فتقبل دعاكم فاشكروا الله اقتدوا به ليزيدكم فكانه قيل فما اتاكم على ذلك وعلم ما قيل فقال اجتباه اى اختاره اختيارا تاما وهداه اى بالبيان الاعظم والتوفيق الاكمل الى صراط مستقيم وهو الحنيفية السمحة فكان من يأتم بالعذاب هو على صراط مستقيم وكان مخالفا لكم الموصوف بالشكل السابق ثم قال واتيناه اى بما لنا من العظمة في الدنيا حسنة وبنبه بالتعظيم على المعطى بنون العظمة على جلالته بلسان الصدق والثناء الجميل الذى للناله به السنة الخلق حيث جعله اماما معظما بجميع اهل الملل ومحبة القلوب ومحبته وجعل لهم فيهم لسان صدق ورزقه في اولاده من النبوة والصلاح والملك والكثرة ما هو مشهور ولما كانت عظمة الدنيا لا تعتبر الا مقرونة بنعمة الاخرة قال وانه في الاخرة اى له بالهم من الثواب العظيم فعبر لما تعظيما لمقام الصلاح وترغيبا فيه ولما قدر من عظمته في الدنيا والاخرة ما هو داع الى اتباعه صرح بالامر به تنبيها على زيادة

عظمة متباعد في المرتبة على سائر النعوت التي أثنى عليه بها وذلك لكونه صار مقتدى لأفضل ولد آدم مشيرا إلى ذلك
بحرف التراخي الدال على علو رتبته بعلو رتبة من أمر باتباعه فيما تقدم مما أمر به من التوحيد والطريق الواضح
السهل فقال ثم أوحينا أي بعد ذلك تعظيما وجلالة باقي أوحينا إليك وأنت أشرف الخلق ومن الإيحاء بقوله ترغيبا
في تلقي هذا الوحي أحسن التلقي باقتفاء الأب الأعظم أن اتبع أي بغاية جهدك ونهاية همتك ولما كان المراد أصل
الدين وحسن الاقتفاء فيه بسهولة الانقياد والانسلاخ من كل باطل والدعوة بالرفق مع الصبر وتكرير الإيراد
للدلائل وكلما يدعو إليه العقل الصرف والفطرة السليمة عبر بالملة فقال ملة إبراهيم ولا بعد أن يفهم ذلك
الآخرة أيضا ولما كانت الحنيفية أشرف أخلاق إبراهيم عليه السلام فكانت مقصودة بالذات صرح بها فقال
حنيفا أي حال كونك أو كونه شديد الانجذاب مع الدليل الحق ورغبة العرب في التوحيد ونفرهم من الشرك
بقوله وما كان أي بوجه من الوجوه من المشركين ولما دعا سبحانه وتعالى فيها إلى معالي الشيم وعدم الاعتراض ختم
بالأمر بالملة الحنيفية التي هي سهولة الانقياد بالدليل فصدرا لكون مع الجامد من اقتدائنا بالأب الأعظم
وكان الخلاف والعسر مخالفا لملته فكان لا يجر إلى خير وكان من المعلوم أن كل حكم حدث بعده ليس من
ملته وكان اليهود يزعمون جهلا أنه كان على دينهم وكان السبت من أعظم شعائرهم أتبع ذلك قوله تعالى
جوابا لمن قد يدعي من اليهود أنه كان على دينهم وتحذيرا من العقوبة على الاختلاف في الحق بالتشديد في الأمر إنما جعل
أي بجعل من لا أمر لغيره السبت أي تحريمه واحترامه أو وباله على الذين اختلفوا فيه حين أمرهم بالجمعة
فقبل ذلك بعضهم وأراد السبت آخرون ليبدلوا بالجمعة السبت وشدد عليهم في أمره انتقاما منه بما تفهمه
التأدية بعلى فقال فكان ذلك وبالا عليهم وفي ذلك تذكير بنعمة التيسير علينا قال البغوي قال الكلبي أمرهم
موسى عليه السلام بالجمعة فقال تفرغوا في كل سبعة أيام يوما فاعبدوه يوم الجمعة ولا تعملوا فيه عملا لصنعتكم
وستة أيام لصناعتكم فأبوا إلا شرذمة منهم وقالوا لا نريد إلا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق يوم
السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالوا لا نريد
أن يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الأحد فأعطى الله الجمعة هذه الأمة فقبلوها وبورك لهم فيها وقال
عبد الرزاق في تفسيره أخبرني معمر أخبرني من سمع مجاهدا يقول في قوله إنما جعل السبت قال أرادوا الجمعة
وأخذوا السبت مكانه وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون
السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم وهذا يومهم الذي فرض الله عليهم
فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فاليهود غدا والنصارى بعد غد ولما كان الإشراك واضحا في
أمر النصارى استغنى بنفيه عنه عن التصريح بأنه ليس على دينهم ثم حذر من الاختلاف مثبتا أمر البعث فقال
وإن ربك أي المحسن إليك بطواعية أصحابك لك ليحكم بينهم أي هؤلاء المختلفين يوم القيامة واجتماع جميع
الخلائق فيما كانوا أي بجبلاتهم فيه يختلفون من قبول الجمعة وردها ومن الادعاء لتحريم الصيد وإباحته
وغير ذلك فيجازي كل فريق منهم بما يستحقه ولما قدم سبحانه في هذه السورة حكاية كثير من استهزائهم بوعده
ووعيده وتكذيبهم لرسله على البشر وصده النبي عن حرقة الحرص عليهم المفضي إلى شدة التأسف على ضلالهم
وغير ذلك مما أيأس منهم فلا تقدعون دعاءهم واتبعه ضرب الأمثال ونصب الجدال على تلك المناهج المعجزة بما يليق
من ظواهرها إلى الفهم عند قرع السمع من المعاني الجليلة والمقاصد الجميلة لعامة الخلق ما يجل عن الوصف إذا
تأملها الخواص وصرفوا فيها من دقائق الحقائق ومشارع الرقائق ومحكم الدلائل ومتقن المقاصد والوسائل ما يوضح
بتفاوت الأفهام وتباين الأفكار أنه بحر لا ساحل له ولا قرار ولا منتهى لما يستخرج منه الأنظار وختم باتباع الأعظم عظم
لما كان ذلك رأى أصحابه نبيه صلى الله عليه وسلم وهو الشهم المطيع أن يستن بآثاره ويقتدي بإضماره وإظهاره
فترك له تلك المسألة التي أمره باتباعها فقال ادع أي كل من تمكن له دعوته إلى سبيل ربك أي المحسن إليك بتسهيل
السبيل الذي تدعو إليه واتباعه وهو الإسلام الذي هو الملة الحنيفية بالحكمة وهي المعرفة بمراتب الأفعال
في الحسن والقبح والصلاح والفساد وقيل لها حكمة لأنها بمنزلة المانع من الفساد وما لا ينبغي أن يختار فالحكيم هو العالم
بما يمنع من الفساد قاله الرماني وهي في الحقيقة الحجة الصحيحة لمن كان أهلا له دعاءه بها والموعظة بضرب الأمثال والوعد
والوعيد مع خلط الرغبة بالرهبة والإنذار بالبشارة الحسنة أي التي تسهل على كل فهم ظاهرها ويروق كل
نحرير ما تضمنته من إيهام اللين في مقصودها وتأديتها هذا لمن لا يحتمل الأدلة وجادلهم أي الذين يحتاجون ذلك
منهم إن فتلهم عن مذاهبهم الباطلة المذهبات الحق بطريق الحجاج بالتي هي أحسن من الطرق بالرفق واللين والوقار

والوقار والسكينة والإعراض عنهم يأسا منهم ولا تجازهم بسيء مقالهم وقبيح فعالهم صفحا عنهم ورفقا بهم فهو
بيان لأصناف الدعوة بحسب عقول المدعوين لأن الأنبياء مأمورون بأن يخاطبوا الناس على قدر عقولهم
وتنزل الدعوة إن كانت لتقرير الدين وتثبيت الاعتقاد في قلوب أهله وهي مع ذلك يقينية مطهرة عن احتمال
نقيض فهي الحكمة وهي لطالب الحق المذعن إن كان مستعدا للقبول بفكره الثاقب وإن كان معارفه لاحتمال النقيض
مستندة للظن والإقناع فهي الموعظة وهي للذهن الذي لا استعداد له وإن كانت لإلزام الجاحدين وإفحام المعاندين
فهي المجادلة فإن كانت مركبة من مقدمات مسلمة عند الجمهور وعند الخصم فقط فهي الحسنة فإن كانت من مقدمات
كاذبة غير مسلمة يروج وجهها بالحيل الباطلة والطرق الفاسدة فهي السيئة التي لا تليق بمنصفهم على الملازمة
لمرعاكم على هذا الوجه بقوله إن ربك أي المحسن إليك بالتخفيف عنك هو أي وحده أعلم أي من كل من يتوهم
فيه علم بمن ضل عن سبيله فكان في أدنى دركات الضلال وهو أعلم بالضالين الراسخين في الجور عن الطريق فلا
انفكاك لهم عن حال الضلال وأنا أعلم بمن اهتدى لسبيله فكان في أدنى دركات الهداية وهو أي خاصة أعلم بالمهتدين
أي الذين هم في النهاية منها فالآية من الاحتباك ذكر أولا من ضل دليلا على حذف ضده ثانيا والمهتدين ثانيا
دليلا على حذف ضدهم أولا وأما أنت فلا علم لك بشيء من ذلك إلا بإعلامنا وقد أرسلناك للبلاغ المبين فلا تفتقر
عنهم معرضا عن الحرص المهلك واليأس فإنه ليس عليك هداهم ولما بين أمر الدعوة أوضح طرقها وقدم أمر الحجة والإكراه
في الدين والقتل فيه المشير إليها سيف ذلك من الحدود البلاد من الكفار ظاهر وختم ابن ذلك بالأمر بالرفق كان ختم لبعد
ما خشيه صلى الله عليه وسلم به من الأمر بالرفق بالأمر بأتباعه بالعدل والإحسان كما تقدم ولو مع أعدى الأعداء
والنهي عن مجاذاتهم إلا على ذلك الوجه فقال وإن عاقبتم أي كانت لكم عاقبة عليهم تتمكنون فيها من أذاهم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم ولما كان الأمر عاما أن كل فعل من المعاقبة من أي فاعل كان فلم يتعلق بتعيين الفاعل غرض بين
للمفعول قوله عوقبتم به وفي ذلك إشارة إلى ما جرت به عوائد الملوك في كلامهم إلى إذا إبانهم عليهم وإسلامهم
في بدئهم وجعله بأداة الشك إشارة إلى ما بين الخوف والرجاء ولما أباح لهم درجة العدل دعاهم إلى رتبة الإحسان بقوله
ولئن صبرتم بالعفو عنهم لهو أي الصبر خير للصابرين وأظهر في موضع الإضمار مدحا لهم وتعليقا بالوصف ولما كان التقدير
فاصبروا عطف له إفرادا له صلى الله عليه وسلم بالأمر إجلالا له وتسلية فيما كان سبب نزول الآية من التمثيل بعمه حمزة
رضي الله عنه وتنويها بعظم مقام الصبر زيادة في حث الأمة لأن أمر الرئيس أدعى لامتثال أتباعه فقال واصبر ثم أتبع ذلك
ما يحث على دوام الامتثال المنتج للمراقبة والغناء عن الأغيار ثم الغناء عن الفناء إليك لئلا يتوهم أن الاصطبار فعله مستقلا بالاتفاق
وما صبرك أي أيها الرسول الأعظم إلا بالله أي الملك الأعظم الذي شرع لك هذا الشرع الأقوم وأنت قائم في نصره
ولقد قابل هذا الأمر صلى الله عليه وسلم بأعلى مقامات الصبر وذلك أنهم مثلوا بقتلى المسلمين في غزوة أحد إلا حنظلة
الغسيل فإن أباه كان معهم فتركوه له فلما وقف النبي صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة رضي الله عنه وقد جدعوا أنفه
وقطعوا أذنيه وجبوا مذاكيره وبقروا بطنه نظر إلى شيء لم ينظر أوجع لقلبه منه فقال رحمة الله عليك فإنك
كنت فعالا للخير وصولا للرحم ولولا أن تحزن صفية لسرني أن أدعك حتى تحشر من أجواف شتى أما والله لئن أظفرني فى
الله بهم لأمثلن بسبعين منهم وقال الصحابة رضي الله عنهم لنزيدن على صنيعهم فلما نزلت الآية بادر صلى الله عليه وسلم
إلى الامتثال وكان لا يخطب خطبة إلا نهى عن المثلة واحتمل يوم الفتح بأن نهى عن قتالهم وأعتقهم بعد أن صاروا
في قبضته ولما كان بعد توطين النفس على الصبر وتفريغ القلب من الأجنبي يرجع إلى الأسف على إهلاكهم أنفسهم بما دهم
على العتو على الله قال ولا تحزن عليهم أي في شدة كفرهم فتبالغ في الحرص الباخع للنفس ولما كان سبحانه في مقام التيسير
بالحمل الكبير والموطن الخطير الذي ما جازه قبل نبينا صلى الله عليه وسلم بشر ولا يدرك ذلك وهو الإسراء إلى الملكوت
الأعلى والمقام الأسمى من السموات العلى وحضرات القدس ومحال الأنس وطالت للآن سورة النحل بمقامات الكرم إلى
قارب الوصول إليه أوجز في العبارة بحذف حرف مستغنى عنه دلالة عليه فقال ولا تك بحذف النون إشارة إلى ضيق
الحال عن أدنى إطالة وأبرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الديار من الديار وهذا خلاف ما يأتي في سورة النمل إن شاء
الله تعالى في ضيق ولو قل لأن لوح إليه تنوين التحقير بما يشير إليه حذف النون فإن أذى الكفار الذي السياق
للتسلية عنه لا يؤثر في المقصود الذي بعثت لأجله وهو إظهار الدين وقمع المفسدين بوجه من الوجوه مما يمكرون أي من
استمرار مكرهم واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وكائنه وقدر أي فاصبر فإن أمر معزك ومظهر دينك وإن كرهوا ثم علل ذلك
بقوله إن الله أي الجامع لصفات الكمال بلطفه وعونه مع الذين اتقوا أي وجد منهم الخوف من الله فكانوا في أول منازل
التقوى وهو مع المتقين الذين كانوا في النهاية منها فعدلوا في نعاليهم من التوحيد وغيره عملا بأمر الله في الكتاب الذي هو تبيان

لكل شيء وهو مع الذين احسنوا فكانوا في اول درجات الاحسان والذين هم اي بضمائرهم وظواهرهم محسنون اي صار الاحسان لهم غريزة منفكة لهم فهم في حضرات الرحمن وانت راس المتقين المحسنين فالله معك ومن كان الله معه كان غالبا وصفقته رابحة وحاله صالحة وامره عال وضده له اسوأ الاحوال فلا تستعجلوا قلقا كما استعجل الكفار استهزاء تخلقا في التأني والحكم بصفة من تنزه عن صفة نقص الاستعجال وتعالى عن ادعاء الاكفاء والامثال فقد عانق آخرها اولها ورد افق مقطعها مطلعها وآخرها احتباك ذكر الذين اتقوا اولا دليلا على حذف الذين احسنوا ثانيا والمحسنين ثانيا دليلا على حذف المتقين اولا والله الموفق

سورة الاسرا وتسمى سبحان وبني اسرائيل المقصود منها الاقبال على الله وحده وخلع كل ما سواه لانه وحده المالك لتفاصيل الامور وتفضيل بعض الخلق على بعض وذلك هو العمل بالتقوى التي ادناها التوحيد التي افتتحت به النحل واعلاها الاحسان الذي اختتمت به وهو الفنا عما سوى الله وهو من اوائل ما انزل روى البخاري في فضائل القرآن وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال بنو اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء هن من العتاق الاول وهن من تلادي وكل من اسمائها واضح الدلالة على ما ذكر انه مقصودها اما سبحان الذي هو علم التنزيه فمن اظهر ما يكون فيه لان من كان على غاية النزاهة عن كل نقص كان جديرا بان لا يعبد الا اياه وان نعرض عن كل ما سواه لكونه متصفا بما ذكر واما الاسرا فمن عرف تفاصيل امره كلها علم ان الفاعل له متصف بكل ما ذكر واما بنو اسرائيل فمن احاط ايضا بتفاصيل امرهم في سيرهم الى الارض المقدسة الذي هو كالاسرا وايتائهم الكتاب وما ذكر مع ذلك من امرهم في السورة عرف ذلك بسم الله الملك المالك لجميع الامر الرحمن لكل ما اوجده بما رباه الرحيم لمن خصه بالتزام العمل بما يرضاه لما كان مقصود النحل التنزه عن الاستعجال وغيره من صفات النقص والاتصاف بالكمال المستلزم لانه قادر على الامور لما ابتدأها به من انه جعل الساعة كلمح البصر او اقرب وختمها بعد تفضيل ابراهيم عليه السلام والامر باتباعه بالاشارة الى نصر اوليائه مع ضعفهم في ذلك الزمان وقلتهم على اعدائه على كثرتهم وقوتهم وكان ذلك من خوارق العادات ونواقض المطردات وامرهم بالتأني والاحسان افتتح هذه بتحقيق ما اشار الى ذلك الختم اليه بما خرقه من العادة في الاسرا وتنزيه نفسه الشريفة من توهم استبعاد ذلك تكذيبا على انه قادر على ان يفعل الامور العظيمة الكثيرة الخارقة في اسرع وقت المحسن ومتولها بالعبد محمد صلى الله عليه وسلم واعلاما بانه راس المحسنين واعلاهم رتبة واعظمهم منزلة بما اتاه من الخصايص التي منها المقام المحمود وتمثيلا لما اقترب من امر الساعة فقال سبحان وهو علم للتنزيه دال على ابلغ ما يكون من معناه منصوب بفعل متروك الاظهار فسد مسده الذي اسرى فنزه نفسه الشريفة عن كل شائبة نقص يمكن ان ينسبه اليه اعداؤه وهذا اللفظ ان بلغ عقب الامر بالتأني آخر النحل كما نزه نفسه بذلك اللفظ عقب النهي عن الاستعجال في اولها وهو ادل ما على من ردهم عليه وتكذيبهم له اذا حدثهم بالاسرا وفيه مع ذلك ايماء الى التعجب من هذه القصة للتنبيه على انها من الامور البالغة في العظمة الى حد لا يمكن استيفاء وصفه ولما كان حرف الجر مقصورا على افادة التعدية في سرى الذي بمعنى اسرى وكان اسرى يستعمل متعديا وقاصرا عبر به واختير القاصر لدلالته على المصاحبة زيادة في التشريف فقال تعالى بعبده اي الذي هو اشرف عباده واحقهم بالاضافة اليه الذي لم يتعبد قط لسواه من صنم ولا غيره لرجا شفاعة ولا غيرها ولما كان الاسرا هو السير في الليل وكان الشيء قد يطلق على جزء معناه بدلالة التضمن مجازا ارشد نفي هذا بقوله ليلا وليدل بتنوين التحقير على ان هذا الامر الجليل كان في جزء يسير من الليل وعلى انه عليه الصلاة والسلام لم يحتج في الاسرا والعروج الى سدرة المنتهى وسماع الكلام العلي الاعلى الى رياضة بصيام ولا غيره بل كان مهيأ لذلك متأهلا له فاقامه تعالى من الفرش الى العرش من المسجد الحرام اي من الكعبة المشرفة مسجد ابراهيم عليه السلام قيل كان نائما في الحطيم وقيل في الحجر وقيل في بيت ام هاني وهو قول الجمهور فالمراد بالمسجد حينئذ الحرم لانه فنا المسجد الى المسجد الاقصى اي الذي هو ابعد المساجد حينئذ وابعد المسجدين الاعظمين مطلقا من مكة المشرفة بينهما اربعون ليلة فصلى بالانبيا كلهم ابراهيم وموسى ومن سواهما على جميعهم افضل الصلاة والسلام وراى من اياتنا ما قدرناه له ورجع الى بين اظهركم الى المسجد الاقرب منكم في ذلك الجزء اليسير من الليل وانتم تضربون اكباد الابل في هذه المسافة شهرا ذهابا وشهرا ايابا ثم وصفه بما يقتضي تعظيمه وانه اهل للقصد فقال الذي باركنا اي بما لنا من العظمة بالمياه والاشجار وبانه مقر الانبيا ومهبط الملايكة وموضع العبادات ومعدن الفواكه والارزاق والبركات حوله اي لاجله فما ظنك به نفسه فهو ابلغ من باركنا فيه ثم منه الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى ما لم يبلغه بشر غيره صلى الله عليه وسلم ولعله حذف ذكر المعراج من القرآن هنا لقصور فهومهم عن ادراك ادلته لو انكروه بخلاف الاسرا فانه اقام دليله عليهم بما شاهدوه من الامارات التي وصفها لهم وهم قاطعون بانه صلى الله عليه وسلم لم يرها قبل ذلك فلما بان صدقه بما ذكر من الامارات اخبر بعد ذلك من اراد الله بالمعراج ثم ذكر سبحانه الغرض من الاسرا بما يزيد في تعظيم المسجد فقال لنريه بعينه وقلبه من اياتنا السماوية

السماوية والارضية كما ارينا اباه الخليل عليه السلام ملكوت السموات والارض وحصل الالتفات لتعظيم الايات والبركات روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به بايليا بقدحين من خمر ولبن فنظر اليهما فاخذ اللبن فقال جبريل الحمد لله الذي هداك للفطرة لو اخذت الخمر غوت امتك وعن جابر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن اياته وانا انظر اليه ولما كان المعول عليه غالبا في ادراك الايات حس السمع والبصر وكان اتمام الانتفاع بذلك انما هو بالعلم وكان سبحانه قد خص هذا النبي صلى الله عليه وسلم من كمال الحس بما لعدمه حس غيره عدما عبر عن ذلك بقوله انه اي هذا العبد الذي اختصصناه بالاسرا هو اي خاصة السميع اي اذنا وقلبا بالاجابة لنا والاذعان لاوامرنا العليم بصيرة وبصرا بدليل ما اخبرهم من الايات وصدقه من الدلالات حين نعت ما سالوه عنه من بيت المقدس ومن امر عيرهم وغيرها مما هو مشهور من قصة الاسرا مما كان يراه وهم يبعث لهم وهم لا يرونه ولا يقاربون ذلك ولا يطمعون فيه وقال من كان دخل منهم الى بيت المقدس اما النعت والله لقد اصاب واخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا ذلك اليوم يشتدون ثنية فقال قائل هذه والله الشمس قد طلعت فقال اخرهم وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يومنوا وقالوا ان هذا الا سحر مبين قال الرازي في اللوامع وكان صلى الله عليه وسلم ابصر جميع ما في الملكوت بالعين المبصرة مشاهدة لم يسترب فيه حتى روي انه قال رايت ليلة اسري بي الى العلى الذرة تدب على وجه الارض من سدرة المنتهى وذلك لخرق بصره والبصر على اقسام بصر الروح وبصر العقل الذي منه التوحيد وبصر القربة الذي خص به الاولياء وهو نور الفراسة وبصر النبوة وبصر الرسالة وهذه الابصار كلها مجموعة لرسولنا صلى الله عليه وسلم زيادة بصر زيادة الرسل وسيادتهم فانه سيد المرسلين وقايدهم وكان مطلعا على الملك والملكوت كما قال زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وكان يبصر من وراءه كما يبصر من امامه كما اخرجه الشيخان وغيرهما من حديث انس رضي الله عنهم وفي كثير من طرقهم عدم التقييد بالصلاة وهذا صريح في ان بصره لم يكن متقيدا بالعين بل خلق الله الابصار في جميع اعضائه وكذا السمع فان كون العين محلا لذلك وكذا الاذن انما هو بجعل الله ولو جعل ذلك في غيرها لكان كما يريد سبحانه بالاجماع ولم تكن الظلام يمنعه من نفوذ البصر ففي مسند احمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال فقدت رحلي ليلة فمررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يشد لعائشة رضي الله عنها فقال ما لك يا جابر فقلت فقدت رحلي او ذهب في ليلة ظلماء فقال لي هذا جملك اذهب فخذه فذهبت نحوا مما قال لي فلم اجده فرجعت اليه فقلت بابي وامي يا رسول الله ما وجدته فقال لي على رسلك حتى اذا فرغ اخذ بيدي فانطلقنا حتى اتينا الجمل فدفعه الي فقال هذا جملك الحديث وروى البيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وروى مثله عن عائشة رضي الله عنها وقال القاضي عياض في الشفا وحكى بقي بن مخلد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء واسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ وجوز ان يكون اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بعد الاسرا انتهى وقد اخرج حديث ابي هريرة هذا الحافظ نور الدين الهيثمي في زوائد المعجمين الاوسط والاصغر للطبراني ولعل هذا من مناسبة تعقيب هذه الاية بذكر موسى عليه السلام وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تقدم قوله ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا الى قوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا الاية كان ختام ذلك بتفضيل ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبيا لاستماع الامر بالاتباع فاعقب ذلك بسورة الاسرا وقد تضمنته من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم وانطوت على ما حصل منه المنصوص في الصحيح والمقطوع به والمجمع عليه من انه صلى الله عليه وسلم سيد ولد ادم فاستفتحت السورة بقصة الاسرا وقد تضمنت حسبما وقع في صحيح مسلم وغيره امامته بالانبيا عليهم الصلاة والسلام وفيهم ابراهيم وموسى عليهما السلام وغيرهما من الانبيا من غير استثنا هذه رواية ثابت عن انس رضي الله عنه وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي القران فيه تبيانا لكل شيء وجعل امتي خير امة اخرجت للناس وجعل امتي وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم عليه السلام بهذا فضلكم محمد وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه من طريق الربيع بن انس وذكر سدرة المنتهى وانه تبارك وتعالى قال له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما سخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى

قد اتخذتك حبيبًا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الله وارسلتك للناس كافة وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم البقرة من كنز تحت العرش لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي حديث شريك انه راى موسى عليه السلام في السما السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك مما لا يعلمه الا الله فقال رب لم اظن ان يرفع علي احد وفي حديث علي بن ابي طالب خرجه البزار في ذكر تعليمه عليه السلام الاذان وخروج الملك هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه وفيه ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام باهل السما فيهم ادم ونوح وفي هذا الحديث قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين رواية اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم على اهل السموات والارض قال ابن الزبير وقد جعل حصل منه تفضيله صلى الله عليه وسلم بالاسرا وخصوصه بذلك ثم قد انطوت السورة على ذكر المقام المحمود وهو مقامه في الشفاعة الكبرى وذلك مما خص به حسبما ثبت في الصحيح وانعقد عليه اجماع اهل السنة ولا اعلم في الكتاب العزيز سورة تضمنت من خصايصه الذي فضل به كافة الانبيا مثل ما تضمنت هذه انتهى ولما ثبت بهذه الخارقة ما اخبر به عن نفسه المقدسة من عظيم القدرة على كل ما يريد وما حباه صلى الله عليه وسلم به من الايات البينات في هذا الوقت اليسير اتبعه ما سوى في التيسير من سير الى الارض المقدسة من الايات في مدد طوال صدا لموسى عليه السلام الذي كان اعظم الانبيا بركة على هذه الامة ليلة الاسرا كما ارشد النبي صلى الله عليه وسلم اليه من مراجعة الله تعالى في تخفيف الصلاة حتى رجعت من خمسين الى خمس باجر خمسين والذي كان اكمل العروج بعد ان ناجاه الله وقربه راس جبل الطور بعد الامر بالرياضة بالصوم والتخلي اربعين يوما والذي تقدم في اخر النحل ان قومه اختلفوا عليه في السبت تحذيرا من مثل حالهم وتسلية عمن تبعهم في تكذيبهم وصدق لهم وذلك في سياق التحذير من عظايم البلا فقال تعالى عاطفا على ما تقديره فاتينا عبدنا محمدا صلى الله عليه وسلم الكتاب لفضل المعجز وجعلناه هدى للخلق كافة وتولينا حفظه فكان اية باقية حافظة لدينه دايما **واتينا** اي بعظمتنا **موسى الكتاب** اي الجامع لخيري الدارين التوراة واحسانه معظما له بنون العظمة تساوي بين النبيين في تعظيم الادلة والايتا وخص محمدا صلى الله عليه وسلم باضافة ايا تمام لك مظهر العظمة وكان ايتا موسى عليه السلام الكتاب في نيف واربعين سنة بعد ان اخرج معه بني اسرايل من حبايل فرعون وجنوده الذين كانوا لا يحصون كثرة بتلك الايات الهايلة التي لا يشك عاقل ان من قدر عليها لا يمتنع عليه شي اراده وفي هذه المدة الطويلة بل بزيادة كان وصول بني اسرايل من مصر الى هذا المسجد الذي اوصلنا عبدنا اليه ورددناه اليكم في بعض ليلة اكبا البراق الذي كان يركبه الانبيا قبله يضع حافره في منتهى طرفه وبنو اسرايل كانوا يرون جميع النهار مجتهدين ثم يبيتون في الموضع الذي ادلجوا منه في التيه لا يقدرون ان يجوزوه اربعين سنة على ما قال كثير من العلما وانهم كانوا في هذه المدة يدورون حول جبل ادوم كما في التورية فثبت انا انما نفعل بالاختيار على حسب ما نراه من الحكم ثم ذكر ثمرة كتاب موسى عليه السلام فقال **وجعلناه** اي الكتاب بما لنا من العظمة **هدى** ولما كان هذا التنوين يمكن ان يكون للتعظيم يستغرق الهدى بين الحال بقوله **لبني اسرايل** بالحمل على العدل في التوحيد وعلى الاحكام واسرينا بموسى عليه السلام وبقومه من مصر الى بلاد المسجد الاقصى فاقاموا سايرين اليها اربعين سنة ولم يصلوا ومات كل من خرج منهم من مصر الا النقيبين الموفيين بالعهد فقد بان الفضل بين الكتابين فذكر الاسرا اولا دليل على حذف مثله لموسى عليه السلام ثانيا وذكر ايتا الكتاب ثانيا دليل على حذف مثله اولا فالاية من الاحتباك ثم نبه على ان المراد من ذلك كله التوحيد اعتقادا وعبادة بقوله **ان لا** اي لايلا **يتخذوا** بالياء التحتانية في قراة ابي عمرو وبالفوقانية في قراة الباقين فنبه بصيغة الافتعال على انه لكثرة ما على وحدانيته من الدلايل وله من الاطلاعة من المزايا والفضايل لا يعدل عنه الى غيره الا بتكلف عظيم من النفس منازعة بين الهوى والعقل وما فطر سبحانه عليه النفوس من الانقياد اليه والاقبال عليه ونفر من له همة عليه ونفي التشريك بقوله منبها بالجار على تكاثر الرتب دون رتبة عظمته سبحانه وعدم الاستغراق لها نازلا عن نون العظمة للتنصيص على المراد من دون لبس بوجه **من دوني** وقال **وكيلا** اي ربا يكلون اليه امورهم ويعتمدون اليه من صنم ولا غيره لتقربا اليه بشفاعة ولا غيرها منبها بذكر الوكالة على سفه ارايهم في ترك من يكفي في كل شي الى من لا كفاية عنده لشي ثم اتبعه ما يدل على انهم بشر فلابهم وانه لم ينفعهم اذ الاوهم اليه عند ارادة الانتقام بما ارتكبوا من الاجرام فقال منبها على الاهتمام بالتوحيد والامر بالاخلاص بالعود الى مظهر العظمة حينئذ لا لبس نامسا على الاختصاص في قراة ابي عمرو وعلى الندا عند الباقين تذكيرا بنعمة الانجا من الغرق **ذرية من حملنا** اي في السفينة على ظهر ذلك الما الذي طبق ما تحت اديم السما وبنيه على شرفهم وتمام نعمتهم بقوله **مع نوح** اي من اولادهم واولاد الذين اشرفهم ابراهيم الذي كان شاكرا ابا اسرايل عليهما السلام كان العصاة ان من كان معه من غيرهم ماتوا ولم يعقبوا فلم يبق ذرية نوح لتعلم انهم عقب اولاد المومنين ليكونوا تلاء بهم اخرى ثم نبه على تقواه واحسانه حثا على الاقتدا به بقوله **انه كان** اي كونا جبليا **عبدا شكورا** اي بالغا في الشكر الذي هو صرف جميع ما انعم الله به فيما خلقه له ناحين اليه لشكره بان جعل في ذريته

ذريته النبوة والكتاب كما فعل بابراهيم عليه السلام لانه كان شاكرا فاقتدوا بهذين الابوين العظيمين في الشكر يزدكم ولا تقلدوا غيرهما في الكفر نعذبكم وخص نوحا عليه السلام لانه ما ابقى لاحد ما ابقى لقومه ولا امهل احدا ما امهلهم ثم اهلكهم اجمعين كما اوحينا اليه قوله حملنا اهلاك نفس واحدة ثم اذهبنا الابعاد انما بالتدريج ومن طوله فثبت انه منزه عن العجلة وانه تارة يفعل الامور الكبيرة الشاقة في اسرع وقت وتارة يفعل ما هو دونها في ازمان الطوال فبان كالشمس انه انما يفعل على حسب ما يريد على ما تقتضيه حكمته روى البخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال انا سيد الناس يوم القيمة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فذكر حديث الشفاعة العظمى واتيانهم الانبيا ادم وبعده اولي العزم عليهم الصلاة والسلام وانهم يقولون لنوح عليه السلام قد سماك الله عبدا شكورا وكلهم يتبرا ويحيل ويحيل على من بعده الى ان وصل الامر الى نبينا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبيا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اشفع لنا الى ربنا الا ترى الى ما نحن فيه فانطلق فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثنا عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه اشفع تشفع فارفع راسي فاقول امتي يا رب امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركا الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير او كما بين مكة وبصرى ثم اتبع ذلك ما يدل على شرف كتاب موسى وصحة نسبته الى الله تعالى بما يقتضي شمول العلم وتمام القدرة كشف عنه الزمان من صدق اخباره وضخامة وعيده وانذاره تنبيها على ان من كذب بكتابه اهلكه كاينا من كان وان طال امهاله له فلا يغتر بحلمه لان الملوك لا تقدر على ايقاع بعض ما في ملكه فقال **وقضينا** اي بعظمتنا بالوحي المقطوع به منزلين ومنتهين **الى بني اسرايل** اي عبيدنا يعقوب عليه السلام الذي كان الموحى اليه زمانه لنا **في الكتاب** الذي اوصلناه اليهم على لسان موسى عليه السلام **لتفسدن في الارض** اكده لانه على الشيء بالقسم لانه يستبعد الا نسا مع الكتاب المرشد **في الارض** اي المقدسة التي كانت لشرفها هي الارض وما يخصب الله **مرتين ولتعلن علوا** اي بما صار ثم اليه من البطر لنسيان المنعم **علوا كبيرا** بالظلم والتمرد ولا ينتقم منكم الا على حسب ما تقتضيه حكمتنا في الوقت الذي نريد بعد امهال طويل في الرضا فصل الامر على احكامه **فاذا جا وعد اولاهما** اي وقته الذي حددناه له للانتقام فيه **بعثنا** اي بعظمتنا ونبه على انهم اعدا بقوله **عليكم** ونبه على عظمته وقدرته وسعة ملكه بقوله **عبادا لنا** اي لا يدان لكم بهم لما وهبنا لهم من عظمتنا **اولي باس** اي عذاب وشدة في الحرب شديدة **شديد فجاسوا** اي ترددوا مع الظلم والعسف وشدة السطوة والجوس طلب الشيء بالاستقصا **خلال** اي بين **الديار** الملزوم لقتل اهلها وسعو لهم لعدة ذلك العلو الكبير والخلال انفراج ما بين الشيئين واكثر بحرب من الوهن **وكان** اي ذلك البعث **وعدا مفعولا** اي لا شك في وقوعه ولا بد ان يفعل لانه لا مانع يمنعنا منه ولا مبدل لقولنا الا عاجزا وجاهل عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جالوت وجنوده وعن سعيد بن المسيب انهم بخت نصر وجنوده وعن حسن العمالقة وعن سعيد بن جبير سنحاريب وجنوده قال في السفر الخامس من التوراة اشارة المعنى المرة الاولى والله اعلم وان انتم لم تسمعوا قول الله ربكم ولم تحفظوا ولم تعملوا بجميع سننه التي امركم لها اليوم ينزل بكم هذا اللعن الذي يقص عليكم كله ويدرككم العقاب وتكونوا في القرية وفي السفر وفي الحقل ويلعن نسلكم وثمار ارضكم وتكونوا ملعونين اذا دخلتم وملعونين اذا خرجتم ينزل بكم الرب البلا والحسرات وينزل بكم الضربات الشديدة في كل شي تمدون ايديكم اليه لتعملوه حتى يهلككم ويتلفكم سريعا من اجل سوء اعمالكم وترككم لعبادتي ويسلط الله عليكم الموت من الارض التي تدخلونها لترثوها ويضربكم الله بالحيرة والعقل والبهق والبرص والحريق باشتعال النار وباليرقان والجرب والسموم ويسلط عليكم هذه الشعوب حتى تهلكوا وتكون السما التي فوقكم عليكم اشبه النحاس والارض التي تحتكم شبه الحديد ويصير لك الرب سطوا ارضكم غبارا ويكبسكم الرب بين يدي اعدايكم تخرجون اليهم في طريق واحدة وتهربون في سبعة طرق وتكونون مثلا وفزعا لجميع مملكات الارض وتكون جيفكم لجميع السباع وطيور السما ولا يذب احد عنكم ويضربكم الرب بالجراحات التي ضرب بها اهل مصر وسليكم بالبهق والرجب والحكة ولا يكون لكم شفا من ذلك ويضربكم الرب بالعمى والكمه وزعب القلوب وتكونون تجسسون في الظهيرة مثل ما يتجسس العميان ولا يتم شيا مما تتكلون ولا يكون لكم منقذ تخطبون المراة فيتزوجها غيركم وتبنون بيتا ولا تسكنونه غيركم تغرسون كرما ولا تقطفون منه وتذبحون ثيرانكم بين ايديكم ولا تاكلون منها شيا ويوخذ حماركم ظلما ولا تقدران تخلصه ويسوق العدو اغنامكم ولا يكون لكم منقذ ويسبى بنوك وبناتك بتعب اخر وتنظر اليهم ولا تقدر لهم على خلاص وتشقى وتغتم لما رات كله اجمع ولا يكون لك حيلة وثمار ارضك وكل كدك ياكله شعب لا تعرفه وتكون مضطهدا

مظلوما طول عمرك ويضربك الرب بجرح ردي على ركبتيك وساقيك ولا يكون لك [illegible] وليسلط عليك الجراحات من قرنك
الى قدميك ويسوقك الرب ويسوق ملكك الذي يملكه عليك الى شعب لم يعرفه ابوك وتعبد هناك الهة عملت
من خشب وحجارة وتكون مثلا وعجبا ويفكر فيك كل من يسمع خبرك ثم قال [illegible] وتولد لك بنون وبنات ولا يكونون لك
بل يسبون وينطلق بهم مسبيين ثم قال وليسلط الرب عليك شعبا [illegible] وانت جائع ظمآن وتخدم اعداءك الذين يسلطهم
الرب عليك [illegible] شعبا لا تفهم لسانهم شعب وجوههم صفيقة لا يستحيون
الشيوخ ولا ترحم الصبيان ويضيق عليك في جميع قراك حتى [illegible] المشيدة التي تتوكل عليها وتثق بها ويضطر
حتى تاكل لحم ولدك من الحاجة والضيق الذي يضيق عليك عدوك والرجل المدلل منكم المتلذذ المتنعم تنظر عينه الى اخيه
وخليلته التي بين يديه [illegible] لا يبقى عنده شيء من [illegible] والضيق الذي يضيق
عليك عدوك في كل قراك والمرأة المدللة المتنعمة [illegible]
ذوجها والى ابنها وبنتها والى ولدها الذي تلده وهي تأكلهم وذلك من الحاجة والفقر وعدم الطعام مما يضيق عليك عدوك
ويضطهدك في جميع قراك والملابس سبحانه انه قادر على اذلال العزيز بعد فخامة عزه بين انه مقتدر على اذالته على من قوي بعد
طول ذله اذا خفاه من ذنوبه وهذبه من ذنوبه فقال مشيرا باداة التراخي الى عظمة هذه الادلة تحرقا للعوائد ثم رددنا
اي بما لنا من العظمة وعجل لهم البشرى بقوله لكم اي خاصة الكرة عليهم اي العودة والعطفة وبين ان ذلك مع السطوة
بقوله عليهم قال بعض المفسرين في زمن داود عليه السلام وامددناكم اي اعناكم بعظمتنا باموال تستعينون
بها على قتال اعدائكم وبنين اي تتقوون بكم وجعلناكم اي بعظمتنا اكثر اي من عدوكم نفيرا اي ناسا ينفرون معكم اذا
استنفرتموهم للقتال ونحوه من المهمات والظاهر انه ليس المراد من هذه المرة الثانية وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول
مرة وداود عليه السلام لم يكن المسجد ولم يكمله انما كمله ابنه سليمان عليهما السلام من بعده والذي عندي من قال ذلك ان
ان بني اسرائيل كانوا قهروا قبل داود عليه السلام من الفلسطينيين وغيرهم ثم كان خلاصهم على يده عليه السلام كما مضت
الاشارة اليه في سورة البقرة قال في الزبور في المزمور الثالث عشر من يعطي صهيون الخلاص لاسرائيل اذا رد الرب
سبي شعبه يتهلل يعقوب ويفرح اسرائيل وفي الثالث والاربعين اللهم انا قد سمعنا باذاننا واخبرنا اباؤنا بالاعمال
التي صنعت في ايامهم الاولى فلنسبحك بالهنا كل يوم ونشكر اسمك الى الدهر الان اضعفتنا وافضحتنا ولم تكن يا رب
نصحب جيوشنا لكن رددتنا على اعقابنا عن اعدائنا واختطفنا مبغضونا جعلتنا ماكلة كالغنم وبددتنا بين الشعوب
بعت شعبك بلا ثمن اقللت كثرة عددهم صيرتنا عارا الى جيرتنا هزءا وطنزا لمن حولنا صيرتنا مثلا في الشعوب
وهزءا للرؤوس للامم خزني بين يدي النهار كله الخزي غطى وجهي من صوت المعير لي اللهم ان هذا كله قد نالنا ولم ننس
اسمك ولا نكثنا عهدك ولا ارتدت قلوبنا عنك عدلت بقصدنا عن سبلك اذ ازللتنا بمحال الوعرة غشيتنا بظلال
الموت ولم ننسك يا رب وقال في المزمور الثامن والسبعين والذي بعده اللهم ان الامم دخلت ميراثك ونجست هيكل
قدسك جعلوا اورشليم خرابا كالحرس وصيروا جثث عبيدك طعاما لطير السماء ولحوم اصفيائك لوحوش الارض سفكوا
دماءهم كالماء حول اورشليم وليس لهم دافن صرنا عارا الى جيرتنا هزءا وطنزا لمن حولنا حتى متى تسخط يا رب دائما
يشتعل مثل النار غضبك افض رجزك على الامم الذين لا يعرفونك وعلى الملوك الذين لا يدعوا اسمك فانهم اكلوا يعقوب
واخربوا دياره لا تذكر خطايانا الاول بل تبقنا نادرا [illegible] سريعا لانا قد تمسكنا جدا فكن لنا معينا يا الهنا ومخلصنا
ومن اجل اسمك يا رب نجنا واغفر لنا خطايانا من اجل اسمك لكي لا يقول الامم اين الههم عندما تعلم الشعوب وتنظر
عيوننا انتقام عبيدك المسفوكة وليدخل اليك تنهد الاسارى وكمثل عظمة ذراعك اقتني المتوفين جازهم ثم
في حضنهم للواحد سبعة بالعار الذي عيروك يا رب نحن شعبك وغنم رعيتك نشكرك الى الابد ونخبر بتسابيحك
من جيل الى جيل انصت يا راعي اسرائيل الذي هدى يوسف كالخروف انظر الينا يا الجالس على الكروبين استعلن قدام
افرايم وبنيامين ومنشا واظهر جبروتك وتعال لخلاصنا اللهم اقبل واشرق وجهك علينا وخلصنا اللهم ربنا القوي
حتى متى تسخط على صلاة عبيدك وتطعمهم الخبز وتسقيهم الدموع بالكيل جعلتنا عارا لجيراننا واستهزأ بنا اعداؤنا
اللهم رب القوات اقبل بنا واشرق وجهك علينا وخلصنا انت نقلت الكرمة من مصر طردت الشعوب وغرستها وسهلت
طريقها امامها سكنت اصولها امتلأت الارض منها ظلل الجبال ظلها واغصانها على ارز الله لذلك امتدت عروقها الى
البحر والى الانهار فروعها ثم لماذا هدمت سياجها وقطفها كل عابري السبيل خنزير الغاب افسدها وحيوان الوحشي رعاها
اللهم رب القوات اعطف علينا واطلع من السماء وانظر وتعاهد هذه الكرمة واصلح الغرس الذي غرسته يمينك
وابن الانسان الذي قويته وليهلك الذين احرقوها بالنار بزجرك ولتكن يدك على رجل يمينك وابن الانسان

وابن الانسان واصطفيته لك لا نبعد عنك واستنقذنا لنمجد اسمك اللهم رب القوات اعطف علينا واشرق وجهك
علينا وخلصنا وفي الرابع والثمانين وصيته يا رب على ارضك ورددت سبي يعقوب غفرت ذنوب شعبك سترت جميع
خطاياهم سكنت كل رجزك ورددت شدة غضبك وفي التاسع والثمانين قدوس اسرائيل ملكا ووحي بالملك كلمت بنيك
وقلت اني جعلت عونا للقوي ورفعت مختارا من شعبي ووجدت داود عبدي مسحته بدهن قدسي يدي اعانته وذراعي
تقويه عدوه لا يضره وابن الخطيئة لا يذله قطعت اعداءه من بين يديه ولمبغضيه نفرت اماني ورحمتي معه وباسمي ترتفع
قرنه جعلت في البحار طريقه وفي الانهار يمينه هو يدعوني انت الهي ناصري وخلاصي وانا اجعله بكرا رفيعا على جميع ملوك
الارض واحفظ عليه رحمتي الى الابد ثم قال وانت رفضت واقصيت مسيحك ونقضت عهد عبدك في الارض ودنست
قدسه وهدمت جميع سياجه وكل حصونه اخفتها اختطفه عابروا السبيل فصار عارا الى جيرته رفعت يمين اعدائه
وفرحت جميع مبغضيه رددت نصرة سيفه لم تعنه في الحرب ابطلت شجاعته طرحت في الارض كرسيه صغرت ايام
سنيه صببت خزيا عليه حتى متى تسخط يا رب الى الابد يتقد مثل النار رجزك اذكر خلقتك لي فانك لم تخلق الانسان
باطلا من هو الانسان الذي يعيش ولا يعاين الموت او ينجي نفسه من الجحيم اللهم اين رحمتك القديمة التي جعلت بحقك
لداود عليها اللهم اني اعداءك عيروا اثار مسيحك تبارك الرب الى الابد يكون يكون وفي الخامس بعد المائة خلصنا
يا الهنا واجمعنا من الامم لنشكر اسمك القدوس ونفتخر بتسبيحك تبارك الرب اله اسرائيل من الان والى الابد يقول
جميع الشعب يكون يكون وفي الخامس والعشرين بعد المائة اذا رد الرب سبي صهيون صرنا كالمتعزين حينئذ تمتلئ
افواهنا فرحا والسنتنا تهليلا حينئذ يقال في الامم قد اكثر الرب الصنيع معهم لا اكثر الينا فصرنا فرحين رد يا رب
اردد سبينا كاودية التيمن الذين يزرعون بالدموع ويحصدون بالفرح كانوا ينطلقون يبذرون زرعهم باكين ويأتون
متهللين بالتهليل حاملين غلاتهم وفي السادس والثلاثين بعد المائة على انهار بابل جلسنا هناك وبكينا حين ذكرنا صهيون
وعلقنا قيثاراتنا على الصفصاف الذي في وسطها لان الذين سبونا سألونا هناك قول التسبيح والذين انطلقوا
قالوا سبحوا الناس تسابيح صهيون كيف نسبح لكم من تسابيح الرب في ارض غريبة ان نسيتك يا اورشليم فتنساني يميني وتلصق
لساني بحنكي ان لم اذكرك وان لم اسبق واصعد الى يروشليم في ابتداء فرحي اذكر يا رب ادوم في يوم اورشليم القائلون
اهدموا اهدموا الاساس منها يا ابنة بابل الشقية طوبى لمن يجازيك جزاء صنيعك بنا طوبى لمن اخذ اطفالك وضرب بهم الصخرة
وهذا الذي في هذا المزمور ايذان بانه كلهم من بخت نصر وقد تقدم غير مرة ان ما كان بينا ينقل من هذه الكتب القديمة
من لفظة توهم نقصا كالابن ونحوه فانما على تقدير صحتها عنهم لا يجوز اطلاقه في شرعنا والظاهر ان هذه الادلة المذكورة
في القران في هذه المرة هي الكرة التي كانت في ايام عزير عليه السلام على يد كورش ملك الفرس كما يأتي ان شاء الله تعالى لان الذين كانوا
قهروهم اولا هم اجناد بخت نصر كما تقدم في سفر انبياء بني اسرائيل الذين كانوا بعد موسى عليه السلام ان الله تعالى اوحى
الى ارميا بن حلقيا من الاحبار الذين كانوا في عناثوث في ارض بنيامين على عهد يوشيا ملك يهودا في السنة الثالثة عشر
من ملكه يتوعدهم بانهم ان لم يرجعوا عما اصروا عليه من الاثام سلط عليهم ملك بابل ولم يزل يحذرهم بما يحصل لهم من الشر
بذنوبهم الى ان تمت ايام يواكيم بن يوشيا وفي احدى عشرة سنة لصدقيا بن يوشيا الى خروج سبيه اورشليم في الشهر الخامس
وهو شهر آب وكان يخبرهم بان ملك بابل يأسر صدقيا ملك اليهود ويسوقه مع الاسرى الى بابل ويستمرون في اسرهم سبعين
سنة ثم يردهم الله الى بيت المقدس قال ارميا عليه السلام ان الله قال لي من قبل ان اصورك في البطن عرفتك وخصصتك
لي نبيا من قبل ان يخرج من الرحم وجعلتك نبيا للشعوب فقلت [illegible] يا رب والهي اني صغير لاني لست اعلم
ان انطق لاني حدث فقال لي الرب لا تقل اني [illegible] لانك تتوجه الى كل ما ارسلك فيه وتحمل ما
امرك به من القول فاده ولا تخف لاني انا معك انقذك من كل افة دان الرب مد يده وقربها الى فمي وقال لي الرب
صيرت اقوالي في فيك فاعلم اني قد سلطتك اليوم على جميع ممالك الامم لتهدم وتنقض وتهلك وتستاصل وتبني
وتبنيا وتقدسني ثم اوحى الي الرب وقال لي ما الذي رأيت يا ارميا فقلت رأيت غصنا من شجر اللوز فقال لي
الرب ما احسن ما رأيت لاني سعجل فضل اقوالي ثم اوحى الي الرب ثانية ما الذي رأيت فقلت رأيت سجلا منفوخا
ووجهه الى ناحية الجنوب اي الشمال فقال لي الرب من ناحية الجنوب ينفتح الشر ويتولى جميع الارض الذي ليهودا
ها انا مرسل ان يدعوا جميع عشائر ممالك الجربي يقول الرب فياتون ويلقي كل رجل منهم كرسيه في مدخل ابواب
اورشليم ويحوطون سورها كله ويجمع قرى يهودا وانتقم منهم باحكامي وقضاي من اجل جميع شرورهم ويسجدوا لالهة الاخر
اجتنبوني ويحرقوا الالهة غريبة بالبخور ويتخطوا ويسجدوا لصنعة ايديهم فاما انت فشد على ظهرك وقم فقل عليهم جميع
الاقوال التي امرك بها ولا تخفهم ولا تحانهم لئلا اكسرك بين ايديهم وانا ذلك وقد جعلتك اليوم كالقرية العزيزة الممتنعة

وشكل قضيب من حديد وصيّر تلك مثل صور من نحاس على الارض كلها وعلى جميع ملوك يهوذا وعلى عظمائهم وعلى احبارهم
وعلى جميع شعب الارض فان جاهدوك لم يقهروك لاني معك وانا منقذك منهم ولم يزل يقوم فيهم المثل بهذا من كلام في
غاية البلاغة والرقة بحيث يفتت الاكباد ويصدع القلوب ويفيض العيون نحو اربع كراريس ولولا خوف الملالة لذكرته
لا طائل له لاثبت بكثير منه وكان المتنبئون الكذبة يقومون فيهم بخلاف ذلك مما يوهمهم الامان فضربوا ارميا ليترك
عنهم مثل ذلك فلم يكن يستطع تركه وقال لشخص من المتنبئين اسمه حننيا ان الرب لم يرسلك وانت وكلت هذا الشعب
على الزور ومن اجل هذا يقول الرب هوذا اطرحك عن وجه الارض في هذه السنة في الشهر السابع ثم زاد تحذير ارميا
لهم الى ان حبسوه ثم ان الله تعالى امره ان يكتب لهم ما يوحيه اليه في صحيفة ويرسلها اليهم فدعا باروخ بن باريا الكاتب
وامره بكتابة ما انطقه به الرب وقال له ها انا محبوس ولست استطيع ان ادخل بيت الرب فخذ هذه الصحيفة وادخل
انت الى بيت الرب في يوم الصوم واقراها عليهم فلعل كلام الرب لعلهم يرجعون عن طريقة السوء ويكف الرب
عن الشر الذي قاله عليهم لانه عظيم الزجر والغضب الذي تكلم به الرب على هذا الشعب ففعل باروخ ذلك فاخذوا
الصحيفة من يده واوصلوها الى الملك يواقيم بن يوشيا فشقها واحرقها بالنار فامر الله ان يكتب صحيفة اخرى مثلها
ويزيد ما يامره به وسنه ان يواقيم ملك يهوذا لا يكون له من يجلس على كرسي داود وجعله للملاهم وجيفته تكون مطروحة
في السموم بالنهار وفي الجليد في الليل واني به وبذريته وبعبيده واني على اورشليم وعلى كل سكانها وعلى بيت يهوذا بكل
الشر الذي قلت عليهم لانهم لم يسمعوا صوتي ولما ملك صدقيا على يهوذا وكانت السنة العاشرة من ملكه وهي الثامنة عشرة
لبختنصر ملك بابل احاطت جيوش ملك بابل باورشليم وكان ارميا محبوسا في دار حرس الملك حبسه فيها صدقيا ملك يهوذا
وقال له مالك تتنبا وتقول هكذا يقول الرب هوذا ادفع هذه القرية وصدقيا ملك يهوذا في يدي ملك بابل
ويضبطها ولا ينجو من ايدي الكلدانيين لان الرب دفعه ويدفعه في يدي ملك بابل ويكلمه فمه لفمه وعيناه الى عينيه
ويسلمونه الى بابل فاوحى الله الى ارميا وهو محبوس فقال يقول الرب هوذا ادفع هذه القرية الى ملك بابل فيحرقها
بالنار وانت فلا تفلت من يديه وللناس انوخذ وتدفع اليه وعيناك الى عينيه تنظر وفمك الى فمه يتكلم
والى بابل تذهب ولكن اسمع يا صدقيا ملك يهوذا قول الرب ان هذا يقول الرب عليك انك لست تموت بالحرب
ولكنك تموت بسلامة تموت وكالذين ناحوا على ابائك الملوك الاولين الذين كانوا قبلك ينوحون عليك ويقولون
واسيداه لان هذا القول الذي تكلمت به قاله الرب هذا كله واجناد ملك بابل تحاصر اورشليم وتقاتلها ثم ان صدقيا
ارسل الى فرعون بمصر يستنجد به فخرج جنده فلما سمع بهم الكلدانيون نفروا عن اورشليم ونزل قول الرب على ارميا ان هكذا يقول
الرب اله اسرائيل لملك يهوذا الذي بعث الى جند فرعون ليعينوه هوذا الان جند فرعون يرجعون الى ارضهم ويرجع
الكلدانيون ويقاتلون هذه القرية ويحتوون عليها ويحرقونها بالنار هكذا يقول الرب لا تظنوا في انفسكم ان الكلدانيين
الذين انصرفوا عنكم ليس يرجعون بل انهم يرجعون ويحرقون القرية بالنار ثم ان اليهود اتهموا ارميا بانه يريد ان يفر
الى الكلدانيين فجلدوه وطرحوه في السجن في الجب فاخرجه الملك صدقيا وساله في البيت سرا عن قول الرب
فقال له في يد ملك بابل تدفع وقال له ماذا اخطات اليك والى عبيدك والى هذا الشعب اذ طرحتموني في السجن
واين الذين كانوا يتنباون لكم انه لا ياتي عليكم ملك بابل ولا على هذه الارض فرده الى السجن ولم يتركه الى الجب
لانه كان لا يقدر على مخالفة اشراف مملكته ثم قال ارميا هكذا يقول الرب من يسكن هذه القرية بالحرب وبالجوع
والموتان يذهب فاما من يخرج الى الكلدانيين فانه يحيي نفسه ويعيش هكذا يقول الرب فقال الاشراف نقتل هذا
الرجل لانه يسترخي ايادي المقاتلة الذين يبقون في القرية ايادي الشعب اذا قال هذا الكلام فقال الملك صدقيا
هوذا انه في ايديكم لا يستطيع ان يغير هذا الكلام ولم يكن الملك يقدر يقول لهم شيا فاخذوا ارميا وطرحوه في جب
ملكيا بن الملك في دار السجن وهو الملك والجب لم يكن فيه ما ولكن حماه فغرق ارميا في الحماه وسمع عبد ملك حبشي وكان
وكان رجلا خصيا فقال للملك يا سيدي بئس ما صنع هولا القوم بالنبي اذ طرحوه في جب هوذا يموت فقال الملك خذ من ههنا
ثلثين رجلا وانطلقوا فاصعدوا ارميا من الجب قبل ان يموت وان عبد الملك اخذ رجالا ودخل الخزانة التي اسفل بيت
الملك واخذ من ثم خلقا فسربها الى ارميا بالحبل وقال له خذ هذه الخلقات واجعلها تحت ابطيك ليلا يعقرك
الحبل ففعل ارميا ذلك واصعدوه من الجب واجلسوه في دار السجن وارسل الملك فادخل ارميا اليه وجعله في داخل ثلاثة
ابيات تخرج داخل المخدع وقال له اني اسالك الا تكتمني شيا قال ارميا لصدقيا هو الرب الذي خلقني اني لا اقتلك
ولا ادفعك الى الناس الذين يريدون نفسك فقال ارميا هكذا يقول الرب اله اسرائيل لئن انت خرجت الى اشراف ملك بابل
لتحيين نفسك وهذه القرية لا تسلم ولا تحرق بالنار وتعيش انت وبنوك وان انت لم تخرج اليهم فستدفع هذه القرية الى الكلدانيين

ه الكلدانيين فلعلهم يدفعوني في ايديهم ويهزاوا بي قال ارميا انهم ليس يدفعونك في ايديهم اسمع الى كلمة الرب لتنفعك
ه ولتحيى نفسك ودخل على ارميا قول الرب اذ كان محبوسا في دار الحرس انطلق فقل للعبد الحبشي الذي للملك هكذا يقول الرب
ه القوي اله اسرائيل هوذا اني على هذه القرية بالشر ويكونون قدامك في ذلك اليوم وانجيك قال الرب ولا تدفع في يدي القوم
الذين لا يخشون الله ولا يخشى سقط في الحرب وكنت تنجو بنفسك لانك توكلت علي ما قال لك الرب وجلس ارميا في دار السجن
حتى اليوم الذي اخذ فيه الكلدانيون اورشليم في السنة التاسعة لصدقيا ملك يهوذا في الشهر العاشر وفي التاسعة من الشهر
اتى بختنصر ملك بابل في كل اجناده الى اورشليم وحلوا عليها وفي احدى عشرة سنة لصدقيا في الشهر الخامس انثلمت
القرية فاتى كل اشراف ملك بابل الى الباب الاوسط فلما راى صدقيا انهم قد جلسوا في الباب الاوسط وقد نزل المقاتلة
وخرجوا في الليل من جنة الملك ايضا من الباب الذي بين السورين في طريق بستان فلما صار الى الصحرا طلبه جند الكلدانيين
على الاثر فادركوه في صحرا اريحا وافترق عنه اجناده فساقوه حتى اصعدوه الى بختنصر ملك بابل في ديلاب من ارض حماة
وذبح ملك بابل بني صدقيا وكل اشراف يهوذا واعمى عيني صدقيا واوثقه في السلاسل لكي يذهب به الى بابل واحرقوا بيت
الملك وبيوت الشعب الذين بقوا في القرية والذين هربوا اليه سباهم ودفعهم الى نبوزردان بالنار واستاصل السور
المحيط باورشليم وكذا بقية الشعب الذين بقوا في القرية والذين هربوا اليه سباهم ودفعهم الى نبوزردان صاحب شرطته
فانطلق بهم الى بابل ومساكين الشعب الذين ليس لهم شي تركهم في ارض يهوذا واستعمل عليهم احيقام بن شافان وامر بختنصر
صاحب شرطته ان ياخذ ارميا وقال لتكن عينك عليه ولا تفعل به باسا وما قال لك من شي فافعله فارسل الى ارميا
فاخذه من دار الحبس ودفعه الى اجدليا بن احيقام بن شافان ليرده الى بيته وقال نبوزردان صاحب الشرطة لارميا
الاله الذي قال هذا الشر على هذه البلدة وفعل كالذي قال لانكم اخطاتم للرب ولم تسمعوا صوته فاتى بكم هذا الامر
واما انت فها انا ذا قد حللتك من السلاسل التي كانت في يديك فان شئت ان تاتي معي الى بابل وان شئت فاقم فهذه
الارض في يديك كلما تحب ما كان خيرا لك وحيث يحسن في عينيك فانطلق اليه والا فاجلس عند احيقام بن شافان
الذي سلطه بختنصر في يهوذا واعطاه صاحب الشرطة مواهب في الطريق وسرحه بسلام فاتى ارميا الى اجدليا بن احيقام
المسفيا وجلس عنده مع الشعب الذين خلفهم ملك بابل في الارض هذا ما دل على اولي الباس الشديد الذين سلطهم الله عليهم
واما ما دل على رحمة الله لهم ففي تاريخ يوسف بن كريون ان الروم لما بلغهم ان بختنصر ملك بابل فتح مدينة بيت المقدس
ازداد خوفهم من الكسدانيين فارسلوا الى بختنصر رسلا وهدايا وطلبوا منه الامان والمسالمة فاسرهم وعاهدهم على طاعته
وموالاته فاطمانوا وامنوا وانقطعت عنهم تلك الحروب الى زمان دارا الملك وكان سبب الحروب بين الروم وبين الكسدانيين ه
ان الكسدانيين كانوا يعادون اليونانيين فاعان الروم اليونانيين فغضب الكسدانيون من ذلك فحاربوا اهل رومية
واتصلت الحروب بينهم الى هذا الحد فلما انتقذ الله العزيز العليم على الكسدانيين لطول تجبرهم وحكم بزوال ملكهم وانقضا
ملكهم ودولتهم كما اخبرت به الانبيا عليهم السلام اثار عليهم من ملوك الامم ملكين عظيمين احدهما دارا ملك ماداي والاخر
كورش ملك الفرس فتزوج كورش ملك الفرس بنت دارا واتفقا على معصية الكسدانيين واظهرا الخلاف على بلتشصر بن
بختنصر ملكهم ثم سارا الى بابل في عساكر قوية فارسل اليهم بلتشصر عسكرا كبيرا فجرت بينهم حرب عظيمة قتل فيها
من الفريقين خلق كثير ثم انهزم عسكر بلتشصر فبعث اليها بالف قايد من قواده ومعه جميع خاصته وجبابرته
فخرجوا من بابل اخر النهار وساروا ليلتهم فانتهوا الى عسكر دارا وكورش عند الصباح فكبسوهم وقتلوا منهم مقتلة
عظيمة فانهزم دارا وثبت كورش مع اصحابه فقاتل الكسدانيين ومنعهم ان يتبعوا عسكر دارا واقامت الحرب بينهم
طول النهار ثم استظهر الكسدانيون على الفرس وقتلوا جماعة منهم فانهزم الفرس وعاد قواد بلتشصر اليه ظافرين غانمين
فعظم سروره بذلك وصنع لقواده صنيعا عظيما احتفل فيه واحضر الالات الحسنة من الفضة والذهب وبالغ في اكرامهم
وحضر معهم مجلس الشراب فاكل وشرب وعظم سروره وسرورهم فلما اخذ الشراب منه اراد ان يزيد في اكرام اصحابه
وسرورهم فامر باحضار الات الذهب والفضة التي كان جده بختنصر الملك قد اخذها من هيكل بيت المقدس ونقلها مع
جالية بني اسرائيل الى بابل فاحضرت تلك الالات بحضرة بلتشصر فشرب فيها الخمر وسقى فيها قواده ونساءه وجواريه واقبلوا
يسبحون لاصنامهم ويحمدونها فاسخط الله سبحانه من ذلك وكره ما فعله بلتشصر من ابتذال الات القدس ولم يخش من الله
ولم يشكره على ما ظفره باعدائه فارسل ملاكا وامره ان يكتب بحضرة بلتشصر الفاظا باحرف على حائط المجلس مقابل المنارة
وكان يرى اصابع الملاك وهي تكتب وما راى بقية شخصه وكانت تلك الاصابع شديدة ورعب جميع جنده ولم يفهم تلك الكتابة
ولا وجد في اصحابه من يقراها لان الخط كان كسدانيا وكان اللفظ عبرانيا فامر باحضار دانيال النبي عليه السلام فقراها
وفسرها وقال له ايها الملك قد اخطات خطا عظيما بابتذالك الات قدس الله بايدي جندك وجواريك فنجستها ولذلك سخط الله

وارسل ملاكه حتى كتب هذه الالفاظ ليعلمك ما يريد ان يفعله فاما هذه الالفاظ المكتوبة فهي حسب ووزن ونقل وتفسيرها
ان الله حسب مدة دولتكم التي جعلها لكم فوجدها قد انقضت وانتهت ولم يبق منها شي ووزنك في الميزان فوجدك ناقصا يريد
انه جربك بالاحسان اليك والظفر باعدائك فوجدك غير شاكر لاحسانه ولم تحمده بل سبحت الاصنام واما تفسير نقل فان الله قد
قضى وحكم بزوال الملك عنك ونقله الى كورش ودارا قال فلما سمع بلتشصر ما قاله دانيال ازداد خوفه وفزعه واضطرب
فواده ايضا وفزعوا فزعا شديدا وانصرفوا الى منازلهم وهم خايفون فلما نام بلتشصر في تلك الليلة جا اليه خادم من خدمه فقتله
على فراشه واحتز راسه ومضى به الى دارا وكورش واخبرهما بخبر بلتشصر وما فعل من ابتذال الانية القدس وخبر الكتابة التي
كتبها الملاك قدامه وتفسير دانيال لها وما اخبر به من نقضا ملكه وانتقال دولته الى ملوك مادي وفارس بسبب
ابتذاله انية بيت المقدس فلما سمع دارا وكورش ما اخبرهما به ونظرا راس بلتشصر شكرا الله عز وجل واعترفا بقدرته واكثرا
تسبيحه وتحميده ونذر كورش انه يبني بيت الله باورشليم ويرد تلك الانية ويطلق جالية اليهود ان يرجعوا الى بلادهم
ثم سار كورش ودارا من مواضعهما ودخلا بابل وقتلا جميع اهلها باشد القتل واعظم العذاب فتم عند ذلك ما اخبرت به الانبيا
عليهم الصلاة والسلام من انتقام الله تعالى من الكسدانيين واهل بابل ومجازاتهم بما فعلوا بامته وقدسه ثم اقتسم دارا
وكورش مملكة الكسدانيين فاخذ دارا مدينة بابل واعمالها وتسلم قصر بلتشصر وجلس على سريره واخذ كورش جميع مملكة
الكسدانيين التي هي غير بابل واعمالها وتسلم واستقر الامر بينهما على ذلك وكان دارا في ذلك الوقت شيخا فلم تطل مدته فلما مات
اتفق عظما مادي وفارس على ان ملكوا عليهم كورش ومنذ ذلك الوقت صار مادي وفارس معا الامر على ذلك ولم يتغير ولما تسلم كورش
مملكة الكسدانيين وجلس على كرسي بابل وملك على مادي وفارس حركه الله في السنة الاولى من ملكه فذكر نذره الذي كان قد نذر
انه يطلق جالية بني اسرايل الرجوع الى بلادهم وانه يبني قدس الله ويرد الانية اليه فامر باحضار شيوخ الجالية وكبرايهم فاخبرهم بما
قد عزم عليه من بناية بيت المقدس والحلاق ثم وقال لهم من اختار من جالية اليهود ان يمضي الى مدينة القدس لبنا الهيكل الذي اخربه
بخت نصر فليمض وليستعن بالله عز وجل فانه يعينه وانا كورش عبد الاله العظيم اطلق من خزايني جميع ما يحتاج اليه من المال والعدد
لعمارة بيت الرب الذي ظفرني بالكسدانيين واعطاني ملكهم قال فلما سمع شيوخ الجالية مقالة كورش عظم سرورهم بذلك وشكروا
الله عز وجل على احسانه وطلعوا الى مدينة بيت المقدس ومعهم جماعة كثيرة ومعهم عزرا الكاهن عليه السلام وزربابل ونحميا ومردخاي
ويشوع وسائر روسا الجالية ومقدميهم فبنوا بيت الله على المقدار الذي رسم لهم كورش وبنوا المذبح على واجبه وصنعوه وقربوا
القرابين على واجبها وكان كورش يطلق لهم في كل سنة ما يحتاجون اليه في خدمة بيت الله من المال والحنطة والزيت والخمر والغنم
والبقر واطلق لهم مالا كثيرا ولم يزل الامر يجري على ذلك طول مملكة الفرس قال ثم عظم امر كورش وبسط الله يده على جميع الامم
والممالك وفتح له الحصون المنيعة واعطاه كنوز الارض وذخايرها ولم يزل مستبلا مظفرا حيثما توجه كما اخبر الله على يد شعيا
النبي عليه السلام انه يفعل ذلك لكورش من اجل احسانه الى بني اسرايل قال في سفر الانبيا في نبوة اشعيا بن اموص هكذا يقول
الرب انا الذي ابطل ايات العرافين واصير كل تعريفهم جهلا واردد الحكما الى خلفهم واعرف اعمالهم للناس واثبت كلام عبيده
واتمم قول رسلي لانه قال لاورشليم انها تعمر وكذلك لمدن يهوذا انها تبنى وخرابها نقيم وتقول للغور ان يخرب وتيبس انهاره ويقول
لكورش راعي لتتم جميع ارادتي وتامر ببنيان اورشليم وتقيم هيكلها هكذا يقول الرب لمسيحه كورش الذي اخذه بيمينه لتخضع له
الشعوب ويظهر على الملوك ابدا افتح الابواب بين يديه ولا تغلق الابواب امامه انا اسير قدامه واسهل له العسر اكسر ابواب
النحاس واخطر اقفال الحديد واعطيه الذخاير التي في الظلمات والاشيا المطمورة المستورة ليعلم اني انا الرب الذي ادعوه
قبل مولده اله اسرايل من اجل عبدي يعقوب واسرايل صفيي دعوتك باسمك وكنيتك من قبل ان تعرفني انا انا الرب ولا اله
غيري انتهى ما في سفر الانبيا ولم يزل كورش محسنا الى بني اسرايل حتى مات وملك بعده ابنه [illegible] وانفذ ما كان صنعه ابوه
من البر الى اليهود واطلق الاموال الكثيرة لهم تعظيما لبيت الله وكان من بعده من ملوك الفرس على ذلك يطلقون ما كان كورش
يطلقه للقرابين وغيرها ويجلون بيت الله ويعظمونه ويتبركون به حتى كان [illegible] هو ازدشير الملك فتغيرت حال
اليهود في زمانه بسبب وزير استوزره من العماليق يسمى هامان ثم ان الله عطفه عليهم بسبب زوجة له من اليهود ولم
يزل امرهم مستقيما وهم تحت طاعة الفرس الى ملك الاسكندر الثاني قال ابن كثير في سورة الكهف وهو الذي يورخ له من مملكة
الروم وقد كان قبل المسيح بنحو من ثلثماية سنة وهو المكادوني اليوناني الرومي ملك بعد قتل ابيه فيلبفوس وكان عمره
حين ملك عشرين سنة وكان حكيما عارفا بسائر العلوم وكان الذي علمه الحكمة ارسطوطاليس الحكيم وكان الاسكندر
يشاوره في اموره ويرجع اليه [illegible] ولم يكن يشبه اباه ولا امه وكان وجهه كوجه الاسد وعيناه مختلفتان
اليمنى سودا تنظر الى اسفل واليسرى صافية اللون كعين السنور تنظر الى فوق واسنانه دقيقة حادة كاسنان الكلب
وكان شجاعا جريا [illegible] من صباه فلما فتح بلاد المغرب رجع منها قاصدا بلاد الشام وتوجه الى بيت المقدس فلقيه ملاك

ملاك الاب فامره ان يعظم القدس واهلها ففعل ثم قصد دارا الثاني ملك الفرس فلما حاذا نابلس خرج اليه سنبلاط السامري صاحبها
ووصل اليه اموالا كثيرة وهدايا ثم سار الى دارا فقتله ثم الى ملك الهند فقتله ثم الى مطلع الشمس ثم احب ان يرى اطراف الارض [illegible]
فيها ورأى من الامم والعجايب ما هو مذكور في سيرته ورجع فمات ببابل ثم كان امر اليهود تارة وتارة وهم تحت حكم اليونان الذين ملكوا
بعد الاسكندر ثم غلب الروم فكان اليهود تحت ايديهم وكانوا يقتلون ويفتحون تارة وتارة الى ان كثرت فيهم الاحداث وعظمت المصايب
والفتن وعم الفساد وكثرت فيهم الخوارج واتصل القتل والنهب والغارات وقتلوا زكريا ويحيى ابنه عليهما الصلاة والسلام [illegible]
على ارادة قتل المسيح بن مريم عليه السلام فرفعه الله تعالى اليه ثم سلط عليهم طيطوس فقتلهم واهلكهم واخرب البيت الخراب الثاني كما
سيأتي ثم لم يقم لليهود امر الى الان بل [illegible] ما توعده به [illegible] كما اخبر به بطشه [illegible] وعلى اشار الى ان
سبب ذلك له لمن يريد به الخيانة المعصية وسبب اعزازه الطاعة فقال ان احسنتم اي بفعل الطاعة على حسب الامر في الكتابة الداعي
الى العدل والاحسان احسنتم لانفسكم فان ذلك يوجب كون معكم فالسكم عز في الدنيا او في الاخرة او فيهما وان اساتم اي بارتكاب
المحرمات والافساد فلها الاساءة ذكرها باللام تنبيها على الفسا اهل لزيادة النفرة لان كل احد [illegible] لشبهها اليه باي عبارة كانت
فاذا تطبع مع العبارة المحبوبة فكيف يكون حاله مع غيرها ولما انتهزت فرصة الترغيب في الطاعة والترهيب من المعصية عطف الوعيد
الثاني بالفا اشارة الى انه بعد نصر بني اسرايل على اهل المرة الاولى لعلها ايضا [illegible] بقرب [illegible] من مرة الادالة فقال
فاذا جا اي اتيانا هو كالملجى اليه [illegible] على خلاف ما يريد الا الي اليه وعد الاخرة اي وقته فاسنا [illegible] البلا الشديد
ولحدثنم من البلايا التي اخطرها قتل زكريا ويحيى عليهما السلام والعزم على قتل عيسى عليه السلام ليسوءوا اي بعثنا عليكم عبادا
لنا ليسوءوا وجوهكم اي يجعل اثار [illegible] بادية فيها [illegible] متعلق اللام لدلالة الاول عليه وليدخلوا المسجد اي الاقصى الذي [illegible]
اليه من مصر في تلك المدد الطوال واعطيناكم بلدة بالتدريج وجعلناه محل ابتلايكم وعزكم ثم جعلناه محل الاكرام اشرف خلقنا بالا
به اليه وجمع ارواح النبيين كلهم فيه وصلاته لهم ثم وهذا التعريض بالتهديد [illegible] بانهم ان لم يرجعوا ابدلناهم في الحرم خوفا
وعزهم ذلا كما [illegible] عليهم جنود [illegible] لهم لما وقد فعل في ذلك عام الفتح لكنه فعل الاكرام لا اهانة ببركة هذا النبي عليه الصلاة والسلام
كما دخلوه اي الاعدا اول مرة بالسيف وليهلكوا جميع جنودكم دفعة واحدة وليتبروا اي يهلكوا ويدمروا انواع التقطيع والتفريق
ما علوا اي عليه من ذلك وقيل ما قصد [illegible] اي مدة علوهم فيكون [illegible] فيعظم مدلوله وكذا فعل وحق الوعيد
تتبيرا وقال في التوراة اشارة الى هذه المرة الاخيرة والله اعلم بعد ما مضى الاشارة الى المرة الاولى سوا ان لم
تحفظ وتعمل جميع الوصايا والسنن التي كتبت في هذا الكتاب وتتقي الله ربك وتهاب اسمه المحمود المرهوب فيخصك الرب بضربات
موجعة ويبتليك بها وبنسلك من بعدك وينزل بك جميع الضربات التي انزلها باهل مصر وتدوم عليك وكل وجع وكل ضربة
لم تكتب في هذا الكتاب يبتليك الله بها حتى يهلك ويبقى من نسلك عدد قليل من بعد كثرتهم التي كانت قد صارت مثل نجوم السما
لانكم لم تسمعوا قول الله عز وجل ربك فتكون كما فرح الرب وانعم عليكم وكثركم [illegible] استاصلكم بالعقاب والنكال ويدمر عليكم ويبلغكم
ويجلون عن الارض التي تدخلونها لترثوها ويفرقكم الرب بين جميع الشعوب من اقطار السما الى اقطارها وتعبدون هناك الالهة الاخر
التي عملت من الحجارة والخشب لم تعرفوها انتم ولا اباوكم ولا تسكنوا ايضا بين تلك الشعوب ولا تكون راحة لاقدامكم ولكن يصير الله قلوبكم
فزعة مرتجفة ويبتليكم بظلمة العين وسيلان الانفس وتكون حياتكم معلقة حيالكم من بعيد وتكونون فزعين الليل والنهار ولا تصدقون بحياتكم
تصبحون بالغداة يقولون متى نمسي وبالعشي يقولون متى نصبح وذلك من فزع قلوبكم وخوفكم من ظلمة ابصاركم وقلة حيلتكم ويردكم الله الى
ارض مصر في السفن على الحال الذي قلت لكم لا تروها اي تعودوا ولن تروها ابدا وتباعون هناك عبيدا واما ولا يكون من يشتريكم
هذه اقوال العهد التي امر الله لها موسى ان يعاهد بني اسرايل في ارض موآب سوى العهد الذي عاهدكم بحوريب انتهى وانا
قلت ان هذه اشارة الى المرة الثانية لانه [illegible] الذي قلته قدمته في الاولى بجملة على ان يكون [illegible] ما اشار اليه
الاولى بل [illegible] ثم اخبرني بعض فضلا اليهود ان علماهم قالوا ذلك وكان الخراب في هذه المرة بعد [illegible] طيطوس بعد
ان تملك ابوه اسفسيانوس على الروم ورجع من الادوار المقدسة بعد موت ملكهم نيرون الذي كان ارسله لقتال اليهود لما خرجوا
عن طاعته وكان معه يوسف بن كريون احد اكابر اليهود وكان اخذ من ندبه اليهود لقتال اسفسيانوس ومن معه فاسره [illegible] وحسن
الله فاستمر عندهم فلما مات نيرون وملكه اصحابه رجع الى رومية ولبث ابنه للفراغ من القدس وبعث يوسف [illegible] معه [illegible]
ان استمر عندهم فلما مات نيرون وملكه اصحابه رجع الى رومية [illegible] البيت عامرا من عمارة العزير عليه السلام اربعماية سنة وعشرين سنة
ولم يدخل هذا الخراب في ايدي اليهود وكان دهر الملك ثمانية سنة وثمانين سنة من ولاية الاسكندر قال المورخ [illegible] هذا
الخراب ان طيطوس كان في قيسارية فسار منها حتى انتهى الى [illegible] تقاود عسكره [illegible] وسار الى بيت المقدس
ليقف على احوال المدينة وينظر الحصن ويعلم ما يحتاج اليه ودبر الامر بحسب ذلك وعمل على ان يراسل اهل بيت المقدس
بالجميل ويرغبهم الى المسالمة ويبذل لهم الامان فلما قرب من المدينة وجد الابواب مغلقة ولم يخرج من المدينة احد فلما دخل الى

احوليا بين الخوارج من الحروب المتصلة فما وجد من خاطبه من القوم فانصرف راجعا الى عسكره وقد كان قوم من اصحاب الخوارج لما علموا المجي
طيطوس قد جاز من المدينة فكمنوا في بعض الطريق فلما اجتاز كامنهم وهو راجع احاطوا به واحالوا بينه وبين اصحابه فقاتلهم قتالا شديدا
حتى خلص بعد ان اشرف على الهلاك فعلم ما القوم عليه من النجدة والشر فاعد لذلك وعدته لما اراد اسس خراب القدس وكان
الله سبحانه وتعالى لمكله وعز سلطانه قد اظهر لبني اسرائيل امورا دلهم على زوال امورهم لو انهم تبصروا فمنها شبه كوكب
له نور قوي وضوء شديد كان القدس يضيء منه البلد كله طول الليل قريبا من ضوء النهار فاقام كذلك سبعة
ايام مدة عيد الفسح فتفرح به الجهال واغتم العلما ومنها انهم اظهروا في هذا العيد بقرة ليقربوها فولدت
خروفا فاستنكر الناس ذلك ومنها ان باب القدس الشرقي كان عظيما ثقيلا لا يعالجه الا جماعة فلما كان تلك الايام
كانوا يجدونه كل يوم مفتوحا من غير فاتح فيجتمع الرجال المعتادون له فيغلقونه ثم يعودون اليه فيجدونه
مفتوحا فكان الجهال يفرحون والعلما يغتمون ومنها انه ظهر على بيت قدس الاقداس في الهوا قريبا من الارض
على بيت المقدس وعلى ارض اليهود صورة وجه انسان شديد الحسن عظيم البها والنور ومنها انه ظهر في الجو
صور ركبان من نار يطيرون في الهوا قريبا من الارض على بيت المقدس وعلى جميع ارض اليهود ومنها انه سمع الكهنة
في ليلة عيد العنصرة في القدس حس جماعة كثيرة يذهبون ويجيئون في الهيكل من غير ان يروهم
بل كانوا يسمعون وطأهم فقط ثم سمع صوتا عظيما يقول اسعوا بنا حتى نرحل عن هذا البيت ومنها انه كان
قد ظهر قبل هذا باربع سنين في المدينة رجل يمشي كالمجنون ويصيح باعلا صوته يقول صوت من المشرق
وصوت من المغرب صوت من اربع جهات الدنيا صوت على اورشليم وصوت على الهيكل وصوت على الحصن وصوت
على العروس وصوت على جميع الناس الويل على اورشليم الويل على اورشليم وكان لا يهدا من هذا الكلام وكان
الناس يصفعونه ويزجرونه ويتصورونه بالجنون فلا يزال على هذا الى ان احاط العدو بالمدينة فابتدا
في بعض الايام يتكلم على عادته فاتاه حجر في راسه فمات ووجد في حايط قدس الاقداس حجر قديم مكتوب
عليه اذا صار بنيان الهيكل مربعا هلك على بني اسرائيل ملك عظيم ويتسلط على سائر الارض فقال قوم
هو ملك بني اسرائيل وقال الحكما والكهنة بل ملك الروم ووجد ايضا حجر قديم مكتوب عليه اذا اكمل بنيان
القدس وصار مربعا فانه عند ذلك يخرب فلما وقع الحصار وانفذ انطونيا شدوا السور تماما للهيكل مربعا
كما سياتي واعظم الامارات ما كان عليه الخوارج من القتال وسفك الدما الخاص والعام والحريق والجوع بحيث
انه احاط البلا بجميع الناس ولا يجدون مهربا حتى كرهوا الحياة ولما خلص طيطوس من الخوارج بات في عسكره
ثم سار بالليل من بالرما فاصبح على بيت المقدس تراسل الملك والامم واستولت عليهم فعلى اي شي تعتمدون فان قلتم
انا نعتمد على الله عز وجل ونرجوا ان ينصرنا كما جرت عادته بابائنا فيجب ان تعلموا انه هو الذي سلط عليهم هذه الامه
لسوء افعالكم وكثرة ذنوبكم لانكم ارتكبتم المحارم وسفكتم الدما ونجستم هيكل الله المقدس وقتلتم كهنته وصلحا
امته فكيف ترجون من الله النصر والمعونة مع هذه الافعال القبيحة والله ينتصر من عصاه وان كنتم
تتكلون على الحصن والعدد والعساكر فانكم تعلمون ان قبلكم جميع ذلك قد ذهب كثيره ولم يبق منه الا القليل وهذه
المدينة تتهدم سور دون سور من اسوارها ولم تبق غير واحد وهم يجدون في هدمه وانتم كل يوم في نقصان وضعف
وعدوكم في زيادة وقوة فان دمتم على ما انتم عليه هلكتم ولم يبق منكم باقية فان قلتم انا نختار القتل على الذل
للامم وطاعتهم فقد علمتم ان اباءنا واصولنا وهم السادة الذي يجب علينا ان نقتدي بهم لم يمتنعوا من مسالمة
الامم الذين جاوزوهم ومداراتهم ولو كان امرا مستكرها فقد كانوا اولى بكراهته منكم وانتم المتقدمون اليه منا اطاعوا
المصريين في ازمان كثيرة وملوك الموصل والكسدانيين والفرس ثم اليونانيين الذين جاروا عليهم واساوا اليهم
وصبروا على ظلمهم لعلمهم ان الله تعالى خلصهم منهم على ايدي بني حشمناي الكهنة ثم اطاعوا بعد ذلك ملوك الروم
المهرة الغالبة ولم يروا ان عليهم نقصا في طاعتهم ولذلك انتم ان اطعتموهم كان ذلك اولى بكم منهم من ان تعرضوا انفسكم
للهلاك وتعرضكم للذل وتسليمكم للخراب وتحصلوا بعد ذلك في اضعاف ما كرهتموه من الذل والعجز كم قد ذل العاقل
ولا يحمد رايكم على الذل تزول ايحسن وتهلكم للخراب وتحصلوا بعد ذلك اليكم كفوكم من اعدايكم من الروم
واول السلطانم عنكم واعانوكم على كثير من الامم الذين يعادونكم حتى غلبتموهم واستوليتم عليهم فانتم بطاعتهم احق
منكم بمعصيتكم وقد علمتم ان الله عز وجل قد جعل لكل امة دولة وسلطانا سلطها فيه فاذا انقضى ذلك الزمان
زالت دولتها وسلطانها فقد زالت لعزها وخضعت لمن كان يخضع لها وقد بسط الله ايديكم زمانا وسلطكم
على غيركم دهرا ثم جعل الدولة والسلطان لسواكم واراد ان يذلكم لم تنتهوا فكنتم مراداته ولم تتقبلوا لكنه هلكتم ولنبرايلك

يشك في ان الله اراد في هذا الزمان ان يرفع الروم ويبسط ايديهم لانه قد اذل لهم الملوك والحقهم بالامم حتى اطاعهم
من في سائر جهات الدنيا ممن هو اشد منكم باسا واكثر عددا واقوى سلطانا وكيف تطمعون في ان تغلبوهم
وانتم تشاهدون اقبالهم وقوة امرهم ومعونة الله لهم وترون انفسكم بخلاف ذلك وليس بعيب ان الانسان
لا ينقصه طاعته لمن هو اقوى منه واعلا يدا لان الله عز وجل قد جعل امر الخلق في الدنيا مبنيا على ان يكون
بعضهم تابعا لبعض وبعضهم قاهرا لبعض وبعضهم محتاجا الى بعض وكل صنف يخضع لمن هو اقوى منه ويذل
له ويطيعه وذلك ظاهر موجود في الناس على طبقاتهم وفي الحيوانات على اختلافها وليس يستغني عن ذلك
احد ولا ينومه عاقل واذا كان الامر كذلك فليس ينقصكم طاعة الروم ولا الروم مرما ولمن اطعتموهم وقد
تقدمت طاعتكم لهم منذ سنين وقد ابتداوكم في هذا الوقت بالجميل ودعوكم الى المسالمه وبذلوا
لكم الامان وضمنوا لكم الاحسان وظهر منهم الاشفاق عليكم وعلى مدينتكم وقدسكم فاتقوا الله وتلافوا امركم
واحسنوا النظر لمن بقي منكم فارجعوا الى ما كنتم عليه من طاعتهم لتبقوا وتتماسك احوالكم وتسلم هذه المدينة
وهذا القدس الجليل قبل ان يهدم هذا الحصن الباقي فتهلكوا فصاح الخوارج بشتم يوسف والقوية عليه
ورموه بالسهام والحجارة فتباعد قليلا واغلظ لهم في الكلام وقال يا معشر العصاة اخبروني ما الذي حملكم
على قتال الروم وان كنتم تقصدون بذلك صيانة القدس عن الاعدا فانتم قد ابتذلتموه بالمعاصي ونجستموه
بما سفكتم فيه من الدما الكثيرة ظلما وان كنتم تريدون نصرة الامة واعزازها فانتم تقتلونها بايديكم
وتبالغون في ظلمها والاساءة اليها وهل يفعل الاعدا بكم اكثر مما تفعلونه ويبلغون منكم اكثر مما بلغتموه في
انفسكم اخبروني متى كان من تقدم من ائمتنا او تاخر يغلبون من يحاربهم ويستظهرون على اعدايهم بالعساكر
والعدد دون الصلاح والتقوى وهل خلص من تخلص من الشدايد الا بطاعة الله والدعا له وهل كانوا
يغلبون الا بنصرة الله لهم ومعونته اياهم وهل كان ينصرهم الا اذا اطاعوه واتقوه فلما عصوه سلط عليهم
الاعدا وملكهم منهم حتى قهروهم واذلوهم ولم ينتفعوا بعددهم وسلاحهم ولا قدروا على مقاومة الاعدا
بباسهم وقوتهم وقد علمتم ان الله عز وجل كفى الصالحين في كل زمان امر اعدايهم فمنهم من دعا الله عز وجل عند
الشدايد فاستجاب له بلا حرب واظهر الايات العظيمة في معونتهم وكفايتهم فبلغوا بذلك ما لم يكونوا يبلغون
بحولهم وقوتهم ومنهم من حارب الاعدا واستعان بالله عز وجل فاعانه على عدوه وظفره به ولم يفعل الله عز وجل
شيا من ذلك للاشرار العصاة ليظهر فضيلة الصالحين اعتبروا بابيكم ابراهيم عليه السلام لما اخذ فرعون امراته الم يقد
الله فرعون واهله بالبلا العظيم حتى خضع فانكسر ورد امراة ابراهيم عليه السلام وهي سليمة ثم احسن اليه واكرمه
فهل قدر ابراهيم على ذلك بالسيف والحجارة او بالصلاح والدعا الى الله عز وجل ولذلك فعل الله مع اسحق عليه السلام
لما اخذ ابيمالخ ملك فلسطين امراته وقد علمتم ان موسى عليه السلام لم يستظهر على فرعون وعساكر المصريين حتى هلكوا
وتخلصت امة بني اسرائيل منهم بحرب ولا عدة بل بالدعا وكفاية الله له ولما حارب عماليق بني اسرائيل هل غلبوه الا
بدعا موسى عليه السلام وصلاته ويوشع بن نون عليه السلام لما عبر الاردن مع بني اسرائيل قد كان في جمع كثير وقوة فهل
فتح يريحا بالحرب او بالاية العجيبة في سقوط الحصن ولما اخطا عاجان بما اخذه من يريحا من الغنيمة التي لعنها الله
عليها بني اسرائيل الم يسخط الله على الامة بسببه حتى غلبهم اهل مدينة عاي وهم قليل فلم يقدر بنو اسرائيل مع كثرتهم
على مقاومتهم الى ان صلى يوشع بن نون عليه السلام ودعا الى الله عز وجل فاستجاب الله عز وجل دعاه ونصر بني اسرائيل
على العاي وجدعون لما غلب عسكر مدين وعماليق مع كثرتهم هل غلبهم الا بمعونة الله له واذكروا كيف انهزم عسكر
الارمن العظيم عن شبسطيه بصلاة اليسع النبي عليه السلام ودعايه وقد كان اهل المدينة اشرفوا على الهلاك من
الجوع واذكروا اما فعل الله بهم وقد القى الله الخوف في قلوب الارمن فانهزموا بغير حرب ولا قتال وخرج اهل المدينة فغنموا
عسكرهم وزال عنهم الجوع واذكروا ما جعل الله مع نبيا الملك ويوشافاط لما غزاهما اعداهما بالدعا والصلاة
وقد علمتم ان سمسون قبل ان يخطي كان جبارا لم يخطى فلما اخطا اسلمه الله لاعدايه وصار ذليلا بين ايديهم مثل اذل الناس
واضعفهم وطحنوه بالرحا مثل الاما ولذلك شاول وفي نسخة طالوت الملك لما كان طايعا كان الله ينصره فلما
عصاه اسلمه الله الى اعدايه فظفروا به ولم ينتفع بعساكره وعدده مصيبا لما حارب الروم ادوم عليهم وظفر بهم فلما
اخذ اصنامهم ونصبها في بيت المقدس سخط الله عليه فلما حارب يواش ملك بني اسرائيل بعد ذلك انهزم امامه
لغربة الجند لان الله خذله وترك معونته واذكروا هلاك عسكر سنحاريب الموصلي العسكر العظيم بغير حرب ولا قتال
بل بصلاة خزقيا الملك والانبيا عليهم السلام ودعايهم واعتبروا ايضا بما فعل الله بصدقيا الملك لما عصا الكسدانيين وطغى

وظن انه يغلبهم بعساكره وعدته وخالف الانبيا عليهم السلام في مسالمتهم هل انتفع بذلك وهل كان عاقبته وعاقبة
الامة الا الى الهلاك بهذا وغيره مما لم اذكره لكم يدلكم على عناية الله بالاخيار وخذلانه للعصاة الاشرار وساوقهم
من مثل هذا كلامًا كثيرًا يبلغ بهم رغبهم في طاعة اسفسيانوس وبالخصوص بما اشتهر من حسن سيرته وقال
ولو لم تعلموا ذلك الا بما عاملني به من الجميل وقد كنت استوجب منه غير ذلك لكفاكم لاني كنت ولم ازل اجتهد في
محاربته وقتلت خلقا كثيرا من اصحابه ولقد كنت اعلم اني خالفت الصواب ولكني لما رايتكم باجمعكم قد اتفقتم
على محاربتهم وبعثتموني لم اخالفكم وبذلت الجهود في مناصحتكم وثبت في حصن يودفات الى ان فني اصحابي وغلبني
الامر ولم يبق لي حيلة ثم حصلت بين الروم فما اساوا الي بل احسنوا اليّ واجملوا وعفوا عني وانا معهم الى هذه الغاية
على ما احب وقد كان كنت اجتهدت قبل حصولي معهم ان اهرب اليكم فما تم لي ذلك وانا الان احمد الله اذ لم يسهل لي ذلك
فاني لو كنت معكم لكنت اما ان اشاركم في انفاذكم هذه فاكون مخطيا او اخالفكم فتقتلوني ظلما فتأثموا اما خاطبتكم به ولا
تظنوا ان الله ينصركم فانكم لا تستحقون ذلك لانكم قد استحلتم ما اشتدلوا على ذلك بانه عين سلوان فانها قد كانت
قريبة من الجفاف قبل ان تنزل بكم هذه العساكر فلما نزلوا غزرت فصارت كالنهر لتعلموا ان الله يريد معونة اعدائكم
عليكم وانا اعلم ان كلامي لا يؤثر فيكم لما قد حكم الله به من هلاك هذه المدينة وخراب هذا البيت المقدس الجليل
ولذلك قد قست قلوبكم فصارت كالحجارة بل هي اقسى واصلب من الحجارة لان الحجر قد يؤثر فيه الما اذا دام انصبابه
عليه وانتم لا تؤثر فيكم المواعظ الكثيرة ولا تلين قلوبكم ولا تنكسر ولكني قد بلغت الهداية فيما يلزمني من نصحكم
فاقبلوا نصحي واشفقوا على هذا القدس الجليل الذي بنته الانبيا المقدسون والملوك العظام فان بقاعزكم
وثبات امركم مقرون ببقايه وعمارته وان خرب لم يبق لكم عز ولا اقبال ولا دولة فاقبلوا ما بذله لكم ابن
الملك من الامان وثقوا بعهده وما ضمنه من الاحسان وانا الضامن لكم عنه وان وان اتهمتموني باني اخدعكم
وارید معاونة الروم عليكم فانتم تعلموا ان ابي وامي وزوجتي الكريمة علي واولادي معكم فان ظهر لكم ابن الملك من
الامان ونقض بعهده وما ضمنه من الاحسان وانا الضامن لكم من طيطوس بعد مسالمتكم له ما تكرهون فاقتلوهم
واقتلوني بعد وهبتكم دما هم ودمي على ذلك ثم بكا يوسف بكاء شديدا وكان طيطوس يسمع كلامه فرق له وامر
باطلاق من كان من السبي في عسكره واطلق الفوان يمضوا حيث شاوا فمال اكثر الناس من اهل المدينة الى الطاعة لطيطوس
فمنعهم الخوارج ووكلوا بابواب المدينة من يحفظ وامروا الموكلين ان يقتلوا كل من اراد الخروج ولما طال الحصار اشتد
الجوع وكان الخوارج يفتشون منازل الناس وينهبون الطعام ويقتلون من مانعهم عنه فكان الناس يموتون في المدينة
ومن اراد الخروج الى ظاهر المدينة ليأخذ شيئا من نبات الارض قتله الخوارج وان قدر على الخروج قتله الروم
فانتهى ذلك وكان طيطوس اذا سمع ذلك رق لهم واستعطفهم فما يزيد استعطافه للخوارج الا قسوة ويخاطبونه
بالقبيح ليكف عن ذلك لئلا تميل معه الناس فلما راى ذلك لا يجدي اخرب السور الثالث ليخلص الناس من الخوارج
فقسم عسكره اربعة اقسام ونصب كباشا على الجهات الاربع فخرج اليهم فقاتلوهم قتالا شديدا وقتلوا من الروم خلقا
كثيرا واشعلوا النار في اربعة من اشد البيوت واحرقوا الكباش اذ استعلوا الى القتال ولم يزالوا يقاتلونهم حتى تم لهم ما ارادوا
واحرقوا الالات والكباش وجميع الالات ونظر الروم من شجاعة الاعدا وباسهم ما هالهم فانهزموا فردهم طيطوس وحمل بهم
وقال اما تأنفون ان يغلبكم اليهود بعد ان استظهرنا عليهم وهدمنا سورين من اسوار المدينة ولم يبق غير سور واحد
وقد هلك اكثرهم ولم يبق والبس لهم من ينصرهم ونحن عساكرنا متوافرة ومعنا الامم الكثيرة لنغلبنا عليهم ثم امرهم ان يتركوا
قتالهم حتى يهلكوا من الجوع فضبطوا جميع طرق المدينة فضاق الامر بهم جدا واشتد الجوع ولم يكن احد يقدر ان يطبخ شيئا
ليله نهاره لا يخبز لئلا يفضحه الدخان فكان من عنده شي يستفون اللحم والدقيق فمات كثير من الناس وثقل
الاحيا بانفسهم فما كانوا يدفنون موتاهم وكان الحي وربما اخذ بيته فالقاه في البير ثم يلقي بنفسه بعده ليموت وكان
بعضهم يحفر له القبر فيه فلما راهم طيطوس قبرا ثم يضطجع فيه حتى يموت وامتلات الشوارع بالموتى فكان الخوارج يلقونهم
من السور الى الوادي الشرقي فلما راهم طيطوس لعنهم ورق لهم وكان ببيت المقدس امراة من اهل النعم اصلها من
مدينة في حيزة الاردن فلما كثرت الفتن هناك انتقلت في جملة من انتقل الى بيت المقدس بجميع عبيدها وساير
نعمتها ولم يكن لها غير ابن واحد صغير وهي تحبه حبا شديدا فلما قويت المجاعة ونهب الخوارج ما ارادت قتل ابنها لتاكله
فبقيت حايرة لا تدري على اي الامرين تحمل نفسها هل تقتل ولدها العزيز عليها بيدها العزيز عليها وذلك من اعظم الامور
واشنعها ام تصبر على ما تراه به وبنفسها من الهلاك وقد فارقها الصبر وعدمت الجلد ثم زاد بها الجوع فنزل عنها التمييز
فقالت يا ابني و واحدي قد كنت اوملك ان تعيش حتى تسرني وكنت اخاف ان تموت قبلي فافجع بموتك فيا ليتني قد كنت تكلتك

ثكلتك ودفنتك واحتسبتك عند الله والان يا ولدي فقد احاط بنا المكروه وايقنا بالهلاك فالحي لا يرجوا
الحياة والميت لا يدفن وانا وانت هالكان وان مت ما ابني لم يدفنك احد وكنت كغيرك ممن اكلته الكلاب
وطيور السما وقد رايت ان لا تملك لتستريح مما انت فيه ثم اكلك فاجعل بطني التي حملتك فيها قبرا لك واستريك
جوعي فيكون ذلك عوض برك لي الذي كنت ارجوه وتنال بذلك الاجر العظيم ويكون ذلك عارا على هولا الخوارج الذين اوقعونا
في هذا البلا وزيادة في سخط الله عليهم ويذكر ذلك على ممر الدهور ويتحدث به بعدنا الاجيال ويتعجبون ذوو الالباب
ثم نهضت على ابنها بيدها الواحدة واخذت الحديدة بالاخرى وهي كالمجنونة وحولت وجهها عنه لئلا تراه وضربته
بالحديدة فمات ثم اخذت منه وشوته واكلته فلما شم الخوارج ريح ذلك اللحم هجموا عليها فقالوا من اين لك هذا
اللحم ولم استاثرت به علينا فقالت ما كنت بالتي اوثر نفسي عليكم فاجلسوا فجات بالمايدة واخرجت ما بقي من
جسم ابنها فقالت هذا ولدي واعز الناس عندي قتلته بيدي لما زاد الجوع واكلت من لحمه وهذه بقية جسمه
عزلتها لكم فكلوا واشبعوا ولا تكونوا اشد رحمة لولدي مني ولا تضعف قلوبكم عن ذلك فانه قبيح بالشجعان
مثلكم ان تكون امراة اقوى قلبا منهم وانتم احق بان ترضوا بالغذا مني لانكم الذي سببتم علينا البلا حتى بلغنا
هذا المبلغ ثم رفعت صوتها تبكي وتنتحب وتنوح على ابنها فلما ذلك هالهم وخرجوا مذعورين واشتهر خبرها في
المدينة فقلق الناس قلقا شديدا وتحققوا صحة الوعيد الذي سبق من الله وانكسر الخوارج لذلك واستعظموه واطلق
للناس الخروج فخرج في ذلك الوقت خلق كثير فلما اتصل ذلك بطيطوس استعظمه واشتد خوفه
من الله فرفع يديه الى السما وقال اللهم انت العالم بالخفيات والمطلع على السراير والنيات انت تعلم
اني لم اجي الى هذه المدينة لا سي اهلها ولقد سالني امر هذه المراة فلا تواخذني به وطالب هولا
الخوارج وانتقم منهم وظفرني بهم ولا تهلكهم وامر بالاحسان الى من خرج اليه من اليهود فكان كثير منهم
لا يقدرون على فتح افواههم وكثير منهم مات لما اكل الطعام وكان الصبيان وغيرهم يختطفون الخبز
اذا انظروه وينهشونه بلا عقل فاذا اكلوا ماتوا فقال طيطوس ليوسف بن كريون ما الحيلة في هولا
حتى لا يموتوا فقال ينبغي ان يسقوا اللبن والحسا الرقيق اياما حتى تلين امعاوهم ثم الطعام بعد ذلك ففعل
ذلك فسلم منهم جماعة وتقدم الروم الى السور الثالث ليهدموه فخرج اليهم يوحانان وشمعون واصحابهما معهم
فقاتلوهم قتالا شديدا وقتلوا منهم جماعة فامر طيطوس برفع الكبش على السور فدفع عليه
من الضرب فما اصبحوا اذا السور جديد
يهدم وكبار الروم تكبيرا عظيما وكبار اليهود من داخل المدينة فلم تجسر الروم على دخول المدينة فلما اصبحوا اذا السور جديد
بان الهدم قد بناه اليهود تلك الليلة ولم يتم عليه فاستعظم الروم ذلك وايسوا من الفتح فقال طيطوس
هذا رطب يسحقكم واذا ضربوا بالكبش اسرع الانهدام فطلع الروم على السور الذي هدموه وقتل اليهود
على الجديد واشتد القتال فهزموهم اليهود بعد ان قتلوا منهم كثيرا فضجر الروم وعزموا على الرحيل فجمع طيطوس
اصحابه وقال اعلموا ان كل من يعمل عملا فانه يقصده الى الغاية ولذلك يصبر على التعب ليبلغ ما اراده وربما
كان اخر العمل اشق من اوله فان تركه ذهب تعبه ضايعا وبقي عمله ناقصا لا ينتفع به وضرب امثالا في ذلك ثم
قال وانتم قد صبرتم على محاربة هولا القوم واستظهرتم عليهم الى هذه الغاية حتى هلك روساهم وجبابرتهم
وضعفت حصونهم وفنوا بالسيف والجوع ولم يبق منهم غير شرذمة يسيرة كالموتى فان انصرفتم كنتم قد ضيعتم
تعبكم واعنتم على انفسكم واهنتموها عند كل من يسمع خبركم ولو كنتم انصرفتم عنهم قبل هذا كان احسن بكم
واما الان فلا عذر لكم في عجزكم عن محاربة قوم قد بلغ بهم الضر والجوع هذا المبلغ فان رجعتم عنهم
طمع فيكم كل احد واجترى عليكم كل من يخافكم ولم لا تتاسون باليهود في الصبر والشجاعة مع فنا رجالهم واجتماع
الكاره عليهم وانقطاع رجايهم فصبرهم اما طمعا في الظفر وانفة من الغلبة او رغبة في بقا الذكر
فانتم احق بذلك منهم لئلا تنفروا العار عن انفسكم على انكم قد صبرتم في ايام تبرى وش قيصر على محاربة
هولا القوم وعلمتم على ان لا ترجعوا عنهم الا بعد الظفر فلما ملك اسفسيانوس الذي هو اشجع من
تبروس واعظم باسا اوديتم ان ترجعوا عنهم قبل ان تظفروا فاي عذر لكم فلما سمعوا ثبتوا ثم مضى جماعة
منهم ليلة فصعدوا ابراج تلك الثلمة ودخلوا الى المدينة فكبروا فانتبه اليهود وكانوا قد ناموا لطول
تعبهم وضرهم ولزم كل منهم مكانه ومضى طيطوس الى اصحابه فوقف عند السور الى ان اصبحوا فانهزم
اليهود الى القدس فتبعهم اليهود فاقتتلوا في الصحن البراني ولم يكن الا السيوف لضيق الموضع فكان قتالهم
قتال لم يكن فيما مضى لا سيما لا الحيل لانهم حصلوا في موضع لا مطمع فيه بالسلامة الا بالصدق في القتال

وكان الكل بحاله فعظمت الحرب بينهم وعلت اصواتهم وضجيجهم حتى سمعت من البعد وكثرت القتلى في الفريقين واستظهر اليهود اخيرا واخرجوا الروم وهرب الرجال وامر طيطوس بهدم سور موضع متصل بالقدس يسمى انطونيا ليتسع المجال لاصحابه فلما هدم ذلك الاتثلم سور القدس وسهلت الطريق اليه فبادر اليهود وبنوه وادخلوه في جملة القدس وصار مربعا فكان ذلك تصديق ما رواه قبل يكتوبا على الحجر المتقدم ذكره اذا كملت بنيا القدس صار مربعا فعند ذلك يخرب القدس وكان اليهود قد نسوا ذلك فلما راوه تذكروا وعلموا ان المدة قد تمت وانه سيخرب وكان يوم هذه الحرب العظيمة عيد الفصح فقرب طيطوس من القدس وكلمهم ورغبهم في المسالمة ليتمكنوا من العبادة في هذا العيد ووعدهم بالاحسان اليهم وقال قد علمتم ان سلفكم يخنيا لما حاصرهم بختنصر ملك بابل وخرج اليه مستامنا انتفع بذلك ونفع قومه وبلده فسلموا وان صدقيا الملك لما لج في محاربة بختنصر ولم يستامن له كما امرته الانبيا اهلكت المدينة والامة واسلم الى بنفسه واليهم نسبيكم ان تتبعوا دابكما ولقعدوا باصوتكما فعلا واحدهما عاقبة فاقبلوا نصيحتي واكتفوا بما جرى ووعدهم ان يعفو عن جميع ما تقدم ويحسن اليهم واطال الكلام وكان يوسف بن كريون يترجم لهم ويبكي بكا شديدا ثم قال لهم يوسف اني لست اعجب من خراب هذه المدينة لعلمي بان مدتها قد انتهت ولكن العجب منكم وانتم تقراون كتاب دانيال النبي عليه السلام وتعلمون ما ذكره من بطلان القرابين وعدم الكاهن المسيح وانتم مع ذلك لا تنكسرون ولا تخضعون لله ولا تستسلمون لمن قد سلطه الله عليكم فلم يقبل الخوارج وما رجعوا عن غيهم جماعة من الكهنة والروسا لهم الخروج الى الروم فامنهم واحسن اليهم فمنع الخوارج من بقي وضبطوا الطرق فبكى اليهود وسالوا منع الخوارج لهم من الخروج فاراد الخوارج قتلهم فبادر الروم ليخلصوهم فنجوا الى القدس فقاتلوهم قتالا شديدا فانهزم الروم واوكلهم الهزيمة الى داخل القدس الاعظم قدس الاقداس فعلم اليهود فيه فاختار طيطوس من عسكره مائة وثمانين الفا وامرهم ان يدخلوا الى صحن القدس لمحاربتهم واراد هو الدخول معهم فمنعه اصحابه وقالوا قف على موضع عال لتقوى قلوب اصحابك ويبذلوا الجهود في القتال ولا يخاطر بنفسك وبنا واتفق رايهم على بيات اليهود فعلم اليهود بذلك فلم يناموا تلك الليلة فلما اصبحوا افترق اليهود على ابواب صحن القدس لمحاربتهم وارادوا الدخول واقاموا على مقاتلة الروم سبعة ايام فقتلوا منهم جماعة كثيرة وابعدوهم عن القدس فامر طيطوس اصحابه بالكف عنهم ليغنيهم الجوع وكان بقرب القدس قصر عظيم من سليمان بن داود عليهما السلام ثم زاد فيه ملوك البيت الثاني طبقة عالية من الخشب الحسن وزودوا جميع الجدر بالخشب فطلوا جميع ما فيه من الخشب بالنفط والكبريت والزفت ثم اختفوا فيه رجال منهم ليشعل النار في مواضع من ذلك الخشب اذا دخله الروم وكان فيه باب خفي يخرج الى موضع اخر لا يعرفه الا من يعرفه ثم مضوا الى عسكر الروم ليلا وهم في القدس فناوشوهم فاجتمع عليهم من الروم خلق كثير فقاتلوهم ساعة ثم انهزموا فدخلوا هذا القصر فدخل الروم ورائهم فلم يجدوا احدا منهم فصعدوا الى الطبقة العالية فخرج اليهود الذي كان قد اختفى فاختلطوا بهم واطلق النار في تلك المواضع فاضطرمت النار في جميع مواضعه وجوانبه فبادروا الروم الى الباب فوجدوا اليهود قد سدوه ليسدوهم فهلكوا وكان فيهم جماعة من وجوه الروم فخاف الروم من اليهود ولم يامنوا ان يحتالوا عليهم بامر اخر فخرجوا من القدس والمدينة ورجعوا الى عسكرهم فامر طيطوس بضبط الطرق والتضييق عليهم ليهلكهم الجوع فمات اكثرهم وخرج كثير من اصحاب الخوارج الى طيطوس فقتلهم ثم دخلت الروم الى بيت الله فلم يجدوا من يمانعهم وكان طيطوس قد اكد على اصحابه في ان لا يحرقوا القدس فقال له روسا اصحابه انك ان لم تحرقه لم تتمكن من اليهود لانهم لم يزالوا يقاتلون ما كان باقيا فاذا الحرق ذهب عزهم فانكسرت قلوبهم فلم يبق لهم ما يقاتلون عنه فقال لا تحرقوه الى ان امركم وكان في طريقه باب مغشى بصفائح الفضة وهو مغلق فاحرقه بعض الروم ليأخذوا الفضة فلما احترق وجدوا الطريق الى القدس الاجل فدخلوه وحملوا اصنامهم فنصبوها فيه فخرج قوم ممن بقي من اليهود في الليل الى اولئك الذين في القدس فقتلوهم فلما بلغ ذلك طيطوس جاء الى القدس فقتل اكثر من وجده فيه من اليهود وهرب من بقي منهم الى جبل صهيون فلما كان الغد احرق الروم ابواب قدس الاقداس وكانت مغشاة بالذهب فلما سقطت كبروا وصرخوا صراخا عظيما فجاء طيطوس مسرعا ليمنع من احراقه فلم يتم له ذلك ويقال انه صاح وقد انقطع صوته فلما علم ان الامير قد خرج يده دخل لينظره قبل ان يحرقه فلما راى حسنه وبهجته تعجب وتحير وقال حقا ان هذا البيت الجليل ينبغي ان يكون بيت الله ومسكن جلاله ونوره وانه يحق لليهود ان يحاربوا عنه ويستقتلوا عليه ولقد اصابت

اصابت الامم واحسنت فيما كانت تفعله من اعظام هذا البيت واكرامه وحمل الهدايا اليه وانه لاعظم من هيكل رومية ومن جميع هياكل الامم التي شاهدناها وبلغنا خبرها وما اردت احراقه ولكن هم فعلوا ذلك بشرهم ولجاجهم وكان من بقي من الكهنة لما راوا الحريق حاربوا الروم عنه فلما علموا انهم عاجزون عن دفعهم قالوا ما نريد ان نبقى بعده فطرحوا انفسهم في النار فهلكوا ومضى عند ذلك من بقي من اليهود الى جميع ما في المدينة من القصور الجليلة والمنازل الحسنة فاحرقوها بجميع ما فيها من الذخاير والالات وكان حريق القدس في اليوم العاشر من الشهر الخامس وهو اب وذلك نظير اليوم الذي احرق فيه الكسدانيون البيت الاول ولما كان في غد هذا اليوم ظهر من اليهود متنبي فقال لهم اعلموا ان هذا القدس سيعود عن قليل مبنيا كما كان من غير ان يبنيه الادميون بل بقدرة الله تعالى فدوموا على ما انتم عليه من محاربة الروم والامتناع من طاعتهم فاجتمع عليه جماعة فقاتلوا فظفر بهم الروم فقتلوهم باسرهم وقتلوا كثيرا من عوام اليهود وضعفائهم ممن كانوا قد حشوهم قبل ذلك وارسل يوحانان وشمعون الى طيطوس يطلبان منه الامان فقال قد كنت طلبت اليكما ذلك فاما الان فانتما في قبضتي وليس لكما عذر عند الله ولا عند احد من الناس في استبقائكما فاخذ الملك الى القدس باصحابه فقتلوا قائدين من الروم فامر طيطوس بقتل من بقي في المدينة من اليهود ممن كان قد رجع فلما راى اصحاب شمعون ذلك خافوا على انفسهم فارسلوا الى طيطوس ان يومنهم فقتل شمعون روساهم وهرب الباقون الى طيطوس فامنهم وكف اصحابه عن من بقي من اليهود ثم هرب شمعون ويوحانان من جبل صهيون الى موضع استتروا فيه ثم استولى طيطوس على جميع البلد وهدم سور جبل صهيون ولما طال عليهما الاستتار واشتد بهما الجوع خرجا الى طيطوس فقتلهما ثم رجع متوجها الى رومية ومعه السبي والغنائم وكان كلما نزل منزلا تقدم جماعة ممن ظفر به من الخوارج الى السباع التي معه حتى افناهم وكان العازر لما راى انساد شمعون وقتله من لم يكن له ذنب من اليهود وقد علم انه لا يخلص لهم من البلاء خرج قبل استيلاء الروم على البلد واقام في بعض المواضع فلما رحل طيطوس مضى الى مدينة مصيرا لم تحصنها فسمع به طيطوس وهو بانطاكيه فرد اليه قائدا من قواده فحاصرهم فلما عاين الهلكة دعا اصحابه الى قتل من خلفهم من العيال والاستنتات ليموتوا اعزة فاجابوه الى ذلك وقاتلوا حتى قتلوا كلهم فسبحان القوي الشديد الفعال لما يريد ولما انقضى ذلك كانه قيل اما لهذه المحنة من كرة كالاولى فاطمعهم بقوله سبحانه عسى ربكم اي الذي عودكم بالاحسان ان يرحمكم فيتوب عليكم ويكرمكم ثم افزعهم بقوله وان عدتم اي بما نعلم من دبركم الى المعصية مرة ثالثة فوقها اي بما تعلمون لنا من العظمة المعذبكم في الدنيا وقد عادوا غير مرة بما اشار اليه الكلام وان كان في سياق الشرط ليظهر الفرق بين كلام العالم وغيره واشار الى ذلك قوله في التورية عقب ما مضى واذا اتت عليك هذه الاقوال كلها والدعا واللعن الذي تلوت عليك فتب في قلبك وانت متفرق بين الشعوب التي يفرقك الله فيها واقبل الى ربك واسمع قوله واعمل بجميع ما امرك به اليوم انت وبنوك من كل قلبك فيرد الرب سبيك ويرحمك ويعود فيجمعك من جميع الشعوب التي فرقك فيها وان كان المبددون منكم يا ال اسرايل في اقطار الارض يجمعك الله ربك من هناك ويقربك من ثم ويردك الى الارض التي ورثها ابوك وترثونها وينعم عليكم ويكثركم اكثر من ابائكم ويختن الله الرب قلوبكم وقلوب نسلكم الى الابد وتتقون الله ربكم من كل قلوبكم وانفسكم لما يحييكم وينعمكم وينزل الرب كل هذا اللعن باعدائكم ومبغضيكم الذين اذوكم عدنا اي بعد ذلك لعظمتنا وجعلنا اي التي تكون داخلها بالتهجم والكراهة جهنم وهذا الوصف الظاهر موضع تعلق البيان تعليق الحكم به على سبيل الرسوخ سوا في ذلك هم وغيرهم وفيه اشارة الى انهم ليعودون الى الافساد والى انهم منهم من يومن ومنهم من يكفر للكافرين اي يحبسا يحصرهم غاية الحصر وعن الحسن ان الحصير هو الذي يفرش ويبسط فالمعنى انه يجعلها مهادهم ولما ثبت ان كتاب موسى عليه السلام الذي انزله عليه بيانا بين مصر وبيت المقدس في طول المدة المتطاولة هو هدى لبني اسرائيل صادق الوعد فيما قضى فيه اليهم من امرهم وامر بيت المقدس من ترتيبه حال من اضاعه واعلائهم واخذ من عاداهم ومن تنكيس احوال العصاة مرة بعد اخرى بتسليط الاعدا عليهم بالقتل والاسر والنهب وتخريب بنيتها على ان طاعة الله تجلب كل خير وكرامة ومعصيته توجب كل بلية كما كشف عنه الزمان على ما هو معروف من تواريخ اليهود وغيرها لاح ان القران يزيد عليه في كل معنى حسن وامر شريف بما هو اتى به من الوعود الصادقة والاحكام المحكمة والمعاني الفائقة في النظوم العذبة الرايقة مع الاعجاز عن ان الاتيان باية

باية من شمله لجميع الانس والجان بخشية ما زاد المسير المحمدي الى بيت المقدس الذي اراه فيه من اياته على
المسير الموسوي الذي اتاه فيه الكتاب فقال في جواب من كانه قال فقد علم ان كتاب موسى عليه السلام الذي
انزل في مسيره لقصد محل المسجد الاقصى نعم في الهداية والوعود الصادقة فما حال كتاب محمد صلى الله عليه وسلم
الذي انزل عليه منه في سبب مسيره اليه في ذلك ان هذا القران اي الجامع لكل حق والفارق بين كل ملتبس
يهدي ولما كان صاحب الذوق السليم يجد لحذف الموصوف هزة وروعة لما يجد من الفخامة بابهامه
لا يجدها عند ذكره وايضاحه قال للتي اي للطرائق والاحوال والسنن التي هي اقوم من كل طريقة وسنة وحال
دعا اليها كتب من الكتب السماوية اما في الصورة فباعتبار ما علا به من البيان واما في الوعود فباعتبار العموم
لجميع الخلق في الدارين واما في الاصول فتعريف الامثال وتقريب الوسائل وحسم مواد الشبه وايضاح
وجوه الدلائل واما في الفروع فباعتبار الاحسنية تارة في السهولة والخفة وتارة في غير ذلك كما هو واضح
عند من تأمل ما بين الامرين ولما انقسم الناس الى مهتد به وضال اتبع سبحانه ذلك بيانه وكان التعبير عن حالهم
بالبشرى في قوله ويبشر المؤمنين اي الذي لا يستحق في هذا الوصف ولقد قدم بيانا لهم بقوله الذين اي يصدقون
ايمانهم بانهم يعملون اي على سبيل التجدد والاستمرار والبناء على العلم الصالحات من التقوى والاحسان ان لهم
اي جزاء لهم في ظواهرهم وبواطنهم اجرا كبيرا اشارة الى صلاح هذه الامة وثباتهم على دينهم وانه لا يزال
امرهم ظاهرا الا كان كتاب موسى عليه السلام فقومه اشارة الى انشادهم وتبدلهم دينهم ولما بشرهم بما لهم
في انفسهم اتبعه ما لهم في اعدائهم فقال وان وبشر المؤمنين ايضا بان الذين لا يؤمنون اي لا يتجدد منهم ايمان
بالآخرة حقيقة او مجازا المستتبعة لانهم لا يعملون الصالحات حقيقة لعدم مباشرتها او مجازا لبنائها
على غير اساس الايمان وعبر بالاعتاد تهكما بهم فقال اعتدنا اي احضرنا وهيانا ما هو في غاية الطيب للنفاسة
والملاءمة على سبيل الوعد الصادق بوجه وهو مع ذلك منظور اليه لعظمتنا لهم من عندنا بواسطة
المؤمنين او بلا واسطة ولما استشرف الاعداء الى هذا الوعد استشراف المغتبط المسرور تاهم في تقسيمهم
بما الهب ضلع قلوبهم على طريق تحية بينهم ضرب وجيع وسر قلوب الاولياء واغاظهم فقال عذابا اليما فان
لا بشرى الذي لهم اعلى ولا اسر من الانتقام عن مخالفهم فصار فضل الكتاب على الكتاب كفضل الذهاب
على الذهاب وحذف المؤمنين الذين لا يعملون الصالحات لتمام الاشارة بالاشارة الى انهم من القلة
في هذه الامة الشريفة بحيث لا يكادون ان يوجدوا ولما ذكر سبحانه ما لكلامه من الدعاء الاقوم اتبعه
ما عليه الانسان من العوج الداعي له الى العدول عن التمسك بشرايعه القويمة والاقدام على ما لا فايدة
فيه تنبيها على ما يجب فيه من التاني للنظر فيما تدعوا اليه نفسه ووزنه بمعيار الشرع فقال ويدع
وصدف واوه الذي هو لام الفعل خطا في جميع المصاحف ولا موجب لحذفه لفظا في الدرج تنبيها الى انه يدعو
بالشر لسفهه وقلة عقله وهو لا يريد عثرة الشر عليه بما اشير اليه بحذف ما معناه عند اهل اسرار الرفعة
والعلو والى ان غاية فعله الهلاك الا ان يتداركه الله وقد ذكرت حكم الموقف عليه وعلى امثاله في
سورة القمر الانسان اي عند الغضب ونحوه على نفسه وعلى من يحبه لما له من الانس بنفسه والنسيان
لما يصلحه بالشر اي ينادي ربه ويتضرع اليه بسبب ابتاع الشريه دعاءه اي مثل دعائه بالخير اي
بحصول الخير له ولمن يحبه ثم نبه على الطبع الذي هو منبع ذلك الانفتال فقال وكان الانسان اي هذا النوع بما
له من قلة التدبر لاشتغاله بكل ما يقع في قلبه بالنظر في عطفيه والانس بنفسه كونا هو مجبول عليه
عجولا اي يبالغ في العجلة فيسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله من غير ان يتانى فيه تاني
المتبصر الذي لا يريد ان يوقع شيا الا في اتم مواقعه ولذلك يستعجل العذاب لنفسه استهزاء ولغيره
استشفاء والعجلة طلب الشي في غير وقته الذي لا يجوز تقديمه عليه واما السرعة فهي عمله في اول
وقته الذي هو اولى به ولما ثبت ما لصفته تعالى من العلو ولصفة الانسان من السفول تلاه بما
لا فعاله من الاتقان ذاكرا ما هو الاقوم من دلائل التوحيد والنبوة في العالمين العلوي والسفلي ثم
ملا فعال الانسان من العوج جريا مع طبعه او من الاحسان بتوفيق الله اللطيف المنان فقال مبينا
ما منعهم به من نعم الدنيا بعد ما انعم عليهم به من نعم الدين وجعلنا اي بما لنا من العظمة الليل والنهار ايتين
دالتين على تمام العلم وشمول القدرة اية الليل كالايات المتشابهة واية النهار كالمحكمة فكما ان المقصود
من التكليف لا يتم الا بذكر المحكم والمتشابه فكذلك الزمان لا يتيسر الانتفاع به الا بهاتين الايتين فمحونا

فمحونا اي بعظمتنا الباهرة اية الليل باعدام الضياء فجعلناها لا تبصر فيها المرئيات كما لا يبصر الكتاب اذا
محي وجعلنا اي بعظمتنا اية النهار ولما كانت في غاية الضياء يبصر بها كل من له بصر اسند الابصار اليها مبالغة فقال
مبصرة اي بالشمس التي جعلها منيرة في نفسها فلذلك الدهر الدار الناقصة في تنقل من نور الى ظلمة ومن ظلمة الى نور
كالانسان بعجلته التي يدعو اليها طبعه وتانيه الداعي اليه عقله من انتقال من نقصان الى كمال ومن كمال الى نقصان
كما ان القمر الذي هو انقص من الشمس كذلك ثم ذكر بعض المنافع المرتبة على ذلك فقال لتبتغوا اي تطلبوا طلبا
شديدا فضلا من ربكم اي المحسن لكم فيه بضيائه هذا تارة وببرده هذا اخرى ولتعلموا بفصل هذا من هذا
عدد السنين اي من غير هذا حاجة الى حساب المطالع والمغارب والزيادة والنقصان وغير ذلك
من الكواين لمن امعن النظر وبالغ في التفكر قال والحساب اي جنسه فضلناها لذلك على هذا الوجه المتقن
بالزيادة والنقصان وتغير الاحوال في اوقات معلومة على نظام لا يختل على طول الزمان مقدار ذرة ولا
يختل نقش شعرة الى ان يريد الله خراب العالم وفناء الخلق فيبيد ذلك كله في اسرع وقت وازيب زمن ولو
احتلا لاختلطت الاوقات وتعطلت الامور وكل شي غيرهما مما تحتاجون اليه في دينكم او دنياكم فصلناه
اي بعظمتنا وازلنا التباسه واكد الامر تنبيها على تمام القدرة وانه لا يعجزه شي يريده فقال تفصيلا
فانظروا بابصاركم وبصائركم وتنبهوا نباتكم وسرايركم تجدوا الامر متقنا ونظاما محكما ثم ارجع البصر كرتين
ينقلب اليك البصر خاسيا وهو حسير ولما كان هذا امرا دقيقا جدا اتبعه ما هو ادق منه واغرب في القدرة
والعلم من تفاصيل احوال الادميين بل كل مكلف بعضهم من بعض من قبل ان يخلقهم فقال وكل انسان اي من
طبعه التحرك والاضطراب الزمناه اي بعظمتنا طايره اي عمله الذي قدرناه عليه من خير وشر ولعله عبر
به لانهم كانوا لا يقدمون ولا يحجمون في المهم من الامور الا بالطاير فيقولون جرى لفلان الطاير بكذا في
عنقه الذي هو محل الزين بالقلادة ونحوها والشين بالغل ونحوه الزاما لا يقدر ان ينفك عن شي منه كما
لا يمكن الانفكاك عن العنق وذلك كما الزمنا بني اسرائيل ما قضينا اليهم في الكتاب فكان كما قلنا وهم يعلمون انه
من السوء بمكان فلم يقدروا على الاحتراز منه والانفصال عنه فكذلك لن ابطلوا الا ابدا الا ما قضى به في الازل
جف القلم بما هو كاين لما لنا من العظمة وشمول العلم وتمام القدرة له يوم القيمة اي الذي لا بد
من ايجاده كتابا بجميع ما عمل يلقاه حال كونه منشورا تكتبه حفظتنا كل يوم ثم اذا صعدوا قابلوا ما
فيه على ما سطرناه قديما في اللوح المحفوظ فيجدونه كما هو لا خلاف فيه اصلا فاذا لقي كتابه يوم العرض قيل له
اقرا كتابك انت بنفسك غير ملزم بما يقرأ وعليك كفى وحقق الفاعل بزيادة الباء فقال بنفسك
اليوم اي في جمع هذا اليوم الذي يكشف فيه المستور وتظهر جميع الامور عليك حسيبا اي حاسبا بليغا فانك
تعطى القدرة على قراءته اميا كنت او قاريا ولا ترى فيه زيادة ولا نقصا ولا تقدر ان تنكر منه حرفا وان انكر
لسانك شهدت عليك اركانك فيا لها من قدرة باهرة وقدرة قاهرة ونصفة ظاهرة ولما كان ما مضى
انتج قطعا معنى ما تلنا لبني اسرايل ان احسنتم الاية لكل احد منهم ولغيرهم وذلك قوله تعالى من اهتدى فتبع الهدى
فانما يهتدي لنفسه لان ثوابه لا يتعداه ومن ضل بالاعراض عما انزلنا من البيان فانما يضل عليها
لا في عقابه عليه لا يتجاوزه ولا تزر وازرة اي اي وازرة كانت وزر اخرى اي لتخفف عنها بل لكل جزاء
عمله لا يتعداه الى غيره فيثيب من اهتدى ويعذب من ضل وما كنا اي على عظمتنا معذبين احدا حتى نبعث
اي بعثا يناسب عظمتنا رسولا فمن بلغته دعوته فخالف امره واستكبر عن اتباعه عذبناه بما يستحقه
وهذا امر قد تحقق بارسال ادم عليه السلام ومن بعده من الانبياء الكرام عليهم السلام في جميع الامم كما قال
تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا وان من امة الا خلا فيها نذير فان دعوتهم الى الله قد انتشرت وعمت الاقطار
واشتهرت انظر الى قول قريش الذين لم يأتهم نبي بعد اسمعيل عليه السلام ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة فانه يفهم
انهم سمعوه في الملة الاولى فمن بلغته دعوة احد منهم بوجه من الوجوه فقصر في البحث عنها فهو كافر مستحق العذاب
فلا تغتر بقوله كثير من الناس في نجاة اهل الفترة مع اخبار النبي صلى الله عليه وسلم ان اباهم الذين مضوا في
في الجاهلية في النار وانما يدخل خبرهم الى غير ذلك من الاخبار قال الامام ابو عبد الله الحليمي احد اجلاء
الشافعية وعظما اية الاسلام في اوايل منهاجه في باب من لم تبلغه الدعوة وانما قلنا ان من كان منهم عاقلا مميزا
اذا راى ونظر الا انه لا يعتقد دينا فهو كافر لانه وان لم يكن سمع دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم فلا شك انه سمع
دعوة احد من الانبياء الذين كانوا قبله صلى الله عليه وسلم على كثرتهم وتطاول ازمان دعوتهم ووفور عدد

الذين امنوا ايهم واتبعوهم والذين كفروا بهم وخالفوهم فان الخبر قد يبلغ على لسان المخالف كما يبلغ على لسان
الموافق واذا سمع اية دعوة كانت لما له فيترك ان يستدل بعقله على صحتها وهو من اهل الاستدلال والنظر
كان بذلك معرضا عن الدعوة فكفر والله اعلم وان امكن ان يكون والله اعلم لم يسمع قط بدين ولا دعوة نبي ولا عرف
ان في العالم من يثبت الها ولا نرى ان ذلك يكون فان كان فامره على الاختلاف يعني عند من يوجب الايمان بمجرد
العقل ومن لا يوجبه الا بانضمام النقل وما قاله الحليمي نقل نحوه عن الامام الشافعي نفسه قال الزركشي في
اخر باب الديات من شرحه على المنهاج وقد اشار الشافعي الى عدم تصوره اي عدم بلوغ الدعوة ثم حيث قال
وما اظن احدا الا بلغته الدعوة الا ان يكون قوما من وراء النهر يقاتلوننا وقال الدميري وقال الشافعي ولم
يبق من لم تبلغه الدعوة ولما اشار الى عذاب المخالفين قرر اسبابه وعرفها بقدره وان قدرته لا يمنع
حقوق العذاب لمن تاب الا من علم ما يعارضه ذوو العقول بنهم فقال **واذا** اي تنبعث الرسل
باوامرنا ونواهينا فاذا اردنا ان نحيي قرية الحياة الطيبة في الدنيا والاخرة اثبتنا في قلوب
اهلها امتثال اوامرنا والتعبد باتباع رسلنا واذا **اردنا** وارادتنا لا تكون الا عظيمة جدا **ان نهلك**
اي نعلمنا **قرية** في الزمن المستقبل **امرنا** اي بما لنا من العظمة التي لا يقدر احد على مخالفتها **مترفيها**
الذين لهم الامر والنهي بالفسق استدرجناهم بادرار النعم ودفع النقم على ما يعملون من المعاصي الذي كان
يكونه سببا لبطرهم ومخالفتهم كالامر بالفسق **ففسقوا فيها** بعد ما ازال الرسول معاذيرهم بتبليغ الرسالة
كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اي على السنة الرسل فتحنا عليهم ابواب كل شيء الاية وكذلك جعلنا في
كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وخص المترفين لان غيرهم لهم تبع ولانهم احق الناس بالشكر واولى بالانتقام
عند الكفر ويجوز ان يكون امرناهم بالاوامر ففسقوا فيها اي الاوامر بالطاعات التي يعلم قطعا ان اوامرنا تكون
بها ولا تكون بغيرها لانا لا نامر بالفحشاء وقد جرت العادة بان المترف عسر الانقياد لا تكاد تسمح نفسه بان
يصير تابعا بعدما كان متبوعا ففسقوا فتبعهم غيرهم لان الاصاغر تبع للاكابر فاطبقوا على المعصية فاهلكناهم
وقرا يعقوب امرنا بمد الهمزة بمعنى كثرنا من امرت الشيء وامرته فامر اذا كثر وفي الحديث خير المال سكة
مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وروى البخاري في التفسير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال
كنا نقول للحي اذا كثروا في الجاهلية امر بنوا فلان والكثرة راجعة للامر الذي هو ضد النهي فانه نتيجة
العز الذي هو لازم الكثرة ويجوز ان يكون من المؤامرة اي امرناهم باوامرنا فما امتثلوا وامرونا باوامرهم
اي سالونا ما يريدون فاعطيناهم ذلك استدراجا فابطرهم نيل الاماني ففسقوا **فحق** اي وجب وجوبا
لا تبدي وتوعده **عليها القول** الذي توعدناهم به على لسان الرسول بما شرع البعض للفسق وسكوت
الباقين على حسب ما يتعارفونه بينكم في ان من خالف الامر الواجب عليه استحق العقاب **فدمرناها** اي اهلكناها
اهلاكا شديدا بغتة غير مبالين بها فجعلناها كالمدرة المفتتة وكان امرها على عظمتنا هينا ولذلك اكد
تعالى **تدميرا** ولما قرر ان هذا شانه اذا اراد ان يهلك اخبر انه فعل ذلك بمن لا يحصيهم العد من
القرون ولا يحيط بكم الحد من الامم لان الاعتبار بالمشاهد اوقع في القلب واهول عند النفس فكانه قال
كم فعلنا ذلك بالقرى ولم نستعجل في اهلاك قرية منهم ولا اخذناهم من غير انذار بل ارسلنا اليهم واملينا
لهم الى ان كان ما حملناه في الاجل وجاء الوقت الذي قدرناه وبلغوا في الذنوب ما يستحقون به الاخذ وقد اهلكنا
قوم نوح على هذا السنن وكانوا اهل الارض كما فهمت الاشارة اليه ووقع التنبيه عليه واهلاكهم كافيا في ابلاغ
اهل الارض ما ارسلنا به رسلنا من التوحيد لان ذلك لم يخف على احد بعدهم وعطف على هذا المقدر قوله
وكم اهلكنا اي بما لنا من العظمة وبين معلول كم بقوله **من القرون** على هذا السنن ولما كان الاهلاك
بعذاب الاستيصال لم يستغرق ما بعده ادخل الجار فقال **من بعد نوح** الذي انتم ذرية من انجينا بالحمل
معه بذنوبهم اهملناهم حتى اعذرنا اليهم ثم اخذناهم في مدد متفاوتة فكان لبعضهم اقصر مدة من بعض
وبعضهم انجيناه بعد ان لحظناه بمخايل العذاب واما من قبل نوح فالظاهر من عبارة التوراة انهم لم يكونوا
كفارا وبه صرح كثير من المفسرين في تفسير كان الناس امة واحدة ولما كان ذلك ربما اوجب ان يقال
كيف يعذب المالك مع امكان عذره بعجز او غيره قال دالا لذلك تارك ساطرا العظمة تلطفا لهذا النبي
الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم في جملة **وكفى بربك** اي المحسن اليك بالعفو عن امتك واعفائهم من
الاستيصال **بذنوب عباده** اي لكونه خلقهم وقدرهم من جميع الحركات والسكنات **بصيرا** من القدم فهو

فهو يعلم السر واخفى واما انتم فلستم هناك فكم من انسان كنتم ترونه من اكابر الصالحين ثم اسفرت
عاقبته عند الامتحان عن انه من امثل الضالين **بصيرا** لما اذا وقعت لا يخفى عليه شيء منها واما
انتم فكم من شخص كنتم ترونه مجتهدا في العبادة فاذا اخلد بارزته بالعظائم ولما تقرر انه سبحانه
خبير بذنوبهم لعبد تزهيده في الدنيا بما ذكر من مصارع الاولين اتبعه الاخبار بانه يعاملهم على حسب
على وجه معرف بعلمه بجميع طوياتهم من حبها وشر رغبة الاخرة ورهبة الدنيا لانها المانعة من اتباع الرسل
والتقيد بطاعتهم خوفا من نقص الحظ من الدنيا من المال ما هو فيه من الرياسة والمال لانها المانعة
من اتباع والانهماك في اللذة عجلا بان ما تقدر لا يكون غيره سواء كان صاحبه في طاعة او معصية فقال
من كان يريد اي ارادة هو فيها في غاية الامعان بما افتتحناه طبعه المشار اليه بفعل الكون ولما كان
مدار مقصود السورة على الاحسان الذي هو العبادة على المشاهدة وكان ذلك لا ينافيه الحال من يلتفت
الى الدنيا عبر بقوله **العاجلة** اي فقط **عجلنا** اي بعظمتنا **له فيها** اي العاجلة **ما نشاء** مما يوبي لا جميع
ما يريد ثم ابدل من له قوله **لمن نريد** اي لا لكل من اراد ذلك منبها على ان ذلك بعقوتنا لا بقوة ذلك المريد
ثم جعلنا اي بما لنا من العظمة **له** اي لظاهره وباطنه **جهنم** اي لما لم يركد النار به التي تلقى بالتجهم من كان
يلقى الدنيا واهلها بالتبسم **يصلاها** في الاخرة **مذموما** اي مفعولا به الذم **مدحورا** مدفوعا مطرودا مبعدا
فينبغي لمن يريد الدنيا ان يزيد حذرا لانه لا ينفك من عذاب الاخرة فان لم يعط شيئا من مناه كما اشار اليه لمن
نريد اجتمع له العذابان كاملين فقر الدنيا وعذاب الاخرة وان اعطي فهو لا يعطى كل ما يريد بما اشار اليه
ما نشاء فيجتمع له عذاب ما منعه منها مع عذاب الاخرة ولما ذكر الجاهل ذكر العالم العامل فقال
ومن اراد الاخرة اي بتعلق ارادة بما اشار اليه التجريد من كان **وسعى** اي وضم الى نيته العمل بان سعى
لها سعيها اي الذي هو لها وهو ما كان يتجدد به من العمل بما يرضي الله مما شرعه في كتابه وبينه رسوله
صلى الله عليه وسلم لا اي شيء كان مما لم يشهد ظاهر الكتاب والسنة اعلاما بان النية لا تنفع الا مع العمل
اما بالفعل عند التمكن واما بالقوة عند عدمه ثم ذكر شرط السعي الذي لا يقبل الا به فقال **وهو مؤمن** اي
راسخ في هذا الوصف كما جاء عن بعض السلف من لم تكن له ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة
وعمل مصيب وتلا هذه الاية وهذا الرسوخ هو الاحسان الذي يدور عليه مقصود السورة ثم رتب عليه
الجزاء فقال **فاولئك** العالوا الرتبة جمعهم الشرائط الثلاثة **كان** اي كونا لا بد منه **سعيهم مشكورا**
اي مقبولا مثابا عليه مع التضعيف مع ان لعظم نعمة علينا ابواب الدنيا كذا ودعا علينا الكلام ولنشتغل فيها بما يجب
وبعضهم ترى تفاعنه كرامة له لا هوانا به فالحاصل انها ان وجدت عند اولي الدرجة الشريفة وان عدمت عنه لم
تحقره وانما الشرف وغيره عند الله بالاعمال ولما اخبر عن نفسه الشريفة بما يشير الى التوسعة على من يريد
من الباطل الخبر بانه قضى بذلك في الازل تفضلا فقال **كلا** اي من الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الاخرة **نمد**
اي بالعطايا ثم ابدل من كلا قوله **هؤلاء** اي الذين طلبوا الدنيا لمد **وهؤلاء** الذين طلبوا الاخرة نمد **من عطاء ربك**
المحسن اليك بجميع قضاياه ان ضيق على مؤمن فبالحماية من الدنيا الفانية التي انما هي لهو ولعب وان وسع فيها
فبالاستعانة فيها على حسب ما يرضيه وبيلي كلمته **وما كان عطاء ربك** اي الموجد لك المدبر لامرك **محظورا**
اي ممنوعا في الدنيا عن كل مؤمن ولا كافر بل هو ملء السهل والجبل من الذهب والفضة والحديد والنحاس والجواهر
والثمار والدواب الناس والبهائم وغير ذلك مما لا يحصيه الا الله حتى لو اجتمع كل الناس على جمعه ليلا ونهارا ولم يكن
شغل سوى ذلك لاعياهم ولم يقدروا عليه فسبحان الجواد الواسع المعطي المانع ثم امر بالنظر في عطائه هذا
على وجه مرغب في الاخرة مزهد في الدنيا فقال امرا بالاعتبار **انظر** وبين انه مما لغرابته اهل لان يسال عنه
فقال **كيف فضلنا** اي بما لنا من العظمة القاهرة **بعضهم على بعض** في هذه الحياة الدنيا ما لعظمة فضل
الفاضل يسخر المفضول والمفضول يرغب في خدمة المفضل ويتشرف بالتقرب اليه مع ان رزقنا اياه وهو عطاؤه
بالنسبة الى الكل على حد سوا اخلق ما هو موجود في هذه الدنيا للبر والفاجر والكل حريصون على ان ياخذوا
فوق كفايتهم من الارزاق التي هي لكثير منهم فلما كان هذا التفاضل لا بعسر تاركهم على ذلك وهو من تمنه
عن النقص وجارك كل ما فهو ان لا توجه رغبة راغب الا اليه ولما نبه على ان ما نراه من التفضيل انما هو
بحض تكريره اخبرانا بعد الموت كذلك لا بعد فرق فقال **وللاخرة** اكدا لاخبار عما فيها المستلزم لتاكيد الاعلام
بوجودها لما لهم من انكاره **اكبر درجات** من هذه الحياة الدنيا **واكبر تفضيلا** فاولا الجنة والنار انفسهما

وثانيا بالدرجات في الجنة والدركات في النار ولما كان العمل هنا مقيدا بالذنوب ذكر بعده المفاضلة من
في الدنيا ولعل في ذلك الاشارة الى ان اكثر من يحرز الدنيا تكون زيادته نقصا من اخرته بسبب ذنب
اكتسبه او تقصير ارتكبه ولما كان العلم بذلك بما في قوله وربك اعلم متطلعا طوى بعده الرذايل وعطف
على ذلك المطوي التفاضيل فقال ولقد فضلنا بعضهم على بعض الاية فمن كانت له نفس ابية وهمة علية
ان يزهد في علو فاني لاجل العلو الباقي ولما تقرر بما مضى ان له سبحانه الامر كله وانه متصف بجميع الكمال منزه
عن شوايب النقص انتج انه لا اله غيره فقال مخاطبا لان ذلك اوقع في نفس الاتباع واشارة الى انه لا يوصل
حق توحيده سواه ويجوز ان يكون خطابا عاما لكل من يصح ان يخاطب به لا تجعل مع الله الذي له جميع صفات
الكمال الها وسياتي قريبا سر قوله اخر مع الله مفهوم من المعية فتقعد اي فيتسبب عن ذلك ان تقعد اي تصير
في الدنيا قبل الاخرة مذموما ولما كان الذم قد يحتمله بعض الناس مع بلوغ الامل بين انه مع الخيبة فقال
مخذولا اي غير منصور فنا اذ ذله من غير ان يغني عنك احد بشفاعة او غيرها ولما فرغ الاسماع لهذا النهي
المحتم لتوحيده اتبعه الاخبار بالامر بذلك جمعا في ذلك بين صريحي الامر والنهي تصريحا بعد التنزيه له عن الشرك
بالافراد له بالعبادة في اسلوب الخبر اعلاما بعظم المقام فقال وقضى اي انفذ عن ذلك وامر ربك امرا حتما
مقطوعا به ماضيا لا يحتمل النزاع ثم فسر هذا الامر بقوله ان لا تعبدوا اي انت وجميع اهل دعوتك وهم جميع
الخلق الا اياه فان ذلك هو الاحسان ولما امر بمعرفة الحق للمحسن المطلق منبها على وجوب ذلك باسم
الرب اتبعه الامر بمعرفة الحق للاول المحسنين من الخلق فقال وبالوالدين اي احسنوا اي وتحسنوا الاحسان
بهما احسانا بالاتباع في الحق ان كانا حنيفين شاكرين لانعمه كنوح وابراهيم عليهما السلام فان ذلك يزيد في حسنا (كما)
وبالبر ... في الباطل فان ذلك يخفف من وزرهما والتلطف بهما ما لم يجر الى فساد فيكون اسرعكم فانه
مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ولما كان سبحانه عليما بان الطباع من ملال الولد لهما عند اخذهما في السن
قال اما موكدا بادخال ما على ان الشرطية بزيادة التقرير للمعنى اهتماما بشان الابوين يبلغن عندك
اي بان يضطرا اليك فلا يكون لهما كافل غيرك الكبر ونفى كل احتمال يتعلق به التعنت بقوله احدهما او كلاهما
فيعجز بحيث يكونان في كفالتك فلا تقل لهما اف اي لا تتضجر منهما وفي سورة الاحقاف ما ينفع كثيرا منهما
هنا ثم صرح بما يفهمه ذلك الكلام من باب الاولى تعظيما للمقام فقال ولا تنهرهما فالانتهار ... والنهر زجر
باغلاظ وصياح وقال الاستاذ ابو الحسن الحرالي في كتابه في اصول الفقه وقد اولع الاصوليون بان يذكروا
في جملة هذا الباب اي باب الاستدلال بالملزوم على اللازم والادنى على الاعلى قوله تعالى ولا تقل لهما اف
بناء على ان التانيف عندهم اقل شيء يعق به الاب وذلك حايد عن سنن البيان ووجه الحكمة لانه ليس في العقوق
شيء اشد من التانيف لانه انما يقال للمستقذر المسترذل ولذلك عطف عليه ولا تنهرهما لانه لا يلزم منه لزوم سوا
ولا ذم راجحي ولا يصح بنا يع ادني ان يعطف عليه ما يلزمه سوا وحرى كما لو قال قايل من يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره لم يصح عطفه عليه لافادة الاول اياه ولعل ذلك لا شيء وهل فيه ... من
غير اعتبار لقوله انتهى ولما نهاه عن عقوقهما تقدم بالمادة ... جليا للمصلحة فقال
وقل لهما اي بدل النهر وغيره قولا كريما اي حسنا جميلا يرضاه الله ورسوله مع ما يظهر فيه من اللين والرقة
والشفقة وجبر الخاطر وبسط النفس كما تقتضيه حسن الادب وجميل المروة ومن ذلك انك لا تدعوهما باسمايهما
بل بيا ابتاه ويا اماه ونحو هذا واخفض لهما ولما كان الطاير يخفض جناحه عند الذل استعار لتعطفه عليهما
دعيا لحقوقهما قوله جناح الذل اي جناح ذلك وبين المراد بقوله من الرحمة اي لا من اجل امتثال الامر وخوف
العار فقط بل من اجل الرحمة لهما بان لا تزال تذكر نفسك بالاوامر ... ما تقدم لهما من الاحسان اليك
فصارا مفتقرين اليك وقد كنت افقر خلق الله اليهما حتى تصير لذلك خلقا لازما لك فان النفس لامارة بالسوء
لم تنقد الى الخير بانواع الارغاب والارهاب والامعان في النظر في حقايق الامور وعجايب المقدور ولذلك
اتبعه قوله امرا بان لا يكتفي برحمته التي لا بقا لها فان ذلك لا يكافي حقهما بل يطلب لهما الرحمة الباقية وقل
رب اي ايها المحسن الي بعطفهما علي حتى ربياني وكانا يقدماني على انفسهما ارحمهما بكرمك برحمتك الباقية
وجودك كما رحماني انا برحمتي القاصرة مع بخلي وما في من طبع اللوم كما ربياني برحمتهما لي صغيرا وهذا مخصوص
بالمسلمين باية ما كان للنبي لا منسوخ ولقد ابلغ سبحانه في الايصا بهما حيث بداه بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده
ونظمه في سلكه وختمه بالتضرع في نجاتهما جزاء على فعلهما وشكرا لهما وضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى شيء

ادنى شيء من اهمالهما مع موجبات الضجر ومع احوال لا يكاد يدخل الصبر عليها في اصل الاستطاعة الا بتدريب كبير
ولما كان ذلك عسرا جدا احذر من التهاون به بقوله ربكم اي المحسن اليكم في الحقيقة فانه هو الذي عطف عليكم من
يربيكم وهو الذي عاملكم على ذلك اعلم ان منكم بما في نفوسكم من قصد البر بهما وغيره فلا يظهر احدكم غير ما يبطن
فان ذلك لا ينفعه ولا ينجيه الا ان يحمل نفسه على ما يكون سببا لرحمتنا ان تكونوا اي كونا هو كالجبلة لكم صالحين
اي متقين او محسنين في نفس الامر والصلاح استقامة الفعل على ما يدعو اليه الدليل واشار الى انه لا يكون ذلك
الا بمعالجة النفس وترجيعها كرة بعد فرة بقوله فانه كان للاوابين اي الرجاعين الى الخير مرة اثر مرة بعد
جماح انفسهم عنه غفورا اي بالغ الستر لما فرط منهم لو وقع منه نقص فرجع عنه على انه مغفور ولما حث على الاحسان
اليهما بالخصوص عم بالامر به لكل ذي رحم وغيره فقال وات ذا القربى من جهة الاب او الام وان بعد حقه وات
المسكين وان لم يكن قريبا وابن السبيل وهو المسافر المنقطع عن ماله لتكون متقينا محسنا ولما رغب في البذل
وكانت النفس ... بما يكون فعلها قواما بين الافراط والتفريط اتبع ذلك قوله ولا تبذر بتفريق المال سرفا وهو بذله
فيما لا ينبغي وفي قوله تبذيرا تنبيه على ان الارتفاع عن ساحة التبذير اولى من المبسوط المضيق الشح
والتقتير والتبذير بسط اليد في المال على حسب الهوى جزافا واما الجود فبمقدار معلوم لانه اتباع لحكم
اسرار الحقوق المالية ومنها معلوم بحسب القدر ومنها معلوم بحسب الوصف كمعاضدة اهل الملة وشكر
اهل الاحسان اليك ونحو ذلك وقد سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن التبذير فقال انفاق المال
في غير حقه وعن مجاهد لو انفق الانسان ماله كله في الحق ما كان تبذيرا ولو انفق مدا في باطل كان تبذيرا
ثم علل ذلك بقوله ان المبذرين اي جبلة وطبعا كانوا اي كونا هم راسخون فيه اخوان الشياطين اي كلهم
البعيدين من الرحمة المحترقين في اللعنة فان فعلهم فعل النار التي هي اغلب اجزائهم وهو احراق ما وصلت اليه
لنفع وغير نفع فاذا لم يجدوا ... اخذوا ما ليس لهم والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم وتابع امرهم هم اخوانهم ولما
كان الاقتصاد داعيا الى الشكر والتبذير داعيا الى الكفر قال وكان الشيطان اي هذا الجنس البعيد من كل خير
المحترق بكل شر لربه اي الذي احسن اليه بايجاده وتربيته كفورا اي ستورا لما تقدر على ستره من
اياته الظاهرة ونعمه الباهرة مع الجحد ولما امر بما هو الاولى في حالة الوجدان امر بمثل ذلك في حالة العدم فقال
موكدا لنفيها على انه ينبغي ان يكون الاعراض عنهم في حيز الاستبعاد والاستنكار واما تعرضن عنهم اي عن جميع (ابتغا)
من تقدم ممن امرت بالبذل اليه لطلب رحمة اي اكرام وسعة من ربك الكبير الاحسان ترجوها فاذا اتتك
واسيتهم فيها فقل لهم في حالة الاعراض قولا ميسورا اي ذا يسر تنشرح صدورهم به وتنبسط ركابهم لان ذلك اقرب
الى الطريق المستقيم المحسن الذين انا معهم قال ابو حيان وروي انه عليه الصلاة والسلام كان يقول بعد نزول
هذه الاية اذا لم يكن عنده ما يعطي وسئل قال يرزقنا الله واياكم من فضله انتهى وقد وضع هذا الابتغا موضع
الفقر لانه سببه فوضع المسبب موضع السبب ولما امر بالجود الذي هو لازم الكرم نهى عن البخل الذي هو لازم
اللوم في سياق يتضمنه ومن الاسراف فقال ممثلا لهما باديا بما اشد ولا تجعل يدك بالبخل مغلولة
اي كانها بالمنع مشدودة بالغل الى عنقك لا تستطيع مدها ولا تبسطها بالبذل كل البسط فتبذر فتقعد
اي توجد كالمقعد بالقبض ملوما اي بليغ الرسوخ فيما تلام بسببه عند الله لان ذلك مما نهى عنه وعند الناس
وبالبسط محسورا منقطعا بك لذهاب ما تتقوى به وانحساره عنك وكل من الحالتين تجاوز لحد
الاعتدال ولما كان سبب البخل خوف الفقر وسبب البسط محبة اعطا المصطفى قال مسليا لرسوله صلى الله
عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضافة عن التوسعة على من يسأله بان ذلك انما هو لتربية العباد بما يصلحهم
لا لهوان بالمضيق عليه ولا لاكرام للموسع عليه ان ربك اي المحسن اليك يبسط الرزق لمن يشا البسط له دون
غيره ويقدر اي يضيق لذلك سواء تقبض يدك او تبسطها ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكنه
تعالى لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عنه اقصى مكروهه فاستنوا انتم بسنته في عباده
في الاقتصاد انه كان اي كونا هو في غاية المكنة بعباده خبيرا اي بالغ الخبرة بصيرا اي بالغ
البصر بما يكون من كل من البسط والقبض لهم مصلحة او مفسدة ولما تم سبحانه ما اراد من الوصية بالاصول
وما يتبع ذلك وختمه بما قرر من ان تقبض الرزق وبسطه منه من غير ان تنفع في ذلك حيلة او صاهم
بالفروع لكونهم في غاية الضعف وكانوا يقتلون بناتهم خوف الفقر وكان اسم البنت قد صار عندهم لطول
ما استهجنوه موجبا للقسوة نهاهم تعالى عن ذلك وسوا احوالهم اعلاما بما بعث صلى الله عليه وسلم عن هذا الخلق

قبل الاسلام وبعده ولا تقتلوا اولادكم معبرا بلفظ الولد الذى هو داعية الى الحنو والعطف خشية املاق اى
فقر متوقع ولم يقع بعد ثم وصل بذلك استئنافا قوله نحن نرزقهم واياكم مقدما ضمير الاولاد لكون الاملاق
مترقبا من الانفاق عليهم غير حاصل فى حال القتل بخلاف آية الانعام فان سياقها يدل على ان الاملاق حاصل
عند القتل والقتل للعجز عن الانفاق ثم علل ذلك بما هو اعم منه فقال ان قتلهم اى مطلقا لهذا وغيره ٥
كان خطا اى اثما كبيرا قال الرمانى والخطأ بكسر ثم سكون لا يكون الا تعمدا الى خلاف الصواب والخطأ اى محركا
قد يكون من غير تعمد ولما كان فى قتل الاولاد حظ من البخل وفى فعل الزنا داع من الاسراف اتبعه به فقال
ولا تقربوا اى ادنى قرب بفعل شىء من مقدماته ولو باخطاره بالخاطر الزنا مع ان السبب لغالب فعل القاتله
الحاجة وطلب التزيد وفيه معنى قتل الولد بتضييع نسبه وفيه تسبب فى ايجاد نفس بالباطل كما ان القتل
تسبب فى اعدامها بالباطل وعبر بالقربان تعظيما لما فيه من المفاسد الجارة الى الفتن بالقتل وغيره ثم
علله بقوله موكدا ابلاغا فى التنفير عنه لما للنفس من شدة الداعية اليه انه كان اى كونا لا ينفك عنه
فاحشة اى ذائدة القبح وقد تقدم الكلام عن الفحشاء فى آية العدل والاحسان وساء الزنا سبيلا اى ما اسواه من
طريق والتعبير عنه بالسبيل يدل على كثرة متعاطيه بالدلالة على سعة نهجه ولما اتم النهى عن هذين الامرين المتحد
فى وصف يخرج من التسبب على تقدير وفى اهلاكه الولد بالقتل وما فى معناه اتبعهما مطلق القتل الذى من اسبابه
تحصيل المال فقال ولا تقتلوا النفس اى بسبب ما جعل خالقها لها من النفاسة التى حرم الله اى الملك
الاعلى الذى له الامر كله بالاسلام او بالعهد الا بالحق اى بامر يحل اشد به تلك الحرمة التى كانت فضادت الاسباب
المنهى عنها بتحريم سببا نقا منع الوجود بخلاف ما يدل له اسرافا ثم بحصيل المفقود بغيا ثم عطف على ما انتم السباق بعده
وهو ومن قتل نفسا بغير حق فقد عصى الله ورسوله ومن قتل اى وقع قتله اى من اى قاتل كان مظلوما اى باى
ظلم كان من غير ان يرتكب احدى ثلاث الكفر او الزنا بعد الاحصان وقتل المؤمن عمدا عدوانا فقد جعلنا
اى بما لنا من العظمة لوليه اى سواء كان قريبا او بعيدا سلطانا اى امرا متسلطا فلا يسرف الولى فلا يسرف
ايضا الولى فى القتل بقتل غير القاتل ولا يزد على حقه بوجه انه اى المقتول كان منصورا فى الدنيا بما جعل الله
فى الطباع من بغض القتل وكراهة كل احد له وبغض القاتل والنفرة منه والاخذ على يده وفى الآخرة باخذ
حقه من غير ظلم ولا غفلة فمن وثق بذلك ترك الاسراف فانه لخوف الفوت او للتخويف من العود ولما نهى عن
الاغارة على الارواح والابضاع التى هى سببها اتبعه النهى عن نهب ما هو عديلها لان به قوامها وهو الاموال
وبدا باحق ذلك بالنهى لشدة الطمع فيه لضعف مالكه فقال ولا تقربوا اى تفضلا عن ان تاكلوا مال اليتيم
فعبر بالقربان وهو التصرف فيه للتبسط تمييزا لليتيم حتى يبلغ اليتيم اشده والمنتهى اشد اول رشد منه لبعد
بلوغه ولما كانت الوصية نوعا من انواع العهد اتبعه بما هو اعم منها فقال واوفوا اى وافوا هذا
الجنس فى الزمان والمكان وكل ما يتوقف عليه الامر المعاهد عليه ويتعلق به بالعهد اى بسببه ليتحقق ليتحقق
الوفاء به ولا يحصل فيه نقص ما وهو العقد الذى تقدم للتوثق ولما كان العلم بالنكث والوفا مستحقا ٥
كان العهد نفسه كانه هو المسؤل عن ذلك فيكون رتبا على الفاعل به فقال تعالى مرهبا من الخالف
ان العهد كان اى كونا موكدا مسؤلا اى عن كل من عاهد هل وفى به او مسؤلا عنه من كل من شانه
منه السؤال ولما كان التقدير بالكيل او الوزن من جملة الامانات الخفية كالتصرف للوكيل لليتيم
وكان الايتام ما علته كالعهود فيه اتبعه قوله واوفوا الكيل اى نفسه فانه امر محسوس لا يقع فيه التناقض
واشتباه ولما كان ذلك من الحال التى اعطى ومن اخذ قال اذا كلتم اى لغيركم فان اكلتم لانفسكم فلا حاجة
عليكم ان تفحصتم عن حقكم ولم توفوا الكيل وزنوا اى وزنا ملتبسا بالقسطاس اى ميزان العدل الذى هو
اقوم الموازين وزاد فى تاكيد معانيه فقال المستقيم دون شىء من الحيف على ما مضى فى الكيل سواء ذلك
اى الامر العالى الرتبة الذى امرناكم به خير لكم فى الدنيا والآخرة وان تراءى لكم ان غيره خير واحسن
تاويلا اى عاقبة اى الدارين وهو تفعيل من الاول وهو الرجوع وافعل للتفضيل هنا لاستعمال الخصم
بادعا الغبن اى على تقدير ان يكون فى كل منهما خير فهذا الذى ذكرناه ازيد خيرا فالعاقل لا ينبغى له ان يرضى
لنفسه بالدون ولما كان ذلك مما تشهد العقول الحسنة واضداده مما تحقق النفوس قبحه لان الله تعالى
جبل الانسان على ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم البر ما سكن اليه القلب واطمانت اليه النفس والاثم
ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر وان افتاك المفتون وافتوك وقال ان مما ادرك الناس من كلام النبوة

النبوة الاولى اذا لم تستحى فاصنع ما شئت وكان قد جمع الضمائر سبحانه بما يعمه وغيره فقال تؤذ الضمير
ليفصح النهى لكل من الجمع والافراد فى حالتى الاجتماع والانفراد على حد سواء ولا اى افعلوا ما امرتم به
من ذلك وانتهوا عما نهيتم عنه منه لما ترد فى الجبلات من العلم الفرد فى تحريه وحسنه ولا تقف اى
تتبع اتقاء الانسان يجتهد ابتتبع الآثار ما ليس لك به علم من ذلك وغيره كل شىء حسبه لا سيما البيت
والقذف فان كان المطلوب فيه القطع لم يقنع فيه بدونه وما اكتفى فيه بالظن ونع عنده ثم علل ذلك
مخوفا بقوله ان السمع والبصر وهما طريقا الادراك والفؤاد الذى هو آلة الادراك تم تعول الامر بقوله
كل اولئك اى هذه الاشياء العظيمة العالية المنافع البديعة التكوين والاولى وجمع اسما الاشارة تنزيلا لها
للعاقل وغيره لقوله ٭ ذم المنازل بعد منزلة اللوى ٭ والعيش بعد اولئك الايام
كان اى بوجه لا خلف فيه عنه اى وحده مسؤلا بسوال يخصه هل استعمله صاحبه فى طلب العلم مجتهدا
فى ذلك ليعمل عند الوقوف على الحقائق بما يرضى الله ويجتنب ما يسخطه اولا واول حديث النفس الساخ ثم
الخاطر ثم الارادة والعزيمة فيواخذ بالارادة والعزيمة لدخولها تحت الاختيار فيتعلق بهما التكليف
ولقد مرد خول الاولين خفف عنا بعدم المؤاخذة بهما كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتى عما حدثت
به انفسها ما لم تعمل به او تتكلم ولما كان الكبر والانفة اعظم موقف عن العلم الداعى الى كل خير ومرض يمرض
الجهل الحامل على كل شر قال ولا تمش اى شيئا ما وحقق المعنى بقوله فى الارض اى جنسها مرحا وهو شدة ٥
الفرح التى يلزمها الخيلاء لان ذلك من التفاخر فانه لا يحسن الا لعصى بلوغ جميع الامال التى توخذ بالجد ولا
يكون ذلك لمخلوق وذلك علله بقوله انك لن تخرق ولو بادنى الوجوه الارض اى تقطعها سيرا من كانك
الحرفها ولن تبلغ اى بوجه من الوجوه الجبال طولا اى طول الجبال كلها بالنسبة فاذا كنت تعجز فى ذلك
وعلمك من خط قدم مستقيم من عرض الارض مع جدو اجتهاد وعن التطاول على اقل فبماذا تتجبر وباى شىء تتكبر
حتى تتبختر وذلك من فعل من بلغ جميع ما امل ثم عظم جميع ما مضى من المنهيات واضداد المامورات بقوله كل ذلك
اى الامر البعيد من المكارم كان اى كونا غير زائل ولما كانت السنة قد صارت فى حكم الاسما كالاثم والذنب زال نا
عنها حكم الصفات حملها على الذكر ووصفها به فقال سيئة وزاد بشاعته بقوله عند ربك اى المحسن اليك احسانا
لا ينبغى ان يقابل عليه الا بالشكر مكروها اى يباشرة معاملة المكروه من النهى عنه والذم لفاعله والعقاب
والعاقل لا يفعل بما يكرهه المحسن اليه حياء منه فان لم يكن خوفا من قطع احسانه وخضوعا لعز سلطانه وجود
ان يكون المراد لهذا الافراد التشبيه صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه لا يقدر احد غيره على امتثال لهذا النهى
على ما ينبغى لانه لا يعلم احد العلم على ما هو عليه سواه ولان الراس اذا خوطب بشىء كان الاتباع له اقبل وبه
اعنى ولما تمت هذه الاوامر والزواجر على هذا الوجه الاحكم والنظام الاتم اشار الى عظيم شانه
ومحكم اتقانه بقوله على طريق الاستئناف تنبيها للسائل على ان يسال عنه ذلك اى الامر العالى جدا مما اوحى
اى بعث فى خفية اليك ربك اى المحسن اليك من الحكمة التى لا يستطاع نقضها ولا الاتيان بمثلها من الدعا
الى الخير والنهى عن الشر ومن حكمة هذه الاشيا المشار اليها من الاوامر والنواهى انها لم تقبل النسخ فى شرعة
من الشرائع بل كانت هكذا فى كل ملة ولما بين ان الجهل سبب لكل سوء وكان الشرك اعظم جهل اتبعه ليكون النهى
عنه بدءا وختاما دلالة على فرط شناعته عطفا على ما مضى من النواهى قوله ولا تجعل اويقدر له ما يوطف
عليه تخوفا لزمه ولا تجعل مع الله اى الملك الاعظم الذى له الامر كله الها ولما كانوا لتعنتهم ربما جعلوا
تعداد الاسماء للمسميات كما وردفى سبب نزول قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن قال مع اقامة المعية للغيرية
اخر فان ذلك اعظم الجهل الذى نهى عن تقوه فتلقى اى فيتسبب عن ذلك انك تلقى فى الآخرة فى الجبت فى جهنم اى
الاسراع فيه وعدم القدرة على التدارك فعل من الغى من عال كان كونك ملوما اى معنفا على ما فعلت
بعد الذم مدحورا اى مطرودا ابعد الخذلان فقد ان الوصفان اشنع من وصفى الذم والخذلان فى الآية
الاولى لكنها هى سنته تعالى ان يبدا بالاخف تسليكا لعباده وانما كان الشرك الجهل الجهل لان من الواضح ان الاله
لا يكون الا واحدا بالذات فلا ينقسم وبالاعتبار فلا يجانس وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الثمانى عشرة
آية كانت فى الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر وهى عشر آيات فى التوراة جعل فاتحتها وخا تمتها
النهى عن الشرك لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمة وعلومه وان بذ فيها الحكماء
وحك بيافوخه السما ما اغنت عن الفلاسفة اشعار الحكم وهم عن دين الله اضل من النعم ولما كان ادعاؤهم ان

ان الملايكة بنات الله ادعاء ان له مناسبا ومجانسا في اخص الصفات وهي الالهية وكانت عبادتكم لهم تحقيقا
لذلك وكان ذلك لا ازيد من مجرد الشرك في الجهل ساقه مساق التقريع والتوبيخ تنبيها على ظهور فساده متصلا
بما مضى من النهي عن الشرك بالعطف بفا السبب على بعد الاستيناف بهمزة الانكار فكان كانه قيل لا تفعل ذلك
كما فعل هولا الذين افرطوا في الجهل فنسبوا الى الله من خلقه ادنى الجزوين كما تقدم في النحل في قوله ويجعلون لله البنات
الاية ثم عبدوا ذلك الجزء وهم لا يرضونه لانفسهم ثم التفت اليهم مخاطبا بما دل على انهم تناهوا في الغضب فقال
افاصفاكم ربكم اي اخلص المحسن اليكم بنين وبنات فاصفاكم احسانا اليكم وانتم تكفرون به **بالبنين**
الذين هم افضل صنفي الاولاد لم يحتش الى نفسه بان شاركم في البنين بل **واتخذ** عبر بالافتعال لان من
عدل الى احد الصنفين مع التمكن من الاخر لا يكون الا شديد الرغبة فيما عدل اليه **من الملايكة** الذين هم اقرب عبادة
اولاد انهم ما كفاه تنقصه لولدية ومعالجة اسبابها حتى جعل ما اتخذه **اناثا** فرضي لنفسه وهو الحكم الخالق
الوارث بما لا ترضونه لانفسكم وصلتم في كراهته في بعض الحالات الى القتل فصار بت ارككم في البنات
مختصا لكم دونه بالبنين وذلك خلاف عادتكم في ان العبيد لا يوثرون بالاجود ويكون الاجود للسادات
وعبر اولا بالبنين دون الذكور لان اسم الابن الذي هو اسم مرض لمن ليشبهه من غير نظر في العاقبة وتركون
انثى الافعال ولان اسم الذكر مشترك المعنى وعبر في الثاني بالاناث لا فهام الرخاوة بدلول اللفظ والعين بنات
بالمعادلة ويمكن انتزال الاية على الاحتباك فيكون التقدير بالبنين ورضي لنفسه بالبنات وخصكم في نوعكم الذي
هو اضعف ما يكون بالذكور واتخذ من الملايكة الذين منهم من يقدر على حمل الارض وقلب اسفلها على اعلاها
اناثا في غاية الرخاوة ولذلك استانف الانكار عليهم معظما لذلك بقوله **انكم لتقولون** واكده لما لهم من
التهاون به والاجتماع عليه بقوله **قولا عظيما** اي في الجهل لانك عليه وعلى بلايا يلله الذين لا يعصونه ما امرهم ويفعلون
ما يومرون تنضيفون اليه الاولاد وهم من خصايص الاجسام ثم يفضلون انفسكم عليه فتجعلون ما تكرهون ولما كان ٥
في هذا من البيان ما لا يخفى على انسان ولا يرجعوا اشار الى انهم اشتاف هذا الاعراض عن امثال هذا البيان
فقال **ولقد صرفنا** اي طرقنا نظريقا عظيما بانواع طرق البيان من العبر والاحكام والامثال والحجج
والاعلام قوالب الوعد والوعيد والامر والنهي والمحكم والمتشابه الى غير ذلك **في هذا القران** من هذه
الطرق ما لا غبار عليه ونوعناه من جهة الى جهة ومن مثال الى مثال والتصريف لغة صرف الشي من جهة الى اخرى
ثم صار كناية عن التبيين قاله ابو حيان ولما كان ذلك مركوزا في الطباع وكله في العقول اشار بحرف الابتدا الى
ان حضوره بادنى التفات من النفس سمي الوعظ به تذكيرا بما هو معلوم فقال **ليذكروا** اي نوعا من التذكر
بما اشار اليه الادغام فانه سبحانه كريم يرضى باليسير هذا في قراة الجماعة وقراه حمزة والكسائي باسكان
الذال وضم الكاف اشارة الى ان جميع ما في القران لا يخرج شي منه عن العقل بل هو مركوز في الطباع وله شواهد
في الانفس والافاق يستحضرها الانسان بادنى اشارة والين تنبيه اذا ازيل عنها ما سترها عن العقل من الحظوظ
والشواغل واتبعه قوله معجبا منهم **وما يزيدهم** اي التصريف **الا نفورا** عن السماع فضلا عن التذكر لاعتقادهم ان
ذلك ليس براهين بل هو شبه وحيل الحصرتهم عما هم فيه بما الفوه وتلقوه عن ابايهم وتمادت عليهم الدهور
في اعتقاد كونه حقا فكانه قيل فما نفعل بهم فقال **قل** لهم ولا تياس من رجوع بعضهم **لو كان معه** اي ربكم
الذي تقدم وصفه بالاحسان والتنزيه **الهة كما تقولون اذا** اي من هذه الاقوال التي لو قالها اعظمكم
في حق ادناكم وهو يريدها حقيقتها لقال ضحكة للعباد **اذا لابتغوا** اي طلبوا طلبا عظيما **الى ذي العرش**
اي صاحب السرير الاعظم المحيط الذي من ناله كان منفردا بالتدبير **سبيلا** اي طريقا سالكا يتوصلون به
اليه ليقهروه ويزيلوا ملكه كما ترون من فعل ملوك الدنيا بعضهم مع بعض وليتخذوا عنده يدا تقربكم اليه
وصرح بالعرش تصويرا لعظمته وتعيينا للمبتغي والمبتغى ثم نزه نفسه تعظيما عن ذلك وعن كل نقص فقال
سبحانه اي تنزه التنزه الاعظم عن كل شايبة نقص **وتعالى** اي علا اعظم العلو بصفات الكمال **عما يقولون** من هذه
النقايص التي لا يرضاها لنفسه احد من عقلا خلقه فضلا عن رييس من رؤسايكم فكيف بالعلي الاعلى واتى بالمصدر
المجرد في قوله **علوا** ايذانا بان الفعل مجرد في الحقيقة وان اتى به على صيغة التفاعل ايذانا بالمبالغة **كبيرا**
لا تحتمل عقولكم الوقوف على حقيقته ولا تدركون منه اكثر من توهم هذا الوصف عندكم بحسب ما تعارفون
والامر اعظم من مقاله قايل ان دقوا البلغا وان نحوا ثم استانف بيان عظمة هذا التنزيه مقرونا بالوصف
بالكمال فقال **تسبح** اي توقع التنزيه الاعظم **له** اي الاله الاعظم الذي تقدم وصفه بالجلال والاكرام خاصة ٥

خاصة **السموات السبع** كلها **والارض** ايضا **ومن فيهن** من ذوي العقول **وان** اي وما واغرق في النفي فقال
من شيء اي ذي عقل وغيره **الا يسبح** اي ينزهه له ملتبسا **بحمده** اي بوصفه بما له من صفات الكمال بما له تعالى في
ذلك الشي من الايات الدالة على كل من السلب والايجاب وهذا التسبيح بلسان المقال ممن يصح منه وبلسان الحال
منه وممن غيره كما يقال قال الجدار للوتد لم تشقني فقال سل من يدقني وهو تسبيح من جهات شتى ليسمعها العارفون
ليسمع الفهم وصفا الذهن من جهة ذاتها ومن خلقها ثم في معنى صفاتها واحتياجاتها من جهة صدورها الى صانع احدثها ومن
جهة فنايها الى كونه مع ذلك قادرا مختارا ناهرا اجتبارا الى غيره ذلك بخلاف ما لو قصر التسبيح على لسان المقال
فانه يكون من نوع واحد وفيه ترشد الى ذلك قوله **ولكن لا تفقهون** دون تسمعون **تسبيحهم** لاعراضكم عن
النظر ونفوذكم عن سماع الذكر الذي هو اعظم اسبابه على ان هذا انما هو بالنسبة لعامة الخلق واما الخاصة
فانهم يسمعون تسبيحهم الجمادات روى البخاري عن عبد الله رضي الله عنه قال كنا نعد الايات بركة وانتم تعدونها
تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الما فقال اطلبوا فضلة من ما فجاوا باناء فيه ماء قليل فادخل
يده في الاناء فقال حي على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رايت الما ينبع من بين اصابع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وتسبيح الحصا مشهور وفي زبور داود عليه السلام تكرير
كثير لهذه الاية وحث على تاملها قال في المزمور الثامن والستين تسبح له السموات والارض والبحار
وكل ما يدب فيها وفي المزمور الخامس والثمانين فليس مثلك يا ربي والهي ولا مثل اعمالك لان جميع الامم
الذي خلقت ياتون ويسجدون امامك يا رب ويسبحون لاسمك لانك عظيم صانع الايات وفي الثامن
والثمانين بيزداعك العزيزة ترتفع اعداك لك السموات ولك الارض انت اسست الدنيا بكمالها خلقت
البر والبحر مايئون وحرمون لاسمك يسبحان لك القوة والجبروت لتعز يدك وتعلو يمينك بالعدل
والحكم اتقنت كرسيك الرحمة والعدل يتقدمان امامك طوبى للشعب الذي يعرف تسبيحك وفي الخامس والتسعين
سبحوا بين يديه وقولوا في الشعوب ان الله هو الملك اتقن الدنيا لكيلا تزول يقضي بين الشعوب بالعدل تفرح
السموات وتبتهج الارض ويتقلب البحر في عمقه تتهلل البقاع وما فيها هناك يسبح شجر جميع الغياض قدام الرب
وفي السابع والتسعين ومئة تسبح كل الارض بحمده اوهللوا وسبحوا الرب وفي الثامن والاربعين بعد المائة سبحوا
الرب من السموات سبحوه في العلا سبحوه يا جميع ملايكته وكل جنوده تسبحه الشمس والقمر سبحانه وجميع الكواكب والنور
يسبحه تسبيح الرب سما الدنيا والمياه التي فوق السموات تسبح جميعا اسم الرب لانه قال فكانوا وامر فخلقوا
واقامهم الى الابد والدهر جعل لها مقدارا لا تتجاوزه يسبح الرب من في الارض التنانين وجميع الاعماق النار
والبرد والثلج والجليد والريح العاصفة عمل كلمته الجبال وكل الاكام الشجر المثمر وجميع الارز السباع وكل
البهايم والوحوش وكل حيوان وكل طاير ذي جناح ملوك الارض وساير الشعوب العظما وجميع حكام الارض الشبان ٥
والعذارى والشيوخ والصبيان يسبحون اسم الرب لان اسمه تعالى وحده وفي الخمسين بعد المائة سبحوا الله
في كل قديسيه سبحوه في جلد قوته سبحوه لمثل جبروته سبحوه بكثرة عظمته سبحوه بصوت القرن وسبحوه باصوات
عالية كل نسمة تسبح الرب ولما كان تسبيح جميع المخلوقات امرا واضحا لهم ظاهرا لمن كانوا مستحقين للعقاب
في تدبرهم بعدم التامل في المصنوعات حتى التامل نبههم على ان عاقبتهم انما هي لحلمه عنهم فقوم ينتظرهم
الى المدة التي ضربها لعمرانه لا يعجل لتنزهه عن شوايب النقص التي نطق كل شي بتنزيهه عنها فقال
انه كان حليما حيث لا يعاجلكم بالعقوبة على اعراضكم عن صرف الانكار فيما امركم بصرفها اليه ولما كان الغالب
على احوال البشر ان حليمهم اذا غضب لا يغفر وان عفا كان عفوه مكدرا قال **غفورا** مشيرا بصيغة المبالغة الى
انه على غير ذلك ترغيبا في التوبة ولما تقرر في سياق التوحيد انهم في الحضيض من البلادة التفت الى ستيد
اولى الفهم تعالى مشيرا الى النبوة عاطفا على لا تفقهون منبها على انهم لا يفقهون لسان المقال فضلا عن لسان
الحال **واذا قرات القران** الذي لا يدانيه واعظ ولا يساويه مفهم وهو تبيان لكل شي **جعلنا** اي بما لنا من
العظمة **بينك** وبينهم ولكنه اظهر هذا المضمر بالوصف المنبه على اعراضهم عن السماع على الوجه المفهم فقال
وبين الذين لا يومنون اي لا يتجدد لهم ايمان **بالاخرة** اي التي هي دار طلب الايات **حجابا** مانعا يحجب ما بينك
وبينهم مع كونه ساترا لك عن ان يدركوا حق الادراك على ما انت عليه **مستورا** عنهم وعن غيرهم لا يراه الا من اردنا
وذلك ابلغ في العظمة واعجب في نفوذ الكلمة **وجعلنا** اي بما لنا من العظمة **على قلوبهم اكنة** اي اغطية كراهة
ان يفقهوه اي يفهموا القران حق فهمه **وفي اذانهم** اي شيا ثقيلا يمنع سماعهم السماع النافع فالمقصود في

في ادراكهم لاني بيانه فرويتهم للنبي حال التلاوة غير صحيحة كما ان سمعهم وادراكهم لما يقرا وكذلك كما قال
تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة **واذا ذكرت ربك** المحسن اليك واليهم **في القران** حال
كونه **وحده** مع الاعراض عن الهتهم **ولوا** وحقق المعنى وصوره بما يؤيد في بشاعته تنفيرا عنه **على ادبارهم**
نفورا مصدر من غير اللفظ مؤكد لانه يحصل لمعناه او جمع نافر كقاعد وقعود ومادة وقر بجميع تقاليبها
الخمسة عشر تدور على الجمع كما مضى في اخر يوسف واول يوسف فالوقر بالفتح ثقل في الاذن او ذهاب
السمع كله لان ذلك يوجب اجتماعا في النفس وسكونا يحمل على الوقار الذي هو السكينة بمعتقد بعض ما كان يشعب الفكر
من السمع ومن ذلك الوقر بالكسر الحمل مطلقا او الثقيل لان الحمل جامع لما فيه والاذن جمعت ما سدها فكانه جمع
خرقا فصيرها صلدا كالصخرة الصما لا ينفذ فيها شيء ولذلك سمي الطرش الصم ونحل موقرة اي مستجمعة حملا واستوقرت
الابل سمنت اي جمعت اللحم والشحم ووقر كوعد جلس لا يستجاع لعض اعضايه الى بعض والوقير القطيع من الغنم
او صغارها او خمسمائة منها او عام او الغنم بكلبها وحمارها وراعيها كالفرة لاستجماع بعضها الى بعض والوقير حركة
داعي الوقير او سفتني الشاء وصاحب الحنين وكنا المجد والقرة كعدة العيال او الثقل او الكبيرة الكبير لان الكبر
والثقل يثمران الوقار الناشي عن استجماع النفس والعزم وترك الانتشار بالطيش وما شابهه ولكم في الجمع والوقر
كمعظم المجرب العاقل قد حنكته الدهور لان ذلك لا يثمر اجتماع العقل ووقت الرجل توقيرا اجلته ووزنته
والدابة سكنتها فكان كانه جمع اليها مما تعتبك البتعوت فنقول من الوقار ساقه تبدله من واو فيقال وقشر
في بيته يقر اي جمع نفسه فيه لاجتماع همه والموقر كمجلس الموضع السهل عند سفح الجبل لعله شبه بالرجل
الوقور المطمين الساكن النفس والحامل الذي يوطيه الحمل والوقرة وكنة اي حفرة تكون في الحائط
والعين والحجر ان من شان الحفرة ان يجمع ما يودعه ومنه توقير الشيء ان يصبه له وقرات اي اثار او الوقرة
الصدع في الساق وكالوقبة او الوهمة تكون في العظم والحجر والعين واوقر الله الدابة اصابها بوقرة وتوقر
وقير اي مكسور العظام او الفقار او تشبيه بصغار الشاء او اتباع او المعنى ان الدهر اوقره والوقير
النقرة العظيمة في الصخرة تمسك الما وهو واضح في الجمع والروق القرن لشدة اجتماعه لصلابته واشتدادا
لانه يجمع اقدام صاحبه وعزمه والروق ايضا عزم الرجل ونفاله لجمعها امره والروق من الليل طايفة
لاجتماع سواها والروق من البيت رواقه اي الشقة التي دون الشقة العليا لانها تكاد جمعه لما يقصد منه
من الستر ورواق البيت ككتاب وغراب ما احاط به قاله الفراز وقيل الرواق كالفسطاط يحمل على عمود واحد
في وسطه قال في القاموس وسقف في مقدم البيت وحاجب العين ولعله شبه بالستر ومن الليل
مقدمه وجانبه شبه بجانب البيت والروق من الشباب اوله كالريق بالفتح والريق كالكسر واصله ريوق
لانه يتبعه ما بعده ويجمع اليه كانه الاصل الذي يجمع جميع الفروع والريق ايضا ان يميتك من المطر سيير
كانه اول المطر والروقة الشيء اليسير وهي من ذلك والروق ايضا الفم لانه الجامع للحالى وذا يتي الشيء يحيى
لان الفكر يجمع الخواطر لاجله فلا يظهر له وجه ما صار به معجبا ووصيف روقة اذا اعجبك وجارية زوقة
وغلمان روقة جمع رايق والروقة الشيء الجميل جدا والروق بالفتح العجيب لان الاعجاب بالشيء من الخيل الحي
الخلق يعجب الراي والجمال الرائق كالرق والروق والرواق الستر لانه يجمع البحر والفم عما وراه وهو ايضا
موضع الصايد لانه يجمعه على ما يريد ويوصله اليه والروق الرواق ومقدم البيت والشباب لانه لطاق لاجتماع
همه لما يريد والنشاط والسيد لجمع الفضايل والصافي من الماء وغيره لان الصفا اجدر باجتماع الاجزا
والروق الجماعة والحب الخالص ومصدر راق عليه اي زاد عليه فضلا لان الزيادة لا تكون الا عن جمع والروق
البدن من الشيء لجمعه له والحية لتحويها اي تجمعها وداهية ذات روق اي عظيمة مشبهة بالثور ورمى بارواقه
على الدابة ركبها اي بجميع اعضايه ورمى بارواقه عنها نزل والقى ارواقه عدا فاشتد عدوه كانه جمع من
جميع اعضايه عدا روحا بلا بدن فصار اعظم من الطاير اي غلبت روحه على بدنه والقى ارواقه اقام
بالمكان مطمينا قال في القاموس كانه ضد انتهى والمقول فيه في هذا المحذوف قال في مكان كذا من المعلوم ان
مصدره اذا كان في مكان وهو حي فقد اقام به والقى عليك ارواقه وهو ان يحبه شديدا والمعنى انه
الصق بدنه فصارت دون مدبرة له فصرت اياه وتعبير الفراز بقوله وهو ان يحبه حتى يستهلك في
حبه يدل على ذلك والقت السحابة ارواقها اي مطرها ووبلها امياهها الصافية وذلك هو مجموع ما فيها وارواق
الليل اثناء ظلمته شبه بالخيمة ومن العين جوانبها كانها فاوية لما وعبارة الفراز ضرب الليل بارواقه اذا اظلم

اقام وثبت وارواقه معاديه واسبلت العين ارواقها سالت دموعها اي جميع ما فيها كان ذلك كناية
عن اشتداد البكاء وروق الفرس الذي لم يره الفارس من رحمه بين اذنيه تشبيها له بقرن الثور وذلك القرن
اورق منه الورق محركة وهو طول الاسنان تشبيها له بالروق اي القرن قال الفراز وقيل الروق طول
الاسنان وانثناؤها الى داخل الفم واشراف العليا على السفلى والعوم روق اذا كانوا كذلك وهو تشبيه
لان يكون تشبيها بما ذكر وان يكون من الجمع لان اجل الاثنا ومنه لكل قلان روقه اذا اسن فطال عمره
حتى تتحات اسنانه المشبه بالقرن والترويق التصفية وقد تقدم ان الشيء اذا خلص من الاغيار كانت اجزاؤه
اشد تلاصقا والترويق ان يبيع سلعة ويشتري اجود منها شبه بالتصفية والراووق المصفاة يروق بها
الشراب بلاعصر والكاس بعينها والباطية وناجود الشراب الذي يروق به لانها تجمع الشراب والقرو القصد والتتبع
كالاقتراء والاستقراء والمعن وهو واضح في الجمع والقرو حوض طويل ترده الابل وعبارة الفراز شبه
حوض ممدود مستطيل الى جنب حوض ضخم يفرغ منه في الحوض الاعظم ترده الابل والغنم وكذا ان كان من خشب
والقرو الارض لا تكاد تنقطع كانها جمعت اجتماع اجزائها عن ان يفرقها احد والقرو مسيل المعصرة ومثعبها
لاجتماع ما يسيل فيه واسفل النخلة ينقر فينتبذ فيه او يتخذ منه المركن والاجانة للشرب وقدح
اولما صغير ومبلغه الكلب وحق عليه طبق ومنقع الماء والقرو تقول اصبحت الارض قروا واحدا اذا
كثر الخصب والمطر وكل ذلك واضح في الجمع والقرو جلد البيضتان لجمعه لهما او من او نزول الاسعاكالقروة
وذلك اما لتشبيها بالقدح او لجمعها ما اريجب كبيرهما وقرى كنعلى ماء بالبادية لجمعه الناس والقري
القرع يوكل لانه صالح لان يجعل انا والقرى الظهر لجمعه الاعضاء وناقة قرواء طويلة السنام والمقروة ذوى
الطويل الظهر واوى اي اشتكى اما ان يكون من شكاة القرى واما الا يكون للسلب اي ازال الاجتماع همه وعزمه
والقروى القادة لجمعها اهلها والدبر لجمعها ما فيها وادوت طابق القرى فلزما التي يا قوى الجبل على القرين لزمنه
والمقاوي دون الكلام لا يخاصم وتركتهم قرى واحدا على طريقة واحدة اي مجتمعين وشاة مقروة جعل رأسها
في خشبة لئلا ترضع نفسها اي جمع فكانها وقروة الراس طرفه وعبارة الفراز وقروة الراس وقروة الراس
كانه يجمع راسه امره لانه موضع الفكرة وقروة الانف طرفه لانه اخر جامع لجماله واستقرى الدمل صارت
فيه المدة اي اجتمعت والقيح وان معظم المكر ومعظم القافلة وسياتي ان شا الله تعالى بقية المادة في سورة
الكهف ولما كانوا ادعوا السمع والفهم فتشكلوا ليعض من لم يرسخ ايمانه اتبعه تعالى ما يوكد ما مضى ويثبت
السامعين فيه فقال على طريقة الجواب تهديدا وذا الاعلان مهددا لكم ومونة **نحن اعلم** اي من كل عالم
بما يستمعون اي يبالغون في الاصغاء والميل لقصد السمع **به** من الاذان والقلوب او بسببه من ازادة
الوقوع على سقطة يجعلونها موضع تكذيبهم واستهزائهم **اذ** اي يصغون بجهدهم وبين جهدهم المعبر
بقوله **اليك واذ** اي وحين **هم** ذووا **نجوى** اي يتناجون بان يرفع كل منهم سره الى صاحبه لبداعته
عن السماع ثم ذكر ظرف النجوى فقال **اذ يقول** مبرزا الضمير هم ما لو وصفه الدال على حملهم على ما تناجوا به وهو
الظالمون ومعنى لهم **ان تتبعون** اي ايها التابعون له بغاية جهدكم **الا رجلا مسحورا** يخلط العقل فاستطو
في هذا الوصف ذروة الظلم وسياتي في اخر السورة شرح استعمال اسم المفعول موضع اسم الفاعل ثم ومثل
ذلك الدليل على تنبيه سبحانه لهم الى الجهل الذي كان نتيجة قولهم هذا فقال **انظر** ولما كان امرهم
مما يزيد العجب منه ويتوفر الدواعي على السؤال عنه قال **كيف ضربوا** اي هولاء الضلال **لك الامثال**
التي هي ابعد شي عن صفتك من قولهم شاعر وشاعر ومجنون ونحوه **فضلوا** عن الحق في جميع ذلك **فلا** اي
فتسبب عن ضلالهم انهم لا **يستطيعون سبيلا** اي يسلكون فيه الى اصابة الحق في مثل او احكام الامر في
عمل وهذا ابعد ان لما هم الله بقوله فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون فكان هذا اولى دليل
على ما وصفناهم به من عدم الفهم والسمع فضلا عن ان يكون لهم الى سماء وية هذا القران الذي يدعون انه
قول بشر او يريدوا بي وجهه بشبهة فضلا عن دليل في ما جرت عادة القران باثبات التوحيد والنبوة والمعاد
وقدم الدلالة على الاولين وختم باثبات جهلهم في النبوة مع ظهور دلالها اتبع ذلك امرا جليا في ضلالهم عن السبيل
في امر المعاد وقرره على عادة التقرير وحرره ثم تحرير فقال معجبا منهم **وقالوا** اي المشركون للتوحيد والنبوة
والبعث مع اعترافهم باننا لا ابتدا انا خلقناهم ونشاهدكم في كل وقت انا نحيي الارض بعد كونها **ائذا** استفهاما
انكاريا كانهم على ثقة من عدم ما ينكرونه والعامل في اذا فعل من لفظ مبعوثون لا هو فان ما بعد ان

فإن ما بعد أن لا يعلم نبأها بتسلها فالمعنى أن نبعث إذا كنا أي بجملة أجسامنا كونا لازما عظاما ورفاتا أي حطاما مكسرا مفتتا وغبارا أإنا لمبعوثون حال كوننا مخلوقين خلقا جديدا فكأنه قيل فماذا يقال لهم في الجواب فقيل قل لهم لا تكونوا ادفاتا بل كونوا ترابا بل كونوا أصلب من التراب حجارة أي هي في غاية اليبس أو حديدا زائدا على يبس الحجارة شدة اتصال الأجزاء أو خلقا غيرهما مما يكبر أي يعظم عظمة كبيرة في صدوركم عن قبول الحياة ولو أنه الموت حتى تعلموا حال الإعادة كيف يكون في حالكم في الإجابة إلى ما يريد فإن الكل أصل التراب فالذي نقل طينكم الذي خلقتم منه على سائر الطين بالنمو ثم بالحياة ثم بالنطق وفضل بعض الناطقين على بعض بمواهب لا تحصى قادر أن ينقل تلك القابلية إلى الطين طورا بعد طور إلى أن جعل حجرا أو حديدا فسيقولون تماديا في الاستهزاء من يعيدنا إذا كنا كذلك قل الذي فطركم أي ابتدأ خلقكم أول مرة ولم تكونوا شيئا يعيدكم بالقدرة التي ابتدأكم بها فكما لم تعجز تلك القدرة عن البداءة فهي لا تعجز عن الإعادة فسينغضون أي مصوبين بوعد لا خلف فيه عن قرب إليك رؤوسهم أي يحركونها من شدة التعجب والاستهزاء كأنهم في شدة جهلهم على غاية البصيرة من العلم بما يقولون والنغض والإنغاض تحريك بارتفاع وانخفاض ويقولون استهزاء متى هو ثم وصل به قوله قل قول مقتصد غير ممتعض بحالهم ولا ضيق بقولهم عسى أن يكون قريبا أي كونا لا انفكاك عنه قريبا منظورا إليه لاحتمال لإمكانه غير جازم ثم استأنف جازما بقوله يوم أي يكون ذلك يوم يدعوكم أي يناديكم المنادي من قبله بالنفخة أو بغيرها كأن يقول يا أهل القبور قوموا إلى الجزاء أو نحو ذلك فتستجيبون أي توافقون الداعي فتفعلون ما أراد بدعائه وتطلبون إجابته وتوجدونها واستعار الدعاء والإجابة للبعث والانبعاث تنبيها على سرعتهما وتيسرها وأن المقصود بهما الإحضار للحساب بحمده أي بإحاطته سبحانه بكل شيء قدرة وعلما من غير تخلف أصلا بل بغاية الإذعان كما يرشد إليه صيغة استفعل وأنتم هناك مع سرعة الإجابة تحمدون أي تثبتون له صفات الكمال وتظنون مع إجابتكم وطول لبثكم إن أي ما لبثتم إلا قليلا لشدة ما ترون من شدة الأهوال التي أحاطت بكم والتي تستقبلكم أو جهلا منكم بحقائق الأمور كما في حالكم اليوم لما ترون من سرعة خلقكم وعدم تغييره ولما أمر سبحانه بإبلاغ هذا الكلام وما فيه من التهكم بهم والتبكيت لهم والاستخفاف بعقولهم ما لا يعلم مقداره إلا المستبصرون البلغاء والعرب العرباء وكان بكونه كلام العليم بالعواقب الجنين بما تجن الضمائر بما امتن به المؤمنون تحيا طبوعهم نحوه من عند أنفسهم لفا لهم عن ذلك لئلا يقولوا ما يهيج شرا أو يثير ضرا فقال تعالى وقل أي لمرد الأمر الحكمة والموعظة العظمة لعبادي أي الذين هم أهل للإضافة إلى لإعطاهم لئلا يتجاوزوا الحد من شدة غيظهم من المشركين أن يقل لهم ذلك لا يقولوا الموعظة والحكمة والمجادلة التي هي أحسن لا كون معهم لأني مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ثم علل ذلك بقوله إن للشيطان أي البعيد من الرحمة المحترق باللعنة ينزغ بينهم أي يفسد ويغري ويوسوس وأصل النزغ الطعن وهم غير معصومين فيوشك أن يأتوا بما لا يناسب الحال والوقت بأن يذكروا مساوي غيرهم أو محاسن أنفسهم فيوقع في شر ثم علل هذه العلة بقوله إن الشيطان كان أي في قدم الزمان وأصل الطبع كونا هو مجبول عليه للإنسان عدوا أي بليغ العداوة مبينا ثم فسر التي هي أحسن بما علمهم به من النصفة بقوله ربكم أعلم بكم ثم استأنف فقال إن يشأ رحمتكم يرحمكم بأن يتيسر لكم أفعال الخير وإن يشأ عذابكم يعذبكم بأن ييسر لكم أفعال الشر فإذا قالوا لهم ذلك كانوا جديرين بأن يعرضوا ومن أراد الله منهم أقبل بهم على ما يعلمونه من الخير والشر فينظروا إلى أيهم أقرب إليها وما يدعيهم ذلك من إنصافهم عن العناد وحسم مادة العناد ويجوز وهو عندي أحسن أن تكون الآية استئنافا وإنما موقع التعليل لا في قوله التي هي أحسن أي ربكم أي أيها العباد أعلم بكم وبما يؤول أمركم إليه من سعادة وشقاوة إن يشأ يرحمكم بعد إيمانكم وإن يشأ يعذبكم بإضلالكم فلا تحتقروا أيها المؤمنون المشركين فتقطعوا بأنهم من أهل النار فتعيروهم بذلك فإنه يجر إلى الإحن وحر الصدور وغيظ القلوب بلا فائدة لأن الخاتمة مجهولة ولا تتجاوزوا بهم ما أمركم فيه من قول وفعل فإنه الأحسن ثم رقي الخطاب إلى أعلى الخلق وأتم أهل الشرع ليكون من دونه أولى بالمعنى منه فقال وما أي فما أرسلناك إلا للدعاء بمثل ذلك على حسب ما تأمرك به ومما أرسلناك أي مع ما لنا من العظمة الغنية عن كل شيء عليهم وكيلا أي حفيظا وكفيلا تقسرهم على ما يرضي الله وإنما أرسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بمداراتهم ولما أمرهم بأن ينسبوا الأعلمية إليه سبحانه أخبر بما هو أعم من ذلك فقال عاطفا على ربكم إعلاما بأن علمه ليس مقصورا عليهم بل هو محيط كاصرا الخطاب على أعلم الخلق به سبحانه إشارة إلى أنه لا يعلم هذا حق علمه غيره وربك أي المحسن إليك بأن جعلك أكمل الخلق أعلم أي من كل عالم بمن في السموات أي كلها والأرض منهم

تم

منهم ومن غيرهم بأحوالهم ومقادير هم وما لهم وما يستأهل كل واحد منهم لأنه هو الذي خلقهم وفاوت بينهم في أخلاقهم وهيأتهم فكيف يستبعدون أن يكون يتيم أبي طالب على ما كانوا يقولون نبيا وأن يكون أصحابه العراة الجياع أفضل منهم ولما كان قد فهم من هذا السياق تفضيل بعض الأشياء على بعض حتى تصير قابلة لروح الحياة بدءا وعادة بعد أن فهم في أول السورة ولخرا التي قبلها اختصاص بعض الأنبياء بفضائل من روح العلم والحكمة لم يحزها غيرهم صرح لهم هنا فقال عاطفا على ما أرشد إليه سياق الإخبار بالأعلمية ملتفتا إلى مقام العظمة الداعي إليه الحال وهو أول وصف بالأعلمية ولقد أي فميزنا بينهم بالرزق أي في الفضائل تفضيلا لبعضهم على بعض على حسب ما كان علمنا وشمول قدرتنا لهم في تأهلهم للسعادة والشقاوة ففضلنا بعض الناس على بعض ففضلنا العلماء على غيرهم وفضلنا النبيين منهم على غيرهم ولقد فضلنا أي بما لنا من العظمة بعض النبيين أي سواء كانوا رسلا أو لا على بعض لبعدان جعلنا الكل فضلا لتقوى كل منهم ولحسانه فلا ينكر أحد من العرب أو بني إسرائيل أو غيرهم تفضيلنا لهذا النبي الكريم الذي فضلنا صدرنا السورة بتفضيله على جميع الخلائق فإنا نفعل بما لنا من القدرة التامة والعلم التام بل في الحاصل أن من ثمرات العلم التفضيل بإعطاء كل واحد بل كل شيء ما يستحقه وبذلك يستدل على تمام حكمته في شمول حكمته وكمال قدرته فلذلك ذكر التفضيل هنا بعد ذكر العلم المطلق وصرح بتفضيل أشرف الخلائق وطوى ذكر غيرهم كما ذكر التفضيل بإعطاء كل واحد بل كل شيء ما يستحقه وبذلك يستدل على تمام حكمته وشمول علمه وكمال قدرته فلذلك ذكر التفضيل هنا بعد ذكر العلم المطلق وصرح بتفضيل أشرف الخلائق وطوى ذكر غيرهم كما ذكر التفضيل في الدنيا بعد إثبات العلم المفيد بالذنوب في قوله من كان يريد العاجلة إلى قوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ولما كان المقصد الأعظم بني إسرائيل في هذه السورة سابقها ولاحقها ظاهرا أو التعريض كما في كثير منها بينا وكان داود عليه السلام هو المؤسس للمسجد الأقصى الذي وقع الإسراء به وكان قد خص بأن ألين له الحديد الذي مر المشركون أن يكونوه استبعادا منهم للإعادة وكان مع كونه ملكا من أتباع موسى الذي آتيناه الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل أن لا يتخذوا من دوني وكيلا لأنهم قالوا بأن من بين موسى وعيسى من أنبياء بني إسرائيل دون موسى في الرتبة وكل منهم داع إلى شريعته عامل بحكم التوراة التي شرفه الله بها غير خارج عن شيء من سنتها فكان القياس يقتضي أن يكونوا في الفضيلة سواء فلم يجوزوا ذلك على مقتضى عقول الناس بل فاوت بينهم سبحانه فيهم على حسب علمه بأحوالهم حتى في الرعي فخص من بينهم داود عليه السلام بأن ركنا كله مواعظ والمواعظ أشد شيء منافاة للمشي في الأرض مرحا ونفيا عنه وأعظم شيء إيراثا للعقول الذي هو أحسن من الإخلاص والمراقبة هذا إلى ما ذكر فيه من التسبيح في كل شيء الذي هو من أعظم مقاصد السورة كما تقدم نقله الزبور به قربا فكان ذكر تفضيله به هنا أنسب شيء لهذا المقام وفي ذلك أعظم إشارة وأجل تنبيه على فضل بيت المقدس الذي جعله سببا لتفضيل الأنبياء تارة بالهجرة إليه كإبراهيم عليه السلام وتارة بقصد تطهيره من الشرك وتنويره بالتوحيد كموسى عليه السلام وتارة بتأسيس بنيانه وتشييد أركانه كداود عليه السلام لملكهم وتارة بالإسراء إليه وتفضيل ابنه سليمان عليهما السلام بالملك وسعة الأمر فدخل في قوله تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وروى البخاري في التفسير عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود القراءة فكان يأمر بدوابه لتسرج فكان يقرأ قبل أن تفرغ يعني القرآن ومن أعظم المناسبات لتخصيص داود عليه السلام وزبوره بالذكر هنا ذكر البعث الذي هذه السورة فيه صريحا ولذا ذكر النار مع خلو التوراة عن ذلك أما البعث فلا ذكر له فيها أصلا وأما النار فلم يذكر شيء مما يدل عليها إلا الجحيم في موضع واحد وأما الزبور فذكر فيه النار والهاوية والجحيم في غير موضع وأما البعث فصرح به وهو ظاهر في كونه بالروح والجسد قال في المزمور الثالث بعد المائة نفسي تبارك الرب الرب إلهي عظيم جدا لبس الجلال وعظيم البهاء وتجلل بالنور كالرداء ومد السماء كالخباء جعل الماء أساسها واستوى على السحاب ومشى على أجنحة الرياح خلق ملائكته أرواحا وخدمه نارا واقدة وتجلل بالغمر كالرداء وعلى الجبال تقف المياه ومن زجرك تهرب ومن صوت رعدك تجزع الجبال عالية والبقاع منبسطة في الأماكن التي أسست جعلت حدا لا تتجاوزه لا تعود تغطي الأرض أرسل العيون في الأودية وبين الجبال تجري المياه لتسقي حيوان البر وتروي عطاش الوحوش يقع عليها طائر السماء إلى أن قال وكل بحكمة صنعت امتلأت الأرض من خليقتك هذا البحر العظيم السعة فيه حيتان لا تحصى كبار وصغار ودبيب لتلك السفن هذا التنين الذي خلقته ليتعجب منه والكل إياك يرجو لتعطيهم طعامهم في حينه فإذا أنت أعطيتهم تعيشون وعنده تبسط يدك بالطيبات تشبعون وحين

وحين تصرف وجهك يخرعون تنزع ارواحهم فيموتون والى التراب يرجعون ترسل روحك فيحيون وتجدد وجه الارض فعه اخرج يكون بحذاء الب الى الابد انتهى فكان ذلك الجواب لقول من لعله يقول للعرب من اليهود ان الامر كما تقولون في انه لا يتناهى كما يقولون زنادقتهم كما ذكر عنهم في فصل الانجيل وكما نقل عنهم في سورة النسا انهم قالوا انتم اهدى سبيلا ودينكم خير من دين محمد وفي الزبور كما تقدم اول السورة عن توراة موسى عليه السلام ان لا تتخذوا من دون الله وكيلا وذلك من اعظم مقاصد السورة قال في السفر الخامس والاربعين بعد المائة لا تتوكلوا على الرؤسا ولا على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص فانه اذ تخرج ارواحهم يتفارقهم ويعودون الى ترابهم في ذلك اليوم تبطل اعمالهم ولما اثبت ان شانه تعالى نقل ذلك وامثاله من التفضيل والتحويل على حسب علمه وقدرته ثبت بنفي شبهة الاعتراض الا اليه فامره صلى الله عليه وسلم تحقيقا لذلك الامر بما يظهر به عجز شركائهم ردا عليهم في قولهم لسنا باهل لعبادته استقلالا انما نحن نعبد بعض المقربين ليشفع لنا عنده فقال تعالى قل ادعوا الذين واشار الى ضعف عقولهم وعدم تنبههم بالتعبير بالزعم فقال زعمتم انهم الهة وبين سفول رتبتهم بقوله من دونه اي سواه كالملائكة وعزير والمسيح والاصنام ليجلبوا لكم خيرا ويدفعوا عنكم ضرا فلا اي فان دعوتموهم او لم تدعوهم فانهم لا يملكون كشف الضر اي البوس اي من شانه ان يرضي الجسم كله عنكم حتى لا يدعوا شيئا منه ولا تحويلا له من حاله الى ما هو اخف منها فضلا عن ان يبدلوه بحالة حسنة او يحولوه الى عدوكم والاية نحو قوله تعالى فما يستطيعون صرفا ولا نصرا فكيف تتخذ احد منهم دوني وكيلا فلما وسبب نزولها شكوى قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل بهم من القحط حين دعا عليهم بسبع كسبع يوسف عليه السلام ولم يضب يملكون لئلا يظن ان النفي سبب عن الدعا بتقييده ولما بين انه لا ضر لهم ولا نفع بين انهم يبتغون الى القرب اليه ورجاء نفعهم وخوف ان يضرهم فقال اولئك اي الذين اعلو مراتبهم ممن لا قبل على طاعة الله وكان المشركون يعلون مراتبهم بتالههم وعبر عن ذلك واصفا للمبتدا بقوله الذين يدعون اي يدعونهم الكفار ويتالهونهم ثم اخبر عن المبتدا بقوله يبتغون اي يطلبون طلبا عظيما الى ربهم المحسن اليهم وحده الوسيلة اي المنزلة والدرجة والقربة بالاعمال الصالحة ايهم اقرب اي يتسابقون بالاعمال مسابقة من يطلب كل منهم ان يكون اليه اقرب ولديه افضل ويرجون رحمته رحمة مما عنده ويخافون عذابه لعظم الجناية المكلف منهم كالملائكة والمسيح وعزير بالفعل وغيرهم كالاصنام كالقوة من حيث انه قادر على ان يخلق فيها قوة الادراك للطاعة والعذاب فيكون لذلك فالعابدون لهم احرى بان يعبدوه ويبتغوا اليه الوسيلة وروى البخاري في التفسير عن عبد الله رضي الله عنه الى ربهم الوسيلة قال كان ناس من الانس يعبدون ناسا من الجن فاسلم الجن وتمسك هؤلا بدينهم ثم علل خوفهم بانه عام فقال ان عذاب ربك اي المحسن اليك برفع انتقام الاستيصال منه عن امتك كان اي كونا ملازما له محذورا اي جديرا بان يحذر لكل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم لما شوهد من اهلاكه للقرون ومن صنايعه العظيمة ولما كان المعنى فاحذروه وما فانا ابدنا الامم السالفة ودمرنا القرى المشيرة عطف عليه قوله وان اي وما واعرق في النفي فقال من قرية من القرى هذه التي انتم لها وغيرها الا نحن بما لنا من العظمة مهلكوها بنوع من الهلاك لما لهم عليه من الكفر والعصيان وعن مقاتل انها عامة للصالحة بالموت والطالحة بالعذاب فلما كان الممكن ليس له من ذاته الا العدم وذلك مستغرق لزمان القبل حذف الجار فقال قبل يوم القيامة الذي انتم به مكذبون كما فعلنا في بيت المقدس في المرتين اللتين ذكرتا في اول السورة لا نساد اهلها فاحذروا ابتل ذلك او معذبوها اي القرية لعذاب اهلها عذابا شديدا مع بقائها ولما اكد ذلك بالاسمية زاده تاكيدا في جواب من كانه قال هل في ذلك من شك لان مثله لا يكاد يصدق فقال كان ذلك اي الامر العظيم في الكتاب الذي عندنا مسطورا على وجه الجزم والاجبار لا يتبدل فلو لم يكن حشر كان امرنا جديرا بان يستحذر من سطوتنا ولا بد ان نحشكم بعد طول امنكم وغفلة كثير من اعد ايكم على يد هذا الرجل الواحد الذي انتم كلكم متمالئون عليه مستهينون بامره مع انا ارسلناه لعزكم وعلو ذكركم ولا بد ان يدخله الى بلدكم هذا بجنود اولي باس شديد لا تساركم فيه وانتها نتكم به كما فعلنا ببني اسرائيل حين افسدوا في مسجدهم كما تقدم قال الامام الحافظ ابو عمرو عثمان بن سعيد الداني في كتاب الفتن حدثنا عبد بن احمد بن محمد العروي في كتابه نا عمر بن احمد بن عثمان بن شاهين ثنا محمد بن هرون الحضرمي نا علي بن عبد الله التميمي ثنا عبد المنعم بن ادريس نا ابي عن وهب بن منبه قال الجزيرة امنة من

امنة من الخراب حتى تخرب ارمينية وارمينية امنة من الخراب حتى تخرب مصر ومصر امنة من الخراب حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يد رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من قبل الجوع والسيف وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون ان يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل العراق وخراب الابلة من قبل عدو يحصرهم مرة برا ومرة بحرا وخراب الري من قبل الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الصين من قبل الهند وخراب اليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من قبل الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد ثنا علي بن محمد ابن خلف نا صالح عن جنادة نا ابي عن هشام بن عروة عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة انتهى وقد اخرجه الترمذي على هذا الوجه ولما كانت كفار قريش قد تكرر اقتراحهم للايات بعد ان اشتد اذاهم وكان صلى الله عليه وسلم لشدة حرصه على ايمان كل احد فكيف بقومه العرب فكيف ببني عمه منهم ربما احب ان الله تعالى يجيبهم الى مقترحهم طمعا في ايمانهم وراحة له ولاتباعه من اذاهم وكان ما ذكره من اية الاسراء امرا باهرا ثم لم يؤمنوا بل ارتد بعض من كان امن منهم لان المقام في قوة اقتضائه ان يقال بعد ذكر اية العذاب ما لهم لا يعجل عذابهم او يجابون الى مقترحاتهم لنقضي الامر فيقال في الجواب ما منعنا من تعجيل عذابهم الا انا ضربنا لهم اجلا لا بد من بلوغه وما منعنا اي على ما لنا من العظمة التي لا يعجزها شي ولا يمنعها مانع ان نرسل اي ارسالا يظهر عظمتنا على وجه العموم بالايات اي التي اقترحتها قريش وكان كانه لا ايات عندهم سواها الا علمنا في عالم الشهادة بما وقع من ان كذب بها اي المقترحات الاولون وعلمنا في عالم الشهادة الغيب ان هو لا مثل الاولين في ان الشقي منهم لا يؤمن بالمقترحات كما لم يؤمن بغيرها وانه يقول فيها ما قال في غيرها من انها سحر ونحو هذا والسعيد لا يحتاج في ايمانه اليها فلم اجبنا امة الى مقترحها فما زاد ذلك اهل الضلالة منهم الا كفرا فاخذناهم لان سنتنا جرت ان الا نمهل بعد الاجابة الى المقترحات من كذب بها ونحن قد قضينا برحمة هذه الامة وتشريفها على الامم السالفة استيصالها لما يخرج من اصلاب كفرتها من خلص عبادنا والمنع هنا مبالغة مراد اثبته في اجابتهم الى مقترحاتهم ولا يجوز اخذه على ظاهره لانه وجود ما تعذر معه وقوع الفعل من القادر عليه ثم عطف على ما دل عليه المقام وهو فلم اجبنا الى اخر ما ذكرته قوله واتينا اي بما لنا من العزة الباهرة ثمود الناقة حال كونها مبصرة اي مضيئة جديرة بان يستبصر بها كل من شاهدها فظلموا بها اي فوضعوا الظلم الذي هو كالظلام بسببها بان لم يؤمنوا ولم يخافوا عاقبتها وخصصنا ثمود بالذكر تحذيرا بسبب انهم عرب اقترحوا ما كان سببا لاستيصالهم ولان العرب عالمها وعلمت انهم من قرنها اليهم وكونها في بلادهم ما ليس لقريش من علم غيرها وخص الناقة لانها حيوان اخرجه من حجر والمقام لاثبات القدرة على الاعادة ولو كانوا حجارة او حديدا ودل على شبههم في كلا الامرين على طريق النشر المشوش بذكره اودعلية للامم اشارة الى الحديد والناقة اشارة الى الحجارة فلله هذه الاشارات ما ادقها وهذه العبارات ما اجلها واحقها وما نرسل اي على ما لنا من الجلالة بالايات اي المقترحات وغيرها الا تخويفا اي للمرسل اليهم بها فان خافوا نجوا والا هلكوا فاذا كشف الامر لكم في عالم الشهادة عن انهم لا يخافونها وثق ما كان عندنا في عالم الغيب علم انه لا فائدة لكم فيها ولما كان التقدير للتعريف بمطابقة الخبر الخبر اذكر اناقدنا لك ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية واذكر ما وقع من ذلك مما اخبرنا من ايات الاولين وما لاخرين قصة الاسراء عطف عليه قوله واذ اي واذكر اذ قلنا اي على ما لنا من العظمة المحيطة لك ان ربك المتفضل عليك بالاحسان اليك بالرفق بامتك احاط بالناس علما وقدرة فجعل ذلك اذا اصبحت تنقض على البعض مراسولا خذ والقذه بالقدرة لا تفاوت فيه واعلم انه ما نعك منهم وحافظك ومظهر دينك كما وعدك ثم عطف على وما نرسل قوله وما جعلنا اي بما لنا من القدرة الباهرة التي لها الغنى المطلق الرؤيا التي اريناك لتبين بذلك في عالم الشهادة المتقي الحق والجاهل المتبع كما هو عندنا في عالم الغيب فنقيم لها عليهم الحجة لا ليؤمن من احد ممن حقت عليه الكلمة ولا ليرتد احد علما بسرائرهم ولا شك في ان قصة الاسراء الى بيت المقدس ثم الى السموات لعلها كانت يقظة لا مناما بالدليل

بالدليل القطعي المتواتر من تكذيب من كذب وارتداد من ارتد وهذا مذهب الجمهور واهل السنة والجماعة
ووردت في صحته ما لا يحصى من الاخبار هذا النقل واما الامكان العقلي فثابت عنه لا يحتاج الى بيان فان كل
ذرة من ذرات الموجودات فيها من العجائب الغرائب والدقائق والرقائق ما تتحير فيه العقول لكن لما دان على
وفق العادة الفته الطباع فلم تنكره الابصار ولا الاسماع واما مثل هذا فلما كان على خلاف العادة استنكره
ضعفاء العقول الذين لا يتجاوز فهمهم المحسوسات على ملاء العوام من العادات واما اولو الالباب الذين سلموا
من نزغات الشيطان ووساوس العادة ونظروا باعين البصاير الى آثار رحمة الله في صنع المصنوعات
واصوات المحدثات والملك والملكوت والشهادة والغيب والخلق والامر فاعترفوا به وانه من اعظم الآيات
وبدايع الدلايل النيرات واولى دليل على ذلك قوله فتنة لانه لو كان رؤيا منام لم يكن بحيث يستبعده احد فلم يكن
فتنة ولعله انما سماه رؤية وهي للمنام على وجه التشبيه والاستعارة لما فيه من الخوارق التي هي بالمنام
اليق في مجاري العادات وروى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما وما جعلنا الرؤيا الآية قال هي
رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به ولما كان كل ما خفي سببه وخرج عن العادة
فتنة يعلم به من في الطبقة الحق ومن في طبقة الباطل ومن هو سليم الفطرة ومن هو معكوسها وكان قد اخبر ان شجرة
الزقوم نبتت في اصل الجحيم وكان ذلك في غاية الغرابة ضمه الى الاسرا في ذلك فقال والشجرة عطفا على الرؤيا
الملعونة في القرآن لكونها منابذة والعرب تسمي كل منابذ ملعونا ولكونها في دار اللعنة وكل من له عقل
يريد بعدها عنه وهي كما رواه البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما شجرة الزقوم جعلناها ايضا
فتنة للناس نقيم بها عليهم الحجة في الكفر والايمان فنثبتهم اي من اردنا ايمانه منهم بالاول وهو الاسرا
ونخوفهم بالثاني وامثاله فما يزيدهم اي الكافرين منهم التخويف حال التخويف فما بعده من ازمنة الاستقبال
اجدر بالزيادة وفي الثاني ان محمدا يقول ان وقود النار الناس الا طغيانا كبيرا اي تجاوزا للحد هو في غاية
العظم كبيرا فيقولون في الاول ما تقدم من في اول السورة وفي الثاني ان محمدا يقول ان وقود النار الناس
والحجارة ثم يقول ان فيها شجرا وقد علمتم ان النار تحرق الشجر ولم يعقلوا ما هم اعلم الناس به من ان الذي
جعل لهم من الشجر الاخضر نارا قادر على ان يجعل في النار شجرا ومن انسب الاشيا استحضارا هنا ما ذكره
العلامة شيخ مشايخنا زين الدين ابو بكر بن الحسين المراغي المدني في تاريخ المدينة الشريفة في اوايل
الباب الرابع في ذكر الاودية فانه قال وادي الشظاه اي بمعجمتين مفتوحتين يأتي من شرقي المدينة من اماكن
بعيدة عنها الى ان يصل الى السد الذي احدثته نار الحرة التي ظهرت في جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين
وستماية يعني وهي المشار اليها بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تخرج نار بالحجاز
تضيء لها اعناق الابل ببصرى قال وكان ظهورها من اودية يقال له احيلين في الحرة الشرقية وسارت
من مخرجها الى جهة الشمال مدة ثلاثة اشهر تدب دبيب النمل تاكل كل ما مرت عليه من جبل وحجر ولا تاكل الشجر
فلم تمر على شي من ذلك الا صار سدا لا مسلك لانسان فيه ولا دابة الى منتهى الحرة من جهة الشمال فذكر القصة
وهي غريبة غريبة واسند نحوها عن المطري فيما يتعلق بعدم اذاها الخشب ولما تقدم انهم استبعدوا الاعادة
من اجل صيرورتهم بعد الموت رفاتا واخبر تعالى بقدرته على ذلك ولو صاروا الى ما هو اعسر عندهم في
الاعادة من الرفاة بان يكونوا حجارة او حديدا واشار الى تصرفه في التراب الذي هو لغاية في الرفات
الذي حملهم على الاستبعاد بما هو اعجب من كل ما تقدمه وذلك بافاضة الحياة الكاملة بالنطق على من غير
ان يسبق له حالة حياة وذلك بخلق آدم عليه السلام الذي هو اصلهم مع ما في ذلك من حفظ السياق في
التسلية بان الآيات لا تنفع المحكوم بشقاوته وبان آدم عليه السلام قد سلط عليه الحاسد واشتد
اذاه له مع انه صفي الله واولى انبيائه مع البيان لان اغلب اسباب الطغيان الحسد الذي حمل ابليس على
ما فعل فقال واذ اي واذكر ايضا ما وقع من الطغيان مع رؤية الآيات في اول هذا الكون من ابليس الذي
هو من اعلم الخلق بآيات الله وعظمته ثم ممن اتبعه من ذرية آدم عليه السلام بعد تحقق عداوته في
مخالفة ربكم المحسن اليهم مع ادعا ولايته اذ قلنا اي بما لنا من العظمة التي لا يحصى مرادها شي للملائكة
حين خلقنا اباكم آدم وكملناه اسجدوا لآدم امتثالا لا ترى فسجدوا الا ابليس ابى ان يسجد لكونه
ممن حقت عليه الكلمة فلم ينفعه ما يعلمه من قدرة الله وعظمته وذلك معنى قوله قال اي لنا منكرا مستكبرا
أأسجد اي خضوعا لمن خلقت طينا حال كونه اصله طينا فكيف بنسبته لنا الى الجور وعدم الحكمة متخيلا انه اكرم

انه اكرم من الطين وذهب عليه ان الطين انفع من النار فهو اكرم وعلى تقدير التنزل فان الجواهر كلها من
جنس واحد والله تعالى الذي اوجدها من العدم مفضل بعضها على بعض بما يحدث فيها من الاعراض كما تقدمت
الاشارة اليه في ولقد فضلنا بعض النبيين ولما اخبر تعالى بتكبره كان كانه قيل ان هذه الوقاحة
عظيمة واجترا على الجناب الاعلى فهل كان عنها هذا قيل نعم قال ارايتك اي اخبرني هذا الذي كرمت علي
بم كرمته علي وهو ضعيف وقوي فكانه قيل لقد اتى بالغاية في اساءة الادب فما كان بعد هذا قال مقسما لاجل
استبعاد ان يجتري احد هذه الجراة على الملك الاعلى لئن اخرتني اي ايها الملك الاعلى تاخيرا ممتدا الى يوم القيمة
حيا متمكنا لاحتنكن اي لاغوين ذريته اي لاستولين عليهم بشدة احتيالي كما يستولي الآكل على ما يأخذه في حنكه
بتسليطك لي عليهم الا قليلا وهم اولياؤك الذين حفظتهم مني فكانه قيل لقد اطال في الاجترا فما قال له ربه لكي
الثالثة فقيل قال معرضا له اذهب اي امض لشانك الذي ذكرته بارادتي لا بامرك فانك لن تعدو امرنا فيك
وقد حكمنا بشقاوتك وشقاوة من اردنا طاعته لك ولذلك سبب عنه قوله فمن تبعك اي ادنى اتباع
منهم اي اولاد آدم عليه السلام ويجوز ان يراد بتجريد الفعل ان من تبعه لغير معالجة من فطرته الاولى لا
يكون الا عن تمادي الشر ولما كان التقدير اذقته من خزيك عبر عنه بقوله فان جهنم اي الطبقة النارية
التي تتجهم داخلها جزاؤكم اي جزاؤك وجزاؤهم تجزون ذلك جزاء موفورا مكملا وافيا بما يستحقون على
اعمالكم الخبيثة ومادة وفر بجميع تراكيبها وهي خمسة عشر في الواوي ستة وفر ودف فود وفد دوف ودوف
ومن اليائي ثلاثة • فرى • رفى • ريف • ومن المهموز ستة • رفاء • رأف • نرا • فأر • فراف تدور على السعة
والمجاوزة للحد والعلو على المقدار والفضل على الكفاية فالوفر المكان الكبير وسعا ووفر لم ينقص من اديمه شي
والادارة وفرا والوفرة ما بلغ الاذنين من الشعر والوفر ضرب من العروض وزنه مستفعلن ست مرات
والوفر الغني ومن المال الكثير الواسع والعام من كل شي ووفره توفيرا اكمله وجعله وافيا لان الكمال لا يكاد
يتحقق الا مع زيادة والوفر قطعة واكرام والوفرة الالية الكبش اذا اعظمت والدنيا والحياة وكل شحمة مستطيلة
وهم يتوافرون فيهم كثرة واستوفر على حقه استوفاه وودق النبت يودق اذا رايت له بهجة من ريه ولا
يكون ذلك الا من نضارته واتساعه وكونه يملا العين وورف الظل يرف ورفا ووريفا ووروفا اتسع
وطال وامتد كاورف وورف والورف ما رق من نواحي الكبد لزيادته واسترخائه والرفة كعنب
الناضر من النبت ورفته تورفيفا نفضته والارض قسمتها كانه من الازالة وفارت القدر اذا اغلت
حتى يعلو اعلاها فتنفض وكل جار يفور فورا وفار العرق اذا انتفخ زادني القاموس وضرب والمثلثة
انتشر وفارة الابل فوح جلودها اذا انديت بعد الورد والغاير المنتشر المنتصب من الدواب وعنبرهم والقوامن فورتهم
من وجههم او قبل ان يسكنوا المعن حركتهم توسع وانتشار وسميت فورا والفار معضل الانسان لانه الحق مما دونه
والفور بالضم الظباء جمع فاير لانه من اسرع الحيوان نفارا واشدها وثبا واوسعها عدوا وقال القزاز
والفارة والفورة ريح في رسغ الدابة تنتفش اذا اسبحت وتجتمع اذا ارتلت كالفورة بالضم وقال في الفارة
متى انتشت واعاده في القاموس في المهموز فقال والفارة له اي للذكر من الحيوان المعروف وللانثى وريح
في رسغ الدابة تنفش اذا اسبحت وتجتمع اذا اركلت كالفورة بالضم والفور ولد الحمار لخفته وسرعة حركته
ووثبه وفوارتا الكرش غدتان في جوف الحشمتين وقيل الفوارة اللحمة التي في داخلها الغدة وقيل يكونان
لكل ذي لحم وذلك لوجوب الزيادة سواء قلنا انها لحمة او غدة قال القزاز وقالوا ما الرجل تابع في الكلية
في الفوار ثم في الحصية فعلى هذا سمي لانه يتدفق ماؤه الى الحصية والفياران بالكسر حديدتان يكتنفان
لسان الميزان لاتساعهما عن اللسان والفيرة بالكسر بالتمر وبغيره تمر تغلى ويمرس ويطبخ بحلبة تشربها النفسا قال
القزاز وفي مختصر العين حلبة تطبخ فاذا فارت فوارها ألقيت في معصرة ثم صفيت وتحسيها النفسا واعاد
في القاموس في المهموز وقال والفيرة بالكسر والفوارة كثمامة والفبيرة والفيرة كعنبة وتترك همزها
حلبة تطبخ للنفسا سميت بالغليان لها واما للاتساع بجمع التمر والحلبة والفورة والفروة ليس معروف لحزون صوفها
وزيادة الرفق فيه وكانها اصل المادة كلها وفروة الراس جلدة بشعرها والفروة الارض البيضا ليس لها
نبات لانه اوسع لها من حيث هي والفروة الغنى والثروة وقطعة نبات مجتمعة يابسة وجبة ...
لانه لولا زيادتها ما سمي ونصف كساء يتخذ من اوبار الابل كانه شبه بالفروة لطول وبره وخريطة يجعل
السايل فيها صدقته والتاج لاتساعه وعلوه وكماله ويغني صاحبه وحمار الفراة لزيادته على كفايته

ولسبوغه وفضله عن رأسها وزفا الثوب رفوه اصلحه ولأم خرقه وقال في القاموس في المهموز وضم بعضه الى
بعض قال القزاز والهمز اكثر والرفا تكسا الا التجاور والاجتماع والاتفاق ومنه ما يدعى به للمتزوج بالرفاء والبنين
واعاده في المهموز وقال في القاموس اى بلا لتيام وجمع الشمل قال القزاز وسعى رفاء ولا دري الفطم الا ذلك انتهى
استرخا قال القزاز والاذن الرفوا هي التي تقبل على الاخرى حتى تكاد تماس اطرافها ورفوت الرجل اذا اسكنته من رعب
واعاده في القاموس في المهموز لان ذلك اوسع لفكره ولانه اقرب لبسه والرؤف السكون وهو اوسع من الاضطراب
لانه لا يكون الا عن فراس العين قال في القاموس وليس من الرأفة والرؤفة للرحمة وراف كرءاف لغة في رءف
يرءف وسنأتي بقيتها قريبا ان شا الله تعالى ولما بدأ سبحانه بالوعيد لطفا بالمكلفين عطف على اذهب قوله
ممثلا حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع بقوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلعهم عن مراكزهم
واجلب عليهم بجنده من خياله ورجاله حتى استاصلهم واستفزز اى استخف والفز امثله القطع اى استنزله وه
بقطعة عن الصواب قاله الرماني من استطعت منهم وهم الذين سلطناك عليهم بصوتك اى دعائك بالغناء
والمزامير وكلما تزينه بالوساوس واجلب اى اجمع او سق بغاية ما يمكنك من الصياح عليهم بخيلك
اى ركبان جندك ورجلك اى ومشاتهم والمعنى افعل جميع ما تقدر عليه ولا تدع شيئا من قوتك فانك لا
تقدر على شي لم اقدره لك ولما كان الشيطان طالب شركة الناس في جميع امورهم بوسوسته الحاملة لهم
بذلك عبر بصيغة المفاعلة فقال وشاركهم اى بوسوستك على تحصيلهم عندما يشاركونك بفعل ما يوافق
هواك في الاموال التي يسعون في تحصيلها والاولاد اى التي يلدونها ان اتتنوها بوجه محرم ولم يذكروا اسم الله
عليها ولذا اقرابينهم لغير الله واتفاقهم في المحرمات وتعليمهم اولادهم المعاصي والكفر مشاركة فيها وعدهم
من المواعيد الباطلة ما يستخفهم ويغرهم من شفاعة الالهة والكرامة على الله وتسويفا التوبة ونحو ذلك
ثم التفت الى الصالحين من عباده ناخبي تثبيتا لهم وتنبيها لغيرهم على انه ليس بيده شي فقال مظهرا الضميره
بما يدل على تحقيره كتثبيطا لامره وتنفيرا منه وما يعدهم الشيطان اى المحترق المطرود باللعنة من عدم البعث
وطول الاجل وشفاعة الالهة ونحو ذلك الا غرورا والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ثم رجع الى مواجهته
بما يحقر فان المواجهة بالتحقير انكا مضرا شنعة ذلك وهي انه مع غنى قادر الا باذنه سبحانه وممنوع عنه ما لم
يقدره له وفيما المائدة بوهم ماضي من انه يوثر شيا استقلالا فقال ان اى اجهد جهدك لان اهل الشهوات
سلطناك عليهم زيادة في شقاوتهم بما ادركته منهم قبل خلقك وخلقهم لا تقدر ان تتعدى شيا منه الى خالصتي و
اوتصفيته لعبادتي ان عبادي الذين اهلتهم للاضافة الى فقاموا بحق عبوديتي بالتقوى والاحسان ليس لك
اى بوجه من الوجوه عليهم سلطان اى فلا تقدر ان تغويهم وتحملهم على ذنب لا يغفر فاني وفقتهم للتوكل على تلقيتهم امرك
وكفى بربك الموجد لك الموجد لامرك وكيلا يحفظ ما هو وكيل فيه من كل ما يمكن ان يفسده ولما ذكر انه الوكيل
الذي لا كافي غيره في حفظه لاختصاصه بشمول علمه وتمام قدرته اتبعه بعد ما قالوا له الدال على ذلك فقال عودا الى
دلايل التوحيد الذي هو المقصود الاعظم باحوال البحر الذي يخلصون فيه في اسلوب الخطاب استعطافا لهم الى المتاب
ربكم اى المحسن اليكم هو الذي يزجي اى يسوق ويدفع وينفذ لكم اى لمنفعتكم الفلك التي حملكم فيها ابيكم
نوح عليه السلام في البحر لتبتغوا اى تطلبوا طلبا عظيما بذلك انواع المنافع التي تتعذر وتتعسر الوصول
اليها في البر من فضله ثم علل فعله ذلك بقوله انه اى فعل ذلك لكم لانه كان ازلا وابدا بكم اى ايها الموحدين
خاصة رحيما اى مكرما بالتوفيق الى فعل ما يرضيه في المتجر وغيره لا لشي غير ذلك او يكون ذلك خطابا لجميع النوع
فيكون المعنى خصكم به من بين الحيوانات ولما كان المراد المومنين خاصة وان كان خطابا للمجموع خص المشركين
كذلك واذا اى فاذا نوعكم بانواع الخير كنتم على الشرك بكم به سبحانه واذا مسكم ولم يقل مسكم بالاسناد الى نفسه
تادبنا لغير مخاطبته في بسطة الخير دون الشر المومع اعتقاد ان الكل فعله وتنبيها على ان الشر مما ينبغي التبرؤ
منه والبعد عنه الضر في البحر من هيج الماء واعتلامه لعصوف الريح وطموح الامواج ضل اى ذهب وبطل
عن ذكركم وخواطركم من تدعون من الموجودات كلها الا اياه وحده فاخلصتم له الدعا علما منكم انه لا ينجيكم سواه
فلما نجاكم الى الغرق واوصلكم بالتدريج الى البر اعرضتم عن الاخلاص له ورجعتم الى الاشراك وكان الانسان
اى هذا النوع كفورا اى بليغ الغفلة لماحته ان يشهر فاظهر في موضع الاضمار تنبيها على ان هذا الوصف لا
يخصهم بل يعم هذا النوع لطبعه على النقايص الا من اخلصه الله ولما كان التقدير اعرضتم بعد ذكونكم انجاكم
فكفرتم بذلك وكان الكفر وصفا لكم لازما فتسبب عن ذلك انكم امنتم اى فعلتم بذلك فعل الامن انكر عليهم هذا

هذا الامر لكونه من اجهل الجهل فقال افأمنتم اى الجوكم من البحر فامنتم لعدكم لخروجكم منه ان يخسف اى بما لنا
من العظمة بكم وذلك على شرع اسراعهم ما بكفر عند وصولهم الى اول البر كما دل عليه قوله جانب البر اى فتغيبكم فيه في
اى جانب كان منه لان قدرتنا على التغييب في الماء سوا فعل العاقل ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب او امنتم
ان غلظت اكبادكم عن تامل مثل هذا ان يرسل عليكم من جهة الفوق شيا من امرنا حاصبا اى ريحا بالحصبا
اى بالحصا الصغار قاله الرازي في اللوامع وقال الرماني حجارة يحصب بها اى يرمى بها حصبه اذا رماه رميا
متتابعا انتهى يرميكم ذلك الحاصب في وجوهكم او فوق رءوسكم رميا يهلك مثله كما وقع لقوم لوط انا ارسلنا
عليهم حاصبا وقيل الحاصب الريح ولم يقل حاصبة لانه وصف لزمها ولم يكن لها مذكر ينتقل اليه في حال فكان بمنزله
حايض ثم لا تجدوا لكم اى ايها الناس لكم والخلق ليعم فقال وكيلا ينجيكم من ذلك ولا من غيره كما لم تجدوا
في البحر وكيلا غيره ام امنتم اى جاوزت بكم الغباوة حدها فلم تجوزوا ذلك ان نعيدكم اى البحر بما لنا من العظمة
التي تضطركم الى ذلك لنفسكم عليه وان كرهتم تارة اخرى باسباب تضطركم الى ذلك فنرسل عليكم اى بما لنا
من صفة الجلال قاصفا وهو الكاسر لشدة من الريح كما عهدتم امثاله بان وقفت افكاركم مع المحسوسات
ورضوا بذلك الى ان يكونوا كالبهايم لا يفهمون الا الجزئيات المشاهدات فيغرقكم اى في البحر الذي اعدنا كم فيه
بعظمتنا بما كفرتم كما يفعل احدكم اذا اظفر بمن كفر احسانه ثم لا تجدوا لكم وان امعنتم في الطلب وطالت ازمانكم
في اتقان التسبب ولما كان الهلاك النفي في ختام الاية الماضية دال كان لا داده للتعميم يحتمل ان يدعي تقييده
بما يخالف المراد وكان المقصود هنا التخويف بسطوته سبحانه تارة بالخسف وتارة بغيره قيد بما عين المراد
وقدم قوله علينا دلالة على باهر العظمة به اى بما فعلنا بكم تبيعا اى مطالبا يطالبنا به ولما قرر
نعم الحمل بالبحر من البر وسهل من شدايد البحر في معرض التهديد اتبعه انه فعله ذلك تكريما لهم على ساير
مخلوقاته كما هو شانه في القدرة على ما يريد من المفاوتة بين الامور التي كانت متساوية عند اول خلقه لها
ليستدلوا بذلك على سهولة الاعادة مشيرا الى انه ركب جوهر الانسان من نفس هي اشرف النفوس في فضلها نات
على قوى النفس النباتية من الاغتذا والنمو والتوليد وبالحس ظاهرا وباطنا وبالحركة وبالاختيار وختمه على ساير الحيو
بالقوة العاقلة المدركة لحقايق الاشيا كما هي يتجلى بها نور معرفة الله ويشرق فيها ضوء كبريايه ويطلع على عالمي
الخلق والامر ويحيط باقسام المخلوقات من الارواح والاجسام كما هي فكانت بذلك النفس الانسانية اشرف
نفوس هذا العالم وبدنه كذلك باختصاصه باعتدال القامة وامتدادها والتناول باليد وغير ذلك
فقال رعاية على ما يرشد اليه السياق من مثل ان يقال فلقد كرمنا كم بذلك سنادكم الفلك وانجاكم في
وقت الشدايد ادا وعلى ولقد بفضلنا ولقد كرمنا اى بعظمتنا تكريما عظيما بني ادم اى على ساير الطين بالنمو وعلى
وعلى ساير النامي بالحياة وعلى ساير الحيوان بالنطق فكان حذف متعلق التكريم دالا على عمومه لجميع الخلق
وذلك كله تقرير للقدرة على البعث وحملناهم في البر على الدواب وغيرها والبحر على السفن وغيرها ورزقناهم
اى رزقا يناسب عظمتنا من الطيبات اى المستلذات من الثمرات والاقوات التي ياكل غيرهم من الحيوان مثلها
في انفسهم باحسان الشكل وفي صفاتهم بالعلم المنتج لسعادة الدارين وفي رزقنا هم بما تقدم وفضلناهم
ولما حذف متعلق التكريم دلالة على التعميم وكان اغلب ذلك دالهم ضا لاقال لذلك على كثير ممن خلقنا
اى بعظمتنا التي خلقتنا بهم لها واكد الفعل بالمصدر اشارة الى اعزا قهم في الفضيلة فقال تفضيلا
هذا ما للمجموع واما الخلص فهم افضل الخلايق لما علمنا من معالجتهم بالاخلاص وجهادهم لا هويتهم
لما جبلت عليه نفوسهم من النقايص لما لها من الدسايس حتى استحقوا العددية الايمان درجتي التقوى
والاحسان وتقديم الامر للملايكة بالسجود لادم عليه السلام توطية لهذا الامر دليل على هذا ولما قرر
سبحانه قدرته على التفضيل بدل من قوله يوم ندعوكم دهيا من سطواته في ذلك اليوم ودعنا في انتنا
الفضايل في هذا اليوم قوله يوم ندعو اى بتلك العظمة كل اناس اى منكم بامامهم اى بمتبوعهم الذي كانوا
يتبعونهم فيقال يا اتباع نوح يا اتباع ابراهيم يا اتباع موسى يا اتباع عيسى يا اتباع محمد فيقومون فيميز بين
بين محقهم ومبطليهم ويقال يا اتباع الهوى يا اتباع النار يا اتباع الشمس يا اتباع الاصنام ونحو هذا او يكون
المراد بسبب اعمالهم التي ربطناهم بها ربط المأموم بامامه كما قال تعالى وكل انسان الزمناه طايره في عنقه
وسماها اماما لكونهم امروها واجتهد وافي تصدها وتدفع اليهم الكتب التي احصت حفظتنا فيها تلك الاعمال
فمن اوتي منهم من تاتا كتابه بيمينه فهم البصرا القلوب لتقواهم واحسانهم وهم البرا في الدنيا ومن كان

في الدنيا ومن كان في هذه الدنيا بصيرا فهو في الآخرة ابصر واهدى سبيلا فاولئك اي العالوا المراتب يقرأون كتابهم اي يجدون قراءته ويكونون لفاسق ورا. بما فيه كما هو دأب كل من سر بكتاب ولا يظلمون ببعض حسنة ما من ظالم ما فتيلا اي شيئا هو في غاية القلة والحقارة بل يزدادون بحسب اخلاصهم للنيات وطهارة الاخلاق وزكاء الاعمال ومن اوتي كتابه بشماله فهو لا يقرأ كتابه لانه اعمى في هذه الدار ومن كان منهم في هذه الدار اعمى اي منالا يفعل في الاعمال فعل الاعمى في اخذ الاعيان لا يهتدي الى اخذ ما ينفعه وترك ما يضره ولا يميز بين حسن وقبيح فهو في الآخرة لان كل احد يقوم على ما مات عليه اعمى اي اشد عمى مما كان عليه في هذه الدار لانه لا ينجح له قصده ولا يهتدي لصواب ولا يقدر على قراءة كتاب لما فيه من موجبات العذاب ولم يقل اشد عمى كما يقولونه في الخلق اللازمة لحالة واحدة من العور والحمرة والسواد ونحوها لان هذا مراد به عمى القلب الذي من شانه التزايد والحدوث في كل لحظة شيئا فشيئا بخلاف ما لا يزيد ولم يمله ابو عمرو مع امالة الاول ليدل على ان معناه افعل من كذا فهو وسط والامالة انما تحصل في الاواخر ولان هذا معناه عطف عليه قوله واضل سبيلا لان هذه الدار دار الاكتساب والترقي بالاسباب واما تلك فليس فيها شيء من ذلك فالآية من الاحتباك اثبت الايتا باليمين والقراءة اولا دليلا على حذف ضدها ثانيا واثبت العمى ثانيا دليلا على حذف منه اولا ولما قرر ان من ترك سبيل الرشد كان كالاعمى ومن تبعها كان كالبصير تبعه دليله فقال يحذر البصراء عن الاغترار بوساوس الاشقياء وان اي وانه كذا هو لاعمى قد افتتن في نفسه بغواه مع بياننا لطريق الرشد بما اوحينا اليك من هذه الحكمة حتى صارت اوضح من الشمس وان الاعداء كادوا اي قاربوا في هذه الحياة الدنيا لعماهم في انفسهم عن عصمة الله لك بسبب عماهم عما جبلت عليه من الفطنة وجودة الفطرة وزكاء القريحة وثقوب

ب

الفهم وبعدها المحي في الوقوف على خداع المخادعين ومكر الماكرين لتجلي الدقائق في مرآة قلبك الصقيلة وصافي فكريك الشفافة ولما كان ان مخففة من الثقيلة اتى باللام الفارقة بينها وبين النافية فقال ليفتنونك اي يخالطونك مخالطة تميلك الى جهتهم قصدهم بكثرة خداعهم بما احبهم لك في الموافقة لما يعلمون من نظاهر الحياة الدنيا عن الذي اوحينا اي بما لنا من العظمة اليك من الحكمة لتفتري اي تتعمد سعيا علينا على عظمتنا غيره من طود من اوحينا اليك الامر لمصاحبتكم لاطماعهم في اسلام من هو بحيث يرجى في اسلامه اسلام الجم الغفير منهم لتحولهم وتحوذلك مما عناه الله سبحانه وهو اعلم بمراده وقال الرماني واصل الفتنة ما يطلب به خلاص الشي مما لابسه واذا اي لو ملت اليهم لاتخذوك اي بغاية الرغبة خليلا ومن كان قليل الكفار لم يكن خليل الله ولكنك ابصرت رشدك فلزمته ارادة استمرارا على عماهم انا ما لتعصيتنا لك على كل مخلوق وقد تقدم قريبا ما تدور عليه مادة فتن وانه السعة ويبقى من تعاليها الباقي والمهموز فيعني فرت الاديم شققته فاسدا او صالحا لا يتسع بذلك وقال القزاز الفري مصدر فريت الاديم اذا شققته للاصلاح وافريته اذا شققته للافساد كان لمن ترته للازالة وحكى ابو عبيدة فريت الشي افريته قطعته والكذب وافتراء اختلقه لانه اتساع في القول وزيادة على ما ينبغي في الصدق وتجاوز للحد وفرى المزادة خلقها وصنعها وقال القزاز خرزها لانها تتسع بما تسعه قبل الخرز قال واصل الفرق الشق بعينه والخرز واقع في الشق فالملاقة الحل وفرى الادمي شارها وقطعها لتنسعها لما يلابسه وفرى كرفى تحير ودهش من التسمية باسم السبب لان سببه لدهش كثرة وعظم في المحسوس وافراه اصلحه وامر باصلاحه لان الاصلاح سعة بالنسبة الى الافساد وافرى فلانا لامه لانه يلزم منه الزيادة في الكلام لما يحتاج به المطرود والغرية الجلبة لانها زيادة عن الكلام المعتاد وبالكسر للذب وكعني لامر المختلق المصنوع او العظيم والواسعة من الاعاء كالغربة والحليب ساعة يحلب وارتفاع الرغوة وتفري الشي انشق والعين انتقب وتفريه الفري كعني ياتي بالعجب في عمله وقال القزاز وتركت فلانا يفري فريه اي جاد في الامر وفلان يفري منذ اليوم اذا جاء بالعجب لانه يعجب ما زاد على الكفاية والرفة التبن لانه ما فضل عن الحب والرفة دويبة يصيد تسمى عناق الارض لانه طالما او سع من طاعة ما لا يصيله ذكر هذا صاحب مختصر العين في المعتل باليا فوزنه فعه ومساقه صاحب القاموس في الها وقال فيها لولا لتبن انه كعوه ثم ساقه في المعتل بالواو وهي وزن فعال والرفه كثبه التبن فاضطرب كلامه فوجب قبول مختصر العين لكن ذكره الامام ابو غالب التياني وهو من يخضع له في كتابه الموعب في مقلوب رهف فهو ناسب اله الى كتاب العين ما نصه والرفه التبن لانه قد يعزم ويقال في مثل من الامثال استغنت التفه عن الرفه والتفه عناق الارض وهي دويبة كالثعلب

كالثعلب خبيثة تصيد كل شي وذلك انها لا تاكل الا اللحم ابو حنيفة مثله كله انتهى بحروفه وقال صاحب القاموس في المعتل ذكر في ت ف ف وقال في الهاء والتفه كقنفه دويبة تجر والكلب او كالفارة واستغنت التفه عن الرفه وتخففان يضرب للئيم اذا شبع فلعل هذا الاختلاف لغات والله اعلم قال في مختصر العين والادني مثل كركي اللبن المحض الطيب لنفسه كالقابر جعله المختصر يائيا والقاموس واويا ثم اعاده في المهموز فقال والادني كعرى اللبن الخالص وساق القزاز في اليائي ورانبت الرجل اذا انبته مراناة اذا وانفته لان ذلك اوسع في العشرة والرنف بالكسر الخصب وقال في القاموس ارض فيها زرع وخصب والسعة في الماكل والمشرب وما قارب الماء من ارض العرب او جانب الحضرة المياه والزروع وراف البدوي اتى الريف والراف الخمر وهو لا يكون الا عن سعة وارض ريفة كلبيسة خصبة وارانت الارض اخصبت ومن المهموز رنا السفينة كمنع وارانفها ادناها من الشط لا تساع من فيها بالبر وبالنسبة اليها يكون للشاطي والموضع مرنا ويضم رفا بينهم اصلح وارفا جنح واستشط وذي وحابا ودارا كرا فا واليه لجاء ورنا فاونوا نقوا ونوا لجوا واليرقان كالبليبي داجي العنم والظليم النافر والظبي والمقفوز المولع المنتج التلب فوعا كانه شبه بالظليم في اتساع حركته وعدم ثباته وذلك شبهه ايضا بعودان القدر في مجاوزة لكحد ونعاب العرب ترقيه وترفيا تقدم في الواو والرجل الرحيم اوالرافة اشد الرحمة وارتفاع لاتساع في دخول الماني

ر اها

السعة وراف موضع او رملة ولعلها واسحان والغرالجيل وسحاب صار الوحش والشي منه لشرم نغاره كالغدنفي نو واسوغ فرغ وكل القصد في جوف الفرا اي كله دونه دنوا الحركة جزيرة باليمن لعلها لعابكثوه والغار معروف والرامرة فاره والجمع بهو فتثان سمي لتفره في جريه ولانه من اوسع الحشرات نفرها بالمشي في الجدر والسقوف ونحوها والفاره شجرة ونافجة المسك قال في القاموس او الصواب ايراد فارة المسك في ف ود لفوران رايحتها او يجوز همزها

رة

لانها على هيئة الفارة وفار كمنع حفر وخبا ودفن يمكن ان يكون من السعة ونفيها ولبن فئير كامير كدنت فيه الفا لانها على هيئة الفارة وفار كمنع حفر وخبا ودفن يمكن ان يكون من السعة ونفيها ولبن فئير كامير كدنت فيه الفا وارض فئرة ومفارة كثيرة الجحاد وافرت القدر بالفتح فاغرا اشتد غليانها وفار الانسان ذئب وعدا والنعير نشط وسمن بعد الجهد كافر كفرح فيها وخف في الخدمة والذي يسعى بين يدي الانسان ويخدمه مسيقر والافرة بضمتين وتشديد الرا الجماعة ونحوها في مختصر العين بذات الجلبة والثلاثة والاختلاط وكل ذلك واضح في الاتساع والزيادة على الكفاية والافرة ايضا شدة الشر لشرهم فورانه كالقدروشدة الشتا او مطلق الشدة ومن القيف اوله لانه يتسع به قال في القاموس نفعا ولغاوحرك في الكل والارفة بالضم الحد بين الارضين والعقدة وكان هذا من سلب الاتساع ولا ربي كعري الماسي ولارف على الارض تاريفا جعلت لها حدود وقسمت وتاديف الحبل عقده وهو مواذ في حوة الحصى بين السكني والمكان والله الموفق ولما ذكر سبحانه ما كان في ذلك من رشده صلى الله عليه وسلم اتبعه بيان انه انما كان بعصمة الله ليزداد شكرا انقال ولولا ان ثبتناك اي بما لنا من العظمة على امرنا لما تقدم من انا معا الذين اتقوا والذين هم محسنون وانت راس المتقين المحسنين لقد كدت اي قاربت تركن اليهم اي الاعداء شيئا قليلا لمحبتك في هدايتهم وحرصك على منفعتهم ولكنا عصمناك فلم تركن اليهم لا قليلا ولا كثيرا ولا قاربت ذلك كما افادته اي لا انها تدخل على جملة اسمية لجملة فعلية لربط امتناع الثانية بوجود الاولى فامتناع قرب الركون مرتبط بوجود التثبيت وذلك لان لولا انتفا الثاني لاجل انتفا الاول وهي هنا داخلة على لا النافية فتكون لا انتفا منتف قرب الركون لاجل انتفا نفي التثبيت وانتفا النفي وجود فاذن التثبيت موجود وقرب الركون منتف فجوزان يكون المراد الدلالة

ده

على شرح مكرمهم وتنالهم حتى لو عم الحالة لا تتردد وقفنا فيكون الفعل مسندا اليه صلى الله عليه وسلم والمراد اسنادا اليهم كما تقول لصاحبك لقد كدت تقتل نفسك اي فعلت ما قاربت به ان تقتلك وغيرك لا بل فعلك وهذه الآية من الادلة الواضحة على ما خص به النبي صلى الله عليه وسلم من الفضائل في شرح جوهره وذكاء عنصره ورجحان عقله وطيب

صاف

اصله لانها دلت على انه صلى الله عليه وسلم لو وكل الى نفسه ما خلق الله في طبعه وجبلته من الغرائز الكاملة والاوصاف الفاضلة ولم يتداركه بما منحه من التثبيت زيادة على ذلك حال النبوة لم يكن اليهم وهم اشد الناس انكادا واعظمهم انفاما واعلمهم بالخداع مع كثرة عددهم وعظم مصيبتهم وجلدهم ركونا ما اصلا وانما كان قصاراهم ان يقارب الركون اذن لاذقناك عذاب ضعف الحياة وضعف عذاب الممات اي ذلك العذاب مضاعفا وهذه المادة الموصوف اليم ادن لاذقناك عذاب ضعف الحياة وضعف عذاب الممات اي ذلك العذاب مضاعفا وهذه المادة تدور على الوهي ويلزمه التقوية بالضعف بكسر الضاد اي المثل ما زاد وكل شي له مكاثر فهو ضعيف دونه ويلزم الضعف الذي هو المثل الضموم الى مثله التقوية من الوهي الضعف والضعف بالفتح وبالضم وهو خلاف القوة وقيل الضعف بالفتح في العقل والراي وبالضم في الجسد والضعف الاعمى ضرير وارض مضعفة اصابها ضعيف ضعف

وضعف الشيء بالكسر مثله لان كل ما له مثل فهو ضعف وضعفاه مثلاه ويقال لك ضعفه اي مثلاه
وثلاثة امثاله لان اصل الضعف زيادة غير محصورة ومضاعف بالشيء اي ضممت الى الشيء مثلين فصارا ثلاثة
واضعاف الكتاب سطوره لانها امثال المسطور وزيادة عليها ومن القوة التي تستلزم المثل اضعاف البدن وهي اعضاؤه
لان غالبها مثنى وهي عظامه لانها اقوى ما فيه ومن الضعف ايضا مقلوبه الذي هو ضفع اذا احدث ومنه
ولذا مقلوبه نفع والضفع نحو التبل والضفعانة شجرة السعدانة ذات الشوك مستديرة كانها فلكة فالمعنى
والله اعلم اذقناك وهي الحياة وهي الممات مضاعفا اضعافا كثيرة ولما كانت القوة بعد هذا في غاية البعد
عبر باداة في قوله ثم لا تجد لك اي وان كنت اعظم الخلق واعلاهم همة علينا نصيرا والاية دالة على ان القبيح
يعظم قبحه بمقدار عظم شان مرتكبه وارتفاع منزلته وعلى ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته
فعلى من تلاها ان يتدبرها وان يستشعر الخشية وعظم التصلب في الدين ولما بين انهم استمالوه بالرفق حتى كادوا
لولا العصمة ان يميلوه دل على انهم اخافوه بعده للاحتيال وارادوا ان يخرجوه من وطنه قبل الاذن الخاص بالهجرة فقال
وان اي وانهم كادوا اي الاعداء ليستفزونك اي يستخفونك بكثرة الاذى الذي من شانه ذلك فما جرت
به العوائد من الارض اي المدينة التي هي الارض كلها لانها احقها ليخرجوك منها مع ان وجودك عندهم رحمة
لهم فلا اعمى منهم واصل الفز القطع بشدة قاله الرماني واذا اي وان اخرجوك لا يلبثون خلفك اي بعد
اخراجك لو اخرجوك الا قليلا وسيعلمون اذ اذنا لك في الخروج كيف نصبت عليهم العذاب بعد خروجك
بقتليل بوبحات الطويل وسيف الصقيل وسيوف اتباعك المؤمنين لكون هذا الدين وقد حقق الله سبحانه هذا
الوعد بقتل صناديدهم في غزوة بدر في رمضان من السنة الثانية من الهجرة بعيد ثمانية عشر شهرا من
مهاجره صلى الله عليه وسلم وحرم على المشركين الذين اخرجوه صلى الله عليه وسلم من مكة المشرفة الدخول لها والاقامة
في حرمها من جزيرة العرب اكراما له صلى الله عليه وسلم وانتقاما ممن يعتقد شيا من كفر من اخرجوه ورفع يلبثون
لان اذن اذا وقعت بعد الواو والفا جاز فيها الالغا لانها متوسطة في الكلام كما انه لا بد من ان تلغى في اخر الكلام
وفي الاية بيان لان الجاهل لا يزال ينصب للعالم الحبائل ويطلب له الغوائل فيعود ذلك عليه بالوبال
في الحال والمال ولما اخبر بذلك اعلم انه سنته في جميع الرسل فقال سنة اي لسننا او سننا بك سنة من
قد ارسلنا اي بما لنا من العظمة ولما كان الارسال قد عمت بركته نحن جمع الازمان بما خفضه به
من قوم النطوه اسقط الجار فقال قبلك اي في الازمان الماضية كلها من رسلنا بان جعلنا وجودهم بين ظهراني
قومهم رحمة لقومهم فاذا اخرجوهم ما عاجلنا من رضي باخراجهم بالعقوبة ولا تجد لسنتنا اي لما لنا من العظمة
تحويلا اي تحول غيرنا تحولها لكنهم خصوا عن الامم السالفة بانهم لا يعذبون عذاب الاستيصال لتشريفنا لهم بهذا النبي
الكريم ولما ذكر ابرامهم للدين بالوحدانية والقدرة على المعاد وقرر ازه احسن تقرير واستعطفهم نعمه وخوفهم من
نقمه وقرر انه سبحانه عصمه عليه الصلاة والسلام من فتنتهم بالسراء والضراء بما اشار به من بصيرته واحسن من علانيته
وسريرته صار من المعلوم انه قد تفرغ للعبادة وتهيا للمراقبة فبدا باشرفها موصلا بذلك قوله تعالى اقم اي حقيقة
بالفعل ومجازا بالعزم عليه الصلاة بفعل جميع شرايطها واركانها ومبادئها وغاياتها بحيث تصير كانها قائمة بنفسها فانها
لب العبادة غاية منتهى الخالص للمناجاة بالاعراض عن كل غير وفنا كل سوى بما اشرق من انوار الحضرة التي اضمحل لها
كل تاه وفي ذلك اشارة عظيمة الى ان الصلاة اعظم ناصر على الاعداء الذين يريدون بمكرهم استفزاز الاولياء وادفع
الاشيا للضر واجلبها لكل سرا ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة كما تقدم تخريجه
في اخر الحجر ثم عين له الاوقات بقوله لدلوك الشمس اي زوالها واصفرارها وغروبها قال في القاموس دلكت الشمس
غربت او اصفرت او مالت او زالت عن كبد السماء فحينئذ في هذه اللفظة دلالة على الظهر والعصر والمغرب من
استعمال المشترك في معانيه اما في الظهر والمغرب فواضح واما في العصر فلان اول وقتها او لان اخذ الشمس في الاصفرار
وادل دليل على ذلك انه غيا الاقامة بوقت العشا فقال الى حثا على نية ان يصلي كلما جا الوقت ليكون
مصليا دايما لان الانسان في صلاة ما كان ينتظر الصلاة فهو ثابت لان وقت المغرب من الدلوك الذي هو الغروب
الى ان يذهب الشفق غسق الليل فالغسق ظلمة اول الليل وهو وقت النوم وقال الرازي في اللوامع وهو
استحكام ظلمة الليل وقال الرماني ظهور ظلامه ثم عطف عليه بتعبير السياق قوله وقران فكانه قال ثم لا واقم قران
الفجر اشارة الصبح وقيل نصب على الاغراء كانه عبر عنها بالقران لانه مع كونه اعظم اركان الصلاة يطول فيها في
القراة ما لا يطول في غيرها ويجهر به في غير هادئها دون الخمس العصر وتسويقا بالتعبير به اليها لثقلها بالنوم ولما كان القيام

القيام عن المنام صعبا علل ترغيبا بشهودها غير مختص لان المقام مقام تعظيم فقال ان قران الفجر كان مشهودا يشهده فريقا
الملايكة وهو اهل لان يشهده كل احد لما له من اللذة في السمع والاضطراب للقلب والانعاش للروح فصارت الاية جامعة للصلوات
روى البخاري في التفسير عن ابي هريرة رضي الله عنه قال فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة
وتجتمع ملايكة الليل وملايكة النهار في صلاة الفجر يقول ابو هريرة اقرؤوا ان شئتم وقران الفجر الاية قالوا وهذا دليل على
وجوب الصلاة باول الوقت وان التغليس بصلاة الفجر افضل ثم حث بعدها على التهجد لافضليته واشديته فقال ومن
اي وعليك او وقم بعض الليل فتهجد اي اترك الهجود وهو النوم بالصلاة به اي بمطلق القران فهو من الاستخدام
الحسن نافلة لك اي زيادة مختصة بك قال عبد الغافر الفارسي في مجمع الغرايب واصل النفل الزيادة ومنه الانفال
الزايدة على الغنايم التي احلها الله لهذه الامة وقال ابو عبيد اسرا القران النوافل الفواضل ومن هذا يقولون فلان يمن
ترجى نوافله انتهى فهو زيادة للنبي صلى الله عليه وسلم في الفرض وللامة في التطوع وخص به ترغيبا للامة لانهم يعلمون
انه لا يخص الا بالخير الخير ولانه الوقت الذي كني فيه باستجابة الدعا بالنزول الى السما الدنيا اللازم منه
القرب الوارد في الاحاديث الصحيحة انه يكون في جوف الليل لان من عادة الملوك في الدنيا ان يجعلوا فتح
الباب والقرب منه ورفع الستر والنزول عن محل الكبريا امارة على قضا الحوايج وكل ما يعبر به عن الله تعالى
مما يتنزه سبحانه عن ظاهره يكون كناية عن لازمه وبين ذلك حديث رويناه في جزء الغسي عن عثمان بن ابي
العاص رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الليل ساعة تفتح فيها ابواب السما فينادي مناد هل
من داع فيستجاب له الى اخره فهذا شاهد عظيم لهذا التاويل ولما امره سبحانه بالتهجد والتذلل وكان السياق للعظمة
رجاه في النوال بما يليق بالسياق فقال عسى ان اي لتكون بمنزلة الراجي لان يبعثك ولما كان السياق قد اشرف
للترجية عبر بصفة الاحسان فقال ربك اي المحسن اليك بعد الموت الاكبر وقبله كما بعثك من الموت الاصغر
الى خدمته مقاما نصب على الظرف محمودا وذلك لان عسى للترجي في المحبوب والاشفاق في المكروه وقد يضعف
ذلك فيلزم الشك في الامر وقد يقوى فياتي لليقين وهي هنا لليقين قالوا ان عسى تفيد الاطماع ومن اطمع في امر
الطمع شيا امراني شي ثم حرمه كان عارا والله تعالى اكرم من ان يفعل ذلك وعبر بها دون ما يفيد القطع لان ذلك
اشد في كلام الملوك لانه ادل على العظمة وللبخاري في التفسير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ان الناس يصيرون
يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه
وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود اي فيظهر ما له من الحظ من اسمه احمد ومحمد في ذلك الحين بحمد كل ذي روح
بايصاله الاحسان الى كل منهم بما يفعل له في التفسير وغيره عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة
وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة يعني والله اعلم الشفاعة الخاصة واما العامة
فللكل بغير شرط ولما كان هذا المقام صالحا للشفاعة ولكل مقام يقوم به وكان كل مقام يحتاج الى التوفيق في
مباشرته والانفصال عنه تلاه حاثا على دوام المراقبة واستشعار الافتقار بقوله مقدما المدخل لانه
اهم وقل رب اي ايها الموجد لي المدبر لامري المحسن الي ادخلني في كل مقام تريد ادخالي فيه حسي ومعنوي
دنيا واخرى مدخل صدق ليستحق الداخل فيه ان يقال له انت صادق في قولك وفعلك كان دالا الوجهين لا يكون
عند الله وجيها واخرجني من كل ما يخرجني منه مخرج صدق ولما كان الصدق في الامور لا يقارنه الظفر قال
واجعل لي اي خاصة من لدنك اي عندك من الخوارق التي هي اغرب الغرايب سلطانا اي حجة وعزا نصيرا
وفيه اشعار بالهجرة وانها تكون على الوجه الذي كشف عنه الزمان من العظمة التي ما لاحد لها من يدان ولما
كان الدعا لا يستجاب قال مبشرا له بانه ليس بين دعايه وبين استجابته الا قوله ومحققا لتلك البشرى بالاي
بان يجي بها وقل اي لاوليائك واعدائك جا الحق وهو كل ما امر به في ذي انزله اليه وزهق اي اضمحل وبطل
وهلك الباطل وهو كل ما خالفه ثم علل زهوقه بقوله ان الباطل كان في نفسه وجبلته وطبعه زهوقا
قضا قضاه الله من الازل روى البخاري في التفسير وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال دخل النبي صلى
الله عليه وسلم وحول البيت ستون وثلثماية نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جا الحق وما يبدي الباطل وما يعيد
جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ولما كان القران الذي تقدم به في اية اقم الصلاة هو السبب الاعظم
في ازهاق الباطل الذي هو كالسحر خيال وتمويه وهو الجامع لجميع ما مضى من الايات والبعث وما تبع ذلك
قال عاطفا ولقد كرمنا ونزل اي بعظمتنا ثم بين المنزل بقوله من القران اي الجامع الفارق الذي هو احق الحق

ما هو شفاء للقلوب والابدان ورحمة اى اكرام وقوة للمومنين اى الراسخين فى الايمان لانارته فى القلوب كلم من صدا
الجهل وحمله له على سبيل الرشد الذى هو سبب الرحمة والحراسته لهم من كل شيطان ومرض ومحنة اذا وقع الصدق
فى الاستشفا به هو كله كذلك وكذا جميع ابعاضه قاله الرازى فى اللوامع وهو انس المحبين وسلوة المشتاقين وانه النور المبين
الذى من استبصر به انكشف من الحقايق ما كان مستورا وانطوى عنه من البوايق ما كان منشورا كما ان الباطل داء ونقمة
للكافرين ومن اعجب العجب ان هذا الشفا لا يزيد الظالمين اى الراسخين فى هذا الوصف وهم الذين يضعون الشى
فى غير موضعه باعراضهم عما يجب قبوله الا خسارا اى نقصانا لانه اذا جاءهم وقامت به الحجة عليهم اعرضوا عنه فكان اعراضهم
ذلك زيادة فى كفرانهم كما ان قبول المومنين له واقبالهم على تدبره زيادة فى ايمانهم وفى الدارمى عن قتادة قال
ما جالس القران احد فقام عنه الا بزيادة او نقصان ثم قرا هذه الاية ثم عطف على هذا المقدار المعلوم تقديره
ما هو اعم منه وابين فى الفتنة والاجترا فقال واذا انعمنا اى بما لنا من العظمة على الانسان اى هذا النوع من هؤلا
وغيرهم باى نعمة كانت من انزال القران وغيره اعرض اى عن ذكر المنعم لا عراضه هولا عند مجى هذه النعمة التى لا نعمة مثلها
ونأى اى تباعد تكبرا بجانبه بطوا وعمى عن الحقايق واذا مسه الشر اى هذا النوع وان قل كان يوسا
اى شديد اليأس هلعا وقلة ثقة بما عنده من رحمة الله الا من حفظه الله وشرفه بالاضافة اليه فليس للشيطان
عليه سلطان ولما كان المعنى الحلى بالكلام هذا ربما اقتضى من يعمل لتمتعتين عنه اعراضا بان يقال انا نرى بعض
الانسان اذا اعطى شكر واذا ابتلى صبر وكان هذا الاعراض لا يعبا به اما اولا فلانه قد تقدم الجواب
عنه فى سورة يونس عليه السلام فى قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون بان هذا فى المسرفين دون غيرهم
وبقوله فى سورة هود عليه السلام الا الذين صبروا ولعله طواه فى هذا المقام اشارة الى انه لقلة ازاده
كانه عدم واما ثانيا فلان الحكم بالامر سوا كان مفردا او جمعا فى قوة الجزى حتى يرد ما يدل على انه كل فلذلك
اعرض تعالى عنه وامره بالجواب عن القسمين المشار اليه والمنصوص عليه فقال قل اى يا اشرف خلقنا كل من
الشاكر والكافر يعمل على شاكلته اى طريقته التى تشاكل روحه وتشاكل ما طبعناه عليه من خير او شر فربكم
اى فتسبب عن ذلك لان الذى خلقكم ودربكم فى اطوار النمو لا غيره اعلم مطلعا بمن هو منكم اهدى سبيلا
اى اشد واقوم من جهة المذهب بتقواه واحسانه فيشكر ويصبر احتسابا فيطيعه فيعطيه الثواب ومن هو
اضل سبيلا فيحل به العقاب لانه يعلم ما جبلهم عليه فى اصل الخلقة وغرزه فيهم من الخلايق وغيره انما يعلم امور
الناس فى طرايقهم بالتجربة وقد روى الامام احمد لكن بسند منقطع عن ابى الدردا رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال اذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا واذا سمعتم برجل تغير عن خلقه فلا تصدقوا به فانه يصير الى
ما جبل عليه هذا الكل هذا اذا كان الاعراض بالفعل وان كان بالقوة اى ليس المنافى الكلية والله اعلم بالمهتدين تحفظ
من الاعراض واليأس لمشغله ما هو منه بالقوة ولما بين سبحانه نهاية التعجب من انكارهم البعث وجهل الانسان وما هو
عليه من الضلال والنسيان الا من فضل الله على ابنا نوعه كما فضل طينته على ساير الطين وختم باية المشاكلة التى
منها مشاكلة بعض الارواح لبعض ومشاكلتها للطباع وبان بذلك انه تعالى قادر على فعل ما يشا عالم بكل معلوم
رجع الى التعجب منهم بما هو من شان الارواح التى من شانها التشاكل فقال عاطفا على وقالوا اذا كنا عظاما
ويسالونك اى تعنتا وامتحانا عن الروح التى تقدم انها تعاد الى اجسادهم بعد ما تبيت ولو كانوا حجارة او حديدا
ما هى هل هى متولدة من امتزاج الطباع التى فى البدن ام امر اخر مستبد او هل هى قديمة ام حادثة ولما كان ذلك
تعنتا مع انه لا يفتقر المعنى فى صحة اعتقاد امره ان يجيبهم عنه بما يليق بحالهم بقوله قل الروح اى هذا النوع
الذى تصير به الاجسام حية من امر ربى اضافها الى الامر وهو الارادة وان كانت من جملة خلقه تشريفا لها
واشارة الى انه لا سبب من غيره يتوسط بينها وبين امره بل هو مبدعها من العدم وتعالى وهو احسن الخلق
قسمان ما كان بتسبيب وتنمية وتطوير وهو الذى يترجم فى القران بالخلق والثانى ما كان اخراجا من العدم بلا تسبيب
ولا تطوير وهو المعبر عنه بالامر ومنه هذا الروح المسئول عنها وكل روح فى القران فانما هو للحفظ والتدبير كالادبان
والجامع لذلك التقوية كما مضى عن الحرالى عند روح القدس فى البقرة فافادت هذه العبارة انها محدثة وانها
غير متولدة ولا مسببة وهى جسم لطيف سار فى البدن كما الورد فى الورد على الصحيح عند اهل السنة وامسك
السلف عن الامعان فى الكلام عن الروح ادبا لانهم علموا ان فى عدم الجواب لسوالهم لتعنيهم هذا اشارة الى ان
السكوت عن هذا اولى لعظم شرها اتبعه التنبيه على جهلهم لتعكيسهم فى الاسئلة بتركهم الابتدا على ما يفهمونه
بلا شك وينفعهم فى الدارين من هذا الروح المعنوى وهو القران واقبالهم على ما لا يفهمونه من الروح الحسى لعلة

تعالى علمهم ومن فهمه منهم لا يفهمه الا بعسر عظيم وفيه اسئلة كثيرة جدا لا برهان على اجوبتها منها انه متحيز ام لا
وانه مغاير للنفس ام لا وهل يبقى بعد الموت ام لا فعلمنا به انما هو على الاجمال ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته
الخصوصة نفيه فان اكثر حقايق الاشيا مجهولة وهى موجودة فالسكنجبين خاصيته قمع الصفرا وحقيقة تلك
الخاصية مجهولة وهى معلومة الوجود وليس وراء العلم بما سالوا عنه من الروح بعد نفيه من الفايدة ما لذلك
الذى ترككم ولا ريب منه فقال دال على حدوثه بتعزيزه فانه يكون فى المبدا جاهلا ثم يحدث له العلم شيئا بعد شى
وكل متغير حادث وما اوتيتم اى من اى موت كان بعد ان كنتم لا تعلمون شيئا من العلم اى بمطلق هذه الحقيقة فكيف
بالشكل منها الا قليلا وما تجهلونه احو[d] منه ودرية لكم لان تماديكم على الجهل بما بسبب لعلا كلكم فى الدار
فمنه جهل الجهل واضل الضلال ان تسالوا عما لا يضركم الجهل به ويتوقف اثباته على مورد تسمعه وتعقد ماث
صعبة وتتركوا اما يضركم الجهل به فى الدين والدنيا مع كونه فى غاية الوضوح لكثرة ما قام عليه من الادلة
وله تحضركم من الاسئلة والذى سالتموه منزه عن الغرض الصنعى فهو بينكم على عبثكم نصيحة لكم ويعدل عن جوابكم
عنه الى ما ينفعكم رفقا بكم ولذلكم هذا اسكت السلف عن الخوض فى امره والخطاب لليهود والعرب اما العرب
فواضح واما اليهود فانهم وان كانوا اهل الكتاب فذلك اشارة الى تلاشى علمهم فى جنب علم الله كما ستانى الاشارة
اليه بقول الخضر لموسى عليهما السلام فى العصفور الذى نقر من البحر نقرة او نقرتين بحيث ورد نقطتهم علم احد
وتكثره فهو بالنسبة الى غيره من الخلق وحيث ورد تقليله كانى هذه الاية فهو من حيث اضافته الى علم الله تعالى
وهذه وردنى سبب نزولها ما يظن انه متناقض فانه روى فى الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه
كان يمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة فساله اليهود عن الروح فاوحى اليه فلما انجلى عنه الوحى تلا
عليهم الاية وفى السيرة الهشامية والدلايل للبيهقى وتفسير البغوى وغيرها من التفاسير عن ابن عباس رضى الله
عنهما ان قريشا ارسلت الى اليهود قبل الهجرة تسالهم عن النبى صلى الله عليه وسلم لانهم اهل الكتاب الاول
وعندهم من علم الانبيا ما ليس عند قريش فاتى وهم ان تسالوه عن الروح وعن فتية اصحاب الكهف وذى القرنين
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبركم بما سالتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث فيما يذكرون
خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه فى ذلك وحيا حتى ارجف به اهل مكة وحتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم
وشق عليه ما يتكلم به اهل مكة وروى ايضا ان لبث الوحى كان اربعين ليلة وروى اثنتى عشرة ليلة
وفى مسند ابى يعلى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قالت قريش ليهود اعطونا شيا نسل عنه هذا الرجل فقالوا
سلوه عن الروح فسالوه ونزلت ويسالونك الاية وليس ذلك وامثاله بحمد الله بمشكل فانه يحمل
على انه نزل السبا لاول فلما سل النبى صلى الله عليه وسلم ثانيا لم يجب فيه بالجواب الاول اما الرجا ان
يوتى باوضح منه او خشية ان يكون نسخ او نحو ذلك لاسراره صلى الله عليه وسلم فيعيد الله سبحانه انزاله عليه
تثبيتا له واعلاما بانه هو الجواب وانه ممتنع وفى تاخير الجواب فى هذا الامر برهان قاطع لقريش وكل من له
ادنى لب على صدق النبى صلى الله عليه وسلم فى ان هذا القران من عند الله لا يقدر عليه غيره لانه لو كان
قادرا على الاتيان بشى منه من عند نفسه او من عند احد من الخلق لبذل جهده فى ذلك نفيا لهذه النقيصة
الشنيعة وبهمته المنيفة وعرضه الطاهر عن مثل ما خاضوا فيه بسبب اخلاف موعدهم ولما كانت الروح
من عالم الامر الذى هو من سر الملكوت ضمت الى سورة الاسرا الذى هو من ابطن سر الملكوت لا سيما ما علا
به من المعراج الذى جعل لغرابته كالرويا وما جعلنا الرويا التى اريناك الا فتنة للناس ولذلك فصلت
عن السوالين الاخرين لانهما من عالم الملك وسياتى بقية الكلام على هذا فى سورة الكهف ان شا الله تعالى ولما
شرح ارادتهم الفتنة عما جاءهم من العلم بتبديل المنزل واخراج المرسل وما تبع ذلك حتى ختم بتجهيلهم اذ سالوا
تعنتا عن الروح الحسى وكان الانفع لهم سوالهم استفادة وتفهما عن دقايق الروح المعنوى الذى اعظم الله شانهم
به بانزاله اليهم على لسان رجل منهم هو اشرفهم مجدا واطهرهم نفسا واعظمهم مولدا وازكاهم عنصرا واعلاهم
همة وختم بتقليل علمهم اشارة الى انهم لا يفهمون الا يفقهونه سبحانه وهو اعلم بما يفهمونه وما لا يفهمونه قال
عاطفا على وان كادوا ليفتنونك تنبيها لهم على انه لو شا لذهب بسبب هذا العلم القليل الذى وهبتموه فعمهم
الجهل كما كانوا وعلى انه لم يكفهم ترك السوال عما يعنيهم حتى سالوا عما لا يعنيهم وارادوا تبديل ما ينفعهم ويغنيهم
بما يبعدهم ويغنيهم فقبلوا قولا وفعلا ولئن شئنا اى ومشيتنا لا يتعاظمها شى واللام موطية للقسم واجاب عن
القسم بما اغنى عن جواب الشرط فقال لنذهبن اى بما لنا من العظمة ذهابا محققا بالذى اوحينا اى بما لنا من العظمة

البك بما ارادوا الفتنة فيه من القران على ان فيه من العلم ما يغنيهم لو ابتلوا على تفهمه عن شي من الاشيا
فلا تبقى عندك منه حرف ولا وحينا ولا فائدة هذا المثيل لا ذهبنا ثم اى بعد الذهاب به لا تجد لك به ولما كان
السياق هنا للروح الذى هو الوحى فكانت العناية به اشد قدم قوله به ولما كان السياق لمن ياخذ ما يريد
طوعا او كرها قال علينا اى بما لنا من العظمة التى لا تعارض وكيلا ياتيك به او يبقى منه ولما كان لا ملجا
منه سبحانه الا اليه قال الا اى لكن تجد رحمة مبتدية وكاينة من ربك اى المحسن اليك بان جعلك اولى ذلك
وربك ولم يقطع احسانه قط عنك ليبقيها ذلك اليك او ياتيك بما يقوم مقامه وعبر عن اداة الاستثنا
باداة الاتصال اشارة الى ان رحمته سبحانه له التى اقتضتها صفة احسانه اليه لعظمها كالركن الذى تتفرع
بالغبطة على كل حال ولما كان فى انزاله اليه ثم ابقايه لديه من النعمة اليه وعلى امته ما لا يحصى نبه
على ذلك بقوله مستانفا مؤكدا لان كون الرحمة هكذا من اغرب الغريب فهو بحيث لا يكاد يصدق وهو
مما يتلذذ بذكره ان فضله كان عليك اى كونا ثابتا عليك اى خاصا كبيرا اى بالغ الكبر وقد ورد انه
يذهب بالقران فى اخر الزمان فيسرى بما فى المصاحف وبما فى القلوب وقد فهمت ذلك هذه الاية
لان كلام الملوك يفهم اصل الشي ولو كان فى سياق الشرط ولما كان بمعرض ان يقولوا ان ذهب عليك
منه شي نايت بمثله من عند نفسك او بما اكتسبته منه من الاساطير امره ان يجيبهم عن هذا بقوله
دالا على مضمون ما قبله قل ولما اريد هنا المماثلة فى كل التفضيل الى جميع السور فى المعانى العالية
والنظوم الرايقة كما دل عليه التعبير بالقران زاد فى التحدى قيد الاجتماع من الثقلين ومن لوازمه
للتظاهر والتعاون والتظاهر بخلاف ما مضى فى السور السابقة فقال تعالى مؤكدا لما للامر الموطية
للقسم لادعايهم انهم لو شاءوا اتوا بمثله والجواب حينيذ للقسم وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب
القسم لين اجتمعت الانس الذين تعرفونهم وتعرفون ما اتوا من البلاغة والجن الذين يأتون
كهانكم ويسمعون لهم ويعلمونهم بعض المغيبات عنهم وترك الملايكة لانهم لا عهد لهم بشي من كلامهم على
ان يأتوا اى يجددوا الايتاء تما فى وقت تما فى حال اجتماعهم بمثل هذا القران اى جميعه على ما هو عليه
من التفصيل وخصه بالاشارة تنبيها على ان كل ما يقوله صلى الله عليه وسلم عن الله وحى من الله ليس فيه
شي من عند نفسه وان المراد فى هذا السياق المتحدى به الذى اسمه القران خاصة لا يأتون ولما كانت
هذه السورة مكية فكان اكثر ما يمكن فى هذه الاية ان تكون اخر المكى فيختص التحدى به وكان المظهر اذاه
اعم مظهرا امكن فيه الخصوص وكان المراد انما هو الشمول ومتى اريد الشمول استوقف له احاطة باستثنا فى
الظهار ومحيط كما يأتى عن الحرالى فى اوايل الكهف فلم يقل هنا به لذلك ولئلا يظن انه يعود على القران لا على مثله
بل اظهر فقال دالا على ان المراد جميع المكى والمدنى بمثله اى لا مع التقيد بمعانيه الحقة الحكمية حتى يأتوا
بكلام فى اعلا طبقات البلاغة مبينا لاحسن المعانى باوضح المبانى ولا مع الانفكاك عنها الى معان مفتريات
ثم اوضح ان المراد الحكم بعجزهم مجتمعين ومنفردين متظاهرين وغير متظاهرين فقال ولو ولما كان المكلفون
مجبولين على المخالفة وتنافى الاغراض قال كان اى جبلة وطبعا على خلاف العادة بعضهم لبعض ظهيرا
اى معينا بضم اقوى ما عنده الى اقوى ما فى صاحبه وقد تقدم فى السور المذكورة التحدى بما يتم هذا المعنى
ولما تمت هذه الجمل على هذا الوجه الجميل والوصف الجليل نبه على ذلك سبحانه بقوله عطفا على نحو [illegible]
هذه الامثال [illegible] على اعلى منهاج وابلغ سياق فى ابدع انتظام ولقد صرفنا اى رددنا وكررنا تكريرا كثيرا
بما لنا من العظمة ولما كان مبنى السورة على بيان العناية بالناس الذين اتقوا والذين هم محسنون اقتضى
المقام لمزيد الاهتمام تقديم قوله للناس اى الذين هم ناس فى هذا القران الهادى للتى هى اقوم من كل مثل
اى من كل ما هو فى غرابته وسيره فى اقطار الارض وبلاغته ووضوحه ورشاقته كالمثل الذى يجب الاعتنا
به والتعريف تصريف المعنى دايرا فى الجهات المختلفة بالاضافة والصفة والصلابة ونحو ذلك فابى
اى فتسبب عن ذلك الذى هو سبب للشفا والشكر والهدى تصديقا لقولنا ولا يزيد الظالمين الا خسارا
انه ابى اكثر الناس وهم من هم فى سورة النازع قد سلبوا معانيهم ولما كان ابى متأولا بمعنى النفى فكان
المعنى فلم يرضوا مع الكبر والشماخة استعمله باداة الاستثنا فقال الا كفورا لما لهم من الاضطراب ولما كان
هذا امرا معجبا تعجب منهم تعجيبا اخر عاطفا له [illegible] ان كان المراد بالناس فى قوله فابى اكثر الناس الكل او على
فابى ان كان المراد بهم قريشا فقال وقالوا اى كفار قريش ومن والاهم تعنتا بعدما لزمهم من الحجة ببيان عجزهم

عجزهم عن المعارضة وبغير ذلك فعل المبهوت المحجوج المعاند موكدين لما الزمهم من الحجة التى صاروا بها فى خبر من
يومن قطعا من غير توقف لن نومن اى نصدق بما تقول مذعنين لك حتى تفجر لنا اى تفجيرا عظيما من
الارض ينبوعا اى عينا لا ينضب ماؤها او تكون لك انت وحدك جنة من نخيل واعناب عبر عنها بالثمرة
لان الانتفاع منه بغيرها قليل فتفجر اى بعظمة زايدة الانهار الجارية خلالها تفجيرا وهو تشقق عن ما
يجرى من ماء او ضياء او نحوهما فالفجر شق الظلام عن عمود الصبح والفجور شق جلباب الحيا بما يخرج الى الفساد
او تسقط السماء اى نفسها كما زعمت فيما تتوعدنا به علينا كسفا اى قطعا جمع كسفة وهى القطعة ويجوز ان
يكون المراد بذلك الحاصب الاتى من جهة العلو وغيره مما توعدوا به فى نحو قوله ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم
وتسمية ذلك سماء كتسمية المطر بل والنبات سماء ۰ اذا نزل السماء بارض قوم ۰ رعيناه وان كانوا غضابا
او تاتى معك بالله اى الملك الاعظم والملايكة قبيلا اى اتيانا عيانا ومقابلة ننظر اليه لا يخفى على احد منا
شى منه وكان اصله الاجتماع الذى يلزم منه المواجهة بالاتيان من قبايل الراس الجامعة او يكون لك بيت
اى خاصا بك من زخرف اى ذهب كامل الحسن والزينة او ترقى اى تصعد فى السماء درجة درجة
ونحن ننظر اليك صاعدا ولن نومن اى نصدق مذعنين لرقيك اى اصلا حتى تنزل وحققوا معنى كونه من السماء
بقولهم علينا كتابا ومعنى كونه فى درج ونحوه بقولهم نقرؤه يأمرنا فيه باتباعك فلما تم تعنتهم وكان لسان الحال
طالبا من الله الجواب عنه امره الله تعالى بجوابهم بقوله قل سبحان ربى اى تنزه عن ان يكون له شريك
فى ملكه يطلب منه ما لا يطلب الا من الاله فهو تنزيه لله وتعجب منهم لوضوح عنادهم بطلبهم ما لا قدرة عليه
الا لله لمن لا قدرة له على شى منه الا باذن الله ولم يدع قط انه قادر على شى منه بخصوص الاستثنا مرشدا الى
قوله هل كنت الا بشرا لا يقدر على شى غير ما تقدر عليه البشر رسولا كما كان من قبلى من الرسل لا اتعدى ما امرت به
من التبليغ ولا اتى بشى الا باذن الله ولم اقل انى اله حتى يطلب منه ما يطلب من الاله ودبوا تعنتهم هذا الى
انهم حقروا احاله فى دعوى ان يكون عظيما بالرسالة او غيرها ليتبعه الناس فان كان الا او لكان مقبولا للعقول
عند رسله وحينيذ فاما ان يساله فى نفع عام بالينبوع او خاص به بالجنة ان يخل بالعاير او ضعوا بالكسف او يسأله
فى الاتيان مع جنده لان يصدقه وان كانت عظمته لعلو ذلك فاما ان يكون ملكا او يكون له البيت المذكور بما جرت
العادة ان يكون تابعا له او يكون ممن يجتمع بالملك الذى ارسله فيرتقى على ما قالوا ولما امر بما تضمن انه كاخوانه من الرسل
وكونه بشرا اتبعه قوله عاطفا على فابى او وقالوا وما منع الناس اى قريشا ومن قال بقولهم لما لهم من الاضطراب
ان يؤمنوا اى لم يبق لهم مانع من الايمان والجملة مفعول منع اذ جاءهم الهدى اى الدليل القاطع على الايمان وهو
القران وغيره من الادلة الا وفاعل منع ان قالوا اى منكرين غاية الانكار متعجبين متهكمين ابعث الله اى بما له من العظمة
الباهرة من صفات الجلال والاكرام بشرا رسولا وسبب اتباع الضلال مع وضوح ضحوه وترك الهدى مع
ظهور نفعه وقرع الشبهة او الشهوة لضعفاء العقول وهم اكثر الناس فى اوله ثم تقليد الرؤسا وتمكن العادة السية
فيما بعد ذلك فلما انكروا كون الرسول بشرا بعد ان جعلوا الاله حجرا علمه جوابهم بقوله قل لهم قال ربى لو كان
اى كونا متمكنا فى الارض التى هى مسكن الادميين ملايكة يمشون عليها كما الادميين من غير طيران كالملايكة الى السما
مطمينين باتخاذهم لها قرارا كما فعل البشر لنزلنا اى بما لنا من العظمة عليهم مرة بعد مرة كما فعلنا فى
تنزيل جبريل عليه السلام على الانبياء من البشر وحقق الامر بقوله من السماء ملكا رسولا ليمكنهم من التلقى
منه لمشاكلتهم له بخلاف البشر كما هو مقتضى الحكمة لان رسول كل جنس ينبغى ان يكون منهم اذ الشى عن شكله افهم
وبه انس والله احن وله آلف الا من فضل الله بتغليب روحه على نفسه وعقله على شهوته فاقدره بذلك على
التلقى من الملك ولما نصب البرهان القاطع على ان القران الموحى اليه من عند الله ونفى شبهتهم فى انكار
كون الرسول بشرا بانه ما خرج عن عادة من قبله ممن كانوا مقرين بانهم انبيا وبان الجنس لا يفهم عن جنس اخر
فالبشر لا يفهم عن الملك الا بخارقة ولا يقوم لذلك الا الرسل ومن اراد الله من اتباعهم لم يبق الا محض العناد
الذى لا رجوع فيه الا الى السيف عند القدرة والى الله عند فقدها وكان فى مكة المشرفة غير قادر
على السيف امره تعالى بالرجوع اليه فقال قل كفى بالله اى المحيط بكل شى قدرة وعلما شهيدا اى
فيصله يكون بينى وبينكم يقابل كلا منا بما يستحق ثم علل كفايته لذلك بقوله انه كان بعباده قبل ان
يخلقهم خبيرا بما يؤولون اليه بعد ايجاده لهم بصيرا بما يكون من كل منهم بعد وجوده ولما تقدم انه سبحانه
اعلم بالمهتدى والضال وكان ختم هذه الاية مرشدا الى ان المعنى من علم منه خيرته قابلية للخير

ونعته بالعمل على تلك المشاكلة ومن علم منه قابلية للشر اضله عطف عليه قوله ومن يهد الله اى الذى له الامر كله و
لانه لا شريك له بخلق الهداية فى قلبه واشار الى قلة المهتدى على طريقة الاحسان بافراد ضميره والى كثرة الضال
بجمعه فقال فهو اى لا غيره المهتدى لا يمكن احد غيره ان يضله ومن يضلل فهو الضال لا هادى له وذلك معنى قوله
فلن تجد لهم اى للضالين اولياء اى انصارا فى هذه الدنيا من دونه يهدونهم ولا ينفعونهم بشئ ابدا والله غيره ولذلك لا تفقد
امثالا وراثا لانه اذا انتفى نفعهم صاروا كالعدم واذا انتفى الشئ عن الجمع انتفى عن المفرد من باب اولى فالاية من الاحتباك
حذف الاول يدل على حذف ضده ثانيا ونتيجة الثانى تدل على حذف ضدها من الاول ولما كان يوم الفصل يوما يظهر فيه
لكل احد فى كل حالة من عظمته تعالى ما يضمحل معه كل عظمة قال ونحشرهم بنون العظمة اى نجمعهم بكره يوم القيمة الذى هو محط
الحكمة على وجوههم يمشون او يسحبون عليها اهانة لهم فيه كما لم يذلوها بالسجود لنا عميا وبكما وصما كما كانوا فى الدنيا لا
ينتفعون بابصارهم ولا بنطقهم ولا اسماعهم بل يكون مزيدا عليهم لما ينظرون من المعاطب ويسمعون من المصايب وينطقون
به من المعايب قال الرازى فى اللوامع اذ يحشر المرء على ما مات عليه فلم يكن له فى الاخرة شئ لا حصل اوله ومبداؤه فى
الدنيا وتمامه فى الاخرة انتهى ولما كان المقام للانتقال من مكان الى اخر قدم البصر لانه العمدة فى ذلك وثنى بالنطق
لانه يمكن الاعمى الاسترشاد به وختم بالسمع لانه يمكن معه وحده نوع رشاد وعطفها بالواو ان كان لتشريك الكل فى كل من الاوصاف ف
فللتهويل لان المتكلم اذا نطق بالعاطف ظن السامع الانتقال الى شئ اخر فاذا اتى بالوصف كان اروع للعلم بان صاحبه
عريق فيه لما تقدم فى براءة وان كانت للتنويع فلتصويرهم باقبح صورة من حيث انه لا ينتفع فريق منهم بالاخر
كمن نفع فكانه قيل الى اى مكان يحشرون فقال ماواهم جهنم تستعر عليهم وتجهمهم كل واحد منهم بغاية عذابها
وحده وان كان وجه الى وجه صاحبه لانه لا يشاركه سوى العذاب المحتم على مشاعره فيا طولها من غربة وبالها
من كربة فكانه قيل هل يفتر عليهم عذابها فقيل لا بل لهم كل ساعة فى زيادة لانها كلما خبت اى اخذ لهبها فى
السكون عند ايضاحها لجلودهم زدناهم اى بما لنا من العظمة سعيرا باعادة الجلود بين يدى علة لتعذيبهم
ليرجع منهم من قضى بسعادته فقال ذلك اى العذاب العظيم جزاؤهم بانهم اى افعل الضلالة كفروا باياتنا
القرانية وغيرها مع ماله من العظمة بنسبتها الينا وكانوا اكل يوم يزدادون كفرا وهم عازمون على الدوام على
ذلك ما بقوا وقالوا انكارا لقدرتنا اءذا كنا عظاما ورفاتا ممزقين فى الارض ثم زدوا الانكار بعينه
كانهم على ثقة من فقيض من لهم على هذا الانكار المكرر الخلق امرهم هذا الذى قطلنا بطلانه اوضح من الشمس
بقولهم ءانا لمبعوثون اى ثابت بعثنا خلقا جديدا فنحن نرى عليهم على هذا الانكار المكرر للخلق الجديد فجلودهم
مكررا كل لحظة كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ثم اتبعه بقاطع فى بيان جهلهم
فقال منبها على الفراولى بالانكار عاطفا على ما تقديره الم يروا ان الله الذى ابتدا خلقهم قادر على ان يعيدهم
اولم يروا اى يعلموا العيون بصائرهم علما هو كالرؤية بعيون ابصارهم علما هو كالرؤية لما قام عندهم
من الدلايل ولما نادى نصحته من الشواهد الجلايل ان الله اى الملك الاعلى المحيط بكل قدرة وعلما عزة
الذى خلق السموات جمعها لما دل على ذلك من الحس ولما لم يكن للارض مثل ذلك افردها مريدا الجنس
الصالح للجمع فقال والارض على كبرها جرمها وعظم احكامها وشدة اجزايها وسعة ارجايها وكثرة ما فيها من المرافق نق
والمكامن التى يرتفقا ومغيبها ثم يجددها ويحييها قادر على ان يخلق اى يجدد فى اى وقت اراد مثلهم بدا فكيف
بالاعادة وهم اضعف امرا واحقر شانا وانه جعل لهم اجلا لعذابهم او موتهم او بعثهم لا انه معلوم فى نفسه لا
ريب فيه فيه بوجه من الوجوه لما تكرر لهم من مشاهدة انه لا توخر نفسا اذا جا اجلها وكذا لا تتقدم على اجلها
فكم ممن اجتهد الفراعنة الابطال فى ضرره او قتله دهرا فما طعنوا انه فى قبضتهم فلم يقدروا واعلى ذلك لم كان ذلك
باضعف الناس واو لمن سبب فعلم بذلك انه المنفرد بالقدرة على الايجاد والاعدام فابى اى بل قد علموا
ذلك علما كالمحسوس المراى فيتسبب عن ذلك التسبب للابان ان ابوا هكذا كان الاصل فاظهر تعميما وتعليقا بالوصف
فقال الظالمون اى ابى هولا المتعنتون لظلمهم الا كفورا اى جحودا العدم الشركة ولما قدم فى هذه السورة انه
هو المعطى وان اعطاءه الجم الذى فات الحصر فضل عن الحاجة وقامت به الحجة على العباد فى تمام قدرته
وكان عطاؤه غير محظور عن احد وانهم متعنتون اولادهم مع ذلك خشية الاملاق وهم يطلبون ان يظهر لهم من جنس ما
خلق من الينابيع والجنات والذهب والزخرف على كيفيات مخصوصة لغير حاجة ما تقدم ذكره وقد امتنعوا
بخلا وانفا وجهلا عن الاعتراف له بما اوجبه عليهم شكرا لنعمته واستدفاعا لنقمته بعد قيام الدلايل وزوال
الشبه فلم يحل منهم الا ثم بخلوا بما يجب عليهم من الكلام كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ابخل الناس من بخل

من بخل بالسلام امره ان ينبهم على سفههم فى ذلك بقوله قل لو ولما كان من حق لو الدخول على الافعال علم ان
بعدها فعلا من جنس ما بعد تقديره تملكون ولكنه حذفه وفصل الضمير لان المقصود الحكم عليهم بادى بدء
فقال انتم اى دون غيركم تملكون خزاين عبر بصيغة منتهى الجموع لان المقام جدير بالمبالغة رحمة اى رزق
واكرام ربى المحسن الى باتيانى جميع ما بيت امرى ذا وضحه وهى لا تقدر وانه التى يرحم بها عباده بافاضتها
عليهم اذا لامسكتم اى لوقع منكم الامساك عن الانفاق فى بعض الوجوه التى تحتاجون لها خشية عاقبة
الانفاق اى الوصل الى الفقر ثم استدل على صحة هذا المفروض بالمشاهد من مضمون قوله وكان اى جبلة وطبعا
الانسان اى الذى من شانه الانس بنفسه فلذلك لا يعقل الا مورد حق عقلها قتورا اى بخيلا ممسكا غاية الامساك
لامكان ان يكون فقيرا فلذلك تراه لا متضيقا فى النفقة على نفسه ومن تلزمه نفقته شديدا ان ذلك وان اتسعت احواله
وزادت على الحد امرا له لما انه من صفة النقص للازمة بلزوم الحاجة له طبع على ذلك فهو فى غريزته بالقوة
فكلهم يفعله الا من وفقه الله فغلب عقله على هواه وقليل ماهم اى فاذا كان هذا امركم فيما تملكونه مع الحاجة
الى الوجوه المنفق فيها فكيف تطلبون من النبى صلى الله عليه وسلم ما لا يملكه ولا ادعى القدرة عليه او من الحال لق
الحكيم ان يفعل ما تتعنتون به عبثا لغير حاجة اصلا لانه ان كان لاثبات قدرته فانكم لا تمترون فيها وان
كان لاثبات رسالة بينكم فقد ثبتت بامور اعظمها هذا القران الذى مر انفا اقامة الدليل عليه بما ل
وهتك الاستار شبهتكم فى استبعاد كون الرسول بشرا والله تعالى قد اكرمكم بنبيكم عن ان يقاتلكم بالا
عند العصيان بعد كشف الغطا كما جرت به سنته فى جميع الامم وان كان لاثبات غناكم فهو شئ لا يغنى نفوسكم
ويردها عن طلب المزيد عن التمنى لما طبعتم عليه بل تكونون عند حصول ذلك لكم لحصول الغنا كالمستجير
من الرمضا بالنار ثم قد وهو قد انه يظهر امره على كل من ناواه وان كره الكافرون وقد علم من يومن فيسر له الايمان
ويجعله عونا لحزب الرحمن ومن لا يومن فهو يجعله مع اوليا الشيطان ويذيق الكل الهوان ويجعلهم وقود للنيران
فلم يبق بعد هذا كله فى اجابتكم الى تعنتكم الا العبث الذى هو سبحانه متعال عنه فلا وجه يحصل به الانسان
الغنى الا اتباع السنة والانسلاخ عن الهوى فمن وصل الى ذلك استوى عنده الذهب والحصباء لما قدم سبحانه ان
اكثر الناس جحد الايات لكونه حكم بضلالهم ومن حكم بضلاله لا يمكن هداه وختم بان من جعل على شئ لم ينفك عنه
شرع يسلى نبيه عليه الصلاة والسلام بما اتفق لمن قبله من اخوانه الانبياء عليهم السلام للتنبيه على انه يجود بالايات
على حسب المقتضيات وعلى ان خوارق العادات لا تنفع فى ايمان من حكم عليه بالضلال وتوجب كما سنه الله الهلاك
من عصى بعد ذلك بعذاب الاستيصال فقال عاطفا على قوله ولقد صرفنا للناس ولقد اتينا اى بما
لنا من العظمة موسى بن عمران المتقى الحق عليه السلام لما ارسلناه الى فرعون تسع ايات بينات وهى كما
فى التوراة العصى ثم الدم ثم الضفادع ثم القمل ثم موت البهايم ثم البرد الكبار التى انزلها الله تعالى مع النار د
المضطرمة فكانت تمسك كلما اتت عليه من نبات وحيوان ثم الجراد ثم الظلمة ثم موت الابكار من الادميين وجميع الحيوان ن
كما يعلم فى هذا الكتاب عن التوراة فى سورة الاعراف فكانه عد اليد مع العصى اية ولم يعد البرد لانه ليس فيها ضرر
عليهم وقد نظمتها ليهون حفظها فقلت

عصى قمل موت البهايم تحله ● جراد دمل ثم الضفادع والبرد ●
وموت بكور الادمى وغيره ● من الحى اتاها الذى عز وانفرد ●

وهى ملخصة فى الزبور الرابع والثمانين صنع اياته بمصر وعجايبه فى مزارع صاعان وجعل انهارهم دما
ومياههم لكيلا يشربوا ارسل عليهم الهوام وذباب الكلاب فاكلهم الضفادع وافسدهم اعطى القمل ثمارهم
والجراد كدهم كسر بالبرد كرومهم وبالجليد تينهم اسلم للبرد مواشيهم وللحريق اموالهم ارسل اليهم شدة حنقه سخطا
وغضبا ارسل ملايكة الشر فتح طرق سخطه ولم يخلص من الموت انفسهم اسلم للموت دوابهم قتل جميع ابكار
مصر واول اولادهم فى مساكن حام وقال فى المزمور الرابع بعد المائة بعد ان ذكر منايع الله عند بنى اسرايل
وابايهم لما جوعا على الارض حطم زرع ارضهم ارسل امامهم رجلا بيع يوسف للعبودية واوثقوا بالقيود
وجليد جازت نفسه فى الحديد حتى جات كلمته وقول الرب ابتلاه فارسل الملك فاطلقه وجعله رئيسا على شعبه
واقامه ربا على بيته وسلطانه على كل ماله ليؤدب اراجنته كنفسه ويفقه مشايخه ودخل اسرايل مصر وتغرب
يعقوب فى ارض حام وكثر شعبه جدا وعلا على اعدايه صرف قلبه ليبغض شعبه وليغدر بعبيده ارسل موسى
عبده وهرون صفيه فصنع فيهم اياته وعجايبه فى ارض حام لعث ظلمه فصار ليلا واسخطوا كلامه
حول مياههم دما وامات حيتانهم وانبعثت ارضهم ضفادع فى قياطين ملوكهم امر الهوام فجاء وذباب الكلب

والقمل في جميع تخومهم جعل أمطارهم بردا واشتعلت النار في أرضهم ضرب كرومهم وتينهم وكسر شجر تخومهم إذن
بجراد فجاء ذبابا لا يحصى فأكل جميع عشب الأرض وأثمارها وقتل كل أبكار مصر وأول ولد بهيمة ولدهم غير أنه لم تذكر
العصى وكان ذلك لشهرتها عندهم ولأن جميع الآيات كانت بها فهي في الحقيقة الآية الجامعة للكل وإنما قلت إن
الآيات هذه لأن السياق يدل على أن فرعون رآها كلها وعاند بعد رؤيتها وذلك إشارة إلى أنه لو أعطي كفار
قريش ما اقترحوه من تفجير الينبوع وما معه لم يكفهم عن العناد فالإتيان به عبث لا مصلحة فيه ولما كان
اليهود الذين أمروا قريشا بسؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح التي مضى الجواب عنها كما في بعض الروايات
وعن أهل الكهف وذي القرنين الآتي شأنهم وقصتيهما في الكهف نبههم على سوء طريقهم أن كانوا يقبلون كلامهم عن أمر موسى
عليه السلام في كونه لم يقدم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في أنه بشر مع كونه رسولا في كونه أتى بالخوارق
فكذب بها المعاندون فاستوسل المكذب فقال تعالى فاسئل أي يا أعظم خلقنا بني إسرائيل أي عامة الذين
يهوادون قريشا على أمر الروح عن حديث موسى عليه السلام أو المؤمنين منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه إذ أي عن ذلك
حين جاءهم أي جاء آباءهم فوقع له من التكذيب بعد إظهار المعجزات الباهرات ما وقع لك ولم يكذب بخلل في أمره
ولا لقوة من عدوه على مدافعة العذاب وإنما كان جهلا وعنادا ليكون ذلك مسلاة لك وعلما على خبث
طباعهم وحجة قاطعة عليهم فقال أي فذهب إلى فرعون فأمره بإرسالهم معه فأبى فأظهر له الآيات واحدة
بعد أخرى فتسبب عن ذلك ضد ما يقتضيه وهو أن قال له فرعون عتوا واستكبارا إني لأظنك أكد قوله
لما أظهر موسى عليه السلام مما يوجب الإذعان له والإيمان والإنكار أن يكذبه أحد يا موسى مسحورا أي تكلما نشأ
عنك من آثار السحر الذي بك خيال لا حقيقة له وأنت في الحقيقة مسحور ولوجود السحر عنك ساحر قال
أبو عبيد كما يقال ميمون بمعنى يامن وكأنه موه على جنوده لما أراهم آية اليد بهذه الشبهة وهذا كما قالت
قريش إن تتبعون إلا رجلا مسحورا وقالوا في موضع آخر ساحر فإنهم ربما أطلقوا اسم المفعول مريدين اسم الفاعل
مبالغة في أنه كالمجبول على الفعل وفي الأمر بسؤال اليهود تنبيه على ضلالهم قال الشيخ ولي الدين الملوي ولعل سر منه
اقتباس الآية في المناظرة مطالبة اليهود والنصارى ونحوهم بإثبات نبوة أنبيائهم فكل طريق يسلكون يسلك
مثله فتقرر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكل اعتراض يوردونه يورد عليهم مثله وما كان جوابا لهم فهو جواب
لنا ومن تفطن للآية الكريمة رأى منها العجب في ذلك انتهى ولم يؤمن فرعون على تواتر تلك الآيات وعظمها على
قراءة الكسائي ليفيد أن عنده العلم فكأنه قيل فما قال موسى عليه السلام فقيل قال لفرعون لقد علمت أي أنا
بضم التاء على قراءة الكسائي ليفيد أن عنده العلم القطعي بأن ما أتى به منزل من ربه فهو أعقل أهل ذلك
الزمان ولعيس على ما ادعاه فرعون أو بفتح التاء على قراءة الباقين أي أنك يا فرعون صرت بما أظهرته
أنا من الأدلة في عداد من يعلم أنه ما أنزل على يدي هؤلاء الآيات إلا رب السموات والأرض
أي خالقها ومدبرها حال كون هذه الآيات بصائر أي بينات ثابتا أثرها علنا قدرها يبصرها صدقي وأما
السحر فإنه لا يخفى على أحد أنه خيال لا حقيقة له وإني أي وإن ظننتني يا فرعون مسحورا لأظنك أكد لما كان
مع فرعون من يتكوله ويظهر القطع بسعادة فرعون يا فرعون مثبورا أي ملعونا مطرودا مغلوبا مهلكا ممنوعا
من الخير فاسد العقل وخفي قريب من الصحة بخلاف ظنك لعنادك لرب العالمين لوضوح مكابرتك للبصائر
التي كشف عليها وغطا العناد فهي أوضح من الشمس ولا خلاف دلك إلى الحال التي أنت بها وكسلك عن الانتقال
عنها إلى ما هو أشرف منها وقد بينت مدار ثبر في سورة يوسف عليه السلام فإذا راجعته اتضح لك ما أشرت
إليه فأراد أي فتسبب عن هذا الذي هو موجب للإيمان في العادة إلا أن فرعون أراد أن يستفزهم أي يستخف
موسى ومن آمن معه ويخرجهم فيكونوا كالماء إذا سال من تولهم فزالجرح ساك من الأرض بالنفي والقتل للتمكن
من استعباد الباقين كما أراد هؤلاء أن يستفزوك من الأرض ليخرجوك منها للتمكن مما هم عليه من الكفر والعناد
ثم أخذ يجذبهم سطواته بما فعل مما من كانوا أكثر منهم وأشد فقال فأغرقناه أي فتسبب عن ذلك أن رددنا
بما لنا من العظمة كيده في نحره فلم نقدره على مراده واستفززناه نحن فلم يقدر على الامتناع بل خف على
عالم بما نريد حتى أدخلناه في البحر حين أدخلنا بني إسرائيل فأنجيناهم وأغرقناه ومن معه جميعا كما جرت به سنتنا
فيمن عاند بعد أن رأى الخوارق وكذا النعمة وأفرط في البغي بعد ظهور الحق فليحذر هؤلاء مثل ذلك إذا
أخرجنا وسولنا من بين ظهرانيهم ففي هذه الآية وأمثالها بشارة له بإسلاكنا له في النصرة والتمكن سبيل إخوانه
من الرسل عليهم السلام وقلنا أي بما لنا من العظمة التي أبغاظها بني ولما كان هذا القول غير مستغرق لزمانه

لزمانه البعد أثبت الجار فقال من بعده أي الإغراق لبني إسرائيل الذين كانوا تحت يده أذل من العبيد
لتقوا لهم وأحسانهم اسكنوا الأرض أي مطلق الأرض إشارة إلى أن فرعون كان يريد نحوهم عن الأرض
أو إلى أسكناهم مع وجوده كانت عدما لما لهم من الذل أو من الأرض التي أراد أن يستفزهم منها وهي أرض
مصر أي صيروا بحيث يسكنوها لا بد لا صد عليكم ولا مانع لكم مما تريدون منها كما كان فرعون وجنوده إذ أشيتم
مالكين فيها بعد أن كنتم عبيدا تسامون سوء العذاب فإذا جاء أي مجيئا محققا وعد الآخرة أي القيمة بعد أن
سكنتم الأرض أحياء ودفنتم فيها أمواتا جئنا أي بما لنا من العظمة بكم منها لفيفا أي بعثناكم وإياهم
مختلطين لا حكم لأحد على آخر ولا دفع لأحد على آخر على غير الحالة التي كانت في الدنيا ثم ميزنا بعضكم عن بعض ولحكمنا
الطيب منكم بإهانة الخبيث أن يسئل بني إسرائيل الذين يقبل هؤلاء المشركين الجهلة كلامهم ويستنصحون كلامهم
في أمور دهلم عن هذا الذي تلوناه عن ذلك بخبر وأنه كما أخبرناك فينبت حينئذ عندهم أمر الآخرة ولما كان
قبولهم لبعض كلامهم دون بعض بغير دليل تحكما وترجيحا من غير مرجح ولما ثبت أمر الحشر بإثبات القدرة على
كل ممكن تارة وبأخبار بني إسرائيل الذين ألزموا أنفسهم قبول كلامهم وقطع المنازعة إليهم لسوا لمعرض لبعض
الأمور أخرى ثبت أن القرآن الحق بذلك أحق وكانوا قد سألوه عن المسائل المذكورة فأجابهم عن أولها وهي الروح
بأمر مجمل وعقبه بأنهم سألوه في أشياء اقترحوها وقالوا لن نؤمن لك حتى تفعلها وأشار تعالى بالإخبار عن آيات
موسى عليه السلام إلى أنه لم يترك إجابتهم بخلا ولا عجزا فإنها من جنس ما سألوا لو أن التصرف في المياه تارة
بإتمامها وتارة بتبديلها دما الموجب للقدرة على إنبات الأشجار بها ومن إسقاط السماء كسفا بإسقاط البرد
المهلك فثبت بذلك صحة الأخبار وتصريف الأمثال في هذا الكتاب فعطف على قوله ولقد صرفنا قوله
وبالحق أي من المعاني الثابتة التي لا مرية فيها لا بغيره أنزلناه نحن أي القرآن وهذا الذي خاطبته
بالحشر لبني إسرائيل ليتيقنوا بالتيقظ وبما قبله على ما لنا من العظمة وبالحق لا بغيره نزل هو ووصل إليهم
على لسانك بعد إنزاله عليك كما أنزلناه سواء غضا طريا محفوظا لم يطرأ عليه طارئ فليس فيه شيء من تحريف ولا
تبديل كما وقع في كتاب اليهود الذين يسلم قومك فأفاد هذا أن القرآن معجز بكونه جامعا لإعجازه بالبلاغة في نظم
الأمثال وغيرها من نظم المقالة وما أرسلناك أي بما لنا من العظمة إلا مبشرا ونذيرا على غاية التمكن لكل
من الوصفين بما أشارت إليه الواو والصيغة تبلغهم ما فيه من بشارة من آمن بذلك اليوم ونذارة لمن لم
يؤمن به فإذا قبلوا فهو حظهم وإن لم يقبلوا كان عليهم وزرهم ولم يكن عليك لوم فإنا ما أرسلناك عليهم وكيلا
وسيزهق باطلهم لهذا الحق لا محالة فلا تستعجل لمراء الباطل كان زهوقا ولم نرسلك لتفجير الأنهار ولا إثبات
الأشجار ثم أخبر أن الحكمة في إنزال القرآن منجما فقال وقرآنا أي وفصلنا أو وأنزلنا قرآنا فرقناه أي أنزلناه
منجما في أوقات متطاولة ومبيناه بالحقيقة عن كل باطل وبالإعجاز عن كل كلام لتقرأه على الناس أي عامة كل من
أمكنك منهم فإنك مرسل إليهم ولما كانوا لما لهم من النوس في غاية الزلزلة لا يتهذبون إلا في أزمان طويلة وعلاج
أليم كلهم كبير قال فشيروا إلى ذلك على مكث أي تؤدة وترسل بأن تقرأ منه كل نجم في وقته الذي أنزلناه فيه
في مدة ثلاث وعشرين سنة ونزلناه أي من عندنا بما لنا من العظمة تنزيلا بعضه في إثر بعض مفرقا بحسب الوقائع
لأنه أتقن في فضلها وأعون على الفهم لطول التأمل لما نزل من نجومه في مدة ما بين النجمين لغزارة ما فيه
من المعاني وكثرة ما يتضمنه من الحكم وذلك أيضا أقرب للحفظ وأعظم تثبيتا للفؤاد وأشرح للصدر لأن
أخبار الحبيب إذا كانت متواصلة كان للحب كل يوم في عيد بهنا جديد فعلمنا بذلك لما تقدم من أن
أسنع الذين اتقوا والذين هم محسنون فلما طالت الدلائل وزالت الشبه وعلم أن الحظ لمن أقبل والخيبة
لمن أدبر أمره أن يقول تنبيها لهم على ذلك استكبارا تبعا تنفيرهم عنه وعنادهم فيه بقوله قل آمنوا به أي القرآن
أو لا تؤمنوا فالإيمان به غير محتاج إليكم ولا موقوف عليكم لأنكم إن آمنتم به كان الحظ لكم وإلا لم تضروا إلا أنفسكم
وهو احتقار لهم حيث قرنه لهم بكل مثل نابوا إلا كفورا ثم علل ذلك بما يقبل بكل ذي لب إليه فإن كان لغل
فهو تسلية له صلى الله عليه وسلم وإن كان لما بعدها فهو تبكيت لهم وتحقير فقال إن الذين أوتوا العلم
وبني للمفعول دلالة على أن العلم الرباني وهو العلم في الحقيقة من أي من وقت كان حاث على الإيمان بهذا القرآن
وتنبيها على أن من كان يعلم ولا يحمله علمه على الإيمان بهذا الكتاب الذي لا شيء أبين من حقيقته بمصادقته
لكتب الأنبياء الذين ثبتت رسالاتهم وتقضت عليها الدهور واطمأنت لها النفوس وزيادة عليها بما أودعه
الله من الإعجاز والحكم فعلمه كلا علم بل هو أجهل الجهلة سواء كان ممن سأل التوراة عنتا ومن غيرهم كما سيأتي إن شاء الله تحقيقه

في الزبور ولما كان المراد من اتصف بهذا الوصف ولو زمنا يسيرا ونفعه ادخل الجار فقال مرغبا في العلم ليحمل
على الايمان بالقران من قبله اي قبل انزاله من امن من بني اسرائيل الذين امرني الله بسؤالهم تسميعا لكم وتبيينا لكونكم
ابتليتم عليهم بالسؤال وجعلتموهم محطا للوثوق اذا يتلى اي من اي تال كان عليهم في وقت من الاوقات ينقلهم من حال الى حال
فيرقيهم في مدارج القرب ومعارج الكمال الى علي الرتب بانهم يخرون اي يسقطون بسرعة وكذا السرعة وافاد الاختصاص من قوله
للاذقان باللام دون الى على انهم من شدة ما يحصل لهم من الخشوع يسقطون سقوط من ليس له اختيار واول ما يلاقي الارض ممن يسقط
لذلك ذقنه وهو مجتمع اللحيين من منبت لحيته فان الانسان مجبول بالطبع على صيانة وجهه فيتوقع راسه فيتصوب فناه
وفمه اقرب ما في وجهه الى الارض حال السقوط ولهذا قال شاعرهم • فخر صريعا لليدين وللفم •
ثم بين ان ذلك ليس سقوطا اضطراريا بل من كل جهة بقوله سجدا اي يفعلون ذلك لما يعلمون من حقيته بما اوتوا من العلم
السالف وما في قلوبهم من الاذعان والخشية للرحمن ويقولون اي على وجه التجديد المستمر سبحان ربنا اي تنزه
الموجد لنا المدبر لامورنا المحسن الينا عن شوائب النقص لانه وعد على السنة رسلنا ان يبعثنا بعد الموت ووعده الحق
فلا بد ان يكون وقد وعدنا باتيان بهذا الكتاب على لسان هذا النبي العربي واوصل هذا الوعد الينا في الكتب السالفة
فانجز ما سبق به وعده ان اي انه كان اي كونا لا ينفك وعد ربنا اي المحسن الينا في الكتب السالفة بالايمان
وما نتجه من وجوه العرفان لمفعولا دون خلف ولا بد ان ياتي جميع ما اوعدنا به من الثواب والعقاب وهو تعريض
بقريش حيث كانوا يستهزئون بالوعيد في قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحوه مما معناه الطعن في
قدرة الله القادر على كل شيء ويخرون عند تكرار سماعه للاذقان مع سجودهم يبكون ويزيدهم تكراره خشوعا
اي خضوعا وتواضعا واخباتا فان كان سؤالكم اياهم لتؤمنوا اذا اخبروكم اني على الحق فامنوا وان كان لغير ذلك
فقد تبين سفهكم وضعف امركم وسوء رايكم وعبر في البكا بالفعل اشارة الى تجدده في بعض الاحيان فالهم في
بعضها من السرور وبعضها من الملال وفي السجود بالاسم اشارة الى دوام ذلهم بالسجود المشروع او بمطلق الخضوع
وسياتي في سورة مريم ما يزيد ذلك وضوحا ولما كان ايمان اهل العلم الاول به واذعانهم له وتركهم لاديانهم التي اخذوها
عن الانبياء الاتين اليهم بالكتب بعد اقامة الدليل القاطع على انه من عند الله موجبا لكل من له ادنى انسانية ان يؤمن
به ويقبل عليه ويدعوا من انزله دون غيره دائما في اوقات الشدة فقط واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون
الا اياه وكانت اوقات الاجابة اولى بالدعا من غيرها وكانت حالة السجود لا سيما مع البكا والخشوع اولاها واقرب
ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وكان المعاندون من العرب كانهم قالوا الان ذلك من شانكم ومن حقهم بعد ما قام من الادلة
اسنا فعلمنا كيف ندعوا وباي اسم نمتعت ولما كان الجلالة هو الاسم العلم المعلي لجميع معاني الاسما الحسنى وكان
قد ورد في الجمل من التنويه به ما لم يرد في غيرها لما تقدم من الاسرار مع ان ما عدا فيها من النعم ما لم يعد في غيرها
ومنها تعليم الانسان البيان وذلك اليق باسم الرحمن الرحمن علم القران الايات وكانت الرحمة دنيوية واخروية
من الخالق ومن الخلائق وقد تكرر في هذه السورة ثماني مرات عسى ربكم ان يرحمكم انه كان بكم رحيما الا رحمة من ربك
خزاين رحمة ربك وكان ذلك الظاهر انه ارادة عمومها فكان اسم الرحمن به اليق وقع الجواب بقوله قل ادعوا الله
اي الملك الاعظم ذا الجلال والاكرام في ذات احاطته او ادعوا الرحمن في معنى استغراقه بالرحمة اي سموا او وقعوا
الدعا مسمين في حال دعائكم ربكم الذي تحمدوه في السجود باي اسم اردتم مما اذن فيه فاهتفوا بهذا الاسم الدال على
الجلال واستحقاق مسماه الدعا لذاته وبهذا الاسم الدال على الجمال واستحقاقه الدعا لانعامه مطلقا وفي حالة
السجود ايا ما تدعوا اي به من اسمائه فقد خلصتم به على القصد فان المسمى واحد وان تعددت اسماؤه الدالة
على الشرف ولما كان في الرحمن جمال ظاهره وفي باطنه جلال لان عموم الرحمة لبعض نعمة ولبعض استدراج ونقمة وكان
لذلك جامعا لجميع الاسما الحسنى والصفات العلا سبب عن ذكر كل من الاسمين العلم الجامع والوصف الواقع موقعه
قوله فله اي المسمى بهذين الاسمين وصح وهو الواحد الاحد الاسما الحسنى هذان الاسمان وغيرهما مما ورد عن النبي صلى الله
عليه وسلم وهو دال على التمجيد والتحميد والتقديس والتعظيم بهذا الضمير احتدام وقد تضمن هذا القول ان معنى
اسم الرحمن اشمل من اسم الرحيم وان كان بنا كل منهما للمبالغة قال الامام ابو الحسن الحرالي في شرحه للاسما الحسنى الرحمانية
استغراق الخلق في الرحمة في انشايهم والرحيمية اجرا الخلق على ما يوافق حسهم ويلايم خلقهم وخلقهم ومقصد
انفسهم فاذا اختص ذلك بالبعض كان رحيمية واذا استغرق كان رحمانية ولاستغراق معنى اسم الرحمن لم يكن
لتمام معناه وجود في الخلق فلم يجر حق على احد منهم وانما يوجد فيهم حظا ما من معناه يجري عليهم به اسم الرحيم
لا اسم الرحمن فلذلك لا ينتحل اسم الرحمن في معنى استغراقه باسم الله في ذات احاطته فقال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا ا

او ادعوا الرحمن فاذا تحقق القلب اختصاصه بالله علما كان اصلا للعلم به قولا نعلمت انه لا رحمان الا الله كما انه لا اله الا الله
ولحق باسم الاله فتم علم فقد التمام لمعناه في الخلق كما قد فقد اصل علم الاعتبار من معناه في اسم الاله والتوحيد في اسم
الرحمن واجب احق بالغرض في توحيد الاله ولذا الاولى اسم اشتى تواردة في الكتب وفي هذا التعديد اي الوارد في حديث
الترمذي والبزار وغيرهما من اسماء الله الحسنى عن ابي هريرة رضي الله عنه انتهى وقد مر في اخر الحجر ما ينفع هنا ولما ذكر
السجود وعقبه بالدعا اشار الى انه في كل حالة حسن وفي الصلاة اولى واحسن بعد ان ذكر قربها الصلوات الخمس وكان
ربما فهم من قوله ان قران الفجر كان مشهودا ومن قوله اذا يتلى عليهم قوة الجهر به قال تعالى ولا تجهر بصلاتك اي بقراءتك
فيها وسمى القران صلاة لانها شرط فيها جهرا قويا حتى يسمعه المشركون فان الجاهلين قد عرف عنادهم فلا يؤمن سبهم
للقران ولمن انزله ولمن جاء به بل كانوا يفعلون ذلك ويلغون وربما صفقوا وصفروا ليغيظوا النبي صلى الله عليه وسلم ويخلطوا
عليه قراءته ولا تخافت اي تسر سرا بليغا كانك تناظر فيه احدا حيث لا يسمع من ورائك ليأخذوه عنك وابتغ اي اطلب دى
بغاية جهدك بين ذلك اي الجهر والمخافتة التي افهمت اداة البعد عظم شانهما سبيلا اي طريقا وسطا روى البخاري
في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة كان اذا صلى باصحابه
رفع صوته بالقران فاذا سمعه المشركون سبوا القران ومن انزله ومن جاء به فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم
ولا تجهر بصلاتك اي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القران ولا تخافت بها عن اصحابك فلا تسمعهم انتهى اطلق هنا اسم
الكل على الجزء اشارة الى ان المقصود الصلاة وفيما تقدم اسم الجزء على الكل لان المقصود الاعظم هناك القراءة
في الفجر وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ان هذه الاية نزلت في الدعاء وقد تقدم غير مرة انه ليس ببدع ان
يكون للشيء اسباب كثيرة ولما تقدم احاطة هذين الاسمين بجميع معاني الاسما الحسنى واما الرحمن فبالرحمانية
المامور بالدعا كل مخاطب خصه صلى الله عليه وسلم بالامر بالتحميد الذي معناه الاحاطة واسمه صلى الله عليه وسلم مشتق منه
فقال تعالى وقل الحمد اي الاحاطة بالاوصاف
لاتصافه به حامدا ومحمودا وبالتكبير عن كل ما يفهمه العبا دون من اسمائه الحسنى لله الذي لم يتخذ ولدا لكونه
محيطا بالصفات الحسنى شيا اي فان ذلك لا يكون الا للحاجة وبالحاجة وهي الملك الاعظم لكونه محيطا بالصفات
الحسنى ولدا فان ذلك لا يكون الا للحاجة وبالحاجة وهي من اسوا الاوصاف فحمل يكن اي يوجد بوجه من
الوجوه له شريك في الملك لا ولد ولا غيره فان ذلك لا يكون الا للعجز ولم يكن له ولي اي ناصر من ان يكون ذلك النا
ولدا او شريكا او غيرهم من قبله ولا وصفا بقوله من الذل اي ما بان له اوليا واد عليهم بالتقرب وجعلهم انصار الدين
رحمة منه لهم لا احتياجا منه اليهم وكبره عن ان يشاركه احد في شيء من الاشيا وعن كل ما يفهمه ناهم ويصفه به واصف
والتكبير ابلغ لفظ للعرب في معنى التعظيم والاجلال قاله ابو حيان قال واكد بالمصدر تحقيقا له وابلاغا في معناه
اي فقال تكبيرا عن ان يدرك احد كنه معرفته او يحمله احد من كل وجه بل احتجب سبحانه بكبريائه وجلاله فلا يعرف
وصلى وتجلى باكرامه وكماله فلا ينكر فكان صح اتصافه بالحمد انه تعالى متصف بجميع صفات الكمال ومنزه وصفه بنفي
ما ذكر انه منزه عن شوائب النقص انه الكبير من كل ما يخطر للعباد المطبوعين على النقص المجبولين على غرائز العجز ولذلك
وغيره من المعاني العظمى سمى النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية اية العز كما رواه الامام احمد عن سهل عن ابيه رضي الله عنهما
وذلك عين ما انتحت به السورة من التنزيه وزيادة والله الموفق •
سورة الكهف مقصودها وصف الكتاب بانه قيم لكونه زاجرا عن الشريك الذي هو خلاف ما قام عليه الدليل
في سبحان من انه لا وكيل دونه ولا اله الا هو وقاصا بالحق اخبار قوم قد فضلوا في ازمانهم وفق ما وقع الخبر به في
سبحان من انه يفضل من يشا ويفعل ما يشا وادل ما فيها على هذا المقصد قصة اهل الكهف لان خبرهم اخفى ما فيها
من القصص مع ان سبب نزولها لعوقهم الشرك وكان امرهم موجبا بعد طول رقادهم للتوحيد وابطال الشرك
بسم الله الذي لا كفو له ولا شريك الرحمن الذي قام عباده على اوضح طريق بعلم الكتاب الرحيم بتفضيل من اختصه
بالصواب لما ختمت تلك بامر الرسول صلى الله عليه وسلم بالحمد على التنزه عن صفات النقص لكونه اعلم الخلق بذلك
بدئت هذه بالاخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص تنبيها بذلك على وجوب حمده
شرع من الدين على هذا الوجه الاحكم بهذا الكتاب القيم الذي خضعت لجلاله العلما الاقدمون وعجز عن معارضته
الاولون والاخرون الذي هو الدليل على ما ختمت به تلك من العظمة والكمال والتنزه والجلال فقال
ملقنا العباد حمده معلما لهم كيف يثنون عليه منفقها لهم في اختلاف العبارات باختلاف المقامات الحمد
اي الاحاطة بصفات الكمال لله اي المستحق لذلك لذاته الذي ولما اخبر كان المراد وصف جملة الكتاب بالاعجاز
الباعث على نظمه التفريق والتدريج عبر بالانزال دون التنزيل فقال انزل وعدل عن الخطاب بان يقول عليك كما قو

فلعلك باخع لكل ما في كل من الوصف بالعبودية والاضافة اليه سبحانه من الاعلام بتشريفه صلى
الله عليه وسلم والتنبيه على علة تخصيصه بما تراه عليه كما تقدم في سورة البقرة تعالى متمدحا له
على المنزل والمنزل لان المراد الدالة على صحة رسالته بما لا يحتاج فيه قريش الى سؤال اليهود ولا غيرهم
من تخصيصه بما يعتقد عليه غيره على عبده واشار الى انه الذي اسرى به الى حضرات مجده ليريه من اياته
الكتاب الجامع لمعاني الكتب المشار اليه في اخر التي قبلها بالتبشير اليه من العظمة كما اتى موسى التوراة
الامرة بالعدل في الاحكام وداود الزبور الحادي على الزهد والاحسان على ما اشير اليه في سبحان فلما كان
الجامع لا يخلو من عوج او منافية له الا ان كان من علام الغيوب في التاليف والاسكان دلالة على انه من عنده لينفي
العوج بطريق الاولى فقال ولم اي والحال انه لم يجعل له ولم يقل فيه عوجا اي شيئا من عوج اي بل هو مستقيم في جميع
معانيه من غير اختلاف اصلا هاديا الى كل صواب لان العوج بالكسر فقد الاستقامة في المعاني وبالفتح في الاعيان
واتبعه حالا اخرى له قيما تصريحا باللازم تاكيدا له وتنبيها انه مهيمن على ما قبله من الكتب مقيم لغيره وقد مضى في الفاتحة
ثم في الانعام عن الامام سعد الدين التفتازاني الشاني ان كل سورة افتتحت بالحمد فللاشارة الى نعمة من امهات
النعم التي هي ايجاد وابقا اولا وايجاد وابقا ثانيا وانه اشير في الفاتحة لكونها ام الكتاب الى الاربع وفي الانعام
الى الايجاد الاول وهو ظاهر وفي هذه السورة الى الابقا الاول فان نظام العالم وبقا النوع الانساني يكون بالنبي والكتاب
انتهى ويوضح انه في هذه السورة ذكر انه انتظم باهل الكهف امر من اطلع عليهم من اهل زمانهم وبالخضر عليه السلام
كثير من الاحوال ثم بذي القرنين جميع اهل الارض بما يسر له من الاسباب التي منها السد بيننا وبين ياجوج
الذين يكون لهم اذا اخرجهم الله تعالى فساد الارض كلها ثم ذكر في التي تليها امر اهل وده واصفيائه من اتبعهم لنظام
العالم بما وفقهم له من الطاعة وفرقهم به من معرفته واستمر ذلك في اكثر السور حتى ذكر السورة التي اشار فيها الى الابقا
الثاني ولما كان الابقا الاول مهلة لبلوغ حد التمييز ثم مهلة اخرى الى حد التكليف فيه اجرا العلم ثم مهلة اخرى يكون فيها
العمل والاستعداد لما اجله كان هذا لوجود من العرش على الرحمن للجزا بالاساة والاحسان ومهلة اخرى
يجلس فيها السابق من الخلايق الى ورود مشرع الموت لانتظار اللاحق الى البلوغ ما ضرب سبحانه من الاجال الا زمان
الامهال وقيام للناس اجمعين لرب العالمين وهو البرزخ وكان ما قبل التكليف شبيها بالعدم لانه تعلم الكتاب التوحيد
والاجتماع على اهل الدين والوفا بالعقود ثم انزل الاحكام ودربوا عليه من الحلال والحرام اشير اليه بما بين الفاتحة والانعام
التي هي سورة الايجاد الاول من السور الاربع وكان من الاحتلام كان اول الايجاد من الاعدام واشير الى عقد العهد وهو زمان
التكليف بما بين الانعام وهذه السورة من السور التي ذكر فيها مصارع الاولين واخبار الماضين تحذيرا من مثل
احوالهم لمن نسج على منوالهم وختمت بالتمجيد تنبيها بالتوحيد اشارة الى انه يجب الاجتهاد في ان يختم الاجل باعلى ما يكون
من خصال الدين واشير الى مهلة البرزخ بما بين هذه وسورة الايجاد الثاني من السور التي ذكر في غالبها شيا من الاولى واكثر
فيها كلها من ذكر الموت وما بعده من البرزخ الذي يكون لانقطاع العلايق باجتماع الخلايق لاجل التجلي في رداء
العظمة والكشف البليغ عن نفوذ الكلمة والتجلي بالحكم باستقرار الفريقين في دار النعيم او غار الجحيم واكثر ما بين هذه
وبين سبا من امر البعث كثرة ليست فيما مضى حتى صدر بعضها به وبنيا ها عليه كسورتي الانبيا اقترب للناس حسابهم والحج
ان زلزلة الساعة شي عجيب ولما لم يكن بينها لبعث وما بعده مهلة لشي من ذلك عقب سورة الايجاد الثاني بسورة الابقا
الثاني من غير فاصل ولا حاجز والله اعلم ولما وصف الكتاب بما له من العظمة في جميع ما مضى من اوصافه من الحكمة والاحكام
والتفصيل والتبيان والحقية والاخراج من الظلمات الى النور والجمع لكل معنى والكملات لكل شي اتبعه ذكر ما يدل
متعديا ما هو الاهم من ذلك المقصود بالانذار لانه مقامه كما هو ظاهر من سبحان فقال لكل شي اتبعه ذكر لينذر وقصره
على المفعول الاول ليعم كل من يصح توجه الانذار ولو تقديرا ولبيه ان الغرض بيان المنذر به لا المنذر باسا شديدا
كاينا من لدنه اي اغرب ما عنده من الخوارق بما في هذا الكتاب من الاعجاز لمن خالف امره من عذاب الدنيا والاخرة
كوقعة بدر وغيرها المبيدة لا ذلال الاسلام عليهم وهم كالدهون ليعدكا نوا فيه من القوة والضعف ويبشر المومنين
اي الراسخين في هذا الوصف الذين يعملون الصالحات وهو ما امر به خالصا وذلك الاسنان سعتا الايمان ان لهم اي من
حيث هم عاملون اجرا حسنا وهو النعيم حال كونهم ماكثين فيه ابدا بلا انقطاع اصلا فان الابد زمان لا اخر له
فجمعت هاتان العلتان جميع معاني الكتاب فانه لا يكون لذلك الا وقد جمع ايضاح شرايع الدين وامر المعاش الى
المعاد فيما يعنيهم فعله او تركه او اعتقاده وما يتبع ذلك وذلك هو الشيم الى المستقيم من كشف المنعم لغيره ولما
كان الغالب على الانسان المخالفة لله وا لما جبل عليه من التناقض وكان الانذار اهم فاعاده لذلك وكان المقام له

له كان معنى ذكراته بعض المتعلق المحذوف من الاية التي قبلها تبكيتا لليهود المضلين لمن لا العرب ولمن قال
بهتانا لئلا يتم نفا له وينذر واقتصر هنا على المفعول الاول ليذهب الفكر في الثاني الذي عينه عما يحل تقديره به فيما
مضى بلده كل مذهب فيكون اهول الذين قالوا اتخذ الله اي تكلف ذو العظمة التي لا تضاهى كما يتكلف غيره ان اتخذ ولدا
وهم بعض اليهود والنصارى والعرب قال الاصفهاني وعادة القران جارية بانه اذا ذكر قصة كلية عطف عليها بعض جزئياتها
تنبيها على كون ذلك البعض اعظم جزئيات ذلك الكل فلم اجعل الاية للاحتباك لبعض المعنى ثم استانف ما لدى في جواب
من كانه قال مالهم خصوا بهذا الوعيد الشديد فقال ما لهم به اي القول من علم اصلا لانه مما لا يمكن ان يتعلق العلم
به لانه لا وجود له ولا يمكن وجوده ثم قرر هذا المعنى واكده بقوله ولا لابائهم الذين هم مختبطون بتقليدهم فالذين
حتى كان هذا الذي لا يقبله عاقل ولو اخطاوا اي حرف دنيوي لم يتبعوهم فيه تنبيها على انه لا يحل لاحد ان يقول
على الله ما لا علم له به ولاسيما في اصول الدين ثم هول امرهم بقوله كبرت اي مقتا لانهم هذه كلمة اي ما اكبرها
من كلمة وصور فظاظة اجترائهم على النطق بها بقوله تخرج من افواههم اي لم يكفهم خطورها في نفوسهم
وترددها في صدورهم حتى تلفظوا بها وكان تلفظهم بها على وجه التكرير بما اشار اليه التعبير بالمضارع ثم بين
ما انتحلوه من الكلام من الله كانهم لا علم لغيره لان لا علم لاحد به اصلا لانه لا وجود له فقال ان اي ما يقولون الا كذبا
اي قولا لا حقيقة له بوجه من الوجوه وقال ابو جعفر ابن الزبير في برهانه من الثابت المشهور ان قريشا بعثوا الى يهود المدينة يسالونهم
في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابت اليهود بسؤاله عن ثلاثة اشيا قالوا فان اجابكم فهو نبي وان عجز فالرجل
متقول فرادوا فسالوه عن الروح وعن فتية ذهبوا في الدهر الاول وهم اهل الكهف وعن رجل طواف بلغ مشارق
الارض ومغاربها فانزل الله عليه جواب ما سالوه وبعضه في سورة الاسرا ويسالونك عن الروح الاية واستفتح تعالى
سورة الكهف بحمده وذكر نعمة الكتاب وما انزل بقريش وكثار العرب من الناس يوم بدر وكمال العتم والبشارة المومنين
بذلك وما منحهم الله من النعيم الدائم وانذار القايلين بالولد من النصارى وعظيم مرتكبهم وشناعة قولهم ان يقولون الا
كذبا وتسلية نبيه صلى الله عليه وسلم في امر جميعهم فلعلك باخع نفسك الاية والتحمت الاي اعظم التحام واحسن التيام
الى ذكر ما سيل عنه الكفار من امر الفتية ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا ثم لبسطت الاي
قصتهم واوضحت امرهم واستوفت خبرهم ثم ذكر سبحانه امر ذي القرنين وطوافه وانتهى امره وقال ويسالونك عن ذي
القرنين الايات وقد فصلت بين القصتين مواعظ وايات مستجدة على اتم ارتباط واحكم اتساق ومن جملتها قصة الرجلين
وجنتي احدهما وحسن الجنتين وما بينهما وكفر صاحبها واغتراره وهما من بني اسرائيل ولها قصة وقد افصحت هذه الاي
سندها باغترار احدهما بما لديه وركونه الى توهم البقا وتمويل صاحبه على ما عند ربه ورجوع امره اليه وانها اسوه
لبعد المحاورة الواقعة في الايات بينها الى ان آل ما عيل المفتون نفاه ورجع ذلك الكافر لم يكن ولم يبق بيده الا الندم
ولا مصرح جنته بعد عظيم تلك البهجة سوى التلاشي والعدم وهذه حال من ركن الى سوى المالك الذي كل شي الا وجهه سبحانه
وتعالى فان وها لا انما الحياة الدنيا لعب ولهو فعدوا الى الاسلم اعقب ذلك بضرب مثل الحياة الدنيا لمن اعتبر وتبصر
واعقب تلك الايات بقصة موسى والخضر عليهما السلام الى تمامها وفي كل ذلك من تاديب بني اسرائيل وتقريعهم وتوبيخ
مرتكبهم في توقفهم عن الايمان وتعنيتهم في توهمهم عنده رسوله لكفار قريش عليه السلام عن الدعكيل الملك
اي قد حازوا العلم وانفردوا بالوقوف على ما لا يعلمه غيرهم في اجواب قريش بما يرغم الجميع ويقطع دابرهم وفي ذكر قصة
موسى والخضر اشارة الى لهم لو عقلوا وتحريك لمن سبقت له منهم السعادة وتنبيه لكل موقوف في تسليم الاحاطة
لمن هو العليم الخبير وبعد تقريعهم وتوبيخهم بما اشير اليه عاد الكلام الى قصة سوالهم فقال ويسالونك عن
ذي القرنين الى اخر القصة وليس بسط هذه القصص من مقصودنا وقد حصل ما اردناه وما دلم يبق الا السوال
عن وجه انفصال جوابهم ووقوعه في السورتين مع ان السوال واحد وهذا ليس من شرطنا فلننساه بحول الله الى موضعه
ان قدر به وقد تقدم في سورة الاسرا من الجواب عن هذا ان الروح ضمنت اليها لانها من امر الملكوت كالاسرا وبقي انه
لما اجمل سبحانه امرها لما ذكر من عظيم الستر وعتب عليهم اشتغالهم بالسوال عنها وترك ما هو من عالمها وهو اعظم
منها ومن كل ما برز الى الوجود من ذلك العالم من الروح المعنوي الذي به صلاح الوجود كله وهو القران العظيم
وعظم امره بما ذكر في الاسرا الى ان اقتضى الحال في الفاعظمته ان يدل على صلاح الوجود به باحرزه وفصله وقرره
بين امر السوالين الباقيين اللذين هما من خاص الملك فيما ضم اليها بما تم به الامر وانتظم به ما له من جليل القدر كان
الاكمل في ذلك ان يكون ما انتظم به ذلك السورة على صدقها ولما كان امر اهل الكهف من حفظ الروح في الجسد على ما لم يعهد
مثله ثم افاضتها قدم الجواب عن السوال عنهم ايلي امر الروح وختم بامر ذي القرنين لاحاطة امره بما طاف من الارض لما

ولما جعل من السنة علما على انقضا شان هذه الدار وختام امرها وطى ما برز من نشرها والله اعلم ولما كان صلى الله
عليه وسلم شديد الحرص على ايمانهم شفقة عليهم وغيرة على المقام الالهى الذى ملئ قلبه تعظيما له خفض عليه سبحانه
بقوله فلعلك باخع اى فتسبب عن قولهم هذا المبين جدا المايوبه لهم لا الموجب لاعراضهم عنك انك تسبق انت او من يراك
على تلك الحالة من اتباعك من ان يكون قاتلا نفسك من شدة الغم والوجد واشار الى شدة نفورهم وسرعة نفارهم
وعظم تباعدهم بقوله على اثارهم اى حين تولوا عن اجابتك فكانوا كمن فوضوا اخبائهم واذهبوا اعلامهم ان لم يؤمنوا
والماصور لعدهم حين دب ما دعاهم اليه ويشتر شاوله بقوله بهذا الحديث اى القيم للتجدد تنزيله على حسب
التدريج اسفا منك على ذلك والاسف اشد الحزن والغضب ثم بين علة ارشاده له الى الاعراض عنهم بغير ماه
يقدر عليه من التبليغ للبشارة والنذارة بانهم لم يخرجوا عن مراده سبحانه وان الايمان لا يعقد على ادخاله قلوبهم
غيره فقال انا اى لا تفعل ذلك لانا جعلنا بما لنا من العظمة ما على الارض زينة من المواليد الثلاثة الحيوان
والمعدن والنبات زينة لها بان حسناه فى العيون وابهجنا به النفوس ولولا شرع الحيوانات المؤذية من الحيات
وغيرها كانت من الزينة بما ظاهره والظاهر انه لو اطاع الناس كلهم لذهبت مع ما تبدت زينتها كما يكون على زمن
عيسى عليه السلام حيث تقيل لعب الولدان ولما اخبر بتزيينها اخبر بعلته فقال لنبلوهم اى نعاملهم معاملة
المختبر الذى يسئل مما خفا الامر عليه بقوله ايهم احسن عملا اى باخلاص لخدمة ربه فيصير ما كنا نعلمه منهم ظاهرا
بالفعل يقام به عليهم الحجة على ما يتعارفونه بينهم بان من اظهر موافقة الامر فيما نال من الزينة حاز المثوبة
ومن اجترا على مخالفة الامر بما ابتناه منها فعل عمل لما للتنعم لما نفعل استحق العقوبة ولما كان دعاها للزينة
المختبعة الحياة الدنيا من اللهو واللعب ظاهرا لموافقته لما طبعت عليه النفوس من الهوى لم يحتج الى التنبيه
عليه باكثر من لفظ الزينة ولما كان دعاها الى الزهد فيها والاعراض عنها جملة والاستدلال بها على تمام علم صانعها
وشمول قدرته على اعادة الخلائق كما ابتداهم وغير ذلك خفيا لكونه مستورا عن العقول بهوى النفوس نبه
عليه بقوله وانا لجاعلون اى بما لنا من العظمة ثابت لنا هذا الوصف دائما ما عليها من جميع تلك الزينة لا يصعب
علينا شى منه صعيدا اى ترابا بان نفعل صبغ تلك الزينة بارزا له اخضرارها فبق وكذا الماء لما سبكه التراب
عليها ثم تسلط عليها الشمس والرياح تذلك الى اصلها ترابا جرزا اى يابسا لا ينبت شيا بطبعه وكذا الفعل
بمن شينا تسليط البلا عليه من الحيوان ادميا كان او غيره سوا ولما كان من ابن شاهد اعادة النبات باذن الله
ما تراه الماعليه الى صورة النباتية التى هى الدليل على احيا الموتى مرة بعد مرة ما دامت الارض موجودة على هذه
الصورة طوى ذكر ذلك لاستغنا بهذا البرهان المنير عن الاعنيا المشغولين بالظواهر عما سنه سبحانه بظهوره
لاولى البصائر ولما كان هذا من العجائب التى تصاغر عندها العجائب الغرايب لئى تخفع لديها الغرايب وان صارت
بالرتبة بكثرة التكرار والتجلى على الابصار الى ماله من الايات التى تزيد على العدد لا تحصر بحد من خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك لا حقر اية اصحاب الكهف وان كانت من اعجب العجب لا ضمحلالها
فى جنب ذلك لان الشى اذا كان له للاكثر اليه فلم يعد عجبا نبه على ذلك بقوله عطفا على ما تقديره اعلمت ان هذا
وغيره من عجائب قدرتنا ام حسبت على ما لك من العقل الرزين والراى الوصين ان اصحاب الكهف اى الغار
الواسع المنقور فى الجبل كالبيت والرقيم اى القرية او الجبل كانوا هم فقط من اياتنا عجبا على ما زعم من قول الكفار من
من الكفرة من اليهود والعرب والواقع انهم وان كانوا من العجائب ليسوا بعجب من الحكمة بالنسبة الى كثرة اياتنا
وبالنسبة الى هذا العجب النباتى الذى عرضتم عنه بالغفلة له من كثرة تكروه فيكم فانه سبحانه اخرج نبات الارض على
تباين اجناسه واختلاف الوانه وانواعه وتضاد طبايعه من ماده واحدة يعتزبا لنوع به الناظرين ويروق
المتاملين ثم يوقفه ثم يرده باليبس والتفرق الى التراب فيختلط به حتى لا يميز عن نفسه التراب ثم يرسل
الما فيختلط بالتراب فيجمعه فيخرج اخضر يانعا يهتز بالنمو على احسن ما كان وهكذا كل سنة فهذا اشد اعجب
حالا ممن حفظت اجسامهم مدة من التغير ثم ردت ارواحهم لهم وقد كان فى سالف الدهر يعمر بعض الناس اكثر
من مقدار ما لبثوا وهذا الكهف قيل هو فى جبال مدينة طرسوس وهو المشهور وقال ابو حيان قيل هو فى الروم
وقيل فى الشام وقيل فى الاندلس قال وفى جهة غرناطة بقرب قرية لوشة كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة والكثر
قد انجرد لحمه وبعضهم متماسك وقد مضت القرون ولم نجد من عرف شانهم ويزعم ناس انهم اصحاب الكهف ونقل عن
ابن عطية قال دخلت اليهم سنة اربع وخمسماية فرايتهم بهذه الحالة وعليهم مسجد وقريب منهم بناء رومى يسمى الرقيم
وهو فى فلاة من الارض وباعلى مصر غرناطة مما يلى القبلة اثار مدينة قديمة يقال لها مدينة دقيوس ونقل

ونقل ابو حيان عن انه كان بالاندلس كان الناس يزورون هذا الكهف ويذكرون انهم يغلطون فى عددهم اذا عدوهم وانه
معهم كلبا قال وامام ذكر من مدينة دقيوس التى بقبلى غرناطة فقد مررت عليها مرارا لا تحصى قال ويترجح ان اصحاب الكهف
بالاندلس انتهى ملخصا قلت دونه نظر والذى يرجح المشهور مما نقل البغوى وغيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما
قال غزونا مع معوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذى فيه اصحاب الكهف قال معوية لو يصل الى البلاد الاندلس والله اعلم ولما
صغر امرهم بالنسبة الى الجليل اياته وعظم تبيانه وغريب صنعه عانه تخص قصتهم التى عدوها عجبا وتركوا الاستبعاد على
وحدانيته الواحد القهار بما هو العجب العجيب والنبأ الغريب فقال اذ اوى اى كانوا على هذه الصفة حين ادوا ولكنه
ابرز العنصر ليبيان انهم شبان ليسوا بكثيرى العدد فلبست لهم اشاف استفادوا اثبات من التجارب والتعلم ما اهتدوا اليه
من الدين والدنيا ولا كثرة حفظوا بها انفسهم من بوادر كلهم ايقاظا ورقودا فقال الفتية وهم اصحاب الكهف المسئول
عنهم وان كان اقبل للحق واهدى للسبيل من الشيوخ الى الكهف لقارب لقربتهم المشهود بيبلدتهم فرارا بدينهم كما تاوى
انت والصديق الى الغار نور فرارا بدينكما فقالوا عقب استقرارهم فيه ربنا اتنا ولما كانت الموجودات كما مضى
الحرانى فى ال عمران على ثلاث رتب حكمات جارية على قوانين لها دات وعدليات خارقة للمطرودات ولدنيات
مستغربة فى الامور الخارقات طلبوا اعلاها فقالوا من لدنك اى من مستبطن الامور التى عندك ومستخرجها
رحمة اى اكراما تكرمنا به كما يفعل الراحم بالمرحوم وهيئ لنا اى جمعنا لا غيب سنا احدا من امرنا رشدا اى وجها
نتمسرنا به الى الخلاص فى الدارين لاجرم صارت قصتهم على حسب ما اجابهم ربكم بديعة الشان تروده فى
الزمان يتحدث بها فى سائر البلدان فى كل حين واوان ولما اجابهم سبحانه عبرنا عن ذلك بقوله فضربنا اى عقب
هذا القول ونسبه على اذانهم اى سددنا ها واسكناها عن السمع وكان امثله ضربنا عليها حجابا بنوم ثقيل لا يزعج
منه الاصوات لان من كان مستيقظا او نايما نوما خفيفا وسمعه صحيح سمع الاصوات فى الكهف اى المعهود ولما كانت
مدة لبثهم نكره بما كان لا يذل ذلك الزمان من الشرك عبرنا بما يدل على التنكر فقال سنين ولما كان ربما ظن ان ذكر
السنين للمبالغة لاجل بعدهم النوم عن العادة حقق الامر بان قال مبدلا منها معرفا ان المراد جمع القلة هنا الكثرة
عددا اى متكاثرة قال الزجاج كل شى مما يعد اذا ذكر فيه العدد ووصف به اريد كثرته لانه اذا قل فهم مقداره
عدده بدون التقدير فلم يحتج ان يعد ثم بعثناهم اى ايقظناهم من ذلك لنعلم اى حسب وضبط لما اى لاجل علم ما لبثوا
امدا اى وقع احصاؤهم لمدة لبثهم وانهم هم احصوا لبثهم فقالوا لبثنا يوما او بعض يوم ثم ثبوا او من علم ذلك وردوه
الى عالمه واهل البلد احصوا ذلك بحسب النقد الذى وجد معهم او غير ذلك من القراين الذى دلتهم عليه ولكنهم وان
صادف قولهم ما فى نفس الامر او قربا منه فعلى سبيل الظن والتقريب لا القطع والتحديد لقوله تعالى قل الله اعلم
بما لبثوا فاذا اعلم بجهله كل من الحزبين بامرهم ان الله هو المختص بعلم ذلك علم انه المحيط بصفات الكمال وانه لم يتخذ
ولدا ولا له شريك فى الملك وانه اكبر من كل ما يقع فى الوهم ولما كان الكلام على اختلاف وقع فى مدتهم وكان الجواب
معلوما من كانهم متقاربين فى الجملة باحصائه على سبيل القطع وكان المقصود الذى امر واقريش بالسؤال عن امرهم
تمسكا فى الدين لا يعلمون امرهم على الحقيقة نبه على ذلك بقوله جوابا لمن كانه قال لابد احصاه نحن ويقال
ولما اخبر سبحانه عن مسئلة قريش الثالثة بقى قصة اهل الكهف مجملا لبعض الاجمال بعد اجمال الجواب عن المسئلة
الاولى وهى الروح وكان التشاغم جديرا بان يستشرف نفسه الى ابانة اكثر من ذلك من الاخبار فقال جوابا لمن كانه
قال اسل الانضاح وبيان الحق من خلاف الحزبين نقص اى نخبر اخبارا تابعا للاثار مرة قدما فقدما عليك على
وجه التفصيل نباهم اى خبرهم العظيم قصصا ملتبسا بالحق اى الكامل الذى يطابقه الواقع وليس احد غيرنا
يقصه الا ملتبسا بباطل زيادة او نقص فكانه قيل ما كان نباهم فقال انهم فتية اى شبان امنوا بربهم
اى المحسن اليهم الناظر فى مصالحهم الذى تفرد بخلقهم ورزقهم وهداهم بما وهب لهم من اصل الفطرة من العقول
الجيدة النافعة ولما دل على الاحسان باسم الرب وكان فى فعله معهم من باهر القدرة ما لا يخفى التفت الى
مقام العظمة فقال عاطفا على ما تقديره فاهتدوا بايمانهم وزدناهم هدى بعد ان امنوا هدى بما قذفنا فى قلوبهم
من المعارف وشرحنا له صدورهم من المواهب التى حملتهم على ارتكاب المعاطب والزهد فى الدنيا والانقطاع اليه
وربطنا بما لنا من العظمة على قلوبهم اى قويناها فصارت بها من القوى مجتمعا غير مبدد فكانت حالاهم
فى الجلوة كحالهم فى الخلوة اذ قاموا سحق القيام فى ذلك الجيل الكافر من بين يدى طاغيتهم دقيانوس فقالوا
مخالفين لهم ربنا الذى يستحق ان يفرده بالعبادة لتفرده بتدبيرنا هو رب السموات والارض اى موجدهما
ومدبرهما لن ندعو من دونه الها بعد ان ثبت عجز كل من سواه والله لقد قلنا اذا اى اذا دعونا من دونه

شططا اي قولا ذا افراط مفرط عن الحق جدا ثم شرعوا يستدلون على كونه شططا لانه لا دليل عليه ويجوز ان يكونوا قالوا ذلك عرض لهم الشيطان لشبهة التقليد فقالوا مجيبين عنها هؤلاء وان يكونوا قالوا ذلك للملك انقاذا له من شرك الجهل المشار اليه بقولهم قومنا اي وان كانوا اسن منا فانوى واجل في الدنيا اتخذوا اي مخالفين مع منهاج العقل داعي الفطرة الاولى من دونه الهة اشركوهم معه لشبهة واهية استغواهم بها الشيطان ثم استانفوا على طريق التحضيض بما منه على الكلم من حين عبادتكم الى الان لم ياتوا على ذلك بدليل فقالوا مشيرين على فساد التقليد في اصول الدين وانه لا اتباع فيه بدون القطع لولا اي هلا ياتون الان ولما كانوا بعبادتهم لهم قد احلوهم محل العلا قال عليهم اي على عبادتهم اياهم وحققوا ما ارادوا من الاستعلاء بقولهم بسلطان اي دليل فاهو بين امثل ما نأتي نحن على تفرد معبودنا بالادلة الظاهرة والبراهين الباهرة فان مثل هذا الامر لا ينفع فيه بدون ذلك وقد بينا الادلة كلها في الاستدلال على تفرد الله باستحقاقه للعبادة بانه تفرد بخلق الوجود فتسبب عن عجزهم عن دليل انهم اظلم الظالمين لافترائهم الكذب على ملك الملوك وما كان ذلك الا للملا فلذلك قالوا فمن اظلم ممن افترى اي تعمد على الله اي الملك الاعظم كذبا فالاية دالة على فساد التقليد في الوحدانية ولما استدلوا على معتقدهم وعلموا اسفه من خالفهم وهم قوم لا بد ان يظهر لهم ومنهم لكثرتهم وقلتهم تسبب عن ذلك ما تجرءهم ليسلم لهم دينهم فقال تعالى مشيرا لما نفى من امرهم عاطفا على ما تقديره فقالوا ادم شا اسنهم حين خلصوا من قومهم لهم يجب ان لا ترجعوا الى قومكم ابدا ما داموا على ما هم عليه هذا ان كان المراد قيامكم بين يدي دقيانوس وان كان المراد من القيام الانبعاث من العزم الصادق لم يحتج الى هذا التقدير واذ اي وحين اعتزلتموهم اي قومكم وما اي واعتزلتم ما يعبدون الا الله اي الذي له صفات الكمال وهذا دليل على انهم كانوا يشركون ويجوز ان يكونوا سموا الانقياد كرها لمسه والخضوع بزعمهم لا نقصه عبادة هذا الاعتزال وهذا دليل للعامل في اذ الى الكهف اي الغار الذي في الجبل ينشر لكم اي يحيي ويبعث لكم ربكم الذي لم يزل يحسن اليكم من رحمته ما يكفيكم به الهم من امركم ويهيئ لكم من امركم الذي من شانه ان يهمكم مرفقا ترتفقون به وهو بكسر الميم وفتح الفاء في قراءة الجماعة وبفتحها وكسر الفاء لنافع وابن عامر وهذا الحزم من اثار الربط على قلوبهم بما علموا من قدرته على كل شيء وحمايته من لاذ به ولجأ اليه وعبده وتوكل عليه ففعلوا ذلك ففعل الله ما رجوه فيه فجعل لهم احسن مرتفق بان انامهم ثم اقامهم بعد مضي قرون ومرور دهور وهدى بهم ذلك الجبل الذي اقامهم فيه وترى اي لو رأيت كهفهم الشمس اذا طلعت ولما كان حالهم خفيا وكذا حال انتقال الشمس عند من لم يراقبه ادغم تا التفاعل نافع وابن كثير وابو عمرو واسقطها عاصم وحمزة والكسائي فقال تزاور اي تمايل وتنحرف وفي قراءة ابن عامر ويعقوب تزور بوزن تحمر ناظرة الى الحال عند نهاية الميل عن كهفهم بتقلص شعاعها بارتفاعها الى ان تزول ذات اليمين اذا كنت مستقبلا القبلة وانت متوجه اليه او مستقبل الشمس فيعجم من حرها ما يمنع عنهم التعفن ويمنع شعث الكهف ببرد الحرارة المستمدة في بقية النهار واذا غربت اي اخذت في المغرب الى الغروب تقرضهم اي تعدل مستترة عنهم ذات الشمال لذلك ايضا لئلا تلحقهم شدة الحرارة ويصيبهم من نارها بمثل ما كان عند الغروب والطلوع فلا يزال كهفهم رطبا ويأتيهم من الهواء الطيب والنسيم المديد ما يصونهم عن التعفن والنساد فتحرر بذلك ان باب الغار مقابل لبنات نعش وان الجبل الذي هم فيه شمال مكة المشرفة ويجوز ان يكون المراد بيمين من يخرج من الكهف وشماله فلا يلزم ذلك وقال الاصبهاني قيل ان باب ذلك الكهف كان مفتوحا الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف واذا غربت كانت على شماله ومادة قرض ليس لها الا هذا التركيب تدور على القطع ويلزمه الميل عن الشيء العدول والازورار عنه قرضت الشيء بالفتح اقرضه بالكسر قطعته بالمقراض وبغيره لانك اذا وصلته اليه فقد حاذيته فاذا قطعته تجاوزته فانحرفت عنه والقرض قول الشعر خاصة لانه لا شيء من الكلام يشبهه فهو مقطوع منه مايل عنه بما اختص به من الميزان وهل مررت بمكان كذا فتقول قرضته ذات اليمين ليلا اي كان عن يميني والقرض ما تعطيه من المال لتقضاه لانك قطعته من مالك والقرض ما سلفت من احسان او اساءة على التشبيه والتقريض المدح والذم لانه يميز المتكلم فيه تمييزا ظاهرا وهما يتقارضان لذا كان كل منهما يقرض لصاحبه ويوفي له على ما قرضه والمقارضة المضاربة لان صاحب المال قطع من ماله والعامل قطع من عمله حصة لهذا المال وقرض فلان الرباط اذا مات لانه اذا انقطعت حياته انقطع كل رباط له في الدنيا وجاء فلان وقد قرض رباطه اذا جاء مجهودا قد اشرف على الموت كانه اطلق ذلك عليه للمقاربة والمقارضة المشابهة لتلك والعرض ما بين المتشابهين والاقتراض الاغتياب ومن ذلك ومن القرض بقضا لانه من اغتاب اغتيب وقرض بالكسر اذا زال من شيء الى شيء لانه لو وصل الثاني قطع الاول وقرض اذا مات والمقارض الزرع القليل اما للازالة على الضد من الكثير او يشبه بمواضع الاستقاء في البئر القليلة

الماء فان المقارض ايضا المواضع التي يحتاج المستقي الى ان يقرض فيها الماء اي يتبعه ويدخل الدلو في البئر ليملاها لقلة الماء او انها مواضع قطع الماء برفعه عن الماء البئر والمقارض ايضا الجرار الكبار كانها لكبرها وقطعها كثيرا من الماء هي التي تقطعت دون الصغار وما عليه قراض اي ما يقرض عنه العيون ويستره لتعدل عنه العيون لعدم نفوذها الى جلده والقرض والسير هو ان تعدل عن الشيء في مسيرك فاذا عدلت عنه فقد قرضته والمصدر القرض فاصله من القطع وابن مقرض كمنبر دويبة تقتل الحمام كانها سميت لقطعها حياة الحمام وقرض البعير جرته مضغها فهو قارض لتقطيعها بالمضغ ولقطعها من بطنه فردها الى حنكه للمضغ ولما بين تعالى انه حفظهم من حر الشمس بين انه انعشهم ببرد منه الهواء والهمهم بسعة المواضع في فضاء الغار فقال وهم في فجوة منه اي في وسط الكهف ومتسعه ولما شهد هذا الامر الغريب والنبأ العجيب وصل به ما نتيجته فقال ذلك اي المذكور العظيم من هدايتهم وما دبروا لانفسهم وما دبر لهم من هذا الغار المستقبل للنسيم الطيب المصون عن كل موذ وما حفق به رجاهم مما لا يقدر عليه سواه من آيات الله اي الملك الاعلى المحيط بكل شيء علما وقدرة وان كان اذا قيس الى هذا القران العظيم وغيره مما خصت به هذه الامة كان يسيرا ولما كان انفرادهم بالهدى عن اهل ذلك الزمان كلهم عجيبا وصل به ما اذا تؤمل ذاك الحجة فقال من يهد ولو اي هدايته بما دل عليه صرف الكلام الى الاسم الله اي الذي له الامر كله بخلق الهداية في قلبه للنظر في آياته التي لا تعد الانتفاع بها فهو اي خاصة المهتد في اي زمان كان فلن تجد له مضلا مغويا ومن يضلل اضلالا لا ظاهرا الجادل عليه لاظهار ما عابه عن طريق الهدى فهو الا الضال فلن تجد له وليا مرشدا فتجده يرى الآيات بعينه تجده اصلا من دونه الا ان الله الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه اضله ولا يعلم الهذا الآيات فضلا عن ان يتدبرها وينتفع بها فالاية من الاحتباك ذكر ويسمعها باذنه ويحسها بجميع حواسه الاهتداء اولا دليلا على حذف الضلال ثانيا والرشد ثانيا دليلا على حذف المضل اولا ولما بين سبحانه هذا التنبيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتا ان يبخع نفسه عطف على ما مضى بقية امرهم فقال وتحسبهم ايقاظا لانفتاح اعينهم للهوا ليكون ابقى لها وكثرة حركاتهم وهم رقود ونقلبهم بعظمتنا في حال نومهم تقليبا كثيرا بحسب ما ينفعهم كما يكون النائم ذات اي الجهة التي هي صاحبة اليمين منهم وذات الشمال لتنالهم روح النسيم جميع ابدانهم ولا يتاثر ما يلي الارض منها بطول المكث وكلبهم باسط واعمل اسم الفاعل هنا لانه ليس بمعنى الماضي بل هو حكاية حال ماضية فقال ذراعيه بالوصيد اي بباب الكهف او فنائه كما هي عادة الكلاب وذكر هذا الكلب على طول الاباد تجميل هذا الرقاد ببركة صحبة الامجاد ولما كان هذا اشوق الى رؤيتهم وصل به ما يكف عنه بقوله لو اطلعت عليهم وهم على تلك الحال لوليت منهم فرارا اي حال دنوك نفرك عليهم ولملئت في ابتر وقت واقل اتى منهم رعبا لما البسهم الله من الهيبة وجعل لهم من الجلالة تدبيرا منه لما اراده منهم وكذلك اي فعلنا بهم هذا من اباتنا من النوم وغيره ومثل ما فعلناه كلهم بعثناهم بما لنا من العظمة ليتساءلوا بينهم اي عن احوالهم في نومهم ويقظتهم فيزداد ايماننا وثباتا واتقانا لما نكشف لهم من الامور العجيبة والاحوال الغريبة ويعلم انه لا علم لاحد غيرنا ولا قدرة لا حد سوانا وان قدرتنا تامة وعلمنا شامل فليعلم ذلك من انكر قدرتنا على البعث وسال اليهود البعداء البغضاء عن نبيه الحبيب الذي اتاهم بالآيات واراهم البينات فان كانوا يستنصحون اليهود فليسألوهم عما قصصنا من هذه القصة فان اعترفوا به لزمهم جميعا الايمان والرجوع عن الغي والعدوان وان لم يؤمنوا علم قطعا انه لا يؤمن الا من اردنا هدايته بالآيات البينات كاهل الكهف وغيرهم لا بانزال الآيات المقترحات ولما كان المقام مقتضيا لان يقال ما كان تساؤلهم اجيب بقوله قال قائل منهم مستفهما من اخوانه كم لبثتم نائمين في هذا الكهف من ليلة او يوم وهذا يدل على ان هذا القائل استشعر طول لبثهم بما راى من هيئتهم او بغير ذلك من الامارات ثم وصل به في ذلك الاسلوب ايضا قوله قالوا لبثنا يوما وذلك على ان هذا الجواب مبني على الظن بقوله او لكاحيث او قم عليه سبحانه على جواز الاجتهاد والقول بالظن المخطي وانه لا يسمى كذبا وان كان مخالفا للواقع او بعض يوم كما تظنون انتم عندنا مكم من الغيوب الا ان لبثتم الا قليلا لانه لا فرق بين صدوق وزنديق في الجهل بما غيبه الله فكانه قيل على اي شيء استقر امرهم في ذلك واجيب بانهم ردوا الامر الى الله بقوله قالوا اي قال بعضهم انكارا على انفسهم ووافق الباقون لما عندهم من التجارب في الله والتوافق فيه لهم في الحقيقة اخوان الصفاء وخلان الالفة في الوفا ربكم المحسن اليكم اعلم اي من كل احد بما لبثتم فابعثوا اي فتسبب عن اسناد العلم الى الله ان يقال اتركوا الخوض في هذا واشتغلوا بما ينفعكم بان تبعثوا احدكم بورقكم اي فضتكم هذه التي جمعتموها كمثل هذا الى المدينة التي خرجتم منها وهي طرسوس لياتينا بطعام

فانا جياع فلينظر ايها اى اى اهلها ازكى اى اطهر واطيب طعاما فليأتكم ذلك الاخذ برزق منه لناكل
وليتلطف فى التخفى حتى لا يتفطنوا له ولا يشعرن هذا المبعوث منكم فى هذا الامر بكم احدا ان فطنوا له فيتحيلوا
عليه او ان المعنى لا تفعلن ما يؤدى من غير قصد منه الى الشعور بكم فيكون هذا شعورا بما كان منه من
السبب وفى قصتهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلحه من النفقة واى المتوكلين لا المتاكلين المتكلين على الاتفاقات
وعلى ما فى اوعية القوم من النفقات وفيها صحة الوكالة ومادة ورق بجميع تراكيبها الخمسة عشر قد تقدم فى
سورة سبحان وغيرها انها تدور على الجمع فالورق مثلثة وككتف وقيل الدراهم المضروبة تشبيها بالورق فى الشكل
وفى الجمال ولما جمع مال الانسان شوطا لها يسببه فى الجمع والاوراق الكثير الدراهم وهو ايضا ورقية مورق ككتف وحرفته
الوراقة وما ذكرت منك سوادقا اى قربا مدانيا اى كالذى يبادلك فى تطاف الورق من شجرة واحدة فهو ياخذ
من ناحية وانت من اخرى والمداناة اول الجمع والورق بحركة جمال الدنيا وبهجتها لانها تجمع الوانا وانواعا
ولعل منه الورقة قال فى مختصر العين انها سواد فى غبرة وحمامة ورقا اى منه وفى القاموس الاورق من
الابل ما فى لونه بياض الى سواد ورأى رجل الغول على جمل اورق فقال ما نام البرق على ابرق اى بالداهية
العظيمة صخرا لاورق كسويد فى اسود والاصل ودبق فقلبت واوه همزة والاورق ايضا الرماد وعام لا مطر
فيه واللبن ثلثاه ماء كل ذلك اللون فالكثرة والورق بحركة ايضا من الكتاب والشجر معروف لانك لا تجد
واحدة منه على لون واحد ولانه يجمع الواحدة منه الى الاخرى ويجمع معنى ما يحله قال فى مختصر العين والورق
ادم رقاق منه ورق المصحف والورق ايضا الخبط لانه لما كانت الابل تعلفه كان كانه هو الورق لا غير
والورق الحى من كل حيوان لان الحياة هى الجمال وبها جماع الامور ولان الورق دليل على حياة الحى من الشجر
فهو من اطلاق اسم الدال على المدلول والورق ايضا ما استدار من الدم على الارض وما سقط من الجراحة
لان الاستدارة اجمع الاشكال وهو تشبيه بورق الشجر بالورق ولرعى فى الشكل والورق المال من ابل و
دراهم وغيرها لان جماع حياة الانسان وكمالها بذلك كما ان كمال حياة الشجر بالورق ولرعى المال من الحيوان الورق
والورق حشم القوم وجمالهم من ذلك لانه يجمع امرهم ويجمع اليهم غيرهم والورق من القوم احداثهم او
الضعاف من الفتيان يشبه بالورق لانه لا يقيم غالبا اكثر من عام ولانه ضعيف فى نفسه وضعيف النفع
بالنسبة الى الثمر والورقة ايضا الخسيس والكريم ضد اذ النظر تارة الى كونه نافعا للرعى والاعلى الحياة
والى كونه غير مقصود بالذات اخرى ورجل ورق وامرأة خسيسان لا ثمر لها ومن ذلك اورق الصائد اذا
رمى فاخطأ اى لم يقع على غير الورق اى لم يحصل له ثمرة بل وقع على شجرة غير مثمرة وكذا اورق القوم اذا اخفقوا
فى حاجتهم اى رجعوا بلا ثمرة ومن ذلك ايضا اورقوا كثر مالهم ودراهمهم ضد هذا بالنظر الى ان فى الورق
جمال الشجر وحياته والتجارة مورقة للمال مجلبة اى مكثرة ومنه قول القزاز فى ديوانه هذا رجل يورق له
دراهم والمورق الذى لا شى له ضدا وانه تارة يكون للاعجاب والصيد وتارة يحول عندا لبعيد وتارة للسلب
نحو اسكيتموا لوراق الكتاب وقت خروج الورق من الشجر وشجرة وريقة ووريقة كثيرة الورق والوارقة
الشجرة الخضراء الورق الحسنة والوراق السحاب خضرة الارض من الحشيش وليس من الورق فى شى وذلك
ان تلك الخضرة لا تخلو عن لون اخر والرقة الارض التى نصف المطر فى الصيف اى اول الخريف وفى العين فتنبت
فتكون خضرا كان ذلك النبات يكون اقل خضرا من نبات الربيع وتكون اخلاطه بغيره من الالوان اكثر منها فى
الربيع وفى القوس ورقة بالفتح عيب والورقة الدنية من الرجال ان الورق الخالى عن الثمر يقلل الرغبة
فى شجره وهو دون المثمر ولان الورق مختلط اللون والاختلاط فى كل شى عيب بالنسبة الى الخالص وتورقت
الناقة اكلت الورق وتوارى الرجل يقود مشى على اطراف قدميه لئلا يسمع صوتهما لان فاعل ذلك جدير
بالوصول الى ما اراد وما يجمع شمله ومنه توارى الصيد ختله لان اهل الخداع اولى بالظفر الا ترى الاسود
تصادبه ولو غولبت عن اخذها وتوارى الشى قطعه من وسطه خرقا مستديرا كقوره لان الثوب يصير
بذلك الخرق يجمع ما يراد منه والاستدارة اجمع الاشكال كما سلف والقوارة كثمامة ما قور من الثوب
وغيره او يختص بالاديم وما قطعت من جوانب الشى والشى الذى قطع من جوانبه ضد وهو من تسمية الموضع الشى
باسمه والقارة الجبل الصغير الصلب المنقطع عن الجبال لشدة اجزائه بالصلابة واجتماعه فى نفسه
بانقطاعه عن غيره مما لو خالطه لعرقه فلم يعرف صدره على ما هو والقارة الصخرة العظيمة والارض ذات
الحجارة السود لاجتماعها فى نفسها بتميزها عن غيرها بتلك الحجارة ودار قورا واسعة تشبيها بقوارة الثوب

الثوب ولانها كلما انسحت كانت اجمع والقار الابل او القطيع الضخم منها والاقورار تشنج الجلد والحنا الصلب
هزالا وكبرا لان كلا من التشنج والانحنا اجتماع والاقورار ايضا لان العناصر اجتمعت اجزاؤه والاقورار
السمن ضد لان السمين جمع اللحم والشحم والاقورارات ذهاب نبات الارض تمقبضها بذلك قورا فتصير
اجدر بان تسع المجموع ويمكن ان يكون الاقورار كله من السلب اما للسمن والقورا العطش الحديث او ما ذرع من
عابه انه يلبس فيجمع البدن ولقيت منه الاقورين بكسر الراء والاقوريات اى الدواهى القاطعة تشبيها بما قور
من الثوب فهو للسلب والقور بحركة العين لان محلها يشبه القوارة والمقور كمعظم المحلى بالقرظ لان لاجتماع
اجزائه بذلك واقتار اجتماع اى ما راهلا لان يجمع وتقور الليل تقورا اى مضى من القطع وتقورت الحية
تثنت اى تجمعت والقار شجر مر كانه الذى تطلى به السفن هذا اقرب من هذا اشد مرارة ولان المرارة تجمع اللهوات
عند الذوق والقارة قبيلة لان ابن المنذر الشداخ اراد ان يفرقهم فقال شاعرهم
• دعونا قارة لا تجعلونا فنجفل مثل اجفال الظليم • فسموا القارة لهذا وكانوا رماة وفى المثل
قد انصف القارة من راماها والرقوع ترتق الدعص من الرمل وقال الدقوا بلادها كانه الجمعة الكثير من الرمل
او الجمعة من يطلب الاشراف على الاماكن البعيدة بالعلو عليه لنزوح النفس واسم الموضع ولما تقرر سؤالهم عن
الاشعار بهم عللوا ذلك فقالوا انهم اى اهل المدينة ان يظهروا اى يطلعوا عالمين عليكم يرجموكم اى يقتلوكم
اخبث قتلة ان استمسكتم بدينكم او يعيدوكم قهرا فى ملتهم ان لنتم لهم ولن تفلحوا اذا اى اذا عدتم فيها مطمئنين
لها او لم تكن لكم ان كرهتم ربما اشد دعتكم الشيطان بذلك الاجابة حقيقة ابدا فبعثوا احدهم فنظر الازكى وتلطف
فى الامر فاسترابوا منه لانهم انكروا ورقه لكونها من ضرب ملك لا يعرفونه فحمدوا به فلم يشعر به احد من الخلق من
وانا اشعر بهم الملك لما راه موافقا لهم فى الدين لانه لم يقع النهى عنه ولذلك اى فعلنا بهم ذلك الامر العظيم من
الربط على قلوبهم والستر لاخبارهم والحماية من الظالمين والحفظ لاجسامهم على مر الزمان وتعاقب الحدثان
ومثل ما فعلنا بهم ذلك اعثرنا اى اظهرنا اطلاعا اضطراريا اهل البلد واطلعناهم واصله ان الغافل
عن شى ينظر اليه اذا عثر به نظر اليه فيعرفه فكان العثار سببا لعلمه به فاطلق اسم السبب على المسبب عليهم
ليعلموا اى اهل البلد بعد ان كان حصل لبعضهم شك فى حشر الاجساد لان اعتقاد اليهود والنصارى ان البعث انما
هو للروح فقط ان وعد الله الذى له صفات الكمال بالبعث بالروح والجسد معا حق لان قيامهم بعد نومهم نيفا
وثلاثمائة سنة مع خرق العادة بحفظ ابدانهم عن العادة من غير اكل ولا شرب مثل قيام من مات بجسمه الذى
كان سواء على ان مطلق النوم دال على ذلك كما قال بعض العارفين علمك باليقظة بعد النوم علم بالبعث بعد الموت
والنوم والبرزخ واحد غير ان للروح بالجسم فى النوم تعلقا لا يكون للموت ويستيقظ على ما نام عليه كذلك يبعث
على ما مات عليه ولذلك لما كان من الحق بما قد يداخله شك قال وان اى وليعلموا ان الساعة لا ريب فيها بينا انها الثابتة
موضع شك اصلا لما قام عليها من ادلة العقل المؤيد فى كل عصر بقواطع النقل ومن طالع تفسير الزيتون من كتابى هذا
حصل له هذا الذوق ثم بين ان هذا الاعثار انما اتاهم بعلم نافع حال نزاع وتنازع فقال اذ اى ليعلموا ذلك
واعثرنا حين يتنازعون اى اهل المدينة ولما كان التنازع فى الغالب انما يكون بين الاجانب وكان تنازع هؤلاء
مقصورا عليهم كان الاهم بيان محله فقدمه فقال بينهم امرهم اى امر انفسهم فى الحشر فقائل يقول يحشر الارواح
مجردة وقائل باجسادها او امر الفتية فقائل يقول ناس صالحون وناس يقولون لا ندرى من امرهم غير ان اسرارا
بعد اماتتهم فقالوا اى فتسبب عن هذا الاعثار انا لنا ان قال اكثرهم ابنوا عليهم على كل حال بنيانا يحفظهم
واتركوا التنازع فيهم ثم عللوا ذلك بقولهم ربهم اى المحسن اليهم بهدايتهم وحفظهم وهداية الناس بهم اعلم بهم
ان كانوا صالحين اولا واما انتم فلا طريق لكم الى علم ذلك ثم استانف على طريق الجواب لمن كانه قال ماذا فعلوا فقال
قال الذين غلبوا على امرهم اى وقع ان كانوا غالبين على امرهم اى ظهروا عليه وعلموا انهم قالوا صالحون فروا بدينهم
من الكفار وضعف من تنازعهم ويجوز وهو احسن ان يكون الضمير لاهل البلد والغالبين انفسهم اشارة الى ان الرؤساء
منهم واهل القوة كانوا اصلحهم ايماء الى ان الله تعالى اصلح لهم اهل ذلك الزمان لنتخذن عليهم اى ذلك البناء الذى
اتفقنا عليه مسجدا وهذا دليل على انهم حين ظهروا عليهم وكلموهم اماتهم الله تعالى بعد ان علموا ان لهم شرفا
طويلا لا يعيش مثلها احد فى ذلك الزمان وقبل ان يستقصوا احوالهم وفى قصتهم ترغيب فى الهجرة ولما ذكر تعالى
تنازع اولئك الذين هداهم الله كما ذكرنا اتى من افاضة من علم قريبا ان تسلى النبى صلى الله عليه وسلم
عنهم فى الفضول الذى ليس لهم اليه السبيل ولا يظفرون منه بدليل عما بينا علام النبوة فقال سيقولون اى اهل

اي اهل الكتاب ومن وافقهم في الخوض في ذلك بعد اعتزالهم بما قصصت عليك من شأنهم لو عدد لا طائل فيه هم ثلثة
اشخاص رابعهم كلبهم ولا علم لهم بذلك ولذلك اعراه عن الواو وفي اسقاطها على انهم ليسوا ثلاثة فقط وليس الكلب
ذائبا ويقولون خمسة اي وسيقولون ايضا خمسة سادسهم كلبهم ولما لم يغير قولهم حسن جدا قوله رجما
بالغيب اي رميا بالامر الغائب عنهم الذي لا اطلاع لهم عليه بوجه ويقولون ايضا دليلا على انه لا علم لهم بذلك
سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي وتأخيره هذا عن الرجم وان كان ظنا مشعر بانه حق ويوضح هذا الواو التي
تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل الواو حالا عن المعرفة في نحو الا ولها كتاب معلوم فان فايدتها توكيد
لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصاف الموصوف بالصفة امر ثابت مستقر فدلت هذه الواو على
ان اهل هذا القول قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن ومن براءة كلام نفس على اتباع الوصف تارة
بواو وتارة بتجرده عنها فالاظهر كالشمس انه لا علم لهم بذلك كانه قيل ماذا يقال لهم فقيل قل ربي اي المحسن الي
باعلامي بامرهم وغيرهم اعلم بعدتهم التي لا زيادة فيها ولا نقص فكان كانه قيل قد فهم من صيغة اعلم ان من الخلق
من يعلم امرهم فقيل ما يعلمهم الا قليل اي من هو مؤيد لانهم اصحاب القول الثالث وهو قول ابن عباس
رضي الله عنهما وكان يقول انا من ذلك القليل فلا اي فتسبب عن ذلك ان تقول لك على سبيل النهي الداخل تحت
النهي عن تقفو ما ليس لك به علم لا تمار اي تجادل ولا تراجع فيهم احدا ممن يتكلم بغير ما اخبرتك به الا مراء ظاهرا
ادلته وهو ما اوحيت اليك به ولا تتعمل فعلهم من الرجم بالغيب ولا تستفت اي تسأل سؤال مستفيد فيهم
اي اهل الكهف منهم اي من الذين يدعون العلم من بني اسرائيل او غيرهم احدا ولما كان تعنتهم عن استفتائهم موجبا
لقصر همته على ربه سبحانه فكان من المعلوم انه اذا سئل عن شيء التفت نفسه الى توقفه من قبله فربما قال
لما تعلم من احاطة علم الله سبحانه وكرمه لديه ساخبركم به غدا كما وقع في هذه القصص علمه الله ما يقول في كل
امر مستقبل يعزم عليه بقوله ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء من الاشياء التي تعزم عليها جليلها وحقيرها عزمت
على فعله عزما صادقا من غير تردد وان كنت عن نفسك في غاية القدرة عليه اني فاعل ذلك اي الشيء وان كان
مهما غدا اي فيما يستقبل في حال من الاحوال الا قولا كاينا معه ان يشاء في المستقبل ذلك الشيء الله اي مقرونا
بمشية الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه سبحانه لتعظمه ان يقطع شيء دونه واعترافا بانه لا حول ولا قوة الا
به ولانه ان قيل ذلك دون استثناء فمات قبل الفعل او عاقه عنه عايق كان كذبا منفرا عن القايل
ولما كان النسيان من شان الانسان وهو غير مؤاخذ به قال واذكر ربك اي المحسن اليك برفع المؤاخذة
حال النسيان اذا نسيت الاستثناء بالاستعانة والتوكل عليه وتفويض الامر كله اليه بان يقول ان شاء الله
ونحوها في اي وقت تذكرت واخرج الطبراني في معجمه الاوسط من ترجمة محمد بن الحارث الجبيلي بضم الجيم
وفتح الموحدة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لاحد منا ان يستثني
الا بصلة اليمين ثم عطف على ما انهى الكلام وهو فعل اذا نسيت اي فاعل ذلك غدا ان شاء الله ونحو ذلك
من التعليق بالمشية المؤذن بانه لا حول ولا قوة الا بالله ولا مشية لاحد معه قوله وقل عسى ان يهدين ربي اي
المحسن الي لاقرب اي الى اشد قربا من هذا اي الذي عزمت على فعله ونسيت الاستثناء فيه فقضاه الله ولم
يؤاخذني او فاتني وتعسر علي لكوني لم اقل ان العزم عليه تذكر الله رشدا اي من جهة الرشد بان يوفقني لاستثنائي
فيه عند العزم عليه مع كونه اجود اثرا وابل عنصرا فاكون كل يوم في ترق بالاعمال الصالحة في معارج القدس واقرب
افعل تفضيل من قرب بضم الراء من الشيء لا ذم لانه من المكسور الراء المتعدي نحو ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا مال
اليتيم الاية والاقرب من رشدا الاستدلال بقصة اهل الكهف التي الحديث عنها على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
ونحو ذلك الاستدلال على وحدانية الصانع وقدرته على البعث وغيره بالامور الكلية والجزئيات الغريبة
المتكررة لا هذا الامر الجزئي النادر المتعجب ونحو هذا من المعارف الالهية ولما فرغ من هذه الترتيبة في اخبار
القصة وختمها بالترجية في الهداية للارشد وكان علم مدة لبثهم ادق واخفى من علم عددهم شرع في الكلام فيها كما سبقنا
كما مضى المختوم بنشر الرحمة وتهيئة المرفق بعد قوله اذ اوى هذا الاخير عاطفا على قوله قال ربكم اعلم بما لبثتم او
او على فأووا الى الذي ارشد الى تقديره قولهم فأووا الى الكهف كما مضى المختوم بنشر الرحمة وتهيئة المرفق قوله اذ اوى
الفتية المختوم بقولهم وهيئ لنا من امرنا رشدا فقال تنبيها بالاجمال ستين عددا محققا لقوله قل الله اعلم بما لبثوا
ولبثوا في كهفهم نياما ثلث اي من بلاث مائة سنين شمسية بحساب اليهود الا مرين لهذا السؤال وعبر بلفظ
السنة اشارة الى انها كانت شدة بمثل ما وقع فيها من غلو اهل الكفر وطغيانهم بما اوجب خوف الصديقين وهجرتهم وان كان وقع

فيها خصب في النبات وسعة في الرزق وذلك يدل على استغراق الكفر لمدة نومهم وان كان المباشرون للسؤال
هم العرب قال وازدادوا تسعا اي من السنين القمرية اذا حسب لكل حساب اهله لان تفاوت ما بين الشمسية والقمرية
عشرة ايام واحدى وعشرون ساعة وخمس ساعة كما تقدم في النسيء من براءة فاذا حسبت زيادة السنين الثلثمائة
الشمسية على القمرية باعتبار نقص ايامها عنها كانت تسع سنين وكانت مدة لبثهم كانت عند اليهود واقل من ذلك او
اكثر فقال على طريق الجواب لسؤال من يقول فان قال احد غير هذا فما يقال له قل الله اي الذي له الاحاطة الكاملة
اعلم منكم بما لبثوا ثم علل ذلك بقوله له اي وحده غيب السموات والارض يعلمه كله على ما هو عليه ولا يخفى شيئا من الماضي
ولا يعزب عنه شيء من الحاضر ولا يعجز عن شيء من الآتي فلا ريبة فيما يخبر به ولما كان السمع والبصر مناطي العلم وكان
متصفا بهما بلا ريب على ما هو عليه عجب من ذلك بقوله ابصر به واسمع ولما كان القايم بشيء قد يقوم غيره مقامه
اما بقهر او شرك نفى ذلك فالسد باب العلم عن غيره الا من جهته فقال ما لهم اي لهؤلاء السائلين ولا المسؤولين الزاعمين
بالغيب في اصحاب الكهف من دونه واغرق بقوله من ولي يخبرهم منه او يخبرهم بغير ما اخبر به ولا يشرك اي الله
في حكمه احدا فيفعل شيئا بغير امره او يخبر بشيء من غير طريقه ولما تقرر انه لا شك في قوله ولا يقدر احد ان ياتي بما
يماثله فكيف بما ينافيه مع كونه مختصا بتمام العلم وشمول القدرة حسن تعقيبه بقوله عطفا على قل الله اعلم
واتل اي اقرا على وجه الملازمة ما اوحي اليك وبنى الفعل للمجهول لان النبي صلى الله عليه وسلم وهو على القطع بان
الموحي اليه هو الله سبحانه من كتاب ربك الذي احسن تربيتك في قصة اهل الكهف وغيرها على من رغب فيه غير
ملتفت الى غيره واتبعوا ما فيه والحين بوعده ووعيده واثباته ونفيه وعلى غيره ولما كان الحامل على الكف عن
ابلاغ رسالة المرسل وحذار من منعها او يحمي على المرسل قال لا مبدل لكلماته فلا شك في وقوعها فلا عذر في
التقصير في ابلاغها والنسخ غيرها تبديل لهذا المعنى بل هو غاية لما كان ولن تجد اي بوجه من الوجوه من دونه اي ادنى
منزله من رتبة السماء الى اخر المنازل ملتحدا اي ملجا ومتحيزا يميل اليك فيمنعك منه ان فرطت في ذلك ولما كان
صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على ايمانهم كثير الاسف على توليهم عنه يكاد يبخع نفسه حسرة عليهم وكانوا يقولون
اذا اراد اسلم هذا الحي لا يجدون له مدفعا لو طردت هؤلاء الفقراء او ابعدتهم عنك مثل عمار وصهيب وبلال
فانه يؤذينا روائح جبابهم ونانف من مجالستهم جلسنا اليك وسمعنا منك ورجونا ان نتبعك قال يرغبه في اتباعه
من هذا في علم ممن عداهم كائنا من كان متعلما انه ليس فيهم ملجا لمن خالف امر الله والحكم لا يريدون الا تبديل
كلمات الله فسد لهم عن قريب ولا يجدون لهم ملتحدا واصبر نفسك اي احبسها وثبتها في تلاوته وتبيين معاينته
مع الذين يدعون ربهم شكرا لاحسانه واعترافا بامتنانه وكنى عن المداومة بايذان على الوقت الذي كانت
قصة اهل الكهف دليلا عليه فقال بالغداة التي الانتقال فيها من النوم الى اليقظة كالانتقال من الموت
الى الحياة ثم مدحهم بقوله معللا لدعائهم والعشي يريدون وجهه اي بدعائهم لا غيره ذلك من رجاء ثواب او خوف عقاب
وان كانوا في غاية الرثاثة واكد ذلك بالنهي عن ضده فقال موكدا للمعنى بقصر الفعل او تضمينه فعلا اخر
ولا تعد عيناك علوا ونبوا وتجاوزا عنهم الى غيرهم ان لا تعرض عنهم حال كونك تريد زينة الحياة الدنيا التي قدمنا
في هذه السورة انا جعلنا ما على الارض لنبلوهم بذلك فانهم وان كانوا اليوم عندهم هو لا موجودين فهم عند الملك الاعلى
مقدمين ولتكونن عن قريب اذا بعثنا من نريد من العباد بالحياة من برزخ الجهل في الطبقة العليا من
اهل العز واما بعد البعث الحقيقي فليكونن لهم مواكب تطابق الدنو منها كما كان لاصحاب الكهف بعد بعثهم
من هذه الرقدة بعد ان كانوا في حياتهم قبلها هاربين مستخفين في غاية الخوف والذل واما ان عدت العين
العينان لما يغفل عنه من الذكر واكل به من الشكر فليس ذلك من اللهو في شيء لانه لا يراد به الا الاخرة
ولما بالغ في امره صلى الله عليه وسلم بمجالسته المسلمين بنهاه عن الالتفات الى الغافلين واكد الامر بالحق على البا
فقال ولا تطع من اغفلنا بعظمتنا قلبه اي جعلناه غافلا لان الغفلة لا تكون الا له عن ذكرنا بتلاوة الدنية
ولما كان التقدير فغفل لان عظمتنا لا يغلبها شيء فلا يكون الا ما نريد عطف على فعل المطاوعة قوله واتبع هواه
بالميل الى ما استدرجناه به منها والانفة من مجالس اوليائنا الذين اكرمناهم بما لمحنا منها من ذكر الله
وكان امره فرطا اي متجاوزا للحد مسرفا
سطع الانوار فاذا افلت الانوار المت الظلمة تجاه الهوى فاقبل على الخلق
فيه لمستعدا على الحق فيكون الحق منبوذا وراء الظهر مفرطا فيه بالتقصير عما يحق له فان ربك سبحانه سينجي
اتباعك على ضعفهم منهم كما انجى اصحاب الكهف ويؤيدك بان يعليهم عليهم وتدفع الجبابرة في بدكم لانهم مقبلون
على الله معرضون عما سواه وغيرهم معرض على غيره معرض عنه ولما رغبه في اوليائه وزهده في اعدائه بعد ذلك

بعد ان قص الحق علي من قصة اهل الكهف للمتعنتين علمه ما يقول لهم على وجه يعمهم ويعم غيرهم ويعم
القصة وغيرها فقال مهددا ومتوعدا كما نقل عن علي رضي الله عنه وكذا عن غيره وقل اي لهم ولغيرهم
هذا الذي جئتكم به من الوحي العري عن العوج الظاهر الاعجاز الباهر الحجج الحق كائنا من ربكم المحسن
اليكم فلا امر اهل الكهف وغيرهم من صحبة فقرا المومنين والاعراض عمن سواهم وغير ذلك لا ما قلتموه
في امرهم ويجوز ان يكون الحق مبتدا فمن شاء اي منكم ومن غيركم فليؤمن بهذا الذي قصصناه فيهم وفي
غيرهم فهو مقبول مرغوب فيه وان كان فقيرا ازري الهيئة ولم ينفع الا نفسه ومن شاء منكم ومن غيركم
فليكفر فهو اهل لان يعرض عنه ولا يلتفت اليه وان كان اغنى الناس واحسنهم هيئة وان تعاظمت هيئته
لما اشتد من اذاه وافرط من ظلمه ويشفي قلوب المومنين في الدارين بالانتقام منه والاية دالة على ان كلا من
الكفر والايمان موقوف على المشيئة بخلق الله لان الفعل الاختياري يمتنع حصوله بدون القصد اليه
وذلك القصد ان كان بقصد اخر يتقدمه لزم ان يكون كل قصد مسبوقا بقصد اخر الى غير النهاية وهو محال
فوجب ان ينتهي المقصود الى قصد يخلقه الله في العبد على سبيل الضرورة يجب به الفعل فالانسان
مضطر في صورة مختار فلا دليل للمعتزلة في هذه الاية ولما هدد الكفار معبرا بما حاصله ليختر كل امرئ
لنفسه ما يجده غدا عند الله اتبع هذا التهديد تفصيلا لما اعد للفريقين من الوعد لفا ونشرا مشوشا
بما يليق بهذا الاسلوب المشير الى انه لا كفوله من نون العظمة فقال انا اعتدنا اي هيانا بما لنا من العظمة
تهيئة قريبة جدا واحضرنا على وجه ضخم شديد تام التقدير للظالمين اي لمن لم يؤمن ولكنه وصف اشارة الى
تعليق الحكم به نارا جعلناها معدة لهم احاط بهم كلهم سرادقها اي حائطها الذي يدار حولها كما يدار الحظير
حول الخيمة من جميع الجوانب ولما كان الحر وشديد العطش لما قال وان يستغيثوا اي من حر النار فيطلبوا
الغيث وهو ماء المطر والغوث باحضاره لهم وشاكل استغاثتهم تهكما بهم فقال يغاثوا بماء ليس كالماء الذي
قدمنا الاشارة الى انا نحيي به الارض بعد صعيدا وزلقا صعيدا جرزا بل كالمهل وهو القطران الرقيق
وما ذاب من صفر او حديد او دردية قاله في القاموس وشبهه به من اجل تناهي الحر من كونه مخبثا وبين
وجه الشبه بقوله يشوي الوجوه اي اذا قرب الى الفم فكيف بالفم والجوف ثم وصل بذلك ذمه فقال
بئس الشراب اي هو فانه اسود منتن غليظ حار وعطف عليه ذم النار المعدة لهم فقال وساءت مرتفقا
اي متكأ بعد للارتفاق فكانه قيل فما لمن امن فقال ان الذين امنوا ولما كان الايمان هو الاذعان للاوامر
عطف عليه ما يحقق ذلك فقال وعملوا الصالحات ثم عظم جزاهم بقوله انا لا نضيع اي بوجه من الوجوه
لما تقتضيه عظمتنا اجر من احسن عملا مشيرا باظهار ضميرهم الى انهم استحقوا بذلك الاسم الوصف
بالاحسان فكانه قيل فما لهم فقال معظما لما اجمل من وعدهم اولئك اي العالو الرتبة لهم جنات عدن
اي اقامة فكانه قيل ما لهم فيها فقيل تجري من تحتهم اي تحت منازلهم الانهار وكانه قيل ثم ماذا فقيل
يحلون فيها من وبنى الفعل للمجهول لان القصد وجود التحلية وهي لعزتها انما يؤتى لها من الغيب فضلا من الله
تعالى ولما كان الله اعظم من كل شي فكانت نعمه لا تحصى نوع منها قال مبعضا من اساور جمع اسورة جمع سوار
كما يلبس الملوك الدنيا من جبابرة الكفرة في بعض الاقاليم كاهل فارس ولما كان المقصود دهما نظر الى التفضل
والفعل بالاختيار على الاطلاق وقع الترغيب في طاعته بما هو اعلى من الفضة فقال مبعضا ايضا من ذهب
اي ذهب هو في غاية العظمة ولما كان اللباس جزاء العمل فكان موجودا عندهم اسند الفعل اليهم فقال
ويلبسون ثيابا خضرا ثم وصفها بقوله من سندس وهو ما رق من الديباج واستبرق وهو ما غلظ منه
ثم استانف الوصف عن حال جلوسهم فيها بانه جلوس الملوك المتمكنين من النعم فقال متكئين فيها اي لانهم في
غاية الراحة على الارائك اي الاسرة عليها الحجل ثم مدح هذا فقال نعم الثواب اي هو ولو لم يكن لها وصف
غير ما سمعتم فكيف ولها من الاوصاف ما لا يعلمه حق علمه الا الله تعالى والى ذلك الاشارة بقوله وحسنت
اي الجنة كلها وميز ذلك بقوله مرتفقا ولما كان الا بحط حال المشركين العاجل وكان قد تقدم قولهم
او يكون لك جنة من نخيل وعنب الاية وقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها الاية وقوله في حق فقراء
المومنين الذين تعززوهم ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا الاية واستمر الى ان ختم بان جنات
المومنين عظيم حسنها من جهة الارتفاق عطف على قوله وقل الحق من ربكم قوله كاشفا بضرب ان ما فيه الكفار
من الارتفاق العاجل ليس اهلا لان يفتخر به لانه الى زوال واضرب لهم اي لهولا الضعفا والمتجبرين الذين يستكبرون

يستكبرون على المومنين ويطلبون طردهم لضعفهم وفقرهم مثلا لما اتاهم الله من زينة الحياة الدنيا
فاعتمدوا اليه وركنوا عليه ولم يشكروا من اتاهم اياه عليه بل اداهم الى الافتخار والتكبر على من زوي ذلك عنه اكراما
له وصيانة عنه رجلين فكانه قيل ما مثلهما فقيل جعلنا اي بما لنا من العظمة لاحدهما وهو المجعول
مثلا لهم جنتين اي بستانين يستر ما فيهما من الاشجار من يدخلهما على اي وضع من الاوضاع كاينا ومن جملة الاوضاع
ان يكون احدهما في السهل والاخرى في الجبل فيبعد عمومهما عاهة لما اما من برد او حر من اعناب لانها من اشجار
البلاد الباردة وتصبر على الحر وهي فاكهة وقوت بالعنب والزبيب والخل وغيرها وحففناهما اي جعلناهما
بعظمتنا بنخل لانها من اشجار البلاد الحارة وتصبر على البرد وربما منعت من الاعناب بعض اسباب العاهات
وثمرها فاكهة بالبسر والرطب وقوت بالتمر والخل فكان النخل كالاكليل من وراء العنب وهو مما يؤثره الدهاقين
لانه في غاية البهجة والمنفعة وجعلنا بينهما اي ارض الجنتين زرعا ليعد شمول الانة للكل لان زمان الزرع
ومكانه غير زمان اثمار الشجر المقدم ومكانه وذلك هو العمدة في القوت فكانت الجنتان ارضا جامعة لخيار
الفواكه وافضل الاقوات وعمارتها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل منها مع سعة
الاطراف وتباعد الاكناف وحسن الهيئات والاوصاف ولما كان الشجر قد يكون فاسدا من جهة ارضه كفى ذلك
بقوله جوابا لمن كانه قال ما حال ارضها لا المنبت لم كان ثمرها او حبه كلتا اي كل واحدة من الجنتين المذكورتين
اتت اكلها ولم اي ما تطلب منها ذو كل من ثمر وحب كاملا غير منسوب شي منه الى نقص ولا رداءة وهو معنى ولم تظلم
اي تنقص حسا ولا معنى كمن يضع الشي في غير موضعه منه شيئا ولما كان الشجر لا ابد واهلة السقي قال وفجرنا اي تفجيرا
يناسب عظمتنا خلالهما نهرا اي يمتد فينشعب فيكون كالانهار لتدوم طراوة الارض ويستغنى عن المطر عند القحط
ثم زاد في ضخامة هذا الرجل فبين ان له غير هاتين الجنتين والزرع بقوله وكان له اي صاحب الجنتين ثمر
اي مال مثمر غير ما تقدم كثير ذو انواع ليكون متمكنا من العمارة بالاعوان والالات وجميع ما يريد فقال
اي هذا الكافر لصاحبه اي المسلم المجعول مثلا لفقرا المومنين وهو اي صاحب الجنان يحاوره اي يراجعه الكلام
من حار يحور اذا رجع افتخارا عليه وتقبيحا لحاله بالنسبة اليه والمسلم يحاوره بالوعظ وتقبيح الركون الى الدنيا
انا اكثر منك مالا لما ترى من جناني وثماري واعز نفرا اي ناسا يقومون معي في المهمات وينفرون عند الضرورات
لان ذلك لازم لكثرة المال ودخل جنته وتد لا داة الجنس ودلا له على ما افاده الكلام من انهما لاتصالهما قد كالجنة
الواحدة واشارة الى انه لا جنة له غيرها لانه لا حظ له في الاخرة وهو اي والحال انه ظالم لنفسه بالاعتماد على ماله
والاعراض عن ربه ثم استانف بيان ظلمه بقوله قال لما استولى عليه من طول امله وشدة حرصه وتمادي غفلته
واطراحه للنظر في العواقب وطول المهلة وسبوغ النعمة ما اظن ان تبيد اي تهلك هذه كما ظاهرا مستوليا هذه
ابدا ثم زاد في الطغيان والبطر بقصر النظر على الحاضر فقال وما اظن الساعة قائمة استلذاذا بما هو فيه واخلادا اليه
واعتمادا عليه ولما كان الانسان مجبولا على علته الرجا عليه فاذا حصل له من دواعي الغنى وطول الراحة وبلوغ
المامول والاستدراج ما لظفره بسؤال ما يربيه ويثبت اصوله ويقويه اضمحل الخوف فلم يزل يتضاءل حتى يتلاشى
فكان عدما فقال تعالى حاكيا عن هذا الكافر ما اثمر له الركون امانه من سوء ما ياتي به القدر مقسما ولئن
رددت اي ردني راد الى ربي المحسن الي في هذه الدار في الساعة على تقدير قيامها الذي يستعمل في فرضه اداة
الشك لاجدن خيرا منها اي هذه الجنة وقرا ابن كثير وابن عامر بالتثنية للجنتين منقلبا اي من جهة الانقلاب
وزمانه ومكانه لانه ما اعطاني ذلك الا باستحقاق وهو وصف لي غير منفك في الدارين واكثر الاغنيا وان لم
يقولوا نحو هذا بالسنة مقالهم فان السنة احوالهم ناطقة به فكانه قيل ان هذا لفي عدادا لبهايم حيث قصر
النظر على الجزئيات ولم يجوز ان يكون التخويل استدراجا فما قال له الاخ فقيل قال له صاحبه وهو يحاوره
اي والحال ان ذلك الصاحب يحاوره منكرا عليه اكفرت ولما كان كفره بانكار البعث دل عليه بقوله
بالذي خلقك من تراب بخلق اصلك ثم من نطفة متولدة عن غذاية اصلها تراب ثم سواك بعد ان اولدك
وطورك في اطوار النشاه رجلا حيث نفيت ارادته لمن ابتدا خلقتهم على هذا الوجه تكذيبا للرسل واستقصارا
للقدرة ولم يثبت لها في الاعادة ما ثبت لها بعلمك في الابتدا ثم لم تجوزها بعد القطع بالنفي الا على سبيل
الوهم باداة الشك وهي من دعايم اصول الدين الذي لا يقنع فيه الا بالقطع ولنسبته الى العبث الذي لا يرضاه
عاقل اذ جعلت غاية هذا الخلق البديع في هذا التطوير العظيم الموت الذي لو كان غاية كما زعمت لفوت
على المطيع الثواب وعلى العاصي العقاب ولما انكر على صاحبه اخبر عن اعتقاده بما يضاد اعتقاد صاحبه فقال

موكدا للاجل انكار صاحبه مستدركا للاجل كفره انه لكنا اي لكن انا ولما كان سبحانه لا شي له اظهر منه ولا شي ابطن منه
اشار الى ذلك جميعا باضماره قبل الذكر فقال هو اي الظاهر اتم ظهور فلا يخفى اصلا ويجوز ان يكون الضمير للذي خلقك
الله اي المحيط بصفات الكمال ربي وحده لم يحسن الي احد طلقا ورزقا غيره هذا اعتقادي في الماضي والحال
ولا اشرك بربي احدا المحسن الي عبادي احدا كالوريث اشركه في احسانه الي احد فان الكل خلقه وعبيده ولن يكون
العبد شريكا للرب فانا لا ارى الغنى والفقر الا منه وانت لما اعتمدت على مالك كنت شركا به ولما كان المومن
على طريق لا ينافي ارادة الخير والارشاد الى سبيل النجاة وعدم الحقد على احد بشي اسلفه وجعل مقدمه قاله
مصرحا بالتعليم بعد ان لوح له به فيما ذكره عن نفسه مما يجب عليه ولولا اذ اي وهلا حين دخلت جنتك قلت
ما يدل على تفويضك الامر فيها وفي غيرها الى الله عن نفسه مما يجب عليه كما تقدم الارشاد اليه في اية ولا تقولن لشيء
تاركا لله متبرئا لها ومستحضرا ان الذي في هيئتها قادر على سلبها اياها ليعود ذلك الى التوحيد وعدم الشرك
فلا تفرح بها لا بغيرها مما يفنى لانه لا ينبغي الفرح الا بما يومن عليه الزوال ما شاء الله اي الذي له الامر كله سواء كان حاضرا
او ماضيا او مستقبلا ولذلك اعراها عن الجواب لا ما يشاء غيره ولا يشاء هو سبحانه ثم علل ذلك بقوله لا قوة
لاحد على بستان وغيره الا بالله اي المتوحد بالكمال فلا شريك له وافادت هذه الكلمة اثبات القوة لله وبراءة العبد
منها والتنبيه على انه لا قدرة لاحد من الخلق الا بتقديره فلا يخاف من غيره والتنبيه على فساد قول الفلاسفة
في الطبائع من انها موثرة بنفسها ولما تقدم ما يجب عليه في نفسه منبها به لصاحبه ثم ما يجب عليه بالتصريح بالارشاد د
في اسلوب مبرز ان الامر كله لله لا شي لاحد غيره اتبع قوله ان ترني اي ايها المفتخر بما له على انا ولما ذكر ضمير الفعل ذكر
مفعولا ثانيا فقال اقل منك وميز القلة بقوله مالا وولدا اي من جهة المال والولد الذي هو اعز
نفر الانسان ولما اقر هذا المومن بالعجز والافتقار في نظير ما ابدى الكافر من التقوي والافتخار سبب عن ذلك ما جرت
به العادة في كل جزاء اعيانا بصورة التوقع فقال فعسى ربي المحسن الي ان يوتيني من خزائن رزقه خيرا من جنتك فيحسن
الي بالغنى كما احسن الي بالفقر المقترن بالتوحيد المنتج للسعادة ويرسل عليها اي جنتك حسبانا اي مرامي من الصواعق
والبرد الشديد من السماء ولما كانت المصابحة بالمصيبة انكى ما يكون قال فتصبح بعد كونها قرة للعين بما يعتز به من
الاشجار والزروع صعيدا زلقا اي ارضا تزلق عليها لملاسة سطحها باستيصال نباتها فلا ينبت فيها نبات ولا يثبت فيها
قدم او يصبح ماوها غورا وصف بالمصدر لانه ابلغ فلن تستطيع انت له طلبا ولما كان من المعلوم ان هذا المومن
المخلص يعني الربي كان من المعلوم ان التقدير فاستجيب لهذا الرجل المومن او تحقق له ما توقعه لخبث هذا المشرك
فعطف عليه قوله واحيط اي اوقعت الاحاطة بالهلاك وبني للمفعول لان الكيد حاصل باحاطة الهلاك من غير نظر
الى فاعل مخصوص للدلالة على سهولته بثمره اي الرجل المشرك كله فاستوصل هلاكا ما في السهل منه وما في الجبل
وما يصبر منه على البرد والحر وما لا يصبر فاصبح يقلب كفيه ندما ويضرب احدهما على الاخرى تحسرا على ما انفق فيها
لعمارتها ونمائها وهي خاوية اي ساقطة مع الخلو على عروشها اي دعائمها التي كانت تحملها فسقطت على الارض
وسقطت على فوقها ويقول بمنا لرد ما فات بحيرته وذهول عقله ودهشته يا ليتني بمينا لاعتماده على الدنيا
اشراك بلا اعتماد على الفاني لم اشرك بربي احدا كما قال له صاحبه فندم حيث لم ينفعه الندم على ما فرط في الماضي
لاجل ما فاته من الدنيا لا حرصا على الايمان لحصول الفوز في العقبى لقصور عقله ووقوفه مع المحسوسات المشاهدات
ولم تكن له فية اي جماعة لا من نفره الذين اغتر بهم ولا من غيرهم ينصرونه مما وقع فيه من دون الله اي يفعلون ذلك
من دون الملك الاعظم وما كان هو منتصرا بنفسه بل هو ليس الا في ذل الاسر وضرر ولما ابان هذا المثل قطعا انه
لا امر لغير الله المرجو لنصر اوليايه بعد ذلهم ولا لغناهم بعد فقرهم ولا لاذلال اعدايه بعد عزهم وكبرهم وافتقارهم بعد اغنائهم
وجبرهم وان غيره انما هو كالخيال لا حقيقة له صرح بذلك في قوله هنالك اي في مثل هذه الشدايد العظيمة الولاية
اي النصرة على قراءة الفتح والسلطان على الكسر وهي قراءة حمزة والكسائي والفتح لغيرهما وهما بمعنى واحد وهو المصدر كما صرح
به القاموس لله اي الذي له الكمال كله الحق اي الثابت الذي لا يحول يوما ولا يزول ولا يغفل ساعة ولا ينام ولا ولاية
لغيره بوجه هذا على قراءة الجماعة بالجر على الوصف وهي في قراءة ابي عمرو والكسائي بالرفع على انه الحق الاستيناف والقطع
تنبيها على ان زعمهم في مثل هذه الازمان انه يدون غيره برهان قاطع على انه الحق وما سواه باطل وان الفخر بالعرض الزائل
من اجهل الجهل وان المومنين لا يغنيهم فقرهم ولا يسوء طرحهم لاجله وانه يوشك ان يعود فقرهم غنى وضعفهم
قوة ولما علم من ذلك انه اخذ بايدي عصابة الابرار وعلى ايدي عصبة الاشرار قال هو خير ثوابا لمن اثابه وخير
عقبا اي عاقبة عظيمة فان فاعلا يفيد ويتضمن من صيغ جموع الكثرة تفرده وذلك للمبالغة وان لم يكن جمعا والمعنى

والمعنى يكون ثوابه لاوليايه خير ثوابه وخير عقباه ولما اتم المثل لذا هم الخاصة بهم التي
ابطرتهم فكانت سبب اشقايهم وهم يحسبون انها عين اسعادهم ضرب لداء الدنيا العامة لجميع الناس س
في قلة بقايها وسرعة فنايها وان لم يكثر لها كان احسن منها فقال واضرب لهم اي لهولا الكفار
المفتخرين بالعرض الفاني المفتخرين بكثرة الاموال والاولاد وعزة النفر مثل الحياة الدنيا اي التي
صفتها التي هم لها قاطعون تدل على ان ضدها الاخرى في سرعتها وتقرنها واختلاطها للنفوس ببهجتها وابتلائها
على الاهوا بزهرتها واختبارها لذوي الشهوات بزينتها ثم اضمحلالها وسرعة زوالها افرح ما كانوا لها وارغب
ما كانوا فيها مرة بعد اخرى على مر الايام وكر الدهور وتوالي الاعوام وتعاقب الدهور بحيث نادت
على نفسها بالتحذير منها والتنفير عنها للعاقل الفطن والكيس الفطن رغبة الى الباقي الذي يدوم سروره
وبقي النعيم وحبوره وذلك المثل كما انزلناه بعظمتنا واقتدارنا بعد يبس الارض وجفاف نباتها وزواله
وتعلقه كما يشاهدونه واستيصاله وقال من السماء تنبيها على بليغ القدرة في امساكه في العلو وانزاله
في وقت الحاجة على الوجه النافع فاختلط اي فتسبب عن انزاله انه اختلط به نبات الارض اي
التراب الذي كان نباتا فادفت بطول العهد في بطنها فاجتمع في الماء والتعب تكاثف فبيناه بالتخمر والصنع الذي
لا يقدر عليه سوانا حتى اخرجناه من الارض اخضر يفتر على الوان مختلفة ومقادير متفاوتة ثم ابلسناه ه
فاصبح هشيما اي يابسا متكسرا متفتتا تذروه اي تنثره وتفرقه وتذهب به الرياح حتى يصيرها كيلا كانه
لم يكن وكان الله اي المختص بصفات الكمال على كل شي مقتدرا من ذلك وغيره انشاء وافناء واعادة د
مقتدرا ازلا وابدا فلا تظنوا ان ما تشاهدونه من سرعة الزوال وشبكة الارتحال مع كثرة الانكاد
من قدرته حادث ولما تبين بهذا ابين المثلين وغيرهما ان الدنيا التي اوردت اهلها الموارد واطلعتهم
اودته المعاطب سرعة الزوال وشبكة الارتحال مع كثرة الانكاد ودوام الاكدار من كدره ونصب
والخوف والنصب كالزرع سواء يتبدل اولا من غاية النضرة والبهجة ثم تزايد نزقها ونكدها شيئا فشيئا ثم ياخذ
في الانتقاص والانحطاط الى ان ينتهي الى الفنا فهي جديرة لذلك بالزهد فيها والرغبة عنها وان لا يفتخر
عاقل فضلا عن ان يكاثر بطغيم قال تعالى المال والبنون الغانيان الفاسدان وهما اجل ما في هذه الدار من
متاعها زينة الحياة الدنيا التي لو عاش الانسان جميع ايامها لكان حقيقا لصيرورة ما هو فيه منها الى الزوال
والاعراض عنها والبغض لها وانتم تعلمون ما في تحصيلها من التعب وما لها بعد الحصول من سرعة العطب وهما مع
ذلك قد يكونان خيرا ان عمل فيهما بما يرضي الله وقد يكونان شرا ويجلبان الويل فيها وتركونان كل منهما سبب هلاك صاحبه
دكدرة وجوده وسواد جنابه وضره والباقيات الصالحات وهي اعمال الخير المجردة التي تقصد بها وجه الله الذي
رغبنا فيها بقولنا نبلوهم ايهم احسن عملا وما بعده خير اي من الزينة ولما كان العبرة بالاكثر حصل النقابيب
لكفايته بمن تحفظه له في وقت حاجته قال اي من جهة ما يرجوا عند ربك اي الجليل المواهب العالم بالعواقب اب
وخير من المال والبنين في العاجل والاجل جوثوابا وخير من ذلك كله املا اي من جهة ما يرجوا فيها من النو
ويرجوا فيها من الامل لان ثوابها الى بقا واملها كل ساعة في تحقق وعلو وارتقا واما المال والبنين بخلاف الحرج
ويرجوا فيهما من الامل ... ذلك المتصور منه الاختيار للرفعة بالثواب والصفة بالعقاب ب
لا يكون اليها ولما ذكر المبدا ونبه على زواله وذكر ان المقصود منه الاختبار للرفعة بالثواب والصفة بالعقاب
وكان الخزي والصغار اعظم شي ترهبه النفوس الكبار لا سيما اذا عظم الجمع واشتد الامر فلنفاذ انعم البصر الفقر
يكشف ذا اصاحبها الحسير وكان يوم الحشر يوما يجمع فيه جميع الخلايق فهو بالحقيقة المشهود وبظهر فيه العظمة
فهو وضع المرهوب عقب ذكر الجزا فيكون ذكره لانه اعظم يوم لظهورنه فقال عاطفا على واضرب ويوم اي واذكر
لهم يوم نسير بالبسلة من الجبال عن وجه الارض بعد ما صنفا القدرة كما يسير بنبات الارض بعد ان صار هشيما
بالرياح فترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وترى الارض بكمالها بارزة لا غار فيها ولا صدع ولا جبل
ولا نبت ولا شجرة ولا ظل والحال انا قد حشرناهم اي الخلايق بعظمتنا قبل التسيير بذلك الصيحة قهرا الى الموقف
الذي ينكشف فيه الخبيثات وتظهر الفضائح والمغيبات ويقع الحساب فيه على التقرير والتفطيم والناقد فيه
بصير فينظرون ويسمعون ذاك الجبال العديدة وانها وتجانع الابنية والاشجار في هدها وتباينا وضلالها
وفنائها بعد عظيم سرابها واضمحلالها فلم نغادر اي نترك بما لنا من العظمة منهم اي الاولين والاخرين
احدا لانه لا ذهول ولا عجز ولما ذكر حشرهم وكان من المعلوم انه للعرض ذكر كيفية ذلك العرض فقال
بانيا الفعل للمفعول على طريقة كلام القادرين ولان المخوف العرض لا كونه من معين وعرضوا على ربك اي المحسن اليك

برفع اوليائك وخفض اعدائك صفا لاتساع الارض والمسابقة الى داره للعرض اذ لا شيء اصغره واطوعه لهم
فقال لهم منبها على مقام العظمة لقد جئتمونا احيا بسوتان حفاة عراة غرلا كما خلقناكم بتلك العظمة اول
مرة متعرين من كل شيء كنتم تجمعونه وتتفاخرون به منقادين مذعنين فتقولون هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون فيقال لكم بل زعمتم اي ادعيتم جهلا بعظمتنا ان لن اي انا لن نجعل لكم على ما لنا من العظمة موعدا
اي مكانا ووقتا نجمعكم فيه يوم الجمع فننجز ما وعدناكم به على السنة الرسل ووضع بايسر امر لعدا الغرض المستعقب
للجمع بادنى اشارة الكتاب المضبوط فيه دقائق الاعمال وجلائلها على وجه بين لا يخفى على قارئ ولا غيره شيء منه
فترى المجرمين لتعرف عينك منهم بشماله لا خيرا بعدها مشفقين اي خائفين دائما خوفا عظيما من عقاب الحق والفضيحة
عند الخلق مما فيه من تباع اعمالهم وسيئ افعالهم واقواله ويقولون اي يجددون ويكررون قولهم يا ويلتنا كناية عن
انه لا ندم لهم اذ ذاك الا الهلاك ما لهذا الكتاب اي اي شيء له حال كونه على غيرها لا الكتب في الدنيا ورسم لام الجر
وحده اشارة الى انهم صاروا من قوة الرعب وشدة الكرب يقفون على بعض الكلمة وتشير احالها لتحقق الكتاب
التي انقطعتهم وسالوا غيرها بقولهم لا يغادر اي لا يترك اي يقع منه عذرا اي عدما وفقا وهو من غادر الشيء تركه
كان كلا منهما يريد غدر الآخر اي عدمه او فانه من الغدير لتقطعه من الما تركها السيل كانه لم يوف لها باخذها
معه وكذا الغدير لناقة تركها الراعي صغيرة اي من اعمالنا ولما ها لهم اثبات جميع الصغاير بدا وانما صرحوا
بالكباير وان كان اثبات الصغاير يفهمها تاكيدا لان المقام للتهويل وتعظيم التفجع واشارة الى ان الذي جرهم
اليها هو الصغاير كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله فقالوا ولا كبيرة الا احصاها ولما كان الاحصا قد لا يستلزم
الحلاع صاحب الكتاب وجزاه عليه نفي ذلك بقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا كتابة وجزاء من غير ان نظلمهم سبحانه
او يظلمهم من عادوهم فيه ولا يظلم ربك الذي رباك بخلق القرآن احدا منهم ولا من غيرهم في كتاب ولا عقاب
ولا ثواب بل يجازي الاعداء بما يستحقون تعذيبا لهم وتنعيما لاوليائه الذين عادوهم فيه للعدل بينهم
روى الامام احمد في المسند الى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما انه سار الى عبد الله بن انيس رضي الله عنه مسيرة
شهر فاستاذن عليه فخرج الي فتى كالظبية فاعتنقني واعتنقته قلت حديث بلغني عنك انك سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم في القصاص فخشيت ان اموت قبل ان اسمعه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يحشر الله عز وجل الناس او قال العباد حفاة عراة بهما قلت وما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه
من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد من اهل النار ان يدخل النار وله عند احد من اهل الجنة
حق ولا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة وله عند احد من اهل النار حق حتى اقصه منه حتى اللطمة قال
قلنا كيف وانما ناتي حفاة عراة بهما قال بالحسنات والسيئات ولما ذكر البعث ختمه باحاطته بالعدل لئلا يعطي كل
احد ما يستحقه اتبعه ما له من الفضل بابتدا الخلق الذي هو دليله في سياق مذكر بولايته الموجبة للاقبال عليه
وعداوة الشيطان الموجبة للادبار عنه مبينا لما قابلوا به عدله فيهم وفي عدوهم من الظلم بفعلهم كفعل من التكبر
على آدم عليه السلام باصله فتكبروا على فقراء المؤمنين باصلهم وامواتهم وعشائرهم فكان فعلهم فعله سواء فكان ذلك
قدوتكم وهو عدوهم ولم يعتدوا بخبر خلقه وهو وليهم وهم اعرف الناس به فقال عاطفا على واضرب واذ اي
واذكر لهم اذ قلنا بما لنا من العظمة للملائكة الذين هم اطوع شيء لاوامرنا وابليس منهم قال ان كثيرا وذلك انهم كانوا قد
يوسم بافعال الملائكة ويتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل في خطابهم وعصى بالمخالفة اسجدوا لآدم
ايهم بقية منا عليه يجب عليهم شكرنا فيها فسجدوا كلهم الا ابليس فكانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن
المخلوقين من نار ولعل النار لما كانت نيرة وان كانت نوريتها مشوبة بكدورة واحراق عده من الملائكة لاجتماع
العنصرين في مطلق النور مع ما كان غلب عليه من العبادة فقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان وفي رواية ابليس من مارج من نار
وخلق آدم مما وصف لكم ومن مكايد الشيطان لابن آدم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الجن كانت قبيلة من
الملائكة ولما كان اكثر الجن مفسدا رجوعا الى الاصل الذي هو النار المحرقة لما لاصقها المفسدة له سبب فسقه
كونه منهم فقال ففسق اي خرج فقال فسقت الفارة من جحرها اذا خرجت للعبث والفساد عن امر ربه
اي سيده ومالكه المحسن اليه بابداعه وغير ذلك من اصطناعه في شان اسكانه اذ تكبر عليه فطرده وبعده من اكرمكم
فلا تستنوا به في الا فتخاذوا التكبر على الضعفاء فان من كانت خطيئته في كبر لم يكن صلاحه مرجوا ومن كانت خطيئته
في معصية كان صلاحه مرجوا ثم سبب عن هذا ما هو جدير بالانكار فقال في اسلوب الخطاب لانه ادل على تناهي

تناهي الغضب واوجع في التبكيت والتكلم لانه انص على المقصود من التوحيد افتتخذونه اي الشيء تحقيقا دكم
تنظر ده لاجلكم فيكون ذلك سببا لان تتخذوه وذريته شركا لي اولياء لكم من دوني اي اتخاذا مبتديا من
غير اي من ادنى رتبة من رتبتي ليعم الاتخاذ استقلالا او شركة ولو كان المعنى من دون اي غيرا اتخاذي
لافاد الاستقلال فقط ولو كان الاتخاذ مبتديا منه بان كان هو الآمر به لم يكن ممنوعا وانا وليكم المفضل عليكم
وهم لكم ولما كان بنا فعول للمبالغة ولا سيما وهو شبه بالمصادر ونحو القبول اغنى عن صيغة الجمع فقال
عدو اشارة الى انها في شدة العداوة في قلب واحد ولما كان هذا الفعل اجدر شيء بالذم وصل به قوله
بئس وكان الاصل لكم ولكنه ابرز هذا الضمير لتعليق الوصف بالفعل والتعميم فقال للظالمين بدلا اذا
استبدلوا من ليس لهم شيء من الامر وهم لهم عدو بمن له الامر كله وهو لهم ولي ولما كان الشريك لا يستاثر بفعل امر
عظيم في المشترك فيه من غير علم لشريكه به قال معللا للذم على هذا الظلم بما يدل على حقارتهم عن هذه الرتبة
عائدا الى اسلوب التكلم الى التجريد عن مظهر العظمة ليكون ابعد من احتمال الاشراك مستغنيا كما عدل في دوي
لذلك ما اشهدتهم اي ابليس وذريته خلق السموات والارض لنوع من انواع الاشهاد ولا خلق انفسهم
اشارة الى انهم مخلوقون وانهم لا يصح في عقل عاقل ان يكون مخلوق ما شريكا لخالقه اصلا وما كنت اي ازلا وابدا
متخذهم هكذا الاصل ولكنه ابرز اشارة الى ان المضل لا يستعان به لانه مع عدم نفعه يضر فقال
متخذ المضلين عضدا اشارة الى انه لا يوثق على ثبوت اسلام احد فان من علم الله فيه خيرا اسمعه ومن
لم يسمعه فهو مضل ليبين اهل النصرة الدين ولما اقام البرهان القاطع على بعد رتبتهم عن المنزلة التي اهلوهم لها
الشرك اتبعه التعريف بانهم مع عدم نفعهم لهم في الدنيا يتخلون عنهم في الآخرة احوج ما يكونون اليهم في الاخشيا
لظنهم انهم يقربون الى الله زلفى فقال عاطفا على اذ قلنا عائدا الى مقام الغيبة اشارة الى بعدهم عن حضرته
الشما وتعاليه عما تدسوهم من قوله وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا في حجب الجلال والكبريا وجري حكمه
ويوم يقول نادوا
في شركاي وبين ان الاضافة ليست على حقيقتها بل هي توبيخ لهم فقال الذين زعمتم انهم شركا فدعوهم
تادبا في الجهل والضلال فلم يستجيبوا لهم اي لم يطلبوا ولم يريدوا ان يجيبوهم اعراضا عنهم استهانة بهم واشتغالا
بانفسهم فضلا عن ان يعينوهم ولما كانوا في غاية الاستبعاد لان يحال بينهم وبين معبوداتهم قال في مظهر العظمة
وجعلنا بينهم اي المشركين والشركا موبقا اي هلاكا وموضع هلاك فاصلا حايلا بينهم محكما قويا عميقا
ثابتا حفيظا لا يسد عنه منهم احد وانما فسرته بذلك لانه مثل قوله تعالى فزيلنا بينهم اي بالقلوب اي جعلنا ما
كان بينهم من الوصلة عداوة ومثل قوله ربنا هولا اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار وهولا الذين كنا ندعو
من دونك ونحوه لان معنى ذلك كله انه تبدل ما كان بينهم من الود في الدنيا والوصلة ببغض وقطيعة كما
قال تعالى ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وان كل فريق يطلب للآخر الهلاك فاقتضى ذلك
احتياج الكل منه هذا ما يرشد الى المعنى من آيات الكتاب ونقل ابن كثير عن عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما انه قال هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين اهل الهدى واهل الضلالة وقال الحسن البصري عداوة
واما اخذه من اللفظ فلان مادة وبق يائية واوية مهموزة وغير مهموزة ولها احد عشر تركيبا واحد باي
بقي قبو قوب وقب وبق واربعة مهموزة قبا قاب باق ابق كلها تدور على الجمع وخصوص ترتيب وبق يبق ودود
على الحايل بين شيئين ويلزمه القوة والثبات والحفظ والهلاك قوة او فعلا لان من حيل بينه وبين
شيء فقد هلك بفقد ذلك الشيء بالفعل ان كان الحايل موتا او بالقوة ان كان غيره يقال قباء الشيء جمعه
باصابعه والقبار فيه والزعفران خباه والقبا بالقصر نبت لانه سبب الاجتماع لرعيه والانتفاع به وهو
يجمع ايضا والقبا تقويس الشيء لانه اقوسه آل اجتماع بعض اجزائه ببعض والقبوة اجتماع ما بين الشعبتين
ومنه القبا من الثياب وقباه يقبيه عباه اي جمعه حتى صار كانه في مكان مقبو وقبا عليه يقباه
تقبيه عدا عليه في امره لانه كان كانه اوقعه في حفرة والثوب جعل منه قباء وتقبى القبا لبسه
وقبيدا اتاه من قبله لان من يريد من احد في حفرة لذلك ياتيه مخاتلة وتقبى الشيء صار كالقبة
وامراة قابية تلتقط العصفر وتجمعه والقابيا الليم لانه سا بالغة فيدل على كثرة الجمع والحرص اللازمين
اللوم وبنو قابيا المجتمعون لشرب الخمر لا محالة يظهر لوم اللئام وقبا بالضم ويذكر ويقصر موضع قرب المدينة
الشريفة وموضع بين مكة والبصرة واقتبى السخي ونبع قوسين وقبا قوسين كقولك قاب قوسين والمقبي الكثير
الشيء كانه جمع لنفسه منه بالراحة كالبناء والقباية المفازة لانها تجمع ما فيها كالجمع القبة والقباء والوقبة ما

فيها كما يجمع القبة والقبا والوقبة ما فيها ومن مهموزه قأب الطعام بالجمع اكله ومن الشراب امتلأ والقباة حشيشة
ترعى لان المال يجتمع على رعيها ومن الواوي قاب الارض يقوبها وقوبها حفرها شبه التقور لان الدائرة اجمع ما يكون
لغيرها وفي نفسها لانه لا زوايا فيها فاصله وقوبت الارض اثرت فيها والقوبة ما يظهر في الجسد ويخرج عليه لانه يكون
غالبا على هيئة الدائرة وتقوب جلده تقلع الجرب عنه وانحلق عنه الشعر اما من الازالة واما لان اثاره تكون
كالدوائر وقوب الشيء قلعه من اصله لان اثره اذا انقلع يكون حفرا مستديرا وتقوب هو تقلع والقائبة والقابة
البيضة لانها لتدويرها تشبه ذلك الحفر والقوب بالفتح فلق الطير بيضه وبالضم الفرخ لانه منها وفي المثل تخلصت
قائبة من قوب يضرب لمن انفصل من صاحبه والقوبي المولع باكل الاقواب اي الفراخ والقوب كصرد قشور البيض
والقوب البيضة انقابت اي تخرقت وام قوب الداهية جمعها ما يأتي عليه كانه ابتلعه حفر وقاب قرب
لان القرب مبدأ الجمع وقاب يقوب اي سلب القرب ضد وفاق قلق اي شق الجمع فهو من الازالة ايضا وقاب قوس وقيد
وقيبه اي قدره لان القوب شبه نصف دائرة من ذلك الحفر والقاب ما بين المقبض والسية لانه بعض ذلك
ولكل قوس قابان والاسود المنقوب الذي انسلخ جلده من الحيات لتدور ذلك الجلد وشبهه بالحفرة واثنات
الشيء اختاره اي جمعه اليه ورجل ملى قوبه كهمزة ثابت الدار مقيم من الثبات الذي هو لازم الجمع وقوب من الغبار
اغبتي اما لان من يحفر ذلك يغبر واما لان الغبار كثر عليه حتى غطاه فصار له مثل تلك الحفرة ومن مهموزه
قاب الطعام كمنع اكله والماء شربه كقبته كفرح او شرب كل ما في الاناء وقيب من الشراب بلا وهو مقتئب كمنبر
كثير الشرب للماء وانا قواب كثير الاخذ لما فهو كما ترى خص مخصوص بالاكل والشرب او انه جمعه في وقبة بطنه
ومن الواوي نغاه بعينه نظر اليه فهو من الحفظ اللازم للجمع وابقه يقوبك مالك ويقاوتك اي احفظه حفظ
مالك وبقوتك وبقوته انتظرته وهو يرجع الى الثبات والمراقبة التي ترجع الى الحفظ ويلزم الحفظ الثبات
ومن اليائي بقي الشيء بقاء ثبت ودام ضد فني والاسم البقوى كرعوى ويضم والبقيا بالضم والبقية وقد
توضع الباقية موضع المصدر ومن واويه البوقة الجمع والدفعة من المطر الشديدة او المنكرة صعاق لانها
كانها نزلت من وثبه لشدتها والبوائق العوائد لانها جامعة لمن اعتادها والبوائق الشر لانه مهلك فكانه
موقع في المهالك والبوق بالضم شبه منقاب ينفخ فيه الطحان والذي ينفخ فيه مطلقا ومن لانه لتجويفه
يشبه الوقبة والبوق ايضا الباطل والزور لان صوته اشبه شيء بذلك او للمبوق كمعظم الكلام الباطل والبوق
وبفتح من لا يكتم السر لان البوق شيء ينفخ فيه صوت والبوقة شجرة دقيقة لانها الدقيقة تشرح وباق جاء بالشر
والخصومات من ذلك ولذا باق اي تعدى على انسان وانباق به ظلمه والبائقة القوم اصابتهم كانها اتت
عليهم اي خرجت لشدتها من وقبه والباقة الحزمة من بقل لاجتماعها وباق بك طلع عليك من غيبة كانه
كان في حفرة تخرج ومنه باق فلان هجم على قوم بغير اذنهم وباق القوم سرقهم وباق به حاق اي احاط كما تحيط
الوقبة وباق القوم عليه اجتمعوا فقتلوه ظلما وباق المال فسد والحاق باق صوت الفرج عند الجماع لانه
من الجمع ولان الفرج وقبة ومن مهموزه باقتهم الداهية بؤوقا اصابتهم وانباق عليهم الدهر هجم عليهم بالداهية
ومن الواوي الوقبة كوة عظيمة فيها ظل والوقب والوقبة نقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء وقيل هي نحو البئر في
الصفا تكون قامة او قامتين يستنقع فيها ماء السماء وكل نقر في الجسد وقب كنقر العين والكتف والوقبان من الفرس
نقرتان فوق عينيه ووقب المحالة النقب الذي يدخل فيه المحور ووقبة المدهن العوعه وكذا وقبة
ووقب الشيء دخل في الوقب واوقب الشيء ادخله فيه وركية وقباء غائرة الماء وامرأة ميقاب واسعة الفرج وبنو
الميقاب نسبوا الى امهم يريدون نسبهم بذلك والميقاب للرجل الكثير الشرب للماء والجمعة وسير الميقاب
ان يوصل سير يوم وليلة كان ذلك السير الاحمق الذي لا يبقى على ظهره ووقب القمر دخل في الظل الذي يكسفه كانه
حفره ابتلعته ووقبت الشمس وقوبا غابت لذلك وقيل كلما غاب فقد وقب ووقب الظلام اقبل اي فصار كالوقبة
فابتلع الدنيا او ابتلع كل ما في الكون فحجب عن الضياء ورجل وقب احمق كانه وعاء لكل ما يسمع لا تمييز اهلية له في تمييز جيده
من رديه والانثى وقبة وقال ثعلب الوقب الدني اي لانه يتبع نفسه هواها فيصير كانه الوقبة لا يرد شيئا مما
يلقى فيها ووقب الفرس وقبا وهو صوت قنبه اي وعاء قضيبه وقيل صوت تقلقل جردان الفرس في قنبه لان وعاء
جردانه كالوقبة فهو من اطلاق اسم المحل على ما فيه والقيبة كعدة الانفحة اذا عظمت من الشاة قال ابن الاعرابي
ولا تكون ذلك الا في الشاة لان شبه الانفحة بالوقبة ظاهر والوقباء موضع لبني يربوع والوقبى ماء لبني مازن لانه يجمعهم كما
يجمع الوقبة ما فيها والاوقاب قماش البيت كالبرمة والعدلان البيت لها كالوقبة جمعها او لانها جامعة لسائر فيه

فيه والميقب الودعة واوقب القوم جاعوا اي تهيؤوا لادخال الطعام في وقبة الجوف وذكرا وقب ولام في الجنات لانها كالاوقاب
اي الحفر والوقب الابار والجي وهو سبب الجمع ووبق كوعد وورث وبوقا وموبقا هلك اي وقع في وقبة اي حفرة كاستوبق
والحابس المهلك والمحبس الجمع وواد في جهنم وكل شيء حال بين شيئين لان الوقبة تحول بين ما فيها وبين غيرها ومنه قيل الموعد
موبق واوبقه حبسه واهلكه ومن مهموزه ابق العبد كسمع ونصر وضرب ومنع ابقا ويحرك واباقا ككتاب ذهب بلا خوف
ولا كد عمل او استخفى ثم ذهب فكل ذلك يرجع الى جعله كانه نزل في وقبة او من شانه ان يختفي ومنه تابق استتر او احتبس وتابق الشيء
انكره لان سبب الانكار الخفاء او تابق تاثم او جانب الاثم فهو لسلب الجمع او لسلب الهلاك الذي في الوقبة والابق محركة القنب
لشبهه لتجويفه بالوقبة والابق قشر القنب او قشره لقوته اللازمة للجمع او لانه خيوط مجتمعة ولما قرر سبحانه ما لهم مع شركائهم ذكر
حالهم في استقصاد جهلهم فقال ورأى المجرمون اي العريقون في الاجرام النار اي وراوا وادركوا لكنه اظهر كلها للاعلى تعليق
الحكم بالوصف فظنوا ظنا انهم مواقعوها ولم اي والحال انهم لم يجدوا عنها مصرفا اي مكانا ينصرفون اليه فالموقع
موضع التحقق والنهم ظنهم جريا على عادتهم في الجهل كما قالوا اتخذ الله ولدا بغير علم وما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن
الساعة قائمة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين مع قيام الادلة التي لا ريب فيها ولما كان الكلام في قوة ان يقال
صرفنا هذه الاخبار بما اشارت اليه من الاسرار الكبار فقامت دلائل الشريعة الجلائل واضاءت بها جوامع عطف
على ذلك ولقد صرفنا اي بما لنا من العظمة ولما كانت هذه السورة في وصف الكتاب تقتضي الاهتمام به قدمه في
قوله في هذا القرآن اي القيم الذي لا عوج فيه مع جمعه للمعاني ونشره الفارق بين الملبسات للناس اي الذين لم ينت
فضلا عن التابعين من كل مثل اي حولنا المعاني بغرابته وطوقناه في كل وجه من وجوه المعاني والبسناه من العبارات
الرائعة • والاساليب المتناسقة ما صار لغرابته كالمثل يتقبله كل من سمعه ويضرب به اباط الابل في سائر البلاد
بين العباد فنشر به قلوبهم وبلغ به السنتهم فلم يتقبلوه وجادلوا فيه ثم نبه على الوصف المقتضي لذلك بقوله وكان الانسان الذي جبل
خصما وهو انس نفسه جبلة وطبعا اكثر شيء وميز الاكثرية بقوله جدلا لانه لم ينته عن الجدل بعد هذا البيان الذي صاحبهم
الاكوان ولما بين اعراضهم بين جميع موجبه عندهم فقال وما منع ولما كان الناس بعد الترشيح قال الناس اي الذين جادلوا بالباطل
الايمان هكذا كان الاصل ولكنه عبر عن هذا المفعول الثاني بقوله ان يؤمنوا ليفيد التجديد ودمهم على الترك اذ اي حين جاءهم
الهدى بالكتاب على لسان الرسول وعطف على المفعول الثاني معبرا بمثل ما مضى قوله ويستغفروا ربهم اي المحسن اليهم ولما كان
الاستثناء مفرغا اتى بالفاعل فقال الا ان اي طلبان تأتيهم سنة الاولين اي في اجابتهم الى ما اقترحوا على رسلهم المقتضي
للاستئصال لمن استمر على الضلال ومن ذلك طلبهم ان يكون الشيء ملكا وذلك نقمة في صورة نعمة واتيان بالعذاب دبرا اي
مستورا او طلبان يأتيهم العذاب قبلا اي مواجهة ومعاينة وكذا في قراءة من ضمها ومشاهدة من غير استتار في سنة الاولين
وهو قراءة من كسر القاف وفتح الباء واصله من قولهم لقيت فلانا قبلا اي معاينة ولذا في قراءة من ضمها من قولهم انا اتيك
قبلا لا دبرا مواجهة من جهة وجهك لا من جهة قفاك قال تعالى ان كان قميصه قد من قبل وقيل ان يراد نعم الوا
الجماعة لان المراد بالعذاب الجنس اي يأتيهم اصنافا مصنفة صنفا صنفا ونوعا نوعا وقد مضى في الانعام بيانه
وهذا الشق قسم الاتيان بسنة الاولين فمعناه من غير ان يجابوا الى ما اقترحوا كما تقدم في التي قبلها فابى اكثر الناس
الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك الى قوله او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا الاية وهذه الاية من الاحتباك ذكر سنة
الاولين اولا دليلا على ضدها ثانيا وذكر المكاشفة ثانيا دليلا على المساترة اولا ولما كان ذلك ليس الى الرسول فانما هو الى
الاله بينه بقوله وما نرسل على ما لنا من العظمة التي لا امر لاحد معنا فيها المرسلين الا مبشرين بالجنة على افعال
الطاعة ومنذرين بالنار على افعال المعصية فيطلب منهم الظالمون من اتيانهم ما ليس اليهم من فعل الامر
ويجادل الذين كفروا اي يجددون الجدال كلما اتاهم امر من قبلنا بالباطل من قولهم لو كنتم صادقين
لاتيتم بالحق الثابت من المعجزات المثبتة لصدقهم ولما كان لكل مقام مقال والكل مقال حال فالحالي في الجدال
بصيغة الاستقبال وكان اتخاذ الاستهزاء امرا واحدا اتى به ماضيا فقال واتخذوا اي كلفوا انفسهم ان اخذوا
اياتي وما بالشاذات التي هي المقصودة بالذات لكل ذي روح وما انذروا من اياتي بني للمفعول لان الفاعل معروف
والمخيف الانذار هزوا مع بعدهما جدا عن ذلك فلا بالرغبة اطاعوا ولا للرهبة ارتاعوا فكانوا اشر من البهائم
ولما حكى عنهم هذا الجدال • والاستهزاء الضلال • وصفهم بما يوجب الخزي فقال عاطفا على ما تقديره فكانوا بذلك
اظلم الظالمين ومن اظلم منهم استفهاما على سبيل التقرير ولكنه اظهر للتنبيه على الوصف الموجب لذلك على من
في انه اظلم فقال ممن ذكر اي من اي مذكر كان بايات ربه اي علامات المحسن اليه بما قال الاصفهاني وهذا من
افصح التقريرات توقفا للرجل على ما لا جواب له فيه الا الذي يريد خصمه فلما كان التذكير مسببا للاقبال فعكسوا فيه كل

فاعرض عنها تاركا لما تعرف من تلك العلامات العجيبة وما يوجبه ذلك الاحسان من الشكر ونسي ما قدمت يداه
من الفساد الذي هو عارف لو صرف عقله الى الفكر فيما ينفعه ان الحكمة تقتضي جزاءه عليه وافرد الضمير في جميع
هذا على لفظ من اشارة الى ان من فعل مثل هذا ولو انه واحدا كان هكذا والاحسن ان يقال انهم لما كانوا
قد سالوا اليهود عنه صلى الله عليه وسلم كما اشير اليه عند ويسالونك عن الروح فامرهم بسؤاله عما جعلوه امارة
على صدقه فلم يؤثر ذلك فيهم ولم يهتدوا بعد اخباره بالحق على التكذيب شرح ما لهم بالتعقيب بالفا فكان المعنى من اظلم
منهم لانهم ذكروا فاعرضوا ونسوا ما اعتدوا انه دليل الصدق وانه لا صدا لعده وسياتي لموقع الفا في اخر السجدة مزيد
بيان واسناد الفعل من الاعراض وما بعده اليهم حقيقة بما لهم من الكسب كما ان اسناد الجعل وما بعده الى الله حقيقة بما له
من الخلق ولما كان كانه قيل ما لهم فعلوا ذلك الجهل قيل هذا الصد قيل انا جعلنا بما لنا من القدرة على اعما البصاير والابصار
على قلوبهم جمع رجوعا الى اسلوب ومن اظلم وايلا لانه انص على كل احد اكنة اي اغطية مستعلية عليها اشتعلا بدل
بسياق العظمة على انه لم يدع شيا الخير يصل اليها فهي لا تعي شيا من اياتنا ولذا استدل الطيبي على ان المراد بالايات القران
نقال لان اي كراهة ان يفقهوه اي يفهموه وفي اذانهم وقرا اي ثقلا فهم لا يسمعون حق السمع ولا يعون حق الوعي وان تدعهم
اي تكرر دعاهم كل وقت الى الهدى لما عندك من الحرص على ذلك والجد فلن يهتدوا اي كلهم بسبب دعائك
اذا اي اذا دعوتهم ابدا لان من له العظمة التامة وهو الذي قد اخبر عن نفسه بنو فعها كانت على حقيقتها حكم
عليهم بالضلال اي انه لا يكون الدعا وحده هاديا لا كلهم بل لابد معه من السيف كما تم امرك به فتقطع الرؤس فيهتدي
غيرهم وقد يكون المراد ان من كان هكذا معاندا على هذا الوجه كان مؤبد الانتقاد وقد نفى اخر هذه الاية الفعل عنه
العناد وانه لهم او لها وقلما تجد في القران ان اية تسند الفعل اليهم الا قارنتها اخرى تسنده لله نفي سمعه
عنهم ابتلا من الله لعباده ليتميز الراسخ الذي ينسب للمكلفين الكسب لتمد لا نزا التكليف ومن الخلق المعتقد لانه سبحانه
لا شريك له في خلق ولا غيره من الطايش الذي يقول بالجبر او التفويض ولما كان هذا مقتضيا لا صرهم عطف على ما
اقتضاه السياق مما ذكرته من العلة قوله وربك مشيرا بهذا الاسم الى ما اقتضاه الوصف من الاحسان لنا بالاخذ
من ناخذ منهم دايما عن غيره والحكم دبرهان اخبر عنه بما ناسب ذلك من مراد ضافه فقال الغفور اي هو وحده
الذي يستر الذنوب اما محوها واما بالحكم عنها الى وقت ذو الرحمة الذي يعامل وهو قادر مع موجبات الغضب معاملة
الراحم بالاكرام ثم استشهد على ذلك بقوله لو يؤاخذهم اي هولا الذين عادوك واذوك وهو عالم بانهم لا يتوبون
لو يعاملهم معاملة المواخذة بما كسبوا حين كسبهم لعجل لهم العذاب واحدا بعد واحد ولكنهم لا يعجل لهم ذلك بل لهم
موعد يحلهم فيه ودل على ان موعدهم ليس كموعد غيره من العاجزين بقوله دالا على كمال القدرة لن يجدوا من دونه موئلا
اي ملجا ينجيهم منه فاذا جا موعدهم اهلكناهم فيه باول ظلمهم واخره ولما كانت هذه سنته في القرون الماضية والامم
الخالية قال عاطفا على قوله لهم موعد مرغبا لهم بالاشارة الى ديارهم المصورة لدمارهم وتلك القرى اي الماضية
من عاد وثمود ومدين وقوم لوط واشكالهم اهلكناهم اي حكمنا باهلاكهم بما لنا من العظمة لما ظلموا اي اول
ما ظلموا اما هلكناهم بالفعل حين ظلمهم لكن لا في اوله بل جعلنا لهم الى حين تناهيه وبلوغه الغاية فليحذر هولا
مثل ذلك في الدنيا في يوم بدر والفتح وحنين ونحو ذلك وفي الاخرة لن نخلفه وكذا كل ما يقوله نبي من الانبيا
عنا لا يقع منه خلف وان كان يجوز لنا انا لا نخلف ما نقوله من نفسه غير مسند الينا فانه يمكن وقوع الخلف فيه
كما وقع في العهد بالاخبار عن هذه المسايل التخلف اربعين ليلة او ما دونها على حسب فهمهم ان كان على حقيقته
ولما تقرر الكلام على البعث واستدل عليه بابتدا الخلق ثم ذكر بعض احواله ثم عقبه بما ضرب لذلك من الامثال
وصرف من وجوه الاستدلال وختم ذلك بانه يمهل عند المساة عقب ذلك بانه لذلك يفعل عند المسرة فلكل
شي عنده كتاب وكل قضا بقدر وحساب فذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام وما اتفق له في طلبه وجعله سبحانه
له الحوت اية وموعدا للقايه ولو اراد سبحانه لقربه له لدى فكم جوع الى غير ما فيها من الخارق الدال على البعث
وفي الدليل على ان من ثبت فضله وعلمه لا يجوز ان يعترض عليه الا من كان على ثقة مما يقوله من ربه وعلى ان
يمتعض من الارشاد الى ذم الجدال بغير علم ووجوب الانقياد للحق عند بيانه وظهور برهانه ومن ارشاد
من استكف ان يجالس فقرا المومنين بما اتفق لموسى عليه السلام من انه وهو كليم الله اتبع الخضر عليه السلام
ليقتبس من علمه ومن تبكيت اليهود بقولهم لقريش لما امروهم بسؤال النبي عليه السلام انه لا يخفى عليه شي مما يعلمونه
من ان موسى عليه السلام اخفي عليه جميع ما فعله الخضر عليه السلام والى نحو هذا اشار الخضر عليه السلام بقوله
اذ وقع العصفور على حرف السفينة ونقر من البحر نقرة او نقرتين ما نقص علمي وعلمك يا موسى من علم الله الا كما نقص

هذا العصفور من البحر وباعد بهم بما يعلمونه من ان موسى عليه السلام جعل نفسه تابعا للخضر عليه السلام
تكذيبا لهم في ادعائهم انه ليس احد اعلم من موسى عليه السلام في وصف من الاوصاف وانه لا ينبغي لاحد اتباع غيره
ومن جوابهم عما لعلهم يقولون للعرب تعنتا وحسدا لو كان نبيا ما قال اخبركم غدا وتاخر عن ذلك بما اتفق لموسى في وعده
الخضر عليه السلام بالصبر وبما خفي عليه مما اطلع عليه الخضر عليه السلام فقال عاطفا على قوله واذ قلنا للملايكة
واذ اي واذكر لهم حين قال موسى اي ابن عمران المرسل الى بني اسرايل اي قوله الذي كان في ذلك الحين لفتاه يوشع
ابن نون عليهما السلام لا ابرح اي لا ازال سايرا في طلب العبد الذي اعلمني ربه بفضله كما دل عليه ما بالي لا ابرح
حتى ابلغ مجمع البحرين اي ملتقاهما وموضع اختلاطهما الذي سبق اليه فهي فتعينت البداية به فالغاية ثم او امضي حقبا
اي الى ان اظفر بمجمع البحرين الذي جعله ربي موعدا الى لقايه والحقب قال في القاموس ثمانون سنة او اكثر والدهر والسنة
والسنون انتهى وما انسب للتوقيت بمجمع البحرين الما المجمع بحري الما ورودهما الذي قرنه الله بالعلم وبالنون الذي
قرنه الله بالقلم وما يسطرون وعين الحياة لان العلم حياة القلوب فسارا وتزودا حوتا مشويا في مكتل كما ه
كالقربة فكانا ياكلان منه الى ان بلغا المجمع فلما بلغا مجمع بينهما اي البحرين ولم يكن هناك الموعد لصخرة وركنها شيا
واحدا نسيا حوتهما فلم يتلم موسى عليه السلام شيا من حاله ونسي ان يسال عنه وعلم يوشع عليه السلام بعض حاله
فنسي ان يذكر ذلك له فاتخذ اي الحوت بسبب حرة في بحره سبيله اي طريقه الراسع الواضح في البحر سربا اي جرفا
في الماء عليهم من السرب الذي هو جحر الوحشي والحفر تحت الارض والقناة يدخل منها الما الحايط وقد ورد في
حديث في الصحيح ان الله تعالى احياه وامسك عن موضع جريه في الما فصار طاقا لا يلتئم ويوشع عليه السلام
ينظر ذلك وكان الحجر كان مستندا فظن موسى عليه السلام ان المطلوب امامه او ان المراد مجمع اخر فسارا فلما جاوزا
اي موسى وفتاه عليهما السلام ذلك الموضع من المجمع تعب فلم يتعب حتى جاوز المكان الذي امر به مجوزه اخرى فلما جاع وتعب
قال لفتاه اتنا غداءنا اي احضر لنا ما نتقوى به على ما حصل لنا من الاعيا ولذلك وصل به قوله
لقد لقينا من سفرنا هذا اي الذي سرناه في هذا اليوم خاصة ولذلك اشار اليه بالقرب فقال هذا نصبا
وكان الحوت زادهم فلم يكن معه فكانه قيل فما كان من امره فقيل قال لموسى عليه السلام مجيبا له ارايت ما
دهاني اذ اوينا الى الصخرة التي بمجمع البحرين فاني اي بسبب اني نسيت الحوت اي نسيت ان اذكر لك امره
الذي كان هناك ثم زاد التعجيب من هذا النسيان بالاعتراض من الاخبار به بجملة وبين تفصيل امره باتباع النسيان
عليه ثم علا ذكره فقال وما انسانيه مع كونه عجيبا الا الشيطان بوسوسته ولما كان المقام للتدرب في عظم
تصرف الله تعالى في القلوب باثبات العلم وتغييبه وان كان في وريد ذلك نسيانه ثم ابدل من ضمير قوله ان اذكره
لك فانه عاش فانساب من المكتل في البحر واتخذ سبيله اي طريقه الذي ذهب فيه في البحر عجبا وذكره له
لان مانع من ان يكون للشيطان عليه سلطان على ان هذا الانسا ليس معونا لطاعة بل فيه ترقية لها في
مدارج المقامات العالية لوجدان التعب بعدا لمكان الذي فيه البغية وحفظ الما منجابا على طول الزمان
وغير ذلك من ايات الايقان وقوله تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه يبين ان السلطان الحمل على المعاصي
وكان في هذه القصة خوارق حياة الحوت واتخاذه مكان اكل منه وامساك الما عن مدخله وقد اتفق لنبينا صلى
الله عليه وسلم نفسه او اتباعه ببركته مثل ذلك اما اعادة ما اكل من الحوت المشوي وهو جنبه فقد روى
البيهقي في اخر دلايل النبوة عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال حججنا مع النبي صلى الله عليه وسلم الحجة التي
حجها اذ كنا ببطن الروحا فذكر قصة المراة التي ابرا النبي صلى الله عليه وسلم ولدها من الجنون الى ان قال
فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجته وانصرف حتى اذا نزل بطن الروحا اتته تلك المراة بشاة قد
شوتها فامر باخذ الشاة منها ثم قال يا اسيم ناولني ذراعا فناوله فقال يا اسيم ناولني ذراعا فقلت
يا رسول الله انهما ذراعان وقد ناولتك فقال والذي نفسي بيده لو سكت ما زلت تناولني ذراعا ما قلت
لك ناولني ذراعا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه لو سكت لاوجد الله له ذراعا ثم ذراعا وهكذا وقوله
الحق الذي لا مرية فيه وهو في عالم الغيب وبين ما وجد في عالم الشهادة واما حياة الحوت المشوي فقد سعى
عند الله لبعضه من الناس ما هو اكبر من ذلك في قصة الشاة المشوية المسمومة وهو ان ذراعها اخبر النبي
صلى الله عليه وسلم انه مسموم فهو اعظم من عود الحياة من غير نطق وكذا حنين الجذع وسلام الحجر وتسبيح الحصا
وتامين اسكفة الباب وحوايط البيت ونحو ذلك احوط اعظم من عود الحياة الى ما كان حيا فقد روى البيهقي
في الدلايل عن عمرو بن سواد قال قال الشافعي رحمه الله ما اعطى الله نبيا ما اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم فقلت

اعطى عيسى احيا الموتى فقال اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم الجذع الذي كان يخطب حتى هيئ له المنبر فلما هيئ له
المنبر حن الجذع حتى سمع صوته فهذا اكبر من ذلك انتهى على انه قد تقدم في آل عمران وفي اخر البقرة في قصة ابراهيم
عليه السلام اثبات احيا الموتى له صلى الله عليه وسلم ولبعض امته واما آية الما فحجتها الى صلابته ولا فرق بين
جموده بعد الالتيام بعد الاحتراق وبين جموده وصلابته بالامتناع من الانخراق وقد روى البيهقي في ذلك
ما فيه آية في الاحيا بسند منقطع عن انس رضي الله عنه قال كنا في الصفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتته امراة ومعها ابن لها فاضاف المراة الى النسا واضاف ابنها الينا فلم يلبث ان اصابه وبا المدينة فمرض
اياما ثم قبض فغمضه النبي صلى الله عليه وسلم وامر بجهازه فلما اردنا ان نغسله قال ايت امه فاعلمها فجاءت
حتى جلست عند قدميه فاخذت بهما ثم قالت اللهم اني اسلمت لك طوعا وخلعت الاوثان زهدا وهاجرت
اليك رغبة اللهم لا تشمت بي عبدة الاوثان ولا تحملني من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحملها قال فوالله ما انقضى كلامها
حتى حرك قدميه والقى الثوب عن وجهه وعاش حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم وحتى هلكت امه
ثم جهز عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعني جيشا واستعمل عليه العلا بن الحضرمي قال وكنت في غزاته فاتينا مغازينا
فوجدنا القوم قد ملات الغدر والشعاب فشربنا وسقينا واستقينا ثم اتينا عدونا وقد جاوزوا خليجا في
نذروا بنا فعفوا آثار الما قال والحر شديد فجهدنا العطش ودوابنا وذلك يوم الجمعة فلما مالت الشمس لغروبها
صلى بنا ركعتين ثم مد يده وما نرى في السما شيئا فوالله ما حط يده حتى بعث الله ريحا وانشا سحابا فافرغت حتى
ملات الغدر والشعاب فشربنا وسقينا واستقينا ثم اتينا عدونا وقد جاوزوا خليجا في البحر الى جزيرة فوقف
على الخليج وقال يا علي يا عظيم يا حليم يا كريم ثم قال اجيزوا باسم الله فاجزنا ما يبل الما حوافر دوابنا فاصبنا
العدو غيلة فقتلنا واسرنا وسبينا ثم اتينا الخليج فقال مثل مقالته فاجزنا ما يبل الما حوافر دوابنا
واخبرنا ابو الحسين بن بشران انا اسمعيل الصفار نا الحسن بن علي بن عفان نا ابن نمير عن الاعمش عن بعض اصحابه
قال انتهينا الى دجلة وهي مادة والاعاجم خلفها فقال رجل من المسلمين بسم الله ثم اقحم فرسه فارتفع على الما فقال
الناس بسم الله بسم الله ثم اقتحموا فارتفعوا على الما فلما نظر اليهم الاعاجم قالوا ديوان ديوان ثم ذهبوا على وجوههم ٤٥
فما فقدوا الا قدحا كان معلقا بعذبة سرج فلما خرجوا اصابوا الغنائم فاقتسموها اخبرنا ابو عبد الرحمن السلمي
انا ابو محمد عبد الله بن محمد السعدي انا ابو العباس السراج انا الفضل بن سهل وهرون بن عبد الله قالا نا سليمان
ابن المغيرة ان ابا مسلم الخولاني جا الى دجلة وهي ترمي الخشب من مدها فمشى على الما والتفت الى اصحابه وقال
هل تفقدون من متاعكم شيئا فندعوا الله قال البيهقي اسناد صحيح وفي هذا الاخير من هذه القصة قاصمة للسائلين
والامرين لهم بالسوال لان المراد والله اعلم ان هذا الامر الذي هو لا المفضلين في نبوتنا ان يسالوهم
عن هذه القصة فان اخبروهم عنها بمثل ما اخبرتم فصدقوهم لزمهم ان يومنوا بالبعث لان الحوت الذي احياه
الله بعد ان كان مشويا وصار كثير منه في البطون وان لم يصدقوهم في هذا وصدقوهم في غيره مما يتعنتون به
عليك نحو تحكم وان كانوا يتهموكم في كل ما كان سوالهم عنها ليس من افعال من يعقل فكانه قيل فما
قال موسى حينئذ فقيل قال منبها على ان ذلك ليس من الشيطان وانما هو اغفال من الله تعالى لغيره
ليجد العلامة التي اخبره الله بها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لا انسى اي ينسيني الله تعالى لاسن ذلك
اي الامر العظيم من فقد الحوت ما كنا نبغ اي نريد من هذا الامر المنبئ عنا فان الله جعله موعدا في لقا الخضر
فارتدا على آثارهما نقصانها قصصا وهذا يدل على ان الارض كلها كانت رملا لا علم فيها بالظاهر والله اعلم
انه بمجمع النيل والملح دون المشهور في بلاد دمشق ان الامر كان عندهم وان عندهم سمكا ذاهبا لسوق يقولون انه من
نسل تلك السمكة والله اعلم فاستمرا يقصان حتى انتهيا الى موضع فقد الحوت فوجدا عبدا من عبادنا مضافا
الى حضرة عظمتنا وهو الخضر آتيناه بعظمتنا رحمة اي وحيا ونبوة وكونه نبيا قول الجمهور من عندنا اي مما لم
يجر على قوانين العادات غير انه ليس بمستغرب عند اهل الاصطفا وعلمناه من لدنا اي من الامور المستبطنة
المستغربة التي عندنا مما لم يحدث عن الاسباب المعتادات فهو مستغرب عند اهل الاصطفا علما قذفناه
في قلبه بغير واسطة وقال الاستاذ ابو الحسن الحرالي عنه في لسان العرب لما ظهر ولدن لما بطن فيكون المراد
بالرحمة ما ظهر من كراماته وبالعلم الباطن الخفي المعلوم قطعا انه خاص بحضرته سبحانه واهل التصوف سموا العلم بطريق
المكاشفة العلم اللدني فاذا سعى العبد في الرياضات تبرز الظاهر بالعبادة وتخلى النفس عن الاخلاق الرذيلة
وتحلى بالاخلاق الجميلة وتصير القوى الحسية والخيالية والوهمية في غاية القوة وحينئذ تصير القوة العقلية قوية

قوية صافية وربما كانت النفس بحسب اصل الفطرة نورانية الهية علوية قليلة التعلق بالحوادث
البدنية شديدة الاستعداد لقبول الامور الالهية وتفيض عليها من عالم القدس على وجه
الكمال فتحصل المعارف والعلوم من غير تفكر وتامل وهذا هو العلم اللدني ثم اراد سبحانه القصة
على طريق الاستئناف على تقدير سوال السائل عن كل كلام يرشد اليه ما قبله وذلك انه من المعلوم ان الطالب
للشخص اذا لقيه كلمه لكن لا يعرف عين ذلك الكلام فقال لمن كانه سئل عن ذلك قال له موسى هل طالبا
منه على سبيل التادب والتلطف باظهار ذلك في قالب الاستئذان هل اتبعك اي اتباعا بليغا حيث
توجهت وانى الاتباع الاتيان بمثل فعل الخير المجرد كونه اتاه ودين انه لا يطلب منه غير العلم لقوله
على ان تعلمني وزاد بالتلطف والاشارة الى انه لا يطلب جميع ما عنده ليطول عليه الزمان بل جوامع
منه يسترشد بها الى باقيه فقال مما علمت وبناه للمفعول لعلم المخاطبين لكونه من الخلق بان الفاعل
هو الله سبحانه والاشارة الى سهولة كل امر على الله تعالى رشدا اي علما يرشدني الى الصواب فيما اقصده ولا نقص
في تعلم نبي من نبي حتى يدعى ان موسى ليس موسى بن عمران عليه السلام فانه قد ثبت كونه ابن عمران في الصحيح
والنبي صلى الله عليه وسلم في سواله له في هذه الانواع من الاداب والابلاغ في التواضع كما هو عليه من الرسوخ
في العلم لان كل من كانت احاطته بالعلوم اكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة اكثر فكان طلبه لها اشد
فكان تعظيمه لارباب العلوم اكمل ولما اتم العبارة عن السوال استانف جوابه له بقوله قال اي الخضر انك
لن تستطيع يا موسى معي صبرا اي هو من العظمة على ما اريد لما تحثك على عدم الصبر من ظاهرها لشرع الذي
امرت به فانكون للتخطم بما يوذن به تا الاستفعال واكد هذا في سوال موسى عليه السلام من التلطف المودك
بانه لصبير عليه ولا يخالفه في شي اصلا ويوخذ منه ان العالم ان راى في التغليظ على المتعلم ما يفيده نفعا
وارشادا الى الخير كان عليه ذكره فان السكوت عنه يوقع المتعلم في الغرور والنخوة وذلك يمنعه من
التعلم ولما كان المقام صعبا جدا الا انه بالنسبة الى اوامر الله تعالى بينه على وجوه ابلغ من نفي الاخص
وهو الصبر البليغ كتعجيب من نطق الصبر معتذرا عن موسى عليه السلام في الانكار وعن نفسه في
الفعل بان ذلك بالنسبة الى الظاهر والباطن فقال عاطفا على ما تقديره فكيف تستطيع الاتباع البليغ
وكيف تصبر يا موسى على ما لم تحط به خبرا اي من جهة العلم به ظاهرا او باطنا فاشار بالاحاطة
الى انه كان يجوز ان يكون على صواب ولكن يجوز الا يسقط عليه عنه وجوب الامر ويجوز ان يكون هذا التقليد
لما تبلغه فيكون الصبر الثاني هو الاول والمعنى انك لا تستطيع الصبر لاني ادري لانك لا تعرف فعلي
على ما هو عليه فتراه فاسدا قال اي موسى عليه السلام انتهاية التواضع لمن هو اعلم منه ادبا لما ينبغي
ستجدني فاكدا الوعد بالسين ثم احجم عنه سبحانه انه قوى تاكيده
في طلب العلم ربما يسهل الله له والنفع به بقوله
بالتبرك بذكر الله تعالى لعلمه بصعوبة الامر على الوجه الذي تقدم الحث عليه في هذه السورة في قوله
تعالى ولا تقولن لشي اني فاعل الاية ليعلم انه منهاج الانبيا وسبيل الرسل فقال ان شا الله اي الذي له صفات
الكمال صابرا على ما يجوز الصبر عليه ثم زاد التاكيد بقوله عاطفا بالواو على صابرا لبيان التمكن في كل امر
من الوصفين ولا اعصي اي وغير عاص لك امرا تامرني به غير ما يخالف لظاهر امر الله قال اي الخضر فان
اتبعتني يا موسى اتباعا بليغا فلا تسالني عن شي اي قوله اواقعله حتى احدث لك منه ذكرا خاصة
بين له وجه صوابه فاني لا اقدم على شي الا وهو صواب جايز في نفس الامر وان كان ظاهره غير ذلك ولما تشارطا
وتراضيا على الشرط تسبب عن ذلك قوله فانطلقا اي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان
سفينة يركب فيها واستمرا حتى اذا ركبا في السفينة واجاب الشرط بقوله خرقها وعرفنا الارشاد
الشاق بذكر مجمع البحرين الى ان انطلاقهما كان لطلب سفينة فكانت لذلك كانها مستحضرة في الذهن ولم يقرن
خرق بالفا لانه لم يكن مسببا عن الركوب وكان في اول احيانه ثم استانف قوله قال اي موسى عليه السلام
منكرا لذلك لما في ظاهره من الفساد باتلاف المال المال المفضي الى فساد اكبر منه باهلاك النفوس ناسيا
لما عقد على نفسه لما دهمه مما عنده من الله وهو الاله العظيم من العهد الوثيق المكرر في جميع اسفار التوراة
بعد اثباته في لوحي الشهادة في العشر الكلمات التي نسبتها من التوراة كنسبة الفاتحة من القران بالامر
القطعي انه لا يقر على منكر ومن المقرر ان النهي اجب على العهد على انه لو لم ينس لم يترك الانكار كما فعل عند
قتل الغلام لان مثل ذلك غير داخل في الوعد لان المستثنى شرعا كالمستثنى وضعا فنفى الاول نسى الشرط وفي

وفي الثانية نسي لما دهمه من فظاعة القتل الذي لم يعلم فيه من الله امرا ينفي تعليق لشأنها اسعلته
اخرقتها وبين عذره في الانكار بما في غاية الخوف من الفظاعة فقال لتغرق اهلها والله لقد جئت شيئا
اي عظيما منكرا عجيبا شديدا قال الخضر الم اقل انك يا موسى لن تستطيع معي صبرا فذكره بما قال له
عند الشرط قال موسى لا تؤاخذني يا خضر بما نسيت من ذلك الاشتراط ولا ترهقني اي تلحقني بلا حقيقة وتجلني
عن مرادي باتباعك على وجه القهر ناسيا الى السفه والخفة وركوبا للشر من امري عسرا بالمؤاخذة
على النسيان فكل منهما صادق فيما قال موقف بحسب ما عنده اما موسى عليه السلام فلانه ما خطر له قط ان يعاهد
على الا ينهى عما يعتقده منكرا واما الخضر فانه عوّل على ما في نفس الامر لانه لا يقدم على منكر ومع ذلك
فانه بقي الا الصبر البليغ الذي دل عليه بزيادة تاء الاستفعال وقد حصل ما يطلق عليه صبر لانه لما ذكره كف
عنه لما يذكر بينا اسد عليه انه لا يفعل باطلا ولم يحصل الصبر البليغ الذي في نفس الخضر بالسكوت في اول الامر واخره
فانطلقا بعد نزولهما من السفينة وسلامتهما من الغرق والغصب حتى اذا لقيا غلاما لم يبلغ الحلم وهو
في غاية القوة فقتله حين لقيه كما دلت عليه الفاء العاطفة على الشرط ثم اجاب الشرط بقوله مشعرا بانه سرّع
في الانكار في هذه اسرع قال اي موسى اقتلت يا خضر نفسا زاكية بكونها على الفطرة الاولى من غير ان يدنس
به الا ان يكون شرعهم لا يشترط البلوغ ثم استانف قوله بغير نفس في قتلك اياها لقد جئت وصرّح بالانكار في
قوله نكرا لانه مباشر والخرق بسبب لا يلزم منه الغرق ولما كانت هذه ثابتة قال الخضر الم اقل
لك انك يا موسى لن تستطيع معي اي خاصة صبرا قال موسى حياء منه لما افاق بتذكره مما حصل
من فرط الوجد لامر الله تذكر انه ما تبعه الا بامر الله ان سألتك عن شيء بعدها اي اخي واعلم بشدة ندمه على الانكار
بقوله فلا تصاحبني بل فارقني ثم علل ذلك بقوله قد بلغت واشار الى ان ما وقع منه من الاخلال
بالشرط من اعظم الخوارق التي اضطر اليها فقال من لدني عذرا باعتراضي مرتين واحتمالك لي فيهما وقد اخبر
الله عن حال الذي غارة على فانطلقا بعد قتله حتى اذا اتيا اهل قرية عبر عنها هنا بالقرية دون المدينة
لانه ادل على الذم لان مادة قرا تدور على الجمع الذي يلزمه الامساك كما تقدم في اخر سورة يوسف عليه السلام
ثم وصفها ليبين ان لما قد فعلنا في لوم اهلها بقوله استطعما واظهر ولم يضمر في قوله اهلها لان الاستطعام
لبعض من اذكل من الاتيان والاستطعام لبعضهم لكنه غير متحد وهذا هو الظاهر لانه الموافق للعادة قال الامام
ابو الحسن الحرالي في كتابه مفتاح الباب المقفل لفهم القران المنزل ولتكرار الاسما بالاظهار دون الاضمار بيان متلين
لا يضمر في القران اعلم ان لوقوع الاظهار رد الاضمار في بيان القران وجهين احدهما متقدم فيه الاظهار وهو
خطاب المؤمنين بالايات لا فاق وعلى نحوه هو خطاب بخلق لبعضهم لبعض لا يضمرون الا بعد ان يظهروا والثاني
يتقدم فيه الاضمار وهو خطاب الموقنين بانه الايقن ولم يصل اليه مخاطبة لخلق فاذا كان البيان عن احاطة
تقدم الاضمار قل هو الله احد واذا كان عن اختصاص تقدم الاظهار الله الصمد واذا رد عليه بيان على حدة
اضمر لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد واذا احاط البيان بعد اختصاص استؤنف له احاطة باستيناف
اظهار محيطا وباضمار او بجمع المضمر والمظهر يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله
سميع عليم ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة والتفطن لما
اختص به بيان القران عن بيان الانسان من هذا النحو من مفاتيح ابواب الفهم ومن نحوه اتيا اهل قرية استطعما
اهلها استانف للمستطعمين اظهارا غير اظهار عموم الماتين انتهى وجعل السكي الاتيان للبعض والاستطعام
للكل لانه اشد ذما لاهل القرية وادل على سوء طبعهم ومن قال بالاول ويريد بقول الى فعي في كتاب الرسالة
في باب ما نزل من الكتاب على ما يراد به العام ويدخله الخصوص وهو يعد البيان الخامس وهكذا قول الله عز وجل
حتى اتيا اهل قرية استطعما اهلها وفي هذه الاية دلالة على ان لم يستطعما اهل كل القرية دفيه خصوص
انتهى وبرهان ذلك ان النكرة اذا اعيدت كانت للثانية غير الاولى واذا اعيدت معرفة كانت عينها
في الاغلب فلما اسند الاتيان الى اهل القرية كان ظاهرهم تناول الجميع فلو قيل استطعماهم لكان المراد بالضمير
غير الماتين فلما عدل عنه مع انه احضر الى الظاهر ولا سيما ان جعلنا نكرة كان غير الاول والا لم يكن للعدول
فايدة وقد كان الظاهر ان الاول للجميع فكان الثاني للبعض والا او الا لم يكن غيره ولا كان للعدول فايدة فابوا
اي تسببت عن استطعامهما ان ابى المستطعمون من اهل القرية ان يضيفوهما اي ينزلوهما ويطعموهما فانصرفا
عنهم فوجدا فيها اي القرية ولم يقل فيهم ايذانا بان المراد وصف القرية بسوء الطبع جدارا مشرفا على السقوط

السقوط وكذا قال يستعير لما لا يعقل صفة ما يعقل يريد ان ينقض ان يسقط سريعا فمسحه الخضر بيده
فاقامه ولما انقض كوصف القرية وما تسبب عنه اجاب اذا ابقوله قال اي له موسى عليه السلام لو شئت
لتخذت لكوننا لم يصل الينا منهم شيء عليه اي على اقامة الجدار اجرا ناكل به فلم يعترض عليه في هذه المرة لحدوم ما ينكر
فيها وانما خاف ما تبين من نحو لقاسات العرض والمستورة غير انه يتضمن السؤال قال الخضر هذا اي الوقت او السؤال
ولما كان ذلك سبب الفراق او محله سماه به مبالغة فقال فراق بيني وبينك يا موسى بعد ان كانا لبنيان بيننا واحدا
لا تصالها فلا من ثبوت الحقيقة فرق ما كان متصلا من بينهما او فراق التفاول الذي كان بيننا اي الفراق الذي عينه
السؤال او واذا نزل على الاحتمال ان داود وطهور التقديره فراق بيني من بينك كما اخبرت وفراق بيني من بينك من بيني
كما شرطت فقد ابنت هذه العبارة الفراق على ابلغ وجه وذلك انه اذا وقع فراق شيء من بينك بحائل يحول
بينهما فبين كل منهما من منصرف ذلك الفراغ اليه فاذا ادخل في ذلك الفراغ شيء فصل بينهما وصار بين كل منهما بنسب
اليه لانه صار بينهما ينتسب الى كل منهما من الكمين وحينئذ يكون بينهما مباينة اي ان بين كل منهما غير بين الاخر ومن قال
ان معنى هذا فراق بيننا والنفصل ووجود الوصل كذبه انه معنى هذا الاتصال بيننا المواصلة فلو كان
هذا معنى ذلك ايضا اتحد معنى ما يدل على الوصل بمعنى ما يدل على الفصل وقد نبه الله تعالى موسى عليه السلام
كما في تفسير الاصبهاني وغيره بما فعل الخضر عليه السلام على ما وقع له هو من سلامته سوابسوا انتبه بخرق السفينة
الذي ظاهره هلاك وباطنه نجاة ونقتل الخدام من يد الغاصب على التابوت الذي اطبق عليه والقي في اليم خوفا
عليه من فرعون الغاصب فكان ظاهره هلاكا وباطنه نجاة وبقتل الغلام على انه كان معصوم الحركة في نفس الامر
في قتلة القبطي وان لم يكن اذ ذاك نبيا له لكونه لم ينبأ وباقامة الجدار من غير اجر على سقيه لبنات شعيب عليهم
السلام من غير اجر مع احتياجه لذلك ولما كان من المعلوم عن استشراف موسى عليه السلام الى الوقوف على
باطن هذه الامور قال مجيبا له عن هذا السؤال سانبئك يا موسى بوعد لا خلف فيه انبأ عظيما بتأويل اي
بترجيع ما لم تستطع عليه صبرا لمخالفته عندك الحكمة الى الحكمة وهوان عند تعارض الضررين يجب ارتكاب الادنى
لدفع الاقوى بشرط التحقق واثبت تاء الاستفعال هنا وفيما قبله اعلاما بانه ما نفى الا القدرة البليغة على الصبر
لا مطلق القدرة اشارة الى صعوبة ما حمل موسى عليه السلام من ذلك لا مطلق القدرة على اصبا اما السفينة
التي احسن الينا اهلها فخرقتها فكانت لمساكين وهو دليل الشافعي على ان الفقير اسوا حالا من المسكين لانهم لا
يملكون سفينة يعملون في البحر يستعينوا بذلك على معاشهم ولما كان التعييب من فعله اسنده لنفسه فاقتضه
تادبا مع الله تعالى فقال فاردت ان اعيبها فان تقويت سفينتها بذلك الساعة من لطار وتكلف اهلها لو فيا يسدونه
به اخف ضررا من تفويتهم سفينتهم اصله وداشا باخذ الملك لها ولم ارد اغراق اهلها كما هو المتبادر الى الفهم
ثم عطف على ذلك علة فعله فقال وكان وراءهم اي امامهم وعبر بلفظ وراء كناية عن الاحاطة بلفظ بنفوذ
الامر في كل وجه وارتكاب او وارد ها وضع وفسر الحرالي في سورة البقرة بانه وراءهم في عيبتهم عن علمهم وان كان
امامهم في وجههم لانه نسل لورا بما لا ناله الحس ولا العلم حيث كان من المكان قال فربما اجتمع ان يكون الشيء
وراء من حيث انه لا يعلم ويكون اماما في المكان ملك يأخذ في ذلك الوقت كل سفينة ليس فيها عيب غصبا
من اصحابها ولم يكن عند اصحابها علم به ولما كان كل من الغصب والمسكنة سببا للفعله قدمها على الغصب اشارة
الى ان اقوى الشيئين الحاملين على فعله الرافة بالمساكين واما الغلام اي الذي قتلته فكان ابواه مؤمنين
وكان هو مطبوعا على الكفر كما يأتي من حديث ابي رضي الله عنه ولما كان يحتمل عند الخضر عليه السلام ان يكون هذا الغلام
مع كفره في نفسه سببا لكفر ابويه ان كبر وكان امر الله له بقتله مثل فعل من يخشى ذلك اسند الفعل اليهما في قوله
فخشينا ان يرهقهما اي يغشيهما ويلحقهما ان كبر محبته او جراته وقساوته طغيانا اي تجاوزا في الظلم
لهما وافراطا فيه عليهما وكفرا لنعمتهما فيفسد دنياهما او يحملهما حبهما له على الطغيان والكفر باستطاعة له
فيفسد دينهما روى مسلم في القدر وابو داود في السنة والترمذي في التفسير عن ابن عباس عن ابي بن كعب رضي
الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق ابويه طغيانا وكفرا
وهذا وصريح سبحانه بما كانوا عاملين بما يدل على ان العذاب على ما لو وجد شرطه لوقع انما يكون على ما كانت جبلة وطبعا
لا ما كان عارضا ولا لعذب الابوان على تقدير ان يكون المعلوم من الكفر منهما ولما ذكر ما يلزم على تقدير بقائه من الفساد
سبب عنه قوله فاردنا اي بقتله واراحتهما من شره ولما كان التعويض عن هذا الولد من وحده اسند الفعل
اليه في قوله ان يبدلهما ربهما اي المحسن اليهما باعطائه واخذه خيرا منه زكاة طهارة وبركة اي من جهة كونه

كان ظاهر الزكا في الحال واما في المال فلو عاش كان فيه خبيثا ظاهر الخبث وهذا البدل يمكن ان يكون الصبر عليه ويمكن ان يكون ولدا اخر وهو المنقول وانها كانت بنتا **واقرب رحما** برا بهما وعطفا عليهما ورحمة لهما فكان الضرر اللاحق لهما بالتأسف عليه ادنى من الضرر اللاحق لهما عند كبره بافساد دينهما او دنياهما **واما الجدار** الذي اشرت باخذ الاجر عليه **فكان لغلامين** ودل على كونهما دون البلوغ بقوله **يتيمين** ولما كانت القرية لا تنافي التسمية بالمدينة وكان التعبير بالقرية اولا اليق لانها مشتقة من معنى الجمع فكان اليق بالذم في ترك الضيافة لاشعاره بحالة الاجتماع وبخلهم بالجمع والامساك وكانت المدينة بمعنى الاقامة فكان التعبير بها اليق بالذم في ترك الاشارة به الى ان الناس يقيمون فيها فينهدم الجدار وهم مقيمون فيأخذون الكنز قال **في المدينة** ولذلك اثبته احتسابا **وكان تحته كنز** اي مال مذخور **لهما** لو وقع لكان اقرب الى ضياعه **وكان ابوهما صالحا** ينبغي مراعاته وخلفه في ذريته ولما كان الابلاغ الى حد البلوغ والاستخراج فعل الله اسنده له خاصة فقال **فاراد ربك** اي المحسن اليك بهذه التربية اشارة الى ما فعل بك من مثلها قبل النبوة كما بين **ان يبلغا** اي الغلامان **اشدهما** اي رشدهما وقوتهما **ويستخرجا كنزهما** لينتفعا به وينفعا الصالحين **رحمة** بهما **من ربك** اي الذي احسن تربيتك وانت في حكم اليتيم فكانت التعب في اقامة الجدار مجانا ادنى من الضرر اللازم من سقوطه لضياع الكنز وفساد الجدار وقد دل هذا على ان صلاح الاباء داع الى العناية بالابناء روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما لم حفظ الله كنز الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه قال انبأنا الله انكم قوم خصمون **وما فعلته** اي شيئا من ذلك **عن امري** بل عن امر من له الامر وهو الله ولما بان بهذا الامر تلك القضايا قال مسددا للامر **ذلك** اي الشرح العظيم **تاويل ما لم تسطع عليه** يا موسى **صبرا** وحذف تاء الاستطاعة هنا لصيرورة ذلك بعد كشف الغطاء في حيز ما يحمل فكان منكره غير صابر اصلا لو كان عنده مكشوفا من اول الامر وسقط وبالله التوفيق بما قررته في هذه القصة ما يقال من ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن قول سليمان عليه السلام الخبر في الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه لاطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تلد فارسا يجاهد في سبيل الله فلم تلد منهن الا واحدة جاءت بشق ولد وانه لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا اجمعون فافهم ذلك ان كل نبي استثنى في خبره صدقه الله تعالى كما وقع للذبيح انه قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى فاما موسى عليه السلام وهو من اولي العزم فقال مع الاستثناء ما نقل فان الذبيح صبر على ما هو قاطع بانه بعينه امر الله بخلاف موسى عليه السلام فانه كان ينكر ما ظاهره منكر قبل العلم بانه من امر الله فاذا انبه صبر واما قول النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله اخي موسى وددنا لو انه صبر حتى يقص علينا من امرهما فمعناه صبر على الاذن للخضر عليه السلام في مفارقته في قوله فلا تصاحبني ويدل عليه ان في رواية مسلم رحمة الله علينا وعلى موسى لولا انه عجل لرأى العجب ولكنه اخذته ذمامة قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فتحرر انه وفى بمقام الشرع الذي اقامه الله فيه فلم بمقام الفصل الذي ليس فيه ما يخالف ما يعرف ويستحضر من الشرع وكيف لا وهو من اكابر اولي العزم الذين قال الله تعالى لاشرف خلقه في التسليات بسببهم فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال عليه السلام فيما اخرجه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اوذي من بعض من كان معه في حنين فتلون وجهه وقال يرحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر وعلم ان في قصة هذا حثا كثيرا على التجاهر بالمبادرة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمصابرة عليه وان لا يراعى فيه كبير ولا صغير اذا كان الامر على ثقة من امره في مجاهدته من ذلك من العلم عن الله ورسوله وائمة دينه وتنبيها على انه لا يلزم من العلم اللدني ان كان صاحبه نبيا او وليا معرفة كل شيء كما يدعيه اتباع بعض الصوفية لان الخضر سأل موسى عليهما السلام من انت وهل انت نبي بني اسرائيل كما يأتي روى البخاري في التفسير من روايات مختلفة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابي بن كعب رضي الله عنه حدثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى رسول الله ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب فادركه رجل فقال اي رسول الله هل في الارض احد اعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم الى الله فاوحى اليه بلى عبد من عبادي بمجمع البحرين فقال اي رب كيف السبيل اليه قال تأخذ حوتا في مكتل فحيثما فقدته فاتبعه وفي رواية خذ نونا ميتا حيث ينفخ فيه الروح فخذ ومعه فتاه يوشع بن نون حتى انتهيا الى الصخرة فوضع موسى رأسه فنام في ظل الصخرة في مكان ثريان اذ تضرب الحوت وفي رواية وفي اصل تلك الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء الا حيي فاصاب الحوت من ماء تلك العين فا

فانسل من المكتل فدخل البحر فامسك الله عنه جرية البحر حتى كان اثره في حجر فقال فتاه لا اوقظه حتى اذا استيقظ نسي ان يخبره فذكر سفرهما وقال موسى عليه السلام لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال قد قطع الله عنك النصب فرجعا فوجدا خضرا على طنفسة خضراء على كبد البحر مسجى بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال هل بارضي من سلام من انت قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم قال فما شأنك قال جئت لتعلمني قال اما يكفيك ان التوراة بيديك وان الوحي يأتيك يا موسى ان لي علما لا ينبغي لك ان تعلمه وان لك علما لا ينبغي لي ان اعلمه اي لا ينبغي لك ان تعمل بالباطن ولا ينبغي لي ان اعمل او اقف مع الظاهر اطلق العلم على العمل لانه سببه فانطلقا يمشيان على الساحل فوجدا معابر صغارا تحمل اهل هذا الساحل الى اهل هذا الساحل الاخر فعرفوا الخضر فقالوا عبد الله الصالح لا نحمله باجر فحملوهم في سفينتهم بغير نول يقول بغير اجر فركبا السفينة ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر وفي رواية فاخذ بمنقاره من البحر وفي رواية فنقر نقرة او نقرتين فقال له ما علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا من البحر فلم يفجأ موسى الا الخضر عمد الى قدوم فخرق السفينة ووتد فيها وتدا فذكر انكاره وجوابه ثم قال وكانت الاولى من موسى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا فذكر القصة وقال في اخرها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددنا ان موسى صبر حتى يقص علينا من امرهما ولما فرغ من هذه القصة التي حاصلها انها طواف في الارض لطلب العلم عقبها بقصة من طاف الارض لطلب الجهاد وقدم الاولى اشارة الى علو درجة العلم لانه اساس كل سعادة وقوام كل امر فقال تعالى عاطفا على ويجادل الذين كفروا بالباطل **ويسألونك** اي الرجل الصالح **عن ذي القرنين** سمي لشجاعته او لبلوغه قرني مغرب الشمس ومشرقها او لانقراض قرنين من الناس في زمانه او لانه كان له ضفيرتان من الشعر او لانه كان لتاجه قرنان وهو اسكندر الاول ونقل ابن كثير عن الازرقي انه كان على زمن الخليل عليه السلام وطاف معه بالبيت ومن المناسبات الصورية ان في قصة كل منهما ثلاثة اشياء اخرها بناء جدار لا سقف له وانما هو لاجل حفظ ما تحته به خوف المفسد وصدرها بالاخبار عن سؤالهم اشارة الى انهم لم يسألوا عن التي قبلها على ما فيها من العجائب واللطائف والاسرار واللطائف والمعارف تبكيتا لليهود في اغفالهم الامر بالسؤال عنها ان كان مقصودهم الحق وان لم يكن مقصودا لهم كانوا بالتبكيت اجدر او يكون معطوفتهم على سؤالهم الاولى وهي الروح وصدرها بالاخبار بالسؤال تنبيها على ذلك الفصل اشارة الى ان ذلك كله مرتبط بجوابهم ارتباط الدر بالسلك ولما كان من المعلوم ان يقول صلى الله عليه وسلم فماذا اجيبهم قال **قل** اي لهم **سأتلوا** اي اقص قصصا متتابعا في مستقبل الزمان ان اعلمني الله **عليكم** ايها المشركون واهل الكتاب المعلمون لهم متقيدا بامر الله كما سلف لك الامر به **منه ذكرا** كافيا لكم في تعرف امره جامعا لمجامع ذكره ولما كانت قصته من ادل دليل على عظمة الله جل دعا في ذلك المظهر فقال **انا** مؤكدا لان المخاطبين بصدد النعت والانكار **مكنا** اي بما لنا من العظمة تمكينا يليق بالملك ونصره وقيل انه النبوة لان ما ينسب الى الله تعالى على سبيل الامتنان والاحسان جدير بان يحمل على النهاية لا سيما اذا اعتبر عنه بمظهر العظمة **له في الارض** مكنة يصل بها الى جميع مسالكها ويظهر بها على سائر ملوكها **واتيناه** بعظمتنا **من كل شيء** يحتاج اليه في ذلك **سببا** قال ابو حيان واصل السبب الحبل ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به الى المقصود فاراد بلوغ المغرب ولعله بدأ به لانه باب التوبة فيه **فاتبع** اي بغاية جهده هنا على قراءة ابن كثير ونافع وابي عمرو بالتشديد والمعنى على قراءة الباقين بقطع الهمزة واسكان الفوقانية الحق بعض الاسباب ببعض وذلك كنفس قراءة التشديد **سببا** يوصله اليه واستمر سالكا له **حتى اذا بلغ** في ذلك المسير **مغرب الشمس** التي الحد الذي لا يتجاوزه ادمي في جهة الغرب **وجدها** فيما يحس بحاسة لمسه **تغرب** كما احسه بحاسة بصره من حيث انه متصل بما وصل اليه بحيث لا حائل بينه وبينه **في عين حمئة** اي ذات حمأة اي طين اسود وهي مع ذلك حارة كما ينظر من في وسط البحر انها تغرب فيه وتطلع منه وعنده القطع بان الامر ليس كذلك **ووجد عندها** اي على الساحل المتصل بتلك العين **قوما** كفارا لهم قوة على ما جاء دلونه ومنعه فكأنه قيل ماذا امر فيهم فاجيب بقوله **قلنا** بمظهر العظمة **يا ذا القرنين** اعلاما بقربه من الله وانه لا يفعل الا ما امره به اما بواسطة الملك ان كان نبيا وهو الظاهر من الاحتمالات او بواسطة نبي زمانه او باجتهاده في شريعته الاجتهاد المصيب **اما ان تعذب** اي هؤلاء القوم بهذه السيف فيهم بكفرهم **واما ان تتخذ** اي بغاية جهدك **فيهم حسنا** امرا له حسن عظيم وذلك هو البداءة بالدعاء اشارة الى ان القتل ان كان جائزا فالاولى ان لا يفعل الا بعد الياس من الرجوع عن توجيهه **قال اما من ظلم** باستمراره على الكفر فانا نرفق حتى نياس منه ثم نقتله وهو لذلك اشار بقوله **فسوف نعذبه** بوعد لا خلف فيه

نعم طول الدعاء والتوقف ثم يرد بعد الحياة بالموت او بعد البرزخ بالبعث ردا هو في غاية السهولة الى ربه
الذي احسن اليه بفرد تربيته فيعذبه عذابا نكرا شديدا جدا لم يعهد مثله لكفره لنعمه وبذله
خيره في عبادة غيره وفي ذلك اشارة بالتهديد الشديد لليهود العارين لقريش وارشاد لقريش لما ان يسالوا
عن قوله هذا ليكون قايدا لهم الى الاقرار بالبعث واما من امن وعمل صالحا تصديقا لما اخبره به من تصديقه
فله في الدارين جزا طريقته الحسنى منا ومن اسبابنا حسن منها وسنقول بوعدنا الذي لا خلف فيه باختياره بالاعمال
الصالحة له اي لاجله من امرنا الذي نامره فيه يسرا اي قولا غير شاق من الصلاة والزكاة والخراج والجهاد
وغيرها وهو ما يطيقه ولا يشق عليه مشقة كبيرة ثم اتبع لارادته بلوغ مشرق الشمس سببا من جهة الجنوب
يوصله الى المشرق واستمر فيه لا يمل ولا يغلبه امة مر عليها حتى اذا بلغ في مسيره ذلك مطلع الشمس اي الموضع
الذي يطلع عليه اولا من المعمور من الارض وجدها تطلع على قوم لم نجعل على ساحل البحر لهم قوة شديدة لم نجعل لهم
ولما كان المراد التعميم اثبت الجار فقال من دونها اي من ادنى الاماكن اليهم اول ما يطلع سترا يحول بينهم وبين
المحل الذي يرى طلوعها منه من البحر من جبل ولا ابنية ولا شجر ولا غيرها ولما كان امره مستغربا في نفسه في
الاطلاع عليه لا سيما عند العرب قال تعالى كذلك اي امره كما ذكرنا لكم على سبيل الاختصار وقد احطنا
بما لنا من العظمة بما لديه كله من الامور التي هي اغرب المستغرب خبرا اي من جهة بواطن اموره فضلا عن
ظواهرها فلا يستغرب اخبارنا عن ذلك ولا عن امر اصحاب الكهف لا نظن ان نفصل امور الروح خفي عنا
لانا مطلعون على خفايا الامور وظواهرها شواهدها وغرايبها وكيف لا ونحن اوجدناها وما تركنا الا ندكر من ذلك
الا ما تدعوا اليه الحكمة فلو شينا لبسطنا هذه القصة وقصة اهل الكهف وفصلنا امر الروح تفصيلا
يعجز عن حفظه الالباب ثم اتبع سببا اي ارادته ناحية السد يحجز ياجوج وماجوج سببا من جهة الشمال
واستمر اضرابه حتى اذا بلغ في مسيره ذلك بين السدين اي الجبلين المانعين من وراءهما من الوصول
منهما الى من امامهما وهما بمنقطع ارض الترك من بلاد ارمينية واذربيجان املسان نزلق عليهما كل شي قرا ابن
كثير وابو عمرو وحفص عن عاصم بفتح السين والباقون بضمها فقيل هما بمعنى واحد وقيل المضموم من فعل الله والمفتوح
من فعل الناس وجد من دونهما اي بقربهما من الجانب الذي هو ادنى منهما الى الجهة التي اتى منها ذو القرنين
قوما اي امة يا لغتهم في غاية البعد من لغات بقية الناس لبعد بلادهم من بقية البلاد فهم لذلك
لا يكادون يفقهون قولا اي لا يقربون من ان يفهموه ممن مع ذي القرنين فهما جيدا كما يفهم غيرهم ودل وصفهم
بما يأتي على انهم يفهمون فهما ما بعد بعد ومحاولة طويلة لعدم ما هو بلسانهم ممن مع ذي القرنين وعدم ما هو
منهم بلسان واحد ممن معه وهذا يدل على ان بينهم وبين بقية سكان الارض غير ياجوج وماجوج براري شاسعة
شاسعة وفيافي واسعة منعت من اختلاطهم بهم وان علمهم لطبعهم بلسان غيرهم لعيد جدا لقلة حفظهم
بخروج بلادهم عن حد الاعتدال ولغير ذلك ويلزم من ذلك انهم لا يكادون يفهمون غيرهم شيئا من كلامهم
وذلك معنى قراءة حمزة والكسائي بضم التحتانية وكسر القاف ودل على ان عدم فهمهم وافهامهم متقيد بما
مضى قوله قالوا اي مترجمهم يا ذا القرنين وجبر انهم الذين من دونهم كما في مصحف ابن مسعود ممن يعرف بعض كلامهم
او بالاشارة كما يخاطب البكم مشيرا الضرر ان ياجوج وماجوج وهما قبيلتان من الناس من
اولاد يافث لا يطاق امرهم ولا يطفا جمرهم وقد ثبت في الصحيح في حديث بعث النار انهم من ذرية ادم عليه السلام
مفسدون في الارض بانواع الفساد فهل نجعل لك خرجا نخرجه لك من اموالنا هذا على قراءة الجماعة وزاد
حمزة والكسائي الفا فقيل هما بمعنى واحد وقيل بل الخرج ما تبرعت به والخراج بالالف ما لزمك على ان تجعل
في جميع ما بيننا وبينهم من الارض التي يمكن توصلهم الينا منها بما اتاك الله من المكنة سدا يحول بين
هذين الجبلين قال بتعففه وديانته وقصد الخير ما مكني ولما كان للمكنة حالتان احداهما ظاهرة وهي ما
شوهد من فعله ببعد وقوعه وباطنه لا يبقى احد على ما يحدس ولا يتوهم الا تمام ما لم يولف مثله فلا يبقع المتوهم
عليه قرا ابن كثير باظهار النون في مكنني وغيره بالادغام اشارة اليه ولما كان النظر الى ما يبقع المكنة فيه
الكي وقدم ضميره فقال فيه ربي اي المحسن الي مما ترون من الاموال والرجال والفهم في اتقان الامور والتوصل
الى جميع الممكن للمخلوق خير اي من خرجكم الذي تريدون بذله لمكنتي كما قال سليمان عليه السلام فما اتاني الله
خير مما اتاكم فاعينوني بقوة اي الات وعمال تقوى بها في فعل ذلك فان اهل البلاد اخبر بما يصلح في هذا العمل
من بلادهم وما هي له من التناول وما يكون من اسبابه لا مثل هذا اجعل بينكم اي بين ما تحفظون به وبينهم

مكنني

ردما آتوني اي حاجزا حصينا موثقا بعضه فوق بعض مع التلاصق المتلاحم الموجب لتمييز بعضه
من بعض وهو اعظم من السد قال البغوي حفر له الاساس حتى بلغ الماء وجعل حشوه الصخر وطينه النحاس
يذاب فيصب عليه فصار كانه عرق من جبل تحت الارض آتوني بفتح الهمزة ومدها على قراءة الجماعة اي
اعطوني وبكسر وصل وهمزة بعدها ساكنة اي جيئوني وقالوا الى ثقلي اجبتكم الى سؤلكم ثم ابتدا مخبرا على هذه
القراءة فقال زبر الحديد اي عليكم به فاحضروا الى قطعه فانه يكون ما فوق الاساس بعضه على بعض
صفا من الحديد وصفا من الحطب قال البغوي فلم يزل يجعل قطع الحديد على الحطب والحطب على الحديد حتى اذا ساوى
اي بذلك البناء بين الصدفين تثنية اي على منقطع الجبلين الموصوفين سميا لتصادفهما اي تقابلهما وتقاربهما
بالبناء على تلك الحالة عرضا وطولا وقراءة من فتح الصاد والدال وهم نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم دالة على
ان تقابلهما في غاية الاستقامة فكانهما جدار فتح فيه باب وقراءة ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضمهما دالة على
انه مع ذلك في غاية القوة حتى ان اعلاه واسفله سواء وقراءة شعبة عن عاصم بالضم واسكان الدال دالة على
اشد ثبات واتقنه في كل منهما فلا يتخرش منها شي على طول الزمان بريح ولا غيرها من فساد في احد الجانبين برخاوة من
سباخ او غيره قال اي للصناع انفخوا في الاكوار ونفخوا فاضرم فيه النار واستمر ذلك حتى اذا جعله اي كله نارا
قال للقوم ائتوني بالنحاس افرغ عليه اي الحديد المحمي قطرا منه بعدما اذيب فان القطر النحاس المذاب هذا في قراءة
حمزة وابي بكر عن عاصم باسكان الهمزة وقراءة الباقين بفتح الهمزة ومدها بمعنى اعطوني انه لما اكمل عمله واحكمه فما
اسطاعوا اي ياجوج وماجوج وغيرهم ان يظهروه اي يعلوا ظهره لعلوه وملاسته وما استطاعوا له نقبا
لثخنه وصلابته وزيادة التاء هنا تدل على ان العلو عليه اصعب من نقبه لارتفاعه وصلابته والتحام بعضه
ببعض بعضه ببعض حتى صار سبيكة واحدة من حديد ونحاس في علو الجبل وقد حكى ابن خرداذبة عن سلام الترجمان
الذي ارسله امير المومنين الواثق اليه حتى راه ان ارتفاعه مد البصر وانهم لو افتقا الا ابيتا دونا من جانبهم ونقب
تراب حتى ظهروا عليه لم ينفعهم ذلك لانه لا حيلة لهم على النزول من الجانب الاخر ويوضح انهم انما يخرجون في اخر
الزمان بنقبه لا بظهوره ولا ينافي نفي الاستطاعة لنقبه ما رواه الامام احمد والترمذي في التفسير وابن
ماجه في الفتن عن ابي رافع عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ياجوج وماجوج
ليحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون
اليه كاشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال
لهم الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله فيستثني فيعودون اليه وهي كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون
على الناس الحديث وفي حديث الصحيحين عن زينب بنت جحش رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من
ردم ياجوج وماجوج مثل هذا وحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه عن ابي هريرة رضي الله عنه وفي مثل هذا
وعقد بتسعين فكانه قيل فما قال حين فرغه قيل قال هذا اي السد رحمة من ربي المحسن الي باقداري عليه
ومنع الفساد به فاذا جاء وعد ربي بقرب قيام الساعة جعله دكا باقدارهم على نقبه وهدمه وليسهل ذلك
عليهم والتعبير بالمصدر المنون في قراءة الجماعة للمبالغة في دكه الذي اشارت اليه قراءة الكوفيين بالمد ممنوعا من الصرف
فلما كان هذا امرا مستعظما خارقا للعادة علله بقوله وكان وعد ربي الذي وعد به في خروج ياجوج وماجوج واعتزال
الارض وافسادهم لها ثم قيام الساعة حقا كاينا لا محالة فلذلك اعان على هدمه وعن قتادة قال ذكر لنا ان
رجلا وفي رواية عن رجل من اهل المدينة قال يا رسول الله قد رايت سد ياجوج وماجوج قال انعته لي قال
كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء من حديد وطريقة سوداء وفي رواية طريقة حمراء من حديد وطريقة سوداء
من نحاس وفي رواية قال انعته لي قال رفيع اسر الحديد يحملونه رواه الطبري في سننه الى امين وابن مردويه
عنه والبزار من وجه اخر من طريق ابي بكرة رضي الله عنه ذكر ذلك شيخنا ابن حجر في تخريج احاديث الكشاف
وفي حديث فتح الباب من سيرة الحافظ ابي الربيع بن سالم الكلاعي وشيخه ابن حبيش كان امير ذلك الجيوش التي لعا
عبد الرحمن بن ربيعة في ايام عمر رضي الله عنه ما نصه وحدث مطر بن ثلج التيمي قال دخلت على عبد الرحمن بن
ربيعة بالباب وشهربراز عنده معنى وكان ملك الباب من جهة الكسرى فاقبل رجل عليه شحوب حتى جلس
شهربراز فتساءلا ثم ان شهربراز قال لعبد الرحمن اتدري من اين جا هذا الرجل اني بعثته منذ سنين نحو السد لينظر
لي ما حاله ومن دونه وزودته مالا عظيما وكتبت له الى من يليني واهديت له وسالته ان يكتب الى من
وراءه وزودته لكل ملك هدية ففعل ذلك بكل ملك بيني وبينه حتى انتهى الى الملك الذي السد في ظهر ارضه فكتب

النحاس فعملوا ذلك فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا انتهى قال الله تعالى اي فلما ثبت عن ذلك تم

تم

فكتب له الى عامله على ذلك البلد فاتاه فبعث ما زاده و معه عتابه فذكر انه احسن الى الباز بار قال
فيشكر لي الباز بار فلما انتهينا اذا جبلان بينهما سد مسدود حتى ارتفع على الجبلين بعد ما استوى بهما واذا
دون السد خندق اشد سوادا من الليل فنظرت الى ذلك وتفرست فيه ثم ذهبت لانصرف فقال لي الباز بار
على رسلك اكافيك انه لا يلي ملك بعد ملك الا تقرب الى الله بافضل ما عنده من الدنيا فيرمي به في هذا اللهب
فشرح بضعة معه فالقاها في ذلك الهوا وانقضت عليها العقاب وقال ان ادركتها قبل ان تقع فلا شي وان لم
تدركها حتى تقع فذلك شي فخرجت علينا باللحم في مخاليبها واذا فيها ياقوتة فاعطانيها وهي هذه ثم تناولها منه
شهربراز وهي حمراء فتناولها عبد الرحمن فنظر اليها ثم ردها اليه فقال شهربراز لهذه خير من هذه البلد يعني الباب
وايم الله لانتم احب الي ملكة من ال كسرى ولو كنت في سلطانهم ثم بلغهم خبرها لانتزعوها مني وايم الله لا يقوم
لكم شي ما وفيتم او وفى ملككم الاكبر فاقبل عبد الرحمن على الرسول وقال ما حال هذا الردم وما شبهه قال هذا الثوب
الذي على هذا الرجل واشار الى مطر بن ثلج وكان عليه قباء برود يمنية ارضه حمراء ووشيه اسود او وشيه احمر وارضه
سوداء فقال مطر صدق والله الرجل لقد نفذ ورأى فقال الامير كانت هديتك قال قيمتها مائة الف في بلادي هذه
وثلاثة الاف الف واكثر في تلك البلدان انتهى وقد ظهر ان ما يعنتوا به من قصص اصحاب الكهف وذي القرنين وما
ادرج فيهما تبكيتا لليهود والامرين بذلك دال على علم قيام الساعة فصار كله اعظم ملزم لهم ان يتلوه واوضح …
ان يردوه ولما انقضى ما سئلوا عنه على احسن وجه وابلغ سياق وابدع تناسب ادرج في خلاله ما ادرج الا لتذكيره
والوعظ والامر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والتبكيت للكاتمين لما عندهم من العلم الناكبين
عما استبان لهم من الطريق اللاحب والمنهج الواضح صنع القادر الحكيم الذي لا يلحقه ضجر فيستعجل ولا يستخفه
فيستمهل وختمه بما هو علم عظيم للساعة ذكر ما يكون اذ ذاك بعده الى حصول كل من الفريقين في داره ومحل استقراره ولما
كان ذلك امرا عظيما دل عليه بالنون فقال عاطفا على ما تقديره فقدر بان امر ذي القرنين اي بان وصدق في قوله
فاذا جا وعد ربي فانه اذا جا وعدنا جعلناه بقدرتنا التي نؤتيها لياجوج وماجوج دكا فاخرجناهم على الناس بعد
خروج الدجال وتركنا بعضهم اي بعض من خلف السد ومن امامه يومئذ اي اذ جعلنا السد دكا وخرجوا مقدمتهم
بالشام وساقتهم بخراسان وهم كما قال الله من كل حدب ينسلون يموج اي يضطرب في بعض كما يموج البحر فاهلكوا
ما مروا عليه من شي الا ما اراد الله ثم ابادهم الذي خلقهم ومعرب ذلك افنى الخلائق كلهم فبليت اجسامهم وتفتتت
عظامهم كما كان من بعدهم اجمعين ونفخ في الصور اي النفخة الثانية فجمعناهم ويجوز ان يكون هذه الفا
الفصيحة فيكون المراد النفخة الاولى اي ونفخ فمات الخلائق كلهم فبليت اجسامهم وتفتتت عظامهم كما كان من تقدمهم
ثم نفخ النفخة الثانية فجمعناهم من التراب بعد تمزقهم فيه وتفرقهم في اقطار الارض بالسيول والرياح وغيرها
ذلك جمعا فاقمناهم دفعة واحدة كلمح البصر وحشرناهم الى الموقف للحساب ثم العقاب والثواب وعرضنا اي
اظهرنا جهنم يومئذ اي اذ جمعناهم كذلك للكافرين عرضا ظاهرا لهم كل ما فيها من الاهوال وهم لا يجدون عنها
مصرفا ثم وصفهم بما اوجب تجهمهم فيها وتجهمها لهم فقال الذين كانت كونا كانه جبلة لهم اعينهم الوجهية والقلبية
في غطاء عن ذكري بعدم النظر فيما جعلناه على الارض زينة دليلا على الساعة بافنائه اثر احيائه
واعادته بعد ابدائه وكانوا بما جبلناهم عليه لا يستطيعون اي استطاعة عظيمة لشدة … لضعف عقولهم
وغرق استبصارهم في نقولهم سمعا لاياتي الذي ياتي بسمع العلم وتبصر الكمه وهو ابلغ في التبكيت بالغباوة والتقريع
بالبلادة من مجرد نفي البصر والسمع لان ذلك لا ينفي الاستطاعة ثم عطف على ما افهمه ذلك قوله موبخا لهم ومبكتا
افحسب اي اغطوا اعينهم عن اياتي واصموا اسماعهم عن كلماتي وعبدوا عبادي فحسبوا لضعف عقولهم وانما قال
الذين كفروا دلالة على الوصف الذي اوجب لهم ذلك ان يتخذوا اي ولو بذلوا الجهد عبادي من الاحياء كالملائكة وعزير والمسيح
والاموات كالاصنام ولما كان كل شي دونه سبحانه وكان لا يستغرق شي من الاشياء جميع ما دون رتبته من المراتب اثبت
الجار فقال من دوني اولياء اي مبتدئين اتخاذهم من دون اذني والمفعول الثاني لحسب محذوف تقديره ينصرونهم
ويدفعون عنهم ويجعلون بعضهم … ولما كانت غاية اتخاذ الولي ان يفعل ما يفعل القريب من النصرة
والحماية من كل من … لان اولياءهم كالعجل للضعف فلا يقدر احد على منعها
عنهم … فيه انهم خسروا
خسارة لاربح معها وخاب ما كانوا يؤملون امره ان ينبههم على ذلك فقال انا اعتدنا اي هيانا … لكل عبد سو ليبث
عينه في غطا عن الذكر ولا في سمعه حجر عن الوحي اخبارا عظيما ايها التاركون من لا خالق ولا رازق لهم سواه والمتملون على

على من ليس بيده شي من خلق ولا رزق ولا غيره بالاخسرين ولما كانت اعمالهم مختلفة فمنهم من يعبد الملائكة
ومنهم من يعبد النجوم ومنهم من يعبد بعض الانبيا ومنهم من يعبد الاوثان ومنهم من كفر بغير ذلك جمع المميز فقال
اعمالا ثم وصفهم بضد ما يدعونه لانفسهم من نجاح السعي واحسان الصنع فقال الذين ضل سعيهم اي جار عن القصد
فبطل في الحياة الدنيا لاعراض عمن لا ينفعكم ولا يضركم الا هواه الاتباع الى ما لا نفع فيه ولا ضر وهم اي والحال انهم مع ظهور
ذلك كالشمس يحسبون لضعف عقولهم انهم يحسنون صنعا اي فعلا هو في غاية الاحكام وهم في غاية الرديه
به وروى البخاري في التفسير عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان الاخسرين اليهود والنصارى قال اما اليهود فكفروا
بمحمد صلى الله عليه وسلم واما النصارى فكفروا بالجنة فقالوا لا طعام فيها ولا شراب انتهى قلت وكذا قال اليهود لان الذين
انكروا الحشر الجسماني وخصوه بالروحاني ولما كانوا ينكرون انكم على ذلك لله ذمهم لكثير من محاسن الاعمال البعيدة عن
الضلال لبين لهم السبب في بطلان سعيهم بقوله اولئك اي البعدا البغضا الذين كفروا اي اوقعوا الستر
والتغطية لما من حقه ان يظهر ويشهر مستهينين بايات ربهم من كلامه وافعاله ومبين سبب هذا الكفر بقوله
ولقائه اي فصاروا لا يخافون فلا يردهم شي عن اهوائهم فحبطت اي بسبب ذلك بطلت وفسدت بسبب جحدهم للدلائل
اعمالهم لعدم بنائها على اساس الايمان فلا اي فتسبب عن سقوطها انا لا نقيم لهم بما لنا من الكبريا والعظمة
المانعين من اعتراض احد علينا او شفاعته بغير اذننا يوم القيامة وزنا اي لا نعتبرهم لكونهم جعلوا امرنا
الذي لا شي اظهر منه وامنوا مكرنا ولا شي اخطر منه ولما كان هذا السياق في الدلالة على انهم اوضح من الشمس قال
ذلك اي الامر العظيم الذي بيناه من عبدهم جزاوهم لكن لما كان ما لا يعقل لهم وعبادتهم من الجزا بقوله جهنم
وصرح بالسبب بقوله بما كفروا اي اوقعوا التغطية للدلائل واتخذوا اياتي التي هي مع انارتها اجد الجد وابعد شي عن
الهزل ورسلي المويدين بتاييدي تعالى مع ما لهم من النباهة والفضل هزوا فلم يكتفوا بالكفر الذي هو طعن في الالهية
حتى ضموا اليه الهزو الذي هو اعظم احتقارا ولما بين ما للاخسرين اهل الجمع تنفيرا عنهم بين ما للاخر على تقدير الجواب
لسوال يقتضيه الحال ترغيبا في اتباعهم والاقتداء بهم فقال ان الذين امنوا اي باشروا الايمان وعملوا تصديقا
لايمانهم الصالحات من الخصال كانت لهم لبنا اعمالهم على الاساس جنات بساتين الفردوس اي اعلى الجنة وهو
بالحقيقة لانخفاض ما دونه عنه وستر من يدخله كثرة اشجاره نزلا عما كان للسعير والاغلال نزلا ولبث نزلا
يعد لهم حين الدخول خالدين فيها بعد دخولهم لا يبغون اي يريدون ادنى ارادة عنها حولا لانه لا مزيد
عليها دفعا لما ربما يتوهم من ان الامر كان في الدنيا من ان كل احد ولو في نعيم كان يشتهي ما هو اعلى منه لان طول الاقامة
يورث السامة بل هم في غاية الرضا بما فيها من انواع الملاذ التي لا حصر لها ولا انقضا لا يشتهي احد منهم غير ما عنده
سوا كان في الفردوس او ما دونه وهو تعريض بالكفرة في انهم يصطرخون في النار ربنا اخرجنا منها وذلك عكس ما
كان في الدنيا من ركون الكفار اليها وحبهم طول البقا فيها وعزوف المومنين عنها وشوقهم الى ربهم بمفارقتها
ولما اتم الجواب عن اسئلتهم على اتم الاحسن لوجوه تحلا بما تراه من الحجج البينة والتعابير اللازمة لهم بفصل
النزاع واتبع ذلك بنص الامر الذي باغفاله تجرءوا على الكفر ومواس النجب الى ان ختمه بما يقتضي ان معلوماته
لا تحد لان مقدوراته في تنعيم اهل الجنة لا اخر لها فلا تعد وكان اليهود قد اعترضوا على قوله في اولها وما اوتيتم
من العلم الا قليلا بانهم اوتوا التوراة وكان لكل ما سالوا عنه من الفصول الطويلة الذيول امور تقول
وكان ربما قال قايل ما له لا يزيد ذلك شرحا قال تعالى امرا بالجواب عن ذلك كله معلما لهم بانهم لا يمكنهم الوقوف
على تمام شرح شي من معلوماته واخرا استقصا الشي من مقدوراته قطعا لهم عن السوال وتقريبا الى
افهامهم بضرب من الامثال قل اي يا اشرف الخلق لهم لو كان البحر اي ماوه على عظمته عندكم مدادا
وهو اسم لما تمد به الدواة من الحبر لكلمات اي لكتب كلمات ربي المحسن الي في وصف ذلك وغيره مما تعنتموه
في السوال عما سالتم عنه او غير ذلك لنفد اي فني مع الضعف فلا تدارك له البحر لانه جسم متناه
ولما كانت المخلوقات لكونها ممكنة ليس لها من ذاتها الا العدم وكانت الكلمات من صفة الله وصفات الله واجبة
الوجود فكان نفادها محالا فكان نفاد الممكن من البحر وما هو بالنسبة اليها مستغرقا للازمنة كلها جرد الظرف
من حرف الجر فقال قبل ان تنفد اي تفنى وتفرغ كلمات ربي لانها لا تتناهى لان معلوماته ومقدوراته لا تتناهى
وكل منها له شرح طويل وخطب جليل ولما لم يكن احد غيره يقدر على امداد البحر قال ولو جئنا اي بما لنا من
العظمة التي لا تكون لغيرنا بمثله مددا اي له يكتب منه لنفد ايضا وهذا كله كناية عن عدم النفاد لانه تعليق على محال
عادة لقولهم لا اتيك ما بل بحر صوفة وما دجى الليل ونحو هذا والكلمة عبارة عن الجمع الكلام اذا قليلها تنفيه الكثرة

فكيف بما هو اكثر منه وذلك اي لا يدخل تحت وصف وعبر بالنفد دون ان يقال ولم يفد ونحوه لان ذلك
كاف في قطعهم عن الاستقصا في السؤال ولان التعبير بمثل ذلك ربما فتح باباس التعنت وهو ان يجعلوا الواو للحال
فيجعلوا النفاد معتدا ابدا لك واما سورة لقمان فاقتضى سياقها في تاسيس ما فيها على الغني الحميد ومقصودها
ان يكون التعبير فيها بغير ما هنا فاتى كل سورة ابلغ بالنسبة الى سياقه مع انه ليس في افصاح واحد منهما مايدل على نفاد
الكلمات ولا عدمه وفي ابهام كل منهما بتدبر القراين في السياق وغيره ما يقطع بعدم نفادها ولا يخالف بين الايتين
وان كان التعبير في هذه السورة ادخل في التشابه ويجاب عنه بما قال ابو الحسن قوله الحرلي على
بنائه من ان ما في حيز الشرط لا يقتضي الوجود ولعل التعبير بمثل ذلك من الفتن المميزة بين من في قلبه مرض
وبين الراسخ الذي يرد المتشابه الى المحكم وهو ما دل عليه البرهان القاطع من ان الله تعالى لا غاية لذاته ولا لشي
من صفاته بل هو الاول الاخر الباقي بلا زوال والله اعلم ولما كانوا ربما قالوا ما لك لا تخبرنا من هذه الكلمات
بكل ما نسالك عنه حينما نسالك وكانوا قد استنكروا كون النبي بشرا وجوزوا كون الاله حجرا وعنتوا ايما تعنت
به ما قد سالوه بالاتيان بما تقدم بعد ان سالوهم وهي الروح واخر سجان وكان قد ثبت باجابتهم عن المسايل
على هذا الوجه انه رسول امره سبحانه ان يجيبهم عن ذلك كله بما يرد عليهم غلطهم وينقض شبههم ارشادا لهم الى اهم
ما يعنيهم من الخوف والنزاع كله دائر عليه وهو التوحيد فقال **قل انما انا** اي في الاستعداد للقدرة على ايجاد
المعدوم والاخبار بالمغيب **بشر مثلكم** اي لا امرئ ولا قدرة الا على ما يقدرني عليه ربي ولا استبعاد لرسالتي
اسفاف ذلك سنة فمن قبلي **يوحى الي** اي من الله الذي خصني بالرسالة كما اوحى الى الرسل قبلي ما لا غنى لاحد عن
علمه واعتقاده **انما الهكم** واشار الى انه لبيته بالاطلاق لا بالنظر الى جعل جاعل ولا غير ذلك فقال
الله واحد اي لا ينقسم بمجانسة ولا غيرها قادر على ما يريد لا منازع له لم يوحِ جواب ما سالتموني عنه من
عجز ولا جهل ولا هوان بي عليه هذا هو الذي يعني كل احد علمه واما ما سالتم عنه من الروح والقصتين تعنتا فامر
لو جهلتموه ما ضركم جهله وان اتبعتموني علمتموه الان وما دل عليه من امر الساعة ايمانا لانه غيب علم اليقين وعلمتموه
بعد الموت بالمشاهدة عين اليقين وبالمباشرة حق اليقين وان لم تتبعوني لم ينفعكم علمه **فمن** اي فتسبب
عن وحدته المستلزمة لقدرته من **كان يرجوا** اي يومن بمجازاته له على اعماله في الاخرة برؤيته وغيرها وانما
قال **لقاء ربه** تنبيها على انه هو المحسن الى كل احد بانفراده بخلقه ورزقه لا شريك له في شي من ذلك على قياس
ما تعلمه من العبد انه لا مالك الا هو وانه هو لمملوكه على لقائه مصرف له في اوامره في صباحه ومسائه ولما كان الجزا
من جنس العمل كان الواجب على العبد الاخلاص في عمله كما كان عمل ربه في تربيته مالا بجاد وما بعده فقال **فليعمل**
واكده للاعلام بانه لا بد مع التصديق من الاقرار فقال **عملا** اي ولو كان قليلا **صالحا** وهو ما يامره به من اصول
الدين وفروعه من التوحيد وغيره من اعمال القلب والبدن والمال ليسلم من عذابه **ولا يشرك** اي ولا يكن ذلك
العمل مبنيا على الاشارة وهو ان لا يشرك ولو بالريا **بعبادة ربه احدا** فاذا عمل ذلك اتخذ الدنيا والاخرة وقد انطبق
اخر السورة على اولها بوصف كلمات الله ثم ما يوحى اليه وكل منها اعم من الولد وغيره من الكتاب بالا قومية للدعا الى الحال
الاسلم في الطريق الاقوم وهو التوحيد عن الشرك ان عم من الولد وغيره والاحسان في العمل مع البشارة لمن امن والنذارة
لمن اعرض عن الايات والذكر فبان بذلك ان الله تعالى بوحدانيته وتمام علمه وشمول قدرته صفاتنا لكمال فهو ان المستحق
لجميع الحمد والله الموفق ** سورة مريم عليها السلام **
مقصودها بيان اتصافه سبحانه بشمول الرحمة بافاضة النعم على جميع خلقه المستلزم للدلالة على اتصافه بجميع
صفات الكمال المستلزم لشمول القدرة على ابداع المستغرب المستلزم لتمام العلم الموجب للقدرة على البعث
والتنزه عن الولد لانه لا يكون الا لمحتاج ولا يكون الا مثل الوالد ولا سمي له سبحانه فضلا عن مثل وعلى هذا دلت
تسميتها بمريم لان قصتها ادل ما فيها على تمام القدرة وشمول العلم لانها اغرب ما في المخلوقات واجمعه خلقا الادمي والجن
اقسام تولدين بعدكونه امنا ما كان بين انثى بلا توسط ذكر وان ذلك اضعف الاقسام وادا اغرب ذلك انه يتولد منها
على ضعفها اقوى النوع وهو الذكر ولاسيما ان ادقى قوة الكلام والعلم والكتاب في حال الطفولية وان يخبر بسلامته
لنفسه الكاملة فيكون الامر له لم يعد راحد مع كثرة الاعدا ان يمسه بشيء من اذى هذا الى ما جمعته من اخراج
الرطب في غير حينه من يابس الحطب من ابناع المياه في غير موضعه وعلى مثل ذلك ايضا دلت تسميتها بما في اولها
من الحروف بيان ذلك ان مخرج الكاف من اقصى اللسان مما يلي الحلق ويحاذيه من اسفل الحنك وهو ادنى من
مخرج القاف قليلا الى مقدم الفم ولها من الصفات الهمس والشدة والانفتاح والاستفال لخروجه الخالص

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد ... بن الصدور ...
... وقفي عنه